الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

عدد ممتاز

العدد ٨٠٩ — ٣ يناير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

أحمد حسن الزيات

يقدم إلى كل قارىء يتذوق الأدب ويعشق البلاغة كتبه الآتية :

١ـ فى أصول الأدب

كتاب فى الأدب والنقد ؛ يتميز بالبحث والعمق والتحليل الدقيق والرأى المبتكر.

من موضوعاته : الأدب وحظ العرب من تاريخه ، العوامل المؤثرة فى الأدب ، النقد عند العرب وأسباب ضعفهم فيه ، تاريخ حياة ألف ليلة وليلة ، أثر الثقافة العربية فى العلم والعالم ، الرواية المسرحية والملحمة وتاريخهما وقواعدهما وأقسامهما وكل ما يتصل بهما ، وهو بحث طريف يبلغ نصف الكتاب .

طبعة جديدة مزيدة فى [illegible]٠ صفحة من القطع المتوسط وثمنـــه خمسة وعشرون قرشـــاً

٢ـ تاريخ الأدب العربى

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوي ، واستيعاب موجز ، وتحليل مفصل ، واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى .

طبع عشر مرات فى ٥٢٥ صفحة
وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

٣ـ دفاع عن البلاغة

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ

يقع فى ١٩٠ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشاً عدا أجرة البريد

٤ـ وحى الرسالة

فصول فى الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

وهو مجلدان :

المجلد الأول يقع فى حوالى ٥٠٠ صفحة وثمنه أربعون قرشاً
المجلد الثانى يقع فى حوالى ٤٠٠ صفحة وثمنه أربعون قرشاً

٥ـ آلام فرتر

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف « جوته » الألمانى .

صور فيها : عواطف الشاب فى وقت نزوعه إلى الحب وولوعه بالجمال واتحاده مع الطبيعة ... وقد قال عنها لصديقه (أكيرمان) : « كل امرىء يأتى عليه حين من دهره يظن فيه أن (آلام فرتر) إنما كتبت له خاصة » .

ترجمتها العربية تتفق مع أصلها فى قوة الأسلوب ودقته وأناقته وجماله ... وهى مثال للترجمة الأمينة التى تنقل الصورة والفكرة وما يقوم بهما من الروح والخيال والعاطفة ...

طبعت خمس مرات وثمنها ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

٦ـ رفائيـــل

إحدى روائع القصص العالمى الواقعى لشاعر فرنسا الخالد « لامرتين » .

قص فيها بأسلوبه الشعرى تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب ... وهى « كآلام فرتر » فى دقة الترجمة وقوة الأسلوب . طبعت أربع مرات وثمنها ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

٧ـ من الأدب الفرنسى

قصائد وأقاصيص

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها .

وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

17 em Année No. 809

Lundi — 3 — 1 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٣٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٨٠٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ — ٣ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

الإسلام دين القوة



الإسلام دين القوة ؛ وهل فى ذلك شك ؟

شارعه هو الجبّار ذو القوة المتين ؛ ومبلغه هو محمدٌ الصبّار ذو العزيمة الأمين؛ وكتابه هو القرآن الذى تحدى كل إنسان وأعجز ؛ ولسانه هو العربى الذى أخرس كل لسان وأبان ؛ وقواده الخالديون هم الذين أخضعوا لسيوفهم رقاب كسرى وقيصر ؛ وخلفاؤه العمريون هم الذى رفعوا عروشهم على نواصى الشرق والغرب . فمن لم يكن قوى البأس ، قوى النفس ، قوى الإرادة ، قوى العزيمة ، قوى العقيدة ، قوى الإنسانية ، قوى الأمل ، قوى المعدة ، كان مسلماً من غير إسلام ، وعربياً من غير عروبة !

الإسلام قوة فى الرأس ، وقوة فى اللسان ، وقوة فى اليد ، وقوة فى الروح .

هو قوة فى الرأس لأنه يفرض على العقل توحيد الله بالحجة ، وتصحيح الشرع بالدليل ، وتوسيع النص بالرأى ، وتعميق الإيمان بالتفكر .

وهو قوة فى اللسان لأن البلاغة هى معجزته وأداته ؛ والبلاغة قوة فى الفكرة ، وقوة فى العاطفة ، وقوة فى العبارة .

وهو قوة فى اليد لأن موحيَه — وهو الحكيم الخبير — قد علم أن العقل بسلطانه واللسان ببيانه لا يغنيان عن الحق شيئاً إذا ما أظلم الحس وتحكمت النفس وعميت البصيرة ؛ فجعل من قوة العضل ذائداً عن كلمته وداعياً إلى حقه ومنفذاً لحكمه ومؤيداً لشرعه . كتب على المسلمين القتال فى سبيل دينهم ودينه ؛ وفرض عليهم إعدادَ القوة والخيل إرهاباً لعدوهم وعدوه ؛ وأمرهم أن يقابلوا اعتداء المعتدين بمثله . ولكن القوة التى يأمر بها الإسلام هى قوة الحكمة والرحمة والعدل ، لا قوة السفه والقسوة والجور؛ فهى قوة مزدوجة ، أو قوة فيها قوتان : قوة تهاجم البغى والعدوان فى الناس ، وقوة تدافع الأثرة والطغيان فى النفس .

والإسلام بعد ذلك قوة فى الروح لأنه يمحص جوهرها بالصيام والقيام والاعتكاف والارتياض والتأمل .

وأنت إذا عرضت على الفكر السليم الحكيم مرامى العقيدة الإسلامية ، وجدتها كلها تتجه إلى القوة ، أو إلى ما تحصل به القوة ؛ فالصلاة نظافة جسدية بالوضوء ، وطهارة روحية بالذكر ، ورياضة بدنية بالحركة . والزكاة تقوية للضعيف بالتصدق ، وتنمية للمال بالتطهير ، وتمكين للمجتمع بالتعاون . والحج قوة اجتماعية بالتعارف والتآلف ، وقوة سياسية بالتشاور والتحالف ، وقوة

اقتصادية بالبياعات والتسوق . وإن أشد ما تجتمع به القوة وتتسق عليه الحال هو الوحدة والجماعة ، وهما لباب الدعوة الإسلامية . فالوحدة هي الأساس الذي حمل ، والجماعة هي الصرح الذي قام . كانت الوحدة هي الأساس لأنها توحيدٌ لله بعد إشراك ، وتوحيدٌ للعرب بعد شتات ، وتوحيدٌ للرأي بعد تفرق ، وتوحيدٌ للغة بعد تبلبل ، وتوحيدٌ للقِبلة بعد تدابر . وكانت الجماعة هي الصرح لأنها جُمعة القلوب التي ألف بينها الله ، وجملة الشعوب التي رفع شأنها محمد . ثم قامت سياسة الإسلام على استدامة القوة بالمحافظة على الوحدة والحرص على الجماعة . فالفرد الذي يكفر بوحدة العقيدة والأمة يُقتل ، والطائفة التي تبغى على جماعة المسلمين تقاتَل . والصلاة إنما يعظم أمرها ويضاعف أجرها إذا أديت فى جماعة . وهذه الجماعة تتكرر خمس مرات كل يوم ، ثم تكبر فى صلاة الجمعة كل أسبوع ، ثم تعظم فى صلاة العيدين كل عام ، ثم تضخم فى أداء الحج مرة — على الأقل — فى كل عمر .

على ذلك كان إسلام محمد وأبى بكر وعمر ؛ وعلى ذلك كانت عروبة خالد وسعد وعمرو . كان العرب والمسلمون حينئذ يحملون المصحف للحق والسيف للباطل ؛ وكان خلفاؤهم يجمعون بين إمامة الصلاة وقيادة المعركة ، حتى بلغوا من القوة أن فعل كتاب الرشيد ما يفعل الجيش ؛ وبلغوا من المروءة أن سيّر المعتصم جيشاً لإنقاذ امرأة . فلما شتت الوحدة ، وتفرقت الجماعة ، وصارت سيوف المسلمين خُشُباً يحملها خطباؤهم على المنابر ، ومصاحفهم تمائم يعلقها مرضاهم على الصدور ، أصبحت دولهم تبعاً لكل غالب ، وتراثهم نهباً لكل غاصب ؛ وبلغوا من التخاذل والفشل أن الأندلسيين يُجليهم النصارى عن أقطارهم بالأمس فلم يجدوا الرشيد ؛ وأن الفلسطينيين يشردهم اليهود عن ديارهم اليوم فلا يجدون المعتصم !

إن مسلمى هذا الزمن الأخير صاروا من جهلهم بالدين وعجزهم فى الدنيا على أخلاق العبيد ؛ يُطأطأ إشرافُهم فلا يندى لهم جبين ، وتُنتقص أطرافهم فلا يَحمى لهم أنف ، وتنزل بهم الشدة فيتخاذلون تخاذل القطيع عاث فيه الذئب ، ويغير عليهم العدو فيتواكلون تواكل الإخوة دبّ فيهم الحسد ، وتجمعهم الخطوب فيُفرقهم الطمع والهوى ، ويلجأون إلى جمعية الدول المتحدة فيخذلهم العدو والصديق ؛ كأن الإسلام الذى كان عامل قوة وائتلاف ، قد انقلب اليوم علة ضعف واختلاف ! وكأن الدين

كنا نقول لهم بلسان الجهاد : أسلِموا تسلَموا ، يقولون لنا بلسان الاضطهاد : تنَصَّروا تنَصَّروا ! ! ولكن الإسلام دين الله لا يغيره الزمن ، ولا تجافيه الطبيعة ، ولا يعاديه العلم ، ولا تنسخه المذاهب ؛ وإنما المسلمون اليوم هم أعقاب أمم وعكارة أجناس وبقايا نظم ورواسب حضارات وربائب جهالات وطرائد ذل ، ففسدت مبادئُ الإسلام فى نفوسهم المشوبة كما يفسد الشراب الخالص فى الإناء القذِر .

إن جامعة الدول العربية كانت تعبيراً جميلاً لحلم ساور النفوس الطيبة حقبة من الزمن . ولكن الحلم قد يقع وقد لا يقع ، والتعبير قد يصدُق وقد لا يصدُق . ولو كان ميثاق هذه الجامعة قبساً من نور الله وهدياً من سنة الرسول ، لما رأيناها فى نكبة فلسطين تعد ولا تنجز ، وتقول ولا تفعل . ولو ظل أمرها قائماً على الخطب الحماسية والوعود المغرية والتصريحات البليغة والاجتماعات المتعاقبة ، لظلت فى نفوس العرب والمسلمين مناط الثقة ومعقد الرجاء ومثابة الأمن ؛ ولكن طالعها السيئ ابتلاها وهى لا تزال فى زهو النشأة وصفو المآدب بحرب الصهيونية المهينة ، فتحمست الدول السبع ، وسيّرت كتائبها الظافرة إلى عصابات اليهود فى فورة من الأناشيد والخطب ؛ فلما صار الأمر جداً والكلام فعلاً وقفوا على أطراف الميادين وقفة الحائر القلق : هـذا يتجه إلى بريطانيا وفى يده التاج الناقص ؛ وذاك يلتفت إلى أمريكا وفى كفه العقد المبرم ؛ والآخرون يتهيبون الأمر وينتظرون فى ظلال الهدنة المفروضة ما تلده الأحداث ويقرره مجلس الأمن !

وليس من هؤلاء الآخرين المنتظرين والحمد لله مصر ؛ فقد قضت عليها حمايتها للإسلام ورعايتها للعروبة وأمانتها للجامعة أن تقف وحدها فى الميدان النادر تكافح فى صدق وصبر جيوش اليهود وقواد الروس وأسلحة الأمريكان ومكر الإنجليز ؛ ثم لا تلقى من أخواتها الشقيقات إلا هتافاً كهتاف الحمام وحناناً كحنان الأوز : بروق باسمة من غير غيث ، وصكوك ضخمة من غير رصيد ! !

لقد تكشفت مأساة فلسطين — وا سوأتاه — عن قلوب شتى ووجوه متعارضة . والإسلام — كما رأيت — وحدة وجماعة . فمن فصم العروة بعد توثيقها ، ونقض اليمين بعد توكيدها ، وفرق الكلمة بعد توحيدها ، فهو مسلم من غير إيمان ، وعربى من غير شرف ، وإنسان من غير ضمير !

أحمد حسن الزيات

شفاء الروح

لصاحب العزة محمود بك تيمور



أخى المؤمن:

قصارى ما يطمح إليه فؤادك أن تكون سعيداً، وإنك لتسعى جاهداً غير وان ، باذلا كل مرتخص وغال ، لا قبلة لك إلا أن تحظى بتلك السعادة المنشودة.

ولكنك تظلم نفسك إن عددت السعادة فيما يتراءى لك من عروض الحياة ، كالغنى والجاه . فهذه العروض التي يستعصى عليك منالها ، والتي تحسب الخير أجمع فيها ، ربما كانت هي باعثة الشقاء ، ومدعاة العذاب .

وأنت فقد تجاهد وتجالد ، حتى تبلغ مأربك من هذه العروض ، وما هى إلا أن يتجلى لك ما خفى عنك ، فتعرف بعد لأى أنك كنت مخدوعاً تظن السراب ماء ، وأن الغنى والجاه وما إليهما من مظاهر الحياة إنما هو زيف زائل وزخرف باطل .

ويوم تقف على القمة بعد أن صعدت فى السلم الذى استهواك ، ترى أنك لم تظفر من جوهر السعادة بطائل ، وأن من حولك غيوم الحياة وظلماتها مطبقة عليك ، وأنك لم تنكشف عنك البأساء والضر ...

ولو سمت نفسك إلى أن تستكنه سر ذلك ، لعلمت على يقين أن المظهر قد غرك ، فقفوت أثره ، واسترسلت فى طلبه ، فلم تعن بالمخبر واللباب !

أخى المؤمن :

إن للسعادة لمنبعاً فياضاً هو « الروح » ...

فمن تنكب عنه ، لم يظفر برشفة منه ، ولو أدلت إليه السماء بأسباب ، ومن فطن له بلغ السعادة من أقرب باب !

ولا تبلغ الروح هذا المبلغ من إسعاد الإنسان إلا إذا توافر لها الصفاء والنقاء ، فإذا هى تشف وتخف ، وإذا هى تسمو إلى آفاق علوية ترفعت عن الشوائب والأدران .

فهل لى أن أكاشفك بما أسميه « تجربة » أو « وصفة » تنيلك ما تريده لروحك من صفاء وتطهر ، حتى تصل إلى شفاء النفس وتتوافر لك السعادة الحقة ؟

لست أخؤك بما يروعك سماعه ، أو يعييك فهمه ، أو يتعاصى عليك إنفاذه ...

إنها وسيلة بالغة الشيوع ، قريبة التناول ، بيد أن الناس قلما يلتفتون إلى سرها العظيم ، وأثرها الناجع ، فهم لا يتخذونها على النحو الذى يحقق تلك الغاية الغالية ...

أخى المؤمن :

نصحى إليك أن تضع مصحفاً فوق وسادك ، لا تتخذه تميمة من التمائم ، ولا تعويذة من التعاويذ ....وإنما تتخذه نبعاً فياضاً تستقى منه لروحك صفاء ، ولنفسك شفاء !

ليكن من دأبك فى إصباحك ألا تقع عينك أول ما تقع إلا على هذا الكتاب الخالد ، فرتل منه ما تيسر ، واملأ سمعك بتلك الآيات البينات ، تمتعك بسحر البيان ، وروعة الإيقاع ؛ واترك حكمها البالغة تسرى فى وليجة نفسك ، فتضىء من جوانبها ما أظلم ، وتجلو منها ما صدىء ، فإنك لا تلبث أن تحس روحك قد انسكب عليها فيض يكفل لها الطهر ، ويثير فيها الانتعاش ...

أنعم بذلك بدءاً لنهارك الوضاح !

لتصبحن وقد شاع فى أسارير ك بشر ، وامتلأت نفسك بالثقة ، ولتقبلن على عملك ناشطا فى تيمن وانشراح

وليكن كذلك من دأبك فى ليلك أن يكون ذلك المصحف آخر ما تقع عليه عينك قبل أن تسلم أجفانها للمنام ، فرتل من آى القرآن ما وسعك أن ترتل ، تطهيراً لنفسك مما علق بها من

الرأى العام في تعاليم الإسلام

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد محمد المدنى



من أهم الدعائم التى تقوم عليها عظمة الأمة ، وتستقيم بها أحوالها ؛ أن يكون فيها « رأى عام » ناضج مهيب ، يستلهمه قادتها والقائمون بأمرها ، ويخشاه من تحدثهم نفوسهم بالبغي عليها ، أو الانحراف عن الصراط السوى فى تدبير شئونها .

وأهل السياسة ، ورجال الاجتماع ، يحكمون للأمة أو عليها بحسب « الرأى العام » فيها ، فإذا كان من عادة الأفراد أن يهتموا بالشئون العامة ، ويحرصوا على أن يكون لهم توجيه فيها ، ووزن لقيمتها ، وتمييز بين الصالح والفاسد منها ؛ كانت الأمة بخير ، وكانت جديرة بأن تعيش وتكافح فى معترك هذه الحياة ، وتتبوأ بين الشعوب مكانة حسنة . وإذا كان الأفراد معنيين بشئونهم الخاصة فحسب ، يقصرون عليها جهودهم ، وينفقون فيها كل نشاطهم ، ولا يعنيهم بعد ذلك أصلحت أحوال المجتمع الذى يعيشون فيه أم فسدت ؛ فالأمة على خطر عظيم ، وهى سائرة بخطى واسعة إلى الفساد ثم الانحلال ثم الهلاك !

وهذا الأصل العلمى له شواهد من واقع الأمم فى القديم والحديث ، وله فى عصرنا الحاضر على وجه أخص أمثلة من الأمم القوية والأمم الضعيفة لا أحسبنى فى حاجة إلى الإطالة بذكرها .

وإنما أريد أن أقول : إن هذا الأصل الذى آمن به علماء الاجتماع ، وأصبح من الحقائق المسلم بها ، قد جاء به الإسلام ، فقرره الكتاب الكريم ، وبينته السنة المحمدية فى جلاء ووضوح منذ أربعة عشر قرناً !

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

وهذه الآية هى أساس المسئولية التضامنية بين جميع أفراد الشعب ، إذ توجب على الأفراد أن يكونوا دعاة إلى الخير ، آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر ، فيؤلفوا بذلك « رأياً عاماً » يُلزم كل إنسان بالاستقامة على النهج ، والتزام الصراط المستقيم ، فيما هو مولى عليه من شئون خاصة أو عامة .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن « من » فى قوله تعالى « ولتكن منكم » للتبعيض ، وأن المعنى على ذلك وجوب الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجوباً كفائياً ، أى « أنها واجبة على الكل لكن بحيث إن أقامها البعض سقطت عن الباقين ، ولو أخل بها الكل ، أثموا جميعاً » ورأى بعضهم أن « من » فى الآية ليست تبعيضية ، وإنما هى تجريدية ، كما تقول : لقيت من فلان أسداً ، وأنت تريد أن تقول لقيته هو ، والمعنى

غبار يومك ؛ ونم على وقع تلك الأهازيج العوية سابحا فى أحلام طيبة كلها روح وريحان ...

أعمل بتلك السنة لا تنحرف عنها يوما ، واتخذها لك منهجاً وإماما ، وانظر كيف تصير من حال إلى حال ، وكيف يتكامل لك حظك من سعادة النفس ونعيم الروح ...

ولا تنس هذا القرآن العظيم فى غدوٍّ ولا رواح . فإن ألمت نازلة ، أو حزب أمر ، فاجعل من آيِهِ لك مفزعاً تستظل فيه من حر ما تجد ، وإنك لشاعر من ساعتك بأن النقمة لا سلطان لها عليك ، وأن لك جلداً لا يهن ، وعزيمة لا تخور ...

أخى المؤمن :

مزية جليلة لك أن يكون ذلك الذخر الخالد من كلام الله تراثاً دانياً منك ، تلتمس فيه علاج نفسك ، وصفاء روحك ، وتمتلك به ناصية السعادة بمعناها الأسمى ، ذلك لأن هذا القرآن الكريم ينأى بك عن مكاره الأرض ، ليصل بينك وبين السماء !

محمود تيمور

على هذا ، كونوا أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

وهذا الرأى الأخير هو الحق ، وهو الذى نصير إليه ، ونقول به وذلك لأمور : منها أن الله سبحانه وتعالى يقول فى آية أخرى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وفى هذه الآية أسند الفعل صراحة إلى ضمير الأمة .

ومنها أن الله ذكر المنافقين والمؤمنين فى آيتين من سورة التوبة فقال : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر ، وينهون عن المعروف ، ويقبضون أيديهم » « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله . أولئك سيرحمهم الله » .

جعل من صفات المنافقين ودأبهم الذى طبعوا عليه أنهم ملتوون عن سبيل الحق ، يمقتون الصلاح والخير ، ويميلون إلى الفساد والشر ، فيأمرون بالمنكر ، وينهون عن المعروف ، ويقبضون أيديهم عن أعمال البر والتعاون فيبخلون ، ولا يصح أن يكون الكلام على إرادة بعض من المنافقين دون بعض ، فإنه فى صدد ذكر خصائصهم وما يعرفون به ، وفى مقابل ذلك جعل من صفات المؤمنين ولاية بعضهم بعضا ، أى الأخوة والمحبة والتناصر والتعاون على البر والتقوى ، وجعل من صفاتهم أيضاً الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله ، ولا يصح أن يكون الكلام هنا أيضاً على إرادة بعض من المؤمنين دون بعض ، لا سيما وقد ذكر من الأوصاف إقامة الصلاة ومابعدها من الفرائض العينية التى تجب على كل فرد .

ومنها أن الله تعالى ختم الآية الأولى بقوله : « وأولئك هم المفلحون » أى الفائزون بما قضت به سنته من النجاح فى الدنيا ، والنجاة فى الآخرة ، وختم الآية الأخيرة بقوله : « أولئك سيرحمهم الله » أى سيشملهم برعايته وتوفيقه وفضله ، ولا يصح أن يكون الفلاح خاصاً بالقائمين بفرض الكفاية دون غيرهم ، ولا أن تكون الرحمة مقصورة عليهم ، مع أن الله قد أباح للآخرين أن يتركوا الفعل اعتماداً على كفاية حصوله ممن قام به ، وإلا لكان بمثابة أن يبيح أمراً لا يتصل به سبب من أسباب الفلاح والرحمة .

ومنها أن الله تعالى قال فى سورة العصر « إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » فجعل الحكم بالخسارة عاماً يشمل جميع الناس ، ثم استثنى المؤمنين العاملين المتواصلين بالحق والصبر ، والتواصى بالحق هو الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فمن لم يقم بها فهو فى خسر ، وهذا حكم عام لجميع الأفراد ، يقابل الحكم بالفلاح ، والوعد بالرحمة فى الآيتين السابقتين .

من هذا يتبين أن القرآن الكريم يعتبر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شأن المؤمنين ودأبهم ، وأن كل مؤمن مكلف به تكليفاً عينياً كما هو مكلف بالصلاة والزكاة وإطاعة الله ورسوله ، وهذا طبعاً فى حدود الاستطاعة والقدرة والأمن من ترتب مفسدة أعظم ووقوع فتنة أكبر ، وإلا سقط أو وجب الكف عنه .

وقد جاءت السنة المطهرة بما جاء به الكتاب الكريم ، فمن ذلك ما رواه المحدثون عن أبى بكر رضى الله عنه من أنه قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس . إنكم تقرأون هذه الآية « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنكم تضعونها غير موضعها ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب » وفى رواية « ليس من قوم يُعمَل فيهم بمنكر ، ويُفْسَد فيهم بقبيح ، فلم يغيروه ولم ينكروه إلا حق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم » ، ومن ذلك ما رواه أحمد وابن ماجه والبيهقى وغيرهم من قوله صلى الله عليه وسلم « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » وما رواه مسلم وغيره من قوله صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

والحديث الأخير يعم بالخطاب سائر المؤمنين ، ويكلف بتغيير المنكر كلاً على حسب استطاعته : باليد أو باللسان أو بالقلب ، والتغيير بالقلب عبارة عن مقت الفاعل وعدم الرضى بفعله ، وهو وسيلة صحيحة لردع أهل الفساد ، فإن شعور المفسد بمقت القلوب له ونفور النفوس من فعله ، واحتقار الناس إياه ؛ كفيل برده عن

الإفساد من قريب أو من بعيد ، وهو أشبه بملاج الإيحاء لأنه بمثابة نهى صامت مُلحّ يتمثله المرتكب للقبيح مدويّا في أذنه ، مثابراً على تبكيته وتأنيبه .

وقد مثل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حال المؤمن بالنسبة لأخيه فقال : « المؤمن مرآة المؤمن » كما مثل لنا حال الأمة بحال راكبين في سفينة أراد بعضهم أن ينقر فيها ، فإن أخذوا على يده نجوْا ونجا معهم ، وإن تركوه هلكوا وهلك معهم .

هذا كله تربية للأمة ، وتكوين لشخصيتها ، وخَلْق لقوة المقاومة فيها ، تحصيناً لها من الفساد ، ودفماً بها في سبيل الرشاد .

وقد قص علينا القرآن أمر بنى إسرائيل لما انهدم فيهم هذا الأصل ، وسامحوا فيه وداهنوا ، فقال : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » واللعن عقوبة شديدة فظيمة ، هى الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، والحرمان من توفيقه ورعايته ، ولاشك أن أمة تصاب بذلك هى أمة هالكة بائرة ، وقد ذكر الله سبب هذا اللعن الذى عوقبوا به على لسان داود وعيسى بن مريم فبين لنا أنه العصيان والاعتداء وعدم التناهى عن المنكر ثم ذم صنيعهم فى ذلك بهذه العبارة البليغة المؤكدة بالقسم : « لبئس ما كانوا يفعلون » .

كما قصت علينا السنة النبوية ذلك لنعتبر به ، فقد روى أبو داود وغيره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل كان الرجلُ يلقى الرجلَ فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائل » وكان متكئاً فجلس وقال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد المسىء ، ولتأطرنه على الحق أطرا(1) — أو تقصرنه على الحق قصراً — أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ، أو ليلعنكم كما لعنهم » .

وقد تحدث الله جل علاه عن « الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » فقال وعداً ، واشتراطاً عليهم : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوىٌّ عزيز : الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

فبعث بذلك فى كل فرد من أفراد المؤمنين رغبة النصر والقوة والعزة على شرائط يؤدبها من بينها هذا الركن الأساسى العظيم ، وقد وفى الله للمؤمنين بوعده حين وفوا له تعالى بما شرط عليهم ، فلما كان شأنهم قول الحق ، والإنكار على الظالم ، وبذل النصح ، وتقويم المعوج ، والدعوة إلى الخير والمعروف ، أصلح الله شأنهم ، وأعز دولتهم ، وأخاف أعداءهم ، ولما جاملوا فى الحق ، وتسامحوا فى درء المفاسد ، ودفع المنكرات ، وضعفوا عن مجابهة المبطلين ، ضرب الله بعضهم ببعض ، وأصابهم بالانحلال ، وأصبحوا أفراداً ممزقين ، يتجاورون فى الأوطان ، دون أن يجمعهم وصف الأمة المتعاونة المتكاتفة ذات « الرأى العام » الناضج المهيب .

« وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

محمد محمد المدنى

المفتش بالأزهر

(1) أطره يأطره — من بابى ضرب وكتب — : عطفه وثناه .

الإسلام فى تركيا

للأستاذ محمد فريد وجدى



مر على تركيا عهد كانت فيه كسائر الأمم الشرقية تحت وصاية رجال الدين. فكان للدولة شيخ للإسلام له رأى مسموع فى الشئون الحكومية والسياسة الدولية، وكان له ألوف من الأتباع منبثين فى جميع الولايات يؤيدهم الشعب فى إملاء إرادتهم على الولاة . وكان يقوم إزاء هؤلاء الممثلين للدين رجال انتحلوا لأنفسهم صفة التصوف ، وليس أكثرهم منها فى شىء ، يطعمون عقلية الناس بوجهات نظر فى الدين قد تنافيه أو تحد من سماحته . وكان الشعب التركى فى الثلاثة القرون الأخيرة قد تعب من مواصلة الجهاد ، ولكن التارات التى لأوروبا عليه لم تخمد جذوتها ، بل زادت اشتعالا انتهازاً للفرصة ، فكان هذا الشعب الجرىء الصبور يتحمل الشدائد ولا تلين له قناة نحو قرنين متواليين .

فى هذه الأثناء أكثرت تركيا من البعوث العلمية لأوروبا ، وأكثرت من حصة ألمانيا فى الناحية العسكرية ؛ وألمانيا كانت معشش الفلسفة المادية فى القرن التاسع عشر كله ، حيث نبغ شيوخ الإلحاد وممثلوه ، فاقتبس منهم شبان الأتراك أكثر نظرياتهم ، ولما عادوا إلى أوطانهم أشاعوها ، فوجدت رواجاً بين المتعلمين ، وساعد على هذا الرواج تشدد بعض الشيوخ فى رجعية ظاهرة البطلان .

فلما حدثت الحرب العامة فى سنة ١٩١٤ وانتهت بهزيمة ألمانيا وأنصارها ، وكانت تركيا منهم ، وتقرر الصلح ، شعرت تركيا بأن خصومها يريدون الإجهاز عليها ، فثارت ثورة استبسال تيقظت فيها جميع مصادر قوتها وبسالتها ، وتجلت فيها روح عزتها وكرامتها ، ووقفت للدول المنتصرة على حدود بلادها والسيف فى يدها تذود عن وجودها بذماء من حياة بقيت لها . فأخضع الله أعداءها لهذا المظهر الرائع من حوادث البطولة النادرة ، وكان جزاؤها أن أعطيت كل ما طالبت به من حقوقها الاجتماعية كافة ، وحدودها الطبيعية كدولة . فكان هذا حادثاً فذاً لم يشهد له التاريخ نظيراً .

أدركت تركيا أن ما كانت قائمة عليه من الأصول ، ونائئة تحت أعبائه من التقاليد ، لا يصلح أن يقيمها على طريق الأحياء كدولة عصرية ، فعمدت إلى إزالته جملة بما فيه من خير وشر ، لتنتحل شخصية الأمم الراقية طفرة ، وغاب عنها أن ذلك إنما يمكن أن يكون والدماء لم تهدأ من غليانها بعد ؛ ولكن بعد أن يسكن جاش الأمة ، ويهدأ بالها ، وتطمئن على كيانها ، تتيقظ مطالبها الروحية ، وحاجاتها الوجدانية ، وأخصها الدين ، وأين هو ؟ التمس الناس حفاظه فوجدوهم قد لبسوا القبعات واندمجوا فى الشعب يعملون لكسب قوتهم !

نعم ، وجدوا المساجد مفتحة الأبواب تستقبل جماهير المصلين ، ولكن أين الدروس الدينية ، وأين الوعاظ والمرشدون ، وأين القضاة والمفتون ؛ بل أين الطلبة المعممون ، وأين أساتيذهم الموقرون ؟ !

الثورة قد أتت على كل هذه التقاليد ، حتى إنك كنت لو سألت عن مصير هذه الحالة ، قيل لك إن الحكومة ستصنع للدين وتدريسه نظاماً لا يمكن معه أن تستغل سذاجة العامة للدس عليه ما ليس فيه ، أو لإظهاره على غير ما هو عليه من النزاهة المثالية ، والروح الوثابة ، والمظهر المهيب . ثم يعقب ذلك سكوت طويل !

وكانت البلاد التركية غاصة بالملاجىء الدينية ، والتكايا الذهبية

تأوى إليها عشرات الألوف من أهل البطالة يستغفلون بساطة النساء وضعفاء العقول ، فكان الناس لايجدون منهم رجلا يتلكأ في مشيته تحت جبته الفضفاضة ، إلا خفوا إليه يقبلون يده ، ويتلمسون البركة من الاتصال به ، غير مفكرين في الأسباب العادية ، والعوامل المادية ؛ فكانت هذه الحالة من التعويل على الأوهام سبباً رئيسياً في تقاعس الدهماء عن التفكير في معترك الحياة ، وعن افتقارها إلى علم ومال ودؤوب . فكان النجاح في نظرهم تابعاً للحظوظ تصيب هذا وتخطىء ذاك ، ومن تصب ترفعه إلى أعلى مما يتوق إليه ، ومن تخطىء تقذف به إلى مكان سحيق !

هذه كانت الحالة العقلية للشعب التركي على نحو سائر العقليات الشرقية التي ينتظمها جيعاً رباط وثيق .

فكان رجال الثورة لا يجرؤن على إعادة الحرية الدينية خشية أن تفقدهم كلما حصلوه بجهادهم العنيف . وبعد أن مضى نحو ربع قرن على هذه الحالة نشأ رأى معتدل ناضل عن الحرية الدينية في نطاق حدده المسؤولون عن حفظ كيان الشعب ، وإبعاد الغوائل عنه . أول من اقتحم هذه العقبة كان (جلال بايار) الذي كان رئيساً للوزارة وزعيما للحزب الديمقراطي . فطلب إلى الحكومة أن تحترم دين الأمة وهو الإسلام ، وأن تسمح بالعمل على نشره وبتدريسه في المدارس الابتدائية والثانوية .

فقبلت الحكومة هذا الطلب واشترطت شروطاً كلها ضمانات قوية لسلامة الإسلام من العبث ، فشرطت أن لا يدرس كتاب في المدارس إلا إذا أقرت الحكومة على تدريسه فيها .

واشترطت كذلك أن لا يدرس الدين إلا للذين حصلوا على معلومات دراسية في مدارس الحكومة أو التي تعترف بها . وهذا الشرط وإن ظهر مبالغاً فيه ، إلا أنه يمكن قبوله على اعتبار أن الذهن الخالي من المعلومات ، لا ينبغي أن يتعلم إلا ما لابد منه من النطق بالشهادتين ، وحفظ آيات من القرآن ليصلي بها . ولعلهم منعوا تعليم الجهال العلوم الدينية لكيلا يتبعوا سبيل قدماء الشيوخ في التحكم بنصوص الدين على كل شيء ، وبتكفير المسلمين على أقل ما يتخيل أن فيه مساساً بالعقيدة . هذا فضلا عن مثوله بين المتعلمين على حال لا يتفق والمتفقه في الدين من الجهل ببسائط العلوم الطبيعية ، وأوليات الشؤون التاريخية والاجتماعية . ومثل هذا وإن كان لا يخشى منه أقل تأثير على المتعلمين ، ولكنه يعتبر كلامه عند العامة من العلم في صميم الصميم .

الخلاصة أن الأتراك بعد أن طال صمتهم عن الشؤون الدينية التي كانوا يعتبرونها شخصية محضة للأفراد ، عادوا فاعترفوا رسمياً بأن دين الأمة التركية الإسلام ، واستخدموا هذا التعبير في اكتساب هوى الشعوب العربية . وكل هذا كان من ضروريات الثورة ، فإن أخص مميزاتها إحداث انقلابات تعقبها انتقالات . وقد حدث مثل هذا الأمر في كل أمة . ففي الثورة القريبة منا ، وهي الثورة الفرنسية أنكروا الدين والخالق جل وعز ، ثم عادوا بعد عشرات من السنين إلى ما كانوا عليه ، ولكن كانت الثورة أتت على كل ما يخشونه مما يوهن حركة الزياد عن ثمرات الثورة ، أو يضيع الحقوق التي اكتسبت منها .

الأمر الذي نريد لفت النظر إليه في الثورة التركية أنها سمحت بتأسيس كلية لتعليم أصول الدين الإسلامي ، ومدارس أخرى لتخريج من يتولون التعليم الديني ، ولكنها اشترطت أن يكون طلبتها ممن أتموا دراستهم الثانوية في المدارس الحكومية وحصلوا على شهادة الثقافة منها .

وأحسن من هذا وأعظم أثراً في خدمة الإسلام الحق وحماية الأمة من تسرب التعاليم الضارة إليها باسم الدين أن الحكومة التركية شرطت أن لا يطبع كتاب ديني ويدرس في المملكة التركية إلا بعد أن يعرض على مجلس النواب ليدرسوه ويتباحثوا فيه ويقروه ..

هذا وحده خير ما أثمرته ثقافة القرن العشرين للاسلام ، فإن أى كتاب يكون قد قمش بين دفتيه من حق وباطل ، وجمع بين غث وسمين ، لا يمكن أن يتغفل مئات من النواب وألوف من رجال الصحافة والكتابة ، ويحصل على تصريح بالطبع فيفسد عقيدة المسلمين .

هذه الرقابة الثمينة وحدها سيكون من أخص آثارها قطع دابر البدع التي شاعت بين المسلمين حتى حلت محل الدين نفسه لديهم . ولأول مرة — بعد قليل من السنين — سيشهد مصلحو المسلمين أن شعباً إسلامياً عدد أفراده عشرون مليوناً يدينون بالإسلام خالصاً من البدع التي شوهت جماله زهاء ألف من السنين في بقاع أخرى من بلاد المسلمين .

محمد فريد وجدي

يا أيها العرب!

للأستاذ علي الطنطاوي



يا أيها المستمعون إليّ، مقبلين عليّ، ويا أيها السامعون وهم معرضون، يلهون في القهوات أو يتبخترون في الطرقات، إلى العالم في مكتبه، والعامل في معمله والمرأة في بيتها، والطفل في مدرسته إلى من يتفيأ الظلال من جنات الشام، ويترشف الزلال من نيل مصر، ومن يتنعم بفيء النخيل على شط دجلة، ومن يضحى بشمس القفار من فلوات الحجاز، ومن شرّق من العرب ومن غرّب ...

يا أيها العرب جميعاً . . هل تدرون ما هو أعظم خطب يمكن أن ينزل بنا . وما هي أدهى مصيبة يخشى أن تصيبنا ؟ لا ، ليست الاستعمار الأجنبي ، فسنجاهد حتى لا يبقى في ديار العروبة ، ومنازل الإسلام غاصب أجنبي ، وليست مشكلة إسرائيل فسنحارب حتى نسلم (إسرائيل) إلى عزرائيل ، ولكن المصيبة أن نكفر بأنفسنا ، وأن نجهل أقدارنا ، وأن لا نعرف فوق الأرض مكاننا ، وأن نحسب أننا خلقنا لنكون أبداً أضعف من الغربيين ، وأجهل منهم ، وأن ننسى أن أجدادنا لما خرجوا يفتحون الديار ، كانوا أقوى منا على عدونا ، وأنهم أقدموا بسيوف ملفوفة بالخرق على عدو كان أكثر عدداً وأقوى عُدداً وأضخم عمراناً ، وأكثر علماً ومالاً . فظفروا به ، وانتصروا عليه . وأن الأيام دول ، والدهر دولاب ، يهبط العالي ، ويعلو الذي هبط ، ويذلّ العزيز ، ويعزّ الذي ذلّ ، وإن دار علينا الدهر حيناً ، فافترقنا وتباعدنا ، ولفّنا بعد إشراق النهار ليل مظلم ، أغمضنا فيه عيوننا ، وأغمدنا فيه سيوفنا ، فلم نبصر اللص يدخل علينا ، ولم نَنْـهَدْ إليه لنردّه عنا ، وحسبنا لطول الليل أن لا صباح له ، فقد طلع الآن الصباح ، وانقضى الليل ، وهبّ النائمون يمشون إلى الأمام ...

إلى الأمام ! وإلا فما هذه الثورات ، وما هذه الوثبات ؟ وما هذه الوحدة في العواطف ، حتى لتهتز الشام لكل حادث في العراق ، وتغضب مصر لكل عدوان على الشام ، ويثور المشرق لنصرة المغرب ، وتقوم مراكش لتأييد أندونسيا ، وتهبّ الباكستان للدفاع عن فلسطين ؟

إلى الأمام ! وإلا فما لمصر ، صارت فيها الفكرة العربية ديناً وكانت من قبل تعيش عامتها في ظلام العزلة ، وتحيا (بعض) خاصّتها في ضلال الفرعونية ؟

إلى الأمام ! وإلا فهل كانت تظن فرنسا ويظن عبيدها أن سيقطع الله دابرها من سورية ومن لبنان ، ومن لبنان يا أيها السادة! وهل كان يظنّ الانكليز أنهم سيضطرون إلى الخروج من وادي مصر ، وأن العراق سيقطع اليد التي تحاول أن توقع معاهدة ليس فيها خير العراق ، وهل كان يظن أحد أن الهند ، الهند ستتحرر وأنها ستكون في الدنيا دولة إسلامية فيها مئة مليون .

إن هذه المظاهرات ، وهذه الثورات ، حركات السائل الناري في باطن الأرض ، إنها الهزّة ، ثم تكون الرجفة ، ثم يكون الزلزال . ثم ينفجر البركان بالحمم ، وتفتح أبواب جهنم ، فلا يقف أمامها شيطان من الشياطين ، ولو كان له مال (حاييم) ، ودهاء (جون بول) ، وقوة (الدب) ، وإقدام (العم سام) .

لسنا اليوم كما كنا من خمسين سنة ، كنا نخاف أوربة لأننا نجهل ما عندها ، وكنا نخشاها لأننا ما عرفناها ، أما اليوم فقد هتك الستار ، وكشفت الأسرار ، وعرفنا أن هذه الدنية مدنية الظفر والناب وأنها حضارة الذئاب ...

فيا أيها العرب ، فوق كل أرض ، وتحت كل سماء ، لقد جئت الليلة ، ليلة هجرة محمد ، أستحلفكم بقبر محمد ، وبالمسجد

(*) أذيعت من دمشق ولم تنشر

الأقصى ، وبمهد عيسى ، وبأمجاد الماضى ، وبآمال الآتى ، أن تثقوا بربكم ، وأن لا تعتمدوا إلا على نفوسكم ، وأن تعلموا أن النازلات امتحان للهمم ، وتمحيص للأمم ، وأن لا تكفروا بالبطولة التى صبها فى دمائكم يا أيها العرب ، سيد العرب محمد ، وأن تأخذوا من سيرة محمد الذى اجتمعتم الليلة للاحتفال بذكراه دروس البطولة والعزم والنضال .

وأن تذكروا موقف محمد يوم كانت المدينة على حافة الخطر وكانت معرَّضة لأقوى هجوم يمكن أن تقوم به جزيرة العرب ، وكان على الطريق إليها ثلاثة جيوش فيها عشرة آلاف مقاتل ، والمسلمون كل المسلمين يومئذ ثلاثة آلاف، وأن المدينة قد (تسقط) بين ساعة وساعة ، ويقضى على الإسلام ، فما ذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ذا صنع المسلمون ؟

هل تحيروا حتى لا يدرون ما ذا يصنعون ، فجلوا يرتجلون الخطط ، ويبتدعون الآراء ؟ هل كفوا أيديهم عن العدو وأطلقوا ألسنتهم عليه ، فرموه بالخطب والتصريحات ؟ هل أضاعوا الفرصة وأمضوا الأيام فى الاجتماعات والمؤتمرات ؟ هل اختلفوا وتنازعوا ؟ وهل فكر الأغنياء فى أن يستأجروا بيوتاً فى الأرياف ليفروا إليها ، إذا نزلت الملمات وكانت (الغارات) ؟

لا يا سادة .. لم يفكر فى الفرار إلا (المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) . أما المسلمون فكانوا يعلمون أن المسلم الذى يفرّ من بلده إذا دهمه العدو لا يكون مسلماً ، وأن الإسلام يفرض القتال عند ذلك على الرجال والنساء فرض عين كفرض الصلاة .

لا ، ولم يعتكف رسول الله فى مسجده ، ليدعو عليهم ، ولو دعا لاستجاب الله دعاءه ، ولكنه أراد أن يأتى البيوت من أبوابها ، ويجر النتائج بأسبابها ، ويعلم هذه الأمة كيف تصنع إذا دهمتها المخاوف ، وحاقت بها الأخطار ، وشرع يحفر الخندق والخندق هو (الملجأ الفنى) من (غارات) تلك الأيام ، ولم يكن العرب يعرفون الخنادق بل هى من طرائق العجم فى قتالها .

وكذلك كان محمد يعدّ لعدوه أحدث المخترعات الحربية ، ويفاجئه بـ (أسلحة جديدة) لم يسمع بها . لم يأمر بحفر الخندق وهو مقيم فى داره ، هادئ هانئ مستريح ، بل عمل معهم ، يده قبل أيديهم ، حمل التراب حتى غطى بطنه التراب ، وجاعوا فجاع معهم ، وربط على وسطه من الجوع الحجر ، وكان أقواهم يداً ، وأثبتهم قلباً ، عرضت صخرة لم تعمل فيها المعاول ، ولم تؤثر فيها سواعد الرجال ، فلجأوا إلى محمد ، فلم يستطع أن يكسرها إلا ساعد محمد ، وهو يعمل بلا قميص شأن الرياضى القوى ، لا شأن هؤلاء (المشايخ) الذين يمشون ورؤوسهم محْنِيَّة ، وأطرافهم متخاذلة ... كأنْ قد هدَّهم المرض !

أعدَّ الخندق لـ (الدفاع السلبى) ، ثم خرج مع المسلمون لـ (الدفاع الإيجابى) ، وولى على المدينة ابن أم مكتوم ما اختاره لعصبية أسرة ، ولا لجامعة حزب ، ولا لصلة قرابة ، بل لأنه أحق بالولاية وأولى بها ، ولم ينازعه أحد ولايته لأن الأمة التى تشتغل بالحزبيات ، وتتنازع على الكراسى ، والعدو على الأبواب لا تستحق الحياة .

وأحاط العدو بالمدينة ، واشتد الخطب وعظم البلاء ، وقلّت الأقوات ، وجاءت فى خلال ذلك قاصمة الظهر بأن الحلفاء من يهود قريظة ، خانوا العهد ، وأخلفوا الوعد ، وغلبت عليهم نجاسة طباعهم ، ونذالة أخلاقهم ، صفة اليهود أبداً ، أينما كانوا وحيثما وُجدوا . فلم يفارق محمداً ثباته وعزمه ، وبعث يتحقق الخبر ، وأمر رسوله أن يعلن إن وجده كذباً لتقوى العزائم ، وتشتد الهمم ، وإن وجده صدقاً لحن له به ، ولم يخبر به الناس ، لئلا تكون الأسرار العسكرية حديث المجالس ، وأسمار السمار .

وأحسَّ بالأمر المنافقون ، وما تخلو أمة من (منافقين ...) ومن دعاة الشر وبغاة الهزيمة ، فأعلنوا ما كان مضمراً ، و(زاغت الأبصارُ ، وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ ، وتظنونَ باللهِ الظنونَ ، هُنالك ابتُلى المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديداً . وإذْ يقولُ المنافقون والذين فى قُلوبهم مرضٌ : ما وعدَنا اللهُ ورسوله إلا غُروراً . وإذْ قالتْ طائفةٌ منهمْ يا أهل يثرب لا مُقام لكُمْ فارجعوا ، ويستأذنُ فريقٌ منهمُ النبيَّ يقولونَ إنَّ بيوتنا عورةٌ ، وما هى بعورة ، إنْ يُريدُونَ إلا فِراراً) . واجتمع على المسلمين العدو القوى والبرد والجوع وخيانة الحليف وتثبيط المنافق ، فقضى رسول الله على (الانقسام الداخلى) وصبر على الحصار ، ثم صمد

للهجوم ، واستعمل كل سلاح ، لحفر الخندق ، وحارب بالسيف وحارب بالحيلة . فكان الظافر فى الحرب الدفاعية ، وفى الحرب الهجومية . وفى حرب السياسة ، وفى حرب الأعصاب . وكان له النصر المؤزر .

واذكروا بعد ذلك كم جزنا من امتحان ، وكم نجونا من خطوب . يوم كرّ علينا الشرق كله بهمجيته وكثرته وقوته جيوش التتر يقودها الكلب الكلِب : هولاكو . فمرت كالسيل الحاطم ، فاجتاحت دول الإسلام (وما كان ينبغى أن يكون للاسلام إلا دولة واحدة) ؛ حتى إذا عبثت بالخلافة ، وداست بغداد ، وفعلت فى دنيا المسلمين الأفاعيل ، ولم تبق منها إلا ولايات متباعدات ضعيفات . وقف لها شيخ واحد . شيخ لم يتخذ الدين سُلّماً للدنيا ، ولا الصلاح شبكة المال . ولم يكن همّه مشيخة يزهى بها ، ولا ضياع يقتنيها ، ولا سيارة يركبها . ولا وظيفة يحظى بها . لم يكن يمدُّ يده للناس يقول قبلوها واملأوها مالاً ، ولا يقول تصدقوا بأموالكم ليأخذ هو الصدقات ، قد احتقر الدنيا فى جنب ما عرف من نعيم الآخرة ، وهان عليه أهلها ملوكهم وسوقتهم لما وقر فى نفسه من عظمة الله شيخ اسمه العز بن عبد السلام .

أثار هذا الشيخ مصر ، حتى انتصر جيش مصر الضعيف على جيوش التتر القوية ، وحفظ اللهُ به فى عين جالوت الدين والدنيا ، وأنقذ به الإسلام والحضارة . وما انتصر جيش مصر إلا بالإيمان الذى أثاره فى النفوس هذا الشيخ .

واذكروا يوم كرّ علينا الغرب كله . يقذفنا بالجنود من كل لون . ويرمينا بالأسلحة من كل نوع . وكنا دويلات وإمارات متخاذلات متقاتلات . فنصرنا الله على الغرب كله برجلين اثنين وما انتصرا إلا بالإيمان والإخلاص ، وإن تركة صلاح الدين الأيوبى بطل الدنيا ، كانت ستة عشر ديناراً ، لم يورث غيرها !

* * *

يا أيها المستمعون جميعاً . سألتكم بالله : انسوا لحظة واحدة جاهكم ومطامعكم ، وحبكم وبغضكم ، ومشاغل بيوتكم وأسواقكم وفكروا فى نفوسكم ، فيما كان عليه أجدادكم ، وما انتهت إليه حالكم . هل صنعتم مثلما صنع النبى يوم الخندق ، هل عندكم اليوم مثل الملك صلاح الدين . هل لديكم مثل الشيخ عز الدين هل أعددتم لليوم العبوس عدته . هل أحسستم إلى هذه الساعة أنكم فى حرب ؟

يا ناس !

هل تعيش أمة فى الحرب مثلما كانت تعيش فى السِّلم . لا تنقص شيئاً من لهوها وتبذيرها وغفلتها ، وإضاعتها أموال العامة وأموال الخاصة فيما لا ضرورة له ، ولا جدى منه ، وإنفاقها فى (الكماليات) التى يذهب ثمنها إلى عدوها ، فيرجع إليها رصاصاً وقنابل تنزل على دورها وصدورها ؛ هل تختلف أمة على الصغائر ، وتتنازع على المناصب ، والعدو قد غشيها فى أرضها ؟ هل ينفق فى الأمم الحية المحاربة قرش واحد إلا فى شراء النصر ؟

يا ناس !

إنى أكون خائناً لدينى ولأدبى إذا أنا غششتكم فى يوم هجرة نبيكم ، أو كتمت الحق عنكم . إنكم طالما تنكرتم لدينكم ونسيتم أقداركم ، واحتقرتم نفوسكم ، وأضعتم سلائقكم الخيّرة ، وخلائقكم النبيلة ، فى تقليد الأوربيين فى التافه من شئونهم ، وفى إعظام الأوربيين والرعب منهم . ولا سبيل لكم إلى النصر إلا بأن تعودوا فتتخلقوا بأخلاق النضال التى خلق بها أجدادكم نبيكم ، أجلوا كل اختلاف بينكم إلى نهاية هذه الحرب ، وأرجئوا كل نفقة لا ضرورة لها ، ولهو لا داعى إليه . وواجهوا العدو صفاً واحداً ، وقلباً واحداً ، قد وقفتم على الظفر قوا كم كلها وأموالكم ، واعلموا أنه لن ينفعكم والله منصب ولا مال ، إن تركتم عدوكم يقوى بضعفكم ، ويشتد بتخاذلكم ، ويزيد بنقصكم إن الدنيا مقبلة على غمرات سود ، ومرتقبة أحداثاً جساماً ، وستكون معركة لا يخرج منها إلا البطل . فيا أيها العرب : تيقظوا وتنبهوا وثقوا بربكم وعودوا إلى خلائقكم . واعرفوا أقداركم ، واعتمدوا على نفوسكم ، وأيقنوا (إن فعلتم) أنكم منصورون منصورون منصورون …

يستحيل أن تغلبكم كلاب يهود !

(دمشق) علي الطنطاوي

الشهيد

للأستاذ محمود الخفيف

(إلى روح تلميذي الشهيد ا . و . الذي قتل في سبيل الله)



رأى الموت جهماً فما أحجما … وأوحى له الكبرُ أن يَبسِما
فتى همه كان خوض الردى … وكم شق موجاً له أقتما
وظل على صهوات الحتوف … إلى أن هوى ، البطل المعلما

فتى كان فى الخُلق أوفى الخصال … كما شاء أن يتناهى الكمالْ
كما اعتدل الرمح عودٌ له … وحد الحسام له والصقال
كأن من الصخر قلباً له … وكم رفّ قبلُ لسحر الجمال

فتى مادرى قط معنى القعود … ولا عرفت روحُه من قيودْ
له همة إن تداعى الرجال … يقصر عنها العُقابُ الصَّيود
على اللهو ضنٌّ بأيامِه … وبالدم فى كل يومٍ يجود

له دعوة المجد أشهى نشيد … وأحلى الغناء رنينُ الحديدْ
إذا ساورته طيوف المنى … مشى للمنايا بعزمٍ جديد
وإن باح صَبٌّ بأحلامه … عن النصر حُلماً له لن يحيد

فتى كان فى السلم حلو الشباب … وإن كان مراً غداة الضرابْ
وضيء المحيا ترى كِبْرَهُ … وقد مازجته السجايا العذاب
إذا الليـل ضجَّ بِسُمَّارِهِ … توقدَ روحٌ له كالشهاب

وإن عصف الرأى كان الأريبا … وكان الرفيق البليغ الأديبا
وإن نُدِبَ الناسُ للصالحات … تردَّي من الفضل ثوباً قشيبا
فتى أكملَ الحب أوصافَه … فبات إلى كل قلبٍ حبيبا

وكم رشقته سهام الجفون … وأومأ حيث استوى الساحرون
وقار البطولة فى ناظريه … وإن ضجَّ فى مسمعيه المجون
وتصحو له ناعسات العيون … ويغفو فما مسه من فتون

فتى كان وهو الأبيُّ الطليق … أسيرَ هوى قلبه لا يُفيقْ
وكم ذاقَ من نشوةٍ قلبُه … وكمْ ذاق مثلَ عذاب الحريق
وعف هواهُ فما اعتاقهُ … ولا صدَّهُ عن سواء الطريق

وهام بها زهرة ناضره … أسـيرته وله آمره !
ويعمي الضلالة فى حبها … وتوحى هداه له الساحره !
وفى كل طُهرٍ يري وجهها … وينشق أنفاسها العاطره

فتى عرفتهُ السهولُ الفِساحْ … فكم هام فيها يحيِّي الصباحْ
ويملأهُ السهلُ حُريةً … وتوحى إليه الروابى الطماح
وكم أبهجتهُ مجالى الضحى … ولذ الأصيلُ له فى الرَّواح

وكم راعهُ مهرجانُ الربيع … وأسكرهُ كلُّ لحنٍ بديع
وأوحى له الخُلدَ مِنْ عيشه … مُنًى ناضراتٍ وشملٌ جميع
عصيٌّ على الرخصِ مستكبِرٌ … خفيفٌ إلى كل حُسنٍ مطيع

وكم كان يأمل فيه الأمل … ويرصدُ من عزمه ما اكتمل

لطمة على خد ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ١ —



هذا المجلس الحافل بأسباب الأنس والمسرة ، الحالي بالزَّهر والرَّيحان ، وبالقيان والندمان على الربوة المعشبة الظليلة فى أعلى « اليرموك » — قدْ حانَ أنْ يُطوى بساطه فليس فيه بعد اليوم أنيس ولا سامر ...

وهذه الأباريق فى أيدى السُّقاة المُرْد يطوفون بها على ندمان الملك ليفرغوا فى كأس كل نديم جرعةً من خمر وفى قلبه لذعة من جمر — يوشك أن يفرغ ما فيها من الشراب وتفرغ منها أيدى السقاة والندمان ...

وهذه الأقداح المترعة فى أيدى القوم تتلامس حافاتها كأن رنينها ضحكات غانيات سُكارى — قدْ حان أن تتحطم ويُراق ما فيها من الشراب فتنتشى الأرض ويصحو السكارى ...

وهذه النمارق المصفوفة والزرابى المبثوثة والكرامى المنضودة عن يمين صاحب العرش وشماله — يوشك أن ينتثر عقدها ويشتّ جمعها ، فليس فى أعلى « اليرموك » بعد اليوم عرش ولا تاج ولا صاحب سلطان ، وتغدو « مملكة غسان » ذكرى ، ويخْمُلُ ذكرُ « جبلة » وآباء جبلة من ملوك قحطان فى الشام ...

* * *

كذلك كان « جبلة بن الأيهم » ملك غسان يحدث نفسه وأصحابه من حوله يخالسونه نظرات خاشعة فيها قلق وريبة ، قد جمدت فى أيديهم أقداح الشراب فلا تدنو منها شفة ، وأعولت فى آذانهم رنات المثانى والعيدان فلا تهتز لها نفسٌ هزة طرب ، وعبقت أرواحُ العطر والبخور فى جوّ المجلس خانقة ، فلا يكاد ذو نفَس من ندامى الملك يملأ رئتيه ...

أكان قلقهم وانقباضهم لأنهم يعلمون ما تجيش به نفس الملك فى تلك اللحظة من الخواطر السود ، أم كان ذلك لأنهم لا يعلمون ...؟

وكانت جارية عاطفة على عودها فى صدر المجلس تداعب أوتاره بأنامل رخصة وهى تغنى من شعر حسان :

لله درُّ عصـــابة نادمتهم	يوماً بجلّـق فى الزمان الأول
يسقون من ورد البريص عليهمو	بَرَدَى يصفّق بالرحيق السلسل
أولاد جفنة حول قبر أبيهمو	قبر ابن مارية الكريم المفضل
يُغشوْن حتى ما تهرّ كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه أعفّـة أحسابهم	شُمّ الأنوف من الطراز الأول

ورفع الملك رأسه وهتف فى صوت تتبين فيه مرارة اليأس والأسى :

وشيخ أبٌ كم تأمي به	وأم دعا قلبها وابتهل
وتُلقى على غده أمَّةٌ	رجاها وترقب فيه البطل

أجاب إلى الموت داعي الفداء	وجن اشتياقا ليوم اللقاء
وخاض المنايا على هولها	وأوغل فى حرها كيف شاء
وكيف تعاف الردي نفسه	وفى مصرع الحر أقوى البقاء ؟

وكم بعث الموت من عاصفه	بها الأرض من حوله راجفه
وكم جن فيها جنون القتال	وزلزل من أنفسٍ واجفه
وكم أقدم البطل المستميت	ومن فوقه رعدةٌ قاصفه

وكم بات تنزف منه الجراح	وأناته أغنيات الكفاح
ويغفو وفى نفسه ومضة	تريه المنية نصراً يتاح
فبالموت يحيا موات النفوس	وتنبعث العزمات الصحاح

الخفيف

(البقية فى العدد القادم)

— حسبك يا فتاة !

وخيم الصمتُ على المكان ، وتعاقت بالملك عيونُ ندمانه وبطانته ؛ وتسلل القيان والغلمان واحداً إثر واحد ليهيئوا للملك وأصحابه خلوة ليست كما ألف الملك وألفوا من خلوات الأنس والسعادة ...

وانحدر الملك عن سريره ليقتعد الأرض ، ووضع عن رأسه تاجه ، وانحدر أصحابه عن كراسيهم فجلسوا بين يديه ، وقد أيقنوا أن أمراً ذا بال يوشك أن يحدث أو يسمعوا نبأه ...

ومضت فترة صمت قبل أن يبدأ الملك حديثه إلى ندماه من أشراف غسان ولخم وجذام ؛ ثم نطق :

— قد علمتم يا بنى العم ما كان من أمر العرب والروم فى هذه الأرض ، فليس لأصحاب « هرقل » بعد اليوم مقام فى الشام بعد أن غلبهم هؤلاء العرب النازحون من البادية على أرضهم وديارهم ، وأجلوهم عن أركة ، وتدمر ، وحوران ، وبصرى ، ودمشق ، وأجنادين ، وأذاقوهم الهوان عند « اليرموك » وفى حمص وتوشك أن تسقط فى أيديهم حلب وقنسرين فى الشمال ، وبيت المقدس فى الجنوب ...

وصمت الملك برهة ، وهو يُجيل عينيه فيمن حوله ، ثم استأنف :

— وقد علمتم يا بنى العم ما كان لنا من الجاه والسلطان فى هذه البقاع ، حيث أقمنا لأبناء غسان فى الشام عرشاً لم يزل يتوارثه آباؤنا ملكا عن ملك منذ قرون حتى آل إلينا ، لا العرب من أبناء عمومتنا فى المشرق يطمعون أن ينالوه ، ولا الروم فى الشمال ؛ فكانت مملكة الغساسنة هى الحجازَ بين العرب والروم ، وهى لهؤلاء وأولئك سوق التجارة ، وموئل السلام والحضارة ، قد سالمَنا العرب لأنهم إخوتنا فى النسب ، وشركاؤنا فى التجارة ، وسالمنا الروم لأنهم منا حيث علمتم من الحلف والمودة ، قد رضوا منا بالأتاوة ندفعها كل عام إلى قيصرهم فى القسطنطينية ، وبالكتيبة من شبابنا يحاربون معهم تحت رايتنا إذا احتاجوا فى بعض حروبهم إلى المدد والمعونة ؛ ولم يكن يدور فى وهمى يا بنى العم أن تسخر المقادير منا ومن حلفائنا الروم سخريتها هذه الأليمة ؛ فنصبح ذات يوم لنرى عرب المشرق قد دخلوا علينا الشام من أقطارها وباتوا يهددون عرش الغساسنة وعرش قسطنطين فى وقت معاً ؛ ولكن كل ذلك قد كان ولم يكن لنا بدفعه يدان !

قال كبير القوم :

وقاك الله يا مولاى وجنَّبك العوادى ، إن بيننا وبين العرب ما نعلم من النسب ، ومن حسن الجوار والمودة ؛ وقد علمنا إلى ذلك أنهم لم يطرقوا ديارنا غزاة ولا فاتحين ، ولكنهم أهل دين يدعون إليه ، وأصحاب كتاب يؤمنون بما فيه ؛ قد آمنوا بموسى وعيسى ومحمد ؛ فليس بيننا وبينهم من أسباب الخصام إلا أن نؤمن بما آمنوا ، وقد سبقناهم إلى النصرانية ، حين كانوا غارقين فى الوثنية يتعبدون لآلهة من طين ؛ فلا علينا إذا سبقونا إلى الوحدانية وثباً أن نتبعهم ونؤمن بنبيهم ؛ فإن ذلك خليق بأن يجتثَّ بيننا وبينهم أسباب الخصام والعداوة ، ولأن ندفع الأتاوة لملك عربى من أبناء عمومتنا فى يثرب ، خيرٌ من أن نكون خولاً لقيصر الروم فى القسطنطينية ؛ وإنى لآمل يامولاى أن يكون جبلة بن الأيهم فى الإسلام أعز سلطاناً منه فى الجاهلية ويتسلسل ملك الغساسنة فى أبنائك وحفدتك على عرش الشام إلى يوم الدين !

ورفَّت ابتسامة على شفتى الملك وهو يقول :

— هو ما قلت يا ابن العم ؛ وإنما بدأتُ الحديث معكم رجاء أن تنتهى إلى ذلك الرأى ؛ فقد عزمتُ منذ اليوم أن أكتب إلى عمر ، أمير المؤمنين فى يثرب ، أعلمه بذلك وأستأذنه فى القدوم عليه مُسلماً ...

— ٢ —

كان مقدم جبلة بن الأيهم إلى المدينة يوماً مشهوداً ، قد احتشد له الخلق من كل فج ليشهدوا موكب الملك الغسانى فى أبهته وسلطانه ، قد لبس ثياب الوشى منسوجاً بالفضة والذهب ، وعلى رأسه تاج الغساسنة تتضوَّأ خرزاته تحت الشمس ، ويتدلى منه قرط مارية جدته الذى تتحدث به أمثال العرب ، وقد تكنفه عن يمين وشمال ، وأمام ووراء ، خمسمائة من فرسان عك وجفنة ، يلبسون مثله ثياب الوشى ، وتلمع على رءوسهم بيضاتهم ، وتبرق مقابض السيوف فى أيديهم .

موكبٌ لم تشهد المدينة مثله منذ كانت ، فلم يبق بها يومئذ أحد إلا خرج يتفرج ، حتى النسـاء والصبيان ، وحتى الشيوخ والمعجزة ؛ صورةٌ فريدة من أمجاد غسان ، أو هي صورة من أمجاد الإسـلام في مطلع فجره لم يزل يتحدث عنها التاريخ حتى اليوم ، وإلى الغد ، وإلى الأبد !

والتقى جبلة بن الأيهم وعمر بن الخطاب ، وشهد ملك غسان أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وأقام جبلة بالمدينة حتى جاء موسم الحج ، فأعد عدته للرحلة إلى مكة ليؤدي الفريضة المكتوبة .

— ٣ —

في صعيد مكة — حيث يلتقي المسلمون كل عام من مشارق الأرض ومغاربها يطوفون بتلك البنية التي أقامها إبراهيم وإسمعيل منذ القـدم — لا يتميز ملكٌ من سُوقة ؛ كل الطائفين عُراة إلا من إزار غير مخيط يستر أبدانهم ، ليس على رءوسهم تيجان ولا عمائم ولا قلانس ، حفاة إلا من خفاف لا تستر الأقدام من ظاهر ، حُشودٌ هائلة قد وفدت من الشام واليمن ، ومن عمان والبحرين وحضر موت ، ومن مصر وبلاد البربر ، ومن المدائن والقادسية ، ومن وراء الجبال والرمال والبحار الصاخبة بالموج ؛ لا عربيٌّ في ذلك الحرم ولا أعجمي ، كلهم مسلمون يدينون بهذا الدين الواحد ، هو «جنسهم» حين ينتسبون ، وهو رباط قلوبهم حين يلتقون وحين يفترقون ، تحيتهم حين يلتقون سـلام ، وحديثهم تلبيةٌ وتسبيح ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين . مشهدٌ عميقُ الأثر ، بليغ الدلالة على أسمى معنى من معاني الإخاء والمساواة والمحبة ...

وكان جبلة الغساني يطوف مع الطائفين حول البيت ، عاري الرأس ليس عليـه تاج ولا ديباج ، إلا إزاراً غير مخيط قد لفّ جسده وتدلى عن كتفيه وانجر وراءه ... وعن يمينـه وشماله وقدامه ومن ورائه ، آلاف من الطائفين قد ائتزروا مثل إزاره ، يتزاحمون بالمنـاكب ويطأ بعضُهم أقدام بعض ، ولهم ضجيج وعجيج وهتاف باسم الله صاعدٌ إلى السماء ...

وتعثر جبلة في زحمة الطائفين وهمّ أن يقع ، حين وطئ إزاره طائفٌ من فزارة لخله ، وحمىَ أنف الملك الغساني فالتفت وراءه مُغضباً ليرى الفزاريّ الذي وطئ إزاره ، فبربر بزرة أصحاب السلطان ولطم أنف الفزاري فهشمه ...

وعبرت لحظـة اضطراب لم تطل ، ثم استأنف الحجيجُ طوافه وهُتافه ؛ لم يقطع ضجيجهم وعجيجهم إلا صيحة هاتف مستصرخ : واعمراه ! !

واستمع عمر إلى دعاء المستصرخ فدعاه إليه ...

— من أنت يا رجل ؟

— امرؤ من فزارة ...

— وما دعاك إلى الصراخ في بيت الله وحين طواف الحجيج ؟

— طائف من الطائفين لطمني فهشم أنفي وأسال دمي !

— أتعرفه ؟

— لا أعرفه اسماً ولـكني أعرفه صفة ...

— إذن نُقيدك منه !

ووقف الفزاريُّ وإلى جانبه غـلام عمر يتصفحان وجوه الناس حين مُنصرَفهم من الطواف ، حتى مرَّ جبلة فأشار إليه الفزاري : هو ذاك !

وسيق ملكُ غسان إلى مجلس أمير المؤمنين عمر ، فأوقف بين يديه ووقف الفزاري يحاذيه كتفاً إلى كتف ...

— ما ذا تقول يا أخا فزارة ؟

— هذا لطمني فهشم أنفي !

— وما تقول يا جبلة ؟

— إنه وطئ إزاري لخله ، فلولا حُرمة هذا البيت لأخذت الذي فيه عيناه !

قال عمر مغضباً :

— على رسلك يا جبلة ! أما أنت فقد أقررت ، فإما أن ترضيه وإما أقدته منك !

— أتقيده مني وأنا ملك وهو سوقة !

— يا جبلة ، إنه قد جمعك وإياه الإسلام ، فما تفضُله بشيء إلا بالتقوى !

— رويدك يا عمر ، لقـد — والله — رجوتُ أن أكون

فى الإسلام أعزُّ منى فى الجاهلية ؛ وقد كنتُ من الشرف والمهابة فى الجاهلية حيث علمتَ !

— وإنى لأرجو لك من العزة بالإسلام ما ترجوه لنفسك ؛ ولكنه أخٌ مسلم يطلب قوداً من أخٍ مسلم !

— إذن أعود إلى النصرانية ... لا يلطمنى بدوىٌّ بوَّالٌ على عقبيه !

— إن تنصرت ضربت عنقك !

انطبقت شفتا جبلة على كلام كثير لم يلفظه ، على حين ارتفعت أصوات كثيرة من وراء .

أولئك شيعة الفزارى وقومُ جبلة يتلاحَوْن حتى توشك أن تقع بينهم فتنة .

وغامت سحابة من الهم على جبين الملك ، وصمت برهة ثم نطق :

— أخِّرنى إلى غد يا أمير المؤمنين .

— لك ذلك يا جبلة !

— ٤ —

لم ينكر أحد فى البادية أمر تلك القافلة التى تُغِذُّ السير فى جنح الليل متجهة إلى الغرب ؛ ليس فى سِمات هذا الرَّكب ما يبعث الريبة ... جماعة من البدو أو من الحضر على ظهور دوابهم ، قد جعلوا يثرب وراء ظهورهم إلى غاية يقصدونها ، وما أكثر قوافل البدو والحضر على ذلك الطريق فى تلك الأيام . لعلهم بعض المتطوعة يقصدون إلى الشام مدداً للمجاهدين، أو لعلهم بعض التجار ... لم يخطر فى وهم أحد رآهم أنهم أشراف لخم وجذام وغسان ، وأن معهم جبلة بن الأيهم ، صاحب القرط والتاج وعرش جلق الفيحاء ...

وانتهت القافلة إلى تخوم الروم ، ثم استأنفت السَّير إلى القسطنطينية . وفى ضيافة قيصر ، أقام جبلة بن الأيهم ، آخر ملوك غسان ، عزيزاً مكرَّماً ، قد أقطعه القيصر قصراً ملوكيًّا ، وأوقف على بابه القهارمة والحجاب والعدد الجم من الرجال والفرسان ؛ وفى مجلسه من ذلك القصر الملوكى كلُّ ما تتوق إليه نفسٌ من أسباب الترف والبهجة ، وكل مظاهر العز والسلطان . ملِكٌ له عرش وتاج ، وقهارمة وحجاب، ووزراء ومستشارون؛ ولكن حدود مملكته لا تتجاوز جدران قصره ؛ وما ذا يعنيه أن تكون مساحة مملكته ، ما دام له مجلسه وعرشه وتاجه وكلٌّ من حوله يأتمرون بأمره ويَمنون لسلطانه ؟ وما هى أُبهةُ المُلك إلا ذاك ؟ ...

وترادفت السنون ، وانبسط ملك العرب فى الشرق والغرب ، وفى الشمال والجنوب ، حتى تاخموا الروم فى صميم بلادهم ...

ووفد رجل من أصحاب عمر بن الخطاب إلى القسطنطينية ذات يوم رسولا إلى قيصر فى شأنٍ مما يتراسل من أجله الملوك ، فرغبت نفس الرجل فى زيارة جبلة فى قصره ذاك ؛ فلم يزل يتلطف فى الإذن حتى أذن له ... فدخل إليه مجلسه ... ورأى رجلا أصهب ذا سبال ، وكان عهده بجبلة أسمر أسود اللحية والرأس ؛ فلما نظر إليه أنكره ، ثم عرفه ، ذلك أن جبلة دعا بسُحالة الذهب فذرَّها فى لحيته حتى عاد أصهب ، وكان قاعداً على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من ذهب . فلما عرف جبلة الرسول رفعه معه إلى السرير ، وجعل يسائله عن المسلمين ، وعن عمر ، وعما فتح الله على المسلمين من البلدان والممالك ، والرسول يجيبه عن كل ما يسأل ، وجبلة يسمع وشفتاه تختلجان ، وعلى وجهه تتعاقب ألوان ...

ثم أومأ جبلةُ إلى خادم بين يديه ، فذهب مسرعاً ، وإذا خدم قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام ، فوُضعت ، ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة ، فأكل جبلة وأكل ضيفه ، فلما رُفع الطعام جىء بطساس الفضة وأباريق الذهب ، فغسلوا أيديهم؛ ثم أومأ جبلة إلى خادم بين يديه ، فر مسرعاً ، وإذا خدم معهن الكراسى مرصعة بالجوهر ، فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره ، ثم اقتربت أصوات ناعمة ، وإذا عشر جوار مطمومات الشعر متكسرات فى الحلى عليهن ثياب الديباج لم ير مثل جمالهن ذو عينين ، فأقعدن عن يمين الملك ، ثم اقتربت أصوات ناعمة ، وإذا عشر جوار أخرى ، فأجلسن على الكراسى عن يساره ، ثم سمع صوت رقيق فاتن ، وإذا جارية كأنها الشمس حسناً ، على رأسها التاج ، وعلى ذلك التاج طائر ذو جناحين ، وفى يمناها جامة فيها ماء ورد ، فأومأت الجارية إلى الطائر ، فطار عن رأسها حتى وقع فى جامة ماء الورد ، فاضطرب فيه لحظة ؛ ثم

أومأت إليه ثانية ، فطار حتى نزل على صليب فى تاج جبلة ، فلم يزل يرفرف حتى نفض ما فى ريشـه من ماء الورد على التاج ؛ وابتسم جبلة ، ثم التفت إلى الجوارى اللاتى عن يمينه ، فاندفعن يتغنين : يخفقن بعيدانهن ويقلن من شعر حسان :

لله در عصـــابة نادمتهم ... ...

ثم التفت إلى الجوارى اللاتى عن يساره ، فاندفعن يتغنين :

لمن الدارُ أقفرتْ بعمان بين أعلى اليرموك فالصمان

ولمت دمعتان فى عينى جبلة ، ثم انحدرتا حتى توارتا فى لحيته ، واختلجت شفتاه اختلاجة هم وأسى . قال له ضيفه العربى دهشاً :

– أتبكى يا جبلة وأنت من هـذا النعيم فيما لا يخطر على قلب بشر ؟!

قال جبلة وقد تتابعت عيناه :

– هيهات هيهات يا أخى ؛ تمنيتُ لو لم يكن كلٌّ ما كان وعشتُ بين العرب واحداً من قومى !

قال صاحبه :

– ويلطمك فزارى على أنفك فيهشمه كما هشمت أنفه !

– ويلطمنى فزارى على أنفى أو يلطمنى عمر ؛ فذاك أعزٌّ لى من شتات دارى وجوار غير أهلى ...

ثم غلبه مدمعه ، وحضرته أشجانه ؛ فراح ينشد :

تنصرت الأشرافُ من عار لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضررْ
تكنفنى منها لجاجٌ ونخوة وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى رجعت إلى الأمر الذى قال لى عمر
وياليتنى أرعى المخاض بقفرة وكنت أسيراً فى ربيعة أو مضر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة أجالس قومى ذاهب السمع والبصر !

– ٥ –

قال عمر ، وقد عاد إليه رسولُه من القسطنطينية فوصف له ما رأى وما سمع :

– رجوت أن يشرح الله صدره للاسلام ويفىء إلى الخير ؛ فهلا منَّيته – لو أناب إلى الله – بأن يكون فى الإسلام عزيزاً ممنَّعاً ؟

قال الرجل :

– أحسبه – يا أمير المؤمنين – أهلا للانابة والفىء إلى الله ، لو ضمن أن يكون له فى الإسلام عرش وتاج ، وأن يزوجه أمير المؤمنين إحدى بناته ليكون له إلا الإمارة سبب !

فابتسم عمر وقال :

– أما صهرى فهو – والله – كفء ؛ وأما الإمارة فوددت لو أنه علم أنها ليست مغنماً يُرجى ولكنها تكاليف يفدح . إذهب إليه عن أمرى فادعه إلى الحضور على شرْطه !

وعاد الرسول من حيث أتى يريد جبلة فى قصره بالقسطنطينية ليبلغه رسالة عمر ، ولكنه لم يكد يبلغ حاضرة الروم حتى لقى الناس قافلين من تشييع جنازة جبلة بن الأيهم !

ومات آخر ملوك الغساسنة على الجاهلية وغلبته شقوة الأبد ؛ ترفعاً بنفسه عن المساواة برجل من قومه !.

محمد سعيد العريان

عبقرية محمد الإنسانية

للأستاذ أنور المعداوى

[مهداة إلى الزيات الإنسان]



إنسان عظيم ... وذلك أصدق ما يقال فيه وغاية ما يقال.

محمد الرسول فى مواقف الرسالة، ومحمد البطل فى مواقف البطولة، ومحمد الصديق فى مواقف الصداقة، ومحمد الوالد فى مواقف الأبوة، ومحمد فى كل موقف من مواقف العبقرية يحتل من نفسى مكاناً لا يدانيه مكان ... ولكن جانباً من جوانب هذا العظيم الذى يعلو أبداً فوق مستوى الأقران والنظراء، يهزنى هزاً عنيفاً كلما تمثلته فى طوايا الخاطر أو بعثته من ثنايا الشعور؛ ذلك هو محمد الإنسان!

قد ينظر غيرى إلى الجانب الإنسانى فى حياة الرسول من خلال المنظار الذى ألفه الناس، حين يتخيلون الإنسانية مجموعة فضائل يجوز أن يشترك فيها العظيم وغير العظيم ... هذا المنظار الذى ينظر من خلاله إلى إنسانية محمد ممثلة فى الرحمة والمودة والألفة والإيثار والعطف، لا يهيئ لصاحبه أن يضع يده على مفتاح هذه الشخصية الفذة فى حقيقتها البعيدة، هناك فى أعمق الأعماق وأبعد الأغوار.

إنسانية محمد لا توزن فى رأيى بذلك الميزان الذى يقام لكل رجل يمكن أن تجتمع فيه تلك الصفات، لنضع بعد ذلك فى مواجهة اسمه كلمة « إنسان » ... وإنما توزن الإنسانية فى هذا العظيم بميزان اللحظة النادرة من لحظات حياته، حين يقف وحده متفرداً فى مجال يعز فيه التفرد على كل شبيه وكل نظير. وما أكثر اللحظات النادرة فى حياة محمد الإنسان!

أنا أريد أن أنظر إلى عبقرية الإنسانية فى شخصية الرسول من خلال منظار آخر؛ منظار يحدد الزوايا التى تفترق فى المشهد الإنسانى عن نظائرها فيما تعارف عليه الناس .. إذا قلنا إن محمداً إنسان لأنه رحيم فما أكثر الرحماء، وإذا قلنا إنه إنسان لأنه وفى فما أكثر الأوفياء، وقل مثل ذلك فى سماحة الطبع والمودة والألفة والإيثار والعطف؛ فما أكثر ما كان يملك أصحابه من كل هذه الفضائل والسمات ... ولكن محمداً كان يفترق عنهم جميعاً فى هذا المجال؛ مجال المفاضلة بين « الإنسان » فى صفاته العليا التى تقررها موازين القيم والأوضاع، وبين « الإنسان العظيم » فى صفاته المثلى التى يعجز عن تقريرها موازين القيم والأوضاع!

محمد الإنسان النادر لا يوزن إلا بميزان يبحث عن الندرة الخلقية التى تضعه وحده فى كفة، وتضع فى الكفة الأخرى ما شاء لها أن تضع من الناس ... ولن يتهيأ للباحثين أن ينفذوا إلى أغوار حقيقته الإنسانية، إلا إذا وقفوا طويلا أمام تلك المشاهد التى تعرض لهم نماذج من حياة ذلك القلب العظيم؛ نماذج لا تتعدد منها الصور ولا تتكرر الألوان.

سأنظر إذاً إلى محمد الإنسان على ضوء اللحظة النادرة من لحظات حياته؛ تلك التى قلت عنها إنه يقف فيها متفرداً حين يعز التفرد على كل شبيه وكل نظير. لحظات « الضعف الإنسانى » فى حياة الرسول هى وحدها دون غيرها التى تهدى السالكين إلى معالم الطريق؛ طريق الوصول إلى حقيقته الإنسانية ... وإنه لضعف الأقوياء والقادرين حين يشرفون على الدنيا من أعلى قمة من قمم الأخلاق، ليخفضوا للناس جناح الضعف من الرحمة.

هذا « الضعف الإنسانى » فى حياة محمد ناتج من كونه إنساناً عظيماً قبل أن يكون نبياً عظيماً يحمل مشعل الهداية إلى

جيل من بعده أجيال... إن الرحمة فى موضعها أمر لا غرابة فيه ؛ ولكن الرحمة فى غير موضعها أمر تكتنفه الغرابة من كل نواحيه. وهكذا كان محمد : فهو فى موقف الرحمة حيث تطلب الرحمة « رجل عظيم » ولكنه فى موقف الرحمة حيث لا ينتظرها أحد « إنسان عظيم » . وهذه هى اللحظة النادرة التى لا يشاركه فيها أحد من الناس ، لحظة « الضعف الإنسانى » المنبعث من غلبة الإنسانية على طبيعته وتغلغلها فى كل خليقة من خلائقه ! وهى التى يسميها الباحثون رحمة دون أن يفرقوا بينها وبين الرحمة التى يقدم عليها غير العظيم أو يقدم عليها العظيم وهو غير إنسان .

يقول الأستاذ العقاد فى معرض الحديث عن إنسانية محمد : « النبي لا يكون رجلا عظيما وكفى . بل لا بد أن يكون إنساناً عظيما فيه كل خصائص الإنسانية الشاملة التى تعم الرجولة والأنوثة والأقوياء والضعفاء ، وتهيؤه للفهم عن كل جانب من جوانب بنى آدم . فيكون عارفاً بها وإن لم يكن متصفاً بها ، قادراً على علاجها وإن لم يكن معرضاً لأدوائها ، شاملا لها بعطفه وإن كان ينكرها بفكره وروحه ؛ لأنه أكبر من أن يلقاها لقاء الأنداد ، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة ، وأخبر بسعة آفاق الدنيا التى تتسع لكل شىء بين الأرض والسماء ؛ لأنه يملك مثلها آفاقاً كآفاقها ، هى آفاق الروح » .

هذه الكلمات التى يسوقها الأستاذ العقاد عن محمد الإنسان تنطبق كل الانطباق على « الرجل العظيم » لا على « الإنسان العظيم » ... لأن الرجل الذى يشمل الناس بعطفه ، ثم يفسر هذا العطف على أنه أكبر من أن يلقى الأمور لقاء الأنداد وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة ؛ هذا الرجل إذا وضع فى الميزان صاحب طبيعة خلقية تنبع فيها الرحمة من منابع العظمة النفسية تلك التى تنظر إلى كل شىء نظرة القمم إلى السفوح أو نظرة الكبير إلى الصغير... وفرق بين رحمة يفرضها على صاحبها التعاظم والكبرياء ، ورحمة يفرضها التواضع الموصول الروابط بالإنسانية فى أوسع آفاقها ، وأرفع مزاياها .

أما قول الأستاذ العقاد بأن محمداً لا بد أن يكون إنساناً عظيما لأنه نبي عظيم ، فهو فى رأيى لا يثبت ولا يؤكد إنسانية محمد فى كثير ولا قليل ، لأن محمداً كان إنساناً عظيما بأدق معانى الكلمة قبل أن يبعث رسولا إلى الناس ، والدليل على ذلك من تاريخ حياته مهيأ ميسور لكل من يلتمس الدليل ... وذلك أمر لا ريب فيه ولا جدال !

بعد هذا نعود إلى المجال الذى يجب أن يبحث فى رحابه عن محمد الإنسان ، مجال اللحظة النادرة من لحظات « الضعف الانسانى » فى حياته ! هناك حيث تبدو الرحمة فى غير موضعها لترفع الغطاء عن حقيقة هذا الإنسان العظيم :

مات عبد الله بن أبىّ ، زعيم المنافقين فى عهد الرسول ، ورأس الفتنة التى كانت تنشر سمومها فى صفوف المسلمين ، عبد الله بن أبى الذى لم يسلم محمد من كيده وشره ولسانه ، عبد الله بن أبى الذى نزل فيه وفيمن على شاكلته حكم السماء : (استغفر لهم أولا تستغفر لهم إنْ تستغفرْ لهم سبعينَ مرّةً فلن يغفرَ اللهُ لهم) ...

مات هذا المنافق فصلى عليه محمد بعد موته ، ثم تخلى لأهله عن قميصه ليكفنوه فيه ! ثم يقول لعمر حين يعتب عليه عتاباً بلغ حد التعنيف والإنكار : « أخر عنى يا عمر ، لو أعلم أنى إن زدت على السبعين غفر له زدت » ! ... ثم يقول لمن يسأله لم دفعت إليه بقميصك وهو كافر : « إن قميصى لن يغنى عنه من الله شيئاً ، وإننى أؤمل من الله أن يدخل فى الإسلام كثيراً بهذا السبب » ! ... ولم يلبث محمد إلا قليلاً حتى سمع رأى السماء : (ولا تُصلِّ على أحد منهم ماتَ أبداً ولا تقم على قبره) !

هذا هو محمد الإنسان متفرداً فى مجاله ، متوحداً فى فضائله وأعماله ... لقد كان قادراً على قتل عبد الله بن أبى ، ولكنه لم يفعل ، وكان قادراً على أن يشيعه باللعنات ولكنه لم يفعل ، لأنه إنسان ... إنسان يتسع قلبه للدنيا بما فيها : من خير وشر ، من فضيلة ورذيلة ، من إيمان ونفاق ، من وفاء وتنكر للوفاء . ويتسع للدنيا بمن فيها : سواء أكان فيها عمر بن الخطاب ، أم عبد الله بن أبى ، أكان فيها على زوج ابنته فاطمة ، أم هبار بن الأسود قاتل ابنته زينب ! ... هذه هى اللحظة التى تتجلى فيها الندرة فى الطبيعة الخلقية ؛ « لحظة الضعف الإنسانى » الذى يدفع

الرسول الكريم إلى لون فذ من الصفح والرحمة ؛ هناك حيث يأتى الصفح والرحمة على غير ترقب وانتظار ... إن الرحمة كما سبق أن قلت حين تأتى فى موضعها تكون سمة من سمات « الرجل العظيم » ، ولكنها حين تأتى فى غير موضعها كما حدث هنا تكون سمة من سمات « الإنسان العظيم » ، وفى هذا النطاق تجد محمداً ولا تجد سواه !

ويدفعنا ذكر هبار بن الأسود إلى أن نورد هنا شيئاً من قصته ، فيها لحظة أخرى من لحظات التفرد فى عبقرية محمد الإنسانية ... كانت زينب بنت الرسول فى طريقها من مكة إلى المدينة ، تلبى دعاء الشوق الأبوى المنبعث من قلب أبيها العظيم ، وكان برفقتها نفر من أهله وصحبه ليكونوا لها ملاذاً من كيد الكائدين وعدوان المعتدين ، ولكن قطاع الطريق ممن خرجوا على طاعة الرسول وكلمة السماء قد اعترضوا طريق القافلة المؤمنة والركب الآمن ، لتتندى رمال الصحراء بعد قليل بأطهر دم سال على رمال الصحراء . لقد كان دم زينب أراقته رمية رمح من يد الجارم الآثم هبار بن الأسود ؛ وحين يبلغ الأمر محمداً الوالد يتلقاه كما يتلقى الآباء مصارع الأبناء ؛ بالحزن العميق والأسى الدفين ، واللوعة التى تهز فى القلب الكبير مكامن الألم والعذاب ! ... ويهدر محمد الزعيم دم هبار بأى مكان وجد ، وبأى بلد نزل ، وبأى حى من أحياء العرب أو العجم حل متخفياً أو سافراً بغير قناع . وينطلق أصحاب محمد فى إثر ابن الأسود لا يتركون فجاً من فجاج الصحراء ولا بقعة من بقاع الأرض ، ولكنهم يعودون صفر الأيدى من ذلك المعتدى الأثيم ... ويعود الوالد المفجوع إلى حزنه وأساه !

وفى يوم من الأيام التى لا تنسى فى حياة الرسول يقتحم مجلسه رجل يخفى وجهه تحت لثامه ؛ رجل لا يملك عينيه من الدمع ، ولا قلبه من الوجل ، ولا لسانه من طلب الصفح والمغفرة وينظر الإنسان العظيم إلى هذا الذى يستجير به ويفزع إليه فيجده قاتل ابنته هبار بن الأسود ، يدفع إليه برمحه ليصنع به ما صنع بزينب جزاء ما اقترفت يداه ! ... وهنا يختفى محمد الوالد المفجوع فى أعز ما يملك من دنياه ، ولا يبقى إلا محمد « الإنسان العظيم » فى أكرم ذروة من ذرى « الضعف الإنسانى » ؛ هناك حيث يخفض لهبار جناح الضعف من الرحمة ... وهناك حيث يخرج هبار وقد غفر له ... وهناك حيث يقف محمد متفرداً فى مجال الندرة الخلقية حين يعز التفرد على كل شبيه وكل نظير !

ولحظة ثالثة وما أكثرها من لحظات ... لحظة قد يمر بها المجالى فلا يقفون أمامها طويلاً ليتأملوها تأمل المغرقين فى البحث عن جوهر النفوس ومعدن القلوب ، حين يصهرها وهج الرحمة فى بوتقة « الضعف الإنسانى » ؛ ضعف الأقوياء والقادرين !

طفل يموت ... وما أكثر ما يموت الأطفال وغير الأطفال فيتجلد الآباء أمام شبح الموت ووقع المصيبة ؛ لا يترقرق فى مآقيهم دمع ، ولا يعصف بقلوبهم حزن ، ولا يذهب بصبرهم وقدة شعور ملتاع ، وقد يكون المفجوعون أناساً لا حظ لهم من مقارعة الخطوب ولقاء الشدائد ومغالبة الأهوال ! ولكن موت إبراهيم يهز فى نفس محمد كوامن الشجن ، ويهز فى عينى محمد عصى الدموع ، محمد الذى لم تهزه الدنيا بكل ما ادخرته له من محن يرفض منها الصبر وتخور معها العزيمة ، محمد الذى توكأت على كتفيه عوادى الزمن يسير وراء إبراهيم متوكئاً على كتفى عبد الرحمن بن عوف ! ومعذور ابن عوف حين يستكثر البكاء على الرسول وينكر البكاء على الرسول ؛ لقد كان ينظر إلى « الرجل العظيم » الذى بكى ، ناسياً أن الذى بكى هو « الإنسان العظيم » ! ... ومعذور ابن عوف إذ نظر إلى محمد فوجده يبكى على غير ترقب وانتظار ؛ لقد كان عهده به جلداً أمام المصائب ، قهار للخطوب ، ولكنه نسى لحظات « الضعف الإنسانى » التى تكشف عن صدق الإنسانية حين تنتفض من جيشان العاطفة أمام أصعب الأمور وأيسر الأمور

لحظات « الضعف الإنسانى » هى وحدها الميزان الذى توزن به إنسانية محمد دون غيرها من الموازين ، وتوزن به إنسانية محمد دون غيره من الناس ... وهى هنا لحظات ثلاث ، وإنها لقليل من كثير ، وما أكثرها على قلتها فى حساب الشعور والوجدان .

أنور المعداوى

حداء الركبان

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن



مَنْ هؤلاء الصامتون ؟ تَكلموا !

مَن هـــؤلاء المحجمون ؟ تقدَّموا ! !

ما بالكم تُقضَى الأمورُ بغيركم   ويكونُ دونكم القضاءُ ويُبرم ؟

تتكلم الأسَلاتُ فوق رءوسكم   وتعج حوالكم الوغى وتُدمدم

وتكاد كفُّ الطامعين تصيبكم   وتنال ماترجو المطامع منكمو

الغانمون الأرضَ بعد محمدٍ   أضحوا وهم فى كل أرض مغنم

مَن هؤلاء الحائرون . كأنما   طال الطريق بهم فلم يتقدموا

فعلى غواربهم ضَنًى وتهدُّمٌ   وعلى ملامحهم أسى وتجهُّمُ

وكأنهم من سُوء ما صنعت بهم   أقدارُهم فى الكون لم يتبسموا !.

صبراً إذا مشت الرياح بِرَكْبكم   وأناخ كلكلَه الزمانُ عليكمو

صبراً إذا الحادى استبان سبيلهَ

فإذا الطريق على الرواحل مُظلم

صبراً إذا انبهر الحداةُ فلا تَري   فى الركب من يشدو ومن يترنم

هذى سبيلٌ سار فيها قبلَكم   مترسم فى إثرهِ مترسم

قَلبتْ وتقلبُ كلَّ من سئم السُّرى

ويكاد يقلبها الذى لا يسأمُ

ما هذه البيداء إلا أنها   تِيه يضل به الدليل المقدمُ

ما هذه الصحراء إلا أنها   ساحٌ يَخُور بها الكمىُّ المُعْلَمُ

ما هذه الموْماة إلا أنها   ليل تَحارُ به النجوم فتُعتم

ما هذه الفيفاء إلا أنها   بحرٌ تحيط بشاطئيه جهنم

هى قبر كلٍّ مجاهد لم يَطوِهِ   فى خمسة الأشبار كونٌ أعظَمُ

أكلت لحومَ الخالدين ولم تزل   يعتادها النَّهِم النديم فتنهمُ

بالأمس كان وقودها فى حرِّها   جيشٌ من الشِّرك الأثيم عرمرم

فإذا دعاء الجاهلية خافت   وإذا ثَراء الجاهلية مُعدم

وإذا الطواغيت التى قد أشركوا   بالله فوق رءوسهم تتحطم

مَن هؤلاء النائمون كأنما   لم يَهْدِ نَهْجَهُمُ الكتابُ المحكم

يبدو العياء من الليالى فوقهمْ   ويُرى الغبارُ من السنين عليهمو

فكأنهم أنضاء ركْبٍ لم يَبِنْ   للواحة الخضراء فيهم مَعْلَمُ

تتخبط الأحداث بين صفوفهم   وتموجُ بالخطب الجسيم وتُقعَمُ

أعياهمو خَبَبُ الطريق فوقَّفوا

وأخافهم فَزَعُ الطريق فأحجموا

ما بالهم لم يُجْدِ فى أسقامهم   طبٌّ ولم ينفع لديهم مرهم

عجباً أتبرأُ علةٌ فى أمة   ويصحُّ جسم والطبيبُ المسقِم ؟!

يا أيها الركبان إن سبيلكم   للمجد والعلياء أن تتقدموا

لا يُيْئِسَنَّكم الطريقُ إذا بدا   وعليه أشواك وفيه تجشُّمُ

يكفى الصياحُ فما الحياة عبارةٌ   جوفاء فارغةٌ يرددها الفمُ

الحق تحميه الصوارم والقنا   والعدل تحفظه الضحايا والدمُ

والقوة الغلباء ليس يردها   إلا القوىُّ الغالب المتغلم

محمد عبد الغنى حسن

الحديث الشريف

هل تنقيحه ممكن؟

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي



يموج العالم الغربي اليوم بمتلاطم من المذاهب والنظريات والحقائق التي بلبلته حين تكاثرت عليه، فصار لا يدري ما يأخذ، أو ما يدع.

والعالم الإسلامي عرضة لتلك الأمواج تتوافد عليه فتحدث فيه بعض ما أحدثت في عالم الغرب من اضطراب في الفكر والاعتقاد، وذلك رغم ما يملكه المسلمون من معايير وثيقة للحق والباطل تتجلى في كتاب الله وسنة الرسول.

ولعل من بوادر البلبلة الوافدة ما يبدو لبعض الناس في بعض الأحاديث الشريفة من مخالفة للعقل يقترح من أجلها تنقيح كتب الحديث القديمة أو تنقيح الأحاديث نفسها في كتب جديدة.

وتمحيص الحديث لا يمكن من الناحية النظرية إلا عن طريقين: تمحيص المتن أو تمحيص السند. فأما تمحيص الأسانيد فقد قام به أئمة الحديث على صورة لم تدع زيادة لمستزيد. ونخل الأسانيد فوق ذلك أمر غير ممكن. وأما نقد متون الأحاديث فلا يزيد على أن يكون تحكيما للرأي في الدين بحيث يصبح الدين رأيا ويصبح الرأي هو الدين.

إن القدماء كانوا على حق حين حكموا أن الطريق الوحيد المأمون في تصفية الأحاديث هو طريق تمحيص السند، لأنه بعد أن قامت الحجة القاطعة على رسالة الرسول صلوات الله عليه، وأنه لا ينطق عن الهوى في كل ما بلغه الناس عن الله، لم يبق لتمييز الحق من الباطل إلا أن تثبت القول عن الرسول. وتمحيص الأسانيد المتصلة إلى الرسول هو الطريق البديهي لهذا الإثبات.

فمن آيات الله الباهرة في حفظ هذا الدين أن وفق علماء المسلمين للقيام بتلك المهمة الكبرى قبل أن يفوت وقت إمكان القيام بها فلو تأخرت إلى ما بعد تلك العصور التي تمت فيها لأصبح القيام بها مستحيلا، إذ لو وجد العلماء الراغبون في بذل الجهد القادرون على التمحيص، لما وجد ما يفحص أو يمحص بعد موت جميع الشهود.

فمن فضل الله علينا وعلى الناس جميعا أن كان الدين وعلومه شغل العلماء الشاغل عصوراً طويلة حتى تم حفظ اللغة، وحفظ القرآن، وحفظ الحديث، وإلا أصاب الإسلام ما أصاب غيره من التحريف والتبديل والتضييع.

ولست أدري كيف يمكن إذا كان الحديث ثابتا عن الرسول أن يمتد إليه عقل، مهما قدر، بتنقيح أو تعديل! لست أدري كيف يمكن أن يجوز عند العقل أن قولا ثابتا عن الرسول الذي قطع العقل برسالته عن الله يصح أن يكون محل بحث غير بحث يرمي إلى استنباط المعنى منه، لا إلى تصحيح أو تنقيح شيء فيه.

إن الدين قد جاء الانسانية بكثير مما لم تكن تعرف، وكثير مما لا يمكن أن تعرف إلا عن طريقه؛ وكل أخبار الغيب لا يمكن أن نعرف إلا عن طريقه. والمسألة ليست مسألة ما ذا نفهم من الدين، أو ماذا نعقل، أو ماذا يتفق مع ما نعرف أو نعلم عن غير طريقه، ولكن المسألة هي أمر الواقع الذي كان والذي بلغه الرسول للناس عن الله سبحانه. فاذا ثبت أن أمراً قد وقع أو قولا قد صدر عن الرسول وجب قبول هذا الواقع وذلك القول مهما بدا للعقل غريبا أو عجيبا أو غير مفهوم.

إن الدين صادر عن خالق الخلق، وقد تناول جميع الفطرة ماضيها وحاضرها ومستقبلها: بالإجمال فيما اقتضت الحكمة الإلهية إجماله، وبالتفصيل فيما اقتضت تفصيله. والعقل الذي يمكن أن يحيط بالفطرة لم يخلقه الله بعد، وهو على أي حال عقل المجموع لا عقل الفرد والعلم الذي يتسع حتى لا يند عنه شيء من الفطرة لم يوجد، ولن يوجد أبدا. فسيظل الإنسان يعلم ويزداد علما من غير أن يصل إلى نهاية العلم.

وإذا كان الأمر كذلك فهل من المعقول أن يتطلع الإنسان إلى فهم كل شيء في الدين كأن ليس في دين الله ما يسمو عن عقل الإنسان؟ وإذا كان في الدين ما يسمو عن عقل الإنسان ويزيد عن علمه، فهل من المعقول أن يحكم الإنسان عقله وعلمه في الدين، فلا يقبل من الحديث إلا ما طابق ذلك العقل على محدوديته، وذلك العلم على قلته؟ ألا يكون ذلك غروراً يضل

الإنسان به عن الله ، ويصبح به إلهه هواه ؟

ما هو المقياس الذى يمكن أن يقيس به الإنسان متون الحديث ومعانيها ليقبل منها ما يوافقه ، ويرفض أو ينقح منها ما يخالفه حتى يزول الخلف ؟ إن الحق القاطع لا يختلف . ذلك أمر معروف مقطوع به . فهل يمكن أن يتناقض نص قاطع وأمر واقع عرفه الإنسان بالعلم المستقل عن الدين ، كالعلم الطبيعى مثلا ؟ إن هذا غير ممكن ؛ فالدين من عند خالق الفطرة ، واليقينى من العلم الطبيعى هو جزء من الفطرة ، بمعنى أنه وصف حقيق صادق لجزء منها ، والفطرة متجانسة متساندة فلا يمكن أن أن يناقض بعضها بعضا . وإذن فلا يمكن أن يناقض علم دينا أو دين علما إذا كان العلم صحيحا وإذا كان الدين من عند الله . لكن الدين بحكم تناوله جميع الفطرة يجمل القول أو يبهمه فيما لا يتعلق بضرورى لسعادة الإنسان الآن ، وفيما ضاق عنه علمه الحاضر أو علمه وقت أن نزل القرآن ؛ فيفهم الإنسان من القول المجمل أو النص المبهم بقدر عقله وعلمه ؛ بل لعله لا إجمال ولا إبهام هناك إلا بقدر ما يكون فى العبارات الكلية عند من لا يعرف جزئياتها ، فهى تبدو مجملة أو مبهمة لكثرة ما فيها من المعنى الذى استغلق على الإنسان ؛ حتى إذا ازداد علمه باطراد تقدمه ، فهم من النص مالم يكن يفهمه ، واطلع منه على دنيا من الحقائق جديدة يتجدد بها له وللانسانية الحجج عصراً بعد عصر : أن الإسلام دين الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن القرآن كتاب الله ، وأن ما ثبت عن الرسول لا يجوز أن ينقحه ، وإن وجب أن يتفهمه ، الإنسان .

سيقال طبعاً إن الثابت عن الرسول صلوات الله عليه مختلف فى درجة الثبوت ، فالمتواتر من الحديث قليل أو أقل من القليل ، لا يكاد يجاوز أو يبلغ أصابع اليدين عداً . وهذا لا اختلاف فى قبوله ولا فى أنه فوق التنقيح . والثابت غير المتواتر هو الصحيح على تفاوت فى درجة الصحة ، وهذا لا يفيد إلا الظن ، أى ترجيح أنه من قول الرسول على تفاوت فى درجة الرجحان ؛ وهذا هو الذى يصح أن يكون عرضة للتنقيح عند اللزوم .

إنى أقول أولا إن احتياط علماء الحديث رضوان الله عليهم من الناحية العقلية المنطقية الصرفة ، هو الذى جعلهم يضيقون دائرة المتواتر ذلك التضييق . وإلا فكثير من الحديث يلتحق بالمتواتر لتعدد طرقه وسلامة أسانيده . ولئن لم يتواتر هذا الكثير من ناحية اللفظ فهو متواتر أو يكاد من ناحية المعنى . ولو دقق علماء التاريخ فى ثبوت التاريخ تدقيق علماء الحديث فى ثبوت الحديث لما كاد يثبت من التاريخ شىء . فمسلك علماء الحديث فى نقد الأسانيد كان غاية فى التشديد . كانوا يضعفون الحديث إذا عرف عن أحد رواته سهوة ، أو أحصى عليه هفوة يرونها تخل بالكرامة . وكانوا ينبذون الحديث إذا عرف عن أحد رواته أنه كذب ولو مرة . وهذا تشديد كبير لأن الذى يكذب مرة ليس معناه أنه يكذب كل مرة ، أو أن الكذب له عادة . والذى يكذب على الناس ليس بضرورى أن يكذب على الرسول الذى توعد الكاذب عليه بالنار . لذلك لست أشك فى أن من بين مارفضه علماء الحديث صحيح غير قليل ، فينبغى أن يكون ما قبلوه بالغاً فى الصحة كل مبلغ ، جديراً أن نتلقاه العقول بالطمأنينة والقبول .

فالرجحان هو أقل ما يمكن أن يوصف به ما صححه أولئك العلماء الأعلام المدققون . أى أن ما وصفوه بالظنى والراجح هو فى الواقع فوق ذلك بكثير ، ولكنهم وصفوه بأقل ما يمكن أن يوصف به ، لأن العقل لا يقطع بغير هذا . أى أن الأحاديث الصحيحة عند العقل هى قطعية الرجحان . وما كان قطعى الرجحان هكذا فى الثبوت عن الرسول فأى حكمة يا ترى هناك فى القول بتنقيحه ؟ أفمن الممكن إزاله عن مرتبة الراجح مع أن رجحانه مقطوع به ؟ أم من الممكن إعلاؤه عن مرتبة الراجح إلى مرتبة اليقينى ؟ ليس هذا ولا ذاك ممكنا عند العقل اليوم ، وإذن فلا محل هناك للقول بتنقيح صحيح حديث رسول الله صلوات الله عليه .

ويجب ألا يغرب عن البال ، أن الأحاديث الصحيحة وإن وصفت بأنها راجحة الثبوت عن النبى عليه الصلاة والسلام فان الإجماع منعقد على العمل بها فى الدين : أجمع على ذلك الصحابة رضوان الله عليهم ، وأجمع على ذلك العلماء عصراً بعد عصر إلى عصرنا هذا . فمن يحدث نفسه بترك حديث صحيح لمجرد أنه لا يفهمه أو أنه يستغرب معناه يعرض نفسه للخروج على إجماع المسلمين ويعرضها الخروج على الإجماع لما فى ذلك من خطر حقيق عليه ، لا عند الناس ولكن عند الله :

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونُصْلِه جهنم وساءت مصيرا » . فالإجماع واجب الاتباع بالكتاب بهذه الآية على الأقل ، والسنة بعدة أحاديث .

العلوم الدينية
بين القرآن وعلماء الإسلام
للأستاذ عطيه الشيخ
المفتش بالمعارف



مصادر الإسلام أربعة، هى القرآن والسنة والإجماع والقياس، ومن بين هذه الأربعة ثلاثة خلافية بين الفرق والمذاهب الإسلامية، تفاصيلها فى علم الكلام لمن أراد البحث، أما المصدر المتفق على نصه فهو القرآن الكريم، والاختلاف فى التفسير لا يضر، إذ القرآن الكريم كنز لا تفنى غرائبه، ولا تنتهى عجائبه. وكلما تقدم العلم، وارتقى الفكر، وانفسح مدى المعارف الإنسانية، وزادت تجارب الناس ومشكلاتهم، كلما حدث هذا، وضح ما فى القرآن من إعجاز، وتبين للعقلاء أنه كلام رب العالمين « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ».

على أن هناك تفسيراً للقرآن لا يقبل الشك، وهو سيرة النبى صلى الله عليه وسلم، وقد كانت أخلاقه القرآن، كما حدثت بذلك الصديقة رضى الله عنها. ولهذه السيرة تلاميذ، أحاطوا بها ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها، وهؤلاء التلاميذ المخلصون، هم نجوم الأمة المنيرة صحابة النبى صلى الله عليه وسلم، انعكست عليهم أضواء شمس القرآن، بعد غروب بدر نبيه، واسترشدت بهم الأمة بعد فقد الصادق الأمين، فهدوها إلى صراط مستقيم، ورفعوا لواء الإسلام فى كل حزن وسهل، وطوفوا به كل مطرح ونشروه فى كل واد، عالمين أنه سلوك بهدى لا جدل يردد، وقلب يصفى لا لسان يلوك، وسنة تتبع لا دروس تتلى، فأعجبت بسلوكهم الشعوب المنحلة، وشغفت بطريقتهم الأرواح المجهدة، واقتدى بهديهم المتعبون والمثقلون، ودخل أهل الدنيا فى دين الله أفواجا، ولم يمض إلا عشرون عاما حتى كانت العربية لسان كل سنخ وجنس، والشريعة السمحة قانون كل صقع ودولة، والمسلمون مثلا أعلى لكل متعلم ومسترشد.

ثم أتخم الإسلام بكثرة ما حمل من أوشاب الأمم، ومختلف الحضارات، وما أثر فيه من مشاكل العلوم القديمة، والنحل المختلفة، وما دسه فيه أعداؤه من رجال الأديان الأخرى التى خرت أمام سطوته، وعنت لعظمته، فخلف من المسلمين خلف بعد أن وقفت فتوحه، متأثرين بكل ما ذكر، وجعلوا من عقيدة الفطرة مشاكل ذرية، ومن غذاء الروح عقداً فلسفية، ووضعوا مصطلحات، واخترعوا علوماً، وتركوا ميدان الحسام وجاهدوا بأسلات اللسان، وهجروا صهوات الخيل، إلى مذاكرات الليل، وطرحوا خصام الكافرين، إلى جدال غيرهم من المسلمين، فأفسدوا من الإسلام مذاقه، وعكروا صفوه، وقسموا الأمة طرائق، وقطعوها حزائق، وكانوا أنكى على الإسلام ممن خاصمه بحد الحسام.

ورضى المستجدون على الإسلام والطارئون عليه من ملوك الأعاجم والترك، بعد أن دالت دولة العرب، بفهم الإسلام على هذا الوضع، لمشابهة العلوم الإسلامية المبتدعة، لما ألفوه من علوم الأديان الأخرى، وثنية وسماوية، فعظموا هؤلاء المبتدعين، ورفعوا شأنهم، ورأوا فى تعظيمهم تعظيم الإسلام نفسه. وكيف لا يفعلون هذا، وقد فعله من حولهم من ملوك الروم للقساوسة والرهبان، ومن أعيان اليهود للأحبار، ومن ملوك الهند للكهان؟ أو لعل هؤلاء الحكام الجدد رأوا فى هذا السلوك خدمة لعروشهم، بصرف الناس عن خدمة الدين بما خدمه به فقهاؤه الأوائل من جزيرة العرب، إذ أن فهم الإسلام هذا الفهم الأول، يعكر عليهم ما أخذ يحيط بهم من ترف ونعيم ولهو واستماع، ومن كان كذلك يعنيه أن يفصل بين ما لقيصر وما لله

على أن كل إنسان فى ذات نفسه فى قبول ما يقبل أو رفض ما يرفض، فإن ذلك متعلق بقلبه وبعمله هو. هو أمر بينه وبين الله، بل ونرجى له النجاة ما صدق النية لله فى ذلك. لكنه إذا بدأ يدعو غيره إلى ما يشبه أن يكون خروجا على إجماع المسلمين، فإنه عندئذ يعرض نفسه لأخطار لا يقدم على التعرض لها عاقل من الناس.

محمد أحمد الغمراوى

وأن يجمل الدين فى المساجد والكتب ، والملك المضود فى الدنيا وزهرتها ، وإلا لقام له من يقول : « لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناك بالسيف » ، ومن يقول : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، ومن يطبق قول أبى بكر : « أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم » ومن يقول : « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ، إنما أهلك بنى إسرائيل أنهم كانوا يقيمون الحد على ضعفائهم دون أقويائهم » .

أقول منذ فهم الإسلام هذا الفهم ، ووضع هذا الوضع ، وجمل علوما جدلية ونظريات علمية ، وقواعد جافة ، أخذ بناؤه ينقض حجراً حجراً ، وعموده يميد شبراً شبراً ، وأرضه تنتقص رقعة رقعة ، ووحدته تتجزأ فرقة فرقة ، حتى لم يبق منه إلا الذماء . أفلم يأن للبقية الباقية من المسلمين ، الحراص على استرداد مجدهم ، والحفاظ على ما بقى لهم ، أن يعيدوا للاسلام جدته ، ويفروا إلى القرآن ، ويسعهم من الدين ما وسع الصحابة رضوان الله عليهم ، ويتركوا كل هذه التركة الثقيلة التى ما فتئوا يسمونها علوم الدين ؛ والدين منها برىء ، ويضيعون وقتهم فى مدارستها ويبنون المعاهد والمدارس لها . ثم لا يكون منهم مثل خالد أو عمرو أو عمر ، ولا ينبغ فيهم مثل من نبغ من الأميين ؟ ! لست أول من نادى بذلك الرأى ، بل قد سبقنى إليه الغزالى حجة الإسلام ، وبرهن بما لا يقبل الشك على أن ما يسميه الناس علوم الإسلام ليست من الدين فى شىء ، وأن معرفتها لا تقرب إلى الله قيد شعرة ، وأن عامة المسلمين أخلص عقيدة وأصفى قلباً وأقرب إلى الله من علماء هذه العلوم . وفى الأثر ما يفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى بعض أصحابه عن الجدال فى الدين ، والتنطع فيه ، والخوض فى النظريات التى أولها كلام وآخرها خصام ، والسؤال عما لم يرد .

أقول إن الأمة أحوج إلى فهم علوم الدنيا من كيمياء وطبيعة ورياضة وطب وهندسة ... الخ ، لأنها علوم تعين على الحياة ، وكسب الرزق ، والقوة وفهم قدرة الله ، وهو ما أمر الدين به ، بل هذه العلوم مأمور بالبحث فيها بنص القرآن ، وما من علم حديث إلا له آيات تحض على البحث فيه ، مع ذكر شىء من مبادئه الأولى ، حتى وقر فى ذهن المسلمين منذ القدم أن القرآن الكريم حوى كل علم يمكن أن يبحث فيه السلف أو الخلف ، وفسروا قوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » هذا التفسير . ولولا الإطالة لأحصينا فى هذا المقال الآيات التى تحض وتأمر بالتعمق فى العلوم الكونية أما ما يسمونه بالعلوم الدينية ، بحسب الوضع الذى صارت إليه ، فليس لها سلطان فى الكتاب العزيز أو ماضى السلف الصالح ، ولم يفد منها الإسلام إلا الضعف والتفرق والضياع . فياليت الذين أهملوا مؤلفات ابن الهيثم ، وزيجات الخيام ، وقانون ابن سينا ، وبحوث بنى موسى بن شاكر ، ومسائل جبر والخوارزمى ، ومستحدثات البيرونى . يا ليت هؤلاء الذين ضيعوا هذا المجد وحاربوه وجروا وراء الفرق بين المعجزة والكرامة ، والواجب والمندوب ، والاجماع والقياس ، والحيض والاستحاضة . يا ليتهم علموا أن العلوم الأولى أقرب إلى الله من الثانية ، وأدخل فى الاسلام منها ؛ إذاً لما أصبح المسلمون عبيداً للأوربيين الذين وقعوا على ذخائر العرب فانفسح أفقهم العقلى ، ووصلوا إلى هذه المخترعات التى أثاروا بها الأرض وعمروها ، وحددوا الأفلاك وفحصوها ، وحللوا العناصر وركبوها ، فدانت لهم الأمم ، وعنت لهم الشعوب .

القرآن الكريم وهو الأصل المتفق عليه للاسلام ، والمصدر القطعى الثبوت والدلالة ، ما تعرض للبحوث التى سموها علوم الاسلام إلا لماماً ، حتى إن الصلاة وهى عماد الدين لم تتبين فيه أوقاتها وطريقتها ، لا استهانة بها ولكن لأن أهم أركانها صفاء القلوب ، وخشية المعبود ، وأما أقوالها وأفعالها فتوقيفية يسيرة المتناول على الذكى والغبى . وكذلك الزكاة ، والصيام ، والحج ، وهى قواعد الاسلام ، يشير إليها القرآن الكريم إشارات خفيفة تاركا كل تفصيل وتوضيح للروح لا للعقل ، وللذمة والضمير ، لا للحدود والأقيسة .

أما القصص التهذيبى الذى أهمل المسلمون طرائقه فى التعليم الخلقى فهو أكثر ما فى القرآن . وأما الإيمان بالغيب والإسلام لله فهو لباب التنزيل . وأما البحث فى النفوس وخلقها ، والأجنة ونحوها ، والأمم وتاريخها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها ، والكون وما يصير إليه ، والرزق وما يحصل به ، والأمم وكيف تحيا ولم تموت ، وحسبان الشمس والقمر ،

طبيب أديب

للأستاذ عباس خضر



عاش هذا الرجل ببغداد في القرن السادس الهجرى، في الوقت الذى كان قد مضت فيه حقبة طويلة على اكتمال الحركة العلمية في العصر العباسى ونضج ثمارها، وانتقلت من مراحل النقل والترجمة والشرح والتلخيص والتمحيص، إلى طور الإنتاج والاختراع والإنشاء. وكان هذا التقدم العلمي على عكس التدهور والاضطراب السياسيين، أو قل إن الازدهار العلمى قد عمر أكثر من الازدهار السياسى.

ولا أسترسل في ذلك، فلنعد إلى صاحبنا، وهو أمين الدولة ابن التلميذ الطبيب الأديب. قالوا: إنه كان أوحد عصره في صناعة الطب، وكان إلى ذلك أديباً، له شعر جيد ورسائل بليغة. ولم يجذبنى ما رووا عنه من الشعر والنثر ومن البراعة في فنون العلاج الطبى، بمقدار ما راعتنى صفات أخرى فيه، يسمونها في عصرنا «واجب الطبيب الإنساني» وقد عرفه واجباً عملياً قبل أن يأتى زماننا فيردده كلاماً طلياً..

كانت داره بجوار المدرسة النظامية في بغداد، فكان يتفقد معلميها وطلبتها، إذا مرض أحدهم نقله إلى داره وقام عليه في مرضه، فإذا شفى أذن له في الانصراف ووهب له دينارين.

وعرض لبعض الأمراء النائين مرض عضال، فقيل له ليس لك إلا ابن التلميذ وهو لا يقصد أحداً. فقال: أنا أتوجه إليه، فلما وصل أنزله ومن معه في ضيافته، وعنى بمعالجته، فلما برئ الأمير وتوجه إلى بلاده أرسل إلى ابن التلميذ مع أحد التجار مالا كثيراً وهدايا ثمينة، فامتنع من قبولها وقال: إن على يميناً ألا أقبل من أحد شيئاً. فقال التاجر: هذا مقدار كثير. قال: لما حلفت ما استثنيت. وأقام التاجر شهراً يراوده فلا يزداد إلا إباء. فقال له عند الوداع: ها أنا أسافر ولا أرجع إلى صاحبى، وأتمتع بالمال فتتقلد منته وتفوتك منفعته ولا يعلم أحد أنك رددته. فقال: ألست أعلم في نفسى أنى لم أقبله؟ فنفسى تشرف بذلك علم الناس أو جهلوا!

وقد اعتاد معاصرونا أن ينتسبوا إلى شرف المهنة، ولكن ابن التلميذ كان الأمر عنده أبعد غوراً، كانت أصوله في نفسه، فقد درس الفلسفة ومزج الحقائق الخلقية بنفسه ودرس الطب مقروناً بالفلسفة المكونة للانسان الجدير بلقب «الحكيم» فكل مايعنيه هو شرف نفسه الذى يشترك فيه كل إنسان راق، والذى ينبع منه «شرف المهنة» إن كان لا بد من هذه التسميه. ولعل اتصاف الأطباء بتلك الأصول الخلقية في ذلك الزمن واقتران دراستهم الطبية بالدراسة الفلسفية، وإطلاق كلمة الحكمة على كل ذلك، لعل ذلك هو الأصل الذى ينزع إليه إطلاق العامة لفظ «حكيم» على الطبيب.

وكان ابن التلميذ رئيس المستشفى العضدى ببغداد وقد فوض إليه الخليفة رياسة الطب فيها، فكان من شأنه الإشراف على الأطباء وإقرارهم على مزاولة المهنة بعد اختبارهم ومعرفة ما عند

والقمر، وما في الأرض والسماء من قوى وعبر، فهى كل القرآن وهى موضوع العلم الحديث، ومن يتبحرون فيها هم علماء الدين الذين يخشون الله ويخدمون الأمة، ويرفعون شأن الملة.

علوم الإسلام، هى الصناعة والزراعة والطب والهندسة وما لف لفها. وأما علوم الكلام والفقه والأصول وما جاراها، فليست من الاسلام في شىء. وقد بلغت وما أنا إلا حريص على نهوض المسلمين، والسلام على من اتبع الهدى.

عطية الشيخ
المفتش بالمعارف

كل منهم فيها ، وفى أحد مجالس الاختبار حضر شيخ له هيئة ووقار ، ولم يكن عنده من صناعة الطب إلا التظاهر بها ، وإن كان له دربة يسيرة بالمعالجة ، فلما انتهى السؤال إليه قال له أمين الدولة :

— ما السبب فى كون الشيخ لم يشارك الجماعة فيما يبحثون فيه حتى نعلم ما عنده من هذه الصناعة ؟

— يا سيدنا ، وهل شيء مما تكلموا فيه إلا وأنا أعلمه وقد سبق إلى فهمى أضعاف ذلك مرات كثيرة ! .

— فعلى من كنت قد قرأت هذه الصناعة ؟

— يا سيدنا ، إذا صار الإنسان إلى هذه السن ما يليق به إلا أن يسأل كم من التلاميذ له ، ومن هو المتميز فيهم ، وأما المشايخ الذين قرأت عليهم فقد ماتوا من زمان طويل .

— يا شيخ ، هذا شيء قد جرت العادة به ولا يضر ذكره ومع هذا فا علينا ، أخبرنى أى شيء قرأته من الكتب الطبية ؟

— سبحان الله العظيم ... صرنا إلى حد ما يسأل عنه الصبيان ! يا سيدنا ، لمثلى لا يقال إلا أى شيء صنفته فى صناعة الطب وكم لك فيها من الكتب والمقالات ، ولا بد أن أعرفك بنفسى .

ودنا إلى أمير الدولة وقال له فيما بينهما :

— إعلم أننى قد شخت وأنا أوسم بهذه الصناعة ، وما عندى منها إلا معرفة اصطلاحات مشهورة فى المداواة ، وعمرى كله أتكسب بها ، وعندى أولاد ، فسألتك بالله ألا تفضحنى بين هؤلاء الجماعة وألا تمنعنى التكسب لعيالى .

— لك ذلك ولكن على شريطة ، وهى أنك لا تهجم على مريض بما لا تعلمه ، ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل إلا لما قرب من الأمراض .

— هذا مذهبى مذ كنت .

ورفع أمين الدولة صوته والجماعة تسمع : يا شيخ اعذرنا فاننا ما كنا نعرفك والآن فقد عرفناك ...

ومن الظريف ما حدث بعد ذلك ، فقد التفت كبير الأطباء إلى أحدهم وقال له :

— على من تعلمت هذه الصناعة ؟

— يا سيدنا ، أنا من تلاميذ هذا الشيخ الذى قد عرفته وعنه أخذت صناعة الطب .

وكان أمين الدولة نصرانياً ، عاش فى تلك البيئة الإسلامية السمحة مكرماً مقدراً أ كبر التقدير ، يحظى بهبات الخلفاء وعطفهم ، ويحل المنزلة التى تليق به فى نفوس معاصريه من الأشراف والشعراء ، ومما وجه إليه من الشعر ما كتب له الطغرائى يشكو ألماً فى ظهره :

يا سيدى والذى مودته   عندى روح يحيا بها الجسد
من ألم الظهر أستغيث وهل   بألم ظهر إليك يستند ؟

وقد حسده طبيب يهودى اسمه أبو البركات على منزلته لدى الخليفة العباسى المستضىء بأمر الله ، فاحتال للدس عليه بحيلة وضيعة ، كتب رقعة نسب فيها إلى أمين الدولة أموراً تحط من قدره ، وأوعز إلى من ألقاها فى طريق الخليفة ، فلما قرأها الخليفة رأى أن يتحقق من صدق ما تحتويه ، فلما استقصى الأمر وجده اختلاقاً ، وعرف أن كاتبها أبو البركات ، فغضب عليه ووهب دمه وماله وكتبه لأمين الدولة ، ولكن شرف النفس منعه أن يتعرض لخصمه بسوء ، فسقط أبو البركات وانحطت منزلته .

وقال أحد الشعراء فى الطبيبين ، وكانت كنية أمين الدولة أبا الحسن :

أبو الحسن الطبيب ومقتفيه   أبو البركات فى طرفى نقيض
فهذا بالتواضع فى الثريا   وهذا بالتكبر فى الحضيض

وقد جمع هذا الحكيم المهذب (أمين الدولة) قواعد السلوك النبيل وأسباب الحياة الراقية فى رسالة كتبها إلى ولده رضى الدولة ، والمتأمل فى حياته من خلال ما يروى عنه يراها تطبيقات على ما ضمنه رسالته ، قال فيها :

« وفز بحظ نفيس من العلم تثق من نفسك بأن عقلته وملكته لا قرأته ورويته ، فإن بقية الحظوظ تتبع هذا الحظ المذكور وتلزم صاحبه ، ومن طلبها من دونه فإما أن لا يجدها وإما أن لا يعتمد عليها إذا وجدها . ولا تثق بدوامها ، وأعوذ بالله أن ترضى لنفسك إلا بما يليق بمثلك أن يتسامى إليه بعلو همته وشدة أنفته وغيرته على نفسه ، ومما قد كررت عليك الوصاة به ألا تحرص على أن تقول شيئاً لا يكون مهذباً فى معناه ولفظه ،

ويتمين عليك إيراده ، فأما معظم حرصك فتصرفه إلى أن تسمع ما تستفيده لا ما يلهيك ويلذ للأغمار وأهل الجهالة ، نزهك الله عن طبقتهم . فإن الأمر كما قال أفلاطن الفضائل مرة الورد حلوة الصدر ، والرذائل حلوة الورد مرة الصدر . وقد زاد أرسطوطاليس في هذا المعنى فقال : إن الرذائل لا تكون حلوة الورد عند ذى فطرة فائقة ، بل يؤذيه تصور قبحها إذ يفسد عليه ما يستلذه غيره منها ، وكذلك يكون صاحب الطبع الفائق قادراً بنفسه على معرفة ما يتوخى وما يجتنب كالتام الصحة يكفى حسه فى تعريفه النافع والضار . فلا ترض لنفسك حفظك الله إلا بما تعلم أنه يناسب طبقة أمثالك ، واغلب خطرات الهوى بعزمات الرجال الراشدين »

وهذا الأسلوب غريب فى عصره الذى بدأ بوضع مثله السيئ ابن العميد الذى لم تختم به الكتابة كما قيل ، بل ختمت بمن قبله ثم بعثت بابن خلدون .

ورسالة أمين الدولة المتقدمة أشبه بكتابة الأساتذة الأوائل كابن المقفع والجاحظ ، فأنت تراه يركب التعبير مطهماً فارهاً إلى حيث يقصد . وبعض الكتاب يركبه التعبير فيتسكع به ، وآخرون يركبون التعبير المهزيل فلا يصل بهم إلا مبهور الأنفاس

ولأمين الدولة شعر جيد ، قال فى ولد له غير نجيب :

أشكو إلى الله صاحباً شكسا تسعفه النفس وهو يعسفها
فنحن كالشمس والهلال معا تكسبه النور وهو يكسفها

وتطل الفلسفة من خلال شعره إذ يقول :

لولا حجاب أمام النفس يمنعها عن الحقيقة فيما كان فى الأزل
لأدركت كل شئ عز مطلبه حتى الحقيقة فى المعلول والعلل

كما تبدو الحكمة فى قوله :

لا تحقرن عدواً لان جانبه ولو يكون قليل البطش والجلد
فللذبابة فى الجرح المـدّ يدٌ تنال ما قصرت عنه يد الأسد

وله شعر فى الألغاز ، على طريقة عصره ، وقد أحسن التعبير عن الميزان إذ قال لغزاً فيه :

ما واحد مختلف الأهواء يعدل فى الأرض وفى السماء
يحكم بالقسط بلا رياء أعمى يرى الرشاد كل رائى
أخرس لا من علة وداء يغنى عن التصريح بالإيماء
يجيب إذ ناداه ذو امتراء بالرفع والخفض عن النداء

ومن بديع مدحه قوله :

لا يسترخ إلى العلات معتذراً إذا الضنين رأى للبخل تأويلا
يبادر الجود سبقاً للسؤال يرى تعجيله عند بذل الوجه تأجيلا

وله مؤلفات كثيرة فى الطب ، وقد روى بعض المؤرخين نوادر تدل على حذقه فى العلاج وصواب حدسه فى معرفة الداء ، منها أنه أحضرت إليه امرأة محمولة لا يعرف أهلها فى الحياة هى أم فى المات ، وكان الزمان شتاء ، فأمر بتجريدها وصب الماء المبرد عليها صباً متتابعاً كثيراً (كالدش) ثم أمر بنقلها إلى مجلس دفئ قد بخر بالعود والند ، ودثرت بأصناف الفراء ساعة ، فعطست وتحركت وقعدت ، وخرجت ماشية مع أهلها إلى منزلها

ومن ذلك أن دخل عليه رجل منزوف يرعف دماً فى زمن الصيف ، فأمره أن يأكل خبز شعير مع باذنجان مشوى ، ففعل ذلك ثلاثة أيام ، فبرئ . وقال فى تعليل ذلك : إن دم المريض قد رق ومسامه قد تفتحت ، وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف المسام .

وقد عمر أمين الدولة ، إذ بلغ أربعاً وتسعين سنة . ومن تجمله فى كبره أن كان عند المستضيء بأمر الله ، فلما أراد القيام توكأ على ركبتيه ، فقال له الخليفة : كبرت يا أمين الدولة ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، وتكسرت قواريرى . ففكر الخليفة فى قوله هذا ، وأنه لا بد يقصد شيئاً بتكسر القوارير . ثم علم أن الخليفة السابق كان قد وهبه ضيعة تسمى قوارير ، وظلت فى يده ، ثم وضع الوزير يده عليها منذ ثلاث سنين . فتعجب الخليفة من حسن أدب أمين الدولة وأنه لم ينه أمرها إليه ، وأمر بإعادة الضيعة إلى صاحبها وألا يعارض فى شيء من ملكه .

وبعد فهذا واحد من سلف بنوا صرح الحضارة فى العصور الإسلامية ، وعنهم أخذ الغربيون إبان نهضتهم العلمية فى أعقاب القرون الوسطى . فإن كنا الآن نأخذ من الغرب فإنا نقتضيه ديناً علينا لأمثال أمين الدولة بن التلميذ .

عباس خضر

من أمجاد الإسلام

أسطول معاوية

للأستاذ محمود غنيم

بلغ أسطول معاوية زهاء ١٧٠٠ سفينة كاملة العدد والعدة ، وقد أخضع البحر الأبيض ووصل إلى أسوار القسطنطينية لحاصرها حيناً من الزمان .



لمن السفينُ يَلُحْنَ كالأعلامِ فوقَ العُباب نواشرَ الأعلامِ (١)

يمْخُرْنَ باسم الله موجَ خُضارةٍ واسم الهدى ومبادىء الإسلام

يهتِفن بالتكبير لحناً شاجياً فتُجيب أمواجُ الخضمّ الطامى

وَيثِبْنَ آونةً أسودَ عرينةٍ ويطرن آونةً حمامَ سلام

يُمطرن بالجزر الدماء . وربما كان الدمُ المَوّارُ صوبَ غمام

بعضُ الدّم الموارِ ليس بآثمٍ لـكنه طُهرٌ من الآثام

هذى سفينُ الله سارت عَيْلماً متراميًا فى عيلم مُترام

لم تدفع الريحُ الهبُوبُ قلاعها بل أُقلعت بالوحى والإلهام

وحرارةِ الإيمان وهي حرارةٌ ما زادها الآذى غيرَ ضِرام

إن تَسْرِ فالجُزُرُ الحرام مباحةٌ أو تُرسِ فالشطآن فى استسلام

أزجي معاويةُ السفينَ تسيرُ أو ترسو بكل غَضَنْفرٍ ضِرغام

فكأن بحرَ الروم أصبح مُنبِتاً بعد الفلا للغاب والآجام

بدم الشهادةِ خضبوه فضاعَ من أرجانه أرَجُ العباب الدامى

جمح العُبابُ فأسلسوه كأنما قبضتْ عليه أكفُّهم بزمام

جالت سنابك خيلهم فى لُجّهِ جَولانَها فى مَهْمَهٍ وَرِجام

ولهم نفوس صافيات صفوَ ما بقراره من لؤلؤٍ وتُؤَام

لله بحرُ الروم وهو بُحيرَةٌ عربيةُ اللَّهوات والأرحام

ومعاقل اليونان وهى محاربٌ مكتظَّة بالصُّوَّم القُوَّام

لله « رودِس » إذ تُصيخُ « وقبرصُ »

لِصَـدَى الأذانِ مرتِّلَ الأنغام

خاض المياهَ كأنما هو حُوتُها مَن كان يطوى البِيد بالأقدام

ورعى البحارَ ومنُ يقيمُ بهن من

أمَم رعاةُ النوق والأغنام

حكم البحارَ فما طغى طُغيانَها نفرٌ يُجيدُ العدلَ فى الأحكام

حسروا ظِلالَ الروم عن أمواجها

فتحررَت من رِبقـــــة الأعجام

نفَذُوا إلى أسوار « قُسطنطينَ » فى

عزم كحدِّ السيف غـــيرِ كهام

ورمَوا معاقلَه وإن لم تستجب لسهامهم . سَلِمت يمينُ الرامى

أُطُمٌ عزَزْن على الحنيفة حقبةً ثم استجبن على مدى الأيام (١)

محمود غنيم

(١) الأعلام الأولى : الجبال . والثانية : الرايات .

(١) لم يتمكن أسطول معاوية من فتح القسطنطينية . وإنما تم ذلك فى جهد محمد الفاتح .

الدّعوة فى الإسلام

تبليغ لا إلزام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى



لا أريد فى هذا المقال أن أرد على من زعم أن استعمال السيف فى الإسلام كان للدعوة إليه ، فهذا أمر قد كتب الباحثون فيه قبلى ، والكلام فيه يكون معاداً لا فائدة فيه ، وليس شىء أثقل على نفسى من الكلام المعاد ، لأنه يضيع زمن الكاتب والقارىء ، والزمن أثمن من أن يضيع فى الكلام المعاد ، والحديث المكرر .

وإنما أريد فى هذا المقال أن أنبه إلى أن الدعوة إلى الإسلام لا تكون أيضاً بما دون استعمال السيف مما فيه شائبة إلزام ، ولو كان مثل هذا الإلحاح الثقيل الذى استعمله بعض المتنطعين فى الدين مع الأستاذ نقولا الحداد ، وشكى منه المرة بعد المرة فى مجلة الرسالة الغراء .

فالدعوة فى الإسلام قد حددت بأنها تبليغ عن الله لا غير ، وهذا التحديد قد ورد فى الآية — ٦٧ — من سورة المائدة (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين) فلم يؤمر النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية إلا بتبليغ دعوة ربه ، والله تعالى هو الذى يهدى إليها بعد تبليغه من يريد هدايته ، ويضل عنها من يريد إضلاله ، فإذا بلغ فقد أدى رسالة الله تعالى ، وليس عليه بعد هذا أن يلح أو يستجدى فى الدعوة إلى الإسلام ، لأن دعوته أكرم من أن يستعان فيها بالإلحاح أو الاستجداء ، لأنهما يعرضان الكريم إلى المهانة والاستثقال ، ويؤديان إلى عكس المقصود منهما وهو الاستجابة للدعوة .

وهذا إلى أنا قد أمرنا أن ندعو إلى الإسلام بالحكمة ، كما قال تعالى فى الآية — ١٢٥ — من سورة النحل (أدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة وجادلهم بالتى هى أحسنُ إنّ ربك هو أعلمُ بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلمُ بالمهتدين) فإذا بلغ شخص الدعوة أو كان قد عرفها بنفسه كان الإلحاح فى تبليغها إليه من باب تحصيل الحاصل ، وهو عبث تأباه الحكمة التى أمرنا أن ندعو بها إلى الإسلام ، وإنما تقضى الحكمة أن نترك من بلغناه لنشتغل بتبليغ من لم نبلغه ، فقد يكون أقرب منه إلى إجابة الدعوة .

وإذا رجعنا فى هذا إلى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وجدناه يكتفى بتبليغ الدعوة لمن لم تبلغه ، ويترفع فى التبليغ عن كل ما يقف بالدعوة موقف المهانة ، فلا يلح فيها على من يجد منه ترفعاً عنها ، ولا يستجدى فيها من يجد منه استثقالا لها ، ولا يضطغن عداوة على من بلغه فلم يستجب له ، بل يبقى ما بينهما كما كان قبل أن يبلغه دعوته .

فها هو ذا يبدأ دعوته فلا يبدؤها بالإلحاح على قومه ، ولا يعرضها على كل شخص منهم ولو لم يأنس منه الإجابة إلى الإسلام ، بل لا يدعو إلا من يأنس منه الإجابة إلى دعوته من أهله وأصحابه ، فكان أول من آمن به زوجه خديجة بنت خُويلد ، وقد دخل عليه ابن عمه على بن أبى طالب بعد إسلام خديجة بيوم فوجدهما يصليان ، فقال للنبى صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ما هذا ؟ فقال له : هذا دين الله الذى بعث به رسله ، فأدعوك إلى الله ، وأن تكفر باللاّت والعُزّى . فقال له على وكان غلاماً صغيراً : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم . فلست بقاض أمراً حتى أحدث أبا طالب — يعنى أباه — فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم تردده لم يلح عليه، ولم يقف منه موقف الملحّ المستجدى، بل قال له : إن لم تسلم فاكتم . وكان لهذا الموقف الكريم أثره فى نفس على ، فلم يلبث أن أسلم ، ثم أسلم زيد بن حارثه ، وكان النبى صلى الله

عليه وسلم بنبناه ، ثم أسلمت أم أيمن ، وكانت حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء الأربعة كانوا من أهله ، وكانوا أقرب الناس إليه ، وقد دعا معهم أبابكر بن أبي قحافة من بني تيم، وهم بطن من قريش ، وكان أقرب أصدقائه إليه ، ولهذا بدأ بدعوته دون غيره من أصحابه ، فأسرع إلى التصديق به ، وقال له : بأبي أنت وأمي ، أهل الصدق أنت ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . وهكذا بدأت الدعوة عرضاً كريماً لا إلحاح فيه ولا استجداء ، فكان إسلام من أسلم في ذلك الوقت إسلاماً كريماً قوياً ، لأنه كان استجابة خالصة للدعوة ، ولم يكن فيه أثر يشينه لإلحاح أو استجداء أو نحوها .

وهذا عمه أبو طالب قام بكفالته وهو صغير ، فلما بعث في سن الأربعين قام بحمايته من قومه وهو على دينه ، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم منه هذه الحماية ، واكتفى بأن بلغه دعوة الإسلام ، ولم يغير ما بينهما عدم استجابته له ، بل كان ينزله من نفسه منزلة العم الذي قام بكفالته وهو صغير ، ولا يثقل عليه من جهة ما يدعو إليه وهو كبير ، ولا يوقعه في حرج ينفره منه أو يبغضه فيه ، حتى توفي أبو طالب في السنة العاشرة من البعثة ، والنبي صلى الله عليه وسلم يكتفي منه بحمايته له ، ولا يغيره عليه بقاؤه على شركه ، بل كان يحبه حب ابن الأخ لعمه ، ويتمنى لو يسلم من شدة حبه له ، حتى نزل في هذا قوله تعالى في الآية — ٥٦ — من سورة القصص (إنّكَ لا تهدي مَنْ أحببتَ ولكنّ اللهَ يهدي من يشاءُ وهو أعلمُ بالمهتدينَ) .

وهذا صفوان بن أمية بن خلف كان من أشد قريش عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، حتى بلغ من أمره أن أرسل عمير بن وهب إلى المدينة ليغتال النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهذا أهدر دمه في فتح مكة ، لأنه عد فيها من مجرى الحرب ، كالذين يعدون مجرى حرب في عصرنا الحديث ، فلما فتحت مكة هرب منها إلى جدة ليركب البحر منها إلى اليمن ، فأتى ابن عم له إلى النبي صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن يؤمنه ، فقال له : هو آمن . وأعطاه عمامته التي دخل فيها مكة علامة يعرف بها أمانه ، فذهب إليه فأدركه قبل أن يركب البحر ، وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما علم منه أنه قد أمنه طلب منه أن يمهله بالخيار شهرين ، فقال له : أنت بالخيار أربعة أشهر .

فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم إلى إجابته إلى ما طلب من الإمهال على الشرك ، بل كان طلبه أن يمهله شهرين فأمهله أكثر مما طلب ، وأعطاه مهلة أربعة أشهر ، ولم يستعمل معه إلزاماً أو إلحاحاً أو استجداء ؟ تكريماً لدعوته أن تمتهن إذا ألح عليه أو استجداه ، وهي أكرم من أن تعرض للامتهان والاستثقال ، وإنما شأنها أن تكون هي المطلوبة بعد التبليغ لمن يدرك فضلها ، ويعرف شرف ما تدعو إليه ؛ ويعلم نبل ما تأمر به .

وهكذا صين الإسلام في عهده في الأول عن العرض المهين ، وحفظ الداعون إليه كرامته ، وضنوا به عمن لا يعرف له قدراً ، ولا يدرك له فضلاً ، فعزّ وكرم على الناس ، كما يعز ويكرم كل معزّز مكرم ، وأقبلوا عليه راغبين من أنفسهم ، كما يقبلون على كل عزيز عند أهله ، بعيد عن كل ما يدعو إلى امتهانه أو استثقاله .

وقد بلغ من أمر النبي صلى الله عليه وسلم في التلطف في الدعوة أن يقول لمخالفيه فيما أمره الله به في الآية — ٢٤ — من سورة سبأ (قُلْ من يرزقكم من السماواتِ والأرض قُلِ اللهُ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) فيلقى إليهم دعوته في هذه الصورة من الشك ، ليتأملوا فيها وهم في تؤدة ورفق ، فإن آمنوا بها آمنوا بعد إدراكهم لصحتها ، ورغبتهم في الإيمان بها ، فلا قسر ولا إلجاء ، ولا إلحاح ولا استجداء ، فمن آمن فلنفسه لا لغيره ، ومن ضل فعليها لا على غيرها ، ولا تزرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى .

عبد المتعال الصعيدي

استغاثات ..

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

الله ... والشرق



ربَّاهُ ضاعَ السِّرُّ من يدَيَّا … وأطبقَ اللَّيلُ على عينَيَّا
ولم أجد فوق الحياة شيَّا … يُطفى العذابَ المادرَ الخفيَّا
إلاَّ نِدائى فى الدُّجى .. يا ربِّ !

طرقْتُ بالأنغام كلَّ بابِ … وطُفْتُ بالرَّحيقِ والأكوابِ
ولم أدعْ أُفقاً بلا شراب … وعُدْتُ لا أحمل فى عِيَابى
غيرَ الأسى يَسْقى الأسى فى قلبِى !

عبرْتُ بالسُّهولِ والأجبالِ … وبالضحَى المُحيِّرِ الخيالِ
وبالغروب السَّاحرِ الزَّوالِ … وبالدُّجى المغمغِمِ السَّآلِ
وبالليالى سِرْتُ كلَّ دربِ

وغُصْتُ فى الصُّدور للأعماق … وطِرْتُ حتى أعوزتْ آفاق
وَضجَّ تحتى واشتكى بُراقى … واندهشَ الطيرُ لما ألاَقى
مِنْ عَوْدتى الكُبْرى بغيرِ حَبِّ !

حفَفْتُ من جنبى هذا الشَّجنَا … وصاحبانى الشَّجْوُ يُدعى أرغُنَا
ولم نزَل نَشدُو ونَسقِى الزَّمَنَا … فهل رأينا لِلأغانِى أُذُنَا
تُصْغِى لهذَا الوَهَجِ المُنصَبِّ !

حمَّتْ بنا القُيودُ والسلاسِلُ … وهاجتِ الأوكارُ والبَلابلُ
وراغ فينا الغاصبُ المخاتِلُ … واختلطتْ فى ليلنا النوازِلُ
يا ربِّ فَجْراً عاجلاً للكَرْبِ !

نحن بَنُو الشَّرقِ الأُباةُ الصِّيدُ … نَحْيَا به كأنَّنا عَبيدُ
يا طَيْرُ هذا خُلْدُكَ الرَّغيدُ … فكيفَ أنت الحائرُ الشريدُ
ووارِدُ النَّبعِ طريدُ الغَرْبِ !

لاهُمَّ صُبَّ النارَ فى السَّواعِدِ … واضرِبْ بها فى هذِهِ الشدائِدِ
أغلالُنا شابت، وكم مِنْ حاصِدِ … ومنجلٍ يَفْرِى المنايا هامِدِ
يا نارُ فينا إن صبرْنا شُبِّى ..

ملَّ ثرانا صدأَ القُيودِ … وفِرْيَةَ الميثاقِ والوُعودِ
وباطِلاً زيَّنَ لِلْمَهُودِ … شريعةَ اللاهينَ بالوُجودِ
لهوَ المراعى بِعُواءِ الذِّئبِ ..

وَيْلاهُ منهُم فى زمانِ النِّيلِ … سبعون عاماً خيَّموا فى الغِيلِ
عاثوا وخانوا حُرْمَةَ النَّزيلِ … حتى دهتْهُم صيحةٌ للجيلِ
فجرجروا أعلامَهم فى التُّربِ !

ولم تزل منهمْ لدى القتالِ ... حثالةٌ حطّت على الرّمالِ

من بدر فليرحم جوى سؤالي.. ... إنى بهم من أتعسِ الجهّال !

علامَ لم تلحقْ بباقى الرَّكبِ ؟!

ماذا دهاهم فى جنوب الوادى! ... جُفوا فشبّوا الخلفَ فى البلادِ

وأضرموها فتنةً تنادى ... بالظلم والتعذيب والفساد

وما لها إلا الصدى مُلبّ

وصفّدُوا فى غابه الأحرارا ... فـملأوا قلوبهم أُوارا

مِن أين جاءوا شُرّداً حيارى؟ ... وكيفَ جاسُوا هذه الديارا ؟

يا لعنةَ اللهِ عليهم هُبّى !!

من أين يا «هاو» ألِفتَ الموكبا ... فرُحتَ فى الخرطوم تمشى عجبا!

وحولكَ الأفواهُ تحدو القِرَبا ... والرايةُ الخضراءُ تنزو غضبا..

لقصةٍ زيّفتَها للشعب

نسيتَ عهدَ التاجِ والقواقِع ... وسيرةَ القرُصانِ والزوابع

وأُمّةً قامت على المناقِعِ ... تريدُ شرنكَ الشمسِ بالمطامع

ولو تُطيقُ لا دّعت في الغيبِ !

فى المسجد الأقصى تراءت ثعلبا ... تخفى وتعطى لليهود الحطبا

ذاتَ لهم لما أروْها الذَّهبا ... وحـذَّروا أيامَها المُنقلبا

فانقلبت تسعى لهم فى الدَّرْب .

رباهُ ما في الشرقِ جرحٌ لا يَئِنّ

ولا على آلامِـــــهِ قرٌّ وطنْ

في كل وادٍ منهُ من بَغى الزّمنَ

نارٌ وأحرارٌ وبلوى وفِتَنْ

رباهُ زلزِل قيدهُ يا ربُّ !!

محمود حسن اسماعيل

تاريخ العمارة والفنون الإسلامية

بيت الرسول ومسجده بيثرب

للأستاذ مصطفى كامل ابراهيم

« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر »

قرآن كريم



خرج النبي صلى الله عليه وسلم ، مهاجراً فى سبيل الله إلى يثرب ، وفى رحلته هذه العاجلة المضطربة لم يحمل معه من ماله إلا ما خف وأفاد فى مهجره .

ووصلت العير إلى قباء قرب يثرب ومكث بها بضع عشرة ليلة أقيمت فيها الصلوات فى مواعيدها وفى قباء أقيم أول مسجد فى الاسلام ، وذلك الذى نزلت فيه الآية الكريمة : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) . فلم تكن مكة إذن بالمكان الذى يستطيع النبي أن يقيم به مسجداً ، ولا أن يذهب بصحبه إلى الكعبة للصلاة بها .

وفى اليوم الخامس على رواية ، والعاشر على رواية أخرى ، قام موكب الرسول الكريم فى رعاية ربه ، يحف به المهاجرون والأنصار متجهاً إلى يثرب ، وأهل يثرب تشرئب أعناقهم ليروا القادم الكريم . فرأوا رجلا يملأ العيون والقلوب والأسماع ... رأوا المثل الكامل للكمال والجلال جميعا .

وحملته راحلته حتى أناخت حيث أمرها الله أن تنيخ ؛

فكان مربدا[1] لغلامين يتيمين فى المدينة من بنى النجار ، وسأل الرسول : لمن المربد ؟ فأجاب معاذ بن عفراء : إنه لسهل وسهيل ابنى عمرو ، وهما يتيمان له وسيرضيهما ، ورجا محمداً أن يتخذه مسجدا . فأرسل محمد إلى ملأ من بنى النجار وقال لهم : تأمنونى بحائطكم هذا ، فقالوا لا والله ، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله . فلم يرض إلا أن ابتاعه بعشرة دنانير ، وأمر أن تبنى داره فى هذا المكان . وأقام فترة بنائه فى دار أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى ودأب المسلمون من المهاجرين والأنصار على مشاركته فى بنائه حتى أتموه وما كان بناء الدار يرهق أحدا ، فقد كانت من البساطة بما يتفق وتعاليم محمد .

— ١ —

وصف الدار :

ودار الرسول كدور العرب الرقيقى الحال ، التى كانت ولا زالت تبنى فى الأنحاء المتواضعة من شبه جزيرة العرب ، وقرى الشام ، والعراق . فالدار عبارة عن حجرات ضيقة متراصة جنبا إلى جنب ، وأمامها فناء مكشوف .

وقد بنى أولا الحجرتان المتجاورتان فى الركن الجنوبى الشرقى من الفناء لعائشة وسوداء ، لتكونا بمنأى عن مجلس الرسول وأصحابه فى الناحية الشمالية من الفناء . ومساحة كل حجرة (٧ × ٧) أذرع ينبت باللبن يكاد سقفها الجريد تمسه اليد . ثم أضيفت الحجرات إليهما من الناحية الشمالية كما زاد عدد أفراد الأسرة حتى بلغت ٩ حجرات . والحجرات جميعا تكاد تتفق فى السذاجة ، وخلوها من مظاهر الترف — اللهم إلا بيت عائشة كما سنبين بعد — فأثاثها حصير يستعمل للنوم ، وقرب بهما ماء أوعسل أولبن معلقة على الجدران ؛ ويحجب الحجرات عن الأنظار سجف من وبر أسود معلقة على أبوابها التى تفتح على الفناء .

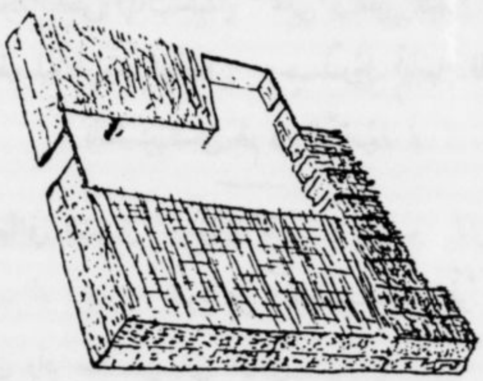
والفناء مربع الشكل طول أحد أضلاعه ١٠٠ ذراعا (٥١ متراً) ، بنى جدرانه — بالحجارة لارتفاع ٣ أذرع ، ثم أكمل الجدار إلى سبعة باللبن (بالطوب النى) وفتح فيه أربعة أبواب ، باب الرسول فى الشمال ، وباب المؤمنين فى الجنوب ، وباب جبريل (باب عثمان) فى الشرق ، ثم باب عائشة (باب الرحمة) فى الغرب ، وقد تم البناء عام ٢ هـ .

وكان يستعمل الفناء لأغراض الأسرة كالطبخ والغسل وتربية الماشية وما إليه . وليس فى حكم المنطق ما يمنع من أن يستخدم الرسول وزوجاته والمؤمنين الجزء الشمالى من الفناء المواجه لبيت المقدس لأغراض دينية : كاقامة الصلاة فى مواعيدها ، وأن يجلس الرسول إلى الناس يحدثهم فى الدين ويناقشهم ويفصل فى قضاياهم . ثم أن هذا الفناء أدى غرضا إنسانيا آخر : فآوى الفقراء من المسلمين تحت صفة (سقف) أقيمت لهم فى الركن الجنوبى الغربى من الفناء ، فسموا لذلك بأهل الصفة ، وأجريت عليهم الأرزاق إلى أن بنى لهم دورا .

ولقد شكى المسلمون إلى النبى حرارة الشمس ساعة الصلاة فأقام لهم فى الجهة الشمالية من الفناء سقفا من سعف النخل والخصف والأذخر ، وغطى بطبقة من الطين يعتمد على قوائم وعوارض من جذوع النخل ، ودام هكذا ١٦ شهراً .

ولما مكر اليهود بالنبى ، ونزلت الآية الكريمة على رسول الله وهو قائم يصلى بالناس (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) قرأها وتوجه إلى ناحية الجنوب وتبعه المسلمون .

ونقل السقف إلى الناحية الجنوبية المواجهة للكعبة ، ونقلت الصفة إلى الركن الشمالى الغربى وسد باب المؤمنين فى الجنوب



(شكل ١) رسم يبين دار الرسول ومسجده عام ١١ هـ

ولم يكن الفناء يضاء ليلا إلا ساعة الصلاة ، وذلك بأن يوقد فى وسط الفناء شعلة من قش ؛ حتى شدت المصابيح بعد ٩ سنوات إلى جذوع النخل التى اعتمد عليها سقف رواق القبلة .

(١) المربد : مكان تجفيف التمر .

ولما التحق الرسول بالرفيق الأعلى فى ١٣ من شهر ربيع الأول عام ١١ هـ دفن فى حجرة عائشة ، وهى الحجرة التى قضى فيها أخريات أيامه .

ولما تولى أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — ترك الدار كما هى ، واتخذ كرسى الخلافة بها على نحو ما كان يفعل الرسول ، ولما توفاه الله رقد بجوار الجسد الطاهر فى حجرة عائشة ابنته وهى الأولى من ناحية الجنوب .

الزيادة فى أيام عمر :

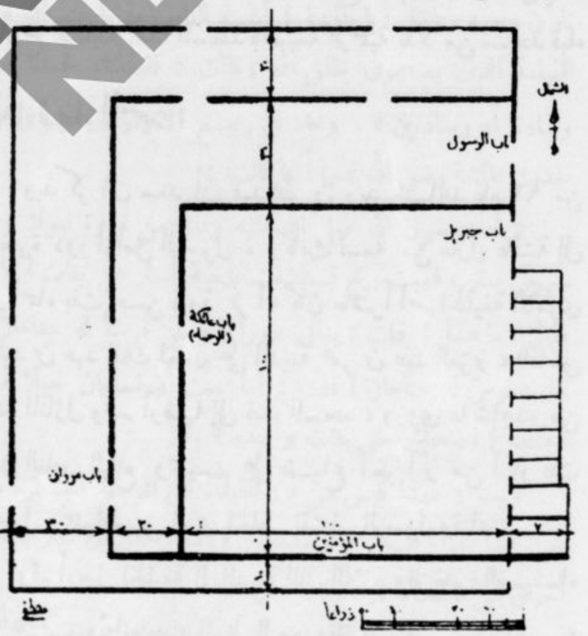
كان لزاماً على عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — أن يزيد فى مساحة المسجد ليواجه الزيادة المطردة فى عدد المسلمين والذين يفدون على مقر الخلافة من الأمصار . فأمر عام ١٧ هـ بهدم حائط الفناء — ولم تمس دور الأرامل — وزاد فى إبعاده من الشمال بقدر ٣٠ ذراعا ، ومن الجنوب بقدر ١٠ أذرع ومن الغرب بقدر ٢٠ ذراعا وهكذا أخذ الفناء شكلا مستطيلا طوله ١٤٠ ذراعا وعرضه ١٢٠ ذراعا وكان ارتفاع الحائط حول الفناء يبلغ قامة الرجل .

وزاد عمر فى عدد أبواب الفناء فأصبحت ستة : باب مروان وباب عاتكة ، وباب الرسول ، وباب الفناء ، وبابان آخران فى الحائط الشمالى . وقد كان المسلمون ينفضون أيديهم من التراب بعد كل ركعة ، فكانت تحدث أصواتاً أثناء قراءة القرآن الكريم ، فأمر عمر بأن تفرش الأرض بالحصى من وادى العقيق .

ولما توفى دفن بجوار سلفيه الكريمين .

الزيادة فى أيام عثمان :

ومما يؤثر عن عثمان — رضى الله عنه — أنه كان لا يتحرج من أن يمتع النفس بشىء من نعمة الله . فأخذ يبتعد عن التقشف الذى أرهق نفسه به عمر ، فهذب من مقام الخلافة بحيث تتناسب وجلالها واتساع رقعة الدولة التى كانت تستظل بها . وخصوصا أن عماله فى الأمصار — والأمويون على وجه الخصوص — كانوا يحيطون أنفسهم بأبهة الملك . فأمر فهدمت جدران الفناء فى سنة ٢٤ هـ ، وزاد فيه من الناحية الشمالية بقدر ٢٠ ذراعا ومن الغرب بقدر ٣٠ ذراعا ، وأصبحت ابعاد البناء ١٦٠ ذراعا × ١٥٠ ذراعا ، ولم تمس دور الأرامل ، ولم يزد شيئا من ناحية القبلة ، وبنيت الحوائط من الحجر المنحوت وغطى بسقف من خشب الساج .



(شكل ٢) رسم تخطيطى لبيت الرسول ومسجده والزيادات التى طرأت عليه حتى عهد عثمان

ولما قتل عام ٣٥ هـ (٦٥٥ م) دفن بالغرفة المجاورة للغرفة التى دفن بها الرسول وصاحباه . وتولى الخلافة على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — ونقل مقر الخلافة إلى الكوفة فى رجب سنة ٣٦ هـ ، وبذا فقدت الدار أهميتها الرسمية ، كما فقدتها المدينة نفسها .

ولقد عز على أهل يثرب أن ينتزع منهم مقر الخلافة ، وهى التى ظلت فيهم طيلة أيام أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وأن تبرحهم العزة والتكريم التى ما برحتهم منذ أن وطئت قدما الرسول الطاهرتان أرضهم ، فتعلقت قلوبهم بمسجد الرسول لأن فيه قبره المشرف وقبر أبو بكر الصديق ، وقبر عمر الفاروق ، وقبر عثمان بن عفان ، ولأن هذا المسجد إنما يحمل ذكريات الرسول ، فجعلوه كعبتهم ، وأحاطوه بعنايتهم وتبجيلهم ، وما برحوا يقيمون فيه الصلوات ويجلسون فيه إلى فقائهم ، واتجهت قلوب المؤمنين فى مشارق الأرض ومغاربها إلى مقام الرسول يشدون إليه الرحال للزيارة والتبريك عملا بالحديث الشريف :

« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا » .

فلما كان عام ٥٤ هـ أقيمت ذكرى الهجرة فى الفناء لأول مرة ، وقد كانت حفلات ذكرى الحج تقام فى قباء ومن ذلك التاريخ اصطبغ هذا المسجد بالصبغة الرسمية بدلا من مسجد قباء

إعادة بناء المسجد :

ويذكر ابن سعد أن عبد الله بن يزيد شاهد عام ٩١ من الهجرة دور أرامل الرسول ، وكانت تسعة من منزل عائشة إلى دار أسماء بنت حسن ، وذكر أنه كان حاضراً أمر الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك لعامله على المدينة عمر بن عبد العزيز ، القاضى بهدم المنازل وضم أرضها إلى فناء المسجد ، وروى ما شاهده من حزن الناس البالغ وبحيبهم على ضياع آخر أثر من آثار بيت الرسول وتمنوا لو بقى ليرى الخلف تقشف الرسول وقناعته .

وقد أرسل الخليفة إلى المدينة المال اللازم والرخام والفسيفساء والأخشاب وثمانين من العمال الروم والقبط من سوريا ومصر ، فأزالوا البقايا القديمة من حجرات نساء النبى وبعض المنازل المجاورة وأقاموا بأشراف صالح بن كيسان المسجد الجديد من الحجر المنحوت ، وحملوا سقفه على ٦ أعمدة فى الاتجاه الشرقى الغربى و ١٤ عموداً فى الجهة الشمالية منها ١٠ أعمدة تشرف على الصحن و ٤ أعمدة فى الرواق وبلغت مساحته ٢٠٠ فى ٢٠٠ ذراعاً .

— ٢ —

الأذان للصلاة :

وكان المؤمنون يجتمعون إلى النبى للصلاة حين مواقيتها بغير دعوة ، حتى إذا اكتمل عقدهم أقيمت الصلاة . على أن اشتغال الناس بأمور عيشهم قد يفوت عليهم وقت الصلاة أو يؤخرهم عن مواعيدها . . وليس أحسن من أن يؤذن فى الناس كلما حلت فيأتون رجالا من كل فج عميق ، ففكر فى البوق الذى يدعو به اليهود لصلاتهم ولكنه كرهه فأمر بناقوس كناقوس النصارى ولكنه بعد مشورة عمر وطائفة من المؤمنين على رواية ، وبأمر الله على لسان الوحى على رواية أخرى ، عدل عن الناقوس أيضاً إلى الأذان — وقال لعبد الله بن زيد ، « قم مع بلال فألقها عليه ليؤذن بها فإنه أندى صوتاً منك » فارتقى بلال منزلا عالياً لامرأة من بنى النجار كان بجوار المسجد ، وصار يرسل الدعوة مع كل ريح بصوت ندى جميل :

هنـاك أذّن للرحمن فامتلأت ... أسماع يثرب[1] من قدسية النغم

وهكذا أصبح الأذان صفة لازمة للصلاة الجامعة ، وصار لابد للمؤذن من مكان مرتفع فى عمارة المسجد يدعو منه المصلين فلما اتخذ المسلمون المعبد الوثنى (Temenos) فى دمشق للصلاة كان له أبراج فى أركانه الأربعة فأمر معاوية باتخاذها مآذن وهذه أول المآذن .

محراب القبلة :

لم يكن لمسجد الرسول محراب يبين اتجاه القبلة ، والمحاريب بالمساجد ، إنما ظهرت بعد اتصال المسلمين بالمسيحيين والأخذ بفنونهم . والمحاريب المجوفة معروفة فى كنائس المسيحيين قبل الإسلام ، ولكن المحراب المسطح يغلب عليه الابتكار الإسلامى .

وقد كان المسلمون يتحرجون أن تبدو مساجدهم وعليها مسحة وثنية ، أو يهودية أو مسيحية ، أو أن تبدو مظاهر عباداتهم متفقة ، فى قليل أو كثير ، مع مظاهر عبادات الأديان الأخرى ، فحافظوا على شخصية الإسلام وطابعه المميز سواء فى مخبره أو مظاهره . وقد فطن المؤلفون العرب إلى أن المحراب متخذ من جبنية الكنيسة فنسبوا إلى الرسول حديثا : « أن ظهور المحاريب التى تجعل المساجد تشبه الكنائس من علامات الساعه » .

وكتب السيوطى رسالة سماها « أعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب[2] » ، ويميل الآثاريون إلى الاعتقاد بأن المحراب الأول فى الإسلام صنعه العمال الروم والقبط الذين أرسلهم عبد الملك بن مروان إلى المدينة لإعادة بناء المسجد النبوى أو ذلك الذى صنعه قرة بن شريك ، عامل الوليد فى مصر عام (٨٩ — ٩٦ هـ) (٧٠٩ — ٧١٥ م) .

منبر النبى :

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم إنما يخطب الناس وهو

---

(١) فى الأصل « مكة » من نهج البردة لشوقى بك .

(٢) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٢ مجاميع

قائم مستند إلى أحد جذوع النخل التي تحمل سقف المسجد؛ إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلا فصُنع له منبر خشبي من ثلاث درجات ووضع في صدر حائط القبلة ، وكان النبي وقت الخطبة يجلس على الثالثة العليا ويضع أرجله على الثانية ، وكان أبو بكر يجلس على الثانية ويضع أرجله على الأولى ؛ إشعاراً للناس بهيبة الراحل العظيم ، وإقراراً في نفوسهم بأنه هو خليفته ومهما بلغ به التعظيم والتكريم فلن يبلغ مبلغه . ولقد يظهر أن للرجل فكرة دينية تخفى تحت هذا التصرف ... فقد كانت حركة الردة على أشدها ، ومدعو النبوة في كل واد يهيمون ، يؤلبون الناس على الإسلام ، نخشى أن يتطلع الناس إليه على أنه صورة ثانية من الرسول فيطالبونه بما لا يستطيعه من وحي أو حديث ، فيضطرب الأمر وتفشو الفتنة ، أو لعل له هدفاً سياسياً فالقوم يعلمون أن الرسول لا ينطق عن الهوى ، وأنه على خلق عظيم ، فأراد الصديق أن يقر في نفوسهم بأنه لا يتلقى وحياً ، وأن الخطأ جائز عليه فلا يمكن أن يقاس برسول الله على كل حال .

هذا التواضع وهذه السياسة قد ورثها عمر بن الخطاب فخطب الناس وهو جالس على العتبة الأولى للمنبر وجعل رجليه على الأرض إلا أن عثمان بن عفان لم يجد ما يدعوه إلى الجلوس مكان عمر ، ولا مكان أبو بكر ، وليس لديه ما يمنع من جلوسه مكان النبي نفسه . ولا شك بأن إغفال سنة سلفية وصعوده الدرجات إلى مكان النبي أمام الناس قد هزت الناس هزات نفسية عنيفة ، لها معزاها في سير الحوادث أيام عثمان .

ومنبر النبي مكرم بحديثه الشريف « ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة » .

والمنبر إنما هو كرسي مرتفع أدخل في المسجد للنبي ليكفيه عناء الوقوف مدة إلقاء الخطبة . وقد كان المنبر معروفاً في العمائر المسيحية ، وكان في كنائس الروم والقبط يجلس عليه القساوسة لإلقاء الوعظ حتى استغنى عنه بالمذبح . ولقد هذب الإسلام من هيئته على مر العصور وأضفى عليه من روحه بما جعل له مغزى وطابعا إسلامياً مميزاً وعالجه الفنانون حتى أخرجوه تحفة لها مقامها الكريم بين منتجات الفن الرفيع .

— ٣ —

لم تكن يثرب غارقة في البداوة حتى لا يظهر بها أثر من الفن أو الصنعة فوجود اليهود بها — وهم أهل تجارة وحيلة في جلب المال — مما يرجح وجود الفنون بها . وقد كان في حجرة عائشة — رضى الله عنها — بعض التماثيل مما يتلهى به فتيات العرب وستور محلاة بالصور يفسره حديث السيدة عائشة قالت :

« قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر وقد سترت سهوة في بقرام (١) فيه تماثيل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلوّن وجهه ، وقال : يا عائشة ! أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله ، قالت : فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين » . وجاء في ربيع الأبرار للزمخشري في حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

« قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وفي سهوتي ستر ، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات (٢) لي فقال : ما هذا ؟ قلت : بناتي ، ورأى بينهن فرساً له جناحان ، قال : فرس له جناحان ؟ قلت : أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة ؟ فضحك حتى بدت نواجذه » .

وبعد ، فهذا قبس من نور ألقيناه على المرحلة المبكرة من حياة هذا المقام الكريم وسنحاول في مقال تال أن نجلو صفحة أخرى من صفحاته الزاخرة الزاهرة .

مصطفى كامل إبراهيم

القاهرة

(١) السهوة : الطاق . والقرام الستر .
(٢) البنات : التماثيل الصغار يلعب بها .

مراجع البحث نجملها في يلي :
القرآن الكريم وكتب السيرة الشريفة .
Eanlig NusliM Ärchlleeruɾc لكريزل طبقات ابن سعد .
تاريخ الأمم والملوك للطبري
مسالك الأبصار للعمري
الفن الإسلامي في مصر للدكتور زكي محمد حسن
التصوير عند العرب لتيمور باشا والدكتور زكي محمد حسن
خطط المقريزي
حياة محمد للدكتور هيكل باشا

ابن حزم الأندلسي

مجموعة من المواهب والعبقريات

للأستاذ قدري حافظ طوقان



ابن حزم مجموعة من المواهب والعبقريات؛ وزير وابن وزير، ومن أصحاب الجاه الواسع العريض. هذا في ميدان الحياة العامة. أما في المعارف والعلوم فهو فيلسوف لمع في الدين والشعر والأدب والتاريخ

نشأ في قرطبة في القرن الحادي عشر للميلاد من أسرة قال عنها الفتح بن خاقان: « بنو حزم فتية علم وأدب، وثنية مجد وحسب ». وهو من بيت عريق بالمجد حافل بالترف والنعيم. لكن ذلك لم يدم، فقد تنكر له الزمان، وتعرض للنكبات والمصائب، وأصابه الاعتقال والتغريب والإغرام الفادح. لحقه الأذى والكيد من كل جانب، ولم ينعم بالاستقرار والاطمئنان.

انصرف ابن حزم إلى العلم بكل عزائمه، وأخلص له ولم يخلط به مأرباً آخر. وهذا ما يميزه عن كثير من الذين يمتون بالعلم والأدب؛ ولم يقف عند هذا الحد، بل « تفرغ لنشره بين الناس فنفع به خلقاً كثيراً »؛ ذلك لأنه كان يؤمن بأن للعلم زكاة هي نشره وإذاعته.

نشأ في بداية أمره في جو ساعد على بروز مزاياه النفسية والفكرية، فظهرت عبقريته متعددة النواحي، وتعمق في البحث والدرس فكان المرجع لأعيان الفكر في زمانه والأزمان التي تلت، ومصدراً من المصادر المعتمد عليها التي يستشهد بها رجال الدين والعلماء.

وقد اعترف بفضله وعلمه الأقدمون والمحدثون، فقال عنه أفاضل القدماء: « ... ابن حزم حامل فنون من حديث وفقه وجدل وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة في كثير من أنواع التعليم القديم من المنطق والفلسفة ... »؛ وقال الذهبي: « ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة »؛ وقال صاعد: « برز ابن حزم على فحول العلماء بالأندلس حتى تفرد دونهم بميزات »؛ وشهد الغزالي بفضله: « وعظم حفظه وسيلان ذهنه ». ولقد درس بعض تآليفه المستشرقون ورجال التاريخ في أوربا وأمريكا، فأنصفوه بعض الإنصاف واعترفوا بأثره في الفقه والعلوم. قال رينيه باسيه: « ابن حزم عالم عربي أندلسي، متفنن في علوم جمة، وهو فقيه مشهور ومؤرخ وشاعر مبرز، دقيق الملاحظة، شيق الأسلوب ».

وتناول آراءه جولد زيهر وشريبتر وإسرائيل فرد لبندر ونيكل وبتروف، فشرحوها وعلقوا عليها وأبانوا أثره في الفقه والمنطق والتاريخ. ويعترف سارطون في كتابه مقدمة لتاريخ العلم بفضل ابن حزم وعلمه فيقول: « ابن حزم أعظم عالم في الأندلس، ومن أكبر المفكرين المبتكرين المسلمين فيها ».

ترك ابن حزم مؤلفات ضخمة تدل على سعة اطلاعه وغزير علمه وعظيم أدبه؛ وقد « ملأ المغرب بعلمه وكتبه ومذهبه، وشغل أهله طرفاً صالحاً من حياته أحقاباً طوالا، حتى لكأنه أمة وحده لا فرد من أمة »؛ اعتز به الأندلس وباهى بفضله العراق الذي كان يومئذ يمج بحضارة ما رأى التاريخ لها مثيلاً.

ويتجلى من كتبه ورسائله أنه كان يتمتع بفكر ثاقب وبصيرة نافذة وملاحظة دقيقة؛ فهم الشريعة حق الفهم وأفهمها بإخلاص وصدق للناس. وكان صريحاً ومخلصاً للحق إلى أبعد الحدود؛ وقد ضاق علماء عصره وحكامه بصراحته وإخلاصه، فأشهروا عليه الحرب العوان، فأحرقوا كتبه واضطهدوه شر اضطهاد، وصبوا عليه النكبات والمتاعب. ويمكن القول إنه « ملأ

الأندلس حركة فكرية عنيفة آثارها سلبية وإيجابية ، وجمل مجالس العلم وأقطاب الفكر معسكرين أنصاراً وخصوماً » .

ولسنا بحاجة إلى القول بأن حيوية ابن حزم لم تنقطع بموته ، بل أودعها كتبه وتآليفه فاستمرت تعمل عملها زمناً طويلاً .

وإن المتصفح لأدبه وأسلوبه يجد أن فيهما ثورة على التقليد ، فلم يتقيد بأسلوب من تقدموه ، ولم يلتمس فى أدبه طريقهم ، وهو يقول فى هذا الشأن : « وما مذهبى أن أنضى مطية سواى ، ولا أتحلى بحلى مستعار» . وهذا (كما يقول الأستاذ سعيد الأفغانى): « السر فى تأثير بلاغته وأخذها بمجامع القلوب ، ونفاذها إلى أعماق النفوس » . ولهذا لا عجب إذا امتاز بأسلوب خاص ، وأدب له لونه الخاص ، وقد حلق به عالياً فجعله « أديباً عالياً سبق عصره قروناً عديدة » .

وابن حزم صاحب رأى مستقل يأخذ بالعقل ويخالف بالعقل ، لهذا نراه حارب الخرافات وهاجمها بشدة ، حتى إنه استعمل ألفاظاً نابية لا يليق بمثله أن يأتى بها مما يعطى فكرة عن شدة ألمه من الأخذ بالأوهام والاعتقاد بالخرافات . كان يدعو إلى الأخذ بالعلم الصحيح والاعتماد على العقل ، يتجلى ذلك فى كتابه (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) بشأن النجوم وأثرها فى الناس وهل تعقل ؟ قال ابن حزم : « زعم قوم أن الفلك والنجوم تعقل وأنها ترى وتسمع ... وهذه دعوى بلا برهان . وصحة الحكم بأن النجوم لا تعقل أصلاً ، وأن حركتها أبداً على رتبة واحدة لا تتبدل عنها . وهذه صفة الجماد المدبر الذى لا اختيار له . وليس للنجوم تأثير فى أعمالنا ، ولا لها عقل تدبرنا به إلا إذا كان المقصود أنها تدبرنا طبيعياً كتدبير الغذاء لنا ، وكتدبير الماء والهواء ونحو أثرها فى المد والجزر ، وكتأثير الشمس فى عكس الحر ، وتصعيد الرطوبات (التبخير) . والنجوم لا تدل على الحوادث المقبلة » .

ومن هذه الآراء يتضح أن ابن حزم لا يأخذ رأياً إلا بعد أن يمحصه ويسلط عليه العقل والبرهان ، فإن أجازه العقل وأمكن البرهنة عليه أخذ به ، وإلا فهو غير مقبول لديه .

وخالف ابن حزم الأقوال التى تشير إلى أن النيل وجيحون ودجلة والفرات تنبع من الجنة ، وتهكم على قائليها . وبعد أن فند هذه الأقوال بين أن لهذه الأنهار منابع معروفة فى الأرض على ما هو موضح فى كتب الجغرافيا .

ولابن حزم آراء علمية ونظريات فلسفية « هى فى الطبقة الأولى من القيمة الذاتية الحقيقية » كما يقول الدكتور عمر فروخ .

ومن هذه النظريات الجديرة بالذكر والاعتبار نظرية المعرفة ، وقد عقد لها فصلا خاصا فى كتابه : (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) . وتتركز الأسئلة فى هذه النظرية على ما يلى :

كيف تعرف الأشياء ؟ وما نعرف عنها ؟ وما الدليل على صحة المعرفة ؟ ولقد بحث فى هذه النظرية اليونان ، لكن بحثهم لم يكن من العمق والسعة بحيث يجعلها كاملة ، إلى أن جاء الفيلسوف الألمانى (كانت Kamt) فى أواخر القرن الثامن عشر للميلاد ، فبحثها بحثاً وافياً شاملا جعل مؤرخى الفلسفة الأوروبية يقولون : إن الفضل فى إيجاد نظرية المعرفة وفى شرحها ، يعود أولا إلى كانت .

ولكن الدكتور عمر فروخ فى كتابه عبقرية العرب درس الآراء التى وردت فى كتاب ابن حزم وقارنها بما قاله (كانت) فتبين له أن نظرية المعرفة قد عرضت لابن حزم قبل (كانت) بسبعة قرون ونصف قرن .

يرى ابن حزم أن المعرفة تكون (١) بشهادة الحواس — أى بالاختبار الم تقع عليه الحواس ، (٢) بأول العقل — أى بالضرورة وبالعقل من غير حاجة إلى استعمال الحواس الخمس ، (٣) ببرهان راجع من قرب أو من بعد إلى شهادة الحواس وأول العقل .

ويرى ابن حزم أن الغرض من الفلسفة والشريعة يجب أن يكون إصلاح النفس حتى تستعمل (النفس) الفضائل وتكون فى دائرة السيرة الحسنة المؤدية إلى السلامة فى المعاد وحسن السياسة للمنزل والرعية جاء فى كتاب (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) ما يلى : « الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها ، والغرض المقصود نحوه بتعلمها ، ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس بأن تستعمل فى دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها

فى المعاد وحسن سياستها للمنزل والرعية . وهذا نفسه ، لا غيره ، هو الغرض من الشريعة . هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من العلماء فى الفلسفة ، ولا بين أحد من العلماء فى الشريعة .. »

وابن حزم من المقدمين فى الظاهرية والمتحمسين لها . ومذهب الظاهرية هو مذهب الجماعة الذين يقبلون ما جاءت به الآيات الكريمة والأخبار الموثوقة من الحديث والسنة ، ولا يتأولون شيئاً على ما لم تجر به سنة العرب فى فهم لغتهم . وقد وضع فى الظاهرية تآليف قيمة تعرض فيها لمسائل فقهية ومشا كل دينية وكان فيها مبتكراً ، إذ طبّق الأصول الظاهرية على العقائد . ومن آرائه التى أودعها كتبه يتبين أنه كان من الذين (انتقضوا على التوسل بالأولياء دمذاهب الصوفية وأصحاب التنجيم) . كان يميل إلى المناظرة والهجوم على خصومه والذين يخالفون فى آرائه ، لكنه كان يتوخى دائماً إنصاف الخصوم ويتجنب التضليل واختلاق التهم .

ولابن حزم رسالة لطيفة قيمة هى رسالة فى المفاضلة بين الصحابة ، شرح فيها مذهبه فى المفاضلة سالكا طريقاً منطقية محكمة . ولقد أحسن الأستاذ سعيد الأفغانى فى نشرها ، فقدم بذلك خدمة علمية جليلة يشكر عليها أجزل الشكر .

وفى هذه الرسالة النفيسة كان ابن حزم مبتكراً فى الطريقة التى اتبعها فى ترتيب موضوعاتها . وكانت على النمط الآتى : تقرير للأسس ثم بسط الدعوى ، ثم استعراض آراء الخصوم وشبههم وأخيراً دفع للشبه وبرهان للدعوى ؛ وهى كما يقول الأستاذ الأفغانى « طريقة محكمة كاملة » تعلم الحوار المضبوط ، والمناقشة الدقيقة ، والجدل الصحيح القوى ، وفوق ذلك ، فقد دلت هذه الرسالة على « براعة فى تحليل النصوص وجودة الاستنباط ، ودقة الفهم لها ... »

يرى ابن حزم فى هذه الرسالة أن العامل يفضل العامل فى عمله بسبعة أوجه لا ثامن لها وهى : الماهية وهى عين الفعل وذاته والكمية وهى العرض فى العمل والكيف والكم والزمان والمكان والإضافة . ثم يشرح كلاً من هذه الأوجه فى قالب جذاب يستهوى القارئ وبأسلوب سهل فيه ابتكار وفيه إحكام ومنطق .

والآن لا يتسع المجال لشرح آرائه ونظرياته ، ولكن يمكن القول أنه ترك تراثاً ضخماً لم يصل إلينا منه إلا القليل ، وهى تبحث فى الفقه والأدب والأخلاق والفلسفة وأخلاق النفس والأصول ، والامامة والسياسة والمنطق والإيمان والفرق الإسلامية والاجماع والتاريخ . ولعل أشهرها كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، وكتاب طوق الحمامة ، ورسالة المفاضلة وقد مر ذكرها .

وهذه كلها تدل على علم واسع وعقل حصيف وفكر خصيب وإنه كما يقول الأستاذ الأفغانى « أحدّ ذهنية انبثقت عنها الأندلس فى جميع عصورها » وهو يمثل العبقرية الأندلسية أروع تمثيل . وقد سما نبوغه وارتفع درجات جعلت المؤرخين والباحثين يعتبرونه من المقدمين فى تاريخ تقدم الفكر والعلم ومن أعلام العلماء الخالدين ...

قدرى حافظ طوقان

الأندلس الثانية

للأستاذ ابراهيم الوائلى



مواكب النصر ودنيا الظفر   كيف تلاشى الأمل المنتظر

أيستنيم الشرق مستخذيا   وفى زواياه يدب الخطر ؟

بالأمس كنا نتحدي الورى   لما زحفنا زحفة واحده

فاصطبغت بالدم تلك الذرى   تشهد أنا أمـة خالده

واليوم قد عادت بنا القهقرى   سياسة موتورة حاقده

بالأمس كنا ونشيد الكفاح   أغنية نهفو لاسجاعها

قد رتلتها نبرات السـلاح   فاهتزت الدنيا لإيقاعها

واليوم من قد حصبتها الرياح   عادت إلى تحقيق أطماعها

بالأمس كنا وصهيل الجياد   ترن فى الآفاق أصداؤه

وحلم «صهيون» بأرض المعاد   طارت على الساحل أشلاؤه

واليوم عـدنا وحديث الجهاد   طيف وفى « الرملة » أنباؤه

أبعد أن دوّت على « الفوطتين »   أيام غسان تناجي الحرم

وانتفض التاريخ فى الرافدين   يبعث فينا سيرة المعتصم

نعود من تلك (بخفّى حنين)   ولعنة التاريخ بين الأمم ؟!

قالوا : أطل السيف من غمده   وعاودت « مكة » قرآنها

وانطلق التاريخ من مهده   يكتب للأمة عنوانها

فضاحك النيل ربى « نجده »   وصافحت بغداد عمانها

ثم انثنينا بعد ذاك الظفر   تخدعنا أحبولة الطامعين

وزمرة كنا فصرنا زمر   تعبث فينا حيل الماكرين

فأين يا أمتنا المســتقر   إن نحن ضيعنا تراث السنين !

ما هكذا تبلغ آمالهـا   من جانبت خطتها الظافره

ففى غد تندب أوصالهـا   وقد أطلتها اليد الغادره

يا من مشت تحمل أثقالها   ماذا وراء الخطوة الحائره

إنا لنخشى بعد هذا النضال   فى شرقنا « أندلساً » ثانيه

ففى ذرى القدس وخلف الجبال   قد رصدتنا الفئة الباغيه

وفى ربى « نجد » وحول « القنال »

ما كان فى « الشط » و « حبّانيه » (١)

مواكب « اليرموك » عودى فذى

أيامنا تستصرخ (ابن الوليد)

وجدّى ذاك النضال الذى   ربع به كل قوى عنيد

فليس غير السيف من منقذ   يا راية الفتح اخفقى من جديد

حرب أردناها لنشر السلام   فى وطن قد مزقته الحروب

(١) إشارة إلى (الشعيبة) قاعدة الإنجليز فى البصرة . و (حبانيه) قاعدتهم الأخرى قرب بغداد على الفرات .

بيت المقدس

فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى



لم تكن بلاد الشام يوم هاجمتها جحافل الغرب فى أواخر القرن الخامس بمستطيعة أن ترد هذه الجيوش المتدفقة عليها من كل صوب ، فلم تكن وحدة تحت سلطان واحد ، وإنما كان النظام الإقطاعى يمزق شملها ، ويفتت قواها . فسقطت فلسطين وكثير من بلاد الشام فى أيدى الغزاة المتعقبين ، وقاست البلاد المفتوحة من ويلات التدمير والنهب وسفك الدماء ، ما لا يستطيع التاريخ أن ينساه ، وكان نصيب بيت المقدس عندما اجتاحوه سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة منأ أكبر الأنصباء ؛ فقد جرت به مذبحة من أبشع المذابح التى عرفها التاريخ . يقول ميشو Michaud المؤرخ الفرنسى فى كتابه تاريخ الحروب الصليبية Histoire des Croisades (ج١ص ٢٣٦) فى حديثه عن بيت المقدس: « سرعان ما صارت المذبحة عامة : ذبح المسلمون فى الطرقات وفى المنازل ، ولم يعد فى بيت المقدس ملجأ للمغلوبين ؛ فبعض الذين فروا من الموت ألقوا بأنفسهم من فوق الأسوار ، والآخرون جروا جماعات يختبئون فى القصور والأبراج ، وبخاصة المساجد ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يفرّوا من أن يتبعهم الصليبيون ، أما وقد صار الصليبيون سادة المسجد الأقصى الذى دافع المسلمون عن أنفسهم حيناً فيه ؛ فقد جددوا فيه المناظر المحزنة ، دخله المشاة والفرسان ، واختلطوا بالمهزومين ، وفى وسط أشنع ضوضاء ؛ كنت لا تسمع إلا الأنين وصيحات الموت ، لقد كان المنتصرون يسيرون على أكوام من الجثث ليتبعوا من يحاول الفرار عبثاً . وقال شاهد عيان هو « ريمون داجيل » ارتفعت الدماء إلى ركب الخيل وأعنتها فى المسجد ، وكل الذين أبقى عليهم التعب من الذبح أو أسروا طمعاً

فكان منا أن ملكنا الزمام ... حين تلاقينا وشب اللهب
فيا ربوعاً دب فيها الخصام ... تذكرى بالأمس دنيا العرب

تذكرى تاريخ وادى الفرات ... يوم تحدى صلف «الإنجليز»
فلم تخفه النار والطائرات ... حين مشى وهو قوى عزيز
ودجلة تهزأ بالماخرات ... وحلم «مود» ورؤى «همفريز»

واذّكرى ما كان فى (ميسلون) ... يوم أتت (باريس) فى كبرياء
وخلفها الغرب الأثيم الخئون ... قد بثت الغدرة للأبرياء
فانتفضت (جلّق) بعد السكون ... وسجلت تاريخها بالدماء

وإن نسيت النيل وهو الغضوب ... فاستعرضى أمواجه الثائره
ترىْ بلاداً ما ثنتها الخطوب ... عما تريد الأمة الساهره
من الشمال الحر حتى الجنوب ... لما تزل جبارة قاهره

والمغرب الأقصى وأعلامه
و (الريف) تحميه الأسود الغضاب
قد روعت (باريس) أيامه ... وجللت تاريخها بالضباب
وزلزل الغرب وأصنامه ... حين تقرتها أكف الشباب

فيا دماء طويت فى الرغام ... تحية الشعر لزاكى الدم
ويا جراحاً نخرت فى العظام ... سوف تمرين على بلسم
ويا حياة لُفعت بالظلام ... لا بد من فجر فلا تسأمى

(القاهرة) ابراهيم الوائلى

في أن يفدوا أنفسهم بفدية كبيرة قتلهم الصليبيون؛ لقد أكرهوا على أن يلقوا أنفسهم من أعالي البروج والبيوت، ويكونوا طعاماً للنيران، وكانوا يخرجونهم من الأقبية وأعماق الأرض ويجرونهم في الميادين العامة، حيث يذبحونهم فوق أكداس الموتى، ولم يثنهم دموع النساء ولا صيحات الأطفال. لقد كانت المذبحة هائلة وكانت الجثث مكدسة، لا في القصور، ولا في المساجد، ولا في الشوارع فحسب، ولكن في أخفى الأماكن وأبعدها. ولم تنته المذبحة إلا بعد أسبوع. ويتفق المؤرخون الشرقيون والإفرنج على أن عدد القتلى يبلغ سبعين ألفاً؛ وبعدئذ أمر من بقي من المسلمين الذين لم ينجوا من القتل إلا ليقعوا في استعباد مخيف، أن يدفنوا الأجسام المشوهة لأصدقائهم وإخوانهم، فأخذوا ينقلون — وهم يبكون — هذه الجثث خارج بيت المقدس، وساعدهم في ذلك بعض الصليبيين الذين دخلوا المدينة أخيراً، فلم يظفروا بكثير من الأسلاب، وأخذوا يبحثون عن بعض الغنائم بين الموتى». وقال ابن الأثير في تاريخه الكامل (ج ١٠ ص ١١٧) وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان، وجاور بذلك الموضع الشريف، وأخذوا من عند الصخرة نيفاً وأربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنوراً من الفضة وزنه أربعون رطلا بالشامي، وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلا، وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء».

خرج المستنفرون بعد سقوط بيت المقدس إلى بغداد، فحضروا في الديوان وقطعوا شعورهم، واستغاثوا وبكوا، وقام خطيبهم في الديوان، فأورد كلاماً أبكى العيون وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمعة، فاستغاثوا وبكوا وأبكوا، وذكروا ما دهم المسلمين بذلك المكان المعظم؛ من قتل الرجال وسبي الحريم والأولاد ونهب الأموال، ولكن الخليفة لم يكن في يده من الأمر شيء بل كان يعتمد على السلاجقة، فأرسل على عجل ثلاثة رجال من حاشيته إلى السلطان بركياروق وأخيه محمد، وقد كانا معسكرين يتقاتلان عند حلوان، وتوسل إليهما أن يتركا ما بينهما من النزاع، وأن يسيروا إلى العدو المشترك. غير أن هذا النداء لم يجد أذناً مصغية، فسرعان ما كان الإخوان يقتتلان تاركين الفرنج يؤسسون لهم ملكا ببلاد الإسلام. ولم يصغ أحد إلى تلك الصيحة التي أرسلها الشاعر:

مزجنا دماء بالدموع السواجم	فلم يبق منا عرضة للمراجم
فإيهاً بني الإسلام إن وراءكم	وقائع يلحقن الذرا بالمناسم
أتهويمة في ظل أمن وغبطة	وعيش كنوار الخميلة ناعم
وإخوانكم بالشام يضحى مقيلهم	ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم	تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وتلك حروب من يغب عن غمارها	ليسلم يقرع بعدها سن نادم

ظل بيت المقدس في أيدي الصليبيين أكثر من تسعين عاما. وكان من أكبر أماني نور الدين محمود أن يسترده للمسلمين، ولكنه مات قبل أن يحقق أمله. فلما ملك صلاح البلاد واتحدت مصر والشام تحت سلطانه صمم على أن يستعيد الوطن المغتصب فأرسل إلى جميع أجزاء امبراطوريته يستنفر الناس لقتال الفرنج وكتب إلى الموصل وديار الجزيرة وبلاد الشام يدعوهم إلى الجهاد، ويحثهم عليه، ويأمرهم بالتجهز له، فأقبلت الجيوش من كل حدب، ومضى صلاح الدين على رأس جيشه فالتقى بالفرنج عند حطين، ودارت عندها معركة لم يذق الفرنج لها مثلا منذ قدموا من ديارهم ومضوا بين أسير وقتيل. لم ينتظر صلاح الدين حتى يجمع العدو شمله المبدد، بل مضى يتابع انتصاراته، وأخذت مدن العدو تسقط في يده الواحدة إثر الأخرى، حتى إذا سقطت عسقلان والبلاد المحيطة بالقدس شمر عن ساعد الجد، وذهب إلى بيت المقدس يريد فتحه، وهنا رأى العدو أنه لاقبل له بالجيش الزاحف فاستكان وطلب الأمان، وفتحت المدينة أبوابها لاستقبال صلاح الدين يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣، وأباح السلطان لسكانها الروم والفرنج الدنيين أن يعيشوا في بلاده، وأن يستمتعوا بحقوقهم الدنية إذا شاءوا، أما المحاربون فعليهم أن يخرجوا بنسائهم وأطفالهم خلال أربعين يوماً، على أن يدفع كل رجل عشرة دنانير، وكل امرأة خمسة وكل طفل ديناراً،

فإذا لم يستطع واحد أن يدفع فهو أسير ؛ غير أن السلطان لم ينفذ ذلك حرفياً ، فقد دفع هو نفسه فدية عشرة آلاف ، ودفع أخوه الملك العادل فدية سبعة آلاف ، بينما مضى عدة آلاف بدون فداء . وقد حمل الناس والكهنة ذخائرهم من غير أن يتعرضوا لأذىً ما ؛ بل قدمت الدواب لكثير منهم ، ممن لا يجدون ما يركبون .

لقد كانت إنسانية صلاح الدين على النقيض من وحشية اولئك الصليبيين الذين غزوا القدس وفتحوه ، ومن قسوة أمرائهم ؛ فإن كثيراً منهم مضوا إلى أنطاكية غير أن أميرها بيمند طردهم وأبى أن يقبلهم وأغلق صاحب طرابلس مدينته فى وجوههم ، فمضوا إلى بلاد الإسلام حيث استقبلوا هناك أحسن استقبال . وقد عدّد ميشو Michaud أنواعا من قسوة الصليبيين ضد إخوانهم اللاجئين من بيت المقدس .

أصلح صلاح الدين ما تخرب من المدينة ، ورمّم ما تهدم من المساجد ، وحكم المدينة حكما يسوده العقل والحرية ، ثم أمر بإحكام سور بيت المقدس ، وأنشأ مدرسة ورباطاً وبيمارستاناً ووقف عليها الأوقاف الدارّة .

كان لاستعادة بيت المقدس أثر بالغ فى نفس المسلمين ، يقصر القلم دون وصفه . وقد اجتهد المؤرخون فى وصف دخول صلاح الدين بيت المقدس ، ولا زالت خطبة الجمعة الأولى التى خطب بها محيى الدين محمد بن الزكى أمام صلاح الدين محفوظة بنصها فى كتب التاريخ . أما الشعراء فقد فاضت قرائحهم بتمجيد صلاح الدين فأنشدوه أو أرسلوا إليه ما يعبرون به عن مدى الإعجاب والتقدير ومن ذلك ما قاله الشريف النسابة المصرى :

أترى مناماً ما بعينى أبصر ... القدس يفتح والفرنجة تكسر
ومليكهم فى القيد مصفود ولم ... ير قبل ذلك لهم مليك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذى ... وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
فتح الشآم وطهر القدس الذى ... هو فى القيامة للأنام المحشر
من كان هذا فتحه لمحمد ... ماذا يقال له وما ذا يذكر ؟ !
يا يوسف الصديق أنت لفتحها ... فاروقها عمر الإمام الأطهر
ولأنت عثمان الشريعة بعده ... ولأنت فى نصر النبوة حيدر
ملك غدا الإسلام من عجب به ... يختال ، والدنيا به تتبختر

ولكن هذا الفتح العظيم على ضخامته لم يله العماد الكاتب عن التفكير فيما بقى بأيدى الصليبيين من بلاد ، وأن العبء الملقى على عاتق صلاح الدين هو تطهير البلاد كلها من رجسهم فكتب يقول :

قل للمليك صلاح الدين أكرم من ... يمشى على الأرض أو من يركب الفرسا
من بعد فتحك بيت القدس ليس سوى ... « صور » فإن فتحت فاقصد « طرابلسا »
أثر على يوم « أنطرسوس » ذا لجب ... وابعث إلى ليل أنطاكية العسسا
واحتل ساحل هذا الشام أجمعه ... من العداة ومن فى دينه وكسا
ولا تدع منهمو نفسا ولا نفسا ... فإنهم يأخذون النفس والنفسا

أراد الصليبيون بعد موت صلاح الدين فجمعوا جموعهم ومضوا إلى الشام يعيثون فيه فساداً ، ثم رأوا أن أفضل طريق للتغلب على عدوهم الملك العادل ملك القدس والشام إنما هو ضرب العادل فى مكان حيوى منه ، وكانت مصر هى المكان الحيوى المختار . فما إن قوى الصليبيون بأسطول وأمداد جديدة حتى وجدوا فى أنفسهم الشجاعة للنزول على دمياط فى صفر سنة ٦١٥ ، ولما سقطت المدينة فى أيديهم خاف المعظم عيسى أن يسقط بيت المقدس فى أيديهم فمضى إليه وخرّبه ، وخرج معظم من كان بالقدس من الناس ، ووقع فى البلد ضجة عظيمة ، وخرجت النساء والبنات والشيوخ وغيرهم إلى الصخرة والأقصى وقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم ثم خرجوا هاربين وتركوا اموالهم وأهاليهم ، وامتلأت بهم الطرقات ، ولم يبق فى القدس إلا نفر يسير ، ونقل المعظم ما كان فى القدس من الأسلحة وآلات القتال وقد شق على المسلمين تخريب القدس وأخذ دمياط

عرض الكامل — بعد موت أبيه العادل — أن يرد إليهم مملكة بيت المقدس وجميع ما فتحه صلاح الدين على أن يردوا إليه دمياط فحسب ، ولكن هذا العرض المغرى قوبل بالرفض من جانب الصليبيين وطلبوا ثلاثمائة ألف دينار عوضاً عن تخريب القدس ليعمروه بها .

ويقول لان بول فى كتابه : تاريخ مصر فى القرون الوسطى

(ص ٢٦٣) : إن أعظم فرصة أتيحت الصليبيين قد أضاعوها ، وإن فيليب أوغسطس عندما سمع نبأ رفضهم قال : إنهم مجانين بلهاء إذ يرفضون مملكة مقابل مدينة ولم يلبث الصليبيون أن انهزموا فى مصر وتركوها ، فلم تفدهم حملتهم شيئاً

لم يحاول الصليبيون استرجاع بيت المقدس ، ولا يعود ذلك لأسباب حربية فحسب ، ولكن روح الصليبيين قد تغيرت . فصليبيُّو سوريا يفضلون مدنهم الساحلية الغنية المليئة بتجار الطليان والتى يحفُّ بها الأراضى الخصبة الزراعية على أراض داخلية خربتها حروب الفرنج مع صلاح الدين ، أما الرغبة الملحة فى امتلاك مدينة المسيح فقد أطفأتها شهوة الثروة ، ومع ذلك لم تمت هـذه الروح وظلت حية فى نفوس أساقفة روما الذين دفعوا فردريك الثانى إلى أن يشن حرباً صليبية جديدة فأقلع إلى الشام ونزل بمدنه الساحلية سنة ٦٢٥ ، وكانت هذه الفترة التى نزل فيها فترة نزاع بين الكامل وابن أخيه الملك الناصر ، فرأى الكامل بدء مفاوضات بينه وبين الإمبراطور الصليبى أن تعقد بينهما معاهدة ، نزل بمقتضاها سلطان مصر عن بيت المقدس بشرط أن تبقى على ما هى عليه من الخراب ، ولا يجدد سورها ، وأن يكون سائر قرى القدس للمسلمين لا حكم فيها للفرنج وأن الحرم بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى يكون بأيدى المسلمين لا يدخله الفرنج إلا للزيارة فقط ، ويتولاه قوم من المسلمين ، ويقيمون فيه شعائر الإسلام : من الأذان والصلاة . ويقول باركر فى كتابه الحروب الصليبية (ص٧٩) : « إن الإمبراطور ظفر بهذه المعاهدة بحسن استخدامه لقواه السياسية وباستغلال لما رآه من نزاع بين الملك الكامل ومنافسيه فى سوريا »

أغضبت هذه المعاهدة المسلمين واستعظموها ، ووجدوا لها من الوهن والألم ما لا يمكن وصفه ، واشتد تشنيع الملك الناصر داود بدمشق على عمه الملك الكامل ، ونفرت قلوب الرعية وقد رأوا الفرنج يتسلمون بيت المقدس فى أول ربيع الآخر سنة ٦٢٦ وجلس الحافظ سبط بن الجوزى بجامع دمشق ، وذكر فضائل بيت المقدس ، وحزن الناس لاستيلاء الفرنج عليه ، وشنَّع على هذا العمل فاجتمع فى ذلك المجلس ما لا يحصى عدده من الناس وهم فى ثورة عنيفة وأنشد الحافظ قصيدة أبياتها ثلاثمائة بيت منها .

على قبة المعراج والصخرة التى ... تفاخر ما فى الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحى مقفر العرصات

واضطر الملك الكامل إلى أن يرسل رسولا إلى البلاد وإلى الخليفة لتسكين الناس وتطمين خواطرهم من انزعاجهم لأخذ الفرنج القدس ، بل لقد اضطر الملك الكامل نفسه إلى أن يقنع نفسه بأنه لم يأت أمراً إدًّا ، فكان يقول : إنا لم نسمح للفرنج إلا بكنائس وأديرة خراب ، والمسجد على حاله ، وشعار الإسلام قائم ، ووالى المسلمين متحكم فى الأموال والضياع . ولكن ذلك لم يقنع أحداً من المسلمين ، ولعله لم يقنع الكامل نفسه .

وقد انتهز الفرنج ماحدث من الخلاف بعد موت الملك الكامل فعمَّروا فى القدس قلعة وجعلوا برج داود أحد أبراجها ، وكان قد ترك لما خرب المعظم أسوار القدس فمضى الناصر داود وقد علم بما أحدثه الفرنج ، وحاصر القدس واستولى عليه عنوة فى جمادى الأولى سنة ٦٣٧ ، وفى ذلك يقول ابن مطروح :

إذا غدا بالكفر مستوطناً ... أن يبعث الله له ناصراً
فناصر طهره أولا ... وناصر طهره آخرا

يريد بالناصر الأول صلاح الدين ، ومنذ ذلك التاريخ وبيت القدس بيد المسلمين .

أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

مطبعة الرسالة

العدد ٨١٠ — الاثنين ١٠ يناير ١٩٤٩ — السنه السابعه عشره

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٢٠٤

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 810

Lundi — 10 — 1 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر وللسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٨١٠ « القاهرة في يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ — ١٠ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

الفقيـد الشهيد !

من الخطوب ما يدهم المرء فيصيبه بجمود في الحس وخمود في الذهن فلا يشعر ولا يفكر . ومن الأهوال ما يفجأ الآمن فيرميه بالدهش والتبلد فلا يقدم ولا يؤخر . وتلك كانت حالى حين أقبل عليّ صديق يقول وهو يقلب كفيه ، ولا يملك مسارب عينيه : قُتل النقراشي الساعة برصاص أخ مسلم ! ! فبرق بصرى لما قال ، وأقمت شاخصاً لا أطرف ، ذاهلاً لا أعي ! وتسامع الناس بالخبر المشئوم ، فاعتُقلت ألسن ، واخضلّت أعين ، ولهفت قلوب ؛ وظل أكثر السامعين بين مصدق ومكذب ، حتى أُسند الخبر إلى مدير الدقهلية ، فاستيقنوا جيماً وقوع الكارثة التي طالما تمناها الإنجليز لمصر ، وابتغاها اليهود للعرب . وتجمع أهل المنصورة زمراً في المقاهي والطرق والحوانيت يطيلون في الثناء على الصريع العظيم ، ويستعينون بالعزاء على الخطب الجسيم ، ويحاولون أن يعللوا هذا الجرم الفظيع فلا يجدون باعثاً عليه لا من واقع الأمر ، ولا من عمل الرجل ، ولا من مصلحة الوطن ، ولا من سياسة الدين !

وثاب إليّ وعيي بعد ذهول المفاجأة فشعرت بصدرى يضطرم ، وبصبرى يرفض ، وبدمعي ينهل ، وبخاطرى يتمثل النقراشي الصديق وهو يزورنى معزياً في وفاة ولدى ؛ ويتمثل النقراشي المجاهد وأنا أزوره مستضيئاً برأيه في مشكلات بلدى ؛ ويتمثل النقراشي الوزير وهو يغلّب عقله على هواه ، ويؤثر رضا الله على رضاه ، ويضحى بالصداقة في سبيل العدل ، وبالحزبية في سبيل الوطن ؛ ويتمثل النقراشي الرئيس وهو ينهج في سياسته نهج الصدّيق ، ويسمت في حكمه سمت الفاروق ، فيحدد مطالبنا المبهمة ، ويشدد عزائمنا الموهونة ، وينشر فضائلنا المطوية ، وينعش آمالنا الذاوية ، ويحرر أعناقنا المغلولة ، ويطلق أيادينا المقيدة ، ويرفع رءوسنا المطأطأة ؛ ثم يقف في مجلس الأمن على ملأ من الأمم ومسمع من العالم ، يقرّع انجلترا بالحق فتفحَم ، ويلوى عنقها بالحجة فتكابر ؛ ثم يسيّر جيشنا الأصيل الحر إلى إنقاذ فلسطين وينفخ فيه من روح ابراهيم فيصنع المعجزة ويُدني المستحيل على قلة عَدده ونقص عُدده !

نعم ، تمثل خاطرى النقراشي في هذه الأحوال وفي هذه الأعمال ، ثم تمثل في الوقت نفسه هذا الإنسان العامل الكامل ، الشريف العفيف ، المؤمن المخلص ، الشجاع الحازم ، صريعاً بالنار كلص أرداه الشُّرَط ، ملطخاً بالدم كخائن رماه الجنود ! فأسائل نفسي كما يسائل كل مصرى نفسه : لماذا قتل محمود فهمي النقراشي ؟ ألأنه اشترى دنياه بدينه ، أم لأنه مالأ عدوه على وطنه ، أم لأنه اتبع هواه في حكمه ؟ أم لأنه ضن بجهده ونفسه على خدمة أمته ؟ أم لأنه استغل السلطان فاقتنى الضياع والعقار على حساب ذمته ؟ !

لا تستطيع النفس العاقلة أن تجيب صاحبها عن هذه الأسئلة إلا بالنفى ، لا فرق في ذلك بين حزب وحزب ، ولا بين جنس وجنس ، ولا بين عدو وصديق . فلا يبقى إلا أن نرجع إلى تاريخ الشهداء الدامى فنسأل العقل المأفون ، والجهل المفتون ، والدين المزيف ،

الجمعية العمومية لهيئة الأمم في دورتهــا الأخيرة

للاستــاذ عمر حليق

فيما يلي عرض موجز لأبرز القرارات التي اتخذتها الجمعية العمومية التابعة لهيئة الأمم في اجتماعها السنوي بباريس ، الذي استمر من ٢٢ سبتمبر إلى ١١ ديسمبر ١٩٤٨ ، وهي تشمل أهم المشاكل التي تواجه العلاقات الدولية ، وتتصل اتصالا وثيقا بشؤون السلم والحرب .

فلسطين :

أنشأت الجمعية العمومية لجنة التوفيق بين العرب واليهود مؤلفة من الولايات المتحدة وأمريكا وتركيا . وللجنة معظم الاختصاصات التي كانت للكونت برنادوت الذي اغتاله اليهود وتناسته المحافل الدولية بفضل مؤامرة الصمت التي ارتكبتها الصحافة العالمية وتأثرت بها هيئة الأمم تأثراً سلبياً هداما .

وقرار الجمعية العمومية هذا ، يدعو السلطات المعنية بشأن فلسطين إلى الاتفاق مباشرة أو بواسطة اللجنة . وهـذا التزام شنيع يفرض على الدول العربية الاعتراف بالكيان الذي أقامه اليهود في المناطق التي يسيطرون عليها في فلسطين . وهو اعتراف آخر بسياسة الأمر الواقع التي تناقض ميثاق الأمم المتحدة والتي لم تكن في يوم ما أساساً لاستقرار سياسي وطيد . والقرار يدعو كذلك إلى جعل مدينة القدس منطقة دولية .

ميثاق حقوق الانسان :

وافقت الجمعية بأكثرية ساحقة على هذا الميثاق العالمي الذي يحدد الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية للفرد تحت أي نظام كان وفي ظل أية سلطة يعيش . والميثاق مقدمة لقانون دولي تنوي هيئة الأمم حمل شعوب العالم ودوله على اتخاذه أساساً للحرية الفردية بموجب التزامات قانونية تتخطى سلطة الدولة وتكون مقيـدة بأحكام هيئة قضائية عليا تنشئها هيئة الأمم ، للنظر في حوداث التعدي والعبث بالحقوق التي أقرها الميثاق .

مشروع مكافحة الابادة العنصرية ومعاقبة مجرميها :

وهو قرار كان لضغط اليهودية العالمية الفضل الأول في إقراره ؛ إذ أنه يحاول ضمانة الأقليات والعنصرية من بطش الدولة ، وهو بطش حاق باليهود في عهود التاريخ القديم والمعاصر بسبب ولائهم المزدوج الذي يتصنع خدمة الدولة التي تأويهم بينما هو يتخذ هذه الدولة وسيلة لتحقيق أهداف أنانية ، مستمدة من صميم العقلية اليهودية الانتهازية وهي عقلية رجعية ، لأنها لا تزال تعيش في ظلال التلمود وشريعته العتيقة ، دون أن تحاول التأثر بالتطور الفكري الذي أولد حركات تقدمية في السلوك الديني والتفكير الديني والنظرة الدينية تجاري التطور العلمي الذي يعيش عليه المجتمع الإنساني المعاصر .

مشكلة البلقان :

اتخذت الجمعية العمومية للمرة الثانية خلال عامين قراراً ضد جارات اليونان لمساعدتهم الثوار الشيوعيين . والقرار يزيد عاما في عمر لجنة البلقان الدولية التي أوفدتها الأمم المتحدة لتراقب الحالة وتحاول فض النزاع في البلقان . وقد فشلت اللجنة فشلا ذريعاً وفقدت مهابتها ومهابة الهيئة الدولية التي أوفدتها . واتخذت الجمعية كذلك قراراً بتكليف جمعية الصليب الأحمر الدولية ، بالسعي لإعادة الأطفال اليونانيين الذين خطفهم الثوار وبعثروهم في بلغاريا وألبانيا ويوغسلافيا .

تخفيض التسلح :

رفضت الجمعية العمومية المشروع الروسي الداعي لتخفيض التسلح بمعدل الثلث خلال سنة واحدة . ووافقت الجمعية عوضا عنه على مشروع بريطاني يقضي بتكليف لجنة تخفيض التسلح — التي أنشأها مجلس الأمن منذ عامين وعجزت عن إنتاج أي

والطبع الشرير ، والقَدر الأعمى : بأي ذنب طعن عمر ، واغتيل غاندي ، وصرع أحمد ماهر ، وقتل النقراشي ؟ !

أربعة شهداء لا أجد لهم في تاريخ الشرق خامساً في عظمة النفس ، ونقاء الضمير ، ووفاء الذمة ، وطهارة اليد ، وصدق العهد ، وشرف المسعى ، ونبل الغاية ؛ وإن مصارعهم الأليمة ستظل وصمة في جبين الدهر ، ولعنة في تاريخ الإنسان ! !

هذه كلمة اليوم ، وإنها لقطرة دم من فؤاد ينزف أسى على مقتل النقراشي ستتبعها قطرات ! وللنقراشي في ذمة كل مصري دَين ، فهو حري أن تُذرف عليه قطرات القلوب لا عبرات العيون !

(المنصورة) احمد حسن الزيات

اتفاق بين الدول الكبرى — بتكليف لجنة تخفيض التسلح هذه بمواصلة مساعيها لتخفيض التسلح بالرغم من هذا الفشل . وكلفت اللجنة بصورة خاصة بوضع مقترحات عملية دقيقة لإحصاء مقدار الأسلحة التي لدى الدولة لتكون في متناول هيئة دولية ينتظر منها أن تتولى الإشراف على الإنتاج الحربي ومراقبته إذا ما توصلت الدول الكبرى المتنافسة إلى اتفاق مبدئي بشأن تخفيض التسلح . وقد عارضت روسيا وحلفاؤها معارضة نارية هذا القرار .

الطاقة الذرية :

وافقت الجمعية على توصيات لجنة الطاقة الذرية التي تألفت منذ ثلاث سنوات . وهذه التوصيات مبطنة اللغة والمقاصد لا ترمى إلى معالجة جوهر الموضوع . وقد أوصت الجمعية العمومية لجنة الطاقة الذرية هذه بمتابعة أعمالها لإنشاء هيئة دولية لمراقبة الإنتاج الذرى وتوجيهه توجيها سلميا .

والخلاف بين الروس وحلفاء الغرب على مسألة مراقبة الطاقة الذرية هو أزمة في الثقة . فروسيا ترغب في أن تدمر أمريكا القنابل الذرية المخزونة لديها ووضع جميع وسائل الإنتاج الذرى تحت إشراف هيئة دولية للمراقبة والتوجيه السلمى . وقد رضيت أمريكا بجزء من هذا الاقتراح وهو القاضى بوضع وسائل الإنتاج الذرى تحت إشراف هيئة مراقبة دولية ، ولكن أمريكا أصرت على أن تذعن روسيا لمراقبة هذه الهيئة دون قيد أو شرط وأن لا تضع في وجهها العراقيل وتحاول المخادعة . وقد رفض السوفيات التقيد بالتزامات المراقبة هذه بدعوى أن في ذلك تعديا على سيادة الدولة .

الجمعية الصغرى :

وهى بمثابة دمية للجمعية العمومية التي تجتمع مرة في العام . والجمعية الصغرى محاولة يائسة لتعزيز أحداث الدول الصغرى أمام جبروت (الفيتو) . وهى تجتمع بصورة مستديمة على غرار ما يفعل مجلس الأمن . وقد اتخذت الجمعية العمومية قراراً يقضى بمد عمر هذه الجمعية الصغرى عاما آخر ، وأعلنت روسيا وحلفاؤها معها أنها ستستمر في مقاطعتها .

الأعضاء الجدد :

قررت الجمعية العمومية إعادة النظر في طلبات الاثنتى عشرة دولة الطالبة الانضمام إلى عضوية الأمم المتحدة (سبع منها من أتباع حلفاء الغرب ، وخمس من أعوان روسيا) . وكانت روسيا قد استعملت حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن عدة مرات للحيلولة دون دخول الدول السبع ، من أتباع المعسكر الإنجلوسكسونى ، بينما عجزت الدول الخمس التي زكتها موسكو عن الحصول على الأغلبية المطلوبة من مجلس الأمن بسبب ضغط الولايات المتحدة وبريطانيا على باقى أعضاء مجلس الأمن دون أن يضطر الإنجلوسكسون لاستعمال الفيتو أسوة بالروس .

مناطق الوصاية :

كانت مناطق الانتداب موضع انتقاد شديد من لجان هيئة الأمم التي كلفت بزيارتها والتحقيق في وضعيتها والسماع لشكاوى أهلها . وقد اتخذت الجمعية العمومية قرارات تطالب الدول المنتدبة بأن توسع شؤون التعليم والتدرج نحو الحكم الذاتى في خطى سريعة . وقد أوصت كذلك بإنشاء جامعة في مكان مناسب في القارة الأفريقية لتخرج الأساتذة الجامعيين وسد حاجة شعوب المستعمرات للتعليم العالى .

لجنة الشرق الأوسط الاقتصادية :

نجحت الدول العربية في انتزاع قرار يفرض على الأمم المتحدة الإسراع في تأليف لجنة الشرق الأوسط الاقتصادية التي وضعت الدول الكبرى العراقيل في طريقها خلال الأشهر القليلة الماضية . وهذه اللجنة واحدة من أربع لمناطق جغرافية في أوروبا وأمريكا الجنوبية والشرق الأقصى ، تسمى لمساعدة شعوب ودول تلك المناطق على تحسين أحوالهم الاقتصادية عن طريق المعونة الفنية

دون أن تتقيد تلك الدول بالتزامات التسرب الأجنبي الاستعماري، وهو تسرب قاست الدول الشرقية من شروره ألوانا . وكان أحد المندوبين العرب قد اقترح وضع بترول المملكة السعودية والعراق وإيران ، تحت إشراف هذه الهيئة الدولية لخير الدول صاحبة البترول وإبعاد عملية الامتصاص التي تقوم بها شركات الاحتكار الأمريكية في نجد والكويت والبحرين وغيرها ، ولا تنال هذه المناطق العربية من أرباح هذا الذهب السائل إلا نسبة تافهة ؛ ولا تكاد تنال من منافعه الاقتصادية الإنشائية إلا بمقدار ما يسمح الاستغلاليون من أصحاب شركات الاحتكار الأمريكية .

مجلس الأمن :

انتخبت مصر لتحل محل سوريا في مجلس الأمن لمدة عامين ابتداء من مطلع عام ١٩٤٩ . وانتخبت كوبا والنرويج لمثل هذا المنصب ولنفس المدة .

محكمة العدل العليا :

أعيد انتخاب مندوبي مصر والصين وكندا وبولنده ويوغسلافيا قضاة في محكمة العدل العليا . واتخذت الجمعية العمومية قراراً يسمح للدول التي ليست منضمة لهيئة الأمم ولكنها وقعت على ميثاق محكمة العدل العليا بالمشاركة في انتخاب القضاة .

وألفت الجمعية العمومية كذلك لجنة للقضاء الدولي مؤلفة من ١٥ عضواً . واتخذت الجمعية كذلك قرارات عديدة أخرى تتعلق بنواح ثانوية من الشؤون الرئيسية . منها التنديد بالتلاعب في المعاملات التجارية ، والتجارة بالمواد الغذائية في السوق السوداء .

ومنها كذلك إنشاء مركز دولي في هيئة الأمم المتحدة لتدريب بعثات من مختلف الدول على الشؤون الإدارية وفنونها التشعبية ، وهو نوع من التخصص أخذ يحتل مكانة كبرى في معاهد العلم الراقية وأصبحت الحاجة ماسة إليه خصوصاً فيما يتعلق بشؤون التعاون الدولي الذي تمثله هيئة الأمم . واتخذت الجمعية كذلك بروتوكولا دوليا لمراقبة المخدرات وقيدته بالتزامات أدبية وقانونية قاسية ضد الدول التي تخل باتباعه ، وفي البروتوكول نص على استعمال العقوبات في بعض الحالات ضد الدولة أو الدول التي لا تتقيد بقوانين هذه المراقبة .

وقد احتلت الناحية الاجتماعية مكانة ملحوظة في قرارات هيئة الأمم ، منها اقتراح بلجيكي يسأل المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للهيئة أن يضع مشروع ميثاق عالمي وضمته الارجنتين لحماية المسنين من الشيوخ والعجزة وتوفير الطمأنينة الاقتصادية لهم .

وقرار آخر يقضي بأن تقوم دائرة الشؤون الاجتماعية في هيئة الأمم في لايك سكسس بتقديم المعونة الفنية مجانا للدول والحكومات الراغبة فيها وخصوصاً ما يتعلق بالخدمات الاجتماعية وتنظيمها وتدريب الوطنيين في الشعوب التي لا تسمح ميزانياتها باستخدام الخبراء الأجانب .

هذا ملخص لأبرز قرارات الجمعية العمومية التي قضت شهرين ونصف الشهر في مناقشات حادة تجاوب أصداؤها في أركان العالم الذي يرتبط الآن بشبكة من المواصلات الفكرية السريعة .

ولعل أظرف تعليق على اجتماع باريس هذا وعلى أعمال هيئة الأمم إجمالا هذا الرسم الكاريكاتوري الذي ظهر في جريدة فرنسية تصدر في العالم الجديد تدعى « لافرانس أميريك » .



رسم كاريكاتوري لجمعية هيئة الأمم المتحدة في قصر شايو

(نيويورك) عمر حليق

سُعار المال

للأستاذ كامل محمود حبيب

هذا هو المال ، له ألق براق يخطف البصر ويخلب اللب ويستلب الفؤاد ، وله سحر جذاب يأسر القلب ويستهوى النفس ويطمس على الرأى .

فرويدك — يا صاحبي — فإن سعار المال يوشك أن يركبك فتتزلق فتصبح وما بك طماح إلا جمع المادة . أنت الآن على حافة الهـاوية ، فتعال أسر إليك حديثاً علك تجد فيه متعة أو زجراً أو لهواً :

إن الكلَب للمادة يصدئ العقل ويشل الفكر ويبلد الذهن وينفث فى القلب الفظاظة والغلظة ، ويستل الإباء والأنفة ، ويورث المهانة والضعة .

وذو الكلَب لا يرعى حقاً ، ولا يبقى على ود ، ولا يتورع عن رذيلة ، ولا يرتدع عن دنيئة ، ولا يتذمم عن مأثم ، ولا يترفع عن صَغار ؛ غايته أن يجمع المال ويكدسه ، ثم لا يعنيه فى هذا السبيل أطوّقه العار أم استذله السعى !

وأنت فتى عُقد عليك أمل منذ تخرجت فى الجامعة ، وهلقت بك الأبصار منذ عُينت فى وظيفة حكومية ، ومنذ صرت بين اخوتك وأهلك رجلاً وإنساناً ، فيا ضيعة الأمل إن تلفتوا فلم يجدوا فيك الرجل ولا الإنسان !

يا عجبا ! كيف يركبك « سُعار المال » ، وأنت يا صاحبي رجل ، فتصبح وما بك طماح ... !

***

أتذكر يوم كان راتبك الحكومى سبعة جنيهات ، يوم كان ميراثك يغل عليك فى السنة خمسين جنيهاً فحسب ! لقد كنت رضى النفس طيب القلب سمح السجايا ، تتأنق فى ملبسك ومأكلك ومسكنك ، وترف رفيفاً جميلا على رفاقك ، وتفيض على صحابك من كرمك ، وتحبو اخوتك الصغار بعطفك ؛ فكانت أحاديث الحب والاحترام تحوم حواليك حيث أنت ، يتضوع من خلالها عبير الإخلاص والوفاء . وكنت أنت تتهلل بشراً وإيناساً ، يفيض وجهك طلاقة ومرحاً ؛ وكنا نأخذ عليك كثرة المزاح والفاكهة ونلومك على أن ترى الحياة هزلا وهذراً ، لا تستأهل أن يُعنّى المرء نفسه بما تجئ وبما تذر ، فسخرت منها حيناً وضحكت عليها حيناً . أفكانت تلك طبيعة رُكّبت فيك ، أم هى أخلاق تخلقتها إلى حين ؟ !

والآن ، حين ارتفع راتبك إلى العشرين من أثر التنسيق ، وحين زادت غلة ميراثك إلى المائات من أثر الحرب ، وحين سحرك حب الغنى ، وحين ركبك « سُعار المال » ... نسيت أنك عضو فى أسرة ، وأنك أخ بين إخوة ، وسحبت على الماضى ذيل النسيان ، فمقتت أهلك وذويك ، وأغضيت عن الود والقرابة ، وغاض منك البشر والإيناس ، وانمحت فيك سمات البشاشة والمرح ، وانطويت على نفسك تدفن آمالك المادية فى أضعاف أخيلتك ، وتطوى خواطرك الأرضية بين ثنايا وحدتك ، وحالت ابتسامتك ، وأصابك السُّهوم ، فذوت نضارتك وتغضّن جبينك ، وعشت ساعات طوالا تتأمل فى « خريطة مساحية » تقلّبها وتقلبها وتضع علامات هنا وهنالك ، وتقول لنفسك : « آه لو اشتريتُ هذه وهذه وهذه ... وآه لو استبدلت هذه بتلك وتلك بهذه ! » ورحت تسلك إلى غايتك سبلا مادية وطرقاً ملتوية .

هذا هو شغلك فى فراغك وفى عملك ، وأنت تعلم يا صاحبي أنك تثقل على نفسك وتحملها ما لا طاقة لها به ، فهذه أمانيّ لن ترتفع بك إلى غايتك ، ولو حرصت !

نعم ، أنا أعرف خلجات نفسك ونبضات قلبك ، فلا تقل إننى أستعين على عوادى الزمن — وأنا شاب — خيفة أن تعصرنى على حين فجأة ؛ ولا تقل إننى أهيئ لأولادى حياة ناعمة وأضمن لهم حق التربية والتعليم ، فالمدرسة تبهظ الأب فى غير رحمة ، والحكومة تسخر من الموظف حين تدفع له راتبه أول الشهر لتتقاضاه — من بعد — أقساطاً ثمناً للكتب والعلم ؛ والأب بينهما يستمرئ السغب والعرى ليشترى لأولاده مكاناً فى المدرسة . لا تقل ذلك فإن للثراء مسارب أولها التوفيق وآخرها الشح والكزازة !

***

وأذهلتك أخيلة الثراء فأسففتَ . وخيِّل إليك أن زوج أختك قد غلبك على بعض مالك ، فذهبت إلى أختك تحاسبها على ذنب لم تقترفه ، وأمطرتها بحديث فيه الجفاف والتقريع ؛ وأحست هي منك الجفوة والخشونة ، فلم تجد فى طبيعتها الانسانية ما تدرأ به من نفسها إلا الدمع فأجهشت للبكاء تستنزل عطفك وتستنهض مروءتك ، ولكن قسوة المادة قتلت فيك الرجولة فاندفعتَ تصليها شواظاً من قارص الكلام ... وراحت هى تبكى !

لعلها — يا صاحبى — كانت تبكى فيك الإنسانية ! !

وتحاماك أهلك حين جاءك صاحب دين يستقضى دينه فطلته ثم أنكرت عليه حقه ، ثم سخرت منه لأنه لم يكتبه عليك . وطلب هو الغوث من عميد أسرتك ، فما تموّقت فى الدفع ولا تمهلت !

واستعانك أحد ذوى قرابتك فى شأن حزبه ، فطلبت إليه ثمن جهدك !

وراعنى — يا صاحبى — أن ينفث فيك سمار المادة سمومه فتطمس على عقلك وتدفعك إلى آخر الشوط ، فتهجم على أخيك الأكبر بكلمات وضيعة طائشة تودعها رسالة ، ثم تبعث بها إليه فى غير خشية ولا حرج ، بعثت إليه برسالة وهو على خطوات منك!

أنسيت أنك عشت عمراً من عمرك ترى فيه الأب والأخ فى وقت معاً ، فكنت تجد إلى جانبه راحة قلبك وهدوء بالك ، وكنت تفزع إليه إن حزبك أمر أو فدحك حادث ؟ ! ونسيت أنك حين أردت أن تتزوج أرسلت إليه — دون أبيك — تسأله الرأى وتستعينه على أن يخطب إليك ابنة « فلان بك » فأسرع إلى أبيها يحتال للأمر ، إرضاء لك ، حتى أصاب التوفيق ! ؟

وتزوجت أنت من ابنة « البك » ، وهو رجل ذو مركز وجاه وثراء ، تقلّب فى وظائف القضاء حتى كاد أن يبلغ ، وانعطف على نفسه — منذ نشأته الأولى — فعاش فى منأى عن صخب الحياة وضجيجها ، فأفاد صحة ومالا . ولصقت أنت إلى « البك » واتخذته مثلك الأعلى ، ولكنك كنت منه كالقزم من المارد ، وتصاغرت نفسك فى عينيك فما لك مال ولا جاه ولا مركز إلا صبابات ، وتراءى لك أن المال وحده يسمو بك فتتطاول إلى حيث « سعادة البك » ، فأخذتك شهوة المادة وركبك سعار المال . ولكن كيف السبيل وأنت عاجز اليدين قليل الحيلة ! فاندفعت تسلك إلى المال سبلا فيها الصغار والخسة ، أيسرها أنك استخذيت « لسعادة البك » ، فعشت فى داره يمولك ويعول أولادك ، وسكنت أنت إلى هذا الوضع الوضيع لقاء دريهمات تدخرها ، لا تغنى من كرامة ولا تسمن من إباء ، ثم استخذيت مرة أخرى فأقامك على بعض شأنه — احتقاراً لك منه وامتهاناً — أجر ما أطعمك وأسكنك !

وتهاوت نفسك صغاراً وضعة فما حاولت أن تستشعر رجولتك إلا أمام أختك ، وإلا حين كتبت إلى أخيك الأكبر رسالتك تقول : « . . وظننت أن تقدمك علىّ فى السن يخولك السيادة أو يؤهلك للسبق . ولئن كنت أنت بكر أبوينا فما يمنعنى ذلك من أن أسبقك فى العلم والجاه والمال !

وأنت دأبت على أن تمطلنى حقى رغبة منك فى أن تستلبه أو تضيِّعه علىّ ، رغم أننا أعقاب أب واحد نقتسم تراثه على سواء ، لى مثل ما لك من حق ومن مال فى ما ترك أبى — رحمه الله — وإن مواقفك منى فى كل مناسبة توحى إلىّ بأنك تنفس علىّ أشياء تورث الحقد بين جنبيك ، فإما سلمتنى كل حق فى مدى ثلاثة أيام من تاريخه ، وإما رفعت أمرك للقضاء ... »

وسكت عنك أخوك لأن امتهن رأيك ، فما تجنى عليك وما مطلك وما غالك ... سكتَ ولكنك أنت لم تسكت !

***

ما ذا عسى أن تكون — بعد هذا — إن جرفك التيار ؟ هذه النار أنت وحدك حطبها ، فارعو واحفظ عليك مالك كيف شئت ، ولكن لا تغض عن حق الأخوة ولا عن حق القرابة !

وإذا جرفك التيار — يا صاحبى — فستكسب المادة ، ولكن بعد أن تفقد نفسك ، وسيركبك الندم حين لا تستطيع أن تسد الثغرة وقد انفرجت ، ولا أن تلم الشمل وقد تشتت !

كامل محمود حبيب

في ذكرى المولد النبوي الشريف :

من شـــــئون الموظفين في النظم الإسلامية

للأســـتاذ لبيب السعيد

يمى التراث الإسلامي في تضاعيف مكتبته الجليلة صحائف عن شؤون الموظفين يجدها الباحث متفرقة هنا وهناك . وهي صحائف تحوي معاني عجيبة عميقة فيها اتجاه راشد قصَّرت عنه النظم الجديدة في بعض وجهاتها ، ومن ثم كانت تلك الصحائف جديرة أن تستقصى وتُستلهم وتسترشد .

* * *

قامت جماعة المسلمين فاستوجب قيامها نظاماً يعتمد بالضرورة على موظفين يقومون بواجباته ، ويحملون أمانته . لقد أمر النبيُّ أتباعه أن يؤمروا عليهم حتى في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات فكأنه نبه على وجوب التولية فيما هو أكثر من ذلك [1] ، وقد اضطلع هو نفسه صلوات الله عليه بكل ما يتعلق بولاة الأمور في المدينة ، فولى في الأماكن البعيدة والقريبة ، وأمَّر على السرايا وبعث على الأموال الزكوية السعاة [2] .

واقتضت الظروف حتى في بدء الإسلام تعدد الوظائف على نحو أبعد مما قد يُظن ؛ فعهدُ الرسول لم يخلُ من وظائف الوزارة ووظائف الكتابة بأنواعها ، ووظائف السفراء والقضاة وفارضي النفقات ورجال الأمن والتعليم والصحة والمال والحرب والغنائم والمترجمين وغيرها ، ولو لم يصطلح على بعض هذه التسميات وقتئذ بل لقد وجدت وظائف هي بطبيعتها مما لا يقوم إلا حيث التمدن ودقة الإدارة كصاحب السر ورئيس التشريفات ورجال الحاشية الخاصة [3] .

* * *

والوظيفة في الإسلام تكليف شاق ، وجهود محشودة لخير الأمة . يقول النبي « ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل الجنة معهم [1] . » والإسلام يقتضي من يلي أية رعية أن يرفق بها ؛ يقول الرسول : « إن شر الرعاء الحطمة » يريد العنيف الذي لا يرفق برعيته بل يحطمها [2] .

والراعي إن لم يبسط لرعيته جناح رحمته فهو من دعوة الرسول في خطر ؛ يدعو عليه السلام — وكأننا نحس قلبه الرحيم يخفق في دعوته — : « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به [3] .

وغش الراعي رعيته كبيرة تشقيه في الآخرة : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » [4] . فأما العادلون ، فالحديث يشير إلى فضلهم ومنزلتهم بعبارة وضيئة فيها بلاغة مؤثرة : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل ، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » [5] .

ولذلك ، ترغب السنة إلى من كان فيه ضعف عن القيام بالوظائف أن يجتنبها ، وتقرر أنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه منها [6] ، ولكن السنة مع هذا ترغب في ولاية من استجمع شرائطها وقوي على أعمالها [7] وتعتبر الوظيفة لمن يتخذها ديناً يتقرب به إلى الله ويفعل فيها الواجب جهد طاقته من أفضل الأعمال الصالحة [8] .

والنظم الإسلامية تتحرى في تعيين الموظفين الأمثل فالأمثل ، وتعتبر في صراحة قاطعة العدول عن هذا خيانة كبيرة . ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى عمر بن الخطاب : « من قلد رجلا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين » [9] .

سنت النظم الإسلامية الموظفين مبادىء تبصر الدنيا على هدى الدين ؛ ولهذا نرى عصارات الدين القوية تسري في أعمال الموظفين كبيرهم وصغيرهم فتؤتي أكرم الثمرات . يكتب عمر

(١) الحسبة في الإسلام لابن تيمية ص ٥ (٢) نفس المصدر ص١٨
(٣) راجع التراتيب الادارية لمحمد الكتاني في الرباط ج ١ ص ٣ وما بعدها وص ٣٨٠ ، ج ٢ ص ١٤٤

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ٢١٥
(٢،٣) نفس المصدر ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦
(٤) نفس المصدر ص ٢١٤ (٥) نفس المصدر ص ٢١١
(٦) نفس المصدر ص ٢١٠ (٧) الكتاني ص ١٤
(٨) ابن تيمية ص ٦ (٩) ابن تيمية ص ٨

ابن الخطاب إلى عامله أبي موسى : وإن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته (١) .

ويقول له : واعلم أن للعامل مرداً إلى الله ، فإذا زاغ العامل زاغت رعيته (٢) .

والمسلمون يرون التزام الموظفين العدل أصلا أساسياً في نجاح الدولة لا يغني عنه أي عمل صالح حتى الإيمان ؛ فما يروى : « الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة » (٣) .

ومما يمثل النظم الإسلامية في آداب الموظف ماعده القلقشندي من آداب الكاتب ، قال : ومنها لزوم العفاف والصيانة فيما يتولاه للسلطان من أعمال ... والتعفف عن المطامع الذميمة والمطاعم الوخيمة والترفع عن المكاسب اللئيمة ؛ فإن ذلك يجمع القربة إلى الله تعالى والحظوة عند السلطان ، وجميل السيرة عند الرعية ، حتى إن هذه الطريقة قد تقدم بها عند السلطان المتخلفون في الفهم والمعرفة ، وسادوا على من لا يقاربونه في غناء ولا كفاية ، وحصلوا على الأموال السنية والمنازل العلية ، وقرب بها من كان بعيداً على من كان قريباً ، ومن لا مكانة له ولا حرمة على من كان له مكانة وحرمة ،واستدنى لأجلها من لايترشح لخدمة السلطان(٤)

والموظفون في النظم الإسلامية يخضعون لمراقبة بالغة . قيل عن عمر إن علمه بمن نأى عنه من عماله ورعيته كان كعلمه بمن بات معه في مهاد واحد ، وعلى وساد واحد ، فلم يكن له في قطر من الأقطار ولا ناحية من النواحي عامل ولا أمير جيش إلا وعليه له عين لا يفارقه ما وجده ، فكانت ألفاظ من بالمشرق والمغرب عنده في كل ممسى ومصبح . (٥) وعلى نحو هذا كان الكثيرون من خلفاء المسلمين . (٦)

وبعض التصرفات الشخصية البحت لكبار موظفي الدولة الإسلامية لم يكن بمنجاة من تعقب الحكومة ؛ تزوج حذيفة ابن اليمان أجنبية ، فطلب إليه عمر أن يطلقها على كونها حلالا

(١) الخراج لأبي يوسف ص ١٧
(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ٣٨
(٣) ابن تيمية ص ٤ . (٤) صبح الأعشى ج ١ ص ٧١
(٥) كتاب التاج المنسوب للجاحظ ص ١٦٨
(٦) راجع نفس المصدر ص ١٦٩ ، ١٧٠

لأن « في نساء الأعاجم خلابة ، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم . (١)

والموظف الذي يعفي نفسه من الضمير والواجب عليه وزر عمله . يقول أبو يوسف للرشيد : وأنا أرى أن تبعث قوماً من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته يسألون عن سيرة العمال وما عملوا به في البلاد ... إلى أن قال : وإذا صح عندك من العامل والوالي تعد بظلم وعسف وخيانة لك في رعيتك واحتجان شيء من الفيء أو خبث طعمته أو سوء سيرته فحرام عليك استعماله والاستعانة به ، وأن تقلده شيئاً من أمور رعيتك أو تشركه في شيء من أمرك ؛ بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من غير أن يتعرض لمثل ما تعرض له . وإياك ودعوة المظلوم فإن دعوته مجابة . (٢)

على أن التقارير التي ترد إلى الحكومة عن الموظفين يجب أن تكون صادقة ودقيقة ، فكاتبوها — كما يقول أبو يوسف للرشيد — : ربما مالوا مع العمال على الرعية وستروا أخبارهم وسوء معاملتهم للناس ، وربما كتبوا في الولاة والعمال بما لم يفعلوا إذا لم يرضوهم ، وهذا مما ينبغي أن تتفقده وتأمر باختيار الثقات العدول من أهل كل بلد ومصر فتوليهم البريد والأخبار ... وتتقدم إليهم في أن لا يستروا عنك خبراً من رعيتك ولا من ولاتك ، ولا يزيدوا فيما يكتبون به عليك خبراً ، فمن لم يفعل منهم فنكل به ، ومتى لم يكن أصحاب البرد والأخبار في النواحي ثقات عدولا فلا ينبغي أن يقبل لهم خبر في قاض ولا وال . (٣)

ومع هذا فروح المبادئ الإسلامية تتيح الموظفين حرية في السير إلى أهدافهم العليا هي فوق منال موظفي زماننا . ومن النصوص الكثيرة في هذا الشأن ماورد من أن زياداً كتب إلى الحكم بن عمرو الغفاري : وإن أمير المؤمنين معاوية كتب إلى يأمرني أن أصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة واقسم ما سوى ذلك . فكتب إليه : إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ! والله لو أن السموات والأرض كانتا رتقاً على عبد فاتقى الله لجعل له منهما مخرجاً ! ثم نادى الناس فقسم فيهم ما اجتمع له من الفيء . (٤)

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٤٧ (٢) الخراج ص ٦٣
(٣) نفس المصدر ص ١١٤ ، ١١٥ (٤) العقد الفريد ج ١ ص ٦٩

والإسلام فى احترامه للانسانية وحمايته للحق يقرر وجوب الإنكار على الموظفين — مهما تكن مراتبهم — فيما يخالف الشرع . قال صلى الله عليه وسلم : « ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برئ ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضى وتابع » يريد أن الإثم والعقوبة على من رضى وتابع (١) وإنه صلوات الله عليه ليدعو المسلمين دعوة صريحة إلى الصدوف عن مشايعة الحاكم الظالم ورفض معاونته إذ يقول لما ذكر الظلمة : « من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولا يرد على الحوض » (٢)

ولا ينبغي للموظف أن يزدهيه منصبه ، أو أن ينبن حتى فيما دق وهان صغيراً لصغره . كتب على إلى بعض عماله : واخفض للرعية جناحك ، وألن لهم جانبك ، وآس بينهم فى اللحظة والنظرة والإشارة والتحية ، حتى لا يطمع العظماء فى حيفك ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك . (٣) وقد صدق فى هذا الشأن عمل المسلمين الأولين قولهم .

والإسلام إذ يفيض على أتباعه جميعاً كريم الرعاية وعظيم الالتفات يحرص على إبلاغ ولى الأمر حاجات كل فرد ، لا يمنع من ذلك ضآلة شأن الفرد أو ضعته . يقول النبى (ص) : « أبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، فإنه من أبلغ سلطانه حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة » (٤) . ويقول عمر الفاروق فى خلافته : لئن عشت إن شاء الله لأسيرن فى الرعية دولا ، فإنى أعلم أن للناس حوائج تقتطع دونى ، أما عمالهم فلا يرفعونها إلى ، وأما هم فلا يصلون إلى . (٥)

ورواتب الموظفين فى النظام الإسلامى تناسب الحاجة والبلد ، ومن دواعى زيادتها أن يبدى الموظف فى عمله كفاية وحكمة . والنبى صلى الله عليه وسلم يوصى أئمة المسلمين بعده بموظف أحسن صنعاً فى بعض الأمور ، فيكتب له بهذا كتاباً ويختمه ، فيظل الموظف يأخذ — فيما ذكر ابن سعد فى طبقاته — أشياء من خلفاء المسلمين حتى عهد عمر بن عبد العزيز . (٦)

والراتب يتسق ومركز الموظف . بلغ المعتضد أن عامله على فارس أظهر أبهة فى ولايته وأنفق فوقمت له بذلك هيبة فى نفوس الرعية فزاد المعتضد رزق عامله ليستعين به على مروءته . (١)

وكما تستقطع الضرائب الآن من الرواتب ، كانت الزكوات المستحقة تخصم من الأعطيات (٢) .

والحالة الاجتماعية التى لم تلتفت إليها النظم التوظيفية الحديثة إلا متأخراً لها فى النظام الإسلامى اعتبار ، يروى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه الفئ قسمه فى يومه فأعطى صاحب الأهل حظين وأعطى الأعزب حظاً (٣) .

وإنصاف الموظفين ليست نتائجه بالشئ الذى تغفى عنه الحكومة الإسلامية ؛ فعلى يوصى أحد عماله أن يسبغ الأرزاق « فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك » (٤)

ولعمر بن عبد العزيز لفتة عالية إذ يقال له : ترزق الرجل من عمالك مائة دينار ومائتى دينار فى الشهر وأكثر من ذلك؟ فيقول : أراه لهم يسيراً إن عملوا بكتاب الله وسنة نبيه ، وأحب أن أفرغ قلوبهم من الهم بمعايشهم (٥) . وكان من أهم ما جرت عليه الإدارة فى عهد المأمون التوسعة على العمال ؛ يراد بهذا حفظ حقوق الرعية والسلطان؛ رفع المأمون منزلة الفضل بن سهل ، وعقد له على الشرق طولاً وعرضاً وجعل عمالته ثلاثة آلاف ألف درهم (٦)

ورواتب الموظفين تجرى عليهم من بيت مال المسلمين لأنهم فى عمل المسلمين (٧) . وقد كان الرشيد قال : يجرى على القاضى إذا صار إليه ميراث من المواريث ، فأجاب قاضيه أبو يوسف : لا إنما يعطى للقاضى رزقه من بيت المال ليكون قيما للفقير والغنى والصغير والكبير ، ولا يأخذ من مال الشريف ولا الوضيع إذا صارت إليه مواريثه رزقاً (٨) .

وقد وجد فى النظم الإسلامية نظام تقرير المكافآت والماشات : أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قيس بن مالك الأرحبي من همذان لما استعمله على قومه عربهم وأعاجمهم

---

(١) صحيح مسلم ج ١٢ ص ٢٤٣ (٢) ابن تيمية ص ٧

(٣) نهج البلاغة للشريف الرضى ج ٢ ص ٥٤

(٤) الكتانى ج ١ ص ١٣

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ٣ ص ١٠٩

(٦) الكتانى ج ١ ص ١٧٢

---

(١) نقلا عن الإدارة الإسلامية لمحمد كرد على ص ١٧٨

(٢) الكتانى ج ١ ص ٢٢٤ (٣) نفس المصدر

(٤) كرد على ص ٦٠ (٥) نفس المصدر ص ١٥٤

(٦) نفس المصدر ص ١٠٤ (٧) الخراج ص ١١٥

وموالبهم ، فأقطعه من ذرة (نسار) مائتى صاع ، ومن زبيب (خيوان) مائتى صاع ، «جار له ذلك ولعقبه من بعده أبداً أبداً أبداً (١) » . وعمر بن عبد العزيز أمر أن يرفعوا إليه كل يتيم ومن لا أحد له ممن قد جرى على والده الديوان ، فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بينهم بالسوية ، وفرض للموانس الفقيرات ، وكان لا يفرض للمولود حتى يفطم ، فنادى مناديه : لا تعجلوا أولادكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام (٢) .

والموظفون يجدون رعاية اجتماعية عند العجز ؛ كتب عمر ابن عبد العزيز إلى أمصار الشام أن يرفعوا إليه كل أعمى فى الديوان أو مقعد أو من به فالج أو من به زمانة تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة ، فأمر لكل أعمى بقائد ولكل اثنين من الزمنى بخادم . (٣)

والاتجار ليس من شأن موظفى الدولة ؛ اجتمعت لأبى هريرة أموال كثيرة فقرر أن خيله تناسلت وسهامه تلاحقت وأنه اتجر؛ فقال له عمر بن الخطاب : أنظر رأس مالك ورزقك تخذه ، واجعل الآخر فى بيت المال . (٤)

وقد عرفت النظم الإسلامية مبدأ عدم تكرار الراتب ، فعمر بن عبد العزيز أمر أن لا يخرج لأحد من العمال رزق فى العامة والخاصة ، فإنه ليس لأحد أن يأخذ رزقاً من مكانين ، فى الخاصة والعامة . (٥)

وما ينبغى للموظفين أن يستعملوا شيئاً من وسائل النقل الخاصة بالدولة ، فأصحاب البريد يجب أن لا يحملوا على دواب البريد إلا من تأمر الحكومة بحمله فى أمور المسلمين فإنها للمسلمين . (٦) وفى هذا المقام يذكر أبو يوسف أن عمر بن عبد العزيز كان يبرد ، فحمل مولى له رجلا على البريد بغير إذنه ، فدعاه . فقال : لا تبرح حتى تقومه ثم تجعله فى بيت المال . (٧)

والوظائف العسكرية تقتضى كشفاً طبياً يجرد فيه الشبان من ثيابهم للاطلاع على عيوب أجسامهم (٨) ، ولم يكن يقبل فيها الصبيان . (٩)

(١) كرد على ص ١٥ (٢) نفس المصدر ص ١٠٥
(٣) نفس المصدر ص ١٠٤ ، ١٠٥ (٤) المصدر نفسه ص ٣٩
(٥) المصدر نفسه ص ١٠٥ (٦) الخراج ص ١١٥
(٧) نفس المصدر (٨) كرد على ص ٩٤
(٩) الكتانى ص ٢٣١ ، ٢٣٢

والثقة بالوظفين واجبة ، يقول طاهر بن الحسين لولده عبدالله : ولا تتهمن أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمة ، فإن إيقاع التهم بالبداء والظنون السيئة بهم مأثم . واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك ، واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يمنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم . (١)

* * *

وقد سبقت النظم الإسلامية إلى الأخذ بمبدأ اللامركزية منذ عهد الرسول . روى أن السعاة الذين كان يبعثهم على الزكاة كان الواحد منهم أحياناً يرجع إلى المدينة وليس معه شىء منها إذا وجد لها موضعاً يضعها فيه . (٢)

ومن النصوص التى تذكر فى هذا المقام فتعجب ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى عامله باليمن : « أما بعد فإنى أكتب إليك آمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم فتراجعنى ولا تعرف مسافة ما بينى وبينك ، ولا تعرف أحداث الموت ، حتى لو كتبت إليك أن اردد على مسلم مظلمة شاة لكتبت أردها عفراء أو سوداء فانظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعنى » . (٣)

وما أجمل ما كتب إلى عامله على الكوفة : « إنه يخيل إلى أنى لو كتبت إليك أن تعطى رجلا شاة لكتبت إلى : أذكر أم أنثى ؟ ، ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت إلى : أصغيرة أم كبيرة ؟ ولو كتبت بأحدهما لكتبت : أضأن أم معزى ؟ ، فإذا كتبت إليك فنفذ ولا ترد على . (٤)

وبمثل هذا كتب أبو جعفر المنصور إلى مسلم بن قتيبة . (٥) والمأثور عن المأمون أنه كان يحرص الحرص كله على الانتفاع برجاله ويطلق لهم حريتهم فى العمل . (٦)

وامتد الأخذ بهذا المبدأ إلى الوزراء ؛ كان العباس ابن الحسن وزير المكتفى يقول لنوابه بالأعمال : أنا أوقع لكم وأنتم افعلوا ما فيه المصلحة . (٧)

وللشعب حق شكوى الموظفين ، حيث يقف والإمام على قدم

(١) الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ١٢٤ (٢) ابن تيمية ص ١٨
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٩٧
(٤) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٩ (٥) كرد على ص ١٢٦
(٦) نفس المصدر (٧) نفس المصدر ص ١٨٠

المساواة ، يسوى الحكم بينهم فى الموقف حتى يظهر الحق ، فإن توجه قبل الموظف اقتص منه إن كان هنالك داع للقصاص ، أو عامله بما تقضى به الشريعة ، أو اعزله (١) . وقد وقع للفاروق عمر ولعمر بن عبد العزيز أن مثل كل منهما وهو أمير المؤمنين مع خصمه أمام القاضى (٢) .

ومن آيات عمر بن الخطاب فى العدل يوجهها إلى الرعية : « من ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علىَّ إلا أن يرفعها إلىَّ حتى أقصه منه (٣) .

والنظم الإسلامية تتجافى عن الوساطة وتتكرم عن المحسوبية فى شؤون الموظفين ؛ توسط مولى عمر بن الخطاب أن يكتب كتاباً إلى عامله بالعراق ليكرم من قصدوا إليها ، فانتهره عمر وسبه ، وقال : أتريد أن يظلم الناس ؟ وهل هو إلا رجل من المسلمين يسعه ما يسعهم به (٤) . وعلى يكتب إلى الأشتر النخعى حين سيره إلى مصر : ... ثم انظر فى أمور عمالك ، فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محاباة وأثرة ... ولقد انتهى إلى علم معاوية أن ابن أخته عبد الرحمن بن أم الحكم عامله على الكوفة أساء السيرة فى إمارته فعزله وأقصاه عن الحكم (٥) . والهادى فى عهده القصير منع أمه الخيزران من التدخل فى أمور السلطان لقضاء حوائج الناس (٦) .

والنظم الإسلامية تسمو بها مثلها العليا وإخلاصها الأمين فتحارب الخيانة والرشوة بين الموظفين فى جميع صورها من غير رحمة . ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلول — وهو اصطلاحا الخيانة فى الغنيمة — فعظمه وعظم أمره (٧) . ولقد أبى على أحد عماله بأسلوب ينضح بالغضب والجد أن يحتجز من الصدقات التى جمعها شيئاً بدعوى أنه أهدى إليه . (٨)

وتسد الروح الإسلامية منافذ التحايل ، فالهدايا للموظفين هى الرشا ، والهدية إذا دخلت من البـاب خرجت الأمانة من الطاقة . ولقد حفل تاريخ عمر بن الخطاب بالثورة على بعض

(١) نفس المصدر ص ٣٨ (٢) نفس المصدر ص ٥٠ ، ٩٧
(٣) نفس المصدر ص ٢٩ (٤) نفس المصدر ص ٥٠
(٥) نفس المصدر ص ٦٩ (٦) نفس المصدر ص ١٣٧
(٧) صحيح مسلم ج ١٢ ص ٢١٦
(٨) نفس المصدر ص ٢١٩ ص ٢٢٢ . الخراج ص ٤٦ ، ٤٧ والطرق الحكمية فى السياسة الشرعية لابن القيم ص ٢٢٧

عماله كلما رأى تغير حالهم فى العمالة عما كانت قبلها ، ولم يطامن من ثوراته أن من هؤلاء العمال أمثال أبى هريرة وعمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى (١) . والموظفون أنفسهم يستشعرون عدم الأمانة وينفرون منه . كتب عمرو إلى عمر محتجاً : معاذ الله من تلك الطعم ، ومن شر الشيم والاجتراء على كل مأثم ، فاقبض عملك فإن الله قد نزهنى عن تلك الطعم الدنية والرغبة فيها . (٢)

وصحائف الموظفين المسلمين حافلة بأمثال كثيرة للموظفين الذين لم تشره نفوسهم إلى المال وهو تحت أيديهم وخرجوا من أعمالهم بالصفة التى دخلوها بها . ومن القواعد الكريمة التى استقرت فى النظم الاسلامية أن جور الراعى هلاك للرعية ، وأن استعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة . (٣)

ومن جميل ما وقع لحبيب بن مسلمة أحد قواد المسلمين أنه سار يريد بلداً فى أرمينية فجاءه بالطريق رسول بطريقها وأهلها يسأله الصلح وأن يكتب لهم ، فكتب حبيب إليهم كتاباً ضمنه قوله : وقد قبلت هديتكم وحسبتها من جزيتكم . (٤)

أما بعد : فالموظفون كما تريدهم النظم الإسلامية قلوب واعية وضمائر لا يأخذها الإغفاء . وما أحرانا وتلك روعة نظمنا الاسلامية السالفة ، أن نتفقدها ونتعهدها ونتزود منها لنظمنا الخالفة

لبيب السعيد

(١) العقد الفريد ج ١ ص ١٦ ، ٢٨
(٢) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة للسيوطى ج ١ ص ٦٤
(٣) الخراج ص ٣ ، ٤ (٤) فتوح البلدان للبلاذرى ص ٢٠٩

السـيد على داشتى

سفير إيران في مصر

للدكتور يحيي الخشــاب

سعدت الأندية العلمية والأدبية فى العام الماضى بمحدث من الطراز الأول ، برع فى فن الطب وأولع بالأدب من مختلف اللغات ، وشغف بالبحث العلمى شغف العلماء أصحاب الاختصاص ؛ ذلك هو الدكتور قاسم غنى سفير إيران الذى حاضر الأطباء فى تاريخ الطب ، وحاضر الأدباء فى الأدب الفارسى وصلته بالآداب الإسلامية ، وشكل لجنة لإحياء ذكرى فيلسوف الإسلام ابن سينا ، والذى استمع إليه صحبه فى كثير من التقدير والاستحسان كما قرأ له أصدقاء الرسالة بحثه القيم فى تاريخ الطب عند المسلمين ، وقد نشرته الرسالة تباعاً . وغادر الدكتور غنى مصر بعد أن ترك فيها جماعة من الأصدقاء المعجبين بعلمه وأدبه وكتابته ، وهذا من خير ما يتركه سفير فى بلد أدى فيه السفارة .

ومصر إذ تودع الدكتور قاسم غنى تستقبل سفيراً جديداً لإيران هو السيد على داشتى ، وهو الصحفى الكبير والزعيم البرلمانى الذى يعرفه الإيرانيون ، والذى اشتهر عند المشتغلين بالدراسات الشرقية كأحد بناة النهضة الإيرانية الحديثة . فقد اتخذ من الصحافة الحرة وسيلة للدعوة إلى الحرية والعدل والأمن وهو الذى وقف فى ثبات وجسارة يطالب بالإصلاح فى آخر العهد القاجارى ، وظل فى كفاحه الصحفى مصلحاً اجتماعياً وداعية إلى ما فيه خير بلاده بكل ما يملك من جهد .

والذين يدرسون تاريخ إيران الحديث ، فى مصادره الأصلية يعرفون ما كان للسيد على داشتى من فضل فى توجيه سياسة حكومة بلاده نحو الإصلاح الاجتماعى الذى يجعل من كل فرد مواطناً صالحاً لخدمة أمته .

والسيد على داشتى رجل دين ، فقد بدأ حياته العلمية يطالب العلوم الشرعية فى كربلاء ، حتى إذا حذقها وألم بأصولها وفروعها أدرك أن الرسالة الأولى للصحفى هى أن يبين للشعب الخبيث من الطيب ، والزائف من الحق . ولا تزال مقالاته التى جمل عنوانها « الإصلاح الدينى » خير ما كتب فى إيران لنقد عادات الناس الرذيلة وبعدهم عن لباب الدين وأصوله ، وانحرافهم إلى ترهات لا تمت إلى الدين بصلة . وفيها دعا الناس إلى اتباع أحكام القرآن الكريم وسنة النبى عليه الصلاة والسلام وسيرة السلف الصالح فى صدر الإسلام .

ولكن كتابة المصلح لم ترق للشعب فإن الخرافات عنده قد امتزجت بالحقيقة . فقد كان من يفرق بين الغث والسمين ، ويفصل بين الحق والباطل ، ويدعو الناس إلى سبيل لا عوج فيه ؛ كان من يفعل هذا موضع سخط العامة ونقمتهم ، ولقى السيد داشتى من هذا السخط ما حمله على الانتقال من شيراز إلى طهران .

وفى طهران أصدر جريدته « شفق سرخ » أى : الشفق الأحمر ، وأخذ يناضل فيها عن رأيه ويدعو الناس إلى الخير ، تارة باسمه وتارة باسم مستعار . وتمتاز كتابته بهذا الطابع الذى امتاز به فى حياته الأدبية وفى منهجه السياسى ؛ طابع الصدق فى القول والإخلاص فى العمل . وقد اتخذ الأحرار من جريدته منبراً يذيعون منه آراءهم وينادون بما يرون من وجوه الخير والإصلاح .

وقد تعرض الرجل فى حياته لكثير من الأذى فى سبيل أداء رسالته ، فكما أن الشعب لم يتقبل دعوته فى إصلاح الدين بما ينبغى لها من الاتباع والإعجاب ، فكذلك كانت حملته السياسية على حكومة « وثوق الدولة » سنة ١٩١٩ سبباً فى إبعاده عن البلاد . فقد كانت كتابته فى الصحف من أشد ما وجه لسياسة المجاملة للانجليز ، وقد لجأت الحكومة إلى حظر نشر مقالاته فى الجرائد فلجأ إلى المنشورات يكتبها وتوزع فتنتشر بين الناس . وقبض على الرجل وسئل عمن يكتب المنشورات فلم يبال وأعلن أنه صاحبها وكاتبها ، فلم تر الحكومة من وسيلة لإسكاته غير نفيه من البلاد .

ولم تكن هذه سابقة فى الجهاد كافية لأن يعيش الرجل بها ويبنى مجده عليها ؛ بل ظل صلب العود ، شديد المراس ، ثابت الرأى ، وصمد فى شيخوخته صموده فى شبابه . وقد حمل منذ سنوات حملا على أن لا يخرج من داره أربعة أشهر ثم اضطر إلى ترك بلاده فسار إلى فرنسا حيث مكث سنة ونصف سنة .

النبوة والالهام
عند فلاسفة الاسلام

للأستاذ عبد العزيز الكردانى

تقترن بفكرة النبوة فكرة الوحى — فما من نبى إلا وهو يوحى إليه، وما من نبى إلا وهو يستلهم الله أسرار الملكوت.

ولقد جاءت نصوص الكتب السماوية مؤيدة لذلك ومؤكدة له؛ غير أن فلاسفة الإسلام لم يقنعوا بمجرد التسليم بالمنقول، بل أرادوا — كدأبهم — أن يفسروا المنقول بالمعقول وأن يدللوا بمنطق العقل على منطق الوجدان؛ فتمخضت عن ذلك نظرية النبوة ... ومن قبلها نظرية الألوهية؛ نقول «من قبلها» لأن إبداع نظرية للنبوة، يستوجب حتماً بحث فكرة الله باعث الأنبياء والرسل، والكلام فى الوحى إليه يستلزم بالضرورة الكلام — بداءة — فى الوحى الذى أوحى!

ولقد نظر فلاسفة الإسلام فوجدوا أن «أرسطوطاليس» يتعثر فى هذه السبيل تعثراً ملحوظاً. والظاهر أنه شغل بدراساته فى الأخلاق والنظم عن حل عقدة الخالق الأعظم موجد الوجود وبارىء الكون — ففضلاً عن أنه تردد بين الوحدة والتعدد مرات، فإنا نراه يصور «المحرك الأول» تصويراً يتنافى مع النظرة الدينية الإسلامية. حقاً لقد أجاد «أرسطو» تعليل الحركة، فبين أن كل متحرك يتحرك بشىء آخر، وأن الكائنات الحية المتحركة بذاتها فى الظاهر، يختلف المحرك فيها عن المتحرك من حيث أنها مؤلفة من جملة وظائف تحرك الواحدة منها الأخرى ... إلا أنه عندما انتهى إلى فكرة «المحرك الأول» تخبط تخبطاً كبيراً، فهو يقول عنه إنه «المحرك الساكن» أو المحرك إسماً لا فعلاً — يعنى بذلك أن الله — جل شأنه — لا يحفل شئون الكون ولا يسيره بإرادته، وكل صلة الكون به أنه يتجه إليه فى حركته ويستهدفه كغاية. !

. . ولقد قال «أرسطو» أيضاً بسرمدية المادة ... فكيف يتفق ذلك وما جاء بالقرآن من أن الله خالق المادة «فاطر السموات والأرض»؟

... لذلك لم يتردد فلاسفة الإسلام فى القول بخلق المادة وإن سلموا مع «أرسطو» بقدمها؛ وقد أدى بهم الاشتغال بهذا الموضوع إلى ابتداع نظرية تعرف بنظرية العقول العشرة. ومن

وقد شارك السفير فى الحياة السياسية فى بلاده؛ فهو نائب قديم بالبرلمان، وهو زعيم يشار إليه، وقد أفلح بتوجيهه السليم فى أن يكون أبرز شخصية فى البرلمان الإيرانى، وكثيراً ما كان لآرائه الأثر الصالح فى توجيه سياسة بلاده.

ولم تصرفه حياته الصحفية وجهاده السياسى عن العلم والأدب فقد أتم ثقافته الدينية بالإحاطة بالآداب الغربية فحذق اللغة الفرنسية وقرأ آثار الفرنسيين الأدبية ونقل إلى اللغة الإيرانية كثيراً من الكتب التى يراها متمشية مع رسالته فى الإصلاح الاجتماعى، فترجم مثلا «سر تفوق الانجليز السكسونيين» و«سر تطور الأمم» وغيرها.

وقد رأى جماعة من أصدقائه أن يجمعوا مقالاته التى دبجها فى الصحف فجمعوها باسم «سايه» — أى الظلال — وذلك أثناء إقامته الأخيرة فى باريس.

ومن كتبه «فتنة» ويحوى ثلاث قصص اجتماعية «فتنة» و«حوادث تلك الليلة» و«رسالة من سيدة».

***

وقد رأت الحكومة الإيرانية أن تمهد إلى السيد على داشتى بالسفارة الإيرانية فى مصر، فأوفدت رجلا من أعظم رجالها، وهو خير خلف لخير سلف. وقد أدركت من أول حديث لى معه أنه شديد العناية بإحياء الصلات الثقافية بين مصر وإيران، حريص على «إحياء ذلك العهد الذى طواه الزمن، عهد اتصال الفرس بالعرب اتصالا قريباً وثيقاً، أيام كان العرب يمنون بنقل آثار الفرس إلى لغتهم ويحرصون على ذلك حرصاً شديداً تمليه عليهم نهضتهم العظيمة ليفيدوا من هذا الأدب القديم الغنى كل ما يمكن أن يفيدوه، وأيام كان الفرس ينقلون عن العرب كل ما يمكن أن يحيى أممهم وأن يرد إليها مجدها القديم».

يحيى الخشاب
رئيس فرع اللغات الشرقية بكلية الآداب

خلال هذه النظرية نستشف تصوراً فلسفياً لفكرة الوحى والإلهام تنجلى به الصلة بين الله وأصفيائه من عباده .

ويجمل نظرية العقول العشرة أن الله بفيضه قد صدر عنه العقل الأول ، وعن الأول صدر الثانى ، وعن الثانى الثالث . إلى أن نصل إلى العقل العاشر أو العقل الفعال ، وهو أدنى هذه العقول جميعاً وأقربها إلى عالمنا الأرضى . عن هذا العقل الفعال صدرت المادة فهى قديمة وهى حادثة فى آن ، ومن هذا العقل الفعال يستمد الأنبياء والهداة رسالاتهم ، لأن الله « يفيض » عليهم عن طريق هذا العقل الفعال .

... هذا هو التصور الفلسفى لفكرة الوحى عند فلاسفة الإسلام ، ويبقى الآن أن نستعرض الحجة الإقناعية التى ساقها أولئك الفلاسفة للتدليل على صحة ذلك التصور . والواقع أن المستعرض لبراهينهم فى هذا المجال ، لا يشق عليه أن يلاحظ عن أسلوبهم فى البحث ... اقترابه — فى طرائقه التدليلية — من أسلوب علماء النفس المحدثين ، عندما يعالجون تعليل الظواهر الجديرة بالتأمل والملاحظة ؛ فهم — أعنى فلاسفة الإسلام — يقررون أنه باطراد التجربة وتواتر الرواية يمكننا أن نطمئن إلى صحة الزعم بأن هنالك طائفة من الأشخاص تتكشف لهم أستار الغيب حال نومهم ، فيحلمون أحلاماً هي فى جوهرها صوراً رمزية لحقائق ما تزال فى ضمير الغيب مخبوءة ... بل لقد يحصل أن تتجاوز هذه الرؤى لغة الرمز والتلويح ، إلى الإفصاح والتصريح ، فيشاهد الحالم الوقائع ويستمع إلى المحاورات والكلمات ، كما لو كان يشاهد رواية الغيب تمثل على مسرح القدر ! ثم هم لا يكتفون بالوقوف فى استقرائهم لهذه الظاهرة الفذة عند هذا الحد ، بل نراهم يجهرون بأن هذه القدرة على الاستيحاء ... ربما واتت أشخاصاً حال يقظتهم ، متى كان هؤلاء الأشخاص قد بلغوا — من صفاء الروح ونقاوة الضمير ورهافة الوجدان حظاً عظيما . ولعل الأنبياء والرسل فى الطليعة من أولئك الأشخاص .

يتبين من هذا جميعه أن نظرية الوحي والإلهام نظرية تعتمد على المشاهدة والاستقراء ، وظاهرة يؤكدها — عند فلاسفة الإسلام — اطراد التجربة وتواتر الرواية ؛ فإذا عن لنا بعد هذا الاستعراض السريع للنظرية ، أن نقارن فى أذهاننا بين ما يقول به فلاسفة الإسلام فى هذا الخصوص ، وما يقول به علماء النفس المحدثين فى نظريتهم عن العقل الباطن — فإنه قد يخيل إلينا حيال هذه المقارنة أننا أمام رأيين يعارض الواحد منهما الآخر ، فينبغى ترجيح واحد منهما على الآخر عند الانتخاب .

... غير أننا — فى الواقع — لن نرى ما يسوغ عقد هذه المقارنة ... إذا ما تنبهنا إلى أنه قد ثبت بالبحث العلمى أخيراً أن كلا من الرأيين ينطوى على جانب من الصواب ، ويساهم — بنصيب — فى تجلية حقيقة الأحلام وتفسير حقيقة الوحى والإلهام ، ذلك أن هناك اتجاهاً يميل إلى الحد من تعميم تطبيق نظرية العقل الباطن على جميع الحالات الفردية على زعم أنه قد ثبت أخيراً بالتجربة والمشاهدة قصور النظرية بمفردها عن تفسير بعض هذه الحالات . ومن الوجه المقابل ، لوحظ أن ظاهرة استكناه المجهولات والغيبيات عن طريق الأحلام أو فى أحوال الغيبوبة الروحية أو أحوال اليقظة الوجدانية — صارت — فى هذه السنوات الأخيرة — موضع رعاية ومحل التفات من طائفة من العلماء الروحانيين والنفسانيين بعد أن كان الرأى عند جمهرة العلماء أنها من قبيل الضلالات والأوهام .

عبد العزيز الكرداني

أساليب التفكير :

التفكير الخــــرافى

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

جل أن الحيوانات العليا وعلى رأسها الإنسان لا تسلك سلوكا غريزيا خالصاً ، ولا تتصرف بحكم الفطرة وحدها ، بل تستخدم قدراً من الذكاء العملى ، بفضله يتحقق التوازن بين الفرد وبين الظروف التى تكتنفه ، وبه يتوسل إلى تحقيق رغباته الفطرية كالحصول على الغذاء ، أو الاحتماء من الأخطار ، أو حماية الصغار ، أو اجتذاب الجنس الآخر للتزاوج والتناسل .

والإنسان شأنه شأن الحيوان ، يسعى إلى تحقيق نفس هذه الأغراض وإن تعقدت وتعددت ، مستخدما نفس القدرة على التفكير العملى وإن زاد حظه منها .

بيد أنه بعد أن يرضى مطالبه الغريزية هذه فيتغذى ويحتمى ويأمن الخوف والجوع على نفسه وبنيه ، ويستمتع بجماعة يهرع إليها ويختلف ، ويتبادل وإياها المشاعر والعواطف طبقاً لدافع التجمع الذى غرس فيه ؛ بعد أن يشبع هــذه المطالب يستغل تفكيره فى محاولة الكشف عن علل الحوادث التى تقع تحت ناظريه ، واستجلاء أسرار ما يدركه من ظواهر للطبيعة والحياة . فالإنسان إذ يشبع ميوله ورغباته الفطرية لا يقف مكتوف اليدين أمام موكب الحياة والأحياء ، ولا يقف مشاهداً سلبيا فى عالم تتتابع أحداثه وتتدافع مشاهده فى سرعة وتعدد وتداخل وتجدد وتغاير .

وكيف يقف هذا الموقف وقد فطر على حب الاستطلاع لكل جديد غريب لا تفادياً لما قد ينجم عنه من ضر ، أو طمعاً فيما قد يفيد من خير فحسب ، شأن الحيوان الذى يستطلع من أجل أغراضه الحيوية ؛ ولكن الإنسان يستطلع فضلا عن ذلك من أجل الاستطلاع فى ذاته ، ويطلب المعرفة للمعرفة ، ويشتهى العلم للعلم فى كثير من الأحيان ؛ وبذلك يستبين لون جديد من ألوان التفكير لا نصادفه لدى العجماوات ؛ ذلك هو التفكير النظرى نضيفه إلى التفكير العملى الذى سبقت الإشارة إليه[1] .

والإنسان فى ذلك سواء : الطفل أو الرجل ، البدائى الهمجى أو المدنى المتحضر ، المجنون أو العاقل . كل منهم قد يسعى إلى معرفة علل الحوادث والظواهر وغاياتها ونتائجها من أجل المعرفة ، أى أنهم جميعاً يفكرون تفكيراً نظرياً إلى جانب التفكير العملى الذى يحفظ عليهم حياتهم .

ولكن المرء إذ يفكر تفكيراً نظرياً يذهب مذاهب ثلاثة ، أو هو ينهج مناهج ثلاثة متباينة وإن اتحدت فى الغاية وأعنى بها المعرفة . فهو إما أن يلاحظ الظاهرة ويشاهدها ويفتش عن أسبابها ومسبباتها مستعيناً بالملاحظة المباشرة والمشاهدة الموضعية دون تأثر بالمخاوف والرغبات ، أو استعانة بالأخيلة والأوهام ، أو خضوع للعقائد والآراء الشائعة ؛ وحينئذ يقال إنه يفكر تفكيراً علمياً وينهج نهجاً موضوعياً . وإما ألا يكتفى بهذا التفكير الذى يرجع المعلولات إلى عللها والمسببات إلى أسبابها ، بل يتجاوز هذا البحث فى الجزئيات إلى البحث فى أمور عامة لا ينالها إلا دراك العادى كالخير والشر ، والخلق والعدم ، والروح والمادة ، والأصل والمصير ، بقصد الوصول إلى تفسير شامل للكون أو لجانب من جوانبه تفسيراً منطقياً لا تناقض فيه ، بالاعتماد على الاستدلال أو الاستنتاج العقلى البرىء من الخيال وتأثير الأهواء .

إن فعل المرء ذلك قيل إنه يتفلسف . أما الاحتمال الثالث فينصب على امرئ تحكمه أهواؤه ، امرئ لا يخضع لمنطق العقل الذى يأبى التناقض ، فلا يرجع المعلومات إلى عللها الحقيقية ، ولا ينسب المسببات إلى أسبابها الملائمة ، ولا يرد الظواهر الطبيعية إلى ظواهر من نفس العالم الطبيعى .

ولكنه امرؤ يفترض لهذه الأمور جميعاً أسباباً أو عللا من ابتداع مخيلته ، ومن نسج واهمته متأثراً بعقائد مغروسة فى نفسه ، مدفوعاً بأهواء متناقضة .

ولهذا نقول إنه يفكر تفكيراً خرافياً أو تفكيراً دينياً إذا قصدنا المعنى العام لكلمة دين الذى يطلق على أية عقيدة ترسخ فى النفس دون مبرر منطقى أو ذريعة عقلية .

***

(١) انظر مقالنا «التفكير بين الانسان والحيوان» فى العدد ١٤٣٥ من الرسالة .

بعد هذه القدمة التي لا مفر منها يحسن أن أتناول أساليب التفكير الثلاثة بالتفصيل مبتدئا بأدناها ، وأقلها قدرة على إصابة الحقيقة ، وأسبقها ظهوراً في حياة الإنسان الفكرية : التفكير الخرافي الذي يسود تفكير الأطفال والمجانين والبدائيين من الشعوب أولئك الذين يتشابه أسلوبهم حين يعرضون لتفسير الظواهر .

الإنسان البدائي مثلا يبدهه عديد من ظواهر الطبيعة يستوقف النظر ويدعو إلى التأمل : العواصف تطوح بمسكنه ، والبرق يخطف الأبصار ، والمطر يهمي بقوة لا تدفع ، والظلام يبتلع كل شيء ثم لا يلبث أن يتقهقر من جديد أمام ضوء النهار ، وتواصل الشمس رحلتها اليومية من جديد عبر الأفق ؛ والكواكب والنجوم كل في فلك يسبحون ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا القمر بمقدوره أن يبلغ الشمس . تغمر الأرض مياه الأمطار ثم لا تلبث أن تتلاشى في شعابها ، وإن من الحجارة والصخر لما يتفجر منه ماء عذب سلسبيل ، وإن من البذرة الضئيلة المدفونة في باطن الأرض لتخرج دوحة وارفة الظلال .

وهنالك الزلازل والبراكين والأعاصير تقض مضجعه وتجلب الخراب والدمار دون أن يستطيع لها دفعاً .

والموت يرزأ الكائنات فيخرمها ويسكنها سكوناً أبديا ؛ وبطون الأمهات تأتي إلى العالم بمخلوقات جديدة من حيث لا يدري ولا يحتسب .

أمور تثير العجب والدهشة ، وتدعو الطفل أو البدائي أو المتحضر إلى التأمل بغية الاهتداء إلى سرها .

أما البدائي القديم فيرتعد فرقا من هذه الظواهر مجتمعة أو من بعضها على أقل تقدير ، وذلك لقوتها وحتميتها وضعفه إزاءها وجهله بحقيقتها . ولكنه رغم خوفه منها ، مشدوه بجبروتها ، معجب بقدرتها ، طامع في نعمتها ، فناسب إياها إلى فعل إرادة خافية يتصورها على نحو ما يتصور إرادته هو ، أو قوة مستورة ، أو روح عظيم يحرك العالم دون أن يتبين ، ويدبر الكائنات والأحداث على نحو تحريك أرواحنا للجسد ، وتدبير نفوسنا للوظائف الحيوية . هذه القوى أو الأرواح أو النفوس أو الآلهة ، لا بد أن تعبد ولا بد أن يتبهل لها ويتوسل إليها[1] . ومن هنا كانت الطقوس والسحر والتعاويذ والعادات الغريبة ، ومن هنا كان تفسير البدائي للظواهر التي يدركها يستند إلى خيال جامح ، ويهتدي بخليط عجيب من الخارف والرغبات ومتباين العواطف والأهواء ، ويتنكب أية محاولة لدراستها دراسة واقعية موضوعية خوفاً وفرقاً من ناحية ، واقتناعاً أو بالأحرى إيماناً ويقيناً بما أوحت به مخيلته وما صورت له التقاليد الموروثة من تفسيرات . تجد هوى في نفسه ولدى عقليته الساذجة قبولا من ناحية أخرى .

وهذا هو السر فيما يتسم به التفكير البدائي من تناقض ، وفيما تصادف التفسيرات الخرافية من قبول ويقين مكين لدى الإنسان في بداوته .

وليس ذلك عجيباً إذا فهمنا نفسية الإنسان على حقيقتها : إذا تحمس لرأي حماساً لا يقبل النقاش بأي حال فهو رأي أكثر استناداً إلى رغبات وأهواء كامنة منه إلى أسباب ومبررات منطقية ، وإذا كان تفكيره مرده إلى عواطف ونزعات نفسية كان الخيال رائده وملهمه .

فالتعصب الأعمى مظهر من مظاهر الأهواء الخافية ، والخيال خادم مطواع للعواطف والأهواء والنزعات .

تلك قاعدة عامة تصدق في كل زمان ومكان ، لدى الأفراد وبين الشعوب .

تأمل معي طفلا غريراً في الظلام ، يملؤه الخوف والفزع ، يسمع نأمة أو يلمح أمراً عارضاً فيندفع نحوك صارخاً مرتعداً ثم لا يلبث أن يحكي كيف رأى مارداً يدق الطبل في الظلام وما الطبل في حقيقة الأمر إلا دق رفيق على الباب ؛ وما العيون القادحة بالشرر إلا شعاع من نور ضئيل نفذ من ثقب من خلال الباب ، ولكن الخوف في جوانح الطفل والقصص المسمومة التي يحملها في ذهنه عن شياطين الجان ومردة الظلام ، ثم رغبته في التهويل ، كل هذه تتضافر على إثارة الخيال ، والخيال جامح لدى الأطفال جموحه لدى الشعوب البدائية .

---

(١) أنظر مقالنا « الشعور الديني عند الطفل » في العدد يونيو ١٩٤٧ من مجلة علم النفس .

فكل جبل نار، أو غابة كثيفة، أو كهف مظلم، أو شجرة ضخمة متشابكة الأغصان، أو جدول دافق، أو نبع منبجس، مسرح للأرواح التي لا تُرى.

الأرواح في كل مكان: هنالك أرواح الأرض، وشياطين الهواء، وجنيات المزارع، وعرائس الماء. وكل ما يحدث في هذه البقاع إنما هو من أفعال هذه الشياطين.

وحيث أن الإنسان البدائي قديماً كان في غابر الأزمان، أو قائماً بيننا في المجتمعات الزراعية، تهدده الطبيعة بأحداثها من عواصف ومجاعات وأمراض، ويحدوه الجهل والخوف، وتسيطر عليه التقاليد والأوهام والخيالات، فلا بد أن يتصور هذه الأرواح أقرب إلى الخبث والمضرة منها إلى الخير والمنفعة، وإلى الطغيان والجبروت منها إلى الرحمة والوداعة.

ألا ترى إلى جموع الفلاحين في مصر أو في غير مصر، أولئك الذين يقضون حياتهم نهباً للمخاوف ومسرحاً للعقائد الوهمية كيف يفسرون الحوادث بردها إلى علل خفية ما أنزل الله بها من سلطان؟ فالبقرة ماتت لأن فلاناً شهق في وجهها شهقة تنفث الحسد والحقد الدفين، وفلان لا يصيبه مرض لأنه يحمل حجاباً حصل عليه من مغربي يجيد السحر وفن التعاويذ، وفلان أصابه شلل عقب اجترائه على ولي من أولياء الله الصالحين، في حين يبرأ غيره من الفالج لأنه رأى ولي الله في منامه يدعوه إلى رحابه فلبى الدعوة وقدم النذر. وما لنا نذهب بعيداً وقد فسر كثير من عامة القوم وباء الكوليرا في العام الماضي بأنه ناجم عن فساد سيرة الناس ونذير بقرب وقوع الساعة، واستعباد الغرب للشرق بانتشار فساد الأخلاق في ربوع الشرق وغير ذلك من التفسيرات التي لا تشير إلى العلة الطبيعية، وهي الجرثومة التي أتت من مكان ما واستقرت في بلدة القرين فكان الوباء، وحاجة الغرب إلى مواد أولية وأسواق بكر ومواقع استراتيجية تحمي هذه المواطن فكان استعباد الغرب المتفوق بعلمه وعدده، للشرق الغني بثروته الدفينة، الفقير في علمه المتخلف في نظمه.

وهكذا كلما زدنا علماً وثقافة قل عنصر الخوف من الطبيعة وحل محله ميل إلى مواجهتها، وتتبع ظواهرها لتلمس عللها الحقيقية بدلا من الهرب منها واجترار تفسيرات خيالية لها.

فالخوف — خالق الأوهام ومقيد الحريات — يتراجع دائماً أمام سلطان العلم، رفيق الأمن ومحرر العقول من الأوهام والأباطيل.

على أن تفكيرنا اليومي — نحن المثقفين — طالما تتسلل فيه نزعة خرافية خاصة إذا كنا في حالة من القلق النفسي أو الخوف أو الحزن، تلك الحالة التي يكون فيها المرء أكثر ما يكون عرضة للوساوس، وأقل ما يكون تحرزاً من الوهم، والتفسيرات الخرافية يتقبلها ليطمئن قلبه ويرد السكينة إلى نفسه.

فالإنسان مهما سما علمه ودق حسه وزكا عقله إنسان أولا وأخيراً: ينخلع قلبه من الأهوال، ويخفق فؤاده بالحب والهوى، ويضيق صدره بالغيظ والحزن، فيهرع إلى رحاب القلب الحاني ليستريح من تمرد العقل الجاف ولو إلى حين.

وهنالك ينعم بأحلامه وأخيلته. ناهيك بقصور العقل الإنساني الذي لا ينى عن السعي لتفسير الوجود تفسيراً خالياً من التناقض، ولكنه يعجز في كثير من الأحيان عن بلوغ غايته، فيقعد الإنسان ملوما محسوراً، حائراً إزاء عوالم مغلقة مبهمة، غارقاً في بحر لجي من الظواهر والمشاهد والحوادث — لولا فضل من خيال يسارع إليه يستمد منه التفسيرات الخرافية وقد عزت عليه التفسيرات العلمية الواقعية. فيهدأ الصوت الثائر المطالب بالمعرفة إلى حين يتزود بالوسائل الأمتن والأدوات الفكرية الأقوى يهجم بها على ظواهر الطبيعة ويمزق الأستار ويقتحم ما وراءها من أسرار ليحيل في نهاية الأمر ظلام الرحاب النائية نوراً يبهر الأبصار.

فالتفكير الخرافي إذن — الذي يمتزج فيه التفكير بالخيال — ليس متاعاً تافها ولكنه على قصوره عنصر بالغ الأهمية في الحياة الفكرية، ومقدمة لا بد منها في تطور التفكير البشري، بل هو الوثبة الأولى في طريق العلم والعرفان، ومحاولة مجدية لكشف أسرار الطبيعة إذا تهذبت وتخلصت رويداً من تأثير المخاوف والأخيلة برز نور الفلسفة وضياء العلم.

عبد المنعم المليجي
مدرس الفلسفة بحلوان الثانوية

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (١)

(١) النفس عند ابن سينا (١)

للأستاذ كمال دسوقي

لعل حظ طلاب المسابقة فى كتاب النجاة لابن سينا هذا العام أوفر من حظ زملائهم فى كتاب « الإشارات » بالعام الماضى لجملة أسباب :

فليس « النجاة » أولا كتاب ألغاز ورموز وأحاجى كالإشارات ولم يقصد به ابن سينا إلى التعمية والإبهام والغموض الذى قصد بالآخر ؛ لأنه لم يعرض فيه للحكمة المشرقية التى تناولها فى الإشارات ، بل أجمل فيه ذكر مسائل من الفلسفة اليونانية — والأرسطية خصوصاً — كان قد فصل القول فيها فى كتابه « الشفاء » ومن قبل فى كتابه « الحاوى للعلوم الحكمية » ؛ حيث كان لا يزال لأرسطو على تفكيره سلطان كبير . فأنتم هنا بصدد فلسفة عقلية خالصة — بل كما سأبين لكم — بصدد علم نفس فلسفى .

ثم إن طبعة هذا الكتاب التى بين أيديكم (طبعة الكردى ١٩٣٨) هى أحسن حالا بكثير من طبعة غيرها من الكتب فى الفلسفة الإسلامية ؛ من حيث عناية الناشر بظهارها وتصحيحها وإمدادها بين الحين والحين بشذرات تفسيرية موجزة ، وإن كانت قليلة الفائدة ، وتبويب فصول الكتاب ومقالاته ، ثم التقديم بين نشرته هذه بكلمة عن حياة الفيلسوف وآثاره ؛ رجع فيها — كما يرجع غيره من ناشرى كتب ابن سينا — إلى ما دونه الشيخ الرئيس من تاريخ حياته ، ورواه عنه تلميذه الجورجانى . وتجدون نصه الكامل فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ج ٢ ص ١ — ١٦) وفى مقدمة كتاب منطق المشرقيين لابن سينا وفى غير ذلك مما نقل عن ابن أبى أصيبعة المذكور .

واختيار مقالة النفس بالذات من بين مقالات هذا الكتاب اختيار موفق ؛ فإن ابن سينا — فيما أرى — عالم نفس مغمور ، ولولا أن علم النفس الجديث قد أصبح لا يقيم لتاريخ تطوره كبير وزن بعد أن اتخذ لنفسه أخيراً صبغة العلم التجريبى ؛ لوجب أن يكون لابن سينا فيه شأن كبير . بل لعلكم تلاحظون اتجاهه النفسى هذا حتى فى تسميته كتبه : الشفاء ، النجاة ، الإشارات والتنبيهات ... الخ .

وقد كتب ابن سينا فى النفس وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، فصنف « رسالة فى النفس » للأمير نوح بن منصور السامانى الذى ألحقه بخدمته وأطلق يده فى مكتبته منذ أن نجح — دون أطباء عصره — فى علاجه وشفائه من مرضه ، فنحا فيها النحو الأرسطى الكامل تقريباً فى كتابه De Anima سواء فى إثبات وجود النفس ، وفى تعريفها وتصنيف ملكاتها ، وقد وقد نشر هذه الرسالة إدوارد فنديك فى مصر سنة ١٣٢٥ هجرية (وتجدون نسخة منها بقاعة المطالعة بمكتبة الجامعة) . كما أنه كتب رسائل أخرى مستقلة عن النفس باسم رسالة النفس الناطقة وأحوالها ، ورسالة فى أقسام العلوم العقلية ؛ هذا عدا قصصه الرمزية الكثيرة التى كتبها أخيراً ، والتى لا تعنيكم كثيراً لأنه حين كتبها كان قد تشرب الروح الصوفى المشرق الذى قلت إن كتاب النجاة يعفيكم منه بما لم يعف « الإشارات » إخوانكم من قبل .

وتناول ابن سينا النفس فى كتبه الكبيرة كذلك ، وجعل لها فى كل منها موضعاً ثابتاً من قسم خاص لا تتغير مهما تجددت تواليفه وكتاباته ، فإن طريقة ابن سينا فى التأليف — كما يظهركم عليه تاريخ حياته وأقوال تلاميذه — كانت أن يحدد أولا رءوس موضوعاته ، ثم يتولى كلا منها بالشرح والإفاضة ؛ لأن مادته كانت حاضرة فى ذهنه أبداً منذ أن استوعب حكمة القدماء وفلسفة اليونان حدثاً ، مما يجعلك تلمس نفس الروح فى مختلف كتبه ؛ قبل أن يمزج فلسفة اليونان بالتصوف الشرقى والحكمة المشرقية .

فما هو إذن موضع الحديث عن النفس فى كتب ابن سينا ؟

تشغل النفس من غالبية كتابات ابن سينا القسم الأخير من الطبيعات على حد تقسيمه هو والفارابى من قبله العلوم العقلية إلى نظرى وعملى ، والنظرى إلى علم طبيعى أولى ، وعلم رياضى متوسط ، وعلم إلهى أعلى (وإن كان هو فى كتبه لا يتعرض للرياضيات

— العلم الأوسط — بل يضم محلها العلم الطبيعى ، ويسبقه بالمنطق كمقدمة . فتصنيفه شىء ، وخطته فى كتبه شىء آخر) فلن تجد كتاباً لابن سينا لا يبدأ بالمنطق ، ولا يثنى بالطبيعيات ، ولا يختتم بالإلهيات — حتى إن كتابه الإشارات قد سار على هذا النمط ، وحتى قال المؤرخون إن القسم المنطقى الذى سقط من كتاب الشفاء هو الذى نشر منفرداً فى « منطق المشرقيين » .

والحكمة الطبيعية ذاتها تنقسم عنده قسمين : فمنها ما يقوم مقام الأصل ، ومنها ما يقوم مقام الفرع ، ومنها المبادىء الثابتة والأعراض اللاحقة كالحركة والسكون ، والزمان والمكان ، والخلاء ، والتناهى واللاتناهى ، والتماس والالتحام والاتصال ، والتتالى . أما ما يقوم مقام الأصل فالنفس آخره ، ويسبقها دائماً :

(١) البحث فى الأمور العامة لجميع الطبيعيات كالمادة ، والصورة ، والحركة والمحرك الأول ... الخ مما هو موضوع « سمع الكيان » عند أرسطو .

(٢) والبحث فى أحوال الأجسام التى هى أركان العالم ، كالسموات والعوالم المختلفة ، مما ورد « فى السماء والعالم » .

(٣) والبحث فى الكون والفساد ، والنشوء والبلى والاستحالة ، والأجسام التى لكل منها والقابلة لها ... الخ مما جاء فى « الكون والفساد » لأرسطو .

(٤) والبحث بعد ذلك فى العناصر الأربعة وما يعرض لها من حركات التخلخل والتكاثف ، ويتناول الشهب والغيوم والأمطار والرعد والبرق والصواعق والرياح والزلازل والجبال والبحار ... الخ

هذه أربعة أقسام رئيسية كبرى من مباحث الطبيعيات الأولى ، تتلوها أربعة أخرى تتناول تفصيل القول فى الكائنات المعدنية (كما فى الآثار العلوية وكتاب المعادن لأرسطو) ثم الكائنات النباتية (كتاب النبات) فالكائنات الحيوانية (كتاب طبائع الحيوان) وأخيراً القول فى معرفة النفس والقوى الدراكة (الإدراكية) التى فى الحيوانات ، وخصوصاً التى فى الإنسان وبيان أن التى فى الإنسان لا تموت بموت البدن ، وأنها جوهر روحانى إلهى مفارق (مما يشتمل عليه كتابا « الحس والمحسوس » و « النفس » لأرسطو) .

وهذا القسم الأخير هو موضوعكم ، وإن كان يلزم وضعه فى موضعه من الإطار الذى أوجزت لكم للعلوم عند ابن سينا . كما سيلزمكم معرفة موضع النفس ذاتها من سلسلة الموجودات فى مذهبه — مما سأشرح لكم فى مقال تال . والحديث عن النفس يتناول جزءاً كبيراً من طبيعيات النجاة ، ويعرض لموضوعات متشعبة كثيرة ، ويذكر تعريفات وتقسيمات مختلفة للنفس وقواها وملكاتها وأفاعيلها ووظائفها — مما هو سمة عامة من سمات البحوث النفسية فى العصور الوسطى المسيحية والإسلامية ؛ أعنى كثرة تفريع الملكات والقوى والنفسية ؛ مما كان محل سخط الفلاسفة النفسيين منذ عصر النهضة فى العصر الحديث ، ومما سيجعل مهمتكم فى دراسة هذا الباب شاقة عسيرة شيئاً .

ولعلكم تستطيعون أن تتبينوا معى — من خلال هذه الكثرة المختلطة من الموضوعات — أنه يمكن تصنيفها تحت الرءوس الآتية :

(١) التقسيم الأرسططالى للنفس إلى نباتية وحيوانية وناطقة مع تعريف كل منها وذكر قواها وأفاعيلها ، ويلحق ذلك القول فى الحواس الظاهرة والباطنة (ص ١٥٧ — ١٦٣)

(٢) الحديث عن النفس الناطقة ، وتقسيمها إلى نظرية وعملية ، أو عالمة وعاملة ، ومراتب كل منهما ، وطرق اكتساب النفس الناطقة النظرية للعلوم ، والتفرقة بين قواها المختلفة وترتيبها بحسب رياستها (ص ص ١٦٣ — ١٧١ .

(٣) البحث فى النفس من حيث وجودها ؛ أو إثبات وجودها ؛ ويشمل الحديث عن جوهرية النفس وتجردها عن البدن ومفارقتها له ، والأدلة على ذلك ، وأنها حادثة وخالدة ؛ لا تقبل الفساد ولا التحلل أو التناسخ ، ثم الاستدلال بوحدتها على صلتها بما يسميه العقل الفعال — مما يمهد به للانتقال إلى قسم الإلهيات — كما سترون فى ترتيبه للموجودات ، فالموضوعات عند ابن سينا متصلة الحلقات ، يلحق بعضها ببعض ، ويمهد بعضها لبعض . وبتمهل وصناعة غير قليلين سنستطيع اقتطاع النفس من موكب موضوعاته هذه المتدفق ، لنلقى عليها نظرة تحليلية فى مقالاتنا التالية

كمال دسوقى

ابراهيم باشــا فى حروبه

للأستاذ كمال السيد درويش

لقد كان ابراهيم باشا قائداً حربياً ممتازاً ، كان ميالا للحروب منذ نشأته المبكرة ، وكان كما وصفه معاصروه : « شديد الشغف بالقتال ، ولا يطيب نفساً إلا فى جو الحروب » ، جو المعارك الطاحنة والمواقع الفاصلة ، ذلك الجو المملوء بالعمل والنشاط والحركة اضطلع ابراهيم بالحملات التى أسندت إليه منذ شبابه ، وكان النصر حليفه فى كل ميدان من الميادين التى خاضها . توجه إلى قتال الوهابيين ، وكانوا عدواً صعب المراس شديد الحماس ، يسيطر على شبه جزيرة العرب ، قد أسكرته خمرة الانتصار على جيوش والى العراق ، كما أسكره التحرر من حكم العثمانيين ، وكان عجز السلطان عن إخضاعهم من عوامل بعث الثقة فى نفوسهم وتقوية إيمانهم بمذهبهم الجديد حتى أصبحوا يرون أنفسهم على الحق ، والعالم الإسلامى كله على الباطل !

هذا هو العدو الذى توجه ابراهيم لقتاله ، ولقد نجح فى إسدال الستار على تلك الحركة الوهابية ، وعلى تلك الدولة الفتية ، بعد أن استولى على عاصمتها الدرعية . وعاد قاهر الوهابيين وحاكم بلاد العرب إلى مصر لتتلقاه بأهازيج النصر والفخار .

ونظر ابراهيم فوجد محمد على قد أسند إلى الكولونيل سيف مهمة إنشاء جيش حديث ، فلا يجد غضاضة ، وهو القائد المظفر ، فى الانضمام كجندى عادى إلى الجيش الحديث ، وينبهه الكولونيل سيف فى لهجة الآمر إلى أن مكانه — لقصر قامته — فى آخر الصفوف لا فى أولها . ويدرك ذلك ابراهيم فيطيع أمر رئيسه فى الحال .

ويذهب إلى السودان بعد ذلك ليساعد أخاه اسماعيل فى إكمال فتحه ، ثم يحول المرض بينه وبين إتمام مهمته ، بعد أن وصل إلى قرب نهر السوباط فيعود إلى مصر من جديد .

وتشتد الثورة فى اليونان ، ويعجز السلطان عن إخضاعها ، فيلجأ إلى تابعه القوى محمد على باشا الذى يسند قيادة الحملة إلى نجله ابراهيم .

وكانت ثورة اليونانيين كثورة الوهابيين ، كلاهما كانت تلهبه العقيدة ويشمله الحماس . كانت الحرية أنشودة الثوار ، بل أنشودة الشعوب الأوربية بأسرها ضد الحكومات الرجعية التى كانت تجثم فوق صدرها . ولذلك كان العدو الذى واجهه ابراهيم فى بلاد اليونان كالعدو الذى واجهه فى بلاد العرب مستميتاً فى كفاحه ، مستبسلاً فى نضاله ، مضحياً بكل ما لديه ، ومع ذلك استطاعت الجيوش المصرية تحت قيادة ابراهيم أن تتغلب على قوات الثوار بالرغم من تأييد الشعوب الأوربية لها .

ويعود ابراهيم من حرب اليونان ليستعد لخوض أعظم مرحلة فى كفاحه الحربى الطويل ، وليسطر أروع الصفحات لا فى تاريخه العسكرى فحسب ، بل فى التاريخ العسكرى خلال القرن التاسع عشر .

عاد ابراهيم ليخوض الحرب ضد جيوش السلطان نفسه ، فتسقط على يديه مدينة عكا الحصينة ، ثم يهزم العثمانيين بعد ذلك فى دمشق ، ثم يستولى على حمص وحلب ، ويقضى على الجيش العثمانى فى بيلان ، ثم ينتصر انتصاراً حاسماً فى قونيه ، ويتوغل فى بلاد الأناضول حتى يصل إلى كوتاهيه ، وينزل السلطان مضطراً على شروط الصلح ، وعند ذلك تبدأ عبقرية ابراهيم كإدارى فى الظهور ، فيلتفت إلى بلاد الشام لتنظيمها من جديد ولانتشالها من الفوضى والانحلال .

ويعود السلطان إلى دس الدسائس وتحديه ، فيتقدم ابراهيم إلى جيش السلطان ، ويقابل قائده حافظ باشا فى نصيبين ، وتبدأ الموقعة ولا تستمر سوى ساعتين حتى كان القائد العثمانى قد ركن مع جيشه إلى الفرار .

هذه نظرة عامة نلقيها على حياة ابراهيم التى ملئت بالكفاح والنضال ، حتى إذا أنعمنا النظر قليلاً راعتنا عبقريته الحربية وأيقنا أنه لم ينجح هذا النجاح إلا بعد أن اتخذ له من الخطوات ما هو كفيل بتسجيله .

لم يحارب ابراهيم أعداءه فقط ، بل كان وهو فى بلاد العرب يحارب ضد الصحراء المترامية بما فيها من جبال وهضاب وكثبان وأعاصير طالما اقتلعت الخيام فتركت الجند فى العراء يصلون حر نهارها الشديد وبرد ليلها القارس . وفى بلاد اليونان حارب ضد الجبال المرتفعة والأنفاق الضيقة والوديان العميقة ، والعدو خبير بذلك كله معتصم به وبالجزر المنتشرة فى ذلك البحر ، تحيط بها أمواجه فتحميها وتحميه وتنتشر بينها قراصنته حتى تترصد العدو

لتدبه . وكذلك حارب فى هضبة الأناضول وفى فصل الشتاء ، وحدثت موقعة فونيه ودرجة الحرارة فوق الصفر بقليل .

كان ذلك فى الحادى والعشرين من شهر يونية سنة ١٨١٨م حين كان أحد الجنود يوقد النار فأطارتها العاصفة على معسكر الجيش فاندلعت إلى خيمة منصوبة على قرب من مستودع الذخيرة فاحترقت الخيمة وامتدت نارها إلى المستودع فانفجرلساعته ونسف ذلك الانفجار من القنابل والرصاص ما ذهب بنصف ذخيرة الجيش ، ودب الذعر ، واختل النظام ، وكاد الموقف الرهيب يودى بالحملة كلها . فالجيش يحاصر الدرعية عاصمة الوهابيين ، وصحراء نجد تحيط به من جميع الجهات ، والعدو يتنبه على صوت الانفجار فيتهيأ لانتهاز الفرصة وتجديد الهجوم .

ولكن ابراهيم يقابل خبر الكارثة وحرب الطبيعة بصدر رحب وثبات عجيب ، وينظر لمن حوله من القواد والجند نظرة الواثق من الفوز ، المتأكد من النصر ، ثم يقول فى صوت هادئ عميق : « لقد فقدنا كل شىء ، ولم يبق لدينا إلاشجاعتنا فلنتدرع بها ، ولنهاجم العدو بالسلاح الأبيض » !

وكان ذلك فى يوم ١٧ مايو سنة ١٨٢٥ حين تمكنت بعض سفن اليونانيين من الاقتراب من ميناء مودون حيث كانت بعض سفن أسطول ابراهيم راسية ، واستطاعت الحراقات اليونانية خلسة إشعال النار فى سفينة من تلك السفن المصرية ، وكانت الريح شديدة ، فاندلعت النار إلى باقى السفن ، وتعذر إطفاؤها ولم ينج بحارتها إلا بعد عناء شديد ، وخسر ابراهيم معظم سفنه فى هذا الحريق ، وامتدت النار إلى المدينة ، فتناولت مخازن البارود فنسفتها أيضاً ؛ ومع أن ابراهيم كان يشدد حصاره على المدينة فى ذلك الحين ، فقد تقبل ضربة الطبيعة وغضبها بنفس الروح التى تقبل بها ضربتها أمام الدرعية ، واستمر يقاتل أمام أسوار مودون حتى استولى عليها .

أما بعد ، فهذه بعض المواقف التى تجلى فيها ثبات ابراهيم أثناء حروبه ، ذلك الثبات الذى كان له أكبر الأثر فى تغيير مجرى الحوادث وإظهار عبقرية ابراهيم كقائد حربى ممتاز .

كمال السيد درويش

مدرس بمدرسة الرمل الثانوية
وعضو الجمعية التاريخية لخريجى جامعة فاروق

اسألى سحرك ..

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

آه منْ لحن على نهديكِ لم أعزفهُ آه !
شاردٌ عن سحر أوتارى كأحلام الحياه
كلما أطلقتُ روحى خلفهُ فى الصدر تاهْ
وقعيه .. واسمعى مثلى الأغانى مِن هواه
ودَعينى فى الليالى السُّود أمشى فى خُطاه
واتبعينى ، فأنا دربٌ بعيدٌ منتهاهْ

آه من طير على جفنيكِ لم يهدأ بأيكِ
ضاربٌ فى أفق الأحلام ، مظلومٌ لديك
كلما همّ ، لواهُ صائدُ السّحر إليك
اتركيه كيفما شاء يُغنى فى يديك
واتركينى أتلاشى نغمةً فى جانبيك
أخطف السرّ وأمضى طائراً مرّ عليك

آه من ليل رهيب فى خيالى من ملالِكْ
مُترعٍ بالشكّ والأوعاد فى جنبىْ حالك
خيمت منه معانٍ لاهثاتٍ فى خيالك
اسأليها ، فهى تدرى ما الذى طاف ببالك
واسمعيها ، حُرَقاً تهوى على ذكرى وصالك
يوم كنا فى سبيل الحب نشتاق المهالك

آه من نهر بأعطافك مرهوبِ النواحى
رحتُ فى أمواجه ألقى من الشوق جراحى
وأنادى الرّيح ، لو هبت بِناى وصباح
وصلاةٍ لشراعى فوق هامات الرّياح
اتركى الزّورق يجرى فيه نشوانَ الجناح
ودعيه سابحاً ما شاء فى تلك البطاح

تسألينى ... لِمَ لمْ يشغلك عن حبى شاغل ؟
اسألى الطير ... علامَ الأيك فى جنبيه هادلُ ؟
واسألى النهر ... علامَ الموجُ فى شطيه زاجِل ؟
واسألى بحركِ من أجراهُ فى قلبى جداول ؟
واسألى الماضى فما زالت به تغلى المراحِلْ
واسألى نفسكِ من أغرى على الحبّ المناول

الشهيد

للأستاذ محمود الخفيف

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

يحدى الردى لم يدع موضعا   إذا الروعُ جدَّ مضى أروعا
تدور إليه قلوبُ الرجال   إذا قضت الحربُ أن تفزعا
وما أوهن الدأبُ إصراره   ولا كدّه الهولُ أو ضعضعا

وجاهد في الله مستيقنا   وبشر أصحابهُ مؤمنا
وذكرهم جنة الصابرين   وكيف أعدت لهم مسكنا
وكيف يخوض اللظى باسما   ويستقبل الموتَ من آمنا

وما يذكرُ اليوم إلا الجهادْ   وإن طال عمن أحبَّ البعادْ
فلا شيء إلا خيالٌ يُلِمُّ   تضيء الوهادُ به والنجاد
وينساه حين يضيء الصباحُ   ويمحو الضحى ما احتواه الرقاد

وينسى الربيعَ ووشى الزَّهرْ   وصفو الضحى وسكونَ النهرْ
وينسى من الصيف آصاله   وسحر العشايا به والبُكَر
فما غيرُ نارٍ أحاطت به   وما غير رميل برى أو صخر

ضحوكٌ ووجه الضحى عابِس   والموت في نفسه هاجِسُ
توحشت الأرضُ من حولِه   وما ضلَّ قلبٌ له آنس
يزيد هدًى عنده الموقنونَ   ويبرأ من بأسه اليائس

وأحدق يوماً به فيلقُ   فرحب بالموت إذ أطبقوا
وقاتل حتى استحال القتالُ   وحتى هوى البطلُ المرهقُ
فلله جسمٌ له نازفٌ   ولله روحٌ له تزهقُ !

تبسم إذ يردُ الموردا   وحين تربد وجهُ الردى
فتى همه كان خوض الحتوف   وكم بات يرتقبُ الموعدا
وما زال يركبُ أهوالها   إلى أن قضى الله فاستشهدا

على الأرض سالت دماء الشهيد   فلله موتُ الكميِّ النجيد
لئن فاته النصر فليهنه   بلاءٌ له ، ماله من مزيد

هنيئاً له أقربُ الحسنيين   إلى قلبه ، وعلى لن تبيد

تندت جفوني لهذا الدم   يسيل من البطل المرتمى
سق تربةً بالنجيع الصبيب   غريبٌ إلى أهلها ينتمى !
حبست دموعى وكفكفتها   وغنيت بالأروعِ المسلِمِ

كميُّ الوغى جسدٌ هامِدُ   ألا كم بكى عزمه قائدُ
صريعُ عُلى وأخو عمره   صريعُ هوى واجدٌ ساهِدُ
وما خرَّ إلا إلى سجدة   ولا كلَّ يوما له ساعدُ

غدا ينبِتُ العزَّ هذا الدَّمُ   وقد بليتْ تلكمُ الأعظمُ
إذا الدم جاد الشباب به   فما يهنُ الجدُ أو يهرم
وقد جاد بالنفس جود السما   ح حين قضى نحبه يبسم

طواه الردى في ربيع الحياه   ولم يطو نوراً له إذ طواه
سينسى اسمه الناس فيما نسوا   ويمضى وما جفَّ دمع النعاه
ولكنما شهداء العلى   على الدهر فينا النجوم الهداه

غدا فكرةً في ضمير الزّمن   تضوِّىء في ظلمات المِحنْ
يسير على ومضها المدلجون   وينشط من عزمهم ما وهن
ففيها الفداء وفيها العزاء   وفيها لكلٍّ فؤادٍ سكَن

محمود الخفيف

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

وميض الأدب :

صدر أخيراً كتاب « وميض الأدب بين غيوم السياسة » لمعالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظه باشا ، وقد نشره الأستاذان أحمد عبد المجيد الغزالي والعوضي الوكيل . وهو كتاب أدب خالص ، لا كما قال الناشران في كلتهما إنه من أدب السياسة ، وما إخال المؤلف إلا يعني بعنوانه أنه إنتاج أدبي استطاع أن يفرغ له بعض الفترات في خلال اشتغاله بالسياسة . فأكثره دراسات لشعراء معاصرين ، بعضها أُلقي في حفلات تأبين وذكرى شعراء فارقوا الحياة ، والباقي مقدمات لدواوين شعراء أحياء ، بعضها نشر وبعضها لم ينشر .

والكتاب يدل على أصالة أدبية لدى مؤلفه الكبير ، ولولاها لما ومض هذا الأدب بين غيوم السياسة . ومعاليه رجل كريم ، حتى في الأدب ، وقد خيل إلي وأنا أقرأ بعض الفصول أنها « مآدب » يأدب إليها من يتحدث عنهم ، وإن معاليه لناقد ذواقة حصيف لولا هذا « الكرم » .

وفي الكتاب شيء لا أدري ماذا أسميه ، وأكبر الظن أنه من عمل من قام بجمع مواد الكتاب . فيه مقالة كانت قد نشرت في الرسالة بعنوان : « أدباء معاصرون أرشحهم للخلود » ، وقد كتب بإزائها في الكتاب أن الرسالة افتتحت بها عددها رقم ٧٨٠ ولكن حدث في الكتاب تغيير وتبديل وتقديم وتأخير وحذف وزيادة ... ومن ذلك أن جاء في الكتاب : « إذا ما ذكر الناثرون كان في أولهم الأساتذة الأعلام : العقاد وهيكل والزيات والمازني » وبعد الكلام على الأول والثاني جاء عن الثالث « أما الزيات فهو أرق كتاب العصر ديباجة ، وأنقاهم أسلوبا وأسلسهم بيانا » . وأصل الكلام في الرسالة هكذا « إذا ما ذكر الناثرون كان أول من أذكره ، وأول من يستأثر بإعجابي الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات ، فهو أقوى كتاب العصر ديباجة وأنقاهم أسلوبا وأعرفهم بالصيغ العربية الصحيحة ، ومن أراد البيان العربي في أسمى درجاته فعليه بما يكتبه الزيات » .

ولا يخالجني شك في أن الباشا لا يصنع هذا ، ولكن هل يعلم به معاليه ؟

حدث في الجامعة :

أشرت من قبل إلى ما حدث في الجامعة من التحقيق مع أحد خريجي كلية الآداب وهو الأستاذ كمال منصور ، لأنه كتب مقالا في « البلاغ » عن موقف الجامعة من الدكتور طه حسين بك .

وقد عقد له في الأسبوع الماضي مجلس تأديب برياسة مدير الجامعة وعضوية عميد كلية الآداب والأستاذ أمين الخولي الأستاذ بالكلية . وقرر المجلس فصل « المتهم » من معهد الدراسات العليا فصلا نهائيا .

والمقال الذي حوكم كاتبه وفصل من أجله ، يتضمن بيان جهود الدكتور طه في خدمة الجامعة وخاصة كلية الآداب وفضله على أساتذتها ، ثم مقابلة ذلك بالتنكر والجحود وممارضة رجوعه إلى الكلية أستاذاً زائراً ، ثم مطالبة الجامعة بأن تعيد الدكتور طه إلى كلية الآداب ليعيد لها الحياة ويرجع إليها مكانتها .

ولا شك أن الجامعة قد ضاقت ذرعا بذلك المقال ، واعتبرته جريمة يستحق مرتكبها حرمانه متابعة الدراسات العليا بها ، ولكن أين موطن المؤاخذة في ذلك الكلام ؟ لا يجد المتأمل فيه إلا ما عسى أن يفسر به الجزء الخاص بتنكر الأساتذة للدكتور طه ونكران فضله عليهم الذي قال الكاتب إنه فضل مادي وأدبي فإن هذا يمكن أن يفسر أو « يكيف كما يقول القضائيون » بأنه تطاول من طالب على أساتذته ، ولكن أما كان يليق بالأساتذة أن يفسحوا صدورهم إزاء خريج يرى من حقه أن يقضي بما يرى فيضربوا المثل في احترام حرية الرأي ؟ ومن أولى من أساتذة الجامعة باحترام حرية القول وإن نالهم منه رشاش ؟

ولو أن الجامعة أغضت عما كتب لمرت العاصفة بسلام وقال الناس : كلام ... ولكنها غضبت فأنزلت العقاب . فأصبح

الكلام حادثة فى تاريخها . وما الذى يمنع قائلا أن يقول إن غضب الجامعة على المقال وعقاب صاحبه يؤيد ما تضمنه ، لأن رجالها يحاربون حقا طه حسين فيضطهدون من يؤيده ويقف إلى جانبه ، ويذهبون فى ذلك إلى أبعد حد فيقضون لأنفسهم بإبعاده عن الجامعة وحرمانه الدراسة فيها .

النهضة الأدبية فى العراق :

ألقى معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبي محاضرة فى الجلسة الخامسة لمؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، عن « النهضة الأدبية العربية فى العراق » بين فيها ظروف الحركة الأدبية العراقية فى العصر الحديث ، وعرض مظاهرها وخصائصها وتحدث عن طبقات الأدباء والشعراء ، من عصر الوزير داود باشا إلى الوقت الحاضر . ومما قاله أن مما منى به الأدب أخيراً فى العراق فقدان خطة عامة مرسومة للنهوض بالأدب وباللغة العربية فى البلاد ، ومن نتائج ذلك تشتت فى الجهود الأدبية يخشى بعضهم أن يتطور إلى بلبلة فكرية ، وقد تباعدت الشقة بين جيلنا الماضى والجيل الجديد ، وأصبح حل هذه المشكلة بالتوفيق بين الجيلين شغل المفكرين الشاغل ، وقد واجهت مصر مشكلة من هذا القبيل بلا شك ولكنها لم تبلغ حد المشكلة التى نواجهها فى العراق وبعض البلاد العربية الأخرى لأن النهضة فى مصر سارت منذ عهد محمد على إلى اليوم فى مراحل تدريجية تبعاً لخطة رسمها قادة الرأى فى مصر فأدى ذلك إلى نوع من الاستقرار الفكرى الأدبى ، تغبطون عليه الآن . أما النهضة فى العراق فلم تكن تدريجية خاضعة لخطة مرسومة ، بل كانت اندفاعاً سريعاً إلى الأمام ، على أن فى العراق اليوم بالرغم من ذلك كله ، طبقة من رجال العلم وأخرى من رجال الأدب والشعر ، أما شعراء العصر وشعراء الشباب فى العراق ، ومثلهم على ما أظن شعراء العصر فى مصر والشام ، فهم فريقان : فريق يترسم شعراء الجيل فى الماضى القريب مع شىء من التجديد . وقد نشرت لعدد من هؤلاء الشعراء دواوين لطيفة ، ومنهم أحمد الصافى ومحمود الحبوبى ومهدى الجواهرى والمقلد وعلى الخطيب وصالح الجعفرى وشعراء الرابطة العلمية الأدبية المعروفة فى النجف ،

كشكول الأسبوع

* قال لى الأستاذ محمد رضا الشبيبي إنه يلاحظ أن أكثر الكتاب فى مصر – وفيهم أساتذة كبار – لا يحفلون فى كتاباتهم بالبلاغة العربية والبيان العربى الحر الأصيل ؛ وقال : أما الكتاب اللبنانيون ، فيتجهون إلى المعنى اتجاهاً كلياً ، وتبدو الألفاظ والتراكيب قلقة فيما يكتبون .

* كتب الأستاذ توفيق الحكيم بعنوان « الشعراء فى خطر » يقول : إن الشعر صار اليوم إلى كساد لضعف الثقافة فى الشعوب التى تتعلم على نطاق واسع تعلما سطحياً ، وإن الطبقة التى تتذوق الفنون العليا تكاد تنقرض .

* من التوقيعات التى تكتب فى الرد على طلب استعارة كتاب بدار الكتب : « فى الخارج » و« بالمطبعة » و« مفكوك » ، وآخر ما جد منها « لا يوجد نور بالمخزن ! »

* يتحذلق بعض المذيعين بالتعليق على البرامج ، ومن طرائف ذلك ما علق به أحدهم فى هذا الأسبوع على حديث « الشيخوخة » للدكتور أحمد زكى بك ، قال : سمعتم قبل أن تدرككم الشيخوخة حديث الشيخوخة ... وأذكر مرة أنى سمعت أحدهم يقول: قال الأولون « لسانك حصانك إن صنته صانك ، وإن خنته خانك » ؛ وكان ذلك فى تقديم حديث « ضبط اللسان » للدكتور أحمد أمين بك .

* يدل إحصاء ما ظهر من المؤلفات فى مصر سنة ١٩٤٨ الذى قامت به إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف على أن المؤلفات الأدبية وحدها بلغت فى هذه السنة ٩٤ كتاباً .

* قررت الحكومة اللبنانية أن تجعل من المبنى الذى أنشأته لمؤتمر اليونسكو جامعة جديدة .

* ألفت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية لجنة لإخراج كتاب فى جغرافية الأقطار العربية يكون مرجعاً موثوقاً به للمعلمين والمثقفين . ويجرى تأليفه على أن يكتب كل موضوع من موضوعاته ذو اختصاص به . ويرجى أن يتم ذلك فى سنة ١٩٤٩ .

* تشرف وزارة الشئون الاجتماعية على إخراج فلم عن حياة محمد على الكبير .

ولولا هذه الطبقة الناهضة لخيل إلينا أن القريض العربي قد مات. وأما الفريق الآخر من شعراء الشباب، فهو يميل إلى مجاراة الغربيين ويحاول أن يتعاطى النظم على طريقتهم المعروفة، وعددهم قليل. وقد مالت طبقة تضم بعض حملة الشهادات الجامعية والعالية وغيرهم من الأدباء، إلى فن من فنون الأدب الحديث وهو فن القصة، فراحوا يخرجون القصص ترجمة وتأليفاً، ولا يزال هذا الفن في دور النشوء، وكثير من كتابه مقلدون. وفي البلاد عدد من العلماء والباحثين المنقطعين للدراسات على اختلاف موضوعاتها وكثرتهم في بغداد والموصل والنجف، وفي حواضر عراقية أخرى، ولهم أبحاث تنشر في بعض المجلات المصرية والسورية، نذكر منهم منير القاضي ومحمد بهجت الأثري ومصطفى جواد وعباس العزاوي وداود الجلبي وصادق كمونة.

وقد دار بجلسة المؤتمر نقاش في بعض ما تضمنته المحاضرة، واشتجرت الآراء خاصة في مسألة الخطة التي ترسم للأدب وهل من صالح الأدب أن يترك ميدانه حراً أو توضع له مناهج؟ ولعلي أستطيع أن آتي بشيء من ذلك في الأسبوع الآتي.

الفرقة المصرية في الفترة الأولى:

انتهى في آخر ديسمبر الماضي موسم الفرقة المصرية بمسرح الأوبرا، وبدأت تعمل به الفرق الأجنبية من أول يناير. وتقوم الفرقة برحلات تمثيلية خارج القاهرة، تعود بعدها إلى العمل في مسرح حديقة الأزبكية.

وقد أمضت الفرقة نصف موسمها في هذا العام إلى الآن، وهي مرحلة يحسن أن نسائل الفرقة ماذا عملت فيها، وننظر أحققت رسالتها أو شيئاً منها إلى الآن، والغاية من هذا أن نتبين طريقها وما فيه من عقبات، وهل هو طريق طبيعي يؤدي إلى ما تهدف إليه الدولة من رعايتها.

الغرض من الفرقة المصرية ترقية التمثيل العربي باعتباره فناً من الفنون الجميلة، وهي بحسب هذا الغرض الفرقة الوحيدة في مصر التي يرجى منها إنهاض المسرح المصري، وأن تكون مركزاً ونواة للتمثيل المسرحي الرفيع. وقد استهلت الفرقة موسمها الحالي ومهدت له بدعاية واسعة، ومضت فيه إلى الآن. وتكشف برنامجها عن رواية مؤلفة جديدة واحدة هي «سر الحاكم بأمر الله» وبعض الروايات المقتبسة، ثم روايات كثيرة قديمة من تأليف المدير العام للفرقة الأستاذ يوسف وهبي بك، كان قد مثلها قديماً على مسرح رمسيس القديم، وهي دون المستوى الفني الذي يلائم الفرقة والذي يتفق مع كلمة «ترقية التمثيل العربي» وإنما تعتمد على تملق عواطف الجمهور تملقاً يؤذي أذواق طلاب الفن الرفيع.

وحقاً إن الحكومة ضنينة على الفرقة ولم تمنحها الإعانة الكافية، فلا تزال إعانتها أحد عشر ألف جنيه في العام، وهو مبلغ ضئيل لا يكفي لمطالب النهوض بالفرقة واتجاهها إلى تأدية رسالتها، لأن الجمهور لا يكفيها نفقاتها، ولكن لا ينبغي أن يفضي ذلك إلى أن تتحول إلى فرقة تهريجية تستجلب الجمهور بالإنتاج الرخيص، فهي لم تنشأ لتكون أداة للربح وإنما يراد بها ترقية فن التمثيل، ولا حاجة بنا إلى أن تهبط ذلك الهبوط بالانحراف عن مستواها، ففي فرق شكوكو وبديعة وغيرهما الكفاية.

على أن يوسف وهبي يستبد بأمور الفرقة استبداداً عجيباً، فهو يأخذ مرتباً شهرياً مائة جنيه وربع إيراد «شباك التذاكر» والباقي ينفق على مطالب الفرقة ومرتبات سائر الممثلين والممثلات الذين يعملون فيها جنوداً مخلصين مع قائدهم المغوار عميد الممثلين. وهو ينشر الإعلانات في الصحف مشيداً بنفسه على حساب الفرقة أيضاً، وقد استحدث نوعاً باهظاً من الإعلانات وهو مقالات تصدر من إدارة الفرقة في مدح مديرها العام ... وتنشر هذه المقالات مأجورة! وهو يحرص على أن يظهر بمظهر الزعيم النقد، لا الموظف العامل، فمنذ جاء إلى الفرقة دأب على وضعها صفراً على شماله، وإبراز نفسه، المؤلف، والمخرج، والفتى الأول، و ... الخ، كأن وزارة الشؤون الاجتماعية ألفت الفرقة المصرية و«ألفت» يوسف وهبي. ولم يبق إلا أن تسمى الفرقة «يوسف وهبي للتمثيل والموسيقى».

وقد كان الأستاذ زكي طليمات يسير على طريقة ديمقراطية، يعمل في خدمة الفرقة ويقدم أفرادها ويكاد ينكر نفسه. وأخيراً أفسح ليوسف وهبي وتركه يطمن نفسه برواياته، ولكن الطعنات تصيب صميم الفرقة، فهما من هذه الناحية يشتركان في المسئولية عن المصير الذي تنحدر إليه الفرقة الآن.

عباس خضر



عيد الجميع :

ورد كتاب من ليبيا . برقة . بإمضاء « الشعب الدرناوى » أى شعب درنة . ولما كانت عادتى أن أرد على كل رسالة تأتينى مهما كان نوعها ، فلم أدر لمن أرسل رد هذه الرسالة لأن مرسلها لم يذكر عنوانه . فلم تبق لى حيلة إلا أن أرسل الرد على صفحة من مجلة الرسالة لأن لهذه المجلة نصيباً فيها . وهاببعض ما جاء فيها :

جناب ... الأستاذ ... نقولا الحداد الموقر

« بعـد التحية . الشعب الدرناوى فى قطر برقة المعجب بنخوتـكم العربية والمعتز بقلمـكم السيال الـكاوى الصهيونية فى مجلة الرسالة ... (إلى ما هنالك من الثناء والاطراء مما لا أستحقه) يتشرف بتقديم أطيب التهانى لفضيلتكم بمناسبة حلول عيد ميلاد سيدنا المسيح عيسى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام . ونرجو الله أن يعيد هذا العيد عليـكم وعلى كافة العروبة بالنصر المبين ، والاتحاد الدائم . كما أنه يتضرع إليه تعالى بأن يبقيـكم لأننا لا زلنا فى حاجة ماسة لأمثالـكم لنهتدى بنور أقلامكم فى مثل هذه الظروف العصيبة والمرحلة الدقيقة . وختاماً تقبلوا من جميع قراء مقالاتـكم القيمة على صفحات الرسالة فائق الاحترام » .

« ليبيا . برقة . الشعب الدرناوى »

أقول :

أغلى ما فى هذه التحية الـكريمة من شعب درنة أنها تجعل العروبة دين المسلمين والنصارى (علاوة على دينهما الأصليين) كما هو الواقع اليوم . المسلمون يعايدون النصارى بعيد ميلاد عيسى ، والنصارى يعايدون المسلمين بعيد مولد النبى عليه أطيب السلام وعيدى رمضان والأضحى . فالمسلمون والنصارى يتبادلون التهنئة فى هذه الأعياد بالتزاور والبريد والجرائد — الأمر الذى يدل على أن كلا الفريقين أدركا أن بين النصرانية والإسلام ليس إلا الزمن والتاريخ .

فالمسيح جاء فى وقت كان لا بد من مجيئه فيه لـكى يعلم هؤلاء اليهود الجويبم (الأنجاس) أن جميع الشعوب هم شعب الله وأنه لم يختر بنى إسرائيل دون سائر الأمم شعباً خاصاً له كما يزعمون . وقد ضرب لهم مثل السامرى الذى عنى بجريح اعتدى عليه اللصوص واغتصبوا ما معه ، بعد أن مر به كاهن ولاوى وفريسى من اليهود ولم يسعفوه وإنما السامرى الذى ينبـذه اليهود عنى به وأخذه إلى منزله وضمد جراحه الخ . ثم سأل المسيح اليهود من من هؤلاء هو الإنسان الذى يختاره الله . أليس الذى صنع معه الرحمة ؟

ولما رأى اليهود أنه يساوى بهم السمرة المنبوذين صلبوه . فنظرية أن « الله رب العالمين » ضد عقيدتهم .

ولما جاء محمد صلى الله عليه وسلم كان زمن آخر يستلزم أن يأتى النبى محمد لـكى يطهر البلاد العربية من الأوثان والأصنام وينظم الحياة الاجتماعية للعرب وغيرهم ، ولـكى يوطد التوحيد ويعلمهم أن « الله رب العالمين » أجمعين . فحاربه اليهود . وأمرهم معه معروف

عيسى ومحمد عليهما أطيب السلام كانا يرميان إلى غاية واحدة وهى تقويم الإنسانية وإصلاح البشرية . وقد نجحا . وأصبح ثلاثة أرباع الـكرة الأرضية من أتباعهما . أفليس من الجهل المطبق أن يفرق التعصب بين العرب ؟ أو ليس نعمة من الله أن تـكونت العروبة فربطت بين الفريقين ؟

أجل ، إن العروبة هى الحصن الحصين لحفظ كيان العرب كلهم يتماسكون تحت لواء العروبة لـكى يدرأوا هذا الخطر الذى شرعنا منذ الآن نحسه — يهود يغزون لبنان ، ويهود يحاولون أن يغزوا حدود مصر . وغداً وبعد غد يحاولون أن يغزوا كل ما حول فلسطين بين النيل والفرات ، لا سمح الله .

فتنبهوا أيها العرب ...

نقولا الحداد

٢ ش البورصة الجديدة مصر

فلسطى فقط :

نشرت مجلة الرسالة الغراء لأحد موظفى المجمع اللغوى رداً على ما سبق أن نشرته فى الأهرام الغراء تحت عنوان « فلسطى » نسبة إلى فلسطين .

وليثق حضرته أن ما كتبه لم يكن غائباً عنى حين كتبت ما كتبت ، وأن النسبة إلى فلسطين — بالرغم من كل ذلك — هي « فلسطى » فقط للأسباب الآتية :

أولا : أن القاموس بعد أن ذكر الحالين الإعرابيتين لفلسطين وأجاز إعرابها بالحروف وإعرابها بالحركات قال : « والنسبة فلسطى » ... وهذا أسلوب صريح فى أن هذه النسبة ملتزمة فى الحالين ، ولو كانت تجوز نسبة أخرى لنص عليها .

ثانياً : أن المتتبع لكلام العرب الذين يعتد بنطقهم ، ويحتج بقولهم : لا يجد فيه إلا « فلسطياً وفلسطية » قال الأعشى :

تخله فلسطياً إذا ذقت طعمه   على ربذات الني حمش لثاتها

وقال ابن هرمة :

كأس فلسطية معتقة   شقت بماء من مزنة السبل

وهذا دليل على أنها النسبة الوحيدة التى استعملها العرب ، وأنها واجبة الالتزام فى الحالين ، وإن وافقت القياس فى حال الإعراب بالحروف ، وخالفته فى حال الإعراب بالحركات ..

وإذا كان حضرته يقول إن استقامة الوزن فحسب هى التى دفعت الشاعرين إلى إيثارهذه النسبة فليأت حضرته بكلام منثور لعربى حجة ورد فيه « فلسطين أو فلسطينية » . .

ثالثاً : جاء فى لسان العرب بعد ذكر حالى الإعراب لفلسطين : (قال أبو منصور وإذا نسبوا إلى فلسطين قالوا فلسطى) ثم استشهد لسان العرب لهذه النسبة بالبيتين السابقين .

وهذه العبارة مضافاً إليها هذا الاستشهاد تدل أوضح دلالة على أن العرب كانوا يلتزمون هذه النسبة فى كل حال .

رابعاً : نقل الأستاذ عن لسان العرب بعد الكلام عن قنسرين قوله : « والقول فى فلسطين و . و . كالقول فى قنسرين » وليعلم حضرته أن اللسان لا يعنى بهذا القول النسبة ، وإنما يعنى جواز إعرابها بالحروف وجواز إعرابها بالحركات .

ولو أنه أراد النسبة لكان أولى أن يفصلها عند الكلام عن فلسطين نفسها ؛ وإن سبق التزامه هناك للنسبة الواردة فقط : يحدد ما عناه هنا ، ويلتفت إليه ..

خامساً : لقد ورد فى النسبة إلى قنسرين : (قنسرى وقنسرينى) وكان من الممكن أن تقاس عليها لو لم يرد فى نسبتها شئ عن العرب .. أما وقد ورد فيها « فلسطى » فقط فقد أصبح القياس متعذراً . .

وبعد :

فقد تجنى الأستاذ هلالى — وهو بالمجمع اللغوى — على اللغة واللغويين حين قال : (اختلف اللغويون فى النسبة إلى فلسطين أهى فلسطى أم فلسطينى ... الخ) إذ الحق أن اللغويين لم يختلفوا فى النسبة إلى فلسطين ، بل لم يختلفوا فى النسبة إلى قنسرين .. وإن معنى الاختلاف أن كل فريق منهم يلزم نسبة خاصة لا يجيز غيرها ، وهو ما لم يحدث فى فلسطين التى التزم اللغويون النسبة المسموعة عن العرب وهي « فلسطى » . كما لم يحدث هذا فى قنسرين التى اتفق اللغويون على جواز « قنسرى وقنسرينى » تمشياً مع الوارد فيها وتطبيقاً لقواعد النسب عليها .

ابراهيم بربرى
المدرس بمعهد طنطا

حول « كاد أنه » :

نشر فى البريد الأدبى كلة أشار فيها بأن الفعل المضارع الواقع فى موضع خبر كاد لا يقترن بأن وذلك هو القياس المطرد إلى آخره ، وهذا القول غير صحيح من عدة أوجه ؛ إذ أن الرأى المتفق عليه عند النحاة أن (كاد) يترجح تجرد خبرها من أن كقوله تعالى : (يكاد زيتها يضيء) (وما كادوا يفعلون) فيكون الكثير فى خبرها أن يتجرد . كما أنه يجوز اقتران خبرها بأن مع القلة ، وهذا بخلاف ما نص عليه الأندلسيون من أن اقتران خبرها بأن مخصوص بالشعر .

وقد جاء مقترناً بأن فى غير الشعر كقول الرسول عليه السلام (وما كدت أن أصلى العصر حتى كادت الشمس أن تغرب) ، والحديث الشريف يتفق مع القرآن فى أن القرآن لا يأتى باللغات الشاذة وإلا لما كان معجزاً ، فكذلك الحديث لا يأتى باللغات الشاذة ، والله تعالى يقول (وما ينطق عن الهوى) ، وقول الشاعر:

كادت النفس أن تفيض عليه   مذ ثوى حشو ريطة وبرود

والشعر العربى إذا تعددت فيه الأمثلة فلا يكون ذلك ضرورة ولا شاذاً وإنما هو قاعدة مسلم بها

فاروق أحمد سلام
معهد اسكندرية الدينى



كتاكيت العم طــون !

في ملهاة لجي دي موباسان

كان كل من يسكن حول مدينة « تورنفنت » يحب العم أنطونى بجيل ، طونى السمين ، طونى العزيز ، أو طون ، كانوا يسمونه عليه تحبباً !

وطون هذا ، رجل سمين ، منفوخ البطن ، أشبه ببرميل نبيذ ، منتفخ الأوداج ، أحمر الوجه ، غائر العينين ، لا تستطيع أن تعرف طوله من عرضه ، ولا عاليه من سافله !

وكان الناس يتساءلون فى دهشة : كيف يستطيع الزبون أن يداف إلى الحانة ، والعم طون ، قد وقف على بابها وسد الطريق؟!

كان يبيع الكونياك ، وكان ينادى على بضاعته بصوت ناعم — هنا يا رجال ، تجدون أحسن أنواع الكونياك !

وكان له زبائن يترددون على حانته ، لا ليشربوا الكونياك فقط ، ولكن ليستمعوا إلى نكات العم طون ، ويأنسوا بظرفه ، وخفة دمه ، فالعم طون « ابن نكتة ! » يستطيع أن يحمل حجارة القبر على الضحك ! !

كان من عادته أن يجلس مع زبائنه ، يلتفون هم فى حوله ، وبأيديهم أكواب الخمر ، يشربون ، ويضحكون ، فإذا وجد أن أحدهم لا يضحك لنكتة القاها ، لكزه فى بطنه ليحمله على الضحك ! كان باقى نكاته ، ويسخر من هذا وذاك ولكن من غير أن يؤذى أحداً ، أو يجرح شعوره !

من أجل هذه الروح المرحة ، أحب الناس العم طون...أحبوه حباً عظيما ، ووفدوا عليه من ضواح بعيدة ليستمتعوا بنكاته ، وليشربوا عنده ما فيه القسمة من أكواب الكونياك التى كان العم طون يقطرها بنفسه !

وكثيراً ما كان يقف على باب حانته ، يحيى هذا ، ويهتف لذاك قائلا : مرحبا ... مرحبا يا ولدى !

كان يدعو كل من يراه يا ولدى ، ولكن الناس كانوا يتساءلون فى دهشة ، لماذا لم يرزق العم طون أولاداً ، وقد مضى على زواجه أكثر من ثلاثين عاماً ؟ !

وقد يترامى إلى أذنيه هذا السؤال الحائر على شفاههم ، فيغمزهم بطرف عينه . ويقول لهم هامساً : إن زوجتى ، هذه الدجاجة العجوز ليست من المظامة بحيث تستطيع أن تنجب عظيما مثلى !!

وكانت زوجته تتورعليه ، ولم تكن بأقل غرابة من زوجها ، فقد كانت امرأة فلاحة ، غليظة الطبع ، حادة المزاج ، لا تبدو إلاّ غاضبة ، مكشرة ، إذا مشت ، فعلى رؤوس أصابعها ، فتبدو ، وكأنها تقفز قفزاً ، واهتز أعلاها ، وامتدت أردافها !

وكانت على شجار دائم مع زوجها ، وكان هو يخافها ، ويتحاشى وقاحتها ، ولكنه لم يكن يكف عن التحرش بها ، ليضحك منها !

وكان الزبائن يضحكون لهذا الشجار الدائم ، ويغرقون فى الضحك ، حين يبدأ العم طون يسخر من زوجته ! وتبلغ الضجة أعلاها ، حين تشير الزوجة الهرمة إلى زوجها المنفوخ ، وتقول : صبراً ... صبراً ، أيها المتكرش الكسول ، سيأتيك يوم تنفجر فيه هذه النفخة الكذابة ... انك والله لرجل كسول ، لا تصلح إلا لربطك مع الخنازير !!

والعمة طون ، مولعة بتربية الدجاج وتفريخها ، وكان لها فى هذا المضمار باع طويل وخبرة واسعة ، ولم تكن لتخلو أكبر الموائد فى باريس من دجاج العمة طون !

على هذه الحالة مضى ركاب الزمن بالعم طون ، يمزح ويمرح ويبيع الكونياك ، حتى حدث أن أصيب بما أقعده عن العمل ، وقلب حياته رأساً على عقب !.. دب الشلل فى جسمه ، ولم يعد يستطيع الحركة ، فأعدوا له سريراً فى مكان يشرف على ما يجرى فى الحانة ، وأرقدوه فيه

وقلت نكاته ، ولكنه لم يتخل عن مرحه وظرفه ، فهو مازال يبادل أصدقاءه النكات وهو راقد على ظهره!..كان يميز الأصوات فيعرف أصحابه !

— مرحباً سلستين ، يا ولدى . ألست أنت سلستين ؟

فيرد عليه سلستين : كيف حالك يا عم ؟ أوه ! ... لم أعد أصلح للطراد أبداً !!

وتثور العمة طون ثورتها المعهودة ، وتقول : انظروا كيف ينام على ظهره كالثور العجوز ، ولم يعد فيه نفع ولا فائدة !

وكم يكون منظره مثيراً للضحك حين يراها ، وهى تقترب منه كالصاعقة ، فينكمش فى فراشه ، خائفاً وجلا من ضرباتها التى يتلقاها على بطنه الكبير ، فيكون لها دوى الطبل !

وذات يوم أراد أن يلعب أحد الزبائن دوراً مضحكا ، على هذه المرأة العجوز التى لا يعجبها العجب ، فقال لها ، أتدرين ماذا كنت أفعل لو كنت مكانك ؟

فرمته بنظرات خبيثة ، وقالت له : ماذا كنت تفعل؟

فأجابها متكلفاً الجد : إن جسد العم طون أشبه بفرن تتأجج فيه النار ، فلماذا لا تضعين تحته بعض البيض فيفقس كما تفعلين مع دجاجك ؟ ! فهمست متعجبة : أيمكن هذا حقاً ؟

— ولم لا ؟ ما الفرق بين أن نضع البيض فى صناديق حارة وبين أن نضعه تحت فراش يبعث أكثر من هذه الحرارة ؟

وراحت العمة طون تفكر فى هذا الاقتراح ، وتجهد عقلها المتحجر فى التفكير فى هذا الاقتراح العظيم !!

وبعد ثمانية أيام ، جاءت إلى زوجها تحمل عشر بيضات ، وقالت له : لقد وضعت الآن عشر بيضات تحت دجاجتى السمراء ، وهذه عشر بيضات أخرى ، ضعها تحت ذراعيك ، وحافظ عليها لئلا تنكسر ! فصاح العم طون — ما ذا تعنى ؟ !

— أعنى أنك سترقد على هذا البيض كما تفعل مع الدجاج ، وسننتظر ما يحدث !

ورفض العم طون بكل إباء وشمم ، أن يرقد على البيض كدجاجة صغيرة ، وحاول أن يحتج على تصرف زوجته ، ولكنها صاحت فيه ، ليس من المعقول أن تبقى هكذا نائماً على ظهرك ، تأكل وتشرب ، ولا تنفعنا بشىء ! !

وأمام تهديداتها وغضبها الذى يتحاشاه ، قبل العم طون أن يضع البيض تحت ذراعيه ! وظل جامداً فى مكانه ، لا يتحرك خوفاً على البيض أن ينكسر ، وبدا عليه الاهتمام العظيم ، وقد حمل الأمر على محمل الجد !

وسرعان ما سرى النبأ بين الزبائن ، فبدأ عليهم العجب ، وراحوا يتساءلون ، ترى كيف يفرخ الرجل !!

وما كادت تبلغ الساعة الثالثة ، حتى ساءت صحته ، وبدا عليه ما يبدو على المرأة التى حانت ساعة وضعها ، وتصبب العرق من جبينه ، ولم يعد يسمع ضجة الناس المحتشدين فى الحانة يترقبون حدوث الأعجوبة !

وأقبلت العمة طون فرحة مستبشرة ، وقالت : لقد فقست دجاجتى السمراء سبع بيضات ، وفسدت ثلاث !

نخفق قلب العم طون ، وسأل نفسه : وأنا ... كم من البيض سيفسد ؟! وأحس بدغدغة تحت ذارعه الأيسر ، نخفق قلبه ، وبكل احتراس ، مد يده تحت ذراعه ، وقبض على شىء ناعم صغير ، كان يحاول التملص منه بقوة ، نخاف عليه ، وأرخى أصابعه ، فقفز على لحيته ، ثم على صدره !

كانت الحانة محتشدة بالناس ، فلما رأوا الحيوان الصغير يقفز على صدر العم طون اندفعوا نحوه ، والتفوا على شكل دائرة حول فراشه ، وشقت الجمع المحتشد العمة طون ، وأمسكت بالكتكوت الصغير ، وهى أسعد ما تكون ! ! وصاح العم طون فجأة :

وهذا واحد آخر يلعب تحت ذراعى اليسرى !

وشمرت العمة عن ذراعيها ، واستعدت كأمهر قابلة ، لإستقبال الكتكوت الجديد! وأخذ الحاضرون يفحصون هذه الكتاكيت فى كثير من الدهشة والعجب والحيرة !

وقفزت أربعة كتاكيت أخرى ، فانتفخت أوداج العم طون لهذا النصر الباهر الذى فاق به الدجاج الممتاز ، العريق النسب !. ثم صاح فى صوت مرتفع فى حين كانت زوجـه قد حملت الكتاكيت لتعطيها لدجاجتها السمراء — وهذا واحد آخر ...

وارتفعت ضجة العجب فى جو الحانة ... وأصر العم طون على الاحتفاظ بآخر الكتاكيت فى فراشه ... فقد كان يشعر بحب عميق لكتاكيته ، كما تشعر المرأة نحو وليدها ! ولكن العمة طون لم تقتنع ، فأخذت منه الكتكوت الأخير بكل قسوة ، وأرسلته لعناية دجاجتها السمراء !

إنصرف القوم ، وهم يفسرون هذه الحادثة الغريبة فى بابها ، شتى التفاسير ، فاقترب صاحب الاقتراح الخبيث فى أذن العم طون وهمس فيها : أتدعونى لحفلة العماد أيها العم ... أليس كذلك ؟!

فأجاب العم طون طبعاً ... طبعاً يا ولدى !

يوسف يعقوب حداد

(البصرة عراق)

مطبعة الرسالة

العدد ٨١١ — الاثنين ١٧ يناير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٢٠٦

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 811 — Lundi — 17 — 1 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨١١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ — ١٧ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

حج غير مـــبرور

رد جلسائى التحية إلى رجل ألقاها عليهم وهو يدخل القهوة فى زى أنيق ورؤاء حسن؛ ثم أتبعوه النظر حتى جلس فى جماعة من ذوى الهيئات قابلوه بنشاط وصافحوه بقوة؛ ثم عادوا بأبصارهم وأفكارهم إلى تشقيق الحديث، فقال أحدهم لجاره: أشهدت الحفلة التى أقامها بعد عودته من الحج فى الأسبوع الماضى لمستقبليه ومهنئيه؟ فأجابه جاره: أوه! نعم شهدتها. ولقد بلغتْ هذا العام من ضخامة المادة وفخامة المظهر مبلغاً صغَّر سوابقها فى أعين الناس على كثرة ما كان يجمع لها وينفق فيها!

فقال جارى: إن العجيب من أمر هذا الرجل أنه يحرص كل الحرص على أداء الحج فى كل سنة، وهو لا يقيم الصلاة، ولا يؤتى الزكاة، ولا يصوم رمضان، ولا يكاد يتشهد! فكيف يقوم دينه على ركن واحد والإسلام كما نعلم إنما يقوم على أركانه الخمسة، وكلما تهدم منها ركن تقوض من بُنيته بناء؟ فرد عليه شيخ مستنير الفكر بأنه اغتر على مايظهر بقول المتزيدين من جهلة الشيوخ: إن الحج وحده يمحص الذنوب ويمحو الخطايا حتى ليذهب الرجل إلى مكة وهو موقر النفس بالجرائر، مثقل الضمير بالكبائر، فيعود منها وهو نقى الصحيفة كيوم ولدته أمه! وإن كثيراً من مطففى الكيل وقطاع الطرق وروَّاد الفحش يبسطون لأنفسهم العنان فى المنكر اتكالا على حِجة يغتسلون بها فيعودون بزعمهم أبراراً كالأطفال وأطهاراً كالملائكة! ولكن الأعجب فى أمر هذا الحاج أنه تاجر وليس له متجر نراه، وغنى وليس له مورد نعرفه. يقضى عامه من الحجة إلى الحجة وهو فارغ البال من هموم العيش، مستريح البدن من مؤونة العمل، يتنقل بالنهار فى المدن وبين الناس، ويتقلب بالليل فى المواخير وبين الندامى، حتى إذا اقترب ميقات الحج، وهفت النفوس المؤمنة إلى مشرق الدين ومهبط الوحى، فطم نفسه عن رضاع الكأس، وأصم أذنه عن نداء المنكر، وأخذ يعدُّ الجواز والجهاز لأداء هذه الفريضة. وقد لاحظ مخالطوه أن موسم الفيضان فى رزقه يبدأ بعد رجوعه من الحجاز، فيبسط أنامله العشر بأوراق النقد، يولم بها الولائم، ويقدم منها الهدايا، ويدرك عليها اللذائذ؛ والمعروف أن الزكاة هى التى تبارك المال وتنميه لا الحج، وأن العمل هو الذى يجلب الرزق ويبقيه لا التبطل؛ ولكن هذا الرجل لغز لا يحل، وسر لا يدرك! فابتسم أحد الحضور وقال: وماذا عندك لى إذا كشفت المخبوء وشرحت الغامض؟ فقال له الشيخ: ثمن القهوة وأزيدك طلباً آخر. فقال الرجل: إن حال الحاج ابراهيم كحال كثير من خاصة الُحجاج، يذهبون إلى مكة محرِمين، ويعودون منها مجرمين! ألم تلاحظ وأنت من جيرة هذا الحاج أنه يجلب من الحجاز مقادير كبيرة من التمر والحلوى على خلاف ما جرت به العادة؟ قال الشيخ: بلى، وما السر فى ذلك؟ قال: السر أنك إذا شققت تمرة من يابس التمر، أو فتحت علبة من علب الحلوى، وجدت فيها الكنز الذى ينفق منه طول العام. وهذا

الميثاق العـــالمى

لحماية حقوق الانسان

للأســتاذ عمر حليق

تعتقد لايك سكسس ومعها بعض ألسنة الرأى العام الدولى أن أبرز عمل قامت به الجمعية العمومية لهيئة الأمم فى اجتماع باريس هو موافقتها على الميثاق العالمي لحماية حقوق الإنسان .

ولو أننا تناسينا مؤقتاً فقدان السلطة العملية التى ما فتئت هيئة الأمم المتحدة تسعى لتحقيقها ، واتخذنا الناحية النظرية مقياساً لهذا الميثاق — لتبين لنا خطورة هذه الخطوة التاريخية التى سجلت فيها الأمم المتحدة — نظرياً على الأقل — حمايتها للفرد أيان كان وضد أىّ كان - ضد الدولة الناشئة ، وضد الأنظمة الظالمة ، وضد النظرة القومية الضيقـة التى تحاول أن تنال من حقوق الفرد باسم الصالح القومى فإذا هى تعصف بأهم دعائم القومية الحقة وهى حرية الفرد وحقوقه .

ولا غرابة إذن أن ينفرد بالتصويت ضد هذا الميثاق ممثلو دول أوروبا الشرقية الذين يفرضون أنفسهم على الشعب بقوة الحديد والنار ؛ ودولة اتحاد جنوب أفريقيا حيث تحول القومية العنصرية الضيقة دون المساواة فى الحقوق بين السكان الأوربيين وهم قلة ، والسكان الوطنيين الأفريقيين وهم كثرة . وقد صوتت كذلك ضد الميثاق المملكة السعودية لعدة أسباب كلها مستمدة من طبيعة النظام المحافظ الذى يعيش عليه المجتمع السعودى .

وقد احتاط واضعو الميثاق خلال نقاش دام عامين ونصف العام لتدعيم الميثاق بدعائم عملية فأوصوا بإنشاء محكمة دولية للنظر فى شكاوى الأفراد ضد الذين يعتدون على حقوقهم سواء كان المعتدون الدول التى يعيشون فى ظلها أم دول أجنبية كما هو الحال فى المستعمرات والمحميات . وفى الميثاق — ميثاق حقوق الإنسان — نص صريح يعطى الأفراد فى المستعمرات والمحميات والمنتدبات فى سائر أنحاء المعمورة دون تفرقة فى اللون أو العنصر أو المذهب ، الحق فى رفع مظالمهم إلى المحكمة الدولية إذا وجدوا أن الدول الحاكمة جائرة على حقوقهم الشخصية منتهكة لأسسها ظاهراً أو باطناً . والواقع أن الميثاق الجديد يكرر كثيراً الحقوق التى نصت عليها الدساتير الحرة القديمة والمعاصرة ، ولكن فى هذا الميثاق العالمى ناحية مستحدثة مستمدة من التطور الذى ألم بالتفكير المعاصر ، هذه الناحية هى حماية حقوق الفرد الاقتصادية بالإضافة إلى حماية حقوقه السياسية .

هذه الحقوق الاقتصادية تقر بأن الإنسان خلق حراً له من الحقوق ما لجميع إخوانه فى الإنسانية لا يحول بينه وبين هذه المساواة لون أو عنصر أو محتد أو مذهب أو عقيدة فكرية ، وأن له مساواة مطلقة فى الإمكانيات الاقتصادية يرعاها له القانون ويثبتها له بمجرد كونه إنساناً يعيش . والميثاق الجديد لا يحاول أن يتخذ من الفرد مادة ليصنع منها دولة قوية أو حكومة مطلقة السيادة حرة التصرف فى شؤونه سواء كان هذا التصرف متمشياً مع حرية الفرد غير ماس بحقوقه أم كان مخالفاً لها كما هو الحال فى الدول الديكتاتورية .

الميثاق الجديد إذن لا يتخذ الإنسان مادة تُبنى بها الدولة ، بل يعترف للفرد بحرية الرأى والتفكير والتعبير تحت أى نظام وفى وجه أية سلطة . والميثاق يتخطى حدود الدولة إلى مرجع دولى أعلى ، أحكامه وقراراته تقيد الأمم المتحدة بالتزامات قانونية وأدبية وترغمها على رفع الضيم وإزالة المظلمة . وتدرس لايك سكسس الآن الخطوات العملية لإنشاء هذه المحكمة العليا بعد أن تقر برلمانات الدول المشتركة فى هيئة الأمم ميثاق حقوق الإنسان هذا ليصبح فرعاً من القانون الدولى له سلطة راسخة فى أسس النظام العالمى . قلت إن الأمم المتحدة فى الجمعية العمومية بباريس وافقت على هذا الميثاق باستثناء روسيا وحلفائها من دول أوربا الشرقية ، وباستثناء اتحاد جنوب أفريقيا والمملكة السعودية العربية التى قال مندوبها السيد جميل البارودى إن التقاليد ونظام الحكم القائم فى نجد والحجاز يخالف بعض المواد التى نص عليها ميثاق حقوق الإنســان هذا فيما يتعلق بسلطة الحكومة وبعض السلطات

السكنز قبل أن تسألنى عنه نوع من الحشيش الزمزَم المبارك مما يجلبه أتقياء الحجاج من منابت آسية العجيبة ، إلى أرض الحجاز المقدسة الحبيبة ! فصحنا جميعاً دهشين : والجمرك ؟ فمرّض الرجل ابتسامته وقال : صلوا على النبى ياجماعة ! والله لو كان على حدودنا تفتيش ، لما دخل مصر أفيون ولا حشيش ! احمد حسن الزيات

المذهبية والأنظمة الاجتماعية .

أما معارضة السوفيات وحلفائهم فكانت تستند إلى نقطتين في الفلسفة الماركسية .

فالميثاق العالمي الجديد يعترف للفرد بالحرية الاقتصادية بمعنى أن لكل إنسان الحق في امتلاك أسباب الرزق ووسائله والسعي لتنميتها بشتى الطرق المشروعة دون أن يتقيد بالتزامات الاقتصاد الموجه الذي تدعو وتعمل له الشيوعية عملا بالمبدأ الماركسي القائل « من كل حسب طاقته ، إلى كل حسب حاجته » . ولذلك فإن روسيا السوفيانية وحلفاءها الشيوعيين وجدوا في هذه الحرية الاقتصادية التي نص عليها الميثاق مخالفة للمبدأ الشيوعي فرفضوا الأخذ بها .

ونقطة المعارضة السوفيانية الثانية هي نص الميثاق على أن للفرد الحق في رفع مظالمه ضد الدولة حين تعتدي على حقوقه وتنتهكها إلى محكمة عالية ستنشأ لهذه الغاية كما أسلفت . وقد احتج الروس بأن في هذا التخطي — تخطي الفرد سلطة الدولة إلى سلطة عالية — تعديا على سيادة الدولة ، وهذا ما لا يرضى به الروس والغريب في منطق السوفيات هذا أنه يخالف الهدف الرئيسي للعقيدة الماركسية الذي يسعى لإزالة الدولة كنظام اجتماعي بعد أن تتحقق سلطة الطبقات العاملة (البروليتارية Prolitariat)

وقد رد مندوب الفليبين الجنرال رومولو على هذه المعارضة الروسية قائلا أن الميثاق ينص في مقدمته على أنه ميزان العدالة لجميع الشعوب في جميع الأمصار ، فإذا أخطرت دولة في مؤتنف الزمن أنها تتنازل عن بعض أوجه سيادتها لتحقق نظاماً عالمياً جديداً يدين بمبادئ إنسانية راسخة لصالح الإنسانية جمعاء ، فلا بأس من هذا التنازل . وإلا فلماذا تحاول الأمم أن تحل مشاكلها ومشاكل السلم والحرب والرخاء عن طريق التعاون والتكالف الدولي ؟

هذا الميثاق الجديد الذي نحن بصدده هو وليد مناقشات — بعضها بلغ منتهى الحدة — استمرت عامين ونصف العام لعب فيها الدكتور شارل مالك مندوب لبنان في هيئة الأمم ورئيس المجلس الاقتصادي والاجتماعي دوراً رئيسياً اعترف به وقدره مندوبو الأمم المتحدة في عبارات التقريظ التي أعقبت مرور الميثاق في الجمعية العمومية في جلساتها الختامية بقصر شايو بباريس . فقد كان الدكتور مالك مقرراً للجنة التي وضعت الميثاق ، وقد صاغ كثيراً من مواده في بلاغة وحكمة استدعت الفخر والإعجاب . لأن الدور الذي قام به المندوب العربي دل على الكفاية الكامنة في الشعوب الصغيرة إذا أعطيت الفرصة وتوفرت لها الرعاية قامت بخدمات فريدة .

وبعد . فإن ميثاق حقوق الانسان لا يزال حبراً على ورق . ترى هل يقدر له أن يلعب الدور الذي لعبه في تطور الحرية الفردية « الماجنا كارتا » وتعاليم الثورة الفرنسية ؟

الجواب في مدى التعاون الذي سيسود العلاقات الدولية في السنين القادمة ، ومدى رسوخ الاستقرار في عالم مضطرب .

(نيويورك) عمر حليق

أبو خليل القبانى

باعث نهضتنا الفنية

وهجرته إلى الديار المصرية

للأستاذ حسنى كنعان

— ٤ —

خضع الوالى « فاضل باشا » لإرادة عبد الحميد جبار بنى عثمان وأغلق مسرح القبانى ومنعه عن العمل على كره منه ، ولو توانى وقتئذ فى تنفيذ الإرادة السنية ، لكان طعمة للأسماك فى بحر مرمرة مقبرة الأحرار السلبيين ... ففرح خصومه الذين كان على أيديهم هذا الصفر ، وجزع عليه عشاقه وعارفو فضله وهم الأغلبية الساحقة فى البلاد ، ولكنها إرادة الجبار المجتثة من إرادة الله . فلم يجرؤ أحد على ردها . وما كان علماء دمشق جميعهم راضين عن إقفال هذا المسرح ، لأنهم كانوا يرونه مهذباً للأخلاق ومعواناً على الوعظ والارشاد ، وبث الأخلاق الفاضلة وتجنب الرذيلة ، حتى أن شيوخ القبانى الذين كانوا ينكرون عليه هذه النزعة فى مطلع حياته أضراب المفتى الشيخ محمود حمزة ذى النزعة الصوفية ، والشيخ واعظ السجدة وكبار العلماء المنقضين ، كانوا لا يتورعون عن حضور مجالسه ومشاهدة رواياته الأخلاقية والتاريخية والاجتماعية المأخوذة من صور حياة البيئة التى ولد فيها ودرج فى أفيائها ، لأنهم ما كانو ليروا فيها من الأمور المحرمة ما يخالف مبادئهم . أما الذين كانوا يناوئونه من أرباب العمائم الذين اتخذوا من هذه « الخرقة » التى تستر رءوسهم الفارغة وسيلة للتخلص من الخدمة العسكرية فى ذلك العهد ... وهم ليسو على شئ من العلم ، ولقد لاقى القبانى من جور هذه الفئة وعنتها وفتنتها وشغبها ما زهّده فى الحياة وجعله يقيم فى منزله معتزلا الناس لا يرى أحداً ولا يراه أحد ...

ولقد طال اعتزاله الناس والبعد عنهم حتى كادوا ينسونه ، وإذا ما فكر مفكر منهم فيه خاب جفوة السلطان وغضبه ... وكان هؤلاء الخصوم المرتزقون المتكسبون الذين طالما فادوا من أعطيات صاحبهم ومنحه ومبراته يغتنمون فرصة جور سلطانه وكلب زمانه فيركبونه بالشغب والازعاج كما أبصروه على سبيل المصادفة فى طريقهم حتى أنهم كانوا يتبعونه الصبية المأجورين لهذه الغاية فيترسمون خطاه ، ويسمعونه من المدائح « والقريديات »(١) والأهازيج الموضوعة من أجل إغاظته وإزعاجه ما يندى له جبين الفضيلة والأخلاق كقولهم له :

أبو خليل النشوانى	يا مزيف البنات
إرجع لكارك أحسن لك	إرجع لكارك نشوانى
أبو خليل مين قال لك	على الكوميدى مين دلك
إرجع لكارك أحسن لك	إرجع لكارك قبانى
أبو خليل القبانى	يا مرقص الصبيانى
إرجع لكارك أحسن لك	أبو خليل القبانى

وكانت هذه الأهازيج تقض مضجعه ومضجع مريديه ، ولكن من ذا الذى يعارض ويدافع عنه وهو مجفو من السلطان والناس فى مثل هذه الساعات يظهرون معاداتهم لمثل من يكون هذا شأنه معهم ؟

وكان القبانى كثيراً ما يبقى شارد النوم موزع الفكر واللب من جراء ما يلقاه إلى أن أخذ يفكر فى الخروج من هذا المحيط الضيق الذى ضيقوا عليه فيه واسماً . وفى ليلة من ليالى الشتاء العابس نبا به مضجعه وند النوم عن مقلتيه لشدة ما عراه من الفكر والهواجس ؛ وما أكثر الليالى الطوال التى كان يشرد فيها النوم عن عينيه ! وكان قد رنق النوم أجفانه فى الفجر فهب بعد ساعتين من هجمته على أثر سماع هاتف خيل إليه أنه يهيب به قائلا : أيها الراقد المتناوم المؤرق هب من ضجعتك واطرد عنك الهم والحزن ، فإن مستقبلا لامعاً بعد لك وهو ينتظرك فى غير هذى البقعة الضيقة ... قم وابحث عن غير هذه المواطن التى تدفن فيها العبقريات : ...

إذا ضاق صدرك من بلاد	ترحل طالباً أرضاً سواها
فإنك واجد أرضاً بأرض	ونفسك لم تجد نفساً سواها

نخف على أثر سماعه صوت الهاتف وجعل يخطر فى غرفته ذهاباً وإياباً ويصيح بملء صوته : وجدتها وجدتها ...

---

(١) القريديات : هى الشعر العامى

مشاهدة أنوارك ، ومعاينة أضوائك ومجاورة مقربيك ، وموافقة سكان ملكوتك ، واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من الملائكة والصديقين ، والأنبياء والمرسلين » . وأثر عنه مناجاة جاء فيها : « إلهي وإله جميع الموجودات : من المعقولات والمحسوسات ، ياواهب النفوس والعقول ، ومخترع ماهيات الأركان والأصول ، يا واجب الوجود ، ويا فائض الجود ، يا جاعل القلوب والأرواح ، ويا فاعل الصور والأشباح ، يا نور الأنوار ، ومدبر كل دوار ، أنت الأول الذى لا أول قبلك ، وأنت الآخر الذى لا آخر بعدك . الملائكة عاجزون عن إدراك جلالك ، والناس قاصرون عن معرفة كمال ذاتك . اللهم خلصنا عن العلائق الدنية الجسمانية ، ونجنا من العوائق الردية الظلمانية . أرسل على أرواحنا شوارق أنوارك ، وأفض على نفوسنا بوارق آثارك . العقل قطرة من قطرات بحار ملكوتك ، والنفس شعلة من شعلات نار جبروتك . ذاتك ذات فياضة ، تفيض منها جواهر روحانية ، لامتمكنة ولا متحيزة ولا متصلة ، ولا منفصلة ، مبرأة عن الأحياز والأين ، معراة عن الوصل والبين ، فسبحان الذى لا تدركه الأبصار ، ولا تمثله الأفكار . لك الحمد والثناء ، ومنك المنع والعطاء ، وبك الجود والبقاء ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون »

والظاهر أن نسبته إلى التعطيل جاءت من انه كان يرى رأى المعتزلة الذين لا يرون الصفات شيئاً خارجا عن الذات ، وهو يقول عن ذلك فى كتابه : هيا كل النور : « والصفة لا تجب بذاتها وإلا ما احتاجت إلى محلها ، فواجب الوجود ليس محلا للصفات ولا يجوز أن يوجد هو فى ذاته صفات . فإن الشىء الواحد لا يتأثر عن ذاته . ونحن إذا تصرفنا فى عقولنا يكون الفاعل شيئاً والقابل شيئاً آخر . فواجب الوجود واحد من جميع الوجوه » ولكن ليس معنى هذا نفى الصفات عن واجب الوجود . وقد أثبت لله هذه الصفات ؛ إذ قال فى هيا كل النور . « وله من كل متقابلين أشرفهما ، وكيف يعطى الكمال من هو قاصر ؛ وكل ما يوجب تكثيراً من تجسيم أو تركيب ممتنع عليه تعالى ؛ والحق لا ضد ولا ند له ، ولا ينتسب إلى اين ، وله الجلال الأعلى ، والكمال الأتم ، والشرف الأعظم ، والنور الأشد : ليس بعرض فيحتاج إلى حامل يقوم به وجوده ، ولا بجوهر فيشارك الجواهر فى حقيقة الجوهرية ، ويفتقر إلى مخصص دلت عليه الأجسام باختلاف هيئاتها . فلولا مخصصها لما اختلفت أشكالها ومقاديرها وصورها وأعراضها وحركاتها . وما أوردناه من مناجاته ودعائه ، وما قدم به كتابه هيا كل النور يدل على أنه يثبت لله صفات الكمال الأسمى ...

والشهاب يسير فى إثبات وجود واجب الوجود ، وما هو عليه من كمال على طريق الفلاسفة الذين يعتمدون على الدليل العقلى ؛ كما ترى ذلك فى كتابه المشارع والمطارحات (ص ١٢٧) . وكتابه هيا كل النور .

لست أدرى كيف نسبوه إلى الإلحاد وما أوردناه من كلامه لا يدل على إلحاد ولا زندقة ؟ وكيف نحكم بالإلحاد على رجل يقول : « فوحد الله ، وأنت بتعظيمه ملآن ، واذكره وأنت من ملابس الأكوان عريان ، ولو كان فى الوجود شمسان ، لانطمست الأركان » ؛ ويثبت وحدانية واجب الوجود بقوله فى هيا كل النور (ص ٥) : « لا يصح أن يكون شيئان هما واجبا الوجود لأنهما لو اشتركا فى جوب الوجود فلابد من فارق بينهما ، فيتوقف وجود أحدهما أو كليهما على الفارق ، ولا يمكن أن يكون شيئان لا فارق بينهما فإنهما يكونان واحداً » ويقول (ص١٢) : « ويجب على المستبصر أن يعتقد صحة النبوات » ؛ ويرى أرواحنا نوراً حادثاً خلقه الله إذ يقول (ص ٦ من هيا كل النور) : « ونفوسنا الناطقة أنوار حادثة ولها مرجح ولا توجدها الأجسام ، إذ لا يوجد الشىء ما هو أشرف منه ، فرجحه أيضاً نور مجرد ، فإن كان واجب الوجود فهو المراد ، وإن أمكن فينتهى إلى واجب الوجود الحى القيوم . وكان يدعو واجب الوجود نور الأنوار ، ولست أرى فى ذلك أكثر مما أجده فى قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض » .

أما مذهبه فى التصوف فذهب الإشراقيين الذين يرون المعرفة إنما تنال بإشراق منه تعالى على قلوب مريديه ، وله فى ذلك كتاب حكمة الإشراق ، ويحدثنا عن ذلك بقوله فى الهيكل الثامن : « النفوس الناطقة من جوهر الملكوت ، وإنما يشغلها عن عالمها هـذه القوى البدنية ومشاغلها ، فإذا قويت النفس بالفضائل الروحانية ، وضعف سلطان القوى بتقليل الطعام والشراب ،

وتكثير السهر ، تخلص النفس أحياناً إلى عالم القدس ، وتتلقى منه المعارف والمغيبات ، فى نومها ويقظتها ، كمرآة تنتقش بمقابلة ذى نقش ... فيشاهد [المريد] صوراً عجيبة تناجيه ، أو يسمع كلمات منظومة ، أو يتجلى الأمر الغيبى » ؛ ومن أجل ذلك يرى أجسادنا المظلمة لا تستطيع أن تلج ملكوت السموات الذى تصل إليه الروح التى هى نور من أنواره تعالى ، منه مشرقها وإليه مغربها ، وهى لذلك تحن إلى مصدرها . وله فى ذلك شعر قاله على مثال أبيات ابن سينا العينية بدأه بقوله :

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى   وصبت لمغناها القديم تشوقا

وله أيضاً شعر على مذهب المتصوفة الذين يشتاقون الوصول إلى الحق ، والاتصال بالنور الأسمى ، كقوله :

أبداً تحن إليكم الأرواح   ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم   وإلى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا   ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم   وكذا دماء العاشقين تباح
وإذا هموا كتموا تحدث عنهمو   عند الوشاة المدمع السفاح

وكان الشهاب يؤمن بكرامات الأولياء التى قد يكون منها أن تخضع العناصر لإرادة الصوفى ، وقد قال عن ذلك فى كتاب الهياكل (ص ١٢) . « وقد تطرب النفوس المتألهة طربا قدسيا ، فيشرق عليها نور الحق الأول تعالى ، فتخضع لها العنصريات ، ولما رأيت الحديدة الحامية تتشبه بالنار بمجاورتها ، وتفعل فعلها ، فلا تتعجب إن أشرقت النفس ، واستضاءت بنور الله تعالى ، فأطاعتها الأكوان إطاعتها للقديسين » .

فالشهاب — كما يبدو لى — رجل صوفى ، جمع إلى ثقافته الدينية ، وعقيدته الإسلامية ، ثقافته بفلسفة الإغريق وحكمتهم ، من غير أن يخرجه ذلك عن حدود الإسلام ، ومن أجل هذا أرى صلاح الدين قد تسرع بإصدار الحكم عليه بالقتل ، وأن العلماء الذين أفتوا بذلك ، فتبعهم صلاح الدين — كانوا مخطئين ؛ فليس ما خالف مذهب أهل السنة يعد كفراً وزندقة . ويقال : إن الملك الظاهر ندم على قتله ، وانتقم من الذين أفتوا بإباحة دمه ، وقبض على جماعة منهم ، واعتقلهم .

هذا ، ولابد أن قد كان لهذا القتل أثره فى إخفات صوت الفلسفة ، وخنق كل صوت لا يدين بمذهب أهل السنة .

وقد اختلف معاصروه فى تقديره فى حياته وبعد مماته ؛ فهذا عبد اللطيف البغدادى يقول عنه ما دخل الموصل : وسمعت الناس يهرجون فى حديث الشهاب السهروردى المتفلسف ، ويعتقدون أنه قد فاق الأولين والآخرين ، وأن تصانيفه فوق تصانيف القدماء ، فهممت لقصده ، ثم أدركنى التوفيق ، فطلبت من ابن يونس شيئاً من تصانيفه ، وكان أيضاً معتقداً فيها ، فوقفت على التلويحات واللمحة والمعارج ، فصادفت فيها ما يدل على جهل الزمان ، ووجدت لى تعاليق كثيرة لا أرتضيها ، هى خير من كلام هذا الأنوك .

أما سيف الدين الآمدى فيراه كثير العلم قليل العقل ، ويروى أن الشهاب قال له : لا بد أن أملك الأرض ، فقال الآمدى : من أين لك هذا ؟ قال : رأيت فى المنام كأنى شربت ماء البحر . فقال الآمدى لعل هـذا يكون اشتهاء العلم أو ما يناسب هذا . ولكن الآمدى لم يرجع عما وقع فى نفسه . وربما كان ذلك منسوبا إلى الآمدى كذبا ، لأنا نستبعد ذلك على رجل مثل السهروردى أو كان ذلك صادراً عن رأيه فى كرامات الأولياء ، وقد سبق لنا عرضه .

أما بعد موته ، فقد كتب كاتب على قبره بعد دفنه بظاهر حلب :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة   مكنونة ، قد براها الله من شرف
فلم تكن تعرف الأيام قيمتها   فردها غيرة منه إلى الصدف

قال ابن خلكان : وأقمت بحلب سنين ، للاشتغال بالعلم الشريف ، ورأيت أهلها مختلفين فى أمره ، وكل واحد يتكلم على قد هواه ، فمنهم من ينسبه إلى الزندقة والإلحاد ، ومنهم من يعتقد فيه الصلاح ، وأنه من أهل الكرامات ؛ وأكثر الناس على أنه كان ملحداً لا يعتقد شيئاً .

وللشهاب من المؤلفات كتاب التنقيحات فى أصول الفقه ، وكتاب الألواح العمادية ، وهو مجالة فى المبدأ والمعاد على رأى الإلهيين ، وكتاب التلويحات فى ثلاثة علوم : المنطق ، والطبيعى ، والإلهى ، وكتاب المقاومات ، وهو لواحق على كتاب التلويحات ، وكتاب هياكل النور ، وقد شرحه جلال الدين محمد بن أسعد

الدوانى ، وكتاب علم الهدى وأسرار الاهتدا ، وكتاب اللمحات وكتاب المعارج ، وكتاب حكمة الإشراق ، وهو متن مشهور ، شرحه الأكابر — كما قال فى كشف الظنون — ومنهم قطب الدين الشيرازى ، وكتاب المشارع والمصارحات . وهى كتب فى المنطق والفلسفة والتصوف وله رسالة الغربة الغريبة على مثال رسالة الطير لابن سينا ، ورسالة حى بن يقظان له كذلك ، وقد أشار فيها إلى حديث النفس على اصطلاح الحكماء .

ونختم هذه الترجمة بذكر ما وصفه به بعضهم من أنه كان زرى الخلقة ، دنس الثياب ، وسخ البدن ، لا يغسل له ثوبا ولا جسما ولا يداً ، ولا يقص ظفراً ولا شعرا ، وكان القمل يتناثر على وجهه ، ويسعى على ثيابه ، وكل من يراه يهرب منه . وعندى أن ذلك من وضع شانئيه ، ولو كان كما وصفوا ما خشى صلاح الدين منه فتنة أن يتبعه أحد .

وبعد فأرجو أن أوفق إلى دراسة كتب هذا الرجل ، فعساى أدرك سر قتله ، لأنى أرجح — إلى اليوم — أنه قتل مظلوما .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

خواطر سياسـية وأدبية

للدكتور السيد محمد يوسف الهندي

إن للأقوام أمزجة وطباعاً كما أن للأفراد ميزات وخصائص . وقد عرفت حينما كنت بالهند أن مما يمتاز به الشعب المصرى شدة التأثر بالحاضر ، وانشغال القلب بالحال إلى حد تكييف الماضى به وعدم المبالاة بالمستقبل فى بعض الأحيان ، وربما اتخذت هذه الميزة مظهرين لها أعنى قوة الانفجار والوثوب لمكافحة الشر المستفحل الماثل أمام العين ، والركون إلى كل قليل أو كثير يبشر بالخير ولو إلى وقت ما .

كنت أعرف هذا على طريق الإجمال قبل ورودى مصر ، ثم صادف أن ألقيت عصا التسيار بشط وادى النيل وقضيتها معروضة على مجلس الأمن ، فحرصت على أن أتتبع الحوادث والتطورات مع آراء الرجال واتجاهات الأحزاب إزاءها ، كما أقرأها على صفحات الجرائد وأشاهدها بعينى فى الشوارع والأندية .

فبينما أنا معجب كل الإعجاب بروح العداء للاستعمار الأجنبى السياسى (أخص بالذكر « السياسى » لأننى مع الأسف لم ألمس نفس تلك الروح فى ميادين الاقتصاد والتقاليد الاجتماعية ومنهاج الفكر) التى أيقنت أنها عمت الشعب كافة ، إذا بسيل من الكلمات تتدفق على صفحات الجرائد داعية إلى خطة التقرب من الدب نكاية بالأسد على أثر تأييد روسيا لمطلب مصر الخاص بالجلاء (دون اتحاد السودان معها) ، فأسهب المحررون والكتاب فى التنويه بصداقة روسيا وضرورة استيراد القمح منها وإنشاء العلاقات الاقتصادية والتجارية معها هى ومن تسايرها من الأمم مثل بولندا دون الأمم الانجلوسكسونية .

وقفت حائراً أمام هذا الموقف المفاجئ أفكر فى نفسى فى مدى جدوى مثل هذه الحماسة البالغة فى الاعتراف بالجميل وتقديم الشكر عليه فى ميدان السياسة الدولية فى القرن العشرين ، ولكن الأمر كان بالطبع موكولا إلى الأيام أن تثبت هل ستستقر سياسة العرب على هذا التحول الجديد أم لا ؟

* * *

ثم حدث أن رأيت الشبان يثورون على البن ويثأرون من أصله « البرازيلى » ، وما لبثت ثائرتهم أن سكنت بمجرد محو اسم البرازيل من واجهة المحل مع بقاء جميع الأوضاع كما هى حسبما أعلم ، كما أنهم يقتنعون بلصق لافتات « إنقاذ فلسطين » على أبواب المحلات الكبرى بشارع فؤاد وهم يعلمون حق العلم أن أصحابها اليهود هم فى الحقيقة عماد الصهيونية فى الشرقين الأدنى والأوسط ، وإنهم إنما يستغلون الوطنية والجنسية المصرية بدون أن يشاركوا المصريين فى آمالهم أو يواسوهم فى آلامهم .

* * *

هذا ، ومما زادنى دهشة أن اتفق زعماء الأحزاب على ركوب سيارة واحدة تطوف بهم حول القنصليات لتأدية واجب الشكر لبعض الدول والشكاية إلى بعضها الآخر ، وخطب ود (أو بالأحرى صوت) جميعها ، وربما كانوا مصيبين فى خطتهم هذه تظاهراً بإجماع رأيهم واتحاد كلمتهم ، ولا سيما إذا هم عجزوا عن الظهور فى مظهر أروع من ذلك ، ولكن آلمنى كثيراً البيان الذى أدلوا به أمام سفير فرنسا . ومن شاء فليراجع « الأهرام »

فقد لهجت ألسنتهم بذكر الآمال الجليلة التى كان العرب عقدوها بفرنسا منذ بداية العصر الحديث ، ومن بينها الأمل الضائع (لا قدر الله له أن يتحقق) فى مزاحمة فرنسا للاستعمار البريطانى فى مصر !

أنا واثق بأن كلا من هؤلاء الزعماء الكرام لا يريد إلا الاستقلال التام لبلاده ، ولكن من الصعب أن يجد أحد أى مبرر ولو فى أشد الأوقات حرجاً لتوجيه مثل هذه الدعوة إلى دولة قد ذاق العرب فى مختلف الجهات ولا يزال إخوانهم فى المغرب يذوقون الأمرين من جراء استعمارها ، وعلى الأقل فهى الغاية لقصر النظر فى الأحوال والظروف الطارئة من يوم إلى يوم

* * *

لم يمض إلا وقت قليل حتى كشرت روسيا عن أنيابها ، فكانت من أشد الأنصار لتقسيم فلسطين ، وبلغ الحال أن بدأ ممثلو العرب وزعماؤهم يستغلون موقف روسيا المداني لتخويف أمريكا وبريطانيا بعد أن ضيعوا أنفاسهم واتعبوا أقلامهم يستنجدون بصداقتها ضد تينك الدولتين منذ بضعة أشهر فقط .

وأخيراً لم يتمالك عرب فلسطين أن بادروا إلى رفع أعلام أمريكا على بيوتهم والهتاف بحياتها فى الميادين والشوارع حينما خيل إليهم أن أمريكا نفضت يدها من مشروع التقسيم . وما من شك أن مثل هذه المظاهرة لا يمكن أن تكون طبيعية ، إنما كانت مدبرة من الزعماء الذين تسرعوا فى الاعتزاز بأنفسهم والتبشير لشعبهم والتسليم لأمريكا بما يتاجرون به من صداقة العرب .

لا أدرى ما ذا صنعوا بتلك الأعلام فى اليوم التالى حينما صرح الرئيس ترومان بأن العرب أو زعماءهم جاوزوا الحزم فى حمل موقف أمريكا الجديد على التبرؤ من فكرة التقسيم . لا أدرى ماذا صنعوا بتلك الأعلام ؟ هل نكست ومزقت وحرقت ، أو ادخرت لمناسبات أخرى فى المستقبل ؟ وعلى كل حال فقد تبين أن السياسة القصيرة المدى التى نعيش بها من اليد إلى الفم ربما تؤدى إلى مهازل وفضائح ومآسى ، وإنما مرد ذلك إلى أن الزعامة لا تزال بأيدى رجال لا يتعدى فكرهم نطاق التحين للفرص ، فهم يتهيبون ويماطلون فى كل خطوة إيجابية جريئة ترمى إلى قلب الأوضاع وخلق الظروف المواتية لقضيتهم ، وذلك أول الوهن .

* * *

إنما سردت ما سردت من تأثراتى لأهم ما وقع فى العالم العربى السياسى أثناء البضعة أشهر الماضية لأخلص منها إلى الكلام عن أهم حادث فى العالم الأدبى ، أعنى ظهور « الفتنة الكبرى — عثمان بن عفان » من تصنيف الدكتور طه حسين . وقد اتفق لى أن قرأت انتقاد الأستاذ محمود محمد شاكر لهذا الكتاب قبل أن تتاح لى الفرصة لمطالعة الكتاب نفسه .

نعم ، قرأت انتقاد الأستاذ على صفحات « الرسالة » ، فعجبت لما بذل من جهد فى سبيل إقامة الحجج والبراهين على عداء اليهود المسلمين والإسلام . وما أغناه عن ذلك فإنها حقيقة أظهر من الشمس لكل ذى عينين نبه عليها القرآن وأكدها النبى وصدقتها التجارب المتكررة . إنما جبن المسلمون فتعمدوا نسيانها والإعراض عن الشهادة بها حينما ذهبت ريحهم فأصيبوا بمركب النقص فى تفكيرهم حتى بدأوا يلتمسون الرقى والتقدم فى محاكاة الأمم الغربية المتحكمة فيهم ، فأقاموا حياتهم السياسية الحديثة على أساس النظريات الأجنبية غير الإسلامية من القومية والوطنية ، وأرادوا أن يستمدوا القوة من الاشتراك فى الماء والهواء وبعض الأغراض المادية التى هى الأصل عند الكفار ، والمشركين الذين لا يعيشون إلا لها . أما المسلم ، فإنما يعيش بها لتحقيق المبادئ السامية والقدور العالية والأخلاق الفاضلة ومقاييس الصواب والخطأ والحلال والحرام التى هى المقومات الجوهرية لكل حلف دائم ليتتبع ولاء صادقاً ، والتأمين على الغش وطغيان طائفة على أخرى ، ولكن أتى على المسلمين زمن سولت لهم أنفسهم فيه أن يخجلوا ويتبرءوا من كل ما ينم عن فكرة دينية ، حتى ولو كان من المبادئ المقررة والحقائق التاريخية الثابتة لكي يتسنى لهم الحصول على لقب « المستنيرين » من عدوهم الذى بهرهم بقوته وشوكته .

قد فعل المسلمون ذلك وظنوا ولا يزال كثير منهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً ، ولذلك استبشرت بخير كثير حينما قرأت مقال الأستاذ محمود محمد شاكر يحدثنا فيه عن العلاقات بين المسلمين واليهود عسى أن تسفر محنة فلسطين عن نعمة عظمى ، ألا وهى الانقلاب فى للفكر السياسى عند العرب بحيث يتأكدون أن التسامح لا نقام له أى وزن إلا إذا جاء من قوى يقظ شديد المراس مستكمل المدة ، مستقل بنفسه ، قادر على قلب ظهر المجن

المذهبية والأنظمة الاجتماعية .

أما معارضة السوفيات وحلفائهم فكانت تستند إلى نقطتين في الفلسفة الماركسية .

فالميثاق العالمي الجديد يعترف للفرد بالحرية الاقتصادية بمعنى أن لكل إنسان الحق في امتلاك أسباب الرزق ووسائله والسعي لتنميتها بشتى الطرق المشروعة دون أن يتقيد بالتزامات الاقتصاد الموجه الذي تدعو وتعمل له الشيوعية عملا بالمبدأ الماركسي القائل « من كلّ حسب طاقته ، إلى كل حسب حاجته » . ولذلك فإن روسيا السوفيانية وحلفاءها الشيوعيين وجدوا في هذه الحرية الاقتصادية التي نص عليها الميثاق مخالفة للمبدأ الشيوعي فرفضوا الأخذ بها .

ونقطة المعارضة السوفيانية الثانية هي نص الميثاق على أن للفرد الحق في رفع مظالمه ضد الدولة حين تعتدي على حقوقه وتنتهكها إلى محكمة عالية ستنشأ لهذه الغاية كما أسلفت . وقد احتج الروس بأن في هذا التخطي — تخطي الفرد سلطة الدولة إلى سلطة عالية — تعديا على سيادة الدولة ، وهذا ما لا يرضى به الروس والغريب في منطق السوفيات هذا أنه يخالف الهدف الرئيسي للعقيدة الماركسية الذي يسعى لإزالة الدولة كنظام اجتماعي بعد أن تتحقق سلطة الطبقات العاملة (البروليتارية Prolitariat)

وقد رد مندوب الفليبين الجنرال رومولو على هذه المعارضة الروسية قائلا أن الميثاق ينص في مقدمته على أنه ميزان العدالة لجميع الشعوب في جميع الأمصار ، فإذا أخطرت دولة في مؤتنف الزمن أنها تتنازل عن بعض أوجه سيادتها لتحقق نظاماً عالياً جديداً يدين بمبادئ إنسانية راسخة لصالح الإنسانية جمعاء ، فلا بأس من هذا التنازل . وإلا فلماذا تحاول الأمم أن تحل مشاكلها ومشاكل السلم والحرب والرخاء عن طريق التعاون والتكالف الدولي ؟

هذا الميثاق الجديد الذي نحن بصدده هو وليد مناقشات — بعضها بلغ منتهى الحدة — استمرت عامين ونصف العام لعب فيها الدكتور شارل مالك مندوب لبنان في هيئة الأمم ورئيس المجلس الاقتصادي والاجتماعي دوراً رئيسياً اعترف به وقدره مندوبو الأمم المتحدة في عبارات التقريظ التي أعقبت مرور الميثاق في الجمعية العمومية في جلساتها الختامية بقصر شايو بباريس . فقد كان الدكتور مالك مقرراً للجنة التي وضعت الميثاق ، وقد صاغ كثيراً من مواده في بلاغة وحكمة استدعت الفخر والإعجاب . لأن الدور الذي قام به المندوب العربي دل على الكفاية الكامنة في الشعوب الصغيرة إذا أعطيت الفرصة وتوفرت لها الرعاية قامت بخدمات فريدة .

وبعد . فإن ميثاق حقوق الانسان لا يزال حبراً على ورق . ترى هل يقدر له أن يلعب الدور الذي لعبه في تطور الحرية الفردية « الماجنا كارتا » وتعاليم الثورة الفرنسية ؟

الجواب في مدى التعاون الذي سيسود الملاقات الدولية في السنين القادمة ، ومدى رسوخ الاستقرار في عالم مضطرب .

(نيويورك) عمر حليق

أبو خليل القبانى

باعث نهضتنا الفنية

وهجرته إلى الديار المصرية

للأستاذ حسنى كنعان

— ٤ —

خضع الوالى « فاضل باشا » لإرادة عبد الحميد جبار بنى عثمان وأغلق مسرح القبانى ومنعه عن العمل على كره منه ، ولو توانى وقتئذ فى تنفيذ الإرادة السنية ، لكان طعمة للأسماك فى بحر مرمرة مقبرة الأحرار السلبيين ... ففرح خصومه الذين كان على أيديهم هذا الصفر ، وجزع عليه عشاقه وعارفو فضله وهم الأغلبية الساحقة فى البلاد ، ولكنها إرادة الجبار المجتثة من إرادة الله . فلم يجرؤ أحد على ردها . وما كان علماء دمشق جميعهم راضين عن إقفال هذا المسرح ، لأنهم كانوا يرونه مهذباً للأخلاق معواناً على الوعظ والارشاد ، وبث الأخلاق الفاضلة وتجنب الرذيلة ، حتى أن شيوخ القبانى الذين كانوا ينكرون عليه هذه النزعة فى مطلع حياته أضراب المفتى الشيخ محمود حمزة ذى النزعة الصوفية ، والشيخ واعظ السجدة وكبار العلماء المنقضين ، كانوا لا يتورعون عن حضور مجالسه ومشاهدة رواياته الأخلاقية والتاريخية والاجتماعية المأخوذة من صور حياة البيئة التى ولد فيها ودرج فى أفيائها ، لأنهم ما كانو ليروا فيها من الأمور المحرمة ما يخالف مبادئهم . أما الذين كانوا يناوئونه من أرباب العمائم الذين اتخذوا من هذه « الخرقة » التى تستر رءوسهم الفارغة وسيلة للتخلص من الخدمة العسكرية فى ذلك العهد ... وهم ليسو على شئ من العلم ، ولقد لاقى القبانى من جور هذه الفئة وعثوها وفتنتها وشغبها ما زهّده فى الحياة وجعله يقيم فى منزله معتزلا الناس لا يرى أحداً ولا يراه أحد ...

ولقد طال اعتزاله الناس والبعد عنهم حتى كادوا ينسونه ، وإذا ما فكر مفكر منهم فيه خاف جفوة السلطان وغضبه ... وكان هؤلاء الخصوم المرتزقون المتكسبون الذين طالما فادوا من أعطيات صاحبهم ومنحه ومبراته يفتنمون فرصة جور سلطانه وكلب زمانه فيركبونه بالشغب والازعاج كلما أبصروه على سبيل المصادفة فى طريقهم حتى أنهم كانوا يتبعونه الصبية المأجورين لهذه الغاية فيترسمون خطاه ، ويسمعونه من المدائح « والقريديات »(١) والأهازيج الموضوعة من أجل إغاظته وإزعاجه ما يندى له جبين الفضيلة والأخلاق كقولهم له :

يا مزيف البنـــات	أبو خليـل النشوانى
إرجع لكارك نشوانى	إرجع لكارك أحسن لك
على الكوميدى مين دلك	أبو خليل مين قال لك
إرجع لكارك قبانى	إرجع لكارك أحسن لك
يا مرقص الصبيـــانى	أبو خليـل القبـــانى
أبو خليل القبـــانى	إرجع لكارك أحسن لك

وكانت هذه الأهازيج تقض مضجعه ومضجع مريديه ، ولكن من ذا الذى يعارض ويدافع عنه وهو مجفو من السلطان والناس فى مثل هذه الساعات يظهرون معاداتهم لمثل من يكون هذا شأنه معهم ؟

وكان القبانى كثيراً ما يبقى شارد النوم موزع الفكر واللب من جراء ما يلقاه إلى أن أخذ يفكر فى الخروج من هذا المحيط الضيق الذى ضيقوا عليه فيه واسماً . وفى ليلة من ليالى الشتاء العابس نبا به مضجعه وند النوم عن مقلتيه لشدة ما عراه من الفكر والهواجس ؛ وما أكثر الليالى الطوال التى كان يشرد فيها النوم عن عينيه ! وكان قد رنق النوم أجفانه فى الفجر فهب بعد ساعتين من هجعته على أثر سماع هاتف خيل إليه أنه يهيب به قائلا : أيها الراقد المتناوم المؤرق هب من مضجعك واطرد عنك الهم والحزن ، فإن مستقبلا لامعاً يعد لك وهو ينتظرك فى غير هذى البقعة الضيقة ... قم وابحث عن غير هذه المواطن التى تدفن فيها العبقريات :...

ترحل طالباً أرضاً سواها	إذا ضاق صدرك من بلاد
ونفسك لم تجد نفساً سواها	فإنك واجد أرضاً بأرض

نخف على أثر سماعه صوت الهاتف وجعل يخطر فى غرفته ذهاباً وإياباً ويصيح بملء صوته : وجدتها وجدتها ...

(١) القريديات : هى الشعر العامى

فصاحت به ربة الدار حانقة غاضبة ومن هي التي وجدتها يا رجل ... ؟ كفاك كفاك هراء ، لقد أمرضتني والله وأزغت عقلي بهذه الموجات الجنونية التي تواتيك الفينة بعد الفينة لا نوم ولا راحة ولا استكانة ولا شغل لك إلا بهذه المواجس والفكر . إن الذي ألقاه منك ويلقاه بنوك الصغار قد يضيق الصدر منه ، ويعز الصبر عليه ، لا عمل لك ولا شغل إلا هذه المهاترات . ارجع إلى صناعتك الأولى وأرحنا من هذا العناء وخلصنا من شبح الكوبة ، قل لي : بالله ما الذي جنيته من الأموال وما الذي اكتنزته من وراء هذه الصناعة صناعة التمثيل؟ إنك والله ما جنيت منها سوى التعب ومعاداة الناس وجور السلطان ، وعار الأبد . إنك منذ مزاولتك هذه الصناعة قد ألبستني ثوب العار ، كما جلبت لنفسك ولرهطك مذلة الأبد بهذه « الضربويات » التي تسمعها والتي درجت على ألسن الناس مدرج الأمثال . وهل إنسان في الكون يطيق سماع عبارات كالتي توجه إليك ، وفيها التحقير والتشهير ، وأنت إلى هذا لا تستطيع أنت وصحبك أن تصنعوا شيئا ، أرأيت أن عبارة :

أبو خليـــل يا بومـــه يا بو اللفـــه الروى

اعطيني من ذقنك شعره (١) لأصـــلح ها لبيتوني

لو وجه مثلها إلى أحقر إنسان في العالم أكان يصبر عليها ويرضى هذا الذل .؟

وهنا استشاط القباني من الغضب والحنق وصاح بها مجيباً : على رسلك يا امرأة ، وما تضيرني هذه الأهازيج والأقوال ، ولو كانت هذه العبارات تضر إنساناً أو تحول دون وصوله إلى غاياته وبلوغ أمنيته ، لأضرت بالعظماء وبالنبيين قبلي ، لأنهم كانوا يلاقون من عنت الناس وجورهم ما لا يقاس ما لقيته بشيء تجاه ما لقوه ، ومع هذا فقد مضوا في عملهم . صابرين مستكينين إلى أن أدوا رسالاتهم تامة غير منقوصة ، وجنوا ثمار جهودهم بأن خلدوا لهم ولأمتهم أحسن الذكر . فكوني متفائلة يا امرأة . والذي آمله منك التشجيع ، وليس كالمرأة الصالحة معوان للرجل . فاستحيت هنا « أم خليل » ولامت نفسها قائلة « وأنا مالي أم علي تندب علي » وهنا نهض القباني المؤرق المتعب المكدود الذهن من فراشه وهو يردد قوله وجدتها والله وجدتها وجدتها ... ثم أمسك بيده قلماً وورقة و كتب بها رسالة إلى صديق له في الاسكندرية يدعى « سعد الله بك حلابو » وهو حمصي الأصل ومن أكبر تجار هذه المدينة الساحلية العظيمة ، وله مراكب تجارية تمخر عباب البحر وتنقل البضائع الصادرة والواردة إلى المدن والقرى الساحلية .

يستطلع رأيه في الرسالة بالشخوص إلى الاسكندرية . ولما اطلع حلابو على الرسالة وفهم فحواها طار فرحاً ، وجعل يمر بها على أصدقائه وزف لهم بشرى شخوص هذا النابغ إلى الديار المصرية ، وكانت شهرته قد بلغت مسامع الكثيرين من المصريين . ولم تكن فرحة صديقه بالتي تذكر أمام فرحة هؤلاء المشتاقين من هواة الفن الذين يرغبون في اجتلاء طلعة هذا النابغ الذي طبقت شهرته الآفاق . وفي الحال أجابه صديقه التاجر الحمصي يزين له المجيء إلى الاسكندرية ، وأفهمه أن القطر المصري في انتظار قدومه وفي انتظار الحظوة بمشاهدة روائع فنه . وكان على أهبة السفر ساعة أتاه الجواب بلزوم الهجرة إلى القطر العزيز « بوتقة » العبقريين ، إذ ما من فنان أو مشرد طريد من بلاده مضطهد أمها إلا لقي في هذا القطر أهلا يحضنونه ويحدبون عليه ، وأنا أعرف كثيراً من الفنانين الطريدين الذين أنكرهم بلادهم قد بسم لهم دهرهم على جنبات هذا الوادي الخصيب وكانوا من ألمع الشخصيات في فنهم ...

لم يأخذ القباني معه أسرته ولم يأخذ معه جوقته إلى الديار المصرية يوم نزح إليها مهاجراً مشرداً طريداً كما نرى ... بل ذهب بمفرده ، وكان سرور القوم به عظيما جداً ، وما استقر قدمه في الاسكندرية حتى خف إليه عشاق فنه من كل صوب ، وبلغ من شهرته أن غدت الوفود المهنئة تفد عليه من القاهرة ، وكان مغتبطاً مسروراً بما لقي من ضروب الكرم وحسن الوفادة

وأخيراً حبب إليه عشاق الفن أن يؤم القاهرة ويفتح بها مسرحاً . وهناك أقاموا له مسرحاً في الأزبكية ، فاستقدم على الفور كبار رجالات جوقته من دمشق وأخذ يزاول العمل بهمة

(١) البيتون باللغة الشامية هو الحناء

الشعر فى الســـودان

للأستاذ على العمارى

— ٦ —

لم يكن غرضى فى هذه الأحاديث أن أعسر الحساب مع شعراء المدرسة القديمة ، ولا أن اتتبع هفواتهم ، وأخطاءهم ، وإنما أردت أن أكون مؤرخا . وهذا هو الهدف الرئيسى لهذه البحوث ، فإذا صحب ذلك شىء من النقد فإنما هو استطراد واستتباع ، وليس من الإنصاف أن نغوص فى ثنايا هذا الشعر محققين مدققين ، وحسبنا أن نقف هذا الموقف (السمح) وأن نلمس هذا الشعر لمساً خفيفاً رفيقاً وأن تبرز صفاته العامة ، ونكشف سماته المشتركة ، دون أن ندخل فى التفاصيل فنحكم لشاعر على شاعر ، أو نضع الشعراء فى طبقات كما كان يفعل بعض النقاد القدامى ، فذلك مالا أريده ، أو بالأحرى ما أعتقد أنه عن غرضى بمنأى ، وإنما كان الإنصاف فى مسلكى الذى سلكته لأنه يكفينا من هؤلاء الشعراء أنهم قالوا الشعر فى تلك الأيام الخوالى بل قالوه فى أغراض لم تكن البيئة مهيأة لقبول القول فيها .

ولعلى بهذه الكلمات أكون قد أجبت ذلك الفاضل الذى كتب إلى (يلومنى) على أنى أكتب بقلم المؤرخ لا بقلم الناقد وأتجاوز عن أشعار كان الواجب يقتضينى أن أكشف للقراء بهرجها ، ثم أمضى إلى الغرض .

فى حديثى السابق تحدثت عن شعر النسيب ، وذكرت أن كبار العلماء قد خاضوا فيه ، وفى حديث أسبق تحدثت عن مكانة المدائح النبوية وكثرتها عند السودانيين ، وكان وقع فى نفسى حين وجهت النظر إلى كتابة هذا البحث أنى سأظفر بقصائد رائعة فى الغزل على طريقة (ابن الفارض) فإن جميع الأسباب كانت مهيأة لهذا الغزل الإلهى ، فكثير من العلماء الزهاد شعراء ، وقد بدت رغباتهم فى شعر الغزل . ولشعر ابن الفارض مكانة خاصة عند المتصوفين من هؤلاء العلماء ، ولكن شد ما أخذ منى العجب حين لم أجد من هذا النوع شيئاً تطمئن إليه النفس ، ولاشك أن خلو الشعر السودانى من هذا النوع — وقد تهيأت أسبابه — أمر يدعو إلى العجب .

ولكان الدين عند الشعراء لا تجد الهجاء غرضاً ذا بال فى أشعارهم ، والذين قالوا فى هذا الغرض لم يطيلوا فيه ، بل ربما ذكر البيت والبيتين ومروا به مروراً سريعاً . ومن القليل أن نرى هجاء مستقلا ، وهو — مع ذلك — لا يعدو الطريقة العامة من الرمى بالنفاق والغدر والكبر ، وربما رق الهجاء وتبذل ولكنه بعد ليس أليم الوخز ، ولا نافذ السهم ، يقول الأستاذ صالح عبد القادر يهجو ذليلا أحدث نعمة فطغى أن رآه استغنى ، فى قصيدة مطلعها :

لا تفرحنّ بنعمة ... إن الزمان له انقلاب

وبعد أن وصف الزمان وأنه يحكم برفع الذئاب إلى مرتبة الأسود ، وينقل الملك المظيم من سرير الملك إلى أعماق القبر قال :

ولقد رماك الدهر حـ ... ـتى هنت فى نظر الكلاب
أنا على مـاضيك لم ... نسدل ستاراً أو حجاب
أنسيت نومـك فى الترا ... ب فصرت تحكم فى الرقاب
أنسيت أيام (البليـلة) ... والبسارة والهباب
فغدوت تأكل ما علمـ ... ـت وماجهلت من (الكباب)
جـلّ المهيمن إنه ... يهب الأنام بلا حساب

لا تعرف الملل والكلال ، ثم استقدم أفراد أسرته وسكن القاهرة ناسياً بما لقيه من تشجيع وتنشيط كل ما لقيه فى دمشق من ذل ومهانة ...

وكان التمثيل مجهولا فى هذه البلاد التى قطنها ، ولذا أقبل أهلها على مشاهدة رواياته إقبالا منقطع النظير ، وعاد إليه حظه الباسم وحياته المرحة . ومن أشهر رواياته التى فتن المصريين بها رواية عنترة ، أنس الجليس ، ناكر الجميل ، « متريدات » « عفيفة » .ملتقى الخليفتين ، « الكوكبين » « الأمير محمود » « السلطان حسن » « أسد الشرى » « لويسا » وغيرها من الروايات التى سحر الناس بها ، وزيادة فى الافتتان بهذه الروايات طبعها عازفو فضله وتداولتها الأيدى ، وأمست شغل الناس الشاغل ...

يتبع — دمشق ... حسنى كنعان

وإذا وصل بنا القول إلى هذا الشعر الفكاهى فإنا نقول إن الفكاهة ليس لها مكان فى البيئات المتدينة ، بل إن الشعب السودانى لا يكاد يقبل عليها ، وربما كان لذلك أسباب كثيرة غير التدين ، ومن الممكن أن نقول أنه ليست هنا فكاهة مستقلة . ولقد دأبت بعض المجلات السودانية على أن تنشر طرائف يتفكه بها القراء فكان اعتمادها على ما ينشر فى المجلات المصرية ، ونتيجة لهذا قلت الفكاهة فى الشعر السودانى ، على أنا نلمحها لمحاً فى بعض القصائد ، فهى لا تكاد تأخذ إليها نظر القارىء ولا فكره . وربما جاءت فى أثناء الهجاء ، أو فى معرض شكوى ، أو فى رثاء شىء فقده شاعره ، وقد تكون الشكوى مرة عميقة ولكن الشاعر يسوقها فى شعر خفيف يظنه القارىء يميل إلى الفكاهة ، وما هو إلا الجد فى معرض الهزل ، يقول الشاعر الشيخ حسيب فى (مرتبه) .

أمرتبى مالى أراك (م) قصرت عن نيل المراد
أشكوك أم أشكو إليـك نوازل المحن الشداد
الشهـر باق جله وبقاك آذن بالنفاد
أنا إن حييت سأشترى حظى بأطراف الحداد
أما السيراع فإننى لم أجن منه سوى الكساد
يا صاحب الدرجات والقانون والرأى السداد
أطلق فـداك مرتبى بعض القيود لكى يزاد
رفقـاً بمن قيدته بقيود (ثامنة) شداد
فكأننى وكأنـه ظمآن آل فى وهاد
وكأننى متقـلد من غير ما سيف نجاد

ولقد أعجبنى حقاً هذا التشبيه ، تشبيه موظف فى الدرجة الثامنة ، والحياة عليه قاسية ، ومرتبه لا يفى بضروريات عيشه ، برجل متقلد نجادا ، ولكن ليس معه السيف ، فيخاله الناس صاحب سيف يرد به حوادث الأعداء ، فإذا هو أعزل ليس له من السيف إلا حمالته التى لا تدفع عدواً ، وهذا يسميه الناس موظفا ، ويرونه يروح ويغدو على عمله ، وربما حسدوه ، فإذا هجمت عليه عوادى الأيام ، وحزبته ضرورات العيش ، فتش فى جيوبه ليجد ما يردها ، ولكنه لا يجد إلا نجاد السيف ؛ أما السيف ففى أوهام الناس وخيالاتهم .

وهذه قصيدة فى رثاء ساعة فقدها الشاعر فبكاها ، وليس لشعراء السودان اتجاه — إلا قليلا — للقول فى الأشياء الصغيرة ، وكأنهم لا يرون الشعر إلا ما كان فى مدح أو هجاء أو رثاء ، ولكن هذا الشاعر تظرف فقال فى ساعته :

لى سـاعة معروفة بالصدق فى جنح الظلام
لا الـبرد يوقفها ولا يودى بسرعتها الغمام
اغتالهـا الدهر الخئـون ، وليس سلما للكرام
لم يغن عنها حصنها جيب القباء أو الحزام
أحفيظـة الوقت الثمـين وخير ساعات الأنام
أصبحت بعدك فوضويـا لا أساس ولا نظام
أبدأ تحث على المضـى إلى الأمام إلى الأمام
تغديك سـاعات تؤخـر أو تقدم أو (تنام)

أما الجد فهو السمة الغالبة على الشعر السودانى كله ، ولا سيما حين يفخر الشاعر أو يصور بعض أحوال قومه ، فهذا[1] يقول :

أيها الدهر أنا من معشر حكموا الرأى وهزوا العلما
فاسأل العالم عنا إننا أمة كنا وكانوا عدما
من لقومى إنهم قد أهملوا ما بنى آباؤهم فانهـدما
يا بنى قومى أفيقوا أنكم ما خلقتم لتعيشوا (غنما)
ليتنى أعرف ما أخركم سادة كنتم فصرتم خدما
ولقد يحزننى أنى أرى رأيكم مختلفاً منقسما

وذاك[2] يقول :

كم وقفة لى أبكيت الجماد بما أسمعته وهززت النيل والهرما
حليت عاطل جيد الدهر منه بما ودالنوانى لوأن جيدها نظما (كذا)
مضى زمان وقلبى ممتل ألما وفى فؤادى أسى كالنار مضطرما
حزناً على أمة بالنيل نائمة تشكو الأوار وأخشى أن تموت ظما

وأما القول فى الخمر فهو قليل ، وطبعى أن يقل القول فى هذا الغرض لسيادة التدين على النفوس ، على أنا نجد بعض الشعراء يتغاضى عن عواطف الناس ، ويقول فيها ما يحلو له ، فهذا عثمان هاشم يجاهر بالقول فيها ، مع ما لبيته من مكانة دينية يقول :

أدر الراح علينا باليمين تحت ظل الورد بين الياسمين

(١) هو الأستاذ صالح عبد القادر محرر مجلة (هنا أم درمان) .
(٢) هو الأستاذ عبد الرحمن شوق .

ضن رب الحان للشرب بها واصطفاها إذ رآنا قادمين

ملأ الأقداح منها بعد ما راضها بالمزج من ماء معين

فشربناها غبوقاً فى الدجى ووصلناها صبوحاً بالأذين

وأنا شديد الإعجاب بهذه الاستعارة الفذة (راضها بالمزج) فإن الخمر — على ما أعرف من قراءاتي — تكون كالفرس الجموح فإذا صب عليها الماء هدأت وسكن بعض سورتها ، وكم بين رياضتها بالمزج فى قول هـذا الشاعر ، وبين قتلها بالماء فى قول حسان بن ثابت :

إن التى ناولتنى فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كم بينهما من مشابه يعرفها الخبيرون !

هذا . وبقى أن نسرح النظر قليلا فى أسلوب هذا الشعر ، فنقول إن الطبائع العربية ، واللهجات العربية أظهر ما تكون فى سكان السودان ، وكثير من الكلمات العربية الفصيحة يستعملها العامة كما يستعملها الخاصة ، وهنا — كما فى كل مكان — ألفاظ خاصة لها حظوة فهى كثيرة الدوران على الألسن ، فإذا فتشنا عن هذه الألفاظ لا نجد لهـا فى الشعر أثراً ، كما أنا نفقد الألفاظ الجزلة ، والأساليب الضخمة ، مع أن كثيراً من الشعراء كانت لهم أقدام رواسخ فى اللغة والأدب ، لكن الشعراء مغرمون بالبديع ، وربما تكلفوه تكلفاً ، فالجناس والتورية ، وحسن الابتداء وحسن التخلص ، من مقاصدهم الشعرية ، فمن التورية قول أحدهم في صديق له اسمه شوقي :

إن نسوا ودك يا شوقى فما أنا إلا حافظ ما جهـلوا

وقول الآخر :

ولست بخائف حصرا وعيا وشـوق فيه يعلينى نشيدى

ومن الجناس قول الشيخ عبد الله عبد الرحمن يخاطب الأستاذ على بك الجارم حين زار السودان :

أما استعارات البيان فإنها عبء ينوء به الشباب ثقالا

يجرون أميالا ولا يجرونها ويرون فى طرقاتها الأوحالا

ها (عرضحالى) يا على مقدماً ماحائل من دون عرضى حالا

ومن حسن التخلص قول الشيخ محمد عمر البنا :

وليل بت فيه سمير أنس قرير العين مشروح الفؤاد

كأن صفاء أنجمه علينا أيادى الشهم عثمان الجواد

وللشعراء ولوع بالتأريخ الشعرى ، وله أمثلة كثيرة فى أشعارهم ، وقد ينظمون شعراً يمكن قراءته على وجهين ومن ذلك قول الحبر الجليل الشيخ الأمين [1] الضرير من قصيدة نبوية كبيرة :

حمداً لمن أبدى لنا سبحانه من أمنا بهـداه إذ قد صانه

نسباً صريحاً عن خنى ومكانه فى القرب لم يدرك رسول دوننا

فيمكن جمل هذين البيتين ثلاثة ، فتكون نهاية البيت الأول (أمنا) ونهاية البيت الثانى (عن خنى) وهكذا كل القصيدة .

وبعد فقد امتد بنا نفس القول فى شعر هؤلاء الشعراء الذين كانوا الهداة الرائدين ، وما بلغنا الغاية ، ولكنا سنكتفى بما قلناه ، لنفرغ لشعر شـباب السودان ، ونرى إلى أى شوط جروا فى نهضتهم الشعرية ، ونأمل أن نبلغ من ذلك وطرا ، ونستعين الله ، وبه التوفيق والسداد .

على العمارى

مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

(١) الشيخ الأمين محمد الضرير كان من علماء السودان الأعلام ، ويقول عنه صاحب (شعراء السودان) : « كان سيداً مطاعاً فى عشيرته ، نافذ الكلمة عند الحكام ، شجاعاً ، منتصراً للحق ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وهو عدا ذلك شاعر من الشعراء الفطاحل تنم قصائده عما حوى ذلك الصدر الرحيب من سعة الاطلاع ، والتبحر فى اللغة والأدب » وأقول . وهو كذلك وقد ربى جيلا من علماء السودان وأدبائه لا يزالون يقرون له بالفضل ، ولا يزال العلم والفضل فى ذريته ، وتلاميذه (على) .

الصراع الفكري في تركيا (*)

عرض وتلخيص

للأستاذ محمد محمد علي

إن التفاعل بين الأفكار الإسلامية والغربية موضوع على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للعرب فضلا عن الأتراك الذين احتلوا مركز الصدارة في العالم الإسلامي خمسة قرون ...

اتصل الأتراك بالإغريق ، بعد دخولهم الإسلام في أوائل القرن الحادي عشر ، ثم عن طريق الفلاسفة ، وفي السنوات الأولى من العهد الإسلامي كان الأتراك في شك من نجاح الإسلام المطرد . بيد أن مقدرة الدولة العربية على تنظيم شئونها الاقتصادية والاجتماعية وقفت أمامهم ، ثم إن « شخصية » الإسلام الواقعية والحازمة لاءمت المزاج التركي . ولقد دافعوا في يوم من الأيام بحرارة عن دينهم الجديد .

ويرى البيروني — أكبر رياضي القرن الحادي عشر — أن الحضارة الإسلامية كانت امتداداً للحضارة اليونانية . ومع ذلك فيجب أن نقرر أن المؤثرات اليونانية كانت ضعيفة ، إذ كتب الفلاسفة وناقشوا المشكلات الفلسفية واللاهوتية ، لكن الفكر الإسلامي لم يتقدم إلا بين الجماعات المعارضة وبين هؤلاء الأحرار الذين اشتهروا في تاريخ الإسلام مثل المعتزلة أو العقليين .

ولعل الفارابي — الذي لاينسى أصله التركي — أحد الفلاسفة الإسلاميين الذين حاولوا شرح الأفكار الإسلامية كما جاءت في القرآن مع فلسفة أرسطو وأفلاطون . فقد كان أول فيلسوف إسلامي أعطى أهمية كبرى للأفلاطونية الحديثة في الفلسفة الشرقية ، كما كان أول من عرض مشكلة العلاقة بين الروح والعقل . وجاءت أعمال الغزالي في القرن الثاني عشر مكملة لأعمال الفارابي . وتطورت الروحانية حتى الأزمنة الحديثة واتخذت في النهاية شكلا مغايراً ، وتميزت بتغلب العاطفة على العقل ، ثم فقدت طابعها الفلسفي .

بلغ الفكر الإسلامي هذا الطور في القرن الثالث عشر حينما سيطر السلاجقة على هضبة آسيا الصغرى ، وهم سلالات الأتراك العثمانيين وأجداد سكان تركيا الحاليين . وكان يدرس في مدارسهم الفقه والإلهيات فحسب ، وتشكلت الدراسة دائماً بطابع القرآن الكريم والسنة الشريفة . وفي النصف الثاني من القرن ظهر الشاعر الصوفي والفيلسوف الكبير جلال الدين الرومي (1) فندد بالجهل الذي خيم على الناس تجاه المسائل الفلسفية . ومن الواضح أن العلوم العقلية والفلسفة اليونانية في مظهرها الحقيقي لم تكن قد ظهرت بعد حيث يقطن الأتراك اليوم .

وفي القرن الخامس عشر ، بعد تكوين الامبراطورية العثمانية بقرن ونصف ، كان الفكر الإسلامي لا يزال متخذاً الطابع المدرسي من دراسة الأدب والفقه ؛ ولئن كانت تناقش الفلسفة والعلوم العقلية وأفلاطون وأرسطو ، فإننا لا نلمح أي أثر للروح الفلسفية الانتقادية التي ميزت الفلسفة اليونانية . وفي ذلك الوقت كان الشاب الذي لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره : محمد الفاتح قد اتصل بجيرانه الأوربيين . وقد دخل القسطنطينية عام ١٤٥٣ على أنقاض الحضارة الغربية في الشرق . واهتم السلطان الفتى بالمدرسة الفلسفية اليونانية التي كانت أساساً لجميع الأفكار في العصور الوسطى في غربي أوربا ، وبلغ اهتمامه بدراسة اللاهوت حداً جعله شغوفاً بالمسيحية وكانت رغبته في الواقع هي الدراسة المقارنة للدينين العظيمين والميتافيزيقا ، وذلك ليوجد الاختلاف بين العقل والروح . كان يحاول أن يخلق تفاعلا وتداخلا بين الحضارتين الإسلامية والغربية ، على أن يكون للنظرة الانتقادية المحل الأول .

لكن ينبغي أن نقرر أن هذه الجهود لم تكلل بالنجاح ، وأن تركيا عادت يوماً إلى جمود العصور الوسطى الذي استمر حتى

(*) ملخص مقال الأستاذ عبد الحق عدنان أديفر المنشور في عدد يولية سنة ٩٤٧ من مجلة الشرق الأوسط التي تصدر في واشنطن أربع مرات في السنة . والأستاذ رئيس تحرير الطبعة التركية من دائرة المعارف الإسلامية . وهذا المقال الذي نعرض ملخصه اليوم كان قد تقدم به إلى مؤتمر الشرق الأدنى الذي عقد في جامعة برنستون بالولايات المتحدة من ٢٣ — ٢٥ مارس ١٩٤٧ .

(1) راجع الدراسة التحليلية التي كتبها الأستاذ عبد الوجود عبد الحافظ في العدد ٧٩٥ من الرسالة .

القرن التاسع عشر بل والعشرين ، ففى الفترة مابين فتح القسطنطينية ومعاهدة كارلوتز ١٦٩٩ وصلت الجيوش التركية إلى وسط أوربا وأنشأت علاقات مع الأمم الغربية . غير أن هذه القوة العسكرية عجزت عن تكوين صلات فكرية بين الشرق والغرب . بل إن النزعة الحديثة فى عصر النهضة عادت القهقرى أمام روح الجمود التى سادت فى البلاد الإسلامية .

وبلغت تركيا شأواً كبيراً من التوسع فى القرن السادس عشر ، إبان حكم سليمان الكبير . ومع ذلك لم يتقدم التفكير الفلسفى والعلمى خطوة واحدة مع التقدم السياسى فى عصر المجد والعظمة هذا . وقد لاحظ الأستاذ « كريبر » أنه ليس من الضرورى أن يتفق العصر الذهبى لحضارة مع التفوق والرقى لوطنها فبعد هذا التوسع لم تمط الفرصة لتطور النهضة فى تركيا أمام النزعة التقليدية فى الفكر الإسلامى . وقد عبر جغرافى القرن السابع عشر كاتب جلبى عن يأسه من الأحوال التى أطاحت بالمعارف الإنسانية من معاهد التعليم التركية : « وعلى ذلك سينظر الناس إلى الكون بعيون الثيران ! » . ويوضح ذلك أن نظام كورنيكس ذكر لأول مرة عام ١٦٨٥ فى الترجمة التركية للأطلس الأعظم Atlas Magor .

ويمكن القول إن عام ١٧١٦ تقريباً يعين بدء الاحتكاك بالفكر الغربى ، عند ما كان هناك تجديد وإصلاح فى الجيش التركى ؛ إذ أدخلت الرياضيات الحديثة فى برامج المدرسة الهندسية العسكرية . وفى عام ١٧٢٨ أسس الكاتب التركى إبراهيم متفريقا Muteferrica أول مطبعة ، وبدأ ينشر ما يؤلفه ويحرره عن الحضارة والعلوم الغربية .

ولما شبت نيران الثورة الفرنسية ظهر اتجاه على جديد . إذ أعجب السلطان سليم الثالث بالحركة الفكرية السياسية — فى العالم المتمدن — التى جذبت انتباهه إلى الحضارة الغربية . ففى أوائل القرن التاسع عشر فتحت مدرسة طبية حديثة .

ثم جاء عام ١٨٣٩ فبدأ عهد إصـــلاح جديد ؛ هو عهد « التنظيمات » أو تنظيم الإصلاح . وقد عم تأثيره كل نواحى الحياة السياسية والاجتماعية . وبالنظر فى هذا الاحتكاك بين التفكير الغربى والتفكير الإسلامى فإنه يلوح للباحث أن لا بد من وجود تفاعل وتداخل بين وجهات النظر . إنما هذا التقدم لم يظل قائماً ، لأن طبيعة الدولة الأوتقراطية والدينية ، تعارضت مع تبادل الآراء واحتكاك الحضارات . بل إن هذه الفترة التى استمرت حتى الثورة التركية الصغرى ١٩٠٨ امتازت بالرغبة فى المحافظة على المظهر الدينى للاسلام أمام تيار العلوم الحديثة . حتى أن الكتاب المحدثين الذين درسوا فى الخارج ، لم يترددوا فى الذود عن الأفكار الدينية البحتة ، والمعارضة للحقائق العلمية . على أن هؤلاء لم يؤمنوا بما كانوا عنه يدافعون ؛ إنما دفعهم إلى عملهم هذا ما ظهر من ضرورة الإبقاء على النظام القديم . وفى أواخر عهد عبد الحميد الثانى ، كانت موجة العداء للفكر الغربى شديدة ، بفعل ثورة ١٩٠٨ ، إذ أخرجت كلمة « حكمة » من القواميس بأمر الحكومة ! وبالرغم من كل هذا فقد كانت الأفكار الغربية تنتشر . وقد ترجم أحمد مدحت كتاب ج . و . درابر . تاريخ الصراع بين الدين والعلم . وفى معرض نقده لأفكار المؤلف ، أكد المترجم أن ليس هناك معارضة للعلم فى الإسلام .

ولئن كان المثقفون فى عهد التنظيمات قد حافظوا على العقلية الشرقية ، فإنهم اقتبسوا الجانب الفنى من الحياة الحديثة ، واستطاعت قلة منهم التوفيق بين المعتقدات الاسلامية والعلم الحديث . فكانت الجمعية العلمية العثمانية (١٨٩٧ — ٩٨) المعهد الوحيد الذى كان مشغوفاً بالأفكار الغربية ، إذ جمعت بين المثقفين الأتراك الذين يعرفون لغة أوربية على الأقل ، وأخرجوا : « المجلة العلمية » meimua i funun أول نشرة تركية يستطيع المرء أن يطالع فيها أبحاثاً رائعة . وقد اتخذوا وجهة نظر فلسفية علمية ، ولم يلقوا بالا إلى الجمود الدينى للعلماء الرسميين [علماء الرسوم] Ulema i rusum ولسوء الحظ لم تعمر هذه الجمعية طويلاً وذهبت معها مجلتها . وباختفائها صادرت الحكومة كل الانتاج الفكرى الفلسفى . وفى نهاية عهد التنظيمات لا يكاد الباحث يعثر على أى أثر لاحتكاك الأفكار الشرقية والغربية فى تركيا . ومع ذلك فإن غزو التفكير الغربى كان سائراً إلى الأمام بفضل المدرسة الأدبية التى عرفت باسم Servet i funun ومجلتها

وقامت الثورة التركية الصغرى فى ١٩٠٨ وامتد لهيبها إلى النواحى السياسية ، وتبع ذلك نشاط ثقافى ، فأدخلت الفلسفة

وعلم الأديان المقارن فى دراسات كلية الآداب بجامعة اسطنبول ومهدت الحرية السياسية الطريق لحرية التعبير وأصبح فى الامكان نقد الأديان . وفى أول العهد الدستورى ترجمت كتابات وآراء بعض الماديين فى القرن التاسع عشر مثل لدفيج بختر ، وإرنست هيكل كما كثرت المناقشات حول آراء ڤولتير وروسو وباقى الانسكلوبيديين .

كان الصراع الفكرى على أشده — وإن لم يكن واضحاً ، واتخذ كل جانب موقفاً عدائياً تجاه الآخر. وفى وسط هذه المعركة قام الاجتماعى التركى زيا جوك ألب بدور الوسيط بين الجماعات المتحاربة ، وحاول أن يوفق بين التفكير العملى الغربى وبين التفكير الإسلامى الدينى . وهو كتلميذ مخلص لدور كهيم قد ميز بين المدنية Civilisation والحضارة Culture . ورأى أن تركيا ينبغى أن تقتبس من المدنية الغربية على أن تحتفظ بشخصيتها القومية . ولطالما نصح مواطنيه بألا يهملوا الإسلام وحضارته ولا يغضوا الطرف عن المدنية الغربية . ولئن كان واضحاً فى إعلانه عن ضرورة الاقتباس من العلوم والفنون الحديثة ، فإنه كان غامضاً فى مسألة الفلسفة . رأى أن يكون للأتراك فلسفة قومية لكنه لم يحدد ما يجب أن تكون عليه هذه الفلسفة ، إذ كان متردداً بين آراء دور كهيم الاجتماعية وفلسفة برجسون الروحية . إلا أنه لم يعمل على إعادة الوفاق بين الاتجاهين ؟ لأن هذا كان عملا شاقاً .

لقد كان لتعاليم زياجوك ألب تأثير عميق على تلاميذه وأصدقائه أعضاء جمعية الاتحاد والترقى الصغرى . وفى رأيه أن قانون الأسرة الذى وضعه من قبل فقهاء المسلمين لا يجوز إجراء تعديل فيه . وكان لسان هذه الحركة : مجلة جمعية الاتحاد الترقى yeni MeJmua التى ظهرت رغم طابع للدولة الدينى — التى كان يرأسها الخليفة صاحب السلطتين : الدينية والزمنية .

غير أن أسوأ خطر وقع فيه زياجوك ألب هو ترجمته كلمة علمانى laic بـ (لا دينى) ، الأمر الذى أدى إلى نشر العداوة بين شيوخ المسلمين .

وقد عبر عن الاتجاه الإصلاحى فى ذلك الحين مجلة « الصراط المستقيم » التى عرفت بعد باسم « سبيل الرشاد » والتى صبت جام سخطها على زعماء الحركة التحريرية التى قادها زيا جوك . وامتازت هذه الفترة من تاريخ تركيا بتغييرات الحكومة الفجائية وبأعمال المعارضة التى كان من هدفها السياسى تحريك الأتراك المسلمين ضد حكومة الاتحاد والترقى وذلك بتفسير محاولة الجمعية فى الإصلاح بأنها إلحاد فى الإسلام .

وبعد عام ١٩١٢ لم تكن هناك فرصة للنشاط الثقافى بسبب حروب طرابلس والبلقان ثم أوربا . وكانت الحكومة التى أسستها قوات الاحتلال قد قضت على كل العواطف الدينية بين الناس حتى تقضى على بوادر الحركة التحريرية والاستقلالية . إذ تطورت هذه الحركة أخيراً ، وأصبحت منظمة قوية حالفها النجاح بعد أربع سنوات من اليأس . وليس من شك فى أن الأتراك — باهتمامهم بهذا الكفاح — لم يكن لديهم فرصة لمناقشة المسائل الثقافية .

وأنشأت الحكومة التركية الجديدة فى أنقرة ، وأطاحت بالسلطنة عام ١٩٢٣ وتركت الخليفة فى اسطنبول بغير سلطة ولا قوة ، ثم ألغت الخلافة بعد ذلك بعامين ، مع المحاكم الشرعية وكل المعاهد الدينية فى أنحاء البلاد . وصبغ الدستور الجمهورى بالصبغة العلمانية ، وذهبت جهود المدافعين عن الإسلام مع الريح أمام تشدد الجمهورية فى التصريح بهذا التفكير . وكانت التيارات الغربية قوية جارفة ، لدرجة أنه كان يصعب على المرء أن يطلق عليها تفكيرا ، بل هى « تقاليد رسمية للالحاد » وبتفسير لغة الأستاذ جب الخيالية ، يقال إن تركيا قد أصبحت مقبرة جميلة ... !

ولم تتردد الجمهورية فى أن تعلن أنها حامية العلوم والمدارس الفكرية ، وحاولت أن تجعل الدراسة فى جميع المعاهد على أسس الخير والحق والجمال ! وظهر الجيل الجديد بعد عشرين عاماً من غير أن يتذوقوا لتعاليم الدين طعما . واليوم يحتل الفكر الغربى الجديد محل الفكر الإسلامى القديم . وليس فى الإمكان أن نحدد تاريخاً لظهور النزعة الحديثة مع التداخل بين الأفكار الإسلامية والغربية فى تركيا ، فليس هناك تفاعل حقيقى ، إنما هناك طغيان للأفكار الغربية .

وفى ديسمبر ١٩٤٦ تقدم نائبان فى الجمعية الوطنية — أثناء

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٢)

(١) النفس عند ابن سينا (٢)

للأستاذ كمال دســـوقي

حدثتكم فى المقال الســابق عن موضع دراسة النفس من العلوم العقلية عند ابن سينا ، أعنى أين يقع علم النفس من قائمة العلوم ولوحة المعارف عنده ، وأين كان يعالجها فى معظم كتبه ؛ فربطتها لكم بما يسبقها من الأمور الطبيعية الكلية التى قلت لكم إنها دائماً آخرها ، وبما يتلوها من القول فى الإلهيات ؛ التى قلت لكم إنها تمهد لتناولها فى نقطة « العقل الفعال » . واليوم أحدثكم عن موضع النفس ذاتها من سلسلة الوجودات المادية

مناقشة ميزانية وزارة المعارف — بسؤال عن مستقبل المعاهد الدينية ، وخاصة تلك التى يدرس الشعائر الدينية فيها أفراد معينون ، إذ أن هذه الدراسات لا ترعاها الحكومة ، وأن هؤلاء الأفراد المعينين ليسوا متخصصين فى طرق إعداد المعلمين . فأجابت الحكومة إجابة تهرب من السؤال ، إذ خشيت رد الفعل الدينى الذى قد يهدد نظم الجمهورية الحديثة . وبعد أيام انتقلت هذه المناقشة إلى اللجنة المركزية للحزب الحكومى . وهذا الحادث — الذى لا يعتبر غير غريب فى الغرب — ذو أهمية كبرى فى تركيا اليوم ، لأنه فى العشرين السنة الأخيرة لم يكن ممكنا حدوث مثل هذه المناقشة فى أى نوع من الاجتماعات السياسية أو الثقافية .

وعندما يبزغ نور الروح الانتقادية فى تركيا ، فإن التفاعل بين الأفكار الاسلامية والغربية سيتخذ شكلا موحدا واضحا . وربما ينتج عن هذا التفاعل إصلاح دينى فلسفى فى حدود الشكل العلمانى للجمهورية . غير أنه عندما يحدث إصلاح من هذا النوع هل تستطيع تركيا أن توجد منابع تراثها الثقافى وتخلق حركة ثقافية متكاملة ؟

تلخيص

محمد محمد على

قسم الجغرافيا بجامعة فؤاد

والروحية ، وصلتها بما فوقها وما تحتها — قبل الدخول فى تفصيل قواها وملكاتها — فإن النفس تشغل فى مذهب ابن سينا فى الوجود مكاناً لا يقل دقة واطراداً عن المكان الذى رأيتم أن علم النفس يشغله فى تصنيف العلوم العقلية عنده .

وحين نقول الإلهيات théologie فإنما نعنى بها ما كان يسميه أرسطو ما بعد الطبيعة Metaphyzique فإن الإسلاميين قد حولوا هذا العلم لأرسطى إلى ما يرضى عقائدهم ، ويؤيد إيمانهم ؛ حولوا ميدانه إلى « النظر فى الواحد ولواحقه بما هو واحد » أى النظر فى الله الواحد والكثرة التى تنشأ عنه ؛ لأن كل موجود عند ابن سينا يصح أن يقال له فى ذاته واحد (النجاة ص ٩٨:) ، وكان أرسطو حين نظم هذا العلم وعرض فيه آراء سابقيه يحدد موضوعه بأنه « البحث فى الوجود بما هو موجود » فلا يعترض عليه أن يبحث فى الواحد ويدلل على الألوهية ، بل يترك له تحقيق ذلك إن استطاع .

على أن مشكلة ابن سينا فى هذا الصدد لم تكن إثبات الوجود ، ولا واجب الوجود بقدر ما كانت مشكلة صدور الخلق عن الخالق ، وكيف ينشأ هذا الوجود المتكثر — الذى لا شك فى كثرته — عن الإله الواحد — الذى لا شك فى وحدانيته ؛ خصوصاً وأن الواحد عنده وفى مذهبه لا يصدر عنه إلا واحد ، وواحد فقط ؟

ولما كان مذهب أرسطو وحده لا يعينه على إثبات هذه النظرية لانتقاله من الكثرة إلى الواحد ، ولما فيه من تفسير مادي عقلى قد يتعارض مع الدين — مما يتحاشاه كل فيلسوف متأثر بالدين ، فإن مذهب أفلوطين كان أقرب إلى إثبات ذلك منه . وأفلوطين قد ذهب إلى أن الخلق يفيض عن الخالق ، وأن الوجود يصدر عنه بمحض الجود . فيتبعه الإسلاميون فى هذا ، كما تبعوه فى غيره ؛ سواء من علم منهم أنه لأفلوطين — على اختلاف بينهم — فأوقعهم ذلك فى القول بقدم العالم من حيث لا يشعرون .

ويذهب ابن سينا فى ذلك إلى تصنيف الموجودات من حيث الجهة إلى واجب الوجود ، وكل واجب أو ممكن فهو إما بذاته أو بغيره ، ومن هذين التقسيمين الثنائيين مجتمعين تنقسم

الموجودات إلى واجب الوجود لذاته ، وممكن الوجود بذاته ، ثم إلى ممكن بذاته واجب بغيره .

وواجب الوجود عنده — كما تجدون فى المقالتين الأولى والثانية من إلهياته هو الوجود الذى متى فرض غير موجود عرض منه محال ؛ أما ممكن الوجود فهو الذى إذا فرض غير موجود أو موجوداً لم يعرض منه محال . فالواجب الوجود هو الضرورى الوجود ، والممكن الوجود هو الذى لا ضرورة فيه بوجه — يعنى فى وجوده أو فى عدمه — فليس وجوده أولى من عدمه إن انعدم ، ولا العكس إن وجد ، فهو الذى ليس ضروريا ولا ممتنعاً . وواجب الوجود — كما قلنا — قد يكون واجباً بذاته وقد لا يكون بذاته ، فواجب الوجود لذاته « هو الذى لذاته لا لشىء آخر » ، أى أن مجرد افتراض العدم فيه محال . وأما واجب الوجود لا بذاته « فهو الذى لو وضع شىء مما ليس هو صار واجب الوجود » . فالأربعة مثلا واجبة الوجود لا بذاتها بل بفرض اثنين واثنين مجموعين أو مضروبين . والاحتراق واجب الوجود أيضاً لا بذاته ، بل بفرض تلاقى القوة المحرقة بالقوة المحترقة (ص ٢٢٤) .

وأدلته فى إثبات واجب الوجود كثيرة ليس عليكم أن تحيطوا بها ، وحسبكم أن تتبينوا أن كثرتها إنما جاءت من تسليمه بها قبل البدء فى البرهنة على ما يريد . فأعانه « سبق الإصرار » هذا كما يقال فى لغة القانون ، و « الفكرة الثابتة » هذه — كما يقال فى علم النفس ؛ على أن ينتزع كثيراً من البراهين يؤيد بها قضيته . وإلا فما كان له أن يثبت — وما كان لقارئه أن يفهم أن « كل شىء يكون كافياً فى أن يوجد بذاته فهو واجب الوجود » لو لم يتمثل فى قرارة نفسه صورة الله الذى يؤكد له الوجود والوحدانية والخير وأنه عقل وعاقل ومعقول ، وأنه عاشق ومعشوق ، وأنه لذيذ وملتذ ... ولماذا لا يلتذ من يشعر بكماله حين يتأمل نفسه .

ذلكم أن تأمل الله لذاته هذا يحدث له لذة من ناحية ، ويحل مشكلة ابن سينا من ناحية أخرى . فمن هذا التأمل يصدر الفيض الإلهى ويكون الخلق . فينشأ أولا عقل أول هو واجب الوجود بالله ممكن بذاته . وهذا العقل الأول حتى الآن واحد وروحى ، ولكنه يتأمل الله من ناحية ، ويتأمل ذاته من ناحية أخرى . فمن تأمل العقل الأول لله ينشأ العقل الثانى ، وعن تأمله لذاته ينشأ الفلك الأول جسمه ونفسه . ثم إن هذا العقل الثانى من حيث أنه واجب الوجود بالأول يتعقل هذا الأول فينشأ العقل الثالث ، ويتعقل من ناحية أخرى ذاته — من حيث هو ممكن الوجود بذاته — فينشأ جسم الفلك الثانى ونفسه ، وهكذا يظل كل عقل يتأمل وجوبه بغيره فينشأ عنه عقل أدنى . ويتأمل إمكانه بذاته فينشأ عنه جسم ونفس الفلك المرتبط به حتى ينتهى الأمر إلى العقل العاشر المدبر لعالم الكون والفساد ، وهو العقل الفعال الذى تتصل به نفوس البشر .

فالعالم العلوى إذن يتركب من سلسلة متراكبة Hiérarchie كل حلقة فيها تحتوى على ثلاثة أشياء : عقل ، وفلك ، ونفس . وعلى رأسها جميعاً واجب الوجود لذاته الذى لا يبدع إلا العقل الأول ، وهذا يبدع لأول مرة ثلاثة أشياء . عقلا ثانياً ، وفلكا نفسياً ، وجسمياً . وهكذا تتكرر العملية حتى تخلص لنا عشرة عقول وتسعة أفلاك ؛ آخرها فلك القمر وكرة الهواء المحيطة بالأرض

وأترك لكم تصور هذا العالم العلوى كما تشاءون ، ولكنى أود أن تلاحظوا معى على هذه النظرية الفروض الآتية :

أولا : افتراضها منذ البدء أن الله واجب الوجود لذاته ، وأنه عقل وعاقل ومعقول .

ثانياً : تسليمها بأنه واحد ، وأنه لا يصدر عن الواحد إلا الواحد — بالنسبة لله على الأقل .

ثالثا . قيامها على تعقل الله لذاته وتأمله لنفسه — وكذلك الأمر فى العقول الأخرى كل بدوره — كأساس للخلق ، ومبدأ للجود الإلهى . كما أريدكم أن تقفوا بعقولكم طويلا عند مناقشة مآخذها التالية .

أولا : أنها — وقد وضعت قانونا عاماً ، هو أنه لا يصدر عن الأحد إلا الواحد - قد قصرت تطبيقه على واجب الوجود وحده ثم تجاوزته فى الحال مع العقل الأول لجعله يخلق ثلاثة أشياء بدلا من شىء واحد . مما يجعلها متناقضة مع ذاتها منذ اللحظة الأولى — إلا أن يكون ابن سينا قد قصد « بالواحد » هنا الله وذلك ما لا يدل عليه قوله هذا الذى سبق أن بينت لكم مرجعه فعودوا إليه ، فقد لا تجدون فيه هذا التناقض الذى أجد .

ثانياً : وما قلته فى الوجود تنشأ عنها الكثرة ، يقال مثله فى الروحية تنشأ عنه المادية . فقد أراد ابن سينا من توسيط العقل الأول بين الله والموجودات أن يُبعد عنه صدور الكثرة من ناحية والمادة من ناحية أخرى ؛ لأن الله ليس بمادى ، ولذا كان العقل

الأول الصادر عنه غير مادي أيضاً ، ولكن كيف يتأتى لهذا العقل الأول أن يخلق بتأمله (الذي هو عقل روحي) مادة الجسم الأول نفسه ؟ هذا تناقض وغموض آخر .

ثالثاً : أن هذا المذهب يقف بالفيض عند الفلك العاشر ، فلك القمر وكرة الأرض ؛ أي العقل الفعال . ولا يبين لنا كيف تفيض أشياء هذا العالم عن العقل الفعال ، وهل هي تفيض عنه بعلم الله أو بغير علمه ، فذلك – فيما أظن – هو الذي حدا بابن سينا إلى أن يقصر علم الله على الكليات دون الجزئيات . (النجاة ص ٢٤٧) . واعتبر الغزالي ذلك كفراً صريحاً ؛ لأنه تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض . « كما أنك إذ تعلم الحركات السماوية كلها ، فأنت تعلم كل كسوف وكل اتصال وانفصال جزئي ، فكذلك الإله يعلم الجزئيات ولا يعزب عنه شيء شخصي » (الغزالي : المنقذ من الضلال ، طبعة دمشق الثالثة ص ٩٥) ، رداً على ابن سينا (النجاة ص ٢٤٨) .

والنتيجة الضرورية لهذا المذهب الأول بقدم العالم – وإن لم يستطع ابن سينا أن يقول به صراحة . فإن الله قديم ولا شك . وما دام العالم ينشأ عنه تعقله لذاته على هذا النحو ، وتعقله لذاته صفة لا تنفك عنه ، فلا بد أن يصدر عنه هذا الفيض منذ الأزل لا سيما أن العقل الأول واجب الوجود به ؛ بمعنى أنه يفترض وجوده منذ افتراض وجود خالقه تبعاً لتعريفه هو لواجب الوجود فوجوب وجوده ضروري لا من حيث أنه ممكن بذاته ؛ بل من حيث هو واجب بالله . وبمثل ذلك يكون العقل الثاني ضروريا بالأول . وهكذا تستمر السلسلة ويتم الخلق بهذا الفيض الأزلي القديم عن الله الأزلي الواجب الوجود .

ومهما يكن من أمر هذه النظرية فهي لا تعدو أن تكون مزيجاً من نظرية أرسطو في عقول الأفلاك ، ومن مذهب أفلوطين في فلسفة الإشراقية التي ظلت مورداً يفيض بالخصب والوفرة في كل فلسفات الأديان . وقد جارى ابن سينا هذه الأفلاطونية المحدثة ، فقال بما قالت به من خيرية الله ، ونزوع الكائنات إلى أن تنجذب بالشوق ، وأضاف إليها ما كان قد تأثر به من قول أرسطو – وما كان شائعاً لعصره – من حركة الأفلاك السماوية حركة دائرية حول عقولها لتصل إلى الواحد ، وازدياد شوقها أبداً للوصول إليه وإن كان ذلك الوصول بعيداً عنها ؛ إذ الكواكب في رأي ابن سينا حيوانات مطيعة لله تعالى (ص ٢٥٨) ولكل منها عقل يديره كما أن له نفساً تحركه . وقد ساهم هو فيما كان شائعاً بين معاصريه من أن كل كوكب من كواكب الأفلاك يشبه إلهاً من آلهة اليونانيين ، فالشمس للحرارة ، والقمر للرطوبة والمريخ للغضب ... الخ وهذه الأفلاك التسعة أجسام سماوية تؤثر حركتها في نفوسنا وأجسامنا – مما تأثر فيه الفارابي في « مدينته الفاضلة » ، ومما عابه عليه ابن رشد حين طعن الغزالي بأقواله هذه على الفلسفة .

أرأيت إذن موضع النفس في ترتيب الموجودات عند ابن سينا ؟ الأفلاك لها نفوس تحرك أجسامها في العالم العلوي ، والأجسام النباتية والحيوانية والإنسانية لها نفوس تحركها في العالم السفلي ، وبين العالمين يقف العقل الفعال وسيلة وواسطة اتصال . وفوق العالم العلوي كله الجوهر المفارق غير الجسم ، والصورة المجردة ؛ الذي هو الله ، والعقول العشرة المدبرة التي تتأمله وتتعقله ، وتحت العالم السفلي كله الهيولي أو المادة الأولى التي هي محل نيل الوجود في كل موجود ، وفي كل طبقة فيما بين ذلك جملة موجودات ذات مواد وصور متنوعة شتى .

وحسبكم إذن هاتان المقالتان في التقديم لدراسة النفس عند ابن سينا ، ولنشرع منذ المقال التالي في تحليل الفصل المطلوب إليكم دراسته .

كمال دسوقي

أنشـــودة منتحر (*)

للشاعر عبد الوهاب البياتى

« ليلى » أحس على فمى شفة … صـفراء تصبغ بالدماء فمى
وجناحَ خفاش يطيرُ على … قبرى فيملأ بالرؤى حُلمى
وأرى يداً سوداء تصفعنى … وتشد شعرى شد منتقم
وأرى غطاء القبر متفتحاً … وجحافل الديدان والظلم

وأرى عيوناً كلما اختلجت … أهدابها رفتْ على غسق
الريح معولة كأن صدى … إعوالها ما زال فى الأفق
وأنا وأحلامى وملهمتى … والحب حول الموقد الخنق
وذوائب النيران راقصة … فى جوفه وسنانةَ الحدق

نتلو عليها وهى جالسة … أقصوصة أبطالها قتلوا
كانوا على قلع فداهمهم … جوٌّ مطيرٌ عاصفٌ هطلُ
فتحطم القلع الصغير ولم … ينج الذين إلى المدى رحلوا
فتجود عيناها بلؤلؤة … وعلى فمى تتهافت القُبَلُ

وبلحظة ما زلت أذكرها … وعويلها ما زال فى أذنى
هملت عيون الليل وانتحرت … بيض النجوم على فم الدَّجن
فتبسمت ليلى وما ابتسمت … إلا لتحبس دمعة الحزَن
لكنها انحدرت … لتقتلنى … وتضىء للديدان فى كفنى

والنور يعكس ظلها قلقاً … فأكاد أرشف ذلك الظللا
عبرى … تقول : أكنت فى خدر ؟ … أم كنت فى حلم وقد ولى
مالى أراك صغرت فى نظرى … لما اغتصبت من الهوى قبُلا ؟
وشحبت حتى لم تعد حلماً … هلا أعدت رسائلى هلا !!

يا لحظة ما زلت … أذكرها … كالخنجر المسموم فى كبدى
عودى إلىَّ ! لعل ملهمتى … عادت إليك فتدفنى لى يدى
عودى إلى ! فقد عفا كفنى … وامتد صمت القبر فى خلدى

وامتصت الديدان — جائمة — … حتى خطايا حُبىَ النكِد
ما زلت أذكر موقفى وأنا … فى ظلها متلطف . . غَزِل
ما زلت أذكر ليلة — هربت … روحى — وتبقى وهى تشتعل
ما زالتُ أذكر دمعها هميلاً … وشفاهها تطفو بها القُبَل
والريح ماطرةٌ … وملهمتى … تُخفى رسائلنا وترحل

والمدوَرةُ السوداء … والقمر … ما زال يسخرُ مِنى القمرُ
والبحر يفتح صدره حدباً … ويضمنى فى صدرِه النهر
والموجُ يفهق هاصراً رئتى … حتى تراقصَ وهى تنفجر
والريح تهمس وهى عابرة : … ظلٌّ على المرآة ينتحر

ما زلت أذكر لحظة هربتْ … منى وراء الريح والزمن
ما زلت اذكر — والربيع على … قبرى يحوك الورد من كفنى —
… كفاً مشوهة … وساحرة … شمطاء تغسل باللظى بدنى
ويداً تدحرجنى إلى نفق … خاوٍ فتصفعنى يد العفن

« ليلى ! » أحس على فمى شفة … صـفراء تصبغ بالدماء فمى
وجناحَ خفاش يطير على … قبرى فيملأ بالرؤى حُلمى
وأرى يداً سـوداء تصفعنى … وتشد شعرى شد منتقم
وأرى غطاء القبر منتفخاً … وجحافل الديدان والظلم

« بغداد » عبد الوهاب البياتى

(*) من ديوان (ملائكة وشياطين)

الأدب والفن في أسبوع

حرية الأدب :

أمن الأوفق للأدب أن تكون له خطة مرسومة ، أم تترك الحرية للأديب في اختيار الخطة التي يجب أن يسلكها ؟ هذا هو السؤال الذي أثار به الأستاذ عبد الوهاب خلاف بك نقاشا حمي وطيسه في إحدى جلسات مؤتمر المجمع اللغوي ، تعقيبا على محاضرة الأستاذ محمد رضا الشبيبي في « النهضة الأدبية في العراق » التي قال فيها : إن مما مني به الأدب أخيراً في العراق فقدان خطة عامة مرسومة للنهوض بالأدب وباللغة العربية في البلاد

قال الدكتور طه حسين بك : أعتقد أن معالي الأستاذ المحاضر لم يرد التحدث عن خطة مرسومة للأدب بل عن خطة للنهوض بالثقافة في العراق ، وهذه الخطة — من غير شك — تساعد على نهضة الأدب وتحول بينه وبين التورط في كثير من الأزمات الثقافية .

وقال الدكتور أحمد أمين بك : أنا لا أوافق على أن يكون الأدب طليقا كل الطلاقة ، وأرى أن يوضع له منهج لا يصادر حرية الأديب ، ولمجمعنا أن ينظر مثلا أغاية الأدب أن يلتذ به كما يلتذ بلون الزهرة وطيبها ، أم ترى غايته خدمة المجتمع والنهوض به ؟

فقال الدكتور طه : أنا لا أعرف للأدب غاية إلا التعبير عما في نفس الأديب ، والأديب الذي يحترم نفسه قد لا يكتب ليلذ القارىء بل ليغيظه ويحنقه ، كما أنه لا يكتب ليخدم غرضاً اجتماعياً بعينه .

وقال الأستاذ الشبيبي : إني آسف لأني طويت صفحة كاملة من صحف هذه المحاضرة تتعلق بموضوع حرية الادب ، وأن الأدب لا ينبغي أن ترسم له خطط ، وأنا أوافق على التفرقة بين الأدب والثقافة من حيث حرية الأول وتنظيم خطة للثانية .

ثم قال الدكتور أحمد أمين بك : إنما أريد للأديب توجيهات وللأدب غاية ، فقيام النقد الأدبي على أساس صحيح معناه أن هناك عناصر وقواعد عامة يشير عليها النقاد ، فالحرية المطلقة التي يدعون إليها هي هدم للنقد الأدبي ، وأنا أريد من المجمع أن يضع توجيهات عامة في الأدب يسترشد بها الناقد والأديب ، ويصح أن ندخل في حسابنا عند وضع هذه القواعد كون الأدب ذا فائدة اجتماعية أو أنه يطلب لذاته .

وشبه الأستاذ العقاد الأدب بالوردة ، فلا يجب أن يخدم المجتمع .

وكان ختام المناقشة في الموضوع قول الدكتور طه : إن القوة التي ترسم خطة للأديب لم تخلق بعد ، وأرجو ألا تخلق ، فالأديب حر ، والناقد حر ، وليس هناك ما يصح أن نسميه خطة للأدب ولو كان نقدا .

تعقيب :

تفرعت المناقشة في حرية الأدب إلى المسألة الثانية وهي خدمته المجتمع ، والأمر في مسألة الحرية واضح ، فلن يستطيع أحد أن يلزم الأديب بأن يسير على نهج معين أو يتجه إلى غاية مرسومة ، وحقاً إن غاية الأدب التعبير عما في نفس الأديب كما قال الدكتور طه ، ولكن ما هي نفس الأديب وماذا فيها إن لم يكن الشعور بما يضطرب في حياته التي هي جزء من حياة المجتمع ؟ أليست نفس الأديب نفس إنسان يحس بما يدور حوله ويتأثر به ، ويعيش مع الناس في بؤسهم ونعيمهم ويشعر نحوهم بتبعات وواجبات ؟ أوليس في نفس الأديب ذخيرة من هذا كله فيعبر عنها بأسلوبه الفني ويؤثر في النفوس بصوره الأدبية ويوجهها إلى مثل عليا ؟ وهو في ذلك يتمتع بتمام حريته لم يقسر على شيء ولم يرسم له أحد طريقاً ولم يخرج عن نطاق التعبير عما في نفسه .

لا شك أن الأصل هو ما في النفس ، والتعبير صورة له ، فإذا كان الأدب لا يخدم المجتمع فمعنى ذلك تجريد النفس من الشعور الاجتماعي أو كبت هذا الشعور ، والأول ينفي القيمة الإنسانية عن الأدب ، والثاني لا يتفق والحرية في التعبير .

على أن الأديب حينما يستجيب للمجتمع إنما يستجيب لنفسه لأنه جزء منه ، فإن لم يستجب له كان أدبه أدب عزلة وجمود .

حديث مستشرق عن الشعر العربي :

انتهزت كلية الآداب فرصة وجود مستشرق إنجليزي في

رحلة بالشرق الأوسط ، وهو الدكتور ألفرد جيوم أستاذ الأدب العربي بجامعة لندن ، فدعته إلى إلقاء محاضرة بالجمعية الجغرافية الملكية ، فلبى الدعوة وألقى يوم السبت الماضي محاضرة موضوعها « الشعر العربي » بدأها بالإشارة إلى الصعوبات التي تعترض المستشرق عند قراءة الشعر العربي من حيث الوقوف على معانيه ، وقال إنه كثيراً ما يغمض عليه معنى بيت فيبحث ويسأل عنه على غير طائل ، فيتذكر قول شاعر انجليزي سئل عن معنى بعض شعره : عندما قلت هذا الشعر كان هناك اثنان يعرفان معناه الله وأنا ، أما الآن فالله وحده هو الذي يعرفه .

وقال إنه لا يقف عند القصائد التي تصور البيئة المحلية فإذا رأى قصيدة في وصف الناقة خطر له أن يسلك مع قائلها طريقة أبي العلاء المعري في رسالة الغفران ، وذلك بإحياء الشاعر وإسماعه قصيـــدة في وصف السيارة تتضمن أسماء أجزائها ، وما يتعلق بها من المصطلحات انتقاما منه ...

أما الذي ينال إعجابه فهو ما في الشعر العربي من التعبير عن العواطف الإنسانية ، والمشاعر الروحية وتصوير جمال الطبيعة ، فهذا يسر له كل إنسان يتمتع بالحاسة الفنية في كل أمة ، وقال إن القصائد التي تعبر عن ذلك في شعر العرب تعد من روائع الآداب العالمية ، وأتى بقطعة من شعر عمر بن الفارض ووقف عند بعض أجزائها وقفة المتذوق الفطن ، وعلق عليها قائلا : إننا في هذا الوقت الذي يضطرب فيه العالم في خضم المنافع والماديات نستروح بروح الشعر وشعر الروح مما قاله منذ قرون ذلك الشاعر الصوفي العربي الذي يعد من أعظم شعراء الدنيا .

وأتى بقطع لمختلف الشعراء في مختلف العصور ، ودل على مواطن الجمال فيها ، وقد ذهب في اختياره بعض القطع ، واستحسانها مذهب ابن قتيبة في قوله : ليس كل الشعر يختار لجودة اللفظ والمعنى بل لأسباب أخرى منها إصابة التشبيه .

وختم الدكتور جيوم محاضرته بأنه يعتبر نفسه سعيداً لأنه يدرس الأدب العربي لطائفة من شباب الإنجليز بجامعة لندن فيقرب إليهم موارد الشعر الذي يعبر عن روح الأمة العربية التي لا تقيم على ضيم .

وقد كان المحاضر — على التواء لهجته — دقيقاً في التعبير والإعراب ، ومما استرعى التفاتي إليه انسجام إلقائه ونبراته مع ما يتحدث عنه ، فكان يلقي ما أعده في الورق وكأنه يرتجل بلغته الأصيلة .

كشكول الأسبوع

* أعلنت دار الهلال أنها ستعيد نشر روايات تاريخ العرب والإسلام لجورجي زيدان ضمن سلسلة « روايات الهلال » التي اعتزمت إصدارها .

* تلقت مشيخة الأزهر من لجنة نوبل أن اللجنة ترحب بأن يتقدم لها علماء الأزهر برسائلهم وبحوثهم لنيل جائزة نوبل .

* نشأ خلاف بين الدكتور محمد عوض محمد بك مدير معهد الدراسات السودانية وبين الدكتور زكي محمد حسن عميد كلية الآداب على بعض الشؤون المتعلقة بالمعهد وقد دعا ذلك إلى التفكير في استقلال معاهد الدراسات العليا عن كلية الآداب .

* طلب استديو مصر من وزارة الشؤون الاجتماعية الموافقة على تعريب نطق فلم « هملت » الذي عرض أخيراً بمصر . وقد وافقت الوزارة على ذلك .

* تقرر إنشاء محطة إذاعة مؤقتة في مكة لإذاعة مناسك الحج في الموسم القادم .

* قال الأستاذ شفيق غربال بك في حديث بجريدة الزمان : إن الإذاعة لم تستغل حتى الآن بالقدر الكافي لخدمة الثقافة العامة .

* في الإذاعة ركن للفلاح لا يعرف الفلاح عنه شيئا لأنه لا يستمع إلى الإذاعة ، وهي نعمة ...

* تساءل الأستاذ فتحي رضوان المحامي في مقال بالهلال : ما هي الأفكار الجديدة التي بشر بها شيوخ هذه الأيام فلقيت رواجا ؟ ومن منهم ثبت على شيء من الأفكار المتطرفة التي بدأوا بها حياتهم ؟

محاضرات مزعومة :

لا يزال بنفسي أثر من الروايات (البوليسية) ، التي كنا نقرؤها في الصغر ، فعلى رغم الزمن الذي مضى مذ « شب عمرو عن الطوق » فإن تلك القراءة لم تنمح آثارها وإن خدعنا الظاهر لأنها غائرة في الأعماق أو في العقل الباطن كما يعبر علماء النفس .

ذلك أني ارتبت في اسم من الأسماء ، التي تنشر دائماً في « محاضرات اليوم » بالأهرام ، فحلت بي روح المغفورله (أرسين لوبين) وجلست في الشرفة أنظر إلى الأفق البعيد وأنفث دخان السيجار لترسم خطوطه المتموجة في الفضاء سطور الشك ...

كيف أوتي صاحبنا المقدرة على أن يلقي محاضرة كل يوم والمفروض أن المحاضرة فكرة تحتاج إلى وقت لتنضج في الذهن ، وتختمر قبل أن ترتجل إن لم تحبر ... ؟ ألا يمكن أن يكون في الأمر دخل لروح العصر عصر السرعة ، فيكتفي بعنوان المحاضرة ليجيز نشر الاسم الكريم ولا حاجة إلى العناء بالتفكير والإلقاء ؟

ثم نفذت الخطة ، وهي بطبيعة الحال تختلف عن خطط سلفي (أرسين لوبين) فلست أحتاج إلى جرأته الخارقة وقدرته الفائقة على سرعة الانفلات من المسدس المصوب إليه ... والتغلب على جميع أفراد العصابة بقبضة يده ... كل ما في الأمر أن أذهب إلى المكان المبين لإلقاء المحاضرة ، فألفيه مزعوماً ، كدولة إسرائيل ، حذو النعل بالنعل !

ودلت تحرياتي أيضاً — وأنا لا أزال متقمصا روح أرسين لوبين — على أن بعضهم لديه بطاقات طبعها ، متضمنة أنه سيلقي محاضرة ، وقد ترك في الطبع بياضاً لعنوان المحاضرة ، فما عليه إلا أن يسود هذا البياض ، ويرسل البطاقة إلى الصحف لتنشر النبأ .

لا شك أن « محاضرات اليوم » في الأهرام باب نافع من حيث ما قصد منه وهو أن يكون دليلا لطلاب ثمرات العقول والقرائح إلى مجناها في القاعات والأندية ، ولكن هذا القصد شيء والواقع شيء آخر ، فالزميلة الغراء تخدع بما يرسل إليها فتنشره دون نظر فيما يشتمل عليه من الأعاجيب ، ولست أدري — ما دامت مقتنعة بأن فلانا وفلانا وفلانا يلقون محاضرات كل يوم — لم لا تصنع لأسمائهم (أكلشيهات) بدل أن يتعب عمال المطبعة في صف حروفها كل يوم .

ومن تلك المحاضرات التي يعلن عنها — ماعدا التي لا تلقى — نوع يلقيه في المساجد أئمتها ، وفي الكنائس أحبارها ، وهي دروس في الوعظ تؤدى بحكم الوظيفة ، وهي في ذلك كخطب الجمع أو كالدروس المدرسية ، فتصور كيف تكبر المهزلة إن نشر كل مدرس في مدرسة ، وكل خطيب في جامع ، أنباء الدروس والخطب .. !

وللباحث الاجتماعي أو النفسي أن ينظر كيف يتهافت بعض الناس على الشهرة ولو لم يملكوا أسبابها ...

فتاة الشعر :

نشرت « المصري » ، قطعتين من الشعر للأستاذ عبد الرحمن الخميسي ، تحت صورة فتاة حسناء ، لست أدري مكانها من الشعر ، أهي صورة التي يقصدها بالغزل ، أم هي صورة « عمومية » يبغى بها جذب الأنظار ، على طريقة بعض المحال التجارية و (صالونات) الحلاقة ... ؟ على أن الأستاذ وشعره ليسا في حاجة إلى ذلك ، فهو أديب معروف ، وما أرى الصورة إلا جانية على القطعتين المنشورتين ، وهما من الشعر النابض ، فالقارئ إما عادي لا يقرأ الشعر ، وما لهذا حساب ؛ وإما مستنير مثقف فيرى في نشر الشعر مقترنا بالصورة لونا من الإسفاف ونوعا من التعويض ، فيعرض عنه .

وليست هذه أول مرة ينشر فيها الأستاذ الخميسي شعراً مع صورة ، وبعض شعراء الشباب يلجؤون إلى هذا الصنيع دون أن تعبر الصورة عن معنى معين يقصده الشاعر ، ومن هؤلاء الأستاذ عزت حماد منصور بجريدة « البلاغ » فهل هي فكرة جديدة كفكرة « فتاة الغلاف » و « فتاة الحائط » فهي إذن « فتاة الشعر » ؟

من هو الشقي الحزين ؟

الآنسة أماني فريد إحدى الفتيات اللائي ينشر لهن شعر في الغزل ... وهو تطور جديد في أدبنا بصرف النظر عن قيمة هذا الشعر ومكانه من الأدب ، وهو شيء طبيعي في هذا العصر الذي نعيش فيه ، عصر التحرر ...



مستقبل الشعر :

تساءل الأستاذ « توفيق الحكيم » في عدد أخير من « أخبار اليوم » عن مستقبل الشعر والشعراء . وهل آن لدولة الشامخة أن تودع العالم بين صخب التطور وجلبة الاندفاع إلى المستقبل الذي تهرول نحوه الشعوب في سرعة لا تعرف البطء ، وعزم لا يدركه الكلال .

والذي رفع الأستاذ « الحكيم » إلى هذا التساؤل هو ما رآه من أفول يصيب نجم تلك الدولة الهرمة ، ثم حاول أن يعلل له بما كان من أمر هذه الديمقراطية التي جعلت الآداب موجهة إلى الطبقات الوسطى والدنيا قبل أن تكون موجهة إلى الخاصة ، وهذه الطبقات في رأي الأستاذ غير مهيئة لتلقي هذه الرساله الرفيعة ، وأخيراً هذه السرعة المجنونة التي تلوذ بالسطح وتنفر من الغوص إلى القرار . والشعر فن يعتمد على التركيز والإيجاز ، فهو في حاجة إلى شيء من الذكاء وشيء من الاستقرار يهيئان لفهمه والاستمتاع به .

والأستاذ « الحكيم » بعد هذا العرض وذلك التدليل متشائم ، ينظر إلى مستقبل هذا الفن الجليل نظرة الآسف المتحسر . فهل لهذه النظرة من أساس؟ وهل منطق الحوادث وأدلة الماضي والمستقبل تقف إلى جانبه ؟

يخيل إليّ أن الحق بجانب هذه النظرة التشاؤمية . فما هي الدعائم التي ينهض عليها الشعر ؟ وما هي الروح التي تنفخ في جذوته المقدسة فتشعلها وتذكي لهيبها ؟ وهل آن لهذه الدعائم أن تتقوض ، أو لتلك الروح أن تلفظ الأنفاس في المستقبل القريب أو البعيد ؟

إذا استطعنا أن نجيب على هذا السؤال كان لنا في الإجابة غناء عن تشاؤم الأستاذ أو تفاؤل غيره .

دعائم الشعر في نظري تنقسم قسمين :

قسما يخص الشاعر الذي ينشيء الشعر . وقسما يتصل بالقارىء . أما فيما يخص الشاعر فإن الدوافع التي تدفعه إلى قول الشعر لن ينضب معينها إلا إذا نضب معين الحياة ، واستجابة الأحياء لما تلقاهم به من ألوان الحوادث والتجارب التي تمتنع على العد ، وتستعلي على الإحصاء ؛ فدوافع الشعر ستظل خالدة خلود الطبيعة والإنسان . وعلى هذا فالشاعر ضرورة إنسانية باقية ، وحاجة روحية خالدة . وإن أقفرت بعض الفترات من وجود العبقريين من الشعراء ، فليس معنى ذلك أن الزمن سيظل بأمثالهم عقيما .

وفي التاريخ الإنساني لجميع الأمم شواهد ناصعة على ذلك ، وهي شواهد لا تقبل الجدل ولا اللجاج .

ففي الأدب العربي والإنجليزي والفرنسي وسائر الآداب ما يقيم الدليل على أن الشعر لم يمت وإن مرت به عصور أوشكت فيها روحه أن تفيض ، وأنفاسه أن تختنق .

وهنا تتراءى لنا مشكلة لا بد من إثارتها في هذا المجال . فقد كان الأسلوب الشعري هو الغالب في العصور القديمة ، وكان النثر تقعد به مكانته دون التعبير عن العواطف الجائشة ، والإحساس المتدفق الفوار . أما في العصر الحديث فقد نهض النثر نهضة عظيمة ، وراح يزاحم الشعر مزاحمة ظاهرة في هذا المجال . فأدب المقالة اليوم هو في الذروة من حيث استيفاء

وقد أنكر محرر جريدة « الزمان » على فتاة متخرجة في كلية الآداب قصيدة غزلية نشرتها لها إحدى الصحف ، ذاهباً إلى أن هذا ليس من موروث عاداتنا ولا من طبيعة مجتمعنا ولا من طبيعة المرأة من حيث ميلها إلى أن تكون هي المطلوبة . وختم كلمته بفتح الموضوع للاستفتاء العام .

وأي شيء بقي من عاداتنا وتقاليدنا ؟ وهل وقفت المرأة عند طبيعتها تلك ؟

أعود إلى الآنسة أماني ، فقد نشرت « البلاغ » أبياتا بتوقيعها عنوانها « لوعة » جاء فيها هذا البيت :

أراني شقياً حزيناً فيا نفس أين الرجاء

وسياق الأبيات أنها هي المتكلمة ، فكيف تكون « شقياً حزيناً » ؟ هلا راجعت الأبيات وتأملتها قبل أن تدفع بها إلى النشر لتعرف ما ذا صنع الشقي الحزين ... ؟

عباس خضر

أغراضه ؛ وهى أغراض تشترك فى كثير من الأحيان مع الشعر وما يقال عن المقالة يقال عن القصة فى هذا الباب . فالأدب التمثيلى الشعرى عند « شكسبير » قد حلت محله مسرحيات (برنادرشو) النثرية ، ومسرحيات « شوقى » حلت محلها مسرحيات « توفيق الحكيم »

وهناك شىء آخر له خطورته على تضييق دائرة التعبير الشعرى وهو ما شاع فى العصر الحديث من وسائل الثقافة الفنية المختلفة التى زاحمت الكتاب سواء ما كان منه شعراً أم نثراً ، وأخطر هذه الوسائل هى السينما والصحافة والمذياع .

وهكذا نلاحظ أن مجال الشعر قد أخذ يضيق ويضيق حتى أصبحت دائرته لا تكاد تجاوز التعبير عن الحالات التى لا يغنى فيها عن التعبير الموزون تعبير سواه .

أما دعامة الشعر الثانية وهى التى تتصل بالقارىء فيبدو أنها الظاهرة التى أخافت الأستاذ « الحكيم » وجملته يتساءل هذا التساؤل الوجل فى « أخبار اليوم » ، فنسى أن يذهب بالتعليل إلى أصوله القريبة والبعيدة

فالقراء اليوم مدبرون عن الشعر منصرفون إلى أدب السطوح لا الأعماق — إن صح هذا التعبير — .

وهذا حق .. ولكن هذا لا يعود باللائمة على القراء « الأغبياء ! » ، لأن المسألة راجعة فى أصولها إلى الظروف الاجتماعية والسياسية التى يحياها العالم اليوم ، فنحن نجوز فترة المخاض التى يضطرب لها كيان البشرية ، وتميد معها دعائمها وأركانها . فالمشاكل الاقتصادية اليوم تحتل المكان الأول فى نفس الانسانية المعاصرة ، وحتى يجىء اليوم الذى تحل فيه هذه المشاكل على نحو يرضى سنة التقدم ، ويشبع رغبة التطور ، فستظل مشاكل الفن وحاجات الروح مسائل ثانوية فى (جدول الأعمال) .

إن الإنسان فى هذه الحقبة من الزمن محتاج ليكسب عيشه إلى ساعات لا تقل عن الثمان ، هذا فى الطبقة الوسطى ، أما فى الطبقات الدنيا فهو فى حاجة إلى أكثر من هذا القدر بكثير أو قليل . فكيف نطلب إلى أمثال هؤلاء أن يخلوا إلى ديوان ليتذوقوا فيه قصيدة عصماء ؟ وهم ما زالوا يكافحون من أجل رغيف (أغر) ؟ ! إننا نطالبهم بالمستحيل . فهل من أمل فى تغيير هذه الحال ؟ يخيل إلى أن الجواب هنا يجب أن يكون بالإيجاب ، فنحن مقبلون — على رغم العوائق — على العصر الاشتراكى ما فى ذلك شك . والاشتراكية هى الأمل المرموق الذى تتطلع إليه شعوب العالم ، وتنتزى شوقاً إلى تحقيقه .

ويوم يعم العالم النظام الاشتراكى ، فان هذا الصراع من أجل العيش سينتهى إلى قرار ، وعندئذ تنطلق القوى الروحية المطمئنة لتعمل فى كل أفق من الآفاق ، وإنها لرحيبة بعيدة الأغوار .

فنحن نستطيع بعد هذا كله أن نطمئن الأستاذ « الحكيم » على مستقبل الشعر ، لأن الرجاء فى مستقبل روحى باهر هو رائد الانسانية المكافحة فى هذا الجيل الذى نعاصره ، وإن كنا إلى جانب ذلك نعتقد أن الشعر سيضيق مجاله عند الحد الذى لا يغنى فيه إلا القول الموزون . ولا خسارة هناك من هذا الأمر ، فان النقصان فى هذا الفن سيزيده فى ذاك ، وسيظل الشعر مشعلا من مشاعل الفن المضيئة المتلألئة التى يبهر بريقها الأنظار ، وإن علاه فى هذه الحقبة شىء من الغبار .

ماهر قنديل
بطلخا الابتدائية

صورة طبق الأصل !

كثيراً ما أقرأ مقالا بعينه أو قصيدة بعينها فى أكثر من مجلة واحدة فى زمان واحد ومكان واحد ، كما وقع فى كلمة الأستاذ أنور المداوى حول كتاب « زوجات » للأستاذ الصاوى ؛ فقد تفضل الأستاذ الناقد فكتب كلمة حول هذا الكتاب فى مجلة (العالم العربى) عدد ديسمبر الجارى ، ثم أردفها بصورة أخرى (طبق الأصل !) نشرها فى (الرسالة) الغراء عدد (٨٠٧) ، وهذا عين ما وقع فى قصيدة الشاعر توفيق عوضى (حب المنطق) فقد تفضل بنشرها فى (الرسالة) عدد (٨٠٦) ، ثم فى (الثقافة) عدد (٥٢١) . وبعد ، فلست أدرى الحكمة من هذا التقليد الجديد ، كأنى أجهل أسبابه ومبرراته ودواعيه ونكتة البلاغة فيه

قد يجوز أن أنشر قصيدة فى مصر ، ثم أنشرها بعينها فى الحجاز ، أو فى أى رقعة من رقاع (الجامعة العربية) ، وذلك لبعد الشقة ، ونزوح المحلة ، ولتوثيق الصلات الأدبية بين أبناء الضاد ... أما أن ينشر مقال ، وتنشر قصيدة ، فى المكان الواحد والزمان الواحد ، فى أكثر من مجلة واحدة ، فذلك ما لا يجوز ، أو قد يجوز ، ولكنى على كل حال لا أعرف عبرة جوازه ... فأكون لمن يتفضل بالعبرة من الشاكرين !

(الزيتون) **عمر تاله**



الأقـــدار

للكاتب الأمريكي ه . هاوثورن

أن معرفتنا الحوادث التي تؤثر على حياتنا ومصيرنا في الواقع معرفة طفيفة ضئيلة فهناك من هذه — الحوادث — إذا شئت أن تسميه حوادث — ما يدنو منا ، ثم ينزح عنا ، دون أن يكون له أي أثر على أنفسنا ، أو يغشى قربه ، أو يلقى ضوءاً أو ظلا عن وجوده . وهذا ما حدث لدافيد سوان .

نحن لا يهمنا من حياة دافيد سوان سوى تلك التي تربطه بها منذ بلوغه العشرين من العمر عندما كان قادماً من مسقط رأسه في طريقه إلى مدينة بوسطون ليعمل في حانوت عمه . ويكفي أن نعرف أنه ولد في نيوهامشاير من أبوين محترمين ، وأن ثقافته عادية تزيدها دراسة عام في أكاديمية جايلانتون . وكان يشعر بالجهد وعناء السير ووطأة القيظ بعد أن قطع شوطاً كبيراً من الطريق منذ شروق الشمس حتى ظهر يوم من أيام الصيف الحارة . فعزم على أن يستريح في أقرب مكان تكتنفه الظلال وينتظر قدوم مركبة السفر وكأنما تهيأ له هذا المكان ، فسرعان ما بدت أشجار باسقة حول خلاء يتوسطه نبع من الماء العذب الدافق فطبع قبلة على صفحته من شفتيه الظمآنتين ثم استلقى على الأرض وقد توسد لفافة تحوى ملابسه الداخلية . كانت الشمس تجاهد في فتح ثغرة بين الأفنان حتى تصل إليه ، وانجاب ستر ذلك الغبار المتصاعد من الطريق بعد أن هطل المطر في الليلة الماضية . وارتاح الشاب لتلك الحشائش التي يرقد عليها وكأنه نائم على فراش وثير . وتمتم النبع يهمس بجواره ، وتأرجحت الأفنان تحت السماء الزرقاء . ثم استولى عليه نوم عميق تتخلله أحلام عابرة لا يهمنا أمرها ، فكل اهتمامنا موجه إلى ما يحدث بعيداً عن أحـــلامه .

كان الناس غادين رائحين على طول الطريق راكبين أو مترجلين فيمرون عليـه وهو راقد تحت سلطان الكرى في خلوته وقد

حننت إلى ريا :

قرأت في الرسالة الغراء في العدد ٨٠٦ ص ١٣٩٧ في مقال الأستاذ أحمد أحمد بدوى قصيدة الصمة بن عبد الله التي مطلعها :

حننت إلى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعبا كما معاً

منسوبة إلى القشيري ، والمعروف أنها للصمة بن عبد الله بن طفيل بن الحرث بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب ، كما ذكر أبو تمام في ديوان الحماسة (ص ٥٤ الجزء الثاني الطبعة الثانية) ، وهو شاعر غزل مقل من شعراء الدولة الأموية قالها في بنت عم له هويها يقال لها « ريا » ، فخطبها إلى عمه ، فزوجه إياها على خمسين من الإبل ، فسأل أباه ذلك ، فساق عنه تسعاً وأربعين ، فأبى عمه إلا الخمسين كاملة ، فلج أبوه ولج عمه فتركها مغاضباً ورحل إلى الشام فتبعتها نفسه ، وجاش صدره بهذه القصيدة .

عبد الجليل السيد حسن

تصحيح كلمة :

لاحظت أن الأديب المتمكن الأستاذ عدنان أسعد في تنبيه عشرات الأقلام وتطبيعات الصحف ألف أن يجعل من كلمة — مانع — صفة للشيء المستحسن الجميل حتى لقد ذكرها في تعقيباته أكثر من مرة . في الجزء الخامس من المجلد الأول من مجلة « الكتاب » الزاهرة وفي العدد ٧٨٢ من « الرسالة » النيرة ويبدو لي أن التوفيق أخطأه إذ وجدت أبا الفرج الأصفهاني في أغانيه ج ٢ ص ٥٠ ط دار الكتب المصرية يروى شعراً على لسان المجنون يقول فيه :

أشرن بأن حثوا الجمال فقد بدا من الصيف يوم لافح الحر مانع

وقد ذكر الشراح أن المانع هو الطويل خلافا لما ذكره الأستاذ ، وله مني تحية إعجاب .

(السباعية) محمد الشاذلي حسن

ألقت عليه الأشجار ظلالها. وكان منهم من لا يلتفت يمنه أو يسرة فلا يدري وجود دافيد ، ومنهم من يرمقه وهو يبتعد عنه سارحاً في أفكاره، ومنهم من يضحك عندما يشاهده راقداً يغطّ في نومه ، ومنهم أولئك الذين امتلأت قلوبهم بالبغضاء ، فيبعثون إليه فيضاً من كلمات الضغينة والحقد .

وأطلت أرملة متوسطة العمر عليه ، ثم حدثت نفسها قائلة : أنه يبدو فاتناً في نومه. ورآه مدرس وقور فعزم على أن يزج بالشاب المسكين في موضوع محاضرته التي سيلقيها ذلك المساء ، فيشبه حاله بحال سكير أوغل في الشرب حتى نام بجوار الطريق . كانت كل هذه الخواطر بما فيها ذم ومدح ، وسرور وغضب ، وإعجاب واحتقار ، لا تهم دافيد في شيء . فقد كان بمنأى عنها وهو غارق في نومه .

وأقبلت مركبة يجرها زوج من الجياد القوية سرعان ما وقف أمام ملجأ دافيد . كانت إحدى عجلاتها قد انزلقت بعيداً عنها ، مما روع التاجر المسافر وزوجه قليلا ، فترجلا عن المركبة ، إلى أن يتم استبدال عجلة بأخرى، وقصد إلى ملجأ دافيد تحت الأشجار التي تظلله . وتمتم النبع المتفجر يشكو تطفل الدخيلين ، وتأثر الهدوء الشامل الذي كان يرين على المكان ، فمادا أدراجهما في خفة وسكون ، خشية أن يوقظا النائم . وهمس السيد الكهل قائلا ما أعمق نومه ! انظري كيف يتنفس في هدوء . وددت لو أنام مثل هذا النوم في مقابل تنازلي عن نصف ثروتي . أنه الصحة والسعادة وصفاء الضمير .

فقالت السيدة — ذلك بجانب الفتوة والشباب . إن الرجل الكهل وإن كان صحيح البدن لا ينام مثله .

وكان التاجر وزوجه كلما أطالا النظر إلى دافيد ، ازداد اهتمامهما به ، وهو نائم في ذلك المكان بجوار الطريق تحنو عليه تلك الأشجار ، وكأنه يرقد في مسكن خاص لا ينازعه فيه منازع ، وقد انسدلت فوقه ستائر فاخرة من الظلال ، وأقبلت الشمس وقد وجدت أشعتها فرجة تنفذ منها خلال الأفنان ، أقبلت تقبل وجهه . وشعرت السيدة بحنان الأمومة يطغى على قلبها ، فأحنت فننا تظلل به وجه الشاب ، ثم همست تقول لزوجها .

— يبدو أن العناية الالهية قد وضعته في طريقنا ، وقادتنا إليه . إني أرى شبها بينه وبين ولدنا الراحل . ألا نوقظه ؟

فتردد التاجر هنيهة ثم قال — لماذا ؟ إننا لا ندري شيئا عن أخلاقه .

فأجابت السيدة — ألا ترى هذه الملامح الطيبة ؟! ألا تلاحظ هذا النوم البريء ؟!

كانت همساتها تردد في المكان ، ومع ذلك لم تسرع دقات قلب دافيد ، ولم تبهر أنفاسه ، ولم تشف ملامحه عن أي اهتمام لما يدور حوله ، ولم يشعر « بالحظ » فوقه وعلى أهبة الاستعداد لأن يغمره بالذهب . لقد فقد ذلك التاجر وحيده ، ولم يعد له وريث سوى قريب بعيد لا يميل إليه ، ولا تعجبه أخلاقه . ولهذا كان دافيد على قاب قوسين أو أدنى من الثروة والغنى .

ورددت السيدة تحاول إقناع زوجها — ألا نوقظه ؟

وهنا سمع صوت السائق وراءهما يقول — أن المركبة على أهبة الرحيل .

فخجل الزوجان ، واحمر وجههما ، ثم أسرعا يبتعدان عن النائم وهما يعجبان ويتساءلان كيف خطر لهما أن يحاولا إيقاظ هذا الشاب . وتهالك التاجر على مقعد المركبة ثم سرحت به أفكاره بعيداً عن دافيد ، ودفعته إلى الاهتمام بمشروع ملجأ للعاطلين .

ولم تكد المركبة تبتعد حتى أقبلت فتاة حسناء في خطى رشيقة ، تشف عن قلب صغير يرقص في صدرها . ولعل ابتهاجها ومرحها وحركاتها هي التي دعت (وهل هناك ضرر من قولي؟!) إلى تهدل جوربها الحرير (أن كان حريريا !) فانتحت جانبا بجوار المكان الذي يرقد فيه الشاب ، وانحنت تحاول تثبيت جوربها . وسرعان ما علا وجهها حمرة خجل كاحمرار الوردة عندما أبصرت ذلك النائم المستلقي بجوار النبع ، وهمت بالهرب في هدوء عندما لاحظت خطراً يهدد الشاب . كانت تحوم فوق رأسه نحلة ضخمة ، وتدور حول المكان في طنين عال ، فتارة تطير بين الأفنان ، وتارة تندفع مخترقة أشعة الشمس ، ثم تختفي في الظلال ، وأخيراً حطت على جفن الشاب . وكانت الفتاة تعرف ما تسببه لدغة النحلة من ضرر فهاجمتها بمنديلها ونحتها عنه . ثم وقفت تلهث ، وقد بدت حمرة الخجل على وجنتيها ، وجعلت تختلس النظر إلى ذلك الشاب الغريب ، وتمتمت تحدث نفسها ولم تزل حمرة الخجل تعلو وجنتيها « كم هو جميل الطلعة ! » .

كيف لم يساوره أثناء نومه حلم سعيد ، حلم يستطيع فيه أن يلاحظ هذه الفتاة بين أبطال حلمه ؟ ولماذا لم تشرق ابتسامة ترحيب على وجهه ؟ لقد قدمت إليه تلك العذراء التي وافقت روحها روحه ، والتي كان يتوق إلى رؤيتها ، ويصبو إلى لقائها . إنها هي الوحيدة التي يتمنى أن يحبها الحب الفريد الكامل ، وهو

الوحيد الذى يستطيع أن يتربع فى أعماق قلبها . وها هى ذى الآن قد انعكست صورتها على صفحة ماء النبع بجواره ، تلك التى ستختفى عن أنظاره إلى الأبد إذا لم يستيقظ ويرها .

وتمتمت الفتاة قائلة ما أعمق نومه !

ثم عادت أدراجها وقد ثقلت خطواتها . كان والدها تاجراً ريفياً ناجحاً ، وكان يبحث فى ذلك الوقت عن شاب يساعده فى أعماله ويشاركه فى تجارته . وهكذا اقترب « الحب » من دافيد كما اقترب منه « يلاحظ » دون أن يدرى عنه شيئاً .

وابتعدت الفتاة عن المكان عندما أقبل رجلان واقتحما الخلوة . بوجهين قاتمين وملابس رثة قذرة . كانا من أولئك المتشردين الذين يتعيشون على ما يرسله لهم الشيطان . وهاهما قد أقبلا لاقتسام ما ربحاه من المقامرة . وإذ بهما يشاهدان الشاب وهو نائم فهمس أحدهما إلى الآخر قائلا — ألا ترى تلك اللفافة التى تحت رأسه ؟ .

فأومأ الآخر بإيجاب ، وغمز بعينه ، ثم نظر شزراً . فقال الأول — أراهن على قدح من الخمران لم يكن هذا الشخص يملك محفظة عامرة بالأوراق المالية أو يخفى نقوده الفضية فى مخبأ داخل هذه اللفافة ، ذلك إذا لم نجدها فى جيوب سراويله .

فقال الآخر — وإذا ما استيقظ ؟ .

فأشار زميله إلى مقبض خنجره المثبت داخل سترته ، فتمتم الشقى الثانى قائلا — هذا يكفى ! .

واقترب من النائم ، وسدد أحدهما الخنجر صوب قلبه ، فجمل الآخر يبحث فى ثنايا اللفافة التى كان يتوسدها . وكانت ملامحهما تنطق بالشر والجريمة والخوف وهما منحنيان فوق ضحيتهما . حتى ليكاد أن يخيل إلى الشاب — إذا ما استيقظ ورآهما — أنهما من الشياطين . ولو كانا قد ألقيا نظرة إلى صورتيهما المنعكستين على صفحة ماء النبع ، لما عرفا نفسيهما وهما فى هاتين الصورتين البشعتين . ولكن الشاب كان نائما فى هدوء لم يعهده من قبل .

وهمس أحدهما قائلا — يجب أن أحرك هذه اللفافة .

وتمتم الآخر — إذا ما تحرك سأقضى عليه .

وأقبل فجأة كلب يشم الأرض تحت الأشجار ثم ألقى نظرة فاحصة على الشقيين ، وأخيراً عاد أدراجه .

فقال أحدهما — لن نستطيع عمل شى بعد ذلك . إن صاحب الكلب بالقرب منه .

فقال الآخر إذاً دعنا نشرب ثم نرحل .

وأعاد الرجل خنجره إلى طيات ثيابه ، ثم أخرج قارورة من الشراب ، وجعل ينهل منها هو وزميله وأخيراً نزحا عن المكان وهما يضحكان . وبعد ساعات كانا قد نسيا ذلك الشاب غير مدركين أن الملك الذى يدون ما يجرى من حوادث قد سطر فى صفحتيهما إثماً ضد روحيهما ، إثماً دائماً بدوام الخلود . أما دافيد فكان لا يزال غارقاً فى سبات هادىء فلم يشعر بشبح الموت وهو يجثم فوقه ، ولا بضياء الحياة الجديدة التى منحت له عندما انسحب ذلك الشبح . ونام ملء جفونه نوماً أبعد عنه الجهد والتعب . وأخيراً أخذ يتململ وتحركت شفتاه ثم تمتم وكأنه يتحدث مع أطياف أحلامه النهارية . وسرعان ما استيقظ عندما سمع صليل عجلات مركبة السفر وهى تنهب الطريق مقبلة نحوه . فنظر إليها ثم صاح — أيها السائق . أتأخذ معك مسافرا ؟ .

فأجاب السائق — أصعد — فهناك مكان فى أعلى المركبة .

وصعد الشاب مغتبطاً وسارت المركبة صوب بوسطون .

ولم يلق دافيد نظرة على ذلك النبع بما جلبه له من أحلام متقلبة . ولم يعرف أن شبح « الثروة » قد ألقى ظله الذهبى على مياهه ، ولم يدرك أن ملاك « الحب » قد تنهد فى هدوء واختلط صوته بصوت أمواجه ، ولم يشعر أن شبح الموت كان على وشك أن يصبغ تلك المياه بدمه . حدث كل هذا فى ذلك الظرف الوجيز من الزمان الذى كان فيه نائماً ؛ فنحن فى نومنا لا نشعر ولا نسمع وقع خطوات الحوادث وهى تمر علينا مراً . أليس فى استطاعة قوة الحية مهيمنة أن تجعلنا قادرين على التنبؤ — ولو بقدر بسيط — بتلك الحوادث الخفية الفجائية التى تلقى بنفسها فى طريقنا ؟

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٨١٢ — الاثنين ٢٤ يناير ١٩٤٩ — السنه السابعه عشره

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٢٠٨

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 812

Lundi — 24 — 1 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨١٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ — ٢٤ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

احمد حسن الزيات

أجنحة الجامعة العربية

للاستاذ عمر حليق

في شمالي أفريقيا — أو الجناح الغربي للجامعة العربية كما يحلو لسعادة عزام باشا أن يدعوه — بلبلة نفسانية سيئة إذا لم تعالج فانها ستصيب النضال ضد الاستعمار في ذلك الجزء من الوطن العربي بنكسة خطيرة .

فقد اطلعت على تقرير وضعته دائرة الوصاية في هيئة الأمم في لايك سكسس عن حالة العرب في ظل السيطرة الفرنسية ، فاذا به يذكر صراحة أن فرنسا كانت تنتظر غضبة نارية من عرب مراكش والجزائر وتونس لموقف فرنسا العدائي من قضية فلسطين تكون أشد وأعم من هذه الحماسة وهذا الجود بالمال والتطوعين الذين بدوا من عرب المغرب منذ أن اتخذ هذا التحدى الصهيوني هذه الخطورة

وليست هذه الكلمة محاولة للانتقاد ، ولا هي كذلك محاولة للدفاع والتبرير ، وإنما هي عرض لهذه البلبلة النفسانية التي تجتاح الوعى القومى هناك ، والتي دفعت ضعاف النفوس من أمثال فرحات عباس إلى أن يقول في جريدة لامبسيون المغربية :

« إن الوحدة العربية مهزلة ليس فيها من عناصر الجد شيء . إننا جزء من الوحدة الفرنسية فمصلحتنا وكياننا وحتى اتجاهاتنا العاطفية تتطلب ذلك ».

والواقع أن التطورات في مجرى الحملة الفلسطينية تركت آثاراً لعينا في مناطق السيطرة الفرنسية والأسبانية في شمالي أفريقيا في موقف السلطات الاستعمارية وفي نشاط حركات التحرر الوطنية .

والحقيقة التي قل أن تعالجها ألسنة الرأى العام العربي هي تشابك الصراع بين حركات التحرر الذي في شمالي أفريقيا وبين مثيلاتها في الشرق الأدنى وخطورة هذا التشابك في معالجة هذه الحركات جميعها . فهو مستمد من حيوية الموقع الاستراتيجي لشمالي أفريقيا العربية في خطط الانجلو سكسون العسكرية التي تعد الآن للفصل في هذه الحرب الباردة التي تدور رحاها بين الروس وحلفاء الغرب.

إن موقع شمالي أفريقيا الاستراتيجي للملاحة البحرية والجوية ومواضع القفز إلى القارة الأوربية ، مضافة إلى الموارد الاقتصادية الوافرة من الفحم والأورانيوم والبترول أيضا — كل ذلك يكاد يعادل أهمية آبار الزيت السعودية من حيث اتصاله بتطورات القضية الفلسطينية وموقف الأمريكان — وهم سادة حلفاء الغرب — منها هذا الموقف الهدام الذي أمعن في التحدى والاستهتار . إن مناطق العمليات السياسية في الشرق الأوسط — وهو في تعريف الجغرافية الحربية يشمل شمالي أفريقيا — موزعة جغرافيا — على ما يبدو — بين الانجليز والأمريكان بينما ترك لفرنسا مركز ثانوى .

فمجال بريطانيا قلب الشرق الأدنى ، ومجال أمريكا جناحاه .

ولبريطانيا أوتاد يبدو أنها متينة في الآونة الحاضرة على الأقل في شرق الأردن وبرقة والسودان ، ولأمريكا أوتاد كذلك في نجد ومنطقة النفوذ الفرنسية في شمالي أفريقيا ومنها القسم الذي يطل على المحيط الاطلنطى مجاوراً لجبل طارق .

ولذلك فان إمعان أمريكا في تحدى شعور العرب في قضاياهم القومية الحيوية لن يتأثر إلا إذا شعرت بتزعزع جدى لأوتادها في المملكة السعودية والمغرب العربي .

ذلك لأن سياسة أمريكا الخارجية مشوبة بطابع الارتجال والتقلب ومراعاة الظروف الطارئة بسبب كونها (أى أمريكا) الآن في حرب اقتصادية وسيكولوجية مع أكبر خطر يهدد حاضرها ومستقبلها وهو الشيوعية السوفياتية .

صحيح أن الأمريكان كرأسماليين أصليين شركاء للاستعمار الأوربي ؛ وصحيح أن الكيان الاقتصادى للرأسمالية الأمريكية يتطلب توسعاً جغرافيا في أسواق الاستهلاك والمواد الخام ؛ وصحيح أن السياسة الأمريكية في الداخل والخارج مشوشة تتأثر بمطامع الانتهازيين من الساسة المحترفين وعقليتهم المادية (البرجماتيزمية) وهي عقلية ترتكب الجرائم باسم الحريات الديمقراطية — كل هذه حقائق مسلم بها ، ولكن الذي يجب إدراكه أن في الولايات المتحدة الأمريكية الآن اتجاهات عملية تضع البلاد على أسس المجهود الحربي ، وقد وضعتها فعلا في مجال الإنتاج والتدريب العسكرى . هذا المجهود الحربي هو الذي يفرض على سياسة أمريكا في الخارج أن تتأثر بالاعتبارات المحلية (المعنوية والمادية) لمناطق نفوذها وعملياتها ضد الاتحاد السوفياتي . فمشروع مارشال

مثلا بتوخى عن طريق الانماش الاقتصادى ، تقوية المناعة النفسية ضد مغريات الشيوعية المادية فى أنظمة الحكم والعدالة الاجتماعية . والشرق الأوسط — بعد أوروبا الغربية — هو من أهم هذه المناطق فى مجال التخطيط العسكرى ، ولعله أهمها فى الاقتصاد الحربى .

وإن الظروف الدولية وما تسميه الصحافة الغربية بالحرب الباردة تفرض على طبيعة التأرجح والتقلب فى سياسة أمريكا — هذا التأرجح المستمد من طفولة أمريكا فى العلاقات الدولية — تفرض ارتجالا يجعلها سريعة التأثر بالترمومتر السياسى والنفسى لمناطق عملياتها كما ذكرت . ولذلك فان جناحى الجامعة العربية فى شرق جزيرة العرب وفى المغرب الأقصى هما أمضى سلاح تستطيع الجامعة أن تشهره فى وجه الأمريكان وهم أسياد المعسكر الغربى .

والجامعة العربية كمنظمة إقليمية لها خطورتها فى السياسة الدولية ، وكهيئة تمثل رغبة العرب ومصلحتهم فى التكاتف والتعاون ورعاية الاستقرار والرفاهية فى الوطن العربى الأكبر تستطيع بل هى ملزمة أن تضع سياسة إيجابية عملية لجناحيها الخطيرين . وللجامعة كذلك مساعدات هائلة متوفرة فى ذينك الجناحين ؛ ففورة الشعور القومى ، والتعلق بالعروبة ، والتطلع إلى الوحدة العربية ، متأججة فى المغرب العربى ؛ وقادته فى القاهرة يرتمون فى أحضان الجامعة ويلحون فى طلب المعونة العملية . وإذا كان من الإنصاف أن نعترف بأن اشتغال الجامعة بمشكلة فلسطين وهى كبرى المشكلات يجعل هذه المعونة العملية المطلوبة صعبة ، فإن من المهم أن نعترف بأن الصراع فى شمالى أفريقيا وزعزعة الأوتاد الأمريكية من شبه الجزيرة العربية هو جزء رئيسى من الصراع في فلسطين بل هو حيوى له .

والمشاكل القومية حين تكون متحدة الأهداف لا تتبع فى معالجتها سياسة إنصاف الحلول ، ولعل أضعف نقطة فى مسلك الجامعة هو فقدان توزيع العمل فى سياستها .

إن حركات التحرر فى شمال أفريقيا إذا لم تستطع الآن أن تتخذ شكل حرب ضد الاستعمار فلا أقل من أن تتخذ شكل قلاقل جدية ، على النحو الذى شغل به الأمير عبد الكريم الخطابى الفرنسيس والأسبان سنوات طوالا . ولعل فى إثارة هذه القلاقل الآن عواقب جسيمة الأخطار ، ولكن الذى يبرر الدعوة لهما هى وحدة الصراع العربى الشامل وتشابك القوى الغربية التى تتحد مصلحتها فى تفرقته . وقد كان كاتب هذه الأسطر يراقب عن كثب خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة مسلك دول الجامعة العربية فى هيئة الأمم المتحدة فى قضايا فلسطين والسودان . وكانت هذه الدول تميل إلى الأخذ برأى أثبتت الأيام خطأه ، وهو أن الصراع الدبلوماسى فى هيئة الأمم يتطلب أن لا تناصب فرنسا العداء مخافة تمضى فى عدائها للقضايا العربية « الشرقية » . وكذلك كان موقف بعض الدول العربية بادىء الأمر من هولندة فى عدوانها على الجمهورية لأندونوسية . وكلنا عليم بأن مواقف كلتا الدولتين فى داخل هيئة الأمم وفى خارجها من قضية فلسطين لم تراع مطلقا هذه الكياسة العربية . وعلى ضوء هذا الجحود ، يجب أن يحدد موقف الجامعة من فرنسا تحديدا حازما . ففتور الجامعة الدبلوماسى على الأقل نحو مصير باى تونس المرحوم محمد المنصف ، ونحو قانون الانتخابات للفرنسيين فى تونس ، وفى فضائح انتخابات الجزائر وفساد قانونها ، وفى موقف المقيم العام الفرنسى من سلطان مراكش ، هذه السلبية تركت ولا شك أثراً سيئاً فى حركات الإخوان العرب فى ذلك الجزء من الجسم العربى ، كما ولدت فتوراً فى حدة الاستنكار الذى كانت فرنسا تنتظرها من المراكشيين والجزائريين والتونسيين لموقف فرنسا من قضية فلسطين ولموقفها من نشاط اليهود فى مجهودهم الحربى فى فرنسا نفسها وفى المغرب العربى ذاته .

لقد استمدت الجامعة العربية كيانها التى ترعاه أفئدة الملايين من المصلحة العربية المشتركة بالإضافة إلى أسس الشعور الثقافى الشامل المشترك . وعلى ضوء هذه المصلحة الحيوية ، وبفضل هذا الشعور الأصيل خطت وستخطو الجامعة قدما والحق فى جانبها ، والعدالة رائدها ودستورها ، والله والعروبة معها .

وعلى أساس هذه المصلحة وهذا الشعور يجب أن يعالج جناح الجامعة العربية الشرقى فى نجد والكويت والبحرين .

إن القائمين على الأمر فى ذلك البحر من السائل الذهبى ، لا يبدو أنهم يقدرون خطورة موقفهم فى سياسة الجامعة العربية ، فضلا عن السياسة الدولية إجمالا . ولعل العذر هو فجاجة الرأى وفقدان الشورة المجردة من الانتهازية الأنانية التى تستغل صفاء النفس البدوية وسذاجة وعيها السياسى فى عالم معقد .

بل الواقع أن أمراء المملكة السعودية والكويت والبحرين لا يقدرون خطورة ارتمائهم فى أحضان الأمريكان والبريطانيين وهم على مرمى القنابل الروسية فى حوض من البترول يستهوى آلة الحرب النهمة .

وإذا كانت مصلحة الهدف الذى تعمل له الجامعة العربية يتطلب تركزاً وسياسة إيجابية لذلك القسم الهام من الجسم العربى فان صميم الكيان لتلك المناطق العربية يتطلب تحديدا جديدا فى علاقتهم مع الأمريكان ، ويتطلب تجرداً من التزامات ثقيلة وعواقب وخيمة . فهذه الالتزامات وحدها قد تكون مبررا يتخذه الروس فيما يضمرونه من شر لآبار البترول التى يمتصها الأمريكان . هل قدر الأمراء الذين يلهون بحفنة من الدولارات الأمريكية مغبة وضميتهم الخطيرة ؟

إن المصلحة القومية ، وحتى المصلحة الشخصية الأنانية لأولى الأمر والشعب فى شرقى جزيرة العرب تفرض الاندماج الكلى فى سياسة التنظيم الاقليمى الذى تعمل له الجامعة العربية فى صدق وإخلاص ، فهذا الاندماج ضرورى بل أساسى لتناسق المصلحة المشتركة .

ويبدو أن السعوديين والكويتيين وسكان البحرين وأمراءهم وشيوخهم يسلكون مسلك الذين يعتقدون أنهم الرابحون فى إعطاء امتيازات البترول للأمريكان . ولعل السبب أنانية جماعة من المرتزقة العرب الذين يحيطون بأولى الأمر هناك ؛ هذا بالإضافة إلى سذاجة الوعى وفقدان التوجيه الذى تستطيع الجامعة أن توليه .

ولا حاجة للافاضة فى شرح سذاجة هذا التفكير ؛ فحصة المملكة السعودية مثلا من أرباح شركات البترول الأمريكية التى تستغل آبارها الغنية تبلغ خمسة فى المائة أى ١٨ مليون دولار حصة السعوديين من الضرائب وغيرها ، بينما أرباح الشركة تزيد على ٣٦٠ مليون دولار ! هذا إذا أخذنا أرقام الشركات الأمريكية على أنها صادقة !

وطبيعي أن سياسة الجامعة العربية فى جناحها الشرقى لن تتطلع أو تتوخى امتلاك آبار البترول أو حتى إدارتها ؛ ولكن النصيحة الرشيدة و « إثبات الوجود » كفيلة بأن تعزز الهدف لرعاية المصالح العربية فى هذا المجال الأقليمى .

فهناك فائدة مزدوجة تعود بالربح المادى وغير المادى على الحكومات والشعوب على السواء فى المملكة السعودية والكويت والبحرين حين تمتلك السلطات المحلية هناك آبار البترول . فهذا الامتلاك يتطلب تحديد الموقف إزاء الشركات المحتكرة ، وهذه الخطوة لا تعنى ترك البترول يعفن فى طبقات الأرض . ففى أمريكا الجنوبية دول وشعوب ، تنقصها الخبرة الفنية والتقدم الحضرى ، ومع ذلك فقد أقصت الأمريكان عن منابع الذهب الأسود كما حدث فى المكسيك ، وابتاعت لاستخراج البترول فى بلادها الخبرة الفنية والإدارية ، وسلمت من الاستغلال الأجنبى ومن ذيوله والتزاماته الخطيرة ، مع العلم بأن المكسيك ودول أمريكا اللاتينية ليست هدفا مباشراً لقنابل الروس كما هو حال نجد والكويت والبحرين .

والبترول فوق ذلك مادة رائجة كأحسن ما يكون الرواج . والتنافس حتى بين الشركات الأمريكية نفسها على أشده فى سبيل الحصول عليه . ألم يفز شيخ الكويت بشروط على أجحافها خير من شروط السعوديين فى الامتياز الأخير على امتلاك آبار الكويت أوفر آبار البترول فى العالم ، وقد تنافس عليها فريقان من الشركات الأمريكية ؟

ودول الجامعة العربية فى السياسة الدولية ، شأنها شأن كثير من الدول الآسيوية تتفادى مناصرة أى المعسكرين المتطاحنين اللذين يستعدان لتقويض حضارة الغرب . وإن مصلحة الجامعة بالإضافة إلى مصلحة أولى الأمر فى شرق الجزيرة العربية تتطلب التعاون والتكاتف لتوطيد سياسة الحياد الاقتصادى ، لتعزز المصلحة السياسية والقومية .

وعلى ضوء هذه المصالح المتشابكة المتضامنة المتماسكة يجب أن يتجه العرب منفردين وفى جامعتهم نحو امتيازات البترول الأمريكية وهذا يفرض على الجامعة توزيعاً فى العمل . فسياسة البترول إذا أخذت مأخذ الجد احتاجت إلى خبرة فنية (تكنولوجية) وفى الإدارة والتوجيه . وهذه نواح على فداحة المجهود لتوفيرها هى فى الواقع استثمار جم الفائدة فى سياسة عملية فعالة مثمرة .

وسياسة الجامعة العربية إذا تطلبت فى جناحها الغربى (شمالى أفريقيا) سياسة تحد فان النشاط فى الجناح الشرقى يحتاج إلى توجيه وتركيز فى خطوات عملية يكون الإخلاص والكفاءة والعلم روادها . وكلا المنهجين جزء من المصلحة الأساسية المشتركة ، فهما متممان لعمليات الصراع فى فلسطين ، وهما متممان لتحرير الخمسة والعشرين مليونا من المعذبين فى ظل الاستعمار الفرنسى الشنيع ، ولدفع الأذى عن الإنسانية البسيطة التى تلعب بالنار على مقربة من البارود الروسى .

وهما أساسيان لتدعيم التنظيم الإقليمى والتكتل الجغرافى الذى تعمل له الجامعة . وهما بعد هذا وذاك انتصار للحق والعدالة .

(نيويورك) **محمد حلبى**

سكرتير معهد الشؤون العربية الأمريكية

جحـــود...

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا أخى ، كيف صرت بعدى ؟ ها هى الأيام تمر فى غير وناء ولا تلبث فلا أراك ولا أسمع عنك ؛ وتصلب قلبى وتحجرت مشاعرى فما عدت أجد فقدك ولا أحس بعدك . إنى إخالك قد فرغت — منذ أن تدابرنا — إلى عملك الحكومى ، تبذل فيه طاقتك وتصرف إليه غايتك ؛ وتهيأت لمصالحك الخاصة — كما تقول — فاستنفدت جهدك واستغرقت وسعك ، فما أصبح فى وقتك فضلة تصل فيها ذوى قرابتك أو تزور صحابتك . واغترقت فى سراب كاذب فتصنعت بالكبرياء وتخلقت بالترفع ، وإنى لأعجب من أسلوبك ، فما أراك تلبس هذا الرياء إلا أمام أهلك فحسب

فأنت فى ديوانك الحكومى لقى فى ناحيـة من حجرة بين أكداس من الورق ، همل بين همل من الموظفين . ورئيسك يرى فيك المثل الأعلى للموظف المجد ! والموظف المجد فى رأى رئيسه هو من يمشى عينيه فى القراءة والتحديق ، ويبرى أنامله فى الكتابة والتسطير ، ويقوس ظهره فى الانحناءة والخضوع ، ويهدر كرامته فى الاستكانة والخنوع ، ويلغى عقله فلا يتأبى على عمل ولا يجادل فى رأى . لهذا فهو يغفلك ويهملك. أرأيت أصحابك وهم يحاولون أن يتحدثوا إليك فى التليفون ، إن رئيسك يهر فيهم هريراً مفزعاً ، وينكر وجودك فى إصرار امتهاناً لقدرك ، ويتجاهل مكانك فى عناد احتقاراً لك !

يا أخى ، لقد تصلب قلبى ، وتحجرت مشاعرى ، فما عدت أجد فقدك ولا أحس بعدك ؛ غير أنى أشعر — حين تحوم خواطرى حواليك — بخيبة أمل ... خيبة أمل الأب باق من وحيده وقد اشتد عوده ونما غراسه وبلغ مبلغ الرجال ... يلقى منه العقوق والجحود جزاء له على أبوته ، وعلى أن بذل دمه وماله وعمره ليكون ابنه رجلاً بين الرجال . أفتصيب الأب حمى الندم حين يحس خيبة الأمل من أثر العقوق ؟ لست أدرى ... !

لقد كنت — يا أخى — أمل أسرة : أبى وأنا وأنت ؛ وقد ماتت أمى عنا صغيرين !

أما أبى — رحمه الله — فقد نشأ — أول ما تنشأ — فى الأزهر ، وتنشق عبيره ، وذاق حلوه ومره ، وانطبع بطابعه . والأزهر يسم بنيه بسمات فيها الورع والتقى والاستسلام إلى القضاء والقدر والرضا بالواقع والعزوف عن لذائذ الحياة وأطايبها . ونمت هذه الخصال فى أبى منذ أن كان صبياً واشتد غراسها على الأيام ، تغذيها حياة الريف وهى هادئة رتيبة فى منأى عن مصطرع الحياة ومعترك النوازع ؛ فما تكالب على المادة من حرص ، ولا اندفع فى غمرات الدنيا من جشع ، ولا تزاحم على نفع من طمع ، ولا خلبه المال من شهوة ؛ فعاش على حيد الحياة يأخذ نفسه بالزهد والقناعة ، ويروضها على التقشف والخشونة ، ثم لا يحفل — من بعد — أفاضت غلات أرضه عن جود وسخاء ، أم ضنت عن شح وضيق . ونحن — أنا وأنت — فرحة قلبه ، وبهجة فؤاده ، ونور عينيه ، يضمنا حنانه ، ويرسلنا عطفه ، ومنتهى أمانيه أن يرانا — إلى جانبه — رجلين !

وكنت أنا أكبر ابنيه ، وأحس أبى — والسنون تمر — أنه فى حاجة إلى من يتخذه رفيقاً وصاحباً وعوناً ، فتلفت فإذا أنا إلى جانبه ، فألقى بأعباء الحياة بين يدى وقال : « احمل » ! فحملت العبء وحدى وأنا ما زلت فى سن الصبا وفورة الشباب ! حملت العبء وانصرفت عن المدرسة فى نشوة وطرب ، تكتنفنى خواطرى الصبيانية ، وفى نفسى أننى رجل وأننى رب هذا البيت ، وما فيه غير أبى وهو بين صلواته وتسابيحه فى شغل ، وغيرى وبين يدى شئون الدار والغيط أصرفها كيف أشاء ، وأنت فى المدينة تلميذاً بالمدرسة الابتدائية . وأخذنى أبى — رحمه الله — بالنصح فى غير غلظة ولا جفوة ، وأنا أهتدى مرة وأضل مرة ، وهو من ورائى يدفعنى إلى غاية !

وعشت فلاحاً بين فلاحين ، أبذر الحب وأرجو الثمار من الرب

ومرت الأيام تشعرنى بأن أبى هو صاحبى ، وأنك أنت — يا أخى — ابنى ، وأننى صاحب الدار والأرض والغلة جميعاً .

وأحس أبى منى الرجولة ، فراح يزين لى أن أتزوج من فتاة من ذوى قرابتى لنجد ريح المرأة فى الدار بعـد جدب ؛ والمرأة تشيع فى الدار الحياة والحركة ، وتبعث فيها النظافة والنظام ، وتنفث فيها السعادة والمرح ؛ وهى تشد أزر الرجل وتعينه على شواغله وتمسح عنه وعثاء الحياة وعناء العمل . وأصغيت إلى حديث أبى وفى النفس نوازع جارفة تدفعنى إلى أن ألبى رغبته ، ولـكنى رفضت فى رفق وأنا أقول : « يا أبى ، إن الزوجة تصرفنى عن أخى وهو فى المرحلة الأخيرة من الدراسة ، وأنا أخشى أن

تشغلني الزوجة عن أن أوفر له حاجاته — وما بنا ثراء — فينهار البناء أو يوشك وهو أملنا » ... وسكت أبي وسكت ...

وقضيت سنوات شبابي الأول أبذل غاية الجهد في الغيط لأوفر لك حاجاتك في البيت وفي الجامعة ، وهي تزداد رويداً رويداً على حين تعصرنا أزمات عنيفة من الجمود الاقتصادي الذي سبق الحرب العالمية الثانية ، ومن هبوط أسعار المحاصيل إلى درك لا نكفي معه غلات أفدنة أن تسد حاجة طالب واحد ، وللجامعة طلبات تقول للطالب : إما أن تكون غنياً أو تكون جاهلاً ! ورضينا — أنا وأبي — أن نقنع بالقليل ونجتزئ بالتافه ، أشعر بالضيق في صبر ، وأحس الحاجة في تعفف ، وأنا شاب تتجاذبني أطراف الحياة وملذاتها فأدفعها عني ، أدفعها لأنك أنت تستنفد كل مالنا في غير شفقة ولا رحمة !

أما أنت — أيها الفتى المدلل — فقد تخرجت في الجامعة ، وما تذوقت طعم الحاجة ، ولا أحسست مس الضيق ، وقضيت أيام المدرسة في هدوء وطمأنينة ، نخصك بالشهي من الطعام ، وأنا في شظف من العيش ؛ ونحبوك بالغالي من اللباس ، وأنا أتوارى خلف أسمال ؛ وتنعم بالدفء شتاء وبالراحة صيفاً ، وأنا أصارع الأجواء في صبر يعركني زمهرير الشتاء ويفريني سعير الصيف ... ثم توظفت في الحكومة !

ولما مات أبي — رحمه الله — خلوت بي تقول : « يا أخي ، إنك أنت أخي وأبي في وقت معاً ، ولقد نزلت عن رغبات نفسك في سبيلي وأنت في مستهل العمر ، والآن لم يبق لي في هذه القرية غير عطفك وحنانك ، وغير حبك وإخلاصك ، فقم على زراعة أرضي كيف تشاء ، ثم أعطني فضل ما يزيد على حاجتك ... »

وانسرب حديثك إلى قلبي يخفف وطأة الصدمة ، ورضينا معاً أن أستأجر منك ميراثك كله (بأجر المثل) ، فأ كفيك عناء السفر وجهد التحصيل ...

وبعد سنة واحدة حدثتني حديثاً فيه الرجاء تقول : « يا أخي ، إن الأسعار ترتفع في غير هوادة ، وإن حاجات العيش في المدينة تكلفني فوق ما أطيق ، وأنا أدفع نفسي عن كثير من حاجاتها ، فهل ترضى أن نرفع إيجار الفدان إلى كذا وكذا ... لأجد سعة من المال ؟ » ... ونزلت عند رأيك ، وأنا أحس أن في كلامك شيئاً غريباً علي ، وأنه يستر حديثاً بعده ، وأن نبرات صوتك تتحدث بأمر . ورغم أنك تعرف مواسم الدفع والتحصيل ، فقد سلكت سبلاً — حين طالبتني بحقك — أشعرمعها بالحرج والعنت

وبعد سنة أخرى جئت تقول : « أظنك تعلم — يا أخي — أن إيجار الفدان قد ارتفع إلى كذا وكذا ... وأن هذا السعر يبهظك ويشق عليك ، فهل تنزل لي عن أرضي ليستأجرها غيرك ! » قلت : « يا أخي ، إن كان الأمر هو أمر السعر فحسب ، فأنا دائماً أدفع لك أجر المثل ، وإن كان غير ذلك ، فا كشف لي عن دخيلة نفسك » ... فأصررت أنت على قولك : « إني أريد أن يستأجرها غيرك شفقة مني عليك ، ثم إني أطمع أن أحس بملكية ميراثي من أبي ! » ورأيت في تشبثك التافه خلقاً لم أعرفه عنك من قبل ! ثم جاء عمك يقنعك ، فعدلت عن رأيك ، ورضيت أنت ورضيت . وخيل إلي أنك ندمت على أن نزلت عند رأي عمك ، فأردت أن تفزعني عن أرضك في أسلوب وضيع ، فأخذت تتطاول علي — على ملأ من الناس — تريد أن تشعرني بأنني عبد فضلك ، فكنت أدفعك عن هذا الرأي في هوادة ، وأنزع عنك هذه العقيدة في لين ، وأسلوبك يبعث في الغضاضة والضيق ! ورحت أوحي إليك بأننا صنوان ، وأن ما أربحه من أرضك لا يغني من جوع ، ولا يرد غائلة العسر ، ولا يرتفع بي إلى الغنى ، ولكن كبرياء الوظيفة ، وزيف المدينة ، وبريق الثراء المزعوم ، كانت كلها قد كدرت صفاء قلبك ، وطمست على صواب رأيك ، فتعاليت على أخيك الفلاح ، وأنفت أن تكون في لباسك الأفرنجي إلى جانبه ، وهو في جلبابه ، ونسيت ما كان منه أيام أن كنت ...

يا أخي ، إنك لن تكون شيئاً ، إن أنت قطعت وشائج القربى أو صرمت أواصر النسب !

وتماديت في غوايتك دون أن تبادلني الرأي ، فأرسلت رجلاً من أوشاب الفلاحين ليستولي على أرضك — وقد زرعتها — ويقول : « هذا حقلي استأجرته من مالكه » ... ومالكه هو أنت يا أخي ! وعجبت ... ولكن الرجل نشر أمامي (عقد إيجار) يدل على أنك أنت كاتبه !

ونظر الفلاحون بعضهم إلى بعض وزُمَّتْ شفاههم على ابتسامات فيها السخرية وفيها الإشفاق ، وشعرت أنا — لأول مرة في حياتي — بأنك قد أدميت قلبي ، وجرحت نفسي ، وامتهنت كرامتي ، وبأنني أصبحت بين الفلاحين شيئاً تافهاً !

ورضيت — يا أخي — أن تخول هذا الرجل أن يفتات على حقي ، وأن ينازعني ملكية غيط ، وأن يقف مني موقف الند للند ... وثارت ثائرتي .. فطردت صاحبك من الغيط ... وطردتك من نفسي ...

كامل محمود حبيب

عقيدة وحدة الوجود
وأثرها في فكر طاغور

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

ان حقيقة وحدة الوجود هى حجر الزاوية فى الديانة الهندوكية مثلها فى ذلك مثل التوحيد فى الإسلام والتثليث فى المسيحية . فلا عجب إذا استلهم طاغور الهندوكى هذه الحقيقة وجعلها محور تفكيره وينبوع مشاعره وانفعالاته . فلقد سبقه متصوفة الإسلام فى التأثر بها بالرغم من تعارضها فى جهات كثيرة مع تعاليم الدين الإسلامى ، وادعى الحلاج أنه الحق أى الله ، ووضع ابن عربى تصميم فلسفة تدور حول وحدة الوجود . فإن استقى طاغور أخيلة قصصه وإلهامات أشعاره من معين عقيدته الدينية وجدّ بفكره فى إبرازها فى صورة حية بسيطة تشعر بصدق صحتها وسهولة تحقيقها ، فليس ذلك إلا لطغيان عاطفة دينية قوية على مشاعره رغبته فى التعبير بمختلف الوسائل الفنية والفكرية التى تيسرت له عن عقيدة يؤمن فى قرارة نفسه أنها حق ، فانتفع بشتى مقومات الحضارات الشرقية والغربية سواء أكانت قديمة أم حديثة ، واتخذ منها أسساً ليدعم بها عقيدة وحدة الوجود ، ويوضح ما يكتنفها من غموض ، ويرغب الغير فى تصديقها ، ويحض الهنود على اختلاف مهنهم وأعمالهم على تحقيق اتحادهم بالله والخليقة .

وتقرر عقيدة وحدة الوجود الهندوكية أن الله يستقر فى أعماق النفس الإنسانية ، ويظهر فى الحيوان ، ويبرز فى النبات ، ويتجلى فى الماء والنار ، وينتشر فى سائر مكونات الكون . وأن الله حقيقة حية حاضرة فى كل مكان ، دائمة الاتحاد بالوجود ، وتتخذ مظاهر متنوعة تبدو فى صور محتويات الطبيعة المتعددة من إنسان وحيوان ونبات وجماد ، وتشمل جميع هذه الأشياء وتضمها فى وحدة مطلقة أبدية ، وتمنحها حقائق روحية خلاف مظاهرها المادية .

ويعلل طاغور حلول الله فى الخليقة بأن الله حينما امتلأ بالسرور فاضت عنه الخليقة ، فالكون عند طاغور هو الصورة التى يتجلى فيها سرور الله ، لأن طبيعة السرور أن لا يبقى على حالة مجردة ، ويبحث على الدوام عن قالب مقيد بقانون يصب وجوده فيه ، فإن الفنان الذى تمتلىء نفسه بالسرور عند اكتمال فكرته الفنية يسرع عادة فى استعراضها مثلا فى صورة الغناء الذى يخضع لقواعد الموسيقى ، أو فى قالب الشعر الذى يخضع لقانون تطور المعانى وقواعد العروض . وكذلك سرور الله يرتسم فى صورة النفس الإنسانية التى تتقيد بالقوانين الأخلاقية ، كما يبدو فى صور مكونات الطبيعة التى ترتبط برباط القوانين الطبيعية .

وعلى الإنسان أن يسعى لمعرفة هذه القوانين لا على أنها غايته القصوى فى الحياة ، بل لأن معرفتها يبعث فى النفس ذلك السرور الذى صدرت بسببه الخليقة عن الله ، ومن ثم يعى الله الذى حل فى كل شىء ، ويشعر بتلك الوحدة المتماسكة التى تضم أجزاء الكون إلا أن المرء لن يحظى بغايته الدينية ما لم يظهر أولا الله الكائن فى قرارة النفس ، ويبرزه فى عالم الشعور مثل ما تبرزه الشجرة من الحبة . ولن يحصل على كماله الروحى إلا عند ما يتلاشى شعوره بذاتيته ويدمجه فى كل ما حوله من كائنات ، وبغير ذلك لن يدرك أحد حقيقة وحدة الوجود . ولكن إذا تمكن الإنسان من أن يحس بوجود الله فى دفينة نفسه فكيف يمكنه أن يعى الله فى كل شىء فى العالم ويندمج فيه ، لأن عدد ما يحتويه العالم من مخلوقات لايدركه الحصر؟ ولكن يتفادى طاغور هذه الصعوبة على رغم أن الإنسان قبل أن يفنى روحه فى الوجود عليه أن يصل إلى أغوار نفسه ويدرك الله الكامن بها . وعن طريق وعى حقيقة كون الله فى النفس الإنسانية واتحاده بها يكشف الإنسان عن تغلغل الله فى سائر محتويات الوجود ، ويتخذ من تلك الحقيقة مصباحاً يهتدى به فى وعى اتحاد الله بمختلف نواحى الكون وإدراك الوحدة الكبرى التى تربط أجزاء الوجود . شأن الإنسان فى هذا الإدراك شأن كشف العلم عن قوانين بسيطة عامة عن طريق بحثه مجموعة من الظواهر والحوادث يستعين بها بعدئذ فى فهم الظواهر والحوادث المتشابهة التى لم يكن قد بحثها من قبل . فلا بد للانسان إذن أن يدرك أولا حقيقة عامة تنير له سبل معرفة كل ما يريد أن يعرفه عن وحدة الكون . فإن عرف مبدأ استقرار الله فى

أعماق النفس الإنسانية واتحاده بها يمكنه أن يسترشد به فى الغوص فى مجاهل الوجود تدريجياً إلى أن يتجلى له الله فى صور الأشياء جميعاً فى صورة بعد صورة ، حتى يجد نفسه غارقاً فى لا نهايته الفسيحة التى تضم كل محتويات الوجود وتوحدها فيعجز عن أن يميز بين حقيقته الفردية وحقيقة الله الكلية ، لأن تدفقه المستمر نحو الله الذى يتوسم فى الكون صيره الله وأصبح لا يحس بوجود خلاف وجوده الذى هو وجود الله .

فمفتاح وعى الله ووعى الوجود هو وعى الروح ، وأول خطوة يجب أن تخطى نحو تحقيق الكمال الروحى هى أن المرء يعرف أنه روح فى جوهره ، ولا يستطيع أحد أن يعرف ذلك ما لم يكن لديه نور من ذات نفسه يحدس به صورة الله فى النفوس الإنسانية ؛ وذلك لا يتأتى إلا بعد خضوع النفس لسيادة قانونها الأخلاقى ، وقيام الإنسان بعمل صالح مفيد ، ثم أدائه فروض الدين ، لأن سيطرة القوانين الأخلاقية على الحياة الإنسانية تحررها من نزوة الشهوة وتخلصها من إغراء مفاتن الدنيا ، وتطهر النفس وتمدها لإدراك وحدة الوجود . بينما قيام المرء بعمل يعود على بنى الإنسان بالخير ، يعبر عما يختلج فى نفسه من مشاعر إنكار الذات وقدرة على تعدى ذاته الفردية إلى شىء عام خارج عنها . أما أداء الشعائر الدينية اليومية من صلاة وصوم ودعاء بإخلاص صادق ينم عن إيمان قوى ، فإنه يزيل كل ما يعوق اجتهاد النفس فى سبيل كشف الله فى داخلها ، ويعد الوعى الروحى بالتقوى والصلاح والورع التى تفسح الطريق نحو اللانهاية .

وما إن يتم بالروح الطاهرة الخيرة النشيطة إدراك اتحاد الله بالنفس البشرية بالبداهة الروحية والحدس الفطرى يجب أن تستنير بهذه الحقيقة فى إدراك الله فى الطبيعة عن طريق كشف القوانين الطبيعية التى يدخل تحت نطاقها كثير من الظواهر المتشابهة والحوادث المتكررة والأشياء المتماثلة التى أحل الله سروره فى كل منها على صورة القانون الخاضعة له ، ثم يستضىء بهذه القوانين العلمية فى الإحساس بانسجام أجزاء الكون وتوافقها الذى يوحى بتذوق جمال وحدة الطبيعة واتحادها بالله .

ولكن إدراك الله فى النفس وفى الطبيعة وإحساس وحدة الوجود أمر جزئى لا يكفى لتحقيق الكمال الروحى الذى لا يتوصل إليه إلا عن طريق الحب الذى يغمر النفس عند الإحساس بذلك السرور الذى يتولد من إدراك حقيقة وحدة الوجود ، وذلك يحدث حين تصير فكرة وحدة الوجود حية فى النفس واضحة للعقل ، ويعيشها الإنسان فى كل عمل يأتيه ، وفى كل قول يصدر عنه ، حتى يصبح إدراك هذه الوحدة أكثر من مجرد فكرة ذهنية ، وينبعث من الإنسان وعى يشع نوره من معرفة الله المقيم فى كل شىء ، فيشمل هذا الوعى سرور مبهج ينجم عنه حب عميق لكل شىء يستقر فيه الله ، وحب الغير أسمى ما يصل إليه الإنسانية من درجات الرقى الروحى ، ففيه يتلاشى الشعور بالفردية ويختفى التباين بين الله والطبيعة والإنسانية ، وتعرف الروح أن حقيقتها تتضمن أكثر من وجودها الشخصى ، وتوقن أنها حرزت على وحدتها التامة مع الخليقة التى يتوسم سرور الله فى كل وجه من وجوهها .

* * *

ولم يتورع طاغور من أن يسير مع الدين الهندوكى إلى آخر مداه ، ويؤمن معه بأن الإنسان يجب أن يسعى ليتحد بالله حتى يصير هو والله حقيقة واحدة . إلا أنه حاول أن يخرج نفسه من هذا المأزق ، وينفى عن الإنسان أصالة الربوبية بادعائه أن القول بأن الروح يجب أن تصبح الله ، لا يقصد به أن روح الفرد هى الله بالفعل ، إنما يقصد به أن الله هو المثل الأعلى اللانهائى الذى ينبغى أن يتحول إليه الروح . ومثل الروح فى ذلك مثل ماء النهر المتدفق نحو البحر ، فإنه يستطيع أن يقول « أنا البحر » ، ولكنه لا يستطيع أن يزعم أن البحر جزء منه أو ترعة فيه ، وتستطيع الروح كذلك أن تكون الله ، كما يصير النهر بحراً ، ولكنها لا تستطيع أن تدعى أن الله جزء منها ، أو تنكر أن غايتها الأخيرة أن تغوص فى لانهائيته ، ثم تنمو وتزداد فيه على الدوام حتى تشمله جميعه وتصير حركاتها متفقة مع أنغام هذه الحقيقة اللانهائية .

وإن استطاع طاغور أن يفلت من هذا المأزق ، فلقد واجهته مشكلة أخرى مستعصية ، وهى كيف يتحد الإنسان المحدود بالله الغير محدود ، فإنهما متناقضان والجمع بينهما مستحيل ؟ ولكن طاغور لم يجد صعوبة كبرى فى دفع هذا الإشكال دفعاً سلبياً ، ويبين أن اجتماع اللانهائى لا يظهر ما فيه من تناقض إلا المنطق ، أما فى الحقيقة ، فليس هناك مشكلة على الإطلاق . والمنطق بجدله لا ينفى فقط اتحاد الله بالإنسان والكون ، بل يستطيع كذلك

يمقد البديهيات ويدلل على أن البعد بين نقطتين مهما تقاربتا يصح أن يكون بعداً لا نهائياً لا يمكن اجتيازه ، إذ من الممكن تقسيم هذا البعد إلى أبعاد صغرى لا متناهية العدد يستحيل عبرها إذا أخذت كل منها على حدة . هذا فضلا عن أن العقل الذى يستعين بالمنطق فى كسب معرفته ليس إلا آلة أو جزءا من الإنسان ، ولا يستطيع أن يحصل على معلومات إلا من الأشياء التى تقبل التقسيم والتحليل والترتيب ، ففصل العقل بين الله والإنسان والأشياء ، ولكنها فى الحقيقة متحدة اتحاداً تاماً .

وإن مايبدو فى هذه الوحدة من تناقض لايخل بهذه الوحدة ؛ لأن تناقض الوجود فى حد ذاته لا يتعارض مع وحدته ، فإن ما يشاهده الإنسان فى الطبيعة من تضاد بين الحرارة والبرودة والحركة والسكون يثبت أن فى الكون مجموعة من القوى المزدوجة المتضادة تعمل فى اتحاد كامل مثل اتحاد اليد اليمنى واليد اليسرى وإن كانتا تعملان فى ناحيتين مختلفتين ، فإن هذا الاختلاف لم يسبب أى تنافر فى نظام الكون ، بل قامت فيه وحدة ناتجة عن ملاءمة قوى الطبيعة بعضها لبعض والتناقض بين اللانهائى والنهائى من هذا النوع ، ولا يمنع من اتحادهما ، بل لا غنى لأحدهما عن الآخر ، فإن الله فى حاجة لعودة الإنسان إلى اللانهايته التى انبعث منها حتى تتحقق وحدة الوجود ، بينما الإنسان فى حاجة إلى الله ، لأن كماله لايتم إلا إذا أفنى ذاته المحدودة فى ذات الله الغير محدودة ، وإن ما يوجد بينهما من تناقض ظاهر يزول بالسرور والحب المتبادلين واللذين يوفقان بين لانهاية الله وبين نهاية الإنسان ، ويجمعان بين أغراضهما بحيث يصبح هدف الله وهدف الإنسان هدفاً واحداً ، ألا وهو بلوغ أعلى درجات وحدة الوجود التى لا تتحقق بالإنسان من دون الله ، ولا بالله من دون الإنسان ، ولكن باتحادهما جميعاً .

***

وبالرغم من أن طاغورساير الدين الهندوكى فى تصوره حقيقة وحدة الوجود ، وحاول إزالة ما يكتنف هذه الحقيقة من غموض ، إلا أنه فى الوقت نفسه لم يساير الهندوكيين مسايرة الأعمى وعمد على ألا تكون حقيقة وحدة الوجود عقيدة جامدة بعيدة عن متناول العامة ، وتبلغ من السمو والرفعة بحيث لا يستطيع الوصول إليها إلا خاصة الخاصة ، ويتطلب الشعور بها جهوداً شاقة فوق قدرة الإنسان العادى ، فأخرج هذه العقيدة من كهف الزاهد النائى إلى حياة عامة الناس ، وأعطى لها من الحيوية والشيوع بحيث مكن الرجل التقى الصالح والعالم والفنان ورجل السياسة والمصلح الاجتماعى وأرباب الأعمال الاقتصادية والصانع والزارع من تحقيق هذه الوحدة بعد أن كان تحقيقها قاصراً فى العصور القديمة على هؤلاء الزهاد الهاجرين الحياة المعذبين لأنفسهم وأجسادهم .

ويبدو أن طاغور أحس بأن ما كان يتبعه زهاد قدماء الهند من أساليب ، أو ما كان يسلكه متصوفة الإسلام من طرق ، أو ما كان يحياه المتعبدون المسيحيون من رهبنة ، أصبح لايلائم الحياة العصرية التى تجد وراء الرقى المعنوى والكمال المادى كما يحرم المواطنين من القيام بواجباتهم الاجتماعية ، فلو فرضت هذه الاجتهادات الدينية والرياضيات النفسية على الإنسان المعاصر لحمل أكثر مما يطيق ، وما ثابر على ممارستها ، وقد يدب فيه نوع من اليأس يثنيه عن تحقيق غايته الدينية ، وإن قدر أن يحاكى الزهاد القدماء لقصر فى مسئولياته العائلية وفى واجباته الوطنية ، وما استطاع أن يساهم بأى نصيب فى تقدم المجتمع الإنسانى .

فسهل طاغور سبل تحقيق الذات بحيث جعل الاتحاد بالله عن طريق الشعور بالسرور الذى يشمل الروح عند خضوع النفس للقوانين الأخلاقية وأدائها الشعائر الدينية وقيامها بعمل نافع خير يدل على صدق استسلام النفس التام لسيطرة القانون الخلقى ، ثم ملاحظة أن سرور الله يمتد فى الكون فى صورة القوانين الطبيعية وإن معرفة هذه القوانين وإحساس ما تنطوى عليه الطبيعة من توافق رائع وانسجام خلاب يتم للانسان تحقيق وحدته بالوجود الذى حل فيه سرور الله .

وبذلك جعل طاغور الاتحاد بالله على أساس متين من الأخلاق والدين ، ويتوصل إليه عن طريق مسوغات الحياة الراقية الحديثة من عمل وعلم وفن ، وبين للهندى أن عقيدة وحدة الوجود ليست دين الخاصة ، إنما هى دين الجميع .

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

خواطر سياسية وأدبية

للدكتور السيد محمد يوسف الهندى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

كتاب (الفتنة الكبرى) والدكتور طه حسين :

وبما أن الأستاذ محمود محمد شاكر خص اليهود بالذكر وأن إخواننا العرب ربما تفضلوا بالقاء دروس فى القومية والوطنية على مسلمى الهند أود أن أضيف كلمة عن علاقات المسلمين بالوثنيين والمجوس حتى أثبت أن الكفر ملة واحدة وأن نظرية المواطنة الحديثة لا تكسر من عدائها وشرها ، كما أن التسامح والمعاملة الحسنة لم تؤمن أية حكومة إسلامية فى أى عصر من عصور التاريخ من جميع أنواع الدسائس والأعمال الهدامة والجاسوسية لصالح الدول المجاورة المعادية . ولولا خوف مجانبة القصد لكان فى وسعى أن أقيم الأدلة على أن الإجراءات التى ربما اتخذت ثم أهملت ثم جددت ضد غير المسلمين فى مختلف أدوار الحكم الإسلامى — العربى منه والعجمى — لم تكن إلا رد فعل لما تجلى فى أعمالهم من عدم الولاء وروح الطابور الخامس . ولم يتعد قدر تلك الإجراءات إلا فى بعض الأحوال قدر الأحكام العرفية والخطوات الاحتياطية التى لا تحجم أية حكومة فى أيامنا هذه عن اتخاذها ضد رعايا الحكومة المعادية والمالئين لها . وخلاصة القول أن المسلمين أمة مستقلة لا بد أن يعيشوا بهذه الصفة فى سياستهم واقتصادهم وجميع شؤونهم حتى يتأتى لهم التعهد بسلامة الأرواح والأموال وحرية العقيدة وحسن الجوار للذين جعلهم الله فى ذمتهم ، وهذا الوضع أى كون المسلمين فريقاً ذا قوة وشوكة راعياً لحقوق الكفار والمشركين لمجرد الوفاء بالعهد والتمسك بالخلق الكريم لا لضغط اقتصادى أو مالى أو سياسى خارجى أو داخلى مع كونه قادراً على نبذ العهد إلى الخائنين فى أية لحظة — هذا هو الوضع الوحيد الذى يضمن عدم اجتراء الذميين على أية حركة مضادة للدولة الإسلامية وحسن تقديرهم للمعاملة الشريفة التى يلاقونها على أيدى المسلمين ، فإنى وإن كنت أؤيد الشاعر فى قوله « ومن لا يظلم الناس يظلم » أعتقد أن كل من ليس بقادر على الظلم لابد أن سيظلم؛ إذ الإنسان لا يزال بعيداً عن العهد الذى يعترف فيه للحق الأعزل والعدالة التى لا تسندها القوة . أما الوضع الحالى السياسى فى الممالك العربية فلا يسعنى إلا أن أقول إنه قائم على أساس علاقة الإسلام مع العروبة مثل علاقة الخليفة العباسى مع وصيف وبغا وهو إنما يؤدى إلى تنويم المسلمين وحرمانهم مما هم جديرون به .

أما ما يتعلق بكتاب الدكتور طه نفسه فيجب أن أعترف أنى بدأت فى دراسته وفى نفسى شىء مما قرأت وسمعت عن العواصف التى ربما أثارتها مجهوداته العلمية السابقة فى المحيط الأدبى وأنا متأكد من أن آفة الأديب أن تكون باكورة أعماله متميزة بطابع النقد اللاذع الهدام للآراء المألوفة ، فإن مثل هذا العمل وإن يكن وسيلة ناجحة فى لفت الأنظار إلى براعته ، فانه ربما يضع الكاتب فى موقف حرج بحيث يسمه بسمة الغرابة ، فالقراء لا يرضون منه — فيما بعد — إلا أن يأتى برأى شاذ فى كل ما يتناوله ، وقلما يقبلون منه أن يقرر رأياً سبق أن عرفه الناس . ثم إن مثل هذا الأديب — مع أنه يتحفز إلى النقد مدفوعاً بطبيعته وبنوع من الإيعاز من قرائه ، فهو يجتهد دائماً فى الاحتفاظ بالحياد وعدم المحاباة والترفع عن التعصب حتى لا ينحط قدر الصادر منه . وينتج من ازدواج هذين العاملين أنه ربما يضطر إلى المصانعة مع الغير والقسوة على ذويه ، فهو يوجه النقد إلى ما ينتمى إلى نفسه ويلين ويتحذر حينما يخاف أن يتهم بالمجاراة مع عواطف الجمهور فيما يتعلق بالغير . نعم أقبلت على قراءة « الفتنة الكبرى » وأنا مستعد للمفاجآت فدرسته بنهم وشوق ، وفرغت منه وأنا ملىء بالإعجاب ببراعة المنهج وحسن الترتيب ، وسرد الوقائع ، واستقصاء الملابسات ، وتحليل الظروف ، وتفقد الأسباب الخارجية والعلل النفسية ، ما عدا الأسلوب النقى الرائع الممتاز . ولئن كان هناك شىء يبرر ما خيل إلى البعض من التعمد إلى التلطيف فيما يتعلق بقصة عبد الله بن سبأ فانه لا يسع أحداً أن ينكر السبب الرئيسى للفتنة ألا وهو سوء إدارة الحكومة بيد عثمان الشيخ العطوف السمح ، حسن النية ، ضعيف التدبير بحيث انفسح المجال أمام بنى أمية للتغلب على موارد الدولة والاستئثار بمناصبها . ثم الغلبة على نفس الخليفة ورأيه عن طريق

قلبه . ولا شك أن عبد الله بن سبأ وأمثاله لم يكن ليتأتى لهم أن يعملوا ما عملوا — سواء أكان عملهم خطيراً أم ضئيلا — بدون أن يجدوا أمامهم أحوالا مهيأة للاستغلال . ومحق أكد الدكتور طه أن عبد الله بن سبأ إنما استغل أحوالا نتجت عن مصدر آخر.

ولكنى دهشت حينما رأيت الدكتور طه يعاود مراراً القول بأن الأحوال والظروف طغت على عثمان كما كان لا بد وأن تطغى على أى واحد حل محله — يعاود الدكتور طه هذا القول بعد أن تبين أسباب الفتنة بوضوح وجلاء تامين ، ولا أفهم معنى لاتهام الأحوال والظروف إلا أن يكون محاولة لتبرئة عثمان كما حاول الآخرون إلقاء اللوم على عاتق عبد الله بن سبأ وأمثاله للغرض نفسه ظناً منهم بأن مكانة عثمان الدينية لا بد أن تعصمه من أى خطأ سياسى أو زلل إدارى . ولنتساءل : ماهى الأحوال التى جدت بعد وفاة عمر ؟ إن أعظم مشكلة واجهتها الخلافة الإسلامية فى نشأتها هى كثرة الفتوح وتنظيم الموارد وتصريف الريع الوارد من الأمصار ، وقد فرغ عمر فى حياته من تدبير جميع هذه الأمور تدبيراً عاماً شاملاً بحيث لم يكن على من يخلفه إلا أن يخطو خطوه ويحذو حذوه ، وهذا ماعاهد عليه عثمانُ عبدَ الرحمن ابن عوف وقت البيعة ، ولكنه لم يستطع أن يهتدى بهدى عمر فى تسيير دفة الإدارة ولم يلبث أن سلط آل أبى معيط كما كان عمر قد تنبأ بذلك .

وقد عرض الدكتور طه لنقد بعض التقاليد الدستورية عند المسلمين فى ذلك العهد ولكنى أخشى أن يكون استسلف لذلك النقد موازين ومقاييس من حياة الأمم الغربية السياسية المعاصرة ، أولا ترى الدكتور طه يفرض فرضاً بأن الحكم النيابى الغربى هو المثل الأعلى لكل شعب وكل إقليم وكل عهد فيبادر إلى القول بأن المسلمين كانوا خليقين بأن يفكروا فى نظام الشورى (أظن عن طريق عقد المؤتمرات وتنظيم حملات الانتخاب ومساومة الآراء) حتى يجىء أقرب إلى النظام المعمول به فى فرنسا أو بريطانيا فى أيامنا هذه . انظر إليه يزدرى شأن مجلس الشورى بوصفه مجلس المرشحين لامجلس المشيرين فى موضع ، ويشكو من «الانتداب بدون توكيل فى موضع آخر . ولعله قد تنبه إلى أن واضع نظام مجلس الشورى أعنى عمر من الذين لا يؤخذ عليهم خطأ ولو فى القرن العشرين فتكلف التماس العذر لنفسه بأن قال : إن عمر إنما هو مستوحى من صميم روح المجتمع الإسلامى بما أن الإسلام لا يخول حق التصويت لكل ذى حنجرة بل يجعل مهمة انتخاب الخليفة من اختصاص أهل الحل والعقد ؛ أما الجمهور فليس عليهم إلا الإذعان لما يتفق عليه رأى أهل الحل والعقد . قد ورد ذلك صريحاً فى أقوال الفقهاء والقضاة أمثال الماوردى ، كما أنه ثبت أيضاً بالعمل فيما يتعلق بانتخاب الخلفاء الثلاثة الأول ؛ وإذن يجب أن لا نهمل الفرق بين الديموقراطية التى تبتنى على تعداد الرؤوس فقط والأخرى التى لا تخول حقاً إلا بعد مراعاة التقوى والكفاية وحسن البلاء كما نبه عليه الدكتور طه نفسه . ولا يفوتنا أن النظام الذى وضعه عمر قد نجح نجاحاً تاماً بحيث أن منشأ الخلافات التى نشأت فيما بعد لم يكن هو طريق الانتخاب بل سوء الإدارة فقط . فلنأسف لا على أن نظام الشورى كان ناقصاً من أية جهة بل على أن الظروف حالت دون نموها واتساعها وتوطيدها .

وكذلك يتنافى مع روح الإسلام أن يعترف فى النظام السياسى بوجود أية طبقة خاصة كالأنصار وغيرها حتى يراعى « لتمثيلها » ، إنما الاعتبار كل الاعتبار بالصفات الشخصية بصرف النظر عن الطبقة التى ينتمى إليها صاحب التقوى والكفاية ؛ كما أن المسلم يستبعد منه أن يمقت الثروة فى أيدى الصالحين المخلصين للدين أو استغلالها بالطرق المشروعة ، إنما يستنكر استخدام النفوذ فى الحكومة أو الصلة بالخليفة للحصول عليها والاستئثار بها . فلنحذر من التعبير عن أحداث الفتنة الكبرى بالنزاع بين الطبقات على حد ما عرفناه من دراستنا للنظريات الغربية فان ما حدث أيام عثمان لم يكن إلا ثورة عامة ضد آل أبى معيط ، وإن اتسع نطاقها شيئاً فيما بعد .

وأخيراً تكلم الدكتور طه عرضاً عن الرق فى الإسلام ، وذلك بلهجة اعتذار ربما يكون منشأها طعن الغربيين فى الإسلام من هذه الناحية ، ولا شك أن الإسلام اهتم بوضع كل ما يمكن من المشروعات والأوامر لتقصير مدى رق الأسير ولكن النظام — كما اعتقدنا — لم يوضع لحل الرق القائم إذ ذاك فقط بل إنه نظام دائم مستمر كلما استمر المسلمون فى حياة الجد والعمل والتعمير والتمدين ، والمسلمون فى هذا العصر خليقون بأن يدرسوا نظام الرق فى الإسلام كأحسن نظام عرفته الانسانية للشفقة بأسرى الحرب وتحسين حالهم وتوجيههم وإرشادهم وكفالتهم بدون إحداث أى تغيير مفاجىء فى اقتصاد البلاد .

السيد محمد يوسف الهندى

القبـــائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

(تتمة قبيلة تميم)

— ٥ —

(١) من الظاهرات المنتشرة بين كثير من البلاد العربية القاف الصعيدية والجيم القاهرية . أما أولاهما فهي من آثار القبائل العربية عامة وبخاصة النجديين ، ويستثنى من قبائل العرب قريش الذين ينطقون بالقاف الصريحة . وأما أخراهما وهي الجيم القاهرية فهي من آثار القبائل اليمنية . فتميم ومن جاورها ينطقون القاف كما ينطقها الآن أهل الصعيد وأغلب مديريتي الشرقية والبحيرة . وأهل اليمن كانوا ينطقون الجيم كما ينطقها الآن أهل القاهرة وأكثر الوجه البحري . ولم يرد هذان النطقان للقاف والجيم في القراءات الصحيحة للقرآن .

(٢) بنو تميم يقلبون العين والهاء حاءين ويدغمون أحدهما في الآخر في مثل معهم ومع هـذا فيقولون : « مَحُّم ، مَحَّاذا » ولم يفعلوا مثل ذلك فيما إذا تقدم الهاء على العين . على أن هذا القلب في مثل معهم والم أعهد (١) لم يرد في القراءات الصحيحه للقرآن وقد سبق أن التميميين يسكنون الوسط تخفيفاً على طريقتهم إذا سكنوا تاء « وتد » قلبوها دالا وأدغموها فيما بعدها فقالوا «ودّ» بالتشديد . ويبدو أن التميميين ميالون إلى الإدغام فيما تماثلت مخارجه من الحروف أو تجانست أو تقاربت . ولعل هذا يفسر لنا السر في أن أبا عمرو بن العلاء التميمي أحد القراء السبعة اختص في القراءات بما يسمونه الإدغام الـكبير ، وذلك ما سأشرحه عند ترجمته إن شاء الله .

(٣) بعض تميم يقلبون تاء ضمير الفاعل طاء إذا كان لام الـكلمة صاداً أو ضاداً أو طاء أو ظاء ، فيقولون في مثل فحصت وعرضت وأحطت وحفظت « فحصط وعرضط وأحط وحفظط » ويظهر أن الذين يفعلون ذلك منهم يميلون إلى تقوية التاء حتى تشبه الطاء فقد ورد في معاجم اللغة أن كلمة «أفلطني» لغة تميمية قبيحة في « أفلتني » ولـكن هـذا التضخيم التميمي لم يرد في القراءات .

(٤) إذا جاءك فعل لم تسمع مصدره ففي شافية ابن الحاجب قال الفراء : النجديون يقيسونه على فعول دائماً سواء كان متعدياً أم لازماً . وأعتقد أننا على هدى هذا النص يمكننا أن نفسر المصادر المختلفة لفعل واحد ، فإذا كان للفعل مصدر واحد أو أكثر نستطيع أن نعرف على الأقل أن ما كان منه على وزن فعول هو من نطق النجديين ، وما كان على وزن فعل من نطق الحجازيين فخذ أي جزء من أي معجم فستجد مثلا « زحف زحفاً وزحوفاً وفتك فتكا وفتوكا وودق إلى الشيء ودقاً وودوقاً وعجف نفسه عن الطعام يعجفها عجفاً وعجوفاً ..» وغيره كثير . وإني لأستنتج من هذا — وأعتقد أني على صواب في استنتاجي — أن كل فعل جاء له مصدر واحد فإن كان على وزن فعل — بفتح فسكون — فقط احكم بأن أصل هذه الـكلمة حجازي وعنهم أخذته القبائل؛ وإن كان مصـدره على وزن فعول — بضمتين — فحسب احكم بأن أصل هذه الـكلمة نجدى وعنهم أخذته بقية القبائل .

على أننا في المصباح نجد بعض الاختلاف فيما روى عن الفراء إذ يقول : حكى عن الفراء : « كل ما كان من الثلاثي « متعدياً » فالفـعل بالفتح والفعول جائزان في مصدره » فهذا النص يقصر الأمر على المتعدى لـكنه يجيز لنا صوغ المصـدر على الوزنين .

وفي المصباح أيضاً نقلا عن الفارابي : قال الفراء : « باب فعل بالفتح يفعل بالضم أو الـكسر إذا لم تسمع له مصـدراً فاجعل مصدره على الفعل أو الفعول . الفعل لأهل الحجاز والفعول لأهل نجد » وهذا النص بين القبائل ويقصر الأمر على ما لم يسمع مصدره ويسكت عن كون الفعل متعدياً أو لازماً فهو يكاد يتفق

(١) في تفسير الألوسي : لغة تميم في أعهد « أحهد وأحد » وقيل « أحهد » لغة هذيل « وأحد » لغة تميم .

مع نص « الشافية » إلا أنه قيده بما كان ماضيه مفتوح العين ومضارعه مضمومها أو مكسورها ، ومع اختلاف هذه النصوص فإن ذلك لا يمنع ما استنتجته أولا بل يزيده توكيداً .

٥ — أهل الحجاز يؤنثون « الصراط والطريق والسبيل والزقاق والسوق والبر والشعير والتمر والبسر والذهب » بمعنى أنهم يشيرون إليها بالتأنيث ويؤنثون لها الفعل ويصفونها بالمؤنث ويعيدون إليها الضمير مؤنثاً فيقول مثلا : « هذه الطريق كانت واضحة وهي التي سلكتها » أما بنو تميم فيذكرون ذلك كله يقولون : « هذا الطريق كان طريقاً واضحاً وهو الذي سلكته » وإني لأستنتج من هذا ومما ورد غيره منسوباً تأنيثه إلى الحجازيين أن كل اسم مفرد استعمل مذكراً ومؤنثاً ، فالأصل في تذكيره التميميون ، وفي تأنيثه الحجازيون .

هذا والقرآن الكريم استعمل « الصراط » بالتذكير على لغة تميم « اهدنا الصراط المستقيم . هذا صراط مستقيم » وكذلك استعمل « الطريق » بالتذكير على لغتهم « فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً . يهدي إلى الحق وإلى طريق مُستقيم » . أما « السبيل » فإنه في قراءات القرآن استعمل على اللغتين : بالتذكير والتأنيث : « هذه سبيلي . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر » . وقرأ حمزة والكسائي وخلف والأعمش وأبو بكر عن عاصم : « وليستبين سبيل المجرمين » بالتذكير ورفع سبيل .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن محيصين واليزيدي والحسن وحفص عن عاصم « ولتستبين سبيل المجرمين » بالتأنيث ورفع سبيل . أما نافع وأبو جعفر فبتاء الخطاب ونصب سبيل وليس في قراءتهما هذه شاهد لأي لغة منهما . وجاءت الآية « وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا » فقرأ ابن أبي عبلة « لا يتخذوها سبيلا » . هذا ولم يرد « السوق » في القرآن إلا مجموعاً على « أسواق » فلا يتضح في مفرده تذكير ولا تأنيث . ولم يرد فيه « البر » بمعنى القمح ولا الشعير ولا البسر ولا الزقاق وورد فيه « الذهب » مما لا يظهر فيه تذكير أو تأنيث « ملء الأرض ذهباً » ومن ذهب . من الذهب » وقد قيل في الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » إن التأنيث فيها على لغة الحجازيين .

٦ — لغة بني يربوع بطن من تميم يكسرون ياء المتكلم إذا أدغمت في ياء قبلها فشددت يقولون بنيِّ ومصرخيِّ . وقد قرأ حمزة والأعمش « بمصرخيِّ » على لغة بني يربوع ، وكذلك قرأ يحيي بن وثاب وحمران بن أعين . وقرأ جميع القراء ما عدا حفصاً عن عاصم « يا بنيِّ إنها إن تك .. » على لغة بني يربوع بالكسر

٧ — بلعنبر « بني العنبر » من تميم يقلبون السين صاداً عند أربعة أحرف : (ا) عند الطاء (ب) عند القاف (حـ) عند الغين (ء) عند الخاء ، إذا كن بعد السين ولا يبالي أثانية كانت أم ثالثة أم رابعة . ويقولون في سراط وبسطة وسرقت ومسغبة وسخر « صراط وبصطة وصرقت ومصغبة وصخر » وقد ورد في المعاجم : الصاق لغة في الساق عنبرية . هذا وفي لغة قريش يقولون الصراط في السراط . وقد قرئ في السبعة وغيرها : السراط والصراط[1] كما قرئ بسطة وبصطة ومسيطر ومصيطر وكباسط وكباصط وبسطت وبصطت . وعلى العموم كل ما ولي السين فيه طاء قرئ بالسين وبالصاد قراءة صحيحة . ولعل قريشاً تشارك في هذا الحرف عند الطاء .

أما ما كان بعده قاف مثل « سقر » أو خاء مثل « سخر » أو غين مثل « مسغبة » فلم يقرأ بقلبها صاداً في قراءة صحيحة . على أننا من معرفة هذه القاعدة يمكننا أن نلغي كثيراً من مواد المعاجم التي استقلت بنفسها ونردها إلى أصلها الذي تفرعت عنه فإن كل ما جاء بوزن واحد وحروفه متفقة إلا في السين والصاد وكان في الكلمة قاف أو غين أو خاء أو طاء بعد السين أو الصاد فالأصلي منهما ما كان بالسين وأما ما كان بالصاد فهو متأثر بلغة بلعنبر من تميم فلا داعي لاستقلاله بمادة منفصلة في المعاجم لأنه فرعي ويكفي ضمه إلى أصله المتفرع عنه والإشارة إلى أنه متأثر ببعض بني تميم أو على الأقل إذا جعلناه في مادة منفصلة أشرنا إلى أنه نطق لبعض بني تميم . ولي بحث في مثل هذا نشر منذ أعوام .

٨ — أهل الحجاز يضعون لفظة «الزوج» للمذكر والمؤنث وضعاً واحداً . أما بنو تميم فيقولون زوج للرجل وزوجة للمرأة قال الفرزدق :

---

(١) كما قرئ باشمام السين حرف الزاي وهي لغة قبيلة كلب وهذا ما سأعرض له في القبائل الأخرى .

وإن الذى يسعى ليفسد زوجتى كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

والقرآن الكريم جرى على استعمال الحجازيين «أسكن أنت وزوجك الجنة . أمسك عليك زوجك . وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج » .

٩ — لفظة « جبريل » كقنديل لغة أهل الحجاز . أما التميميون فينطقونه جبرئيل « بفتح فسكون فكسر فهمزة مكسورة فياء : قال عمران بن حطان .

والروح جبريل منهم لا كفاء له وكان جبريل عند الله مأمونا

وقال جرير :

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرئيل وكذبوا ميكالا

أما حسان بن ثابت فقد استعمل اللغتين فقال :

وجبريل رسـول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

وقال :

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة مدى الدهر إلا جبرئيل أمامها

هذا وقد قرأ ابن عامر وأبو عمرو ونافع وحفص جبريل على لغة أهل الحجاز ، وقرأ حمزة والكسائى والأعمش وأبو بكر عن عاصم جبرئيل على لغة بنى تميم .

١٠ — أهل الحجاز يقولون «أنا منك براء» على وزن فضاء؛ أما التميميون فيقولون أنا منك برىء على وزن جرىء .

والقرآن الكريم استعمل اللغتين « إننى براء مما تعبدون . وأنا برىء مما تشركون » .

١١ — « الزنا » يتلفظ به مقصوراً فى أغلب اللغات . أما تميم وأهل نجد فإنهم يتلفظون به ممدوداً .

قال الفرزدق :

أبا حاضر من يزن يعرف زناؤه ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

١٢ — « الوتر » بمعنى الفرد أو بمعنى الذحل وهو الثأر . فأهل الحجاز يفتحون الواو فى الوتر بمعنى الفرد ويكسرونها فى معنى الذحل . وقيس وتميم يسوونهما فى الكسر . أما أهل العالية[1] فإنهم بالعكس من الحجازيين يفتحونهـا فى الذحل ويكسرونها فى الفرد . وقد قرأ بكسر الواو فى « والشفع والوتر » حمزة والكسائى وخلف والحسن والأعمش . وقرأ باقى القراء بالفتح على لغة الحجازين .

(١٣) لفة تميم وأهل نجد ما عدا قبيلة أسد يقولون حج البيت — بكسر الحاء — ولغة أهل العالية [1] والحجاز وأسد بفتح الحاء . وقد قرأ بالكسر حمزة والكسائى وحفص وقرأ باقى السبعة بالفتح .

١٤ — استحى يستحى بياء واحدة لغة تميم وقد ورد :

ألا تستحى [2] منا ملوك وتتقى محارمنـــا لا يبأو الدم بالدم

ولغة الحجازيين استحيا يستحيى وفى القرآن الكريم « إن الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما » وقد قرأ ابن كثير [3] فى رواية شبل وقرأ ابن محيصين ويعقوب « يستحى » بياء واحدة .

١٥ — صاعر خده يصاعره لغة الحجازيين وصعر بالتشديد وقد قرأ « ولا تصاعر خدك للناس » نافع وأبو عمرو والكسائى وخلف واليزيدى والأعمش . وقرأ الباقون « ولا تصعر » على لغة بنى تميم .

١٦ — قشط الشىء « بالقاف » لغة تميم وأسد . . وقد قرأ « قشطت » بالقاف ابن مسعود والشعبى وإبراهيم بن زيد النخعى أما قريش [4] فتقول « كشطت » بالكاف وبها قرأ القراء .

١٧ — هناك كلمات يحدث فى حروفها تقديم أو تأخير بين

---

(١) قال السيوطى فى المزهر « أهل العالية هم أهل المدينة . ومن حولها ومن يليها ودنا منها » . وقال الأمير فى حاشيته على المغنى « العالية ==

== هى ما فوق نجد إلى أرض تهامة وإلى ماوراء مكة وما والاها» . وعلى كلا النصين يكون اطلاق أهل الحجز فى لفظة الوتر قاصراً على قريش . هذا وفى اللسان : العالية ، فوق أرض نجد إلى أرض تهامة وإلى ما وراء مكة وهى الحجاز وماوالاها وقال أيضاً هى أماكن بأعلى أراضى المدينة ، والظاهر أن العالية جزء من الحجاز ونجد .

(١) كذا نص صاحب اتحاف البشر وقد تبين لى من اختلاف النصوص والمصادر أن الحجازيين إذ ذكر معهم أهل العالية كان المراد بالحجازيين قريشاً ، وإذا انفرد أهل العالية أو انفرد الحجازيون شمل أحدهما الآخر « بمعنى إذا اجتمعا افترقا » وإذا افترقا اجتمعا » .

(٢) كذا أورده أبو حيان فى البحر أما لسان العرب فأورده « ألا تنتهى عنا ملول ... »

(٣) كذا فى البحر أما إتحاف البشر فقد ذكر ابن محيصين فحسب ولم يذكر يعقوب ولا رواية شبل عن ابن كثير .

(٤) فى تاج العروس مادة قشط قال « وقيس تقول كشطت بالكاف» وفى مادة كشط « قال وقريش تقول كشطت بالكاف » وهو ما أرجحه إذ أن قيسا يغلب أن تشارك النجديين، وقريش هى التى تقابل الأغلب أهل نجد وقد يكون بعض قيس مشاركا قريشا .

الحجازيين والتميميين وغـيرهما ، وهو ما يدخل فيما يسمى القلب المكانى . ويحدث ذلك من السماع الخاطىء أول الأمر ثم ينتشر ذلك المسموع مع خطئه حتى يصبح لغة قائمة بنفسها . ونحن نجد فى كتب اللغة كثيراً من هذا النوع وما نص عليه منها قليل ، من ذلك أن الحجازيين يقولون « الصاعقة والصواعق ، وفج عميق وعثى فى الأرض أفسد فيها . ولعمرى قد حصل كذا . وجذبت الشىء » ويشاركهم فى ذلك كثير من القبائل ؛ بينما يقول التميميون الصاقعة والصواقع وبها قرأ الحسن « من الصواقع حذر الموت » « ومن كل فج معيق » وبها قرأ ابن مسعود « وعاث فى الأرض فساداً . والقراءات كلها على لغة الحجازيين «ولا تعثوا فى الأرض مفسدين» كما يقول التميميون جبذا الشىء . ورعملى قدحصل كذا .

١٨ — الكلمة لغة تميم فيها على وزن «عبرة» بكسر فسكون وقد قرأ أبو السمال العدوى جميع ماورد منها فى القرآن بلغة تميم . وجمعها عندهم كلم بكسر ففتح . قال رؤبة : « لا يسمع الركب بها رجع الكلم » على وزن « عبر » وأغلب التميميين يسكنون اللام فى جميعها جريا على عادتهم التى شرحتها من قبل . أما لغة الحجازيين فى « الكلمة » فبفتح فكسر وجمعها « كلم » بفتح فكسر . وأغلب القراء على لغة الحجازيين فيهـا . وهناك لغة ثالثة فى الكلمة لم تنسب وهى فتح فسكون ففتح على وزن « جفلة » .

١٩ — « وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير » قرئ بفتح الراء من « ربيون » فيما رواه قتادة عن ابن عباس وهى لغة تميم ، أما غير تميم فلغتهم فيها إما بكسر الراء وهى الأغلب أو ضمها وهى قليلة .

٢٠ — لغة تميم أرجأه يرجئه ولغة قيس (١) وأسد أرجى يرجى فهو مرجٍ بدون همز وقد قرئ « ترجئ من تشاء منهن » وأرجئه وأخاه » بالهمز ابن كثير وأبو عمر وابن عامر ويعقوب وأبو بكر . وقرأ الباقون ترجى وأرجه بدون همز .

٢١ — لغة تميم آصدت الباب فهو مؤصد بالهمز ولغة غيرهم أوصدت فهو موصد وقد قرأ أبو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم « عليهم نار مؤصدة » بالهمز وقرأ باقى السبعة موصدة بدون همز

٢٢ — « الهدْى » وهو ما يهـدى فى الحج من الذبائح ينطقه الحجازيون على وزن فعل بفتح فسكون أما تميم وسفلى (١) وقيس فينطقونه الهدى على وزن فميل وقد قرأ مجاهد والزهرى وابن هرمز على لغة تميم « فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله » وروى ذلك أيضاً عصمة عن عاصم .

٢٣ — فى الأمالى : تميم وقيس تقولان شايحت بمعنى حاذرت وفى لغة هذيل بمعنى جددت فى الأمر .

٢٤ — فى النوادر لأبى زيد : تميم تقول فى الأعسر الألفت وفى ألفة وهو العين اللسان الألف .

٢٥ — فى تاج العروس مادة « عش » تميم تقول غس فى البلاد فى معنى دخل ومضى قدما .

٢٦ — السدفة فى لغة تميم الظلمة وفى لغة قيس الضوء .

٢٧ — تقول تميم للقادم من الحج « مبرور مأجور » بالرفع وغيرها بنصبهما هذا وإنى إذ أختم الكلام عن أشهر ما روى لتميم مما كان له أثر فى القراءات أو اللغة وقواعدها يمكننى أن أستخلص المميزات اللغوية وهى مايسمونها Characteristics الخاصة بتميم فهى تحرص على الإمالة وتحقيق الهمزة وقد تبالغ فيه وتسكن الوسط المتحرك فى الكلمة وتتجه إلى إدغام ما تماثل من الحروف أو تجانس ويشاركها فى أكثر ذلك جيرانها سكان نجد

استدراك :

١ — ذكرت فى المقال الأول أن أبا عثمان المازنى من تميم والصحيح أنه من مازن ربيعة لا مازن تميم .

٢ — روى البيت « اليوم أعلم ما يجئ به ... » فى المقال الثالث وصحته اليوم أجهل ما يجئ به ... »

٣ — ذكر شارح القاموس فى المقدمة أن الوتم معناه قلب الكاف شينا مع أن الوتم هو قلب السين تاء والشنشنة هى قلب الكاف شينا .

(١) هنا نجد المقابلة بين تميم من ناحية وقيس وأسد من ناحية أخرى ولم يرد ذكر للحجازيين ولعل أهل الحجاز يقولون أرجى فهو مرج لأن ذلك أقرب إلى مبدئهم وهو تخفيف الهمزة ويبدو أن قيسا وأسدا فى هذا اللفظ تأثرتا بالحجازيين لمجاورة أغلب قيس للحجاز ومجاورة أسد لقيس

(١) سفلى قيس هى البطون المتفرعة منها التى تسكن نجد مجاورة لتميم ، وعليا قيس هى البطون التى تجاور الحجازيين .

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٣)

(١) النفس عند ابن سينا (٣)

للأستاذ كمال دسوقى

كان ابن سينا فى المقالة الخامسة بصدد الحديث عن المركبات وما تتركب منه من عناصر ، وكيف يتم هذا التركيب ؛ فتناول النار ، فالأرض بطبقاتها من بر وبحر وطين ؛ فالهواء ما كان منه بخاراً أو برداً أو دخاناً أو ريحاً ... فكان العناصر عنده هى العناصر الأربعة المعروفة لكم منذ الأيونيين : الماء والهواء والنار والتراب . لاتوجد صرفاً خالصة ، بل باختلاط وتمازج . والجديد هنا أن هذه العناصر « طوع الأجرام العالية الفلكية » ، وأن الكائنات الفاسدة (يعنى الفانية المحسوسة) تتولد من تأثير تلك (يعنى العناصر) وطاعة هذه (يعنى الأفلاك) ؛ لأن الفلك وإن لم يكن حاراً ولا بارداً فإنه قد ينبعث منه فى الأجسام السفلية حرارة وبرودة بقوى تفيض منه عليها ... » . اربطوا قوله هذا (فى صفحة ١٥٢ ومنتصف ١٥٣) بمطلع فصلكم السادس فى النفس حيث يقول : « وقد يتكون من هذه العناصر أكوان أيضاً بسبب القوى الفلكية إذا امتزجت العناصر امتزاجاً أكثر اعتدالا مما سبق ذكره من المركبات ؛ كالنبات والحيوان والإنسان التى نفوسها موضع حديثه فى هذا الفصل .

وعند ابن سينا أن الأفعال النباتية والحيوانية والإنسانية تكون من قوى زائدة على مجرد الجسمية وطبيعة المزاج ، وأنه كلما حدث اعتدال أكثر فى تركيب هذه العناصر وانسجامها كانت أكثر قبولا لقوة نفسانية أرقى من الأولى . وتلمسون فكرة التدرج هـــذه فى تقسيم النفوس النباتية والحيوانية والإنسانية وفقاً لدرجة كل منها فى هذا الاعتدال من تعريفه لهذه النفوس . والنفس هى كمال أول لجسم طبيعى آلى — نفس التعريف الذى قال به أرسطو — فإن كانت نباتياً فهى كماله من حيث التوالد والنمو والغذاء ؛ وإن كان حيوانياً فمن جهة إدراكه للجزئيات وتحركه بالإرادة ؛ وإن كان إنسانياً فمن حيث هو يفعل الأفعال باختيار الفكر واستنباط الرأى. وتذكركم هذه التعريفات — فيما أرجو — بما بين لكم أساتذتكم من الاطراد العكسى فى نقص الما صدق تبعاً لاتساع المفهوم ؛ خصوصاً وأن هذه الصفات الواردة فى التعريفات المذكورة كلها أساسية وجوهرية تنتقل من العام إلى الخاص ؛ مما يترتب عليه أن تكون صفات الأعم (النبات) موجودة فى الأخص (الانسان) ، لا العكس

وهنا نقبل على أقسام كل من هذه النفوس الثلاثة : فقوة الغذاء وقوة النمو وقوة التوالد هى ما تنقسم إليه النفس النباتية ، ولن يتعذر عليكم فهم تعريفها واستيعابها . أما النفس الحيوانية فلها فوق صفات النفس النباتية السابقة ، وكما ترون من تعريفها ، قوتان : الحركة والإدراك الجزئى . والحركة إما ببعث الشوق والنزوع للحركة بقوة الشهوة (اللذة) أو بقوة الغضب (الألم) ، وإما بفعل الأعصاب يقع عليها التأثير Stimulus من خارج فيرتد إلى العضلات فى حركة رد فعل او استجابة Reaction . وكلاهما نظرية علمية لا تزال قائمة فى علم النفس إلى اليوم — الأولى تستند إلى علم الأخلاق ، ويأخذ بها أصحاب الدوافع أو مدرسة القصد Purposivism فى علم النفس والأخرى يؤيدها علم وظائف

---

٤ — ناقض أبو حيان نفسه فى تفسيره حين ذكر أن تميما لا تلحق بعسى الضمائر عند تفسير قوله تعالى « هل عسيتم إن توليتم » مع أنه قال عكس ذلك عند قوله تعالى « قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال .. » إذ ذكر أنها تلحقها بعسى وهو الصواب الذى روته أيضاً كتب النحو ، ولعل الخطأ لسهو منه أو من الطباعة .

مصادر البحث :

يرى المتتبع لهذا البحث أن مصادره التى ذكرت عرضاً فى المقالات الخمس هى تسعة وعشرون كتاباً يضاف إليها تاريخ ابن خلكان والكامل للمبرد والمقتضب لابن جنى والمفصل للزمخشرى وخزانة الأدب للبغدادى والنشر لابن الجزرى والأصنام لابن الكلبى وبلوغ الأرب للألوسى والكتاب لسيبويه .

عبد الستار أحمد فراج

محرر بالمجمع اللغوى

الأعضاء (الفزيولوجيا) ، وخصوصاً دورة الجهاز العصبي بطرقه الصاعدة التي توصل التأثير من الحواس إلى المخ والنخاع الشوكي Afferent Nerves ، ثم بطرقه الهابطة التي ترتد بالحركة إلى العضلات أوغيرها من مناطق الفعل الحركية efferent Nerves مما لا يزال يفسر به كل فعل عصبي أو منعكس شرطي . فابن سينا في هذين القسمين الجزئيين يقدم لنا تفسيراً مزدوجاً للحركة الإرادية وغير الإرادية يسبق به علماء النفس المحدثين بقرون .

ونعرد إلى قوة الإدراك في النفس الحيوانية ، فنجدها تنقسم عنده إلى إدراك ظاهر وإدراك باطن ، أما الإدراك الظاهر فأبوابه الحواس الخمس المعروفة (أبواب المعرفة الخمسة) The Five Gates of knowledge كما نقلها جون ملتون Jon Milton وهي البصر والسمع والشم والذوق واللمس لأربعة الأزواج المتضادة بنفس ترتيبها حسب أهميتها لدى كوندياك Condillac وغيره من علماء النفس المحدثين ، وبنفس تفسيرها تقريباً . فالمؤثر من الخارج يقع على عضو الحس فينبهه وينطبع في الذهن فيفسره المخ . وهنا جدل طويل حول الرأى القديم الذى كان يظن بحاسة البصر غير ذلك ، وتأييد للرأى العلمى الصحيح . هذه هي الحواس الخمس التي تتم بها الإدراك الظاهر ، وكان ابن سينا قد قال : الخمسة أو الثمانية — ولكنه لم يذكر إلا هذه الخمسة ، فهو إذن يريد بذلك الأربعة الأولى ثم يقسم اللمس إلى الأربعة الأزواج المذكوره : الحرارة والبرودة ، واليبس والرطوبة ، والصلابة والليونة ، والخشونة ونعومة الملمس — بوصفها أربع قوى لجنس اللمس الواحد . وعلى أى حال فقد وجدنا من علماء النفس المحدثين من يقول بثماني حواس فعلا بدلا من خمس ، ولكنه يزيد حينئذ على الخمس آنفة الذكر: حاسة للتعب ، وحاسة الاتزان في الوضع ، ثم حاسة الاتجاه . وليست هذه على أى حال ظاهرية .

أما الإدراك الباطن فهوإدراك صور أو إدراك معان : الصور هي التي تدركها الحواس أولا ، ثم تفسرها القوى الباطنة — كالتي ذكرنا ، والمعنى تدركه القوى الباطنة وحدها ، أى يتمثله الذهن وحده دون إهابة بالحواس . وهو إدراك سلبي بلا فعل ترتسم فيه صورة الشيء فحسب ؛ أوإدراك إيجابي فعال active فيه تركيب للصور والمعاني وتحليلها — وهو تقسيم فعلى إلى فاعل إيجابي ، وقابل أو منفعل سلبي . ثم هو إدراك أول مباشر يقع للشخص من نفسه — أى إدراك ذاتي Subgective أو يؤديه إليه شيء آخر يأتي عليه من خارج — إدراك موضعى Obgective

تبينوا هذه التصنيفات الثلاثة للادراك جيداً ، وميزوها بوضوح ، ثم انظروا إلى ابن سينا وهو يشرّح المخ ليوزع في مناطقه المختلفة نفوذ هذه القوى الإدراكية . فالمخ ينقسم باعتبار المكان — في موضعه من تجويف الرأس — إلى مقدم ووسط ومؤخرة . في المقدم يوجد الحس المشترك (وهو ينقل كلمة فنطاسيا من اليونانية Phantasma بمعنى الإبانة أو الإظهار ليدل بها على المخيلة أو الصورة للشيء بعد غيابه . وفي الوسط توجد المفكرة في الإنسان (والمتوهمة في الحيوان) التي تجمع وتفصل هذه الصور magination . وفي المؤخرة توجد الحافظة أو الذاكرة Memory التي تُختزن فيها المعاني الذهنية كما يجمع الحس المشترك الصور الحسية .

وأخيراً تأتي النفس الناطقة وتنقسم عنده إلى نفس عاملة (عملية) وأخرى عالمة (نظرية) ؛ الأولى تتعلق بالتدبير والتصرف؛ والثانية باكتساب العلوم والمعارف . الأولى مبدأ يحرك بدن الإنسان إلى تدبير أموره الجزئية الخاصة — أى إلى السلوك بحرية واختيار ؛ وذلك بفعل قوتي النزوع والوهم . فالنزوع يبعث فيها الفعل والانفعال كالضحك والبكاء والخجل ... الخ مما يتعلق بمواقف الإنسان ذاتها وكيف يخرج منها . والوهم يبعث على تدبير الأمور والعمل والاختراع . وهذا العقل العملى ذاته يولد — بالاشتراك مع العقل النظرى — مبادئ الأخلاق والمعاملات والتصرف ، وهي التي يجب أن يكون لها السيطرة على قوى البدن الأخرى حتى يكون سلوك الإنسان فاضلاً ، فلو تغلبت القوى الأخرى كالشهوة والانفعال والغضب... الخ ؛ لنشأت الأخلاق الرذيلة .

تلك هي النفس العملية التي تتعلق بسياسة البدن السفلى وقيادته إلى الفضيلة . فالنفس — وإن كانت جوهراً واحداً — تتجه إلى أسفل لتسوس البدن ، فتكون عملية ، وتتجه كذلك إلى

أعلى لتتلقى العلم النظرى وتستفيد به ، فتكون حينئذ نظرية عالة عالية لا صلة لها بالبدن ولا يؤثرانه بأى نوع من الصلات . إذ هى تنطبع بالصور الكلية المجردة عن المادة ، وتجردها منها إن كانت غير مجردة ثم تنطبع بها .

وهذا العقل النظرى بطبيعته قابل لهذه الصور — قابل لها بالقوة En Puissance وقابل لها بالفعل Eu acte

(١) يقبلها بالقوة قبولا مطلقاً من حيث أنه محل قبول هذه الصور، وإن لديه الاستعداد لقبولها متى شاء أو صحت الظروف ، فيسمى حينئذ عقلاً هيولانياً ، لأنه يشترك فيه أفراد النوع باستعداد فطرى.

(٢) ويقبلها بالقوة قبولا ممكنا بعد أن يكون قد تهيأ للاستعداد الهيولانى السابق بتحصيل هذه الصور والكمالات العقلية ، فأصبح مهيأ لفعلها متى أراد بلا واسطة ، فيسمى حينئذ عقلاً ممكناً (أو ملكة Faculté)

(٣) ويقبلها بالقوة قبولا ممكنا كذلك ، بأن يكون العقل الممكن فى المرحلة الثانية قد تم له تحصيل هذه الصور والكمالات وأصبحت له ملكة كاملة يستطيع بها أن يفعل متى أراد ، ولو لم يكن فاعلاً فى لحظة ما . وتسمى هذه ملكة أو كال قوة أو قوة كالية (نسبة إلى الكمال لا الكلى) .

والأولى من هذه القوى النظرية هى التى يمكن أن يقال إنها بالقوة بحق ، فإذا ما بدأت تحصّل المعقولات الكلية والمقدمات العقلية والبديهيات فى المرحلة الثانية (القوة الممكنة) وصارت عقلاً بالملكة ؛ ثم إذا تم لها كال التحصيل والتخزين لهذه الصور المعقولة المدّخرة التى تطالعها وترجع إليها فى نفسها متى أرادت ، فتعقلها وتعقل أنها تعقلها — بلا عُسر أو تكلف — فى المرحلة الثالثة (كال القوة) ؛ فهنا فى هذين العقلين يكون العقل بالفعل لا بالقوة . ومسألة القوة والفعل فى هذه العقول الثلاثة نسبية عند ابن سينا ، فكل واحد منها يكون بالفعل لما قبله وبالقوة لما بعده . ذلكم أن صفة « الفعل » إنما يكتسبها الواحد من هذه العقول لا من ذاته ، بل باستفادته من عقل هو أبداً بالفعل En acte لا بالقوة (هو العقل الفعال الذى سبقت الاشارة إليه) ولذا يسمى ابن سينا العقل فى أوج تعقله وإدراكه وكماله العقل المستفاد intellect acquise .

بل إن ابن سينا يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ، فيحدثنا عما يسميه العقل القدسى ، فيمن كمل استعدادهم من الناس ، وهم قلة ، لأن يتصلوا بالعقل الفعال دون عناء ، ولأن يحصلوا على هذه المعقولات وكأنها من عند أنفسهم وحاضرة فيهم ، وذلك بما لديهم من الحدس والعيان والمكاشفة intu ion ، وهى أرقى وسائل المعرفة الفيضية هذه التى تدرج بك فيها . وحجته هنا مقنعة وبليغة ، وهى أنه يتصور أن أية معرفة عقلية تقوم على القياس والمنطق فهى استنباط نتيجة من حد أوسط مشترك بين مقدمتين ، كما تعرفون فى منطق الاستدلال ؛ بينما توجد معرفة أخرى أرقى يقوم فيها الحدس والذكاء المفرط ذاتهما باختصار هذا الحد الأوسط والوصول مباشرة إلى النتيجة . وهذه النظرية فى المعرفة هى أصح ما فى مذهب ابن سينا فى العقل الإنسانى بعد تقسيمه إياه إلى نظرى وعملى ، لا يزال يقول بها من بعده الغزالى والصوفية ، وبرجسون فى هذا العصر الحديث ، حين يجعلون الحدس والعيان قوة إدراك مباشرة تنعدم فيها الواسطة . وغاية ما يؤخذ عليه فيها عدم تحديد مصطلحاته واشتراكها فى تسمية شىء واحد . فنحن الآن نفهم بالذكاء inrelliqence القدرة على إدراك المواقف خلال الحدود الوسطى ، وبالعيان والحدس الوصول إليها عفواً وبتجربة وبلا وساطة .

لقد تدرجنا بك مع ابن سينا حتى الآن فى سلسلة من الكائنات النفسية عجيبة الترتيب والتصنيف ؛ من أقلها شأناً حتى أعظمها قدراً ؛ من قوة التوالد فى النفس النباتية حتى العقل القدسى فى النفس الإنسانية . وعليك بعد هذا أن تقلب هذه السلسلة التصاعدية رأساً على عقب ، وتنظر إليها نظرة تتبين منها أن كل قوة من كل نفس من هذه النفوس تقوم على خدمة الأعلى منها ، لا يقتصر الأمر على مملكة النفوس هذه ، بل إن القوى الطبيعية تقوم فى خدمتها جميعاً . والله المسئول أن يعينكم على أن تتسع عقولكم لتدخل فيها عقلية ابن سينا هذه الكبيرة .

كمال دسوقى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

خلف اللثام لمحمود تيمور :

ظاهرة فى فن محمود تيمور تتكشف للناقد الذى يتتبع آثاره القصصية بعين لا تنام ، فهو فى آثاره الأولى غيره فى آثاره الأخيرة ... ولو تناولت إحدى قصصه الطويلة أو القصيرة فى بدء حياته الأدبية ، لرأيتها تختلف اختلافاً واضحاً عن مثيلاتها فيما يكتب من قصص فى هذه الأيام . قصاص اليوم يختلف عن قصاص الأمس ؛ يختلف عنه فى الخامة والأفق ، ومنهج التصوير وطريقة التعبير ... وإذا سألتنى أيهما خير من الآخر لقلت لك فى غير تردد : قصاص اليوم بلا جدال !

محمود تيمور فى إنتاجه القديم كاتب قصة « محلية » ، وخامة هذا اللون من القصص خامة محدودة إذا ما وزنتها بميزان « العالمية » فى الفن ... أعنى أنك لو نقلت أدب تيمور القديم إلى لغة أخرى لما نظر إليه قراء هذه اللغة نظرتهم اليوم إلى أدبه الحديث . أما أفق تيمور فهو على التحقيق أوسع مدى مما كان منذ خمسة عشر عاما ، وكذلك طريقته فى رسم الشخوص وتشريح النفوس وانتزاع الحوادث من منابعها الأصيلة ... وأسلوب تيمور هو الآخر قد انتقل من حال إلى حال ؛ لقد كان يميل فى سابق أيامه إلى أن يكتب بعض قصصه باللغة الدارجة ، ولكنه يعود اليوم إلى حظيرة الفصحى عودة شغف وإخلاص وإيثار ، وإذا القصة على سنان قلمه قطعة أدبية رائعة تزخر بإشراق اللفظ وسلامة العبارة .

قصاص الأمس متأثر بالقصة الفرنسية ، وقصاص اليوم متأثر بالقصة الروسية ، والفارق بين القصتين فارق ملموس ... إذا نظرت فى القصة الفرنسية وجدتها تعنى فى الكثير الغالب بالمفاجأة ، ولا تخلو المفاجأة من الافتعال فى بعض الأحيان ! ومن السمات التى تغلب على القصة الفرنسية السرعة والحركة والمبالغة ، ولكن هذه السمات لا تصلح للقصة ذات الفكرة النفسية والسبحات الروحية ، تلك التى تحتاج إلى العرض الهادىء المركز المتزن . ولا تعنى القصة الفرنسية كل العناية برسم الرتوش الداخلية والخارجية فى ثنايا العرض القصصى ؛ ونقصد بالرتوش الداخلية ما يصاحب هذا العرض من لقطات تصويرية للنفوس والشخوص ، أما الرتوش الخارجية فنعنى بها تلك الظلال التى تلف الفكرة القصصية بوشاح من الوصف التخيلى الصادق للجزئيات ، فى نطاق الملامح والسمات . على النقيض من هذا كله نجد القصة الروسية ؛ فهى قلما تحفل بالمفاجأة ، وإنما تقدم إليك لوحة نفسية تزخر بصراع العواطف ، وظلالا إنسانية يمكن أن يجد القارىء فيها صورة نفسه . وهى حين تمضى فى طريقها من رسم النماذج البشرية وصب الفكرة فى قالبها الذى ينقل من الخيال إلى الواقع ، لا تخطىء حين توزع الضوء ، ولا تسرف حين تحدد الظل ، ولا تستمد اللون إلا من أعماق النفس وأغوار الحياة .. إننى أتحدث هنا موازنا بين الأدبين الروسى والفرنسى فى مجال القصة الفنية القصيرة ، أما فى مجال القصة الطويلة فقد تعلو القصة الفرنسية عند بعض كتابها من أمثال بلزاك وفلوبير فوق مستوى مثيلتها فى أدب القصة الروسية ! وثمة فارق آخر بين القصتين :

فى القصة الفرنسية قد تجد الفكرة فى ذروة النضج الفنى ولكنها لا تسعى كثيراً وراء هدف ؛ وفى القصة الروسية تجد الفكرة والهدف يسيران جنباً إلى جنب ؛ الهدف الفلسفى الذى يصبغ الفكرة القصصية بصبغة النظرات العميقة ، تلك التى تحاول جاهدة أن تنفذ إلى ما وراء المجهول .

على ضوء هذه الموازنة نستطيع أن ننظر إلى ماضى تيمور الأدبى وحاضره ، وليس معنى ما ذكرت أن تلك السمات التى تتسم بها القصة الفرنسية والروسية هى بعينها التى تتمثل فى أدب تيمور بين الأمس واليوم ، كلا .. كل ما قصدت إليه هو الإشارة إلى أن تيمور متأثر بتلك السمات هنا وهناك !

من هذا الإنتاج الأخير الذى تنعكس عليه ظلال من أدب القصة الروسية هذا الكتاب الذى أخرجته المطبعة منذ قريب ، ونعنى به « خلف اللثام » .. هو فى رأيى خير مجموعة من الأقاصيص قرأتها لمحمود تيمور ، ولا أحسبنى غالياً إذا قلت إن فيه أقصوصة لم أقرأ خيراً منها عند قصاص مصرى حتى ولا عند تيمور نفسه ، وهى أقصوصة « المستعين بالله الكابتن هاردى » .. هناك كاتب يستلهم قلمه وكاتب يستلهم قلبه ، وميزة تيمور أنه يستلهم قلبه دائماً !

إنه فى هذه الأقصوصة يحلق فى أفق مشرق من الروحانية الوضيئة . وهو فى الأقصوصة الأولى « خلف اللثام » يحلق فى نفس الأفق ويملك ريشة الفنان وقلب الإنسان ، ولكنه للأسف قد لجأ إلى طريقة جديدة فى معالجة الفكرة القصصية جعلتها تحفل بالغموض والإبهام ، طريقة تهب عليك منها رائحة « المذهب

السريالى » ، ذلك المذهب الذى شاعت تعاليمه أخيراً فى الأدب الفرنسى ... أما خطر هذه الطريقة فيتمثل فى انعدام الربط بين الحوادث والأفكار مما ينتج عنه بعض التفكك فى البناء الفنى للقصة ، هذا عدا الغموض الذى اضطررت بسببه إلى أن استفسر من الأستاذ المؤلف عن بعض المواقف التى لم تتضح لى فى ثنايا العرض القصصى ! ...

أما تيمور فيعتقد — كما قال لى — أنه لم يتأثر بمذهب السير ريالزم فى كتابة هذه الأقصوصة ، ومع ذلك فما زلت أحس كلما رجعت إليها أننى أقرأ شيئاً من انتاج عميد هذا المذهب فى الأدب الفرنسى المعاصر .. مسيو أندريه بريتون ! ومهما يكن من شىء فإن هذه الظاهرة قد تمثلت فى أقصوصة واحدة من كتاب « خلف اللثام » .

وهناك أقصوصة ثالثة نسج تيمور خيوطها من صميم البيئة المصرية وهى « تأمين على الحياة » ... فى هذه الأقصوصة نماذج بشرية رسمت الريشة خطوطها فى دقة وعناية ، وبخاصة تلك الصورة الوصفية التى قدمها تيمور لكاتب المحامى وكذلك الصورة النفسية ، ولولا ذلك الموقف الذى خالف فيه تيمور منطق الحياة والواقع لمضت الأقصوصة إلى نهايتها بغير هنات ...

أما هذا الموقف فأعنى به حين يتقدم كاتب المحامى بصنيعته صبى اللبان إلى إحدى شركات التأمين فتقبل أن تؤمن على حياته بمبلغ ضخم من المال ، على الرغم من أن حياة الصبى معرضة بين لحظة وأخرى لخطر الفناء ... من يصدق أن صبياً تحالفت على كيانه عشرات العلل والعاهات يؤمن على حياته الضائعة بألوف الجنيهات ؟!

وهناك أقصوصة رابعة تتجلى فيها موهبة القصاص المفتوح العينين والقلب والذهن ، وهى « شيخ الخفر » ، إنها صورة صادقة من حياة الريف ، هناك حيث تلتقى سذاجة النظرة وإلهام الفطرة وحرارة الإيمان ، ولو دبت قدم الشيطان فهو دبيب إلى حين !

بعد ذلك يقدم تيمور خمس أقاصيص أخرى لا يتسع المجال هنا للحديث عنها ، فليرجع إليها القارىء إذا شاء ليطبق عليها ما أوردته من دراسة لفن تيمور فى بداية هذه الكلمة .

رأى فى الشاعر على طه :

هذا الرأى للدكتور طه حسين بك ... أما أين اطلعت عليه ففى آخر عدد تلقيته من جريدة « بيروت المساء » اللبنانية تحت عنوان : « طه حسين يبايع عمر أبو ريشه » .

سؤال من بضعة أسئلة وجهها مندوب الصحيفة اللبنانية إلى الدكتور طه ، وجواب من الدكتور على سؤال المندوب الصحفى ، وبهذا الجواب العجيب أقام الميزان لشاعرية الشاعرين فانخفض شاعر وارتفع شاعر ... فى ميزان الدكتور طه لا فى ميزان النقد البرأ من تحكم الهوى وغلبة العاطفة ! ولولا أننى أثق بجريدة « بيروت المساء » كل الثقة ، لارتبت فى أن الحديث الذى نشر قد ناله شىء من التصحيف أو شىء من التحريف !

أدلى الدكتور طه بهذا الرأى يوم أن حل ضيفاً على لبنان منذ قريب لحضور مؤتمر اليونسكو بدعوة من الحكومة اللبنانية أدلى به كما قلت لك إلى مندوب جريدة « بيروت المساء » حين راح يسأله عن دنيا الشعر العربى بعد أن رحل عنها شوقى وحافظ . وعند ما أجاب الدكتور بأن مكان الشاعرين قد ظل مع الأسف شاغراً لم يشغل ، سأله المندوب الصحفى مرة أخرى عن رأيه فى مكان الشاعر على طه ... وهنا ابتسم الدكتور طه ثم قال : « بالله لا تحرجنى ! هذا شاعر لا يعرف قواعد اللغة العربية . ولقد حاولت عبثاً أن أفهمه بأن فعل الأمر من « سقى » يختلف مع المفرد المذكر عنه مع المفردة المؤنثة ، ولكنه لم يفهم ... هل تصدق أنه يقول فى الحالين « إسقنيها » ، مع أنه يجب أن يقول للمفرد المذكر « إسقنيها » وللمفردة المؤنثة « إسقينيها » ؟ ولكنه للأسف لا يعرف قواعد اللغة العربية !

بعد هذا تحول الدكتور طه إلى الشاعر السورى عمر أبو ريشه ليشيد بفنه ومزاياه ، وليخصه بعطفه وتقديره ، وليتحدث عن أثر شعره فى نفسه يوم أن جمع بينهما لقاء أسمعه الشاعر فيه بعض مقطوعاته ، وخلص الدكتور طه من هذا كله إلى أنه ليس هناك شاعر عربى معاصر يستحق إعجابه وبيعته غير عمر أبو ريشه !

هذا هو الرأى الذى سجلته الصحيفة اللبنانية للدكتور طه حسين وأود أن أعقب عليه فأسأله : هل حدث حقاً هذا الذى دار بينه وبين الشاعر على طه ؟ وإذا كان ، ففى شرع أى ميزان من موازين النقد يجوز للناقد أن يقدر أقدار الشعراء على ضوء خطأ نحوى أو لغوى يقعون فيه ؟! ... وإذا أبيح للدكتور أن ينظر إلى الشاعر المصرى هذه النظرة التى تنكر كل موهبة من مواهبه وتلغى مكانه من قائمة شعراء الطليعة لمجرد خطأ واحد وقع فيه ، ففى أى مكان ياترى يمكن أن يضع شاعراً كالمتنبى وقد حفل شعره بكثير من الأخطاء اللغوية ؟ !

لقد كنت أود أن يكون رأيه فى الشاعرين وليد دراسة

وموازنة لا وليد هوى ومجاملة ، لأن ميزاناً يحرك كفتيه العاطفة سيكون مآله كمآل ميزان الآمدى حين أجهد نفسه فى الانتصاف للبحترى والنيل من أبى تمام . لقد ذهبت أحكامه وبقى الشاعران كل فى مكانه الذى حددته الأجيال ! أما الشاعر على طه فلا أعتقد أن مكانه يمكن أن يؤثر فيه مثل هذا الرأى الطائر ، أو ينال منه هذا الحكم الجائر ...

ولو كان فى المجال متسع للافاضة لقدمت لقراء الرسالة نماذج من شعر الشاعرين ، مع دراسة نقدية كاملة لتلك النماذج الشعرية دراسة تطيل الوقوف عند طاقة وطاقة ، وعند موهبة وموهبة ، وعند أفق وأفق ، وهذا هو الميزان الذى يجب أن يقام للشاعرين ليحدد الفارق فى مجال التحليق بين قدرة جناح وجناح ! .

إننى أدافع هنا عن الشاعر على طه دون معرفة بيننا ولا سابق لقاء !

مسابقة المصور للقصة القصيرة :

أعلنت مجلة المصور عن مسابقة للقصة القصيرة قدمت لها بكلمة عجيبة ، أثارت فى نفسى كثيراً من الشك حول فهم القائمين على أمر تلك المسابقة لأصول الفن القصصى ، وهذه هى الكلمة :

« القصة القصيرة من أرفع وأروع فنون الأدب التى يزداد اهتمام الغربيين بها يوماً بعد يوم . ولا عجب فهى خير ما يناسب عصر السرعة الذى نعيش فيه ، وهو عصر لا يكاد معظم الناس يجدون فيه من وقتهم ما يسمح لهم بمطالعة قصة حافلة بعبارات الوصف ، والتحليل ، والوقوف عند التفاصيل . وهذا هو الذى تتحاشاه القصة القصيرة التى تمتاز بسرعة الحركة ، ودقة الحبكة وشدة التركيز ، وعنصر المفاجأة فى الختام . ولعل هذا العنصر أهم أركانها على الإطلاق .

وقد رأى « المصور » فى عهده الجديد أن يدعو للنهوض بهذا النوع من القصة الذى ما زال يحبو عندنا فى المهد ؛ بينما نراه ناضجاً مكتملا عند الغربيين ، وقد نبغ فيه من أشهر أدبائهم : مارك توين ؛ وإدجار ألن بو ، وأوهنرى ، وسومرست موم ، وموباسان وغيرهم . و « المصور » إذ يدعو أعلام القصة الطويلة فى مصر والعالم العربى إلى تخصيص جانب من عنايتهم لتحقيق هذه النهضة المنشودة ؛ لا يفوته أن ما يبذله كاتب القصة القصيرة من جهد ووقت فى حبك سياقها وسبك ختامها ، لا يقل — إن لم يزد — على ما يبذله الكاتب فى وضع القصة الطويلة »

وإذا كانت هذه الكلمة قد حفلت بالعجب فى طبيعة النظرة إلى فن القصة القصيرة ، وفى طبيعة المعايير التى وضعت لأصولها الفنية ، فإن العجب يصبح أمراً عادياً لا غرابة فيه إذا أنعمت النظر وأطلت التأمل فى هذا الشرط :

« يجب ألا تزيد كلمات القصة التى تدخل المسابقة على ٦٠٠ كلمة »

شىء واحد خرجت به من هذه الكلمة التى قدم بها المصور للمسابقة ، وهو أن القائمين على أمرها ينظرون إلى فن القصة القصيرة على ضوء الذوق الصحفى دون سواه ... إنهم يتصورون القصة شيئاً أشبه ما يكون بالريبورتاج الصحفى ، ذلك الذى خلق للتسلية وملء الفراغ ! وهذا واضح من قولهم أنهم يريدون قصة لا تزيد كلماتها على ٦٠٠ كلمة ، لماذا ؟ لأن معظم الناس لا يجدون من وقتهم ما يسمح لهم بمطالعة قصة حافلة بعبارات الوصف والتحليل والوقوف عند التفاصيل ! ... ولست أدرى من الذى أقنعهم بأن عنصر المفاجأة فى ختام القصة يعد أهم أركانها على الإطلاق ، ولا من الذى أفهمهم أن ما يبذله كاتب القصة القصيرة من جهد لا يقل إن لم يزد على ما يبذل الكاتب فى وضع القصة الطويلة ! كلام لا يقوله أبسط الملمين بأصول الفن القصصى ؛ لأن القصة التحليلية حين تبلغ غايتها من تشريح العواطف والنزعات لا تكون محتاجة فى الغالب إلى المفاجآت ، ولكن هناك أناساً ينشدون « الفرقعة » فى نهاية كل قصة ولو كانت هذه الفرقعة على حساب الفن ! ... والقصة الطويلة بعد هذا هى وحدها المقياس الفنى الكامل لمواهب القصاص وطاقة القصاص ، ولا كذلك الأمر فى القصة القصيرة ؛ لأن العمل الفنى فيها محدود بفترة من الزمن تصورها الريشة فى عدد محدود من الصفحات ، وكذلك زحمة الحوادث والشخصيات ؛ ومن هنا يستطيع كل قصاص أن يقبض على زمام القصة القصيرة بقليل من الجهد الفنى ، ولا يستطيع الناقد فى القصة القصيرة أن يحكم على الطاقة الفنية التى تحدد الفارق بين فنان وفنان ، لأنها طاقة تعمل فى ميدان ضيق قد تتقارب فيه الملكات القاصة ، تقاربا يصعب معه وزن القيم الفنية بميزانها الدقيق الذى يمكن الناقد من إصدار حكم على الأثر الفنى الذى لا رجعة فيه ... ومع ذلك تسمع من يقول لك إن هذا الجهد الذى يبذله كاتب القصة القصيرة لا يقل إن لم يزد على الجهد الذى يبذله كاتب القصة الطويلة !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأدب الشعبي :

شمل التعقيب على محاضرة الأستاذ الشبيبي في مجمع اللغة ، موضوعا آخر غير موضوع حرية الأدب الذي تحدثت عنه في الأسبوع الماضي ، ذلك الموضوع هو الأدب الشعبي ، فقد قال الأستاذ ماسينيون : سمعنا حديثاً طيباً عن النهضة الأدبية في العراق وأرى أن كلمة نهضة يجب أن ترجع إلى اندفاع غريزي في الشعب كله نحو التقدم والترقي ، وأنا أعرف أن في الشعب العراقي قوة غريزية أو شوقاً للشعر والأدب ، فهل أمكنت الإفادة من تلك القوة الغريزية وهذا الشوق لتصفية الأسلوب وترقية الأدب ؟

وما أحسبه قصد الأدب العامي ، فما في هذا تصفية أسلوب وترقية أدب ، وإنما يرمي إلى أن يكون الأدب الفصيح نابعاً من غريزة الشعب مصوراً لمشاعره . ولكن الدكتور أحمد أمين بك قال : إن العناية بالأدب الشعبي واجبة ، فكل مؤرخي الأدب ، إن في العراق أو في مصر ، يميلون إلى الاستقراطية الأدبية ولا يؤرخون إلا للمتعلمين الذين ينتجون على النمط (الكلاسيكي) ، ودعا الأدباء إلى أن يؤرخوا للزجل والموشحات والروايات العامية لأنها تدل على حالة الشعب أكثر مما يدل عليه الأدب الارستقراطي .

وقال معالي الرئيس لطفي السيد باشا : ربما كان هذا الضرب من الكتابة أقرب إلى علم أحوال الإنسان منه إلى الأدب .

وقال الأستاذ العقاد : إن الارستقراطية الفنية والفكرية يجب أن تسود ، وأنا أشتري أرستقراطية واحدة كهذه بمائة مليون إنسان لا غرض لهم من الحياة إلا أنهم يأكلون ويشربون .

وقال الأستاذ الشبيبي : أعتقد أن أدبنا في الفترة الحاضرة ليس أدبا أرستقراطياً ، بل هو أدب ديمقراطي يعبر عن الحياة الواقعة ، أما أن يعد الأدب أرستقراطيا لأنه مصوغ في لغة فصيحة فقول لا أوافق عليه .

ثم قال الدكتور طه حسين بك : العربية الفصحى للآن هي لغة الأدب ، ونحن مجتمعون هنا لندرسها وحدها ، وقال إن الإنتاج الأدبي يجب أن يستمد قوته وبعض خصائصه من البيئة التي يعيش فيها أي من البيئة الشعبية ، وبعد أن فرق بين أدب الفصحى والأدب العامي قال : نحن حريصون على أرستقراطيتنا الأدبية حرصنا على الديمقراطية السياسية .

وقد جنح الدكتور طه إلى الارستقراطية الأدبية على اعتبار أنها أدب الفصحى ، ولكن هل يصح أن تطلق الارستقراطية على الأدب الذي يستمد قوته من البيئة الشعبية ؟ ألسنا نتجه الآن إلى الشعب ، نعلمه العربية الفصيحة ونكتب له بها معبرين عن قضاياه ومسائله ؟ بل ألسنا نحن من صميم الشعب ؟ وماذا نصنع بالأرستقراطية التي نشتريها إذا فرطنا في مائة مليون إنسان بدل أن نرفعهم ونحييهم بأدبنا ؟

إنني لا أفهم أرستقراطية الأدب إلا أن تكون ذلك النوع الذي كان يتحلى بأصحابه الحكام والأمراء لقاء ما يرزقونهم ، أما الأديب الذي يأكل ويشرب من ثمن أدبه وكتابته ، الذي يدفعه إليه الشعب ، فما ينبغي له أن يسقط الشعب من حسابه . إن الشعب في الحياة التي نهدف إليها هو كل شيء ، فيه نبتنا وإليه نتجه ، وبه يجب أن نرتقي ، وعنه يجب أن نعبر ، حتى ينسب أدب الفصحى إليه فيقال له « الأدب الشعبي » ، أما الأدب العامي من زجل وموشحات و ... الخ فهو شيء آخر ، الكتابة فيه « أقرب إلى علم أحوال الإنسان منه إلى الأدب » كما قال أستاذ الجيل .

وأما الأرستقراطية فهي كلمة ممقوتة مرذولة في السياسة وفي الأدب وفي كل شيء .

ذكرى باحثة البادية

احتفل الحزب النسائي الوطني يوم الأحد الماضي بذكرى باحثة بادية ملك حفني ناصف بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على وفاتها وقد تكلم في هذا الحفل عدد من النساء وبعض الرجال ، ودار كلام السيدات والآنسات كله حول حقوق المرأة وظلم الرجل لها وأن المحتفل بذكراها كانت من المجاهدات في هذا الميدان ؛ ولم تمن إحداهن بأن تجلو شخصية باحثة البادية من جوانبها المختلفة ،

وخاصـة الناحية الأدبية ، فلم يكن الحفـل إلا مناحـة على حرمان المرأة المصرية حق الانتخاب ودخول البرلمان . .

وأنا أحب أن أقول لهؤلاء السيدات والآنسات : لو كان عندنا عدد من مثيلات باحثة البـادية لـكان للمرأة المصرية اليوم شأن غير ماهى عليه الآن فباحثة البـــادية أول امرأة مصرية أمسكت القلم ودافعت عن حقوق المرأة ودعت إلى تعليم البنت ، واستعانت على ذلك بأدبها وما أوتيت من البيان ، فـكم واحدة عنـدنا اليوم تـكتب أو تنظم كباحثة البادية ؟ وهذا الحفل المقـام لذكراها لولا آنستان من الجامعة لـكان مأتماً للغة العربية وبيانها ، والآنستان هما نعمت بدر ، وعزيزة هيكل ، فقـد وقفت كل منهما موقف الفتاة المتعلمة التى تتكلم بلغة بلادها

ولا أنكر على النهضـة النسائية فى مصر ما آتت من ثمرات فى نواحى حياتنا المختلفة ولـكنها نهضة خرسـاء وإن كانت تنطق بالهذر .. فالقـلم لا يزال عصياً على أناملهن ، وميدان الأدب خال منهن إلا قليلا . وأقل ما يدل على ذلك أنه ليس لدينـا جماعة نسوية تستطيع أن تحتفـل بذكرى أديبة كباحثة البادية احتفالا وافياً لائقاً .

ثم أسأل : هل الرجل يظلم المرأة حقاً ؟ قد ينـكر عليها أمراً من الأمور ، ويمنعها شيئاً من الأشياء ، وقد يفعل ذلك جاهلا ، وقد يكون له فيه رأى ووجهة نظر ، ولـكن المحقق أنه لا يريد أن يظلمها ، وخاصة لأنها محبوبة لديه أثيرة عنده ، فالمسألة مسألة رأى واتجاه لا ظلم وهضم حقوق ، والحقيقـــة الظاهرة أن أكثر ما ظفرت به المرأة من عمل الرجل ودفاعه ، فـكيف يكون محامياً عنهـا ومتعصباً ضـدها فى آن ؟ ومن الخطأ الشائع أن يعـد الرجل والمرأة خصمين متنازعين ، فما هما إلا أليفان متعـاونان متـكاملان .

وقد لاحظت أن جميع من خطبن من السيدات والآنسات بدأن بقولهن : سيداتى وآنساتى وسادتى . والمفهوم أن الرجل يقول ذلك مجاملة للجنس الرقيق أفلا يجـدر بالجنس الرقيق أن يكون رقيقاً فى مجاملة الرجل وعدم الجور على حقوقه ..؟

ولم يخل الحفل من بعض الطرائف ، فقد قال أحد الخطباء إن المرأة اليابانيـة فى الحرب

كشكول الأسبوع

* انتهت دورة مؤتمر المجمع اللغوى لهذا العام بجلسة يوم الاثنين الماضى ، وقد عقد المؤتمر فى هذه الدورة أربع عشرة جلسة . وبعـد ذلك يستأنف مجلس المجمع (الذى يتكون من الأعضاء المصريين فقط) أعماله ، ومما ينظر فيه ملء الـكرسى الخالى به منذ عام .

* دعت الجامعة العربية إلى عقد مؤتمر فى القاهرة لتنسيق برامج الإذاعة اللاسلـكية للدول العربية ، على أثر ما لوحظ من خلافات جوهرية فى الإذاعات المختلفة وخاصة إذاعة شرق الأردن ، بشأن مسألة فلسطين وسواها من المسائل التى تهم البلدان العربية .

* جاء من باريس أن اجتمع فيها الملحقون الثقافيون بسفارات ومفوضيات دول البحر الأبيض المتوسط ، وقرروا عقد مؤتمر للثقافات والمدنيات الخاصة بدول البحر الأبيض فى العام القادم فى مصر باعتبارها أم حضارات البحر الأبيض ، على أن تبرز كل دولة فى المؤتمر ما قدمته بلادها إلى الحضارة الحديثة .

* يعمل بمنظمة اليونسكو بصفة دائمة ثلاثة موظفين مصريين ، إثنان منهم يهوديان ... وقد اتضح أن اليهود الذين يشغلون المراكز الرئيسية فى اليونسكو يستغلون مراكزهم فى مناصرة الحركة الصهيونية والترويج لها بين وفود الدول فى هذه المنظمة .

* يعارض الأستاذ ساطع الحصرى إنشاء مركز إقليمى للتعاون الثقافى بالشرق الأوسط يتبع اليونسكو . وقد قال فى كتـاب إلى مدير اليونسكو : لماذا تنشىء « حظائر » إقليمية داخل نطاق اليونسكو ما دمنا ندعو أمم الأرض إلى التعاون فى ميادين العلم والتربية والثقافة ؟

* بدت أخيراً ظاهرة عجيبة فى الإعلان عن الأفلام الجـديدة ، ففى كل منها يقال إنه إنقاذ للفلم المصرى من أزمته الحاضرة ، ثم لا يلبث الفلم الجديد نفسه أن يكون من أسباب هذه الأزمة .

الأخيرة كانت تسأل ابنها وهو ذاهب إلى الميدان : من سيخطر ببالك وأنت تتقدم الصفوف لقتال الأعداء ؟ فيقول : لن يكون فى خاطرى غير الوطن وقد أذكر أمى فتسرع الأم إلى الانتحار حتى لا تشرك الوطن فى خاطره . وأهاب الخطيب بالحاضرات أن تكون المرأة اليابانية لهن مثالا يحتذينه .. فأجبنه :

« لا .. كله إلا الانتحار ! »

وقال الأستاذ عبد الحميد حمدى فى كلمته إنه وإن كان يؤيد المرأة فى المطالبة بحقوقها السياسية إلا أنه يرى الوقت الحاضر غير ملائم لدخولها مجال الانتخابات لما يلابسها من الفوضى . فقالت إحداهن : نعين فى مجلس الشيوخ . أقول : ولكن عضو الشيوخ يشترط فيه ألا تقل سنه عن الأربعين فهل هناك امرأة بلغت الأربعين ..؟

الدكتور عمر بن أبي ربيعة

نحن الآن أمام لون جديد من شعر الغزل ، فقد كان الشاعر يتغزل فى حبيبة لا يعرفها الناس ، فأقصى ما يصرح به أنها « ليلى » وإن شئت فقل « زوزو » وكم فى النساء من « ليلى » وما أكثر « زوزو » !

وكذلك كانت تصنع من جرؤت على التغزل فى الرجال ، وإن كانت مرات هذه الجرأة تكاد تحصى .

أما الذى جد فى هذا الفن من الشعر فقد وقع فى هذا الأسبوع ، فهذه صفحة من مجلة « العالم العربى » أول ما يطالعك فيها صورتان ، كتب تحت أولاهما « أمانى فريد الهائمة » والثانية صورة الدكتور إبراهيم ناجى ، ولكل منهما قصيدة غزل صريح فى الآخر ، عنوان إحداهما « إلى الدكتور إبراهيم ناجى » وعنوان الأخرى « إلى الهائمة أمانى فريد »

قالت الهائمة للدكتور :

تعال إلى القلب بعد العذاب فقد مر عمرى وولى سدى
يناديك قلبى هوى واشتياقاً خالك لست تجيب الندى
أبيت على لهفة للقـاء ولكن أخاف حديث العدا
فكم ليلة يا قرير الجفون تركت جفونى بها مسهدا

وقبل أن أدع « قرير الجفون » الذى لا يجيب الندا رد على الهائمة ، أقول إن عمرها لم يول سدى بعد .. فهي لا تزال فى الريعان .. وإنها لا تخاف العدا ، وهذا ظاهر جداً ...

ثم يقول الدكتور ناجى للهائمة به (كما يقول) أمانى فريد :

فأنت الوجود وأنت الخلود وأنت الفداء وأنت الصدى
وكيف بغيرك تحلو الحياة ويعذب موردها موردا
وأنت النعيم وأنت العذاب وأنت مواردها والصدا

ثم يجيب نداءها :

تناديننى ! إن قلبى إليك غدا هاتفاً ، وشعرى منشدا

وينفى ما زعمته من أنه قرير الجفون :

تظنينني ناعمـاً بالرقاد وإنى الذى خاصم المرقدا

وبعد فليعلم القادى والرائح أن الدكتور ناجى يحب الهائمة أمانى فريد ، وأنه هو « الملهم » لها .. ولكن هل يدينان بالتوحيد فى الحب ؟ أو بصريح العبارة — فلم يعد فى الأمر ما يمنع الصراحة — ألا يحب كل منهما أو يهيم بآخر أو بأخرى ؟ أما الهائمة أمانى فلم تصرح بعد فى شعر ولا كتابة — فليس يعنينا ما وراء الأدب من خصوصيات — بحبيب غير ناجى ، وليس لفضولىّ أن يسأل لم تحبه ، فالهوى ذو أعاجيب ، على أنها لن تعدم منه الشعر .. يقوله لها ... وحسبه منها — كما قال بشار — الحديث والنظر ...

وأما « الهيم به » وهو الدكتور ناجى ، فقد غبطته مرة أو قل نفست عليه أن حظى بثلاث من حسان الملاهى جمع بينهن فى شعر قاله فيهن بمجلة « الاستديو » وهذه الهائمة أمانى هى الرابعة ... ولا شأن لنا — كما قلت — بما وراء الأدب والشعر من خصوصيات . فهو إذن ليس كشعراء بنى عذرة ، وما « شهرزاد ومديحة يسرى وسهام رفقى والهائمة أمانى » إلا كصاحبات عمر بن أبى ربيعة ...

أدباء العراق

أتينا فى عدد ماض من الرسالة على ملخص المحاضرة التى ألقاها معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبى فى مؤتمر المجمع اللغوى عن النهضة الأدبية فى العراق ، متضمناً أسماء طائفة من الأدباء العراقيين . وقد اطلعت على نسخة مصححة من أصل المحاضرة فوجدت بها أسماء عدد آخر من أدباء العراق ، باحثين وكتاب وشعراء ، منهم الأساتذة الأزرى والسماوى واليعقوبى ومحمد باقر الشبيبى ومهدى البصير من الشعراء المجيدين ، والدكتور جواد على والدكتور سوسه وعبد الحميد الدخيلى وكوركيس عواد من الكتاب والباحثين .

عباس خضر



عبقرية محمد الإنسانية :

قال الأستاذ العقاد فى معرض الحديث عن إنسانية محمد : « النبى لا يكون رجلا عظيما و كفى ، بل لا بد أن يكون إنساناً عظيما فيه كل خصائص الإنسانية الشاملة التى تعم الرجولة والأنوثة والأقوياء والضعفاء وتهيئه للفهم عن كل جانب من جوانب بنى آدم فيكون عارفاً لها وإن لم يكن متصفاً بها ، قادراً على علاجها وإن لم يكن معرضاً لأدوائها ، شاملا لها بعطفه وإن كان ينكرها بفكره وروحه ، لأنه أ كبر من يلقاها لقاء الأنداد ، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة ، وأخبر بسعة آفاق الدنيا التى تتسع لكل شىء بين الأرض والسماء ، لأنه يملك مثلها آفاقاً كآفاقها هى آفاق الروح » .

وعلق الأستاذ أنور المعداوى على هذه الكلمة تعليقين فى مقال نشر بالرسالة الغراء (عدد ٨٠٩) . قال فى الأول « هذه الكلمات التى يسوقها الأستاذ العقاد عن محمد الإنسان تنطبق كل الانطباق على الرجل العظيم لا على الإنسان العظيم ؛ لأن الرجل الذى يشمل الناس بعطفه ثم يفسر هذا العطف على أنه أ كبر من أن يلقى الأمور لقاء الأنداد ، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة ، هذا الرجل إذا وضع فى الميزان صاحب طبيعة خلقية تنبع منها الرحمة من منابع العظمة النفسية ، تلك التى تنظر إلى كل شىء نظرة القمم إلى السفوح ، أو نظرة الكبير إلى الصغير . وفرق بين رحمة يفرضها على صاحبها التعاظم والكبرياء ، ورحمة يفرضها التواضع الموصول الروابط بالإنسانية فى أوسع آفاقها وأرفع مزاياها » .

وإنى أرى أن الصفات التى ذكرها العقاد تنطبق على الإنسان العظيم كما يراه العقاد الذى يفسر الإنسانية العظيمة بأنها الإنسانية الشاملة التى تعم الرجولة والأنوثة والأقوياء والضعفاء الخ. ولا يقصرها على الرحمة فى غير موضعها ، أو الرحمة حيث لا ينتظرها أحد كما يفسرها الأستاذ المعداوى ؛ فهذه الصفة تدخل ضمن الصفات التى ذكرها العقاد للإنسانية العظيمة الشاملة ، وليست هى وحدها الصفة التى يصح أن توصف بها هذه الإنسانية ؛ ومن ثم كان قول العقاد أشمل وأعم .

وقال الأستاذ المعداوى فى تعليقه الثانى : « أما قول الأستاذ العقاد بأن محمداً لا بد أن يكون إنساناً عظيما لأنه نبى عظيم ، فهو فى رأيى لا يثبت ولا يؤكد إنسانية محمد فى كثير ولا قليل ؛ لأن محمداً كان إنساناً عظيما بأدق معانى الكلمة قبل أن يبعث رسولا إلى الناس . والدليل على ذلك من تاريخ حياته مهيأ لكل من يلتمس الدليل ... وذلك أمر لا ريب فيه ولا جدال »

وإنى لا أرى فى قول الأستاذ العقاد ما ينفى الإنسانية العظيمة عن محمد قبل أن يكون نبيا ؛ لأن العقاد لم يقصر هذه الإنسانية على الأنبياء دون غيرهم ، وإنما جعلها من خصائص النبى التى يجب أن تكون متوفرة فيه ليكون أهلا للنبوة ، وهى بهذا تكون سابقة للنبوة فيه لا حقة لها .

وعلى ذلك فمحمد إنسان عظيم قبل رسالته ، وإنسان عظيم بعد الرســالة .

محمد محمود عماد
محام

الفيروزابادى لا الفيروزابادى :

أستأذن الأستاذ السيد عباس خضر فى نشر ما هو آت :

جاء فى رده على السيد أحمد عزيز بيتوغن فى الصفحة ١٤١١ من عدد مجلة «الرسالة» ٨٠٦ عبارة « قاموس الفيروزابادى » . وهنا أقول :

ألا يرى الأستاذ الكريم أن الأصح هو كلمة « الفيروزآبادى » كما قال ذلك ابن خلكان لنسبته إلى فيروزاباذ بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحت وضم الراء المهملة وبعد الواو الساكنة راء مفتوحة معجمة وبعد الألف باء موحدة وبعد الألف ذال معجمة بلدة بفارس . ويقال هى مدينة جور . قاله الحافظ ابن السمعانى فى كتابه الأنساب . وقال غيره هى بفتح الفاء ج ١ ص ٦ وهذا ما اعتمده العالم المحقق المغفور له أحمد تيمور باشا فى كتابه المسمى «ضبط الأعلام» . وإذا كان لديه ما ينقض هذا أرجو الإدلاء به .

أحمد الظاهر
من أعضاء محكمة الاستئناف — عمان

حول رواية بيت :

فى « البريد الأدبى » العدد (٨٠٣) كنت كتبت كلمة حول كتاب « النقد الأدبى » أرد بها ما وقع فيه صاحب الوساطة فى قول أبى تمام :

ألم يقنعك فيه الهجر حتى (بكات) لقلبه هجراً يبين

حين قال : إنه لم يعرف لهذه اللفظة (بكات) معنى ، وبهذا أيضاً قال الأستاذ مؤلف الكتاب . وكان جوابى عليهما وهو جواب اجتهاد : يغلب على الظن أن تصحيفاً لحق باللفظة فأخرجها عن المعنى ، ولعل الأصل (وكات) .

واليوم أعود — والعود أحمد — لأقول : رواية البيت الثابتة فى الديوان هى :

ألم يقنعك فيه الهجر حتى (قرنت) لقلبه هجراً يبين

على أن رواية (بكات لقلبه هجراً يبين) رواية صحيحة ؛ فمعنى بكل خلط . وفى اللسان : البكل : هو الخلط . قال الكميت :

يهيلون من هذاك فى ذاك بينهم أحاديث مغرورين بكل من البكل

وبكله إذا خلطه وبكّل عليه : خلّط .. الخ

وإذاً فلا تصحيف ولا تحريف ، والحق أحق أن يقال فيتبع .

« الزيتون » **عدنان**

حول قصة هبار بن الأسود :

كتب الأستاذ أنور المداوى فى العدد الممتاز من الرسالة الغراء مقالا تحت عنوان : « عبقرية محمد الإنسانية » وأورد فى مقاله الممتع قصة « هبار بن الأسود » بأنه اعترض السيدة زينب بنت رسول الله وهى فى طريقها من مكة إلى المدينة ملبية دعاء الشوق الأبوى المنبعث من قلب أبيها العظيم فرماها رمية أراقت دمها الزكى على رمال الصحراء . فتلقى النبى الكريم مصرع ابنته كما يتلقى الآباء مصارع الأبناء ، وحزن حزناً شديداً وأهدر دم هبار بأى مكان وجد وبأى واد حل .. إلى آخر ما سطر الأستاذ .

وجاء فى كتاب « حياة محمد » للدكتور هيكل باشا ص ٥١٢ أن هبّاراً والحويرث أفزعا السيدة زينب رضى الله عنها فزعاً أجهضها فرضت وظلت متهدمة العافية حتى لاقت ربها ...

وبين الروايتين بون شاسع ، واختلاف وخلاف ... فأى الروايتين يمكن أن يقطع بصحتها عشاق الأدب ؟ وخاصة عشاق السيدة الشريفة ؟

هذا ما أردت الاستفسار عنه على صفحات الرسالة الغراء .

حسن ابراهيم شغل
المدرس بأدفو

حدث السن :

كتب الأديب إسماعيل أبو ضيف الأزهرى فى « الرسالة » تعقيباً على تعبيرى فى مستهل مقالى (الفتوة عند الصوفيين) (والفتى هو الشاب حدث السن) قال : حدث السن تركيب لم يرد فى متون اللغة ، بل نص فى بعض الكتب على منعه . وذكر ما جاء فى الأمالى للقالى (الحدث : الشاب ، فإذا أضيف إلى السن قالوا : حديث السن ولم يقولوا حدث السن) .

ويخيل إلى أن الأديب تسرع فى تعقيبه وأنه عند ما وقع نظره على ما ورد فى الأمالى أسرع إلى قلمه يدبج تعقيبه ، ولم يجشم نفسه بعض الجهد فى الرجوع إلى بعض متون اللغة التى قال عنها لم يرد فيها هذا التعبير وأن بعضها نص على منعه فقد ورد فى القاموس باب الثاء فصل الحاء : (ورجل حدث السن وحديثها بيّن الحداثة ...)

وكذلك ورد فى لسان العرب ج ٢ ص ٤٣٧ فصل الحاء حرف الثاء : (ورجل حدث السن وحديثها ورجال أحداث السن وحدثانها وحدثاؤها ...)

عبد الموجود عبد الحافظ



أقصوصة تركية :

ذات الثوب الأبيض

مترجمة عن التركية

وقفت أمام حديقة البيت سيدة فى مقتبل العمر ، ذات ثوب أبيض ، ولبثت واقفة هناك ، أمام البيت ، تحدق إليه ، وبصرت بها الخادم التى كانت تتنقل آنذاك بين شجيرات الورد تقطف أنضره فتلقيه فى سلة صغيرة تدلت من مرفقها ، فخالتها قد وقفت تجتلى النظر مما حفلت به الحديقة من الورد . على أن عينى السيدة الشابة الدعجاوين ، ظلتا مثبتتين بنوافذ البيت ، تحدقان إليه ، فثار فضول الخادم فأقبلت عليها تسألها :

— هل تريدين أحداً يا سيدتى ؟. ولكنها لم تجب ، بل راحت تطلع إليها ساهمة كأنها نشوى حلم عميق ، ثم اختلجت شفتاها تتمتمان :

— كلا ، لا أريد أحداً ، كنت أنظر إلى البيت فقد أعجبت به .

وراحت الخادم هى الأخرى تحدق فيها ، وأسرفت فى النظر إليها حتى لكأنها تهم بالتهامها ، ثم ندت عن شفتيها صرخة ، وهوت السلة إلى الأرض ، وتناثر ما فيها من الورد ، وروعت السيدة ، فارتدت خطوة إلى الوراء ، وسألتها الخادم بصوت أجش : — ألك يا سيدتى ، شقيقة تشبهك ؟

— كلا — ولكن مستحيل أن يكون مثل هذا الشبه ! فقالت السيدة الشابة ذات الثوب الأبيض والعينين الدعجاوين ، وقد رفت على شفتيها ابتسامة باهتة ، تكاد لا تبين :

— هل ترينني أشبه أحداً ؟.

فقالت الخادم وهى تشير بيدها إلى الورد المنثور على الأرض.

— نعم ، وهذا الورد الذى أقطفه لها هى ... ، ولاح على السيدة العجب فسألتها — حسن ، وهذه السيدة ، أين هى ؟ هل كنت تنتظرينها ؟.

فهمست الخادم ، وهى تهز رأسها أسى — تلك السيدة ... ماتت ؟..

— إذن ، فأنت حاملة هذا الورد إلى قبرها.

وفتحت الخادم باب الحديقة وهى تقول : كلا ، ليس من يعرف قبرها سواه ، سيدى يعرفه وحده . هل تتفضلين بالدخول ؟

وترددت الشابة ذات الثوب الأبيض ، والعينين الدعجاوين ، فقالت الخادم كأنها كانت تتوقع هذا : — لا أحد فى البيت ، تفضلى ، فسيدى فى رحلة منذ أشهر .

ودخلت السيدة حديقة البيت ، وأقبلت الخادم على وردها المنثور تلمه ، وشرعتا تسيران معاً نحو البيت .

وعادت الخام تسألها — هل تسكنين هنا يا سيدتى ؟.

فهمست السيدة الشابة ، ذات الثوب الأبيض والعينين الدعجاوين ، وهى غريقة أفكار تماوج فى ذهنها — كلا ، كنت أزور أصدقاء لى هنا .

— وهل كنت تسكنين هنا من قبل ؟.

— قبل خمس سنوات ... ، وحينما ضمهما البيت كانت السيدة تتطلع إلى ما حولها باهتمام وتأمل . ووقفت الخادم فى البهو النير ، ذى البسط الوبرية ومقاعد الخيزران ، وقالت :

— هل أريك البيت ؟

— شكراً ، أرجو أن لا أكلفك كثيراً ، ولكن .

كلا . أنا أريد ذلك ... ووضعت سلة الورد على منضدة ، ثم فتحت الباب المقابل وقالت — هذا ... هذا هو مكتب سيدى .

وكان جو الحجرة معتماً ، يوحى بالإحساس بالظلمة ، برغم النور المنساب من نوافذها ، وكان كل ما فيها يوحى بالكآبة : النوافذ ذات السجف الزرقاء الداكنة اللون ، والأرائك القاتمة اللون ، والرفوف العالية ، تحف بالحيطان وقد رصت عليها الكتب ، وكانت السيدة تتطلع إلى ما حولها فى وجوم واستغراق والخادم تصل حديثها — يبكر سيدى عادة فى اليقظة من نومه ، وما إن يغسل وجهه حتى يؤم مكتبه هذا ، ويشرع فى عمله ، حتى إذا انقضت من الصباح ثلاث ساعات أو أربع ، ترك حجرته هذه فيستحم ، ثم يتناول فطوره . . فإن كان الجو صحوا جلس فى الحديقة أوخرج إلى الطريق، وبعد تجوال ساعة يعود فيضطجع حتى يحين أوان الغداء ... وبعد أن ينهض .

راحت الخادم تحدثها بالتفصيل عن حياة سيدها وشؤونه ،

وهى تصغى لذلك كله ... ثم سألتها — أو ليس للسيد عمل خارج البيت ؟

— إن لديه عملا ، ولكن ليس دائماً ، يؤديه بين يوم وآخر أو بين كل ثلاثة أيام ... وفى كل عام يسافر إلى الخارج للترويح عن نفسه شهرين من الزمن .

— كم مدة قضيتها هنا ؟

— أربع سنوات .

— وهل سيدك مولع بالنساء ؟

— كلا — وهل يشرب الخمر ؟

— قليلا ، وفى المناسبات . وخرجنا من حجرة المكتب إلى البهو ، وكان أكثر نوراً منها ، يحس المرء فيه برطوبة الزوايا التى لا ينفذ إليها شعاع الشمس على أن بسطه الوبرية ، ومقاعده الحمراء اللون ، والرسوم الزيتية الملقة على الجدران ، كل هذا يبعث إلى القلب بشعور الدفء والغبطة واللذة العميقة . ولم نتحدثنا بشىء فى البهو ، فقد أطبق علينا الصمت ، وكانت الخادم تفكر فى أمر هذه السيدة الشابة ذات الثوب الأبيض والعينين الدعجاوين . وأما السيدة فقد راحت فى ذهول وحيرة تتأمل كل شىء ، المقصف ، والخوان الكبير ، وجهاز الراديو ، والرسوم الملقة على الجدران ؛ كانت تتطلع إلى هذا كله فى صمت عميق ، ثم اضطربت شفتاها ، وقالت فى تردد ، وفى نبرات صوتها ما ينم عن أسى وحيرة يتلاطمان فى أعماق نفسها : هل لى أن أرى الطابق الأعلى؟

— بالطبع . وحينما ارتقتا إلى الطابق الأعلى ، قالت الخادم وهى تشير بيدها إلى باب غرفة على يسار البهو — يزور سيدى بين حين وآخر ضيوف ، فيحلون هنا . لكل حجرة من هذه الحجرات خزانة ثياب ، فيها منامات ومناشف ، وفيها كل ما يحتاج الإنسان إليه من أسباب الراحة . إن كل ما ترينه يا سيدتى لينبئك بشغف سيدى بالحياة الرتيبة .

— وهل سيدك وحده هو الذى يفعل كل هذا ؟ .

— نعم ، وهمست كأنها تحدث نفسها ... يا للعجب ! وقالت والخادم تفتح باب إحدى حجرات الضيوف ، وقد خالج صوتها نغم عذب يفيض رخامة وعذوبة .

— هل أستطيع أن أرى غرفة نومه ؟ — بالطبع .

وفتحت الخادم باباً كبيراً على اليسار ، وقالت — تفضلى .

ولكن الشابة ذات الثوب الأبيض والعينين الدعجاوين ، تلكأت فى الدخول ، إذ لم تجد فى نفسها القدرة على ذلك ، فراحت تتطلع من الباب . وكانت الحجرة تسبح فى نور أبيض ، كل ما فيها كان يسطع به ، حتى النوافذ ، وآلة التلفون ... وكان جوها يغمر القلب سكينة وغبطة ، ثم دخلت الحجرة بخطى وئيدة وطفقت تتطلع كشأنها فى كل شىء ، ولكن عينيها علقتا بصورة وضعت على منضدة بيضاء ، بين ستارين أبيضين ، وقد حفت بها ورود بيضاء ، فسارت إليها غير واعية ، والخادم واقفة كالصنم ، ترقب حركاتها ، وتتابع خطاها ، فقد كشف هذا كله من أمرها ما قوى الريبة فى نفس الخادم ، ثم دنت السيدة من المنضدة الصغيرة البيضاء ، ومالت عليها ، وراحت تتطلع إلى الرسم ثم امتدت إليه يداها . لكأنها تحلم ، وتناولته ، وأدنته من عينيها وكانت الخادم إلى جانبها تقول لها :

هذه زوج سيدى التى ماتت ، وفى كل يوم لا بد من تغيير الورد ، فليس من شىء يخرجه عن طوره ويحنقه على إلا أن أهمل تغيير هذا الورد الأبيض الذى يحف بصورتها .

وكانت إذ تقول هذا ، تنقل عينيها بين الصورة والسيدة ، لشد ما يتشابهان ! العينان الدعجاوان ... والأسنان النضيدة كعقد من اللؤلؤ ، والفم الصغير ، والشفتان الغليظتان كأنها عناب يقطر خمراً وشهوة ... والأنف الأقنى ، والذقن المستدير ! ما أشد ما تتشابهان فى هذا كله ... ولكن محيا السيدة الشابة ذات الثوب الأبيض والعينين الدعجاوين تظلله سحابة رقيقة من إعياء وخور ، كان شاحباً قليلا ، كلا ... هذا التشابه لا يمكن أن يكون بين شخصين إلى هذا الحد ... وكان قلب الخادم يخفق وهى تحدث نفسها بهذا كله ... وكان ثمة شعور مبهم يعتصر قلبها فى قلق وحيرة ، ويهتف فى أعماق نفسها أن ثمة أمراً يوشك أن يحدث ، ولكنها لا تكاد لفرط اضطرابها أن تتبينه جلياً .

وكانت السيدة تتطلع إلى الصورة ... وعلى حين فجاة صرخت ، ولوحت بالصورة ثم القت بها فى ركن الحجرة . وفزعت الخادم فصرخت هى أيضاً : ماذا ؟ ماذا فعلت ؟ ولكن السيدة الشابة ذات الثوت الأبيض والعينين الدعجاوين والمحيا الشاحب الحزين ، القت بنفسها على حافة السرير محطمة العصب منهوكة القوى ، متعبة الحس ... ثم دفنت رأسها بين يديها ، وقالت بصوت أجش محموم .

كلا ، سأبقى هنا ، لن أخرج . وسأنتظره ، والورد الأبيض لن يكون للصورة بعد الآن ... احمليه إلى .

أنقرة **فيصل عبد الله**

الحكومة الملكية المصرية
وزارة المالية

قرض الحكومة المصرية ٢½٪ سنة ١٩٥٩ – ١٩٦١ لقضية فلسطين

مجموع الاصدار ٠٠٠ر٠٠٠ر١٥ جنيه منه ٠٠٠ر٥٠٠ر١١ جنيه اعتمد الاكتتاب فيها و ٠٠٠ ر ٥٠٠ ر ٣ جنيه معروضة للاكتتاب العام

سعر الإصدار ١٠٠ ٪

١ – سندات هذا القرض صادرة تنفيذاً للقانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٤٨ المنشور بالعدد رقم ٨٤ فى ٢١ يونيه سنة ١٩٤٨ من الجريدة الرسمية ، لمواجهة المصروفات الإضافية اللازمة لقوات الدفاع المصرية لقضية فلسطين .

٢ – تعلن الحكومة المصرية أنها قد تلقت اكتتابات فى هذا القرض بلغ مجموعها ٠٠٠ ر ٥٠٠ ر ١١ جنيه اعتمدت بأكملها، والباقى وقدره ٠٠٠ر٥٠٠ر٣ جنيه معروض للاكتتاب العام .

٣ – رخصت الحكومة المصرية للبنك الأهلى المصرى فى قبول الاكتتاب فى القرض المذكور .

٤ – تكفل موارد الخزانة العامة سداد القرض وفوائده .

٥ سندات هذا القرض لحاملها ، وهى بالعملة المصرية .

٦ – رأس مال القرض وفائدته معفيان من كل ضريبة مباشرة أو غير مباشرة ، حالية او مستقبلة ، فيما عدا رسم الأيلولة على التركات .

٧ – فائدة القرض ٢½ ٪ (اثنان ونصف فى المائة) سنويا ، وتدفع كل ستة شهور بواقع نصف الفائدة السنوية فى ١٠ فبراير و ١٠ أغسطس من كل سنة بالبنك الأهلى المصرى بالقاهرة .

٨ – تدفع فوائد الستة الشهور الأولى فى ١٠ أغسطس سنة ١٩٤٩ عن نصف سنة بالكامل .

٩ – تقدم طلبات الاكتتاب بعشرين جنيها أو بمضاعفات العشرين جنيهـــا .

١٠ – يدفع المكتتب عند الاكتتاب ٢٠ ٪ من قيمة السندات المطلوب الاكتتاب فيها ، أما الباقى وقدره ٨٠ ٪ فيجب دفعه فى ميعاد لا يجاوز ٩ فبراير سنة ١٩٤٩ ، وتحتفظ الحكومة لنفسها بحق قبول أى اكتتاب بكامل قيمته أو بجزء منه ، وسيخطر المكتتبون فى أقرب فرصة بقيمة القرض المخصصة لهم ، وفى حالة قبول جزء من الاكتتاب فإن رصيد المبلغ الذى سبق إيداعه يحتفظ به لاستخدامه فى أداء الـ ٨٠ ٪ الباقية والواجبة الدفع فى ميعاد لا يجاوز ٩ فبراير سنة ١٩٤٩ ، ويترتب على عدم أداء الـ ٨٠ ٪ فى تاريخ استحقاقها اعتبار التوزيع لاغيا من تلقاء نفسه وبدون حاجة لاتخاذ أية إجراءات ، وسقوط الحق فى المطالبة بالمبلغ المدفوع .

١١ – تصدر شهادات مؤقتة بعد التوزيع وتسديد الرصيد الباق .

١٢ – تصدر الحكومة فيما بعد سندات لحاملها بالفئات الآتية :

٢٠ ج ١٠٠ ج ٥٠٠ ج ١٠٠٠ ج ملحقا بها كوبونات الفوائد .

١٣ – يجوز لوزارة المالية فى أى وقت ابتداء من ١٠ فبراير سنة ١٩٥٩ أن تقوم بسداد القرض بالقيمة الاسمية أو أن تستهلكه استهلاكا جزئيا بالقيمة الاسمية بطريق الاقتراع .

١٤ – يعلن عن الاستهلاك الجزئى بطريق الاقتراع فى الجريدة الرسمية قبل الميعاد المحدد للاستهلاك بشهرين على الأقل .

١٥ – تنشر أرقام السندات المستهلكة فى الجريدة الرسمية قبل التاريخ المحدد لرد قيمتها بثلاثين يوما على الأقل .

١٦ – تحتسب الفائدة عن السندات المستهلكة إلى اليوم السابق لليوم المحدد لرد قيمتها .

١٧ – تدفع قيمة السندات المستهلكة إلى حاملها بالبنك الأهلى المصرى بالقاهرة .

١٨ – أما السندات التى لم تستهلك قبل ١٠ فبراير سنة ١٩٦١ فترد قيمتها الاسمية لحامليها بالبنك الأهلى المصرى بالقاهرة فى التاريخ المذكور .

١٩ – يسقط الحق فى المطالبة بقيمة السند بعد مضى خمس عشرة سنة من تاريخ استحقاق قيمته ، ويسقط الحق فى المطالبة بقيمة الكوبون بعد مضى خمس سنوات من تاريخ استحقاقه .

٢٠ – يمكن الحصول على نسخ من هذا الإعلان ومن نماذج طلبات الاكتتاب من البنك الأهلى المصرى ومن البنوك الأخرى بالقاهرة وبالاسكندرية ، ومن السماسرة المعتمدين لدى إحدى بورصتى الأوراق المالية بالمملكة المصرية .

٢١ – يبدأ الاكتتاب بالبنك الأهلى المصرى بالقاهرة والاسكندرية فى أثناء ساعات العمل بالبنك المذكور من يوم ٢٤ يناير سنة ١٩٤٩ ، وللحكومة أن تقفل باب الاكتتاب فى أى وقت تشاء بعد هذا التاريخ .

فى ١٧ يناير سنة ١٩٤٩ .

وزير المالية

ابراهيم عبد الهادي

٥١١١٦

مطبعة الرسالة

العدد ٨١٣ — الاثنين ٣١ يناير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

17 em Année No. 813

Lundi — 31 — 1 — 1949

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٨١٣ « القاهرة فى يوم الاثنين أول ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٣١ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

قروية فيلســــوفة

لا يا صديقى ! لا أريد أن تَبيضّ صحيفتى ! كان العشاق لا يطيقون الرقيب وله عين ، فكيف يطيقونه اليوم وله عين ولسان ، وقلم وسلطان ؟ دعنا من حديث شرق الأردن والعراق والجامعة ، وتعال أحدثك حديثاً رفيقاً رقيقاً ، إن خلا من الفائدة فلا يخلو من اللذة ، وإن بعد عما يشغل الناس فلا يبعد عما يشغل النفس :

أم عامر قروية شيخة ، تعد الستين فى سرها ، ولكنها كسائر النساء لا تجاوز الثلاثين فى جهرها. وهى فى سبيل التدليل على استحارة شبابها واكتمال قواها تتحامل على نفسها ، فتحلب الجاموسة ، وتملأ الزير ، وتخبز الفطير ، وتكنس الدار ، وتكسح الزريبة ، وتعلف الماشية ، وتطهو الطبيخ ، وتحمل فى عنقها مفاتح الحبوب والنقود واللبن والكرار ، فلا يستطيع أحد من أولادها وأحفادها أن يصل إلى شىء من أولئك إلا عن يدها . فإذا أشفقت عليها كَنّتاها ورغبتا فى أن تعيناها على شأن من شؤون المنزل ، قالت لهما فى كبرياء وأنفة : أنا لا أزال صبية مثلكما ! عليكما الغيط ، وعلىّ البيت ! والحق أن السيدة أم عامر قوية ذكية : تمرست بالشدائد فازدادت مِرّة ، وتصرفت فى الأمور فاكتسبت خبرة ، واضطربت فى المعاش على هوى الزمن القلّب فتعلمت بالتجربة ، وتفلسفت بالسليقة ؛ فكلامها حِكم ، وحديثها أمثال ، ورأيها حجة . ومن أجل ذلك تميزت شخصيتها فى المجتمع الريفي فأصبحت كالعرّافة فى العهد القديم ، تستخيرها كل امرأة ، وتستشيرها كل أسرة . وهى إلى ذلك طويلة الأنف تدسه فى كل منزل ، شَرْفاء الأذن ترهفها إلى كل مجلس ؛ فلا يقع فى العزبة حادث أو حديث إلا كان عندها علمه ومن لدنها ذيوعه .

رأيتها صباح يوم من أيام ديسمبر جالسة فى الجرن تنزع الأغلفة عن أمطار الذرة المندّاة ، وحفيدها الصغير نائم على كتفها ، وكلبها الأبقع رابض بقربها ، وحمائم البرج القريب ينتهزن غفلتها النادرة فيقعن من وراء ظهرها على جانب المفرش يلتقطن الحب من قوالحه . وكان الفلاحون ونساؤهم قد خرجوا إلى الحقول ، صغارهم ليسيموا الأنعام فى البرسيم الغض ، وكبارهم ليطهروا المصارف من الغرين الراسب ، فلم يبق فى الضيعة إلا عجوز تستدفئ بالشمس ، أو طفلة تلعب فى الطين ، أو دجاجة تبحث فى الأرض . فأغرانى هدوء المكان ، ودفء الجو ، وما سمعته عن حال العجوز ، على أن أذهب إليها . فحييتها ، ثم جلست إزاءها على أعواد الذرة اليابسة وسألتها : كيف حالك يا أم عامر ؟ فأجابت العجوز بلهجة تنم على الرضا والغبطة : حالى خير حال والحمد لله ! العيش مخبوز ، والماء فى الكوز ، فماذا أبغى فوق ذلك ؟ فقلت لها : وهل يقنع ابن آدم ؟ تبغين الأرض المملوكة ، والدار المشيدة ، والثوب الحرير ، والمركب الفاره ، واللحم فى كل وجبة ! فقالت وهى تضحك : هبنى ياسيدى أصبحت (بدراوية) ، عندى

(البقية على صفحة ١٥٥)

احمد حسن الزيات

النزاع في البلقـــان

للأســتاذ عمر حليق

من بين القرارات الرئيسية التي اتخذتها الجمعية العمومية في اجتماعها الأخير بباريس مشروع جديد لإعادة السلم في البلقان ، والسعي لتصفية الحرب الأهلية في اليونان .

وقرار هيئة الأمم هذا يطلب إلى جارات اليونان الثلاث : ألبانيا وبلغاريا ويوغسلافيا ، الامتناع عن تزويد الثوار اليونانيين بالأسلحة والمساعدة المادية والمعنوية ، ويوصي اللجنة الدولية التي أنشأتها هيئة الأمم لفض النزاع في البلقان بمتابعة أعمالها .

وقد خولها هذا القرار صلاحيات جديدة من شأنها إذا نفذت أن تضع نهاية مرضية لهذا الصراع المؤسف المزمن الذي ابتدأ بين اليونان وجاراتها منذ أن وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها .

وهذا المشروع الذي نحن بصدده ، هو من وضع الصين وبريطانيا وفرنسا وأمريكا مشتركين . وقد نال أصوات جميع أعضاء هيئة الأمم باستثناء روسيا وحلفائها في دول أوربا الشرقية

وكان رأي الروس لحل مشكلة البلقان يرمي إلى وقف أعمال لجنة البلقان الدولية التي ألفها مجلس الأمن في السنة الماضية ، وسحب الجنود الأجانب من جميع الجنسيات من اليونان ، ثم حمل الدول المتنازعة على الدخول في مفاوضات لإيجاد تصفية نهائية .

وطبيعي أن هدف الروس في هذه الدعوة هو إقصاء الجنود الأمريكيين والبعثات العسكرية الإنجلوسكسونية التي تدير الجيش النظامي اليوناني ، وترك الحالة مرهونة بالقوة الكامنة لدى الثوار اليساريين اليونان والتي ترعاها حكومة موسكو في شكل لا يتخذ صورة المساعدة العلنية التي يقوم بها الأمريكان في اليونان وتركيا ، والتي تتخذ شكل السيطرة السياسية والاقتصادية التامة ، خصوصاً في اليونان . وقد كتب هانسون بولدوين الملحق العسكري لجريدة النيويورك تايمس الأمريكية منذ مدة يقول إن انتصار روسيا في حرب البلقان يكشف عن وسيلة الصراع التي تدفع فيه روسيا الولايات المتحدة إلى حرب اقتصادية تستنفد القوى الاقتصادية الأمريكية وتعقد العلاقات والتيارات الاقتصادية والتجارية في عالم ما بعد الحرب . وقد عد هـذا الـكاتب عمليات روسيا في اليونان انتصاراً لأن مُضي عام على احتلال الأمريكان مكان الإنجليز في اليونان ، وإنفاقهم ٢٥٠ مليون دولار بموجب شريعة ترومان خلال السنة المنصرمة ، قد أنتج عكس ما كان يقدر له صناع السياسة في أمريكا . فقد زاد عدد الثوار اليونان من ١٠ آلاف إلى ٢٥ ألفاً ، وتراكمت على الإدارة الأمريكية التي تتولى تنفيذ شريعة ترومان في اليونان أعباء مالية جسيمة اضطرتها إلى أن تطلب من الكنغرس تخصيص ضعف هذا المبلغ (٥٠٠ مليون دولار) للسنة الحالية . أضف إلى ذلك أن اليساريين اليونان قد تمكنوا من التركز في مواقع استراتيجية جديدة تتوغل في الأراضي التي كانت تسيطر عليها الحكومة اليونانية في السنة الماضية .

ولنعد إلى محاورات هيئة الأمم :

لقد رفض المشروع الروسي بأكثرية ساحقة ، وكانت حدة النقاش بين الروس وحلفاء الغرب بصدد المشكلة البلقانية في جلسات هيئة الأمم من أعنف ما شهدته هذه المؤسسة من نقاش . فقد حمل المسيو فيشينسكي وهو قانوني ضليع وخطيب مصقع على لجنة البلقان الدولية وطالب بحلها معدداً الأخطاء والتحيز الذي بدا منها بفضل ما سماه « مهزلة التدخل » الأمريكي في أعمالها وتوصياتها وفي سعيها لتوطيد الملكية اليونانية أمام مقاومة ما سماه فيشينسكي العناصر التقدمية الشعبية .

ولعل من الطريف مقارنة فيشينسكي في تعداده أخطاء لجنة البلقان بدفاع زميله ومواطنه يعقوب مالك المندوب الروسي الدائم في مجلس الأمن عندما تعاقب المندوبون العرب بالخطب وبالمذكرات على الكشف عن تآمر وأخطاء لجنة التقسيم الدولية بفلسطين ولجنة مراقبة الهدنة ...

وحاول المندوب الروسي أن ينفي التهم عن حلفائه البلغاريين والألبانيين واليوغسلافيين فقال إن أزمة النزاع في اليونان ليس مبعثها تدخل جارات اليونان ، ولكن مبعثها فساد النظام والإدارة السياسية في حكومة أثينا ، وأن أية محاولة لتعزيز هذه الحكومة لن يضمن استقرار السلم في البلقان وهي منطقة في مسيس الحاجة إلى الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي ، وهو إصلاح لا يتم إلا بتوطيد السلم الحقيقي . أما أجوبة اليونان عن ادعاءات الروس فإنها تشير إلى أن اليونان فريسة عدوان منظم من جاراتها الشيوعية ، وهذا العدوان يتخذ شكل اعتداء حربي مسلح يشترك فيه الجنود البلغاريون والألبانيون واليوغسلافيون مع الثوار اليونان برعاية حكومة موسكو ومساعدتها المادية والمعنوية . ولذلك فإن مأساة الصراع في اليونان ستنتهي حتما إذا امتنعت روسيا وأعوانها

عن تغذية الثوار اليونانيين . ويقول ممثلو حكومة اليونان فى هيئة الأمم إن الشعب اليونانى فى منطقة الحكومة وفى منطقة الثورة على السواء يرغب فى السلم ، ولن يتم له تحقيق هذه الرغبة إلا بوقف تدخل الدول المجاورة .

ويعزز رأى اليونان أصوات سادة هيئة الأمم المتحدة وهم الإنجلوسكسون ، وقد استطاعوا إقناع أعضاء الهيئة بتخويل اللجنة الدولية فى البلقان صلاحيات جديدة يعززها من الخلف نفوذ لايك سكسس عسى أن يستقر السلام فى تلك المنطقة التى هى برميل البارود فى حروب أوربا الشرقية .

ويقول تقرير نشر فى لايك سكسس مؤخراً إن اللجنة الدولية المذكورة معززة بقرار الجمعية العمومية قد نجحت مبدئياً فى تقريب وجهات النظر بين الحكومة اليونانية وجاراتها على أسس جديدة قد تسفر — إذا استمر هذا الجو الهادئ نسبياً الآن فى البلقان — عن خطوات عملية جدية لتصفية نهائية ...

(نيويورك) عمر حليق

أبو عمرو بن العـــلاء

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

(لو كان أحد ينبغى أن يؤخذ بقوله فى كل شىء كان ينبغى أن يؤخذ بقول أبى عمرو بن العلاء)
يونس بن حبيب

الفرج :

ما بال هذا الشيخ العلاء بن عمار وابنه الفتى أبى عمرو يضربان فى إحدى صحارى اليمن مصعدين إليها ؟

أما أكبرهما فيجلله الشيب ويغشيه الوقار وتنبىء طلعته عن عراقة النسب وكرم النجار وإن كانت تبدو عليه رهبة الخائف وخشية المطلوب .

لكن الفتى أبا عمرو — وقد خنق بضعاً وعشرين سنة — تتبين فى تقاسيم وجهه مخايل النجابة ولمحات الذكاء ، وبطالعك بالبصيرة النفاذة والفكر اللماح ، وتتوسم فيه لهفة التعطش إلى انتهال المعارف وارتشاف العلوم .

وبينما الصمت باسط أجنحته على هذا الفضـــاء المترامى إلا ما تسمعه من همس أخفاف الإبل وهي تلامس صفحة الرمال المنبسطة ، انطلق صوت أعرابى يغذ السير وهو ينشد :

لا تضيقن بالأمور فقد تفـــرج غماؤها بغير احتيال
ربما تكره النفوس من الأمـــر له فرجة كحل العقـــال

فأقبل الشيخ وهو يغالب لهفة تملك عليه نفسه يسأله عما وراءه فكان جوابه : مات الحجاج .

لك الحمد يا ربي ! نطقت بها أسارير العلاء قبل أن يترطب بها لسانه بين فكيه ، وأخذت وسامة الارتياح تجلو عن صفحته جهامة الإفزاع ؛ وأدار وجه راحلته ليصرفها إلى البصرة بعد أن تقبل التهنئة من فتاه بسلامته من طلب الحجاج مما جمله يركب أهوال الصحراء فى طلب النجاة وقد ضم إليه ابنه خشية أن تمتد إليه يد الإيذاء . أما أبو عمرو فهو — كما يحدث عن نفسه — كان أكثر فرحاً بالإنشاد من سماعه بنبأ الوفاة . أليس ذلك الأعرابى يقول : « له فرجة كحل العقال» بفتح الفاء من الفرجة لما كان مخرجاً من الهم المعنوى وهو يحفظها من قبل بالضم لما كان بين الشيئين الحسيين؟

نسب أبى عمرو :

اشتهر بكنيته أبى عمرو واسمه الحقيق زبان بن العلاء بن عمار ابن العريان بن عبدالله بن الحصين ، وينتهى إلى مازن من تميم ، كان من أشراف العرب ووجهائها مدحه الفرزدق بقوله :

ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وغضب مرة فهجاه ثم جاء إليه ممتذراً فقال أبو عمرو :

هجوت زبان ثم جئت ممتذراً من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

ويكفى فى مكانته من قبيلته أن أباه كان من الرجال الذين اتجهت إليهم أنظار الحجاج فطلبه للقضاء عليه .

نشأته وشيوخه :

ولد بمكة فى أواخر العقد السابع من القرن الأول الهجرى ، وبها وبالمدينة كان تلقيه لكتاب الله حيث كان يسارع إلى حفظه كل فتى من أهل الحرمين وغيرهما من الأمصار إذ ذاك . وكان علماؤها يتلقون روايات القرآن المختلفة عن رسول الله ويختارون منها ما وافق شروطهم فى الاختيار ؛ وكانت رواية هذا أو بعضه تعد — بجانب رواية الحديث — أعظم ما يهتم به المتعلمون وأكرم ما يسعى إليه الراغبون . ولكن أبا عمرو لم يدع أحداً من نابهى القراء إلا تلقى عنه القراءة وعرضها عليه . وأقدم من أخذ عنه من أهل مكة مجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٣ هـ وعطاء ابن أبى رباح المتوفى سنة ١١٤ ، وعكرمة بن خالد المخزومى المتوفى

سنة ١١٥، وعبدالله بن كثير أحد القراء السبعة المتوفى سنة ١٢٠، ومحمد بن محيصين أحد القراء الأربعة عشر المتوفى سنة ١٢٣، وحميد بن قيس الأعرج المتوفى سنة ١٣٠

وأخذ من شيوخ المدينة عن يزيد بن رومان المتوفى سنة ١٢٠ وأبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة المتوفى سنة ١٣٠ وشيبة بن نصاح المتوفى سنة ١٣٠ وقد تلقى عن هؤلاء الثلاثة أيضاً نافع أحد القراء السبعة . ورحل إلى البصرة والكوفة فأخذ من شيوخ البصرة عن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر اللذين توفيا سنة ٩٠ القرآن والنحو ؛ وأخذ عن الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠ أحد القراء الأربعة عشر القرآن ، وعن عبد الله بن أبي إسحق الحضرمى المتوفى سنة ١١٧ ؛ القرآن والنحو، وتلقى بالكوفة القرآن عن سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥ وعاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة المتوفى سنة ١٢٧ فأبو عمرو وهو أحد السبعة المشهورين إلى عهدنا هذا مع بقية العشرة إلى الأربعة عشر، أخذ عن كل من سبقه فى السن وشارك من قاربه إلا ابن عامر بدمشق فإنه لم يأخذ عنه ولم يشاركه.

ولعل أبا عمرو لم يكن — كما يبدو من طلب الحجاج لأبيه — من المقربين إلى خلفاء بنى أمية ، فلم يحاول أن يقدم عاصمتهم ويأخذ عن قارئها عبد الله بن عامر ، وبخاصة إذا علمنا أنه زار دمشق فى دولة العباسيين . ثم استقر به المقام فى البصرة إلا ما ندر حيث تهيأت له إمامة القراءات والأدب بعد أن طوف بالأمصار وخاض البوادى

علمه :

ليس بالكثير على رجل كأبى عمرو ، وقد أخذ عن أعلام الإسلام وأجلة العلماء، أن تكون له مكانته فى العلم ملحوظة ، فيقول فيه تلميذه أبو عبيدة : كان أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر . وأن يقول تلميذه الأصمعى : سألت أبا عمرو عن ألف مسألة فأجابنى فيها بألف حجة . وأن يعتز أبو عمرو بما وفقه الله إليه فيقول: لقد حفظت فى علم القرآن ما لو كتب ما قدر الأعمش على حمله . ويقول ما رأيت أحداً قبلى أعلم منى . ويزيد الأصمعى على ذلك : ولم أر بعد أبى عمرو أعلم منه . وفيه يقول تلميذه يونس بن حبيب : « لو كان أحد ينبغى أن يؤخذ بقوله فى كل شىء كان ينبغى أن يؤخذ بقول أبى عمرو بن العلاء »

وهو إلى جانب شيوخه الذين فاق بعدهم كل من عاصره كانت دفاتره ملء بيته إلى السقف .

أدبه :

يروى أبو عمرو الشيبانى : ما سألت أبا عمرو بن العلاء عن حماد إلا قدمه على نفسه ، ولا سألت حماداً عن أبى عمرو إلا قدمه على نفسه . وإن كتب الأدب واللغة لتروى شروح أبى عمرو للشعر وروايته له وذوقه الأدبى فى تخير أجودها ، فأبو الفرج فى أغانيه يقول : كان أبو عمرو يرى أن بشار بن برد أبدع الناس بيتاً حيث يقول:

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ... ونفى عنى الكرى طيف ألم

وأنه أمدح الناس بقوله :

لمست بكفى كفه ابتغى الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدى

وأنه يقول : أحسن شعر قيل فى الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة :

تقول ألا تبكى أخاك وقد أرى ... مكان البكا لكن بنيت على الصبر

وأنه لم تقل العرب بيتاً قط أصدق من بيت الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

وكان يقول : أبو النجم أبلغ فى النعت من العجاج :

وكانت له موازنات بين الشعراء ، فهو يشبه جريراً بالأعشى ، والفرزدق بزهير ، والأخطل بالنابغة . وكانت له تشبيهات جميلة ؛ من ذلك قوله : عليكم بشعر الأعشى فإنى شبهته بالبازى يصيد ما بين العندليب إلى الكركى . وكان يقول : إنما شعر ذى الرمة نقط عروس تضمحل عما قليل ، أو أبعار ظباء لها شم فى أول شمها ثم تعود إلى أرواح الأبعار . وعرض عليه قول عدى بن الرقاع :

لولا الحياء وأن رأسى قد عثا ... فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكأنها وسط النساء أعارها ... عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت ... فى عينه سنة وليس بنائم

فقال : أحسن والله ، وكان عنده شيخ مدنى جالس فقال والله لو سمعت لحن معبد فى هذا الشعر لكان طربك أشد واستحسانك أكثر . وكان أبو عمرو لكثرة تنقله واتصاله بأهل البادية يعرف فصحاء القبائل فيقول: « أفصح الناس أهل السروات » ولقد بلغ من قدرته أن وضع — كما اعترف — بيتاً من الشعر دسه فى شعر الأعشى وهو :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فلم يلبس صنعه إلا بشاو .

إقبال الناس عليه وتلاميذه :

إن رجلاً بلغ من العلم والأدب والمكانة ما بلغه أبو عمرو يكون قبلة الناس فى مجتمعاته ؛ فلقد روى أن الحسن مر بأبى عمرو وحلقته متوافرة والناس عكوف فقال من هذا ؟ فقالوا أبو عمرو . فقال لا إله إلا الله ! كادت العلماء أن تكون أرباباً . كل عز لم

يؤكد بعلم فإلى ذل يؤول » .

ولقد نبغ من تلاميذه من أصبحوا حجة فى الأدب واللغة والنحو والقراءات ؛ فأبو عبيدة والأصمعى وأبو زيد الأنصارى والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب ويحيي بن المبارك اليزيدى ومعاذ بن مسلم وسيبويه كلهم غرس يده وفيض بحره وثمرة علمه فكل فضل ينسب إليهم يشاركهم فيه ، وكل علم إنما هو الذى فتح لهم أبوابه وأنار لهم سبله .

زهده :

إن هذه النفس الصافية التى انقطعت للعلم ونشره قد لجأت إلى بارئها وأخلصت له راجية أن يشملها بعفوه شاكرة له توفيقه وجزيل نعمه ، فما كان يدخل شهر رمضان حتى ينقطع عن إنشاد الشعر ويختم القرآن كل ثلاث ليال مرة . وكان نقش خاتمه :

وإن امرأ دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

ولما بلغ به النسك مداه أحرق جميع دفاتره التى كانت ملء بيته إلى السقف لينقطع إلى قراءة القرآن .

أصول قراءته وأثر شيوخه وقبيلته فيها :

كان لشيوخ أبى عمرو فى القراءة أثر ولقبيلته أثر .

١ — فتسهيل الهمز عادة لغوية للحجازيين تخالف قبيلة أبى عمرو، لكنه تأثر بشيوخه فكثيراً مايشارك نافعاً وابن كثير وأبا جعفر وابن محيصين وهم قراء مكة والمدينة الذين أخذ عنهم أو شاركهم فيمن تلقوا عنه .

٢ — والإمالة عادة لغوية لقبيلته تميم ومن شاركها من سكان نجد ؛ لهذا كانت الإمالة من أصول قراءة أبى عمرو إلا أن إمالته لم تكن كبرى ، بل هى بين الصغرى والكبرى؛ فليس كقراء الكوفة ولا كقراء الحجاز ، بل بين المذهبين . وغالباً مايشاركه فى الإمالة الأزرق من رواية ورش عن نافع إلا أن إمالة الأزرق صغرى ، وقد يزيد أنه يميل ما لا يميله أبو عمرو ، وقد تكفلت كتب القراءات بشروط كل منهم فيما يمال .

٣ — تسكين الوسط المتحرك من تخفيف قبيلة أبى عمرو، ولهذا كان التخفيف مما يسلكه فى قراءته وقد يشاركه فيه غيره ومع هذا قد يتفق مع نافع وابن كثير وأبى جعفر وابن محيصين فى فتح ياء المتكلم إذا وقعت بعدها همزة قطع مفتوحة مثل إنى أعلم ، ويتفق مع نافع وأبى جعفر فى فتحها إذا وقعت بعدها همزة قطع مكسورة مثل من أنصارى إلى الله .

٤ — الإدغام : يظهر أن الإدغام من عادة قبيلة تميم اللغوية . وللادغام فى القراءات أسباب وشروط وموانع فإذا وجد الشرط والسبب وارتفع المانع جاز الإدغام . وأسبابه :

١ — تماثل الحرفين بأن يتحدا مخرجاً وصفة كالباء فى الباء

٢ — التجانس : بأن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفة كالدال فى التاء .

٣ — التقارب : بأن يتقاربا مخرجاً أو يتقاربا صفة أو يتقاربا مخرجاً وصفة . وقد اختص أبو عمرو بما يسمونه الإدغام الكبير فهو يحرص عليه ويمتاز به عن غيره من القراء ، وقد يشاركه بعضهم فى نوع منه ، وقد تكفلت بتفصيل ذلك كتب القراءات

أما اختلاف القراء فى أن الفعل بالغيبة أو الخطاب ، أو أنه رباعى أو ثلاثى أو أن الاسم منون أوغير منون ، وما شابه ذلك مما ليس من الأصول العامة ، ولا يعرف إلا عند فرش الحروف أى تلاوة الآيات ، فإن أبا عمرو كثيراً ما يوافق شيوخه الحجازيين فيما اختاروه .

وفاته :

فى سنة ١٥٤ هـ تقريباً توفى أبو عمرو فى الكوفة عند عودته من دمشق حيث كان فى زيارة لواليها عبد الوهاب من بنى العباس . قال أبو عمرو الأسدى : لما أتى نعى أبى عمرو أتيت أولاده فعزيتهم عنه ، فأنى لعندهم إذ أقبل يونس بن حبيب فقال : نعزيكم وأنفسنا بمن لا نرى شبهاً له آخر الزمان . والله لو قسم علم أبى عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء وزهاداً . والله لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسره ما هو عليه . ويروى ابن الجزرى أن قراءة أبى عمرو فى القرن الثامن ومفتتح التاسع كان عليها الناس بالشام والحجاز واليمن ومصر» . ولقد كانت إلى عهد قريب منتشرة بصعيد مصر ، ثم طغت عليها رواية حفص عن عاصم . رحم الله أبا عمرو رحمة واسعة .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

مصادر البحث: (١) النشر (٢) إتحاف فضلاء البشر
(٣) المكرر (٤) غاية النهاية (٥) الأغانى
(٦) ابن خلكان (٧) بغية الوعاة (٨) نزهة الألبا
(٩) أخبار النحاة (١٠) دائرة المعارف الإسلامية
(١١) معجم الأدباء

الأدب الشعبي في الكويت

للأستاذ أحمد طه السنوسي

إن إمارة الكويت بحكم بيئتها ونشأتها وتكوينها قد خلقت لها أدباً شعبياً مشبعاً بظروف تلك النشأة والبيئة والتكوين ، فهي تقع بين بصرة العراق في الشمال والغرب ، والمملكة العربية السعودية في الجنوب بمدتوسط من المنطقة المحايدة ، والخليج العربي (الفارسي سابقاً) في الشرق ؛ وهي إمارة حديثة التكوين تاريخها لا يتجاوز الثلاثة قرون ، وقد كان أكثر أهلها من القبائل النجدية والأحسائية ، وبذلك نرى أن مرتعها عربي قح ، كما نرى أن النجدية والأحسائية كان لها أكبر الأثر في أدبها الشعبي ، فبدا قوياً صريحاً فيه الإلهام الصحراوي وفيه الصلابة البدوية وفيه شيء من الجفاف ، ولكن الصحراء كثيراً ما أضفت عليه الجمال البارع وأمدته بروحها البريئة في غمرات عذبة حنون . وقد طرق الأدب الشعبي الكويتي جميع أغراض الشعر فأجاد فيها وأبدع ، ولكنه لم يبلغ في ذلك شأواً بعيداً ؛ لأن الكويتيين لا يولونه كثيراً من العناية والتدليل ، إذ أن شعراءهم الكبار بأدبهم وأشعارهم الفصحى قد طغوا بها بعض الشيء على ذلك الأدب الشعبي المسكين .

بيد أن هناك فئة ممن استهوى الأدب الشعبي أفئدتهم وحفزهم على تشجيعه ، فقامت في سبيله مدرسة ابن فرج وابن فوزان ، وامتازت تلك المدرسة بإلهام عذب وخيال خصب ومعان سامية ووشي جذاب ، وبعد ذلك ولجت الكويت باب التطور والارتقاء وكانت على بابه منذ قليل ، وتطورت فيها الحالة الثقافية والعلمية والأدبية ، وكان قمينا بالأدب الشعبي آنذاك أن يثب بنفسه ويظفر الظفر الملائمة للتطور ، ولكن التطور الحديث أضعف شوكة الأدب الشعبي على عكس ما كان متوقعا .

وأنا أرى أن السبب في ذلك أن النفوس كانت مهيأة لاستقبال التطور استقبالا أنساها كل شيء ، كما أميل إلى القول بأن الأدب الشعبي كان في بدايته قوياً صارماً فيه صلابة وجفاف إن استثنينا بعضه ، ونفسية الشعب الكويتي نفسية ساكنة وديعة تميل إلى خيال الحقيقة لا إلى حقيقة الخيال ، كما أن تطور الحالة الأدبية والعلمية لم يكن تطوراً كاملا تم في لحظات ، بل ما زال إلى اليوم يدلف في دربه اللاحب ليصل إلى الأنوار والأضواء وبذلك وجد التطور هوى في النفوس الكويتية ، هوى فيه مقدمات وتمهيدات تدعو للتطلع والاستطلاع عما يبقى من أضوائه في ثنايا الأفق . هذا وكانت النفوس متعطشة إلى الاستزادة من الثقافة والعلم ، فوجهت همها لتكملة ما يأتي به التطور ولمساعدة أشمته على النفاذ ولحشد جموع استقباله ، فتضاءل الأدب الشعبي وهو ينظر كاسف البال إلى ذلك الأعراض ، ولكنه ربما يسره في قرارة نفسه منتظراً ساعة النتيجة السعيدة لحداثة التطور ، فتؤوب إليه النفوس وتدفع العلوم الطريفة والفنون الجديدة مريديه لأن يحتفلوا ويحفلوا به ويهيئوا له الظرف المناسب ليأتي بالثمرة المرجوة منه والتي آتت بعض أكلها حين لاقي الإقبال والابتسام ، فكان مهداً لإصلاح النفوس وكان حافزاً للهمم وكان دافعاً للحماسة وكان موقظاً للعزيمة والبسالة كما كان سبيلا للدعاية الصالحة ...

* * *

كان العيد يزهو بدلاله ويرفل في غلائل نخوته ، وكان يومه مشرقا مزدهراً ، ونظر أحد الفقراء في الكويت إلى مباهجه ومسراته التي حرم منها ، ثم أخذ يقول :

وين القماش اللي من الدر جبنا الله عليهم وإن كلوا من تعبنا
هذي السنة صارت علينا فضايح أنتم تبون إفلوس واحنا مفاليس
قل أنتم أهل الجودات وأهل المروة
ميير شيء حدث فيكم يا ناسي توه
أشوف بالوقت تاخدونا قوه ياما حديتونا بمجر ودبابيس

ونحن إذ نستمع لهذا القول قد نفهمه وقد لا نفهمه ، وأستطيع أن أشرح بعض المعاني لبعض كلماته على سبيل المثال ليتسنى لنا فهمه والحكم عليه .

فوين : أين ، القماش : اللؤلؤ ، اللي : الذي ، جبنا : أتينا ، تبون : تريدون ، إفلوس : دراهم ، مير : لكن ، توه : الآن ، حديتونا : سقتونا ، والمجر جمع مجر : عصا ملوسة الرأس ، والدبابيس جمع دبوس وهو عصا في رأسها قطعة من قار أو حديد .

ولندع هذا وننظر إلى هذا الشعر الشعبي الذى طالما أحبه الأطفال الكويتيون ورددوه .

يا هل (أهل) الشرق مروا بى على القيصرية (حى كويتى)
عضــدوا لى وتلقون الأجــر والثواب
واطلبوا دختر (طبيب) المشــاق يكشف على
كود (يمكن) يمسح على جرحى ويبرا صوابى

وقال الشاعر الشعبى الكويتى الكبير (فهد بورسلى) :

يا طــير يلى كلمــا طار زاد العنا والهم فيـه
من يبتلى بحب البــكار (الأبكار)
ضاجت (ضاقت) عليه أرض وسيعية (واسعة)
وقفت أنا والبــال محتار يا هل النظر ردوه عليـه
ما من جريب (قريب) يأخذ الثار من ساهى العين السجية

وفهد بورسلى أضعه فى مرتبة كبرى من الشعراء الشعبيين فى الكويت ، ولكن المأخذ الأوحد الذى آخذه عليه هو أن شعره يشوبه قليل من الانحلال فى تركيبه ، بيد أنه شاعر له من لطف المشاعر وجميل الإشارات وبديع اللفتات وبهيج المعانى ما يقدمه فى صفوف الشعراء .

وقال محمد فوزان :

أهلا عدد ما هللوا بالمساجد أو عدد ماركب سرى يخبط البيد
بكتاب من نظمه سواة القلايد ومرصع بالدر يزهى على الغيد

وقال عبد الله الفرج فى الغزل :

عزيز لشــلى ما يونى ونينه ومسهد بين التجافى والأبعاد
ما يختفى منــه غرام ببينه نوحه إذا نام الخليلون يزداد
ويلومك اللى ما بدا بالضفينه ولا شغف قلبه من الخود مياد

ولى ملاحظة على أقوال هذين الشاعرين الكبيرين (ابن فرج وابن فوزان) فكثيراً ما أرى شعرهم محتفظاً بالصبغة الفصحى ، فتلتقى فيه كلمات عربية فصيحة كثيرة لو أنعمت النظر فى قراءتها وفى بحثها على حدة ألفيتها ترجع بالفكر إلى كلمات الشعر الجاهلى ، أما وقد زار ابن فوزان بعض البلاد الرائعة كلبنان الجميل ووجد الرقة والعذوبة فى الألفاظ الشعرية السهلة لا فى التضخم الجاهلى ، فسوف يتحول وسوف يضفى بدائع الثقافة الجديدة مع الألفاظ الحرية على شعره الشعبى الرائع فيزداد حلاوة وعذوبة ويبزغ لنا من جديد مختالا حالماً تسرح العقول فى سكرات من الحنين حين تتلاعب به لوامع الشفاه .

وقال أحد شعراء الكويت النبطيين :

لا تبتلى ذا الناس فى شيل الأثقال تبلى بهم مثل الطفل فى رضاعه
لو طاح منهم طايح ما حد شال حمله ولو شول لك الله كراعه
رجل بليا مال ما هو برجال لو هو على الشدة طويل ذراعه

وقال أحدهم فى الهجاء :

ناس أرانب وألسنتهم حدايد والدهر ممطيهم اقبال وتصعيد
واللى على قلبه مدق السمايد والمتنى جوفـه يحب المواليد

ومن طريف الغزل قول أحدهم :

شاقول يا هل الهوى شاقول وهــذا نصيبى من الخلانى
ومضمراً والشــمر منسول ليجيت أحب النحر غطانى

والحب بفتح الحاء عندهم هو التقبيل ، ولعل تلك الكلمة مستعملة فى الجو الريفى المصرى . ونستطيع أن نلمس الجمال والبراعة فى الشـطر الثانى من البيت الثانى ، إذ قد طنى جماله فتتزاحم فى الفكر أخيلة حالة تشعر المرء بالانتعاش فى قرارة نفسه ، كما تشعر عند تلاوة الشطر الأول من نفس البيت .

أما الرثاء ، فإن الكويتيين كما عرفتهم لا تحتل الأحزان والأشجان مكانا من قلوبهم ، وإن احتلت فالصمت والهدوء ديدنهم . ولقد تعجب إذا مات لأحدهم عزيز فتراه ساكناً لا يفعل ما يفعل سواه فى متباين الأقطار العربية . وقد تعجب لدهشته من كثرة عباراتك المواسية ورثائك وتفجعك من هول المصاب؛ لأنه يرى الموت أمراً محتوما ولاراد لقضائه ، فهو فيلسوف فى هذا الظرف الحزين ، وبالرغم من ذلك فقد اخترق الأدب الشعبى الطريق ليبين لنا أن الكويتى وإن كان فيلسوفاً ساكنا إلا أن فى فؤاده من الحزن دمماً لا يتعدى نطاق القلب وسويدائه ؛ فأخرج الشعراء درراً شعبية فى الرثاء تؤثر فى النفس تأثيراً عميقاً ، من هذا قول أحدهم :

الله من خطب دهانا بالأبكار أدمى القلوب تشب فيها السماير
يا موت حسبك من تسقيه الأحرار
كاسات ليمات تفت الــراير
وسط اللحود وبين ملتف الأحجار
فى ذمة المولى رهين القــباير

ولقد احتل الأدب الشعبى مكانة عظمى من الأغانى والأناشيد

أساليب التفكير :

التفكير فى الشرق القديم

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

كل منا يسعى إلى استكناه أسرار الوجود ، وكشف الستر عن خباياه ، تتتابع على مشهد منه ظواهر الطبيعة ، وتتوالى أمام ناظريه مواكب الأحياء ، وتترى تحت سمعه وبصره أحداث الإنسان : فيعمل الفكر بغية اكتشاف أسباب هذه الأمور ، والبواعث التى تحدثها وتسيرها ، والغايات التى تتجه إليها والحكمة الكامنة وراءها . وجملة القول أن الإنسان يحاول تفسير ما يبصر وما يسمع وما يعى ، وتختلف تفسيراته تبعاً لتقدمه الفكرى ومرتبته من التطور العقلى .

من أجل ذلك اختلفت تفسيرات الطفل عن تفسيرات الراشد المكتمل ، وتفسيرات المجنون عن تفسيرات العاقل المتزن ، وتفسيرات البدائى عن تفسيرات المتمدن المتحضر . اتفق الجميع على أمر واحد : هو البحث عن الحقيقة ما امتدت بهم أسباب الحياة ، ولكنهم يسلكون سبلا ثلاثا أقصرها وأسلمها سبيل العلم ، وأرحبها طريق الفلسفة ، وأدناها وأكثرها التواء ودورانا حول الحقيقة طريق التفكير الخرافى .

وقد حدثت القراء فى مقال سابق عن التفكير الخرافى فى حياة الفرد ، وانتهيت معه إلى أنه برغم بعده عن الحقيقة الوضوعية ، وانحرافه عن القصد فى محاولة بلوغ الواقع ، يعد وثبة أولى فى طريق العلم والعرفان ، ومحاولة ساذجة لكشف أسرار الوجود ، ومرحلة لا زمة فى التطور الفكرى لا بد مسلمة إلى ما هو أرقى : إلى الفلسفة والعلم .

والبشرية فى تطورها الفكرى كالفرد فى تطوره الفكرى . لم تكشف عن قوانين الجاذبية ، ومدار الأفلاك ، والقوة الكهربائية ، والطاقة الذرية ، إلا بعد جهاد عنيف ، وكفاح فكرى شاق دام آماداً طوالا ، ومحاولات مضنية كان أولها التفكير الخرافى الذى يسم العقل البشرى فى طفولته .

الكويتية بأنواعها ، وأنا أذكر بيتاً من نشيد نبطى هو :

لابتى (يا أصحابى) حناشبوب الحرايب (الحروب)
وانطفت حنا سنا نارها

كما أذكر أغنية من (أغانى الموازم) وهى نوع من الغناء تطرق إليه الأدب الشعبى الكويتى :

وأمسى الضحى باديا فريج (فريق) مصبح
جينا المطوع (أتينا الشيخ) يحدث أبى الأبصار
يقول : طرد (أى طالب) الهوى نارن (نار) شعالى
والله لا أسمع حديثه لو يجنه (يجن)
واتبع هوى البيض فى هرجن (الكلام) يقالى

وملاحظتى الأخيرة عن هذا الأدب الشعبى أنه لم يتبذل فى القول ، ولم يتخذ عامى الكلام سبيلا للنكات الفاحشة والأغراض السقيمة بل هو ذو أغراض طيبة تجنى الكويت من ورائها كل خير وكل فائدة .

وما هو إلا قليل من العناية وقليل من التشجيع ومزيد من الثقافة الجديدة التى أفعمت سماء الكويت وأرضها تضفى على الأدب الشعبى حتى يكون فى مصاف الآداب الشعبية . وأنا أرى أن الكويت فى حاجة ماسة إليه لتتخذه وسيلة لدعايتها الوطنية ، وقد جربت فيه ذلك فوجدت الدرع الفولاذى والفكر العبقرى .

ولا يغيب عنا أن اللهجة الكويتية الأثر البين فى الأدب الشعبى فى الكويت ، وسأبحث تلك اللهجة فى مقال مقبل بحثاً مستفيضا ، إذ أن قراء العربية فى حاجة ماسة لأن يعرفوا الشىء الكثير عن الكويت ، وقد ارتقت رقيا باهراً فى أوقات قصيرة ؛ بيد أن وهن الدعاية وقلة أساليب التعارف ووسائلها بين أقطار العالم العربى يحول دون إبداء الحقيقة والمعرفة الصحيحة ، وما أحوجنا إلى إبدائها ونحن فى فترات أحوج ما تكون فيها إلى التآزر والتضامن فى جميع عناصر الحياة .

أحمد طه السنوسى

فالتراث الفكرى الذى خلفته أجيال البشر يبين أن أول مرحلة من مراحل التفكير كانت مرحلة دينية صرفة ، يمتزج فيها التفكير بالخيال .

ونحن نعلم أن الفكر الإنسانى بزغ أول ما بزغ فى الشرق القديم : عند المصريين والفرس والأشوريين والبابليين والهنود والصينيين . ونظرة عامة إلى ما خلف هؤلاء من محاولات تفسيرية تكشف عن غلبة العاطفة الدينية ، وسيطرة التقاليد الموروثة ، والجنوح إلى الخيال .

ولا بد لتفكير يصدر عن الأهواء والعواطف ، ويستمد المعارف من الخيال والأوهام ، ويستهدف السعادة فى الدنيا والآخرة ، لا بد لتفكير هذا شأنه أن ينتج عقائد دينية ، وفنوناً جميلة ، وحكمة أخلاقية ، كل ذلك فى مزيج واحد متفاعل لافرق فيه بين علم وفن ودين وأخلاق ، حتى لنجد علماء القرون الغابرة هم شعراؤها وحكاؤها وكهنتها فى آن واحد .

ألا ترى إلى الكهنة المصريين فى العهد الفرعونى يرعون الدين ، ويحمون الفضيلة ، ويحملون رسالة العلم ، ويرفعون لواء الحكمة ، ويوجهون سياسة الدولة ، ويتحكمون فى مصير الشعب ؟ أولم يكن شعراء العرب فى بداوتهم ، وشعراء اليونان قبل عصر الفلسفة قادة الفكر وقادة المجتمع فى هذه الربوع ؟ فامرؤ القيس والنابغة والأعشى وزهير فى جزيرة العرب ، وهو ميروس وصحبه ممن طمست الأحقاب أسماءهم فى بلاد اليونان .[1]

وهل ننسى أن زرادشت حكيم الفرس كان داعية دينية لعقيدة تحمل بين ثناياها فلسفة ناشئة ؟

وهل كان بوذا الحكيم الذى خلد فى تاريخ الفكر بحكمته الأخلاقية وبحوره الفكرى وآرائه السياسية ، إلا كاهناً لإحدى القبائل الهندية الكبرى وابناً لشيخها ؟

وجملة القول أن التفكير الخرافى فى الشرق القديم يتصف بخصائص ثلاث : الخضوع لسلطان الدين أى التقاليد الموروثة المقدسة ، والاتجاه الخيالى ومن هنا كانت صلته الوثيقة بالفن ، والنزعة الأخلاقية .

وعلينا الآن أن نستعرض أمثلة من الفكر الشرقى القديم مبتدئين بالتفكير فى مصر القديمة .

لم يكن للمصريين دين واحد ، بل أديان عدة اختلفت باختلاف الأقاليم ، وتطورت مع تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى وادى النيل . وقد برزت الديانة المصرية القديمة كعامل هام فى حياة الشعب ، فى عهد مشيدى الأهرام كخوفو وخفرع وأوناس ، وفى عهد الملوك الغزاة كتحتمس الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثانى .[1]

والذى يهمنا فى هذه الديانة هو تصور المصريين للكون ، وسذاجة تفسيراتهم لأحداثه : فهذا أمنحتب الرابع ، الذى عبد آتون (قرص الشمس) فسمى لذلك « أخناتون » أى روح آتون ، ينشد مخاطباً قرص الشمس معتبراً إياه علة لظواهر الطبيعة ، وقوة روحية تدبر الكائنات :

« يا شمس النهار ، يا من تخشاه البلاد القاصية
أنت موجد حياتهم
أنت الذى خلقت فى السماء نيلا
لكى ينزل عليهم ولهم .
يتساقط الفيضان على الجبال كالبحر الزاخر
فيسقى مزارعهم وسط ديارهم .
ما أبدع تدابيرك يا إله الأبدية ... »

هذا ولم يكتف المصريون بعبادة الشمس من حيث هى مصدر الحياة ، وإنما قدسوا النيل ، واتخذوا من السماء إلها ، ومن الكواكب أربابا ، كما يتبين من دعاء ورد فى إحدى أوراق البردى ذلك نصه : «أنت الإله الأكبر ، سيد السماء والأرض ، خالق كل شىء ، يا إلهى وربى وخالق ، قوِّ بصرى وبصيرتى لأستشمر مجدك ، واجعل أذنى صاغية لأقوالك ... »

وهكذا يتبين تأليه المصريين لقوى الطبيعة بحكم بداوتها الفكرية ، شأنهم فى ذلك شأن الطفل : موضوعات الدين فى ذهنه صورحسية خيالية ، لم ترق بعد إلى المستوى العقلى التجريدى؛ الطفل الذى يميل بحكم طوره العقلى إلى أن يضفى على الكائنات جامدة كانت أو حيوانية صفاته الإنسانية ؛ فيرى الشمس والقمر

(١) انظر كتاب قادة الفكر للدكتور طه حسين .

(١) أنظر كتاب الأدب والدين عند قدماء المصريين تأليف الأستاذ أنطون زكرى .

والنجوم حاصلة على صفات الكائنات الإنسانية ، من قدرة وإرادة وفهم ، الأمر الذى يجعله حينما يصطدم بحائط أو باب صدمة تؤلمه ، ينهال عليه ركلا ، مفرغاً فيه حنقه كما لو كان الحائط أو الباب ذا إرادة شريرة ، وكما لو كان يحس الألم كما يحسه هو .

وهذا يذكرنا بأحد الأباطرة القدماء الذى انهال على مياه البسفور ضرباً بالسلاسل لأنه اجترأ فاكتسح أسطوله .

فسلوك المصريين القدماء إزاء قوى الطبيعة المعبودة ، وسلوك الطفل إزاء الباب ، وسلوك الامبراطور الحانق على البسفور سلوك ناجم عن تصور خرافى للحوادث ، وتعليل وهمى لها

آمن المصرى القديم بخلود الروح . ولا يسع من يستعرض مقابره ونقوشه ومعابده إلا أن يستوثق من سيطرة هذه العقيدة على ذهنه سيطرة أذهلته عن واقع الحياة ، ومن شوقه المتحرق للعالم الآخر ، شوقاً أطلق الخيال يجوب فى آفاق هذا العالم المجهول، فيرسم صورة لحياة الروح بعد مغادرة الجسد ، صورة هى لوحة فنية لا أثر للعقل فيها ، ولا فضل للبرهان فى تثبيتها ، إنما الفضل كل الفضل للخيال الذى أنتجها ، والعاطفة الدينية التى ألهمتها .

هذا « أوزوريس » الإله الصالح (رمز الخير والعدالة) يرأس محكمة العدل الكبرى ، يجلس على عرشه فى صدر قاعة يكلل سقفها القناديل وعلامات الحق ، وأمامه أحفاده أبناء « حورس » وآلهة أركان العالم الأربعة ، ومعهم اثنان وأربعون قاضياً ، بعضهم برؤوس بشرية ، وبعضهم برؤوس حيوانية ، وعلى رأس كل منهم ريشة نعامة رمزاً للمعبودة (معت) ، ممثلة الحق والاستقامة والعدل ، وفى يد كل منهم سيف لقتل الخاطىء ، ووظيفتهم ملاحظة ما يظهر فى كفتى الميزان الذى يزن الحسنات والسيئات .

وأمام « أوزوريس » وحش مفترس متحفز لافتراس الميت إذا رجحت كفة خطاياه . ثم يقف الميت على باب قاعة العدل خائفاً مرتعداً فى الساعة الرهيبة التى يقرر فيها مصيره ، ويترافع عن نفسه ، ثم يصدر الحكم بالبراءة أو الإدانة ؛ حتى إذا انتهت المحاكمة أمر « أوزوزيس » بالفائزين إلى الجنة وبالخاسرين إلى الجحيم .

هذه أفكار الخلود والثواب والعقاب ، كما يصورها كتاب الموتى تصوراً حسياً خيالياً ، دون برهان ودون تفكير عقلى خالص. إنما هى محاولة فكرية لمعرفة ما وراء الموت ، ومصير المذنب ونهاية المحسن، محاولة استخدمت فيها الوسيلة الوحيدة التى يسمح بها ذلك الطور من النمو العقلى : طور الخرافة والعاطفة .

وما دمنا بصدد الحديث عن المذنب والمحسن ، أو عن الخير والشر فلننتقل إلى « زرادشت » ، أبرز حكماء الفرس ، الذى عاش فى القرن السادس قبل الميلاد ، وخلف ديناً لا يزال له أتباع حتى اليوم فى ربوع الهند وغيرها .

وقف زرادشت حائراً فى عالم متناقض فيه الخير والشر ، والجمال والقبح ، والسعادة والشقاء ؛ وأعمل فكره محاولا تفسير شطرى الوجود فتصور العالم نهباً لروحين متصارعين : أورموزدا وأهريمان . الأول إله الخير ، صانع السماء والأرض والبشر والملائكة الأبرار ؛ والثانى إله الشر ، علة الموت ومفشى الرذائل ومحدث الأمراض والشياطين . الأول يؤلف مع ملائكته وأتباعه الصالحين حزب الحق ، والثانى يؤلف مع شياطينه والكفار المنافقين حزب الباطل . والحرب بين الحزبين سجال . ولكن زرادشت حكيم متفائل ، يدفعه تفاؤله إلى تصور نهاية سعيدة للرواية الكونية ، إذ يغلب الخير فى النهاية ويصبح العالم كلا واحداً متجانساً إلى أبد الآبدين .

(البقية فى العدد القادم) **عبد المنعم عبد العزيز المليجي**

إن جسمى من بعد خالى لخل

للأديب ناصر الدين النشاشيبي

(بمناسبة ذكرى وفاة العلامة النشاشيبي)



أبكيك اليوم يا خالى فى يوم ذكراك وكأننى فقدتك فى أمسى القريب، وأتوجع عليك بعـــد عام فى مرارة القريب وأسى الحبيب ، فـلا أدرى أأحدثك عن نفسك — وأنت أشد الناس عداوة للحديث عن نفسك . أم أنقل إليك أخبار وطنك وأنباء أمتك — وأنت أحرص أمة محمد على أرض الرسل ومسرى الأنبياء ، وأشـد الناس فخراً بخير أمة أخرجت للناس ... فيبكيك حديثى ، ويشجيك نواحى وأنينى ، ويزعجك فى مثواك الأخير صيحات بلدك الممزق ، وأمتك الشردة ، وتراثك الضائع ، وأملنا المفقود !!

كيف أبكيك وما عرفتك إلا جباراً فى جميع نواحى حياتك ؟ إن تحدثت خرجت كلماتك كالقذائف من أعماق نفسك ، وإن خطبتَ — وما عرفتك خطبت — إلا بكيت وأبكيت . وما سمعتك تحدّثت إلا أثرت وتأثرت ، وما قرأت لك إلا تمثلتك أحد الصحابة فى إيمانك وصوفيتك ، وما من مرة ورد ذكرك على لسان الناس إلا رجعوا بذاكرتهم إلى عصر النبي وأيام الجاحظ وأبى عبيدة والمبرد وصفوة الأدب الخالد ... يتحسرون على بحور العلم وقد مسها الجفـــاف ، وموسوعة الأدب والعبقرية وقد احتواها — ويا أسفى — التراب ! !

هذا حديثى إليك بل بكائى عليك على صفحات رسـالة صاحبك إمام النثر كما كنت تدعوه . وهو يسألنى عن « النقل » فلا أجده ، وعن الحديث فلا أسمعه ، وعن المجلس فلا نبصره ، ثم نفتقدك فى أيام الشـتاء — أيامك فى قاهرة المعز — فنجد مكانك المعتاد وقد أقفر من الصحب والخلان ، وزوارك العارفين والمعترفين وقد تخلفوا عن الركب وانقطعوا عن الزيارة ، وما زالوا فى دهشة من أمرك ، وحيلة من مصيرك ، يسألون ويتساءلون : — كيف . . ؟ كيف تخلفت ، وكيف غبت ، وكيف انقطعت يا أعز الراحلين .؟!

إن قلبى ليبكيك بلسان الكثيرين من تلاميذك وزملائك وقد عشت لهم مخلصاً ومتفانياً فى أدبك ، وجاهدت فى سبيلهم بجهادك القوى فى سبيل المعرفة ، ومشيت معهم نحو دنيا النور والعلم فما كانت لك عزيمة ، وما وهنت لك إرادة ، وما عرفت معنى للضعف وأنت تصـل الليل بالنهار فى دراساتك وأبحاثك متنقلاً بين القاهرة « موئل العرب والعربية » وبيروت (وبيروت مدينة تهذيبى) وحلب الشهباء بلد صديقك إبراهيم « سلام على إبراهيم » ! وبغداد حصن السمدون « وأمة منها السمدون لن تموت » ! وكنت فى كل أطوار حياتك المثل الأول لمن يحيا فى سبيل فـكرة — فـكرة محمد ولغة محمد ! ولمن يجاهد فى سبيل مبدأ — مبدأ العرب والعربية . وهذه الإشارات تملأ أرجاء قصرك — « يا محمد . ! ! » وهذه الآيات البينـات تزين أسوار بيتك — « أنا عبدك يا رسول الله .! » وهذا الضعف فى كبرياء القوى وهذه القوة فى تواضع المسلم وهذا الإخلاص للغة الكتاب « أنا عبدها .. أنا عبد عبدها .. أنا عبد كل عبد يسود بعبديتها » وهذا تراثك فى محمد ولغته ورجاله وهذا « إسلامك الصحيح » و « بستانك » و « كلماتك » و « نقلك » و « خطبك » وكل ما كتبت ونقلت وصححت وراجعت الدليل الصادق على أنك عشت وما عشت إلا لإسلامك ، وعملت وما عملت إلا للغتك ولغة نبيك !

نشأت ثائراً على الدنيا وأنت وحيد أبويك فثرت عليهما وعلى الأهل والقربى . وترعرعت بين الخير والنعيم فدفعته بيديك ورغبت عنه لتشبع نفسك بصوفية الأقدمين ، وزهد المؤمنين ، ومشيت فى خطوات الحياة لا أنيس لك إلا الشاعر أو ديوانه ،

أنانيــة مجرب

للأستاذ ثروت أباظه

صاحبي شاب رقيق العاطفة ، جياش الحس ، يلذ له أن يقف منك موقف الناصح ، ولكنه إذا فعل سار على نهج لا تكلف فيه حتى لا تملك تلقاء حديثه إلا أن تعيره الأذن الواعية والروح المقبلة . وأنت حبيب إلى نفسه ، مقرب إليها ، إذا قبلت منه نصحه . وأنت أكثر حباً إلى نفسه وأكثر قرباً منها إذا ظهرت أمامه خالياً من التجاريب مقبلا على دنياك إقبال الطفل . إنه إذ ذاك يفرح أن جرب هو ولم يجرب من هو أكبر منه ، وأن يقف هو إلى هذا الأكبر موقف الناصح المرشد الذى خبر من الماضى ما يكشف به عن القابل .

لعلى بهذا الوصف أكون قد ألقيت الضوء على عيبه الواحد . فإنك لتراه بعد هذا شفيف الروح ، مهذب اللفظ ، مرح الدعابة واسع الاطلاع ، دقيق اللفتة . أما عيبه الذى ذكرت فأمره علىّ يسير . إن صلتى به توثقت حتى لا يزيفها غش أو توهنها مصارحة ؛ فتراني إذا نصح ناقشته مقبلا على النقاش في غير ضيق فقد مرن منى على هذا الأمر حتى أصبح بعد لكل نصيحة نقاشاً ، ولكل حكمة اكتسبها من نثار تجاربه حججاً وبراهين وأمثالا . وأنا مع ذلك حبيب إلى نفسه مقرب إليها لا يمل نقاشي ولا أمل نصائحه.

أقبل يوماً على مجلسنا تعلو وجهه سمات الجد والرزانة فعرفت أن حالة النصيحة قد أدركته وأنه يريدنى على أن أسمع بعضاً منها ؛ وكم أكون كريماً لديه لو سمعتها جميعها .. عرفت هذا فانتحيت به ناحية وقلت :

— مالك ؟

— إسمع ، لقد أثبتت تجاربى أن كل الناس أشرار .. وأنه يجب على الإنسان أن يقبل على أصدقائه شاكا فى ولائهم ، حذراً من شرهم ، فليس فى الناس صديق ، وليس فيهم إلا الخؤون ، وإنك إذا توقعت منهم الخير ثم فجئك الشر دكت الواقعة من كيانك مهما تفهت ، أما إذا توقعت الشر ثم طالعك الخير فإن ذلك يفرحك ، ولكن حذار مع هذا أن تأمن الجانب وتطمئن فقد يمهد الخير للشر كما يمهد الدفء للحريق .. إبق على شكك وحذرك فالكل شرير .

ولا جليس معك إلا الكاتب أو رسالته ، ولا شاغل لديك إلا البحث والدرس واستقصاء والتحقيق ، فحرمت نفسك الزوج والولد بعد أن حرمت والدبك لذة الحرص على صحتك والعناية بنشأتك والفوز بقوتك ، وكأنك أردت لنفسك طريقاً خاصاً فى أسلوب حياتك ، ونسجت لذاتك منوالا فذاً فى جوانب تفكيرك ، فكنت كما عرفك الناس ، فريداً فى أسلوب أدبك ، وحيداً فى تصوير خطك ، ذليقاً — فى عفة — فى لسانك ، ثائراً فى انفعالات عواطفك وأعصابك ، متوقداً فى ذهنك وتفكيرك ، بسيطاً فى ملبسك ، منطوياً على نفسك البريئة ، وروحك المذبة وقلبك الذى ما خفق إلا بالحب والوفاء . هكذا نشأت ، وهكذا ترعرعت ، وفى سبيل هدفك صرفت وضحيت .

وبيتك كعبة الحجاج من أهل الفضل والفضيلة ، ومجلسك قبلة الأنظار من أهل العلم والمعرفة ، وأنت .. أنت الروح فى كل مجلس ، وأنت الحجة فى كل حديث ، وأنت المتمكن من كل قول ، وأنت الرقة فى كل سمر ، وأنت الراعى لكل تراث .!

أين أنت ؟ ولمن خلفت عربك وعربيتك ؟ ولمن تركت « رسالتك » و نقلك » ؟ ومن أولى منك « يا إمام العربيـة » بتراث العربية ؟ وأنت خادمها ، وأنت عبدها ، وأنت لها ، وأنت المدافع فى كل حين عنها ، وأنت القائل منذ أربعين عاماً أو نزيد :

فإنى بأرض الشرق أخدم أمتى وأرجو لها فى كل واقعة نصرا
أخوض غمار الكون بالعلم والتقى ولا أسأل القوم العظام لى الأجرا

يا أبا عبيدة ! إنى عليك لمكلوم ، ولفقدك لحزين ، وإن حرمتنى الأيام منك فى حياتك — وأنا فى مهد الصبا ، ومقعد الدراسة — ثم حرمتنى منك بعد أن حرمك الموت من نعمة الحياة ، فإن ذكراك ستبقى حية عندى ما حييت ، وستبقى خالدة على مدى الأيام ما بقيت العربية .!

يا خالى ...

عليك رحمة الله .. وإلى اللقاء ..!

ناصر الدين النشاشيبى

— حسبك .. حسبك فإننى أرى النوبة قد عادتك ، ولكنك فى هذه المرة على غير مألوفك من الأدب ؛ فها أنت ذا ترمينى فى وجهى بالشر وسوء الطوية .. ألست واحداً من أصدقائك الأشرار ؟ بل إنك لتزيد فتريدنى أن أظن بك السوء بلا موجب أراه أنا ! ولكن أتريدنى حقاً أن أصدقك ؟ أجادٌ أنت فيما تقول ! أمشى مع الناس فلا أرى غير الشر ولا يخالجنى غير الحذر والخوف ! أى تجارب تلك التى أوحت إليك بهذه الشرور ؟ أو تكون مجرباً حقاً إذا فعلت هذا ؟ ما أسهل هذا الأمر وما أصعبه ! إن المجرب يا صديقى — فى رأيى — هو الذى يعرف معايير الناس ويزن كلاً بميزان .. يمدحه أحدهم فيصل إلى باعث هذا المدح .. فمن الناس من يبذل المدح ثمناً لخدمة له عندك . ومنهم من يبذله ثمناً لمدح مثله . ومن الناس من يمدح رغبة منه فى المجاملة ، ومنهم الصادق فى مدحه ، وهذا هو النوع الأمين النادر ، انك لواجده صادقاً فى نقده أيضاً إذا نقد .. المجرب هو الذى يفرق بين كل هذه الأنواع ، والمجرب هو الذى يعطى لكل من هؤلاء مكانه الحقيق به من نفسه . أما إذا سوّيت بينهم جميعاً ورميتهم كلهم بالشر . فأنت غر لا تعرف الناس ، ولم تجربك الأيام ولا جربتها . يعز عليك أن تقتنع .. أعلم ذلك ، ولكن بربك ما الذى بعث فى نفسك كل هذه الثورة ؟ هل من جديد ؟

— الجديد هو معرفتى أننى الغيرى الوحيد بين هؤلاء الناس . أنت تعرف صديقنا فلانا ، كنت أؤثره وأحبه ، توطدت بيننا الصداقة فأصفيته ودى ، لكنه عرف أننى مقدم على مشروع تجارى فسبقنى إليه ، واستعان بسلطان كبير أطاح من يدى الفرصة إلى يده .. أرأيت أنانية كتلك الأنانية ؟!

— نعم .. رأيت أكثر منها .

— أين ؟

— أنانيتك أنت .. إنك — والحمد لله — لا تعرف عن التجارة شيئاً وهى مهنته . وأنت — والحمد لله — فى بسطة من رزقك ومجبوحة من عيشك ، وهو يسعى وراء رزقه ، ويشقى فى سبيله ، لماذا تعترض طريقه ؟

— ولكننى صديقه ، كان يجب أن يستأذننى .

— أو كنت تأذن ! . يا صاحبى إننى أنا وأنت وكل إنسان فى العالم أنانى بطبعه ، إنك لترى الأنانية فى كل خطرة ينشغل بها ذهنك ، وفى كل خلجة يختلج بها قلبك .. إن الخير فى ذاته نوع من الأنانية . إنك إذ تقوم بذلك الخير ترجو شيئاً من شيئين : إما ذكراً طيباً فى الدنيا ، أو مثوى كريماً فى الآخرة . وأنت على الحالين أنانى . قد يسمو بك شعورك فتفعل الخير ترضى به نزعة فى نفسك ، وأنت فى هذه الحال أيضاً تنظر إلى نفسك فتريحها بعمل الخير .. لن تقتنع .. أعلم ذلك ولكنه الحق . وتريد صاحبك على أن يترك قوته لك حتى لا ترميه بالأنانية .. إنه أنانى ولكن دعه يأكل ، والله ما الأنانى إلا أنت .

— الآن تشعر بأنك تمزح .. أتسوى بين التناحر وعمل الخير .. أإن منعنى صديقى عن كسب موشك كان فى عمله مثل من يقوم بالمعروف . وتدّعى بعد هذا أنك تعرف المجرب وغير المجرب ، وتبيح لنفسك أن تلقى هذه المحاضرة الطويلة عن التجربة

— قلت إنك لن تقتنع .. ولكن يجب أن أصحح ما قام بذهنك .. لا .. أنا لا أسوى بين العملين ، لكننى أرى فى كل منهما أنانية وإن تفاوتت نسبتها .. إن فى كل منهما صورة من الأنانية تختلف قبحاً وجمالاً .. ألا ترى ..

لم يطمئن صديقى أن يصبر أكثر من ذلك ولم تسعفه الحجة فقام عنى مغضباً دون أن يسلم ، ويعلم الله أين مكانى من نفسه الآن .. ولكننى ما زلت أعتقد أننى حبيب إليها قريب منها .

ثروت أباظة

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية : (٤)

(١) النفس عند ابن سينا (٤)

للأستاذ كمال دســوقى

لا يفوتنى قبل أن أتقدم بكم إلى موضوعنا اليوم أن أنبهكم إلى هذه الصلة الوثيقة بين العقل بقسميه النظرى والعملى عند ابن سينا وبين تصنيفه للعلوم العقلية . ولما كنت أخشى ألا يتيسر لكم الوقوف على هذا التصنيف فى كتابه الشفاء ، أو فى مقدمة منطق الشرقيين أو فى رسالته فى أقسام العلوم العقلية ، فانى مُجمل لكم الحديث عن لوحة تقسيمه للعلوم هذه التى ينبغى أن تقفوا عليها وأن تربطوها بأقسام العقل النظرى والعملى التى حدثتكم عنها فى المقال السابق .

ذلكم أن العلوم تنقسم عند ابن سينا كذلك إلى نظرية وعملية . فالنظرى منها ما كانت غايته حصول الاعتقاد اليقينى بحال الموجودات التى لا يتعلق وجودها بفعل الإنسان ، كالله والكواكب ، والأرض ، والأعداد ... الخ اعتقادا غايته الوصول إلى الحق Truth والبحث عن الحقيقة Vérité . أما العملى فيتجاوز حصول الاعتقاد إلى حصول رأى عملى فيما هو من تدبير الإنسان وكسبه ؛ حصولا من شأنه أن يؤدى بنا إلى الخير Goodness أو Bien ، فهنا تفرقة للأشياء من حيث وجودها بارادتنا أو بغير إرادتنا وكيفية علمنا بها على هذا الأساس .

والعلوم النظرية عنده ثلاثة : العلم الأدنى (الطبيعيات) ؛ وموضوعه هذه الأمور التى حدودها ووجودها يتعلقان بالمادة والحركة ، كأجسام الأفلاك التى تحدثنا عنها ، والعناصر الأربعة وكل ما هو جسمى على الإطلاق . مما يتغير عليه الحركة والسكون والكون والفساد والتغير والاستحالة . ولهذا العلم مبادئ أصلية نظرية هى التى ذكرناها حين كنا نتحدث عن موضع النفس من مذهب ابن سينا ، وتطبيقات فرعية كالطب والتنجيم والفراسة والكيمياء مما يقوم على المبادئ الأصلية السابقة . ثم العلم الأوسط (الرياضيات) وموضوعه أمور يتعلق وجودها بالمادة وإن تجردت حدودها منها ، كعلم العدد (الحساب) والهندسة (علم السطوح والأشكال والمقادير) وعلم الهيئة (الأفلاك وأوضاعها وحركاتها) والموسيقى (علم النغم والإيقاع واللحن والاتفاق ..) هذه مبادئه الأصلية ، وله كذلك فروع تطبيقية كالمساحة والحيل (الميكانيكا) وعلم المناظر والمرايا وجر الأثقال ونقل المياه ... الخ . وأخيراً العلم الأعلى (الإلهيات) التى ليست أمورها ذات تعلق بمادة أو حركة والتى تبحث فى ذات الواحد الحق وصفاته من هُوِيَّة identité ووحدة وعلّية Causolité ... الخ . وله هو الآخر أصول وفروع لا داعى للاحاطة بها .

أما العلوم العملية فهى التى موضوعها الأفعال التى تشترك مع غيرنا أفراداً وجماعات — وهذه بطبيعة الحال أمور من محض فعلنا وإرادتنا . فان كانت لتدبير يختص بشخص واحد بما يحقق له السعادة فهي علم الأخلاق ، وإن كانت تبحث فى تدبير الإنسان لأسرته وزوجه وولده ومملوكه (خادمه) بما يحقق سعادتهم أيضاً فذلك تدبير المنزل ، وإن كانت هذه الأمور تتناول صنوف الرياسات والسياسات والمجتمعات والمدن الفاضلة فذلك هو علم السياسة ... هذه هى العلوم العملية عند ابن سينا ، وهذا تصنيفه للعلوم كلها وتصنيف الفارابى قبله . والمنطق هنا يجعله ابن سينا مقدمة وآلة Organon للعلوم فحسب ، وإن كان فى تقسيم كتبه فعلاً يجعله القسم الأول منها ، ثم يتبعه بالطبيعيات فالإلهيات — على نحو ما بينت لكم من قبل — ونكتفى بهذا التقسيم لابن سينا ؛ لأنه أرسطالى من جهة ، ولأنه أدنى إلى موضوعنا فى تقسيم النفس إلى نظرية وعملية ، من جهة أخرى . وإلا فان له تقسيما آخر مختلفاً بعض الشىء (فى مقدمة منطق المشرقيين) لا داعى لذكره .

ويهمنى -- ويهم ابن سينا كذلك — أن تميزوا بين أنواع الإدراك المختلفة التى تحصّلها كل ملكة من ملكات العقل ؛ فان له هنا نظرية فى المعرفة جديرة بالاعتبار ، ونظراً فى طبيعة الإدراك من حيث علاقته بالشىء المدرَك . فاذا كان الإدراك هو أخذ صورة المدرَك مجردة عن المادة أىّ نحو من التجريد ؛ فان الحس يدرك الأشياء مع لواصقها المادية ، كالتكثر ، والانقسام ، والكم (العدد) والكيف (الخصائص والصفات) والأين (المكان) والوضع ... الخ . والخيال يجرد صورة الشىء المدرَك

من المادة تجريداً تاماً تقريباً ، يستوى معه وجود الأصل أوعدمه ولكنه لا يجردها من الملائق ، بل تظل ملابسة لها فى الخيال . أما الوهم فإنه يدرك المعانى التى قد توجد فى مادة ولكنها ليست فى ذاتها مادية كالخير والشر والملائم وغير الملائم ، إدراكا جزئياً لا يبرأ من لواحق المادة والحس والخيال . وأما العقل — أوالحاكم العقلى كما يسميه — فيدرك الصور مجردة عن المادة من كل وجه وعن علائقها ولواحقها من أى نوع .

ولا يخفى عليكم أن ابن سينا يمهد للدخول فى إثبات وجود النفس بوصفها جوهراً مفارقاً للبدن ، فيقيم لكم التناقض واضحاً جلياً من مادة الشىء المدرَك — حتى فى غيبته عن الحس — وجوهرية العقل المدرِك ؛ بين تعلق هـذا الأول بالمادة والمكان والجهة ، وتجرد ذلك الثانى منها . يريد أن يخلص من ذلك إلى أنه لاشىء مما يدرك الجزئيات المادية إلا وهو مادى ، وأن لا شىء أيضاً مما يدرك الكليات العقلية إلا وهو مجرد ، وأن يدلل على أن الإدراك الحسى والخيالى والوهمى — نظراً لتعقلها جميعاً بصور جزئية خيالية على نحو ما أسلف القول — فهى إنما تقع بالآلة الجسمانية التى ليست مجردة من المادة ولا مفارقة للوضع الجسمى .

أما الجوهر الذى هو محل المعقولات المجردة فمجرد كذلك عن المادية والجسمية — فهو ليس جسما ولا حالا فى جسم بوصفه صورة أو قوة له . وحجته هنا تقوم على إنكار ما أثبته فى الفصل السابق للقوى الإدراكية الجزئية على القوى المدركة العقلية — أعنى الانقسام المادى فى القوى الحاملة أو القابلة للادراك ، نتيجة لانقسام المدرَك ذاته . فلما كانت المدركات الحسية مقسمة ومتجزئة بدليل أنك تدرك الشىء الواحد — كالإنسان مثلا — متفاوتاً فى الكبر أو الصغر ، وأن هذا التفاوت لا بد أن يكون من جانب المدرِك أو المدرَك ، فقد كانت القوى الدراكة الجزئية منقسمة كذلك . وإذن فهى فى مكان ووضع وجهة ، وبالتالى فهى مادية كمدركاتها ، متصلة بها غير مفارقة .

وطريقة ابن سينا فى إثبات تجرد جوهر العقل من المادة أن يبرهن على أن هذا الجسم الذى سيحل فيه المدرَك العقلى إن كان جسما — فهو إما غير منقسم (جزء لا يتجزأ كالذرة — باعتبار ما مضى — وكالجوهر الفرد أو النقطة الرياضية) أو مقدار منقسم فعلاً . فان كان الأول فهو غير معقول ؛ لأن النقطة وهى منفردة لا تقبل شيئاً من الأشياء وإلا أصبحت ذات وجهات (حجم) ولم تعد نقطة ، ولأنها وهى طرف من خط هى نهايته فلا بد أن يكون لجزء من هذا الخط نصيب مما تقبله ؛ وحينئذ يكون للنقطة وجهان أحدهما غير الآخر ومخالف له . فالوجه الذى هو نهاية الخط غير الوجه الملاصق له من الناحية الأخرى . وإلا كانت النقطة منفصلة عن الخط ولم تكن هي نهايته ، وهذا خُلف مع ما افترضه من قبل ، ومع إبطاله فى مواضع أخرى للجوهر الفرد فثبت إذن فساد القول بأن جوهر العقل شىء غير منقسم .

ويتضح كذلك فساد أن يكون شيئاً منقسما تبعاً لانقسام الصورة العقلية التى يدركها مثلا . إذ لو كانت الصورة العقلية منقسمة لم يأت من مجموعها شبيه بها إلا بالزيادة والكم والمقدار مما سبق أن قلنا إنه خاص بالصور الخيالية — كما أن أحد أجزائها لن يدل على معنى الكل وإلا كان هو الكل ولم يكن ثمة انقسام . هذا إذا كان القسمان متشابهين؛ أما إذا كانا غيرمتشابهين فانه يترتب على ذلك أن حد الصـورة العقلية (الذى هو الجنس والفصل كما درستم فى بابى الكليات الخمس والتعريف) يكون منقسما . وهو عند ابن سينا محال لأنه يبين هنا — وفى قسم المنطق من قبل — أن الأجناس والفصول متناهية وغير منقسمة ، كذلك لا تنقسم الصورة العقلية إلى جنس من ناحية وفصل من ناحية أخرى ؛ كل على حدة (بعد أن ثبت فساد انقسام كل على نفسه) وإلا كان نصف الصـورة العقلية يحتوى نصف الجنس ونصف الفصل ، وفى هذا خلف مع ما سبق إثباته ؛ أو إذن لحل الجنس والفصل كل موضع الآخر وهو محال . فالصورة العقلية هى إذن مبادئ بسيطة قابلة لتركيب معقولات أكبر ، دون أن يكون لها أجناس أو فصول ، ودون أن تنقسم فى الكم إلى أجزاء متشابهة أوغيرمتشابهة ؛ وبالتالى فهى لاتحل فى مقدار، والقابل لهذه المعقولات المجردة فينا هوجوهر غير جسمى أومادى.

ولابن سينا هنا حجة أخرى على تجرد الجوهر العقلى من المادة — مؤداها أن تجريد الصورة العقلية عن المكان والوضع والكم والأين وسائر المقولات فهو باعتبار وجودها الذهنى وتصورها العقلى لا فى وجودها الواقعى الخارجى ، ومثل هـذه

الصورة العقلية المفارقة لمــادتها لا يمكن لذلك أن تــكون فى جسم ، وإلا ولو أن هذه الصورة العقلية المجردة قد انطبقت فى جسم ذى جهات وأقسام لنتج محال وخلف لما فرضناه فى البدء . وخلاصة القول أن محل المعقولات والجوهر القابل للصورة المجردة هو مثلها مجرد — ولا يمكن أن يكون جسما أو فى جسم بحال . على عكس الصور المنطبقة فى المادة والتى هى أشباح لأمور جزئية منقسمة لكل قسم منها نسبة بالقوة أو بالفعل لجزء من الشىء المادى أو لكله .

وإذ برهن ابن سينا بهذين الدليلين على تجرد الجوهر العقلى من المــادة والجسمية انتقل إلى النتيجة المنطقية التى تلزم هذا البرهان بالضرورة ، وهى أن تعقل القوى العقلية المذكورة ليس يحدث بالآلة الجسمية . وله فى ذلك حجج ثلاث : أولاها أنه لو كان تعقـل هذه الصور بآلة جسدية لم تستطع أن تعقل ذاتها وتشعر أنها تعقل (كالحس مثلاً أو الخيال والوهم التى تحس أو تتخيل وتتوهم أشياء خارجة عنها — دون أن تشعر بفاعليتها هذه) — أما العقل — فانه يعقل الصور الكلية . ويعقل أنه يعقلها — مما يدل على أنه ليس بينه وبين ذاته آلة أخرى وسيطة وبالتالى أنه يعقل بذاته — وحجة أخرى هى أن الحواس وما من شأنه إدراك الصورة الحسية الجزئية يوهنها دوام العمل ، ويصيبها بالعجز والكلال (وأمثلته هنا كثيرة وواضحة) بينما القوة العقلية لا يزيدها التعقل إلا جلاء وجدة ، وصفاء وقوة ودربة ؛ ما لم يُفسد عليها الخيال والحس هذه الملكة . والحجة الثالثة على أن القوة العقلية ليست جسمية أنها ليست خاضعة للضعف أو الشيخوخة شأن سائر القوى البدنية فى سن معينة . بل لا تزال قوية فتية بعد هــذه السن بكثير ما لم يطرأ عليها طارئ مرضى أو نحوه . فان صح أن النفس يتعطل فعلها عند مرض البدن كما يُتوهم — أو عند الشيخوخة ، فما ذلك إلا لأن النفس — كما بينا من قبل — لهــا فعل بالقياس إلى البدن (إدارته وسياسته) وفعل بالقياس لذاتها (التعقل والتفكير) فبأيهما اشتغلت انصرفت عن الآخر لا تجمع بين الاثنين مطلقاً ، بل نسبياً ؛ كما لا يتم فعلها إلا بالبدن فهو عالة على النفس ، وشر لا بد منه .

وآية احتياج هــذه القوة العقلية إلى معونة القوى الحسية الحيوانية أنه لا يتم لهــا معرفة ولا تعقل إلا إذا أمدتها هذه البدنية بمادة المعرفة الغــفل (الخام Matiére Brute) ، فعندئذ تبدأ النفس عملها على أنحاء أربعة :

(١) التجريد والتعميم وانتزاع الــكلى من الجزئيات ، واستخلاص التصور الذهنى Concept .

(٢) ومن هــذه التصورات الذهنية المجردة تقوم أحكام وقضايا ســالبة وموجبة هى التى نسميها فى المنطق التصديقات Judgé—Ments — التصورات تقــوم فى الحس المشترك والتصديقات فى الخيال والوهم .

(٣) ثم إن المقدمات الكلية التى تستقيم عليها الأقيسة والبراهين العقلية لا بد أن تــكون من واقع الحياة والتجربة ، وأن يكون سبيلها الملاحظة والمشاهدة والتعميم الذى يؤدى إليه الاستقراء induction والحواس هى وسيلة الاستقراء الأولى .

(٤) وكذلك الخبرة والمسلمات والبديهيات التى نحصلها ونصدق بها لشيوعها وتواترها وجلاء الحق فيها ؛ أى نحصلها بالسماع كما يقول العرب ، أو Par oui -ditre كما يقول الفرنسيون ؛ هذه إنما نكتسبها بالسمع أو التعليم والتلقين أو التقليد tradlion وقد لا نصدق بها بعد .

وبهذا يكون ابن سينا قد أقام الدليل واضحاً قوياً على أن النفس الناطقة ليست فى ذاتها جسما ، وأنها لا تحل فى جسم ، لأن صورها المعقولة التى هى محلها ليست جسمية . وثبت إذن أن النفس الإنسانية جوهر روحانى مفارق Séparée .

كمال دسوقى

شهـــــرزاد !...

للشاعر زهير ميرزا

شهرزاد ! ... حلمك الفاتن أندى من عبير
ولياليك غـــرامٌ بين أحضان الدهـور
كأسـك الفنُّ . ومغناك أغاريدُ العصور
ونداماك عشـيقٌ فاتر اللحظ الكسير
صرعتهُ خمرةُ السحر فناما
وارتوى منك بياناً وغـراما
وترامى تحتَ عينيك هُياما
وسقاك السُمرَ ؛ فاسقيه الهوى فى كأس نور
وامنحيه اليوم من ثغرك قُبله
ثم .. وارْوى ليلةً من ألف ليله !

جوُّك العاطرُ أطيافٌ وأشباحٌ حيارى
ونداه هامسُ الألفاظ ترويه العـذارى
رنعتهُ شـفتاك اليوم لحناً لا يُبارى
ورواهُ الدهرُ فاسـتلقاه خفّاق ونارا
كلمـا مرَّتْ ببالى شهرزادُ
سكرَ الخاطر واشتاق الفؤادُ
وطوى الأزمانَ برعاه السُّهادُ
فرأى العاشق والمعشوق فى الحب سُكارى
فارْشفى من شَفَة الأزمان نهله
ثم .. وارْوى ليلةً من ألف ليله !

ما لهذا الليـل لا يطويه فجـرٌ وضياء
أترى يصغى كما يصغى إليـك الندماء ؟
أم تراهُ من حديث السحر أغنى حيثُ شاءوا
ليت مصباحك يا ساحرةَ الليـل يُضاء !
كلمـا أدرككِ الصبحُ ولاحا
صمت الصدّاحُ لا يروى الصُّداحا
وأفاق الليلُ من سُكرٍ فباحا
ومضى برقبك السمارُ حيرى والمساء
فإذا أقبل ... هاتى السحر كله
ثم .. وارْوى ليلةً من ألف ليله !

حدثى عن شاطىء الفتنة أوعن « سندبادِ »
وابعثى « الصيادَ » للبحر بأحـلامٍ غواد
واجمعى كلَّ حبيبين على أنق وِسـاد
واطوى أيامك يا ساحرةَ الليل ... ونادى :
هذه الفتنةُ من ذاكَ الخيال !
لك عرشان : من السحر الحلال
ومن القصة فى ثوب الكمال
من ترى يملكُ أسمى منهما يا شهرزادى ؟! ...
رتلى الآيات فى أعـذب حله
ثم .. وارْوى ليلةً من ألف ليله !

(دمشق) زهير ميرزا

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

موكب الحرمان :

كان لقلبه فى محراب فنها صلوات ... وفى محراب فنها كم صلت قلوب ، ولكنى لا أعرف قلباً أطال السجود مثل قلبه ! كان يقدسها وهى ترسل النغم فينصت الوجود ، يوم كان فى أنغامها أنين وحنين ، وفى ألحانها تبريح وتسبيح ... وكانت حين تغنى له وتغنى نفسها فى غنائها ، أشبه براهبة متعبدة ، تندت من دموعها صفحات الكتاب المقدس ! وأقام لها فى معرض الفكر صوراً فاتنات ، وحشدلها الخيال يمدها بكل مافى إبداعه من ألوان وظلال

كانت إنسانة ، وكانت فنانة ، وخيل إليه يوماً أنها سمت بفنها وإنسانيتها إلى الحد الذى تشعر عنده الكلمات بأنها فى حاجة إلى عون الوحى والإلهام ! ... وكانت قصة هواهما أنشودة حلوة : بمثلها لم يحظ فى الفن يوماً وتر ، ولم يشد يوماً فى اليم ملاح ، كلا . ولم يسمع شراع ... وأسطورة عذبة : بمثلها لم يحط فى الوهم يوماً خيال ، ولم يصدح فى البيد يوماً رعاة ، كلا . ولم يكتب يراع ! وكان معبد القديسة يملأ النفوس رهبة ورحمة وحناناً ... كان الترتيل يهز جوانبه بين حين وحين ، فيهتز الشاعر ، وتتعلق الأنفاس ، وتهوّم الأرواح ... وكانت أغانيها نشوة الشعور فى موكب الأفراح ، وفرحة القلوب فى عرس الحياة !

وفى ومضة البرق لفها الليل ، فقد كل شىء ... معبد القديسة ؟ لقد خيم فى جنباته الصمت وشاع السكون ! معرض فكره وصوره الفاتنات ؟ لقد محت ريشة القدر كل ما فيها من ألوان وظلال ! ... وها هوذا النبع قد جف ، والزهر قد ذبل ، والعطر قد ذهب إلى غير معاد ! لقد لقيت مصرعها فى حادث لا يزال يذكره الناس ، وذهبت بأحلامها وأحلامه إلى هناك ، إلى وادى العدم ... والنيل الحبيب الذى بارك أمسياتهما لا يزال يجرى ، والقمر الساحر الذى رعى حبهما لا يزال يبزغ ، والليل الساكن الذى كتم سرهما لا يزال يقبل كلما ولى نهار !

أما هو ، فياسوء ما فعلت به بعدها الأيام ! لقد طوى القلب على أحلامه ، وعاش من بعده على أطلال الذكريات ... ولقد سار وحده فى موكب الحرمان : يهتف للأنة الحائرة ، ويصفق للزفرة المحرقة ، ويعود آخر الأمر وملء نفسه أشلاء آمال ! ... وأما حياته ، فياسوء ما أصبحت : لقد أصبحت أقباساً من وهج اللوعة ، وفنوناً من عبقرية الألم ، وخريفاً لا يعرف طعم الربيع إلا من أفواه الناس !

كتبت هذه الكلمة منذ عام فى مجلة « الأديب » اللبنانية ، ثم تلقيت عقب نشرها بضع رسائل من هنا وهناك ، بعضها يدور حول كلمتين : « من هو ؟ » و « من هى ؟ » ... بينما يدور بعضها الآخر حول التوكيد بأن بطلة هذه القصة القصيرة هى فقيدة الفن « أسمهان » ، ولكن من هو بطل القصة ؟ ! ...

وأما اليوم أعيد نشر هذه الكلمة تعقيباً على مايكتبه الأستاذ التابعى عن ذكرياته حول هذه الفنانة فى « آخرساعة » ، ولأقول لمن كتبوا إلى مستفسرين أن « هى » التى أشرت إليها لم تكن إلا المطربة « أسمهان » ... أما « هو » ، فليس واحداً من أولئك الذين عرف الناس قصة صلاتهم بها ، ولا أعتقد أن واحداً منهم يعلم شيئاً عن هذا الغرام العاصف الذى جمع بين قلبها وقلبه ، وغلف قصة القلبين بغلاف من الصمت والكتمان !

وكم كنت أود أن أذيع قصتها على الناس من رسائلها إليه ، ذلك الإنسان الذى لا يعرفه أحد . ولكنه من أسرة ... وفى بيته زوجة وفية عزيزة عليه ، وأبناء صغار أحباء إلى قلبه !

إيماں عظيم :

قرأت لصديقى الأستاذ على أدهم كلمة قيمة فى « الثقافة » عن الألم والإيمان فى حياة الشاعر الألمانى هنريك هاينى ، وقد استوقفنى فيها ذلك الحوار الرائع بين هاينى الشاعر وإمانويل نخت الفيلسوف ، حول حقيقة الله بين الوجود والعدم ، أو بين الإثبات والإنكار ... قال هاينى لنخت [1] :

— « قل لى يا أستاذ بصراحة : هل تعتقد بالحياة الأخرى ؟ وهل تؤمن بأن الروح خالدة ؟ وأجاب نخت فى تؤدة ووقار :

— إنى أعتقد بوجود عالم الأفكار غير المنظور .

— ولكنك لا تصدق بوجود إله ... إله حى قيوم ؟

فأجاب الأستاذ فى غير تردد وقد هز رأسه : لا أصدق به ! فأرخى هاينى جفنه الشلول ، وارتمى على وسادته ، ولاذ بالصمت » ثم استأنف الصديقان حديثهما مرة أخرى حول وجود الله

(١) ما بين الأقواس للأستاذ على أدهم .

وكانت دهشة الفيلسوف بالغة حين رأى الشاعر وقد تحول عن نزعة الإلحاد التي عصفت بعقيدته ردحاً من الزمن ، إلى نزعة إيمان عميق تغلغلت في لجاج روحه ، تحت وطأة مرض طويل ألزمه الفراش وبرحت به آلامه ! وهنا قال هايني :

« إنني في حاجة إلى الله ، ففي الليل حينما تأوي زوجتي إلى فراشها أشعر بالوحدة ، وينفر مني النوم ، وأظل أتقلب في الفراش وأتحول من جنب إلى جنب ، ويغشى جسمي الألم ويدب به من الرأس إلى القدم ، وفي كل لحظة أعتقد أن نهايتي قد دنت وحانت منيتي ... وفي مثل تلك اللحظات يؤنس وحشتي أن أفكر في أن هناك في السموات — أو في أي مكان آخر — من أستطيع أن ألجأ إليه في كربتي وضائقتي ، ومن أتهمه وأدينه وألقي عليه التبعة ...» ولعل هذه الكلمات الأخيرة هي وحدها التي تركت أثرها العميق في نفسي وحسي . إن فيها دفقات هائلة من حرارة الشعور في القلب الإنساني ؛ الشعور الذي تنبلج أمامه أنوار الحقيقة والإيمان في لحظات الشدة والضيق وحيرة الرجاء ، هناك حيث يتجه الضعفاء بقلوبهم إلى رحاب الله ينشدون العون ، حين يعز النصير على أرض البشر ! إنها ليست كلمات ، بل أنات . هتكت ستار الصبر والجلد ، وتركت مكانها من حنايا الضلوع وشغاف القلب ، وخرجت إلى الناس تروي لهم قصة الألم والإيمان !

إنه هايني الإنسان ... هايني الذي هتف مرة في غمرة من غمرات عذابه : لن أنتسب بعد اليوم إلى الملحدين والجاحدين ، لقد أصبحت أومن بأن أوائل الأشياء وأواخرها هي في الله !

مع الدكتور طه حسين :

كنت أتحدث منذ شهرين مع الدكتور طه حسين بك عن الكاتب والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر ، وكان بدء الحديث سؤالاً مني للدكتور عما إذا كان قد التقى بسارتر في خلال تلك الفترة التي تغيب فيها عن مصر ليقضيها في فرنسا ، ثم تطرق الحديث بعد ذلك إلى شخصية سارتر الأدبية والفلسفية ، وإلى حقيقة المكان الذي يشغله في الأدب الفرنسي المعاصر .

وسارتر — كما لابد أن يعرف المتتبعون لأخباره من القراء — فيلسوف وجودي ملحد ، أصدر البابا أمراً بمنع دخول كتبه الفلسفية إلى مدينة الفاتيكان لما فيها من إنكار سافر لوجود الله ! وهو بعد ذلك أديب ارتقى سلم المجد الأدبي في وثبة واحدة بدلا من ارتقائه في وثبات ؛ ومن العجيب أنه إلى ما قبيل الحرب العالمية الثانية لم يكن شيئاً مذكوراً يلفت النظر ويثير الاهتمام ، ولكنه الآن يحتل مكانه في الطليعة من كتاب فرنسا الأحياء ، ويكاد مجده الأدبي يغطي على أمجادهم جميعاً عن جدارة واستحقاق !

أما شخصيته الأدبية ، فتتمثل في تعدد ملكاته ومواهبه .. إنه كاتب تراجم فذ لا يلحق به ، وكتابه الذي أخرجه عن « بودلير » يعد في رأي الفن خير كتاب أخرج في موضوعه ، منذ أن احتل أدب التراجم مكانه إلى جانب الفنون الأدبية الأخرى. وله في ميدان النقد الأدبي نظرية جديدة لا أحسب أن أحداً قد سبقه إليها ؛ وهي نظرية تنادي بأن الأدب صورة القارئ لا صورة البيئة كما يقول « تين » ... وهو بعد ذلك كاتب مسرحي يغذي المسرح الفرنسي من وقت إلى آخر بإنتاجه الفريد المتميز !

في هذه الأشياء كلها كنت أتحدث مع الدكتور طه حسين ، ولقد قال الدكتور فيما قال : إنه يخشى على مجد سارتر الأدبي بسبب ميله إلى السهولة فيما يكتب في هذه الأيام ، وإنه لم يرض عن مسرحيته الأخيرة « الأيدي القذرة » يوم أن شاهدها تمثل في أحد المسارح الباريسية .

وأعقب على هذه اللفتة فأتساءل : ترى لو نظرنا إلى مجد سارتر الأدبي هذه النظرة بسبب ميله اليوم إلى السهولة فيما يكتب فكيف تكون نظرتنا إلى هؤلاء الذين يكتبون اليوم في مصر ، ولا يهمهم ملء الفراغ الروحي الذي تحسه الجماهير بقدر ما يهمهم ملء الفراغ الذي تحسه أعمدة الصحف والمجلات ؟ !... إن أخطر الخطر على الكاتب أن يظن أنه قد بلغ أوج الشهرة وقمة المجد ، وألا ضير عليه من الوقوف على السطوح دون التغلغل إلى الأعماق ، وهذا هو ما يلقاه المتعطشون إلى المعرفة في هذه الأيام حين يقرأون لبعض كبار الكتاب فلا يخرجون بشيء !

إن المسألة عند سارتر ضرب من الميل إلى السهولة ، ولكنها عندنا ضرب من الاستهانة بالقيم والأذواق !

حديث الدكتور طه حسين بك في (بيروت المساء) :

في مكان آخر من « الرسالة » تقرأ الكلمة التي بعث بها إليها الدكتور طه حسين بك ، والتي نفى فيها ذلك الحديث الذي نسبته إليه جريدة « بيروت المساء » اللبنانية حول الشاعرين : علي محمود طه ، وعمر أبو ريشه ؛ ويسرني كما يسر الذين ينشدون حقائق الأمور أن يبادر الدكتور الفاضل بتكذيب ما نشر منسوباً إليه ، وأن يكون رأيه في الشاعر المصري منذ أيام هو رأيه فيه منذ سنين ، دون أن يغض من قيمة هذا الرأي أخطاء نحوية أو

لغوية يقع فيها الشاعر ، وما أكثر ما يخطئ الشعراء والكتاب المعاصرون فى العربية كما يقول الدكتور طه حسين !

أما حديث الدكتور عن الشاعر على طه فى الجزء الثالث من « حديث الأربعاء » ، فقد اطلعت عليه منذ أمد بعيد ، ومازلت أذكر كل ناحية من نواحيه فى مجال الإشادة بحسنات الشاعر والإشارة إلى سيئاته ، ولعل ما كتبه الدكتور فى « حديث الأربعاء » هو الذى أثار دهشتى عند ما وقفت على حديثه الذى نسبته إليه الصحيفة اللبنانية ، لأن الفارق بين رأيه اليوم فى الشاعر ورأيه بالأمس فارق بعيد !

وإذا كان أديبنا الكبير قد بادر فذكر فى كلمته أن شيئاً مما نسب إليه لم يحدث أن أفضى به إلى « بيروت المساء » ، فإننى أبادر بتوجيه الشكر إليه خالصاً من الأعماق ، وأشكره مرة أخرى على هذه التحية الكريمة التى تفضل فخصنى بها فى ثنايا كلمته ؛ أما دفاعى عن الشاعر على طه ، فهو دفاع عما أعتقد أنه الحق ... وليثق الدكتور طه أن له فى نفسى مكاناً يستحقه رجل له فى حساب الشعور أكرم الذكريات ...

عبقرية محمد الإنسانية :

تحت هذا العنوان كتبت فى عدد « الرسالة الهجرى » مقالا خالفت فيه الأستاذ العقاد فى طبيعة نظرته إلى شخصية محمد الإنسانية ؛ وأعتقد أننى أوضحت جوهر الخلاف إيضاحاً لا يحتاج منى إلى أكثر مما أوردت من تفصيل ، كما لا يحتاج من غيرى إلى تعقيب ... ولكن الأستاذ محمد محمود عماد يعقب على ما كتبت فى عدد « الرسالة » الماضى بكلمة عجيبة تبعد كل البعد عن الأفق الذى أدرت فيه حديثى عن محمد الإنسان !

إن جوهر الخلاف بينى وبين الأستاذ العقاد هو أنه يزن إنسانية محمد بميزان العظمة النفسية ، بينما أزنها أنا بميزان اللحظة النادرة من لحظات « الضعف الإنسانى » ... فوقف الرسول من عبد الله بن أبى ، أو من هبار بن الأسود ، هذا الموقف الذى يمز مثيله على الأقران والنظراء ، ينظر إليه العقاد من زاوية تنطبق — كما قلت — على الرجل العظيم ، لا على الإنسان العظيم ، لأن محمداً فى أمثال هذه المواقف — كما يرى العقاد — أكبر من أن يلاقى الأمور لقاء الأنداد ، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة !

هل كان الرسول حين شمل عبد الله بن أبى بالصفح والرحمة والمغفرة ، ينظر إليه على أنه أهون من أن يعامله معاملة الند للند ، أو معاملة النظير للنظير ؟ إن هذا المنظار الذى ينظر العقاد من خلاله إلى معدن النفوس وجوهر القلوب ، يحمل من الرحمة المحمدية ضرباً من التعاظم والكبرياء ، وهذا ما تنزه عنه كمال الإنسانية فى هذا الإنسان العظيم !

أما تعليقى على قول الأستاذ العقاد بأن النبى لا يكون رجلا عظيما وكفى ، بل لا بد أن يكون إنساناً عظيما ، فلم أقصد من ورائه إلى أن العقاد قد نفى الإنسانية عن محمد قبل أن يكون نبياً كما فهم الأستاذ عماد ... وإنما قصدت إلى أن اشتراط الإنسانية لنبوة محمد أمر لا داعى لإثباته ، لأن محمداً كان إنساناً بأدق معانى الكلمة قبل أن يبعث رسولاً إلى الناس ! ولم يحدث أننى قصرت إنسانية محمد على الرحمة كما يغالط الأستاذ عماد ، ولكننى قصرتها على لحظات « الضعف الإنسانى » ... وتحت هذه اللحظات يمكن أن تندرج الرحمة وما يماثلها من شتى الفضائل والصفات . وإذن ، فلا مبرر لقوله بأن حديث العقاد عن إنسانية محمد كان أشمل وأعم !

تحية الأديب للرسالة :

كتبت مجلة « الأديب » اللبنانية فى عددها الأخير مايلى :

« لاحظنا كما لاحظ معنا كثيرون — والملاحظة تؤلم — غيبة مجلة « الرسالة » عن معرض الكتاب فى مدينة اليونسكو فى الوقت الذى رأينا فيه عشرات المجلات التى لا ترتفع إلى مكانة « الرسالة » فكراً وقدراً تحتل صدر الجناح المصرى ، عرضة لأنظار مفكرى العالم ! ... حرام أن يغمط حق مجلة قادت ولا تزال تقود الرأى والفكر فى العالم العربى ست عشرة سنة ؛ بينما يفسح لغيرها ممن لا يعرف لها فى التوجيه أو الأدب أو العلم أى سبيل يذكر ! نحن نفهم أن يمنع عرض مجلة « الأديب » فى الجناح اللبنانى — بينما تعرض بعض الوريقات الصفراء — لأن الأديب كانت وما تزال تقاوم فى هذا البلد لرسالتها التوجيهية السامية ، وقد عرف هذا البلد « السعيد » بأنه مقبرة لأبنائه المخلصين النابهين ... ولكن أن يهمل عرض « الرسالة » فى الجناح المصرى ، فهذا موضع دهشتنا ! »

هذه اللفتة الكريمة من الزميلة اللبنانية ، وهذه التحية الصادقة ، تستحقان من أسرة « الرسالة » كل ثناء وتقدير . أما التعقيب على هذا الأمر الذى يثير الدهشة والعجب ، فسنفرد له مكاناً خاصاً فى العدد المقبل إن شاء الله !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

عد الأمواج في المجمع اللغوي :

استمع الأعضاء في جلسة من جلسات مؤتمر المجمع اللغوي إلى تقرير للجنة اللهجات بالمجمع يتضمن الخطة التي وضعتها لاستقراء الألفاظ والتراكيب الجارية على ألسنة أهل الأقطار العربية وتدوينها في معاجم وأطالس لغوية ، وفي التقرير تفصيل لهذه الخطة لا تنتهي فيه إلى غاية مرجوة من هذه الدراسة .

استمع الأعضاء إلى ذلك التقرير ، ثم دارت بينهم المناقشة في موضوعه ، فاعترض بعضهم على اهتمام المجمع بهذه الدراسة ، ومن هؤلاء المعترضين الجارم والعوامري والشبيبي والمغربي وعبد الوهاب عزام ، وتلتقي آراؤهم في أنه أولى بالمجمع أن يوجه عنايته إلى موضوعات أهم من هذا الموضوع . وساق الدكتور عبد الوهاب عزام بك حكاية ظريفة ، قال : خطر لي عند ما سمعت هذا البحث مثل سمعته في مدينة « ماردين » بتركيا ، كان رجل جالساً على شاطئ البحر ذات يوم فمر به صاحب له فسأله : متى أتيت إلى هنا ؟ قال الأول : أنا هنا منذ الصباح . فسأله صاحبه : وماذا تفعل؟ فأجاب : أعد الموج . عند ذلك سأله صاحبه : كم عددت ؟ فما زاد على أن نظر إلى موجة وقال : هذه واحدة . فعدُّ الأمواج قد يكون ذا متعة وفائدة ولكنه يشغل عن أمور أهم منه . ولئن كانت دراسة اللهجات أكثر فائدة من عد الأمواج فإن بينهما مع ذلك بعض الشبه .

ويرى الشيخ عبد القادر المغربي أن دراسة اللهجات العامية تنافس عمل المجمع ، فعمل المجمع تثبيت اللغة الفصيحة ، فإن قام بتلك الدراسة فإنه يعطي العامية بذلك اعتباراً في أعين الناس يعرضون به عما نعلمهم من الفصيح . وقال : قد يكون بحث اللهجات مفيداً لأولئك الغربيين المستعمرين الذين ينزلون بالبلاد العربية المختلفة ذات اللهجات المختلفة ليشتغلوا بالتجارة أو ليسموا بالفتنة ، أما اشتغالنا نحن بهذا العمل فحرام حرام .

ودافع عن الموضوع فريق آخر ، منهم ماسينيون وطه حسين وأحمد أمين ومنصور فهمي ، وقد رأوا جميعاً أن العلم يطلب لذاته ولا يسأل عن فائدته . وتولى الدكتور طه حسين الرد على الدكتور عزام والشيخ المغربي فقال : ليس للعالم عمل إلا أن يعد الموج ، فعد الأمواج لا يخيف ، أما ما يخشاه زميلنا الشيخ المغربي من تثبيت العامية فخشية مبالغ فيها .

وجنح بعض الأعضاء إلى بيان فوائد دراسة اللهجات ، كالأستاذ فريد أبو حديد الذي بين فائدتها في درس التاريخ ، ومما قاله أن اللغة وثيقة الاتصال بالقوم الذين يتكلمونها ، فدراسة اللهجات بما تكشفه من اتصال بينها تدل على صلات كانت بين الأقوام الذين يتكلمونها .

ثم انتهى المؤتمر إلى الموافقة بالأغلبية على الخطة التي تقدمت بها لجنة اللهجات .

ويلاحظ أن مؤيدي دراسة اللهجات العامية لم يجيبوا عن سؤال المعارضين : أليس لدى المجمع مسائل أهم من هذه الدراسة وأولى بعنايته وجهده ؟ فقد ذهبوا إلى تمجيد البحث العلمي واستنكروا السؤال عن الفائدة ، وحتى من بين منهم الفائدة لم يذكر أهميتها بالنسبة لبقية أغراض المجمع .

وعبد الله الفقير إليه ، كاتب هذه السطور ، يريد أن يحمل نفسه لا على التسليم بقدسية البحث العلمي فقط ، بل يفرض أن لدراسة اللهجات العامية فوائد لا تحصى ومنافع لا تستقصى ، كما يعبر مؤلف « ثمار الإنشاء » ويريد أيضاً أن يحني رأسه ولو قليلاً أمام عظمة علماء اللغات في فرنسا وفي غير فرنسا ، ولكنه يريد مع ذلك أن يعرف هل مجمع فؤاد الأول — للغة العربية أو للبحوث العلمية ؟ أليست مهمته الأولى المحافظة على سلامة اللغة العربية وتلبية حاجة الناس إلى التعبير الفصيح بمواجهة المستحدث وتصحيح الخطأ وغير ذلك . فهل فرغ من هذه المهمة ، بل أقول هل بلغ شيئاً ذا بال من النجاح فيها حتى يعد الأمواج ويسعى وراء الحقيقة المطلقة في عالم البحث غير ناظر إلى الأهم والمهم والفائدة ؟

إن الناس يرمون المجمع بالتباطؤ والتثاقل فى إنجاز الأعمال ذات المنافع القريبة ، فالمجمع حين يوغل فيما وراء هذه المنافع يضيف إلى ما يرمى به العقم وعدم الإنتاج المفيد .

القلم والقنبلة :

دافع الأستاذ عبد العزيز الشوربجى المحامى عن أحد المتهمين فى قضية القنابل ، فأشار إلى المقالات السياسية التى كان يكتبها المتهم ، وتساءل : كيف يتصور أن تلق هذه اليد القلم وتمسك بدلا منه المسدس والقنبلة ، واليد التى تكتب دفاعاً عن مصر تعود فتنتكب مصر ، واليد التى أسالت المداد من عصارة الذهن وفى وضح النهار تعود فتسفك الدماء فى الظلام ؟ إلى أن قال : هل رأيتم أن كاتباً أو صحفياً انقلب مجرماً فوضوياً ؟ وحقاً لم ير أحـداً من المشتغلين بالكتابة أو الصحافة قد ارتكب هذا النوع من جرائم القتل وسفك الدماء أو اشترك فى تدبيرها .

ولكنى أنظر إلى الموضوع من جانب غير الجانب الخطابى الذى نظر منه الأستاذ الشوربجى ، فليس كل من كتب صاحب عقيدة ، وكثيراً ما تشترى

كشكول الأسبوع

* وقع اختيار وزارة المعارف على الأستاذ محمود الخفيف ليكون مديراً لإدارة التعاون الثقافى الشرقى بوزارة المعارف .

ويعد هذا الاختيار الوفق اتجاهاً طيباً نحو الانتفاع بالكفايات الأدبية فى المناصب الثقافية بالوزارة .

* تلقت إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف ، كتاباً محولا إليها ، من اتحاد مترجمى المؤلفات الأدبية بباريس ، يطلب فيه المعاونة بتعيين مراسل له فى مصر أو هيئة أدبية يتبادل معها جميع ما يتعلق بترجمة المؤلفات الأدبية من الفرنسية وإليها ، لتقديمه إلى الناشرين . وتعد الإدارة منشوراً فى هذا الموضوع ليوزع على دور النشر والهيئات الثقافية فى مصر .

* اشترطت مجلة المصور فى مسابقتها القصصية ألا تزيد القصة على ٦٠٠ كلمة . وقد كتب أحد الأدباء قصة المسابقة فجاءت فى ٦٠٠ كلمة وكلمة وهو لا يريد أن يحذف أى كلمة من صميم القصة ، فأشار عليه بعضهم أن يحذف العنوان .. لأنه لم يشترط أن يكون للقصة عنوان !.

* جاء فى مقال للأستاذ على أمين بالعدد الأخير من مجلة « آخر ساعة » قوله : « ففرت فاهى ! » فهو يحسب أن « فاه » كلمة واحدة فتضاف إلى ياء المتكلم .. والأستاذ كاتب ظريف ، وليته يحسن علاقته بسيبويه ..

* دأبت إحدى الجمعيات على الإعلان فى الصحف عن اجتماعات أسبوعية لقراءات أدبية من فلان وفلان وفلان .. وقد غضب أحد أعضاء الجمعية لأمر من الأمور ، فقرر أن يكتب إلى الصحف أنه سيجلس يوم كذا فى منزله ويقرأ فى كتاب من كتب الأدب ... وبذلك يستغنى عن الجمعية !.

* جاء فيما كتبته مجلة « الكتاب » عن التأليف فى سنة ١٩٤٨ أن الإنتاج الفكرى نقص فى هذه السنة إلى ٣٩٠ كتاباً ، وكان فى سنة ١٩٤٧ قد بلغ ٤٨٠ كتاباً .

الأقلام وتؤجر الصحف .

صاحب القلم لا يحمل القنبلة ، وما حاجته إليها وقد أفرغ طاقته بسنان القلم ، وسكب جهده على الورق ؟ إنه يعبر عن ثورته ولا يختزنها ، فليس به بخار مضغوط تفجره القنبلة أو يطلقه المسدس . يصنع حماسه كلمات من نار ، فلا يبقى منه ما يصلح لصنع الرصاص أو (الديناميت) ، يصول ويجول ولكنه لا يعرف ميداناً غير القرطاس .

وإن صاحب القلم يضنى نفسه بالكتابة والتحبير ، ولكنه يجد فى قلمه متنفساً يخفف عن أعصابه ، وما أجدر الكتابة الحرة أن تحسب فيما يشفى من الأمراض العصبية أو بعضها .

ومن هنا ندرك قيمة حرية التعبير عن الرأى فى صيانة الأمن العام ، وإنك لتجد أكثر الأمم استقراراً وخلواً من القلاقل ، هى التى نالت حظاً موفوراً من حرية الفكر لأن القوى تتجه إلى اصطراع الأفكار ولا تنحرف إلى التخريب والتدمير .

أمر معكوس :

لمصر فى فرنسا ملحق ثقافى يفهم الإنسان من وضعه الرسمى

والطبيبي أن مهمته تنظيم الملاقات الثقافية بين البلدين على أن يكون الهدف رعاية جانب بلاده من الوجوه المختلفة ، فيدعو إلى ثقافتها ويبرزها ويبين آثارها في الحضارات والثقافات بمختلف الوسائل .

ولكن ملحقنا الثقافي في باريس يعكس الأمر ، فقد أذاع من مذياع باريس يوم الخميس الماضي حديثاً عن الملاقات الثقافية بين مصر وفرنسا في عهد محمد على الكبير أشاد فيه بفضل فرنسا مؤيداً بما توصلت إليه همته ونشاطه الفائقان من الوثائق والمستندات .

أثر فرنسا في النهضة الثقافية بمصر معروف لم ينكره أحد ، وله مكانه في التاريخ ، ولكن ما لهذا نبعث الملحقين الثقافيين ، ولو أن هذا من أغراضنا لكفانا مؤونته الفرنسيون أنفسهم .

ثم هل الظروف الحاضرة ملائمة لمثل ذلك ؟

نقد مسرحي :

كنت ناوياً في أول الموسم المسرحي الحالي أن أتابع الروايات التي تمثلها الفرقة المصرية فأتناولها بالنقد واحدة واحدة ، وبدأت فعلا بالمسرحية الأولى « سر الحاكم بأمر الله » وكتبت عن غيرها ، ولكني عند ما وجدت مستوى ما تعرضه الفرقة هابطاً فتر حماسي ، وتحدت رغبتي في المعاونة بالنقد على إحياء هذا الفن الذي تلتقي فيه عدة فنون .

وما كنت أدري ، ولم يعجبني الخوخ ، أني سأضطر إلى شرابه ... فأكتب عن « أوبريت الحمار » .

هي « تمثيلية » عرضتها فرقة شكوكو على مسرح حديقة الأزبكية ، ونقلتها الإذاعة في سهرة ليلة الجمعة الماضية ، وهي تتلخص في أن حماراً (يمثله أحد أفراد الفرقة) يظهر على المسرح وعلى إحدى أذنيه عداد وعلى الأخرى (نفير) وصاحبه (شكوكو) يسميه (تكس) ويأتي (واحد خواجه) ويركب (التكس) ويغني له شكوكو : « يا حوحو ... حا . يا ميمى ... شى » ، ثم ينزل الستار .

وهي تعتبر مسرحية غنائية من نوع (الأوبريت) ولا بد أن شكوكو يقصد بها إحياء هذا الفن مع شيء من الإبداع والتجديد يبدو في خلوها من وجهة وطنية أو اجتماعية ، مما كان يتجه إليه أهل هذا الفن من الجيل القديم ... ومما يذكر أن هذه (الأوبريت) يدور فيها صراع عنيف بين (الخواجة) والحمار الذي يزعم صاحبه أنه (تكس) وهو كسائر ما في المسرحيات العالمية صراع خالد ... وهي لذلك « مؤثرة ! » وقد أخرجها شكوكو ، واشترك أيضاً في التمثيل ، وألفها مؤلف نسيت اسمه .

بقي أن أذكر المهم ، وهو الذي اضطرني إلى شراب الخوخ ذلك أن مجلس الوزراء قرر من نحو شهر انتقال مسرح حديقة الأزبكية من اختصاص وزارة الأشغال إلى وزارة الشؤون الاجتماعية لاستخدامه في « ترقية التمثيل » وذلك أيضاً أن الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية جادة في نقل روائع الفنون إلى مستمعيها لا في مصر فقط ، بل إلى كل من ينطق بالضاد في أنحاء المعمورة ، كي يقف الجميع على ما يعرض في مسارح القاهرة من تمثيليات رائعة خالدة ...

أوليس يدعو كل ذلك إلى أن تنقد تمثيلية الحمار نقداً مسرحياً يلائم مكانها من « ترقية التمثيل » ؟!

نقطة الخلاف :

رداً على الأستاذ أحمد الطاهر من أعضاء محكمة الاستئناف بعمان — أقول :

« فيروزاباذ » كلة فارسية وهي علم على البلد المعروف ، وقد نطقها العرب بالدال وبالذال ، كبغداد وبغداذ . ومن سنن العرب إبدال الحروف في لغتهم ، وإبدال الذال دالا إذا جاءت متطرفة في الكلمات الفارسية . وقد وردت كلمة « الفيروزابادى » بالدال المهملة في شرح ديباجة القاموس وتاج العروس وفي معجم فرنسيس الإنجليزي الفارسي المطبوع في سنة ١٨٥٢ م .

وبعد : فالخلاف بين السيد الطاهر وبيني ليس كبيراً كالخلاف بين القاهرة وعمان . . فليس بيننا والحمد لله « عقبة » وإنما هو خلاف على « نقطة » .

وللأستاذ تحيتي وشكري على ما في كلمته من روح طيب وأدب جم .

عباس خضر



الدكتور طه حسين بك يصحح ما نشر في (بيروت المساء):

أخي الزيات:

نقلت (الرسالة) في عددها الأخير حديثاً نشر عني في إحدى الصحف البيروتية ونسب إلى فيه أني أغض من شأن صديقي الأستاذ علي محمود طه وأبايع صديقي الأستاذ عمر أبو ريشه ، فأحب أن أؤكد أني لم أبايع هذا ولم أغض من شأن ذاك ، وما كان لي أن أفعل ؛ فأنا أحب الشاعرين جميعاً وأحفظ لهما مودة ثابتة . وإذا لم تخن الذاكرة فقد كتبت فصلا خاصاً منذ وقت طويل أثنيت فيه ، بالحق ، على شعر الأستاذ علي محمود طه . ولا يغير من رأيي فيه أنه يخطىء في العربية هنا وهناك . وما أكثر ما يخطىء الشعراء والكتاب المعاصرون في العربية !

وأظنك توافقني على أن صحة اللغة شرط أساسي من شروط الشعر الجيد .

أما الأستاذ عمر أبو ريشه فقد قلت غير مرة وما زلت أقول إني أكبر شعره وأعجب به ؛ وليس هنا موضع التفصيل لأسباب هذا الإعجاب ، ولكن الإعجاب بشاعر شيء ومبايعته شيء آخر.

وما أعرف أني بايعت شاعراً أو كاتباً قط ؛ وما أظن أني سأبايع شاعراً أو كاتباً قط ؛ فهذا نوع من السخف لم أشارك ولا أريد أن أشارك فيه .

وقد كنت دائماً شديد الحرص على هذه الحرية التي تبيح للناقد أن يقول للأديب أخطأت إن أخطأ وأصبت إن أصاب . وقد جاوزت السن التي ينزل الناس فيها عن حريتهم .

فليطمئن الكاتب الأديب الذي دافع مشكوراً عن صديقي الأستاذ علي محمود طه فقد دافع عنه في غير حاجة إلى الدفاع . وليقرأ إن شاء حديثاً لي عن الأستاذ علي محمود طه صورت فيه رأيي في جيد الشعر ورديئه وفي صوابه وخطأه ، وهذا الفصل منشور في الجزء الثالث من حديث الأربعاء كتب منذ خمسة عشر عاماً ولم يتغير رأيي في الشاعر الصديق إلى الآن .

ولك وللكاتب الأديب تحيتي صادقة وشكري خالصاً .

(الزمالك) طه حسين

هل الحج يغسل الذنوب جميعاً ؟

... قرأت مقالكم « حج غير مبرور » فأوافقك في جانب منه كل الموافقة ويوافقك معي كل من في قلبه قدر من الإيمان — وأخالفك في جانب آخر كل المخالفة ويخالفك معي كثير .

فأما ما أوافقكم عليه ، فهو إنكار ما يفعله ذلك الفاسق الفاجر وتقبيح ما يأتيه ، وتنفير المسلمين من أمثاله ، وتنبيه أولي الأمر على الضرب على يده .

وأما ما أخالفكم عليه ، فتجاهلكم لحديث شاع على ألسنة المسلمين في شتى العصور والأمصار ، واعتز به كل مؤمن وسكن إليه قلبه ، وروته كتب الحديث الكبيرة وغير الكبيرة . ألا وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . رواه البخاري ومسلم والدارقطني وغيرهم كثير مع اختلاف يسير في اللفظ واتفاق في المعنى .

ويرى ابن حجر أن المغفرة بسبب الحج عامة لكل الذنوب . وخصصها الطبري في تفسيره بالمظالم التي تاب عنها صاحبها وعجز عن وفائها . ورأى الترمذي قصرها على حقوق الله خاصة .

ولو كنتم فضلتم رأياً على رأي مما ذكرنا ، مارأينا بأساً قط ؛ ولكنكم يا مولاي قلتم : « اغتر على ما يظهر بقول المتزيدين من جهلة الشيوخ : إن الحج وحده يمحص الذنوب ويمحو الخطايا ... فيعود منها وهو نقي الصحيفة كيوم ولدته أمه » فمن هم الشيوخ الذين تقصد ؟ آلأزهريون أم ابن حجر ومن ذهب مذهبه ؟ طبعاً الأزهريون — وما الذي زيدوه ؟ لم يتزيدوا شيئاً اللهم إلا إيثار وجهة على وجهة ، وزيادة الرجاء في عفو الله .

وأخشى ما أخشاه أن يتجرأ من لا صلة له بالدين على إنكار ما لا يوافق مزاجه من الأحاديث وآراء العلماء استناداً على ما فهم أو ما دلت عليه عبارتكم من إنكار حديث سلم به

المسلمون ولهجوا به في مشارق الأرض ومغاربها .

ولكم في الختام أطيب التحيات .

محيي الدين حمودة
المدرس برأس التين الثانوية

(الرسالة) : يا سيدي ، إن الشيخ الذي قال ذلك لم يورد الحديث ولم يشر إليه حتى تقول إنه أنكره أو شكك فيه ، إنما أنكر تزيد القائلين بأن الحج (وحده) يمحص الذنوب ويمحو الخطايا .. وبين أثر هذا التعميم في تأمين المجرم وتهوين الجريمة . والتزيد ملحوظ في تفسير المتساهلين المبالغين من الحجريين الذين قالوا إن المغفرة بسبب الحج عامة لكل الذنوب من غير قيد ولا شرط ، ففتحوا الباب لكل عاص وسهلوا الحجاب لكل مجرم . أما الحديث بنصه في البخاري ومسلم ، وتفسيره للطبري أو الترمذي ، فلا تعقيب عليه ولا جدال فيه .

وفاة السيدة زينب :

قرأت في عدد « الرسالة ٨١٢ » كلمة الأستاذ حسن ابراهيم شقل عن سبب وفاة السيدة زينب فمن لي أن أنقل كلمات موجزات من كتب الثقات لإزالة الأشكال :

١ — خرجت زينب — صلوات الله على أبيها وعليها — مع ابن كنانة من مكة ، فخرجوا في أثرها ، فأدركها هبار بن الأسود فجعل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها ، فألقت ما في بطنها وأهريقت دماً .

٢ — ماتت زينب في سنة ثمان من الهجرة ، وكان سبب وفاتها سقوطها من بعيرها لما طعنه هبار ، سقطت على صخرة فأهريقت دماً ، ولم تزل مريضة بذلك حتى ماتت .

٣ — خرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، وكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود فروعها وهي في هودجها وكانت حاملا فيما يزعمون ، فلما وقعت ألقت ما في بطنها ، فبرك حموها ونثر كنانته وقال : والله لا يدنومني رجل إلا إذا وضعت فيه سهماً فتكركر الناس عنه ... الخ

المصادر : ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للمحب الطبري ص ١٥٦ من طبعة القاهرة ؛ حيث ترجم لها في خمس صفحات .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمي ج ٩ ص ٢١٦ من طبعة القاهرة ، حيث بسط ترجمتها في خمس صفحات كذلك.

عبد الله معروف

حول كاد أن :

قال الأستاذ فاروق أحمد سلام بمعهد اسكندرية الديني في معرض رده على من قال إن تجرد المضارع الواقع في خبر كاد من أن قياس مطرد ، أن الحديث الشريف يتفق مع القرآن في أن القرآن لا يأتي باللغات الشاذة وإلا لما كان معجزاً فكذلك الحديث لا يأتي باللغات الشاذة قال تعالى وما ينطق عن الهوى وقول الشاعر : كادت النفس أن تفيض عليه — والشعر العربي إذا تعددت فيه الأمثلة فلا يكون ذلك ضرورة ولا شاذا وإنما هو قاعدة مسلم بها .

وأنا أقول : حقاً إن الحديث لا يأتي بالشاذ وهذا إذا تأكد صدوره من في المعصوم بلفظه فمن الجائز أن يكون مرويا بالمعنى؛ وفي هنا نقل الأمير في حاشيته على المغني نقلا عن السيوطي قال أن التحقيق أن الأحاديث لا يحتج بها في العربية لدخول المولدين في رواتها بل والأعجام ، وعدم الثقة بأن هذا اللفظ النبوي لجواز الرواية بالمعنى . وشنع ملا على قاري بأن الأصل أن الرواي لم يغير اللفظ وحمله على الإصلاح مقدم .وقد استشهدوا بكلام العرب مع أن رواته مولدون ؟ ولكن يقال أن الغرض في الحديث المعنى ، ولذا صححوا جواز روايته بالمعنى؛ وأما كلام العرب فالمقصود الأهم فيه اللفظ لإثبات اللغة فلا يبعد على هذا تساهلهم في الحديث بما لا يتساهل في مثله

فعند التحقيق العلمي ترى تعليله واهياً من الوجهة العلمية والاستشهاد بالآية في غير موضعها ، فإنه يستدل بها على كمال صدق الرسول عليه السلام فيما يبلغ عن ربه فإذا نطق فإنما ينطق عن إخلاص وحق . ومما لاجدال فيه أنه إذا صح كلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حجة بلا نزاع ، فهو سيد الفصحاء وإمام البلغاء . وحجته بألفاظ القرآن قطعية ، لأن المتن مقطوع به فتنظيره بالحديث غير وجيه فإنه غير مقطوع به فرد الاستشهاد بالحديث لما طرأ عليه من روايته بالمعنى وعدم الجزم بوروده لا التشكك في حجية كلام المعصوم . والعبارة التي كتبتها في مجلة الرسالة هي بنصها في ابن عقيل على ألفية ابن مالك ولا يغيب عن الأذهان

الكتب

عالم الذرة

أو الطاقة الذرية والقنبلة الذرية

تأليف الأستاذ العالم نقولا الحداد

ما يستطيع إنسان أن يجهل أن الأستاذ نقولا الحداد عالم أصاب من العلم نصيباً كبيراً ، وأديب ضرب فى الأدب بسهم وافر ، وهو بين هذا وذاك فى نشاط مستمر ودأب لا يستقر ، يخرج على الناس — دائماً — بقصة مستملحة أو بحث طريف ، وهو سبّاق إلى الجلّى ، فهو أول من نشر باللغة العربية كتاباً مسهباً فى نظرية النسبية لأينشتين ، وهو من أوائل من نشروا بحوثاً مستفيضة عن الطاقة الذرية . وكتاب « عالم الذرة » من الكتب الجليلة الفريدة فى نوعها ، أحاط بتاريخ الذرة منذ أن كانت خيالا فى أذهان العلماء ، لا تسمو إليها التجارب العملية ، ولا ترقى إلى كنهها العقيدة الراسخة ، إلا تكهنات فرضية ، أو معادلات رياضية ، إلى أن أصبحت شراً مستطيراً تعصف بالزرع والضرع والناس فى طرفة عين .

ولا يسعنى — بعد إذ استوعبت كتاب الأستاذ نقولا كله — إلا أن أهمس فى أذنه فأقول : يا سيدى ، قد يعجز العالم عن أن يكون معلماً ، وذلك حين لا يستطيع أن ينزل إلى مستوى تلميذه ، أو أن يرقى بتلميذه إلى مستواه هو . وأنت فى كتابك أردت أن تكون معلماً ... ولكن ...

ولقد كان يخيل إلى وأنا أهم أن أقرأ الكتاب أننى سأجده كتاباً وسطاً على نمط ما كتبه « كيلاواى » فى الذرة ، أو ما كتبه غيره من علماء الغرب . ولكن كتاب « عالم الذرة » كان بحثاً عالياً عرض لنظريات العلماء الذريين منذ رذرفورد وموزلى عرضاً علمياً مختصراً . ثم تحدث عن ترتيب العناصر الدورى لمندليف دون أن يوطئ لهذا الحديث بكلمات تكون بمثابة المدخل .

أن النحويين واللغويين لا يعول عليهم فى روايتهم للحديث فكم من حديث استشهدوا به وهو غير صحيح وإذا تمسك به طالبتاه بتصحيح الرواية ، فما قالته الرسالة صحيح لا غبار عليه .

على الطوبجى
من علماء أسيوط

القصة العربية الحديثة فى القرنين الأخيرين :

« يعد الأستاذ محمد نجم ، أستاذ الأدب العربى فى الجامعة الأميركية ببيروت دراسة وافية عن القصة فى الأدب العربى الحديث ، وهو يرجو الأدباء الذين عالجوا كتابة هذا الفن من الأدب أن يكتبوا إليه نبذاً مفصلة عن حيواتهم وثقافتهم وإنتاجهم الأدبى مع ذكر التواريخ الدقيقة إن أمكن . كما يرجو هؤلاء الأدباء أن يرسلوا إليه نسخاً من كتبهم . وهو مستعد لشراء الكتب بالأثمان التى يحددها أصحابها ، وعنوان المراسلة هو ص . ب ٢٢٠٨ القاهرة » .

(١) ميلاد ابن عربشاه :

فى ص ١٣٢١ من عدد (الرسالة) ٨٠٣ « ولد أحمد بن عربشاه بدمشق عام ٧٩١ » . والذى فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد ج ٧ ص ٢٨٣) أن مولده سنة ٧٩٠ وفى الصفحة نفسها « ودفن بالخانقاه الصالحية » والصواب « الخانقاه الصلاحية » على ما فى ترجمته فى (تاريخ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) ج ٢ ص ١٢٩ .

(٢) قبرس :

فى ص ١٢٧٢ من عدد (الرسالة) ٨٠١ (قبرص) بالصاد والصواب (قبرس) بالسين . قال المؤرخ الثبت عز الدين بن الأثير فى كتابه (اللباب فى الأنساب) المطبوع بالقاهرة ، فى ص ٢٤٠ من الجزء الثانى : قبرس بضم القاف وسكون الباء وضم الراء وفى آخرها سين ، وهى جزيرة فى بحر الروم ...

محمد أسامة

وإن القارئ ليحس اضطراباً فى الصفحات الأولى من الكتاب وكان الأجدر بالأبواب الثلاثة الأولى أن تكون على النظام الآتى :

١ — العناصر. ٢ — الجزئ وتركيبه فى العناصر والمركبات .
٣ — الذرة وعلاقتها بالجزئ .
٤ — تركيب الذرة من نوعى الشحنات .
٥ — الألكترون والبروتون . ٦ — الأفلاك الذرية .

ولن يجد المرء صعوبة فى أن يوفى المواضيع السابقة حقها من الشرح والإيضاح فى أسلوب رقيق سهل ، فتكون أقرب مأخذاً وأسرع إلى الفهم ، كما فعل المؤلف حين أراد أن يوضح العلاقة بين مناطق الألكترونات فى الذرة ، وبين الخواص الكيميائية الدورية التى نبهت منديليف إلى ترتيب العناصر فى جدوله .

ويتمسك المؤلف برأى أينشتين فى أن الطاقة والمادة شىء واحد ، وهو بحث علمى رياضى صعب يجب أن نغفله فى كتاب عام أنشئ ليوضح فكرة جديدة فى سهولة ويسر .

وفى ص ٦٨ ينصح المؤلف القارئ فيقول : « ويلاحظ القارئ أن فى سياق الحديث بعض النقط الفنية عويصة قد يتعب ذهنه فى إنعام النظر فيها . إذ لا يمكن التوسع فى تبسيطها لأنه يستلزم مضاعفة صفحات الكتاب ، والكتاب مجال محدود لا يسمح بذلك التوسع ، فللقارئ أن يتجاوز هذه النقط إذا لم يشأ التريث للفهم » . وكان فى قدرة المؤلف أن يسد النقص الذى يومئ هو إليه لو أنه أغفل كثيراً من المواد الجافة المعروضة ليحل محلها الشرح الوافى المبسط للنقط الهامة .

وفى الكتاب هنات يسيرة أعرضها فى ما يأتى :

١ — خرج المؤلف عن المألوف فى ترجمة بعض المصطلحات العلمية . ففى صفحة ٢٩ Magnetic Feild بالجو المغناطيسى الجاذبى والصحيح المجال المغناطيسى . وترجم Electric Field بالجو الكهربائى والصحيح المجال الكهربائى . وفى صفحة ٣٤ ترجم Centrifugal force بالقوة الدافعية والصحيح القوة الطاردة المركزية

٢ — قال المؤلف فى ص ٥٢ : الجرافيت وهو الفحم الجوى المضغوط . والصحيح أن الجرافيت صورة من صور الكربون توجد فى الطبيعة فى سيبيريا وسيلان والهند وانجلترا وكاليفورنيا ويمكن الحصول عليه صناعياً من تسخين خليط من الفحم الحجرى أو فحم الكوك ومن الحديد بنسبة ٩٧ : ٣ فى فرن كهربائى فينتج نوع نقى من الجرافيت الصناعى ويتبخر الحديد من أثر الارتفاع الشديد فى درجة الحرارة .

قروية فيلســوفة

(بقية المنشور على الصفحة الأولى)

الآلاف من الحقول ، والمئات من العجول ، والقناطير من الذهب ، والصناديق من الحلى ، والأصونة من الثياب ، فهل أنال من كل أولئك غير ملء الجوف وستر الجسم ؟ إن الحلاوة التى تجدها فى قالب السكر الصغير ، هى بعينها الحلاوة التى تجدها فى قمع السكر الكبير . وإن اللذة التى تذوقها فى رطل اللحم الذى تشتريه ، هى نفسها اللذة التى يذوقها البدراوى فى الخروف الذى يذبحه . وإن الدائرة الضيقة التى أضطرب فيها أنا وعيالى ، تجمع من متاع النفس والجسم ما تجمعه الدائرة الواسعة التى يركض فيها الباشا هو وأهله . فالمسألة إذن مسألة قلة وكثرة ، لا مسألة نعيم وبؤس . ومادام القليل يكفيك من الكثير ، والصغير يغنيك عن الكبير ، فإن فضول العيش شغل وهم وفتنة . اسمع أقص عليك من بعض أمرى ما يثبت فؤاد القانع ، ويغير اعتقاد الطامع ...

بقية الحديث فى العدد القادم

احمد حسن الزيات

---

٣ — وجاء فى ص ١٥ : إذا كانت ذرة ما كذرة الراديوم مثلاً تنفث ذريرة (ألفا) التى كتلتها (أى وزنها) ٤ ... الخ فاعتبر الكتلة هى الوزن فى حين أن الكتلة هى مقدار ما يحويه الجسم من المادة ، أما الوزن فهو مقدار جاذبية الأرض للجسم . وبينهما بون شاسع .

٤ — وفى ص ٦٧ كتب : كتلة × سرعة = زخماً
والصحيح أن الكتلة × السرعة = العزم

وفى نفس الصفحة ذكر أن : السرعة هي مدى انقذاف المقدار فى الثانية . والصحيح أن سرعة جسم متحرك هى معدل إزاحته فى الثانية . على أن هذه الهنات لا تضع من القيمة العلمية والفنية لكتاب هو الأول فى بابه صدر عن عالم مختص يقرأه القارىء المثقف واثقاً مما يقرأ مطمئناً إلى مايفهم ، وإذا كان المأخذ الجوهرى الذى أخذناه عليه هو ارتفاع مستواه عن ذهن القارىء العادى فإن معظم القراء أصبحوا اليوم من الثقافة بحيث لا يجدون صعوبة فى إدراك الحقائق العلمية مصبوبة فى أى قالب ؛ فهم يحتاجون إلى الاستزادة أكثر مما يحتاجون إلى الاستفادة . فللأستاذ المؤلف الشكر على ما بذل ويبذل من الجهد العظيم ونشر الثقافة وإفادة النشىء وخدمة الأمة .

كامل محمود حبيب



الحلم

للكاتب الايرلندى لورد دنسانى

رأيت فى المنام أنى اقترفت جرماً فظيعاً رفضوا من جرائه أن يدفنونى فى الأرض أو فى البحر، بل لم يكن لى مكان حتى فى الجحيم.

عرفت ذلك وأنا فى انتظار مصيرى عندما أقبل أصدقائى وقتلونى سراً فى احتفال دينى أضاءوا فيه الشموع، ثم حملونى بعيداً عن لندن، رحلوا فى دجى الليل وساروا فى طرق موحشة بين صفين من الديار الصغيرة حتى وصلوا إلى النهر، وكان فى صراع مع مد البحر بين الضفاف الموحلة وفى ظلام الليل الدامس، فعرتهما دهشة فجائية من رؤيتهما أصدقائى وقد انعكست أنوار شموعهم على صفحة الماء. أدركت كل ذلك بينما كانوا يحملون جثتى المتيبسة، فقد كانت روحى لا تزال بين عظامى لأنه لم يكن لها مأوى فى السماء

ونزلوا بى درجاً أخضر موحلاً، فدنوت شيئاً فشيئاً من الطمى المرعب. وهناك حفروا حفرة قليلة الغور وأرقدونى فيها بين المهملات. ثم ألقوا فجأة بشموعهم فى النهر، فانطفأت شعلتها وانسابت تندفع مع المد صغيرة شاحبة. وجعلت أراقب شروق الفجر وأشاهد أصدقائى يتسللون خفية الواحد تلو الآخر وقد توشحوا معاطفهم.

وأقبل الطمى وغطى كل شىء عدا وجهى. ورقدت هناك بين المفقودات والأحجار المتداعية والمهملات وكل ما هو فى طى النسيان، وقد تخلصت من إحساساتى، لأنى كنت ميتاً — قتيلا ولم يبق لروحى التعسة سوى الإدراك والتفكير. وبزغ الفجر فأبصرت الديار المهجورة تزخر بها حافة النهر، وقد أطلت علىّ نوافذها الميتة تحدق فى بأعين لا حياة فيها، نوافذ يجثم وراءها الشر وقد خلت من أرواح البشر. وازددت جهداً وأنا أتطلع إلى تلك المهملات فأشعر بالرغبة فى البكاء دون أن أبكى لأنى فى عداد الأموات. ثم عرفت مالم أكن أعرفه من قبل — أن هذه الديار المهجورة كانت تود أن تبكى مثلى طوال الأعوام التى مرت عليها. ولكنها بكماء لاحياة فيها. وكم كنت أود أن تبكى هذه الأشياء المتراكمة المهجورة فأشعر بالراحة لبكائها، ولكنها كانت أيضاً ميتة كفيفة البصر، وكان حالى مثل حالها، فقد حاولت البكاء فلم يتساقط الدمع من عينى.

وكنت أعرف أن النهر يستطيع لو أراد، أن يعتنى بنا، ويحنو علينا، ويغنى لنا. ولكنه كان يندفع جاريا دون أن يفكر فى شىء سوى ما يحمله معه من سفن فاخرة.

وأخيراً فعل المد ما لم يفعله النهر، وأقبل وغطانى، فانتعشت روحى بعد أن رقدت تحت الماء الخضر، وخالجها اعتقاد أنها مدفونة فى البحر. وما انحسر الماء حتى رجعت إلى الطمى بين المهملات وعدت إلى مشاهدة الديار المهجورة وعادت إلى معرفتى بأننا جميعاً أموات. ثم بدا لى نفق حالك وممرات سرية ضيقة تخترق ذلك الحائط الكئيب الواقع خلفى وقد غطته الأعشاب الخضر، فأقبلت منها الجرذان تتسلل لتقرضنى، وابتهجت روحى عندئذ، واعتقدت أنها ستغدو حرة، فتخترق نطاق تلك العظام الملعونة التى رفض دفنها. ولكن سرعان ما ولت الجرذان هاربة مبتعدة عنى، ثم جعلت تتشاور فيما بينها، ثم لم تعد إلى بعد ذلك. وهنا عرفت أنى ملعون حتى بين الجرذان، وحاولت عندئذ البكاء دون جدوى. ثم أقبل المد وعاد يتأرجح حتى غطى الطمى المهول، وأخفى الديار المهجورة، وواسى الأشياء المهملة، وأراح روحى فترة وهى مدفونة فى مياهه. وأخيراً هجرنى وابتعد.

وهكذا أصبح المد يقبل ثم يعود سنين عديدة، إلى أن وجدنى بعضهم، فانتزعونى من الطمى ودفنونى دفناً لائقاً. وما أن رقدت فى أول رمس حتى عاد أصدقائى وأخرجونى منه وأعادونى إلى حفرتى فى الطمى

وكم من المرات تجد عظامى مدفنا لها على كر السنين، وفى كل مرة يكمن أحد هؤلاء الرجال المرعبين، حتى إذا ما أتى المساء يقبل فيحفر ثم يخرجنى من رمسى ويحملنى ويعود بى إلى حفرتى الأولى.

وفى ذات يوم مات رجل من هؤلاء الذين فعلوا بى هذا الفعل المروع. وسمعت روحه تتصاعد فوق النهر عند الغروب. وحينئذ أشرق فى روحى الأمل.

ومرت الأسابيع عندما وجدونى مرة أخرى، فأخرجونى من ذلك المكان المتقلقل ودفنونى فى أعماق الأرض المقدسة. وعاود روحى الأمل فى أن تظل هناك أبدا. ولكن سرعان

ما أقبل رجال متشحون بالمعاطف ويحملون الشموع ، وأعادونى إلى الطمى . لقد أصبح ذلك الأمر لهم تراثاً وتقليداً . وسخرت منى المهملات فى قلوبها الصم عند عودتى ، فقد كانت تغار منى لتركى الظمى . وكنت لا أزال أذكر أنى لا أستطيع البكاء .

ومرت السنين تجرى كما يجرى النهر صوب البحر حيث الزوارق ترحل وتعود والسفن الهائلة الهائمة يتلملها الوج ، وما زلت راقدا بلا أمل ، لأنى لا أجرؤ أو آمل دون سبب ، نتيجة حسد المهملات المروع وغضبها الشديد .

وفى ذات يوم هبت عاصفة هوجاء ، أقبلت جنوباً من بعيد ، قادمة من البحر ، ثم عرجت على النهر تصاحبها الريح الشرقية العاتية ، وتغلبت على الجزر وهى تسير فى خطى واسعة فوق الطمى التافل . وابتهجت المهملات واختلطت بغيرها من الأشياء المبتهجة ، وانساقت السفن الفاخرة وهى تطفو من أعماق الماء ، وأخذت العاصفة عظامى من مرقدى الموحش ، فشعرت بأمل يترعرع فى نفسى فى أنه لن يعكر على الجزر صفو مرقدى بعد ذلك . وعندما انحسر المد كانت العاصفة قد ولت تقتفى أثر النهر صوب الجنوب ، ثم عادت إلى مقرها بعد أن بعثرت عظامى بين جزر كبيرة على طول السواحل . وكادت روحى أن تتحرر من أغلالها عندما ارتفع المد الدافق تحت ضوء القمر وعبث بما تركه الجزر ، ولم عظامى من هذه الجزائر وعاد بها من هذه السواحل ، ثم ذهب ينثنى صوب الشمال حتى وصل إلى مصب التيمس ، وهناك تحول غرباً والتقى بالنهر وصعد معه حتى اقبل إلى الحفرة فألقى فيها عظامى . ثم انحسر المد فشاهدت أعين الديار الميتة ، وشعرت بغيرة المهملات التى لم تحملها العاصفة .

ومرت قرون على ذلك التنازع بين المد والجزر ، ولا زلت تحت قبضة الطمى بين هذه المهملات الموحشة ، وأنا عاجز عن التحرر من أغلاله . واشتقت إلى حنان الأرض الدافئة ، وأحضان البحر الخضم .

وكان الناس بعض الأحيان يعثرون على عظامى فيدفنونها . ولما كانت التقاليد لا تزال على حالها من الوجود فقد أصبح خلفاء أصدقائى يقومون دائماً بإعادتى إلى الطمى . وأخيراً انقطع أبحار السفن ، وخبا ضوء النهار ، ولم يعد يطفو على الماء إلا جذوع الأشجار القديمة وقد اقتلعتها الريح من جذورها . وشعرت مع الزمن بنمو الأعشاب بجوارى وأخذت الطحالب تنبت فوق الديار الميتة. جعلت أراقب هذه التطورات سنين عديدة إلى أن تأكدت تماماً أن لندن فى طريقها إلى الفناء . وحينئذ أشرق الأمل مرة أخرى ، مع أنى كنت أعرف أن كل من يجرأ على أن يأمل وسط الطمى يثير عليه غضب المهملات الملقاة على ضفتى النهر. وشيئاً فشيئاً تداعت الديار الخيفة ، ووجدت لها مدفناً لا ئقاً بين الأعشاب والطحالب . ثم تفتحت الأزهار البرية واستطالت النباتات المتسلقة ، وأطلت فوق الأكمات . وحينئذ عرفت أن الطبيعة قد انتصرت وأن لندن قد أصبحت أطلالا . وأقبل آخر إنسان إلى الحائط بجوار النهر فى معطف رث من تلك المعاطف التى كان يرتديها أصدقائى ، وحدق ليرى إذا كنت لا أزال هناك ثم رحل ولم أشاهده بعد ذلك . لقد رحلوا جميعاً كما رحلت لندن .

وبعد أيام ، أقبلت الطيور الشادية ، ونظر بعضها إلى بعض عندما شاهدتنى ، ثم طارت بعيداً عنى وجعلت تتشاور فيما بينها ، فقال أحدها « أنه لم يأثم فى حقنا ، وإنما أثم ضد الإنسانية » فقالت « إذن دعونا نحنو عليه » .

ثم حطت بالقرب منى وأخذت تغرد . واستمعت إلى شدو المئات منها عند الشروق ، على ضفاف النهر ، وفى عنان السماء وخلال الغابات ، وتعالى غناؤها عندما سطع الضوء ، وازدحمت فوق راسى حتى أصبحت آلافا مؤلفة ، ثم ملايين ، فلم أر أخيراً إلا أجنحة تصطفق تحت قبة السماء وارتفعت روحى من عظامى الراقدة فى الحفرة الموحلة ، وأنا أستمع إلى هذه الأغاريد الشجية ، وأخذت تتعالى فى عنان السماء مع الألحان . وبدا لى كأنما قد شق طريق بين الطيور ، ارتفعت فيه روحى وظلت ترتفع حتى دلفت إلى الجنة من أحد أبوابها الصغيرة وقد فتح على مصراعيه فى نهاية السماء . وعندئذ عرفت أنى قد انتشلت من ذلك الوحل ولن أعود إليه مطلقاً ، فقد وجدت فجأة أنى أستطيع البكاء .

وفى نفس اللحظة فتحت عينى فوجدتنى فى فراشى بلندن ، وسمعت الطيور تغرد فوق شجرة فى الخارج تحت أشعة الصباح الخلابة . وكانت عينى مندأة بالدموع ، فإن إرادة الإنسان أضعف ما تكون أثناء النوم . وهببت من فراشى وفتحت النافذة ، وبسطت ذراعى فوق الحديقة الصغيرة ، وباركت الطيور التى أنقذتنى شدوها من حلمى الطويل المخيف المزعج .

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٨١٤ — الاثنين ٧ فبراير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٢٥١٢

[illegible]

17 e Année No. 814

Lundi — 7 — 2 — 1949

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨١٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٧ فبراير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

قروية فيلســـوفة

— ٢ —

قالت أم عامر — والمعنى لها واللفظ لى — : نشأت كما تنشأ القرويات الفقيرات ، على التساول كالدجاج وأنا طفلة ، وبين الحقول كالذئاب وأنا صبية . آكل الجشِب وأستمرئه ، وأشرب الكدر وأستسيغه ، وألبس الخشن وأستلينه ، وأفترش المدَر وأستوطئه ، وأعالج الصعب وأستسهله . والذى أحلى المر فى فى ، وجمل القبيح فى عينى ، وألان الغليظ لجانبى ، صحةٌ كصحة الظبى الشادن لم تجنح يوماً لراحة ولم تحتج أبداً إلى دواء ؛ ومرانة على عنف الطبيعة لا تفرّق طاقتها بين صبح ومساء ولا بين صيف وشتاء ؛ ونفس راضية تقنع بميسور العيش وتخضع لمكتوب القضاء ... فأنا أشارك أمى فى عمل البيت ولا تستثنى غير الكانون ، وأعاون أبى فى شغل الغيط ولا تستثنى غير المحراث . وفى الفترات القصيرة القليلة بين عمل وعمل ، يجدوننى فى الحارات أمرح أو فى القنوات أصيد ...

أذكر أنى كنت ذلت يوم جالسة على حافة الجدول المنساب أتندى أنا وأختى الصغيرة على خوان من النجيل ، رأيت ابنة الباشا مالك الأرض وسيد الناس مقبلة ، يقدُمها كلبها الذئبى الضخم ، ويتبعها خادمها النوبى النحيل ، وفى يدها شص تطويه على قصبته وتنشره . وابنة الباشا صبية لا تجاوز العاشرة ، فهى فى مثل سنى ، تقيم طول عامها فى المدرسة بالقاهرة ، فلا تُلمّ بالريف إلا أياماً فى أوائل الخريف ... أقبلتْ حتى وقفت بإزائى وحيّت ثم ألقت شصها فى الماء وجعلت تنظر إليه وتنظر إلىّ ... فدعوتها إلى الطعام على عادتنا ، فشكرت واعتذرت ثم قالت وهى تبتسم :

أنا كاين الحشيش كالبهائم ؟

فقلت لها : ليس هذا حشيشاً ، وإنما هو بقلة من أحرار البقول نسميها السريس ؛ وأنا آكله ليخفف من ملوحة المش ويكسر من حرارة البصل .

فقالت وهى تمط شفتيها الرقيقتين : ولكن اللحم خير منه

فقلت لها : نعم خير منه ؛ ولكن موسمه لم يحن بعد .

فنظرت إلىّ نظرة المتعجب المهم وقالت :

موسمه ! وهل للحم موسم ؟

فأجبتها : نعم ، إن للحم مواسم خمسة لا نأكله إلا فيها : نصف شعبان ، وأول رمضان ، والعيد الصغير ، والعيد الكبير ، وليلة عاشوراء . فقالت : وما ذا تأكلون بقية العام ؟

فقلت : نأكل الحبوب والبقول واللبن الرائب والجبن الأريش والمش المعتّق ... فبدت على قسماتها الجميلة مخايل الشك فى قولى ، وهمّت أن تقول شيئاً لولا أن رأت غمّاز الشص يغطس ويعوم فشغلت به ، وجذبت الشص من الماء ، فإذا به

يملق بشبارة فى حجم كفها الصغيرة ، فاستطارها الفرح ، وهزها النجاح ، وأخرجت الشص من فم السمكة المضطربة وناولتها الخادم ، وأرادت أن تطعمه فلم تجد طُعماً ، فسألتنى : من أين يأتون بالثعابين الصغيرة ؟ فقلت لها وقد فهمت أنها تريد تلك الديدان الطويلة الحمر التى تعيش فى الطين : أنا آتيك ببعضها . ثم حفرت بجانب القناة وأخرجت لها من باطن الحفرة قطعة من الطين وأريتها كيف يجول فى أحشائها الدود ، فابتهجت لذلك ابتهاجاً شديداً . ومن ذلك اليوم وصلنى بها سبب من الأنس والعطف ، فكانت كلما زارت القرية افتقدتنى وطلبتنى ، فيرسلنى إليها أهلى نخورين مسرورين ، فألقاها فى حديقة القصر ، أو فى ساحة الجرن ، فنعدو على مخضوضر النبات ، أو نرتجح على فروع الشجر ، أو نصطاد على حوافى الماء ، أو نستبق على ظهور الحُمُر ، أو نتهادى على مماشى الحقول ، وقدرتى على كل أولئك فوق قدرتها ، وكلنى أعلى من كلها ؛ فأنا أشأوها فى العدْو ، وأمهرها فى الارتجاح ، وأكثرها فى الصيد ، وأسبقها فى الرهان ، وأحملها فى اجتياز المواحل ، وآخذ بيدها فى تخطّى الحفَر ، وهى ترى ذلك كله فتعجب وتقول :

كيف تستطيعين ما لا أستطيع وأنت لا تطعمين اللحم ، ولا تأكلين الفاكهة ، ولا تذوقين الشكولاتة ؟

فأقول لها : إن الله يعطينا القوة لأنه خلقنا للعمل ، ويعطيكم الثروة لأنه خلقكم للانفاق !

وترعرعت سيدتى « جيهان » وشبّت ، فانقطعت عن حياة المدرسة واتصلت بحياة القرية ، فكنت عندها فى منزلة بين الصديقة والخادمة ؛ أقضى معها آخر النهار فى حديقتها ، أو أول الليل فى غرفتها ، أطرفها بأخبار القرية ، وأطربها بأغانى الريف ، وأنا أراها كل يوم تفتر وتضعف وتذوى ، وهي ترانى كل ليلة أنشط وأقوى وأنتعش ، فيشتد عجبها ، وتزداد حيرتها ، وتحاول أن تعرف الأسباب التى جعلتنى قوية على الفاقة والحرمان والكد ، وجعلتها ضعيفة على الغنى والترف والرفاهة . فمن هذه المحاولات أنها طلبت منى أن آتيها خفية بوجبة من المش والبصل والسريس وخبز الذرة ، ولم يكن فى الأرض سريس يومئذ ، فاستبدلت به الجلوين وجئت بما طلبت ، وكانت تنتظرنى وحدها فى كشك الحديقة . فلما وضعت بين يديها ما حملتُ نظرت إليه نظر المائب ، وأقبلت عليه إقبال المضطر ، واقتطعت من الرغيف لقمة وغمستها فى المش ووضعتها فى فمها ، فلم تكد تذوقها حتى كرّشت من وجهها ، وخاوصت من عينيها ، كما تفعل الفتاة الساذجة إذا أكرهها الطبيب على جرعة من الكينياك ، ثم تحاملت على نفسها فأساغت من الطعام بضع لقيمات ، ثم تقززت عنه وقالت فى اشمئزاز وتكرّه :

كيف تعيشون على هذا وإن مذاق بعضه لأليم وإن مذاق بعضه لتافه ؟

فقلت لها : ياسيدتى ، لقد أتيتك بطعامى ولم آتك بشهوتى ، ولو أتيتك بشهوتى لاحتجت أيضاً إلى معدتى .

واعتلت صحة الآنسة جيهان من سأم الراحة ومعاناة الترف ، فقلّبوها بين المصايف والمشاتى ، ونقّلوها بين الجبال والأبحر ، وعرضوها على طب مصر وطب أوربا ، حتى شبا وجهها ، ونضر عودها ، وثاب إليها جسمها ، فزوجوها من أحد الباشوات القارونيين فلم تجد عنده أكثر مما وجدت عند أبيها . نعم ، وجدت لذتين لم تجدهما من قبل: متعة الزوج وفرحة الولد ؛ ولكنهما لذتان شائعتان بين الإنسان والحيوان تجدهما كل زوجة تحب وكل والدة تلد . وها هى ذى قد بلغت الغاية فى الثراء الضخم والجاه العريض ، أبوها باشا وأخوها باشا وزوجها باشا وابنها باشا ، وكل أولئك لم يعصمها من السكر والروماتزم والكُباد والسمن والرهل والأرق ، فلا تأكل إلا أقل الأكل ، ولا تنام إلا أيسر النوم ، ولا تتحرك إلا أثقل الحركة . وها أنا ذى لا أنفكّ على الحال التى كنت عليها : أبى فقير وزوجى ضرير وابنى الأول خفير وابنى الثانى أجير . ومع ذلك لا أزال شابة على رغم السنين ، قوية على رغم العمل ، صحيحة على رغم النصَب ، سعيدة على رغم الفقر ، أدبر أمرتى ككل سيدة ، وأصيب لذتى ككل حرة ، وأرضى قسمتى ككل مسلمة ... وما أظن سيدتى جيهان تكره أن أكون أنا فى ثروتها وأن تكون هى فى صحتى ، أليس كذلك يا سيدى ؟

فقلت لها وأنا معجب بمنطقها وبيانها : بلى كذلك يا أم عاص ! وإن لله فى ذلك حكمة ، إن صحة الفقراء تعويض من ثروة الأغنياء ، وإن السعادة من عند الله يمنحها من يشاء ويمنعها مَن يشاء !

أحمد حسن الزيات

من آفات هـــذه المدنية

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

نحن اليوم فى مدنية عجيبة لم يعرفها تاريخ العالم من قبل . هى مدنية تسيطر عليها الآلات الدائرة والسائرة فى البر والبحر والجو ، وقد اهتدت هذه المدنية إلى كشف أسرار الطبيعة فطوت المسافات وجمعت أطراف العالم . فاليوم يستمع المستمع فى القاهرة — مثلا — إلى متحدث أو مغن فى أقصى الأرض ، أمريكا أو استراليا ، كما يستمع إلى جليسه . ويكلم من هو فى أبعد البلاد كما يكلم القريب منه الذى يبصره ويسمعه .

وكل هذه الأعاجيب من الآلات السائرة والطائرة والجهازات الناقلة الأصوات الملغية المسافات — كل هذه يسخرها الإنسان لمقاصده ، ولكنها هى كذلك تسخر الإنسان وتذهب بكثير من سعادته وسلامته وسكونه وراحته . وإن ترك أمرها فوضى عاش الإنسان بها شقياً . لا أتحدث فى تسخير هذه الآلات للحرب والقتل وما إليهما ؛ ولا أذكر ما لقيه العالم من شرها وضرها وفظاعتها وأهوالها ، ولكن أقصد إلى أمر واحد أقصر عليه الحديث وهو أمر يبدو يسيراً ، أو يخفى خطره وأثره ، وهو عند التفكير عظيم خطير ، أعنى راحة الإنسان وسكونه فى ضوضاء هذه المدنية التى لا تفرق بين بعيد وقريب ، ولا تميز بين نهار وليل . الإنسان فى شقاء ظاهر وخفى من هذه المدنية ، مسلوب أحب الأمور إليه وألزمها له : الراحة والسكون والدعة والطمأنينة ، والحرية فى تصريف وقته ، والاختيار فى ترتيب أعماله على الأوقات .

أحسب أن كثيراً مما يصيب الناس فى أجسامهم وأنفسهم من علل ، وكثيراً مما يقع فى أقوالهم وأفعالهم من زلل، يرجع إلى هذا الداء الدخيل — إلى قلق الإنسان وتعبه واضطرابه فى ضوضاء هذه المدنية شاعراً أو غير شاعر .

وقد حدثنى أحد الأطباء أن أمراضاً كانت نادرة فى العصور الماضية فشت اليوم بين الناس بالجهد الجسمانى والنفسانى الذى تكلفهم به المعيشة فى العصر الحاضر .

والناس فى هذا الأمر يختلف حظهم من التعب والنكد على اختلاف نفوسهم وثقافتهم وأعمالهم ، فنهم من ينطلق فى هذه الضوضاء صائحاً مصفقاً مسروراً لا يقدر أثرها فى نفسه وجنايتها عليه . ومنهم من يسأم ويبرم ويشقى قليلا . ومنهم من هو أكثر نصيباً من الشقاء وهو رجل الفكر ، فهو يشقى بها على قدر احتياجه إلى الهدوء والسكون ليعمل ويفكر ثم يستريح من عناء العمل والفكر .

ولعل شر ما يبتلى به الإنسان فى راحته وسكونه هذه المجاهر (الميكروفونات) التى تضاعف هذه الضوضاء كأن الإنسان لم يكفه ما يحيط به من جلبة وصخب فهو يزيدهما أضعافا بالمجاهر ليعيش فى أفظع من الضوضاء الطبيعية وهو منها فى شر مستطير .

وهذه المذيعات المسلطة على خلق الله بالليل والنهار ، تحرمهم القرار ، وتمنعهم السكون ؛ هى إحدى آفات هذه المدنية ، ومن أضرها بالإنسان — إن لم يحسن الإنسان تدبيرها — هذا المذياع آلة عجيبة خطيرة تسمع كل ما فى العالم من أصوات ، وتأخذ منها ما شاءت أو ما شاء صاحبها . ففى سلطانها كل الأصوات الذاعة فى العالم . فتمثل إنساناً جاهلا أحمق يعطى هذه القوة ، ويمكن من هذه المعجزة ، يستطيع متى شاء أن يسلط على جيرانه ما يشاء من أصوات العالم مجهوراً بها مدوية . وهذه آلة يسيرة ، وسيزيدها العلم والصنع يسراً ورخصاً . فكل عاقل وأحمق وعالم وجاهل وغنى وفقير يستطيع أن يسيطر على الناس بهذه الآلة فيحرمهم الدعة والقرار ، وينغص مضاجعهم بالليل والنهار ، ويصير بلاء مسلطاً لا حيلة فيه ولا مفر منه ولا قدرة عليه .

تمثل إنسان هذا العصر ، هذا المخلوق البائس الذى يعيش فى المدن — تمثله فى النهار يسير فى خطر من الترامات والسيارات وما إليها ، وقد صبت على رأسه أصوات المنبهات والمخدرات والزامرات والصافرات على اختلاف الأصوات والنغمات ، فهو يخشى فى خطر أن يداس بهذا السيل المستمر من المعجلات ، وينبه إلى هذا الخطر أن نفع التنبيه بهذه المنبهات المفزعة التى تغلو فى رفع الصوت لتسمع السابلة وسط هذه الضوضاء الفظيعة ، وتتنافس فى رفع الصوت ليمتاز صوت كل واحدة من الأخرى . والإنسان المسكين يخطو مرة ويقف أخرى وينظر أمامه حيناً وحيناً وراءه وعن يمينه وشماله .

إن هذا البلاء عظيم يحتمله الناس بما اعتادوه وألفوه ، وبما استكانوا له واستسلموا وصبروا عليه يأساً من الابتعاد عنه والخروج منه .

وهذا الإنسان البائس يرجع إلى داره مكدوداً — ولا أقول يرجع إلى مسكنه فليس هنا سكون — والدور في المدن متزاحمة متلاصقة ذات طبقات كثيرة فيسلط عليه تاجر من أهل الحي مثلا مجهراً يعلن به عن بضاعته.

وأشهد لقد سمعت أكثر من مرة إعلان تاجر عن سلعه بمجهر، يسخر قارئاً يقرأ القرآن الكريم حيناً، ثم مناديا ينادى فى الناس بما عنده من جبن وزبد وزيتون وغيرها.

وقد سألت أين هذا البلاء المبين فقيل بعيد جداً. فقلت هذا ما يصيب البعيدين منه فكيف بالقريبين! تساءلت أليس فى البلد قانون؟ أليس لقوانينها سلطان؟ ألا يشعر الناس بما هم فيه من شقاء؟ ألا يعربون عن شعورهم؟ ألا يثورون على هذا العذاب المسلط ويعملوا على الخلاص منه؟

وقد أدخل التجار من حيث لا يشعر الناس بدعة هذه المجاهر فى الحفلات ولا سيما فى المآتم. فترى جمعاً فى سرادق يسمعه ويتعداه صوت متكلم أو قارىء أو مطرب؛ ولكن البدعة التى استحكمت سريعاً تقضى باتخاذ المجهر فيسلط هذا البلاء على الدانى والقاصى من خلق الله. وربما يستمر ساعات متوالية فلا يستطيع الإنسان أن يستريح أو ينام أو يقرأ أو يكتب. فأى شر أكبر من هذا؟

وقد سمعت مرة صوتاً فظيعاً يسمع على بعد أميال فنظرت فإذا جماعة قد وسعتهم حجرة واحدة وقد وضعوا مجهراً خارج الحجرة وأرادوا أن يتصدقوا على الناس بإشراكهم فيما يسمعون، والصدقة خير ما كان أعم وأشمل، فليرفع هذا المجهر ماوسعه الجهر والتبليغ. وأما من يضيق بهذا الصوت فلا وزن له عند الله ولا عند الناس؛ إن ضاق بصوت القرآن فلا دين له. وإن ضاق بالغناء فلا شعور له.

وسمعت مرة صوتاً عالياً مدويا فى شارع من شوارع القاهرة التجارية المزدحمة وفهمت مما سمعت حفلة لعيد ميلاد طفلة، والخطباء يتبارون فى التهنئة. وعرفت أن أبا الطفلة لم يولد له منذ سنين. ولهذا كان الاحتفال وتبارى الخطباء. هذا يسمعه السابلة فى شارع من الشوارع المكتظة التى لها من ضوضائها ما يغنيها عن كل ضوضاء.

ثم تمثل هذا الرجل المكدود الذى تتناوبه أصوات السابلة فى الطريق يأوى إلى داره يلتمس الراحة ليلا — ودع راحة النهار — فإذا جيرانه قد فرغوا من أعمالهم ومن طعامهم وجلسوا إلى المذياع، وتنافسوا فى الجهر بما يذاع، إما رغبة فى الصوت الرفيع، وإما إعجاباً بالغناء أو القصة، وإما تصدقا على الجيران المحرومين من هذه النعمة. فيرسلون أصواتاً تسمع على أميال، وقد يكون المستمع واحداً أو اثنين أو فئة قليلة، ومحطة الإذاعة أصلحها الله تعين هؤلاء السفهاء على إقلاق الناس وإزعاجهم وتكدير صفوهم وتنغيص عيشهم، والحيلولة بينهم وبين ما يريدون من استراحة أو عمل بما تمد هؤلاء السفهاء به من أغان وأقوال يرغب فيها الجهلة ويرغب فيها العلماء ويحبها السفهاء ويكرهها الحكماء. ثم تمد لهم الإذاعة فى صحبتهم بإذاعة حفلة غناء تدوم ساعات، أو نقل قصة تمثيل إلى ما بعد منتصف الليل بساعة أو أكثر أى إلى ما قبل الفجر بساعتين فى الصيف.

ولو أن القائمين على الإذاعة فكروا فيما يصيب الناس من هذه الإذاعة لأقلوا منها وجعلوا لها حداً لا تتجاوزه.

ما حاجة الناس إلى إذاعات بعد منتصف الليل؟ بل ماحاجتهم إلى إذاعة بعد العاشرة؟ ألا يفكر القوام على الإذاعة فى سوء تصرف الناس بهذه الآلات التى صار ضرها أكثر من نفعها، وألمها يربو على لذتها؟ ينبغى أن تعرف أخلاق جمهورنا وعاداتهم حين توضع برامج الإذاعة.

ثم لماذا لا تستعمل الإذاعة فى تعليم الناس حسن الاستعمال وحسن الاستماع؟ لماذا لا يذاع على الناس كل أسبوع تحذير من الجهر بالإذاعة وإيذاء الناس بها، ويعرف الناس بالترغيب والترهيب ما يجب عليهم لينتفعوا بما يسمعون أو يلهوا بما يذاع عليهم، فى غير إخلال براحة الناس، ولا جناية على من لا يريد أن يستمع ومن أحوج إلى إمضاء وقته بالتفكير والعمل، أو الراحة.

ثم أين قوانين الحكومات لتحمى الناس من هذا الشر الذى يزداد كل يوم ذيوعاً وإيذاء وإضراراً. أين وزارة الشئون الاجتماعية لتفكر فى هذا الأمر وتروّى فيه وتصف له دواؤه بالنصيحة أو بالعقاب.

إن الأمر خطير كل الخطورة، وأثره فى معيشتنا وفى أحوالنا النفسية بعيد. فليتعاون الناس على درء هذا الشر الذى لا يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ...

عبد الوهاب عزام

قصـــــــة

قصتي يا قوم قصـة صارت الظبية لصة!

للأســتاذ نقولا الحداد

تزوّد السيد ف . م بمئة ألف جنيه دولارات واسترلينيات وليرات إيطالية الخ ، ومضى إلى معامل سكودا فى تشكوسلوفاكيا فابتاع من أدوات التدمير والهلاك ما ثمنه ٧٥ ألف جنيه ، وأخذ فاتورة بمئة ألف !

ثم شحن البضاعة فى باخرة تمخر نهر الدانوب . وكان على الباخرة أن تقف فى تريستا لكى تفرغ وسقا وتحمل وسقا آخر ثم استقل طائرة إلى تريستا وانتظر هناك ثلاثة أيام دون أن تصل الباخرة ، فلما استخبر عنها مكتب وكالة الباخرة علم أنها أصيبت بقنبلة من ناحية مجهولة فاخترقتها وتعطلت ولم يسعها إلا أن تجنح بميناء تريستا . وقد دخلها الماء وابتلّت البضائع . فجعل السيد ف . م يستخرج بضاعته الجهنمية من الباخرة ويجففها ويهيء ما لم يتلف منها للشحن . وبقى هناك بضعة أيام مشغولاً بهذا العمل المضنى .

وفى ذات يوم بينما كان يتغدّى فى مطعم فاخر زاخر بالآكلين إذ وقفت أمامه حسناء والتمست منه أن يأذن لها بالجلوس إلى مائدته إذ لم تجد مائدة خالية تجلس إليها . فرحب بها . ولم تنته فترة الغداء حتى صارا معرفتَين ، ثم صارا صديقين . والتقيا مساء فى حانة زاهرة باهرة زاخرة بالحضار والراقصين والراقصات . ولم يخرجا من الملهى إلا عاشقين متعانقين .

وقد علم صاحبنا من حسنائه أنها تسمى راحاب رحمانى من بيروت ، وأنها جاءت مع أخيها إلى تريستا فى طريقهما إلى ميلانو لعمل تجارى ، وأنه تركها هناك مؤقتاً فإذا وُفق فى المهمة التى جاء لها استدعاها وإلا عاد خائباً . وهى فى انتظاره أو انتظار خبر منه .

وقبل أن ينتهى صاحبنا من تهيئة بضاعته للشحن توسطت حسناؤه بينه وبين شار لها بثمن مُغر . فرفض أن يبيع . ولما كانت مسمسرة فى هذه الصفقة وكانت تود أن تتم ، بذلت جهدها فى إقناعه أن يبيع وأن يعود إلى سكودا فيشترى غيرها . فتردد ، وطلب ثمناً أعلى ، فلم تتم الصفقة .

ولما رأت الحسناء أنها لم تنجح فى هذه السمسرة أشارت عليه أن يشحن بضاعته فى باخرة يونانية صغيرة راسية فى تريستا ، وهى مبحرة إلى بيروت حيث يريد أن يفرغ شحنته فرضى ، لأن الأجرة كانت رخيصة . وشحن البضاعة إلى بيروت .

وأخبرته الفتاة بعد ذلك أن أخاها كتب إليها ألا تنتظره ، لأنه لم يوفق فى مهمته ، وأوعز إليها أن تتبعه إلى بيروت . واتفق الحبيبان على أن يسافرا بالطائرة معاً إلى عاصمة لبنان . وهناك ينتظر الباخرة التى تحمل بضاعته الجهنمية .

ولما حان موعد قيام الطائرة كان صاحبنا ينتظر حسناءه فى المطار . وإذا هى قادمة تهرول تقول له إنها آسفة أن لا تركب الطائرة لأن جواز سفرها مع أخيها وقد تلفنت له أن يعود إلى تريستا لكى تسافر معه فى طائرة أخرى . ووعدت صاحبنا أنه ستلقاه فى بيروت وتبادلا العنوانين . وركب الطائرة آسفاً لهذه الخيبة آملا أن يعوّض عنها فى بيروت .

وبقى السيد ف . م فى بيروت يترقب قدوم الباخرة التى تحمل فوزه بالسلاح المرجو المنتظر بفارغ الصبر ، وقد غنم منه عمولة مقدارها ٢٥ فى المئة . ومضت ثلاثة أيام وهو يسأل عن هذه الباخرة فى وكالات البواخر فما وقف على خبر عنها ولا أثر لها .

وما لبث أن علم من أحد معارفه أن محطة الإذاعة فى (عزرائيل) تذيع خبراً غريباً كل ساعتين . فأصغى فى الميعاد ، فإذا صوت رخيم يقول : إن دولة عزرائيل تشكر لحكومة ردَى هدية السلاح الفاخرة التى أهدتها إياها ؛ وستكافئها عليها خير مكافأة . وراحاب ترجو من صديقها أن يعذرها لأنها لن تتمكن من لقائه فى بيروت ، وتشكر له ألف شكر إهداءه إياها تذكرة الطائرة من تريستا إلى بيروت ، وتحسبها من قيمة السمسرة التى كانت تتوقعها منه لو تمت صفقة بيع الأسلحة . ثم تهنئه بسلامته ، لأنه لو صحب البضاعة فى الباخرة المظنونة يونانية ، لغرق هو فى البحر وسلمت البضاعة . لذلك أسدت النصح إليه أن يعود إلى بيروت بالطائرة ، لأن راية عزرائيل التى كانت تخفق فوق الباخرة لم تكن لتحميه !

وهكذا عاد صاحبنا إلى حكومته بالخيبة ، ورضى من الغنيمة بالأوبة . والذنب على الحب الذى يرد البصير أعمى والحكيم أحمق ، فيضحى بخدمة الأوطان ، فى سبيل خدمة الحسان !

نقولا الحداد
٣ ش البورصة الجديدة بالقاهرة

عقـــوق ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا بنى ، أى شيطان ثار فى دمك وسيطر على رأيك فأعمى بصيرتك وأطاش عقلك وأصم أذنيك ، فذهبت تولى أباك المعقوق والجحود والنكران بعد البر والطاعة والشكر . لقد كان حديث أبيك — وهو يقص قصتك — يتقطر أسى ولوعة ، وإن قلبه ليبكى بكاء يُسمع و يُرى !

إنى لا إخالك تذكر يوم ماتت عنك أمك طفلاً تدرج فى فناء الدار ، وإن الأيدى لتتلاقفك فى شفقة حيناً وفى شماتة حيناً . والأبصار تحوم حواليك ساعة ثم تنصرف ، إلا بصراً واحداً ما يبرح يتعلق بك ، هو بصر أبيك . وإن العبرات المصطنعة لتتدفق باردة هينة فيها الكذب والخداع ، إلا عبرات إنسان واحد كانت تنسكف ساعة وتنهمر ساعات ، وهى فى الحالين تتضرم وتتوقد لأنها عبرات القلب ، تلك هى عبرات أبيك ! وإن الأذرع لتنفرج لتضمك فى فتور وتراخ ، ثم تلقى بك جانباً فى غير اكتراث ، إلا ذراعين تودان لو استطاعتا بضمة واحدة أن تدفعا بك إلى داخل القلب ، هما ذراعا أبيك ! وإن الألسن لتتحدث حديثاً طويلا فيه الثرثرة واللغو ، إلا لساناً واحداً لم ينطق بكلمة واحدة لأن حديث قلبه كان يشغله ، ذلك هو لسان أبيك !

وكان أبوك — إذ ذاك — فتى فى ريق الشباب وعنفوان الصبا ، لا يستطيع أن يكبت نوازع جسمه ، ولا أن يكتم ثورة دمه ، وهو إن أراد التوى عليه الأمر وتعسر ، وما به فاحشة ولا فجور . وتنازعه أمران : أفيتزوج فيلقى بك فى قفر ويضيعك فى تيه ، أم يقتل شيطانه بين جنبيه وما له بذلك طاقة ؟ واصطرع الرأيان فى رأسه سنوات حتى بلغت سن المدرسة ، فأرسلك إلى المدينة وتزوج هو .

ولم تصرفه الزوجة عنك ولا شغله الأولاد ، فأحاطك برعايته وعنايته ، ورأت زوجة أبيك شدة حدبه عليك ، فأمسكت عن أن تتناولك بحديث إلا لماماً خشية أن تجد منه الجفوة والغلظة ، وهو صعب المراس وعر المرتقى . فما استشعرت — فى يوم ما — فقد أمك ولا افتقدت حنانها .

وعشت عمر المدرسة والجامعة بين اخوتك فى الذؤابة لا تجد مس الغربة وأنت فى دار أبيك ، ولا تحس الوحدة وأنت بين اخوتك ، وأبوك يحبوك بعطف الأب وحنان الأم ، ويجد اللذة والسعادة فى أن يراك قرير العين هادئ البال .

وتخرجت فى الجامعة ، والجامعة تعلم الحذر والحيطة ، وتسمو بالعقل ليكون قيداً يغل اليدين والرجلين ، وترتفع بالفكر ليكون سداً بين الشباب والحياة ، فهى تلفظ الشاب من بين جدرانها لتذره يضرب — على غير هدى — فى بيداء مطموسة المعالم ، إلا أن يجد السبيل إلى باب الوظيفة .

تخرجت أنت فى الجامعة ، وجلست على حيد الطريق تنتظر أن ينفتح أمامك الباب السحرى — باب الوظيفة — وقد عز عليك أن تجد مفتاحه . وأبوك من ورائك يعينك على أمرك برأيه وجهده ، ويخفف عنك صدمة التمطل بكلمات فيها الرحمة والعقل .

وطال بك الانتظار وأنت ملتصق بباب الوزير مرة وبباب المدير مرة ، ولج بك الشوق إلى الوظيفة ، فبذلت من ماء وجهك ، ونزلت عن حيائك ، وتغاضيت عن كبريائك ، ثم بدا عليك الوجوم والضيق من أثر اليأس ، ونسيت أن الوهن والضعف قد تسربا إلى العمل الحكومى فى غير هوادة ولا لين ، وأن الأمر الهين ليقف بين قلم الموظف الحكومى وقرطاسه وقفة ينطوى دونها العمر . والموظف لا يجد إلى العمل دافعاً من نفسه ولا من رئيسه ، والرئيس لا يعنيه من العمل إلا أن يحس بالعزة فى مكتبه وبالكبرياء فى ديوانه ، وهو يتلذذ حين يتعبد مرءوسيه فى غير سبب ، ثم تضيع حاجات الناس بين إهمال الموظف وغطرسة الرئيس

ومضت الأيام وطلبك نائم ، فهو لن يتحرك إلا بيد الوسيط ، والوسيط أحد رجلين : رجل يتغفلك ليستلبك من مالك ثم يطير عنك إلى غير رجعة ؛ ورجل يساومك ليتقاضى ثمن الوظيفة على دفعتين ... وكلاهما كاذب محتال !

وعيل صبرك فوقعت على أحد الرجلين يخدعك عن وقتك ومالك ، فاندفعت إلى أبيك تطلب زيادة من المال فى لغة الرجاء والاستجداء ، ثم فى أسلوب الإصرار والعناد ، على حين لم تكشف له عن حقيقة الأمر . وعجب أبوك أن تزيد حاجتك إلى المال زيادة تبعث الشك وتوقظ الريبة ، وهو رجل ذو دين وورع ، يوقن بأن الإسراف مرض لا يصيب إلا رجلين : رجلا به لوثة ، فهو يطمع أن تكون كل حاجات الأرض ملكا له ، فهو يشترى هذا وذاك ليشبع بهم نفسه فحسب ؛ ورجلا به خلل أخلاق ، فهو

يبعثر ماله بين الخمر والنساء . وخشى أن تكون قد ترديت فى الهاوية ، فأرسل إليك يقول : « إننى أحس منك إسرافاً جاوز القصد ، وإفراطاً تعدى الحد ، فإما اعتدلت من تلقاء نفسك ، وإما قومتك بطريقة لا ترضيك » .

وأخذتك العزة بالإثم أن جاءك كتاب من أبيك يتهمك بأمر ، وخشيت أن يقبض يده فيبدو عجزك أمام الوسيط المحتال ، وله عندك حاجات ما تنتهي ؛ فما تنفس الصبح حتى كنت قد أرسلت إلى أبيك خطاباً تقول فيه : « أبى ، الآن ، وقد بلغت مبلغ الرجال ، أرجو أن تحدد لى ميراثى من أبى تحديداً لا يدع مجالا لشك ، وأن تنزل لى عنه أشرف عليه بنفسى وأستغله لصالحى . وأظنك لن تجد فى ذلك غضاضة على نفسك ، فهذا الميراث بين يديك منذ نيف وعشرين سنة ، أنال منك فضلة لا تشفى غلة ولا تنقع صدى ، على حين أن غيرى يرتع فيه كيف يشاء ، ينعم بغلاته ، ويتقلب فى نمائه . وهذا ظلم لن أقيم عليه بعد اليوم ... لهذا فأنا فى انتظار يوم قريب تسميه لى لأستلم أرضى كلها ... »

لا ريب — يا بنى — فلقد كانت كلماتك جافة قاسية أصابت هدفاً من قلب أبيك ، فأحس بالأسى ينسرب إلى نفسه أن رأى ابنه الأكبر يغلظ له فى الحديث ، ويسف فى العبارة ، ويجازى النعمة بالكفران ، ويقابل الإحسان بالعقوق !

لقد كانت كلماتك تتلظى لهيباً يكوى قلب أبيك ويفرى كبده ، وشمر — والحزن يوشك أن يقتله — أنه يريد أن يفضى بذات قلبه إلى رجل من خلصائه ، وخشى — بادئ ذى بدء — أن يتحدث بأمر خطابك إلى واحد من الناس ، فتكون أنت عاره إلى الأبد ، فعزم على أن يطوى عن الناس خلجات قلبه ، ولكنه ناء بأن يحمل العبء وحده بعد أن رزح تحته أياماً ، فجلس إلى أخيه — عمك أنت — ينشر أمامه خطابك وفى عينيه عبرات ، وفى قلبه هم !

وانزعج عمك لما قرأ ، وشمله الوجوم والبث ، فما تلبث حتى كان إلى جانبك يستوضحك الأمر !

وضل عقلك الفج ، وانحط منطقك الوضيع ، فخيل إليك أن عمك جاءك يستجدى مالك ، وتراءت الحياة أمامك أعداداً من الجنيه والعشرة والمائة ، فأخذت تدفع حجج عمك وبراهينه فى ضلال وخفة وأنت تقول : « أما أبى ، فأنا لا أنكر فضله ، فهو قد دفعنى عن القرية صغيراً لألمس لذع الغربة ، ومرارة الوحدة ، وقسوة الحياة ، وقذف بى بين ناب الخادم ، وظفر صاحب الدار التى أسكنها ، ثم هو يرسل إلى الطعام والمال ، فلا أجد ريح الطعام ، ولا ألمس لذة المال ، فعشت ضائماً جائعاً ، والخادم وصاحب الدار يستمتعان معاً بالمال والطعام ، وأبى لا يرانى إلا مرتين فى السنة . ولى أنفة لا تسمح لى بأن أشكو .. وهكذا قضيت طفولتى — وهى أسعد أيام العمر — منطوياً على نفسى فى ذلة وانكسار ، أدفن همى — رغم أنفى — فى كتاب خشية أن يشى بى الخادم لأبى فيذيقنى وبال أمرى ، وله عصا تفرى الجلد وتحطم العظم ... وساقتنى الظروف إلى المدرسة وأرغمتنى على أن أفرغ إلى الدرس ، ووجد أبى اللذة والراحة فى أن أعيش بعيداً عن أهلى ودارى وأترابى ... وأغلقت قلبى على حسرات ، ومرت السنون ... والآن ، أراه يريد أن يسلبنى مالى ، فإن كانت هذه هى الأبوة ، فما على من بأس إن أنا قطعت هذه الوشيجة ، أو صرمت هذه الصلة ... »

وأراد عمك أن ينزع عنك الأفكار السود بمنطقه القروى ، فترفع منطق المدينة وعقل الجامعة عن أن يلقيا السمع إلى حديث القلب النابض من أعماق القرية ، فانطلق عمك من لدنك فى شجوه وشجونه ينفض جملة حديثك أمام أبيك !

ليت عمك اطلع على الغيب فرأى بعينى بصيرته ما تخبئه الأقدار ، إذن لكتم هذا الحديث عن أبيك !

وسمع أبوك الحديث كله فى صمت ، ثم انتفض انتفاضة الجزع والخيبة ، فأصابته إغماءة شديدة ، فما انجابت عنه الغمرة إلا ليجد نفسه مصاباً بالشلل ! وذهبت أعوده ، فقص لى قصتك ... وإن حديثه ليتقطر أسى ولوعة ، وإن قلبه ليبكى بكاء يُسمع ويرى على أن فقدك أنت ... أيها العاق !

الآن أصبحت موظفاً حكومياً ، وبين يديك أرضك تستغلها كيف شئت ، فهل وجدت السعادة والطمأنينة ؟

لقد مات أبوك من أثر صدمة العقوق ، فقل لى بما ذا كانت تحدثك نفسك وأنت تسير على رأس جنازته لأنك ابنه الأكبر؟ هل ذاب قلبك حسرة حين أفزعتك لذعات الندم ؟

واهاً لك يا من بركبك الغرور والشيطان ، فيخيل إليك أنك شىء ، فتأمن سخط أبيك وغضب إلهك ونقمة السماء ... وما هى كلها عنك ببعيدة !

كامل محمود حبيب

القوة الحربية لمصر والشام
في عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ١ —

كون المعز لتثبيت عرشه جيشاً لجباً كان أكثره من قبيلة كتامة التى ساعدت الأسرة المالكة ، وأخلصت لها فى بلاد المغرب ، وعلى يديها تم فتح مصر ، ولكن جيش الفاطمية لم يحتفظ بوحدة عنصره خوفاً من استبداد هذا العنصر ، فكون خلفاؤهم فرقاً أخرى من الديلم والأتراك ، حتى إذا كان عهد المستنصر استكثرت أمه من السودان . حتى بلغوا نحو خمسين ألفاً ، واستكثر هو من الأتراك ، فلما جاء بدر الجمالى من عكا أقام له جنداً من الأرمن أبناء جنسه ، وصاروا معظم الجيش . وشبت الحروب الصليبية ، والجيش فى مصر مكون من هذه العناصر المختلفة ، مضافاً إليها عنصر البدو من بلاد الحجاز . ويظهر أن الفاطميين لم يكوّنوا من أبناء مصر فرقا فى جيشهم ، فلم يرد ذكر لفرقة مصرية فى كتب التاريخ ، ولم يحدثنا عنها ناصرى خسرو الذى وصف الجند فى عهد المستنصر ؛ وإنما اعتمدوا على هذا المزيج الأجنبي مما يسر لصلاح الدين قلب دولتهم من غير أن ينهض المصريون للدفاع عنها .

كان الجيش في مصر مكوناً من هذه العناصر المختلفة التى ظلت تغذيه فى المدة الباقية من الحكم الفاطمى ، وسميت فرقه بأسماء مختلفة تدل على موطنها حيناً كطائفة البرقية الذين قدموا من برقة ، أو على من كونها حيناً آخر من خليفة أو وزير كطائفة الحافظية والآمرية والجيوشية والأفضلية ، نسبة إلى الخليفة الحافظ والخليفة الآمر ، وأمير الجيوش بدر الجمالى وابنه الأفضل ، أو على جنسها كالفرقة الرومية والسودانية ، أو على قبيلتها كفرقة المصامدة المكونة من إحدى قبائل البربر ، أو على زعيمها كالطائفة الميمونية نسبة إلى ميمون .

لم تذب هذه العناصر بعضها فى بعض لتكون وحدة متسقة ، ولكن احتفظ كل عنصر بشخصيته ، وسكنت كل طائفة فى حارة خاصة بها ، ولم تكن الصلة بين هذه الطوائف صلة حب ووئام دائماً ، وإنما كانت المنافسة هى المظهر السائد بينها . وكثيراً ما أدت المنافسة إلى الاشتباك فى حرب بين هؤلاء المتنافسين ، كتلك الحرب التى شبت بين الأتراك والسودان فى عهد المستنصر والتى لم تهدأ إلا بعد أن جلبت الخراب على مصر . وقد يثير الطامعون فى الحكم الفتن بين هذه الفرق ليستنصروا ببعضها على بعض ، فتندلع نيران الحرب بين الفريقين كما فعل الأمير حسن ابن الحافظ لدين الله الذى كان يبغى أن يكون ولى العهد بدل أخيه حيدرة ، فإنه أثار الفتنة بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية ، والتقى الفريقان فى معركة قتل فيها ما يزيد على خمسة آلاف نفس ؛ وكانت هذه الوقعة أول مصائب الدولة الفاطمية ، وكما حدث فى الحروب التى قامت بين شاور وضرغام .

هذا المزيج إنما يصلح لدفاع الصليبيين إذا وجد القائد القوى المدرب ، أما وقد ضعف الخلفاء ، وأصبح هم وزرائهم الأول الاحتفاظ بالسلطة فى أيديهم ، فقد أبقى الوزراء الجيوش الموالية لهم فى مصر لتوطيد شوكتهم فى البلاد ، فلم يكن موقف الجيش المصرى من الحروب الصليبية الأولى ناشئاً من قلة كما سنرى ، وقد حاول الأفضل بن أمير الجيوش أن يستعين بالمغاربة على حرب الصليبيين ولكن لم ينجح .

وكان الجيش بالشام فى تلك الفترة من الزمن بالإمارات المختلفة مكوناً من العرب ولا سيما البدو ، ومن الترك[1] .

والظاهر أن أقوى الفرق بمصر عند ما جاء إليها صلاح الدين كانت الفرقة السودانية التى اعتز بها السودانيون ، فنزحوا إلى مصر ، وصار لهم بها شوكة وقوة ، وكونوا لهم فى كل قرية ومحلة وضيعة مكاناً مفرداً لا يدخله وال ولا غيره احتراماً لهم . ويبدو أنه عز على هذه الطائفة أن ترى صلاح الدين وجيشه الجديد يغتصب مالها من القوة والنفوذ ، فدبر زعماؤها المكائد ، ولكنه بادر بقتل زعيمهم ، ومهاجمتهم فى حيهم ، فهزمهم وخرب حارتهم المنصورية وتتبعهم فى بلاد الصعيد حتى أفناهم .

وكون صلاح الدين جيشاً معظمه من الأكراد . قال ابن إياس (ح ١ ص ٦٠) : « لما ملك صلاح الدين أزال ما كان بمصر من

(١) ابن الأثير ح ١٠ ص ١١٤ .

المناصر الملفقة وكانوا بين صقالبة و كدانة ومصامدة وأرمن وشنانرة العرب والعبيد السود ، فمحا تلك الطوائف جميعها ، واتخذ بمصر عساكر من الأكراد خاصة ، فكان عددهم اثنى عشر ألف فارس من شجعان الرجال الذين لا يكلون من الحروب ، ولكن يظهر أن الجيش فى عهد صلاح الدين أيضاً لم يكن موحد المنصر من الأكراد بل كان فيه ترك وعرب . وربما كان صلاح الدين قد فسح المجال للمصريين فالتحقوا بسلك الجندية وكونوا فرقاً ، بل يظهر أن صلاح الدين وخلفاءه لم يسرحوا جيش الفاطميين تسريحاً تاماً ، بل أبقوا على بعض فرقه ، فنى عهد العزيز بن صلاح الدين يسجل التاريخ قتالاً دار بين الطائفة المحمودية واليانسية ، وهما من فرق الجيش الفاطمى .

وحافظ خلفاء صلاح الدين على تكوين جيوشهم من الأكراد والترك والعرب ، وقسمت الجيوش فرقاً نسبت كل واحدة منها إلى أحد القواد العظام كالفرقة الأسدية نسبة إلى أسد الدين شيركوه ، والصلاحية نسبة إلى صلاح الدين ، والأشرفية نسبة إلى الأشرف موسى .

وكما لم تذب المناصر بعضها فى بعض أيام الفاطميين لم تذب كذلك فى عهد الأيوبيين ، وكان النزاع يحدث أيضاً بين هذه المناصر والفرق ، أو ينحاز بعضها إلى زعيم وينحاز بعضها الآخر إلى زعيم غيره كما حدث ذلك فى أيام العزيز ، وفى عهد العادل الثانى . غير أن القيادة القوية فى عهد الأيوبيين لا تلبث أن تعيد النظام إلى نصابه ، وتقبض بيدها القوية على الزمام ، فيعود السلام ويسود النظام .

وظل المنصر الكردى هو الغالب على الجيش طوال عهد الدولة الأيوبية حتى عهد الصالح أيوب الذى استكثر من شراء المماليك ، وكان معظمهم من الأتراك . وسبب استكثاره منهم أنه لمس إخلاصهم ووفاءهم له فى الشدة التى ألمت به فى حرب لأخيه العادل ، فإنه عند ما اعتقل بالكرك ، انفض من حوله جنده من الأكراد ، ولم يبق معه سوى مماليكه الذين اشتراهم ، فمنذ ما استولى على عرش مصر حفظ لهم ذلك الجميل ، واستكثر منهم حتى صار منهم معظم الجيش ، وارتفع عددهم فى معركة المنصورة إلى عشرة آلاف[1] ، وظل المماليك حفظة أوفياء للصالح وذكراه

ومنذ ذلك الحين إلى أن انتهت الحروب الصليبية والمنصر الغالب فى الجيش النظامى الدائم هو عنصر الأتراك المماليك وإن كان فى الجيش أكراد وعرب ، أما عند ما هوجمت مصر ، وبدا خطر استيلاء الفرنج عليها فى عصر الكامل والصالح فقد هب المصريون للدفاع عنها ، واجتمع منهم عدد ضخم ساهم مساهمة فعلية فى الذود عن حياض الوطن[2] ، وفى الحملات الحربية التى شنتها مصر فى جنوب الوادى أو ضد المغول أو الفرنج فى عصر المماليك لم تتكون جيوشها من المماليك وحدهم ، بل شاركهم فى ذلك المصريون والسوريون والبدو من العرب ، وكان عددهم يزيد على عدد المماليك[3] ومن ذلك يبدو لنا أن المصريين والعرب قد ساهموا — ولا مرية فى ذلك — بنصيب كبير فى الحرب ضد الصليبيين والمغول فى عصر الأيوبيين والمماليك ، فإن هذه الأرقام الضخمة التى يحفظها التاريخ للجيش الإسلامى المهاجم أو الدافع لا يمكن أن تفهم إلا على أساس اشتراك المصريين والعرب فى هذا الجيش الذى يجب أن نميز فيه بين جيش نظامى ثابت قد يكون للعرب والمصريين فيه نصيب متواضع ، وبين جيش قائم بحملة حربية ، يساهم فيه هؤلاء بالنصيب الأوفى .

***

كان الجيش فى العصر الفاطمى مقسما إلى درجات ثلاث رئيسية : أولاها طبيعة الأمراء ، وأعلاهم ذوو الأطواق الذهبية ، ثم حملة السيوف الذين يحرسون الخليفة فى موكبه ، ثم القواد العاديون . وثانيها رجال الحرس ، وأرقاهم الأستاذون الذين يوكل إليهم مهام الأمن ، ثم شباب الحرس وهم نخبة ممتازة من شباب الأسر عددهم خمسمائة ، ثم فرق ثكنات الخليفة ، ويبلغون زهاء خمسة آلاف ، وثالثها فرق الجيش كل فرقة تحمل اسماً خاصاً بها كما ذكرنا[4] .

وتكون الجند زمن الأيوبيين والمماليك من طبقتين : هما

(١) المرجع السابق ص ٢٤٥ .

(٢) ابن إياس جـ ١ ص ٧٩ و ٨٥ و ٨٦ .

(٣) ابن إياس ص ٩٦ و ٩٧ السلوك جـ ١ ص ٧٤٩ وموير ص ٥٧ و ٦٠ .

(٤) لين بول ص ١٥٤ .

طرائف عباسية :

نخلتا حلوان . .

للشيخ محمد رجب البيومي

للشعراء إلهام خفي يعرج بهم إلى ملكوت رفيع ، فهم يرون الكائنات الماثلة في صور غريبة متخيلة . وقد يقف الشاعر أمام رسم ماحل فيحاوره ويجادله ، ويجعل منه إنساناً يفصح عن شكاته ، ويبين عن طواياه . وإذا كنا نحمد الكاتب الذي يصور مشاعره تصويراً صادقاً فيعرض لقارئه ما يختلج في صدره من إحساس في أسلوب مرسل طليق ، فنحن بلا شك نعجب بالشاعر الذي يتصور عواطف غيره فيفصح عنها إفصاحاً مشرقاً ، وقد يدق تصوره فيتغلغل فيما حوله تغلغلا عميقاً ، فإذا مر بقصر سامق ، أو شاهد دوحة باسقة ، منحهما جانباً من الإحساس البشري الدافق ، ثم يعبر عما يتخيله من شعورهما المزعوم فيجمع إلى خفة الشعر غرابة المنحى وطرافة التفكير .

والحقيقة أن الشاعر يخلع إحساسه — في أكثر مواقفه — على ما حوله ، فإذا كان مبتهج النفس ، منبسط الأسارير ، تصور ما أمامه من نبات أو حيوان كذلك ، فرسمه في صورة مرحة سارة ، أما إذا كان ملتاع الفؤاد منقبض الصدر ، فإنه يتحدث عن شعور غيره في تبرم وانفعال ، وقد تهتف حمامة على فنن ناضر فيسمعها شاعر حزين لجعه البين في أحبائه ، فيتصور هتافها نواحاً مريراً ، وقد يسمعها شاعر مرح ممتع بأصفيائه ، فيتصور هتافها غناء ساحراً ينعش الأفئدة ويسرى عن النفوس .

وسنتحدث عن نخلتين عجيبتين بسقتا في ناحية متواضعة بحلوان (في آخر سواد العراق) ، وقد لبثتا حيناً من الدهر يمر بهما الناس في الغدو والرواح ، فلا يسترعيان انتباه إنسان ، حتى نزل بهما مطيع بن إياس الليثي ، وكان شاعراً متمكناً يسلك بقريضه فجاجاً متشعبة ، فتحدث عنهما حديثاً جازت به الركاب ، وتناقله الرواة ، فتسامع به الوزراء والخلفاء ، وقد ضرب الدهر ضرباته بالنخلتين فطواهما في عنف عن الوجود منذ ألف ومائتي عام ،

المماليك السلطانية وأجناد الحلقة . أما المماليك السلطانية فكانوا أعظم الأجناد شأنا ، وأرفعهم قدرا ، وأشدهم إلى السلطان قربا ، وأوفرهم إقطاعا ، ومنهم تؤمر الأمراء رتبة بعد رتبة .

وأما أجناد الحلقة فهم عدد جم وخلق كثير ، ولكل أربعين نفساً منهم مقدم ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر في الحرب ، فإن مواقفهم معه ، وترتيبهم في مواقفهم إليه .

ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لهم البحرية يبيتون بالقلعة وحول دهاليز السلطان في السفر كالحرس ، وأول من رتبهم وسماهم بهذا الإسم الملك الصالح نجم الدين أيوب(١) . وللجيش هيئة أركان حرب كان السلاطين يعتدونها لرسم الخطط وإعداد العدة ، ولم يكن للسلطان بد من أن يعنى برأيهم ويعمل به ، وكثيرا ما كان يخبرهم أنه كأحدهم يكفيه فرس واحد ، وجميع ما عنده لمن يجاهد في سبيل الله(٢) .

وكان الجيش مقسما خمسة أقسام : مقدمة ، وتكون أمامه لتبدأ المناوشات وتتعرف الطرق وترتاد المواضع وهي غالباً من الفرسان ؛ وقلب ، وهو وسط الجيش وفيه يتخذ القائد العام مركزه غالباً حتى يراه جميع الجند لتنفيذ جميع أوامره ، أو في المقدمة ليثير حماسة الجند ويلقى الفزع في نفوس أعدائه ، وفي عريش له على ربوة يشرف منها على جيشه . أما الكتيبة الثالثة فتوضع يمنة وتسمى الميمنة ، كما توضع الرابعة على يسارها وتسمى الميسرة ، ويطلق عليهما الجناحان ، وتوضع الكتيبة الخامسة في الخلف وتسمى ساقة الجيش . وكان لكل فرقة من هذه الفرق الخمس أمير يأتمر بأمر القائد يقال له صاحب الميمنة أو الميسرة وهكذا(١) .

ويتكون الجيش من المشاة والخيالة ومن أجل هذا عظمت العناية بأمر الخيل .

(يتبع) أحمد أحمد بدوي

(١) صبح الأعشى ٤ ص ١٥
(٢) السلوك حـ ١ ص ٥١٥

(١) من كتاب نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ص ١٨٣

وبقى حديثهما فى شعر مطيع معطراً بعبير الخلود !

لم يكن مطيع هداراً لجباً يجذب بروعته الأبصار كالإقيانوس الصاخب ، بل كان شعره ينحدر رقيقاً عذباً كالغدير المترقرق ، وذلك شأن من يقصر فنه الشعرى على الغزل الرقيق ، والمجون الطريف ، فلا يحيد عنهما إلى المدح إلا فى ظروف خاصة تفرضها المحاباة ، وتقتضيها الطاعة فى عصر تطلع فيه الأمراء إلى المدح والإطراء . وكانت حياة اللهو والمرح قد غمرت مطيعاً بمباهجها الفاتنة ، فاصطحب الخلعاء ، ونادم الظرفاء ، وتحفز إلى أسراب الكعاب يسارقهن البسمات ، ويخالسهن الصبوات . غير أن الدهر لم يفلته من كيده ، فقد أوقعه فى غرام جارية فاتنة تحت يده ، فلكت عليه فؤاده ، وتخطفت أزمة رشاده ، ثم حزبه الخطب الملم ، فاضطر إلى بيعها اضطراراً ، وهام فى الآفاق على وجهه ، فقذفت به النوى إلى حلوان ، ثم برّح به الشوق إلى حسنائه ، واشتعل الحنين فى أحشائه ، فنظر فيما حوله ذات اليمين وذات الشمال ، فرأى عن كثب نخلتين متجاورتين ترتفعان فى الأفق إلى مدى شاهق ، وقد هبت بهما رياح منعشة ، فرنحت عطفيهما ، وحاولت أن تضمها ضماً يبرد الغلة وينقع الشوق ، فاشتبكت فروعهما السامقة فى أجواز الفضاء وقتاً غير قصير !

منظر عاطفى أخاذ ، عصف بالشاعر عصفاً عنيفاً ، فتذكر ملاعب الصبوات ، وعهود المسرات ، وحسد النبات على التئام شمله ، واكتمال صفائه ، وكأنه تصور للنخلتين آذاناً تسمع ، وعقولا تفهم ، فأخذ يحدثهما بضربات الدهر ، وفتكات الأيام ، ثم استشهد بنفسه على صحة ما ادعاه ، فذكر جاريته الحسناء ، وكيف كانت تذهب شجونه وتسرى همه ، غير أن الزمان لا يبقى على أنس ، فاستل روحه من جسمه ، ووقف له بالمرصاد أنى سار ، وهو لا بد سيقف للنخلتين موقفه منه ، فتبدلان وحشة بعد أنس ، وتناءيا غب لقاء . وهكذا يتشاءم الشاعر تشاؤماً برفه عن خاطره ، ويبرد من لوعته ، وفى النفوس من يلحقها الألم الممض فتشتمل من الغيظ اشتمالا ، حتى إذا لحق بغيرها من الأشياء سرى عنها بعض الشىء وأخذت تبصر وتتأسى بالمصاب الجديد . ولقد علل مطيع نفسه بما سيلحق النخلتين — قبل وقوعه — فبردت جوانحه ، وطفق يصف شجونه التجاربة ، إذ يقول :

أسعدانى يا نخلتى حلوان ... وابكيا لى من ريب هذا الزمان

أسعدانى وأيقنا أن نحساً ... سوف يأتيكما فتفترقان

ولعمرى لو ذقتما ألم الفر ... قة أبكاكما الذى أبكانى

كم رمتنى صروف هذى الليالى ... بفراق الأحباب والخلان

جارة لى بالرى تذهب همى ... ويسرّى دنوهـــا أحزانى

ورغمى أن أصبحت لا تراها العين منى وأصبحت لا ترانى

وإذن ، فقد روّح الشاعر عن نفسه ، وأزال بوعيده المنكود ، ونحسه الأشأم بعض ما يفاديه من الوساوس . وكأن النخلتين قوة أصاختا لشعره فأسعدتاه بما يريد ، أو هكذا تخيل ذلك ، نخف إلى بغداد بارد الصدر ، وقابل صديقه حماداً فأسمعه ما قال فى النخلتين من الشعر ، وعبر عن سروره بما تخيله من الإسعاد والعون . وتمضى الأيام فى سيرها الرتيب فتميل على قوم بالرفاهية والأمن ، وتلهب آخرين بسياطها الملتهبة ، فتصهر الأفئدة ، وتحرق الجلود ، ومنهم حماد صاحب مطيع ، فقد ثارت به عاصفة هوجاء كادت تطيح بحياته ، فتذكر شعر صاحبه ، وخف إلى سدرتين ماثلتين بقصر شيرين ، وهو يظن كل الظن أنهما ستسعدانه ، وستمثلان دور النخلتين أصدق تمثيل . وينظر حماد إلى السدرتين الشاخصتين فلا يحس براحة ، فينقلب إلى منزله ساخطاً ناقماً ، ويجمجم بحروف حزينة تألف منها هذان البيتان :

جعل الله سدرتى قصر شير ... ين فداء لنخلتى حلوان

جئت مستسعداً فلم تسعدانى ... ومطيع بكت له النخلتان !

والواقع أن مطيعا رغم تحامله على القرينتين الآمنتين ، قد أسدى إليهما يداً بيضاء ، فقد نبه من خمولهما المستكين ، وذاع شعره فى الناس فأخلصهما من أزمتين حادثين ، فقد مر الخليفة الباطش أبو جعفر المنصور بالعقبة ذات يوم فوجدهما تزحمان الطريق ، وتعوقان القوافل المحتشدة عن المسير بضع ساعات ، فأمر باستئصالهما فى غير هوادة ؛ ولكن أبيات مطيع ترن فى أذنيه ، ويتقدم إليه أحد أعوانه فيقول فى تضرع ذليل : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحس الأشأم الذى عناه مطيع فى قوله :

أسعدانى وأيقنا أن نحسا ... سوف يأتيكما فتفترقان !

فيتراجع المنصور الجبار عن قصده ، ويخشى أن يزيل النخلتين فيتناقل الناس أنه النحس الأشأم ثم يستعيد الأبيات فيثنى عليها

فى لباقة وبهش لذكرى مطيع ، فيخصه بجانب من الأطراء ، وذلك ظفر عظيم للنخلتين ، وكسب هائل لشاعر مستكين .

وسيعجب القارئ حين يعلم أن خليفة جباراً كالمنصور يرتاح إلى ما جن خليع كمطيع !! مع أنه فوق سيرته الداعرة قد صاحب الخلفاء الأمويين ، وغرق فى لجج متراكبة من نوالهم الجزيل ، مما يهيج عليه أبا جعفر ، بل يوجب أن يلتمس من جنونه العابث مقتلا يرديه ، فيمحق نديم أعدائه ونجى خصومه ، ولكن القدر قد هيأ للشاعر فرصة مكنته من التزلف للمنصور ، فاستل سخائم صدره ، وبدد غياهب مقته ؛ فقد اختفى الشاعر حقبة طويلة فى مطلع العهد العباسى ، حتى إذا علم بما اعتزم عليه المنصور من مبايعة ولده المهدى بالخلافة ، كشف عن نفسه اللثام ، ودلف إلى الحفل الحاشد فى جرأة عجيبة ، ثم صاح فى الناس بأضخم صوت وأعلاه ، فروى عن أناس من المحدثين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : (المهدى منا محمد بن عبدالله ، وأمه ليست عربية) والجمهور فى كل زمان ومكان كالأطفال يؤمن بالترهات ويدين بالأباطيل ، فصفق للراوى الآفك ، وصدق ما قال بدون تمحيص . ولم يخف على أبى جعفر افتراء مطيع ، ولكنه وجد لكلامه ثمرة نافعة ، فغمره بعطفه وأمنه على نفسه ، فقر القلب الواجب ، ونام الطرف الساهد ، وأنس الهائم الشريد .

ولقد مات أبو جعفر ، وقام بالأمر من بعده ولده المهدى ، وكان ذا شغف بالرحلات المتنوعة ، فوصفت له عقبة حلوان ، فأصدر أمره بالمسير إليها ، فأخذت زينتها ولبست من التنميق حلة زاهية ، وبالغ العمال والصناع فى زخرفة المكان زخرفة تليق بالزائر العظيم ، ثم حانت ساعة القدوم ، فحضر الخليفة فى ملإ من سماره وندمائه ، وامتد بساط الأنس فصدحت المزاهر وعزفت القيان ، وكان فى المغنيات جارية أديبة تدعى « حسنة » فجالت ببصرها فى العقبة فرأت عن كثب نخلتى حلوان ، وقد بقيتا على العهد متجاورتين متصافيتين فما جاء دورها فى الغناء حتى انطلقت تصدح بقول ابن أبى ربيعة :

أيا نخلتى وادى بوابة حبذا إذا نام حراس النخيل جنا كما

ودار الخليفة ببصره فرأى نخلتى حلوان ، فعلم أن جاريته تعنيهما من طرف خفى ، فأراد أن ينغص عليها صفاء الحفل فقال : لقد خطر لى أن أقطع النخلتين فهما ترجمان الطريق ، فصاحت الجارية كالمشدوهة « أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحس الأشأم الذى تنبأ به مطيع » فتبسم فى عجب وقال لمغنيته الجميلة : أحسنت فى رأيك ، والله لا أقطعهما ما حييت ، ولأوكلن بهما من يتعهدهما بالسقيا والإنماش . ثم عين لهما ساقياً مخلصاً ، فما زال موكلا بهما حتى مات أمير المؤمنين !! وانتهت الأزمة بسلام . ولكن أى شىء يبقى على الأيام ؟! لقد عصف الدهر بأطواد شامخة رسخت أصولها فى باطن الأرض وناطحت قمتها الجوزاء ، فهل يبقى على نخلتى حلوان ؟ كلا ! فقد فاجأهما النحس المشئوم على يد الرشيد ؛ حيث هاج به الدم مرة فى حلوان فأشار عليه طبيبه أن يأكل جمار نخلة فارعة ، فبحث أعوانه لدى الدهاقين فما تيسر لهم الدواء ، ففزعوا إلى إحدى النخلتين فقطعوها فى عجلة وأتوا بالدواء للرشيد . ومر الخليفة بالنخلة الباقية فى إحدى روحاته فتذكر بيت مطيع ، ووقف فى مكانه واجماً ساهماً ، كمن ارتكب محظوراً خطيراً لا يمكن تلافيه ، ثم قال فى حسرة كظيمة : عزيز على أن أكون النحس المفرق ، ولوددت أنى لم أذق الدواء ولو قتلنى الدم بحلوان .

واهاً لمطيع !! لقد جعل الرشيد يتحسر على استئصال نخلة حقيرة ، وكأنه قتل — بدون جرم — إنساناً ينبض بالحركة ، ويجيش بالحياة ، كما أتاح للنخلتين حديثاً يروى مدى الأحقاب ، وجعل منهما مادة دسمة للشعراء ، فنظم أحمد بن إبراهيم الكاتب فى رثائهما أبياتاً دامعة ، وارتفع بهما شاعر آخر إلى مرتبة عالية ؛ فوازن بينهما وبين عاذلين من بنى الإنسان ، والتمس لهما العذر فى رفق ملموس (١) . فهل كان يدرى مطيع حين نظم أبياته أى قصة عجيبة مثل فيها الفصل الأول وختم الرشيد فصلها الأخير؟ أجل لقد كتب الشاعر لنخلتيه تاريخاً يطالعه القراء كما يطالعون ترجمة عظيم مثل دوره السياسى ثم لقى حتفه فترحم عليه الجميع .

ارحم الغصن لا تنله بسوء قد يحس النبات كالإنسان

(جزيرة الروضة) **محمد رجب البيومي**

---

(١) يقول بعض الشعراء :

أيها العاذلان لا تعذلانى ودعانى من الملام دعانى
وابكيالى فاننى مستحق منكما بالبكاء أن تسعدانى
إننى منكما بذلك أولى من مطيع بنخلتى حلوان
فهما تجهلان ما كان يشكو من هواه وأنتما تعلمان

أساليب التفكير :

التفكير فى الشرق القديم

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضي)

وبعد فذاك لون خيالى من التفكير ؛ بيد أنه يستر وراءه نزعة فلسفية ناشئة تغالب الخرافة ؛ وتسعى إلى إيجاد حل معقول لمشكلة الخير والشر فى العالم : هل هما من مصدر واحد ؟ لا — فذلك ما لا يقبله عقل زرادشت الحكيم ؛ إذ كيف يتسنى أن يصدر النقيضان عن مبدأ واحد ! ؟ لا بد إذن أن مظاهر الشرور من أمراض وجرائم وموت وقبح وشقاء ترجع إلى علة غير العلة التى ترجع إليها مظاهر الخير من عافية وإحسان وفضيلة وحياة وجمال وسعادة . ولكن العقل قاصر كما قلنا ، فهو يفرض وجود العلة ويعجز عن معرفة كنهها ، حينئذ يلوذ بالخيال يلتمس عنده مالم يجده فى رحاب العقل ، فيخرج بصورة رائعة ترضى نزوعه إلى المعرفة إلى حين : تلك هى صورة الصراع المحتدم بين حزبين على رأس أحدهما « أورموزدا » وعلى رأس الآخر « أهريمان » .

ولكن هذه النتيجة لا تشبع العقل ، ولا تشفى غليله ألاخير أم للشر ؟ وهل يعقد النصر لحزب الحق أم لحزب الباطل ؟ لو أجاب زرادشت على هـذا السؤال مستنداً إلى الاستدلال البرىء من الهوى والرغبة ، ودعم إجابته بالدليل المنطقى والبرهان ، لقلنا إنه أنتج فلسفة وفكر تفكيراً فلسفياً ، ولكنه يحكم طوره البكر فى عالم التفكير ، يستجيب لنزعة التفاؤل المتمكنة من نفسه ، فيغلب الخير ، لا لضرورة منطقية ، ولا ليقين عقلى ، ولكن لإيمان قلبى ، ورغبة نفسية ، يحتمان عليه أن ينتصر الخير ويعم الجمال وتسود السعادة فى نهاية الأمر . وهكذا نلمس لدى الفرس ما لمسناه فى تفكير المصريين . دوافع نفسية تحرك الخيال فيصوغ الآراء صياغة حسية ، ويصور العالم صورة خيالية ذاتية لا صورة واقعية موضوعية .

وتقرب من هذه المحاولة الفارسية محاولة هندية يمثلها البراهمة وهم الكهنة الحفاظ على الديانة الفادية [١] التى ترجع إلى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، والتى توزع قوى الطبيعة على آلهة عدة لكل منها دوره فى تدبيرها . كان البراهمة كهنة لهـذه الديانة جمعوا بين العلم والدين ، وليس هذا بعجيب إذا علمنا أن الفادية مشتقة من فيداس [٢] أى العلم ، وقد تطورت الديانة الفادية بفضلهم تطوراً اقتضاه تبدل الأحوال ، وارتقاء التفكير ؛ فخرج المذهب البرهمى فى القرن التاسع قبل الميلاد بفكرة فريدة فى هذه العصور الخالية التى تسود فيها الوثنية أو تعدد الآلهة ، هى فكرة الإله الواحد رغم تعدد مظاهره . براهما الذي أخرج العالم من ذاته ، والذى يحفظه ويرعاه ، والذى يهلكه ويفنيه . فهو ثلاثة فى واحد ، أو هو واحد ذو مظاهر ثلاثة ، هو براهما من حيث هو مبدأ الوجود ، وهو « فشنو » إذا نظرنا إليه من حيث عنايته بالكون والمحافظة عليه ، وهو « سيفا » من حيث كونه المهلك . وما براهما وفشنو وسيفا غير أسماء ثلاثة لإرادة واحدة لا حد لها ، وقدرة فريدة لا نهاية لها . أما الموجودات أو الجزئيات التى ندركها بحواسنا ، فهى مجرد مظاهر حسية مفكرة لحقيقة كلية واحدة هى « براهما » المنبث فى أرجاء الكون جميعاً .

وهكذا يبلغ البراهمة نظرية فلسفية سوف تصادفنا كثيراً فى سياق الحديث عند تاريخ الفلسفة ؛ تلك هى نظرية الحلول ؛ نصادفها عند متصوفة الإسلام فى القرون الوسطى وسبينوزا فى العصور الحديثة . وقد ارتكزوا على هذه النظرية فى تفسير الخير والشر والسعادة والشقاء ؛ فأرجعوا الخير والسعادة واللذة إلى الوحدة ، واعتبروا الكثرة الوهمية والرغبة فى الانفصال عن الإرادة الكلية علة الألم والشر والشقاء فى الحياة الدنيا ؛ وعليه يصبح بلوغ السعادة عملا يسيراً ، فما عليك إلا أن تستجيب لنداء الوحدة والحقيقة ، فتتجرد من لذات البدن ، وتتجرد من أوهام الحواس التى تفصلك عن الكلى اللانهائى ، وتقطعك عن الأصل الإلهى ؛ ولا يتأتى ذلك إلا بمجاهدات نفسية ، ورياضات جسدية عنيفة ، تأخذ نفسك بها كما يفعل اليوم فقراء الهنود الذين يتصلون بسبب قريب بهذه الفلسفة القديمة البدائية وهنا نلمح كيف أدت النظرة الهندية للعالم إلى نظرية عملية ، تستهدف تدبير حياة الفرد

(١) Védsme (٢) Védae

والجماعة بما يكفل لهم سعادة أبدية . وهذه لعمرى ميزة تسم الفكر الشرق القديم : أعنى بها عدم الوقوف عند تفسير العالم الطبيعى وتجاوز ذلك إلى مباحث أخلاقية فى الخير والشر ، والسعادة والشقاء ، واللذة والألم ، مباحث أفضت إلى حكمة عملية ، ونقصد بالحكمة العملية ذلك الجانب من الفلسفة الذى يتناول بالبحث مبادئ الأخلاق والسياسة .

وما دمنا قد ذكرنا الحكمة العملية فلا بد أن نشير إلى زاهد قبيلة سكيا المتوفى سنة ٤٧٧ قبل الميلاد (١) « بوذا » الحكيم الذى جمع من الأتباع ، وخلف من الأنصار ، ما لم يتيسر لكثيرين من قادة الفكر ودعاة الدين فى كثير من العصور . لا بد أن نشير إلى بوذا فهو خير ممثل للحكمة العملية فى الشرق القديم ، وأقدر مفكرى عصره على التحرر من الخرافة ، وأقربهم إلى النزعة الفلسفية التى لا تبالى بالموروث ، ولا تنى عن السعى إلى الحقيقة الخالصة ، حتى لنجد لديه بذور مذهب فلسفى شاع فى العصور الحديثة ، مذهب ينكر وجود جوهر اسمه العقل أو الذات وإنما الموجود ظواهر نفسية ، ووقائع شعورية ، وأفكار تتابع وتتلاحق دون حاجة إلى جوهر يحمل هذه الأمور جميعاً ، فنحن نفكر ونعقل ونتخيل وندرك ونشعر ، وتتتابع الأفكار والمعانى والأخيلة والمدركات والمشاعر ، فليس ما يدعونا إلى القول بنفس أو عقل أو ذات تحمل هذه الأمور .

ذلك مبحث فى صميم الفلسفة يعد وثبة فكرية رائعة ، ويضع لبنة من لبنات الميتافيزيقا . وقد استنتج بوذا من هذه النظرية نظرية فى الميتافيزيقا هى إنكار « براهما » أى أصل الوجود عند البراهمة ، استنتجها استنتاجاً منطقياً من رأيه فى الذات الفردية ؛ ولكنه رغم ذلك لا يزال يتصل اتصالا وثيقاً بالفكر الخرافى الذى يتأثر بالدوافع النفسية ، ويستلهم الخيال فى كثير من الأحيان ، ناهيك بالجانب الأخلاقى فى فلسفته الذى يجمل الزهد فضيلة الفضائل ، وفناء الشخصية (النيرفانا) غاية الغايات .

ولن أترك الحديث عن اللهم الحكيم ، قبل أن أشير إلى آرائه فى الفلسفة السياسية ، من استنكار لنظام الطبقات ، وإعلان المساواة التامة ، وإقرار بفكرة التعاطف بين البشر ، ومبدأ السلام والمسالمة ؛ وجميعها آراء تستهدف نفس الغاية التى أنتجت فلسفته : وإفناء الشخصية الفردية ، وتغليب الطبيعة العقلية على الطبيعة الحسية ، وإخضاع الإرادة الجزئية للإرادة الكلية .

وآخر مثال أزجيه من التفكير الصينى . ومن أحق بالذكر من بين قادة الفكر الصينى القديم من « كونفوشيوس » ، الذى عاش فى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد . أفكاره عملية أى أخلاقية سياسية . فنى الأخلاق يؤكد فكرة الواجب وضرورة صدورها عن العقل ، وضرورة تكميل النفس ويلح على أن الفضيلة اعتدال أى وسط بين الإفراط والتفريط ، وينهى عن التطلع إلى المستقبل فهو هم وألم . وأما فلسفته السياسية ، فترتكز على عداء للحرب وإيمان بالسلام والعالمية . ويعتبر مثلا قديماً من أمثلة الدعوات إلى السلام والإيمان بضرورة جعل العالم أسرة واحدة متحابة متعاونة متكاملة ، فليتأمل أقطاب هيئة الأمم المتحدة هل أتوا بجديد ؟ ولينظر مفكرو الغرب كيف ساهم الشرق القديم فى دعم السلام العالمى والأمن الجماعى بفكره ولما يزل فى دور الطفولة .

بعد هذا العرض السريع لتراث فكرى دفع العقل إلى الأمام بما قدم من غذاء لعصور تالية ، نقف هنيهة نتساءل : أليس من الخطأ أن نقول إن الفكر الشرق القديم خرافى كله ؟ ونجيب عن أنفسنا : إن الخرافة كانت تسود فى هذه العصور ، ولكن الفلسفة كانت تطل برأسها بين الفينة والفينة ، وترسل بارقة مضيئة بين الحين والحين ؛ حتى نرى الفكر الهندى والصينى يضرب بسهم فى عالم الفلسفة ، فقد حاول الهنود والصينيون تفسير بعض جوانب الكون تفسيرات عقلية ، كان يمكن أن تصير فلسفة لولا تقيد ببعض أغلال التقاليد ، وهروع أحياناً إلى الخيال ، وتناثر فى الآراء ، وإعواز إلى مذهب يلم شتات هذه الأفكار المبعثرة والنظرات المتفرقة ، واقتصار على الفلسفة العملية سياسية كانت أو أخلاقية . ولو قد تجرد هؤلاء القدماء من النزعة الدينية الساذجة وأخذوا أنفسهم ببعض التأليف بين النظرات المبعثرة لأمكن أن يخرج اتجاه ميتافيزيقى عام كما حدث عند اليونان إبان عصر الفلسفة .

(حلوان)

عبد المنعم المليجى
مدرس الفلسفة بحلوان الثانوية

(١) أنظر « دروس فى تاريخ الفلسفة » تأليف الدكتور إبراهيم مدكور والأستاذ يوسف مكرم

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية : (٥)

(١) النفس عند ابن سينا (٥)

للأستاذ كمال دسـوقى

إلى هنا أثبت لكم الشيخ الرئيس وجود النفس، ووجودها مفارقة للجسمية والمادة . ويهمنى أن أنبهكم – أيها المتسابقون البواسل – إلى أن ابن سينا هنا فى إثبات وجود النفس على غير عادته – أعنى أنه فى رسالته فى النفس التى قلت لكم إنه ألفها ولم يبلغ العشرين للأمير نوح بن منصور السامانى قد نحا النحو الأرسطي فى التصدى لإثبات وجود النفس قبل الشروع فى تعريفها وتقسيمها إلى نباتية وحيوانية وناطقة ، ثم فى تصنيف قوى كل من هذه النفوس ، فقد كان فى ذلك الحين مقتنعاً اقتناع أرسطو بضرورة إثبات وجودها أولا . وفى ذلك يقول فى مطلع رسالته المذكورة : (من رام وصف شىء من الأشياء قبل أن يتقدم فيثبت أولا أنّيّته (يعنى وجوده) فهو معدود عند الحكماء ممن زاغ عن محجة الإيضاح . فواجب علينا أن نتجرد أولا لإثبات وجود القوى النفسانية قبل الشروع فى تحديد كل واحدة منها وإيضاح القول فيه ... الخ ص ٢٠ وما بعدها من نشرة فنديك للرسالة مصر ١٣٢٥ هـ

هذا ما يقول به ابن سينا حين يكتب فى النفس كتاباً أو رسالة مستقلة ، أما حين يكتب عنها فى كتاب عام شامل كالنجاة فيرى أن يتناولها دائماً فى موضعها من سلسلة الموجودات التى سبق أن أظهرتكم عليها ، ويتحتم حينئذ ألا يعرض لإثبات وجودها إلا بعد أن يقسمها إلى أقسامها الثلاثة حتى ترتبط بما قبلها وما بعدها فى سلسلة الموجودات ، وهو بذلك لا يزيغ عن محجة الإيضاح – كما حكم على غيره ونفسه – لأنه هنا أكثر منطقية وأكثر تحرراً من أرسطو . وأياً كان موضع إثباته لوجود النفس ؛ فإنه يذهب فى هذا الإثبات مذهباً واحداً بعينه : هو التدليل على أن الحركة والإدراك – اللذين هما من أخص خصائص القوى النفسية – هما من قوى زائدة عن الجسم ، مفارقة للبدن (بدليل أن الأجسام لا تشترك كلها فيها) – ثم يتدرج إلى تقسيم النفوس إلى الأنواع الثلاثة المعروفة من الأعم إلى الأخص فتعريف كل منها وتفصيل قواه وملكاته على نحو ما تبين لكم من قبل .

وإذ أثبت وجود النفس ، ينتقل إلى إثبات صفات أخرى تتعلق بهذا الوجود ، كالوحدة ، والحدوث ، والخلود ، وعدم التناسخ – فبعد تناول الذات يقرر الصفات ، كما يفعل فى قسم الإلهيات حين يورد البراهين لإثبات واجب الوجود (الله) ثم يتبع ذلك بإثبات صفاته . وأول ما يتناول من هذه الصفات حدوث النفس أى أنها ليست قديمة ولا أزلية ، بل مخلوقة وحادثة ولم توجد قبل البدن بحال – لأنها إن وجدت قبل البدن كانت ذاتاً واحدة أو ذوات متعددة . فإن كانت الأنفس كثيرة ومتعددة قبل حلولها فى الأبدان لزم عن ذلك محال ؛ لأن تغايرها حينئذ كجواهر مجردة ذات صورة واحدة لن يكون من حيث الماهية أو العدد ، بل من حيث القابل أو الحامل لها الذى هو البدن – فقد بطل إذن أن تكون مختلفة الذوات . وبمثل ذلك يبطل أن تكون النفس واحدة ، لأنها إن كانت كذلك فكيف تنقسم فى أجسام كثيرة أو تحل فى أبدان عديدة ؟ فالنفس إذن تحدث بحدوث البدن وتولد معه تدبر أمره وتديره . وتظل تعنى به وتكمله إلى أن تفارقه .

وحين يموت البدن لا تموت النفس ، لأن فساده لا يترتب عليه فسادها ، فهى ليست متعلقة به أىّ نحو من التعلق : فلاهى مكافئة له فى الوجود ، ولا هى متأخرة عنه فى الوجود ، ولا هى قبله بالذات أو بالزمن كما سبق أن أوضح ذلك . أما علاقة التكافؤ فباطلة ، لأن التكافؤ إن كان ذاتياً كان النفس والبدن جوهرين أحدهما مضاف إلى الآخر ، وإن كان عرضياً بطل الذاتى منهما بفساد العرضى ولم يفسد مثله . ولن يكون ثمة تكافؤ على أى حال . وأما علاقة التأخر فى الوجود بالنسبة إلى النفس فباطلة أيضاً ، لأن الجسم حينئذ سيكون علة وجودها ، ويمتنع أن يكون البدن علة فاعلة للنفس ؛ لأن الجسم فى ذاته غير فاعل ، وصورة المادية لا تفعل إلا بالقوى الروحية التى فيها ، كما يمتنع أن يكون البدن علة قابلة للنفس ، لأن النفس ليست منطبعة فى البدن ، ولا هو

مقصور بصورتها فى كله أو فى جزء جزء منه — كما بين ذلك فى حديثه عن تجرد جوهرها — ويمتنع كذلك أن يكون البدن علة صورية أو مكملة للبدن ، إذ العكس أدنى إلى الحق ، فليست النفس معلولة بالبدن ، وبالتالى لا علاقة لها به على أساس التأخر فى الوجود . حقاً إن البدن علة بالعرض لوجود النفس ؛ لأنه متى وجد محل وجودها وممالكها أحدثتها العلة الفاعلة الإلهية (العقل الفعال) لتحل فيه . فالمادة سابقة بتهيئها واستعدادها لقبول النفس ، ولكن النفس توافيها حالما يتم لها هذا التهيؤ والاستعداد حتى لا تبقى الآلة معطلة . والذى يعنينا هنا أن وجوب حدوث النفس بحدوث الجسم لا يستلزم وجوب فسادها بفساده ؛ فهى من جوهر غير جوهره ، وواهب هذه الصورة النفسية (العقل الفعال) غير جسمى كذلك : فهو العلة الفاعلة الحقيقية للنفس . وليس تقدم البدن على النفس فى الوجود — إن صح — تقدم علة لمعلول بحال .

أما العلاقة الثالثة : تقدم النفس على الجسم فى الوجود — فهو إما تقدم زمنى — فلا يكون ثمة علاقة — أو تقدم ذاتى فيلزم أن يحصل المتأخر كلما حصل المتقدم بحيث إذا انعدم المتأخر فلا بد أن يكون قد حصل للمتقدم فى نفسه شىء أعدمه ؛ يعنى أن فساد البدن يرجع حينئذ إلى فساد فى النفس ذاتها ترتب عليه فساد البدن ، ولكن فساد البدن وتحلله — كما نعلم — هما من ذاته ، فبطل إذن تعلق النفس بالبدن علاقة تقدم زمنى او ذاتى . وبطلت بذلك أنواع العلاقات الثلاث كلها ، وثبت أن النفس لا تموت بموت البدن .

بل إن النفس لا تقبل الفساد أصلاً ؛ يعنى أنها أبدية خالدة éternelle وحجته فى ذلك قوية رائعة ، فالشىء الذى يقبل الفساد فيه البقاء بالفعل en acte والفساد بالقوة En Puissence ولا يجوز أن يجتمع هذان المنيان فى الأشياء البسيطة المفارقة وبالجملة فى أى شىء ذاته واحدة . فان عرضنا لشىء فلا بد أن تكون ذاته مركبة من شىء إذا حصل كان باقياً بالفعل . وإذا امتنع كان فاسداً بالفعل (ولكى تصلوا إلى فهم ابن سينا هنا اذكروا مادرس لكم من أن أساس الملكة والعدم فى المنطق واحد . وابن سينا يعترض هنا على جعل أساس للملكة وأساس للعدم — أى للبقاء والفساد — هذا بالفعل وذلك بالقوة . وما دامت النفس بسيطة غير منقسمة أو مركبة ، وباقية بالفعل ؛ فهى لا تفسد ، وليس لها قوة فساد . أما الذى يفسد فهو المادة المركبة التى لها قوة أن تقبل البقاء وتقبل الفساد .

والنفوس لا تتقمص ولا تتناسخ . فقد أوضح من قبل أن حدوث النفس إنما يكون نتيجة تهيؤ الأبدان لقبولها ، هذا التهيؤ يقتضى وجود النفس أصلا كملة مفارقة جديدة لا منتقلة من بدن آخر — ولو كانت النفوس تتناسخ الأبدان واحداً بعد آخر لكان حلولها فيها من قبيل الصدفة المرضية البحت . ولكان التكثر فى هذه النفوس يحدث من قبيل الاتفاق والبخت (فارسى معرب يراد به المصـــادفة Par hasard بالفرنسية أو By Chance بالإنجليزية) . بينما إثبات حدوث النفس بالطريقة التى تقدم بها ابن سينا يجعل علة طول الأجسام فى الأبدان بعد تمام تهيئها (Disposition فى الانجليزية والفرنسية هى ما نقصد هنا بالتهيؤ) علة ذاتية ضرورية لا مجال فيها للصدفة أو الاتفاق المرضى . ثم إن النفس التى تتناسخ جسما تكون زائدة فيه عن نفسه التى وافته بعد تمام استعداده على النحو الذى ذكرنا — فيكون للجسم نفسان : إحداهما قطعاً لا تُشغل لها ولا عمل — ولا يشعر بها الجسم ولا تشعر هى بذاتها (لأن كل ذى نفس فهو وهذه النفس شىء واحد) فما عمل هذه النفس الثانية وما قيمتها (إذ أن علاقة النفس بالجسم — كما سبق أن بين — هى علاقة اشتغال وتدبير لا مجرد انطباع وحلول) — فضلا عن أنه ليس جسم أولى من جسم بأن يكون لهذا نفسان ، ولذاك نفس واحدة . فالتناسخ باطل وخُلف .

والنفس — رغم كل هذه التعريفات والتقسيمات — ذات واحدة ؛ واحدة وإن تعددت القوى وتشعبت الملكات . لأن هذه الملكات والقوى لو لم تكن تؤدى إلى مبدأ واحد لصدر عن كل منها أفعال مختلفة الأجناس . فمثلا قوتا الإحساس والغضب لوكانتا شيئاً واحداً لكان منهما قوة واحدة يصدرعنها الإحساس والاستجابة بالغضب — مع اختلاف جنسهما كفعلين ، وإن كانتا قوتين مستقلتين لكان يستحيل فعل أحدهما باستحالة فعل الآخر . ولما كان فعل كل قوة خاص بالشىء الذى هو قابل له ولا يصلح لغيره ، وكانت هذه التأثيرات يرد بعضها لبعض ،

ويستجيب بعضها لبعض ؛ لم يبق إلا أنهـا تؤدى جميعاً إلى مبدأ واحد .

ويتجرد ابن سينا بعد ذلك لرد شبهات على وحدة النفس ، ويأتى فى هذا الصدد بحجة يسبق بها الفلاسفة المحدثين فى إثبات وجود النفس هى الحجة المعروفة بالأنا Le Moi . ومؤدى هذه الشبهة أن الانفعال بالغضب — فى المثال السابق — ليس عن الصورة المحسوسة ، وإن يكن نتيجة للحس ، وابن سينا يصر على بطلان هذه الشبهة . ويؤكد حدوث الانفعال بالغضب عن تأثير الحس ما دام الإنسان حاساً . ويعمد بعد هـذا إلى تحليل قولنا : أنا أحس ، فيرى أن هذا (الأنا) إما جسم الإنسان أو نفسه ؛ فإن كان جسمه فهو إما جملة أعضائه — وهو محال ، وإما بعض أعضائه — فيكون أحدها أحس والآخر غضب — وقد ظهر بطلان ذلك من قبل ، وإما عضو واحد أحس فغضب — وهو مردود أيضاً إن أردنا العضو بمعناه الحقيقى — فإن كان ولا بد أن الحاس والغاضب شيء واحد ، فهو هذه القوة التى قلنا إن الملكات ترتد كلها إليها — القوة الواحدة التى ليست جسما ولا فى جسم ، بل هى النفس .

فأنتم هنا بصدد سبق فلسفى رائع أتى به ابن سينا قبل أن يقول به ديكارت بقرون ، وأعنى به إثبات وجود الذات بالتجربة الداخلية والتأمل الباطنى ؛ فالشك يدل على الشاك ، والفكر على المفكر ، والحس على الحاس ، وهو ما نسميه اليوم بالكوچيتو الديكارتى (نسبة لعبارته المشهورة : أنا أفكر ، فأنا إذن موجود Je Pense . Donc Je suis والفعل (يفكر) هو فى اللاتينية التى كتب بها ديكارت Cogito وهو سر هـذه التسمية) .

وابن سينا مدرك ما فى هذا البرهان من جدة وطرافة ، وهو يعلق عليه بقوله : فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب ... فمن تحقق عنده هذا البرهان وتصوره فى نفسـه تصوراً حقيقياً فقد أدرك ما غاب عن غيره ؛ بمعنى أنه يستطيع أن يستبطن نفسه بحق . واستبطان المرء ذاته ، والدخول فى نفسه دون حواسـه — التى يجب أن تكون مغلقة تماماً — ليس فى مقدور كل شخص ولا فى كل حين ... الخ » كما يوضح هذا البرهان بقوله : والإنسان إذا كان متهماً فى أمر من الأمور فإنه يستحضر ذاته حتى إنه يقول « إنى فعلت كذا أو فعلت كذا » ، وفى مثل هـذه الحال يكون غافلا عن جميع أجزاء بدنه ... فالمراد بالنفس هنا هو ما يشير إليه كل أحد بقوله « أنا » . وليس المقصود بهـذه الذاتية — كما ظن أكثر المتكلمين — الإشارة إلى البدن ، فهذا ظن فاسد . (راجعوا رسالته فى معرفة النفس الناطقة وأحوالها لابن سينا . صفحات ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) .

وكان ابن سينا يريد أن يخالف أفلاطون فى موضع هذا المبدأ النفسى الواحد — فيجعله فى القلب ، ولكنه لم يلبث أن شكك فى صحة ذلك لما رأى من مفارقة قوى النفس النباتية والحيوانية والناطقة وتدرجها فى النبات والحيوان والإنسان بحيث لا تتعلق قوة منها بأخرى ، وعاد ففسر هـذا التباين فى مظاهر الحياة التى تتمثل فى كل من هذه النفوس بأن التضاد فى مبادئ ما تحل فيه كل منها بالترتيب يزول شيئاً فشيئاً ، وأنه كلما كان هذا التضاد بين هـذه المبادئ أدعى إلى التوافق والانسجام Harmonie كانت النفس أكثر قبولا لمبدأ نفسى أرقي . يعنى أن العقل الفعال يهب الإنسان نفساً ناطقة أرقى : لأن عناصر تركيبه أكثر توافقاً وانسجاماً على نحو ما تفيض الشمس على شيء بمجرد التسخين ، وعلى آخر بمجرد الإضاءة ، وعلى ثالث بالاحتراق تبعاً لمادة كل من هذه الأشياء .

كذلك العقل الفعال مبدأ الفيض وواهب الوجود والصور به تخرج الأشياء من القوة إلى الفعل ، كما تستفاد الصور المعقولة فهو بذاته عقـل بالفعل ، وما عداه من العقول التى ذكرنا فهى منفعلة به هو الذى تسيح منه قوة إلى أشياء الخيال والوهم والحس التى هى معقولة بالقوة لتصير معقولة بالفعل .

وبعد — فهل بقى شيء فى النفس عند ابن سينا لم تعرفه أيها الطالب النجيب ؟ هناك قصص رمزية كرسالة الطير وقصة سلامان وأبسال وغيرهما — وهناك قصائد وأشعار فى النفس أهمها عينيته المشهورة التى شرحها المناوى وغيره — وترجمها إلى الفرنسية وشرحها البارون كارادى ڤو (المجلة الأسيوية . يوليو وأغسطس ١٨٩٩ ص ١٦٠ وما بعدها) — ولكن هذه كلها لا تمنيك لما فيها من صوفية وخيال . وحسبك أن وقفت حتى الآن على كل شاردة من مذهب ابن سينا الفلسفى فى النفس .

كمال دسوقى

مادمت أنت معى ...

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

مادمت أنت معى، فلست بآسف   إن فاتنى شىء من الأشياء
حسبى من الدنيا جمالك مونقاً   متفرداً بالسحر والإغراء
وشبابك الدانى القطوف، وإن يكن   أنأى على غيرى من الجوزاء
وربيعك البكر الذى لم تأته   رؤيا خريف، أو خيال شتاء
وهوى بقلبك قد تفيأ ظله   قلبى، ففاز بلذة النعماء
يا روح أحلامى الذى استودعته   حبى، وكامن لهفتى، ورجائى
يا سر أشواقى الذى ناديته   منذ انتفضتُ، بمهجتى ودمائى
يا نبع إلهامى الذى غنيته   فشدا، وبارك فرحتى وغنائى
وبكيت فانتفض الحنان بقلبه   دمعاً يواسى أدمعى وبكائى
يا نور أيامى الذى وافيته   فانساب فجر منه فى ظلمائى
أنت التى جعلت شبابى جنة   قد أينعت بربيعك الوضاء
شرب العبير بها - فطار - نحا   خمر السنا، وسلافه الأنداء
الطير فى أفنانها مترنم   والزهر يرقص فوق صدر الماء
والنسمة العذراء تجمل خطوها   نغما، كشكل مليحة عذراء
أنت التى ملأت حياتى فرحة   غنى بها قلبى أرق غناء
أنت التى ألهمتنى شعر الهوى   حتى سموت به على الشعراء
كنا معاً طفلين لا ندرى الهوى   إلا حنيناً مبهم الأصداء
ومضى الزمان بنا يصوغ شبابنا   فى قدرة وبراعة وخفاء
حتى انتفضتُ على صبابة آدم   وأفقتِ أنت على هوى حواء
فعرفت أن الحب أشعل فى دمى   لهباً، وشب النار فى أحنائى
وسألتنى عن سره ببراءة   فأجبتُ: تلك طبيعة الأحياء!
ومضى الزمان بنا، فكان زماننا   سحر الحياة وروعة الأشياء
وعلى يديك شربت من خمر الهوى   ناراً تحنُّ لمسها أعضائى
كان الحياء يذودنى عن شربها   حيناً، وحيناً لا يذود حيائى
وعلى يديك شربت من خمر الهوى   نوراً أطير به إلى العلياء
وعلى يديك عرفت أسرار الصبا   عند اللواتى هن سر بقائى
كم ذا تلاقينا، فكان لقاؤنا   من لوعة الحرمان خير شفاء
نجنى ونقطف ما نريد ونشتهى   فى غفلة عن أعين الرقباء
ونظل نبدع ما نشاء من المنى   فى ظل تلك الجنة الفيحاء
حتى إذا حان الفراق تفجرت   فى القلب نار كآبتى وشقائى
ومضيت عنك، وملء نفسى لوعة   أخفى ظواهرها على قرنائى
وبمقلتيك مدامع حيرانة   بين الظهور، وبين الاستخفاء
وعلى يديك ضراعة ملهوفة   كضراعة الظمآن فى الصحراء
أحيا بعيد الدار، يملأ عالمى   جزَعُ النوى، وكآبة الغرباء
تهفو إليك نوازعى ومدامعى   فيردها هذا المدى المتنائى
وأراك فى قلبى خيالا ماثلا   يبكى معى فى وحدتى الخرساء
وأراك فى أفق الخيال حمامة   حامت على نبع من الأضواء
فيكاد يقتلنى الحنين، وقد مشى   ناراً على كبدى، وفى أحشائى
ويظل يحلم باللقاء وعطره   قلبى، ولكن لات حين لقاء!
ومضى الزمان بنا، فجمع شملنا   فى عشنا المتألق الأجواء
نحيا به إلفين فى ظل الهوى   وعلى رُبا جناته الخضراء
تتألق الآمال ملء شبابنا   كتألق الربوات فى القمراء
وترفرف الأفراح فى أيامنا   مثل الفراش بروضة غناء
حتى إذا ذهب الشباب، وملؤه   وهج الحياة، وجذوة الأهواء
وبدا الشتاء كأنما نارت به   أيدى الزمان، فضج بالأنواء
لُذْنا بدفء من حنان خالص   ومودة روحيةٍ وإخاء
وبذكريات عذبة تحيى لنا   لذات أيام الشباب النائى
وتُظل أيامُ المشيب حياتنا   بسعادة رفافة الأفياء
وبألفة نسج الزمان خيوطها   من روحنا فى قوة ومضاء
فنظل طول العمر يغمر حبنا   أيامنا بسكينة وصفاء
حتى إذا انقضت الحياة ... حياتنا   ودعا الفناء بنا على استحياء
طرنا معاً فى عالم نحيا به   روحين من أرواحه السعداء
أيامنا فيه ربيع دائم   وشبابنا فيه لغير فناء

(الاسكندرية)   ابراهيم محمد نجا

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مقدمة « الملك أوديب » لتوفيق الحكيم :

بعد غيبة طويلة يعود توفيق الحكيم إلى قرائه ... ولست أرمى من وراء هذه الكلمة إلى وضع كتابه الجديد فوق مشرحة النقد ، فإن موعدى معه فى الأسبوع المقبل أو الأسبوع الذى يليه ، وإنما أرمى إلى تناول هذه المقدمة بالنقد والتحليل ، لأنها تستحق من الناقد أن يخصها بكثير من التأمل والعناية .

كتب توفيق الحكيم هذه المقدمة ليصل من ورائها إلى هدفين : أولهما أن يقدم للقارئ عرضاً موجزاً لنشأة المسرحية فى الأدب العربى المعاصر ونشأتها فى الأدب اليونانى القديم ... وليقدم له أيضاً بعض العلل والأسباب التى حالت فى رأيه بين الأدبين وبين التزاوج فى مجال الأدب التمثيلى ، على الرغم من هذا التزاوج الذى حدث بين الفلسفة اليونانية والفكر العربى . هذا هو الهدف الأول ، أما الهدف الثانى فيدور حول هذا العمل الفنى الذى أقامه على دعائم الأسطورة اليونانية عند سوفوكليس؛ أسطورة « أوديب الملك » .

ولقد تساءل الأستاذ الحكيم وهو فى رحاب الهدف الأول الذى أشرت إليه عن سر إحجام العرب عن ترجمة مآسى شعراء الإغريق مع أنهم نقلوا كتاب الشعر لأرسطو وفيه تعريف بالتراجيديا والكوميديا وما إليهما من فنون الشعر التمثيلى ، ومع أنهم نقلوا إلى جانب هذا الكتاب بعض الآثار الأخرى فى الفكر اليونانى !... هل يكون الإسلام هو الذى حال دون اقتباس هذا الفن الوثنى ؟

إن الإسلام فى رأى الأستاذ الحكيم لم يحل بين الناقلين وبين ترجمة كثير مما أنتج الوثنيون . كما أن الإسلام لم ينكر خمريات أبى نواس ، ولا نحت التماثيل فى قصور الخلفاء ، ولا براعة التصوير فى « المنياتور » الفارسى ! ... أهى الصعوبة إذن فى فهم هذا اللون من القصص الشعرى وكله يدور حول أساطير ؟ كلا ، فإن كتاب « الجمهورية » لأفلاطون قد حفل بأفكار يدق فهمها على العقلية العربية ، ومع ذلك فقد نقل إلى العربية وتناوله الفارابى بالبحث والمراجعة !

بعد هذين الفرضين يرد الأستاذ الحكيم علة الإحجام إلى أن التراجيديا الإغريقية فى ذلك الحين لم تكن أدباً مهيأ للقراءة والاطلاع ، ولكنها كانت أدباً معداً للتمثيل والمشاهدة ... ومن هنا لم يجد المترجم العربى حين اطلع عليها كبير نفع ولا غناء ، لأن الشروح والملاحظات التى كان يمكن أن تنير له الطريق ، لا تتضح إلا أثناء التمثيل أمام جمهور من النظارة ، وهذا أمر لم يقدر للعرب أن يروه من قريب أو من بعيد !

وأعقب على هذا كله فأقول : إن المسألة لا تحتاج فى رأيى إلى كل هذه الفروض ... فلو أن الأستاذ الحكيم قد حاول أن يختبر معدن العقلية العربية فى ذلك الحين ، لوجد أن هذا المعدن كان يستجيب لحرارة التفكير العلمى أكثر مما كان يستجيب لحرارة التفكير الفنى ؛ ومن طبيعة معدن هذا شأنه أن يسيغ كتاباً لأرسطو وأفلاطون ، أكثر مما يسيغ تمثيلية ليوربيدس أو سوفوكل ! ...

إن العقليات معادن ، والعقلية العربية فى عصورها الأولى كانت عقلية جدل ومناقشة ، يستهويها ويثير اهتمامها ما يحرك فى طبيعتها نزعة الجدل والمناقشة ... لماذا ؟ لأنها كانت تسعى وراء الحقائق ، تحاول جاهدة أن تكشف عنها على ضوء من نور العقل وحده دون سواه ... ومن هنا كان هذا الإغراق فى العقليات ، الإغراق الذى كاد يستأثر بعناية العرب ويستغرق كل وقتهم وجهدهم وطاقتهم الفكرية . أما التمثيلية التى تقوم على الأسطورة ، فكان من الطبيعى ألا تستهوى عقلية جبلت على السعى وراء الحقيقة ! إنها عقلية تريد أن تناقش وتبحث وتجادل وتقرع الحجة بالحجة وتقيم الدليل على أنقاض الدليل ، فأين هذا كله من مجال يقوم العمل الفنى فيه على صراع النزعات النفسية والعواطف الإنسانية ، وأعنى به مجال الأدب التمثيلى عند اليونان؟!

هذا التفسير يمكن أن نجيب به مرة أخرى على الأستاذ الحكيم حين يتساءل فى موضع آخر : لماذا لم يوجد التمثيل فى

الحضارة العربية ولم يعرف ؟

لقد أرجع الأستاذ هذا الأمر إلى طبيعة عدم الاستقرار فى الوطن العربى إبان عصوره الأولى ... إن التمثيل فى حاجة إلى مسرح ، والمسرح فى حاجة إلى استقرار ، والاستقرار أمر تهيئه البيئة للعربى الذى كان يسعى وراء قطرة ماء تلوح له هنا أوهناك !

وإذا كان العرب قد تهيأ لهم فى العصرين الأموى والعباسى وما بعدهما أن يحيوا حياة مستقرة ، فإن ابتعادهم عن التمثيل كان مرجعه إلى أنهم لا يعدلون بشعرهم العربى شعراً آخر ، حتى ولا هذا الشعر اليونانى الذى أقيم على أركانه بناء التمثيلية اليونانية !

وفى موضع ثالث ينتقل الأستاذ الحكيم إلى مقدمة « كرومويل » لفكتور هوجو ، وهى المقدمة التى يقسم فيها تاريخ البشرية إلى عهود ثلاثة : العهد الفطرى وهو عهد الشعر الغنائى ، والعهد القديم وهو عهد الملحمة ، والعهد الحديث وهو عهد التمثيلية ... هذه النظرية التى ينادى هوجو بإمكان تطبيقها على أدب كل أمة من الأمم ، يرى الأستاذ الحكيم أنها تصلح للتطبيق على الأدب العربى « إذا ما تغاضينا عن (القوالب) واقتصرنا فى بحثنا على (الأغراض) ؛ ففى العصر العباسى وحده نجد البحترى قبل المتنبى ، والمتنبى قبل أبى العلاء ، ولو غرس هؤلاء الشعراء فى أرض اليونان ، لكان البحترى (صناجة العرب) هو (بندار) ، ولكان المتنبى الذى دوى فى آذاننا على مدى الأجيال بصليل السيوف هو (هومير) ، ولكان أبو العلاء الذى صور لنا التفكير فى الإنسان ومصيره والملأ الأعلى هو (إشيل) ... فالتطور إذن من حيث الموضوع قد تم » .

يبدو لى أن الأستاذ الحكيم قد نسى أن هوجو يدعونا إلى تطبيق نظريته على أدب كل أمة من الأمم على مدار تاريخها كله ، لا على مدار عصر بعينه كما فعل حين قصر التطبيق على العصر العباسى ... إن هوجو ينسب الشعر الغنائى إلى العهد الفطرى ، فهل كان البحترى من العهد الفطرى ؟ وينسب الملحمة إلى العهد القديم ، فهل كان المتنبى من العهد القديم ؟ وينسب التمثيلية إلى العهد الحديث ، فهل كان أبو العلاء من العهد الحديث ؟ ! ...

أما مسألة (القوالب والأغراض) ، فأظن أنه لم يبق لها ما يبررها ما دام التطبيق قد بعد عما يهدف إليه هوجو من وراء نظريته ...

ثم يقول الأستاذ الحكيم فى موضع رابع إن فلاسفة العرب قد صبغوا آثار أفلاطون وأرسطو بلون تفكيرنا وطبعوها بطابع عقائدنا ... فى رأيى أن شيئاً من هذا لم يحدث ، إن كل ما فعله فلاسفة العرب هو أنهم نظروا فى الفلسفة اليونانية فنقلوا بعض ما فيها من آراء ومذاهب نقلا يحفل بالخلط والتشويه ؛ ذلك لأنهم حاولوا أن يوفقوا بين تعاليم الفلسفة اليونانية وبين تعاليم الدين الإسلامى ، فكانت محاولة انتهت بأصحابها إلى الإخفاق ، أما الإخفاق فمرجعه إلى بعد الشقة بين العقلية اليونانية والعقلية العربية من جهة ، وبين منهج الفلسفة اليونانية ومنهج الديانة الإسلامية من جهة أخرى ، ومن هنا كانت الفلسفة الإسلامية خليطاً عجيباً من أفكار مضطربة لا تقترب كثيراً من الدين ولا من الفلسفة ، ونظرة متأنية إليها فيها الدليل كل الدليل !

أما الجزء الأخير من مقدمة « أوديب الملك » ، وهو الذى عرض فيه الأستاذ الحكيم لمن تناولوا أسطورة سوفوكليس فى آثارهم الفنية ، من أمثال « بيتس » و « هوفمانستال » و « سان جورج دى بوهلييه » و « جان كوكتو » و « أندريه جيد » ، هذا الجزء الأخير يحفل بكثير من اللمحات المشرقة ، وكم أود أن يرجع إليه القارئ لأنه يعد فى حقيقته مفتاحاً لتلك الأعمال الفنية التى أعقبت « أوديب » سوفوكل ، ومنها هذا العمل الناضج الذى قام به توفيق الحكيم .

« قطرات ندى » لراجى الراعى :

كتاب نفيس عثرت عليه فى سوق الوراقين ، وما أكثر ما يجد المرء فى سوق الوراقين من نفائس ... ولقد عثرت عليه عارياً لا يتشح بغلاف يمكن أن يهدينى إلى اسم صاحبه ! وحين خلوت إليه أقلب صفحاته بين يدىّ راعنى أمام كتاب ممتاز لأديب ممتاز ، ولكن من هو هذا الأديب الذى هزنى وأين مكانه ؟ إنه يعرض فى الصفحات الأولى من كتابه لبعض الأماكن فى لبنان ولبعض رجال الصحافة والأدب فى لبنان ، ترى أيكون صاحب « قطرات ندى » هو جبران أو الريحانى أو نعيمه ؟ لقد وقع فى ظنى أن يكون واحداً من هؤلاء الثلاثة ، لأنه فى رأيى لا يفترق عنهم فى سمة أفقه وومضات فكره ووثبات خياله هذا ما وقع فى ظنى ، ولكننى حين رجعت إلى أحد أصدقائى

من الأدباء اللبنانيين أسأله عن الكتاب وصاحبه ، تلقيت منه رسالة يبلغنى فيها أن صاحب « قطرات ندى » هو راجى الراعى . راجى الراعى ؟ كيف يكون فى لبنان مثل هذا الأديب الممتاز ثم لا أعرفه ولا يعرفه غيرى ولم نسمع به من قبل ؟! وإذا كان قد انقطع عن الكتابة فأى شأن من شئون الحياة قد شغله عن الأدب وحال بينه وبين ميدانه ؟ . ومرة أخرى تلقيت رسالة من الأديب اللبنانى الصديق ، تحمل إلىّ الجواب عما أثرت من أسئلة حول صاحب « قطرات ندى » . إن راجى الراعى كما يقول الصديق فى رسالته أديب كبير من طراز ميخائيل نعيمه ، ولكنه انصرف عن الأدب منذ أمد بعيد حيث شغل بالتفرُّغ لمهنة المحاماة ومنصب القضاء .

لا أدرى كيف يستطيع بعض الأدباء الناضجين من أمثال راجى الراعى أن ينصرفوا عن ميدانهم الأصيل وهو ميدان الأدب ! ... إن « إدوار هريو » سياسى فرنسى له فى رحاب السياسة شأن كبير ومكان ممتاز ، ولكنه فى رحاب الأدب أعظم شأناً وأرفع مكاناً عند الذين يقيمون الميزان لحقيقة هذا السياسى الأديب ، ومع ذلك فلم تستطع السياسة أن تشغله عن ميدانه الذى أخرج فيه كتابين من أنفس وأعمق ما ظهر فى الأدب الفرنسى المعاصر ، وأعنى بهما كتابيه عن « بيتهوفن » و « مدام ريكامييه » !

هذه تحية أبعث بها إلى راجى الراعى على صفحات الرسالة .. ولعله يلبى دعاء الأدب يوماً فيعود إلى ميدانه ، لأن مجاله هنا كما أعتقد وليس هناك ! وفى العدد المقبل أقدم بعض كلماته وتحليقاته

رسالة لطفى السيد إلى الشباب :

لطفى السيد أستاذ الأساتذة فى هذا الجيل ، وهو واحد من هذه القلة التى تزن القول حين تطلقه ، وتزن الرأى حين تنادى به وما أجدر الشباب حين يتحدث هذا الرجل أن ينصتوا إليه ، وأن يتدبروا كلماته ، وأن يتخذوا من نصائحه وخبرته وتجاربه ما يشحذ هممهم ، ويقوى عزائمهم ، ويسدد خطاهم ، فى هذا الطريق الطويل الذى تتجاذبهم فيه عواطف الشباب ونزواته ! يقول لطفى السيد فى رسالته التى حملتها « الأهرام » منذ أيام إلى ناشئة البلاد من طلاب الجامعة : إن التعليم الجامعي أساسه حرية الفكر ، والتربية الجامعية قوامها حرية العمل ، ورسالة الجامعة هى إعداد الطلاب لخدمة وطنهم فى جميع نواحى الخدمة العامة من سياسية واجتماعية وفنية . ثم يقول لطفى السيد بعد أن تناول هذه الأهداف بالشرح والتفصيل « هذه هى رسالة الجامعة فيما أعتقد أنه المثل الأعلى للجامعات . فإن يكن انصراف عن الجادة المثلى وميل عن سواء السبيل ، فمرجع هذه الحال فى تقديرى إلى اتصال الأحزاب السياسية بالطلبة وصرفهم عن واجبهم العلمى إلى الاشتغال بالسياسة العملية . أنا لا أكره أن يشتغل الشبان بالسياسة على اعتبار أنها موضوع نظرى يدرس وتناقش مذاهبه المختلفة القديم منها والحديث . أما السياسة العملية فقد حذرت الشبان دائماً من الإسلاس لقيادة القائمين بها من الأحزاب والهيئات إذ كنت أرى ولا أفتأ أقول : إن السياسة إذا تدخلت فى التعليم أفسدته ، ولا علم على الوجه الصحيح إلا إذا تفرغ الطالب له وتجرد عن كل غرض سواه » !

هذا هو حديث لطفى السيد إلى الشباب ، وإنه لحديث يفضى به الرجل فى إبانه ... إننا ننظر اليوم فنجد بعض طلاب العلم وقد تحولوا إلى طلاب دماء ، وبعض عشاق المعرفة وقد انقلبوا إلى عشاق هدم وتدمير ، وبعض الإشراق الذى كان يشع من نفوسهم وقد انتهى إلى إحراق ! ترى كيف تحول وهج العلم فى أذهانهم إلى وهج رصاص فى أيديهم ، حتى لقد أصبحنا نشفق على مستقبل الشباب من أزمتين : أزمة الضمير العلمى وأزمة الضمير الإنسانى ؟

القول ما قال لطفى السيد ، وهو أن السياسة إذا تدخلت فى التعليم أفسدته ، ولا علم على الوجه الصحيح إلا إذا تفرغ الطالب له وتجرد عن كل غرض سواه !

حول تحية الأديب للرسالة :

وعدت القراء فى عدد الأسبوع الماضى أن أتناول بالتعقيب خبر اختفاء « الرسالة » من الجناح المصرى فى معرض الكتاب الذى أقامته الحكومة اللبنانية بمدينة اليونسكو ، وهو الخبر الذى نشرته زميلتنا « الأديب » اللبنانية وعلقت عليه بما شاء لها الأدب الجم والتقدير الكريم ... ومرة أخرى اعتذر عن ضيق النطاق مرجئاً التعقيب إلى العدد القادم إن شاء الله .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

كتاب كريم :

عزيزى الأستاذ عباس خضر

تحية وبعد فقد قرأت ما علقتم به على كلمتى عن صديق الكاتب الكبير الأستاذ الزيات بك ولم ألحظ هذا الأمر إلا عندما لفتتنى إليه كلمتكم . وقد سألت فى ذلك أحد الناشرين فاعتذر قائلا إن الجملة سقطت من المطبعة أثناء الطبع . وإنى آسف لهذا كل الأسف مستمسكا بما قلت مؤكداً له غير منحرف عنه ؛ فإن ما قلته هو ما كنت وما زلت أعتقده « إن من أراد الأسلوب العربى الرفيع السليم فعليه بما يكتبه أستاذنا الزيات » وتقبلوا خالص تحياتى .

المخلص

٢٥ / ١٠ / ١٩٤٩ ابراهيم دسوقي أباظة

هذا ما تفضل بكتابته إلىّ حضرة صاحب المعالى الأستاذ ابراهيم دسوق أباظه باشا ، رداً على ما لاحظته فى كتاب معاليه « وميض الأدب بين غيوم السياسة » أو ما بدا لى ، من تغيير فيما جاء خاصاً بأستاذنا الزيات . وهو كتاب كريم من معالى الأستاذ الأديب ، يدل على ما يتصف به من أدب النفس إلى جانب أدب الدرس ، وهو وإن كان من الومضات الأدبية النفسية التى تشع بين غيوم الساسة ، إلا أن هـذه الومضة تمتاز بالقوة ، إذ استطاعت أن تنفذ من خلال سحب السياسة « الخارجية » الملبدة إلى حيث الأدب والفن ، تستمد قوتها من نبل الشعور وصفاء الروح .

وكم يحلو لى — ولكلٍّ ما يحلو له — أن أتجاوز المنصب الكبير واللقب الرسمى ، لأخاطب الأديب الأستاذ ابراهيم دسوق أباظة ، متوجها إليه بالثناء والشكر على إيثار مقتضيات الخلق الرفيع والتمسك بالحق ، والاهتمام بإزالة ما يعلق به ، بهـذا الصنيع الجميل والأسلوب النقى المهذب .

وللأستاذ الأديب — أيضاً — خالص مودتى وتحياتى .

سؤال وجواب صريحان :

يقول الأستاذ « ابراهيم حسين خالد » المدرس بالمنصورة فى رسالة كتبها إلى : « نحن خمسة ولنا ندوة متواضعة نجلس فيها كل ليلة نقرأ الرسالة وما تيسر لنا من كتب الأدب ، واسمح لى أن أقول لك فى صراحة من القول وجرأة من الحديث ، لقد جال بخاطرنا سؤال طالما ناقشناه وقلبنا وجوه الرأى فيه ولكننا لم نظفر بالجواب المرضى والنتيجة المريحة ، فهل لك يا سيدى أن تتكرم بمشاركتنا فى هذا البحث وتدلنا على وجه الصواب فيه ولك من المولى حسن الجزاء ؟ لماذا يا سيدى هجر الرسالة وهى كتاب الشرق وسفر الأدب العربى بعض قادة الفكر وأعلام البيان ؟ » .

سأجيب عن هذا السؤال إجابة صريحة ، وأبيح لنفسى أن أفضى بها رغم ما فيها من بعض « الداخليات » لأنها قضية يجب أن تثار ليعلم بها التاريخ الأدبى على الأقل .

ولعل بعض الجواب أو ما يمهد له هو ما أثاره فى مجلة « الأديب » اللبنانية جماعة من أفاضل الأدباء منهم الأستاذ نقولا الحداد ، والموضوع الذى كتبوا فيه هو « الأدب الرخيص » يعنون به ما تنشره أكثر المجلات المصرية ، وقد ألقى الأستاذ يوسف غانم التبعة فى كساد الأدب العالى على الأدباء الكبار فقال : « فكبار الكتاب كما لا يخفى يساهمون فى تحرير هذه المجلات ، فلا غرو إذا فسدت الأذواق ، فالمتأدب الذى يلقن منذ الصغر أن طه حسين والعقاد والحكيم والمازنى وغيرهم هم مشاعل النهضة الأدبية المعاصرة — يجد لنفسه العذر الكافى فى متابعة هؤلاء الكتاب حيثما كتبوا وفى الاعتقاد أن المجلات التى يكتبون فيها هى من أرقى الصحف والمجلات . فما أجدر أدباءنا الكبار أن يقتصروا — فى نشر إنتاجهم — على المجلات الأدبية الرفيعة فيروجون للأدب الرفيع الذى قامت شهرتهم على دعائمه »

انتهى كلام الأستاذ يوسف غانم فى مجلة الأديب .

والمسألة أن تلك المجلات تغرى أدباءنا بالأجور الكبيرة، التى تزيد على ما تستطيع المجلات الأدبية ، لأن هذه لا تبلغ شأو تلك فى الربح من سعة الانتشار ،وهى لا تستطيع أن تتنازل عن مستواها الرفيع وتفرط فى رسالتها الأدبية فتصطنع ما تصطنعه تلك المجلات من أدوات الانتشار .

وأدباؤنا الكبار قد أبطرتهم تلك الأجور ، إذ أصروا فى أنفسهم على أن تكون « تسعيرة » لهم ... ويخيل إلى أنهم فى محنة وأنهم يعانون صراعاً نفسياً بعض أسبابه أن يضطروا إلى الكتابة بجوار (المايوهات) وأن يضطروا إلى شىء من التنسيق بين ما يكتبون وبين الأذهان التى تتراقص فيها صور « المايوهات » .

ومن أسباب ذلك الصراع الذى يخيل إلى ، أنهم ذوو مثل فنية ، تجذبهم من طرف ، وتشدهم من ناحية أخرى رغبة فى الترف .

على أن الرسالة من جانبها تحرص على أن تقدم جيلا جديداً من الكتاب أو « وجوهاً جديدة » كما يعبر السينميون ، وقد كان الأساتذة الكبار يوماً وجوهاً جديدة ، وسيأتى بعد زماننا وجوه جديدة ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . والرسالة تحمد

كشكول الأسبوع

* رأت اللجنة المؤلفة للاحتفال بالذكرى المئوية لمحمد على باشا الكبير ، أن تعمل على تخليد هذه الذكرى بإصدار مؤلف شامل عن حياة مؤسس الأسرة العلوية الكريمة وأعماله .

* ألقى الأستاذ الشبيبى محاضرة بكلية دار العلوم عن مخطوط قال إنه من أقدم ما وصل إلينا فى موضوعه ، وهو التعريف بجزيرة العرب قبائلها ومنازلها ومناهلها وما يتصل بذلك من شعر وأخبار ، لمؤلفه أبى على الحسن ابن عبد الله المعروف بلغدة من أعلام القرن الثالث وأوائل الرابع للهجرة ، وتوجد نسخة منه الآن بقسم المخطوطات بالمجمع العلمى العراقى . وقد أبدى عميد الكلية فى تعقيبه على المحاضرة استعداد الجامعة لطبع هذا الكتاب .

* من قرارات مؤتمر المجمع اللغوى ، الأخذ بمبدأ القياس فى اللغة وجواز الاجتهاد فيها . وقد اتخذ هذا القرار بعد محاضرة فى القياس اللغوى للدكتور أحمد أمين بك ومناقشة فيها ، والمحاضرة ومناقشتها على جانب كبير من الأهمية ، وسنفصل ذلك فى الأسبوع القادم .

* قال أحد الناشرين فى معرض الحديث عن « أزمة الكتاب » الحاضرة : إنه طبع كتاباً لمؤلف كبير فلم يوزع منه سوى ٥٠٠ نسخة رغم مضى عدة شهور على ظهوره ... مع أن المؤلفات السابقة لهذا الأديب الكبير سجلت أرقاماً قياسية فى عالم التوزيع .

* أشرنا فيما مضى إلى ما رأته اللجنة الثقافية بالجامعة العربية من عقد مؤتمر للاذاعات العربية بالقاهرة لتنسيق برامجها تنسيقاً يكفل تحقيق الأهداف العربية المشتركة . وقد عرض هذا الموضوع على مجلس الإذاعة فرأى إرجاء عقد هذا المؤتمر الآن .

* تقرر عقد المؤتمر الثقافى العربى الثانى بالاسكندرية فى أواخر الصيف الصيف القادم .

الله الذى يشد أزرها ويهب العافية لصاحبها ويبعث التجديد فى حياتها ويبقى عليها قراءها ، وإن كان منهم من يسأل — لسابق العهد — عن فلان وفلان

البالية :

انتهى فى هذا الأسبوع موسم فرقة « باليه دى مونت كارلو » على مسرح الأوبرا ، وحلت محلها الفرقة الإيطالية ، التى ستعمل فى الأوبرا شهراً ثم يختتم الموسم الأجنبى فى الأوبرا بفرقة فرنسية .

ويقوم فن (الباليه) على التمثيل بالرقص بحيث تعبر حركات الجسم عن المعانى المختلفة وقد حفلت الصحف والمجلات بصور فتيات (الباليه) فى أوضاع متباينة بعضها مسرحى ، وبعضها فى غرف (التواليت والماكياج) وبعضها فى حفلات خاصة مرحة ... فكانت هذه الصور مادة « طيبة » للصحافة المصرية التى أصبحت تتنافس فى تقديم « مشهيات » للغرائز ولا تعدم ناقداً فنياً حصيفاً ... يكتب إلى جانب هذه الصور فيقول إن هذا الرقص (الباليه) روحى بحت ولا يتصل بإثارة الغرائز بسبب من الأسباب !

وهذا الرقص « الروحى » يقوم به فتيات من أجمل فتيات أوربا بشرط ألا تتجاوز أعمارهن الثلاثين ، ويرقصن باديات

المحاسن عاريات السيقان والأفخاذ على الأقل، والمستور مجسم ... ولا بأس على «الروحانيـة» من ذلك ... فهن يمثلن البجع أو حوريات الهواء، وعلى المتفرج أن يكون قوى التصور فيتخيل أن الراقصة بجعة أو أى شيء آخر غير أنها فتاة!

والدليل على أن (راقصات) الباليه غارقات فى «الصوفية» أن صحفنا ومجلاتنا تنشر صورهن التى توحى إلى القارئ كل معانى الروحانية السامية ... وهل تنشر صحفنا ومجلاتنا غير ذلك؟!

وقد أبدى أحد نقادنا الحصفاء ارتياحه للاقبال على فن (الباليه) فى مصر، وعد ذلك نجاحاً للذوق الفنى المصرى ... طبعاً يا سيدى، ومن قال لك إن الذوق المصرى مجرد من الإحساس؟ ومن فى العالم يستطيع أن يتذوق هذا الفن كالمصريين؟ الرجال رجال ... والنساء ينظرن هذه البضاعة الجديدة ويتباهين بثمين الحلى والفراء، ومجلة كذا ستنشر صورة قرينة فلان أو ابنة علان، وهى ترتدى فراء فاخراً أو تتحلى بجوهرة فريدة ثم أليس هذا شيئاً من (بلاد بره)؟ ومتى يكون التظاهر بالمدنية والرقى إن فاتت فرصة (الباليه) فى الأوبرا؟ ولا بأس ألا يفهم «المتمدن الراقى» شيئاً من تمثيل البجع أو الحوريات، ولا بأس أن تكون عينه وفؤاده معلقتين بالأجسام التى تتلوى كالخيزران وعقله فارغاً مما يشغل المعقول ...

أليس كل ذلك أسباباً داعية إلى نجاح (الباليه) فى مصر؟ وكل عام وأنتم بخير.

ضريح سيدى مختار:

نشرت الصحف أن وزارة المعارف قررت بناء ضريح للمثال مختار، ورصدت لذلك ستة آلاف من الجنيهات، والوزارة طبعاً تقصد تخليد ذكرى المثال المصرى. ولكن لم اختارت الضريح وسيلة لهذا التخليد؟ إن كان المقصود الجرى على سنة الغربيين فى دفن العظماء والأعلام ببنايات ضخمة تمجيداً وتقديراً لأعمالهم فإنهم هناك لا يخصون كل واحد بضريح وإنما يجمعونهم فى مكان واحد. على أنه لا داعى لتقليد تلك البلاد فى ذلك، وخاصة أننا لسنا مثلها فى استكمال أسباب الحياة المستقرة من حيث التعليم وغيره، فأمامنا ضرورات لا ينبغى معها إنشاء الأضرحة، وأقرب شيء إلى ذلك حاجتنا إلى نشر التعليم ومحو الأمية. والوزارة تشكو من ضيق الميزانية بأعباء مشروعات التعليم، وهى تواجه أزمة فى أبنية المدارس. فلا أشك فى أن إنشاء مدرسة يطلق عليها اسم مختار أجدى من الضريح وأخلد لذكر صاحبه.

مؤتمر لغوى عام:

عرض فى الجلسة الأخيرة لمؤتمر المجمع اللغوى اقتراح اللجنة المؤلفة لوضع برنامج المؤتمر المقبل، إلقاء بحوث ومحاضرات عامة يعد لها من الآن، على أن يشترك فيها العلماء والمختصون فى اللغة بمصر والأقطار العربية، ويلقى منها على الجمهور ما تختاره اللجنة التى تشرف على ذلك.

وقد أوضح الدكتور إبراهيم مدكور ذلك الاقتراح بقوله: درجنا فى مؤتمراتنا على أن تكون أشبه بلجنة أو جلسة خاصة، وترمى فكرة الاقتراح إلى إشراك الجمهور فى أعمالنا؛ إذ أنه توجد مشاكل كثيرة تتصل باللغة العربية ويسر أعضاء المجمع أن يسمعوا آراء غيرهم فيها، فتحدد الموضوعات ويعلن عنها، ثم يلقى فى المؤتمر ما يقرر إلقاؤه منها.

وأيد الفكرة الدكتور أحمد زكى بك، فقال: إن المؤتمرات تتيح لكل ذى كفاية فى الأمة أن يشترك فيها، وبذلك يخرج المجمع عن انطوائه على نفسه.

وشاطر الأستاذ الشبيبى الدكتور زكى رأيه قائلا: إن المجمع فى حاجة إلى دحض بعض الأقاويل التى تقال بشأنه، فقد لاحظت شيئاً من الاعتراضات على المجمع من حيث البطء فى العمل والإنتاج وقد أنهى المجمع الدورة الخامسة عشر ولم ينجز إلى الآن لا المعجم الوسيط ولا المعجم الكبير ولا معجم المصطلحات على ما يقول المعترضون، ولا يقطع ألسنة المتخرصين غير السرعة فى الانتاج.

وهنا سأل الأستاذ زكى المهندس بك الأستاذ الشبيبى عن عمل المجمع العلمى العراقى وموقف الجمهور منه، فقال الشبيبى: لست بصدد المقارنة بين المجامع العلمية، ومع ذلك أقول إن المجمع العراقى لا يزيد عمره على سنة واحدة إلا قليلا وقد استطاع فى هذه المدة أن ينشىء مكتبة غنية بالمخطوطات النادرة، وتمد المدة لنشر هذه المخطوطات، كما تمد المدة لنشر مجلة خاصة بالمجمع، وبه مصلحة فنية مجهزة بأحدث الآلات للنسخ والتصوير.

ورأى الدكتور طه حسين بك الاكتفاء بأن تكون بعض جلسات المؤتمر علنية يلقى فيها بعض الأعضاء محاضرات يستمع إليها الجمهور.

وأخيراً تقرر إحالة الاقتراح إلى مجلس المجمع لمناقشته فيه.

عباس خضر



عود على بدء :

بين الأستاذ أنور المداوى وبينى خلاف حول « إنسانية محمد » مرجعه إلى أن الأستاذ لا يقر التعليل الذى علل به الأستاذ العقاد مواقف النبى الإنسانية ؛ وهو أنه إنما وقف هذه المواقف لأنه أكبر من أن يلقى الأمور لقاء الأنداد ، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة ، وأخبر بسعة آفاق الدنيا التى تتسع لكل شىء بين الأرض والسماء ، لأنه يملك مثلها آفاقاً كآفاقها هى آفاق الروح .

فالأستاذ المداوى يرى أن هذا التعليل ينطبق على الرجل العظيم دون الإنسان العظيم ؛ لأنه يجعل النبى صاحب طبيعة خلقية تنبع فيها الرحمة من منابع العظمة النفسية . بينما يرى أن مصدر الرحمة عند الإنسان العظيم هو « الضعف الإنسانى » لا العظمة النفسية .

وأنا أخالفه فى هذا لأنى لا أجد تناقضاً بين العظمة النفسية والعظمة الإنسانية ، بل إن الأولى فى رأيى لازمة للثانية . لأن الإنسان العظيم الذى يرحم فى غير مواضع الرحمة إنما يفعل ذلك لأنه ربأ بنفسه أن يقصر رحمته على مواضعها ، شأن الرجل العادى ذى النفسية العادية .

وينصب الخلاف من ناحية أخرى على قول العقاد « أن النبى لا يكون رجلا عظيما وكفى بل لا بد أن يكون إنساناً عظيماً » فإذا كان الأستاذ المداوى لم يقصد بتعليقه عليه سوى قوله « إن اشتراط الإنسانية لنبوة محمد أمر لاداعى لإثباته ، لأن محمداً كان إنساناً بأدق معانى الكلمة قبل أن يبعث رسولا إلى الناس » ، إذا كان لم يقصد سوى هذا فانى أخالفه فيه أيضاً .

فهل كون النبى إنساناً عظيما قبل نبوته يمنع من اشتراط الإنسانية له ؟ ما دخل إنسانية ما قبل النبوة هنا ؟ إننا بصدد تبيين خصائص النبى ، فلا يكفى أن يكون رجلا عظيما ، بل يجب أيضاً أن يكون إنساناً عظيما . هذا ما قاله العقاد : فما معنى دفعه بأن لا ضرورة لاشتراط الإنسانية للنبى لأنه كان إنساناً قبل أن يكون نبياً ؟ هل الإنسانية قبل النبوة تمنع من جعلها من خصائصه بعد النبوة ؟ ؟

وبعد ، فهذه كلمة (عجيبة ! !) أخرى ، ولكنها الأخيرة ، أبعث بها للأستاذ المداوى مع تحياتى .

محمد محمود عماد
المحامى

ما أكثر مايخطىء الكتاب والشعراء المعاصرون فى العربية :

قال الشيخ جمال الدين بن هشام الأنصارى فى كتابه « مغنى اللبيب » : (قط) على ثلاثة أوجه (أحدها) أن تكون ظرف زمان لاستغراق ما مضى ، وهذه بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة فى أفصح اللغات . وتختص بالنفى ؛ يقال ما فعلته قط ، والعامة يقولون لا أفعله قط ، وهو لحن . واشتقاقه من قططته أى قطعته ؛ فمنى ما فعلته قط : ما فعلته فيما انقطع من عمرى ، لأن الماضى منقطع عن الحال والاستقبال .

وقال عميد الأدباء فى كلمته المنشورة بعدد الرسالة رقم ٨١٣ بالصفحة رقم ١٥٠٤ :

« وما أعرف أنى بايعت شاعراً أو كاتباً قط ، وما أظن أنى سأبايع شاعراً أو كاتباً قط » . وقال أيضاً فى كلمته المذكورة :

وما أكثر ما يخطىء الشعراء والكتاب المعاصرون فى العربية

وقلت أنا : لقد حق القول قوله والسلام

(الروضة) **محمد فؤاد عبد الباقى**

رواية بيتين :

نشرت الرسالة الغراء بالعدد ٨٠٧ قطعة من فرائد الشعر للأستاذ الشاعر ابراهيم الوائلى بعنوان (أيها العابرون) جاء فيها هذا البيت :

موجة إثر موجـــة تترى كجبال قد اقتلعن اقتلاعا

وصدر هذا البيت ينقصه (وتد مفروق) قبل قوله (تترى) ، إذ أن البيت من بحر الخفيف . وكذا فى البيت :

وقلوباً من الحديد تشظت فاكتسحت قوة وجلت صراعا

زيادة فى التفعيلة الأولى من عجزه . وهذه هنات لا تغض من قيمة القطعة ، ولعلها من آثار التطبيع

(فرشوط) **عبد الفتاح حماد**
بالمدارس النموذجية

(الرسالة) : الواقع أنه تطبيع . وصواب الكلمة فى البيت الأول : تتنزى ؛ وفى البيت الثانى : فاكتست .

ابن المقفع وكليلة ودمنة :

قرأت فى العدد ٨٠٦ من مجلتكم الغراء مقالة الأستاذ محمد رجب البيومى « الصداقة فى رأى ابن المقفع » كان لها أثر كبير فى نفسى ، وقد لاحظت أن الأستاذ الفاضل يعرض أفكاره ثم يعقبها بشواهد من كتاب « كليلة ودمنة » وينسبها إلى ابن المقفع مع أن الكتاب المذكور — كما يخبرنا التاريخ — ليس لابن المقفع فيه غير الترجمة . أما مؤلفه وصاحب ما فيه من الآراء والأمثال والحكم ، فهو « بيدبا » الفيلسوف الهندى الكبير .

هذا ما عن لى ، فأرجو إن كنت على حق نشره لأرى رأى الأستاذ صاحب المقال فيه . فلعل عنده من العلم ما نجهله عن كتاب « كليلة ودمنة » .

(المدينة المنورة) **محمد العامر الرميح**

١ — مكتبة الكيلانى للأطفال :

أخى الكاتب الكبير الأستاذ كامل كيلانى

تحية طيبة مباركة . وبعد ، فإنى لا أحاول فى هذا الخطاب الوجيز أن أصف كل ما يخالج نفسى من تقدير بالغ لأدبك العالى وبيانك الرفيع ، أو أن أصور فضلك على الأدب والشعر والتاريخ وما ذا أقول فى وصفك وقد أجمع العظماء والكبراء ، واتفق فحول الكتاب والشعراء على فضلك ، والإشادة بعظم ما قدمت لرجال أمتك (وأطفالها) من أدبك ، لا أريد أن أزيد اليوم بالكلام عن فضلك وما سبق من عملك . وإنما أتحدث فى عبارة موجزة عن المجموعة النفيسة المسماة (مكتبة الكيلانى للأطفال) تلك التى جعلتها لتأديب الأطفال وتثقيفهم، وضمنتها الخيال البعيد والفكر السديد ، والحيل الغريبة ، والمحاورات المفيدة ، وزينتها بالحكم الغالية ، والفلسفة العميقة ، والفكاهة الحلوة ، والنادرة المستملحة ، وغير ذلك من الأغراض التى يرمى إليها كبار علماء التربية فى هذا العصر ، والتى يجب أن تحملها كل كتب التربية ، كل ذلك فى معرض مشوق أخاذ . والتشويق أنجع دافع إلى القراءة والانتفاع بما فى الكتب والأسفار ، يستوى فى ذلك الكبار والصغار ، أما طبع هذه المجموعة والشكل والعرض والأسلوب والصور التى تزينها ، فهى كذلك مما لا يكاد يوجد مثله فى مطبوعات أخرى .

وإذا كان لى من قول أذكره لأخى بعد تجارب تقرب من أربعين سنة قضيتها فى الدرس والتحصيل ، فهو اعترافى بأنك قد وفقت أعظم توفيق فى إخراج هذه المجموعة النفيسة التى بدت تختال فى هذا الشكل الرائق والموضوع الفائق ، وأستحثك على أن لا تنى فى الاستزادة منها ليدوم النفع وتستمر الإفادة .

وإنى تلقاء هذا العمل الجليل أتوجه لأخى الكريم بالتقدير العظيم على ما بذل ويبذل من جهد وتعب فى سبيل تثقيف الناشئين وغير الناشئين ، وبالشكر الجزيل على سائر الهالات الأدبية والعلمية التى أخرجتها وتخرجها كل يوم لنفع الناس أجمعين .

أعانك الله وأدام توفيقه لك ، ومتعك بكمال الصحة وموفور العافية . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(المنصورة) **محمود أبو ريه**

٢ — من طرائف حافظ ابراهيم :

كان المويلحى الكبير ابراهيم بك المويلحى يمدح الإنجليز ويثنى عليهم ، أما حافظ ابراهيم فكان يمقتهم ويثلبهم ، ومما قال فى ذلك :

وحبيب لى عزيز ... وهو فى حرز حريز

ليته يحتل قلبى ... كاحتلال الإنجليز

وفى مجلس بمنزل عبده الحمولى فى سنة ١٨٩٨ حضره الكاتبان الكبيران الشيخ ابراهيم اليازجى وابن أخته الشيخ نجيب الحداد أنشد حافظ ابراهيم — وكان حينئذ ضابطاً بالجيش — هذين البيتين:

ياساهر الليل هل للصبح من خبر؟ ... إنى أراك على شىء من الضجر

أظن ليلك قد طال الوقوف به ... كالقوم فى مصر لا ينوى على سفر

فطرب اليازجى طرباً شديداً ، وبخاصة لقوله (على شىء) ، وشهد لحافظ بالشاعرية .

(م . أ)

استدراك سهو

جاء فى نقدنا لكتاب « عالم الذرة » للأستاذ نقولا الحداد والمنشور فى العدد الماضى من الرسالة الغراء أن :

الكتلة × السرعة = العزم ؛ والصحيح أن الكتلة × السرعة = الدفع . وإنا نستدرك هذا السهو مع الاعتذار للقارئ

كامل محمود حبيب

تصويب : سبق القلم إلى خطأ مشهور ، فجمعنا حافداً على أحفاد . والصواب فى جمعه حفد وحفدة وقد نبهنا إلى ذلك الأستاذ عزيز خانكي فله الشكر .



عـــالم الذرة

للاستاذ نقولا الحداد

أشكر عظيم الشكر لحضرة الأديب الأستاذ كامل محمود حبيب نقده فى الرسالة لكتابى « عالم الذرة » . وقد استهله بكلمات تقريظ بقصد أن يخفف من لوعة النقد . وكان ينقده باعتبار أنه ثقة فى الموضوع . وسرنى جداً النقد لأنه ينبهنى إلى مواضع الخطأ اللهم إذا كان صواباً ولكن ...

يقول الأستاذ : « أنت فى كتابك أردت أن تكون معلماً ولكن ... »

لا يا سيدى ما كنت إلا تلميذاً أبسط لأساتذتى من أمثالك الدرس الذى تعلمته . ولكن يظهر لك أنى لم أحسن البسط .

وقد أعطانى حضرته ستة نماذج لفصول كتاب كان يتمنى أن تكون فصول كتابى ؛ لأنه رأى فصول كتابى الأولى مضطربة . وأنا أرى أن النماذج التى اقترحها جديرة بأن تكون فصول كتاب سيؤلفه هو إن شاء الله ، أو أنها مرسومة فى ذهنه . وحضرته يعلم أن لكل مؤلف طريقة فى تبويب كتابه وتفصيله مستوحاة من دراسته وبغيته فى التأليف .

وأما أنا فقد حللت الذرة التى كان يظن أنها بسيطة لا تقبل التجزئة إلى ضلعيها الالكترون والنواة . ثم حللت النواة إلى أضلاعها البروتون والنيوترون والبوزيترون إلى آخره . ثم حللت هذه الأضلاع إلى فوتونات . فلا أفهم كيف يكون هذا التحليل اضطراباً . أترك الحكم إلى القراء .

أما ذكرى أن الطاقة والمادة شىء واحد وإرادى فصلا بشأنه فى آخر الكتاب كملحق له فله سبب ، وهو أنى ذكرت فى مقال فى المقتطف أن المادة والطاقة شىء واحد ، فشجب هذا القول كاتبان من القدس ومن السلط فرددت عليهما بهذا الفصل ثم انتهزت هذه الفرصة لأنقل هذا الفصل إلى كتابى كتأييد للفصل الرابع فى الكتاب وهو فصل عن الطاقة والمادة .

والآن أنتهز هذه الفرصة للاستشهاد بما ورد بهذا الصدد فى الفصل الأول من كتاب وزارة الحربية الأميركية بعنوان « الطاقة الذرية » وهو بنصه : « الطاقة لا يمكن أن تخلق من العدم ولا أن تفنى فى العدم ، بل يمكن أن تتحول شكلا ... »

ثم « لقد اكتشف أخيراً أن الطاقة يمكن أن تتحول إلى مادة ، والمادة إلى طاقة » والمعنى أن المادة والطاقة شىء واحد يختلفان شكلا .

وأما سكوتى عن النقط الفنية التى وردت الإشارة إليها فى صفحة ٦٨ من الكتاب ، فسببه أن البحث فيها يستلزم رسوم آلات وعدداً يتعذر فهمها على القارىء ما لم يكن واقفاً أمام الآلات والعالم الفنى يفسرها له . والتمادى فى دراستها يصل إلى نقط محظور الاطلاع عليها لأنها من أسرار القنبلة الذرية التى يدور النقاش بشأنها بين بعض الدول ، وبالطبع لست أنا ممن يدركون هذا الكنه ، فلا أبحث فيما أجهله .

بقى أن أرد على الأستاذ فى « الهنات » التى صححها وأريه أنه خطأ الصواب فيها .

انتقد ترجمتى « Magnatic Feild » بالجو المغنطيسى وصححه بالمجال المغنطيسى : وأنا فى جميع كتاباتى العلمية أستعمل الجو بدل المجال ؛ لأنى أرى أن استعمال المجال خطأ محض ، لأن المجال سطح ذو امتدادين طول وعرض فقط ، والمغنطيسية (والكهربائية أيضاً) تتوزع فى حيز ذى ثلاثة امتدادات : طول وعرض وعمق ، وهى امتدادات الجو لا امتدادات المجال . فالجو أصح والمجال خطأ وعلى المجمع اللغوى أن يقرر ترجمتى إن رام الصواب .

وينتقد الأستاذ ترجمتى « Cent-ifugel Force » بالقوة الدافعة المركزية . وهو يصححها أو بالأحرى يغلطها بقوله « القوة

الطاردة المركزية » وبين الدفع والمطرد بون عظيم . الطرد هو الاقصاء عن المركز إلى اللانهاية . والقوة الدافعية المركزية هى القوة التى تحفظ الجرم المدفوع فى البعد الذى تقتضيه القوة الجاذبة بحيث لا يهبط إلى المركز ولا يشرد عنه . فاذا قذفت قذيفة بقوة أضعف من قوة الجاذبية تنقذف إلى مدى القوة التى قذفتها ثم تهبط نحو المركز . ولكن إذا كانت القوة الدافعة (لا الطاردة) تعادل القوة الجاذبة (بسرعة نحو ٥ أميال فى الثانية على الأرض) فالجرم المقذوف لا يهبط إلى الأرض نحو المركز ولا يشرد فى الفضاء بل يبقى دائراً حول الأرض كأنه قرنان لها . فانظر ما أعظم الفرق بين الدافعية المركزية والطاردية المركزية ! أما عن الجرافيت فتفسير الأستاذ له لم يزده بياناً ؛ فما هو إلا فحم حجرى مضغوط كما قلت والفحم كربون على كل حال بقى أن الأستاذ لم تعجبه المعادلة :

كتلة × سرعة = زخماً

Mess × Valocify = Momentum

بل يصر على أن تكون عزماً بدل زخم . ولو كلف خاطره أن ينظر فى أى معجم من معجمات اللغة لرأى بين عزم وزخم بوناً شاسعاً .

الزخم هو الدفع أو الاندفاع بشدة .

والعزم هو توطين النفس على العمل أو الفعل ، أو هو القصد أو الإرادة ، وليس معنى من هذه المعانى هو المعنى المقصود بشدة الاندفاع أو الدفع . فالعزم هنا خطأ محض كما يرى القارىء .

ثم لم يعجبه القول أن السرعة هى مدى انقذاف مقدار من الكتلة فى الثانية ، بل يصححها بقوله أما سرعة جسم متحرك هى معدل إزاحته فى ثانية . وللقارىء أن يحكم أى القولين أصح . ألا يصح فيه قول القائل « وفسر الماء بعد الجهد بالماء » .

كنت أود أن تكون نقدات أستاذنا كامل وجيهة لكى أستفيد منها ، فاذا هى نقدات ناقدنواها منذ شرع يطالع الكتاب . وعلى كل حال أشكر له اهتمامه وأتمنى أن يأتينا بكتاب من قلمه فى هذا الموضوع العويص فنتعلم منه ما لم نعلمه .

نقولا الحداد

م ش البورصة الجديدة القاهرة

الملك أوديب

تأليف الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

وأخيراً تناول الأستاذ توفيق الحكيم بأسلوبه البارع فى القصة والحوار مسرحية الملك أوديب ، بعد أن تناولها قبله تسعة وعشرون مؤلفاً ، من سنة ١٦١٤ م إلى سنة ١٩٣٩ م ، وهى مسرحية قديمة ألفها سوفوكليس اليونانى ، ليصور فيها الصراع بين الإنسان والقدر ، على نحو ما كان يذهب إليه اليونان من عقيدة القدر المحتوم .

وتتلخص هذه المسرحية فى أن لا يوس ملك طيبة تزوج فتاة تسمى جوكاستا ، وقد رزق منها طفلا هو أوديب ، فجاء إليه ترسياس العراف الذى كان يدعى الوحى من السماء ، فأخبره بأن هذا الطفل إذا كبر يقتله ويستولى على ملكه ، وأشار عليه بقتله وهو فى المهد ، فأعطاه هو وجوكاستا راعياً لهما ليقتله . فلما ذهب به ليقتله لم يطاوعه قلبه على قتل طفل برىء ، فأعطاه راعياً آخر ليذهب به إلى بلده ويتخذه ولداً ، فذهب به ذلك الراعى إلى بوليت ملك كورنت وزوجته ميروب ، فتبنياه وربياه فى قصرهما إلى أن كبر ، ولكنه علم أنه لقيط ، فلم تقبل نفسه أن يقيم معهما بعد علمه بذلك ، ففر من قصرهما ليبحث عن حقيقة أصله فألقى به القدر إلى طيبة ، وكان لايوس قد خرج من طيبة فى حاشية له ، فزحم أوديب مركبة لا يوس عند مفترق الطرق بين دلف ودوليا ، وقام شجار بينه وبين الحراس من الحاشيه ، فتغلب عليهم وقتلهم ، وأصابت ضربة منه رأس لا يوس فقتلته وكان فى الحاشية ذلك الراعى الذى أعطاه لايوس أوديب ليقتله ، ولم ينج غيره من الحاشية . فأشيع أن جماعة من اللصوص خرجوا على لايوس فقتلوه ، وكانت جوكاستا لا تزال فى عنفوان شبابها ، وكان لها أخ يسمى كريون ، فجعلوه وصياً على العرش ، وهنا ظهر وحش خارج أسوار طيبة له وجه امرأة وأجنحة نسر سماه أهلها أبا الهول ، وكان كل من تخلف منهم خارج الأسوار بعد الغروب يلقى عليه لغزاً ليحله فيعجز عنه ويقتله ، حتى أهلك عدداً كبيراً منهم ، فاتفقوا على أن يمنحوا عرش طيبة لمن ينقذهم منه ، ويزوجوه جوكاستا ، وكان أوديب هو الذى أنقذهم من ذلك

الوحش ، لأنه قدم عليه فسأله عن لغزه : ما هو الحيوان الذى يمشى فى الصباح على أربع ، وفى الظهر على اثنتين ، وفى المساء على ثلاث؟ فأجابه بأنه الإنسان ، لأنه يحبو فى صغره على يديه ورجليه ، وفى الكبر يستوى ماشياً على قدميه ، وفى الشيخوخة يدب على قدميه وعصاه . فأعطوا أوديب عرش طيبة وزوجوه جوكاستا وهو لا يعلم أنها أمه ، كما قتل لايوس وهو لا يعلم أنه أبوه ، وقد قضى معها عيشة طيبة ، ورزق منها بأولاد ، ولكن هما كان يثقله من جهة أصله الذى خرج من كورنت يبحث عنه ، فكان يهمه أن يصل إلى معرفة حقيقة أصله ، وفى معرفته القضاء على هناءة عيشه هو وزوجته ، لأنها أمه ، وأولادها إخوته .

وهنا يشاء القدر فى قسوته أن يوصله إلى حقيقة أصله ، فيسلط طاعوناً على أهل طيبة ، ويعجز أوديب عن إنقاذهم منه كما أنقذهم من ذلك الوحش ، فيرسل كبير الكهان كريون أخا جوكاستا إلى معبد دلف ليسأل الإله عما يفعلونه ليرفع غضبه عنهم ، فيجيبه الإله بأن سبب هذا الغضب إثم يدنس طيبة بدم الملك لايوس ، ولا مفر من غسل الدم بالدم ، ويخبره بأن قاتله هو أوديب ، ثم يسوق القدر القاسى الحوادث بعضها إثر بعض ، إلى أن يبين لأوديب الحقيقة التى سعى وراءها ، فإذا هو قاتل أبيه لايوس ، وإذا هو زوج أمه جاكوستا ، وإذا هو أخو أولاده منها ، ويثقل وقع الحقيقة على جاكوستا فتذهب إلى حجرتها هرباً منها ، ثم يجدونها تتدلى فى هوائها معلقة بحبل فى عنقها ، وقد ماتت مختنقة به ، ويراها أوديب كذلك فيبلغ مصابه غايته ، وينتزع مشابك ثوبها الذهبية فيطعن بها عينيه ليبكيها بدموع من دم ، ولا يزال الدم يسيل من عينيه إلى أن يذهبا ، وتنتهى بهذه الفجيعة تلك المسرحية .

وقد تصرف الأستاذ توفيق الحكيم فى نقلها إلى العربية ليجعل منها مسرحية توافق البيئة العربية الإسلامية ، فلا تكون محض جبرية كما كانت فى أصلها اليونانى ، بل يكون لسعى أوديب فى الوصول إلى الحقيقة أثر فى مصيرها ، ليكون القدر فيها وسطاً بين الجبر والاختيار ، كما قال أبو حنيفة : إنى أقول قولا متوسطاً ، لا جبر ولا تفويض ولا تسليط ، والله لا يكلف العباد بما لا يطيقون ، ولا أراد منهم ما لا يعملون ، ولا عاقبهم بما لم يعملوا ، ولا سألهم عما لم يعملوا ، ولا رضى لهم بالخوض فيما ليس لهم به علم ، والله يعلم بما نحن فيه . وقد أصاب الأستاذ الحكيم فى توجيه مسرحية أوديب هذا التوجيه ، ولكنى أخالفه فى أن أوديب سوفوكل بلغت الكمال الفنى أوجا يعد مفخرة للذهن البشرى ، فهى ألاعيب كهان وثنيين لا يسمون إلى حقيقة القدر ، لأنه أسمى من أن يقدر هذه الألاعيب من أولها إلى آخرها ، ليلهو بها أولئك الكهان ، وينصبوا ويعزلوا بها ملوكهم ، ويوقعوا المصائب على شعوبهم ، وما كان أحرى الأستاذ الحكيم أن يوجه المسرحية إلى كشف هذه الألاعيب، لتوافق البيئة الإسلامية موافقة كاملة ، ولا تنتهى إلى تلك الفجيعة التى لا تستسيغها عقليتنا ، ولا نرى فى قتل أوديب لأبيه من غير عمد ، ولا فى زواجه بأمه من غير علم ، شيئاً يوجب هذا المصير المؤلم ، كما لا يوجب ذلك الطاعون الذى أصاب أهل طيبة ، وهذا إلى أنهم لم يكن لهم يد فى ذلك القتل .

وأين القدر فى هذه المسرحية من القدر فى أمر موسى وفرعون؟ ولعل هذه المسرحية مأخوذة من قصتهما ، مع الفارق الكبير بينهما ، فقد أراد القدر أن يربى فرعون موسى ليقتله من أجل غاية سامية ، فلما أخبر فرعون كهنته بأنه سيقتل بيد مولود إسرائيلى ، عمد إلى قتل كل مولود يولد لبنى إسرائيل ، ولكن القدر الإلهى غلبه على أمره ، وجعله يربى ذلك الطفل الذى سيكون هلاكه على يديه ، ومع هذا لم يجعل هلاكه على يديه إلا بعد أن أعذر إليه ، ليكون هلاكه عقاباً له يستحقه ، ولا شىء من هذا كله فى مسرحية أوديب ، وإنما هى ألاعيب كهان جهلة ، يستغلون جهل الشعوب ، ويلعبون كما يشاء لهم جهلهم بمصيرهم .

مطبعة الرسالة

العدد ٨١٥ — الاثنين ١٤ فبراير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٢٥١٤

17 em Année No. 815

Lundi — 14 — 2 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨١٥ « القاهرة في يوم الاثنين ١٦ ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ١٤ فبراير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

الرجـــل الذي فقدناه !

مضى على استشهاد المجاهد الخالد محمود فهمي النقراشي باشا سبعة وأربعون يوما ولا يزال الأسى على مصرعه يلوع القلوب ، والأسف على فقده يرمض الأنفس ! وعهدنا بالحزن على الزعماء العظماء أن يشتعل أوسع ما يكون الاشتعال ، ويخبو أسرع ما يكون الخبُو . ولم يمت زعيم عظيم إلا اختلفت الآراء في تعيين مكانته ، وتفاوتت الموازين في تقدير كفايته . حتى أبو الأبطال سعد ، لم تتفق على سياسته الكلمة ، ولم تُجمع على عدالته الأمة ، ولم يصلّ على جنازته الملك . ولم يكن النقراشي الذي ظفر من الشعب والحكومة والعرش بذلك كله قد أوتي ما أوتي مصطفى كامل وسعد زغلول من ذكاء القلب في الخاصة ، وبلاغة اللسان في العامة . ولم يكن الوعي القومي الذي قدّره هذا القدر ، ووضعه هذا الوضع ، وبكاه هذا البكاء ، خامد الفطنة كليل البصيرة سلس المقادة ، كذلك الوعي الذي افتتن بمصطفى واستقاد لسعد . وعينا القومي اليوم غيره بالأمس . ولئن نضج في هذا العهد لقد تقلب على أطوار الطبيعة ككل كائن : كان غصناً خدّره برد الشتاء فنبهه أبو اليقظة مصطفى ؛ ثم كان بُرعماً أخرجه دفء الربيع ففتّقه أبو الثورة سعد ؛ ثم كان ثمرة سواها حر الصيف فقطفها أبو النهضة النقراشي . فالوعي المصري في هذا الطور يتأثر بالفعل لا بالقول ، ويستجرُ للعقل لا للهوى ، ويفاضل بالمنفعة لا بالعاطفة. ومن هنا كان حزن الأمة العميق الشامل على النقراشي الذي كان يعمل ولا يتكلم ، ويحارب ولا يخطب ، ويصارح ولا يداهي ، وينتصر ولا يبامي ، وينتصف ولا يحابي ، ويقدِم ولا يتردد ، ويهجم ولا يخاف ؛ لأنه كان مقتضَى الحال الأليمة التي كانت عليها مصر يوم تولى أمرها . والمصلحون كالأنبياء يبعثهم الله حين يستشري الفساد ويضطرب الحبل ويستبهم الطريق . كانت الحكومة مترددة تريد الحازم ، والسياسة مستكينة تريد الأبي ، والشهوة متوقحة تريد النزيه ، والأمة متحيرة تريد الدليل . والنقراشي شهد الله كان أقدر على تصريف الأمر بمين لا تكسِرها ريبة ، ويد لا تقصّرها جبانة.

كانت حياة النقراشي ملحمة ، وكانت مِيتته مأساة ! وكما يكون بطل الملحمة عبقري الصفات في خيال الفنان ، كان النقراشي عبقري الصفات في واقع الطبيعة . ولكن بطولته كانت نمطاً من بطولة الرسل : قوة في الروح تقهر النفس ، وقوة في الخلق تقهر الغريزة . ومن لوازم القوة الروحية الصفاء والوفاء والعفة والكرامة ؛ ومن لوازم القوة الخلقية العزم والحزم والنظام والصرامة . والصفات الأولى هي عناصر الشخصية الخاصة في النقراشي الصديق والزوج والوالد ؛ والصفات الأخرى هي عناصر الشخصية العامة في النقراشي المعلم والسياسي والحاكم . ومن أجل ذلك كان النقراشي هو الشهيد الوحيد الذي ترثيه بلسان الشعر فتؤثر ، وترثيه بلسان المنطق فتُقنع . كانت حياته العاملة في سبيل وطنه وأمته ، وموتته الدامية في طفولة ابنه وابنته ، إلياذة مجد ألّف ختامها القدر من أنات هانيء وصفية وكتبها بدمه ، كما ألف ختام الملحمة العلوية من صرخات علي وفاطمة وكتبها بدم الحسين !

احمد حسن الزيات

السرى الرفـــاء

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

السرى بن أحمد الكندى الموصلى المعروف بالرفاء من شعراء القرن الرابع الهجرى النابهين .

نشأ فى الموصل رفاء يرفو الثياب ، وقد ذكر هذا فى شعره إذ كتب إليه صديق يسأله عن حاله فأجاب بأبيات منها :

وكانت الإبرة فيما مضى صـــائنة وجهى وأشعارى
فأصبح الرزق بهــا ضيقا كأنه من ثقبها جارى

يقول الثعالبى فى يتيمة الدهر :

(ولم يزل السرى فى ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة واستكثر من المدح له فطلع سعده بعد الأفول ، وبعد سيطه بعد الخمول وحسن موقع شعره عند الأمراء من بنى حمدان ورؤساء الشام والعراق . ولما توفى سيف الدولة ورد السرى بغداد ومدح المهلبى الوزير وغيره من الصدور فارتفق بهم وارتزق معهم وحسنت حاله ، وسار شعره فى الآفاق ، ونظام حاشيتى الشام والعراق ، وسافر كلامه إلى خراسان ، وسائر البلدان) .

فهذا شاعر عاش فى الشام والعراق فى القرن الرابع ، وشهد حلبة الأدب عند الأمير العربى الجواد الأديب سيف الدولة ، واتصل بالوزير الأديب المهلبى فى بغداد . فهو يمثل الشعر العربى فى عصر من أندر عصوره ، وفى أمجد أقطاره . ففى شعره مجال للأديب واسع ، وقد صرف القول فى فنون الشعر المعروفة فى عصره ، ونافس كثيراً من شعراء زمانه . ولا يتسع حديثنا للقول فى تاريخ السرى الرفاء وشعره ، فأكتفى بموضوعين .

الأول عداوة للأديبين الموصليين الأخوين محمد وعثمان المعروفين باسم الخالديين ، وهجاؤه إياهما بسرقة شعره وشعر غيره وتصريفه القول فى غارتهما على الشعر ، والولوع بذكر هذا فى قصائد مدحه وهجائه . وإن صح ما رواه الثعالبى عنه فقد حملته العداوة على ما لا يجمل بالأدباء . يقول الثعالبى :

(ونابذ الخالديين الموصليين وناصبهما العداوة ، وادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره وجعل يورق وينسخ ديوان شعر أبى الفتح كشاجم — وهو إذ ذاك ريحان أهل الأدب بتلك البلاد ، والسرى فى طريقه يذهب ، وعلى قالبه يضرب — وكان يدس فيما يكتبه من شعره أحسن شعر الخالديين ليزيد فى حجم ما ينسخه ، وينفق سوقه ويغلى سعره ، ويشنع بذلك على الخالديين ويغض منهما ، ويظهر مصداق قوله فى سرقتهما ، فمن هذه الجهة وقعت فى بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست فى الأصول المشهورة منها وقد وجدتها كلها للخالديين بخط أحدهما) .

فهذا مثل من ادعاء السرى على هذين الشاعرين سرقة الشعر . وأما هجاؤه إياهما بسرقة من أشعاره خاصة فقد افتن فيه افتنانا . وردده فى كثير من شعره وقد سلط الله عليه الثعالبى جزاء وفاقا فعقد هذا المؤلف الكبير فصلا فى اليتيمة لسرقات السرى من الشعراء وأفاض القول فيها . واكتفى هنا بمثالين من شعره فى هذا الموضوع :

كتب الخالديان إلى أبى إسحاق الصابى الكاتب المعروف أنهما قادمان إلى بغداد فأنشأ السرى للصابى قصيدة أولها :

قد أظلتك يا أبا إسحق غارة اللفظ والمعانى الدقاق
فاتخذ معقـلا لشعرك يحميه مروق الخــوارج المراق
كان شن الغارات فى البلد القفـــر فأضحى على سرير العراق
غارة لم تـكن لسمر العوالى حين شنت ولا السيوف الرقاق
جال فرسـانها على جلوسا لا أظلتهم ســيوف العتاق

إلى أن يقول :

يا لهــا غارة تفرق فى الحو مة بين الحمام والأطواق
تسم الفارس السميدع بالعا روبعض الأقــوام عار باق
لو رأيت القريض يرعد منها بين ذاك الارعاد والابراق
وقلوب الـكلام تخفق رعبا تحت ثنتى لوائها الخفاق
وسيوف الظلام تفتك فيها بعـذارى الطروس والأوراق
والوجوه الرقاق دامية الأبشـــار فى معرك الوجوه الصفاق
لتنفست رحمـة للخدود الســمر منهن وللقدود الرشاق الخ

وله قصيدة أخرى فيها يخاطب أبا الخطاب والمفضل بن ثابت

الضبي وقد سمع أن الخالديين يريدان الرجوع إلى بغداد ، فى عهد الوزير المهلبي يقول فى مطلعها :

بكرت عليك مغيرة الأعراب   فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
ورد العراق ربيعة بن مكدم   وعتيبة بن الحارث بن شهاب
أفمندنا شك بأنهما هما   فى الفتك لا فى صحة الأنساب
جلبا إليك الشعر من أوطانه   جلب التجار طرائف الاجلاب
فبدائع الشعراء فيما جهزا   مقرونة بغرائب الكتاب
شنا على الآداب أقبح غارة   جرحت قلوب محاسن الآداب
لا يسلبان أخا الثراء وإنما   يتناهبان نتائج الألباب

إلى أن يقول :

نظرا إلى شعر يروق فتربا   منه خدود كواعب أتراب
فى غارة لم تنتظم فيها الظبا   ضربا ولم تند القنا بخضاب
تركا غرائب منطق فى غربة   مسبية لا تهتدى لإياب
جرحى وما ضربت بحد مهند   أسرى وما حملت على الأقتاب

ويصف شعره بهذه الأبيات وهو كثير الإعجاب بشعره ، مولع بالحديث عنه .

لفظ صقلت متونه فكأنه   فى مشرقات النظم در سحاب
وكأنما أجريت فى صفحاته   حر اللجين وخالص الزرياب
أغربت فى تحبيره فرواته   فى نزهة منه وفى استغراب
وقطعت فيه شبيبة لم تشتغل   عن حسنه بصبا ولا بتصابى
وإذا ترقرق فى الصحيفة ماؤه   عبق النسيم فذاك ماء شبابى
يصغى اللبيب له فيقسم لبه   بين التعجب منه والإعجاب
جد يطير شراره وفكاهة   تستعطف الأحباب للأحباب

ثم يعود فيرثى لهذا الشعر الجميل الذى كتبه بماء شبيبته من غارة الخالديين فيقول :

أعزز على بأن أرى أشلاءه   تدمى بظافر للعدو وناب
أفنى رماه بغارة مأفونة   باعت ظباء الروم فى الأعراب
إنى أحذر من يقول قصيدة   غراء تخذنى غارة ونهاب

هذا موضوع فكه طريف يستطيع الأديب أن يتناوله بالبسط والشرح ليبين عما بين السرى والخالديين من عداء ويتعرف أسبابه ، ويقضى فيما يدعيه السرى عليهما من سرقة ، وفيما اتهم الثعالبي به السرى من دس لشعرهما فى ديوان كشاجم ، وعن الصلة بين أشعار هؤلاء الأربعة من شعراء القرن الرابع وما يتصل بهذا من قضايا أدبية خطيرة فى ذلك العصر المزدهر .

ولم يقتصر اعتداد السرى بشعره واتهام الناس بسرقته على على ما بينه وبين الخالديين ، بل تناول غيرهما من الشعراء بهذه التهمة . ومن هؤلاء أبو العباس النامى الشاعر المعروف . قال السرى عن النامى وادعى أنه كان جزارا :

أرى الجزار هيجنى وولى   فكاشفنى وأسرع فى انكشافى
ورقع شعره بعيون شعرى   فشاب الشهد بالسم الزعاف
لقد شقيت بمديتك الأضاحى   كما شقيت بغارتك القوافى
توعر نهجها بك وهو سهل   وكدر وردها بك وهو صافى

ويصف قصائده بأبيات يقول فيها :

جمعنا الحسنيين فمن رياح   معنبرة وأرواح خفاف

ثم يرجع إلى ذكر إغارة النامى على الشعر فيقول :

وما عدمت مغيراً منك يرمى   رقيق طباعها بطباع جافى
معان تستعار من الدياجى   وألفاظ تقد من الأثافى
وشر الشعر ما أبداه فكر   تعثر بين كد واعتساف . الخ

وأما الموضوع الثانى من الكلام عن السرى الرفاء فوعده المقال الآتى إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

وحـــدة الوجود

للأستاذ نقولا الحداد

هذا الموضوع طُرح على بساط البحث فى هـذه المجلة منذ أكثر من سنة ، وتناقش فيه بعض الكتاب وتشعبت آراؤهم فيه فى نواح مختلفة ، وما استقرت على نظرية واحدة . واليوم عاد الأستاذ عبد العزيز محمد الزكى يبسطه ثانية عارضاً فيه نظرية طاغور الهندوكى . وهى على حد قوله حجر الزاوية فى الديانة الهندوكية كالتوحيد فى الإسلام (والنصرانية أيضاً) .

وقد أفاض الأستاذ عبد العزيز فى الموضوع فى ستة أعمدة من المجلة ، ولكنه بكل أسف لم يعرفنا المقصود من « وحدة الوجود » . ومعظم ما ورد فى مقاله مبهم قلما يستقر الذهن فيه على معنى .

والذى فهمناه من الوجود أن للفلاسفة فيه قولين : وحدانية الوجود Unism وثنائية الوجود Duabism . أما وحدانية الوجود فقد وضحت فى فلسفة سبينوزا ونحواها أن الكون كلٌ واحدٌ ، وإن كان مكوناً من أجزاء ، وأنه يشمل الله ، أو بالأحرى إن الله يشمله . وبحسب هذه الفلسفة يكون الله موجوداً فى كل جزء من الكون ، أو أن كل جزء من الكون يعبر عن الله . وبهذا الاعتبار فالله موجود فى كل مكان .

وكذلك العقل الذى يدرك الكون (عقل الله مثلاً وعقل الإنسان المنبثق من عقل الله بحسب فلسفة المطران بركلى) هو جزء من الكون لا ينفصل عنه والكون لا يوجد بدونه ، فإذا لم يكن العقل موجوداً فالكون لا وجود له ، وإن زعمنا أن الكون موجود على كل حال ، فبأى عقل يوجد ؟ وأى عقل يدركه ؟ ما لا يوجد فى الإدراك ، أو فى عقل مدرك ، فلا وجود له

أما ثنائية الوجود ، فقد وضحت فى معظم فلسفة الفلاسفة ، وهى أن الكون موجود منفصلا عن الله وعن العقل الذى يدركه ؛ يعنى أن الكون مرتبتان أى Two Catigorys : الكون المادى والكون العقلى ، والمقصود بالكون العقلى الله وما انبثق منه من العقول . وبهذا المعنى يكون الله ذاتية Entits قائمة بذاتها مستقلةً عن الكون المادى ، وإنما هو بحسب رأى اللاهوتيين حالٌ فى كل ذرة من مواد الكون المادى ، ولكنه ليس منه البتة

فإذاً للوجود كونان : كون مادى وكون عقلى أو روحى ، وهذا ليس من ذاك بل هو يدركه . ومعظم الفلاسفة ثنائيون يعتقدون بثنائية الوجود . ولا أدرى أى النظريتين تتفق مع طاغور والديانة الهندوكية ، وكذلك لا أرى أى النظريتين توافق النصرانية والإسلام . إن هذا يتوقف على ماهية الله . والله فى اللاهوت المسيحى « روح (لا مادة) أزلى (وأبدى سرمدى) خالق كل شىء (من العدم) وقادر على كل شىء ، وموجود فى كل مكان وكل زمان ، وعالم بكل شىء » . وأظن هذا التعريف مقبول فى الإسلام . وبحسب هذا التعريف يوافق الرأى الثنائى الإسلام والنصرانية ، لأن الوحدانية تستلزم أن يكون الله خاضعاً للادراك البشرى . أعنى يستطيع العقل الإنسانى أن يبحث فيه ويحلله ، كما يبحث فى الذرة ويحللها ، ويفهم مقاصده من غير وحى وإلهام . وهذا لا يوافق الإسلام ولا النصرانية .

وأما كيفية مطابقة « الوحدة » للعقيدة الهندوكية فلم نفهمها جيداً من بحث الأستاذ الزكى واقتباسه نظريات طاغور . فمثلا لا نفهم قوله : « إن الله حينما امتلأ بالسرور فاضت منه الخليقة ، فالكون عند طاغور هى الصورة التى يتجلى فيها سرور الله ، الخ »

هذا كلام يحتاج إلى تفسير مستفيض إن كان تفسيره ممكناً .

ثم قوله : « إن الإنسان لن يحصل على كماله الروحى إلا عندما يتلاشى شعوره بذاتيته ويدمجه فى كل ما حوله من كائنات . وبغير ذلك لن يدرك أحد حقيقة وحدة الوجود » . كيف ذلك ؟

وهناك فقرات كثيرة من هذا الطراز لا نفهمها . عذراً يا أستاذ !

وقد اتفق بطاركة الفلسفة الأولون — سقراط وأفلاطون وأرسطو — على أن الله موجود مع الكون السرمدى منذ وجد هذا الكون (إن كان لوجوده بداية) ، ولكنه لم يخلقه وإنما هو يديره .

هذه العقيدة أقرب إلى المعقول من غيرها ، وتطابق نظرية ثنائية الوجـود إذا اعتبرنا الله مجموعة النواميس الطبيعية وعلى رأسها ناموس الجاذبية ، فإما أن تكون الجاذبية هى الله نفسه ، أو أن الله وراءها ممسكها بيده ويدير بها عوالم الكون ، لأنه

عـــدل السماء

للأستاذ كامل محمود حبيب

أتذكر — يا رفيقى — يوم أن تخرجت فى الجامعة ، يوم كنت تدلُّ بقسامة الوجه ونضارة الصفحة ، وتختال بصلابة العود وانفتال العضل ، وتفخر بقوة الشباب ونشاط الحياة ، وتمتز بالسعة فى الرزق والإشراق فى المستقبل ، وتتيه بوظيفتك الحكومية على صحابك وذوى قرابتك ، وتزهى بميراثك من أمك وقد اغتصبته من أبيك منذ أن تخرجت فى الجامعة ضناً به عليه وعلى اخوتك من أبيك ؟

وركبك الغرور والشيطان ، فأنت فى سعة من المال والعلم ، وأنت فى وظيفة تدر عليك ما يفيض عن حاجاتك ، وأنت عزبٌ تعيش فى نوازع نفسك ورغبات قلبك ، هى لا تكلفك كثيراً ، فما تنزع بك إلى فاحشة ، ولا تندفع بك إلى فجور . فقضيت سنوات منطوياً على نفسك ، تبيت تحصى ما ادخرت ، ثم تودعه درج مكتبك ، أو مكتب البريد ، فادخرت مالاً .

وجاءك أبوك — ذات مساء — يستعينك على أمره ، وقد عصرته الحاجة ، وجلس إليك فى خلوة يحدثك بذات نفسه يقول : « ... وأنت تعلم — يا بنى — أننى قد ضُربتُ بداء أعضل على الأطباء شفاؤه ، وأنا بين الأطباء كالشاة يتجاذبها الذئاب ثم لا يلفظونها إلا رمة . وللطبيب أفانين طبية تبتز مال الفقير ، وتستلب ثراء الغنى ، ومن ورائه القانون يشد عضده حين يمسك بالمشرط ، وحين يمسك بالقلم ؛ فابتلع الطبيب والمرض فى أشهر ما ادخرتُ فى سنوات ، وأولادى كثير بينهم الشاب والصبى والرضيع ، وأخشى أن تكشفنى الكواشف وأنا فى قرية شيدت على البغضاء والشحناء ، وبين أهل انطبعوا على الحقد والضغينة والغل ، يخفونها وراء ستار صفيق من الحب والمودة والإخاء ، وهم بين صغير يتربص بالكبير أن ينحدر إلى الهاوية ، وفقير يتمنى للغنى أن ينهار إلى الحضيض ؛ وإذا نزلت بواحد نازلة ابتسم الجميع فى غل وشماتة ، وتندّروا به فى سخرية وتشف ، ثم قال قائلهم — وهو فى يسر وغنى — : « آه ، لو أستطيع أن أعينه على بلواه ! » ثم يتوارى خيفة أن يعين قريبه بفضلة من مال ... وأنت ، يا بنى ، رجل ذو مال ، ولقد جئتك لتقرضنى بعض مال أستتر به ضعفى وحاجتى . وهذه « كمبيالة » بالمبلغ الذى أريده » .

وكانت كلمات أبيك تتدفق أسى وحزناً ، ونفسه تتقطر ذلة وانكساراً ، وأحس وهو إلى جانبك يحدثك حديث حاجته أنه ينحط بكرامته وينزل عن كبريائه ، وكانت سلوته أنك أنت ابنه وله عليك حق . ولما أتم حديثه نظرت إليه فى ترفع وصلف ثم قلت : « يا أبى ، إن حاجات المدينة لم تدع لى وفراً من المال ، وأنا لا أعرف مَن أستقرضه لأدفع لك ما تريد » !

آه ، يا قلبى ! لقد أحس أبوك بالضعة حين رآك تستعلى عليه ، وشعر بأن كلماتك الجاسية تصفعه صفعات قاسية متتالية ، وأراد قلبه أن يبكى حسرة وكمداً ، ولكن الدوار كان قد غلبه ، فترنح حيناً ثم سقط بين يديك ... سقط فما رق قلبك ، ولا اضطربت نفسك !

وخرج أبوك من لدنك وهو يتمتم بكلمات لم تسمعها أذن ... ما ذا قال ؟ ليت شعرى ! هل كان يستنزل سخط السماء على ابنه العاق ؟ !

وعاوده المرض يعركه عركا شديداً من أثر فظاظتك وخشونتك ، وألح عليه السقام فما تركه حتى مات ... مات أبوك لأنك أنت فقدت إنسانيتك ورجولتك ، ولأنك نسيت أنك ابن أبيك !

وظن اخوتك الصغار أنك الأخ الأكبر ، وأنك أنت الأب بعد أبيهم ، ولكنك كنت وجدت فى قلبك حلاوة المال ولذة المدينة ، فانطويت عن القرية ، وابتعدت عن أهلك وأقاربك ، ثم انطلقت تنعم بالحياة ، وتتلذذ بارخاء ، وترتاح إلى الوفر ، واخوتك

بحسب العلم الطبيعى نرى الجاذبية موجودة مع الأكوان منذ الأزل ومنبثة فى كل ذرة من ذرات العوالم المادية وجميع حركات الذرات والأقمار والسيارات والشموس والسدم — كل هذه تتحرك فى « الزمكان » (زمان مكان) بقوة الجاذبية تتحرك كيماوياً وحيوياً وميكانيكياً ، هى قوة قصوى موجودة فى كل مكان وزمان ، ولكنها لم تخلق العوالم من العدم .

هذه النظرية يمكن أن تتفق مع وحدة الوجود ومع ثنائيته أيضاً — وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .

نقولا الحداد

٢ شارع البورصة الجديدة — القاهرة

فى القرية يتنازعهم شظف العيش ، وجفوة الحياة ، وغلظة الأهل ، وقسوة الأقارب ، فعشت أنت وعاشـوا . . وما تبضُّ كفك بدرهم ، وما ينبض قلبك بعاطفة !

وتماديت فى قسوتك ، فرحت تفزع الطير الآمن عن عشه : هذه دارك ودار أبيك ، تقاسمتماها على سواء ، لأنها ميراثكما من أمك ، وهى عش اخوتك الوحيد منذ أن ولد كبيرهم . وها أنت تصر عليهم أن يدفعوا لك أجر نصيبك من الدار التى يسكنون . وأصررت وأصرت المحكمة الحسبية . ثم وافقت المحكمة الحسبية — بعد لأى — أن تباع الدار فى مزاد علنى ، فاشتريتها أنت ، اشتريت نصيب أبيك (المرحوم) لأنك تجد المال ، ثم قذفت بأخوتك خارج الدار ، لأنك لا تجد الإنسانية ، وأفزعت الطير الآمن عن عشه ، وهو قد اطمأن إليه منذ سنوات وسنوات . وجاءت زوجة أبيـك وابنها الأكبر — أخوك — يسألانك المهلة والرفق ، فما أعرتهم أذناً صاغية !

ونسيت أن زوجة أبيك قد كفلتك طفلاً ، وأنها كانت أحنى الناس ضلوعاً عليك يوم أن اصطلحت عليك العلل وأنت صبى ، وحين قرر الطبيب أن المرض معد تحاماك كل أقاربك ، حتى عمتك رفضت أن تدخل الحجرة التى عُزلتَ فيها خشية أن يصيبها ما أصابك ! أما زوجة أبيك فقد قضت أربعين يوماً تقدم لك الطعام وتؤاكلك وتجلس معك وتداعبك وتخفف عنك وعكة المرض وقسوة الوحدة ، وأبوك ينظر ويبسم لما يرى من عطفها عليك ، وهو يشعر براحة القلب وهدوء البال من أثر ما تفعل . ستقول إنها فعلت لتكسب رضاء أبى ومحبته ، ولكنها تحملت — يا رفيقى — فى سبيلك ما ضنّ به أقرباؤك عليك !

ونسيت أن من بين اخوتك من كان يحمل إليك الزاد من القرية لا تزعجه وعثاء الطريق ولا يصرفه عناء السفر ، ومن كان يفرج أزمتك وأزمات الطالب لا تنتهى ، ومن كان يخفف عنك متاعب الحياة ومصاعب الدرس ؟ ! .

نسيت كل ما كان وأصررت على أن تفزع الطير الآمن عن عشه !

لقد ركبك الغرور والشيطان ، فتماديت وتماديت ، لا ترتدع من دين ، ولا تنىء إلى خلق ، ولا تسمو إلى إنسانية ، ولا تترفع عن مادية . وتململت السماء من وحشيتك فأرادت أن تنتقم من أرضيتك !

يا لله ، لقد ضل هذا الفتى حين ركبه الغرور والشيطان فغشى بصره ، وشغل عن سواء السبيل ، وغفل عن أن فى السماء عقاباً لا يمهله ... فما ذا كان ؟

آه — يا رفيقى — لقد بدأت الروحانية تنتقم منك — أول ما بدأت — فى أسلوب حلو جميـل ، تتضوع منه ريح العطر واللذة والسعادة والمال . كان ذلك حين طرقت باب « فلان بك » تخطب إليه ابنته ، فما تمهل ولا تموق ، وحين زفت هى إليك فى ثوبها الأبيض الناصع الجميل ، تتألق فى ثلاثة منابع من النور : نور وجهها المشرق الجذاب ، ونور جواهرها الوضاءة المتلألئة ، ونور الكهرباء المتناثرة فى المكان ؛ وحين جلستْ إلى جانبك على عرش الورد ، والموسيقى ترسل أنغامها الشجية الأخاذة ، فتملأُ المكان نشوة وطرباً ... حين ذاك نسيت أنك أنت !

ثم مات (سعادة البك) فطرت أنت فرحاً ، وقضى الناس ليلتهم فى حزن ونواح ، أما أنت فانزويت فى ناحية تحدث نفسك حديث الثراء الذى ورثته زوجك من أبيها ليكون ملكا لك ، وسيطرت عليك النشـوة فسلبتك وقارك ، فرحت تنشر ذات نفسك على رفاق من رفاقك !

وما هى إلا عشية أو ضحاها حتى جاء الدائن يجر الدائن ... يستوفون ديونهم من ميراث (سعادة البك) ، وجلس الكاتب يكتب والحاسب يحسب ، فإذا سعادة البك لا يملك ما يسد به دينه ، وإذا أنت صفر اليدين . ولكن ابنة (البك) ما تزال هى!

ومرت الأيام ، وابنة (البك) لا تستطيع أن تكون زوجاً لك ، فهى فى أبهتها وكبريائها لا تنزل عن حاجة من حاجاتها ، وترفعت — بادئ ذى بدء — عن أن يبدو عجزك أمامها ، فهل استطعت أن تشبع رغباتها وهى تنطلق كل ليلة إلى ضجة الحياة الليلية : تهفو إلى السينما ، وتسمى إلى المسرح ، تصبو إلى الخمر ، وتحن إلى القمار ، ثم هى لا تصبر على الدار ، لأنها تحب الشارع ، وفى الشارع أساليب من الحياة تنزع عنها الملل والضيق ؟ هذا المال الذى ضننت به على نفسك وعلى أبيك ، وبخلت به على اخوتك وأهلك ، ينسرب اليوم من بين يديك فى غير مهل ولا روية ؛ فأنفقت فى يوم غلة شهر ، وأنفقت فى شهر غلة سنة ، وأنفقت فى سنة ما ادخرت منذ تخرجت فى الجامعة ؛ ثم امتدت يدك إلى ميراثك تبعثره ، وما هو بكثير !

ثم أسقمك السهر وأضناك التعب وعلقت بك الخمر وشغفت

القوة الحربية لمصر والشام

فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٢ —

كان عدد الجيش المصرى فى ذلك العهد عظيماً ضخماً ؛ ففى أيام الفائز الفاطمى استعرضت عساكر القاهرة ، فكانت نحو خمسين ألف مقاتل ، وكان بمراكبه عشر مراكب مشحونة بالرجال والسلاح ، وهذا مع تلاشى أمر الخلفاء الفاطميين ، وضعف شوكتهم (١) . قال المقريزى فى الخطط (جـ ١ ص ١٣٨) ورأيت بخط الأسعد بن مهذب بن زكريا بن مماتى الكاتب المصرى : سألت القاضى الفاضل عبد الرحيم : كم كانت عدة العساكر فى عرض ديوان الجيش لما كان سيدنا يتولى ذلك فى أيام رزيك بن الصالح ؟ فقال أربعين ألف فارس ونيفاً وثلاثين ألف راجل من السودان ، مما يدل على أن مصر كان فى استطاعتها رد الصليبيين بجيوشها ، لولا ظروف أخرى عرضناها فيما مضى .

فلما انقضت الدولة الفاطمية واستولى على الأمر صلاح الدين عنى بأمر الجيش عناية كبرى ليحقق أهدافه ومشروعاته . قال القاضى (١) الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة فى ثامن المحرم (أى قبل القضاء على الخلافة الفاطمية بيوم واحد ، ولعل لهذا العرض مغزى سياسياً آخر يرمى إليه صلاح الدين) خرجت الأوامر الصلاحية بركوب العساكر قديمها وجديدها ، بعد أن أنذر حاضرها وغائبها وتوافى وصولها ، وتكامل سلاحها وخيولها ، لحضر فى هذا اليوم جموع شهد كل من علا سنه أن ملكاً من ملوك الإسلام لم يحز مثلها ؛ ولم يتكامل اجتياز العساكر موكباً بعد موكب ، وطلباً بعد طلب (والطلب بلغة الغز هو الأمير المقدم الذى له علم معقود وبرق مضروب وعدة من مائتى فارس إلى مائة فارس إلى سبعين فارساً) إلى أن انقضى النهار ، ودخل الليل ، وعاد ولم يكمل عرضهم وبلغت عدة عساكره بمصر اثنى عشر ألف فارس ، فلما مات افترقت من بعده ، ولم يبق بمصر مع ابنه الملك العزيز عثمان سوى ثمانية آلاف فارس وخمسمائة ، إلا أن فيهم من له عشرة أتباع وفيهم من له عشرون وفيهم من له أكثر من ذلك إلى مائة تبع لرجل واحد من الجند ؛ فكانوا إذا ركبوا ظاهر القاهرة يزيدون على مائتى ألف(٢) .

(١) ابن إياس جـ ١ ص ٦٧

(١) المرجع السابق ص ١٥٢

(٢) خطط المقريزى جـ ١ ص ١٣٩

بالميسر ... ومرت سنة أخرى ، فإذا ميراثك كله — وهو عشر فدادين فحسب — قد تبدد وتناثر !

وهكذا — يا رفيق — لم يبق لك سوى راتبك الحكومى ، وأنت بين أدواء ثلاثة : الخمر والميسر والزوجة ... وسول لك الشيطان — مرة أخرى — فركبك الدين والداء معاً !

وفقدت صحتك ومالك ، فتراءيت فى نظر زوجك شبحاً لا تستطيع أن تكون رجلا ، فأخذت تنظر إليك شزراً وتحدثك فى احتقار ، تمتهن قولك ، وتزدرى رأيك ، وتسخر من جهلك ، وتتطاول عليك تثلبك وتثلب أهلك ... ثم ... ثم طارت عنك مع واحد من ذوى الثراء ، لتذرك على فراش المرض وحيداً ، تلتهمك هموم المرض والدين !

والآن ... هل تذكر تاريخك ؟ لقد عجمتك الخطوب ، وراضك الزمن ، ولكن بعد أن توزعتك الأحداث ، وعصفت بك الأحزان ، ولزمك المرض والفقر ؛ فأنت هيكل يتهادى فى مزق بالية ، تقتحمك الأعين ، وتعافك الأبصار !

يا عجباً ، لقد كنت منذ سنوات تدل بمالك وصحتك وعقلك ، فتعاليت على أهلك وأقاربك . والآن حين ضربك الفقر والمرض والذهول ، ذهبت تستجدى عطفهم ولكن ...

ونظرت الأعين فى عجب ، وابتسمت الشفاه فى سخرية ، وتشفت القلوب فى صمت ، وقال قائلهم : « ليت كل ذى عقل يؤمن بأن فى السماء عدلا يهبط إلى الأرض فى غير انقطاع ! فما أشد حمقك وغباوتك يا من تتناسى عدل السماء ! »

ليت شعرى هل كان أبوك يستنزل سخط السماء على ابنه العاق حين كان يتمتم بكلمات لم تسمعها أذن ؟ !

كامل محمود حبيب

واستكثر الصالح أيوب من شراء المماليك حتى كان عددهم في معركة المنصورة عشرة آلاف (١) . ولما قامت دولة المماليك الأتراك حذوا حذو مواليهم بني أيوب ، وبلغت عدة جند بيبرس اثنى عشر ألفاً ، ثلثها بمصر ، وثلثها بدمشق ، وثلثها بحلب ، فإذا غزا خرج معه أربعة آلاف يقال لهم جيش الزحف ، فإن احتاج استدعى أربعة أخرى ، فإن اشتد به الأمر استدعى الثالثة (٢) . وكان في خدمة قلاوون من المماليك اثنا عشر ألفاً كذلك (٣) ، وكذلك كانت عدة مماليك ولده الأشرف خليل بن قلاوون(٤)

والظاهر أن ذلك كان عدة الجيش النظامي ، وفي غير وقت النفير العام . أما الجيش في الحملات الحربية ، وعند النفير العام ، فإن عدده ما كان يقف عند هذا الحد ، فكان جيش قلاوون في معركة حمص التي هزم فيها المغول يبلغ خمسين ألف مقاتل (٥) ؛ وكان في الحملة التي بعث بها قلاوون إلى بلاد النوبة سنة ٦٨٨ أربعين ألف راجل . قال لين بول (٦) : احتفظ بيبرس باثني عشر ألف جندي نظامي دائم ، وهذا بخلاف الاحتياطي من العرب والمصريين ، وما تقضي به الظروف من تجنيد طبقات من الجنديين. وفي المعارك الكبرى كان المتطوعون يقدمون من كل فج حتى لتزيد عددهم على الجند المقيدين . قال صاحب النجوم الزاهرة (ح ٨ ص ٥) : اجتمع مع الأشرف خليل على عكا من الأمم ما لا يحصى كثرة ، وكان المطوعة أكثر من الجند ومن في الخدمة .

وهذا الجيش الضخم هو الذي استطاع بمثابرته أن يرد جحافل التتار ، وأن يطرد الفرنج من الديار .

ولا غرابة أن تبلغ العناية بأمر الجيش ذروتها في ذلك العهد الذي هاجم الغرب فيه الشرق ، ووقفت فيه مصر والشام تدفعان عن كيانهما الصليبيين والتتار . وإذا كانت العناية بأمر الجيش في آخر عهد الفاطميين قد وجهها الوزراء إلى ناحية الاحتفاظ بمراكزهم ، فإن نور الدين محمود بن زنكي ، وأمراء القاطمات السورية في عهده قد عنوا بجيوشهم وأبلوا البلاء الحسن في حرب الصليبيين . ولو أن مصر والشام كانتا متحدتين في يد قوية ، ما استطاع الصليبيون تثبيت أقدامهم في الشام . وفي عهد صلاح الدين عني به عناية فائقة وارتقى فن الحرب في عهده

(١) السلوك ح ١ ص ٦٣٨
(٢) لين بول ص ٢٣٥ (٤) موير ص ٦
(٣) خطط المقريزي ح ١ ص ١٥٣
(٥) موير ص ٥٧ (٦) ص ٢٧٣

وعهد نور الدين من قبله ، وما كانا يغفلان يوماً عن تقوية جسمهما بالرياضة البدنية . وفي عهد الصالح أيوب بنى لمماليكه بجزيرة الروضة قلعة جهزها بكثير من الأسلحة والآلات الحربية والأقوات ، وأسكنهم فيها ، وجعل حول تلك القلعة شواني حربية مشحونة بالسلاح معدة لقتال الفرنج إذا طرقوا البلاد (١) . وعني الظاهر بيبرس بالجيش وإعداده وتمرينه على الأعمال الحربية ، وكان ذلك من أهم ما شغله طوال أيام حكمه ، حتى اتسم عصره بسمة الجد وشاعت فيه روح الجندية ، فكان عندما يثوب من الحرب لا يدع جيشه للراحة والسأم بل يدربه على أعمال الحرب ، ويستعرضه في الحين بعد الحين ليرى أينقصه شيء ؟ وكثيراً ما اشترك هو وابنه الملك السعيد في مناورات الجيش وكان موضع الإعجاب والتقدير ، وعني بيبرس بالحياة الخلقية لجنده فحرم عليهم الفسق وشرب الخمر. ونودي يوم عيد الفطر وبيبرس والجند على باب صفد : من شرب خمرا أو جلبها شنق(٢) ولم تقل العناية بالجيش في عهد قلاوون الذي كان يخرج غالب أوقاته في مواعيد الطعام للمماليك ويأمر بعرضه عليهم ، ويتفقد لحمهم ، ويختبر طعامهم في جودته ورداءته فإن رأى فيه عيباً اشتد على المشرف والاستادار ونهرهما ، وحل بهما منه ما يكرهان . وألزم المماليك الإقامة بقلعة الجبل لا يبرحونها (٣) ، ولكن يظهر أنه لم يكن كبيبرس في شدة تزمته ، بل أباح لجنده اللهو البريء ، فبينما كان الغناء كالمحرم في عهد بيبرس إذا بنا نرى طائفة من الجند قادمة للقتال على رءوسهم البيض مقلدين سيوفهم، وبأيديهم الرماح وأمامهم العبيد تميل على الركائب وترقص بتراقص المهارى ، وبأيديهم الجنائب ووراءهم الظعائن والحمول ، ومعهم مغنية تعرف بالحضرمية سافرة في الهودج وهي تغني :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة	ليالي لا قينا جذام وحميرا
ولما لقينا عصبة تغلبية	يقودون جرداً للمنية ضمرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه	ببعض أبت عيدانه أن تكسرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها	ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

وفي عهد ابنه الأشرف عني بالجيش ، ليضرب الفرنج الضربة القاضية ، وسمح لمماليكه بمبارحة القلعة نهاراً على ألا يبيتوا في غيرها

(يتبع)

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

(١) ابن إياس ج ١ ص ٨٣ . (٢) السلوك ج ١ ص ٥٤٦ .
(٣) خطط المقريزي ج ٣ ص ٤٣٦ .

أحـــرف القرآن

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

كان حق هذا المقال أن يسبق مقالات القبائل والقراءات ولكنى أخرته عن عمد فلما رأيته من تعرض له ومن كتب من المحدثين فيه ومن استفهم عن معانيه كتبت هذا المقال .

معلوم لكل إنسان أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة ولا فى مكان واحد بل نزل منجما فى ثلاثة وعشرين عاماً بمكة والمدينة وما حولها ؛ وكانت الآيات ينزل بها جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقاها المؤمنون من فم الرسول ويكتبها من عرفوا بأنهم كتاب الوحى كما يمليها عليهم الرسول الكريم . وكان الإسلام فى مكة محدود الأشخاص فلما هاجر النبى إلى المدينة اتسعت رقعة الإسلام وكثر عدد الداخلين فيه من قبائل مختلفة ولهم عادات صوتية تخضع لها ألسنتهم وتتحكم فى ألفاظها ، فكان من سماحة الإسلام أن يترك الألسن على سجيتها من إمالة وتفخيم وما شابه ذلك من طريقة أداء اللفظ بنغمة تخضع لها عادة الإنسان اللغوية حيث لا يمكنهم أن ينسلخوا منها بسهولة .

وهذه الإباحة أرشد إليها الحديث المرفوع ، اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتهم وفهمت من أن الرسول قرأ فأمال « يحيى » فلما سئل فى ذلك قال هذه لغة الأخوال بنى سعد .

أما حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف فلم يكن مقصوداً به اللهجات التى هى عادة لغوية تتحكم فى عضلات النطق . وكل توجيه لهذا الحديث على أنه يراد به لهجات القبائل ، إنما هو توجيه خاطئ أو هروب خاطئ من معناه الحقيقى الذى تظاهره جميع الروايات الصحيحة لهذا الحديث

وآخر ما قرأته متعلقاً به هو ما جمعه من عدة كتب الأستاذ عبد الوهاب حمودة فى كتابه القراءات واللهجات وما حمله عليه الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه اللهجات العربية متبعاً فى ذلك رأياً لبعض العلماء — ولى نقد على كتابيهما أرجو أن أنشره فى الرسالة إن شاء الله — وقد كنت أحسبهما سيطلعان علينا فى هذا الحديث — وهما أستاذان مساعدان بالجامعة ولهما على أستاذية — بالرأى الواضح المستقيم ، ولكن الأستاذ حمودة كانت مهمته عرض آراء ومحاولات التوفيق بينها دون أن يكون له مجهود يذكر .

والدكتور أنيس اختار أشهر التأويلات باعتبار أن الأحرف هى اللهجات كالإمالة والتسهيل مع أنها فى الحقيقة أضعف التأويلات وينافيها سياق الحديث . وقبل شرح المقصود منه أرى أن أربط بين الحوادث والأحاديث حتى يستقيم الفهم ويتبين الموضوع .

زمن الحديث :

لم أجد — على الرغم مما قرأت — من ذكر العام ولو على وجه التقريب الذى قيل فيه هذا الحديث فرأيت أن أراجع طرقه ورواته من الصحابة ومن ذكروا فيه ، وظروفه فتبين لى ما يأتى :

١ — ليس هناك شك فى أن الحديث كان بعد الهجرة لأن فيه من الصحابة الذين رووه أو وقعت معهم الحادثة . أبى بن كعب وزيد بن ثابت وأم أيوب وهؤلاء أنصار من أهل المدينة .

٢ — إن هذا الحديث كان بعد العام الثامن من الهجرة للأسباب الآتية .

(ا) من رواته أبو هريرة وقد أسلم سنة سبع من الهجرة .

(ب) من رواته عمرو بن العاص وقد أسلم سنة ثمان من الهجرة .

(ح) ممن ذكروا فى طرق الحديث زيد بن ثابت على أنه أقرأ غيره ، وزيد بن ثابت كانت سنه حين قدم الرسول المدينة أحد عشر عاماً ، ولا يكون زيد مقرئاً لغيره إلا بعد أن يتجاوز حد الحلم وعلى أقل تقدير تكون سنه ليؤخذ عنه القرآن فى عهد الرسول سبعة عشر أو ثمانية عشر عاماً .

(ء) من رواة الحديث ابن عباس وهو قد ولد قبل الهجرة بثلاثة أعوام ولا يشترك فى الرواية ولا يهتم بها إلا بعد أن يتجاوز العاشرة من عمره على الأقل ولا يتجاوزها إلا بعد سنة سبع من الهجرة . .

(هـ) واقوى دليل وأثبته أن النزاع فى القراءة كان بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم وقد أسلم هشام يوم فتح مكة وكان فتحها فى العام الثامن الهجرى فى أواخر رمضان ولم يرجع الرسول إلى المدينة إلا فى ذى الحجة فعلى أقل تقدير يكون الحديث فى أوائل العام التاسع الهجرى .

(و) من الذين رووا الحديث من الصحابة أبو بكرة نفيع ابن الحارث وقد أسلم فى حصار الطائف ، وقد كان ذلك فى أواخر شوال وأوائل ذى القعدة من العام الثامن الهجرى .

(ز) يضاف إلى هذه الأدلة القاطعة أن الحكمة التى قصدها الإسلام من الحديث والتى ستظهر لنا بعد الشرح كان وقتها المناسب حينما كثر المسلمون كثرة تجعل من العسير الإشراف عليهم جميعاً ولم يكثروا إلا بعد فتح مكة .

وإذن لقد هاجر رسول الله واتسعت دائرة الإسلام وكثر الأتباع وقد مضى عليهم ثلاثة عشر عاماً فى مكة وثمانية أعوام فى المدينة يقرءون بعاداتهم اللغوية فلم يصل إلينا أن بعضهم أنكر على بعض فى القراءة أوشك بعضهم فى تلاوة الآخر . نعم لقد مضى على الإسلام والقرآن فى مكة ثلاثة عشر عاماً نزلت فيها بضع وثمانون سورة ثم ثمانية أعوام فى المدينة نزل فيها كثير من السور فما حدث خلاف بينهم مع إسلام كثيرين ممن لهم لهجات مختلفة من إمالة وتسهيل وغير ذلك وما أتانا خبر عن تنازعهم الذى أدى إلى أن يلبب عمر هشام بن حكيم بردائه وهما قرشيان لهجتهما واحدة ويذهب به إلى الرسول ليستقرئه وإلى أن يدخل الشك فى قلب عمر فيقول الرسول ثلاثاً : أبعد شيطاناً . وأن يدخل قلب أبى بن كعب من التكذيب ولا إذ كان فى الجاهلية فيضرب الرسول صدره فيتصبب عرقاً ...

العرب أمة أمية أغلبهم لم يقرأ كتاباً قط « ومنهم — كما فى الحديث — الشيخ الفانى ومنهم الغلام ومنهم العجوز الكبيرة وهؤلاء تعجز ذاكرتهم عن الحفظ الوثيق وبخاصة أن القرآن قد كثرت سوره وتعددت آياته والرغبة الدينية فى النفوس قوية يحرصون على تلاوة القرآن فلا تنزل آية إلا بادروا إلى استماعها وتلقيها ، ولكنهم ما يكادون يمر عليهم زمن حتى يشتبهوا أن يكون هذا اللفظ أو مرادفه هو المنزل وأكثرهم لم يكتبوه لأميتهم فيرجعوا إلى الرسول وإلى من كتبوه يستعيدون ما تلقوه ويتكرر ذلك والرسول يشهد ماهم فيه من معاناة وما يبذلونه من جهد ، ويعلم — كما قال لهم — أن القرآن أشد انفلاتاً من الإبل فى عقلها ورأى أفراد الأمة بعد فتح مكة قد كثروا . فمن يردهم إذا اختلفت ألفاظهم ومن يردهم إذا نقصوا أو زادوا .

والرسول كما قال الله فيه بالمؤمنين رءوف رحيم يسعى إلى التخفيف عن الأمة ولا يريد أن يشق عليها فقد سأل الله من قبل أن يخفف عنهم الخمسين صلاة حتى صارت خمس صلوات فى اليوم والليلة . فلجأ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله يسأله التخفيف عن أمته والرحمة بها « إنى بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ الفانى والعجوز الكبيرة » « فأتاه جبريل فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف واحد فقال الرسول أسأل الله معافاته ومغفرته سل الله لهم التخفيف فإنهم لا يطيقون ذلك فانطلق جبريل ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين قال أسأل الله معافاته ومغفرته رب خفف عن أمتى فإنهم لا يطيقون ذلك فانطلق جبريل ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على ثلاثة أحرف فقال أسأل الله مغفرته ومعافاته إنهم لا يطيقون ذلك سل الله لهم التخفيف فانطلق ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ ما لم تختم آية رحمة بعذاب أو آية عذاب برحمة » .

لقد جاءت رحمة الله وصدر الإذن بأن يقرأ القرآن بحروف مختلفة والسبعة لا مفهوم لها بل هى دليل الكثرة يعلمه جبريل الحروف وهى الألفاظ وأداء الجملة — كما تؤيد ذلك اللغة — على شريطة ألا يتغير المعنى ولا يختلف السياق فبدأ الرسول يلقن الصحابة ما أنزل الله عليه ، هذا يلقنه الآية بألفاظ وذلك يلقنه الآية بالألفاظ مع اختلاف فى بعضها وإن كان المعنى واحداً . لقنه كل هذا جبريل بإذن من الله العزيز الحكيم « فأيما واحد أصاب من ذلك حرفاً فهو كما قرأ »

فغدا المسلمون وقد حفظوا ما لقنهم فدخل عمر بن الخطاب المسجد فسمع هشام بن حكيم وهو قرشى مثله يقرأ سورة الفرقان بخلاف ما لقنه الرسول فكاد يساوره فى الصلاة فصبر حتى سلم

فلما سلم لببه بردائه وقال له من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت فو الله إن رسول الله لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها فانطلق يقوده إلى الرسول فقال يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان فقال الرسول أرسله يا عمر اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعه عمر يقرؤها فقال الرسول هكذا أنزلت ثم قال الرسول اقرأ يا عمر فقرأ القراءة التي أقرأه الرسول فقال الرسول هكذا أنزلت فوقع في صدر عمر شيء فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في وجهه فضرب صدره وقال أبعد شيطاناً أبعد شيطاناً أبعد شيطاناً ثم قال يا عمر إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منها إن القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة » .

وإذا في صلاة أخرى كان أبي بن كعب في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرها عليه ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه وقال كل منهم إن الرسول أقرأه كذلك فدخلوا جميعاً على الرسول فقال أبي يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه فأمرهما فقرآ فحسن شأنهما فوقع في نفس أبي من التكذيب ولا إذا كان في الجاهلية فلما رأى الرسول ما غشيه ضرب في صدره ففاض عرقاً كأنما ينظر إلى الله فرقاً ثم قال له الرسول يا أبي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن أهون على أمتي ... الخ الحديث » .

وظل الأمر كذلك وعرف كثير منهم السبب في الاختلاف والحكمة الإلهية ولكن ما زال بعض الصحابة يذهبون إليه يشكون فهذا رجل جاء إليه فقال أقرأني عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد بن ثابت وأقرأنيها أبي بن كعب – وزيد وأبي أنصاريان خزرجيان نجاريان – فاختلفت قراءتهم فبقراءة أيهم آخذ فسكت الرسول وعليٌّ إلى جنبه فقال علي ليقرأ كل إنسان كما علم كل حسن جميل » . ثم ما زال بعض الناس يختلف ويشكو فهذان رجلان قد اختلفا في القراءة فقال هذا أقرأني النبي وقال هذا أقرأني النبي فأتى النبي فأخبر بذلك فتغير وجهه ثم قال اقرءوا كما علمتم وقال إنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم فقام كل رجل وهو لا يقرأ على قراءة صاحبه » .

هـذا في الواقع هو ربط الأحاديث والتوفيق بينها وتلك مقتضيات ظروفها وملابساتها تؤيدها الروايات المختلفة والطرق المتعددة وليس فيها من التعنت أو الفهم الخاطيء شيء ؛ وقد أشار إلى كثير منها أجلة العلماء السابقين من أعلام الإسلام وإن كانوا لم يوضحوها كال التوضيح .

فليست المسألة مسألة إمالة وتفخيم وترقيق إذ يناقض فهم أنها لهجات لفظ الحديث لأبي بكرة « كقولك هلم وتعال وأقبل » وقول أنس بن مالك خادم رسول الله حينما قرأ « وأصوب قيلا » فقال له بعض القوم يا أبا حمزة إنما هي أقوم فقال أقوم وأصوب وأهدى واحد .

وقول ابن شهاب ولعله الزهري : بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام .

وقول الطبري : فقد أوضح نص هـذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة إنما هو اختلاف ألفاظ كقولك هلم وتعال باتفاق المعاني لا باختلاف معان موجبة اختلاف أحكام .

وقول عبد الله بن مسعود « فإنما هو كقول أحدكم هلم وتعال » . وهذا كله يبين لنا السر في بعض الاختلاف اللفظي في قراءة بعض القراء بالنسبة إلى غيرهم .

حفظ القرآن :

أما حفظ القرآن فيرجع إلى ما يأتي :

أولا : أن جبريل كان يدارس الرسول القرآن كل عام مرة ودارسه في العام الذي قبض فيه مرتين فكان هذا تمهيدا للنصوص

ثانياً : إن كتاب الوحي كانوا يكتبون نص ما ينطقه الرسول ولا يعتمدون على الحفظ فحسب .

ثالثاً : إن سيدنا أبا بكر حينما وافق على جمع القرآن كان زيد ابن ثابت يجلس أمام المسجد وهو يحفظ كتاب الله ولكنه يتلقى من الصحابة ما كتبوه على أن يشهد شاهدان أن فلاناً هذا سمع هذه الآية من فم الرسول وأن هذا المكتوب هو نفس ما سمعه

فى التقريب بين اللغتين

للأستاذ محمود أحمد الغمراوى

قرأت فى الأهرام كلمتين فى التقريب بين اللغتين : أولاها لعبد الحميد عمر أفندى بمحكمة النقض ، وثانيتهما لأحمد عبد اللطيف بدر أفندى المدرس ببور سعيد ؛ وقد تضمنت الأولى دعوة موجهة إلى الخاصة أن يتركوا اللغة العربية الفصحى وأن يستبدلوا بها فى مخاطباتهم ومكاتباتهم ما يستعمله العامة فى مخاطباتهم من الجمل والكلام ، فيستعملوا مثلا جملة (حضروا الرجال) التى تجرى على ألسنة العامة بدلا من (الرجال حضروا) إذ لا مانع عنده من ذلك ما دام مثل هذا الاستعمال قد ورد فى التنزيل الحكيم فى قوله تعالى (وأسروا النجوى الذين ظلموا) — سورة الأنبياء — وفى قوله تعالى (ثم عموا وصموا كثير منهم) فى سورة المائدة (لا العنكبوت) كما قال ؛ وقال إنه لا يهمه الاختلاف فى أوجه الإعراب فى الآيتين ما دامت العبرة هى بالاستعمال ، وليس يعنيه أن يكون (الذين ظلموا) فى الآية الأولى فاعلا أو بدلا أو غير ذلك . وكذا لا يعنيه ما يقال فى الآية الثانية (ثم عموا وصموا كثير منهم) من أوجه الإعراب .

وتضمنت الكلمة الثانية أن كاتبها : أحمد عبد اللطيف بدر أفندى يخالف الأول فى رأيه لما يترتب عليه من أن جمل فاعلين لفعل واحد كما فى لغة (أكلونى البراغيث) على زعمه يؤدى إلى تنامى القاعدة الأصلية ، ويرى أن يكون التقريب بين اللغتين بإشاعة الألفاظ المحرفة وإحلالها محل الألفاظ الفصيحة فتستعمل كلمة (مِن) مكان (مَن) ولفظ (فين) بدل (أين) و (اشمعنه ومنين) مكان (لِمَ) و (من أين) . وزعم أن ورود الآيتين الكريمتين على لغة (أكلونى البراغيث) وهى غير اللغة الفصحى إنما كان للتحدى والإعجاز والدلالة على أن القرآن من صميم لغة العرب على تباين لهجاتها ، ولذلك جازت القراءات المتعددة فيه ، وأول المفسرون الآيتين بما يدنيهما من اللغة الفصحى الخ .

ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت :

وليت شعرى كيف يكون التحدى بغير الفصيح للإعجاز ؟ أم كيف يتوهم ذو علم أن المفسرين يؤولون القرآن بما يدنيه من اللغة الفصحى وهو فى أعلى طبقات البلاغة ؟

وأنه كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمع كل هذا الذى شهد عليه لا غير وحفظ هذا المصحف إلى خلافة عثمان فكثر اختلاف الناس فى القراءات وكادوا يقتتلون فجمع الناس على مصحف واحد نسخوه من المصحف الذى عند حفصة وكان الناسخون هم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحارث المخزومى « وقد تركوا ما خالف المصحف الموجود من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذونا فيه توسعة عليهم ولم يثبت ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن » ثم أمر سيدنا عثمان ووافقه المسلمون حرصاً على وحدة الأمة وجمعا لكلمتها وخشية أن يدخل فى القرآن ما ليس منه فأحرقت جميع المصاحف الأخرى التى لا تتفق مع المصحف الإمام . وإذن فقد أصبحت هذه المصاحف التى أجمع عليها المسلمون هى التى يعول على رسمها فى القراءة وأضيف إليها شرط صحة سندها وأن توافق العربية ولو بوجه من الوجوه واعتبر ما عدا ذلك شاذاً فما خالف اللغة العربية باطل من أساسه وما خالف الرسم العثمانى شاذ تعبداً حيث خالف إجماع الأمة مع صحة سنده وما لم يصح سنده شاذ حيث لا دليل على قرآنيته . والواقع أن ما خالف الرسم العثمانى قد هجره العلماء السابقون فانقطع سنده فأصبح مشكوكا فى كونه من السبعة فبعد عن أن يكون قرآناً تصح به الصلاة والعبادات وشرط التعبد بالقرآن أن يكون متصل السند صحيح الرواية مقطوعاً بقرآنيته .

أما الآراء التى تقول إن السبعة الأحرف هي حلال وحرام وترغيب وترهيب ... أو أنها محكم ومتشابه وقصص وأمثال ... أو أنها أمر ونهى ... الخ فكلها آراء بالغة الضعف لا تستند على أوهى دليل . ولعل فى ما كتب تبياناً وتوضيحاً سليما مقبولا من كل وجه والله أعلم بكتابه وهو بكل شيء عليم .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

لقد أخطأ الأستاذ أحمد عبد اللطيف فى ظنه أن لغة (أكلونى البراغيث) أناها الضعف من ناحية أنها تعتمد فاعلين لفعل واحد؛ فما اعتراها الضعف إلا لأنها تلحق بالفعل علامة التثنية والجمع عند إسناده إلى ظاهر مثنى أو مجموع، إذ ليس ثمة حاجة إلى هذه العلامة والواو فى الجملة حرف وليست بضمير — كما ظن — حتى تكون فاعلا على هذه اللغة (شرح ابن عقيل قول ابن مالك فى باب الفاعل) :

وجرد الفعل إذا ما أسـنـدا لاثنين أو جمع كفاز الشهدا

وأخطأ الكاتبان القصد ، إذ يرى الأول أن تستبدل اللغة العامية باللغة العربيـة الفصحى ، ومعنى ذلك إهمال اللغة العربية وإهدار قواعدها ، وإفساد نظامها ؛ وإذ يرى الثانى أن تترك المفردات الفصيحة ويستعاض عنها بالمحرف والدخيل ، فإنه إذا ضم رأى كل منهما إلى رأى صاحبه كان منهما مزيج قاتل للغة مفسد لمفرداتها وتراكيبها ، هادم لقواعدها ، مود بنظامها ، مقوض لبنائها المحكم الرصين . يقول عبد الحميد أفندى عمر إنه لا يرى مانعاً من أن يستعمل الخاصة ما يجرى على ألسنة العامة فى المخاطبات والمكاتبات بدلا من الفصيح ، إذ قد ورد فى التنزيل الحكيم نظير هذا الاستعمال ، وإنه لا يهمه الاختلاف فى أوجه الإعراب ، ولا يعنيه أن تكون كلمة (الذين) وكلمة (كثير) فى الآيتين فاعلا أو بدلا ما دام الاستعمال قد ورد به . ولم يدر أن الإعراب هو الذى يفتح مغاليق الكلام ويبين أغراضه ومعانيه ويكشف عن وجه الدلالة فيـه فيعرف الحسن المقبول ويتميز من المردود المرذول .

وإذا كان لا يدرى لم يمنعون أن تستعمل جملة (حضرو الرجال) كما تستعمل كلمة (الرجال حضروا) وأن تكون مساوية لها ، فليعلم أنه يمنع من المساواة بينهما أمور بعضها يرجع إلى اللفظ وبعضها يرجع إلى المعنى . فما يرجع إلى اللفظ الثقل الذى جلبه حرف العلة الساكن الذى جىء به ليكون علامة على الجمع دون حاجة داعية ، فإذا حذف لالتقاء الساكنين بقى الفعل مضموم اللام فيلتبس عند الوقف على الرجال بالإسم الدال على المعنى المقابل لنبده ، وذلك خلل معنوى ، وإذا ضم الفاعل بقى الثقل الناشىء من توالى ثلاث راءات أولاها مضمومة وباقيها مكسور ، وهى مع اللام الأخيرة فى الرجال تخرج من اللسان ، وانتقال اللسان من ضم إلى كسر ثم ضم فى حروف متحدة المخرج تقريباً فيه صعوبة لا تخفى . فالجملة الأولى (حضرو الرجال) تشتمل على مخالفة القياس بضم آخر الماضى حيث ينبغى أن يفتح وفيها ثقل قد عرفته وتعقيد قد تبينته . ثم إن فيها وراء ذلك مانعاً آخر يمنع من مساواتها للجملة الفصيحة وهو أنها ليس فيها سوى إسناد واحد ، ولا تقال (بعد أن تصحح) إلا لخالى الذهن . أما الجملة الثانية الفصحى فإنها مشتملة على إسنادين ويخاطب بها من يكون شاكا فى أن الرجال المعهودين له قد حضروا ، فلكل منهما مقام يغاير مقام الأخرى . هذا ما يتعلق بالفرق بين الجملتين .

فأما الآيتان الكريمتان فإن من المقرر أن قراءة القرآن سنة متبعة فلا تجوز القراءة بغير ما روى عن النبى صلى الله عليـه وسلم وإن كان مما تسوغه القواعد العربية . ذلك بأن ما روى عن النبى هو العربى الفصيح الكفيل بأداء الأغراض المقصود أداؤها من النظم . وليس كل ما جاز عربية بالذى يفى بذلك ؛ فليس كل ما جاز عربية جاز قراءة . ولنسق لذلك مثالا : قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) قرئ تطهرهم بالرفع على أن الجملة صفة لصدقة ، على أن الجزم سائغ عربية فى جواب الأمر ، لكن لم يقرأ به أحد من السبعة ، ذلك بأن الجزم فى جواب الأمر يقتضى ترتب التطهير على مجرد أخذ الصدقة منهم كما يترتب الجزاء على الشرط ، وليس الأمر على ذلك ؛ فقد يؤدى بعض الناس الصدقة وهو شحيح بها كاره لأدائها فلا تكون صدقة مطهرة له ولا مزكية لنفسه ، وإنما تطهر الصدقة معطيها وتزكيه إذا أداها طيب النفس راضياً وجاد بها آناً بعد آن ومرة بعد مرة حتى تبرأ نفسه من داء الشح ووصمة البخل؛ وهذا سر التعبير بالفعل المضارع والإتيان بالصفة جملة فعلية دون أن تكون اسما مفرداً . هذا ولنعد إلى الكلام فى الآيتين فنقول :

قد جرى المفسرون على أن يوردوا عند تفسيرهم للآيات ما تحتمل من أوجه الإعراب حسبما تقتضيه الصناعة النحوية دون نظر إلى ما يكون منها مناسباً للمقام ولما تقتضيه البلاغة . بيد أن الخاصة منهم كالزمخشرى ومن اقتفى أثره يقدمون الوجه المناسب على غيره فى الذكر حسبما أوتوا من ذوق علمى . وقد يقصر ما أوتوه

من الذوق عن إدراك دقائق المعاني والإحساس بلطائفها فيخطئون. وفي هاتين الآيتين قدموا الوجه الإعرابي الملائم للأسلوب البليغ الأعلى على سواه، فقدموا إعراب (الذين) و (كثير) بدلا على سواه من الأوجه وأصابوا . ووجه الصواب فيه ظاهر لمن ألم بقواعد البلاغة وتذوق أساليب البيان؛ فالآية (وأسروا النجوى الذين ظلموا ..) جاءت عقب الحديث عن الناس والتعجب مما هم فيه من غفلة عن العاقبة وإعراض عن ذكرها وعن التفكير في أمرها مع اقتراب حسابهم ودنو وقت جزائهم. وعقابهم على ما فرطوا في جنب الله ، وإذا أتاهم ذكر من ربهم استمعوه وهم يلعبون ، لاهية قلوبهم وأسروا النجوى استخفافاً واستهزاء بمن يذكرهم مستنكرين أن يكون أهلا لأن يختصه الله بأن ينزل عليه الذكر من بينهم قائلين (هل هذا إلا بشر مثلكم) فالضمائر كلها جارية على جماعة الناس ، ولما كان الخاصة من الزعماء والقادة هم الذين يقاومون الداعي إلى الحق والمذكر به ويتناجون فيما بينهم بما يتناجون به من الكيد له والاستهزاء به والعامة تبع لهم فيما يكيدون ويدبرون أسند الأسرار إلى الضمير العائد إلى الناس إشعاراً بأن للعامة كفلا من أوزار الخاصة لمتابعتهم لهم؛ ثم أبدل الإسم الموصول من الضمير لبيان من يصدر عنهم الإسرار بالنجوى وقول الزور على الحقيقة وهم أولئك الزعماء الذين ظلموا أنفسهم بالإعراض عن الحق استكباراً وظلموا الناس بإضلالهم وصرفهم عنه وصدهم عن سبيله استبقاء لنفوذهم وحفظاً لسلطانهم؛ ولم يقل وأسر النجوى الذين ظلموا لأنه يؤذن بانقضاء الحديث عن الناس عند (لاهية قلوبهم) وابتداء حديث عن أناس ظالمين يسرون النجوى في أمر الرسول واتهامه بأنه ساحر الخ فينقطع حبل الكلام ويختل نظامه ولا يتأدى الغرض الذي تأدى بإسناد الفعل إلى الضمير ثم إبدال الإسم الموصول منه . هذا إلى أن البدل مؤذن بفعل مماثل للفعل المذكور ، لأن البدل عندهم على نية تكرار العامل فيفيد تأكيد حصول الإسرار بالنجوى من الذين ظلموا . وعلى هذا النحو يسهل على العارف أن يتبين ما في آية المائدة : (لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون . وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ، ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون) فيعرف ما فيها من أسرار البلاغة . هذا .

أما بعد فقد غشيت العرب والمسلمين غاشية ليس لها من دون الله واقية ، وأزفت الآزفة حتى غدت أبصارهم لها كاشفة ، فهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون؛ بل غدوا على حرد قادرين ، ولأنفسهم ظالمين ، وعن دينهم معرضين، ولشريعة الله هادمين ، ولكتاب الله ولغة العرب محاربين . يعبث بلغة القرآن صبيانهم ، ويجرؤ على الطعن في كتاب الله والقول فيه بغير علم جهلاؤهم وكبراؤهم ، ويطفئون نور العلم في معاهده ، ويأتون بناء الدين واللغة من قواعده ، حتى عمت الطامة ، واستحكمت الغمة ، وحقت الكلمة . فهل في المسلمين لدين الله من صديق، وهل للغة العرب بين أبناء العرب من شفيق أو رفيق؟ أم هل فيهم من مفيق ، وهل يعتبرون بهذه الأحداث ، التي ستقذف بهم — إذا لم يفيقوا — إلى بطون الأجداث ؟

اللهم احفظ دينك واحم كتابك ، وابعث في نفوس العرب والمسلمين روحاً منك تحيي به دينهم وتحمي لغتهم وأوطانهم وتدفع عنهم كيد الكائدين وعبث العابثين المفسدين إنك نعم المجيب .

محمود أحمد الغمراوي

من علماء الأزهر

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٦) :

(٢) مشكلات الفلسفة (١)

للأستاذ كمال الدسوقي

يعز عليّ ألا أستطيع أن أحدثكم في « مشكلات الفلسفة » في أكثر من هذا المقال ؛ قبل أن يفجأنا الامتحان — لتواجهوه مواجهة الأبطال الكماة — فقد أنسانا حديث ابن سينا من الوقت أن نذكره ؛ وما أكثر ما كنت أحب أن أقول في برتراند رسل !

حسبكم في تاريخ حياة هذا الفيلسوف العظيم وفي كتاباته ما جاء بمقدمة الترجمة العربية لكتابه الذي بين أيديكم ، فلن تظفروا في حياة فيلسوف معاصر بأكثر من هذا القدر ، إذ قلما تعرف أقدار الرجال وهم ما يزالون أحياء ؛ وإن كان فيلسوفنا ليرى مجده وعظمته حياً ...

والترجمة التي لديكم لهذا الكتاب سهلة واضحة الأسلوب لا تخلو من روح المؤلف في كثير من المواضع ، فهي حسنة ومؤدية الغرض ، ومُغنية عن النص الأصلي إن لم تجدوه ؛ فيما عدا الكثير من الأخطاء المطبعية ، وبعض السقطات النحوية واللغوية التي يسهل تداركها من جانب القارئ .

والمحاضرات التي جمعها رسل في كتابه باسم « مشكلات الفلسفة » تمثل بدء اتجاهه المنطقي والمذهبي أولى من أن تعرض صورة ناضجة للمذهب في نموه واكتماله . لأنه من أوائل كتبه الفلسفية . ويمكن جمع مشكلاته تحت رؤوس ثلاثة . فالمحاضرات الأربعة الأولى تعالج فلسفة الوجود ، والأربعة الأخيرة تتناول مشكلة الحقيقة ومدى ما تصل إليه المعرفة الفلسفية ، والفصول الوسطى — وهي القسم الأكبر — تعرض لنظرية المعرفة بمختلف أنواعها . وليست الأقسام محددة المعالم ، بل تختلط فيها هذه المباحث وغيرها اختلاطاً يظهرك على روح رسل الفيلسوف الرياضي المنطقي المجدد . ولنتناول هذه المشكلات في سرعة وإيجاز :

في الفصل الأول محاولة للتفرقة بين الظاهر appearance والحقيقة reality بين معطيات الحس sense data والشيء الطبيعي الحقيقي physical object الذي هو غير ذاتنا ، والذي لا يتوقف وجوده على إدراكنا . وأهم ما في هذا الفصل غير هذا تقرير أن الإدراك للمائدة مثلاً لا يتم بالحواس مباشرة ، بل هو استدلال واستنتاج نستخلصهما مما نحس ؛ وإلا لم نستطع أن نتصور وجود المائدة ما لم ندركها ، وجوع القطة ما لم نرها في أمكنة مختلفة (ص ٢٣) .

أما الفصل الثاني فيتصدى لبحث وجود المادة ، ويأخذ بمنهج ديكارت الذي يبدأ بالشك للوصول إلى اليقين ، وبإثبات الذات لإثبات الموضوع إلا أن الذات التي يثبتها ديكارت لا يلزم أن تكون دائمة ؛ بل قد تكون الأنا المدرك في لحظة إدراكه . وإذا صح أن أفكارنا ومشاعرنا الخاصة ، وكذلك الأحلام والأوهام والإدراكات الحسية العادية هي ما يتصف باليقين الفطري ؛ فقد لا تكون هذه رموزاً وعلامات للشيء الطبيعي المراد إثباته . وهنا نقف حائرين مع المؤلف بين نوعين من البرهان : الإدراك العادي البسيط يظهرنا على أن المائدة وغطاءها وأدوات الطعام فوقها ليست مجرد معطيات حس لا حقيقة لها ، وحين أشتري المائدة لا أشتري مجموعة معطيات حس صاحبها ؛ بل شيئاً حقيقياً ، وحين تتفق مجموعة من الناس على رؤية مائدة — مع فارق بسيط — لا يتفقون إلا على وجود حقيقي ... بينما المنطق يرى أن ليس ما يمنع من افتراض أن العالم يتكون — كما عند بركلي والمثاليين عموماً — من ذاتي وأفكاري وشعوري وإحساسي ، وما عدا ذلك فهو وهم وخيال ؛ وأن الحياة ذاتها حلم نبدع فيه بأنفسنا كل ما نتمثله أمامنا ؛ وشهادة الآخرين كذلك ليست حجة علينا ، فقد يكون وجودهم أنفسهم من صنعنا ، وهم حلم يتراءى لنا ... وينتهي هذا الفصل بالأخذ بالإدراك العادي البسيط القائل بالنظرية الطبيعية ، ووجود أشياء لا يعتمد وجودها على إدراكنا . ونحن مهيأون للاعتقاد بها بالغريزة ، ولا نستطيع رفع هذا الاعتقاد حتى يقوم الدليل على خطئه وتناقضه مع غيره . وإذا كان من بين هذه الاعتقادات الغريزية ما هو أقوى ، وما هو شبه غريزي دخيل ؛ فإن مهمة الفلسفة أن تبحث أيُّ هذه البديهيات والمسلمات أولى بالقبول أو الرفض أو التعديل . وإلى أن تنهض بهذا التنظيم والفحص النقدي يجب أن نأخذ بهذه المعتقدات في شيء من الحيطة والشك .

وإذ ثبت أن الظاهر الحسى دليل على الحقيقة الموضوعية يشرع رسل فى بحث ماهية المادة ، فيفند التفسير العلمى الفرضى الناقص من حيث نظرته للضوء والصوت وغيرهما بوصفها حركات تموجية ؛ مع أنها فى حقيقتها أكثر من هذا : إدراك نحسه بالسمع والبصر ولا نستطيع وصفه أو نقله للأعمى أو الأصم . وينقد كذلك نظرة العلم إلى المكان والزمان العامين المحايدين للشىء الحقيقى (المكان الطبيعى والزمان العام كما يسميهما) بصرف النظر عن مكاننا وزماننا الخاصين كمدركين للأشياء الطبيعية فى المكان والزمان العلميين ... يريد رسل أن يخلص من هذا مرة أخرى إلى توكيد التفرقة بين الشىء الطبيعى فى المكان الطبيعى والزمان العام ؛ فى مقابل معطيات الحس فى مواضع مكانية خاصة وزمان تقديرى خاص (والأولى منها لا نعرفها فى ذاتها ؛ بل نعرف نوع تنظيمها نتيجة علاقاتها المكانية) ، وإلى تقرير أن هذه الخواص والعلاقات القائمة فى مقابل الأشياء الطبيعية ومعطيات الحس هى ما يمكن معرفته ؛ أما الماهية فتبقى مجهولة ؛ برغم أن معطيات الحس إن لم تكن هى الأشياء الطبيعية على حقيقتها ؛ فإنها تشبهها قليلا أو كثيراً .

أفليس ثمة إذن دليل على أن المادة الحقيقية التى سلمنا بها ماهية معلومة ؟ يرى الفلاسفة المثاليون — وعلى رأسهم بركلى Berkeley أن كل وجود فهو عقلى — حتى المادة ذاتها — ويدفعون عن مذهبهم بأدلة مستمدة فى معظمها من نظرية المعرفة والشروط التى يجب توافرها فى الأشياء لنعرفها . وعندهم أن وجود الشىء هو إدراكه ، وحين يقال لهم إن الأشياء توجد حتى ولو لم ندركها يقولون : إن الله يدركها حينئذ ، وهو سر وجودها . فما يسميه رسل « الشىء الطبيعى » هو عندهم « أفكار فى عقل الله » ، وما يسميه معطيات الحس هو مشاركتنا نحن الجزئية فى هذه الأفكار . ويأخذ رسل على هذا المذهب (ويحسن أن ترجعوا إلى مذهب بركلى على الأقل لتقفوا على نموذج من المذهب المثالى فى مصادره) :

١ — أن الذى فى عقولنا هو فكرة الشىء لا الشىء نفسه .

٢ — يثير بركلى مشكلة أخرى هى : ما يُعرف مباشرة يجب أن يكون فى العقل ؛ بدلا من مشكلته : وجود الشجرة ولو لم ندركها .

٣ — فكرة المائدة مثلا يمكن تحليلها إلى فعل إدراك (هو عقلى لا شك) وشىء مدرَك (لا يمكن أن يكون عقليا بحال) . وبالجملة يرى رسل أن بركلى قد خلط بين الشىء موضوع الإدراك وفعل الإدراك ذاته ، وأخذ كلمة فكرة notion بمعنى الأشياء المدركة ، فجعل المدرَك والإدراك شيئاً واحداً ؛ بينما التمييز بينهما ضرورى ، لأن قدرة العقل إنما تقوم فى تحصيل معرفة خارج ذاته ؛ أى إدراك ما ليس بعقلى . فهو قد أخطأ فى الشكل والموضوع . أما النظرية التى تقول إن ما يثير أهمية لدينا لا يمكن أن يكون حقيقياً ، وبالتالى لا يمكن أن نعرف أنه يوجد شىء نحن لا نعرفه ؛ فهى نظرية واضحة البطلان تقوم على الرغبة والمنفعة وتفترض أن المادة ما لم تكن مكونة من عقول وأفكار عقلية فهى أمر مستحيل ووهم مجرد . وينتهى رسل هنا إلى تحليل ألفاظ الفعل « يعرف » فى لغات مختلفة ليخلص من ذلك إلى نوعيه من المعرفة : معرفة الحقائق والمعرفة المباشرة .

وبذا نكون قد وصلنا إلى القسم الثانى فى مشاكل المعرفة وهو أهم أقسام هذا الكتاب ؛ والمعرفة فيه نوعان : معرفة أشياء ومعرفة حقائق . أما الأشياء فمنها ما نعرفه مباشرة بإدراك الشىء بلا واسطة من عملية استدلال أو حقائق معلومة ؛ كمعطيات حسنا عن المائدة من لون وشكل وصلابة . . وما نعرفه بالوصف للمائدة ذاتها كشىء طبيعى يُسبب معطيات الحس السابقة ؛ وصف لحقائق شىء غير معلومة لدينا ماهيته على الإطلاق . فما نعرفه مباشرة من الأشياء الجزئية هو فى الدرجة الأولى « معطيات الحس » ولكن لابد من معرفة الحقائق المجردة التى تسمى كليات :

٢ — فهناك الذاكرة مصدر كل معرفة بالماضى .

٣ — وهناك ثانياً التأمل الباطنى والشعور الذاتى بالفاعلية الشخصية ثم بفاعلية الآخرين قياساً عليها — مما لا يوجد لدى الحيوان ؛ أى الشعور بالذات العارفة المدركة فى مقابل إدراكنا الخارجية — مهما كانت الذات متغيرة — شعوراً مباشراً (الفقرة الثالثة ص ٤٦ فى غاية الأهمية فى تلخيص هذا) .

٤ — وأخيراً المعرفة المباشرة للـكليات والأفـكار العامة . أى التطورات الذهنية للمدرَك الـكلى .

أما الأشياء الطبيعية فنعرفها بالوصف ، ومن الوصف ما هو غامض مثل رجل ، وما هو محدود مثل : الرجل ذو القنـاع الحديدى . أما الغامض فيسقطه رسل ويطلق كلمة الوصف على المحدد من نوعيه عموماً . وحينئذ يطلق الوصف ويراد به المفرد (هذا الشيء الفلانى) ونذكر له وحدة خاصة معينة يتميز بها دون أن يُعرف مباشرة من هو (الرجل ذو القناع أو المرشح الفائز ؟) . ومن الأوصاف الأعلام والـكلمات العامة حين لا نعبر بها صراحة ، حتى تختلف بين الأشخاص ، ولدى الشخص فى أوقات مختلفة (فى ص ٤٩ : حكم بسمارك على نفسه معرفة مباشرة بالتأمل المذكور قبلا ، وحكم صديقه عليه مزاج من معرفة مباشرة لمعطيات الحس فى ارتباطها بأوصاف جسمه وعقله التى يعرفها فيه كشىء طبيعى يدرك بالوصف ، ومعرفتنا نحن له وصفية صرف هى شهادة الغير والتصورات الجزئية والأحكام الـكلية والتاريخية عليه) . لاحظوا أننا هنا نبتعـد عن المعرفة المباشرة ونوغل فى المعرفة بالوصف على درجات أربع :

١ — فبسمارك الذى عرفه الناس يطرب من معرفة الناس المباشرة لشخص آخر (معرفة مباشرة رقم ٣) .

٢ — وبسمارك الذى عرفه الناس من التاريخ فقط لا نزال نعرف من هو .

٣ — والرجل ذو القناع الحديدى لا نعرف من هو ، ولـكننا نستطيع أن نستخلص من صفته هذه أحكاماً كثيرة .

٤ — والرجل الذى عاش أطول مدة — لا يعرف عنـه أكثر مما يتضمن هذا الوصف .

وللكليات تسلسل يشبه تسلسل الجزئيات هذا ، والمهم هو مبدأ تحليل القضايا الوصفية : « كل قضية فى مقدورنا أن ندركها يجب أن تتكون كليتها من مجموعة مكوّنات نعرفها مباشرة » أى أن يكون معنى الحدود التى نستخدمها فى القضـية نعرفها مباشرة (مثال يوليوس قيصر) . وللوصف أخيراً أهمية تمـكيننا من تجاوز حدود تجربتنا الخاصة ومعرفة الأشياء التى حال ضيق التجربة المباشرة دون إدراكها .

أما الاستقراء فتتخلص مشكلته فى إمكان التوسع والتعميم وبالتالى التنبؤ بالأحداث المقبلة ، وتوقع أن وجود (ا) يستتبع دائماً وجود (ب) المرتبطة بها فى تجربتنا (شروق الشمس غداً ، سقوط الأجسام بفعل قانون الجاذبية ...) فإن وجود شيئين فى وقت واحد بصورة مطردة سبب كاف لتوقع وجود أحدهما متى وُجد الآخر فى مناسبة تالية — أى أن كل علة تحدث نفس المعلول فى نفس الظروف ، وإن كان احتمال تخلف المعـلول عن العلة مستقبلا يجعل هذا المبدأ موضع شك . أما القوانين الطبيعية (كالحركة والجاذبية) فيطرّد وقوع الحوادث فيها بلا تخلف ، ومهمة العلم أن يكشف عن هـذا الاطراد Frequancy فى وقوع الأحداث الطبيعية والتنبؤ بالمستقبل على أساس المـاضى ، ما دام أن هذا المـاضى مستقبل تحقق فعلا . ومبدأ الاستقراء بشطريه اللذين ورد ذكرهما ص ٥٨ وتعديلهما ص ٥٩ يفسران بوضوح هذه الفـكرة . وعليـكم أن تفهموا بعد هذا أن مبدأ الاستقراء قد يبرهن عليه بالتجربة الماضية ، ولـكنه هو الذى يبرر لنا الاستدلالات المقبلة ، بمعنى أن ما سبق امتحانه من الأمثلة يصل بنا عن طريق الاستقراء إلى مبدأ عام يتولى هو البرهنة على ما لم نمتحنه بعـد . فالاستقراء انتقال مما امتحناه إلى ما لم نمتحنه ، والمعرفة التى تظهرنا بالتجربة الماضية على شىء لم يحدث من التجربة بعد هى اعتقاد لا نؤيده ولا نرفضه ، ولـكنه متأصل فى نفوسنا بهذه التجربة .

وإليكم المبادىء العامة الأخرى التى تخلص لنا بالاستدلال من المحسوسات ، والتى ليس لها من اليقين إلا ما تـستمده من التجربة أيضـاً ، والتى حين تبرهن التجربة على يقينها وصحتها تصبح هى مبدأ يبرهَن به عن طريق الاستدلال منه . هذه المبادىء من الوضوح لدرجة أنها تقوم فى أساس كل استدلال عقلى ، فلا مجال للشك فيها ، لأنها تقوم فى العقل كبديهيات مسلم بها . وأهم هذه المبادىء مايسميه المنطق : قوانين الفـكر الثلاثة :

١ — قانون الذاتية identity ورمزه : (ا) هو (ب) .

٢ — قانون التناقض contradiction ورمزه : ا ليس (ب) و (لا — ب) فى وقت واحد .

٣ — قانون الثالث المرفوع excluded middle ورمزه :

(ا) إما (ب) (أو لا ب) .

وكذلك المبدأ المنطق : ما ينتج عن مقدمات صادقة فهو صادق ، ولا يقتصر الأمر فى هذه المعارف الأولية على مبادىء المنطق ، بل يوجد فى الرياضيات مثلا البديهية التى تقول : المساوى لأحد المتساويين يساوى الآخر ، ورمزها : ا = ب ، ب = حـ .·. ا = حـ ؛ وفى الأخلاق المبدأ الذى يقول : الإنسان ينشد السعادة ويتجنب الألم ؛ وفى الاقتصاد المبدأ القائل : الإنسان يسعى بفطرته لخير نفسه ... فكل هذه مبادئ لا نستنتجها من الأمثلة ، بل نوضحها بذكر أمثلة لها ، فهى أولية عقلية غير مأخوذة من التجربة ، بل موجودة فى العقل كبديهيات

وبالجملة يجب أن تفرقوا بين أحكام كلية تركيبية هى فى أصلها تعميات تجريبية (كل إنسان فان) ومبادئ أولية عقلية غير مستنتجة بل موجودة أصلا فى العقل (كمبادئ الهندسة والأخلاق والاقتصاد والمنطق التى ذكرنا) . أما الأولى فنحصلها بالاستقراء الذى هو تعميم وانتقال من جزئيات إلى كلى أعم وأشمل ، وأما المبادىء العامة الكلية فقد تكفل بتفسير وجودها فى أذهاننا (كانت) الألمانى حين ميز بين قضايا تحليلية وأخرى تركيبية ؛ الأولى فطرية هى بمثابة قوالب فى الذهن أولية وسابقة قبلية âpriori والأخرى مستخلصة من التجربة استخلاصاً لاحقاً بعدياً àposteriori (ومن الخير هنا أن ترجعوا إلى نظريتى هيوم وكانت بأوسع من الفصل الثامن وخصوصاً فى تفرقة كانت بين الشيء فى ذاته والظاهرة ، والفرق بينهما وبين الشيء الطبيعى ومعطيات الحس عند رسل فى الفصول السابقة).

ولن يعسر عليكم بعد هذا متابعة رسل فى تفصيله القول فى « عالم الكليات » وتطوره فى تاريخ الفلسفة ، ثم فى « معرفتنا للكليات » مباشرة وبالوصف ، ولكن يفيدكم كثيراً الوقوف عند صفحتى ٩٣ ، ٩٤ وتلخيص ما جاء فيهما فى جدول عام شامل لتقسيم أنواع المعرفة عند رسل ؛ على نحو يتبين لكم منه بسهولة ما كان يتحدث فيه حتى الآن من معرفة الأشياء ؛ ويرتبط فيه كذلك ما سيحدثكم عنه بعد من معرفة الحقائق الواضحة بالذوق فى بقية الكتاب .

كمال دسوقى

إلى جيش مصر الباسل

للأديب عبد الرحيم عثمان صارو

وقفت وحدك فى الميدان تصطرع وهومت حولك الأعوان والشيع
فما وهنت ولا كلت جبابرة بعزمة الجن فى الهيجاء تدّرع
ينفى اللهيب من الياقوت زائفه والجوهر الحر فى النيران يلتمع
لما دعتك « فلسطين » لنجدتها وقد ألمّ بها العدوان والفزع
نهضت تدفع عنها شر محترب باغ سواعده « الدولار » والجشع
يعيث فى حرمات الله مجترئاً لم تنج منه محاريب ولا بيع
تنام عنه وعن آثامه دول كبرى لها فى حواشى نفعه نفع
لم يثن عزمك يا ابن الأمس ما جلبوا ولم يُلنك من الأصقاع ما جمعوا
فكيف لو لم يعق ماشيك مغتصب قد كان يكره أن يلقاك تتسع
حفزت همة من هبوا ومن نهضوا
وصُنت حومة من ناموا ومن هجعوا
وقفت كالصخرة الشماء كم ذهبت بصفحتيها رقاب الموج تنقطع
ملاحم المجد لم تشهد نواظرها كصارم لك فى الأهوال ينتزع
يُسقون منه الردى فى كل معترك ويدبرون وقد خانتهمُ الخدع
سيُهزمون بما ماتوا وما اختلقوا ويقهرون بما كادوا وما صنعوا
شتان ما بين مأجور وبين فتى لله والحق والعلياء يندفع
يا صارم الروح عند الروح ما برحت أنباء نصرك عن الزاد والمتع
ولهت شعرى حتى كاد من وله يختال فى جنبات الطرس لو تسع
ياليت لى ناى « هومير » وأرغنه لرحت أشدو وراح الدهر يستمع
ما أعجز الشعر عن تصوير ما ذهبت ضراغم لك بالأحداث تصطنع
بعثت سيرة أجداد لنا سلفوا كأنهم بك قبل البعث قد رجعوا
أيبتغى الدهر منا فوق ما صنعت كفاك ، معجزة تجلى وتبتدع
لله ، لا لبروق الغنم ، صادقة من الجهاد بها أقدمت تضطلع
قضية النيل لم يشغلك شاغلها عن الوفاء بما ضنوا وما منعوا
راعت بطولتك الدنيا وأروع من هذى حفاظك للعهد الذى قطعوا
حفاظك العهد والميثاق فى زمن به العهود ، كأشلاء المدى ، قطع
سلمت للشرق ترعاه وتعصمه من كل مختتل أغرى به الطمع
يزهى بك القائد الأعلى وأنت به تتيه فخراً على الدنيا وترتفع

عبد الرحيم عثمان صارو

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

« آثرت الحرية » أمام القضاء الفرنسى :

كتاب ترجم إلى كثير من اللغات الحية ، ولقى اهتماماً كبيراً فى كل بلد حل ضيفاً على لغته وقرائه ، ذلك هو كتاب « آثرت الحرية » للكاتب الروسى فكتور كرافتشنكو ... واليوم يثير هذا الكتاب أعظم ضجة عرفها محيط الرأى العام الفرنسى ، وردد صداها البرق إلى كل بقعة من بقاع العالم !

أما كرافتشنكو فكان موظفاً بالسفارة الروسية فى أمريكا ثم ترك منصبه وتخلى عن جنسيته ، ولجأ إلى حكومة البلد الذى يقيم فيه طالباً حمايته ... ثم ما لبث أن أخرج كتابه ليهاجم فيه نظام الحكم فى بلاده ، وليتحدث عن الجو القاتم الذى يكتم الأنفاس ويقبض الصدور ؛ ذلك الجو الذى قدر له يوماً أن يعيش فى رحابه ، وأن يطلع على كثير من قيوده التى تحد من حرية الرأى والفكر ، وتلغى كثيراً من القيم التى ينشدها الأحرار فى المجتمع الكريم !

لهذا كله أثار الكتاب اهتمام قرائه ... ولكنه عاد اليوم فرابهم بقدر ما راعهم ، حتى لقد أصبحوا يترقبون باهتمام بالغ نتيجة هذه الضجة التى أثارتها حوله مجلة « ليتر » الفرنسية ، وهى الضجة التى اتخذت طريقها إلى القضاء منذ أيام !

ولقد ذهبت المجلة فى تجريحها للكاتب الروسى إلى أنه كذاب مخادع لا يمت إليه كتابه بصلة من الصلات ، وإنما هو من صنع قلم المخابرات السرية فى الولايات المتحدة ... وأمام هذا التجريح السافر لم يجد كرافتشنكو بداً من رفع الأمر إلى القضاء ، مطالباً بمعاقبة القائمين على أمر المجلة الفرنسية طبقاً لنصوص القذف فى القانون الفرنسى !

وفى سراى العدل فى باريس حيث عرضت هذه القضية المثيرة ، ضاقت القاعة على سعتها بجمهور يتلهف شوقاً إلى سماع كلمة القضاء فى حقيقة هذا الكتاب ... أهو حقاً من وضع مؤلفه أم هو من وضع غيره ثم رؤى أن ينسب إليه ؟! أما أنا فقد تتبعت أدوار القضية مما وافتنا به شركات الأنباء فى الأيام الأخيرة ، وأستطيع أن أقول إن موقف المؤلف الروسى قد بلغ غاية الحرج فى أول جلسة من جلسات المحاكمة ، حتى لقد سرى الهمس بين الحضور حول حقيقة نسبة الكتاب إلى مؤلفه ... كان ذلك حين وجه محرر « لى ليتر فرانسيز » سؤالين إلى كرافتشنكو أوقعاه فى حيرة بالغة ، وكان السؤال الأول : هل يستطيع كرافتشنكو أن يذكر لنا شيئاً عن نهاية « منزل العروس » ؟ وأرتج على المؤلف الروسى وعجز عن الجواب ولم يدرك ما وراء السؤال ... عندئذ تهيأت الفرصة لخصومه فانثنوا ينعتونه بالكذب والخداع ؛ كيف يعجز عن تذكر مسألة أفرد لها بعض الصفحات فى كتابه وهو يتحدث عن مسرحية « منزل العروس » للكاتب النرويجى هنريك إبسن ؟! وكيف يعجز عن تذكر مسألة أخرى دار حولها السؤال الثانى حين طلب إليه المحرر أن يدلى بما رسب فى ذهنه عن مسرحيات دستويفسكى الثورية ، وهى مسألة تناولها المؤلف من زاوية خاصة فى بعض صفحات « آثرت الحرية » ؟! ...

وهل من المعقول أن يخرج كرافتشنكو كتاباً يقع فى ستمائة صفحة من القطع الكبير بهذا الأسلوب المشرق كما يقول خصومه وهذه مقالاته فى الصحف الروسية تحفل بين أيديهم بهلهلة الأداء وانحطاط العبارة ؟!

هذه هى القضية التى تعرض اليوم أمام القضاء الفرنسى ... وليس من شك فى أن الذين قاموا بترجمة هذا الكتاب من مختلف الشعوب إلى شتى اللغات ، سيلقون بعض الحرج إذا وقف القضاء إلى جانب المجلة الفرنسية ، ومما يذكر فى هذا المجال أن الأستاذين محمد بدران وزكى نجيب محمود قد قاما بنقل الكتاب إلى العربية بتكليف من وزارة المعارف !

لحظات مع أمير الشعراء :

هى تلك التى نعمت فيها منذ أيام بالاستماع إلى قصيدة « النيل » ، تنطلق أبياتها فى أنغام ساحرة من حنجرة أم كلثوم .

الشعر الممتاز يتناوله الصوت الممتاز فيحيله لحناً فريداً يمتع السمع والفكر والخيال .

أما السمع فكان مع الصوت الجميل النادر ، وأما الفكر فكان مع الشعر الذى هز مكامن الشعور ، وأما الخيال فكان مع الشاعر العظيم يسبح فى دنياه !

نعم ، كان الخيال مع الشاعر الذى أنكرته يوماً مع المنكرين ثم عدت فأنكرت ما كان من أمر نفسى ... إن ضجيج المعاول التى كانت تحاول هدم البناء الذى أقامه الرجل فى دنيا الشعر ، هو الذى حال بين سمعى وبين الإنصات لتلك القيثارة الفذة ! لقد كنت أصبح على أصوات المعاول وأمسى على أصوات المعاول وفى غمرة هذا الضجيج طغت الصيحات الجائرة على الألحان الساحرة فضلت طريقها إلى قلبى ... ولم تكن الملكة الناقدة فى السن المبكرة قد بلغت من النضج ما يمكنها من إقامة الميزان للملكات الموهوبين وحملات المغرضين ! وحين أقبل اليوم الذى خفتت فيه أصوات المعاول خجلا من صمود البناء ، أرهفت سمعى لألحان الشاعر المفترى عليه ، وأرسلت فكرى يقف عند كل بيت من أبياته ويطيل الوقوف ، ورحت أزن الرجل وشعره بميزان الذوق الذى يحتكم إلى العقل والقلب والشعور ... وخرجت من هذا كله بشىء واحد : هو أننى آمنت بشوقى وكفرت بخصومه !

كان السمع إذن مع أم كلثوم ، وكان الفكر مع الشعر ، وكان الخيال مع الشاعر ... أما الشعر فقد عرفت رأيى فيه وفى صاحبه ، وأما الغناء فلا بد فيه من كلة ! إن أم كلثوم فى رأى الفن لا تمتاز بموهبة الصوت وحدها كما ينادى بذلك بعض الغلاة ولكنها تمتاز بموهبتين أخريين هما براعة الإلقاء ودقة الأداء ... إنها تكاد تنفرد بتلك الموهبة التى تتمثل فى سلامة النطق لمخارج الحروف فى المقطوعات الشعرية ، أما موهبة الأداء فتتمثل فى أنها تنقل اللحن كما يلقى إليها فى دقة عجيبة ، يعينها عليها ذوق صقله المران وأذن بلغت الغاية فى رهافة الحس الموسيقى . كل ما ينقص هذه الفنانة هو أن صوتها النادر ينطلق من أوتار الحنجرة دون أن يمر على أوتار القلب وهنا مفرق الطريق بينها وبين فنانة كأسمهان !

كلمات من « قطرات ندى » :

حدثتك فى العدد الماضى من الرسالة عن كتاب الأديب اللبنانى راجى الراعى ... ولن أنعت هذا الرجل إلا بكلمة «أديب» ولو ترك الأدب إلى المحاماة ، وترك المحاماة إلى القضاء ، وترك القضاء إلى حيث لا أدرى ولا يدرى ! .

ولعل هذه الكلمات التى أنقلها هنا عن كتابه تهز قلبه وتحرك قلمه وتعود به إلى ماضيه ... وإنها لكلمات تعلو فى رأيى فوق مستوى نظائرها فى « كرم على درب » لميخائيل نعيمه . وإذا كنت قد استمعت لنعيمه فى كرمه ودربه فما أحراك أن تستمع لراجى الراعى فى قطرات نداه :

* يقولون أبطلوا الثورات ، ولكنهم ينسون أن الألوهية نفسها قد ثارت بالخليقة على العدم ! .

* إذا شئت أن تبكى فاذرف الدمع أينما كنت ، فلست فى حاجة إلى زاوية تختارها وتعتزل فيها فالجميع يبكون ! .

* الرجل الذى لا يستحق أن يحيا لا يستحق أن يموت أيضاً ، فقد يجاور جثمانه فى القبر جثمان رجل عظيم ! .

* إذا صفعتك الحياة بارزها بسيف الإرادة وارسل إليها شاهديك : العمل والأمل ! .

* الفشل دمعة وقهقهة ، فإذا فشلت بكى الوهم فيك وقهقهت الحقيقة ! .

* الزنا فى رأيى لا يعنى فقط تحول المرأة عن زوجها الشرعى ، ولكنه يعنى أيضاً التحول بصورة عامة عن طريق الواجب ، فأى منا لا يتحول عن هذا الطريق ! أى منا لا يعد مع هذا التعريف زانياً ! .

* لا تقل لى كم عشت من السنوات ولكن قل لى كيف عشتها ! .

* من أنت وما هذا التبجح فيك ، ما دامت ثلاث كؤوس من الخمرة الطيبة تستطيع أن تتصرف بك على هواها ؟ ! .

* إذا وقعت الحياة على أوتارها جاءتك بنغمة واحدة هى الأنين ! .

* الحياة تسقينى خمورها ولكن الموت هو الداعى إلى الوليمة ، فكأن الحياة تقدم لى كأسها لأشرب نخب القبر الذى أنا صائر إليه ! .

* كيف اجتمعت عظمة الفن فى بناء الأهرام مع عبودية بناتها ؟ ! .

* الفترة بين ضلال وضلال هى التى تحسبها هدى ... وما هى إلا صلة بينهما ! .

* ليتنى أظل حياً فى الموت لأدرك أسراره ! .
* الذكرى جرس يدق فى عالم النسيان !
* الأبطال يشدون بحبال مشانقهم أوتاد خيامهم فى بطاح المجد !
* ثلاثة قهروا الموت : الخالد ، والمنتحر ، والذى لم يولد بعد!
* عجبت الموت كيف يدعى أنه يغمض الجفون ، ألم تغمضها الحياة من قبله ؟ أى لحظة تمر بنا والجفن فيها قرير ؟!
* مهما قيدوا حرية الكلام فإن الخطيب الحق هو من إذا جاشت فى صدره الشجون لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، بل يصعد إلى المنابر عنوة وقسرا !

سوفوكليس والأستاذ الصعيدى :

الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى عالم من علماء الأزهر ؛ ومعنى هذا أن ثقافته لا تعينه فى البحث والدراسة إلا فى حدود المجال الذى تخصص فيه وتفرغ له .. وكم أود أن يقصر بعض الباحثين جهودهم على الميدان الذى أعدوا له أدواتهم وملكاتهم ، وأنفقوا فيه كل ما تهيأ لهم من وقت ومثابرة !

أقول هذا بمناسبة الكلمة التى كتبها الأستاذ الصعيدى فى العدد الماضى من « الرسالة » حول مسرحية « الملك أوديب » للأستاذ توفيق الحكيم ... ولعله يوافقنى على أن مجال الكتابة عن فن المسرحية أمر يبعد عن دائرة اختصاصه ، لأنه لا يعرف لغة أجنبية تعينه على الإلمام بأصول هذا الفن عند سوفوكليس وغير سوفوكليس من كتاب المسرحية فى الأدب اليونانى . ولو قدر له شيء من هذا لما كتب هذه الكلمة التى تحفل بسذاجة النظرة إلى ذلك العمل الفنى الذى نسجت خيوطه من جو الأساطير القديمة ! ... إن الأستاذ الصعيدى يضحكنى حين يخالف رأى النقاد على مدار القرون ، وهو الرأى الذى يقطع بأن هذه المسرحية قد بلغت من الكمال الفنى أوجاً يعد مفخرة للذهن البشرى . إنها فى رأيه — أو على الأصح فى رأى ثقافته — ألاعيب كهان جهلة ، يستغلون جهل الشعوب ، ويلعبون كما يشاء لهم جهلهم بمصيرهم !

إذا لم تصدق أن الأستاذ الصعيدى قد قطع بهذا الرأى ، فارجع إلى عدد « الرسالة » الماضى ... وإذا سألتنى تعقيباً ، فليس لدى غير تعقيب واحد هذا نصه : أفادكم الله يا أستاذ !

دفاع عن قضية خاسرة :

عاد الأستاذ محمد محمود عماد المحامى ليخالفنى مرة أخرى فيما عقبت به على كلمته الأولى حول شخصية محمد الإنسانية ؛ وأود أن أوجه نظر الأستاذ عماد إلى أن هذه الطريقة التى يناقشنى بها ، تذكرنى بطريقة كل محام يدافع عن قضية خاسرة . . لا شيء غير اللف والدوران « والتمامل » مع الألفاظ والعبارات ! .

ترى هل يرمى الأستاذ عماد من وراء هذا الجدل إلى أن يخرج القراء بنتيجة ؟ ... إننى أرحب بالنقاش إذا ما حاول أن يفهمنى ، وإلا فلن أرد عليه ، لأن وقتى ووقت القراء وصفحات الرسالة يجب أن تشغل بشيء ذى غناء .

وللأستاذ منى خالص الشكر على كريم تحيته .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

براعم التمثيل فى الأوبرا :

أقام المعهد العالى لفن التمثيل العربى يوم السبت الماضى حفلة تمثيلية بدار الأوبرا الملكية ، لمناسبة توزيع صور جلالة الملك على الطلبة المتفوقين وتسليم إجازة المعهد إلى خريجيه .

وقد أحيا هذه الحفلة طلبة المعهد بتمثيل مسرحيتى «المنقذة» و «الصملوك» تأليف الأستاذ محمود تيمور بك وإخراج الأستاذ زكى طليمات عميد المعهد .

أما « المنقذة » فهى مسرحية تقع حوادثها بمصر فى عهد المماليك الجراكسة ، وتظهر مناظرها على المسرح فى قصر الأمير (برسباى) الذى يشتمل على الأميرة (فريهان) وقد أنقذها الأمير ، وكان مملوكا لأبيها ، من (داود بك) الذى اغتال أباها . وتدل الحوادث التى يتردد صداها على المسرح ، على أن القتال يدور بين (برسباى) وبين (داود بك) للمنافسة على مشيخة البلد حتى يقتل الأول الثانى ويفوز بالمشيخة . أما خشبة المسرح فتدور عليها معركة أرق وأعنف فى آن واحد ... هى معركة الحب بين (فريهان) و (برسباى) أو بعبارة دقيقة بين حب فريهان وكبريائها ، فهى تحب برسباى وتهيم به فى غيبته ولكنها تتأبى عليه وتظهر له عدم الاكتراث وتنكر عليه أن يطلب مبادلتها الحب لأنه كان مملوكا لأبيها ، ويشقى هو منها بذلك ويضيق به ، حتى ينبهه مربيه الشيخ (طويل العمر) على أمر له خطره ، فيقول له : إنها تحبك ولكنها تشعر بفضلك عليها وأنها أسيرة هذا الفضل ، وإن هذا الشعور يؤذى كبرياءها وترى فى مكاشفتك بالحب إذلالا لها .

وتلك هى عقدة المسرحية وهى مبنية على الازدواج فى نفسية فريهان ، إذ يعلق بشعورها الظاهر أن برسباى ليس أهلا لحبها مهما أبدى من الشجاعة والنبل ، وينوء عقلها الباطن بعبء ما أسدى إليها من جميل .

ويعمل الشيخ الفطن (طويل العمر) على حل العقدة ، فيتظاهر بأنه يدبر مؤامرة مع (قاسم) رئيس حراس القصر لاغتيال برسباى ، ويرتب الأمر بحيث تعلم فريهان بالمؤامرة ، فتتدخل فى وقت تنفيذها ، وتنقذ حياة برسباى ، وتبادله معروفاً بمعروف ، ثم تبادله الحب .

وقد أجاد الممثلون والممثلات من طلبة المعهد وطالباته ، وخاصة كمال يس (طويل العمر) وناهد سمير (فريهان) وكان نطقهم للعربية فصيحاً . ولا آخذ عليهم غير بعض التكلف فى الشخصيات الفكاهية كشخصية (قاسم) رئيس الحراس ، فإنه وإن كان قد قصد به الإضحاك إلا أنه كان مفرطاً فى تكلف حركاته .

وأما « الصملوك » فهى مسرحية قوامها شخصان (دردرى أفندى) المفلس الطروب الذى يتردد على (وحيدة هانم) فينقل إليها أخبار المجتمع وفضائح الناس ، ويتلقى هو منها الإهانة والسخرية بالحمد والشكران . ويخبرها فى نهاية حديثه معها بأن فى جيبه ألف جنيه ويبرزها لها ، ويقول إنه سينفقها فى ليلة واحدة . فتتبدل وحيدة هانم إزاء دردرى افندى امرأة أخرى ناعمة متكسرة مدللة ، ويلبى النداء ، ولكنه سرعان ما يغير سلوكه معها ويمزق الأوراق المالية ويسخر منها .

والحوار يدلنا على حقيقة شخصية دردرى افندى وفلسفة حياته ، فهو ينفق ما يقع فى يده من مال دفعة واحدة لينعم باللذة إلى أقصى حد ، ثم يعيش فى ضنك وبؤس ، أو كما يجرى على لسانه : يذوق حلو العيش ومره . وهو يرى الحياة قد فرضت عليه الذل والحرمان فهو وإن كان يُضحك من يسخرون منه إلا أنه فى أعماقه يمقتهم ويتوق إلى إذلالهم والثأر لنفسه منهم ومن المال لأنه سبب شقائه .

وقد قام كل من ملك الجمل (وحيدة هانم) وعبد الغنى قمر (دردرى افندى) بدوره خير قيام .

وهكذا ترى المسرحيتين تقومان على التحليل النفسى ، والإبداع فى هذا التحليل أنه مصوغ فى قالب سهل صياغة فنية ممتعة ، فالأداء الفنى يدنو بالموضوع الرفيع من المقول كما يخاطب به القلوب ، ولست أفهم الفن المسرحى إلا أن يكون موضوعاً قيما مذابا فى الإمتاع الفنى . وبغير ذلك يكون المسرح (بهلوانية) وهراء .

أما طلبة معهد التمثيل وطالباته ، الذين قاموا بتمثيل تينك المسرحيتين ، فقد بعثوا فى قلوب عشاق المسرح الطمأنينة

على مستقبل هذا الفن الجميل فى مصر . وما أجدر خريجى هذا المعهد أن يأخذوا أماكنهم اللائقة بهم فى الفرقة المصرية ، فيملؤوا فراغاً كبيراً بهـا ، وحقاً إن الفرقة تضم الآن بعض هؤلاء ، ولكن لا تعطى لهم إلا الأدوار الثانوية ، ويصر الممثلون والممثلات الذين يعملون على المسرح منذ ثلاثين عاماً على أن يمثلوا أدوار الفتيان والفتيات الأوائل ... أفلا يفسح ذوو الوجوه المتغضنة التى يتعب (الماكياج) فى إصلاحها ، لهذه الأزهار المتفتحة فى الوجوه الجديدة ... ؟

وأظن أنه قد آن الأوان لأن تفكر وزارة المعارف أو وزارة الشئون الاجتماعية فى الانتفاع بخريجى معهد التمثيل فى تأليف فرقة أو فرق جديدة تحقق الأهداف المنشودة من إنشاء المعهد .

الأديبة الشريدة :

نشرت مجلة المسامرات قصة فتاة أديبة ضريرة بائسة ، تخلى عنها أهلها ، وآواها الاتحاد النسائى فى حياة المغفور لها السيدة هدى شعراوى ، وكان الدكتور طه حسين بك قد توسم فيها استعداداً أدبياً فألحقها بكلية الآداب ، واسم الفتاة « ابتسام حافظ » .

والنهاية المحزنة لهذه القصة أن الاتحاد النسائى ألقى بها أخيراً إلى الطريق شريدة لا تعرف لها مأوى ولا عائل !

والفتاة الأديبة ابتسام حافظ تقول الشعر ، ومن قولها بعنوان « من وحى الألم » :

والناس عباد الدراهم يشهدو ن له بفضل واجب الإطراء
فقد الجميع ضميرهم سحقاً لهم وتجردوا من عفة وحياء
شغلوا بحب النفس حتى لم يعد يعنيهم إلا رضا الأهواء

ولست أدرى ماذا أقول ، وهل غادر « المنفلوطى » من متردم ؟ ولكنى أقول : إن فى مجتمعاتنا فتيات يغزون القلوب ، ويغدق عليهن ، فهل فى القلوب مكان من نوع آخر لهذه الأديبة البائسة ؟ !

القياس فى اللغة :

قال لى صديق فى المجمع اللغوى : إنك تهجم على المجمع . وهو يعنى ما أناقش به منهج العمل فى مجمع اللغة وما أعقب به على بعض آراء الأعضاء ، وهو يعنى أيضاً شيئاً من العتاب لأنه يعلم أنى من ألصق الناس بالمجمع لسابق عملى به وكثرة أصدقائى وإخوانى فيه ، أعضاء وموظفين ، فلا ينبغى أن أقف منه موقف المعارضة فى بعض المواطن .

فهل هو على حق فى ذلك ؟ لقد شكا بعض الأعضاء من

كشكول الأسبوع

* قريباً جداً تنقسم خلية « الرسالة والرواية » وتصبح « الرواية » كائناً حياً مستقلاً ، فتعيد إلى فن القصة الرفيع اعتباره وازدهاره .

* قرر وزير المعارف تأليف لجنة الفحص لجائزة فؤاد الأول للآداب عن سنة ١٩٤٩ برياسة على عبد الرازق وعضوية إبراهيم مدكور ، وإبراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد زكى ، وعباس الجمل ، وعبد الحميد العبادى وعلى الجارم ، ومحمد خلف الله أحمد ، ومحمد توفيق دياب ، ومحمد عبد الواحد خلاف ، ومحمد عوض محمد ، ومحمد فريد أبو حديد ، ومنصور فهمى . ويتولى سكرتارية اللجنة : على أدهم ، ومحمود الخفيف .

* جاء فى افتتاحية العدد الأخير من « الهلال » هذه العبارة : « إن الأدب حسن التعبير عما يختلج فى النفس ، وليس يهمنى ما يختلج به النفس ، وليس يهمنى ما خلجها ، وليس يهمنى أخلجها عنيفاً أم خلجها خفيفاً أو لم يخلجها أبداً » .

فهل تستطيع أن تقرأ ذلك ثلاث مرات بسرعة دون أن يتعثر لسانك ؟ إن استطعت ذلك فلك بقرة من بقرات بركات !

* تجرى الآن فى باريس محاكمة محررى مجلة « الآداب الفرنسية » بتهمة القذف فى حق كرفتشنكو الروسى مؤلف كتاب « آثرت الحرية » والقول بأن الكتاب ألفه رجال المخابرات الأمريكية ، وقد وجه المحرر المتهم أسئلة إلى المؤلف عن بعض ما تضمنه الكتاب ، فارتبك ورفض الإجابة .

* المرشحون الآن للكرسى الخالى بالمجمع اللغوى ، هم الأساتذة : أحمد حسن الزيات ، ومحمد توفيق دياب ، وإبراهيم مصطفى ، وبشر فارس . وقد حدد يوم ١٤ فبراير الحالى موعداً لانتخاب أحدهم

* جاء من باريس أنه تألفت هناك جمعية تعاونية أدبية من الأدباء الكبار النابهين والأدباء الصغار الناشئين

عزلة المجمع وعدم شعور الناس به كما ذكرت فى الأسبوع الماضى ، وأنا أذيع على الناس عمل المجمع وأعرض آراء أعضائه فى مسائل اللغة والأدب والمجمع يدعو إلى إبداء الرأى فيما يبحثه ، وأنا أبدى ما يعنى لى إزاء ما أعرضه من الأعمال والآراء .

فهل أنا فى ذا يالهمذان ظالم ؟

ولعلى فى هذا الأسبوع أسجل عملا مشرقاً من أعمال المجمع ، وهو ما يتعلق بقرار المؤتمر الأخذ بالقياس فى اللغة وجواز الاجتهاد فيها ، وقد اتخذ هذا القرار ، كما ذكرت فى الأسبوع الماضى ، بعد محاضرة للدكتور أحمد أمين بك ومناقشة فيها ؛ ويعد هذا الموضوع أهم ما أثير فى دورة المؤتمر لهذا العام ، وأقرب الأشياء إلى الناحية العملية فى مهمة المجمع ، بل هو الشىء العملى الوحيد الذى انتهى فيه المؤتمر إلى نتيجة موفقة ، بفضل هذا البحث أو المشروع القيم الذى ألقاه الدكتور أحمد أمين بك فى إحدى الجلسات .

عنوان المحاضرة « مدرسة القياس فى اللغة » وقد بدأها بقوله : من طبيعة الأشياء أن يكون فى كل جماعة مفكرة طائفة من المحافظين وطائفة من الأحرار . ثم قال : إن الاختلاف فى اللغة ، من حيث المحافظة والتجديد ، كان واقعاً حتى بين الأدباء ، فمن الشعراء والأدباء من كان يلتزم ما ورد فى اللغة ولا يخرج عنه بحال من الأحوال ، ومنهم من كان يجيز لنفسه أن يجدد ، فيحكون عن العجاج وابنه رؤبة أنهما كانا يصيغان ألفاظاً لم يسبقا إليها ، ويروى عن بشار أنه كان يقيس ما لم يرد على ما ورد . ثم فصل وقوف اللغويين عند ما ورد ، وأخذ النحويين والصرفيين بالقياس وبراعتهم فيه ، وقال إنه كان بجانب كثرة المتقيدين بالسماع من علماء اللغة ، قلة من القياسيين أو بعبارة أخرى مدرسة القياس فى اللغة ومن أعلام هذه المدرسة أبو على الفارسى وتلميذه ابن جنى ، وكان أبو على يقول : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، فإذا عربت لفظة أعجمية أجريت عليها أحكام الإعراب وعددتها من كلام العرب . وكان جريئاً إلى حد لم نصل إليه إلى اليوم فكان من رأيه أن الألف اللينة فى الكلمة الثلاثية تكتب ألفاً مطلقاً سواء كان أصلها واواً أو ياء .

وبعد أن فرغ الدكتور من الناحية التاريخية فى المحاضرة وصل إلى ما أسميه « مشروعاً عملياً » فبين ما يمكن أن

ومن قوانين هذه الجمعية ألا توزع أرباحها على الأعضاء بل تطبع بها كتب الناشئين .

ومن الطريف أن هذه الجمعية مسماة باسم « لعبة النطة » التى يحنى فيها أحد اللاعبين ظهره ليقفز زميله عليه ، رمزاً إلى غايتها من مساعدة الكبار للصغار .

* أهدى الأستاذ توفيق الحكيم نسخة من كتابه الأخير « أوديب الملك » إلى أستاذ كبير وقرينته الأديبة الفاضلة ، فأصاب الحكيم اثنين بنسخة واحدة !

* توشك الإدارة الثقافية بالجامعة العربية أن تفرغ من « التقويم الثقافى » الذى تضعه عن حالة التعليم فى البلاد العربية ، وهو يتضمن إحصاءات وافية شاملة للمناهج والطلبة والمدرسين وما إلى ذلك فى مختلف المعاهد

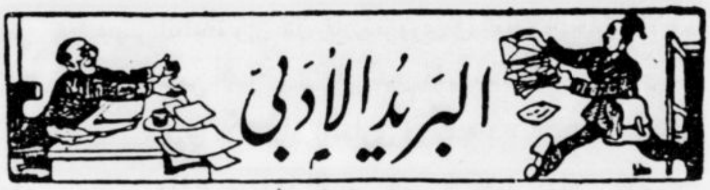
* جاء من بيروت أن المعاهدة الثقافية المزمع عقدها بين لبنان وأسبانيا تنص على وجوب تعليم اللغة العربية ودراسة تاريخ الجاهلية والعصر العباسى فى المدارس العليا الأسبانية

* توالى لجنة التحكيم فى مسابقة الثقافة العامة بوزارة المعارف اجتماعاتها للنظر فيما قدم إليها من القصص الطويلة والقصيرة والتمثيليات المسرحية والإذاعية والمدرسية ، وينتظر أن تفرغ من مهمتها فى فبراير الحالى ثم تعلن النتيجة

* حضر إلى مصر أخيراً الدكتور محمد ثابت الفندى الموظف المصرى فى (اليونسكو) للسعى فى تنفيذ ما قررته هذه الهيئة من ترجمة الكتب والمخطوطات العربية القديمة إلى اللغات الأوربية .

* فى الإذاعة برامج مثل « أهم حوادث الأسبوع » و « البرلمان فى أسبوع » تتكون مادتها مما نشر فى الصحف وأذيع نقلا عنها فى نشرة الأخبار ، فتلك البرامج تكرار لتكرر ...

* نشرت « الاثنين » حديثاً لعبد الوهاب نقد فيه الإذاعة نقداً قال فيه إن أمر الأغانى والموسيقى فيها موكول إلى موظف يتحكم فى ذوق الجمهور وفق هواه ومتأثراً بالوساطات . وقد رد عليه مدير الإذاعة فقال إن هذا الأمر موكول إلى لجنتين ، وذكر أسماء أعضائهما . وهى أسماء شخصيات معروفة لا يصح أن ينسب إليها ما تصدع به الإذاعة رؤوس الناس ...



وفاة الجارم :

توفى الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ على الجارم بك يوم الثلاثاء الماضى ، وقد شاء القدر أن يموت وهو يستمع إلى قصيدته فى رثاء المغفور له محمود فهمى النقراشى باشا ، وكان يلقيها ولده الأستاذ بدرالدين الجارم فى حفلة تأبين النقراشى باشا بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية ، وكان يتلو الأبيات مع ولده بصوت منخفض ، وفجأة توقفت شفتاه ومال إلى الجالس بجواره ، وبينما كانت قصيدته « وداع » تلقى فى وداع النقراشى ، حمل إلى غرفة مجاورة لقاعة الاحتفال ، ثم فاضت روحه .

والفقيد الكبير تخرج فى دار العلوم سنة ١٩٠٨ ، ثم بعث إلى انجلترا وعاد منها سنة ١٩١٢ أستاذاً فى دار العلوم ، وكان بعد ذلك مفتشاً فى وزارة المعارف ، ثم كبيراً لمفتشى اللغة العربية ، ثم وكيلا لدار العلوم ، حتى أحيل إلى المعاش سنة ١٩٤٠ . وقد اختير عضواً بالمجمع اللغوى أول إنشائه سنة ١٩٣٤ .

وللجارم مؤلفات قيمة معروفة فى اللغة والأدب ، وكان رحمه الله بقية مدرسة فى الشعر تؤثر الجزالة والديباجة العربية المتينة . وكان معدوداً من شعراء العروبة البرزين ، المعبرين عن آلامها وآمالها ، وطالما تغنى بمجد العرب ، وله فى ذلك آيات خالدات .

و « الرسالة » إذ تنعى « الجارم » إنما تنعى علماً من أعلام الأدب والشعر فى هذا العصر ، وهى تشعر بالحسرة لفقده ، وتشاطر المحزونين عليه آلامهم ، وتسأل الله له واسع المغفرة والرحمة .

هل الحج يمحص الذنوب ؟

قرأت فى العدد ٨١١ من الرسالة الزهراء قول الأستاذ الزيات فى كلمته « حج غير مبرور » إن المجرم اغتر بقول المتزيدين من جهلة الشيوخ : إن الحج وحده يمحص الذنوب ويمحو الخطايا . وفى العدد ٨١٣ تعليق للأستاذ محيى الدين حموده خالف فيه الأستاذ الزيات فى وجهة نظره فى الموضوع .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » . وقد ورد فى شرح هذا الحديث أن من حج من المسلمين ولم يأت زوجه ولم يعمل سيئة من شتم وسباب لرفقائه والمكارين رجع كيوم ولدته أمه مشابهاً للطفل يوم الولادة فى البراءة من الذنب ، وهو يشمل الصغائر والكبائر المتعلقة بحقوق الله أو بحقوق العباد ، وهذا الأخير هو المسمى بالتبعات خلافاً للترمذى فقد خصه بالمعاصى المتعلقة بحقوق الله سبحانه دون

يستفاد من القول بالقياس فى اللغة — فيما يلى :

١ — كثيراً ما تذكر المصادر فى كتب اللغة ولا تذكر أفعالها أو العكس ، أو لا يذكر باب الفعل ، وبالقياس يمكننا تكميل هذا النقص .

٢ — إذا وجدنا وزناً معيناً مستعملا فى الدلالة على شىء خاص أمكننا أن نقيس عليه ما لم يرد ، وذلك مثل « فعال » كنجار للدلالة على محترف الحرفة .

٣ — الاعتراف بالدخيل وعده عربياً وإدخاله فى معاجمنا ما دام يجرى على الصيغ العربية ويسير على نمط العرب فى وضعهم أو اشتقاقهم .

٤ — يجد العرب أحياناً يلحظون فى الشىء معنى من المعانى فيسمونه باسم مشتق من الكلمة التى تدل عليه ، فلما ذا لا نستعمل هذا الباب فى المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة التى نقف أمامها حائرين ؟

٥ — كان للعرب ذوق مرهف فى وضع الكلمات بمحاكاة الأصوات ، كالخرير لصوت الماء . وأرى أنه لا بأس من مراعاة الأصوات فى وضع كلمات جديدة

ثم قال : من الذى يجوز له هذا ؟ لقد شرط الفقهاء للمجتهد شروطاً ، وكذلك نفعل فى المجتهد اللغوى ، فلابد أن يكون مثقفاً ثقافة لغوية وأدبية واسعة ، ويكون له ذوق أرهف بكثرة القراءة .

وقد ناقش الأعضاء هذه المحاضرة مناقشة مستفيضة ، واستعرضوا النتائج الخمس واحدة واحدة . وفى العدد التالى إن شاء الله بيان ذلك .

عباس خضر

حقوق العباد . ثم الحج بعد ذلك لا يسقط الحقوق أنفسها . بل من كان لا يقيم الصلاة : ولا يؤتى الزكاة . ولا يصوم رمضان . ولا يكاد يتشهد كهذا المسلم الفاجر أو عليه كفارة أو نحو ذلك من حقوق الله تعالى أو دين للعباد لا تسقط عنه لأنهـا حقوق وجبت لله أو للعباد لا ذنوب .

والحاصل أن العلماء فى هـذا الموضوع على رأيين : الرأى الأول ، اتفقوا على عدم سقوط نفس الحقوق المطلوبة لله أو للعباد ؛ فمن كان عليه حق لله كصوم أو صلاة أو زكاة أو عتق فى كفارة ، أو حق للعباد كدية أو مال مغصوب فهذه كلها لا يسقطها الحج .

الرأى الثانى . سقوط الذنوب المتعلقة بحقوق الله تعالى كذنب تأخير الصلاة والصوم عن وقتهما .

واختلف العلماء فى الذنوب المتعلقة بحقوق العباد كذنب الغصب فى الأموال على اختلاف أنواعها ، والتعدى بالقتل والضرب فقال بعضهم يسقط ذلك بالحج ، وقال آخرون . لا يسقطه إلا استرضاء صاحب الحق أو عفو الله تعالى .

والواقع أن العلماء الذين يقولون إن الحج يمحص الذنوب ويمحو الخطايا طائفة من الحشويين الجامدين الذين لم يعرفوا من الدين إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه ويمتلون ذؤابة المنابر فى الريف المصرى منذ قرون وهم فى جهلهم يعمهون .

(قنا) على حسن محمد بقوش

حول مسابقة المصور للقصة القصيرة :

قرأت فى الرسالة الغراء فى العدد ٨١٢ كلمة للأستاذ أنور المداوى ينقد فيها بيان مجلة المصور الذى نشرته فى مسابقة القصة القصيرة التى أزمعت قيامها .

وقد كان الأستاذ على حق حينما عاب على المجلة بعض ما جاء فى بيانها كاعتقادها أن عنصر المفاجأة أهم ركن فى القصة القصيرة على الإطلاق ، وتحديدها عدد كلمات القصة بستمائة كلمة .

غير أنه انحرف عن الصواب حينما برهن على صـدق نقده بأن عنصر المفاجأة أهم ركن فى القصة على الإطلاق بقوله :

« ... إن القصة التحليلية حين تبلغ غايتها من تشريح العواطف والنزعات لا تكون محتاجة فى الغالب إلى المفاجآت » .

فقد كان هـذا القول يتفق مع الواقع لو أن مجلة المصور اشترطت أن تكون القصص المتسابقة من النوع التحليلى ، فإن عنصر المفاجأة وإن كان غير ضرورى فى القصة التحليلية إلا أنه ولا شك من أهم الأركان التى تدعم عليها سائر القصص الأخرى .

ويقول الأسـتاذ المداوى فى كلمته : « إن القصة الطويلة بعـد هذا هى وحدها المقياس الفنى الـكامل لمواهب القصاص وطاقة القصاص ، ولا كذلك الأمر فى القصة القصيرة » .

وفى هذا الـكلام نظر ... فلو كان الأستاذ المداوى يقصد بكلامه هذا أن قوة القصاص وطاقته الفنية يمكن قياسهما بقصة طويلة واحدة ... فهذا هو المستحيل .

فإن مواهب القصـاص ومقدرته وطاقته الفنية لا يمكن قياسها والحـكم عليها بقصة واحدة ، طويلة كانت أم قصيرة ، كما لا يمكن الحـكم على شاعر بقصيدة واحدة ، ولا على كاتب بمقالة واحدة ، ولا على مصور بصورة واحدة ... ففى قصص القصاص ما هو مرتفع إلى ذروة الـكمال ، وما هو مسف إلى أغوار الحضيض ، كما فى شعر الشاعر ، ومقالات الـكاتب ، وصور المصور ؛ فالحـكم الصحيح على الفنان والموازنة الصادقة بينه وبين غيره لا تكون إلا بمجموع ما أنتجه لا بجزء منه .

وأما إذا لم يقصد إمكان الحـكم على القصاص بقصة طويلة واحدة فلا داعى أن ترجح كفة القصة الطويلة على كفة القصة الصغيرة فى معيار القيم الفنية للقصاص ، فـكلتاهما سواء ما دام لا يمكن الحـكم بهما منفردين .

أما أخـذه على مجلة المصور قولها « إن ما يبذله كاتب القصة القصيرة من جهـد لا يقل إن لم يزد على ما يبذله كاتب القصة الطويلة » فليس فيه إنصاف ، فإن كاتب القصة القصيرة يلاقى دفعة واحدة جميع الصعاب التى كانت متفرقة فى القصة الطويلة ، فهو يكتب القصة القصيرة بجميع عناصرها الفنية فى حيز ضيق محدود مع إكمال كل عنصر وإيفائه حقه فى اقتضاب ملموس وحـد كبير من حريته ، ولا يخفى ما فى الاقتضاب والاختصار والحد من الحرية من الضيق الشـديد والجهد الـكبير الذى يبذله كاتب القصة القصيرة . وقد أرسل سعد زغلول باشا إلى أحد أصحابه رسالة طويلة واعتذر لعدم كتابة رسالة قصيرة بسبب ضيق الوقت !!

فلا ينافى قصر الزمن الذى تكتب فيه القصة القصيرة ، وقلة الصفحات التى تكتب عليها بذل الجهود الـكثيرة المضنية التى لا تقل — إن لم تزد — على ما يبذل فى كتابة القصة الطويلة .

(اسكندرية) حسن صادق حمدان



البجعة

للكاتبة الإنجليزية باميلا . ه . جونسون

في اللحظة التى شاهدت فيها الطفلة ولاحظتُ هزالها وهى واقفة بجوار النافذة المستديرة ، ويداها تعبثان بعنق التمثال الخزفى للبجعة البيضاء ، أيقنت أنها ستصير حتماً من الجميلات عندما يكتمل نموها . ولم تكن قد شعرت بوجودى ، فوقفت حيث كنا بجوار باب الغرفة أتأملها فى إمعان .

كانت سنها — على ما أعتقد — تتراوح بين الحادية عشرة وكانت — إذا عنّ لى أن أحكم عليها — أكثر شبهاً بوالدتها جلاديس من صورة أبيها توم ، تلك الصورة التى شاهدتها معلقة فى المطبخ . ولاحظت أن أطرافها نامية نمواً ملحوظاً ، وعينيها واسعتان بالنسبة إلى وجهها ، ترتدي مئزراً قديم الطراز أبيض اللون ، قصير الأكمام ، يتحلى بزركشة وزخارف من « الدانتلا » على حافته . وكان نظيفاً على نقيض ردائها الداخلى الداكن الذى كان يبدو قديماً رثاً .

كانت الطفلة تحرك أناملها فى حنان على صدر البجعة وجناحيها . وبدت كأنها معجبة بذلك التمثال المصقول ، فكانت تتأمله وكأنها خبيرة بفنه وجماله . وكان شعرها مشدوداً خلف جبهتها الصغيرة البارزة ، وقد انعقد بشريط أبيض . ولعلىّ أحدثت حركة بسيطة ، فقد التفتت الطفلة ناحيتى ونظرت إلى ، ثم فارقتها فى الحال روح الطمأنينة ، ودفعت بالبجعة خلف ستار ، ثم جعلت تمسح يديها فى مئزرها — وكان فى بياض الثلج — فتترك فيه أثراً خفيفاً من قذارة يديها . وبدت أسنانها من بين شفتيها وتراجعت كما لو أنها ستختفى كما اختفت « أليس »[1] خلال المرآة .

ولم أتفوه بكلمة وأنا أتأمل ذلك الجمال المنتظر . حقاً ، لقد كانت أكثر شبهاً بجلاديس من توم . كانت تشبه جلاديس التى كنت أعهدها منذ زمن بعيد ، لا تلك التى أعرفها الآن . ولم تصرف الطفلة عينيها عن وجهى ، فى الوقت الذى كانت فيه تتحسس الحائط خلفها ، وتتحرك فى تلصص بجواره وقد تصلب ظهرها . فقلت « تعالى . لا تذهبى » فشهقت شهقة قصيرة من الرعب ، ولكنى تقدمت إليها وقبضت على معصميها ، وانحنيت فى ذات الوقت حتى صار وجهى فى مستوى وجهها ، وقلت « لا تهربى إلى عمك (فيل) » . وحاولت أن تبتسم فى أدب ثم ارتجفت عضلة على ركن فمها بعد أن تلاشت ابتسامتها .

سألتها فى رقة « لماذا تخافيننى ؟ إنى أعرف والدتك منذ زمن طويل . وها قد مضت عشرون عاماً دون أن أراها . أليست تلك مدة بعيدة ؟ لقد أخبرتنى أن أحضر هنا لأشاهدك » وأضفت قائلا حتى أجعلها تشعر بالسعادة « لأشاهد أى فتاة كبيرة لها » .

وأومأت الفتاة برأسها فى صمت تشير إلى البجعة . فقلت « تمثال جميل ، أيعجبك ؟ » فابتسمت .

قلت « ما اسمك ؟ » فلم تجب . قلت « أنت (آمى) » فهزت رأسها بالنفى فى شدة وخوف ظاهر . وعجبت ، ما الذى فعلته جلاديس حتى جعلت هذه الطفلة مرهفة الأعصاب تهاب الغرباء ؟ وشاهدت جلاديس من خلال النافذة ، واقفة عند مدخل الخباز ، تسارع فى شراء كعك للشاى ، فقد كانت زيارتى لها فجائية ، ولم يكن عندها ما تقدمه إلى ، ولذلك قالت لى « ألا تستطيع أن تسلى نفسك مدة عشر دقائق يا فيل ؟ يجب أن أستحضر العشاء لتوم . وإذا حضرت آمى قبل عودتى فعرفها بنفسك » .

وقلت للطفلة « متى قدمت ؟ لقد أخبرتنى والدتك أنك ذهبت إلى الخليج » .

فابتسمت كأنما سرت لقدومها إلى الدار على غير انتظار . وفجأة أمسكت البجعة ودفعتها فى يدى ، ثم قالت « جميلة ! » فوافقتها على ذلك . تذكرت رؤيتى لهذا التمثال منذ عشرين عاماً فى دار جلاديس القائم على قمة الجرف . وكانت البجعة قطعة أثرية نفيسة من الخزف .

---

(١) قصة « أليس فى بلاد العجائب » من قصص الأطفال المشهورة ، تدخل فيها « أليس » إلى هذه البلاد عن طريق المرآة . المترجم .

ووضعت الطفلة يديها على كتفى ، فركعت ، وإذا بها تجلس على ركبتى ، وهى تبتسم فى وجهى ، وكأنما توطدت الصلات بيننا . وأخبرتها بوجه الشبه بينها وبين والدتها ، وحدثتها عن جمال أمها . وقلت أتعرفين أننا اعتدنا — أنا ووالدتك أن نذهب إلى الخليج ، وقد حملنا معنا أدوات الشاى لنقضى بقية يومنا هناك ؟ وكنت أسبح حيث تقوم تلك الصخور الثلاثة فى صف واحد ، وأدعى بأنى فى يوم ما سأسبح وأسبح ولن أعود بتاتاً . ثم أختبىء فى ذلك الكهف الصغير الواقع تحت الجرف مباشرة وأناديها مثل ... » وبحثت عن كلمة لطيفة فقلت « مثل النورس[1] »

وصفقت الفتاة ، ثم عقدت يديها كما لو أنها تذكرت تحذيراً بألا تفض أصابعها مطلقاً . وانتظرت متابعتى الحديث فقلت « ثم أسبح راجعاً فتعنفنى ، ثم ننفجر ضاحكين ... كان ذلك منذ زمن بعيد » .

فسألتنى وهى ترفع أصبعها فى حذر لتلمس قمة رأسى « وأين كنت ؟ » فاعتقدت أنها تعنى « أين كنت هذه المدة ؟ » فأجبت « كنت فى الخارج » .

فبدت كأنها تفقه ما قلته . وكنت قد وضعت البجعة على الأرض بجوارى ، فشعرت بها تنزلق عن ركبتى متجهمة الوجه ، ثم التقطت التمثال وأخفته عن الأنظار خلف الستار ، ثم عادت تجلس معى وانتظرت أن أفضى إليها ببقية الحديث ، فقلت « إنى لم أقابل والدك بعد ، مع إنى شاهدت صورته » فعبست فقلت « ولكنى سأقابله الليلة عندما يعود من عمله » .

ووضعت الطفلة ذراعها حول عنقى ، فشعرت بسرور عظيم يخالجنى ، وإذا بى أسألها « أية هدية تودين أن أبعث بها إليك ؟ » فأشارت فى الحال صوب النافذة ، فقلت « البجعة ؟ » فابتسمت. فأردفت قائلا « سأشترى لك واحدة مثلها من لندن ، وسأبعث بها إليك فى طرد مسجل ومدون باسم الآنسة آمى أون » فحركت رأسها فى عنف ، ثم أخفت وجهها بين يديها ، وبعد لحظات نظرت إلى ، وقد استعادت هدوءها السابق ، ثم جذبت الشريط المعقود من شعرها ، فانسدل بلونه الأشقر كلون الصباح على رمل الشاطىء الندى .

(١) النورس : طائر مائى .

وسألت الطفلة « أتميلين إلى؟ » فلمست خدى . ولاحت لى جلاديس مرة أخرى ، تتحدث إلى جار لها خارج البوابة ، وشاهدتها الطفلة فقفزت من ركبتى ، وبدت كأنها خجلة أو خائفة . ثم اختطفت الشريط من يدى ، وجمعت شعرها وعقصته ، ثم ربطته ، بالشريط ربطة غير متقنة فى لهفة وكأنها تتوق إلى الرحيل . فسألتها « إلى أين تذهبين ؟ » .

وأشارت إلى جلاديس من خلال النافذة ، ففتحتها وسألتها ما الأمر ، فقالت « لقد نسيت المفتاح . أرجو أن تفتح لى الباب » .

وعندما التفت حولى ، كانت الفتاة قد اختفت ، فظننت أنها أسرعت إلى المطبخ تنتظر قدوم والدتها أو صعدت لتغسل يديها استعداداً للشاى ، فقد لاحظت أنهما قذرتان وبهما خدوش كأنها حدثت أثناء محاولتها تسلق الصخور الزلقة التى حول الخليج . وأحسست الخيبة ، فقد كنت أود أن ترانى جلاديس معها ، فربما حدثتنى بلهجة أقل خشونة من حديثها السابق ، عندما ترى الوفاق الذى توطد بينى وبين الفتاة .

وفتحت الباب فدلفت منه جلاديس مجهدة وقالت « إنى آسفة لتغيبى هذه المدة الطويلة يا فيل . إن هذا هو الضرر الذى يأتى من معرفة الناس للانسان فى الطريق ، ولا بد أن تقف وتحيى عند كل ناصية » .

وذهبنا إلى المطبخ ، وجعلت أساعدها فى فض حاجاتها ، وسمعتها تقول لى « كيف استطعت أن تجلس هنا وحدك ؟ » .

فقلت ضاحكا : « لم أكن هنا وحدى . إن آمى كانت معى » فلم تفه بكلمة ، فنظرت إليها فشاهدت فى دهشة أن وجهها قد تقنع بقناع من الحيرة ، فقلت « ما الأمر ! ؟ » قالت « لا يمكن أن تكون شاهدت آمى . إننى قابلتها فى طريق وهى مقبلة من الشاطىء ، وقد أرسلتها إلى محل لويز لتقص شعرها ، وستحضر وقت تقديم الشاى » .

وأحسست بشعور خفى من الرهبة يغزو قلبى، فقلت « ولكن ، لا يمكن أن يحدث ذلك ، لقد كانت تتحدث معى هنا ، وكانت تجلس على ركبتى » فقالت « ما شكلها؟ » فجعلت أصف لها الطفلة بشعرها المعقود بالشريط، وردائها البنى ، ومئزرها الأبيض وقلت « وكانت تلعب بالتمثال الخزفى للبجعة البيضاء الموضوع على النافذة » .

وهبت جلاديس واقفة ، وقد تصلب جسمها ، ثم صرخت صرخة مخيفة ، وأمسكت بها قبل أن تخر ساقطة ، وأجلستها على المقعد . وعندما فتحت عينيها نظرت حولها فى ذهول ورعب ثم قالت « أغلق الباب والنافذة » وازداد شعورى بالخوف وخيل إلى بأن ظلاما حالكا قد خيم على جو الغرفة ، لم أعهده فيها من قبل.

وقالت جلاديس « لقد رأيت مارجريت » واعتدلت فى مقعدها ، وقد اتكأت على مرفقها تراقب الباب المغلق . وألححت عليها أن تفسر لي ما غمض من حديثها ، وتخبرنى به دون إبطاء ، فقد كنت أود أن يطغى صوتها على أى صوت أتوقع حدوثه كوقع أقدام تسير فى تؤدة وتردد على الدرج ، واحتكاك يد صغيرة تستند على الباب ، ولكنها لم تفه بكلمة . وبدافع قوى ، تركتها وهى تبكى وتتوسل أن أظل معها ، وذهبت إلى الغرفة الأمامية ، وأزحت ستائر النافذة . كانت البجعة لا تزال فى موضعها ولكنى لاحظت فيها شيئاً لم ألاحظه من قبل . كان العنق يتصل ببقية الجسم بمسمار فضى لامع . واستمعت فى سكون الغرفة إلى دقات قلبى ، وأغمضت عينى وأنا أسير فى الممر عائداً إلى المطبخ ، وجعلت أتحسس طريقى بأطراف أصابعى دون أن أدرك ما الذى ألمسه . كانت جلاديس لا تزال متكئة على مرفقها ، وقد بدت فى عينيها دلائل الرعب والخوف . فقلت « من هى مرجريت ؟ » قالت « أنها ابنتك . أتت بعد فراقك الفجائى مباشرة . كانت طفلة جميلة . وكانت تعيش معنا — أنا ووالدتى — دون أن يعرف أحد عنها شيئاً ، ولم نكن نسمح لها بالخروج فيما عدا الحديقة بعد الغسق . كان من الصعب أن نهدىء من حالها ، فقد كانت دائمة اللهو والمرح ، دائبة على اللعب والغناء . وكانت معجبة بالبجعة البيضاء وتحب أن تلهو بها ، فتنهاها جدتها عن ذلك ، لأن التمثال كان تحفة ثمينة . ولكن حدث فى ذات يوم أن أسقطت البجعة فانفصلت رأسها . أظنك قد لاحظت المسمار المثبت فى عنقها » .

وكنت أعرف أنه لم يكن هناك مسمار عندما كانت الطفلة تداعب بأناملها الجميلة جسم البجعة المصقول .

واستطردت تقول « كانت والدتى ذات مزاج حاد ، وكان من الصعب عليها أن تساعدنى فى ولادة ابنتى التى لا يعرف الناس عن والدها شيئاً ، بل كانت تشعر بالعار من ذلك . ولم يكن يزور دارنا القائمة على الجرف هناك سوى اللبان وبائع الصحف .

وعندما رأت والدتى البجعة المكسورة ، انحنت على الطفلة ، وقبل أن أمنعها ، كانت قد لطمتها لطمة قوية على أذنها . ولم تكن والدتى فى الواقع تعنى أن تؤذيها ، بل أرادت أن تلقنها درساً فى الطاعة . وعدت مرجريت صاعدة إلى الطابق العلوى وهى تبكى وتنتحب ، وشعرت بارتباك وألم من كل ما حدث فقد كنت مغرمة بالطفلة ، حقيقة كنت أحبها حباً شديداً . وفى تلك الليلة خرجت مرجريت من نافذة غرفتها وهربت . ولا أدرى كيف استطاعت النزول من ذلك الارتفاع ، فقد كان من الصعب على طفلة مثلها أن تهبط على تلك النباتات المتسلقة الرفيعة .

وكدت أجن . ولم أجرأ على البحث عنها بحثاً دقيقاً خشية ألسنة الناس . على أية حال ، مكثت طول الليل هائمة عند الجرف. وفى الصباح عثرت على قطعة بيضاء من القماش ملتصقة على قمة إحدى الصخور الثلاثة ، فنزلت ولا أدرى كيف ، فإنى كما تعرف أخاف دائماً المرتفعات . كانت قطعة من مئزرها قد انحشرت بين نتوءين . فاستنتجت ما حدث . ومكثنا أسابيع ننتظر دون أن نجرؤ على التحدث ، ولم نستطع النوم ليل نهار . وأخيراً وجدوا جثتها . كان قد لفظها البحر وألقاها على الشاطىء على بعد أميال من هنا ، فى مكان لا أعتقد أننا ذهبنا إليه يوماً ما . ولم يتبينوا شخصية الجثة ، فإنه لم يبق منها شىء عندما ... » .

وفجأة أمسكت بمعصمى وقالت : « ألا تسمع ؟ » .

وكدت أموت رعباً وأنا أقول « ماذا ؟ » قالت « توم . إنه قادم . لا تخبره بشىء . قل إنى مريضة . قل إنه قد أغمى على . قل أى شىء ... » .

وسمعته وهو يفتح الباب . فقلت لها فى سرعة « ولماذا احتفظت بالبجعة ؟ » .

فنظرت إلى كأنها لا تعى ما أقول . ثم قالت « إنها تحفة قيمة . لقد كانت والدتى تقول إنها ثمينة » وجعلت عيناها تتطلعان إلى السقف والحوائط والأركان ، كأنها لا تدرى من أى فضاء فى العالم قد يعود شىء إليها ، شىء كان عزيزاً عليها ، ثم فقدته إلى الأبد .

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٨١٦ — الاثنين ٢١ فبراير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

[illegible]

17 em Année No. 816

Lundi — 21 — 2 — 1949

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨١٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٢١ فبراير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

خاطـــرة ...

التاريخ مادته عمل ابن آدم وقوله . وابن آدم حيوان كذاب ، لا يقول الحق على نفسه ، ولا ينقل الصدق عن غيره . والذين أولعوا بتسجيل أعماله وأقواله من كل لون وجنس ووطن وزمن هم من سلالة خُرافة . وخرافة فيما زعموا رجل من أعراب جُهينة اختطفته الجن فلبث فيهم زمناً ثم رجع إلى قومه وأخذ يحدثهم أعجب الأحاديث مما رأى فكذبوه . ثم صار الناس يسمون كل حديث مستملح من الكذب حديث خرافة . والأقرب فى نفسى أن يكون خرافة هذا رجلا رغّاء يعجبه أن يتحدث ويلذه أن يسمع الناس . فلما فرغ ما عنده من صَرف الحديث وزخرف الرواية أخذ يصوغ الأخبار، وينسج الأقاصيص ، ويصنع الأساطير ، ويبتدع النوادر ، ويختلق العجائب ، وينسب ثمرات فنه إلى وادى عبقر وسكانه من الجن ليكون الحديث أعذب ، والخبر أغرب ، والتصديق أقرب . ومن طبيعة أكثر الناس تزيين الكلام والزيادة فيه ، فلا تجد إنساناً ينقل حادثاً أو يروى حديثاً إلا دخل فيه برأيه وذوقه ومنفعته وهواه ، فيغير ويزور ويموه وينمق ، لا فرق فى ذلك بين جاهل وعالم ، ولا بين فرد وجماعة ، ولا بين شعب وحكومة .

يقع الحادث اليوم بمرأى من الناس ومسمع ، فتحكيه الألسن وترويه الصحف ، فلا تجد لساناً يوافق لساناً ، ولا صحيفة تطابق صحيفة . وتقرأ صحف العاصمة فى حادثة من حوادث المدن ، أو واقعة من وقائع الأقاليم ، أو أمر من أمور العالم ، فتجد له فى كل جريدة رواية تناقض كل رواية ، وصيغة تعارض كل صيغة ، حتى ليبلغ الخلاف بينها حد التنافر ، فتراها مثلا يوم الأحد الماضى تجمع على أن الشُّرط اكتشفوا فى شارع من شوارع القدس لغما من البارود ؛ ولكن (البلاغ) تنفرد بأن الذى كشفوه منجم من الرصاص !

وتجلس فى قهوة من القهوات فتسمع من الأفواه أصل الخبر وقد نبتت له فروع ؛ ثم تسمعه فى قهوة ثانية فإذا الفروع قد نبتت بها أغصان ؛ ثم تسمعه فى قهوة ثالثة فإذا الأغصان قد نبتت لها أفنان ؛ ثم تسمعه فى قهوة رابعة فإذا الأفنان قد خرجت منها أزهار مختلفة الأشكال والألوان ، فلا ينقضى النهار حتى تمسى بذرة الخبر دوحة راسخة الجذور ، باسقة الذرى ، وارفة الظلال ؛ أو قصة بارعة الخيال ، رائعة العرض ، شائقة الحبكة ، فيها للحزبية مغزى ، وللشيوعية مرمى ، وللفضولية مسلاة .

وتشهد قضية من القضايا فى المحكمة فتجد فى الجناية التى ترتكب فى سَواء الطريق وفى وضح النهار ، من شهود النفى مقدار ما تجد من شهود الإثبات ، أولئك يفندون ، وهؤلاء يؤيدون ، والقاضى أمام هذه الأيمان الكاذبة والأقوال المتضاربة لا يملك للحق من الباطل إلا أن يفزع إلى توفيق الله فيخلّص بين الصحيح والفاسد بعقله ، ويوفق بين القانون والعدل باجتهاده .

وتحضر مجلس العدل أو مجلس الأمن فتسمع الحقائق تنكر الحقائق ، والوثائق تكذب الوثائق ، والكتب البيض والزرق والخضر والصفر فى دولة ، تقف من أمثالها فى دولة أخرى موقف الكاذب من الكاذب ، والثالب من الثالب ، يدفع كل منها الآخر بما حشد من شهود وجمع من أدلة وساق من وقائع !

هذه مصادر التاريخ اليوم والكتابة شائعة ، والتسجيل منتظم ، والعمران متصل ، والمواصلات سريعة ، والاستخبار صناعة مستقلة وفن قائم ، له وسائله التى تعين عليه ، وشركاته التى تستبق فيه ،

الجديد فى المشكلة الألمانية

للأســــتاذ عمر حليق

ألمانيا هى لواب السلم والاستقرار والرخاء فى القارة الأوربية إجمالا ، فإنتاجها من الصناعة الثقيلة والفحم والمواد الخام الأخرى ، ومبادلتها هذا الإنتاج مع الدول الأوربية المجاورة ، بالإضافة إلى حيوية الشعب الألمانى وتأصل الروح العسكرية فى بنيه ، يفرض على المهتمين بالشئون الدولية مراقبة كل تطور يلم بالمشكلة الألمانية باهتمام خاص . فإن الظروف التى أحيط بها الألمان فى أعقاب هزيمتهم ظروف مؤقتة تتلاعب بها مصالح متنافسة بين الروس وحلفاء الغرب مما يهيىء لشعب واع كالشعب الألمانى أن يستفيد من حدة هذا التنافر كما حدث له فى أعقاب الحرب الأولى

فى الأشهر الأخيرة ألم بالمسألة الألمانية أحداث هامة . فقد أعلن حلفــاء الغرب فى مناطق احتــلالهم مشروعين رئيسيين يتوخيان إنهاء حالة الاحتلال العسكرى فى ألمانيا والعمل لإنشاء دولة ألمانية مقيدة الصلاحية فى شؤون الدفاع والسياسة الخارجية ؛ لكنها صلاحيات واسعة فى الشؤون الإدارية والاقتصادية والفكرية إلى حد ما . وهذا التطور يعنى أن الألمان منذ هزيمتهم الأخيرة يعطون الفرصة لإعادة ما يستصوبونه من كيان يتفق مع حاجاتهم ومصالحهم ونزعاتهم . وأحد هذين المشروعين يتعلق بتصفية الخلاف بين حلفاء الغرب أنفسهم حول المنطقة الصناعية الألمانية الهامة فى الرور ، وهذا يعنى أن عقبة كبرى فى وجه الحكم الذاتى لألمانيا قد زالت فى منطقة حلفاء الغرب على الأقل .

أما المشروع الآخر فيتعلق بأنظمة الحــكم والإدارة ومراقبة نمو القومية الألمانية لتســير فى اتجاهات ديمقراطية وتنكف عن التمجيد العنصرى الذى مــكن للنازية سرعة النجاح ، وجعل العسكرية البروسية نظاماً تقليدياً هو المحور الذى يدور حواليه الألمان باحثين عن مخرج لأزماتهم النفسانية والاقتصادية .

والدراسات المتوفرة عن حاضر ألمانيا تشير إلى سرعة نمو القومية الألمانية نمواً عنيفاً حاداً . وهذا ما دفع حلفاء الغرب لأن يصوغوا الأنظمة والبرامج التى يضعونها للحكم الذاتى في ألمانيا فى قوالب تحارب هذا النمو وتسعى جدياً للحد من عنفه وتوجيهه توجيهاً إنشائياً يتفق ومصلحة الحلفاء والديمقراطية التى يتوخون تثبيتها فى أواسط أوربا . والسلاح العلمى الذى يستعمله حلفــاء الغرب لتوجيه هذا الانفعال الألمانى هو إعادة « تثقيف » الشعب الألمانى على أسس الديمقراطية الغربية .

أما السوفييت فى منطقة احتلالهم من ألمانيا الشرقية ، فإنهم يتبعون برامج تطبيقية عملية لبلشفة ذلك الجزء من ألمانيا بنفس الوسائل التى اتبعوها فى كل شبر من أوربا الشرقية التى خضعت لنفوذهم ، فى بولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبلغاريا ودول البلطيق . ففى ألمانيا الشرقية ألحق الروس أجزاء غنية من الوطن الألمــانى ببولندا وتشيكوسلوفاكيا ؛ وأمعنوا فى انتزاع أنياب الألمان العسكرية بنقل المصانع ووسائل الإنتاج إلى روسيا ، واستخدام المهرة من العمال الألمان فيها لخدمة الإنتاج الروسى ، وزجهم مئات الألوف من الجنود الألمان المسرحين فى معسكرات العمل الإجبارى الخفى . هذا إلى توجيه النظم الاقتصادية فى الصناعات الخفيفة والزراعة وأحوال المعيشة اليومية توجيهاً ماركسياً على النحو الذى تتبعه الحــكومات الشيوعية فى روسيا ومنطقة نفوذها فى شرقي أوربا . وحلفاء الغرب وإن لم يلجئوا إلى هذه القسوة فى قمع الروح الألمانية ، سعوا تارة بجد وطوراً بغير جد للاحتياط لها على طريقتهم الديمقراطية . فقد أنشأ الحلفاء فى اجتماع عقد فى لندن فى الربيع المنصرم مجلس الدفاع العسكرى لألمــانيا وهو يشرف على ثلاث هيئات تفتيشية تراقب الألمــان فى نشاطهم العسكرى والصناعى ، وفى بحوثهم العلمية ، إلى جانب الهيئة الدولية لمراقبة الرور التى تحول بين ألمــانيا وبين الاستفادة من الفحم والحديد لتنمية الصناعة الثقيلة وهى نوع خفى من الاستعداد الحربى ، وقل من الخبراء بشؤون ألمانيا من يعتقد بأن حلفاء الغرب مستطيعون كبح النمو الألمانى فى الناحية القومية والصناعية والعسكرية .

وأهله الذين فرغوا له . فما ظنك بمصادره يوم كانت الأمية فاشية ، والجهالة غاشية ، والشقة بعيدة ، والأسباب منقطعة ، والألسنة وحدها هى التى تنقل الأخبار من إنسان إلى إنسان ، ومن قبيلة إلى قبيلة ، ومن مدينة إلى مدينة ، ومن قطر إلى قطر ؟

لا يا سيدى ! الحق أن التاريخ ثروة طائلة هائلة من كذب الإنسان ! فاقرأه كما تقرأ إلياذة هوميروس ، وإنياذة فرجيل ، وشهنامة الفردوسى ؛ ولا تلتمس الحق فى أحداث الأرض وأعمال الناس إلا فى الكتاب الذى يخرجه الله يوم القيامة لكل امرئ فيقرأ فيه ما قدمت يداه ، ثم يحاسبه أحكم الحاكمين على مقتضاه !

احمد حسن الزيات

وحتى فى هذا الطور الحالى من أطوار النمو الألمانى فإن الوعى الألمانى قد أخذ ينفجر عن انفعالات تعزز رأى هؤلاء الخبراء . فقد أضرب مثلا عمال المصانع فى منطقة الاحتلال البريطانية احتجاجاً على تفكيك المصانع الكبرى فى تلك المنطقة . والقارئ للصحف الألمانية فى مناطق الحلفاء يلمس بوضوح على الرغم من وطأة الرقابة حدة الانفعال الألمانى واتجاهه نحو هذا النمو القوى فى شتى نواحيه . وإن مهارة العامل الألمانى ووعيه وتركز النشاط الألمانى فى الصناعة والاقتصاد والتشكيل السياسى فى بوتقته القومية الألمانية يجعل « تثقيف » حلفاء الغرب للألمان عملا ضئيل الجدوى

ولكن ألسنة الرأى العام فى المعسكر الإنجلوسكسونى يحلو لها أن تعتقد أن الألمان مكبوح جماحهم بواسطة هاتين السلطتين : المجلس الدولى لمراقبة الرور ، وهيئة مراقبة الروح العسكرية والإنتاج الصناعى والبحوث العلمية . وهذه السلطة الأخيرة مقصورة على الدول الثلاث : بريطانيا وأمريكا وفرنسا .

وقد رأينا أن هيئة المراقبة الحليفة هذه وفروعها التفتيشية الثلاثة محدود نجاحها لأسباب تتصل بصميم الخلق القوى الألمانى ، إلا أن هناك كذلك دوافع « خارجية » تؤثر على مدى هذا النجاح وهى لذلك مصدر صراع للمعنيين بالمشكلة الألمانية .

ولما كان النشاط الألمانى الصناعى والفنى حيويا وضروريا لا لانماش ألمانيا ورفع عبء النفقات المادية عن كاهل دافع الضرائب فى بريطانيا وفرنسا وأمريكا فحسب ، بل لإنماش أوربا المحطمة إجمالا ، فإن سلطة الرور الدولية تقيد الإنتاج الألمانى بشروط تلزم الألمان بتصدير جزء معين إلى البلدان المجاورة سواء رضى الألمان أم لم يرضوا ، وسواء فاض عن حاجتهم أم لم يفض ، ومن هذه الشروط كذلك إقصاء الصناع والخبراء الألمان الذين كانوا على صلات وثيقة بالحركة النازية عن وسائل الإنتاج فى الرور وغير الرور .

ويتوجس أعداء ألمانيا خيفة من هذه الحالة . فبالرغم مما يبدو من صرامة فى هذه القيود فإن هناك من يؤمن بأنها لن تكفى لإبادة عزم الألمان على المحاولة مرة أخرى للسيطرة على منطقة نفوذها التقليدية فى أوربا وفى العلاقات الدولية ، وفى الانتقام من عدوين لدودين هما اليهودية العالمية ، والشيوعية الدولية . وقد اضطرت سلطات الحلفاء فى الأسابيع الأخيرة لأن تنذر أصحاب الصحف الألمانية مراراً بأن يتفادوا توجيه الانفعال الألمانى توجيهاً عنصرياً ضد اليهود ، وإن كانت قد أغفلت حدة التوجيه الملتهب الموجه ضد الشيوعية لأسباب واضحة . ولكن الألمان أو القوميين العنيفين منهم على الأقل يمزجون عن وعى « اليهودية العالمية » والشيوعية الدولية معاً . وبسبب هذا الخوف تواجه سلطات الاحتلال الحليفة فى ألمانيا انتقادات عنيفة من الكتلة اليهودية القوية النفوذ فى الولايات المتحدة وفرنسا كما حدث فى قضية (الزا كوخ) زوجة مراقب معتقل بوخنفالد وما تبع الحكم المخفف عنها من موجة انتقاد وضغط سياسى استدعى تأليف لجنة برلمانية أمريكية للتوصية بإعادة محاكمتها من جديد . ويواجه الحلفاء كذلك تحدياً قوياً من الاتحاد السوفياتى لإعادة الحكم الذاتى لألمانيا الغربية الذى هو فى الواقع جوهر النزاع الشكلى بين الانجلوسكسون والروس فى المشكلة الألمانية . ولعل هذه المصلحة المشتركة تفسر لنا بعض دوافع التحالف السوفياتى اليهودى فى فلسطين وغير فلسطين حيث يشتد العنصر اليهودى فى كل حزب شيوعى يدين بالولاء لموسكو .

والخوف من بعث ألمانيا لا يقتصر على هؤلاء بل يحسب حسابه الفرنسيون والبلجيكيون والهولنديون الذين أصابهم منه شر عظيم مرتين فى ربع قرن . ولذلك فإن المشكلة الألمانية لا تزال موضوع خلاف على بعض النقاط الجوهرية بين حلفاء الغرب أنفسهم .

وهناك من يشير إلى خطورة برامج الاحتكارات الدولية (الكارتل) لاستغلال المهارة الألمانية فى الإنتاج الصناعى على حساب مستقبل السلم الأوربى على نحو ما حدث فى أعقاب الحرب العالمية الأولى .

ولكن تباين المصالح بين حلفاء الغرب حول البعث الألمانى لم يحل بين صناع السياسة منهم ، وبين تنفيذ مشروعات هامة للانماش الألمانى .

والخلاصة أن الألمان حين يتركون لأنفسهم سيكون طموحهم لبناء المجد العسكرى واستعادة المركز السياسى والسيطرة الصناعية على أواسط أوربا مقيدا بسياسة روسيا الصارمة فى الشرق وسلطات المراقبة الحليفة فى الغرب .

وكأن كلا الفريقين يحاولان انتزاع عود الثقاب من يد الولد الشرير ، وبقى عليهما محاولة انتزاع الشر نفسه . ولعل هذا أصعب المهمتين فى جوهر أسس « الإصلاحية » وهم عنه مشغولون بالتناطح

نيويورك — عمر حليق

السري الرفاء

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

— ٢ —

تحدثت في المقال السابق عن الشاعر الكندي الموصلي السرى الرفاء، وذكرت ما كان بينه وبين الأديبين الأخوين المعروفين بالخالديين من عداوة، وأنه أولع باتهامهما بسرقة الأشعار وضمَّن كثيراً من شعره هذه التهمة. واليوم أعود إلى حديث هذا الشاعر، فأبين عن جانب من الوصف في شعره كيف سلك فيه وافتن في نواحيه.

هو شاعر مولع بوصف ما يرى من الحيوان ومناظر الطبيعة وآثار الصناعة. ومما راقني في شعره، وصفه خطّافاً عشش في حجرته، وتكريره هذا الوصف في شعره ودعوة أصدقائه لرؤيته وعده من محاسن داره. وفي الشعر العربي الجاهلي وصف الحيوان الوحشي والمستأنس، وصف صوره الحسية، ومعيشته وعاداته، والإعراب عن صحبة الإنسان لبعض الحيوان وعطفه عليه، ومشاركته إياه البأساء والضراء، ولا سيما الجمل والفرس. ولست أعرف أدباً آخر فيه الاهتمام بالحيوان ومخالطته ومعاشرته إلى الحد الذي بلغه الشعر العربي. والذي يذكر ما نظمه العرب في الإبل والخيل، وحمر الوحش والنعام والذئب والضبع والأسد وحيوان الصيد من الكلاب والفهود والبزاة، ويذكر مثل قول المثقب العبدي في ناقته:

إذا ما قمت أرحلها بليل   تأوه آهة الرجل الحزين

تقول إذا درأت لها وضيني   أهذا دينه أبداً وديني؟

أكل الدهر حل وارتحال   أما يبقى عليَّ وما يقيني

فأبقى باطلي والجد منها   كدكان الدرابنة المطين (١)

وقول القائل:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله   فإني وقيار بها لغريب

وقيار اسم جمل الشاعر.

(١) الدرابنة جمع دربان: البواب. والمطين: المطلي بالطين. الدكان: المصطبة

وقول آخر:

شكى إليَّ جملي طول السرى   صبراً جميلاً فكلانا مبتلى

وقول آخر:

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى   وإني وإياها لمختلفان

وقول القائل:

حييتك عزة بعد الهجر وانصرفت   فحيِّ ويحك من حياك يا جمل

وقول أبي الطيب:

وما الخيل إلا كالصديق قليلة   وإن كثرت في عين من لا يجرب

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها   وألوانها فالحسن عنك مغيب

من يذكر هذا وأمثاله يعرف مقدار ما عنى شعراء العرب بوصف الحيوان بل بصحبته ومعاشرته.

الشعر العربي حافل بهذا الضرب من الحديث عن الحيوان. وهو يدل على العطف عليه والإكبار من شأنه.

وقد حدثني أستاذ إنجليزي كبير من الأطباء البيطريين عن إعجابه بتكريم العرب والمسلمين للحيوان، ورفعهم شأنه، ومعاملته معاملة ذي الروح، والرفق به على حين كان لغير المسلمين مع الحيوان شأن آخر، وقد كتب هذا الأستاذ في هذا المعنى رسالة.

هذا موضوع واسع لا تسعه إلا المؤلفات الكبيرة، ولكني عرضت له هنا لأذكر كلف هذا الشاعر العربي الموصلي بوصف الحيوان والعطف عليه والعناية بأمره سنة شعراء العرب، ثم فرحه بطائر عشش عنده وجاوره وصاحبه.

زوجان من الخطاف اتخذا في قبة حجرته عشاً فلم يرعهما، بل أنس بهما، وسعد بصحبتهما، وذكرهما في شعره مرات، وجعلهما من محاسن حجرته، ومما رغب أصدقاءه في زيارتها.

انظر قوله في أرجوزة يستدعي صديقاً له:

لنا مغن حسن الغناء   وقهوة ضاحكة الإناء

وغرفة فسيحة البناء   طائرة القمة في الهواء

يوطن في قبتها العلياء   زور خفيف الروح والأعضاء

محلق في كبد السماء   وتارة يلصق بالغبراء

في يلمق مشهر الأثناء   كأنما طوق بالدماء

يُطلب أو يُخاب قلب الرائى بين غناء منه أو بناء

يذكر لصديقه أن زائراً خفيف الروح ضئيل الأعضاء يسكن فى قبته ، وأنه يصعد ويصوب ، فتارة يبلغ كبد السماء ، وتارة يُلامس الأرض ، وهو يلبس ثوباً ثناياه بيض ، وله طوق أحمر ، كأنه طُوق بالدماء ، فمن يراه مغنياً أو يبصره بانياً عشه ، يطرب أو يغلب على قلبه جمال هذا المغنى الصغير والبناء الماهر فيخلبه .

ويقول فى قصيدة يستزير بها صديقاً آخر ويُحسّن له الزيارة بأن له غرفة عشش فيها الخطاف وأنس بها واطمأن إليها :

وقد كتبت أيدى الربيع صحائفاً كأن سطور البرق حسناً سطورها

فمن روضة سار إلينا نسيمها ومن مُزنة مرخى علينا ستورها

وغرفتنا الحسناء قد زاد حسنها بزائرة فى كل عام تزورها

بمبيضة الأحشاء سود شطورها مزررة الأذناب حمر نحورها

مرفرفة حول البيوت وفودها محلقة حول السقوف وكورها

لهن لغات معجبات كأنها صرير نعال السبت عال صريرها

(كأن صوتها صرير هذه النعال المصنوعة من جلد مدبوغ جيد)

تجاورنا حتى تشب صغارها فيحلق فينا بالكبير صغيرُها

فزرنا تر اللذات بيضاً وجوهها محببة روحاتها وبكورها

أليس هذا وصف شاعر محب لهذا الطائر معجب به يرغب أصدقاءه فى زيارته بوصفه . ولولا رفقه به ورعايته له ، ما عشش وفرخ فى سقف حجرته وبقى حتى شبت صغاره فطارت مع كباره

ويقول فى قصيدة أخرى يدعو صديقاً له ويذكر ما عنده من المرائى الجميلة ، وآلات اللهو ، والفتية الأدباء ، وهذا الطائر الصديق المستجير بغرفته ، المحترم بجواره :

وغرفتنا بين السحائب تلتقى لهن عليها كلة ورواق

تقسّم زوار من الهند سقفها خفاف على قلب النديم رشاق

أعاجم تلتذ الخصام كأنها كواعب زنج راعهن طلاق

أنسن بنا أنس الإماء تحببت وشيمتها غدر بنا وإباق

مواصلة والورد فى شجراته مفارقة إن حان منه فراق

فزر فتية برد الشباب عليهم حميم إذا فارقتهم وغساق

فهذه غرفة يضرب السحاب عليها رواقه ، تقسمها جماعة الخطاف ، وهى فى ألوان أهل الهند ، فهو يسميها زوار من الهند وهو يسمع أصواتها عجماً لا تبين ، وهى تتصايح وتتطاير وتختلف أحياناً فتتشاجر كأنها كواعب من الزنج فى خصام .

وقد أنس هؤلاء الزوار بهذه الغرفة ، كالإماء المتوددات ، ولكنهن لا يقمن على حال فهن يهجرن الغرفة ولا يرعين الصحبة والجوار ، إنما تقيم إبان الربيع والورد فى شجره . فإن فارق الورد فارقت فما ودها إلا كهذه الزهرة ، سريعة الذبول قصيرة اللبث .

هكذا يفتن شاعرنا فى وصف جاراته وإعجابه بها ، وذكر ألوانها وأصواتها ، ومرحها وخصامها ، وهذا لا شك ضرب من الشعر الطبيعى الإنسانى ، يؤلف بين الإنسان وبين ما يحيط به من حيوان وجماد ، وهو فى أدبنا كثير ، ولكنه فى حاجة إلى التنويه والجمع والترتيب .

والسرى يعد شاعر وصاف يفتن فى الوصف ، ويتناول بها الطبيعة : سماءها ونجومها وسحبها ، والأرض : أنهارها وغدرانها ورياضها وحدائقها ، والصناعات البشرية من القصور والتماثيل والسفن وغيرها . ولا يتسع المجال للاتيان بأمثلة فى هذه الموضوعات فأكتفى بمثالين :

قال يصف السفن :

كل زنجية كأن سواد الليل أهدى لا سواد الأهداب

تسحب الذيل فى المسير فتختا ل وطوراً تمر مر السحاب

وتشق العباب كالحية السوداء أبقت فى الرمل أثر انسياب

وإذا قدمت رءوس المطايا للسرى قدمت من الأذناب

وقال يصف الجراد :

وجحفل من جنود الله منتشر مثل الخناصر منقوش الحيازيم

يحل بسطة إقليم فإنه عصفت به الصبا صيرته جو إقليم

ما شن وهو ضعيف البطن غارته إلا استباح حمى الشم الهاميم

يلقى على الحب فى أعلى منابته كلا كلا نقشت نقش الخواتيم

إذا استقل أعاد الأرض ممدمة واستودع الترب نسلا غير معدوم

تلك نبذة عن السرى الرفاء ، ولعله يجد من عناية الأدباء ما يؤدى حقه من نشر شعره والإشادة بذكره ...

عبد الوهاب عزام

عـــدل السماء

للأستاذ كامل محمود حبيب

– ٢ –

« ليت كل ذى عقل يؤمن بأن فى السماء عدلاً يهبط إلى الأرض فى غير انقطاع ! فما أشد حماقتك وغباوتك يا من تتناسى عدل السماء ! »

لقد نزلت – يا رفيقى – قريتك فأحسست بالوحدة وأنت بين أهلك ، واستشعرت الغربة وأنت فى دارك ، وعشت فيها أياماً فما رف إليك قريب من ذوى قرابتك ، ولا هفا نحوك واحد من أخوتك . وكيف يفعلون وهم قد لمسوا منك الجفوة والامتهان والشح ، فما تلبثت نفسك أن ضاقت بالحياة وحيداً فى هذه القرية ، فثارت خواطرك ثورة عنيفة جياشة فبعت دارك لأنك لم تجد فيها الراحة ولا المأوى ، بعتها – وهى كل ما تملك فى القرية – فعفيت على آخر أثر لك هناك ، مثلما مسحت على آخر خفقة من خفقات العطف والحنان حين اشتريت هذه الدار وأفزعت عنها أهلها ، إخوتك أنت ... ثم خرجت – وحدك – من الدار ومن القرية جميعاً . وانطوت الأيام فما عدت سوى ذكرى فى القلوب ، أو تاريخ على الألسن كان حديث القوم حيناً .

يا لعدل السماء ! لقد خرجت اليوم قسراً من الدار التى طردت منها بالأمس إخوتك فى غير شفقة ولا رحمة . وأرسل إخوتك الأطهار نظراتهم فى إثرك وأنت تتوارى خلف الأفق ، وتعلقت بك أبصارهم ، وخفقت قلوبهم فى أسى ولوعة حين أيقنوا أنك أصبحت غريباً عنهم ، وترقرقت العبرات فى عيونهم لأنهم وجدوا لذع فقدك ، فقلوبهم ما تزال غضة نقية لم تشوهها المدنية ولا حجرتها المادة ، وأزعجهم أن تخرج من القرية – وحدك – كاسف البال مضطرب النفس يرمضك الأسى ويعضك الهم . ولكن واحداً منهم لم يستطع أن ينطلق وراءك ليردك إلى أهلك خشية أن تلقاه فى غلظة أو تحدثه فى قسوة .

آه ، يارفيقى ، لو وجدت الرحمة إلى قلبك سبيلاً !

وعدت إلى المدينة ، إلى عملك الحكومى ، وما فى يدك سوى ما قبضته ثمناً لدارك وسوى ما فدحك من بث وشجن حين فقدت الأخ والصديق والقريب ، وحين لفظتك القرية التى ولدت فيها وترعرعت بين ربوعها ... لفظتك وقلبك يهفو نحو ملاعب الطفولة وأحباء الصبا ومسارح الشباب .

لشد ما غاظك – وأنت فى القرية – أن يتغافل عنك أهلك وأن يتجاهلوا وجودك وأن ينبذوك جانباً ، على حين قد جئت إليهم تريد أن تخطب الود ، وتكفر عن الخطيئة وتصل ما انقطع . ما ذا – يا ترى – طمس على قلوبهم فما نبضت بحب ولا خفقت بعاطفة ، وأنت ابن أبيك ، وأبوك كان فى الذروة خلقاً وجاهاً ، وهو قد عاش بينهم عمره الطويل فى العزة والمنعة والشرف يوقره الكبير ويحترمه الصغير ؟ ما ذا يا ترى ؟

وتراءى لك أن أهلك قد جفوك لفقرك ، وعافوك لمرضك ، فعقدت العزم على أمر ، وأنت ما تزال شاباً فيك مسكة من قوة وبقية من نشاط .

وخلصت إلى عملك الحكومى تقضى فيه صدر النهار ، وإلى عمل فى شركة تجارية تقضى فيها صدر الليل ، وأنت بين هذا وذاك تعين محاسباً – زميلاً لك – على عمله لقاء أجر معلوم . واعتمرت فى عمل مستمر متواصل يستغرق وسعك ويستنفد طاقتك ، وأنت فى شغل لا تجد مس الضنا ولا تحس شدة الرهق ، فقلبك راض مطمئن ، تأخذ نشوة المال حين تجمعه وتحصيه ثم تدخره عسى أن تبلغ الغنى أو ترقى إلى الثراء فتكون بين أهلك وذوى قرابتك رجلاً .

وضننت بهذا الجهد – وهو ضخم – أن تبعثره نوازع الحياة أو أن يعزه بهرج المدنية ، فعاودك داء البخل والكزازة فتلمست مسكناً فى حجرة ضيقة من منزل حقير ، بأجر زهيد ، تقضى فيها ساعات نومك ، تقبل عليها فى هدأة الليل وتفزع عنها فى بكرة النهار .

هذا المكان قذر وضيع تتراكم فى نواحيه الأوحال والأوساخ وتفوح منه رائحة نتنة ذفرة ، ولكنه لا يوحى إلى نفسك الغضاضة ولا يبعث فى قلبك التقزز . وماذا يضيرك وأنت تتوارى فى هذا الوكر عن الأبصار والقلوب ؟ ثم لج بك البخل وضربك

الشح فأصبحت لا تبالى أن تبدو أمام الناس فى أسمال خَـلِقة تزدريها النفس وتقتحمها العين ، ثم ضيقت على نفسك لا تحبوها إلا بالتافه الضئيل من الطعام ، ولا ترفه عنها ما تعانى من كلال ونصب ، ولا تخفف عنها ما تقاسى من عناء وسأم .

وتعاورك الإرهاق وسوء التغذية وانحطاط المسكن ، ولـكنك ادخرت مالاً .

وعجبت أن ترى زملاءك فى الديوان يتلقفون « الترقية » و « الدرجة » و « العلاوة » وأنت تنظر وتنتظر فلا تنال شيئاً . لماذا ؟ وأنت لا تهمل ولا تتكاسل ، تنطوى على عملك فى دأب ونشاط وتنزل عند رأى (المدير) فى غير تردد ولا نقاش تبتغى أن تنال عنده الحظوة ، وأن تبلغ منه الرضا ، ولـكنك ما تبرح فى مكانك منبوذاً فى ناحية .

أما هؤلاء الذين يظفرون بالترقية والدرجة والعلاوة فما منهم من يؤمن بالعمل ، ولا من يرعى حق الوظيفة ، ولا من يعنى بالواجب ، فهذه أكداس من الورق تترا كم أمامهم فلا يعيرونها التفاتة ولا يأبهون لـما بها ، ولـكنهم يجنون رضا الحكومة ، ويستمتعون برحيق الوظيفة ، وأنت تنظر وتنتظر فى غير رجاء ولا أمل ، فليت شعرى لماذا ؟

وخُيِّـل إليك أن السر هناك فى حجرة المدير فذهبت تـكشف عن خبيئة هذا الأمر فما أعجزتك الحيلة ولا ضاقت بك الوسيلة ، وأنت رجل ذو ثقافة وعقل .

ورأيت الموظف يتملق (سعادة المدير) بأساليب أيسرها الإطراء والمدح ، ويقترب إليه بوسائل أكرمها التذلل والتعبد ، والمدير يتقبل هذا وذاك فى رضا وسرور - هذا سبيل وعَز عليك أن تسلكه فما فى طبيعتك أن تفعل . ولـكنك رمت بما ترى حواليك وحار عقلك ، وآذاك أن ترى مَـن هم دونك يتسلقون السلم فى سرعة وسهولة ، وأردت أن تتذوق بعض ما يسـعدون به . وسـطعت فى خيالك خاطرة انجابت لها كل الخواطر السود فى راسك ، وهدأت لها أعصابك الثائرة ، فأنت قد عقدت العزم على أن تصل حبلك بحبل (سعادة المدير) فتتزوج من ابنته .

وزَين لك خيالك الأمر ، فغداً - حين تتزوج من ابنة المدير - تصبح أنت صاحب الرأى فى المكتب ، وصاحب السلطان فى الديوان ، وصاحب الـكلمة فى المصلحة . واستبدت بك الفـكرة فبعثت فيك النشوة واللذة ...

وذهبت إلى (سـعادة المدير) تخطب إليه ابنته فربتَ على كتفك وأجلسـك إلى جانبه وحباك بعطفه وانفتح لك باب حجرته وباب داره فى وقت معاً ، وانحنى لك ساعيه وبوابه ، وهابك مرءوسوه وأعوانه ، واحتفل بك أهله وأقاربه ، ثم طلب إليك المهر فما تمهلت وما تمهل هو الآخر ، فجاءتك الترقية والعلاوة والدرجة جميعاً ، وابتسم (سعادة المدير) وابتسمت أنت أيضاً ولـكن الأيام ...

فيا ليت شعرى هل كان أبوك يستنزل سخط السماء على ابنه العاق حين كان يتمتم بكلمات لم تسمعها أذن ؟

وتمت المراسيم الأولى للزواج ، وجاء جهاز العروس بين فرح الأهل وبهجة الأقارب ، وانتهى كل شىء فلم تبق سوى أيام ثم تزف إليك عروسك السعيدة . وأردت أن تلقى بنفسك فى غمرات العمل الشاق لتدخر مالاً تنفقه عن سعة فى شهر العسل ، ولـكنك أحسست بقوتك تتقوض وبصـحتك تنهار ، فانطلقت تطب لمرضك فأرسلك الطبيب إلى مصحة حلوان .

وأنت الآن - يا رفيقى - هناك فى مصحة حلوان لا تجد الصديق لأنك خاصمته منذ زمان ، ولا تجد المال لأن المدير قد استنزف كل مالك مهراً لابنته ثم طار عنك ، وزوجت ابنته من مال دفعته أنت مهراً لها .

أنت هناك - يا رفيقى - تنتظر النهاية وحيداً لأن أباك استنزل سخط السماء على ابنه العاق . فيا ليت شعرى .. يا ليت !

كامل محمود حبيب

حين تعبث الأقدار

للأستاذ نصيف المنقبادى المحامى

ليست هذه القصة خيالية ، وإنما هى حادث حقيق ؛ وقف كاتب هذه السطور على تفصيلاته من أشخاصه أنفسهم وباشر أخيراً بنفسه بعض إجراءات قضائيه ترتبت عليه .

بدأت وقائع هذا الحادث منذ خمس عشرة سنة . وفى الشهر الماضى أسدل الستار على الفصل السابق للأخير منه . أما نهايته فهى سر المستقبل .

منذ خمسة عشر عاماً خطفت امرأة طفلة صغيرة تبلغ من العمر خمس سنوات من أسرة غنية تقطن بلدة من أعمال مديرية أسيوط . وكان اختطاف البنت بتحريض أحد خصوم والدها وتدبيره — على ما يقول — لضغينة بينهما . ولم تُسفر فى ذلك الحين أبحاث البوليس ولا تحقيقات النيابة عن نتيجة ، ولم تثبت التهمة على شخص معين و قُيدت القضية «ضد مجهول» و «حفظت لعدم معرفة الفاعل» وانتهى الأمر عند هذا الحد من الناحية القضائية ، وظلت الطفلة مفقودة ، ولم يهتد إليها أحد على رغم جهود والدها المتواصلة فى البحث عنها ، وقد أرسل فى هذا السبيل أقاربه ومعارفه إلى أطراف المديرية ، ثم إلى مختلف أنحاء البلاد ، وأنفق جانباً من ثروته بلا جدوى . وكم نصب عليه الكثيرون من الدجالين : من محضرى الأرواح ومحترفى التنويم المغناطيسى والمنجمين وقارئى الكف وغيرهم . وقد وفد إلى القاهرة لمقابلة بعضهم مخدوعاً بإعلاناتهم ومحاضراتهم الماكرة التى يُغرون بها السذج . وكان كل واحد منهم يرسله إلى ناحية نائية من البلاد يزعم أن ابنته نُقلت إليها حتى يبعده عنه بعد أن يستولى على كل ما يمكنه الاستيلاء عليه من ماله . وادعى بعض الخبثاء منهم أن الطفلة هُربت إلى خارج البلاد ليعجزه عن السفر إليها .

وظلت الأم المسكينة تبكي ابنتها العزيزة ليل نهار السنين الطويلة حتى فقدت بصرها وعز الدواء . وكان أشد ما يفزعها أن تكون ابنتها تقاسى آلام الجوع أو ذل الخدمة أو ما هو شر من هذا كله وهو وحشية بعض الرجال يقودونها إلى الرذيلة ويكرهونها عليها ، حتى كانت تتمنى أن تكون ابنتها قد ماتت خيراً من أن تتجرع هذه الأهوال وتسقط فى تلك الهاوية .

وأخيراً ترامى إلى علم والدها أن لخاطفى ابنته ، أو بالأحرى لمن اشتبه فيهم — أقارب فى القاهرة يذهبون إلى زيارتهم من حين إلى آخر ، فظن الرجل أن يكونوا قد أرسلوها إليهم ليخفوها ، أوأنهم تركوها شريدة فى شوارع العاصمة . فاستأنف بحثه فيها واستعان ببعض أقاربه وأقاربهم هنا ، وصاروا يتفرسون فى كل فتاة يقابلونها فى الأزقة والطرقات عساها أن تكون ضالتهم المنشودة .

وحدث فى الشهر الماضى أن وقع نظر أحدهم على فتاة فقيرة فى أحد الأحياء الوطنية تشبه ملامحها — بعض الشبه — ملامح ابنتهم المفقودة فتعقبها عن بعد إلى أن وصلت إلى مسكنها المتواضع، ثم أرسل إليها خالتها التى تحققت من التفرس فيها ومن حديثها معها ومن الكشف على بعض مميزات فى جسمها أنها ابنة أختها المفقودة ، فلجأ إلى البوليس وهناك قصت الفتاة تاريخها من بدء ما أمكنها أن تذكر إلى حالتها الراهنة .

قالت إنها تذكر أنها كانت مع امرأة اعتادت أن تعاملها بخشونة وتضربها بقسوة ، ثم انتقلت من منزل إلى منزل لا تستطيع الإرشاد عن أماكنها ، وكانت تخدم فى البيوت ، وأخيراً التحقت بخدمة أسرة تجاور كاتب هذه السطور . وكان لرب هذه الأسرة خادم يعمل فى محل تجارته فتزوج الفتاة من نحو عامين ، وتركت الخدمة وعاشت مع زوجها راضيين قانعين بما قسم لهما من شظف الحياة . ومنذ بضعة شهور ولدت طفلا ففرح الزوجان به فرحاً شديداً ، وانصرفت الزوجة إلى العناية بمولودها والسهر عليه ولقيت من مخدومتها السابقة كل مساعدة ... إلى أن فوجئت بطلبها إلى مركز البوليس هى وزوجها على الوجه المتقدم .

وهنا قامت مشكلة على جانب من الخطورة ، فقد كان من المستطاع حل المسألة على خير وجه بأن يساعد والد الفتاة ، وهو غنى ، زوج ابنته الفقير على رفع مستواه حتى يصبح كفؤاً له فيؤجر

له مثلا بعض أطيانه بإيجـار قليل فى بادىء الأمر ، أو يقيم له متجراً يرتزق منه الخ ... ولـكن وقفت أمامهم عقبة كؤود ، فقد اتضح أن الزوجة وأسرتها من الأقباط المسيحيين ، وكانت الفتاة قد تزوجت هـذا الشاب المسلم وهى تجهل حقيقة أمرها وتعتقد أنها مسلمة مثله . ولم يكن أهل الزوجة على درجة من التعليم وسعة من العقل والتسامح الدينى يجعلهم يقبلون هذا الزواج الذى تجيزه المسيحية والشريعة الإسلامية على السواء ؛ بدليل زواج الـكثيرين من المسلمين بالأجنبيات المسيحيات بقبول أهل الزوجة ورضاهم . لهذا عارض والد الفتاة وأقاربها فى استمرار زواج ابنتهم بزوجها هذا ، وقالوا إنهم سيطلبون من القضاء إبطاله لأنه بُنى على الخطأ ، والخطأ يُبطل التعاقد .

أمام هذا الإشكال وهذا النزاع رأى بوليس القاهرة أن يحيل الموضـوع كله إلى « الجهة المختصة » وهى مركز بوليس أهل الزوجة حيث وقعت الجريمة — جريمة الخطف — وحيث يسهل استكمال تحقيق شخصية هذه الفتاة رسمياً ، وهل هى حقيقة ابنة « المشتكى » وذلك بشهادة الجيران وباقى أفراد العائلة على ضوء المحضر القديم « المحفوظ » بالنيابة ، فعارضت الفتاة وقالت : إنها لا تريد أن تفارق زوجها والد ابنها ، وأنها راضية بحياتها الحاضرة ؛ غير أن المأمور أمكنه أن يقنعها بالسفر مع زوجها ، فقبل الزوجان بعد أن رأيا من كرم أخلاق والد الفتاة وباقى أسرته وحسن معاملتهم ما شجعهما على ذلك ، وسافروا جميعاً .

وكان منظراً مؤثراً حقاً لقاء تلك الأم المسكينة الضريرة بابنتها بعد فراق خمسة عشر عاماً ، فأخذت تضمها إلى صدرها بحنان وتقبلها وتتحسس بيديها رأسها ووجهها وشعرها وجسمها تستعيض بهذا عن نعمة الأبصار وكأنها فى حلم لذيذ لا تصدق أنه حقيقة . وبعد أن استراح الجميع وأ كلوا وشربوا وأ كرموا الزوج كل الإكرام ، أخذوا يطوفون بالفتاة أنحاء المنزل وملحقاته وعلى الشوارع المحيطة به فقالت إنها تذكر فعلاً بعض هذا حين كانت طفلة ، وأيقنت أنها ابنة هـذه العائلة حقيقة . وقد تأثرت بحالة والدتها وقالت إنها لن تتركها بعد الآن . وأشفق زوجها كذلك على هذه الأم الضريرة . وبعد أن كان مصمماً على الرجوع مع زوجته إلى القاهرة أقنعه ذووها بأن من الخير لابنه أن يتولوا هم بما لهم من ثروة وجاه أمر تربيته وتعليمه حتى مرحلة التعليم العالى الذى يعجزعنه هو بطبيعة الحال ؛ ويخصون الطفل ببعض أملاك جده بشرط أن يتخلى أبوه من زوجتـه ويترك لهم الطفل على أن يحضر إلى القاهرة من وقت إلى آخر لمشاهدته ، أو يحضر هو لزيارته كلـا شاء معززاً مكرماً فى ضيافتهم . وبعد أن تردد الرجل كثيراً وفكر طويلا رأى أن يضحى بسعادته الزوجية ويحرم نفسه ابنه العزيز ضماناً لمستقبل الطفل ، فقبِل أن يطلق زوجته ويترك لها حضانة ابنها ، وعاد إلى القاهرة وقلبه يتمزق حزناً على فراقها وفراقه ، وما زال يحن إليهما بكل جوارحه . وهكذا ذهب ضحية اختلاف الدين . على أنه يجـد فى المستقبل الزاهر الذى ينتظر الطفل خير عزاء . وهو يكرر الآن القول ليعزى نفسه : « إن الله فتح على ابنى وإن كان قد حرمنى منه ومن زوجتى » .

على أن الرواية لم تتم فصولها ، لأنه يبقى أن نعرف ما يكون عليه مركز الابن من والده ومن والدته وأسرة كل منهما متى بلغ سن الرشد ، وإلى من منهما ينتمى ؟

نصيف المنقبادى المحامى

القوة الحربية لمصر والشام
فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٣ —

وكان للجيش ديوان يشرف عليه من الناحية الإدارية والمالية . وكان الجندى فى ذلك الحين موسعاً عليه فى الرزق ، بل كان الخير يغدق عليه أحياناً من ناحية المتنافسين على تولى زمام السلطان ، فعندما وزر شاور مثلا زاد الأجناد على ما كان لهم عشر مرات[1]

وفى العصر الفاطمى كان الجنود يتقاضون مرتباتهم نقودا ، ويظهر أنهم ما كانوا يأخذون مرتباتهم شهرياً ، وإنما كان يعطى لهم فى العام مرة ، وأن هذه المرتبات تبلغ ثلث خراج الدولة ، يفهم ذلك من قول المقريزى فى خططه (حـ٢ ص ٢٤٩) : وكانت العادة إذا مضى من السنة الخراجية أربعة أشهر ندب من الجند من فيه حماسة وشدة ، ومن الكتاب العدول ، وكاتب نصرانى ، فيخرجون إلى سائر الأعمال لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات المذكورة ، فينفق فى الأجناد ، فإنه لم يكن حينئذ للأجناد إقطاعات .

ولكن نور الدين محموداً بالشام فضل أن يعطى جنده إقطاعات ينالون منها أجورهم . وكان الجندى إذا مات أعطى إقطاعه لولده فإن كان صغيراً رتب معه من يلى أمره حتى يكبر ؛ فكان أجناده يقولون : الإقطاعات أملاكنا ، يرثها أولادنا الولد عن الوالد فنحن نقاتل عليها[2] ؛ وسارت الدولة الأيوبية والمملوكية على هذا النظام فكانت تمنح الأمير وأجناده الإقطاع ، على أن يكون للأمير الثلث ولأجناده الثلثان ، فلا يمكن الأمير ولا مباشروه أن يشاركوا أحداً من الأجناد فيما يخصهم إلا برضاهم . وكان الأمير لايخرج أحداً من أجناده حتى يتبين للنائب موجب يقتضى إخراجه . فحينئذ يخرجه نائب السلطان ، ويقيم عند الأمير عوضه

(١) النجوم الزاهرة حـ ٥ ص ٣٣٨ .

(٢) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٣٥١ .

وكانت إقطاعات جند الأمراء على ما يراه الأمير من زيادة بينهم ونقص ، ومن مات من الأمراء والجند قبل استكمال مدة الخدمة حوسب ورثته على حكم الاستحقاق ، فإما أن يرتجع منهم ، وإما أن يطلق لهم على قدر حصول العناية بهم . وإقطاعات الأمراء والجند ، منها ما هو بلاد يستغلها مقطعها كيف شاء ، ومنها ما هو نقد على جهات يتناولها منها . وكان لجميع الأمراء على السلطان الرواتب الجارية فى كل يوم من اللحم وتوابله كلها والخبز والشعير للخيل والزيت ؛ ولبعضهم الشمع والسكر والكسوة فى كل سنة ، وكذلك لجميع مماليك السلطان وذوى الوظائف من الجند . ولكل أمير من الخواص على السلطان مرتب من السكر والحلوى فى شهر رمضان ، ولسائرهم الأضحية فى عيد الأضحى على مقادير رتبهم ، وكانت الخيول السلطانية تفرق على الأمراء مرتين فى كل سنة[1] .

وفى الحملات الحربية الكبرى كان بعض السلاطين يلجأ إلى فرض ضرائب جديدة على الشعب المصرى كما حدث فى عهد قطز فإنه عند ما أزمع حرب التتار أخذ من أهل مصر والقاهرة على كل رأس من الناس من ذكر وأنثى ديناراً واحداً ، وأخذ من أجرة الأملاك والأوقاف شهراً واحداً ، وأخذ من أغنياء الناس والتجار زكاة أموالهم معجلا ، وأخذ من الترك الأهلية الثلث من المال وأخذ على الغيطان والسواقى أجرة شهر ، فبلغ جملة ما جمعه من الأموال فى هذه الحركة ستمائة ألف دينار . وبهذه الأموال جند جيشاً هزم التتار لأول مرة فى تاريخ حياة التتار .

والقارىء لوصف المجلس الاستشارى الذى عقده قطز من علية القوم لفرض ضرائب جديدة للجيش يرى ما كان عليه هذا الجيش من سعة فى الحياة . والحق أن سلاطين ذلك الحين لم يضنوا على جيوشهم ، لعلمهم بأنهم الساعد والعضد فى الدفاع عن أرض الوطن . ولم يكن الجند يخرجون إلى قتال إلا وهم مغمورون بالرزق والعطاء . أنفق الأشرف خليل ابن قلاوون فى سنى حكمه الثلاث ثلاث نفقات : الأولى فى أول جلوسه فى السلطنة ، والثانية عند توجهه إلى عكا ، والثالثة عند توجهه إلى قلعة الروم .

***

(١) المرجع السابق ص ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٣ .

وكما عنى الفاطميون بإنشاء جيش برى لجب يحفظ ملكهم ، ويصون إمبراطوريتهم ، لم يغفلوا عن أن بلادهم — ولها شواطئ مترامية الأطراف على بحرين عظيمين الأبيض والأحمر — تحتاج إلى أسطول ضخم يصون الحمى ويحمى الذمار ، فأنشأ المعز لدين الله قوة بحرية مكونة من أكثر من ستمائة قطعة (١) ، وقد أعانته تلك القوة وأعانت خلفاءه على تثبيت سلطانهم وحفظ هيبتهم .

ولكى ينال الأسطول ما يستحقه من الرعاية أنشأت الدولة له ديواناً خاصاً (٢) يقال له ديوان العمائر ، يعنى به من الناحية الإدارية والمالية .

وزاد عدد جنده على خمسة آلاف مقاتل (٣) ، لهم عشرة قواد يمين منهم واحد رئيس الأسطول ، فإذا ساروا إلى الغزو كان هو الذى يقلع بهم ، وبه يقتدى الجميع ، فيرسون بإرسائه ويقلعون بإقلاعه . وعلى الأسطول مقدم يكون أميراً كبيراً من أعيان أمراء الدولة وأقواهم نفساً ، وللجند عشرون عريفاً يسمون النقباء هم الذين يفرقونهم ويجمعونهم إذا كان غزو .

ولقواد الأسطول مرتبات يصل أعلاها إلى عشرين ديناراً فى الشهر ، وبعضهم يأخذ خمسة عشر ديناراً ، أو عشرة دنانير أو ثمانية أو دينارين ، وذلك أقل مرتباتهم (٤) . وللجند الأجور والجرايات مدة سفرهم لكل واحد خمسة دنانير ، أما بعد عودتهم فإنهم ينالون رزقهم بكدهم ، ويكونون على استعداد للغزو إذا طلبهم العريف له .

وتنفق الدولة على الأسطول من إقطاعات خصصت به تعرف بأبواب الغزاة وفيهـا ما يرد إلى الخزانة من ثمن النطرون الذى احتكرته الحكومة .

فإذا أراد الأسطول الغزو جمع النقباء له الرجال من غير أن يكرهوا أحداً على السفر ، ثم يعين الخليفة يوماً للنفقة يجلس فيه ومعه الوزير ، كما يحضر صاحبا ديوان الجيش وهما المستوفى والكاتب . وللمجلس أنطاع تصبّ عليها الدراهم ويحضر لذلك الوزانون لبيت المال ، فإذا تهيأ الإنفاق أدخل الغزاة مائة مائة ، وتكون أسماؤهم قد رتبت فى أوراق لاستدعائهم بين يدى الخليفة ، فيستدعى مستوفى الجيش من تلك الأوراق واحداً واحداً ، فإذا كمل عددهم عشرة وزن الوزانون لهم : لكل واحد خمسة دنانير ، ويستمر ذلك مدة أيام متوالية مرة ومتفرقة مرة ، فإذا تكاملت النفقة وتهيأت السفن للسفر خرج الخليفة والوزير إلى ساحة النيل بالمقس خارج القاهرة ، وكان هناك منظرة يجلس فيهـا الخليفة لوداع الأسطول ولقائه إذا عاد ، فإذا جلس للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر إلى هناك ، للقيام بمناورة بين يدى الخليفة ، وهى مستكملة عددها وأسلحتها وما فيها من المنجنيقات ، فيرمى بها ، وتنحدر المراكب وتقلع ، وتفعل سائر ما تفعله عند لقاء العدو ، ثم يحضر المقدم والرئيس بين يدى الخليفة فيودعهما ويدعو للجماعة بالنصر والسلامة . ويعطى المقدم مائة دينار وللرئيس عشرين ديناراً . وينحدر الأسطول إلى دمياط ، ومن هناك يخرج إلى البحر الأبيض للغزو والجهاد ؛ فإذا أدى واجبه عاد وخرج الخليفة أيضاً للقائه (١) . ومن ذلك يبدو مقدار اهتمام الخليفة بالقوة البحرية ومدى عنايته بأمرها . وكانت العادة أن ما غنمه الأسطول من المال والثياب ونحوهما يكون لغزاة الأسطول لا يشاركهم فيه أحد وليس للخليفة سوى الأسرى والسلاح .

ولم يزل أمر الأسطول معنياً به طول عصر الدولة الفاطمية ، وإن كانت عدد سفنه قد قلت فى عهد الحروب الصليبية ، ولكنها لم تنقص عن نحو مائة قطعة فى آخر عهد الدولة الفاطمية . فلما دخل الفرنج أرض مصر فى عهد شاور خاف أن يقع الأسطول الفاطمى فى يد ملكهم مرى ، فأحرق جزءاً كبيراً منه ، ونهبه العبيد فيما نهبوا (٢) ، وهكذا فقدت مصر جزءاً كبيراً من قوتها البحرية بسبب هذا العراك الذميم على السيطرة والسلطان بين وزراء ذلك الزمان .

فلما جاء صلاح الدين رأى واجباً عليه لكي يتم رسالته أن يعنى بأمر الأسطول يحارب به أساطيل الصليبية ؛ ففى سنة ٥٧٢ وهو مقيم بالإسكندرية رأى الأسطول وقد أخلقت سفنه ،

(١) خطط المقريزى ج ٣ ص ٣١٣
(٢) الإسلام والحضارة العربية لكرد على ج ٢ ص ٣٨٤
(٣) صبح الأعشى ج ٣ ص ٥١٩
(٤) خطط المقريزى ج ٣ ص ٣١٣

(١) المرجع السابق
(٢) خطط المقرزى ج ٣ ص ٣١٣

وتغيرت آلاته فأمر بتمميره ، وجمع له من الأخشاب شيئاً كثيراً ومن الصناع عدداً جماً . حتى إذا تم صنع المراكب أمر فحمل إليها ما هى فى حاجة إليه من السلاح والعدد وشحنه بالرجال ، وولى فيه أحد أصحابه ، وخصص له إقطاعاً خاصاً (١) ، وموارد ثابتة يجبى منهما مقدار ضخم ينفق عليه (٢) ، وزاد فى دينار الأسطول ، فجعله يساوى نصف دينار وربعه بعد أن كان يساوى نصف دينار وثمنه (٣) ، وأفرد للأسطول ديواناً خاصاً سلمه إلى أخيه الملك العادل (٤) ، وأعطى صلاح الدين صاحب الأسطول سلطة كبرى فى تخير رجاله وإعداد سلاحه ، فكتب إلى سائر البلاد يقول : القول قول صاحب الأسطول وألا يمنع من أخذ رجاله وما يحتاج إليه . واشتهر من قواد البحر فى عهد صلاح الدين القائد العظيم لؤلؤ (٥) . وبلغت عدة الأسطول سنة ٥٧٥ ستين شينياً وعشرين طريدة (٦) ، ولا بد أن يكون عدد قطع الأسطول قد زاد بعدئذ ، فإن صلاح الدين ما كان يضن على هذه القوة البحرية بمال .

واستمرت العناية بأمر الأسطول قليلا بعد وفاة صلاح الدين . ثم قل الاهتمام به وصار لا يفكر فى أمره إلا عند الحاجة إليه ، فإذا دعت الضرورة طلب له الرجال ، وقبض عليهم من الطرقات وقيدوا فى السلاسل نهاراً ، وسجنوا فى الليل حتى لا يهربوا ، ولا يعطون إلا قليلا من الخبز ونحوه ، وربما أقاموا الأيام بغير شىء كما يفعل بالأسرى من العدو ، فصارت خدمة الأسطول عاراً يسب به الرجال ، وإذا قيل لرجل فى مصر يا أسطولى غضب غضباً شديداً بعد أن كان خدام الأسطول يقال لهم المجاهدون فى سبيل الله والغزاة لأعداء الله ، ويتبرك الناس بدعائهم (٧) .

ثم عادت العناية بأمره فى عهد الصالح أيوب ، وكان له أكبر الأثر فى معركة المنصورة (٨) كما رأينا ، وأهمل أمره بعد ذلك حتى أيام بيبرس فاستدعى رجال الأسطول وأمر بصنع السفن وقطع الأخشاب لعمارتها ، وكان يشرف على صنعها بنفسه (١) ، ويجلس بين الأخشاب والعمال ويقتدى به الأمراء فيحملون بأنفسهم آلات الشوانى ويساعدون فى صنعها (٢) ، وبنى أكثر من أربعين سفينة وعدة كثيرة من الحراريق والطرائد (٣) وذلك فى شوال سنة ٦٦٩ (٤) ، ولما حطم هذا الأسطول عند قبرص أعيد بناء غيره ، وخرج بيبرس لاستعراضه ، كما كان يركب مع الخليفة لمشاهدة مناوراته الحربية فى النيل (٥) . وفى تقليد الخليفة لبيبرس يوصيه بالعناية بأمر الأسطول ويقول له : وكذلك أمر الأسطول الذى تزجى خيله كالأهلة ، وركائبه سابقة بغير سائق . مستقلة ، وهو أخو الجيش السليمانى ، فإن ذاك غدت الرياح له حاملة ، وهكذا تكلفت بحمله المياه السائلة ، وإذا لحظها جارية فى البحر كانت كالأعلام ، وإذا شبهها قال هذه ليال تقلع بالأيام (٦) وهذا التشبيه يدل على أنها كانت تطلى باللون الأسود . فلما كان عهد قلاوون رأينا فى الحملة التى وجهها إلى بلاد النوبة سنة ٦٨٨ خمسمائة مركب ، ما بين حراريق وغيرها (٧) .

وفى عهد خليل بن قلاوون زادت العناية بأمر الأسطول حتى كملت عدة الشوانى نحو ستين شونة ملأها بالعدد وآلات الحرب . وعزم السلطان على الخروج لمشاهدته ، فأقبل الناس من كل صوب يريدون أن يشهدوا تلك القوة البحرية الضخمة ، واستعدوا لذلك قبل مقدم السلطان بثلاثة أيام ، وصنعوا لهم أخصاصاً على شاطىء النيل ، وأكثروا الساحات التى قدام الدور ، بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر إلا خرج أهله أو بعضهم لرؤية ذلك . ولما حضر السلطان برزت الشوانى واحدة بعد واحدة ، وقد عمل فى كل شونة برج وقلعة تحاصر ، والقتال عليها ملح ، والنفط يرمى عليها وعدة من النقابين يعمل الحيلة فى النقب ، وما منهم إلا من أظهر فى شونته عملا معجباً وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه ، ثم

(١) الروضتين حـ ١ ص ٦٩
(٢) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٢١٠ و ٣١٥
(٣) السلوك حـ ١ ص ٤٥ (٤) خطط المقريزى حـ ٣ ص ١٣٥
(٥) السلوك حـ ١ ص ٦٩ (٦) الروضتين حـ ٢ ص ١١
(٧) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٣١٥
(٨) السلوك حـ ١ ص ٣٥٣

(١) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٣١٥
(٢) السلوك حـ ١ ص ٦٠١
(٣) المرجع السابق ص ٤٤٧
(٤) خطط المقريزى حـ ٣ ص ٣١٥
(٥) السلوك حـ ١ ص ٤٥٠
(٦) السلوك حـ ١ ص ٤٥٧
(٧) المرجع السابق ص ٧٤٩

اقوامــــعي

للأستاذ إيليا حليم حنا

كان الملك هنرى الرابع ملك فرنسا يقول دائما للولاة والحكام :

أوصيكم بالفقراء والوضعاء خيراً فإنهم عماد المملكة ولولاهم لما كنتم أنتم ولما كنت أنا شيئاً يذكر ؛ ففى استطاعتهم أن يستغنوا عنا ؛ أما نحن فليس فى استطاعتنا أن نستغنى عنهم !

* * *

عندما حاصر الامبراطورية (كنراد الثالث) دوق بافاريا وتغلب عليه وافتتح قصره أمر رجاله بقتل الدوق مع كل رجاله الأخصاء ، فمثلت زوجة الدوق ونساء قصرها بين يدى الامبراطور وطلبن منه أن يسمح لهن بالخروج من القصر إلى مكان أمين حاملات ما يقدرن على حمله . ولما سمح لهن بما طلبن خرجت كل واحدة منهن حاملة زوجها على ظهرها . فلما رأى الامبراطور ذلك أعجب بأمانتهن وحبهن لأزواجهن وعفا عنهم .

* * *

كان قدماء اليونان إذا نبغ فيهم صانع أو شاعر أو خطيب أقاموا له الأعياد وسيروا المواكب ونظموا الحفلات وقدموا له تاج نخار مصنوعا من أغصان الشجر المسمى بشجر الغار الذى كانوا يعتبرونه من الأشجار المقدسة الخاصة بالآلهة ولا سيما (أبولون) إله الشعر والفنون الجميلة . وكان القوم يهرعون إلى تلك الحفلات من كل جانب وينسلون إليها من كل حدب فيذهبون من برقة وصقليا وإيطاليا إلى أثينا للاشتراك فى تكريم نوابغهم .

وكذلك كان الرومان ، لكنهم كانوا يجعلون تلك الحفلات التكريمية مقصورة على الخواص ويقدمون فيها المحتفل به الهدايا والمكافآت .

على أن هذه كانت أيضاً من عادات العرب قبل الإسلام . قال أبو الحسن بن رشيق القيروانى فى الجزء الأول من كتاب العمدة (كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون فى الأعراس ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذود عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم . وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ .)

وفى عهد الإسلام وخاصة فى عصر الدولة العباسية رفع الخلفاء والأمراء قدر العلماء والشعراء وأجزلوا لهم العطاء . وروى عن المأمون أنه كان يعطى زنة الكتاب المترجم ذهباً .

* * *

يقول الدكتور أدلر أحد أقطاب علم النفس الحديث إن معظم ما يرى النبوغ فى بعض الناس لا يرجع إلى امتياز طبيعى وإنما يرجع فى الحقيقة إلى نقص فيهم وخاصة فى أجسادهم؛ وهذا النقص يدفعهم إلى الاعتقاد بأنهم دون غيرهم كفاية فيضاعفون جهدهم لكى يبلغوا نوعاً من التبريز ينطون به هذا النقص . والإنسان العادى الذى ليس به أى نقص فى رأى أدلر محدود الأطماع والجهود لا يرى ما يدفعه إلى التبريز . أما الناقص فإنه دائم الإحساس بنقصه يدأب على أن يستره بتفوقه فى ناحية من النواحى . وقديما حاول شيشرون الرومانى الألكن أن يكون خطيباً وتغلب على لكنة لسانه وأصبح أكبر خطباء الرومان . وقلما نجد رجلا نابغة إلا وبه شيء من النقص الطبيعى حاول أن

عاد السلطان وأقام الناس بقية يومهم وتلك الليلة على ماهم عليه من اللهو فى اجتماعهم ، وكان شيئاً يجل وصفه ، وأنفق فيه مال لا يعد بحيث بلغت أجرة الركب ستمائة درهم . ولما بلغ خبر الشوانى إلى بلاد الفرنج بعثوا رسلهم بالهدايا يطلبون الصلح (١) ، وأقيمت مثل هذه المناورة وهذا الاحتفال سنة ٧٠٢ فى عهد الناصر محمد ابن قلاوون (٢) .

(يتبع) أحمد أحمد بدوى

(١) خطط المقريزى ح ٣ ص ٣١٦

(٢) المرجع السابق ص ٣١٧

يمتاض عنه بكفاية جديدة لحذق فنا أو طريقة حتى زاد حذقه عن المعتاد فنبغ .

* * *

خطب عمرو بن حجر إلى عوف بن محلم الشيباني ابنته ام إياس فوافق والدها وخلت بها أمها فقالت : أى بنية ... أمك فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيه درجت ، إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه . فكونى له أمة يكن لك عبداً . واحتفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخراً .

أما الأولى والثانية ، فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة ، فالتفقد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشتم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة ، فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة ، فالاحتراس بماله ، والإرعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر فى المال حسن التقدير ، وفى العيال حسن التدبير

وأما التاسعة والعاشرة ، فلا تعصى له أمراً ، ولا تفشى له سراً ، فإن خالفت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره . وإياك والفرح بين يديه إذا كان ترحا ، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً . فاحفظى وصيتى واعملى بنصيحتى .

***

قرأت فى مقال أعده مكتب رئيس البوليس فى مدينة لندن ما يلى عن بصمات الأصابع :

إن تطور علم بصمات الأصابع قد ثبتت أهميته العظمى لنفع الجنس البشرى الذى يعيش فى العصر الحديث . أخذ بصمات الأصابع لايساعد على اقتفاء آثار المجرم وعلى إثبات جريمته فقط ، بل إنه يعمل كذلك على حماية البرىء ضد اتهامات لا يكون لها أساس من الصحة .

عندما تنظر إلى راحة يدك ترى خطوطاً عرضية وفجوات صغيرة تبدو أنها تتجه فى جميع الاتجاهات ؛ وعندما تنظر إلى أطراف أصابعك ترى أن تلك الخطوط تنظم نفسها فى نموذج خاص . هذا النموذج وتلك الفجوات كانت موضع دراسة العلماء لمدة سنوات وكان من نتيجة أبحاثهم أن توصلوا إلى هذه الحقيقة العجيبة وهى أنه مع أن الخطوط التى توجد على راحة اليد تتكون قبل مولد الإنسان إلا أنها لا تغير شكلها مهما طال عمر الإنسان وتظل واضحة على اليد حتى يتحلل الجسم بالموت . ولم يكتشفوا أن بصمات أصابع كل إنسان تختلف عن غيره فحسب بل أن كل أصبع فى اليد الواحدة يختلف عن غيره فى تفاصيل النموذج .

ولو اتفق وحدثت إصابة سطحية على الجلد الذى يغطى الأصبع نتيجة حرق أو نتيجة القبض على شىء ساخن فإن الخطوط قد تختفى مؤقتاً ولكنها لا تلبث أن تعود إلى الظهور مرة أخرى متخذة شكلها السابق . ولكن إذا جرحت راحة اليد أو الأصابع جرحاً عميقاً تظل هناك علامة دائمة .

ويعمل بنظام أخذ بصمات الأصابع فى معظم أنحاء العالم المتمدن منذ ما يقرب من نصف قرن . وهذا النظام من الدقة بحيث لم يخفق مرة واحدة فى تحقيق الشخصية .

الأبيض — سودان إيليا حليم حنا

دبلوم عال فى التربية — دبلوم صحافة

في القـــاع يا رب

للشاعر سعد دعبس

مهداة إلى روح الشاعر البائس «عبد الحميد الديب»
«دعبس»

حطمى الزورق يا ريح فقـــد طال ظلامى
وجرى الشـــك ورائى ومشى الوهم أمامى
فدعى الأمواج تسرى فى الدياجى بحطـــامى
واجعلى من شاطئ النسيان دارى ومقامى

***

حينما تسبح روحى فوق هامات الخلـــود
وأرى عمرى ســـطراً فى قواميس اللحود
سوف أحيـــا فى سنا الفجر وهمسات الورود
مثلمـــا شاء خيالى لا كما شـــاءت قيودى

***

أنا يا رب شكاة ملهـــا سمع الزمان
لم يع الدهر صـــداها لجفاها وجفانى
أنا يا رب غريب فى زمانى ومـــكانى
وطنى ناء عن العين ومن روحىَ دان

***

آه لو يسرى بى الموج إلى واد بعيـــد
حيث لا أحيـــا بدنيا ما أحست بوجودى
حلق الباغم فيها وهوى رب القصيـــد
آه ضاعت أنغم الأحرار فى دنيا العبيـــد

***

وأنا ذوبت روحى فى أناشـــيد خيالى
وتوهمت الصـــدى يبقى على مر الليالى
وإذا بالقـــاع يطوينى ولا يدرى بحالى
وإذا لحنى سراب ضاع فى بطن الرمال

***

كيف أشـــدو يا إلهى والأعاصير ورائى
عابثات بهنائى ســـاخرات بشقائى
كلمـــا لاح صباحى لم أجـــد إلا مسائى
وإذا أرسلت لحنـًا خلتـــه رجع بكائى

***

لِمَ أشـــدو يا إلهى وأنا رهن القيود
وجموع الـكون غرقى فى بحار من جمود
ليس يدرى عالم الموت أناشـــيد الخلود
وسواء أنغم الطـــير وصيحات القرود

***

قهقهات من فم الأوهام تطوى بسمائى
ورياح الشك حولى عاصفات بصـــلاتى
لا تدعنى يا إلهى أتغنى بشـــكاتى
ربمـــا تغنى دموعى فأغنى بحيـــاتى

***

أنا فى القـــاع ولا شىء سوى القاع أمامى
ربمـــا ينعم بالفجر الأفاعى وأنا رهن الظلام
قل لمن يطفو على السطح بعيداً عن حطامى
أنا فى القاع ولا شىء سوى القاع أمامى

سعد دعبس

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

تحية قلبية وأخرى قلمية :

أتلقى من حين إلى آخر كثيراً من الكتب التى يهديها إلىّ أدباء تربطنى ببعضهم صلات ود وصداقة ، ولا يربطنى بأكثرهم شىء من صلات الود والصداقة ، وكذلك الأمر فيما يختص برسائل القراء . ومما يؤسف له أن الذين يخرجون الكتب فى هذه الأيام من الكثرة بحيث لا يستطيع الذين يكتبون النقد وهم قلة ، أن يتتبعوهم فيما يكتبون وأن يتحدثوا عن مؤلفاتهم ناقدين أو عارضين ! وليت الأمر يقف بهم عند هذا الحد ، وهو التفضل بإهداء الكتب والاكتفاء بتقبل الشكر ... كلا ، ولكنهم يطلبون إلى الناقد — عن طريق التلويح أو التصريح — أن يكتب عن الأثر الأدبى الذى أخرج ، وأن يثنى على الجهد الفنى الذى بذل ، لقاء ما قدموا إليه من ثمرات القرائح وما خلعوا عليه من أثواب المديح والإطراء ! ويحار الناقد ماذا يقرأ وماذا يدع . إن وقته لأضيق مما يقدر الذين بعثوا إليه بكتبهم راجين أن يشير إليها من قريب أو من بعيد ، وإنه ليلقى من كتبهم إذا ما قرأها كثيراً من العنت والإرهاق ، وإن كثيراً منها ليذهب فيها الوقت والجهد بلا فائدة ترجى ولا غناء !

والدهشة بعد ذلك فى تلقى العتاب إذا ما تحدث عن كتاب فلان وأغفل كتاب علان ؛ الدهشة التى تصاحبها الحيرة فى الاعتذار لمن يهدون إليه كتبهم فلا يكتب عنها فيعتبون ... ماذا يقول لهم وكيف يعتذر إليهم ؟ أيقول لهم إنه لم يجد من وقته متسعاً للكتابة ، أم يعتذر إليهم عن غثاثة الإنتاج وضآلة الجهد وتفاهة المادة ؟ ! أمران كما يقولون أحلاهما مر . وليت الكتاب من أصدقاء وغير أصدقاء يقدرون هذه المرارة ويخففون من وقعها على النفس والشعور !

أما أنا فقد آليت على نفسى ألا أكتب عن أى أثر أدبى إلا إذا لمست فيه نفعاً للأدب وفائدة للقراء . وحسب كتاب لم يتحقق فيه هذا الأمل المرجو أن أقدم الشكر على إهدائه ، وحسب صاحبه تحية أقدمها إليه من قلبى ... أما الكتاب الذى يضيف إلى رصيد القارئ ثروة فكرية جديدة فلن أتردد فى أن أقدم إلى صاحبه التحية من قلمى !

هذه كلمة عن مؤلفات الأدباء أنتقل بعدها إلى رسائل القراء . إن بعضها يردد نغمة واحدة لا تكاد تتغير ، وهى الشكوى من إهمال « الرسالة » لكثير مما يرسل إليها من إنتاج أدبى لا ذنب لأصحابه إلا بعدهم عن الشهرة وذيوع الإسم ! أما بعضها الآخر فيحمل إلىّ مقالات وقصائد مصحوبة برجاء مرسليها أن أدفع بها إلى المطبعة لتأخذ طريقها إلى صفحات «الرسالة» وأيدى القراء ، لأن ذوقى المتواضع من شأنه — فى رأيهم — أن يستجيب لأمثال هذه الوثبات الفكرية والتهويمات الروحية ! .

إن ردى على هؤلاء الذين يحتكمون إلى ذوقى ويطلبون وساطتى ، هو أننى لا أملك لهم غير الشكر والإعجاب ، ولكن إعجابى لن يغنى عنهم من « الرسالة » شيئاً ... إن المرجع الأول والأخير هو ذوق الأستاذ العميد وإعجاب الأستاذ العميد . وإنه فيما أعلم لا يوصد بابه ولا يغلق قلبه فى وجه الذين تلوح له منهم بوادر نبوغ أو نفحات ذكاء أو اكتمال أداة ! أما الشاكون من إهمال إنتاجهم فيستطيعون أن يجدوا الجواب على شكواهم فى هذه الكلمات ، وليثقوا من أن عميد «الرسالة» لا يتردد فى نشر مايستحق أن ينشر ، ولا فى تقديمه على غيره إذا كان يستأهل التقديم

والدليل على ذلك قصيدة هذا العدد ، فإن صاحبها الناشىء لم يعرفه أحد ، ولم يقرأ له فيما أظن أحد ..

رأى فى السير رياليزم :

يسألنى قارئ فاضل من قراء «الرسالة» عن رأيى فى مذهب « السير رياليزم » عقب أن أتيت على ذكره فى الكلمة التى تناولت فيها بالنقد كتاب « خلف اللثام » ... وهل يقدر لهذا المذهب الجديد الذى غزا ميدان التصوير والأدب فى فرنسا وبعض البلاد الأوربية ، أن تشيع تعاليمه وتسيغه الأذواق ويستجيب له الفنانون هنا كما استجاب له بعضهم هناك ؟ .

إن رأيى الذى أومن به ولا أحيد عنه هو أن مذهب « السير رياليزم » شعوذة فنية لا أكثر ولا أقل ، سواء فى ميدان التصوير أم فى ميدان الأدب .. إن الفن الذى لا تخرج منه بغير «اللخبطة» لا يعد فناً ! وأى فن هذا الذى لا يبعث فى نفسك وحسك شعوراً بالجمال ولا تذوقاً لألوانه ومعانيه ؟ أى فن هذا الذى لا تلمس فيه أثراً للربط بين فكرة وفكرة ولا بين مقدمة ونتيجة فى أدب

الـكاتب ، ولا تناسباً بين بُعد وبُعد ولا بين زاوية وزاوية في لوحة الرسام ؟! .

« لخبطة » ولا شيء غير « اللخبطة » ... وحسبك أن تقرأ كتاباً لأندريه جيد وآخر لأندريه بريتون ، وأن تشاهد لوحة من لوحات دى لا كروا وأخرى من لوحات بيكاسو ! إن جيد يمثل الوضوح والصدق والجمال ، فهو قريب إلى عقلك ، قريب إلى قلبك ، قريب إلى ذوقك ؛ لأن أدبه وليد وشائج قوية من صلة الفن بالحيـاة ... أما بريتون فهو هناك فيما وراء الواقع ، أو فيما وراء العقل والقلب والذوق ، أو فيما وراء الشطحات الفـكرية التي تلغى كل صلة بين الفن والحياة !

بريتون في الأدب وبيكاسـو في التصوير ، وكلاهما عميد المذهب السريالى في فنه ... أما بيكاسو فـكان فناناً عظيماً يرفع من فنه الخصوم قبل الأصدقاء ، ولـكن انحرافه في أواخر أيامه إلى هذه الشعوذة السريالية أفقده من كانوا يكبرون فنه ويشيدون بنبوغه وعبقريته ! إن الفارق بين لوحة من لوحات دى لا كروا وأخرى من لوحات بيكاسو ، هو الفارق بين فن يهز فيك مواطن الإحساس بالجمال وفن يهز فيك مواطن الإحساس بالنفور ... إنك تستطيع هناك أن تخرج بشتى المعانى ولـكنك لا تستطيع هنا أن تخرج بشيء !

هذا هو رأيى في المذهب السريالى ، وأؤكد للأديب الفاضل أن هذا المذهب الجديد لا يشق طريقه في فرنسـا وهى موطنه الأول بسهولة ويسر ، لأن خصومه الـكثيرين يهاجمونه في عنف لا هوادة فيه ، ويرمون أصحابه بالدجل والخروج على كل مألوف من أوضاع الفن ! وإذا كان بعض الـكتاب والفنانين قد انحرفوا إلى هذا المذهب واندفعوا في تيار الدعوة إليه فإنه على التحقيق انحراف إلى حين واندفاع إلى حين ... ذلك لأن الساخطين عليه لا يقـاس إليهم الراضون عنه ، سواء في مجال الـكثرة العددية أو في مجال الطاقة الفـكرية ، أو في مجال الشهرة والتفوق وغلبة الآراء والأحـكام . ولا أعتقد أن مثل هذا الشذوذ في محيط الأدب والفن يمكن أن يكتب له البقاء هنا إلا إذا كتب له البقاء هناك ، وهذا أمر يشك في وقوعه إذا ما احتكمنا إلى العقل الذى يزن النتائج على ضوء المقدمات !

حول مسابقة المصور للقصة القصيرة :

لم أكن أعرف أننى محتاج إلى دروس في فن القصة حتى قدر لى أن أطلع على كلمة في « البريد الأدبى » وجهها إلى الأديب حسن صادق حمدان في عدد « الرسالة » الماضى ! ...

لقد رأى الأديب « العالم » أن يعقب على كلمتى التى نقدت فيها رأياً لمجلة المصور عن فن القصة القصيرة ، ولقد جاء في تعقيبه أننى انحرفت عن الصواب حين قلت إن القصة التحليلية حين تبلغ غايتها من تشريح العواطف والنزعات لا تـكون محتاجة في الغالب إلى المفاجآت ؛ انحرفت عن الصواب لأن مجلة المصور لم تشترط أن تـكون القصص المتسابقة من النوع التحليلى ..

لو راجع الأديب المعقب نفسه ورجع إلى ما كتبت ، لعلم أننى كنت أنقد رأياً ينادى بأن المفاجأة في ختام القصة تعد أهم أركانها على الإطلاق ، ومعنى هذا أننى كنت أعترض على رأى يغلب عليه التعميم حيث يجب التخصيص ، لأن هناك فناً قصصياً يخرج عن دائرة هذا الحـكم الذى لا يفرق بين قصـة موضوعية وأخرى تحليلية ، هذا هو ما قصدت إليه في مجال التعقيب على رأى لا صلة له بما اشترطه « المصور » للمسابقة من تحديد النسـبة العددية لـكلمات القصة بستمائة كلمة ، وإذن لا أكون قد انحرفت عن الصواب ، ولـكن الأديب المعقب هو الذى انحرف عن الفهم !

وأؤكد له مرة أخرى أن القصة الطويلة هى وحدها المقياس الفنى الـكامل لمواهب القصاص وطاقة القصاص ، وأن الجهـد الذى يبذل فيها لا يمكن أن يقاس إليه نظيره في القصة القصيرة . ولقد قدمت له هذا الرأى في شيء من التفصيل، وبقى أن أقدم إليه الدليل : إن الأستاذ توفيق الحـكيم يكتب« لأخبار اليوم » قصة تمثيلية قصيرة كل شهرين تحتل صفحة واحدة لا تزيد عليها إلا في القليل النادر ، ويمكنه أن يرجع إليه ليسأله عن الوقت والجهد اللذين يبذلهما في كتابة مثل هذه القصة ، إنه لا ينفق في كتابتها إذا ما نضجت الفـكرة في ذهنه أكثر من بضع ساعات ... هذا في تمثيلية قصيرة من فصل واحد ، فهل يدرى الأديب المعقب كم بذل توفيق الحـكيم من وقته وجهده في وضع مسرحيته الجديدة « أوديب الملك » ؟ لقد أنفق فيها من وقته وجهده أربع سنوات لا بضع ساعات !! ثم هل يظن أن العنـاء الذى لقيه محمود تيمور في كتابة قصة قصيرة مثل « خلف اللثام » يعادل ما لقيه من عناء في كتابة قصة ضخمة مثل « سلوى في مهب الريح » ؟ وإذا أراد أن يحكم على الطاقة الفنية عند توفيق الحـكيم فهل تنكشف له هذه الطاقة من مسرحية تحتل صفحة من

« أخبار اليوم » كما تنكشف له من « أهل الكهف » و « بجماليون » و « شهر زاد » و « سليمان الحكيم » و « أوديب الملك » ؟! وهل تنكشف له الطاقة الفنية عند تيمور من قصة قصيرة كما تنكشف له من « نداء المجهول » و « حواء الخالدة » و « سلوى » ؟! وبعد ذلك يقول لى فى تعقيبه : « إن كاتب القصة القصيرة يلاقى دفعة واحدة جميع الصعاب التى كانت متفرقة فى القصة الطويلة » ! ... أى صعاب يا أستاذ؟! إن جى دى موباسان فى مجال القصة القصيرة خير بكثير من أونوريه دى بلزاك؛ ولكن أنفاسه تتقطع إذا ما حاول أن يجرى معه فى حلبة القصة الطويلة ... هناك حيث رفعت بلزك طاقته الفنية إلى مرتبة أعظم قصاص فى تاريخ الأدب الفرنسى . إن القصاص العظيم أشبه بالجواد الأصيل ... ذلك الذى لا تتضح طاقته على العدو إلا فى رحاب المسافات الطويلة !

هذه كلمة لا أعتقد أنها تشق على فهم الأديب المعقب ، وأرجو ألا تشق على أفهام غيره من المعقبين !

الفن عندنا وعندهم :

وقفت فى « الأهرام » منذ أسبوعين عند صورة رائعة المغزى بعيدة الدلالة ، تستحق من كل ذى عينين أن يقف عندها طويلا ليخصها بفيض من إكباره وإعجابه ... أما تلك الصورة الفريدة فقد أشارت إليها الصحيفة الكبرى بهذه الكلمات :

« يقوم الممثل الكبير سير لورنس أوليفييه مع زوجته فيفيان لى بتمثيل مسرحيتهما الجديدة (مدرسة الإشاعات) على مسرح (نيوثييتر) بلندن . وقد بلغ من تهافت الجمهور على مشاهدة هذه المسرحية أن حجز جانب كبير من الأماكن مقدماً لمدة أسابيع؛ ويرى فى الصورة جمع كبير وقد افترشوا الأرض لقضاء ليلتهم أمام مدخل المسرح ، ليتمكنوا من حجز أماكنهم عند فتح شبابيك التذاكر فى الصباح » .

أناس يفترشون الأرض وفى بيوتهم الفراش الوثير، ويتحملون مرارة الانتظار وما كان أغناهم عن الانتظار ، ويضحون بالوقت وما أحوجهم إلى كل دقيقة ينفقونها وتعود عليهم بما يشتهون ، ولكنه دعاء الفن ... يلقى منهم آذاناً مصغية ، وقلوباً متلهفة ، ونفوساً تنشد متعة الذوق والفكر والروح .

عندهم فنانون عشقوا الفن وأخلصوا له ، وعندنا مهرجون أجادوا التهريج ونبغوا فيه ... وعندهم جمهور مثقف يشتهونه كل جليل من الأمور وكل رفيع من الفنون ، وعندنا جمهور بليد الذوق متحجر العاطفة ، يقضى ليله ونهاره متسكعاً فى الطرقات أو متثائباً على القهوات ! عندهم الوقت يوزعونه بين العمل المثمر حين يناديهم الواجب ، وبين الكتب المفيدة حين تدعوهم المعرفة ، وبين ملاعب التمثيل حين يشوقهم التحليق فى سماء كل معنى جميل؛ وعندنا الوقت نضيق بطوله ؛ لأنه فراغ وهباء : العمل فى أخلادنا استخفاف بالتبعة وانحراف عن الجادة ، والكتب فى أيدينا مجلات تدغدغ الغرائز بالصور العارية والأفكار العارية ، والترويح عن النفس فى رأينا ميل إلى كل تسلية تافهة وكل لهو رخيص !

هذا هو الفن عندنا وعندهم ... وإذا كنت قد دفعت إلى شىء من الاستطراد ، فإن الحديث فى مجال الفن يغرى به ويدعو إليه ، وحسب المسرح هناك هذا الامتلاء ، وحسبه هنا هذا الخواء!

شهداء المثل العليا :

قرأت بتأثر بالغ تلك الفصول التى كتبها فى « المصور » القائمقام الشهيد فهيم بيومى قبل أن يودع مثله العليا فى الطريق إلى الله ... فصول كتبها بمداد قلمه ثم ختمها بدماء قلبه ، وعلى صفحات « المصور » وفوق ثرى الأرض المقدسة ترك البطل الشهيد وصيته لأصحاب المثل العليا : سطورها من وقدات الفداء ونبل التضحية ، وألفاظها من لفحات الجهاد وصدق البطولة ، ومعانيها من وثبات الوطنية وحرارة الإيمان !.

فهيم بيومى ومن قبله أحمد عبد العزيز ومن بعدهما أبطال وأبطال ... وفى سبيل الله والوطن دماء فجرها القدر عيوناً لتسقى بها رمال الصحراء ! لقد كانوا أصحاب مثل عليا ، فى سبيل مثلهم عاشوا على الأرض وفى سبيلها صعدوا إلى السماء : أرواحهم على أيديهم وأنظارهم إلى الأفق البعيد ، وهمساتهم فى رحاب المجد أشواق ... ولقد مضوا إلى غير رجعة ، وبقيت منهم الذكرى تعبق فى آفاقنا بأرج الحب ، وتمطر مآقينا بدموع الوفاء ، وتملأ تاريخنا برنين الخلود ! يا رحمة الله لكم يا أبطال !.. لقد كان شاعرنا ينطق بلسانكم حين قال :

أخى إن جرى فى ثراها دمى	وأطبقت فوق حصاها اليدا
ففتش على مهجة حرة	أبت أن يمر عليها العدا
وقبل شهيداً على أرضها	دعا باسمها الله واستشهدا

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

قضية أدب وفن :

يذكر القراء ما كتبته[1] عن تغزل الهائمة أماني فريد في الدكتور ابراهيم ناجي ، والعكس ... وكان اهتمامي بالكتابة في هذا الموضوع لأني وجدته أمراً جديداً يستحق الوقوف عنده .

ولا شك أن تغزل امرأة برجل معين على صفحات منشورة قفزة جريئة بالغة الجرأة ، يتهيبها الرجل فضلا عن المرأة ، والمرأة الشاعرة نفسها لا تزال تتردد في خطوة تسبق تلك القفزة ، وهي أن تتغزل غزلا غير محدد كما يفعل الرجل .

وقد حفزني على العودة إلى هذا الموضوع ما تلقيته من الرسائل وما سمعته من الأحاديث تعقيباً عليه وصدى له ، وكلها تعبر عن الارتياح إلى ما كتبت ، عدا رسالة واحدة حوت لومي عليه ، وهي من الهائمة أماني فريد ، تقول في أولها : « إني لجد خجلة من أن أرى كاتباً وأديباً لا يستطيع أن يفرق بين الملاقات الأدبية بين الشعراء وغيرها من الملاقات التافهة العابرة » . وكنت أحسبها خجلة لغير هذا ، فإذا هي خجلة بالنيابة عني ... وبعد كلام آخر لا يفيد في الموضوع تختم رسالتها بقولها : « والعجيب أن الرجل المصري لا زال يحقد على المرأة إذا رآها استطاعت أن تبرز وتنتج ما لا يستطيعه هو ... فرفقاً يا سيدي وكن في أحكامك متوخياً العدل حتى لا تسم كتاباتك بسمة النقد الجائر ... كنت أنتظر أن أسمع منك ومن غيرك من النقاد الأفاضل كلمة مدح وتشجيع لا قدح وإثباط للهمم » .

وأترك جانباً مسألة حقد الرجل على المرأة وبزها له ، لننظر هل أنا ظلمتها ، وهل ما صنعته هي يستحق المدح والتشجيع ؟ قد يستحق غزلها في الدكتور ناجي مدحه وتشجيعه ، وقد فعل ، كيلا بكيل ... ولست أدري علام المدح والتشجيع ، أعلى « الملاقات الأدبية بين الشعراء » ، أم على قيمة الإنتاج ؟

أما « الملاقات » كما بدت في مجلة « العالم العربي » ، فقد استنكرها من حدثوني ومن كتبوا إلي . كتب الشاعر النابغ الأستاذ ابراهيم محمد نجا : « وقد ارتاحت نفسي إلى حديثك عن الملهمة (فلانة) ، والدكتور (عمر بن أبي ربيعة) ، ذلك الحديث الذي تشيع فيه السخرية التي تبعث الألم وتورث الإشفاق ، وقد كنت أحب يا أخي الفاضل أن تصرح بأن هذه الأبيات المنسوبة — إلى تلك الهائمة — ليست من صنعها ، وإنما هي من صنع صاحبها المتيم ، يعرف ذلك كل من قرأ شعر الطبيب الشاعر ، ويعرف ذلك أيضاً كل من عرف هذه الهائمة ، وعرف (مقدرتها) على نظم الشعر » . ويقول الأديب صبري حسن علوان بكلية العلوم : « وماذا تريد أماني من الأماني ؟ أأن تكون ليلى القرن العشرين ، حتى يكثر في حبها المجانين ... أم أن تناجي . وليس إلا أن تناجي ... أم أنها رأت الجرائد والمجلات لا تنشر إلا كل غريب جديد ، فبالغت في الإغراب والتجديد ... ؟ »

أما من حيث الإنتاج نفسه ، فأنا لم أعرف الهائمة ولم أعرف « مقدرتها » على نظم الشعر ، ولكني أعرف الشاعر الكبير الدكتور ابراهيم ناجي (خليفة عمر بن أبي ربيعة) وأعرف شعره ، وأزعم أني أجد ريحه في الأبيات المنسوبة إلى الهائمة . وننظر في الأبيات من ناحية أخرى ، وهي ناحية الصدق في التعبير ، تقول :

تعال إلى القلب بعد العذاب ... فقد مر عمري وولى سدى
يناديك قلبي هوى واشتياقاً ... فما لك لست تجيب الندا

فإذا فرضنا أنها كانت في عذاب قبل الدكتور ناجي ، وأن عمرها ذهب سدى قبل الهيام به ، وأن قلبها يناديه ويهواه ويشتاقه ، فهل هو لا يجيب الندا ؟ ما أظن ذلك . وتقول :

أبيت على لهفة للقاء ... ولكن أخاف حديث العدا
فكم ليلة يا قرير الجفون ... تركت جفوني بها مسهدا

ولنفرض أيضاً أنها باتت تتلهف على لقائه ، فهل تخاف حديث العدا من تنشر هوى قلبها على العالم العربي ... ؟ وهل من مقتضيات « الملاقات الأدبية بين الشعراء » أن يبيت الشاعر قرير الجفون ويترك جفون الشاعرة يستبد بها السهد ليالي كثيرة ؟

(١) العدد ٨١٢ من الرسالة

ونتابع البحث عن صدق التعبير فنرجع إلى الأبيات التى نشرت للهائمة فى « البلاغ » وجاء فيها هذا البيت :

أرانى شقياً حزيناً
فيا نفس أين الرجاء

وكان ينبغى لتكون صادقة التعبير أن تقول إنها « شقية » أما « الشق » فهو غيرها ...

وأنا أعلم أنه لا يرضيها أن تحلل «أبياتها» على ذلك النحو ولكن كيف رضيت أن تقولها ؟ أو تظن أنها لا تشتمل على ما يثقل التبعة ؟ هى مسكينة على كل حال ، ولكننا بإزاء باب جديد فى الأدب نرى أنه لا يفضى بنا إلى خير ، ولو أنا وجدنا وراء هذا « السلوك الأدبى » فناً أصيلا لكان من المحتمل أن نجد مجالا للاغضاء أو العزاء .

والقضية قضية أدب وفن أكثر منها قضية مسلك اجتماعى ؛ فليس لمعترض أن يدفع بالحرية الأدبية التى تخول لكل أديب أن يعبر عن نفسه فى صراحة وصدق ، فالوقائع فى قضيتنا غير مبنية على الصدق فى التعبير كما بينت ، ولك أن تلمح ما يدل ذلك عليه من عدم الأصالة ، أما الصراحة فهى مفتعلة لجذب الأنظار . وهذا كله مع غض النظر عن تفاهة القول وانعدام الجودة فيه .

شاعرة مغمورة :

ولعل « حقد الرجل المصرى على المرأة التى تبزه » لا يمنع أن نقضى لحظة مع الآنسة « ن . ط . ع » فى عالم الخيال . وهذه الآنسة تمثل طرف النقيض الثانى .. وقد استرعى انتباهي ما تنشره « البلاغ » لها من قطع شعرية تصور حياة فتاة غريبة فى هذا العصر المتبرج الصاخب ، هى فتاة تصور نفسها ونوازعها فى شعرها ، تقول فى قطعة بعنوان « الغد » .

يقولون فى الغد يأتى الهناء
ترى أين ذاك الغد المنتظر
أيقبل بعد الشقاء النعيم
كما يقبل الصحو بعد المطر ؟
إذا كان هذا نظام القضاء
أصبحت أسعد من فى البشر
ولكننى قد رأيت الزمان
أصم السريرة أعمى البصر

إلى أن تقول :

فيارب رد طمأنينتى
على ، وصن لى هذا الخفر
فإنى البريئة فى عالم
كثير الغواية جم الخطر

فهذه فتاة تتشوف غدها حذرة حائرة ، لم يمنعها الخفر من صدق التعبير عن مشاعرها صانها الله وأدام لها الخفر .

كشكول الأسبوع

* كان يوم الإثنين الماضى موعداً لانتخاب أحد المرشحين لملء الكرسى الخالى بالمجمع اللغوى . ولكن لم يبلغ عدد الأعضاء الذين حضروا الجلسة حد النصاب القانونى ، فتأجل الانتخاب أسبوعاً .

* كانت كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول قد أعلنت عن رحلة إلى الوجه القبلى فى عطلة نصف السنة ، فتقدم إلى الاشتراك فيها طلبة شرقيون من غير المصريين ، ودفعوا قيمة الاشتراك وسجلت أسماؤهم . ثم حدث عند القيام بالرحلة أن علم هؤلاء الطلبة أن عميد الكلية أمر بحذف أسمائهم جميعاً منها .

* وصل إلينا العدد الأول من مجلة « صوت الجيل » التى تصدرها مدرسة أربد الثانوية بشرق الأردن ، وهى مجلة حافلة بالموضوعات الأدبية والثقافية ، وتدل موضوعات الطلبة خاصة على الاتجاه الأدبى القويم الذى يسلكه الجيل الأردنى الجديد .

* نعت جامعة أدباء العروبة المرحوم على الجارم بك فى جريدة الأهرام على أنه علم من أعلامها . والجارم علم حقاً ، ولكنه لم يكن من أعلام جامعة أدباء العروبة .

* كانت قصيدة المرحوم الجارم بك فى تأبين النقراشى باشا من عيون الشعر ... وكانت كلمة الأستاذ على عبد الرازق باشا فصلا أدبياً قيما وخاصة فى تحليل الحزن وتقسيمه إلى حزن عقل وحزن عاطفة .

* سأل قارئ بمجلة المصور : ألم يكن إنشاء مدرسة تعلم أبناء الشعب أولى بثمانية آلاف الجنيه التى منحتها الحكومة لفرقة الباليه على تسليتها أولاد الذوات ؟ فردت المجلة بأن السائل مخطئ ، لأن الحكومة حصلت من الفرقة أكثر من هذا المبلغ ضريبة ملاه . ونسأل نحن : هل تمنح الحكومة محلا تجارياً ٥٠ جنيهاً لأنها تحصل منه ٦٠ جنيهاً ضريبة أرباح مثلا ؟

وتقص علينا قصة رمزية مبينة فى قصيدة بعنوان « عقل وقلب » تتخيل فيها أن القلب يستغيث بها من سطوة العقل ويقول :

يا ويح للقاسى
أسمعت أندادى
وتهكم الناس
فى خارج الوادى

—

مغرورة قالوا
تحيا على الآل
مسرورة خالوا
من شقوة الآل

—

يا ضيعة العمر
فى ذلك السجن
محبوسة الفكر
فى ميعة السن

ثم تقول :

الطيع ذا القلبا
وأجيب إحساسى
وأجرب الحبا
وأعيش كالناس

ويكاد القلب يبلغ بحجته ، ولكنها تعتصم من رغباته ، وتقول :

ورجعت أدراجى
أتجانب الناسا
فى برجى العاجى
أتذوق الكاسا

كأس من الطهر
وهناءة البال
والفن والشعر فى برجى العاجى

وتصر على التشبث بالشمرغاية ومثلا ، وتقول :

هل يأخذ القبر منى سوى جسمى
والصيت والشعر لن يتركا اسمى

سأصير شاعرة
من قادة الفكر
أنا لست ساخرة
يا قلب من يدرى

وأهم ما فى هذا الشعر أن به روحاً ، والشاعرة موفقة فى تصويره تصويراً يبرزه حياً ، وإن كان فى حاجة إلى مزيد من العناية من حيث إخضاع التعبير ويتحقق ذلك بالتأمل فى المأثور وكثرة المعالجة . والفتاة الآنسة وإن كانت فى أول الطريق إلا أنها على الجادة، تهديها إلى الغاية موهبة صادقة مخلصة . فهيا يا آنسة ن . من يدرى ...

القياس فى اللغة :

أتيت فى الأسبوع الماضى على ملخص مضغوط لمحاضرة الدكتور أحمد أمين بك « مدرسة القياس فى اللغة » التى ألقاها فى مؤتمر المجمع اللغوى ودعا فيها إلى الاجتهاد فى اللغة . وأذكر الآن أن الأعضاء الذين عقبوا على المحاضرة بالمناقشة أجمعوا على الإشادة بها وإن كانوا قد خالفوه فى بعض أجزائها وخاصة من الناحية التاريخية . وقد عبر الدكتور أحمد زكى بك عن ذلك فقال إن التعليق على المحاضرة بتصحيح هنا وتخطىء هنالك لا يؤثر فى غايتها وإنما تهمنا هذه الغاية . وقال الدكتور طه

* قرر مجلس الإذاعة تأليف لجنة لمفاوضة أم كلثوم فيما تشترطه من إذاعة أشرطتها الستة الموجودة فى محطة الإذاعة ١٢ مرة فى الشهر ، وهى تأخذ على إذاعة الشريط فى المرة الواحدة ٦٠ جنيهاً ، فهى تريد ٧٢٠ جنيهاً فى الشهر لمجرد إذاعة أغان سبق أن أخذت أجرها .

* لم تعلن إدارة الإذاعة إلى الآن نتيجة مسابقة « التمثيليات » المزمنة بها . ومجلة الإذاعة تكتب بكل عدد أنها ستذيع نتيجة هذه المسابقة فى العدد التالى . كما يكتب على دكاكين البقالة « الشكك غداً » فإذا جاء الغد صار يوماً حاضراً له غد جديد ...

* يكاد مكان الدراسات الاجتماعية يعد خالياً فى ميدان التأليف عندنا . ومن القليل فى هذا الباب كتاب « سياسة جديدة لوطن جديد » الذى أصدره أخيراً الأستاذ سيد مصطفى وهو يدرس نواحى الحياة المصرية دراسة تطبيقية .

* جاء من لندن أن شركة لونجمان جرين ستنشر مجموعة قصص مصرية مترجمة إلى الإنجليزية ، تتكون من ثلاثين قصة للأساتذة محمود تيمور وتوفيق الحكيم والمازنى وفكرى أباظه وسعيد عبده .

* أتمت دار الكتب المصرية طبع الجزء الثانى من كتاب أشعار الهزليين ، ويباع فى الدار بأربعين قرشاً . وحبذا أن تراعى الدار فى تقدير أثمان كتبها نفقات الطبع والورق فقط لتكون فى منال طلاب الأدب .

* تعمل وزارة المعارف على إنشاء فرقة نموذجية خاصة لطلبة المعهد العالى لفن التمثيل تهدف إلى الفن الرفيع من غير اعتبار للناحية التجارية .

* فى أول عهد التمثيل بمصر كان الحوار يجرى على المسرح بالسجع ، ومن ذلك أن الملك فى إحدى الروايات يقول للبواب : من بالباب ، أيها الهاب ؟



حرية الأدب والفن :

إن المناقشة التي دارت في المجمع اللغوي بين الدكتور أحمد أمين والدكتور طه حسين في حرية الكاتب وتقييده بأهداف معينة — وعلينا الشكر للأستاذ عباس خضر على نشره لموجز أدلة الفريقين — إنها لمناقشة جديرة باهتمام كبير وإن كان الموضوع قد قتل بحثاً ودرساً في الغرب منذ أن اتفق لفيكتور هيكو اختراع قوله « الفن للفن » فقد كان الصراع بين أنصار هذه النظرية — نظرية عدم استخدام الفن لأغراض معينة — وخصومها ، ومن بينهم هيكو نفسه ، قوياً حاداً طيلة القرن الماضي . ولسنا نحن الشرقيين في حاجة إلى «تمثيل» ذلك الصراع في بلادنا وترديد آراء الغربيين في مسألة كهذه ؛ لأن الغربيين هم كما قال الدكتور إقبال الحكيم الشاعر الهندي « يكتشفون ويتتبعون مسير النجوم في السماء ، ولكن لا يسعهم أن يهتدوا إلى الطريق في دنيا الأفكار » لا يؤمل منهم أن يصلوا إلى رأي قاطع حازم فيما يتعلق بالمسائل الأخلاقية ، مع أن تفوقهم في العلوم الطبيعية لا يسع أحداً إنكاره في العصر الحاضر . والحقيقة التي يجب أن نتأكد منها ونذكرها دائماً ، هي أن الاختلاف والتجدد في الرأي والتقدم — تلك الكلمة التي يحلو لنا الإكثار من النطق بها — إنما هو مفيد مثمر في حقل المسائل الطبيعية دون ماينتمي إلى الأخلاق والمبادئ التي يبتني المجتمع عليها ؛ فإن الحرية بشأن التعرض لها إنما تؤدي إلى عدم الاستقرار والفوضى الاجتماعية ، وعلاوة على ذلك فإن الحرية لا تتميز عن الفوضى إلا بأن الأولى تتحدد بحدود معروفة ، والثانية لا حدود لها .

وخلاصة القول أن المسلمين في غنى عن مثل هذه المناقشة في المسائل الأخلاقية والاجتماعية ، لو أنهم ردوها إلى الإسلام وسيرة الرسول . لننظر إلى قوله تعالى : والشعراء يتبعهم الغاوون وقول النبي في امرئ القيس بأنه قائد الشعراء إلى النار ، ولنتقارن هذا وذاك بما هو معروف من تشجيع النبي لحسان بن ثابت وإنعامه على كعب بن زهير ، ثم لنتأمل لعلنا نجد فيه حكماً فصلا بأن الفن ليس للفن ، بل إنه عامل من العوامل الشديدة التأثير في النفس وفي الحياة ، ولذلك يجب أن يخضع لقاعدة التنظيم الإجماعي حتى يخدم أغراض المجتمع الخاصة ولا يخرج عليها . وهذا هو تفسير تلك القيود التي وضعها الإسلام على بعض نواحي النشاط الفني والتي ربما ثقلت على دعاة حرية الفن؛ فإن كل ما يدعو إلى الوثنية أو أخلاق الجاهلية إن كان من الفن فهو فن سوء ، ولا مجال للاعتراف به في نظام شامل كالإسلام الذي يكفل حياة جد وعمل دائمين في سبيل الخير لا حياة لهو وترف في حال من الأحوال . وكذلك الانهماك في اللذات والتعبير عنها تعبيراً صادقاً مثل حكاية طروق حبلى ومرضع ، فإن هذا النوع من الحرية للأديب التي يدعو إليها بعض الكتاب الفرنسيين ويعجب بها بعض كتابنا البارزين — لا توجه الإنسانية إلى سواء السبيل وحسن المصير ، بل تعاون على صرف النظر والذهول عن سوء الحال وخير المستقبل وتسبب الفتور في العزيمة والركود في التعمير. لاشك أن مدار الفن على التعبير الصادق ولكن هل يتحول الشر

حسين بك : ليس علينا خطر من أن نبيح لأنفسنا ما أباحه العرب لأنفسهم من قديم الزمن ، ولا نزاع أن المحاضرة لا تمثل اعتدال الدكتور أحمد أمين بك فقط ولكنها كذلك تمثله محافظاً في تجديده

وقد تليت النتائج الخمس التي ذكرتها في الأسبوع الماضي ، فوافق المؤتمر على الأربع الأولى ، ودارت مناقشة في النتيجة الخامسة التي تتضمن جواز ارتجال كلمات جديدة ، فقال الدكتور عبد الوهاب عزام بك : يجب أن يقتصر وضعنا للكلمات على ما نحتاج إليه فقط . وقال (المرحوم) الجارم بك : أريد ضابطاً لهذا الأمر . فقال الدكتور طه : الضابط هو أصول اللغة العربية في قبول الألفاظ الأجنبية . وسأل الشيخ عبد القادر المغربي : هل الارتجال يضر سلامة اللغة ! فلو اخترع أحد لعبة وارتجل لها كلمة مثل (دمخ) فهل يجيزها المجمع أو لا يجيزها ؟

ثم رئي أن يتخذ في الموضوع قرار عام هذا نصه :

« الأخذ بمبدأ القياس في اللغة على نحو ما أقره المجمع سلفاً من قواعد وجواز الاجتهاد فيها متى توافرت شروطه كما أشار إلى ذلك الدكتور أحمد أمين بك في محاضرته (مدرسة القياس في اللغة) » .

عباس خضر

بمجرد كونه موضوعاً لمثل هـذا التعبير إلى الخير ؟ أفلا يجب على الـكاتب إذا اتخذ الشر موضوعاً لعمله أن يعالجه بحيث يبغضه إلى القراء ؟ ولا يقل أحد أن فى ذلك إرهاقاً للـكاتب لأن الـكاتب الذى حبب إليه الشر أو قلّ نفوره منه عن نفور الجمهور هو عدو للخير والمجتمع قبل أن يكون كاتباً أو شاعراً . أما القول بأن مذهب الفن للفن ليس له أية صلة بالأخـلاق فإنه سينتقض إذا راعينا هـذا الجانب نفسه أعنى جانب الموضوع الذى يقع عليه اختيار الكاتب ، كما أن حسن التصوير أو قبحه من الناحية الأخلاقية لا يكمن فى الفن نفســه ، بل يأتى من الموضوع الخارجى له . وعلى كل حال فإن الأدب الذى لا يرمى إلى غاية إنما مثله مثل هز الأرداف العارية الذى يسمي فن الرقص فى بعض الحانات ولكل منا رأيه فى مدي جدواه للمجتمع والأخلاق والإنسانية .

السيد محمد يوسف الهندى

معنى المكروفون :

اطلعت فى عدد الرســالة الغراء (٨١٤) على مقالة صاحب العزة الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الوهاب عزام بك بعنوان « من آفات هذه المدنية » وفيه ذكر عزته أن المكروفونات (المجاهر) تسبب ضوضاء ... الخ وبودى فى هذه الرسالة العاجلة أن أبين من الناحية العلمية خطأ ما سار عليه البعض فى تسمية هذه الأجهزة بالميكروفونات .

فهذه الأجهزة من الناحية العلمية تسمى Public Addreas Systems وهو ما يمـكن ترجمته « أجهزة مخاطبة الجماهير »

وتتركب هذه الأجهزة من ثلاثة أجزاء رئيسية :

الأول : المـكروفون Microphone ووظيفته تحويل الموجات الصوتية الحادثة أمامه إلى موجات كهربية .

الثانى : جهاز تكبير āmplifier ووظيفته تكبير الموجات الكهربية الواصلة إليه من المكروفون وهو مركب من عدة صمامات لاسلـكية بطريقة تختلف من وقت إلى آخر .

الثالث : مضخم الصوت Loud Spea Ker ووظيفته تحويل الموجات —الكهربية — الواصلة إليه من المكروفون عن طريق المـكبر -- إلى موجات صوتية .

وبذلك تصل الموجات الصوتية الحادثة أمام الميكروفون إلى جمهور المستمعين مكبرة مضخمة (عالية) .

والمـكروفون متصل بالمـكبر بسلك كهربى

والمـكبر المتصل بمضخم الصوت بسلك كهربى أيضاً .

لذلك رأيت أن أكتب إلى حضرتـكم راجيا الإشارة إلى ذلك فى مجلتـكم الغراء لما فى إطلاق اسم ميكروفون على هذه الأجهزة من خطأ علمى .

أحمد محمد حلمى
مهندس لاسلكى

فى التعزية عن مصيبة الموت (للرافعى) :

لما فجع الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعى بك فى وحيـده (أمين) رحمه الله عزاه السيد مصطفى صادق الرافعى رحمه الله عن فجيعته ، بهذا الخطاب المؤثر البليغ :

سيدى الأخ الأستاذ الجليل .

كنت مسافراً وعلمت بالنبأ الفاجع الذى يتكلم عنـده الصمت : إنا لله ! لقد دفعك الإيمان إلى أشد معاركه فى هـذه الفجيعة ، وكأنك الجبل الباذخ لا تريد الحـكمة الآلهية أن يستند إلى شيء ليكون جلاله ظاهراً بنفسه

« إن قلبك العظيم يحتمل الزمن بما فيه ، ولـكن الذى هو أشد من حمل الزمن ، هذه القطعة الصغيرة من الماضى .

أسأل الله أن يثبتك بما ثبت به النبوة ، وأن يضاعف لك بالصبر والإيمـان قوة على قوة ، وأن يجعلك من الذين عليهم صلوات من ربهم ورحمة .

ولما احتسب الدكتور شخاشيرى طفلا له لم يجد فى مرضه طب أبيه ولا علمه « وخرّ العلم والطب على أقدام الموت جرى على لسان الوالد الحزين هذا البيت من الشعر » .

أين السـعادة والأيام تأباها   مرت علينا فلم نشعر بمجراها

وبعث بهـذا البيت إلى صديقه الرافعى رحمه الله . فأجابه بالأبيات الحـكيمة الآتية :

الله أوجـدها للناس قاطبة ... فما الذى عن جميع الناس أخفاها
لا ذلك المال سواها لنا ذهباً ... ولا من الطين هذا الفقر سواها
والعمر فى وهمها ضاعت حقائقه ... كأنما هى تحيا بين موتاها
فسل صغار الورى عن هم أولها ... وسل شيوخ الورى عن هم أخراها
إن السعادة أن ترضى بلا غضب ... وكيف ذاك بدنيا لست ترضاها

وكتب الرافعى رحمه الله إلى صديق يعزيه قال :

المصيبة حرسك الله ، وإن كانت أكبر من التعزية لكن ثواب الله أكبر من المصيبة ، والإيمان بالله أكبر من الثواب ، وما آمن بالله من لا يثق به ، ولن يثق به من لا يطمئن إلى حكمته ، ولا اطمأن إلى حكمته من لا يرضى بحكمه ، ولا بحكمه من سخط على ما ابتلاه . ولقد عرفتك من أوثق الناس إيماناً فلتكن من أحسنهم صبراً وأجلهم عزاء . ونحن الضعفاء المساكين إنما نعامل الله بما يصيبنا به ، فإن جزعنا فقد بلغنا حق أنفسنا فلا حق لنا من بعد ! وكأنما أصبنا مرتين ، وإن صبرنا فما أحرى أن يكون الصبر على المصيبة هو ربح المصيبة والسلام .

ولما مات أخوه كامل بك الرافعى قال يشكر الناس :

« تتوجه أسرة الرافعى إلى الله بقلوبها المتوجعة الحزينة تستلهمه فيما تشعر به ما تشكر به ، فلئن كان رزؤها فى فقدها أليما ، لقد كان عطف الأمة عليها كريماً . والحمد لله الذى لا يأس من روحه ، بيده الخير يجعله ما يشاء فيما يعطى وفيما يمنع ، وهو القوى العزيز فيما يصيب به ، لكنه الرحمن الرحيم فيما يثيب عليه.

فاللهم اجز بفضلك عنا أحسن ما جزيت كل من واسانا أو توجع لنا أو عطف علينا ممن ساروا فى الجنازة أو جاءوا للتعزية ، أو حضرت رسائل عطفهم برقاً وبريداً ، ندعوك اللهم أكرم مدعو ، فكن اللهم أكرم مستجيب .

رحم الله الرافعى رحمة واسعة .

محمد أبو ريه

(المنصورة)

الأحرف السبعة :

قرأت ما كتبه الأستاذ عبد الستار أحمد فراج فى « عدد الرسالة ٨١٥ » ، فكان من الواجب الحتم أن أتم ما كتبه بكلمة أنقلها من مقالة للأستاذ محمد زاهد الكوثرى المتخصص فى هذا الشأن الخطير ، لأنه كان أستاذ علوم القرآن فى معهد التخصص باصطنبول :

تواترت الأحاديث فى إنزال القرآن على سبعة أحرف ، لكن اختلفوا فى تفسيرها إلى نحو أربعين قولا ، لا تعويل إلا على أقل قليل منها . قال الطحاوى فى مشكل الآثار : إنما كانت السعة للناس فى الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم ، فوسع لهم فى اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقاً ، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه ، فلم يسعهم حينئذ أن يقرأو بخلافها . اهـ . قال القرطبى : قال ابن عبد البر : فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت فى وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف ، وعاد ما يقرأ نه القرآن على حرف واحد . اهـ وقد أطال الطحاوى النفس فى مشكل الآثار (ج ٤) فى تمحيص هذا البحث بما لا تجد مثله فى كتاب سواه . ومما قاله هناك إن ذلك توسعة من الله تعالى عليهم لضرورتهم إلى ذلك وحاجتهم إليه ، وإن كان الذى نزل على النبى صلى الله عليه وسلم إنما نزل بألفاظ واحدة .اهـ

فأقامة المرادف مقام اللفظ المنزل كانت لضرورة وقتية نسخت فى عهد المصطفى عليه صلوات الله وسلامه بالعرضة الأخيرة المشهورة .

عبد الله معروف

الكتب

على هامش الأدب والنقد

تأليف الأستاذ على أدهم

بقلم الأستاذ نقولا الحداد

الأستاذ على أدهم واسع العلم عريض الاطلاع عميق التفكير ؛ أعنى أنه جمع الأبعاد الثلاثة فى حيز ذهنه ، وأبى إلا أن يجمعها بالبعد الرابع لكى تستوفى النسبية قسطها من قلمه ، وهو فيض الإنتاج . فقد أخرجت المطابع له إلى الآن ١٢ كتاباً . والله يعلم بما عنده من كتب أخرى معدَّة للطبع .

وقد قرأت أمس له كتاباً ممتعاً عنوانه « على هامش الأدب والنقد » افتتحه بفصل « النقد والشخصيات » وإذا به يستفيض فى الأدب النفسى بحيث يجرد الأديب والعالم عن أنفسهم ويجعل لهم كياناً غير شخصيتهم . والنقد يتوجه إلى هذا الكيان .

ثم تناول التقدير الفنى بين النظريتين العلمية والفنية . وبسط الفرق بين العلم والفن ببحث جامع مانع . ثم عطف على فن كتابة التراجم وبحث نشأته وما طرأ عليه من تطور فى الكتب المقدسة فى الصين والهند ومصر الخ . واسترسل إلى العصر الحاضر .

وفصله فى النقد الفنى بين المذهب الاجتماعى والفردى دفعه إلى فيافى الفلسفة النفسية والعقلية والفلسفة العامة فأعطاك دراسة فيهما لا أظن أن لها ضريبا فى مباحث الآخرين ، إلى أن ساقه البحث إلى الكتب والكتاب ، ثم ارتفع به إلى أثر النبوغ والعبقرية فى الأدب والفن ، وشرح لنا الفروق بينهما . وهو بحث لا شك فلسفى عميق . إلى أن قذف به النقد إلى دار الشيطان (أعيذه منها) فى الشعر الحديث . وقد راجعت هذا الفصل مرتين لما وجدت فيه من متعة عقلية ونفسية .

ثم تساءل قائلا : هل تجدى مطالعة التاريخ (الفقير بالخرافات) وهناك أبحاث لا تخطر لك على بال تدلك كيف بدىء التاريخ منذ سبعمائة سنة ميلادية . وهى بدء الكتابة بالحروف الصوتية التى يقال إنها من اختراع الفينقيين . وجرى على ما اعتور التاريخ من الغث والسمين والحق والباطل والعلم والجهل إلى غير ذلك من طبائع التاريخ .

ثم تحول من هذه المباحث العلمية النقدية إلى نقد المتنبى الشاعر العظيم ، وشرحه تشريحاً نقدياً وكشف لك عن سريرته ودل على قلبه ونزعته وطموحه فوصفه فى تدينه وغروره وحزنه ومكانته فى أهيل عصره (كما يسميهم هو) ونظريته فى حساده ؛ حتى إذا خرجت من هذه النقدات التى كانت كمدى المشرح فى البدن السمين ظهرت لك أخلاق المتنبى ونفسيته وانجلى لك المتنبى الحقيقى كأنك عشت معه .

ثم نال أبو تمام قسطاً من نقده فقابل بينه وبين المتنبى بحيث ترى أن أدهم دخل إلى سريرة هذين الشاعرين العظيمين وظفر بمزية كل منهما فى الشعر .

ولم يحرم الشاعر ابن هانئ من كلمة فلسفية رائقة فيه ، ويريك أن شعره يغرى بالأبيقورية ، وهى أن الحياة فى نظره فترة قصيرة ونهزة عارضة ... وليست جديرة بأن يقضيها المرء فى طلب الغايات البعيدة وليس فيها أعماق سحيقة ترهب الناظر . وفى الوقت نفسه كان يقنص اللذات ؛ فهو يعيد حياة سليمان الحكيم الذى ما ترك متعة إلا تمتع بها ، وأخيراً قال : باطل الأباطيل ، الكل باطل .

ولأدهم بعد ذاك فذلكات عن سير بعض الخلفاء . وفذلكة عن أدب رابندرات طاغور الشاعر الفيلسوف الهندى الذى هو خير أنموذج للأدب الوطنى .

فى هذا الكتاب الفذ فى موضوعاته ومباحثه تجلت مقدرة الأستاذ على أدهم فى التفكير والتعبير والتحبير .

روضات الفردوس :

ثم إن الأستاذ على أدهم أتحف اللغة العربية بتحفة نادرة المثال فى كتابه الأخير روضات الفردوس وهو محاضر مناقشات لأرواح

أعلام التاريخ فى جميع المذاهب الاجتماعية المختلفة . وقد تولى العالم جيتى رئاسة هذا المجلس الخيالى . وكان أبرز المتناقشين فيه كارل ماركس أبو الاشتراكية . وقد احتدم النقاش بينه وبين فولتير فيما آل إليه الأمر فى روسيا عن يد لنين الذى اعتنق إنجيـل ماركس بحروفه ، وفحواه أن الاشتراكية لاتقوم على يد الأكثرية فى البارلمان بل على يد الثورة .

وكانت مارى ستيورت ملـكة فرنسا وسكوتلاندا فى هـذا المجلس الروحانى ، وكانت كل هنيهة وأخرى ترمى كلمـة تحاول بها أن تزج نفسها فى المناقشة ، ولـكنها كانت كالسـيدة التى تشتغل فى التريكو تقول الـكلمة وتخاف أن تخطىء فى القطبة .

والعجيب أن نابليون تـكلم فى الخلق . وعنده أن العقل بغير الخلق نـكبة على الأمم . فهو شعلة يحملها طفل ويجب إطفاؤها بأى ثمن حتى ولو اقتضى ذلك موت حاملها . ولـكن كارل ماركس جبهه بقوله : هذا ما فعله تلميذاك هتلر وموسولينى . وما تسميه خلقاً أسميه أنا جشعاً ، وما تسـميه ظهوراً وصعود نجم ليس إلا تـكديس الأرباح المسروقة من جيوب الوجد الحقيق للثروة .

فيسأله جيتى : من هو موجـدها ؟ فيجيب كارل ماركس . هو العامل الصعلوك .

وهكذا يتمادى كارل ماركس فى النقاش بجد ويتدخل فولتير ومارى ستيورت وجيتى . وإذ يقسم نابليون الدولة إلى ثلاث طبقات : القادة ، وهيئة الضباط ، والجند ، تنبرى الملـكة مارى ستيورت وتضيف إليها طبقة رابعة وهى طبقة النساء . ولـكن نابليون لا يعطيهن أهمية اجتماعيـة خارج المنزل . فى كل هذه المناقشات يكون صوت كارل ماركس ملعلعاً .

ثم يأتى وشنطون محرر أميركا ويجتهد أن يدخـل الرب فى الموضوع فيحتـدم النقاش بينه وبين ڤولتير . ثم ينبرى نابليون ويزج البابوية والإمبراطورية فى البحث . ويكون جيتى فى كل موضوع ممسكا الميزان لتأييد الاعتدال والعدالة .

وهكذا ينتقل الجدال من الاشتراكية إلى الشيوعية إلى الدين إلى السياسة إلى جميع المذاهب الاجتماعية وأخـيراً إلى الحرب . ونابليون يؤيد القوة كعامل للحضارة . ووشنطون يؤيد الإيمان كأساس لها .

ولمـا اشتد الخلاف استدعى جيتى روح أحد الشيوخ الأحياء وهو يغط فى نومه فى البرلمـان . وسأله عن سياسة أميركا الحالية . فقال له : إننا نسير غير مرتبطين باتفاقات دائمة مع أى جزء من أجزاء العالم .

ويحتدم النقاش بين وشنطون والسناتور (الشيخ) إلى أن يتطرق إلى عصبة السلام وكانت فى رأى وشنطون ثوب تنـكر لعصبة الحرب ونصحاً بالابتعاد عنها .

وهنـا اشتبك كارل ماركس وفولتير فى موضوع عصبة السـلام ، واقتضى الأمر التعريض بهتلر وموسولينى ، ثم بالفاشية .

ثم يستدعى جيتى روح أحد الفاشيين من الأرض وهو نائم لـكى يسأله عن مذهبه . وإذ يرى هـذا الفاشى مارى ستيورت يقول : أسيدة فى حلقة رقص أو ربمـا كانت مغنية فى الأوبرا . والنساء فى إيطاليا يطعن موسولينى ويلدن الأطفال فى أقصى سرعة — إلى غير ذلك من الحديث عن تربية الأطفال لأنه هو مدرب للأطفال وأنه يصوغهم كما يشاء موسولينى .

ثم يستدعى جيتى روح شخص نازى ويحتدم الجدال بين هذا النازى وڤولتير ومارى ستيورت إلى أن يقول لهـذه الملـكة أى سلوك فجور ودعارة تسلـكه امرأة هنا . ما الذى تصنعينه هنا محفوفة بالرجال ... اذهبى واحمـلى أطفالا لوطنك والفوهرر ... وما قال كارل ماركس كلمة حتى كان ذلك النازى يصيح به : أيها اليهودى القذر !

ثم اسـتدعى جيتى شيوعياً من نومه ، فجرى بينه وبين كارل ماركس جدال لا يسعه هـذا المقال . فعلى القارئ أن يطالعه فى الـكتاب الذى نحن بصدده . وفيما كنت أقترب فى هذا السفر النفيس إلى آخره كنت آسف أنه سينتهى وأنا لا أريد أن ينتهى لأنه كان آخذاً بمجامع لبى . فأشكر لصديقى الأستاذ على بك أدهم انتقاءه هـذا الـكتاب ونقله إلى العربية لمؤلفه العلامة الإسبانى سفاد وردى ماداردياجا

نقولا الحداد



من روائع أدب القصة القصيرة الإنجليزية :

أولالا OLALLA

للكاتب الإنجليزى روبرت لويس ستيفنس

[روائى أديب اسكتلندى . ولد فى ادنبره فى ١٣ نوفبر ١٨٥٠ ودرس القانون فى أكاديمية ادنبره وجامعتها ، ومارس المهنة ، ثم انصرف عنها إلى الأدب . أول ما ظهر من إثاره الأدبية مقالاته فى مجلة (كورن هل) ١٨٧٤ . تجول فى أوربا وكتب كتباً عن رحلاته هــذه ذهب إلى أمريكا عام ١٨٨٠ وتزوج بالمسز إزبون الأمريكية . عاد إلى إنجلترا وكتب فى ١٨٨٢ قصة (جزيرة الكنز) التى جعلت اسمه على كل لسان . وفى عام ١٨٨٦ كتب قصة (كدنابد) والقصة العجيبة التى سماها (الدكتور جاكيل والمستر هايد) وهى التى تضرب الأمثال بين الناس بها للرجل المخاتل ذى الشخصتين المتنافرتين . وكتب قصصاً قصيرة كثيرة بين عام ١٨٨٤ — ١٨٨٧ . وفى هــذا العام ذهب إلى أمريكا ، وساح فى المحيط الهادى ، واستقر به النوى فى (ساموا) ، وأخذ يرسل منها إلى انجلترا أروع القصص ، حتى وافته منيته بعيداً الوطن الوطن الرابع من ديسمبر عام ١٨٩٤ وهو مكب على كتابة قصته (weir of hermiston)]

تمهيد للقصة :

تقع حوادثها فى شمال أسـبانيا فى قصر عظيم من قصور أشرافها قد عبث الفقر بجدرانه وسكانه عبثاً شـديداً ؛ وتدور حوادث القصة بين أربعة أشخاص : أولهم شاب انجليزى فى ميعة العمر ، جميل الطلعة ، فى رجولته وجمـاله وشجاعته كل ما يحرك الحب فى قلب المرأة ويدلهها — وهو جريح . وثانيهم شاب ريفى غير متعلم ، تبدو عليه دلائل البله وهو ابن السنيورة النبيلة صاحبة القصر . وثالثهم السنيورة نفسها ، وهى سيدة فى العقد الخامس من العمر ، تطل من وجهها آثار جمال ساحر ، وهى مصابة بالجنون . ورابعهم أولالا ، ابنة السنيورة ، وهى فتاة فى ربيعها الثامن عشر ، رائعة الجمال ، شاعرة ، وفيلسوفة ، ومتبتلة .

تلخيص القصة :

أخـذت جراح الشاب الإنجليزى تماثل للشفاء ، فقرر الطبيب إبعاده عن ضوضاء المدينـة إلى مناخ جبلى جاف مدة شهرين ، واتفق مع عائلة أسبانية فى الريف على قبوله هذه المدة فى قصرها ، ولـكن العائلة اشترطت سلفا أن لا يحاول هذا الإنجليزى التعرف على أفراد الأسرة ، أو التدخل فيما لا يعنيه من شؤونهم ، وقد كان هذا الشرط كافيا لرفضه الذهاب ، لولا أن الضرورة الصحية جملته يخضع لهذا اللون العجيب من حسن الضيافة وكرم الجوار !

وحضر فيليب ابن السنيورة لاستصحابه ، وأخذا طريقهما إلى قصر يبعد عن المدينـة عشرين ميلا ، فى عربة أثرية يجرها جواد هزيل . لم يحاول أحدهما التحدث إلى صاحبه ، إنما كان فيليب يرفع عقيرته ، طيلة الطريق ، بغناء سمج لا يجرى فيه على قاعدة من أبسط قواعد ذلك الفن الجميل . واختفت ذكاء وراء الأفق ، تاركة خلفها على حواشيه ذيولا ممتدة هنا وهناك من نضار مصهور ، وأخـذ الظلام يسحب رداءه فتبدو فى الظلمة موحشة تبعث الـكآبة والخوف فى أحشائها إلى النفوس ... ولمحا ضوءاً بعيداً ما لبث أن ظهر أنه ينبعث من إحدى نوافذ القصر الذاهبين إليه .

وعلى مسافة ردات معدودات من القصر تركا العربة ، فى حراسة فلاح من خدم القصر ، واجتازا الباب الخارجى والردهات الداخلية حتى وصلا إلى غرفة قد وضع فيها سرير ، ومنضدة عليها نبيذ وطعام حار شهى ، وقد أضرمت فيها نار جملت جوها دافئاً .

انصرف فيليب إلى بعض شؤونه ، وتناول الجريح الطعام ، وأوى إلى فراشه متعباً منهوكا وراح يسبح فى نوم هادىء عميق ! وأفاق مبكراً . وأول ما دار بخلده أن يتعرف على ما حوله وعلى

كل شيء يجد السبيل إليه ، مدفوعا إلى ذلك بحب الاستطلاع الذى أثاره فى نفسه شروط الأسرة البعيدة عن اللياقة . وأول ما بدأ به الغرفة التى يرقد فيها . أجال بصره فرأى صورة فتاة جميلة تدل ملابسها على أنها لا تعيش فى هـذا الزمن ، ولكن قسمات وجهها شديدة الشبه بملامح فيليب . أخذ يطيل النظر إليها وهو فى كل مرة يشعر بأن الصورة توقظ فى قلبه لوناً غامضاً من الحب ، إرتاح إليه وأنس به فى هذه الوحشة ، وفى هـذا المكان المقفر من العطف والوجوه الجميلة .

ثم أخـذ يقضى أوقات فراغه فى لهو برىء : يبدأ من الصباح فيصعد التلال المجاورة ، ويدور بالغابات والجداول حتى يأخذ منه التعب مأخذه ، فيعود إلى غرفته غير متلفت إلى شىء حسب الاتفاق مع الطبيب ، إلا بمقدار ما هو ضرورى لرؤية الطريق.

مل هذه الحياة الرتيبة وكرهها ، واستدعى فيليب إلى غرفته وأخذ يحدثه فى لباقة وبراعة عن مواضيع بعيدة ، يدس فى ثناياها أسئلة عن الأسرة وأحوالها ، ما لبثت أن أغضبت فيليب فتركه دون أن يجيبه عن شيء منها .

غير أن ذلك لم يثبط عزيمته وصمم على أن يكتشف بنفسه كل شيء ، وأخذ فى ذهابه وإيابه يتلفت يميناً ويساراً ، فرأى الجناح الذى تعيش فيه السنيورة . وبينما يهم بالخروج فى صبيحة يوم مشمس جميل ، رآها جالسة فى نور الشمس بالقرب من طريقه فحاول أن يتقدم إليها بالتحية ، ولكنه تذكر الشرط القاسى ، فمر بها ، وهى تتلفت إليه دون أن يرفع طرفه إلى مكانها ، غير أن الجرأة عاودته فحياها ، فردت له تحية جافة ، لا حياة فيها ورمقته بنظرة جامدة هادئة ، ظنها منبعثة عن كبرياء ... ولكنه أدرك بعد زمن أنها صادرة عن عقل غير سليم !

وألف صاحبنا السنيورة وألفته ، فكان يمر بها صباح مساء ، يرفع إلى مكانها تحياته ، وينطلق إلى رياضته وراء التلال أو يمر بفيليب وهو منهمك فى أعماله الزراعية . لقد كان سلوك السنيورة السلبى غير مشجع له على التحدث إليها ، لذلك رغب فى الابتعاد عنها .

وقد أدرك بفطنته أن فى الأسرة مرضاً وراثياً من الغباوة ، أو الجنون ، بدا له واضحاً فى عقل فيليب وسلوكه وفى عقل السنيورة وسلوكها . لقد سمع من الطبيب أن للأسرة فتاة فى ريعان الصبا ، يحسبها من نوع والدتها وأخيها فاحتقرها وأمات الخيال الذى كان يود البحث عنها فى شعوره !

واستمر فى رحلاته القصيرة . ولكن الشيطان سول له فى أحد الأيام أن لا يذهب إلى التلال البعيدة ، ولكن إلى داخل القصر ، واغتنم فرصة ذهاب فيليب إلى أعماله الزراعية ، وفرصة استسلام السنيورة إلى نوم لذيذ تحت أشعة الشمس ، وانسل إلى القصر ، وأخذ يدور فى حجراته وصالاته الرحبة ، فبهره تخيل ما كان عليه هذا القصر من السؤدد والثراء ، وراح يغرق عواطفه فى لجة من الفن تبدت فى مئات الصور الرائعة لكبار الفنانين قد علقت هنا وهناك ، وقد أخذت يد التلف تشوه جمالها . واستمر فى تجواله حتى وصل إلى مكان فيه أوراق مبعثرة وكتب قيمة ، بعضها أدبى ، وبعضها دينى ، والآخر فلسفى . وهى لكبار المؤلفين فى اللغة اللاتينية . ومظهر الكتب يدل على كثرة استعمالها وامتدت يده تعبث بأوراق فوق كرسى ، فرأى شعراً قد كتب بقلم رصاصى وبخط أنيق جداً على ورقة ، يدل على براعة فنية وشاعرية فذة ، وإلهام خصب ، فعلم صاحبنا أن الغرفة التى هو فيها مخدع العذراء التى يبحث عنها ، وأنها هى الشاعرة الجميلة الفيلسوفة . أحس فى أعماق نفسه بأنه اقترف جرماً أخلاقياً بشعاً لاستباحته مخدع فتاة خفية عنها وعن أسرتها كما يفعل اللصوص ، وتراجع مذعوراً من تأنيب ضميره إلى قواعده فى تلك الغرفة الكئيبة ، والشعر الرائع لا يزال يتردد فى حنايا حسه وهو يقول لنفسه ، إن التى تنظم شعراً من هذا النوع لا تكون إلا ملاكا من ملائكة الرحمة وغير ممكن أن تكون مصابة بجنون .

وارتمى فوق سريره يفكر فى الشعر وفى ناظمة الشعر ، ويحلم بلقائها ... وعبثا حاول صرف خيالها عن خاطره ، وعبثا حاول مقاومة تلك الرغبة المنيفة التى تدفعه دفعاً إلى العودة للجناح الخاص الذى تعيش الشاعرة الشابة فيه من ذلك القصر الكئيب .

وأخـذ طريقه بعد أيام إلى مكانها ... وفيما هو يهم بفتح الباب المؤدى إليه ، إذا بيد تفتحه وإذا به وجها لوجه أمام فتاة بارزة النهدين ، فى عنفوان الصبا ونضارة الشباب . ما رأى لها شبيها فى حياته ... تراجعت الفتاة قليلا مشدوهة ... وهى تكاد تلتهمه بنظراتها الجائعة ... وتراجع قليلا ، محمر الوجه خجلا من اكتشافه فى ذلك المكان الخاص من القصر الذى لا يسمح له بالذهاب إليه ، وولى الأدبار إلى غرفته ، بعد أن ألقى نظرة طويلة

على الشاعرة الجميلة الشابة الساحرة ، وهى تلاحقه بنظراتها التى حملت إلى قلبه أولى رسائل الحب الجارف المنيف .

تغيرت حياة الشاب بعد هذا اللقاء ... أصبح لا يجد معنى للحياة إلا إذا رآها ... لا يشتهى الطعام ، ولا يجد النوم إلى جفنه سبيلا . وأحس فى نفسه أنه يتحول إلى مخلوق جديد لا يمت بصلة إلى الإنسان الذى كان يعيش فى جلده ...

أصبحت المروج الجرداء والتلال الموحشة والبرارى الصامتة روضة من رياض الجنة ... أنه يرى وجه أولالا فى كل ما تقع عليه عينه فى الدنيـــا ، فيرى كل شىء ساحرا جميلا . لقد أصبح عاشقاً .

وأفاق مبكراً ومر فى طريقه العادى فرأى وجه الشاعرة الجميل يطل عليه من مكان قريب ... فاندفع إليها مشدوها مذهولا ، ولكنها تراجعت قليلا وحاول أن يقول لها كلمة فرأى أن الكلمات تموت على شفتيه .. ففر منها متجها إلى التلال القريبة ... وجلس على صخرة تطل على قصر الحب والسعادة وأخذ يحلم بسعادة اللقاء ، ويضمد فى قلبه الجراحات العميقة التى خرج بها فى معركة النظرات فى صباحه . وبينما هو مذهول ، إذ لمح شبحاً يقترب من مكانه وراء الأشجار ... حدق طويلا . يكاد يجن ! لقد اقتربت ! إنها... إنها أولالا... أسرع بلا فيها مادا ذراعيه إليها فغابت معه فى قبلة طويلة وهى تبكى بكاء موجعاً عنيفا . ثم تدفعه فجأة وتفر منه كالمهاة التى يطاردها الصياد إلى سجنها فى القصر المتيد .

عاد إلى القصر يتبعها ، وهو كالمجنون ... إنه يريد أن يضمها إلى صدره مرة أخرى ، يريد أن يتحدث إليها . ولم يكد يدخل غرفته حتى وجد ورقة من نفس الورق الذى قرأ القصيدة فيه قد كتبت بنفس الخط ، تطلب منه أن يرحمها إن كان يحبها ، بمغادرة القصر فى اليوم التالى .

كان يقدر أن يمر به كل هول فى الحياة ، بعد ما حمل قلبه حباً من هذا النوع ، فلا يأبه له ، ولكنه ما قدر أن تطلب إليه أولالا ... أولالا التى أحبته وأحبها حباً جنونياً ، أن يغادرها حالا وتستحلفه باسم الحب أن يفعل . أنه لا يحتمل ذلك . أراد أن يخادع الواقع بالكذب زاعماً أنها لم تطلب ذلك منه ، وأنه يحلم ... ولكنه يرى أن خطها وأسلوبها الشعرى ودموعها وراء كلماتها ... إنه أمام الحقيقة المرة ... أنه لا يقوى على ذلك ...

وأسرع نحو النافذة يريد التخلص من الحياة ولم يفطن إلى أنها موصدة فاصطدمت ذراعه بالزجاج فجرحت جرحاً بالغاً تصبب منه الدم بغزارة ... فصرخ وأسرع نحو أولالا ... فصادفته السنيورة فطلب مساعدتها . لقد هاج منظر الدم المتدفق جنونها المكبوت فاندفعت إلى ذراعه تمضها كالحيوان المفترس عضاً أليما وهى تصرخ صراخاً منكراً وصل إلى مسامع أولالا وفيليب فأسرعا وأنقذا حياته واحتملاه إلى غرفته. وراحت أولالا تضمد جراحاته وتصلى وهى دامعة العينين ... وأفاق بعد لأى فوجد أولالا منفردة إلى جانبه تمرضه وتسهر عليه وهى تبكى راكعة أمام سريره ، فتناول يدها وغمرها بقبلاته وبللها بدموعه . وعلى حين فجأة تترك الغرفة ، فيدخل فيليب ويحمله إلى مدخل القصر ويوصله فى عربته إلى دير قريب .

قضى صاحبنا فى الدير الجديد أياماً اندملت فيها جراح ذراعه ، ولكن ما تزال جراح قلبه دامية . وأخذ بعد أن استرد قسما من عافيته يتردد على جبل منيف يطل من مسافة بعيدة على قصر أولالا . كان يجد عزاء كبيراً فى الجلوس على قمة ذلك الجبل .

وكثر تردده على ذلك المكان ، وكانت فى قمته صخرة وجد الراحة والعطف فى قلبها الجلمود ... واستغرق فى أحد الأيام فى ذهول عاطفى جعله كاليت لا يتأثر مما حوله ولا يحس بوجود نفسه. وفتح عينه فجأة وحملق...وعاد إلى وعيه فرأى .. وحسب نفسه فى حلم ... ولكن التى يراها أولالا ... أولالا جاءته بنفسها تبتسم إليه ... لقد تلاقيا ... عجبت أولالا من رؤيته فى تلك القمة — ولكنها كانت تعرف ذلك وتعمدت المجىء — ، وتظاهرت بالعتب عليه لبقائه قريباً منها حتى ذلك الوقت — وقالت له إن قصة حبهما قد تحدث بها القاصى والدانى — وأن الناس قد نذروا قتله وقتلها. وجثت على الأرض واستغرقت فى صلاة عميقة وهو يدعو الله أن يلهمه ويلهمها الصبر والرحمة . وودعته بعد أن قالت له إنها راهبة ، وقد وضـــعت حب الله بينه وبينها .

وعاد إلى ديره وقد أخذ اليأس من نفسه كل مأخذ : إنه لن يراها بعد اليوم .

لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى	لو أنا وجدنا من فراق لها بدا
كفى حزناً أن رحت لم أستطع لها	وداعاً ولم أحدث بساكنها عهدا

المسيب — العراق

على محمد سرطاوى
مدرس الإنجليزيه في متوسطة المسيب

مطبعة الرسالة

العدد ٨١٧ – الاثنين ٢٨ فبراير ١٩٤٩ – السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

[illegible]

[illegible]

17 em Année No. 817

Lundi — 28 — 2 — 1949

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

مشروع مولوتوف

للأستاذ عمر حليق

فى الخامس والعشرين من يناير سنة ١٩٤٩ أعلنت موسكو نبأ تأليف اتحاد اقتصادى للمنظمة المشتركة فى منطقة النفوذ السوفياتى ليعمل علانية على مكافحة مشروع مارشال الأمريكى للانماش الأوربى . وقالت وكالة الأنباء الروسية الرسمية (تاس) التى أذاعت الخبر أن المشروع الروسى الجديد جاء نتيجة لمؤتمرات عدة عقدتها فى موسكو الدول الحليفة لروسيا فى أوائل السنة الجديدة ؛ وأن هذه الدول « التى رفضت الانصياع لديكتاتورية مشروع مارشال » قد أنشأت فيما بينها « مجلساً للمساعدة الاقتصادية المتبادلة لتدعيم التعاون الاقتصادى أكثر فأكثر » بين بعضها وبعض . وقالت تاس كذلك إن عمل المجلس الاقتصادى هذا سيتناول « تبادل الخبرة الفنية والاقتصادية » بين الدول المشتركة فيه ، و « تقديم المونة المتبادلة للحصول على المواد الخام والمواد الغذائية والآلات الصناعية وما إليها » وأن المجلس سيجتمع دورياً ، وأنه يرحب بكل من يرغب فى الانضمام إليه من الدول الأوربية التى تدين بالمبادئ التى يدين بها مؤسسوه والمشتركون فى هـذا المشروع غير الروس خمس دول فى منطقة النفوذ السوفياتى وهى رومانيا وبولنده وبلغاريا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا . وقد تركت يوغوسلافيا — وخلافها مع موسكو قد اتسعت شقته — خارج هذا المجلس .

قبل سنة ونصف أى فى منتصف عام ١٩٤٧ ، خرج الرفيق مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتى فى اجتماع مجلس وزراء الدول الأوربية بباريس غاضباً . وكان موضوع البحث بين روسيا وفرنسا وبريطانيا فى ذلك الاجتماع مشروع مارشال الأمريكى لإنماش اقتصاديات أوربا . وقد أصدر مولوتوف عَقِب انسحابه تصريحاً قال فيه : إن الاتحاد السوفياتى قد رفض المشاركة فى المشروع الأمريكى المقترح لأن أمريكا لا تتوخى إنمـاش أوربا بل تريد تقسيمها وبث الشقاق بين دولها .

وتبع تصريح مولوتوف هذا بيـان من (البوليت بيرو) القيادة العليا للسياسة السوفياتية اعترف فيه الروس بأن مشروع مارشال هو أكبر تحد يواجه الاتحاد السوفياتى .

وعلى أثر ذلك شرع الروس فى اتخاذ خطوات عملية فى ميادين السياسة والاقتصاد لمكافحة مشروع مارشال . وكان أبرز هذه الخطوات فى مجال السياسة تأليف (الكومنفورم) وهو المركز الرئيسى الرسمى للشيوعية الدولية (وكانت روسيا قد حلته خلال الحرب) وجعلت قيادته المركزية فى العاصمة البلغاريا ، وتلا ذلك نشاط عسكرى فى مناطق الثورات الشيوعية فى اليونان والصين واتخذت المساعدة السوفياتية ليهود فلسطين دوراً عملياً لم يشعر العرب بخطورته إلا بعد سنة من استمراره .

ولم تقتصر روسيا فى إجابتها على تحدى مشروع مارشال على

هذه الخطوات السياسية والعسكرية ، بل أردفتها بنشاط اقتصادى تدريجي شبك الروس فيه اقتصاديات دول شرق أوربا بعضها ببعض ثم ربطتها جميعاً بالاقتصاد السوفياتى . وهذا فى الواقع عملية ابتدأت روسيا بالعمل بها منذ أن احتلت شرق أوربا أثر تراجع الألمان عنها فى عام ١٩٤٥ ، وكانت وسائل موسكو لتحقيق هذه السيطرة الاقتصادية سلسلة من المعاهدات التجارية ركزت الإنتاج الصناعى والزراعى فى منطقة نفوذها فى بوتقة التبادل التجارى الإقليمى . وقطعت دول شرق أوربا الجزء الأكبر من معاملاتها التجارية مع أوربا الغربية والعالم الخارجي إجمالا . ثم جعل الميزان التجارى فى جميع الدول الشيوعية المتحالفة متمشياً مع رغبات الاتحاد السوفياتى الذى أصبح بحكم هذا التوجيه وبما له من سيطرة ونفوذ سياسى ، العنصر السياسى فى الكيان الاقتصادى فى شرق أوربا وهى جزء من العالم يضم ست دول تبلغ مساحتها حوالى عشرة ملايين ميل مربع وعدد سكانها ٢٦٢ مليوناً من الأنفس .

واستمر نشاط الروس فى منطقة نفوذهم لتدعيم النظام الشيوعى ومكافحة الغرب الانجلوسكسونى فى ميادينه الاقتصادية والسياسية والفكرية ، وظل العالم الخارجي لا يعلم إلا قليلا عن مدى اتساع هذا النشاط ومبلغ نجاحه بسبب الرقابة السوفياتية الشديدة . ولكن المتتبعين للشؤون الروسية قدروا بأن جواب موسكو على مشروع مارشال الذى أحرز قسطا من النجاح للغاية التى وضع من أجلها — جواب روسيا سيكون من نوع التحدى . وقال الخبراء بأحوال منطقة النفوذ السوفياتى إن هناك خططا اقتصادية منسقة يعمل لها السوفيات بالتعاون مع الحكومات الشيوعية القائمة هناك . وكان هؤلاء الخبراء يطلقون اسم « مشروع مولوتوف » على النشاط السوفياتى . وفى الأشهر الأخيرة كاد العالم ينسى أن هناك شيئاً اسمه مشروع مولوتوف ، لندرة ما تتناوله الألسن ، على عكس الدعاية الواسعة التى يلقاها مشروع مارشال فى الصحافة العالمية — أو صحافة الحلف الغربى على الأقل . إلى أن نقلت وكالة تاس نبأ تأليف المجلس الاقتصادى الجديد .

هذا المشروع السوفياتى الجديد ، مجاله منطقة جغرافية غنية بالمواد الخام من الفحم والحديد والزيت لا يزال معظمها فى باطن الأرض ، إذ لا تتوفر لدى دول شرق أوربا الوسائل الآلية الحديثة ولا رأس المال ولا الخبرة الفنية لاستخراجها . فالخبرة فى الإنتاج والتمدين ، ومدي التصنيع فى شرق أوربا إجمالا قاصر عن اللحاق بالحضارة المادية المتفوقة التى عرفت بها دول أوربا الغربية والعالم الجديد . ولذلك فإن الخبراء فى العالم الإنجلوسكسونى يعتقدون بأن هذا المشروع الروسى الجديد سيقتصر على تنسيق المعاهدات التجارية بين الدول الشيوعية ، وأنه لن يسعى لتنفيذ برامج اقتصادية ضخمة تتناول التصنيع وتدعيم التبادل النقدى وغير ذلك من أوجه الاقتصاد التطبيقى على النحو الذى يعمل له مشروع مارشال فى غربى أوربا وشماليها وجنوبها .

ويضيف إلى ذلك هؤلاء الخبراء — أن العقبة الكبرى التى تقف فى وجه المشروع الروسى الجديد ، حتى ولو اقتصر على تنسيق التبادل التجارى ، هى أن منطقة النفوذ السوفياتى لا تشكل كتلة طبيعية تستطيع موازنة التبادل التجارى . فليس فى الكتلة السلافية سوى تشيكوسلوفاكيا من يستطيع أن يُؤَمن تبادلا تجارياً سليما ؛ ففى تشيكوسلوفاكيا صناعات ثقيلة تستطيع أن تتبادلها مع حاصلات روسيا الزراعية أو حاصلات الدول الشيوعية الأخرى ومعظمها زراعى كذلك .

وكانت هذه الدول قبل أن تنصهر فى الكتلة السلافية تتبادل النسبة الكبرى من محاصيلها الزراعية مع ألمانيا ودول أوربا الغربية المعروفة بوفرة الإنتاج الصناعى .

وليس للدول الشيوعية فى منطقة النفوذ السوفياتى الآن سوى روسيا لتتبادل معها الإنتاج الزراعى بإنتاج صناعى يسد حاجتها . ويعتقد الخبراء الإنجلوسكسون أنه ليس لدى الاتحاد السوفياتي وفرة فى الإنتاج الصناعى ما تسد حاجيات حلفائه فى شرق أوربا بسبب مشروعات الخمس سنوات الإنشائية التى تحدد طاقة الإنتاج الروسى وتوزعه على مطالب الشعب الروسى قبل كل شئ . وفوق ذلك فإن وفرة الإنتاج الزراعى فى روسيا نفسها من القمح الأكرانى والمواد الغذائية الأخرى يجعل شراءها للمنتجات الزراعية من الدول الخاضعة لنفوذها ، نوعا من الإحسان لا يستند إلى دعائم اقتصادية سليمة .

وهنا تتدخل لايكسكس فيقول خبراؤها إن الدول التابعة لمشروع مولوتوف الروسى ، والدول المنظمة لمشروع مارشال الأمريكى ، سيرغمان فى نهاية الأمر على تبادل التعاون . فإن الكيان الاقتصادى الذى تحاول موسكو تدعيمه فى شرق أوربا هو كيان زراعى ؛ وإن الانماش الذى يحاول الإنجلوسكسون

الغزى الشاعر

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

هوشاعر من كبار شعراء العرب عاش فى القرنين الخامس والسادس بعد الهجرة ورحل إلى الشرق فأمضى معظم عمره فى الأسفار . ونشر شعره بالعراق وخراسان . وكان أحد شعراء العربية الثلاثة الذين عرفتهم بلاد العجم فى القرنين الخامس والسادس . وثانيهم أبو المظفر الأبيوردى الأموى شاعر العربية فى القرن الخامس ، والثالث الأرجانى الذى عاش من سنة ٤٦٠ إلى سنة ٥٤٤

ولد الغزى فى غزة هاشم سنة إحدى وأربعين وأربعمائة . وفارق وطنه فى سن الأربعين فدخل دمشق ورحل إلى بغداد . وأقام فى المدرسة النظامية سنين كثيرة . ومدح ورثى كثيراً من المدرسين بها ... ثم رحل إلى خراسان ومات بها فى طريقه من مرو إلى بلخ سنة ٥٢٣ . ونقل إلى بلخ فدفن بها .

وقد تحدث المؤرخون عن كثرة أسفاره فقال ياقوت فى معجم البلدان : سافر الدنيا . وقال صاحب الخريدة : جاب البلاد وتغرب وأكثر النقل والحركات ، وتغلغل فى أقطار خراسان وكرمان .

وقد ذكر هو أسفاره فى مواضع من شعره . يقول :

كم بلدة فارقتها فوجدت فى   أخرى مُراداً مكثباً ومَرادا
وتركتها ربداء كالظلم التى   يلبسن من فقد البدور ، حدادا
إن كنت سرت عن العراق مؤنبا   جيبا فلست بشاكر بغدادا
فتى أنام وهمتى فوق السها   أو يستطيع لى الزمان عنادا

ويقول :

كم لبسنا أضفى السوابغ ذيلا   وطرقنا أحمى القبائل جارا

تحقيقه فى باقى أوربا هو كيان صناعى ؛ وإن تشابك السياسة والاقتصاد فى الحياة الأوربية والدولية إجمالا ليس من السهل القضاء عليه . ولذلك فإن خبراء لايك سكسس يعتقدون بأن التبادل التجارى بين منطقة النفوذ السوفياتى ومنطقة الحلفاء لن ينقطع مادام أن كلا المعسكرين ليس فى صراع مسلح ، وهذا الاتصال التجارى أحد السدود التى تقف فى وجه اندلاع لهيب جديد

(نيويورك)   **عمر حليق**

معهد الشئون العربية الأمريكية

نخلونا بالعامرية والخيل صيام والحى ما شب نارا
وانكفأنا والفجر يمطس والريح تعفى بذيلها الآثارا
وشهدنا الوغى وقد رتق النقع فتوق الآفاق والأمصارا
ولقينا الملوك عربا وعجما   وحصلنا على الجزيل مرارا
وسهونا عن قص أجنحة العمر بما يصلح المعاد فطارا

وكأنه فى هذه الأبيات يجمل سيرته ، ويذكر خلاصة ماضيه وتجاريه .

ويقول فى أبيات أخرى .

وطامية ترى الخرِّيت فيها   كأمى تداوله كتابا
لبست قتامها وخرجت منها   خروج مهند سُلب القرابا
بسير يحرق النار اشتعالا   وعزم يسبق الماء انصبابا
ولما قل منتقدٌ وأمت   بغانة كل منتحل عقابا
وأصبح منسم الدنيا سناما   وخر الرأس وارتفع الذنابى
شمخت بأنف فضلى عن مرام   يضم أسود بيشة والذئابا
وكم أرسلت من مثل شرود   سرى فى ظهر قافية فجابا

مدح الغزى كثيراً من أمراء المشرق وملوكه ، كبنى نظام الملك ، والسلطان سنجر بن ملكشاه .

وفى شعر الغزى ، كالابيوردى والأرجانى — وهم عرب خلص عاشوا فى إيران وما يتصل بها فى ذلك العصر وقد حييت اللغة الفارسية وازدهرت آدابها — فى هذا الشعر مجال واسع لتأريخ الأدب العربى وقياسه بالآداب الأعجمية التى نشأت فى حضانته وتحت سلطانه ، وبيان مكانته فى تلك الأقطار .

وفيه كذلك إبانة عن نزعات شعراء العرب فى الأقطار الأعجمية واعتدادهم بأصولهم وتشوقهم إلى أوطانهم .

وقد سبق أبو الطيب المتنبى إلى الحنين إلى الشام ، وافتقاده بنى قومه حينما رحل إلى فارس أشهراً قليلة مدح فيها ابن العميد وعضد الدولة فقال :

أحب حمصا إلى خناصرة   وكل نفس تحب محياها

وذكر مواطن لهوه فى تلك الأصقاع . وقال أيضاً فى وصف شعب بوان :

ولكن الفتى العربى فيها   غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها   سليمان لسار بترجمان

وافتقد ما ألف فى دمشق من ضيافة فقال :

ولو كانت دمشق ثنى عنانى   لبيق الثرد صينى الجفان

وأما الأبيوردى الشاعر الأموى فكان لسان العرب فى القرن الخامس . أشاد بمجدهم وتمدح بأخلاقهم وحن إلى أوطانهم وهو لم ينشأ بها ، ولم يعش فيها إلا قليلا فى العراق ، حتى سمى قسما من ديوانه النجديات .

وهذا أبو إسحق الغزى تعاوده ذكر غزة وباديتها ، وبلاد العرب ، فيعرب عن شوقه وحنينه .

وكما أشاد أبو الطيب بالبداوة حين قال :

ما أوجه الحضر المستحسنات به ... كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفى البداوة حسن غير مجلوب
ابن المعيز من الآرام ناظرة ... وغير ناظرة فى الحسن والطيب
أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

أولع الأبيوردى ببوادى العرب وكرر ذكرها والإشادة بالعيش فيها .

ومن قوله فى هذا :

ويعجبنى نفح العرار وربما ... شمخت بعرنينى وقد فاح عنبر
ويخدش عمدى بالحمى صفحتا الثرى ... إذا جر من أذياله المتحضر
وما العيش إلا الضب يحرشه الفتى ... وورد بعستن اليرابيع أكدر
بحيث يلف المرء أطناب بيته ... على العز والكوم المراسيل تنحر
ويغشى ذراه حين يشتم للقرى ... ويسرى إليه الطارق المتنور

يفخر فى هذه الأبيات بالبداوة ، ويشيد بما يمير به الأعراب من أكل الضباب فيقول :

وما العيش إلا الضب يحرشه الفتى ... فى هذه البادية العزيزة الكريمة حيث تستحكم الشجاعة والسخاء .

وكذلك الغزى يحن إلى البادية بين الحين والحين . ويذكر قبائل العرب ويمدحها ولكنه أقل من الأبيوردى حماسة وحنينا ؛ يقول :

أين أيامنا بعزة والعيش ... نضير واللهو رحب المجال
ومزايا حسن البوادى بَواد ... بهلال فى حلة من هلال

أى بإنسان كالهلال حسناً فى حلة من بنى هلال .

ويقول فى تفضيل البدو على الحضر .

وغضة العين يحمى حسنها خفر ... ولا خفير فمين الحسن كالخفر
سجية فى البوادى لا أخل بها ... والبدو أحسن أخلاقا من الحضر
قوم كأن ظهور الخيل تنبتهم ... وما سمعت بأنبات بلا مطر
لا يجسر الطيف يجرى فى منازلهم ... مهابة خيمت فى مطرح الفكر
لما رضوا بشفار البيض معتصما ... عزوا فما احتاج جانبهم إلى وزَر

ويقول :

وأبرح ما يكون هوى البوادى ... إذا رفعوا على العيس القبابا
تسير بكل جارحة حماها ... أسود يتخذن السمر غابا

* * *

ثم الغزى بعد وقور فى شعره حكيم ، يصوغ الحكم والمواعظ ، ويضرب أمثالا من تجاربه وما لقى من غِير الزمان . وهو فى هذا الفن يبلغ درجة عالية يمتاز فيها . وهو مهما يفتن فى ضروب الشعر لا يستطيع إخفاء نزعته إلى الزهد ، وابتئاسه بأحداث الدهر ، وقد عاش الرجل أكثر من ثمانين عاماً ، وطوف فى البلاد كثيراً فرأى وسمع وجرب ملء الأزمنة التى عاش فيها والأمكنة التى أقام بها .

أنظر إلى قوله :

لا تعجبن لمن يهوى ويصعد فى ... دنياه فالخلق فى أرجوحة القدر

وقوله :

ما الدهر إلا ساعتان : تعجب ... مما مضى ، وتفكر فيما بقى
ولكل شىء مدة فإذا انقضت ... ألفيته وكأنه لم يخلق
والمرء أتعب ما يكون إذا ابتغى ... سعة المعيشة فى الزمان الضيق

وهنا يظهر الفرق بين الغزى القنوع والأبيوردى الذى لا تسع الدنيا همه ومطلبه . ويقول الغزى .

هلا نكرت شبابى وهو أغربة ... للبين معربةٌ عن غربة السفر
ليت البياض الذى زال السواد به ... أبقى لنا منه ما فى القلب والبصر
قد ضقت ذرعاً بعيش لا يسوغ ولا ... تمجه النفس حتى عيل مصطبرى
فلست حياً ، ولا ميتاً ، ولا دنفا ... ولا صحيحاً ، جميع الداء فى الكبر

* * *

الغزى جدير بعناية أدباء العربية لبلاغة شعره وما فيه من معان قيمة وحكم عالية ، ثم لما فى سيرته من تبصرة بأحوال البلاد الإسلامية فى ذلك العصر ، وأحوال الأدب العربى فى بلاد العرب والعجم .

وديوانه جدير بالتصحيح والنشر . وقد أدرج كثير من شعره غلطا فى ديوان الأبيوردى . ولا بد من نشر الديوانين قضاء لحق الشاعرين ، بالعناية بشعرهما وسيرتهما .

عبد الوهاب عزام

صور من الحياة :

انتقـــام

للأستاذ كامل محمود حبيب

دعني – يا صاحبي – أنفض أمامك جملة حالي ، فإن في حديثي ما تضيق له النفس ولا ما ينزعج له القلب . هـذا أمري وما كان لي الخيرة منه وإني لأضطرب بين نوازع جياشة لا تهدأ ولا تستقر .

فتعال – يا صاحبي – واجلس إلى جانبي والق إليّ السمع ، ثم لا تلمني فأنا تجربة قاسية من تجارب الحياة ...

صفعتني الأيام في غير شفقة ولا رحمة – أول ما صفعت – حين ماتت عني أمي طفلاً أدرج في فناء الدار ، لا أكاد أعي من أمر الحياة شيئاً ، ولا أكاد أنأى عن حضن أمي إلا ريثما أعود إليه أجد فيه الحياة والدفء والحنان جميعاً ، وأبي بين عمله وشبابه في شغل . وافتقدتُ أمي حين افتقدت القلب الذي يسعدني وأطمئن إليه ، وحين غاضت الابتسامة الرفافة الساحرة التي تجذبني وتحنو عليّ ؛ فرحت أسأل عنها في شوق وأبكي بُعدها في حزن ، وأهلي من حولي يوهمونني بأن أمي ذهبت إلى القاهرة تطب لمرضها . وعجبت أن لا أجد لها شبيهاً في من أرى . فهذه عمتي وهذه خالتي وهـذه وهذه . . . لا أحس في واحدة منهن معنى الأمومة ولا ألمس روح الحنان .

واشتد شوقي إليها وألحت بي اللهفة إلى رؤيتها ، ثم انطوت الأيام وعبرتي ما ترقأ وحنيني ما يخبو .

وصحبتني جدتي لأبي – ذات ليلة – إلى دارها ، وأرادتني على أن أستحم وجاءت هي تزيل عني أوساخ الإهمال وتمسح أعفار الشارع ، تدهن شعري بالزيت وتضمخ جسمي بالعطر ثم تلبسني الحرير في رفق وتلفني في الدمقس في عناية .

يا عجباً ! ما لوجه هذه العجوز الشمطاء يفيض بشراً وإشراقاً وما لها تتزين وتتطيب كأنها في ليلة زفافها ! .

وسألتها ما الخبر ، فقالت : « يا بني ، غـداً ستذهب لترى أمك في بيت أبيك » وثوثب قلبي طرباً وطار عقـلي سروراً ، وشملتني طفولتي فما أستطيع أن أكتم دوافع نفسي ، فذهبتُ أملأ الدار ضجيجاً وصخباً ، أغني وأصيح وأنادي وأقفز وأجري ، يكاد إهابي ينشق نشاطاً على حين يفيض قلبي فرحاً . غداً سأرى أمي ! وا فرحتاه ! وذهبتُ أهيئ نفسي للقيا الحبيبة أتزين وأتأنق وأقف أمام المرآة أتحسس ملابسي وشعري وحذائي .

ونامت العجوز وأنا إلى جانبها لا يجـد النوم إلى عينيّ سبيلا ؛ والأخيلة الجميلة البسامة تتوزعني وأنا بينها لا أحس معنى الزمن ولا يضنيني السهر وقد مضى الليل إلا أقله .

وفي الصباح لصقت بجدتي أتبعها وأتعلق بثوبها ، أستنجزها ما وعدت وهي تستمهلني ، والساعات تنطوي . والأمل يخبو في نفسي رويداً رويداً حتى لفّني الوجوم والأسى وبدت عليّ الخيبة وضياع الأمل . وعند الظهر قالت لي جـدتي : « الآن ، نذهب لترى أمك » .

وذهبتُ إلى دار أبي ، إلى جانب جـدتي ، أختال في الحرير والدمقس وأزهو في طفولتي وعطري وأرنو هنا وهناك وقلبي يخفق في شدة وعنف ، تُرى أين كانت تتوارى أمي ، أخفاً كانت تطب لمرضها في القاهرة ؟ ودخلت حجرة واسـعة من حجرات الدار فإذا عبير المسك يتضوع في نواحيها وتفوح في جنباتها روح العطر . لقد تأنقت الحجرة في زينتها وتبرجت في أثاثها فهي تخطف البصر وتخلب اللب . وأخذتُ أقلب البصر في أرجاء المكان فما رأيت المرأة الجالسة في أقصى الحجرة إلا حين قالت جدتي العجوز « هـذه أمك » واندفعت أنا إليها ألقي بنفسي بين ذراعيها وأدفن وجهي في حجرها لأستشمر الحنان والعطف وقد فقدتهما منذ زمان .

وألقيتُ بنفسي في حجرها ولكني لم أحس بذراعيها تنفرجان لتضماني ولا بنفسها تستبشر للقائي ولا بقلبها ينبض لمقـدمي ، فرفعت بصري إلى وجهها أحدّق فيه ، واستلبتني الدهشة والحيرة من حياء الطفولة فأرسلت من بين شفتيّ صرخة مدوية وأجهشت للبكاء ثم رجعت إلى الوراء في فزع ، رجعت صوب الباب لأن هذه المرأة لم تكن أمي . وشعرت بأنني أحتقر جدتي وأمقت المرأة التي زعموا أنها أمي .

وألفيتُ أبي لدى الباب فربّتَ على كتفي في حنان وضمني إليه في عطف وقال : ما بالك ؟ قلت : مَن عسى أن تـكون هذه المرأة ؟ قال : هي أمك . قلت : لا . قال : ألا تعلم أن لك أمّين واحدة في القاهرة وهـذه هنا ! قلت : فما لي لم أرها من قبل ؟

وتلعثم لسان أبي وماتت الكلمات بين شفتيه ، وبدا لي أن أبي كذّاب فشعرت بأنني أحتقره وأمقته .

آه ، لقد انطوى صدري على كراهية أبي وجدتي والمرأة التي زعموا أنها أمي .. كرهتهم جميعاً لأنهم كذبوا .. وأحسست بالأسى يتدفق عارماً إلى قلبي . وجرفني الحزن حين أيقنت بأنني فقدت أمي إلى الأبد .

وحين رأتني زوجة أبي قذى في عينها اتخذتني هدفاً لغضبها وثورتها وعشت في الدار ضائعاً لا أفوز إلا بفضلة مما يتركه الخادم . حينذاك أرسلني أبي إلى المدرسة في المدينة ودفع بي إلى خادم يقوم على أمري فكان هو أبي وأمي وجلادي ، فهو أب لا يعرف الرحمة وأم لا تعرف الحنان وجلاد لا يعرف الشفقة . وعشت هناك أشعر بالغربة فأبي لا يزورني إلا لماماً إرضاء لزوجته ، وهو إن فعل لا يحبوني بعطفه ولا يهش للقائي ولا يتبسط معي في الحديث ولا يهتم بحاجاتي ولا يعنى بطلباتي ، ومرت الأيام وهو ينأى عني رويداً رويداً حتى أصبح غريباً عن نفسي وعن قلبي في وقت معاً .

وأغص بالحرمان فالخادم ينعم وحده بمال أبي وأنا لا أنال قرشاً واحداً أشتري به بعض ما يشتري أترابي . وأشرق بالمهانة فأنا أغدو إلى المدرسة وأروح في ثياب مضطربة قذرة مهلهلة على حين أن رفاقي يرفلون في الجديد والنظيف . وأحس بالضعة فما أستطيع أن أدفع عن نفسي عبث زملائي وتهكمهم فما بي من قوة أن أفعل . وتمادى صحابي فامتدت أيديهم إلى وجهي ورأسي ، فطرت أفزع عنهم وأفر منهم وهم يجدّون في إثري لأكون لهم سخرية ولهواً . ولم تستطع نفسي أن تطمئن إلى هذا الوضع الوضيع وأنا عاجز اليد واللسان والقلب ، فذهبت ألتمس مهرباً فكنت أقضي أوقات الفسحة مختبئاً في (المرحاض) ثم أنفلت — آخر اليوم المدرسي — إلى بيتي أحمل همي بين جنبيّ فما أجد متنفساً إلا أن أشكو إلى هذا الخادم الفظ وهو لا يلقي بالاً إلى شكاتي إلا والعصا على ظهري ، وأبي بين عمله وشبابه في شغل .

وقضيت السنوات الأولى من عمري المدرسي أتوارى من زملائي خشية أن تنالني أيديهم وألسنتهم ، وأنطوي على نفسي في ركن من حجرة خيفة أن أعرض أسمالي البالية على أعين الناس في الشارع ، فعشت في منأى عن الناس أطمئن إلى الوحدة وأرى فيها سلوان القلب وراحة النفس .

أفكنت أطمئن إلى هذا الوضع الوضيع في سهولة ويسر ؟.

ليت شعري ما ذا كان يضطرب في خاطري حين أخلو إلى نفسي وإن قلبي ليتضرّم غيظاً ويحتدم حقداً على أولئك الذين اتخذوني سخرية ولهواً ؟ .

وثارت فيّ ثائرة القرَم إلى الانتقام واشتد بي النهم إلى الثأر وشغلتني الخاطرة فملأت نفسي وسيطرت على أخيلتي ، وفي رأيي أن الناس يحترمون القوي ويتملقونه ويسخرون من الضعيف ويمتهنونه . وعزّ عليّ أن أعيش عمري في الذلة والمسكنة فعزمت على أمر ...

ورحت أقضي شطراً من يومي في أحد الأندية الرياضية ، وشطراً آخر بين أوراقي ودرسي ، ومرت الأيام فإذا ساعدي قد اشتد وعضلي قد تكتل وإذا عقلي قد أستوى واستقام .

وقويت نفسي حين رأيتني في الصدر قوة وعلماً ، فطردت خادمي بعد أن أذقته وبال أمره ، وانطلقت إلى أبي أطلب — في شدة وعنف — أن يرتب لي من المال ما يحفظ عليّ كرامتي وكبريائي فما تمهل ، وانطويت عن زوجة أبي وأنا أحدجها بنظرات فيها الاحتقار والبغض ، ووجدت اللذة والسعادة في أن أبطش بأترابي وأقاربي فاندفعت أذيقهم الذلة وأسومهم الخسف لا تأخذني بهم رأفة ولا أستشعر نحوهم الرحمة .

وتخرجت في الجامعة لأفرغ إلى الانتقام وبي إليه قرم وأخلص إلى الأخذ بالثأر وبي نهم إليه . وسلكت إلى غايتي سبلاً شيطانية وأنا أعجب أن تسيطر عليّ روح الإجرام وأنا رجل علم وأدب . ولكن ، هل كان الشيطان إلا وعاء علم وأدب لبسته روح الإجرام ؟ .

ودفعتني شيطانيتي إلى أفانين من الانتقام أحكم نسجها ، فانطلقت ...

اليوم أطفأت غلتي وأشفيت داء صدري ، بعد أن عذبت من سخروا مني طفلا وقتلت من قسوا عليّ صغيراً ، فهل تراني ندمت على أمر وأنا أشعر بأنني قد أديت رسالة قلبي ؟ .

ولكن عين العدالة لم تغفل عني فأنت ترى الآن الغل في يدي والقيد في رجلي وسيف الجلاد ينتظرني بعد أيام .

فقل لي — يا صاحبي — من عسى أن يكون الملوم ، من عسى أن يكون يا صاحبي ؟ .

كامل محمود حبيب

حول الفكر العربي :

الغرض من دراسة الفكر العربي

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

– ١ –

في الوقت الحاضر تبذل الدول العربية قصارى جهدها لتحظى بمكانة دولية مهيبة تساعدها على نيل مآربها السياسية والاستقلالية إلا أن الوصول إلى مثل هذه الغاية يحول دونه عقبات ، من بينها عقبة ضعف الشخصية العربية وضآلتها ، ثم عقبة جهل العرب بمقوماتهم العقلية الممتازة .

ويرجع ضعف الشخصية العربية إلى تهاون العرب في التمسك بأخلاق القرآن ، وتفريطهم في إعطاء التعاليم الإسلامية صبغة عملية يظهر أثرها النافع في الحياة الخاصة والعامة ، بينما يعود جهل العرب بمقوماتهم العقلية الراقية إلى أن الشعوب العربية لم تكلف نفسها مشقة الكشف عن كنه ميولها الفكرية ، أو تهتم بشحذها حتى تنضج ، أو تعتنى بكشف الميادين التي تقدر أن تخوضها وتتفوق فيها ، حتى تستطيع أن تدخل غمار النضال العالمي مزودة بأسلحة أخلاقية سامية وواقعية في نفس الوقت ، وتنم عن شخصية قوية لها صفات مميزة ، وممونة بمعدات عقلية تستعين بها في إثبات وجودها ككائن حي فعال في الحياة الدولية يختص بأداء عمل معين لا يضارعه فيه كائن آخر من الكائنات الدولية ؛ فيحقق ذلك كله للعرب ما تصبو إليه نفوسهم من رقى ، ويحتلون مكانة دولية تجبر المستعمر على احترام حقوقهم المسلوبة .

أما من ناحية ضعف الشخصية العربية فإنها لن تتقوى مالم تمهد السبل لبعث التعاليم الإسلامية في صورة حية واقعية ، تطلقها من سجن أروقة المساجد وحجرات الدراسة ، وتدفع بها في تيار الحياة اليومية الرحب المتنوع ، حتى لا يشعر أى فرد بوجود انفصال بين الدين والحياة ، ويحس بأن الدين من الحياة وأنه أنزل من السماء ليلبى أغراض الحياة سواء أكانت روحية أو مادية ، ولا يعترض سبيل تطورها ، أو يعوق تقدمها ؛ فإن انقطعت الصلة بين الدين والحياة كما هو الحال في البلاد العربية ، عُد ذلك تقصيراً من رجال الدين في البحث عن هذه الصلة . ولذلك يجب عليهم أن يوثقوا العرى بين تعاليم الدين الإسلامي وحياتنا الحاضرة ، وألا يحيطوا هذه التعاليم بهالة من السمو والرفعة بحيث تعلو عن حياة عامة الناس ، فيصعب عليهم التمثل بها ويظنون أنها تنطوى على قيم عليا لا يقدر أن يصل إليها إلا خاصة الخاصة ، مع أن الدين أراد أن يسلكها الجميع بدون تفرقة . فإذا اتصلت هذه التعاليم بحياة الناس العادية ، وطبقت على شتى ظروفهم الإجتماعية ، أدرك كل عربي جدوى التعلق الحق بالدين الإسلامي، وتلمس فائدته الروحية والمادية معاً ، فيعتقد أن الدين قوة دينية كما هو طريق إلى الله .

إن غرض الفتوح العربية في صدر الإسلام كان نشر الدين الإسلامي خارج حدود بلاد العرب . ولقد استبسل الكثير من العرب ، واستشهدوا في سبيل الله ، ففازوا بالجنة من ناحية ، ونال أهله من ناحية أخرى قسطاً من الغنائم مثل بقية الجنود العائدين من الحروب .

فالقتال في سبيل الله وإن كان باعثه دينياً يخلد المستشهد في الجنة ، وهذه غنيمة روحية ، يضمن كذلك لعائلته من بعده العيش الرغد وهذه غنيمة مادية ، أحسّ كل عربي بمدى فائدة الاستشهاد من أجل نشر الإسلام من الناحيتين الروحية والمادية ، فأقبل على الجندية وخاض الوغى بشجاعة لا تقهر ، فاستطاع على قلة عدده وعدده أن يزيل من الوجود الدولة الفارسية ، ويزعزع أركان الدولية الرومانية .

وفي هذا الجو السماوى الأرضى عرف العرب قديماً كيف يثبتون دعائم الدين الإسلامي في النفوس . وفي هذا الجو كذلك يقدر العربي في الوقت الحاضر أن يقضى على ما تركته المدنية الغربية في نفسه من القلق الوجداني والاضطراب العقلي، لانقياده المطلق لمغرياتها المادية ومفاتنها الحسية ، ولإهماله تهيئة الحياة الروحية التي تلائم مزاجه وتبعثه على طلب الكمال .

ولقد سبقنا الهنود في المضمار الديني الاجتماعي ، وأخذ المفكرون الهنود من أمثال راما كريشنا وفيفكاناندا يستوحون

تراثهم الدينى القديم ، ويعرضونه فى أسلوب حديث يتفق وغايات الحضارة الحديثة بدون أن يخل بأصول الفكر الهندى الروحى . ثم جاء طاغور ووضع القواعد الثابتة للحياة الهندية الكاملة ، وأبرزها فى صورة واضحة فى كتابه « سادهانا » استقاها من تعاليم الكتب الهندية المقدسة ، ودعمها بروح الغرب العملية ، فأعطى المبادئ المثالية قيما واقعية تنفع فى الحياة . وبعد أن كان الهندى ينزع لاجتناب الحياة أصبح بفضل هؤلاء المفكرين لا يقدس الزاهد الهاجر للحياة ، المعتزل للأهل والوطن ، والفارق فى نفسه ، والهارب من مشاكل الأرض ، وإنما يقدس الزعيم القومى الذى تمثل فى شخصية غاندى ، ، ذلك البطل الوطنى الذى دفع بمقومات الهند الروحية فى ساحة النضال السياسى ، فنالت بلاده حريتها ، فعرف الهنود من مفكرين وسياسيين كيف يتفادون عيوبهم القديمة ، ويتغلبون على ميلهم إلى اعتزال الحياة ، ويبرزون قدرتهم على احتمال الألم فى سبيل الغايات القومية بعد أن كانت قاصرة على الغايات الدينية الصرفة .

وها هو نهرو خليفة غاندى يقتفى أثره ، ويسير على هدى الطابع الهندى ، فما كاد يطمئن على استقلال بلاده ، ويضمن ود الباكستان ، حتى بادر بخوض مجال دولى حيوى أراد أن تساهم فيه بلاده فى خدمة الإنسانية ، وتؤدى ما عليها من واجبات فى سبيل رسالتها الروحية التى ترغب فى أن تعم بلاد العالم أجمع . فدعا لعقد مؤتمر ينشد عن طريقه ضم شمل الدول التى تعتنق المثل العليا والمبادئ المعنوية ، وتؤمن بقوتها فى تدعيم السلام ، كما يبغى توحيد صفوفها لتتعاون على إنقاذ العالم مما هو فيه من تفكك وتنازع ، وذلك بالقضاء على النزعات الاستعمارية ، وبث روح المحبة والوئام فى ربوع العالم .

وهكذا عرف نهرو كيف يختار المجال الوحيد الذى تقدر العبقرية الهندية أن تشترك فيه ، وتظهر براعة لا تفوقها براعة ، فنجح فى استغلال استعدادات قومه الأصلية فى إعلاء شأنهم ، ورفع مكانتهم بين الدول .

فأمام العرب نموذج من الفكر الدينى الخالق الذى استطاع أن يرفع عن كاهل بلاده كابوس الاستعمار بفضل تعاليم غاندى فى المقاومة السلبية ، وأن يقتحم الميدان الدولى متخذاً من أساليبه الروحية وسيلة لتحقيق سلام العالم ، وهى غاية هندوكية قبل أن تكون غاية سياسية إنسانية ؛ فهيأ بذلك لمبادئه الدينية قوة إيجابية

أما كيف يعطى الفكر العربى تعاليمه الإسلامية قيمة عملية فعالة ونافعة فى حياتنا الخاصة والعامة ، فذلك يكون بعد تطبيقها تطبيقاً جديا واسع النطاق يشمل المجتمع العربى بأكمله . فكل ما تأمر به التعاليم الإسلامية من تشريعات لا ينبغى أن تهمل ويستعاض عنها بغيرها من تشريع الغرب ، وبحجة أنها أكثر إنسانية . فنرفض قطع يد السارق وجلد الزانى ورجم الزانية ، فإن ذلك يضعف من قوة ديننا ، ويقلل من قدرته على مواجهة مشاكل الإنسان ، وذلك يورث فى نفوسنا نوعاً من المهانة ، فنستكين لتشريعات الغير ، بينما يجب أن نتمسك بتشريعات الإسلام ، لا بدافع من نعرة دينية رجعية ، ولكن بدافع من المحافظة على روح الأمة العربية ، وصيانة كيان حياتهم الاجتماعية . وكل ما فى القرآن الكريم والحديث الشريف من مثل عالية يجب أن تؤسس عليها الأخلاق العربية . وكل ما يتضمنه هذا الكلام المقدس من حكم يجب أن تقوم بها أهواءنا ورغباتنا ، حتى تصفو نفوسنا مما علق بها من شوائب المدنية الحاضرة ، وتعيش فى كنف حياة روحية ترتاح إليها عقولنا العربية ، فتقدر أن تستوحيها ، وتنهج سبل التطور إلى أن تكيف التعاليم الإسلامية بظروف الحضارة المعاصرة بدون أن تفقد شيئاً من أصالتها .

فإخراج هذه التعاليم من منابر الجوامع إلى ساحة الحياة الاجتماعية يعد أمراً ضرورياً لنهضتنا الحضارية . إن غاندى عندما علم الهنود المقاومة السلبية قد أضاف إلى مبدأ عدم العنف الهندوكى من القوة ما ألهب مشاعر قومه الدينية ، وأرهب الانجليز وهز امبراطوريتهم ، فكان عمله هذا أعظم عمل دينى أداه هندى لوطنه .

فنحن نريد أن نشعر بقوة مفعول تعاليمنا الدينية فى أعمالنا وتصرفاتنا حتى يزداد إيماننا بها قوة ، ولا نفكر فى أن نتخلى عنها ، ونبذل جهد الطاقة لكى نبثها فى جميع صور الحياة الدنيوية ، فيكون ذلك باعثاً رفيعاً على طلب الرقي ، ودافعاً عظيماً إلى تشييد حضارة عربية تستمد مقوماتها من صلب التعاليم الإسلامية ، وتجارى المدنية الغربية فى نفس الوقت .

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٦ —

قيس وأسد وهذيل وكنانة :

أتيت فى المقالات السابقة على ما كان لتميم من اختلاف مع القبائل الأخرى مشيراً إلى ما شاركها فيه غيرها من قيس وأسد وبعض قبائل نجد ، وذلك مما كان له أثر فى القراءات واللغة وقواعدها . والواقع أن ما سبق هو الكثرة الواضحة أما خلافات القبائل الأخرى فقليلة ، وسأعرض لها تكملة للبحث وإتماماً للموضوع .

وقد راعيت أن أقدم فكرة عن موطن كل قبيلة أو بطن حتى يسهل على الباحث تتبع القبيلة والعوامل التى أثرت فيها ، وكيف اشتركت مع غيرها فى خصائص لغوية كان سببها الجوار وأذكر مع ذلك أن هذه الأبحاث والتوفيق بينها وجمعها فى وحدة مرتبطة مما لم يسبق إليه إنسان ولا وجدت أحداً أعطاها حقها من العناية والاستقصاء ويرجع هذا إلى عسر الحصول على مكوناتها وعناصرها فإذا وجدت لهجات لقبيلة مبعثرة فى كتب الأدب واللغة والنحو فلا تذكر لك ارتباطها بالقراءات . وإذا أتيحت نسبتها فى كتب القراءات والتفسير ، فلا تمرّ إلا عرضاً مبتورة ينقصها الترتيب . وفوق هذا فإن مساكن القبائل ومواطنها ودياناتها لا يجمعها كتاب واحد من كتب الأدب والتاريخ . وذكر ديانات العرب وأصنامهم ومن كان يعبدها يسهل معرفة القبائل المتجاورة أما ذكر شخصياتها فمن باب التعريف بمن كان له من هذه القبائل نصيب من الشهرة والذيوع . ولعل فى هذا كله بياناً لمن يحسب لأول وهلة أنه زيادة أو خروج عن الموضوع

قبيلة قيس :

تجمع هذه القبيلة عدداً كبيراً من القبائل والبطون ونسبها هو قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وقد أصبح كثير من بطونها فى عداد القبائل لكثرة ما شملته من أفراد فمن فروع قيس :

١ — غطفان : ومنها عبس وذبيان ، ومن ذبيان فزارة الذين وقعت بينهم وبين عبس حروب كثيرة بسبب الفرسين : داحس والغبراء . ومن ذبيان أيضاً بنو مرة ، ومنهم الحارث بن ظالم المرى ، أحد فتاك العرب المشهورين والذى يضرب به المثل فيقال أمنع من الحارث وقد كان السبب فى بعض المعارك العربية التى تسمى أيام العرب .

ومن بنى عبس عنترة الفارس الشاعر . ومن ذبيان النابغة الذبيانى الشاعر . ومن غطفان أيضاً بنو أشجع . وكانت منازل غطفان بنجد مما يلى وادى القرى وجبلى طىء أجا وسلمى إلا أشجع فقد كانت منازلهم حوالى المدينة . وقد اتخذت غطفان لها بيتاً للعبادة أرادوا أن يجعلوه حرماً مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه ، واسم هذا البيت «بس» ووضعوا حجرين متباعدين وقالوا إنهما الصفا والمروة ، واجتزءوا بذلك عن الحج إلى بيت الله الحرام ، فأغار عليهم زهير بن جناب الكلبى فهدمه وعطل حرمهم وذلك فى الجاهلية . وقد تفرقت غطفان فى الفتوح الإسلامية .

٢ — بنو سليم بن منصور ، وكانت بلادهم فى عالية نجد قريباً من خيبر .

وكان بعض بنى سليم سدنة « للعزى » وفى عام الفتح بعث الرسول سيدنا خالد بن الوليد فأحرقها وقال :

يا « عز » كفرانك لا سبحانك إنى رأيت الله قد أهانك

ومن سليم الخنساء الشاعرة ونصر بن حجاج الذى كان بارع الجمال ، فسمع سيدنا عمر بن الخطاب امرأة تنشد :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فنفاه بعيداً عن المدينة وقال لا يساكننى رجل تتشبب به النساء

٣ — غنى وهم بنو غنى بن أعصر بن سعد بن قيس ، وباهلة وهم بنى معن بن أعصر نسبوا إلى أمهم باهلة . وكانت غنى وباهلة يعبدون « العزى » ومساكن غنى وباهلة متجاورة فى نجد شرق الطائف ، وبعض بنى باهلة كانوا يسكنون إلى الجنوب الشرق فى الطريق بين مكة واليمن فى موضع يسمى تبالة حيث كانوا سدنة لصنم اسمه « ذى الخلصة » وكانت تعظمه أيضاً وتهدى له خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن

ويحكى أن رجلا من العرب — وينسب ذلك إلى امرىء القيس — قد قُتل أبوه فأراد الطلب بثأره فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام فخرج السهم ينهاه عن ذلك فقال :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلى ، وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

ومن باهلة الأصمعى الراوية المشهور .

٤ — بنو عدوان وفهم أبناء عمرو بن قيس وكانت منازل عدوان الطائف ثم غلبتهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة ، ومن عدوان عامر بن الظرب العدوانى حكيم العرب ، ومن حكمه : من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به . للكثرة الرعب ، وللصبر الغلبة . رُبَّ أكلة تمنع أكلات .

ومنهم ذو الأصبع العدوانى ، ومن شعره المذب :

لاه ابن عمك لاأفضلت فى حسب عنى ، ولا أنت ديانى فتخزونى
إنى لعمرك ما بابى بذى غلق عن الضيوف ولا خيرى بممنون
ولا لسانى على الأدنى بمنطلق بالفاحشات،ولاأغضى على الهون
ماذا على وإن كنتم ذوى رحمى أن لا أحبكمو إن لم تحبونى
كل امرىء صائر يوماً لشيمته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

وكانت منازل فهم بنجد ومن فهم الشاعر المشهور الأعشى وتأبط شراً أحد الفتاك والعدائين المشهورين .

٥ — هوازن : وكانت ديارهم بنجد والعالية شرق المدينة ومكة إلى الطائف . ولهوازن فروع كثيرة مشهورة منها ثقيف الذين كانوا بالطائف وما حولها ، ومن ثقيف الحارث بن كلدة طبيب العرب ، وأمية بن أبى الصلت الشاعر ، والحجاج بن يوسف الثقفى .

وكانت ثقيف تخص « اللات » بالزيارة والهدية وسدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء ، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها ، فلم تزل كذلك حتى أسلمت ثقيف ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها ، وفى ذلك يقول شداد بن عارض الجشمى حين هدمت وحرقت وينهى ثقيفاً عن العود إليها والغضب لها :

لاتنصروا اللات إن الله مهلكها وكيف نصركمو من ليس ينتصر
إن التى حرقت بالنار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها ، هدر
إن الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن، وليس بها من أهلها بشر

وكان لهوازن أيضاً صنم اسمه « جهار » .

ومن هوازن سعد بن بكر الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا بنجد شرق مكة ، وهم الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أمال فى قراءته « يحيى » وسئل فى ذلك : هذه لغة الأخوال بنى سعد .

ومن هوازن بنو عامر بن صعصعة الذين منهم بنو نمير وبنو كلاب وبنو كعب ، وأولئك هم الذين عناهم جرير بقوله يهجو الراعى النميرى الشاعر :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ومن كعب بنو عقيل رهط توبة بن الحمير وليلى الأخيلية الشاعرين العاشقين .

ومن بنى عامر أيضاً بنو هلال منهم أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنهم بنو جشم الذين منهم دريد بن الصمة صاحب البيت المشهور المتمثل به :

نصحت لهم نصحى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

وكانت مساكن نمير بنجد ثم انتقلوا فى الإسلام إلى العراق شمالا . وكانت كلاب وكعب بلادهم بنجد مما يلى تهامة ، وكانت كلاب أقرب إلى المدينة فى حمى ضرية والربذة وفدك ، ثم انتقل بنو كلاب فى الإسلام شمالى الشام حول حلب . وكان بنو هلال فى الجاهلية بنجد ، ثم ساروا فى الإسلام إلى مصر ثم إلى المغرب وكانت منازل جشم فى السروات قريباً من قبيلة هذيل .

قبيلة هذيل :

هم أبناء هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . كانت ديارهم بالسروات وسراتهم متصلة بجبل غزوان بالطائف ، وكانوا يعبدون من الأصنام « سواعاً » وسدنته منهم ، وفى ذلك يقول رجل من العرب فى القرشيين :

تراهم حول قبلتهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع

وقد افترقت هذيل فى الفتوح الإسلامية على الممالك . ومن هذيل أبو ذؤيب الشاعر صاحب المرثية المشهورة التى مطلعها :

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يفزع

ومنهم سيدنا عبد الله بن مسعود الصحابى المشهور ، ومن نسله المسعودى على بن الحسين المؤرخ

قبيلة أسد :

هم أبناء أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وكانت بلادهم بأرض نجد مجاورين لقبيلة طيء من جهة وقبائل قيس وتميم من جهات أخرى وهم الذين قتلوا والد امرىء القيس وقصة ذلك وما جرى بسببها مشهورة . وقد تفرقت أسد فى الفتوح الإسلامية . وكان لجديلة من طيء صنم — ولعله «الفلس» لأنه كان لطيء ومن يليها — أخذته منهم بنو أسد فتبدلوا بعده صنماً يسمى « اليعبوب » وفى ذلك يقول أحد الشعراء وهو عبيد ابن الأبرص :

فتبدلوا اليعبوب بعد إلههم صنماً فقروا يا جديل وأعذبوا

ومن بنى أسد أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش التى تزوجها رسول الله بعد طلاقها من زيد بن حارثة . ومنها عبيد بن الأبرص والكميت بن زيد الشاعران وطليحة بن خويلد الذى كان كاهناً ثم ادعى النبوة بعد وفاة الرسول ثم عاد إلى الإسلام . ومنهم زر بن حبيش الذى أخذ عنه كثير من القراء .

كنانة :

هم أبناء عبد مناة ومالك وملكان أبناء كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وهم الذين يطلق عليهم كنانة حيث احتفظوا باسم أبيهم . أما أبناء النضر بن كنانة فهم الذين يطلق عليهم لقب قريش سواء كانوا قريش الظواهر أم قريش البطاح ، وهم سكان مكة وما حولها ، فإذا نسبت لهجة أو لغة لكنانة لم تشترك فيها قريش .

ومساكن كنانة متفرقة ، ولكنها لا تبعد عن مكة كثيراً جداً ، ومن كنانة من كانوا شرقاً إلى الجنوب قريبين من القبائل اليمنية وهم بكر بن عبد مناة ، ومنهم من كانوا غربى مكة إلى الشمال قريباً من البحر الأحمر ، وكانت غفار من بكر بن عبد مناة تكاد تقرب من المدينة من غربها .

وقد عبد جماعة من كنانة القمر ، وتهود منهم جماعة ولعلهم الذين قاربوا أهل اليمن ، وكان لبنى مالك وملكان صنم اسمه « سعد » بساحل جدة ، ومما يحكى أن رجلاً من ملكان أقبل بإبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فيما يزعم ، فلما دنا منه ورآته وكان يهراق عليه الدماء تقرباً إليه ، نفرت منه الإبل ، فذهبت فى كل وجه فغضب صاحبها فتناول حجراً فرماه وقال: لا بارك الله فيك إلهاً أنفرت على إبلى .. ثم خرج فى طلبها حتى جمعها ثم انصرف يقول:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعو لغى ولا رشد

هذا ومن غفار من بنى بكر بن عبد مناة أبو ذر الغفارى الصحابى المشهور ، ومنها كذلك عزة محبوبة كثير ، ومن الدئل من بنى بكر بن عبد مناة أبو الأسود الدؤلى الذى ينسب إليه وضع النحو ، وكذلك منها سارية بن زنيم صاحب القصة المشهورة فى سيرة سيدنا عمر حيث قال له وهو بعيد عنه يا سارية ابن زنيم الجبل .. ومن بنى مالك بن كنانة نسأة الشهور فى الجاهلية وكذلك منهم ربيعة بن مكدم أحد الفرسان فى الجاهلية النابهين ...

(للبحث بقية) **عبد الستار أحمد فراج**

محرر بالمجمع اللغوى

حاشية :

(١) ذكرت فى مقال سابق أن اسم الإشارة «هذى» لم يقع فى القرآن الكريم ولكن تبين لى أن ابن محيصن قرأ بها : هذى الشجرة هذى القرية

(٢) جاءنى خطاب من حضرة السيد على عبد الحسين السلمان من العراق ينبهنى إلى اقتصارى فى تنوين العوض على ما كان منقوصاً وحقيقة أن تنوين العوض منه ما هو عوض عن حرف وما هو عوض عن كلمة وما هو عوض عن جملة . لكن هذه أمور عامة فى جميع القبائل ، ولم أرد إلا ما اختلفت فيه وهو تنوين الترنم ...

طرائف من العصر المملوكي :

الروح القوميـــة

للأستاذ محمود رزق سليم

الروح القومية عاطفة عامة ، وإحساس مشترك بين بنى الوطن الواحد ، تشعرهم بأنهم مجموعة من الناس ، من الخير لهم أن يأتلفوا ويتحدوا ، ليكون لهم من وراء ذلك قوة يستطيعون بها أن يتغلبوا على صعاب الحياة وعقباتها ، فى الداخل والخارج ، وتحدد لهم أهدافاً خاصة يرون فيها حفظاً لكرامتهم ، وإحقاقاً لحقهم ، وتنفيذاً لنزعاتهم ، وإقراراً لآمالهم .

ويتركز حب هذه الأهداف فى نفوسهم تركز العقيدة ، إيماناً بها وإيثاراً لها . لذلك يسمون جاهدين فى سبيل بلوغها ، مضحين بكل مرتخص وغال ، من رأى ونفس ومال .

والروح القومية فى الأمة مثلها مثل الكائن الحى ، يولد ويتغذى وينمو ويقوى ويعمل ويوجه . ولهـا عوامل لميلادها وغذائها ونموها وقوتها ، كما أن لها عوامل مضادة مناقضة ، إذا هى صادفتها أضعفتها ، وكبتتها وأماتتها .

وعوامل نموها وقوتهـا كثيرة متعددة لا مجال لحصرها والحديث عنها الآن ، ولا لتوضيح أثرها ؛ ولكننا نذكر أن من بينها اتحاد أبناء الوطن فى الوطن واتفاقهم فى الجنس واللغة والدين وتجانسهم فى الثقافة وتعرضهم لعوامل اقتصادية مشتركة أو لأخطار خارجية أو داخلية متشابهة ، وكذلك قيام أفذاذ الرجال من بينهم وقادة الفكر الذين ينزعون نزعة وطنية خالصة من الشوائب ، فيوقظون وينبهون ويحمسون ويوجهون ، ويضرمون نار البعث والنشور ، حتى تفيق الأمة من سباتها ، وتتنبه من غفلتها ، وتعرف لنفسها كرامتها وحقها ، وتسمى لإدراك آمالها .

ومن عوامل إضعافها تتابع الغارات الخارجية ، وطول العهد بالاستعمار ، وضعف الثقافة واضطرابها ، وانتشار الأوباء واستبداد الولاة ، ونحو ذلك .

وبمقدار ما يتاح للأمة من عوامل القوة ، تذكو فيها الروح القومية ، وتنشط النزعات الوطنية ، ويقوى الرأى العام ، ويفرض مناهج الأمة فى السياسة والإدارة والاقتصاد والتعليم والأوضاع الاجتماعية ، وغير ذلك .

وبعد فهل كانت بهـذه البلاد المصرية العزيزة إبان العصر المملوكى روح قومية ونزعات وطنية ترمى إلى المحافظة على الكرامة العامة ، ورعاية الحقوق ؟ وإذا كانت هناك روح ، فما مظاهرها وما عوامل حياتها ؟ وإن لم تكن هناك روح ، فما الأدلة على ذلك ، وما الأسباب التى وجهتها الأقدار سهاماً إلى هذه الروح ، فقضت عليها ؟

الحديث فى ذلك يطول ، لا يستوعبه مقال واحد ؛ إذ البحث فيه يتطلب النظر الطويل فى التاريخ وفى النظم الإدارية والأحداث الاجتماعية ، وفى أنواع الثقافة وأصباغها ، وتتبع نزعات العامة ، وتلمس مصادفاتها التى تخرج فيها عن وقارها ، وعن حياتها الآلية العادية ، فى تلك العصور الوسطى التى امتحنت فيها الأمة بطغيان سلاطينها واستبداد أمرائها وعبث جندها وتراخى كثير من علمائها عن إصلاح إدارتها .

لقد انضوت مصر تحت اللواء العربى ، واندمجت فى نطاق الأمم العربية ، بعد الفتح العربى . ولا غضاضة على روحها القومية من هذا الانضواء والاندماج ، ما دامت قد رأت فى الإسلام عدالة فياضة ، ومساواة كاملة ، وأخوة نقية ، وأنست فى الحاكم الإسلامى رعاية عامة ونزاهة تامة ، وتسامحاً كريماً ، وحباً للخير .

ولكن جرت الأحداث فى الدول الإسلامية ، بعدُ ، على غير ما يشتهى الإسلام ، فانساقت مصر إلى الانفصال والاستقلال وأخذت سمتها نحوهما ، واستردت روحها القومية حريتها فى الظهور والعمل .

وبدأ ذلك بدءاً جميلا منذ العصر الطولونى ، وما زال حتى كان تمهيداً حسناً للعصرين الفاطمى والأيوبى اللذين استقلت فيهما مصر استقلالا كاملا أكثر من ثلاثة قرون ، وغزت جنودها باسمها فى البلاد المجاورة وفرضت سيطرتها ، وحملت أعباءها كاملة إبان الحروب الصليبية .

فلما آلت سلطنة مصر إلى حكم المماليك وجدوا فيها أمة مستقلة غازية حاكمة اتسعت رقعة مملكتها خارج حدودها ، وعنيت

بنشر ثقافتها عناية محمودة ، فوجدوا من هذا ، الأساس الوطيد لبناء مجيد .

وكنا نرجو لو أن المماليك نهجوا فى سياستهم الداخلية منهجاً يرمى إلى إعزاز الشعب وإنهاضه ، والسمو بمستواه الروحى ، واتبعوا إزاءه هذا النهج الحميد الذى اتبعه والى مصر ومحييها الكبير محمد على ، بعدهم بنحو ستة قرون .. إذاً لاستطاع الشعب المصرى أن يغير وجه التاريخ ، وأن يفرض سيادته — على الأقل — على هذه الرقعة الواسعة من غرب آسيا أكثر مما فرض . ولتحققت لمصر على يدهم ، أحلام محمد على ، الذى صادفته عقبات لم يكن لها وجود فى العصر المملوكى ، كائتمار الدول الأوربية به ، ووقوفها سداً منيعاً وعصبة واحدة فى سبيل توسعه . ولكن المماليك تجاهلوا الشعب وأنكروا مواهبه وتناسوا حقوقه ، وفرضوه بقرة حلوبا تدر لهم وهم ملاكها .

حقاً ! قد كونوا لأنفسهم جيشاً عظيما كثيفا مزوداً ، حفظوا به كيان دولتهم وفرضوا مهابتها ، ووسعوا رقعتها ، وحكموا به فيما حكموا البلاد الشامية والحلبية والحجازية ، حتى أصبحت سلطنتهم أقوى سلطنات المسلمين شرقاً وغرباً . وفى هذا ما فيه من إعزاز لمصر ، وتقوية لمنوياتها ، وتنشيط لروحها .

غير أنهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ، وراشوا للروح القومية سهاماً قاتلة جديرة بالقضاء عليها ، قمينة بأن تورث فى النفوس ضعف الثقة بكفاياتها ، والارتياب بمواهبها ، والشك فى نباغتها .

لقد كان منهم الجافى الطبع الكثير الصلف ، المتتابع الجور السريع إلى تقرير الضرائب الفادحة ، العاجل إلى المصادرات الظالمة ، البالغ فى فرض الغرامات المالية والعقوبات .

حقا كان السلاطين والأمراء فى طليعة ملوك الإسلام وأمرائه احتضاناً لشرعه ، وتشجيعاً للعاملين على نشر سننه ، واحتفاظاً ببلاده . ولقد احتضنوا الخلافة بعد زوالها من بغداد ، فجددوا لها شباباً ، وألقوا عليها ثياباً ، وأنشئوها نشئاً آخر منذ عصر الظاهر بيبرس . وهى على علاتها قد جعلت القاهرة — فيما جعلها — رمزاً ومحوراً تطيف به قلوب المسلمين .

ولكننا لا ننسى أنهم كانوا يباينون أهل البلاد وعامة شعبها فى اللغة والجنس ، ولم يحاولوا السير خطوة واحدة فى سبيل محو هذه الفوارق الأصيلة الجوهرية ، التى من شأن بقائها وطول قيامها أن تصيب الروح القومية فى الصميم ، وتعمل على هدم الكيان الوطنى ، والفرقة بين عناصر الأمة .

بل لا نغلو إذا قلنا إنهم بكثير من تصرفاتهم ، وبألوان من فهمهم السقيم قد زادوا هذه الفرقة وعملوا على هذا الهدم .

ونقصر حديثنا هنا على ثلاثة عناصر ذات مساس مباشر بالنواحي المعنوية فى النفوس ، مبعث الروح القومية الصحيحة ، وهى ملكية الأراضى الزراعية ، والجندية ، والتعليم .

أما ملكية الأراضى الزراعية فقد حرموها على أهل البلاد ، وقصروها على الطبقة الحاكمة ، وهى المكونة من السلطان وأمرائه وجنودهم ، ولعل لهم عذراً إذ وجدوا مثل هذا النظام الإقطاعى كان قائماً من قبلهم فى عهد بنى أيوب وغيرهم ، وقد قسموها على أنفسهم ، واتبعوا فى تقسيمها أحد نظامين يسمى كل منهما « الروك » وهما الروك الحسامى نسبة إلى ملك مصر حسام الدين لاچين ، والروك الناصرى نسبة إلى ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون .

والنظام الناصرى هو الذى اتبع فى أكثر أعوام العصر . ويتلخص فى أن الأرض الزراعية تقسم إلى أربعة وعشرين قيراطاً .. للسلطان منها عشرة ، وللأمراء والجنود أربعة عشر . ويختلف عنه النظام الحسامى فى نسبة الأنصبة .

ثم قسمت الأراضى إلى قطع ذات مساحات مختلفة ، كل منها يسمى إقطاعاً . يهب السلطان منها ما يشاء للأمراء والجنود فى حدود النسبة المبينة المتفق عليها . والإقطاعات لا تورث بل ترد إلى السلطان بموت أصحابها . وكذلك يستردها السلطان إذا شاء لسبب من الأسباب ، أو يستبدل بها غيرها .

وصاحب الإقطاع يستغل أرضه وينتفع بثمراتها كما يشتهى وفق هواه ، مستعيناً بمن يسكن فى الإقطاع من الزراع .

ونحن لا نريد هنا أن نفيض فى وصف تلك النظم الشائنة . وإنما همنا أن نشعر القارئ الكريم بما كان يعانيه المواطن المصرى ، وبخاصة الزراع ؛ فقد حرم عليه أن يملك أرضاً ولد فيها جده وأبوه ، وبنياته وبنوه ، ووهب لها كل ما فى قلبه من حب ،

وما فى جسده من قوة . ثم هو لا ينتفع بشىء من غلاتها يتناسب وما يبذل فى سبيله من جهد وكد وكفاح وعرق . فأية غضاضة ترين على نفسه وأية مرارة تفيض على فؤاده ، وأى ضعف ينتاب روحه ، وأى وهن يصيب معنويته حينما يشعر بما يعانيه من حرمان وقسوة وشظف عيش ... ؟

لقد عرف الزارع حينذاك بأنه « فلاح » . فقد قال المقريزى ما نصه : « ويسمى المزارع المقيم بالبلد « فلاحاً » قراراً ، فيصير عبداً قِنا لمن أقطع تلك الناحية ، إلا أنه لا يرجو قط أن يباع ولا أن يعتق ، بل هو قن ما بقى ، ومن ولد له كذلك » .

وقد لبث الفلاح المصرى محروماً ملكية أرض بلاده الزراعية والانتفاع الحر بثمراتها ، حتى صدرت لائحة الأراضى فى عهد سعيد باشا ، فأباحت له الامتلاك والانتفاع ، لأول مرة .

أما الجندية والتعليم فقد سبق لنا أن أشرنا إليهما فى بعض هذه المقالات . ولقد كان بالبلاد نوعان من التعليم : عسكرى وشعبى . أما التعليم العسكرى فقد كان مقصوراً على طائفة المماليك دون سواها لكى تتكون منها جنود الدولة والطبقة الحاكمة من أمراء وسلطان . وكان المدد التقليدى لها ، المماليك الجدد الطارئين على البلاد أرقاء من الأسواق الخارجية . ولا يسمح لأى فرد من أفراد الشعب بالانتظام فى سلك الجندية ، ولا أن يتعلم فى طباقها . كأن المهارة العسكرية وقف على طائفة المماليك دون سواهم ، وموهبة خاصة خلقتها العناية فيهم .. وفى هذا ما فيه من إضعاف للروح القومية ، وقتل للثقة بالنفس ، فكنت ترى الشعب وكأنما استقر فى أفئدة أبنائه أنهم لا يصلحون لحرب أو ضرب ، وأنهم غير أكفاء للدفاع عن أنفسهم ووطنهم .

غير أن من الإنصاف أن نذكر أن الوطنى المصرى الصميم لم ينعم بالانتظام فى مسلك الجندية ببلاده منذ زمن بعيد جداً ، قد يصل إلى ما قبل العهد الرومانى ، ولم يرد إليه هذا الحق الطبيعى إلا منذ النهضة الحديثة فى عهد محمد على .

أما التعليم الشعبى فكان فى جماع أمره دينياً ومكانه المساجد وما شابهها من دور التعليم . وقد أغدق عليه السلاطين إغداقاً محموداً ، وعنوا به عناية مذكورة مشكورة ، وكذلك فعل الأمراء والرؤساء .

وقد وجد الشعب فى هذا الضرب من الثقافة شيئاً يعوضه ما حرمه من التعليم العسكرى ، فكان فيه متنفس لمواهب أبنائه . ومن حسن الحظ أن طائفة المماليك لم تشارك الشعب فى الأخذ من هذه الثقافة بنصيب إلا لماماً لماماً — وقد يكون هذا من سوء الحظ كذلك — فاتسع نطاق العمل أمام أبنائه الذين يتخرجون فى هذا التعليم الشعبى الدينى ، وسموهم المتعممين ، ووكلت إليهم مناصب القضاء الشرعى ، والكتابة ، وما إليهما من الأعمال .

وأهم مايشوب هذا الضرب التعليمى أنه كان يقدم إلى الشعب صدقة عليه وإحساناً ، لا على أنه حقه يؤدى إليه .

ومهما يكن من شىء ، فاختلاف الثقافة هذا الاختلاف الصارخ بين المنصرين ، وحرمان الشعب من التعليم العسكرى — فضلاً عن الاختلاف فى اللغة والجنس — كان له أثره فى شجب هذه الأمة والتفريق بين طوائفها ، وخلق جو من الشقاق والحقد والشك بينها .

وهذه العوامل كلها من دأبها أن تشيع الغربة بين طبقات الشعب ، وأن تسلط بعضها على بعض ، فيستأثر البعض بالنعيم والسلطان ، ويبوء الآخر بالفقر والحرمان . ولا يتحقق بينهم معنى التعاون الصحيح الناشئ عن الشعور العميق بالواجب ومقتضياته . ولهذا يروى ابن إياس أن الشعب امتنع عن دفع الضرائب للأشرف طومان باى سلطان مصر حين الفتح العثمانى مع حاجة هذا السلطان الشديدة إلى الضرائب المذكورة . وكانت حجة الممتنعين أنهم لا يدرون حينذاك لمن البلاد ! أللمماليك هى أم للعثمانيين النازين ؟ فهم ينتظرون ريثما ينجلى القتال ويُعرف ولى أمر البلاد الشرعى ، فتؤدى إليه الضرائب ...

على أن جميع العوامل التى انتابت الأمة المصرية فى ذلك العصر ، لو انتابت أمة غيرها لقضت عليها القضاء الأخير ، وشتتت شمل بنيها ، وفرقتهم أيدى سبأ ، ولما أتى الزمان معجزة إذا همَّ بجمع شملها ولم شعثها مرة أخرى .

ففى بقاء هذه الأمة ، وفى حرصها على الذود عن كرامتها ، والدفاع عن حقها ، والسعى لإدراك أملها ، ما يدل دلالة واضحة على مذخورها العظيم من القوى الروحية والمقومات المعنوية .

وقد بدت منها هذه الروح فى عصر المماليك فى مناسبات كثيرة ومظاهر جمة . وأبرز تلك المظاهر هذه المكانة التى تبوأها علماء الدين وفقهاء الشريعة ، فقد كانوا من صميم الشعب وناشئته وآلت إليهم — كما نوهنا — مناصب القضاء والكتابة والتدريس والفتوى ورعاية الوقف وأموال اليتامى وما إلى ذلك ، فأصابوا حظاً وفيراً من الفقه والعلم والدين والمال جميعاً ، أنبت فى نفوسهم عزة ومنعة ، وفى أفئدتهم أنفة وإباء ، فكان كثير منهم يتأبى إلا على الحق ، ويترفع إلا عن العدالة . وكانوا بطبيعة نشأتهم ، وبطبيعة عملهم الرسمي وغير الرسمى ، ألصق بالشعب وأدنى صلة به وأكرم هيمنة عليه ، وأقدر على التأثير فيه . ولهـذا خشيهم السلاطين وتملقوهم لكي يدرءوا عن أنفسهم مغبة سخطهم ، ورحبوا بالوافدين منهم من الأمصار الإسلامية ، الفارين من وجه الطغاة والغزاة ببلادهم . وأخـذوا يستشيرون النابهين منهم فى كثير من أمور الدولة ، وبخاصة إبان الأزمات .

ومنهم عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء ، كان ذا مهابة وجلال ، توقف عن مبايعة الظاهر بيبرس بالسلطنة ، فعطلت المبايعة حتى ثبت له عتقه . ومنهم أمين الدين يحيى الأقصرائى الذى كف يد قايتباى — على قوته وجبروته — عن المساس بمال الوقف ، وقد أراد الاستيلاء على شيء منه للانفاق على حروبه ، ولهذه الحادثة أشباه .

على أن العلماء أنفسهم كانوا لا ينون يبذلون البذل الشديد والجهد الجهيد فى نشر الدين القويم بين الناس ، وبث الشريعة السمحة ، والدعوة إلى العمل بها واتباعها ، وتمييز الحلال من الحرام ، فقعدوا للتدريس العام فى المساجد ، وتصدوا للفتوى العامة ، يقصدهم من أجلها القصاد ، ويراسلهم بها المرسلون من فجاج العالم الإسلامى ، فنهضوا بهذا العبء أفضل نهوض ، وجرى الجدل بين بعضهم والبعض بسبب هـذه الفتاوى والمساءلات . والعامة ترقب نتيجة الجدل وعاقبة النقاش ، وتتعصب للبعض على البعض ، وتتحيز لفريق دون فريق ، فكان من وراء ذلك حركة ذهنية فكرية لا بأس بها ذات مساس بالعقيدة ، ووجد الناس فيها عوضاً عن هذا الكبت السياسى ، وبديلا من هذا الحرمان العسكرى ، ومتنفساً عن هذا الاختناق .

ومن المظاهر الحية لتلك الحياة الفكرية المحاكمات التى جرت على بعض العلماء المجتهدين — كابن تيمية الحرانى وتلميذه ابن القيم — بسبب بعض آرائهما وأدى ذلك إلى سجنهما . واشترك فى الجدال عدد جم من أفاضل علماء العصر ، وألفت فى موضوعاته شتى الرسائل والمؤلفات .

وفى عهـد الأشرف قايتباى قامت فتنة كبرى بين العلماء وتابعهم فيها العامة ، واشترك فى لجتها العلماء . وكانت بسبب الشاعر الصوفى عمر بن الفارض — أحد شعراء العصر الأيوبى — وما ساقه من ألفاظ وعبارات فى تائيته المشهورة ، مما رمز به إلى الذات الإلهية . فكفّره بعضهم ونسبه إلى الحلول ، واعتذر له البعض بضيق اللغة عن أداء معانيه النفسية ، وكانت ضجة كبرى ظلت زمناً ، وألفت فيها الرسائل والمقالات والبحوث والأشعار ، وأوذى بسببها بعض العلماء ، حتى حسمها السلطان بفتوى كتبها شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، وكانت فى صالح ابن الفارض .

وإذا علمنا أن الدول الإسلامية فى تلك العصور كانت تقوم على أساس من الدين متين — والدين أهم دعائمها — تبين لنا خطر مثل هذه الفتن والمشكلات ، وفهمنا أنه تمت بصلة ما إلى سياسة الدولة وعقلية الجماهير ومشاعرهم .

من هذه الحوادث وأشباهها نستدل على أن روح المعارضة والإقدام على النقد كانا على ضرب من الحياة محمـود ، والنقد والمعارضة الصالحة بعض مظاهر الروح القومية ومقومات الرأى العام

وقد سبق لنا فى إحدى هذه المقالات أن تحدثنا عن النقد الاجتماعى وبينا كيف تناول كثير من الأدباء والشعراء الحياة الاجتماعية بالنقد المرير السافر ، فنقدوا الأسرة ونظامها وعلاقات أفرادها بعضهم بالبعض ، والنظام الإدارى وما فيه من فوضى واضطراب وقلق وسرقات وادعاءات ورشوة ومحاباة وظلم ، وما بين طوائف الأمة المختلفة جنساً ولغة وديناً من أحقاد وإحن . وقد مزج بعض الشعراء نقده اللاذع بالتورية والفكاهة والدعابة فخرج مخرجاً كيساً مقبولا .

والحق أن الشعب المصرى كان — على علاته — ذا إحساس سياسى ناقد عجيب ، شارك به فى حادثات بلاده على اختلاف

القوة الحربية لمصر والشام
فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٤ —

وتنوعت سفن الأسطول ، فكان منها الشوانى Gyaleres وهى أكبر السفن الحربية فى مصر وأكثرها استعمالا ، وكانت أهم القطع التى يتألف منها الأسطول ، وهى سفن حربية كبيرة تتخذ بها الأبراج المظيمة والقلاع ، وتزود بالعدد الحربية ، وتجهز بالأسلحة والنفطية لتستعمل فى الهجوم على الأعداء والدفاع عن نفسها إذا هاجمها العدو ، وبها اللجام وهو حديدة طويلة محدودة الرأس تقذف به سفن العدو لتفرقها . وبها أيضاً كلاليب وهى خطاطيف كبار من الحديد تطرح عليها فتوقفها (١) . ومنها الجلاسات Gyaléasses مفردها جلاسة وهى نوع من السفن الحربية الكبيرة تسير بالشراع والمجاذيف وهى أثقل وأقوى من الشينى . والمسطحات وهى من أكبر سفن الأسطول . وكذلك السلنديات وهى مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح وتعادل فى أهميتها الشونة والحراقة . والبطسات وهى من أشهر أنواع السفن فى أيام الحروب الصليبية ، قد يكون لها أربعون قلعاً(١) كانوا يشحنونها وقت الحرب بالآلات والأقوات والميرة والرجال والمقاتلة والأسلحة وآلات الحصار وكانت تحمل آلاف الجند ، ولها أسطح عالية ، وطبقات كل طبقة خاصة بفئة من الجيش . والغربان ولا يبعد أن يكون اسمها مأخوذاً من اسم الغراب لأن مقدمتها على شكل رأسه(٢) ، وهى تحمل الغزاة وسيرها بالقلع والمجاذيف منها ماله مائة وثمانون مجذافا . والمشاريات وتجر بعشرين مجذافا ، ولعلها كانت خاصة بالرؤساء ، كما يفهم من وصف عبد اللطيف البغدادى لها . والقوارب نافعة لغزاة المسلمين وقت الحرب فى البحر ، يكون فى كل قارب أربعة أو خمسة من الرماة يعينون غربان المسلمين على قتال غربان الفرنج

(١) نظم الحكم بمصر ص ١٨٢ .

(١) النوادر لابن شداد ص ١٤٩ .

(٢) خطط المقريزى ح ٣ ص ٣٢ — ٤٤ .

ألوانها . يبدو لنا ذلك مما يقحمه بعض المؤرخين — كابن إياس — من العبارات فى ثنايا رواياتهم التاريخية كقولهم فى سياق حادثة ما: و « كثر القيل والقال » و « أرجف الناس » و « فأشيع بين الناس » و « فضج الناس له بالدعاء » إلى نحو ذلك من العبارات . وأذكر أن ابن إياس قال فى إحدى عباراته ما مؤداه : « إن أهل القاهرة ماتطاق ألسنتهم ، ويل لامرىء تقع عيونهم منه على مذمة »

هذه العبارات وأشباهها تشعرنا بوجود ذلك الإحساس الذى أشرنا إليه ، وإن كانت ساذجة غامضة . غير أن هذا الإحساس لم تتح له حرية كافية للظهور والعمل خوفاً من المستبدين الطغاة ، ولم ينضج نضوجاً كافياً يسمو به إلى تكوين رأى عام له أثر فى سياسة الدولة وإدارتها .

على أن التاريخ يحدثنا أن الشعب كثيراً ما نهض إلى معونة حكامه فى حروبهم الخارجية ، وقدم إليهم ما طلبوا من الدواب والغلال والمال ، ولم يتأب كثيراً على الضرائب التى يفرضونها عليه ، ولكنه كان يتأبى عليها ويقاومها إذا كانت فادحة ظالمة . ومثال ذلك ما حدث فى عهد الأشرف الغورى ، فقد فرض ضريبة جائرة ضج لها الناس وثاروا فى وجه نائب سلطنته وغيره من الأمراء ، وعرضوا لهم فى الطريق ورجموهم بالحجارة ، فأعمل المماليك فيهم السيف وقتلوا منهم وأثخنوا فيهم .

والذى نحب أن نخلص إليه — ما سبق أن نوهنا به — وهو أن هذا الشعب المصرى الكريم — على علاته — تكمن فيه روح قومية فطرية قوية سليمة تحتاج إلى مايظهرها ويحسن توجيهها ويسير بها فى الطريق السوى بما يعود بالنفع والعزة لهذا الوطن الكريم .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

وقراقيرها[١] . والبركوشات وهى مراكب صغار .

ومنها الحراقات وهى نوع من السفن الحربية كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية ، وكان بها مرام ومنجنيقات تلقى منها النيران على العدو[٢] ، وكان فى مصر نوع آخر من الحراقات فى النيل استخدم لحمل الأمراء ورجال الدولة فى الاستعراضات البحرية والحفلات الرسمية[٣] .

والحمالات وهى مراكب حربيـة تحمل الأزواد للرجال ، وآلات الحرب والحصار من الأخشاب الكبار والدبابات وأبراج الزحف وغير ذلك ، ويكون فيها غلمان الخيالة وصناع المراكب ؛ والقراقير ، ولا تقف إلا فى المكان الغزير الماء لأنها سفن عظيمة تحمل الزاد والكراع والمتاع للأسطول ؛ والطرائد وهى سفن صغيرة سريعة الجرى كانت تستعمل غالباً لحمل الخيل وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرساً .

والشيطي ووظيفته الكشف والاستطلاع .

وعني الخلفاء والسلاطين بتوفير الخشب للأسطول فكانوا يعينون له الحراج ومنها ما هو بالوجه القبـلى فى البهنسا وسفط والأشمونين وأسيوط وإخميم وقوص وغـيرها [٣م] ، والحراج أشجار من سنط لا تحصى كثرة فى أرجاء المملكة ، ويأمرون بحفظها ، وألا يقطع منها إلا ما تدعو الحاجـة إليه[٤] ، وأحياناً تصنع من خشب الجميز ، وهو الخشب الذى جهز به الظاهر بيبرس شوانيه بدل ما تحطم له عند قبرص[٥] ، وحيناً يستخدم له شجر الأثل والنبق والسرو ، وكثيراً ما كانت الأخشاب تجلب من بلدان أوربا الجنوبية على أيدى البنادقة[٦] .

وكان لصناعة الأسطول ثلاثة أماكن بمصر هى جزيرة الروضة ودمياط والإسكندرية[١] ، وموانيـه التى كان يرابط بها هى

دمياط والإسكندرية وعيـذاب على شاطئ البحر الأحمر[٢] ، وعسقلان وعكا وصور وغيرها من سواحل الشام قبل أن يغلب الفرنج عليها[٣] .

والظاهر أن جند الأسطول فى العصر الفاطمى كان مكوناً من المغاربة لمعرفتهم بمعاناة البحر[٤] ، وفى عهد صـلاح الدين استخدم جنوداً مغربية كذلك وجنداً من المصريين الأقوياء الأشداء[٥] ، وظل المصريون هم المورد الأساسى للأسطول حتى بعد انتقال السلطان إلى المماليك ، فإنا نجد بيبرس يجهز أسطولا لغزو قبرص ، فيه الرئيس ناصر الدين عمر بن منصور رئيس مصر ، وشهاب الدين محمد بن ابراهيم بن عبد السلام رئيس الإسكندرية ، وشرف الدين علوى بن أبى المجد بن علوى العسقلانى رئيس دمياط ، وجمال الدين مكى بن حسون مقدماً على الجميع[٦] ، فلما جاء خليل بن قلاوون رتب بالأسطول عـدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح[٧] وإن كان الجند المصرى له الغلبة أيضاً ، وكذلك جند المماليك فى الأسطول فى عهد الناصر محـمد بن قلاوون[٨] .

وكانت التعبئة البحرية تشبه أختها البرية أحياناً ، فقد يصنع أمير البحر من سفنه قلباً وجناحين ومقـدمة وساقة وقد يصنع مراكبه على شـكل نصف دائرة حتى إذا حاول العدو الاقتراب منها أحاطت به ، وقد يقابل أمير البحر عدوه بمراكبه صفوفاً مستقيمة فتنطح مراكبه مراكب العدو باللجام قريباً من مؤخرها لتفرقها ، أو يشغل أمير البحر مراكب خصمه ببعض المراكب ثم ينقض عليه مرة واحدة من ورائه وهكذا[٩] .

(يتبع)

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

---

(١) تاريخ المماليك البحرية لعلى ابراهيم حسن .

(٢) محيط المحيط .

(٣) كما يفهم من كلام المقريزى ح ٣ ص ٣١٥ .

(٣م) نظم الحكم بمصر ص ١٨١ .

(٤) خطط المقريزى ح ٣ ص ٣١٥ .

(٥) المرجع السابق ص ٣٠٠ .

(٦) نظم الحكم بمصر ص ١٨١ .

(١) خطط المقريزى ح ٣ ص ٢٨٩ و ٣١٥ .

(٢) لين بول ص ١٥٥ .

(٣) صبح الأعشى ح ٣ ص ٥١٩ .

(٤) خطط المقريزى ح ص .

(٥) الحروب الصليبية للحريرى ص ١٨٧ .

(٦) النجوم الزاهرة ح ٧ ص ١٥٤ .

(٧) خطط المقريزى ح ٣ ص ٣١٦ .

(٨) المرجع السابق ص ٣١٧ .

(٩) نظم الحكم بمصر ص ١٨٤ .

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

كاتب لا يعرف قدر نفسه :

سلامة موسى هو الكاتب الذى أعنيه ... ولو كان يعرف قدر نفسه لما تهجم على أستاذين يعرف قدرهما المثقفون لا أنصاف المثقفين من قرائه والمعجبين به ! .

لقد كتب حضرته كلمة فى العدد (١٨٨) من مجلة المسامرات عن الشاعر الألمانى جيته تحت عنوان « مثلى الأعلى » ... ومن حسن حظ الشاعر الخالد أنه ودع الحياة قبل أن يعلم أنه مثل أعلى لسلامة موسى ، وقبل أن يقرأ كلمة يستطيع أن يكتبها عنه بعض النابغين من طلبة المدارس الثانوية ! .

لا يهمنى أن أنقل للقراء ما كتب هذا الرجل فى مجال الحديث عن جيته ، لأن صفحات « الرسالة » تضيق بهـذا الطراز من المعلومات التى يعرفها صغار الطلاب ... ولكن يهمنى أن أنقل إليهم هذه الفقرات التى تكشف عن مركب النقص فى الشخصية الأدبية :

« وقد ترجم من كتب جيته إلى العربية كتابان الأول آلام فرتر الذى ترجمه و « ألفه » الأستاذ أحمد حسن الزيات ، والثانى فاوست الذى ترجمه الدكتور محمد عوض محمد ... وكلتا الترجمتين لا تحتفظ بالروح الأصلى لقصتى الشاعر الألمانى ، وعلى من يريد الوصول إليـه أن يرجع إليهما فى الألمانية أو الفرنسية أو الإنجليزية » ! .

هذه كلمات رجل يتقلب على جمرات محرقة من مركب النقص ، ومركب النقص فى حياة سلامة موسى أنه تناول قلمه ليكتب منذ ربع قرن ، ومع ذلك فهو ينظر فيجد نفسه فى مؤخرة الصفوف ... من هنا ينبع حقده الدفين على هؤلاء الذين ارتقوا سلم المجد الأدبى فى وثبات وخلفوه على الأرض ! .

ترجمة الزيات عن الأصل الفرنسى لا تعجب سلامة موسى ، وترجمة عوض محمد عن النص الألمانى لا ترضى سلامة موسى ... وعلى الذين يريدون الوصول إلى الروح الأصلى أن يرجعوا إلى سلامة موسى وقلمه ، قلمـه الذى يذكرنى بأقلام المترجمين فى روايات الجيب ! .

مركب النقص ولا شىء غير مركب النقص ... ولن يغير هذا المركب البغيض شيئاً من هذه الحقيقة المؤلمة التى يحس لذعها الرجل ، وهى أنه يوم تؤرخ هذه الفترة من أدبنا العربى المعاصر فلن يذكر فيها اسمه إلا فى مجال التسجيل الإحصائى ! .

إن الثقافة المهوشة والمعلومات المبعثرة لا يمكن أن تحتل مكانها فى تاريخ الأدب ، إلا إذا قدر لتاريخ الأدب أن يكتبه المعجبون بقلم الأستاذ سلامة من قراء « النداء » !! .

كرافتشنكو مرة أخرى :

إنك تذكره بلا ريب .. هـذا الموظف الروسى الكبير صاحب « آثرت الحرية » . ولقـد حدثتك فى عدد مضى من «الرسالة» عن الكتاب وصاحبه ، وعن تلك الضجة التى أثارتها حوله مجلة « لى ليتر فرانسيز » ، وهى الضجة التى شغلت الرأى العام الفرنسى قبل أن تأخذ طريقها إلى القضاء ، وشغلت الرأى العام فى العالم بعد أن دفع بها كرافتشنكو إلى أيدى العدالة مطالباً بمعاقبة خصومه طبقاً لنصوص القانون ! .

يقول خصوم المؤلف الروسى إنه كذاب يبرأ منه كتابه بكل ما حوى من تضليل وخـداع ... ويقول كرافتشنكو إن لديه الدليل على صحة كل رأى سجله ، وكل قصة أتى بها ، وكل حادث أورده واستند إليـه . والرأى العام بعد ذلك موزع الفكر بين مزاعم ومزاعم ، وبين وثائق ووثائق ، وبين شهود وشهود ، يترقب اليوم الذى يقول فيه القضاء كلمته ... وإنها لكلمة تقرر مصير الكتاب ومستقبل صاحبه ، وتحدد مكان الخصوم وسمعة الصحيفة الفرنسية .

كرافتشنكو فى رأى خصومه سكير ومحتال وجاهل وكذاب وخائن . ولكن تجريحهم لشخصيته يستند أول ما يستند إلى تلك الدعامة الكبرى من دعائم الاتهام وهى الكذب . أنهم يسلكون شتى الطرق بغية الوصول إلى هذا الهدف الذى تتحطم

على صخوره كل حقيقة من حقائق « أثرت الحرية » ، وهو أن كرافتشنكو كذاب بالطبع والسليقة .

فى هذه الدائرة يحصر القائمون على أمر المجلة الفرنسية جهودهم ، ويستمدون أدلتهم من واقع الكتاب وواقع الحياة . أما واقع الكتاب فقد قدمت إليك منه ثلاثة نماذج لثلاثة أسئلة وجهها الخصوم إلى صاحب « أثرت الحرية » عن بعض ما عرض له من وقائع هى فى رأيهم أوهام وأباطيل . وأما واقع الحياة فقد خطر لهم أن يواجهوا كرافتشنكو بزوجته السابقة لتدلى برأيها فيمن كان أقرب الناس إليها ، تلك التى كانت فى يوم من الأيام أقربهم إليه ... ومرة أخرى يقف كرافتشنكو فى مهب العاصفة!

إن الزوجة السابقة تقف اليوم فى ساحة القضاء لتنعت زوجها بالكذب وسوء الخلق وانحراف الطبع ، وإنها لتنتزع الأدلة على صدق قولها من أعماق الذكريات ، ومن واقع تلك الفترة التى جمعت بينهما تحت سقف واحد ثم دفعت بكل منهما إلى طريق ... ولقد كان زواجها منه جحيما لا يطاق ، خرجت منه بطفل تدعو الله ألا يرث شيئاً من أخلاق أبيه !

وهنا يقف كرافتشنكو ليزأر كحيوان جريح : إن هذا الذى تنطق به محض افتراء دنىء وادعاء باطل ... أليس عجيباً ألا أسمع إلا فى هذه اللحظة بأننى أب لطفل لا أعلم شيئاً من أمره ولا متى ولد ؟! إن الملقن الحقيقى لهذه الشهادة الملفقة هو الجستابو الروسى ولقد بعث بها من موسكو إلى هنا لتشهد ضدى ... هذه السيدة المحترمة التى لقى أبوها حتفه فى مجاهل سيبيريا تحت وطأة التشريد والتعذيب !

وتنهض الشاهدة مرة أخرى لتصرخ فى وجهه : إنك أكبر كذاب يا كرافتشنكو .. لقد طلبت إليك يوماً أن تساعدنى على تربية طفلك فضننت عليه بعطفك دون أبوتك ، أما أبى فقد مات على فراشه فى موسكو ولم يمت كما زعمت فى مجاهل سيبيريا ! وإنك بعد ذلك لفى الطليعة من صفوف الخونة . . لقد أنكرت بنوتك لوطنك بالأمس فى « آثرت الحرية » وأنكرت أبوتك لولدك اليوم فى ساحة القضاء !

هذه هى الفاجأة الثانية من مفاجآت القضية المثيرة التى يترقب الناس نهايتها بشغف بالغ واهتمام كبير .. وفى انتظار كلمة القضاء نستطيع أن نؤكد حقيقة ليس إلى إنكارها من سبيل ، وهى أنه لو قدر لكرافتشنكو أن ينتصر على خصومه لكان انتصاره لطمة قاسية للشيوعية الروسية والفرنسية ! ترى من سيخرج من هذا النضال مرفوع الرأس ! سؤال تجد الجواب عنه فى الغد القريب .

رسالة من أديب ثائر :

سيدى الأستاذ أنور ،

هذه الرسالة لك وحدك لا للبريد الأدبى .. كيما أضمن الحرية لقلمى .

بلى يا سيدى ، هأنذا وقد رجعت إلى عدد « الرسالة » الماضى كما أشرت أرانى قد حرت وفى مخيلتى ما أعجز عن أن أصوره بيراعى . لقد نقلت لنا فى تعقيبك على كلمة الأستاذ الصعيدى فى مسرحية « الملك أوديب » بأنه إنما بنى انتقاده للمسرحية على أنها من الأساطير ، فهى من ألاعيب كهان جهلة -- كما زعمت مما جعلك تسترسل فى قذفك له بذلك التهكم اللاذع ، حين رميته بسذاجة النظرة الخ .. وياليت الأمر قد وقف بك عند هذا الحد ، ولكنك قد اجترحت ما لا تغفره لك لغة قومك ولغتك التى نسبت إليها النقص ! وإنى أحيلك يا من تعرف غير لغتك إلى البحث عن أصول فن المسرحية والمبتغى منه ... ثم لتراجع المسرحية مرة أخرى وترجع بعد ذلك إلى رأى الأستاذ الصعيدى مدققاً النظر : هل ما أراد هو ما أردت ، أم أنه رأى فيما أورده « سوفوكليس » من حوادث مضطربة فى مسرحيته بعداً عن الغرض الذى سيقت له ؟ وهل بلغت أوج الكمال الفنى أم أنها بحق ألاعيب كهان جهلة ... ؟

وكأين من عجلة تجر صاحبها إلى حيث تتقطع راحتاه من الطرق على أبواب الندم .

وإلى الأستاذ أطيب تحياتى .

الثائر

محمد الهادي عطية

هل تستطيع أن تخرج بشىء من هذه الرسالة الرائعة ؟ إنها امتحان عسير لقدرتك على الفهم ، وتجربة طريفة لاختبار مقاييس الذكاء .. أما أنا فقد رسبت فى الامتحان وأعلن ذلك على رءوس الأشهاد ! لماذا نشرتها إذن وقد بعث بها صاحبها إلىّ وحدى ؟ لقد نشرتها لسبب واحد ، هو أن أطمئن حضرة الثائر على أن

أعصابى تحتمل فى كل يوم كثيراً من اللغو الذى يضيع معه الوقت والفائدة ، ولأطمئنه أيضاً على أنى كما أبيح الحرية لقلمى أبيحها لأقلام الناس ، ولو بلغوا من النبوغ هـذه المرتبة العالية التى بلغها السيد عطية !

لقد خشى الأديب الثائر — وأتوسل إليه أن يترفق بأعصابه حرصاً على صحته الغالية — خشى أن يبعث بكلمته إلى « الرسالة » فلا تحظى بعطف « البريد الأدبى » ، ومن هنا بعث بها إلى كى يضمن الحرية لقلمه !

ترى هل اطمأن على أن كلامه القيم قد اطلع عليه القراء ؟ هذا هو الأمر الوحيد الذى تقطعت بسببه راحتاى من الطرق على أبواب الندم !

من عجائب الترجمة فى العصر الحديث :

تسمع فى العصر الحديث عن عجائب المخلوقات فهل سمعت عن عجائب الترجمة ؟

هذا موضوع طريف أعددته للنشر والتعقيب ، ولـكن الأستاذ الجليل صاحب الرسالة قد سبقنى إلى الإشارة إليه فى ثنايا كلته التى طالعها القراء فى الأسبوع الماضى حيث قال : « يقع الحادث اليوم بمرأى من الناس ومسمع ، فتحكيه الألسن وترويه الصحف ، فلا تجد لسانا يوافق لسانا ، ولا صحيفة تطابق صحيفة ! وتقرأ صحف العاصمة فى حادثة من حوادث المدن ، أو واقعة من وقائع الأقاليم ، أو أمر من أمور العالم ، فتجد له فى كل جريدة رواية تناقض كل رواية ، وصيغة تعارض كل صيغة ، حتى ليبلغ الخلاف بينها حد التنافر ، فتراها مثلاً يوم الأحد الماضى تجمع على أن الشرطا اكتشفوا فى شارع من شوارع القدس لغما من البارود ، ولـكن (البلاغ) تنفرد بأن الذى كشفوه منجم من الرصاص ! »

هـذه هى إشارة أستاذنا الزيات إلى إحدى عجائب الترجمة حيث انفردت بها جريدة البلاغ . والخبر الذى أذاعته وكالة « اليونيتدبرس » وترجمتـه الصحف المصرية ومنها « البلاغ » يتمثل فى هذه الكلمات : « اكتشف مراقبو هيئة الأمم المتحدة لغما أرضياً فى الطريق الموصل إلى بيت الحـكومة فى القدس ، حيث يقيم أعضاء لجنة فلسطين التابعة للهيئة . وقال المراقبون إنهم تتبعوا السلك المتصل باللغم إلى أن وصلوا إلى نقطة تابعة لإسرائيل المزعومة ، وإن اللغم كان فى المنطقة المحايدة التى تحيط ببيت الحـكومة . وأضاف المراقبون إلى ذلك أن تقريراً بهـذا الحادث سيرفع إلى المستر تريجفى لى السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة ... الخ » .

لغم فى كل الصحف ومنجم رصاص فى « البلاغ » .. والذنب فى ذلك ذنب المترجم اللبق الذى رجع إلى القاموس فا كتفى بالمعنى الأول لـكلمة (Mine) ولم يكلف نفسه عناء الاطلاع على المعنى الثانى ! ولو فرض أن مترجم (البلاغ) لا يعرف غير معنى واحد للكلمة فـكيف غاب عن ذكائه أن الـكشف عن منجم رصاص لا يستحق كل هذه الضجة ، ولا يستحق أن يرفع بشأنه تقرير إلى سكرتير هيئة الأمم المتحدة ؟ ! كيف غاب عن ذكائه أن المعنى المقصود لا يستقيم مع « منجم الرصاص » فلا بد للـكلمة من ترجمة أخرى ؟ !

« تشنيعة » على السير ريالزم :

قلت وأنا فى معرض الحديث عن المذهب السريالى فى العدد الماضى من « الرسالة » إن هذا المذهب الجديد لا يشق طريقه فى فرنسا وهى موطنه الأول بسهولة ويسر ، لأن خصومه الكثيرين يهاجمونه فى عنف لا هوادة فيه ، ويرمون أصحابه بالدجل والخروج على كل مألوف من أوضاع الفن ! . . . قلت هـذا بالأمس ، ويهمنى اليوم أن أقدم للقراء هذه « التشنيعة » الطريفة التى يهديها خصوم المذهب السريالى إلى الرسام بيكاسو :

أقام بيكاسو معرضاً لصوره فى إحدى المدن الفرنسية ، وفى يوم من الأيام الزاخرة بالزوار والمشاهدين ، وقف أحـد الفنانين يتأمل لوحة فريدة أشير إليها بهاتين الكلمتين : « هتك عرض » ! وقف يتأملها ساعتين دون أن يخرج بشىء يوضح الصـلة بين اللوحة وما جاء تحتها من كلمـات يأباها الذوق والسمع ... وعند ما هم بمغادرة المـكان شاكا فى ذكائه سمع صوتاً ساخراً يقول له :

— ثق يا صاحبى أن ذكاءك بخير ... لقد وقفت أمام هذه اللوحة ساعتين دون أن تفهم شيئاً ، فهل تعلم أننى وقفت أمامها أربع ساعات دون جدوى ، أنا الذى قدمت إلى محكمة الجنايات ست مرات بتهمة هتك عرض ؟ !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأسمر يسطو على شعر الزين :

قال الشاعر الذي فقدناه منذ عام وبعض عام ، الأستاذ أحمد الزين ، في مطلع رثائه لشاعر النيل حافظ إبراهيم :

أفي كل حين وقفة إثر ذاهب   وصوب دم أقضي به حق صاحب
أودع صحبي واحداً بعد واحد   فأفقد قلبي جانباً بعد جانب
تساقط نفسي كل يوم فبعضها   بجوف الثرى والبعض رهن النوائب
فيادهر دع لي من فؤادي بقية   لوصل ودود أو تذكر غائب
ودع لي من ماء الجفون صبابة   أجيب بها في البين صيحة ناعب

وأخيراً قال الأستاذ محمد الأسمر في تأبين المغفور له محمود فهمي النقراشي باشا :

أفي كل يوم دمعة خلف غائب   وفي كل يوم لوعة بعد غارب
رجال كأمثال النجوم ثواقب   مضى وهو لماع على إثر ثاقب
لأوشك دمعي أن تجف شؤونه   على كل ماض ليس يوماً بآئب
إذا ما انتهينا من رثاء لذاهب   بدأنا رثاء بعد ذاك لذاهب
أما يستريح الشعر في كل ساعة   رثاء لحر ، أو رثاء لصاحب

وقد كان الأسمر صديقاً للزين ، فهل استباح السطو على شعر صديقه الراحل بحق الصداقة ؟ وهل هذا نوع جديد من الوفاء بين الشعراء ؟ أو هو مذهب جديد في الأدب يقضي بإرث الصديق للصديق فيما قاله من الشعر ..؟ أوحسب الأسمر أن الزين قد قضى وانطوى شعره ، وأن أحداً لن يراه وهو يتسلل إلى مراثيه يستمد منها ما يجلجل به على المنابر ؟ على أنني عجبت للأسمر وما هو بالعاجز عن النظم ، أن يكون أخذه من شعر الزين هكذا ظاهراً مكشوفاً .. دع عنك اتحاد الوزن والقافية ، وانظر إلى الألفاظ والمعاني . اللهم إلا إذا قدرنا جهده الجبار في استبدال (يوم) بـ (حين) والعدول عن (وقفة) إلى (دمعة) ثم تحويل (إثر ذاهب) إلى (خلف غائب) في البيت الأول مثلا ! وكأني به قد أمسك بكل بيت من أبيات الزين ، فخنقه ، فأخذ أجزاء منه ميتة فبنى بها بناء لا تسكنه روح ، فقضاء حق الصاحب بسفح الدموع قضى نحبه في البيت الأول على يد الأسمر ، وكذلك كان مصير فقدان القلب تباعاً من توديع الراحلين المتتابعين في البيت الثاني ، وهكذا لحقت بقية الأرواح النابضة في أبيات الزين بروح صاحبها وانتقلت إليه في العالم الآخر . وانظر إلى الزين يستبقي الدهر بعض فؤاده ويسأله أن يدع من ماء الجفون ، ليقضي حق الصاحب الودود ويستجيب لداعي البين حين يصيح الناعب ، ثم انظر إلى الأسمر الملول الذي يطلب الراحة للشعر ، فالأول يندمج في جو الحزن ويستعذب بكاءه ويستبقي للآتي بعده ، أما الثاني فهو ضجر من وقفته يستعجل الخلاص منها ، فيقول :

أما يستريح الشعر في كل ساعة   رثاء لحر ، أو رثاء لصاحب ؟

ولست أدري لم يرثي (الصاحب) إذا كان شيئاً آخر غير (الحر) ! كما لا أدري معنى التنويع بين الحر والصاحب ، ولم لا يكون الصاحب حراً ؟

وبعد فقد كان أحمد الزين وفياً لأصدقائه الراحلين من الأدباء والشعراء ، حتى لقد قصر مراثيه عليهم ، فهل هذا جزاؤه ممن رحل عنهم من الأصدقاء ؟ لكأنه كان يقول في نفسه حينما قال في حافظ :

وفيّ وفاء الرسل بين معاشر   نصيب الحمى منهم وفاء الثعالب
يدورون بالأمداح يبغون مأرباً   فيا ضيعة الأوطان بين المآرب

أو كما قال في ختام هذه المرثية الخالدة :

إذا الشعب بالإهمال أرسب عالياً   فلا بدع لو يعلو به كل راسب

بين مدير الإذاعة وأم كلثوم :

لم يعد خافياً ما نشأ من خلاف بين الإذاعة وبين أم كلثوم في شأن إذاعة مسجلاتها الغنائية . ويظهر أن الأستاذ محمد قاسم بك المدير العام للإذاعة قد هالته طلبات أم كلثوم الباهظة فوقف في سبيلها . ومن هنا نشأت بين الاثنين معركة طريفة ، تستمد

طرافتها من مظهرها ، فقد كتب الأستاذ محمد التابعي يدافع عن أم كلثوم ويقول باستحقاقها ما تطلب من مال ، ويهاجم شخص المدير . ورد عليه الأستاذ عبد الرحمن الخميسي بمقال في جريدة « المصرى » عنوانه « الأغاني في السوق السوداء » وصف فيه الأستاذ التابعي بأنه صديق أم كلثوم . ونشرت « البلاغ » مقالا بعنوان « الآنسة أم كلثوم تتقاضى أكبر مرتب في الدولة » ثم نشرت « أخبار اليوم » مقالا هاجمت فيـــه مدير الإذاعة وحسبت ما يتقاضاه من الإذاعة ومن معاشه في الحكومة فإذا هو ٣٠٦٠ جنيها سنويا على حين أن مرتب رئيس الوزارة ٢٥٠٠ جنيه فقط .

وكأن مؤيدى أم كلثوم يقولون ليست هي وحدها التي تأخذ مالا كثيراً من الإذاعة أو تريد أن تستزيد من المال .. ولكن هل هذا يبرر مطالبها ؟ إنها الآن تأخذ من إذاعة مسجلاتها ٦٣٠٠ جنيه في السنة وتريد أن تزيدها إلى عشرة آلاف وثمانين جنيها ، وكل ذلك دون أن تبذل أى جهد ، ولكنها وجدت الإذاعة « عســـلا » فتريد أن « تلحسها » كلها ..

كشكول الأسبوع

□ كان المقرر أن يجرى الانتخاب بالمجمع اللغوى يوم الإثنين الماضي لاختيار أحد المرشحين لملء الكرسى الخالى به ، ولكن حال دون ذلك مرض معالى الأستاذ أحمد لطفى باشا رئيس المجمع الذى يعالج الآن بمستشفى الدكتور عبد الله الكاتب ، عجل الله لمعاليه الشفاء ومنحه الصحة والعافية .

ولذلك تقرر تأجيل الانتخاب إلى أن يتم شفاء معالى الرئيس . وهناك اتجاه إلى أن يستمر هذا التأجيل إلى أن يمضى أربعون يوماً على وفاة الجارم بك ، ثم يجرى الترشيح للكرسي الثانى ، ثم الانتخاب للكرسيين .

□ نشرت « الأهرام » وبعض الصحف الأخري ما يلى : « طلب إلينا الدكتور طه حسين بك أن ننشر أنه أزمع الانصراف عن الكتابة في الصحف إلى حين »

□ انتهت لجنة التحكيم في مسابقة الثقافة العامة بوزارة المعارف من عملها ، وأعدت نتيجة المسابقة ، وقد فازت قصة « بعد الغروب » بدرجة الامتياز في القصة الطويلة ، واستحق كاتبها الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله الجائزة الأولى وقدرها ١٥٠ جنيهاً .

□ أعلن المجمع اللغوى أن لجنة الأدب به بحثت ما قدم إليها من الإنتاج الأدبى لسنة ١٩٤٩ فوجدت أنه لم يبلغ الدرجة التى تسوغ منحه الجائزة . وقد أحسن المجمع في ضنه بالجائزة على ما رآه دون المثل الذى يستحقها ، ولكن الجدير بالبحث بعد ذلك هو لماذا لم يقدم إلى المجمع ما يستحق الجائزة .

□ من الإنتاج الأخير للأستاذ المرحوم على الجارم بك ، بحث ألقاه في مؤتمر المجمع اللغوى عنوانه « الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية » قرر فيه أن العربى جرت سليقته على الاهتمام بالحدث في الأحوال العادية الكثيرة ، فيبدأ الجملة بالفعل ، وقد يلتجىء إلى الجملة الإسمية إذا كان القصد إلى الفاعل وإلى الإسراع بإزالة الشك فيمن صدر منه الفعل .

□ نشرت الأهرام أن محطة الإذاعة بإحدى جمهوريات أمريكا الجنوبية ، أذاعت برنامجا يدور حول كائنات تغزو الأرض من المريخ فأحدث ذعراً في الجمهور الذى هجم على المحطة وأحرق دارها .

والحمد لله على أن إذاعتنا لم تبلغ هذا المبلغ من الإزعاج ، فلا يتجاوز ما تذيعه إحدى تمثيليات يوسف وهبى ، والناس لا يهجمون — بعد سماع برامجها — إلا على (الاسبرين) .

□ وضع معالى وزير المعارف مشروع إنشاء جامعة « محمد على » بأسيوط ، توطئة لعرضه على مجلس الوزراء ، ويتضمن هـذا المشروع أن على الجامعة بجانب شؤون التعليم أن تشجع البحوث العلمية وتعمل على ترقية الآداب والعلوم في البلاد .

□ تساءل الدكتور أحمد أمين بك في إحدى جلسات المجمع اللغوى عن الفائدة العملية لكتابة الهمزة والألف اللينة أشكالا وألوانا كالبهلوان .

وعقدة الخلاف أن الإذاعة تحرص على رضاء المستمعين وعدم حرمانهم غناء أم كلثوم وهي تعلم ذلك فتغالى في الثمن وتعلم أيضاً مكانها (خاطرها) من أعضاء مجلس الإذاعة .

ولولا أنى لا أريد أن أنتقل من الجد إلى المزح لاقترحت أن ينقل أمر الإشراف على الإذاعة من وزارة الشؤون الاجتماعية إلى وزارة التموين ليعالج الأمر وزيرها الرجل العظيم صديق الشعب الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، فيضم مسألة الغناء إلى مسائل السكر والصابون والصودا الكاوية ..

ولكني ألزم الجد ، فأقول إن الأمر يتطلب الحزم والصرامة في سبيل الصالح العام ، فحرام أن تبدد أموال الدولة ، والدولة في حاجة إليها ؛ فهذه الأموال إما أن تكون الإذاعة محتاجة إليها في تدبير شؤونها كتحسين البرامج وإنصاف الموظفين وغير ذلك ، وإما أن تكون زائدة على حاجتها فمند الدولة لها ألف وجه ووجه .

جوائز فاروق الأول :

أقيمت حفلة لجوائز فاروق الأول في العلوم الاجتماعية والكيميائية والجيولوجية وعلوم

الحياة بجامعة فاروق بالاسكندرية فى عيـد الميلاد الملكى . وألقى معالى وزير المعارف كلمة اللجنة الدائمة للجوائز ، فأعلن فيهـا ماوصلت إليه لجان الفحص لسنة ١٩٤٩ ، وقد رأت هذه اللجان أن الكتب والبحوث التى فحصتها لم تستوف بعض الشكليات والشروط لاستحقاق الجوائز

وكانت لجان الفحص قد غربلت ما قدم لهـا ، ثم صفت ما غربلته ، فكانت الصفوة : كتاب « أسس الصحية النفسية » للدكتور عبد العزيز القوصى عميد معهد التربية العالى ، وكتاب « ساڤونارولا » للدكتور حسن عثمان الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة فاروق ، وكتاب « السودان فى قرن » للأستاذ مكى شبيكة ، وبحث فى الجيولوجيا غير مطبوع للدكتور رياض عبد المجيد حجازى . فأوصت لجان الفحص بإيفاد حضراتهم إلى الخارج على نفقة الدولة تمكيناً لهم من وسائل البحث والدراسة بالاتصال بالمعاهد العلمية والهيئات العالمية . وكان الدكتور القوصى والدكتور حسن عثمان موجودين فى الحفلة ، فصافحهما مندوب جلالة الملك . أما الأستاذ مكى شبيكة والدكتور حجازى فهما فى الخارج ، الأول مبعوث من كلية غوردون السودانية إلى إنجلترا والثانى فى بعثة من وزارة المعارف إلى أمريكا وقد مدت له اللجنة مدة البعثة .

وقد نوه معالى وزير المعارف بأسماء المختارين الأربعة ، وأشاد بجهودهم العلمية ، وأشار إلى أن الغاية من تنظيم هذه الجوائز التى يتفضل بها جلالة الفاروق ، هى رفع مستوى الإنتاج العلمى ، فإذا رأت اللجنة الدائمة عدم استحقاق الجوائز فإنها تلجأ إلى وسائل أخرى تؤدى إلى تلك الغاية ، مثل إيفاد العلماء إلى الخارج لأنه يسهل لهم سبل البحث واستكمال الدراسة .

ولاشك أن هؤلاء الأربعة المختارين — وإن كانت مؤلفاتهم لم تنل الجائزة المادية — قد نالوا ما هم أهله من حسن التقدير والتكريم ، وخاصة الدكتور عبد العزيز القوصى ، فهو من مفاخر مصر فى علم النفس ، وله مكان ملحوظ فى المجامع العلمية بالخارج .

بناة النهضة :

نظم قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية سلسلة من المحاضرات العامة موضوعها « بناة النهضة المصرية فى القرن العشرين » شملت أنواعاً مختلفة من النهضات ، من سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها ، وكان آخر حلقة فى هذه السلسلة محاضرة للدكتور محمد صلاح الدين بك عن بناة النهضة فى المسرح والموسيقى ، فتحدث عن الموسيقى من عهد محمد عثمان وسلامه حجازى إلى عبد الوهاب وأم كلثوم ، وتحدث عن المسرح من سلامة حجازى أيضاً إلى زكى طليمات ، وقد بين أهمية من تحدث عنهم فى الفن وأثره فى تطوره ، فسلامه حجازى زاوج بين المسرح والغناء ، وجورج أبيض استطاع أن يجعل للتمثيل قيمة مستقلة عن الغناء ، ومحمد تيمور وزملاؤه من هواة المسرح المثقفين كانوا طبقة ذات أثر كبير فى ارتقاء المسرح ، ومن هؤلاء زكى طليمات الذى لا يقتصر على الجهد الفردى فهو يصنع الآن جيلا جديداً يرجى على يديه عهد جديد للتمثيل فى مصر ، وكذلك فعل فى الموسيقى ، وقد وقف طويلا مع سيد درويش ، وقال إنه استطاع أن يجعل الفن ذا موضوع ، ومن عبقريته أنه ذهب فى التجديد إلى مدى بعيـد مع الاحتفاظ بالأصول الشرقية للنغم والموسيقى .

هذا وقد نشر فى الصحف عنوان هذه المحاضرة هكذا « بناة النهضة الأدبية » واحتشد جمهور كبير فى قاعة يورت التذكارية ، وقدم رئيس قسم الخدمة العامة ، للمحاضرة بكلمة قال فيها إن المقصود بالنهضة الأدبية نهضة المسرح والموسيقى لما لهما من شديد الصلة بالأدب . وقد ألم هذا الوضع وهذا الجو إلى تقصير فى هذه السلسلة ، إذ أهمل فيها الجانب الأدبى إهمالا تاماً ، ولم يذكر رئيس الخدمة العامة سبباً مبرراً لهذا الإهمال . قد يقال إن الجامعة حرة فيما تختار من الموضوعات ، ولكنها محاضرات عامة تدعو إلى إلقائها بعض قادة الرأى والفكر فى مصر ، ومن تمام الفائدة أن تستوعب الجوانب المختلفة ، ولم يكن ينبغى أن يهمل الحديث عن النهضة الأدبية وهى أم النهضات جميعاً ، حتى أنك لا تجد نهضة إلا كان الأدب لسانها والأدباء باعثيها وداعين إليها .

عباس خضر



نصيب العلم :

كان من صدى الإعلان فى « الرسالة » عن كتاب عالم الذرة ثلاث رسائل لا أكثر من بعض القراء . وصاحب إحداها يفرض علىّ جزاء لقراءته مقالاتى فى الرسالة أن أقدم إليه كتابى مع الشكر ، وأنا أقول له :

أنت غال وقد طلبت رخيصاً ينفع العلم إن تنله قنيصاً

وصاحب الرسالة الثانية يطلب الكتاب هدية لا قيمة لها جزاء تدلله فى حبى . وقد حبر بهذا الكتاب أربع صفحات . وأنا أظنه من حسناء ، حتى كدت أعتقد أنى أخو أفروديت أو ابن فينيس ، أو أنى كيوبيد بعينه على الرغم من أنى « بلغت من الكبر عتياً » والسنون « قد أحوجت سمعى إلى ترجمان » وما انتهيت من تلاوة الرسالة حتى رأيت نفسى أمام مرآة .

وصاحب الرسالة الثالثة قصم رقبة ضنى بأن استشفع بعيد ميلاد فاروقنا المعظم لأنه كتبها فى يوم العيد السعيد . وإنه أرجو من حضرات القراء الكرام أن يعلموا أنى أغلقت باب الشفاعات لكيلا يستشفعوا بالنبى الكريم وبالمسيح الرحيم . وخير لهم أن يتشفعوا بالقروش العشرين إن كانوا يرون أن كتابى يساوى هذا الثمن السقيم ، والحمد لله رب العالمين .

نقولا الحداد
٢ ش البورصة الجديدة بالقاهرة

لا وجود الا وجود واحد :

لا شك أن آفة الشرق هى الغرب ، وأن داء الشرقيين المستفحل هو إيمانهم بأن كل ما أتى به الفكر الغربى من مذاهب هو المثل الأعلى الذى ينبغى أن يحتذيه كل فكر ينشد الكمال . ونحن العرب نتخذ دائماً من المعايير الغربية مقاييس أفكارنا . فإن خالفتها فهى مبهمة غامضة ، وإن سارت على منوالها فهى واضحة جلية ، ولا نفكر مطلقاً فى أن نعتز بنتاج الشرقيين بل ننظر إليه من خلال المذاهب الغربية التى تحول دون فهمه فهماً صادقاً ، وتفسد أحكامنا عليه .

وها هو الأستاذ نقولا الحداد لم يستطع أن يفهم مضمون حقيقة وحدة الوجود عند طاغور ؛ لأن ذهنه مشبع بمذاهب الغربيين فى هذه الحقيقة . ولا يدرى كيف يحدد موقف طاغور بالنسبة للذين يقولون بأن أصل الوجود جوهر واحد سواء أكان روحياً أو مادياً ، أو بالنسبة للذين ينادون بثنائية الوجود أو يعتقدون بجوهرين هما الروح والمادة ، لأنه تعود أن ينسب كل رأى إلى فكرة غربية مماثلة لها ، ويقارنها بها ؛ فإن لم يجد لها نظيرا صعب فهمها عليه . ولذلك يجب علينا جميعاً أن نتعود فهم الأفكار الشرقية وعقولنا خالية من النظريات الغربية ، فإنها تشتت أذهاننا وتبلبلها فتأسرها فى مكان ضيق لا تقدر أن تدرك ما خارجه ، وإن حاولت عجزت عن فهمه .

وكما هال الأستاذ الحداد أن يكون منبت حقيقة وحدة الوجود هو الشرق ، ولم يكن أول قائل لها هو اسبينوزا ، فأخذ يستوضح عن صلتها بالدين الهندوكى وتغافل عن أن أفلوطين قد تأثر بأفكار الهنود فى وحدة الوجود الروحية ، وأنى من قبل اسبينوزا بمذهب فيها ، قد تأثر به اسبينوزا نفسه كما تأثر ببعض المتصوفين الإسلاميين الذين تكاد كل نظرياتهم فى التصوف مستمدة من صلب التعاليم الهندوكية .

أما كيف عرف الهنود تلك الوحدة فيرجع ذلك إلى عهد يبعد فى القدم إلى أكثر من خمسة وعشرين قرناً ، يوم كانوا يؤمنون بآلهة كثيرة تمثل مختلف قوى الطبيعة وشتى مظاهر الكون . ويوضح « الفيدا » وهو كتاب هندى مقدس لا يعرف واضعه أو واضعوه — ماهية كل إله . ويذكر الأدعية التى ترفع له ، ويعين القرابين التى تبذل من أجله . ولا يشير كتاب الفيدا إطلاقاً إلى حقيقة وحدة الوجود التى جاء بها « اليوبانيشاد » من بعده وهو كتاب هندى دينى آخر مجهول مؤلفه أو مؤلفوه . يضع فلسفة الهنود الهندوكية فى وحدة الوجود ، ويضم كافة الآلهة الهندية فى إله واحد يشملها جميعاً ويحل فيها ، وهو براهما الذى يستمدون وجودهم من وجوده ، ولا يعبدهم الهنود إلا لأنهم آلهة يتجلى منها الإله الأكبر « براهما » الذى يكمن فى كل شىء فى الكون . وإن مظاهر عبادة الحيوان وتحريم قتله ، وتقديس الأشجار ومنع قطعها ، والتبرك بمياه الأنهار ، يبين لنا كيف يعبد الهنود الظاهرات الطبيعية التى يستقر فيها براهما .

وتناول طاغور هذه الحقيقة بتفكيره الشاعرى وعرضها بخيال الفنان الملهم فى أسلوب روحى يفيض عذوبة وحلاوة . فإن اعترى أفكاره عند تأملها عقلياً بعض الإبهام ، فلا يجب أن نلومه لأنه شاعر قبل أن يكون فيلسوفاً ، وما أراد لنفسه أن يكون فى يوم من الأيام فيلسوفاً ، وإن ارتضى أن يكون شاعراً حكيما . فهو ليس صاحب مذهب محكم التصميم يستند فى تفسيره على منهج عقلى منظم . ولم يخط كتباً فلسفية قط . وإن حاولت أن أستخرج من كتابه « Sâdhana » أصول فلسفة أعالج فيها المشاكل الميتافيزيقية والأخلاقية والفنية التى اشتغل بها طاغور بطريقة لا تمت لطرق الفلسفة بصلة ، فإنما ذلك رغبة منى فى أن أعرض أفكار حكيم فى أسلوب فلسفى لا غير .

لقد زعم طاغور أنه لا يوجد إلا حقيقة واحدة لا تحتمل التفرقة بين خالق ومخلوق ، وجودها روحى ، وأن ما يبدو فى الكون من مادة فهى مظهر خادع يخفى براهما المستقر داخلها ؛ لأن براهما حين امتلأ بالسرور — ذلك السرور الذى لم يبين لنا طاغور كنهه ، أو يذكر سبب نموه فى براهما حتى امتلأ به — فصدرت عنه الخليقة لم يفصل بينه وبينها فصلا تاماً ، وإنما كن فيها وأعطى للانسان فرصة للعودة إلى منبعه الذى انبثق منه ، بمنحه حرية التصرف فى شئون دنياه ، وتقييده بقانونه الأخلاقى ومن يقطع الصلة بين براهما والمخلوقات يقع فى «المايا» أى الباطل الذى يخيل إليه أن الباطل مستقل عن المخلوقات بينما براهما يتجلى فى الكون فى صور القوانين التى يتقيد بها هذه المخلوقات فتخضع روح الإنسان للقوانين الأخلاقية ، ويخضع جسده وجميع محتويات الطبيعة الأخرى للقوانين الكونية . ومعرفة هذه القوانين معرفة لله المتحد بكل شىء . إلا أنه لا يكفى للانسان أن يعرف هذه الوحدة ليصل إلى الكمال الروحى ، وإنما يجب عليه أن يعرفها ويحياها معاً ويحس ببراهما الذى يوجد فى كل جزء من أجزاء الكون إحساساً حياً ، تنطق به كل حركاته من أفعال وأقوال ويدمج شعوره بفرديته فيها جميعاً بحيث لا يستطيع أن يميز بين وجوده وبين سائر الموجودات .

وإذا أراد الأستاذ نقولا أن يعرف المزيد وكيف يفوز الإنسان بهذه الحياة فإنى أرجعه إلى ما سبق أن نشرته فى مجلة الرسالة عن طاغور وما سأنشره قريباً إن شاء الله عن فلسفة طاغور الأخلاقية والفنية .

عبد العزيز محمد الزكي



فى ميـــدان الجهاد

للأستاذ وهبى إسماعيل حق

إلى المجاهد الكبير - من اجتمع إلى حكمة الشيوخ عزمات الشباب ، صاحب الدولة « أحمد باشا حلمى » وفقه الله فى مهمته ...

كان الوقت ليلا ، وكانت السماء صافية الأديم ، وكان القمر يرسل أضواءه الفضية الساطعة ، فتملأ الأرجاء أمنا ، وتغمرها نوراً ، ولولا أن الجو تتمشى فى جنباته موجات من برد فبراير القارس لتبدلت الحال ، ولخرج الناس من مكامنهم ليستمتعوا بهذه الطبيعة الأخاذة ، ويستنشقوا عبير النسيم الذى انبعث من البحر الأبيض يحمل النشاط والقوة ، ولما لجأت « كتيبة الإيمان » — إلى ذلك الكهف الذى اتخذته مقر لقيادتها ، فى إحدى جبال فلسطين الكثيرة ، والتف أفرادها حول النار ليصطلوا .

وكانت هذه الكتيبة واحدة من الكتائب التى ألفت جيش الإنقاذ الذى خفَّ إلى فلسطين حينما وضح اليهود عن المغالاة فى مطامعهم بإثارة الثارات — من آن لآخر — على القرى العربية الآمنة ، ومثلوا معهم تلك الأدوار التى حدثنا عنها التاريخ فى عصور الجاهلية الأولى ، من هتك الأعراض ، وسلب الأموال وقتل الضعفاء من الشيوخ والأطفال .

واتخذت كهفاً واسعاً مركزاً لها ، فيه توضع خططها الحربية ، وفيه تحفظ المؤونة ، ومنه تشن الثارات ضد الصهيونيين العتاة .

كان ضوء القمر على باب الكهف يعاون أشعة النار فى تبديد الظلمة ، فيستطيع الإنسان أن يميز وجوه الحاضرين ، فيرى فيهم الأبيض والأسمر ، والأسود والأشقر ، ويرى فيهم الطويل والقصير .

فهؤلاء الأربعة البيض الذين اتخذوا مجلسهم قريباً من الوقد ، تنبىء ملامحهم أنهم أوربيون : فأما المملاقان — اللذان تشع من عيونهما أشعة القوة والجد ، وينبعث منها بريق الأمل — فهما من إحدى المدن الألبانية التى تفتدى أهلها بلبان الحرية ، ومن أجلها حاربا الطليان والألمان ، ثم حاربا الشيوعية ، وأخيراً تركا الوطن إلى إيطاليا فراراً بعقيدتهما .

وأما هذا القمىء العريض المنكبين الذى اتسمت آيات الحزن على صفحة وجهه ، ولاح الامتعاض وحب الانتقام فى أساريره ، فإنه من تلك القرية البوسنوية المسلمة التى أغار عليها ذلك الوحش الآدمى المجرم « ميخائلوفيك » لحرق رجالها وهم يؤدون صلاة العيد فى أحد مساجدهم ، وأجبر نساءها أن يرقصن على الثلج عاريات ، بعد أن سلبهن الشرف والعرض ، ثم أعدمهن رميا بالرصاص . وكان من حظ رفيقنا هذا أن تأخر عن شهود الصلاة فنجا من الموت ، وفر إلى اليونان ومنها إلى إيطاليا .

أما هذا الذى يشبه الصينى إلى حد بعيد فهو من تتار بولونيا غادر بلاده بعد الزحف الروسى ليحارب الظلم والاستبداد فوصل إلى جبال ألبانيا وحارب مع عصاباتها جيوش المحور .

وجمعت المقادير بين الأربعة فى أحد معسكرات إيطاليا ، واستمعوا إلى تلك الفظائع التى يرتكبها اليهود مع عرب فلسطين فهبوا للدفاع عن الحقوق المهضومة ورد العدوان الصارخ .

أما الباقون من أفراد الكتيبة فيستطيع من يراهم أن يعرفهم بسيماهم ولكنتهم العربية ، فنهم المصرى والسودانى ، ومنهم السورى والعراقى والمغربى واللبنانى ومنهم غير هؤلاء كثيرون .

اجتمعوا حول النار فى الكهف يتشاورون ويتباحثون فى الأعمال التى يجب أن يتبدئوا بها فى غدهم .

وقال قائدهم الأكبر ، وهو فلسطينى أتم علومه فى ألمانيا ، ودرس الفنون الحربية فى معاهدها ، ونبغ فى الهجوم الخاطف : فى الصباح المبكر سنهجم على مواقع العدو القريبة منا فى ناحية الشمال .

واستقر الرأى أن يبدأ الهجوم من الساعة الخامسة قبل أن تبزغ الشمس ، ويملأ نورها الجو ، وصدرت الأوامر للجميع

أن ينظفوا أسلحتهم ، وأن يتموا استعدادهم ... وتفرقوا إلى مضاجعهم فى زوايا الكهف ، وفى الساعة الرابعة جلجلت أصوات المؤذنين فى الفضاء : « الصلاة خير من النوم » فهرع الكل إلى الينبوع الذى لا يبعد كثيراً عن الكهف وأسبغوا الوضوء لصلاة الفجر ، وأمهم قائدهم . ولما قضيت الصلاة ، توجهوا إلى الله مخلصين أن يهيىء لهم النجاح فى مسعاهم ، وأن يكتب لهم النصر على أعدائهم .

ورجعوا إلى مقرهم فلبسوا أسلحتهم وحملوا أمتعتهم وخرجوا إلى باب الكهف يقطعون المسافة أمامه ذهوبا وجيئة وهم ينتظرون الأمر بالانقضاض ، وكل منهم يهمس لأخيه : متى سنذهب ؟ لقد تأخرنا اليوم ! .

ثم دوى فى الفضاء صوت جهورى تردد صداه فى جنبات الوادى : استعدوا .

فخشعت الأصوات ، وشمل الحاضرين سكون رهيب ، وتراص الجميع فى صفوف منتظمة ، ووقف على رأس كل صف ضابط ينادى الجنود بأسمائهم .

ثم برز القائد الأعلى وخطب فيهم يستنهض الهمم ويستحث العزائم فقال : لست أرانى فى حاجة لأن أذكركم بما يجب على الجندى فى الميدان من الاستبسال فى القتال ، والحرص على الفوز. لا أملك إلا أن أقول : علينا أن نصل إلى النصر بأى ثمن

فرد الجند من أعماق قلوبهم : إننا — بعون الله تعالى وحسن قيادتك — منتصرون . « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » .

وزحف الجند فى حذر ، وكانت النجوم لا تزال تؤدى رسالتها فى كبد السماء ، ترشد الضال ، وتنير الطريق . وكان البرد قد بلغ النهاية فى الشدة ، ولكن الكتيبة ما كانت تقيم له فى حسابها وزنا كأن حرارة الإيمان بددت من حولها برودة الطقس

وكان على الجند الزاحف أن يقطع مسافة غير قصيرة ليصل إلى خنادق العدو التى توفرت له فيها أسباب الراحة وألوان المتع ، وكميات من الزاد والذخيرة لا تحد ... ففيها الفرش الوثير ، والطعام الكثير ، والعتاد الوفير ، الذى انثال على اليهود من كبريات دول الغرب .

وحين أصبحوا غير بعيد من مراكز العدو استمعوا إلى القائد يصيح فيهم : تأهبوا للهجوم . فانقسموا إلى أربع فرق ، كل فرقة لا تعدو العشرين ، وإن هى إلا لحظات حتى كانوا مرهفى الحس لتلقى أمر القائد .

ووصلوا إلى المنطقة التى تجب فيها الحيطة ويلزم الحذر ، حيث الألغام المبثوثة ، والأسلاك الشائكة والقنابل المنثورة . ولم يمض إلا قليل حتى دوت أصوات الطلقات فى الفضاء ، فعلموا أن الحراس قد أحسوا بهم ، وأنهم يستعدون للقائهم .

وانبطح أفراد الكتيبة على الأرض ، وابتدأت المعركة ، وكانت رعدة من البرد قد سرت فى أجسادهم حين افترشوا الأرض ، لكنها لم تلبث أن تبددت عندما حمى الوطيس .

ثم تعالت صيحات الفزع من خنادق الصهيونيين ، وارتفعت أصوات السب واللعن لمن حرمهم لذة التمتع بالنوم فى ذلك الوقت الباكر .

وأخذ أفراد الفرق يتقدمون رويداً رويداً زحفاً على البطون ووابل الرصاص يمرق من فوق رءوسهم فلما كانوا على خمسين متراً من مقر الأعداء ، تزايدت الطلقات ، فلم يعقهم ذلك عن التقدم فى العراء .

وقد أطلقوا العنان لأسلحتهم تقذف بنيرانها إلى الخنادق التى لم تتأثر بها كثيراً ، فكانت تصدم بالجدر المتينة ثم تعود من حيث أتت حسيرة ، لأنها لم تبلغ الغاية ، ولم تقم بالمهمة .

ونادى القائد نداءه الصارم : أيها الجنود البواسل ! الكلمة الآن للقنابل ... ليهجم الصف الأول على الخنادق الكامنة إلى اليمين . وأما الثانى والثالث فليقوما بالهجوم على الخنادق فى الشمال . وليقف الرابع بالمرصاد ، ليتقدم إلى من هم فى حاجة إلى مساعدته .

وبدأت الشمس تنشر أشعتها فى صفحة الكون ، فتبعث الدفء وتخفف حدة البرد ، وتجلى الموقف على حقيقته ، فهاتان قوتان تمتركان : أما أولاهما فهى قوة الظلم والعدوان ، وحوش فى زى الإنسان وجائرون فى لبوس ذوى الحق المضاع والجناح المهيض . وهم من أجل ذلك يرتعشون فرقاً ، ويرتعدون خوفاً كلما التقوا مع المجاهدين فى ميدان ؛ لأنهم لا يعرفون الحكمة ولا الداعى لمحاربتهم لهؤلاء الوادعين الذين أمنوا فى أوطانهم ، واطمأنوا فى ديارهم .

أما القوة الثانية فهى قوة الحق تتمثل فى هذه الحفنة من الأبطال الذين خرجوا من ديارهم وأبنائهم ، واستلوا سيوف

العدالة ليبطشوا بالذين استباحوا الحرمات ، واعتدوا على الحريات ، وعاثوا فى الأرض فساداً ... إنهم حين يندفعون إلى الأوكار اليهودية ، قد وقر فى نفوسهم ، وارتسم فى أذهانهم تلك الفظائع التى ارتكبها هؤلاء الأشرار من سفك الدماء ، وتقتيل الأبرياء ، وهتك الأعراض ، وتشتيت الأسر ، وبقربطون الحبالى ، فتلتهب عزائمهم وتمتلىء نفوسهم بالشجاعة والقوة ، ويشمرون بالارتياح فيتقدموا إلى العدو وهم أشد تعطشاً لسفح دمه ثأراً لإخوانهم .

واستطاع جند الكتيبة أن ينفذوا إلى الخنادق ، وفى داخلها نشبت المعركة ، واشتد القتال . فلم يثبت لليهود قدم ، ووجلت قلوبهم ، وارتخت أعضاؤهم ، ولم يكن لهم هم سوى البحث عن الوسيلة للفرار .

ووقف بعض الجند من كتيبة الإيمان يقتلون من زينت له نفسه الهرب على باب الخندق ، وهم يصيحون من الفرح : أين موسى شرتوك الذى سول له شيطانه أن يفخر برجاله فى العالم أجمع ؟ أهؤلاء هم الرجال الذين هددوا باحتلال الأراضى المقدسة حتى الحدود المصرية ؟. أهؤلاء هم الذين نشروا الخوف وأشاعوا الرعب فى ربوع فلسطين الآمنة ؟. هاهى حصونهم لم تحمهم منا ؟ وها هى أشلاؤهم قد تناثرت حولها ؟ وها هى أسلحتهم واستعداداتهم لم تحل بيننا وبينهم . إنهم باغون وعلى الباغى تدور الدوائر .

واحتلت الكتيبة خنادق اليهود . وتولتهم الدهشة من عجيب ما رأوا فيها ، فهى مزودة بكل طريف من الكماليات فضلا عن الضروريات : فهذه وسائل التدفئة الحديثة ، وتلك آلات الكهرباء ، وهذا رياش فاخر ، وذاك معين من المؤونة لا ينضب ، إلى غير ذلك مما لا يدع للشك مجالا فى أنهم كانوا يعتقدون أنهم فى هذه الأماكن مخلدون .

وتراءى لأفراد الكتيبة عظم الفرق بين القوتين وبين الاستعدادين ، كعظم الفرق بين السماء والأرض ... وانخلعت قلوبهم من الحيرة لهزيمة هؤلاء الصهيونيين مع هذا العدد الوفير ، وهذه العدة البالغة ، وأيقنوا أن النصر للقوة المعنوية دائماً ، وللقوة المادية نادراً .

وألقى الجنود نظرات خاطفة على عتاد الأعداء ليحملوا ما هم فى حاجة إليه من متاع وسلاح ، ثم التفوا حول قائدهم ليصغوا إليه وهو يأمرهم بملاحقة الأعداء ومواصلة الهجوم حتى يجتنوا ثمار النصر ناضجة ، فانبسطت الأسارير ، وارتسمت على الشفاه بسمات الفرح بذلك النصر المبين . وتزايد سرورهم حين عرفوا أن عدوهم لا ينقصه إلا ثلاثة قد لقوا حتفهم برصاصات صهيونية غادرة .

وتعانق الجميع عناقاً صريحاً حاراً ، تعبيراً عن ابتهاجهم بهذا الفوز الحاسم ، ثم انصاعوا لأمر القائد الذى ناداهم : إلى الأمام أيها الأصدقاء ؛ فعلينا أن نحتل جميع المراكز القريبة ليتم تطهير المنطقة كلها .

واستبسل اليهود فى الدفاع عن مراكزهم ، ونشطت مدافعهم الثقيلة والخفيفة ، وأطلت فوهاتها من فتحات الخنادق لتقذف الحمم ، وتجاوبت الطلقات ، وتلوت فى أجواز الفضاء مسرعة متوالية كأنها حيات تسعى ، وكانت تزأر زئيراً مفزعاً ، وتدوى دوياً مزعجاً ، لو سمعه من لم يتعوده لطاش عقله ، وفقد السيطرة على أعصابه .

ولكن أفراد الكتيبة كانت قلوبها تخفق خفقات الشجاعة كلما سمعت قصف المدافع ، ورعد القنابل وعصف البنادق ، ولم يفت فى عضدها تلك الانفجارات من حولها ولا ذلك الدوى الذى يصم الآذان .

وأحس الجنود أن ما معهم من العتاد أوشك أن ينفد ، ومع ذلك لم ينكص واحد منهم عن التقدم . ولكن اقتصدوا كثيراً فى إطلاق الرصاص ، وكانوا يسددون إلى الهدف دائماً . وفرغت القنابل ولم يبق لدى الكتيبة سوى عدد لا يفى بالغرض من الطلقات .

وأحس العدو ذلك من فتورهم فى الهجوم ، فقويت روحه ، واجترأ على الخروج من مكمنه ، وواجه أفراد الكتيبة بالعدد والعدة ، وتحولت المنطقة إلى قطعة من الجحيم ؛ فالتهبت البقاع ، واشتد القتال ... ثم نفدت ذخيرة الكتيبة ، وخمدت مدافعها وسكتت بنادقها ، ولكن أحداً من رجالها لم يتزحزح عن موقفه لأنهم يعلمون أن لهم إحدى الحسنيين، النصر المؤزر أو الفوز بالجنة.

ونادى القائد محمد : إلى الأمام أيها الأبطال ... لا ترهبوا الموت ... إلى الممر فهناك النصر ... لكنه لم يتم كلمته فقد نفذت إلى قلبه رصاصة آثمة ألقته على الأرض ، وحاول أن يقف على رجليه فلم يستطع ... أراد أن يستمهل الموت حتى يؤدى واجبه كاملا لكن الموت لم يمهله ... تقدم خطوتين إلى الأمام زحفاً ولم يقو على الاستمرار ، فعلم أنها آخر لحظاته ، فرمق الجميع بنظرة

عطف وحنان ، وسمعه أقرب الجند إلى مكانه يهمس بكلمات متقطعة وعى منها : « إلى الأمام .. يا أصدقائى خذوا بثأرى . لا تهدروا دمى ... تحيا ... » ثم فاضت روحه إلى بارئها تشكو تعسف الصهيونيين ، وتستنجز وعيده فيهم « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » ... وأتم الجندى . كلمته « تحيا فلسطين » .

ثم تقدم أصدقاؤه لينفذوا خطته ، وهم يعلمون أنه إنما أراد أن يقذف الرعب فى قلوب الأعداء بهذا التقدم ، فيفسد عليهم خططهم ، وإن أعقب ذلك موت كثير من رجاله ، فالحرب تضحية .

ثم سمع الجند صوت القائد الجديد يأمرهم أن يثبتوا فى أماكنهم ، وأن يفكروا فى الانسحاب حتى لا يفجعوا الوطن فى حياتهم ؛ فإن الذخيرة قد نفدت ، وإن القائد قد قتل ، وإن التقدم مع كل هذا معناه موت الباقين . وكان مما قاله لهم : قفوا إلى أن تصدر إليكم أوامر أخرى .

واشتدت ضربات اليهود ، وأقاموا ستاراً كثيفاً بقذائفهم الرشاشة لا يتسنى لإنسان معه أن يرفع رأسه إلى أعلى إلا إذا كان فى غنى عن حياته .

وطلب القائد إلى الجند أن ينبطحوا على الأرض ، وأن يزحفوا على بطونهم إلى أن يخرجوا من ميدان القتال ويبعدوا عن مرمى قذائفهم .

وكانت جثة قائدهم محمد على عشرة أمتار منهم ، تسبح فى بحر من دمائه الزكية ، والتبس الأمر عليهم أيتركون هذا الجدث الطاهر فى تلك المصابة الآثمة يمثلون به ؟ أم يعودون إليه ليحملوه معهم وإن سبب لهم هذا العمل المتاعب والصعاب .

ولم يطل بهم التردد ؛ فقد وقف « سعيد » — وهو جندى من جنود الكتيبة غير المبرزين — وأسرع إلى حيث جثم قائده وحاول زملاؤه أن يحولوا بينه وبين ما أراد فلم تجد محاولاتهم ... وانحنى سعيد على جثة القائد وحمله بين يديه وهم به أن يرفعه إلى أعلى ، وما هو إلا أن برز صدره حتى ندت عنه صيحة مدوية أعقبتها أنات موجعة ؛ وسقطت الجثة أمامه ؛ فقد سدد إليه الأعداء رصاص بنادقهم فأصابه منها رشاش ، خارت له قواه ، واصطكت أسنانه ، ولكنه ملك زمام شجاعته ، واستجمع قوته وحمل الجثة ثانية ، وأسرع بها إلى قومه وهو يجر رجليه فى مشقة بالغة وحين وصل إلى رفاقه سقط أمامهم مغشياً عليه ، تتفجر الدماء غزيرة من جوانبه تخط على رمال الصحراء صفحة المجد الخالد والبطولة النادرة ... وارتسمت على شفتى سعيد بسمة الرضا بما صنع ؛ فقد حال بين جثة قائده وزميله وبين الأعداء أن تبطش بها . وتم انسحاب الكتيبة إلى مكان أمين ، وقد حملوا معهم سعيداً الجريح ، ومحمداً القتيل . ثم التفوا حول سعيد يضمدون جراحه ، وكلهم أسف لما حل به . فلما أفاق توالت عليه الأسئلة ، عن حاله ، وبماذا يحس ، وأجابهم بصوت خافت : إنى بخير والحمد لله ... ليست حياتى فى خطر ... وليس بى سوى الحزن على محمد القائد البطل ... لقد كتب المسكين إلى أمه أمس ، وأنا الذى أودعت البريد رسالته التى يقول فيها إننى فى صحة جيدة .. وإننى سعيد فى حربى لهؤلاء الجبناء الأنذال ، وأجد اللذة فى الانتصار المتوالى عليهم ... ثم ختم الرسالة بقوله : إنك يا أماه ستفخرين كل الفخر عندما أعود إليك مرفوع الرأس عقب الانتصار النهائى على « بن صهيون » وأقص عليك تفاصيل المعارك التى خضناها ، وسيرة الأبطال الذين اشتركوا معى فى هذا الجهاد المقدس » ثم سالت من عينى سعيد قطرات من الدموع مسحها براحتيه ، والتفت إلى زملائه الذين أحسوا مثل إحساسه وهو يقول : والآن علينا أن ننتقم لمحمد . أليس كذلك أيها الأصدقاء ؟ فأجابه الجميع فى صوت واحد : نعم ياسعيد! سننتقم له أشد الانتقام!

قال من نقل إلى هذا الحديث — وهو ممن خاض جميع المعارك مع هذه الكتيبة ، قبل أن تزحف الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين ، وكان ضابطاً فى الجيش برتبة الملازم الأول ، فترك وظيفته وتطوع فى جيش الإنقاذ — استرحنا يومين كاملين ، تم فيهما استمدادنا ، وعادت إلينا حيويتنا ، ثم قمنا بهجوم خاطف عنيف على مراكز العدو فى تلك البقعة ، واشترك معنا سعيد ، وأبلى فيه بلاء حسناً ، واستشهد وهو ينزل العلم الصهيونى ليرفع مكانه العلم العربى فوق برج المستعمرة .

واحتفلنا بجنازته احتفالا رهيبا ، ودفناه بجوار « محمد القائد البطل » ووضعنا بجوار قبريهما حجراً كبيراً خططنا عليه تاريخ استشهادهما فى الهجومين المتوالين ، ليذكر الذين يزورون الأراضى المقدسة تلك الأعمال الحربية العظيمة التى قامت بها الكتائب المتطوعة فى تنظيف فلسطين من الوباء الصهيونى .

والآمال كبيرة فى الجيوش النظامية ألا تدع صهيونياً واحداً يتنفس هواء تلك البقاع الطاهرة التى روتها دماء المجاهدين الأحرار ثم انحدرت على وجه صديقى « صدقى » دمعة كبيرة وهو يستنزل الرحمة لزملائه الأبطال .

وهبى اسماعيل حقى
عضو البعثة الألبانية بالأزهر

كتاب قيم لصاحب الأغانى

مقاتل الطالبيين

لأبى الفرج الأصفهـــانى

بشرح وتحقيق

السيد أحمد صقر

أوفى مرجع فى تاريخ الشهداء من ذرية أبى طالب

منذ عصر الرسول إلى فجر القرن الرابع

فى ٨٥٤ صفحة من القطع الكبير

ثمن النسخة ٨٠ صـ عدا البريد

يطلب من

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البـــابى الحلبى وشركاه بمصر

صندوق بريد الغورية ٢٦ — ت : ٥٠٨٥٦ — س ت : ١١٤٦٠

سكك حديد الحـــكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف سنة ١٩٤٩

لقد شرعت المصلحة فى الاستعداد لإصدار طبعة الصيف المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير وذلك اعتباراً من أول مايو سنة ١٩٤٩ .

وفضلا عن أهمية الإعلان فى الجـداول المذكورة فإن المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجراً زهيداً فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات .

فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظراً إلى أن الإقبال على الإعلان فيها شديد ولزيادة الاستعلام اتصلوا

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة

العدد ٨١٨ — الاثنين ٧ مارس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٢٠٢٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 818

Lundi — 7 — 3 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨١٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ — ٧ مارس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

عودة الأبطـــال

اليوم يعود أبطال الفالُوجة إلى أحضان الوطن المنجب الحانى، فيلقاهم لقاء المعجَب المزهوّ، وفي يمناه أكاليل الغار للجباه المرفوعة، وفي يسراه أوسمة الفخار للصدور الجريئة. ثم يقبل بلبله على حماة العز وأباة الذل وسقاة المنون ويقول لهم بألسنة الجموع الوافدة من كل إقليم، الحاشدة في كل طريق، الهاتفة في كل مكان: مرحى! مرحى! لله غرسٌ زكا ونشأٌ كرُم وشبابٌ عزّ! لا تزال مصر كنانة الله ما دام ثراها طيباً ينبت هذه الأجساد، ونيلها طهوراً ينشئ هذه الأرواح، وجوها صافياً يبدع هذه الشمائل!

كانت هذه البطولة المثلية النادرة لجيش الوادى مكظومة في نفوسه الكبيرة، لا تجد لها متنفَّساً ولا مفيضاً من سوء الحال ومكر الاحتلال حتى ظُنت به الظنون، وطارت حوله الرِّيَب، وقال المرجفون من ذئاب الاستعمار وأذناب المستعمر: إن مصر كالحسناء المشتهاة، جمالها يغرى بها ولا يدفع عنها. فلا بد لها من زوج قادر يضمن لها المصير، ويذود عنها المغير. وأوهموا الناس أن جنودنا دُمًى للزينة، وأسلحتنا لُعب للهو. وساعدهم على هذا الإفك حكومات كنواطير الكرمة أقامها الثعلب ليخدع بها غيره. ثم أخذ يعيث في العنب ولا يخاف، ويجأر بالصُّياح ولا يبالى! حتى أراد الله للسر المكنون أن يَذيع، وللكنز المدفون أن يظهر، فقيض لهما رجل الأمة النقراشي. وحانت محنة فلسطين، فألقى الرجل العظيم في وطيس الحرب بالجوهر الأصيل والمعدن الحر، فثبت على النار كما يثبت الذهب المصفَّى على المحك.

فلله يوم ذوَّب الغشَّ نارُه ... فلم يبق إلا صارم أو ضُبارم
تقطعَ ما لا يقطع الدرع والقنا ... وفرَّ من الأبطال من لا يصادم

وبقى المعدن المصرى وحده في البُوتقة! وقال الغريب: إنها فرصة تبعث بيني وبين مصر المعاهدة المقبورة. وقال القريب: إنها محنة تكفكف قليلاً من غلواء مصر المغرورة! وقال جيش الفاروق: لا هي فرصة، ولا هي محنة، وإنما هي نشيد جديد من ملحمة البطولة التي لا تزال تنظمها مصر. ووقف من قواد روسيا وجنود صهيون وأسلحة أوربا وممالأة أمريكا ومخادعة انكلترا، موقفه المعروف الخالد، فخيب آمال العدو، وكذَّب ظنون الصديق!

وكانت الفالوجة بؤرة النار وقطب المحنة: احتشدت لها جموع اليهودية وأوربا الشرقية مدربة مجهَّزة، وأحدقت بها قواها البرية والجوية مجمَّعة مركزة، وتفجرت عليها قذائف الجحيم من جهاتها الخمس أربعة أشهر واثنى عشر يوماً لم يهادن فيها صهيون المحنَق المغيظ إلا ليجدد ما دُمّرَ من عتاده، أو ليدفن ما قُتل من أوغاده. وظاهر المحاصِرين على المحاصَرين اشتداد البرد ونفاد القوت ونقص الذخيرة وانقطاع المدد وإغواء العدو. فلو أن قائد الفالوجة سَلَّم على هذه الحال لقواد الروس، لوسعه من العذر ما وسع قائدَ باريس حين سَلَّم لقواد الألمان، وقائدَ برلين حين سَلَّم لقواد الحلفاء.

ولكن أسد العرين كان أعرف بأشباله وأبصر بواجبه وأشعرَ

الكنيســة والدولة

فى ظل الشيوعية

للأستاذ عمر حليق

اتجه رأس الحربة السوفياتية إلى المعقل الرئيسى الذى تتركز فيه المعارضة الراسخة المنظمة للفكرة الماركسية والدعوة الشيوعية والتوسع السوفياتى. هذا المعقل هو الكنيسة الكاثوليكية وهى نظام عالمى ثابت الأركان متحد الولاء فى مركزية بابوية تعمل فى تؤدة وخبرة ودقة طالما اشتهرت بها هذه الرهبانيات الكاثوليكية التى تحمل تراث عشرات القرون من النشاط الدينى، وهو فى المجتمعات الكاثوليكية مزيج من شؤون الدنيا والدين لا يقتصر على ناحية معينة فى المجتمع الذى يعيش فى وسطه ولكنه يسعى متعمداً لأن تكون له اليد الطولى فى التوجيه الشعبى عن طريق المدارس وألسنة الرأى العام والكلمة النافذة فى التوجيه الحكومى فى الشئون الداخلية والخارجية بواسطة التكتل الكاثوليكى فى الحياة السياسية.

ولم تكن الكنيسة الكاثوليكية فى يوم من الأيام قاصرة عن تمويل هذا النشاط المحكم لأنها — كما قلت نظام عالمى موفور الموارد يتساند فى الملمات ليسمع الأجنحة المهيمنة فى هيكله الضخم وهو يضم رعية تبلغ حوالى ٤٠٠ مليون من مسيحيى العالم

فلا غرابة إذن أن تثير محاكمة الكاردينال ميدزنتى هذه الضجة المنيفة لا فى العالم الكاثوليكى فحسب، وله حوالى ثلثى الأصوات فى الأمم المتحدة، بل كذلك فى الثقافات التى بينها وبين الكاثوليكية صراع تقليدى عنيف كالبروتستانتية الانجلوسكسونية والاسكندنافية. ذلك لأن التحدى السوفياتى لا يقتصر على الكنيسة الكاثوليكية فى محاربته للقيم الدينية. وإنما هدفه هذه القيم نفسها فى أى مذهب كانت، لأنها فى مفهوم الشيوعية: «أفيون الشعب».

ولموسكو طرق متنوعة فى صراعها مع النظم الدينية. ففى الاتحاد السوفياتى نفسه، لم تجد الثورة الشيوعية فى مستهلها (١٩١٧) صعوبة فى القضاء على الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، فقد كانت عناصر التفكك فى المجتمع القيصرى تشمل الكنيسة، فضلاً عن أن الكنيسة الأرثوذكسية ليست عالمية وليس لها طبيعة الرسوخ والنفوذ الدولى الذى يتمتع به الفاتيكان. ولما تمكنت العقيدة الماركسية فى نفوس الجيل الجديد فى الاتحاد السوفياتى لم يجد (البوليت بيرو) فى موسكو بأساً من أن يعاد تأليف الكنيسة الأرثوذكسية فى كيان صورى يعالج مشاكل الجيل البائد من الأرثوذكس الروسى بالإضافة إلى أن هذه الخطوة جاءت فى مستهل التوسع السوفياتى الإقليمى مما صبغها بطابع من الدعاية لم يخف على أحد.

أما حالة الثلاثين مليوناً من المسلمين فى روسيا السوفياتية فغامضة يحيط بها ستار من الكتمان لم يحاول الأزهر — وهو السلطة العليا فى الإسلام — أن يتعرف مبلغ بؤسها. فالاتصال الروحى والفكرى والجغرافى مع هذه المناطق الإسلامية فى القارة الروسية منقطع. وقد بعثت موسكو نماذج من المسلمين الروس إلى الحج على سبيل الدعاية ولكنها أقلعت عن ذلك. ولم يسمع المسلمين الروسيين صوت فى المأساة التى ألمت ببيت المقدس. وفى تقرير نشرته جماعة من المسلمين القوقازيين المشردين فى معسكرات اللاجئين الأوربية أن النسبة الكبرى من قتلى الجيش الأحمر فى معارك الشتاء الجهنمية (١٩٤٣) ضد الجبار النازى كانت من مسلمى

بتيمائه؟ فوقف موقفه الذى قلّت فى تواريخ الأمم نظائره، ثم أخذ يطلق الثنايا على قطعان المحاصرين كلما هاجوه فيجعلهم حصيداً يحجب وجه الثرى، ويتخم بطن الأرض!

وهكذا اختار الله سيد طه وأركان حربه وسائر جنده ليكونوا حجة لمصر على أن صبرها لا ينفد، وعزمها لا يخور، وجيشها لا يقهر!

لقد طلبوا الموت فوجدوا الحياة، وابتغوا الشهادة فظفروا بالمجد، وحاربوا جنوداً فانتصروا أبطالاً، ودخلوا الفلوجة وهى نكرة من نكرات فلسطين، ثم خرجوا منها وهى معرفة من معارف العالم!

احمد حسن الزيات

القوقاز وتركستان والمناطق السوفياتية الإسلامية الأخرى في شرقي آسيا وأوسطها . فقد قدم السوفيات زهرة الشباب الروسي المسلم طعما لآلة الحرب السوفياتية في مستهل الهجوم المنيف الذي طوح بحملة هتلر ، وكانت هذه أكبر تضحية في الأنفس قدمها الروس في الحرب المنصرمة .

على كل حال فإن ظروف الإسلام ليست خيراً من ظروف المسيحية في منطقة النفوذ الشيوعي في أوربا وآسيا .

وتنفرد اليهودية بحرية العمل في تلك المنطقة . فاليهود وحدهم محظيو السوفيات ، ولهم حرية النشـــاط المذهبي والسياسي (كالصهيونية) والتنقل من روسيا وشرق أوربا إلى أي مكان شاءوا خارج ما يسميه الغربيون « الستار الحديدي » . وأرقام الوكالة اليهودية لسنة ١٩٤٧ تشير إلى أن ٨٩ بالمائة من يهود فلسطين هم من السلافيين .

أما الكاثوليك في الاتحاد السوفياتي نفسه ، فقلة ضئيلة لا تتجاوز بضعة آلاف . ولكن الصراع بين الكومنفورم « الشيوعية العالمية » والفاتيكان يزداد حدة يوماً عن يوم في الدول الكاثوليكية التي يسيطر عليها الشيوعيون إما بالغزو المسلح أو بموجب معاهدات بوتسدام ويالطا ، أو بواسطة الانقلاب الثوري كما حدث في تشيكوسلوفاكيا

والدول الكاثوليكية في المعسكر السوفياتي هي :

	مجموع سكانها	عدد الكاثوليك
بولنده	٢٤ مليوناً	٢٢ مليوناً
تشيكوسلوفاكيا	١٢½ مليوناً	٨½ ملايين
المجر — هنغاريا	٩ ملايين	٧ ملايين

وهناك أقليات في رومانيا وبلغاريا لا تبلغ هذه النسبة المرتفعة

والطرق العملية التي تلجأ إليها الشيوعية لمحاربة الكنيسة في هذه الدول تختلف في بعض أوجه التنفيذ ؛ ولكنها تتحد في مبلغ العداء والتحدي . وهذا باعتراف ستالين حين قال في إحدى خطبه :

إن الحزب (الحزب الشيوعي الروسي) لا يستطيع أن يقف على الحياد إزاء العقيدة الدينية ، وأنه يشن حملة على الدين وعلى كل أنواع التحامل للمذهبي ، فهذه هي أفضل وسيلة لتقويض

النفوذ الذي يمارسه رجال الكهنوت وينصرون « الطبقات الاستغلالية » .

فلم يفعل الشيوعيون في بولنده ضد الكنيسة الكاثوليكية ما فعلوه في روسيا ورومانيا مثلاً حيث قيد نشاط الكنيسة الكاثوليكية في التوجيه الشعبي والحكومي وجردت من صلاحيات التعليم والتوجيه السياسي وجعلت دائرة حكومية مقيدة بالتعليمات شأنها شأن الدوائر الحكومية الأخرى في الناحية العملية إن لم يكن في المظهر الخارجي . ثم حملت الأهلية الكاثوليكية على اعتناق الأرثوذكسية والتخلص من الولاء للفاتيكان هذا على الأقل ما تردده مصادر الحلفاء من أنباء شرق أوربا .

أما في بولندة حيث للكاثوليكية رسوخ متين في الأكثرية الساحقة من السكان ، فقد أحجم النظام الشيوعي القائم هناك عن الإمعان في سياسة القمع والعنف مع الكنيسة الكاثوليكية ، فقد أبقى لها بعض الحرية والنفوذ في التعليم والنشاط الاجتماعي ، إلا أنه قيدها في المجال السياسي بمشروع في السنة الماضية يسلخ عنها ممتلكاتها الواسعة مما جعلها تعجز عن القيام بمصاريف التعليم والمعاهد الخيرية محاولا بذلك إبعاد الشقة بينها وبين القوى الشعبية المؤازرة لها المتحمسة للدفاع عنها . وحين انتصرت القيادة الكاثوليكية العالمية في الفاتيكان لكنيسة بولندة وضع الشيوعيون العراقيل في وجه هذه المساعدة وترك هذا الجناح المهيض من العالم الكاثوليكي يعيش على تبرعات المزارعين البولنديين في بلد يوجه الاقتصاد فيه نحو الماركسية الشاملة مما يجعل مبلغ العون الشعبي للمؤسسات الحديثة شحيحا ضئيلا مما سيؤدي إلى تقييد نشاطها التقليدي .

وفي تشيكوسلوفاكيا اتخذت الكنيسة الكاثوليكية موقفاً سلبياً في النظام الشيوعي الذي استولى على الحكم ، ولكن كاثوليك تشيكوسلوفاكيا ليسوا خيراً من إخوانهم في بولنده .

أما في هنغاريا ، فقد كان التحدي في أعنف مظاهره في بلد أكثر من ثلثي سكانه من أتباع الكاثوليكية ، فقد صادرت الدولة الشيوعية أموال الكنيسة عملا بقوانين توزيع الأراضي على صغار المزارعين ولم تترك الدولة لمؤسسات الكنيسة الخيرية سوى مخصصات تافهة ، وحددت نسبة للمعلمين من الرهبان في

المدارس الأولية والثانوية التابعة للكنيسة ، ومنعت التعليم الديني إجمالا في مدارس الدولة والمعاهد الأهلية . وقد حمل الكاردينال مندزنتي وكيل البابوية في بودابست لواء التحدى لهذه الإجراءات مما أدى إلى محاكمته على النحو الذى تناقلته الأنباء .

والاتهامات التى عزيت إلى الكاردينال الهنغارى أربعة :

١ — تعاونه مع الأوساط الأجنبية (الفاتيكان وسفارة أمريكا) ضد الحكومة الهنغارية .

٢ — رياسته لمنظمة تسعى لقلب نظام الحكم .

٣ — متاجرته بالعملة الأجنبية (لعلها المساعدة التى يتلقاها من الفاتيكان) .

٤ — عداوته لليهود . فالعنصر اليهودى فى النظام الشيوعى القائم فى هنغاريا وفى كل مكان واسع النفوذ متمكن فى مراكز التوجيه .

وهذه الاتهامات فى حد ذاتها تظهر طبيعة الدفاع الذى تهيئه الكنيسة الكاثوليكية ضد التحدى الشيوعى .

فالفاتيكان لايترك أجنحته المهيضة فى منطقة النفوذ الشيوعى تصارع منفردة ، وإنما يقدم لها المعونة المادية والمعنوية بواسطة المبعوثين الدبلوماسيين للدول الغربية فى عواصم الحكومات الشيوعية . ويبدو أن الولايات المتحدة بحكم المصلحة هى رسول الفاتيكان لأتباعه فى المنطقة الشيوعية .

وهذه الاتهامات كذلك تدل على أن الكنيسة الكاثوليكية فى صراعها مع الشيوعية لا تقتصر على التربية الدينية ، فهى ترعى منظمات سياسية دنيوية الوسائل كعصبة العمل الكاثوليكى التى أنشأها البابا بنديكت الخامس عشر قبل ثلاثين عاماً ، وهى شبكة من الهيئات الشعبية تجند القوى الشعبية لنصرة الكنيسة وتتكلم باسمها فى الشؤون المدنية ، وهى مرتبطة مع بعضها على يد الفاتيكان وإدارته المركزية فى دقة وإحكام .

وقد شعرت الكنيسة الكاثوليكية بخطورة التكتل العمالى واحتكار اليساريين الماركسيين لهذا التكتل فشرعت تنافسهم ، ففى كل مجتمع كاثوليكى نقابات للعمال الكاثوليك توحى إلى الطبقات العاملة أن الكنيسة نصيرة للعمال، وأن نصرتها لا تقتصر على الخلاص الروحى ، بل تتناول كذلك الإنعاش المادى عن يد التنظيم العمالى ومايستلزمه من ضمانات اقتصادية واجتماعية ، وهذا النشاط وإن يكن خارج سيطرة الكنيسة المباشرة ، إلا أنه يعمل بإيحائها وينال بركتها وبلبى دعوتها عند الحاجة .

أما موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود فى صراعهم مع الشيوعية الدولية ، فهو غامض ودقيق ، فمن التهم الموجهة إلى الكاردينال الهنغارى تهمة التحريض على اليهود . وقد حوكم من قبله عدد من الرهبان الكاثوليك فى بولنده ورومانيا بنفس التهمة . والعداء لليهودية العالمية يقرأ بين السطور فى المنشورات والصحف الكاثوليكية ، ومع ذلك فلا يتخذ هذا العداء على خطورته طابع التحدى العلنى (وقضية العدوان الصهيونى على الأماكن المقدسة أقرب مثل على ذلك) ، وذلك لأسباب عدة ، منها أن تسرب النفوذ اليهودى إلى ألسنة الرأى العام الدولى يجعل الكنيسة الكاثوليكية تتفادى إثارة غضبه ، وخصوصاً فى الدول الأنجلوسكسونية لئلا تتهم حملتها (أى الكنيسة) على الشيوعية بالعداء المذهبى والعنصرى ، وهو « وباء » أحاطته اليهودية العالمية بحاجز من الأشواك الفكرية ، فأصبح وصمة يهدد بها فى الحضارة المسيحية المعاصرة كل من حدثته نفسه بالكشف عن خفايا الإجرام اليهودى فى مجاله العالمى .

وقد وجد الكاثوليك أنفسهم فى العالم البروتستانتى مرغمين على إسقاط هذه الناحية اليهودية فى صراعهم مع الشيوعية الدولية لئلا يمعن النفوذ اليهودى القوى فى ألسنة الرأى العام فى إثارة الوقيعة التقليدية بين الكاثوليكية والبروتستانتية . وقد ظهرت بوادر هذه الوقيعة من جديد فى تصريحات بعض القساوسة البروتستانت الأمريكان فى تعليقاتهم على محاكمة الكاردينال الهنغارى ، وكادت هذه النزعة تتسع لولا أن أقدمت حكومة شيوعية أخرى هى بلغاريا على اعتقال ١٥ قسيساً بروتستانتينيا ، فقضت بذلك على إحداث المستنكرين البروتستانيت للضجة الكاثوليكية .

وقد استفادت القيادة العسكرية الغربية من حدة هذا الصراع الدينى بين الشيوعية والدين لتكسب لها عوناً أدبياً فى البرنامج الحربى الهائل الذى يعده الآن المعسكر الغربى للمعركة الفاصلة .

(نيويورك) **عمر حليق**

معهد الشؤون العربية الأمريكية

على رمال أحمر :

الفـــدائية الأولى (*)

للسيد عمر الخطيب

« في تاريخنا الزاهر نماء زكية خالدة خطت آية المجد الكبرى ورسمت حدود عالم إسلامي واسع » .

— ١ —

خرج محمد يستقبل وفد (يثرب) وقد بدت على وجهه متاعب ما يكابد من عنت وأذى ، ومعاندة واستهتار ، من هذه العصبة الفاجرة من قريش ، التي ألبت عليه القبائل ، وأغرت به الصبيان والسفهاء ، ودفعت إلى هجوه الشعراء ، ينعتونه تارة بالكاهن والساحر ، وطوراً بالمجنون والشاعر ، وهو صابر على أذاهم ، راض بقضاء الله فيه ، يتسع قلبه الكبير لهذه المكاره كلها ، وتطوى نفسه العظيمة هذا العبث الذميم ، فهو يمشي على الأرض هوناً ، وإذا خاطبه الجاهلون قال سلاماً ، وإذا أوسعه السفهاء شتماً والصبيان رجماً رفع يديه إلى السماء وقال (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) .

وحين لمح صلى الله عليه وسلم الوفد اليثربي الكبير ، اختفت من وجهه سحابة الألم ، واستقبله باسماً مرحباً ، وجلس يحدثه عن دعوته ، ويبين له مبادئ رسالته ، ويحثه على الصبر والشجاعة والتضحية ، ويعلن له أن شرعته لا ترضى بالظلم والعبودية ، ولا تقر الشرك والأوثان ، وتنفر من البغى والعدوان ... فإذا بالوفد يخشع ، وبالعيون تدمع ، وبالقلوب تجب ، وبالنفوس تصفو ، وبالأرواح تصفق ، فيتقدم الوفد اليثربي من الرسول مصافحاً معاهداً ، يبايعه على أن يعبد الله وحده لا شريك له ، وأن يأمر بالمعروف ، ويسعى في الخير ، ويدعو إلى الله ويضحى في سبيله بالمال والنفس ... (١)

وتقدمت من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذاك امرأة رزان ، تمشى على استحياء ، ويكسو محياها خفر المؤمنة التقية ، وصبر الأم الحنون ، وجلال من تملكت الخشية قلبه ، وبسالة من باع في سبيل الله روحه ... تقدمت تعاهد محمداً على الإيمان والتضحية والإقدام .. فبارك صلى الله عليه وسلم عهدها ، ودعا لها ، وأمرها أن تكون رسولا إلى لداتها وأترابها ، تدعوهن إلى الإيمان ، وتمدوهن بلبان الإسلام ، حتى يجلى نفوسهن ، وتطهر قلوبهن ، وتسمو مكانتهن ، وينلن حقوقهن ...

— ٢ —

بينا (أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية) تنتقل من دار إلى دار ، مبشرة بالإسلام ، داعية إليه نساء العرب ، تمحضهن النصيحة ، وتزف إليهن البشرى ، وتحثهن على الخير والمعروف .. وإذا بصوت النفير ينساب من جوانب المدينة ، ويصل إلى أذنها ضئيلا خافتاً ، فيفزع فؤادها ، ويهز جوانب نفسها ، فتخف مسرعة إلى بيتها ، لتعرف الخبر من أهلها ، فإذا بها تفاجأ برهط من الصحابة مقبلين ، وقد لبسوا دروعهم ، وتقلدوا سلاحهم ، فعلمت (أم عمارة) أنها الحرب ، فانبلجت أسارير جبينها ، واستيقظت مشاعر فؤادها .. وأغذت السير حتى دخلت دارها ، فألفت ابنيها وزوجها يجلون سيوفهم ، ويصلحون لأماتهم ، ويسرجون جيادهم ، فانفرجت ثناياها عن ابتسامة الرضى والفرح ، وأقبلت على ابنيها لتعانقهما وتقبلهما قبلة الوداع ... وهنا صاح بها هاتف من ضميرها الحي المؤمن أن اذهبي يا أم عمارة مع الرسول في غزوته ، تضمدين الجرحى ، وتمدين السقاء ، وتصلحين من شأن المجاهدين .. فلم تشعر إلا وقد انصرفت عن ابنيها ، وراحت تعدو نحو المجد ، لتلقى إلى الرسول بدخيلة نفسها ، وأمنية فؤادها ، لعله يسمح لها فتنال الشهادة في سبيل الله ؟ وتضع في بناء الإسلام لبنة المرأة الشهيدة (والفدائية الأولى) ...

أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم عمارة بالخروج لغزوة

(*) في العدد ٧٧٩ من الرسالة قصة الفدائي الأول أنس بن النضر) وهذه قصة الفدائية الأولى (أم عمارة المازنية) .

(١) تلك هي بيعة العقبة .

(أحد) مع زوجها وابنيها ، فرجمت فرحة جذلة ، يرقص فؤادها طرباً ، وتزغرد روحها سروراً ، وأعدت للخروج عدته ، فجمعت العصائب ، وأصلحت المراشف ، وخرجت تمنى النفس بالشهادة ، وترنو إلى الجنة ، وترقب من وراء هذا النقع الثائر النصر المبين .

— ٣ —

شمرت الحرب عن ساقها ، وحمى الوطيس ، واحمرت الأحداق ، ولم يمض غير قليل حتى التحم الفريقان : جيش محمد وجيش أبي سفيان ، فجلجلت السماء بالتكبير ، وصدق فرسان الإسلام الحملة ، وأعملوا في رقاب المشركين السيوف ، وثبتوا ثباتاً انخلعت له قلوب أعدائهم ، وزلزلت قواهم ، ووهنت عزائمهم وإذا بهم يلوذون بالفرار ، أمام هذه الوثبات الجبارة من هذه الأسود المؤمنة . وظن المرابطون على الجبل أن المعركة قد انتهت ، فانصرفوا إلى الغنائم ، وكانت هذه فرصة لجيش قريش ، فكرّ راجعاً وعزم على أن يمحو الإسلام ، ويبطش بمحمد ، واستمات المشركون في الهجوم ، وعللوا أنفسهم بالحياة بعد الموت ، وبالنصر بعد الاندحار ...

رأت أم عمارة كتيبة من الأبطال المغاوير ثابتين حول محمد يردون عنه ، ويقاتلون دونه ، وقد آلوا أن يفدوه بأرواحهم ، ويموتوا أمامه عن آخرهم ، فثارت بها حمية الإسلام ، وأيقنت أنها ساعات فاصلة في تاريخ هذا الدين ، وتمثلت أمامها الجنة الوارفة الظلال بسلسبيلها ونعيمها وخلودها ، ورأت أن ليس بينها وبين الجنة وما أعد الله فيها للشهداء إلا أن تجود بهذه الروح ، وتهرب من هذه الدنيا ... وذهبت تطوف بخيالها في جوانب هذا العالم المنشود ، وتمتع الروح بهذه الأماني العذبة ، والآمال المعطرة ... ولم يردها إلى الواقع التي هي فيه إلا صياح قريب ترامى إلى أذنها ، وصوت قوي يقول (دلوني على محمد لا نجوت إن نجا) . فنظرت أم عمارة فإذا (بابن قميئة) يعدو والسيف بيده قاصداً رسول الله ، فأظلمت الدنيا في وجهها ، وربت ربوة شديدة ، وزأرت زئير اللبؤة ديس عرينها ، وانتضت حسامها البتار ، وأقبلت تعترض طريق ابن قميئة ... وتستقبل ضرباته بصدرها وكتفها ، حتى ردت هذا الوحش الهائج عن محمد ، وأكرهته على الفرار حتى

ليقول الرسول صلوات الله عليه (ما التفت يميناً وشمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني) .

ورأت أم عمارة ابنها ، وفي ذراعه جرح ينزف الدم فأقبلت نحوه تعصب جرحه وتضمده ، ثم تحفزه إلى العمل ، وتلقي عليه دروس الصبر والبطولة فتقول : (قم يا بني فضارب القوم وجاهد في سبيل الله ...) فيقوم الفتى الباسل ، ترب الشجاعة ، ولدة الإقدام ، ويمشي نحو سيف ملقى بجانبه ، ليعاود الكر والفر ، ويقاتل في سبيل الله . وهنا تند من رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة فيرى هذا المشهد المؤثر فيمتلئ قلبه إكباراً وحباً ويقول : (ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟) ويلتفت عن يمينه فيرى رجلاً مقبلاً يخب في سيره ، ويلتفت يمنة ويسرة فيقول الرسول : (يا أم عمارة هذا الذي ضرب ابنك) وما إن سمعت أم عمارة نداء الرسول حتى اهتز كيانها ، ووثب جنانها ، وأسرعت تعترض طريقه ، وقد آلت أن تثأر لابنها ولإخوانه الذين جرحوا واستشهدوا في سبيل الإسلام ، ثم شهرت في وجهه سيفها وضربت به ساقه وصدره ، فوقع قتيلاً يتخبط بدمه ...

ورأى رسول الله هذه البطلة تثأر لابنها ، وتقتص من جرحه فتملكه إعجاب شديد ، وابتسم حتى بدت نواجذه وقال لها : (استقدت يا أم عمارة ، الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك) .

ولم تكد أم عمارة تجهز على فريستها ، وتمسح حد سيفها ، وتلقي به في غمده ، حتى سمعت تصايحاً ، ولمحت غباراً ، ونظرت فإذا بها ترى ثلة من مشركي قريش ، قادمين نحو محمد ، وفي عيونهم حنق وشر يريدون قتل الرسول واستئصال الدافعين عنه فتحسست مقبض سيفها ، ثم سلته من غمده ، وعلمت أن حديثه لم ينته ، وأن لسانه لن يسكت ، وأنه ما زال به شوق إلى الدم ، وشغف بأعناق المشركين فاستقلته وصاحت (الله أكبر الله أكبر) وهمت أن تمدو نحوهم ... لتؤدبهم مرة أخرى ، وترجع برأس قائدهم الطاغية ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً مولياً ومعه ترس فصاح به : (ألق ترسك إلى من تقاتل) . فألقى الرجل ترسه وتناولته أم عمارة ونهدت إلى المشركين . وهنا أقبل عليها

فاستقبلت ضربته بالترس ، وأهوت بضربة قوية على عرقوب فرسه فوقع على ظهره ، يفحص بقدميه . وخشى الرسول أن ينهض هذا العاثر فيقتل أم عمارة فصاح بابنها (يا ابن أم عمارة ، أمك أمك فعاونها) فانتضى الفتى سيفه وتقدم من الفارس العاثر وعاون أمه على القضاء عليه ولم يتركاه إلا جثة هامدة ...

— ٤ —

انصرف (ابن قميئة) إلى صحبه بعد أن ردته أم عمارة خاسئاً ذليلا ، يحمسهم ، ويقسم عليهم باللات والعزى ، أن يقتلوا محمداً ويستأصلوا دعوته ، ويبيدوا صحـابته ، وينصروا آلهتهم ... وما زال بهم حتى أثار حفائظهم ، وأذكى قلوبهم ، وأحمى دماءهم فقاموا يقصدون محمداً ...

ورأت أم عمارة ابن قميئة مقبلا قد عاد ثانية مع أصحابه بعد أن ردته على أعقابه خاسراً ، فعلمت أنه قد بيت أمراً وأراد شراً فلم تجزع ولم تجبن ، بل تطلعت نحو السماء ، تستلهم العون والقوة ؛ وتقدمت تدافع عن الرسـول ، فتجندل الفرسان ، وتصرع الشجعان ، وتتلقى الضربات ثابتة الجنان ، صابرة راضية مطمئنة حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً ، ولم ترجع إلا مرفوعة الهامة ، موفورة الكرامة ، قد ردت مع إخوانها عدوان المشركين ودافعت عن قائدها المعظم ... والرسول الأمين ...

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسـلم الدماء تتدفق من جراحها فصـاح بابنها (أمك أمك . اعصب جرحها ، بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ...) وسمعت أم عمارة رسول الله يثنى عليها هذا الثناء ويطرى عملها ويبارك جهادها ، فطابت نفسها ، وقرت عينها وقالت (يا رسول الله ، ادع الله أن نرافقك فى الجنة) ثم تركت لدموعها الحديث . وهنا رفع محمد يديه إلى السماء وقد اخضلت لحيته بالدموع وقال : (اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة) ، فقالت أم عمارة : (ما أبالى ما أصابنى من الدنيا بعد هذا الدعاء) ثم ألقت رأسها فى حجر ابنها ، ونامت متأثرة بجراحها ، فخورة بجهادها ، قد اطمأن ضميرها ، وقر فؤادها ... ثم أرخى الليل جناحه ، وغمر المدينة بظلام وسكون ...

— ٥ —

نظرت (أم عمارة) وكان لا يزال رأسها فى حجر ابنها فرأت الشمس ساطعة ، والنهار مشرقا ، وسمعت المنادى يدعو إلى الجهاد والناس يسرعون فى الاستعداد ، والمدينة فى حركة دائبة ، وعمل مستمر فعاودها الحنين للقتال ، وصاح بها هاتف من ضميرها مرة أخرى يقول : (إلى حمراء الأسد[1] يا أم عمارة ... إلى الثأر من المشركين إلى أعداء كلمة الله .. ورفع منار الإسلام) فهبت واقفة وأرادت أن تخطو إلى الأمام لتحمل سيفها وتهاجر إلى الله وتجاهد فى سبيله ، ولـكنها عجزت عن المسير ، وأقعدتها الجروح الدامية فمكثت تبكى وتندب حظها العاثر ، وتملل النفس بالجهاد القريب تحت راية محمد ، وانصرف أهلها يضمدون جروحها ، ويخففون عنها ، حتى أقبل الليل ... فنامت دامية الجسد حسيرة الفؤاد ...

القاهرة

عمر الخطيب
(فتى الفيحاء)

(١) هى الغزوة التى تلت غزوة أحد

شعراء معاصرون :

العاطفة الدينية فى شعر محرم

للشيخ محمد رجب البيومي

— ١ —

منذ انتقل إلى جوار ربه الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محرم وأنا أشعر بحماس يدفعنى إلى الكتابة من عاطفته الدينية ، فقد قرأت الكثير من روائعه المبدعة ، فلمست فيها روحاً حية متوثبة ، وكان للنغم الساحر الذى تردده قيثارة الشاعر روعة عجيبة ، فهو يرتفع بالقارئ إلى أفق رحب فسيح ترفرف فيه أجنحة الفضيلة والعزة ، ويذكره بما كان للأمة العربية فى عهدها الغابر من مجد باذخ قامت دعائمه على البسالة والكرامة فيحرك العاطفة ويوقظ الشعور ...

والحق أن دراسة محرم رحمه الله من ألزم اللوازم فى عصر ماجن مستهتر ، فقد عصفت برءوس بعض الشعراء فى الشرق والغرب نوازع خبيثة تدفعهم إلى الفوضى الخلقية والتحلل الإباحى ، زاعمين أن الشاعر الحق هو الذى ينساب وراء غرائزه وميوله ، وأن العبقرية توقع صاحبها فى مزالق مريبة ، بل إن منهم من يتعمد الوقوع فى البغى ليكون أحد هؤلاء العباقرة المتحللين ! ! وكم جر الاستعمار الغاشم على أبناء الشرق فضائحه ومخازيه ، فزين لهم الخبيث ، وبغض إليهم الحسن الجميل ! .

نشأ الشاعر فى بيت ريفى متدين فقد كان والده حريصاً على تثقيفه وتهذيبه ، فأحضر له فى دور الطفولة من قام بإرشاده وتوجيهه فحفظ القرآن ودرس النحو والعروض واللغة ، وأكب على استظهار النصوص الأدبية ، فتفتحت أكمام شاعريته الغضة ، وبدأ يتغنى بمقطوعات بدائية تنبىء عن ملكة واستعداد ، وقد اتجه بنوع خاص إلى الثقافة الدينية فقرأ الحديث الشريف ، وطالع السيرة المطهرة ودرس التاريخ الإسلامى المجيد ، ثم عكف على قراءة الصحف والمجلات فألم إلماماً مفيداً بسياسة أمته ووطنه ، وشاهد فى ميعة صباه مايدبره المستعمرون من مكايد خاتلة للعالم الإسلامى ، فتأوه لمصابه الفادح ، وأطلق لشاعريته العنان فتغنى بمجد الإسلام وحث على استرجاع مافقده الشرق من عظمة شاهقة وجاه عريض .

وإذا كنا نعتبر محرماً شاعر العاطفة الدينية فى عصره دون منازع فإننا نتخذ منه دليلا يبطل ما زعمه الأصمعى من أن الشعر فى جملته نكد صعب لا يسهل إلا فى الشر ، وتلك دعوى زائفة وجدت مكانها فى العقول فحولت أنظار الشعراء عن الدعوة إلى المثل العليا ، والتمدح بالأخلاق الدينية الرفيعة ، وأنت تطالع الدواوين الشعرية فتجد ما قيل فى المجون والخلاعة أضعاف ما قيل فى التصون والاحتشام وبديهى أن الشاعر المتمكن المطبوع يستطيع أن ينظم — بقوة وإتقان — فى شتى الأغراض التى تأخذ بمجامع قلبه ، وتسيطر على خوالج نفسه ، سواء كانت تتجه إلى الخير أو الشر ، فالمدار إذن على قوة الشاعر وموهبته ، ومن يستطيع نظم الرقائق الفاتنة فى الليل الدامس ، لا يعجزه أن يرسم الصور الساحرة للصباح الوضىء ، وها هو ذا محرم قد اندفع وراء عاطفته الدينية اندفاعاً حميداً ، فجاء شعره وذجاً حسناً للشعر المثالى الرصين .

ونحن حين نشيد باتجاه محرم وجهة الخلق والدين ، لا نعنى بذلك أنه عقد فى ديوانه فصولا خاصة بالدعوة الإسلامية ، ولكننا نؤكد أن عاطفته الدينية قد ارتسمت بوضوح فى شتى الأغراض الشعرية التى تحدث عنها الشاعر الكبير ، فأنت تقرأ مدائحه ومراثيه واجتماعياته وسياسياته فتجد كل بيت ينطق بإيمان قائله ، ويحدد الهدف الخلقى الذى يدعو إليه فى حرارة ، وإذا رزق الشاعر إيماناً فلا بد أن يرتسم فى مرآة شعره ، فهو إذا جال فى إحدى سبحاته سيطرت عليه عاطفته المخلصة ، فوجهته أكمل توجيه حتى يصل إلى المرفأ الأمين .

وكنت سألت من أثق بهم من خلطاء محرم ورفقائه عن حياته وأخلاقه فسررت بما علمت من مروءته ونبله ، حيث كان يبذل ما يملك — على ضآلته — فى معونة المستمين ، كما كان يحافظ على فرائض العبادة من صلاة وصيام . ثم هو إلى ذلك صفوح متسامح لا يؤاخذ مسيئاً بنقيصة ، ولا يميل إلى الجدال والثرثرة فى غير طائل . ويمكننا أن نقول إنه اتخذ كتاب الله إماما يأتمر بأوامره ،

ويحيد عن نواهيه ، وإنه ليعلن ذلك فى صراحة إذ يقول :

أقول لصاحبىّ — وعاهدانى — كتاب الله بينكما وبينى
فكونا صادقين ولا تخونا فإن لنا لإحدى الحسنيين
ولست ببائع نفسى ودينى ولو أوتيت ملك المشرقين
لهـذا سلطة ولتلك أخرى فما بالى وبال السلطتين
سأملأ هـذه الغبراء مجداً وأترك أهلها صفر اليدين
على التاريخ بعد الموت حقى وعنـد الله يوم الدين دينى

وقد أباح الشاعر لنفسه أن يتمدح بمروءته وتقواه ، ولسنا نؤاخذه فى ذلك فقد نشأ فى عهد إباحى ، وجد فيه من يتشدقون بآثامهم المخزية ويجاهرون بفضائحهم المندية ، فإذا ألم بهم داع إلى الحق لووا رءوسهم ساخرين ! ! فلا مناص من أن يجاهر المهذب العف بشمائله ، ليقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق . ولقد صوّر الشاعر أخلاقه ، وشرح عواطفه تشريحاً صادقاً حين قال :

من أيادى الله أنى لم أخن عهـده الأوفى أروم المغنما
راودتنى عصـبة عن حقه فأبى العرق الكريم المنتمى
عفة تقذف بى عن همـة تقذف النسر وترمى المرزما
لا أرى الغدر وإن جشمنى صرف دهر ظـالم ما جشما
مرحباً بالبؤس فى أسـبابه عفة البائس عن أن يأثما
ما يريد الدهر من مستبسل ما يهول الخطب إلا اقتحما

وسنوجز الحديث إيجازاً ، فنترك كلام الشاعر عن نفسه ونميل بشىء من التحليل إلى بعض الأغراض الشعرية التى جال فى حلبتها جولات موفقة . وفى رأيى أن قصائد محرم السياسـية والاجتماعية والتاريخيـة تـكفى الباحث المنصف فى تـكوين رأى صادق فى عاطفته الإسـلامية ، ونبدأ بالحديث عن سياسياته فنقول :

— ٢ —

كان للخلافة العثمانية فى أواخر القرن الماضى ، وأوائل هذا القرن ظل ينبسط على الدول العربية المتجاورة ، ولئن تغلغل النفوذ الاستعمارى فى شتى بقاع الشرق حقباً متوالية ، فقـد كان أبناء هذه الدول ينظرون إلى الخليفة العثمانى نظرة عالية ، فيرون طاعته فرضاً أكيداً يوحيه الإسـلام وتمليه العقيدة ، ورغم ما اشتهر به عبد الحميد من العسف والجور والخروج على شرعة الإنصاف فقد لهج بمدحـه كثير من الأدباء والشعراء ، إذ كانوا يصرفون النظر عن شخصه ويرون الخليفة فـكرة رمزية تقيم العدل وتجدد معالم الدين ، وقد تفانى محرم — جرياً وراء عاطفته الدينية — فى محبة الأتراك فمنح خلفاءهم الود وهاجم أعداءهم بقذائفه الصائبة . وأنت تقرأ مدائحه فى السلطان العثمانى فتجده ينظر إليه من نافذة العقيدة ، فيذكره بمركزه الدينى ومقامه الإسلامى ثم يدلف إلى تقديم نصائحه التقليدية فيحث على الوحـدة القومية ، وينادى بالجامعة الإسـلامية ، وكان للمعارك الحربية التى خاضها الجيش العثمانى صدى تردد فى نفس الشاعر ، فسجل الوقائع اليونانية ، وندد بمن يهددون « الرجل المريض » بالثورات الداخلية والفتن الخارجية ، وقد اعتمد الشاعر على خياله البعيد ، فبالغ فى مديح الجنود الأتراك مبالغـة تدعو إلى العجب ، وكأنه أراد أن يقوى الروح المعنوية فى الشعوب الإسلامية فجوف الحقائق تجويفاً يناقضه الواقع ، وهو بلا شك مشكور لغيرته وحميته ، وإلا فهل كان الجيش التركى فى رمقه الأخير كما قال فيه ؟

لهم كل يوم غارة تصبح العدى وأخرى تفىء الليل والليل فاحم
إذا نفروا لم ينفروا عن شمالها ولم يصحروا عن سيلها وهو عارم
بنوها الألى لا يرهبون بها الردى إذا اهتزمت فى حافتيها الزمازم
إذا أقدموا لم يثنهم عن مغارم غداة الوغى أهوالها والمآزم
مممون فيها مخولون إذا اعتزوا نمتهم قريش فى الحفاظ وهاشم
أولئك أبطال الخلافة تحتمى بأسيافهم إن داهمتها المظالم
هم المانعوها أن يقسم فيئها وأن تستبى بيضاتها والمحارم
هم الناس لاما تنكر العين من قذى وتوشك أن تنشق منه الحيازم
وما الملك إلا ما أطالت وأثلت طوال العوالى والرقاق الصوارم

ولقد ظل الشاعر على إخلاصـه للدولة العثمانية ، يمجد فى أعلامها ويسهب فى الثناء على مواقفها ، وينـذر الثوار الداخلين فيذكرهم بمسئوليتهم الفادحة أمام الله إذ يشعلون الفوضى بلا موجب ، ويوقدون الفتـنة فى ربوع مضطربة تعصف بها الرياح الهوج .

وكم كان الألم لاذعاً فى نفس محرم حين طوى بساط الخلافة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وقد أفزعه اضطهاد الكماليين

لرجال الفقه والتشريع ، ونقل إليه ما ارتكبوه من غلو فاحش ، حيث وأدوا العاطفة الدينية فى وقت أصبح فيه القابض على دينه كالقابض على الجمر . وأذكر أنه نظم فى سقوط الخلافة ملحمة طويلة طبعت وحدها فى كتاب مستقل ، وكان يهمنى أن أستشهد ببعض أبياتها الدامغة ، لولا ضياعها من يدى . ولا أدل على حماس الشاعر للأتراك العثمانيين من قصيدته المؤثرة فى رثاء والده ، فقد نسى مصابه الشخصى ، وغالبته عاطفتــه الدينية فترك الأنين والدموع واندفع إلى الحديث فى الخلاف القائم بين العثمانيين والإنجليز ، ولك أن تقدر مدى شعور مسلم غيور ، هاجت عاطفته الدينية فأنسته ما وقع فيه من أسى قاتل ، وحزن مرير

هـذا وسياسيات محرم تتسم بطابعها الإسلامى فدائحه فى العزيز حث وتذكير بالآداب الخلقية ، ورجوع بالأمة إلى ماضيها المجيد ؛ وقصائده فى الحرب العالمية الأولى تنديد بالحضارة الغربية المتوحشة ، وتصوير صادق للمسارح الدولية التى تراق فيها الدماء وتتناثر عليها الأشلاء . هذا إلى مقارنة معتدلة بالحضارة الإسلامية فى عهـدها الزاهر ، وكيف كانت مناراً شع على العالم بضوئه الوهاج . وحين قامت الحرب الطرابلسية الإيطاليـة صرخ محرم صرخات مؤرقة ، ولم يشأ أن يقصر شعره على البربرية الإيطالية المتوحشة ، فيكتفى برسم الفظائع الدامية التى ارتكبها المحتلون بالشعب الأعزل المستكين ، بل غمره شعوره الدينى فى طوفان جارف صخاب ، فتمثل البيت الحرام يرتجف رعباً بمكة ، ويثرب ذات القبر الطهور تولول جازعة ؛ ثم استصرخ الغر الميامين من أبطال الإسلام ، فتساءل عن على بن أبى طالب ، وتطلع إلى خيل الله يقـدمها صاحب اللواء ، وتذكر ابن الخطاب فى فتوحاته الشاسعة وحنّ إلى القاديم من فهر ومضر وقريش . اسمعه يقول:

أين ابن عم رسول الله يطفئها حرباً على كبدى من نارها شرر
أين اللواء وخيـل الله يمنها عمرو ويقـدم فى آثاره عمر
أين القاديم من فهر ومن مضر ومن قريش وأين السادة الغرر
أين الملائكة الأبرار يقـدمهم جبريل يستبق الهيجا ويبتدر
أين الوقائع تهتز العروش لهـا رُعباً وتنتفض التيجان والسرر
أين القياصر مقهورين لا صلفا نآى بجانبهم عنا ولا صعر
أيطرب البيت أم تبكى جوانبه حزناً ويعول فيه الركن والحجر
ويح الحجيج إذا حانت مناسكهم ماذا يرى طائف منهم ومعتبر
أين الحماة وقد ضاعت محارمنا أين الـكفاة وأين الذادة الغير

وهكذا كان التذكير بالمـاضى سلاحاً باتراً فى قبضة الشاعر ، والحق أنه آتى أكله وأثمر فى حينه فوثقت الأمم العربية بماضيها المجيد ، بعد أن حاول الاستعمار الغاشم أن يبرزه فى صورة نكراء .

وطبيعى أن يكون ندب الماضى البهيج مقروناً بالتحسر على الحاضر الأليم؛ فالصورة الجميلة المشرقة لا تكمل لها أسباب الروعة إلا إذا قرنت بصورة دميمة بشمة ، وحالة الشعوب الإسلامية قد بلغت من الهوان مبلغاً يستدر الدموع ، فكانت الشكوى من انحطاط الشرق ميداناً فسيحاً تجول فيه الأقلام حتى ليجوز لنا أن نعتبره عنصراً هاماً من عناصر الشعر الحية فى نهضتنا الحديثة . ومعلوم أن الشعور بالنقص هو الدافع الأول إلى الكمال والتقدم ، فلا مناص إذن من الاعتراف بالواقع الأليم . وكم تضرع محرم إلى ربه راجياً أن يأخذ بيد أمته إلى طريق البر ، وكم سهر الليالى الطويلة يتأمل فيما خيم عليها من غواش حالكة ؟ وكم وقف بين اليأس والأمل لا يدرى أيبتسم الدهر للشرق أم تكون الأخرى فيظل الكابوس الأوربى جاثماً فوق صدور المسلمين ؟ ! عواطف مشتجرة متناحرة خلقتها الروح المتوثبة فى نفس الشاعر فصيرته فى حيرة من أمره إذ يقول :

تفاقمت الخطوب فــلا رجاء وأخلفت الظنون فلا وثوق
تطالعنا السنون مروعات ونحن إلى أهلتها نتوق
يمر العهد بعـد العهد شراً فأين الخير والسعد الأنيق
نوائب روّع التـنزيل منها وضج القبر والبيت العتيق
بنـا من ضارب الحدثان ما لا يطيق مضاءه العضب الذليق
كأن جراحه فى كل قلب شفاه للمنية أو شـدوق
رويد البوم والغربان فيـنا أما يغنى النعيب ولا النعيق
وددنا للنواعب لو عميـنا وسدت من مسامعنا الخروق
أمض قلوبنـا داء دخيـل وهمّ فى جوانحنـا لصيق
وجف الريق حتى ود قوم لو أن السم فى اللهوات ريق
وبرح بالترائب مسـتطير يساوده التميز والشهيق

ولولا هـذه الصيحات المدوية ما استيقظ أهل الكهف فى

المغامر العظيم

عن الانجليزية

في قُنن الجبال ،

وعلى رءوس الأمواج ،

في منابع المياه ،

وتحت قبور الأموات ،

في غمرة الفيوض العميقة ،

التي يطأطئ « نِبْتُون » لها الرأس ،

وفوق الصخور الوعرة الشُّم ،

لن يعدم الحب أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

وحيث لا مكان للدودة تقر فيه وتسكن ،

وحيث لا فضاء للذبابة تَرِن فيه وتهوّم ،

حيث لا يجرؤ الفراش على التحويم ،

خوفاً على نفسه من التلف والبوار ،

فإن الحب — إذا أقبل — مرق في سرعة ،

ولم يعدم أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

قد تعدُّه طفلاً إن نظرت إلى قُواه ،

أو تعده جباناً لأنه يجنح إلى الفرار ،

على أن تلك التي يُشرّفها ،

لو اختبأت من ضوء النهار ،

وأقامت على نفسها ألفاً من الحراس ،

فلن يعدم الحب أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

تخلصاً منه يرى البعض أن يسجنه ،

والبعض يحسبه — يا للمخلوق المسكين — أعمى ،

ولكن أغلقوا عليه ما شئتم ،

فإن الحب الأعمى — كما يحلو لكم أن تدعوه —

لن يعدم أن يشق لنفسه طريقاً ،

* * *

قد ترضون النسر على أن يخضع لقبضاتكم ،

أو لعلكم تصرفون كاهن الشرق عن دينه ،

بل ربما زحزحتم اللبؤة عن فريستها ،

ولكنكم لن تستطيعوا أن تقفوا في وجه العاشق ،

فإنه لن يعدم الحب أن يشق لنفسه طريقاً .

السيد مصطفى غازي

ليسانس في الآداب من جامعة فاروق الأول

الشرق . ولن ألفت القارئ إلى ما في الأبيات السالفة من سلاسة وعذوبة فهي تنم عما يترقرق فيها من جمال فاتن ، وتشهد لقائلها المطبوع بالجودة والافتنان .

ولقد كان الشاعر دارساً لدينه دراسة مستفيضة ، ولم يجنح به هواه — وهو المسلم الغيور — إلى المغالاة والتعصب ، بل كان يضع الأمور في نصابها وضعاً صحيحاً ، فحين بذر «السيرغورست» بذور الشقاق بين المسلمين والأقباط ، أدرك محرم مراميه الدنيئة ، فهب يدعو إلى التسامح الديني ويذكر المنصرين المتناصرين لمبادئ الإنجيل والقرآن ، ويشيد بعظمة المسيح ومحمد ، ويرجع القهقرى إلى التاريخ المصري القديم فيصور مجد الفراعنة الزاهر ، ويستشهد بالأهرام الشاهقة ، والمعابد الماثلة ، ويعرض لما كان بين عمرو والمقوقس من عهود ، ثم يهدف إلى المطامع الأوربية وما يبيته الإنجليز لمصر من شر يعصف بالعزة ويمحق الكرامة . وقديماً كان التسامح والتواد منهج القادة من المفكرين والمصلحين وبهذه الروح السامية تكشفت خبائث المحتلين وافتضح الثعلب الإنجليزي الماكر فأطرق برأسه إلى الأرض حين أبصر الهلال والصليب يتعانقان في محبة وسلام .

(البقية في العدد القادم)

محمد رجب البيومي

نصير الدين الطوسى
حامى الثقافة الاسلامية
وتراث العرب الفكرى إبان الغزو المغولى

للأستاذ ضياء الدخيلي

مدرسته ومكتبته فى مراغة ، جهوده الخصبة فى حقول علم الفلك فى مرصده العظيم ، شهادات كبار المستشرقين سيديو الفرنسى ، نلينو الايطالى وفليب وسارتون واسمث الآمريكيون .

ما يقوله فيه ابن العبري وابن شاكر وابن كثير ودائرة المعارف الاسلامية وابن الوردى وابن قيم الجوزية .

قال داود اسمث الأمريكى فى كتابه تاريخ الرياضيات ج ا ص ٢٨٧ . [وفى عصر انحطاط المعرفة فى بلاد الإسلام لا تجد فى القرن الثالث عشر من يستحق أن تخصه بالذكر سوى مؤلف من إيران أنفق سنوات حياته الأخيرة فى بغداد . ذلك هو نصير الدين محمد ابن محمد بن الحسن أبو جعفر وكان من سكان طوس فى خراسان وعاش من عام ١٢٠١ م حتى سنة ١٢٧٤ م وقد نبغ فى علوم مختلفة وألف فى علم المثلثات والفلك والحساب والهندسة وفى تركيب الأسطرلاب وكيفية استعماله] .

فها أنت تجد اسمث يسجل إعجابه بالطوسى وبالظاهرة التى لفتت إليه الأنظار وهى تبريزه فى علوم مختلفة وتآليفه فيها الكتب الخالدة . وقد فات اسمث علوم جليلة أخرى تفوق فيها الطوسى ومنها الفلسفة . فإن كتابه فى شرح إشارات ابن سينا من أنفس الكتب كما شهد له بذلك ذوو الفضل ، وأن دائرة المعارف الإسلامية قد اعترفت له أيضاً بأنه كان علامة فى مواضيع شتى وعلوم متباعدة الأغراض وأنه ألف فيها الروائع النفسية وقالت عنه أنه Polychronicler ومعنى هذه الكلمة صاحب التآليف والتصانيف فى مواد شتى ، وقالت إنه يرجع الفضل فى شهرته وذيوع صيته وراء الدوائر الشيعية لكتبه وتتبعاته فى العلوم الصحيحة من الطب والطبيعيات (الفيزياء) والرياضيات وعلى الأخص فى علم الفلك والهيئة حيث نال الطوسى أكبر شهرة بأعماله العظيمة فى حقل علم الفلك . وقد كان مديناً فى حصوله على وسائل تتبعاته الفلكية لشغف خانات المغول بفن التنجيم وعلى الأخص صاحبه هولاكو الذى رغبه فى بناء مرصد كبير فى مراغة جهز بأحسن الأدوات وبعضها استنبط وصنع لأول مرة وزوده بجماعة كبرى من الراصدين والمراقبين . وكان عمر الطوسى عندما ابتدأ ببناء الرصد ٦٠ عاماً وقد بقى ١٢ سنة أخرى حتى أنجز وأتم عمله فى حساب جداول جديدة للكواكب السيارة قامت على الأرصاد والمشاهدات الشاملة . وقد دون استنتاجاته فى كتابه (الزيج الايلخانى) وتتناول المقالة الأولى بحث التواريخ ، والثانية حركات السيارات ، وخصصت المقالتان الثالثة والرابعة للأرصاد التنجيمية . ومن مؤلفاته الأخرى نذكر كتاب (التذكرة الناصرية) وفيها تخطيط وعرض لجميع ما فى حقل علم الفلك وقد علق عليها العلماء المتأخرون وشرحوها عدة شروح الخ (راجع al Tusi فى دائرة المعارف الإسلامية الجزء الرابع ص ٨٩٠ من النسخة الإنجليزية) .

وقال المستشرق الفرنسى العلامة سيديو فى كتابه (تاريخ العرب العام) وكان سيديو أستاذ التاريخ فى كلية سان لويس وعضواً فى مجلس الجمعية الآسيوية وفى اللجنة المركزية للجمعية الجغرافية فى فرنسا وسكرتير كوليج دو فرانس الخ .. قال فى (ص ٤١٠) واختلط تاريخ سلاطين آل سلجوق بأخبار الحروب الصليبية منذ القرن الثانى عشر فظلت العلوم فى المشرق مغطاة طيلة هذه الحروب بغطاء لم يرفعه عنه أحد بعد .

وهذا لا يعنى أن الدراسات الجدية هجرت فقد أبصرنا خان المغول هولاكو يجمع فى بلاطه (عام ١٢٥٩ م) علماء اشتهروا بمعارفهم الرياضية والفلكية وأشهر هؤلاء العلماء هو واضع الزيج الأيلخانى نصير الدين الطوسى . وقد وجد هذا العالم فى نعم مولاه الجديد ما يشجعه فأقام مرصد مراغة وجمع بعناية ما هو منثور فى خراسان وسورية وبغداد والوصل من المخطوطات . ولم يأل جهداً فى إكمال الآلات التى يستعملها فى إرصاده .

ومما صنعه إحداث ثقب فى قبة المرصد تنفذ منه أشعة الشمس على وجه تعرف به درجات حركتها اليومية ودقائقها وارتفاعها فى مختلف فصول السنة وتعاقب الساعات : وهذا يعنى تطبيقاً جديداً للميل ذى الثقب الذى استعان به العرب منذ القرن العاشر . ومن هذا الميل وذات الحلق الكبرى التى تشابه آلة (تيخو براهة)(١) وأرباع الدائرة المتحركة والكرات السماوية والأرضية وأنواع الاسطرلاب تتألف مجموعة آلات مهمة استعان بها نصير الدين الطوسى .

قال (سيد بو) وساعد نصير الدين فى أعماله مؤيد الدين العرضى وفخر الدين الخلاطى التفليسى ونجم الدين بن دبيران القزوينى وفخر الدين المراغى الموصلى ومحيى الدين المغربى وغيرهم . فأنجز فى (١٢) سنة من الأعمال ما يتطلب (٣٠) سنة على حسب الحسابات الأولى وعلمنا أنه اقتبس الزيج الحاكمى لابن يونس مع إدخال تعديلات مفيدة قليلة إليه ففتح دور إقبال كبير على المرصد ونخص على شاه البخارى والندام Alnaddam (٤) . (كذا فى إحياء الكتب العربية — ولعل الصواب أنه النظام) ونجم الدين ابن اللبودى — الزيج الأيلخانى ، وصحح هذا الزيج غياث الدين جمشيد بن مسعود الكاشى ؛ فكان معول جميع المدارس الفلكية حتى ظهور ابن الشاطر الذى عدل فى سنة ١٣٦٠ شيئاً مما ارتضاه أسلافه فى النتائج .

يقول (سيد بو) إذن أعاد مغول بلاد فارس إلى المدرسة العربية بعض رونقها وترى من ناحية أخرى أن (كوبلاى خان) أخا (هولا كوخان) عند ما أتم فتح الصين نقل إلى مملكة ابن السماء رسائل علماء بغداد والقاهرة .

ونلق (كوشو كينغ) فى سنة ١٢٨٠ م أزياج ابن يونس من جمال الدين الفارسى فدرسها دراسة دقيقة وإن عرض (غوبيل) لآثار (كوشو كينغ) لم يكن ليكشف القناع عن أصلها . وعلى ذكر سيدبو ابتكار الطوسى إحداث ثقب فى قبة المرصد تنفذ منه أشعة الشمس على وجه تعرف به درجات حركتها اليومية ودقائقها وارتفاعها فى مختلف الفصول وتعاقب الساعات الخ — بهذه المناسبة نذكر للقارئ الكريم ما نقله ابن كثير الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ فى الجزء ١٣ من كتابه (البداية والنهاية) عن عظم قبة المرصد .

قال ص ٢٦٧ [إن الخواجا نصير الدين هو الذى كان قد بنى المرصد بمراغة ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطباء وغيرهم من أنواع الفضلاء وبنى فيه قبة عظيمة وجعل فيه كتباً كثيرة جداً] .

وكان ابن العبرى المتوفى سنة ١٢٨٦ م فى مدينة مراغة من أعمال أذربيجان — قد انتقل إليها منذ برهة من الموصل ، روى أخوه برصوما أنه لما فشت التعديات فى نواحى نينوى ألحّ عليه فى الانتقال إلى مراغة وكان هناك [فى مراغة] مكرماً من خاصة الناس وعامتهم [وإذا عرفنا أن وفاة الطوسى رحمه الله — كانت عام ١٢٧٤ م علمنا أن ابن العبرى توفى بعد الطوسى بـ (١٢) سنة فهو إذن قد شاهد الحركة العلمية فى مراغة] .

وقد قال ص ٥٠٠ من تاريخه [وفى عام ٦٧٥ هـ توفى الخواجا نصير الدين الطوسى الفيلسوف صاحب الرصد بمدينة مراغة : وهو حكيم عظيم الشأن فى جميع فنون الحكمة واجتمع إليه فى الرصد جماعة من الفضلاء المهندسين وكان تحت حكمه جميع الأوقاف فى جميع البلاد التى تحت حكم المغول وله تصانيف كثيرة : منطقيات والاهيات وأوقليدس ومجسطى وله كتاب أخلاق فارسى فى غاية ما يكون من الحسن جمع فيه نصوص أرسطو وأفلاطون فى الحكمة العملية ،وكان يقوى آراء المتقدمين ويحل شكوك المتأخرين والمؤاخذات التى أوردوا فى مصنفاتهم ثم يذكر أعوانه على الرصد .

وقد ذكر عن محيى الدين المغربى ما نقله له من كيفية خلاصه من ذبح التتار له فقال : كان محيى الدين المغربى مع الملك الناصر فلما أراد المغول أن يقتلوه وجماعته قال محيى الدين لهم : إننى رجل أعرف علم السماء والكواكب والتنجيم ولى كلام أقوله لملك الأرض (يعنى هولا كو) يقول ابن العبرى — قال محيى الدين

---

(١) (تيخو براهه) هو فلكى ألمانى أسس مرصد (أورانيبرغ) فى ألمانيا سنة ١٥٧٦ م

قال سيدبو عدت الحلقة بين الآلات الكثيرة التى استعملها (تيخو براهة) أول من اكتشفوا شذوذ أعظم عرض للقمر فقد رصد العرب هذا الشذوذ قبله بستمائة سنة وعد تعيين الاختلاف الثالث للقمر أهم ما يفتخر (تيخوبراهة) وهو من حق (أبي الوفاء) أن ينتزع منه هذا الشرف

المذكور لما اجتمعنا به فى مدينة مراغة — إننى لما قلت لهم هذا الكلام أخذونى وأحضرونى بين يدى هولاكو فتقدم أن يسلمونى إلى خواجا نصير الدين] .

وإنك من كلام ابن كثير وابن العبرى وهما قريبا عهد بالطوسى إذ توفى ابن كثير بعد الطوسى بـ (٩٩) سنة — نجد أن الطوسى رحمه الله قد أحدث حركة علمية جبارة فى مراغة فى عهد الغزو المغولى وقد حمى الثقافة الإسلامية من الدثور والاضمحلال فى زمن تهدمت فيه أغلب الحواضر الإسلامية من سمرقند إلى بغداد وغيرهما ، وكان مرصده عظيما ومكتبته أعظم .

لقد شيد نصير الدين صروح تلك المدرسة التى أسبغ عليها طابعه الخاص من اهتمامه بالفلك والرياضيات والفلسفة فلم تكن مدرسة لغوية كمدرستى الكوفة والبصرة حين انتظمت حلقات الكوفيين والبصريين من النحاة وعلماء اللغة كالأصمعى وأبى زيد والخليل ابن أحمد وتلميذه سيبويه — كلا إنما كانت مدرسة الطوسى معهداً للعلوم العقلية ؛ لذلك تركت صداها مدوياً فى أوربا وأمريكا وكانت يد الطوسى المباركة رحمة حمى الله بها تراث الإسلام ونتاج الأدمغة العربية وباقى الأمم الإسلامية فحفظ به كتب العلم وأنقذها كما أنقذ كثيراً من النفوس المحترمة من سيوف البرابرة المتوحشين (المغول) . وما أدرى ما ذا يريد بعض المتطاولين عليه رحمه الله أ كانوا يريدون منه أن ينتحر بسيوف أولئك الطغاة وماذا يفعل تجاه تيار همجيتهم وبربريتهم ؟ بل إن روضات الجنان يحدثنا أن هولاكو كاد يفتك به فى بعض المواقف بتأثير دس المغرضين والكائدين والحساد .

إن الطوسى امتاز بعقلية جبارة . والغريب أنه مع كثرة تآليفه فى أدق العلوم الفكرية — كان سياسياً محنكا ، وزر لعدة ملوك واحتفظ بكرامته لولا وشايات الحساد الذين كادوا له حتى اعتقل فى سجن الموت عند الإسماعيلية .

قال الإمام الحافظ المؤرخ بن كثير الدمشقى (أن الطوسى كان يقال له المولى نصير الدين ويقال له الخواجا نصير الدين . اشتغل فى شبيبته وحصل علم الأوائل جيداً وصنف فى علم الكلام وشرح الإشارات لابن سينا ، ووزر لأصحاب قلاع الألموت من الإسماعيلية ؛ ثم وزر لهولاكو وكان معه فى واقعة بغداد . ومن الناس من يزعم أنه أشار على هولاكو خان بقتل الخليفة فالله أعلم

وعندى أن هذا لا يصدر من عاقل ولا فاضل ، وقد ذكره بعض البغاددة فأثنى عليه وقال كان عاقلا فاضلا كريم الأخلاق ودفن فى مشهد موسى بن جعفر فى سرداب كان قد أعد للخليفة الناصر لدين الله . وقد توفى وله خمسة وسبعون سنة وله شعر جيد قوى ، وأصل اشتغاله على المعين سالم بن بدار (كذا) بن على المصرى المعتزلى التشيع فنزع فيه عروق كثيرة منه حتى أفسد اعتقاده)

وقال الشيخ زين الدين عمر بن الوردى فى تاريخه (ج ٢ ص ٢٣٣) .

(وفى سنة ٦٧٥ هـ فى ثامن ذى الحجة توفى النصير الطوسى محمد بن محمد بن الحسن خدم صاحب الألموت (كذا) ثم خدم هولاكو وحظى عنده وعمل له رصداً بمراغة وزيجا ، وله إقليدس يتضمن اختلاف الأوضاع ومجسطى وتذكرة فى الهيئة ، وشرح الإرشادات وأجاب عن غالب إيرادات فخر الدين الرازى عليها ومولده جمادى الأولى سنة ٥٩٧ ودفن فى مشهد موسى الجواد)

لقد شيد الطوسى قواعد مدرسته فى مراغة ولم تكن هذه المدينة عاطلة من العلم قبله فإن ياقوتا المتوفى سنة ٦٢٦ هـ وكان قبل الطوسى يحدثنا أنه ينسب إلى المراغة جماعة من المحدثين والفقهاء وأن بها آثاراً ومدارس وخانقاوات حسنة وأنه كان بها أدباء ومحدثون وفقهاء .

ويقول ابن العبرى فى تاريخه (وكان فى هذا الزمان وفى سنة ٥٧٥ هـ وما قبيلها من الحكماء المشهورين بالمشرق السموأل ابن أيهوذا المغربى الأندلسى الحكيم اليهودى قدم هو وأبوه إلى المشرق وكان أبوه يشدو شيئاً من الحكمة ، وكان ولده السموأل قد قرأ فنون الحكمة ، وقام بالعلوم الرياضية وأحكم أصولها وفوائدها ونوادرها وله فى ذلك مصنفات . وصنف كتباً فى الطب وارتحل إلى أذربيجان وخدم بيت بهلوان وأمراء دولتهم وأقام بمدينة مراغة وأولد أولاداً هناك سلكوا طريقته فى الطب ، ثم أسلم وصنف كتاباً فى إظهار معايب اليهود ومواضع الدليل على تبديلهم التوراة ومات بالمراغة قريباً فى سنة ٥٧٠ هـ) .

وإذن فإن مراغة كانت تحتضن حياة علميـة قبل الطوسى رحمه الله الذى ولد عام ٥٩٧ هـ أى بعد وفاة هذا الحكيم اليهودى بسبعة وعشرين عاما .

(البقية فى العدد القادم)

ضياء الدخيلى

القوة الحربية لمصر والشام
فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٥ —

حاول الأسطول المصرى فى أول عهد الحروب الصليبية أن يقوم بدوره فى الدفاع عن الأراضى المقدسة ، فكان ينجد المسلمين فى عسقلان ويافا وصور وبيروت وطرابلس وجبلة واللاذقية [١] ، وكان ينتصر على الفرنج أحياناً [٢] ، وأحياناً يرده الفرنج عن وجهه فيعود إلى مصر [٣] ، وكان أهل الشام يترقبون قدوم الأسطول إليهم ، ويدخل الأمل قلوبهم إذا وجدوه فى موانيهم ، وكان قديراً على رد العدوان عن بلادهم لو أن الحالة السياسية فى مصر ساعدته على ذلك ؛ فلم يكن ضعف ولا قلة فى جند أو سلاح أو أموال [٤] ، ولكن الحالة السياسية التى سادت مصر فى آخر عصر الدولة الفاطمية هى التى حالت بين الأسطول وبين المساهمة الفعالة المجدية فى هزيمة الصليبيين .

فلما جاء صلاح الدين انتفع بالأسطول المصرى أيما انتفاع واشترك الأسطول اشتراكا فعلياً ناجحاً فى إنزال الهزيمة بالأعداء المغيرين . فهو ، حيناً ، يستولى على سفنهم ، ويظفر بالأسرى منهم ، كما حدث سنة ٥٧٥ ، فى اليوم الذى انتصر فيه المسلمون فى معركة مرج عيون ظفر الأسطول بسفينتين وألف أسير [٥] وغنمت من هذه الغزوة أقوام كانت أعينهم لا تعرف عين الدرهم ولا وجه الدينار [٦] ، وحيناً يغزو الساحل غزوة موفقة يحطم فيها أسطول الفرنج كما حدث فى غزوة عكا ؛ تلك الغزوة التى وصفها القاضى الفاضل بقوله : الأسطول المصرى غزا غزوة ثانية غير الأولى ، وتوجه عن السواحل الإسلامية مرة أخرى ، من الله فيها منة أخرى ، وكانت عدته فى هذه السنة قد أضعفت وقويت ، واستفرغت فيها عزائم الجهاد ، واحتلت به الرجال الذين يعملون فى البحر ، ويفتكون فى البر ، ومن هو معروف من المغاربة بغزو بلاد الكفر ، فسارت على سوار هى كنائن ، إلا أنها تمرق مروق السهام ، وواكد هى مدائن إلا أنها تمر مر السحاب غير الجهام ، فلا أعجب منها تسمى غرباناً وتنشر من ضلوعها أجنحة الحمام ، فطرقت فى الأحد حادى عشر جمادى الأولى ميناء عكا ، وهى قسطنطينية الفرنج ودار كفرهم ، أبدلها الله من الكفر إسلاما ، وخلع عنها الشرك البالى ، وخلع عليها من التوحيد أعلاما ؛ فما هى إلا أن حذفت والجة على المينا وفيه المراكب والبضائع ، فاستولت على المراكب تحطيما وتكسيراً ، ونطاحا بقلقل ولو كان ثبيراً ، وأخلت ساحل الفرنج بقتالها ، وباشرت مثل المساء بنزولها ونزالها ، وهذا مما لم يعهد من الأسطول الإسلامى مثله فى سالف الدهر ، لا فى حالة قوة إسلام ولا ضعف كفر [١] .

وفى مرة أخرى أغار على بيروت فسبى منها وعاد بالغنائم [٢] وحيناً يساعد الجيش البرى فيشغل العدو بالقتال ، كما حدث فى معركة طبرية [٣] ، وإذا كان الأسطول المصرى قد كسر أمام صور فليس ذلك راجعاً إلا لغفلة رجاله فى الليل ، وكأنهم كانوا شديدى الثقة بأنفسهم فانتهز الفرنج هذه الغفلة وخرج أسطولهم فى الليل ، فأسر الفرنج مقدمى الأسطول المصرى وقتلوا خلقاً عظيما ، وأخذوا منه خمس قطع [٤] ، ولم يؤثر ذلك فى قوة الأسطول الذى استعاد مركزه ، وأخذ مكانه فى معركة عكا ، وقد ألقى عليه فى هذه المعركة عبء كبير ؛ ففى سنة ٥٨٥ يستدعيه صلاح الدين ليعينه على أخذ المدينة ، فتسرع إليه خمسون قطعة مع القائد لؤلؤ ، تنقض فجأة على أسطول الفرنج فتبدده ، وتظفر ببطستين كبيرتين بما فيهما من أموالهم ورجالهم [٥] ، وقويت نفوس أهل عكا بوصول الأسطول ، وقوى جنانهم [٦]

(١) خطط الشام الكردعلى ج ٥ ص ٤١
(٢) المرجع السابق ج ٤ ص ٢٨٥ و ٢٩٢ و ٢٩٤
(٣) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧٩ (٤) المرجع السابق
(٥) الروضتين ج ٢ ص ٩ ولين بول ص ٢٠٦
(٦) الروضتين ج ٢ ص ١١

(١) المرجع السابق ص ١٤ (٢) المرجع السابق ص ٢٩
(٣) طبقات الشافعية للسبكى ج ٤ ص ٣٤٠
(٤) النوادر لابن شداد ص ٦٨
(٥) الروضتين ج ٣ ص ٢٤٨
(٦) الكامل لابن الأثير ج ١٢ ص ٢٠

وأرسل صلاح الدين يطلب مدداً جديداً من الأسطول ، فعنى الفرنج بتعمير أسطول لقتاله ومنعه من دخول عكا ، واشتد أسطول صلاح الدين فى قتال أسطول العدو ، وسار الناس على جانب البحر تقوية للأسطول وإيناساً لرجاله ، والتقى العسكران فى البر والأسطول فى البحر ، وجرى بينهما قتال شديد انتهى بانتصار الأسطول المصرى ، وأخذ من العدو الشوانى ، وقتل به ونهب جميع ما فيه ، وظفر من العدو بمركب أيضاً كان واصلاً من قسطنطينية ، ودخل الأسطول المنصور عكا ، وكان قد صحبه مراكب من الساحل فيها ميرة وذخائر ، وطابت قلوب أهل البلد ، وانشرحت صدورهم ؛ فإن الضائقة كانت قد أخذت منهم (١) .

ولما اشتد الأمر بعكا ، وأدار الفرنج مراكبهم حولها حراسة لها من أن يدخلها مراكب المسلمين ، وقويت حاجة من فيها إلى الطعام والميرة ، ركب جماعة من المسلمين فى بطسة ، وتزيوا بزى الفرنج ، حتى حلقوا لحاهم ، ووضعوا الخنازير على سطح البطسة بحيث ترى من بعد ، وعلقوا الصلبان ، واستطاعوا بهذه الحيلة دخول عكا سالمين (٢) . وفى مرة أخرى قدمت إلى المحاصرين من مصر ثلاث بطس مشحونة بالأقوات والميرة وجميع ما يحتاج إليه فى الحصار بحيث يكفيهم ذلك طول الشتاء ، وقد فنى الزاد ولم يبق عندهم ما يطعمون ، فلما دنت من عكا خرج إليها أسطول العدو يقاتلها ، ولكنها استطاعت أن تفلت وتصل سالمة إلى عكا ، وتلقاهم أهلها تلقى الأمطار بعد الجدب وامتاروا ما فيها (٣) ، وحاول الفرنج وهم يحاصرون عكا حرق الأسطول المصرى بها ، والاستيلاء على برج فى الميناء حتى يحرسوه ، ويحولوا دون دخول المراكب بالميرة إلى المدينة ، فأعدوا بطسة ببرج ملئوها حطباً يشعلونه ناراً ويلقونه على برج الميناء لقتل ما فيه وأخذه — وبطسة ثانية ملئوها حطباً ووقوداً على أن يدفعوا بها ، حتى تدخل بين البطس الإسلامية ، فيلهبوا الوقود فيحرق البطس الإسلامية ، ويهلك ما فيها من الميرة ، وجعلوا فى بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو ، بحيث يكونون فى مأمن لا يصل إليهم أذى سلاح ، فإذا أرادوا إحراقه دخلوا تحت ذلك القبو فأمنوا ، ولكنهم ما كادوا يشعلون النار ، حتى انعكس الهواء عليهم ، أما البطسة التى كانت معدة لإحراق البرج فإنها احترقت بأسرها ، وهلك من كان فيها من المقاتلة إلا القليل ، وكذلك احترقت البطسة التى كانت معدة لإحراق الأسطول المصرى ووثب المسلمون عليها فأخذوها . وأما ذات القبو فقد انزعج من فيها وخافوا وهموا بالرجوع ، واضطربوا اضطراباً عظيماً ، فانقلبت وهلك جميع من كان بها ، لأنهم كانوا فى قبو لم يستطيعوا الخروج منه (١)

وحاول الأسطول مرة أخرى دخول الميناء يحمل إليها الميرة فتحطم بعضه على صخور الميناء ، لاضطراب البحر ، واشتداد هيجانه . وكان فيه من الميرة مما لوسلم لكفى البلد سنة كاملة (٢) وكان هذا سبباً من أسباب سقوط عكا . وحاول صلاح الدين أن يرسل بطسة كبيرة مشحونة بالآلات والأسلحة والميرة والرجال والأبطال المقاتلة ، حتى تدخل البلد مراغمة للعدو ، وكان عدة رجالها المقاتلة ستمائة وخمسين رجلا ، فأحاط بها العدو من جميع جوانبها واشتدوا فى قتالها ، وجرى القضاء بأن وقف الهواء فقاتلوها قتالاً عنيفاً ، وقتل من العدو عليها خلق كثير ، وأحرقوا للعدو شينياً كبيراً فيه جند كثير هلكوا جميعاً ، ولكن العدو تكاثر على أهل البطسة ، وكان مقدمهم رجلاً شجاعاً مجرباً يقال له : يعقوب ، من اهل حلب ، فلما رأى أن الدائرة ستدور عليهم صمم هو ومن معه ألا يسلموا من هذه البطسة شيئاً . فأعملوا معاولهم فيها ففتحوها من كل جانب فامتلأت ماء وغرق جميع من فيها وما فيها ، ولم يظفر العدو منها بشىء . وتلقف العدو بعض من كان فيها ، وخلصوه من الغرق وأرسلوه إلى المدينة ليخبرهم بالواقعة (٣) .

وظل الأسطول المصرى طول عهد صلاح الدين قائماً بواجبه يغير على أسطول الفرنج ، ويقتل من رجاله ، ويأسر ما شاء منهم ويستولى على مراكبه (٤) .

---

(١) الروضتين ج٢ ص ٢٥٤ (٢) النوادر لابن شداد ص ١١٩
(٣) المرجع السابق ص ١٢٢

(١) المرجع السابق ص ١٢٣
(٢) النوادر لابن شداد ص ١٣٩ (٣) المرجع السابق ص ١٤٨
(٤) الروضتين ج ٢ ص ١٩٤

ولم يقف جهاد الأسطول في عهده على حرب الفرنج بالبحر الأبيض فقط ، ولكن كانت له وقفات حاسمة في البحر الأحمر أيضاً ، دافع فيها الفرنج عن الأراضي المقدسة بالحجاز ؛ ذلك أن صاحب الكرك وهو من ألدّ أعداء المسلمين وأشدهم نكاية فيهم ، فكر في مهاجمة المسلمين في البحر الأحمر ظناً منه أنهم غير مستعدين فيه ، وتأديباً لحامية أيلة التي كانت تغير عليه ، ولا سبيل له عليها لأنها تقيم بقلعة في وسط البحر ، فبنى سفناً ، ونقل أخشابها على الجمال إلى الساحل ، وجمعها في أسرع وقت ، وشحنها بالمحاربين وآلات القتال ، وسارت السفن وقد افترقت فرقتين ، أقامت إحداهما على حصن أيلة يحصرونه ويمنعون أهله من ورود الماء ، فأصاب أهله شدة وضيق ، ومضت الثانية ، وهي فرقة فدائية إلى عيذاب ، وأفسد جندها في السواحل ، ونهبوا ، وأخذوا ما وجدوا من المراكب الإسلامية ومن فيها من التجار ، وفاجئوا الناس على حين غفلة منهم ، فإنهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجياً ولا محارباً(١) ، وأرادت الفرقة أن تقطع طريق الحج ، فقد كانت الغزوة في شهر شوال سنة ٥٧٨ ، وأن تمضي إلى المدينة المنورة لتنبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنقل جسده الشريف إلى بلادها ، وتدفنه عندها ، ولا تمكن المسلمين من زيارته إلا بجعل(٢) ؛ وسارت الفرقة إلى بلاد الحجاز ، وجاء الخبر إلى مصر وبها الملك العادل أخو صلاح الدين ، فأمر قائد الأسطول وهو الحاجب لؤلؤ أن يتتبع هؤلاء الغزاة ، فانقض على محاصري أيلة انقضاض العقاب ، وقاتلهم فقتل بعضهم وأسر الباقي ، ومضى تواً إلى شاطئ الحجاز ، فوجدهم قد أوغلوا في طريق المدينة حتى لم يبق بينهم وبينها إلا مسافة يوم(٣) ، فمضى خلفهم على خيل أخذها من الأعراب ، وحاصرهم هناك في شعب(٤) حتى استسلموا ، فقتل أكثرهم ، وأرسل بعضهم إلى منى لينحروا بها ، عقوبة لمن رام إخافة حرم الله تعالى وحرم رسوله(٥) ، وعاد بالباقين إلى مصر ، فكان لدخولهم يوم مشهود ، وأرسل صلاح الدين

(١) الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ٢٢١ .
(٢) خطط المقريزي ج ٣ ص ١٣٩ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) الروضتين ج ٢ ص ٣٥ .
(٥) الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ٢٢٢ .

إلى أخيه العادل يأمره بقتل أسراه ، ويقول له على لسان القاضي الفاضل : وهؤلاء الأسارى قد ظهروا على عورة الإسلام وكشفوها وتطرقوا بلاد القبلة وتطوفوها ... ولا بد من تطهير الأرض من أرجاسهم ، والهواء من أنفاسهم ، بحيث لا يعود منهم مخبر يدل الكفار على عورات المسلمين . ويظهر أن العادل كان من رأيه الإبقاء عليهم فكتب إلى أخيه بما رآه ، ولكن صلاح الدين لم يغير رأيه فيهم فكتب إلى العادل يقول له : «وليس في قتل هؤلاء الكفار مراجعة ، ولا للشرع في إبقائهم فسحة ولا في استبقاء واحد منهم مصلحة ، ولا في التغاضي عنهم عند الله عذر مقبول ، ولا حكم الله في أمثالهم عند أهل العلم بمشكل ولا مجهول ، فليمض العزم في قتلهم ، ليتناهى أمثالهم عن فعلهم ، وقد كانت عظيمة ما طرق الإسلام بمثلها» ؛ غير أن العادل والسياسة جزء من عناصره لا يسرع إلى قتلهم بل يراجع أخاه كرة أخرى ، فيرد عليه بالقول الفصل : قد تكرر القول في معنى أسارى بحر الحجاز ، فلا نذر على الأرض من الكافرين دياراً ، ولا نوردهم بعد ماء البحر إلا ناراً فاقتلهم إذا بقي جنى الأمر الأصعب ، ومتى لم تعجل الراحة منهم وعدت العاقبة بالأشق الأصعب(١) ، فلم يبق بعد ذلك مجال للمراجعة وقتل الأسرى ، وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة(٢) .

هذا وكان للأسطول المصري في البحر الأحمر الفضل في فتح بلاد اليمن على يد توران شاه أخي صلاح الدين فهو الذي حمل الأزواد والمدد والآلات إلى تلك الديار(٣) .

ورأينا الأسطول المصري في عهد العادل يظفر بالفرنج سنة ٥٩٣ ويعود إلى القاهرة غانماً سبعين فارساً بذل أحدهم في فدائه ثمانين ألف دينار(٤) ، ويعود من الغزو في السنة التالية حاملا معه أربعمائة وخمسين أسيراً(٥) .

وكان للأسطول المصري أثر حاسم في معركة المنصورة الأولى في عهد الكامل سنة ٦١٧ ، وكان عدد شواني المسلمين مائة

(١) الروضتين ج ٢ ص ٣٦ .
(٢) خطط المقريزي ج ٣ ص ١٣٩ .
(٣) الروضتين ج ١ ص ٢١٧ .
(٤) ذيل الروضتين ص ١١
(٥) المرجع السابق ص ١٣

قطعة(١) ، والمركة الثانية سنة ٦٤٧ ، تلك التى انتهت بهزيمة الغزاة من الفرنج ، فإن الصالح أيوب ما كاد يدخل المنصورة ، حتى قدمت الشوانى المصرية بالعدد الكاملة والرجالة(٢) ؛ فلما مات وعسكر الصليبيون أمام المنصورة كانت الميرة ترد إليهم من دمياط فى النيل ، فصنع المسلمون عدة مراكب ، وحملوها وهى مفصلة على الجمال إلى بحر المحلة ، وطرحوها فيه ، وشحنوها بالمقاتلة ، فلما جاءت مراكب الفرنج خرجت عليها تلك المراكب بغتة ، وقاتلتها وقدم الأسطول المصرى من المنصورة ، فأخذ مراكب الفرنج أخذاً وبيلا ، وكانت اثنتين وخمسين مركباً وقتل منها وأسر نحو ألف فرنجى ، وغنم سائر ما فيها من الأزواد والأقوات ، وحملت الأسرى على الجمال إلى المعسكر ، فانقطع المدد من دمياط عن الفرنج ، ووقع الغلاء عندهم ، وصاروا محصورين لا يطيقون المقام ، ولا يقدرون على الذهاب ، وقوى المسلمون عليهم ، وطمعوا فيهم ، وأراد الفرنج الأنتقام ، فأخذوا من مراكب المصريين سبع حراريق ، وأرسلوا إلى دمياط فى طلب الميرة ، فجاءت مراكبهم تحملها ، فالتقت بها شوانى المسلمين ، وأخذت منها اثنين وثلاثين مركباً ، منها تسع شوان ، فاشتد الغلاء عند الفرنج ، وشرعوا فى مراسلة السلطان يطلبون المدنة(٣) .

وفى عهد بيبرس أراد السلطان أن يغزو قبرص ، ويستولى عليها ، فلما علم أن صاحبها قد قدم عكا بمراكبه ، نجدة لأهلها ، انتهز فرصة خلوها ، فجهز سبعة عشر شينيا(٤) ، وصلت الجزيرة ليلا ، فهاجت عليها ريح طردتها عن المرمى ، وألقت بعض الشوانى على بعض ، فتحطم منها أكثر من أحد عشر شينياً ، وأخذ من فيها من الرجال والصناع أسرى ، وكانوا زهاء ألف وثمانمائة نفس ، فعظم ذلك على الظاهر بيبرس ، وأرسل صاحب قبرص كتاباً إلى السلطان ، يشمت به فيه ، فرد عليه السلطان بجواب أرعد فيه وأرق وقال فيه : إلى حضرة الملك ... نعلمه أن الله إذا أسعد إنساناً دفع عنه الكثير من قضائه باليسير ، وأحسن له بالتدبير فيما جرت به المقادير ، وقد كنت عرفتنا أن (الهوى) كسر عدة من شوانينا ... ونحن الآن نبشره بفتح القرين ، وأين البشارة بتملك القرين ، من البشارة بما كفى الله ملكنا من العين ، وما العجب أن يفخر بالاستيلاء على حديد وخشب ، الاستيلاء على الحصون الحصينة هو العجب ... وليس من اتكل على الله وسيفه كمن اتكل على الريح ، وما النصر بالهواء مليح ، إنما النصر بالسيف هو المليح ... وإن عدمت من بحرية المراكب آحاد فعندنا من بحرية المراكب ألوف ، فلئن كنتم أخذتم لنا قرية مكسورة ، فكم أخذنا لكم من قرية معمورة ، وإن استوليتم على سكان ، فكم أخلينا بلادكم من سكان(١) » . ثم أصدر بيبرس أمراً بإنشاء عشرين شينياً ، وبذل جهده فى الإسراع بصنعها ، فلما كملت احتفل بإتمامها ، وخرج لاستعرضها ، ولكنه لم يحاول غزو قبرص مرة أخرى .

وقد رأينا ما كان من انزعاج الفرنج عند ما سمعوا باستعراض خليل بن قلاوون أسطوله الضخم فى النيل ، فأرسلوا إليه الهدايا طالبين الصلح ، واستطاع الأسطول المصرى فى أيام الناصر محمد ابن قلاوون أن يمضى إلى جزيرة أرواد من أعمال قبرص ويستولى على ما فيها ويملكها ، ويأسر من الجزيرة مائتين وثمانين أسيراً .

(يتبع)

أحمد أحمد بدوى
المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

(٢) خطط المقريزى حـ ١ ص ٣٥١
(٢) السلوك للمقريزى حـ ١ ص ٣٣٧
(٣) السلوك حـ ٢ ص ٣٥٤
(٤) بين المؤرخين خلاف فى عددها وعدد ما تحطم منها والذى اخترناه هنا ما ذكره صاحب النجوم الزاهرة حـ ٧ ص ٢٥٤

(١) عقد الجمان ص ٢٤٠

أدب القصة القصيرة

للأستاذ نصرى عطا الله

قرأت ما كتبه أديبان فاضلان عن القصة القصيرة بالعددين ٨١٢ ، ٨١٥ من الرسالة الغراء بمناسبة المباراه التى أجرتها إحدى المجلات الأسبوعية ، وقد عن لى أن أعلق على ما جاء فى مقاليهما بما يلى :

١ — تختلف القصة القصيرة عن القصة الطويلة لا فى « الكم » وحده بل فى « الكيف » أيضاً . وقصر الأقصوصة يجب أن يكون إيجابياً لا سلبياً ، وذلك يعنى أن العاطفة التى تحفز كاتب الأقصوصة إلى كتابتها هى العاطفة التى يمكن التعبير عنها تعبيراً كاملا يفى بشروط الفن فى حدود قصرها ، والإيجاز هنا لا يمكن أن يكون إرادياً أو اختيارياً بل هو تلقائى محض . أما اصطناعه اصطناعاً لغاية يهدف إليها الكاتب فذلك ما يخرج بالأقصوصة عن جوهرها ومقومات كيانها . ومن هنا قيل إن أول شروط كتابة الأقصوصة الجيدة هو ضرورة تلك الكتابة أى نضج العاطفة وتبلورها أولا فى نفس الكاتب ثم شعوره بالحاجة إلى التعبير عن تلك العاطفة فى أقصوصة لا فى قصة أو مقال أو قصيدة .

وهكذا نستطيع أن نقول إن الأقصوصة ولدت يوم قامت الحاجة إلى التعبير عن لون معين من الإحساس بطريقة خاصة لم تحققها الصيغ الأدبية التى كانت موجودة حتى ذلك الحين . وليس هناك إذاً « حيز محدود » أو « اقتضاب ملموس » أو « حد كبير من حرية الكاتب » .

٢ — الخاصية التى تتميز بها الأقصوصة هى وحدة المحور الذى تدور حوله ، أى أنها تنصب على فكرة واحدة أو عاطفة واحدة فقط ؛ فالكاتب يرتب حوادثها ويختار شخصياتها ويحلل نفسياتهم ويضع على ألسنتهم الحوار بحيث يؤدى كل هذا إلى جلاء حقيقة واحدة ولتكن « حب الترف يؤدى إلى التهلكة » مثلا ولا يجوز له أن يضمنها ما يرمى إلى جلاء فكرة أو عاطفة أخرى .

وترتبط هذه الخاصية بخاصية أخرى هى الإيجاز وهو ما لا يتوفر على وجه سوى إلا للكاتب الفطن ، الخبير بالنفوس وأغوارها المتمكن من اللغة وأساليبها فمثل هذا الكاتب وحده يستطيع أن يختار الخطوط الرئيسية لشخصيات أقاصيصه دون أن يزحمها بالتافه من الأوصاف والوقائع ، كما يستطيع أن يعبر عما بنفسه تعبيراً دقيقاً ، قوياً ، مؤدباً فى أقل عدد ممكن من الألفاظ .

٣ — تحفل الحياة حولنا بمئات الموضوعات التى تصلح مادة للأقصوصة ؛ ولكن الكاتب لا يفطن إليها إلا وهو فى مرتبة خاصة من حرارة الإحساس ونضج الشعور . والأقصوصة الجيدة هى التى تشعر بعد قراءتها بأننا قد زدنا شيئاً ، ولا يتحتم أن تضيف القصة إلى معلوماتنا وخبرتنا شيئاً جديداً ، بل يكفيها أن تزيدنا إحساساً وشعوراً بما كنا نعرفه قبلا ولا نحفل به كثيراً . وقد قال دوهاميل « ... إن ما فى المألوف من روائيه لا يلبث أن يرينا كيف يصبح العادى خارقاً والحادث اليومى شاذاً .. المهم هو أن ندرك ما نراه كل يوم دون أن نلقى إليه بالا ، ومنه يتكون نسيج حياتنا اليومية العجيبة لو تأملنا . ونحن بذلك نضيف إلى معرفتنا بالإنسان وتصورنا له أشياء جوهرية » .

٤ — لا يتحتم أبداً على كاتب الأقصوصة أن يضمنها «حكاية» تتألف من حوادث متعددة أو معقدة ، بل يكفيه أن يبنى الأقصوصة على فكرة مفاجئة ، أو بارقة شعور ، أو اتجاه جديد فى النفس جاء إثر حادث أو تجربة ، أو تطور ما طرأ على إحدى العواطف لسبب من الأسباب المستمدة من واقع الحياة أو باطن النفس . إن كل ما يجيش به النفس وتستجيب له يصلح مادة للأقصوصة ولكن لن يكتبها إلا الذى يستطيع أن ينقل إلى نفوسنا ماجاش بنفسه وذلك عن طريق الأداء الفنى الموفق .

٥ — قد تكون المفاجأة عنصرا من عناصر الأقصوصة أو قد لا تكون ، ولكن ما من كاتب أو ناقد يسلم بأن كل أقصوصة يجب أن تقوم على المفاجأة ، بل يجب أن نقرر واثقين مطمئنين أن الكاتب الفقير فى عواطفه وخياله وخبرته بالنفس والحياة هو وحده الذى يعمد إلى حشد الحوادث وترتيب المفاجئات لا لشىء إلا لاستثارة نفوس السذج من القراء بطريقة صناعية مفتعلة .

٦ — من السذاجة أن يقول قائل إن الأقصوصة ليست

ميداناً لعرض صور الحياة المختلفة بما تحفل به من كثرة وعمق وغنى وتنوع ؛ والأمثلة على صدق ما نقول كثيرة ؛ فالكاتب الكبير « موباسان » يبرز من وراء أقاصيصه عملاقاً جبار الفكر جال بذهنه فى كل مجال ، ودرس كل عاطفة ، وحلل كل غريزة ، وعرض لكل رأى . وفى أقاصيصه نستطيع أن ندرس النفس البشرية والطبيعة والحياة دراسة شاملة مستوفاة . والقول نفسه ينطبق على تشيكوف أيضاً . والعبرة بشخصية الكاتب ؛ فكلما كان صاحب شخصية فذة اتسع ميدان الكتابة أمامه .

وأحب أن أذكر هنا أنه لا يصح أبداً أن يحكم القارئ الشرق على شخصيتى موباسان وتشيكوف بما نقل من أدبها إلى العربية فذلك أقل من القليل ولا يكشف أبداً عن كل نواحى شخصيتيهما .

٧ — يجب أن ننزل على حكم الواقع آسفين مضطرين ، ونفرق — دون أن نعترف — بين الأقصوصة الأدبية والأقصوصة الصحفية . فالأقصوصة الأدبية هى التى أجملنا عناصرها فيما سلف . أما الأقصوصة الصحفية فهى التى يضع شروطها ويحتضنها أصحاب ومحررو المجلات الرائجة . وهى أقصوصة تجافى كل عناصر الأدب وخاصياته ؛ فمن شروطها ألا تكون عميقة ، وأن تخلو من التحليل النفسانى ، وأن تتراكم فيها الحوادث والمفاجئات بعضها فوق بعض ، وأن تكون بالغة القصر ، مشوقة ، غير قاتمة أو قابضة ، وأن تنتهى بحادث سعيد ، وأن تكون سهلة حتى يستطيع قراءتها كل قراء المجلة من البواب والحلاق وبائعة الخردوات إلى الكواء والقصاب وطالب المدرسة الابتدائية . والقاعدة فى هذه المجلات هى: « عندنا جمهور يجب أن نرضيه بأى شكل » وقد قال لى كاتب كبير (كبير الحجم !) كان يرأس إلى وقت قريب تحرير إحدى المجلات الكبيرة : إن القارىء فريسة يجب إصابتها من أول طلقة. ومؤدى هذا أن الأقصوصة التى يشك المحرر فى أن قارئاً من القراء الذين سبق بيانهم قد يعرض عنها أو لا يرتاح لأى سبب يعليه الرأس الأجوف أو الذوق الفاسد ، فمصيرها إلى سلة المهملات حتى لو كان كاتبها موباسان أو تشيكوف .

(القاهرة) **نصرى عطا الله**

أحـــلام (*)

للأستاذ ابراهيم الوائلى

رُدّى إلىّ ترانيمى وأقداحى فقد ظمئت إلى الأنغام والراح

هجرتنى وزويت الكأس والنغما فماد قلبى كالأوتار منحطما
ماذا عليك إذا ما الدهر قد أثما لو تطفئين من الأنفاس ما اضطرما
يا جنتى وخيالاتى وأفراحى
ردى إلىّ ترانيمى وأقداحى

ســلى الطيور ونجواها على الشجر
ونسمة الروض تندى بالشذى العطر
والنور يلمع فوق الزهــر والغُدُر
هل كان إلا الربيع السمح من وطر
فيـــه أبدد آلامى وأتراحى
ردى إلىّ ترانيمى وأقداحى

ردى إلىّ ربيعاً كان مزدانا وجنة عبقت بالسحر ألوانا
أيام كنت بعيد الهم جذلانا كالطفل يبسم للأطياف وسنانا
وأنت لحن أماسىّ وأصباحى
ردى إلى ترانيمى وأقداحى

هذى حياتى ضلالات وأوهام ونغمة الشعر أنات وآلام
والسكر ، ما السكر ؟ لا خمر ولا جام
تلك الحياة — وعيش المرء أحلام —
لم يبق فى النفس منها غير أشباح
ردى إلى ترانيمى وأقداحى

عاودت أمسى أستجلى الذى دفنا فلم أجد غير عهد يشبه الوسنا
وجئت أبحث عن يومى وما اضطبنا
فــا تبينت إلا الكدّ والحنا
وغاية كظلال الأجرد الضاحى
ردى إلى ترانيمى وأقداحى

البيد جُنت بأنياب وأظفار والركب ما بين أهوال وأخطار
يا للظلال ويا للسلسل الجارى دنياى من العيش قد لُفت بإعصار
فماد كل هزار غـــير صداح

(*) من ديوان : فجر وضباب .

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

راجى الراعى يعود إلى ميدانه :

إلى الأديب الأديب الأستاذ أنور المعداوى

لم يسعدنى الحظ بعد بالتعرف إليك — وبين النعمة والنقمة نقطتان هما الحظ — ولكننى قرأت كلمتك عن « قطراتى » فى « الرسالة » فتبينتك على ضوء قلمك الصافى العميق صفاء الينبوع وعمقه ، وما أجمل الصفاء والعمق يجتمعان ! ما أجمل الأديب — وأنت هو الأديب — يفتش عن الكتاب العارى الذى لا يتشح بغلاف ، لعل فيه قوة مكنونة ضائعة فيلبسه وشاحه ويحيى صاحبه بتلك الكلمات الفواحة بطيب الخلق وعبيره ...

لقد هزنى فى الصميم قلمك القوى الحى الصادق الصريح المخلص للأدب وبنيه كما هزك كتابى . وأنا لو كنت هجرت الأدب لرأيتنى أعود إليه اليوم وقد أيقظت ما رقد فى صدرى ! ولكن القضاء لم يشغلنى ولن يشغلنى عن الأدب الذى هو محور كيانى وقبلة أملى فى هذه الحياة الصغيرة القصيرة التى لا تتسع للحلم البعيد الكبير ، وكأن بينهما عداء قديماً لا أدرى من أثاره ولماذا أثير ...

أحييك شاكراً لك حسن ظنك ، معجباً بروحك وكأسك التى لا شائبة فيها ولا ثمالة .

إن لى إلى جانب الفجر فى كل يوم فجرى الذى يأتينى بتلك «القطرات» ويأبى أن يفارقنى كأنه يقول : أنت صاحب القطرات ولست شيئاً آخر ؛ ذلك هو حكم القدر فى الناس يفرغهم على الصور التى يختارها ...

لدى الآن بالعربية من طراز الكتاب الذى وقعت عليه « القطرات » التى أبعث بها إليك ، ما يسع ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير أود إخراجها فى كتاب للأقطار العربية ، ولكننى لم أوفق بعد فى تحقيق هذه الأمنية ، ولدى من الطراز نفسه كتاب بالإنجليزية لم يطبع بعد ، وكتاب بالفرنسية طبع فى عام ١٩٣٦ أبعث إليك أيضاً بنسخة منه ...

منذ ربع قرن وأنا أكتب وتبقى لى كتبى لا أوفق فى نشرها على الملأ ، وأنا لا أملك فى الدنيا غير قطراتى التى تفتش عن كؤوسها ... وكأنه كتب للخيال الخلاق أن تتنكر الحياة لمواليده وتحرمها الغذاء والرداء ، فتظل عريانة فى العراء تتحرق وتتلوى بين الضعفاء والبلداء ، تلك هى المعركة الناشبة منذ الأزل بين الأرض والسماء ، وهذا هو ما فى ما تدعونى إليه موضع العلة ومصدر البلاء ! ولكننى ما زلت أعتقد أن فى الناس على وفرة القوالب التى أفرغوا فيها جيشاً من الخلق إلى جانب قراء الروايات والأدب السهل الرخيص ، تلذ له الموجة الفكرية الوضاءة القصيرة التى تحمل شيئاً جديداً . ولا هم لى الآن إلا أن أطل بفجرى ونداه على هذه الدنيا المترامية الأطراف دنيا العروبة وفى رأسها مصر . فإذا سقيت وشربوا ظللت فى الكرمة أسقى وظلوا يشربون حتى تفرغ الدنان ، ولن تفرغ ما بقى القلم فى يدى ...

إن كلمتك هى التى تملى على ما أكتب ، وإنى أعنى أن يكون هذا الذى جرى به قلمك الجميل على صفحات « الرسالة » أول الصداقة بيننا ، تنيرها الروحانية ويوثق الأدب عراها ...

والسلام عليك من المخلص :

راجى الراعى

قصر العدل — بيروت

إلى الأديب المبدع الأستاذ راجى الراعى :

من حق رسالتك الرائعة على أن يقرأها الناس ، لأنها فى رأى الفن قطعة من الفكر المحلق والبيان المشرق والخيال الوثاب . ولن أنسى أننى مدين بالشكر لقطرات نداك لأنها هى التى قادتنى إليك ، وعلى جناحيها طفت بسمائك وحلقت فى أفقك ، وصافحتك بروحى من وراء الآماد والأبعاد ! إن رسالتك لتؤكد لى مرة أخرى أنك تحمل بين جنبيك قلب إنسان ، وتحمل بين يديك قلم فنان .. ومن هذين المنبعين يفيض إعجابى بك وتقديرى لك ، وكلاهما همسة يتردد صداها بين حنايا الضلوع وشغاف القلب ...

أنا سعيد بأن يكون هذا الذى جرى به قلمى على صفحات « الرسالة » أول الصداقة بيننا ، وإنها لصداقة تنيرها الروحانية كما تقول ويوثق عراها الأدب ، وشاكرك هذا التقدير الكريم الذى أضفيته على قلم يهتز حياء من فيض ثنائك ، وحسبه أنه قد اغترف يوماً من فيض نداك !

وإذا كان القضاء لم يشغلك عن الأدب ، فإن الأدب ليعتز

بأن تكون فى ميدانه ، تسقى الظامئين من كؤوس خمرتك الفكرية المعتقة فى دنان الإلهام !

أجل يا صديقى ، إن مكانك هنا وليس هناك ... إنك صاحب القطرات ولست شيئاً آخر ، وإن فجرك الذى يشع بأضواء النبوغ ليهدى السالكين إلى فجاج الحق والخير والجمال .

بقى أن أقول لك إن راجى الراعى القاضى لم ينصف راجى الراعى الأديب ، وإن ميزان عدلك قد ظلم ميزان فنك : قطراتك أنت تفتش عن كؤوسها ؟ كلا يا صديقى ، إن كؤوسنا نحن هى التى تفتش عن قطراتك ! مواليد خيالك الخلاق تتنكر لها الحياة ؟ إنك لتظلم الحياة فى جوهرها المصفى ... إن الحياة لا يمكن أن تبخل على الموهوبين من أمثالك بالذكر الجميل ! أما الذين يبخلون فهم البلداء الذين حرمهم الله نعمة الذوق والفكر والشعور ، وأظنك توافقنى على أن هذا القطيع من الآدميين لا يستطيع أن يغير شيئاً من وجه الحقيقة ، ولا أن يقيم الميزان لأقدار الناس ، ولا أن يحول بين فيض الإبداع وبين التدفق فى أودية الروح ومسارب العاطفة !

عليك إذن أن تكتب لهؤلاء الذين تلذ لهم الموجة الفكرية الوضاءة التى تحمل شيئاً جديداً . وثق أنك إذا سقيت فستظل فى الكرمة تسقى ولن تفرغ الدنان : إن كرمتك يا صديقى لتمت جذورها إلى أرض العبقرية بأسباب ، أما دنانك فأنا أبشرك منذ اليوم بكثرة الظامئين المتلهفين إلى أن يشربوا نخب أدبك العالى وفنك الرفيع !

أخلص الشكر على هديتيك الكريمتين ... وإلى اللقاء فى رسائل خاصة ، تنقل إليك وإلىَّ ومضات من الفكر ودفقات من الوجدان .

توفيق الحكيم والفن الإنسانى :

منذ أيام دق جرس التليفون فى مكتبى بوزارة المعارف ، وكان المتحدث هو الأستاذ توفيق الحكيم ... لقد تفضل الأستاذ الصديق فاتصل بى ليقول إن كلمات كتبتها عن « شهداء المثل العليا » قد تركت أثرها فى نفسه وصداها فى قلبه ، وكم يود أن يستمع لكثير من هذه النبضات الإنسانية فيما أكتب من تعقيبات ! وقلت للصديق الكريم رداً على جميل تقديره : يبدو أن بين فكرينا شيئاً من توارد الخواطر ، وأن بين قلبينا شيئاً من توارد الخفوق ... لقد كنت على وشك الاتصال بك لأقول لك أيضاً إننى أود أن تخرج لنا روائع أخرى يبلغ فيها الفن الإنسانى ذروته كما بلغها فى « سليمان الحكيم » ! ثم تشعب الحديث من الفن الإنسانى إلى غيره مما عرضنا له من فنون .

والحق أنى لم أكن قد قرأت بعد هذه المسرحية الرائعة حتى تفضل الأستاذ الحكيم فأهداها إلى فى طبعتها الثانية التى ظهرت منذ قريب ... ولقد خرجت بعد قراءتها بحقيقة ملموسة ، تغيرت على ضوئها نظرتى إلى معدن الإنسانية فى قلب هذا الفنان . إن من يقرأ « سليمان الحكيم » يلمس أن صاحبها يملك قلباً يهتز اهتزازاً عميقاً أمام جيشان العاطفة ! ولكن أين كانت كل تلك النبضات الشعورية والحركات النفسية ، ولم لم تفرض نفسها على بقية إنتاجه بمثل هذا التدفق الذى عطر كل صفحة من صفحات « سليمان الحكيم » ؟!

هناك جواب واحد لهذا السؤال ، وهو أن الأستاذ الحكيم يغلب عليه الطابع الفكرى فى كثير من قصصه ومسرحياته . إنه يجرى وراء المشكلات النفسية وهو فى ذلك يخضع للجو الذى تسيطر عليه نفسيات أبطاله ، هناك حيث نجد الصراع بين ذهن وذهن لا بين عاطفة وعاطفة ، ومن هنا تختفى الومضات الوجدانية فى تيه من التأملات الذهنية ، ولكنه فى « سليمان الحكيم » شىء آخر ... إن جو المسرحية كان جواً عاطفياً خالصاً هيأ للشعور الإنسانى أن يظهر على حقيقته ، حين تراجع الفكر المجرد متخلياً عن مكانه للروح المرفرفة والقلب الخفاق !

هذا أمر سأعرض له بالتفصيل عند الحديث عن مسرحية « الملك أوديب » فى الأيام المقبلة ... كل ما أرمى إليه من وراء هذه الكلمة هو أن أقرر إنسانية الفن فى شخصية توفيق الحكيم الأدبية ؛ وتلك ناحية كان يخالجنى فيها الشك قبل أن أقرأ « سليمان الحكيم » وقبل أن أستمع لرأى صاحبها فى « شهداء المثل العليا » !

تحية فلبية وأخرى فلمية :

تحت هذا العنوان تحدثت فى عدد مضى من « الرسالة » عما تعانيه الحياة الأدبية فى هذه الأيام من تخمة فى الكتاب وأزمة فى النقاد ، حتى ليتعذر على الناقد أن يتسع وقته لقراءة هذا العدد الضخم من الآثار الأدبية والكتابة عنها ! ثم قلت فى ثنايا كلمتى

إننى لن أكتب عن أى أثر أدبى يهدى إلى إلا إذا لمست فيه نفعاً للأدب وفائدة للقراء ، وحسب كتاب لم يتحقق فيه هذا الشرط أن أقدم إلى صاحبه تحية قلبية ... أما الكتاب الذى يضيف إلى رصيد القارىء ثروة فكرية جديدة فهو جدير بتحية أخرى قلمية !

قلت هذا فكتب إلىّ بعض القراء عاتبين ومعترضين : إن النقد كما يقولون لم يخلق ليقتصر على التنويه بالكتب القيمة والآثار النافعة لأن أصحاب هذه الكتب قد بلغوا من الشهرة والنضج وإقبال القراء ما يجعلهم فى غير حاجة إلى التعريف بكتبهم والتحدث عن جهودهم ، وحسبهم أن مكانتهم الأدبية قد بلغت من الصمود والمنعة ما يحول بينها وبين الاهتزاز أمام عواصف النقد وأعاصيره! أما صغار الكتاب فما أحوجهم إلى العطف والتشجيع ، والتوجيه الذى يسدد خطاهم وينمى ملكاتهم ، ويغذى فى نفوسهم نزعة التشوف إلى بلوغ الكمال . فالإعراض عن كتبهم أمر يثبط العزائم ويجنى على المواهب ويبعث على الخمول ... ورب شجرة صغيرة تتعهد بالسقيا وتُخص بالرعاية ، تنمو وتشتد أعوادها وتخرج للناس كل شهى من الثمر وكل مرجو من الفائدة !

إن ردى على هؤلاء العاتبين والمعترضين هو أننى حين عرضت لهذه المشكلة لم أقصر إغفال الكتابة على أديب صغير دون أديب كبير ، ولكننى قصرته على كل كتاب يضيع معه الوقت سواء أكان صاحبه يكتب منذ ربع قرن أم كان يكتب منذ ربع شهر ! أما قولهم بأن صغار الكتاب أحوج إلى التحدث عن آثارهم من كبار الكتاب ؛ لأن هؤلاء الكبار تحميهم مكانتهم الأدبية من زلزلة النقد وهزات الناقدين فلا أوافقهم عليه . إن مقالا واحداً يتسم بالفهم والعمق والأصالة جدير بأن يزلزل سمعة كبر أديب من أصحاب المكانة المرموقة ، وجدير بأن يبقى كتبه فى رفوف المكتبات لا تمتد إليها أيد ولا ترنو عيون ! ولقد أصبحنا اليوم نجتاز مرحلة فكرية بلغت الأوج وأوفت على الغاية ؛ مرحلة ليس فيها أديب كبير ولا أديب صغير إلا فى حساب الموازين الناضجة التى تفرق بين المواهب والثقافات ، على ضوء الأعماق وحدها لا على ضوء الأهواء والغايات ! ومع ذلك فلا بأس من الكتابة عن كتب كنت خصصتها بتحية القلب دون تحية القلم ، ولا اعتراض بعد ذلك ولا عتاب !.

رسالة ماجستير فى كلية الآداب :

كان ذلك فى الأسبوع الماضى إذا لم تخنى الذاكرة ، حين توجهت إلى كلية الآداب وحملت نفسى ما لا تطيق واستمعت لمناقشة رسالة عن « العماد الأصفهانى » ... أنا لا أظلم الطالب الذى فاز بالماجستير فى الآداب من درجة جيد ، فكم من طلاب فازوا قبله بالدكتوراة من درجة جيد جداً وممتاز ؛ فهذه رسالة عن « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » حظى صاحبها بمرتبة الشرف الأولى واستحق شكر الجامعة ، ومع ذلك فقد طبعها لينتفع بها الناس فبقيت لتأتنس بها رفوف المكتبات ! وتلك رسالة أخرى فى الفلسفة عن « الزمان الوجودى » حظى صاحبها أيضاً بمرتبة الشرف الأولى مع لقب أول فيلسوف مصرى ، ومع ذلك فقد طبعها ليرفع بها رأس الفلسفة الوجودية فى الشرق فلم يبق لها وجود ... وكم من رسائل أخرى لقيت مثل هذا التقدير وانتهى بها الأمر إلى نفس المصير ...

نخرج من هذا كله بأن لكلية الآداب نظرتها إلى قيم الرسائل العلمية ، وأن للرأى العام الفنى نظرته . والفرق بين النظرتين هو الفرق بين القدرة على جمع النصوص من بطون الكتب وترتيبها وتبويبها وإخراجها فى رسالة ، وبين القدرة على الغوص فى أعماق تلك النصوص ومراجعتها وتمحيصها وإخراجها فى نظرية أو مذهب ! إن خمسين صفحة تحفل بوثبات الذهن المحلق خير ألف مرة من مئات الصفحات التى لا تزخر بغير الترديد والتقليد ولكن من يسمع ؟!

لحظات مع ايليا أبى ماضى :

شىء فى شعر المهجر يثير إعجابى ، وأوثره بتقديرى ، وأشعر نحوه بتجاوب الفكر والعاطفة ... ذلك هو صلة الفن بالحياة ! الحياة فى شعر المهجر نفَس عميق ، وهمس رفيق ، ونبع شعور متدفق ، ولعل هذه القصيدة التى صدح بها أبو ماضى فى الحفلة التكريمية التى أقيمت له منذ أسابيع فى دمشق من خير ماقرأت إشراقة لفظ ، ورحابة أفق ، وأصالة شاعرية !

عنوان القصيدة « محباً لقومى » . ومطلعها هذه الأبيات :

حى الشآم مهنـــداً وكتاباً والغـوطة الخضراء والمحرابا
ليست قباباً ما رأيت وإنما عزم تمرد فاستطال قبابا
فالثم بروحك أرضها تلثم عصو راً للعلى سكنت حصى وترابا

وإلى العدد المقبل حيث يتشعب فيها الحديث .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

قصة أوديب فى الآداب المختلفة :

ألقى الدكتور طه حسين بك محاضرة عنوانها « قصة أوديب فى الآداب المختلفة » بنادى الخريجين المصرى يوم الجمعة الماضى . فبدأ بتلخيص قصة أوديب كما وضعها سوفوكل فى أوائل القرن الخامس قبل المسيح ، وحوادث القصة — كما هو معروف — تدور حول أوديب ابن الملك لايوس ملك طيبة ، وصراعه مع الأقدار التى قضت بأن ينشأ بعيداً عن والديه ، ثم تسوقه إلى حيث يقتل أباه وهو لا يعلم بأنه أبوه ، ثم يتزوج أمه وهو لا يعلم أنها أمه ، ويولد له منها أربعة أولاد ، ثم يعلم أن أولاده هم إخوته لأمه ... الخ

ثم قال الدكتور طه : إن سوفوكل صور فى هذه القصة الصراع بين القضاء المحتوم والإرادة الإنسانية المختارة ، وبين ذلك فى مواقف القصة المختلفة . وقال إن الأسطورة كتبها كثيرون فى القديم وفى الحديث ، حتى لم تخل منها لغة من اللغات الحية فى العالم الغربى ، وقد أتيح للعربية أن تشارك فى هذه الجهود ، فترجمتُ (الدكتور طه) إليها قصة سوفوكل وقصة أندريه جيد . وجاء أخيراً الأستاذ توفيق الحكيم فكتبها بالعربية . وأنا سأقصر الحديث على قصتين هما قصة جان كوكتو وقصة أندريه جيد ، وقد وضعتا فى وقت واحد تقريباً حوالى سنة ١٩٣٠ .

ثم حلل قصة جان كوكتو وقال إنه جنح فيها إلى الفن ولم يعن بالفكرة الفلسفية ، فقد صور جوكاستا (أم أوديب) امرأة مرحة ماجنة تعشق الكاهن ترسياس وتتغزل فيه ، وقد أهمل جان كوكتو الفكرة الفلسفية القديمة فى القصة واتجه نحو فلسفة فرويد فيما يكون من الأحاسيس الخفية بين الأمهات والأبناء . وانتقل الدكتور بعد ذلك إلى قصة أندريه جيد فقال إنه أمضى القصة كما أمضاها سوفوكل ولكنه جعل أولاد أوديب من شباب العصر الحديث يندفعون إلى التجديد فى كل شىء ، وجعل الصراع بين الدين ممثلا فى الكاهن ترسياس وبين أوديب الملك الذى لا يؤمن إلا بنفسه وعقله وشعوره ووجدانه .

ثم قال إنه يفضل قصة أندريه على قصة جان جوكتو ، ويفضل على الاثنتين قصة سوفوكل .

وبعد ذلك وصل الدكتور طه إلى الأستاذ توفيق الحكيم فقال إنه يسره أن يحاول الأستاذ توفيق هذه المحاولة ، ولكنه لم يتخذ لها ما كان ينبغى أن يتخذه من عدة ، وأول ما كان ينبغى أن يتخذه من عدة أن يقرأ وأن يقرأ كثيراً ، على رغم ما يحدثنا به من أنه قبل أن يكتب القصة قرأ فى الأدب اليونانى كثيراً ، فإنا نرى أن هذه القراءة متواضعة ومتواضعة جداً ... ثم ذكر الدكتور بعض المآخذ فى قصة الحكيم ، منها أنه جعل أوديب يقتل الأسد بهراوة فى يده ثم يحمله على ظهره ويلقيه فى البحر ، ولو فرضنا أنه من الممكن أن يقتل الرجل الأسد بهراوة ويحمله على ظهره فأى بحر هذا الذى ألقاه فيه ؟ إن الإنسان يسير بين طيبة وبين البحر يوماً كاملا دون أن يحمل أسداً على ظهره . أكبر الظن أن توفيق الحكيم لم ير الخريطة ، ولعله قد اشتبهت عليه قرية صغيرة قريبة من البحر اسمها طيبة وهى غير طيبة التى وقعت فيها أحداث القصة .

ومن تلك المآخذ مأخذ قال إنه أفسد القصة من الناحية الفنية إفساداً ليس بعده إفساد ، ذلك أنه صور ترسياس فى صورة المتآمر الذى ينزل إلى ما يجرى عليه الناس من أنواع الدسائس والشرور ، ثم مأخذ قال إنه أفسد الناحية الفلسفية بأن جعل أوديب يطلب إلى زوجته وأمه جوكاستا أن تصرف النظر عما حدث ، ليعيشا مع أولادهما مكتفين بالنفى من طيبة ، وهذا لا يتفق مع غاية القصة من الشعور بالإثم ، ومن حسن الحظ أن جوكاستا ماتت ولم تقبل ذلك .

ثم قال إن توفيق الحكيم لم ينس أنه كان عضواً فى النيابة العمومية ، فقد خلط الحوادث خلطاً عجيباً عندما حكم على الكاهن وترسياس بأن يختارا بين الموت والنفى ثم وقفهما أمام الشعب ليحاكمهما .

وخرج الدكتور طه من الكلام على قصة توفيق الحكيم بأنها جمعت بين قصور جان كوكتو فى الناحية الفلسفية وبين قصور أندريه جيد فى الناحية الفنية.

ثم تحدث الدكتور عن المقدمة التى كتبها الأستاذ توفيق الحكيم لقصته فقال إن أقل ما يقال فيها إنها كانت تحتاج إلى عناية، فقد كتب صفحات فى الجواب عن هذا السؤال: لماذا لم ينقل العرب التمثيلية اليونانية؟ وذكر أن امرأ القيس ذهب إلى قسطنطينية — وأنا لا أعرف أن امرأ القيس ذهب إلى قسطنطينية — فلماذا لم يعد من هناك بشىء من هذا الفن؟ وراح الأستاذ توفيق يسهب فى ذكر أسباب وفروض كثيرة، وما كان أغناه عن هذا كله لو علم أن العرب لم ينقلوا التمثيل عن اليونان لسبب واحد بسيط، هو أن اليونان لم يكن عندهم تمثيل فى عهد العرب لأن المسيحية كانت قد قضت عليه، ولو ذهب امرؤ القيس إلى هناك لما وجد تمثيلا ...

ثم ختم المحاضرة بقوله: وأنا على كل حال أهنئ الأستاذ توفيق الحكيم بهذا الجهد، وأقول إننا يجب أن نبدأ ولو مخطئين لننتهى مصيبين.

كشكول الأسبوع

◻ وافق المجمع اللغوى على ما رأته لجنة الأدب من التنويه بمجموعة شعر المرحوم الأستاذ عبد المحسن الكاظمى تقديراً لمنزلته الشعرية الرفيعة، وإنفاق المبلغ المرصد للمسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٨ — ٤٩ فى إحياء كتابين هما، سر صناعة الإعراب لابن جنى، وأنيس الجليس لزكريا بن المعافى. وذلك بعد أن رأت أن ما قدم لهذه المسابقات من القصص والشعر والبحوث لم تتوافر فيه درجة الامتياز التى تسوغ لها أن توصى بمنحه الجائزة.

◻ يطبع الآن السجل الثقافى لسنة ١٩٤٨ الذى تصدره وزارة المعارف، ومما يتضمنه إحصاء شامل لما ألقى من المحاضرات العامة فى السنة الماضية، وفى جملتها محاضرة ألقتها «الست أم عبده الاسكندرانية».

◻ نشرت «البلاغ» يوم السبت الماضى صورة فتيات ناعمات فاتنات فى وضع راقص، كتب تحتها «جمعية الشابات المسلمين تقيم حفلة خيرية راقصة» ألا ترى أن عدم التطابق بين الصفة (المسلمين) والموصوف (الشابات) ليس فقط من حيث اللغة بل كذلك من حيث العمل!

◻ سمعت كلة نابية فى مساء يوم من الأسبوع الماضى، وقد ظهر أنها قفزت إلى (الميكرفون) من حوار — خارج البرنامج — لمشادة وقعت بين موظفين فى الإذاعة، وقد اهتم أولو الشأن بذلك وصدر أمر بوقف المذيع عن عمله.

◻ كان فى برنامج الإذاعة يوم السبت الماضى تمثيلية «بيت يتهدم» شغلت نصف ساعة كله عويل وبكاء، حتى خيل للمستمعين أنها إذاعة خارجية من مأتم نساء.

◻ قال الأستاذ التابعى فى دفاعه عن مطالب أم كلثوم من الإذاعة: «ومرجريت ترومان تتناول عشرة آلاف دولار فى الأسبوع مقابل غنائها كل مساء ساعة واحدة فى أحد مطاعم نيويورك» وأقول: إن الذى يعطى الأجر الكبير للمغنية، هو مطعم يستجلب (الزبائن) بغنائها، وليست الدولة هى التى تدفع لها، ومسألة «الإذاعة وأم كلثوم» تختلف عن ذلك، فهى تتعلق بأموال الدولة.

◻ أصدر الأستاذ حسن كامل الصيرفى الطبعة الثانية من كتابه «حافظ وشوقى» الذى ظهرت طبعته الأولى فى العام الماضى، وهو دراسة مقارنة للشاعرين.

◻ ظهر أخيراً كتاب «أدب مصر الحديث» للأستاذ مصطفى زيد وقد عرض فيه الأدب الحديث على منهج مدرسى، وبذل به جهداً ظاهراً فى التحليل والنقد وربط الإنتاج ببواعثه.

◻ وافقت اللجنة الثقافية لشؤون السودان بوزارة المعارف على إهداء كتب إلى نوادى السودان. وقد أرسلت فى هذا الأسبوع ألفا كتاب من أحدث الكتب إلى مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم لتتولى توزيعها على الأندية والهيئات الثقافية هناك.

تعقيب:

أما وقد تعرض الدكتور طه حسين بالنقد لكتاب «أوديب الملك» للأستاذ توفيق الحكيم، فقد كان قسطاس النقد المستقيم يقتضيه أن يشير إلى مواطن الإجادة فيه، ولا يقصر النقد على مواضع المؤاخذة ثم على الثناء والتهنئة الساخرين... وأنا لم أقرأ بعد هذا الكتاب، ولكنى لا أتصوره خالياً من شىء يستحق أن يوضع فى كفة الحسنات، فتوفيق الحكيم كاتب معروف بجودة الإنتاج القصصى على العموم مهما كان فى هذا الإنتاج من مآخذ، ويعرف قراء العربية حسن رأى الدكتور طه فى بعض ما كتب الحكيم، فهل هو الآن يستوفى النقد بذكر المآخذ فى «أوديب الملك» بعد أن فرغ فيما مضى من الإشادة بما أحسن توفيق الحكيم فى «أهل الكهف»؟! وهل لى أن أقول إن الدكتور طه حسين لا يقتصد فى التقريظ إذا قرظ ولا يقتصد فى الثلب إذا ثلب؟.

الثقافة المصرية بالسودان:

زار السودان منذ أسابيع الدكتور عبد السلام الكردانى بك الوكيل المساعد لوزارة المعارف، واتصل هناك

بالمشرفين على التعليم فى حكومة السودان ، وبطبيعة الحال كانت المسائل التعليمية والثقافية هى موضوع الاتصالات ؛ وقد استرعى التفاتى من أنباء هذه الرحلة أمران ، الأول رد الكردانى بك على جريدة « النيل » السودانية وكانت قد تناولت مسألة توحيد التعليم فى السودان التى أثارتها الحكومة السودانية فى وجه مشروع التوسع فى التعليم المصرى بالسودان — قال الدكتور الكردانى : « إننى ممن يرون الخير فى تمدد أنواع التعليم والثقافات وأعتقد أننا فى مصر قد كسبنا من وجود مدارس ذات مناهج مختلفة » ثم قال : « إن هناك من يقولون فى الوقت الحاضر بضرورة توحيد الثقافات عند الأمم المتكتلة بتوجيه ثقافاتها وبرامج دراستها وجهة واحدة ، وكذلك ترى الجامعة العربية فيما يختص بالأقطار العربية المشتركة فيها وقد اتخذت خطوات فعلية فى هذا الاتجاه . فهلا ترون أن من مصلحة السودان العزيز وأهله الأعزاء أن يكون لديهم فى بلادهم فريق من أبنائه يسيرون فى دراستهم وفق المنهج الذى يسير عليه أشقاؤه فى مصر الشقيقة الكبرى وأبناء عمومتهم فى بقية البلاد العربية المتحدة المتضامنة سعياً وراء خيرها ورفعتها جميعاً ؟ » .

وهذه لفتة بارعة من الدكتور الكردانى ، وإن كان قد صاغها فى قالب من التحفظ ، فالسودان باتفاق جميع السودانيين جزء من البلاد العربية التى تتجه إلى توحيد غايتها الثقافية والتقريب بين برامجها الدراسية ، وتتخذ خطوات مصر وجهودها فى ذلك المضمار محوراً ومثلا لها ، فكل جهد يبذل فى الوقوف أمام انتشار التعليم المصرى بالسودان ليس ضاراً فقط بوحدة الوادى ، وإنما هو يمتد إلى مكان السودان من العروبة ونصيبه من قيمها الثقافية .

أما الأمر الثانى الذى لاحظته فى هذه الزيارة ، فهو أن الكردانى بك أدى مهمته باعتباره رجل تعليم وثقافة على خير ما تؤدى ، وكان عند ما يجمل بمثله أن يكون ، لقى الجميع وأحسن التفاهم مع الجميع ، فاحتفى به الجميع ، حتى امتدحت جريدة « النيل » وهى لسان الانفصاليين مسلكه فى المناقشة وسعة أفقه . والذى يهمنى من كل ذلك أن أضربه مثلا لرجال التعليم المصرى ورسل الثقافة إلى جنوب الوادى ، ولو أن كل من بعثنا بهم إلى هناك لهذه الغاية كانوا كذلك ، ولم يقحموا أنفسهم فيما ليس من شأنهم ، لتجنبنا كثيراً من الأشواك ، ولما اضطرت حكومتنا إلى ما اضطرت إليه من الحرج فيما يتعلق ببعض مناصب التعليم بالسودان .

عزيزتي السيدة ملك :

أكتب لك هذا بمناسبة استئنافك العمل فى مسرحك ، بتمثيلية كليوباترا لشوقى بك ، فأهنئك أولا بهذا الافتتاح وأتمنى لك أطيب التمنيات ، ثم أتوكل على الله وأفضى إليك بغاية القصد والمراد ... راجيا أن تتقبلى ما أفضى به تقبلا حسناً وألا يتكدر منه خاطرك .

ذلك يا سيدتى أن صوتك جميل جداً ولكنك تجنين على جماله بتشبثك أن تلحنى لنفسك ، ولا أقول فقط إنك لا توفقين فى التلحين ، وإنما يخيل إلى حينما أسمعك أنك تغنين غناء فطريا ، وإن سامعك ليأسف على ضياع تلك الآهات والنبرات الحارة الشجية المنبعثة من قلب يشعر ، فى الهباء ، تذروها فوضى التنغيم .

ولا شك فى أن عدم توفيقك فى التلحين لا ينقص شيئاً من قيمة مواهبك الأخرى ، فأنت ممثلة مسرح ذات ذخيرة فياضة من حنان الأنوثة ، ومغنية مسرح معبرة من الطراز الأول ؛ وأعتقد أن صوتك يكون شيئاً آخر لو أسلمت قياده للحن مقتدر ، ونحن فى عصر الاختصاص ، فمن أراد أن يكون كل شىء فلن يكون شيئاً .

والمهم بعد هو أن الميدان الفنى عندنا تنقصه الآن المسرحية الغنائية ، مع أن الجمهور المصرى يعشق هذا اللون من الفن . وأنت الآن — ولا أرى غيرك فى هذه الظروف — التى تستطيع أن تحيى المسرح الغنائى بتقديم روائع التمثيليات من الأدب الرفيع ، كما يدل على ذلك اختيارك لإحدى مسرحيات أمير الشعراء فى افتتاح موسمك الحالى .

فالتلحين ، يا ست ملك ، التلحين ... ولا شىء ينقصك غير التلحين ، فلا تكابرى وكونى ممن يسمع القول فيتبع أحسنه. ولك تحياتى واحترامى .

عباس خضر



الفلوجة لا الفالوجة ولا الفالوجا :

أصبحت هذه البلدة العزيزة عنواناً مضيئاً من عناوين المجد في تاريخنا الحربي الحديث ، فينبغي أن ننطق بها ونكتبها على الوجه الصحيح . والعرب كانوا وما زالوا ينطقون بالفلوجة مفتوحة الفاء مشددة اللام مختومة بالتاء ، ويجمعونها على فلاليج ، ويريدون بها الأرض المصلحة للزرع . ثم أطلقوها على كل قرية بسواد العراق كما يجوز لنا اليوم أن نطلقها على كل قرية أو اقطاعية بالأرض التي تصلحها الحكومة في كفر سعد أو في غيره . ثم صارت الفلوجة علماً على هذه القرية بفلسطين وعلى قرية أخرى بالعراق على الطريق ما بين الرمادي وبغداد . وقد كان المرحوم الرصافي يهاجر إليها كلما نبا به العيش في دار السلام . والعراقيون ينطقون بها على الضبط الوارد في كتب اللغة .

التقريب بين اللغتين :

كتب الشيخ محمود أحمد الغمراوي كلمة طامنت من أسلوب الرسالة الرفيع المتزن ، فقد رمى الدعوى رمية عشواء وقوّلنا غير قولنا ! ونحن ندعوه أن يعاود قراءة كلمتنا ثم يرجع البصر ، ويضيء البصيرة ، فيرى أننا لا نحل الدخيلة محل الفصحى بل دعونا دعوة « مخلصة » إلى وجوب المحافظة على اللغة ببقاء قواعدها ، وإليه مقولنا :

« ونحن إذا تجوزنا في القاعدة ، وقلنا : لا عنت في جواز جمل فاعلين لفعل واحد كما في شأن أكلوني البراغيث لشاعت القاعدة وجرت على الألسنة ، فتضيع اللغة في أوضاع تقعيدها » .

وإن كل ذي بصر يرى مدى تحفظنا في إيراد السياق . فقد « تجوزنا » ولم نسق الحقيقة ، وقلنا : إن إشاعة « الدخيلة » تجني على اللغة ؛ فمن أين أتى الشيخ بدعوتنا إلى هدم العربية ؟

إن لغة القرآن تسمو على التقعيد ، لأنها أبلغ استدلال عليه ، ومقتضى هذا هو الارتفاع به عن التأويل المفضي إلى الفصاحة كوهمه وإيهامه . فنحن ننفي بالتأويل في الآية الدنو من « القاعدة » بحسب الظاهر لدفع ما قد يوهم ؛ لكن الشيخ يريد ما لا يريده المنطق ثم يردنا عليه !

إن المفسرين — لا الزمخشري وحده — يسيرون في التأويل على وفاق اتساق السياق ولم يجنحوا — كادعائه — إلى الإعراب متقصدين التذرع به لإيضاح وحدة المعنى .

بل اتجهوا إلى الفحوى ثم رغبوا في التأويل ليزداد الوضوح ؛ فالإعراب ليس مقصوداً لذاته ، لأنه فرع المعنى !.

وليعلم الشيخ أن لغة طيء وأزد شنوءة موافقة الفعل لمرفوعه . قال عمرو ابن ملقط:

ألفيتا عيناك عند القفا   أولى فأولى لك ذا واقيه

وقد ذكر التوضيح أن هذه اللغة لا تمتنع مع المفردين أو المفردات المتعاطفة بدليل قول عبد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعب بن الزبير .

تولى قتال المارقين بنفسه   وقد أسلماه مبعد وحميم

وعدم المنع يبين صحة جمل ما يتصل بالفعل ضمائر في « لغتهم » .

أما إدعاء الشيخ « محمود الغمراوي » أننا نحل الألفاظ الدخيلة محل الفصحى فردنا عليه في قولنا :

« وعندنا أن التقريب قد يكون في إشاعة الألفاظ المتقاربة في « الدلالة » مثل إمتى ؟ في - متى — ومين ؟ في — مَنْ — — وفين — في — أين — .

هذا ما يمكن بحثه في مقام « دراسته » أما القواعد الأصيلة فيجب أن تبقى محافظة على اللغة » .

هذا ما أثبتناه وفحواه ما يأتي :

أولا : أننا جعلنا « دلالة » الألفاظ مسوّغة لتقاربها ولم نؤبد استعمال الدخيلة .

ثانياً : أننا جوزنا هذا التسامح في « دراسة » أدوات الاستفهام للأبناء .

ثالثاً : أننا أوجبنا بقاء القواعد سليمة محافظة على اللغة .

أحمد عبد اللطيف بدر

المدرس ببورسعيد — ومن العلماء

حافظ وشوقى :

طلبت مجلة المقتطف من الأستاذ الشاعر الأديب حسن كامل الصيرفى أن يكتب لها مقالة عن حافظ وشوقى بمناسبة مرور خمس عشرة سنة على وفاتهما ، فكتب لها دراسة مطولة عن الشاعرين جاوز بها حد المقالة ، وجعلها كتاباً يقع فى أربع وسبعين صفحة من القطع المتوسط ، وقد طبعته مطبعة المقتطف والمقطم سنة ١٩٤٨ م

والأستاذ حسن كامل الصيرفى شاعر وأديب ، وللشعر عنده رسالة يجب أن يؤديها فى كل عصر ، فهو ينظر إلى حافظ وشوقى على أنهما شاعران عاشا يتردد اسماهما معاًزمناً ، وتعترض حياتهما عواصف تنافس أحياناً ، وتمر بهما نسمات صفاء أحياناً أخر ، ولكنهما كانا يشعران أنهما يتعاونان على أداء رسالة واحدة وجهتهما إلى طريقها عرائس الشعر ، وطبيعة العصر ، وقد ماتا معاً فى سنة واحدة ، كأنهما شعرا أنهما أديا رسالتهما فى الشعر ، ولن يستطيع واحد منهما أن ينهض وحده بعبء تلك الرسالة ، بعد هذا الجهاد الطويل فى تأديتها .

وعلى هذا الأساس تقوم تلك الدراسة النفسية لشعر حافظ وشوقى ، وتقوم الموازنة بين شعر كل منهما . وقد وجد الأستاذ حسن كامل الصيرفى من ذوقه — وهو ذوق شاعر أديب — ما ساعده على بلوغ الكمال فى هذه الدراسة ، وإنى أهنئه عليها تهنئة صادقة .

عبد المتعال الصعيدى

تصحيح مردود :

فى البريد الأدبى للرسالة الغراء عدد (٨١١) اطلعت على كلمة للأديب الفاضل محمد الشاذلى حسن يخطىء فيها استعمالى لفظة « ماتع » صفة للشىء المستحسن الجميل ، ويستشهد لذلك ببيت المجنون الوارد فى أغانى الأصفهانى :

أشرن بأن حثوا الجمال فقد بدا ‏ من الصيف يوم لافح الحر ماتع

ويذكر أن الشراح ذكروا أن « الماتع هو الطويل » .

وأقول : كون « الماتع » بمعنى الطويل لا يمنع كونه بمعنى الجيد بل البالغ فى الجودة ؛ فنى اللسان — أعنى لسان العرب — (متع الرجل ومتع جاد وظرف وقيل كل ما جاد فقد متع وهو ماتع والماتع من كل شىء البالغ فى الجودة الغاية فى بابه) :

خذه فقد أعطيته جيداً ‏ قد أحكمت صنعته ماتعا

وبعد : فلو لم يكن مرجعنا (اللسان) لطال حبل الكلام فى مقام الاستشهاد والإيراد ، وخير الكلام — كما قيل — ما قل ودل ، وأرجو أن يكون فى هذا القليل الدليل ، والسلام .

الزيتون ‏ عمر نامه

أحكام اللجنة

عن نتيجة المسابقة الثقافية

١ — تمثيليات قصيرة للمسرح المدرسى :

تقدم للجنة إحدى عشرة تمثيلية رأت اللجنة منح الجائزة الثانية وقدرها خمسون جنيها لتمثيليتى « عروس النيل » و « الساعة ١٢ » معا لمؤلفهما عزت السيد ابراهيم ، وكذلك الجائزة الثانية وقدرها ثلاثون جنيها لتمثيلية « مؤامرة صغيرة » لمؤلفها حسين محمد القبانى .

٢ — تمثيليات قصيرة للاذاعة المدرسية :

تقدم للجنة عشر تمثيليات رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها ثلاثون جنيها لتمثيلية « أفراح أنشاص » لمؤلفها فريد عين شوكه . والجائزة الثانية وقدرها عشرون جنيها لتمثيلية « أرض الآباء » لمؤلفتها صوفى عبد الله . والجائزة الثانية وقدرها عشرون جنيها لتمثيلية « الأم » لفتحية حسن .

٣ — المسرحيات العامة :

تقدم للجنة ثمانى مسرحيات رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها مئة وخمسون جنيها لقصة « ساحر بابل » لمؤلفها عثمان حلمى . والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لمسرحيتى « الحرية والعدالة » و « أرض السلام » معا لمؤلفهما محمد محمد شعبان ، والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لمسرحية « جلاء الصدا » لمؤلفها عبد الواحد فرج ، والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لمسرحية « السلسلة والغفران » لمؤلفها على أحمد باكثير .

٤ — القصة الطويلة :

تقدم للجنة ثمانى قصص وقد رأت اللجنة – كما هو مخول لها – تعديل قيم الجوائز فجعلت درجة بين الدرجة الأولى وبين الدرجة الثانية سمتها « الثانية الممتازة وقدرها مئة وعشرون جنيها » وجعلت قيمة الدرجة الثانية تسعين جنيها ، وزادت درجة ثالثة خصصت لها خمسين جنيها . ثم رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها مئة وخمسون جنيها لقصة « بعد الغروب » لمؤلفها محمد عبد الحليم عبد الله ، ومنح الجائزة الثانية الممتازة وقدرها مئة جنيه لقصة « وراء الأفق » لمؤلفها محمد محمود شعبان . والجائزة الثانية وقدرها تسعون جنيها لقصة « رجل المعجزات » لمؤلفها محمد أمين حسونه . والجائزة الثانية وقدرها تسعون جنيها « دعاء الفجر » لمؤلفها حسين محمد القباني . والجائزة الثالثة وقدرها خمسون جنيها لقصة « طريق المجد » لمؤلفها سعد مرسى أحمد . والجائزة الثالثة وقدرها خمسون جنيها لقصة « شقاء عذراء » لابراهيم محمد بازيد .

٥ – القصة القصيرة :

تقدم للجنة سبع وعشرون قصة رأت اللجنة منح الجائزة الأولى وقدرها خمسة وعشرون جنيها لقصة « الضاربون فى الأرض » لنظمى لوقا . والجائزة الأولى خمسة وعشرون جنيها لقصة « غابت الشمس » لمحمد يسرى أحمد ، والجائزة الأولى خمسة وعشرون جنيها لقصتى « الأرملة العذراء » و « الأعماق » معا لمؤلفهما صلاح الدين حافظ ، والجائزة الثانية وقدرها عشرون جنيها لقصة « سرقة بالطابق السادس » ليوسف إسحاق الشارونى ، والجائزة الثانية عشرون جنيها لقصة « المسلى افندى » لنجيب محمود عزب . والثانية عشرون جنيها لقصة « صراع » لرجائى محمد . والثانية عشرون جنيها لقصة « مغامرة ليلة » لعبد العزيز شريف . والثانية عشرون جنيها لقصة « قبور فى الطريق إلى تل أبيب » لعواطف بيومى . والثانية عشرون جنيها لقصة « أسطورة الأساطير » لنعمان سعد الدين . والثانية عشرون جنيها لقصة « تصفية حساب » لنصرى عطا الله . والثانية عشرون جنيها لقصة « هؤلاء المساكين » لمحمد عبد الرازق مرزوق . والثانية عشرون جنيها لقصة « عذراء دمشق » لابراهيم محمد بازيد . والثانية عشرون جنيها لقصة « نداء الإنسانية » لعز الدين فراج . والثانية عشرون جنيها لكل من قصتى « درس » أو « السيد الحديد » معا لمحمد لبيب البوهى .

٦ – البحوث الأدبية والفنية :

تقدم للجنة ثلاثة بحوث رأت منح الجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لبحث « ابراهيم باشا » لمؤلفه صبرى كامل . والثانية مئة جنيه لبحث « مسلم بن الوليد » لحسين محمود البشبيشى . وجائزة ثالثة وقدرها خمسون جنيها لبحث « الحب عند العرب » لمؤلفه محمد فتحى .

٧ – بحوث فى التاريخ والآثار :

لم يتقدم أحد .

٨ – الرحلات :

تقدم للجنة مؤلفان رأت منح الجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لكتاب « رحلات فى المغرب وأسبانيا » لمحمد وهبى .

٩ – الموضوعات المبسطة فى العلوم :

تقدم للجنة سبعة موضوعات رأت منح الجائزة الأولى وقدرها مئة وخمسون جنيها لكل من موضوعى « القيمة الغذائية » « ودنيا العلم » معا لمؤلفهما عز الدين فراج ، والجائزة الأولى مئة وخمسون جنيها لموضوع « الغذاء الكامل » لمحمد الشحات محمد ، والجائزة الثانية وقدرها مئة جنيه لموضوع « العلماء ثائرون » لجمال الدين موسى ، والثانية مئة جنيه لموضوع « الجيل الجديد » لعزت السيد ابراهيم ، والثانية مئة جنيه لكل من موضوعى « الصناعات الكيمائية » و « وسائل السفر الحديث » معا لمؤلفهما حسن العشماوى .

توفيق الحكيم ، ابراهيم عبد القادر المازنى ، عباس العقاد ، عبد الرحمن صدقى ، زكى طليمات ، فريد أبو حديد ، دكتور ابراهيم عبد الرحمن ، دكتور مصطفى الديوانى .

يعتمد السنهورى

١٣٦٢؛

مطبعة الرسالة

العدد ٨١٩ — الاثنين ١٤ مارس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٢٠٢٢

17 em Année No. 819

Lundi — 14 — 3 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨١٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ — ١٤ مارس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

هل الشقاق طبع فى العرب ؟

جواب عن سؤال

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصري بك

وجهت هذا السؤال مفصلا إلى صديق الأستاذ الكبير ساطع الحصرى بك المستشار الفنى لجامعة الدول العربية . ولكن المقال لم يعجب الرقيب فلم يأذن بنشره . ولما اطلع عليه الأستاذ أبو خلدون أجاب عنه بهذا البحث الذى تقرأه . وإنى لأرجو بعد أن ينشر أن أعلق عليه بما يتفق مع رغبة الرقيب وواجب الحق وسياسة الرسالة . « الزيات »

صديقى الأستاذ ...

لقد اطلعت على السؤال الذى وجهتموه إلى ، فى مقالكم المنون « هل الشقاق طبع فى العرب ؟ » .

فقد أشرتم فى المقال المذكور إلى حوادث الشقاق والتنافس والتخاصم التى توالت فى تاريخ العرب ؛ واستعرضتم الأحزاب السياسية والفرق الدينية التى ظهرت بينهم ؛ ثم ذكرتم رأى ابن خلدون فى هذا المضمار . وفى الآخر تساءلتم : « هل كتب الله على العرب أن يعيشوا أبداً بطبيعة البادية ونفسية الغابة وعقلية القبيلة ؟ »

فوجب على أن ألبي طلبكم ، فأكتب إليكم ما أعتقده فى هذه القضية الهامة . غير أنى رأيت من الضرورى أن أقف أولا أمام « المقدمات » التى صدرتم بها هذا السؤال ، قبل أن أحاول الإجابة عنه إجابة مباشرة .

فاسمحوا لى أن أسألكم بدورى : هل تظنون أن الاختلافات التى ذكرتموها كانت من خصائص الأمة العربية وحدها ؟

أنا لا أشك فى أن جوابكم عن هذا السؤال سيكون بالنفى ؛ لأنكم تعرفون جيداً — كما يعرف ذلك كل من يستعرض التاريخ العام — أن تواريخ الأمم الأخرى لم تخل من أمثال تلك الاختلافات .

فيترتب على ذلك إذن أن أنقل البحث إلى كمية هذه الاختلافات وشدتها ، فأسألكم : هل تعتقدون أن الاختلافات السياسية والدينية التى حدثت فى تاريخ العرب كانت أكثر وأشد وأعنف من التى حدثت فى تواريخ الأمم الأخرى ؟

أنا أعرف أن الآراء الشائعة الآن لا تدع مجالا للتفكير ملياً فى هذا السؤال ؛ لأنها تحمل الأذهان على الرد عليه فوراً بالإيجاب .

وأعترف بأنى أنا أيضاً كنت — مدة من الزمن — من المتأثرين بهذه الآراء الشائعة ، ومن المسلمين بأن تاريخ العرب يشذ فى هذه القضايا عن تواريخ الأمم الأخرى شذوذاً كبيراً . غير أنى بدأت أشك فى صحة هذه الآراء الشائعة عند ما أخذت أتعمق فى دراسة التاريخ العام ؛ وازددت شكا فيها كلما تغلغلت فى هذه الدراسة ؛ إلى أن أصبحت أعتقد اعتقاداً جازماً بأنها لا تتفق مع الحقائق التاريخية الثابتة أبداً ؛ لأنها لا تقوم على مقارنات شاملة ، بل تستند إلى استقراء ناقص جداً .

إننا ننفعل ، ونتألم ، ونغضب .. عندما نقرأ أخبار الاختلافات التى حدثت فى تاريخ العرب .. ولا سيما عند ما نتتبع نتائج هذه

الاختلافات ونطلع على كيفية تداول سلطة الخلافة ، وتشتتها بين سلطات السلاطين وملوك الطوائف المديدين .

إننا ننفعل ونتألم من هـذه الأخبار والحوادث التاريخية ، لأننا نقيس أحوال القرون الماضية بمقاييس الأزمنة الحاضرة ... ولا نـكلف أنفسنا عناء البحث فى التاريخ العام بحثاً شاملاً ، لـكى نعرف ما إذا كانت تلك الأحوال من الأمور التى تشذ فيها الأمة العربية عن سائر الأمم ، أو كانت من الأمور الطبيعية التى تتساوى فيها جميع الأمم فى بعض الأطوار من تاريخها .

فيجب علينا ، قبل كل شىء ، أن نطلق أذهاننا من ربقة هذه الآراء الشائعة ، لندرس هذه القضايا من جديد ، بنظارات علمية بحتة ، مع استقراء الحوادث التاريخية استقراء تاماً .

فلنبدأ أولا بقضـية الاختلافات الدينية . ولنـستعرض ما حدث منها فى أوربا ، طوال القرون الوسطى وخلال النصف الأول من القرون الأخيرة ... نجد أنها لم تـكن قط أقل تنوعاً ولا أخف عنفاً مما حدث فى العالم العربى خلال الأزمنة المذكورة ، إن لم تكن أكثر تنوعاً وأشد عنفاً منها ..

أحصوا المذاهب المختلفة التى نشأت فى الغرب منذ ظهور المسيحية فى مختلف البلاد الأوربية خلال القرون المذكورة ... استعرضوا الخلافات الدينية والمذهبية التى حدثت بين الدول وبين الـكنائس من جهة ، وبين الـكنائس المختلفة من جهة أخرى ... استقصوا أخبار الحروب الأهلية والدولية التى نجمت عن هـذه الاختلافات الدينية فى مختلف أقسام البلاد الأوربية ، حتى فى فرنسا التى تظهر الآن أكثر تباعداً عن الاهتمام بالأمور الدينية من جميع بلاد العالم ... قلبوا صحائف التاريخ التى سجلت أعمال محاكم التفتيش من جهة ، وحياة مؤسسى المذاهب الدينية من جهة أخرى ... فإنـكم تضطرون إلى التسليم بأن الاختلافات الدينية التى حدثت فى البـلاد الأوربية كانت — بوجه عام — أوسع نطاقاً ، وأكثر تنوعاً ، وأشد عنفاً من التى حدثت فى العالم العربى .

وأما الاختلافات السياسية ، فأمرها يحتاج إلى بحث أشمل ، وتفكير أعمق ..

فيجب علينا أن نلاحظ قبل كل شىء : أن العرب انتشروا — بعد الهجرة النبوية — بسرعة خارقة ، فى بقاع واسعة جداً من القارات الثلاث المعلومة قديماً . ففتحوا خلال قرن واحد ، بلاداً أوسع بكثير مما فتحه الرومان خلال ثمانية قرون .

تصوروا الاتساع الهائل الذى وصلت إليه الدولة العربية فى أوائل القرن الثانى للهجرة وأواسط القرن الثامن للميلاد .. تتبعوا حدود تلك الامبراطورية التى كانت تمتد من سواحل بحر المحيط الأطلسى إلى شواطىء نهر السند وسهول كشغر ، ومن سفوح همالايا إلى جبال البرنس والألب ، ومن سواحل بحر الهند إلى أواسط بحر قزوين وبحيرة آرال ، ومن باب المندب إلى جبال القافقاس ... وتذكروا فى الوقت نفسه بساطة وسائط الناقلة والمواصلة ووسائل الحروب والسيطرة التى كانت معلومة ومستعملة فى تلك العصور ... ثم قولوا لى : كيف كان يمكن أن تبقى تلك السلطنة المترامية الأطراف مصونة من مغبة الانقسام مدة طويلة من الزمن ، بالرغم من اختلاف الشعوب الـكثيرة التى دخلت تحت حكمها ، وبارغم من طول المسافات الهائلة التى كانت تفصل ثغورها من عاصمتها ، وضآلة الوسائط التى كانت تضمن اتصال هذه العاصمة بتلك الثغور

قولوا لى : أية سلطنة من السلطنات التى يذكرها التاريخ القديم والوسـيط ، استطاعت أن تسيطر على مثل هذه البقاع المترامية الأطراف ، مدة أطول من التى سيطر عليها العرب ، دون أن تتعرض إلى اختلافات وانقسامات ؟

لا تنس أن امبراطورية اسكندر الأكبر — فى القرون الأولى — تجزأت بعد موت مؤسسها ، مع أنها كانت أصغر بكثير من الامبراطورية العربية . كما أن امبراطورية شارلمانى — فى القرون الوسطى — لم تسلم من الانقسام بعد موت عاهلها ، مع أنها كانت قليلة الاتساع جداً بالنسبة إلى اتساع الدولة العربية فى أواخر عهد الأسرة الأموية ، أو أوائل عهد الأسرة العباسية .

ولا تنس أن انقسام السلطنات والامبراطوريات الـكبيرة وانحلالها إلى إقطاعيات صغيرة كانت من الأمور الطبيعية المألوفة فى جميع أنحاء العالم المعلوم فى القرون الأولى والوسيطة .

ولذلك أعود وأسألـكم مرة أخرى : كم أمة من الأمم التى عرفها التاريخ كانت أقل اختلافاً وأكثر اتحاداً من الأمة العربية من الوجهة السياسية ؟

اليونان ؟ ... ولـكن التاريخ يشهد شهادة صريحة على أن هذه الأمة لم تتحد سياسياً فى يوم من الأيام ... كانت كل مدينة من المدن اليونانية الـكثيرة مملكة قائمة بذاتها ، دولة مستقلة

عن غيرها . وهذه الحالة كانت تبدو لليونانيين طبيعية وضرورية حتى أن كبار مفكريهم كانوا يحبذون هذه الحالة ، وكانوا يشاركون الرأى العام فى هذا المضمار . وقد قال أفلاطون : إن عدد المواطنين فى الدولة — أى الجمهورية — يجب ألا يزيد على خمسة آلاف . وقال أرسطو : إن الدول يجب أن تكون صغيرة ، حتى يستطيع جميع أفرادها أن يعرف بعضهم بعضا معرفة مباشرة .

فى الواقع أن هذه المدن المستقلة — أى هذه الدويلات الصغيرة — كانت تتفق وتتحالف من حين إلى حين لدرء الخطر الخارجى الذى يحدق بالجميع . غير أن هذا التحالف كان لا يلبث أن ينفصم وينحل من جراء تنافس المدن الرئيسية على زعامة الحلف

ومن المعلوم أن أشهر وأهم هذه المحالفات تكونت عند هجوم الماديين على بلاد اليونان . غير أن هذه المحالفة أيضاً لم تعمر طويلا ، بل انحلت وزالت قبل أن يمضى على تكوينها عقدان من السنين !

وقد انقضى تاريخ اليونان السياسى بالمنافسات والمنازعات التى قامت بين أثينة وأسبارطة وكورنت . ومن المعلوم أن هذه المنافسات أدت إلى حدوث عدة حروب دامية بين مختلف المدن اليونانية كان أشهرها الحروب التى عرفت باسم حروب البلوبونيز ولا ننس أن هذه الحروب التى اشترك فيها معظم المدن اليونانية هى التى أدت إلى تحطيم الأسطول الأسبارطى من جهة ، وإلى تدمير أسوار أثينة من جهة أخرى .

وقد حدثت هذه المنافسات والمحاربات بين تلك الدويلات ، مع أن مساحة البلوبونيز — مع شبه جزيرة آتيكا — كانت أقل من مساحة بعض المديريات فى مصر ، والمحافظات فى سورية ، والمتصرفيات فى العراق . ومع أن المسافة التى تفصل آتينة عن أسبارطة لا تختلف كثيراً عن المسافة التى تمتد بين القاهرة والأسكندرية ، وتقل كثيراً عن التى تفصل دمشق من بغداد ، وتتضاءل تماماً أمام المسافات الشاسعة التى تفصل بغداد عن قرطبة ولا سيما بلخ عن لشبونة .

إن هذه المئات من الدويلات اليونانية التى تقاسمت هذه الرقعة الصغيرة من الأرض ظلت متفرقة متنافسة متخاصمة ، ولم تجتمع تحت إدارة واحدة إلا عندما دخلت تحت حكم دولة أجنبية .

ترون ، أيها الأساتذ ، أن الأمة اليونانية لم تكن قط فى حالة تحسد عليها من هذه الوجهة .

وأما الرومان ، فلا شك فى أنهم امتازوا بين أمم التاريخ القديم بالاتحاد والانتظام . والامبراطورية التى أسسوها عاشت مدة أطول من مثيلاتها بوجه عام .

غير أنه يجدر بنا أن نلاحظ أن هذا الامتياز نتج عن توافر عدة عوامل وأوضاع مساعدة لم تتيسر لغيرها أبداً .

أولا : أن السلطنة الرومانية تكونت بتدرج عظيم ، وهذا التدرج ساعد على رسوخ الأوضاع الجديدة واستقرارها مساعدة كبيرة .

ثانياً : أن الامبراطورية الرومانية شملت جميع سواحل البحر الأبيض المتوسط . ولا حاجة إلى القول بأن روما كانت فى نقطة مركزية من هذا البحر ، وقد ساعد ذلك كثيراً على اتصال العاصمة بمختلف أقسام السلطنة عن طريق البحر بسرعة وسهولة بالنسبة إلى وسائط النقل والمواصلة المعلومة فى تلك العصور القديمة .

ثالثاً : أن السلطنة الرومانية لم تتباعد عن السواحل كثيراً ، ولم تتغلغل فى الأقطار القارية أبداً . إنها لم تسيطر على جزيرة العرب ولا على ما بين النهرين ؛ فمعظم أقسام العراق ، وجميع بلاد إيران وخراسان ، وما وراء النهر والأفغان ... ظلت خارجة عن حوزة السلطنة الرومانية ، وذلك قلل إلى حد كبير مشاكل الحكم التى تلازم السلطنات المترامية الأطراف .

إن اجتماع هذه الأسباب الأساسية هو الذى ساعد على إطالة عمر الامبراطورية الرومانية بالنسبة إلى ما كان معتاداً فى القرون الأولى والوسطى .

ومع كل هذا يجب ألا ننسى أن هؤلاء الرومان أيضاً لم يسلموا من آفات الاختلاف والتنافس : استعرضوا تاريخ روما بنظرة فاحصة ولاحظوا كم من المنازعات قامت بين مختلف الطبقات الاجتماعية ، حتى فى مدينة روما نفسها ، وحتى فى عهد الجمهورية ؟ وكم من الحروب الداخلية نشبت بين القواد فى عهد الامبراطورية ؟ وكيف أصبحت الجيوش ذات الكلمة النافذة فى تنصيب الأباطرة ؟ وكيف كانت الغلبة والكلمة العليا فى هذا الأمر تارة إلى الجيوش المرابطة فى أسبانيا ، وطوراً إلى الجيوش المرابطة فى سوريا ، وتارة إلى الجنود المرابطة فى أفريقيا ؟ وكيف أصبح الوصول إلى العرش رهن النجاح فى مؤامرات لا تعد ولا تحصى؟

وإذا لاحظتم كل ذلك اضطررتم إلى التسليم بأن الامبراطورية

الرومانية لم تعش سالمة من الاختلافات ، بل إنما عاشت بالرغم من الاختلافات ، وأما أخلاف الرومان القدماء ، فلا ننس أنهم عاشوا متفرقين متخالفين مدة لا تقل عن خمسة عشر قرناً .

وإذا تركنا السلطنات القديمة جانباً ، وانتقلنا إلى الدول المعاصرة لنا ، وتتبعنا أحوالها الماضية — طوال القرون الوسطى وخلال النصف الأول من القرون الأخيرة — وصلنا إلى نتائج مماثلة لما ذكرناه آنفاً .

ولنأخذ فرنسا مثلا ؛ فقد كان من المعلوم أنها أسبق الدول الأوربية إلى الوحدة السياسية الكاملة ، والتماسك القوى المتين ، ولكننا إذا استعرضنا أحوالها خلال القرون التى ذكرناها آنفاً وجدناها بعيدة عن الوحدة كل البعد ، ومسرحاً لشتى أنواع الخلافات والحروب .

أنا لا أود أن أطيل الحديث فى هذا الموضوع ، ولذلك أكتفى بنقل كلمة كتبها مؤرخ فرنسا الشهير « أرنست لافيس » لتلخيص تلك الأحوال ، قال المؤرخ :

« لقد مضى عهد من التاريخ كانت فيه فرنسا شبيهة بعقدونيا الحالية منقسمة إلى أجزاء كثيرة ، متخالفة ، متنابذة ، متنافسة ، متخاصمة . وقد وجب أن تسيل الدماء مدراراً حتى تلتحم هذه الأقسام المختلفة ، فتصل فرنسا إلى وحدتها الحالية ... » .

هذه كانت أحوال فرنسا التى سبقت جميع الدول الأوربية فى طريق الاتحاد . وأما إذا أنعمنا النظر فى تواريخ الدول الغربية الأخرى ، فنجد فيها أيضاً أحوالا مماثلة لذلك تجلت بمقياس أوسع ، وبشدة أعظم ، واستمرت مدة أطول .

لا بد من أن نتذكر — فى هذا الصدد — أن ألمانيا كانت منقسمة إلى أكثر من ثلاثمائة دولة ودويلة حتى أوائل القرن الماضى ، وكانت لا تزال منقسمة إلى تسع وثلاثين دولة قبل ثمانين عاماً فقط !

إن اتحاد هذه الدول لم يتم إلا بعد جهود كبيرة وتضحيات عظيمة ، وهذه الجهود قد اجتازت مرات عديدة أطوارفشل أليمة

ولهذا كله أستطيع أن أقول بكل تأكيد : إننا كلما توسعنا وتعمقنا فى دراسة تاريخ الدول الأوربية ازددنا يقيناً بأن معالم الاختلاف والانقسام فيها لم تكن قط أقل من التى تجلت فى تاريخ العرب بوجه عام .

إنى أقول هذا بكل تأكيد ، مع علمى بأنى أخالف بذلك آراء الكثرة الساحقة من الكتاب والباحثين .

وقد فكرت ملياً فى الأسباب والعوامل التى حملت الرأى العام على التباعد عن طريق الصواب فى هذه القضية الهامة ، وأعتقد أننى وصلت إلى معرفتها بكل وضوح :

إن مراكز رؤيتنا لتاريخ العرب تختلف — بوجه عام — عن مراكز رؤيتنا لتواريخ الأمم الأخرى .

فنحن ننظر إلى تواريخ الأمم الأخرى عن بعد نظرة إجمالية فندرك خطوطها الأساسية العامة دون أن نتيه فى تفاصيلها الفرعية . ولكننا ننظر إلى تاريخ العرب من قرب نظرة تفصيلية فنطلع على كثير من تفاصيله دون أن نحيط علماً بخطوطه الأساسية .

وأستطيع أن أقول : إن موقفنا تجاه التاريخ العام موقف رجل يتفرج على الجبل من السهل البعيد .

وأما موقفنا تجاه تاريخ العرب ، فهو موقف رجل يسير فى قلب الجبل ويتغلغل فى وهاده .

ومن المعلوم أن الجبال تتألف عادة من وهاد ووديان ، ومرتفعات ومنخفضات ، وهضاب ومنحدرات ، فلا تبدو عالية شامخة ، إلا لمن ينظر إليها من بعيد ، ويدرك شكلها العام دون أن يتيه بين خطوطها الفرعية المعقدة ...

إن تواريخ الدول الأوربية تبدو لنا جبالا مرتفعة شامخة ، لأننا ننظر إليها بنظر المؤلفين الأوربيين ، ومن الخارج ومن البعد ، فلنغير موقفنا منها ونظراتنا إليها ، وذلك بالتغلغل فيها ، نرى عندئذ أنها مؤلفة من وهاد ووديان بالرغم من منظرها الخارجى العام .

وأما تواريخ الدول العربية ، فتبدو لنا مجموعة مرتفعات ومنخفضات مشوشة ومعقدة ، لأننا ننظر إليها بنظر الأخباريين القدماء ، ومن داخلها ؛ فلنغير موقفنا منها ، ولننظر إليها من بعد — نظرة تسمو على النزعات — فنرى عندئذ أنها أيضاً مرتفعة شامخة بالرغم مما فيها من وهاد ووديان .

يجب علينا أن نضع هذه الحقيقة نصب أعيننا على الدوام ، وأن نسعى لتوحيد نظراتنا إلى صحائف التاريخ القومى والتاريخ العام ، ولنعدل عن استعمال نظارات مكبرة للعيوب فى الأولى ، ومصغرة للعيوب فى الثانية ، كما اعتدنا ذلك إلى الآن .

وعندما نفعل ذلك نفهم حق الفهم أن الأحكام الشائعة بيننا على تاريخ العرب ، إنما هى وليدة نظرات خاطئة ، ومقارنات قاصرة ، ولهذا السبب كانت فى حاجة شديدة إلى التصحيح والتقويم بوجه عام

(البقية فى العدد القادم) أبو خلدون ساطع الحصرى

ضــــوء علمى
على مشكلة اللاجئين العرب

للأستـــاذ عمر حليق

فى سنة ١٩٤٦ شهد أمام لجنة التحقيق الانجلو — أمريكية أستاذ يهودى هو البرفسور فرانك نوتستين رئيس دائرة علم السكان (ديموغرافيا) فى جامعة برنستون الأمريكية الشهيرة عن مستقبل الكيان اليهودى فى فلسطين من الناحية العلمية الصرف وعلى ضوء مشاكل السكان . وكانت خلاصة تحقيقاته وتحليلاته المعززة بالأرقام والدراسات الإحصائية تفيد أن تزايد السكان العرب فى فلسطين هو أكبر خطر يهدد مطامع اليهود فيها وصرح نوتستين بما يلى بالحرف الواحد : (١)

« إن من الصعب جداً أن يتصور المرء الظروف التى يستطيع اليهود أن يصبحوا فيها أكثرية فى فلسطين . فإن العرب (ونسبة تزايد السكان بينهم بفلسطين أعلى نسبة فى العالم على الإطلاق) حائزون لجميع الإمكانيات الطبيعية والاجتماعية لأن يحتفظوا بهذه النسبة المرتفعة . ومهما يكن عدد اليهود المتدفقين على فلسطين كبيراً فإن مقدرة الزراعة والصناعة اليهودية على استيعابهم ستظل محدودة مقيدة بعوامل اقتصادية واجتماعية ، منهـا الرغبة فى الاحتفاظ بمستوى للمعيشة مرتفع ، ونزعة اليهود الأوربيين لتحديد نسلهم بولد أو اثنين ، وطبيعة الاشتراكية التى تجعل اليهودى فى فلسطين غير ميال إلى بناء كيان عائلى كبير . وهذا عكس ما ينزع إليه العربى

وحتى لو تسنى لليهود أن ينشئوا لهم دولة فإن من المستبعد أن يستطيعوا الاحتفاظ بالسيادة السياسية فى كل فلسطين أو فى جزء منها ، بسبب هذا التزايد الهائل بين السكان العرب . وحتى لو عززت اليهود دولة أو دول خارجية كبرى فإن هناك عوامل طبيعية واجتماعية ديمغرافية (بالإضافة إلى العوامل الســياسية والاقتصادية) تجعل تزايد السكان بين العرب أكبر خطر حقيقى يواجه مطامع اليهود فى فلسطين .

وعلى ضوء هذه الحقائق فإن أكبر الظن أن حماسة اليهود ونشاطهم والجهد والمـال والتضحية الإجماعية التى بذلوها لبناء الدولة اليهودية ، وجعلها دولة حديثة مزدهرة ستذهب سدى .

وسيجد اليهود أنفسهم بحكم هذه العوامل الديمغرافية عاجزين عن تحقيق التفوق العددى والسيطرة السياسية للاحتفاظ بالسـيادة الفعلية فى فلسطين » اهـ .

هذه شهادة عالم يهودى مهما قلبتها وجدت فيها ، على ضوء علم السكان ، حقائق راهنة تلقى ضوءاً قوياً على مشكلة اللاجئين العرب يساعد على تفهم مصلحتهم ومصلحة الوطن الفلسطينى الذى يحبونه ويتطلعون إلى الاستقرار فى ربوعه إلى أن تهب عليهم وعلى إخوانهم فى الوطن العربى الأكبر رياح موانية لإتمام الصراع الفاصل مع اليهودية العالمية فى أرض الميعاد .

وهذه اللفتة العلمية تلقى كذلك ضوءاً على هذا الجدل الذى يسود المحافل العربية الآن بصدد مسألة العرب الذين أقصاهم الإرهاب والإجرام اليهودى عن ديارهم ، وهى مسـألة ستحتل مكان البروز من أعمال لجنة التوفيق التى بعثت بها هيئة الأمم إلى فلسطين والتى تتناقل الصحف الآن أنباء نشاطها .

فهناك رأيان بصدد مشـكلة اللاجئين العرب : رأى يدعو إلى العودة واستعادة الأموال والممتلـكات حتى ولو لم تسو المسألة الفلسطينية تسوية نهائية . والرأى الآخر يتناول مسألة العودة هذه من ناحية عملية ، فيقول إن طبيعة السلوك اليهودى فى منطقة نفوذه فى فلسطين لا تدعو مطلقاً إلى استئمانه على حياة نصف مليون من العرب .

والواقع أن عملية اليهود فى إجلاء السكان العرب بواسطة الإرهاب اليهودى عملية مستمدة من الحقائق البينة التى أكدتها شهادة نوتستين هذا وغيره من خبراء مشاكل السكان . والقيادة الصهيونية الدولية أمهر من أن لا تشعر بخطورة هذه الحقائق وأن لا تحتال للتغلب عليها بواسطة مذابح « دير ياسين » وحيفا وترشيحا وألف حادثة وحادثة من أعمال الإجرام اليهودى المنظم

(١) Frank W. Notestèn pand Ernest Jurkat Population Probiems of Palestime .

ولو أخذنا تحليلات نوتستين هذا من ناحيتها العلمية لاستطاع الداعون إلى عودة اللاجئين العرب إلى منازلهم وديارهم وحقولهم ومرابعهم فى فلسطين استنباط حجج قوية قد تكون قاسية تتطلب روحاً جبارة وأعصاباً حديدية وتنظيما قويا ووعياً سياسياً حساسا، ولاستطاع هؤلاء الداعون إجابة مخالفيهم فى الرأى على أساس « الأمر الواقع » كذلك.

فإن إقامة أقلية عربية كبيرة فى منطقة احتلال اليهود، له ذيول عملية بعيدة الخطورة والخطر على مستقبل الكيان اليهودى إذا تحققت لهذه الاقلية العربية حقوقها الثقافية التامة وضمانات سياسية واقتصادية. وتوفير هذه الشروط مستطاع عملياً وقانونياً ودولياً. وستكون هذه الأقلية العربية مكونة من ستمائة ألف شخص على الأقل وهو عدد السكان العرب بموجب خارطة الأمم المتحدة للتقسيم. ولن يستطيع اليهود حين يعود العرب إلى ديارهم جلب أكثر من ١٠٠ألف إلى ١٥٠ ألف يهودى من الخارج خلال الأعوام الخمسة القادمة، وذلك بسبب المقدرة الاقتصادية اليهودية على الاستيعاب، وهى مقدرة ستحددها تحديداً سيئاً إغلاق الأسواق العربية فى وجه الإنتاج اليهودى ومنع الجوالى اليهودية فى الشرق العربى من أن تعود إلى فتح المبادلة التجارية مع يهود فلسطين وتعزيز اقتصادياتهم كما فعلت فى السنين السابقة عن طرق إيطاليا واليونان وغيرها. وسبب آخر هو طبيعة المجتمعات اليهودية فى الخارج. فإن يهود أمريكا لن يتركوا بحبوحة الرخاء فى العالم الجديد لاختيار تجربة الصهيونية الشيوعية فى فلسطين، و كذلك حال يهود غربى أوربا.

وقد تكاثرت مؤخراً الأنباء بأن النظم الشيوعية القائمة فى شرق أوربا، ونسبة أولى الأمر من اليهود فيها كبيرة، قد بدأت تحول بين هجرة ما تبقى من اليهود فى منطقة النفوذ الشيوعى لتحتفظ بسند لها أمام سخط الأكثرية من غير اليهود.

والقيادة الصهيونية تتطلع إلى أن تسد هذا العجز فى سياسة تهويد فلسطين ومشكلة التمدد فى برنامج الهجرة الطامة — تتطلع إلى جلب الـ ٨٠٠ ألف يهودى الذين يستوطنون مختلف أقطار الشرق العربى وشمالى أفريقيا. وهذه ناحية لا يبدو أن صناع السياسة فى العالم العربى يعطونها ما تستحقه من مراقبة واهتمام

ولقد كان عدد العرب فى فلسطين فى مستهل الغزوة اليهودية (١٩١٩) حوالى ٦٥٠ ألفاً فأصبحوا بعض مضى ٢٥ عاماً مليوناً ونصف المليون تقريباً، وذلك بسبب هذه العوامل الديمغرافية الفريدة التى ذكرها الخبير نوتستاين وغيره من الباحثين فى مشاكل السكان. فنستنتج من ذلك أن بقاء ٦٠٠ ألف عربى بين ظهرانى ٩٠٠ ألف يهودى الآن سيقلب أوضاع هذه الأكثرية اليهودية رأساً على عقب فى بضعة عشر عاما. وهذه طريقة عملية على غاية من الأهمية فى تقرير مصير المطامع الصهيونية فى فلسطين والشرق العربى.

كل ذلك بالإضافة إلى العواقب السياسية الخطيرة فى العالم العربى إجمالا وهى التى تستلزمها رعاية مصالح السكان العرب فى منطقة النفوذ اليهودى، وما سيترتب على ذلك من استعداد نفسانى وعسكرى يضمن دوام اتجاهات العرب نحو القضية الفلسطينية كلما ارتفعت شكاوى العرب المقيمين بين ظهرانى اليهود فى فلسطين.

وإذا كان الداعون لتفادى عودة اللاجئين العرب إلى ديارهم فى المنطقة اليهودية يبنون دعوتهم على نظرة عملية واقعية فإن الداعين إلى العودة يبنون دعوتهم على أسس عملية واقعية صرفة مستمدة من طبيعة التزايد الهائل بين السكان العرب، وطبيعة مستقبل الصراع بين اليهودية العالمية والوحدة العربية.

والرياح الدولية لا بد أن تهب مواتية للسفينة العربية عاجلا أو آجلا. وإن الحرب الفلسطينية قد أخذت تتمخض عن نزعة عسكرية صادقة واتجاه عملى إلى الإصلاح فى الجهاز الإدارى والنظم السياسية والاقتصادية والوعى الاجتماعى.

هذه تعليلات ولفتات قد تفيد عند البت فى مستقبل اللاجئين العرب. ومسألة البت أكبر من أن تعالج فى بحوث عارضة وهى تتطلب دراسات شاملة لا يصلح أن تكون العاطفة أساسها الوحيد. فهذا الاتجاه العاطفى إذا تجرد من المعرفة الصائبة قد يولد عكس ما يتوخاه العاطفون، ويسبب ارتجالا فى السلوك على النحو الذى صبغ تاريخ القضية الفلسطينية بطابع النكبات المتلاحقة.

(نيويورك) **عمر حليق**

معهد الشؤون العربية الأمريكية

على رسلك يا صديقي

بيني وبين الشاعر الزين

للأستاذ محمد الأسمر

كتب صديق أديبنا الفاضل الأستاذ عباس خضر كلمة عنوانها « الأسمر يسطو على شعر الزين » ذكر فيها أنني سطوت على صديقي الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد الزين فسرقت أبياتاً ، أدخلتها في قصيدتي التي رثيت بها المغفور له محمود فهمي النقراشي باشا . والقصيدة المذكورة أكثر من خمسين بيتاً ، أبياتها الأولى ما يأتي :

أفي كل يوم دمعة خلف غائب   وفي كل يوم لوعة بعد غارب
رجال كأمثال النجوم ، فثاقب   مضى وهو لماع على إثر ثاقب
لأوشك دمعي أن تجف شؤونه   على كل ماض ليس يوماً بآئب
إذا ما انتهينا من رثاء لذاهب   بدأنا رثاء بعـد ذلك لذاهب
أما يستريح الشعر في كل ساعة   رثاء لحر ، أو رثاء لصاحب ؟!
ثريا رجالات تهاوت نجومها   وكانت على الوادي ثريا الكواكب

وقال صديقنا الفاضل إن أبيات الزين التي أخذنا منها أبياتنا ما يأتي :

أفي كل حين وقفة إثر ذاهب   وصوب دم أقضي به حق صاحب
أودع صحبي واحداً بعد واحد   فأفقد قلبي جانباً بعد جانب
تسـاقط نفسي كل يوم فبعضها   بجوف الثرى ، والبعض رهن النوائب
فيا دهر دع لي من فؤادي بقية   لوصل ودود ، أو تذكر غائب
ودع لي من ماء الجفون صبابة   أجيب بها في البين صيحة ناعب

والقارئ لأبياتي ولأبيات الزين رحمه الله ، لا يجد كل هذا التهويل الذي أثاره الناقد الفاضل ، وإيضاحاً لذلك أقول : إن قصيدة الزين رحمه الله لا علم لي بها ، فهي ليست من محفوظاتي التي حفظتها في صباي ، وليست من القصائد التي قرأها الزين لي أو سمعتها منه ، ولا هي من المتداول المعروف بين الناس ، ومن الاتفاقات التي ليست بالعجيبة أن يحزن الزين لفقد أصدقائه ، وأحزن أنا لفقد أصدقاء لي ، أو لفقد رجالات من رجالات مصر ، فيقول كلانا قصيدته من بحر وروي واحد ، فيجيء بعد ذلك تشابه في بعض الألفاظ في بيت أو بيتين أو في بعض المعاني المطروقة للجميع ، وقد قلنا في مثل ذلك ندفع تهمة السرقة عن العقاد حينما كتب إلينا أديب ناشئ يقول إن العقاد سرق حينما قال :

فقبلت كفيـه وقبلت ثغره   وقبلت خديه وما زلت صاديا

فقد زعم الأديب النـاشئ أن العقاد سرق هذا المعنى من قول القائل :

أعانقه والنفس بعـد مشوقة   إليه وهل بعد العناق تدان ؟
وألثم فاه كي تزول حرارتي   فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله   سوى أن يرى الروحين يمتزجان

نقول إننا قلنا لهذا الأديب الناشئ إنه لما كانت العواطف تتشابه فقد يجيء الشعر متشابهاً لأن الألفاظ وهي أداة التعبير عن العاطفة ملك لكل شاعر ، فإذا كانت العواطف المتشابهة يتفق فيها الكثير من الشعراء ، وإذا كانت الألفاظ التي هي أداة التعبير ملكاً لجميع الشعراء ، فإنه والحالة هذه يجدر بالناقد أن يتريث في حكمه على فلان أنه سرق من فلان .

هذا كلام قلناه قبل أن يموت دولة النقراشي باشا ، وقبل أن يرثيه الراثون ، ندفع به تهمة وجهت إلى شاعر ، ونبصر الناشئين بالنقد السليم وصراطه المستقيم .

يقول ناقدنا الفاضل متحدثاً عني ما يأتي : « على أنني عجبت للأسمر وما هو بالعاجز عن النظم أن يكون أخذه من شعر الزين هكذا ظاهراً مكشوفاً » وأما أقول لصديقنا الناقد إذا كنت تعلم أنني لست عاجزاً عن النظم فهلا درأت الحدود بالشبهات ؟! وإذا كنت تعلم أنني لست عاجزاً عن النظم فهلا ترفعت يا صديقي عن أن تجعل من الحبة قبة ؟ وهلا أرحت بالك من أن تشغله بأنني سرقت ألفاظاً هي ملك للجميع ، أو أغرت على معنى ليس من مبتكرات المعاني وابتداعاتها ، قال الجرجاني :

« ولست تعد من جهابذة الكلام ولا من نقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه ، والمبتذل الذي واحد أحق به من الآخر وبين المختص الذي حازه المبتدئ فملكه » وقالوا « إن السرقة في البديع المخترع لا في المعاني المشتركة » وقالوا « إن صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر فتلك المواردة » .

وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال الشعر جادة وربما وقع الحافر على موضع الحافر !!

ألم يمر صديق الأستاذ عباس على ذلك وأمثال ذلك قبل أن يجلس على منصة حكمه بمجلة الرسالة الغراء، ثم يقول « الأسمر يسطو على شعر الزين » خصوصاً إذا كان صديقنا يقول إن الأسمر ليس بعاجز عن نظم الشعر.

ألم يقل امرؤ القيس (يقولون لا تهلك أسًى وتجمل) وقال طرفة (يقولون لا تهلك أسًى وتجَـلَّدِ) ألم يقل امرؤ القيس :

وشمائلي ما قد علمتِ وما نبحت كلابك طارقاً مثلي

وقال عنترة :

وإذا صحوت فماأقصر عن ندًى وكما علمتِ شمائلي وتكرمي

ثم ألم يقل عنترة :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ عليها الأسد تهتصرُ اهتصارا

وقال عمرو بن معديكرب :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ تحيةُ بينهم ضرب وجيع

وقالت الخنساء ترثي أخاها صخراً :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ فدارت بين كبشيها رحاها

ثم ألم يقل أبو تمام :

بمحمد ؛ ومُسوَّد ، ومُحسَّد ومُكرم ، ومُمدَّح ، ومُمزَّلِ

وقال البحتري :

ذاك المحمــدُ والمسوَّدُ والمكرَّمُ والمحســد

* * *

هذا قليل من كثير تفيض به كتب الأدب والأمثلة على ذلك كثيرة من شعر المتقدمين والمحدثين ، ولولا خوف الإطالة ذكرنا ما جاء في الكتب ، وذكرنا ما لحظناه نحن ولم تذكره الكتب ، ونحب أن نذكر هنا مما لم تثبته الكتب قليلا من الأمثلة :

قال امرؤ القيس متحدثاً عن نفسه في مرضه :

« ولكنها نفس تساقط أنفسا »

قال الزين رحمه الله في الأبيات التي ذكرها صديقنا وصديقه الأستاذ عباس :

تســاقط نفسي كلَّ يوم فبعضهـا
بجوف الثرى والبعض رهنُ النوائب

وكذلك قال عبد الله بن الخياط الأندلسي يصف الليل :

كأنه راهب في المسح ملتحفٌ شدَّ المجرُّ له وسطاً بزنار

وقال البارودي في قصيدة عينية يصف فيها الليل بيتاً لا أذكر جميعه الآن جاء في آخره قوله : « كالراهب المتلفع » ... ورثى شوقي رحمه الله صديقه المغفور له إسماعيل باشا صبري بقصيدته التي قال في أولها :

أجل وإن طال الزمان موافِ أخلى يديك من الخليل الوافي

وهي قصيدة معروفة لدى خاصة الأدباء وعامتهم ، ثم جاء الجارم رحمه الله فرثى دولة النقراشي باشا من بحر هذه القصيدة ورويها فوقع في موافقات لفظية كثيرة استرعت أنظار الأدباء لمعرفة خاصتهم وعامتهم قصيدة شوقي ولكنها لم تسترع نظر ناقدنا الفاضل ... ولو أردنا سرد ما نعلمه من هذه الأمثلة ، ضاقت به صفحات مجلة الرسالة .

وبعد : فهذا ما رأينا أن نعلق به على بعض ما جاء بكلمة صديقنا ، أما بقية النقد من هذه الألفاظ التي تخيرها لنا الصديق فليست لدينا أخواتها لنتحف بها صديقنا كما أتحفنا ، ولو أنها كانت لدينا أمسكناها عنه ، فقد رُضْنا أنفسنا على أن لا نتحف بها صديقاً كالأستاذ عباس ، مهما ألحَّ وألحف وتابع ولاحق ؟!

ولا يفوتني أن أشكر له هذه العناية المتلاحقة بكل ما نقوله في بعض المناسبات ، فتعليقه على ما نقول أياً كان لون هذا التعليق تخليد من لدنه لنا ، وهو عناية على كل حال ! ويا حبذا لو تفضلت الرسالة الغراء وهي سجلٌ أدبي فنشرت قصيدة الأستاذ الزين كاملة ، ثم تفضلت فنشرت قصيدتي معها ...

رحم الله الأموات ، وغفر الله للأحياء .

محمد الأسمر

نصير الدين الطوسى

حامى الثقافة الاسلامية وتراث العرب الفكرى إبان الغزو المغولى

للأستاذ ضياء الدخيلي

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

أما ياقوت الحموى فإنه قد توفى عام (٦٢٦ هـ) أى قبل وفاة الطوسى بـ (٤٦) عاماً ، وفى هذا العهد لم يكن الطوسى قد اتصل بهولاكو ، إذ أنه خرج من سجن قلعة الموت واصطحبه هولاكو فى عام ٦٥٤ هـ وإذن فالمدارس والحياة العلمية التى يصفها ياقوت كانت فى مراغة قبل مجىء الطوسى إليها ، ولربما كان الطوسى وقت وفاة الحموى مؤلف معجم البلدان — فى طوس حيث كان يطلب العلم .

والغرض أن المراغة كانت مدينة علم وأدب فاختارها الطوسى مقراً لمدرسته . ويقول جورج سارتون فى كتابه المدخل إلى تاريخ العلوم : « إن حسن مناخها وصلاح جوها للارصاد الفلكية بصورة ممتازة — شجع الطوسى على بناء مرصده فيها » وقد التف حول الطوسى فيها جمهور من العلماء وطلاب العلم حتى أنه عندما رحل منها إلى بغداد فى عام (١٢٧٤ م) ارتحل فى جيش جرار منهم . قال ابن شاكر (المتوفى عام ٧٦٤ هـ) فى فوات الوفيات (وكان النصير قد قدم من مراغة إلى بغداد ومعه كثير من تلامذته وأصحابه فأقام بها مدة أشهر ومات) .

فالطوسى فى جمه رجال العلم حوله حفظ سلسلة الثقافة الإسلامية فى الشرق موصولة الحلق متصلة الأسباب وأبقى منار العلوم مضيئاً لم تطفئه هجمات الأمم الابتدائية ؛ وإذن فأى خدمة عظيمة توازى ما قام به الطوسى رحمه الله ؟

نعم لقد ألب عليه بعض المتعصبين من جهلاء المتقشفين الذين أمسكوا بقشور الدين وخسروا لبابه — لقد أثار عليه حفيظة هؤلاء تشيعه ، ولا ريب أن هذا العامل الذى لا أهمية له فى الأوساط الثقفة العصرية — كان فى العصور الوسطى ذا أثر فى توجيه نقد الناقدين وتسديد حملاتهم الزائفة . ولا يهم مؤرخ الحضارة اليوم ما كان يعتنقه الشخص من عقيدة دينية بقدر مايهمه من آثاره العلمية والأدبية وما أنتجته عبقريته ؛ فإذا وزنا قيمة النصير بهذا الميزان رجحت كفته ، فقد رأيت فى تتبعاتى الخاصة مدى اهتمام الغربيين بهذا الفيلسوف الرياضى المعظم . ففى الوقت الذى ترى فيه الرجعيين الجامدين من المتزمتين يكيلون السباب جزافاً لهذا الفيلسوف المعظم نجد كبار مؤرخى الحضارة الإسلامية يسجدون لعظمة العبقرية النادرة فى شخص نصير الدين الطوسى وينسبون إليه المعجزات فى الرياضيات ويسجلون له الابتكارات والاكتشافات والاختراعات الرائعة فتسخر من هؤلاء الجهلاء الذين تحاملوا على كرامة الطوسى ، وأساؤا إلى سمعة المسلمين فى جهلهم بقيم رجال العلم وانصياعهم لداعى التعصب الذميم . لقد كان أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الشهير بابن قيم الجوزية (٦٩١ — ٧٥١هـ) يخبط خبط عشواء (رحمه الله وعفى عنه) ، إذ قال فى ص ٢٩٧ من الجزء الثانى من كتابه (إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان) .

« وصارع محمد الشهرستانى ابن سينا فى كتاب سماه (المصارعة) أبطل فيه قوله بقدم العالم وإنكار المعاد ونفى علم الرب تعالى وقدرته وخلقه العالم ، فقام له نصير الألحاد (يقصد نصير الدين الطوسى رحمه الله) وقعد ، ونقضه بكتاب سماه (مصارعة المصارعة) ووقفنا على الكتابين — نصر فيه : أن الله تعالى لم يخلق السموات والأرض فى ستة أيام وأنه لا يعلم شيئاً وأنه لا يفعل شيئاً بقدرته واختياره ولا يبعث من فى القبور . وبالجملة فكان هذا الملحد (أى نصير الدين) هو وأتباعه من الملحدين الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » . ومن قرأ كتب الطوسى فى علم الكلام آمن أن ابن قيم الجوزية مفتر على الرجل ، وأن كتب الطوسى فى الإيمان والعقائد وصلت إلى براهين ، ولم يصل إسمها إلى مؤلف إغاثة اللهفان إلى الباطل والبهتان .

وقد شرح كتاب الطوسى تجريد العقائد جماعة من العلماء والمتكلمين الأفاضل وفى مقدمتهم المولى على القوشجى الشافعى

من سمرقند والعلامة الحلى من العراق . ثم يستمر ابن الجوزية فى هذيانه فيقول : (والفلسفة التى يقرؤها أتباع هؤلاء اليوم هى مأخوذة عنه (أى عن الطوسى) وعن إمامه ابن سينا . وبعضها عن أبى نصر الفارابى وشىء يسير منها من كلام أرسطو وهو مع قلته وغثاثته وركاكة ألفاظه كثير التطويل لا فائدة فيه . وخيار ما عند هؤلاء فالذى عند مشركى العرب من كفار قريش وغيرهم أهون منه .. » ولا أدرى كيف حكم بركاكة ألفاظ أرسطو فى لغته اليونانية التى أعتقد أنه يجهلها !

ولنعد إلى حديث المستشرق العلامة الفرنسى سديو فى كتابه تاريخ العرب العام .

قال (ص ٢٦٩ من تعريب عادل زعيتر) دخل المغول بغداد عنوة فانتهبوها فى سبعة أيام فحرقوا بعض المخطوطات الثمينة التى وجدوها فى المكتبات والمدارس وألقوا بعضها الآخر فى نهر دجلة فأصبحت مياهه من مدادها على حسب رواية مؤرخ عربى مبالغ فيها .

نهب المغول ما اشتملت عليه مدينة المنصور بغداد من الكنوز العجيبة مع أنهم سلبوا بخارى وسمرقند ومرو ونيسابور وأصفهان فيما مضى ، وخنق المستعصم بأمر هولاكو فجرت جثته الدامية تحت أسوار بغداد التى كانت شاهدة على عظمة العباسيين وانحطاط هؤلاء وذلهم .

وامحى العرب بين تلك الثورات (الداخلية) المتصلة — أمام برابرة الشمال والترك والمغول ولم يبق لهم كيان سياسى خارج جزيرة العرب أى تواروا من مسرح تاريخ أمم الشرق ؛ بيد أن الأثر العظيم الذى طبعوا به الحضارة لا يزال ظاهراً ، ولم يؤد ما وقع فى آسيا من الانقلابات إلى غير تأييده بأسطع بيان ؛ فقد رأينا أن ملكشاه السلجوقى اقتبس من مدرسة بغداد إصلاح التقويم الفارسى ، وأن محموداً الغزنوى اتخذ مشاوراً له ذا التأثير العظيم فى عصره العبقرى العالمى البيرونى .

ولما ظهر هولاكو المغولى الذى لا يعرف كيف يصون من اللهب الآثار الرائعة التى جمعت بفضل ذوى البصائر أذعن لنفوذ نصير الدين الطوسى فأذن لهذا الرياضى الشهير فى إقامة مرصد فخم بمراغة .

ولما أصبح أخوه (كوبلاى) عاهل الصين نقل إلى مملكة ابن السماء معارف العرب . ولما مضى قرنان قامت على أنقاض الدولة المغولية دولة تيمورلنك الذى اعتقد وهو على رأس الترك الشرقيين أنه مرسل من الله ليملك آسيا بأمرها فخلفه ابنه شاهرخ وحفيده (ألوغ بك) فعد هذان الأميران ممثلى المدرسة العربية الأخيرين ، ثم كان للهندوستان التى أنارها علم البيرونى منذ عهد أصحاب غزنة بابن الأخ الصغير لأولوغ بك والمؤسس لدولة المغول فى الهند (بابر — كان للهندوستان حافز مثمر إلى ثقافة العرب (فى عهد بابر) انتهت شهادة المستشرق سيديو للعرب .

ولنصغ إلى شهادة مستشرق آخر هو السنيور كرلو نلينو الذى كان أستاذاً بالجامعة المصرية وبجامعة بلرم بإيطاليا (قديماً) فقد جاء فى كتابه (علم الفلك : تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى) وهو ملخص المحاضرات التى ألقاها بالجامعة المصرية ، وقد طبع الكتاب بمدينة روما سنة ١٩٢١ م .

قال نلينو : « أما كتب العرب الفلكية فيجوز تقسيمها إلى أربعة أنواع ؛ الأول ، الكتب الابتدائية على صفة مدخل إلى علم الهيئة الموضح فيها مبادىء العلم بالإجمال ، ودون البراهين الهندسية كالجارى فى أيامنا فى كتب السموغرافيا — ومن هذا النوع كتاب التذكرة لنصير الدين الطوسى و كتابه غير مطبوع ، ومنها الملخص فى الهيئة للجغمينى المتوفى سنة ٧٤٥ هـ (الموافق ١٣٤٤ م) طبع فى إيران مع شرح قاضى زادة الرومى المتوفى فى نحو منتصف القرن التاسع (١) .

النوع الثانى ، الكتب المطولة المستقصى فيها كل العلم المثبتة لجميع ما جاء فيها بالبراهين الهندسية المتضمنة أيضاً لكافة الجداول العددية التى لا غنى عنها فى الأعمال الفلكية وهذه

(١) لقد سبق لى أن كتبت مقالا فى الرسالة الغراء فى العدد (٧٨٨) بعنوان جهود العرب المنسية في الفلك وبوقته اجتهدت أن أعثر على ترجمة للجغمينى فلم أنجح وكذلك لم أعرف تاريخ وفاته حتى أن حاجى خليفة نفسه فى كشف الظنون (كتابه) — أيضاً لم يعثر على تاريخ وفاة الجغمينى فوضع مكان التاريخ أصفاراً ولم أدر أين عثر هذا المستشرق الايطالى نلينو — على تاريخ وفاة الجغمينى ولا شك أن فى مكتباتهم من المصادر المخطوطة ما ليس لدينا منه شىء .)

الـكتب على منوال كتاب المجسطى لبطليموس فمنهـا تحرير المجسطى لنصير الدين الطوسى ونهاية الإدراك فى دراية الأفلاك لقطب الدين محمود بن مسعود الشيرازى (وهو تلميذ نصير الدين)

قال نلينو و (النوع الثالث) الـكتب المعدة لأعمال الحساب والرصد فقط المسماة أزياجاً أو زيجات أو زيجة ، ولفظ زيج أصله من اللغة البهلوية التى كان الفرس يستخدمونها فى زمن الملوك الساسانيين [(١)] يقول نلينو فى هذه اللغة زيك معناه السدى الذى ينسج فيه لحمة النسيج ، ثم أطلق الفرس هذا الاسم على الجداول العديدة التى يبنى عليها كل حساب فلـكى مع إضافة قوانين عملها واستعمالها مجردة فى الأغلب عن البراهين الهندسية .

ومنها الزيج الصابى لمحمد بن جابر البنانى المطبوع بروما فى ثلاثة أجزاء ، وكتب أخرى عديدة (أقول ومنهـا الزيج الايلخانى للطوسى) .

وقد ذكر نلينو نصير الدين فى عدة مواضع من كتابه فقال ص ١٩٨ إن أحد علماء القرن السابع للميلاد أعنى سلمسيوس الفرنسى عثر على اسم أحد علماء الفلك البابليين فى شرح نصير الدين الطوسى على كتاب الثمرة لبطليموس فزعم الطوسى أنه منجم بابلى صاحب كتاب يونانى ذائع الصيت وموضوعه صور الوجوه ، ألفه فى النصف الثانى من القرن الأول للمسيح .

وأثنى نلينو على الطوسى ص ٢٣٦ فقال إن المستعمل الآن فى أيامنا تسمية الضلع المقابل للزاوية القائمة (وتراً) وهـذا الاستعمال قد سبقنا إليه الطوسى فى كتابه تحرير أصول اقليدس فى الهندسة . وقال نلينو ص ٢٤٤ ومما يستحق الذكر أن العرب توصلوا فى النصف الثانى من القرن الرابع إلى إثبات تناسب جيوب الأضلاع لجيوب الزوايا المقابلة لها فى أى مثلث كروى ، بل وضعوا هـذه القاعدة أساساً للطريقة التى سموها (الشـكل المغنى) فى حل المثلثات الـكروية . قال نصير الدين الطوسى فى كتاب الشـكل القطاع المطبوع فى القسطنطينية سنة ١٣٠٩) الخ

وليس هنا مقام بيان ما خلد الطوسى من آثار رائعة فى الهندسة وعلم المثلثات وباقى الرياضيات فقد أفردت لذلك مقالا مستقلا . إنما نقتصر فى حديثنا اليوم على جهود الطوسى فى مرصد مراغة وفى علم الفلك والهيئة — فقد كانت حديث المستشرقين ومؤرخى الحضارة الإسـلامية العربية ولم نجد من ضرب صفحاً عن ذكره أو ولغ فى ذمه إلا من أعماه التعصب القديم

الحق أن الطوسى رحمه الله من مفاخر الثقافة العربية ومن العقول الجبارة التى غمرت الأوسـاط العلمية بنتاجها الخصب ، فازدهر تاريخ الشرق الأوسط. وقد أنقذ الطوسى منار العلوم بعد أن هددته عاصفة المغول وكادت تنطمس أنواره وتنمحى آثاره ؛ فهو الذى منع شر المغول عن الفلاسفة ورجال العلم وأنفق واردات الأوقاف الإسـلامية فى بناء حياة علمية جبارة فى مراغة بقيت آثارها فى المـكتبة العربية وكم من نفس أحياها باستنقاذها من سيوف التتار ، وكم من قلب أحياه بالعلم .

ولنصغ إلى الأستاذ فيليب حتى يحدثنا فى كتابه (تاريخ العرب) ص ٣٧٧ — ٣٧٨ .

وإن هولا كو بعد تخريب بغداد بسنة شرع عام ١٢٥٩ بشيد بقرب بحيرة بورمية مرصد مراغة العظيم ، وقد كان أول مدير له نصير الدين الطوسى الشهير (نقلا عن ابن العبرى ص ٥٠٠ ، وعن جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله) .

وفى هذا المرصد نظم جداول فلـكية جديدة سماها (الزيج الايلخانى) إذ ألفه على شرف هولا كو أو خانات المغول (أى ملوكهم) وقد ذاعت الجداول وأصبحت مألوفة فى جميع آسيا حتى فى الصين ، وأن آثار هذا المرصد القصير العمر لا تزال قائمة حتى الآن (١٩٣٧ م) وبالقرب منها مكتبة أسسها هولا كو أيضاً ، وقد قيل إنها كانت تحتوى ٤٠٠٠٠٠ مجلد ، وأكثر هذه الـكتب كان قد نهبه جيوش المغول فى سورية والعراق وإيران

وقال فيليب حتى ص ٦٨٣ : لقد حافظ العرب بعد منتصف القرن الثالث عشر على قيادتهم للعلم من الفلك والرياضيات

---

(١) كان ابتداء الدولة الساسانية سنة ٢٢٦ م أى قبل الهجرة بثلثمائة وست وتسعين سنة شمسية وكان انقراضها سنة ٦٥٢ م (كذا يقول نلينو) .

القوة الحربية لمصر والشام

فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٦ —

وكان الجندى يمضى إلى القتال لابساً درعه ، وعلى رأسه البيضة أو المغفر (١) ، وفى يده ترسه أو درقته (٢) ، ويتسلح بالسيف أو الرمح أو الحربة (٣) أو الدبوس (٤) ، وهو عصا من خشب أو حديد ، مضلعة ملبسة بالكيمخت (٥) الأحمر والأسود

(١) البيضة من حديد تلبس على الرأس والمغفر كالبيضة إلا أن فيه أطرافا مسدولة على قفا اللابس وأذنيه . صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٣

(٢) ترس من جلد صبح الأعشى ج٢ ص ١٤٣

(٣) أصغر من الرمح

(٤) ضرب من الجلود المدبوغة

(٥) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٠ وخطط المقريزى ج٢ ص ٢١٤

ذات رأس مدورة مضرسة (١) ، أو اللت (٢) وهو كالدبوس ولكنه ذو رأس مستطيل (٣) ، أو المستوفيات وهى عمد من حديد طولها ذراعان مربعات الأشكال لها مقابض مدورة (٤) ، أو الخنجر أو القسى والسهام والنبال والنشاب (٥) .

ويسير الجيش إلى الحرب وأهم ما معه من آلات القتال والحصار المجانيق ، ومنها الكبار تحملها مائة عجلة (٦) ، ومنها دون ذلك ، ومن أنواعه ما يشد بلوالب وأقواس ، أو يدار كالملاع . ويستخدم المنجنيق غالباً لهدم الحصون بالحجارة مضخمة أو لرمى الأعداء بالنبال أو المقارب ونحوها من آلات الأذى ، أو لإحراق أماكن العدو بالنقط وغيره (٧) . فإن

(١) كلمة فارسية معربة وهى الفأس العظيمة

(٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٠ وخطط المقريزى ج ٢ ص ٣١٥

(٣) المرجعان السابقان

(٤) النبل ما يرمى به عن القسى العربية والنشاب ما يرمى به عن الفارسية . صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٢

(٥) السلوك ج ١ ص ٧٦٣

(٦) ذيل الروضتين ص ٢٠٤

(٧) تاريخ التمدن الإسلامى ج ١ ص ١٥٨

حاوية المثلثات ، ومن الطب خاصة علم أمراض العيون ، ويقول فيليب حتى وكان الإقبال على التأليف — من العلماء الفرس الذين يكتبون باللغة العربية (والحق أن كثيراً من المؤلفين كانوا عرباً أقحاحاً) وكان مركز نشاطهم مرصد الخان (هولاكو) ومكتبته فى مراغة المؤسستين اللتين كانتا تحت إشراف نصير الدين الشهير (١٢٠١ — ١٢٦٤ م) يقول فيليب حتى ومن الجميل أن تقرأ كتاب الكاثوليكى اليعقوبى السورى أبى الفرج ابن العبرى (مختصر تاريخ الدول) وقد أرجعنا فيليب إليه لأنه كان معاصراً للطوسى وكان فى مراغة كما تقدم .

ويظهر أن فيليب حتى لم يطلع على كتاب ابن الفوطى الذى كان أميناً لمكتبة مراغة وكاتباً لنصير الدين ، وقد طبع فى بغداد بإشراف الدكتور مصطفى جواد ، وعلى كل فإن من الغريب أن ينسى فيليب حتى المؤلفين من العرب فى ذلك العهد وهم كثيرون ومنهم من أخذه هولاكو إلى مرصد مراغة كمؤيد الدين المرضى الدمشقى ، وابن الفوطى ومحيى الدين المغربى وآخرين فى مصر والشام والأندلس وبغداد وعلى الأخص فى الحلة قرب بابل التاريخية على الفرات .

ومن أولئك العلامة الحلى تلميذ الطوسى وقد شرح كتابه التجريد فى الكلام وقرأ عليه الإلاهيات بالشفاء لأبى على بن سينا وبعض التذكرة فى الهيئة من تصنيفه . وأما ابن الفوطى فقد نقل ابن العماد الحنبلى أنه أسر فى واقعة بغداد وخلصه النصير الطوسى الفيلسوف فلازمه وأخذ عنه علوم الأوائل وبرع فى الفلسفة وغيرها وأمده بكتابة الزيج وغيره من علم النجوم . ومن معاصرى الطوسى — السيد على بن طاوس الحلى والشيخ ميثم بن على البحرانى . ومن مشايخه معين الدين سالم ابن بدران المصرى وآخرون رحمهم الله جميعاً .

ضياء الدخيلى

كانت المقذوفات خفيفة ثقلوها بالرصاص، وإن كانت من الشوائل كالنفط ونحوه صنعوا لها كفة علقوها بسلاسل [١] .

والعرادات وترمي بالحجارة المرمى البعيد أيضاً ، وهي أصغر من المجانيق [٢] .

ويتخذون الدبابات لتسلق أسوار العدو ، وهي آلات من الخشب السميك . وقد تكون طباقا ، وتغلف بالجلود المنقعة في الخل لدفع النار ، وتركب على عجل مستدير يدفعها الرجال ويصعد الجند في أعلاها ويستعلون على السور ، وينزلون فوقه أو يحاربون المحاصرين من أعلى السور [٣] . وقد يستخدمون الدبابات لهدم الأسوار فيسيرونها ويحتمون بجدرانها ، ويجعلون رأسها محدداً يصدمون به الأسوار حتى تهدم [٤] ، أو يتخذون لهدم الأسوار الكباش ، وهي كالدبابات ولكن رأسها في المقدمة مثل رأس الكبش ، وهو متصل في داخل الدبابة بعمود غليظ معلق بحبال تجرى على بكر معلقة بسقف الدبابة لسهولة جره ، فيتحصن الرجال في الداخل ، ويتعاونون من داخل الدبابة على ضرب السور حتى يخزقوه [٥] أو يتخذون الزحافات يدقون بها الحصون والأسوار . وبها أبراج للجند مجهزة بالقسي [٦] .

ويلقي الجند على أعدائهم بندقاً من الحديد يزن عشرة أرطال إلى مائة رطل [٧] ، ورماة هذا النوع من أدوات القتال يسمون الجوخية [٨] ، أو يقذفونهم بقوارير النفط والقطران يرمون بها الحصون والقلاع للاحراق ، ويسمى القاذفون بالزراقين ؛ لأنهم يستخدمون لذلك أنابيب تعرف بالزراقات [٩] .

ومن أشد ما استخدمه المصريون للفتك بأعدائهم النار اليونانية ، وقد كتب عنها الأستاذ عبد الله عنان في كتابه : (مواقف حاسمة) حديثاً طويلا عن نشأتها وتطورها ، فذكر في

(١) المرجع السابق ص ١٥٩
(٢) محيط المحيط
(٣) تاريخ التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٦٠
(٤) المرجع السابق
(٥) المرجع السابق
(٦) هامش السلوك ج ١ ص ٥٢٦
(٧) صبح الأعشى ج ٢ ص ١٤٤
(٨) السلوك ج ١ ص ٤٩٨
(٩) صبح الأعشى والسلوك

(ص ١٠٢) أنها كانت تركب من زيت النفط والكبريت والجير والقار . فينتج من ذلك السائل الملتهب . وكانت تستعمل في حروب البر والبحر معاً ، في أثناء التحام الصفوف ، وفي أثناء الحصار . فتقذف من فوق الأبراج أو الأسوار في آنية كبيرة ، أو تطلق في كرات مشتملة من الحديد والحجارة ، أو في سهام ملتوية قد لفت بالقنب والوبر والشعر مشبعة بالسائل الملتهب . وأما في المعارك البحرية فكانت تحمل في سفن النار : الحراقات . وتطلق من أنابيب طويلة من النحاس ركبت على مضخات ضاغطة توضع في مقدمة السفينة ، وتحمل على هيئة وحوش فاغرة أفواهها تقذف وابلا من النيران السائلة المضطرمة » ويذكر الأستاذ ما كان لهذه النار من أثر في نفوس الفرنج في معركة المنصورة ، وينقل لذلك قول مؤرخ شاهد عيان في تلك المعركة من الفرنج هو « دى جوانفيل » الذي يصف هذه النار بأنها تثب مستقيمة كأنها أسطوانة كبيرة ، ولها ذيل من اللهب قدر الحربة ، ودويها يشبه الرعد ، وكأنها جارح يشق الهواء ، ولها نور ساطع جداً من جراء عظم انتشار اللهب الذي يحدث الضوء حتى إنك ترى كل ما في المعسكر ، كما ترى في ضوء النهار [١] ، ويصف هذا المؤرخ ما أحدثته هذه النار من تدمير في معسكرهم ورعب في قلوبهم ، ولم يستطع الصليبيون في ذلك الحين معرفة سر تركيب هذه النيران .

وكان المسلمون يتقون مقذوفات عدوهم بستائر توضع على الأسوار والسفن لتستر المقاتلين [٢] ، ويكافحون نيران عدوهم التي تقذف على مراكبهم بأن يعلقوا حول سفنهم الحربية من الخارج جلوداً مبلولة بالخل والماء والشب والنطرون لدفع أذى النفط ، وكذلك كان يستعمل الأعداء في تحصين آلاتهم الحربية ، ولكن بعض العرب قد اخترع من النيران ما لا يقف الخل في سبيله : صنع العدو في حصار عكا ثلاثة أبراج من خشب وحديد وألبسها الجلود المسقاة بالخل ، بحيث لا تنفذ فيها النيران ، وكانت هذه الأبراج كأنها الجبال عالية على سور البلاد ، ومركبة على عجل يسع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر ، ويتسع

(١) معارك حاسمة ص ١٠٨
(٢) النوادر لابن شداد ص ١٠٣

سطحها ، لأن ينصب عليه منجنيق ، وقد ملأ ذلك نفوس المسلمين خوفاً ورعباً ، ويئس المحاصرون فى المدينة ، ورأوها وقد تم عملها ولم يبق إلا جرها قرب السور وأعمل صلاح الدين فكره فى إحراقها ، وجمع الصناع من الزراقين والنفاطين وحثهم على الاجتهاد فى إحراقها ، ووعدهم على ذلك بالأموال الطائلة والعطايا الجزيلة ، ولكن ضاقت حيلهم عن ذلك . وكان من جملة من حضر شاب نحاس دمشقى ذكر بين يديه أن له صناعة فى إحراقها وأنه إن مكن من الدخول إلى عكا ، وحصلت الأدوية التى يعرفها أحرقها ؛ فحصل له جميع ما طلبه ، ودخل إلى عكا وطبخ الأدوية مع النفط فى قدور نحاس حتى صار الجميع كأنه جمرة نار ، ثم ضرب واحداً بقدر ، فلم يكن إلا أن وقعت فيه ، فاشتعل من ساعته ووقته ، وصار كالجبل العظيم من النار طالعة ذؤابته نحو السماء واستغاث المسلمون بالتهليل ، وعلاهم الفرح حتى كادت عقولهم تذهب . وبينما الناس ينظرون ويتعجبون إذ رمى البرج الثانى بالقدر الثانية ، فما كان إلا وصلت إليه واشتعل كالذى قبله فاشتد ضجيج الفئتين ، وما كان إلا ساعة حتى ضرب الثالث فالتهب وغشى الناس من الفرح والسرور ما حرك ذوى الأحلام(١)

وهكذا نرى تفوق المسلمين الحربى فى تلك العصور .

واستخدم المسلمون فى سفنهم الكلاليب يلقونها على مراكب أعدائهم . فيقفونها ، ويشدونها إليهم ، ثم يصنعون جسوراً من الألواح تصلهم بها ، فيدخلون إليها ويقاتلون أصحابها(٢)

وخلق جو من الحماسة فى صدور الجند استخدموا ، والمعركة دائرة ، دق الكئوس ونفير الأبواق ، كما تصنع الآن الفرق الموسيقية .

هذا وكانت آلات القتال تصنع فى مصر والشام وتباع فيهما فى سوق السيوفيين وسوق السلاح .

* * *

وعنى فى ذلك الحين بإنشاء القلاع فى المدن ، والأسوار حولها وكان صلاح الدين يتفقه فى كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق(٣) وأحب أن يجعل لنفسه معقلا بمصر كمعاقل الشام ، فأمر بإنشاء قلعة بالقاهرة وسور يحيط بها وبالقلعة ومصر وأقام على عمارة ذلك بهاء الدين قراقوش الأسدى ، فبدأ فى بناء ذلك سنة ٥٧٢ وهدم ما هنالك من المساجد ، وأزال القبور ، وهدم الأهرام الصغار التى كانت بالجيزة تجاه مصر وكانت كثيرة العدد ، ونقل ما وجد بها من الحجارة ، وبنى به السور والقلعة وقناطر الجيزة وتم قسم كبير من القلعة . وكان صلاح الدين يقيم بها أياماً ، كما سكنها الملك العزيز عثمان ، فى أيام أبيه ، ولكن السلطان مات قبل أن يتم العمل فى السور والقلعة فأهمل العمل إلى أن كانت أيام الملك الكامل محمد ، فإنه أتم بناء القلعة وأنشأ بها الآدر السلطانية ودواوين الدولة ، وسكنها حتى مات ، وظلت من بعده دار مملكة مصر إلى أن كان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فإنه أنشأ قلعة بالروضة شرع فى حفر أساسها يوم الأربعاء ٥ شعبان سنة ٦٣٨ (١) . وهدم لها ما كان فى هذه الجزيرة من دور ومساجد وكنائس ، وقطع ألف نخلة مثمرة ، كان رطبها يهدى إلى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه ، وأنفق فى عمارة قلعته أموالا جمة ، وبنى فيها الدور والقصور ، وعمل لها ستين برجاً ، وبنى بها جامعاً وغرس فيها جميع الأشجار ، ونقل إليها عمد الصوان من البرابى وعمد الرخام وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج إليه من الغلال والزاد والأقوات خشية محاصرة الفرنج ، وبالغ فى إتقانها مبالغة عظيمة . وكان الملك الصالح يقف بنفسه ويرتب ما يعمل حتى بلغت حداً يدهش ؛ لكثرة زخرفها وحسن سقوفها وبديع رخامها . ولما كملت تحول إليها بأهله وحرمه (٢) واتخذها دار ملك ، وأسكن فيها معه مماليكه البحرية ، ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بنى أيوب . فلما ملك المعز أيبك أمر بهدمها ، وعمر منها مدرسة ، وطمع فى القلعة من له جاه ، فأخذ ما يروقه من سقوفها ، وأخشابها ، وشبابيكها حتى بنى بعضهم منازل منها (٣) ، فلما جاء بيبرس اهتم بعمارة قلعة الروضة ، وأراد إعادتها كما كانت ، فأصلح بعض

(١) النوادر لابن شداد ص ١٠٣
(٢) تاريخ الأسطول العربى ص ٧٠
(٣) طبقات الشافعية للسبكى ج ٤ ص ٣٣٠

(١) خطط المقريزى ج ٣ ص ٣٣٠
(٢) السلوك ج ١ ص ٣٠١
(٣) ابن دقماق ج ٤ ص ٩٧

ما تهدم فيها ، ولكن هيئتها لم تدم فإن قلاوون لم يكد يشرع فى بناء البيمارستان والقبة والمدرسة المنصورية ، حتى أخذ من قلعة الروضة مايحتاج إليه منها ، كما أخذ الناصر محمد منها ما احتاج إليه فى بناء أبواب بقلعة الجبل وجامع له . وهكذا ذهبت القلعة كأن لم تكن (١) .

أما بلاد الشام فكانت مليئة بالقلاع والحصون كقلعة حلب وقلعة دمشق وحصن الكرك وكوكب ، وشقيف أرنون وبصرى وهونين وتبنين وتل باشر وقلعة حماة وحمص وعكا والشوبك وصرخد وكثير غير ذلك . ومعظمها يناطح السحاب بعلوه ويشبه الجبال بمتانته(٢) وعنى بهذه القلاع والحصون ؛ لأن المدينة إذا خلت من حصن يسهل على العدو أن يجتاحها كل حين . وأحيانا كان المسلمون يضطرون إلى هدم أسوار المدن وقلاعها ، حتى لا يتحصن بها الأعداء إذا سقطت فى أيديهم ، وقد شاهدنا أمثلة لذلك فيما مضى .

ومما عنى به فى ذلك الحين برجا دمياط ، فقد كانت دمياط هدفاً للصليبيين فى ذلك العصر ، هاجوها فى عصر الدولة الفاطمية والأيوبية . والمؤرخون مختلفون فى وصف هذين البرجين ، فأبو شامة يجعل البرج واحداً فى وسط النيل ، ودمياط بحذائه من شرقيه ، والجزيرة بحذائه من غربيه ، وفى ناحيتيه سلسلتان تمتد إحداهما على النيـــل إلى دمياط ، والأخرى على النيل إلى الجزيرة ، تمنعان عبور المراكب من البحر المالح ، فهو قفل الديار المصرية إذا أوثقت السلسلتان امتنع على المراكب العبور إليها ، ومتى لم تكونا عبرت المراكب ، وبلغت إلى القاهرة ومصر وإلى قوص وأسوار .

والمقريزى فى السلوك (جـ ٢ ص ٧٢ وص ١٨٨) والخطط (جـ ١ ص ٣٤٧) يقول . « وكان إذ ذاك على النيل برج منيع فى غاية القوة والامتناع فيه سلاسل من حديد عظام القدر والغلظ تمتنع فى النيل لتمنع المراكب الواصلة فى بحر الملح من عبور أرض مصر ، وتمتد هذه السلاسل فى برج آخر يقابله ، ويعرف اليوم مكانهما فى دمياط بين البرجين » . وأبو شامة قد وصف ما رآه

(١) خطط المقريزى جـ٣ ص ٢٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٩٩

(٢) خطط الشام جـ ٥ ص ٢٩٢ و٢٩٣ و ٢٩٤

والظاهر أن البرج الثانى القريب من شاطىء دمياط لم تكن له أهمية حربية ، كالبرج القريب من الشاطىء الثانى . ويرجع إنشاء هـذا البرج غالباً إلى أيام المتوكل سنة ٢٣٧ . فإن دمياط منذ العصور الأولى للاسلام كانت محط أنظار الغزاة (١) .

وعنى صلاح الدين بهذين البرجين ، فرتب المقاتلة عليهما ، وأتقنت السلسلة التى بين البرجين وشدت إليها مراكب ليقاتل عليها ويدافع عن الدخول من بين البرجين ، ورم شعث سـور المدينة ، وسدت ثلمه ، فبلغت النفقة على ذلك ألف ألف دينار .

وهاجر الفرنج دمياط سنة ٦١٥ فى آخر أيام العادل ، وعملوا آلات ومرمات وأبراجا متحركة يزحفون بها فى المراكب إلى برج السلسلة ليملكوه ، حتى يتمكنوا من المدينـة ، وألحوا فى مقاتلة أهل البرج ، فلم يظفروا منه بشىء مدة أربعة أشهر ، ثم احتال الفرنج فأقاموا برجاً من الصوارى على بطسة كبيرة وأقلعوا بها حتى أسندوها إليه ، وقاتلوا من به حتى أخذوه (٢) . وكان ذلك ممهداً لأخذهم دمياط على ما ذكرنا . ولما علم العادل بأخذ الفرنج برج السلسلة تأوه تأوهاً شديداً ، ودق بيده على صدره أسفاً وحزناً ومرض من ساعته ، واشتد مرضه حتى مات (٣) قال أبو شامة : وأذكر وأنا بدمشق حين بلغ الناس أخذ الفرنج برج السلسلة وقد شق ذلك على من يعرفه مشقة شديدة ، ومنهم شيخنا أبو الحسن السخاوى ، ورأيته يضرب يداً على يد ويعظم أمر ذلك . وسمعت الفقيه عز الدين بن عبد السلام يسأله عنه ، فقال : هو قفل الديار المصرية ، وصدق (٤) . ويظهر أن الفرنج خربوا هذا البرج كى لا يكون عقبة فى سبيلهم ولا قوة فى أيدى المصريين كرة أخرى ، فإنا لم نسمع شيئاً عنه عند ما غزا الفرنج دمياط فى عهد الصالح نجم الدين أيوب ، ثم عمره قطز ، وهو البرج الذى اعتقل فيه أسرة المعز أيبك(٥) .

(النهاية فى العدد القادم)

أحمد أحمد بدوى

(١) خطط المقريزى جـ ١ ص ٣٤٥ — ٣٤٦

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٧

(٣) السلوك جـ ١ ص ١٩٠

(٤) هامش المرجع السابق ص ١٨٨

(٥) السلوك جـ ١ ص ٤١٨

ليتني أدري!

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

ليتني أدري!
ما الذي يغري يا حبيب الروح
بالهوى البكر قلبي المجروح؟
روحك الهيمان! جسمك الريان؟
حرت في أمري ليتني أدري!

ليتني أدري!
ما الذي يجري خلف هذا الباب؟
والهوى يسري في دمي المنساب!
آهة حرّى تحمل السرّا!
حرت في أمري ليتني أدري!

ليتني أدري!
والدجى مسحورْ حول أيامك!
هل يذيع النور من أحلامك؟
إنها الأشباح أشعلي المصباح!
في يد الفجر علني أدري!

ليتني أدري!
كيف لا يظهر سرك المستور؟
نورك الأحمر كيف يخشى النور؟
بينما سري ذاع في شعري!
آه من أمري! ليتني أدري!

ليتني أدري!
حين تنسابُ موجة الإحساس!
ترقص الأهداب تسرع الأنفاس!
يخفق القلبُ هل هو الحبُّ؟
حرت في أمري ليتني أدري!

وفاء وحنان..

للآنسة (ن. ظ. ع)

(من وحي قصة سينمائية غربية شاهدتها على الشاشة تمثل أروع صورة للحنان الإنساني يضفيه رجل على أسرته وزوجته المريضة، مما يهز أرق المشاعر، ويثير أنبل الخواطر).

إلهي ... أفي الغرب هذا الوفاء؟ ... أتحظى النساء بهذا الحنانْ؟
وفي الشرق يظلمهُنّ الرجال ... ويقسو عليهن صرفُ الزمان!

أنُظلَمُ حواء روح الحنان ... ويجزى الوفاء بهذا العقوق؟
أنُظلَم بالشرق مهد الهداةِ ... وأرض الشداة بنيْل الحقوق؟

أرى حكمة الله في شرعه ... ترد الفساد وتهدي الضلال
ففيم التلاعب بالدين ... ربي ... وباسم الشريعة يطغى الرجال!

يُريدونهنّ متاعاً لهم ... تعدّدنَ مثنى به أو رُباع
أهذا هو الشرع ... يا ويحهم ... لقد صيّروه سبيلَ الخداع

أخذتم من الغرب تلك القشور ... وحب المظاهر دون الألباب
وأنتم لعمريَ لا تبتغون ... سوى الجسم مثل جياع الذئاب

وأنكرتم الروح ... يا ويحكم ... وأين هو الرفق! أين الحنان؟
ونبل النفوس؟ وصدق الوفاء؟ ... وأين النبيل بهذا الزمان!

ويالهفَ من ضلّلتها المعاني ... وحثّت خطاها ابتغاء الكمال
فطاح الخيال بعذب الأماني ... ولم تدر أين تحطُّ الرحال!

ضننتُ بأحلامها أن تُسامَ ... صَغار الجسوم وثِقل الأنام
أتهوي إلى الطين بعد التسامي ... كما يسقط النجم فوق الرّغام؟

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

أوعياء الأدب فى الصحافة اليومية :

يأخذ على بعض القراء هذا العنف الذى ألقى به الحياة الأدبية فيما أكتب من تعقيبات ؛ والواقع أننى لا ألجأ إلى هـذا الاتجاه حباً فيه ولا ميلاً إليـه ، ولـكن الحياة الأدبية هى التى تدفعنى دفعاً إلى أن أسلك هذا الطريق وترغمنى إرغاماً على أن أسير فيه ! وما ذنبى إذا كنت أقع على أشياء تجافى الحق والذوق ، وتصدم الخيال والواقع ، وتخالف منطق الحياة والأحياء ؟! وما ذنبى إذا مددت عينى إلى صحيفة من الصحف أو مجلة من المجلات فرأيت ناقداً يكتب فى غير مجاله ، أو أديباً يطمس الحقائق بسخف خياله ، أو شاعراً يفرض شعره على الناس وهو محروم من نعمة الشعور ؟! ...

يا من تأخذون على العنف فى معالجة القضايا الأدبية ، تعالوا واقرأوا معى هذه الـكلمات ؛ إنها من مقال كتبه فى «المصرى» الأستاذ عبد الرحمن الخميسى تحت عنوان « لعنة القلم ».. اقرأوها معى لتعلموا إلى أى حد تثيرنى بعض الأقلام حين تتناول مشكلات الأدب والفن هـذا التناول الذى يبعث على الضحك والعجب والإشفاق ! يقول الأستاذ الخميسى :

« ألم تبدل موسيقى فاجنر الألمـانى اتجاه الحياة فى ألمـانيا تبديلا عظيما ؟ إن فاجنر الفرد الواحد ، الذى تغلغلت موسيقاه فى نفوس الألمان والذى طبعت أنغامه بوحشيتها وقوتها روح الشعب الألمانى ، والذى حفزت ألحانه الناس إلى الاستعلاء وإلى التحليق ، هذا الفرد الواحد كان يكتب بقلمه موسيقاه حروفاً صماء على الورق ، ثم يشمل بهذه الحروف حين يعزفها الأوركسترا أرواح الملايين ويبهرها ، ويجلوها ، ويرتفع بها إلى عليين ! . . كانت موسيقى فاجنر الأفق المجيد الذى استنزل منه نيتشه الشاعر الفيلسوف أروع قصائده وأبسل أغانيه ، وكانت هى الأفق المجيد الذى استلهمه فاجنر صورة الإنسان الأعلى . وهكذا ترى أن موسيقى فاجنر هى التى فتقت أكمام العبقرية فى نيتشه ، وهى التى مهدت الطريق المذهب النازى . . الخ » !

بجرة قلم فتقت موسيقى فاجنر أكمام العبقرية فى نيتشه . . . من أين جاء الـكاتب بهذا الرأى الذى يذوب خجلا أمام الحقيقة ؟ لا أدرى ولا المنجم يدرى كما يقول المـازنى ! يبدو أن موجة الإعجاب بسحر هذا التعبير « فتقت أكمام العبقرية » هى التى طغت برنينها المذب على جوهر الواقع فشوهته فى غفلة من أعين الرقباء !

إن المثقفين فى كل مكان يعلمون أن موسيقى فاجنر قد لقيت من قلم نيتشه أعنف وأبشع ما لقيته موسيقى فنان من قلم فيلسوف!. من يصدق أن فاجنر قد فتق أكمام العبقرية فى نيتشة ، نيتشـة الذى رمى موسيقاه بكل نقيصة ، وأذاق فنه من ألوان الهـدم والسخرية ما أذاق ، ورفع فى وجهه معول التدمير يهوى به فى ضربات قاسية لا تعرف ليناً ولا هوادة ؟!

فاجنر فى رأى نيتشة مثال فذ للشخصية المنحلة ، وموسيقي فاجنر فى ذوق نيتشة نموذج صادق للموسـيقى المريضة ، وفن فاجنر فى ميزان نيتشة همجية تختلط فيها الشعوذة بالجنون ! . . إن فاجنر كما يقول نيتشة : « لا يستطيع أن يهز بموسيقاه إلا أعصاب النساء ، وهكذا تفعل الموسيقى المريضة ! إن فنه يستند إلى دعائم زائفة لا يمكن أن يرضى عنها إلا كل منهوك القوى منحل الشخصية محطم الأعصاب . . إن الفيلسوف الرابض بين جوانحى ليثور على كل ما هو مريض ومنحل ! إن القدرة على خلق فن منحط أهون بكثير من القدرة على خلق فن رفيع ؛ ومن هنا استطاع فاجنر أن يرضى الأذواق الفاسدة ، الأذواق (الفاجنرية) المنحرفة ! . . إن هذا العصر الذى نعيش فيه ليدين بشروره وآثامه إلى شخصية فاجنر ، هذا المتلف الهدام » !

هـذه هى الموسيقى التى قال فيها نيتشة ما قال ، وقال عنها عبد الرحمن الخميسى إنها كانت الأفق المجيد الذى استنزل منه نيتشة أروع قصائده وأبسل أغانيه ! . . . إننى أنصح قراء « الرسالة » أن يصدقوا نيتشة ، أما قراء « المصرى » فلا بأس من أن يصدقوا عبـد الرحمن الخميسى إذا قال لهم إن موسيقى

فاجنر هى التى خلقت عقلية هتلر وفون مولتكه وبسمارك . . . وفريدريك الأكبر !!

ترجمة تحتاج إلى تصحيح :

تحدث الدكتور عبد الرحمن بدوى فى عدد « شباط » من مجلة الأديب اللبنانية عن مسرحية الأيدى القذرة « Les mains Sales » للكاتب والفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر .. ولقد استوقفنى ما جاء بمقاله من ترجمة خاطئة لبعض كلمات رأيت أن أصححها ، حتى لا تبعد الشقة بين أصلها فى الفرنسية وبين ما يقابلها فى العربية :

ترجم الدكتور بدوى هذه الكلمات « La putain respectueuse » وهى عنوان مسرحية لسارتر « بالعاهر المهيبة » ؛ وهنا يبدو شىء من الانحراف فى الترجمة لا يستقيم معه المعنى سواء أكان منسوباً إلى عنوان المسرحية أم كان منسوبا إلى الفكرة التى بنيت عليها ! . . . إن المهابة كما يدل عليها موضوع المسرحية وكلمة « respectueuse » لا تنسب إلى « العاهر » وإنما تنسب إلى المحيطين بها عشاق الجسد ، أولئك الذين كانت ترحب بهم وتحتفى بمقدمهم ؛ وإذن تكون الترجمة الصحيحة هى « العاهر الحفية » . أما « العاهر المهيبة » فلا يقابلها فى الفرنسية غير هذه الكلمات :

« La putain respectable » .

وترجم الدكتور بدوى عنوان مسرحية أخرى لسارتر ترجمة خاطئة أيضاً وهى مسرحية « La nausée » ، حيث قابلها بكلمة « القرف » مع أن ترجمتها الدقيقة هى « الغثيان » . . والفارق بين الترجمتين بعيد !

أما قوله بأن « الأيدى القذرة » هى خير ما أنتج سارتر إحكام صنعة فنية وبراعة حوار وإبداع تسلسل ، فلا أجد فى الرد عليه خيراً من رأى الدكتور طه حسين بك فى هذه المسرحية ، وهى أنها أقل أعمال سارتر الأدبية توفيقاً فى مجال العمل الفنى الذى يقوم عليه بناء التمثيلية الحديثة ، وهو رأى جهر به الدكتور طه — كما قال لى — فى وجه مديرة المسرح الفرنسى الذى مثلت عليه مسرحية سارتر ، يوم أن سمت إليه السيدة تسأله عن رأيه فى « الأيدى القذرة » . . ومما هو جدير بالذكر أن المحيطين بالدكتور قد حاولوا فى شىء من اللباقة أن يخففوا من وقع رأيه على شعور السيدة الفرنسية ، ولكن صراحته المعهودة أبت إلا أن تؤكد المرة الثانية ما سبق أن أفضى به ، وهو أن هذه المسرحية عمل فنى يعوزه التوفيق !

بين طه حسين وتوفيق الحكيم :

لم يسعدنى الحظ بالاستماع للمحاضرة القيمة التى ألقاها الدكتور طه حسين بك عن « قصة أوديب فى الآداب المختلفة » ، والتى تناول فيها بالنقد والتحليل بعض الأعمال الفنية التى أعقبت أوديب سوفوكل . . ولقد حدث أن خرج بعض المستمعين لمحاضرة الدكتور وقد وقع فى ظنهم أن الأستاذ توفيق الحكيم قد ناله رشاش من التهكم حين جاء ذكر مسرحيته فى سياق الحديث ! هذا ما فهمته من بعض الذين لقيتهم عقب المحاضرة ومما أورده صديقى الأستاذ عباس خضر حين عرض لها فى الأسبوع الماضى بالتلخيص والتعقيب .

ومن العجيب أنه قد وقع فى الظن أيضاً أن علاقات الود والصداقة بين الدكتور والأستاذ الحكيم تجتاز مرحلة من الفتور ، ليس أدل عليها من هذا الذى قيل وتعرض فيه صاحب « أوديب الملك » لشىء من السخرية !

أود أن أؤكد هنا أن كل ما تبادر إلى الأذهان من ظنون لا يستند إلى دعامة واحدة من دعائم الحقيقة ، فعلاقات الود والصداقة لا تزال تربط بين الرجلين بأقوى رباط .. وإذا كان الدكتور طه قد لجأ فى حديثه إلى شىء من العنف أو إلى شىء من القسوة ، فرجع ذلك إلى صراحته المعهودة التى لا تجامل صديقاً على حساب القيم الفنية والموازين النقدية ، وتلك ناحية أكدها لى الدكتور حين فاتحته فى هذا الأمر منذ أيام . ومما يؤيد هذا القول تلك القصة الطريفة التى أتيت على ذكرها فى الكلمة السابقة ، والتى تمثل بوضوح صراحته السافرة عندما سألته مديرة المسرح الفرنسى عن رأيه فى مسرحية « الأيدى القذرة » ولا أظن أن أحداً يستطيع أن يتهم الدكتور طه بأنه كان يسخر من فن سارتر أو يتهكم عليه . . وإذا كان الأستاذ الحكيم قد تعرض فى ثنايا المحاضرة لشىء من العنف فقد تعرض فولتير لهذه

العبارة القاسية ، وهى أنه فى تناوله لقصة سوفوكل قد أمعن فى سخف لا يطاق !

لا أدرى لم يعد الناس هنا قسوة النقد تهكما وصراحة الناقد سخرية ، ولم يميلون فى مثل تلك المواقف إلى الظن بأن بين الناقد والمنقود أسباباً من الجفاء يفسرها الوهم بالتحامل ويردها الخيال إلى محاولة النيل من الأقدار ؟ ! ألا يجدر بنا أن ننظر إلى الأمور من خلال منظار آخر يهيء لنا رؤية الحقائق فى جو لا يكتنفه هذا الضباب ؟ إننى أود أن تتحقق هذه الأمنية فى يوم من الأيام !

درس آخر فى أدب القصة :

يبدو أننى لن أفرغ من هذه الدروس التى تلقى على من حين إلى آخر فى أدب القصة ؛ فبعد أن عقب أحد الأدباء على ما كتبت حول مسابقة المصور للقصة القصيرة ، وبعد أن رددت عليه بكلمات أعتقد أنها وضعت كل شىء فى مكانه ، بعد هـذا كله هب « أستاذ » آخر ليمدنى بنصائحه ويزودنى بمعلوماته وهو الأستاذ نصرى عطا الله !

إننى أرحب بأن أكون « تلميذاً » مخلصاً على شرط أن يكون « أساتذتى » على شىء من العمق والإحاطة ... وأشهد أننى لا أضيق بالتوجيه والإرشاد ولو صدر من أديب لم أسمع به من قبل على شرط أن يكون فى توجيهه وإرشاده ما يهدينى إلى أشياء تدق على فهمى المتواضع ؛ ولكن الذى أضيق به ، هو أن يتحدث الأستاذ عطا الله عن فن القصة القصيرة بهذه اللهجة التى تذكرنى بخالدى الذكر « تين وسانت بيف وأرنولد » ، ثم لا أخرج من كلته بشىء يمكن أن يدفع بى إلى الصف الأول من صفوف تلاميذه !

ينكر الأستاذ عطا الله أن مجال العمل الفنى فى القصة القصيرة مجال محدود ، فهل يأذن لى بأن أقدم إليه هذا التعقيب الطريف الذى أدلى به الأستاذ توفيق الحكيم فى حديث دار بينه وبينى يوم أن قطعت بهذا الرأى ؟ لقد قال الأستاذ الحكيم : « أنا معك فى أن العمل الفنى فى القصة القصيرة لا يمكن أن يقاس إلى نظيره فى القصة الطويلة ، إلا إذا أمكن أن يقاس سباق القطط إلى سباق الخيل ؟ ! »

ومن العجيب أن الأستاذ عطا الله يحرم على القارىء الشرقى أن يحكم على شخصيتى موباسان وتشيكوف لأن ما نقل من أدبهما إلى العربية أقل من القليل ، ومع ذلك فقد أباح لنفسه أن يتحدث عن موباسان وتشيكوف بلهجة تذكرنى أيضاً بخالد الذكر بندتو كروتشه ... ألم أقل لك إن ما يباح للأساتذه يحرم على التلاميذ ؟ !

هذا هو كل ما يستحق التعقيب فى مقال الأستاذ عطا الله ... ومعذرة يا « أستاذى » ، فقد علمت من آخر صفحة فى عدد « الرسالة » الماضى أنك قد فزت بجائزة من جوائز الدرجة الثانية فى مباراة القصة القصيرة التى أقامتها وزارة المعارف ؛ ومعنى هذا أن هيئة التحكيم التى لم تقدر فنك كانت أجدر منى بهذا الدرس القيم فى أدب القصة !

أين العلوم فى الرسالة ؟ :

يسألنى الأديب الفاضل الأستاذ عبد المنعم العزيزى فى رسالة بعث بها إلىَّ عن مكان العلوم فى « الرسالة » ، مع أنها تحمل هذا الشعار : « مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون » ... ثم يعقب على سؤاله بقوله إن المهتمين بالبحوث العلمية يجب أن يخصص لهم فى « الرسالة » بعض الصفحات ، أسوة بعشاق النقد والقصة والفلسفة والسياسة والاجتماع ممن تقدم إليهم مجلتنا الرفيعة من أسبوع إلى آخر فنوناً من هذه المعارف المختلفة ... ثم يقول فى ختام كلمته إنه يود أن تستجيب « الرسالة » لهذا الرجاء حتى تستكمل لها رسالتها المثلى فى خدمة الأدب والعلم والفن ، وبخاصة فى هذه الأيام التى يقوم فيها العلم بأخطر أدواره فى توجيه حياة البشر ورسم الطريق أمام مستقبل الإنسانية !

الواقع أنه لو كان الأمر بيدى لاستجبت لرجاء الأديب الفاضل لأننى أوافقه على هذه الآراء الناضجة ... وكم كنت أود أن يكون لى فى رحاب العلم قطرة من فيض العالم الجليل الأستاذ نقولا الحداد ، إذاً لكفيته مؤونة السؤال والرجاء ، ولعل الأستاذ الحـــداد يحقق يوماً هذه الأمنية ، فيعطر صفحات « الرسالة » بغزير علمه ، بعد أن عطرها بوخز « المخلوقات الخبيثة » بسنان قلمه !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

النقد الأدبي في القرن العشرين :

ألقى الدكتور محمد مندور يوم السبت الماضي محاضرة عنوانها « النقد الأدبي في القرن العشرين » في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية . وقد بدأ بتعريف النقد الأدبي بأنه فن تمييز الأساليب قائلا بأن الأسلوب ليس هو طريقة الأداء اللغوي فحسب بل هو كذلك طريقة إدراك الكاتب للعالم الخارجي ثم مدى قدرته على اصطياد المعاني والأحاسيس وإسكانها اللفظ الملائم . ثم قال إن النقد فن لا علم ، ولكنه لا يقوم على الجهل ، فأول ما يطلب في الناقد الاستنارة ، وإن الناقد يلزمه أن يحصل كثيراً من المعارف ولكن يجب عليه أن ينساها في الأدب ، فثقافة الإنسان هي ما يتبقى في نفسه بعد أن ينسى ماحصله . والثقافة التي تنبغي للناقد متعددة الجوانب ، وأولها الأدب ذاته الإنشائي والنقدي ، ومن ذلك معرفة المعنى الدقيق للكلمات والاصطلاحات ، فإن كثيرين يرددون كلمات مثل « الواقعية » و « الرمزية » وهم يفهمون خطأ غير معناها ، فيفهمون الواقعية مثلا على أنها تصوير لواقع الحياة كما هو ، ويتبادر ذلك إلى أذهانهم من المعنى اللغوي للكلمة . غير عالمين بالملابسات التاريخية لهذا المذهب الذي يقوم على النظرة إلى الجانب الحالك من الحياة والإيمان بعدم وجود الخير فيها . ومن ذلك مذهب « الفن للفن » فليس هو كما يفهمه الكثيرون من أنه يقتضي الخروج على مواضعات المجتمع والأخلاق ، وإنما هو يدعو إلى أن تكون غاية الفن صور جميلة لذاتها ، وأن الفن غاية في ذاته وليس وسيلة للتعبير عن مشاعر خاصة .

ثم قال الدكتور مندور : إن ثقافة الناقد في القرن العشرين أصبحت ضرورية لتعدد المذاهب واختلاطها ، فمثلا كانت المسرحية إما كوميديا أو تراجيديا ، فجاء النقاد في القرن العشرين يقولون إن الحياة ليست كلها مآسي كما أنها ليست فكاهة مغرقة في الضحك ، فهي ليست بالسوداء ولا بالبيضاء الخالصة ، وإنما هي خليط من الأمرين ، فما الذي يمنع من وجود لون رمادي على المسرح ، هو الدراما التي تجمع بين الحزن والضحك ؟

ثم تساءل المحاضر : ترى هل يستحق النقد كل ذلك العناء ؟ وأجاب بأن النقد ليس تبعياً وإنما هو خلق أدبي ، وسيان أن يتحدث جيته عن منظر طبيعي أو إنسان في الحياة وأن يتحدث عن شخصية روائية أو كاتب زميل ، فتحصيل الأدوات للنقد جهد غير ضائع .

وبعد ذلك قال الدكتور مندور : وفي مصر هل نستطيع أن نقول إن النقد الأدبي قد استقر له أصول ؟ ترجمت كتب ، وكتب نقاد ، بحيث نلاحظ أن النقد أخذ يرتفع عن الشخصيات إلى الأفكار ، ولكن الملاحظ أن وسائل إذاعة النقد لا تزال محصورة ، فأكثر ما ينشر في الصحف والمجلات تعريف لا نقد تغلب عليه المجاملة والرغبة في ترويج الكتاب . وهناك نوع يتمثل في الطعن والقدح لأسباب شخصية أو أشعبية ... وعلى العموم نرى النقد الأدبي الصحيح من حيث التطبيق على مؤلفاتنا — يعاني ضيق مجال النشر .

ثم قال : إننا الآن في مرحلة تتطلب أمرين : الأول أن نكثر من النقل والترجمة عن الغرب ، والثاني أن يتجه النقد إلى غرس روح العلم والخلُق الأدبي بجانب نقد الأدب ذاته . وبذلك نستطيع أن ننشئ أدباً أصيلا وأن نبني على أساس سليم .

والاحظ أن نقطة نسيان المعارف كانت تحتاج إلى بيان ، وما أحسب الدكتور إلا يشير بذلك إلى الحقيقة النفسية القائلة بأن كل المعلومات تكمن في العقل الباطن الذي يهضمها ويماثل بينها ، ثم هي تسعف الإنسان في الفرصة الملائمة دون التفات الواعية الظاهرة ، ويكون ذلك أدنى إلى الأصالة من الترديد الببغاوي ، بل هو الأصالة نفسها . ولكن هل نقول من أجل هذا بنسيان كل ما نحصله ؟ وكيف إذن ندرك ما دعا إليه من معرفة المذاهب الأدبية ودقائق الفروق بينها إذا لم يظل ما نحصله منها عالقاً بالذاكرة ؟

شعر البالاليكا :

رأيت في « البلاغ » يوم الاثنين الماضي قطعة تحت صورة امرأة وفوق إمضاء « يوسف جبر » عنوانها « بالاليكا » وهي كلام مكتوب على هيئة النظم ، أعني أنه مقسم أجزاء

كأجزاء الشعر ، ومنه ما يأتى :

قبل شروق السحر
أسمع نجوى وتر
عند خيام الفجر
فعند ما ينفث
بلحنه الحيران
يعود وجدى ويبعث
ما كان من شجن
فى بالاليــــكا

وأنا لم أذهب إلى « بالاليكا » حتى أحكم على ما توحى به من الروائع ... ولكن أليس لقائل آخر ، ما دام الباب مفتوحاً ، أن ينشر قطعة قد تكون أروع من هذه بعنوان (شرم برم) ؟!

مسرحية أوديب :

قدمت جمعية أنصار التمثيل والسينما رواية « أوديب » على مسرح الأوبرا يوم السبت الماضى ، وهى مسرحية قديمة مترجمة عن الفرنسية ، وقام بدور أوديب فيها الأستاذ جورج أبيض بك الذى قام بنفس الدور وقت أن قدمت فرقته هـذه المسرحية سنة ١٩١٢

وقد نقلت الإذاعة تمثيل الرواية إلى مستمعيها ، وكان صوت « الملقن » مسموعاً واضحاً كأصوات الممثلين ، فالمستمع يسمع كلاماً كالفحيح ثم يسمع نفس الكلام من الممثلين بصوت عال ... وكانت فرصة لحذلقة المذيع ، إذ أخذ يخبط ويخلط قبل أن يرتفع الستار ، فقال إن هذه المسرحية مثلت لأول مرة فى مصر سنة ١٩٢٠ ، ورأى أن يدلنا على واسع علمه فقال :

إن هـذه المسرحية قام عليها المسرح فى كل أمة ! وتصور أنت مسرح أمة واحدة يقوم على رواية واحدة ... ولو أنه قال إن الرواية مثلتها المسارح فى مختلف الأمم لكان معقولا .

وقد بدا أسلوب المسرحية وموسيقاها التى وضعها الشيخ سلامة حجازى ، بعيدين عما يستساغ فى هـذا الوقت ، مما جعلها غـير مستحقة لإعادة تمثيلها الآن ، وليت الذين قدموا الرواية القـديمة أتعبوا أنفسهم ببذل جهد جديد ، فقاموا بإخراج « أوديب الملك » لتوفيق الحكيم ووضع تلحين لها يناسب الذوق المصرى ، بدل هذا الاجترار الذى لا طائل وراءه ...

المسرح بين جيلين :

الجيل الأول يتمثل فى الفرق الحاضرة ، وأهمها الفرقة المصرية التى تشرف عليها وزارة الشئون الاجتماعية ، والجيل الثانى هو الجيل الجديد الذى تتطلع إليه الأنظار فى المعهد العالى لفن التمثيل التابع لوزارة المعارف .

ولا ينكر أحد ما أسداه الجيل القديم لفن التمثيل ، ومقدرة

كشكول الأسبوع

◘ يتداول الآن بعض كبار الأدباء فى تأليف جماعـة أدبية من أغراضها حماية حقوق الأدباء .

◘ يسرنا أن نذكر أن معالى الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا ، قد تماثل للشفاء بعد عملية أجريت له بنجاح فى مستشفى الكاتب ، ومعاليه الآن ينزل إلى حـديقة المستشفى لقضاء بعض الوقت فيها . والمأمول أن يكون أستاذ الجيل قد غادر المستشفى حين قراءة هذا ، موفور الصحة والعافية .

◘ فاز فى المسابقة الأدبية التى نظمتها إدارة الثقافة بوزارة المعارف خطيبان ، هما الأستاذ حسين محمود البشبيشى والآنسة عواطف عبد الله بيومى ، فاز هو ببحث أدبى عن « مسلم بن الوليد » ومنح مائة جنيه ، وفازت هى بقصة « قبور فى الطريق إلى تل أبيب » ومنحت عشرين جنيها .

وهذا « الاقتران » بالفوز فى المسابقة بشير خير وسعادة فى « القران » المنتظر . فبالرفاء و « الإنتاج » .

◘ توالى لجنة جوائز فؤاد الأول الأدبية اجتماعاتها للنظر فى الإنتاج الأدبى بوجه عام حتى تستطيع أن تعين الفرع (كالقصة أو الشعر أو غيرهما) الذى تمنح عنه الجائزة فى هذا العام . وقد كان موضوع العام الماضى الدراسات الأدبية الإسلامية .

◘ وأخيراً فتح الله على الإذاعة فأعلنت نتيجة مباراة التمثيليات المزمنة بها ، وقد فاز كل من تمثيليتى (ولادة) للأستاذ خليل هنداوى و (على قد لحافك) للأستاذ محمد نبيه عبد الكريم بجائزة من المرتبة الأولى وقدرها خمسون جنيها .

◘ سئل الأستاذ كامل كيلانى عن رأيه فى فلان الذى يدعى أن الله لم يخلق مثله فى الكتاب والشعراء . فقال : إنه يكرر دعوى سبقه إليها أديب معروف . يحكى أن أميراً جعل جائزة لأبرد حكاية ، وكادت الجائزة تستقر على صاحب الحكاية البائخة ولكن جحا انبرى يقول : أنا أحكى أبوخ من هـذه . وحكا الحكاية نفسها . فكان هو الفائز .

◘ سأل أحد الأعضاء بالجمعية التشريعية وزير المعارف فى السودان عن عدد الذين يتعلمون فى جنوب السودان ، فقال الوزير : لمنى آخر من يقول بسودان شمالى وآخر جنوبى ولكن لا أستطيع الإدلاء ببيانات عن الجنوب قبل زيارته .

أوليس من مقتضى عـدم التفريق بين الشمال والجنوب أن يعرف وزير المعارف حالة التعليم فى الثانى كما يعرفها فى الأول من غير حاجة إلى زيارة إحصائية ؟

◘ قررت وزارتا التجارة والمالية إباحة تصدير الكتب المصرية إلى الخارج بعد موافقة الجهات المختصة .

◘ تبحث الجامعة العربية مسألة توحيد النقد فى البلاد العربية . وحبذا أن تعمل الإدارة الثقافية بالجامعة على توحيد أسماء شهور السنة الميلادية التى يؤدى اختلافها الحالى إلى ارتباك لا داعى له فى بلدان لغتها واحدة .

أفراده التى تكونت على مر السنين من المران وتنمية المواهب ، ولكن هناك حقيقتين بارزتين ، الأولى كسل هؤلاء الممثلين فى العمل المسرحى ، أو بتعبير أصح انشغالهم عن المسرح بالسينما ، فهذه الفرقة المصرية تجتر الروايات القديمة التى حفظ الممثلون أدوارهم فيها فلا تكلفهم عناء فى الحفظ ولا فى التجارب (البروفات) وقد دعا مديرها العام الأستاذ يوسف وهبى فى أول الموسم ، الأدباء إلى معاونته بالتأليف ، ولكن البرنامج الذى قدمته الفرقة طوال الموسم إلى الآن دل على رغبتها فى الراحة من العناء فى إنتاج جديد ، فقد قدم لها الأستاذ محمود تيمور بك مسرحية جديدة هى « اليوم خمر » كما كتب لها أيضاً الأستاذ توفيق الحكيم مسرحية « اللص » وقد مضت شهور على فراغ الأديبين الكبيرين من هاتين المسرحيتين وتقديمهما ولم يبد ما يدل على أن الفرقة ستقدمها فى هذا الموسم . وتسأل الأستاذ زكى طليمات المدير الفنى للفرقة عن ذلك ، فيقول : وماذا أصنع وأنا لا أجد يوسف وهبى ؟ وأين يوسف ؟ فى (الاستديو) أى أن « مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ المسرح » ليس عنده وقت للمسرح ! وهكذا نرى أن الممثلين العريقين يتخذون الفرقة المصرية « محطة » يشربون بها النبيذ المعتق ويأكلون الشطائر المعدة فى (جروبى) كما يقول ديوان المحاسبة ...

الحقيقة الثانية ، وهى التى تقضى بها سنة التطور فى كل شئ ، أن المسرح فى حاجة إلى نوع جديد من الممثلين قد يكون أقدر على التقدم بالفن ومسايرة ما جدّ فيه . وهنا نصل إلى الجيل الجديد المرجو من خريجى معهد التمثيل وطلبته ، ولا شك أن هؤلاء يمتازون بأنهم يتلقون دراسات منتظمة فى الآداب والفنون وثقافة العصر ، وأحرى بهم أن يكونوا — كما قال الأستاذ زكى طليمات عميد المعهد فى كلمته بحفلة توزيع الجوائز على الخريجين فى الأوبرا — « حجر الزاوية فى حركة جديدة يكون من ورائها إصلاح وتقدم للمسرح المصرى يتمان على يد الممثل نفسه وبواسطة الممثل نفسه » وقد قال الأستاذ طليمات أيضاً فى تلك الكلمة « لقد جرت الحكومة منذ أكثر من عشرين عاماً ، وهى تحاول الارتقاء بالمسرح ، على سياسة منح الإعانات المالية للفرق العاملة وإجراء تعديل وتغيير فى أنظمتها ، ثم الإشراف عليها وتولى توجيهها توجيهاً فعلياً بوساطة اللجان وإصدار القرارات ، وقد أفاد هذا إلى الحد الذى ترون عليه « الفرقة المصرية » كما أفاد أيضاً فى إبراز كيان اجتماعى للمثل . ولكن الحكومة اليوم تواصل عملها لتحقيق الارتقاء المنشود ، متخذة طريقاً أخرى ، استلهمتها ولا شك على ضوء البديهية الاجتماعية المبذولة لكل مفكر ، وهى أنه لن يفيد ولن يجدى فى شئ أن نحاول إصلاح النظم القائمة بالتغيير والتعديل قبل أن نأخذ بإصلاح الفرد الذى يعمل فى هذه النظم ، ويتولاها وينهض بكيانها . فالمعهد بحكم هذا مرجو أن يكون معقد الأمل فى تحقيق هذا الإصلاح باعتبار أنه المصنع الذى يخرج رؤوساً جديدة تمد أحسن إعداد لاحتضان المسرح فى نظامه الديمقراطى »

وقد أشرت منذ أسابيع إلى أن وزارة المعارف تعمل على إنشاء فرقة نموذجية خاصة بطلبة معهد التمثيل ، وقد كان معالى السنهورى باشا وزير المعارف السابق وافق على المبلغ المقترح لهذه الفرقة وهو ثمانية آلاف جنيه ، وقدم معاليه المشروع إلى اللجنة المالية لمجلس النواب ، وقد رفضت اللجنة الموافقة على هذا « الاعتماد » ورؤى إرجاء المشروع إلى العام القادم . وكان من حجة اللجنة المالية فى هذا الرفض الاكتفاء بالفرقة المصرية على أن يضم إليها خريجو المعهد . ولكن الفرقة المقترحة شئ آخر غير الفرقة المصرية القائمة ، لأن الأولى يرجى منها أن تنهج منهجاً آخر يقوم على استغلال الحماس الفنى فى إحياء التمثيل المسرحى ، وهذا الحماس يخشى عليه أن يخبو وأن يثبط إذا عاشر واصطدم بالجيل القائم المتسلط ، كما يقوم المنهج المرجو على الخلاص من الاعتبارات التجارية إذ يكون الاتجاه إلى تقديم مسرحيات من الأدب الرفيع ، والفرقة المقترحة بعد كل هذا تؤمل أن تكون أساساً سليما لبنيان جديد فى المسرح المصرى بعد أن دلت التجارب الماضية على فساد البنيان القائم .

وإلى معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف الحالى أسوق الحديث ، راجياً أن يتم على يديه إنعاش المسرح الراقى ، وحبذا أن تحقق وزارة المعارف الغرض المنشود من الفرقة الجديدة بإمداد المعهد بالمال اللازم لإقامة الحفلات التمثيلية العامة من ميزانيتها الخاصة ، حتى يستطيع أن يبرز مجهوده ويقدم ثمراته ، إلى أن يتيسر إنشاء الفرقة المأمولة .

عباس خضر

الكتب

ديوان « من وحى الريف »

تأليف الأستاذ توفيق عوضى

بقلم الأستاذ ثروت أباظه

كثرت فى هذه الآونة مدارس الشعر وتعددت مذاهبه . فترى من الشعراء من يقصد إلى المعنى غير محتفل باللفظ أو الصياغة ، وهو فى ذلك يسير بالشعر فى طريق النثر . وترى منهم بعضاً يعنون بالصياغة والألفاظ دون التفات إلى التجديد فى المعنى ؛ وعذرهم فى ذلك أن عنترة شاعر الجاهلية قد قال « هل غادر الشعراء من متردم » فإن كان عنترة منذ ألفى عام قد يئس أن يجد معنى جديداً فهل يبحثون هم عن معنى جديد بعد هذه الحقبة الطويلة من السنين التى مرت فانهكت القديم وأخلقته ، بل وأخلقت أيضاً ما ظهر فى غضونها من معان جديدة ؟

ومن الشعراء من يقول إن الشعر الصادق إشباع للعاطفة ، والعواطف منذ كانت خالدة على الزمان لا تتغير ؛ فواجب الشاعر إزاءها أن يبين عنها فى أنصع تعبير . وهنا يختلف القوم مرة أخرى ، فنهم من يرى أن الصياغة يجب أن تكون مشرقة فى عربية صريحة لا تيسير فيها ، ومن الشعراء من يرى وجوب التحلل من قيود الصياغة العربية ؛ ويقف البعض موقفاً وسطاً فتراه يلتزم السهولة فى تعبيره مع التزام الصياغة العربية معتقداً أن واجب الشاعر هو الوصول إلى قلب سامعيه من أقرب طريق ، وزعيم هذه المدرسة هو الشاعر العربى الأكبر إيليا أبو ماضى . وقد انضوى كل شاعر تحت مدرسته يأبى أن يجيز لأى مدرسة أخرى أن تقول الشعر معتقداً أن الشعر هو ما يكتب وما دونه كلام لا يصح أن يسمى شعراً ... ولا شك أن هذا التعصب ينساق مع طبيعة الشاعر المتكبرة ولكن واجبه أزاءها ألا ينتقد أبداً . . . ذلك أن نقده على أية حال سوف يكون — رغم أنفه — جائراً . وواجب النقاد إزاء كل هذه المدارس أن يقفوا منها على حياد المتفرج حتى يحكموا على كل شاعر بالنسبة للمدرسة التى يؤمن بها ، وبهذا يكون الميزان سليما لا تحيز به ولا إجحاف ...

والأستاذ توفيق عوضى من الذين يؤمنون بالسهولة دون الميوعة فى الصياغة ولا يقبل أبداً أن يترجم عن إحساس لا ينبعث من صميم قلبه ؛ فهو يفهم كلمة العاطفة فهمها الصحيح ، فقد ذهب البعض إلى أن العاطفة هى الحب أو البغض بما يستتبع كلا الحالين من مشاعر وأحاسيس ، أما توفيق فقد فهمها على أنها انعكاس الصور الخارجية على نفسه الشاعرة ثم عبر عنها على أنها منبعثة من صميمه ؛ وعلى هذا تراه دائم النظر إلى ما حوله يحاذر أن تفوته واقعة فلا يسجل أثرها فى نفسه شعراً . فتراه يقول حين يستأجر الحمار والغلام بثمن واحد :

زهدنى فى النسل أنى بأمة
تساوى بها الإنسان والعير فى الأجر
وما دام أجر المرء والعير واحداً — فحمداً لمن أغنى عن النجل بالعير

ويذهب ليقضى أمسية عند صديق له فتطيب وتبعثه فى الصباح يقول مستبشراً به طروبا :

وصحت ذكاء فغنت الأكوان ألحان الصباح
فسكرت من أضوائها — ونعمت بالسكر المباح
ضحكت ثغور وروده — كتضاحك الغيد الملاح
القبلات كأنهن — منى تتوج بالنجاح
وذكرت لطفك فانتشيت — فكنت ريحانى وراحى
يا صاحبا فى صحبة — جمعت أزاهير الصلاح
وعلى اقتراحك قد نزلت — وقد نزلت على اقتراحى
فتمازجت أرواحنا — كالراح والماء القراح

هذه الرقة التى تلمسها وتلك الانطلاقة التى تجرى بها الأبيات هى لا شك شعور صادق لا مين فيه . وإنك لتراه مع هذا يحب كما يحب الشعراء ولكنه يعبر عن شعوره فى هذه الرقة نفسها . وإنك حين تقرأ له شكواه من الحب لا تملك إلا أن تفزع معه . يقول :

كف الصدود .. كفى كفى — عذبت قلبى بالجفا
يكفيك مما شفنى — أن الحسود قد اشتفى
إن ترض لى طول السقام — قضيت عمرى مدنفاً

أو ترج حتى إننى قد صرت منه على شفا
إن توف أو لا توف لن ارتد عن عهد الوفا

تلك الثورة التى يبدأ بها أبياته هى لا شك مجلى ما يعتلج بنفسه من حب وما جره عليه هذا الحب من المرض .. ثورة عارمة ولكنها رقيقة وصلت إلى قلبك دون أن يركب إليه ألفاظاً أنيقة أو صياغة متبرجة ... إنها مدرسة ... والأستاذ توفيق لاشك من أنبغ تلاميذها . سوف ترى معى ذلك حين تقرأ الديوان كله كما فعلت أنا فخرت فى أى قطعة أختار وأيها أدع ثم انتهيت إلى مانقلت إليك تاركا لك الفرصة لتحار وتختار إذا استطعت أن تختار .

ثروت أباظة



الرجل يخطب لا المرأة :

تنشر الصحف كل يوم أنباء الزواج ، وربط عقدته والخطبة له فى عبارات يأباها فصيح اللغة ، وتنفر منها نخوة الرجولة فتقول مثلا : — (تمت خطبة فلان للآنسة فلانة !) (بحفل بهيج تمت خطبة فلان بكريمة فلان !) . (تمت خطبة فلان إلى الآنسة فلانة !) وغير ذلك مما يطول إيراد أمثاله .

ومما أثار عجبي إنى قرأت يوماً فى جريدة الأهرام هذا النبأ :

« فى حفل عائلى تم زفاف الأستاذ ا . ح . ع المحامى وعضو مجلس بلدى ... إلى الأستاذة ف . ح المحامية فبالرفاء ... »

وهذا كله وأمثاله من الخطأ الذى لا يصح السكوت عليه ، وذلك بأنهم يجعلون الأنثى هى التى تخطب الذكر أو يزف إليها العريس، والذكر هو الذى يُخطب أو يزف إلى العروس . ولكن اللغة تقضى بأن يكون الذكر هو الذى يخطب أو تزف إليه العروس والأنثى هى التى تُخطب وتزف إلى عريسها .

وفى الأساس : خطب الخطيب خطبة حسنة ، وخطب الخاطب خطبة . وكان يقوم الرجل فى النادى فى الجاهلية فيقول : خِطب وفى المصباح وخطب المرأة إلى القوم ، إذا طلب أن يتزوج منهم ، واختطبها ، والاسم الخِطبة ، فهو خاطب وخطاب مبالغة وقال تعالى : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » وفى الحديث المتفق عليه « ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله ، أو يأذن له الخاطب .

وأما القِران فيقال : قرن الشيء بالشيء فاقترن به ، وجعلوا من المجاز ، هى قرينة فلان لامرأته .

هذا هو حكم اللغة ، إلا إذا كانت الأمور قد انقلبت والمدنية قد تحكمت فى اللغة كما تحكمت فى غيرها فاستنوق الجمل واستتيست الشاة ! !

محمود أبو ريه

حول الأدب الشعبى فى الكويت :

بعث إلىَّ أحد الأصدقاء يستنكر تسميتى للخليج الفارسى (بالخليج العربى — الفارسى سابقاً) فى مقالى عن (الأدب الشعبى فى الكويت) الذى نشر فى الرسالة الغراء (العدد ٨١٣) مدليًا لى بأن جميع الكتب التى ذكر فيها اسم هذا الخليج دعى فيها بالفارسى وليس بالعربى كما أنه فارسى الصبغة ... الخ

وأحب أن أنبه هذا الصديق وأمثاله إلى أن هذا الخليج الذى تحده من الشرق بلاد فارس ، ومن الغرب الكويت والبحرين والأحساء ، ومن الشمال البصرة فالعراق ، ومن الجنوب عمان والربع الخالى وبلاد العرب عربى الصبغة تماماً ، وأن تسميته بالفارسى تسمية عتيقة بالية ويكفى أن تعلم أن السواحل العربية التى تطل على هذا الخليج أطول من السواحل الفارسية التى تطل عليه ، كما لا ننسى أن تلك السواحل الفارسية نفسها التى تطل عليه تدعى (عربستان) فسواحله عربية ومياهه عربية خالصة وإن الأسطول التجارى العربى الكويتى الذى على طوله وعرضه ليدلك الدلالة الواضحة على عروبته كما أن الكويتيين والبحرنيين من أعمالهم الهامة صيد أو قطف اللؤلؤ من مياهه . والعرب الذين يقطنون السواحل العربية منه كالكويت مثلا قد اصطلحوا على تسميته بالخليج العربى ويعتزون بذلك ، فلئن ذكرته الكتب العتيقة فارسياً فقد آن للجديد منها أن يطلق عليه هذا الاسم الحقيقى الطارف .

أحمد طه السنوسى

أسف واعتذار :

في تعقيبات العدد الماضي من « الرسالة » عند الكلام عن مسرحية « سليمان الحكيم » سقطت إحدى العبارات فاختل معها المعنى الذي كنت أقصد إليه . . ولعل القراء قد فطنوا إلى تلك الفجوة التي فصلت بين شقي التعبير حيث وقفوا على هذه الكلمات : « هناك جواب واحد لهذا السؤال ، وهو أن الأستاذ الحكيم يغلب عليه الطابع الفكري في كثير من قصصه ومسرحياته . إنه يجري وراء المشكلات النفسية وهو في ذلك يخضع للجو الذي تسيطر عليه شخصيات أبطاله ، هناك حيث تجد الصراع بين ذهن وذهن لا بين عاطفة وعاطفة » . وصحتها : « هناك جواب واحد لهذا السؤال ، وهو أن الأستاذ الحكيم يغلب عليه الطابع الفكري في كثير من قصصه ومسرحياته . إنه يجري وراء المشكلات الفكرية أكثر مما يجري وراء المشكلات النفسية وهو في ذلك يخضع للجو الذي تسيطر عليه شخصيات أبطاله .. الخ »

لهذا أسجل أسفي ، أما الاعتذار فأتقدم به إلى القراء حيث ضاق النطاق عن تناول قصيدة الشاعر إيليا أبي ماضي بالعرض والتحليل كما وعدت .. فإلى العدد القادم إن شاء الله .

أنور المعداوي

بيت قلق :

في العدد (٨١٦) من الرسالة الغراء اطلعت على قصيدة للشاعر الأديب سعد دعبس بعنوان (في القاع يا رب) مطلعها :

حطمي الزورق يا ريح فقد طال ظلامي

وجرى الشك ورائي ومشى الوهم أمامي

وهي من الرمل المربع (فاعلاتن أربع مرات) . ومنها هذا البيت القلق بالزيادة :

ربما ينعم بالفجر الأفاعي وأنا رهن الظلام

ولا أظن الخطأ من التطبيع فهو بالزيادة لا النقص ، وتمام المعنى بالزيادة الزائدة !

وبعد : فما — بكلمتي — قصدت التصويب ، بل التعقيب بالشكر للشاعر الأديب الذي قام يهدي قصيدته إلى (روح الشاعر البائس « عبد الحميد الديب ») وفاء وذكرى ، في زمان قل فيه الوفاء والوفيون ، ونضب الذكرى من ألسن الذاكرين .

رحم الله الديب (١) ، وجزى الله الأديب .

(الزيتون) **عدنان**

مآخذ أربع :

في عدد الرسالة الغراء رقم (٨١٣) قصيدة للشاعر الملهم زهير ميرزا بعنوان « شهرزاد » وهي قصيدة منورة ناعمة ، وقد ازدانت كالعروس الحسناء برواء بديع لولا هذه المغامز :

قال الشاعر :

١ — « كأسك الفن ومغناك أغاريد المصور »

والمغنى مقصورا واحد المغاني وهي المواضع التي كان بها أهلوها. وأغنيت عنك « مغنى » فلان و « مغناة » بضم الميم وفتحها فيهما : أي أجزأت عنك مُجزاه .

وما أظن الشاعر قصد كلا المغنيين إذ لا يكون المنزل أغاريد المصور بله أن يجزأ عنه مجزاه . وأظن الشاعر حسب « المغنى » من الغناء كما يقول بيرم التونسي على لسان أم كلثوم .

المغنى حيـاة الروح يسمعها الحبيب تشـفيه

ولا وجه له .

٢ — « وندامك عشيق فاتر اللحظ الكسير »

والندامى جمع ندمان . ذكر الشاعر أولئك الندامى ولم يذكر منهم سوى ذلك المشيق ، وكان الصواب أن يقول : ونديمك أو ندمانك عشيق فاتر اللحظ الكسير أن يأتي بالمفرد دون الجمع

٣ — « ورواء الدهر فاستلقاه خفاق وثارا »

واستلقى : على قفاه ولا معنى له هنا ، والصواب أن يقول : وتلقّاه خفاق وثارا ، أي استقبله . ومنه قوله تعالى « إذ تلقونه بألسنتكم » أي يأخذ بعض عن بعض .

٤ — « يرقبك السمار حيرى والمساء »

والصواب أن يقول : يرقبك السمار حيارى بالضم والفتح جمع حيران . أما حيرى فهي المفرد المؤنث .

وكنا نود أن نضرب صفحاً ونسبل ستراً على هذه المآخذ اللغوية لولا أن مكانة الشاعر الذي أتحف قراء « الأديب » بروائعه أعلى من هذه الهنات . وللشاعر شكري ؛ إذ أن هذه الغميزة لا تحط من قيمة هذه « الشهرزادية الرنان » .

يافا — فلسطين : عمان **سامي حسين حبش**

---

(١) ومن قوله :

(جوارك يا ربي لمثلي رحمة فخذني إلى النيران لا جنة الخلد !)



قصة من الحياة :

من الأعمـــاق (*)

« مهداة إلى الأستاذ أنور المعداوى »

للأستاذ كامل محمود حبيب

مضى الليل إلا أقله و « إلهام » تضطرب فى فراشها لا تستقر، تتلمس الكرى فلا تجده وتنشد الراحة فلا تنالها ، وقد اطمأنت إلى الظلام والسكون يعصرها الهم ويضنيها الأسى ، تنغمر فى خواطرها والساعات تنطوى . و « إلهام » فتاة فى الثامنة عشرة من سنى حياتها فهى فى شبابها الأول تنبض بالحياة وتتفتح عن أمل باسم وتتألق عن جمال رائع فتان ، تشع نوراً وسعادة وتتلألأ بهاء وضياء . لم تذق الحزن ولا عرفت معنى الكآبة ، فهى بين أبيها وأمها وأختها الصغرى فى بهجة ما تنقطع أسبابها ، فما لها — الآن — تجلس وحدها فى ظلام الحجرة وظلام الأخيلة ؟ وإن الشيطان ليوسوس لها بين حين وحين فلا ترى الحياة إلا عوداً من ثقاب تشعله فى ثيابها ، وإلا حبلاً تلفه حول عنقها وتتعلق به فيقضقض عظام رقبتها ، وإلا نافذة تنفتح لتقذف بنفسها منها . ولكنه ما يزال فيها بقية من دين وصبابة من أمل .

وتسرب نور الصباح إلى حجرة إلهام يفزعها عن فراشها وعن خواطرها فى وقت معاً ، واندفعت صوب الشباك تريد أن تسرى عن نفسها بعض ما أمضها فما وجدت فى نسمات الصبح الندية ما يرفه عنها كربة قلبها ، ولا فى النور الجميل المتدفق من لدن المشرق ما يمسح على هم روحها .

يا عجبا ! لقد كانت تجد فى بسمة الصبح الجمال والحياة والنشاط جميعاً فما بالها الآن تفر منها فى ضيق وملل .

***

وفى عصر يوم من أيام الربيع — منذ أربع سنوات — والرياح تهب رخية لينة توقع لحن السعادة والنور على قيثارة الربيع الهادىء الجميل ، والطائر الغريد يثب على أفنان الشجر وهو يشدو بأنغام النشوة والمرح ، والأزاهير تنفح عبيرها فى خيلاء وتمايل سكرى وقد هزتها اللذة واستخفها الطرب ، والشمس تنحدر إلى خدرها رويداً رويداً لتذر هذا العالم المضطرب ينام فى هدوء وراحة وأشعتها تتماثب وتتعانق ، يودع بعضها بعضاً قبل أن تتلاشى لدى المغرب .

حينذاك اندفعت إلهام إلى الحديقة فى ثوبها الحريرى الأبيض الرفاف وهى فى عطرها المتأرج وشبابها الفياض تنفث الحياة فى هذه الناحية وما فيها سوى البستانى العجوز يفحص الأرض بفأسه الصغيرة ، اندفعت إلى الحديقة تحنو على أزهارها وتحبو شجيراتها ببعض عطفها وتتنقل هنا وهناك ، فهى زهرة نضيرة بين أزاهير ، ولكن فيها هى الحياة الوثابة وفيها الجمال الآسر وفيها الخفة والفتنة وفيها السعادة والبشرى . لقد تفتحت الأزاهير وتكاد أوراقها أن تذبل ، أما هى فتوشك أن تتفتح عن أكمامها فتبدو فى بهائها ورونقها ملء العين وسحر القلب وإن ربيع الأزاهير لينطوى فى غير بطء ولا تلبث ، أما ربيعها هى فيقبل فى هدوء وأناة ، وغمر الحديقة نور الفتاة فتراءت كأنما ترقص طرباً وحبوراً .

ودخل « عادل » إلى الحديقة — على حين غفلة — فألفى الفتاة أمامه وجهاً لوجه فرأى فيها معانى قلبه الشاب ولكنه ما يزال فى الجامعة وما تزال هى طفلة . وسألها عن أبيها وعن أمها فما وجدها . لقد خرج معاً ليقضيا شطراً من الليل خارج الدار . وهم الفتى أن يرجع غير أن الفتاة طلبت إليه أن يتلبث قليلاً لتعرض أمامه أزهارها وشجيراتها .

وتحدثت الفتاة فى طلاقة واستمع الفتى . وانطلقت وانطلق هو إلى جانبها يحدثها وتحدثه هى حديث الزهر والشجر والربيع والأصيل والمطر .. ورقت كلمات الفتى وتكسرت نبراته ... ثم خرج ووقفت هى تنظر إليه فى صمت ، وأحست الفتاة بالوحدة

(*) يا قارئى العزيز : هذه مشكلة من الحياة لم تتم فصولها للآن . وأنا أنتظر رأى عقلك فماذا عسى أن تشير ؟ لعل رأيك ينير السبيل لقلبين !

حين رأت عادلاً يتوارى خلف سور الحديقة فأرادت أن تندفع فى إثره لترده إليها ، ولكن ..

وعادل فتى سمهرى القوام قوى العضل وضاح الجبين يتألق وجهه حياة ونشاطاً ، وتنبعث من عينيه أشعة نفاذة قوية علامة الذكاء والفطنة ، وتضطرب فى محجريه آثار عبرات مكفوفة علامة الإنسانية والرقة ، وتتسم حركاته بالاتزان والرزانة علامة الرجولة والقوة ، وهو — إذ ذاك — طالب فى السنة النهائية من كلية الآداب واسع الأفق حلو الحديث طلى الأسلوب رقيق الحاشية ، طيب القلب ، عالى الهمة ، يعتز بعلمه وأدبه ، حريص على كبريائه وكرامته .

لقد دأب عادل — منذ أن التحق بكلية الآداب — على أن يزور « فكرى بك » — والد إلهام — كل أسبوع فهو صديق أبيه وهو عونه هنا فى القاهرة . وإن عادلا ليفزع إلى فكرى بك يستعينه على أمره ويستنير برأيه ويطمئن إلى نصيحته ، وهو فتى ريفى يشفق على نفسه أن يجرفه تيار المدنية ويتهيب أن يعصف به لهو الحياة ، فهو يرى فى (البك) الأب والقائد والمثل الأعلى ، وفكرى بك يرى فى عادل الابن والصاحب والصديق . وأنس واحد إلى واحد واطمأن إليه ، فعادل ما يبرح يزور (البك) و (البك) ما يبرح يفتقد عادلا ويطلبه فيلح فى الطلب ، يقيمه على بعض شأنه ويفتح له بابه وقلبه وذراعيه .

لطالما جاء عادل إلى الدار ، ولطالما تحدث إلى إلهام فى عطف ، ولطالما جلس إليها يعينها على الدرس ولطالما قص لها الأقاصيص وأهدى إليها الكتب ولكنها لم تحس بما يدفعها إليه إلا فى هذه المرة . أفكان ذلك من أثر شعورها بأنه أزال عنها الوحدة فى الحديقة فى عصر يوم من أيام الربيع ؟ أم هو شعور بالعطف عليه حين لم يجد أباها فأراد أن يرتد فى خذلان ؟ أم هو التقدير والإجلال لمن وجدت فيه الحمى والعون ؟ لا ريب فهى قد أحست فى نفسها شعوراً غامضاً لا تعرف مأتاه ولا تدرك كنهه ولكنه يدفع قلبها صوب هذا الفتى .

وبدأت الفتاة تترقب موعد زيارة عادل فى شغف وتنتظر مقدمه فى شوق وتتأهب للقياه فى زينة . ولكنها فى سنها المبكرة ما تزال تجهل ما يضطرب فى نفسها .

وانطوت الأيام والفتاة تأنس إلى فتاها ، تهفو إلى مجلسه وترنو إلى حديثه وقلبها يزداد تعلقاً به وأخيلتها تحوم حواليه فهى تخلق الأسباب لتسأله فيجيب وتتصنع الجهل ليشرح لها درساً أو يحل لها مسألة ، والفتى مطمئن إلى ما تفعل راض بما يجد ، يرى فيه راحة قلبه وشفاء نفسه . غير أن الفتاة لم تستطع أن تدرك كنه ما تحس . هذه العاطفة المشبوبة تبعث فيها الحيرة والاضطراب وهى تكتمها فلا تتحدث بها إلى أمها ولا تبوح بها إلى أختها الصغيرة . وكيف تفعل وفى رأيها أن فتاها لا يبادلها عطفاً بعطف ولا إخلاصاً بإخلاص ؛ وهى إن فعلت لا تأمن أمها أن تغلظ لها فى الحديث أو تتهكم عليها بكلمات قاسية عنيفة . وأختها طفلة لا تفهم لغة القلب ولا تعى حديث الهوى ، وهى لا تستطيع أن تحدث صاحبها بذات نفسها خشية أن يكون فى شغل عنها فيحتقر خلجات روحها ويمتهن نبضات قلبها . وألقت بها هذه الخواطر فى تيهاء مقفرة ثم قنعت بأن تستمتع برؤيته بين الحين والحين ، وأن تسعد بحديثه بين الفينة والفينة ، تروى ظمأ نفسها وتنقع غلة قلبها ، والأيام تنطوى . . .

أما عادل فقد أحس بالهوى الجياش يتدفق إلى قلبه فى غير هوادة ولا لين منذ أن رآها تثب بين النبت والزهر ترفل فى ثوبها الحريرى المفهفاف تتوثب نشاطاً وحياة وتتألق بهجة ونوراً ، وشغف بها حين رآها تستكمل — على الأيام — أنوثتها وجمالها ، فهو يتودد إليها فى رفق ويسعى إلى رضاها فى صمت ؛ والحياء يمنعه عن أن يكشف لها عن دخيلة قلبه خشية أن تنفر منه فلا يراها بعدُ وأن تزدرى عاطفته فتسخر منه فتتحطم كبرياؤه وتنصدع كرامته .

وحال الخجل بينه وبين أن يحدث أباها بما يكن للفتاة من حب خيفة أن يثور به فيضع بينهما سداً لا يستطيع واحد أن يظهره وإن جهد .

وليست هذه بالسبيل التى يسلكها إلى غايته ، فهناك فى القرية أبوه وهو رجل ذو عقل وتجربة ، يرى الرأى ويوطىء للأمر فينفذ إليه من منافذ يعجز عنها عادل نفسه .

وألقت به هذه الخواطر فى تيهاء مقفرة ، ثم قنع بأن يستمتع برؤية فتاته بين الحين والحين وأن يسعد بحديثها بين الفينة والفينة

يروى ظمأ نفسه وينقع غلة قلبه ، والأيام تنطوى .

ورأى الأب بعيني تجاربه أن الفتى يحنو على الفتاة وأن فتاته تعطف على الفتى ، وخشى أن تمتد يد إلى يد أو يهفو صدر نحو صدر أو تقترب شفة من شفة ، ثم ساورته الريبة واستولى عليه الشك . فاذا يفعل ؟ وهو لا يريد أن يغلق بابه دون الفتى وهو صديق أبيه ، ولا أن يدفعه عن داره وهو يستعينه على بعض شأنه ، ولا أن ينشر ظنونه أمام الفتى فيظن هو ويظن أبوه أنه يعرض ابنته كما تعرض السلعة البائرة فى السوق الراكدة يبتغى من وراء ذلك أمراً . وتملكته الحيرة

وجاء عادل — كدأبه — يزور (سعادة البك) ، ورأته إلهام وهو يدلف إلى حجرة المكتب فانطلقت إلى هناك كعادتها ، ولكن أباها طردها فى غلظة ، ونهاها عن أن تدخل حجرة فيها « الأستاذ عادل » إلا أن يؤذن لها .

وذهل الفتى حين بدا له أن عين الشيخ يقظة مترقبة ، وعجب ألا ينطلى على (البك) ما يتصنعه من رزانة وما يتكلفه من هدوء : الآن وقع ما كان يخشاه وضرب بينه وبينها بحجاب كثيف ما يستطيع واحد أن يظهره وإن جهد . وأطرق الفتى وقد تجهم وجهه وتقبضت أساريره ، ثم خرج من لدن الرجل يهيم على وجهه وقلبه يبكى فى حرقة وألم ونفسه تتغيظ فى أسى ولوعة وثارت كبرياؤه تخاصم الدار وروحه ترف حوالها .

يا لقلبى حين تغشاه غاشية من مصائب الحياة ونكباتها فلا يجد عنها مصرفاً ! الآن ذاق قلب الفتى مرارة الحسرة والكمد حين تلفت فإذا هو وحيد على حيد الطريق ، أما الفتاة . . . !

***

ومضت سنة كاملة والفتى يدافع نفسه عن الدار التى يهفو إليها قلبه . وحين خيل إليه أنه ثأر لكبريائه واقتص لكرامته أحس برغبة ملحة تجذبه إلى دار فكرى بك — مرة ثانية — ليرى هناك روح قلبه ونور عينيه وجمال حياته .

وعجب عادل أن رأى الخادم يتقدمه ليفسح أمامه الطريق وليقوده إلى حجرة الجلوس دون حجرة المكتب ! ماذا كان ؟ لا ريب فقد أصبح غريباً عن هذه الدار فهو يرى الأستار تسدل فى وجهه ، والأبواب تغلق دونه ، ولا يجد السبيل إلا إلى حجرة الجلوس ، ولا يلقى إلا (سعادة البك) و (البك) يلقاه كما يلقى رجلاً غريباً عنه ويحدثه حديثاً فيه التكلف والتصنع ويجلس إليه فى فتور وملل . وأحس بأن فى الدار حركة لم يتآلفها وأن شيئاً يتوارى خلف الأستار المنسدلة . ما ذا وراء ؟ وهو قد كان — منذ شهور — يدخل إلى الدار فى غير إذن فتنفتح الأبواب وترتفع الأستار ويهفو نحوه كل من فى الدار فى غير تحرج ولا حذر ...

وذهب عادل يتحسس من الأمر وإنه لذو حيلة ورأى فتناهي إليه أن فتاته قد سميت على جلال بن عزت بك وهو ضابط فى الجيش وهو من أسرة ذات جاه وثراء ، وإن الدار تموج منذ أيام بمن يهيئون لليوم السعيد يوم أن تزف إلهام إلى جلال

ورجع الفتى إلى داره يلفه الهم وبطويه الأسى وفى نفسه ثورة بركان هائج لا يهدأ ، فهو يذهب ويجيء ويضطرب فى الحجرة مثلما اضطرب وحش كاسر فى قفص . آه ، يا قيود الإنسانية لو قيض للفتى أن يقذف بك عن عاتقه لزأر زئير سبع غاظته الحياة وعضته الأيام ! ولكنك أرغمته على أن يكتم الحيوانية الصريحة فيه ، فهو يضم جوانحه على أتراحه وقلبه يكاد ينشق من فرط الشجن . وحين آده الجهد والإرهاق جلس إلى نفسه يحدثها : « ماذا كان فى غيابى ؟ لعلها وجدت فقدى زماناً ثم تسلت ، ولعل أمها قد طلبتنى ساعة ثم نسيت ، ولعل (البك) انتظرنى حيناً ثم انصرف ! ياالطيشى حين خاصمت هذه الدار وفيها روح قلبى ، ونور عينى ، وجمال حياتى ! هذا ذنبى أحمله وأعانى من وخزاته ما ينوء به ذو الجلد والصبر . ولكن هل أستسلم وأخضع ؟ كلا ! فغداً أجد السبيل إليها وأحدثها حديث قلبى ، ثم أرى ما ذا تفعل وما ذا تقول . ولكن كيف أفعل وهى قد سميت على رجل غيرى وستصبح — بعد أيام — زوجة وربة دار . إن قلبى لا يستطيع الصبر ولا السلوان ، فغداً أراها وأتحدث إليها » . وانطوى الليل كله فما غمضت عينه ولا هدأت ثائرته ، وفى الصباح انطلق إلى هناك يلقى الفتاة !

وجلس إليها فى غير رقبة ولا حذر يحدثها ويعتب عليها وينشر أمامها مكنون قلبه وهى تقول له : « أترى يوم أن تلاقينا فى الحديقة منذ سنوات أربع ، لقد أحسست بقلبى يندفع نحوك ، وشعرت بروحى تصفق حواليك ، ووجدت — منذ تلك الساعة — لذة الحياة وسعادة القلب ، وخشيت أن أنفض نفسى أمامك ،

وأنت فى شغل عنى ، فلا أجد منك إلا الاحتقار والامتهان ، وأنا أرسف فى أغلال التقاليد وقيود البيت ، وما كان لى — وأنا فتاة فىّ الخفر والحياء — أن أتحدث حديث الحب إلى فتى فيه الشباب ، لم يسمعهو إلىّ ، ولم يكشف لى عن دوافع قلبه ولا خلجات ضميره » ! وأطرق الفتى ساعة ثم قال : « وما ذا وراء ، وأنا أحبك ملء روحى ، وأراك نور الحياة وشباب القلب ؟ » قالت : « ... وحين وافقت على رأى أبى كنت قد خشيت أن تكون قد طردتنى من نفسك لأنك نأيت عنى ، وخفت أن أطرد خطيبى فأتخلّف عن الركب ، وإن شبح ابنة عمى ليضطرب فى ناظرى كلما ذكرت الخطبة والزواج ، فهى قد تأبت حيناً على الزوج أنفة منها وصلفاً . وهى الآن قد أشرفت على الأربعين ولما تجده ، لقد فاتها الركب ، وتخلفت عن القافلة » . فقال : « فما ذا ترين وأنا لا أجد الصبر عنك ؟ إن عقلى قد ضل فهو لا يهتدى إلى رأى » قالت : « سنرى ، وإن فى الوقت فسحة » .

وخرج الفتى ليذر فتاته وحدها فى مضطرب من الأفكار يلتهمها الهم ويفريها الأسى ، وهى جالسة فى ظلام الحجرة وظلام الأخيلة ، وإن الشيطان ليوسوس لها فلا ترى الحياة إلا عوداً من ثقاب تشعله فى ثيابها ، وإلا حبلا تلفه فوق عنقها ، وإلا نافذة مفتوحة تقذف بنفسها منها . وأصاب الحزن نفسها ، وزعزعتها الحيرة ، فبدت فى عينى أمها ذاوية ذابلة ، وهى تلقى خطيبها فى فتور ، وتحدثه فى ملل ، وهى تغدو وتروح فى تراخ ، وتقضى حاجاتها فى كسل . ونظرت إليها أمها بعينى المرأة والأم معاً ، فتبين لها أن قلبها قد تحول ناحية أخرى ، فراحت تتسلل إلى قلبها فى عطف حيناً ، وفى مكر حيناً آخر ، فما تلبثت الفتاة أن كشفت لها عن خطرات قلبها ...

وراحت الأم تنبه جلالاً إلى أمر ذى خطر ، وتوحى إلى ابنتها الصغيرة أن تسر إلى عادل أن يقطع صلته بهذا البيت فلا يزوره أبداً ، فهو يخلق بزياراته مشكلة يعضل عليهم حلها .

ووعى الشابان كل ما سمعا . أما عادل فانطلق يتلمس دواء لقلبه ، وأما جلال فراح إلى غريمه يحدثه : « ... وأنت تعلم — يا صاحبى — أنها سميت علىّ ، وأننى أحبها ، وأننى رجل حرب لا أومن إلا بأحد أمرين : الفوز فى المركة ، أو الموت ! فأنت حين تضحى تحفظ علىّ حياتى وسعادتى ... » فأجابه عادل فى هدوء : « وأنت حين تفوز فى المركة تقتلها وتقتلنى معها » ! قال جلال : « ولكننى قد أعددت كل شىء ، وتستطيع أنت أن توهمها بأنك لا تليق صحياً ، أو أنك تخشى انتقامى » . قال : « وهذا لا أرضاه ، وكيف أرضى أن تنهار كبريائى فى نظر الفتاة ، ولا تنس أن رجلا ثالثاً سيعيش دائماً بينكما . لقد سبقتُك إلى قلبها ، وإن كنت أنت سبقتنى إلى خطبتها » . قال جلال : « ولكننى أفزع إلى كرمك ورجولتك » . فأجابه عادل : « هذا شىء لا أملكه ، فنبضات قلبى وقلبها تتفقان معاً ، فكيف أستطيع ؟ » فقال جلال فى رجاء : « أرجو أن تفكر فى الأمر ملياً قبل أن تهدم بيتاً توشك عمده أن تقام على أساس » .

وافترق الشابان ابتغاء أن يقلّب كل واحد منهما الرأى ، واتفقا على أن يضحي واحد فى سبيل الآخر !

وظل الشابان فى تردد وحيرة ، والفتاة فى الدار لا تجد الخيرة من أمرها ، وهى قد وافقت منذ حين على أن تتزوج من جلال . فمن عسى أن يضحى يا قارئى العزيز ؟

كامل محمود حبيب

تذاكر السفر بالسكك الحديدية

المنصرفة بالتخفيض لزائرى المعرض الزراعى الصناعى بمدينة القاهرة

يتشرف المدير العام بإعلان حضرات زائرى المعرض الزراعى الصناعى العام القادمين من الجهات البعيدة بالوجه القبلى بأنه تسهيلا لحضراتهم ، قد تقرر اعتباراً من يوم السبت ٥ مارس سنة ١٩٤٩ اعتماد تذاكر السفر المنصرفة لزيارة المعرض للعودة خلال ثلاثة أسابيع للقادمين من المحطات بمديريتى أسوان وقنا وأسبوعين للقادمين من مديريتى جرجا وأسيوط .

ويشترط فى هذه الحالة أن تقدم التذاكر لمحطات مصر أو امبابة أو بولاق الدكرور أو الجيزة بحسب الحالة لاعتمادها من ناظر المحطة قبل السفر .

كما تقرر أن يسرى التخفيض المقرر لزائرى المعرض على أنصاف التذاكر المنصرفة للأطفال ، وكذلك على التذاكر المنصرفة بموجب استمارات أو تصاريح مخفضة أو بنصف أجرة لرجال الجيش والبوليس مع تحصيل رسم دخول المعرض بالكامل نقداً فى كل الأحوال .

مطبعة الرسالة

العدد ٨٢٠ — الاثنين ٢١ مارس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

17 em Année No. 820

Lundi — 21 — 3 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire. Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٢٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ — ٢١ مارس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

هل الشقاق طبع في العرب ؟

جواب عن سؤال

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

وأما ما ذكرتموه عن رأى ابن خلدون في هـذه القضية ، فهو أيضاً في حاجة إلى إنعام النظر .

فقد نقلتم الفقرات التالية ، من مقدمة هذا المفكر العظيم :

« والعرب أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض ، للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة ؛ فقلما تجتمع أهواؤهم . من أجل ذلك لا يحصل لهم الملك إلا بصبغـة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر من الدين على الجملة » .

أنا أعرف أن ابن خلدون أبدى هـذا الرأى في مقدمته المشهورة ، ولكني أرى من الضروري أن نفطن جيداً إلى مايقصده من كلمة العرب الواردة في هذه الفقرات ؛ ثم نبحث عن نصيب رأيه هذا من الصحة والصواب .

من الأمور التي يجب أن تبقى نصب أعيننا على الدوام — حين نقرأ مقدمة ابن خلدون ونستشهد بها — أن مؤلفها كان يقصد من كلمة « العرب » العربان بوجه خاص وفقاً لما هو متعارف بين العوام — ؛ ولم يقصد قط أفراد الأمة العربية بوجه عام كما نفهمها ونتصورها نحن الآن .

إنني سردت الأدلة الكثيرة التي تبرهن على ذلك برهنة قاطعة في عدة مقالات نشرتها في بيروت وبغداد وفي فصل خاص من الدراسات التي كتبتها عن مقدمة ابن خلدون ، ولا أرى لزوماً إلى إعادة تلك البراهين والأبحاث في هذا المقام . ولما كانت الدراسات المبحوث عنها قد نفدت ، رأينا أن ننقل هنا نموذجين من البراهين المسرودة فيها ، وقد انتخبنا أحدها من القسم الأول من المقدمة ، والثاني من القسم الأخير منها ،قلت :

« فلنلاحظ الفصل الذي يقول فيه ابن خلدون « إن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب » ولننعم النظر في الأدلة التي يذكرها لتعليل رأيه هذا :

« فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتقلب ، وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له . فالحجر مثلا إنما حاجتهم إليه لنصبه أثافي للقدر فينقلونه من المباني فيخربونها عليه ، ويعـدونه لذلك . والخشب إنما حاجتهم إليه ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه .. » (ص ١٤٩)

ومن البديهي أن مدار البحث هنا لا يتعدى البدو الذين يعيشون تحت الخيام . ولا مجال للشك في أن ابن خلدون عندما كتب هذه العبارات وقال « لا يحتاجون إلى الحجر إلا لوضع

القدور ، ولا إلى الخشب إلا لنصب الخيام » لم يفكر قط فى أهل دمشق أو القاهرة ، ولا بسكنة تونس أو فاس . إنما قصد أعراب البادية وحدهم . وقال :

« وقد كنا قدمنا أن الصنائع من منتحل الحضر ، وأن العرب أبعد الناس عنها . وصارت العلوم لذلك حضرية ، وبعد العرب عنها وعن سوقها » (ص ٥٤٤) .

يلاحظ أن ابن خلدون يذكر هنا كلمة العرب مرتين مقابلا لكلمة الحضر ، بشكل لا يترك مجالا للشك فى أنه يقصد منها البدو على وجه التخصيص ويخرج من نطاق شمولها الحضر على الإطلاق . غير أنى أرى من الضرورى أن ألفت الأنظار إلى موضع الفقرات الآنفة الذكر من أبحاث المقدمة : إن تلك الفقرات مستخرجة من الفصل السابع والعشرين من الباب الثانى ؛ وعنوان الباب المذكور هو : « العمران البدوى والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض فى ذلك من الأحوال » . وذلك أيضاً يدل على أن ما جاء فى هذه الفقرات ينصب على الذين يعيشون فى حالة البداوة ، ولا يشمل الذين يعيشون فى المدن . ومن المعلوم أن أحوال المدن والدول تكون موضوعات البابين الثالث والرابع من المقدمة . والفقرة الآنفة الذكر لا تدخل فى نطاق البابين المذكورين .

وبناء على كل ما تقدم يحق لنا أن نعبر عن رأى ابن خلدون فى هذه القضية — وفق أسلوب كلامنا الحالى — بالعبارات التالية : « إن العرب — عندما كانوا فى حالة الفطرة والبداوة — لم يستطيعوا أن يؤلفوا دولة ويؤسسوا ملكا ، إلا عندما تأثروا بدين أو ولاية تزيل عنهم التحاسد والتنافس ، وتحملهم على الانقياد والاجتماع » .

ومن الغريب أن كلمات ابن خلدون فى هذا المضمار — عندما تفرغ فى هذا القالب — تصبح موافقة تمام الموافقة للنظرية التى توصل إليها علماء الاجتماع فى العصر الحاضر عن منشأ الملك بوجه عام : لأن أصحاب هذه النظرية يقولون إن الممالك لم تتكون فى بادىء الأمر إلا بفضل المعتقدات الدينية .

إن الأبحاث التى قام بها عدد كبير من العلماء والمفكرين — مستندين إلى المعلومات التى جمعوها عن أحوال الأقوام البدائية من جهة ، وعن تواريخ الدول القديمة من جهة أخرى — قد أوصلتهم إلى هذه النظرية . فقالوا : إن تكون الجماعات السياسية الكبيرة والممالك العظيمة ، فى القرون القديمة ، لا يمكن أن يفسر إلا بتأثير الاعتقادات الدينية ، على اختلاف أنواعها وأطوارها . فالاعتقاد بقوى خارقة للمادة — من الاعتقاد بالقوى السحرية إلى الإيمان بالقوة الإلهية — هو الذى مهد السبل إلى تكون الجماعات الكبيرة واستقرار الحياة السياسية .. فى أطوار البداوة والهمجية .

وقد كتب الباحث الإنكليزى المشهور « فرايزر » كتاباً ضخما ضمنه أمثلة وبراهين كثيرة ، تدل على أن الملكية نشأت من الاعتقادات السحرية : كان الناس يخضعون للملك ، لاعتقادهم بأنه يتمتع بقوة سحرية ، وكانوا يرون من الطبيعى أن يخلفه ابنه ، لاعتقادهم بأن هذه القوة السحرية تنتقل منه إليه .

وقد برهن المؤرخ الفرنسى المشهور « فوستل دو كولانثر » — فى كتابه « المدينة القديمة » — أن الحياة السياسية عند اليونان والرومان أيضاً قامت على بعض الاعتقادات والعبادات .

وقد لاحظ جميع المؤرخين أن الاعتقادات الدينية لعبت دوراً هاماً فى سياسة دول القرون الأولى . والاعتقادات الدينية السياسية اجتازت مراحل عديدة ومتنوعة : الملك إله ... الملك ابن الإله ... الملك من نسل الآلهة ... الإله يتقمص جسد الملك ... الإله ينفخ فى الملك شيئاً من روحه ... الإله يمد الملك بالهاماته ... هذه أشكال مختلفة — وأطوار متتالية — من الاعتقادات التى كانت تربط الملكية بالدين ، وتساعد على جمع طوائف كبيرة من الناس تحت إدارة واحدة فى تلك القرون القديمة .

أنا لا أرى هنا مجالا لذكر الأمثلة والبراهين والنصوص التى تؤيد هذه النظرية . ولذلك سأكتفى بالإشارة إلى كتاب « تيارات التاريخ العالمى العظيمة » الذى نشره أخيراً « جاك بترن » أستاذ التاريخ فى جامعة بروكسل . تصفحوا المجلد الأول من هذا الكتاب القيم ، (وهو المجلد الذى يلخص التطورات التاريخية التى حدثت فى العالم منذ القدم حتى ظهور الإسلام) ،

تجدوا فى كل فصل من فصوله تقريباً بعض الأبحاث التى تنم عن الترابط المتين الذى كان قائماً فى تلك العصور القديمة بين تطور الحوادث السياسية وبين تقلب المعتقدات الدينية .

لا شك فى أن الحروب كانت تلعب دوراً أساسياً فى توسع الممالك وتكون الامبراطوريات : فإن ملك قطر من الأقطار يستولى على مدن وأقطار أخرى بقوة السلاح ، ويوسع حدود ملكه عن طريق الفتوح العسكرية . غير أن نتائج هذه الفتوح ما كانت تدوم وتستقر ، إلا إذا دعمها شىء من التفاعل والتزاوج والتلاقح بين معتقدات البلاد الفاتحة وبين معتقدات البلاد المفتوحة ، وهذا التفاعل كان يأخذ أشكالا مختلفة : تارة كان الاعتقاد ينتشر بأن آلهات جميع تلك البلاد لا يختلف بعضهم عن بعض إلا بالأسماء ؛ فكان يصبح الملك ممثلا لآلهة البلاد الفاتحة والمفتوحة على حد سواء . وطوراً كان يتولد الاعتقاد بأن إله الملك الفاتح هو الإله الأكبر . وأما آلهة البلاد المفتوحة فهى من أتباع ذلك الإله الأعظم ... وعلى كل حال كانت هذه المعتقدات — وأمثالها من المعتقدات المتنوعة — تساعد إلى حد كبير على خضوع أهالى البلاد المفتوحة للحكم الجديد خضوعاً نفسياً ، فكانت تقلل أو تزيل الحاجة إلى استعمال القوة والقسوة لإدامة ذلك الخضوع .

ولا أرانى فى حاجة إلى القول بأن أمثال هذه المعتقدات الدينية السياسية ، ما كان يمكن أن تدوم بعد انقضاء عهود الوثنية القديمة ، ومع هذا أرى من الضرورى أن أشير إلى نظرية « سياسية دينية » سادت على الأذهان فى أوروبا — فى عهد تكوين الممالك — حتى القرن الثامن عشر : وهى النظرية القائلة « بأن الملوك يحكمون بتفويض من الله » . ومما لا مجال للشك فيه أن هذه النظرية كانت بمثابة « الأصداء الأخيرة » لتلك المعتقدات القديمة التى شرحناها آنفاً .

وخلاصة القول أن الأبحاث التاريخية والاجتماعية تدل دلالة قاطعة على أن خضوع الناس إلى أحكام السلطات ، لم يتيسر فى بادىء الأمر — إلا بفضل المعتقدات الدينية .

ويظهر من ذلك — بكل وضوح — أن ما قاله ابن خلدون فى مقدمته المشهورة ، عن العرب فى طور البداوة ، لا يختلف عما يقوله العلماء والمفكرون المعاصرون عن الأمم القديمة بوجه عام .

فنستطيع أن نقول — بكل تأكيد — أن تاريخ العرب لا يشذ عن تواريخ سائر الأمم ، من هذه الوجهة أيضاً .

* * *

بعد هذه النظرات الانتقادية التى وجهناها إلى المقدمات التاريخية ، يجدر بنا أن نرجع إلى السؤال الأصلى ، لنرى : هل الشقاق طبع فى العرب ؟

إن المقارنات التى قمنا بها آنفاً بين تاريخ الأمة العربية وبين تواريخ الأمم الأخرى من وجهة الشقاق ، تسهل علينا الإجابة عن هذا السؤال إجابة مبنية على قياس صحيح واستقراء تام .

إن الشقاق وليد الأنانية ، والأنانية طبع غريزى فى الإنسان ، وجماح هذه الأنانية لا يكبحها إلا التربية الاجتماعية المتينة ، والتشكيلات الحكومية القوية ، والنزعة المثالية الفعالة ، والإيمان الدينى أو القومى أو الوطنى العميق .

ففى كل أمة من أمم الأرض ، وفى كل دور من أدوار التاريخ يظهر أناس تتغلب فى نفوسهم الأنانية على العوامل التى ذكرناها آنفاً ، ولكن الرأى العام من جهة ، والقوانين الموضوعة من جهة أخرى ، تعاقب هؤلاء وتعزلهم عن المجتمع بصور شتى ووسائط متنوعة ، وتجعلهم عبرة للآخرين ، فتحول بذلك دون استفحال هذه الأنانية وانتشارها بين الناس .

غير أنه يأتى أحياناً فى كل أمة من أمم الأرض بعض الأدوار من التاريخ تضعف فيه هذه القوى الوازعة فتنفلت الأنانيات من عقالها ، ويتضاءل تأثيرات الرأى العام فيها ، فتقل سلطة الحكومات عليها ، وكل ذلك يؤدى إلى ازدياد الشقاق وانتشار الخلاف بين الناس .

هذا ما حدث ، وما يحدث ، وما سيحدث فى كل أمة من الأمم ، وفى جميع أدوار التاريخ .

وليس فى طباع العرب ما يجعلها شاذة عن سائر الأمم فى هذا المضمار .

هذا هو جوابى ، يا صديقى الأستاذ ، عن السؤال الذى وجهتموه إلى .

لا يوجد فى طباع الأمة العربية ما يجعلها شاذة عن سائر

الأمم فى أمر الاتفاق والانشقاق .

يجب علينا أن نعرف ذلك حق المعرفة ، كما يجب علينا أن نعتقد اعتقاداً جازماً بأن طبائع الأمم لا تبقى على وتيرة واحدة على مر العصور . وقد صدق من قال : « إن من يتوهم الاستقرار فى طبائع الأمم كمن ينشد البقاء فى الموجات التى تحدث على سطح الماء عند ما ترمى حجرا فيها » .

فإن الماضى لا يقيد الحال تقييداً مطلقاً . وتحقق الوحدة والاتفاق فى الماضى لا يكفى لدرء أخطار التفرقة والشقاق فى الحال ، كما أن حدوث التفرقة والشقاق فى الماضى لا يمنع الاتحاد فى المستقبل .

فيجب علينا أن نتخلص من نزعة الانشغال بالماضى كثيراً ، وأن نقلع عن الالتفات إلى الوراء دائماً . فلا يجوز أن نحاول تبرير مساوئنا الحالية بنقائص أسلافنا الأقدمين ، ولا أن نسعى لإلقاء مسئولية نكباتنا على عاتق تاريخنا القديم ، ولا يسوغ لنا — على وجه خاص — أن نستسلم إلى دواعى الخور والكسل ، وأن نتقاعس عن الكفاح والعمل، بحجة أن الحالة الحاضرة نتيجة حتمية لطبائع الأمة ولمجرى تاريخها العام .

إننا لم نستجمع قوانا المادية والمعنوية ، ونحشدها لتحقيق هدفنا الأسمى ، بل إنما عملنا بتراخ وتردد بدون عزم قوى وتنظيم متين وإيمان عميق ، فأضعنا بذلك فرصاً كثيرة ،

ومهما يكن الأمر ، يجب علينا أن لا نقطع الأمل فى النجاح فى المستقبل ، وأن لا نتأخر عن إعادة الكرة بإيمان أعظم ، إذ يجب علينا أن لا ننسى أنه ما من أمة وصلت إلى الكمال الذى تنشده إلا بعد أن اجتازت عقبات كثيرة ، وذاقت مرارة الفشل مرات عديدة ، واضطرت إلى تضحيات كبيرة .

إن الأمم الحية الوثابة تتمظ بالنكبات فتندفع إلى العمل وتواصل الكفاح بحرارة أشد وعزم أمتن ، كما أنها تنفض من الفشل وتستفيد من دروسه فتعيد الكرة لتضمن النجاح ولو بعد حين .

وأستطيع أن أقول : إن الإيمان القوى العميق بإمكانيات أمتنا ، والعمل الحازم المتواصل لتحقيق غايتنا ، والاستعداد التام للكفاح مصحوباً بروح التضحية الحقيقية ، ومدعوماً بالأمل الذى لا يقهر !

***

، وكأنى أسمع سلسلة أسئلة اعتراضية تقابل ما قلته آنفاً :

؟ ألا تلاحظ فظاعة الاختلافات التى تهز كيان جامعة الدول العربية هزاً عنيفاً ؟ ألا تشعر بالأخطار التى صارت تهدد مستقبلنا فى عقر دارنا ؟

بلى ، إنى أدرك وأشعر وألاحظ كل ذلك إدراكا تاماً وشعوراً عميقاً وملاحظة دقيقة ، وأتألم من كل ذلك ألماً شديداً.

روسيا والسلم

للأستاذ عمر حليق

هناك تعليلان فى رأى (ماكس بيلوف)(١) للأسباب التى دعت موسكو مؤخراً لأن تحمل غصن الزيتون وتواجه خصومها حلفاء الغرب أمام الرأى العام العالمى بأنهم دعاة حرب لا يرضون الدخول فى مفاوضات مباشرة لتدعيم السلم فى هذا الجو الذى ازداد توتراً .

أما التعليل الأول فيقول بأن روسيا جادة فى حملتها السلمية الأخيرة ، وأن التحطيم الذى أصاب المدن والمساكر الروسية فى الحرب المنصرمة هو تحطيم طاحن لا يزال هوله يسيطر على مخيلة الشعب الروسى فهو يخشى الحرب حقاً ويبغى السلم ، وأن حالته النفسانية هى كحالة معظم سكان أوربا الذين نالتهم الجزرة الأخيرة بويلاتها . ولذلك فإن هذا التعليل يجد من يؤمن به من الأوربيين خصوصاً أتباع الأحزاب اليسارية التى تميل إلى مسايرة السوفيات .

ويقول أنصار هذا التعليل كذلك أن العقلية الروسية ليست عقلية عسكرية كعقلية الشعوب الجرمانية ، ولذلك فإن حرباً طاحنة كالحرب المنصرمة كانت كافية لأن تزيل غشاوة العنف والغطرسة العسكرية عن أعين الروس فتجعل رغبتهم فى السلم حقيقية .

أما التعليل الثانى فيقول إن مراكز التوجيه فى قيادة روسيا السوفيانية اليوم فى يد جماعة من المتهوسين وهم مسؤولون عن مسلك موسكو الحالى فى العلاقات الدولية ، وأن ستالين هو أسير هذه الجماعة التى منها مولوتوف وزير الخارجية وكبار قادة الجيش السوفياتى . وأنه لو تسنى لأحد أن يخترق هذا الحصار المضروب على ستالين — كما فعل عدد من الصحفيين الأجانب فى موسكو مؤخراً — لوجد أن لديه استعداداً حقيقياً للسلم . ويبدو لى أن المستر ترومان ومتشاوريه الخصوصيين فى البيت الأبيض من أنصار هذا الرأى . فهم يعتقدون خطأ أو صوابا بأن ستالين رجل « طيب القلب » على حد تعبير ترومان يرغب فى السلم لو تخلص من أسر (البوليت بيرو) المكتب السياسى الأعلى للاتحاد السوفياتى .

هذان هما التعليلان اللذان يقومان لتفسير حملة السلم التى صدرت عن القيادة الشيوعية الدولية فى الأسابيع الأخيرة .

ولنا أن نتساءل أولا : هل الروس راغبون فى السلم حقاً ؟ وإذا اقتنع حلفاء الغرب بهذه الرغبة ، فلماذا لا يمدون يدهم للروس لتدعيم السلام فى نية صادقة ؟

والجواب على هذا التساؤل صعب . فإن تاريخ السوفيات فى روسيا يشير إلى سرعة التقلب فى سياسة روسيا الخارجية عند ما تتطلب منها الظروف ذلك . وخير مثل على ذلك اتفاق روسيا وألمانيا النازية فى مطلع الحرب العالمية الثانية بالرغم مما فى المذهبين (الشيوعى والنازى) من التناقض والمعاداة والتنافس . ومن أبرز الأمثلة على التقلب موقف الشيوعية السوفياتية من الصهيونية التى وصفها ستالين فى كتاب (الماركسية ومشاكل

(١) أستاذ النظم المقارنة فى جامعة اكسفورد .

وهل كان فشل مؤتمر فرنكفورت فى ألمانيا — قبل قرن واحد من يومنا هذا — أقل خطراً من فشل مجلس جامعة الدول العربية هذه السنة ؟ ألم يقل بعض الساسة — عقب انحلال المؤتمر المذكور — « أن الألمان فقدوا حتى قابلية الدفاع عن أنفسهم ؟ » ألم يتساءل بعض الكتاب عندئذ قائلين : « أين هى ألمانيا ؟ هل لها وجود فى غير مخيلة بعض الشعراء وأحلام بعض رجال السياسة » ؟ ومع كل ذلك ، ألم تتحقق وحدة ألمانيا فى حياة الكثيرين ممن حضروا مؤتمر فى نكفورن الفاشل ؟

وبناء على هذه الملاحظات أقول بلا تردد : لا يجوز لنا أن نترك مجالا لتسرب الخور والقنوط إلى أنفسنا . ويجب علينا أن نعلم علم اليقين : أن النكبة لا تصل إلى حدها الأقصى إلا عندما تثبط العزائم ، كما أن الفشل لا يصبح تاماً إلا عندما يؤدى إلى التقاعس عن مواصلة العمل والكفاح ...

فعلينا أن نحذر كل الحذر من العمل على زيادة النكبة وإتمام الفشل .. بالاستسلام إلى القنوط والخور ...

أبو خلدون ساطع الحصرى

الأقليات والاستعمار) الذى صدر سنة ١٩٢٠ بأنها « حركة رجعيـة انتهازية ، وأنها وليدة الاستعمار الغربى » . وقد كانت الصهيونية محرمة فى روسيا ومضطهدة إلى ما قبل بضع سنوات (عام ١٩٤٣) ، وكانت تحارب فى السر والعلانية . قارن هـذا الموقف الروسى بمحاضر الملاقات بين موسكو ويهود فلسطين والتحالف السوفياتى الصهيونى تر عنصر هذا التقليد الانتهازى فى سياسة السوفيات الخارجية . وهو فى الواقع تقلب لا تخلو الدبلوماسية الدولية إجمالاً منه وإن كان يبدو عادياً فى سلك السوفيات .

فقد تكون إذن حملة السلام الروسية الجديدة خطوة انتهازية جديدة يتطلبها الموقف الدولى ، دفع إليها حمل الشعوب فى المعسكر الغربى على الحد من برامج التسلح الهائلة التى تندفع الآن دول الحلف الغربى فى تنفيذها . والضرب على وتر السلام الحساس فى البلدان الديمقراطية خصوصاً فى الولايات المتحدة يجد صداه فى مجتمع يشكو من ارتفاع الضرائب التى تتطلبها هذه الالتزامات الضخمة التى تفرضها مشاريع مارشال وشريعة ترومان والبرنامج الجديد لتوسيع هذا النوع من الحرب الاقتصادية فى بلدان الشرق والقارة الأفريقية وأمريكا اللاتينية .

هذا بالإضافة إلى أن حدة الموقف الدولى تفرض تعاونا وثيقاً بين بريطانيا وأمريكا ، فإذا خفت هذه الحدة وشاعت الرغبة فى السلام التى تذكيها حملات ماهرة كحملات الشيوعية الدولية فإن هذا التعاون الإنجلوسكسونى سيفتر بينما تمضى روسيا قدماً فى برامجها المنظمة التى تتقيد — فى ظل الاقتصاد الماركسى الموجه — بتحالف ثنائى فى مجال الاقتصاد والاستعداد العسكرى فى القارة الروسية على الأقل .

فمن خبراء الشؤون الروسية إذن من يقول بأن هذه الخطوة الروسية السلمية ليست إلا تكتيكا لا يستر حقيقة المقاصد والغايات . ويؤكدون بأن رسوخ النظام السوفياتى فى روسيا اليوم ورسوخ العقيدة الماركسية فى أدمغة حملتها تجعل التقلب فى التصريحات والمسلك الخارجى أمراً سهلاً يستطيع الروس اللجوء إليه دون أن يبدلوا حقيقة سياستهم من خصومهم ومن برامجهم الواقعية لبلشفة العالم . ولنا فى الصهيونية مثل على هذه الحقيقة .

فكلنا يعلم كيف أن الأحزاب والجماعات اليهودية فى فلسطين والعالم إجمالاً كانت ولا تزال تتوخى هدفاً واحداً هو السيطرة على نقطة التركز فى الشرق الأوسط ، وأن السياسة الصهيونية كانت ولا تزال تتقلب تبع الظروف الطارئة ، فمرة وطن قومى ، ومرة حكم ثنائى ، ومرة تقسيم محدود بدون شرق الأردن ، وبعـد ذلك — حين تواتى الظروف — أرض الميعاد بحدودها الطبيعية وهى تشمل أجزاء من مصر وسوريا والعراق ولبنان . فوايزمان كستالين كان ولا يزال يتلاعب بتصريحات تتلاءم مع الظروف الحالية . والمتتبعون لتطور المسلك الصهيونى يدركون ذلك تمام الإدراك .

فالتقلب فى سياسة روسيا الخارجية ، يعود إلى ثقة صناع السياسة فى الاتحاد السوفياتى من رسوخ النظام الذى يسوسونه خصوصاً وأن وسائل المواصلات الفكرية بين الشعب الروسى والعالم الخارجى خاضعة لمراقبة توجيهية دقيقة يتولاها خبراء مهرة مما يجعل للتصريحات الروسية الرسمية طابعين : طابعا للاستهلاك الخارجى ، وآخر للداخلى . وليس من الضرورى أن يتناسق الطابعان . وهذا فى الواقع مسلك تقليدى فى الدبلوماسية الدولية ، ولكنه لا يتخذ طابع الاتقان الذى يتخذه فى ظل الحكم السوفياتى المطلق .

وعلى أساس هذا الاستقرار فى النظام الشيوعى فى روسيا كان خبراء الانجلوسكسون يعتقدون بأن برامج (البوليت بيرو) (والكومنفورم) الشيوعية الدولية لبلشفة العالم كهدف أساسى جوهرى لتدعيم الشيوعية فى روسيا والدول الشيوعية الأخرى — هذا البرنامج لا يزال موضوع العمل عند السوفيات ، وعلى هذا الأساس ، فلا صحة لادعاء الماركسيين الأخير بأن الشيوعية والرأسمالية والنظم الأخرى تستطيع أن تعيش بسلام فى عالم واحد

والحقيقة التى يشير إليها هؤلاء الخبراء (ومنهم بوهلن مستشار وزارة الخارجية الأمريكية) هى أن جوهر الفلسفة الماركسية يصر على أن لا حياة للدول والشعوب الشيوعية المبدأ والنظام فى عالم فيه شعوب ودول لا تدين بهذا المبدأ . وهذا الإصرار الماركسى يستند إلى نظريات فى الاقتصاد وعلم الاجتماع تحللها العقيدة الماركسية على طريقتها الديالكتيكية الجدلية ،

وليس المجال هنا لبحثها .

إذن فإن دعوة للسلم تأتى من جانب السوفيات هى فى الواقع اكتساب للوقت ، وعرقلة برامج التسلح ، وإثارة الوقيعة بين خصوم حلفاء الغرب وهذه جميعها — ككل خطوة من خطوات السوفيات — تستند إلى تحليلات علمية — علمية لأنها مستمدة من السياسة الروسية المنظمة — وهي كالاقتصاد الموجه ومشاريع الخمس سنوات الاقتصادية تلتزم الدقة وتؤمن بالنتائج على أساس هذه الدقة .

وعلى أسس هذه السياسة الموجهة فإن السوفيات يعتقدون بأن كل مجتمع لا يدين بالشيوعية ولا يسير بموجب الاقتصاد الماركسى الموجه مآله إلى التفكك ، فهناك مشاكل التضخم المالى وبلبلة التوازن التجارى وصراع العمال وأصحاب العمل مما يخلق مشاكل اقتصادية واجتماعية تؤدى إلى الثورة العمالية وتطرح بالنظم الرأسمالية فى المراحل النهائية .

ولما كانت روسيا غير مستعدة الآن للحرب استعداد خصومها فمن الخير إطالة مدة الاستعداد وإيهام الدول الرأسمالية والرأى العام الدولى بالرغبة الصادقة فى السلم، وفى ذلك مكسب مزدوج ؛ فهو يحقق النبوءة الماركسية فى تفكك المجتمع الرأسمالى — كما تشير علانية إلى ذلك الدراسات السوفياتية للاقتصاد الأمريكى المعاصر — وهو يعطى روسيا متسعاً من الوقت للاستعداد .

والماركسية فوق ذلك تعتقد بأن طبيعة التجمعات الرأسمالية متنافسة تسعى لالتهام بعضها البعض — وهذا التنافس أصيل مبعثه طبيعة النظم الاقتصادية على ظل الرأسمالية (والاشتراكية الغربية كبريطانيا ليست ماركسية حقة عند السوفيات) ولذلك فإذا نجحت روسيا فى تخفيف حدة الموقف الدولى استطاعت أن تسبب فتوراً فى شدة التحالف الأمريكى البريطانى وتترك النظم الرأسمالية تكتسب طبيعتها المتنافسية فيقوض بعضها البعض بدل الاتحاد على تقويض الروس بأى ثمن .

ويستنتج من هذا كله — والاستنتاج نظرى فى أكثره — أن روسيا تعلم بأنها عاجزة الآن عن الكفاح المسلح لتعميم المذهب الشيوعي فى كل مكان على أنقاض النظم والمجتمعات التى لا تؤمن بالماركسية — وهذا العجز قصور عن مجاراة المستوى الصناعى والقوة والدعامة المالية المتوفرة فى المعسكر الغربى فى الآونة الحالية على الأقل — وأنها تنهج سياسة عاجلة مؤقتة لتحقيق الحدة فى معسكر الخصم عن طريق التلويح بغصن الزيتون .

وفوق ذلك فقد تكون تجربة المارشال تيتو فى يوغسلافيا حيث مازج بين القومية المحلية الضيقة وبين النظام الماركسى ، ومايشاع من أن الشيوعيين الصينيين ينوون الاقتداء بتيتو — هذه التجربة جعلت موسكو ترى أن المجتمعات الشيوعية خارج الاتحاد السوفياتى قد لا تقبل الرضوخ مباشرة للكومنفورم والبوليت بيرو وإن كانتا تشبهانها فى الاتحاد الفكرى والأهداف . فإن النظام السوفياتى فى روسيا قد جعلت من القيصرية الروسية الصارمة مجتمعاً روسياً يستسلم بسهولة للحكم المركزى المطلق . وهذه حالة فريدة قد لا تنطبق على كثير من المجتمعات الأخرى خصوصاً فى أواسط أوروبا وشرقيها حيث تكثر الأقليات العنصرية والطائفية وعداؤها للحكم المركزى تقليدى . والواقع أن لينين وستالين قد أوليا مشكلة الأقليات دراسة وافية .

وهذه — كما نرى — حالات تصعب معالجتها على يد موسكو فى جو دولى متوتر ، ولذلك فإن مراكز التوجيه فى معسكر حلفاء الغرب تنظر إلى غصن الزيتون الذى حملته موسكو فى الآونة الأخيرة على أنه مناورة بارعة في الصراع الدولى لا يلاقى رد فعل إيجابى لدى حلفاء الغرب .

وهذا يعنى أن مشاكل السلم الحقيقية لا تزال على ما هى عليه من الخطورة السريعة الانفجار .

(نيويورك) عمر حليق

معهد الشؤون العربية الأمريكية فى نيويورك

صور من الحياة :

فــــتى من الريف

للأستاذ كامل محمود حبيب

قال صاحبي : جئت إلى القاهرة — أول ماجئت — لألتحق بالأزهر ، وكانت أمي قد نذرتني للقرآن ، ونذرني أبي للعلم ؛ فأنا وحيدهما ، وأنا أمنيتهما على الله حين أحسا بالوحدة وقد خلت الدار من الحياة والحركة لأنها خلت من مرح الطفولة وجمالها ، وحين شعرا بأن تاريخهما على الأرض يوشك أن ينبتّ فما لهما ولد ، وحين عاشا زماناً يجدان لذع القحط والجفاف ، جئت إلى القاهرة وأنا فتى ريفي لا أعرف المدينة إلا معنى يقع على أوتار أذني موقع النغم الموسيقي العذب ، فينجذب له قلبي وتنبسط أساريري ، ثم رأيتها فإذا هي نور يخطف البصر ، وحركة يتفزّع لها القلب ، وثورة يحار لها الفؤاد ، وحياة دائمة مضطربة لا تنام ولا تخبو . وبدت عليّ سمات الحيرة والارتباك ، فإنه ليزعجني أن أسير في الشارع خيفة المدنيّ أن يمكر بي وله أفانين شيطانية تسخر من بساطة الريفي وسذاجته ، وخيفة السيارة أن تصفعني ومالي عهد بأساليب الحيطة والحذر ، وخشية الترام أن يحطمني وبه نهم دائم إلى لحم البشر يتأرّث ولايشبع . ليتني كنت أستطيع أن أغدو وأروح في شوارع القاهرة أتهادى في مشيتي ، وأختال في جبتي ، وأفخر بعمامتي ، وتحت إبطي محفظة بها وريقات صفر لا أعي مما فيها حرفاً !

وكان أبي — رحمه الله — قروياً ، نشأ وتربى في الريف لا يبرحه إلا لماماً ، اتسم بسماته وانطبع بطابعه ، والريف ينفث في بنيه روح الكسل والتواكل ، فهو يقضي ساعات الشتاء يستمتع بالدفء والفراغ ، ويطوى عمر الصيف يستروح النسمات الهينة اللطيفة في ظل شجرة ، يجلس إلى رفاقه على المصطبة يتجاذبون أخبار القرية ، أو يتربعون على الثرى يلعبون السيجة ، أو يعقدون المجالس الصاخبة يشربون الشاي الأسود . ولا همّ له — من بعد — إلا أن ينظر — بين الفينة والفينة — إلى النبت وهو ينسرب من بين الثرى لينمو رويداً رويداً ، وإلا أن يرقب البهائم وهي ترعى البرسيم في هدوء وعلى مهل . وسكن أبي إلى هذه الحياة وهي تنطوي على نسق واحد ، فأصبح لايطيق صخب المدينة ولا يصبر على ضجتها . ولكنه ما يستطيع أن يقذف بي إلى القاهرة وحيداً ، وهو لا يطمئن إلى واحد من شباب القرية وطلابها ممن تزخر بهم المدينة لأن فيهم الغفلة والطيش ، ومرت الأيام وأبي لا يستقر على رأي .

ثم عهد بي أبي — بعد لأي — إلى الشيخ فهمي وهو شيخ كبير من شيوخ القرية ، نيف على الخمسين ولما يبرح طالباً في الأزهر ، يأتي إلى الجامع بين الحين والحين ، يجلس إلى أستاذه ساعة أو بعض ساعة ، ثم ينفلت إلى القرية في غير تمهل ولا تلبث . وهو حريص على أن يظل طالباً في الأزهر على رغم أنه لايطمئن إلى حلقة الدرس ، ولا يُعنى بالقراءة والمطالعة ، ولا يأخذ نفسه بالمذاكرة والحفظ ، وهو ضنين بمسكنه في القاهرة ، وهو حجرة ضيقة قذرة ، لا تتنسم هبّات الهواء النقي ، ولا تغتسل بأشعة الشمس الدافئة ، ولا ينفتح جفناها على نور ، ولا ينتفض عن جنباتها الغبار ، عُطَلٌ من الأثاث إلا من حصيرة بالية لا تكاد تستر أرض الحجرة ، وإلا من مخدة ولحاف مشت عليهما أحداث الزمن فتركتهما مزقاً لا تتماسك ، وإلا من صندوق ضم أشتاتاً من حاجات الطالب العزب ، مبعثرة متناثرة في غير عناية ولا ترتيب : ففيه الخبز والغموس ، وفيه اللباس والمنشفة ، وفيه الكوز والإبريق ، وفيه ... وفيه الكتاب والحذاء ، وإلا من زير مهجور في ضاحية وإلى جانبه موقد ... وعاش هذا الشيخ بين القرية والقاهرة ، وانطوت السنون فما أفاد علماً ولا أصاب عقلا ولا بلغ غاية ، غير أنه عرف مسارب القاهرة ومنعطفاتها .

وتنازعتني عاطفتان متناقضتان نحو هذا الشيخ — رائدي — فأنا أطمئن إليه لأنه يكشف أمامي الطريق ، وينير لي متاهات القاهرة ومضلاتها ، وغداً يفتح أمامي باب الأزهر فأدخله لأول مرة وعلى شفتي ابتسامة وعلى هامتي كبرياء ، أدخله طفلا يستشعر الرجولة الباكرة والشباب المتوثب والرزانة المتكلفة ، وغداً يريني شيخي وهو في رأي عيني لا يبذني بشيء سوى لحيته البيضاء المرسلة التي تبعث في من حواليه المهابة والاحترام والخوف ، وأنا

— إلى ذلك — أمقته لأنني أحس فيه معنى من معاني جهلي ، وعلامة من علامات ضعفي ، فأنا لا أستطيع أن أتبين طريق إلا حين يسير إلى جانبي . وأنا أحتقر عقله ، فكيف يبلغ هذه السن وهو ما يزال طالباً لم يظفر بالشهادة ولا بلغ مبلغ العلماء ! وأكره رجولته وهي قد تضاءلت في ناظري حين دخلت الحجرة التي يسكن فوجدتها على تفاهتها وقذارتها تضطرب في غير نظام ، وتموج بدويبات الأرض . وأبغضه حين يتكلف العطف ويتصنع الحنان ، وهو لا يحس شيئاً من هذه العاطفة ، فهو رجل قفر ممحل ، عزب لم يشهد معنى الأبوة ، ولا ذاق لذة الابن !

وأراد والدي أن يغريني بأن أتخذ من حجرته مسكناً فما رضيت ، وكيف أفعل وأنا قد رأيت « السام الأبرص » يدرج على جدرانها فسرت الرعدة في مفاصلي ، وإني لأخاف هذه الحشرة وأبغضها وأتفزع لرؤيتها . هذه الحجرة قد بعثت في الانقباض والضيق ، واستشعرت لدى بابها أن خواطري الجميلة قد انهارت كلها ، خواطري التي حاكها خيالي منذ أن غادرت القرية ، ومنذ أن هبطت القاهرة لأرى الحياة والحركة والنور . أين النور المتدفق وهو يغمر الشوارع والمنعطفات ويسيل من النافذ والأبواب ؟ أين ضجة الحياة وهي تصاعد صيحات تهتز لها أرجاء السماء ؟ أين النشاط والحركة ؟ أين المرح والسعادة ؟ لقد توارى كل أولئك خلف جدران هذه الحجرة . يا عجبا ! كيف يعيش الظلام إلى جانب النور ، ويطمئن الهدوء إلى جانب الضجة ، ويحيا الصمت إلى جانب الضجيج ، وتستقر الذلة إلى جانب الكبرياء ، ويهدأ الصغار إلى جانب السمو ، ويلصق الشقاء إلى جانب السعادة ؟ وسيطرت على الدهشة فسلبتني من خواطري اللذيذة ، وتبين لي — لأول مرة — كيف يجتمع النقيضان في صعيد واحد !

وأصر والدي وأصررت أنا ، فما استطاع أن يثنيني عن عزمي ، ولا رضى بأن أبيت في النزل ، وإن النزل ليستنفد من مالنا في ليلة واحدة ما يكفينا أياماً ، وهو حريص على المال شحيح به ، حتى على أنا وهو مال أبي . ثم استحر النقاش بيني وبينه ، فقلت : « أبيت في حجرة الشيخ علي » ، ووافق هذا الرأي هوى في نفس والدي ، ولكن غاظه أن أفضل تلك على هذه ! والشيخ علي فتى من طلاب الأزهر قميء نحيف ضعيف يكاد يتهاوى من هزال ، ويوشك أن ينقض من وهن ، يخيل إلى من يراه — بادي الرأي — أنه بقية من إنسان أو أنه نفاية رجل . وإنه ليحس مكانه من الناس وقد تخلف عنهم ، فهو ما يبرح يتهادى في مشيته ، ويتأنق في حديثه ، ويشمخ بأنفه ، ويتطاول على رفاقه ، ولكنه لا يبلغ أن يكون رجلا !

وهو يعيش بين خمسة من ذوي قرابته في حجرة واحدة ، وهو رئيسهم ، لأنه يكبرهم جميعاً في السن ، ولأنه أعرفهم بالقاهرة ، ولأنه ألصقهم بالأساتذة ، يتقسمون أجر المسكن على سواء ، يتعاونون على نفقات العيش ، ويتآزرون على حوادث الحياة ، يتكاتفون على قسوة الغربة ، ويتظاهرون على مشقة الدرس

ودخلت حجرة الشيخ علي مثلما دخلت حجرة الشيخ فهمي من قبل ، فهما على نمط واحد ، لا تبذ واحدة واحدة . ولكن نفسي اطمأنت إلى هذه حين لمست فيها الإيناس بقدر ما نفرت عن تلك حين وجدت فيها الوحشة . أنست إلى هذه لأنني ألفيت هنا الصاحب والرفيق ، ولأنني وجدت مهرباً من الشيخ فهمي ، فما لي به حاجة من بعد ، وهو رجل ضيق العقل ، راكد الذهن ، شحيح النفس ، جامد الكف ؛ وهؤلاء رفاقي : نغدو معاً إلى الأزهر ، ونروح سوياً إلى الدار . وهدأت هواجسي ، فأنا الآن أستطيع أن أعبث مع صحابي كيف أشاء ، وأستطيع أن أمكر بالشيخ علي حين تسول لي شيطانيتي أن أفعل ، وهو الآن ولي أمري وقائدي !

وصرفتني روح المرح واللعب والعبث — بادئ ذي بدء — عن أن ألمس ما أعاني من شظف وشدة ، وعن أن أحس ما أقاسي من حرمان وضيق . والشيخ علي ممسك لئيم مخادع ، يراوغ الواحد منا عن قروشه ، ويداوره عن مصروفه ، وهو فظ لا يستشعر قلبه الحنان ولا الرحمة ، ولا يبض كفه بدرهم أتنسم به روح الحياة الناعمة في القاهرة ، فعشت زماناً لا أتذوق إلا الخبز والجبن والملح ، ثم جف حلقي وما لي طاقة بذلك !

وضاقت نفسي بما أجد فانطلقت إلى الشيخ في ثورة جامحة أسأله حقي ، فرتب لي مليماً كل يوم لأشتري به متعة الحياة ولذة العيش !

وادخرت — بعد أيام — مليمات ، وإن نفسي لتهفو نحو

في ذكرى أديب العربية :

يرحمك الله أبا عبيدة !

للأستاذ محمد سليم الرشدان

يا لله ما أعجب ! هذا هو الدهر تنقضي أيامه وتنطوي لياليه، فيجتاز بذلك حولاً من العمر، يطل من ورائه أبو عبيـدة، أديب العربية الأكبر، العلامة الجليل محمد أسعاف النشاشيبي. فإذا هو ذكرى في ثنايا التاريخ، وإذا هو حنين تنبض به القلوب، ثم إذا هو طيف تجتليه الخواطر، وتفتقده النواظر.

ويح هذه الآمال المديدة، لطالما زينت له تخوف السيل، وهونت عليه وعر المسالك. فعبر كؤودها، واعروري متونها، ومضى قدُماً لا تقعده المخاطر، ولا تكبح جماحه الأرزاء. فكلما أدرك غاية، برزت له من ورائها غايات.

بل ويح هذا الطموح ما زال به يستحث خطوه الجامح، فهو لا يستقر إلى مآل، وهو ما يفتأ يشد الرحال ولكنه أخيراً مضى بعد أن خاض شتى المجاهل في دنيا (العربية)، وتجاوز في ارتيادها بعيد الآفاق. فلم تفته منها صغيرة، ولم تقف بين يديه كبيرة. فقد ألم بهذه وسبر أغوار تلك، وأحاط من ذلك كله بما لم يحط به إلا قليل، فكان شأنه في هذا السبيل، شأن المجاهد المستبسل، لا تقعده جراحات الغدر، ولا ترده أحابيل العدو الخاتل. فخاض غمرة الكفاح، ولا أيد ولا وزَر، إلا ما اشتمل عليه من مضاء العزيمة، فأدرك النصر الباهر في كل ميـدان، ومضى في قافلة العمر تزامله العزة والأنفة والاباء، لا يضير هذه القافلة أن تعترض سبيلها (الثعالب) حيناً، ثم لا تلبث أن تحول أو تزول.

أرأيت — يا أخي القارئ — بركاناً يتضرم أواراً، ويتسعر لهيباً، ويغلي في جوفه شواظ وحمم، فهو إذا ما فار ومار زفر زفرة أسكت بها من حوله كل باغم ؟ كذلك عهدت النشاشيبي المتقد حيال أعداء العربية، وأجراء ذوي الأغراض. ومالك لا تستيقن ذلك حين تسمعه يردد ساخطاً :

« وأن نجم ذئب فصاح. (إن لكل عصر لغة، وإن لطبيعة العصر سلطاناً على القول، فكيف تنادينا إلى لغة يقول العصر — إن استمعها — ليست هـذه بلغتي ! فنحن نشنأ ما تنادينا إليه، ولا نحب أن نقتل أنفسـنا منكبين على القول القديم العتيق، الذي شرب الدهر عليـه وأكل، ولا نهوى إلا لغتنا المصرية السهلة الواضحة، التي يفهمها كل إنسان حتى راعي البقر ...) أن نجم لنا مثـل ذلك الذئب وعوى عواءه،

الفاكهة وقد حرمتها منذ زمان وأنا أرى دكان الفاكهي في غدوي ورواحي فيجذبني إليه في شدة وعنف ولكني لا أجد الجرأة على أن أقف ببابه أساومه. ثم دفعني شيطاني إليه — بعد حين — فاشتريت ربع أقة عنب دفعت ثمنها ستة مليمات. ولكن حرارة القيظ تركت العنب يتلهب كأنما أوقد عليه بنار جهنم، ثم دفعني شيطاني مرة أخرى فاشتريت ثلجاً بمليم واحد. وهكذا أنفقت في واحدة كل ما أملك : سبعة مليمات ادخرتها في أيام وأيام.

وتسللت إلى حجرتنا في حذر وأنا أوقن بأنها خاوية، وأن أصحابي جميعاً في الأزهر ولن يحضروا إلا بعد ساعة ؛ ودلفت إليها على مهل، ثم وضعت أمامي العنب وسويت عليه الثلج، وطفقت أنظر إليه في شوق وأتأمله في شغف، وأتناول الحبة إثر الحبة، أتذوقها في لذة وسعادة وطمأنينة.

وعلى حين فجأة انفتح الباب ودخل الشيخ عليّ، واعتراني الارتباك والخجل، ونظر هو إلى الطبق أمامي وقد ملأته الدهشة وسيطر على العجب واندفع يلومني : « عنب وثلج ! عنب وثلج ! هذه هي متعة الحيـاة ولذتها ! » ثم انصرف وعلى وجهه سمات الغيظ والحرمان في وقت معاً.

وعجبت أنا لحديث الشيخ، ثم انطويت على نفسي أحدثها : « ما أتفه متع الحياة ولذائذها إن كانت تشترى بسبعة مليمات ! »

ثم انطوت الأيام لتعلمني أن متع الحياة ولذائذها غالية غالية تكلف المرء الدم والعمر والمال جميعاً ...

كامل محمود حبيب

القمناه حجراً وحجرين ، وعصوناه ثم قلنا له : أجل أيها المدجل المحاوت إن لـكل دهر لغة ، وإن لطبيعة العصر سـلطاناً ... غيران (لغتك المصرية) هـذه لغة ممتلة ، فنحن ندعوك إلى مداواتها وتقويتها بتلاوة القول القديم ، لـكيلا تَسَلّ أو يدود لحمها ثم تموت ... » .

بمثل هذا القول كان يصمت أولئك الذين طالما دعوا — من حوله — إلى نبذ لغة (القرآن) ، والاستعاضة عنها برطانة غوغاء السوقة ، وترك ما أفنى أئمة العربية شباة أقلامهم وشباب أعمارهم ، بجمعه واستنباطه من قواعدها وأصولها ، واستبداله بما خيلته طبيعتهم الأعجمية ، من كلام مهمل سقيم ... يا للـكفر الصراح ، ويا للعقوق الآثم ! لم لا يعد هذه (الثلة كالثلة [1]) ؟ ولم لا يعد من كان فى مثـل هؤلاء (ذنباً أفاكاً) ! بل هل عسيتك — لو كنت حيث كان — إلا معترضاً بمثل قوله :

« كلا ! إن هذا الزنيم قد جهل وجار عن الحق ، واحتقد على لغة العرب فكدح فى محقها (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ...) » . لـكأنى بك تقول ذلك (أو من مثله) ما دمت تغضب لهـذا الإرث الجليل الخالد ، الذى لو كان حصاد عام ، بل لو كان حصاد جيل لتأسى فاقديه . ولـكنه — يا فتى — حصاد المئين من السنين ! فأنى لك العزاء (آنذاك) ؟ والخطب — لو حصل — جليل ، والمصاب — لا كان — مفزع مهول ! فما لأبى عبيدة لا يفزع ؟ بل ماله لايستنفر الإنس والجن والسموات والأرض والجبال . فيخرج من (صومعته) هائجاً ، وهو يردد متسائلا :

« وكيف يسول الخبث والعجز والجهل ولؤم الضريبة ، كيف يسـول كل ذلك للفتى أن يأتى بالـكفر براحاً وبالشر صراحاً ، ولا يحسب لـكفره بالحقيقة حساباً ، ولا يخشى لشرارته عذاباً ، ولا يخاف عقباها ؟ وكيف يهون له احتقاب كل موبقة . أن يؤتى إلى اللغة العربية ... فيجز شعرها ، ويخدش ذلك الخد الأسيل ... ويخمش ذلك الوجه الجميل ويفحم ! وتصبح (ابنة عوف) مضرب المثل فى القبح ، وهى المثل المضروب فى الحسن والجمال !! ... » .

أرأيت كيف كان أبو عبيـدة (طيب الله ثراه) يغضب للعربية وأهلها . فلا تأخذه فى سبيلها لومة لائم ، ولا يبالى أن يخاصم القريب والبعيـد مادام قد انحرف عن الجادة ، وجانب السراط السوى . وإذا كان المرء يناضل فى ميدان واحد لا يعدوه ، فقد كان هو يناضل (فى آن واحد) فى ميادين شتى . ومن ذلك أن يتصدى (موجهاً أو مجيباً أو معترضاً أو متحدياً) فى أقطار مختلفة ، وفى صحف متعددة ، وقد تنكر خـلال ذلك فى أزياء ، وادرع لـكل ميدان بلبوس . فهو « أزهرى المنصورة » حيناً ، وهو « السهمى » حينـاً آخر . ثم هو إن بالغ فى التواضع (والتواضع خلة لا تعدوه) أرسل ما يكتبه غفلاً من أية سمة ، فيشاركه صاحب المجلة نكتمه معرفاً كلامه الذى ينم عليه بقوله : « لأستاذ جليل » أو بما هو من على شاكلة هذا التعريف . ثم هو جرىء لا يهاب . إذا تعرض لأمر تخشى عواقبه ، نحى حجاز التواضع جانباً ، وتبدى للخصوم باسمه وكنيته ، شـأن البطل المقدام لا يبالى أن يعرفه الخصم استهانة بخطره ، وغلواً فى الحفاظ والنجدة . فليرحمك الله أبا عبيدة ، لقد كنت أمة فى رجـل ، وكنت رجلاً (نسيج وحده) .

ليتك تعلم — يا قارئى الـكريم — مبلغ اعتزاز ذلك الأديب الفذ بكتاب الله ! لطالما أجابنى على كثير مما كنت أسأله عنـه بآيات بينات منه . وهو يردف مفتخراً : « أرأيت أى كنز يحوى بين دفتيه هذا الـكتاب ؟ أو رأيت شبيها له فيما عبر بك من لغات (آشور وسريان وعبران) ؟ هيهات ! ولئن تحريت فما أنت بواجد ! (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) . »

كان رحمه الله كثيراً ما ينظر إلى هذا الـكتاب المظيم نظرة المشفق المحب ولسان حاله يستعيد قوله فيه : « يا أيها الـكتاب المعجز ، لقد هلك من يدرك فصـاحتك ، وبكتنه بلاغتك ، ويقدرك قدرك ، ويعطيك من خدمتك حقك . لقد هلك من كنت تتلو عليهم آياتك فيدهشون ، ويخرون سجداً وبكياً . وهـل يعرف بلاغتك المرفة البليغة ، إلا عربى قح صليب ، لم تشن ملـكته العربية من العجمة شائنة ، ولم تؤذ أذنه كلة قلقة واهنة !! فـقياً لمثل هذا سقياً ، وتعساً ونكساً وترباً وجندلاً

---

(1) الثلة الأولى : الجماعة من الناس . والثلة (الثانية) القطيع من الغنم . وهذا من كلام النشاشيبى .

لن يبقى أن نضل ، فنستحب اللغة المرذولة ، على لغتك البارعة المذبة المضرية ... » .

ولن أنسى يوماً قدمت فيه إليه ، فأقبل على يحدثنى بقلبه ولسانه عن دنيا العروبة والإسلام . وينطلق شأن المؤمن المتفائل ، يؤكد لى انحدار هذه المعجمة فى يوم (قرب ابانه) ، وانطلاق لغة الضاد من عقالها لتنهض بأعباء الإنسانية ، وتؤدى رسالة الحضارة . وما فتئ يكرر بين حين وحين : (ولم لا يكون ذلك واللغة هى اللغة ، والآباءهم الآباء ، والابن مهما كان جاحداً عقوقاً فلا بد أن تجذبه أصالة المحتد وكرم النجار ...) ويحين موعد انصرافى فأستشيره فى فقرات من قوله أعرضها نمطاً من أسلوبه وأنا أتحدث عنه فى طليعة الأدباء أثناء بحثى عن (الأدب فى فلسطين) فى المجلة الحبيبة إلى قلبه (الرسالة الزاهرة) ، فلا يكون منه إلا أن يتناول كتاباً يضع سبابته على سطر فيه وهو يقول : (أكتب من هنا ، ولن تنطقنى بقول تنتزعه من سويداء نفسى ، وتستخلصه من قرارة يقينى إلا أن يكون هذا !!) . ثم أجدنى أقرأ (هناك) كلاماً لا يختلف عما كنت أسمعه منذ هنيهة إلا بالفاظه ، وجملت أعجب حين رأيتنى حيال كلام قاله عام (١٩٢٧) جاء فيه :

« اللغة هى الأمة ، والأمة هى اللغة . وضعف الأولى ضعف الثانية ، وهلاك الثانية هلاك الأولى ... واللغة ميراث أورثه الآباء والأبناء ، وأحزم الوارث صائن ما ورث ، وأسفههم فى الدنيا مضيع . وإنا أمم اللسان الضادى لعرب ، وإن لغتنا هى العربية ، وهى الأرث الذى ورثناه . وإنا لحقيقون — والآباء هم الآباء ، واللغة هى اللغة — بأن نبق عربية الجنس ، وعربية اللغة .

ولو كان الموروثون صغاراً ، ولو كان الميراث حقيراً لوجب علينا إكبارهم وأعظامه ، فكيف والتاريخ يقول : إن الآباء كانوا كراماً ، وإن الآباء كانوا عظاماً ... والزمان يقول : إن العربية خير ما صنعت يداى . (وأن الدهر لصنع) ، وأنها لخير طرفة أطرفها الناس ، والزمان بالخير وإن جاد شحيح . فالعربية الصنع العبقرى للدهر ، والعربية الدرة اليتيمة ، أو كنز الزمان ، ضن به ثم سخا ... » .

يا أخى القارئ : هـذه عبرة ناطقة ، أذرفها بين يديك فى ذكرى هذا النابغة العبقرى فإن أنت عرفته من آثاره ولم تره ، فليس الخبر كالخبر ! وإن كان خبره جديداً عليك (وما أخاله يكون) ، فاعلم أننا فى فقده حيال مجاهد كان سيفه القلم ، وميدانه القراطيس ، وجلاده عنيف قاصم ، لا هوادة فيه مع أخصامه ، (وأخصامه أخصام العربية) :

ولطالما حاز النصر باهراً ، والظفر مؤزراً . فرفع من شأن هـذه اللغة الكريمة ، ما أعلى منارها ومهل من عسيرها حتى حببها إلى غلاف القلوب . وفى سبيلها لم يجاوز ميداناً إلا صال فيه ولا خصماً إلا ثبت فى وجهه ثبات (أحد) و (أبى قبيس)

وأخيراً ، أثخنته جراحات الدهر ، فسكن الفؤاد النابض بحب العربية وأهلها ، وصمت اللسان الذليق ، وما كان ليصمت لولا أن أصمته الدهر ...

فى رحمة الله أبا عبيدة .

محمد سليم الرشدان
ماجستير فى الآداب واللغات السامية

شعراء معاصرون :

العاطفة الدينية في شعر محرم

للشيخ محمد رجب البيومى

(بقية ما نشر في العدد ٨١٨)

— ٣ —

أما شعر محرم الاجتماعى فقد كان مضمخاً بعبير عاطر من التوجيه الدينى والإرشاد الخلقى ، فقد نظر الشاعر نظرات صائبة إلى الأوبئة الخلقية التى تفتك بالأمم الشرقية فتحصد المروءة ، وتطيح بالشرف ، حيث انسابت الأفاعى البشرية فى ظلام الاحتلال تنفث سمومها فى الأجسام الصحيحة ، فإذا الإنسان الطاهر العف يتحول مارداً فاجراً يعب الخمر فى نهم ، ويريق الدم المصون فى تهتك ، ويلطخ وجهه بآثام فاحشة يندى لها الجبين ، وقد قام محرم بدور الطبيب الحكيم ، ففحص الداء فحصاً دقيقاً ثم أخذ يشخص الدواء الناجع ، وكان القرآن الكريم قبلته ووجهته ، فنادى بالرجوع إلى آدابه ، وشهر بمن يجترحون السيئات ويقترفون الفواحش ، وقد اتخذ من الجرائم الخلقية التى يرتكبها الإباحيون ، وتنشرها الجرائد اليومية مادة دسمة لإنتاجه . وفى الجزء الأول من ديوانه أقاصيص شعرية تجلى هذه الفضائح ، وقد أحاطها الشاعر بسياج من النصح الأدبى ، والتوجيه الخلقى . وأنك لتلمس لهفة محرم وأسفه حين يتحدث عن شرذمة غاوية ائتلفت على البغى فهوت إلى حمأة الرذيلة تلغ فى أرجاسها الشائنة غافلة عن عتاب الله نابذة وراءها عهود محمد وزواجر التنزيل فهو يقول :

أسيت لمسرفين أعان كلا ... على إدمان لذته أبوه
إذا ما عاقر الفحشاء منهم ... أخو النشوات غناه أخوه
لهم فتكات أطلس ما يوارى ... دم الهلاك مخلبه وفوه
عليهم من خزاياهم سمات ... وما أنفوا الفجار فيجحدوه
إذا ما عن فى الظلماء صيد ... تداعوا حوله فتصيدوه
تردى بينهم فتعاوروه ... إلى أن قال قائلهم دعوه
ففا السمار وادلجوا إليه ... وأكبر همهم أن يبلغوه
أيأمرهم بتقوى الله قوم ... وما عرفوا الآله فيتقوه
شباب العار ما تركوا رجاء ... لنا فى مصر إلا خيبوه
أناس ربعت الغبراء منهم ... وضج العرش مما أحدثوه
أتى التنزيل بالمثلات تترى ... وبالحق المبين فكذبوه
فوا أسفى لعهد الله فيهم ... وعهد محمد إذ ضيعوه !!

وفى ديوان الشاعر من هذا الطراز جذوات مشبوبة تتقد باللوعة فليتها وجدت من يسمع أو يجيب !!

ومع أن محرما قد نادى فى صيحاته الاجتماعية بضرورة التعليم كدعامة راسخة يرتكز عليها بناء النهضة ، فقد وجد من الناس من ظن به رغبة عن تعليم الفتاة والنهوض بها إلى ذروة الرقى ، رغم ما امتلأ به ديوانه — فى الجزء الثانى خاصة — من حث على ثقافة المرأة وإيضاح لمركزها الدقيق الذى تحتله فى المجتمع . ولعل هذا الظن الخاطئ قد أتى من مهاجمة الشاعر لدعوة التحرير التى رفع لواءها قاسم أمين ، ونحن إذا نظرنا لهذه الدعوة نجد صاحبها يحث على تعليم المرأة وتهذيبها عن طريق السفور والتملل من الحجاب ! والشاعر وإن كان من المنادين بضرورة تثقيف الفتاة لا يوافق على السفور مها تكاثرت المبررات ، فاندفع إلى مهاجمة قاسم متأثراً بعاطفته الدينية التى تحرم التبرج تحريماً قاطعاً ، وما كان له أن يحيد عن ذلك وهو يضع كتاب الله نصب عينه . ولعله كان ينظر من وراء الغيب إلى ما سيجره السفور من فتن فشدد عليه النكير . فمحرم إذن يكتفى بضرورة تعليم الفتاة دون ما عداه ، فليس لها أن ترتع فى الأسواق ، وتزاحم الرجال فيما لم تهيأ له من الأعمال ، واستمع حجته فى ذلك إذ يقول :

همنا ربات الحجال نريدها ... أقاطيع ترعى العيش وهى سوائم
وإن امرأ يلقى بليل نعاجه ... إلى حيث تستن الذئاب لظالم
وكل حياة تثلم العرض سبة ... ولا كحياة جللتها المآثم
أتأبى الثنايا الغر والطرر العلا ... بما عجزت عنه اللحى والعمائم
فلا ارتفعت سفن الجواء بصاعد ... إذا حلقت فوق النسور الحائم
سلام على الأخلاق فى الشرق كله ... إذا ما استبيحت فى الخدور الكرائم

أقاسم لا تقذف بنفسك تبتغى | لقومك والإسلام ما الله عالم
ولولا اللواتى أنت تبكى مصابها | لما قام للأخلاق فى مصر قائم
نبذت إلينا بالكتاب كأنما | صحائفه مما حملن ملاحمُ
أحاطت بنا الأسد المغيرة جهرة | ودبت إلينا فى الظلام الأراقم
ألا إن بالإسلام داء مخامرا | وإن كتاب الله للداء حاسم

ولنقرن هذه الصيحة الناقة على دعاة السفور بأحدى صيحات محرم فى ضرورة تعليم الفتاة ، لنعلم أن الشاعر لم يحارب تعليم المرأة فى يوم من الأيام ، وإنما احتاط لدينه ومروءته ، وتمسك بكتاب ربه وهدى نبيه . وحسب الإسلام منه أن يذود عن مبادئه فى قوة ، ويتمسك بحدوده في إيمان ، قال محرم :

ما أبعد الخير والمعروف عن أمم | تعيش فوضى وترضى بالحياة سدى
وجاهل ظن أن العلم مفسدة | للبنت فانتقص التعليم وانتقدا
مهلا فرب فتاة أهلكت أسرا | بجهلها وعجوز أفسدت بلدا
الأم للشعب إما رحمة وهدى | أو نكبة ما لها من دافع أبدا
لا يذهب الشعب فى أخلاقه صببا | والأم تذهب فى أخلاقه صعدا
لا تيأسوا وأعدوا الأم صالحة | فهى السبيل إلى إصلاح ما فسدا

على أن الشاعر لم يهاجم قاسما وحده ، بل كان يهاجم من المسلمين من يرى منه نزوعا عن الشريعة ، وكان يتأدب فى هجومه بتوجيه الإسلام ، ويسترشد بتعاليمه ، فلا يميل إلى الإسفاف والمهاترة ، أو يعمد إلى التشهير والتنديد ، بل إن قصائده فى أعداء الإسلام « كهانوتو وكرومر » كانت تخضع إلى المنطق المعتدل وتتحاشى ما ينفر منه الأدب والذوق . ولله محرم ، فطالما جادل بالتى هى أحسن ، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، مع أن الشعراء يبيحون لأنفسهم من الإقذاع فى الهجو ما ينأى عنه ذو الخلق الكامل والنبل الأصيل !!

— ٤ —

بقى أن نتحدث عن الناحية التاريخية فى شعر محرم ، وهى ناحية هامة شغلت جانبا كبيرا من اهتمامه ، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من إشارة إلى موقف تاريخى طواه الزمن ، تخلده الشاعر ولا جرم فقد كانت ثقافته تاريخية إسلامية ، حيث استوعب ما قدر عليه من الصحائف المجيدة التى تجلو عظمة الفتح الإسلامى وتتحدث عن أبطاله الملهمين ، فكان له من هذا الاستيعاب مادة دسمة أكسبت انتاجه قوة ذاخرة ، وأمدت شعره بأسباب متينة من الروعة والتفوق !! وإذا كان الشاعر قوى الإيمان بعظمة القادة المبرزين من أعلام الإسلام ، فقد فتحت له عاطفته الدينية أبواب القول فصال وجال فى ميدان التاريخ حتى لينفرد وحده بين شعراء العربية بتصوير البطولة الإسلامية تصويراً لا يتعلق بغباره متعلق ، مهما حاول التقليد .

لقد نظر محرم إلى أعظم أبطال الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم فبهرته عظمته الفائقة ، وأخذته روعته الخارقة ، فنظم إلياذة كبيرة تقع فى عدة آلاف من الأبيات المختارة المنتقاة ، يسجل بها تاريخ الرسول الأعظم من ميلاده إلى أن جاءه اليقين . وقد قرأتُ ما وقع لى من شعر الإلياذة فكدت أستظهره فى نهم ، وتأكدت أن بلاغة محمد قد نضحت عليه من بيانها الرائع ، فتطامن له المعنى الجموح ، ووقفت يده على النادر اليتيم من الأساليب ، وقد راعى أحد منازع حديثه ، فهو فى بدر وأحد يجلجل ويهدر حتى ليسمعك الصليل والصهيل ، وقد يعمد إلى القافية الشموس فى موقفه الحماسى . فيخضعها لبيانه المشرق . وللقارىء أن يطالع قصيدته الفائية فى فتح مكة فهى وحدها الحجة والدليل .

وكنت أقع فى دهشة عجيبة حين أجد الشاعر يتكلم فى الموضوع الواحد مرات متعددة ، وهو فى كل فريدة من فرائده يطالعك بمعان لم يجش بها خاطره قبل ذلك ، وقد فرض على نفسه أن يحيى رسول الله فى كل عام بقصيدتين فى مناسبتى الهجرة الشريفة والمولد السعيد . أضف إلى ذلك ما يعرض من المواسم الأخرى كذكرى غزوة بدر ، وذكرى الفتح ! ثم هو بعد هذا كله يشعر بأنه لم يقل شيئاً بجانب ما يليق بعظمة محمد فيقول فى مخاطبته :

ما فى النوابغ من لبيب حاذق | إلا وأنت ألب منه وأحذق
والقول مستلب المحاسن عاطل | حتى يقول العبقرى المفلق
أنت المجال الرحب تمتصر القوى | فيه وتمتحن الجياد السبق
حسان منبهر وكعب عاجز | والنابغ الجعدى عان موثق
أطمعتهم فتجاوزوا فيك المدى | وأبيت فانصرفوا وكل مخفق
لى عذرهم ما أنت من عدة المنى | إلا وراء مخيلة ما تصدق

والحق أنه — رحمه الله — كان يجد فى الذكريات الدينية ظلاً وارفاً يتفيأه فى هجير الحياة ، فهى تتيح له الموازنة بين الحاضر والماضى مما تكلمنا عنه قبل ذلك ، كما تمكنه من إسداء النصائح الصادقة لأبناء الدعوة المحمدية فى مختلف البقاع

إلى الخير ...

للاستاذ ثروت أباظه

... نعم يا سيدى ، لقد رأيتنى أهيم فى الحوالك من الظلمات ، شارداً أضرب فى الحياة وتضرب بى ولا نصير ... أقطع الطريق أو أقف دونه لا يشجعنى على السير صديق أو يحثنى دون الوقوف رفيق ، وأنا مع الحياة لا أبالى أيان يلقى بى موجها ، فكل أفق لى قِبلة ، فليس لى فى أى أفق من الآفاق أمل مرتقب ، وحولى الناس كلهم لاهٍ عن غيره إلى نفسه ، فلهوت عنهم ؛ ولم يكن لى نفس لأتوب إليها أو أطمح بها ، فكنت أشرئب إلى السماء مرات خمسا بين الصباحين فأسأله فى عليائه أن يفسح بينى وبين أحد عباده على الأرض طريقاً ... فإذا طال بى السؤال دون الإجابة ابتهلت إليه أن يضمنى إلى سمائه أرى الرحمة الكبرى من ورائها تاف التقى فى سبيها والعاصيا .

ولم يكن بى عصيان لأوامره ، غير أننى أحسست على الناس النقمة ، وكرهت أن أرى السعيد منهم ، فانصرفت إلى دار الكتب حيث يباح التثقيف بغير أجر ، فظلت أقرأ وأقرأ ، وكنت كلما ازددت قراءة قلت فى نفسى : لو لم تكن هذه الكتب من عمل الإنسان لكانت أعظم مما هى عليه ... وكنت أعجب كيف يستطيع الإنسان الكنود أن يخرج مثل هذا الصفاء ... كتاب لا يَملك ، فإذا مللته أنت لم يغضب ، بل يقيم أيان تضعه منتظراً منك المودة ؛ فإذا عدت لاقاك مفتوح الصدر ، صريح العبارة ، لايخفى عنك شيئاً ؛ وإذا قصر يوما عن ابلاغك مرادك اعتذر إليك وقدم زميلا له يشرح ما غمض فيه .. هكذا يا سيدى عرفت صديقاً على الأرض ، وهكذا كنت أفكر فى شأنه ، فما خاننى ولا خنته ، بل زادنى تجربة وعلما ... وهكذا يا سيدى خلت أن الله قد أجاب به الدعاء وحقق لى الأمل فرحت أكتب إلى الجرائد أستمين بما ترسله من مال زهيد على مأكل يأبى الوصول إلىّ ، أو مسكن ينفر — على رثاثته — أن يضمنى بين حشراته . أما الناس يا سيدى فقد يئست من وجودهم منذ أزمان بعيدة .

وتلك رسالة الشاعر العامل ، إذ يحمل بيده المشعل المضىء فينير السبيل .

وكنت أود أن أتكلم عن الإلياذة كوحدة مستقلة فأعرض لها ببعض التحليل والتشريح ، ولكن القدر قد كتب لها أن تظل فى مهملات وزارة المعارف مجفوة منسية فى عصر مجحف ظالم رسبت الدرر الغالية فى قاعة ، وطفت الجيف النتنة فوق سطحه ، فطبعت دواوين المتشاعرين من المتافين والمصفقين ، وأهملت ملاحم النوابغ الملهمين . ولولا ما قرأته فى المجلات الأدبية والعلمية كالرسالة والثقافة والأزهر من قصائد متناثرة تنتمى إلى إلياذة محرم لظننها خرافة مختلق مريب !!.

وإذا تعدينا تاريخ محمد إلى غيره من المرسلين فإننا نجد محرماً قد اندفع أيضاً وراء عاطفته الدينية فنظم فى قصص الأنبياء معلقة طويلة ألقاها فى موسم الشعر وقد ابتدأها بقصة آدم وحواء ، وخروجهما من الجنة ، ثم دلف إلى الأنبياء الذين ذكرهم القرآن فروى قصصهم الماضية مبينا جهود كل نبى فى دعوته ، وما قابله به قومه من العناد والاستخفاف ، ثم ما كان فى النهاية من ظهور الحق وخذلان الباطل ، وإن كان هناك فرق شاسع بين حديث الشاعر عن الأنبياء فى ملحمته الجيدة ، وحديثه عن محمد فى إلياذته العامرة ، حيث كان فى الأولى مؤرخا يسجل الحوادث كما حكاها القرآن ، وتناقلها الرواة والمفسرون دون أن تقوم شاعريته بتوليد بارع أو ابتكار رائع ؛ ولكنه فى الإلياذة قد جمع بين التاريخ والفن ، فهو يبدع فى الفكرة والعرض معا كما يرسم صورة للزمان والمكان . وقد يهتم بالجزئيات الصغيرة فيصوغها فى لباقة تحمد للناثر المترسل فما ظنك بالمقيد بقافية ووزن !! ذلك توفيق كبير .

رحم الله محرما فقد أسدى إلى العروبة والإسلام يداً بيضاء لم يسلفها شاعر عربى قبله ، ومع ذلك فقد عاش حياته الطويلة فى دمنهور كادحاً متعباً لا يجد الناشر الذى يظهر له ديوانه الرائع فى ثوب لائق بمركزه المرموق ، ثم وافاه الأجل المحتوم فسكت الأدباء عنه فى قسوة ، غافلين عن أدبه الحى وفنه الرفيع ، وكأنى به فى حنادس القبر يردد متأوهاً نائحاً بيته الحزين .

ظمئت وفى فمى الأدب المصفى وضمت وفى يدى الكنز الثمين

(جزيرة الروضة) **محمد رجب البيومى**

ولم يكن اليأس مريحاً – كما يقولون – فقد ضنيت به رغم صداقة صاحبي، الكتاب .. كذلك ياسيدي كنت حين شاء لك ذوقك الأدبي الرفيع أن تختارني لأعمل لديك على سبيل الدوام فقصدت إليك يائساً من الصداقة والشهرة، آملا فى الكسب، ولاقيتني يا سيدي فأحببت فى خلقاً وسلوكاً، وأحببت فيك كل ما فيك، ولم أجرؤ أن أبين عن هذا الحب خشية أن يتمادى بي ثم تنقطع بيننا الأسباب... خشيت على نفسي ياسيدي، ولكن خلقا فيك كريما أبى إلا أن يشجعني فأحببتك وأحببت الناس فيك ولك .. ووجدت نفسي قد خلقت خلقاً آخر، فلا حقد ولا يأس ولا قنوط؛ ومازالت بي ياسيدي تمد لى من عطفك فأمد لك من حبي حتى وجدتني أقول لك من غير داع « إنه لوجاء يوم أغبر قطعني عنك فإنني والله لن تقوم لى قائمة بعده » ... ولست أنساك يومئذ يا سيدي وأنت تضحك لى فى حب كبير ... « إنها أوهام ... طالما يتخيل الإنسان أموراً ثم يجسمها فلا تلبث أن يذيبها مرور الأيام » وقلت لك يا سيدي: « إنه لن يكون هناك أيام لتذيبها فسوف أذوب أنا قبل أن تمر هاته الأيام » هكذا يا سيدي بلغ بى الحب فعشت أرصد حياتي لك ولخدمتك حتى نلت لديك ما نلت. وكنت أنت حياتي بعد أن تقطعت بى أسباب الحياة.

وهأنت ذا يا سيدي اليوم تقصيني عن موارد حبك فأخرج إلى الكتاب مرة أخرى وألاقيه فيلاقيني مفتوح الذراعين حانيا، وكنت أقسمت يا سيدي وأنا أعمل بجريدتك ألا أكتب فى غيرها أبداً؛ ومازلت يا سيدي باراً بهذا القسم؛ بيد أنني تذكرت اليوم فقط أمراً لم يخطر لى ببال، تذكرت يا سيدي أنك مرهف الحس، دقيق الشعور، وخشيت ياسيدي إذا أنا حطمت حياتي أن تشعر بما جنيته على، ولا أريدك يا سيدي أن ترجع إلى وأنا حطام لتعينني على حياة أكرهها مادمت أنت بعيداً عنها. فقلت فى نفسي: لأعمل حتى لا يشعر بما جناه، وحتى يطمئن إلى أنني مازلت أقاوم الحياة. وإنني يا سيدي حتى اليوم كلما سألني سائل عن سبب القطيعة خلقت فى نفسي عيوبا لا أظنها تجرؤ أن تنتسب إلى وأنا من أحببته أنت حينا من الدهر، ولكنني كنت أجور على نفسي حتى لا يجور القوم عليك ... فأنا ما زلت أحبك شأني دائما، أما ما قام بنفسك من شك فى وفى حبي لك فأنت وحدك الذى ستمحوه حين تستبين حقيقة نفسي مادمت لم تستبينها حتى اليوم، وما دمت يا سيدي تعتقد – رغم كل ما أبنت لك – أنني كنت أداهنك وأداجيك. ولعمري أى فائدة تعود على من المداهنة والمداجاة وأنا لم أطلب منك يوما مطلبا لنفسي ؟.. أى فائدة وقد أغريت لتركك بالمال فكنت أسب كل من يجرؤ على هذا. أى فائدة !.. اللهم إلا إذا كنت تظنني أمثل لمجرد التمثيل؛ وحينئذ يا سيدي اسمح لى أن أرى فى هذا التفكير انحطاطا عما عرفته فيك من ذكاء لماح ... ولكن دعني يا سيدي أقل الحقيقة ... إنك عجبت أن يكون فى العالم إخلاص كإخلاصي، واستبعدت أن يحب شخص شخصا مثلما أحببتك، وخشيت أن أكون كاذبا فقلت فى ضميرك: لأرح نفسي من عناء البحث والاستقصاء والتحليل، ولأقطع بيني وبينه الصلات قبل أن يفجعني بالخيانة. ولو أنك نظرت إلى ماضي وأنت تعرفه لعلمت أن مكانك من نفسي ليس بالغريب ... لقد كنت يا سيدي بمثابة الواحة التى يجد بها التائه ماء وظلا وعيشا، فهو قائم بها لا يريم ... كنت ياسيدي كذلك فى حياتي وما تزال يا سيدي كذلك ولن تزال.

لعلك تعجب لم أكتب إليك كل هذا الكلام ... كتبت لأبين لك عما ينتفض به حسي، ولأطمئنك على قابلي من الأيام فلا يملكن عليك العطف شعورك، ولتهدأ بالا ولتثق يا سيدي أنني لن أصادق بعدك أحداً حتى لا أفجع فيه مرة أخرى، ولكنني سأعيش، وسأعيش بما أنحته لى من شهرة، فأنا لك أيان تلق بى الأيام رحلها، ولكنني أستحلفك ياسيدي ألا تعامل غيري بمثل ما عاملتني ... على أنه لن يتاح لك أن تفعل، فإن أحداً لن يحبك أو يخلص لك كما أحببتك وأخلصت لك ... لأن أحداً لم يلق فى حياته إجدابا كما لاقيت. والسلام عليك ورحمة الله.

قرأ صاحبي الخطاب وأنا أتابعه مأخوذاً بأسلوبه المترسل عاجباً من إخلاصه المسكين؛ وما انتهى الصديق من القراءة حتى صحوت إليه أقول:

– فمن الكاتب ؟

– لقد عرفت شخصيته وما أظنك بحاجة إلى معرفة اسمه.

– ولم أقصيته عن موارد حبك بعد أن أنحتها له ؟ !

– لقد أجاب هو عن هذا السؤال خير إجابة.

القوة الحربية لمصر والشام

في عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

(تتمة)

واقتضت الضرورات الحربية هدم بعض المدن التي يخشى أن تكون خطراً في يد العدو إذا سقطت في يده ، وقد رأينا أمثلة لذلك في فصل الحروب السياسية .

ومن تلك المدن التي هدمت مدينة تنيس التي أمر الملك الكامل سنة ٦٢٤ بتخريبها ، فخربت وظلت خراباً إلى اليوم [١] ، ومدينة دمياط ، ففي عهد المعز أيبك اتفق المماليك على تخريبها خوفاً من مسير الفرنج إليها مرة أخرى ، فوقع الهدم في أسوارها سنة ٦٤٨ ، وخربت كلها ، ومحيت آثارها ، ولم يبق منها سوى الجامع ، وصار في قبليها أخصاص على النيل ، سكنها ضعاف الناس وسموها المنشية ، وهي أساس مدينة دمياط الحالية . وفي عهد بيبرس أخرج عدة من الحجارين سنة ٦٥٩ لردم فم بحر دمياط حتى لا تستطيع سفن الأعداء دخوله ، فمضوا وألقوا فيه من كبار الحجارة ما ضيقه ، حتى أصبح من المسير دخول مراكب البحر الكبار منه [١] ، ولا يزال على ذلك إلى الآن .

(١) السلوك ج ١ ص ٢٢٤

وإذا كانت الضرورة الحربية قد قضت بهدم بعض المدن ، فقد أنشأت الحرب بعضاً آخر ، كمدينة المنصورة التي أنشأها الملك الكامل سنة ٦١٦ ، بعد أن ملك الفرنج مدينة دمياط ، فإنه نزل بموضع هذه البلدة ، وخيم به ، وبنى قصراً لسكناه ، وأمر من معه من الأمراء والجند بالبناء ، فبنيت هناك عدة دور ، ونصبت الأسواق ، وأدار عليها سوراً مما يلي البحر ، وستره بالآلات الحربية والستائر ، ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط ، وأخذت تنمو من يومئذ حتى صارت مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والأسواق [٢] ، وفي هذه المدينة نزل الصالح أيوب عندما هاجم الفرنج دمياط ، فأصلح سورها وجعل الستائر عليه ، وشرع الجند في تجديد الأبنية هناك [٣] ، وبعد موت الصالح بها ، دارت المعركة التي انهزم فيها الصليبيون هزيمة نكراء.

وأنشأ الصالح أيوب مدينة في أول الرمل للذاهب إلى الشام من مصر ، سميت الصالحية ، وكان ذلك سنة ٦٤٤ [٤] ، وجعل فيها سوقاً جامعة ومسجداً ، وقد أنشأها لتكون مركز العساكر عند خروجهم من الرمل [٥] ، ومنذ ذلك الحين اتخذها الجند مركزاً لهم إذا خرجوا للغزو ، أو عادوا إلى مصر .

* * *

وكان لمصر في ذلك العصر علم يميزها ، كان لونه في عصر الدولة الفاطمية أبيض [٦] ، مكتوباً عليه بلون له أصفر قوله تعالى : نصر من الله وفتح قريب . وتختلف أحجام الأعلام ، إلا أن أكثرها استعمالا كان طوله ذراعين في عرض ذراع ونصف [٧] . وكان إلى جانب هذا العلم الرسمي علمان خاصان بالخليفة ، يعرفان بلواءى الحمد ، وهما رمحان طويلان ، ملبسان

(١) خطط المقريزي ج ١ ص ٣٦١
(٢) خطط المقريزي ج ١ ص ٣٧٣
(٣) المرجع السابق ص ٣٥٥
(٤) هامش النجوم ج ٥ ص ١٥ نقلا عن خطط المقريزي
(٥) السلوك ج ١ ص ٣٣٠
(٦) تاريخ التمدن الإسلامي ج ١ ص ١٥٢ وخطط المقريزي ج ٢ ص ٣١٨
(٧) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٠

— أو ما زال مقصيا !!

— أو تظنني إلى هذا الحد من الجحود ! لقد ذهبت إليه أستغفره فنفر ... إن كل ما أرجو أن يبلغ إخلاصي له مبلغ إخلاصه لي ... أرج الله مني .

— والله إن لم تخلص له فأنت أكبر جحود رأيته ، وأعيذك أن تكون ولن تكون ... فبالله عليك لا تسر به إلا إلى الخير .

— إلى الخير دائماً إن شاء الله ... إلى الخير .

ثروت أباظة

بأنابيب من ذهب إلى حد أسنتهما ، وبأعلاها رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب، ملفوفتان على الرمحين غير منشورتين (١) .

فلما جاء صلاح الدين اتخذ راية ذات لون أصفر (٢) ، وكأن فى ذلك إشارة إلى أن مصر وإن كانت قد عادت إلى أحضان الدولة العباسية — مستقلة ذات كيان خاص بها ، ولست أدرى إن كان هذا اللون الأصفر لون أعلام نور الدين أو هو لون انفرد به صلاح الدين ، لأننا نجهل لون راية نور الدين ، ولعلها كانت سوداء كرايات العباسيين .

ولا نعلم بوجه التحقيق السر فى اختيار صلاح الدين هذا اللون . أما سر اختيار الفاطميين للون الأبيض ، فهو مخالفتهم المخالفة التامة للعباسيين ، الذين اختاروا اللون الأسود شعارا لهم فعلى الضد منهم اختار الفاطميون لون أعلامهم .

وظل العلم الأصفر علم الأيوبيين والمماليك لمن بعدهم ، وكان من الرايات عندهم عدة أنواع : فنها راية عظيمة من حرير أصفر ، مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه ، وتسمى العصابة ، وراية عظيمة فى رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش ، ورايات صفر صغار تسمى السناجق (٣) ، وصار للمتولى أمر الأعلام السلطانية فى عهد المماليك وظيفة أمير علم ، أما العلم دار فهو لقب الذى يحمل العلم مع السلطان فى المواكب (٤) .

* * *

ولم أعرف زى الجند فى العصر الفاطمى سوى أنهم كانوا يلبسون السراويل والبرانس (٥) أما بعد ذلك فقد أدخل سلاطين الأيوبيين لبس الكلوتة بمصر Calotte ، فكانوا يلبسون الكلوتات الجوخ الصفر على رءوسهم بغير عمائم ، وذوائب شعورهم مرخاة تحتها ، وكذلك كان يفعل أمراؤهم وجندهم ومماليكهم . ولم يزل السلاطين والجند يلبسون الكلوتات الصفراء بلا عمامة إلى عصر المنصور قلاوون فإنه أضاف لبس الشاش على الكلوتة ، وقد صارت تصنع من الصوف الملطى الأحمر ، وفى عهد ابنه الأشرف خليل رسم لجميع الأمراء أن يركبوا بين مماليكهم بالكلوتات الزركشة ، حتى يميز الأمير بلبسه عن غيره ، وتركت الكلوتات الجوخ الصفر لمن دونهم . على أنها ظلت تلبس فوق ذوائب الشعر المرخاة ، على ما كان عليه الأمر أولا . وفى عهد الناصر محمد بن قلاوون استجد العمائم الناصرية وهى صغار ، وحلق رأسه ، وحلق الأمراء رءوسهم ، وتركت ذوائب الشعر .

وفى عهد المماليك كان الجند يشدون أوساطهم ببنود من قطن بعلبكى مصبوغ ، وعليهم أقبية بيضاء أو مشجرة حمراء أو زرقاء ، وهى ضيقة الأكمام ، وفوق القباء كران بحلق وأبزيم وصولق ، والصولق جراب أو كيس من جلد ، وفيه منديل طوله ثلاثة أذرع ، فلما جاء قلاوون صاروا يلبسون الأقبية التترية ، وفوقها القباء الأسلامى ، وعليه تشد المنطقة والسيف . ويتميز الأمراء والمقدمون وأعيان الجند بلبس أقبية فوق ذلك قصيرة الأكمام (١) .

* * *

وكان العادة فى الأسرى أن ينزلوا فى معسكر خاص بهم ، تضاف الرجال إلى من فيه من الأسرى ويمضى بالنساء والأطفال إلى القصر الملكى بعد أن يعطى الوزير طائفة منهم ويفرق ما بقى من النساء على الجهات والأقارب فيستخدمونهن ويربونهن حتى يتقن الصناعات ، ويدفع الصغار من الأسرى إلى الأستاذين فيربونهم ويتعلمون الكتابة والرماية ، ويقال لهم « الترابى » وفيهم من صار أميراً من صبيان خاص الخليفة ومن كان يستراب به من الأسرى ضربت عنقه ، ولم يعرف قط فى الدولة الفاطمية أنها فادت أسيراً من الفرنج بمال ولا بأسير مثله (٢) ، أما فى الدولة الأيوبية فكانت المفاداة تحدث من الجانبين .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦٩
(٢) الروضتين ج ٢ ص ١١٦
(٣) صبح الأعشى ج ٤ ص ٨
(٤) المرجع السابق ج ٥ ص ٤٥٦ و ٤٦٣ .
(٥) نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين ص ١٧٨

(١) خطط المقريزى ج ٣ ص ١٦٠ و ٣٥٢ وهامش السلوك ج ١ ص ٤٩٣
(٢) خطط المقريزى ج ٣ ص ٣١٤ .

موكب الأبطــــال

للأستاذ على محمود طه

(هذا هو النص الكامل لقصيدة الأستاذ الشاعر التى يحيى فيها أبطال الفلوجة بعد أن استلهم موكبهم الظافر بعض المعانى والخواطر)

أقدم فداك حديدها ولهيبها   واغنم مجادتها فأنت ربيبها

مجدُ الفتوح الغرِّ أنت وريثه   والحربُ أنت على المدى موهوبها

ما الحرب إلا ما شرعتَ، وما رأت   أممٌ تذود عن الحقوق شعوبها

نادت فهبَّ على الدماء ضريجها   يمشى، ويقتحم السعير خضيبها

شرفُ المحارب أن يعف سلاحُه   إن جارت الهيجاء وهو حريبها

ليجير شــــعباً أو يحرر أمةً   لا تستباح ولا يضام نجيبها

النصرُ أن تلق الطغاةَ بضربة   شمواء لم يُصبِ الطغاةَ ضريبها

نخذ العدو المستخفَّ بطعنـة   إن لم تمته، غدا تمِـته ندوبها

والمجدُ أن تحمى وراءك قريةً   ضاعت مسالكها وضاق رحيبها

جُن الحديدُ بأرضها وسمائها   فجرى وطار، تصيبه ويُصيبها

شدت يدُ الفولاذ حول نطاقها   حلقاً تصيح النارُ: كيف أذيبها؟!

بالروح والإيمان أنت قهرتها   بأساً، فلان على يديك صليبها

حتى إذا أعيا العدوَّ جلادُها   ووهتْ جحافله وطاش وثوبها

عضتْ على كفّيه، والتفّت على   ساقيه، وانسدت عليه دروبها

ومشت له منها ضراغمُ غابة   كلٌّ الردى أخلابها ونيوبها

قذفت به عنها، وغودر جيشه   بَدداً تعقَّبُه الحتوف وحُوبها

جثثاً تعاف البيدُ شربَ دمائها   ويعفُّ كاسرها ويأنف ذيبها

شرفاً كماةَ النيل أىُّ بطولة   راع الكماةَ فنونها وضروبها

ومواقف لكمو تُشيد بذكرها   دولٌ وراء النار قام رقيبها

وملاحمُ الأبطال فى «فلوجة»   قصص الكفاح غريبها وعجيبها

«هومير» ما غنى بها «طروادة»   وكمثلها ما ألهمته حروبها !

ضربوا الحصارَ على الكماةِ فجاءهم   فطن الشجاعةِ فى الحروب أريبها

متمرِّسٌ بطباعها متفرِّسٌ   فى روعها، يَقظ الخطى مرهوبها

فادٍ أحمُّ كأنما احترقت به   حربٌ من الميلاد كان نشوبها

فما وشبَّ، عليه من يحمومها   أدمٌ زهاهُ من السِّمات مهيبها

طلعت به إفريقيا وتطلّعتْ   آجامُها وجبالها وسهوبها

يزرى بما نصب الدُّهاةُ لصيده   ويضلُّ أشراكَ الردى ويخيبها

ما زال مصطرعاً يصول ودونه   بيداء يغشاها اللظى ويجوبها

ساق الطغاةُ لها فرائسَ فتنة   حمراء ينفخ فى الجحيم ربوبها

عرضت مآتمها بهم وتقدّمت   أمم تمور على الرمال ذنوبُها

حتى رأته كوى السماء ففتحتْ   وتلألأت بسنى السلام ثقوبها

ومشى الكمىُّ أشمَّ بين رجاله   أبطـال حرب لا يقر سليبها

لن يُستذلَّ ثرىً عليه دماؤهم   سالتْ. لقد روَّى الحياة صبيبها

يا أيها الأبطالُ مصرُ إليكمو   بالنار يَستبقُ الشبيبةَ شيبها

وعقائلٌ خلف الخدور هواتفٌ   كالطير أذّنَ بالصباح هبوبُها

ينثرن بالريحان فوق رؤوسكم   طاقات ورد ليس يذهب طيبها

وهفت غمائمُ فى السماء تُظلّكم   ويرفُّ مُصمَـدُها لكم ومصيبها

وعلى طريق المجد من «فلوجة»   مُهجٌ حوائم، فى التراب وجيبها

شهداؤكم ودُّوا هناك لو أنهم   قدموا بألوية يروع خضيبها

طلعوا بنور الفجر فوق مآذن   تدعو، ورحمنُ السماء يجيبها

هاتوا حديث الحرب كيف تطامنتْ   لكمو مفازُعها وهان عصيبها

فى قرية محصورة كسفينة   فى لجـة هاجت وماج غضوبها

لم تدرِ فيها الريحُ أين قرارها   والشمس أين شروقُها وغروبها

كم حدّثوا عنها وقالوا فى غـدٍ   للقاع تهوى أو يحينُ رسوبها

وبمصر والدنيا عيونُ أحبـةٍ   ألسهدُ والألم الممضُّ حبيبها

ترمى النهار، وتتقى غسق الدّجى   هـذا يُطمئنها وذاك يريبها

إيه حُماةَ الشرق كم بجهادكم   تشدو العصورُ بعيدها وقريبها

هذى الضفافُ وهذه داراتكم   داراتُ شمس لا يحول شيوبها

ترنو لكم وتكاد من أشواقها   تمشى أو كيف حرا كهاودبيبها؟

لم لا أغنيكم قوافٍ التى   غنى بملحمة الحيـاة طروبها

هى من روائعكم ووحى جديدها   منكم، ومنى فى البيان رنينها

بالله إن طُفتم بساحةِ عاهـل   ترعاهُ مصرُ عيونُها وقلوبها

فتقدَّموا تحت اللواء وقرِّبوا   هذى السيوف الداميات غروبها

أحيت له ولمصر أىَّ مجادة   هى زُخرُهُ المأثورُ وهو وهوبها

هيهات تُنبتُ تربةٌ غيرَ العلى   ما دام يُسقى بالدماء خصيبها

على محمود طه

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

حول العبقرية والحرمان :

أستاذى ... ...

قرأت لكم مقالا تحت عنوان « العبقرية والحرمان » بأحد أعداد الرسالة الزهراء . وكنت ككل كتاباتك ملهماً مبدعاً حتى أننى قرأت المقال مرات ومرات ، واستوقف نظرى بين ثناياه كلمات كتبتها عن « بيرون » الشاعر الإنجليزى العظيم عندما تقول : « إن بيرون فى الأدب الإنجليزى قد أبدع أعظم آثاره الفنية وهو يتقلب فى بحبوحة من العيش لا تتهيأ إلا لمن كان فى مثل مركزه الاجتماعى العظيم » .. وفى الوقت نفسه تحاول السيدة أمينة السعيد فى كتابها عن شاعرنا هـذا ؛ وهو أحد أعداد سلسلة « اقرأ » أن تنقض هذا الرأى وأن تقول إن التاريخ الأدبى لم يخلد « بيرون » وأشعاره إلا يوم أن كان يعيش تحت ظلال الحرمان ! وإليك هذه السطور التى كتبتها عنه : « كانت طبيعة بيرون الحقة إذا حزن وتألم فاض بالشعر قلمه فى سهولة وقوة وعذوبة ، وإذا سعد وهدأت ثورته هدأ الوحى بهدوء نفسه وضعف بضعف ثورته ، وظل على هـذا الحال طوال حياته ، فسجلت أيام الشقاء أروع قصائده وأكثرها خلوداً » . إلى هنا ينتهى رأى الكاتبة الأديبة . وهو رأى يحتاج إلى التأمل العميق والحكم بأى الرأيين أصوب ... إننا نقدس حرية قلمك ونزاهته ، ونأمل أن يكون الرد على صفحات الرسالة .

عبد العال حسن اسماعيل
(معهد فؤاد الأول بأسيوط)

أشكر للأديب الفاضل كريم التقدير وأدب الخطاب ، وأسجل إعجابى بهؤلاء الشباب المخلصين للأدب والفن من طلاب الأزهر فى هذه الأيام ؛ وإنها لظاهرة تبشر بالخير فى مجال خلق جيل جديد يقرأ ويناقش وينهل من ينابيع المعرفة فى شتى فنون الفكر وألوانه ... من حق هذا الجيل الجديد أن أحييه على صفحات « الرسالة » ، لأن الكثرة الغالبة فيما أتلقاه من رسائل ممتازة هى من طلاب الأزهر لا من طلاب الجامعة !

بعد هذا أجيب الأديب الفاضل بأن هذه الكلمات التى جرى بها قلم السيدة أمينة السعيد تنطبق كل الانطباق على طبيعة شاعر مثل هنريك هاينى ، وتبعد كل البعد عن طبيعة شاعر مثل لورد بيرون .. ولقد كنت أرجو أن يكون رأى الأديبة المصرية قائماً على دراسة شعر بيرون مرتبطاً بحياته ومقترناً بطبيعته النفسية والخلقية ، ولو أجهدت نفسها فى هـذه الدراسة لخرجت برأى غير الرأى ونظرة غير النظرة ، ولكن كتابها فى ميزان أدب التراجم لا يعدو أن يكون قصة طريفة تدور حوادثها حول شخصية بيرون ومغامراته ونزواته ورحلاته ! ومعنى هـذا أن الدراسة النقدية لشعره لم تحظ من قلمها بنصيب ، وكذلك الدراسة النفسية فى مجال الكشف عن صلة الفن بالحياة ، هناك حيث تكون النفس الإنسانية أشبه بمرصد يسجل كل ما يتلقاه من هزات القلب والشعور !

شخصية بيرون الأدبية والإنسانية شخصية جلية المعالم واضحة السمات . لقد انحدر من صلب أسرة ورث فيها الشذوذ فى النفس والخلق أبناء عن آباء ، ولكن بيرون خرج إلى الدنيا وفى دمه مزيج من شرور الوراثة ومواهب الفنان ، ولقد خففت هذه من حدة تلك فلم يلق الحياة بالشر المطلق الذى يلغى الإحساس بالألم العارض والهم العابر ووخزات الضمير .. كان جل همه أن ينشد متعة النفس ولذة الجسد ونزوة العاطفة ، لا يعنيه من دنياه غير اللحظة التى يعيش فيها وتعود عليه بكل ما يشتهيه الرجل الجميل المدلل الذى لا يعد عينيه أبداً إلى أمام ! وفى محيط الشر والإثم كان « الفنان » الذى فى دمه يستيقظ من حين إلى حين ، ومن هنا كان بيرون يتألم ولكنه الألم العابر كما قلت ، يطرق بابه ليرتد عنه بعد لحظات أمام جموح الشباب المترف الذى يحطم فى سبيل غايته كل ما تعارف عليه المجتمع من حدود وقيود ! الألم فى حياة بيرون لم يكن ألماً بالمعنى المفهوم عند شاعر مثل هاينى ، ولكنه كان لوناً من السخط على الحياة يزول وينقضى حين تفسح الحياة طريقها للفتى المدلل ليمضى إلى غيه وهواه ! وما أكثر ما تنحت الحياة عن طريقه وهيأت له كل ما يصبو إليه من تحرر وانطلاق ، وفى رحاب هـذا التحرر كانت تنبعث أغانيه ... حلوة ، صافية ، عميقة . لقد خلق بيرون وفى دمه طبيعة بلبل لا يجيد التغريد إلا إذا رأى الجو صحواً والسماء صافية ، فإذا امتلأ الجو بالغيوم وتوارى النور خلف حجب الضباب سمعت منه بعض الغناء ، ولكنه الغناء المختنق ينبعث من أوتار حنجرة

ساخطة ، ثائرة ، تنعى هذا الظلام الذى لا يتيح لها أن تصدح كما تشاء ! من هذه الكلمات الموجزة تستطيع أن تضع يديك على مفتاح هذه الشخصية التى لا غموض فيها ولا تعقيد . . . يقول بيرون : « لقد هببت من نومى ذات صباح فألفيتنى مشهوراً يتردد اسمى على كل لسان » ، قالها بعد أن دفع بديوان شعره الأول إلى أيدى الناشرين فدفعوا باسمه إلى السماء ، وكان ديوانه هذا الذى حقق له أسباب الشهرة والمجد والخلود هو « تشايلدهارولد » ، وإنه فى رأى الفن لخير أعماله الأدبية على الإطلاق ! . . . لقد جادت قريحته الوثابة بهذا الشعر فى لحظات الصفاء ، هناك حيث قضى بيرون فى ربوع الشرق أجمل أيامه وأسعد لياليه : كأس خمر معتقة ، وقلب غادة خفاق ، وذهب يسيل بين يديه ، وزورق يمخر به عباب البحر إلى أثينا وأزمير ومالطة واستانبول ، وهذه هى الحياة .. الحياة التى كانت تفجر الشعر فى أعماقه تفجيراً ، وتهدى إلى عشاق الأدب والفن أروع ألحانه وأعذب أغانيه ، هناك فى « تشايلدهارولد » !

وإذا ما تردى بيرون فى هوة الإثم والفسق والفجور سعدت نزواته وسعد فنه وسعد قراؤه .. إنها لحظات الصفاء بالنسبة لرجل يرى السعادة فى إشباع رغبات الجسد ، ولو تركزت هذه الرغبات الجامحة الشريرة فى شخص « أوجاستا » أخته من أبيه . . ومن هذه النزوة المحرمة فى شرع العرف والسماء يتدفق إبداع بيرون فى « عروس أبيدوس » ، وهى القصة الشعرية التى تصور قصة الهوى الآثم بين « زليخا » وأخيها « سليم » أو قصة الهوى الآثم بين « أوجاستا » و « بيرون » على التحقيق ! صحيح أنه سجل ألمه المنبعث من وخز الضمير على ما اقترف من إثم فى بعض شعره ، ولكن الحقيقة التى بقيت لنا من شعره وحياته تؤكد لدارسيه أنه لم يكن يفرغ من آلامه العابرة حتى يعود إلى لذاته الدائمة ، فيسهب ويبدع هنا ويوجز ويفتر هناك .. يسهب حيث تطول اللذة ويوجز حيث يقصر الألم ، وما الفن إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور .

إن العبقريات كما سبق أن قلت معادن : بعضها يتوهج فى ظلال الترف والنعيم ، وبعضها يتأجج فى رحاب الفاقة والحرمان ، وبعضها يخبو بريقه إذا ما انتقل من حال إلى حال .. ومن البعض الأول كان بيرون ، ومن البعض الثانى كان هاينى ، ومن البعض الثالث كان جوركى ، ولعل فى هذه العجالة مايهدى الأديبة المصرية إلى معالم الطريق !

الى صديقى الفنان المجهول :

رسالتك القوية الروح نقلتنى إلى عالمك .: إن عالمك كما بدا لى من خلال كلماتك ترفرف عليه الإنسانية بجناح من وقدة العاطفة واشتعال الوجدان . لقد ناديتنى بهذه الكلمات العميقة : « أخى فى الفن ، أخى فى النقد ، أخى فى العروبة ، أخى فى الإسلام ، أخى فى سماوات الفن الإنسانى الرفيع » .. وشاء ذوقك المصفى أن تضفى على قلبى المتواضع من الثناء الجم ما لا طاقة لى على ذكره ! لماذا آثرت ألا تذكر لى اسمك ؟ إننى أود أن أعرفك أيها « الإنسان » .. ويسرنى أن تبعث إلى بشىء من إنتاجك لأراك رأى الفكر حين يعز على أن أراك رأى العين !

تسألنى ما هى الأبحاث التى تغلغلت إلى الأعماق وحازت قبولى ، وما القصص الذى قدرته وما التراجم والدواوين والأبحاث النقدية التى أرى فيها ومضاً من فكر ونوراً من حس ، وإدراكا للقيم الحقيقية دون التفات إلى البهرج الزائف والغلاف المصنوع؟

معذرة إذا قلت لك إن هذا السؤال يحتاج إلى شىء من التحديد ، فأنا لا أدرى إذا كنت تريد الجواب عن هذا كله فى نطاق الأدب العربى أم فى نطاق الأدب الغربى أم فى نطاقيهما معاً ! إننى فى انتظار رسالة منك تحدد لى فيها ما تريد الجواب عنه.

ولك ياصديقى المجهول تحية ملؤها الود الخالص والتقدير العميق

لحظات مع ايليا أبى ماضى :

قلت فى عدد مضى من « الرسالة » إن فى شعر المهجر شيئاً يثير إعجابى ، وأوثره بتقديرى ، وأشعر نحوه بتجارب الفكر والعاطفة ... ذلك هو عمق الصلة بين الفن والحياة ! الحياة فى فى شعر المهجر نفس عميق ، وهمس رفيق ، ونبع شعور متدفق . ولعل هذه القصيدة التى صدح بها أبو ماضى فى الحفلة التكريمية التى أقيمت له فى دمشق من خير ما قرأت إشراقة لفظ ، ورحابة أفق ، وأصالة شاعرية ... عنوان القصيدة « عجباً لقومى » ، ومطلعها هذه الأبيات :

حى الشآم مهنداً وكتاباً والغوطة الخضراء والمحرابا
ليست قبابا ما رأيت وإنما عزم تمرد فاستطال قبابا
فالثم بروحك أرضها تلثم عصوراً للعلى سكنت حصى وترابا

هنا وفى كثير من شعر أبى ماضى تلمس الصدق فى الفن كما تلمس الصدق فى الشعور ، وحسب الشاعر المطبوع أن يعبر عن وقع الحياة على وجدانه فيصدق فى التعبير ، وحسبه أن تمر به

التجربة الشعورية فيسجلها فى صدق وأمانة ، وحسب الناقد أن يقنع بمظهر الصدق الشعورى فى تلوين الصورة ، وأن ينشد بعد ذلك مظاهر الصنعة الفنية فى إبراز الإطار ! أرأيت إلى التناسب النادر بين ضخامة اللفظ والمعنى والخيال فى البيت الثانى ، وإلى قوة الوثبات التعبيرية والنقلات الموسيقية فى البيت الثالث ؟ إن الإيقاع هنا يتعاون مع التعبير فإذا الشعور ينساب مع رنين الكلمات ويهتز تجاوباً مع درجات السلم الموسيقى : فالثم بروحك أرضها — تلثم عصوراً للعلى — سكنت حصى وترابا .. إن التوزيع الإيقاعى هنا أشبه بتوزيع الضوء فى يد مهندس فنان !

وانظر إلى هـذا التوزيع الممتاز مرة أخرى حين يخاطب « بردى » بهذه الهمسات :

روح أطل من السماء عشـية   فرأى الجمال هنا لحن فذابا
وصفا وشف فأوشكت ضفاته   تنساب من وجه به منسـابا
بردى ذكرتك للعطاشى فارتووا   وبنى الهوى فترشفوك رضـابا
مرت بك الأدهار لم تخبث ولم تفســد وكم خبث الزمان وطـابا

وإذا ما انتقل أبو ماضى من مناجاة « بردى » إلى مناجاة «شهيد ميسلون» نقلك معه من أفق إلى أفق .. إن صوته الهامس هناك قد بدأ يعلو هنا فى نبرات قوية صاخبة ، وكذلك موسيقاه . إنها لم تعد تلك الأنغام الهادئة الوديعة التى تنطلق من ناى أشبه بناى الرعاة ، ولكنها تستحيل هنا أنغاماً أخرى تهز مسمعيك منها ضربات موسيقية عاصفة ، كتلك التى تطالعك من «صوناتة» لبيتهوفن قبل أن تشرف على الانتهاء :

إنى لأزهى بالفتى وأحبـــه   يهوى الحياة مشقة وصعابا
ويضوع عطراً كلما شد الأسى   بيديه يعرك قلبـــه الوثابا
ويسـيل ماء إن حواه فدفد   وإذا طواه الليـل شع شهابا
وإذا العواصف حجبت وجـه السما
جـــدل العواصف للسما أسـبابا

هنا لون من الغناء .، ولكنه الغناء الحماسى الملتهب الذى يتلاءم وشعر الملاحم ، وهكذا يكون الشعر : همساً فى مواضع الهمس ، وحرقاً فى مواقف الحنين ، وارتفاع نبض وجهرة صوت فى لحظات التوهج والتوثب والانطلاق ! .. وقف طويلا أمام هـذه الصورة الفنية التى اكتملت لها الأبعاد والزوايا فى مجال التسلسل التعبيرى : يضوع عطراً إذا ما عرك قلبه الأسى — يسيل ماء إذا ما حواه فدفد — يشع شهابا إذا ما طواه ليل — يجدل العواصف أسباباً للسماء إذا ما حجبت العواصف وجه السماء ... إن الشاعر هنا لا ينظم فحسب ، ولكنه يشرف من قمة الفن على الحركة النفسية فى شعره ، كما يشرف الجندى البارع من فوق منصته على حركة المرور فى ميدان يموج بالمارين !

بعد هذه المناجاة الحارة لشهيد ميسلون يضرب أبو ماضى بجناحيه القويين فى أفق آخر ، حين يعرض لموقف العرب المتخاذل من القضية الفلسطينية . . . ومعذرة إذا ما اقتصرت على ترديد أبياته فى هذا المجال بينى وبين نفسى لأن قلم الرقيب هناك ! حسبى أن أثبت هنا هذه الصرخات :

دنيـاك يا وطن العروبة غابة   حشـدت عليك أراقماً وذئابا
فالبس لها ماء الحديد مطارفاً   واجعل لسـانك مخلباً أو نابا
لا شرع فى الغابات إلا شرعها   فدع الكلام شـكاية وعتابا
هذى هى الدنيـا التى أحببتها   وسقيت غيرك حبهـا أكوابا

إن وراء هذا الشعر شاعراً جبار الجناحين مكتمل الأداة !

رأى فى ترجمة آلام فرتر :

فى جلسة جمعت بين نفر من أسرة « الرسـالة » وزائرى ندوتها الأدبية ، دار حديث عابر حول الكلمة التى عقبت بها على رأى الأستاذ سلامة موسى فى ترجمة آلام فرتر للشـاعر الألمـانى جيته . . . وكان التعليق الوحيد من الأستاذ صاحب « الرسالة » هو أن مد يده إلى أحد أدراج مكتبه ، ثم أخرج منه رسـالة بعث بها إليه المستشرق الألمانى الدكتور جولياس جرمانوس حول ترجمته العربية لآلام فرتر . وتناولت الرسالة وقرأتها فإذا هى قطعة من التقدير العميق والإعجاب البالغ ، بترجمة يقول عنها الدكتور جرمانوس إنها تستحق منه خالص التهنئة على مطابقتها للأصلين الألمانى والفرنسى ، مطابقة بلغت الغاية فى الأمانة والصدق وبلاغة الأداء !

ولم أجد بداً فى سبيل تحديد القيم ووضع كل شىء فى مكانه ، من أن أطلب إلى الأستاذ الزيات أن يأذن لى بترجمة هذه الرسالة التى فرض عليه التواضع أن تبقى فى مكتبه دون أن يطلع عليها الناس ... وفى العدد المقبل أقدم الترجمة العربية لرأى المستشرق الألمانى فى ترجمة صاحب « الرسالة » لآلام فرتر .

من الأعماق ولوعة الذكرى :

لو علم الأستاذ كامل محمود حبيب أى جراح أثارتها فى نفسى قصته ، لتردد طويلا قبل أن يتفضل مشكوراً باهدائها إلى ... أيها الأديب الصديق ، لماذا بعثت بكلماتك من طوايا حلم دفنته ، أشلاء ماض جريح ؟ إن هذا الماضى الذى تنهد يوماً فى سحيق عظامى ، ستجيبك أطيافه فى العدد المقبل وتناجيك رؤاه !

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأدب والفن في المعرض :

لم يخل المعرض الزراعي الصناعي المقام في الجزيرة ، من روائع الفنون ، وأهمها الرسم والنحت . وأبرز ناحية تجلى فيها الفن بالمعرض « متحف الحضارة » الذي يمثل الحضارة المصرية من العصر الحجري القديم إلى العصر الحديث ، بالتماثيل والنماذج واللوحات والخرائط . وأول ما يطالع القادم على المتحف تمثال كبير للانسان الحجري القديم وقف في مدخل كهفه ، والمنظر رائع من غير شك ، والتمثال موفق التكوين من حيث الدلالة على فكرته ، غير أن باب الكهف الحجري محكم منتظم الشكل مما لا يتفق مع العصر الذي يمثله ، وفي القرى المصرية الآن أبواب أقل منه إحكاماً وانتظاماً ، وما يتصور العقل أن يكون باب الكهف في العصر الحجري القديم أكثر من حجر غير منتظم يسد به المدخل على قدر الإمكان البدائي .

ويشتمل المتحف على حجرات خصص كل منها لتمثيل عصر من العصور ، وقد احتوت على مجسمات ورسوم وأدوات تصور مظاهر الحياة في العصر . وأنت تحتاج إلى نحو ساعة تطالع فيها تلك المعروضات الفنية ، فما تنتهي منها إلا وقد ألممت بالخصائص البارزة في عصور التاريخ بمصر ، من العصور البدائية إلى أن ترى الفاروق يرفع العلم المصري على القلعة ، ويوزع الإقطاعيات على صغار المزارعين ، ويضع الحجر الأساسي لمشروع كهربة خزان أسوان ، ولو تأخر الفراغ من إعداد المتحف قليلا لرأيت به الفاروق يعانق بطل الفالوجة الأميرالاى السيد طه بك في يوم عيد البطولة .

وقد استرعى انتباهي في المتحف ما كتب على كل من المناظر الطبيعية المجسمة وهو « ديوراما (١) » و « ديوراما (٢) » الخ .

والكلمة تدل على المنظر الطبيعي المجسم . ويقول المشرف على المتحف : لم يضع لنا المجمع اللغوي كلمة عربية بدل « ديوراما » والمتحف كله عربي مصري صنعاً ولغة ما عدا (الديوراما) .

وقد انتثرت في المعرض — عدا متحف الحضارة — آثار فنية جميلة ، وخاصة في معرض وزارة المعارف الذي صفت به تماثيل فريق من أعلام النهضة المصرية في شتى النواحي : كعلي مبارك ، وقاسم أمين ، وسعد زغلول ، ومختار المثال وغيرهم . وهناك مكان خصص لمعروضات دار الكتب المصرية التي تتكون من بعض المخطوطات ، وقد وقف جماعة من الطلبة الأزهريين الزائرين إزاء « متن الكافية » يقرؤون بعض عباراته ويتضاحكون ولسان حالهم يقول : هذه الكتب وراءنا وأمامنا !

وفي معرض نقابة الصحفيين رأيت العدد الأول من جريدة « الأهرام » العريقة ، وفي صدره مقال بغير عنوان أوله : « كيفما وجه العاقل أفكاره باحثاً عن حركة العالم الإنساني يرى فروع الحوادث راجعة إلى أصل واحد » فقرأت المقال ومررت مع الكاتب وهو يبحث عن حركة العالم الإنساني ، حتى انتهيت إلى آخره حيث يقول :

« فنلتزم وقتئذ بعد معاناة البحث أن نرجع هذه الفروع إلى أصل واحد أنتج هذه النتائج وندعوه بالمقال ودليل الحال حب ذات غير مرتب أصدر طمعاً فعل ما ترى » وهذا الحكم المبني على « التأمل في حركة العالم الإنساني » يدل على أن العالم كان في ذلك العهد كما هو الآن : يسوده « حب ذات » وإن كان قد صار « مرتباً » و « فعل ما ترى » لا يزال الطمع « يصدره » فالعالم هو هو لم يتغير غير الشكل وطريقة التعبير ...

ولا أريد أن أمعن في التأمل والفلسفة كما أمعن كاتبنا القديم فأنتقل إلى « الأخبار البرقية الواردة إلى الاسكندرية » وليس السجع في العنوان فقط ، فهذا أيضاً مطلع الأخبار البرقية : « باريز في ٣٠ تموز » ولو أن صحف اليوم تلتزم مثل ذلك النسق لكنا نقرأ فيها مثل « قصر شايو في ٣٠ مايو » .

ولعل من مظاهر الفنون الجميلة في المعرض ، الرقص ... رقص الخيل على نغمات الموسيقى البلدية . ويظهر أن فن الرقص أصيل لدى الفرس ؛ فإن مشيتها العادية تبدو فيها مخايل الفن

والمدربون الذين يرقصونها يتجهون بها إلى «هز الأرداف» ولو أن الفرنسيين التفتوا إلى موهبة الرقص فى الخيل لاتجهوا بها إلى (الباليه) ومن يدرى ؟

وبعد أن ترى تلك المظاهر الفنية فى المعرض العام تدلف إلى «حديقة الملاهى» فتشاهد الاعتـــداء المنكر على جمال الطبيعة فى حديقة الجزيرة التى كانت من أجمل منازه القاهرة وأحفلها بالجمال ، وطالما كانت مرتاداً للأدباء والفنانين ، ومجلى للقرائح ، ومراحاً للناشئة

وقد كنا حين نـكتب فى موضوعات الإنشاء عن «البساط السندسى» نتخيل أرض تلك الحديقـة الخضراء الناضرة ، فليس من الهين أن نرى الآن ذلك البساط يطوى لتحل محله الأراجيح و «الأميرة بنورة المسحورة أعجوبة الزمان وتحفة القرن العشرين التى تخرج من زهرية الورد وتتـكلم ...»

وقد تبدل زوار الحديقـة خلقاً آخر ، فبعد أن كان يغشاها رواد الطبيعة والهدوء أفراداً حالين ، أومثنى حبيبين ، أو زرافات مرحين ؛ صارت مطلباً للراغبين فى لعب الولدان وعبث الطفولة ، ومكسباً لذوى الحيـلة ، فى ابتزاز الأموال ، من الأجانب .

كشكول الأسبوع

▫ نظمت شاعرة انجليزية هى مسز ج . ب . ويكسرن — أبياتاً بالانجليزية لمناسبة عودة أبطال الفلوجة ، ورفعتها إلى مقام صاحب الجلالة الملك . ومنها ما ترجمته :

« أيها الصناديد ، أبناء مصر أرض الأمل ، أبشروا فهذه ساعتكم العظيمة » .

▫ رأى معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف أن التقدير الأدبى للمرحوم الجارم بك يقضي بتقرير تعليم أبنائه بالمجان فى جميع مراحل التعليم ، فـكتب بذلك إلى مجلس الوزراء للموافقة .

▫ استقال معالى الأســتاذ محمد رضا الشبيبى من رياسة المجمع العلمى العراقى ، لصــدور قانون بالعراق يمنع الجمع بين عضوية البرلمان وأى منصب آخر ما عدا الوزارة . ومما يذكر — على سبيل المماثلة — أن معالى الأستاذ لطفى السيد باشا رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، عضو بمجلس الشيوخ .

▫ نشرت جريدة « الهاتف » البغدادية افتتاحية عتبت فيها على الشبيبى ، لأنه ذكر بعض الأسماء وبعض الصحف والمجلات دون بعض ، فى محاضرته عن النهضة الأدبية بالعراق فى مجمع اللغة بالقاهرة.

▫ دعا الأستاذ خليل سكاكينى ، فى بحث له بالمجمع اللغوى ، إلى إلغاء قواعد اللغة بجملتها بدل محاولة تيسيرها مرة بعد مرة ، ويرى الأســتاذ أن يكسب الناشئ الملكة اللغوية من الـكلام الفصيح بعرضه عليه ومخاطبته به وتكليفه القياس عليه فى التعبير عما بنفسه .

▫ كانت الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف قد طلبت إلى الدكتور ابراهيم ناجى أن يقوم بترجمة ما يختاره لشكسبير ، لنشره ضمن الـكتب المختارة للترجمة . وهو الآن يترجم قصة « شتاء »

▫ قام الأستاذ محمود لطفى أمين مكتبة المجمع اللغوى ، بتصوير كتاب « التهذيب » للأزهرى المخطوط بدار الـكتب ، وضمت النسخة المصورة إلى مكتبة المجمع .

▫ ثارت بالأهرام مناقشة حول (الفول المدمس) فقائل يقول إن أصل الـكلمة « مدمث » أى ملين ، وآخر يرجعها إلى « التدميس » بمعنى التغطية والستر . ولا شك أن « الطعمية » هى أيضاً تستحق مثل هذا الاهتمام فهى (أم الفلافل)

وأذكر بذلك أن إخواننا السودانيين يطلقون كلمة «مدمس» على (الفول) الذى نسميه نحن « ســودانى » ويطلقون على مدمسنا (الفول المصرى) .

▫ تعمل الجمعية الزراعية على ترجمة بعض الأفلام الزراعية لعرضها فى القسم الخاص بها فى المعرض فى أوائل أبريل القادم .

▫ قال كاتب فرنسى : لو أننا أعـددنا كمية من الورق قطعاً صـغيرة وكتبنا فى كل منها كلمة تنتهى بلفظة (لزم) كالريالزم والسريالزم والسوشيالزم ، ثم وضعنا الورق فى قبعة وخلطناه فيها لحصلنا من مجموع هذه الـكلمات على فصل الفلسفة .

صور شعرية للشعراء :

أعلنت رابطة الأدباء يوم الأحد المـاضى عن حديث فى ناديها عنوانه « رأى شاعر فى شعراء الجيل » يعرضه الأستاذ على الجبلاطى ، والشاعر المقصود هو الأستاذ أحمد مخيمر ، وقد نظم رأيه فى خمسة وأربعين شاعراً ، أو صنع لـكل منهم — كما يراه — صورة شـعرية بأبيات اتبع فيها طريقة أبى العلاء المعرى فى « لزوم ما لا يلزم »

وقال الأستاذ الجبلاطى إنه يقصد عرض لون من الشـعر وإثارة الآراء فيه . وقد استمعنا إلى هذه الأشـعار ، وطربنا لبعض ما تضمنته من دعابات وما بدا فى بعضها من ومضات ولـكنى ألاحظ أن أكثرها تنقصه عناصر الصورة الأساسية وهى ملامح الشخصية الشعرية والقليل ما تبدو فيه هذه الملامح ومن هذا القليل قوله فى الدكتور زكى مبارك :

أديب بنى مجداً وصيتاً ورفعة
وما فتئ القدار يهدم ما يبنى
فليت الألى ، عابوا عليه غروره
رأوا مايلاقى من عقوق ومن غبن

وقوله فى الأســتاذ محمود حسن إسماعيل :

قد ينظم الشعر ولـكن يعجمهْ
فشـعره أفق توارت أنجمـهْ

وراء كل خاطر منجمــه

فيا ذوى القــدرة من يترجمـه ؟

قد ضاع من بين يدىّ معجمه

ومنه ما قال فى الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى ، وأوله قوله :

متأنق فى شــعره ولباسه فكأنه لقريضـه كـواء

أما الـكثير الذى يفقد ملامح الصورة ، فهو إما مدح أو هجاء والهجاء هو الغالب ، وقد نال به من شعراء أفاضل . ويحسن مخيمر صنعاً لو أنه طوى هذا النوع من شعره ، فنشرُه يجنى على ما يبدع من ألوان أخرى ، وحسبه « لزوم ما لا يلزم » فى القافية !

بين صديقى الأستاذ الأسمر وبينى :

قرأت ما كتبه صديقى الفاضل الأستاذ محمد الأسمر فى العدد الماضى من « الرسالة » رداً على ما كتبته فى الصلة بين قصيدته فى رثاء المغفور له محمود فهمى النقراشى باشا ، وبين قصيدة الزين فى حافظ إبراهيم . والحق أن كرم الأستاذ الصديق فى الرد أسرنى وكادت محاسنته تمسكنى عن معاودة الموضوع ، لولا منازعة القلم إلى إزالة الغبار عن الحقائق الأدبية فيما يلى :

١ — قال صديقى الأستاذ الأسمر : « إن قصيدة الزين رحمه الله لا علم لى بها » وقال : « ولا هى من المتـداول المعروف بين النـاس » وأنا لا دخل لى فى علمه ، ولـكن أقول إن القصيدة متداولة معروفة بين الأدباء ، ومما يدل على ذلك أنى لما أردت كتابة الموضوع ورأيت أن أتثبت من نصها ، قصدت إلى دار الـكتب المصرية ، وما إن أبديت رغبتى فى الاطلاع على قصيدة الزين حتى بادرنى الأسـتاذ أحمد حسين بالقسم الأدبى فى الدار ، بأن القصيدة لديه وأنه نسخها بخطه وقت نشرها لإعجابه بها ، وفى نفس الوقت أسرع بعض الحاضرين إلى إنشادها .

٢ — نعم ليست المعانى المطروقة ملكاً لشاعر دون آخر ، والموافقات اللفظية جائزة الوقوع بين الشعراء ، ولـكن الأمثلة التى أتى بها الأسـتاذ الأسمر ذاتها تدل على أن الأمر فى ذلك لم يعد العبارة أو الشـطرة أو الخاطرة . والذى معنا موافقة ستة أبيات لخمسة فى بعض الألفاظ ، وفى المعانى باختلاف يسير فيها ، مع اتحاد الوزن والقافية ؛ فهل يصح أن نسمى اجتماع كل ذلك مواردة ؟

٣ — لم أتنبه لأخذ الجارم من قصيدة شوق فى إسماعيل صبرى ، وليست هذه أول مرة يأخذ فيها الجارم من شوقى . وارتـكاب أحد أمراً لا يسوغ أن تأتى مثله .

وللصديق الـكريم تحيتى ووداى ...

من الأعماق :

يسرنى أن أكون أول قارئ لصديق الأسـتاذ كامل محمود حبيب ، يبـدى رأيه فى ختام قصة « من الأعماق » المنشورة فى رسالة الأسبوع الماضى ، فأقول إن موقف جلال موقف غريب إذ يصر على الزواج من إلهام بعد أن يعلم أن فى حياتها شاباً آخر هو عادل ، فمن أبسط الأشياء عند الخطبة أن يتحرى الخاطب عن مثل ذلك حتى لا يعانى شـقاء العيش مع زوجته المتوقعة إن كانت تحب رجلا آخر ، ولـكننا نرى الحقيقة تسعى إلى جلال ، ومع هذا لا يزال يصر ! فهو إذ ينسحب من الميدان لا يكون مضحياً بل ناجياً بجلده من الشقاء الذى ينتظره .

ولـكن المشـكلة — فيما يظهر لى — إنما هى كيف يقتنع جلال بضرورة الإنسحاب ، أو كيف يحمل على ذلك ؟ أرى أن يبتعد عادل قليلا ويترك المعركة تدور بين كرامة جلال — ولابد أن يستشعرها مع الزمن والتكرار — وبين فتور إلهام وإعراضها عنه ، ويبعث عادل بالمدد إلى قلبها من بعيد ، وسترى الأم سوء حال ابنتها فتشفق عليها وتتحول إلى جانب عادل فتـكون عاملا مهما فى إنهاء الموقف ، بحيث يرى الضابط ضرورة فوز كرامته فى المعركة بالانسحاب ...

عباس خضر



البريد الأدبي

أين العلوم فى (الرسالة) ؟

يسأل الأستاذ عبد المنعم العزيزى الأستاذ أنور المداوى : « أين العلوم فى مجلة الرسالة » فى حين أن هذه المجلة تحمل هذا الشعار : « مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون » .

لا تلومن الرسالة يا سيدى لأنه إذا كانت كبرى المجلات المخصصة للعلوم قد انمسخت وخلعت عنها ثوب العلم لكى تكتسى ثوباً فضفاضاً ملوناً مزخرفاً لا يمت إلى العلم بشىء ، فلا غبار على الرسالة إذا اقتصرت على الأدب لأن قراء الأدب كثار والأدب أقرب منالاً من العلم . وإذا كانت المجلة الموسومة بالعلم لم تخصص عُشر صفحاتها لمقالة علمية واحدة لأن بين قرائها عشرة بالمئة على الأقل يفهمون العلم ويودونه ، فلا بدع أن تحرم الرسالة ١٠ بالمئة من قرائها من قطرات العلم مع أن فى قرائها ٢٠ و ٣٠ بالمئة من أهل العلم ويتوقون إلى الاطلاع على ما يستجد من النظريات العلمية ؛ فإذا خصصت الرسالة فى كل عدد ٤ أو ٦ أو ٨ أعمدة لبحث علمى تكون قد أتمت رسالتها وبزت غيرها .

فى معظم ما تصدره مطابعنا من دوريات ورسالات وكتب لا تحيد عن الأدب ، ومعظمه أدب قديم نلوكه ثم نتقيؤه وقد نتقيؤه زنخاً ، وليس فى دور العلم إلا المؤلفات التعليمية للمدارس وطلاب العلم .

ما من مدنية قامت على الأدب وحده . وقد يمكن أن تقوم مدنية على العلم وحده . إن مدنية العالم الحديثة قامت على العلوم الطبيعية والكيماوية والرياضية والفلكية والطبية الخ . فإذا شئنا نحن أن نبنى فى شرقنا العربى مدنية خاصة بنا يجب أن نحذو حذو أوربا وأميركا فى العناية الأولى بالعلوم ، وإلا فنحن وراء وراء وراء . ولا يمكن أن نتقدم إلى الأمام .

اليابانيون فى قرن واحد شرعوا ينافسون الغرب ؛ لأنهم اقتبسوا العلم من الغرب ، حتى إنهم اقتبسوا لغة غربية لكى يتعلموا العلوم بها فأصبحت اللغة الرئيسية لهم . أما أن نقتصر على زخرف الكلام والطباعة فى صحافتنا فما هو إلا مرقين يخدر العقول ويطمس الصواب .

يحفزنى الأستاذ أنور المداوى إلى كتابة بعض مقالات علمية فى الرسالة لكى تستوفى الرسالة حقها من العلم كما تستوفى حقها من الأدب والفن . فأشكر له حسن ظنه بى وقد ألبى طلبه وإن كنت فى العلم دون ما يظن . وله وللعزيزى أطيب تحياتى .

٢ ش البورصة الجديدة **نقولا الحداد**

أدب القصة وأدب المعقب :

تفضل الأستاذ الكبير محرر (التعقيبات) فتناول مقالى عن أدب القصة القصيرة بتعقيب جاء صورة صادقة لأدبه ، فقد توهم أننى عنيته بمقالى ، كأن الرسالة مجلة منزلية تنشر وتطبع له وحده ، أما القراء فلا حساب لهم ، وراح يحاسبنى — متهكما — على الوقوف منه موقف الأستاذية وهو ما لم يجر فى خاطرى أبداً . وما توهمت لحظة واحدة أننى أقرر جديداً فى أمر القصة ، إنما هى خواطر مرسلة ليس لى فيها إلا فضل الدراسة والتحصيل والاستنتاج ، وأقول بكل تواضع أننى واثق تماماً من صحتها .

وقد ترك المعقب كل ما أوردت فى مقالى من حقائق — لأنه لا يستطيع هو ولا غيره أن ينقص منها حرفاً واحداً — وأمسك بتلابيبى ليحاسبنى على ما توهمه ولم أقله مما يثبت جموح النفس وتمكن شهوة التهكم وتجريح الناس من نفسه .

قال الأستاذ الناضب « ... ينكر الأستاذ عطا الله أن مجال العمل الفنى فى القصة القصيرة مجال محدود ... » فى حين أننى لم أقل إلا العبارة التالية : « من السذاجة أن يقول قائل إن الأقصوصة ليست ميداناً لعرض صور الحياة المختلفة بما تحفل به من كثرة وعمق وغنى وتنوع » وقد استنتج هو من عندياته أن عكس ما أقول لا بد أن يكون غير صحيح ، كأننا بصدد قضية جدلية ! كما أننى لم أقارن مطلقاً بين القصة الطويلة والقصة القصيرة ، ولم أذهب إلى أن القصة القصيرة تبلغ أعلى مراتبها فى كل حين ، بل ذكرت أمثلة محدودة وقلت إن الشخصيات الفذة هى التى ترق بالأقصوصة إلى مرتبة الأدب العالى الشامل العميق ؛ ومن البديهى أن مجال الأقصوصة فى أيدى العاديين من الكتاب مجال محدود .

كما أننى لم أنكر مطلقاً — وليس هذا تراجعاً منى — أن القصة الطويلة أوسع مجالاً من القصة القصيرة أو أنها الميدان الوحيد الذى يتسع لدراسة تطور الشخصيات وتفاعلها مع الحياة دراسة وافية ، بل قلت إن الأقصوصة يجب أن تدور حول محور واحد وتعالج أمراً واحداً معالجة خاطفة فكيف استخرج الأستاذ المعقب من مقالى ما ذهب هو إليه ؟؟

ولماذا يحب الأستاذ المعقب أن يضع نفسه دائماً فى بؤرة الضوء ويلتمس لذلك شتى الحيل فيتوهم أنه المعنى بالحديث ، ويقول للناس إن الكتاب يرسلون إليه كتبهم راجين أن ينقدها ويفترض أنه الناقد المثالى الأول فيملن فى زهو وصرامة أنه وجد أكثرها تافهاً لا يستحق العناء ؟؟

ويختم الأستاذ كلمته بقوله إننى فزت بجائزة من جوائز الدرجة الثانية فى مباراة القصة القصيرة التى أقامتها وزارة المعارف ، ومعنى هذا أن هيئة التحكيم لم تقدر فنى ... أليست هذه مغالطة تكشف عن عنصر آخر من عناصر نفسية كاتبها ؟ ؟ ...

نصرى عطا الله

مدمس :

نشرت الأهرام كلمة لأحد الباحثين تحت عنوان « بين العامية والفصحى » ادعى فيها أن (المدمس) أصله (المدمث) بالثاء المثلثة بمعنى اللين ؛ وأقول إن هذا ليس بصحيح وإليك الأدلة :

أولا : اشتراك المدمس والمدمث فى صفة وهى اللين لا يبرر أنه محرف عنه .

ثانياً : المدمس إدام مصرى وطعام محلى بحت وهو غير معروف للعرب .

ثالثاً : جاء فى « محيط المحيط » للبستانى ما نصه : المدمس طعام فى بلاد مصر يصنعونه من الفول المسلوق والخل والملح والزيت اه . ولم يقل أنه محرف عن المدمث مع أنه يعنى دائماً بالألفاظ الحديثة والكلمات الدخيلة .

رابعاً : جاء فى مادة (دمس) ما نصه : دمسه فى الشىء تدميساً دفنه وخبأه وأخفاه وغطاه وستره اه . ومن هذا أخذ المصريون كلمة المدمس وأطلقوها على الفول المطهى بوساطة الحمام أو الفرن أو نحوهما لأنه يوضع فى قدر بها ماء ويسد فمها جيداً وتدفن فى الرماد الحار حتى تنضج .

خامساً : يمكن اشتقاق كلمة المدمس من (الدمس) بكسر الدال وتسكين الميم وهو ما يتخلف من روث المواشى ويتخذ وقوداً يوضع فى الفرن ونحوه فيتخلف عنه رماد حار توضع فيه القدر بالطريقة السالفة .

سادساً : تسمع فى الريف كلمة (الدمسة) بكسر الدال وتسين الميم وهى عبارة عن مكان محفور أو غير محفور يوضع فيه الدمس السابق وتشعل فيه النار للتدفئة وغيرها ، ويقولون دمس الدمسة دمسا إذا وضع فيها الدمس . ومما يؤيد هذا : الفطير الدمامى ، وهو المصنوع على الدمس .

على حسن هلال

محرر بالمجمع اللغوى

بين نشر وفجر :

أرسل إلينا الأستاذ عبد الرحمن الخميسى يقول إن لديه رداً على ما أخذه عليه الأستاذ المداوى فى « التعقيبات » ، ويرجو أن يفرغ منه هذا الأسبوع لينشر فى العدد القادم .

فصيح ثعلب والشروح التى عليه :

مجموعة جديدة فى فقه اللغة أخرجها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى المدرس بكلية اللغة ونشرتها مكتبة التوحيد بالجاميز فى نحو الخمسمائة صفحة .

وتشمل هذه المجموعة : كتاب فصيح اللغة لثعلب ، وكتاب شرح الفصيح للهروى ، وكتاب ذيل الفصيح للبغدادى ، وكتاب فعلت للزجاج ، وكتاب الاشتقاق الكبير لابن دريد . وكلها من أمهات الكتب فى اللغة العربية وفقهها .

ومع هذه المجموعة : دراسات وتحقيقات جديدة قيمة فى اللغة ، وشروح وتعليقات وافية .

ونشر معها لأول مرة فى تاريخ الثقافة العربية شواهد الكتاب لسيبويه مرتبة بحسب حروف الهجاء ، مع الإشارة إلى مواضع الشواهد من الكتاب لسيبويه .

ونحن فى غنى عن التنويه بهذا العمل العلمى ، وبقيمته اللغوية وأهميته للدارسين والباحثين .

ويطلب الكتاب من مكتبة التوحيد بالجاميز أمام الخديوية وثمن النسخة خمسة وثلاثون قرشاً .



وميض الأدب
بين غيوم السياسة
لصاحب المعالى الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه باشا

بقلم الأستاذ أحمد أحمد العجمى

معالى الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه باشا وزير المواصلات ورئيس جامعة أدباء العروبة علم من أعلام الشعر والأدب والسياسة ، وهو بشخصه المظيم وأدبه الرفيع فى غنى عن الإشادة بذكره والتنويه بفضله . وآخر الدلائل على علو منزلته فى الشعر والنثر ، ورسوخ قدمه فى النقد والتحليل ، كتابه القيم « وميض الأدب بين غيوم السياسة » .

ولمل السبب الأول فى نشر هذا الكتاب حب المؤلف للشعر حباً سافراً متوقداً يجمله يقول عن القصائد : « وقد أ كبر بمضها فأقرؤها واقفاً عند الوثبات التى تتخلل الشعر ... والشعر سحر وفتنة ، وقد افتتنت به ؛ وفيه خيال ، وفى الخيال تسلية ولذة ؛ وهو موسيقى ، وفى الموسيقى طرب وترويح وبهجة ؛ وهو مناجاة تتصل بالروح فتستولى على الشعور وتملك الوجدان . وأعتقد أن الذى لا يهتز لجيد الشعر جاهل أو بليد ، أما الجاهل فلا شأن لنابه ، وأما البليد فله عذره ، لأنه لم يخلق نفسه ، على ألا يلوم غيره ، وويل للشجى من الخلى » .

بهذا الكلام الجميل ، وبهذا الشعور العميق ، وبهذا القلم الصناع تناول المؤلف فى كتابه أ كثر الشعراء والكتاب الماصرين ، فتحدث عن حافظ إبراهيم فى موضمين حديثاً ألم فيه بميلاده ونشأته ونواحى نبوغه وذيوع شعره وما كان بين حافظ وبين « بنى أباظة » من ود وإعجاب . ثم كتب عن شوقى فصلا صور فيه سحره وعبقريته وجمه بين الثقافتين العربية والغربية ، وتوفيقه البارع فى نظم رواياته الشعرية خاصة « مجنون ليلى » التى كان المؤلف يحفظها عن ظهر قلب . وسجل لأحمد محرم أ كبر نصر ظفر به حين قال عنه : إنه شاعر الإسلام غيرمنازع فى عصرنا هذا ، وأشاد بالإلياذة الإسلامية ورجا من معالى وزير المارف طبعها .

وكتب عن خليل مطران بك شاعر القطرين وأبدى إعجابه بتقدير الناس له وكيف انعقد الإجماع على حبه ، ونوه بتجديده وبشعره الرقيق فى الغزل وقال : إننى مولع بشعر مطران كل الولع .

ثم كتب المؤلف مقدمته الخالدة لديوان الدكتور إبراهيم ناجى « ليالى القاهرة » فأفاض فى الحديث عن الجديد والقديم ، وعن اللفظ والمعنى ، وعن طرق تعبير المدرسة الحديثة فى الشعر ، وكيف قوبلت هذه المدرسة بالحرب العوان ، وكيف انتصرت هذه المدرسة التى يمثلها ناجى . وأشار إلى الفروق الدقيقة بين المدرسة القديمة والمدرسة الحديثة فى الشعر والتفكير ، وإلى شخصية ناجى وطابعه الواضح وعاطفته المتأججة فى كل أشعاره الطريفة ، وقال عنه : إننى لأحب هذا الشاعر كل الحب ، ولا أعتقد أن حبى طغى على تقديرى له ، فهو شاعر رقيق تصل معانيه إلى قلبك قبل أن تصل إليه ألفاظه فى طلاوة وسهولة . وقال : إن ديوانه يمثل نهضة الشعر الماصر وتطوره . ولعل هذا الفصل أبدع وأروع فصول الكتاب

ثم أبدى المؤلف إعجابه بالأستاذ محمود غنيم وقال : إن ديوانه « صرخة فى واد » صرخة الأدب الرفيع سيرن صداها على مدى الأجيال بين آفاق العروبة . ونوه بخصائص الأستاذ العوضى الوكيل فى ديوانه الجميل « أصداء بعيدة » وأظهر خصائصه قدرته على سرعة النظم سرعة تكاد تكون ارتجالاً ، وإجادته فى الربيعيات خاصة فى ديوانه « أغانى الربيع » ، ونظم الشعر الرائع فى أسرته وأولاده حتى أعد ديواناً كاملاً سماه « عالمى الصغير » . وقال المؤلف عن الشاعر : فأنا إذ أقدمه إلى قراء الشعر العربى الحديث أقدم موضوعاً كاملاً من الأدب العالى والفن الرفيع .

وقص علينا كيف لقى الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى فى « غزالة » لأول مرة فى مقدمته لديوانه « أحلام الفجر » — وسيصدر قريباً — وقال عنه : إنه شاعر تنبض العاطفة الجياشة فى كل ما يصادف القارئ من قصائده ومقطوعاته ، وشبه ديوانه بالمعرض الفنى المظيم ، وعلل كيف يراه بحترياً متنبيا فى آن ، ، أو شوقيًّا عقاديًّا معاً .

ويمتاز ما كتبه الناقد العبقرى صاحب « وميض الأدب » فى الشاعرين : العوضى والغزالى بقوة التحليل ودقة التعليل

وبراعة التدليل والربط بين الشاعرين وأشعارهما برباط محكم لصلتهما به منذ زمان طويل .

وفى وميض الأدب كلمة عن الأستاذ الصاوى شعلان صدر بها كتابه « حكمة الشرق » وبين فيها مقدرته على الترجمة ومعرفته كثيراً من اللغات وفى الكتاب نص الكلمة القيمة التى نشرت فى صدر الرسالة منذ شهور بعنوان « أدباؤنا المعاصرون » يليها نموذج رائع من شعر الشاعر الكبير دسوقى باشا بعنوان « مصر والصين » وهو شعر جدير بوزير . ولا بد من التنويه هنا بأبحاث عظيمة فى الكتاب مثل « لماذا حاربنا الصهيونية » و « من مهرجان العروبة » وقصيدة العقاد فى تكريم المؤلف ، وهى قصيدة قيمة ، ومقدمة ضافية للعقاد فى صلة الأباظية بالأدب وحبهم له ، ومنزلة الدسوقى باشا وفضله على الأدب والأدباء ، وفى آخر الكتاب كلمة مناسبة للناشرين .

هذا عرض سريع لفصول الكتاب الذى وفق فيه معالى إبراهيم دسوقى أباظة باشا ودل على مقدرة بارعة وإحاطة واسعة بوفرة ما تمثل به من أشعار الشعراء ، وكان اختياره الحسن دليلا ناطقاً وبرهاناً صادقاً على ذوقه الرفيع .

ولم يخل الكتاب من مناقشات طريفة لبعض آراء كبار الأدباء ، كمناقشة المؤلف رأى الأستاذ عباس محمود العقاد فى الشاعر المجدد خليل مطران ، ومناقشته رأى الدكتور طه حسين بك فى مراثى الشاعر الخالد حافظ إبراهيم للأباظيين ، ومناقشته رأى أستاذ الجيل لطفى السيد باشا فى شوقى وحافظ ، والمؤلف يبدى آراءه ويدلى بحجج قوية ناصعة يخالف هؤلاء الأعلام ، والرجوع إليها فى الكتاب أفضل من تلخيصها فى كلمات.

وللمؤلف تعبيرات جديدة محكمة كقوله : لغة الشعر غير لغة القاموس ؛ وتعبيرات سديدة حاسمة كقوله : فى رأيى أن الشاعر المجدد تعنيه الفكرة ويتصباه الموضوع ، وربما أبعده هذا عن جمال الأسلوب وإشراق الديباجة وحلاوة التعبير ؛ وتعبيرات لغوية دقيقة كقوله : أمسى اليتيم لطيما « واليتيم من مات أبوه واللطيم من مات أبواه والعجى من ماتت أمه » وتعبيرات ساخرة لاذعة كقوله : فليسمح لى الدكتور طه المعجب بالفيلسوف ديكارت القائل بنظرية الشك أن أشك فى إسناده هذا الرأى لأستاذنا الكبير لطفى السيد باشا ؛ وتعبيرات لطيفة ظريفة مرحة كقوله فى التعليق على قول مطران :

أقسمتُ ما أشركتُ فيكِ ولم يكن
لى فى الهوى دينٌ سوى التوحيد

بهذا البيت اعترف المطران بالإسلام دين التوحيد فاشهدوا عليه ! !

وتعبيرات أخرى يخفى مدلولها على كثير من القراء كقوله : هل يكون الشاعر الأول — بين شعراء الشباب — إبراهيم ناجى أم أبا فاشا أم غنيما أم العوضى الوكيل أم أحمد الغزالى أم خيمرا أم حماما ؛ وكتابة الأسماء بهذا الشكل الملفوف فيها ترتيب مقصود إلا فى اسم أو اسمين .

وفى الكتاب بعض آراء تقبل المناقشة ، ولا خير فى كتاب أدب وشعر ونقد ليس فيه آراء تقبل المناقشة ، كقول أديبنا الكبير فى شوقى : « تستدبر الأجيال ألف عام حتى تعثر على من يقف فى صفه ويصح أن يقارن به ، شاعر واحد بعد ألف عام لك أن تفاضل بينه وبين شوقى — إنه المتنبى » هذا كلام يمليه حب شديد لشوقى يوشك أن يكون غلواً أو تعصُّباً ، والمتنبى يفوق شوقى بقدر ما بينهما من عدد السنوات !!

وقد فضل المؤلف قصيدة خليل مطران على قصيدة حافظ إبراهيم فى رثاء البارودى ، وهى القصيدة المشهورة التى مطلعها :

ردوا علىّ بيانى بعد محمود إنى عييتُ وأعيا الشعر مجهودى

بسبب بيت واحد فى قصيدة مطران هو :

على الشمس أن تهدى المبصرين وليس على الشمس أن تبصرا !

والبيت رائع جداً ولكن قصيدة حافظ أفضل بالرغم من أنها لا صقة بالشعر القديم ، وإن كان مطران أعظم من حافظ مع كراهيتى الشديدة تفضيل شاعر على شاعر فلكل فنان مزاياه .

ويقول المؤلف : محمود غنيم شاعر مرموق المكانة يقف فى طليعة الرعيل الأول من شعرائنا المعاصرين وليس فى بلاد العرب من لا يعترف له بذلك ! ويبدو أننى — بحق وصدق — من بلاد العجم ، لأننى لا أعترف بأن « محمود غنيم » فى طليعة الرعيل الأول من شعرائنا المعاصرين ، مع إعجابى بفنه الرفيع .

بقيت كلمة فى أسلوب صاحب الكتاب ، وقد قدمت منه نماذج كثيرة ، وهو أسلوب ناصع اللون ، واضح الجرس والرنين ، جزل سهل متين النسج ، أقرب إلى الطبع من الصنعة ، وأدنى إلى السحر من الشعر ، وإنه لسحر مبين .

أحمد أحمد العجمى

مطبعة الرسالة

العدد ٨٢١ — الاثنين ٢٨ مارس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

17 eme Année No. 821 — Lundi — 28 — 3 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٢١ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ — ٢٨ مارس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

تعليق على جـــواب

صديق الأستاذ أبا خلدون :

سألتك : هل الشقاق طبع في العرب ، فأجبتني أن الشقاق طبع في جميع الناس . وكما سقت إليك في سؤالي شهادة التاريخ على شقاق العرب في الجاهلية والإسلام ، وفي البداوة والحضارة ، وفي الدين والسياسة ، وفي الشدة والرخاء ، سقت إليّ في جوابك شهادته على شقاق اليونان والرومان والفرنسيين والألمان في كل أولئك ! وقصر الشقاق على العرب ، والخلاف على المسلمين ، لم يخطر ببالي حين وجهت إليك سؤالي ؛ فإن من يَقصر الخلاف في حياة الناس على بعض دون بعض ، كمن يَقصر التقلب في حال الطبيعة على أرض دون أرض . والله العليم بكل سر والشهيد على كل أمر يقول : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولكن لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم » ؛ إنما قصدت بسؤالي أن أواضعك الرأي في طبيعة الشقاق العربي الذي لم يحسمه الدين ولم تخففه التجارب : أيصدر عن علة تزول ، أم يصدر عن جِبلَّة تبقى ؟ والذي رابني من هذا الشقاق ما أراه اليوم من تمرده على الميثاق الجامع ، وخروجه على الرأي الجميع ، وتحديه للخطر المشترك ، لشهوة تستبد ببعض النفوس ، أو لنزوة تعصف ببعض الرءوس ، لا لفلسفة تبرر سياسة الفرقة كما كان عند الإغريق ، ولا لاجتهاد يتوخى سلامة الجماعة كما كان عند الرومان .

أما قولك يا صديقي إن العرب ليسوا بِدْعاً من الأمم في الشقاق والانشقاق ، فإني كنت أرفعهم في نفسي وفي رأيي فوق ذلك ؛ لأن الأمة العربية إحدى أمتين اختارهما الله لإعلان دينه وإعلاء حقه ، فبعث آخر رسله من بينها ، وأنزل دستور شرعه بلسانها ، ووضع ميزان عدله في يدها ؛ فإذا هي أصاخت كغيرها إلى صوت الغريزة ، واستجابت لدعاء الهوى ، لم تكن حرية بقول الله فيها : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . ولا بقوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » .

وأما تفسيرك العرب بالبدو في قول صديقك ابن خلدون ، فلا يؤخر في التهَمة ولا يقدم في الدفاع ، لأنك تعلم أن الموج من العُباب ، وأن العرب من الأعراب ، وأن العصا من العُصَيَّة . والطباع قلما تتغير بانتقال صاحبها من سكنى الوبر إلى سكنى الحجر ، ومن رعاية الإبل إلى رعاية الناس .

وأما تعليلك هذه الصدَعات التي أصابت العروبة فمزقت الكلمة وفرقت الدين ، بسرعة الفتح ، واتساع الرقعة ، ومؤونة الانتقال ، وصعوبة الاتصال ، فيضعفه علمك بأن الصدعة الصغرى كانت في (السقيفة) بعد أن قُبض الرسول ، وأن الصدعة الكبرى كانت في (الدار) بعد أن قُتل عثمان !

لا يا صديقي ، إن الفردية هي علتنا الأصيلة ، وإن العصبية هي داؤنا الموروث . وإن هاتين الرذيلتين هما جماع الآفات التي مُني بها العرب ، وعُني بعلاجها الإسلام . وقد فصّلت ذلك في مقالين نشرا في « وحي الرسالة » . والدليل قائم اليوم يا صديقي على أن الفردية والعصبية لا تزالان توهنان البناء ، وتحللان العقدة ،

الذرة والسياسة والحرب

للأستاذ عمر حليق

فى المعسكر الغربى جدل حول خطورة القنبلة الذرية كسلاح فاصل وعن الدور السياسى والحربى الذى ستلعبه فى مستقبل العالم

فهناك من يعتقد بأن القنابل الذرية التى يملكها وينتجها حلفاء الغرب كافية لأن تقضى على الكيان السوفياتى وآلة حربية فى فترة من الصراع المسلح قصيرة الأمد ؛ وأنه لا يمكن أن توجد أسلحة دفاعية ضد هذا السلاح الجهنمى .

ويستند أصحاب هذا الاتجاه إلى اختبار اليابان ؛ فهذا النوع من التدمير الجهنمى الذى محا مدينتى هيروشيما وبنجاساكى شاهد حى على تحليلاتهم وتعليلاتهم وهى تتعرض إلى النواحى الفنية فى مفعول القنبلة الذرية وإنتاجها . وعلى رأس أنصار هذا الرأى العالم المعروف ألبرت إينشتين .

وأصحاب الرأى الثانى متحفظون فى نظرتهم إلى سياسة القنبلة الذرية ؛ فهم لا يرون فى مفعولها هذا الهول العظيم الذى يتصوره الرأى العام العالمى . ومن أبرز أصحاب هذا الرأى العالم البريطانى الشهير البرفسور بلاكيت . P' M' S' Blackett وهو متخصص فى شؤون الذرة ، وقد نال مؤخراً جائزة نوبل للعلوم الطبيعية ، كما أنه أصـــدر مؤخراً كتاباً ضمنه آراءه بصدد سياسة القنبلة الذرية ، فأثار ضجة فى المملكة المتحدة فى الأوساط العالمية إجمالا ، وضرب بذلك مثلا على مكانة العلم وحرية الرأى فى ظل الديمقراطية ، إذ أن استنتاجاته وتحليلاته تخالف الرأى الرسمى للحكومة البريطانية ولكنها مع ذلك لم تعترض سبيله ولم تنفر من الاستفادة بخبرته العلمية .

ولنعد إلى عرض فحوى هذا التعليل الذى لا يميل إلى تعليق أمل كبير على القنبلة الذرية كسلاح سريع الفصل فى حرب المستقبل . فهو يقرر أول ما يقرر أن نقطة الضعف الرئيسية فى القنبلة الذرية كونها لا تختلف عن القنابل الجوية الأخرى إلا بتدميرها عدداً أكبر من المنشئات والأنفس ، وأنها لا تستدعى تغييراً جوهرياً فى الخطط العسكرية التقليدية من حرب المشاة والأساطيل والطائرات ، وأن حرب المستقبل لا مفر لها من اعتبار هذه الخطط العسكرية للنصر العسكرى ، فقد بلغ ما ألقته أساطيل الحلفاء الجوية على ألمانيا فى الحرب المنصرمة مليوناً وثلث المليون من أطنان المتفجرات ، ومع ذلك فإن تقرير وزارة الحربية الأمريكية يقول بأن إنتاج ألمانيا الصناعى كان فى سنة ١٩٤٤ (بعد أربع سنوات من ابتداء الحرب) أكثر منه فى مطلعها سنة ١٩٣٩ . وهذا التقرير الأمريكى الرسمى يعترف صراحة بأن خسران ألمانيا واليابان للحرب كان بسبب فقدان المؤونة من الأغذية والمواد الخام لا بسبب التدمير الجوى — فإن مصانع الحرب فى هيروشيما وبنجساكى لم تدمرها القنابل الذرية لأنها كانت فى الضواحى ، وأنه لو تسنى لليابانيين استعمال ملاجىء واقية حصينة لكانت إصاباتهم فى الأنفس أخف . فقد كان العالم يجهل آنئذ مفعول القنبلة الذرية فلم يحتط لها بملاجىء واستعداد وقائى يتناسب وخطورتها . ويقول أصحاب هذا التعليل استناداً إلى معرفة فنية بإنتاج القنابل الذرية أن هذا الانتاج فى الدول التى تملك سر صنعه محدود ، وأنها لا تستطيع توفير قنابل كافية لتدمير جميع المدن ومراكز الانتاج الصناعى المادى قبل مضى سنوات عديدة .

والناقدون لهذا التعليل يشيرون إلى أن خبراء القنابل الذرية لدى حلفاء الغرب يعتمدون على ضربة خاطفة على عصب الانتاج لدى العدو بشكل لا يستطيع معه استرداد رباطة جأشه وترميم الخراب والحرب دائرة . وهناك من خبراء الذرة من يعتقد بأن الأنجلوسكسون لا يستطيعون فى ظروف السلم إنتاج أكثر من ١٠٠٠ قنبلة فى السنة ، وهم يقدرون كذلك — ولا يفهم عن مصادر هذا التقدير إلا أنها تستند إلى معرفة تكنولوجية — إن روسيا لن تستطيع إنتاج أول قنبلة ذرية قبل عام ١٩٥٣ . وهذا القصور فى السباق يهيء لحلفاء الغرب ذخيرة ٤٠٠٠ قنبلة ، وهذا التفوق فى الانتاج يمهد للدعوة فى بعض أوساط الحلفاء لانهاء الكيان السيوفياتى فى أقرب فرصة ، وللخلاف على مراقبة الانتاج الذرى بين الدول الكبرى عدا تعليلات أخرى سياسية واقتصادية

وتفرقان الجماعة . ولولا أن بينى وبينك ثالثاً يمحو ويثبت ، لبينت الأسباب ، وعينت الحوادث ، وسميت الأشخاص ؛ ولكنى كضفدع الشاعر التى يقول فيها :

قالت الضـــفدع قولا ردَّدتـــه الحـــكماء
فى فمى ماء ، وهـــل ينـ ـطق مَن فى فيه ماء ؟

احمد حسن الزيات

فالبروفسور بلاكيت المذكور مثلا يعتقد — ويردد بذلك ما يشتكي منه السوفيات — بأن عناد الولايات المتحدة فى وضع معلوماتها عن الإنتاج الذرى للخدمة الاجتماعية العالمية يعود إلى أنانية محضة من جانب الأمريكان ، فإن الكيان الصناعي والعمراني فى بلاد العم سام مثبت على أساس الوقود البترولى والكهربائى ؛ فإذا عم استعمال الطاقة الذرية ، فان ملوك البترول والتوليد الكهربائى وألف نوع ونوع من المنتجات الصناعية المتفرعة منهما سيتضررون ضرراً خطيراً يقلب بعض أوجه النظام الاقتصادى رأساً على عقب ؛ فلا غرابة أن تجاهد واشنطون ومن ورائها ملوك البترول والكهرباء فى سبيل الاحتفاظ بالإنتاج الذرى ضمن نطاق مقيد يراعى فيه مصلحة النظام الاقتصادى الحالى فى أمريكا .

وفوق ذلك فان فى اطلاع روسيا على سر الإنتاج الذرى وتوفير المواد الخام والمساعدة الفنية لهو خطر على تفوق أمريكا الصناعى الفريد . فان الاقتصاد الموجه وسيطرة الدولة على الإنتاج الصناعى فى الاتحاد السوفياتى قد يحقق تعميم الطاقة الذرية فى أقصر وقت على النحو الذى يخشاه ملوك الصناعة والمال فى الولايات المتحدة ، إذ أن ذلك يحقق فى الاتحاد السيوفياتى تطور الحياة الصناعية والاقتصادية على نوع هائل وخطير يضع الولايات المتحدة فى مرتبة ثانوية فى الحضارة المعاصرة والسيادة العالمية .

ويقول أصحاب هذا التعليل الاقتصادى — السياسى : إن مشروع الولايات المتحدة لمراقبة الطاقة الذرية المعروض على هيئة الأمم المتحدة لا يتوخى صادقاً إشراك الدول الأخرى فى سر الإنتاج الذرى ، ولكنه يرمى إلى التعرف على مراكز التجارب الذرية فى الاتحاد السوفياتى متخطياً بذلك الستار الروسى الحديدى عن طريق لجنة مراقبة الأمم المتحدة .

هذه هى وجهة النظر الروسية بصدد مراقبة الذرة .

ويجيب خصوم هذا الرأى مشيرين إلى أن روسيا غنية بالمواد الخام من الفحم والبترول ، وأن قوتها الكهربائية المولّدة أضخم قوة فى العالم على الإطلاق ، وأنها لن تستطيع بأى حال من الأحوال أن تنتج الطاقة الذرية على نطاق واسع قبل مضى ربع قرن على أقل تقدير ؛ ولذلك كان خيراً لها أن تنشط لاستغلال خيراتها بغير الطاقة الذرية .

والقول بأن أمريكا تتحكم متعمدة ومخادعة فى الإنتاج الذرى لتحفظ كيانها وتدفقها الصناعى من الانقلاب الثورى الذرى الخطير المتواقب قول خاطىء . فان الطاقة الذرية قد ولدت وهى الآن — لأسباب فنية — قيد الإنتاج البطىء ، ولكنها ستعمم إن آجلا أوعاجلا فليس من المنطق أن تتهم الولايات المتحدة بالأنانية والوقوف فى وجه التقدم الحضرى فإن طبيعة العقلية الأمريكية واتجاهاتها وخصائصها تتوخى تنمية التقدم الآلى كما تشهد بذلك الحضارة الأمريكية الحالية .

* * *

وإذا تركنا هذه التعليلات ورجعنا إلى المسلك الرسمى الذى سلكه حلفاء الغرب فى لجنة الطاقة الذرية التابعة لهيئة الأمم والتى تجتمع الآن فى لايك سكسس للمرة السابعة عشرة وجدناه يتأرجح بين ثلاثة حلول :

واحد متساهل ، فالمشروع الأمريكى إذا لم يؤخذ بحذافيره[1] فانه يمنع المعلومات الحيوية منعاً باتاً عن الدول الأخرى .

والثانى إيجابى إلى حد ما رضيت بواسطته الولايات المتحدة مساعدة أعضاء هيئة الأمم فى توفير الإنتاج الذرى بالقدر الذى تحتاج إليه هذه الدول فى صناعتها السلمية . فبذلك تظل واشنطون السيدة الأولى فى مجال التفوق الذرى .

والثالث بريطانى تسوده مسحة المخرج اللبق الذى عرفت به الدبلوماسية البريطانية . فهو يقول إن الخلاف فى جوهره خلاف على الثقة به ، وهو يقر المشروع الأمريكى فى أصوله ، ولكنه يطلب تقرر الثقة المتبادلة فى العلاقات الدولية قبل التقيد بالالتزامات الخطيرة .

هذه الأزمة فى الثقة هى عقدة العقد فى الخلافات الدولية ، لأنها تستند إلى تباين فى الميادين والأهداف والسبل . وجميع الحلول التى قدمت ليست سوى محاولات دبلوماسية اللغة مبطنة المقاصد تحاول أن تخرج من المأزق فتنفق الوقت والجهد فى الجدل المقيم ، تذر به الرماد فى عيون الرأى العام العالمى وتستر به استعداداتها للمعركة الفاصلة .

(نيويورك) عمر حليق

(١) راجع بحث للكاتب عن « الخلاف على القنبلة الذرية » فى عدد سابق فى الرسالة .

صور من الحياة :

الشيـــخ علي

للأستاذ كامـــل محمود حبيب

يا لقسوة الحياة حين تستلب الطائر الغريد من حريته فترغمه على أن يعيش سجيناً يضطرب فى قفص ، يدف بجناحيه بين السياج فلا يستطيع أن ينشرهما . يرى الهواء والماء والشجر من وراء القضبان ولا يجد لذتها ، ويحاول – فى وحدته – أن يترنم بألحان الغابة الشجية فلا تنبعث منه إلا صيحات الأسى والألم ، ثم ينطوى على نفسه فى يأس يستشعر الحزن والكمد ، فالباب مغلق من دونه وماله طاقة بأن يظهره . ولكنه – وهو فى سجنه – لا ينسى أن يسرّى عن نفسه ببعض ما يضنيها فيعبث بها ويعبث منها .

***

ما زلت – يا صاحبى – أذكر يوم أن حدثنى أبى حديث سفرى إلى القاهرة لألتحق بالأزهر . فلقد كان لكلماته – إذ ذاك – نغم حلو يبعث فى نفسى اللذة والطرب ، ويشيع فى قلبى السعادة والنشوة ، ويملأ جوانحى مرحاً وسروراً وطافت برأسى أخيلة جميلة جذابة فتراءيت فى عين نفسى شيخاً فيه المهابة والوقار ، وفيه الهدوء والرزانة ، وعلى وجهه سيما العفة والطهر ، يدخل الأزهر فى صمت ويجلس إلى شيخه فى خشوع ، يتأنق فى جبته ، ويختال فى عمامته فابتسمت ... ابتسمت حين أحسست بالسمو والعظمة ، فما فى صحابى من رأى القاهرة أو دخل الأزهر ولا مَن لبِس العمامة أو جلس إلى شيخ . ولكن أين أنا الآن مما كان فى خيالى ؟ لقد كان حلماً جميلا يوشك الآن أن ينطفىء ألقه ، فأنا أشعر كأننى أعيش وحدى فى ناحية من الأرض لا أعرف عنها شيئاً ، لا أتفاعل معها ولا تجذبنى هى إليها . وأنا أحس الضيق والملل حين أجدنى بعيداً عن دارى وأهلى لا أرى أبى ولا ألمس عطف أمى ولا أستمتع بالحديث إلى رفاقى فى القرية ومرت الأيام وأنا فى القاهرة أعيش مثلما يعيش الطائر الغريد سُجن فى قفص ، فلا أجد لذة الحياة ولا متعة المدينة ولا رفاهة العيش ، أذوق لذع الغربة وغضاضة الحرمان ، ولا أرى من دنيا القاهرة سوى الأزهر والحجرة وما بينهما فحسب . أغدو إلى الأزهر أستمع إلى شيخى فلا أفهم عنه شيئاً ، وأحفظ كلماته فلا تطرب لها نفسى ، وأستظهر عباراته فلا يهتز لها قلبى . ثم أروح إلى الحجرة التى أسكن لأندفع مع رفاقى فى ثرثرة وهذر ما يتناهيان

وضقت بالحياة هنا فى القاهرة ، وضاقت هى بى ، فذهبت ألتمس لنفسى متنفساً بين صحابى فى الأزهر ، وبين رفاقى فى الحجرة ، فتفجرت حياتى عن لذاذات فيها البهجة والسرور . فنحن – أنا ورفاق . حين نغدو إلى الأزهر لا نهفو إلى الشيخ ولا نسعى إلى الدرس ، كدأبَ الطالب المنتسب لا يلصق بشيخ ولا يوثق إلى ميعاد ولا يقيد بدرس ، ولكن ننطلق إلى حماقات الصبى وسفاهات الشباب ، ولكثير من شباب الأزهر حماقات شيطانية تبدو عندما تهب أول نسمة من نسمات الصبح حين يوشك الأزهر أن ينفض عنه سنات النوم ، ومن بعد الظهيرة حين يثقل الكرى أجفان الطلبة من فرط الشبع والامتلاء ، ومن بعد صلاة العشاء حين تنهد الأجسام من أثر الكلال والتعب . فما نبرح فى هزل ومزاح حتى يضج صحن الأزهر ، وحتى يضيق بنا من يتكلف الرزانة ، وحتى يثور من يريد أن يفرغ إلى الدرس أو من يطمع فى أن يهدأ إلى الفراش . فلا نخرج من هناك إلا حين ترتفع فى وجوهنا عصا المشد أو توشك أن تصفعنا نعال الطلبة .

ونحن حين نروح إلى الحجرة نتحلّق حلقة واحدة نتفكه بما يفعل أساتذتنا ونتندر بما يقولون ونتهكم عليهم فى عبث وإقذاع . وإن أعجزتنا فنون الحديث أخذ شاعرنا يقرأ طرفاً من قصص أبى زيد الهلالى أو الزناتى خليفة أودياب ، يقرأ فى غير تعثر وينطلق فى غير توقف ، وهو يترنم بما يقرأ فى صوت رقيق جذاب يأخذ اللب ويأسر القلب . وقد نجلس إلى رجال ممن نزحوا عن قريتنا منذ زمان يبتغون سعة من الرزق هنا فى القاهرة فنستمتع معاً بشرب الشاى الأسود ، ويستمتعون هم بوقت جميل فيه المرح واللذة ، ونستمتع نحن بما نسمع من أغانيهم الريفيـة وألحانهم الشجية ، فتمتلىء الحجرة ضجيجاً تهتز له أرجاء المكان . فلا تهدأ العاصفة إلا حين يدخل الشيخ على فى وقاره المصنوع وهو ينادى بصوت

أجش « الله ، الله ! هذا هو العلم يا مشايخ ! » فينفض السامر في صمت . أما أنا فأنطلق إلى لحافي ألتفف فيه ، أوارى ابتسامة السخرية وقد تطلّق بها وجهي .

ولطالما أحسست السعادة بين صحابي في الأزهر ورفاق في الحجرة فما يزعجني إلا هذا الشيخ القزم المروق ، وهو يثير في نفسي للكآبة والحزن ، وإن حديثه ليبعث فيّ الملل والضيق ، وإن حركاته لتحملني على النفور والبغض ، وإن طباعه لتبذر فيّ غراس الكراهية له والاشمئزاز منه .

والشيخ على فتى ضئيل مهزول تقتحمه العين وتزدريه النفس ، يتعالى حين يحس الصغار ، ويترفع حين يحس الضعة ، ويتكبر حين يحس الذلة ، في وجهه عبوس ، وفي كلامه خشونة ، يتصنع الرقة ويتكلف الظرف . وفي طبعه الشراهة والأنانية فهو يحرمني مال أبي ، فما يحبوني بقرش أشبع به بعض رغبات نفسي ، وإنها لتدفعني إلى أشياء أراها في الشارع ، أهفو نحوها ولا أجد السبيل إليها . وهو يحرمني حاجات القرية ، فأبي يرسل إلى الدجاج والأرز والفطير والعسل والسمن و ... فأراه وأشتهيه ولكن يدي لا تستطيع أن تبلغه ؛ وإن كبريائي لتترفع عن أن تتحدث بهذا لواحد من الناس . وهو فظ لا يجلس إلى واحد منا ولا يتبسط معنا في الحديث ، ولا يلقى إلينا بالتحية ، صلفاً منه وتيهاً ، فهو — في رأى نفسه — شيخ يوشك أن يكون عالماً . ثم هو يتأنق في لباسه الرخيص ويحرص على أن يلبس نفسه — دائماً — ثوب الطاووس .

لشدّ ما غاظني ما أرى من طباع هذا الشيخ وفيها اللؤم والضعة ، ولشد ما ضايقني أن أراه يحاول أن يضعني منه موضع الخادم وأنا شموس صعب ، ولشد ما حزّ في نفسي أن يزعم لنفسه الرئاسة فيريد أن يبسط علينا سلطانه ، وما هو في القرية بشيء .

وثارت شيطانيتي — ذات يوم — ودفعتني إلى أن أعبث بالشيخ فرحتُ أنشىء كلاماً موزوناً مقفى فيه الهجاء القذع والتهكم المر ، والسخرية اللاذعة ، أخاطب به هذا الشيخ القمىء ، وأخذت أردده بين رفاقي كل مساء في الحجرة ، وفي وقت الظهيرة في صحن الجامع الأزهر ، فما تلبث رفاقي أن حفظوه وراحوا يترنمون به وجاءني الشيخ على يفور غضباً ويتوثب غيظاً ، يتكلف الوقار والهدوء ثم صاح في وجهي « أأنت قلت هذا الكلام ؟ » فقلت « نعم ، وويلك إن أنت رفعت يدك أو حركت لسانك ! » وذهل الشيخ لحديثي حين رأى فيه الجرأة والغلظة ، فقام عني ليكتب إلى أبي يشكوني .

وجاء أبي ليسمع ويرى ، فأغلظ لي في القول وعنف في الحديث ، ولكنه حين أراد أن يعود إلى القرية أعطاني عشرة قروش ... عشرة قروش كاملة ! ورأت طفولتي في نظرات أبي وفي قروشه معاني خفيت على الشيخ نفسه . وسافر أبي إلى القرية ولكن « قصيدتي » ما زالت تلاحق الشيخ في كل مكان ويترنم بها كل لسان .

وضاق صاحبنا بهذا الهجاء فانطلق إلى شيخي ينشر أمامه سفاهتي وقلة أدبي ، وشيخي رجل فظ غليظ جافي اليد واللسان . وأراد شيخي أن يبطش بي ولكنه وجدني لين العود لين العظم ضئيل الجسم فخشي إن هو ضربني أن أتحطم تحت يده أو تحت عصاه ، فنهرني في شدة ثم جذبني من أذني جذبة خِلتُ معها أن رأسي قد انشطر لها شطرين . ورضي الشيخ على ولكن « قصيدتي » ما زالت تلاحقه في كل مكان ويترنم بها كل لسان .

ورضيت نفسي بما فعلتُ . ومرت الأيام والشيخ على يزداد كراهية لي ومقتاً ، وأنا أتمادى في إغاظته وإثارته ، وهو لا يستطيع أن يثأر مني خشية لساني وجرأتي ، وإبقاء على ما يرسله أبي من مال وطعام .

وجاء ابن عمي من القرية — ذات مساء — يحمل معه الطعام والنقود ، وأسررت له أمراً ووافق هو ، فلم تمض ساعة حتى كنت أنا وابن عمي والطعام والنقود جميعاً في حجرة الشيخ حسن .

لقد انفلت الطائر الغرّيد من قفصه ليذر صاحب القفص — الشيخ على — يندب صحبتي حين فقد أطايب الطعام وهي تهطل عليّ من القرية فأتنسم ريحها ولا أتذوقها ، وحين فقد مال أبي وهو كان يستمتع به وأنا أقاسي مرارة الحرمان .

فوداعاً ، وداعاً ، أيها الشيخ القمىء ، فما في شراهتك وأنانيتك وبخلك ما يدفعني إلى أن أقول لك : إلى اللقاء ...

كامل محمود حبيب

فزان بين يدي الأتراك والطليان (*)

للأستاذ أحمـــد رمزى بك

المقدمة :

١ — أعبر عن شكرى لهيئة مجلس الإدارة الممثل لرابطة خريجى جامعات فرنسا وسويسرا وبلجيكا إذ أتاح لى الفرصة مرة ثانية لـكى أتحدث إليكم ، وسيكون حديثى عاماً عن مقاطعة « فزان » وهى الجزء الجنوبى من ليبيا

وهو حديث كما ستسمعونه سهل غير متكلف يعبر عن شعور المتكلم أكثر من أن يكون محاضرة بالمعنى الصحيح ، إذ أننى لا أقصـد من هذا تقديم بحث علمى أو تاريخى ، وإنما أتقدم بمعلومات متفرقة ونظرات أوحاها إلىّ ما كان ينطبع فى مخيلتى عند مرور هذا الاسم علىّ فى أوقات مختلفة ومناسبات عدة .

٢ — ولقد اخترت التحدث عن هذا الموضوع لأننى رأيت اسم « فزّان » بارزاً فى الأسابيع الأخيرة ، فهى موضع نزاع قائم بين أهل ليبيا وبرقة الذين يطلبون الوحدة لبلادهم أى لا يفرقون بين الجزء الغربى المسمى ليبيا ، والجزء الشرقى المسمى برقة ، ولا يسلمون بانتزاع الجزء الجنوبى المسمى « فزان » ومع دعاة التقسيم وتوزيع الأسلاب .

٣ — ولا شك أنكم قرأتم فى الصحف أن فرنسا تحتل هذا القسم المسمى « فزّان » وأن السلطات العسكرية المحتلة منعت ممثلى الشعب الليبى ورجال الصحافة العربية من دخول مقاطعة « فزّان » أو الاقتراب من حدودها . فحالت بينهم وبين الاتصال بالسكان . وأترك لحضراتكم تفسير وقع هذا النبأ وأثره فى الضغط على حريات الشعوب المظلومة .

٤ — إن الوحدة الإقليمية التى ينادى بها أهل البلاد هى وحدة قائمة منذ العهد العثمانى ، واستمرت طول الحـكم الإيطالى إذ كان يطلق على هذا الإقليم اسم ولاية أو إيالة طرابلس الغرب حتى جاءت إيطاليا واعتدت عليها فأصدر ملكها فى أوائل سنة ١٩١٢ أمراً ملكياً ، جعل الولاية قسمين : قسم ليبيا وقسم برقة والحقت قائمقامية فزان بالقسم الليبى ، وبقى الحـاكم الإيطالى يسيطر على الأقسام جميعها .

٥ — ويجعل الطليان امتـداد فزان ٩٠٠ كيلو متراً من الشرق إلى الغرب و ٧٠٠ كيلو متراً من الشمال إلى الجنوب ، ويجعلون مساحتها أكثر من ٣٠٠ ألف كيلو متراً وهى كما ترون تتوسـط تقريباً الصحراء الـكبرى بين وادى النيل وشواطىء المحيط الأطلسى وتـكون هضبة يبلغ مستوى ارتفاعها ٥٠٠ متراً فوق مستوى البحر وإن كان يتخللها ودبان ومنخفضات تهبط أحياناً إلى ١٥٠ متراً تحت سطح البحر .

٦ — فهى تتمتع بمركز ممتاز جعل منها لعدة قرون مضت ممراً للطريق البرية ، وأصبحت عاصمتها « مرزوق » فى وقت ما مركز تجمع القوافل التى كانت تسير من بلاد المغرب ومن مصر وطرابلس وبرقة فى اتجاهها إلى بلاد السودان وأواسط أفريقيا .

٧ — فالطريق من مصر كان يمر بالجغبوب وجالو وزيلا إلى مرزوق ومنها يتجه جنوباً إلى الأقاليم السودانية ، وأحياناً يتجه إلى حوض النيجر وتمبوكتو .

والمطلع على كتب التاريخ القديمة يذكر الجاليات السودانية التى كانت تأتى من دكرور وتقطن وادى النيل ويحيطها كثير من ملوك مصر وسلاطينها بعطفهم أيام دولتى المماليك ، ثم أتى وقت كانت فيه كل من غات ومرزوق منزلين مهمين من منازل الحجاج المسلمين فى طريقهم من غرب أفريقيا . وأخيراً فقدت المدينتان هذه الأهمية بعد أن اتخذ الحجاج طرق البحر ، وبعد أن أضاعت الأمارات الإسلامية استقلالها فى أفريقيا وخربت الجهات والواحات التى كانت يوماً ما آهلة بالسكان ، عامرة بالمزارع .

ومع هذا فليس ببعيد أن تسترد هذه المناطق منزلة قد تفوق منزلتها الأولى ، إذ أن النصف الثانى من القرن العشرين يخبىء لنا الـكثير من المفاجآت وأهمها العودة إلى الطرق العتيقة التى كان أسلافنا يقطعونها فى أيام فإذا بالسيارات تقطعها فى ساعات .

ثلاثة تواريخ هامة يجب أن نضعها أمام حضراتكم حينما نتحدث عن فزان :

(*) ملخص المحاضرة التى ألقاها أحمد رمزى بك ممثل مصر السياسى بسوريا ولبنان من ١٩٣٩ — ١٩٤٤ برابطة خريجى جامعات فرنسا وسويسرة وبلجيكا .

فى مارس سنة ١٩١٤ احتلت إيطاليا مرزوق وخرجت منها فى ديسمبر من نفس السنة .

فى عام ١٩١٧ استردها الأتراك ثم تركوها لأهلها سنة ١٩١٨ حتى استعادها الطليان سنة ١٩٢٩

فى ١٢ يناير سنة ١٩٤٣ دخلتها قوات فرنسا الحرة ولا تزال تحتلها إلى اليوم .

وقد أعلن هذا الفتح فى بلاغات ثلاثة عسكرية :

الأول : يصف العمليات الحربية الأخيرة فى الشمال ويعين الجنرال دلانج Delange حاكماً عسكرياً .

الثانى : يعلن سقوط مدينتى سبها ومرزوق معاً .

الثالث : يعدد الأسرى والغنائم ويشيد بعمل الفرق السنغالية التى اشتركت فى المعركة .

٩ — وفى ١٧ يناير سنة ١٩٤٣ أصدر الجنرال ديجول بياناً للسكان جاء فيه :

إلى أهالى فزان الشجعان الكرماء :

أحييكم باسم فرنسا التى حررت بأسلحتها أراضيكم ، وستأخذ من الآن فصاعداً على عاتقها حمايتكم .

إن فرنسا ستبقى فى فزان وفى غيرها الصديقة المخلصة لرعاياها المسلمين .

لقد ترتب على هزيمة العدو المشترك أن أصبحت مقاطعتكم تتمتع بالأمن والرفاهية تحت سيطرة فرنسا .

١٠ — ومن ذلك اليوم ، ظهرت نوايا فرنسا فى أن تنتدب على فزان وجاهرت بأنها جزء متمم للمستعمرات الفرنسية أقرب إلى الجزائر وتونس منها إلى ليبيا وبرقة .

بل جاهر رجال فرنسا بأنها المحطة الرئيسية للطريق الجوى بين مدغشقر وفرنسا .

وقيل أن بريطانيا وأمريكا سوف لا تعارضان فى الضم إذا قبلت فرنسا بعض الاشتراطات .

١١ — فما هى فزان حتى تصبح ذات أهمية وموضوع خاص ؟

جاء فى معجم البلدان لياقوت الحموى :

هى ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب تقع فى الاقليم الأول ، بها نخل كثير ، ومدينتها زويلة السودان والغالب على ألوان أهلها السواد .

وقد ذكرهم جرير فى شعر له فقال :

قفراً تشابه آجال النعام به عيداً تلاقت به فزان والنوب

مما يشعر أن فزان كان اسماً يطلق على جنس أو قبيل من الناس ، والمسألة تحتاج إلى تحقيق .

١٢ — ولن أترك هذا القسم من الحديث دون أن أشير إلى باب مشهور من أبواب القاهرة هو باب زويله المعروف باسم باب المتولى ، فقد أطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى جنود الدولة الفاطمية الذين كانوا من هذه المنطقة من أقاليم الصحراء الكبرى .

١٣ — من السهل التعرض إلى وصف الاقليم الفزانى ومظاهر الطبيعة وتضاريسها من وديان وجبال ، والكلام على طرق المواصلات ، فيها وفى داخلها ، كما أنه من المفيد الإشارة إلى توزيع السكان وأصولهم من عرب وبربر ، وعوائدهم وما يسود هذه الجماعات من معتقدات قديمة وأساليب معاشهم ؛ ولكن هذه المعلومات موجودة فى المراجع المختلفة ويمكن الاطلاع عليها ، ومجرد ذكرها لا يعد من المواضيع الجديدة التى يصح أن أعرضها فى حديث فرضت من المبدأ أن يكون الغرض منه تنبيه الأفكار للنواحى التاريخية الغامضة من حياة فزان الحديثة والتى تصلح كدروس لنا وتجارب للمستقبل .

١٤ — وهذه النواحى لا يمكن فصلها عن حياة ليبيا وبرقة ، فلنبدأ بإعطاء صورة من اعتداء إيطاليا على هذا الركن من العالم ، ثم ننقل إلى تقسيم العمليات الحربية التى كانت فزان مسرحاً لها حتى دخلت قوات فرنسا المحاربة هذه المنطقة وحررتها كما تقول .

(يتبع) **أحمد رمزى**

القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

- ٧ -

من المستحسن بعد أن قدمت فى المقال السابق نبذة عن أربع قبائل أن أستقصى خصائص كل قبيلة على حدة مشيراً إلى ما تشارك فيه غيرها أو أحقق ما ينسب إليها وهو بغيرها أحق.

١ — إذا أضيف الاسم المقصور إلى ياء المتكلم ظل على حاله من بقاء الألف كما هى فيقال فتاى وعصاى، أما إذا كان قبل ياء المتكلم ألف من حروف الجر « إلى وعلى » أو من الظرف « لدى » فإن الألف تدغم فى ياء المتكلم فيقال إلىَّ وعلىَّ ولدىَّ. هذا هو الشائع المستعمل فى القبائل العربية ما عدا هذيلاً فإنها تستعمل الجميع استعمالاً واحداً وهو بالإدغام فيقولون فتىَّ وعصىَّ مثل: إلىَّ وعلىَّ. قال شاعرهم:

سبقوا هوىَّ وأعنقوا لهواهمو فتخرموا ولكل جنب مصرع

وقد قرأ عبد الله بن أبى إسحق وعاصم الجحدرى « قال هى عصىَّ أتوكأ عليها » كما قرآها وعيسى بن عمر « فمن تبع هدىَّ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وما شابه ذلك من المقصور المضاف إلى ياء المتكلم قرئ به على لغة هذيل، اما قراءة الجمهور فهى على اللغة المشهورة.

٢ — « لمَّا » يدل فى المشهور على الحين أو الشرط إذا كان قبل الفعل الماضى كقوله تعالى: « ولمَّا فتحوا متاعهم وجدُوا بضاعتهم رُدَّت إليهم » أو يدل على النفى مع الجزم للمضارع إذا سبقه كقوله تعالى: « كلا لما يقض ما أمرَه » أما لغة هذيل فيستعمل فيها بمعنى إلا الاستثنائية تقول أقسمت عليك لمَّا فعلت كذا أى إلا فعلت كذا. وقد قرأ عاصم وابن عامر وحمزة وأبو جعفر « إن كل نفس لمَّا عليها حافظ » بتشديد الميم بمعنى إلا « وإن » فى هذه الآية على قراءتهم نافية أى ما كل نفس إلا عليها حافظ. كما جاءت لمَّا بمعنى إلا فى قراءات صحيحة فى سور أخرى.

٣ — ما كان اسما على وزن فَعْلَة مفتوح الفاء وبعده واو ساكنة أو ياء ساكنة فإنه فى اللغة المشهورة يجمع جمع مؤنث سالماً على فَعْلَات بإسكان العين بعد الفاء المفتوحة يقال فى جمع بيضة وعورة « بيضات وعوْرات » لكن هذيلاً تحرك حرف العلة بالفتح تبعاً لفاء الكلمة يقولون بيضات وعوَرات بفتح الياء والواو. وذكر فى تفسير البحر أن الأعمش قرأ « ثلاث عوَرات لكم ... أو الطفل الذين لم يظروا على عوَرات النساء » بفتح الواو على لغة هذيل. أما الجمهور فقرءوا بالإسكان لكن صاحب البحر نقل نسبة هذا الفتح إلى هذيل وبنى تميم.. ونحن نعلم أن تميماً مبدؤها الغالب إسكان الوسط المتحرك تخفيفاً كما أنه ليس هناك علاقة مجاورة بين القبيلتين حتى تشتركا فى ظاهرة قوية كهذه، ويرجع هذا الخلط إلى أن ابن خالويه فى كتاب شواذ القراءات قال: إن بنى تميم يقولون روَضات وجوَزات وعوَرات بتحريك الواو بالفتح وسائر العرب بالإسكان. لكن المشهور فى كتب النحو والصرف أن تحريك الواو والياء فى مثل جوزات وبيضات هو لغة هذيل بن مدركة وهو ما أرجح صحته لما سبق أن قدمته، والفراء نسبه إلى هذيل فحسب وقد روى عليه:

أبو بيَضات رائح متأوب رفيق بمسح المنكبين سبوح

٤ — الفعل أو الاسم المنتهى آخره بياء مكسور ما قبلها تشبع حركته وهى الكسرة فى وصل الكلام ووقفه تقول يقضى والقاضى ... الخ أما هذيل فإنها فى وصل الكلام تجتزئ بالكسرة عن الياء ولهذا عند الوقف يسكن ما قبل الياء فتضيع وقد أنشد على لغتهم:

كفاك كف ما تُليق درهما
جوداً وأخرى « تمط » بالسيف الدما

وجاء فى قراءة سبعية كثيرة ... ذلك ما كنا نبغ ... « يوم تاتِ ... والليل إذا يسر ... وهو الكبير المتعال ... الذين جابوا الصخر بالواد » فبعض القراء يسير على طريقة الهذليين فى الوصل والوقف فيسكن ما قبل الياء ويجتزئ بالكسرة وصلا وبعضهم يسير على اللغة المشهورة فيقرءون المتعالى ويسرى والوادى .. الخ فى الوقف والوصل.

٥ — ذكرت فى مقالى سابق أن تميما وقيساً وأسداً وربيعة

يكسرون حرف المضارعة إذا كان الهمزة أو التاء أو النون أما قبيلة هذيل فإنها تكسر حرف المضارعة إذا كان ثانى فعله الماضى مكسوراً للاشارة إلى أنه فى ماضيه مكسور وأن بعض قبيلة كلب من قضاعة يكسرون جميع أحرف المضارعة أما بهراء وهى من قضاعة فإنها تكسر ما كان أوله التاء فحسب ومع ذلك فإن بهراء هى التى سمى باسمها هذا الكسر فقيل «تلتلة بهراء» فأصبح كثير من الكتاب يخطئون فيحسبون كسر حرف المضارعة على إطلاقه من لهجة بهراء تأثراً بما اشتهر عن ذلك بأنه تلتلتها وبعضهم يخطئ فينسب بهراء إلى تميم وقد رأينا أن بهراء لا تكسر حرف المضارعة إلا إذا كان تاء وعلى العموم فإن القبائل الشمالية وبخاصة النجدية هى التى اشتهرت بكسر حرف المضارعة على التفصيل السابق ولم يشركهم فى بعض هذا إلا هذيل التى تعتبر فى دائرة الحجازيين فيما كان ثانى ماضيه مكسوراً .

وقد رويت أبيات كثيرة فى كتب النحو والمعاجم وفيها كسر حرف المضارعة من ذلك قول الشاعر :

لو قلت ما فى قومها — لم تِيثم — يفضلها فى حسب وميسم

أراد لو قلت : ليس فى قومها أحد يفضلها فى الحسب والميسم لم تكن آثما .

وهذا البيت ينطق فى بهراء وتميم وقيس وأسد وربيعة وكلب وهذيل بكسر حرف مضارعه لأن ثانى ماضيه مكسور « أثِم » ولأن أول مضارعه التاء ومثل هذا البيت قول الآخر :

قلت لبواب لديه دارها تِيذن ؟ فإنى حمؤها وجارها

أراد : أتأذن ؟ فحذف همزة الاستفهام وقد تقدم بعض ما قرئ به فى مقال سابق .

٦ — نسب صاحب البحر إلى هذيل أنها تبدل الواو المكسورة المصدرة همزة وذلك عند تفسير قوله تعالى « فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه » حيث قال « قرأ ابن جبير من إعاء أخيه بإبدال الواو المكسورة همزة كما قالوا إشاح وإسادة فى وشاح ووسادة وذلك مطرد فى لغة هذيل يبدلون الواو المكسورة الواقعة أولا همزة » وقال الصبان فى حاشيته على الأشمونى : وقرأ أبى ابن كعب وابن جبير الثقفى من إعاء أخيه ...

ونقل عن المرادى : قوله « رأيت فى بعض الكتب أنه لغة هذيل » اه ولعل بعض الكتب هو تفسير أبى حيان . أما لسان العرب فقد نسب ذلك إلى قبيلة تميم حيث يقول : إقاط ووقاط جمع وقيط . ولغة تميم فى جمع إقاط مثل إشاح يصيرون كل واو تجىء على هذا المثال ألفاً « ولعله أراد بهذا المثال » ما كان على وزن فِعال أو فِعالة حيث ورد وشاح وإشاح ووقاط وإقاط ووكاف وإكاف ووعاء وإعاء ووسادة وإسادة وورانة وإرانة ووفادة وإفادة ووقاء وإقاء » وقد يكون أراد بهذا المثال ما كان واواً مكسورة فى أول الكلمة وهو الأظهر فقد ورد « ورب وإرب وورث وإرث ووصر وإصر » حيث يوافق الصبان على الأشمونى فى إطلاقه على ما كان واواً مكسورة مصدرة .

وقد نقل شارح القاموس أيضاً ما ذكره صاحب اللسان . ويختلف اللغويون فى جواز هذا الإبدال واطراده والقياس عليه أو أنه قاصر على السماع ! فأبو عثمان المازنى يرى أنه مقيس مطرد وغيره يقصره على السماع .

ونحن حين نناقش هذا الإبدال ونريد الترجيح بين نسبته إلى القبيلتين وفى هذه الكتب نجد أنه بتميم ألصق وإليها أقرب وأن ما ذكره أبو حيان وما عزى إلى المرادى فى حاشية الصبان سهو منهما أو خطأ فقد بينت فى المقال الثانى أن هذيلا كالحجازيين لا ينبرون . فإذا كانوا فى المهموز يخففون همزته فكيف يهمزون ما ليس كذلك ! وبينت أيضاً أن قبيلة تميم أحرص العرب على النبر كما أنها قد تلجأ فى إبانة الحرف إلى ما هو أقوى منه وأوضح حتى تنتقل بالهمزة إلى العنعنة وبعضها ينتقل بالياء إلى الجيم فى العجعجة . أما القياس وعدمه فيحتاج إلى قرار يصدره المجمع اللغوى فى جواز ذلك أو قصره على السماع .

وهناك إبدال فى الواو المضمومة المصدرة ولكن لم ينسب إلى قبيلة بعينها أو جهة بخصوصها وقد نقل صاحب لسان العرب عن المازنى قوله : كل واو مضمومة فى أول الكلمة فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها وإن شئت قلبتها همزة فقلت وُعد وأُعد ووُجوه وأجوه ووُورى وأورى ... » وورد « وُقتت وأقتت » وذكر أبو حيان فى تفسيره « قرأ الجمهور أقتت بالهمز وشد القاف وقرأ أبو الأشهب وعمرو بن عبيد وعيسى بن عمر وأبو عمرو بالواو

وشد القاف قال عيسى وهى لغة سفلى مضر » اه . وسفلى مضر هى القبائل التى تقارب النجديين أو هى النجديون أما عليا مضر فهى التى تقارب المدينة وما حولها ودنا منها فإما أن « وقتت » بخصوصها هى التى ينطقها سفلى مضر وإما أن يراد بسفلى مضر القبائل القريبة جداً من أهل الحجاز الذين لا ينبرون وهم بعض قيس المجاورون للحجازيين حيث إن الهمز من خصائص النجديين وقلب الواو همزة وهى مضمومة بهم ألصق وبلهجتهم أنسب ، وبخاصة التميميون وقد قيل تيم بن أد وأصله ود . كما ورد فى الواو المصدرة المفتوحة هذا الإبدال بقلة : ورخ وأرخ ووخ وأخ .

ومما يؤيد كون قلب الواو المكسورة من خصائص تميم أن المزهر نسب الإكاف بالهمزة إلى تميم والوكاف بالواو إلى الحجازيين وهذيل تجاورهم أشد المجاورة .

٧ — « متى » اسم يدل على الاستفهام أو الشرط يفيد معنى الزمن فى كليهما فمن الاستفهام قوله تعالى متى نصر الله ومن الشرط قول الشاعر :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد حطباً جزلا وناراً تأججا

أما لغة هذيل فى « متى » فهى استعمالها حرفاً بمعنى « من » الجارة فتعمل عملها وبمعناها سمع من قولهم « أخرجها متى كمه » أى من كمه وروى :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج

أراد من لجج فخرجت فى لغتهم عن الأسمية والاستفهام والشرطية . والقرآن الكريم لم تقع « متى » فيه إلا استفهامية

٨ — « الأم » تنطقها القبائل بضم الهمزة ما عدا هذيلاً وهوازن فإنهما يكسران همزتها إذا سبقتها الياء أو الكسرة وقد قرأ بكسر الهمزة « فلإمه الثلث » حمزة والكسائى وقرأ الباقون بضمها .

٩ — تقول هذيل أرجعته وغيرها يقول رجعته ، وجمهور القراء قرءوا ما ورد فى القرآن من الثلاثى : فإن رجعك الله . فرجعناك إلى أمك . ترجعونها . يرجع بعضهم إلى بعض القول وحكى أبو زيد الأنصارى أن المفضل الضبى قرأ : أفلا يرون أن لا يُرجع إليهم قولا . وقال رب أرجعون» من الرباعى على لغة هذيل

١٠ — هذيل وعقيل وطيء يبنون اسم الموصول الدال على الجمع فى حالة الرفع على الواو وفى حالة النصب والجر على الياء وقد جاء على لغتهم :

نحن اللذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا

١١ — اشتهر عن هذيل ما يسمى الفحفحة ويعرفونها بأنها قلب الحاء عيناً يقولون فى حتى عتى ، وذكر السيوطى فى كتاب الاقتراح فى أصول النحو أن فحفحة هذيل هى أن يجعلوا الهاء عيناً فيقولون فى هل عل . ولست أدرى من أين جاء بهذا الذى لم يقل به أحد ، بل إن الحاء وإبدالها عيناً لم يذكروا لها إلا عتى فى حتى مما يدل على أن قلبها إنما هو فى هذه الكلمة بخصوصها ويؤيد ذلك ما يروى أن عبد الله بن مسعود قرأ : عتى حين ، فلو كان الإبدال مطرداً لقرأ : عتى عين . والذى يبدو لى أن الهذليين يجهرون بالحاء إلى أن تقارب العين وظهر ذلك فى «حتى» بوضوح لجعلها إلى العين أقرب ثم طال بها العهد فصارت فى استعمالهم بخصوصها عتى .

١٢ — كذلك اشتهر عن هذيل والأزد وقيس وسعد بن بكر من قيس والأنصار ما يسمونه الاستنطاء وهو أن يجعلوا العين الساكنة قبل طاء نوناً يقولون أنطى فى أعطى .. والحقيقة أن ما ورد من هذا الاستنطاء هو فى أعطى وتصريفها فحسب ، وهى التى استعملها الرسول فى بعض كتبه حيث قال وأنطوا الثبجة وقرىء عليها إنا أنطيناك الكوثر ، وروى الحديث لا منطى لما منعت ولا مانع لما أنطيت . ولم يرد إلينا أنهم قالوا فى أعطف وأعطب وأعطر وما شابه ذلك : أنطف وأنطب وأنطر . ويخيل إلى أيضاً أن العين فى أعطى دخلها ما يشبه الغنة والإدغام فحولها الأنف إلى ما يشبه النون وبمضى الزمن ورثت على أنها نون وصارت لفظة أنطى مرادفة لأعطى كما أصبحت عتى مرادفة لحتى وليس كل عين ساكنة قبل طاء ينطقونها نوناً ولا كل حاء يبدلونها عيناً ، أما الفحفحة التى ذكرها السيوطى فى الاقتراح فلم أجد من ذكرها غيره وقد تكون الهاء فيها نالت من التقوية عند البدء بها ما جعلها تشبه العين . ولم يرد غير : ألا لغة فى هلا وأل لغة فى هل ولم يقل أحد علا ولا عل .

١٣ — ذكر ابن الجزرى فى غاية النهاية أن هذيلا تكسر أول الماضى المبنى للمجهول إذا كان مضعفاً فيقولون فى رُدَّ بالضم

حول الفكر العربى :

الغرض من دراسة الفكر العربي

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

— ٢ —

إن كانت نهضتنا الثقافية تحتاج إلى تقوية شخصيتنا العربية ، من طريق تجسيم المبادئ الإسلامية فى ظروف الحياة العصرية ، فإنها تحتاج كذلك إلى أن يضع العرب أيديهم على مواضع عبقريتهم التى لستها الحضارة الغربية ، ومحت معالمها الأصلية التى لن تتضح إلا إذا لجأ العرب إلى دراسة تراثهم الفكرى الذى يعتبر الوثيقة الصادقة الوحيدة التى يختبئ فى ثناياها سمات النبوغ العربى ، وقدراته الفذة ، والذى يسوق البحث فيه إلى معرفة اتجاهات هذا الفكر التى إذا أتيح لها فرص القيام بالأعمال التى تلائمها ، وتتمشى مع نوازعها ، مهرت فى أداء كل ما تكلف به ، وأظهرت براعة فى كل ما يطلبه منها من واجبات سواء أكانت قومية أم دولية . ولذلك يجب على كل من يشتغل بالفكر العربى من العرب أن يراعى هذه الحقيقة ، ويضعها نصب عينيه ، ولا يقف عند حد تحليل العلوم العربية وفنونها ، وإنما يجب أن يتمدى مثل هذه الأبحاث ، ويرمى إلي إبراز مؤهلات العقلية العربية وكفاياتها ، ويهدف إلى رسم الطرق التى تصمم أسس ثقافات جديدة تتفق مع روح المدنية الحديثة ، وتحقق للعرب مآربهم فى الحياة ، ولا ينبغى لأحد من العرب أن يحاكى المستشرقين فى دراستهم للفكر العربى .

لا شك أن المستشرقين هم رواد الباحثين فى الفكر العربى ، وإن كنا نقدر هذا السبق إلا أنهم لم يوجهوا البحث فيه وجهته الصحيحة ، وذلك لأنهم ما أقبلوا على دراسته فى أول الأمر إلا بتأثير نوعين من البواعث : أولهما حب الاستطلاع ومعرفة مدى ما وصلت إليه الثقافة العربية من رقى ، فى وقت كان الغرب يعيش على الفطرة ، فبعثت دراستها فى نفوس الغربيين الحسد والغيرة من تلك الثقافة التى اعتمدوا عليها فى غذائهم الروحى

ردٌ بالكسر ، وأن عاصما قرأ « ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق » بكسر الراء . ويروى أبو حيان أن هذا الكسر لغة بنى ضبة ، وهم بنو عمومة تميم حيث يقول : « قرأ علقمة ويحيى بن وثاب والأعمش » وجدوا بضاعتهم رِدت إليهم « بكسر الراء وهو لغة بنى ضبة » . أما إتحاف البشر فقد نسب قراءة الكسر إلى الحسن فحسب ، واكتفى بأن قال إنها لغة ولم ينسبها إلى قبيلة . ولعل الكسر تشترك فيه القبيلتان .

١٤ — نِعمَ إذا اقترنت بها « ما » تنطقها هذيل بكسرتين فى أولها . أما غيرهم فبإسكان العين أو اختلاس الحركة وقرئ بذلك جميعاً . وهذا وما ينسب إليهم أنهم يقولون المِرء بكسر الميم يقوى اشتراكهم مع ضبة .

١٥ — من ألفاظهم : السرحان والسِّيد بكسر السين معناهما الأسد . الجسة : النار . انتعص الرجل : وتر فلم يطلب ثأره . الجمسوس والجموس : النخل . التكريم : التكثير . الحساب : الجمع الكثير من الناس . العنج : الرجل . الشبج : الباب العالى البناء رجل عوَّق : جبان . الهكم : السمال . لدَّه عن الأمر : حبسه . الفمفمانى : الجزار . السنائع : الطرق فى الجبال واحدتها سنيمة . الخلوج من السحاب : المتفرق . المعصوب : الجائع الذي كادت أمعاؤه تيبس جوعاً . العبر : جماعة القوم . ويقولون : البوع وغيرهم الباع . ويقولون : السميج وغيرهم السمج . ويقولون صلوته : أصبت صلاة أى ظهره وغيرهم : صليته . وهم وبنو ضمرة يقولون اليازع وغيرهم الوازع . وهم ومن والاهم من أزد السراة يقولون الخزومة ومعناها البقرة . وهم يقولون فى نجد : الساكن الوسط نجد بضمتين . ويقولون : استراب به . وغيرهم : رابه . ويشاركون الحجازيين فى أنهم لا ينبرون . ويشاركون النجديين فى أنهم يقولون الحج بكسر الحاء . وتقول هذيل الضحضاح بمعنى الكثير . واعثقت الأرض : أخصبت . واللبث معناه اللسن البليغ .

عبد الستار أحمد فراج

محرر بالمجمع اللغوى

فترة طويلة من الزمن ، وأثارت الحقد على حضارة فشلت حملاتهم الصليبية فى القضاء عليها ، فحاول المستشرقون الحط من قيمة هذه الثقافة بالتشكيك فى استعدادات العرب العقلية . والباعث الآخر لا يخرج عن دوافع استعمارية سمت عن طريق الثقافة ، كما سمت عن طريق غيرها من الوسائل : تحطيم روح أمة لم تتهاون فى مقاومة المستعمرين ؛ وقصدت إخضاع العالم العربى بإضعاف الثقة فى مقوماته العقلية وإشعاره بحاجته إلى غيره من الأمم الناهضة ، فيضطر إلى أن يخضع ويقبل سيطرة الغرب ، ويذعن لسيادته . فلا عجب إذاً من تحامل المستشرقين على العرب ، ولا غرابة إذا زعموا أن العقلية العربية عقلية ساميّة قاصرة عن الخلق ، عاجزة عن استنتاج المعانى المجردة ، غير قادرة على تجاوز الجزئيات المحسوسة ، أو إذا ادعوا أن العرب استمدوا علومهم وفلسفتهم من قدماء اليونانيين الغربيين ، ولا فضل لهم فيما عرفوه من فنون وآداب ومدنية ، فإن معظمها مأخوذ من الفرس والهنود .

ولكن لما أخذت النزعة الاستعمارية تخف باستمرار مقاومة العرب لقوى الاستعمار ، ومناهضة الآراء الاستعمارية ، ومحاولتهم الدائمة لرفع مستواهم المعنوى والمادى ، وإظهار قوة مواهبهم ، وقدرتهم على مجاراة المدنية الحديثة ، والمساهمة فيها ، اختفت تلك الآراء المتطرفة فى العقلية العربية ، وبدأ المستشرقون ينظرون إلى البحث فى الثقافة العربية على أنه ضرب من الهواية العلمية ، ينعمون فيها بفهم فكر ليس من نتاج عقول شعوبهم ، أو يظهرون قسطاً من البراعة فى كشف النقاب عن أسرار إحدى الثقافات القديمة ، أى لا يبغون غير متعة روحية أو نزهة علمية ، ولا ينشدون الكشف عن خواص العقلية العربية ومميزاتها ، ولا يهدفون من وراء ذلك إلى إحياء تراث العرب وبعثه فى صورة تناسب روح الحياة الحديثة ، وتدفع بالشعوب العربية إلى الأمام .

وهذا ما يجب أن يطلبه كل من يبحث من العرب فى آثار ثقافته ، ولا يكتفى بدحض مزاعم المستشرقين وإدعاءاتهم ، أو يرضى باقتفاء أثرهم فى مناهج أبحاثهم العلمية الدقيقة التى تتوخى تحليل الواقع تحليلا موضوعياً بدون أن تهتم بالاستفادة منه فى ترقية مستوى العرب الثقافى ، أى لا تصل هذه الدراسات ماضى العرب بحاضرهم ، أو تربط حياتهم فى عهد الأمويين والعباسيين بحياتهم فى العصور الحديثة ، ولا تنظر إلى التراث العربى على أنه أحد التجارب الثقافية التى مرت بالشعوب العربية ، وأنه يجب أن توجد علاقة وثيقة بين مختلف المراحل الثقافية العربية تبدو فى تطورها الدائم ، وتدفقها المتواصل نحو الرقى والتقدم ، وأن الحضارات المعاصرة يجب أن تهتدى بالحضارات القديمة ، وتتفادى ما وقعت فيه من أخطاء عاقت سيرها الطبيعى . فلو هدف العرب من دراسة فكرهم القديم للكشف عن مقوماتهم العقلية الأصيلة لهيئت لهم السبل لتقوية ما يكتنفها من ضعف ونقص ، وإبراز ما تشتمل عليه من نبوغ ومهارة فى مختلف نواحى النشاط الإنسانى ، ولتجنبوا كل ما اقترفته سابقاً من أغلاط ، وتمثلوا بكل ما أظهرته من براعة .

إن محاولات كثير من الكتاب لإثبات قدرة الفكر العربى على الابتكار والخلق يستهلك جهوداً عظيمة ، تصرفهم عن البحث الحق فى التراث العربى ؛ وتشغلهم بكتابات بيزنطية لا تقدم ولا تؤخر . فبدلا من أن نتطاحن فى سبيل التدليل على قدرة العرب على تأليف العلوم ، ووضع المذاهب ، وتكوين النظريات ، يجب أن نفتش عن الأسباب التى دعت العرب إلى الأخذ من غيرهم ، وننعم النظر فى الظروف التى نشأت فيها الحضارة العربية ، وتطورت . فان انتقال العرب الفاجىء من بلاد بدوية إلى بلاد ذات مدنية عريقة ومجد ثقافى ، أصابهم بنوع من الذهول ، شل تفكيرهم ، وأفقدهم القدرة على التأمل الحر . ولما حاول العربى أن يندمج فى الحياة الجديدة أخذ يحاكى الشعوب الخاضعة له وهى تفوقه حضارة ومدنية ، ويردد علومها وفلسفاتها ، حتى أصبح كأنه صاحب هذه الحضارات . ولكنه ما كاد يلم بمختلف الثقافات حتى تضاربت فى ذهنه ، وتشابكت الاتجاهات الشرقية والغربية ، فأدى ذلك إلى أزمة روحية ظهرت جلية واضحة فى نوبة الشك التى طرأت على نفس الغزالى ، فعبرت بقوة وصدق عن مدى اضطراب الحياة الروحية فى العالم العربى نتيجة لتصادم المذاهب اليونانية بالأفكار الفارسية والهندسية فى العقلية العربية المتشبعة بتعاليم الدين الإسلامى ، فانتاب العرب حيرة فكرية بلبلت أذهانهم وشتتتها .

فالبيئة الثقافية التى نشأ فيها الفكر العربى هى التى لم تسمح

له بأن يتدرج فى مراحل النضوج ، مرحلة بعد مرحلة ، وإنما ساقته دفعة واحدة من حالة بدوية إلى حالة راقية ، لم تمهله لينمو نمواً طبيعياً ، وعجلت بنضوجه قبل الأوان فلم تتح له فرص الترقى، أو التمرن على التفكير الذاتى المستقل ، لأنها زودته بثقافات تامة التكوين ، بهرته ، فتعلق بها تعلقاً شديداً لجدتها عليه ، فوقع فى أسرها ، ولم يستطع أن يتخلص منها ، ويتمداها ، لأن ذلك يحتاج إلى فكر تعود التأمل العميق ، ومارس الحياة الثقافية مدة طويلة .

وليت تأثير هـذه البيئة الثقافية المعقدة فى الفكر العربى وقف عند هذا الحد ، بل كما عجلت بنضوجه عجلت بإطفاء جذوته بعد أن أجهدته ، لدرجة أنه بذل كل طاقاته فى استيعاب شتى الثقافات الشرقية والغربية ، فأصابه ضرب من الجمود والركود نتيجة لهذا الإجهاد المفتعل أقعده عن أن ينتج إنتاجاً عربياً خالصاً يتميز به ، فأوحى ذلك للمستشرقين بأن العقلية العربية عاجزة عن الإبداع العلمى ، ولم ينصفوا العرب ويعلنوا أن هذا العجز خارج عن إرادة عقليتهم ولا يرجع إلى أى نقص فيهـا ، وإنما يعود إلى اضطراب الظروف الثقافية التى نشأت فيها هذه العقلية .

بالرغم من كل هذا نزغ بين العرب أفراد قلائل استطاعت عبقريتهم أن تتغلب على هذه الظروف المضطربة ، وتتجاوز ما هو مألوف بينهم من علوم وفنون ، وأبرزت قدرة العقلية العربية فى المجال العلمى ، وابتكرت علوماً جديدة لم ينتبه إليها عامة علماء العرب . ولم يساهم واحد منهم فى ترقيتها . ومن بين هؤلاء المفكرين الأفذاذ عبد القاهر الجرجانى الذى نجح فى وضع نظرية جديدة فى الأدب لم يمهدها العرب من قبـله ، وهى تعتمد على إنمام الذوق فى النصوص الأدبية وكشف أوجه البلاغة فيها ؛ إلا أن هـذا المذهب سريعاً ما ابتلعته النظريات الشائعة التى تستند على المنطق الأرسطى ، ولم يجد له من الأنصار الأكفاء من يرعاه من بعده حتى يستكمل تكوينه . وذلك لإيمان العرب الساذج بسحر المنطق وضرورة تطبيقه على كافة العـلوم ليأخذ الصبغة العلمية فى ذلك الوقت . وكذلك الحال بالنسبة لابن خلدون الذى وفق فى تأليف أصول علم جديد أطلق عليه « علم العمران » ويعرف الآن باسم « علم الاجتماع » ابتكرته قريحته التى شغفت بالتاريخ وولعت بملاحظة أحوال مختلف البـلدان التى رحل إليها وتجول فى ربوعها ، واكتسبت ملكات التفكير المنظم من دراسة الفلسفة بفروعها فساعدته هذه الدراسات وغيرها من العلوم والفنون على استخلاص هذا العلم الذى افتقر من بعده لمن يتعهده ، حتى نسى ونسب وضمه إلى أوجست كونت الفرنسى الذى ظهر بعده بقرون

فأحسب أنه يبدو أن اضطراب البيئة الثقافية ، وتعقدها هو أصل داء الفكر العربي وعلة أخذه من ثقافات الغير بدون أن يضيف إليها شيئاً كثيراً . ولذلك يجب أن نتعظ بما أصاب عقلية أسلافنا من عقم ، ونجنب فكرنا الحياة فى أى جو ثقافى خانق يعوق انطلاقه فى عالم الخلق ، ويعرضه لنفس الاتهام السابق ، فتتأكد مزاعم المستشرقين فى العقليـة العربية . وأول خطوة يجب أن نخطى فى هذا السبيل هو أن نهيئ لأنفسنا بيئة علمية تحث عقولنا على أن تسلك سبلها الطبيعية ، ولا تنخدع ببريق الثقافات الغربية الحديثة ، أو تغتر بما وصل إليه الغرب من مدنية ، ونقبل عليها إقبالا أعمى ، وتظن أن حشو أذهاننا بكافة العلوم والفنون الغربية يعد دليلا على التمدن الصادق ، ويتخذ مقياساً للتثقيف الكامل ، وتغفل عن أن الثقافات الغربية بمـا بلغته من رفعة وعمق ، لا تستطيع أن تنضج العقلية العربية التى تختلف موماتها الروحية عن مقومات العقلية الغربية المادية . فلا ينبغى بأى حال أن يقتصر أحد من العرب على التزود بعلوم الغربيين وفنونهم ، بل يجب عليه أن يعتمد اعتماداً رئيسياً فى التثقيف على نتاج عقول أمته ، فينهل من معين الثقافات العربية ، ومايشابهها من الثقافات الشرقية ؛ لأن فكره فى كنفها يشعر باطمئنان وحرية وانسياب فيستجيب لها ، ويبدع فى شتى نواحى النشاط الفكرى ، ولا يحس بضغط أية ثقافة غريبة عن مزاجه تلزمه أن يطرق طريقها قسراً ، أو تجبره على أن يتشكل باتجاهاتها بالرغم منه ، فتعرقل تقدمه ، وتهدم ابتكاره .

وهذا لا يعنى أن العربى لا يجب أن يهتدى بتجارب الغرب الثقافية فى تنمية علومه وفنونه ، فإن له جهاداً فكرياً عظيم الشأن لا يمكن لأمة تريد أن تنهض علمياً أن تستغنى عنه ، أو لا تنتفع بما كسبه هذا الفكر للانسانية من خيرات ، كان لها

أكبر الأثر فيما نحن فيه من حضارة . إلا أنه لا يجوز أن نترك لهذا الفكر أن يسيطر على عقولنا ، أو يتحكم فى أهوائنا ، حتى لا نقع فيما وقع فيه الغزالى من قلق نفسى وارتياب عقلى ، ونعانى شعوراً مؤلماً بالنقص فى قدرتنا العقلية من جراء تضارب نزعاتنا الشرقية بالنزعات الغربية ، الذى قد يحول دون تقدمنا العلمى ، ويجعلنا نحس بحاجتنا الدائمة إلى عون الغرب . فإعداد الجو الثقافى الملائم لطبيعة العقلية العربيه يعتبر الدعامة الأساسية التى تربى عليها النوازع الفكرية تربية حرة تساعد على تشييد حضارة جديدة تنافس الحضارة الغربية .

تلك الحضارة التى لم تعرف طريق المجد إلا بعد أن حطمت قيود الكنيسة التى فرضتها على الفكر ، وتخلصت من استبدال رجال الدين الذين حبسوا العقلية الغربية داخل نطاق التعاليم المسيحية الروحية التى تخالف اتجاهات الغرب التى تميل للمادية ، فكانت حركة النهضة الأوربية التى استغاثت بكفايات الفكر الغربى القديم ، الذى يتمثل فى الفكر اليونانى ، فقامت النهضة الحديثة على أساس بعث ثقافة اليونان ، واستغلال مقوماتها فى خلق حضارة جديدة . وفى هذا الجو الثقافى نجح الفكر الغربى فى أن ينفض عن نفسه ذلك الخمول الذى نشره طغيان الأفكار المسيحية على الروح الغربية ، ووفق فى وضع علوم مبتكرة ، واختراع صناعات متنوعة وآلات كثيرة .

فلم لا يحاكى العربى الغربيين فى هذا العمل ، ويكف عن تقليدهم فى عاداتهم وأخلاقهم ، ويكتفى بما أخذه منهم من ثقافات ويكشف عن مزايا العقلية العربية عن طريق دراسة مخلفات الأفذاذ من العرب أمثال عبد القاهر الجرجانى وابن خلدون وغيرهما دراسة تحليلية ، يحاول أن يستشف منها ميول الفكر العربى الأساسية ، ثم يسعى فى أن يبث هذه الميول فى عقول صغارنا ، حتى يأتى ذلك اليوم الذى نرى أثرها ظاهراً فى كل ناحية من نواحى الحياة العربية .

* * *

ننتهى من هذه المقالة والتى قبلها إلى أن تحقيق نهضتنا الحديثة يعوزه تعاون رجال الدين ورجال الفكر فى جميع البلدان العربية على خلق وسط حضارى تنبسط فيه العقلية العربية ، وتنساب حسب سجيتها ، لايعوقها أى مؤثر خارجى ولا يفسدها أى عيب داخلى . ولذلك يجب أن يساهم كل من هاتين الفئتين من الرجال فى تنقية الأخلاق العربية ، وتوجيهها أثناء هذه التنقية توجيهاً اجتماعياً صالحاً يتفق مع التعاليم الإسلامية ، ويعود على الوطن العربى بالخير ، ويكسب العرب شخصية قوية ذات لون خاص يميزها عن غيرها من الشعوب . ويمكن أن يستغلوها فى مواجهة المشاكل القومية أو الدولية كما يجب أن يشتركا فى التنقيب عن خواص العقلية العربية ، حتى يمكن لرجال التربية من وضع الطرق التربوية الصحيحة التى تتسق مع العقلية العربية وتنميها إلى أقصى حد يمكن أن تبلغه من الكمال ، ثم استغلالها فى خلق ثقافة عربية جديدة ، تتصل بالحضارات العربية السابقة وتعبر عن حياة العرب الوجدانية والعقلية فى صورة تنسجم مع روح المدنية الحديثة .

عبد العزيز محمد الزكى

مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

بين بدر وأحد :

الشهيدان الصغيران

للأستاذ عمر عودة الخطيب

— ١ —

قال الفتى عمير بن أبى وقاص لصاحبيه أسامة ورافع وكانوا يلعبون فى ظاهر المدينة ، وقد أشرفوا على بيوتها ومساربها :

— هل تريان ما أرى يا صاحبي ؟!

— وما ذا ترى !

— أنظرا . فهاتان رايتان تملوان وتخفقان وما أحسبها إلا الحرب .

— أجل . واسمع هذا التصايح وهذه الجلبة ، وانظر الغبار يجلل الدور ويذهب فى السماء ...

— لئن كانت الحرب فوالله لنذهبن مع القوم ، نقاتل فى سبيل الله ، ونجاهد تحت لواء رسول الله ...

— لكننا نخشى أن يردنا رسول الله لصغر سننا يا عمير .

— وماذا علينا أن نسير فى إثر الجيش، ونتوارى عن الأعين، ونختفى وراء الآكام ، حتى تبدأ المعركة ، وعندها نبرز إلى الميدان ونقاتل المشركين ، ونساهم فى إعلاء كلمة الله ، ونستشهد فى سبيل هذا الدين ...

— إنه الرأى ورب الكعبة !

وانحدروا إلى المدينة مسرعين ، وقد ذهب كل إلى داره ، يكتم الخبر عن أهله ، ويتجهز للحرب ، ويستعد للقتال ، وكانوا قد تواعدوا على أن يلتقوا جميعاً أمام المسجد ، بعد صلاة الفجر . وأعد كل منهم عدته ، وناموا ليلتهم تلك هانئين وادعين ، يحلمون بالجهاد والنصر المبين ...

— ٢ —

هب (عمير) من نومه ، طرب الفؤاد ، رضى النفس ، هانئ البال ، ومشى نحو النافذة ، يسرح طرفه فى ذلك الأفق البعيد ، وكان الليل يتلفت ويسرع فى الهروب ، وقد ألح عليه الصبح مسرعاً فى المسير ... فاستجلى (عمير) فى هذا المنظر الرائع معانى الحق والحرية ... تطارد الباطل والعبودية ... وراقه أن ينهزم الظلام أمام النور ، ويتوارى الليل أمام النهار ... واستبشر بهذا المنظر الساحر . واعتبره فأل خير ويمن وفتح كبير ... ورفع يديه الصغيرتين نحو السماء ، وتمتم لسانه بأحلى آيات الدعاء ... وهبت إذ ذاك نسمة رقيقة عطرة ، شرحت صدره ، وداعبت وجهه وشعره ، وكانت تلك لحظة قدسية مباركة ، رق فيها قلبه وصفت نفسه ، وغمره شعور ندى بأسمي معانى الإيمان . فذرفت من عينه عبرة غبطة وخشوع ، وسبح فى بحار من الأخيلة الجميلة والأمانى العذاب ... ولم يوقظه من سبحته تلك إلا صوت أمه تناديه : هلم يا عمير فأسبغ عليك وضوءك ، وتهيأ لصلاة الفجر ، فقد نادى المؤذن بالصلاة والفلاح ...

وخف عمير إلى نداء أمه ، وتوضأ ثم أخذ سمته نحو المسجد مشيعاً بنظرات عطف وحنان من أمه الرؤوم . ولم يكد يمشى بضع خطوات حتى ترامى إلى سمعه دعاء أمه له ، بأن يكلأه الله ويرعاه ، فاطمأن لهذا الدعاء وفرح به ، وسره أن يكون هذا الدعاء آخر ما يسمعه من أمه ، وقبل أن يبتعد عن البيت التفت نحوه وألقى عليه نظرة أودعها كل ما فى قلبه من حب وحنان نحو أمه وأبيه . وحدثته نفسه أنه ربما كانت آخر نظرة يلقيها على هذه الديار ، وبعدها يفارق هذه الدنيا إلى دار الخلود ، فترقرقت فى عينه عبرة حرّى ، كانت دمعةَ الوداع . وما قارب المسجد حتى التقى بصاحبيه أسامة ورافع ، وقد دلفا إلى المسجد ، بعد أن التقيا فى بعض طرق المدينة ، فما إن رآهما حتى افتر ثغره عن ابتسامة جميلة ، وصافحهما مسلماً ، وكانت الدمعة لا تزال حائرة فى عينيه ، وحدثهما عن تلك الساعة المباركة فى السحر ، وعن ذلك المنظر الفاتن الجميل ، وعما أثار فى قلبه من مشاعر ، وأوحى إليه من معان وبشائر ...

وذهبوا جميعاً إلى المسجد يؤدون الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وطدوا العزم وعقدوا النية على أن يخرجوا معه فى غزوته ، يضربون بأيديهم اللينة ، وسواعدهم الرقيقة هامات المشركين ، وقد كان يشعر كل واحد منهم أنه بطل كبير وأنه المسؤول وحده عن هذا الدين ، ذلك أنهم لم

رضعوا أفاويق الدعة وينشؤوا فى الحلية والدلال ... إنما تربوا فى (مدرسة الصحراء) (وتتلمذوا على (بطل الأبطال[١])).

— ٣ —

سار (على بن أبى طالب) رافعاً بيمينه راية (العقاب) السوداء، وبجانبه رجل من الأنصار يحمل الراية الثانية، وسار المسلمون خلفهما يقدمهما قائدهم الأعظم (محمد) قاصدين بدراً، ليقاتلوا المشركين الذين جمعوا جموعهم، واستعدوا للقتال... ساروا وكانت الأرض تهتز تحت أقدامهم، والروابى والهضاب تتجاوب مع نشيدهم، وتجلجل السماء بتكبيرهم... حتى إذا ما بعدوا عن المدينة ميلا أو بعض ميل، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، يستعرض الجيش ويتفقد الفرسان، ويلقى على جنوده الأوفياء تعاليم القائد الخبير، ويحثهم على الصبر والشجاعة ويضمن لمن يستشهد فى سبيل الله الجنة.

وكان الفتيان الثلاثة قد انتحوا جانباً غير بعيد من مؤخرة الجيش، يشجع بعضهم بعضاً، وقد علا البشر وجوههم، وملأت الغبطة نفوسهم. وكان (عمير بن أبى وقاص) أكثرهم توارياً حتى قال له أخوه: (مالك يا أخى؟!) فقال: (إنى أخاف أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرنى فيردنى وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة) ... وفيما هما يتحاوران وإذا برسول الله قد أقبل، فرأى هؤلاء الفتيان الصغار وقد تقلد كل واحد منهم سيفاً يلامس الأرض، ووقفوا ينتظرون السير. فسألهم رسول الله عما جاء بهم من المدينة، فأجابوه بأنهم يريدون الخروج معه لجهاد المشركين، وأنهم تعاهدوا على الشجاعة والإقدام، وبذل الروح فى سبيل الإسلام. فضحك صلى الله عليه وسلم إعجاباً بهم، ونظر إلى تلك الأجسام الصغيرة التى خرجت لتكون وقود الحرب، فأخذته الرحمة لها، وأشفق عليها أن تكون طعمة للسيوف، وعز عليه أن يقذف بها إلى الموت، فردهم وأبى أن يخرجهم معه. فعظم ذلك عليهم، وحزنوا من أجله حزناً شديداً، وجلس عمير يبكى وقد أحزنه كثيراً أن يحرم من الجهاد تحت لواء الرسول صلى الله عليه وسلم ووقف أخوه وصاحباه من حوله يبكون لبكائه ويودون لو سمح له رسول الله بالخروج إلى الجهاد، فرق قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم له وأجازه وعقد له حمائل سيفه، فوثب فرحاً نشيطاً، يودع صاحبيه ويبعث معهما إلى أمه بتحية الجندى الباسل، لتكون لها عزاء وسلوى ... وذهب المسلمون إلى (بدر) وقاتلوا المشركين، وأطاحوا برؤوس الكفر، وزلزلوا كيان قريش، ورجعوا غانمين ظافرين، قد أمكنهم الله من عدوهم، ونصرهم عليه. بيد أنه كانت فى عين كل واحد دمعة حزينة، استنزفها ذلك البطل الصغير (عمير) الذى استبسل فى المعركة ببسالة رائعة، وخاض غمرات الموت ببطولة نادرة، حتى وقع (شهيد[١]) إيمانه القوى ويقينه الصادق، وإقدامه العظيم...

— ٤ —

حزن رافع وأسامة وأتراب (عمير) كلهم على مصرعه، وجلسوا يذكرون أيامه، ويتحدثون عن إيمانه وبطولته..

قال رافع لأسامة:

— أتذكر يا أسامة ليلة أن التقينا به أمام المسجد!

— نعم وحدثنا حديث تلك الساعة المباركة فى السحر التى أفاضت على روحه صفاء وجمالا...

— أرأيت إلى ذلك النور الذى كان يلتمع فى جبينه تلك الليلة؟ وأحسبك رأيت تلك الدمعة التى كانت تجول فى عينيه...

— نعم وأحسب ذلك نور الشهادة، فقد كان ينم عما فى قلب صاحبه من إيمان وتضحية وإقدام. وأما تلك الدمعة فقد رأيت فيها تلك الليلة معانى الوداع... الوداع من هذه الدنيا الصاخبة الحقيرة التى يتنازع فيها الناس على حطام فان، ويظلم بعضهم بعضا، فيستعبد القوى الضعيف، ويتعالى الغنى على الفقير

— حق ما تقول يا أسامة! وهل نسيت موقفه حين ردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحداثة سننا يوم بدر...

— كيف وقد كان — رحمه الله — يدافع الحياة ويطلب الموت ويبكى حرقة على الجهاد، حتى رق له قلب الرسول صلى الله عليه عليه وسلم فأجازه.

— رحمه الله وجمعنا به فى الفردوس الأعلى من الجنة.

---

(١) لسعادة الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا كتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم عنوانه (بطل الأبطال)

(١) هذا هو الشهيد الصغير الأول

وانصرف الفتيان إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وأخبرهم باستعداد قريش للحرب[١] بعد تلك الهزيمة التي حاقت بهم في بدر ، وحثهم على الصبر والشجاعة ، وأنبأهم بأنه قد عزم على مناجزة القوم وقتالهم وبأنه واثق بنصر الله له ، وأمرهم بالاستعداد للجهاد . فانصرف المسلمون إلى بيوتهم يتهيئون للحرب ، ويعدون السلاح ، ودخل رسول الله إلى بيته بعد صلاة العصر ومعه أبو بكر وعمر . فتقلد سيفه وقوسه وعصب بعمامته رأسه وخرج يتفقد المسلمين .

— ٥ —

سار النبي صلى الله عليه وسلم في سبعمائة من أصحابه حتى بلغوا (أُحُداً) وقبل أن يلتحم الفريقان ، وقف القائد الأعظم ، يستعرض جنده ، ويهيب بهم أن يثبتوا ويصبروا ، ويحمسهم ويزكى نفوسهم ... وبينما رسول الله يستعرض الجيش ، إذا به يجد فتى صغيراً أخذ يتطاول على أطراف أصابعه ويعلو بنفسه ، فإذا هو (رافع بن خديج) فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً من عمله ، وربت على كتفه ، وتقدم منه وسأل عما يحسن من فنون الحرب ، فقيل له بأنه رام يجيد ضرب السهام ، فسمح له بالخروج ... وتابع استعراضه حتى وقف على (سمرة بن جندب) وكان فتى حدث السن لدن العود غض الجسم ، فأشفق عليه رسول الله من القتال وأمره بأن يرجع ، وطيب نفسه ، وأعجب به ودعا له ، فحزن الفتى حزناً شديداً وانصرف باكياً دامع العين ، حسير الفؤاد على ما فاته من أمر الجهاد . ووقع له أثناء انصرافه خاطر اطمأن إليه وفرح به ، فانثنى راجعاً إلى حيث يعسكر المسلمون ، وترامى على زوج أمه يبكي وقال له : « أجاز رسول الله رافع بن خديج وردني وأنا أصرعه ! ! ... » ثم جلس غير بعيد يتطلع بعينيه الدامعتين إلى هذه الصفوف المؤمنة التي امتلأت قوة وعزماً ، وود لو يسمح له رسول الله بالقتال مع هذا الجيش بينما انصرف زوج أمه إلى الرسول ينقل إليه ما قاله سمرة .. فأعجب رسول الله بهذا الرأي وأكبر هذا الإيمان ، وأمر بأن يتصارعا أمامه ... وتشابكت الأيدي ... وما هو إلا قليل حتى صرع سمرة رافعاً ، فابتسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياه وسمح له بالقتال ...

(١) كتب إليه بذلك من مكة سراً عمه العباس بن عبد المطلب .

— ٦ —

ابتدأت المعركة ، وخرج من صفوف المشركين فارس صعب المراس قوي الشكيمة يدعو للبراز ، فوثب عليه الزبير وقتله ، وكان كلما خرج من صفوف المشركين مبارز قتله فارس من فرسان المسلمين . حتى اختلط الجيشان ، وحميت المعركة ، وثار النقع ، فلم يعد يسمع إلا صهيل الخيل ، وصليل السيوف ، وقعقعة الرماح ، وصفير السهام . ووقع فيها من الفريقين صرعى كثيرون . وانجلت المعركة بعد أن رد الله كيد الباغين الذين أرادوا بالرسول شراً . وإذا (رافع ابن خديج[١]) الفتى الصغير مخضب بالدماء قد أصابه سهم من سهام المشركين ، هد قواه ، وأنزف دمه . ورآه المسلمون وقد وضع ذراعه تحت رأسه والدماء منه ، وقد استسلم لغيبوبة عميقة . فأيقظوه وضمدوا جرحه ففتح عينيه وسأل عن المسلمين ، واطمأن على رسول الله ... ثم أغمض عينيه وسلم روحه الطاهرة الزكية ، وقدمها قرباناً إلى الله ، وبرهاناً على الجهاد في سبيله ، وطارت روحه إلى السماء ... إلى الفردوس الأعلى . . . حيث روح صاحبه (عمير) لتنعما هناك بالخلود الدائم ... ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه استشهد حزن عليه حزناً شديداً ، ودمعت عيناه ، وقد ذكر بطولته وإيمانه وقال : بعد أن دعا له بالرحمة ، وسأل الله له الجنة (أنا أشهد له يوم القيامة ...

(القاهرة) عمر عودة الخطيب

(١) هذا هو الشهيد الصغير الثاني .

أشـــواق ودموع ... (*)

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

كتبتْ من باريس تقول :

« أيها الطائر العزيز ... لم أحسد بغداد إلا لأنك تغنيها فى غبش الفجر الساحر وعند الأصيل الفاتن ، أغنيات الهوى والشباب ، وأنا فى زحمة الأصداء والأضواء والمباهج لا أحس لهذه كلها صدى فى نفسى ولا أثراً فى وجدانى بل أجهد عينى على أن لا ترى وأذنى على أن لا تسمع... لأستطيع أن أتخيلك وأنت كما كنت تقرأ لى خلجات قلبك الكبير الحساس ، فرجائى يا طائرى أن تسمعنى غناءك ولو من بعيد ... » « من رسائلها إلى »

سألتنى لم لا أشـدو كما كنت أغنى
ولماذا لا يبـارى الوترَ المسحور فنى
قلت يا عذراء أحـلامى ويا أصداء لحنى
أو ما كنتِ نُشـيد الحبِ فى ليـلِ التمنى
أو ما كنتِ صلاةَ الطيب فى الروض الأغن
أو ما ذابَ حنينى فـوقَ أوتارِ المغنى

أو تنسيْنَ وكنت المطرَ فى ثغر الربيع
ونشيداً لم يزلْ هيمانَ فى تلك الربوعِ
وابتساماً شعَّ فى دنيا دماء ودموع
وسلاماً رفَّ فوق الأرض كالروح الوديع
كيف تنسينَ حنينى ، كيف تنسينَ ولوعى
أين خلفتِ فؤاداً ضاقَ بالشمل الصديع ؟

لم أزل يا فجرَ الهـوى ويا ربةَ شعرى
روضةً يفضحُ عطرُ الفنِ منها كل عطر
وهزاراً اطربَ الليل فلم يجنحْ لفجرِ
وربيعاً نضراً بالحبِ محفوفاً بسـحر
أين أنتِ الآنَ من عطرى وألحانى وزهرى ؟
أين أنت الآن من صدرى ليطويك كسرى ؟

يا « هنائى » كنتِ فى صحراء أعوامى زهرا
يا « هنائى » كنت فى ظلمـةِ أيامى بدرا
أنت نَضَّرتِ شبابى فنفحتُ الكونَ عطرا
ولكم أشرقت فى ليـلِ صباباتىَ فجرا
وسكبت الوحى فى روحى فصغت الشعرَ سحرا
وإذا دنياى أحـلامٌ وأنغامٌ وبشرى

وإذا بى بعد ما جرعنى الحرمانُ صابا
وأحال اليأسُ دنيـاى ظلاماً وضَبابا
والقنوطُ المرُ أفنى — من أمانى — العِذابا
وغدتْ جنةُ أحلامى من البلوى يبابا
لحتِ فى حالكِ أيامى — من الغيبِ — شهابا
وتفجرتِ كينبوعٍ وما كنت سرابا

أنا من بعدكِ لو تدرينَ قيثارٌ جريحُ
آهةٌ فوق سماء (السينِ) بالنجوى تبوح
وهزارٌ سرمدىُ الحـزنِ بالشوق ينوح
وخيالٌ خلفَ أطيافِكِ يغدو ويروح
يا عذابى الحلوَ شعرى بين كفيكِ يفوح
فاسأليه فهو أشواقٌ ودمعٌ وجروحُ

(بغداد) عبد القادر رشيد الناصرى

(*) من ديوان « ليالى الفراق » .

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

رأى فى ترجمة « آلام فرتر » :

سيدى :

لقد فرغت من قراءة ترجمتكم العربية الرائعة لقصة آلام فرتر ، ومن القيام بمقارنة دقيقة بينها وبين الأصل المقابل فى الألمانية . بعد هذا أرجو أن تأذن لى بأن أقدم إليك أصدق التهنئة على هذا العمل الباهر . وإنه ليعد فى رأيى خير ما عرفته اللغة العربية فى بابه .

أنا واثق من أن الجمهور القارىء فى مصر ، سيجد فى ترجمتكم ما ينشد من متعة بعيدة المدى وكسب لا يحد . إن الدقة فى هذا الأسلوب التصويرى الوثاب ، أسلوب جيتة ، لتجد أداءها الصادق فى لغتكم ، هذه اللغة التى تصبح تحت سنان قلمكم مرنة طيعة لمشاعر المؤلف ومعانيه .

ولقد قمت بمقارنة أخرى دقيقة بين المصدر الذى نقلتم عنه وبين النسخة الأصلية التى ظهرت عام ١٧٨٧ ، وأستطيع أن أقرر بأن الترجمة الفرنسية التى نقلتم عنها ، قد بلغت من الأمانة حداً يتعذر معه أى اختلاف إذا ما ترجمت القصة عن الألمانية .

إن كتابكم ليفوح منه أرج الإلهام الذى يعبق فى قصة الشاعر الألمانى ، وإننى لأرجو أن تتاح لى الفرصة للاطلاع على كثير من أعمالكم الأدبية .

مرة أخرى أعبر عن شكرى لما لقيت من متعة خالصة فى ترجمتكم لآلام فرتر ، آملا أن أظل .

صديقكم المخلص

بروفسور دكتور جولياس جرمانوس

هذه هى الرسالة التى بعث بها المستشرق الألمانى إلى الأستاذ الزيات ، والتى شاء تواضعه أن يحتفظ بها أكثر من عشر سنين دون أن يلحقها بأية طبعة من طبعات كتابه أو يشير إليها من قريب أو من بعيد . . ولولا أننى طلبت إليه أن أقوم بنقلها إلى العربية لبقيت إلى الأبد لا تقع عليها عين ولا تسمع بها أذن !

اقرأوا هذه الكلمات التى تضع الحق فى مكانه ، ثم وازنوا بينها وبين كلمات أخرى يجترىء صاحبها على الحق حين يعلن أن الزيات قد ألف آلام فرتر . . . إن الفارق بين الرأيين هو الفارق بين دكتور جرمانوس وسلامة موسى !

من الأعماق ولوعة الذكرى :

أيها الأديب الصديق ، لماذا بعثت بكلماتك من طوايا حلم دفنته ، أشلاء ماض جريح ؟ . .

وأنت يا من جرعتنى الظمأ من كؤوس حرمانك ، ترى هل رفت « من الأعماق » رفيف الزهر فى رحابك ، وتضوع منها عطر الأسى فى ثراك ؟ إن الماضى الذى تهدم يوماً فى سحيق عظامى ، يعود لتناديك أطيافه وتناجيك رؤاه !

أتذكر يوم غمست القلم فى دماء القلب وكتبت قصة هواك ؟ هواك الذى شيعته بالدمع إلى ظلام القبر ، وذقت من بعده غربة الروح فى مأتم الأحلام ؟ ترى هل ذقت يا شقيق الروح غربة الروح . . هناك حيث ترق الكلمات فتستحيل إلى أنات ، تهتك ستار الصبر والجلد ، وتترك مكانها من حنايا الضلوع وشغاف القلب ، وتخرج إلى الناس تروى لهم ما فعلت الأيام ؟ هناك حيث تعبر النجوى عالم الأسى والأنين ، مرتاعة ملتاعة ، تنشد الرى فلا تجد إلا الظمأ ، وتترقب النشوة فلا تحس إلا الألم ، ولا تعود من عالمها هذا إلا بأشتات المنى تحتضر ؟ !

إن فكرى ليقطع المدى وثباً ليفرش طريقك بورود حبى . ترى هل يعبق فى أفقك أرج فكرى ؟ إن روحى لترفرف فوق مكانك بجناح طوته على الجراح عوادى الزمن . . ترى هل تسمع رفرفة روحى ؟ تعال نهتف فى موكب الأيام هتاف الحب فى كأس فاضت بخمر نواك . تعال نردد فى محراب الشجن صلاة تنشج الحسرة فيها ويعول الأنين . تعال ... تعال من هناك ، من وراء الأبد ، من وراء الصمت ، من وراء الوحشة المطبقة ، من وراء السكون العميق . تعال فقد تقطعت من بعدك أوتار النغم فما استمع الحيارى لنشيد . . تعال فقد جف من بعدك كأس الصفاء فما سعد الندامى بحبيب ! . . تعال واحمل إلى السماء نفحة من

عبقرية الألم فى الأرض ، وقل لها إننا نعيش من بعدك كما يعيش الشوق الراهب فى دير الذكريات !

اقرأ معى هذه الكلمات :

« عندما يستحيل الحلم إلى جنون ، ينتصب تمثال أسود داخل الروح ، وتبرز فجأة شيطانان بلورية تطوف بها جماجم الأحياء ، وتمتد تحتها فى انحدار عنيف بحار متسمة من الجليد ، وتستيقظ العطور والضحكات ، وتتفتح الكهوف الخرافية بعد ما تكون الكنوز قد ضاعت فتزدحم الغابات بنهود من نحاس ، وتتصلب الشفاه وهى تبتسم ، وتسمع أصوات القبل آتية خلال النعاس ، ويقف ظل أمام ظل ، وتغادر الفلول الميدان ، ويسمع فى السراديب السحرية قرع الطبول ، وتبدأ المعركة بين الأشلاء ، من أجل الحصول على ذراع أو ساق !

ويحترق الهمس فى الصدر ، وتنداح دوائر فى المياه ، من مكان غير معروف ، قاصدة فى سفرها المرتعش المعتوه التقاء اللانهاية بالعدم » .

هل تستطيع أن تفهم هذه الكلمات ؟ إنها لأديب مصرى اسمه يوسف الشارونى ، دأب على أن يتحف بمثلها فى كل شهر زميلتنا مجلة « الأديب » اللبنانية . . ويوسف الشارونى هذا واحد من فئة أعرف بعض أفرادها من لقائى لهم بين السطور والكلمات ، هذا اللقاء الذى لا يخرج منه أى إنسان عاقل إلا بما خرجت به زوجة الشاعر الإنجليزى روبرت براوننج ، حين قدم إليها الشاعر قصيدة نظمها فى وصف البحيرة فقالت له : إننى لا أدرى إذا كنت تتحدث فى قصيدتك عن بحيرة حقاً أم تتحدث عن كلبنا الصغير !

وأنا والله لا أدرى عن أى شىء يتحدث الأستاذ الشارونى . ولا أدرى كيف اتسعت صفحات الزميلة اللبنانية لهذه البضاعة التى تصدر إليها من مصر ، بعد أن أقفلت فى وجهها جميع أسواق الأدب فى عاصمة المعز ! أباسم الأدب والفن يكتب هذا الكلام ؟ إن الأدب والفن ما خلقا إلا لتثقيف الناس وهديهم إلى معانى الحق والخير والجمال ، فأين من يدلنى على لمحة واحدة من لمحات الأدب والفن فى كلمات السيد يوسف الشارونى ؟ . . قد يقول قائل إنها « سمبوليزم » ، وقد يقول آخر إنها « سيرياليزم » ، أما أنا فأحيى الأستاذ عباس محمود العقاد وأقول معه : إنها « تهجيص » ! .

لحظات مع الأستاذ العقاد :

حييته هناك ولا بأس من أن أختلف معه هنا . ومهما اختلفت مع العقاد الناقد فى نظرته وموازينه فستبقى حقيقة أعترف بها بينى وبين نفسى وبينى وبين الناس ، وهى أننى أحترم ثقافة هذا الرجل . إنه يقرأ كثيراً ؛ يقرأ فى كل شىء ، يقرأ قراءة فهم وهضم واستيعاب ، فى بلد قل فيه عدد المثقفين وغمرت أسواقه أمية المتعلمين !

إن ذوق العقاد لا يرضينى فى بعض الأحيان ، وكذلك موازينه ؛ ولكن ثقافته ورحابة أفقه وسعة اطلاعه تدفعنى إلى تقديره والإعجاب به . هذه كلمات يمليها علىّ الضمير الأدبى ، وإذا كنت قد هاجمت كثيراً من آرائه فإننى لا أبيح لقلمى أن يهاجم ثقافته !

لو أنك مقدم على رحلة عاجلة ، فأى سبعة كتب تصطحب ؟ هذا هو السؤال الذى وجهته إلى الأستاذ العقاد مجلة « الاثنين » فى عددها الأخير فأجاب عنه بأنه يصطحب معه هذه الكتب السبعة : ديوان ابن الرومى ، اللزوميات لأبى العلاء ، تهافت الفلاسفة للغزالى ، تراجم بلوتارك ، مجموعة شكسبير ، تاريخ الفلسفة لبرتراند رسل ، خوالج الحيوان لداروين . ولقد تحدث الأستاذ العقاد عن هذه الكتب حديث ناقد يزن قيمها الفنية مشفوعة بأسباب التفضيل والإيثار .

أما ابن الرومى فأنا أعلم أن الأستاذ العقاد يتفانى فى حبه وتقديره والتعصب له ، ولكن حين يبلغ التعصب حد القول بأن ابن الرومى فى مجال الشعر الوجدانى لا يضارعه شاعر فى العالم كله فهذا هو الانحراف الذى أضيق به ترى أيبلغ ابن الرومى فى وصف الخوالج النفسية ما بلغه جيته وهاينى فى الأدب الألمانى ، وبودلير وفرلين فى الأدب الفرنسى ؟ لا أظن ! لقد كنت أود أن يقتصر الأستاذ العقاد على القول بأن ابن الرومى فى مجال الوصف التصويرى لا يفوقه شاعر فى العالم كله ، فهذا ما لا أختلف معه فيه .

ومرة أخرى تتخلى الدقة عن ميزان الأستاذ العقاد حين يقرر أن « بلوتارك » هو سيد كتاب السير والتراجم فى جميع العصور ... أؤكد للأستاذ العقاد أنه لو قرأ كتاب الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر عن « بودلير » لعدل عن رأيه فى بلوتارك ؛ إن هذا الكتاب كما سبق أن قلت فى « الرسالة » ليعد فى رأى الفن خير كتاب أخرج فى موضوعه ، منذ أن احتل أدب التراجم مكانه إلى جانب الفنون الأدبية الأخرى !

بعد هذا لا أدرى كيف يطيق الأستاذ العقاد أن يصطحب معه اللزوميات فى رحلة ينشد فيها المرء متعة الذوق والفكر والخيال ؟ ... معذرة يا سيدى إذا قلت لك إن هذا الاختيار لا يرضينى ! إن رحلة تخطر فيها اللزوميات لرحلة تصيب الرأس بالصداع وحركة الذهن بالجمود ... لقد كنت أود أن تصطحب بخلاء الجاحظ بدلا من لزوميات أبى العلاء !

أدب القصة وأدب المعقب :

تحت هذا العنوان قرأت فى عدد الرسالة الماضى كلمة خصنى بها الأستاذ نصرى عطا الله ... صدقنى إننى لم أكن أنتظر أن أن يفقد الأستاذ أعصابه فى بداية كلمته ثم يعود فى نهايتها ليفقد ذاكرته ! وصدقنى إننى شعرت نحوه بشىء من العطف الممزوج بالدعاء .. الدعاء له بأن يحفظ الله أعصابه من الأوجاع وذاكرته من الضياع !

لقد رمانى الأستاذ عطا الله بجموح النفس وتمكن شهوة التهكم والتجريح من نفسى ... يبدو أنه قد نسى أن فى الحياة الأدبية فى مصر أناساً يستحقون التهكم ويستأهلون التجريح ويرغمون الناس على الجموح !!

ينكر الأستاذ أنه كان يعنينى بمقاله ... لمن إذن كان يوجه نصائحه بأنه لا يصح أن يحكم القارئ الشرقى على شخصية موباسان لأن ما نقل من أدبه إلى العربية أقل من القليل ؟ لى بالطبع ؛ لأننى أنا الذى كنت أتحدث عن موباسان ! ولمن إذن كان يبعث بتوجيهاته حين يقول (... وليس هناك « حيز محدود » أو « اقتضاب ملموس » أو « حد من حرية الكاتب) ؟ لى بالطبع لأننى أنا الذى كنت أنادى بـ « الحيز المحدود » فى القصة القصيرة

ومن العجيب أنه يؤكد لقارئيه بأنه لم يقارن مطلقاً بين القصة الطويلة والقصة القصيرة ... ترى من الذى كتب فى هذه المقارنة اثنى عشر سطراً تبدأ بهذه الكلمات : « تختلف القصة القصيرة عن القصة الطويلة لا فى الكم وحده بل فى الكيف أيضاً » ؟

بعد هذا خرج الأستاذ عن موضوع المناقشة ليذكر أننى أضع نفسى دائماً فى بؤرة الضوء ، وأقول للناس إن الكتاب يرسلون إلى كتبهم راجين أن أنقدها مفترضاً أننى الناقد المثالى الأول ، حين أعلن فى زهو وصرامة أننى وجدت أكثرها لا يستحق العناء !

أقسم للأستاذ عطا الله أننى ما أهملت هذه الكتب إلا لتفاهتها ... وكذلك الأمر فيما يتعلق بإهمالى لكلمته الخارجة عن موضع المناقشة !!

أروع ما قرأت عن كذبة أبريل :

لا يصل هذا العدد إلى أيدى القراء إلا ويكون « أول إبريل » قد أوشك أن يحل ضيفاً على هواة الكذب الطريف ... الكذب الذى يلجأ إليه الناس رغبة فى اللهو البرىء ، وشغفاً بالدعابة التى تجنى فى الغالب على الذين لا يعدون المدة لهذا اليوم الخالد فى حساب الظرفاء والكذابين !

ومن طريف ما يذكر فى هذا المجال أن إحدى الصحف الفرنسية قد كتبت فى اليوم الحادى والثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٤٨ ما يلى : « تقيم الحكومة الفرنسية فى صباح الغد معرضاً ممتازاً للحمير بميدان الكونكورد ، ومن المنتظر أن يهرع الكثيرون من سكان العاصمة لمشاهدة هذا المعرض الذى تقيمه الحكومة لأول مرة ، وتحشد فيه نماذج مختلفة من الحمير التى لم يرها الفرنسيون من قبل » . ولم يقبل صباح أول إبريل إلا وكان ميدان الكونكورد يموج بالألوف ممن صدقوا خبر الصحيفة ولم يقبل المساء حتى صدرت الصحيفة حاملة إلى قرائها هذا التعليق الرائع : (كان للخبر الذى نشرناه أمس عن معرض الحمير أثره البعيد فى نفوس القراء ، حتى لقد أقبل الألوف منهم على مشاهدة المعرض ... ويقول مندوبنا إنه شاهد فى ميدان الكونكورد ما لا يقل عن عشرين ألف حمار) !!

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

موكب الأبطال :

يقول « مدرس أدب فى الأزهر الشريف » فى مطلع كتاب منه : « ما تزال دولة الشعر بخير ، فقد هزتنى قصيدة الشاعر على محمود طه فى أبطال الفلوجة التى نشرتها الأهرام فى عدد يوم الخميس ١٠ من مارس ، ولا ريب عندى فى أنك قد قرأتها ، وأنها قد هزتك كما هزتنى ، وأن مثلها جدير بأن يحظى بإحدى تعقيباتك فى الرسالة ، سجل الأدب العالى وديوان الفن الرفيع . وإنما حملنى على أن أوجه إليك هذه الكلمة ، حرصى على أن أسجل إعجابى بهذه القصيدة ، وقد مضى لى أن غمزت « أنشودة فلسطين » لصاحبها أيضاً فى الرسالة الغراء ، حتى لا أكون مثل كاتب الشمال ، لا يحصى غير السيئات » .

ويقارن الأستاذ « مدرس أدب فى الأزهر الشريف » بعد ذلك بين هذه القصيدة وبين قصيدة أخرى لشاعر آخر فى نفس الغرض ، وفى نفس الجريدة وقد اصطنع أسلوباً لبقاً فى استدراجى إلى هذه المقارنة ، وكأنى به يؤلبنى على الشاعر الثانى ، إذ يقول فى نهاية المقارنة : « أرأيت — يا عباس — كيف يطغى بعض الشعر ، فيبدو شيطاناً مريداً ، وكيف يتواضع بعض الشعر ، فيبدو ملكاً كريماً ؟ !! إنى أترك لك الباقى » وهو يقصد بالذى يبدو شيطاناً مريداً ، شعر أبى طه .... كما يعبر فى رسالته ، وما إخال الشاعر الآخر يسر بأن شعره ملك كريم فى هذا المقام ! ويظهر أن الشيطان أليق بالشعر من الملك ! !

أما الباقى الذى يقول إنه يتركه لى ، فهو على غير ما كان يتوقع ، فلست أرى داعياً لهذه المقارنة ، فلكل شاعر طاقته ومذهبه وأفقه .

أما قصيدة « أبى طه » فقد رآها القراء فى الأسبوع الماضى كاملة بالرسالة بعد أن أضاف إليها الشاعر ما استلهمه من مشاهدة أبطال الفلوجة يهرع الشعب إلى الاحتفاء بهم وينثر الغيد طاقات الزهر فوق رؤوسهم ، ولا بد أنها هزتهم كما هزتنى وكما هزت الأستاذ الأزهرى ، وحقاً ما قال فى رسالته : « وإذا صح أن فى الشعر مواضع للسجود ، فإن من هذه المواطن فى الصميم :

جن الحديد بأرضها وسمائها   فجرى وطار ، تصيبه ويصيبها
شدت يد الفولاذ حول نطاقها   حلقاً تصيح النار : كيف أذيبها ؟

وقد تآخت فى هذه القصيدة قوة التركيب وقوة الروح ، فطابقت بذلك موضوعها الحماسى . ومما يستدعى الالتفات أن بنيانها القوى لم تتخذ لبنانه من القوالب المرددة التى يلجأ إليها شعراء الجزالة . وأقول صادقاً ، أو أعتقد أننى صادق إذ أقول : إن قصيدة « موكب الأبطال » من القليل فى أدبنا المعاصر الذى يجمع بين الديباجة العربية المتينة التى يظهر أثر الشاعر فى نسجها وبين نهج المدرسة الحديثة فى الشعر من حيث صدق التعبير والصدور عن الشعور الذاتى دون تقليد أو تزييف . ولعلها أول قصيدة للشاعر نفسه على هذا النحو ، فقد كان يؤثر قرب المنال من عامة القراء ، ولكن الموضوع فى هذه المرة حكم عليه أن يخلد البطولة المصرية فى الفلوجة بشعر يذهب مذهبها فى القوة ومجاوزة المستوى العادى . ولست أريد بذلك أن أفضل القصيدة على غيرها من شعر الأستاذ على محمود طه ، إنما أنعتها بصفاتها ، فلا شك أن السهولة والرقة لهما مكانهما فى غزلياته وغرامياته .

وبعد فقد قام شاعرنا الكبير بحق البطولة على الشعر ، وجاءت قصيدته عملاً ممتازاً ، ينبغى أن ينظر فيه الشعراء الذين يؤثرون العزلة والهرب من المجتمع والانطواء على عواطفهم الشخصية وخيالاتهم البعيدة عن مضطرب الحياة . ونحن أمة لم تستكمل ضروراتها من الحرية والحياة الراقية المستقرة ، فإذا كان لشعراء أمم أخرى أن يعكفوا على ألوان مترفة من الشعور والتفكير فإن ذلك لا روج فى بلادنا ولا يناسبها فى هذه المرحلة من حياتها ، وأقل ما يرجى من الشاعر أن يشارك مواطنيه مشاعرهم ويصدق فى التعبير عنهـا . وما أكثر من يسترون العجز بدعوى « التحليق » الذى لا يأتون منه بشئ ...

فليا يا فليا :

«اطلعت فى العدد ٩٠٨ من الرسالة الغراء على كلمتكم الحكيمة عن شعر (البلا لايكا) التى قلتم فى نهايتها (أليس لقائل آخر ما دام الباب مفتوحاً أن ينشر قطعة قد تكون أروع من هذه بعنوان (شرم برم) ؟ ولقد قرأت فى عدد مارس من مجلة الشرق الأدنى للاذاعة اللاسلكية قطعتين من الشعر للأستاذ عبد الرحمن الخميسى ، إما أن أضعهما فوق مستوى تفكيرى ، وإما أن أضعهما تحت عنوان (شرم برم) والقطعتان مرسلتان إليكم ، بعد أن انتزعتهما من المجلة ، دفعاً لظنة التزوير ، لتروا رأيكم فيهما » .

تلقيت هذه الرسالة من الأستاذ محمد محمود عماد المحامى ، ومعها القطعتان المذكورتان ، الأولى عنوانها (فليا يا فليا) أولها بيتان موزونان يستطيع الإنسان أن يفهم منهما أن (فليا) لها محب يخفق قلبه بحبها ، وأن للحبيبين أسطورة « تعيش مع الغاب » وبقية القطعة :

حكم هوى العذراء
لو عرب سنا الجوزاء
طوقت همسة بالزهور
فليا يا فليا يا حلمى الكبير
رحماك بالقلب فهو كسير
فيليا يا فليا اسمى لى الغناء
يزجى الهوى ما يشاء

استطعت أن أقرأ وأن أفهم الأربعة السطور الأخيرة وآخرها موزون ، أما الثلاثة التى قبله فهى كسير كالقلب ، غير أن القلب كسير من حب (فليا) ، والكلام الذى قبل ذلك لم أعرف أى شئ هو !

والقطعة الثانية عنوانها «حلم الزواح الساحر» أجزاؤها مشردة تائهة بين ثلاثة بحور ، وبعضها كالقلب الذى حطمته (فليا) ، فمنها :

لو أننى فى الواج
أغلقت قلبى بالرتاج

الشطر الثانى من « مجزوء الكامل » أما الأول فلم أدرك معناه ولا وزنه ، لأنى لم أعرف معنى كلمة (ألواج) ولا ضبطها .

ومن القطعة أيضاً :

أواه لو تكن مى
حبيبتى ضياء عينى

الشطر الأول من «مجزوء الرجز» والثانى من لا شىء .. وقد استطاعت « لو » بقدرة خارقة أن تجزم « تكن »

يا أستاذ عبد الرحمن الخميسى ، لا أريد أن أكون شديداً فى مناقشتك ، فأنا أهدأ من زميلى الأستاذ أنور المعداوى وأذكر أننا التقينا مرة ، فعتبت على لظنك أنى عرضت بك فى بعض ما كتبت ، وقلت إنك تحب أن أواجهك بالنقد لتستطيع

كشكول الأسبوع

□ فهم بعضهم غير ما قصدنا من المقابلة بين رئيس المجمع العلمى العراقى ورئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، من حيث الجمع بين هذا المنصب وعضوية البرلمان . والذى نقصده أن مثل هذا المنصب العلمى لا ينبغى أن يحسب فيما يمنع الجمع بينه وبين غيره ، ولا سيما أن مكافأته المادية لا تذكر .

□ لما زار معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف قاعة الشرف التى صفت فيها تماثيل عظماء مصر فى المعرض ، رأى أن تقوم الوزارة بصنع تماثيل من البرونز لهؤلاء العظماء تقام فى الميادين والحدائق العامة ، وقد شرعت الجهات المختصة بالوزارة فى إجراءات تنفيذ هذا المشروع .

□ يشتغل الدكتور طه حسين بك الآن بتأليف كتاب عنوانه « دراسات » وموضوعه الكلام على المذاهب الأدبية المعاصرة .

□ كانت وزارة الشئون الاجتماعية قد كلفت بعض الفنيين إعداد أفلام تعالج المشكلات الاجتماعية ، وقد أنجزت ثلاثة أفلام هى « العامل » و « الطفولة المشردة » و « الفلاح » وقد عرضت يوم الأربعاء الماضى بسينما ريفولى ، وهى الآن تعرض بالمجان فى المعرض الزراعى الصناعى .

□ تتلقى وزارة المعارف طلبات من الدول الغربية لعقد اتفاقات ثقافية . والوزارة توافق على بعضها وتبدى ملاحظات على البعض الآخر وتتضمن هذه الاتفاقات تبادل الأساتذة والطلبة ، ومن هذا التبادل — بطبيعة الاتفاق أن توفد بلجيكا مثلا طلبة يتعلمون فى جامعات مصر ، باللغة العربية طبعاً ... لعل وعسى ...

□ تنظر وزارة الشئون الاجتماعية فى مشروع إنشاء قاعة للمحاضرات والاحتفالات القومية ، فى القاهرة ، على أن تعمم الفكرة فى عواصم الأقاليم .

□ امتنعت الآنسة أم كلثوم عن الغناء حتى تتحسن صحتها ، عملا بمشورة الأطباء . نسأل الله أن يشمل المطربة المحبوبة بعنايته ويمنحها الصحة والعافية .

□ جرى فى الأسبوع الماضي انتخاب ملكة الجمال من بين طالبات الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، بإشراف الدكتور هوارد عميد الجامعة . وكنا نظن أن ذلك يحدث فى ملهى (الأوبرج) فقط !

□ مما رأيت فى قصة بالعدد الأخير من « الأديب » بقلم أمين يوسف غراب — ما يلى : « لكلاهما فيه حق ولكلاهما فيه نصيب » وفى القصة أخطاء غير ذلك . وقد سمعت مرة أحد « أعلام » القصة الذين ركبوا ظهور الصحف والمجلات فى غفلة الزمان ، يقول : إن كبار الكتاب والعباقرة — أمثاله طبعاً — لا يعبؤون باللغة والقواعد ... فهل يرى السيد غراب هذا الرأى ؟

□ قررت لجنة التحكيم فى مسابقة فاروق الأول للصحافة الشرقية ، توزيع الجوائز على الصحفيين الشبان الفائزين وقد فاز الأستاذ وديع فلسطين بالجائزة الأولى فى المقالات ، وقدرها خمسون جنيها . وذلك لعدة مقالات كتبها فى السياسة الخارجية المصرية .

الرد . وها أنت ذا تراني قد فعلت . فهل تتفضل وتشرح لنا ما لم ندركه أنا والأستاذ عماد ، وتبين لنا الحكمة في استعمال « هيئة البحور المتحدة » في القطعة الواحدة ، ولم وقف غير الموزون ينظر إلى الموزون محطما كسير القلب ؟ ولا تنس « لو » التي منحتها حق الجزم ، وقد كان يمكن أن تمنعها من ذلك ، فيكون الشطر الأول كالثاني ، ولا ضرورة !

والأستاذ محمد محمود عماد ينتظر الرأي ، هل القطعتان فوق مستوى تفكيره — وتفكيري أيضاً — أو هما من نوع (شرم برم)؟ وهو على حق في ذلك ، فلا ثالث للأمرين . وأنا أوثر أن أضعهما فوق مستوى تفكيرنا، حتى يتفضل الأستاذ الخميسي بالإفادة

تأبين الجارم :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية بتأبين المرحوم علي الجارم بك يوم الأحد الماضي لمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته . وقد اختير لذلك المكان الذي فاض روح الفقيد فيه ، وهو دار الجمعية الجغرافية ، حيث كان يستمع إلى قصيدته في رثاء المغفور له محمود فهمي النقراشي باشا .

وقد قصر التأبين على كلمة للأستاذ أحمد العوامري بك ، وقصيدة للأستاذ عباس محمود العقاد . أما كلمة العوامري بك فقد كانت جامعة ، عمد فيها الأستاذ إلى السرد التاريخي لحياة الفقيد منذ كان طالباً في دار العلوم ، وما تخللها من جهوده في التعليم واللغة والأدب ، وفصل ذلك تفصيلا وافياً في نظر التاريخ وقد بدا هذا التفصيل كأنه ممل ، نظراً إلى أن الحاضرين من المثقفين والأدباء الذين لا تخفى عليهم هذه المعلومات .

وقد ألقى الأستاذ شوقي أمين قصيدة الأستاذ العقاد الذي لم يتمكن من الحضور لمرضه — عافاه الله — وقد كان إلقاء الأستاذ شوقي هادئاً معبرا ، فأدى الشعر أحسن أداء .

وأول قصيدة الأستاذ العقاد .

فجعت مصر يوم نعي على	بالأديب الفهامة الألمعي
شاعر لازم القريض إلى أن	كان يوم الفراق حرف روي
وقضى واجبين يوم قضى نحبا	وأعظم بالواجب المقضي
واجب الشعر ، والوفاء مدى العمـ	ـر فطوبى لشاعر ووفي
إن جهد الرثاء لوعة راث	في مضامين شعره مرثي

القرابين الغنائية لطاغور :

كتب الأستاذ عبد اللطيف شرارة بالعدد الأخير من مجلة « الأديب » اللبنانية ، بعنوان « قربان الأغاني » نبه فيها على تقصير أدباء العرب في دراسة طاغور وترجمة آثاره ، وذكر بعض ما ترجم منها إلى العربية ثم قال : « ولكن أحداً من أدباء العرب المعاصرين لم يفكر في نقل ديوانه الأعظم (قربان الأغاني) الذي سما فيه طاغور إلى أعلى ذروة يستطيع أن يبلغها شاعر ، إن في الحس المرهف ، وإن في الحكمة الصافية ، وإن في روعة التعبير عن أغرب الأجواء الروحية والصوفية . دام الأمر كذلك إلى أن جاء الأب يوحنا قمير — وهو من عني بفلاسفة العرب » ومفكريهم فسد ذلك الفراغ ونقل (قربان الأغاني) إلى لسان العرب

وأذكر أن الأستاذ كامل محمود حبيب نقل ذلك الديوان إلى العربية من نحو اثنتي عشرة سنة ، ونشرته (الرسالة) تباعاً ابتداء من العدد (٢٣٠) الصادر في ٢٩ نوفبر سنة ١٩٣٧ بعنوان : (جيتا نجالي) وقدمت له الرسالة بما يلي :

« جيتا نجالي كلمة هندية بنغالية معناها القرابين الغنائية وهي أناشيد صوفية تبلغ ١٠٣ نشيد نظمها طاغور في البنغالية ثم نقلها بنفسه إلى الانجليزية ، وشهرتها في الأدب العالمي كشهرة رباعيات الخيام . وهي تمثل الروح الغالبة على فلسفة طاغور من جهة ، والطبيعة المميزة للبوذية من جهة أخرى . وسننشرها كلها مترجمة بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب » .

وقد أتاح لي ذلك فرصة سعيدة ، إذ رجعت إلى مجموعتي من الرسالة ، ونعمت وقتاً بقراءة هذه الأناشيد الروحية العالية ، وأقطف للقارىء أولها فيما يلي :

« أنت خلقتني أبديا ، تلك مشيئتك . هذا الحطام الفاني — جسمي — أنت تفرغه مرة ومرة ثم تملؤه بالحياة الغضة . هذا الناي الصغير أنت علوت به وهبطت ؛ ثم وقعت عليه أنغاماً سحرية خالدة ، وحين لمست يداك قلبي الضعيف لمسة إلهية ، شاع فيه السرور وانبعث منه لحن أخاذ ، وبين يدي الضعيفتين استقبلت آلاءك العظيمة ، والأعوام تتصرم وأنت ما تزال تحبوني وفي قلبي شوق وطمع » .

وقد ترجم الأستاذ كامل لطاغور ، غير ذلك ، ديوان « البستاني » ونشر تباعا في المقتطف سنة ١٩٤٠ ثم جمع في كتاب ، وترجم له كذلك « قطف الثمار » ونشر أيضاً في المقتطف سنة ١٩٤١ .

عباس خضر



بين نيتشه وفجنر :

كتب الأستاذ أنور المداوى فى عدد « الرسالة » رقم ٨١٩ فى باب « التعقيبات » كلمة تحت عنوان « أدعياء الأدب فى الصحافة اليومية » يرد بها على الأستاذ الخميسى فيما كتبه بجريدة المصرى عن موسيقى فاجنر وأثرها فى الفيلسوف نيتشه خاصة والشعب الألمانى عامة . لحمل حملة شعواء على الخميسى لا داعى لنقلها فقد طالعها القراء ... وإنى أقول للأستاذ المداوى كلمة هادئة ... ترفق يا صديقى فما هذه بلهجة ناصح مرشد ، وإنما هى لهجة مصارع جامح ... وحتى لو كان الحق فى يدك والباطل فى يد غيرك فلهجتك تشوه جمال حقك ... فما بالك إذا لم يكن معك كل الحق ، وليس مع غيرك كل الباطل ؟!

إن ما قاله الأستاذ الخميسى عن تأثر نيتشه بموسيقى فاجنر حق لا شك فيه ، وقوله (إن موسيقى فاجنر فتقت أكمام العبقرية فى نيتشه) يدهشنى بصدقه ودقته ؛ هذا التعبير الذى جعله الأستاذ المداوى هدفاً لأمر سخرياته . وإليك الدليل يا أخى (الأستاذ) بقلم نيتشه نفسه من كتاب (رسائل الصداقة بين نيتشه وفاجنر) وهو سفر يقع فى حوالى مائتى صفحة من القطع الكبير منه طبعة بدار الكتب بالقاهرة (Jntimate betters—The Nietzsche — Wagner Correspondence) وهو حافل بآيات الإعجاب والإشادة التى طالما أهداها الفيلسوف إلى صديقه الموسيقار العظيم . ونحن نكتفى منه بمقتطفات من إحدى هذه الرسائل — على سبيل التمثيل لا الحصر — (صفحة ٨٥) كتبها الفيلسوف يهدى معه نسخة من أول كتاب (تفتقت عنه عبقريته) إلى صديقه الموسيقار وقد سماه : « مولد التراجيديا من خلال روح الموسيقى » .

وهذا المؤلف بالذات تناوله البروفسور ليشتنبرجر فى أبدع فصوله من مؤلفه القيم عن نيتشه — إنجيل السوبرمان —

ويفتتح نيتشه خطابه بهذه العبارة الشائعة فى خطاباته لفاجنر :

أيها الأستاذ العظيم التبجيل :

لعل هذا العمل (يقصد كتابه الجديد) يكون ولو إلى حد ضئيل رداً لجميل عنايتك الفائقة التى أوليتنيها فى خلقه وإذا كنت أعتقد أننى به قد أصبت الحق فليس لذلك سوى معنى واحد هو أنك فى فنك على حق مدى الزمن والخلود — فى كل صفحة من صفحاته تجد شاهداً ناطقاً بشكرى على كل ما أوليتنيه ؛ ولكن يعرونى الجزع لشكى المخيف — إلى أى مدى استطعت أن أظهر نفسى أهلا لنفحاتك ؟! سأكون قادراً على إبداع أعمال أخرى أفضل فى مقتبل الأيام وأقصد بمقتبل الأيام ذلك الزمن الذى يكون فيه فن بايروت (يقصد فن فاجنر) قد طار صيته .

وفى نفس الوقت أشعر بالزهو إذ أحس بنفسى كجمرة تضطرم ؛ لأننى من الآن فصاعداً سيقترن اسمى باسمك إلى الأبد .

مدينة بال فى ٢ يناير ١٨٧٢ ف . نيتشه

ألا ترى يا أستاذ مداوى أن نيتشه يعترف صراحة بأثر فاجنر وفنه فى أول كتاب تفتقت عنه عبقريته ؟ فكل صفحة من صفحاته شاهد ناطق بذلك كما يقول الفيلسوف نفسه !! وإن نجاح نيتشه فى كتابه ليس إلا برهانا على نجاح تأثير الموسيقار وفنه ؟ بل إن الفيلسوف ليؤججه الشعور بالزهو والفخر إذ شعر باقتران اسمه باسم الموسيقار العظيم إلى الأبد ! مسكين أيها الخميسى الدعى ! يا من تتناول مشكلات الأدب والفن هذا التناول الذى يبعث على الضحك والعجب والإشفاق !

إن [المثقفين يا أستاذ فى كل مكان يعلمون حقاً أن موسيقى فاجنر قد لقيت من قلم نيتشه أعنف وأبشع ما لقيته موسيقى فنان من قلم فيلسوف] ولكن هؤلاء المثقفين أنفسهم يعلمون أيضاً أن هذه الموسيقى بالذات قد لقيت من قلم نيتشه أسمى آيات المديح . إنها حقيقة ذات وجهين يعرفها كل مثقف فى كل مكان ! فهل أظهرت يا أخى أحد الوجهين وأخفيت الآخر متعمداً لترخى لقلمك العنان فى سخرياته من الخميسى الدعى الذى يصدم الخيال والواقع ويخالف منطق الحياة والأحياء هو وأمثاله (على حد قولك) حين يكتبون ؟! أم أنك كنت بالوجه الثانى لتلك الحقيقة على غير علم ؟! إننى أترك لك اختيار إحدى الحالين ... ولست أغبطك على هذا

الموقف ... الذى لا يبعد كثيراً عن ذلك الذى أراد أن يتمسك من الآية القرآنية بعبارة (لا تقربوا الصلاة ...) وترك الباقى لغاية فى نفسه وإن كنت شخصياً أنزه ناقداً مثلك عن هذه الغايات !

أما سبب ذلك الانقلاب من النقيض إلى النقيض للفيلسوف على صديقه الموسيقار فيعزوه المثقفون أو بعضهم على الأقل إلى علاقة غرامية أحس بها الفيلسوف نحو زوج صديقه الفنان ... حين كان يتصل بالزوجين اتصال المعجب ويخالطهما مخالطة الصديق ... وللحب سلطان فوق كل سلطان يا صديقى — ولما عرف الزوج السر وقعت الجفوة بين الصديقين ... وإنك لتعرف أيها الأخ أن نيتشه لا يعرف فى المواطف انصاف الحلول .: فإما الصداقة الجارفة وإما المداوة الصارخة ، وهو فى فلسفته أيضاً كذلك ... فهو إما هدّام مدمر كأعنف ما يكون الهدم والتدمير ، وإما بان كأضخم ما يكون بناء بنّاء ... ومن كتبه التى تشهد بذلك — زرادشت — ضد المسيح — شفق الأصنام — ...

ولقد سبق لينتشة أن رفع شوبنهاور وفلسفته إلى عنان السماء ثم عاد وذمهما أشنع الذم .. ثم حملته المنيفة التى شنها على المسيح والديانة المسيحية . . إن ما قاله مالك فى الخمر هو بعض ما قاله نيتشة فى المسيح . والعجيب أنه كان يعد أولا ليكون من رجال الكنيسة .. !! ويقول نيتشة فى كتابه — ما وراء الخير الشر — وربما يعلل بهذا القول تقلباته المنيفة — إن للفكر عندما يبلغ الثلاثين يكون قد مر بجميع الأدوار التى مرت بها الإنسانية فى تطورها .

كنت أحب أن أنتهز هذه الفرصة لأستطرد فى بحث عن نيتشة الفيلسوف المجيب الفذ ، ولكنى أرجىء هذا إلى فرصة أخرى . وأشكر للأستاذ المداوى أن أتاح لى إنصاف الحق وأحب أن أقول له مخلصاً . . والله لولا حرمة الحق ما حركت قلمى فى هذا الموضوع — وإذا كان الخميسى صديقى فالحق عندى أعز من كل صديق .. وفى النهاية أهمس فى أذنه : إنها جولة كسبها منك الخميسى لأنك لم تسد الثغرة حين سددت الضربة ... وعسى أن توفق فى جولة أخرى .. على أن كاتباً مثلك ينتظره مستقبل باهر عليه أن يبذل غاية الجهد ليحفظ قلمه بعيداً عن آفة الهوى ...

محمد فهمى

(الرسالة) تلقينا رداً آخر للأستاذ الخميسى فاكتفينا برد الأستاذ فهمى لاقتصاره فى النقل ووفائه بالغرض .

كلام الجواهر والدرر :

فى ص ١٣٥٠ من عدد (الرسالة) ٨٠٤ يقول كاتب المقال : « ترجمة الأوزاعى لابن حجر العسقلانى » .

عنّ لى أن أحقق هذا فرجعت إلى كتاب (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى) الذى نشرته مكتبة القدسى بالقاهرة فوجدته فى ص ١٢٠ يسرد ما ألف من التواريخ فى أفراد مخصوصين ، ثم يحيل على كتابه (الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر) فرجعت إلى النسخة المصورة فى دار الكتب المصرية فعثرت فى خاتمته على جريدة حافلة فى ذلك ، يقول فيها : وسيرة أبى عمرو الأوزاعى جمعها الشهاب أحمد بن محمد بن زيد الدمشقى الحنبلى أحد من أخذت عنه ، فى جزء سماه « محاسن المساعى فى مناقب أبى عمرو الأوزاعى » .

وقد ترجم السخاوى لابن زيد هذا فى تاريخه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) المطبوع بمصر ، وذلك فى الجزء الثانى منه وذكر فى ثبت مؤلفاته كتابه هذا « محاسن المساعى » .

ثم رجعت إلى الباب الخامس من « الجواهر والدرر » المعقود لمؤلفات ابن حجر المسقلانى ، وهو فى ١٨ صفحة كبيرة ، فلم أجد فيه ذكراً لكتاب فى هذا الموضوع للحافظ . ولو كان له مصنف فى ذلك لما خفى على تلميذه الأثير شمس الدين السخاوى وترجم له ابن العماد فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) فى أربع صفحات ، وسرد من أسماء مؤلفاته ٧١ كتاباً ، ليس منها هذا الكتاب .

وقصدت أيضاً إلى (الضوء اللامع) فوجدت للحافظ ترجمة فيه ، ليس فيها شىء من ذلك أيضاً .

وعلى هذا فالنسخة الموجودة فى دار الكتب من « محاسن المساعى » المنسوبة إلى الحافظ ابن حجر هى للشهاب بن زيد قطعاً .

محمد أسامہ عليبہ

الكتب

كتابان وكاتبان

بقلم الأستاذ حبيب الزحلاوى

فى الربع الأول من القرن الحالى ، كان يقول الأدباء فى مجالسهم فى أديب كان معروف المكانة الأدبية آنذاك : إنه يؤلف عندما يترجم ، ويترجم حينما يؤلف .

تلك المقالة التى كانت تقال همساً فى مجالس الأدباء كانت تنطبق على أكثر كتاب وأدباء ذلك الجيل ممن كانوا يردون الأدب من موارد الغرب ، ولم يكن يستثنى منهم إلا نفر حرصوا على كرامتهم الأدبية وعلى كرامة الأدب نفسه من الابتذال ، فبقيت آثارهم تدل على أمانتهم فى الترجمة وفضلهم فى النقل .

ما كاد يهل الربع الثانى من القرن العشرين ؛ عصر الآداب والفنون والعلوم ، حتى ظهرت بيننا ظاهرة جديدة فى الترجمة والنقل استجدشها كاتب شيطان لبق مرن ، واسع الاطلاع على الأدبين العربى واللاتينى ، فتوفر دائماً للحركة والعمل ، ودأب على الإنتاج وعلى إثارة الضجيج حوله ، وما لبثت تلك الظاهرة بدعة الشيطان الدريش ، أن انتشرت بين الكتاب لسهولتها وهم اقتباسها واستعمالها عند الكثيرين من الكسالى الذين تستهويهم الشهرة ويجتذبهم حب الكسب . وهكذا صار تلخيص الكتب والروايات الغربية ونشر هياكلها بعد مسخ روحها ونسخها هو القاعدة فى الترجمة والنقل ، ولكن أبى الأمناء من المترجمين ، وهم قلة ، والحرصاء على النقل الصحيح فى آداب الغرب إلا السير فى طريقهم القديمة ، والنهل من الينابيع النقية الصافية ، غير آبهين بالترهات والخزعبلات الشيطانية ، وقد أنكروا ذواتهم واستهانوا بمنفعتهم حباً للأدب ، ووفاء لأمتهم الناهضة . وهكذا أعدوا للجيل الجديد موائد فوقها ما فوقها من الشهى المستحب من أدب الغرب النافع .

* * *

الترجمة فى الأصل فناء شخصية معجبة فى شخصية مبدعة . وهى ككل الفنون لا محيد لمتعشقها من موهبة طبيعية . فكما أن المستحيل على غير الموهوب أن يكون موسيقياً أو شاعراً أو رساماً ، كذلك يكون من العسير أن يكتسب الكاتب فن الترجمة اكتساباً « وفن الترجمة لا يكفى فيه الجهد المبذول ، ولا تحمل العناء ؛ ولا بد فيه من التوفيق » . ولما كانت خصائص إعجاب المترجم الأمين تتقارب من خصائص المبدع الفنى وتضارعها ؛ لأن كليهما يستلهم الوحى من فيض الروح ، ولما كانت نهضتنا الأدبية فى وقتنا الحاضر قد سبقت النهضات الأخرى غير الأدبية بمراحل ، وقد سلكت فى سيرها الحى سبيل الجد فى الإنشاء والتأليف والترجمة ، ولما كانت الأمانة رائد المترجين الموهوبين وهدفهم ، صار لزاما بحكم تطورنا أن ينجلى صبح الترجمة وأن يشرق نورها ، وقد انجلى ذلك الصبح البهيج فى أمور ثلاثة تستوقف النظر وتسترعى الانتباه .

الأول : القدرة على تقمص روح المترجم عنه والاندماج فيه

الثانى : الحرص على جو الزمان والمكان وحسن الاختيار .

الثالث : استيعاب فلسفة الموضوع وإبراز شخصية المترجم .

وقد وضحت هذه الصفات الثلاث وتبدت فى كتابين ظهرا حديثا : الأول « ڤيرانا » للأستاذ على أدهم الكاتب الغنى عن التعريف ، والثانى « أقاصيص مأثورة » للأستاذ كامل البهنساوى بك القاضى بالمحكمة المختلطة .

فى كتاب الأستاذ أدهم خمس عشرة قصة تمثل الأدب الألمانى والفرنسوى والروسى والإيطالى والبولندى ، منها المستمدة من صميم الحياة ، ومنها القائمة على الأسطورة . وكذلك فى الكتاب الثانى خمس عشرة قصة تمثل الأدب الذى اختاره الأول ، منها ثلاث تمثيليات هى « ڤاوست » و « كارمن » و « البوهيمية » وقصة ملخصة تمثل الأدب البولندى قرأتها كلها بلذة المطالع ، ورغبة الناقد ، وحب الإفادة والتتبع ، وقصد التعريف .

تمنيت لو عمد الأستاذ البهنساوى بك إلى النقل وأهمل التلخيص ، ولكنى وإن كنت أرضى ببعض الرضى عن تلخيص

التمثيليات الغنائية ولكنى لا أرضى أبداً عن تلخيص قصة « حارس المنارة » ولا أقبل أى عذر يسوغ حذف صورة واحدة أو اقتضاب جملة واحدة من تلك القصة العظيمة لأنها بجملتها قائمة على التصوير الفنى .

يجلس البهنساوى وأدهم على مائدة أدبية واحدة حافلة بأغذية دسمة متنوعة ، إلا أن الأول جائع يتلقف لقمته بنهم ويبتلعها على عجلة . والثانى جائع أيضا ولكنه يتناول طعامه بقدر وتمهل وأناقة بمضغ ويزدرد ولا يعف عن المرق والتوابل « يرمرم ويتقنق » ويطبق على الحلوى والفاكهة ، ويعب ويغب ... ويجتر . وأنت ترى هذه المائدة ممدودة فى كتابيهما عليها الكثير من ألوان وأنواع الأدب الشهية ما عدا الأدب السكسونى !!

البهنساوى بك قاض فى التحقيق التجارى ، والأستاذ أدهم « دعباس » بحكم وظيفته بوزارة المعارف ، لا يترك صغيرة أو كبيرة لا يحققها ، وكفى به أنه — فى أكثر ما يكتب — نباش قلوب العظماء ومستحضر أرواح الخالدين فى كتب التاريخ يسألهم عن اللمحة الخاطفة التى غفلت عدسات المؤرخين عن تسجيلها ليردها إلى حقيقتها ويضعها وضعها الصحيح ، فكاتبان هذا شأنهما فى حياتهما اليومية — أدبية وعملية — قد لا ينحرفان فى الترجمة عما اكتسباه من ضبط ودقة يوجبهما حكم العمل ، فضلا عن حكم الفطرة الأصيلة الدقيقة .

إن الدقة فى الترجمة والأمانة فى النقل ، وهما الخلتان اللتان تجمعان بين البهنساوى وأدهم فى كتابيهما التوأمين ، يفرق بينهما الأسلوب ، فأسلوب القاضى إنما هو « تقريرى » محض ، فى حين أن أدب القصة بعيد عن التقرير الفقهى والقانونى ، وقد لمس الأستاذ خليل مطران هذا الموضوع لمساً رقيقاً فى مقدمة الكتاب حيث قال « توخي نافل أقاصيص مأثورة إلى لغة الضاد أن يجلوها للمطالعين مصورة بمثل التصوير الشمسى » وقال أيضاً : « ينبغى أن يكون الكلام متحركا بحركات الحياة فى كل حالة من متعدد حالاتها » بيد أن أسلوب أدهم أدبى مجنح ، وقد حرص على المعنى وحافظ على جمال المبنى . أما الأستاذ البهنساوى فقد حرص أيضاً على روح الموضوع واحتفظ بجو المكان ، وقد لزم كل منهما طبعه الأصيل .

عنى الأستاذ البهنساوى بتقديم قاصى قصصه وتمثيلياته وتعريفهم بترجمة حال وسير موجزة أراد بها أن يستوفى الواقف عليها ما يعينه على إدراك الكنه فى تلك الأقاصيص ، وتفهم الخصائص التى تمتاز بها كل منها فى نوعها وفى بيئتها ، إلا أنه أوجز كثيراً واكتفى بذكر سنة الولادة والوفاة . وإليك المثال فى التعريف« وولوع «بول هيس» مؤلف قصة «الناضبة» بالرحلات إلى إيطاليا هى التى أوحت إليه فنه » . فى حين أن الأستاذ أدهم عنى ذات العناية ، ورمى ذات الهدف ، ولكنه لم يوجز بل وقف فى تعريف القاص الذى ترجم عنه ، وفى التمهيد له بفلسفة القصة موقفاً لم يسبقه لمثله سواه من المترجمين .

قال يترجم لكاتب ألمانى : « وكتابة جاكوب فاسومان لم تتسم كما يبدو بالإشراق والصفاء والاتزان ، وإنما تمتاز بالجدية والصرامة والقوة ، فلا يطالعك من صفحاته الروض الناضر ، أو الصباح البسام ، وإنما تشرف منها على الليل المدلهم والعاصفة العازفة ، وهو لا يكشف لك عن حرية الإنسان وقوته ، ومجده وعظمته ، وإنما يريك مصارعة الإنسان لأحزانه العميقة ، وهمومه الشديدة ، ومطاردته لأهوائه العنيفة وشهواته الغلابة . وربما كانت قوة شعوره أعظم من قوة فنه » : وقال فى التمهيد لفلسفة قصة « اضطهاد » للكاتب الفرنسى بوتيه : « الحياء علة من علل الإرادة ، وآفة من آفاتها الشخصية . وقد عرفه أحد من توفروا على بحث طبيعته ، بأنه حاجة ماسة إلى العطف وجدت ما يصدها ويدفعها ، أو يغرر بها ويخدعها ، والحيي إنسان عاطفى يود أن يفتح قلبه وينفض ما فى نفسه ولكنه يحجم عن ذلك ... » .

* * *

ما كل قصة جديرة بالترجمة حتى وإن كان مؤلفها من كبار القصصيين ، وما كبار القصصيين أصحاب الشهرة العالمية سوى أناس مثلنا يصيبون ويخطئون ، يجيدون ويقصرون فى الإجادة . ويكفى للدلالة على ذلك أنه ما من كاتب من الخالدين سلمت تواليفه كلها من النقد خصوصاً بواكيرها أو خواتيمها ، وأن شهرتهم ماقامت إلا على القصة التى تحمل من عناصر الحياة الإنسانية ومن خصائص الابتكار والإبداع الفنى أوفرها ، ومن إكسير الخلود ما يجعلها موفورة النضارة والجمال والحيوية لكل جيل وزمان وأمة .

ولا عبرة بما ينشره الناشرون التجار من قصص كتبها العظماء قبل تمام نضوجهم ، بل العبرة فى الاختيار : لأنه عنصر فنى أساسى . وقد أحسن الأستاذان : البهنساوى وأدهم اختيار القصص كلها لأنها تمثل ألواناً من أدب وقسمات من حيوات نحن فى أشد الحاجة إليها ؛ ولأنها تعين كتاب القصة منا وتسد حاجة الذين لم يتيسر لهم أن يعرفوا لغة أجنبية ؛ ولأنها ركن من أقوى أركان الثقافة التى ترفع مستوى المنتجات الفكرية وخصوصاً فى نواحى السياق والاستنباط والتصرف فى الفن القصصى .

إنى وإن كنت استحسنت ما اختار الأستاذ أدهم من القصص التى ستكون نماذج للذين لم يخرجوا بعد فى قصصهم عن نطاق الغرائز ودائرة الشهوات الجنسية . لا أميل إلى الأسطورة ، ولا أستسيغها سواء أكان ملفقها تولستوى أو زفايج — وهذا لا يعنى أنى لا أقدرها قدرها ولا أقيم وزناً لمراميها الإنسانية التى هى فوق مستوى البشر كما فى قصة « فيراتا » وإن كانت تدفع بالفكر إلى ما وراء المعقول وبالذهن فى جواء واسعة للتصور والتخيل ، بل لأن إدراكنا ما برح يقف عند بدائه الأشياء وأوائل الأمور ، ولأنه ما برح يزحف فى نطاق ضيق من المادية الملموسة المنظورة ، ولمّا نفقه بعد نطاقنا الضيق وحدوده فما بالك بما هو أبعد من البدائه وأعمق من الأوائل ؟

* * *

قال الأستاذ البهنساوى فى مقدمته « من بين فنون الأدب وطرف البلاغة تفردت القصة بالذيوع ، وخصها جمهرة المطالعين بالأولوية ، وحبسوا عليها أوقات فراغهم ؛ والسر فى ذلك هو اتصال الرواية بالحياة ، ففيها تأخذ الحوادث بأعناق بعضها زاخرة بالشخصيات ، وقد أفرغ عليها الكاتب من فنه المبدع ما يجعلها ماثلة أمامك يجرى فيها الدم تهتف بالبقاء للبقاء فتكون متعة للناس ، ومطلبهم جيلا بعد جيل » .

وقال الأستاذ أدهم : « والقصة فى العصر الحاضر كثيرة الألوان متنوعة الشكول ، تكاد تتحدى كل تعريف وتتجاوز كل تحديد ، وتختلف صورها لاختلاف العقول وتباين الأمزجة فلا يستطيع الإنسان أن يحدد معالمها ، ويحصى سماتها وملامحها » وكلما كانت القصة أصدق فى تصوير الواقع وترديد صدى الحياة كانت أدخل فى الأدب والفن وأدنى إلى البقاء والخلود » .

وأعيد هنا ما سبق لى قوله فى مقدمة كتابى « شعاب قلب » لا شك فى أن القصة قصيرة كانت أم طويلة ، هى خير وسيلة للتعبير عن الخلجات الإنسانية ، وأرحب مجالا للذهن الخصب ، وأبرع حيلة يحتال بها صاحب الرسالة على عقول ومشاعر لا تؤخذ ولا تستصلح إلا بالحيلة والتشويق » .

* * *

وددت لو أقف طويلا حيال قصة من تلك القصص والأقاصيص الممتعة التى دعمها المترجمان الفاضلان فى أدبنا العربى ، ويسرنى أن أقول إنه سيكون لكتابيهما الأثر الفعال فى الإعداد لإنشاء القصص ، وأنهما سيخلدان ذكراهما كمترجمين أمينين ، وأنهما يعينان على النهضة الأدبية وتوسعة آفاقها وتهيئة الأسباب القوية لتبلغ المقام الحقيقى بها بين أوفى اللغات فى هذا العصر .

حبيب الزحلاوى

العدد ٨٢٢ — الاثنين ٤ أبريل ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

17 em Année No. 822 — Lundi — 4 — 4 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٢٢ «القاهرة فى يوم الاثنين ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨ — ٤ أبريل سنة ١٩٤٩» السنة السابعة عشرة

رُؤيا مزعجة

لم أكد آوى إلى فراشى البارحة حتى انثالت على خاطرى صور أشتات من جملة ما سمعت وقرأت عن حال المشردين من عرب فلسطين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، وجُرِّدوا من مالهم بغير رحمة ، وقُضى فى مصيرهم بغير عدل . وكان مبعث هذه الصور حديث سمعته عصر الأمس من صديق عاد من فلسطين بعد ما رأى بعينيه أفظع مناظر البؤس ، وسمع بأذنيه أروع مآسى الحياة . وكنت وهو يتحدث أتمثل من خلال وصفه طرائد صهيون من ورّاث المجد وربائب النعيم يلوذون بمغاور الجبال وكهوف الأودية ، ويتبلغون بيابس النبت وآسن الماء ، ويتسترون بأخلاق الثياب ومِزَق الخيش ، وأطفالهم دِقاق الأشباح فوق ظهورهم أو بين أيديهم يتضاغون من الجوع ويتطارحون من الكلال ؛ ونساؤهم الشواحب العجاف يجررن أرجلهن الدامية على الحصى جراً فلا تكاد تتبعهن من فرط اللغوب . فإذا ذكرن ما صنع بهن علوج إسرائيل ذرفن ما بقى فى المآقى ، ثم تطلعن لَهافَى إلى صلاح الدين الهاشمى يستصرخنه للمجد المغلوب ، والتراث المغصوب ، والعرض المسلوب ، فتهب وا أسفاه ريح (غربية) تمدل بصرخاتهن عن القصر إلى القفر ، فلا يسمعهن وريث الرشيد ، ولا ينجدهن سليل المعتصم !

أمست هذه الصور المروعة تتمثل فى ناظرى ، أو تتراءى فى خاطرى ، وصوارف العمل أو شواغل الناس تخفيها الساعة بعد الساعة ، حتى خلوت إليها على وسادى القلق ، فتوالت فى ظلام الغرفة مسرعة على عينى ، كما تتوالى صور الفلم متلاحقة على عين الشاهد ، فرأيت فى أطراف فلسطين وعلى حدود جاراتها المضيافة ثلاثة أرباع المليون من كرام العرب يعيشون فى المضارب والملاجئ عيش الحرمان ، يقتاتون السَّوف ، ويكابدون الجوع والخوف ، وينظرون إلى رياضهم الجنية تعيث فيها الذئاب ، وإلى حياضهم الروية تلغ فيها الكلاب ، فلا يملكون لأنفسهم إلا عبرات تتحدر وزفرات تتصعد ، ومجلس الأمن ووسيط هيئة الأمم ولجنة التوفيق ودول الديمقراطية يستطعمون الواغل لصاحب المأدبة فلا يُطعم ، ويستعطفون الدخيل على مالك الدار فلا يعطف !

وثَقل الأسى على أعصابى المضطربة فغلبنى النوم . ولا أدرى بعد كم دقيقة أو ساعة من رقادى دخل علىّ فى مكتبى صديق المغفور له إسعاف النشاشيبى فى هيئة مبذوءة وثياب رثة : بذلة من الصوف المهلهل لا لون لها من البلى ولا معالم ، وطربوش كلبدة الفلاح دارت عليه لفافة من بقايا قميص ممزق ، وحذاء غليظ من أحذية الجيش لا رباط له ولا جورب ... فقلت له وأنا لا أصدق عينىّ ولا أملكهما : ماذا صنع الدهر بالثرىّ السخى المترف المتنطس يا إسعاف ؟! فقال فى تسليم واستكانة : هوما ترى ! رأيت بعينى حى (الشيخ جراح) يُستباح ويجتاح ، ودارى العربية تحتلها كتيبة يهودية ، ومكتبتى الحبيبة تنقل إلى الجامعة العبرية ، وضياعى الخصيبة فى يافا يحول ريعها إلى تل أبيب ! فلما رأيتنى أصبحت لا دار ولا أهل ولا مِلك ولا مال ، هاجرت مع المهاجرين ،

الجديد في القضية الأندونوسية

للأستاذ عمر حليق

الحالة في أندونوسيا بناء على التقارير الواردة إلى لايك سكسس مقر هيئة الأمم المتحدة تشير إلى أن سياسة « الأمر الواقع » التي اتبعتها الحكومة الهولندية للقضاء على الجمهورية الأندونوسية سياسة مصيرها الفشل ، وأن نجاح الحملة الهولندية العسكرية كان نجاحاً مؤقتاً لعبت فيه الدعاية دوراً موفقاً بادئ الأمر ، إلا أن حقيقة الأوضاع العسكرية والسياسية تظهر بوضوح تعقد الحالة مما يتطلب تغييراً جوهرياً في موقف الهولنديين من الجمهورية الأندونوسية ، ومن عنادهم تجاه مقررات مجلس الأمن الدولي ، ومن الصوت الأسيوي الذي ناصر الأندونوسيين من مؤتمر نيودلهي

والتقارير عن الحالة في أندونوسيا ترد عن ثلاثة مصادر :

(١) لجنة التوفيق الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة التي تعمل الآن في أندونوسيا . (ب) ممثلي الجمهورية الأندونوسية .

(ح) الحكومة الهولندية .

وفيما يلي بإيجاز أهم ما بعثت به هذه المصادر الثلاثة من معلومات تلقي ضوءاً على مستقبل الصراع بين الحرية والاستعمار في ذلك الجزء المهم من العالم الإسلامي :

فلجنة التوفيق الدولية (وهي المعروفة سابقاً بلجنة المساعي الحسنة) تؤكد بأن الوضع العسكري وحالة الأمن في أندونوسيا هما الآن أبعد ما يكونان عن الاستقرار ، فلقد احتلت القوات الهولندية في ضربات خاطفة ، وبعد استعداد شهور طويلة ، بعض المدن الأندونوسية الكبرى ، ولكنها عجزت عن السيطرة على أكثرية المناطق الريفية كما عجزت عن تأمين المواصلات بين مناطق احتلالها وعن حفظ الأمن حتى في المدن التي ترابط فيها الجيوش الهولندية . ويقول مراقبو هيئة الأمم إن حرب العصابات قد أخذت تشتد ، وإن فلول قوات الجمهورية الأندونوسية قد أعادت تنظيم صفوفها وتركيز قيادتها ، وإنها تسيطر على أجزاء شاسعة من البلاد ، وإنها أخذت تشن حملات هجومية موفقة على الهولنديين في معاقلهم في المدن الكبرى ، وتتعمد قطع المؤونة عن القوات الهولندية في المناطق البعيدة عن الموانئ ومراكز التموين ، وتتعمد قطع المواصلات بين هذه القوات حتى ولو أدت إلى إحراق الزرع وتخريب المنشآت العمومية . لعل في هذا النشاط حافزاً للذين يضمنون مستقبل الصراع في فلسطين !

ويقول هؤلاء المراقبون كذلك أن معظم السكان الأندونوسيين ينهجون منهجاً سلبياً في مناطق الاحتلال الهولندي فيتعمدون المقاطعة وعرقلة الأعمال التي تعود على الهولنديين بالنفع .

وتلخص تقارير اللجنة الدولية هذا الوضع العسكري السيئ فتقول إنه ليس للحكومة الهولندية قوات عسكرية كافية لحفظ النظام في منطقة الجمهوريين ، وإن الإدارة المدنية الهولندية هناك لا تحظى بثقة الشعب وتعاونه ، وإن على الهولنديين والحالة هذه أن يكفوا عن المواربة وأن يعيدوا نظام الحكم الجمهوري ، وأن يحملوا قرارات مجلس الأمن القاضية بتأليف اتحاد الولايات الأندونوسية في نطاق الحكم الذاتي الذي يتدرج بالبلاد في فترة شهور قصيرة إلى الاستقلال التام ، بعيداً عن السيطرة الهولندية .

وترد الحكومة الهولندية على تقارير اللجنة الدولية هذه فتقول إن تحليل الوضع العسكري والسياسي في البلاد هو رأي خاص تبديه اللجنة ، وإنه لا يستند إلى المعلومات الوافية الصحيحة.

ولكن الهولنديين يعترفون مع ذلك بأن الوضع في أندونوسيا ليس مرضياً ، ولذلك فإنهم تواقون إلى التعاون مع الزعماء الجمهوريين الوطنيين في إيجاد حل وسط — حكومة اتحادية تشمل المناطق الرئيسية الثلاث في الجزر الأندونوسية تكون مرتبطة بالعاصمة الهولندية لاهاي ارتباطاً من شأنه أن يحفظ المصالح الهولندية التي يعيش عليها الجزء الأكبر من الاقتصاد الهولندي لا في أندونوسيا فحسب ، بل في هولندا نفسها .

وجواب ممثلي الشعب الأندونوسي من الوطنيين الجمهوريين على هذه المقترحات الهولندية يؤكد بأن طبيعة التعاون الذي تنشده هولندا يقضي على بعض الحقوق الأساسية للقوميين الأندونوسيين . فيشير الدكتور محمد رويم Roem رئيس الوفد الأندونوسي الملحق بلجنة التوفيق الدولية في مذكرة بعث بها إلى

ولجأت إلى مصر مع اللاجئين . وقد كنت تقول لي وأنا أوثر « الرسالة » بجهدي الضئيل : لولا غناك لأعطيناك . وها أنذا اليوم أصبحت فارغ الكف والقلب من المال والأمل ، لا في الجيب ولا في الغيب ! ثم بكى فبكيت ؛ وسمع نشيجي بعض أهلي فأيقظوني ، فاستيقظت وأنا أحمد الله لصديقي أن مات ، قبل أن يقاسم وطنه وقومه هذه النكبات !

احمد حسن الزيات

مجلس الأمن مؤخراً إلى أن طريقة التسوية التي تدعو إليها هولندة تخالف اتفاقية سابقة عقدتها هولنده مع الحكومة الجمهورية الأندونوسية المعروفة باتفاقية رنفيل Renville ، كما تخالف قرارات مجلس الأمن فضلا عن تجاهلها بعض النواحي الهامة من حقوق الأندنوسيين الشرعية .

ويقول الدكتور رويم : إن الجمهورية الأندونوسية كانت وليدة الصراع الدامي الذي حمل لواءه الأندونوسيون ضد الاحتلال الياباني إبان سيطرته على الجزر الهولندية خلال الحرب العالمية المنصرمة ، وأن هولنده عجزت عن حماية الأندونوسيين من العدوان الياباني ، وتركتهم لمصير قاتم عند ما تراجعت القوات الهولندية في جبن أمام جحافل اليابانيين . ولقد بذل الوطنيون الأندونوسيون أرواحاً غالية ثمن الاستقلال الذي عملوا له في وجه العسف الياباني ، وأعلنوه عند ما واتتهم الفرصة السانحة في أعقاب هزيمة اليابان .

فأي حق لهولندة أن تطالب بأن تكون شريكة في تقرير مصير أندونيسيا أو أن تطالب بحقوق وامتيازات ؟

ثم إن هناك نقطة قانونية تصر على أهميتها مذكرة الدكتور محمد رويم ؛ وهي أن النزاع بين الجمهورية الأندونوسية وهولنده هو نزاع دولي وليس نزاعاً محلياً كما يدعي الهولنديون ؛ فقد اعتدت دولة هولنده على دولة أخرى (هي الجمهورية الأندونوسية) ذات سيادة اكتسبتها بالدم والنار ولها من العمر ثلاث سنوات معترف بها من دول عديدة في طليعتها دول الجامعة العربية . وقد اعترف بها مجلس الأمن الدولي كذلك ، ووصف الهولنديين بأنهم خصم للجمهورية الأندونوسية ، إذن فدعوة الحكومة الهولندية دعوة غير قانونية ، والمشروع الهولندي الذي تحاول هولنده بواسطته أن تسوي النزاع مشروع باطل لا يستند إلى قانون فوق كونه يتضمن في خبث القضاء على حرية الشعب الأندونوسي وسيادته .

فهو يرمي إلى تقسيم البلاد ثلاث مناطق، كل منطقة لها حكم ذاتي خاص، ولكنها تشترك في إدارة مركزية تكون سيطرة الهولنديين عليها قوية في معظم الشؤون الداخلية ، وفي السياسة الخارجية .

وهذه المناطق الثلاث التي يقترحها الاستعمار الهولندي للبلاد الأندونوسية مقسمة تقسيما مشوها يخدم مصالح الهولنديين ويعبث بالوحدة الاقتصادية والثقافية للبلاد . وفوق ذلك فإن القسم الذي تمكن فيه نفوذ الجمهورية الأندونوسية هو أكبر الأقسام فهو يضم الأكثرية الكبرى من السكان (٦٠ من ٧٥ مليوناً) والقسمين الآخرين (جزيرة بورنيو وجزر شرق أندونوسيا) لا يضم من السكان سوى ١٥ مليوناً يخضعون قسراً لإدارة صورية لا تنال ثقة الشعب بها ، ومع ذلك فإن الحكومة الهولندية بموجب مشروعها المذكور تنوي إعطاء هاتين المنطقتين الأخيرتين صوتين مقابل صوت واحد لمنطقة الجمهورية الأندونوسية التي تشكل ٩٠ بالمئة من السكان . وتؤكد مذكرة الدكتور رويم بأن الإدارات الصورية التي أقامها الهولنديون في مناطق سيطرتهم في بورنيو ومنطقة الجزر الشرقية في أندونوسيا لن يتسنى لها أن تعيش ساعة واحدة إذا سمح للشعب الذي تسيطر عليه أن يعبر عن رغبته الصادقة باستفتاء محايد أو انتخابات ديمقراطية .

ويضيف ممثلو الجمهورية الأندونوسية في تفنيدهم لما استتر من شر في المشروع الهولندي مشيرين إلى أن فترة انتقال الحكم من الهولنديين إلى الوطنيين جُملت بطريقة تجعل السيادة الوطنية في المستقبل حين تتحقق ، سيادة قلقة ضعيفة لا تلبث أن ترتمي في أحضان الاستعمار الهولندي . إذ أن القوة الحقيقية في فترة الانتقال ستظل في أيدي الهولنديين وسيمنع الجمهوريون في فترة الانتقال هذه من ممارسة الإدارة ، والحكم في مراكز التوجيه وسيمنعون حتى من إنشاء قوات بوليسية وعسكرية لحماية البلاد وصيانة الأمن ويترك ذلك كله في يد الجيش الهولندي ، ولن يكون للأندونوسيين تمثيل سياسي خارجي ولا اتصال مباشر بالعالم الخارجي .

وقد بحث مجلس الأمن مؤخراً هذه الشكاوى والادعاءات والتقارير الواردة من المصادر الثلاثة : اللجنة الدولية ، وممثلي الجمهوريه الأندونوسية ، ومن الهولنديين ، فقرر أن تظل قراراته السابقة بصدد النزاع في أندونيسيا أساساً لتسوية الحالة . وهذه القرارات في جلتها في صالح الوطنيين الأندونوسيين وهم يريدونها أن تكون أساساً للحكم على مستقبل السيادة في ذلك الجزء الغني من القارة الأسيوية .

وقد ندد مجلس الأمن بموقف الحكومة الهولندية بصدد

سماعه شكاوى لجنة التوفيق الدولية من أن الحكومة الهولندية تعمل متعمدة على عرقلة أعمال اللجنة فتماطل فى التعاون ، وتحاول أن تتفادى قرارات مجلس الأمن وأن تقوض النظام الجمهورى فى أندونوسيا .

وتلاقى القضية الأندونوسية عطفاً منقطع النظير فى الأوساط الدولية الغربية إذا قورنت بقضايا التحرر الأخرى والإسلامية منها على الأخص . ولعل السبب فى ذلك مغريات الجزر الأندونوسية والسعى لاكتساب صداقة الأندونيسيين الذين سيفوزون عاجلا أو آجلا بسيادتهم التامة على بلادهم .

وكان موقف مندوب الحكومة الهولندية فى جلسات مجلس الأمن الأخيرة الخاصة بالقضية الأندونوسية أميل إلى التسليم . وهذا ما يبعث المتتبعين للقضية الأندونوسية على الاعتقاد بأن الجمهوريين سينالون فى المراحل النهائية سيادتهم .

(نيويورك) عمر حليق

« وقعة صفين »

للدكتور جواد على

واقعة صفين من الوقائع الهامة التى يجب دراستها بعناية ، لأن لها ولسائر الوقائع الأخرى التى وقعت فى صدر الإسلام أثراً كبيراً فى التاريخ العربى . وقد عنى جماعة من الرواة بأخبارها وألفوا فى ذلك كتباً ، تعد فى نظر المؤرخ المراجع الأولى التى يجب الرجوع إليها لمعرفة العوامل السياسية والظروف التى لعبت دوراً جسيما فى إثارة تلك الأحداث التى أثرت فى مستقبل العرب والإسلام .

وتلك المصنفات التى ذهب الدهر بأكثرها هامة جداً لأنها المراجع الأولى التى يجب أن يعتمد عليها المؤرخ فى تدوين التاريخ وليس لكتب اليعقوبى والطبرى والمسعودى وابن مسكويه ، وابن الأثير وغيرهم تلك القيمة — على جلالتها وأهميتها — التى يضعها الناقد الحديث للأصول . ثم إن هذه الكتب نفسها قد رجع إليها واغترف منها . وقد أخذت أكثر أخبارها من شهود عيان . وليس الخبر كالعيان .

من أجل هذا ومن أجل رغبتنا فى تدوين تاريخ نقى للعرب صاف يعيد إلى ذهننا صفاء الإسلام وصفاء تلك العقيدة التى حاربت الحمية الجاهلية والتفكير الجاهلى والعصبية القبلية ، ومن أجل أن يكون لنا تاريخ مكتوب وفق الأساليب العلمية الحديثة مستمد من المصادر الأولى وجب علينا التفتيش قدر الطاقة عن أقدم النصوص لدراستها دراسة علمية حديثة ، ولا سيما تلك النصوص التى دونت فى البيئات المحايدة التى لم تنجرف مع التيارات السياسية ومن أشخاص عرفوا بالعلم والاطلاع ، وفى الأماكن التى حدثت فيها تلك الأحداث أو كانت قريبة منها . ويؤسفنى أن أقول إن أكثرها قد فقد وأتلف عمداً أو سهواً ، فنحن لا نملك من الكتب التى وضعت فى الصدر الأول شيئاً ، ولا نملك من المؤلفات الأصول غير مؤلف أو مؤلفين .

فالعالم العربى والعالم الإسلامى بل والعالم الغربى فى حاجة إلى هذا التاريخ ، إلى تاريخ علمى منظم دقيق يكتب بروح حيادية على نمط الكتب المؤلفة فى الغرب ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بالاعتماد على الأصول ، وعلى تحسن فهم الأصول عقول ، ولأجل هذا لا يمكن الاعتماد بعد اليوم على مؤلفات المستشرقين لأن ما فيها إما أن يكون غير حيادى وإما أن يكون ناقصاً لا يعبر عن نفسية هذا الشعب ، لأنهم لا يستطيعون التعبير عن نفسيته ولا فهم عواطفه . ثم إن من العار على أمة تريد النهوض ومجاراة الأمم الأخرى الاعتماد على المستشرقين وفيهم الغالبية من الصهاينة أعداء العرب والإسلام . من أجل هذا كان سرورى عظيماً بكتاب «وقعة صفين» لنصر بن مزاحم المنقرى المتوفى سنة ٢١٢ للهجرة ؛ لأنه أصل من تلك الأصول التى أبحث عنها والتى كتبت عن وقعة واحدة وجمعت مختلف الروايات التى قيلت عنها . وأرجو أن نوفق إلى روايات أخرى تمثل وجهة نظر أهل الشام مثل روايات عوانة الكلبى الذى كان يعرفها بحكم اتصاله بكلب التى كان لها نفوذ هناك ، كما أتمنى العثور على كتب أخرى عن هذه الوقعات وعن الحوادث المهمة التى وقعت فى صدر الإسلام .

ولنصر بن مزاحم مؤلفات قيمة تناولت الأحداث التى وقعت فى العراق ، وهو ثقة فيها وقد نقل عن مؤلفاته جماعة من المؤرخين

فاعتمد على كتابه « كتاب الجمل » الذى تناول أحداث وقعة الجمل أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة . أخذ ذلك عن على بن أحمد بن الحسن المعجلى عن الحسين ابن نصر العطار وهو ابن نصر ابن مزاحم المنقرى [١] . ووضع رواياته هذه مع الروايات الأخرى التى أخذها عن السرى عن شعيب عن سيف بن عمر الأسدى الكوفى المؤرخ الشهير وصاحب الكتب المعروفة فى الفتوح والردة والجمل وغير ذلك ، والذى هو موضع ثقة الطبرى فيها حتى أنه رجحه على الواقدى ، وهو سند نصر بن مزاحم بنفس الوقت .

وقد ألف غير واحد من المؤرخين فى وقعة صفين ، منهم أبو مخنف لوط بن يحيى المتوفى سنة ١٥٨ للهجرة .[٢] وهو من أنشط الرجال الذين عنوا بتاريخ العراق ؛ وهو من مشائخ نصر ابن مزاحم بنفس الوقت . وقد اعتمد عليه الطبرى فى وقعة صفين والتاريخ الأموى والأحداث التى وقعت قبل صفين وأورد من كتب أبى مخنف قطعاً طويلة تعطينا فكرة مهمة عن الأسلوب الشرقى الذى اتبعه فى تدوين التاريخ وفى الإنشاء العربى فى ذلك العهد [٣] وهو مرجع لأكثر المؤرخين . ويمكن جمع أقواله المشتتة فى كتب الواقدى والبلاذرى والمسعودى وغيرها وتكوين فكرة عامة عن هذا المؤرخ القديم .

وألف أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ وهومؤرخ شهير ومرجع لايحتاج إلى تعريف فى وقعة صفين[٤] وقد أشار إليه وإلى أبى مخنف الأستاذ عبد السلام محمد هارون فى مقدمته لكتاب صفين . وألف غيرهما ممن لم يشر إليهم الأستاذ مثل إسحاق بن بشر بن محمد بن عبد الله بن سالم أبو حذيفة البخارى المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة فهو من معاصرى نصر بن مزاحم ، وكان مثله صاحب مؤلفات فى الأحداث الإسلامية . فله كتاب الفتوح وكتاب الردة وكتاب الجمل وكتاب الألوية وكتاب صفين وكتاب حفر زمزم وكتاب المبتدأ وهو فى مبدأ الخلق ، ومثل إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفى الكوفى المتوفى سنة ٢٨٣ للهجرة وهو مؤلف صنف فى هذه المواضيع كتباً مثل كتاب الجمل وكتاب صفين وكتاب الحكمين وكتاب مقتل أمير المؤمنين وكتاب أخبار عمر إلى غير ذلك من الكتب التى ذكرها أصحاب التراجم [١] . ومثل الغلابى أبو عبد الله محمد بن زكريا بن دينار أحد الرواة للسير والأحداث والمغازى وله من الكتب كتاب مقتل الحسين بن على وكتاب وقعة صفين وكتاب الجمل وكتاب الحرة وكتاب مقتل أمير المؤمنين فهو من المؤلفين فى تواريخ أحداث العراق[٢] .

ولقد عنى الكوفيون عناية خاصة بتدوين الأحداث الإسلامية التى وقعت فى العراق وبأمر الفتوحات ، وهم يتفوقون فى ذلك على أهل الشام وعلى أهل المدينة الذين عنوا بالسيرة والمغازى وأحداث الحجاز وبالدولة بقدر ما للدولة من علاقة بالمدينة . فلم يهم رواتهم عما كان يقع فى العراق أو الشام أو ما إلى ذلك . ويشبه أهل الكوفة فى ذلك رواة أهل اليمن الذين حافظوا على الرواية التاريخية وأحيوا القصص الشعبي وخلقوا لليمن قصصاً اصطبغ بالصبغة المحلية وبالعصبية القبلية . ولوجود عدد كبير من الرواة الذين يرجعون أنسابهم إلى اليمن فى مدينة الكوفة دخل ولاشك فى تقدم فن التاريخ فى هذا المكان .

ونصر بن مزاحم راوية من رواة أهل الكوفة من الطبقة الممتازة وقد فقدت أكثر مؤلفاته مع الأسف ، وإن كانت لا تزال بعض قطع منها محفوظة فى بطون الكتب التى اقتبست منها . وقد كان ولده « الحسين » من الرواة وقد سجل له أبوالفرج الأصبهانى شيئاً من الأقوال فى كتابه « الأغانى » . وفى كتاب صفين قطع أخذت من كتب ألفت فى أيامه أو فى أيام مضت قبله . فحفظ نصر لنا بذلك نماذج من النثر ترينا كيف كان المؤرخون يكتبون

وقد عرف كتاب صفين بين الناس واقتبس منه ، قديماً وحديثاً . وممن نقل منه عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى الشهير بابن أبى الحديد شارح كتاب « نهج البلاغة »

---

(١) الطبري تاريخ الأمم والملوك ج ٥٨ ص ١٧٢ (الطبعة المصرية)

(٢) راجع عن أبى مخنف تاريخ آداب اللغة العربية لبروكلمن الملحق ج ١ فى المؤرخين . وكذلك وستنفلد عن المؤرخين ومقدمة ولهوزن لكتابه القيم « الدولة العربية وسقوطها » .

(٣) بروكلمن ملحق ج ١ قسم المؤرخين . مقدمة الأستاذ ص « و »

(٤) ياقوت إرشاد ج ٢ ص ٢٣٢

---

(١) ياقوت ١٨ص ٢٩٥ ، الطوسى ٩ فهرست ص

(٢) ابن النديم فهرست ص ١٥٧

وقد أدخل فى كتابه كتاب «وقعة صفين» لنصر وجزأه إلى أقسام جعل كل قسم فى الموضع الذى يليق به من الخطبة أو الإشارة . وقد أدخل فى كتابه فى الواقع كتباً أخرى من الكتب التى ألفت قبله ولا مجال للبحث عنها فى هذا المكان .

وقد دفعنى البحث الذى أقوم به فى الوقت الحاضر عن المصادر التى أخذ منها الطبرى فى تاريخه المعروف لمجلة المجمع العلمى العراقى على مراجعة كتاب « وقعة صفين » فى جملة كتب كثيرة رجعت إليها فكان تحقيق الأستاذ السيد عبد السلام محمد هارون محقق هذا الكتاب الذى طبع عام ١٣٦٥ للهجرة فى القاهرة هو الحافز لى على الكتابة فى هذا الموضوع .

والحق أن الأستاذ قد أجهد نفسه وبذل عناية تستحق التقدير فى إخراج هذا المؤلف الثمين ، وقد وضع لرجال السند ولأشخاص الرواة تراجم مختصرة تناسب المقام وزينه بفهارس أحيت الكتاب ، وهو عمل متعب لا يعرف مشقته إلا المساكين الذين دفعهم القدر إلى الاشتغال بالتحقيق فى بلاد لا تقيم للتحقيق العلمي وزناً ولا تضع له أية قيمة .

وقد حملنى إعجابى بالإخراج على إبداء بعض الملاحظات البسيطة التى جاءت فى المقدمة . من ذلك قول المحقق « طبع هذا الكتاب لأول مرة على الحجر فى إيران سنة ١٣٠١ وهذه الطبعة نادرة الوجود عزيزة المنال حتى أنها لم تدخل خزائن دار الكتب المصرية إلا منذ عهد قريب ، وهى نسخة مروية تقع فى ثمانية أجزاء فى صدر كل منها سند الرواية التى تنتهى إلى نصر بن مزاحم وهذه الأجزاء الثمانية فى ٣٠٥ صفحة ... الخ ... » .

وقد تحدث السيد عبد السلام محمد هارون عن حالة الكتاب فى مصر ؛ أما فى العراق فهو موجود يباع عند الورّاقين بثمن زهيد وكنت أود أن يشير إلى ما ذكره المستشرق « بروكلمن » عنه فى كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » فعندى أنه يستحسن من كل محقق أو مؤرخ الإطلاع على ما جاء عن الكتب وأصحابها وإن كان البحث لا يخلو من أوهام فى بعض الأوقات . فقد أشار « بروكلمن » إليه وذكر أنه طبع سنة ١٣٠١ (١٨٨٤) بمدينة طهران طبعه « فرج الله الكاشانى » . وكنت أود أن يشير إلى ذلك اعترافاً بخدمة من سبقنا من الباحثين . والظاهر أن الأستاذ لم يراجع كتاب هذا المستشرق وإلا كان فى مقدمة من أشار إليهم .

والواقع أن الأستاذ لو قرأ الصفحة الأولى من كتاب « وقعة صفين » المطبوع بإيران لوجد اسم الناشر إذ جاء فيها : « يقول الراجى عفو ربه الغنى فرج الله بن هاشم العلوى الفاطمى الحسينى أن كتاب الصفين فى شرح غزاة أمير المؤمنين ... الخ » . وجاء فى آخر الكتاب اسم الخطاط الذى طبع الكتاب على الحجر واسمه محمد حسن فى سنة ١٣٠٠ هـ لا سنة ١٣٠١ كما ذكر ذلك بروكلمن والأستاذ عبد السلام محمد هارون .

وجاء فى مقدمة السيد هارون « وهناك نسخة ثالثة كانت فى ضمير الغيب وأمكننى أن أكشفها شيئاً فشيئاً بمطالعتى فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد الذى جرت عادته على أن يضمن تأليفه جملة من الكتب ينثرها فى تضاعيف كتبه ... » . وكنت أود أن يطلع الأستاذ على كتاب بروكلمن فقد أشار فيه إلى أخذ ابن أبى الحديد لكتاب صفين ونثره فى تضاعيف كتابه كما أشار إلى النسخة التى أشار إليها السيد عبد السلام محمد هارون وهى المطبوعة فى بيروت عام ١٣٤٠ بعد حذف الأسانيد منها . وكنت أود ألا يكتفى الأستاذ بقراءة النص المطبوع بإيران ، بل كنت أطمع أن يقرأ الصفحة الأولى منه وهى مقدمة أشار فيها إلى كتاب آخر حوى وقعة صفين وهو كتاب شهير جداً يقال له « بحار الأنوار » وقد قرأ « بروكلمن » الصفحة الأولى من طبعة « وقعة صفين » التى اعتمد عليها السيد عبد السلام محمد هارون فأشار إلى هذا الكتاب .

وكتاب « بحار الأنوار » دائرة معارف فى العلوم الشرعية والتاريخ وهو من مؤلفات محمد باقر بن محمد تقى المجلسى الأصفهانى المتوفى سنة ١١١٠ للهجرة (١٧٠٠ م) ويقع فى ٢٦ مجلداً بدئ بطبعه طبعاً حجرياً سنة ١٣٠٣ وانتهى منه سنة ١٣١٥ ، وقد حوى المجلد الثامن منه وهو المجلد الخاص بالإمام على بن أبي طالب على وقعة صفين ، فأدخل المجلسى كتاب وقعة صفين فى هذا المجلد وشغل حيزاً واسعاً منه من صفحة ٤٨٤ حتى صفحة ٦٢١ . ولو طالع الأستاذ هذا الكتاب الذى أشار إليه « بروكلمن » وقبله ناشر كتاب وقعة صفين فى الصفحة الأولى منه لوجد

أساليب التفكير :

التفكير الفلسفي

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

فوضى التعريف :

عودتنا كتب الفلسفة التى تقدم لعامة القراء أن تطالعنا فى السطور الأولى بمعنى كلمة فلسفة فتردد إنها كلمة من أصل يونانى مركبة من « فيلو » أى محب و « سوفيا » أى الحكمة ، وتنتهى من ذلك إلى أن الفلسفة معناها « محبة الحكمة » . ثم تمضى لتؤكد فى جرأة أن أول من استعمل الكلمة للدلالة على علوم الفلسفة عالم يونانى من أعلام الرياضة والفلك والموسيقى،فيثاغورس الذى توفى فى القرن الخامس قبل الميلاد ؛ إذ قال : « لست حكيما، فالحكمة لا يتصف بها غير الآلهة وما أنا إلا محب للحكمة » . تردد الكتب ذلك القول مع أنه لم يثبت بالدليل التاريخى البات أن فيثاغورس أول من استعمل كلمة فلسفة بمعنى اصطلاحى ، فالمؤرخ «هيرودوت» يذكر أن « كريزوس » قال « لصولون » إنه سمع أن صولون قد جاب كثيراً من الأقطار يتفلسف ، وأن الذى دفعه إلى ذلك رغبته فى المعرفة[1] .

ولذلك يحق لنا أن نرجح أن هيرودوت أول من استعملها للدلالة على علم من العلوم ، أو — على الأقل — أن نشك فى نسبتها إلى فيثاغورس .

وعودنا جمهور المثقفين أن يتساءل عن معنى الفلسفة ، ويتطلب تعريفاً جامعاً مانعاً لها فى كلمات قلائل، ولما كان موضوع الفلسفة غير واضح المعالم ، غير محدود الأفق ، ولما كانت المعرفة الفلسفية متشعبة الأطراف ، متنوعة الاتجاهات حتى ليستحيل أن تفضى إلى نتائج ثابتة نهائية شأن العلوم المختلفة ، لما كان الأمر كذلك تعذر تعريف الفلسفة على اعتبار أنها لون من ألوان التفكير البشرى ، أو فرع من فروع المعرفة الإنسانية .

وإذا كان الفلاسفة قد تصدوا لتعريفها فإن تعريفاً واحداً من تعريفاتهم لم ينج من النقد فضلا عن التقريع ، حتى ليتعذر علينا أن نجد فيلسوفين يتفقان على تعريف واحد . سر ذلك أن كل فيلسوف إذ يتصدى للتعريف إنما يكون واقعاً تحت تأثير فلسفته الخاصة فيكون التعريف الذى ينتهى إليه مجرد عبارة قصيرة توجز

(١) (المدخل إلى الفلسفة) تأليف كوليه وترجمة أستاذنا الدكتور أبو العلا عقيفى .

الكتاب كاملا ولوجد له نصاً ثانياً يساعده كثيراً على التحقيق. والظاهر أنه لم يعثر عليه فى دار الكتب المصرية وفى مكتبات مصر .

وقد أشار المجلسى فى كتابه إلى وجود زيادات فى كتاب صفين لم ترد فى كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد . وقد استفاد المجلسى وهو عالم محقق واسع الاطلاع من نسخة قديمة لكتاب وقعة صفين . كما استعان بكتب أخرى عن هذه الوقعة مثل « كتاب صفين » لإبراهيم بن ديزيل الهمدانى الذى من رواته « حبة العرنى » وهو من رواة نصر بن مزاحم . وكذلك سيف ابن عمر الضبيعى الكوفى المتوفى سنة ١٨٠ للهجرة الراوية الشهير صاحب الكتب فى الردة والفتوح والجمل ومسير عائشة وعلى . وقد نقل عن الصعب بن حكيم بن شريك بن نملة الكوفى .

ومثل كتاب شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانى وغير ذلك . وقد سبق لعالم آخر أن اعتمد على كتاب « صفين » فأخذ منه شيئاً حذفت منه الأسانيد هو الشيخ السيد محسن الأمين من علماء الشام أدخله فى كتابه « أعيان الشيعة » فى الجزء الخاص بالإمام على المطبوع سنة ١٣٥٤ للهجرة والظاهر أن الأستاذ لم يقف عليه .

هذه ملاحظات بسيطة دفعنى على تدوينها موضوعى الذى اشتغل فيه فى الوقت الحاضر عن « مصادر تاريخ الطبرى » لا تغض من قيمة الكتاب سجلتها رغبة منى فى التعقيب لأن العلم بحر لا يحاط به مهما أوتى الإنسان من علم . أرجو من القارئ ألا يسىء ظنه فى قيمة التحقيق والإخراج .

(بغداد) جواد على

فلسفته ، وتركز مذهبه .

أفلاطون ، مثلا ، يصف الفيلسوف بأنه شخص غايته معرفة الأمور الأزلية ، أو الوصول إلى حقائق الأشياء ، أو الارتقاء من العلم بشئون حياتنا الوهمية إلى إدراك مسائل الحياة الأزلية . وهو يصدر فى ذلك عن نظرية عرف بها ، نظرية المعانى أو المثل ، التى ترى العالم المحسوس الذى نحيا فيه حياتنا الراهنة عالم أشباح زائلة ، لحقائق أزلية أبدية لا تحس وإن لم يكن من المستحيل إدراكها إن اصطنعنا التأمل العقلى الخالص من أوهام الحس والبدن . فيصبح العلم بأمور هـذا العالم تافهاً ، فى حين يصبح العلم الحق هو الإحاطة بعالم الحقائق الأزلية الروحية ، وما ذلك العلم غير الفلسفة . بل تراه يقول : « الفيلسوف الحق هو ذلك الذى يسعى إلى انتزاع الروح من الجسد » (١) ألا يلخص ذلك القول نظريته فى العلاقة بين الروح والجسد التى ترى الإنسان لا مركبا من روح وجسم ، بل تراه روحاً حلت عرضاً فى جسد هو سجن لها ينبغى أن تتحرر منه ؟

وشيشيرون ، الخطيب الرومانى ، ينافح عن الفلسفة الرواقية التى تدين بالفضيلة غاية للحياة ، وترى السعادة فى الخضوع لمحتوم القضاء ، والإذعان للقدر ، والابتسام للخطوب ، والرضا بواقع الأمور . ذلك أن الأمور ليست فوضى إنما هى وفق إرادة عليا خيرة عاقلة ، ثم هى فضلا عن ذلك منبثة فى أرجاء الكون ، حالة فى جنباته . حتى لتصبح السعادة شأناً من شئون النفس لا يتوقف على الظروف الخارجية ، ولا يرتهن باعتدال الأمور أو تقلب الأحوال ، إنما هى طوع أمرك إن ارتضيت حكم الإرادة الكلية ، وازدريت اللذات الجسدية . ينافح شيشيرون عن الفلسفة الرواقية هذه ، فهل نعجب حين يذكر فى معرض الحديث عن الفلسفة : « أيتها الفلسفة ! أنت المدبرة لحياتنا : أنت صديق الفضيلة وعدو الرذيلة ، ماذا تكون حياة الإنسان لولاك ؟! » أو حين يضع حدود المعرفة الفلسفية بقوله : « إن الفلسفة هى العلم بأفضل الأشياء ، والقدرة على الانتفاع به بكل وسيلة ممكنة » .

إن شيشيرون بقوله هـذا لم يعرف الفلسفة بقدر ما عرفنا وجهة نظره الخاصة .

(١) (فيدون) من محاورات أفلاطون .

وأرسطو ، المعلم الأول ، يقسم الفلسفة إلى فروع عدة جميعها حكمة بيد أن « ما وراء الطبيعة » أحق تلك الفروع باسم الحكمة وهو يسمى علم ما وراء الطبيعة « الفلسفة الأولى » فى مقابلة « الفلسفة الثانية » ويعنى بها العلم الطبيعى . ويعرف الفلسفة الأولى بأنها العلم الإلهى الذى يبحث فى الله ، المحرك الأول ، مسبب الأسباب وعلة العلل ، ذلك أن دراسة الله عبارة عن دراسة الوجود من حيث هو كذلك ، فضلا عن أن الطبيعة الحقة للوجود تتجلى فيما هو دائم لا فيما هو زائل .

وإليك مثل من الشرق العربى ، عالم مسلم مشبوب العاطفة الدينية ، ذلك هو الجرجانى ، بطل التعريفات ، يعرف الفلسفة بأنهـا « التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية » . فيأتى تعريفه خير معبر عن نزعته الفكرية فكيف ننتظر منه أن يكون تعريفاً للفلسفة فى ذاتها ؟!

وإذا كان معنى الفلسفة يختلف من فرد إلى آخر فهو يختلف كذلك من عصر إلى آخر . كان فى القرون الوسطى العلم الذى يصل إليه العقل بطريق النظر الفكرى الصرف فى مقابلة العلم الإلهى الذى يصل إليه الإنسان بطريق الوحى .

وهكذا صار معنى الفلسة العلم العقلى المنظم . وفى العصور الحديثة تدل كلة فلسفة على مجموعة العلوم النظرية التى تستند إلى النظر العقلى الصرف فى مقابلة مجموعة العلوم المستندة إلى الملاحظة والتجربة .

ناهيك بشتى التعريفات التى تنكر الفلسفة وتزدرى الفلاسفة يطلقها نفر من المتزمتين الحرفيين فى تدينهم ، يصدرون فى تعريفهم لها عن تهيب من العقل وخشية على إيمانهم السطحى من عمق التأمل العقلى ؛ أو يتفكه بها قوم من المازحين الجهلاء يصدرون فى تعريفهم لها عن العداء لما يجهلون : فمن تعريف لها بالكفر والزندقة ، إلى القول بأنها تعقيد البسيط ، إلى اتهامها بتهمة الثرثرة والقدرة على الحديث حين ينبغى وحين لا ينبغى ، أو قوة الحجة فى مجال الحق أو مجال الباطل على حد سواء .

فقد اتضح إذن بعد هذا العرض السريع أن لا سبيل إلى الوقوف على حقيقة الفلسفة من تعريفاتها ، كما أنه لا سبيل إلى حقيقة المرء من بطاقته ، أو الكتاب من عنوانه . وإن تم التعريف

عن أمر ما ، فمن اتجاه صاحبه العقلي أو نظريته الفلسفية أو شعوره نحو النهج الفلسفي منكراً كان أو مؤيداً .

النهج الفلسفي :

إن تعريف الفلسفة قد يوهم القارئ أنها مجرد علم من العلوم ، ابتدأه أو ابتدعه ذلك النفر من الحكماء ، وتعاون على إقامته وتطوره أجيال الفلاسفة ؛ في حين أن الحقيقة التي تخفى على الكثيرين من طلاب الفلسفة المبتدئين ، أن الفلسفة أسلوب من أساليب التفكير البشرى ، وناحية من نواحى النشاط الفكرى . فالإنسان المنطوى على طلب المعرفة ، المطبوع على تفسير الظواهر ، المتلهف على تلمس العلل والأسباب والغايات كما ينهج النهج الخرافى فى تفكيره ، قادر إذا ما بلغ طوراً من التقدم العقلى أرقى ، وإذا ما تهيأت له ظروف مادية خاصة ، على أن ينهج نهجاً فلسفياً . بل إن بذور التفكير الفلسفى لتبرز فى طفولة المرء وفى طفولة البشرية . وقد انتهيت فى مقال سابق من الرسالة[1] بعد استعراض أمثلة من الشرق القديم إلى أن الخرافة أو الأسطورة وإن كانت تطبع التفكير الشرقى القديم ، فإن الفلسفة كانت تطل برأسها بين الفينة والفينة ، وفى ذلك المحيط من ظلام الفكر حيث تتراقص المردة والأشباح والشياطين التى تراها عين الخيال وتذكيها العاطفة والهوى ، كانت تنبثق أحياناً بروق فلسفية ومحاولات لتفسير الأمور تفسيراً عقلياً ، فتتغالب الأشباح وتبدد الخرافات إلى حين .

وأضيف إلى ذلك أن الفلسفة كثيراً ما كانت تبلغ الأوج دون أن تبدد الأشباح تبديداً تاما . وكثيراً ما ألمت بها نكسات لا يزال التاريخ يذكرها فقد أعقب العصر الذهبى للفلسفة اليونانية إبان القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد ذبول هو ارتداد إلى الفكر الشرقى القديم من حيث الامتزاج بالدين والاقتصار على مباحث الأخلاق والميل إلى التصوف ، وما التصوف فى حقيقة الأمر إلا نوع من الإعراض عن العلم العقلى الذى يستند إلى الدليل والبرهان ، والاكتفاء باليقين القلبى والإيمان . وفى عام ٥٢٩ بعد الميلاد أغلق الامبراطور يوستنيانوس مدارس الفلسفة فى أثينا ، وكانت قد أقفرت من التلاميذ ، وتناقص عدد العلماء فيها وخمد الفكر الفلسفى فى اليونان ليذكر فى الشرق ، فى ربوع فارس حيث كسرى أنوشروان ، صديق الفلسفة الذى فتح ذراعيه للنازحين من ربوع الاضطهاد الفكرى .

(البقية فى العدد القادم) عبد المنعم عبد العزيز المليجى

(١) التفكير الخرافى فى العدد ٨١٠ من الرسالة .

فزان بين يدي الأتراك والطليان

للأستاذ أحمد رمزي بك

— ٢ —

العدوان الإيطالي :

١٥ — في أكتوبر عام ١٩١١ رُوّع العالم الإسلامي والعربي بخبر اعتداء صارخ قامت به إيطاليا على القطر الطرابلسي بغير إعلان حرب وبدون مسوغ . ولم يكن هناك نزاع أو ما يشبه النزاع ، بل كان هناك أمن وسلام . ولم يعلم الناس بأمر مفاوضة انقطعت أو أمر اختلاف على مبدأ أو رأى أو قاعدة مما تختلف عليه الأمم والشعوب فيتخذ ذريعة للحرب ، بل لم يسمعوا بشئ أو بعض الشئ مما يحضر الأذهان لمثل هذا العدوان وينبه العقول لمقدمه .

١٦ — وإنما سيرت إيطاليا بوارجها وجحافلها واستيقظ أهل المدن طرابلس وبنى غازى ودرنة الآمنة ، على أصوات المدافع ، تقذف عليهم الحمم والموت في عقر دارهم . فيالله من يوم كنا صغاراً لا نعقل من الأمر شيئاً ، ولكننا لمسنا الألم والأسى ، مرتسمين على وجوه الآباء والأهل والعشيرة والجيران فحزنت قلوبنا لحزنهم وتألمنا لألمهم .

كنا صغاراً نلعب ونلهو — فتركنا اللهو وقاطعنا اللعب وشعر كل منا بأن ساعة فاصلة قد دقت في حياته . نعم كان وقع الاعتداء شاملا وكان الجرح عميقاً ليس من الجراح التي تبرأ وتلتئم وتنسى مع الزمن .

وسرت بين الناس موجه دافعة ، من تلك الموجات التي تملأ النفوس والمشاعر ، وتخفق لها القلوب ، وارتجت مصر من أقصاها ، فمن كتب عليهم القتال من المجاهدين قاتلوا وقتلوا ، ومن لم يقدر على تحمله جاد بالمال عن نفسه وبنيه .

وأتى أنور ومعه حفنة ممن باعوا أنفسهم في سبيل الله ، وصمد عرب طرابلس وعرب برقة وعلى رأسهم السيد أحمد السنوسي ليكتبوا بدمائهم ملحمة من ملاحم الملثمين والموحدين في دفاعهم وجهادهم واستماتتهم عن أرض أندلس فواجهوا الموت وعاينوا الهزيمة ، كما لاح لهم الظفر والمجد ، وقاتلوا وانتصروا واستشهدوا ، وامتلأت أيديهم بالعتاد والسلاح وأسرى العدو .

١٧ — وفجأة خفتت أصوات المدافع وعادت السيوف إلى أغمادها وسادت فترة هدوء على الجبهة . نعم لقد قامت حرب أشد هولاً ، هي حرب البلقان واتجهت الأنظار لمعارك في جبهة مقدونيا حيث تعرض ثلاثة ملايين من المسلمين للهجوم والتشتيت وتساءل الناس عن المصير .

أما مقدونيا فرثاها شوقي بقوله .

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والإسلام

وأما ليبيا وبرقة فقد استحوذ عليهما الطليان ورتل قائل بشعر قديم[1] فقال :

أحقاً خبا من جـــورندة نورها
وقد كسفت بعد الشموس بدورها
وقد أظلمت أرجاؤها وتزلزلت منازلها ذات العلا وقصورها
ترى للاسى أعلامها وهي خشع ومنبرها مستبعد وسريرها
ومأمومها ساهى الحجى وإمامها وزائرها في مأتم ومزورها

كلا لم تدم تلك المحنة طويلا إذ قامت الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤ ودخلت إيطاليا الحرب ، فارتجت البلاد فعادت إلى الجهاد وبدأت ملحمة جديدة من تلك الملاحم الخالدة في تاريخ العروبة التي تقاتل فيها فئة صغيرة فئة كبيرة — فيأتيها النصر من عند الله .

١٨ — لقد فرحت مصر وفرحنا بمعارك درنه وعين زارة[2] وغيرها من التي منّ الله بها على المجاهدين والمرابطين وذوى البأس في قتال الطليان وكان ذلك في عامى ١٩١١ — ١٩١٢ . أما أيام الحرب العظمى فقد سار المجاهدون فيها من نصر إلى نصر ، بل كان يوم يمر يأتى إليهم نصر جديد من عند الله ، ولم تمض

---

(١) من مراثى الأندلس ومن نظم أبي جعفر من خاتمة في حوالى سنة ٩٠٤ هجرية أوردها الأمير شكيب أرسلان في كتابه (الحلل السندسية) .

(٢) تبعد ١١٠ كيلو متراً من مدينة طرابلس وهي واحة .

١٩١٥ إلا وقد زحزحوا الطليان عن برقة واستعادوا فزان ، واقتحموا حصونهم ومعاقلهم واحدا بعد الآخر ، واستحوذوا على أسلحتهم وسياراتهم وأسروا كتائبهم المرتزقة من سود وحبش وغيرهم ، ساقوهم بأسلحة الطليان لقتال الطليان وتلك والله مقدرة لأهل برقة وليبيا .

وتتبعوا المنهزمين وسدوا عليهم المنافذ والطرق . وفي يوم أصبحت العاصمة تحت أزير رصاصهم وغدا الساحل تحت سيطرتهم فأتتهم المؤن والذخائر من حيث شاءوا .

فهل رأيت دفعة كهذه الدفعة أو قوة من المستضعفين ملأها الإيمان والثقة في النفس والدعوة إلى الحق والقتال في سبيل الله عملت في القرن العشرين عملا يشبه هذا ؟ إنها وايم الله وقفة رائعة .

١٩ — وانتهت الحرب العظمى الأولى ١٩١٨ وتدخل الإنجليز بين الطليان وأهالي البلاد فاعترفوا بنظام ليبيا ومسراطة وأقروا أمارة برقة ووقعوا المعاهدتين وضمنوا استقلال الداخل وخيل للناس أن عهداً من الطمأنينة والأمن قد أشرق .

وفي يوم من الأيام إذ موسوليني يضرب بمواثيق إيطاليا وضماناتها عرض الحائط وحنث بالإيمان المأخوذه وآثار حرباً ضروسا مهلكة يحاول بأساليبها إبادة شعب بأسره . كانت تعليماته وأوامره وقراراته واضحة لا شبهة فيها فليراجعها من يشاء يجدها في كتبهم وما نشره قوادهم .

وكان كبش الفداء شعب ليبيا .

٢٠ — قابل هذا الشعب ، صدمة الخيانة بشجاعة نادرة . رأى الحرب تفرض عليه في دياره ، فواجهها كما يواجهها كل مقاتل كريم كتبت عليه التضحية فقدم بنيه وأحفاده . ضيق عليه الخناق بحصار من البر والبحر ، فتحمل وصبر . أوذى في حريته ومعاشه وماله ودكت بيوته ، ولكن لم ينزل على حكم ظالميه ، ولا تراجع عن مبدأ من مبادئه .

واتبعت إيطاليا سياسة العنف والتشريد ، فلم ترع شيخاً ولا مقعداً ولا طفلاً ولا رضيعاً وخربت المنازل وأفنت قبائل وحولت بقاعاً عامرة فجعلتها صعيداً جرزاً .

٢١ — هذا هو الشعب الأبي الكريم الذي حررته الديمقراطية في الحرب الأخيرة واتخذت من اسمه عنواناً ومثلا لتحرير الشعوب المظلومة المغلوبة على أمرها . والذي جمعت من أفراده ورجاله المتطوعة ، وحاربت بهم ، وقالت للعالم هأنذا قد أرجعت الحق لأهله ، وأنقذت أول شعب وقع العدوان عليه وأزلت أثر الظلم والطغيان عن عاتقيه .

وترقب أهل البلاد نعمة الخلاص ، وباتوا يملون الآمال ، فماذا يراد بهم اليوم ؟ إننا لنسمع الكثير من اللغط . فمن قائل بعودة هذه الأرض البائسة إلى سادتها الطليان ، وآخر يقول بانتداب الغير عليهم كأن هذه البلاد خلو من السكان !

٢٢ — أنه ليهمنا نحن معاشر الأمم العربية ، شأن برقة وليبيا ، ويهمنا شعب هذه البلاد . لماذا ؟ لأننا منه وهو منا . إنها لصلات الدم والقربى والثقافة والتاريخ الحي ، لا التاريخ المتحجر الجامد ، ثم ما يوجبه هذا التاريخ المشترك من ذكريات الجهاد والنصر والهزيمة .

إننا نعبر عن رأيه ونقول ، هذا الشعب لا يريد شيئاً مستغرباً أو فوق متناول الإنسان ، وأنه يريد أن ينعم بحدوده وبلاده واستقلاله وحريته . إنه يطلب كياناً تحت الشمس شأنه شأن بقية الشعوب الصغيرة .

فهل تجاب دعوته ؟ وهل يجد لتضحياته حسابا ، وهل يعترف بجهوده ؟ أم ستعرض بلاده للبتر والتقسيم ، ويوضع مصيره وحريته ليضارب بها في سوق توزيع مناطق النفوذ ؟!

٢٣ — كان عدد سكان ليبيا وبرقة العرب في مستهل عام ١٩١٠ أكثر من مليون نسمة ؛ وقد هبط هذا العدد إلى أقل من النصف ، على أثر سياسة التشريد التي اتبعتها الحكومة الفاشستية فكأن هذا الشعب قد بذل من الأنفس والأرواح دفاعاً عن كيانه واستقلاله ما لم يبذله الشعب الإيطالي طوال قرن من الزمن ثمناً لتحريره ! فهل رأيتم شعباً يضحي بنصف عدده في سبيل مثله العليا ؟.

هذا هو الشعب العربي في ليبيا وبرقة الذي ينتظر أن يكتب الناس تاريخ جهاده في الفترة بين حربين عالميتين .

والآن أعود بحضراتكم إلى نهاية عام ١٩١٤ أي بعد إعلان الحرب الأولى في الأشهر التي كانت فيها إيطاليا على الحياد .

(يتبع) **أحمد رمزي**

(ملحوظة) : سبق للرسالة أن نشرت مقالا عن ليبيا بقلم أحمد رمزي وقد استعان به في محاضرته هذه .

طرائف:

فى الأدب والتاريخ والسياسة

« دار الحقوق إلى فتاها المجتبى »

للأستاذ محمد حسين الفار

أثار بنفسي انتخاب دولة خطيب الثورة الوطنية الأستاذ الزعيم إبراهيم عبد الهادى باشا رئيساً للهيأة السعدية الموقرة على أعقاب استشهاد زعيم النزاهة العفيف العيوف الأبى الشريف النقراشى باشا عليه الرحمة والرضوان .

أثار بنفسى هذا الانتخاب ذكريات كريمة قديمة برغم ما أعانيه الآن من ظروف ملتوية ، وأويقات عاتية ، إذ عاد بذا كرتى إلى سنة أربع وعشرين وتسعمائة وألف ، حينما كان الزعيم الجليل المغفور له سعد زغلول باشا فى دست الحكم واستصدر عفواً عن الرعيل الأول من المجاهدين الأحرار الذين كانوا باكورة من حكم عليهم بالإعدام فى سبيل البلاد ، واستبدل بعد بالإعدام السجن مدداً متفاوتة ، وكان بمكان الرياسة منهم المرحوم المبرور رجل الوطنية الصامتة عبد الرحمن بك فهمى طيب الله ثراه ، كما كان أبرزهم مكاناً وأنبههم شأناً خطيب الشباب المتوثب إبراهيم أفندى عبد الهادى الطالب بالسنة الرابعة بمدرسة الحقوق السلطانية إذ ذاك .

خرج هذا الرعيل الأول من السجن على أثر استصدار العفو أطهاراً أبراراً ، فاحتفت بهم مصر حكومة وشعباً ، واحتشد لهم المصريون زمراً وأفراداً ، وأقيمت لهم حفلة تكريم كبرى عرفت بحفلة تكريم المسجونين السياسيين ، وألقيت فيها خريدة شوقية خالدة عرَّج فيها أمير الشعراء أحمد شوقى بك الشاعر الخالد نضر الله نُزُله على فتى الحقوق المجتبى إبراهيم أفندى عبد الهادى ، فقد اختصه بذكر اسمه فى فريدته الشوقية دون سائر المسجونين المكرمين جميعاً .

ذلك أن الفتى الناهض إبراهيم عبد الهادى قد تقدم لترشيح نفسه ، كما رشحته جدارته لرآسة لجنة شباب القاهرة والأقاليم التنفيذية العليا ، وتقدم منافساً له فى تلك الرياسة حسن أفندى يسن النائب السابق والوفدى المعروف . ولكن الزعامة خطبت ود إبراهيم منذ فتائه ، فقد اكتسح خصمه ، ومحا من قائمة انتخاب الرياسة اسمه ورسمه . وكان لمدرسة الحقوق فى أمثال تلك المعارك الانتخابية بين الشبيبة المثقفة يد طولى وقِدح مُعلّى ، فوقف سوادها الأعظم ، وجمهورها الأكرم ، خلف إبراهيم خطيب الشباب الموهوب .

فأشاد بذلك أمير الشعراء وشدا ، وغرد البلبل الصيداح ، فأسر الأفئدة ، ونقع الصدى بسلسله العذب ودُرّه الفريد الذى يفنى الزمان ولا يفنى ، ويبيد الدهر ولا يبيد .

وذلك فى قصيدة الرائع الذى توّج به هامة حفل التكريم ، والذى كان مطلعه ذلك الغزل الرقيق الذى بلغ منتهى العذوبة وغاية الطلاوة والرواء :

بأبى وروحى الناعمات الغيدا ... الباسمات عن اليتيم نضيدا
الرانيات بكل أحْور فاتر ... يذر الخلى من القلوب عميدا
الزاويات من السُّلاف محاجراً ... الناهلات سوالفاً وخدودا
اللاعبات على النسيم غدائرا ... الراتعات مع النسيم قدودا
أقبلن فى ذهب الأصيل ووشيه ... ملء الغلائل لؤلؤاً وفريدا
يحدِجن بالحدق الحواسد دُميةً ... كظباء وجرة مقلتين وجيدا
حوت الجمال فلو ذهبت تزيدُها ... فى الوهم حسناً ما استطعت مزيدا
لو مرّ بالوُلْدان طيف جمالها ... فى الخلد خروا ركعاً وسجودا
أشهى من العود المرنم منطقاً ... وألذ من أوتاره تغريدا

وهنا انتقل انتقالا رائعاً ، وتخلص من الغزل إلى السياسة تخلصاً بارعاً ، إذ قال :

لو كنت سعداً مطلق السجناء لم ... تطلق لساحر طرفها مصفودا
ما قصر الرؤساء عنه سعى له ... سعد فكان موفقاً ورشيدا

وهكذا سار أمير الشعراء كما عهده الناس يتدفق بياناً وسحراً ، فنونه فيما ساقه لنا من روائع آياته وخوالد بيناته بفتى الشباب المرجى فى ذلك العهد إبراهيم عبد الهادى مشيراً إلى تبوئه مكان الزعامة من الشبيبة فى بيتين من أوابد الشعر وبدائع القريض حافلين بالإشادة والثناء . ذلك إذ قال :

دار الحقوق إلى فتاها المجتبى ... ثنت العنان وألقت الإقليدا

الكتب الموجــــزة
كأداة تعليم وتثقيف

للأستاذ إيليا حليم حنا

ما هى الكتب الموجزة ؟

أقصد بالكتب الموجزة الكتب التى تعطينا الفكرة الأساسية المتماسكة المشوقة عن الموضوع بشكل عام دون أن تخوض فى دقائقه فتثير رغبتنا فى الاستزادة ، فنجرى وراء التفاصيل فى مصادر أخرى فتكون بذلك سلماً ووسيلة تشويق للالمام بالموضوع وحافزاً لقراءة الكتب المطولة الأصيلة .

وهذه الكتب هى الطريق إلى مدارك العامة وقلوبهم يجدون فيها غذاء لايتعب الذهن فى تلقفه ، لأنها لا تتناول الاصطلاحات الفنية والتفاصيل العلمية المعقدة . وهى لا تفيد العامة فقط ، فإنها ذات فائدة كبيرة للخاصة الذين يشغلهم موضوع واحد قد لا يتسع وقتهم لغيره فتكون لهم فى النواحى المختلفة الأخرى أداة تثقيف قيمة فى نواح متباينة .

ولا يقصد بهذه الكتب تلك الملخصات التى تعطى نتفاً من الموضوع من هنا وهناك دون تماسك وتشويق من باب العلم بالموضوع فقط ، فإن هذه ضعيفة الأثر تكاد لا تثير الرغبة فى القراءة ، لأن مادة هذه الملخصات أشبه بجسم معلق فى الهواء لا يرتكز على حامل يحمله . وهذه الكتب التى لا تتناول الموضوع كوحدة متماسكة مشوقة هى العامل الأول الذى لا يجعل المتعلمين يقبلون على القراءة بعد تخرجهم فى مدارسهم ومعاهدهم . وطالب العلم فى مراحل دراسته المختلفة يركز الفكرة المبتورة على الحافظة والاستذكار ، وليس على التفكير السليم والرغبة ، فيعانى كثيراً فى حفظ ووعى الملخصات المدرسية التى لا ترابط بينها ، ويحاول أن يبقيها بالتكرار ، ثم لا يلبث أن ينساها ، ثم يعود من أجل الامتحان فيستذكرها وهكذا ، وتكون النتيجة أخيراً أن ينفر من المواد التى درسها فى المدرسة ، ولا يحاول أن يقرأ ما يمت إليها بصلة بعد أن ينتهى من مرحلته الدراسية ، لأن معلوماته كانت ملخصة تلخيصاً بعيداً عن مبدأ الكلية ، أى إدراك الشىء وتذوقه كوحدة حية قبل فحص طريقة تركيبه من أجزاء مختلفة . والشخص منا يرى الزهرة كلها فيجذبه منظرها وشكلها ، وإنما لو قدمت له أول مرة يراها فيها مشرحة إلى أجزاء لا تماسك بينها ولا اتساق ، فإنه لا يلبث أن يلقى بها ولا يرى فيها أى جاذبية . هكذا الملخصات التى لا يراعى فيها الناحية الكلية عند تقديمها تكون أشبه بأشلاء مبعثرة لا ترابط بينها ولا حياة فيها .

ودراسة الشىء كوحدة بأسلوب مبسط سهل يجعل هذه الوحدة نواة للتثقيف والاتساع فى محيط هذا الشىء ، وأرى أن نبدأ بصورة كاملة عامة عن المادة بحيث نبرزها بما يشوق فيها فى الكتب الملخصة أو الموجزة ، وهذا يجعلنا نسعى من تلقاء أنفسنا إلى الاستزادة منها ، فمثلا فى بدء دراسة علم الفلك ، أو عند وضع كتاب موجز عنه أرى أن نبتعد عن القوانين الطبيعية ، ونعالج عجائب الكون معالجة مشوقة فى هيئة قصة عن الأفلاك فى مسالكها ، وموضع بعض النجوم والكواكب التى ترى بالعين المجردة ووقت ظهورها ، ثم نذكر شيئاً مشوقاً عن النجم الذى نتأمل صفحة السماء فنراه . وأنا واثق أن هذا سيدفع من يقرأه إلى الاستزادة فى كتب أصيلة مطولة . وفى التاريخ أيضاً بدلا من أن نتكلم عن المواقع الحربية وأسبابها ونتائجها يجب أن نبدأ بحياة أحد الملوك كقصة . ونبرز فيها النواحى المثيرة ، أو الخصال

عمدت لإبراهيم فانتخبت فتى ثبت الجنان على الزمان جليدا

هذا ما خلد به أمير الشعراء أحمد شوقى بك زعامة إبراهيم البكرة التى أهلته لها جدارته ، وقفزت به إليها كفاءته .

وبعد ، فلست أدرى ، ولا المنجم يدرى — كما يقولون — لم أسقط هذان البيتان من القصيدة الخالدة حين طبع الجزء الأول من ديوان الشوقيات ؟ !

ألحزبية الصارخة فى ذلك العهد يد فى هذا ؟ أم ماذا ؟ !

وهل من الأمانة للأدب أن نقبر بعض روائعه فى لحود الإهمال وزوايا النسيان لأى غرض مهما يكن ؟ !

وقصارى الكلام نأمل أن يتدارك هذان البيتان الخالدان لدى الاضطلاع بأول طبعة فى المستقبل لهذا الديوان أداء للأمانة وإنصافاً للناس ، فهذا شأن كل طاهر المنصر ، طيب الأرومة ، عريق الأساس ... والسلام على من اتبع الهدى .

محمد حسين الفار

المدرس بالأزهر الشريف



الأرقام الفلكية

للأستاذ نقولا الحداد

فى هذا الزمان متى كان عدد شىء يتجاوز المألوف قيل إنه يعد بالأرقام الفلكية . فى حرب روسيا مع اليابان فى أوائل هذا القرن كان ربع مليون يابانى مقابل ربع مليون روسى ، فقيل هذا عدد من الجيوش لم يسبق له مثيل ، حتى إذا زاد عدد الجيوش على هذا القدر قالوا هى أرقام فلكية .

وصار عدد الجيوش فى الحرب الأخيرة يعد بالملايين فلا بدع أن يوصف بالأرقام الفلكية . ولما كانت أمريكا تنفق فيها كل يوم ٦٤ مليون ريال ، وإنجلترا تنفق ١٤ مليون جنيه ، قالوا هذه أرقام فلكية ، وكذلك قيل لما خسرت روسيا فى الحرب عشرين مليون جندى ذلك لأن فى علم الفلك أرقاماً لا يكاد يتصورها العقل ولا سيما أرقام الأبعاد والمسافات بين النجوم والكوكبات فلم يعودوا يحسبون هذه الأبعاد بالكيلومترات أو بالأميال ، بل صاروا يحسبونها بمقدار سرعة النور . فما يقطعه النور فى ساعة أو يوم أو سنة صاروا يحسبونه مقياساً على اعتبار أن النور يقطع فى الثانية مسافة ٣٠٠ ألف كيلومتر أو ١٨٦ ألف ميل . فالأرض تبعد عن الشمس ٨ دقائق بهذا المقياس . فلنر ما هى أبعاد الأجرام الفلكية وكيف تحسب . ولنبتدئ بأقربها للأرض ، ثم نتقدم صعداً إلى أن يحار العقل فى الأرقام والأبعاد .

القمر أقرب جرم إلى الأرض وهو مولودها ، يبعد عنها نحو ٢٣٩ ألف ميل . ولما كان محيط الأرض نحو ٢٥ ألف ميل كان أنه إذا تدحرجت الأرض نحو القمر فقبل أن تتم العشر قلبات تصل إلى القمر . ولو أمكننا أن نقطع الأرض قطعاً كل قطعة بقدر القمر لأمكننا أن نفصل من الأرض ٤٩ قمراً .

والشمس تبعد عن الأرض ٩٣ مليون مليون ، فلو تدحرجت

الجيدة والعادات والتقاليد والأساطير ، وتترك النواحى المفصلة من أسباب ونتائج وتواريخ لمن تشوقه المادة ويريد التوسع فيها ، لأن هذه الدقائق والحقائق الجافة تنفر القارئ الذى لم يتذوق الموضوع ، ولم يعرف عنه شيئاً كلياً مجملا من قبل .

٢ — مزايا الكتب الموجزة :

١ — هذه الكتب بذرة ثقافية تنمو وتكبر وتمهد للدراسات الدقيقة والشرح التحليلى فى الكتب الأصيلة .

٢ — ترشدنا إلى ما يمكن أن نتذوقه من أنواع المعارف المختلفة ، ولا تستغرق منا وقتاً طويلا نندم على ضياعه إن لم نتذوق ما نقرأه ، وبوساطتها نعتمد على أنفسنا فى اختيار الغذاء الثقافى الذى نهضمه ، لأن مثل هذه الكتب تقرأ للتذوق وللبحث عن الكتب الطويلة الأصيلة فى الموضوعات الملخصة التى فازت بإعجابنا وأثارت رغبتنا .

٣ — تساعدنا على متابعة التيار الثقافى فى النواحى التى لم نخصص لها كل اهتمامنا وجهودنا ، والتى لا يلذ لنا أن نخوض فى تفاصيلها ؛ والحقيقة أنه لولا الالتجاء إلى ملخصات الكتب والمقالات الأصيلة ، لأصبح من المستحيل أن نلاحق السيل المنهمر من ثمرات المطابع .

٤ — أثبتت التجارب أن متوسط ما يستوعبه الطالب فى الدقيقة من المادة الملخصة بالطريقة الكلية ضعفان ونصف ضعف ما يستوعبه من المادة الأصيلة المفصلة .

٥ — تربى الكتب الموجزة فى الشخص الميل إلى القراءة ، لأنها لا تثقل على طبع السواد الأعظم من جمهرة القراء لبعدها عن التفاصيل الفنية التى لا يهضمها القارئ العادى ، كما أنها لا تحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير للتركيز وحصر الذهن والانتباه

٦ — صغيرة الحجم صريحة فى استعمالها يمكن أن تلازم جيب القارئ فى أسفاره ، كما أنها تحتل مكاناً صغيراً فى المكتبة علاوة على رخص ثمنها الذى يجعلها فى متناول الجميع .

(الأبيض — سودان) إيليا حليم حنا

دبلوم عال فى التربية — دبلوم صحافة

مدرس أول اللغة الإنجليزية والآداب بمدرسة النهضة الوسطى

الأرض نحو الشمس لتقلبت على نفسها نحو ٣٦٥ قلبة تقريباً قبل أن تصل إليها. ولكن يجب أن نخرج نحن منها قبل أن تشرع تتدحرج، لأن حرارة الشمس تحرقنا عند أول قلبة تقلبها الأرض. ومتى وصلت الأرض إلى الشمس صهرتها حرارة الشمس التى تبلغ عند سطحها ٦ آلاف درجة بمقياس سنتغراد. وإذا سقطت الأرض المصهورة أو المتبخرة إلى باطن الأرض حيث الحرارة ٤٠ مليون درجة سنتغراد امتزجت أبخرة الأرض بأبخرة الشمس.

قلنا إن النور يسير بسرعة ٣٠٠ ألف كيلو متر فى الثانية فهو كسرعة الصوت مليون مرة. ويمكننا أن نفصل من الشمس مليونا وثلثمائة ألف أرض. ولو وضعت الأرض فى مركز الشمس ومعها القمر على بعده المعلوم عن الأرض لبقى القمر يبعد عن سطح الشمس بقدرما يبعد عن الأرض، لأن نصف قطر الشمس ٤٣٢٠٠٠ ميل فى حين أن بعد القمر عن الأرض ٢٣٩٠٠٠ ميل

حول الشمس ٩ كواكب (سيارات) أقربها إليها عطارد. وهو يبعد عنها نحو ٣٦ مليون ميل، وأبعدها السيار بلوتو وهو يبعد عن الشمس نحو ٤ ساعات نور. ولكن متى بعدنا عن نظامنا الشمسى بسرعة النور فبعد ٤ سنين و ٦٥ يوماً نصل إلى أقرب نجم إلينا إذا جعلنا وجهتنا إليه. والنجم المسمى قنطوروس أو Alpha Centoros والنجوم لا تقرب إلى بعضها أكثر من هذه المسافة.

بعض الأحيان نرى أمام الهلال نجمة كأنه يحتضنها، هى كوكب الزهرة، ولكنها تبعد عنه نحو ٢٦ مليون ميل، وهى أكبر منه بنحو ٤٥ مرة

ولا يخفى عليك أننا لا نزال فى جوار الشمس، وما بعدنا عنها أكثر من ٤ سنين وخمس السنة إذا سرنا بسرعة النور. أنظر كم فى السماء من نجوم فهى لا تكاد تحصى، ولا نرى منها إلا القليل، اللهم إلا بالمقراب (التلسكوب) وهذه النجوم تتباعد بعضها عن بعض بمثل بعد قنطوروس عن الشمس تقريباً.

أبعد مسافة استطاع أقوى تلسكوب أن يكتشفها هى مسافة ٥٠ مليون سنة نورية.

النجوم التى نراها بالمرقب (التلسكوب) فى أثناء الأربع وعشرين ساعة ضمن نطاق درب التبان الذى يسميه الأفرنج الدرب اللبنى تبلغ نحو ٣٠٠ ألف مليون نجم تقريباً. وهذه المجموعة الهائلة من النجوم تسمى «المجرة». وشمسنا مع كواكبها تقع فى الثلث الأول بعد مركز المجرة. وجميع هذه النجوم أو الشموس تدور حول المركز وأسرعها أقربها إليه، وأبطؤها أبعدها عنه والشمس تقضى ٢٥ مليون سنة لكى تتم دورتها حوله. وقطر محيط هذه المجرة نحو ٠٠٠ و ١٥٠ سنة نور، وسمكها نحو ٢٥٠٠٠ إلى ٤٠٠٠٠ سنة نور. وإذا جمعت جميع هذه النجوم معاً كانت كتلتها ١٦٠٠٠ مليون مرة ككتلة الشمس. وذلك نحو ٥٢ أمامها ٢٧ صفراً من الأطنان.

هذه النجوم أو الشموس التى تعد بالملايين تختلف فى الحجم اختلافاً كبيراً. وشمسنا من الحجم الذى هو دون الوسط. والجوزاء المساة Betelgius كبيرة جداً بحيث لو وضعت فى مركز الشمس لغطت جميع فلك الأرض، أى لملأت الرحبة التى تدور الأرض فيها حول الشمس وزادت عليها. يعنى أن قطرها يزيد على ٢٧٢ مليون ميل وهى تبعد عنا نحو ٣٠ سنة نورية. وتعد من كوكبة الجبار Osion وهى أسطع الكوكبات فى السماء

ومعظم النجوم جماعات جماعات، كأنها أسراب متضامنة وتسمى كوكبات. وبعضها مجموعة نجوم وبعضها تعد بعشرات الألوف ومئاتها. وكل كوكبة منظومة قائمة بنفسها وتدور على نفسها. وفى الوقت نفسه تدور مع سائر الكوكبات الأخرى والنجوم حول مركز المجرة العظيمة.

نحن إلى هنا ما زلنا فى نطاق المجرة فإذا خرجنا منها يجب أن نطوف على بعد مليونى سنة بسرعة النور من حول مركز المجرة من جميع النواحى، فنشرع نصطدم بمجرات أخرى مثل مجرتنا وهى مبتعدة بعضها عن بعض كبعدها عن مجرتنا، ونظام كل منها كنظام مجرتنا ولكنها تختلف حجماً اختلافاً قليلاً.

وإلى الآن أمكن العلماء أن يكتشفوا نحو ٣٠ مليون مجرة. وقد يمكن أن يكتشفوا غيرها متى نصب مرصد كابسفورنيا العظيم الذى تبلغ قوته أربعة أضعاف قوة مرصد جبل ويلسن الذى هو أعظم مرصد إلى الآن. ولما كان النور الذى يرد من أى نجم إلى الموشور (أى المطياف الذى يحل النور إلى ألوانه السبعة) يدل على أن النجم يبتعد عنا إن كان طيفه يدنو من الأحمر، ويقترب إلينا إن كان يدنو من البنفسجى، فقد رئى أن طيوف المجرات والأجرام تدنو من الأحمر (ما عدا بعضها لأسباب لا محل لتفسيرها هنا) وهو أمر يدل على أن الأجرام تتباعد بعضها عن بعض ومقدار الانحراف أو الابتعاد يدل على مقدار سرعتها.

ومعنى ذلك أن الكرة الكونية الشاملة جميع العوالم تتنفخ وتتسع . والمتطرفة منها تبتعد بأسرع من القريبة للوسط . وعلى بعد ١٣٥ مليون سنة نورية تبلغ سرعتها ٣٠٠ر١٤ ميل فى الثانية ومتى صارت السرعة (على بعد آخر) كسرعة النور أى ٣٠٠٠٠٠ ميل فلا يعود أعظم المراصد يرى ذلك الجرم الذى فاقت سرعته سرعة النور مهما بلغت قوته .

وبحسب رأى ادنغتون أن حجم الكون الأعظم يتضاعف كل ١٣٠٠ مليون سنة . فإذا صحت نظريته فالكون كان أصغر جداً مما هو الآن . وعلى حسابه فالكون ابتدأ منذ ٩٠٠٠٠ مليون سنة (قبل الخليقة أى قبل ٤٠٠٤ سنة ميلادية) . وما ذا كان قبل أن ابتدأ هذ الكون ؟؟

وفى رأى تجايمس تجينز . ابتدأ الكون مجموعة فوتونات أى ذرات ايثر كانت مالئة الحيز الكونى . ثم مدّ الله تعالى أصبعه فحرك هذا البحر الفوتونى فجعلت الفوتونات تتجمع الكترونات فبروتونات فذرات فجزئيات فأجسام فأجرام فعوالم فأكوان . وبعد أن تشع كل ما فيها من حرارة تتقلص وتعود تبتدئ أن تتمدد من جديد وتعود إلى سيرتها الأولى . وهكذا دواليك من الأزل وإلى الأبد بلا بداية ولا نهاية . واللانهاية واللابداية ملك الله . فلا يمكن الإنسان أن يحصيهما بقاصر عقله .

وفى رأى علماء آخرين أن محيط مجموعة المجرات التى هى كرة الكون الأعظم (وخصوصاً فى رأى اينشطين) نحو ٦٠٠٠ مليون سنة نور . وهى ذات قدر محدود أى معين لا يزيد ولا ينقص . فبحسب حساب اينشطين أن الكون مؤلف من الكترونات تبلغ نحو ٦ أمامها ٧٢ صفراً (٦×١٠^{٧٢}) وهى ضمن نطاق ٦٠٠٠ مليون سنة نور كما تقدم .

وبعد هذا النطاق لا توجد أجرام مادية وإلا شعرنا بوجودها بواسطة مراصدنا وعن يد إشعاعاتها إن كانت من طبيعة كوننا الأعظم هذا . أما إذا كان ثمت بعد ذلك عوالم أخرى ليست مادية أو ليست من طبيعة كوننا هذا فليس لنا أن نقول بها ما دام ليس لنا دليل حسى على وجود شىء آخر . وأما أن نفرض فروضاً ونقول قد يمكن أن يوجد عالم آخر يختلف عن عالمنا فليس من منطق يبرر هذا الفرض . وإلا يمكننا أن نفرض ألوف الفروض ويكون الكلام ثمت لغواً .

وقد نسأل : إذا كان لهذا الكون نطاق واسع يحده محيط قدره ٦٠٠٠ مليون سنة نور فماذا وراء هذا النطاق ؟ هنا يقف العقل حائراً لأنه لا يستطيع أن يتصور الحدود الذى لا وراءه شىء — لا يستطيع أن يتصور النهاية التى لا شىء وراءها كما أنه لا يستطيع أن يتصور اللابداية . هنا يبتدئ جهل الإنسان المطبق مهما تعمّق فى العلوم ، وتبحر فى الفلسفة ، وتوسع فى اكتشاف أسرار الكون . هنا يقف العقل حائراً .

قد يفهم العقل ما بقى من أسرار الكون وهو أكثر جداً مما عرفه ولكنه لا يمكن أن يفهم اللامتناهى واللامحدود . إن هذا العقل البشرى الصغير الذى هو ذرة فى الكون ولا يقاس بشىء أمام عظمة الكون . لقد أدرك عظمة الكون وشمله كله بعلمه . فهو على حقارته أعظم من هذا الكون إذ استطاع أن يحتويه فى عقله . فما أصدق قول أبى العلاء المعرى فيه .

وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

٢ ش البورصة الجديدة بالقاهرة — **نقولا الحداد**

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

بين نيتشه وفاجنر أو بين الخيال والواقع :

تطوع الأستاذ الشاعر محمد فهمى لينتصف لصديقه الأستاذ عبد الرحمن الحميسى ، وخيل إليه – وما أخصب خيال الشعراء – أنه قد انتصف له !

أول شىء أسجله للأستاذ محمد فهمى أنه رجل طيب ، والدليل على أنه رجل طيب هو أن كل دليل استند إليه لا يغير شيئاً من جوهر الحقيقة التى يقررها ميزان النقد ؛ النقد الذى يقف من النصوص موقف التأمل والمناقشة ، ويقف من التاريخ موقف التمحيص والمراجعة .

لقد قلت إن موسيقى فاجنر قد لقيت من قلم نيتشه أعنف وأبشع ما لقيته موسيقى فنان من قلم فيلسوف ، وأوردت مما قاله الفيلسوف فى الفنان قليلا من كثير ، ووافقنى الأستاذ فهمى على ما قلت ، ولكنه عاد ليذكرنى بأن هذه الموسيقى قد لقيت أيضاً من قلم نيتشه أسمى آيات المديح ... أنا والله أعلم هذا يا أستاذ ولكن علمى يختلف عن علمك ؛ يختلف عنه بقدر ما تختلف عقلية ناقد عن عقلية شاعر !

يا قراء « الرسالة » تعالوا نسلط الضوء على الدليل الفذ الذى أورده الأستاذ فهمى فى مجال الانتصاف لصديقه ، إنه رسالة ... رسالة من نيتشه إلى فاجنر بمناسبة أول كتاب أخرجه وأهداه إليه ، تلك التى يقول له فيها : « لعل هذا العمل (يقصد كتابه الجديد) يكون ولو إلى حد ضئيل ، رداً لجميل عنايتك الفائقة التى أوليتنيها فى خلقه » إلى هنا ونقف قليلا لنتهم الأستاذ فهمى بتشويه الترجمة فى سبيل تأييد رأيه ! إن الكلمات المقابلة لهذه الترجمة العربية المشوهة هى :

May this work in some slight degree repay the extraordinary interest you have shown in its genesis. إن التشويه هنا متركز فى عبارة : « رداً لجميل عنايتك الفائقة التى أوليتنيها فى خلقه » لقد ترجم الأستاذ « you have shown » بكلمة « أوليتنيها » تكلموا يا من تعرفون الانجليزية. وترجم « in its genesis » بكلمة « فى خلقه » ، تكلموا يا من تعرفون فن الترجمة ! تكلموا لتقولوا إن المقابلة الصادقة لكلمات نيتشه تتمثل فى هذه الترجمة : « لعل هذا العمل (يقصد كتابه الجديد) يكون ولو إلى حد ضئيل ، جزاء لما أبديت من اهتمام بالغ فى أثناء إخراجه » ! ... يريد نيتشه أن يقول لفاجنر إنك أظهرت نحوى كثيراً من الاهتمام والعطف بمناسبة أول كتاب ألفته ، وإنى لآمل أن يجزيك إهداؤه إليك أجر ما أظهرت من كريم العاطفة نحو مؤلفه ! ولكن الأستاذ فهمى يريد أن « يجبر » نيتشه على القول بأن كتابه مدين بخلقه لفاجنر!

هذه ملاحظة على هامش المشكلة نعود بعدها إلى جوهر المشكلة ... هل يعلم الأستاذ فهمى فى أية سن اتصل نيتشه بفاجنر ، وفى أية سن بعث إليه بهذه الرسالة المرفقة بكتابه الذى أهداه إليه ؟ لو علم لبحث عن دليل آخر غير هذا الدليل المتهافت الذى أورده فى كثير من الزهو والثقة والاعتداد ! لقد اتصل نيتشه بفاجنر فى سن الخامسة والعشرين ، وألف كتابه الأول وأهداه إليه فى سن الثامنة والعشرين ، وفى هذا الوقت كان فاجنر فى التاسعة والخمسين من عمره ... شاب ناشئ يخطو أول خطوة فى طريق مجد يتطلع إليه ، وشيخ قطع طريق المجد كله حتى بلغ منتهاه . وهنا نرفع معول التدمير لنهوى به فى « رفق » على الدليل الفذ الذى يزهى به الأستاذ فهمى ويعتد ! شاب ناشئ يتملق أستاذاً فى الموسيقى طبقت شهرته الآفاق ليمهد له طريق الشهرة والظهور ، ولا بد – شأن كل ناشئ يعيش فى رحاب أستاذ كبير – من التملق والمجاملة فى سبيل الوصول إلى تحقيق أمانيه ... هذه هى الحقيقة التى يقررها الواقع ويقررها رومان رولان فى كتابه « L'histoire de la musique » (ص٦٣) ولعل الأستاذ يوافقنى على أن كلمات يعليها التملق فى السن المبكرة ، غير

كلمات يملها الإيمان والثقة والفكر الناضج فى السن المتأخرة ! يقول نيتشه لفاجنر فى سن الثامنة والعشرين : إنك موسيقى عظيم أشعر بزهو لا يحد حين يقترن اسمى باسمه إلى الأبد ، ويقول له فى سن الخمسين : إنك رجل منحل ، متلف هدام ، لا تهز بموسيقاك المريضة إلا أعصاب النساء ... بأى القولين نثق وبأى القولين نؤمن ؟ . أبقول الفتى الناشىء المتملق الذى لا تعينه سنه على وزن الفن بميزان الملكة الناضجة ، أم بقول الفيلسوف العبقرى الذى نطق بكلماته الأخيرة فى وقت كان يطلق عليه فيه سيد المفكرين ؟ ... إننا نهمل كلمات المجاملة التى نطق بها الفتى الناشىء ليصل عن طريقها إلى مجد يتطلع إليه ؛ نهملها ولا نقيم لها وزناً على الإطلاق ، ولا نثق إلا بتلك الكلمات الأخرى التى نطق بها الفيلسوف العظيم فى أوج نضجه الفكرى واستقامة موازينه وفهمه لحقائق الأمور ، نثق بها لأن نيتشه يقول لنا بصراحة : « إن رأيى الأول فى فاجنر قد غيرته السن ، أما رأيى الأخير فلن تغيره الأيام » نفس المصدر « L'histoire dè la musique » ، (ص ٦٨) ... إن بعض الآيات فى القرآن الكريم يا أستاذ قد نسخت أحكامها أحكام آيات أخرى ، فلم لا تنسخ أحكام نيتشه الأخيرة أحكامه الأولى ، وتلغيها ، وتدفع بها إلى زوايا الإهمال والنسيان ؟!

من هنا يا أستاذ فهمى أصدرت حكمى على هذا الرأى الذى نادى به صديقك ووافقته أنت عليه ، حين يقول إن موسيقى فاجنر قد فتقت أكمام العبقرية فى نيتشه ! لقد ولد نيتشه يا صديقى وفى دمه بذور عبقرية موهوبة ، ولو قدر له ألا يرى فاجنر لما تبخرت من نبع فكره المحلق قطرة واحدة من قطرات عبقريته ، وكل من يقول بغير هذا الرأى إنسان لا يحترم عقله ... متى كان إعجاب رجل بآخر ومديحه له دليلا على تفتيق أكمام العبقرية فيه ؟! إننا نستطيع أن نفرض المستحيل ، والمستحيل الذى نفرضه لنمضى مع الأستاذ فهمى إلى نهاية الشوط ، هو أن نيتشة قد أعجب بفاجنر وأن هذا الإعجاب قد ترتب عليه خلقه لعبقريته . إذا فرضنا هذا وحلقنا فى أفق الشعراء ، والتقطنا النجوم ونثرناها درراً من الكلام ، وخرجنا من هذه الدرر بهذه الحقيقة الفذة ، فإننا نستطيع أيضاً بهذا الميزان الذى يقام على أجنحة الخيال أن نقول إن موسيقى بتهوفن قد فتقت أكمام العبقرية فى جيتة ! ألم يكن جيتة يعجب بموسيقى بتهوفن ، ويقدسها ، ولا يعدل بها موسيقى فنان آخر ؟ لا بأس على الإطلاق من أن نعلن على الملأ هذه الحقيقة التى تذوب خجلا من روعة هذا القياس !

بقى أن نرفع معول التدمير مرة أخرى لنهوى به فى « رفق » على آخر دليل أورده الأستاذ فهمى ، وهو أن نيتشة قد صب نقمته على فاجنر حين أقصاه هذا عن بيته وقطع صلته الغرامية بزوجته ، يصدق الأستاذ فهمى هذا الفرض الذى نقل إليه ، فلم لا يصدق هذا الفرض الآخر الذى يمكن أن يقال له ، وهو أن نيتشة لم يخلع على فاجنر أثواب المديح والإطراء إلا بفضل علاقته الغرامية السابقة بزوجته ؟! ... ترى أكان نيتشة حين رمى فلسفة شوبنهاور بالزيف والخواء ، ترى أكان متصلا بزوجته أيضاً ثم قطعت هذه الصلة يا أستاذ فهمى؟ حنانيك يا موازين النقد!

بقى شىء يفرض علىّ الموقف أن أثبته فى ختام هذه الكلمة ، وهو أننى أشكر للأستاذ عبد الرحمن الخميسى رحابة صدره فى تقبل نقدى له ... الحق أنه أدهشنى بهذه الروح المثالية حين لقينى منذ أيام فى ندوة الرسالة ، وحين قال إنه لا يضيق بالنقد مهما عنف ما دام هدفه الأول هو الكشف عن الحقائق ووضع كل شىء فى مكانه .

إننى أسجل إعجابى بهذه الروح الطيبة ، وأرجو أن أكون قد كشفت عن حقيقة الصلة بين نيتشة وفاجنر ، كما يقررها الواقع لا كما يتصورها الخيال !

وللأستاذ الخميسى أطيب تحياتى .

لحظات مع الفنان الفرنسى جان كوكتو :

يزور مصر الآن فنان فرنسى موهوب هو جان كوكتو ، ولا أعرف رجلا من رجال الأدب والفن فى عصرنا الحاضر تعددت مواهبه كما تعددت مواهب هذا الرجل ... إن كوكتو رسام وشاعر وكاتب مسرحى وناقد وأديب ، وهو بعد ذلك مخرج مسرحى يشرف بنفسه على إخراج قصصه وقصص غيره فى فرقة الممثل الفرنسى النابه جان ماريه ، وهى الفرقة التى تمثل منذ أيام على مسرح الأوبرا الملكية .

ولقد استوقف نظرى ما جاء بمقال الدكتور طه حسين بك فى « الأهرام » عن كوكتو حين قال : « وجان كوكتو أديب فرنسى ممتاز ، ولعله أن يكون من أظهر الأدباء الفرنسيين وأشدهم امتيازاً فى هذا العصر ، وربما كان أظهر الخصال التى تميزه أن نزعاته الأدبية والفنية لا تسلك طريقها إلى الفوز دون أن تلقى من المقاب والمقاومة ما يثير حولها كثيراً من الخصومة والجدال »!

الواقع أن هـذه الكلمات التى نطق بها أديبنا الكبير تقرر الواقع فى كثير من الدقة بالنسبة إلى فن جان كوكتو . . . إن الرجل فنان ممتاز ما فى ذلك شك ، ولـكن فنه يثير كثيراً من الجدل واختلاف الرأى بين خصومه وأنصاره ، أناس يرفعونه إلى القمة وآخرون يهوون به إلى الحضيض ، والزمن وحده كفيل بتقدير فن الرجل ووزنه بميزانه . ولقد تهيأ لى أن أطلع على أربع رسائل تلقاها من باريس أحد أصدقائى من بعض زملاء دراسته فى السوربون ، وهى تدور كلها حول كوكتو وفنه ورحلته إلى مصر : رسالتان تحطان من قدره وتحملان على خلقه ، ورسالتان ترفعان من فنه وتشيدان بمواهبه ، وأنا بين الرسـائل الأربع يأخذنى العجب من رجل لا يلقى رأياً وسطاً بين المحبين به والمتحاملين عليه !

مها يكن من أمر كوكتو وأمر خصومه وأنصاره ، فإننى أشارك الدكتور طه دهشته من أن بيئة ثقافية واحدة فى مصر ، لم تفكر فى إحداث صلة بين هـذا الأديب النظيم وبين شبابنا المثقفين .. الواقع أننا نغط فى نوم عميق !

ردود قصيرة على رسائل القراء :

أشكر للصديق المجهول الذى كتب إلى من القاهرة جميل تقديره ، وأود أن يبعث إلى باسمـه وعنوانه لأرد إليه تحيته ، أما الصديق الآخر المجهول الذى كتب إلى للمرة الثانية من الاسكندرية فأرجو أن يبعث إلى أيضاً باسمه وعنوانه لأجيبه عن أسئلته التى أشرت إليها من قبل ، لأن الإجابة عنها فى « الرسالة » ستشغل الصفحات الثلاث المحددة للتعقيبات .

أما الأديب الفاضل صبرى حسن علوان الطالب بكلية العلوم بجامعة فؤاد فيعتب على تلك التحيـة التى وجهتها إلى طلاب الأزهر ، ومما جاء فى رسـالته : « . . وأحب أن تحيى الشباب المخلصين للأدب والفن على أنهم أدباء ، لا على أنهم من طلاب الأزهر أو طلاب الجامعة » ! . . إن ردى على هذا العتاب هو أننى ما حييت هؤلاء الشباب إلا لأنهم أدباء ، ولـكن من حقهم على أن أشير إلى أنهم من الأزهر ، ومن حقك على أيضاً أيها الأديب أن أحييك مشيراً إلى أنك من الجامعة . وهذه رسالة رابعة من بغداد يناقشنى فيها الأديب الفاضل محمد روزنامجى الطالب بكلية الحقوق حول ما كتبته عن الأستاذ سلامة موسى . أحب أن أقول لهذا الصديق العراقى الفاضل إننى أرجو أن يتسع وقتى لأرد عليه فى رسالة خاصة . ورسالة خامسة من طنطا يقول مرسلها الأديب الفاضل محمود محمد على إنه يؤيد ما أبديت من رأى فى شخصية بيرون الأدبية والإنسانية ، ويرجو أن أتناول بالنقد والتحليل — كما فعلت عند الحديث عن بيرون — بعض الشخصيات الأدبية فى مصر ... إننى أشـكر له خالص ثنائه وقد أستجيب لـكريم رغبته .

أما الرسالة السادسة فمن « أبو حمرة — سـودان » يقول صاحبها الأديب السودانى الفاضل عبد الرحيم الحاج محمد إنه يود ألا أقتصر فى « التعقيبات » على التوجيـه الأدبى وحده ، بل يجب أن أخصص جانباً منها للتوجيه الاجتماعي . . يسعدنى أن أحقق هـذه الأمنية فى القريب . وأقول لصاحب الرسالة السابعة الأديب الفاضل محمد على مخلوف بمعهد التربية العالى بالإسكندرية إننى سأدفع بقصيدتك إلى الأستاذ الزيات مع تزكيتى ، كما أقول لصاحب الرسالة الثامنة الأديب الفاضل على أحمد الخطيب الطالب بمعهد الإسكندرية الدينى إن الـكتاب الذى رجع إليه لا يعتمد عليه ، لأنه يشوه الوقائع الثابتة ويخالف منطق التاريخ .. ولهؤلاء القراء الأصدقاء جيماً أصدق الود وأخلص التحية .

جولة طويلة فى معرض الفن الإيطالى :

لحظات جيلة وممتعة ، تلك التى قضيتها منذ أيام فى معرض الفن الإيطالى . . كم أود أن يزور المثقفون هـذا المعرض الممتاز الذى نظمته جمعية محبى الفنون الجميـلة بالقاهرة ومتحف بينالى بمدينة البندقية بإيطاليا ، ليحلقوا بأفـكارهم كما حلقت فى سماء الفن الرفيع ! يؤسفنى أن يضيق النطاق عن التحدث عما شـاهدت ، فإلى المدد المقبل حيث أقدم للقراء عرضاً تحليلياً لبعض اللوحات الممتازة التى وقفت منها موقف التأمل والدراسة والمقارنة .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأدب والمجتمع :

قامت مناظرة يوم الخميس الماضي في قاعة على باشا مبارك بكلية دار العلوم ، موضوعها « هل الأدب للأدب أو الأدب في خدمة المجتمع ؟ » ورأس المناظرة الأستاذ عبد الحميد حسن ، وتناظر في الموضوع ستة من الطلبة ، فأيد الرأي الأول عبد الخالق الشهاوي وأحمد عبد الله البهنساوي ومحمد محمود عبد النبي ، وأيد الرأي الثاني محمد موسى طحان وأحمد غنيم وأحمد الزقم .

وسأعرض هنا بعض ما قاله المتناظرون ، وأعلن أولا أني لست محايداً ، وإنما أقول بالرأي الثاني ، ولهذا سأجعل من همي أن أفند ما لم يفند من أقوال أصحاب الرأي الأول ، وأعرض صفحاً عما لا أراه ينفع من كلام أصحاب الرأي الثاني .. ولا شك أن للقارئ حريته فيما يرى .

قال الشهاوي : إن الأديب ينتج وهو حالم ولا يتجه في إنتاجه إلا إلى الجمال ، وليس من هدفه الحق والمنفعة والخير . وأقول : إن الأديب لا يحلم بالهواء وما هو حين يستسلم للنفوة الأدبية إلا يستوحي ما رسب في أعماقه من شئون الحياة وصور المجتمع ؛ أما الجمال فلا تعارض بينه وبين الحق والمنفعة والخير ، ولم الفصل بينه وبينها وكثيراً ما يكون داعياً إليها ؟ وقال هل تريدون أيضاً أن تكون الأساطير الأدبية في خدمة المجتمع ؟ ورد عليه غنيم بأن الخرافية في الأدب ليست مقصودة لذاتها وإنما هي تشيد بالمثل العالية .

وقال البهنساوي : إن الأديب يشعر بما يشعر حراً فكيف تحملونه على أن يعبر كما يريد المجتمع ؟ وقال : إنه قد يغضب من المجتمع فكيف يعبر عن غضبه بما يرضي المجتمع ؟ وقال : إن الإنسانية هي نبع الأدب لا الاجتماعية . ورد غنيم بأن الأديب إنسان ممتاز يشعر بما في الحياة شعوراً ممتازاً ويترجم عنه لصالح المجتمع دون أن يملى عليه شيئاً ، وإنه حين يغضب من المجتمع لا يعاديه وإنما يثور عليه لإصلاحه ، وقال : إن الأديب لا يكون إنسانياً إلا إذا كان اجتماعياً .

وقال عبد النبي : إن الأخلاق اعتبارية تتغير والأدب خالد يعبر عن الحقائق الثابتة . وأقول : نحن لا نريد من الأديب أن يكتب في الأخلاق مباشرة ، وإنه حين يثور على وضع من الأوضاع الأخلاقية إنما ينشد التطور ورقي المجتمع .

ورد طحان على أن الأدب فن من الفنون الرفيعة لا يقصد إلا إلى الجمال ، فقال إنا لا نسلم بأن الفنون قاصر أمرها على الجمال ، فأنت تمر بتمثال الحرية مقاماً في أحد الميادين فيوحي إليك معاني الوطنية ومشاعرها ، ولم يقل أحد بأنه يجب عليك أن تشعر بجمال التمثال وتمضي دون أن تحس شيئاً من أهدافه القومية والاجتماعية . ومن ظريف ما قاله طحان : إن « الأدب للأدب » كالنحو للنحو .. أي أن الإنسان بناء على هذا يعرف النحو ويلحن كما يشاء ، لأنه يعرفه لذاته لا ليقيم به الكلام ... وتساءل غنيم : هل الأديب حشرة إتلافية ؟

وقال الزقم : إننا إذا نظرنا في الأدباء الخالدين لم نجد إلا من خلدته آثاره في خدمة المجتمع .

وقد أثار المتناظرون موضوع « التابعي وأسمهان » إذ قال أحد الفريق الأول : إن التابعي يكتب في « آخر ساعة » مذكراته عن أسمهان ليعبر عن أحاسيس هــذه الفنانة ، ولم يعبأ بمن ثاروا عليه . وقد كان ذلك مثار حملات من الفريق الثاني على شغل تلك الصفحات بمثل ذلك الكلام . والحق أن الفريقين ظلموا التابعي ، فليست مذكراته عن أسمهان من « الأدب للأدب » وإنما هي تهدف إلى أغراض اجتماعية وسياسية يستشفها القارئ الفطن من خلال ما يعرض من حوادث .

وختم المناظرة الأستاذ عبد الحميد حسن مثنيا على المتناظرين وحسن نقاشهم وما بدا فيه من الروح الرياضية قائلا بأنه إذا كان العمل الرياضي تمريناً للجسد فهذا تمرين للفكر ، والثاني أحق بأن تسوده الروح الطيبة . وآثر الأستاذ ألا يجري الاستفتاء بين الحاضرين لأن المقصود ليس انتصار فريق على آخر وإنما هو بحث للموضوع وتبين جوانبه . وأبدى رأيه في الموضوع فقال إنه لا تعارض بين الرأيين ، لأن الأدب ينبع من الفرد ومن المجتمع ، ومدار الأمر فيه على الصدق ، والأديب الصادق التعبير يخدم الإنسانية فرداً أو مجتمعاً .

وقد كان أصحاب الرأى الأول يرددون أن الأديب ليس واعظاً ولا مرشداً ولا مقرر نظريات وعلوم . وكان الفريق الثانى يقول بأن الأديب لا بد أن يعالج شؤون المجتمع ويكتب فى مشكلاته . وهنا أمر يحسن الالتفات إليه ، وهو أن الأديب لا يدعو إلى الأخلاق دعوة مباشرة ولا يعالج مشكلات المجتمع كما يعالجها الباحث الاجتماعى ؛ وإنما هو يتناول كل ذلك بطريقته الفنية وصوره الأدبية ومن المسلم به أن تجارب الحياة أجدى من الوعظ إن كان فيه جداء ، والأديب يعبر عن تجاربه الشعورية فينقل القارئ إلى عالمه ويؤثر فيه بحيث يجعله مشاركا له فى التجربة ، والأديب حين يتجه إلى المسائل الاجتماعية إنما يأتيها من حيث آثارها فى صوره وأشخاصه ، لا من حيث هى مشاكل يقترح لحلها كذا وكذا.

والأدب الآن يتجه إلى الإنسانية وتحليل النفس ، والأديب حين يتغلغل بقلمه إلى إبراز المشاعر الإنسانية وتحليلها إنما يهدف إلى الحق والخير والجمال .

الأدب المصرى :

قال الأستاذ بدوى طبانة فى كلمة له بالأهرام ، إنه لاحظ

كشكول الأسبوع

▫ من البرنامج الذى وضع للتعاون العربى فى اجتماع أقطاب الدول العربية ببيروت ما يلى :

١ — تقوية نفوذ اللجنة الثقافية فى الجامعة العربية بطريقة تجعلها إدارة مركزية لها نفوذها وسلطتها على الإدارات العلمية والثقافية فى جميع البلاد العربية .

٢ — الدعوة إلى مؤتمر لغوى لكى تصبح اللغة العربية متفقة فى مصطلحاتها ومظاهرها مع الظروف العلمية الجديدة ، مع تنسيق المصطلحات العلمية ولا سيما الأسماء الجغرافية العامة .

▫ أعرب سفير إسبانيا فى مصر لسعادة عبد الرحمن عزام باشا عن رغبة بلاده الاشتراك فى مهرجان ابن سينا الذى تعتزم إقامته اللجنة الثقافية بالجامعة العربية . وقد رحب عزام باشا بهذه الرغبة .

▫ زار معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف مؤسسة الثقافة الشعبية ، وألقى هناك كلمة قال فيها : إننى قرأت فيما قرأت أن الموسيقى كانت تدرس فى الأزهر الشريف عند نشأته إلى جوار دورس الفقه .

▫ ألقى الأستاذ زكى طليمات محاضرة عن « فن الإخراج » بالجامعة الأمريكية ، أوضح فيها أصول هذا الفن ودقائقه ، ومما قاله أن أول ما يشترط فى المخرج الفهم ، فهم ما بين السطور وإدراك المرامى الخفية ، حتى يستطيع إبراز الرواية فى الإطار اللائق بها .

▫ وافق معالى وزير المعارف على اعتماد ثلاثة آلاف جنيه فى الميزانية الجديدة لإقامة حفلات تمثيلية نموذجية يقدمها خريجو المعهد العالى لفن التمثيل وطلبته فى دار الأوبرا الملكية . وقد حقق معاليه بذلك رغبة العاملين على ترقية التمثيل المسرحى فى مصر .

▫ قال الدكتور أحمد عبد النبى بك فى محاضرة عن الموسيقى بالجامعة الأمريكية : إن ترديد كلمة « يا ليل » وإن كان موافقاً للأصول الفنية إلا أنه لا يلائم ذوق العصر ، فليرح المغنون أنفسهم من مناداة الليل الذى لا يجيب .

▫ اتجه الرأى أخيرا فى وزارة المعارف ، إلى أن خير حل لمسألة مراقب التعليم بالسودان هو تعيين مراقب جديد يكون مقره الخرطوم ، ويسند إلى المراقب السابق منصب آخر بالوزارة .

▫ جاءنى من الأستاذ أحمد أحمد العجمى أنه سبق الأستاذ أحمد مخيمر إلى نظم صور شعرية للأدباء ، وأن الأستاذ العوضى الوكيل نسج على منوال مخيمر فى ذلك وأعد للطبع ديوانا كاملا بعنوان «رسوم وشخصيات» والأستاذ العجمى يريد تسجيل أسبقيته على على الاثنين فى هذا المضمار . والرسالة تسجل للمرحوم أحمد الزين السبق على أولئك جميعا .

▫ صدر أخيراً كتاب « رسالة الشاعر » للأستاذ إبراهيم الأبيارى ، وهو يتضمن بحثاً عن رسالة الشاعر فى الحياة ودراسة طائفة من شعراء الجاهلية والإسلام فى ضوء هذه الرسالة .

▫ اتصل بى الأستاذ عبد الرحمن الخميسى ، وأوضح لى وجهة نظره فيما كتبته فى الأسبوع الماضى عن قطعتين من شعره ، وموعدنا لبسط ذلك الأسبوع القادم .

وهو يحقق كتاب « خريدة القصر وجريدة أهل العصر » للعماد الأصفهانى — أن مصر أنجبت نحو مائة وثلاثين شاعراً فى القرن السادس الهجرى ، جلهم إن لم يكن كلهم مغمورون لم يتناولهم علماؤنا وأدباؤنا بالدراسة كما تناولوا غيرهم من أعلام المشارقة والمغاربة .

وأذكر أن بعض الكتاب قد أثار هذا الموضوع منذ سنين ، ونبه على إهمال مصر الأدب المصرى مع جدارته بالإحياء والدراسة ، وأنشأت الجامعة كرسياً بكلية الآداب للأدب المصرى ، شغله الأستاذ أمين الخولى ، ووضع له منهجاً لم ينفذ ، والأستاذ يدرس الآن فى الكلية مواد ليس من بينها الأدب المصرى وهو لا يزال أستاذ الأدب المصرى !

ولا يزال أساتذة تاريخ الأدب فى المدارس وكليات الآداب ودار العلوم واللغة العربية يمرون بالأدب المصرى عابرين معجلين، وقلما يحظى هذا الأدب بالتفات الأدباء فى غير المدارس والكليات .

ولعل من أسباب ذلك أن أكثر مراجع التاريخ والأدب فى العصور المصرية المتأخرة مخطوط .

ولا شك أن أول ما يجب عمله فى هذا السبيل، هو إحياء

هذه الكتب بالتحقيق والطبع لتكون فى متناول طلاب الأدب ، وعندنا هيئات حكوميـة وأهلية تعمل فى إحياء تراثنا الثقافى ، كالقسم الأدبى بدار الكتب ، وإدارة التراث العربى بوزارة المعارف ، ودار المعارف ، فهلا وجهت عنايتها إلى هذه الناحية ؟

فى معرض الفن الإيطالى :

هناك على شاطىء النيل فى قصر الخديو إسماعيل ، أخذت معروضات الفن الإيطالى مكانها ، وفى مدخلنا إلى هذا المعرض استغرقنا السرور بمرأى الجنود المصريين حيث تعودنا أن نرى السحن الحمراء التى كانت تحتل هذا القصر ، وشارك العلم المصرى المرفوع قلوبنا فى الخفقان . ألا ليت معرض الفن المقام هناك والذى نقصد إليه ، كان مصرياً .. حقاً إن الفن لا وطن له كما يقولون ، ولكن ظروف المكان تحتاج إلى استدراك ...

المعرض فخم ، والمكان فخم ، تنقل بصرك بين اللوحات المعروضة وبين النقوش على السقوف والجدران ، فتحار بين هذه وتلك ، ومن الغريب أنهما يتشابهان فى الفخامة . وقد جلنا بالمعرض ، فاستدعى التفاتنا إتقان الأبعاد والألوان ، ولكن قلما وقفنا مشاركين فى إحساس وشعور . وطالما وقفت وقفات شاعرة أمام لوحات فى معارض مصرية ، أما فى هذا المعرض الإيطالى فلم أحس بالمشاركة الوجدانية إلا فى بضع صور ، منها صورة الحصان الميت وقد وقف بجانبه صاحبه العجوز البائس وملامحه تنطق بأنه لا يملك سواه ، وصورة أم تنظر إلى ابنهـا نظرات كلها حنان ، وفى مقابل هذه الصورة صورة أخرى كبيرة بها امرأة تحمل طفلها وبقرة بجانبها رضيعها ، والصورة الكبيرة فخمة جيدة التلوين ، باهرة المنظر ، ولكنها فقيرة فى الإحساس والوجدان ، ومن الصور التى أعجبتنى أيضاً لوحة تهجم فيها عنزات على عربة حشيش ، وبالقرب منها راعية تبدو فيها « الرعاية » واضحة .

وقد وقفنا أمام صورة هناك فدققت فيها لأرى ما هى ، وأنا أقول لصاحبى : هذه الصورة لا بد أنها من « السرياليزم » ثم أردفت : إنها تمثل ديكا . فقال صاحبى — وهو الأستاذ أنور المعداوى — بما أننا تبينا فيها ديكا فلا يمكن أن تكون من « السرياليزم » !

نصف مليون جنيه يصدع رأس الدولة :

صرح دولة إبراهيم عبد الهادى باشا للصحفيين فى أحد اجتماعاته بهم ، بقوله « إن ميزانية وزارة المعارف قد تضاعفت عدة مرات حتى أصبحت الآن حوالى ثمانية عشر مليوناً من الجنيهات ، تضاف إليها ثلاثة ملايين جنيه للتعليم الجامعى ، أى أن واحداً وعشرين مليوناً من الجنيهات تنفق فى العام الواحد فى نشر نور العلم ومحاربة الجهل فى مصر . وقد تدهشون إذا عرفتم أن إيرادات المصروفات المدرسية لا تواجه من هذا المبلغ الضخم غير ثمانمائة ألف جنيه .. »

ومعنى ذلك أن الدولة تنفق على التعليم نحو ٢٦ مثلا لما تحصله من التلاميذ ، وأنت قد تريد الذهاب إلى حلوان مثلاً ، فيقدم لك العامل فى (شباك التذاكر) ورقة تبرع لإحدى الجمعيات الخيرية بقرش ، وإذا ناقشته قال لك : من يدفع ستة قروش لا يكثر عليه قرش ! فهل نقول للدولة كذلك : إن ثمانمائة ألف جنيه ليست شيئاً إلى جانب واحد وعشرين مليوناً من الجنيهات ؟

والأمر أهون من ذلك ، فإن وزارة المعارف تبذل جهوداً وتنفق أموالاً بسبب تنظيم المصروفات المدرسية ، فهناك بحث حالات المجانية ونصف المجانية ومن لا يستحق المجانية ، وتتفرع من ذلك أعمال كثيرة يقوم بها موظفون ينظرون فى أعمار التلاميذ ونسب نجاحهم ، وفى إحصاء أبناء المدرسين والصحفيين والضباط وفحص حالاتهم لتبين من يستحق نصف المجانية منهم ، وفيمن لديه ولدان ينفق عليهما فى إحدى المدارس الثانوية وما يعادلها فيعفى بقية أولاده ، ومن لديه ولد واحد إذا كان مدرساً وفيمن أخنى عليهم الدهر ... إلى غير ذلك من التحصيل والرصد وكتابة (الاستمارات) وإعداد الميزانية ، مما يخصص له موظفون يتناولون مرتبات ويطالبون بتطبيق (الكادرات) .

ولا بد أن كل ذلك يستنفد بعض ثمانمائة ألف الجنيـه ؛ وما يتبقى بعد ذلك ، ولنفرض أنه نصف مليون جنيه ، يصدع رأس الدولة بالشكاوى ، ويشغل وقت الرؤساء والنواب والشيوخ وغيرهم من ذوى الجاه بالوساطات والشفاعات ، ويشغل بال المعوزين من آباء التلاميذ ويربك حياتهم ويتحيف مستوى معيشتهم ، وقد يحملهم على بذل ماء الوجوه فى التوسل والرجاء ، ولا يخفى أن الأولاد تنطبع فى أذهانهم صور من ذلك تخل بمعيار النظر الصحيح إلى الأمور .

نصف مليون جنيه ... استغنوا عنه وضموه إلى الواحد والعشرين . وأريحوا أنفسكم وأريحوا الناس ...

عباس خضر



على هامش كتابين :

١ – مع النـــاس

تأليف الأستاذ محمد علي الحوماني

الأستاذ الحوماني أديب لبناني جمع إلى أدبه الفياض وشعره الرصين وحديثه الطلي ، سرعة الخاطر ودقة التعبير وسلامة الأسلوب ، وهو عربي يعتز بعروبته ووطنيته . بدأ حياته مجاهداً ضد الاستعمار الفرنسي — وهو ما يزال في مقتبل العمر وفي فجر الحياة ، غض الإهاب لين العود — فأحيل إلى المجلس التأديبي ، ولكنه لم يستخذ ولم يستسلم ، ففر إلى شرق الأردن حيث أخرج ديوان الحوماني (سنة ١٩٢٦) ، وديوان نقد السائس والمسوس (سنة ١٩٢٨) .

ومنذ ذلك الحين اضطربت به نوازع الحياة ودوافع السياسة ، فأخذ يتنقل بين وطنه (الشرق العربي كله) وبين المهجرين الأمريكي والأفريقي . وكان في كل بلد يصل حبله بقادة الرأي وزعماء السياسة وأهل الفكر يبادلهم الحديث ويناقشهم الخاطرة ، وتفجر الحديث — في هذه المجالس — فنوناً ، وتفتق عن أبحاث قيمة ناضجة في الأدب والعلم والسياسة والاجتماع والفن . فهو — من ناحية — يتحدث عن الموسيقى حديثاً عبقرياً فيقول : « الموسيقى هي واحد من هذه الأشياء التي لا تستطيع التعبير عنها بأكثر من أنها لغة تخاطب الروح مباشرة دون ما رمز من إشارة أو تصوير . أما الموسيقى ، الموسيقى العبقرية ، فإن الروح تتناولها من يد العازف على رنة الوتر دون ما جهد أو إعنات ، وتعليل هذه الهزة الروحية التي يتأثر بها السامع وهو يصغي إلى توقيع الفنان يكاد يعجز بيان الفكر الحاذق » . وهو — من ناحية أخرى — يتحدث عن الدين : « فالعروبة في أي زمن تستهدف للزوال إذا لم يعضدها الدين ... »

هذه المجالس ، وهذه الأحاديث ، عمل صحفي جليل لا عجب إن قام به المؤلف ، وهو صاحب مجلة (العروبة) اللبنانية . ولقد ضمنها كتاب « مع الناس » ، وهو كتاب فيه ألف فكرة لألف رجل ، وللمؤلف فكرة واحدة هي إيمانه بقول سيد العرب (ص) : « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » . وهو دائرة معارف عربية يستطيع المرء أن يرى من خلالها العقل العربي وهو يضطرم في الشرق والغرب معاً ، وأن يعيش حيناً بين أهل الرأي وسادة الفكر من العرب يحس نبضات قلوبهم وخلجات أفكارهم ونوازع أنفسهم ، فيلمس — من قريب — آراءهم وخواطرهم ، ويشرف على آمالهم وأمانيهم

وإن القارئ ليجد خواطر المؤلف منبثة بين أضعاف الكتاب في سطور متناثرة هنا وهنالك ، يستطيع الأديب المدقق أن يضم أشتاتها بعضاً إلى بعض لتصبح مبدأ يقول بأن الأمة توشك أن تنهار إن هي لم تتمسك جهدها بثلاثة أشياء متساندة مترابطة هي : اللغة والأخلاق والدين . فهو يوقن بأن « اللغة قبل كل شيء ، لأنها العنصر الذي يتقوم به أمجاد الأمة ، فعلينا أن نعلم الولد كرامة أمته ومجدها في الكلمات العربية ليقرأها ويشعر أنه يشرف على مجده وعزته القومية من خلال الحروف والكلمات » . وهو يؤمن بأن « الثورة التي تقوم في العالم على أساس الأخلاق ، إنما تمهد للانسانية فتنمو وتصمد إلى مستوى الملكوت . أما الثورة من أجل السياسة ، أو العصبية للعنصر أو الوطن ، فإنما هي مدعاة للتناحر لا تنفك تفتك في البشرية حتى تصل بها إلى العهد الذي نحن فيه : علم يصعد إلى السماء لينحل قنابر تتفجر أو مدافع تدمر فتعود بنا إلى دور الوحشية الذي تمسنا الحاجة فيه إلى أمثال موسى وعيسى ومحمد ... » وهو يعتقد بأن « التعصب للدين ليس عقبة تصدم الإنسان في نهوضه إلى الحياة الحرة كما يتوهم من لا يفقه الدين ، فإنا نرى اليهود في العالم كله يتعصبون لدينهم ، ونراهم محسودين من جميع العالم ، والعالم مسخر لهم ، وهم بضعة عشر مليوناً . فلو تعصب المسلمون لدينهم تعصب اليهود — ودينهم مدني فوق كل دين — لكانوا المثل الأعلى على هذه الأرض ... »

وهكذا يرى المؤلف أن اللغة والأخلاق والدين هي العُمُد الثابتة المتينة التي يجب أن تكون أساساً لرقي الأمة وسموها ...

وحبذا لو أخذنا بهذا الرأى ، حبذا ...

وإن الكاتب ليحس صعوبة شديدة فى الكتابة عن هذا السِّفر لما فيه من آراء متفرقة وأبحاث متشعبة ، بقدر ما يلمس القارئ فى قراءته من لذة ومتعة . وإنى لا أجد ما أقدم به هذا الكتاب إلى قراء العربية سوى أن أقول : إنه دائرة معارف تسمو بقيمتها ورُوائها .

٢ - اصطلاحات عربية لفن التصوير

تأليف الدكتور بشر فارس

هذا « مبحث أُلقى فى المجمع العلمى المصرى فى جلسة علنية فى السابع عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٨ » ، وهو مُعجم يحتوى على اصطلاحات فرنسية فى فن التصوير عدتها تسعة وثلاثون ومائة جمعها الدكتور بشر ورتبها على حروف المعجم الأفرنجى وترجمها هو ، فصارت مرجعاً قيماً للباحث والكاتب والقارئ ، ثم أخذ يوضح مدلولات الألفاظ العربية المقابلة للتعبير الفرنسى « وقصر الكلام هنا على الكلمات التى هى من ثمرة بحثه وعدتها خمس ومائة » .

وخشى المؤلف أن يعثر المطلع فى معجمه على لفظة خشنة ، أو اصطلاح جاف ، فاستدرك يقول : « وتوانى فى أثناء النقل أتقرب ما استطعت من اللغة الجارية عندنا لهذا الزمن ، متلفتاً إليها ، أو مستشهداً ، خشية أن تتسع الفجوة بين الذوق السائد واللفظ المستنبط فيموت وليداً » .

ولقد كتب الدكتور بشر تصديراً لهذا البحث جاء فيه : « على أن أحداً لا يشك فى أن لغتنا الكريمة وإن زخرت بالألفاظ وعلت بالتعبيرات لتقصر اليوم عن الأداء الأفرنجى فى صنوف الفنون والصناعات . وكأنى بك ترى اضطراباً واختلافاً فى أكثر مايقع عليه بصرك . لذلك بدا لى أن أهيئ طائفة من الاصطلاحات الدائرة فى باب التصوير وما يجرى مجراه ، عسى أن تستقيم أداة التأليف ، وتندفع آلة النقل ... »

هذا هو رأى الدكتور فى اللغة العربية ، فهو يراها قاصرة عن الأداء الإفرنجى فى صنوف الفنون والصناعات . وأنا لا أوافقه فى ما ذهب إليه ، فإن لغتنا الكريمة لم تضق يوماً بعلوم اليونان حين بدأت النهضة العلمية الإسلامية ، وحين ازدادت نشاطاً وقوة فى العصر العباسى ، فراح العرب — إذ ذاك — ينقلون علوم الفلسفة والطب والفلك والرياضيات ، فنقلوا — فى سنوات — مئات من أمهات الكتب فى الفنون المختلفة . ولم تعجز عن أن تقتحم باب العلوم الرياضية حين نقل «محمد بن موسى الخوارزمى» أرقام الحساب عن الهنود وأدخلها فى العربية ، وحين وضع « الصفر الحسابى » فحل بذلك أكبر معضلة رياضية فى العالم ، وحين وضع جداول اللوغارتيمات وهى ما تزال تحمل اسمه حتى اليوم فهو يعرف عند الفرنجة باسم Algoritmi . ولم تقصر عن أبحاث الميكانيكا والإيدروستاتيكا بين يدى « أبى الريحان البيرونى » حين وضع كتابه « الآثار الباقية » . ولم تضعف أمام أبحاث « الحسن بن الهيثم » فى الضغط الجوى — وهو قد سبق فى ذلك البحث تورشيللى بخمسة قرون أو أكثر — ولا فى البصريات . وإن أبحاث ابن الهيثم التى استغرقت نيفاً وستين كتاباً كلها فى العلوم التعليمية (الطبيعية) ما تزال مرجعاً يهتدى بنوره علماء الغرب للآن .

هذه اللغة التى وسعت كل هذه الأبحاث ، وهى أسس النهضة العلمية فى أوربا ، ووسعت غيرها مما يضيق عن سرده هذا المقام ، لا إخالها تقصر عن الأداء الإفرنجى فى صنوف والصناعات .

على أننى ما زلت أعجب أن يقول الدكتور بشر بذلك وهو نفسه قد استعان باللغة العربية — فى معجمه — فى التعبير عن الألفاظ اللاتينية المقابلة . ولو أنها عجزت عن هذا الأداء لما أمدته بهذه المصطلحات .

ومهما يكن من خلاف بين رأى المؤلف ورأيى فإنه لا يسعنى إلا أن أعترف بأنه قد بذل جهداً عظيماً مشكوراً فى تصنيف هذا المعجم .

كامل محمود حبيب



حول « مآخذ أربعة » :

تفضل الأديب الطلعة سامى حسن حبشى — فى العدد ٨١٩ من الرسالة الغراء — فشمل قصيدتى « شهرزاد » بفنائه الكريم ونقده الرفيق : ورأى فى القصيدة مآخذ أربعة أخذها علىَّ . وردى عليه كما يلى :

١ — ذهب الأخ الناقد فى تفسيره لكلمة «مغنى» الواردة فى البيت التالى :

« كأسِكِ الفنُّ ومغناكِ أغاريدُ المصورِ »

مذاهب ، خرج منها بأنه لا وجه لاستعمالى هذه الكلمة فى هذا المقام . أما أنا فأقول بأن كلمة « مغنى » — كما وردت فى البيت — إنما قصدتُ بها المنزل : وليس المنزل مجرداً عُريانا ، أو « الموضع الذى كان به أهلوه » ، ولكنه المنزل الذى تدل عليه كلمة مغنى نفسها . وأظن أن الأديب الفاضل مىّ ومع المرحوم أمير البيان الارسلانى حينما وجه هذه الكلمة — مغنى — توجيهاً خاصاً خرج منه إلى أنها « منزل الأنس والطرب والهناء والسمر . أو هى باختصار نُزُل السامر » . وعلى هذا يكون المعنى الذى رميتُ إليه : إن مغناها — وهو موطن سمر شهرزاد وأنسها — أصبح أغرودة من أغاريد المصور ، تُلهم الشعراء والكتاب . إذ لا وجه للقول مطلقاً بأن مغنى شهرزاد (بمعنى غناء) قد أصبح غناء المصور ... إذ يركّ المعنى ويسفّ جداً : فما كانت شهرزاد تغنى أصلاً : وليس غناؤها هو الذى يدوى فى أجواء المصور ، وإنما الذى دوّى هو سامرها وأصداء ذاك السامر !

وكنت أرجو من أخى الناقد عدم الاتكاء على الزجال السيد بيرم التونسى ؛ فهو الذى يغرف منا ومن مفاهيمنا .

٢ — واعترض الناقد الفاضل على البيت التالى :

« ونداماكِ عشيقٌ فاترُ اللحظ الكسير » ، بقوله : كان الصواب أن يقول : ونديمك عشيق ؛ أى أن يأتى بالمفرد دون الجمع !

وواضحٌ هنا شىء من الإبهام لدى الأخ الناقد ؛ لأننى عنيتُ تماماً اتجاهى حينما قلتُ : « ونداماك عشيق .... » : لأن الأبيات السابقة توضح هذا الاتجاه ، إذ قلت :

وليالِيكِ غرامٌ بين أحضان الدُّهورِ
كأسِكِ الفنُّ ومغناكِ أغاريدُ المصورِ
ونداماكِ عشيقٌ فاترُ اللحظ الكسير .. »

فتلك الليالى ، وتلك الكأس ، وذاك السامر ، بحاجة إلى ندامى لا إلى نديم . وقد جُمع أولئك الندامى فكانوا ذاك المشيق « شهريار » الفاتر اللحظ الكسير ! وواضح أن اللغة تُقرنى على ما ذهبت إليه ، تأويلاً(١) ودون تأويل أيضاً .

٢ — وأخذ علىَّ حضرة الأخ الناقد قولى : « ورواه الدهر فاستلقاه خفاقى وثارا » ذهاباً منه إلى أن « استلقى » إنما هى من « استلقى على قفاه » — ولا معنى لهما هنا » وأنا معه حقاً إن كانت استلقى بالمعنى الذى ذهب إليه . ولكن اللغة وحدها هى التى تقول بأن الاستفتاح بالسين والتاء إنما للدلالة على الطلب ، قياساً على قولنا (رضى واسترضى ، بكى واستبكى ، غنى واستغنى) ومن هذه الزاوية القياسية الصحيحة يتضح أننى كنت على صواب فى هذا الاستعمال .

٤ — أما المأخذ الأخير حول «السماء حيرى» فوجهة نظرى أن كلَّ جمع مؤنث ، فعاملت الجمع معاملة الفرد والمؤنث .

وإننى فى الختام أشكر للأخ الغالى هذه الفرصة التى جمعتنى وإياه لنتعارف على صفحات «الرسالة» الأم ؛ وأنعم به من تعارف وأعظم بها من رسالة تؤديها « الرسالة » .

دمشق — زهير ميرزا

(١) التأويل : كل نداماك عشيق ...

سرقة قصة :

لم يستنكف الأستاذ عبد الله عبد الصمد البشير من أن ينقل قصة أمريكية مشهورة لكاتب أمريكي مشهور ثم يدعى أن الله قد وهبه مقدرة على كتابة القصة القصيرة . فلا يشير إلى كاتبها بكلمة واحدة بل وينشر القصة فى مجلة الدنيا الجديدة عدد مارس الذى صدر أخيراً تحت عنوان « صانع السم » .

أما القصة الأمريكية فهى راشيل « Rachel » وأما كاتبها فهو الكاتب الأمريكى ارسكين كالدويل « Erskine Caldwell » وقد ظهرت هذه القصة فى مجموعة من القصص الأمريكية القصيرة تحت عنوان « Modern American Short Stories » ونشرت فى كتاب رقمه ١١٢ من سلسلة بنجوين « penguin Books » وطبعت بالقاهرة إبان الحرب الماضية .

ولو أننا قرأنا راشيل وهى القصة الأمريكية لوجدنا مثالا رائعاً للقصة القصيرة تدل على أن هناك من الكتاب من يستطيع أن يخرج قصة قصيرة محبوكة مستوفية للشروط الفنية للقصة .

لقد استبدل الأستاذ عبد الله عبد الصمد البشير باسم راشيل فى القصة الأمريكية سميحة فى قصته المصرية ، ثم أختصر القصة الأمريكية . فقصته ترجمة مختصرة للقصة الأمريكية . ولايخفى هذا على قارئ القصة الأمريكية إذ أن النهاية والبداية فى القصتين بل والأفكار فيها واحدة رغم الاختصار فى القصة التى زعم للفضال عبد الله عبد الصمد البشير أنه كتبها .

لاينبغى أن يغمط حق المؤلف فلا يذكر بينما يذكر اسم المترجم . إن حق الترجمة للمجلات والصحف معروف الأهمية ، ولكن يجب عند تمصير القصة أو المقال أن تكتب كلمة للتعريف بمن كتبها قبل أن يعرف من مصرّها .

شفيق أحمد عبد القادر
جامعة فؤاد الأول

الشهر والأشهار :

نشرت (الأهرام) الغراء كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها : لا مانع من استعمال الفعلين « شهر » و « أشهر » على حد سواء استناداً لما ورد فى (المنجد) وهو أشهر الأمر أظهره وصيره شهيراً اه وأقول : لم يرد فى المعاجم القديمة أشهره متعدياً أصلا ، وإنما ورد فيها اشتهره بمعنى شهره .

وأخشى أن يقال : جاء فى مستدرك شرح القاموس : ومن المجاز أشهرت فلاناً استخففت به وفضحته وجعلته شهرة . اه فإن هذا النص منقول عن أساس البلاغة ، ونص عبارته كما جاء فى طبعتيه : ومن المجاز اشتهر فلاناً ... الخ

ولكن جاء فى (المغرب) للمطرزى من علماء القرن السادس أو السابع الهجرى (٥٣٨ — ٦١٦) ما نصه : وأشهره بمعنى شهره غير ثبت اه . وقوله : غير ثبت أى ليس بحجة . وجاء فى المصباح للفيومى من علماء القرن الثامن الهجرى : وأما أشهر بالألف فغير منقول اه . ونقل صاحب المياز هذا النص بدون تعليق . وهذا يدل على أن أشهره كان مستعملا بمعنى شهره الثلاثى ولكنه مشكوك فيه . ولعلنا نظفر به فى المخطوطات اللغويه القديمة فإن هذا الاستعمال المتواتر قد يكون موروثاً عن العرب .

علي حسن هلالي
بالمجمع اللغوى



الكهلان

للكاتب الفرنسي الفونس دوديه

— هل هذا كتاب أيها الأب أزان ؟

— نعم يا سيدى . أنه آتٍ من باريس .

كان الشيخ الوقور ينظر إلى كل ما هو قادم من باريس فى رهبة وإعجاب ، ولذلك سلم لى الرسالة بعناية واحترام .

ولما كنت رجلاً لا أسير وراء الخيال ، ولا أبالى بسحر العاصمة ، فقد ألقيت نظرة على الرسالة القادمة فى الصباح المبكر وكأنها نذير بحلول زائر سأبتلى بمقدمه هذا اليوم . ولكنى كنت مخطئاً ، فقد كانت الرسالة تتضمن الآتى :

« عزيزى دوديه — يجب أن تغلق الطاحونة اليوم وتذهب فى مهمة لأجلى إلى إيجوير . إنها على بعد عشرة أميال ليس إلا من الطاحونة ، نزهة صباحية لشباب مثلك (ولم يذكر نزهة أوبتى !) وعندما تصل ، اسأل عن ملجأ الأيتام ، فبجواره تقع دار صغيرة ذات نوافذ رمادية ، وحديقة خلفية . وستجد الباب دائماً مفتوحاً ، فادلف إلى الدار دون أن تطرقه . ثم صح بأعلى صوتك « صباحاً طيباً يا أصدقائى ، إنى صديق موريس » وعندئذ ستشاهد عجوزين ، من الحفريات ، قبل عهد الطوفان ، غارقين فى مقعدين أكثر قدماً منهما فعانقهما لأجلى كما لو كانا من أجدادك الطيبين . ثم تحدث معهما فسرعان ما يشتركان معك فى حديث واحد لا ينتهى — حديث موضوعه موريس . وان يكلا مطلقاً من تقريظ كال منقطع النظير لذلك الأنموذج الكامل الفريد الذى لم يكن ولن يكون . وأرجو ألا تتخلى عنى ، ولا تتردد فى الإجابة عن أسئلتهما . اضحك كما تشاء ! ولكنهما جداى ، رفيقاى فى حياتى الطويلة إلى عشر سنوات مضت . نعم ، إنها عشر سنوات منذ أن رحلت عنهما قاصداً باريس .

« إن هذين الأثرين الواهنين قد يتناثران فى الطريق إذا حاولا القيام برحلة إلى هنا . فأرجو يا صديق الطحان المحترم أن تقوم بواجبات البنوة بدلا منى وتقبلهما . لقد انتهيت من رسم صورة لك بالحجم الطبيعى عندهم ، ولونت فيها ملامحك باللون الوردى ... » وسارت الرسالة على هذا النمط حتى نهايتها .

وهكذا شاء حظي العاثر ألا أستمتع بهذا اليوم الفريد ؛ فأظل بالدار غارقاً فى بحار أحلامى فى ركن تغمره الظلال . وها أنذا مرغم على الابتعاد عشرة أميال ، سائر تحت وهج الشمس ومثار الغبار يؤذى عينى . ولكن ، كل شىء يهون فى سبيل الصديق ، وأغلقت الباب ، وأدرت المفتاح ، ومضيت ومعى متبغي وعصاى .

وصلت إلى إيجوير قبيل الساعة الثانية . كانت القرية تكاد تكون خاوية ، كان أهلها يعملون إذ ذاك فى الحقول . ولم أجد هناك بالطبع ألا أتانا تتمتع بضوء الشمس ، وحماماً يحوم حول نافورة الكنيسة ، وجنادب — أكثر نشاطاً من زميلاتها فى أوران — تتعالى أصواتها حول شجرة الدردار الأخضر ، وقد أغبرت أجسامها . وهكذا لم أشاهد مخلوقاً يرشدنى إلى ملجأ الأيتام . وفجأة لاحت (جنية) طيبة لنجدتى . فقد لمحت عجوزاً هزيلة منطوية على نفسها فى مدخل . فسألتها عن الطريق ، فأشارت بأصبع متخاذلة . وبدا لى الملجأ كأنما ظهر بفعل عصا سحرية . كان بناء شامخاً قديماً قابضاً ، يعلوه صليب من الآجر ، وقد نقشت على مدخله كتابة لاتينية ، وقامت بجواره دار صغيرة ، ذات نوافذ رمادية وحديقة خلفية . كانت مقصدى ، فدلفت إليها دون أن أقرع بابها .

إن مشهد تلك الدار قد نقشت فى ذاكرتى إلى الأبد : تلك النظافة التامة ، وذلك الهدوء الشامل فى الردهة الطويلة ، والجدران الوردية ، والحديقة بأزهارها تتمايل مع النسيم ، وقد بدت خلال النوافذ ذات الألوان الزاهية ، وصفائح الجدران المزدانة بصور الزهر ، وقد حالت من القدم . وخيل إلى كأنى فى دار أحد أشراف سيدان . وسمعت خلال باب منفرج نصف انفراجة دقة ساعة ، وصوت طفل يقرأ فى صوت جهورى ، كلمة كلمة ، ومقطعاً مقطعاً « ثم — أنا — القديسة — ايرينيه — صحت — أنا — دقيق — الآله — ويجب — أن — أطحن — وأنثر — بأنياب — تلك — الوحوش ... » واقتربت وأنا أمشى على أطراف قدمى وتطلعت .

شاهدت فى غلالة من ضوء النهار الساكن ، كهلا منفرج الفم ، واضعاً يديه على ركبتيه ، ومستغرقاً فى سبات عميق على

مقمد . كانت وجنتاه موردتين ، وجـلده مجعداً حتى أطراف أصابعه . وجلست تحت قدميه فتاة صـغيرة ، ترتدى (شالا) طويلا أزرق اللون ، وقلنسوة صغيرة زرقاء — لباس الأيتام . وكانت هي التي تقرأ سيرة القديسة إرنيه من كتاب يكاد يقارب حجمها . وكانت القراءة العجيبة تفعل فعل المخدر فى الحجرة الساكنة . فقد كان كل من الـكهل فى مقعده ، والذباب فى السـقف ، والـكنارى فى القفص ، فى سبات عميق . ولم يعكر صفو الحجرة سوى دقات ساعة الجد ، وقد تدفقت أشعة الشمس خلال النافذة بذراتها الـكثيرة المتراقصة . وكانت الطفلة لا تزال تقرأ وسط ذلك النعاس الشامل « وسرعان — ما — اندفع — أسدان — صوبها — وافترساها ... » ودلفت إلى الحجرة عند هذه المرحلة الخطيرة !

كان من الجلى أن الأسدين الضاريين لم يحدثا أدنى اضطراب لأهل الدار . ولـكن ، عندما لمحتنى الفتاة ذات الرداء الأزرق ، أسقطت الـكتاب وقد ندت عنها صرخة رعب . واستيقظ الـكنارى والذباب ، ودقت الساعـة ، وقفز الـكهل فى فزع وذهول . ووقفت بالمدخـل حائراً ، ولـكنى تدرعت بالشجاعة وصحت قائلاً « عم صباحاً يا صديقى ! أنا صديق موريس » .

وفعل موريس فعل الطلسم . هرول الـكهل صوبى مفتوح الذراعين ، وعصر يدى ، ثم جعل يجول فى الحجرة ويصيح فى فى ذهول « يا إلهى ! يا إلهى ! » .

وأشرقت كل تجعداته ، وتحول وجهه قرمزيا من الحماس . ثم تمتم قائلا « أواه يا سيدى ! أواه يا سيدى ! » .

ثم هرول صوب الباب يصيح قائلا — هلم يا « ماماه » ، اسرعى يا « ماماه » . وفتح باب فى الردهة ، وسمعت صوت حركة ، ثم دلفت « ماماه » .

ما أرقه مشهداً عاطفاً مثيراً ! كانت السيدة العجوز ترتدى وشاحاً ورداء كرمليا باهتا ، وتحمل فى يدها منديلاً مطرزاً . وما أشـد الشبه بينهما وياله من شبه عجيب ! أن أقل تبديل فى الملبس ، من قلنسوة أو ما شابه ذلك ، وإذا بك تحسب الجـد جدة . فلم تكن تختلف عنه إلا فى كثرة تجاعيدها . وكانت لهما فتاتان صغيرتان من الأيتام ترعيانهما — الـكهولة ترعاها الطفولة ! وانحنت الجدة انحناءة منخفضة ، كما كان يحدث فى عهد العروسية ولـكن لم يطلق الـكهل صبراً لذلك ، فقطع الاحتفال القصير قائلا — « ماماه » هذا صديق موريس .

وارتجفت السـيدة وكأنها ورقة من شجر الحور ، وسال الدمع على وجنتيها ، وسـقط منديلها ، واحمر وجهها أكثر احمراراً من وجه الجد . ومع أن الـكهلين لا يحملان فى عروقهما سوى قطرة واحدة من الدم ، فقد كان أقل انفعال يؤثر عليهما يكسى وجهيهما بقناع قرمزى . وقالت السيدة للفتاة الزرقاء — اسرعى ! مقعداً للزائر . وقال الـكهل لفتاته — افتحى النوافذ .

ثم أخذ كلاهما بذراعى وسارا فى خطى قصيرة إلى النافذة حتى يتفحصا الزائر ، واستحضرت المقاعـد وإذا بى جالس بينهما ، وقد وقفت الطفلتان خلفهما . وأخذت الأسئلة تترى على : كيف حاله ؟ كيف يقضى وقته ؟ لماذا لم يأت لمشاهدتنا ؟ هل هو سعيد ؟ وهكذا انهالت أسئلتهما قرابة الساعة .

وتحملت ذلك فى جـلد ، وأخبرتهما بكل ما أعرفه ، بل اختلقت ، بل حتى جاملت . وقلت — ما أرق لون غلاف الحائط يا سيدتى ! إنه لا زوردى جميل ، مزدان بأفنان الورود .

فقالت — حقاً ؟ ثم أضافت وهى تلتفت إلى « باباه » — أليس هو شاباً وسيما ؟ فقال — أجل ، أجل . شاب وسيم !

وشاهدت أثناء تحدثى ، إيماءات من الرأسين المشتعلين شيبا ، واشراقات على الوجهين المجعدين ، وضحكات صبيانية جزلة ونظرات متبادلة . ثم التفت إلى الـكهل قائلا — ارفع صوتك . أنها لا تكاد تسمع . وأخذت « ماماه » بثأرها فقالت — ارفع صوتك . إن سمعه ثقيل .

وأطعت ، فابتسما ابتسامة شكر ، وظلا يبتسمان وهما يسبران غـور عينى ، ويبحثان فيهما عن شبيه لولدهما . ونظرت فى أعينهما ، فشاهدت فى حلكتهما كأنما بدا خلال الضباب المخيم عليها وجه صديق يبتسم . وفجأة صاح الرجل فى عجب وهو يهب من مقعده — « ماماه » أتحلمين ؟ لعله لم يتناول غداءه بعد .

وخشيت أن تكون أفكارها قد انتقلت بها إلى موريس ، فسارعت أؤكد لها أن الصبى العزيز لا يتناول غداءه متأخراً وقال الرجل — إنى أعنى صديق موريس .

فقالت — أوه ، عفواً يا سيدى ، عفواً كثيراً .

كان جوعى قد زادت حدته ، ولذلك لم أراوغ .

وقالت للطفلتين — اسرعا أيتها الصـغيرتان الزرقاوان ، وضعا غطاء يوم الأحد وسط المائدة واستحضرا أنضر الأوانى المنمقة بالزهور . اسرعا ، لا تضحكا كالأوز الابله ، هيا .

وفى لمح البصر كان الطعام معداً . وقالت الجدة وهى تقودنى

إلى المائدة — هذه وجبة بسيطة وأرجو المعذرة لعدم اشترا كنا معك . فقد تناولنا طعام الغداء قبل الظهر .

لقد كان الكهلان كلما حل عليهما ضيف يقولان دائماً أنهما تناولا طعام الغداء قبل الظهر !.

كان الغداء يكونا من قطعتين من بياض البيض ، وبعض التمر ، وقطعة من الحلوى تدعى « البارك » تكفي لأن تطعم الجدة وكناريها مدة أسبوع . واتجهت إلى الأنظار أثناء تناولى الطعام . كانت الصفيرتان الزرقاوان تتخافتان ، والكنارى يغرد قائلا — أوه ، انظروا إلى النهم الشره الكبير ، أنه يلتهم كل « البارك » .

كان ذلك النهم الشره الكبير — فى الواقع قد التهم كل ما على المائدة من طعام دون أن يشعر بذلك . فقد كنت غارقاً فى تأمل الحجرة الهادئة المشرقة ، وما يفوح منها من أريج الذكريات .

ووقعت عيناى على فراشين صغيرين ، يكادان يشبهان المهد . وتخيلتهما عند الفجر ، وما زالت ستائرهما الزركشة الحواشى منسدلة ، والساعة تدق ثلاثا ، وقت استيقاظ الكهلين . وسمعتهما يتبادلان الحديث :

— أنائمة أنت يا « ماماه » ؟

— كلا يا عزيزى .

— أليس موريس شاباً وسيما ؟

— أجل ، أنه شاب وسيم ، وسيم .

نعم كان مدار حديثهما كله عن موريس . لا شئ غير موريس . من الصباح المبكر إلى المساء الندى !

وبينما كنت غارقاً فى تأملاتى ، إذ بمأساة تجرى فصولها فى طرف الحجرة . كان الكهل واقفاً على مقعد ، يجاهد جهاد الأبطال ليصل إلى قارورة من الشراب المحفوظ ، قائمة على قمة الصوان ، لم تمسها يد منذ عشر سنوات ، بل ظلت تنتظر عودة موريس . وأخذت زوجه تثنيه عن القيام بهذه المحاولة ، ولكن الجد كان قد وطد العزم على الحصول عليها وفتحها تكريماً لضيفه .

وكان يجاهد بكل عصب من أعصابه ، وعضلة من عضلاته ، والصفيران ممسكان بالمقعد ، والسيدة الكهلة تنتظر فى خوف ورعدة وقد ترددت أنفاسها ، وذراعاها ممتدتان لتنقذ البطل عند الضرورة ، وأخيراً ، وبعد مجهود فائق ، نال الكهل مكافأته ، ودفع بالقارورة إلى الجدة وقد أشرق وجهها . وهبت رائحة البرغموت الشذية من الملبوسات داخل الصوان .

واستحضروا قدح موريس الفضى وامتلأ بالشراب حتى حافته . نعم ، كان موريس يعشق هذا الشراب . وهمس الجد وهو يناولنى القدح وقد سال لعابه فى تلذذ ابيقورى — أنت مجدود ، فإنك لا تحصل على مثل هذا الشراب فى الطاحونة إن جدته تحفظه له . ومهما كانت الجدة خبيرة فى حفظ الشراب ، فإنها فشلت هذه المرة ، فقد نسيت أن تحليه بالسكر . على أية حال ، يجب أن نتغاضى عن شرود ذهن الكهول . ووقفت لهذه المناسبة ، وصررت على أسنانى ، ثم جرعت الشراب دون أن تطرف عينى . وهمست فى انفراد بينى وبين نفسى — سيدتى أن شرابك فظيع !

وعندما قمت أستأذن فى الانصراف ، ألح على الكهلان أن أستمر فى سرد حقيقة قصة ذلك المثال الكامل ، ولكن الوقت كان قد أزف للرحيل بعد أن خبا الضوء ، لا سيما وأن الطاحونة « على بعد عشرة أميال ليس إلا ! » .

وهب الكهل واقفاً وهو يقول — معطفى يا « ماماه » من فضلك . يجب أن أرافقه إلى ما بعد الميدان .

وأشارت « ماماه » إلى برودة نسيم الليل ، ولكنها لم تثبط نزوة الكهل . وبينما كانت تساعده على ارتداء معطفه الاسبانى المزين بالأزرار الصدفية ، وقد انتشرت عليه بقع السعوط ، إذ قالت له — والآن يا عزيزى ، عدنى وعداً مخلصاً ، إلا تتأخر طويلا

فأجاب الكهل ، منتصراً ، فى لهجة تدل على أنه لن يأتى الدار قبل الصباح — نعم ! كلا ! ربما أتأخر ، وربما لا أتأخر — لا أعرف ! ولا أبالى ! — لا تنتظرى يا عزيزتى ، فمعى المفتاح .

ونظر كل منهما فى عينى الآخر ، ثم انفجرا ضاحكين حتى سالت دموعهما . وضحكت معهما الصغيرتان الزرقاوان . وشاركهم الكنارى يغرد مع مرحهم . وإنى أعتقد بينى وبينكم — أن الشراب قد أخذ برأسيهما وجعلها فى نشوة .

كان الظلام يخيم رويداً رويداً ، عندما غادرت الدار برافقنى الجد . وكان الرجل يسير فى زهو واعتداد فى ذلك المساء خلال القرية ، وقد اشتبك ذراعه بذراع صديق موريس . فكيف يشعر بحارسته الصغيرة الزرقاء وهى تتبعه عن بعد حتى تعود به إلى داره ؟ وكانت الجدة واقفة على مدخل الدار تراقبنا ، وقد أسرق وجهها ، وهى تقول — أترى ؟ أن رجلى لا يزال قادراً على المشى !

محمد فهمى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٨٢٣ — الاثنين ١١ أبريل ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

17 em Année No. 823

Lundi — 11 — 4 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٢٣ « القاهرة في يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨ — ١١ أبريل سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

أيها المنطق... لقد خبرناك!

أذاعت شركة روتر للأنباء الشرقية منذ أيام نبأ خطيراً اهتزت له قلوب هنا وقلوب هناك!، وبعض الاهتزاز يثيره العجب حيناً ويثيره الإعجاب حيناً آخر... العجب من تناقض الأقوال والأفعال، والإعجاب بهذه القدرة القادرة على التحول من الشمال إلى اليمين ومن اليمين إلى الشمال. ولا بأس من التحول والتناقض ما دام منطق التبرير يفسر التناقض على ضوء المصلحة الفردية، ويصور التحول على هدى التلاعب بالألفاظ والعبارات!

وإليك هذا النبأ الخطير: « كانت بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي رفضت اليوم أن تؤيد مساعدة مؤسسة اللاجئين للمهاجرين اليهود إلى إسرائيل، قبل أن يتفق على حل لمشكلة اللاجئين العرب. أما الأعضاء الخمسة عشر في المجلس العام لهذه المؤسسة، فقد أعطوا أصواتهم في صالح مساعدة هؤلاء المهاجرين بمبلغ تسعة ملايين دولار، تصرف لهم خلال السنة التي تنتهي في شهر يونيو القبل. وقد قال مستر إدموند مندوب بريطانيا في المجلس: إن من غير اللائق إطلاقاً أن تمنح هذه المؤسسة مساعدات لهجرة اليهود إلى فلسطين، في الوقت الذي تبقى فيه مشكلة اللاجئين العرب معلقة بدون حل »!

وهكذا تجد أن بريطانيا تقف دائماً في صف العرب... تقف باللفظ المنمق والقول الملفق والشعور المصنوع! لقد وقفت وحدها لترفع الصوت عالياً ينقل إلى أقطار العروبة عطفها البالغ على مشكلة اللاجئين العرب؛ هذا العطف الذي يتمثل في قبض يدها عن مساعدة مؤسسة اللاجئين الدولية للمهاجرين اليهود! إنك تستطيع أن تقف طويلاً لتزن كلمات المندوب البريطاني بميزان القيمة اللفظية التي ترتكز على دعائمها كل نتيجة عملية... تستطيع أن تقف عند هذا التعبير الذي يمكن أن يبرز بوادر الانحراف في الغد القريب، وهو أن بريطانيا ترى « من غير اللائق » إطلاقاً أن تؤيد مؤسسة المهاجرين اليهود قبل الاتفاق على حل لمشكلة اللاجئين العرب! إننا واثقون من أن بريطانيا لا تعني ما تقول، وأنها ستؤيد غداً ما تنكرت له اليوم، وأنها ستمد لليهود يد العون كما مدتها لهم من قبل، ولا اعتراض بعد ذلك ولا عتاب... وأي اعتراض هذا الذي يمكن أن يوجه إلى المنطق البريطاني حين يعالج القضايا الدولية بأمثال تلك الكلمات التي تنساب من كفتي الميزان كما تنساب قطرات الزئبق دون أن تلحظها عيون؟! إن المنطق البريطاني يعد لكل موقف يحتمل التحول ما يلائمه من صيغ وعبارات. ولن تجد في قاموس البلاغة الدبلوماسية أعمق ولا أبرع ولا أروع من هذا التعبير: « إن من غير اللائق » أن يحدث هذا الأمر؛ و« إن من غير اللائق » أن يقع ذاك! هذا الوضع لائق، وهذا الوضع لا يليق... ولا بأس من هذه التعبيرات الزئبقية التي يطالعنا بها المنطق البريطاني اليوم كما طالعنا بها بالأمس، حين وقف مستر بفين ليعلن على رءوس الأشهاد في مجلس العموم أن بريطانيا ترى « من غير اللائق » أن تعترف بحكومة إسرائيل، لأن هذه الحكومة لم تتوفر لها الأسباب القانونية التي تبرر قيام دولة مستقرة الجوانب مكتملة

من خصائص الأدب المسرحى

للدكتور محمد القصاص

مما يؤثر عن رتشار فاجنر قوله : « إن المسرح فى أتم أشكاله هو المكان المقدس الذى تلتقى فيه جميع الفنون وتتزاوج ويذوب بعضها فى بعض . وتلك هى فكرة الفن المسرحى كما تصوره كبار التراجيديين الإغريق قبل الميلاد بقرون . والواقع أن المسرح ، والمسرح وحده ، هو الذى يستطيع أن يقدم للناظر الحد الأعلى من نشاط فنى يتضافر فيه الفن المرئى plastique والموسيقى والشعر ، بأنصبة متساوية متناسقة ، على أن تسحر بصره وسمعه وقلبه وعقله فى آن واحد . ولكن أيصدق هذا الحكم فى عصرنا الحالى على المسرح الغنائى وحده (Le théatre Lyrique وهو الأبرا البحتة) وهو الذى عناه فاجنر بلا ريب فى جملته السالفة الذكر دون أن يصدق على الدرامة الأدبية ، الدرامة التى تتكلم لا التى تغنى ؟ نحن لا نظن ذلك بأية حال لأن كل تأليف مسرحى مهما كان حظه من الروح الأدبى ومن التجريد العقلى لا يمكنه أن يستغنى عن مشاركة الفنون الأخرى فى تكوينه دون أن يختل توازنه ويفقد مقومات العمل المسرحى الأساسية . إذ لا سبيل له إلى القلب ولا إلى النفس دون العين والأذن . فالتمثيلية لا تفرض على مؤلفها أن يعنى بالكتابة وأن يراعى القيم الأدبية فحسب ، هذا العمل الذى يتفق فيه مع كاتب المقالة والقصة والقصيدة ، بل لا بد وأن يوجه اهتمامه نحو الموسيقى يصبها فى كلماته ونحو الفن الجسمانى من صور وحركات يحمل بها عباراته كأنه يرى ابطاله فوق خشبة المسرح . وأما هذا الإدراك السقيم الذى يسيطر على غالبية كتاب التمثيليات عندنا من بين رجال الأدب ، فيجعلهم ينظرون إلى التأليف المسرحى على أنه عمل كتابى محض ، فهو الذى يضرب على آثارهم بالبوار ويحرم المسرح المصرى مشاركة أدباء العربية فى الأخذ بيده وترقيته . بل فى يقيننا أن هذا الإدراك الخاطىء قد أصاب المسرح المصرى بشىء من العقم لما باعد بين الأدباء وبين المسرح .

ذلك أن الأدب المسرحى ، إذا سلمنا بأنه فن من فنون الأدب يتميز عما عداه بأنه يفيض عما هو مكتوب ، فهو وحده من بين سائر الفنون الأدبية — ومعه الخطابة إلى حدما — الذى يتوفر له وجودان : وجود داخل الكتاب ، ووجود خارج الكتاب . وإذا أمكنه أن يستغنى عن وجوده فى الكتاب فلن يتأتى له أن يستغنى عن الوجود خارجه ، وإذا أتيح له ألا يكون أدبياً فلن يجوز ألا يكون مسرحياً .

ذلك أن النص ليس كل شىء ، وإن كنا لا ننكر أهميته الكبرى ، فهو نواة الدرامة والخلية الأم التى لا يمكن الاستعاضة عنها إذا فقدت . لأن الفكر إذا ماتخلى عن النص ، أى عن الألفاظ والعبارات ، فقد تخلى عن تحديده لنفسه وبالتالى عن وجوده خارج الفكر . وإ كثار التفكير عن المسرح أمر مستحيل الوقوع ، لأن المسرح إذا ما باعدنا بينه وبين الفكر فقد فرغناه من لبه ومن مادته الأساسية . وهذا إزراء به وحط من قدره . ولكن ذلك لا ينبغى أن ينسينا أن الدرامة لها لغتها ، وهى غير لغة القصيدة وغير لغة المقالة والقصة ؛ لأن آثار الفن الأدبى غير المسرحى إذا لم تجد قارئها المأمول يوم صدورها أمكن لها أن تنتظر قارئاً بعيداً لم يوجد بعد . يساعدها على ذلك أن كاتبها (وهو الذى نسميه الكاتب البحت) فى وسعه أن يودعها كل ما فى نفسه أو جله على الأقل لا يحده فى ذلك من خارج فنه إلا مقتضيات اللغة العامة من نحو وصرف ومفردات وما هو من هذا القبيل . أما الكاتب المسرحى فإنه إذا أخذ نفسه بالنظر إلى الكلمة نظرة الشاعر والقصاص فراح يعد كتابه بالكلمات الرصينة والصيغ الجميلة والتراكيب المتينة المنتعشة بالحياة ، دون مراعاة لما تقضى به ظروف المسرح الخاصة ، فإنه يجعل من مسرحياته أعمالا لا تصلح لغير القراءة أو الاحتفاظ بها فى أحد المتاحف أو المكاتب العامة لأنها فى هذه الحال تكون أعمالا جامدة فى حروفها لا تستطيع الخلاص منها : فعلى كاتب التمثيلية إذن أن يحمل كلماته بتلك القوة المسرحية التى تجعل منها كلمات مسرحية ملفوظة وفاعلة .

نعم إن الكلمة تتحكم فى كل شىء (الكتاب والمسرح فى ذلك سواء) ، فهى مندوب القلب والفكر ، مندوب النفس

الكيان ... ومع ذلك فقد رأت بريطانيا أن تعترف بحكومة إسرائيل ، لأن « من غير اللائق » أن تسبقها أمريكا إلى هذه المكرمة ، والعهد بالشرف البريطانى أنه السباق دائماً إلى المكرمات!

أيها المنطق : حنانيك ... لقد عرفناك ، ودرسناك ، وخبرناك!

(ا . م)

جميعها . غير أنها في المسرح يجب أن تمر من فم الإنسان وأن تبعث الحياة والحركة في كائنات إنسانية من لحم ودم ؛ يجب أن تفعل لأنها هي التي تعطي الحياة وتملي الحديث . وهي قبل أن تصيب السامع وتحركه يجب أن تصيب وتحرك جهازاً كاملا معقداً متناثر التركيب : هو المسرح بأسره بما فيه من أشياء مادية وكائنات إنسانية . والكاتب المسرحي وحده دون المخرج والممثل هو الذي يبعث هذه الصفات في كلماته وعباراته ، في القطعة التي يكتبها بجميع مقوماتها . والكاتب المسرحي الذي يستحق هذا اللقب لا يعتبر نفسه قد خلق خلقاً مسرحياً إذا ما تناول قلمه ونشر قرطاسه وراح يسجل عليه حلماً جميلا من ابتكاره ، غير آبه بظروف المسرح الخاصة ، حتى ولو كان هذا التسجيل آية في الجمال الأدبي والكمال المنطقي معاً . أجل لا يصح لهذا الكاتب أن يعتبر نفسه قد خلق عملا مسرحياً إذا ما ألف بين جماعة تتحاب وتتباغض ، تعيش وتموت ، تبعاً لهواه وإرادته ، دون أن يكون هذا الحلم ممكن التحقيق ، ممكن « اللعب » ، ممكن الظهور في الخارج وفوق خشبة المسرح . لأنه ليس في مقدور المخرج والممثل أن يخلعا على عمله ولغته من الحياة والحركة ومن الصور والأشارات ما لم يستطع هو أن يقوم به ، اللهم إلا عن طريق الافتعال الظاهر ، وفي هذه الحال يرى المتفرجون أنفسهم أمام قطعتين تمثلان في آن واحد ويقوم بتمثيلهما نفس الأشخاص : إحداهما ملفوظة من خلق الكاتب ، والأخرى « ملعوبة » من خلق المخرج والممثل ؛ أو بأن يخلقا عمله خلقاً جديداً يختلف اختلافاً جوهرياً عما أراده ، وفي هذه الحال من حق كل شخص أن يتساءل لمن تنسب هذه الرواية ، ألـلكاتب أم للمخرج وفرقته ؟

نحن لا نعني بذلك أن يعمد المؤلف إلى رسم هذه الحياة في روايته بكل تفاصيلها ودقائقها حتى لا يدع شيئاً لتصرف الممثل ونزواته : فمثل هذه المبالغة تضرب على الدرامة بالجمود ، فهي في حاجة إلى حياة أخرى لتفحصها وتبرزها . وإنما نعني أن يقترح على الممثل ، من طريق خفي ، مجموعة من الأمكانيات ليختار من بينها : على الكاتب أن يشير ويبدأ ، وعلى الممثل أن ينفذ ويكمل. وهذا الذي قدمنا يفترض في المؤلف معرفة عميقة بوسائل المسرح الفنية وأن تكون له به حاسة فطرية — ولن يكون كاتباً مسرحياً دون هذه الحاسة . ويا حبذا لو أنمها في نفسه بالممارسة . فمعظم الكتاب المسرحيين الخالدين كانوا يقومون بإخراج وتمثيل ما يكتبون ، مثل شكسبير وملبير . ونحن نعلم أن جان كـكتو الكاتب الفرنسي المعروف الذي يقيم الآن بيننا مخرج كبير ، وقد رأيته بعيني يقوم بتمثيل الدور الرئيسي لإحدى مسرحياته على مسرح الأمبسادير في باريس . ذلك أن الكاتب لا يكتب روايته للقراءة أصلا ، بل للمسرح ولمسرح خاص ، ومن أجل الجمهور ، جمهور خاص ، ولتمثل دون تأجيل فيتحتم عليه أن يكون على معرفة عميقة بهذا المحيط .

قد يقول معترض إن اعتبار الأثر المسرحي على هذا النحو من شأنه أن يقضي على هذا بأن يكون لاحقاً بعصره الذي ألف فيه ، رهناً بالظروف التي أحاطت بكتابته ، ما دامت حال المسرح في تغير دائم وهذا حق من جهة وباطل من جهة أخرى . حق لأن الكاتب يجب أن يكتب للعصر الذي يعيش فيه وأن يراعي فيما يكتب ظروف المسرح العابرة وتلك الوسائل التي في متناول يده في اللحظة التي يكتب فيها بما فيها من خير وشر ، ولذلك فإنه لا يكاد يبقى من عمله للأجيال المقبلة إلا المجهود الأدبي دون العناصر المسرحية التي لا يمكن إدراكها على حقيقتها إلا للذين عاصروا تحقيق الرواية ؛ ونحن نعلم أن الأثر الأدبي ليس كل شيء في المسرحية . وباطل من جهة أخرى لأن التأليف المسرحي لا يمكن أن يتخطى جيله إلى الأجيال المقبلة إلا بهذه الشروط التي أسلفنا الكلام عنها . وإذا لم يبق من عمل الكاتب بعد قرن أو أقل أو أكثر من قرن إلا كلمات ، فإن هذه الكلمات تكون في تلك الحال جديرة بالاحتفاظ بشيء من هذه الحركة الفعالة الخاصة بالدرامة . فإن كان صاحبها قد كتبها بعيدة عن فكرة التطبيق كان لها جمالها ولا ريب ، ولكنه جمال من نوع آخر . أما إذا أحسسنا حياة عميقة تسري في شرايينها فلا شك أن هذه الحياة إنما جاءتها من أن المؤلف قد تصورها متصلة بعصرها الذي كتبت فيه ، وكتبها لتحقق وسط الحياة التي عاشت فيها ومن أنها قد حييها بالفعل وفوق المسرح أناس من لحم ودم . لأن الكلمات المكتوبة إذا كانت قد كتبت حقاً

لتمر بأصوات أناس ولتتقمص صورهم وتحرك أعضاءهم وتتشكل بأشكالها فلابد لها من أن تحتفظ بهذه الذكرى . أما إذا كتب المؤلف مسرحيته دون مراعاة لفكرة التحقيق الحالى فقد فقد كيانه ، وما عليه إلا أن يفتش له عن مهنة أخرى .

فالكاتب المسرحى تابع لأمكانيات المسرح، تابع لأمكانيات الممثلين ، وبعد أن يصفى حسابه مع الأسلوب ومع قوانين الفن المسرحى (من الحركة ، وتسلسل الحوادث ، والتتابع المنطقى والفن المرئى . . . الخ) يرى لزاماً أن يلجأ إلى صاحب الملابس والمزخرف والكهربائى والميكانيكي والمخرج ، ثم بعد كل هذا بل قبل كل هذا إلى الممثل . ولا شك أن فن الكاتب يصاب بأفدح الخسائر إذا كان التناسق بين هذه الوسائل مفقوداً أو كان ما فى المؤلف من نقص مما يتيح للمخرج أو الممثل أن يشتغل لحسابه الخاص .

محمد القصاص

دكتوراه الدولة فى الآداب من جامعة باريس

أساليب التفكير :

التفكير الفلسفى

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

الفلسفة والشعر :

بل إن أطول الفلاسفة باعاً فى ميدان التأمل ليس بمنجاة من شطحات الخيال ، ونزوات الشعر ، وضغط القصائد المكبوتة — تعصف ببنائهم الفلسفى بين حين وآخر حتى لتكاد من قوتها لدى البعض أن تسلكهم فى عداد الشعراء المتفلسفين ، أو الفلاسفة الشاعريين . فذاك أفلاطون : برغم عبقريته الفلسفية ، وتناسق مذهبه ، وتكامل آرائه ، تعصف به فى رحلة الفكر أنواء الخيال ، وتهب عليه فى جفاف البحث العقلى نسمات شاعرية تتبدى فى نظرية المثُل وما يورد لها من تشبيهات ، كقصة الكهف المشهورة التى ترى الحياة الدنيا أناسا يحيون فى كهف مظلم ، مقيدين بالأغلال حتى ليقضون العمر مولين ظهورهم لباب الكهف لا يستطيعون حراكاً ، وموكب الحياة والأحياء ماض فى سبيله أمام باب الكهف لا يرون منه غير أشباح وأخيلة ترسلها شمس قوية من خارج على جدار الكهف . فهم لطول العهد بتلك الأشباح ولحرمانهم من معرفة الأصول التى تنبعث عنها يظنون لجهلهم ومحدود فكرهم أنها الحقائق . كذلك شأننا فى الحياة الدنيا ، طال مقامنا فيها ، وكبلتنا أغلال الحس وسلاسل البدن ، فتوهمنا الكائنات المادية حقائق واقعة ، فى حين أنها صور زائلة لحقائق باقية ، مسوخ مشوهة لمثل كاملة ؛ ثم يمضى أفلاطون الحالم بعالم كامل تتحقق فيه المثل العليا التى يطمح إليها ، مثل الحق والخير والجمال ، ليتمثل عالماً آخر غير عالمنا يجد فيه ملاذ من نقائص عالمنا ، ثم يدعو الناس أن يحلموا معه فى قول شاعرى حلو يورده فى محاورته « المأدبة » :

« إن ما يعطى قيمة لهذه الحياة إنما هى مشاهدة الجمال السرمدى نقياً لا تشوبه شائبة ، بسيطاً لا تغطيه أشكال وألوان مصيرها إلى الفناء . هذى مراحل الحب يقطعها فى البحث عن ضالته ، وشفاء لغليله ، فهو واسطة ومساعد يحفز النفس إلى الكمال ، ويهيج الذكرى القديمة : ذكرى المثل والحياة السماوية الأولى ، ذكرى الفردوس المفقود تحن إليه بكل جوارحها . فالمحب الحقيقى الكامل هو الفيلسوف يزدرى الجمال الزائل الذى يملأ النفس جنوناً ليتملق بالجمال الدائم . »(١)

وبعد فذلك تأمل أفلاطون ، فلسفة تمتزج بالوجدان : فيها تطلع إلى الجمال ، فيها حنين إلى عوالم مبتغاة ، فيها ذكريات وحب وأمل نبيل . ولاعجب فقد زاول أفلاطون الشعر فى شبابه ثم صرفه عنه أستاذه سقراط .

وهذا برجسون فى العصر الحديث يتميز أسلوبه بطابع رقة وروح فنية تتبدى فى منهجه الفلسفى الذى يسلكه فى الوصول إلى الحقيقة ، مقابلاً به منهج الاستدلال العقلى الذى يشوه الواقع ولا يزودنا منه إلا بوجهة نظر سطحية تجريدية ؛ ذلك هو منهج الحدس أوالذوق (intuition) كما يحلو للبعض أن يسميه . ويعرفه برجسون بأنه نوع من التعاطف العقلى يتعمق المرء بواسطته كنه الأمور وجوهرها .

وابن سينا — الشيخ الرئيس -- يصوغ نظريته فى النفس وخلودها وسبق وجودها على الجسد فى قصيدته العينية المشهورة

---

(١) نقلا عن الأستاذ يوسف كرم فى تاريخ الفلسفة اليونانية.

التي يبين فيها كيف هبطت النفس إلى الجسد من عالم آخر على الرغم منها ، وكيف سجنت في ذلك الجسد ، وكيف تسعى إلى التحرر منه ، والعودة ثانية إلى العالم النائي ، عالم الروح الخالد .

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تمنع وترفع
محجوبة عن كل مقلة ناظر وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهي ذات توجع

* * *

إن كان أهبطها الإله لحكمة طويت عن الفذ اللبيب الأروع
فهبوطها لا شك ضربة لازب لتكون سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية في العالمين فخرقها لم يرقع

ذلك شعر وخيال ، ومع ذلك فقد كان الشيخ الرئيس فيلسوفاً لأنه يأبى إلا أن يبرهن على روحانية النفس وجوهريتها وخلودها برهنة منطقية .(١)

أما محي الدين بن عربي ، زعيم التصوف الفلسفي في الإسلام فيتسوغ جل مذهبه قصائد شعرية ، زاخر بحار الوجدان ، مشبوب العاطفة ، يعبر عن نظرية وحدة الوجود التي ترى الكون والله كائناً واحداً لا وجودين منفصلين ، وترى كل موجود مظهراً من مظاهر الله أو مجلى يتجلى به الله لعباده حتى ليستوي في نظره كل موجود ويتحد كل دين ، يقول :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

* * *

وبعد فلست أريد أن أقحم نفسي في الأدب فأتمثل بشعر أبي العلاء المعري أو رباعيات عمر الخيام أو أناشيد طاغور الصوفية لأبين بعض ما تنطوي عليه من فلسفة عميقة تكسب شعر هؤلاء رصانة وتزيده رونقاً وبهاء . إنما أريد أن أخلص إلى أن النشاط الفكري تيار معقد متشابك متعدد الاتجاهات ، وهو مع ذلك تيار دائب الحركة مستديم الفوران . فالعقل منذ نشأته ، يحاول معرفة الواقع كما هو ، وإرجاع المعلول إلى علته أو كشف الستر عن غايته . فإن كان الإنسان طفلا في بداوة الفكر وطراوة الذهن فالخيال مزود إياه بتفسيرات لا أساس لها من الصحة ، والإيمان مثبت لتلك التفسيرات لا لشيء إلا لأنها تصادف هوى في نفسه ، فلا يصبح — وقد آمن — في حاجة إلى البحث عن دليل أو برهان . وما الداعي إليهما وقد اطمأن قلبه إلى ما وصل إليه من تفسير . ألا ترى إلى المصري القديم مطمئناً كل الاطمئنان إلى خلوده ؟ لا خلود روحه فحسب ، بل خلود جسده أيضاً ؟ واثقاً من البعث حيث يلقى جزاء ما كسب وحساب ما اكتسب ؟ حيث يستمتع بما استمتع به في هذه الحياة من نعيم ، بل حيث يلقى العوض عما حرم منه فيها من سراء ؟!

ما سر يقينه ذلك الذي لا يقبل الشك ؟! رغبة في الخلود قابعة في كل نفس ، وسعي خفي إلى اللذة الكبرى التي تقصر عنها حياة الأرض القصيرة الغاصة بالمتاعب والآلام . رغبة محتدمة ، وهوى مستبد ، وطموح متطلع إلى المجهول ، تسخر جميعها المطية الذلول ، الخيال ، ليفسر الكون ويكشف عن سر الوجود . بيد أنه عندما تكثر المعارف الواقعية وتبدو الحقائق الخافية ، ويكتشف الإنسان وهمه فضلاً عن جهله ، لا يجد مناصاً من مواجهة الواقع ، والسعي إلى رد المعلولات إلى العلل ، ونسبة المسببات إلى السبب ؛ تارة في تحرر نهائي من الأهواء وتنحية للخيال ، وتارة في تحرر جزئي منها دون تملك تام لناصية الأمور . إن فعل المرء ذلك قيل إنه عالم أو فيلسوف : عالم إن اكتفى بتقرير الواقع وإرجاع الظواهر المحسة إلى أسبابها ، وسعى إلى اكتشاف قوانين العالم الطبيعي دون غيره باستخدام منهج الملاحظة المباشرة والتجربة المحض ؛ وفيلسوف إن أوغل في التفسير متعدياً حدود العالم الطبيعي ، متجاوزاً البحث في الجزئيات إلى البحث فيما هو أعم وأرحب ، مستخدماً منهج البرهان المنطقي والاستدلال العقلي . أميز هنا بين الفلسفة والعلم برغم أن العصور القديمة بل والحديثة حتى مستهل القرن السابع عشر الميلادي لم تألف هذا التمييز فكانت جماع المعارف النظرية الحرة من الأسطورة تنضوي تحت كلمة فلسفة أو حكمة ؛ ولم يميز العقل الإنساني ذلك التمييز الحاسم بين شطري النشاط الفكري المتكامل ، إلا في مطلع القرن السابع عشر ، أي في أعقاب عصر النهضة بما خلق من نهضة علمية تجريبية قامت على أنقاض الاتجاهات الفلسفية التقليدية .

عبد المنعم المليجي
المدرس بمدارس حلوان الثانوية

(١) النجاة لابن سينا .

فزان بين يدي الأتراك والطليان

للأستاذ أحمد رمزي بك

— ٣ —

انسحاب الطليان من فزان في عام ١٩١٤ :

٢٤ — يفسر كتاب إيطاليا أن ظروف التعبئة العامة في إيطاليا أملت سياسة إخلاء المستعمرة من حامياتها في الداخل والاكتفاء باحتلال الساحل وبعدون هذا الانسحاب بمثابة نكبة كبرى على الدولة الاستعمارية ، فقد كان هروباً سريعاً أمام الخطى قوات السنوسيين الذين توغلوا في كل جهة

كانت برقة مهد السنوسية ولما اشتدساعدها امتدت حركتها إلى نواحي المستعمرة الأخرى فكان الجزء الجنوبي الممتد شمالي فزان من نصيب السيد محمد العابد ابن الشريف محمد ابن علي السنوسي الحسني الأدريسي الخطابي الذي بدأ الدعوة إلى الجهاد في تلك الجهات . وقد وجد السيد العابد أنصاراً له عديدين نفذوا أوامره وقاموا بنشر دعوته خير قيام منهم محمد مهدي السني ابن محمد ابن عبد الله السناري وهو من مواليد السودان .

٢٥ — وقد انتشرت دعوته حتى وصلت إلى قبائل الطوارق وانضم إليها كثير من زعماء الجنوب الذين بدأوا يهاجمون المواقع الحصينة التي كان يحتلها الفرنسيون والإيطاليون على السواء وكان أن تألفت حكومة بدوية تحت زعامة دينية حكمت هاتيك البقاع وبقيت تحتل فزان وأجزاء من الأراضي الفرنسية طول مدة الحرب الماضية حتى تقلص ظلها بسرعة غريبة حينما أرسل نوري باشا القائد التركي ثلاثة من الضباط المغامرين الذين نجحوا في استخلاص فزان والجهات المجاورة واستعملوا أساليب السياسة والدهاء والمفاجأة في تنفيذ أغراضهم .

٢٦ — وكانت أول غارة للثوار ضد حصن سبها الإيطالي في ليلة ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ إذ حصل الهجوم على الحامية ليلا حينما ملأ المجاهدون أسوار القلعة وسلطوا نيرانهم وأعملوا السلاح فاضطرت القوة للتسليم إلا من تمكن من الهرب تحت الظلام منسحباً إلى سخنا في الشمال . جاء في وصف هذه المعركة أن رصاص المهاجمين كان ينهمل على عساكر ارتيريا فتسمع أزيز الصابين كما نسمع أصوات الفيران التي أخذت في مصيدة .

ويقول الطليان أن السيد العابد هو المسئول عن مجزرة سبها إذا انتقل مسرعاً من الكفرة إلى واحة واو الكبير واتخذها مركزاً للدعاية وبعث منها بداعيته مهدي السني الذي دخل وادي الزلاف وهناك دعا الناس إليه وحرض القاتلين على مهاجمة الحصن حتى إذا نجحوا كان على رأس الغنائم وإذا فشلوا عاد إلى سيده بواو . ولما دخلوا الحصن واستولوا عليه فأصبح طريق فزان مفتوحاً أمامهم .

٢٧ — وما كاد يصل خبر الكارثة إلى السلطات الإيطالية حتى تيقنت بحلول الخطر على حامياتها الموزعة في فزان ، فبعثت بسيارات وصلت إلى مرزوق في ليل ديسمبر سنة ١٩١٤ حملت الضباط والجنود الأوربيين وتركت الحامايات المكونة من عساكر المستعمرات تتاقى بصدورها رصاص الثوار وهي التي تولى قيادتها جاويش عربي من متطوعي الفرق اليمنية اسمه محمد بن عبد الله من قبيلة بني حبيش .

ولاشك في أن تصرف السلطات العسكرية الإيطالية على هذا النحو كان مدعاة لسقوط هيبة إيطالية في الصحراء مدة من الزمن ولم تسترجعها إلا بعد مضي سنوات طويلة .

٢٨ — ولا بد أن نذكر شيئاً عن هذا اليمني المتطوع في صفوف الإيطاليين فهو قد بدأ خدمته في الصومال الإيطالي ضمن الجنود الذين اعتادت الحكومة الإيطالية تجنيدهم من عرب اليمن رغم أن هذا الجزء من أملاك الدولة العثمانية . وقد أظهر هذا اليمني تفانياً في خدمة إيطاليا إذ توجه في يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩١٤ إلى منزل الضباط بمدينة مرزوق فوجده خالياً لجزم بانسحابهم فقرر في نفسه أن يأخذ مكانهم ، وعاد إلى القلعة وأعلم الحامية بأن الطليان قد ذهبوا إلى الشمال في صدد تلقي أوامر جديدة صادرة إليهم بمداومة القتال وسيعودون ومعهم الإمدادات . وهكذا صمد هذا اليمني على رأس القوة المحاصرة بالقلعة مدة ١٦ يوماً أمام الثوار المحيطين به حتى اتصل بعض هؤلاء برجال الحامية وقرروا التسليم . وتذهب الرواية الإيطالية إلى أنه أخذ العلم الإيطالي الذي كان

يرفرف على القلعة وعاد به إلى منزله حيث حرقه أمام زوجته .

٢٩ — ولما وقع أسيراً أراد السنوسيون أن يستفيدوا من خبرته فى تدريب المقاتلين وتهيئتهم للحرب على طريقة الجيوش الإيطالية فأبى : وعُدّ إباؤه من مفاخره .

وإنما نسوق هذه الحادثة بالذات لأن المؤلفين الطليان اتخذوا منها دليلا على صلاحية التدريب العسكرى الإيطالى وتأثيره فى بعض النفوس من السكان الوطنيين والوصول بها إلى درجة التضحية فى خدمة الحكومة وتهمنا هذه الناحية بالذات ، فإن الفرنسيين قد برعوا فى تجنيد العناصر الملونة الأفريقية ، وتقدموا فى أساليبهم إلى درجة تقرب إلى الكمال فقد رأينا كيف يتعلم السنغالى القواعد الأولى بهوادة وصبر بحيث لا يتعد التعليم ساعة من النهار موزعة على دقائق معدودة تسمح لهذا الجند أن يستوعب دقائق الأسلحة بطريقة تغلب عليها قواعد علم النفس بحيث يخرج بعد أشهر وهو متحمس إلى الفرقة وللعلم ولفرنسا .

فالى الذين يتولون تدريب النشء على القواعد العسكرية نسوق هذه الأمثلة للتدليل على أن تجارب علم النفس هى التى يجب أن تسير على هديها للتغلب على المصاعب التى تواجهنا فى تهيأة منظمات الشباب وتدريب الجنود : إذ يصعب على النفس أن تقرر نجاح المستعمر الغاصب وقصور الأمم الفتية الناهضة .

٣٠ — هذه الناحية من حياة فزان طول عامى ١٩١٥ و ١٩١٦ تحت الحكم السنوسى تكلم عنها ضابط إيطالى وقع فى أسر السنوسية واعتقل فى معسكرى واو الكبير وواو الناموس وطبيعى أن معلوماته التى دونها فى يومياته مستقاة مما كان يصل إلى علمه من طريق الثوار الذين عاش بينهم .

أما الفترة العثمانية التى تولى فيها الضباط الأتراك حكم الولاية فستأتى فى القسم التالى وقد تخللها هجوم من المتطوعين وعمليات حربية داخل الأراضى الفرنسية فى الصحراء الكبرى وأراضى الجزائر والجزء الجنوبى من تونس وهى خارجة عن نطاق فزان وأشير على المهتمين بجهاد الأمم المظلومة والمغرمين بالتاريخ الحربى أن يقرأوا كتاب الكولونيل Larcher عن :

T , Empire Ottoman En Guerre

استيلاء الأتراك على فزان وانتزاعهم الجزء الجنوبى من مستعمرة ليبيا من أيدى حلفائهم السنوسيين

٣١ — ظهر فى أفق أفريقيا فى أواخر عام ١٩١٦ نورى باشا شقيق المرحوم أنور باشا إذ وصل إلى السلوم وتوجه منها إلى إجدابيه ثم غادر برقة فى غواصة أوصلته إلى مسراطة التى اتخذها مع من معه من الضباط الألمان والأتراك مركزاً لحركاتهم العسكرية ضد الإيطاليين وهى عمليات لا شك أنها خارجة عن موضوع فزان .

٣٢ — وكان نورى باشا[1] فى إجدابيه حينما عرضت عليه فكرة من تلك الأفكار التى لا يتركها تمر أمامه رجل مثله بدون أن ينفذها . وتتلخص هذه الفكرة فى أن مهمته فى طرابلس الغرب لن يلازمها التوفيق إذا لم يدعم جهاده بعمل حاسم فى الجنوب يرمى إلى احتلال مقاطعة فزان وتحريرها من السنوسيين حتى يتمكن من تهديد المستعمرات الأفريقية للحلفاء أى فرنسا وبريطانيا . باتجاه الصحراء الكبرى وشمال السودان المصرى .

لذلك أرسل بعثتين إلى الجنوب الأولى وجهتها الفكرة والثانية وجهتها فزان .

٣٣ — كانت بعثة فزان مكونة من ثلاثة ضباط : « إحسان ثاقب » و « سنوسى شوكت » و « محمد الأرناؤطى » . أما الأول فكان يوزباشياً من أهالى طرابلس وتخرج من المدارس العسكرية العثمانية وامتاز بقوة إرادة هائلة وكان الثانى من أهالى برقة تعلم فى مدرسة المدفعية وحصل على رتبة الملازم . أما الثالث فكان من الضباط المغامرين الذين لا يقف أمامهم عائق وهو من كريد.

٣٤ — فلنتصور قوة صغيرة تغادر إجدابيه وتتجه إلى الجنوب وتمر بالمراده وبير نعيم وزيلة وتكاد تهاجم من قطاع الطرق ونظراً لضعفها ، تمثل إلى انتزاع إقليم مثل فزان وتهدد منه المستعمرات الأوربية الأخرى .

فعلى الطريق الواقع بين أوجله ومرزوق افترق الثلاثة أبطال . أما أولهم فاتجه رأساً إلى عاصمة فزان حيث دخلها وأقام حكومة باسم السلطان بانضمام قوات السنوسيين إلى لوائه . أما الآخران فكانت وجهتهما واو الكبير حيث استقبلهما السيد العابد السنوسى

---

(١) توفى نورى باشا قتيلا فى حادث انفجار مصنع للذخائر الحربية : وهو صهر الأميرة المصرية عفت حسن : وجاء نعيه فى الجرائد المصرية عام ١٩٤٩ .

بحفاوة زائدة وأطلقت المدافع ترحيباً بهما وقدما إليه هدايا سلطان تركيا وفرمانا بمنحه رتبة الباشوية كما وزع النقود الذهبية على الجنود والأتباع .

وكان القصد من هذه الحركة الأخيرة إشغال السيد العابد حتى لا تتجه أنظاره إلى فزان وما يقوم به الضابط الثالث .

٣٥ — ولم يكد الضابطان يغادرا واو الكبير متجهين جنوباً حتى وصلت الأنباء بالحركة التى قام بها ثاقب فى مرزوق ولذلك وجه السيد العابد قوة من رجاله تحت قيادة صهره السيد العاشب زحفت على مرزوق وأجلت الأتراك عنها واستعملت كل وسائل العنف والتشريد مع الأهالى . ثم اتجهت شمالا إلى الأبيض حيث التقت مع القوة التى جمعها الضباط العثمانيين وهناك دارت معركة فاصلة انتهت بهزيمة السيد العابد وأسر صهره العاشب الذى حوكم على النهب والقتل الذى ارتكب فى مرزوق فأعدم شنقاً فى سبها ولما وصلت هذه الأنباء إلى السيد العابد غادر واو الكبير منسحباً إلى الكفرة .

٣٦ — إن هؤلاء الضباط من أهل طرابلس الذين تلقوا تدريباً عسكريا فى مدارس الأتراك قاموا بعمل من أعظم الأعمال فهم فرادى كان اعتمادهم على الجنود الوطنيين الذين جندتهم الدولة العثمانية فى السابق ثم على الجنود خدموا فى الجيوش الإيطالية وأخيراً حينما توصد شأنهم عرفوا كيف يضمون الجنود الوطنيين من المغاربة والطوارق والسنغال إلى صفوفهم .

٣٧ — إن هذه الصفحة خطيرة وهى تكاد تقنعنا بمخاوف الدول الاستعمارية فى أفريقية بأكلها إذا قدر لها أن تواجه فى المستقبل رجالا من هذا النوع فيهم التصميم والإرادة ومواجهة الأخطار ومن هذا نفهم جيداً مركز فزان فى القارة الأفريقية . لأن الذى يسيطر عليها بوسعه أن يملأ السودان والصحراء بالدعوة والدعاية التى يريدها ، ويهز الاستعمار الأوروبى

وقد جاء فى كتاب الكولونل لارشيه الذى أشرت إليه ذكر بعض عمليات ترتب عليها تسليم مراكز عسكرية فرنسية بعتادها فى الحرب العالمية الأولى .

٣٨ — ويشير صاحب كتاب طرابلس Sahara Tripolitauo أن الحكومة التى أنشئت بفزان استطاعت أن تربط مرزوق بخط تلغرافى مع مسراطة باستعمال زجاجات المياه المدنية لحمل الإسلاك وذكر أنه لجأ إليهم ولقى لأول مرة معاملة مدنية ورأى بعينه حركة القوافل والاتصال بين الشمال والجنوب وإلى رجالها يرجع الفضل فى ترحيله إلى مسراطه حيث ضم إلى معسكر الأسرى الإيطاليين فاتصل بالعالم لأول مرة وعرف أهله بوجوده حياً يرزق بعد أن كانوا قطعوا الأمل من حياته .

وقد بقيت فزان تدار بمعرفة هؤلاء مادامت حكومة مسراطه قائمة حتى أمضيت الهدنة ١٩١٨ فانسحب الألمان والأتراك ثم رأس الحكومة « رمضان الشتوى » ثم ساد فزان عهد من الفوضى نتيجة للنزاع الداخلى .

٣١ — وفى سنة ١٩٢١ جاء « فولبى » حاكما المستعمرة فاتجه إلى احتلال مسراطة ثم أقرت الحكومة الفاشستية سياسة القمع والفتح والتشريد فأخذت ١١ عاماً بين ١٩١٨ و ١٩٢٩ للوصول إلى فزان .

ومن دروس هذه الحقبة وتجاربها أخذت الدولة المستعمرة بمجرد استعادتها لهذه الأراضى تنفذ برنامجا واسعا لرصف الطرق ، وأنشأت حصونها على أحدث طراز منها Forte Elena الذى يعد أقوى الحصون الدائمة فى المنطقة وهو فى مدينة سبها . وسنرى فى القسم التالى مشاكل إيطاليا وقوادها مع فزان وأهلها.

(يتبع) أحمد رمزي

عبد الله بن مسعود

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

« وعاء ملئ علماً »
عمر بن الخطاب

الرحمن علم القرآن :

تلك قريش فى جبروتها متربصة بمن يجيب داعى الله ويشيد لمحمد بالرسالة . فما يلم به من آمن إلا فى خفاء ، ولا يتلو أحد ما أنزل الله إلا همساً أو من وراء جُدر . وإن قريشاً لتبالغ فى الإيذاء وتمعن فى العقاب ، يخشى ألسنتها من له قوم عديدون ، ويتوقى أذاها من حرم الكثرة والأتباع ، فكيف بمن لا أهل له ولا عشيرة . وأولئك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تسللوا إلى حيث يجتمعون وبينهم فتى يوشك أن يبلغ الحلم ، ذلكم هو عبد الله بن مسعود . قال أصحاب الرسول : والله ماسمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهم ؟ قال ابن مسعود : أنا ذلكم الذى يجهر لهم فقالوا وهم يرون جسمه الذى تقتحمه العين لفتى ما له فى مكة من ركن شديد : إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلا له عشيرة تمنعه من القوم إذا أرادوه فقال : دعونى فإن الله سيمنعنى .

وما راع قريشاً فى أنديتها ضحى ذلك اليوم إلا صوت يتردد فى جوانب البيت ينبعث من عند مقام إبراهيم : « بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ... » واستقبل السورة يرتلها فتأملوا صاحب الصوت فإذا هو عبد الله ابن مسعود ، فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون : ما يقول ابن أم عبد ؟ فأجاب منهم مجيب : إنه يتلو ما جاء به محمد ، فاندفعوا إليه يضربون وجهه ، ولكنه ما يكف بل جعل يقرأ وهم يضربون حتى بلغ ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثرت بوجهه ضربات القوم ولطماتهم ولعل أشدها كانت لطمة عدو الله أبى جهل . قال له أصحاب الرسول وقد رأوا حاله : هذا الذى خشيناه عليك فقال : ما كان أعداء الله قط أهون علىّ منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً قالوا : حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون

إنك غلام معلم :

كان أبوه مسعود وأمه أم عبد قد تركا قومهما هذيل الذين يسكنون جبل السراة قريباً من الطائف وأقاما بمكة حيث حالف مسعود عبد الله بن الحارث بن زهرة خال زوجه أم عبد والدة عبد الله بن مسعود ، ولما صار غلاماً يافعاً اشتغل برعى الغنم لعقبة ابن أبى معيط من سادات قريش ، وبينما هو قائم كعادته أقبل رسول الله ومعه أبو بكر فقال يا غلام هل معك من لبن ؟ قال : نعم ولكنى مؤتمن ، فقال له ائتنى بشاة لم تحمل ولم تلد ، فأتاه بواحدة فجعل الرسول يمسح ضرعها ويدعو الله حتى درت فأتاه أبو بكر بإناء فاحتلب فيه ثم قال لأبى بكر: اشرب فشرب أبو بكر ثم شرب النبى صلى الله عليه وسلم بعده ، ثم قال للضرع : اقلص فقلص فعاد كما كان . هذا وعبد الله يشهد ويسمع فقال : يارسول الله علمنى من هذا الكلام فمسح رأسه وقال : إنك غلام معلم .

لقد أسلم عبد الله فكان من السابقين وترك غنم عقبة فأخذه الرسول وجعله فى رعايته ، فلقد كان أبوه حليف أخوال الرسول وإن جدته لتمت بصلة القرابة إلى أخوال الرسول ، وعقبة من رءوس الشرك ولن يبقى عليه بعد أن أصبح من أتباع محمد فكان يخدم رسول الله : يلبسه نعله ، ويمشى معه وأمامه ، ويستره إذا اغتسل ، ويوقظه إذا نام . حدث أبو موسى الأشعرى قال : لقد قدمت أنا وأخى من اليمن ، وما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبى عليه الصلاة والسلام . وتمر الأيام ويشتد أذى قريش للمسلمين فيهاجر جماعة منهم إلى الحبشة وفيهم عبد الله ثم يهاجرون إلى المدينة ومعهم عبد الله .

هذه رأس أبى جهل :

نحن فى العام الثانى من هجرة الرسول فى غزوة بدر الكبرى وهذا أبو جهل ملقى بين الجرحى وقد أمر الرسول أن يلتمس فى القتلى فوجده عبد الله بن مسعود بآخر رمق فوضع رجله على عنقه قال أبو جهل لقد ارتقيت يا رويعى الغنم مرتقى صعباً أخبرنى لمن الدائرة فقال لله ولرسوله وإنى قاتلك ، قال أما إن أشد شئ لقيته اليوم قتلك إياى فقتله وحمل رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل ، فقال الرسول : ألله الذى لا إله غيره ؟ ورددها ثلاثاً ، قال نعم ، ثم ألقى رأســه بين يدى الرسول فحمد الله تعالى وسجد شكراً له .

لقد عاش عبد الله حياة الرسول مقرباً منه أثيراً عنده قال له مرة : اقرأ علىّ سورة النساء ، فقال : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : إنى أحب أن أسمعه من غيرى ، فقرأ عبد الله حتى بلغ : « فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ، يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً » ففاضت عيناه صلى الله عليه وسلم

وأمره مرة أن يصعد شجرة فيأتيه بشئ منها فنظر أصحاب الرسول إلى حموشة ساقيه — أى دقتهما — فضحكوا ، فقال النبى : ما يضحككم ؟ لَرِجْلا عبد الله فى الميزان أثقل من أحد

فى أيام الخلفاء :

كان عبد الله فى حياة أبى بكر مع الجيوش التى سارت إلى الشام ، وكان موكلا بأمر الغنائم وشهد موقعة اليرموك ، ثم رجع إلى المدينة فكان مقرباً إلى عمر ، قال زيد بن وهب : إنى لجالس مع عمر إذ جاءه ابن مسعود ، يكاد الجلوس يوارونه من قصره ، فضحك عمر حين رآه فجعل يكلم عمر ويضاحكه وهو قائم ثم ولى فأتبعه عمر بصره حتى توارى ، فقال : « وعاء ملئ علماً » ولما أنشئت الكوفة ، كتب عمر بن الخطاب إلى أهلها : « إنى قد بعثت عمار بن ياسر أميراً ، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أهل بدر ، فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسى »

ظل عبد الله بالكوفة حياة عمر ، وزمناً من أيام عثمان ، فلما كادت فتنة القراءات تقع بين المسلمين ، كلف عثمان جماعة من الصحابة وعلى رأسهم زيد بن ثابت أن ينسخوا المصحف الذى جمع أيام أبى بكر ، وأرسل عثمان إلى مكة والكوفة والبصرة ودمشق ما نسخ بعد أن أبقى مصحفاً بالمدينة سمى المصحف الإمام وعين زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدنى ، وبعث عبد الله بن السائب مع المكى ، والمغيرة بن شهاب مع الشامى ، وأبا عبد الرحمن السلمى مع الكوفى ، وعامر بن قيس مع البصرى ، وأمر أن يحرق ما عدا هذه الخمسة المصاحف إذ كان فيما عداها بعض الاختلاف اللفظى الذى كان مأذوناً فيه من قبل توسعة على المسلمين. حينئذ تأثر عبد الله بن مسعود لأنه كان يرى نفسه أولى من زيد بن ثابت بالإشراف على نسخ المصاحف ، ولعله كان يرى أن يستمر جواز ما كان مأذوناً فيه ؛ يضاف إلى هذا أن له مصحفاً فيه بعض الاختلاف ، ويتناوله الأمر بالإحراق ، هذا إلى أن كثيراً من التابعين من أهل الكوفة تلقوا عنه فقال : لقد علم أصحاب محمد أنى أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم ولو أنى أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله منى تبلغنيه الإبل لأتيته . وقال : لقد أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة — وفى رواية سبعاً وسبعين — وإن زيد بن ثابت لصبى من الصبيان » لكن خشية الفتنة التى أطلت برأسها وخوف أن يدخل فى القرآن ما ليس منه والحرص على وحدة المسلمين جعل سيدنا عثمان ومن حوله من كبار الصحابة لا يعبئون بأى اعتراض ، ولقد سبق أن كلف أبو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن فى مصحف واحد مما كان مكتوباً ، وشهد شاهدان أن هذا المكتوب هو عين ما سمعه كاتبه من فم الرسول فلم يبد عبد الله بن مسعود اعتراضاً لأن ذلك كان جمعاً للقرآن خوفاً عليه من الضياع بوفاة حفاظه ، ولم يأمر أبو بكر بالاقتصار على ما جمع وحرق ما عداه مما كتبه آخرون أو حفظوه ، أما سيدنا عثمان فقد ألزم الناس — وهو محق — بالاقتصار عليه وعبد الله يعلم أن جامعه هو زيد بن ثابت ويرى أنه أولى منه لسبقه فى الإسلام ويعلم أن الرسول انتقل إلى الرفيق الأعلى والصحابة يقرأ كل منهم كما علم لهذا كان منه ما قال.

قال ابن شهاب الزهرى : بلغنى أن رجالا من أفاضل الصحابة كرهوا مقالة عبد الله بن مسعود . وقال الحافظ ابن حجر فى شرحه على صحيح البخارى : والعذر لعثمان فى ذلك أنه فعله بالمدينة وعبد الله بالكوفة ولم يؤخر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر وأيضاً فإن عثمان إنما أراد نسخ الصحف التى كانت جمعت فى عهد أبى بكر وأن يجعلها مصحفاً واحداً ، وكان الذى نسخ ذلك فى عهد أبى بكر هو زيد بن ثابت لكونه كان كاتب الوحى فكانت له فى ذلك أولية ليست لغيره »

ولقد بلغ سيدنا عثمان ما قاله عبد الله ، فأرسل إليه يأمره

بالقدوم عليه بالمدينة ولعله خشى أن يظل فى العراق يلقن مصحفه الذى يدخل تحت إباحة « أنزل القرآن على سبعة أحرف ... » فاجتمع الناس على عبد الله بالكوفة فقالوا : أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شىء تكرهه فقال عبد الله : إن له علىّ حق الطاعة ولا أحب أن أكون أول من يفتح باب الفتنة » وتوجه إلى المدينة واستغنى عما كان مفروضاً له من العطاء .

دخل عليه مرة عثمان يعوده فى مرضه فقال له ما تشتكى ؟ قال : ذنوبى . قال : فما تشتهى ؟ قال : رحمة ربى . قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضنى . قال : ألا آمر لك بعطاء ؟ قال : لا حاجة لى فيه . قال : يكون لبناتك . قال : أتخشى على بناتى الفقر ؟ إنى أمرت بناتى أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة . إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قرأ الواقعة كل يوم لم تصبه فاقة أبداً » فلما توفى رضى عنه سنة ٣٢ هـ دفع عثمان مجموع ما كان مفروضاً له وامتنع عنه إلى ورثته . وقال أبو الدرداء حينما بلغه موت عبد الله : ماترك بعده مثله

مصحفه وبعض قراءته :

أجمع الأئمة على أن ترتيب الآيات توقيفى فقد كان بأمر الرسول جاء به جبريل من الله العزيز الحكيم أما ترتيب السور فالصحيح أنه ليس توقيفياً ، ولهذا اختلفت مصاحف الصحابة فى ترتيبها فمصحف علىّ كان مرتباً حسب نزول السور يبدأ بالمكى ثم المدنى وأكتفى بذكر ترتيب السور العشر الأولى من كل مصحف ، ولمن شاء المزيد أن يرجع إلى الإتقان وكتاب المصاحف .

المصحف المشهور	مصحف أبى	مصحف ابن مسعود	مصحف على
١ — أم الكتاب	أم الكتاب	البقرة	اقرأ
٢ — البقرة	البقرة	النساء	ن
٣ — آل عمران	النساء	آل عمران	المزمل
٤ — النساء	آل عمران	الأعراف	المدثر
٥ — المائدة	الأنعام	الأنعام	اللهب
٦ — الأنعام	الأعراف	المائدة	والشمس
٧ — الأعراف	المائدة	يونس	الأعلى
٨ — الأنفال	يونس	براءة	والليل
٩ — براءة	الأنفال	النحل	والفجر
١٠ — يونس	براءة	هود	والضحى

وهذه مقارنة بين بعض ما روى من قراءة عبد الله والقراءات الصحيحة السند المشهورة :

القراءة الصحيحة السند	ما روى من قراءة ابن السعود
١ — اهدنا الصراط المستقيم	ارشدنا الصراط المستقيم
٢ — صراط الذين أنعمت عليهم	صراط من أنعمت عليهم
٣ — فأزلهما الشيطان عنها	فوسوس لهما الشيطان عنها
٤ — إن البقر تشابه علينا	إن البقر متشابه علينا
٥ — وإثمهما أكبر من نفعهما	وإثمهما أكثر من نفعهما
٦ — إنما وليكم الله ورسوله	إنما مولاكم الله ورسوله
٧ — والمتردية والنطيحة	والمتردية والمنطوحة
٨ — لا يظلم مثقال ذرة	لا يظلم مثقال نملة
٩ — إن كانت إلا صيحة	إن كانت إلا زقية
١٠ — كالعهن المنفوش	كالصوف المنفوش

تلاميذه وأثره :

لعبد الله بن مسعود أثر فى قراء الكوفة سواء كانوا من السبعة أم من العشرة ، أم من الأربعة عشر فقد تلقى عنه عاصم ابن ضمرة والحارث بن عبد الله وزر بن حبيش وأبو عبد الرحمن السلمى وأبو عمرو سعد الشيبانى وعبيدة بن عمرو والأسود بن يزيد ومسروق بن الأجدع وزيد بن وهب وعلقمة بن قيس وعبيد ابن نضلة وأبو الأسود الدؤلى . وإلى هؤلاء — الذين انفرد بعضهم بالأخذ عنه ، وبعضهم جمع إليه الأخذ عن غيره من الصحابة والتابعين — تنتهى قراءة عاصم وحمزة والكسائى من السبعة وخلف من العشرة والأعمش من الأربعة عشر هذا إلى جانب ما تلقوه من رواة آخرين عن صحابة مختلفين .

لكن هؤلاء الذين رووا لنا قراءة [1] ابن مسعود وغيره اقتصروا على ما وافق الرسم العثمانى وتركوا ما خالف ذلك تبعاً لأمر الخليفة واتباعاً لإجماع المسلمين فأصبح ما يروى مخالفاً للرسم العثمانى من قراءته وقراءة غيره كأبى بن كعب وعلى وسعد بن أبى

(١) يمثل قراءة ابن مسعود الصحيحة الموافقة للرسم العثمانى رواية أبى بكر شعبة عن عاصم أحد القراء السبعة حيث قال عاصم لحفص : ما أقرأتك هو ما تلقيته عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على وما أقرأته لشعبة هو ما تلقيته عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود .

عود على بدء :

من الأعمــــاق

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٢ —

كتبت فى العدد ٨١٩ من « الرسالة » الغراء قصة « من الأعماق » ، وتركتها — كما هى فى الحياة — بدون خاتمة ، وانتظرت رأى عقل القارئ المزيز لعله ينير السبيل لقلبين ، فانثالت علىَّ الرسائل من كل ناحية ، فاجتمع لى منها آراء أعرض بعضها على صفحات « الرسالة » . وأنا — إذ أفعل — أدير الكلام على طريقتى وأسلوبى ، لى الأسلوب والأداء ، ولأصحاب الرسائل الرأى والفكرة :

جاء فى رسالة الأديب عيسى الأشعرى بأسيوط — بعد كلام طويل — ما يأتى :

سيدى — يا حضرة الضابط الفاضل — أنت تؤمن بأنك رجل حرب لا تعرف إلا الفوز فى المعركة أو الموت . فدعنى أجثو أمامك فى خشوع وأنحنى لك فى احترام ، أنشق عبير روحك الوثابة ، وأقبّل ثرى وطئته قدمك الطاهرة ، وأستمتع ساعة باستجلاء طلعتك الصارمة ، أحيى فيك الشجاعة والشهامة والرجولة . وحين رجعت إلى أرض الوطن الغالى — عائداً من الميدان — رأيتك يا قلب مصر النابض ، وأملها البسام ، وعلمها الخفّاق ، تخفق لك قلبى واهتزت مشاعرى ، لأنك رجل حرب لا تعرف إلا الفوز فى المعركة أو الموت . آه لو استطعتُ فاقتحمت هذا الجمع الزاخر وهو يفور ويضطرب لأقف بين يديك أقدم لك نبضات قلبى ووثبات فؤادى وصلوات روحى !

تلك هديتى إليك ، فقلبى قد تفتح عن تقدير لك وإجلال ، وفؤادى قد انتشى بعطر إيمانك الزكى ، وروحى قد هفت نحو زهرات شبابك النضير المتألق . فأنت بعثت فينا — من أطواء الزمن — روح العزة والكبرياء .

لقد قلت لى — إذ ذاك — : « إننى أنا القنبلة التى يقذف بها عاهل البلاد العظيم فى وجه العدو فتتفجر هدّامة مدمرة ، وأنا المدفع يطلقه القائد الأعلى على صفوف الطغاة فلا يخطئ ولا يخيب ، وأنا السيل العرم الذى يتدفق فيجرف فى تياره الجناة وإن عتوا وتجبروا » .

هذه الشجاعة ، وهذه العقيدة ، وهذا الإيمان ، كل أولئك — يا سيدى — أشرقت نوراً يتلألأ على جبين الوطن فينعكس على صفحات التاريخ فخراً تنحنى له هامة الزمن ، وتخضع أعناق الجبابرة ...

وحين سلت سيفك زها وأشرق تاريخ الوطن ، وثارت حميته ، وتأججت كبرياؤه ، وتألقت فيه روح الحرية . وحين قذفت فى الميدان بالحديد والنار ، ارتد العدو على أدبارهم خاسرين ، وانهزموا أمام عزمك صاغرين ، وفزع كل ذى طمع ، وذعر كل ذى مأرب . وحين أصررت وتقدمت فى شجاعة ، وصبرت فى إيمان — حينذاك — انطوى العالم بين جناحيك فى ذلة

وقاص وابن عباس وغيرهم يستدل به فى التفسير ويستعان به فى التشريع ولا يعول عليه فى الصلاة والعبادات مع العلم أن هؤلاء السابقين وغيرهم وافقوا عثمان وأقروه ولزموا ما وافق رسم المصحف الإمام والواقع أن ماروى عنهم مخالفاً له لاتتفق فى ضبطه الروايات ما ذلك إلا لهجران الأئمة الثقات تحمل روايته وتكلف حفظه والعناية بتحقيقه فأصبح سنده منقطعاً . وشرط صحة التعبد بالقرآن أن يكون صحيح السند إلى جانب ما اشترطوه من موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وموافقة العربية ولو بوجه من الوجوه ، أما اختلاف القراءات السبع وغيرها من القراءات الصحيحة فيرجع السبب فيها إلى أن الجهات التى وجهت إليها المصاحف التى أمر بنسخها سيدنا عثمان كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة ، فلما أمر بحرق ما عدا تلك المصاحف وأن يسيروا على رسم واحد ثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً من الصحابة بشرط موافقة الرسم العثمانى ولو احتمالا وتركوا ما يخالف الخط امتثالا لأمر عثمان الذى وافقه عليه الصحابة لما رأوا فى ذلك من الاحتياط للقرآن؛ فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار مع كونهم متمسكين برسم وخط واحد .

عبد الستار أحمد فراج
المحرر بالمجمع اللغوى

وصفار ، وصمتت ألسن كانت لولاك سليطة بالباطل ، جريئة على الحق . فدعنى — يا سيدى — أجثو أمامك فى خشوع ، وأنحنى لك فى احترام ، لأنك رجل حرب لا تعرف إلا الفوز فى المعركة أو الموت !

هذا أنت — ياسيدى — فى نفسى ، أما هذه المعركة القلبية ، فأنت إن ظفرت بها خسرت هدوء قلبك وراحة نفسك . غداً يجذبك عملك الشريف عن دارك فتذر زوجك وحدها ، فتذهب وما فى خيالك سوى خاطرة واحدة ، فأنت ما تبرح ترى بعينى قلبك شبحاً يضطرب حول دارك يوشك أن يلجها فى غيبتك . سيثور بك الشك ، وتلتهمك الريبة ، وتصفعك الغيرة ، فتعيش فى حيرة قاتلة تصرفك عن الواجب المقدس . فدع الفتاة تنطلق إلى فتاها ، وفى الأرض مراغم كثير وسعة .

ستقول : هـذه فتاة عاقلة متعلمة تقضى حق الزوج وترعى واجبها ، وهى من بيت راسخ الأرومة طيب الجرثومة ، يتدفق فى عروقه دم الشرف والإباء والكرم منذ الجد الأول . ولكن هل لها غير قلب المرأة وعاطفة الأنثى وروح الإنسان ؟ ستخلو حيناً إلى نفسها تحدثها حديثاً طويلا لو اطلعت عليه لوجدت مس الفزع والرعب فى نفسك ... فدع الفتاة تنطلق إلى فتاها ...

وإذا انكشفت القصـة كلها أمام الأب فرأى نوازع قلب ابنته سافرة واضحة ، فإن تجاربه ستدفعه حتما إلى أن يتلمس لها السعادة التى تريد ، وسيضن بها أن تقضى عمرها فى مضطرب من الأفكار يعصف بها اليأس ويقصمها الأسى !

***

وفى رسالة الأستاذ محمـد أحمد شكم المدرس بمدرسة سعيد الأول باسكندرية رأى يشبه رأى الأديب الأشعرى .

***

وإن فى رأى صديقى الأستاذ عباس خضر المنشور فى العدد ٨٢٠ من « الرسالة » حلا سيكولوجياً عجيباً ، فهو يرى « أن يبتعد عادل قليلا ويترك المعركة تدور بين كرامة جلال — ولا بد أن يستشعرها مع الزمن والتكرار — وبين فتور إلهام وإعراضها عنه ، ويبعث عادل بالمدد إلى قلبها من بعيد ، وسترى الأم سوء حال ابنتها فتشفق عليها وتتحول إلى جانب عادل فتكون عاملا مهماً فى إنهاء الموقف ، بحيث يرى الضابط ضرورة فوز كرامته فى المعركة بالانسحاب ... »

***

هذا رأى العاطفة والقلب ، أما أصحاب الرأى الثانى ، رأى العقل والمنطق ، ففى مقدمتهم الأديبة الآنسة سلوى الحومانى ، ففى رسالتها يتحدث عقل المرأة وقلبها فى وقت معاً ، فكلامها ثائر هادئ ، يطمن فى هوادة ويصفع فى رفق ، وهى قد استهلت رسالتها بقولها : وإنى أشكر كاتب قصة « من الأعماق » ، لأنه أتاح لى فرصة أخوض فيها غمار هذا الموضوع وهو من صميم الحياة . إن الفتاة لتجد حرجاً كبيراً فى أن تتحدث — علانية وفى صراحة — فى مثل هذا الموضوع ، لأنها تشعر فى قرارها بالرجعية العقلية تدفعها عن هذا المضمار ؛ وهى حين تتنحى عن إبداء الرأى ترتـكب خطأين : الأول ، أنها تذر الموضوع يفقد نصف الحيـاة حين يفقد نصف الرأى . والثانى ، أنها تفر من ميدان الحياة وهو ميدانها .

ثم تتدفق بعد ذلك تقول : ... ويجب أن ينسحب عادل من هذا الميدان ، فهو يغالط نفسه حين يزعم أنه يحب الفتاة حب قلب وعاطفة وتضحية ، وهو لو صدق لما انقطع عن زيارتها سنة كاملة ، لأن « أباها نهاها عن أن تدخل حجرة فيها الأستاذ عادل ، إلا أن يؤذن لها » .

هذا — ولا ريب — سبب تافه ضئيل لا يستطيع أن ينهض عذراً لمن يحب فينطوى سنة كاملة عن مَنْ أحب . لقد أراد أن يثأر لـكرامة خدشت — كزعمه — فهل عجز عن أن يلقى فتاته خفية وفى مأمن من الرقيب ، أو قعد عن أن يرسل إليها رسولا يحدثها حديث قلبه وينشر عليها ذات نفسه ، وهو رجل ذو حيلة ورأى ؟ لقد كان يستطيع أن يفعل لو أراد ، فإذا ضاقت به الحيلة أو خانه الرأى ، انطلق إلى أبيها فى غير ونى ولا تريث يكشف أمامه رغبة قلبه وأمل حياته ، أو طار إلى أبيه هو يخبره الخبر كله ، ولـكنه لم يفعل شيئاً ، بل وقف على حيد الطريق ينظر إلى الركب وهو يسير ، ثم يزعم — بعد ذلك — أنه يحب فتاته حب

قلب وعاطفة وتضحية .

والفتاة أيضاً كاذبة فيما تزعم ، فهى تتصنع لفتاها وما بها سوى التصنع ، ولو أنها أحبت له حباً صادقاً لما وافقت — بادئ الرأى — على أن تتزوج من جلال ، ولاستطاعت أن تجد التعلات والأسباب لترفض أو تؤجل ، ولما قالت لعادل تعتذر : « وخفتُ أن أطرد خطيبى فأتخلف عن الركب ، وإن شبح ابنة عمى ليضطرب فى ناظرى كلما ذكرت الخطبة والزواج ، فهى قد تأبت حيناً على الزوج أنفة منها وصلفاً . وهى الآن قد أشرفت على الأربعين ولما تجده ، لقد فاتها الركب ، وتخلفت عن القافلة » .

هذا حديث خلو من الروحانية القلبية ، لا يحمل عاطفة ، ولا ينبض بإحساس .

هذا نوع من الحب فيه فورة الشباب وجموح العاطفة فحسب ، والحب فى أى صورة من صوره لا يصح أن يكون أساساً للسعادة الزوجية ، لأنه ضعف عقلى يسيطر على الفتى والفتاة فى سن الطيش والاندفاع ، فيتمثل لهما صوراً أخاذة وأضواء خلابة تخطف البصر وتخلب اللب .

ولا عجب ، فإن بناء أساسه هذا الضعف يوشك أن ينهار !

وأخيراً ، إن فتاة فى الثامنة عشرة من سنى حياتها لا تستطيع أن تختار فتاها اختياراً فيه الرأى والعقل والتجربة .

لقد اختار أبوها ، اختار برأيه وتجاربه وأبوته ، وهى ألقت السلم لرأى أبيها — بادئ ذى بدئ — فلو أن عادلا ظل منزوياً لأصبحت إلهام زوجاً لجلال لا تلقى بالا إلى من زعمت بأنها تحبه .

والآن ، كيف يخول عادل لنفسه أن يقتحم باب الفتاة ليغريها بأمر ، وكيف تطاوعه هى ، وهى توشك أن تكون زوجاً وربة دار ، فليستشعر عادل رجولته وإنسانيته ، وبذر العش ترفرف عليه أجنحة السعادة والطمأنينة ...

***

وكتب الأديب صبرى علوان بجامعة فؤاد ما يأتى :

إن القصة التى ذكرت — ياسيدى — هى قصة صديق لى هو فى نفسى أخ ، وفى قلبى حبيب . وهو رجل فيه الرجولة والإنسانية ، وفيه القوة والفتوة ، فيه العلم والأدب ، وفيه الرقة والظرف ، وهو موظف حكومى لا يملك غير راتبه ، وموظف الحكومة الآن رجل فقير لا ترمقه عين ، ولا يغبط على حال . أما هى ففتاة فى مستهل الحياة ، مشرقة كالضحى ، ندية كالفجر ، رشيقة كالغصن ، نضيرة كالزهرة ، تتأرج عطراً وحياة وجمالا ... جمعهما الحب وتعاقد قلباهما على أمر . ثم جاء الفتى الثانى يخطب الفتاة إلى أبيها وبين يديه الثراء والشباب والجاه ، فوافق الأب ، واستسلمت هى ... وترامى الخبر إلى صاحبى ، فتوارى إلى الأبد عن عينى فتاته حين أحس أنها ستجد السعادة والرفاهية فى دار خطيبها ... توارى وفى قلبه الأسى والكمد ، وضحى بقلبه فى سبيل من أحب ... فهل يستطيع عادل أن ينسج على هذا المنوال؟

***

وقال « فتى الأندلس » فى رسالة افتتحها بتحية حارة مشكورة إلى كاتب « من الأعماق » :

.. وإلهام فتاة عاقلة حصيفة تفحص الأمور بعقلها فحسب ، ودليلى على ذلك قولها : « وحين وافقتُ على رأى أبى كنت قد خشيت أن تكون قد طردتنى من نفسك لأنك نأيت عنى » ... فهى إذن قد هفت نحو جلال ، واستشعرت ميلا له ، ونسيت عادلا . أما العاطفة التى بدت لعادل منذ أن كان وكانت ، فلم تكن حباً عميقاً يسمو على النوازع المادية ، ويعلو على الخواطر الأرضية ، بل كانت ألفة عقلية استشعراها لأنهما عاشا صديقين حيناً من الزمن . لهذا أرى أن ينسحب عادل ليذر الحياة تنطلق بالخطيبين إلى غايتها .

***

هذه آراء بعض صحابى من قراء « الرسالة » ، وللباقين — ممن تنطوى آراؤهم تحت هذه المعانى — تحيتى وشكرى ، ثم عذرى عن أن أذكر حديثهم .

أما رأى الحياة فى هذه المشكلة ، فسأقصه فى العدد القادم — إن شاء الله — ولطالما امتدت يد الحياة إلى مشاكلنا لتحلها بطريقة عجيبة تسخر من المنطق البشرى ...

كامل محمود حبيب

إيوان كسرى

للأديب كاظم المظفر

ازدهرت الدولة الفارسية فى عهدين من عهودها التاريخية المهمة: العهد الأول، أيام سابور المعروف بـ « ذى الأكتاف »؛ والعهد الثانى، أيام الملك العادل كسرى أنوشروان. فقد تنازع هذا مع ملك روما الذى كان العدو الأول للفرس وأول منافس لكسرى. وقد حاربه وتغلب عليه فى عدة مواضع بعد أن واصل هل زحف جيشه إلى مجاهيل أفريقيا واليابان والصين والروس فأصبحت إمبراطوريتهم من أعظم إمبراطوريات العالم.

وكانت عاصمة ملكهم « طيسبون »[١]. وذلك أيام الملوك الساسانية وكثير ممن سلف من ملوك فارس الأولين. وتقع هذه المدينة فى الجانب العربى للمدائن من أرض العراق، ولكن سابور بن هرمز حوّل العاصمة إلى الجانب الشرقى من المدائن، وسكن هناك بعد أن بنى الإيوان المعروف بـ « ديوان كسرى » لهذه الغاية[٢] ... وإنما سمى الأيوان باسم كسرى دون أن يسمى باسم بانيه سابور لما أدخل عليه الثانى من محسنات كثيرة فى هيكله كالزخرف والنقش وإقامة التماثيل بعد أن أتم الأماكن الناقصة من بناء هـذا الإيوان، إذ لم يتسن لسابور إتمام بنائه قبل موته.

والإيوان ينبئنا عما وصلت إليه الحضارة الفارسية من تقدم ورقى وازدهار. وفى ذلك يقول الخطيب البغدادى فى وصف المدائن: « لم تزل المدائن دار مملكة الأكاسرة ولهم بها آثار عظيمة وأبنية قديمة منها الإيوان العجيب الشأن. لم أر فى معناه أحسن منه صنعة ولا اعجب منه عملا[٣] » وقيل إنما سميت هذه المدينة بالمدائن لكثرة ما بنى بها الملوك والأكاسرة وما أبقوا فيها من الآثار وهى على جانبى دجلة شرقاً وغرباً ودجلة تشق بينهما[١]

ومن أهم الأسباب التى دعت ملوك فارس إلى جعل عاصمتهم فى المدائن موقعها الجغرافى الحسن وهواؤها الطيب النقى وتربتها الصالحة وماؤها العذب. ويقال — فى هذا الصدد — إن الاسكندر المقدونى نزل المدائن وسكنها بعد أن جال فى ربوع الأرض وبعد أن وطئ السهل والجبل فلم يختر منزلا من منازل العالم التى رآها وفتحها سوى المدائن. وقد بنى بها مدينة عظيمة وجعل عليها سوراً أثره باق إلى وقتنا هذا[٢]. إلى أن توفى فيها وحمل تابوته إلى الاسكندرية؛ لأن أمه كانت مقيمة هناك ودفن عندها[٣].

ولما فتح المسلمون بلاد الفرس واستولوا على المدائن تحت قيادة سعد بن أبى وقاص فى صفر سنة ١٦ هـ وهى السنة الرابعة من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، خرب المسلمون ما خربوا من قصورها وانتهبوا ما انتهبوا من رياشها وأثاثها، ووصل عمل التخريب إلى إحراق ستر باب الإيوان فأخرجوا منه ألف ألف «مليون» مثقال من الذهب. فبيع المثقال بعشرة دراهم وبلغ ذلك عشرة آلاف ألف « ١٠ ملايين » درهم. وقد جعل سعد بن أبى وقاص الإيوان محطاً لرحله وصلى فيه صلاة النصر بثماني ركعات (٤).

وأنشئت فى الدور الإسلامى الأول مدينة البصرة والكوفة فانتقل الناس إليهما. وما كاد المنصور يختط مدينة بغداد ويبنيها حتى تهافت الناس عليها وهجروا المدائن شيئاً فشيئاً حتى أصبحت أكثر العمارات خاوية والبنايات والقصور قفرا.

ولقد أراد الرشيد أن يهدم الإيوان وشاور فى ذلك يحيى بن خالد البرمكى حين كان معتقلا عنده إثر الفاجعة المعروفة فأشار عليه بأن لا يفعل، ولكن الرشيد أصر على رأيه فى هدم الإيوان، وشرع فى تخريبه. ثم نظر فإذا يلزمه فى هدمه أموال طائلة لا طاقة له بها، فأمسك عن ذلك وكتب إلى يحيى يعلمه الخبر فأجابه أن ينفق فى هدمه مهما بلغ من الأموال ويحرضه على فعله. فعجب الرشيد من تناقض كلامه وبعث إليه يسأله عن

---

(١) وقد أورد بعض المؤرخين هذه العاصمة باسم طيسفون

(٢) مروج الذهب للمسعودى

(٣) تاريخ بغداد

(١) و (٢) و (٤) تاريخ بغداد

(٣) الكنى والألقاب

عن هذا . فقال : أما ما أشرت عليك به فى الأول فلأنى أردت بقاء الذكر لأمة الإسلام وبعد الصيت ، وأن يكون من يرد فى الأعصار ويطرأ من الأمم فى الأزمان يرى مثل هذا البنيان العظيم فيقول إن أمة قهرت أمة هذا بنيانها لأمة عظيمة شديدة منيعة . وأما جوابى الثانى فأردت به نفى العجز عن أمة الإسلام كى لا يقول من يأتى فى الأعصار الآتية إن هذه الأمة عجزت عن هدم ما بنت فارس ... فلما بلغ الرشيد ذلك قال : فاتله الله فما سمعته قال شيئاً قط إلا صدق فيه ثم أعرض عن هدم الإيوان(١)

أما الآن ، فلم يبق من ذلك البناء الشامخ إلا طاقه وجناحاه . وقد ورد أن هـذا الإيوان من أعظم أبنية العالم ، وهو مبنى بالآجر على مرتفع من الأرض طوله (١٥٠) ذراعاً ، فى عرض مثلها ، وأمامه ميـدان طوله (٨٠) ذراعا فى عرض (٢٥) . وقيل سعة الإيوان من ركنه إلى ركنه (٩٠) ذراعا وارتفاعه (٨٠) ذراعا . وقد تهدم هـذا الإيوان ولم يبق منه فى القرن السابع الهجرى على ما ذكر ياقوت إلا طاق يعرف بطاق كسرى ، وهو طاق عظيم بنى بالآجر طول كل آجر نحو ذراع فى عرض أقل من شبر . وكان فيه من التماثيل والصور شىء كثير : منها صورة كسرى أنوشروان وقيصر ملك أنطاكيه وهو يحاصرها ويحارب أهلها (٢) .

وأما المدائن فقد أصبحت شبه قرية فى الجانب الغربى من دجلة أهلها فلاحون ، شيعة إمامية . ومن عاداتهم أن نساءهم لا يخرجن نهاراً أصلا(٣) . وفى الجانب الشرقى منها مشهد الصحابى المعروف سلمان الفارسى رضوان الله عليه ، وله موسم يذهب الناس إليه لزيارته والتبرك به ويكون ذلك فى منتصف شعبان من كل سـنة . وكان على مقربة من الإيوان قبران محترمان يرقد فيهما الصحابيان : عبد الله الأنصارى ، وحذيفة ابن اليمان فأشرفا على الغرق لأن مياه دجلة كانت — ولا تزال — تنال من الشاطئ ، فنقلت الحكومة بقايا رفاتهما إلى جامع سلمان الفارسى فى عام ١٣٥٠ هـ بمهرجان عسكرى فخم (١) .

وقد شاهدت الإيوان منذ سنة تقريباً فرأيته لم يبق من عظمته غير الطاق المرتفع الذى يطاول السحاب بعلوه . أما ما وصفه «البحترى» من تلك الصور المنقوشة على الإيوان كصورة كسرى وجنوده وقواده وهم يتقدمون إلى جيـوش أعدائهم الرومان . وصورته والجارية الحسناء تقدم إليه كأس الشراب وقد احدقت به المغنيات والراقصات . كل تلـكم الصور وأمثالها لا وجود لها الآن فى الإيوان فقد انطمست أعلامها وامحت آثارها . والفرق واضح بين ما كان عليه الإيوان فى عصر الدولة العباسية وبينه فى عصرنا الحاضر .

وكان من ولع شعراء العرب بوصف ما يرونه من آثار الطبيعة وما فيها من جمال وسحر ، أو تجهم وعبوس ، أن تطرقوا إلى عظمة هـذا الإيوان ، وذلك حين كانوا يقفون على أطلال المدائن الخاوية فيتصورون أن أهلها أحياء يسيرون فى الأزقة والشوارع بدعة واطمئنان وأن الملوك فى وسط قصورهم مع بلاطهم وحاشيتهم وما عليهم من ثياب مزركشة وحلل زاهية فتستفز هذه الأخيلة قريحة أولئك الشعراء وتحرك هـذه المناظر قيثارتهم الشعرية ، فيروحون ينشدون قصائدهم التى تفيض بعواطفهم المكبوتة إزاء ذلك الملك الذاهب فيأتون بالشعر والسحر الحلال . وكان من بين الذين شاهدوا عظمة الإيوان وما فيه الشاعر الأرجانى الذى رأى التماثيل الموجودة فى الإيوان فنظم قصيدته الرائعة التى لم تدعه إلى نظمها عصبية للفرس — كما يدعى البعض — وإنما كان استجابة لطبع الشاعر وتلبية لسجيته المطلقة التى دعته إلى وصف بعض الصور الجميلة التى شاهدها . وكان من هذه القصيدة قوله :

رأيت عجيباً والزمان عجيب ... رجالا ولكن ما لهن قلوب
تماثيل فى صخر نحيت كأنها ... بنو زمن لم يلف فيه أريب
نزلنا وفوداً فى حماها ولم يكن ... لنا من قراها فى الوفود نصيب
فنحن لدى كسرى إبرويز فدية ... نزول ولكن الفناء جديب

(١) مروج الذهب للمسعودى

(٢) دائرة المعارف للبستانى

(٣) تلخيص الآثار فى عجائب الأقطار

(١) العراق قديماً وحديثاً للسيد عبد الرازق الحسنى

بظاهر قرميسين والركب محدق   حواليه فيهم جنيئة وذهوب

لدى ملك من آل ساسان ماجد   وقور عليه التاج وهو مهيب

مكان المناجى من خليليه واقفاً   وإن عز منهم سامع ومجيب

يرينك من تحت الحوادث أوجهاً   بها من تصاريف الزمان شحوب

وقاموا على الأقـــدام لا يعتريهم   مدى الدهر من طول القيام لغوب

وقصيدة شاعر الدولة العباسية أبو عبادة البحترى التى وصف بها الإيوان فكانت آية من آيات التصوير الشعرى بعد أن سارت مسير المثل لما فيها من وصف بديع دقيق بعد أن ذكر جميع ما رأى من النقوش والتماثيل التى ارتسمت على جدران الإيوان وما أحيط به من العظمة والجلال . . . وها هو يقول فى أولها يمتدح نفسه :

صنت نفسى عما يدنس نفسى   وترفعت عن جدى كل جبس

وتماسكت حين زعزعنى الد   هر التماساً منه لتعسى ونكسى

إلى أن يقول فى وصف الإيوان مشيراً إلى ما فيه من زخرف وتصاوير :

لو تراه علمت أن الليالى   جعلت منه مأتماً بعد عرس

فإذا ما رأيت صورة أنطا   كية ارتعت بين روم وفرس

والمنـــايا مواثـــل وأنوشر   وان يزجى الصفوف تحت الدرفس

وعراك الرجال بين يديه   فى خفوت منه وإغماض جرس

وكأن الإيوان من عجب الصنـ   ـعة جوب فى جنب أرعن جلس

مشمخر تعـــلو له شرفات   رفعت فى رؤوس رضوى وقدس

ليس يدرى أصنع إنس لجن   سكنوه أم صنع جن لإنس

غير أنى أراه يشهد أن لم   يك بانيه فى الملوك بنكس

وقال ابن الحاجب فى وصف الإيوان ويخاطب بانيه ويذكره بتقلب الدهر وعثرات الزمن :

يا من بناه بشاهق البنيان   أنسيت صنع الدهر بالإيوان(١)

كتب الليالى فى ذراها أسطراً   بيد البلى وأنامل الحدثان

(١) معجم البلدان للحموى .

إن الحوادث والخطوب إذا سطت   أودت بـكل موثق الأركان

ولشاعر قريش السيد الشريف الرضى يفتخر بالإسلام وقوته على الفرس وذلك فى ذى الحجة ٣٩٧ هـ وقد اجتاز بالمدائن ونظر الإيوان فبهره منظره وأنشد فى ذلك :

قربوهن ليبعدن المغارا   ويبدلن بدار الهـــون دارا

إلى أن يقول :

قد نزلنـا دار كسرى بعـده   أربعاً ما كن للذل ظؤارا

وإذا لم تدر ما قوم مضوا   فسل الآثار واستنب الديارا

آل ساسان حدا الخطب بهم   واسترد الدهر منهم ما أعارا

كل ملموم القرى صعب الذرى   يزلق العقبان منه والنسارا

جمجموا الإيوان فى مبركه   مبرك البازل قد فض السفارا

مطرقاً إطراق مأمون الشذا   غمر النـادى حلماً ووقارا

أو مليك وقع الدهر به   فأماط الطوق عنه والسوارا

ويحـكى أن الملك جلال الدولة البويهى اجتاز بالإيوان فـكتب عليه (١) :

يا أيهـا المغرور بالدنيـا اعتبر   بديار كسرى فهى معتبر الورى

غنيت زماناً بالملوك وأصبحت   من بعد حادثة الزمان كما ترى

وروى أن أمـير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) مر على المدائن عند ذهابه إلى حرب الخوارج فى النهروان ... فلما رأى آثار كسرى وقرب خراجها قال رجل ممن معه :

جرت الرياح على رسوم ديارهم   فـكأنهم كانوا على ميعاد

وإذا النعيم وكل ما يلهى به   يوماً يصير إلى بلى ونفاد

فقال على : أفلا قلتم كما قال الله عز وجل : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوماً آخرين ، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منتظرين » (٢) .

وكان ممن زار المدائن وشاهد القصر الأبيض — الإيوان — الأمامان الحسن والحسين ابنا على بن أبى طالب (ع) وذلك حين قتـل أبوهما وقد توجها إلى المدائن فلحقهما الناس بساباط فحمل على الحسن رجل من أهل الـكوفة فطعنه فى فخذه ، وسبقهم الإمام

(١) الـكنى والألقاب   (٢) تاريخ بغداد

حتى دخل قصر المدائن فأقام فيه نحواً من أربعين ليلة ثم توجه إلى معاوية بن أبي سفيان وصالحه

ومن العلماء الذين وقفوا على أطلال الإيوان علم الهدى السيد المرتضى الذى استثارت المناظر قريحته وطفق ينشد من قصيدة معروفة منها :

يا زميلي أنخ بشرقى ساباط مناخاً على الركائب دحضا
قد رأينا الإيوان إيوان كسرى ... فرأينا كالطود طولا وعرضا
وترى العين منه أبهة الملك ... وعيشاً لأهله كان خفضا
حيث كانت ضلوع من ولج الأيوان ينفضن بالمخافة نفضا

ولعل أحسن من وصف الإيوان من المعاصرين شاعر النجف السيد محمود الحبوبى فى قصيدته العامرة « وقفة على طاق كسرى » يقول فى أولها :

قفا واسألا أعجوبة الزمن الكبرى ... عن الأعصر الأولى وعن ربه كسرى
لقد شاهد الأجيال والدهر يافع ... وشاهدها والدهر محدودب ظهرا
ومرا على آثارها بعض ساعة ... بها تريان الفرس والأمم الأخرى
هنا كان كسرى أم هنا لست داريا ... سلا هذه الجدران فهى به أدرى

وأنشد فى الإيوان أيضاً الشاعر النجفى الشيخ عبد المنعم الفرطوسى قصيدة عامرة أولها :

قف بالمدائن واستنطق بها السيرا ... عن ألف جيل وجيل فوقها عبرا
واستعرض الدهر أشكالا منوعة ... فيها لتعرف من أحوالها صورا
واستخبر الرسم عنها حين تقرؤه ... فسوف يعطيك عن تاريخها اخبرا
والعين إن تك قد فاتتك رؤيتها ... فلا يفوتك منها أن ترى الأثرا

ويقول فيها مخاطباً الإيوان :

أنشودة أنت للأجيال خالدة ... لذاك أضحى فم الدنيا لها وترا
وآية طأطأ الدهر الخطير لها ... لما تسامت على عليائه خطرا
وفكرة فى دماغ الفن زاولها ... قرناً فقرناً ليبديها فما اقتدرا
حتى إذا نضجت أفكاره ولدت ... نتيجة ترهب الأجيال والعصرا

(النجف — العراق) **كاظم المظفر**

فى تكريم أبطال الفلوجة

للأستاذ العوضى الوكيل

دارت رحاها ، واستمر سعيرها ... وظفت زمازمها ، ولج قتيرها
حميت على الأسد الغضاب دروعها ... فانداح فى لجج الفضاء زئيرها
من كل أروع تطّبيه شهوة ... للنصر ... يلفح جانبيه سعيرها
يمضى إلى غاياته ، وكأنه ... قدر يبيد خصومه ، ويبيرها
فى كفه كأس المنون روية ... وعلى العدا الباغين راح يديرها
هل فى صوارمه ، وفى آماله ... إلا أمانيل يرام نشورها
أخت تضام فكيف ينكل دونها ... إن لم يجرها فالفناء مجيرها
وشقيقة أخنت عليها عصبة ... أمصارها أسلابهم وثغورها
هتفت ألا أين النصير ، فإن ينم ... عنها . فأين على الزمان مجيرها ؟
يمضى لها شاكى السلاح مقذف ... خفاق ألوية العلا ، منشورها

أرأيت للأبطال فى « فلوجة » ... قصصاً تألق فى العيون سطورها
إن أغطشت دنيا الكفاح ، تألقت ... فأضاء آفاق الكنانة نورها
فصل من التاريخ ترنو نحوه ... حقب الزمان وتشرئب عصورها
حرب العزائم تلك . خاب مجولها ... وتطاحن الأرواح ، فازصبورها

وجزيرة فى البيد تصخب حولها الـ ... لجج الهوادر ما يخف هديرها
إن يندفع موج إلى شطآنها الشـ ... ماء ردته هناك صخورها
ما كان من سور هناك فإنما ... جلد الرجال على المكاره سورها
العسكر المحصور فى أرباضها ... جن تثور فلا يطاق ثؤورها
حلفت بمصر فصدقت أيمانها ... مهج يفيض على الرمال طهورها
ما راعها قصف الحديد وفتكه ... كلا ، ولا نار يفور زفيرها
راح الكفيف بها يسدد رميه ... فيصيب أبعد ما يصيب بصيرها
يد خالق الأكوان ترمى دونه ... فيقيم من تقديره تقديرها
وإذا التقى الإيمان فى قلب امرئ ... بالعزم أيسر فى الحياة عسيرها
أبطال مصر هفت لكم أنسامها ... وشدت بكم فوق الغصون طيورها
فى كل منعطف ، وكل ثنية ... دنيا يفيض حبورها وسرورها
فى حيث سرتم يفتدى ريحانها ... بسطاً . وتنتظم الطريق زهورها
حتى السماء . رمت عليكم طلها ... بشراً . وودّ على الحشود مطيرها
وتلفت الملك الهمام لجيشه ... فى نظرة لا يختفى تفسيرها

عاش المليك لمصر ، قائد نهضة ... سارت ، وفى نعماه كان مسيرها

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

توفيق الحكيم في كتاب عن الأدب المعاصر :

سيدى الأستاذ

قرأت لك كل ما سطره قلمك منذ أن تناولت قلمك لتكتب . تتبعت فصولك النقدية فى « العالم العربى » ثم تتبعت بعد ذلك مقالاتك وتعقيباتك فى « الرسالة » ، وكما تبدى رأيك فى الغير فلا بأس من أبدى رأيى فيك . إن ملكتك الناقدة هى خير ملكاتك جميعاً ، بل هى خير ملكة إذا ما وضعت ملكات النقاد المعاصرين فى الميزان ! ... بالله لا تتعرض لهذه الكلمات بالحذف إذا ما نشرت هذه الرسالة وعقبت عليها ، إنها رأى حر يبديه فيك إنسان قرأ أكثر ما أخرجته المطبعة فى الشرق والغرب من دراسات نقدية ، إنسان يزن أقدار الناس ويؤمن بما يقول ... ولولا إيمانه برأيه لما لجأ إليك يسألك بعض العون فى فصل من فصول كتاب يضعه منذ شهور عن الأدباء المعاصرين !

إننى أعرف أنك صديق لهذا القصاص العبقرى توفيق الحكيم وليس من شك فى أنك قد درست شخصيته الفنية من خلال كتبه دراسة ناقد ، ودرست شخصيته الإنسانية من خلال معرفته دراسة صديق ، أعنى أنك تستطيع أن تربط بين الشخصيتين لترسم لنا صورة دقيقة لهذه الشخصية المزدوجة التى تبدو لعينى مبهمة ولفكرى معقدة ... !

إن شخصية توفيق الحكيم هى الشخصية الوحيدة التى أقف منها دائماً موقف الشك وعدم الثقة من ناحية وزنها والحكم عليها ، حتى هؤلاء الذين اتصلت بهم من معارفه ليحدثونى عن طبيعته النفسية كما هى فى واقع الحياة والفن ، لم يستطيعوا للأسف أن يمدونى برأى فاصل أطمئن إليه ، يبدو أنه مبهم حتى على الذين يعرفونه ويتصلون به ... لست أدرى إن كنت سأجد عند قلمك مفتاح هذا الباب الموصد أو مفتاح هذه القلعة المغلقة ! إننى أرجو إذا تحققت هذه الأمنية ألا تتسبب لك هذه الرسالة بعض الحرج إذا ما كشفت عن أشياء قد لا ترضى صديقك ... مهما يكن من شىء فلا تنس أنك تؤرخ للأدب ، وأن النكوص عن ذكر الحقائق فى سبيل إرضاء الصداقة من شأنه أن يجرح التاريخ الأدبى والضمير الأدبى ، وهذا هو الانحراف الذى أنزه قلمك عن الوقوع فيه !

إنك تعلم ولا شك أن النقد الأدبى الحق هو ما قام على دراسة أدب الكاتب مرتبطاً بشخصيته ، لأن الأسلوب من الرجل كما يقول بوفون ، وكل دراسة لا يتحقق لها هذا الجانب تفقد عنصراً خطيراً يهدد قيمتها الفنية بالضياع ! ... على هذا الأساس أريد أن تكتب ، ولا أطلب منك صفحات فإن سطوراً تقدم لى مفتاح هذه الشخصية تكفينى . ولا أطلب منك تطبيقات فحسبى أن تمدنى بالقاعدة العامة وعلىّ أنا أن ألتمس المثال !

وفى انتظار كلمتك الفاضلة ، أرجو أن تتقبل تحيات المقدر لفنك

محمد عادل المرصفاوى

قسم الدراسات العليا — جامعة فاروق

أشكر للأستاذ الفاضل هذا التقدير الذى يسبب لى كثيراً من الحرج ... لقد ظن أن الحرج سيتمثل فى نقدى لشخصية الأستاذ توفيق الحكيم الفنية ، ولكن الحرج كل الحرج يتمثل فى هذه الكلمات التى تخصنى بثناء لا أستحقه ! يا صديقى ، آمل ألا يدفعك الإعجاب بكاتب إلى الغلو فى تقديره ، وبخاصة فى هذا الكتاب الذى ستخرجه فى القريب عن الأدب المعاصر وتقيم فيه الميزان لأقدار الأدباء ... إن رسالتك لتنبىء عن عقلية ناضجة حقاً وفهم أصيل لقيم الدراسة النقدية ، وفى هذا ما يطمئننى على أن كتابك سيكون له فى رحاب النقد الأدبى مكان !

إنه ليسعدنى أن أقدم إليك كل ما فى حدود الطاقة من عون .. سأقدم إليك رأيى فى فن الأستاذ الحكيم مرتبطاً بشخصيته ، وهو رأى أقمته على دراسة أعتقد أن عناصرها قد اكتملت على هدى صلتى به وقراءتى له . إننى أوافقك على أن هذه الشخصية تحتاج إلى كثير من التثبت قبل الإقدام على الكتابة عنها والحكم عليها ، لأنها من الشخصيات التى لا تتكشف لدارسيها إلا بعد تأمل وعناء !

أرجو أن أضع بين يديك « مفتاح هذا الباب الموصد أومفتاح هذه القلعة المغلقة » فى العدد القادم إن شاء الله . وثق

أننى سأحدثك عن توفيق الحكيم الصديق بما يرضى الحق وحده والفن وحده ، وللأستاذ الفاضل تحيتى خالصة .

لحظات أخرى مع جان كوكتو :

الكاتب الفرنسى مشغول ... مشغول بمقابلاته ، ومشغول بمسرحياته ، ومشغول بجولاته الفكرية وتهويماته الفنية ، ومعنى هذا أن زائره لن يظفر من لقائه إلا بالرأى الطائر والحديث العابر ، وهذان أمران يقنع بهما مندوب صحيفة يومية أو مجلة أسبوعية لينقل إلى القراء لمحات خاطفة عن جان كوكتو ! ... أما أنا فقد حاولت أن ألقاه لقاء أديب يود أن يجلس إليه ساعات يسأله عن كل شىء ويتحدث معه فى كل شىء : فى أدب القصة ، فى أدب المسرحية ، فى الموسيقى ، فى التصوير ، فى النقد الأدبى ، فى الشعر ، فى كل تلك الفنون التى يشارك فيها جان كوكتو ويستطيع أن يتحدث عنها حديث خبير . حاولت أن ألقاه هذا اللقاء ولكنه اعتذر بضيق وقته وكثرة شواغله ، مما لا يتيح لزائره غير فترة يقضيها معه ويخرج منها بالرأى الطائر والحديث العابر ... وكما اعتذر إلى عن هذا اللقاء الطويل فقد اعتذرت إليه عن هذا اللقاء القصير ، بعد أن قدمت إليه تحيتى وتحية « الرسالة » وبعد أن تلقيت خالص شكره على التحيتين مع رجائه بتلبية رغبتى إذا تهيأت له فسحة من الوقت فى مقبل الأيام !

لا بأس إذن من أن نقضى مع جان كوكتو لحظات من تلك اللحظات العابرة التى قضاها معه مندوب « المصور » وخرج منها بهذه الآراء العابرة التى تحمل بعض اللمحات والتوجيهات سأله مندوب « المصور » : هل شاهدت مسرحيات مصرية ؟ ما هى ملاحظاتك عليها ؟ ألم توح إليك مصر بكتابة شىء عنها ؟ ما رأيكم فى آثارنا ؟ وأجاب الكاتب الفرنسى بأنه لم يشاهد غير قصة سينمائية مصرية واحدة ، حفلت بالحشو والتعقيد وكأنها عشر قصص فى قصة ! أما الإخراج فيمج بالمبالغات والحركات المفتعلة والانفعالات المتلاحقة المتباينة التى لا تفهم ... إن الفيلم المصرى فى رأى كوكتو لا يهدف إلى فكرة ، وإن المؤلف الحق هو من يهدف بقصصه إلى الدعاية لفكرة ، وكلما بسط هذه الفكرة وأوضحها وفق ونجح فى الوصول إلى هدفه ، واستطاع أن يخرج بعمله من نطاق المحلية فى الفن إلى نطاق العالمية ! أما مصر فقد قال عنها كوكتو إنها أوحت إليه الكثير ... لقد انفرد بأبى الهول ساعات فى النهار والليل ، وصادف من قلبه منزلة حسنة فباح له بسره ، أما هذا السر فسيحمله إلى المصريين كتاب يود كوكتو أن يفرغ منه فى الشهور المقبلة ، كتاب يقبس أسلوبه السحر من وحى النخيل الباسق على ضفاف النيل ! بعد هذا يقول كوكتو إنه زار دار الآثار العربية ورأى فيها أشياء عظيمة رائعة ، ولكن طريقة عرضها خاطئة ... إنها مكدسة كما لو كانت فى مخزن !

هذه الآراء الناضجة يبديها فنان ناضج ، يملك من رهافة الذوق وعمق الخبرة وطول المران ما يعينه على النظر الثاقب ، والحكم الصائب ، والتقدير الممتاز ... إن كل ما نطلبه من كتابنا القصصيين ، ومخرجينا السينمائيين ، والمشرفين على صناعة الفيلم المصرى ، هو أن يتدبروا هذه الكلمات لأن الذى ينطق بها هو جان كوكتو لا الأستاذ يوسف وهبى ! وما نطلبه من هؤلاء نطلبه من أولئك الذين يقومون بأمر دار الآثار العربية ، وحسبهم أن الذى يوجههم إلى الأصول الفنية فى عرض تحفنا وآثارنا هو جان كوكتو أيضا لا الدكتور زكى محمد حسن !

أما الشىء الذى نطلبه من الكاتب الفرنسى فهو أن يكون صادقاً فى إصغائه لكلمات أبى الهول ، أميناً فى نقل حديثه ونجواه ... إن أبا الهول لا يمكن أن يتجنى على وطنه ، لأنه عاصر تاريخه ، وأشرف على حضارته ، وبارك منذ خمسة آلاف عام مجده الخالد ؛ إننا فى انتظار كتاب جان كوكتو لننظر فيما إذا كان قد استمع لكلمات محدثه أم انقاد لنزوات هواه !

جولة فى معرض الفن الإيطالى :

هذا المعرض الممتاز أقامته بسراى الخديو إسماعيل بشكنات قصر النيل جمعية محبى الفنون الجميلة بالقاهرة ، بالاشتراك مع متحف بينالى بمدينة البندقية بإيطاليا ... ولقد ساهم فى إعداده كثير من المتاحف وقاعات العرض العامة بميلانو وفلورنسا والبندقية وبلزانس وتريستا ، وأصحاب المجموعات الخاصة ؛ أما المدارس الفنية التى يمثلها هذا العدد الكبير من اللوحات التصويرية الرائعة ، فموزعة بين النيوكلاسيكية والرومانتيكية والواقعية والذاتية والسريالية .

سأقدم إليك مما شاهدت بعض لوحات ممتازة إذ يضيق النطاق عن التحدث عن كثير ... اللوحة الأولى « أولاد الأمير والأميرة تروبتسكوى » للفنان الرومانتيكى الملهم دانيال رانزونى . ستلمس

فى هذه اللوحة عبقرية التلوين والتظليل ... إن رانزونى ينقلك بظلاله وألوانه إلى آفاق وافنشى وموريللو وبوسان ، ولكنه يختلف عنهم فى ظاهرة الميل بفنه إلى الأجواء القاتمة المحجبة ، تلك الأجواء التى تخضع لأثر البيئة فى مزاج الفنان ... لقد كان رانزونى من أبناء مقاطعة يغلب فيها الضباب على الإشراق ، ومن هنا انعكس الجو الذى عاش فيه بجسمه على الفن الذى عاش بروحه ، وما الفن كما قلت غير مرة إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور !

أما اللوحة الثانية فهى « الحصان الميت » لأبرع فنانى إيطاليا فى القرن التاسع عشر جيوفانى فاتورى ... إن فاتورى لا يمكن أن يسمو بظلاله وألوانه إلى مقدرة رانزونى ، ولكنه يبزه ويتفوق عليه فى مجال الفن التعبيرى . إن مزية هذا الفنان تتركز فى ريشته التى تنقل إلى الورق أدق ما فى الحياة من لمحات ؛ نظرة واحدة إلى لوحته الفريدة تنبئك بأن هذا الرجل الواجم المطرق الملتاع ، لا يملك من دنياه غير هذا الحصان الملقى تحت قدميه ... هنا وجه معبر تطلق الريشة من قسماته أعمق معانى اليأس والألم والدموع ! هل تعرف دى لا كروا فى دقة تعبيره ؟ إن فاتورى يذكرك بهذا الفنان !

تعال بعد ذلك لنتأمل هذه اللوحه الثالثة « حنان الأم » .. إن مبدعها ترانكيلو كريمونا يمتاز بالجمع بين موهبتين : التلوين والتعبير . أما التلوين فطريقته فيه تختلف عن طريقة زملائه ، إن ألوانه على القرب متداخلة ، باهتة ، تمتزج فيها الأضواء بالظلال ولكنها على البعد شىء آخر ... إنها تبدو لعينيك متناسقة ، مشرقة ، متميزة ببراعة التصميم ! أما فى مجال التعبير فإن هذه اللوحة تذكرك بلوحة أخرى لرفائيل هى « العذراء والطفل » ... إن كريمونا يكاد يقترب من رفائيل فى تصويره لأسمى معانى الأمومة فى نظرات السيدة العذراء ، وفى تعبيره عن أرفع معانى البنوة فى نظرات السيد المسيح !

وقف طلايلاً أمام هذه اللوحة الرابعة ، إنها « الهجوم على عربة الحشائش » لحامل لواء المذهب الواقعى فى إيطاليا فيليبو باليتزى ... إن هذا الفنان يمتاز بالحساسية المرهفة ؛ الحساسية التى تطبع أعماله الفنية بطابع الحركة الجياشة المتدفقة . تمثل هذه اللوحة عدداً من المواعز يهجم فى نهم بالغ على عربة محملة بالحشائش ... أنعم النظر فى وثبات المواعز وفى تلك النشوة المنبعثة من عيونها وهى مقبلة فى ثورة الجوع على غذائها الحبيب ، لتلمس كيف يشيع باليتزى الحياة والحركة فى لوحته ، وكيف يغرقها فى جو من الواقعية التى تطبع الفن بطابعها القوى الصاق المتميز .. إن الحركة فى فن باليتزى تذكرنى بمثيلتها فى فن رمبرانت !

بقى أن أشير إلى لوحات أخرى تغرى بالتأمل وإطالة الوقوف وهى : « الراحة » لأنطونيو فونتانيزى ، « وموسيقى الشاة » للويجى نونو ، و « رجل يقرأ » لجينوبى أباتى ، و « الحظيرة » لباليتزى صاحب « عربة الحشائش » ، و « غروب الشمس فى سان مورو » لفونتانيزى أيضاً ... أما الحجرة التى تقع إلى اليمين وأنت تتخطى الباب الخارجى فلا تحاول أن تدلف إليها حتى لا يفسد ذوقك ، إنها حجرة السير رياليزم ! !

إيفات على قبر غاندى :

هل تعرف هذا الرجل العظيم هربرت إيفات ؟ إنه وزير خارجية أستراليا ، والرجل الذى هز أعماق الضمير الإنسانى حين وقف أكثر من مرة ليدافع عن حقوق الأمم الصغيرة أمام هيئة الأمم المتحدة! لقد شاهدته منذ أيام فى إحدى الصحف اليومية وهو يحج إلى قبر الروح العظيم ؛ شاهدته يقف وقفة العابد المتبتل يضم يديه فى خشوع إلى صدره ، وكأن القبر الذى أمامه قد استحال إلى محراب ! ولقد خيل إلى فى وقفته تلك أن عينيه تسران إلى القبر حديثاً فيه رؤى ما كان أروعها وأطياف ... إن هربرت إيفات كان يتحدث فى لغة الصمت إلى الرجل الذى وهب قلبه للانسانية وضحى بحياته من أجل السلام . ترى ما ذا كان يقول له وهو فى رحاب الأبد وفى ضيافة السماء ؟ وأية كلمات تلك التى انطلقت من نظراته الحالمة لترطب الثرى المعطر برفات رجل السلام والوئام والمحبة ؟ ... لعله كان حديثاً عن الإنسانية التى مات نبيها الضمير يوم أن امتدت إلى غاندى يد لطخها العار فأطفأت الشعلة وعصفت بالضياء ، وأى ضياء هذا الذى خبا يوم أن قضى الروح العظيم والقلب الكبير ، وترك الحياة من حوله تنفيش تحت قبضة الظلام ؟ ... ما كفرت بالضمير الإنسانى إلا بعد أن قتل غاندى ، وما كفرت بالضمير الإنسانى إلا بعد أن وقف إيفات ليدافع عن حقوق الضعفاء فضاع صوت الحق وسط ضجيج الباطل وخفت صداه ... ترى أ كان إيفات يتحدث إلى غاندى عن خيبة الأمل وضيعة الرجاء ، أم كان يسأله الرأى ويستمد من روحه العون ويقضى حقوق الوفاء ؟!

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

شعر المناسبات :

قلت فى العدد الأسبق من « الرسالة » بصدد الكلام على قصيدة « موكب الأبطال » للأستاذ على محمود طه : « وبعد فقد قام شاعرنا الكبير بحق البطولة على الشعر وجاءت قصيدته عملا ممتازاً ينبغي أن ينظر فيه الشعراء الذين يؤثرون الهرب من المجتمع والانطواء على عواطفهم الشخصية وخيالاتهم البعيدة عن مضطرب الحياة ... » الخ

قال لى صديق من الشعراء ، وقد قرأ ذلك : أتدعو إلى شعر المناسبات ؟

شعر المناسبات ؟ تلك كانت قضية أثارها بعض الكاتبين منذ زمن ، فأزروا بمن يحملون أنفسهم على القول فيما لا يشعرون به بدافع المجاملة أو الملق أو حب الظهور أو غير ذلك من دوافع النظم الذى يخلو من حرارة التعبير الصادق .

ولكن قل لى بالله أيها الصديق : إذا جاءت مناسبة قومية أو اجتماعية فخالجت نفس الشاعر أو هزت مشاعره واستجابت لها شاعريته ، أنقول له : امسك عليك لسانك فهذا شعر مناسبات؟ المسألة ليست شعر مناسبات وغير مناسبات إنما هى شعر صادق وشعر متكلف ، وكما يكون كل منهما فى شعر المناسبات يكون فى غيرها ، فكم من شاعر يتملح بالوجد والحب والهيام وهو لا يعرفها غير ألفاظ !

حقاً إن كثيرين من المتهافتين على مائدة الشعر يكثرون من التزييف فى المناسبات ، ولكن الصيرفى الحاذق يميز الصحيح من الزائف ، فلا يرفض النقود كلها لأن هناك مزيفين كثيرين .

فلم محمد على الكبير :

درست وزارة الشؤون الاجتماعية موضوع إخراج فلم عن حياة محمد على باشا الكبير يصور مختلف مراحل حياته وأعماله العظيمة وفتوحاته المجيدة ، ليكون ضمن مظاهر الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على وفاته . ويرجى أن يكون هذا الفلم دعاية لمصر لما سيعرضه من روائع تاريخها فى تلك الفترة التى وضع فيها أساس مصر الحديثة ، إلى أنه عمل فنى يعتبر الأول من نوعه فى مصر التى لو سئلت الآن عن إنتاجها من الأفلام الثقافية لصمتت صمتاً يخرجها منه فلم محمد على المنتظر .

وقد أرسل معالى وزير الشؤون إلى دولة رئيس الوزراء مذكرة بنتيجة دراسة هذا الموضوع ، وهى تتلخص فى أن اللجنة المؤلفة لإعداد المشروع قد انتهت من وضع مشروع القصة وقدرت نفقات إنجاز الفيلم باللغات العربية والفرنسية والانجليزية بمبلغ ٨٠٠٠٠ جنيه وقد أبدت شركة مصر للتمثيل والسينما استعدادها لتنفيذ هذا المشروع ، على أن تعاونها الوزارات التى يحتاج الفلم إلى معاونتها فيه وأن تمنحها الحكومة إعانة مالية قدرها ٣٠٠٠٠ جنيه ، تردها إلى الحكومة إذا بلغ إيراد الفلم مقدار نفقاته .

هذا وقد كتبت بعض الصحف تشير بأن يستعان ببعض الأجانب فى تأليف قصة الفلم وكتابة (السناريو) . وهو رأى لا أراه على شيء من الصواب ، لأنه فلم قومى ولا بد أن يشتمل على نواح سياسية قد تصطدم برضاء بعض الدول الاستعمارية التى كانت تناوئ مصر وتعمل على إحباط مساعى محمد على ، كما حدث فى حرب المورة وإرسال الأساطيل إلى الاسكندرية .

فإذا قيل إن من نختارهم للعمل فى الفلم من الأجانب سيعملون تحت إشرافنا وإنهم لن يستطيعوا أن يشوهوا مفاخرنا ، أقول : كيف نحملهم على تزويد الفلم بالحرارة القومية التى لا يشعر بها إلا المصريون ؟

إن إعداد الفلم وإخراجه بأيد مصرية يكسبه الحياة ويلبسه الروح الوطنى المنشود ولو جاء غير مستكمل لأسباب الكمال الفنى ثم هى فرصة طيبة لتجربة الجهود المصرية وتدريبها فى هذا المجال .

بيانه وتعقيب :

التقيت بالأستاذ عبد الرحمن الخميسى على أثر ما كتبته(1)

---

(1) العدد ٨٢١ من « الرسالة »

عن قطعتين له هما «فليا يافليا» و «حلم الزواج الساحر» وكان قد اتصل بي بالتليفون قبل اللقاء كما ذكرت في الأسبوع الماضي وتحدثنا في الموضوع فأفضى إلى بوجهة نظره فيه، وهي تتلخص في أن تينك القطعتين من «أوبريت الأرملة الطروب» التي قصد بترجمتها إلى العربية نقل فن من الموسيقى الغربية إلى الأسماع الشرقية لتتعود هذا النغم، عسى أن يؤدي ذلك إلى رقية الموسيقى العربية، وأنه حين ترجم القطعتين كان في جوتلك الموسيقى العالمية، فكان يساير نغماتها، وينظم مقاطع موافقة لها وإن كانت مخالفة للأوزان العربية، إذ كان غرضه أن يحافظ على النغم ويؤلف مقاطع للغناء لا شعراً للقراءة. وقال الأستاذ: إنه لا يعرف من أين جاءت كلمة (الواج) التي لا معنى لها في قوله:

لو أنني في الواج

أغلقت قلبي بالرتاج

ولا يذكر لها أصلا. أما (لو) في قوله:

أواه لو تسكن معي

حبيبتي ضياء عيني

فأصلها (إن) وقد حرفت في الطبع وأنا لا أوافق الأستاذ الخميسي على ما ذهب إليه في إخضاع تأليف الأغنية للنغمات الغربية، وللأستاذ مذهبه وذوقه في الموسيقى الغربية، أما ذوقنا في موسيقى الشعر وغنائه فهو منطبع على الأوزان العربية، ولست ممن يستسيغون ذلك الذي يسميه النغم العالي، ثم هل يصح أن نؤلف كلاماً غير مفهوم لينسجم مع لحن ما؟ إننا إذن نحتاج إلى إعادة النظر في أن «كلامنا لفظ مفيد كاستقم» لنرى هل نستثني بعض الأغنيات لغرض موسيقي، من كلامنا المفيد ...

استقلال مجلس الإذاعة:

يتضمن قانون الإذاعة الجديد الذي تبحثه الجهات المختصة أن تمنح الإذاعة استقلالا ذاتياً فيما يتصل بالأعمال الفنية. ولكنها تخضع في ميزانيتها العامة لوزارة الشؤون الاجتماعية وألا يكون مدير الإذاعة عضواً في مجلس إدارة الإذاعة وله أن يحضر جلساته بصفة مستمع فحسب، وكذلك المستشار.

وقد كان ذلك القانون مثار جدل وأخذ ورد بين إدارة الإذاعة وبين الجهات التشريعية في الحكومة، وكانت الإذاعة حريصة على المطالبة باستقلالها لتكون بعيدة عن التيارات الحزبية السياسية، وقد نالت

كشكول الأسبوع

◻ أشرنا فيما مضى إلى اتجاه في مجمع اللغة نحو إرجاء الانتخاب لل... الكرسي الخالي من قبل حتى ينتهي الترشيح للكرسي الذي خلا بوفاة الجارم. وقد استقر الرأي على ذلك، وتنتهي مدة الترشيح للثاني في الأسبوع القادم، ثم تحدد جلسة لانتخاب العضوين. وقد توفي في هذا الأسبوع الدكتور محمد شرف بك عضو المجمع.

◻ رأت الفرقة المصرية أن مسرحية «الناس» التي كتبها لها الأستاذ توفيق الحكيم، تحتاج إلى تعديل في نقطتين، الأولى تتعلق بالنقد الاجتماعي، والثانية ارتفاع المستوى الفكري في بعض أجزاء الرواية عن مستوى الجمهور. وقد قبل الأستاذ الحكيم أن يخفف من نقد الطبقة الأرستقراطية ولكنه متوقف في النزول إلى مستوى الجمهور.

◻ تلقى الدكتور طه حسين بك دعوة من جامعة لندن لإلقاء سلسلة من المحاضرات فيها أثناء شهر مايو القادم.

◻ نشرت «المصري» يوم الثلاثاء الماضي ما يلي: «وزع حضرة الأستاذ توفيق مفرج والسيدة المحترمة مدامه الدعوة لحفلة عشاء الخ» وكلة (مدامه) خطأ في لغة (الخواجات) وصحتها (المدام بتاعه ...).

◻ كانت إحدى المذيعات تذيع نشرة الأخبار الثانية يوم الاثنين في الأسبوع الماضي، فقرأت البلاغ الرسمي الصادر في زواج سمو الأميرة فوزية هكذا: «تم اليوم بقصر القبة العامر عقد جواز ... الخ» وقد نشر البلاغ بالصحف والكلمة فيه «زواج» لا (جواز) فأين كان عقل المذيعة ..؟

◻ كتبت الحكومة الإسبانية إلى وزارة المعارف تقول إنها قررت تدريس اللغة العربية والفن العربي في جامعاتها، وتبدي استعدادها لقبول بعثة من الطلبة المصريين على نفقتها، لدراسة أصول الحضارة العربية في الأندلس. هذا وقد نشرت «أخبار اليوم» خطاباً يقول صاحبه فيه إن مصر تقبل الطلبة من أبناء البلاد العربية في معاهدها وتعلمهم على حساب دافع الضرائب المصري ... ويدعو إلى منع ذلك! فليت شعري ماذا تقول إسبانيا — جريا على هذا المنطق العجيب — إذا قبلت حكومتها طلبة مصريين؟

◻ صدر أخيراً كتاب «ڤولتير» للكاتب الفرنسي أندريه موروا، وقد عربه الأستاذ عبد الحميد الدواخلي المحرر الأول بمجمع فؤاد الأول للغة العربية، فأخرجه في أسلوب عربي جميل.

◻ تلقت وزارة الخارجية من اتحاد البريد العالمي أنه قرر اعتبار اللغة العربية إحدى اللغات الرسمية له، وقد صدرت مجلة الاتحاد باللغة العربية إلى جانب اللغات الأخرى.

◻ قررت حكومة الباكستان جعل العربية لغة رسمية في بلادها، وهي بسبيل وضع الخطة واختيار الكتب لتعليمها ونشرها بين الباكستانيين.

هذا الاستقلال فى الجانب الفنى من أعمالها . ولكن هناك استقلالا أهم من ذلك وأبعد أثراً فى تنظيم هذه الناحية الفنية وهو استقلال مجلس إدارة الإذاعة عن موظفيها من المدير والمستشار والمراقب وغيرهم

نرى مجلس الإذاعة يجتمع وينفض ، وتنشر الصحف ومجلة الإذاعة أنباء اجتماعه والموضوعات التى نظر فيها والقرارات التى اتخذها ، فإذا هى لا تكاد تخرج من علاوات الموظفين وترقياتهم وتحديد أجور الفنانين ومبنى الإذاعة الجديد . وكأنها صيغة ممدة أو قطعة محفوظة أو « شريط مسجل » يذاع على أثر كل اجتماع وكأن هذه البرامج التى أجمع الناس على سخفها ليست من اختصاص مجلس الإذاعة .

والواقع أن موظفى الإذاعة « الفنيين » يقدمون من يشاءون ويؤخرون من يشاءون ، ويتملقون الكبير ويخطبون ود النافع حتى أصبحت الأمور فى الإذاعة تجرى وفق الاعتبارات الشخصية أكثر من الاعتبارات المصلحية . وترفع الأوراق إلى مجلس الإذاعة للموافقة ، فيوقع الأعضاء بالموافقة ، ثم ينظرون فى علاوات الموظفين ومبنى الإذاعة الجديد .. الخ

وقد تضمن القانون الجديد أيضاً أن يؤلف مجلس الإذاعة من أحد عشر عضواً ، ستة من الوزارات وثيقة الاتصال بأعمال الإذاعة ، وخمسة من كبار المشتغلين بالأدب والثقافة . وحسن جداً ألا يكون المدير أو المستشار عضواً فى هذا المجلس كما ينص القانون الجديد ليتم للمجلس استقلاله ، فيبحث كل شىء ، ويناقش كل ما يجرى ، وليضع خطة وهدفاً يشرف على تنفيذهما بحيث لا يحيد عنهما أحد .

وكما تحرص الإذاعة على استقلالها لتكون بمنأى عن الحزبية السياسية ، فإن مجلس الإذاعة يجب أن يكون مستقلا عن الموظفين ليكون هو أيضاً بمنأى عن حزبيات موظفى الإذاعة واعتباراتهم الشخصية .

من طرف الأسبوع :

زرت الصديق الكبير الدكتور إبراهيم ناجى فى مكتبه بمستشفى الخازندارة ، والدكتور الأديب هو مدير المستشفى ، فبادرنى قائلا : اسمع لما أقول لك . ليس هنا أدب ، ولا فن . هنا طب وأطباء فقط . ثم أخذنا فى حديث الأدب والشعر ! ولم أخرج من عنده حتى اتفقنا على تعريف الأدب (بلغة الطب) بأنه داء لا برء منه .

ومما أطرفنى به الدكتور أبيات قالها لصديقه الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير التموين عند ما ذهب إلى معاليه فى الوزارة ولقى هناك ما لقى من السكرتير ، فكتب الأبيات وطلب من السكرتير أن يوصلها إلى معالى الوزير ، وانصرف . والأبيات هى :

لم أنس فى باب الوزير الذى لقيت من وكز ومن لطع
وعسكرى قائم دونه كالسيف فى طول وفى قطع
وللافندى نفخـة مرة ذممتها ما شاء لى وسعى
وكيف أنسى مرة موقفى عندك بين السيف والنطع

ومن طرف الأسبوع أيضاً أن الآنسة أمانى فريد قدمت قصيدة إلى جامعة أدباء العروبة لتلقيها فى الحفل الذى أقامته الجامعة للاحتفاء بأبطال الفالوجة ، وأول القصيدة :

أأبصرتمو العاصف المرعدا أأبصرتمو الضيغم الأسودا

ولما عرضت القصيدة على معالى الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه باشا ، واطلع عليها ، وردت على خاطره قصيدة الأستاذ على محمود طه التى أولها :

أخى جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدا

فقال معاليه : إما أن يأتى الأستاذ على طه فيلاقى بنفسه وإما لا !

عباس خضر

البريد الأدبي

حول نيتشة وفجنر :

يقول الأستاذ محمد فهمى فى الرد على الأستاذ أنور المعداوى : « أما سبب ذلك الانقلاب — أى انقلاب نيتشة على فجنر — من النقيض إلى النقيض للفيلسوف على صديقه الموسيقار فيعزوه المثقفون أو بعضهم على الأقل إلى علاقة غرامية أحس بها الفيلسوف نحو زوجة صديقه الفنان » ولا يمكن أن يكون فى هذه الأسباب الصغيرة مبرر لتحول رأى نيتشة فى الفنان الكبير ؛ وإن نيتشة يعتبر فى تاريخ الفلسفة الواحد الفرد الصارم العميق والذاهب إلى الحقيقة كيفما كان ثمنها ، والذى ظل يحارب المرض والجنون والفقر سعياً وراء الحقيقة حتى دفع ثمنها آخر قبس من نور عقله العظيم .

والأستاذ « محمد فهمى » لم يصور لنا بأسلوب علمى صريح معنى فكرته ؛ فأى شئ يمثله لنا تأثر نيتشة بفجنر ؟ هل يعنى بهذا أن فجنر تسلط على نيتشة بعصاه السحرية حتى شكله تشكيلاً موضوعياً ؟ ومعنى هذا أن فجنر شكل أسلوب تفكير نيتشة ولون ميوله الفنية والفلسفية ووجهة نظره نحو الناس والأشياء وأوضاع الكون حتى نراه قد حارب فى الميدان الفكرى الذى حارب فيه فجنر ومن أجل فكرة فجنر !

هذه الصورة من التأثر هى التى تشغل مكانها فى أحكام النقد الفلسفى . فنحن نقول مثلاً : إن « إنجلز » تأثر « بماركس » لأنهما حاربا من أجل فكرة واحدة وغاية واحدة فى الحياة ، وهذا هو الذى لم يحدث بالنسبة لنيتشة وفجنر ، فإن نيتشة قد تأثر بفجنر كصديق وتأثر بشوبنهور كأستاذ ، وكانت سنه فى ذلك الحين قرابة الخامسة والعشرين ، وكانت هذه المرحلة بالنسبة لنيتشة مرحلة تحصيل واستيعاب : مرحلة هام فيها الفيلسوف الشاب وراء الحقيقة تساوره الوساوس والشكوك فى قيمة الوجود ومعنى الحياة ، وأخيراً وجدها نيتشة قائمة فى نفسه ، وإذ ذاك وصل إلى نقطة الارتكاز فثار بعقله الجبار على كل الأصنام ، ودعا إلى تحطيم ألواح الوصايا والآراء الفلسفية الداعية إلى الحياة السلبية ، وقد أيقن فى قرارة وجوده الفلسفى أن الإنسان العظيم هو الذى يبدع القيم والاعتبارات ويخلع على الحياة لون تفكيره .

وعندما وصل نيتشة إلى المرحلة الإيجابية من حياته تنكر للصديق والأستاذ تنكراً شريفاً من أجل رسالته الفلسفية ، فاحتفظ بحبهما ولكنه حاربهما فى أقدس ما آمنا به من آراء ومعتقدات فى قيمة الفن ومعنى الحياة .

ولذلك تعتبر خصومة نيتشة لشوبنهور وفجنر مفتاح شخصيته الحقيقية ؛ إذ هى المرحلة التى ابتدأ بعدها يخاطب الحياة كفيلسوف لأن هذه الخصومة كانت الأساس الذى بنى عليه أخطر آرائه فى القيم والأوضاع والفن . وقد اعتبر نيتشة أن مرحلة الإخلاص للأستاذ وللصديق كانت فترة نوم عميق وتخدير لرغبات الحياة فبدا كالهادم العابث الذى زال من صدره عامل الرحمة والإشفاق حين راح يحطم أسوار الشرائع وأبراج الأخلاق .

يقول نيتشة : « يجب على طالب الحقيقة ألا يحفل بما تجنيه عليه جهوده من انتصار أو اندحار فهذا من شأن الحقيقة ، إذ عليه أن يكون خصماً قاسياً لما آمن به من آراء وحقائق ؛ فإذا صادفه من الآراء ما يناقض الحقائق التى قال بها فعليه أن يأخذ بها دون تردد » — وهكذا كان شأن نيتشة فى كل شئ فهو مخلص للحقيقة حتى ولو كانت ضد آرائه التى قال بها .

يقول نيتشة عن صداقته لفجنر وعن اتجاهه الفلسفى : « كنا صديقين غريبين ... كلاهما له غايته وله سبيله ... قد نتلاقى ونرفع أعلام اللقاء كما فعلنا ... ولكن الضرورة التى لا تدفع قد تقذف بمركبينا قذفة جديدة نحو بحار مختلفة وأنواء متباينة . قد نتراءى ولكن لا نتلاقى ... كم لوحتنا الشمس والأمواج !! نظل غريبين لأن الشريعة الغالبة تريد ذلك ، ولكن صداقتنا تبقى شيئاً قدسياً ... وهكذا نريد أن نؤمن بصداقتنا فى النجوم ؛ حتى فى العهد الذى يجب أن نكون فيه خصمين على الأرض » .

إن هذا وحده يكفى للاستدلال على أن نيتشة يحترم عزيز الذكريات فى نفسه لصداقته للفنان ؛ ويجحد بعنف رسالة فجنر الفنية لأنها لا تمثل حقيقة الحياة ، وفى ذلك اعتراف ضمنى على أنه لم يأخذ من فجنر شيئاً ولم يتأثر به . وقد رأينا فيما مر بنا من الأدلة شيئاً من الجزم والوضوح يكفى لهدم ما يدعيه الأستاذ « الحميسى » من أنه « فتق أكمام عبقرية نيتشة » :

فما كان لهذا المفكر الجبار أن يتأثر أو يستمد وجوده الفلسفى من أى إنسان مهما تكن مكانته فى الحياة الفنية ؛ وهو

الذى قال فى « زرادشت » لرفاقه وأنصاره : « ماذا يهم (زارا) من جميع المؤمنين به ؛ إذ عليكم أن تجحدونى لتجدوا أنفسكم ».

ابراهيم العبد السروجى

هل من المستحسن استعمال الحروف المنفصلة كتابة وطباعة ؟

إن الكتابة بالأحرف منفصلة لا تكون أمراً محدثاً أو شيئاً جديداً فيما إذا جرى عليها الخط العربى ؛ إذ لو نظر القارئ الكريم إلى تاريخ الأبجدية العربية لعلم أن هذه الطريقة قد سار عليها الخط العربى فى أول نشأته سواء فى بلاد اليمن ذات الحضارة القديمة أو فى عهد مملكتى : لخم وغسان . كما أنه سارت عليها جل الأبجديات السامية كالفينيقية والآرمية والمسند والسريانية والعبرية والتدمرية وغيرها . ولا زالت بعض هذه الخطوط مستعملة إلى وقتنا الحاضر وعلى نفس الطريقة المذكورة كالأمهرية فى الحبشة وغيرها .

وأنا لا أرمى بقولى هذا إلى نبذ الطريقة المعتادة (المتصلة الحروف) كلا . . بل مرماي الوحيد استعمال كلتا الطريقتين معاً على حسب ما يقتضيه المقام والذوق والفن .

إن فى استعمال الطريقة المشار إليها قد لا تخلو من أمور لها أثرها الحسن بل ربما كانت خطوة طيبة فى مضمار الخط العربى ومجاراة للتجدد النافع . ومن الأوفق الآن أن أعرض على القارئ الكريم بعض النقط التى قد نستفيدها فيما إذا اتبعت هذه الطريقة فى بعض الحالات فأقول :

أولا : يسهل بهذه الطريقة تعليم الأبجدية العربية قراءة وكتابة ، وذلك لعدم لزوم تنويع الحرف كتابة فى أول الأمر

ثانيا : سهولة التصفيف بها فى الطباعة مع اقتصاد الوقت والعمل .

ثالثاً : سهولة ضبط الكلمات المطبوعة بها .

رابعاً : بساطة تجسيمها للأطفال (بالورق القوى) ونحوه مع الحركات وقدرتهم بعد ذلك على تركيب مختلف الكلمات وقراءتها .

خامساً : وضوح الكلمات المكتوبة أو المطبوعة بها ، وذلك لبروز وضعها وظهور شكلها ولو مع صغر حجمها

سادساً : السلامة من الالتباس والغموض والتعقيد فى الكلمات المرسومة بها . والتى طالما تعترى بعض الكلمات فى الطريقة المعتادة لاندماج حروف هذه الكلمات وتركيبها مع عدم ظهور شكلها ولاسيما فى الكتابة الخطية

سابعاً : عدم إيجاد أى صعوبة فى تطبيق هذه الطريقة ، إذ لا يعزب عن القارئ الكريم أنه ما فتئت هذه الطريقة متبعة فى بعض الكلمات فى الطريقة الحالية ، وذلك فيما إذا كانت الكلمة مركبة من بعض الحروف الستة الآتية : ا و د ذ ر ز ، أو مع حرف متطرف كما فى الكلمات : رزق زرع أدب ، روض ، دروس ، إدراك الخ . وهذا مما يجعل تطبيق هذه الطريقة طبيعياً

وقد رأيت من الجميل أن ألفت القارئ إلى أهم الحالات أو المواطن التى يجب أن تتبع فيها الطريقة المذكورة إتماماً للفائدة

١ — كتابة عناوين الكتب والنشرات والمواضيع إذا أريد بروزها

٢ — فى رسم أسماء الأعلام المختلفة والكلمات المتشابهة كتابة والمتباينة نطقاً كما فى كلمات الدَّرَّة والدِّرَّة والدُّرَّة والذُّرة والحِلْم والحُلْم وغيرها ، والمراد وضوح شكلها وضبطها

٣ — فى كتابة جذور مواد المعاجم ومشتقاتها لأبراز وضعها بالنسبة لشرح المادة ولتنسيق ضبطها بالحركات والسكون .

٤ — فى كتابة أنواع اللوائح (اللافتات) ونحوها .

٥ — فى كتابة أو طبع مختلف الإعلانات أو بعض فقراتها طلباً لما يقتضيه الذوق أو الحاجة .

٦ — فى كتابة الأسماء والعناوين الشخصية إذا لزم توضيحها .

٧ — فى سبك الأختام وما شابهها .

٨ — فى كتابة أو طبع الفقرة أو الفقرات المراد إبرازها للقارئ فى صفحات الكتب أو أعمدة الجرائد والرسائل ونحوها .

هذا ما رأيت إثباته على صفحات « الرسالة » الغراء إذ ربما يكون فى الأمر ما يلفت القارئ الكريم ، آملا أن يجد فيه ذوو الشأن وأرباب المطابع ما يرتاح له ذوقهم ويلائم الواقع والله وحده ولى التوفيق .

(طرابلس الغرب)

عيسى سالم الأسود



الشـــــروق

ديوان شعر للأستاذ حسن كامل الصيرفى

بقلم الأستاذ مختار الوكيل

علم الله كم فرحت وسعدت حينما أهدى إلىّ صديقى الكبير الأستاذ حسن كامل الصيرفى ديوانه الجديد الأنيق « الشروق » . فرحت لأنه أعاد إلى ذاكرتى تلك الحقبة الطيبة المباركة من مطالع الشباب الغرير الطافر ، التى تعارفنا خلالها وتعاونا فى ظلال تلك الدوحة الأدبية الفنية الوارفة الظلال « أبولو » التى رعت النهضة الشعرية فى هـذه البلاد وفى سائر بلاد العروبة ، وأحدثت — بفضل نشاط باعثها الدكتور أبى شادى نزيل الولايات المتحدة الأمريكية اليوم — نهضة ووثبة جريئة فى دنيا الشعر والأدب ؛ فعليها وعلى باعثها ورائدها الأول ألف تحية وسلام !!.. وسعدت لأن الشعر الأصيل الحى لا يزال ، فى هذه الآونة التى طغت المادية فيها على كل شيء عداها ، يجد التأييد والمؤازرة الصادقة من الناشرين المخلصين الذين يأبون إلا أن يطلعوا القارئين على روائع الإنتاج الأدبى ، فيسوقون إليهم هـذا الشراب الخالد من نبع الشعر الكريم ليكرعوا منه فتطهر نفوسهم ويذهب عنها ما يرين عليها من صدأ المادية الصماء !! ..

***

عرفت الصيرفى إذن منذ ستة عشر عاماً شاعراً متصوفاً يميل إلى الرمزية ويجنح إلى الإغراق فى التأمل ، لا ينظر إلى ظواهر الأشـياء والمرئيات وإنما يتعمقها ويغوص إلى باطنها باحثاً عن صميمها وجوهرها ، ويعانى التجارب الشخصية ويكابدها ولـكنه لا يتحدث عنها ، إذ ينظم ، حديثاً شخصياً وإنما يصوغها مبلورة فى تجارب عامة مما يعانيه جمهرة الناس فى كل مـكان وزمان .

أجل ، وعرفت الصيرفى فى ذلك الحين شاعراً رشيق اللفظ موسيقى الجرس ، يحسن بموسيقاه الطلية المنغومة التعبير عن نفسه الصافية وروحه النقية الشفافة ، كما عرفته شاعراً صادقاً لا يتعب الناقد فى التعرف على شخصيته مما ينظم ! وبينما كان معظم الشعراء أو الذين عرفوا بأنهم شعراء ينظمون فى المناسبات التافهة ويمدحون ويتهالكون على الملق والرياء ، ويرثون ويمعنون فى تكلف البكاء ، كان حسن كامل الصيرفى من القلة الثائرين على تلك الأوضاع المتكلفة المقيتة ، الذين يؤثرون النظم عندما تتحرك عواطفهم وتجيش نفوسهم وتستعد لاســتقبال « الوحى » الفنى ، ولو كان ما ينظمونه فى قطعة بكماء أو صخرة جرداء !! .. وعرفت الصيرفى فى طليعة المعنيين بمتابعة الحركة الشعرية فى مختلف الأقطار العربية ، بل وفى بلاد المهجر ، فكان يواصل الكتابة ناقداً ومقدماً ومعقباً على النتاج الشعرى والأدبى والفنى فى بلاد المهجر وبلاد العروبة على اختلافها ، وتولى فى غير مَنٍّ تعريف الأدباء المصريين برصفائهم فى المهاجر الأمريكية وفى الأقطار العربية الأخرى ، فى زمن قلت فيه الصلات والروابط فيما بينها . ولعل شاعرنا قد شغف حباً بأدب المهجر ، ولعل نفسه انجذبت إلى تلك الينابيع المتحررة فى المهاجر فتاقت إلى انعتاق فنى مماثل .. !! ومن هنا تلاقت روحه بأرواح أولئك المجددين عبر الأطلنطى ، وامتزجت بها فى انسجام رائع أنتج لنا تلك الأشعار « الصيرفية » التأملية الصوفية ذات الموسيقى المنغومة والألفاظ الرقيقة الوضيئة !! ..

***

ذلك هو الصيرفى الشاعر كما عرفته منذ ستة عشر عاماً ، وازدادت معرفتى به توثقاً بما كان ينظم وينشر من دواوين حافلة ، إلى أن تفضل فأسعدنى بديوانه الجديد « الشروق » . فهل تغير الصيرفى أو حاد عن الاتجاهات التى جملها قبلته ، أو آمن بشعر المناسبات ، أو عزف على أوتار أخرى كانت غريبة عنه فى ذلك الشباب الباكر ؟ أشهد لقد طالعت ديوان الصيرفى الجديد فمثلت حيالى فى كل قصيدة ، بل وفى كل بيت من قصيدة ، تلك العناصر التى امتاز بها شعره الباكر ، وإن كانت الأيام والتجارب قد مكنت لتلك العناصر وأبرزتها فى أقوى صورة وأنصع ديباجة .

دافع الشاعر فى قصيدته الأولى عن الشعر ووجه الخطاب فيها « إلى أولئك الذين يقولون إن الشعر لم يعد من مستلزمات هذا العصر » ، ولقد ذكرت ، وأنا أطالع هذه القصيدة الرائعة ، دفاع الشاعر الإنجليزى ب . پ شيللى عن الشعر ، وأشهد أن قصيدة الصيرفى هذه قد هزتنى وحركت شجونى ؛ وأعتقد أنها قصيدة بارعة رائعة ، ولقد أعجبب غاية الإعجاب بقوله :

فيوم نُفــارق الدنيــا وتــلك قصــيدة الله
ســنغرق فى صــداه المذْبِ بين ضـيائه الزاهى

وهنا يلخص الشاعر الكون كله ويختصره ويعتبر نهايته « القصيدة الكبرى » قصيدة الشاعر الأكبر المعجز !

ولعل قصيدة « الحرمان » التى أهداها الشاعر إلى صديقه الدكتور أبى شادى ، الذى ناضل وجاهد ، وأحس بمرارة الحرمان؛ هى من خير قصائد الديوان ، بل لعلها من أقوى القصائد التى تصور الحرمان فى الشعر العربى الحديث . اسمعه يقول :

أعبد الحسن زهــا فى كوكب
أجتليــه صــامتاً لم أعرب
وهو لم يشعر بإحساسى وبى . . . !
خاطر من حســنه فى موكب
مشرق من نوره المنسكب
فائض الكأس شهى المشرب . . !

ولا أستطيع التعليق على هذه اللوحة الفنية البارعة ، لأن كل محاولة تبذل فى هـذا السبيل إنما تشوه من جمالها وتخدش من ملاحتها ، واستمع إليه حيث يقول :

كلمــا جئتُ بمعنىً مُعْــرب
عن هـوى قلب ولوع متعــب
فرّتْ الألفاظُ حــيرى تختبى
فهى كالشمســة فى عين الأبى
وهى كالفكرة فى ذهن الصبى . . !
وهى كالفتنــة فى قلب النبى . . !

والواقع أن الشاعر الذى تفر منه « الألفاظ » وهو يبحث عنها جاهداً ساعة الاحتشاد للنظم هو وحده الذى يستطيع أن يدرك جمال الحيرة وجلال اللوعة الممثلتين فى هذه الأبيات المعربة غاية الإعراب عن القلق والحرمان

أما أغنية « القبلة » فهى من أرق المقطوعات الغنائية التى طالعتها أخيراً ، وهى جديرة بأن تلحن وتغنى فتطعم أغانينا بطراز راق من الفكر الممتاز والمعنى المستطاب ، ويا حبذا قوله منها :

أغــرودة فى السكون يطــوى بريق العيون
فيهــا ، فتور الجفونْ
لو ردّدتهــا الشفاهْ
فى لثمهــا . بادلينى !

* * *

والصيرفى فى قصيدته « اجعلينى حُلماً » شاعر متصوف حالم رقيق اللفظ نقىّ الصور ، ويا ما أبرعه حيث يقول :

إجعلينى حلماً يطوف ويسرى   من قلوب الورى إلى شفتيك
اجعلينى حلماً لذيذاً شهياً   مثلما يحلم الفقير بعلك
اجعلينى حلماً كما أنت حلمى   فأريك الحياة من غير إفك
بلبلات الخيـال تنقل عنى   شعر قلب نقلته أنا عنك

كذلك يبلغ الصيرفى المدى فى الإجادة فى قصيدته « الأفق » حيث يقول :

أنت كالأفق إذا حاولت أن   أبلغ الغاية منه بعــدا
تعبت عيناى فى إدراكه   وشكت رجلاى فيه الجددا
أشهد الأسرار فيــه تختنق   كالأغانى فى تضاعيف الصدى
فإذا حاولت أن أكشفها   صرت سراً طيهاً قد خلدا
ليتنى أفق ! فـلا أتعب من   يرتجى الأفق وقربت المدى .!

كذلك يبلغ الصيرفى أقصى غايات الإبداع فى قصائده العاطفية الصادقة « تنهداتى » و « القائد المدحور » و « وحدة العمر » ، وهذه الأخيرة مقطوعة من الشعر التجريبى المشوب بالفلسفة الهادئة الرزينة ، على الرغم مما تنطوى عليه من مرارة وسخرية كما فى قوله :

تعال فربما جــاوزت دارى
فتجزبنى الحيــاة إلى قرارى
فأمشى بين أضواء النهــار
إلى ليـلى ويهزأ بى انتظارى .!!

وشد ما أعجبت « بنشيد الثورة » الذى نظمه الشاعر فى

نوفبر عام ١٩٣٥ وكم يكون رائعاً ومفيداً لو وجد هذا النشيد عناية من ملحنى العصر البارزين ، ولا أحب أن أقبس منه هنا ، فيحسن الرجوع إليه جملة فى الديوان ، لأن النقل منه يشوه جماله.

ولقد لاحظت فى شعر « الشروق » ظاهرة « جديدة » هى ميل الشاعر إلى الإكثار من الحديث عن « الصمت » و « السكون » فى قصيدة « إلى المعبد » يقول :

«والصمت» يغمره ويفنى ذاته ولقد يكون«الصمت»خير تمهيد

ويقول فى القصيدة نفسها :

طال الوقوف به فأعيا «صمته» هل تنفع النجوى بباب موصد؟

ويقول فى قصيدة « ساعة اللقاء » :

ساكن الأرض « صامت » فى حنين
لنشيد مرجع من سمائك

وفى « ثمرة الفن » يقول :

ما أعجب « الصمت » أحيانى وأنطقنى !
فهل يحرك هذا « الصمت » منشده ؟

وفى « تنهداتى » يقول :

قالت : علام تنهداتك فى « سكونك يا حبيبى ؟
هل أنت فى فردوس حبك حامل عبء الغريب ؟

وفى « ثورة الجدول » يقول :

« سكنت » إليه « سكون » المصلى
أمام جلالة محرابه
يعانق نور الجلال البعيد وينسى الرغائب فى بابه

وفى « موت فنان » يقول :

أأنت يا « صامتا » تؤوب أيامه المدى البعيد

ويقول :

هجرت ألحانك العذاب وعشت فى « صمتك » الحزين

ويقول :

« أصمتك » الموحش الكئيب يا هاتف الأمس سخريه
بعالم مغرم يذوب على ترانيم أغنيه ؟

ويقول :

قد خف فى « صمتك » المنون بروحك الحية الصدى !

إلى غير هذه الإشارات والتعبير والصور التى تنوه بالصمت وترسم السكون فى لوحات موحشة وأخرى ساخرة أو حزينة أو متفلسفة أو رمزية .

حقاً لقد سعدت بمطالعة ديوان الصير فى الجديد «الشروق» هذا الديوان الذى أضاف كثيراً إلى ثروة الشعر المصرى الأصيل المبتدع الذى نسعى جاهدين لكى يزداد ازدهاراً وإشراقاً ، حتى تكون له آخر المطاف على مدرسة الاتباعيين والتقليديين الذين يعيشون على المدائح والمراثى والمجاملات والمناسبات .

فهنيئاً لمدرسة الجديد بهذا الديوان الرشيق الذى سكب فيه شاعرنا الكبير روحه المتأملة ، وعاطفته الخالصة ، وموسيقاه الرقيقة ، وهنيئاً لشاعرنا بهذا الإنتاج القيم الذى نرجوه أن يتصل ويستمر لخير النهضة الشعرية .

مختار الوكيل

العدد ٨٢٤ — الاثنين ١٨ أبريل ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

17 em Année No. 824

Lundi — 18 — 4 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٢٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨ — ١٨ أبريل سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

الدولار والشرق العربي

للأستـــاذ عمر حليق

هناك حقائق خطيرة قل أن تتعرض لمعالجتها ألسنة الرأى العام العربى عندما تتحدث عما يقترحه المسكر الغربى على الشرق العربى من مساعدة اقتصادية ومحالفة عسكرية . وهذه المغريات التى تنقلها إلى القارئ العربى فى غير فطنة مواصلات فكرية هى فريسة بؤر التوجيه الضار فى السفارات الأجنبية وفى وكالات الأنباء « العالمية » التى يعيش على محصولها الإخبارى قارئ الصحف العربية والمستمع العربى .

ومن أبرز هذه الحقائق تجاهل المعقبين العرب لحقيقة الوضع الاقتصادى القلق الذى تعيش عليه الولايات المتحدة وهى عماد المعسكر الغربى ، وحاجة هذا الوضع إلى استثمار الأموال فى المناطق التى توفر الربح العاجل المضمون كمنطقة العالم العربى .

فللمشروعات الأمريكية للمساعدة الخارجية كمشروع مارشال أوجه أخرى غير الأوجه السياسية . « الإنسانية » التى يبدو أن معظم ألسنة الرأى فى الشرق العربى ميالة إلى التملق بها وحدها .

وحين نسلم بأن التوسع السوفياتى وذيوله السيئة فى شتى نواحى النشاط الإنسانى هو أخطر ما يواجه حاضر الشرق الأدنى يجدر بنا كذلك أن لا ننسى مطلقاً ما يستتر من الشر فى الاستسلام المطلق للتوسع الأنجلو أمريكى ؛ فإن امتداد مشاريع « المساعدة » الأمريكية إلى الشرق العربى هو توسع تستلزمه الأزمات الحاضرة فى السياسة والاقتصاد والحرب التى تواجه المسكر الغربى .

ولعل الوقوف على الوضع الاقتصادى فى الولايات المتحدة وعلى برامج التوسع التجارى الذى لا مفر للصناعة البريطانية من تحقيقه إذا حرصت على النهوض الصحيح — هذا الوقوف يلقى ضوءاً هادياً على سياسة الدولار فى منطقة الجامعة العربية .

إن الوضع الاقتصادى فى الولايات المتحدة الأمريكية قلق ؛ وليس هذا الجزم مقتبساً من تعقيبات « برافدا » و « ازفستيا » وراديو موسكو ؛ بل هو حقيقة لا يستطيع الأمريكان كتمانها عن أنفسهم وإن استطاعوا — بفضل ما لهم من نفوذ قوى فى المواصلات الفكرية العالمية — التقليل من خطورتها خصوصاً لدى الشعوب التى ينقصها الوعى الاقتصادى الحساس كشعوب الشرق الأوسط

وأبرز مظاهر هذا القلق الاقتصادى فى منطقة الدولار مشكلة التضخم المالى وازدياد التبطل بين العمال الفنيين والصناعيين والتباين فى معدل الإنتاج والاستهلاك ، وألف وجه ووجه من المشاكل الاقتصادية المعقدة التى تأتى فى أعقاب الحروب الكبرى فالنكسات الاقتصادية — والنكسة وصف معتدل لحاضر

الاقتصاد الأمريكي — لا تولد بين عشية وضحاها ؛ إنما هي وليدة تضخم في الإنفاق وتضخم في الشراء وتضخم في الاقتراض. فقد اتسع الإنتاج الصناعي في أمريكا زمن الحرب اتساعاً هائلا في طفرة غير اعتيادية، فارتفعت نسبة الإنفاق على النحو الذي خبره العالم بأسره، وزادت نسبته في أمريكا. ومما ساعد على التضخم في الاقتراض طبيعة التعامل النقدي في الحياة الأمريكية (تسهيلات الدفع والتقسيط الخ) ؛ فنتج عن ذلك هذه التيارات التي واجهها الكيان الاقتصادي في أمريكا منذ أكثر من عامين، ونجح في تفادي أزمتها الجارفة بالقرض البريطاني أولا، ثم بمشروع مارشال وببرنامج التسلح الهائل الذي ينفذ في إسراف يستوعب العمال العاطلين ثانياً. وهو يحاول الآن أن يخطو خطوة إنقاذ أخرى على طريق التوسع الاقتصادي في المناطق « المتأخرة ».

إن إنهاض التنمية الاقتصادية ضرورة لاستقرار السلم العالمي — هذه حقيقة مسلم بها، ولكن المهم في هذا العرض هو الوقوف على بعض العوامل الأساسية في مسألة قد تقرر مصير الكيان العربي لأجيال عديدة.

فالمساعدة الاقتصادية المقترحة ليست إحساناً خالصاً لرفع مستوى المعيشة للبائسين في الشرق العربي ؛ فالضمير الأمريكي لم ينفعل كثيراً لفاجعة فلسطين بالرغم من أن له اليد الطولى فيها.

والمساعدة الأمريكية ليست سهماً يوجه للشيوعية التي تربض على أبواب الشرق الأدنى — فوقف أمريكا من التطور في الصين، وقصدها من تزويد الأتراك بحاجتهم الماسة ينفيان ذلك — ولكنها مصلحة فيها عنصر أناني وضرورة اقتصادية ملحة تضع في يد الشرق العربي عنصر مساومة فريد.

ذلك لأن هذا الشرق في رأي المستر إميل شرام رئيس بورصة نيويورك الكبرى، من أفضل المناطق لاستثمار رؤوس الأموال الأمريكية لأسباب عددها في عدد يناير من مجلة عالم الأمم المتحدة وهي :

أولاً — إن الوضع الاقتصادي في الشرق الأدنى سليم جداً. فهو لم يتضرر من الحرب المنصرمة.

ثانياً — أن هذا الشرق لا يواجه وعياً اقتصاديا، ولا نزعة اشتراكية جدية تعرض رؤوس الأموال الأجنبية للتأميم. فالقدمية الاقتصادية في الشرق الأدنى لن تستيقظ بصورة خطيرة إلا بعد أن تعطي رؤوس الأموال المستثمرة أكلا طيبا.

ثالثاً — إن هذا الشرق بحاجة إلى التمويل وأولو الأمر يقدرون ذلك، والتعامل معهم سيكون على أساس اقتصادي سليم

وطبيعي أن مايقترحه الأمريكان من مساعدة للشرق الأوسط لا يقتصر على المخصصات الحكومية. وأكبر الظن أن هذه المخصصات ستكون على أقل نسبة. والواقع أن برنامج ترومان للمناطق التي تحتاج إلى التنمية الاقتصادية قصد في أساسه إلى تهيئة الفرص لرؤوس الأموال الأمريكية للاستثمار في الخارج وضمانة أرباحها.

وهناك نواح أخرى لا بد من الوقوف عليها لأية مساومة قد تدفع دول الجامعة العربية إلى الأخذ بها في هذه التيارات الجارفة.

فكما يستفاد من القليل الذي تنشره الصحف الأمريكية ومن الكثير الذي تنشره الصحف العربية ! عن طريقة حكومة أمريكا في مد بشروع مارشال إلى الشرق العربي، فإن المساعدة ستقتصر على ناحيتين :

الأولى: تحسين الدفاع الاستراتيجي من الناحية الحربية الصرف ومن وجهة نظر حلفاء الغرب الصرف كذلك.

والأخرى: تنمية الإنتاج الزراعي كوسيلة لرفع مستوى المعيشة.

والتريث في بحث هاتين الناحيتين يكشف عن شؤون غاية في الخطورة للكيان القومي في كل من الدول العربية، وفي السياسة الأقليمية التي تمثلها الجامعة العربية التي لا مفر — لعدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية، للناطقين بالضاد من السير بموجبها على الرغم مما ألم بها من نكسات.

فمشاريع الإنتاج البترولي وأنابيبه وتأمين سريانه وحماية مواصلاته ستكون لولب « الإنعاش » المقترح.

وطبيعي أن للشرق العربي حاجة ماسة لتحسين المواصلات ؛ ولكن هذا التحسين إذا توخى ماينتظر منه من فوائد وجب أن لا يتقيد بمصلحة الإنتاج البترولي على حساب النواحي الأكثر أهمية والأشد ضرورة ؛ فالناحية الحيوية في مشكلة المواصلات في الشرق العربي أعقد من أن تقتصر على الإنتاج البترولي والمطارات السعودية والليبية القريبة من آبار الزيت الروسية في (باكو) وفي حوض

قزوين ومصانع الإنتاج الحربى الروسى فيما وراء جبال الأورال .

وللناحية الثانية وهى تحسين الإنتاج الزراعى كوسيلة لرفع مستوى المعيشة أوجه غير هذا الوجه الخلاب الذى قد يغرى من لم يدرك حقيقة العلاج للعلل الاقتصادية فى الشرق .

فان الانتاج الزراعى إذا لم يلازمه التصنيع الواسع النطاق الثابت الأركان فانه لن يستطيع رفع مستوى المعيشة لملايين المصريين مثلا ولا حل أزمة السكان وضآلة الدخل القومى : وهذه الحقيقة تنطبق على العراق وسائر أنحاء الشرق . وأن طبيعة العوامل الاقتصادية التى تدفع أمريكا وبريطانيا لمساعدة الشرق العربى تتطلب أن يظل هـذا الشرق مستهلكها لا منتجاً للسلع التى يعيش عليها الكيان الاقتصادى فى أمريكا وبريطانيا . ولعل المصلحة البريطانية فى هذه الناحية أشد انتفاعاً وأبعد فى النتائج العملية . فإذا أشرك الأمريكان البريطانيين فى مشاريعهم للشرق الأوسط فإن البريطانيين قد أشركوا من قبل (ركفلر) وأمثاله من أقطاب المال الأمريكان فى هذه الإمبراطورية الاقتصادية التى تعمل الآن فى صمت فى أواسط القارة الأفريقية .

هذه ألوان من الحديث قد تساعد على معرفة بعض مواطن الضعف والقوة فيما يقترحه المعسكر الغربى . ويضاف إلى هـذه التلميحات الاقتصادية ذيول والتزامات سياسية خطيرة العواقب . فإن أى مساعدة أو منحة أو قرض يستلزم التعاون مع الكيان اليهودى فى فلسطين سيحقق له فى الحاضر والمستقبل ما حققته الناحية الخفية من أعمال « مركز تموين الشرق الأوسط » الذى أقامه الحلفاء إبان الحرب العالمية الماضية ؛ إذ استطاع الاقتصاد اليهودى بواسطته أن يتركز بعد أن كان مضعضع الكيان مشرفاً على الإفلاس ، واستطاع أن يحظى بأنواع من المواد الخام والتصنيع الحربى عن يد مركز تموين الشرق الأوسط ، وهذا ما أثبتت معارك فلسطين مبلغ خطورته . والذى يزيد من حدة الدعوة إلى هذا الحذر من مثل هذا التعاون مع يهود فلسطين — مباشراً كان أم غير مباشر — المناصرة الشديدة التى يلقاها مشروع « مساعدة » الشرق الأوسط فى البرلمان الأمريكى من الشيوخ والنواب الذين حملوا منذ سنين لواء العمل للمصلحة الصهيونية

* * *

ليست الخيرات الكامنة فى الشرق العربى وحدها هى التى تغرى واشنطون بالتودد ؛ ففى أمريكا الجنوبية أضعاف الخيرات التى فى هذا الشرق . وليس خطر الشيوعية وحده هو الدافع لهذه « المساعدة » ، ففى الصين وكوريا وفى أمريكا الجنوبية كذلك — وهى الباب الخلفى للعم سام — ثغرات من الفقر والجهالة أوسع مما فى الشرق العربى ، ومع ذلك فلا يضعها الأمريكان فى طليعة الدول التى لها الأسبقية فى « السخاء » الأمريكى . وليس الموقع الاستراتيجى وحده كذلك هو السبب الوحيد .

ولكن هذه الأسباب مجتمعة أوجدت حالة فريدة ، تجتمع فيها المصلحة الاقتصادية الاستثمارية مع الحاجة العسكرية ، وأخشى أن أقول مع النقمة الصهيونية . فعلى الذين يتولون التوجيه فى هذه الحالة مسؤولية فاصلة فى الكيان الأساسى للعالم العربى .

وإذا كان لابد من مساومة فلتكن على أساس من المصلحة القومية تراعى فى حرص وفطنة حاضر العرب ومستقبلهم ، والتيارات الجارفة التى تحيط بهم .

(نيويورك) عمر حليق

المسرح والجمهور

للدكتور محمد القصاص

ليس الفن المسرحي هو المؤلف وما كتب فحسب، ولا المؤلف ومعه الممثلون وحدهم، بل لا بد له من جمهور أيضاً. تلك هي الدعائم الثلاث التي إذا فقد المسرح إحداها انهار.

بالطبع كل من يكتب ويطبع يبتغى أن يقرأ، وإلا لا كتفى بتسجيل خواطره وأفكاره تسجيلا سريعاً دون أن يعمد إلى تنظيمها وتبويبها وطبعها ونشرها. فالفن اجتماعى بطبعه إذا عمى بجوهره. ومن ثم فإننا نعجب لكاتب يكتب ما لا يفهم القراء ومالا يعنيهم (ولا نتكلم هنا عن الشعر فقد يكون له موقف خاص) الكاتب الذى يعيش — كما يقال — فى برجه العاجى بعيداً عن الحياة وعن الناس.

ولا نقصد من وراء ذلك أن يخر الكاتب راكعاً أمام جمهوره فيتملق عواطفه مهما انحطت، ويتغنى بمواطن الضعف فيه؛ كلا، فإن هذا مفسدة للأدب مفسدة للفن، بل هو إلى التهريج أقرب منه إلى الفن.

ولكن احتقار الجمهور والبعد عنه، ومخاطبته بلغة غير لغته، والاشتغال بنجوم السماء دون الأرض ومن عليها، جرم مرتكب فى حق الفن والمجتمع على السواء. ومع ذلك فقد نسلم جدلا، جدلا فقط، أن الرسام يستطيع أن يرسم لوحة يحتفظ بها لنفسه، ولنفسه فقط، وأن الشاعر يستطيع أن يكتب قصيدة يرددها بينه وبين نفسه من طلوع الشمس إلى غروبها، ويكتمها عن جميع من عداه، وأن القصاص قد يكتب قصة ثم يتركها تغط فى سباتها العميق سنين وسنين حتى يأتى يومها، حتى يأتى جمهورها بعد زمن يطول أو يقصر. ولن يضيرها ذلك فى شىء فهى قد وجدت بالفعل منذ انتهى صاحبها من كتابتها، ولن يزيدها وجوداً أن تظفر بعشرة قراء أو بعشرة آلاف قارىء أو بمائة ألف قارىء. ولن يكون لقارئها أى تأثير عليها، بل هو الذى سيتأثر بها تأثراً سطحياً أو عميقاً، عاجلا أو آجلا.

ومن جهة أخرى إذا كانت أفكاره عسرة الهضم، أو كان ملتوى الأسلوب معقد التعبير مقتصداً فى المقدمات خفى النتائج، فقد يجوز له أن يترك كلامه على ما هو عليه دون أن يجهد نفسه فى أن يرفع عن كتابته غموضاً يستطيع القراء أو غالبية القراء رفعه ولو بشىء من العسر. ذلك لأنه يعلم أن الكتاب يستطاع أن يقرأ وأن تعاد قراءته، وأن كاتبه يستطيع فتحه أو إغلاقه متى شاء وأنى شاء، وأن يكرر من عباراته كما عن له أن يفعل حتى يفهم. فإذا لم يكن بعد ذلك أهلا للفهم فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

أما العمل المسرحى فله شأن آخر فهو بمثابة كتاب يقرأ جماعة، ومتى فتح لم يتسن لواحد من القراء أن يغلقه تبعاً لهواه. كتاب تدار صفحاته من تلقاء نفسها من أول صفحة إلى آخر صفحة. إذا قيلت منه كلمة فقد فاتت، وليس لسامع أن يرجو من الممثل إعادتها، وإلا أصبحت قاعة المسرح ميداناً لكوميديا أخرى غير كوميديا المؤلف: كوميديا الجمهور لا كوميديا الممثلين، إذا راح المتفرجون — كما تخيل أحد الساخرين — فى رواية غامضة يقومون الواحد بعد الواحد، مطالبين بإعادة تلك الجملة أو بتفسير هذه الكلمة، فيتصدى لهم الأذكياء أو من يتظاهرون بالذكاء فيطلبون إليهم أن يتركوهم ينصتون فى هدوء وألا يقطعوا على الممثلين سلسلة اللعب؛ ويجيبهم الأولون على عنفهم بعنف أشد منه، حتى ينتهى بهم الأمر إلى التقاذف بالشتائم ثم إلى استعمال الأيدى. وهنا ينتقل تمثيل الدراما من فوق المسرح إلى قلب الصالة. على كل حال سواء أدفع المتفرج أجر مكانه أم لم يدفعه، فإنه يصر على أن يفهم، وأن يفهم على الفور كلمات المؤلف بمجرد أن يفوه بها الممثل.

ومن ثم وجب أن تكون التمثيلية مثلا أعلى فى قوة الإفهام ووضوحه. فالمسرح إذاً معبد الوضوح، يجب أن تسمى فيه الأشياء بأسمائها. وويل للمؤلف الذى يحاول أن يمثل قطعة باللغة الصينية على مسرح من مسارح القاهرة لا يفهم زائروه غير العربية. تلك هى إحدى الحقائق الكبرى التى على كاتب المسرحية أن يراعيها، مهما كلفه ذلك من جهد ومن تضحية: أعنى أن يستعمل لغة مشتركة بين الجميع، مفهومة من الجميع، مهما كانت

منتقاة طافحة بالصور والأخيلة موغلة فى الروح الأدبى .

وإليكم حقيقة أخرى ليست أقل من صاحبتها فى الأهمية .

وهى أمر يتعدى الكلمات والعبارات إلى الموضوع الذى تعبر عنه ، إلى الأفكار التى هى لباس لها . فما جدوى الكلمة الواضحة المعنى والعبارة الصحيحة المبنى اليسيرة الفهم الجميلة الصورة ، إذا كانت الفكرة التى تعبر عنها أو العاطفة التى تصفها أو تستثيرها لا تمت بشىء إلى ما فى ذهن الجمهور وقلبه ، إذا كانت لا توقظ فيه صدى ولو خافتاً لهذه العاطفة أو تلك الفكرة ؟ وأسوأ من ذلك إذا أثارت فيه عاطفة مضادة لما أراد الكاتب ، أو إذا أثارت عاطفة ما عند بعض المتفرجين فجعلتهم يبكون وأخرى مناقضة لها عند البعض الآخر فجعلتهم يضحكون .

فعلى الكاتب المسرحى أن يخاطب عواطف وأفكاراً مشتركة بين جميع أو معظم أفراد جمهوره ، ولو كانت موزعة بينهم بأنصبة مختلفة .

قد يعترض علينا معترض فيقول : أواثق أنت من أنه قد يوجد شخصان فقط يؤخذان من بين الشعب دون اختيار فيرى بعد الاختيار أنهما يتفقان فى إحدى الفكر اتفاقاً كاملا ؟ ونحن نجيب على هذا بأن الاتفاق فى التفاصيل أمر عسير . ولكن من الطبيعى أن يتفق أفراد مجتمع من المجتمعات التى يصح أن يطلق عليها هذا الاسم فى طائفة من القيم العقلية والأخلاقية : كالحق والباطل ، والخير والشر (ولا نقول الجميل والقبيح ، فإن تلك قيم جمالية تخضع لاختلافات كثيرة لا محل لذكرها هنا) . فالاتفاق على الخير والانفاق على الشر ، ذلك هو الحد الأدنى الذي على المؤلف أن يسعى فى تحقيقه حتى يتحقق التناسب بين عمله وجمهوره . ذلك هو الشرط الأساسى الذى يجب أن يتوفر فى التمثيلية لتثير انفعال الجمهور ولتجتذبه إلى ما يريد المؤلف أن يجتذبه إليه . فالقطعة التمثيلية لا تكون حقاً ولن تحيا حقاً إلا إذا حييت فى نفوس الجمهور كما حييت فى نفس الكاتب والممثل ، وفى نفس اللحظة التى يشاهدها فيها . وهذا ما جعل جاك كوبو من أعلام المسرح الفرنسى يقول : « لن يكون هنالك مسرح بمعنى الكلمة إلا يوم نجد رجل الصالة يتمتم بنفس الكلمات التى يفوه بها رجل المسرح فى نفس الوقت وبنفس القلب . » نعم لا يمكن أن يكون ذلك إلا يوم يصير رجل الصالة ورجل المسرح والمؤلف وكأنهم شخص واحد؛ ولابد لهم لذلك من ميدان معنوى مشترك . هذا الميدان يستطاع العثور عليه بسهولة فى مجتمع سليم التكوين ، فيه شىء كثير من التجانس ، يجتمع على الاعتراف ببعض الخير لأنه خير ، وببعض الشر على أنه شر ، وببعض الحق على أنه حق . أما إذا كان المجتمع مهلهلا لا تجانس فيه فإن مهمة المؤلف تعتبر من أشق الأمور . ففى هذه الحال يتعسر على الشاعر أن تتفق ويصعب على الكاتب أن يخاطب جمهوره بلغة يفهمها الجميع . ولكنه حتى فى هذه الحال لن يعدم أن يجد بذوراً طفيفة لآمال ومخاوف مشتركة . وحينئذ فعليه أن يتخذ منها نقطة ارتكاز يصدر عنها فى مسرحيته ، وأن يتخذ من مسرحيته ومن نشاطه فى الأدب المسرحى وسيلة لتقريب ما تنافر من عقلية أبناء وطنه . وهنا يبدو لنا بعض ما يستطيع المسرح أن يقدم للوطن والمدنية من خدمات . فمن الخطأ إذاً أن ننظر إلى المسرح (على نحو ما يفعل البعض) كما ننظر إلى حجرة مغلقة تدور بها بعض الأحداث ثم رفع منها أحد حوائطها فأصبح ما يجرى بداخلها على مرأى من المارة ، ولكنهم يشاهدونه مبهوتين دون أن يستطيعوا المشاركة فيه بعقولهم وقلوبهم ، بل دون أن يفهموا شيئاً منه ؛ وإنما يجب أن ننظر إليه كمنصة منصوبة فى ميدان عام تمثل عليها أحداث ، وتتصارع فوقها أفكار وميول وعواطف تتصل بنفوس الشاهدين جميعاً . فهو لذلك مكان التبادل النفسى بمعناه الصحيح . وعلى الكاتب المسرحى أن يدرس فى الحياة نفسها شروط هذا التبادل وأن يستخرج قوانينه حتى يضمن تحققه فى عمله ، وحتى لا يكلم الجمهور بلغة غير لغته .

فالفن المسرحى يقتضى وجود عادات ووجود مجتمع ووجود شعب بأنبل معانى الكلمة .

فالفن المسرحى ليس فناً مغلقاً ، ولا مما يؤجل تحقيقه خارج الكتاب الذى كتب فيه ، بل فن مفتوح ، فن الساعة التى يكتب فيها .

محمد القصاص

دكتوراه فى الآداب من جامعة باريس

أمام أبي الهـــول

للأستاذ راجى الراعى

يا إلـه الصمت ، ويا ملتقى الأسرار ، ويا عقدة الألسنة ، ويا مثال المتأملين !

أيها الأسد الرائع المتحفز منذ القدم للوثوب على فريسته التى لم يجدها بعد ... يا ربيب الفراعنة ، ويا رفيق « الأهرام » ، ويا عجيبة المصريين ... أيها المتكبر الجبار الذى لم يخفض رأسه لأحد فى الدنيا ، وقد مرت كلها من أمامه ... يا مصيبة الثرثارين ويا محتج الحائرين ... أيها الضاحك الباكى ، السعيد البائس ، الحائر المهتدى ، الثمل الصاحى ، القوى بأهرامه ، الضعيف برماله ، الجرئ بصدره ، الحكيم بلسانه ... أيها البحر الذى تلاطمت فيه أمواج الأسرار ولم تنفث زبدها ... أيها الناسك الذى لم يؤمن بالعالم فأقام فى صومعة الرمال وانقطع إلى ربه ونفسه ، الناسك الأكبر ، زعيم الناسكين ، تدق له نواقيس الذكرى فى أودية التاريخ التى تعاقبت عليه ، ومن يستطيع أن يحصيها ؟.

أيها الثمل بالذكريات غمرته بخمورها فلم يقو على العربدة ، وكيف يعربد الغريق ؟ وطوقته بجمالها وقبحها فجمد كالمجنون وتكأكأت عليه الخلائق ...

أيها البطل الضائع الذى ازدحمت فى بطولته مشاهد القرون على مختلف ضروبها وألوانها فضاق بها ذرعاً ولبث مكانه لا يبدى حراكا ...

أيها المبرد بوسادته الحجرية لظى المغرمين ، المخجل برباطة جأشه المذعورين الفارين ، المحطم بصخرة حيرته وشبكة سفينة المهتدين ، المخرس بفصاحة عينيه زمرة المعربدين ، الهازئ بالعابرات والعابرين ، الضاحك على الأذلاء الخانعين ، الباكى على الضاحكين!

يا أبا الهول الذى هالته نفسه فلم يعرف أين يضعها وكيف يعبر عنها ، ويا فتنة النيل ورب الوادى ... أيها الأمين الأكبر الذى يحمل مفاتيح التاريخ ولم يخن واجب الأمانة ، أيها المبرم مع المجهول عهداً يحسده عليه المعلوم ، أيها الغارق فى لجج اللانهاية ولم يبلل ثوبه ... أيها المبسوط فى حجره المنكمش فى تصلبه ، أيها الطليق بعينيه السجين بين ألغازه ، أيها الناظر إلينا نظرته الغريبة بين صممه وبكمه كأنه يفتش بين السماء والأرض عمن جاءه بالصمم وعقل لسانه ليصفعه ويضمه إلى قلب رماله ...

أيها الواقف بين الماضى والمستقبل كأنه الصلة المفقودة التى نفتش عنها ! أيها الرجل العجيب الذى لم يتحرك بعد فى هذا الجيل ، والكهرباء تشع فى وجهه ، والطائرة تحلق فوق رأسه ! أيها الصابر صبراً دهشت له الأرض التى تصبر على موتاها ، ودهش له البحر الذى يصبر على غرقاه ...

أيها المتمرد الأكبر ، أيها الحاكى الذى يردد أصداء الإنسانية ، أيها العداد الذى يحصى فضائل الخليقة وعيوبها وساعات نعيمها وبؤسها ...

يا أبا الهول !

أتيتك بعد تلك القرون التى توالت على رأسك .. أتيتك فى القرن العشرين متأخراً ، وتفرست فيك ، نخطرت لى النعوت والأسماء التى كسوتك بها ... رأيتك بعينى ولا أدرى بأى عين رآك أسلافى ، وحرت فيك كما حاروا من قبلى ، ورمتنى الحيرة بين أمواج الخيال فتخبطت فى أسرارك ، وغرقت فى أوصافك !

ما هى حقيقتك يا سيدى وأين هى ؟ وهل أنت تجهلنى كما أجهلك ؟ من أنا ؟ أنظر إلىّ جيداً ... أقوى أنا أم ضعيف ؟ أسعيد أنا أم بائس ؟ أنا كاتب يعرض فى القراطيس رسوم النفس والحياة ... فهل أطربك قلمى ، وهل رأيت رسومى ؟ ؟ هل أنت شاعر بى ، أم أنت تنظر إلىّ وترى نفسك ؟ !

قل لى أبا الهول : ألأمسى أنا أم لغدى ؟ وأين هو رقمى فى جدول الإنسانية ؟ وهل فى جبينى السطر الذى تفتش عنه منذ القدم ؟ أمصيب أنا فى عقيدتى أم مخطئ ؟ أنا للشاعرية ... فهل فى حجرك من شعرى ؟ وهل الشعراء فى نظرك هم الناس ، وهل فى صدرك القاسى فؤاد رحيم ؟

أتيتك أسألك عن حقيقتك وحقيقتى ، فهل من جواب يخرج من فك ويحيى ؟ أما تاقت نفسك يا صاحبى إلى الكلام ولو مرة واحدة ، ألم تسأم الصمت ؟ ؟

حدثنى .. وإن كنت معقود اللسان ، ففى عينيك الجاحظتين ألف بيان دفين ... لا تخش أن تبوح لى بسرك ، فقد هجرك الناس وجئتك وحدى ، وفى هذا الدليل على حبى وإخلاصى ...

إن فى رأسك حلماً كبيراً قديماً حار فيه لسانك ، وسقط تحت أثقاله صدرك ، فجثمت مكانك صابراً صبر الأسياد لا صبر

فلسفة طاغور الأخلاقية :

مشـــكلة الشر
فى ضوء وحدة الوجود

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

إن اعتناق طاغور عقيدة وحدة الوجود لم يضف جـديداً للفكر الهندى ، بل هو أخذ من القديم ، وترديد لنفحات حكماء السابقين . وإن تدعيمه هـذه العقيدة بتوضيح ما يكتنفها من إبهام ، وما يشيع فيها من إشكال ، أو بعثه لها فى قالب شعبى يجدد من حيويتها ، ويذيعها بين العام قبل الخاص ، ولئن كان فيه شئ من الجدة فإنها لا تظهر طاغور إلا بمظهر المدافع عن تراث دينى عتيق . وإنما الذى يفصح عن إبتكاره الفكرى ، هو إستعانته بهذه العقيدة فى تدعيم المبادئ الأخلاقية ، وتفسير ما يشوب الحياة الإنسانية من شر ، وما ينتابها من سوء .

وإن كان فى تصور تجلى الله فى مكونات الوجود فى صورة قانونها العام شئ من البراعة الفكرية ، فإن تصور حلول الله فى الإنسان على صورة القانون الأخلاقى ، ينم عن مهارة روحية فائقة ، تظهر قدرة طاغور الملائكية فى كيفية إحكام ربط الإنسان بالله ، إذ جعل أفضل ما فى الإنسان مستمداً من الله ، واتخذ من أنبل ما يحتويه كيانه من قيم روحية سبيلا لتحقيق اتحاده بخالقة اللانهائى . وإن كان هناك كثير من البشر يعصى أوامر القانون الأخلاقى ، الذى ليس إلا قبساً من نور الله فاض به على الإنسان ، فظهر فيه فى قالب فطرته الخيرة ، التى تحارب الغرائز البهيمية والشهوات المنحطة ، وتقاوم سحر ملاذ الدنيا ، وتدفع إغراء متعها المادية ، كما تطهر النفس من كل ما يمكن أن يتسرب إليها من دنس ، وتخضع حياة الإنسان للقيم الفاضلة ؛ فإن هؤلاء الذين يعصون هـذا القانون الخالق ، ولا يؤمنون بسيادته على النفس ، يعتقدون أن منفعتهم الخاصة يجب أن تكون قانون حياتهم الوحيد ، ويفضلوا أن يتمردوا على فطرتهم الخيرة على

العبيد ... لقد أقعدك حلمك عن السير ، وملأ نفسك فلهوت به عن الناس ...

حدثنى أبا الهول : ما هذا الحلم الذى تنسج خيوطه على مهل ؟ أما حان لك أن تستريح ؟ لقد طال حلمك وطال صبرى !

بما ذا تفكر ؟ أبالله وسمواته وكواكبه ونجومه ، أم بالقرون التى مرت بك ، أم بهذا العالم الفانى ، أم بى ؟ ؟

حدثنى .. ولـكن لا ، ابق صامتاً ، فإننى أخاف إذا تكلمت أن لا يقال بعد ذلك : هذا (أبو الهول) ... إن صمتك حديث الناس ، وقد لا يكون حديثك حديثهم ، فما يدريك أن تكون الكلمة الأولى التى تنطق بها وبالا عليك ، ودليلاً على أنك لم تكن إلا حجراً .. ابق صامتاً ... إن قوتك فى صمتك ... أنت ملك الصمت ، فلا تخلع عرشك بيدك !

ولعلك فقهت معنى الحياة ، فرأيت أن الصمت خير ما فيها ، أنت صخرة اقتطعتها السموات من جبال عظمتها وأمجادها ، فكبرت نفسك حتى أنفت أن يكون اللسان بوقها وترجمانها ورسولها ، وهل يصلح اللسان ، هذا الثرثار الضعيف المزعج ليعبر عن أسرار النفس والطبيعة ؟ هل يقوى على الثبات فى ساحة النفس الكبيرة إذا ثار بركانها ؟

انظر إلى الفيلسوف كيف يخرس ساعة يصطدم بالمجهول ، وإلى الجندى كيف يُعقل لسـانه ساعة يصطدم بالخطر ويصافح الموت ، وإلى الفنان كيف يصمت صمته العميق ساعة يسحره الجمال ، ويحتل الشاعرية أعماق قلبه ... وانظر إلى الفقير الذى شرب ثمالات الكؤوس كيف يعجز عن النطق وفى فمه كل دموعه ، وإلى المؤمن الناسك كيف يقطع لسانه ليتصل بالخالق ، وإلى النسور والأسود كيف تأوى إلى عزلتها وصمتها وتترفع عن الخلائق ...

ابق صامتاً ، أبا الهول ، فقد يكون فى صدرك كثير من الحسد والضغينة والرياء والضعف والكبرياء والطمع واللؤم ... وأنا لست بحاجة إلى نفث سمومها ، فيكفينى ما ينساب فى طريق من الأفاعى ... يكفينى هذا الإنسان الذى يوزع لسانه الشقاء فى العالم ويكشف ما انطوى عليه صدره !

ابق صامتاً ، فلا أدرى ما وراء صمتك ... إن كنت إنساناً فزميلك يكفينى ، وإن كنت من جماعة « الأولمب » فابق بين آلهتك ...

ابق صامتاً ، فالصمت أرحب من الكلام وأبلغ لأنه يحويه !

راجى الراعى

أن يستسلموا لها إذا تعارضت مع فائدتهم ، ويقبلون أن يتبعوا أهواءهم الخبيثة ما دامت ترضى رغباتهم الجشعة . وبذلك يفسحون المجال لهذه الرغبات لأن تميت فساداً فى النفس ، وتملأها بأنانية بشعة طاغية ، تحبسها فى سجن رهيب من المصالح الخاصة ، لا تسمح لها بأن تخرج من دائرة الذات الضيقة إلى ساحة المجتمع الإنسانى ، بل تبذر فيها بذور الطمع ، وتلقنها فنون إقتراف الخطايا ، فتغرق فى بحر من الآثام ، وتقع فى وهدة الشر ، فتغيب عنها معرفة الله الكامن فى أغوارها على صورة ذلك القانون الذى أبت أن تخضع له ، وتتقيد به .

وبذلك يحجب الإثم والشر عن النفس إدراك قانونها العام ، ويسلبها حب الذات القدرة على تحطيم أغلال الأنانية ، فتحيد عن طريق وحدة الوجود ، وتعجز عن معرفة أن جوهرها يتضمن أكثر من وجودها الفردى ، وتخفق فى الإحساس بالله الذى أودع ذاته فى طياتها ، وبالتالى تفشل فى الكشف عن اتحاد الله بسائر الأشياء ، وتخيب فى تحقيق كمالها الروحى ، ولا تتمتع بالحياة فى كنف حقيقة الحياة الأولى ألا وهى حقيقة « وحدة الوجود » .

وخروج الإنسان عن طاعة قانونه الخالق مرده إلى أن الله وإن قيد الإنسان بضرورة الخضوع لهذا القانون ، ترك له حرية تامة فى طاعته أو عصيانه ، كما منحه إرادة حرة لها التصرف فى الشئون الدنيوية ، ولم يلزمه بفعل الخير أو تجنب الشر ، لأن فطرته تسمح له بأن يميز بين الخير والشر ، وتمكنه من أن يسلك طائعاً مختاراً الطريق السوى . لأن فى النفس الإنسانية نوعين من الرغبات : أحدهما خاص والآخر عام . والرغبات الخاصة تجرى وراء المطالب الذاتية ، وتقف عند حد الفوائد الشخصية ، بينما الرغبات العامة مطالبها تتعدى كل ما هو ذاتى ، وتنشد خير كل ما هو كلى مثل الأسرة أو الوطن أو الإنسانية . وإرادة الإنسان يمكنها أن تسير تحت ضغط أى النوعين من الرغبات ، وتملك القدرة على تغليب سيطرة الرغبات العامة على الرغبات الخاصة .

فإن خضع الإنسان لقيادة القوانين الأخلاقية ، وتحكم فى أهوائه ونزعاته سار فى طريق الخير ، وإن اتخذ من الإيثار والتضحية سبيلا لسعادة الغير ، فهو لا شك مساهم فى خدمة أهله ، ومشارك فى إصلاح وطنه ، ومجاهد فى سبيل ترقية الحياة الإنسانية عامة . وإن بذل نفسه رخيصة من أجل عشيرته أو بلاده ولم يكترث بما يعانيه من حرمان ، فقد عرف كيف يذيب الأنانية ، ويقضى على حب الذات فى نفسه ، وإن أصر على تحقيق خير البشرية ولم يحل دون ذلك ما يقف أمامه من صعوبات ، فإنه يعد لنفسه طريق الاندماج فى الله . وعلى يد هؤلاء الذين فازوا بسرور غير محدود ينبع من الحياة فى حقيقة وحدة الوجود ينال البشر سعادتهم ، ويتخلصون من كل ما ينغص عليهم حياتهم من شر ، وينتشر بينهم الخير .

أما الذى يأبى أن يخضع للقوانين الأخلاقية ، ويركب رأسه ويريد على الدوام أن يستولى على ربح خاص لا يشاركه فيه أحد ، أو يحظى بمزايا لا ينافسه فيها إنسان ، فإنه فضلاً عن أنه لن يهتدى إلى حقيقة وحدة الوجود ، ولا بد أن يصطدم برغبات الجماعة ، ويدخل فى حرب مع كل نفع عام عندما يعرقل نفعه الخاص . وذلك يشيع التفرق والتنابذ بين أفراد المجتمع الإنسانى ، وينشر بينهم التكالب على المصالح الذاتية ، بل يحطم ما يربطهم من علاقات محبة وتعاون ، فتنحل أواصر الأسرة ، ويتفكك كيان الوطن ، وينعدم الأمل فى تآلف دول العالم ، وينقلب النظام الطبيعى فى الحياة إلى فوضى ، فيضع القوى قوانين جائرة يدعى أنه وضعها لتنظيم المجتمع ، بينما هى تستمد أصول تشريعها من أشرار الأنانية ، وتعتمد على القوة والوحشية فى تنفيذها ، وتبتدع أساليب جديدة فى إذلال الإنسان الوديع واستغلال الشعوب المتأخرة

ولكن إذا أمعن غيه ، وصمم على أن لا يحيد عن طريق حب فائدته ، واستكبر أن يطيع أوامر القانون الخلقى ، سيلبث فى صراع عنيف مستمر مع صالح الكل ، يستفحل أمره شيئاً فشيئاً إلى أن يقضى عليه آخر الأمر . وهذا مصير كل فرد يقف فى وجه الجماعة ، ولذلك يجب على الإنسان أن يكبح جماح غرائزه وشهواته التى تلح فى طلب المنافع الخاصة ، وتوهمه بأن هذه المنافع هى غاية حياته ، وتحرضه على أن لا يسلم أمرة النفس للقيم الروحية التى تطلب منه أن يعيش لغيره كما يعيش لنفسه ، وأن يضحى برغباته الشخصية إذا تعارضت مع سعادة النفس الكبرى التى تشمل حياة الإنسانية بأجمعها . والإنسان العاقل هو من يوفق بين الرغبات التى ترضى النفس الفروية وبين رغبة إسعاد المجتمع الإنسانى ، لأن كل من يحاول أن يقف وحده فى وجه قوى المجتمع ، ويرغب فى أن يحصرها فى نطاق فائدته مصيره

إلى الدمار . إن سجل التاريخ الإنسانى لحافل بالثورات المظمى ، التى تشهد بأن الجزء حينما يحتقر الكل ، وينشد لنفسه منافع خاصة من دون الجماعة ، ويسير فى طريق منفصل عن طريقهم ، لا بد أن تثور ضده القوى الكلية ، وتشن عليه حرباً لا هوادة فيها حتى ترغمه على أن يسلك طريقها العام صاغراً .

يتضح مما تقدم أن نار الشر تندلع من شرر عصيان الأوامر الأخلاقية التى تنذر بأن الأنانية ستسود حياة الفرد ، وأن الإرادة ستسكن لسيطرة الشهوات والغرائز ، التى تفسد الناحية الخيرة فى النفس ، وتتلف مقوماتها الروحية وتدفعها فى طريق الخطايا والآثام ، وتوهمها بأن ذاتها هي غايتها الوحيدة فى الحياة ، وأن لا عمل لها إلا الجرى وراء غنمها الشخصى . ومثل هذه الأهواء الشريرة تخيم على البصيرة فتحجب عن الروح إدراك الله المستقر فى قرارة النفس على صورة القانون الخلق ، فيضل الإنسان فى غياهب الشر ، ويبعد عن طريق وحدة الوجود . كما تلائم هذه الأهواء الفردية الحياة العامة وتعرقل تقدم المجتمع الإنسانى ، وتسوق المتأثر بها إلى خوض غمار حرب مع قوة المواطف الخيرة ، أو يصطدم بالمصالح العامة ، لأنها تؤذى أغلبية القوم وتضر بمنافعهم ، وتوقع عليهم ظلماً وجوراً لا تصبر عليه النفوس طويلاً ، وسريعاً ما تتألب عليه وتحطمه ، وتضع الحق فى نصابه ، وتسلب من الظالم أداة ظلمه ، وترده إلى طريق الصواب ، وتجبره على أن يفعل الخير للجميع .

فرغبة الشر رغبة ذاتية عرضية ، لا تدوم إلا بدوام سيادة الأنانية على النفس ، وتزول عند مثول رغبة الخير التى تنسجم مع القانون الأخلاق . أما الشر فى حد ذاته فحقيقته سلبية غير ثابتة ، ولا ينفك يتحول فى مظهره إلى أن يصبح فى آخر الأمر خيراً يعم الجميع ، لصراعه الذى لا ينقطع مع قوى الحق التى تنشد حقيقة وحدة الوجود . ومثل الشر فى تغيره هذا مثل الفلسفة الفكرية التى يأخذ العلم فى تنقيحها وتصحيحها شيئاً فشيئاً إلى أن تصبح حقيقة ثابتة .

بينما رغبة الخير يقويها فى النفس الإيمان العميق بأن الله أودع ذاته الإنسان على صورة القانون الخلقى ، الذى يجب أن نتمسك به كل عاقل ، ويرضى رضاء تاماً أن يخضع لتعليماته وإشاراته . والخير قبس من لدن الله ينير سبيل الروح نحو وحدة النفس الإنسانية ، ويهديها إلى الكشف عن أوجه الله المختلفة فى أعماق الكون ، فمن رغب الخير سار فى طريق وحدة الوجود وأتبع هدى رغبة كلية إيجابية تتمشى مع أغراض الحياة العامة وتدفعه دفعاً حثيثاً نحو الرقى والسعادة ، وتحصن بقوة لا ترهب نيران الشر المفترسة ، وتسحق الأنانية فى النفس . إن تطور الحضارات ، ودأب الإنسان المتواصل فى الوصول إلى أرفع درجات الكمال ، لأوضح دليل على أن الخير يتغلب على الشر ، وأن الغيرية تنازع الأنانية ، وأن الوحدة الإنسانية تبتلع كل وحدة فردية ، وأن العالم فى طريقه نحو وحدة الوجود .

فليس هناك ما يدعو للاعتقاد فى أن الحياة شر فى شر ، أو تسير من الشر إلى الشر ، ولا خير فيها على الإطلاق ، ولن ينجو فيها أحد من سوء . لأن الشر فوق أنه حقيقة سلبية متغيرة غير ثابتة على الحال ومآلها للزوال ، لا يمكنه أن يعوق تدفق تيار الحياة أو يعرقل تحقيق مثلها العليا فى الخير ، أو يفتت من عزم الإنسانية الوطيد على الفوز بحقيقة وحدة الوجود عن طريق التمسك بالقانون الخلقى الذى هو إحدى آيات الله التى تكمن فى شتى الموجودات . وأن ما بلغه الانسان من تمدن ليشهد على أن الشر ليس له من القوة الإيجابية ما للخير ، ولا يقدر أن ينضب ينابيع الخير التى خاض بها الله على الحياة الانسانية ، بل إن ما فى الوجود من شر يلاحظ أنه يتلاشى تدريجيا مع تقدم الحياة المستمر ، بينما ما يتحقق من خير تبقى أصوله ثابتة فى أعماق الحياة ، ويبدو أثرها فى مختلف نواحى النشاط الانسانى . فالحياة تتحرك دائماً نحو الخير متخذة منه وسيلة لتثبيت أركان الوحدة الانسانية ، التى عن طريقها تسير البشرية خطوات نحو وحدة الوجود .

أما ذلك الشر الذى ينتشر فى الكون ، ويقاسى منه البشر كافة أصناف الآلام ، ليس دليلا على أن الحياة فى أصلها تجلب الشر ، وإنما هو علامة على أن الحياة الإنسانية لم تبلغ بعد كمالها الأقصى الذى يجب أن تبلغه ، وأنه ما زال أمامها مراحل شاقة من التضحية والإيثار عليها أن تبذلها ، حتى تصبح حقيقة وحدة الوجود حقيقة حية فى القلوب ، فينعم الجميع بالراحة والسعادة والشهادة والأمن وينجون من ظلام الشر الذى يثير القلق ، والخوف والحزن فى النفوس .

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية

ختام قصة:

من الأعمـــاق

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٣ —

... وظل الشابان فى تردد وحيرة ، والفتاة فى الدار لا تجد الخيرة من أمرها ، وهى قد وافقت منذ حين على أن تتزوج من جلال ...

وأصر جلال على رأيه فى تشبث وعناد ، لأنه خطب الفتاة إلى أبيها فوجد منه الرضا والقبول ، ووجد من أمها العطف والحنان ، وألفى فى أهلها الصاحب والرفيق . وأهله يتأهبون — منذ حين — ليوم الزفاف وهو قريب . على حين قد أخذ هو يستعد لما بعد هذا اليوم — لشهر العسل — فى سرور واستبشار .

ما ذا يضير الفتى بعد ، وإنه ليدخل إلى دار الفتاة فيجد من يستقبله فى حفاوة وإيثار ، ومن يتحدث إليه فى رقة وحنان ، ومن يبذل له العطف والمحبة ، ومن يحرص على راحته وهدوئه ، وأخيراً يجد من يودعه فى حرارة وشغف .

وأحس فكرى بك بأن فى شباب جلال وقوته ما يبعث فى الدار الحياة والحركة ؛ وما يرسل فى قلبه الهدوء والطمأنينة ، واستشعرت الأم فى الفتى النور والبشرى . لقد انبثق هذا الشعور فى قلبيهما قوياً عميقاً ، لأنهما عاشا عمراً يلتمسان الابن (الذكر) فلا يجدانه ، والرجل ذو ثراء وذو حاجات ، يقعده عن أن يشرف على كثير منها ما يحس من وهن وضعف من أثر الشيخوخة التى تدب فى مفاصله رويداً رويداً . وهذا أخوه الفلاح يسيطر على رغباته ويغتال ماله فى عنف ، وهو يقوم على حاجات العزبة ، ويدير أمورها ، ويستبد بشئونها ، ثم لا يرسل إلى سعادة البك إلا فضلة ما يبقى من غلات أرضه ، والبك لا يستطيع أن ينتزع الأطيان من بين يدى أخيه فتضطرب شئونها ويختل أمرها وما له عهد بإدارتها ، ولا أن ينال حقه بقوة القانون فتلوكه الألسن ، ويتندر به الفلاحون فى مجالسهم .

والآن ، جاء جلال — بعد لأى — ليكون ابناً فى الدار لتنبض بالحياة والنشاط ، وسيداً فى العزبة لينزع عنها هذا الكابوس الجاثم على خيراتها ومنافعها

كل أولئك غشى على عينى الفتى فلم يلق باله إلى هذا الشحوب البادى على وجه الفتاة فيعصف بنضارتها ورونقها ، ولا إلى هذا الفتور الذى يستلبها من إرادتها حين تلقاه . ولم يزعجه هذا النفور الذى يلمسه دائماً ، فهى لا تأنس إليه إلا ريثما تنفلت من لدنه . ولم يضايقه أن لا تبسم له إلا ابتسامة جافة عابرة ينبجس من أضعافها معنى الألم والحسرة . فهو لا يحس أنها تنطوى على بغض له ما تستطيع أن تبوح به خشية أن تجتاحها ثورة الأب ونقمة الأم . إنه لفى شغل عن ما يختلج فى أطواء الفتاة ، لأنه سعيد فى هذه الدار ، سعيد بالضجة التى تكتنفه هنا وهنالك ، سعيد بالزواج من هذه الفتاة الجميلة الزكية . غير أن خاطرة كانت تحوم حول عقله توشك أن تلجه فيدفعها عنه فى شدة وعنف ، خاطرة نبت غرامها فى قلبه منذ أن تحدث إلى عادل حديثه وحديث الفتاة ، فوجد منه الإصرار والعناد ، لقد استطاع أن يوهم نفسه بأن الفتاة تلقاه فى وجوم وصمت من أثر الحياء والخفر ، وأنها تنزوى عنه حين تريد أن تتصنع الدلال والتمنع ، وهو حين يسيطر عليه الشك يتخيل بأن خلجات نفس الفتاة نزوة طائشة من نزوات الشباب لا تلبث أن تهدأ وتستقر .

وانطوت الأيام تدفع المشكلة إلى نهايتها .

* * *

أما عادل فكان يرى الحوادث حواليه تضطرب وتندفع إلى غايتها ، وما له يد يدفع بها هذه العاصفة وهى توشك أن تلفه فى غير رحمة ولاشفقة . لقد كان يلقى فتاته بين الحين والحين لايستطيع أن ينزع نفسه عنها ، ويجلس إلى جوارها يتحدث إليها ، وإن قلبه المكلوم ليئن أنيناً يسمع ويرى ، وهو يوارى زفراته الحرى ، ويدارى عبراته الساخنة خلف ستار من الرجولة والكرامة .

ولكن عين الفتاة كانت تنفذ إلى ما وراء الحجاب فلا ينطلى عليها هذا التصنع وهى ترى فتاها ينهد من حزن عميق ، ويتضعضع من أثر الصدمة . وهو يرى فتاته تذوى وتذبل لأنها تنقاد إلى أمر .

آه ، ليت هذا الفتى المرح الطروب ينطلق على سجيته فلا

يدع الأوهام الكاذبة تكبّل روحه الوثابة.!

وضاق عادل بما يجد، فانطلق إلى أبيه فى القرية يطب لروحه وترفق الأب الشيخ بابنه الشاب وهو يحدثه: «يا بنى، وماذا عسى أن أفعل والفتاة قد سميت على فتى آخر؟ أفتراني أستطيع أن أطلب إلى فكرى بك أن يطرد خطيب ابنته فى غير ذنب لتستقر أنت مكانه؟ إننى — وقد عركتنى الحياة — لا أومن بالحب، وهو خرافة قلبية خلقها الشباب ليبرر بها نزوات الطيش وبدوات النزق، والحياة الزوجية — فى رأى العاقل — دار وزوجة وأولاد. وغداً تطم حاجات الدار على ثورات القلب، وتمسح تكاليف الحياة على نوازع النفس، وتبدو الحياة أمامك طفلاً يدرج فى فناء الدار، ثم صبياً يتقلب فى المدرسة، فإذا هو شاب تنمحى حاجاتك أنت لتفسح الطريق لما يطلب هو، فتبذل له المال والنفس والروح جميعاً... ولكن، ألا تعلم شيئاً عن الفتى الذى تزعمه غريماً لك؟» قال عادل: «أنا لا أعلم من أمره شيئاً، ولم أجلس إليه إلا مرة واحدة فى مقهى على النيل من مقاهى الجيزة. لقد جاء ليحدثنى حديثه، ويطلب إلىّ أن أنسحب من هذا الميدان كى لا أخلق المشكلة التى يعضل حلها. إنه فتى وسيم الطلعة، ربق الشباب، عليه سيما القوة والجد، وعلامة النعمة والثراء، وهو هادئ الطبع، لين الحديث فى غير ضعف... هو جلال بن عزت بك»!

وبدت الدهشة على وجه الأب حين سمع هذا الاسم، ونظر إلى ابنه نظرة صارمة، ثم راح يقول: «الأميرالاى عزت بك! إنه رفيق الصبا، وترب المدرسة والملعب، وصديق الشباب، وإنه منى بالمكان الذى أحرص فيه على رضاه لأياد كثيرة له عندى. هذا أمر لم تكن تعرفه من قبل. وهكذا ترى أننى لا أستطيع أن أزحمه فى أمر اختاره لابنه وسبقنى إليه. ولا ريب فى أن رجولتك وعقلك وحق عليك ستدفعك حتما إلى أن تبقى علىّ وتنزل عند رأيى، فدع عنك هذا الأمر، دعه وأنا أختار لك من تشاء لتكون زوجاً لك، وأبذل لك الجهد والمال لترضى!»

وخرج الفتى من لدن أبيه يتعثر فى خيبته، وإن قلبه ورجولته ليتجاذبانه، فما يدرى ماذا يفعل، وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً. الآن — وقد سدت الأبواب جميعاً فى وجهه — لم يبق أمامه إلا أن يتوارى عن عينى الفتاة إلى الأبد. ولكن رجولته أبت عليه أن ينسل خفية كما يفر الجبان الرعديد من الميدان تحت سترين من الظلام والسكون.

لقد عقد العزم على أن ينسحب مثلما يرتد الجندى الماثى الجبار حين يرتد فى وضح النهار ووجهه دائماً قبالة العدو، لا يطأطئ رأسه ولا تذل هامته، فذهب إلى الفتاة يعلن أمامها رأيه فى قوة وصراحة.

وجلسا معاً فى ناحية من حديقة الدار. لقد جاء يعلن لها رأيه ورأى أبيه. ولكنه تخاذل أمام جمالها الآسر وهو إلى جواره يشع حياة ونوراً، وتداعى أمام حبها المتأجج وهو يتألق فى روحه بهجة وروعة، فأمسك عن الحديث. أفكان يطمع فى أن يمد فى عمر سعادته قبل أن يفترقا إلى الأبد، أم كان يشعر بأن فى كلماته صفعات عنيفة فهو يؤجل حيناً بعد حين رحمة بقلبين؟ ولكن صوت أبيه الشيخ رن فى أذنيه ينادى: «ولا ريب فى أن رجولتك وعقلك وحق عليك ستدفعك حتماً إلى أن تبقى علىّ وتنزل عند رأيى». فهمّ مندفعاً يعلن رأيه، وانطلقت كلماته هينة رقيقة ولكنها وقعت على قلب الفتاة المسكينة فى مثل قوة العاصفة العاتية فأجهشت للبكاء، وانطلق صوب الباب يريد أن يهرب من ضعفه

لقد انطلق عادل ليهرب من ضعفه، ولكنه ما كاد يقترب من الباب حتى ارتطم بشاب يزحمه الطريق: هو جلال. لقد رأى جلال بعينيه.. رأى الفتى والفتاة فى كن تحت شجرة من أشجار الحديقة يستمتعان بالخلوة فى منأى عن الرقيب، فوقف ينظر فى ذهول وغيظ وحديثهما لا يكاد يبلغ مسمعيه. وحين انطلق عادل صوب الباب أخذ جلال عليه الطريق، ولكن عادلا لم يعبأ به وانطلق فى طريقه دون أن يلتفت إليه، يريد أن يهرب من ضعفه

وحز فى نفس جلال ما رأى، فانطلق إلى الفتاة يربت على كتفها ويقول فى غيظ وكمد: «لا تحزنى يا فتاتى، لقد رأيت وسمعت. والآن أتنحى أنا لتجدى السعادة والرفاهية إلى جانب الحبيب». ثم اندفع إلى أمها فى ثورة تفور وتغلى يقذف فى وجهها بخاتم الخطوبة.

لقد خسرت الفتاة الحبيب والزوج فى وقت معاً، وجلست فى زاوية، وإن شبح ابنة عمها ليضطرب فى ناظريها كلما ذكرت الخطبة والزواج، ابنة عمها التى أشرفت على الأربعين ولما تجد الزوج.

كامل محمود حبيب

فزان بين يدي الأتراك والطليان

للأستاذ أحمد رمزى بك

— ٤ —

إيطاليا تسترد فزانه :

حينما يتكلم جراتزيانى تنصت السموات العلا ويفتح الناس آذانهم ، إلا أهل فرنسا فهم لا يتركونه من غير أن يناله رذاذ من تقدهم : أنظر إليه يقول : « لا توجد على الأرض دولة بوسعها إن تفخر أنها ختمت حملة استعمارية بالنصر الذى ختمنا به حملتنا على الكفرة وفزان : ليس بوسع الفرنسيين أن يدّعوا شيئاً من ذلك ، بل نؤكد أمام العالم تفوقنا عليهم رغم الانتقادات التى توجه إلينا من سكان ما وراء الألب (يقصد فرنسا) أو سكان ما وراء المانش (يقصد بريطانيا) » .

ثم انظر إلى ردهم الحاسم بعد فتحهم فزان فى سنة ١٩٤٣ فيما نشره الفرنسيون بسخريتهم المعروفة :

qne répondre ä telle vsntardises
bèau de lion dovt,d'ln oonp de griffe nos troupes ont dépoullé , maltre crszlani

أنصت إليه فى مؤلفه :
Pace Romsna In libia يحدثنا عن نفسه :

« ها قد أعطيت الكلمة لتحكيم السيف وإنها لكلمة مقدسة حينما نريد أن نفرض إرادتنا على خصم عنيد ؛ إنها مقدسة ولمائة مرة حينما نقذف فى وجه الأهالى الوطنيين الذين صمت آذانهم عن سماع أى منطق إلا ما توحيه إليهم عقولهم الهمجية ، أولئك لا يقنعهم شىء سوى استعمال القوة تصحبها العدالة » .

أرأيتم مثل هذا إلا فى عهد قيصر ! ! !

فهو إذن يشيد بعمل الحكومة الفاشية التى قررت فرض إرادتها باستعمال السلاح يقول إن سياستها تتلخص فى جملة واحدة « أصبح من المهم الخروج من الحالة المبهمة السائدة فى المستعمرة وأن تفرض إرادة الحكومة على كل جهة ، وأن يكون فرض التسليم والخضوع شرطاً نهائياً Sine qua non لكل عمل سياسى مع الأهالى ، فعلى كل من يباشر أى سلطة حكومية أن يواجه أهل البلاد بهذه الحقيقة التسليم بلا قيد وشرط أو الحرب بلا هوادة » .

وكانت هذه هى السياسة التى نادى بها فولبى والذى وقف من أول الأمر ينادى « بأن حق إيطاليا من الناحية الدولية فى امتلاك المستعمرة حق ثابت لا نزاع فيه ، وأن عناد الأهالى ما هو إلا ثورة يحركها بعض الرجال المتعطشين للسلطة تقودهم أطماعهم الذاتية فليس هناك روح قومية أو حركة وطنية تحركها عواطف عالية أو روح جماعية ، وإنما هناك أطماع وأغراض وأهواء : فلنضرب ضرباً قاسياً » وهل وجد المستعمرون فى مدغشقر وفى أندونيسيا غير هذا المنطق ؟

وجاء جراتزيانى ينفذ خطته لاحتلال فزان على طريقته الخاصة وإلا فانظر إلى تعليماته للوحدات التى يقودها : فهى تعبر عن نفسية يجدر بنا تتبعها :

١ — توزع قوات الاحتياطى على أنحاء الجبهة بطريقة تمكن من الاستفادة منها بغير إضاعة وقت ولكى يسهل تجميعها واستعمالها إذا احتاج الأمر إليها لضرب العدو ضربات قاصمة .

٢ — تقسم الجبهة إلى أقسام ، وأن يتولى كل فى دائرته مطاردة العدو بواسطة أفواج متحركة Colonne mobibe تبدأ عملها من نقط ارتكاز مختلفة ومتباعدة ولكنها متجهة فى سيرها إلى غرض واحد — أو تظهر أنها متجهة لأغراض متعددة فى وقت واحد مع تلاقيها عند هدف واحد ، وبذلك تتوزع قوات العدو المتجمعة أو تتفرق أو تثبت فى أماكنها .

٣ — يراعى أن تستعمل الوحدات على أساس العمل على جبهة واسعة الأطراف ، أى تعمل كل واحدة على أنها مستقلة تماماً فى تحركها إلى أبعد مدى وتترك كل قواعد وأساليب التعبئة القديمة ، وتعتمد الوحدات على مرونتها فى الحركة والتقدم والعودة بدون أن تلجأ إلى طلب مساعدة الوحدات الأخرى : يفهم من هذا أنه اتبع نظام دوريات دائمة متحركة بانتظام[1] .

وقد تبين من كتابته رأيه فى المقاتلين العرب ، فهو لا ترهبه كثرتهم العددية بل يقرن النصر بالقرار الحازم والتقدم للهجوم ؛

---

(١) وهو ما اتبعه الصهيونيون فى منطقة النقب .

قالهم لديه اكتشاف أماكن تجمع الثوار ومهاجمتها بغير تردد ويوصى بأنه عند التلاقى يجب إشغال العدو وقبول المعركة ، فإذا حاول العرب الانسحاب لا تتركهم قوات الجيش ولا تمكنهم من الراحة واستعادة شجاعتهم ، بل يجب مع انسحابهم إصابتهم مادياً والفتك بهم حتى تفنى قوة المقاومة لدى العدو ولا يستطيع استعادتها .

ثم عاد فقرر « أنه لا يصح احتقار شأن الثوار ، بل يحسن إعطاؤهم ما يستحقونه وليذكر الطليان أن عزيمة العرب وإن بدا مظهرها قوياً فى المبدأ إلا أنها لا تستند على قوة دافعة مستديمة ، ولذلك تضعف وتهبط فى النهاية فالمقاتلة من الثوار لا يسمهم أن يصمدوا فى المعركة طويلاً أمام قوات نظامية مدربة تدريباً أوربياً »

ويهمنا أن نتعرف إلى جميع آرائه فينا فهو يتكلم بصراحة ويوسعنا أن نصلح أخطاءنا دائماً إذا اطلعنا على مايكتبه عنا أمثال هؤلاء ويقرر « أن حاجات العرب فى الميدان محدودة . ولذلك لديهم مقدرة فائقة على جمع وسوق قوات كبيرة واستعمالها فى ميادين مختلفة والعربى مقاتل بغريزته وطبعه فهو لا يهاب المواجهة ولا يخشى التصادم ، ويعتمد على عاملين : مقدرته على التضليل ليصل إلى توزيع القوة التى أمامه وتفرقها حتى لا تعمل كوحدة متكاتفة وقوية ثم يعتمد على المؤثرات الافريقية التى تصيب الجيوش الأوربية وتسبب لجنودها التعب والإعياء حينئذ يضرب ضرباته » .

ثم يعقب هذا بقوله : « إنه فى كل مرة من تلجئهم الظروف إلى مواجهة حالة قتال تقرب من أساليبنا الأوربية ، ويتحتم عليهم قبول المعركة يدب الخلل فى صفوفهم ثم يسهل لنا التفوق عليهم لعدم تمكنهم من الوسائل الفنية العديدة التى بين أيدينا » على ضوء هذه التعليمات الصريحة قاد جراتزيانى جنوده فى العمليات التى سبقت فتح فزان وهى عمليات بوليسية على حد تعبير إخواننا الهولنديين حينما يتحدثون عن جهاد الشعوب

وفى هذه الأثناء جاء بادوليو إلى ليبيا وتولى سلطتى الحاكم العام والقائد الأعلى « وكان هـذا فى نظر جراتزيانى فتحاً جديداً عبرعنه بقوله « بعد عشرين عاماً من التلكؤ والتردد والهزائم تسلم الأمور ليد عسكرية وتضع لأول مرة برنامج منسجم جامع روعى تطبيقه بإرادة قوية » .

وبهذا انتقلت السلطات العليا ليد العسكريين ، فأمر بأن تكتب هذه العبارة وتعلق على بابه « ليس لدى هذه القيادة خزينة لدفع مرتبات » . وذلك لاعتياد الحكومة الإيطالية على توزيع مرتبات نقدية وهدايا وأسلحة وذخيرة وقال إنه رفض من المبدأ الدخول فى مفاوضات أو إعطاء مواثيق أو وعود ، وصرح فى كل مناسبة أن الحكومة تريد أن تعرف من هم أصدقاؤها ومن هم أعداؤها وأخذ يترنم بمقطوعة من شعر فرجيل الشاعر الرومانى .

tu regerc imperio populos Romano menuto
Parcerc subjectus et debellare Snperbus

وتعريبه « تذكر أيها الشعب الرومانى أنك ستدعى إلى حكم الشعوب فاعف عمن يلين لك واخضع الأقوياء لسلطانك » .

وهكذا نرى أن فزان فتحت لنا آفاقاً بعيدة نطل فيها على حوادث متعددة ونتعرف فيهـا على نفسية القواد وغرورهم ورأيهم فينا :

فلنقف قليلا لنحدد أثر الحوادث وتسلسلها التاريخى فى فاصل قبل الدخول إلى القاطمة وحروبها الحديثة .

فنحن نعلم أن فزان كانت مستقلة تحت حكام من أمراء بنى خطاب من قبائل الهوارة كما حكمها ملوك من السودان ولا تزال بقايا قصورهم وقبورهم قائمة . ونحن نذكر نقلا عن صاحب تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار « حوادث عن أمراء فزان » فى ولاية سليمان داى التركى وحروب صاحبها المنصور بن الناصر ابن المنتصر ورفضه دفع الأتاوة وعراكه مع الوالى ثم حروبه وعودته وشكوى أهل فزان للسلطان أحمد بن السلطان محمد ابن مراد بن سليم بن سليمان فهذه حوادث تتكرر فى كل عصر حتى عصر عبد الحميد . وكان أن أصبحت فزان منفى لرجال الأحرار من الأتراك فى عهده والغريب أن يلجأ حكام روما الفاشيون إلى فزان والكفرة لفرض الإقامة الجبرية على فريق من أعداء العهد الفاشى ، فإذا جنود فرنسا حرر بعضهم وكان قد مضى عليهم سنوات وهم مبعدون من أوطانهم .

لنذكر بعد ذلك أن إيطاليا جمعت فى أواخر سنة ١٩١٣ حملة قوامها ١٢٠٠ جندياً إيطالياً ووطنياً تحت قيادة الكولونيل ميامى ووجهها من طرابلس إلى الجنوب واحتلت المراكز الهامة

حتى وصلت إلى مرزوق ولكن هذا الاحتلال لم يدم طويلا كما ذكرنا ففى نهاية عام ١٩١٤ انسل الطليان منسحبين إلى الشمال تاركين الجنود الوطنيين وحدهم فدخل فزان السنوسيون مع حلفائهم من الطوارق وأقاموا بها حكما لم يدم طويلا لأن الأتراك أعدوا الكرة فزحزحوا السنوسيين عنها وعينوا إحسان ناقب متصرفاً للاقليم وجعلوا المدعو خليفة زاويه فى وظيفة محاسبجى للمتصرفية حدث هذا فى سنة ١٩١٧ ثم تولى الأخير السلطة فى نهاية سنة ١٩١٨ ولما غادر الضباط الأتراك البلاد بمد عقد الهدنة — ثم ساد عهد من الفوضى والتنازع بين الأخير وجماعة سيف النصر وشيخ يدعى عبد النبى انتهى باستيلاء الأخيرين على مرزوق وطرد خليفه من المقاطعة فلجأ الأخير إلى الطليان وهو بحالة يرثى لها فأعطاه جرازيانى منزلا وخادماً ووعده بأن يستخدمه فى فتح فزان.

وضعت خطة الفتح بناء على إرشادات المارشال بادليو وروعيت فيها منتهى الدقة بحيث لم تتجاوز اعتمادات الصرف ٢١ مليون ليره إيطالية أى ما يقرب من ٢٠٠ ألف من الجنيهات المصرية يدخل فيها تكاليف تمهيد الطريق لغاية سبها وإصلاح الطريق من سبها إلى مرزوق ثم منها إلى غات على الحدود الفرنسية.

تم كل هذا ابتداء من النصف الأول لسنة ١٩٢٩ وتحدد شهر ديسبر لابتداء العمليات الحربية التى وضعتها القيادة العامة فى طرابلس من ناحية تعبئة القوات المكلفة بالفتح وتهيئتها وإمدادها بعربات النقل وكل ما يتعلق بمراكز التموين والتجمع ونظام سوق الجيش وتركت على عاتق جرازيانى الناحية الفنية ناحية اختيار الضباط وتدريب القوة المكلفة بالزحف.

لحصر همه فى اختيار أعوانه ووضع لذلك شروطاً ألزم نفسه باتباعها فاشترط.

١ — أن يكون الضابط على خلق قيم وجرأة وإرادة.

٢ — أن يكون من المتحمسين للأمور الاستعمارية.

٣ — أن يكون من الذين يتحملون المشاق ويرضون بالتخشن فى العيش.

ولما عرف كيف ينفق ضباطه فرض هذه الشروط على ضباط الصف ثم أخذ يختبر معلومات ومقدرة رجاله ففرض على القوة القيام بتمرينات متعددة على خاصيات حرب الصحراء واهتم بوسائل الارتباط والمخابرة مع الطائرات حتى يسهل الاتصال بين الوحدات وبعضها وبينها وبين القيادة وطبع كتاباً مختصراً عن فزان وأحوالها ووزعه على الجنود وضباط الصف وأخذ فى تحضير خريطة مفصلة على أحدث ما وصل إليه علم السلطات عن طبيعة الأرض والمناطق وأسماء البلاد والمسافات التى تفصلها.

ولم ينس خليفة زاويه الذى انضم مع الطليان على رأس مفرزة من الوطنيين ومعه مهدى موسى للانتقام من أعدائهما فى مرزوق وتحركت القوتان فى نهاية شهر أغسطس وقاتلت جماعة من المجاهدين تحت قيادة سيف النصر واحتلت واحة براق الواقعة على طريق سبها.

ولما وصل خبر احتلالها إلى طرابلس أصدر بادوليو أمره بالتقدم إلى مرزوق وأن تكون المقدمة مكونة من فوج من السيارات المدرعة ومعه كتيبه من جنود ارتيريا تحملها السيارات وتتبع كل هذا قافلة تحمل ما يكفى لمدة شهر من المؤن والذخائر ولما وصلت الحملة إلى براق وجدت أن سبها قد سقطت فى يد خليفة وبهذا أصبح الطريق مفتوحاً إلى مرزوق.

يقف الطليان هنا موقفاً خاصاً يشيرون فيه إلى أخطائهم الماضية فهم يدرسون عمليات سنة ١٩١٣ ويقررون أن أسلافهم لم يفكروا فى حماية مواصلاتهم (١) وكان تقدمهم لاحتلال مراكز العدو دون التفكير فيما تتعرض جنودهم إذا تركوا جيوباً للعدو يشن الغارة منها عليهم وكان أن سقطت حامياتهم وعزلت واحدة تلو الأخر ويكشف جرازيانى عن فكره بقوله « إن هذه الأخطاء لن تتكرر مرة أخرى » ولذلك ترك الزعماء الوطنيين يتقاتلون فى فزان. حربهم الداخلية الفانية التى تحضر للرق رؤوسهم وأخذ يستعد لحملة واسعة النطاق وكان ذلك فى الشهور بين نهاية أغسطس و ٢٥ نوفبر سنة ١٩٢٩ حيث وصل نجاة إلى سبها وأصدر تعليماته التى تتلخص فى.

١ — اتمام تطهير الجزء الشمالى بأكمله واحتلال براق وسبها بالقوات النظامية.

٢ — السير مرة واحدة إلى واو الكبير على طريق مرزوق — الكفرة ومنها كانت الحملة التى وجهها العابد إلى سبها سنة ١٩١٤.

---

(١) ظهرت هذه الأخطاء فى حملة فلسطين ١٩٤٩

حول مشكلة السكان فى مصر

للأديب محمد محمد على

إن دراسة السكان على جانب كبير من الأهمية للباحث الاجتماعى ، وذلك لوجود علاقة متبادلة بين تكوين وحجم المجتمع من جهة ، وبين النظم الاجتماعية والمظاهر الحضارية من جهة أخرى . وعلى ضوء هذه الدراسة توضع خطط إصلاح المجتمع . والسكان فى العالم موزعون توزيعاً غير صحيح ، لأن هناك عوامل كثيرة تؤثر فى هذا التوزيع ، وأهمها المظاهر الجغرافية والموارد الطبيعية والتحسينات البشرية .

وفى مصر يتجمع السكان (تسعة وتسعون فى المائة منهم) فى جزء صغير لا تتجاوز مساحته خمسة وثلاثين كيلو متراً مربعاً ، فتبلغ كثافة السكان ٧٥٠ نسمة فى الكيلو متر المربع على اعتبار أن عدد السكان قد وصل تسعة عشر مليونا . وتختلف هذه الكثافة فى جهات القطر المختلفة ، وتبلغ أقصاها فى المنوفية : أشد المديريات إزدحاماً ، إذ تزيد الكثافة على ثمانمائة نسمة . ولا عجب فى هذا الازدحام فإن اعتماد الأهالى على الزراعة .

ومن مقارنة التعدادات المتتالية يتبين لنا أن عدد السكان فى مصر قد تضاعف فى نصف القرن الأخير إذ زاد من تسعة ملايين وسبعمائة نسمة فى عام ١٨٩٧ إلى تسعة عشر مليوناً فى عام ١٩٤٧ حيث بلغ متوسط الزيادة ٢٪ فى السنة . وهذه زيادة كبيرة لا تتناسب وزيادة الموارد الطبيعية : وذلك هو أصل الداء وأس المشكلة . فإن المساحة المنزرعة لم تزد فى هذه الفترة إلا حوالى ثمانمائة ألف فدان إذ بلغت فى عام ١٩٤٥ خمسة ملايين وسبعمائة ألف . وليس من شك فى أن هذه الزيادة الكبيرة فى السكان تؤدى إلى انخفاض مستوى المعيشة ، لكنها زيادة فى طبقات معينة ألا وهى الطبقات الدنيا ، لأنها لا تزال تعتقد أن فى زيادة السكان خيراً وبركة ، اعتماداً على قول الرسول الكريم (ص) « تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة » ثم لطبيعة الفلاحين فى حب النسل الكثير . ومن جهة أخرى نجد أن الطبقات المثقفة والعليا تستخدم وسائل ضبط النسل بنجاح كبير لدوافع اقتصادية وصحية وثقافية . إذن فالطبقات الدنيا هى التى ينخفض مستواها من هذه الزيادة ، وهم سكان الريف المهمل فى شتى الخدمات الاجتماعية .

وتعتبر الملكية العقارية عماد النظام الاقتصادى الزراعى فى مصر . فقد بلغ عدد الملاك فى عام ١٩٤٥ : ٠٠٠ر٦٠٠ر٢

---

٣ — الهدف الأخير احتلال مرزوق — أوبارى — غات لحدود الصحراء الفرنسية .

إن القصد النهائى هو أن تتطور المعركة على شكل ديناميكى وينتهى للوصول إلى احتلال نهاية الحدود السياسية وإخضاع أبعد المناطق مما لا يتصور العرب أن فى وسع الحكومة الإيطالية الوصول إليها [1] .

وقد نفذت هذه الخطة التى كان الكبتان رائدها بحذافيرها تامة فاستولت إيطاليا على واو الكبير ومرزوق وفى ٣٥ فبراير سقطت غات التى غادرها الثوار منسحبين إلى داخل الأراضى الفرنسية وفى ٣٠ مارس تركت مفرزه من قوات البادية مراكزها فى فزان متجهة جنوبا فاحتلت جبال طمو فى ٢ إبريل أى على بعد ١٥٠٠ كيلو مترا من الساحل وأتمت حركتها بأن عادت إلى مراكزها عن طريق بئر الوعر وبقيت إيطاليا تسيطر على فزان حتى قامت الحرب الأخيرة . أليس فى ذكر هذا ما يحرك فى النفس أشياء ؟ نعم لقد انتهى عهد إيطاليا وانتهى جراتزيانى وسلمت جيوشه فى صحراء مصر ولكن الدروس التى ألقاها علينا فى زحفه إلى فزان تستحق العناية أو تنبهنا إلى بعض الأخطاء التى وقع فيها أسلافنا أو وقعنا نحن فيها ألم يكن من الأوفق لنا أن نعرف أساليب الخصم العاتى وأن الاستعمار مجموعة تجارب والحروب سلسلة من الدروس القاسية والفرص تأتى ولا تعود .

والآن انتقل إلى الحلقة الأخيرة لفزان وهو احتلال فرنسا لهذا الإقليم :

(النهاية فى العدد القادم) أحمد رمزى

(١) قارن هذا بعمليات اليهود فى النقب وخليج العقبة ١٩٤٩ .

أى ١٥٪ من السكان . فإذا فرضنا أن كل مالك يعتبر رباً لأسرة قوامها خمسة أفراد ، فإن عدد من يعتمد على الزراعة من سكان القطر كمورد رزق يبلغ نحو خمسة وسبعين فى المائة من جملة السكان . ومن هؤلاء الملاك سبعون فى المائة يقل ما يملكه الواحد منهم عن فدان ! ولا جدال فى أن الفقر يؤدى إلى سوء الصحة ، بالإضافة إلى الجهل الضارب أطنابه نرى أن ثمانين فى المائة من سكان مصر الحديثة يعيشون عيشة ضنكا ! وهذا أمر عجيب فى بلد ذى مناخ معتدل وموقع ممتاز ، وهو يعد مهد أقدام حضارة أضاءت بنورها ظلمات العالم . وهنا نتساءل : هل يؤدى ازدياد السكان إلى انخفاض مستوى المعيشة ؟ ولكل سؤال جواب كما يقول جميل لصاحبته . فما ينبغى أن نتشاءم كما تشاءم ملثس Malthus (١٧٦٦ — ١٨٣٤) فى انجلترا ، فقد حذر مواطنيه من كثرة التناسل وحثهم على تأخير الزواج مع حياة العفة . وحينما تغيرت الأحوال ونهضت الصناعة فى القرن التاسع عشر ، زاد عدد السكان زيادة فائقة استجابة لزيادة الموارد ، ولم يصحب ذلك انخفاض فى مستوى المعيشة .

قد يقال إن أمام المصريين أرض الله واسعة فليهاجروا إليها ، ولكنا المصرى قد تعود التعلق بأرضه منذ القدم ، ثم إن الهجرة ليست بالأمر الهين السهل ؛ لأسباب مختلفة وظروف متباينة . وقد يقال إن ضبط النسل هو الحل الصحيح ، ولكنه غير ممكن من الناحية العملية إذ أن وسائل ضبط النسل قلما تلاقى نجاحاً عند الطبقات الدنيا كما أشرنا من قبل ، مع أن المجتمع لا يرغب فى زيادتهم الكبيرة ، وذلك بعكس الحال عند الطبقات المثقفة والعليا التى توسعت فى استخدام ضبط النسل مع أن كثرة نسلهم ليس منها ضرر ، إذ أن فى إمكان هذه الطبقات أن تربى الأطفال مهما كثروا تربية حسنة . إذن فعلاج الحال نجده فى الموارد الطبيعية .

فنى الناحية الزراعية يمكن زيادة الأراضى المنزرعة وذلك بإصلاح الأراضى البور وبواسطة مشروعات الرى مثل مشروع وادى الريان وغيره والاهتمام بطرق الزراعة والعناية بأنواع النباتات وتحسينها ، مع ملاحظة قانون الغلة المتناقصة وهو أن للأرض حداً فى الإنتاج لا تتعداه مهما أجرى من وسائل التحسين والإصلاح ، وكل زيادة فى الإنتاج يحصل عليها بأكثر من زيادة متناسبة فى الأيدى العاملة .

ويرى سعادة حافظ عفيفى باشا أن هناك أربع وسائل لرفع مستوى المعيشة فى مصر [1] :

١ — قيام الشركات المساهمة .
٢ — رفع الرسوم الجمركية على الموارد الأولية والآلات .
٣ — العناية بأجور العمال وتحسينها .
٤ — تشجيع التصدير إلى الخارج .

وهناك غير ذلك من وسائل رفع المستوى الاقتصادى للشعب مثل الضرائب التصاعدية وتأميم المشروعات والتصنيع الريفى والتوجيه المهنى للنشء ... ومن وسائل رفع المستوى الصحى مثل العناية بمياه الشرب والمساكن الصحية وإنشاء المستشفيات والتأمين الصحى للسكان وتشجيع الجمعيات الخيرية . والاهتمام بالتعليم ونشر الثقافة الشعبية ومحو الأمية لرفع المستوى الثقافى . هذا مع العلم بأن هناك ارتباطاً بين النواحى الاقتصادية والصحية والثقافية ؛ فلا صحة للقول الشائع بأن نبدأ فى القضاء على الأعداء الثلاثة الفقر والمرض والجهل واحداً فواحداً ، مع أن المشكلة واحدة وينبغى علاجها من كافة الوجوه .

ولا بد لنا من أن نسجل بالفخر فى هذا المقام ما قامت به حكومة الفاروق أعزه الله من جهود فى سبيل رفع مستوى الشعب بمختلف الوسائل .

والخلاصة أن ازدياد السكان لا يؤدى إلى انخفاض مستوى المعيشة ما دامت هناك إمكانيات لزيادة موارد الغذاء ، إلا أن هناك ضرورات تستوجب استخدام وسائل ضبط النسل مثل عدم ملاءمة الحالة الصحية أو اشتغال المرأة بالأعمال المختلفة وغير ذلك . وينبغى أن نتذكر دائماً فرنسا التى ما زالت تعانى خطر قلة عدد سكانها ، إذ استخدم ضبط النسل فى أول الأمر كعلاج للمشكلة عندهم ، ثم بمضى الزمن أصبح ضبط النسل من تقاليد السكان الذين لم يستطيعوا التخلص منه رغم إغراءات الحكومة المختلفة لزيادة النسل . مع أن المقصود بضبط النسل فيما نرى هو مراعاة مقتضى الحال فى الزيادة والنقصان .

محمد محمد على
قسم الجغرافيا بجامعة فؤاد

---

[1] جريدة المصرى ١٩٤٩/٢/١٥

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

توفيق الحكيم فى ميزان الفن والنقد :

الرأى الذى كونته لنفسى عن فن توفيق الحكيم قبل أن أعرفه ، هو الرأى نفسه الذى انتهيت إليه بعد أن عرفته . كل ما حدث هو أن معرفتى به قد زادتنى اقتناعاً بهذا الرأى وإيماناً به . أما هذا الإيمان فقد قام على دراسة بعيدة المدى لفنه أولا ولشخصه ثانياً ، وأستطيع أن أقرر وأنا مطمئن أن كل ما أكتبه هنا — فى رأيى على الأقل — يتسم بسمة المعرفة ، والصدق ، والثقة التى تستمد عناصرها ومقوماتها من الواقع الملموس .

أول مزية من مزايا هذه الشخصية الفنية أنها من الشخصيات النادرة التى تتمتع بحظ كبير من القلق النفسى ، وهو أول أداة من أدوات كاتب القصة . . . ومن طبيعة الشخصية القلقة أنها تثير دائماً ألواناً من « الصراع الفكرى » فى ثنايا القصة والمسرحية ، وكلتاهما تعتمد أول ما تعتمد على هذه الدعامة الفنية الفذة ، وأعنى بها « الصراع » ! القلق الدفين والشك الملح صفتان تجريان مجرى الدم فى طبيعة توفيق الحكيم النفسية ؛ ومن هنا تجد شخصيته القلقة منعكسة بوضوح فى أكثر ما يكتب ، ويستطيع الذين لم يتصلوا بهذا الكاتب ، ولم يتهيأ لهم أن يعرفوه معرفة خبرة ودراسة ويقين ، أن يلتمسوه هناك فى كثير من شخصيات قصصه ومسرحياته ... إنها شخصيات حائرة ، قلقة ، مترددة ، يندر أن ينتهى بها المطاف إلى استقرار . وهكذا تجد توفيق الحكيم فى واقع الحياة ؛ يعيش فى دنياه هو لا فى دنيا الناس : فى تأملاته ، فى تهويماته ، فى سبحاته الروحية ؛ وهو لهذا كله يثير فى فنه أشتاتاً من المشكلات الفكرية العميقة التى تحفل بالصراع ، ولكن أى صراع ؟ إن توفيق الحكيم يذهب فى مقدمة «أوديب الملك » إلى أنه يقيم الصراع دائماً على دعامتين : الواقع والحقيقة ، أى أنه يغرق أبطال قصصه ومسرحياته فى خضم من « الصراع الفكرى » الذى تتجاذبهم فيه أمواج الواقع من هنا وأمواج الحقيقة من هناك . . هذا حق ولكنه ليس كل الحق ؛ إن فى بعض مسرحياته صراعاً بين الواقع والخيال ، وقد يبدو الخيال لبعض الواهمين ضرباً من الحقيقة ، كما حدث لبعض شخصيات توفيق الحكيم فى « شهر زاد » و « سليمان الحكيم » !

وسواء أكان الصراع فى « أهل الكهف » و « أوديب الملك » صراعاً بين الواقع والحقيقة ، أم كان صراعاً بين الواقع والخيال كما حدث فى « شهر زاد » و « سليمان الحكيم » ، سواء أكان هذا أم ذاك فإنك تخرج من هذا « الصراع الفكرى » بظاهرة فنية ملموسة ، وهى أن شخصيات توفيق الحكيم القصصية تفر من الواقع هنا وهناك . . . ومرة أخرى تجد هذا الفنان منعكساً بلحمه ودمه على صفحة فنه ، لماذا ؟ لأن هذه هى طبيعته النفسية والفكرية ؛ لقد قدر له أن يلقى الحياة بهذه الطبيعة العجيبة ، يلقاها ليفر منها ، جرياً وراء الحقيقة أو جرياً وراء الخيال !

« الصراع الفكرى » هو السمة الغالبة على آثار توفيق الحكيم الفنية ، أما « الصراع النفسى » فلن تجد منه إلا ومضات لا تلبث أن تشع حتى تختفى ... فى هذا التيه من التأملات الفكرية والتهويمات الذهنية ، وتستطيع أن تلمس هذا بوضوح فى « أوديب الملك » ؛ لقد حاول توفيق الحكيم جاهداً أن يتخلص من هذه الظاهرة التى تفرض نفسها على فنه ليعتمد بتمثيلية سوفوكل عن حيز « المسرح الذهنى » ولكنه لم يستطع ... من هنا تنبع شكواى من فن توفيق الحكيم ؛ شكواى من انعدام « الصراع النفسى » ! إن أول مزية من مزايا هذا الصراع هى أنه حين يرسم لك الخطوط الرئيسية فى مشهد من المشاهد أو فى شخصية من الشخصيات ، يحملك تعيش بفكرك وشعورك فى محيط هذا الجو الذى تمتزج به ويمتزج بك ، فإذا أنت متجهم فى جو المشهد القاتم والشخصية العابسة ، وإذا أنت منطلق الأسارير فى جو المشهد الوضىء والشخصية الباسمة ... لهذا كله لم يهزنى « أوديب » فى محنته ؛ أوديب الذى تحالفت عليه المقادير فقتل أباه وتزوج من أمه . وكذلك لم تهزنى « جوكاستا » الشقية البائسة ؛ جوكاستا التى تنجاب عن عينيها الغشاوة يوماً فترى أن الزوج هو الابن ، وأن الأطفال الأحباء قد خرجو إلى الحياة ، كما خرج أبوهم من قبل ... خرجوا جميعاً من بطن واحد !

هذا النقص فى « الصراع النفسى » تحل محله موهبة أخرى فى « الصراع الفكرى » ، ولولا هذه الموهبة الفذة لما ملىء هذا الفراغ فى فن توفيق الحكيم ... إن طبيعته القلقة قد انعكست

على شخصيته الفنيـة فأكسبتها فيضاً من المزايا التى لا تجتمع كثيراً لغير هذا الفنان : منها هذه الحرارة المتدفقة التى يضفيها على فنه إشعاع ساطع من عنف الصراع ونفاذ التأملات ، وتلك الحركة الجياشة التى تشيع فى ثنايا المواقف النابضة بالحيوية والانطلاق

ومع ذلك فأنا أرجـو من الذين قرأوا « أوديب الملك » وغيرها من المسرحيات التى يطبعها طابع « الصراع الفكرى » أن يرجعوا إلى « سليمان الحكيم » ... إنهم سيلمسون ظاهرة فريدة لا عهد لهم بها فى فن توفيق الحكيم . ظاهرة وقفت عندها وأطلت الوقوف ، ودرستها فى كثير من التأمل وإنعام الفكر ... « صراع نفسى » وهذا هو العجب ، «وقلب إنسانى» وهذا هو الأعجب! ترى أكان توفيق يوم كتب «سليمان الحكيم» يعيش فى نفس التجربة التى صورها بريشته لقلب « بلقيس » حين خاض هذا المعترك الرهيب بين حب «منذر» وجاه «سليمان» ؟ أكاد أقطع بصحة هذا الظن ، وإلا لما استطاع توفيق الحكيم أن يهزنى كل تلك الهزات الشعورية العميقة فى هذا العمل الناضج من أعماله الفنية ؛ أقول « هزات شعورية » لأن العهد بتوفيق الحكيم أنه فى أغلب آثاره لا يهزقارئه إلا « هزات فكرية » ! ...

« سليمان الحكيم » فى إنتاجه كله تقف وحدها متفردة بإكتمال « الصراع النفسى » وقوة النبضات فى القلب الإنسانى ، وحكم التفرد أمر لا يقاس عليه إذا ما أقمنا الميزان للشخصية الفنية على مدار إنتاجها كله ؛ ومعنى هـذا أننى أعود فأكرر بأن « الصراع الفكرى » هو السمة الغالبة على آثار توفيق الحكيم الفنية ... الهمسة فى فنه تنبع من الشفتين لا من القلب ، واللمسة فى فنه تأتى من الذهن لا من النفس ، والانفعال فى فنه يصدر من إطالة التأمل لا من جيشان العاطفة . وهذا هو توفيق الحكيم فى واقع الفن وواقع الحياة ! .

تعال بعد ذلك أحدثك عن موهبـة أخرى فى فن توفيق الحكيم هى موهبـة الحوار — قد تقول لى إن توفيق الحكيم ينطق شخوص قصصه ومسرحياته فى بعض الأحيان بما يبعد عن أن تنطقهم به الحياة . إننى أوافقك على ما تقول ، ولـكنك لا تستطيع أن تنكر أنه يدير دفة الحوار بمهارة فائقـة تنسيك هذا الجانب الذى يلوح منه شبح الاعتراض . ولا تستطيع أن تنكر أيضاً أنه قصاص قادر على الانفعـال فى تلك المواقف التى تتطلب دفقات هائلة من السرعة والحركة وحرارة التعبير ، وتلك مزية تنقص الـكثيرين من كتاب القصة !

أما الموهبة الأخيرة التى تهزنى فى فن توفيق الحكيم فهى أن القصة بين يديه تمتاز بـ « التصميم الفنى » ... إنه يعرف كيف تبدأ القصة ، وكيف تسير . وكيف تنتهى ، دون أن يكون هناك شذوذ أو اضطراب فى هذه المراحل الثلاث ؟

هذا هو كل ما يمكننى أن أقدمه إلى الأستاذ محمد عادل المرصفاوى فى حدود المجال الذى طلب إلى أن أكتب فيـه ، وإننى لأرجو أن أكون قد وضعت بين يديه مفتاح هذا الباب الموصد أو مفتاح هذه القلعة المغلقة ... على حد تعبيره حين كتب إلى مشيراً إلى شخصية الأستاذ توفيق الحكيم الأدبية والإنسانية!

كرافتشنكو ينتصر على مجلة « ليتر » الفرنسية :

أخيراً وبعد نضـال مرير عاصف عنيف شهدت أدواره جوانب قاعة المحكمة بسراى العدل فى العاصمة الفرنسية ، أصدر القضاء حكمه فى صالح الـكاتب الروسى الثائر على نظام الحكم فى بلاده ... فيكتور كرافتشنو ! وبهذا الحكم الفاصل بين صاحب « آثرت الحرية » وبين القائمين على أمر مجلة «لى ليتر فرانسيز » ، تنهار أدلة الاتهام التى وجهها خصوم الـكاتب الروسى إلى حقيقة كتابه وما حوى من وقائع ومعلومات ! .

إنها لطمة قاسية من غير شك ، تلك التى وجهها القضاء الفرنسى منذ أيام إلى الشيوعية الروسية الفرنسية ... وأية لطمة أقسى من أن يصدر حكم القضاء مؤكداً نسبة الـكتاب إلى صاحبه ، ومؤيداً لـكل ما تضمنه من بيانات أوردها كرافتشنكو ليدلل بها على فساد نظم الحكم فى بلاده ، تلك النظم التى تحد من حرية الرأى والفكر ، وتلغى الـكرامة الفردية والعقلية وكل ما ينشده الأحرار من مثل فى المجتمع الـكريم ؟!

إن كرافتشنكو يخرج اليوم مرفوع الرأس ، بعد أن حكم له القضاء بتعويض قدره خمسون ألف فرنك عن الجزء الأول من الدعوى التى رفعها على المجلة الشيوعية الفرنسية ، وبعد أن حكم له بتعويض آخر مماثل للتعويض الأول فى مقابل الجزء الثالث من الاتهام ... أما مسيو كلود مورجان مدير المجلة ومسيو أندريه ورمستر رئيس تحريرها فقد قضت المحكمة بتغريم كل منهما مبلغ خمسة آلاف فرنك ؛ ومع إلزامها بنشر هذا الحكم فى أول صفحة من صفحات « ليتر فرانسيز » ... مجلتهما الأسبوعية !!

هـذا هو ما وافتنا به شركات الأنباء عن آخر مرحلة من

مراحل هذه القضية المثيرة ، ولكن هيئة الدفاع عن محررى المجلة الفرنسية تمد المدة لاستئناف هذا الحكم فى الأيام المقبلة ... ومعنى هذا أن هناك فصلا أخيراً يهم النظارة أن يشهدوه !.

« كافر » للشاعر السورى زهير ميرزا :

هذه مجموعة شعرية تستحق تحية القلب وتحية القلم .. قال صاحبها وهو يتفضل مشكوراً باهدائها إلىّ : « أقدم إليك هذا الشعر ، صدى لكلمتك (تحية قلبية وأخرى قلمية) ، التى لولاها ولولا الرسالة ما تم مثل هذا اللقاء الفكرى الذى أرجو أن يكون فاتحة صداقة متسامية ، رائدها الكفر بالمفاهيم للايمان بها » ! ... إهداء فيه تحليق وشعر فيه تحليق ، وأنا أحب أن أعيش فى أجواء المحلقين من أمثال زهير ميرزا ، سواء كانوا كتاباً أم شعراء .

أجمل ما فى هذه المجموعة الشعرية أن زهير ميرزا يصب شعره فى قالب من الحوار الفنى الذى يدور حول فكرة ، تنبع من أعماق الشعور لتحلق على أجنحة الخيال ... ولا أقول إن الفكرة جديدة ، ولكن الجديد فيها هو تلك اللقطات البارعة التى تجيد اختيار الزاوية فى مجال الإخراج الفنى للصورة النفسية ، تلك التى يتسع لها إطار التعبير ولا يزيد !

صورة من النفس يلفها وشاح من ومضة الفكر ، وإذا أنت فى « الحقيقة الكبرى » مأخوذ بصراع العقل والعاطفة بين « قمر » و « شهرزاد » ... هناك حيث تنفر الروح من هذا « الشىء » المادى الذى تبلى جدته فى عالم الواقع وتحيا فى عالم الوهم الطليق ! وهكذا يمضى زهير ميرزا فى « لقاء » و « غانية وفكر » و « كافر » و « مصرع المثال » ... أما « لقاء » فتصور هذا النضال النفسى الذى يثيره « نداء الأعماق » فى طريق قد خلت من كل شىء إلا من فتى وفتاة ؛ أمواج من دعاء الوجدان تعترض سير الشراع الحالم ولا تزال به حتى يغيب تحت أطباق العباب ! وفى « غانية وفكر » يقبل جسد وتعرض روح ... وتحتدم المعركة بين اللهب المنبعث من وقدة نار تتأجج ، وبين الفراشة التى تحوم حول النور تبغى الضياء ولا تريد أن تحترق ؛ إن ريشة زهير قد بلغت الغاية فى تلوين هذه اللوحة التى تمثل فورة الصراع بين بائعة الجسد وبين راهب الفكر !.. أما « كافر » فتنقلك إلى ذلك الجو الفكرى السابح فى أعماق الوجود وحقيقة الحياة ؛ هل تذكر قصيدة « الطلاسم » لإيليا أبى ماضى ؟ إن جناحى زهير ميرزا يضربان فى هذا الأفق ضربات عميقة تهز الخيال المحلق فيما وراء المجهول !

إننى لا أريد أن أقدم للقراء بعض النماذج من هذه المجموعة الشعرية حتى لا يغنيهم القليل عن الكثير ، إننى أود أن يرجعوا إلى المجموعة كلها ليقضوا مع الشاعر لحظات جميلة وممتعة كتلك التى قضيتها معه ... أما أنت يا صديقى زهير فيسعدنى أن نكون صديقين ، يلتقيان على الكفر بالمفاهيم للإيمان بها ، وليس أحب إلىّ من هدم يقوم على أنقاضه بناء !!

جوهر النفوس عندنا وعندهم :

نشرت « المصور » فى الأسبوع الماضى صورة لصبى أمريكى يجلس بين أكوام من الأوراق المالية ، ثم أشارت إليه بهذه الكلمات : « إنه (بوبا) الفتى المقعد الذى ضاق ذرعاً ذات مساء بوحدته وبالحياة ، فقصد إلى دار الإذاعة فى ولاية تكساس بأمريكا ، حيث ناشد المستمعين أن يمدوه ببعض (الدراهم) التى تعينه على الحياة ... وما كادت تنقضى بضعة أيام حتى دعى إلى مقر البريد حيث سلمه مديرها الرسائل التى وردت إليه من أنحاء الولاية استجابة لدعوته . وقد وجد الفتى نفسه غارقاً فى أكوام من الرسائل تحمل فى داخلها ثروة تقدر بعشرين ألف دولار ، هبطت إليه من السماء » !

هل تستطيع أن تقف معى لحظات لنزن هذا الخبر الذى يحمل إلينا قليلا من الألفاظ وكثيراً من المعانى ؟!. ترى لو كان هذا الصبى المقعد فى مصر ، وذهب إلى دار الإذاعة ليذيع نداء الحاجة على ذوى القلوب الرحيمة ، ترى ماذا كان يحدث ؟ الشىء الذى أتصوره ولا يمكن أن أتصور شيئاً سواه ، هو أن يهاجم ذوو القلوب الرحيمة دار الإذاعة هجوماً لا « رحمة » فيه ، لأنها سخرت الجهد وأضاعت الوقت فى خدمة المقعدين والمتسولين !.. والشىء الذى أتوقعه ولا يمكن أن أتوقع شيئاً سواه ، هو أن تضج الصحف بالشكوى من تفاهة هذا « البرنامج » الذى تفتقت عنه أذهان المشرفين على الإذاعة ، أولئك الذين لا هم لهم إلا إزعاج المستمعين !

ألا ما أبعد الفارق بيننا وبينهم ... هناك قلوب من ذهب وهنا قلوب من قصدير !!

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

العربية تزحف على بر وزير المعارف :

كتب معالى الأستاذ على أيوب بك وزير المعارف ، صفحة جديدة فى تاريخ الكرامة المصرية ، إذ أعز اللغة القومية ورفع لواءها على مكاتب السفراء ورجال السلك السياسى الأجنبى فى الأسبوع الماضى ، حينما أمر بكتابة الدعوات التى أرسلت إليهم لحضور حفل المرشدات باللغة العربية ، على خلاف ما جرت عليه الوزارة من كتابتها باللغة الانجليزية أو الفرنسية .

وهى دَفعة من الدفعات التاريخية التى قام بها رجال من رجالنا فى العصر الحديث لنصرة اللغة العربية والتمسك بها ورفع شأنها باعتبارها لغتنا وأن لا شخصية لنا إلا بسيادتها .

ولا شك أن من حقنا أن نكتب بلغتنا لمن نشاء ، ولكن كنا نتسامح ونفرط فى هذا الحق ، ولم يحدث أن تمسكنا به واستطاع أحد أن يصدنا عنه ، بل على العكس كنا نتطوع بتمكين الأجانب من إهمال لغتنا لأننا نهملها معهم . وهذا هو السفير البريطانى يرد على دعوة معالى وزير المعارف باللغة العربية أيضاً ، آسفاً لعدم إمكانه تلبية الدعوة لتغيبه بالاسكندرية يوم الحفل . فأين كنا من زمان ؟!

إن اللغة تقوى بقوة أصحابها وتضعف بضعفهم ، وليس هناك لغة حية ولغة ميتة ، فالأحياء والأموات هم الناس .

مدرسة حديثة فى فن القصة :

لا تقر فضل الخير على الشر ، ولا تعترف بفارق بين الفضيلة والرذيلة ، ولا تميز الحق من الباطل ؛ أية نزعة من نزعات الإنسان عندها كأية نزعة أخرى ، لا تقول للص يا لص ، ولا تقول للبطل يا بطل ، لأنه لا جريمة ولا بطولة ، فلكل عمل دوافعه ومقدماته ، وكل ما يأتيه الإنسان أمر طبيعى لا ينبغى الحكم عليه ولا يجوز أن يستنكر .

هى مدرسة حديثة فى فن القصة ، ظهرت فى مصر ، وأعلنت صوتها يوم الأحد الماضى فى نادى رابطة الأدباء ، على لسان الطالب الأديب صلاح حافظ الذى ألقى محاضرة دعا فيها دعوة هذه المدرسة وأعلن ميلادها فى زهو ، وتطامَنَ فبشر بزعيمها الجالس بجوار المنصة يبعد عن سيماه خجل التواضع .

والزعيم أو الكاتب القصصى الأول فى هذه المدرسة الحديثة ، هو الأديب محمد يسرى أحمد ، وأعلام المدرسة وأنصارها والمتحمسون لها ، يجتمعون فى واحد هو محاضرنا الأديب صلاح حافظ ، وهما طالبان بالسنة الثالثة بكلية الطب ، إنهما يشرحان الإنسان الحى كما يشرح الإنسان الميت فى قصر العينى . هل يأبه الطبيب للقذارات أو يأنف من روائح الجثث ؟ كذلك كاتب القصة يحلل الإنسان كما هو ويتغلغل فى أعماقه ليصورها كما هى ، فإن قلت إن غاية الطبيب المشرح الوصول إلى الحقائق العلمية قالت لك المدرسة الحديثة فى فن القصة إنها لا غاية لها ، فالكاتب يجب أن يبدأ القصة ويسير فيها مع الطبيعة لا يهدف إلى شىء ، فإن قلت إن الطبيعة لا تعتسف طريقها نهذا هو الفارق بين الطبيعة وبين المدرسة الحديثة .

يظهر أننى تأثرت بمذهب هذه المدرسة فى عرض الأشياء كما هى وإبراز الإنسان كما هو ، فإنى أتحدث عنها كما هى ، وإتماماً للخطة أضربت فى هذا الموضوع عن استعمال علامات التعجب لأنها تدل على الانفعال وقد تشير إلى الحكم . وأستمر فى السير على هذه الخطة فأقول :

حدثنا المحاضر صلاح فقال إن المدرسة الحديثة قد اكتسحت كل ما عداها وأحرزت نصراً مؤزرا فى مسابقات القصة المختلفة ففاز يسرى بقصة فى مهرجان الشباب ، وبأخرى فى مسابقة الإذاعة ، وبثالثة فى مسابقة الثقافة العامة ، وفاز هو ، أى صلاح ، بقصة فى المسابقة الأخيرة .

وليس هذا هو كل إنتاج المدرسة الحديثة ، فقد كان ليسرى فى مهرجان الشباب قصة غير التى فازت ، تحدث فيها عن حادثة غرام بين فنان وأخته وحلل العوامل التى جعلت بطل القصة يفتتن بمحاسن أخته ويستمتع بجسدها ثم يقتلها . ولم يعجب ذلك الاتجاه النفسانى فى فن القصة شيوخ الأدب

المحكمين فى المسابقة ، فرفضوها وقال إن الأستاذ عبد الله حبيب قرأ هذه القصة ، إذ كان يعمل فى تنظيم المهرجان ، حتى وصل إلى نهايتها وهو لا يشعر أن فيها جريمة ترتكب ، وإنه دافع عنها أمام لجنة التحكيم (وقد سمعت أنا أيضاً ذلك من الأستاذ عبد الله) .

وأنا ما زلت أتحدث على طريقة المدرسة التجريدية ، ولكنى وصلت إلى نقطة أرانى فيها مضطراً إلى الخروج مع المدرسة نفسها عن طريقتها . شيوخ الأدب جامدون لا يقدرون الاتجاه النفسى الجديد لأنه يخالف اتجاههم ، فالشيوخ يتحدثون عن جمال الريم ولا يهتمون بالإنسان ، فإذا عرجوا عليه لزموا السطوح ولم ينزلوا إلى الأعماق ، كما يقضى بذلك علم النفس ، وكما تفعل تلك المدرسة الحديثة . وقرأ المحاضر فى هذا المعنى رسالة كتبها يسرى إلى الأستاذ فريد أبو حديد بك ، ومن فقراتها « لا يا سيدى . نحن جيل وأنتم جيل » .

ثم أرجع إلى الطريقة التجريدية فأقول : هكذا يقضى الشيوخ بفوز قصص المدرسة الحديثة فى المباريات ، وتمتز المدرسة بذلك ، ثم تهاجم الشيوخ الذين حكموا بفوز قصصها . أقول هكذا فقط ولا أذكر الوفاء ولا الاعتراف بالجميل فليس شئ من هذا فى معجم المدرسة الحديثة فى فن القصة . أما لماذا قضت لجان التحكيم فى المباريات بفوز تلك القصص، فقد قال أحد أعضائها وهو الدكتور إبراهيم ناجى ، فى تعقيبه على المحاضرة : إن القصص التى فازت ، إنما فازت لأن بقية القصص المقدمة تافهة ليس فيها شئ من فن القصة بل هى حكايات و (حواديت)

وجرياً على مذهب تلك المدرسة فى العطف على الضعف الإنسانى وإن جانب الذوق السليم واندفع مع الحيوانية السائمة — لا أريد أن يتجه القلم إلى القسوة على بطليها ، غير أننا نختلف فى أن لرفق بهما غاية .

إنكما يا ابنىّ تتعجلان . وأنى وإن كنت لم أقرأ لكما يبدو لى من الملابسات والقرائن أنكما من ذوى الاستعداد ويمكن أن يجىء منكما ، ويدل ما يقول الأستاذ عبد الله حبيب عن قصة عاشق أخته على براعة يسرى فى السياق والحبكة ، ولكن ما أشبه حال الأستاذ وهو يقرأ

كشكول الأسبوع

◻ حدد المجمع اللغوى فى اجتماعه الأخير جلسة اليوم الثانى من شهر مايو القادم لإجراء انتخاب بين المرشحين لشغل الكرسيين الخاليين به .

◻ بناء على رغبة ملكية سامية ، تعمل وزارة المعارف الآن على تغيير اللوحات المعلقة بواجهة المتحف المصرى والمكتوبة باللغة الإنجليزية متضمنة نبذاً عن الآثار المختلفة ، بحيث يوضع بدلها لوحات مكتوبة باللغة العربية .

◻ يبدأ عرض مسرحية « الماس » يوم ١٦ إبريل الحالى على مسرح الأوبرا الملكية . وقد أعلن عنها فى الصحف بطريقة « توزيعية » بين المؤلف توفيق الحكيم والمخرج زكى طليمات والممثل الأول يوسف وهبى . ولعل هذه أول مرة يرضى فيها يوسف وهبى بالقسمة العادلة .

◻ قدم فريق التمثيل بالأزهر رواية « خالد بن الوليد » على مسرح الأزبكية فى الأسبوع الماضى . ولم تتح لنا الفرصة لمشاهدة باكورة الإنتاج الأزهرى . وهذا تطور مدهش ... فلو نشرهنا الخبر منذ عشرين سنة على سبيل التنبؤ لكان موضع الاستغراب والذى نرجوه أن يكون من وراء هذا الاتجاه إنشاء فن مسرحى إسلامى له خصائص تميزه ويتفق مع الرسالة الدينية .

◻ أصدرت لجنة النشر للجامعيين « العدالة الاجتماعية فى الإسلام » للأستاذ سيد قطب ، وهو كتاب يعرض موقف الإسلام من الحياة الإنسانية عامة والعدالة الاجتماعية خاصة . وقد بين المؤلف ذلك أحسن تبيين فدل على ما توافر له من فهم روح الإسلام وروح العصر والقدرة الأدبية على التعبير .

◻ وقع اختيار لجنة تشجيع التأليف والترجمة بوزارة المعارف ، على طائفة من الكتب الألمانية والإنجليزية والفرنسية المؤلفة فى العلوم والفنون والآداب لنقلها إلى اللغة العربية ، وعهد بترجمتها إلى طائفة من رجال الجامعتين والمعاهد العليا والأدباء .

◻ لاحظت إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف أن برنامج الإذاعة الذى ينشر غير مستوف — فيما يتعلق بالأحاديث — البيانات المطلوبة لتضمينها السجل الثقافى ، وأن البرنامج نفسه كثيراً ما يتغير عند الاذاعة ، فكتبت عدة مرات إلى إدارة الاذاعة لتوافيها بالبيانات المطلوبة دون أن تتكرم بالرد ...وأخيراً تبين أن لإدارة الإذاعة أذناً من طين وأخرى من عجين ...

◻ كشف عالم أثرى مصرى مقابر بمنطقة سقارة ، ووجد فى إحداها تمثال لكاتب مصرى قديم اسمه « نفركا » ومعناها لطيف الظل .

◻ ينعقد المؤتمر الثقافى العربى الثانى بالاسكندرية فى أغسطس القادم .

◻ تعمل وزارة المعارف على إقامة معرض فنى بالخرطوم تعرض فيه مجموعة عن أعمال الفنانين المصريين المعاصرين .

القصة غير شاعر بأن فيها جريمة ترتكب ، بمن (نشلت) حافظة نقوده وهو لا يدرى .

إن مناقضتكما للأخلاق الكريمة بهذه الدعوة مناقضة ظاهرة ، وأنتما لا تنكران ذلك ، وإنما تتمسكان بأهداب الفن وأنا لا أدرى كيف يتسق الفن مع مخالفة الذوق السليم وإغفال المثل الإنسانية والانسياق مع الحيوانية البحتة . وما هو الفن الذى يتجرد من العاطفة ؟ إن تحليل الأشخاص وإظهارهم دون انفعال وحكم ، عن طريق التصوير الفنى ، على ما يأتون وما يدعون لاينتج إلاشيئاً قد يسمى « علم نفس تطبيقياً » أما الفن فلا بد فيه من عاطفة الفنان ، فإن تجرد منها فليس فناً . والعاطفة فى العمل الفنى إما أن تهدف إلى الخير وتتجه نحو الجمال الذى يهفو إليه الذوق الفنى السليم ، أو تنزل إلى الشر وتتدلى إلى القبح .

أريد أن أفرض فى شأن هذين الشابين أحسن الفروض ، وهو أنهما يتكلفان الشذوذ على طريقة « خالف تعرف » ولا بأس بأن حققت لهما شيئاً من ذلك ، وغاية ما أرجو أن يكون الثمن هدايتهما إلى سواء الأدب القويم .

رسالة من غراب :

تلقيت رسالة كريمة رقيقة من الأستاذ أمين يوسف غراب ، على أثر ما ظهر فى « كشكول الأسبوع » خاصاً بخطأ لغوى فى قصة له بمجلة الأديب ، قال الأستاذ فى رسالته « أما الخطأ الذى تفضلتم بالإشارة إليه فأنا أعترف به ، ولا أريد أن أحمل المطبعة وزره ، أو أحيله على غيرى كالذى نقل عنى هذه القصة مثلا . ولكنى لا أعترف بأنه كان يستحق عنايتكم إلى هذا الحد ، أو يستأهل إشارتكم الكريمة ، إن هناك على ما أعتقد من جديات الأمور ما هو أجدر بعنايتكم وأحق بتوجيهاتكم . كنت أفهم مثلا أنكم تتحدثون عن القصة فى مجموعها كوحدة فنية ... الخ »

وأقول إنى لم أعرض لنقد القصة حتى أستوعب نواحيها المختلفة ، ولم يصرفنى هذا الخطأ عن جديات الأمور . إنما هى نظرة من زاوية ، صيغت فى سطور من « الكشكول » وليس من دأبى تتبع الأخطاء اللغوية ، ولا آتى بشىء من ذلك إلا لملابسات أخرى غير مجرد الخطأ ، والذى لابس إشارتى إلى قصة الأستاذ غراب هو ما ألاحظه من استهانة بعض الكتاب ذوى المواهب الفنية بسلامة الأسلوب وصحة اللغة .

وقد لمحت فيما قرأت للأستاذ سمات الإجادة الفنية ، وقد بدا لى من رسالته أن ما ندَّ من قلمه ليس عن استهانة ، وأنا لا أعتبره ممن قلت إنهم ركبوا ظهور الصحف والمجلات فى غفلة الزمان ، وقد حسب أنى أعنى ذلك ، وسألنى : « ألست معى فى أن هؤلاء الذين ركبوا ظهور الصحف والمجلات فى غفلة الزمان ، أحسن عملا وأكثر نفعا من أولئك الذين ركبت الصحف والمجلات ظهورهم ؟ » ولو سألنى أى الفريقين أسوأ أثراً وأكثر ضرراً لكان من المحتمل أن أجيب ...

الخطب الموزونة :

كنت بالأمس فى أحد نوادى العاصمة ، مع الحاضرين لسماع محاضرة تلقى به ، وقام سكرتير النادى ليقدم المحاضر ، وأنا للآن لا أعرف اسم هذا السكرتير ، أما المحاضر فهو شخصية معروفة ، فبالله أيهما أولى بالتعريف ... ؟ وهى عادة متفشية فى أنديتنا وجمعياتنا ، ينتهز السكرتير أو الوكيل أو الرئيس وقد يكون المراقب أو أمين الصندوق ... ينتهز أحد هؤلاء فرصة اجتماع الناس لسماع محاضرة لأحد الأعلام ، فيحتل المنصة نحو نصف ساعة بحجة التقديم للمحاضرة وما هو إلا يريد توكيد شخصيته . أعجبنى مرة أن رأيت الدكتور طه حسين بك يبرز إلى الجمهور وحده على المنصة بقاعة المحاضرات بالليسيه فرانسيه ، فلم يقدمه أحد ، وما هو بحاجة إلى تقديم .

ذكرنى موقف ذلك السكرتير بما كان قد نشر فى إحدى الصحف من التتبع فى بعض ولايات إفريقية الجنوبية لحماية الناس من الخطب الطويلة المملة ، إذ يوجبون على الخطيب أن يقف على قدم واحدة ، فإذا تعب ومست الأرض قدمه الثانية يجب أن يمسك عن الخطابة وإلا منعه السامعون من الاسترسال بالقوة ! ولو أن فى تلك الولايات من يقدم الخطباء كمن هم لدينا فى مصر ، لقضوا عليهم أن يقفوا على إصبع واحدة من قدم ...

وكم كان ظريفاً ذلك الأعرابى الذى حضر حفل زواج قام فيه خطيب فحمدل وهلل وكبر وأطال فى ذلك حتى أمل ، فقال له الأعرابى : أيها الخطيب لا تقم الصلاة فإنى على غير وضوء .

عباس خضر



كلمة أخيرة فى نيتشه وفاجنر :

حين قارب نيتشة الثلاثين كان كما قال فى كتابيه زرادشت — وما وراء الخير والشر — قد مر بالمراحل التى مرت بها الإنسانية فى تفكيرها ، إذ كان قد عب بشراهة ونهم شديدين من الفنون والفلسفات قديمها وحديثها . وكان الفيلسوف فى السن التى اتصل فيها بفاجنر أستاذاً فى أرقى الجامعات الأوربية ؛ فهو فى صلته بالفنان رجل له مكانته الفكرية ومركزه الاجتماعى ، لا شاب ناشىء كما يريد أن يصوره الأستاذ المداوى منساقاً مع قول رومان رولان المتعصب لبيتهوفن كل التعصب حيث مجده فى كتاب سماه بتهوفن الخالق — Beathoven the Creator — وإن محاضرات الفيلسوف « الناشىء » ودراساته فى تلك السن لا زالت أهم المراجع فيما عالجته من موضوعات — وقد كانت الفلسفة الأغريقية وعلى الأخص أفلاطون أهم الينابيع التى استقى منها نيتشة ، إذ يصور نفسه فى إحدى رسائله[1] إلى فاجنر فى ذلك الحين جالساً بين عدد من كتب هذا الفيلسوف يكاد يحجبه عن الرائى — ولا أظنه بهذا يتملق الفنان أو يدّعى — أما فى الفلسفة الحديثة فقد تتلمذ على شوبنهاور حتى رفعه إلى الدرجة العليا التى رفع إليها فاجنر فى عالم الفن . (انظر كتابيه — شوبنهاور المعلم — والفاجنرية الكاملة) وكان قد استوعب أيضاً فلسفة ماركس وله عنها تنبؤات صدقت بشكل يدعو إلى الدهشة — إذ أن نيتشة هو الذى تنبأ فى كتابه ما وراء الخير والشر لفلسفة ماركس بالذيوع ، وعين بالذات الدولة التى ستحمل مشعلها وهى روسيا فى وقت كان لا يتصور هذا أحد ؛ لأن روسيا كانت ترزح تحت حكم القياصرة الحديدى — وقد صح ما تنبأ به نيتشة فاحتضنت روسيا الماركسية الألمانية وحملت مشعلها -- وقد كان هذا العصر الذى ضم فاجنر وشوبنهاور ونيتشة يموج بأحداث جسام . فقد حدث أن اهتزت أوربا كلها لموجة فكرية عنيفة كان لها ما للقنبلة الذرية فى عصرنا من وقع ، بل ربما أكثر ، فهذه جاءت فى عصر ألف فيه الناس العجائب وكانت القنبلة منتظرة منذ سنوات .

أما ذلك الحدث الخطير فقد كان مفاجأة عنيفة ...

وذلك هو نظرية التطور لداروين ١٨٥٩ التى زلزلت الأفكار فى أوربا بل العالم طيلة النصف الثانى من القرن التاسع عشر . ولما أوشك نيتشة أن يكمل الحلقة الرابعة من عمره كانت نفسه تجيش أعظم جيشان عرفته نفس مفكر ... إن نفسه التى امتلأت بفلسفة الإرادة عند شوبنهاور وعالم المثُل عند أفلاطون وألهبتها روائع موسيقى فاجنر أخذت تنتفض انتفاضاً شديداً ... إنها تتمخض عن مولد فجر جديد قد يغير مجرى التفكير الإنسانى كله ! وظل فكره فى هذا الميلاد قرابة عقده الخامس . لقد بدأ داروين حبل الخليقة من الخلية إلى الإنسان فجاء نيتشة (حين أحس بأنه امتلأ كالنحلة التى ملّت حمل عسلها)[1] وتهيأ للرسالة ، فمد يده وتناول الحبل من داروين ليعبر به قنطرة الإنسان الحالى إلى السوبرمان ... ومن هو السوبرمان ؟! إنه الهدف الذى تسعى إليه البشرية فى تطورها ... « وكما صار القرد بالنسبة إلى الإنسان فسيصير الإنسان بالنسبة إلى السوبرمان ... » !

وهكذا خرج زرادشت نبى نيتشة بإنجيل دينه الجديد . دين السوبرمان الذى لا بد أن تصل إليه البشرية (فى زعمه) محطمة فى طريقها كل شىء يعوق هذا المسير فوجب إذن أن تتسلح بالقوة والعنف — وهكذا تطورت فلسفة الإرادة عند شوبنهاور إلى إرادة القوة عند نيتشة وسقط شوبنهاور المتشائم أمام سوبرمان نيتشة المتفائل وتحطم إلـه المسيحية الشفوق الحنون بما فيه من مشابه من أفلاطون (ليست المسيحية إلا الفلسفة الأفلاطونيه ختمت بخاتم إلهى)[2] لأن الشفقة والحنان أخطر العوائق فى طريق السوبرمان ... وأصبحت موسيقى فاجنر التى كانت تحلق بنيتشة فى سماء الفكر لا تستطيع اللحاق به فى آفاق السوبرمان .

وهكذا هوت الآلهة من سمائها فى نظر نيتشة تلك الآلهة التى طالما قرب إليها قرابين العبادة وتسابيح العبودية .. ومَن أفلاطون الآن؟ ومن شوبنهاور؟ ومن فاجنر؟ بل من هو الشعب الألمانى كله الذى رماه نيتشة بأقسى النعوت ؟ كل هذا لا شىء مادام لا يؤمن بالسوبرمان ... وهل للقرود (الإنسان الحالى) قيمة فى نظر السوبرمان؟ هذه قصة تحطيم نيتشة لآلهته الأولى ... قد يكون هناك بعض

(١) كتاب رسائل الصداقة بين نيتشة وفاجنر .

(١) كتاب زرادشت .

(٢) سانت هيلير فى مقدمة كتاب الأخلاق لأرسطو .

الأسباب عجلت تحطيم بعضها قبل الآخر كزوجة فاجنر مثلا إن كان حقاً لها كل هذا الأثر ، ولكن التحطيم كان آتياً لامحالة . فهذا هو حكم التطور فى عقلية الفيلسوف الذى بينا خطوطه البارزة بقدر ما تطيقه عجالة فى مقالة ...

ويؤسفنى بعد هذا أن أناقش الأستاذ المداوى فى التوافه التى وقف عندها كل الوقوف وركز فيها هجومه . . . ليس لكلمة genesis فى الإنكليزية كلها إلا هذه المعانى :

Birth' Creation' beginning

ولادة ـ خلق ـ سفر التكوين ـ لا الإخراج ـ (أى خلق العالم) فكيف يصدق أى عقل ترجمتها بلفظة إخراج؟! أما الجملة الأخرى You have shown فمنصبة على خلق الكتاب «مولد التراجيديا» أى على القائم بخلقه وكلا الوضعين يؤيد ترجمتى . أما تملق الفيلسوف الشاب للفنان الكبير ليأخذ بيده فى طريق المجد ، فهذه وصمة لا تليق بالأستاذ المداوى ، فكيف تليق بنيتشة العظيم ؟!

تقول « إن العبقرى يولد وبذور العبقرية فى دمه ؟ كيف تعتقد أنى لا أقر هذا؟ لكن هذه البذور ألا تحتاج إلى هواء وإلى شمس وتربة تمد فيها جذورها ؟! إنها بغير هذا تظل بلا شك بذرة عبقرية لا عبقرية .. والشمس والماء والهواء لا تحيل البذرة ياسيد (سروحى) الى شمس أو إلى ماء أو إلى هواء ، وإنما هى عوامل مساعدة على التفتيق والإنبات وهكذا كل تأثير فى العبقرية يا صديقى . ونقول : (ما كان لهذا الفكر الجبار أن يتأثر أو يستمد وجوده الفلسفى من أى إنسان مهما تكن مكانته فى الحياة الفنية) . إن الحياة الفنية هنا شأنها شأن أى حياة. ليس العبرة بنوع التأثير بل بوقوعه على أى وجه. ثم إنك تقول إن زارا قال لرفاقه وأنصاره ماذا يهم زارا من جميع المؤمنين به ؛ إذ عليكم أن تجحدونى لتجدوا أنفسكم ... والصواب أن نقول هذا للأستاذ المداوى الذى ينكر أى إيمان سابق لنيتشة بفاجنر ما دام قد جحده أخيراً ، ويرى ذلك كان تملقاً متحدياً كل حقيقة ! مع أن نيتشة ظل يمجد فاجنر حتى أواخر عقده الرابع [١]

أما سؤالك عن تأثير بيتهوفن فى جوته يا أستاذ معداوى فهو مثل معكوس لأن جوته الفيلسوف كان يكبر بتهوفن بمراحل ، بينما نيتشة كان مع فاجنر فتى ناشئاً يخطو أولى خطواته كما تقول . ومع هذا لا نستطيع أن نحكم بعدم تأثير موسيقى بتهوفن فى تفتيق عبقرية جوته عن بعض المعانى . ونيتشة بالذات ذو سليقة موسيقية لأنه شاعر لا ناقد — يا أستاذ معداوى — إذ هو القائل : « إن كتابى زرادشت أنغام موسيقية صدحت فى داخلى فأصغيتُ إليها وسجلتها » !

أما استشهادك بالناسخ والمنسوخ فى القرآن فإننا نقول بوقوع التأثير فى عبقرية نيتشة والتأثير وقع أيضاً فى فترة ما بفضل الآيات المنسوخة قبل نسخها ، فمثلا فى آيات الخمر قد شرب الخمر بعض الصحابة فعلا بمقتضى إباحة الآيات المنسوخة قبل وقوع النسخ وهذا مؤيد لقولنا أيضاً ... أما كلمة خلق العبقرية التى ذكرتها فلا محل لها مطلقاً فى المناقشة ؛ وشتان بين الخلق والتفتيق ! يا أيها الأستاذ الناقد !

أما ما جاء فى مقالك من لغو فنمر عليه كراماً ...

محمد فهمى

فى تفسير الإمام محمد عبده :

جاء فى تفسير جزء (عم) للأستاذ الإمام — رحمه الله — عند تفسير أول سورة (الليل) ما يأتى :

(والليل إذا يغشى) يبتدئ فى هذه السورة بأن يقسم بالليل وهو الظلمة لأنها الأنسب بما ختمت به السورة السابقة من الدمدمة وإطباق العذاب ... اهـ

والإمام يعنى بالسورة السابقة سورة (الشمس) التى آخرها «فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ، ولا يخاف عقباها » والمعلوم أن سورة الشمس سابقة لسورة الليل فى الترتيب لا فى النزول إذ أن سورة الليل نزلت بعد سورة الأعلى — وبذلك يكون لا محل هنا لذكر المناسبة التى ذكرها الإمام .

أما المناسبة ؛ فلما كان القسم عليه هو تقرير اختلاف سعى الناس فى الحياة اشتملت صيغة القسم على أشياء مختلفة لتركيز المعنى المقصود فى عقول المخاطبين ... فقد أقسم بالليل والنهار فى قوله « والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى » وهما مختلفان — كما أقسم بخالق الذكر والأنثى فى قوله : «وما خلق الذكر والأنثى» وهما مختلفان أيضاً ، كأنه يريد أن يقول لهم : إن اختلاف سعيكم فى الحياة مؤكد تأكيد اختلاف الليل والنهار والذكر والأنثى ذلك الاختلاف الذى لا يتطرق إليه أدنى ريب ولا تستطيعون إنكاره

محمد عبد الله السمان
مدرس بمدارس الاسلام الكبرى الابتدائية بالجيزة

---

(١) against wagner 1888

أين دفن الإسكندر :

ورد فى مقالة الأديب كاظم المظفر عن (إيوان كسرى) أن الاسكندر المقدونى توفى فى المدائن وحمل تابوته إلى الإسكندرية لأن أمه كانت تقيم فيها . والتاريخ يقول غير ذلك إذ يقول إن الإسكندر توفى فى مدينة بابل وتابوته لا يعرف له مقر حتى الآن وأمه عند وفاة ابنها الإسكندر تقيم فى بيللا Pella مسقط رأس عائلة الإسكندر .

عزيز خانكى

جمع غيور :

جمع غيور على غيورين صحيح على مذهب الكوفيين لأنهم لا يشترطون فى الصفة التى تجمع جمع تذكير ألا يشترك فيها المذكر والمؤنث سواء كانت على وزن فعول أم لا بخلاف البصريين وقس عليه نظائره ، ولا يخفى أن هذا الجمع المألوف المشهور ، أخف وألطف من جمع التكسير (غُير) الغريب المهجور .

على حسن هلالى
بالمجمع اللغوى

سويا بمعنى معا :

اطلعت على ما كتبه الأستاذ كامل محمود حبيب تحت عنوان « فتى من الريف » فى عدد الرسالة ٨٢٠ فأعجبنى الأسلوب القوى والتركيب المتين والبلاغة المتدفقة فى كلامه ولكن رأيت فى ثنايا تعبيره عبارة جذبت نظرى .

ففى ص ٣٣٣ يقول على لسان هذا الفتى « وهؤلاء رفقائى نغدو معاً إلى الأزهر ونروح سوياً إلى الدار ...

واستعمال سوياً فى هذا الموضع بمعنى معاً خطأ شائع على الألسنة لأن لفظ سوى إنما هو بمعنى مستو .

قال فى اللسان ورجل سوى والأنثى سوية أى مستو فأرجو التنبيه على فساد هذا الاستعمال فى مجلتكم الزاهرة التى تدعو دائماً إلى رفع الثقافة العربية والأساليب البارعة فى مختلف الأقطار العربية .

عبد العليم على محمود

قلم صنع لا صناع :

ورد فى المصباح المنير فى مادة صنع ما يلى (ورجل صنع [بفتحتين] وصنع اليدين أيضاً أى حاذق دقيق . وامرأة صناع [وزان كلام] ...الخ) .

وعليه نقول : قلم صنع ؛ لا صناع كما جاء فى عرض الأستاذ المجمى لكتاب (وميض الأدب بين غيوم السياسة) فى عدد الرسالة (٨٢٠) إذ قال : وبهذا القلم الصناع تناول ... الخ) .

هدى الله الأقلام ، فصيح الكلام .

(المنصورة) اسماعيل أبو ضيف

تاريخ الأزهر :

(لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو العيون)

الجانب الذاتى فى تناول التاريخ هو الذى يعطير جوه ؛ ويشيع الدفء فى أنفاسه ؛ ويبعث الحياة والنشاط والتأثير فى جسمه : وهنا يبدو الجانب الموضوعى وهو الهيكل العظمى مكسواً باللحم والدم . وعمل كاتب التاريخ هو تقديم صورة حية واضحة لما يعالجه . وهذا ما يحسه القارئ لهذا العمل الذى قام به فضيلة الأستاذ الشيخ محمود أبو العيون فى التاريخ للأزهر وإلقاء الضوء على تلك البيئة الفاطمية التى ولد بين أحضانها الأزهر . فشهدنا ميلاده ووقفنا على الآمال التى كانت معقودة على هذا الوليد ، ثم تطوره حتى صار جامعة إسلامية كبرى . ثم يعطينا فكرة عن مواد الدراسة فيه ، ويقدم لنا شيوخه الذين تولوا قيادته ، ويقف بنا غير طويل ليعرفنا بأشهر رجاله ، ويعرج بنا على نظام الدراسة قبل النظام وبعده ؛ ثم يبين تلك الأطوار التى مرت عليه حتى استقر به المقام فى هذه المرحلة الأخيرة وما يطبعه من سمات فكرية وروحية . وهذا عمل قيم جاء فى وقته ؛ فتاريخ الأزهر الحافل لم تكن صورته واضحة محددة إلا فى أذهان القلة القليلة من المثقفين ؛ وما عداهم فهى مبهمة مطموسة رجراجة .

وقد غدت بفضل هذه الدراسة واضحة للعيون مستقرة فى الأذهان . ولعل هذه الدراسة الموجزة تكون فاتحة لدراسات مستفيضة دقيقة تتناول كل ناحية من نواحيه . وبعد فلا أظن أن أستاذنا فى حاجة إلى تقديم آثاره فى نواحى الجهاد السياسى .



قصة من روائع موباسان :

الغريب . . . !

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

— ١ —

أخذنا بأطراف الحديث والعربة تغادر بنا مدينة « كان » زاخرة براكبيها ، ولم نكد نتجاوز « بارسكن » حتى صاح أحدنا :

— ها هو ذا المكان الذى كانت تذبح فيه الناس !

فإذا بنا نخوض فى أخبار الخرافات ، ونتناول سيرة أولئك القتلة الذين كانوا — فيما مضى — يسلبون الناس أرواحهم ويغتصبون أموالهم . فراح كل منا يدلى بما يساوره من قصص ، ويطرح ما يراوده من خواطر ... وطفقت النساء يحملقن مروّعات فى ذلك الظلام الحالك من خلال النوافذ ... يتوجسن خيفة أن تقع أبصارهن على رأس آدمى لدى الباب !

وتأهب أحد الأطباء — وكان يشد رحاله إلى الجنوب كل عام إذا ما بدت تباشير الشتاء — ليلاقى فى أسماعنا واحدة من تلك القصص التى يكتنفها الغموض والغرابة :

« لم يسعدنى الحظ يوماً لكى أبلوَ شجاعتى وأمجم جسارتى فى أمر من هذا القبيل ، إنما كنت على معرفة بسيدة قد طواها الموت وكانت ممن أعالجهن ... حدث لها أمر من أغرب الأمور وأشدها حزناً فى هذا الوجود ...

« كانت روسية تدعى « الكونتس ماريا بارنوا » ... وهى امرأة عظيمة ذات حسن ساحر وفتنة باهرة ... وأنتم تدركون كم هن جميلات أولئك الروسيات بأنوفهن الرقيقة ، وثغورهن الرشوفة ، وعيونهن النجل ، وقدودهن النضة . وما يبدين من الصلابة والإباء مع فيض من العذوبة والإغراء ... فيهن كل ما يخلب لب الرجل الفرنسى ويثير افتتانه !

« وكانت « الكونتس » فريدة بينهن ، وقد فطن طبيبها منذ سنوات إلى الداء وهو ينهش فى صدرها ، فأخلص لها النصح فى أن تسعى إلى جنوب فرنسا ... بيد أنها أبت أن تبارح « سان بطرسبرج » ، فانثنى الطبيب — فى الخريف الماضى — فأنذر

والأدبى والدينى لا تزال رائعة خصبة .

محمد عبد الحليم أبو زيد

قصص الأطفال الحسابية المصورة :

(تأليف الأستاذ حسن محمد السكرى)

هذه سلسلة جديدة من « كتيبات » صغيرة الحجم عظيمة النفع كبيرة الفائدة توفر على تأليفها الأستاذ حسن محمد السكرى المدرس بمعاهد المعلمين ، وأفرغ فيها الجهد المشكور فجاءت متمشية مع أحدث طرق التربية الحديثة لتعليم مادة الحساب .

ومادة الحساب — لا شك — من المواد الجامدة التى لا يقبل عليها صغار التلاميذ وبخاصة فى المراحل الأولى من التعليم ، وذلك لخلوها من أدوات التشويق والترغيب وجلب انتباه الصغار والأستاذ مؤلف الكتاب وفق كل التوفيق حين جعل مسائله الحسابية قصصاً مصورة ملونة مشوقة تدفع الأطفال وترغبهم فى قراءتها كموضوع من موضوعات المطالعة ، وكمسألة من مسائل الحساب فى آن ، وفى ذلك يقول فى تقديم كتابه « حملنى على وضعها ما ألمسه من شغف الأطفال بمطالعة القصص ، وما أراه من خير محقق فى الاستفادة بهذا فى تدريبهم أثناء المطالعة على بعض العمليات الحسابية حتى تزدوج الفائدتان العربية والحسابية » ...

وبعد : فإننا نزجى أفضل الشكر للأستاذ المؤلف الذى أخذ على عاتقه القيام بهذا العمل الجليل فى خدمة النشء ، ونرجو أن ينتفع الأبناء بالإقبال على أمثال هذه المؤلفات التى تتوخى الفائدة وتستهدف أسمى الأغراض ، وأنبل الغايات

(الزيتون) *عدنان أسعد*

زوجها بسوء المصير ، فألح هذا على امرأته أن ترتحل إلى « منتون » في فرنسا .

« فاستقلت القطار – منطوية على نفسها في عربتها – أما حاشيتها فقد أقامت في ناحية أخرى من القطار .

وران عليها الحزن واحتواها الشجن ، وهي جالسة على كثب من الباب تلقي بطرفها إلى الحقول والقرى وهي تمر بها في إثر بعضها ، وقد استشعرت ألم الوحدة ، وأحست لذع الوحشة في حياتها وهي عاطلة من أطفال يملؤونها بهجة وبشراً ، وخالية من ذي رحم يحيلها مرحاً وأنساً ... غير زوج ماتت في قلبه عواطف الحب ، ونضبت منه عيون الحنان . . فلم يتورع أن يقذف بها في ركن قصي من العالم دون أن يصحبها كما ينبذون الخادم المريض في معزل عن الخلق !

وكان تابعها « إيفان » ينزع إليها في كل محطة لينظر إن كانت سيدته تروم أي شيء فيؤديه لها ، وكان رجلا كهلا شديد الإخلاص ، مغلق القلب على الطاعة ، سريعاً إلى إنجاز كل أمر تلقي به إليه ...

وفجأة عنّ لها أن تحسب ما قدم لها زوجها – في اللحظة الأخيرة – من النقود الذهبية الفرنسية ، ففتحت حقيبتها الصغيرة ، وأفرغت في حجرها ذلك الفيض الأصفر الرنان !

وعلى حين غرة أصابت وجهها نسمة قارصة من الهواء ، فرفعت رأسها – وقد تولتها الدهشة – تستجلي الأمر ، فإذ بالباب قد فتح ، فلم تملك الكونتس المضطربة سوى أن تطرح غلالتها السمراء على ما في حجرها ، ثم قبعت مترقبة !

فلم تمض لحظات ، حتى دلف من الباب رجل عاري الرأس ، جريح اليد ، لاهث الأنفاس ، وأغلقه من خلفه ، واستقر في مقعد يلقي إلى جارته بنظرات حادة ، ثم لم يلبث أن لف منديلا حول رسغه المخضب بالدماء !

فأحست السيدة لفرط خوفها أنها تكاد تغيب عن وعيها ، فلا مجال للريب في أن هذا الرجل قد لمحها وهي تحسب نقودها ، فخف إلى سلبها ... ثم ... ثم يزهق روحها ! إنه ما برح يحدجها بنظراته الثاقبة ... مضطرب الأنفاس ، مقطب السمات ، يتربص بها الفرص حتى يثب عليها !

قال بغتة : سيدتي ... لا تخافي ولا تجزعي !

فلم تنبس ببنت شفة ، وقد تحجر لسانها ، وطنت أذناها ، وازداد قلبها خفقاً !

واستطرد فيما يقول : ما أنا بشرير ... أيتها السيدة !

فأمسكت على صمتها ، ولكن حركت ساقها فجأة – وهي لا تدري – فأخذ الذهب يتدفق إلى الأرض كما يتدفق الماء من الصنبور ... فسكت الرجل يحملق حيناً وقد أخذته الدهشة في ذلك السيل الذهبي ، ثم لم يلبث أن انحنى يلتقطها ويجمعها !

فهمت مروعة ، وألقت بكل ما معها على البساط ، وهمت أن تجري تروم النجدة وتتوخى النجاة !

ولكن الرجل – وقد أدرك ما هي مقدمة عليه – قفز إليها وأطبق على ذراعها ، ثم دفعها في غلظة إلى حيث كانت تجلس وهو ممسك برسغها ... وراح يقول في صوت مرتعد النبرات : اصغي إلي يا سيدتي ... لست بشرير ، ولا معتد أثيم ... والبرهان على صدق ما أقول أني سأجمع هذا الذهب وأرده عليك لا ينقص دانق ، ولكنك إذا لم تكوني لي عوناً وملاذاً حتى أعبر الحدود ، فما أنا إلا رجل ضائع يساق إلى موته ، ولن أبوح لك بغير ذلك !

ففي خلال ساعة سيمرق بنا القطار من الحدود الروسية ، وحياتي معلقة حينئذ بين يديك رهن بمشيئتك ... ولا يذهب بك الخيال ، وتتوزعك الوساوس ، إلى أني سفكت دماً ، أو سلبت مالا ، أو جئت أمراً يخالف الشرف ويدنس الضمير ... أقسم لك أني لم أجانف إثماً ولم أقارف ذنباً ... ولكن لن أبوح لك بالمزيد !

ثم ركع ثانية ، وراح يجمع الذهب ، حيث انتثر تحت المقاعد وفي ثنايا البساط ، حتى إذا امتلأت الحقيبة به مرة أخرى ، ناولها لجارته في هدوء دون أن تنفرج شفتاه عن كلمة يرددها ... ثم انثنى إلى الركن الآخر من العربة فجلس فيه لا يحرك ساكناً ! ومكثت هي جانحة إلى الصمت وقد لفها السكون ... وما برحت الغشية تراودها من أثر الخوف والرعب ، وإن أفرخ روعها وبدأت نفسها تنزع عن الاضطراب ويطمئن قلبها رويداً رويداً !

أما هو ، فقد جلس لا يريم ، ولا يختلج له طرف ، وهو يحدق أمامه ، شاحب الوجه ، تعلوه صفرة كأنها صفرة الموت ... وأخذت هي ترسل إليه – بين الفينة والفينة – نظرات عاجلة تختلسها اختلاساً ، وسرعان ما ترتد عنه ... بدا لها الرجل وضيء

الوجه منبسط السمات ، عليه سيماء السيادة والنبل ، قد تجاوز عقده الثالث !

وكان القطار ينساب فى سرعة مخيفة خلال الظلمات الطامية ، ويرسل بين آونة وأخرى صفيره الحاد يمزق هدأة الليل بحدته ! ولكن ما لبث أن خفف من سيره ... ثم سكنت حركته بعد أن زفر بعض الصفيرات ... فلما برز « إيفان » من الباب ، ألقت « الكونتس ماريا » نظرة عجلى على رفيقها ، ثم قالت لخادمها فى صوت خافت ونبرة سريعة : « إيفان سوف تعود إلى الكونت ، فما بى حاجة إليك ! »

فحملق فيها الرجل بعينين واسعتين يتراقص فيهما الاضطراب وقد تجلت على وجهه الحيرة ، وأرتج على لسانه القول : « ولكن يا سيدتى ! » فأجابته :

— « كلا ... لا تصحبنى ... فقد غيرت من فكرى ورجعت عن رأيى ... ومن الخير أن تبقى فى روسيا ... إليك بعض النقود لتعود بها ، وناولنى قبعتك وعباءتك ! »

فخلع الخادم فى جزع ودهش قبعته وعباءته دون أن ينبس بسؤال يستجلى به الأمر ، فقد عودته التجارب وعلمته الأيام أن يطيع أهواء سادته ويجيب نزواتهم ولو كانت غريبة مباغتة ، ثم ارتد على أعقابه مغرورق العينين بالدموع !

ولم يلبث القطار أن اندفع يطوى الأرض شطر الحدود . فقالت « الكونتس ماريا » لرفيقها : « إن هذه الأشياء لك — أيها السيد — أنت الآن « إيفان » خادمى ... ولا أروم إزاء ذلك سوى شرط واحد ، هو ألا تحدثنى بكلمة ، ولو كانت تحمل معنى الشكر ! » . فانحنى الرجل فى رقة دون أن ينبس ببنت شفة !

ثم عاد القطار إلى الوقوف ثانية ، وصعد إليه نفر من الضباط فى أرديتهم الرسمية ، فدت لهم الكونتس يداً بأوراقها قائلة — وهى تومئ إلى الرجل فى مؤخر العربة — :

« ها هو ذا خادمى إيفان وأوراقه هنا ! »

* * *

انطلق القطار فى سيره من جديد ، وقد جلس كلاهما غير بعيد من الآخر ، والليل يضمهما ، والصمت يحتويهما ، حتى إذا انسلخ نور الصبح من دياجير الليل ، وقف بهما القطار فى محطة ألمانية ، فنهض الرجل المجهول ، وقام إلى الباب قائلا فى صوت هادئ رقيق :

— معذرة يا سيدتى إن أخلفت ما كان من وعدى ، بيد أنى قد حرمتك من خادمك ، فلا أقل من أن أحل مكانه ، أما تعوزك حاجة ؟ !

فأجابته فى فتور : اذهب وادع وصيفتى !

فمضى ثم طواه الخفاء ، ولم يقع عليه طرفها بعد ذلك إلا حينما كانت تتناول غداءها فى إحدى المحطات وهو يرمقها من بعيد ، ثم أخيراً فى « منتون » حيث استقر بها النوى !

— ٢ —

وثاب الطبيب إلى الصمت هنيهة ، ثم وصل ما انقطع من حديثه قال :

« وذات يوم ، بينما كنت أتلقى مرضاى فى عيادتى ، دخل على شاب فارع القامة وسيم المحيا وسألنى فى هدوء وسكينة : « أيها الطبيب ، لقد أقبلت متقصياً أخبار الكونتس ماريا بارنوا ! إنى من أصدقاء زوجها ، وإن كانت لا تربطنى بها معرفة ! »

فأجبته : « لقد أفلت الزمام من يدها ، ولن تطأ أرض روسيا بعد الآن ! »

فإذا بى أرى الرجل يغرق فى البكاء ، ثم مضى فى سبيله يترنح كمن ذهبت بلبه الخمر ! وقد أخبرت « الكونتس » فى المساء بما كان من شأن ذلك الرجل الغريب ، فهزت رأسها وقد لاحت على وجهها سيماء التأثر ... ثم أخبرتنى بتلك القصة التى رددتها على أسماعكم لتوى !

ثم أضافت قائلة : « إن هذا الرجل الذى لا أدرى عنه شيئاً يتبعنى الآن كظلى ! . ولا أكاد أخرج يوماً حتى ألتقى به ... فينظر إلى فى رقة ونبل .. بيد أنه لم يحاول أن يخاطبنى أبداً ! ..

وران الصمت عليها حيناً ، وهى تحاول أن تجمع شتات فكرها .. ثم قالت : « تعال ... سأراهنك على أنه قائم تحت النافذة فى هذه اللحظة ! . »

وغادرت كرسيها الطويل ، وخطت إلى النافذة .. ثم أزاحت الستار عنها ، وجماتنى أرى ذلك الرجل الذى أتانى فى الصبيحة . جالساً على مقعد فى الروضة التى أمامنا .. يمد بصره إلى المنزل . . فما إن وقع بصره علينا — ونحن فى النافذة — حتى نهض من

جلسته ، ومضى فى الطريق لا يلوى على شئ ، حتى غاب عن ناظرينا ! . .

وحينئذ فطنت إلى شئ عجيب يبعث الحزن ويثير الإعجاب . لقد أدركت سر ذلك الحب الصامت الذى توثقت عراه وتمكنت وشائجه بين هذين المخلوقين اللذين جهل كل منهما صاحبه كل الجهل !..

إنه يهيم بها ويعبدها عبادة خالصة ، ويود أن يفديها بحياته . فكان يقبل على فى كل صباح يسألنى : « كيف حالها ؟ ! . » وهو على يقين من أنى أدرك مدى أحاسيسه ومشاعره . . . ثم ينشج فى نحيب وجزع وقد أسدل على وجهه راحتيه... كلما أحس بأنها تزداد ضعفاً وتشتد نحولاً ... وقد ثقلت عليها وطأة العلة . قالت لى يوماً :

« إنى لم أخاطب ذلك الرجل العجيب سوى مرة واحدة . ولكن يبدو الآن كأنى أعرفه منذ عشرين سنة ... » وحينما التقت به ردت على انحناءته الرقيقة : بابتسامة أضاءت على ثغرها ، وفاضت على صفحة وجهها ! وقد أحست — على رغم خطاها السريعة إلى القبر — أنها سعيدة كل السعادة هانئة كل الهناء بذلك الحب الذى يفيضه عليها هذا الإنسان ويغمرها به فى وفاء نبيل وإخلاص شاعرى ...يكاد أن يذهب بنفسه كل مذهب !. ولكنها أبت أن تعرف اسمه ورفضت أن تخاطبه وهى .. تردد : « كلا ... ثم كلا ... أن هذا سوف يمحو تلك الصداقة الغريبة بيننا ... ويفسدها .. ينبغى أن يظل كل منا جاهلاً صاحبه . قريباً إليه بقلبه بعيداً عنه بلسانه ! »

أما هو ، فقد كبت نفسه وراضها على ألا يدنو من صاحبته ... وحزم أمره على أن يفى بعهده الذى قطعه على نفسه فى العربة وهو ألا يكلمها أبداً ... وقد كانت هى خلال الساعات الطوال التى يشتد فيها الوهن عليها ويضيق صدرها بالحياة . . . تنهض عن مقعدها وتسعى إلى النافذة فتزيح ستارها ... حتى تنظر إن كان ثمة تحت النافذة ؟! فإذا اطمأن بصرها إليه وهو جالس على مقعده لا يريم ... انثنت إلى فراشها ، وقد انفرجت شفتاها الذاويتان عن ابتسامة رقيقة !..

وأشرقت عليها الشمس ذات يوم جسداً بلا روح ، وقد طوى الموت صفحة حياتها !.. وبينما كنت أهم بمغادرة البيت ... أقبل على الرجل شاحب الوجه زائغ العينين ، وقد تجلى على محياه أنه علم بوفاتها منذ لحظة .. وابتدرنى قائلا فى صوت كله رجاء وتوسل : « كم أود أن أراها ولو لحظة فى حضرتك ! » فأخذته من ذراعه ودلفنا إلى المنزل معاً . فلما بلغنا حيث سجيت السيدة الميتة . ركع إلى جوارها فى خشوع ، وأمسك بيدها فى رفق ، وطبع عليها قبلة طويلة حارة تبللها الدموع ... ثم انقلب على أعقابه .:. وانطلق فى سبيله ... وكأنما تجرد من مشاعره وتعطل من أحاسيسه !..

وخيم الصمت برهة على الطبيب ! ثم عاد الحديث : « إن هذه الحادثة هى أغرب ما مر بى من الحادثات . بل لعلها الوحيدة التى تظهر لكم الناس ... وماهم عليه من غرابة وجنون !.. » فتمتمت إحدى النساء فى نبرة خفيضة : « لم يكن هذان المخلوقان سادرين فى جنونهما كما تذهب بك الظنون ... بل إنهما كانا ! إنهما كانا !.. »

بيد أنها لم تمض فى عبارتها ... فقد شرقت بالدموع ! ولم يدرك أحد منا ما كانت ترمى إلى قوله ... إذ حولنا دفة الحديث لتهدئ من روعها وتنزل على قلبها السكينة .

(طنطا) *مصطفى جميل مرسى*

منطقة شبين الكوم التعليمية

قلم التعليم الحر

« تعلن وزارة المعارف العمومية منطقة شبين الكوم التعليمية عن فقد القسائم البيضاء من رقم ٧٢١٢٩٣ إلى رقم ٧٢١٣٠٠ من الدفتر ٥٨ مدارس حرة المبتدئ برقم ٧٢١٣٠١ والمنتهى برقم ٧٢١٤٠٠ وهذه القسائم من أصل وصورتين من مدرسة الأقباط الابتدائية للبنات بطوخ دلكة وقد اعتبرت هذه القسائم ملغاة فكل من يحاول استعمالها يعرض نفسه للمحاكمة الجنائية » .

١٦٠٤

مطبعة الرسالة

العدد ٨٢٥ — الاثنين ٢٥ أبريل ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

[illegible]

17 em Année No. 825

Lundi — 25 — 4 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر المالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٢٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨ — ٢٥ أبريل سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

أمم حـــائرة

فوضى الآراء والأعمال

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بجدة

يحس الإنسان حيثما توجه فى هذا العالم قلقاً واضطراباً وسخطاً ، ويسمع أينما حلّ ضوضاء وصخباً وجدالاً . كأن قلق النفوس واضطرابها ، أو هذه الضوضاء النفسية التى تدوّى فى كل فكر وكل قلب — صدى الضوضاء الحسية المستمرة المسلطة على الخلق فى هذا العالم ، من سياراته وقطاراته وطائراته ومجاهره ومذياعاته ؛ أو كأن هذه الضوضاء الحسية التى لا يجد الناس منها مفراً ولا عنها حِولاً ، صدى لتلك الضوضاء النفسية . لا جرم أن هذه الضوضاء متصلة بتلك ، فالعالم فى ضوضاء نفسية وحسية ، وفى صخب ظاهر ومضمر ، وعيشة الإنسان بين الضوضاءين شقاء ، وجهاده للخلاص منهما عناء .

كل طائفة لها مذهب ، وكل إنسان له رأى ، وإلى المذاهب والآراء ، مآرب وأهواء ، لُبِس فيها الحق بالباطل ، والصدق بالكذب .

وقد طويت المسافات ، ورفعت الحجب ، فصار الإنسان فى بقعة من العالم يقرأ ويسمع ما فى أقصى البقاع كأنه يعيش فيها ، ويقيم بين أهليها . فاجتمعت على الإنسان ضوضاء العالم كله ، ونزاعه ، وفتنه .

والمسائل الكبرى التى كانت شغل الفلاسفة والعلماء فى العصور السالفة وضعت فى هذا العصر ، بهذه الوسائل ، وسائل النشر والإذاعة ، أمام كل قارئ ، بل كل أمىّ ، فشارك الجهلةُ العلماء ، واستوت الأئمة والدهماء . كل يسمع أو يقرأ ويفكر ويقول . فما ظنك — مع هذا كله — بما تموج به الجماعات من مذاهب وآراء ، وأقوال وأفعال ؟

كل طائفة وكل فرد يعلن بما فكّر وما قدّر ، وكل قارئ أو سامع يردد ما قرأ أو سمع ، وتدعى كل طائفة وكل فرد أن له الحرية كاملة مطلقة فى أن يعلن برأيه ، وينشره على الناس بشتى الوسائل ، ويدافع عنه بكل الطرائق .

فإن أعوزته الحجة ، وخذله البرهان ، ولم يجد لمذهبه فى العقول قبولا ، ولا لرأيه فى الجماعة مساغاً ، فلا بأس عليه أن يكذب ويخدع ويفترى ويلبس الحق بالباطل ، ويبذل المال إن استطاع ، ويستعين بالشهوات إن قدر ، ويتوسل بكل ما عرف الناس من وسائل الدعوة أو الدعاوة .

وإن لم تُجدِ الدعوة ، ولم ينفع الخداع والتلبيس ، والتسميع والتشهير ، فلا بأس أن يوجه حربته إلى الإخلال بالنظام ،

وإشاعة الفوضى ، وعمل كل ما يذهب بسكينة الجماعة ، ويخل بأمنها ، ويقضى على طمأنينتها ، ويصرفها عن عملها ، ويذيع بينها التعادى والتنافر ، والتخاصم والتقاتل ، لتجد آراؤه فى هذه الضوضاء مجالا ، وفى هذه الفوضى مسلكا ، وفى هذا القلق طريقاً ، وفى هذا الخراب مأوى !

وللداعى من هؤلاء أن يستمسك بحقه فى الحرية لنشر رأيه ، فيقتل من يخالفه ، من فرد أو جماعة ، ويهدم الأبنية وينسفها نسفاً ليرغم الناس على الإذعان لرأيه ... وما ذا عليه فى هذا ؟ أليس حراً فى أن ينشر مذهبه كما يشاء ؟ هو حر ، وليس للمخالف حرية مثله فى أن يستمسك برأيه ويدفع عنه ؟ بل ليس له الحرية فى أن يعيش . وإذا أخذ بجريرته نادى بحقه فى الدفاع عن نفسه والاستعانة بالمدافعين ، وطالب بحريته فى أن يقول ما يشاء ، قبل أن يقضى عليه .

صارت هذه الحرية البائسة كلمة تقال فى الحق والباطل ، وينادى بها فى الخير والشر ، والصلاح والفساد . وأين هؤلاء الأغرار من أخلاق الأحرار ؟ لقد اشتبه عليهم الأمر ، والتبست عليهم السبُل ، فهم فى أمر مريج .

***

هذه فوضى المذاهب والآراء ، فوضى الحرية فى الدعاء إليها والدفاع عنها !

وفوضى أخرى فى سنن الجماعة وآدابها ، وعمل الفرد وسيرته : فتحت على الناس أبواب من اللذات ، وزينت لهم فنون من الشهوات ، ونشأت بجانبها ضروب من التجارة وألوان من المكاسب ، اتخذت إليها سُبُلاً شتى ، وطرقاً مختلفة ، لا يبالى سالكوها بما يقترفون إن أصابوا الربح الذى يبتغون !

افتنّ تجار المآثم فى التزيين والترغيب والفتنة ، فهفا كثير من الناس إليهم وعلقوا فى شراكهم . وللناس شرائع تعصمهم من المآثم ، ولهم آداب ومروءات تمسك بهم عنها ، وفيهم إباء وحياء ؛ ولكنها لذات فاتنة ، وشهوات قاهرة ، وخدع غالبة ، وفتن محيطة . فيرجع الخادعون والمخدوعون إلى تسمية الأشياء بغير أسمائها فيقولون : الحرية والجمال والرياضة والفكاهة ... إلى أسماء أخرى يحتجون بها لما أقبلوا عليه ، ويقطعون بها ما يُمسك على المعيشة الفاضلة من عقائد وفضائل وآداب ومروءات لتستريح النفوس إلى شهواتها ، وتنطلق من قيود الأخلاق والآداب .

ويرى هؤلاء التجار الربح فيزيدون افتناناً فى إغراء الناس ، ويتنافسون فى جذبهم إلى ملاهيهم ، وكلما اعتدى الحدود واحد ليُغرى الجمهور بلهاه ، أنف غيره أن يتخلف عن منافسه فى تعدى الحدود ، وهلم جراً إلى الهاوية .

وعلى قدر حرص هؤلاء المفسدين يُقبل الأغرار عليهم ، وعلى قدر افتنانهم فى آثامهم يقع الشبان فى مفاسدهم .

والحرية المظلومة يمتل بها هؤلاء وهؤلاء . وما هى الحرية ، ولكنها العبودية ، عبودية المال ، وعبودية الشهوات .

والجماعات تسير إلى مهالكها سادرة فى غفلاتها ، والحكومات ذاهلة عن تبعاتها . يحسبون الأمر هيناً وهو يفعل فعله فى آدابنا وأخلاقنا وجماعتنا وأسرنا وفى عقولنا وأجسامنا . وإليه فيما أرى يرجع كثير مما نحن فيه من عبث وفوضى وعصيان على القوانين قوانين الأسرة ، وقوانين الجماعة ، وقوانين الحكومة .

ولا بد للناس من سنن صالحة ، وقوانين حازمة ، تحمى الأغرار من عبث الفجار ، وتصون الناشئين من تضليل المضللين ، وتعصم الشبان من التهافت فى هذه النيران التى لا تبقى ولا تذر !

هذه فوضى الأخلاق بعد فوضى الأفكار .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

مسرحية « سليمان الحكيم »

للأستاذ توفيق الحكيم

بقلم الدكتور محمد القصاص

— ١ —

يذكر الأستاذ توفيق الحكيم فى مطلع مسرحيته أنه بناها على كتب ثلاثة : القرآن والتوراة وألف ليلة وليلة؛ وأنه سلك فيها مسلكه من استخدام النصوص القديمة والأساطير لأبراز صورة فى نفسه . ولعل هذه الكلمة خير ما يلخص مذهب الأستاذ الحكيم ومنهجه فى التأليف المسرحى . فماذا أخذ من هذه الكتب الثلاثة وماذا ترك ؟ وما الذى أضافه إليها من فنه ومن فكره ؟ هذا ما نريد الآن أن نعرفه .

أما قصة القمقم والصياد ففى ألف ليلة وليلة ؛ ولكن الصياد فيها ، لما رأى من لؤم الجنى الذى أراد أن يقتله جزاء تخليصه إياه من سجنه ، يحتال عليه حتى يدخله القمقم من جديد ويغلقه ثم يقذف به فى البحر كما كان . وهو مسلك لا يتصور غيره من إنسان ، لأنه يتفق مع طبيعته وفكرته عن العدالة حتى فى أسمى صورها . ولكن صياد سليمان الحكيم لم يفكر فى شىء من هذا ، بل راح يحاور الجنى ويداوره فى بلاهة تشبه القداسة ، أو قداسة تشبه البلاهة ، ليصل معه إلى اتفاق شريف ، وهو هادىء الطبع أمام الموت الذى يهدده كأنه سقراط يهزأ بالموت وبالجلاد فى سمو يليق بسيد الفلاسفة . وتلك ظاهرة بارزة لدى الأستاذ توفيق الحكيم ، وفى الرواية التى ندرسها على وجه الخصوص : ظاهرة تنزع إلى إظهار شخصياته الثانوية أكثر تميزاً من أبطاله أنفسهم ، فنراهم فى كثير من مواقفهم « يسمون على أنفسهم » على حد تعبير المؤلف — عن شعور أو غير شعور . وقد نرجع إليها فى مقال آخر . وأما القرآن فهو الذى أمدّه بالشطر الأكبر من هيكل المسرحية : ففيه قصة الهدهد ، وحكاية النمل ، وخطاب سليمان إلى بلقيس يدعوها أن تمثل بين يديه ، واستشارتها لرجال دولتها ، وهديتها لسليمان ، ورفض سليمان للهدية ، ثم إذعانها لزيارته ، وعرض أمرها عليه ، وقصة عرش بلقيس ، وصرح سليمان ، وأخيراً موت سليمان الذى لم يعرف نبأه الإنس والجن إلا بعد أن دلتهم عليه دابة الأرض تأكل منسأته . هذا إلى إطرائه حكمة سليمان ، وما أوتى من علم وسلطان ، وتسخيره للجن ، ومعرفته للغة الطير والنمل وسائر الحيوان وما يشبه ذلك من التفاصيل التى تهيء جو الرواية . والكاتب يسير على نهج القرآن فى ترتيب الحوادث وتتابعها ، لا يكاد يختلف عنه فى شىء — من هذه الوجهة فحسب بالطبع . وإن اختلف القرآن والتوراة أخذ برواية الأول منهما فى غالب الأحيان . وجل ما أخذه من الكتاب المقدس من هذه التفاصيل التى قلنا إنها تهيء الجو المعنوى للرواية وما يسمى فى لغة المسرح « بالديكور » زوجات سليمان الألف ، وماشيته ، وبذخ قصوره الذى لا يحيط به وصف ، وثراؤه الذى لا يحده حصر . ولعل الكتاب المقدس هو الذى أوحى إليه بفكرة الرواية ولو من بعيد ، أو على الأقل بالخاتمة التى انتهى إليها سليمان . ففيه أن سليمان — وكان يهيم بالنساء — قد حاد فى شيخوخته عن سبيل الحكمة بإغراء من نسائه الأجنبيات اللائى حولن قلبه عما كان قد عاهد عليه ربه ، فأصر الله على أنه ينتقم لعهده ، ولكن لا من سليمان نفسه بل من ابنه . غير أن الكتاب المقدس لا يقول بأن بلقيس هى التى كانت سبباً فى سقطة سليمان كما فى المسرحية ، ولكنه يرجعها إلى هيامه بالنساء على كل حال . ومع ذلك فنحن نعلم من قصة أخرى حبشية تتصل بتفاسير العهد القديم ، أن سليمان أحب بلقيس ، وسواء أبادلته بلقيس الحب أم لم تبادله ، فإن هذا الحب قد أثمر مولوداً تنحدر من ذريته سلالة البيت المالك الحبشى . ولكننا لا نعرف إن كان مؤلفنا قد علم بأمر هذه الرواية أم لا .

هذه قصة الملك سليمان أو نبى الله سليمان كما وردت فى الكتب المقدسة والأساطير القديمة . فماذا صنع بها توفيق الحكيم ؟ كيف خلق منها بفنه وفكره شيئاً جديداً ، عملا أدبياً ورواية تمثيلية ؟ قبل أن نجيب عن هذا السؤال نفضل أن نشير إلى بعض المسالك التى يسلكها المؤلفون عادة فى استخدامهم للأساطير وحوادث التاريخ فى الأدب القصصى والتمثيلى ، لنرى أيها اختار توفيق الحكيم :

قد يعمد الكاتب إلى الحادث التاريخى فيصوغه صياغة جديدة ليجعل منه قصة أو رواية فنية ، دون أن يضيف إليه شيئاً

من لدنه غير الصياغة والأسلوب القصصي أو التمثيلي ، اللهم إلا أن يعمد إلى بعض نقط لم تكن بارزة فى النص الأصلى ، وإن كانت مما يسلم به ولو ضمناً ، فيبرززها ويضخمها ؛ أو إلى بعض الأبطال فيبالغ فى إظهار بطولتهم ويشيد بفضائلهم ، ولكنه لا يختلف اختلافاً جوهرياً عن وجهة نظر النص الأصلى ؛ بل إن كان هناك اختلاف فهو اختلاف فى الكم «والرتوش» . وقد يعمد الكاتب إلى الحادث التاريخى أو الأسطورة ، فيفسرهما تفسيراً جديداً يختلف عما هو شائع من تفسيرهما ، بل وعما يعطيه نصهما ، كما فعل شوقى فى مصرع كليوباترة أو كما أراد أن يفعل . وقد يناقض هذا التفسير الجديد مرمى النص القديم على خط مستقيم ، كما فعل جان پول سارتر Jean Paul Sartre فى أسطورة أورست Oreste لما اتخذ منها مادة لمسرحيته الخالدة « الذباب »

ومسلك ثالث ، هو أن يتخذ الفنان من الحادث التاريخى أو من الأسطورة إطاراً يحيط به أفكاره الخاصة ، إناء فارغاً يصب فيه مذهبه فى الميتافيزيقة أو الأخلاق أو المجتمع أو غيرها ، وقد تكون فكرة المؤلف لا تمت بسبب إلى ما فى الأسطورة . ولكنه يتخذ من حوادثها المادية آلة ينشر عليها خيوطه وخاماته لينسج منها الثوب الذى يريد ، ومن أشخاصها أبطالا يتقمصون أفكاره لتحيا فى نفوسهم ، وتتجلى فى أفعالهم وأقوالهم . وهذا هو المسلك الذى سلكه توفيق الحكيم لما خلق بفكره وفنه رواية « سليمان الحكيم » من النصوص التى تكلمنا عنها .

فما هو فن الأستاذ توفيق الحكيم فى هذه المسرحية ؟ وماهى الفكرة التى أراد هذا الفنّ على أن يحملها عنه إلى جمهوره ، قراء كانوا أم متفرجين ؟ الفكرة ، بل الدعوى التى يحمل الأستاذ توفيق الحكيم من قطعته عرضاً لها ودفاعاً عنها ، هى وجود قوة خفية ، قوة عليا تسيطر على أعمال الإنسان وتختار له كما تشاء هى لا كما يشاء هو ، حتى إذا ما سار فى الطريق الذى اختطت له أو التى حملته على السير فيه دون إرادة منه ، وضعت أمامه من العراقيل ما لا يستطيع التغلب عليه ، أو ما لا ينبغى له أن يتغلب عليه ، ما دامت تلك مشيئة الأقدار . وكأن هذه الأقدار أو القوة الخفية — إذا سلمنا بمنطق الأستاذ الحكيم — لا تبغى من وراء ذلك إلا العبث والسخرية من بنى الإنسان . ولا أظن كاتباً يطمع فى تصوير الإنسان فى صورة من التفاهة والاحتقار أكثر مما عمل أو مما أراد أن يعمل مؤلف سليمان الحكيم . والميدان الذى اختاره الأستاذ المؤلف لإبراز فكرته وتحقيق صدقها هو ميدان الحب ، ميدان القلب والعاطفة لا ميدان العقل والفكر ؛ لأن شخصية الفرد — على ما تريد المسرحية أن تظهره — تتكون من واديين منعزلين : وادى العقل والذكاء وفيه الإنسان سيد نفسه ولكنه قليل الخطر فى حياته وحياة العالم . ووادى القلب ، ووادى الحب والبغض ، موطن السعادة والشقاء ، ومفتاحه فى يد الأقدار ، فى يد تلك القوة الخفية التى تديره وتدير معه الإنسان « من خارجه » ولا سلطان لغيرها عليه . وتمزيق شخصية الإنسان على هذا النحو قد يرضى الأمثال المأثورة والحكم العامية ، ولكن عقل المفكر قد ينبو عنه بعض الشئ . لأن الحب مثلاً قد يكون مبعثه الإعجاب والتقدير الشعوريين أو غير الشعوريين ؛ وقد يكون منبعثاً عن أشياء أخرى كثيرة كامنة فى عقل المحب الباطن ، وعدم اطلاعنا عليها لا يبرر حكمنا عليها بالعدم . ولكن المؤلف يجعلنا نرى سليمان — ذلك الشيخ المتصابى ، ذلك المزواج الذى يقتنى فى قصوره ألف امرأة — يهيم ببلقيس بمجرد أن سمع اسمها من الهدهد ، وكأنه مدفوع إلى هذا الحب بتلك « القوة الخفية » التى تديره دون أن تختلط بنفسه والتى لا قبل له بها .

ويكشف لنا سليمان عن هذا الحب « الشيطانى » بدعوتها لزيارته ، وفى قلقه وهو ينتظر مقدمها فى قصره ، حتى لكأنه جالس على أحر من الجمر ، وفى غيرته من منذر لما « حدثته بصيرته بأنه المالك لقلب الملكة دونه . وهو الذى « شم عطرها وبينهما بحار من رمال ، ودعاها وبينهما آماد طوال . » . وما تكاد تستقر فى ضيافته حتى « يفاوضها » فى أن « تنزل » له عن قلبها ، بعد أن صرحت له بهيامها بغيره . فإذا آنس منها إعراضاً راح يبهر عينها بمساعدة العفريت ، ويخرق لها بشعوذته وألاعيب سحره . قد يعترض علينا معترض بأن هذه الأشياء موجودة بالفعل فى النصوص القديمة ، وأن المؤلف لم يفعل غير أن استغلها فى إبراز فكرته ودعمها ولكنه على أية حال استغلال غير موفق . بعد هذا عمَّاذا تنجلى التجربة ، أو المعجزة إذا شئنا ؟ عن إصرار بلقيس على ألا « تبيع » إلى سليمان ، وإمعانها فى حب منذر ، إذ « لو كان قلبها فى يدها ما زال حراً لمنحته إياه مرة أخرى »

العمـــــل الأدبى

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

يقف الأديب عند سرير جندى جريح عائد من ميدان القتال ، فيثير فيه منظره معانى شتى للبطولة والتضحية . أو يدخل مصنعاً قد انصرف فيه كل عامل إلى آلته ، ومضت الآلات فى عملها تنتج مسرعة ، فيوحى إليه ما يراه بخواطر عن الدأب والنظام والتقدم . ويحاول أن يسجل إحساسه إزاء ما رأى ، وأن ينقل هذا الإحساس إلى غيره ، فينشىء مقالة أو يقرض قصيدة أو يؤلف قصة أو رواية ، ويختار لذلك ألفاظه وأساليبه ، بحيث تنقل إحساسه نقلا صادقاً غير منقوص.

هذه المقالة أو القصيدة أو القصة أو الرواية هى العمل الأدبى ، فهى الصلة بين الأديب والسامع أو القارئ ، وبها انتقل إحساس الأول إلى الثانى . ونستطيع أن نعرف العمل الأدبى بأنه « التعبير عن تجربة للأديب بألفاظ موحية » ، والتعبير بالألفاظ هو الذى يميز الأدب من باقى الفنون الجميلة ، لأن الأدب يعبر باللفظ ، بينا تعبر الموسيقى بالصوت ، والرسم باللون ، والنحت بالحجارة .

ونعنى بالتجربة كل ما خبر به الأديب ومر بنفسه من شعور ، سواء أكان حقيقياً أم متخيلا ، فقد تكون حادثة صادفت المنشئ فى حياته أو صادفت غيره ، وقد تكون قصة سمع بها ، أو منظراً رآه ، أو فكرة عرضت له ، أو وهما مر بخياله ، ومن هنا كان كل شىء فى الحياة صالحاً لأن يكون مادة للأديب ، يتخذ منها صوراً لبيانه ، على شريطة أن يكون قد امتزج بشعوره وملك عليه جوانب نفسه ، ودفعه إلى الكلام ، ولهذا وجب أن يكون فى التجربة أمر غير عادى مألوف ، وأن تكون ذات قوة ممتازة ، وشدة خاصة ، حتى تبعث فى الأديب القوة الضرورية لمجهود أدبى يستطيع به أن يصف التجربة فى صدق ودقة ، وإتقان وبراعة ، وبذلك يستطيع أن يبثها مرة أخرى فى نفوس قارئيه .

هذا ، وإن الحقائق العلمية ، قد يمزج بها الأديب إحساسه ، وينقلها بهذه الصورة إلى القارئ ، فتصبح عملا أدبياً رائعا ، كما سنرى فيما يلى :

إن التجربة لا تكون بسيطة أبداً ، بل لا بد أن تكون مكونة مما تحمله الحواس إلى الفكر ، ومما يأتى به الفكر نفسه من معان يدعو بعضها بعضا ، فالواقف أمام نهر النيل مثلا ، لا تنقل إليه حواسه لون مائه ، وحركة موجه ، وما على جانبيه من حقول فحسب ، بل تنقل إليه أيضاً رقة النسيم ، ولون السماء ، وما قد يكون فيها من سحاب ، وهو يضيف إلى ذلك إحساسات أخرى ولدها خياله كموازنة هدوئه بالبحر وثورانه ، وقد يطوف هذا الخيال بينابيعه ، وبالشعوب التى تعيش على ضفافه ، أو يعود متوغلا فى القدم ، فيذكر ما قام على شاطئيه من حضارة ومدنية ، فإذا كانت تلك اللحظة الشعورية قوية تتطلب التعبير عنها ، فإن الأديب يستخلصها من بين ما يمر به من التجارب ، ويحتفظ بها فى نفسه ، وكلما احتفظ بها ازدادت غنى بما ينضم إليها من ألوان الإحساس وبتداعى المعانى . فإذا أراد أن ينقل تجربته إلى غيره ، وجب أن ينقلها كاملة ، فلا نكتفى منه بأن يصور لنا آثار التجربة ، ولا أن يذكر الظروف التى حدثت فيها فالشاعر الذى يروقه منظر من مناظر الطبيعة ، لا يستطيع أن ينقل تجربته هذه إذا اكتفى بذكر المنظر الذى رآه ، أو ذكر الإحساس الذى خالطه عندما رآه ، بل يجب أن يؤدى تجربته كاملة الأجزاء لما شاهده وما أحسه معاً ، مرتبطين ارتباطاً وثيقاً ، حتى يحس بها القارئ إحساساً كاملا ، وتنتقل إلى شعوره ، فيتخيلها ،

(هذه المرة دون تدخل القوة الخفية !!) . ثم عن حب مكتوم ولكنه متبادل بين منذر وشهباء وصيفة بلقيس ، كشف يفاجئ بلقيس فيكاد يقضى عليها بقسوته ، ويهيئ بذلك الفرصة « لنبى الله » ليضاعف من شماتته بها وضحكه من خيبة أملها . أليس هو الذى يقول واصفاً لهذا المنظر : « استخدمت وسائل فظيعة لقهرها وتعذيب قلبها ... لقد أردت التشفى من صدها برؤية دماء نفسها تشخب وجراح فؤادها تسيل ... حتى انهدت بين يدى وانهارت وأنا أرسل فى وجهها الشاحب الضحكات » . وأى ضحكات ؟ ضحكات تدوى بها أرجاء القصر ، مما لا نتصور صدوره من شخص أضناه الحب وأذله .

(لها بقية)

محمد القصاص
دكتوراه الدولة فى الآداب من جامعة باريس

كما أدركها منشئها ، ويمثل هذا التناول بخلد الأديب لحظة من لحظات شعور مرت به فى حياته .

إن فى الإنتاج الأدبى لعملا إرادياً للأديب ، ذلك أنه يتناول تجربته ، وهى مكونة من أجزاء ، فيرتبها ترتيباً متسقاً ، ثم يأخذ فى إيضاح سلسلة خواطره واحداً واحداً ، على أن يكون لكل خاطر منها دخل فى تصوير التجربة وإكمالها ، فيكون له وجود من أجل نفسه ، ووجود من أجل الكل الذى هو جزء منه ؛ وبجمع هذه الأجزاء تصير التجربة وحدة متسقة ، وكلا موحدا ، يتصل كل جزء فيها بسائر الأجزاء . أما إذا كان بعض الأجزاء لا دخل له فى تكوين الصورة ، ولكنه جاء بطريق الاستطراد ، أو لم تكن التجربة مسلسلة الخواطر ، يرتبط بعضها ببعض ، فإنها تنقل إلى السامع مشوهة لا صلة بين أجزائها ولا اتساق .

وهاك تجربة لقتيلة بنت الحارث وقد أخذت تعاتب الرسول لقتله أخاها النضر برغم قرابته له ، واتصاله بنسبه :

أمحمد يا خـــير صنو كريمة ... فى قومها ، والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من أصبت وسيلة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه ... لله أرحام هنـــاك تشقق

فقد بدأت حديثها معه تناديه باسمه نداء القريب الذى لا كلفة بينك وبينه ، مشعرة إياه بشدة الصلة بينهما حتى لكأنها توحى إليه بأن هذه القرابة القريبة ما كانت تنتظر على يده هـذا المصير . ثم انتهت إلى مكانة الرسول فى قومه ، فنادته واصفة بما يتفق مع هذه المكانة ، وكأن قلب الأم الذى فى كل أنثى دفعها إلى أن تصفه بأنه خير ابن لأم كريمة فى قومها ، وأب عريق فى الشرف ، حتى إذا انتهت من استرعاء سمعه بهذا النداء أخذت تسأله سؤال الموجع الموقن بأن حكم القضاء قد تم ولا سبيل إلى استرجاعه ، فاستخدمت لذلك هذا الاستفهام الحزين الموحى بأنه لم يكن ثمت خطر فى إطلاقه ، فضلا عما فى هـذا الإطلاق من مكرمة المن ، وأتت بكلمة (لو) المشعرة بالأسف لدلالتها على امتناع وجود الفعل . وما كان أدق ذوقها فى اختيار كلمة ربما ، الدالة على حسن الأدب ، والتماسها العذر للرسول ، وتلميحها إلى ما فى العفو برغم الغيظ والحنق من مثل أعلى جدير بالاقتداء ، حتى إذا انتهت من ذلك لمست من الرسـول موضع العطف فذكرته بقربه منه واستحقاقه أن يظفر برعايته . ثم تنتقل من ذلك إلى تصوير هذا القريب الجدير بالود أو بالمن والعتق — هـدفاً لسيوف أقربائه ، تتناوله بأطرافها فتمزق بتمزيق أديمه القرابة وتقطع أواصرها .

وهكذا كان كل جزء له أثره فى نقل هذه التجربة التى ملكت نفس قُتيلة ، ونجحت فى إيصال ألمها للسامع ، حتى روى أن الرسول بكى ، وقال : لو سمعتها قبل اليوم ما قتلته .

نستطيع أن نسمى التجربة التى تسيطر على الأديب ، وتدفعه إلى التعبير عنها بالإلهام ، وكلما عظم هذا الإلهام احتاج إلى قوة كبيرة تستطيع التعبير عنه تعبيراً يمثله تمثيلا صادقاً ، ولذا كان كبار الأدباء ذوى سلطان على اللغة ، وقدرة قديرة على التعبير ، فاستطاعوا أن ينقلوا إلينا من التجارب أعظمها وأسماها .

وإن لدى الأديب إحساساً لغوياً ممتازا ، يستطيع به أن يختار من الألفاظ ما هو قوى فى تصويره ، واضح فى دلالته على مراده ؛ ويدرك ما تستطيع الألفاظ أن توحى به إلى القارىء ، وإن للألفاظ لوحياً يشع منها ، فيملأ النفس شعوراً ، ويثير الوجدان ، ويحرك العاطفة ؛ ذلك أن الألفاظ قد تراكم حولها بمضى الزمن والاستعمال ، معان أخرى أكثر من هذه المعانى التى نجدها لها فى القاموس ، فليس ما بين يدينا من معانى الألفاظ فى المعاجم سوى هـذه المعانى المتبلورة ؛ والأديب البليغ هو من يستنفد ما للألفاظ من معان أضفاها عليها الزمن ، فتثير فى النفس أعمق الإحساسات ، وتملأ الخيال بشتى الصور . وإذا شئت فانظر فى القاموس إلى معانى كلمات : أم ، وطفولة ، ومدرسـة ، ووطن مثلا ، فالأم فى اللغة هى الوالدة ؛ ولـكن هـذا اللفظ يثير فى النفس إذا سمع أسمى معانى الحب ، وأقدس ألوان العواطف ، وأشرف آيات الإيثار ، وأعمق معانى الحنان .

وليست الطفولة سوى وقت الصبا فى القاموس ، أما إذا سمعت فإنها تثير تلك الخواطر التى تحوم حول هذه الأيام النضرة ، وعلى هاتيك الملاعب العزيزة ؛ وكم ذكريات تثيرها المدرسة فى النفس ، حول عهود محبوبة ، وآمال مرتقبة ، وأصدقاء مختارين ، بينما هى فى المعجم مكان الدراسة .

أما كلمة الوطن فقد تراكم حولهـا من المعانى والذكريات ما أشار ابن الرومى إلى بعضه حين قال :

وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

فلا عجب أن تثير كلمة الوطن فى النفس هذه الذكريات العذبة المحبوبة . وإن أردت أن تدرك شدة وحى الألفاظ فاقرأ قوله تعالى: ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ؟ وانظر أى تقزز ونفور يثيره فى النفس تخيـــل أكل لحم الأخ ميتا ...

واقرأ قول الشاعر :

وقانا لفحة الرمضـاء وادٍ سقاه مضاعف الغيث العميم

نزلنا دوحـــه ، فحنا علينا حنو المرضعـات على الفطيم

وأرشــفنا على ظمأٍ زلالا ألذ من المدامـــة للنديم

يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ، ويأذن للنسيم

يروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

وانظر ما توحى به إلى النفس (لفحة الرمضاء) فإنها تشعرك بهذا الهواء الساخن يلفح وجهك ، ويرمض عينك ، فتكاد تضع يدك على هـذا الوجه ، تحجب بها عنه هذه السخونة الممضة ، وتحس كما أحس الشاعر بفضل هذا الوادى عليه ، فقد حماه من وهج الشمس وسطوة الحر ، فلا غرابة أن يدعو له من كل قلبه أن يسقيه مضاعف الغيث . وانظر ما توحى به إلى خيالك كلمـة (دوح) من ظل ظليل ، ونسيم بليل ، تسكن إليه النفس بعد لفحة الرمضاء . وتخيل حنو المرضعات وما يثيره من معانى العطف والحنان . أما (أرشف) فتوحى إليك بهذه المتعة التى يحسُّها الظمآن لفحة حر الشمس فأوى إلى ظل ظليل ، وأخذ يشرب على مهل ، ليستمتع بالمـاء الزلال ، وكيف يجده حينئذ ألذ من المدامة . وتخيل كذلك ما يثيره عندك كلمة (يروع) والصورة التى ترسمها ، وكلمة العذارى ، وموضع الفاء التى تدل على هـذه الحركة السريعة الناشئة من الروعة .

وهكذا استطاع الأديب بهذه الألفاظ الموحية أن يسيطر على خيالنا ، وأن ينقل إلينا إحساسه وشعوره . ولعل هذا هو السر فى أن علماء البلاغة قد كرهوا استعمال الـكلمات الغريبة لأنها تعجز عن أن تثير فى النفس معنى قبل البحث عنه ، فضلا عن أن تثير هذه الخواطر التى تحيط بالـكلمة إذا استعملت .

على أنه قد يشفع فى بعض الأحيان لاستخدام الـكلمة الغريبة أنها وضعت فى موضع سهل الأسلوب فهمها ، وكانت هى جرسها موحية بمعناها ، ولعل من ذلك قول شوقى :

خلوا الأكاليل للتاريخ إن له يداً تؤلفها دراً وخشلبا[1]

فهذا الجمع بين الدر والخشلب يوحى بما بينهما من البون الشاسع ، وفى حروف الـكلمة الغريبة ما يوحى بأنها تعنى شيئاً حقيراً .

والإحساس اللغوى عند الأديب هو الذى يختار اللفظ اختياراً دقيقاً ، بحيث يؤدى المعنى على وجه لا لبس فيه ولا اضطراب ، وهو لذلك يلحظ الفروق الدقيقة بين الـكلمات ويأخذ من بينها أمسّها بمعناه ، حتى تقوم بواجبها من التوصيل الصادق . سمع ابن هرمة أديباً ينشد قوله :

بالله ربك إن دخلت فقل لهـا هذا ابن هرمة قائماً بالبـاب

فقال له : لم أقل (قائماً) ، أكنت أتصدق ؟ قال : (قاعداً) ؟ فقال : أكنت أبول ؟ قال : فماذا ؟ قال : (واقفاً) ، وليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى[2] .

بل إن الإحساس اللغوى قد يرهف ويدق ، فيختار من الـكلمات ما يكون بين أصواتها وبين الموضوع ملاءمة ، بحيث يكون فيها تقليد للشئ الموصوف ، حتى كأنه يوحى به إلى الخاطر كما نحس بذلك فى كلمة (أرشف) من الشعر السابق ، وكما اختار المتنبى كلمة (تفاوح) فى قوله :

إذا سارت الأحداج فوق نباته تفاوح مسك الغانيات ورنده

فهى تدل بصيغتها على هذه الموجات النسيمية ، تحمل فى أردانها عبق المسك والرند ، وكلمة صليل فى قوله :

وأمواه تصل بهـا حصاها صليل الحلى فى أيدى الغوانى

فهى تسمعك بحروفها وسوسة المياه تداعب الحصى .

وبعض ألفاظ اللغة أسلس على اللسان وأجمل وقعاً على الأذن من بعض ، وهوجمال ظاهرى يساعد الأديب على إيصال تجربته . وعلماء البلاغة يذكرون من صفات الألفاظ المفردة ما يصح أن تلتمسه هناك .

وفضلا عما للكلمات من خصائص يدركها إحساس الأديب كذلك النظم فى العبارة الأدبية يحمل معنى أكثر مما تؤديه الجملة بجريها على النحو ، فإن هناك قوى يبثها المؤلف فيها ، عن غير عمد حيناً ، وعن عمد حيناً آخر ، فتجده يقدم ويؤخر ويذكر ويحذف ويصل ويفصل ، ويأتى ببعض ألوان المعارف دون بعض ، وحيناً

---

(١) الخشلب : الزجاج .

(٢) الوقوف لا يقتضى الدوام والثبوت أما القيام فيقتضيهما .

يدع المعرفة إلى النكرة ، وآنا يستخدم أداة من أدوات الطلب مكان أخرى ، أو يأتي بزخرفة في مكانها . وقد وصل علماء البلاغة إلى إدراك كثير من هذه الأسرار ، فعقدوا علماً يتحدث عن خصائص الجملة ، ودعوه علم المعاني ، وعلماً للخيال الذي يعقد الصلة بين الأشياء ودعوه علم البيان ، وآخر لبعض ألوان الجمال وسموه علم البديع .

ولكن خصائص النظم لا تقف عند حد الجملة بل إن للأساليب خصائص ، فمنها ما يناسب الانفعال السريع والحركة المتوثبة ، ومنها ما يناسب العاطفة الهادئة والحركة البطيئة ، وقد يدفع الإحساس الفني الأديب إلى انسجام في النظم وموسيقى لفظية ، تساعد على الإيحاء ، وإن هذا الانسجام وهذه الموسيقى يصلان إلى الذروة في فن الشعر ، وبذلك يستطيع الأديب أن يصل إلى أسمى درجات التأثير .

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

من أدبنا المجهول :

المنصف

لابن وكيع المصرى المتوفى سنة ٣٩٣ هـ

للأستاذ السيد أحمد صقر

كان أبو الطيب المتنبي (٣٥٤ هـ) يرسل قصائده الفرائد فتسرى في أرجاء العالم العربي مسرى الأضواء ، حاملة بين أطوائها بذور نقدها ، فتملأ الدنيا بدويها ، وتشغل الناس بحديثها ، فمنهم من يكبرها ويغلو في إعظامها والإعجاب بها ، حتى يملك عليه الإعجاب أقطار نفسه ، ويأخذ بمسارب حسه ؛ ومنهم من يحقرها ، وينغض من شأنها ، ويسرف في ثلبها ، حتى ليكاد يخرجها من حلبة الشعر ، ويسل صاحبها من بين الشعراء ؛ وبين أولئك وهؤلاء أقوام قد تفاوتت حظوظهم من المودة والبغضاء ، والإعجاب والإزراء ، فيكثرون من الحديث عنها والجدل فيها كما قال المتنبي :

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ويختصمُ

ولعل أهم مسألة شغلت النقاد ، واستأثرت بنشاط أفكارهم مسألة سرقات المتنبي ، فقد كان الرجل واسع الثقافة ، دائب الاطلاع على أشعار الشعراء ، يجيل النظر فيها ، ويعمل العقل ، ويدير الفكر بنفس مشوقة وحسّ جميع ، فكان إذا جاشت نفسه بالقريض ربما ألم بهذا المعنى أو ذاك ، وطاف بهذه الفكرة أو تلك شاعراً بما صنع أو غير شاعر ، وقد احتبل النقاد مسألة السرقات هذه ، وحاول بعضهم أن يصدم بها المتنبي في مجالس الإنشاد ، واتخذها الحساد غرضاً يصوبون إليه سهامهم المسمومة لعلهم ينالون من عظمته ، ويديلون من ذكره ، فيشفوا بذلك نفوسهم ، ويذهبوا غيظ قلوبهم . وكان أول من عرض لها وكتب فيها الصاحب ابن عباد وأبو علي الحاتمي (٣٨٨) . ولما ألف الجرجاني (٣٦٦ هـ) كتاب « الوساطة » أدار الحديث فيه عن هذه السرقات ، وأفاض حتى أنفق فيها أكثر صحائف الكتاب . وجاء معاصره ابن وكيع المصري فألف كتاب « المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي » وابن وكيع هذا « شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام » وله ديوان شعر جيد[1] ولد في مدينة تنّيس بالقرب من دمياط ، ومات بها في جمادى الأولى سنة ٣٩٣ ، وقد ضاع ديوان شعره ، ولم يبق من كتاب المنصف إلا نسخة واحدة فيما يقول بروكلمان ، محفوظة في مكتبة برلين برقم ٧٥٧٧ ، وهي تقع في ١٦٧ لوحة ، وفي كل لوحة صفحتان ، يستغرق الجزء الأول منها ١٤٨ لوحة ، واللوحات الباقية من الجزء الثاني ... وهو كتاب نفيس حقاً أضمه في ثقة وأمن في طليعة كتب النقد الأدبي ، وأعدّ مؤلفه في مقدمة الطبقة الأولى من أعلام النقد ، لا في القرن الرابع وحده بل في كل العصور . ولنفاسة هذا الكتاب وطرافته ، لا أريد أن أحدثك عن فكرته وأسلوبه ومنهجه ، بل أذر مؤلفه يحدثك عن ذلك كله لتتبين بنفسك أغراضه ومقاصده ، وتتعرف بذوقك رأيه وتفكيره ، ولئن كان الكتاب يعرف من عنوانه كما يقال فإنه أيضاً يفهم من مقدمته .

(١) يتيمة الدهر ١/٣١٧ .

قال ابن وكيع : « أما بعد حمـد الله والصلاة على رسوله الـكريم ، وعلى آله المصطفين الأخيار الطيبين الأبرار ، فإنه وصل إليّ كتابك الجليل الموضع ، اللطيف الموقع ، تذكر إفراط طائفة من متقدمي عصرنا في مدح أبي الطيب المتنبي وتقـديمه ، وتناهيهم في تعظيمه وتفخيمه ، وأنهم قد أفنوا في ذلك الأوصاف وتجاوزوا الإسراف ، حتى لقد فضلوه على من تقدم عصرُه عصرَه وأربَى على قدره قدرُه . وذكرت أن القوم شغلهم التقليد فيه عن تأمل معانيه ، فما ترى من يجوز عليه جهل الصواب ، في معنى ولا إعراب . وذكرت أنهم لم يكتفوا بذلك حتى نفوا عنـه ما لا يسلم لفحول الشعراء من المحدثين والقدماء منه ، فقالوا : ليس له معنى نادر ، ولا مثلَ سائر ، إلا وهو من نتائج فـكره ، وأبو عـذره ، وكان لجميع ذلك مبتدعاً ، ولم يكن متبعاً ، ولا كان لشيء من معانيه سارقاً ، بل كان إلى جميعها سابقاً ، فادّعوا له من ذلك ما ادعاه لنفسه على طريق التناهي في مدحها ، لا على وجه الصدق عليها فقال :

أنا السابق الهادي إلى ما أقوله   إذا القول قبل القائلين مقول

وهـذا تناه ومبالغة منه كاذبة ، وقد يأتي الشاعر بضد الحقائق ، ويتناهى في الوصف وهو غير صادق . وذكرت أنك عارضت دعواهم بأبيات ، وجـدتها في شعره مسروقات ، فادعوا فيها اتفاق الخواطر ، ومواردة شاعر لشاعر . واحتجوا عليك بامرئ القيس في قوله :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم   يقولون لا تهلك أسى وتجمل

فوافق خاطره خاطر طرفة في قوله :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم   يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وأحببت إنهاء ما عندي إليك ، غير متحيف لك ولا عليك ، فأقول والله الموفق للصواب :

إن القوم لم يصفوا من أبي الطيب إلا فاضـلا ، ولم يشهروا بالتقريظ منه خاملا ، بل فضلوا شاعراً مجيـداً ، وبليغاً سديداً ، ليس شعره بالصعب المتكلف ، ولا اللين المستضعف ، بل هو بين الرقة والجزالة ، وفوق التقصير ودون الإطالة ؛ كثير الفصول ، قليل الفضول . لـكنه بعد هـذا لا يستحق التقديم على من هو أقدم منه عصراً ، وأحسن شعراً ، كأبي تمام والبحتري وأشباههما ، فإني لا أزال أرى من منتحلي الآداب من يعارض شعريهما بشموه ، ويزن قدريهما بقدره ، من غير انتقاء للشعر استعمل فيه كد فـكره ، ولا استقصاء نظره ، وإنما قاد الحظوة الرافعة ، والشهرة الذائعة ، والنفوس مولعة بالاستبدال والتنقـل ، لهجة بالاستطراف والملل ، ولـكل جديد لذة ، فلما كان شعره أجدّ فيهم عهداً ، كانوا له أشد وداً . وهبنا أغضينا لهم عن تفضيلهم إياه على من لا يشق غباره ، ولا يعشر مقداره ، مع علمنا في ذلك أن مذهبهم أوضح فساداً من أن نطالب لهم المعارضة ، أو نتكلف من أجلهم المناقضة ، فـكيف بالإغضاء عن نفيهم عنه ما لا يسلم منه بدوي أو حضري ، جاهلي أو إسلامي ، من استعارة الألفاظ النادرة ، أو الأمثال السائرة . وإذا كانت مستعملة في أشعار جميع الناظمين من القدماء والمحدثين . وسلمنا لهم نفيهم عن أبي الطيب ذلك كنا قد سلمنا لهم أنه أفضل أهل الشعر في كل أوان وعصر . وهذه دعوى لا بد من كشف أسرارها وإظهارها ، وهي بالعناية أولى من الأولى ، لأن تلك دعوى خصت طائفة ، وهذه تعم جميع القائلين من الأولين والآخرين . ولقد ادعى قائلها إفكاً واسعاً ، وظل للحق فيها دافعاً ؛ لأنه ادعى وقوع جميع الشعراء فيما سلم أبو الطيب منه ، وفقرهم إلى ما غنى عنه ، وهـذه صفة تتجاوز الصفات ، وتكاد تشبه المعجزات . ولو علم صدقها أبو الطيب من نفسه لجعلها آية له عند تنبيه ، ودلالة على صحة ما ادعاه من تنويه ، يتحدى بها أهل دعوته .

(البقية في العدد القادم)   السيد أحمد صقر

صور من الحياة :

حرمـــــان . . .

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا صاحبي ، لا تمتهن عبراتي المهراقة بين يديك ، فما أرسلتها من ضعف ولا سكبتها من عجز . فالعبرة – يا سيدي – هي ذوب القلب السامي حين يطل على آلام الإنسانية وهي تضطرم وتتأجج ، وهي خلاصة الدم النبيل حين تأخذه الرقة والحنان ، وهي الصريح المحض من صفاء الروح وحرارة الحياة وسمو النفس ولعمري إن جامد العين إنسان لم يبلغ بعد درجة الحيوان .

* * *

إنني أذكر – الآن – يوم أن فررت من حجرة الشيخ علي ، ذلك الفتى القمئ العبوس . لقد اختاره أبي ليكون قائداً لي فوجدت فيه غلاً بغيضاً إلى نفسي ثقيلاً على قلبي ، فرحت أحطم هذا القيد بطريقة صبيانية جميلة . وتدفقت النشوة في قلبي حين رأيتني أمكر بالشيخ علي فأغلبه على أمره وأنتصر على أساليبه الملتوية الوضيعة . وظفرت – لأول مرة – بالحرية التي تدفعني إلى أن لا أخشى الرقيب ولا أخاف أبي ولا أرهب الشيخ علي . وأصبحت وما في حياتي من يبهرني عن لهو ولا من يردعني عن غي ولا من يدفعني عن طيش ، فاندفعت في حماقات ما دعني عنها واحد من رفاق ولا ذوي قرابتي : فأنا لا أذهب إلى الأزهر إلا حين يحلو لي ولا أطمئن إلى أستاذ إلا حين أجد فيه الفتور والضعف ولا أستمع إلى درس إلا حين ألمس فيه ما يجذبني إليه ؛ ثم لا أجد وازعاً يغريني بالقراءة والمطالعة ولا أحس ميلاً إلى الاستذكار والتحصيل ، فاطمأنت نفسي إلى عبث الطفولة ولهو الصبا . وأبي في القرية لا يعلم من أمري شيئاً وفي رأيه أن ابنه الشيخ الصغير يوشك أن يسمو إلى مرتبة ذوي المكانة والشأن من مشايخ الأزهر وإلى جانبي الشيخان حامد وحسن لا يستطيع واحد منهما أن يلومني على أمر ولا أن يؤذيني بحديث. وذهبت غير بعيد ، ثم استحالت حالي فلست في حريتي معاني رجولتي . وللرجولة في نفس الصبي علامات لا تتم إلا بها . فأما أقضي صدر النهار جالساً إلى عمامتي أهيئها على نسق وأرتبها على طريقة ، أطويها وأنشرها ثم لا أبرح أطويها وأنشرها فلا أهتدي . وأنا أخلو إلى جبتي طرفاً من الليل – أزيل عنها ما علق بها من غبار وأمسح ما لوثها من طين ، والطريق بين الأزهر والدار ضيق قذر تتراكم فيه – دائماً – الأوساخ والوحل ، ثم يعجزني أن أدفع بها إلى الكواء ومالي طاقة بما يطلب من أجر ، فأنشرها تحت الحشية علها تبدو في رأى العين قريبة عهد بالمكواة . وأنا أنطوي على حذائي – ساعة من زمان – أطليه بالورنيش حيناً وأغسله بالماء أحياناً . ثم تصنعت الرجولة فأخذت أمشي الهوينى منتصب القامة متزن الخطو ، وأتحدث في هدوء ورزانة ، وأجلس إلى شيخي في ثقة واطمئنان ، وأستمع إلى الدرس في أناة وصبر . ومضت أيام ثم غلبتني طبيعتي الصبيانية وضاقت بما أتصنع فإذا أنا صبي بين صبيان يملأون الحارة صياحاً وضجيجاً ويندفعون في لهو ولعب ما ينتهيان إلا أن يثور بنا صاحب الدار أو يهر بنا رجل من الجيران فننطلق في ذعر صوب الحجرة كفئران أفزعهم قط كاسر

* * *

وأنست إلى حجرة الشيخ حسن وما هي بأوفر حظاً من حجرة الشيخ علي ولا أسعد حالا من حجرة الشيخ فهمي ، وما فيها غيرنا : أنا والشيخ حسن ، والشيخ حامد . ثلاثة ضمتهم آصرة القربى وجمعهم وشيجة السن فكلاهما تربى في الكتاب وزميلي في الملعب ورفيقي في الغيط وصاحبي في القرية . هنا وجدت الحرية والراحة وسعدت بالهدوء والطمأنينة .

أما الشيخ حامد فهو فتى مدلل رقيق الحاشية لين الأعطاف لدن الأوصال غض الإهاب . وضيء الوجه ، وسيم القسمات ، يتألق نضارة وجمالا ، يتأنق في لباسه ويتثنى في مشيته ويتأرج في عطره ، ليس فيه من معاني الرجولة إلا ثياب الرجل ولكنه صاحبنا وعلينا أن نرعاه ونتعهد حاجاته .

وأما الشيخ حسن فهو فتى في فجر العمر أيد في غير نزق ، صلب في غير جفوة ، رقيق القلب رضي النفس حلو الحديث خفيض الصوت . أخذ نفسه بالشدة والقسوة فهو يصرفها عن

نوازع الحياة ويلفتها عن شهوات المدينة ، ويجد لذته فى الدرس والكتاب ، فيقبل على الدرس فى نهم ويطمئن إلى الكتاب فى رضا ، ويقضى سحابة النهار فى صحن الأزهر لا يبرحه إلا إلى حلقة الدرس أو إلى الصلاة . وعلى وجهه سمات حزن ما ينجلى ، وفى عينيه عبرات تترقرق ما تنحدر ، من أثر ما لاقى من عنت الأيام وجفوة الحياة .

لقد أحس الشيخ حسن اللوعة والأسى حين ماتت عنه أمه صبياً فوقع بين فظاظة أبيه الجاهل وشراسة زوجه القاسية . وأبوه رجل ريفى لم تصقله الحياة ولا هذبته التجارب فهو جافى الطبع غليظ الكبد لا تأخذه الرأفة ولا تهزه الشفقة ؛ وزوج أبيه فتاة فى مقتبل العمر ورونق الشباب ، مكرت بالرجل فأذاق ابنه البأساء والضراء وضربه بالجوع والعرى وأرهقه بالعمل فى الحقل وفى الدار ، ولكن أحقاد نفسها كانت تتأرث حيناً بعد حين فراحت تمكر بالصبى وأبيه فى وقت معاً فدفعه إلى الأزهر … دفعه إلى هناك ليعيش ضائعاً يعانى غمرات الحياة وشظف العيش وقسوة الحرمان . ولكنه رضى بالكفاف إن وجده ، واطمأن إلى الجوع ، وسعد بالعرى ، وصبر على الحرمان ، ووجد اللذة والسعادة فى الدرس .

وعاش الفتى فى دنيا نفسه يسكن إلى آلامه ويستقر بين خواطره ، يفزع عن الناس لأنه لا يجد فيهم الصاحب ، وينفر من الجماعة وما فيهم من يشعره بالعطف . وهو أبى النفس كريم الأخلاق يترفع عن أن ينشر ضعفه أمام واحد من الناس لأنه يخشى أن يسخروا منه ويتندروا به . وأبوه فى القرية فى شغل عن أن يعنى بابنه ومن ورائه زوجه توحى إليه بأمر فهو لا يرسل إليه إلا نفاية الخبز ، وإلا قدراً من المش ، وإلا قروشاً يدرأ بها سفاهة صاحب الدار . ثم هو يرى الشيخ حامد إلى جواره ، هذا الفتى المدلل ، وهو يستقبل أطايب الطعام والمال تترادف إليه من القرية فى الفينة بعد الفينة ، فلا يهش لها وإن نفسه لتجذبه إليها جذباً عنيفاً ، والشيخ حامد يلح عليه فى أن يشاطره الطعام والشراب والمال فيتأبى عليه . ولشدما كان يحزننا أن يفر من هذا الطعام وهو شهى لذيذ فيعتصم بالأزهر من بكرة النهار حتى الهزيع الأول من الليل ، فلا يجلس إلينا إلا حين يوقن بأن الطعام قد نفد أو فسد .

ولطالما أزعجنى أن يعيش هذا الفتى بيننا لا يطمئن إلى واحد منا ، ولا يلمس المتعة فى صحبتنا ، ولطالما حاولت أن أصل إلى قرارة نفسه لأستل منها أشجانها فما ظفرتُ إلا بالخيبة والإخفاق فعاش بيننا غريباً عنا .

وسار الفتى فى سبيله لا يلوى على شىء يدفعه قلبه وعقله وكرامته معاً إلى غاية يبتغيها ، فتقدم فى خطى فساح يقفز فوق هامات رفاقه حتى أوشك أن يبلغ .

يا عجباً ! ما لهذا النبت الغض وقد غذته القسوة وغمرته أشمة الشدة وسقاه الحرمان … ماله أينع ونما واشتد غراسه فأثمر الرجولة والعبقرية والنبوغ ؟ أفكانت جميعاً تصقله من صدأ وتحفزه إلى غرض ؟ .

وفى ذات مساء دخلنا الحجرة — أنا والشيخ حامد — فاذا الشيخ حسن يلقانا فى بشر وإشراق على غير عادته ، ويتبسط معنا فى الحديث على غير شيمته ، ويشاركنا اللهو على خلاف طبعه . واستولت علينا الدهشة والذهول أن رأيناه متهللا ، وقد انبسطت أسارير وجهه ، وانفرجت شفتاه عن ابتسامة رقيقة ، وزالت عنه سمات التجهم والعبوس . وعهدنا به أن ينزوى فى ناحية لا يأنس إلا للوحدة ، ولا يلوذ إلا بالصمت . ماذا جرى ؟ لقد جاء رسول من عند أبيه يحمل إليه — لأول مرة فى حياته — ألواناً من الطعام ومبلغاً من المال . لقد كان الطعام تافهاً والمال ضئيلا ، ولكنهما أزاحا عنه كابوس الهم والأسى حين أحس فيهما معانى جياشة من عطف أبيه وحنانه .

وفزعنا نحن عن طعامه مثلما كان يفزع عن طعامنا ، وعجز عن أن يثنينا عن عزمنا ، فراح يأكل بقدر ويدخر من طعام اليوم لمائدة الغد ، والطعام يكفيه أياما .

ما لى أهب اليوم من نومى مضطرب الأعصاب مقلقل الخاطر مفزع الوجدان كأنى أنتظر حادثة أو أتوقع أمراً . لقد ظللت طول يومى أحس فى نفسى خيفة وفى قلبى ذعراً ، رغم أن هذا اليوم من أيام الربيع الجميلة الهادئة . وكان قد مضى ثلاثة أيام منذ أن استقبل الشيخ حسن رسالة أبيه التى أزاحت عنه خواطره السود ، فعجب وهو فى مرحه ونشوته أن رآنى ساهما مقطب الجبين مشغول البال ، فجلس إلىّ يريد أن يصل إلى قرارة نفسى

ليستل منها أشجانها فما ظفر إلا بالخيبة والإخفاق . وانطلقت أنا إلى الأزهر أريد أن أتحلل من أعباء نفسى والتى تقل همى هناك بين رفاق وأصحابى . وعند الأصيل جاء الشيخ حامد يندفع نحوى وعلى وجهه سمات الفزع والرعب وعلى حركاته علامات الخوف والاضطراب . وحين رآنى تشبث بى يجرنى وهو يردد فى ذهول « تعال ، تعال ! الشيخ حسن ، الشيخ حسن ! » فطرت معه إلى الحجرة ، إلى حيث أرى الشيخ حسن يتلوى من الألم وجبينه يرفض عرقاً ، وهو صامت لا ينطق بكلمة ، ولا يفصح عن شكاة ولا يرسل صيحة . لقد كان جلداً صبوراً حتى حين سرى السم فى عروقه من أثر الطعام الذى أزاح عنه النعمة فحفظه فى صندوقه وفى قلبه أياماً حتى فسد وتسمم . وانسرب الرعب فى نفسى من أثر ما رأيت فانعقد لسانى وشلت حركتى ، فجلست إلى جانبه أنظر ثم ألقيت بنفسى عليه ... ألقيت بنفسى عليه وهو يلفظ آخر أنفاسه ثم اندفعتُ أبكيه ، أبكى فيه الصداقة الصافية والشجاعة الكاملة والرجولة الباكرة وهو ما يزل فى سن الصبا .

فلا تمهنى — يا صاحبى — عبراتى المهراقة بين يديك ، فما أرسلتها من ضعف ولا سكبتها من عجز ...

كامل محمود حبيب

طرائف من العصر المملوكى :

شعراء أميون

للأستاذ محمود رزق سليم

ما الأمية ؟ وما مبلغ صلتها بالشعر ؟

أول ما يطالعنا من معانى الأمية أنها الجهل بمبادئ القراءة والكتابة ، اللذين هما مفتاح الثقافة ، والطريق المؤدى إلى العلم . غير أننا نجد أحياناً أناساً ممن مهروا فى القراءة والكتابة ، ونالوا من العلم والثقافة حظاً ، ينحدرون إلى جهالة جهلاء وضلالة عمياء ، إذ لا يفرقون بين حق وباطل ، ولا يميزون بين فضيلة ورذيلة ، ولا يؤدون حق العلم عليهم بالترفيه عن قومهم ، وبخدمة أوطانهم ، أولئك والأميون سواء ، بل إن بعضاً من الأميين الذين لم يحصهم أدب ، ولم يوقحهم تعليم ، قد يكونون أسلم نية ، وأطهر طوية ، وأصدق عاطفة ، وأعرف بأقدار الناس وحقوق الأوطان . وقد استعاضوا بالذكاء والتجربة عن أميتهم ، ودرسوا علوم الحياة فى مدرستها فتخرجوا فيها فضلاء يشأون أولئك الذين أخرجتهم الكتابة من ربقة الجهل ، وخلصتهم القراءة من حظيرة الأمية ، ولكن لا تزال بنفوسهم من الجهل الأصيل علقة ، ومن الأمية الراسخة لوثة .

وليس معنى ذلك أننا نتجنى على الكتابة والقراءة ، ونضلع مع الأمية ، ونحط من قدر الثقافة . كلا وحاشا : ولكننا نحبها جميعاً على أن تكون الطريق الموصلة إلى فهم الحق فهماً صحيحاً ؛ وبلوغ الفضيلة بلوغاً كاملا .

ويبدو أن هذا المعنى الذى نفهمه الآن عن الأمية ، لم يكن معروفاً قبل أن تسلك الكتابة الخطية سبيلها إلى الانتشار والذيوع . فكان الأميون هم العامة لا الخاصة ، والأوشاب لا الأشراف ، والإمعات المغمورين لا الرؤساء المشهورين ، ولهذا أطلق اليهود قديماً لفظ « الأميين » على عرب الجاهلية استهانة بأمرهم ، وتحقيراً لشأنهم ، حتى رفع الله هذا اللفظ وشرفه وكرمه ، فنعت به النبى الكريم عليه الصلاة والسلام .

أما الشعر فهو فطرة موهوبة لاخلة مكسوبة ، ولحن إلهى لا نغم تعليمى ، تكسبه القادر فى نفوس جبلت منذ أزلها على أن تكون شاعرة ، نفوس تتوثب عاطفتها ، وتتوقد إحساساتها وتسجل عليها الأيام ما يطيب لها من حادثات بشرية ومشاعر إنسانية .

وتولد هذه النفوس أمية كسائر النفوس ، فإذا خرجت عن أميتها ، ونزعت منزع الثقافة زادت حذقاً وفراهة ، وأصبحت دانية إلى كمالها .

وقد أنجبت البشرية ، وولدت قبل عهد الكتابة والقراءة ، كثيراً من الشعراء . وشعراء العرب فى العصر الجاهلى كانوا يمتون إلى هذه الأمية بأوشج الصلات . غير أن هذه الأمية لم تمنعهم أن يكونوا شعراء ، ولم تمنع نفوسهم أن تتغنى بما تجيش به وأن يكون غناؤها على جانب من الرونق والجودة والصدق والسمو ، استأهل إعجاب الأجيال ، واستحق أن يكون موضع دراسة ، بل باباً من أبواب العلم والثقافة حتى اليوم . وقد أفادتهم

— بلا ريب — زجاجة عقولهم وثقوب نظرهم وسمو تجاربهم ، عوضاً عما عاقوه من الأمية والجهل بالقراءة والكتابة .

ويتبين لنا مما سبق أنه لا غضاضة على عصر — أدبى من عصور الكتابة والقراءة أن يكون من بين شعرائه قوم أميون لا يقرءون ولا يكتبون . بل العجيب حينذاك ألا تطرد طبيعة الأقدار وفطرة البشرية ، فتقتصر الشاعرية على قوم من المثقفين بالقراءة والكتابة ، بدلا من توزيعها على الناس والبيئات والطوائف بقسطاس مستقيم عادل ، ما دامت الشاعرية فطرة موهوبة لا خلة مكسوبة — كما أشرنا —

وفى الحق أن الأقدار مطردة فى طبيعتها ، والبشرية متشابهة فى عصور فطرتها ، جارية على وثيرة واحدة ، وتوزيع الموهبة قائم على العدالة منذ القديم . فلكل جيل شعراؤه ، وكذلك لكل بيئة ولكل طائفة . لا تبالى الأقدار فى توزيعها واختيارها بأن تخص من يقرءون ويكتبون بأوفر حظ من الموهبة ، وأوفى نصيب ، دون سواهم .

ومنذ ذلك العصر الذى وجدت فيه الكتابة الخطية سبيلها إلى الوجود والحياة والقوة والاستمرار ، واتخذت منهجاً أولياً ، تعليمياً ، وللراغبين فى العلم ، والساعين إلى الثقافة ، ومن ثم فرقت الناس إلى شطرين : عالم يقرأ ويكتب ، وجاهل أمى لا يقرأ ولا يكتب . ومنذ ذلك العصر الذى تولدت فيه اللغات العامية ، وافترقت فيه لغة العامة عن لغة الخاصة . نقول : منذ العصرين المذكورين ، والطبيعة سائرة على وتيرتها ، مطردة فى بابها ، توزع موهبتها توزيعها العادل . ولهذا كثيراً ما ترى مخايل الشاعرية ، ودلائل الفنية بادية فى أوساط الأميين .

غير أن حرص أهل الفصحى ومؤرخيها عليها ، وحفاظهم الشديد على سلامتها ، نفرهم من الأمية والعامية ، ومن أدبائهما ، وشعرائهما . لا يلمون بحياتهم ونتاجهم إلا فى حذر وإباء ، وأنفة وكبرياء . ولهذا طغى عليهم سيل الحرمان ، وسحب عليهم ذيل النسيان . فعاشوا نكرات مغمورة ، وأغفالا مهجورة ....

وبعد فنحن لا ندرى بالضبط ، ما موقفنا من الشعراء العوام ، وما رأينا فى إنتاجهم الشعرى ؟ أنحمده لهم أم نجحده ، ونشكره أم نكفره . وهل نغبط عصرهم عليهم أم نغمطه ، ونهنئه بهم أم نعزيه ؟ ...

وقد قلنا « الشعراء العوام » لا « شعراء العامة » ، لأننا نقصد أولئك الأدباء ، الذين شبوا أميين لم يتعلموا الكتابة والقراءة ، ولذلك لم يسلكوا سبيلهم إلى المطالعة والبحث والتحصيل والدرس ، ولكن غلبت عليهم حرفة الأدب ، ونزعت بهم نازعة الشعر ، فنظموا بالفصيحة السليمة شعراً قوياً بارعاً ، ومشرقاً ساطعاً ، يتضمن الجديد من المعنى ، والمفيد من الرأى ، والسلس من الحديث — فضلا عما نظموه من الشعر العامى .

فهل أمثال هؤلاء وصمة فى جبين عصرهم ؟ من حقنا أن نشوهه بهم ، ونعيره بوجودهم ؟ أم نعتبرهم حلية من حلاه ، وزينة من زيناته ، لأنهم استطاعوا على رغم عاميتهم وأميتهم ، أن ينفذوا بفهمهم وشاعريتهم ، إلى الفصحى ، فينظموا بها ، ويصوغوا الأبيات مصقولة بصقالها ؟ .

هؤلاء كشعراء الجاهلية ولكن بفرق يسير ... وهو أن شعراء الجاهلية كانوا يعيشون والفصحى سليقة فى اللسان ، تجرى مع الخاطر مجرى الطباع . أما شعراؤنا العوام فقد عاشوا فى بيئة عامية اختلطت لغاتها وتبلبلت لهجاتها ، فكانت محرفة اللسان سقيمة البيان .

هكذا عاش عدد من الشعراء فى العصر المملوكى . ولكنهم رغم هذا ، قادتهم فطرتهم السليمة ، وأذواقهم المصقولة ، إلى أن يدلفوا إلى الفصيحة المعربة من أبوابها ويعيشوا ردحاً فى رحابها ، وينظموا الأبيات الرائقة فى جنباتها . فوعت بطون الأسفار طرفاً من أخبارهم ، وروت لمامن أشعارهم ، تنم عن فهمهم وتدل عليه ، كما نم الأرج عن الزهر ، ودل الخرير على النهر .

وكان بعضهم بحكم عاميته ، ينظم كذلك الأزجال ، وما إليها ؛ ولكنه يضرب فى وديان من الظرف واللطف ، ويفيض بألوان من السحر والبيان .

ونحن فيما يلى ننوه ببعض هؤلاء فنهم :

الأمير بيبرس الفارقانى . كان من المعمرين ، وتوفى عام ٨٠٨ هـ وأسس حماما تجاه المدرسة البندقدارية . وكان من أهل الدين والصلاح . وله مشاركة فى العلم . وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب . ويزن الشعر بطبعه ، وله شعر جيد باللغة الفصحى . ومن قوله فى الغزل ، وفيه تورية :

من لى بظبى غرير بالىلحظ يسبى المالك

إذا تبدى بليـل جلا سناه الحوالك

من حور رضوان أبهى لكنه نجل مالك

روى ذلك ابن إياس فى البدائع .

ومنهم ابن الربيع . وهو مجاهد بن سليمان بن مرهف ابن أبى الفتح المصرى التميمى ، ويعرف بالخياط . كان أديباً رقيقاً ويعتبر من كبار أدباء العوام . عاصر الشاعر المصرى البارع المرح أبا الحسين الجزار ، والأديب ناصر الدين بن النقيب ، وغيرهما من أدباء الحلبة الأولى فى العصر المملوكى . وكانت بينه وبين كثير منهم مراسلات ومساجلات . وقد سل لسانه زمنا على الشاعر أبى الحسين الجزار ، فهجاه وهجا شعره . ومن هجائه قوله :

أبا الحسين تأدب ما الفخر بالشعر فخر

وما تبلت منه بقطرة وهو بحر

وإن أتيت ببيت وما لبيتك قدر

لم تأت بالبيت إلا عليه للناس حكر

ومن شعره فى التشوق والحنين ، مخاطباً البرق :

أعد يا برق ذكر أهيل نجد فإن لك اليد البيضاء عندى

أشيمك بارقاً فيضل عقلى فوا عجباً تضل وأنت تهدى

ويبكيك السحاب وأنت ممن تحمل بعض أشواقى ووعدى

بعثت مع النسيم لهم سلاماً فما عطفوا علىّ له برد

وقد توفى مجاهد عام ٦٧٢ هـ . وتحدث عنه صاحب فوات الوفيات .

ومنهم أيضاً شرف بن أسد المصرى . قال عنه صاحب الفوات « شيخ ماجن متهتك ظريف خليع ، يصحب الكتاب ، ويباشر الندماء ، ويشبب فى المجالس على القيان » . ونقل أيضاً عن صلاح الدين الصفدى قوله عن هذا الأديب ، قال « رأيته غير مرة بالقاهرة وأنشدنى كثيراً من البلاليق والأزجال والموشحات وغير ذلك . وكان عامياً مطبوعاً ، قليل اللحن . يمتدح الأكابر ويستمطى الجوائز . وصنف عدة مصنفات فى شاشات الخليج والزوائد التى للمصريين والنوادر والأمثال ، ويخلط ذلك بأشعاره وهى موجودة بالقاهرة عند من كان يتردد إليهم :

وقد توفى ابن أسد المصرى عام ٧٣٨ هـ .

ولم يرو له الصفدى شيئاً من شعره الفصيح . وروى له موشحة زجلية طريفة يخاطب بها شهر رمضان فى دعابة وتفكه ويبدو أن رمضان إذ ذاك كان شديد الحرارة ، فأثارت حرارته فى الشاعر هذه الدعابة .

ومن لطيف ما رواه الصفدى لهذا الأديب العامى ، مقامة منثورة مسجوعة ، فيها فكاهة وفيها حوار بين أحد النحاة وأحد الأساكفة ، يطلب فيها النحوى من الإسكافى نعلا ، طفق ينمقها له ، ويصف شروطها . فرد عليه الإسكافى رداً محنقاً ملأه بالكثير من الكلمات الغريبة .

ومما جاء فى هذه المقامة ، وصفاً للنعل على لسان النحوى قوله: « ظاهرها كالزعفران ، وباطنها كشقائق النعمان . أخف من ريشة الطير ، شديدة البأس على السير ، طويلة الكعاب . عالية الأعتاب ، لا يلحق بها التراب . ولا يعرفها ماء السحاب تصر صرير الباب ، وتلمع كالسراب ، وأديمها من غير جراب . جلدها من خالص جلود المز . ما لبسها ذليل إلا افتخر بها وعز » . الخ

ومن الشعراء الأميين أيضاً إبراهيم بن على الحرانى ، ويعرف بمين بصل . كان حائكا ، وكان عامياً أمياً ، نظم الشعر الفصيح فى الغزل والوصف وغيرهما .

ومن غزلياته قوله من قصيدة :

جسمى بسقم جفونه قد أسقما ريم بسهم لحاظه قلبى رمى

كالريح معتدل القوام مهفهف مُرّ الجفا لكنه حلو اللمى

رشأ أحل دمى الحرام وقدرأى فى شرعه وصلى الحلال محرما

رب الجمال بوصله وبهجره الق وأصلى جنة وجهنما

وله قصيدة جيدة فى وصف دمشق وجناتها يقول فى مطلعها :

ربوع جلق للأوطار أوطان وليس فيها من الندماء ندمان

كم لى مع الحب فى أقطارها أرب إذ نحن فى ساحة الجيرون جيران

أيام تجرير أذيالى بهـا طرباً ولى مكان له فى السعد إمكان

إذ بت أنشد فى غزلانها غزلا لما عزت كبدى باللحظ غزلان

ومنها يقول :

قم يانديمى إلى شرب المدام بها من قبل يدرك بدر السعد نقصان

فأنت فى جنة منهـا مزخرفة وقد تلقاك بالرضوان رضوان

وأنت فيها من اللذات فى كسل ... انهض فما بلغ اللذات كسلان
أما ترى الأرض إذ أبكى السحاب بها
آذارها ضحكت إذ جاء نيســـان
والزهر كالزهر حياه الحيا فبدت ... فى الروض منه إلى الأبصار ألوان
زمرد قضب فيها مركبة ... جواهر وبواقيت ومرجان . الخ

ومن يقرأ هــذه القصيدة بتمامها ، يستروح فيها أنساماً من قصيدة أمير الشعراء شوقى بك فى وصف دمشق ؛ ولا سيا أن أن القصيدتين من بحر واحد وروى واحد .

هذا ، ويقول صــاحب فوات الوفيات : إن قاضى القضاة شمس الدين بن خلــكان (المتوفى عام ٦٨١ هـ) — كان قد قصد هذا الشاعر ، واستنشده من شعره فقال له : أما القديم فلا يليق وأما نظم الوقت الحاضر ، فنعم . وأنشده :

وما كل وقت فيه يسمح خاطرى ... بنظم قريض رائق اللفظ والمعنى
وهل يقتضى الشرع الشريف تيمماً
بترب وهــذا البحر يا صاحبي معنا

ومن الأميين أيضاً : ذلك الأديب الشاعر الرقيق صاحب البيتين المشهورين :

قد بلينا بأمـــير ... ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فينـــا ... يذكر الله ويذبح

ذلك الشاعر هو إبراهيم المعمار . قال عنه صاحب الدرر الــكامنة : شاعر مشهور عامى ، لــكنه ذكى الفطرة ، قوى القريحة ، لطيف الطبع ، ولم يتمدح بأحد . وقال إنه مات عام ٧٤٩ هـ .

وبمناسبة ذكر عام وفاته ، نشير إلى أن المؤرخين اختلفوا فيه والذى يبدو لنا أنه من شعراء النصف الأول من القرن الثامن .

وقد نظم الشعر فى أغراض كثيرة منها : النقد ، والفكاهة ، والغزل والمجون والخمريات والوصف . وقد اصطنع البديع وبخاصة التورية . وكان سلس الأسلوب ، واضح المعانى ؛ غير أن له أخطاء لغوية أحياناً .

وإلى جانب شعره الفصيح ، نظم الزجل والمواليا ، فى نفس الأغراض الشعرية التى طرقها .

ومن شعره قوله ؛ وفيه اقتباس :

قال لى العاذلون أنحلك الحب ... وأصبحت فى السقام فريدا
أئذا صرت من جفاهم عظاما ... أبوصل تعود خلقاً جديداً
ما رأينا ولا سمعنا بهذا ... قلت كونوا حجارة أو حديداً

ومنه وفيه تورية :

يا قلب صبراً على الفراق ولو ... روعت ممن تحب بالبين
وأنت يا دمع إن ظهرت بما ... بخفيه قلبي سقطت من عيني

وبعد فهؤلاء خمسة شــعراء أميين لا يقرءون ولا يكتبون ، جاد بهم عصر المماليك ، فجادوا الناس بالبديع الممتع من الشعر ، فلا أقل من أن نذكرهم بالحمد والشكران بدل الذم والنسيان .

حلوان

محمود رزق سليم

مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

فزان بين يدي الفرنسيين والطليان

للأستاذ أحمد رمزي بك

(تتمة)

احتلال فرنسا :

فى سنة ١٩٤٠ وقبيل عقد الهدنة بين فرنسا وألمانيا دعت الحكومة الفرنسية الجنرال والقائد المظيم فيجان لتولى القيادة العامة وسد ثغرة سيدان ، لقد تحطمت الجبهة واندكت حصون خط ماجينو فى الشمال والزحف الألمانى لا يقف وراديو برلين يصيح « لو بعث نابليون من قبره ، لما كان فى وسعه أن يغير القدر المحتوم » لقد هزمت فرنسا وتمزقت جيوش الجمهورية .

وكنت جاراً للجنرال كابو وقد زالت الكلفة بيننا وفى عصر أحد الأيام دعانى لمنزله وقال لى إنه يغادر البلاد الليلة إلى مصر فالسودان فأفريقيا الغربية فراكش إلى فرنسا ، وذلك بناء على دعوة فيجان الذى طلب إليه أن ينضم إلى هيئة أركان حرب الجيش الفرنسى ، إذن يجب أن يكون بجبهة القتال قبل أربعة أيام قلت « إنكم تنتظرون قرارات حاسمة لإيقاف هذا الزحف المستمر » قال : « إن إنقاذ فرنسا يحتاج إلى معجزة » . إن ذكر أربعة أيام للوصول إلى فرنسا هى التى لفتت نظرى ، فهذا القائد يغادر بيروت إلى القاهرة ومنها إلى الخرطوم ومنها إلى وادای ومنها إلى بحيرة تشاد ثم تمبوكتو ومنها إلى وسط الصحراء ثم الدار البيضاء ليصل فى أربعة أيام إلى فرنسا « التى كان بوسعه أن يصلها فى ساعات » .

هذا الموقف الحاسم فى استراتيجية البحر المتوسط سببه دخول إيطاليا الحرب تلك الدولة التى تملك من المراكز ما يمكنها من أن تشل حركة الحلفاء جميعاً وتجعل من البحر قسمين وتدخل فى صميم القارة الافريقية بقطاع يهدد أملاك أمبراطوريتين .

ومن هذا نفهم أول مبرر يدفع الفرنسيين للتمسك بإقليم فزان على أساس أنه على الطريق الجوى بين مدغشقر وفرنسا . وحينما عقدت الهدنة ظهرت حركة الفرنسيين الأحرار التى ترأسها الجنرال ديجول أخذ يسعى إلى جمع شمل الأمبراطورية تحت لوائه فكان أول من انضم إليه الجنرال كاترو بالهند الصينية ولكن موقف اليابان حال دون استمراره فغادرها واتجهت الأنظار إلى منطقة قريبة فكان الكنغو الفرنسى أول المقاطعات التى انضمت إلى الحركة والغريب أن الظروف تركت هنالك حاكما وطنياً من الشعوب الملونة وهو الذى توفى قبل نهاية الحرب بالقاهرة وكان أمل فرنسا يستهدف أن تحتفظ بمكان لها على مائدة الحلفاء ، ولذلك تغير اسم فرنسا الحرة إلى فرنسا المقاتلة وحاول الجنرال ديجول مراراً أن يسمح له بالجلوس مع روزفلت وستالين وتشرشل ، وكان الأولان يعترضان على وجود فرنسا لأنها سلمت ولم تحارب ولذلك اتجهت إرادة فرنسا الحرة إلى تحمل أعباء قتال فى أى جبهة وكان أن سمعنا بفرق من المتطوعين وجنود المستعمرات تحارب فى صف البريطانيين وبين أيدينا فى سوريا ولبنان ذكريات ضباط البر والبحر والجو الذى كانوا يخترقون حدود فلسطين للانضمام إلى قوات فرنسا المحاربة ، وكان أن ظهرت قوات فى ميدان سوريا ولبنان ، ثم فى الحدود المصرية فى بير حكيم حين استبسلت قوة فرنسية أمام قوات تفوقها عدداً عن جنود المحور .

إلا أن العملية الحربية المنفصة والمستقلة تماماً عن بقية جيوش الحلفاء هى العملية التى تولتها فرنسا المقاتلة بزحفها من بحيرة تشاد عبر الصحراء الكبرى وانتهت إلى فزان . وهى من أعظم حركات حروب البادية .

ولقد كان رأى فرنسا فى الحكم الإيطالى يختلف تماماً عن رأيها اليوم وإليك الدليل من نشرة رسمية لحكومة الفرنسيين الأحرار وسأقرأها بالفرنسية :

Jsmsis aucnue puissance coloniale n' a traitéavec sussi peu de pitié, d'humanité on même simplement de con sens' les populations sur lequelles des traitésleur donnaient des droits. On n'a jamais spolié,on n ' a jamais massacrè , on n 'a gaiuaie exterminé uu peuple, comme les aliens l'ont fait pu peule tripolitain. Les rapports ies plus accaplants , les pha tographies les plus significatives s'amnocelaientsur les bureaeey de la S. D. H. sans que les Etats Soeiétaires prissent le moindre omdrage de ces horreurs . on devine avec quelle ferveur les Fezzanais attendaient la libération

Nous svons trouvé aprés d,eux non seulement le secours que nous etions en droit d,escompter , mais un appui amical.

كانت مقدمة هذه الحركة . عملية من أخطر العمليات التى مرت فى تاريخ حروب البادية ولكنها أشبه بحركة كشفية منها بعملية حربية . فقد قام من الجانب الفرنسى ضابط اسمه جان كولونا دورنافو من ضباط قوات البادية الفرنسيين واشترك معه ضابطان بريطانيان اجتمعا فى القطاع الجنوبى حيث تلتقى الحدود بين المستعمرات الإيطالية والفرنسية وحدود السودان وكان هذا فى ٤ يناير سنة ١٩٤١ وفى ١١ يناير تمكنت هذه القوة المخاطرة من تدمير مطار مرزوق والسودة بعد أن ظل الضابط الفرنسى كولونا دورنانو تحت وابل رصاص الطليان . وتعرضت بعد هذه الحملة واحة كفرة والجزء الجنوبى من فزان لعدة هجمات سنة ١٩٤٢

وفى أوائل سنة ١٩٤٣ زحفت قوة الجنرال leclerc الفرنسى من الجنوب وأهم أغراضها احتلال فزان وتحريرها وكان مركز التجمع Fort samy ثم Faya وأتت المؤن والذخائر وبالسيارات من برازافيل ، وكانت القوة الزاحفة عددها ٧٣٨ ضابطاً ورجلا

وقد اختير موعد الزحف بين شهرى نوفمبر وفبراير وفى ٢٥ ديسمبر أذيع أول بلاغ عن العملية يتضمن دخول القوة فى يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٤٢ أراضى فزان ، وفى ٣٠ ديسمبر احتلت أم الأرانب بعد مناوشات مع قوة إيطاليا وسلم عشرة من الضباط وأكثر من مائتى جندى وطنى وفى الوقت نفسه سلمت البطرون ثم سبها وفى ١٢ يناير سلمت مرزوق .

كان الاستعداد لهذه العملية كاملا من جميع الوجوه وجاءت فى الوقت المناسب الذى كان الحلفاء يدفعون بجيوش المحور إلى الحدود التونسية ، ولذلك تمكنت الحملة الفرنسية بعد احتلال فزان أن دخلت طرابلس فى ٢٥ يناير ، واحتلت فى ٢٦ يناير سنة ١٩٤٣ غدامس .

وقد اشتركت القوات الهوائية الفرنسية وأبلت فى المعارك بلاء حسناً ، ولكن عظمة الحملة فهى فى تنظيمها وسيرها وأنها حركة مفاجأة رغم أن الحرب التى واجهت الحملة هى حرب مع الطبيعة أكثر من أنها حرب مع الطليان ، وقد دلت عمليات الصحراء من ١٩٤١ إلى ١٩٤٣ على أن قيادة الحلفاء كانت تحسب حساباً للمطارات الإيطالية فى الكفرة وفى مرزوق ، وقد ذكر الفرنسيون أنهم وجدوا فى مطار الكفرة البريد السرى الذى كان يرسله حاكم جيبوتى التابع لحكومة فيشى مما يدل على أن مطارات الصحراء كانت تسمح باتصال الإيطاليين بأثيوبيا مع دولتى المحور .

هذه هى العمليات التى أدت إلى دخول الفرنسيين وهى بطبيعتها مكملة لحركات الحلفاء فى شمال أفريقيا ، ولقد كانت الأهداف تبدو مستعصية وبعيدة عن التحقيق لو كانت مستقلة تماماً ولكنها كملية للحروب الاستعمارية الصحراوية تستدعى أن نقف قليلا لنتحدث عن الصحراء .

حروب الصحراء :

للصحراء روعة تحدث عنها الكثيرون من أهل أوربا من رجال الجندية وغيرها . فخافتها تمثل فى نظرهم حدود بحر متسع من الرمال يدعو الواقف على شاطئه أن يركب الأخطار فيكتشف فيها ما وراء الأفق أو هى قطعة من عمل الطبيعة تتحدى الإنسان — أقصد الإنسان الواعى — وتدعوه أن يقدم عليها ويواجهها وينازلها ليكتشف ما تخفيه فى أنحائها .

ولذلك كثر عدد الرواد وانتهى الأمر إلى أن أصبح للصحراء حروب ومعارك وأنظمة علق عليها المستعمرون أهمية خاصة . وكان من أهم مظاهرها وفوائدها أنها تخلق تلك الفئة الممتازة من الرجال الذين تخرجهم مدارس الحروب الأفريقية والأسيوية بتجاربها القاسية . ويعد أفراد هذه الفئة ذخراً لا يقدر بثمن للبلاد التى تملك المستعمرات الشاسعة البعيدة عن العمران والتى يحتاج استتباب الأمن فيها إلى القيام بحملات دائمة ومستمرة ضد أهالى وسكان البلاد الوطنيين الذين يحدثون أنفسهم بالدفاع عن أوطانهم .

فلكى يكون لدينا مثل هذه الفئة الممتازة لترد العدوان وشره ، يجب أن ندفع بعدد من رجالنا دائماً إلى الأخطار فإن لم تكن لدينا حروب وجب أن نشجع هذا الفريق أن يتطوع خارج البلاد وأن يشترك فى أية حروب قائمة بصرف النظر عن ميلنا لهذا الفريق أو ذاك من المتحاربين . إنما يكون غرضنا الأساسى الحصول على تجارب كل فريق وأساليبه فى القتال متجهين إلى تربية روح المغامرة فى النفوس .

من هذه المدرسة تخرج قواد المستعمرين الذين قادوا الحروب فى أوربا وكانوا قوة للبلاد التى ينتمون إليها ذلك لأن وجودهم فى جو يدعو إلى تحمل المتاعب ومواجهة الأخطار وأخذ المسئوليات

بثقة فى النفس يخلق فيهم صفات ممتازة أهمها الجرأة على الوقوف أمام عقبات تبدو مستعصية ووسط ظروف تمد خطيرة ثم تعويد النفس على أحد القرارات السريعة الحاسمة وتنفيذها وهى صفات تبدو فى كثير من الأمم وكأنها قد فقدتها مع اليوم الذى فقدت استقلالها فيه .

وليس معنى هذا أننا معاشر الشعوب الإسلامية فى تاريخنا الطويل المملوء بالحروب المتتالية سواء فى آسيا أو أفريقيا لم تذق طعم الانتصار وحلاوته ، بل كان لدينا من هذه الفئة الممتازة كثيرون ، ومنهم من لا يمكن مقارنته بغيرهم من الرجال الأوربيين نظراً لتفوقه ، ومنهم لا يقل فى صفاته عنهم .

ولقد كان من أسلافنا من قادوا الحملات عبر الصحراء عدة مرات ودانت لهم القارة الأفريقية بحسب الأساليب التى كانت متبعة فى عصرهم فهناك حملات من الشمال إلى الجنوب عبر الصحراء الكبرى وحملات من الغرب إلى الشرق ومن الشرق إلى الغرب قام بها أسلافنا من المرابطين والموحدين على شكل أوسع وأعظم مما يفتخر به قواد المستعمرين من الإيطاليين والفرنسيين . ولكننا اليوم مضطرون أن نأخذ من الغرب وأن نتتبع خطواته ، وأن ندرس هذه الحملات ونقلدها حتى أساليب القتال على أراضينا وأوطاننا .

بعد مضى سبعين عاماً على حملة فرنسا التى ساقتها على الجزائر أى فى سنة ١٩٠٠ احتلت القوات الفرنسية المقيمة فى جنوب الجزائر واحة عين صلاح ، وكان هذا الاحتلال بمثابة فتح جديد قابله العالم بدهشة زائدة ذلك لأن فرنسا فاجأت العالم بإنشاء قوة عسكرية جديدة للبادية يرجع الفضل فى تدريبها وتهيئتها إلى الماجور لابرن فهذه القوة أشار إليها جرانزيانى فى كتابه عن إخضاع ليبيا وقال إن إيطاليا أدخلت هذا النظام لديها وزادت عليه فتولى قيادة رجال البادية الدوق داوستى الذى أخذ هذا العمل بجد ولا أزال أذكر حديثه عن الأيام التى قضاها وسط الصحراء وكيف أنه كان يعبر عن حنينه الدائم وهو فى أوربا عن أيامه فى تلك البقاع .

والتكلم عن قوات البادية وتنظيمها لا بد أن يذكر العمل الذى قام به الماجورجلوب باشا المسمى بابى حنيك فى بادية الشام، فهذه وإن كانت بعيدة عن فزان إلا أنها نوع من أعمال الأوربيين يستحق اهتمام أولى الأمر وتفكيرهم .

ماذا نستخلص من محاضرة فزان :

أولا : اهتمام الدول الأوربية بالصحراء الأفريقية مما يتطلب منا ضرورة التعجيل بإنشاء معهد الصحراء لدراسة مستقبل الصحارى فى بلادنا وفى القارة الافريقية وفى آسيا خصوصاً جزيرة العرب .

ثانياً : اهتمام الدول الاستعمارية بطرق المواصلات عبر الصحراء وهى مواصلات برية وهوائية .

فالأولى ستعود بنا إلى طرق القوافل القديمة فعلينا أن نستعد من الآن على دراسة هذه الطرق ورسمها على الخرائط ثم العمل على إعادتها واكتشاف مواقع المياه فيها ، أما الطرق الهوائية فأول واجب يحتم علينا إنشاء مطارات حديثة فى مناطق الواحات المصرية حتى تكون دائماً على استعداد للمساهمة مع الآخرين فى تعمير الصحراء .

يسير العالم بخطوات سريعة نحو توطيد سيطرة الدول الأوربية مرة أخرى على المشارق والمغارب ، ومشكلة فزان إحدى المشاكل المرتبطة بمستقبل ليبيا ، وقد ظهر للعيان كيف تطورت السياسة العامة بالنسبة لإيطاليا فهى قد كانت تقبل منذ سنتين مساعدة الدول العربية بأصواتها لاستعادة الأرتيريا والصومال فى مقابل الاعتراف باستقلال ليبيا كاملا ، أما اليوم فلا أدرى هل تقبل ذلك ؟.

من الناحية الفرنسية يبدو لنا أن فرنسا تحاول أن تعمل على إعادة نفوذ إيطاليا كاملا ، وفى هذه الحالة هل تسلمها حدودها القديمة أم تقتطع فزان ، وإذا سلمت لها بفزان هل تحتفظ بـ ٠٠٠ ر ١٠٠ كيلو متراً من الأراضى التى سلمها لافال إلى موسولينى ؟ وما هو موقف الإنجلو أمريكان ؟ ...

إن موقفهم يتلخص فى الاحتفاظ بالمراكز الاستراتيجية .

ولا يوجد شك فى أن بريطانيا لها مراكزها فى برقة كما لا يوجد شك فى أن أمريكا لها مراكزها فى طرابلس .

فى مصلحة من استقلال ليبيا موحدة . .

هذا ما تمليه تطورات السياسة العالمية ومقدار الثقة التى يحصل عليها أهل ليبيا وبرقة أنفسهم .

أما أهل فزان فداخل السور الحديدى أسلاك شائكة وجنود السنغال ، مثلهم كمثل ملايين من بنى آدم لا يتمتعون بما يسمى حقوق الإنسان : تحرمهم منها أمم كانت هى أول من نادى بحرمة حقوق الإنسان .

أحمد رمزى



انفعال الجو الأرضى

من السفع الشمسية

لماذا اضطرب الراديو فى العالم؟

للأستاذ نقولا الحداد

فى الخامس من هذا الشهر اضطربت الإذاعات اللاسلكية فى العالم من الصباح حتى الساعة الأولى بعد الظهر فلم يعد أحد يسمع إذاعة واضحة كأن البحر الأثيرى التج وأمواجه هاجت فضرب بعضها بعضاً والتطمت لججه . وكانت الإذاعات اللاسلكية يطغى بعضها على بعض ، فلم يعد أحد يفهم كلاماً أو يميز نغماً إلى أن أذاع راديو لندن : « نأسف أن إذاعاتنا لم تنتظم اليوم بسبب اضطراب صاخب فى قرص الشمس » .

ذلك لأن براكين السُّفَع الشمسية هاجت متجاوزة حد هياجها المعتاد . فأثرت مغنطيسيتها فى مغنطيسية الأرض وكهربائيتها فى كهربائية هذه وقلقلت إيجابيتها وسلبيتها وعكست اتجاهاتها فاضطربت إبرة الحك Compass بحيث لم يعد الملاح يعرف يمينه وشماله واتجاهه القويم وانقضت كهربائية الشمس فصادمت كهربائية الأرض واضطرب ميزانها . وبالإجمال يقال أنه لم يبق اعتدال كهربائى أو اعتدال مغنطيسى على الأرض .

وقد لاحظ العالم الإنسانى كله أن شتاء هذا العام كان صارماً جداً وبرده كان قارصاً وثلجه ومطره متدفقين . وفى أوائل هذا الشهر (إبريل) ، ونحن الآن فى الربيع ، كان الطقس قاسياً حتى أنه كان فى الخامس عشر منه كأنه طقس يناير . فعاد الناس يرتدون المعاطف الثقيلة بعد أن خلعوها .

هذه تأثيرات الشمس على الأرض حين تثور السفع الشمسية وتهيج براكينها كأن الشمس غضبت فانقضت صواعق غضبها على أولادها السيارات وأقمارها ومن جملتها الأرض وما الأرض بأعز عندها من سائر الكواكب ، إلا إذا كانت الشمس قد استاءت من هذه الفتاة المدللة من بين فتياتها الأخريات لما بدا من أخلاق أهل الأرض الجهنمية فاختصتها بهذه النقمة .

أما هذه السفع فهى بقاع على سطح الشمس تكثر أو تقل بلا ميعاد مقرر ، ولا قرار معين . وإنما تكثر إلى ناحيتى القطبين وتقل جداً عند خط الاستواء . والبقعة الشمسية تكبر أو تصغر بلا سبب معروف . فقطر الواحدة يختلف بين بضعة عشر ميلا إلى ٥٠ ألف ميل أو أكثر . والظاهر أنه كان من سفع هذا العام أو هذا الشهر سفع ضخمة جداً سببت هذا الاضطراب فى الجو الميتيورولوجى الأرضى .

والسفع الشمسية كمعظم الظاهرات الشمسية غامضة لم يتفق العلماء حتى الآن على تفاسير مقنعة لها . ولهم فيها نظريات مختلفة ومعظمها ظنون وتخمينات .

وأكثرهم يرجحون نظرية العلامة « هايل » الذى اشتغل كثيراً فى دراسة الظاهرات الشمسية وتعليلها . وهذا ملخص نظريته

السفعة هى فى الظاهر بقعة قائمة فى الشمس وسطها ظل ثقيل ومن حوله ظليل خفيف . وتحيط بها بقع ساطعة . ولدى التدقيق فى رصدها من مرصد قوى تبدو كأنها بركان هائج . وشكلها كشكل القمع — القمع الذى يسكب فيه الماء إلى القارورة — منفرج كثيراً فى خارجه . وهو قائم فى الجو الشمسى الخارجى المسمى « فوتوسفير » . وأنبوبته تتدلى إلى ما تحت الفوتوسفير . ولما يقذف منه من غاز يظهر بشكل « بالوعة » أى دوامة أو « دردور » وسرعة دوران هذا الدردور هى فى الغالب مرافقة لأصل المجال المغنطيسى الذى فى الشمس . هى بالوعة فوّارة لابلاّعة والغالب أن دورانها لولبى . ثم إن الغازات المتصاعدة منها تحمل معها كثيراً من الذرات المكهربة ومنها تتدفق التيارات الكهرطيسية

وقد أثبت التحقيق أن التيارات التى تتصاعد من السفعة الواحدة ، وهى لا تزال فى الجوف ، إنما هى منخفضة الحرارة عن معدل حرارة سطح الشمس الذى هو ستة آلاف درجة من مقياس سنتيغراد . وحرارة تلك الغازات المتصاعدة لا تتجاوز ألفى درجة سنتيغراد . إذن فلابدع أن يكون تمدد السفع وتضخمها سبب هبوط الحرارة على سطح الأرض وتساقط الأمطار .

ولا يزال هبوط الحرارة هناك مجهول السبب ، على أنها صاعدة من بيئة أشد حرارة من السطح .

والراجح أن المجال المغنطيسي في الشمس ذو صلة بدوران الشمس المحوري. وفي رأي أحد العلماء أن الدردور (أو الدوامة) الأصيل ممتد تحت سطح الشمس على عمق عميق امتداداً أفقياً، ولعله يمتد في دائرة حول باطن الشمس، وأحياناً يلتوي إلى سطحها حيث يطلق من هناك مقادير عظيمة من طاقته . وهذا ما يفسر انطلاق الغاز من نصفي الكرة الشمسية على مقربة من القطبين مدة أسابيع، وهو يعلل ظهور السفع ثم انطفاءها هنا فهناك حيناً بعد حين من غير مواعيد أكيدة . وكذلك يعلل نشاط السفع في اتجاهها نحو خط الاستواء الشمسي .

وقد ظهر من مباحث « هابل » أن للشمس مجالا مغنطيسياً مشابهاً جداً للمجال الأرضي . والقطب الشمالي المغنطيسي كزميله في الأرض . وهو قريب جداً لقطب الدوران الشمالي ولكنه غير مطابق له تمام المطابقة .

وقد لوحظ جيداً أن التغييرات حتى الطفيفة في المحور المغنطيسي تنبثق من الأرض أو ترد إليها بفعل دوران الشمس المحوري . وقد رئي أن القطب المغنطيسي منحرف ٤ درجات عن قطب الدوران . وأن ذاك يدور حول هذا في ٣١ يوماً ونصف اليوم . ومقدار حدته المغنطيسية الشمسية مائة ضعف حدتها الأرضية .

هذه السفع تنشأ في نصفي الكرة الشمسية وكل من الجانبين ضد الآخر في الإيجابية والسلبية . ومتى بلغت أشدها في الضخامة ظهرت الاضطرابات المغنطيسية والكهربائية في الشمس وبالتالي على الأرض .

مدة حياة السفعة الواحدة من يوم إلى ٤ أيام للسفع الصغيرة . وأما السفع الكبيرة فقد تطول حياتها أياماً وأسابيع وأشهراً حتى ١٨ شهراً أحياناً .

ولما كانت السفعة كالدردور أي كالبالوعة تدور على نفسها حول محورها دورة لولبية، فهي ترحل ولو ببطء نحو خط الاستواء الشمسي أومن الشرق إلى الغرب أو بالعكس، والصغيرة منها أسرع من الكبيرة .

أما أقطار هذه السفع فتفاوتة من ٥٠ ميلا إلى ٤٠٠٠٠ و ٥٠٠٠٠ (من أربعين إلى خمسين ألفاً) وأحياناً تبلغ إلى ١٥٠ ألف ميل، وهذا نادر . فطبيعي إذن في هذه الحالة أن يكون تأثيرها على الأرض شديداً جداً . ولا بدع أن تختل الإذاعات اللاسلكية، وأن نرى سفعة كهذه رأي العين عند الضباب، أو من وراء زجاجة مموهة بالسواد، أو إذا كان الجو الأرضي غائماً قليلاً شفافاً . ولا يستغرب القارئ هذا الكبر إذا علم أن حجم الشمس مليون و ٣٠٠ ألف مرة كحجم الأرض، وسمة سطح الشمس ١٣ ألف مرة كسمة سطح الأرض . وإذا وضعنا الكرة الأرضية في السفعة الكبيرة غرقت فيها وبقي حولها فراغ كبير .

أما سبب ظهور هذه السفع فلا يزال مجهولا، وقد ظن أن للكواكب السيارة والرجم تأثيراً في الشمس ولاسيما حين تتقارب بعض السيارات على جانب واحد من الشمس، ويخرج قطب محورها أو يزوغ عن موضعه . ولكن هذا الظن لم يصادف تحبيذاً من جميع العلماء، وإنما يقال بالإجمال في هذا الموضوع إن الطاقة في باطن الشمس حيث الضغط شديد تتفلت هنا وهناك كأن الشمس تتنفس الصعداء لكي تسرّي عن نفسها، فتنفجر الطاقة كانفجار البراكين، وتظهر السفع بشكل فوّهة البركان المنفرجة وتشرع تتسع كاتساع البالوعة التي تدور دوراناً لولبياً، وتتسع وتتسع حتى تبلغ عشرات ثم مئات الألوف من الأميال، وهي تتحرك متجهة إلى خط الاستواء الشمسي . وحين تنشأ السفعة على مقربة من القطب الشمالي تنشأ أخت لها على مقربة من القطب الجنوبي

ومتى صارت كل منهما تدنو من خط الاستواء تشرع تصغر وتتقلص حتى تتلاشى تماماً، ويندر أن تعبر خط الاستواء، ومتى تقاربت السفعتان إلى خط الاستواء تتفانيان متنافيتين تنافي الإيجابية والسلبية .

وجماعات السفع في إبان تضخمها ترى في متوسط كل من نصفي الكرة الشمسية كنطاقين حول الشمس يحزمان نصفيها .

تنشأ السفع هكذا قليلة أو كثيرة، وتتضخم وتترحل من عند القطبين إلى الاستواء على طول السنة عاماً بعد عام، وتبلغ في بعض الأعوام أشدها . وقد لوحظ أن شدتها دورية، كل إحدى عشر سنة تقريباً تحتد مرة احتداداً فائقاً، كما حدث في هذا العام وفي هذا الفصل . وبعد ذلك تخف هذه الحدة رويداً رويداً إلى أن تبلغ درجة التراخي والخمود أو الهمود .

بناء على هذا بعد ١١ سنة تقريباً سيرى سكان الأرض غالباً اشتداد البرد في مثل هذا الفصل، واختلاط اللاسلكي، واضطراب الجو على العموم .

نقولا الحداد

٢ شارع البورصة الجديدة بالقاهرة

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مع الدكتور طه حسين فى الفتنة الكبرى :

أخى الأستاذ

أملى الدكتور طه حسين بك فى كتابه « الفتنة الكبرى » الجزء الأول الآراء الثلاثة التالية :

١ — (وسيرى الذين يقرءون هذا الحديث أن الأمر كان أجل من عثمان وعلى وممن شايعهم وقام من دونهم . وأن غير عثمان لولى خلافة المسلمين فى تلك الظروف التى وليها فيها عثمان لتعرض لمثل ما تعرض له من ضروب المحن والفتن) ص ٥ .

٢ — (هـذه المشكلات الكثيرة التى ثارت من نفسها أو أثيرت أيام عثمان — لا لأن عثمان كان هو الخليفة — بل لأن الوقت كان قد آن ليثور بعض هـذه المشكلات من تلقاء نفسه وليثير الناس بعضها الآخر) ص ٩ .

٣ — (ولـكن لو سار عثمان سيرة عمر ولو لم تدخل قرابته بينه وبين الناس لما كانت الفتنة . ولما احتجنا إلى إملاء هذا الكتاب) ص ١٥٦ .

وإننى لأرى من ظاهر هذه الآراء تضاربها الواضح عند ما يحاول الدكتور تركيز رأيه فى أسباب الفتنة ومشكلاتها . فأرجو من الأستاذ المعداوى أن ييسر لنا الأمر ويوضح ما أراده الدكتور ويدلنا على الحقيقة التاريخية فى هـذا الحدث المهم فى الحياة الإسلامية ... ودمتم عوناً لمحبى المعرفة وطالبى الثقافة الصحيحة .

حسين حسون

معلم للمدرسة الغربية

العراق — الناصرية

أشكر للأستاذ الفاضل حسن ظنه ، وأجيبه بأن هذا التناقض الذى يبدو له من ظاهر هذه الآراء مرجعه إلى أنها تقف وحدها فى رسالته الكريمة ، دون أن ترتبط بما حولها من شروح وملاحظات تتناول أسباب الفتنة ودواعيها ... ولو ربط الأستاذ بينها وبين ما سبقها وجاء بعدها من تحليل لمقدمات الفتنة ونتائجها لانتفى التناقض الذى يبدوله من ظاهر الألفاظ فيما كتب الدكتور طه حسين ؛ هذه الألفاظ التى تحتفظ بدلالتها المعنوية إذا ماطبقت على ما جاء بكتاب « الفتنة الكبرى » من تفسير لمجرى الحوادث ووقائع التاريخ .

يشير الدكتور طه فى الرأى الأول إلى أن غير عثمان لو ولى خلافة المسلمين فى تلك الظروف التى وليها فيها عثمان لتعرض لمثل ما تعرض له من ضروب المحن والفتن ، ثم يشير فى الرأى الثالث إلى أن عثمان لو سار سيرة عمر ولو لم تدخل قرابته بينه وبين الناس لما وقعت الفتنة ... وقد يبدو هنا شىء من التناقض بين الرأيين ؛ لأن كلمة (غير عثمان) فى الرأى الأول قد تنصرف إلى غيره من صحابة الرسول وفيهم عمر بن الخطاب ، ولأن الدكتور قد قطع فى الرأى الثالث بأن عثمان لو سلك مسلك عمر فى معالجة الأمور لما وقعت الفتنة على هذا الوجه الذى وقعت عليه . الواقع أنه لا تناقض هناك ولا شذوذ ؛ لأن الدكتور يقصد من وراء (غير عثمان) أولئك الذين رشحوا للخلافة بعد مقتل عمر وكان من الممكن أن يليها أحدهم لو لم يقع الاختيار على عثمان ... فلو وليها على بن أبى طالب أوعبد الرحمن بن عوف أوسعد بن أبى وقاص أو طلحة بن عبيد الله أو الزبير بن العوام لتعرض كل واحد منهم لمثل ما تعرض له عثمان من ضروب السخط وصنوف الكيد وفنون الوقيعة ! كل ما حدث هو أن عثمان رضى الله عنه قد عجل بوقوع الفتنة بضعفه وتسامحه وقلة خبرته بشئون السياسة وأصول الحكم وطبائع النفوس ، ولوقدر لغيره من هؤلاء الذين أتينا على ذكرهم أن يأخذ الأمور بشىء من الحزم والعنف لأبطأت الفتنة فى سيرها بعض الإبطاء ولتأخرت النهاية عن موعدها بعض التأخير ، ولـكن هذا كله لم يكن ليحول بينهم جميعاً وبين هذا المآل الذى كان بالنسبة إلى عثمان خاتمة المطاف .

هذا التفسير المقبول يمكن أن نعالج به الشق الأول من الرأى الثانى حين يقول الدكتور طه حسين بأن هذه المشكلات التى ثارت من نفسها أو أثيرت أيام عثمان — لا لأن عثمان كان هو الخليفة — بل لأن الوقت كان قد آن ليثور بعض هذه المشكلات

من تلقاء نفسه وليثير الناس بعضها الآخر ... أقول الشق الأول من هذا الرأى لأننا لانستطيع أن نبرئ عثمان من هذه المشكلات التى أثيرت وكان لطبيعته النفسية والخلقية فى إثارتها أكبر أثر وأوفى نصيب . أما تلك المشكلات الأخرى التى ثارت من تلقاء نفسها فأوافق الدكتور طه على أنها لم تثر لأن عثمان هو الخليفة ، بل لأن الوقت كان هو السبب الأول والدافع الأصيل إلى بعثها وإثارتها بعد أن كتمت أنفاسها يد عمر ، وأخمد صوتها حزم عمر وحد من جوحها سوط عمر ... يوم أن كان يدوى فوق الرءوس ويلهب الأجساد ! .

بعض المشكلات أثاره الوقت ولم يكن لعثمان يد فيه وبعضها الآخر أثاره عثمان « الخليفة » بضعفه وتسامحه واستسلامه لذوى قرباه ... أقول هذا لأن هناك كتاباً عن « عثمان بن عفان » يطمس حقائق التاريخ حين ينظر صاحبه إلى الفتنة ودواعيها من وراء هذا المنظار الدينى الساذج الذى يظهر له عثمان فوق مستوى الشبهات والتبعات ! ما هكذا تعالج القضايا التاريخية بوضعها فوق مشرحة العواطف الدينية ؛ إننا لا نستطيع أن نضع على أعيننا هذا المنظار إلا إذا استطعنا أن نلغى العقل والمنطق حين نتحدث عن هذه الفتنة الكبرى دون أن نقدم النتائج مستندة إلى المقدمات ... موقف عثمان من مقتل الهرمزان ، تدليله لقرابته ، إنصافه المنتمين إليه على حساب الناس ، عزله ابن أبى وقاص عن الكوفة ليحل محله الوليد بن عقبة ، إقصاؤه أبا موسى الأشعرى عن البصرة ليضع فى مكانه عبد الله بن عامر ، خلعه عمرو بن العاص عن مصر ليخلفه فيها عبد الله بن أبى سرح ، إيثاره الحكم بن العاص طريد الرسول ، إغداقه المال على مروان بن الحكم صفيه المقرب ، خضوعه لتوجيهات معاوية فى نفى أبى ذر ، اعتداؤه أو اعتداء رسوله على عمار بن ياسر ... كل هذه الأمور وأشباهها قد فرقت الشمل وعصفت بالصفوف ، لأن عثمان كان هو الخليفة ، ولئن كان السخط قد ولد فى النفوس هذا الانفجار ، فلأن عثمان قد شارك فى الأمر بضعف رأيه وقصور نظره وسقوط هيبته !

أما المشكلة الكبرى التى أثارها الوقت ولم يكن لعثمان فيها ذنب ولا جريرة ، فهى اتساع رقعة الفتوح ، وتدفق الأموال ، وانطلاق الأرستقراطية القرشية من معاقلها انطلاق الأسود السجينة قد تخلت عن زجرها قبضة السجان . ولم تكن القبضة الجبارة غير قبضة الجبار العادل عمر بن الخطاب لقد كان عمر يقف أبداً فى طريق هذه الارستقراطية التى لا يصدها جشع ولا يحدها طموح ، لأنه كان أخبر الناس بالطبيعة القرشية إذا ما خلى بينها وبين ما تطمح إليه من سؤدد وما تطمع فيه من سلطان ... الدرة فى يمينه تخشع لرؤيتها رءوس السادة من قريش والكلمة تحت لسانه تخضع لسطوتها نفوس السادة من قريش : « ألا إن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ألا فأما وابن الخطاب حى فلا ، إنى قائم دون شعب الحرة آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا فى النار » !

ولكن عمر يموت وتتنفس قريش بملء رئتيها بعد أن لقيت العواطف المكبوتة ما لقيت من قسوة الكبت ومرارة الحرمان ، وما كان لرجل غير عمر أن يقف فى وجه هذه القوة المتحفزة للتوثب والانطلاق فى غير حكمة ولا روية ولا اتزان ... لا هذا الخليفة المستضعف ولا هؤلاء الذين قاموا من بعده ليخلفوه ، لأن الأرض لم تظفر بغير عمر واحد لا شبيه له فى العدل ولا النظير !

فى رحاب الوقت على التحقيق ثارت من تلقاء نفسها هذه المشكلة الرئيسية وما تفرع عنها من مشكلات ، وفى رحاب عثمان على التحقيق أثار الناس وأثار هو ما جد بعد ذلك من أزمات !

دفاع مضحك عن السير ريالزم :

يذكر القراء أننى تناولت مذهب السير ريالزم بالنقد فى عددين سابقين « من الرسالة » ، حيث تحدثت عنه فى مجال الأدب والفن عند عميديه فى فرنسا : بريتون وبيكاسو ... ويذكرون أيضاً أننى رميت هذا المذهب بأنه شعوذة فنية لا أكثر ولا أقل ، وبأنه « لخبطة » ولا شىء غير « اللخبطة » ! قلت هذا فتصدى للرد على فى جريدة « البصير » التى تصدر فى الإسكندرية أديب لا داعى لذكر اسمه لأن أحداً لا يعرفه ... ولقد هاجمنى الأديب الإسكندرى فى بداية كلمته حتى خيل إلى أنه يمت بصلة القرابة إلى مسيو أندريه بريتون أو أنه على الأقل أحد تلاميذه النابغين !

قال الأديب النابغ بعد تهجمه النابغ : « وبذلك شاء الأستاذ المداوى أن يقضى بجرة قلم على مدرسة فنية ذات شهرة

ذائعة ترتكز إلى مبادىء يدين بها فنانون هم الآن فى طليعة حركة التجديد ، يكفينا أن نذكر اسم زعيمهم (بيكاسو) للتدليل على أهمية ثورتهم على التقاليد القديمة . وبيكاسو فنان معاصر ، مبدع مذهب السير ريالزم ، ولنا إلى تاريخ حياته رجعة . إنما حديثنا اليوم حول موضوع السير ريالزم فى حوار مع (نيكولا كالاس) وهو شاعر يونانى يعيش الآن فى نيويورك ، وقد طبع له فى باريس منذ عشر سنوات كتاب (النقد الفلسفى) من أجمل ما يتضمنه ما جاء فى موضوعنا .

— ما هى أغراض السير ريالزم ؟

— يرمى السير ريالزم إلى التقليل — إن لم يكن التخلص نهائياً — من المتناقضات المفضوحة القائمة بين الحلم والحياة المستيقظة ، أو بين الخيال والواقع ، أو بين الشعور واللاشعور . ويرمى أيضاً إلى الخروج بالشعر من (غرفات) الشعراء المشهورين إلى عالم واسع الجنبات ، يصبح فيه هذا الشعر ملكا مشاعاً للجميع ! .

— ولكن ألم يكن الشعر أو التصوير ملكا مشاعاً للجماعات !

— لم يكن الشعر أو التصوير ملكا للجماهير على النحو الذى يقصده السير ريالزم . فيما مضى كان الشعر والتصوير مجرد تضليل وخداع للفرد . أما الآن فالسير ريالزم يفهمهما على أنهما تعبير عن أعمق الرغبات التى تختلج فى أعماق الفرد .

— ما هى أهم قواعد السير ريالزم ؟

— الشىء الذى يجب أن يكون نصب أعيننا دائماً هو الحقيقة والحقيقة لا ضير عليها مع التخفى وعدم التصريح ! بل إننا باتباعنا هذه السبيل إنما نساعد على التحلل من القيود الشكلية وهذا يعتبر من أظهر أهدافنا ! .

إلى هنا ونكتفى بهذا القدر من كلمات هذا الشاعر اليونانى المخرف ... وأى تخريف أروع من قوله بأن الحقيقة لا ضير عليها من التخفى وعدم الوضوح ؟ لست أدرى كيف تختفى الحقيقة عن أعيننا وأذهاننا ثم يتهيأ لنا القول بأننا قد عثرنا على الحقيقة ، ولست أدرى كيف نعيش فى ظلام الحيرة من الفهم لأهداف المذهب السريالى فى لوحة فنية أو قطعة شعرية ثم يتيسر لنا القول بأننا نعمل فى رحاب النور ! أليس من المضحك حقاً أن يذهب السرياليون إلى أن الشعر والتصوير كانا مجرد تضليل وخداع للفرد ، وأن السير ريالزم هو وحده الذى ينهض بهما إلى مستوى رفيع من التعبير عن أعمق الرغبات ؟ ! ... تصور أن الغموض ينهض بالوضوح ، وأن المجهول ينهض بالمعلوم ، وأن الشعوذة تنهض بالعقل ، وأن الخيال السقيم ينهض بالمعنى الجميل ! هل تستطيع أن تتصور ؟ لا أظن ... اللهم إلا إذا فقدنا نعمة الذوق والشعور ! !

حقوق المرأة المصرية بين الأنصار والخصوم :

تدور منذ أيام على صفحات الصحف اليومية معركة حول مطالبة المرأة المصرية بحقوقها السياسية ، وفى هذا الموضوع قرأت فى « الأهرام » كلمة « موزونة » للأستاذ محمد زكى عبد القادر يقول فيها : « ... وذكرت أنه منذ سنوات دخلت الفتاة المصرية المحكمة وعليها روب المحاماة ، وحسب الرجال أن الفتيات سيهرعن إلى هذا الروب ، ولكن المهنة الشاقة ظلت وقفاً على الرجال ! ... لو كنت صاحب سلطان لفتحت أبواب البرلمان ومنصات الوزارة للمرأة ، وأطلقت لها كل عمل تزاوله كما تشاء ، واثقاً أنها ستظل حتى وهى فى أوج السلطان ، يسعدها أن تسمع من رجل كلمة إعجاب أضعاف ما يسعدها أن تبلغ كرسى الوزارة ! » .

هذا الذى يقوله الأستاذ زكى عبد القادر يقرر الواقع بلا جدال ... وكم أود — لضيق النطاق — أن أسأل المطالبين بحقوق المرأة سؤالا واحداً لا أنتظر الجواب عنه : كم فى مصر من المثقفات اللائى يستطعن النهوض بهذا العبء الخطير ويشاركن بثقافتهن الناضجة فى ركب الحياة السياسية ؟

إننى أنظر فلا أرى منهن من تعينها ثقافتها على تحمل المسئولية الضخمة غير عدد ضئيل لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، ومع ذلك فقد بحت الأصوات من المطالبة بحقوق المرأة فى مصر ... بالله خففوا من هذه الغلواء ، وإذا قال واحد منكم بأن الجامعة يمكن أن تخرج لنا جيلا ناهضاً من الفتيات المثقفات فقد كذب على الواقع الذى لمسته يوم أن كنت فى الجامعة ؛ إن الفتاة المصرية لا تذهب إلى الجامعة طلباً للعلم ... ولكنها تذهب إليها طلباً للزوج !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

عراك فكرى بندوة الرسالة :

لقد أصبحت محنة فلسطين والحوادث التى وقعت أخيراً على مسرحها ومن أجلها — محنة لأفكارنا ومشاعرنا فى هذه الأيام ابتلينا ولا نزال نبتلى بها من أفراد نحمد الله على أنهم قلة لا يعبأ بها . أفراد من مواطنينا اضطربت أفكارهم واختلطت عليهم حقائق الأمور من جراء تلك الحوادث ، فصاروا يجادلوننا فى « العروبة » فيخلطون بين حقيقة الوحدة الخالدة وروح الشعوب المتآخية وبين اختلاف الساسة وتهويم الجامعة .

ألحت علىَّ تلك المقدمة فلم أجد مناصاً منها ، على كراهيتى للمقدمات ، قبل أن أدخل إلى « ندوة الرسالة » حيث اعتركت فى هذا الموضوع وما تفرع منه — أفكار جماعة من أدباء العرب : من مصر ، ومن لبنان ، ومن العراق . كان أحد طرفى المعركة الدكتور فلان ، ولا أسميه خشية أن يعتبر ما قاله مما يُتحدث به فى المجالس ويُتحرَّج من نشره ، ويكفى أن أذكر أنه كاتب معروف ، وكان يكتب بالرسالة فيما مضى ، وهو إلى ذلك من هيئة التدريس بالجامعة . أما الطرف الثانى فهم سائر من كان فى الندوة وعلى رأسهم الأستاذ الزيات عميد الرسالة ، والباقون هم الأساتذة محمود الخفيف ، وكامل حبيب ، ومحمد على الحومانى وإبراهيم الوائلى ، وكاتب هذه السطور .

وقد كنا أو كان الطرف الثانى يناقش الدكتور (الطرف الأول) فتخطرلهم الفكرة الواحدة أو يورد أحدهم خاطراً ويأتى آخر بحجة أخرى ؛ وسأورد ما علق بذهنى من ذلك جملة ، أى من غير تفصيل وإسناد إلى فلان أو فلان ، وأضيف إليه ما خطر لى بعد الجلسة ؛ وقد ذكرت الأسماء لما لأصحابها من فضل فى المناقشة ، وعلى أى حال ليس بين الخيرين حساب ...

كان مثار المناقشة ما تضمنه « كشكول الأسبوع » فى الأسبوع الأسبق من الإشارة إلى ما نشرته إحدى الصحف لأحد قرائها من استنكاره ترحيب مصر بأبناء شقيقاتها العربية وتعليمهم فى معاهدها ، ومقارنة ذلك بما أبدته الحكومة الأسبانية من الاستعداد لقبول بعثة من الطلبة المصريين على نفقتها فى جامعاتها . بدأ الحديث بالدهشة لذلك الذى نشر فى تلك الصحيفة فانبرى الدكتور يقول :

— أتريدون الحق ؟ إن أبناء مصر أولى .. ويجب ألا نبذل جهداً أو مالا لغيرنا ونحن فى حاجة إليه ، وكفى ما بذلنا ..

فجاءه الرد يقول :

— يا أخى ، كيف تقول بهذا ؟ أتنكر التعاون العلمى بين الشعوب العربية ؟ وإذا كانت الهيئات العالمية تدعو العالم كله إلى التعاون الثقافى أفلا يجدر ذلك بالبلاد العربية وهى ذات لغة واحدة وثقافة مشتركة ؟ ولم التفاضل بين المصريين وغيرهم فى هذا المجال ؟ وبم يؤثر هذا القدر الذى تبذله مصر لتعليم أبناء شقيقاتها فى تعليم أبنائها ؟ وإذا كانت الجامعات الغربية تفتح أبوابها للطلبة من مصر وغيرها من البلاد العربية أفتقفل مصر أبواب جامعاتها ومعاهدها فى وجوه شقيقاتها ؟ على أن ما نبذله من مال أو جهد فى الميدان العربى على اختلاف جوانبه إنما نبذله فى تعزيز القومية العربية التى يدفع إليها وعى الشعوب العربية ، والتى تدعو إلى التكتل والتعاون والتقارب ، والتى لا ينال منها إخفاق فى تجربة سياسية أو فشل من جراء الألاعيب الخارجية والدسائس الاستعمارية .

قال الدكتور : لا اعتبار عندى لكل هذا ، إنما مدار الأمر فى نظرى على ما نستفيده نحن ؛ ونحوا عنى ألفاظ العروبة والوحدة والأخوة ، أنا أريد استفادة مادية .

— أنت أحد المؤلفين المصريين ، فلك عدة كتب ولا شك أنه قد وزع منها عدد كبير فى البلاد الشقيقة ربما يكون قد غطى نفقات الطبع إن لم يكن جلب ربحاً ، فما نظن ما وزع فى مصر كافياً لذلك ، هذا مثل قريب لاصق بشخصك نسوقه إليك مجاراة لمقياسك المادى ، وإذا كان لا بد من هذا المقياس فإن الاستفادة لا ينبغى أن تقصر على الفوائد الوقتية والمنافع القريبة ، فإن مصر

أغنى البلاد العربية وأكثرها حظاً من العلم والثقافة ، وهى إذ تمد يدها إلى شقيقاتها وتتيح لها ما ينقصها فإنها تكسب مودتها وثقتها فتتحول إليها بدل أن تتجه إلى الأمم الغربية ، والشقيقات ولا شك يستفدن من مصر ، لأن معاملة مصر لها تختلف عن معاملة الغرب من حيث الإخلاص أو على الأقل من حيث تجرد مصر من المطامع التى ينطوى عليها الغرب فتحمله على عرقلة تقدمها . أما فائدة مصر مما تتيحه لسائر البلدان العربية من التقدم فهى أنها تجد فيها أخوات قوية قادرة على مبادلة النفع بالنفع . ولم لا تقول معنا إنها تكون حينئذ أجزاء متينة فى الكل العام وهو الكيان العربى؟ والفائدة إذن هى كفائدة الفرد مما يعود على الجماعة من الخير العام . ثم قل لنا يا أخانا فى أى سبيل كانت مصر ولا تزال تبذل للأجانب من الغربيين ؟ وهل استفادت مصر من كل ما أغدقته على هؤلاء ؟ بل هل نجحت من تشهيرهم بها وتقولهم عليها ؟ وما هى الفوائد التى يجنيها الشعب المصرى من فرق الممثلين والراقصات التى تجلب إلى مصر كل عام ؟

قال الدكتور : ما دامت هناك استفادة فأنا مسلم بما تريدون .

ولم يرد الأستاذ الخفيف أن تنتهى المناقشة عند هذا الحد فقد أقبل فى أثنائها ولم يحضر أولها ، فلم يشبع من منازلة صديقه الدكتور ، فأعلن أنه يريد أن يصفى معه الحساب هذه الليلة فى قضية طالما أتعبه بالجدال فيها ، وكان الأستاذ الخفيف يعانى ألماً فى الحلق وبحة فى الصوت ، فما استشعر الحماس للنزال حتى لان حلقه وتوضح جرسه ، قال :

ألا تعلمون أن هذه الأفكار منشؤها عند الدكتور أنه لا يؤمن إلا بالغرب فى كل شىء وينكر الشرق والعروبة وما إليهما ، ويرى أنه يجب أن نغلق هذا الباب الشرقى ونفتح الباب إلى الغرب على مصراعيه فنقطع كل صلة بماضينا وعروبتنا ونأخذ عن الغرب كل شىء بل نسعى إلى الاندماج فيه . . ؟

اتجه الجميع إلى الدكتور مندهشين ، ونظراتهم تسأله : أحقاً ترى هذا ؟!

قال الدكتور نعم ... فأنا أتصور مثلا أنى مدير جامعة ، وأردت أن أضع برنامجاً لدراستها فهل أجد غير العلوم الغربية ؟ ليس فى الشرق ما يستحق أن

كشكول الأسبوع

□ انتهت لجنة جوائز فؤاد الأول الأدبية من مهمتها فى فحص الكتب الأدبية ، واختارت الكتاب الذى يستحق صاحبه جائزة فؤاد الأول للآداب عن سنة ١٩٤٩ ، ورفعت قرارها إلى معالى وزير المعارف . والكتاب الذى تقرر إجازته من الأدب الوصفى ، ومؤلفه أحد كبار الأدباء ممن لم ينالوا الجائزة فى العام الماضى . وسيعلن ذلك يوم الاحتفال بذكرى المغفور له الملك فؤاد الأول يوم ٢٨ إبريل الحالى .

□ تلقى مجمع فؤاد الأول للغة العربية رسالة من هامبورج كتبها إليه الدكتور شاده الذى كان مديراً لدار الكتب الخديوية بمصر ، نعى فيها الدكتور فيشر المستشرق الألمانى وعضو المجمع ، وقال إنه توفى فى فبراير الماضى بالمنطقة الروسية من ألمانيا ، وقد كتب المجمع إلى وزارة الخارجية لتتحرى حقيقة هذا النبأ ، كى يتحقق المجمع صحته قبل أن يعلن خلو المكان .

□ « اللص يوسف وهبى . اللص توفيق الحكيم . اللص زكى طليمات » هكذا ظهرت الإعلانات فى الصحف عن مسرحية « اللص » الجديدة ... وقد قيل للأستاذ توفيق الحكيم إن الإعلان هكذا غير لائق . فأجاب بأن مما يعزيه أن له شريكين ...

□ تألفت لجنة لتخليد ذكرى المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق ، رئيسها لطفى السيد باشا ، وأعضاؤها الدكتور طه حسين بك وأحمد عبد الغفار باشا ومنصور فهمى باشا والدكتور ابراهيم مدكور ، وقد جعلت اللجنة من عملها جمع آثاره الأدبية وطبعها ونشرها .

□ يشكو الصحفيون ورجال الفكر فى لبنان من قانون المطبوعات الذى صدر هناك أخيراً والذى يحاكم بمقتضاه الآن كثير منهم .

□ يقوم قسم التشريع فى مجلس الدولة بإعداد مشروع قانون لحماية الملكية الأدبية والفنية ، وذلك تمهيداً لعرضه على البرلمان .

□ جاء من جرينسبوز بالولايات المتحدة أن الاستعداد يجرى هناك لإعداد البعثة التى ستقوم بالبحث عن سفينة نوح فوق جبل أرارات فى شمال تركيا . ويقول الدكتور سميث رئيس البعثة إنه يريد بكشف السفينة الرد على سخرية العلم بقصة الطوفان .

□ وافقت لجنة النهوض بالسينما التى يرأسها وزير الشؤون الاجتماعية على اشتراك مصر فى مهرجان السينما الدولى الذى يقام بمدينة « كان » فى سبتمبر القادم ، واختارت ثلاثة أفلام مصرية لعرضها فى مهرجان المؤتمر .

□ كانت الجامعة العربية قد طلبت من الحكومة التركية أن تأذن لها فى إيفاد بعثة علمية لفحص ما فى مكتبات تركيا من المخطوطات العربية وتصويرها ، فأذنت مرحبة . وقد سافرت فعلا البعثة برياسة مدير معهد المخطوطات بالجامعة ، وهى الآن تواصل عملها هناك ، وقد ورد منها أنها تفحص حوالى ١٢٠ ألف مخطوط ، وصورت عدداً كبيراً منها ، وتأمل أن تفرغ من مهمتها فى ثلاثة أشهر .

يدرس ، وحتى الثقافة العربية أكتفى منها بما درسه وحققه المستشرقون ، ولا قيمة لما عدا ذلك !! وأنا لا أرى أن هناك إنسان متقدم وإنسان متأخر ، وإنى أراكم تلوكون كلمة العروبة فمن هم العرب ؟!

ارتفعت درجة الحرارة فى المجلس ، وتدفقت الردود تقول :

— أتسأل عن العرب ؟ نحن العرب ... نحن العرب بوراثاتنا التاريخية وما كسبناه ومزجناه بها من الثقافات المصرية ، نحن العرب الذين نتحـــد فى قيمنا الروحية واتجاهاتنا الفكرية والاجتماعية ، ونختلف فى كل ذلك عن الغرب . وها نحن أولاء فى مجلسنا هذا نمثل ثلاثاً من الدول العربية ، يطبعنا طابع واحد فى التفكير والمشاعر ، ونتشابه حتى فى الشكل والسحنة ، لا يختلف مصرى عن عراقى أو لبنانى إلا كما يختلف أبناء الأمة الواحدة من حيث الفروق الفردية ، ولو أننا انتقلنا بكامل هيئتنا إلى مجتمع أفرنجى لأحسسنا أننا غرباء عنه ولتزايل الدم من الدم ...

وليس معنى أن نأخذ العلوم والمخترعات الحديثة عن الغرب أن نفقد شخصيتنا ونفنى فيه . وإذا كنا الآن نأخذ من الغرب علومه فقد أخذ كثيراً من حضارتنا وعلومنا واستعان بها فى فى نهضته الحديثة ، وفى مكتبات أوربا نحو خمسمائة مجلد فى الإشادة بالحضارة العربية وما أسدت إلى العالم الغربى .

إننا لا نغلق الباب الغربى بل نحن دائبون على الاتصال بالغرب والاقتباس منه والانتفاع بحضارته ، فلم تقول أنت بغلق الباب الشرقى وقطع الصلة بماضينا وثقافتنا العربية بما فيها من آداب وعلوم وفنون ؟ ولا شك أننا استطعنا فى نهضتنا أن نكون ثقافة عربية حديثة مبنية على تراثنا الثقافى وعلى ما قبسناه من الثقافة الغربية ، وعجيب أن تدعو إلى ما درسه المستشرقون من الثقافة العربية وفى نفس الوقت تدعونا إلى هجر هـذه الثقافة فأنت تحرم علينا ثقافتنا وتبيحها للمستشرقين !

على أن ثقافة الغرب إما علوم أو آداب وفنون ، فالعلوم نتلقاها منه باعتبارها أدوات لتنظيم الحياة وتيسير وسائلها ، أما الآداب والفنون ، وهى ألصق بالأرواح والمشاعر ، فنقتبس منها ما يلائمنا لنضيفه إلى آدابنا وفنوننا التى هى الأساس فى ذلك لأنها نتاج بيئتنا وصورة حياتنا ومرآة نفوسنا .

وهنا قال الدكتور :

— ما هى فنوننا ؟ هل عندنا موسيقى كالموسيقى العالمية ؟

— فنوننا هى التى نتذوقها ، وإن كان فيها نقص فإننا فى سبيل استكماله . ونحن نتذوق موسيقانا ونطرب للجيد منها ولا يضيرنا أن غيرنا لا يستسيغها ، وماذا يهمنا من كلمة « عالمية » ما دام الوصف بها لا يقدم ولا يؤخر بالنسبة لأذواقنا ؟

— إن الطفل يضرب (الصفيحة) بالعصا ويسر لما يحدثه ذلك من صوت ، فهل معنى ذلك أنه موسيقى راقية ؟

— إن هذا التشبيه يمكن أن ينطبق على الموسيقى الغربية بالنسبة للشرقى الذى لا يرى فيها إلا تصديعاً للرءوس .

نحن نسمع مثلا موسيقى عبـد الوهاب وغناء أم كلثوم ، وغير عبد الوهاب وأم كلثوم من فنانينا المجيدين ، فنتذوق فنهم ونسر به ، لأنه يعبر عن مشـاعرنا ويخاطب قلوبنا ، فهو منا وإلينا ، ولذلك نشعر بقرب الموسيقى الأسبانية من نفوسنا أكثر من موسيقى البلاد الأوربية الأخرى ، لأن الأسبانية تنزع إلى أصل عربى كان فى الأندلس . وليس مما يقع أن تحول مشير الذياع إلى محطة أجنبية ، وأم كلثوم تذيع إحدى حفلاتها الغنائية ، لتسمع بدلا منها ثغاء إحدى الفرنسيات أو الإنجليزيات .

قال الدكتور وهو يتهيأ للانصراف : إن تذوق الموسيقى الأوربية يحتاج إلى تربية وتثقيف .

فسأله أحد الجماعة : عمن أخذ الأوربيون موسيقى (الجاز) ؟ فسكت ، وناب عنه من أجاب : من موسيقى الزنوج ...

ثم انصرف قبل أن يبدى رأيه فى تذوق موسيقى الزنوج وهل يحتاج إلى تربية وتثقيف ...

عباس خضر

الكتب

الموالى فى العصر الأموى

تأليف الأستاذ محمد الطيب النجار

بقلم الدكتور محمد يوسف موسى

كنت دائماً أرى أنه من الخير أن نغير من فهمنا للتاريخ عامة والإسلامى خاصة ، ومن الغاية التى ندرسه من أجلها ، ومن المنهاج الذى نصطنعه فى دراسته . فقد اعتاد الباحثون فى التاريخ العناية التامة بالأحداث السياسية فى كل تفاصيلها ، ولكنهم يهملون تماماً أو يكادون التأريخ للنواحى الاجتماعية والفكرية ونحو ذلك من مقومات الحضارة الإسلامية ، هذه النواحى التى توفر على دراستها واستخراج النتائج والعبر منها نفر من أفاضل المستشرقين .

كنت دائماً إذاً أنقد طريقتنا فى دراسة تاريخنا الإسلامى ، وأدعو إلى الأخذ بطريقة أخرى تكون غايتها الأولى دراسة الحضارة الإسلامية ؛ بمعنى ألا نسرف فى العناية بالناحية السياسية ، هذه الناحية التى لا يجب أن يكون القصد من دراستها إلا بالقدر الذى يتيح لنا أن نفهم تماماً ما كان من تطور فى نواحى الاجتماع والفكر وما يتصل بذلك من ألوان الحضارة .

من أجل ذلك أرانى مسروراً حقاً إذ أقدم لقراء « الرسالة » كتاب «الموالى فى العصر الأموى» لمؤلفه الفاضل الأستاذ الشيخ محمد الطيب النجار أحد أساتذة التاريخ الإسلامى بالأزهر، والحائز لدرجة الأستاذية فى التاريخ . إن هذا الكتاب ، فى الغاية التى قصدها المؤلف ، وفى المنهاج الذى سار عليه ، يحقق ما كنت أرى أن يكون فى دراسة التاريخ الإسلامى .

بحث الأستاذ — وقد أخذ نفسه حقاً بالحيدة التامة إزاء صراع الأحزاب والمذاهب ، وبأن يكون غرضه البحث عن الحقيقة وحدها — فى الفصل الأول من الكتاب نشأة الرق فى الإسلام والعصبية العربية التى تحولت فيا بعد إلى عصبية إسلامية ، وحالة الموالى الاجتماعية قبل العصر الأموى . وفى الفصل الثانى توفر فى بحثه على تصوير حالة الموالى فى العصر الأموى ، هذا العصر الذى كان يموج بالعصبية موجاً حتى كان نافع بن جبير بن مطعم إذا مرت به جنازة قال : « من هذا ؟ فإن قالوا قرشى قال وا قوماه ! وإذا قالوا عربى قال وا بلوتاه ! وإذا قالوا مولى قال هذا مال الله يأخذ مايشاء ويدع مايشاء »! ص٣٥ .

وفى الفصلين الثالث والرابع تناول بالبحث سياسة الدولة الأموية نحو الموالى ، وكيف وجد الأمويون أنفسهم فى هذه المشكلة بين تيارين عنيفين : الإسلام وما يدعو إليه من عدالة عامة ومساواة بين الأجناس ، والعصبية الجنسية العربية الحادة التى لم تقبل هوادة إلا فى عهد عمر بن عبد العزيز . وانتهى البحث بالإشارة إلى أن الموالى لم يجدوا لأنفسهم فرجاً إلا فى التوفر على العلم والسيطرة على الحركة الفكرية فكان لهم من الرفعة من هذا السبيل عوض ما فاتهم بسبب التعصب عليهم من الدولة والأفراد ؛ ثم مقاومة تيار العصبية العربية بتيار آخر قوى هو تيار الشعوبية ؛ وأخيراً مؤازرة الحركات الثورية ، التى انتهت بزوال الدولة الأموية ، وذلك لكى ينتقموا لأنفسهم ، وتكون دولة جديدة يكون لهم فيها مركز السيادة والقيادة .

هذه الوسائل الثلاث ، التى حاولوا بها استرجاع مجدهم الذى قضى عليه الإسلام ، هى موضوعات الفصول الأخيرة من الكتاب . وبعدها كانت خاتمة ونتيجة البحث كله ، ثم بحث خاص بالرق والولاء فى الإسلام لصلة هاتين المسألتين بموضوع البحث العام الأصيل .

هذا هو موضوع الكتاب الذى نقدمه الآن للقراء ؛ وقد رجع المؤلف فى بحثه إلى أمهات المراجع الأصيلة العربية والأجنبية ، وسار فى معالجته على نور وبصيرة وفى أسلوب علمى واضح ؛ وإن كان النقد الدقيق يجد فى لغته وأسلوبه أيضاً بعض الهنات .

وهنا أجهر مرة أخرى بكل قوة بضرورة أن يخرج الأزهر من بقية الجمود الذى يلابسه فيعنى عناية شديدة باللغات الغربية ، ويقرر دراسة بعضها دراسة جدية منذ أول مرحلة الدراسة الثانوية ، بحيث لا ينتهى الطالب من الدراسة العالية حتى يكون أجاد لغة واحدة على الأقل وألم بلغة أخرى . ذلك ضرورى وبديهى لطلاب الأزهر ، إذا أردنا أن يكون منهم علماء حقاً ، وإذا كنا حقاً جادين فى دراساتنا .

محمد يوسف موسى

البريد الأدبي

الفن بين الابداع والاستمتاع :

حفلت قاعة المحاضرات بمعهد التربية العالى بالاسكندرية مساء الإثنين ١٧ ابريل بجمع كبير من رجال الأدب والتربية والتعليم بسماع المحاضرة التى ألقاها الأستاذ — أحمد زكى — عن موضوع الفن بين الإبداع والاستمتاع . وحاول فيها أن يفسر نفسية المبدع أو المنشيء ونفسية المستمتع على ضوء علم النفس . فاستطاع أن يعرض أحدث ما بلغه علم النفس فى تفسير نفسية كل من الفنان الخالق والمستمتع .

وسأحاول أن أقدم إلى القارىء خلاصة تلك المحاضرة : فقد ابتدأ بتعريف الفن بأنه الطبيعة نفسها موشاة بوجدان الفنان ، وأن عمل الفنان يقوم على التفاعل بين الشعور وبين اللاشعور ، أى بين الوعى والعقل الباطن ، وهى الحالة التى تعرف بحالة الوحى الفنى . وفيها تخف وطأة الرقيب على اللاشعور فيظفر الفنان بذلك الإنتاج الذى قد يعجب هو نفسه كيف تأتى له .

وهذه الظاهرة هى ما كانت تسمى قديماً بشياطين الشعر . ثم تناول نفسية المستمع وقسمها إلى طوائف أربع :

الطائفة الترابطية : وتقدر جمال الفن على قدر ما يثيره هذا الفن فى نفوسهم من ذكريات . فتتوقف قيمته على ما يحمل من هذه الخصائص .

الطائفة الذاتية : وتقيس الفن بمعيار تأثيره على إحساساتهم وكلما زاد الأثر الفنى فى تأثيره على حاسة من حواسهم كاللون مثلا كان تأثيرهم أشد وانفعالهم أكثر .

الطائفة الموضوعية : وهؤلاء هم أندر الطوائف بين المستمتعين بالآثار الأدبية وهم ما يعرفون بنقاد الفن وواضعى مقاييس نقده . فهم يقفون من الأثر الفنى موقفاً موضوعياً ويحاولون بيان ما فيه من أسرار الفن ودلائل العبقرية ، ولا يدعون لتأثرهم الشخصى دخل كبير فى تقويم هذه الآثار .

الطائفة التعبيرية : وهم يخلعون على الاشياء والظواهر الطبيعية صفات إنسانية عامة مثل البحر غاضب والأمواج تختال الخ . .

ثم تناول بعد ذلك المذهب الذى كان يذهب إلى أن الجمال عبارة عن نسب عددية ، بمعنى أن الوجه الإنسانى يجب أن يكون بالنسبة للجسم كله بمقدار كذا حتى تصبح الصورة جميلة . وأبان بطلانه . ثم أشار إلى تأثير هذا التقسيم فى الاستمتاع بالفن ، ومقياسه مما حمل بعض الناس على القول بأن الجمال ذاتى لا موضوعى . ولكن لاشك فى أن الجمال موضوعي إلى حد كبير ، ولا بد له من عاملين أساسيين هما الوحدة والتنوع . فالوحدة هى المحور الذى يدور حوله العمل الفنى والتنوع هو الذى يلون الصور ويساوق بينها حتى يتم خلقها . وتتمثل الوحدة فى القصة فى الحبكة ، وفى الصورة بوحدتها العامة ، وهى أن كل ما فيها من ألوان يخضع لغرض عام ، ويهدف إلى تحقيق غرض معين . والمستمتع عادة لا يبحث فى العمل الفنى عن كل هذه الخصائص حتى يستمتع ، بل هو يحس ما فيه من اضطراب لم يستطع أن يثيره عنده ما هو خليق بأثارته ، وهو ما يعرف مثلا فى اللحن بالنشاز . ثم لم ينس المحاضر أنه فى معهد التربية وبين مدرسين فختم محاضرته بالإشارة إلى وجوب الوحدة والتنوع فى الدرس حتى يثير فى نفسية الطفل الإحساسات المختلفة ويبعث يقظته للدرس . ويتعهد جوانب شخصيته المختلفة من وجدانية ومزاجية وفكرية ، لأن المدرس الحديث يجب أن يعنى بكل هذه الجوانب حتى يتسنى إخراج الشخصية المتكاملة ، لا أن نعنى بأفكار التلاميذ ، ونهمل جوانبهم الأخرى فنخرج رجالا حظهم من تكامل الشخصية ضئيل .

محمد عبد الحليم أبو زيد
دبلوم فى التربية وعلم النفس

١ — المزة :

فى مساء ١٣ إبريل حدثنا بالمذياع الدكتور عزي بك عن حالة سورية بعد الانقلاب الأخير ، وعرض لنزول الوطنى الكبير السيد القوتلى اليوم فى (المزة) ونطق بها بفتح للميم ، والصواب

كسرها على ما فى معجم البلدان والقاموس المحيط وغيرهما ، بل طبعت مكتبة القدسى بالقاهرة لعشرين سنة خلت رسالة خاصة بتاريخ هذه البلدة اسمها (المعزة) وفيها النص على ضبطها بذلك

٢ — سيف بن عمر المؤرخ :

يقول الدكتور جواد على فى عدد « الرسالة ٨٢٣ » : (سيف بن عمر الذى هو موضع ثقة الطبرى) . ويقول العلامة الكوثرى فى مقالة له فى ذلك : سيف بن عمر يقول عنه أبو حاتم : متروك الحديث ، يشبه حديثه حديث الواقدى . وقال الحاكم : اتهم بالزندقة وضعفه غير واحد . والطبرى نفسه يقول : لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج . . ، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا .

عبد الله معروف

الضبع مؤنثة :

جرت الصحف على تسمية القائد المظفر بطل الفلوجة « الضبع الأسود » ، وألمت إحداها أنه يغضى عن تلك التسمية مبدياً الغضاضة ، ولديه الحق فى إغضائه وغضاضته ، لأن « الضبع » مؤنثة ، وليست — كما هو شائع — ذات فتك ، بل متسمة بالجبن ، فالمقام ناه عن الاتسام بها ، وأين الألقاب فى دولة الآساد ؟

إن مذكرها « ضِبْعان » ، والجمع « ضباعين » ، وأنثاه — بتلك الصيغة — « ضبعانة » ، والجمع « ضبعانات » ، وجمع الذكر والأنثى « ضباع » ، وتحياتنا « للأسد الأسود ! »

(بورسعيد) أحمد عبد اللطيف بدر

ليت العربية تزحف :

يمتلئ القلب سروراً — ولا شك — حين تزحف اللغة العربية على يد وزير المعارف ويرتفع لواؤها على مكاتب السفراء ورجال السلك السياسى الأجنبي ، فليس هناك — كما يقول الأستاذ العباس — لغة حية ولغة ميتة . ومن حقنا أن نكتب بلغتنا لمن نشاء

ذكرت — بهذه المناسبة — أن مكتب الجوازات بوزارة الداخلية المصرية يضع تأشيرة الإقامة على جوازات أبناء البلاد العربية باللغة الأجنبية ؛ فقلت لنفسي : ألا ليت اللغة العربية تزحف إلى هذا المكتب ... فأرى تأشيرة الإقامة على كل جواز — ولو كان أجنبياً — بلغتنا القومية . فليس فى الكرامة مجاملة أعز الله هذه اللغة وأهلها .

(فتى الفيحاء)

القلم الصناع :

فى العدد ٨٢٤ من (الرسالة) الغراء نقل أديب بالمنصورة بعض ما ورد فى المصباح المنير فى مادة صنع زاعماً أنى أخطأت فى قولى : « بهذا القلم الصناع » وفى القاموس المحيط : « رجل صنع اليدين بالكسر وبالتحريك وصنيع اليدين وصناعهما حاذق فى الصنعة » فليس فى قولى خطأ ، وإنما الخطأ فى المراجع الناقصة والمُراجع العجلان .

أحمد أحمد العجمى

العدد ٨٢٦ — الاثنين ٢ مايو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

17 em Année No. 826

Lundi — 2 — 5 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٢٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٣ رجب سنة ١٣٦٨ — ٢ مايو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٢ — أمم حـــائرة

طغيان المادة وضعف الروح

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بجـدة

كشف العقل أسرار الطبيعة فاخترع عجائب العلوم والفنون والصناعات ، وغيَّر تاريخ البشر كله . واهتدى الناس إلى سنن الحكومات ، ونظم للجماعات ، ضبطت كل شيء بالنظام والقانون . وعرفوا من قوانين الصحة ما عصمهم من كثير من الأوبئة والعلل ، وافتنوا في عمران البلاد ، وتعبيد الطرق ، وتشييد المساكن ، وذللوا كل صعب ، وقرّبوا كل بعيد بفنون الهندسة وغيرها . وابتكروا في الملابس والزينة ما ابتكروا . وتهيأ لهم من أسباب الحضارة ووسائل الرفاهية ما لا يحتاج إلى بيان ، فهو ملء الأسماع والأبصار .

ولكن الأنفس لم تساير العقول ، والرقي الروحي لم يدرك الرقي الحسي ، وليس عجيباً أن يسمو العقل ، ويتسع العلم ، ولا تسمو النفوس ، وأن تتقدم الأفكار ولا تتقدم الأخلاق ، فتصرف العقل أكثره في أمور خارجة عن نفس الإنسان ، وإدراكه يجول في عالم الطبيعة . وهو في بحثه لا يفرّق بين الإنسان وغيره ، ولا يبالي بالخير والشر . فمقاصد العلم تتحقق بكشف الكهرباء — مثلا — وضبط قوانينها وتسخيرها . وسواء بعد هذا استعمال الكهرباء للاضاءة ، أو المداواة ، أو استعمالها للقتل والتدمير .

إلى العلم ترجع الحضارة الصناعية القائمة على قوانين الطبيعة والخارجة عن نفس الإنسان . وأما النفس الإنسانية وملكاتها وحالاتها ونزعاتها ، فأمور وراء هذا كله وهي حقيقة الإنسانية .

وهي التي تدرك الجمال والقبح ، وتميز بين الخير والشر ، وتقبل على الفضيلة ، وتنفر من الرذيلة .

وهي مناط الأخلاق والعواطف والفضائل والرذائل ، وإلى هؤلاء ترجع الحضارة الإنسانية وما يتصل بها من آداب وسنن وعادات ونحوها .

وبهذه يقدم الإنسانية ، وبها يكون تقدمها الحق وتخلفها وعلوها أو سفولها . ومن أجل أن العلم يتصرف في قوانين طبيعية خارجة عن نفس الإنسان كانت العلوم غير مختلفة بين الأمم في قوانينها ، فلا تختلف الرياضة أو الكيمياء بين أمة وأمة ، ولا بين إنسان وإنسان ، إلا بمقدار ما تزيد أمة عن أمة ، أو فرد عن فرد ، في الإحاطة بقوانين الرياضة أو الكيمياء . وبهذا كان نقل علم من أمة إلى أخرى يسيراً لا إعضال فيه .

وأما الحضارة الإنسانية ، فهي مختلفة باختلاف الأمم والأفراد يعسر أن تنقل من أمة إلى أخرى ، إذ هي متصلة بصميم النفس ،

مرتبطة بالعواطف والأخلاق والتاريخ والآداب . ولكل أمة في هذا خصائصها ، ولها مزاياها ونقائصها .

ليس هنا مجال الإفاضة في هذا ، ولكني أردت أن أشير إشارة عاجلة إلى أن العلم والصناعة لا يسايران الآداب والأخلاق كل حين .

وغاية قولي أن الفجوة بين العلم والأخلاق ، ومسافة الخلف بين العقل والروح من أسباب الاضطراب والقلق ، والضوضاء والصخب والشقاء ، التي تحيط بالإنسان بعد أن سخر الأرض والماء والهواء ، فقد أعطى الإنسان بعقله وعلمه ملكاً عظيماً ، وسخّر له العالم ، وانقادت قوى الطبيعة ، ولكنه لم ينل من المعالي الروحية ، والفضائل الإنسانية ما يكافئ هذا الملك ، ويلائم هذا السلطان ، ولم يبلغ من العدل والإحسان والعفة وأخواتها ما يسيّر هذا الملك على شريعة منصفة ، وسنة قويمة ، فكان كمن أوتي ولاية ليس أهلاً لها ، ومن ورث ثروة لا يحسن تدبيرها . ومن أعطى سلطاناً تصرف فيه بأهوائه على غير هدى . وكالشرير المسلح بالبنادق والسيارات وما يشبهها مما يمكن له في الشر ، ويبلغه مقاصده من الأضرار والأفساد .

ألا ترى إلى قوى العقل وقوانين العلم كيف يوجهها العدوان والبغي ، والشره والجشع والضلال والحيرة ، إلى تدمير الحضارة وأهلها

***

ولم يكف الأشرار عن الشر على كثرة ما اخترعت الحكومات من وسائل لأخذ المجرمين وتعقبهم ومراقبتهم ، وعلى كثرة ما أقامت من شُرَط وحرس وجيوش ، وما سنت من سنن للمحاكمة ، وقوانين للعقاب . ذلك بأن كل هذه الوسائل لا تمس النفس ، ولا تصل إلى الوجدان ، وإنما هي قيود وسلاسل ، وأخذ وضبط ، وسجن للأجسام ، ولو أن ارتقاء النفس الإنسانية كان على قدر افتنان البشر في وسائل السيطرة والأخذ والعقاب ما احتاج البشر إلى هذه الوسائل ، أو لاستغنوا عن معظمها ، ولو أنصف الناس استراح القاضي .

***

ومن آثار هذا التباعد بين العلوم والأخلاق ، والتفاوت بين العقول والأنفس أن سلك الناس إلى المال والجاه والشهوات مسالك شتى ، وافتنوا في التوسل إليها بما عرفهم العلم ورضوا في سبيلها بالدنايا ، ولم يقفوا في ابتغائها عند حد .

كلٌّ طامع جاهد مستزيد ، لا يرضى ولا يقنع ولا يعف ولا يقول هذا حسبي ، وهذا حقي ، وهذا حق غيري ، وهذا حلال ، وهذا حرام ، وهذا شريف ، وذاك خسيس « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ما هم » .

وضاع الحياء ، وفقدت المروءة ... ألا ترى بعض التجار يجذبون المشترين بنساء فاتنات يكلون إليهن البيع ، أو قبض الأثمان ، ومنهم من يدعو إلى بضاعته في الصحف بصور مغرية ، ولو كان امرأة في حمّام ، كما يفعل بعض تجار الصابون ، ويعينهم على هذه الدنايا أصحاب الصحف ابتغاء الربح أيضاً !

ألا ترى الصحف والجرائد والمجلات ، إلا النادر ، تستهوي الناس بنساء عاريات ، وصور مفسدات ، وقصص موبقات ؟ !

أليس معنى هذا ، حين تسمى الأشياء بأسمائها ، ويكشف عنها تمويهها ، أن ناشر هذه الصور يتوسل إلى الرواج بأن يجذب الناس — بكل وسيلة — غير مبال بالأخلاق والأعراض ، يستوي عنده الصلاح والفساد !

رحم الله من قال : « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » !

ومن قال :

ولقد أبيت على الطَّوى وأظلّه حتى أنال به كريم المأكل !

***

غلبت الناس المادة ، وضعفت فيهم الروح ، فجهادهم ونزاعهم وصياحهم وضوضاؤهم في المادة ولها إلا قليلا . بل هذه الشيوعية التي فتن بها بعض الناس وحسبوها مثلا عالياً ، أو المثل الأعلى في التسوية بين الناس ، هي مادية خالصة تنكر كل شيء إلا الخبز ، فهي كالمساواة بين القطيع في المرعى ، وليس للقطيع اختيار في المسير أو الوقوف ، وليس له حق في غير الكلأ والماء .

فأما التدين والسمو الروحي والحرية والفضائل والأواصر الرحيمة التي تربط بين الوالدين والأولاد ، وكل ما هو بسبب من هذه ، فتنكره الشيوعية ، لأنها دين وُلد في هذا العصر ، وهذا العصر يعرف المادة ، ويحرص عليها ، ويخضع لها ، ويموت فيها !

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

قطـــرات ندي

للأستاذ راجي الراعي

* القبلة بنت الحب اقترن بالجمال فولدها .

* الرماد نار شابت .

* اليوم بيت من الشعر فى ملحمة الخالق ، صدره ما سبق الظهيرة ، وعجزه ما تلاها ، والغروب هو القافية .

* الحصاة حجر يذوب هياماً بالماء .

* العقل جنون هادئ .

* فى القمة شيء يقول لك : قم .

* الاحتضار غبش الموت ! .

* الغفران هبة .

* القُبَل لهث الحب وأنفاس النفس .

* القبلة كتاب النفس فى كلمة ، أو كلها فى حرف .

* كم من يد رسمت فى باطنها خطوط الإجرام ، ولا معصم لها يعصمها من المنكر .

* إنك لا تستطيع أن تلد الرائعة إذا لم يختل توازنك . . ألا ترى المرأة كيف تمزق أحشاؤها لتلد جنينها .

* هى ثوره منذ البدء إن الله جل جلاله حين قال : (ليكن النور) ، ثار على الظالمة .

* أذيبوا أثمن درركم فى الكأس إذا قمتم تشربون نخب الله .

* الغمد عقل السيف ؟

* السيف لسان القوة .

* الموجة شهوة البحر .

* الصرخة رداء يتمزق ، أوجدار ينشق فى الصدر .

* الصدور ألواح العرش الذى يتربع عليه الموت .

* الرماد ثورة سكنت ، أو جنون صحا ، أو جريمة ندمت ، أو فجور تاب ...

* كلما قرأت الشعر عجبت للخيال الحر يرضى بقيود الوزن والقافية ... أتسميها تلك التى هبطت عليك من سمائك صاعقة ، ثم تأتيني بالطويل والمديد ... ما هذا المارد الجبار الذى رميت به بين ، فعولن ، ومستفعلن ، وفعلن ، ومفاعلن ، فألبسته ثوب القزم ، وذهبت بنصف ما فيه إرضاء (للخليل) وقوافيه ؟ .

* إذا تعريت من الدنيا لبست الله .

* أنا بين تواضع السهل و كبرياء الجبل حائر لا أدرى ما أفعل برأسى أأرفعه أم أحنيه ...

* الكلم ، والسطور ، والألحان ، والألوان محاولات للتعبير عما فى النفس .

* لسانك واحد من ألسنة رأسك انفلت من بينها ولجأ إلى فمك فآواه .

* الموت هبة تسترد .

* الجسر بسطة ذراع وأداة صلح وتسوية .

* الذئبة التى أرضعت مؤسس روما ، محت شراسة الذئاب منذ كان الذئب .

* الأعمى عينه مقلوبة تنظر إلى الداخل .

* أنت الصخرة البطل ، إذا انزلقت عنك الحياة فلم تأبه لها ولم تنل منك .

* التوبة يدان : يد تمحو ، ويد تكتب .

* بين الأوراق والثمار، مابين الأصداف والجواهر .

* الصبر حفار يحفر فى الصدور لحوداً .

* الجبين الذى ترجفه الفكرة الجريئة جبين جبان .

* بيت الصلاة هو البيت ، وما سواه من البيوت ، حجر وطين .

* الانطلاق طلاق بين طموحك ووهمك .

* الموميات نساء عاصيات ساخرات يضحكن على الموت .

* نولد فى العاصفة ، عاصفة الهوى . . . ونقيم فى العاصفة ، عاصفة الحياة . . . ونرحل فى العاصفة ، عاصفة الفناء ، فكيف يرجى أن نكون عقلاء إذا كان العقل ذاك الذى نلبسه ثوب الهدوء والسكينة ؟ أين وكان العقل هذا في قلب تلك العواصف ؟ ؟ .

* الظل تماسة تتذكر أنها كانت شعاعاً .

* كلما رأيت تمثالا شعرت بالموت يقف منتصباً

* السيارات حول الشمس وصائفها .

* إن الأرواح لا تندغم فبين قبلتين مشتعلتين تجد دائماً قليلا من الرماد .

* من الناس من حشر فى الخليقة حشراً كحروف الكلمات التى لا تلفظ .

* الصلاة هدير بحر الإيمان والمرساة التى تقف بها سفنكم في مرفأ الخالق .

* فى كل طية من طيات القدر مستقبل محجوب .

* الجبال عناد الطبيعة ، والماء خلقها الدمث .

* لقد تقاسمت الأمجاد القمم فلكل مجد قمة .

* أزهار الشجرة أحلامها تتحقق فى الثمار .

* ظل الشجرة شفقتها .

* الصحراء كف مبسوطة تستجدى الماء .

* الأعماق آفاق مطوية .

* الدخان والرماد يتقاسمان النار ، فهى لا تملك نفسها .

* الكسل يحتضن الحلم .

* لو خيرت لاخترت أن أنسلّ من شمس إلى أخرى .

* نحن دقائق هذا الغبار الذى يقال له : الزمن .

* لو كنت الفتنة لاتخذت مقامى بين الحياة والموت .

* أنت مهما تضخمت جثتك وطالت قامتك طفل على سريرين تهزهما الأم والمنون .

* إذا أغضبت البحر أتاك بزبده وغرقاه ، فإذا استهنت به أخرج لك من قلبه الدرر .

* الحمد لله الذى خلق الجفنين ليطبقا على وقاحة العين وشرودها والشفتين لتطبقا على الثرثرة .

* النعمة بنت الحشرجة ! .

* السم لعاب الإثم .

* الثرثرة ما تطفح به الكأس .

* النور : نار ساكنة هادئة وادعة ، والنار نور ثائر .

* الذكرى ريح تعصف فى الظلام ... ورقاد يفرك جفنيه ... ونسيان ينسى نفسه ...

* الأقدار قدرة القادر .

* الأمل فم يلثم جبين الغد .

* أرى فى الحياة شيئاً يهزأ بك مهما أتيت بالمدهشات .

* القوى النفسية تتجاذب قمة الرأس فى صراع هائل مستديم .

* كلما فشلت ُ انقصف فىّ غصن من شجرتى العاتية .

* الله فى شغاف قلبك وعصب عينك فحذار ! .

* إذا انبطح الجبل انقلب سهلا .

* تتعاقب علىّ الشموس كأنها تحاول أن تردنى إلى أمر أو تردنى عنه .

* الحجر يقول للجدار : لولاى لم تكن . . . والجدار يقول للحجر : لولاى لم تلق وسادة تلقى عليها رأسك ... الخمرة تقول للكأس : لولاى لم تنعم بك شفة والكأس تقول لها : لولاى لذهبت هدراً ...

* لو لم تكن حياتكم ليلا لما تقتم إلى النور ، ولعلّ الخالق أطلقها ظلمات تتبعها ظلمات لكى تنطفئ فى صدوركم شعلة الإيمان فلو كنتم تسبحون فى بحور من نور لألفتموه ولم تفكروا فى الخالق ، ولو كنتم فى النعيم وأشجاره وأنهاره لما خطرت لكم جنة الخلد ولو كان فى دموعكم ندى الفجر لما حسبتم للفجر حساباً ...

* ما رأيت غازياً كالوهم يغزو الناس جيلا بعد جيل .. إن له سيفاً يشق كثافة الدهور كأن السيوف كلها مندغمة فيه فهو السيف ولا سيف بعده . .

* المغامر الكبير سباح بحره الدنيا يعيش فى الموجة ومن أجلها .

* ليس لك أن تستصغر الطير والحيوان مادمت تصف الإنسان بالأسد إذا بلغ أقصى شجاعة وبالعقاب إذا بلغ رأس القمة .

* فى الدماغ سراديب يكمن فيها الخبث والدهاء والحيلة ، وقمم شاهقة يتسلسل فيها المجد والشمم ، ومنبسطات تعدو فيها جياد الإرادة ، وبراكين تقذف بالشهوات والأهواء ، وآفاق تحلق فيها نسور الخيال ، وعروش من ذهب يتربع عليها العقل ذو السلطان والصولجان ، وجنات تجرى من تحتها الأنهار ينشد على ضفافها الإحساس أنغامه الشجية ...

* الموت عظمة فى حلق الأمل وشبح يقهقه فى رحم المرأة ..

راجى الراعى

مسرحية «سليمان الحكيم»

للأستاذ توفيق الحكيم

بقلم الدكتور محمد القصاص

— ٢ —

بعد الألاعيب والمفاجآت التي تكلمنا عنها في المقال السابق يرجع سليمان فجأة عن فكرته في استمالة قلب بلقيس إليه بعد أن أمعن في تعذيبها والسخرية منها حتى في أشد ساعات محنتها؛ فيتوب إلى الله ويخلو إلى تأنيب ضميره اللاذع وجحيم شعوره بسقطته، كما تعدل بلقيس عن «البصبصة» لمنذر وتبارك زواجه من شهباء حبيبته، ثم تغفر لسليمان زلته وتبالغ في الغفران، وتعزيه في محنته حتى لكأنها تهنئه على أن هيأت له «الأقدار» هذه الفرصة السعيدة لتطهره من الأدران. أو ليست هي التي تجيبه وهو يأسى على ما وقع منه: «من هذه الأخطاء تبرز أحياناً بصائرنا متفتحة ... كما تتفتح الأزهار النابتة في الأوحال». ! وهكذا يستقر كل أمر في نصابه: فقد أرغمت القوة الخفية سليمان إرغاماً على حب بلقيس، وأرغمت بلقيس إرغاماً على الا تبادل سليمان حباً بحب، وكذلك الحال بالنسبة لبلقيس ومنذر سواء بسواء. ومن ذلك يعرف العاشقان غير المشوقين «إن الحب قدر صارم يضرب ضربته حيث يريد هو لا حيث نريد نحن». فتهدأ نفساهما، ويندمان على أن لم يعرفاه منذ البداية، ويباركان السماء أن جعلت الأشياء على ما هي عليه، «إذ لا ينبغي أن نكره هذا كثيراً ... يجب أن تكون فينا زهرة لم ترو، وجوع لم يشبع، ورغبة لم تنل، وصيحة لم تسمع ... بهذا نستطيع أن نكون جديرين حقاً بالحكمة والتمييز، خليقين بفهم القلب الإنساني ومخاطبته، قادرين على أن نحمل إليه العزاء ورسالات السماء.» والغريب بعد هذا الكشف العجيب، كشف أن كل ما كان قد كان لغاية، بل لخير الغايات على حد تعبير فلتير متهكما على لسان بنجلس Pangloss (وإن كان ذلك قول يتنافى مع فكرة الأستاذ الحكيم الأساسية) نقول الغريب بعد هذا أن يستمر سليمان في حزنه وندمه حتى يقضى الحزن والندم على حياته. ولكن لعل ذلك من فعل «القوة الخفية» لغاية في نفسها أيضاً.

هذه هي الفكرة التي هدف المؤلف إلى إبرازها في كتابه، وتلك طريقة عرضها. وقد رأينا أنها لا ترفع من قدر الإنسان، وأن عرض الكاتب لها لا يرفع من قدرها في حد ذاتها، بل يبرزها مشحونة بالمتناقض وبالتافه وما لا يفهم. وإلا فكيف نلمس في حب سليمان لبلقيس وإعراض بلقيس عن مبادلته حباً بحب أثراً لقوة خفية دفعتهما إليه؟ ألا يكون أقرب إلى المنطق أن نرى في رفض بلقيس أن «تنزل» عن حبها لمنذر «لتبيعه» إلى سليمان أثراً لفرديتها المستقلة عن فردية سليمان، وبرهاناً على حريتها التي هي غير حرية سليمان؟ عندئذ تصير المسألة صراعاً بين حرية وحرية، بين ميول وعواطف وظروف من جهة وميول وعواطف وظروف من جهة أخرى، بين نفس تعيش في زمان ومكان معينين ونفس أخرى تعيش في زمان ومكان معينين أيضاً اللهم إلا إذا كان الأستاذ يشترط في حرية الإنسان ليعترف بها أن تكون شيئاً منفصلا عن مقومات شخصيته كل الانفصال، شيئاً يدير الإنسان من خارجه على نحو ما رأى في القوة الخفية. أو إذا كان يرى أن الحرية في الحب، بل وفي غير الحب، يجب أن يتمتع بها طرف دون الآخر. فما دام سليمان قد أحب بلقيس فما عليها إلا أن تتبعه كالعجماء يلوح لها بحزمة البرسيم، بل كالحجر يلقى به من حالق دون حرية ودون شعور. وما دامت بلقيس قد أحبت منذراً فما على منذر إلا أن يلغي حريته وكل ما يكون شخصه المعنوي ليبادل بلقيس حباً بحب وهياماً بهيام. إن كان ذلك ما يريد الأستاذ الحكيم، فإنه يحمل الحرية ما لا تطيق ويعرفها تعريفاً لم يعرفه لها أحد من قبله، فتمنى لبني الإنسان أو لبعض بني الإنسان حرية الآلهة لا حرية البشر ليخرج بهم من حدود البشرية إلى ملكوت الألوهية. وإلا لم يعترف بأن لبني الإنسان حرية. تذكرني هذه النظرة في فهم الحرية بفكرة ساذجة عن الحرية أيضاً يلقنها سارتر Sartre لإحدى أبطاله لينقضها ويسخر منها. وكانت هذه الفتاة قد تآمرت مع أخيها على قتل أمها لسبب ما، فقتلاها. ولكن الفتاة بعد الحادث وقعت فريسة للندم، وصمد الفتى للضربة لأنه فعلها بحريته، فيقول لأخته لينتشلها من براثن الندم: «أنا حر يا إلكترا.

لقد انقضت على الحرية انقضاض الصاعقة ». وتجيبه الفتاة : حر؟ أما أنا فلست أشعر بأني حرة . أتستطيع أن تعيد ما كان وكأنه لم يكن ؟ لقد وقع منا ما وقع ولسنا أحراراً في أن نرجعه إلى ما كان قبل أن يقع . أتستطيع أن تمنعنا من أن نكون قاتلى أمنا إلى الأبد؟ فيرد عليها أورست قائلا :«أوتظنين أني أريد منعه؟ إنه فعلى أنا ، وسأحمله على كتفى إلى الأبد» . أجل إن حرية الإنسان محدودة بحد الإنسان ، حرية غير تجريدية ، بل متصلة بتفكيره وعواطفه وشهواته وكل ما هو من شخصه ، ولكنها الحرية على كل حال . ولا يجوز فى حكم العقل أن يدفعنا ما لها من صفة نسبية ، من صفة الإنسانية إلى إنكار وجودها كما فعل مؤلفنا الكريم .

ربما رأى القارئ أننا أسرفنا بعض الشيء فى عرض فكرة الأستاذ الحكيم وشرحها ونقدها . ولكننا إن فعلنا ذلك فلأننا نعتقد أن الفكرة فى العمل الأدبى يجب أن تحتل المكان الأول لأن الكاتب إذ يكتب ، لأن الكاتب إذا راح يجمع الكلمات فى جمل يتوخى أن تكون واضحة مفهومة فلا بد أن أمراً غريباً عن مجرد الكتابة لذات الكتابة قد ساقه إليها ، ذلك هو عزمه على أن يبلغ النتائج التى وصل إليها بذهنه إلى الآخرين . فإذا فعل ذلك دون أن يكون لديه شيء يقوله فقد فعل ما فعل فى الفراغ . وأظن ذلك مما يجب أن تتنزه عنه أعمال العقلاء . وقد قلنا فى مقال سابق إن إقصاء التفكير عن المسرح إفراغ له من مادته الأساسية وإزال لقدره وحط من كرامته . كما نرى أنه من أجل أعمال الناقد أن يتتبع فى العمل الأدبى نظرة الكاتب إلى العالم والحياة والناس ، سواء أ كانت هذه النظرة شعورية أو غير شعورية ، ويحررها وينقدها ويقومها . لأنه إذا كان من أهم وظائف الأدب ، كما يقول أندريه جيد ، أن يضيف إلى المعرفة الإنسانية أرضين جديدة (فى الميادين النفسية مثلا) ، أرضين يتعسر الوصول إليها بطرائق أخرى غير طرائق الأدب فإن من وظيفة النقد أن يقوم هذه الأرضين ليجعلها صالحة للاستغلال ، ويسهل للانسان السيادة عليها . وفى اعتبارنا أن الأستاذ توفيق الحكيم جدير بهذا النقد الجدى ، جدير به وإن لم نرض عن أفكاره فى رواية سليمان الحكيم التى ندرسها هذا العام مع طلبة الفلسفة بكلية الآداب . هذا إلى أن هذه الفكرة كان لها أثرها الفعال على فن الرواية نفسه كما سنبين فيما بعد . أما الآن فنود أن نشير إشارة عاجلة إلى الباعث الذى يجنح بالمؤلف إلى اختيار مثل هذه المواضيع مادة لمسرحه ، وأن ندلى بوجهة نظرنا فيه .

يرى الأستاذ ويصرح بهذا الرأى فى مقدمة مسرحيته : « أوديب الملك » بأن الدين كان أساس التراجيديا عند الإغريق القدماء فيقول:« أساس التراجيديا الحقيقية فى نظرى هو إحساس الإنسان أنه ليس وحده فى الكون ، وهذا ما أعبر عنه بعبارة الشعور الدينى ... مهما كان شكل التمثيلية وإطارها وأسلوبها والأثر الذى تحدثه فى النفس فإن هذا كله لا يسوغ فى رأيى وصفها بالتراجيديا ما دامت لا تقوم على هذا الشعور الدينى » . وهذا كلام لا نرتاب فى صدقه وتقائه . فموضوع التراجيديا عند إسخيل وسوفوكل مثلا مأخوذة من عبادة الشعب بطريق مباشر . وكانت تمثل أمام شعب مجتمع متجانس يرى فى آلهته الآلهة الحقيقيين ، وفى أبطاله الأبطال الحقيقيين ، وكلهم أبلوا فى حماية الوطن وإعلاء كلمته . فتعرض على الشعب أعمالهم الجليلة ومظاهر بطولتهم وكلها معروفة من الجميع ، حية فى نفوس الجميع . تعرض هذه الأعمال العالية والبطولة النادرة ، وتعرض معها جرائم الأسلاف ونكباتهم ، أولئك الأسلاف الذين يرزحون تحت سطوة القدر القاسى: فمن خرافة بروفين إله النار الذى يخدع الآلهة فتقضى عليه الآلهة بأن يظل طول الأبدية مشدوداً إلى صخرة وقد جثم عليه نسر عات ينخر كبده دون أن يخفف عنه العذاب أو يقضى عليه فيموت ، إلى الملحمة التى انتهت بهدم طرواده وما تخللها من أعمال البطولة التى تعلو على طوق الإنسان ، إلى سلسلة المآسى الفاجعة التى ترتبت ترتباً حتمياً على مأدبة أترية المشؤومة حتى انتهت بمجاهة أورست المروعة ، إلى الانتصار الهلينى على العدوان الفارسى ، ذلك الانتصار الذى كانت ذكراه تلهب قلب كل يونانى بالحماس . فكلها موضوعات شعبية دينية ليس منها واحد فقط لا يمتزج امتزاجاً بروح كل فرد فى الشعب وبأخفى خفايا نفسه . وقد دعى شعراء التراجيديا للاحتفال بها أى إلى الاحتفال بروح الشعب المشترك وإيمانه المشترك فى وقار ، بل فى أسمى ما يكون الوقار . دعى الشعراء التراجيديون لتقديم أعمالهم عن هذه الموضوعات ، وكان على الشعب أن يتفانى فى تكريم من كان منهم أهلا للتكريم ، أعنى من استطاع خيراً ممن عداه أن يثير فى نفسه (نفس الشعب) الانفعال الذى كان ينتظره من بروميتى وأجاممنون وأوديب وأورست بعد أن تقمصهم أمامه أشخاص أحياء بضع ساعات من نهار .

(للبحث بقية)

محمد القصاص

دكتوراه الدولة فى الآداب من جامعة باريس

القيم الروحية بين العلم والمادة (*)

للأستاذ واصف البارودى

الإنسان مجموعة متناقضات ؛ لذلك تراه متناقضاً فى طبعه وفطرته . فهو صادق كاذب ، وكريم بخيل ، وشجاع جبان ... الخ ولا تجد صفة من هذه الصفات متلبسة بلباس الفضيلة والرذيلة حتى ترى إمكان تلبسها بالكساء الآخر . فالصدق أب الفضائل ، والكذب أم الرذائل ؛ ومع ذلك ألا نجد الصدق رذيلة فى النميمة ونقيصة فى الغيبة ؟ ... ثم ألا نعتبر بعض مظاهر من الكذب ، فى إصلاح ذات البين مثلا ، فضيلة ندعو إليها ؟ ... وهل فى العالم إنسان يعتبر البخل فيما تستلزمه الكرامة الإنسانية ، وفيما تقتضيه واجبات المحافظة على الوطن رذيلة ما ؟ وهل فى السماح بأرض الوطن فضيلة ترتاح لها النفوس ؟ ... مثلا . فأين الفضيلة ؟ وأين الرذيلة إذن ؟ ... أهما مستقران فى الألفاظ ؟ أم هما من المعانى المنبثقة من صميم النفس بحسب إشماع روح المجتمع فيها بأمر من الخالق المدبر ، وبحكمته ؟ ...

المطلق هو الله وحده ، وكل ما يصدر عن هذا الكون نسبى لأنه خاضع ، بحسب تكوينه ، للتطور والتحول ، بحكم مطاوعته لفعل المؤثرات فى الخارج ، وبحكم استجابته لأحكام التفاعل التكوينى المستمر فى داخله . فلا غرابة إذا تجاذبته المتناقضات ، ولا عجب إذا اشترط تحققه الإنسانى بتحقيق التوازن بين تلك المتناقضات ، وبتركيزها ! ...

لكل كائن خصائصه التى يتميز بها ، ويعرف . وخصائص الإنسان إنما تنجلى بمظاهر إنسانيته . وهذه لا تبرز إلا بتحقق الإرادة والحرية . وبقدر ما يتنازل الإنسان عن إرادته وحريته ، يتنازل ، فى الحقيقة ، عن إنسانيته . ولذلك كانت الحياة البشرية فى الأفراد والمجتمعات ، كفاحاً مستمراً بين عزة الحرية ومنعة الإرادة ، وبين ذل الجبرية واستسلامها . فالجبرية ضعف وجمود ، والحرية قوة وتجدد . وهاتان المقيدتان المتناقضتان تلخصان ، فى الحقيقة ، تاريخ البشرية منذ وجد الإنسان .

فمنذ تعرف الإنسان بهذا الكون المادى فكر بالسيطرة عليه وكان التوفيق حليفه فى جميع الأدوار . غير أن المادة لم تكن تحجم عن الانتقام منه كلما وجدت لذلك سبيلا ، ومظهر انتقامها أبرز ما يكون فى سوقه إلى جبريتها ، والجبرية هى الصفة اللازمة للمادة ، ووسيلتها فى الإنسان جسمه ، إذ الحرية صفة تلازم الأرواح ، والإرادة مظهر سام لها ؛ ولا تكاد المادة تسوق الإنسان لجبريتها حتى ينقاد لهواه ويمق إرادته . ومنشأ الهوى فؤاد هدام ، وسريرة مظلمة . وفى ظلام الفؤاد والسريرة تتناثر الفكرات السامية وتلتحق بالعدم ، فلا يكون لها أى تأثير فى توجيه الإنسان ، أو فى تحقيق إنسانيته ؛ فيعيش حيواناً يدعى أنه إنسان ناطق .

الإنسان مجموعة متناقضات ، وبقدر تقدمه فى الحضارة تزداد مظاهر التناقض فى نفسه . ولا تنجلى إنسانيته إلا فى إيجاد التوازن بين تلك المتناقضات ، وفى تركيزها ، على ما سبق وألمعنا إليه . وهذه هى الحكمة التى تقضى بوضع كل شئ فى محله ؛ وبهذا تتكون حقيقة الفضائل وتتفاعل عناصرها . قال أحد الفلاسفة : « ليست الفلسفة إدراكاً وتأملا وحسب ، وإنما هى حكمة » .

المادة والعلم :

من مظاهر التناقض فى نفس الإنسان تعلقه بحقائق العلم ومستلزماته ، وحرصه على مقومات الجسم والتنعم بملذاته . فالعلم والمادة متناقضان بحسب الظاهر ، ولكنهما فى الحقيقة ، وسيلتان تصلحان لرفع مستوى الإنسان بتحقيق إنسانيته الفردية والاجتماعية ، إذا أحسن التصرف ، وعرف حدود كل منهما ، وكان لبقاً فى استخدامه . والخير ، وكل الخير ، يستقر فيهما معاً ما داما يستعملان أداة أو وسيلة ؛ ومتى أصبح أحدهما غاية للانسان فى حياته ، تبدأ الشرور .

فالمال ، مثلا ، مع فوائده الجمة يقوم عثرة فى سبيل التقدم متى حصل اضطراب فى نظام جمعه وتوزيعه ، فيصبح بعيداً عما تقتضيه الحياة الاقتصادية والحياة الإنسانية من رقى . ويكون مظهر الاضطراب المادى فى أمور ثلاثة هى :

(*) ملخص الحديث الذى ألقى فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة يوم الخميس فى ٣١ مارس سنة ١٩٤٩

١ — تعقيم المال : وهو الرغبة فى جمعه وكنزه فى الأرض ، أو فى الصناديق ، فيصبح عقيما ، إذ لا ينتج أعمالا ، ولا يساعد على تحقيق أى مشروع .

٢ — تحكم الآلة : والآلة إذا تحكمت بالإنسان تحوله لآلة . ولا نخشى هنا من أن تصبح وسيلة لكثرة العاطلين عن العمل ، وحسب ؛ وإنما نخشى أن تنقلب نفسية الإنسان وروحه لنوع من الآلية فيفقد بذلك إنسانيته . وتدارك هذا الخطر إنما يكون بالتربية وبتبديل أنظمة العمل وتثقيف العمال .

٣ — اتخاذ المادة معياراً للقيم . ومتى اتخذ المادة معياراً للقيم انجذبت إليها النفوس فتتأثر بخصائصها المميزة لها ، وأهمها الجبرية فيعتقد الإنسان بأن مساق جبر حسب النواميس التى تساق بها المادة نفسها . وهنا يكمن الخطر .

وأما العلم فإنه يظهر لأول بادرة أنه يتعلق بالنفس لتعلقه بالمعرفة . وهو من حيث الغرض متعلق بالمادة نفسه ، لأنه وسيلة التحكم بها مبدئياً . ويخشى عند ما يتعلق العلم بالمادة تعلقاً شديداً أن يكتسب منها صفة الجبرية ، فيقول بها ، كما ظهر لنا من أقوال كثير من العلماء ، ولا سيما فى عصور الانحطاط . وقد ظهرت بوادر هذه العقيدة عند الكثيرين من علماء عصرنا هذا ، فكانت دليلاً على ظهور أمارات الانحطاط فى مؤسساته العلمية والاجتماعية ، وأخذت الحضارة تنذر بالانهيار .

قال مونتانى : « من الجرأة الغريبة أن يرفع إنسان نظره أمام العلم » فأجابه هنرى ماربون مؤخراً قائلاً : إننا نحترم العلم ونخضع له ، ولكن هل يقضى علينا ذلك باحترام العلماء أصحاب النظرات التصاعدية التى تتصل بالأوهام والسخف ، وبالخضوع للعالم الذى يتخذ علمه وسيلة لاقتناص المادة والمناصب ، ولخداع الناس ؟..

إننا نعرف كثيراً من الحوادث التى اتخذ بها العلم وسيلة لتحقيق مآرب خاصة ، واقتناص فوائد مادية ، دجلاً وتزييفاً ، ومن قبل أناس مشهود لهم بالعلم والثقافة ، وكانوا ، فى الحقيقة ، على شئ من العلم والمعرفة . ولا يندر أن نجد مثقفين يقولون ما لا يفعلون ، نفاقاً ورياء ؛ فهم يتخذون المعرفة والمبادئ وسائل رخيصة فى سبيل تحقيق ما تميل إليه أهواؤهم ، وإشباع جشعهم وأطماعهم .

القيم :

العلم ، بذاته ، لا يعرف الخير ولا الشر . والمادة بذاتها ، لا تعرف الخير ولا الشر . وكل شر أو خير يتأتى عن العلم أو المادة ، إنما يكون منشأه الإنسان . فالخير والشر كامنان فى نفس الإنسان وحده ، وفى روحه ... ومن هنا نستطيع أن ندرك أهمية القيم .

يقول الشاعر :

قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الإنسان منه ، أو أقل

وأسمح لنفسى أن أقول : قيمة الأعمال تقدر بنسبة صلتها بروح الإنسان . فالإنسان هو معيار كل شئ ، حسب تعبير بروتاغوروس لا العلم ولا المادة ، ولا العمل نفسه .

القيم الروحية :

القيم تتصل بالأعمال التى يقوم بها الإنسان . فكل عمل نقوم به ، إنما يقدر ببواعثه . فإذا كان منشأه الهوى ، أى الفؤاد المهيام المظلم ، أو بتعبير آخر : النفس الأمارة بالسوء ، فلا تكون له أية قيمة إنسانية ، لأنه فى هذه الحالة يكون فعلاً مجبراً .

وليس للأعمال الإنسانية قيمة صحيحة إلا إذا صدرت عن الإرادة المتحققة فى الحرية . فصلة الأعمال والسلوك بروح الإنسان أى بإنسانيته ، هى التى تهبها قيمة ما . والروح لا تكون روحاً إلا بالإرادة والحرية ، لأن الروح ، فى حقيقتها ، حياة وحركة وتقدم وثورة . .

وتقدر قيمة الأعمال بالبواعث . فإذا كانت البواعث أموراً خارجة عن الروح ، أو بتعبير آخر : إذا لم تكن منبثقة عن الفعالية الروحية ، فلا يكون للعمل قيمة روحية ، وإنما تنسب قيمته إلى الباعث الذى أدى لوجوده . فإن كان كسب المال ، مثلا ، فتكون قيمته مادية ، وإن كانت الشهرة ، فهى الزهو والغرور . فما رأيك فيمن يولم وليمة وينفق عليها بسخاء ، ويكون له من ورائها مآرب تجارى ؟ أيصح أن يدعى كريماً ؟ أعتقد أن من ينفق قرشاً على فقير بباعث الشفقة والرحمة ، هو أجدر بالاتصاف بالكرم من ذاك المستثمر . إن صفة الكرم وأمثالها لا تمنح إلا لمن يقوم بهذا العمل بباعث روحى داخلى ، لا لمآرب خارجية .

فالقيم الروحية إنما تقوم بالروح ، بصفة أنها عمل بذاتها ، وبسبب البواعث على العمل . وهذه القيم يسبقها نزوع له مبدأ ، وله غاية ، وبينهما قوة حركية يبعثها الحدس والعاطفة . فإما أن تذهب إلى النفس المظلمة فتنقاد للهوى ، وإما أن تتصل بالفؤاد البناء فتتصل بالإرادة ، فيكون العمل إرادياً حراً ، أى إنسانياً . صور أحدهم من يبذل من ماله دون أن يكون لبذله أية قيمة روحية فقال :

يعطى ويمنع ، لا بخلا ولا كرماً وإنما نزعات من وساويس

أثر الانفعال والتفكير فى القيم :

ومما يقوى هذه النزعات ، ويبعدها عن نظام القيم الروحية ، الانفعال . والانفعال نسيب الهوى . ولذا يقول علماء النفس : إن الأمم الكثيرة الانفعال قليلة الإنتاج . ألا ترانا نحن فى مؤسساتنا وفى منظماتنا ، كثيراً ما نبدأ بحماس شديد ، وننتهى إلى لا شىء ؟ ونعبر عن ذلك بقولنا : « إننا نفور فورة الحليب » . وهذا ما يتهمنا به الغربيون فيقولون عنا : إنهم يسيطر عليهم الانفعال فلا تخشوهم ؛ ولكن اصبروا عليهم بادئ الأمر ، وسرعان ما يهدأ انفعالهم ، ويسكن فى نفوسهم الحماس .

إننا نحترم الأمم التى تعتمد على التفكير فى سلوكها ، فلم لا نجعل التفكير والتؤدة من مبادئ سلوكنا ، أى من القيم الروحية التى يجب أن تصدر عنها انفعالاتنا النفسية ؟ وهل شيد أسلافنا صروح الحضارة إلا بهذا التفكير ؟ ...

المثلث الخالد :

تتجمع هذه القيم الروحية فى المثلث الخالد ، وهو الحقيقة والجمال والخير . فالحقيقة توافق داخلى بين فعالية الروح وموضوعها. والإنسان بحاجة لمعرفة الحقائق ليحيي إنساناً . ولا يمكن الحصول على الحقيقة إلا إذا تجردنا عن مصالحنا وأهوائنا .

فللحقيقة قواعدها الخاصة ، وهى موجودة فى الكون ، ولكنها موجودة بالقوة ، والإنسان هو الذى يخرجها لحيز الفعل ، فتصبح به كائنة بالفعل . والإنسان الذى أنيط به إخراجها لحيز الفعل يستطيع تزييف هذه الحقائق وقلبها ، ومن هنا يصدر إمكان الدجل والتزوير ، من العلماء أنفسهم .

والفرق بين الحقيقة المجردة والحقيقة المزيفة أن الإنسان يصل للأولى بقدر ما يترك نفسه على سجيتها ، ومتى أراد التزييف بذل جهداً خاصاً . ولذلك تقع التبعة فى تزييف الحقائق على الإنسان وحده ، لأنه يقوم به بمحض إرادته . ولعمرى أنها جريمة من أفظع الجرائم ، سواء أخدع الإنسان بذلك نفسه ، أم خدع الآخرين .

أما الجمال فهو ما يثير فى النفس الانبساط والإعجاب معا . وأقصد بالانبساط معناه اللغوى ، أى امتداد النفس واتساعها ، فيشعر الإنسان أمام أى مظهر من مظاهر الجمال بامتداد فى روحه يجعله يحاول أن يتجاوز نفسه فى السمو .

تصور نفسك أمام أثر فنى رائع ، وأثر معمارى خالد ، أو أنك تقرأ قطعة أدبية فنية ، أو تستمع إلى سيمفونية راقية ، أو أنك أمام غير ذلك من آثار الفنون الجميلة ، فتشعر بذلك التأثير ، إذا كان فى روحك انطلاق . وما ذلك إلا لأن الجمال ، فى حقيقته ، حر مجرد ؛ والتأثر به إنما يكون نتيجة لفعالية روحية حرة مجردة . فتى اتصل هذا الإحساس بمأرب أو غرض ذهبت روعة الجمال وضاعت على الإنسان مسرات سحرة ، فيصبح حيواناً مخربا ، يفسد على الجمال روعته . أو يخسر الجمال قيمته الروحية .

تذوق الجمال استجابة لفيض من القوة الروحية وفعاليتها ، يبذلها الإنسان للبذل . كلنا يشعر ، لاسيما فى أوقات فراغه ، بفيض من الفعالية يحتار فى أمر استخدامها ؛ فإذا لم نجد مخرجاً ألقت بالإنسان فى غياهب الذهول ، فيصبح أسير الأحلام النهارية ، ويتأثر بالمنامات . وهذه حالة كثيراً ما تؤدى إلى الضعف والفساد . إن قوى الإنسان بحاجة لأن تتمرن للتمرن ، فلا تكتفى بالعمل المادى ؛ فوجب أن تصرف فى الألعاب ورياضة الجسد ، وفى تذوق الجمال فى مظاهره المختلفة من أدب وموسيقى وتصوير وغيرها من آثار الفنون الجميلة .

فإذا اهتمت الأمم الراقية بهذه الفنون وبالرياضة البدنية ، فإنما تعنى بذلك لتحفظ فى الشباب قوامهم الروحية ، ولتنمى هذه القوى ، خشية من تحولها لفساد ، أو ذهول ، تضعف معها إنسانية الإنسان وقد تتلاشى . فلا غرابة إذا رأينا المربين يؤيدون مبدأ إصلاح المجتمع بالفنون الجميلة وبتشجيعها .

إن الفنان الجدير بفنه يتحكم بالزمن تحكما لا يستطيعه غيره . يستطيع كل إنسان أن يعود إلى أى مكان سبق ومر به ؛ ولكنه لا يستطيع أن يستعيد لنا لحظة مرت سوى الفنان من بنى الإنسان . والفنان يستطيع ، عدا ذلك ، أن يستبق تلك اللحظة ، وأن يخلدها . فإنه يأخذ من أى مظهر من مظاهر الجمال ، وقد تجلى فى زمن من الأزمان ، عناصر هامة يركب منها رائعته التى تحفظ لك ذلك التجلى وزمنه ، وبجمل باستطاعتك العودة إليه متى أردت. فكأنه يحرر هذه العناصر من جبرية المادة ونواميسها ، ويمنحها كيانا جديداً يصله بروحك . وهذا ما يضمن للأثر الفنى الخلود . إنه قد عبر عن نفسية الفنان ، وانبثق عن روحه ، فكانت له قيمته الروحية . ولهذا جعل الفلاسفة الجمال مبدأ للخير .

والخير هو حصول الشىء على كماله ، أو ، حسب تعريف بعض المعاصرين ، ما يجب اختياره .

فالحرية والإرادة شرطان أساسيان فى تحقيق وجوده ولا يستطيع الإنسان أن يكون حراً فى اختيار ما يجب اختياره إلا إذا كان مثقفاً لحد ما .

ومن هنا نشأت فكرة وجوب العناية بتثقيف الجماهير فى الأمم الديمقراطية الحرة ، إذ مهما كان العمل عظيما ، فلا يعتبر فضيلة ، إن لم يقترن بالفهم والتفكير ، أى بالروح العلمية .

فهذه القيم : الحقيقة والجمال والخير ، مهما افترقت فى مفاهيمها ، فإنه يجمعها أنها تشترك كلها فى تكوين المثل العليا الصحيحة . ولا تكون المثل العليا صحيحة إلا إذا دخلت فى دائرة التأمل والإرادة ، وكانت ثورية فى طبيعتها .

قال بيجوى : « ... وهكذا ، فإن أول شكل للمثل الأعلى فى التاريخ ، وأول شكل يكشفه ، هو النقد والمناظرة ، وإنه ، لدرجة ما ، ثورى دائماً » . ولعله يقصد بالثورة ، هنا ، ثورة النفس على النفس ، ليتم الانقلاب فيها أولا ، قبل أن تفكر فى قلب المجتمع : « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . (قرآن كريم)

إننا ندعو للقيم الروحية لتستقر مشاريعنا ، ولتستمر ؛ لأن المشاريع التى تتعلق بالفرد تزول بزواله ، أو بزوال نشاطه . قال ويلز: « إذا أردت أن تبعث شعباً من الشعوب من غفوته ، فحسبك أن تبعث فى حياته روحاً علمية فى التفكير ، وشعوراً لطيفاً فى النفس يتفجر عنه الحب والعواطف » .

ومن هنا يجب أن يندفع الإنسان إلى العمل . فلا بد فى الحصول على مسرات القيم الروحية ومباهجها وفى بلوغ نتائج تأثيراتها الرائعة فى توجيه الأمم وإنهاضها وعظمتها ؛ لا بد فى ذلك كله من أن يبدأ المواطنون بثورة النفس على النفس ؛ ولا يتسنى لأى إنسان القيام بهذه الثورة إلا بعد تحطيم الأصنام المتربعة على عرش قلبه ، قبل كل شىء .

لا يمكن معرفة الحقيقة الناصعة ، وتذوق الجمال الرائع ، والانجذاب إلى عمل الخير النافع ، ولا يستطيع الإنسان اعتناق المثل العليا ، وهى وحدها تبعث الاطمئنان فى النفوس ، إلا بمواجهة الواقع . ومواجهة الواقع بصدق وإخلاص ودراية يقضى حتما بتحطيم ما فى النفس من أصنام تدفعها لطرق ملتوية لا تستقيم معها النفوس . والأصنام كثيرة : منها ما هو مادى خارجى يؤثر فى النفوس ، كالمظاهر المادية ووسائل الترف ؛ ومنها ما هو نفسى داخلى يتأكل فى النفس إنسانية الإنسان . وكل امرىء يعرف أصنامه ، وما دام عابداً لها فليس له أن ينتظر رقيا ولا تقدما فى نفسه ، بله فى مجموع يعتمد عليه .

قال بارودى : « نخشى من جمود المؤسسات والأخلاق والعقائد ، لئلا تتحول لآلية نفسية أو اجتماعية ، تصبح معها عائقاً عن التقدم » .

فلا يكفى إذن أن تتبنى القيم الروحية ، بل يجب أن تتجدد حيويتها فى نفوسنا بقوة فعاليتنا الروحية ، ولا يتم ذلك على أكمله ويبعده عن التزوير والدجل والتزييف ، إلا إذا اتصلت بالمثل الأعلى الأعظم ، وهو جماع القيم الروحية فى سموها ، أى الحقيقة المطلقة ، والجمال الأسمى ، والخير الأعظم ، وهو الله .

فمتى اتصلت قيمنا الروحية بالله ، تصبح روحانية ، فتتوازن وتتركز وتتوحد ، وتكون منشأ الوحدة بين البشر ، إذ لا يجوز أن يكون اسمه ، جل شأنه ، وسيلة تفرقة بين المواطنين والشعوب والأمم .

واصف البارودى

صور من الحياة :

ســــعادة البك ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

ما لهذه الحياة تمزج الجد بالهزل ، وتخلط الحق بالباطل ، وتجمع بين الشدة واللين ، وتوائم بين الصعب والسهل ؟ لعلها تبتغي أن تنفث فى الناس الأمل فلا يعتريهم الملل ، وتبعث فيهم المرح فلا يضنيهم الأسى ، وترسل فيهم الرجاء فلا يقتلهم اليأس !

***

سعادة البك رجل نيف على الأربعين ، نال حظاً ضئيلاً من الثقافة العربية والفرنسية ، درج فى بيت من بيوت المجد والغنى والجاه ، وكان أبوه الباشا يعتز به ويدلله ويقربه إلى نفسه وقلبه فى وقت معاً ، فشب يرفل فى الثراء والنعمة ، ويتألق فى الصحة والعافية ، ويتقلب فى السكينة والهدوء . يأوى إلى المسكن الرحب الأنيق ، ويسعد بالثوب الغالى الجميل ، ويسكن إلى الطعام الشهى اللذيذ . يقضى أيامه بين القاهرة والعزبة ، يأخذ من هناك لينفق هنا عن سعة ، ويستمتع فى الريف بالهدوء الوادع والخمول الرخو ، والهواء النقى ، والخضرة النضيرة ، ويستمتع فى القاهرة بالصخب المثير ، والحركة المستمرة ، واللهو البرئ . وهو إن وجد فى العزبة ما يشغل بعض وقته فهو فى القاهرة لا يجد إلا صراعاً عنيفاً بينه وبين الزمن : يريد أن يقتل الوقت فيقتله هو ، ويحاول أن يلمس فيه الراحة والطمأنينة ، فلا يحس إلا الضيق والضجر . والأيام تمر وهو يقضى صدر النهار قلقاً مفزعاً لا يجد الصاحب ولا الرفيق ، والناس فى شغل عنه . وهو فى آخر النهار يتذبذب بين شرفتى الكونتيننتال وشبرد ، يضطرب من نضد إلى نضد ، ومن جماعة إلى جماعة ، وصحابه جميعاً من ذوى المكانة والشأن ، ومن أصحاب الرأى والكلمة ، يجلس إليهم فى الشرفة ويزورهم فى المنزل ، ويرافقهم فى اللهو ، ثم هو يهيئ لهم المآدب الفخمة ، والسهرات العابثة ، يدعوهم إلى الملهى والمسرح فلا يتمنعون . وهم لا يملون صحبته ، ولا يمل هو ، فهو خفيف الظل لطيف المعشر ، طيب القلب ، حلو الحديث ، بارع النكتة ، حاضر البديهة ، لا يثقل على واحد منهم بحاجاته ، لأنه فى غنى ، وهو لا يشغل نفسه بحاجات غيره .

عرفته منذ شهور ، وقد ران عليه القلق من أثر الفراغ ، وسيطر عليه الاضطراب من أثر الخمول . ولقد اطمأن إلىّ فراح ينشر أمامى نوازع نفسه وخطرات ضميره : فهو يطمع فى أن يلى منصباً عالياً من مناصب الدولة ، ولكن أنى له الشجاعة التى تدفعه إلى أن يتحدث بذات نفسه إلى واحد من صحابه ، وهو فى نفسه عظيم بين عظماء ، لا يسمو عليه الوزير ، ولا يبذه الباشا ، ولا يعلو عليه المدير . لا ريب فإن طلبه سيضع من قيمته فى نظرهم جميعاً ، ولكنه سيجد الخلاص . وشمله مركب العظمة فهو لا يتكلم إلا عن عظمته هو ، وعن مواهبه وعبقريته ونبوغه .

وفى ذات يوم قال لى : « أرأيت ؟ لقد وُلى فلان باشا وزيراً لوزارة كذا ، ولولا أنه صديقى لنازعته المنصب ، ولو أننى فملت لظفرت به ولغلبته على أمره » وابتسمت لكلماته الجبارة حين رأيت مركب العظمة يتوثب شامخاً فى غير تواضع مترفعاً فى غير تحرج ، ثم قلت « وأنت لو شئت لاختارك معالى الباشا ، وهو صديقك ، وكيلا لوزارته » قال لى « حقاً ، حقاً ! غداً أذهب إليه لأهنئه ولأطلب إليه ما أريد فى شجاعة وتشبث »

وغدوت إلى مدير مكتب معالى الوزير ، وإن بينى وبينه صلات العمل وأواصر الصداقة ، فألفيت صاحبنا البك جالساً على كرسى وثير وعليه سيما العظمة والكبرياء ، وبين يديه ورقة وبين أنامله قلم ، فحييته فى احترام وجلست إلى جانبه أحدثه « ماذا تفعل يا سيدى البك » قال « لقد أردت أن أقابل معالى الوزير فلم أجده فأنا أكتب إليه خطاباً أهنئه بالمنصب الجديد ، وأطلب إليه ما أريد » قلت « وماذا تريد ؟ » قال « أريد أن أكون عضواً فى مجلس الشيوخ فى المكان الذى خلا بوفاة فلان باشا » قلت :

وماذا عسى أن يملك الوزير من هذا الأمر، وهو بين يدى مولانا الملك » قال « لا عجب أن تقول هذا القول وأنت موظف صغير لا تفهم عن المناصب الكبيرة شيئاً . ألا تعلم أن معالى الوزير إن شاء حدّث دولة الرئيس فى شأنى حديثاً طيباً، فما يحجم دولة الرئيس عن أن يزكينى لدى مولانا الملك » قلت « عجباً ! كيف فاتنى هذا الرأى ! »

ثم انطوى البك على قلمه وقرطاسه، وفرغت أنا إلى مدير المكتب، فقال لى « أو تعرف شيئاً عن هذا الأفندى ؟ » قلت عابثاً « لا تقل هذا ! إنه رجل من ذوى المكانة والخطر، وهو صديق روحى لصاحب المعالى الوزير، لا يوصد فى وجهه باباً، ولا يرد له شفاعة » قال « ولكنه يجهل التقاليد الحكومية » قلت « وله ؟ » قال « لقد طلب إلىّ أن يلقى الوزير ليهنئه، وليطلب إليه أن يعينه عضواً فى مجلس الشيوخ، وهذا أمر لا يد للوزير فيه » قلت « الآن ترى ! »

وناديت سعادة البك ليشاطرنا الحديث فجاء فقلت له : « وإذا قال لك الوزير إننى لا أملك أمر تعيينك عضواً فى مجلس الشيوخ، ولا أستطيع أن أحدث دولة الرئيس بذلك، لأنك لم تكن يوماً سياسياً من ذوى الرأى والمبدأ والعقيدة، ولم تكن عضواً فى حزبه »

قال : « آه ، نعم . لقد فاتنى هذا الرأى ، ولكن إذن أطلب إليه أن أكون مديراً عاماً لإدارة كذا » .

قلت : « وأنت رجل لا عهد لك بما تتطلبه هذه الإدارة من أعباء، وهى إدارة فنية ، ثم إن هذه وظيفة تحط من قدر رجل عظيم مثلك » .

قال : « فماذا أفعل ؟ »

قلت : « إذن لا معدى لك عن أمر واحد، هو أن تكون مديراً لمكتب معالى الوزير » .

قال فى غضب : « أى خساسة وأى ضعة ! لقد جئت أرجو الرجل — وهو لا يعرفنى — فتلقانى فى بشر واحترام، أفأنسى — بعد ذلك — لأنتزع كرسيه ؟ لا، لا. لن يكون ذلك أبداً ! »

قلت : « هذا مكانك أنت ، فستلتقى هنا عظماء الدولة يرجون رضاك ، ويتملقون كبرياءك ، وينحنون لك ، وستكون أنت — إلى ذلك — صاحب الرأى لدى معالى الوزير ، وكاتم سره ، ورفيق نفسه » .

قال : « لا ، لا . لن يكون ذلك أبداً ! »

قلت : « وماذا عليك والمدير نفسه راض ، لا يجد غضاضة فى أن ينزل لك عن كرسيه ؟ »

قال : « أفيرضى هو ؟ فلنسأله ... »

وبدا للمدير ما أحاول من عبث ومزاح ، وراقه ما أفعل ، فأراد أن يسرى عن نفسه بعض عنت العمل ، فقال فى مكر : « نعم ، أنا راض على شريطة واحدة » .

فأجابه البك فى لهفة : « وما هى ؟ »

قال المدير : « أن تسعى لدى معالى الباشا لأكون مديراً للادارة التى ذكرت » .

قال : « لا بأس ، فهذا أمر سهل بسيط » .

ثم خلا البك إلى قلمه يديره على القرطاس مرات ومرات فلا يهتدى . وأعجزه أن يكتب كلمة واحدة فنادانى كى أعينه على أمره وقد حزبه ، قال « تعال ، يا أستاذ ، أرنى كيف تكتب طلباً أقدمه إلى معالى الوزير . فأنت — كما تزعم — أديب كبير » قلت « وما للأدب وللطلبات الحكومية . إن الأديب يكتب على نسق خاص لا تستسيغه الأوراق الحكومية وهى لا تنفتح — عادة — إلا على ألوان من التملق وأساليب من الخضوع وفنون من الذلة وأنواع من المسكنة ، وأنا لا أحسن شيئاً منها » قال فى غضب ومن ذا الذى يحسنها غيرك أيها الموظف ؟ » قلت فى ابتسام « مدير المكتب يملك عليك فهو يختار — دائماً — من الكلام ما يرضى الوزير ويتملقه » قال وهو يلتفت إلى المدير « نعم ، أفتسمح يا سيدى المدير فتملى » .

ورأى المدير أن المزاح يوشك أن ينقلب جداً ، فاضطرب فى كرسيه حين تراءى له ما سيكون بعد ، فأعرض عن البك ومال إلى يسر فى أذنى « أرأيت كيف جرنا المزاح إلى الهاوية ؟ » قلت « أى هاوية ؟ » قال « هذا الرجل صديق الوزير ، ما فى

ذلك من شك ، وهو سيصر على أمر وسيحدث به الباشا ، فما ذا ترى سيقول حين يعلم ما كان منى وما كان من هذا الرجل . لا ريب أنه سيثور على ويقذف بى إلى أقصى الأرض رغم ما تعرفه من ثقته بى وحرصه على » قلت « لا تخف ! » ثم التفت إلى سعادة البك أحدثه قائلا « أنطلب إلى الوزير أن تكون مديراً لمكتبه ؟ كيف ترضى أن تكون خادماً له تحمل حقائبه وتتبعه كما يتبع الكلب الأمين سيده ، وتنمحى أنت بين مشاغله ورغباته ؟ » فثار حيناً ثم قال « ومن قال ذلك ؟ » قلت « هذا هو عمل مدير المكتب » قال « لا ، لست أرضى بأن أكون تبعاً لأحد ، يكفينى أن أعين عضواً فى مجلس الشيوخ » قلت « حسناً ، هذا مركز ذو شرف وجاه » .

وأخذ مدير المكتب يملى والرجل يكتب إلى الوزير رجاء أن يعينه عضواً فى مجلس الشيوخ ، وتنفس المدير واطمأن وهدأت وساوسه . ورضى سعادة البك . ثم التفت البك إلى مدير المكتب قائلا « مُرْ من يكتب هذا الطلب على الآلة الكاتبة ، وسأحضر غداً لأقدمه بنفسى إلى معالى الوزير » وأجاب المدير بالإيجاب . ولكن الشواغل شغلته عن أن يفعل .

وجاء البك فى الميعاد فألقى طلبه ملقى فى ناحية . وبداله أن مدير مكتب الوزير قد أهمل شأنه فثار به . وعلى حين غفلة منه اندفع صوب باب الوزير يقتحمه ليشكو هذا الموظف المهمل ، فما انتبه المدير إلا ليرى البك أمام الوزير وجهاً لوجه ، والوزير يهش له ويبسم ويلقاه فى سرور . وعجب المدير لما يرى ولكن الوزير أمره بأن لا يوصد بابه فى وجه سعادة البك لأنه صديق روحه ورفيق قلبه .

لقد دخل البك الثرى حجرة الوزير لم يقف ببابه لحظة واحدة ... دخل وخلف من ورائه موكباً لجباً يقف لدى الباب ، تنطوى الأيام وأن الواحد منهم ليخشى أن يحين حينه قبل أن يلقى معالى الوزير ...

كامل محمود حبيب

موكب الربيع ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

النغم النشوان

يا حبيبى ، ظمئت روحى وأضناها الحنين
أنا هيمان وشكى فيك يا حلو يقين
رقد الليل فما تفضح نجوانا العيون
قم نلبِّ دعوة الحب فدنيانا الفتون
زورق الحب على الشط كقلبى المطمئن
قم فهذى ليلة الحب وهيا لنغنى

* * *

أقبلت أطياف آذار تحيينا ابتساما
جددت للقلب أفراحاً وللروح هياما
فأقيموا للربيع السمح عيداً يا ندامى
عمت الفرحة وادينا أنسلوها نياما
يا هنائى آه لو كنت على الأحزان عونى
أتمناك على البعد وهل يجدى التمنى ؟

* * *

يا لياليها بوادى السحر عودى يا ليالى
لم أزل نشوان أستلهم أقباس الجمال
فالدجى غاف وبدرى والأمانىُّ حيالى
الهوى يوحى إلى نفسى تهاويل الخيال
أين يا ليل ندامای وأكوابى ودنى ؟
أترى يرجعها الليل فأسقى وأغنى

* * *

الضحى النشوان يغوينى وسحر الصبح يغرى
فأغنى وأغانى مع الأنسام تسرى
الهوى يحويه لحنى والشذا يطويه شعرى
فأنا زنبقة سح عليها صوب عطر
قل لمن ينكر شدوى أين من سمعك لحنى
لو تفهمت أناشيدى لما أنكرت فنى

(بغداد) عبد القادر رشيد الناصرى

من أدبنا المجهول :

المنصف

لابن وكيع المصرى المتوفى سنة ٣٩٣ هـ

للأستاذ السيد أحمد صقر

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

أو لم يسمع النافون عنه أخذ الكلام من النثر والنظام قول الفرزدق : نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة ؟ أو ما سمعوا قول الحكماء : من العبارة حسن الاستعارة ؟ وما شىء بأعجب من وقوع جملة الشعراء فى أمر يشترك فيه قديمهم ومحدثهم من استعارة الألفاظ والمعانى على مر الزمان بتحكيك الفحول منهم الشعر وتنقيحهم إياه ، حتى إنهم كانوا يسمون قصائدهم الحوليات ، لأنهم كانوا يعيدون فيها النظر حولا حولا قبل ظهورها ، فلم يعصمهم طول النظر وكد الخواطر والفكر من أن يلم بعضهم بكلام بعض . ثم لا يرضى مقرظ أبى الطيب حتى يدعى له السلامة الكاملة من عيب لم يتكامل فى أحد قط تكامله فيه . وأنى له بالسلامة من ذلك وقد جاء على ساقة أهل الشعر بعد استيلاء الناس على حلو الكلام ومره ، ونفعه وضره ، وهذا الظلم الواضح والأفك الفاضح .

وسأدل أولا على استعمال القدماء والمحدثين أخذ المعانى والألفاظ ، ثم أعود إلى تنخل شعر أبى الطيب ومعانيه ، وإثبات ما أجده فيه من مسروقات قوافيه التى لا يمكن فيها اتفاق الخواطر ، ولا تساوى الضمائر ، لأن ذلك يسوغ فى النذر القليل ، ويمتنع فى المتواتر الكثير . وسأنصفه فى كل ذلك ، فما استحقه على قائله سلمته إليه ، وما قصر فيه لم أدع التنبيه عليه ، لئلا يظن بنا الناظر فى كتابنا خوراً فى قصد ، أو تقصيراً فى نقد . وذلك يلزمنا إلحاق ما فيه عيب غير السرقة بالمسروق ، خوفاً من أن يقول قائل قد تجاوز عن أشياء من الغثاثات واللحون والمحالات كانت أولى من الذكر للسارقات . هذا إن لم يعبر عنا بالغفلة عنها إلا لتجاوز لها . وينبغى إذا عملنا على تسليم ما له من السرقات إليه ، ورد المقصر منها عليه ، أن أثبت لك وجوه السرقات ، محمودها ومذمومها ، وصحيحها وسقيمها ، وأعرفك ما يوجب للسارق الفضيلة ، وما يلحقه الرذيلة ، ليكون ما نورده له وعليه مقيساً على أس قد أحكمناه ، ونهج قد أوضحناه ، وما غرضنا فى ذلك الطعن على فاضل ، ولا التعصب لقائل ، وإنما غرضنا إفادتك ما استدعيناه ، وكفايتك الفحص عما استكفيناه ، لتظهر على خصمك ، وتزداد قوة فى علمك ، وبالله نستعين ، وعليه نتوكل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

هذه هى القدمة الرائعة التى قدم بها ابن وكيع المصرى بين يدى كتابه ، وفيها كل الغناء لمعرفة قيمة الكاتب والكتاب . وقد تحدث ابن وكيع بعد ذلك عن السرقات ووجوهها العشرة المحمودة ، ومثيلاتها المذمومة حديثاً معجباً مطرباً مركزاً شاملا ، ثم قال : « وقد عرفتك الآن وجوه السرقات محمودها ومذمومها لتسلم من الحيف عليه ، وتقضى فى الحقائق بما له وعليه مما أوجبه حكم السرقة من الإنصاف ، ولقبنا كتابنا « المنصف » لما قصدنا من إنصاف السارق والمسروق منه » .

وعقد بعد ذلك فصلا ضافياً عن أنواع البديع أو وجوهه ، كما يعبر ، ثم عقب عليه بقوله : « وقد قدمت لك من هذه الأقسام ما تقوى به معرفتك بنقد الشعر فائقه ومقصره ، وأطلعتك على سرائر رذله ومتخيره ، لتفاضل بين الشعراء بأصل ، وتنطق بعدل » . ثم شرع فى مقصوده الأصيل ، وهو بيان سرقات المتنبى . وقد نهج فى تبيانها منهجاً ممتازاً ، ذلك أنه تتبع شعر المتنبى تتبعاً تاريخياً ، وسايره بالنقد من أبياته الأولى إلى آخر قصيدة قالها ...

وقد خلا كتاب المنصف من ذلك الثقل البغيض الذى يشيع الملل فى نفس القارئ ، والذى تحسه واضحاً قوياً فى كتاب الوساطة . وما كان خلوه من ذلك الثقل مصادفة ولا عفواً ، وإنما كان أمراً قصد إليه المؤلف قصداً ، واحتال للخلاص منه احتيالا بإيراد الأخبار النادرة ، والمعانى الباهرة ، كاملة غير مُخدَّجة كلما اقتضى المقام إيرادها ، واستدعت المناسبة القوية ذكرها .

وقد نبه على صنيعه هذا فى مواطن كثيرة يقول فى أحدها :

« وإنما قصدناه قصداً ، وأتيناه عمداً ، لأن موضوع الكتاب الفائدة للقارئ ، ولسنا نأمن عليه من الإكثار عاقبة الإضجار بمعنى واحد من السرقات ، فنريد أن ننقله إلى استماع شعر مطرب ، أو خبر معجب ، لنروح عن قلبه ، ونجلو صدره ، بما فى الانتقال من حال إلى حال ، من مداواة القلوب من الأملال » .

ومما هو جدير بالذكر أن ابن وكيع قد اعتمد على ذوقه الخاص فى نقد شعر المتنبى ، ولم يقتصر على سرد أقوال السابقين من النقاد ، كما صنع غيره من المؤلفين ، وإنما أجال نظره ، وأعمل فكره ، وأدار عقله فى شعاب شعره ، ثم عبر عن مشاعره وآرائه وأحاسيسه وأفكاره فى قوة ووضوح وثقة واعتزاز ؛ ومن هنا كانت نفاسة الكتاب ، وسمو منزلته بين كتب النقد الأدبى .

وقد حرص ابن وكيع فى كتابه على أمرين عظيمين : نقد الصورة الشعرية ومحاولة إصلاحها ، والموازنة المفصلة بين المعانى التى يتوارد عليها الشعراء . فقد ضرب فى هذين اللونين من ألوان النقد بسهام وافرة ، وأتى فيها بما يعجب ويطرب ، ويلذ ويشوق

قرأ ابن وكيع قول المتنبى :

بدت قمراً ومالت خوط بان ... وفاحت عنبراً ورنت غزالا

فلم ترقه الصورة الشعرية ، لأن المتنبى قد أفسدها بإقحامه « العنبر » بين المشبهات التى شبه بها محبوبته ، وهى القمر ، والغصن ، والغزال ؛ فقال : وقوع « فاحت عنبراً » بين هذه التشبيهات التى هى أعضاء ، قلة صنمة ، وضيق عطن بما يليق فى البيت ، ولو قال « وماجت لجة » يريد ردفها كان البيت كله تشبيهات ، وكان أحسن فى صنعة الشعر ؛ ولو جمل البيت بثلاثة تشبيهات فقال : « تثنى مائداً ورنت غزالا » لا كتفى بذلك .

وجميع البيت موجود فى قول ابن الرومى :

إن أقبلت فالبدر لاح وإن مشت ... فالغصن مال وإن رنت فالريم

وقال البحترى :

فهى الشمس بهجة والقضيب ال ... نضر ليناً والريم طرفاً وجيداً

ويقرأ قول المتنبى :

بكيت يا ربع حتى كدت أبكيكا ... وجدت بى وبدمعى فى مغانيكا

فعم صباحاً لقد هيجت لى شجناً ... واردد تحيتنا إنا محيوكا

بأى حكم زمان صرت متخذاً ... رئم الفلا بدلا من رئم أهليكا

أيام فيك شموس ما انبعثن لنا ... إلا ابتعثن دماً باللحظ مسفوكا

فلا يعجبه البيت الأخير لأنه لا يشا كل البيت الذى قبله ، ولا تتسق به الصورة الشعرية فيقول : « هذا بيت ردىء الصنعة ، لأنه كان فى حديث الوحش ثم قال : « شموس » ولو قال « ظباء » كان قد أورد ما يجانس البيت الأول » وأحسن من قوله فى بقية البيت قول أشجع :

وإذا نظرت إلى محاسنها ... فلكل موضع نظرة قتل

وقال أبو نواس :

رسم الكرى بين الجفون محيل ... عفى عليه بكا عليه طويل

يا ناظراً ما أقلعت لحظاته ... إلا تشحط بينهن قتيل

قال ابن وكيع : وقد أخذت هذا المعنى فقلت :

لا ووجه لك بيدى ... صفحة السيف الصقيل

وسواد الشعر الأس ... ود فى الخد الأثيل

وعيون لك لا تط ... رف إلا عن قتيل

ما جميل الصبر عن مث ... لك عندى بجميل

ومن ميز بين اللفظين عرف الفرق بينهما .

ويقرأ ابن وكيع قول المتنبى :

شاب من الهجر فرق لمته ... فصار مثل الدمقس أسودها

فيقول : « تخصيصه الشيب فى فرق اللمة ضيق عطن بلفظ يعم جملة اللمة وكان ينبغى إذا خصص فرق اللمة بالشيب أن يقول « فصار مثل الدمقس أسوده » لعود الهاء على المذكر . ولو قال :

شابت لهجر الحبيب لمته ... فصار مثل الدمقس أسودها

كان فى الصنعة أملح ، وهو مأخوذ من قول القائل :

ينبى عنه أبان فى شعرى ... أبيضه بعد حسن أسوده

فى هذا البيت مجانسة من ذكر البين والإبانة ، وفيه مطابقة ، وفيه ضرب من استخراج معنى احتذى عليه ، وإن فارق ما قصد به إليه ، من ذلك قول امرئ القيس :

فظل العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتل

فشبه الأبيض بالأبيض ، فنقل أبو الطيب هذا التشبيه من الشحم إلى الشيب وشبه الأبيض بالأبيض ، ففى هذا البيت رجحان على ما قاله أبو الطيب ، والسابق أولى به .

ويقف ابن وكيع عند قول المتنبي :

وقابلني رمانتا غصن بانة يميل به بدر ويمسكه حقف

ويقول : « إضافة الرمانتين إلى غصن البانة تدل على أن أغصان البان من ثمرها الرمان ، وقد عرفنا مقصده ، إنما شبه الثديين بالرمانتين ، وقدها بالغصن ، وأرانا جمع خلفها غرائب لا تجتمع ، ولا تقع إلا فيه ، ولو أمكنه أن يقول : « رمانتان فى غصن بانة » كان أسوغ فى مقصده كما قال ابن الرومي :

أغصان بان عليها الدهر فاكهة وما الفواكه مما يحمل البان

فكل يعجب مما ليس فى العادة اجتماعه . فأما إطلاقه اللفظ على الرمان أنه من ثمر البان بغير مقدمة توضح مراده فلا أستحسنه ها هنا . وقوله : « يميل به بدر » فالبدر وجهه ، وليس يميل وجهه بقده ، لأن قده إذا مال ، مال بوجهه حيث يميل . وابن الرومى أشعر منه فى إثباته أن الفواكه ليست مما يحمل البان ، فدل على أن المراد التشبيه لا الحقائق ، وهو أولى به . وهذه معان متداولة إذا نشط لأحدها فلا بد من إخراج مواضعها ، ومع ذلك فقد عرفتك نقصان صنعته فيها ، وكلاهما بالسلامة أرجح وهما أولى بما قالا » .

ويوازن ابن وكيع بين قول المتنبي :

هم الناس إلا أنهم من مكارم تغنى بهم حضر ويحدو بهم سفر

وبين قول ابن الرومي :

وقد سار شعرى شرق أرض وغربها
وغنى به الحضر المقيمون والسفر

فيقول : « فألفاظ بيت ابن الرومى يأخذ بعضها بأعناق بعض ، وقد عرف « الحضر والسفر » بالألف واللام ، فيمكن أن يقال : إن الناس كلهم قد عنوا به ، وأبو الطيب نكر ، فأمكن أن يكون المعنى فرقة من الحضر وفرقة من السفر . وإذا كان كلام ابن الرومى أشرح وأمدح بإمكان العموم فيما خص فيه أبو الطيب ، فابن الرومى أحق بما قال . ولعل قائلا أن يقول : جمع أبو الطيب حالتى الغناء والحداء ، فصارت له زيادة فإنه إنما يحتسب له بذلك لو كان الغناء لا يكون إلا فى الحضر ، فإذا صلح للحضر والسفر ، لم يصح تقسيمه ، وقد قال عمر بن الخطاب : نعم زاد الراكب ، فجعله بمنزلة الزاد للمسافر .

ويقرأ ابن وكيع قول المتنبي يخاطب حادي عير حبيبته :

قفا قليلا بها علىّ فـــلا أقل من نظرة أزودها

فيقول : « معنى هذا البيت غير غريب . ولكن أبا الطيب لا يحقر شيئاً ، بل يأخذ الشعر الرفيع والوضيع ، وهو فى هذا الأخذ كما قال ابن المعتز فى المشق :

قلبي وثاب إلى ذا وذا ليس يرى شـــيئاً فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغى ويرحم القبـــح فيهواه

فيجب علينا الاهتمام بما اهتم ، وهـذا البيت من قول ذى الرمة :

فإن لم يكن إلا تعلل ساعة قليل فإنى نافع لى قليـــلها

وهو من قسم المساواة ، وقال ابن أبى فنن :

ما ضر لو زودت خلك نظرة قبل الرحيل وقلت قولا يجمل

إلى آخر ما هنالك من النفائس التى تضمنها كتاب (المنصف)

السيد أحمد صقر
المدرس بالليسية الفرنسية بمصر الجديدة

إلى وكرك يا قلبي !

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

إلى وكرك يا قلبي ففي وكرك أحلامك
تعانق فيه ما يوحيه من شعرك إلهامك
وتغفى فى جلال الحب والأحلام آلامك
وتزخر فيه أصداؤك بالنجوى وأنغامك
فقد تسحرك الدنيا فتستيقظ آثامك
إذا ما حدت عن وكرك أو غرتك أوهامك

إلى وكرك يا قلبي فقد حاصرنا الليل
وجنت حولنا الدنيا فلا وحى ولا عقل
وخفت زمر العشاق كالأحلام تنسل
دعتها الشهوة العمياء فانساق بها الرحل
وهامت فى ضلالتها بكأس قلما تحلو
فلذ بالوكر ياقلبي — حسبك ذلك الظل

إلى وكرك يا قلبي لتطرح عنك أعباءك
وتسمع فى سكون الليل من جارك أصداءك
ولا تعبأ بأضواء ينسينك أضواءك
فخلفك لم يزل يقظان يستلهم إحياءك
يطل عليك من مرقاه يستطلع أنباءك
فلا تحفل بمن تبسم ، أو تزمع إغواءك

إلى وكرك يا قلبي فإن الليل خداع
ترى الأضواء ساحرة وهذا السحر إيقاع
وهذى الفتنة الحيرى غوايات وأطماع
وهذا الحب يا قلبي ملذات وإمتاع
وهذى حية الجنات تلهو بالألى انصاعوا
فعد للوكر يا قلبي فلا تشقى وتلتاع

حسن كامل الصيرفي

دعاء الملاح الحائر

للأستاذ محمد خليفة التونسي

أيها الخابط فى اليم اتئد قد توغلت ، فهل تسمعنى ؟
يمم الشط ، فما فيما تود راحة ، آمنت أم لم تؤمن !

يمم الشط الذى منه أتيت تحظ بالراحة فيه والسكون
أنت — لا شك ، إذا أوغلت — ميْت
حينما يبتلع اليم السفين

يمم الشط ، ولا تخدع بما يتراءى لك فى الأفق البعيد
تلك أوهام كِذَّاب كلما زدت إيغالاً تراءت من جديد

تلك أوهام على اليم تلوح راقصات فى جمال ساحر
لا يراها غير ذى القلب الطموح فيفاديها بعزم صابر

فإذا أوغل لم يظفر بما كان يرجو من نعيم وسلام
وهو — لا بد — سيفنى ندما إذ يرى اليم ظلاماً فى ظلام

قد يريد المرء ما فيه دماره ولقد ينكر ما فيه علاه
من له — والغيب محجوب سراره
عنه — أن يعرف ماذا منتهاه

أيها السادر فى أحلامه لا تطاوع شهوة السبح اللجوج
آفة الإنسان فى أوهامه وإذا شط الهوى عز الخروج

ما لهذا اليم حد ينتهى عنده ، والسبح لا يجديك غنما
لا ، ولن تلق به ما تشتهى من مُنى أفنين أيامك هما .

يمم الشط ، ودع ما يثقلك حسبك الشط ، ففى الشط غناء
خير أوهامك وهم يحملك ويعزيك إذا عز العزاء

إنما دنياك لهو ولعب وهما أنفس ما يقنى الرجال
فاله والعب طالما اسطعت تصب خير ما فى وسع أبناء الزوال

(كوبرى القبة) محمد خليفة التونسي



من طرائف العلم :

عند ما تتقلص الشمس

صرح العلامة سير جيمس جينز أن الشواهد تدل على أن الذرات الكائنة فى مركز الشمس تكاد تتقلص تقلصاً هائلا ، فيصير مصدر إضاءة المجموعة الشمسية نجماً باهت اللون ، يعجز عن إمداد وجه البسيطة بالحرارة التى تكفل استمرار الحياة ، وأن احتمال انقلاب الشمس إلى نجم ضعيف الضوء قد يحدث فى أية لحظة .

فهل معنى ذلك أن حياة البشر تبلغ نهايتها سريعاً ؟ ! إن مقياس الزمن — لحسن الحظ — فى تقدير الفلكيين لمثل هذه النهاية يعادل ملايين الملايين من السنين . فإن تكن خاتمة الأرض قريبة فى عرفهم ، فإنا نستغرق أجيالا وأجيالا قبل أن تكون .

على أن الباحث قد يتأمل ويسأل : ما الذى يحدث إذا تقلصت الشمس وتحولت إلى نجم من النجوم التى تدعى «الأقزام البيض» ؟ إن مثل هذا النوع من النجوم له كثافات تفوق كثافة الماء آلاف المرات . فتوأم الشعرى ٤ و ٤٠ أريدانى ، وڤان مانن كثافتهما على التوالى ٤٤ ألف ، و ٩٠ ألف و ٥٥٠ ألف كثافة الماء . أى أن جزءاً صغيراً من النجم ڤان مانن فى حجم عود الثقاب قد يزن وبع طن على الأرض . أما توأم الشعرى فكتلته تضارع كتلة الشمس تقريباً . ولذلك يمكن الباحث أن يفرض أنه إذا حدث للشمس انقلاب ما ، فإنها تتحول إلى ما تحول إليه هذا النجم . وسيجد فى هذه الحالة أن جزءاً صغيراً جداً من الشمس المتقلصة قد يزن عدة أرطال على الأرض .

ولكن كثافة الشمس فى حالتها الراهنة تعادل كثافة الماء ١ر٤١ مرة . فجزء منها فى حجم عود الثقاب يزن ضعف وزن عود الثقاب العادى المصنوع من الخشب الذى كثافته ٧ر٠ من كثافة الماء . أى أن هذا الجزء من الشمس يزن ١/٥ من الأوقية .

وعند ما تتقلص الشمس ، ينكمش قرصها إلى ما يقرب من ١/٢٣ من قطرها الحالى ، وبذلك تنقص مساحتها آلاف المرات عن مساحتها الراهنة . وإذا فرض أن حرارة سطح الشمس وشدة إضاءتها لا تتغيران أثناء التقلص ، فإنهما ستكونان بعد ذلك أقل ألف مرة من ذى قبل . إن شدة إضاءة الشمس لسطح الكرة الأرضية فى يوم من أيام الصيف تقدر بنحو عشرة آلاف شمعة للقدم الواحدة . أى أنه إذا وضعت عشرة آلاف شمعة على ارتفاع قدم واحدة من سطح الأرض فإن إضاءتها تعادل إضاءة الشمس ، للقدم الواحدة . وعند ما تتقلص الشمس تنخفض شدة إضاءتها إلى ما يقرب من عشر شمعات للقدم الواحدة فى يوم صافى السماء ، أو خمس شمعات فى يوم كثير الغيم . وعلى ذلك ، فإضاءة الأرض نهاراً لن تعادل أكثر من إضاءة إحدى الغرف ليلا بمصباح كهربائى عادى . ولما كانت شدة إضاءة الغرفة نهاراً تقدر بحوالى ١/٢٠٠ من الإضاءة فى العراء ، فإن الشمس المتقلصة لن تكون قوة إضاءتها فى الداخل تقدر بأكثر من عشر الشمعة . وستصبح حينئذ إضاءة القمر ١/١٠٠ من إضاءته الحالية ، وبذلك تتعذر رؤيته .

ولكن قبل أن تصل الأرض إلى حقبة التثلج الأبدى ، تمر عليها أطوار غريبة الحوادث أثناء التغييرات المستمرة داخل الشمس . ويتنبأ العلماء أنه عند ما تفقد ذرات الشمس المركزية آخر كهاربها يحدث تقلص عام فيها ، يكون من جرائه تولد الزلازل على الأرض ، وانتشار البرودة على سطحها ، ولكن قد تحدث فى بعض الأحيان اندلاعات نارية قصيرة الأمد تسبب جواً

حاراً على سطح البسيطة ، فينشأ من هذه الحرارة الفجائية كثير من الأمراض كضربة الشمس والحميات وغيرها . ويتلف المحصول الزراعى من التغير الحرارى ، وتموت العضويات الصغيرة . وتقوم الشعوب الجائعة تطالب بتشكيل هيئة حكومية عالية قادرة على توفير الغذاء . وتقوم هيئة تنفيذية دولية بتنظيم السفر إلى المناطق الاستوائية الحارة ، حيث الحرارة تلائم المعيشة . ولن تمنح تصريحات السفر إلا لكل من ينتفع بمعلوماته وأعماله للمحافظة على كيان البشر . وسيهلك الكثيرون جوعاً .

وأول من يسافر إلى المناطق الاستوائية علماء طبقات الأرض والمهندسون والمدنون والكيماويون . فعلماء طبقات الأرض يبحثون عن أماكن مناسبة لإيواء الناس ، والمهندسون يعملون على تشييد الملاجئ والمساكن . وستكون لخبرة المدنين فى إنشاء طرق تحت الأرض منفعة هائلة يتمتع المدنون من جرائها بنفوذ اجتماعى كبير . أما الكيماويون فيقومون بإنتاج شتى أنواع الطعام الصناعى بدلا من ذلك الذى ضاع بتلف المحصول الزراعى ، وهلاك الماشية .

وعند ما يستقر الناس فى معيشتهم الجديدة ، سيجدون أن سطح الأرض قد تغير تغيراً كبيراً . فتتجمد مياه المحيطات والبحار تجمداً تاماً ، وتزداد البرودة زيادة هائلة ، ويتكاثف بخار الماء من الجو وبذلك تخلو السماء تماماً من السحب .

ولعل الإنسان يعمل على تكييف نفسه فى ذلك الوسط الجديد ، فإن لم يستطع فقد وصل إلى نهايته المحتومة .

محمد فتحى عبد الوهاب

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

الفن بين واقع الفكر وواقع الحياة :

إنى لمغتبط إذ أرى شخصية أدبية ممتازة كشخصيتك ، تقف فى « الرسالة » القراء طارقاً بأسلوبك التحليلى النفيس شخصية الأستاذ توفيق الحكيم الأدبية .. الواقع أن هذا الكاتب الكبير الذى تربى فى أحضان القانون واجتذبه الأدب إلى أحضانه وانتزعه من البيئة التى نبت فيها وعاش فى كنفها ، كان شمساً جديدة ضمت إلى شمس الأدب فزادت الأدب العربى نوراً وبهجة وَرواء ! .

إننى لا أوافقك على رأيك عند ما تقول : « إن توفيق الحكيم فى واقع الحياة يعيش فى دنياه هو لا فى دنيا الناس » .. إن أمامنا مثلا واضحاً يظهر جلياً فى كتابه « يوميات نائب فى الأرياف » الذى ألفه بعد أن كان وكيلا للنائب العام . يقرأه الإنسان فيحس إحساساً عميقاً من قرارة نفسه أن الأستاذ الحكيم فى هذا الكتاب أديب وفيلسوف ... تارة يتهكم على بعض مفارقات الحياة ، وتارة أخرى يسمو بفكرته ويحلق بالقارئ فيخيل إليه أنه فى قلب المحكمة يسمع ويرى المتقاضين والمتهمين ، ويعالج بقلمه بؤس الفلاحين فيؤكد لنا أنه يعيش فى دنيا الناس لا فى دنياه هو كما تقول ! .

فهل للأستاذ أن يتناول بقلمه الرائع لمحة خاطفة عن شخصية الأستاذ الحكيم فى كتابه « يوميات نائب فى الأرياف » ، الذى يصدره بتلك الكلمات : « أيتها الصفحات التى لن تنشر ، ما أنت إلا نافذة مفتوحة أطلق منها حريتى فى ساعات الضيق » ؟.

محمد رضوان

كلية الحقوق جامعة فؤاد

الفن فى ميزان القلب والشعور :

إن كلمتك التى طالعناها فى « الرسالة » عن الأستاذ توفيق الحكيم رغم قصرها وتركيزها قد أطلعتنا على كثير من الحقائق والقيم التى لم يطلعنا عليها كاتب من قبل ، إننا نهنئك من أعماق نفوسنا على أنك لم تتأثر فى نقدك — كما يفعل الغير — بالصداقة وما تفرضه من مجاملات ! ولكن الحقيقة الكبرى التى أحب أن تفسرها لنا تفسيراً كاملا وصريحاً هى قولك : « صراع نفسى وهذا هو المعجب ، وقلب إنسانى وهذا هو الأعجب » ... هل نفهم من هذه اللمسة السريعة العابرة أن الأستاذ توفيق الحكيم لا يهتز بين جنبيه قلب قوى الخفقات مكتمل النبضات ؟ إن هذه النقطة هى أهم ما يجب أن تكشف لنا عنه فى كلمات حاسمة وفاصلة ، لأنها فى الواقع مثار كل خلاف بين أنصار فن الأستاذ الحكيم وبين خصومه ! .

مصطفى عبد العليم

دبلوم معهدى الصحافة والتربية

ناحيتان جديرتان بالبحث والدراسة بعد أن عرض لهما فى هاتين الرسالتين أديبان فاضلان ... الواقع أننى كنت أشعر وأنا أكتب عن الأستاذ توفيق الحكيم أن هناك قراء سيدفعهم التركيز فيما كتبت إلى شىء من الاستفسار ، لأننى كنت أحرص كل الحرص على إبراز القواعد العامة وأعنى كل العناية برسم الخطوط الرئيسية . ومرجع هذا إلى أن الأديب الفاضل الذى رغب إلىّ أن أكتب فى هذا الموضوع ، قد ألزمنى أن أدور حول هذا الهدف وأن أتحدث فى حدود هذا النطاق ... وإذن فلا بأس من العودة إلى ما سبق أن عرضت له من آراء وأحكام ، لأتناول بالتوضيح بعض ما لم يتضح عند الإشارة العامة واللمحة العابرة ، لينتفى فى رحاب الشرح والتفصيل ما غمض فى رحاب الإيجاز والتركيز ! .

أول شىء أقرره فى مجال الرد على الرسالة الأولى هو أننى أوافق صاحبها على ما أبداه من رأى فى شخصية الأستاذ الحكيم الأدبية ... الواقع أن هذا الفنان مهما وجه إليه من نقد ومهما أخذ على فنه من نقص ، فستبقى حقيقة يقررها كل منصف حين تؤرخ هذه الفترة من أدبنا العربى المعاصر ، وهى أن توفيق الحكيم هو واضع الدعامة الأولى للأدب المسرحى الحديث فى مصر . قد يأتى بعده فى هذا الجيل أو الجيل الذى يليه من يرفع البناء الفنى

لهذا الأدب طبقات ، ولكن توفيق سيظل فى ميزان التاريخ الأدبى هو البانى الأول والموجه الأول ، فلولاه لما كان عندنا قصة فنية ، ولما كان عندنا مسرحية ناضجة ، ولما كان عندنا نفر من كتاب الشباب يستطيعون أن يحملوا الراية حين يخلو لهم الميدان ... إن لم يكن اليوم ففى الغد القريب على كل حال . والفضل كل الفضل لأن هذا الفنان قد حمل المشعل منذ سنين فأنار الطريق ، ودفع السالكين بكلتا يديه إلى الأمام !

إننى حين أعلن أن بعض جوانب هذه الشخصية الأدبية لا يرضينى فليس معنى هذا أن توفيق الحكيم يقف وحده فى مجال النقص والقصور ، كلا ... فما يسلم كاتب فى الشرق ولا فى الغرب من هذا الذى يأخذه النقد على توفيق الحكيم ! إن « أوديب الملك » التى أخرجها منذ شهور لم تبلغ الغاية التى كنت أرجوها من كاتب يدرك تمام الإدراك ما ينتظره من صعاب وهو يطرق أبواب سوفوكليس ، ولكن هذا العمل الفنى الذى أخفق فيه توفيق الحكيم وهو يواجه عميد التراجيديا اليونانية يعلو فوق مستوى أمثاله عند من حاولوا نفس المحاولة من كتاب المسرحية فى أدب الغرب ، وسأقف فى كل وقت وفى كل مكان لأقول إن « أوديب » توفيق الحكيم أفضل بكثير من « أوديب » جان كوكتو وأندرية جيد !

بعد هذا أعود فأقول للأديب الحقوقى الفاضل إننى حين قلت عن توفيق الحكيم إنه يعيش فى دنياه هو لا فى دنيا الناس كنت أرمى إلى أدبه المسرحى لا إلى هذا الأدب الذى يدخل فى باب اليوميات ... إن الكتاب الذى أشار إليه لا يعد قصة بالمعنى المفهوم من القصة ، ولكنه مشاهدات نقلها الأستاذ الحكيم من واقع الحياة إلى الفن بعد أن لونتها ريشة القصاص بألوان العرض الفنى الذى يأخذ من القصة ثوبها الخارجى ولا يتعداه . ومع ذلك فأنا أحب أن أوضح نقطة تدخل فى صميم هذا الجانب الذى نبحث فيه ، وهو أن توفيق الحكيم قد مضى يعالج فن المسرحية فى الوقت الذى ابتعد فيه عن الحياة وانطوى على نفسه . إنك عند ما تقرأ أعماله الفنية الأولى التى سجلها ليصور بها تلك البيئات المختلفة التى عاش فيها بالجسم والفكر والروح والحواس تلمس أن الحياة تتنفس تنفساً عميقاً فى فنه ، وأن عدسة القصاص قد بلغت من دقة اللقطات ما لا يتهيأ إلا لكل فنان مفتوح العينين والقلب والذهن ... اقرأ مثلا « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » تحس أن الحياة فيهما تكاد تنتفض بين يديك وتتحرك أمام ناظريك ؛ تنتفض بمواكب لا تحصى من الصور النفسية والنماذج البشرية ! لقد كانت العدسة البارعة تنتقل من الشوارع إلى الأزقة ، من المدينة إلى القرية ، من القصر إلى الكوخ : ترقب ، وتتأمل ، وتسجل ... وإذا حرارة التعبير قد ارتفعت لتلفح إحساسك على الورق ، وإذا لمحة الخاطر قد استحالت فكرة فى ثنايا العرض ، وإذا ركب الأحياء قد انتقل فى حركة نابضة إلى السطور والكلمات !

لقد كان توفيق الحكيم يعب الحياة عباً إن صح هذا التعبير يوم أن كان يطل على ميدان الحياة الفسيح المترامى أمام عينيه كان يطل من نافذة مفتوحة ، هى نافذة الحواس المتحفزة لالتقاط كل ما تقع عليه من صور فى دقة ووعى وانتباه ، وهذه هى الفترات المستيقظة فى فن توفيق الحكيم ... فترات مستيقظة نقلت عن كتاب الحياة سطوراً فيها عمق وروح وأصالة ، فإذا « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » نسختان أمينتان تغمض عينيك بعد الفراغ منهما لتبدأ الحياة سيرها فى دروب النفس ومسارب الشعور ، ولا بأس من أن تغمض عينيك فإن الصورة قد انطبعت على صفحة الفكر والخيال ! ... هذا هو الفن الرفيع حين يتصل بالحياة وحين يقبس من الحياة ، ليعيدها إليك لوحة تكتمل فيها الزوايا وتأتلف الأبعاد .

فى حى السيدة زينب جلس توفيق الحكيم إلى مائدة الحياة فتذوق من ألوان الطعوم ما شممت رائحته فى « عودة الروح » . وفى مدينة دسوق قضى فترة من شبابه وكيلا للنائب العام ، يتحدث إلى الحياة وتتحدث إليه ، حتى نقل إليك حديثهما ذلك الطلى النابض فى « يوميات نائب الأرياف » .. وفى مدينة النور قدمت إليه الحياة كأساً غير الكأس وسقته من رحيق غير الرحيق ، وكان مذاق هذه الكأس الجديدة هو تلك الجرعة الملهبة فى « زهرة العمر » و « عصفور من الشرق » . فى كل عمل من هذه الأعمال الفنية خامة قصصية تستمد نفاستها من هذا المعدن الممتاز الذى لا يخبو له ضوء ... معدن الحياة !

ولكن توفيق الحكيم ينتقل من حال إلى حال ... يغلق النافذة المفتوحة التى كان يطل منها على ميدان الحياة الفسيح المترامى أمام عينيه ، وكأنى به قد سئم ضجيج الحياة والأحياء ! ولا بأس عنده من أن يرقب هذا المسرح الزاخر بالنظارة والممثلين

من وراء هـذه النافذة ذات الزجاج « المصنفر » الذى يحجب الرؤية عن الأنظار ، ولـكن هذا الزجاج « المصنفر » لا يتيح له الرؤية الكاملة لتلك الفصول المتعاقبة من رواية الحياة ... وإذن فلا مناص من الرجوع إلى المخيلة فى تمثل حركات النظارة والممثلين ! وهنا مفرق الطريق بين عهد وعهد فى أعمال توفيق الحكيم الفنية ... فن يأخذ مادته من الحياة فى فترة من فترات شبابه ، وفن آخر يأخذ مادته من المخيلة فى فترة من فترات ما بعد الشباب ، ويسدل الستار أو يكاد على تلك الألوان التى تستمد عناصرها ومقوماتها من واقع الحياة ، ليرفع مرة أخرى عن تلك الألوان التى تستمد عناصرها ومقوماتها من واقع الأساطير ! ...

قد يقول بعض النقاد إن الأسطورة فى فن توفيق الحكيم مرجعها إلى أنه يريد أن يحلق فى كل أفق ويريد أن يطرق كل ميدان ؛ وقد يبدو هذا التفسير مقبولا لو كان هناك شىء من الاقتصاد فى العمل الفنى الأسطورى ولـكنه إغراق له دلالته ومرماه ، وأبلغ الدلالة فيه أن توفيق الحكيم قد ابتعد عن الحياة وأن الحياة قد ابتعدت عنه ، وحين غاب عالم الصور الحية عن ناظرية لجأ إلى عالم الرؤى والأطياف ؛ عالم المخيلة التى ترتب المنظر ، وتحرك الشخوص ، وتصنع الحوار ، من وراء النافذة المغلقة لا فى رحاب الهواء الطليق !

ومن يدرى فلعل توفيق الحكيم يعود مرة أخرى إلى الحياة بعد هذا الهجر الذى طال أمده واتسع مداه ، ولعله يكون قد عاد فى هـذه المسرحية التى تعرض منذ أيام على مسرح الأوبرا الملـكية ... إننى لم أشاهدها بعد ، وأرجو إذا ما شاهدتها أن تتحقق هذه الأمنية التى أنتظرها منذ بعيد ، وهى رؤية فن توفيق يعب الحياة عبا كما كان . عندئذ سألهب قلبى من الإعجاب وكفى من التصفيق !

بعد هذا أعود إلى الرسالة الثانية لأقول لصاحبها إن مسألة القلب الإنسانى فى فن توفيق الحكيم هى مشكلة المشكلات ... هل يملك قلبا إنسانيا أم لا يملك ؟

هذا هو السؤال ! إنه يملك هـذا القلب ، ولـكنه القلب الذى لا يفتح على مصراعيه لتتدفع النبضات قوية جياشة متدفقة . إنه قلب يفتحه صاحبه للحياة بمقدار ، ويفتحه للناس بمقدار ، ويفتحه للفن بمقدار ... وفى غمرة هذا الضعف فى الخفقة القلبية تطغى الموجة الفـكرية والومضة الذهنية ، هذا الطغيان الجارف فى قصصه ومسرحياته !

فى « عودة الروح » و « زهرة العمر » و « عصفور من الشرق » و « الرباط المقدس » و « شهرزاد » و « بجماليون » و « أهل الـكهف » تحس إحساسا عميقا أن نافذة القلب الإنسانى فى فن توفيق الحـكيم لم تـكن تفتح لتهب منها رياح الوجـدان ، حتى تعود فتنغلق أمام عواصف الفـكر المنبعثة من تأملات الذهن وسبحات الخيال ! أما فى « سليمان الحكيم » فقد انتصر القلب على العقل ... وهـذه هى المعجزة التى دفعتنى إلى القول بأن هذه المسرحيـة تقف منفردة باكتمال « الصراع النفسى » وقوة النبضات فى القلب الإنسانى ، ودفعتنى إلى الظن بأن توفيق الحكيم كان يعيش فى نفس التجربة الشعورية التى صورها بقلمـه لقلب « بلقيس » بين حب « منذر » وجاه « سليمان » ! . . . من هنا قلت وأنا فى معرض الحديث عن « سليمان الحـكيم » : « صراع نفسى وهذا هو العجب ، وقلب إنسانى وهـذا هو الأعجب » ؛ لقد كان مصدر العجب البالغ أن توفيق قد خلا إلى قلبه خلوة طويلة ، تمت فى غفلة من عين هذا الرقيب الصاحى الذى لا يغفل ، وأعنى به الفـكر ! .

إن الفن فى ميزان الذهن المجرد شىء ، وفى ميزان القلب النابض شىء آخر ؛ هناك هزات فـكرية ، وهنا هزات شعورية . وما أبعد الفارق بين الفنين فى حساب النفس وحساب الزمن ! .

دفاع مضحك عن سلامة موسى :

لى صديق أديب هو فى الوقت نفسه صديق للأستاذ سلامة موسى ، ولـكن يظهر أن إخلاصه للـكاتب (الجبار) يفوق إخلاصه لى ... والدليل على ذلك أنه كتب فى الرد على مقالين أحدهما فى « الأديب » والآخر فى « المقتطف » ، حاول فيهما بكل ما أوتى من علم أستاذه أن يرفعه إلى السماء ؛ ولـكن السماء كانت قد امتلأت بضحكات الساخرين فلم يبق فيها مكان للـكاتب الجبار فبقى كما تركته منذ أسابيع .. على الأرض !! إن سلامة موسى فى رأى تلميذه الذى لا أعرف له تلميـذا سواه « مفخرة خمسة أجيال فى تاريخ مصر ، وإذا كان لـكل كاتب مدرسة فإن المدرسة الأولى للدكتور طه حسين بك بلا منازع ، والمدرسـة الثانية منسوبة إلى الأستاذ سلامة موسى بغـير شك » ... هكذا والله العظيم ! ولو سئلت النمـلة رأيها فى الذبابة لقالت : هـذا فيل كبير ! ! .

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أين هو الربيع :

حفلت الصحف والمجلات المصرية في هذا الأسبوع بالكلام على الربيع وبصور الربيع ، وتفنن بعضها في عرض صور الحسان فهذه تخلع للربيع ، وهذه تغفو ليصف الشاعر الفتنة النائمة ، وهذه تتحدى أزهار الربيع بما تبدى من مفاتن . وترى هنا وهناك قصائد يتغنى فيها الشعراء بالربيع وما يسبغ على الكون من جمال .

ذلك كله على رغم هذا الجو المتقلب الذي لا يستقر على حال وعلى رغم هذه الرياح ، رياح الخماسين ، التي تقذى العيون وتزكم الأنوف . فأين هو الربيع ؟ إن هذا الجو الكدر المضطرب سينقلب بعد قليل إلى حر لا يطاق .

إذا كان للربيع وجود فهو في بلاد أخرى غير مصر ، شرقية وغربية ، وهم يشعرون به لأنه يأتي عندهم بعد شتاء قاس ، وينتقل فيه الجو ببطء وتدرج ؛ أما عندنا فهو انتقال من شتاء معتدل ، وإيذان بصيف ثقيل ، وهو فترة مضطربة لا يستقر فيها الجو على حال . وإني أشعر أن الخريف عندنا أجمل من الربيع ، فهو يقبل بعد الصيف كما تقبل نسمات الأصيل بعد الهجير ، والجو فيه أكثر استقراراً من الربيع ، ولم أر فيه شجراً يسقط ورقه كما يقولون ، فالشجر في مصر دائم الإيراق وقليل منه يسقط في الشتاء ، والأزهار كثيرة ناضرة فيها على مدى العام ، وحتى صور الحسان في الصحف والمجلات لا تنقطع لها مناسبة ...

فما نصيب تلك المظاهر التي نصطنعها في الربيع من الصدق؟ أليست كلها تقليداً في تقليد ؟ وكم من شاعر يتغنى بجمال الربيع وليس في عالمه إلا جدران قهوة أو غرفة مغلقة ، ويتحدث عن الحب في الربيع وهو لا يحب غير نشر القصيدة أو إلقاؤها في حفل ، ويشيد بشدو الطيور وهو لا يسمع غير ما يطلبه المستمعون من الإذاعة ...

إن الربيع الحقيقي في مصر هو (البرسيم) ربيع الحمير ...

ذكرى اقبال :

احتفت سفارة الباكستان في القاهرة بالذكرى الحادية عشرة للشاعر الفيلسوف محمد إقبال ، يوم الخميس الماضي في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية . وقد ألقى سفير الباكستان الحاج عبد الستار سيت كلمة ترحيب ، وألقى الدكتور حسين الهمداني محاضرة عن حياة الشاعر وشعره ، وألقى الدكتور عثمان أمين محاضرة عن « إقبال الفيلسوف » وأنشد كل من الشاعرين محمود حسن اسماعيل ومحمد مصطفى حمام قصيدة ، وألقى آخرون كلمات أخرى .

وقد تضمنت كلمة الدكتور الهمداني أن إقبال ولد سنة ١٨٧٣ في عائلة براهمية تشتغل بالزراعة في قرية (لوهار) بكشمير . وبعد أن أتم تعليمه في المعاهد الهندية لم يلتحق بخدمة الحكومة لضعف بصره فتفرغ للأدب والشعر . ثم رحل إلى أوربا سنة ١٩٠٥ قاصداً كمبردج ثم هيدلبرج بألمانيا ثم ميونخ حيث حصل على شهادة الدكتوراه نتيجة لرسالة قدمها بعنوان « تطور الفكرة العقلية في إيران » وفي سنة ١٩٠٨ حصل على شهادة في القانون وعاد إلى وطنه .

وقال إن إقبال عندما اقتحم باب الشعر ألفى الوخم والكسل والقنوط مخيمة على حياة الناس كافة كما وجد روح التشاؤم سائداً من جراء الاستعمار ، فأيقظ قومه وبعث فيهم الكفاح والحياة ، ومزق الأستار التي كانت تحجب الحقائق عن أعين الشعب . ولم يقتصر على الخيال والجمال الفني في شعره بل راح يجاهد ويهيب بقومه أن يقلعوا عن أفكارهم القديمة ويتجردوا من روح التواكل الذي كان يشيع بينهم . وقد نادى بوجوب انفصال المسلمين عن الهندوس وتكوين دولة خاصة بهم ، فتحققت أحلامه بعد وفاته وقامت دولة الباكستان .

وقد ألقى سعادة السفير كلمته بالإنجليزية ، ومما يذكر لذلك أن في الباكستان الآن حركة تهدف إلى نشر اللغة العربية ، فقد تقرر تعليمها بالمدارس الباكستانية على نطاق واسع ،

وجاء في نشرة لسفارة الباكستان بالقاهرة أن متحدثاً بلسان وزارة المعارف الباكستانية قال إن الحروف العربية أثبتت تفوقها على الحروف الأردية ، وقد عرف المؤيدون لاستعمال الحروف العربية أن ذلك يدعو إلى توثيق العلاقات بسائر الأمم الإسلامية ، كما أنه يعتبر الوسيلة الفعالة للنهوض بالتجانس الثقافي وتوحيد الغايات إلى المستقبل القومي .

ومما يذكر أيضاً أن رجال الدولة في الباكستان ضربوا المثل بأنفسهم فجعلوا يتعلمون اللغة العربية . ولا أشك في أنه لن يطول الأمد حتى يلقى سفير الباكستان بالقاهرة كلمته في ذكرى إقبال باللغة العربية .

المصري أفندي :

هو الفلم الذي عرض في الأسابيع الأخيرة بسينما مترو بالقاهرة ، وقد ألف قصته محمد كامل حسن ، وأخرجه ومثل البطل الأول فيه حسين صدقي وممن اشترك معه في التمثيل اسماعيل يس ومديحة يسرى ولولا صدقي . ويعالج الفلم قضية إنسانية في صور من البيئة المصرية ، تلك هي مشكلة الأولاد وحالة الأب المعيشية ، فالمصري افندي (حسين صدقي) شاب فقير يرزق أو « يصاب » بأولاد كثيرين ، توائم وغير توائم ، من زوجته (مديحة يسرى) وتمر الأسرة بشدائد تجعل الوالد يضيق بأولاده ، ويكاد يتحطم عند ما يفاجأ بثلاثة توائم . ثم تنجاب الشدائد ويقبل المال وتتبدل الحال غير الحال ... ولكن الأحداث تذهب بالأولاد ولا يبقى إلا ابنت واحدة (عيشة) التي تصاب بمرض شديد فلا تشفى منه إلا وهي مقعدة . ويصبح الوالد من كبار الأغنياء ولكنه في الوقت نفسه أكبر الأشقياء ، فقد هده الحزن على أولاده وخاصة حسن الذي اختفى ولم يُعرف له مقر ، وتنتهي الرواية باللقاء بين الولد المفقود الذي صار شاباً وبين والديه المحطمين والأخت المقعدة التي تذهلها المفاجأة السارة عن حالها ، فتهب واقفة تمشي نحو أخيها حسن ...

ويعرض الفلم صوراً رائعة من الحب الزوجي والتعاون بين الزوجين في الملمات ، إلى جانب ما يبينه من تفاهة المال وعدم جدواه في السعادة الحقيقية . ويمتاز الفلم بالروعة الأصيلة ، والوصول إلى الأهداف عن

كشكول الأسبوع

□ أقول للسائلين عن افتتاحيات عميد الرسالة : إن الأستاذ رأى — عملا بمشورة الأطباء — أن يمسك عن الكتابة لفترة وجيزة ، نرجو أن يستعيد فيها نشاطه ويستكمل صحته .

□ الذي فاز بجائزة فؤاد الأول للآداب هذا العام ، هو الدكتور طه حسين بك عن كتاب « هامش السيرة » .

□ قرر مجلس الوزراء تعيين الشاعر الكبير الأستاذ علي محمود طه وكيلا لدار الكتب المصرية

□ تبين أن بعض القصص والتمثيليات الفائزة في مسابقة الإذاعة غير صالحة للاذاعة ... فلم إذن حكم بفوزها وإجازتها ؟ ألكثرة النقود ؟ وماذا ستقول إدارة الإذاعة لديوان المحاسبة ؟

□ جرت رابطة الأدباء على منح الألقاب جزافاً لمن يحاضرون بها ، ومن ذلك « صاحب العزة مبارك بك إبراهيم » والأستاذ مبارك إبراهيم أديب فاضل ولكنه ليس (بك) وهو وكيل الرابطة ، ونعم الوكيل ... وقد تحدث في محاضرته عن زجال صعيدي اسمه « أبو عليوة » .

□ حدث في الحفلة النهائية لمبارزة السيف العالمية التي جرت في مصر أخيراً ، أن تقدم اللاعب الإيطالي الفائز لمصافحة منافسه الفرنسي ، فاستقبله هذا المنافس بضربة قوية ... لو حدث هذا من مصري أو أي شرقي لقامت صحف العالم الغربي تندد بالوحشية والفوضى . وبعد فنقدم هذا الفرنسي « المتمدن » هدية لصحف بلاده التي كانت تشهر بمصر والمصريين .

□ تقرر أن يحتفل بالذكرى الألفية لابن سينا في مارس من العام القادم ببغداد . وتعمل الجامعة العربية على طبع ما لم يطبع من مؤلفات ابن سينا ، كما تعمل على تنسيق العلاقة بين احتفالها بذكراه واحتفال إيران بها في العام القادم أيضاً .

□ قررت نقابة الصحفيين دعوة بعض رجال الصحافة القدماء ممن اعتزلوا العمل بالصحافة أمثال هيكل باشا وحافظ عوض بك ، إلى إلقاء محاضرات عن ذكرياتهم الصحفية ، على أن يتحدث بعضهم عن بعض .

□ وقعت اللجنة المالية بمجلس النواب على زيادة إعانة الفرقة المصرية من ١٣ ألف جنيه إلى ٢٠ ألف جنيه ، وزيادة المبلغ المعتمد للتأليف المسرحي من ١٥٠٠ جنيه إلى ٣٠٠٠ جنيه ، واعتماد ثمانية آلاف جنيه في ميزانية وزارة الشؤن الاجتماعية لتأليف فرقة من بين خريجي معهد التمثيل العالي يطلق عليها « فرقة الطليعة »

□ رفع أحد المؤلفين دعوى على إحدى المجلات أمام محكمة مصر التجارية ، لأنها نشرت فقرات من كتاب له ، فقضت له المحكمة بجنيهين تعويضاً من صاحب المجلة ، مقررة بذلك حق الملكية الأدبية .

□ تعلن الفرقة المصرية عن رواية « سر الحاكم بأمر الله » فتهمل اسم مؤلفها الأستاذ أحمد علي باكثير ، ولكنها لا تستطيع ذلك في الإعلان عن مسرحية « اللص » للأستاذ توفيق الحكيم . فهل هي أرستقراطية فنية ..؟

طريق العرض الفني من غير إشعار بوعظ ، والخلو من التهريج والحشو ، والفكاهة فيه طبيعية غير مقحمة ، ويبلغ فيه اسماعيل يس غاية الظرف ، وهو يؤدى دور الغنى الذى لا يشعر بحاجة إلى تنمية المال حتى يولد له ولد بعد انتظار طويل ، وكانت المفارقة أن يقترن هذا بما يتوالى على (عديله) المصرى افندى الفقير من الأولاد وهو فى شوق ولو إلى نصف ولد ...

و « المصرى افندى » فلم عظيم من غير شك ، وهو يأتى الآن فى هذه المرحلة من مراحل الفن السينمائى فى مصر ، كما أتى فلم « العزيمة » لحسين صدقى أيضاً فى المرحلة الأولى ، كل منهما ينقل هذا الفن إلى « الموضوعية » مصاغة فى قالب من الفن الممتع الشائق . وقد تعمدت أن أغفل فلم « نحو المجد » الذى أخرجه حسين صدقى أيضاً ، لأنه وإن كانت قصته جيدة إلا أن هناك أشياء أفسدته ، منها إقحام « شكوكو » فى الفلم من غير مناسبة لجاء ثقيل الظل .

وفى فلم « المصرى افندى » هنات قليلة ، منها (السبوع) الذى احتفل فيه بولادة الولد الأول للمصرى افندي ، فإن (برجيلاتك وحلقة فى ودانانك) لا تتفق مع استنارة الزوجين وعصريتهما ، وقد تم زواجهما على طريقة عصرية فى غاية البساطة.

الأدب وغذاء العقل فى الصحافة :

ألقى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى محاضرة عن « الصحافة المصرية فى ربع قرن » يوم الجمعة الماضى بالجامعة الأمريكية ، عرض فيها للصحافة فى طورها الأول ثم قال : وفتحت الصحف صدورها للأدباء فصاروا ينشرون فيها شعرهم ونثرهم ، وكانت أسبق الصحف إلى ذلك — على ما أذكر — جريدة الدستور لصاحبها الأستاذ فريد وجدى بك ، وكان عونه فى هذا الباب هو الأستاذ العقاد ؛ وجريدة « الجريدة » التى كان يتولى أمرها الأستاذ الجليل لطفى السيد باشا ، وقد استعان بجمهرة من الأدباء منهم المرحوم محمد السباعى ؛ ثم تلتهما جريدة المؤيد فجعلت للقسم الأدبى صفحة خاصة وكلت أمرها إلى الأستاذ العقاد .

ثم انتقل إلى الصحافة فى طور تقدمها الحديث ، وقال : وقد جر هذا الرقى الصحفى إلى أمور يشكو منها العقلاء والمشفقون منها أن كثرة المادة فى الصحف والمجلات وتنوعها وحسن عرضها وقرب منالها ، كل ذلك صرف الكثيرين عن قراءة الكتب ، وعودهم الاكتفاء بهذا المادة السهلة الميسرة ، وهذا شر كبير لأنه لا غنى عن غذاء العقل كما أنه لا غنى عن الغذاء للبدن ، ومادة الصحف لا تكفى لتغذية العقل .

يقولون لى :

يقول الأديب محمد فتحى سعيد بمدرسة دمنهور الثانوية (وقد وصلنى كتابه منذ أسابيع ولكنى رأيت أن أعود إليه) : قلتَ فيما كتبته رداً على الأستاذ الأسمر « ليست هذه أول مرة يأخذ فيها الجارم من شعر شوق » ومعنى ذلك أن الجارم كان يسطو على شعر شوقى ولكننا نعرف عن الجارم أنه شاعر فذ وأديب مجيد . إلى أن يقول : وجدير بنا الآن أن نترحم على الجارم بعد ما استعصى على الشعراء رثاؤه .

وأقول : إن الوقوع فى سرقات أدبية لا ينافى الإجادة والشاعرية الفذة ، وقد ألفت كتب فى سرقات شعراء كالمتنبى ، وقد وصل الأمر إلى الاغتصاب مع إكراه الشاعر القائل على أن يتنازل عن ملكية ما قاله مفاداة لعرضه من هجاء المغتصب . والدلالة على السرقة الأدبية لا تنافى أيضاً الترحم على الفقيد ، وعند ما تتقدم فى الدراسة الأدبية سترى فى باب السرقات بكتب الأدب أن كل السارقين المذكورين فى هذه الكتب قد ماتوا .. رحمهم الله ...

ويقول لى الأديب الشحات السيد زغلول (مدرسة رأس التين الثانوية — توجيهية آداب) : منّ الله على بالنجاح فهممت بقلمى لأكتب لك وأزف إليك تلك البشرى ، كأنك ممن يهمهم أمرى وممن يسرون لنجاحى :

وقد يبدو لبعض القراء أن هذا « المقول » تافه ، ولكنه ليس كذلك ، فهو تعبير عن شعور . إن الطالب الأديب « الشحات السيد زغلول » دائب على قراءة «الرسالة» وقد كتب إلىّ قبل ذلك ، وهو يشعر من طول الملازمة الفكرية كأنى من أسرته ... وحقاً لقد سرنى نجاحه كأننى ممن يهمهم أمره . نجاح مبارك يا سيد شحات ...

ويقول لى الأستاذ أحمد طه السنوسى : اطلعت على كلمة لكم



فى تفسير الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده :

ترتيب آيات الكتاب العزيز حصل بتوقيف من الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، على ذلك انعقد الإجماع ، فكان الرسول إذا نزلت عليه الآية وتلقاها من جبريل الأمين لقنها أصحابه فوعتها صدور الحفظة منهم ، وأمرهم بأن تكون مع آية كذا من السورة التى تكون فيها الآية ، وإن كان ذلك على خلاف ترتيبها فى النزول . وعلى أساس هذا الترتيب الذى أرشد إليه الرسول قام بناء نظم القرآن المعجز ، وأحكمت آياته ، وتوثقت معانيه واتسقت كلماته .

وأما ترتيب السور فيرى كثير من العلماء أنه توقيفى كترتيب الآيات وقال آخرون إنه عن اجتهاد من الصحابة رضى الله عنهم . وسواء أكان الترتيب بين السور بتوقيف من الرسول أم كان عن اجتهاد من الأصحاب ، فما لا شك فيه أن اتفاق جمهور الصحابة على هذا الترتيب المعروف الذى عليه المصحف العثمانى أمر له قيمته ومعناه ، وليس يخفى على ذوى البصائر من أهل العلم والذوق سره ومغزاه ، وإن لم يكن على حسب ترتيب السور فى النزول ؛ فالترتيب بين السور كالترتيب بين الآيات ليس مبنياً على ترتيبها فى النزول ولكنه قائم على ما بينها من الروابط والمناسبات .

وإدراك ما بين الآيات وما بين السور من صلة ومن مناسبات يحتاج إلى علم جم ، وطبع ملهم ، وشعور مرهف ، وبذلك اختلفت أنظار العلماء وتفاوتت مداركهم . ولقد كان للأستاذ الإمام القدح المعلى والسبق فى هذا الميدان ، يعرف ذلك بالاطلاع على تفسيره جزء (عم) .

أسوق هذا لمناسبة ما كتبه الأستاذ محمد عبد الله السمان فى الرسالة — عدد ١٨ ابريل — رداً لما قرره الأستاذ الإمام فى تفسيره (جزء عم) من بيان المناسبة بين سورة (الليل) وسورة (الشمس) ، إذ اختلط الأمر على الكاتب والتبست عليه المناسبة بين السورتين والمناسبة بين القسم والمقسم عليه فى (سورة الليل) فقال ما نصه :

(جاء فى تفسير جزء عم للأستاذ الإمام — رحمه الله — عند تفسير أول سورة الليل ما يأتى (والليل إذا يغشى) يبتدئ فى هذه السورة بأن يقسم بالليل وهو الظلمة لأنها الأنسب بما ختمت به السورة السابقة — سورة الشمس — من الدمدمة وإطباق العذاب .. اه (ولم يذكر بقية المناسبة) ، ثم قال : والمعلوم أن سورة الشمس سابقة لسورة الليل فى الترتيب لا فى النزول ، إذ أن سورة الليل نزلت بعد سورة الأعلى (لعله يريد أن يقول إن سورة الليل نزلت قبل سورة الشمس) ، وبذلك يكون لا محل هنا لذكر المناسبة التى ذكرها الإمام . أما المناسبة فلما كان المقسم عليه هو تقرير اختلاف سعى الناس فى الحياة اشتملت صيغة القسم على أشياء مختلفة لتركيز المعنى المقصود فى عقول المخاطبين ... فقد أقسم بالليل والنهار فى قوله (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وهما مختلفان — كما أقسم بخالق الذكر والأنثى فى قوله (وما خلق الذكر والأنثى) وهما مختلفان أيضاً ، كأنه يريد أن يقول لهم : إن اختلاف سعيكم فى الحياة مؤكد تأكيد

تحت عنوان « نصف مليون جنيه يصدع رأس الدولة » فى الرسالة الغراء ، فأحببت أن أكتب لك شيئاً عن ذلك (الروتين) العجيب ، وإن له مساوىء ولكنها طريفة تفتر لها الأفواه عن بسمات ، وقد صارت هذه البسمات أيضاً من (الروتين) .. كثيراً ما ترسل المصالح الحكومية خطابات مسجلة إلى أفراد من الناس تطالبهم فيها بمبالغ قد تكون عشرة مليمات أو سبعة ، وتنفق على الخطاب ثمانية عشر مليما !

ويقول لى الأستاذ الشاعر محمد المديسى : إن الأبراج المقدسة لم تدع لنا إلا آمالا فى أمثالكم الذين يهيئون لأنفسهم مكانة عند أمثالنا ...

وأقول له : إن « رغبتنا » فى المكانة عند أمثالكم لا تجديكم شيئاً ... كما أننا لم نستفد من رغبة أحد فى مكانة لدينا ...

عباس خضر

اختلاف الليل والنهار والذكر والأنثى ..) اه

وأعود فأقول إن الكاتب قد وهم في رد ما قرره الأستاذ الإمام ، إذ توهم أن ترتيب السور مبني على ترتيب النزول وأن المناسبة بينها تتبع ذلك ، وإذ توهم المناسبة بين المقسم عليه والقسم مناسبة بين السورتين ، فالتبس عليه الأمر . ووهم أيضاً في زعمه أن المقسم عليه هو تقرير اختلاف سعى الناس في الحياة فحسب ، وأن الغرض من القسم تركيز هذا المعنى المقصود في عقول المخاطبين . ذلك بأن المقسم عليه هو الإجمال والتفصيل معاً في قوله تعالى (إن سعيكم لشتى ، فأما من أعطى واتقى) .. الخ ، وأن المقصود من القسم هو تقرير المعنى الإجمالي والتفصيلي في النفوس وتأكيده حتى لا يرتاب أحد في أن عواقب الخير والجزاء عليه ليست كعاقبة الشر وجزائه . وقد أوضح الأستاذ الإمام هذا المعنى أتم إيضاح إذ يقول : (فإن خطر لك سؤال كيف يقسم سبحانه على أن سعى الناس شتى مختلف مع أن هذه القضية بديهية لأن جميع من يفهم الخطاب يعلم أن مساعى الناس وأعمالهم مختلفة متنوعة إلى هذه الأنواع التي ذكرت ، ومثل هذا الخبر البديهي لا يحتاج إلى تأكيد ، بل الإخبار به غير مفيد — فإني أجيبك أولا بأن المقسم عليه هو الإجمال والتفصيل معاً ؛ ولاشك في أن الوعد على الإعطاء والتقوى والتصديق بالحسنى بالتيسير لليسرى ، والوعيد على البخل والاستغناء والتكذيب بالحسنى ، بالتيسير للعسرى ، يحتاج إلى تأكيد ، فيكون التأكيد لمجموع الأخبار للأول منها فقط) .. فما ذكره الكاتب من الرد والتعليل بعيد عن الصواب .

محمد أحمد الغمراوي

المرحوم خليل بيدس :

سلاماً وإكراماً ، وبعد فلا بد أنك سمعت بخليل بيدس وعلمت من هو من الناس .

لقد مات خليل بيدس وكل الناس يموتون . بيد أنه أبي ، ويشق على أن أنعاه إليك في مثل هذا الوقت وفي بلاد غير البلاد التي أحبها وتمنى على الله أن يكون فيها مثواه الأخير

مات أبي بعيداً عن بيت المقدس . وكان أخي قد رجا منه أن يغادرها أسوة بسواه فينقذ نفسه وينجو بمكتبته وأثاث منزله . ولكنه أبي وسفه رأى كل محبذ للفرار ، وأكد للجميع بأن الجيش العربي سوف لا يتأخر عن احتلال القدس في ليلة ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ . كان يؤمن بذلك إيماناً عظيماً ... ويسخر من كل من يرتاب بنوايا الملك عبد الله . بيد أن الملك عبد الله خيب الأمل ، وسقطت القدس الجديدة في يد العدو . وكان أبي وابنته هما الشخصين الوحيدين الباقيين في حى البقعة ، فانسحبا على أثر احتلال اليهود للتلال المشرفة على ذلك الحى ، وكابدا في هربهما المشقات والأهوال .

ولما استقر به المقام في بيروت ، وأجال الطرف حوله ، فلم يجد كتبه ومخطوطاته ومؤلفاته ، ولم يعثر على مقعده ومكتبه ، طارت نفسه شعاعاً ؛ بيد أنه تجلد وأخفى ما جاش في صدره ... ولم يزل يتقلب على جمرات متقدة من اللوعة والأسى حتى اخترمه الموت أخيراً ، فأراحه من همه وغمه ، وأراحه من وصبه وألمه .

وفي الليلة التي فاضت فيها روحه ، نفث جميع أحزانه في كلمات وجيزة خاطب بها زوجه ... قال لها وهو يتألم ولكن لا يدرى أنه سينام فلا يستيقظ : نفسى حزينة حتى الموت ..!

والشيء الذي حز في قلبي وأرمض نفسي يا سيدى ، هو أن يمضى والدى فلا يلتفت إليه أحد ممن نهل من مناهل أدبه ، ولا يكترث بموته مخلوق من الذين كانوا يطرونه ويمتدحونه ويثنون عليه ويشيدون بعلمه وبفضله أثناء حياته ... وكأنه إنسان عادى ما خدم العلم والأدب وما هذب النشء وما وضع المؤلفات وما أنشأ الفصول والقصص والمقالات ..! هذا الجحود يا سيدى أمضنى كثيراً وهذا النكران للجميل هطلت له دموعى .

أرجو أن تتكرم على أو على الأستاذ خليل بيدس — الذى لم يجد بعد موته من يكتب عنه سوى ابنه — بنشر الكلمة المرفقة مع هذا الكتاب في الرسالة الغراء . وتفضل بقبول جزيل احترامى وتقديرى .

أميل خليل بيدس

(الرسالة) ستنشر الكلمة في العدد التالى ، ورحم الله الأستاذ خليل بيدس وجزاه خيراً على ما قدم للعربية ، وعوضه برضاه عنه من جحود الناس لفضله .

تصويب :

حدث سقط مطبعى في فقرة من موضوع « عراك فكرى بندوة الرسالة » في العدد الماضى ؛ إذ جاءت الفقرة هكذا : «وأنا لا أرى أن هناك إنسان متقدم وإنسان متأخر» والصواب : « وأنا لا أرى أن هناك شرقياً وغربياً ، وإنما هناك إنسان متقدم وإنسان متأخر » .

عباس خضر



أسطورة الديك الذهبي (*)

للكسندر بوشكين

كان يجلس على عرش مملكة قوية ، لن أذكر اسمها ، قيصر اسمه دادون ، لا شبيه له في الرجال . ولما كان دادون شجاع القلب ، فإنه لم يترك واحداً من جيرانه دون أن يشن عليه الحرب . أما وقد كبر الآن فقد رأى أن يتيح لجسمه الهرم شيئاً من الدعة والاطمئنان . غير أن الأعداء انتهزوا الفرصة ، فهاجموا المملكة من دون رحمة ، ونهبوا الديار ، وطحنوا جيش دادون طحناً . أما جنوب المملكة فقد كان محصناً ، والشرق هو الجهة التي كان يأتي منها العدو .

وفي ذات يوم نزلت بالشواطئ كتيبة عاصفة ، فاضطرب القيصر أيما اضطراب ، وهجر النوم جفنيه . خيل إليه أن حياته لم تكن في يوم ما أمرّ منها الآن ، فلم ير إلا أن يطلب العون من منجم الدولة ، ذلك الخصي الشيخ المتقلّ حكمة ومعرفة .. لبى الخصي النداء ، وجاء البلاط يحمل في حقيبته ديكاً ذهبياً ، وقال : ليأمر مولاي بنصيب هذا الديك على عمود من الخشب ، فيحرس المملكة . فإنه إذا لم يكن ثمت خطر ظل هادئاً مطمئناً ، فإذا لاح الخطر في الأفق انتفض من سكونه ، وانتفخ عرفه الأحمر ، وصاح صيحة تنبه القوم ، وأشار إلى الجهة التي يأتي منها العدو » .

فرح القيصر لهذا الحل السعيد ، وقال : سأعطيك في مقابل هذا ما تريد . ستكون رغبتك رغبة القيصر أين شئت ومتى أردت » .

وجثم الديك في مكانه يسهر على المملكة ، بينما أوى القيصر الهرم إلى فراشه ينعم بالنوم الهنيء ، ولا يلقي بالاً إلى حوادث الزمن . ولم يعد الخطر يدهم الناس ، ولم تمد نخاخ العدو تهدد القيصر العجوز .. دادون ! ...

فلما مر عامان كاملان ، إذا بأصوات تزلزل الأفق وتطرد النوم الهنيء عن عيون الناس . وأقبل قائد الجيش صائحاً : قيصري وسيدي ، انهض فالمملكة في حاجة إلى ابنيك الباسلين ! تأوه القيصر ثم قال : ما الخبر ؟ فأجاب قائد الجيش : الديك صاح .. والناس في رعب شديد . وتلفت القيصر حواليه ، وأرهف السمع ، فإذا صيحات من المشرق ، وإذا الديك قائم منتفض يصيح : كوكو .. روكو ! .. كوكو .. روكو ! فالتفت القيصر إلى القائد صارخاً : أعدوا الجياد .. أعدوا السلاح ... انطلقوا سريعاً إلى الحدود ! . وإلى الشرق طار الجيش الكثيف يقوده الإبن الأكبر لدادون .. حينئذ هدأت ثورة الديك ، وكف عن الصياح ! .

مضت أيام ثمانية ولم يأت عن الجيش خبر : أقاتل ، أم فر ؟ صه ..! صه ..! لقد صاح الديك من جديد — فليذهب الجيش الثاني إلى الشرق وعلى رأسه الإبن الثاني لدادون . نعم ، وفي هذه المرة أيضاً مرت أيام ثمانية ولم يأت الخبر ! فلما صاح الديك للمرة الثالثة ، هب دادون العجوز ، وقاد سائر الجند بنفسه ، ومضى إلى الشرق وهو يطمئن الناس ، وإن لم يكن هو في دخيلة نفسه بمطمئن ...

ساروا الليل والنهار حتى أدركهم التعب وهمدت قواهم . هذا والقيصر في عجب ودهشة : لا دليل على معركة ... ولا أثر لساحة ... ولا معسكر ... ولا رجمة يثوى تحتها بطل ...

في نهاية اليوم الثامن ، صعد القيصر في شعاب تل ، وصعد خلفه الجنود — فماذا رأوا ؟ !

بين قمتين من الصخر رأوا خيمة من الحرير قائمة ! كان صمت عجيب يسيطر على المكان .. وفي مجرى ضيق بسفح الجبل ، وجد القيصر أبطاله الذين أرسلهم مذبوحين ... وأمام باب الخيمة وجد ابنيه الأكبر والأصغر ، كلا ملقى بلا درع ، وقد أغمد سيفه في جنب أخيه . كان الكلأ مصبوغاً بالدم ، والجياد تمرح في الوديان

(*) على هذه الأسطورة أنشأ رمسكي كورساكوف جانباً من إحدى أوبراته وهي « الديك الذهبي »

والقيصر المسكين يولول فى جنون : آه يا ابنىَّ ! كلا النسرين صاده الصياد . . وا ضيعتى ، وا ضيعتى ! ! » وناحت الجنود لنواحه ، ورددت الآفاق الصدى ، فكأنما شارك الجماد فى الحزن والأنين ...

وعلى حين فجأة انشق ستار الخيمة عن ملكة شاماخان تلمع لمان الشروق ، أومأت إلى القيصر محيية ، فلاح دادون وكأنه طير من طيور الليل فى سناها الخاطف ، سمرت عيناه فى جمالها ، وطار من رأسه كل حزن وأسى على ابنيه اللذين لقيا الهلاك . وتبسمت هى لدادون ، ثم انحنت قليلا ، فأمسكت بيده وقادته إلى داخل خدرها ، وقدمت إليه طعاماً ملكياً فاخراً ، فلما تناول منه ، قادته إلى أريكة موشاة بالذهب ، مسترة بالدمقس .

سبعة أيام وسبع ليال ، والقيصر « دادون » ينهل من السرور ، ويطيع الملكة طاعة عمياء . ثم حان الرحيل ، فتأهبت الجنود ، وهيئوا الركاب ، وسار الجميع فى طريقهم إلى عاصمة المملكة ...

كان الناس قد بلغهم الخبر ، فإذا جموع هائلة بأبواب المدينة ، وإذا هتاف عال يستقبل الموكب : عاش دادون ! عاشت الملكة ! عاش دادون ! عاشت الملكة !

ولكن من هذا الرجل الأبيض الرأس واللحية الذى يشق الجموع ليلحق بعربة القيصر ؟ إنه الخصى الحكيم !

أقبل على القيصر يقول : تحيتى يا مولاى ! فقال القيصر : ما ذا تريد ؟ قال : حساب بيننا يا سيدى ... لقد أقسمت أن تجيب رغبتى ... إنى أريد هذه الفتاة ... ملكة شاماخان !

فصرخ الملك دهشاً : إنك تهذى ... ما نفع فتاة لخصى ؟ اطلب شيئاً آخر فأقدمه إليك ... اطلب خير ما فى حظيرتى من جياد ، أو مرتبة من مراتب الحكم ، أو إن شئت فاطلب ذهباً ... حتى نصف ما فى المملكة !

قال الساحر : لا شىء مما يوهب يستحق أن يرغب فيه ... إنى لا أطلب غير ملكة شاماخان !

جن القيصر من الغضب وصاح : لقد أخطأت فى تقدير ثمنك أيها العبد ... لم يكن جديراً بى أن أتركك تتحدث !

وبصولجانه قرع دادون هامة الخصى قرعة شديدة ، فسقط الرجل على الأرض ميتا !

وحينئذ اهتزت المدينة اهتزازاً شديداً ارتعب له قلب دادون! ولكن الفتاة علا ضحكها فى تلك الساعة ... فما كان منه إلا أن تكلف الابتسام ، وأمر بمواصلة المسير ...

وعلى حين فجأة سُمع صوت ضئيل ، وإذا بالديك الذهبى يطير إلى العربة الملكية ، وإذا به يستقر على هامة القيصر ، فنفض ريشه أولا ، ثم نقر دادون فى وسط هامته ، ثم حلق فى الجو عائداً إلى السماء ...

ونزل القيصر من العربة ، فإذا به يسقط على الأرض بدوره ، وإذا به يئن أنة واحدة ... ثم يسلم الروح !

أما الملكة ، فإن أحداً لم يرها بعد ، وكأنها لم تكن هناك ! !

إن الأساطير وإن بعدت عن الحقائق قد يستفيد منها اللبيب عظة أو اثنتين . .

يوسف جبرا

مطبعة الرسالة

العدد ٨٢٧ — الاثنين ٩ مايو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

[illegible]

17 em Année No. 827 — Lundi — 9 — 5 — 1949

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٢٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ رجب سنة ١٣٦٨ — ٩ مايو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٣ — أمم حائرة

نحن والمدنية الأوربية

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض بجدة

أعنى بكلامى هذا الأمة المصرية أولا ، ويتناول الكلام الأمم المشابهة لها المتصلة بها من العرب والمسلمين بما تشابهت أحوالهم فيما ورثوا من حضارة قديمة ، وبما تقارب نظرهم إلى الحضارة الحديثة .

طلعت هذه الحضارة على الشرق مع قوم يعدّهم الشرقيون — ولا سيما العرب والمسلمون — أعداء ، سجّل التاريخ كثيراً من حروبهم ووقائعهم ، ولم يخلُ عصر من إغارتهم على المسلمين ، أو إغارة المسلمين عليهم ، منذ انتشر الإسلام فى غربى آسيا وشمالى أفريقية وفى جنوبى أوربا : أسبانيا وجزر البحر الأبيض ثم البلقان .

وظهرت هذه الحضارة والنزاع مستمر ، والمعارك دائرة ، ولم يغير أصحاب هذه الحضارة من خططهم ، ولا عدلوا عن سيرهم ، بل استعانوا بما أمدتهم به الحضارة الحديثة من علم وصناعة فى الغلبة والسيطرة على من عجزوا عن قهرهم وتذليلهم من قبل .

فلم يكن بد أن ينفر الشرقيون ، وبخاصة الدول الإسلامية ، إذ كانت مجاورة لأوربا ، وكانت صاحبة السلطان فى آسيا كلها ما عدا الصين ، وفى أفريقية — لم يكن بد أن ينفر هؤلاء من الحضارة التى طلعت عليهم بين الحديد والنار على أيدى أعدائهم القدماء ، وطلعت مشوبة بكثير مما يخالف عقائدهم وآدابهم وسننهم .

وسرعان ما أيقن المدافعون عن أنفسهم من أهل الشرق أنهم مغلوبون لا محالة إن لم يدفعوا هؤلاء الأعداء الأشداء ، بمثل سلاحهم ، ويلقَوهم بمثل عددهم ، ويكيدوهم بمثل خططهم وتدبيرهم . فلم يجدوا مناصاً من أن يأخذوا من أوربا حضارتها الصناعية على قدر الطاقة وعلى قدر ضرورات الدفاع .

لم تكن هذه الحضارة موضع تردد ، إذ دعت إليها ضرورة الدفاع عن الأنفس والأوطان ، ولم تكن موضع ريبة لأنها قائمة على قوانين طبيعية لا تختلف فى المشرق والمغرب ، ولا تلائم أمة دون أمة ، ولا تتصل بتاريخ دون آخر ، وهى لا صلة لها بالدين والأخلاق والآداب والعادات والعرف والطباع ونحوها .

أخذ المسلمون الحضارة الصناعية على قدر ما مكّنهم علمهم وخبرتهم وأحوالهم ، وعلى قدر ما يسرت لهم أوربا الأخذ . أخذوا نتائج هذه الحضارة الصناعية ، وحاولوا أن يأخذوا ما تعتمد عليه من علوم وفنون .

ثم أخذوا كذلك ما لم يجدوا مناصاً من المسارعة إليه من نظم للجيوش ، ونظم للدولة ، ونظم للادارة .

ثم زاد اتصال الغرب والشرق بالاقتباس والاقتداء ، ثم بغلبة الغربيين على كثير من الأقطار وإقامتهم فيها واختلاطهم بأهلها . وأخذت هذه الحضارة أمم الشرق بالرغبة والرهبة ، وبالسطوة

والزينة ، فسايروها راضين وكارهين ، وعارفين ومنكرين ، وافتتن كثير من الناس فرأوا كل ما أتى من أوربا حسناً ، وكل ما ورثه الشرق من تاريخه قبيحاً . وزادت هذه الحضارة إغراء بما ازينت به من مناظر ، وما اتصلت به من لذة ولعب ولهو ، فلم يقو على معارضتها والصبر على فتنتها إلا قليل .

واشتبهت الأمور ، وانبهمت السبل ، والتبست الأشياء ، فلم يفرق الناس بين طيب وخبيث ، ونافع وضار ، ومعروف ومنكر . هذه الفتن التي تدع الحليم حيران ، فكيف بالجهلاء والعامة في هذا السيل الجارف والطوفان الطام ؟

ولم يفرّق الناس في هذه الفتنة العمياء ، وهذه المحنة الصماء ، بين الحضارة الصناعية والحضارة الأخلاقية ، ولم يميزوا بين ما يلائم وما لا يلائم ، فقاسوا الأخلاق والآداب وسنن الجماعات وروابط الأسر ، وقاسوا العقائد والمذاهب ، على السيارات والطائرات والغواصات والمدمرات ، وعلى البرق والهاتف والمذياع ، وفتنوا بالمسرح والسينما والمرقص ، وبالتزين والتبرج والتعرى . واختلط الحابل بالنابل ، وضاع الحق في هذه الضوضاء ، وضلت المروءة في هذه السوق ، ونادى العقلاء فلم يسمع لهم ، وقال الحكماء فلم يبالَ بقولهم ، وغُلِب الناس على أمرهم حتى اختلف القول والعمل ، فترى الإنسان ينكر الشيء ويفعله سيراً مع الدهماء ، ويخالفه اعتقاداً ورأياً وقولا ويخضع له في داره بين أهله وأولاده . وبلغت الفتنة أن قال بعض الكبراء وأنا أحاوره في الطريقة المثلى : « إن الطريقة المثلى هي الواقع » .

وقد أنكرنا أنفسنا وحقرنا ما عندنا وأعظمنا ما عند غيرنا وأخذتنا الرهبة والروعة من كل جانب . وكم زرينا على أشياء ورثناها وعرفناها ، حتى أخذها أهل أوربا وأعجبوا بها فنقلناها عنهم ، ورضينا بها إذ رجعت إلينا من بلادهم ، كما هجرنا الهندسة العربية في الأثاث وغيره ، ثم حكيناهم في الإعجاب بها فاتخذناها بعد أن سميناها « أربسكا » .

وكما أعرضنا عن سباق الخيل وضروب الفروسية والرياضة التي كانت لنا ، ثم عكفنا على قمار في سباق يربّي خيلا ولا ينشّىء فرساناً ... وأمثال هذين كثير .

والإنسان في هذا الضعف والخوف لا يصح له رأى ، ولا تستقيم له طريقة . وكيف يصح الرأى إن لم يعتد الإنسان بنفسه ويثق بعقله . ويعرف أن له كياناً واستقلالا ، وأن له الحق أن يأخذ ويرد ، ويستحسن ويستنكر ؟

إن الحياة التي لا تشعر بنفسها ، ولا تستمد قواها ، ولا تستمين بمواهبها ، لأشبه بالموت ، لها صور الحياة ، وليس فيها حقائقها ...

عظمت حيرتنا في التقليد على غير هدى ، وقلقنا من المحاكاة على غير بينة ، وضعفنا في هذا الاستسلام ، والذهاب مع التيار ، والتعلل بحكم الزمان وسنة العصر ، وما حكم الزمان وسنة العصر إلا تعِلّة العاجزين ، وعذر المفلسين ، وإنما الإنسان الحق الذي يسير الزمان ، ويخلق سنة العصر ، ويرد الحادثات عن مجراها ، ويسيرها على الطريقة التي يرضاها .

فلما ألفينا أفكارنا وحقرنا مذاهبنا ، والطرق أمامنا مختلفة ، والمذاهب ملتبسة ، نزع كل منا منزعاً ، وذهب على ما تخيل مذهباً ، فكان اختلاف الآراء في الجماعة ، وتناكر المذاهب فيها ، وكانت هذه الحيرة ، وهذا القلق ، وهذا الاضطراب .

ليتنا حين أخذنا عن غيرنا أخذنا الجليل والحقير ، وحاكينا في الجد والهزل ! وكم في الغربيين من قدوة صالحة ، وأسوة نافعة ، وخطة حميدة . ولكن عظائم الأعمال لها وسائل من الكد والدأب واحتمال المشاق والصبر عليها . والمجد مصاعد شاقة ، وتكاليف مرهقة . وسفساف الأعمال هينة قريبة لذيذة يستطيعها كل من شاءها ، ويهبط إليها من لم يكلف نفسه الصعود . فقد أسرعنا في هزل الغربيين ولهوهم ومظاهرهم ، وشق علينا أن نضطلع بكثير مما اضطلعوا به وعملوا له ، في نظام محكم وخطة شاقة ، ودأب لا يكل .

لسنا جاهلين بمحاسن الحضارة الحديثة وفضائلها ومزاياها ، ولا غافلين عن لذاتها ومتعها ؛ ولكننا لا نجهل كذلك رذائلها وعيوبها ، ولا نغفل عما وراء لذاتها من مهالك للأمم ومفاسد للجماعات . ما أيسر أن يُعرِقَ الإنسان نفسه من الإصلاح ، ويهز مع الغُواة ، ويستمتع مع المستمتعين ، ولسنا عن هذا عاجزين ، ولكن الأمانة التي في أعناقنا للأمة ، والواجب الذي علينا لها ، والبصر بما وراء المظاهر ، وإدراك ما بعد الحاضر ، كل أولئك يمنّى الفكر ، ويقلقه ويسلط عليه هموماً لا تنام ولا تُنيم . فيُلزم نفسه الدعوة إلى الإصلاح ، والأخذ بالأشق ، وحرمان نفسه من كل ما يأباه الوجدان اليقظ ، والعقل الصحيح .

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

إلى الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ سيد قطب

— ١ —

صديقى الكبير الأستاذ توفيق الحكيم .

شكراً لك على هديتك الكريمة : كتابك الجديد « الملك أوديب » . إنها شىء عزيز ثمين بالقياس إلىّ هنا فى تلك « الورشة » الضخمة السخيفة ، التى يسمونها : « العالم الجديد » !

لقد استروحت فى كلمة الإهداء : « ممن يذكرك دائماً » نسمة رخية من روح الشرق الأليف — فالذكرى هى خلاصة هذه الروح — وما كان أحوجنى هنا إلى تلك النسمة الرخية ... إن شيئاً واحداً ينقص هؤلاء الأمريكيين — على حين تذخر أمريكا بكل شىء — شىء واحد لا قيمة له عندهم ... الروح !

بحث يقدم للدكتوراه فى إحدى جامعاتهم — وقد قدم فعلا — عن : « أفضل الطرق لغسل الأطباق » أحب إليهم ألف مرة وأهم من رسالة عن « الانجيل » ، إن لم يكن أهم من ذات الإنجيل !

أمامى وأنا أكتب إليك هذه الكلمات فى مطعم ، شاب أمريكى يثب على صدره « سبع » ويجثم على ظهره « فيـل » ! لا تُرع ! فذلك السبع إنما هو رسم يملأ فراغ رباط عنقه ، وهذا الفيل إنما هو رسم كذلك يملأ فراغ صدريته ! لقد رسم السبع باللون البرتقالى الفاقع على أرضية « أخضر زرعى » ، ورسم الفيل باللون الكحلى على أرضية « كرنبى » ، وهـذا السبع مع رباط الرقبة مدلى فوق الصدرية لا تحتها حسب مزاج « التقاليع » !

هذا هو الذوق الأمريكى الغالب فى الألوان !

والموسيقى ... ولكن مالى وهذا كله ؟ إن ذلك حديث آخر ليس وقته الآن .

أردت فقط أن أقول لك : كيف كانت هديتك لى فى « العالم الجديد » !

***

أشعر بأنى أرد لك بعض جميلك حين أحدثك بصراحة كاملة عن عملك الفنى الجديد ، مؤثراً هذه الطريقة على كتابة مقالة نقد . ليست بى الآن أقل رغبة لكتابة مقالات ، وليس لدى الوقت أيضاً ؛ إنما يشجعنى على الكتابة اللحظة أنى أستحضر شخصك فى خيالى ، وأبادلك حديثاً بحديث ، ليس فيه كلفة التحضير ، ولا تعمل الفكرة ، ولا اصطناع الأسلوب ... ما أحوجنى هنا لمن أبادله حديثاً بحديث ، فى غير موضوع الدولارات ونجوم السينما وماركات السيارات ... حديثاً فى شؤون الإنسان والفكر والروح !

***

دعنى أحدثك أولا عن « المقدمة » فهى تكوّن مع « مقدمة الترجمة الفرنسية » و « التعقيب على المقدمة الفرنسية » مبحثاً خاصاً له قيمة ذاتية فى موضوعه . ثم إن الحديث عنه قد يكون فى ذاته حديثاً عن تمثيليتك الجديدة .

ولنسر معاً خطوة فخطوة فى بحثك الممتع الطويل ...

مالى أحس — أيها الصديق الكريم — كأنك خائف قلق من ذاكرة التاريخ ؟ ذلك الخوف وهذا القلق اللذان يدفعانك دفعاً إلى تسجيل دورك بقلمك فى خط سير التمثيلية العربية ؟

أحب أن أطمئنك منذ اليوم على أن التاريخ الأدبى لن ينسى لك دورك الأساسى الذى قمت به فى وضع « القالب الفنى » للمرة الأولى فى تاريخ الأدب العربى للرواية التمثيلية ... وصنعه على أساس فنى صحيح . وإلا فإن محاولات كثيرة قد سبقتك لوضع هذا القالب (أشرت أنت إليهـا إشارة سريعة فى مقدمتك ، وسيتناولها تاريخ النقد بالتفصيل والتطويل) إلى أن جئت أنت فوفقت نهائياً لتكوين قالب فنى للحوار يحمل « فكرة » تدخله فى باب الأدب ، وينهج نهجاً لم يلحقك فيه إلى اليوم أحد ، ولست أدرى متى يظهر التالى لك ، أو المتفوق عليك ، فيه ؟

***

هذا دورك الذى لن ينسى . دور فى « تاريخ التطور الفنى » . أما نصيبك الذى سيبقى فى باب « القيم الفنية المطلقة » فأخشى أن أقول : إنك لم تقم به بعد ، لأنك — فى باب التمثيليات — لم تهتد بعد إلى النبع الأصيل الذى تستقى منه روحك العميقة لا فكرك الواعى ، فتنشىء عملاً خالداً فيه حياة وروح

لقد اهتديت أحياناً إلى النبع — ولكن فى باب غير باب التمثيلية — فى : « نائب فى الأرياف » وفى « عودة الروح » وفى لمحات متفرقة فى « زهرة العمر » وبعض كتبك الأخرى . أما فى باب التمثيلية ، فلم يكن لك — غير القالب الفنى — شىء يبقى ، اللهم إلا خفقات ضائعة مخنوقة فى ركام أجنبى غريب !

معذرة يا صديقى ، فذلك وجه الحق فيما أرى . وستعلم بعد قليل لماذا أرى . أما الآن فأحب أن أسجل حقيقة أخرى ...

إن دورك هذا الذى حققته إلى اليوم فعلا ، ليس صغيراً ولا قليل الأهمية . فهو دور حاسم فى تاريخ هذا الفصل من كتاب الأدب العربى . إنه القنطرة التى لم يكن منها بد ، ليعبر عليها الفنان الأصيل الموهوب فيما بعد . وقد تكون أنت نفسك ذلك الفنان الأصيل الموهوب فى عمل فنى جديد ، حينما تهتدى إلى النبع الأصيل المخنوق فى نفسك تحت ركام من الثقافة الغربية الطاغية .

إننى لا أعيب الثقافة — فهى أمر لا بد منه اليوم لتكوين الأديب — ولكن الذى أعنيه أنك أيها الصديق — شأنك فى هذا شأن ذلك الجيل كله من الشيوخ — تستلهم ثقافتك الفنية الغربية ، قبل أن تجد ذاتك الأصيلة .

من هنا يفقد فنك — كما تفقد أعمالهم جميعاً — ذلك الطعم الخاص الذى يتذوقه القارىء فى آداب كل أمة ، والذى يميزه عن آداب الأمم الأخرى .

إنكم لا تجدون أنفسكم فى خضم ثقافتكم . إنكم تمتحون من رؤوسكم أكثر مما تستوحون قلوبكم . وهذا هو العنصر الخطر عليكم جميعاً .

إنك تهتدى إلى النبع فى مقدمتك ، ولكن بذهنك الواعى ، لا بشعورك الغامض . لهذا يخطئك التوفيق عند التطبيق .

تقول :

« ما من شىء أقوى من الميراث ! .. إذا كان للخلود يد فإن الميراث يده التى ينقل بها الكائنات من زمان إلى زمان ... ما طبائع الأفراد وخصائص الشعوب ومقومات الأمم ، إلا ميراث صفات وسمات ، تنحدر من جيل إلى جيل . وإن ما يسمونه العراقة فى شعب ليس إلا فضائله المتوارثة من أعماق الحقب . وإن الأصالة فى الأشياء والأحياء هى ذلك الاحتفاظ المتصل بالمزايا الموروثة كابراً عن كابر ، وحلقة بعد حلقة .. هكذا يقال فى شعب أو رجل أو جواد . وكذلك يقال فى فن أو علم أو أدب ... » .

كلام صادق ثمين عميق جميل ... ولكنك تعرفه بوعيك يا صديقى ، ولا يكمن مبهما فعالاً دون أن تدرى ، فى اتجاهاتك الفنية وأعمالك ...

لقد اتجهت وأنت تحاول وضع القالب الفنى للتمثيلية المصرية إلى الأساطير الإغريقية تستلهمها موضوعاتك ... لماذا لأن نشأة المسرح كانت إغريقية ، ولأن الأوربيين — وهم ورثة الإغريق — قد جعلوا المسرح الإغريقى والتمثيلية الإغريقية والأساطير الإغريقية أساساً لأعمالهم !

ولكنك أنت يا سيدى لست من ورثة الإغريق . لا أنت ولا شعبك الذى تعيش فيه . قد تكون من ورثتهم بثقافتك وقراءاتك ولكن هذه قشرة رقيقة لا تنشىء فناً خالداً أصيلا .

« ما من شىء أقوى من الميراث . إذا كان للخلود يد فإن الميراث يده التى ينقل بها الكائنات ، كما تقول !

إنك فى حاجة لأن تستلهم وراثتك الأصيلة المتغلغلة فى ضميرك آلاف السنين ومئات الأحقاب ، لا أن تستلهم ثقافتك الطارئة فى عمرك الفردى المحدود .

هنالك النبع يا صديقى لو شئت لأعمالك الخلود !

***

لقد تساءلت . لماذا لم ينقل العرب ، فيما نقلوا عن الإغريق ، التراجيديا الإغريقية ؟ وكان من بين التعليلات التى ذكرتها — وإن لم ترضها — « صعوبة الفهم لذلك القصص الشعرى ، وكله يدور حول أساطير لا سبيل إلى فهمها إلا بشرح طويل ، يذهب بلذة التتبع لها ، ويقضى على متعة الراغب فى تذوقها » .

لقد كدت تضع يدك على السر ، ولكنك تركته مسرعاً لتقول :

« لكن على الرغم من وجاهة هذا التعليل ، فإنى لا أعتقد أن هذا أيضاً يحول دون نقل بعض آثار هذا الفن . فإن كتاب الجمهورية لأفلاطون قد ترجم إلى العربية . وما أشك أن فيه من الأفكار حول تلك المدينة المثالية ما يشق على العقلية الإسلامية أن تسيغه . ولكن ذلك لم يمنع من نقله ... بل إن هذه الصعوبة

بالذات قد دفعت الفارابى إلى أن يتناول جمهورية أفلاطون ، فيضفى عليها ثوباً جديداً من خواطره ، ويصبها فى قالب عقليته الفلسفية الإسلامية » .

وهكذا تبعد نهائياً عن السر وكان منك على لمسة إصبع !

إن الفارق بين كتاب الجمهورية والتراجيديا الإغريقية لبعيد .

... إن الجمهورية موضوع يحتاج إلى (فهم) والتراجيديا موضوع يحتاج إلى (شعور) . وهذه هى العقدة فى قضية العرب والفن الإغريقى ؛ ثم فى قضيتك أنت بالذات يا صديقى العزيز .

إن الصعوبة الأساسية فى الأساطير واستلهامها ليست فى الحاجة إلى (الفهم) فالفهم قد يكون ممكناً بالشرح على نحو من الأنحاء . ولكن الصعوبة الحقيقية كامنة فى الشعور بها فى أعماق الضمير . إن الأسطورة تنبع من ضمير الشعب لا من رأسه ؛ وتعيش كامنة فى دمه وأحاسيسه . هى « ميراث » شخصى لكل شعب ، لا يمكن نقله إلى ضمائر الشعوب الأخرى ، كما يمكن نقل الثقافات إلى الرؤوس ، بل كما يمكن أحياناً نقل الأعمال الأدبية التى لا تقوم على أسس وراثية كالأساطير .

لا بد أن تعيش الأسطورة حياتها فى تاريخ الأمة وضميرها ، حتى يستسيغها ذوقها ، وتنبض لها قلوبها .

لهذا لم يكن ممكناً أن يشعر العرب بجمال التراجيديا الإغريقية المستمدة فى صميمها من هذه الأساطير ، ولا أن تنتقل إلى تراثهم كما انتقلت الفلسفة ، لأن الفلسفة تراث ذهنى فى الأغلب ، والأسطورة تراث شعورى فى الصميم .

هذه هى المشكلة . أما ما قلته من أن السبب الأساسى هو شعور العرب بحاجتهم إلى الفلسفة وإلى المهارة ، وعدم شعورهم بالحاجة إلى الشعر . فهو نفسه يحتاج إلى تعليل ! لماذا لم يشعروا بحاجتهم إلى الشعر ؟ لأن شعرهم كان فيه الكفاية للتعبير الكامل عن حياتهم الشعورية الأصيلة ؛ ولأن الشعر الإغريقى لم تمش أساطيره فى ضميرهم ، ولم تندس فى كيانهم لتصبح شيئاً غامضاً تائهاً كما كانت فى كيان الإغريق !

***

هنا نجيء لمشكلتك أنت بالذات ، بل لمشكلة جميع الذين يحملون الأساطير الإغريقية أساساً لأعمالهم الفنية ، ولو كانوا من الأوربيين المحدثين — على أنهم ورثة هؤلاء الإغريق — !

إن الأسطورة لا تعيش فى دمائكم — وفى دمك أنت المصرى بوجه خاص . إنها لم تنبع من ضمير شعبك . إنها لم تصاحب تاريخك . فكيف تنشىء منها أدبا له حياة ؟

قد تقول : إنك تحسن عملك الفنى على أساس يتفق مع طبيعة الأسطورة ؛ بل مع طبيعة التراجيديا الإغريقية ، وقد قلت ذلك . قلت : إن الشعور الدينى هو أساس التراجيديا ، وأن هذا الشعور عميق فى حسك . فأنت تشعر بازدواج العالم ولا ترى أن الإنسان وحده فى هذا الوجود .

ولكن هذا كلام عام . ألمح فيه تفكير الذهن ولا أتذوق فيه طعم الشعور .

إن الميثولوجيا الإغريقية مختلفة فى طبيعتها عن المتبعين الأصيليين لك كمصرى مسلم . فلا هى تتفق مع طبيعة الميثولوجيا المصرية القديمة ولا مع العقيدة الإسلامية الحديثة .

الآلهة فى الميثولوجيا الإغريقية تدفعها حيوية عارمة إلى كل تصرفاتها . حيوية لا تعرف العدل والحق والخلق والضمير ، لأنها حيوية عاتية شهوانية باطشة . فليس لديها ما يمنع من صب كل هذه اللعنة على « أوديب » لمجرد شهوة أو حقد من « أبولون » . كذلك صنعت مع « هرقل » وكذلك صنعت مع « بروميثيوس » وغيرهما . وجو الأساطير الإغريقية كلها يوحى بهذا الطابع الخاص الأصيل . وهذه الآلهة نفسها يسيطر عليها « القدر » أو قوة تشبهه ، وقد لا تكون خيرة هى الأخرى فى دفعاتها وشهواتها وبطشاتها !

والآلهة فى الميثولوجيا المصرية القديمة تسيطر عليها فكرة العدل والخلق والحق — فى الغالب — فلعنة مثل لعنة « أوديب » غير مستساغة فى ضمير الميثولوجيا المصرية القديمة .

فأنت — يا صديقى — بضميرك المصرى القديم لا تعيش فى نفسك هذه الأسطورة الإغريقية !

وأما الإسلام فينبذ نهائياً فكرة الشهوة والظلم عن ذات الله . وقد بينت أنت نفسك أن فكرة القدر فى الإسلام لا تتفق مع الفكرة الإغريقية .

فأنت — يا صديقى — بضميرك الإسلامى الحديث ، لا تعيش فى نفسك هذه الأسطورة الإغريقية !

منارة الماضي :

الاســـــكندرية

في عصورها الاسلامية

للأستاذ أحمد رمزي

قال ياقوت الحموى : « لو استقصينا فى أخبار الاسكندرية جميع ما بلغنا لجاء فى غير مجلد »

قدم إلى فى الأسبوع الماضى ، حضرة رئيس مكتب السجل التجارى بمدينة الاسكندرية[1] ، نسخة من كتاب طبعته الغرفة التجارية المصرية وعنوانه « الاسكندرية » من وضع لجنة المدينة التى أشرفت على تنسيق قسم خاص للثغر فى شارع وادى النيل بالمعرض الزراعى الصناعى السادس عشر .

ولما تصفحت مقدمة الكتاب ، قرأت نبذة تاريخية ألفها أساتذة قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة فاروق ، ما انتهيت منها حتى أكبرت همتهم ، وشعرت بعظمة الإنتاج الذى تخلقه البيئات العلمية ، تلك البيئات التى تعيش وتحيا حيث توجد الجامعات .

وكان تفاؤلى فى محله لأنى قرأت فى الأقسام التى أفردت لتاريخ الاسكندرية الإسلامى ، كلمات تعبر عن شعور النفس العربية المسلمة حينما يتعلق الأمر بتاريخنا المهضوم الحق . انظر إلى كلمة الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة واستفتاحه : « ما فقدت الاسكندرية فى العصر الإسلامى شيئاً إلا استمادت به غيره » . واسمع قوله : « لم تلبث المدينة أن تعربت ، ودليل ذلك أننا لانجد إلا عصبيات عربية فى فتنة الأندلس سنة ١٨٣ هـ » فهذا كلام لم نسمعه من قبل : فيه حيوية وإخلاص .

ثم اطلعت على بحث الدكتور جمال الدين الشيال وعرضه للمصرين الأيوبى والمملوكى ، فأعجبنى حين أعطى لصلاح الدين حقه ، وكنا لا يعرف ما هى علاقة هـــذا الماهل العظيم بمدينة الاسكندرية[1] . وكم كان موفقاً فى حديثه عن تاريخ المدينة حينما أفاض عليها حلة شائقة من التحقيق العلمى وحين توج كل ذلك بذكره لزيارات الملك الظاهر بيبرس واهتمامه بأمورها .

كان هذا فى نظرى بمثابة فتح جديد فى تأريخ مدننا المصرية

(١) مكتب السجل التجارى تابع لإدارة السجل التجارى من فروع مصلحة التشريع التجارى الملكية الصناعية

(١) من الغريب ألا نجد ميداناً أو شارعا يحمل اسم صلاح الدين وهو الذى دافع عن الاسكندرية

وقد يعن لك أن تقول كما قلت فعلا : إنك عالجت الأسطورة من جانب آخر جديد . جانبها الإنسانى العام . ففى « أوديب » مثلا جعلت «الموجب للكارثة طبيعة أوديب ذاتها . طبيعته المحبة للبحث فى أصول الأشياء الممعنة فى الجرى خلف الحقيقة » .

ولكن الأسطورة هى الأسطورة . فلعنة الآلهة هى التى خلقت جوها وحوادثها ،

لقد عاشت تراجيديا سوفوكل ، لأنها نبعت من حرارة وجدانه بالأسطورة الحية فى ضميره وضمير شعبه . أما عملك أنت وعمل الآخرين من المعاصرين الذين لا يؤمنون بالأسطورة إيمان سوفوكل . فلن تكتب له الحياة إلا بمقدار ما فى نفس كل منكم من إيمان حار بأسطورة « أوديب » ، وبمقدار ما عاشت هذه الأسطورة فى ضمير شعبه وضميره من الحقب والسنين ، وبمقدار تناسق هذه الأسطورة مع الحياة الشعورية له ولشعبه بوجه عام .

ولا تؤمن بما يقوله الدكتور طه — مساه الله بالخير — ويردده من أن مصر إغريقية التفكير ، لأن مدرسة الاسكندرية القائمة على أساس الفلسفة الإغريقية تركت آثاراً عميقة لا تمحى ! لا تؤمن بهذا فإنما هذه هى فتنة الدكتور الكبرى بالإغريق !

قد يكون ذلك صحيحاً فى الفلسفة ؛ فى منطقة من مناطق الفكر المصرى لا فى سائر مناطقه . أما المنطقة الشعورية فلم تمسها تلك الفلسفة . فضمائر الشعوب لا علاقة لها بالفلسفة . والأساطير تنبع من هذه الضمائر الحية لا من الأذهان الجرداء !

والفنون لا تكتب لها الحياة إلا حين تمتح من هذه الضمائر المكنونة ، حين تتصل بالنبع العميق السارى وراء الأذهان والأفكار ...

ما من عمل واحد يخلد إلا إذا فاض من الشعور .

(وشنطون) سيد قطب

إذ ما رأيت كتاباً أو دليلا تعرض لتعريف مدينة الاسكندرية الاوس على عهدها العربي والإسلامي مروراً بسيطاً لا يشفي الغليل كأن عهد الإسلام والعروبة كان عهداً غريباً عن مصر وأهلها !! فكل من كتب عن تاريخ الاسكندرية من كتاب الفرنجة وغيرهم يولي المهدين الروماني واليوناني جُلّ اهتمامه ، ويبرزهما بروزاً ساطعاً ، بل منهم فريق يسرف في القول ويغالط في الحقائق حتى إذا جاء لعهدنا قال : « إن المدينة فقدت أهميتها وعمرانها وأصبحت خراباً بلقماً » . فكأنه يقول في مواجهتنا : لدى هؤلاء القدماء المدنية والحضارة ، ولدينا الجهل والخراب . ! لديهم كل ما يجب ولدينا كل ما ينفر ! . أليس في هذا دعوة إلى إنكار شخصيتنا وإلى الفناء في الغير فناء لا نرضاه لأنفسنا ولا لأحفادنا ولا لنهضتنا القومية ؟!

***

كنت منذ سنة أعمل على رأس مصلحة السياحة المصرية ، وكان من ضمن عملي الاطلاع على بعض الكتب والنشرات التي تتكلم عن الاسكندرية وعرضت على مجموعة من هذه منها القديم والحديث ، وكان من بينها كتاب لعالم غربي أريد إعادة طبعه على نفقة الحكومة المصرية ، ولما قرأته دهشت من كثرة ما حواه من الأخطاء عن تاريخنا القومي ، فحاولت جهدي أن أرد الحق لنصابه وأرفع بعض الإبهام وأعطي صورة واضحة عن تاريخ المسلمين وأثرهم ، وكنت أؤمل وقتئذ من جمهرة المثقفين في مصر ومن أهل المدينة أن يقوموا بواجبهم في سد هذه الثغرة التي تضعف من إيماننا في أنفسنا ، وتقلل من أمجادنا ، وتجعلنا في النهاية غرباء عن تاريخنا .

كل هذا دفعني إلى الإلمام إلماماً تمهيدياً لما كانت عليه عظمة هذه المدينة . فخرجت بأشياء تجعلني أسلم بما جاء به ياقوت الحوى في معجم البلدان من أن ما وصله عنها يستحق أكثر من كتاب واحد . ونحن أمام تاريخ الإسلام في الاسكندرية نقرر أنه في حاجة إلى عدد من المجلدات الضخمة .

***

وإليكم أول ما تبادر إلى ذهني في تلك الأيام ، أنقله كما هو ، قلت : « الذي أعرفه وأشعر به عن أهل الاسكندرية حين أزور مدينتهم ، هو أنهم أهل رباط ونجدة ، نرى في وجوههم أن أصولهم وفروعهم تنحدر من صميم القبائل العربية التي رابطت في هذا الثغر الإسلامي ؛ فيهم نخوة وشدة وحماس ودفعة وإقدام على المخاطر . وتلك صفات انفرد بها أهل الثاغرة والمرابطة في أنحاء العالم الإسلامي من أهل الثغور والمواصم الذين كتبوا بدمائهم ملاحم الحروب ، فهم إذن سلالة أولئك الذين فتح الله على أيديهم هذا الثغر وأبناء الأبطال الذين صدوا وهزموا كل من حاول الاعتداء على أراضي مصر الإسلامية طول مدة العصور الطويلة الماضية التي نعمت فيها البلاد بنعمة الاستقلال الصحيح والعزة والكرامة » . وأراني اليوم أكثر تمسكاً بهذا الرأي مما كنت.

رجعت إلى ما كتبته أيام السياحة ؛ لأني أعجبت بالقسم التاريخي من كتاب الغرفة التجارية ، فعمدت إلى أوراق الماضي أقلبها ، ثم حمدت الله أن تنبهت الغرفة لهذا التاريخ الإسلامي ، وسلمت أساتذة قسم التاريخ بكلية الآداب هذه الأمانة ، فأدوها وهذه لفتة جديدة لم تعرفها المدينة قبل اليوم .

ولكن مثلي يطمع في الكثير من هذا ؛ يطمع ان تعرض عليه حوادث التاريخ الحي ، وأن يتغنى بمواقف أهل المدنية ، وينادم آثارها الإسلامية ؛ ويشمخ بأدبها العربي وبروحها الوثابة وبما خلفته وتركته لنا تلك العصور العزيزة علينا ، وهذا عمل عظيم ، أؤمل أن يتولاه الأدباء والعلماء والمؤرخون وأهل الآثار ورجال الدين والقضاة وكل محب للاسلام والعروبة .

***

فهذه مدينة أصبحت أكبر منازل الرباط في مصر منذ أتم الله فتحها على يد منقذ مصر الأكبر « عمرو بن العاص » ، فبرزت بروزاً في تاريخنا لا يمكن إنكاره ولا الإقلال من أهميته رغم الطعنات التي يوجهها الغير إلينا وتحديهم لنا .

إن أيام الفتح توحي بالكثير من المواقف وقد أوحت بالفعل شيئاً من ذلك: أنني لا أزال أذكر ما نقل عن عمر وهو يحدثنا قائلا : « ثلاث قبائل من مصر ؛ أما مهرة : فقوم يَقتلون ولا يُقتلون ، أما غافق : فقوم يقتلون ويقتلون ، وأما بلي : فأكثرها رجلا صحب النبي صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارساً » . قال هذا عندما نزل بعض هذه القبائل في الاسكندرية إبان القتال الدائر حول أسوارها

عند ما حمل الروم على العرب فقتلوا لأول مرة رجلا من مهرة — ولم يكن قد قتل أحد منهم قبل ذلك اليوم — واحتزوا رأسه وحملوها . وقالوا : « لن ندفنها حتى نأتى برأسه » . فقال لهم عمرو : « كأنكم تغضبون على من يبالى بغضبكم . احملوا على القوم واقتلوا منهم ثم ارموا برأس قتيل منهم يرموكم برأس صاحبكم » فخرجت الروم واقتتلوا . فقتل من الروم رجل من بطارقتهم ، فاحتزوا رأسه ورموا به الروم ، فألقت الروم برأس المهرى إليهم . فقال : « دونكم الآن ، فادفنوا صاحبكم » . وقد تكون هذه القصة واقعية أو من عمل الرواة بقصد الدعوة إلى الحماس ، وهذا لا يهمنا بقدر أنها تعرفنا من كان على أبواب الاسكندرية يقاتل . وهؤلاء هم أصحاب المدينة . إذ أجمع المؤرخون على أنهم عند الفتح كانوا من خلاصة القبائل العربية التى استوطنتها بعد جلاء الروم عنها . قال المقريزى : « إن لخماً كانت أعز من فى ناحية الاسكندرية وأطرافها »(١) . وهى قبيلة امتدت فروعها وبطونها فى صميم مصر ولا يزال أبناؤها فى إقليمى البحيرة والشرقية ، ولها المواقف التاريخية فى كل حادث من حوادث التاريخ . وليس من السهل إنكار التاريخ والخروج على الأصول والأنساب .

وللاسكندرية مواقف ومعارك وأحداث تحدث التاريخ عنها وأهلها أحق من غيرهم بآثارها والتفاخر بها ، ولم يكن سكانها فى تلك العصور ممن تلين قناتهم . أولا يعتد الخصوم بهم فيصفونهم بالاصفار المتراصة ، وإنما كانت سيوفهم مرهفة ، ورماحهم للجهاد قائمة ، وكانت لهم فى البحر جولات ، طالما أدخلت الرعب والخوف فى نفوس الروم والفرنجة ومن معهم . نعم ؛ جاءتهم قبائل عربية من المغرب ومن الأندلس ، أنزلوها حيناً باختيارهم ، وحيناً بعد حروب دامية . ومن نزل منهم رحبوا به ، ومن لم ينزل على حكمهم أرجعوه على سفنه وبعثوا به إلى البحر ثانية ؛ فهم مرابطون بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .

نقل الكندى فى فضائل مصر ما قاله سفيان بن عيينة لأحمد ابن صالح : « يامصرى ، أين تسكن ؟ » قلت : « أسكن الفسطاط قال : « أتأتى الاسكندرية ؟ » قلت : « نعم » قال سفيان : « تلك كنانة الله يحمل فيها خير سهامه » (١)

ونقل السيوطى فى كتابه : أنه نُعى إلى عبد الله بن مرزوق الصيرفى ، ابن عم له اسمه خالد بن يزيد ، وكانت وفاته بالثغر الاسكندرى ، فلقيه ثلاثة هم : موسى بن رباح وعبد الله بن لهيعة والليث بن سعد ، منصرفين وكل منهم يقول : « ألم تكن ميتته بالاسكندرية ؟ . إذن هو حى عند الله يرزق ويجرى عليه أجر رباطه ما قامت الدنيا ، وله أجر شهيد حتى يحشر على ذلك » .

أحمد رمزى

(البقية فى العدد القادم)

(١) وظهرت بالاسكندرية طائفة يسمون « الصوفية » يأمرون بالمعروف فترأس عليهم رجل منهم يقال له « أبو عبد الرحمن الصوفى » فصاروا مع الأندلسيين يداً واحدة واعتضدوا بلخم وكانت لخم أعز فى ناحية الاسكندرية . (خطط المقريزى ص ٢٧٩ الجزء الأول).

(١) خطط المقريزى ص ٢٦٢ الجزء الأول .

حكيم فيلسوف يتكلم ...

للأستاذ راجي الراعي

مشى كعادته فى كل صباح إلى ساحة المدينة بخطوات الفيلسوف الحكيم ، وأقبل عليه الناس فحمد الله وشكر ، ثم حدجهم بنظراته القوية الصافية العميقة ، فانشق ألف حجاب ، وانقلب الظل شعاعاً ونجات الفلسفة ، وعبق الجو بالروحانية ، وفاح عطر الحكمة ...

وسأله واحد من الجمع :

حدثنا أيها السيد عن التضحية فقال :

— جميل أن تضحوا بنفوسكم فى سبيل المثل العليا ، وأجمل منه أن تبقوا أحياء لتكملوا أداء الرسالة الروحية ...

جميل أن تحترقوا ليستضاء ويهتدى بنوركم ، وأجمل منه أن لا تضرموا فيكم الأحطاب لتنقذوا من تأكله النار ، وتقطعوا عنه ألسنة اللهيب .

لا تغرقوا أنفسكم فى بحر الوجود ليتسنى لكم أن تنقذوا الغرق . . وكلما أنقذتم غريقاً وأقفلتم فى وجهه باب الموت فتح لكم باب فى السماء ...

أبقوا المناجل فى أيديكم لتحصدوا حصادكم ... إن الحياة ليست بمعطف تلقونه بسرعة وخفة عن أكتافكم ، ولا هى قطعة النقد ترمون بها فى الخزانة . . إن للحياة وزناً وثمناً . . إن لها حوضاً من مائها لا يجوز لكم أن تفرغوه فى لحظة لتسقوا الأرض مهما اشتد جفافها وطال ... إن مياهكم تنبع من صدر الله . . الحياة أمانة فى أيديكم فمن جازف بها خان الأمانة وإن ارتدت خيانته ثوب الصدق والإخلاص ...

وسأله آخر : ما هى كلمتك فى الكبرياء أيها الحكيم فقال :

— لا صغير ولا كبير فى الكون ... كل شعاع من الشمس شمس مقتضبة ، وكل قطرة من البحر بحر بليغ ، وكل حبة من الرمال صحراء مكبوتة ، وكل نسمة فى الأثير أثير ينطوى على نفسه . الجزء فى الكل والكل فى الجزء ، والكل واحد ... إن فى الذرة الصغيرة ما فى الأفق الذى لا حد له ، هما صفحتان فى كتاب وعينان فى وجه ...

ليس لأحد ان يشمخ على الآخر :

الحجر يقول للجدار : لولاى لم تكن ، والجدار يقول للحجر : لولاى لم تلق وسادة تلقى عليها رأسك ... الخمرة تقول للكأس : لولاى لم تنعم بك شفة ، والكأس تقول لها : لولاى لذهبت هدراً ...

لا كبير ولا صغير فى الكون ...

إن الرسالة واحدة وإن تغير الغلاف ، وأصل الحياة واحد وهدفها واحد فلا تشمخوا بأنوفكم على الخلق ... إن المهود واللحود تجمعكم فى صعيد واحد ...

كلما شمختم على الآخرين وتخيلتم أنفسكم عظاماً ضربتكم القبور بهيا كل عظامها ...

وارتفع فى الساحة صوت ملائكى يسأل عن الصلاة فأطرق الفيلسوف ثم قال :

— الصلاة هدير بحر الإيمان ، والمرساة التى تقف بها سفنكم فى مرفأ الخالق ... الصلاة هى وهج الإيمان الذى يشتعل فيكم فكلما ألقيتم الأحطاب فى ناركم صليتم . . هى الحنين إلى الأصل الذى جئتم منه ، والى الوطن الأكبر الذى تهتم عنه . .

إنكم تصلون لتطلبوا إلى الخالق إكمال ما نقص فيكم وإيقاظ ما كمن فى أعماقكم ولتبلغوه شوقكم إلى الآخرة ، إلى اليوم الذى تنطلقون فيه من أسر هذه الكرة التى تستبد بكم وتدميكم بقيودها ، ولتفتحوا له جراحاتكم فيرى فيها مواضع الألم وطوابع المجرمين وحنق الطغاة وقسوة الزمن ...

الصلاة لسان الظمأ النارى فى النفس يستجدى الماء من ينابيع النعيم ... وأنتم كلما حنتم على جريح أقمتم لله هيكلا ، وكلما حطمتم سيفاً من سيوف الغدر والخيانة والظلم برق لكم سيف فى السماء ، وكلما قابلتم الإثم والرذيلة بجباه مقطبة بسم لكم السيد ...

الصلاة أن تستعجلوا الرحيل من هذه الفانية ...

وإذا صليتم فلا تنسوا هذه الكلمات :

اجعلنى يا رب صالحاً للمثول بين يديك ... اعطنى جناحين

لأطير إليك ... أنا تائه فاهدنى . . خذنى بيديك وتنقل بى من شمس إلى شمس ومن نجمة إلى نجمة ومن مجرة إلى مجرّة حتى أقع منهالكا على عتبة بيتك وأستريح ... أخل ساحة نفسى من كل شئ عداك ... اعطنى القوة لا لأصرع الجبار ، ولكن لأجعل من الصعلوك جباراً يطاول برأسه النجوم حتى يشرف على دارك . قيدنى بحبك .. أنت فى ضميرى وطفولتى فخذنى بيدك ولا تدعنى أنا الطفل الكبير أقع فى الهاوية ...

وسأله أحدهم عن الصبر فقال :

أنتم بين إرادتين : إرادة الإقدام وإرادة الصبر وأعظمها الثانية .

جميلة هى الموجة المقتحمة الهائجة وأجمل منهـا الصخرة التى تردها ...

جميل السيف وأجمل منه الدرع التى تتقيه ...

جميل البركان وأجمل منه الجبل الذى يعرف أنه الجبل الوقور الرصين فيبقى حممه فى أحشائه لا يزعج بها الفضاء ولا يقلق العابرين ...

وتقدم منه شاعر وسأله عن الطبيعة وكتابها فقال :

— إن للطبيعة رسوماً وأصواتاً فهل أنتم تنظرون وتسمعون ؟

الشمس تقول : أنا صورة من خيال الله إطارها الأفق فيسمعها البحر فيقول : أنا خلجة فى الصورة ، وتسمعها الرياح والأعاصير فتتنادى وتصرخ بصوت عظيم : نحن من أبواق الله ننذركم بشر المصير إذا كنتم لا تؤمنون .. والجبل يتكلم ويقول: أنا الجلال والوقار لا أبرح مكانى ولكن الإيمان ، الإيمان وحده يذهب بى حيث يشاء من مكان إلى آخر ، أنا فى مهب الإيمان على الرغم من صخورى وضخامتها وعلوها ، ريشة طائرة ... ويسمع الينبوع كلمة الجبل فيقول : أنا قطرة من خمرة الله ... وتهب الخمرة من الكأس لتقول : أنا من دمه ... وكل نجمة من هذه النجوم تقول لكم : إن بينى وبين رفيقتى عالماً مهجورا وفراغاً مخيفاً ، كذلك أنتم فى مناطق نفوسكم التى لا تعد ... إن بينها أبعاداً شاسعة وقد تموتون والمنطقة الواحدة تجهل الأخرى.

وللقمر كلمته وهى أن لا تخدع به فهو يستعير نوره من الشمس وفى شعاعه المطمئن اضطراب العاجز ... والزهرة تتنهد وتتأوه قائلة : ما دمتم تقطفوننى بأيديكم السمجة الغليظة ، فلستم من المؤمنين بالفن والأرج والجمال ، وإذا ذبلت وتحولت عنكم فذلك لأنكم لا تفهموننى ...

والمطر رحمة وكرم والبرق إلهام ، والرعد غرور ونزوة ، والصاعقة جنون ، والسنابل أصابع كف الحياة وهى تصفع الموت ، والبركان عقل باطن ثار وانفجر ، وندى الفجر دموع ، والظهيرة جحيم ، والأصيل هدنة والليل وشاح من أوشحة الموت ، والغابة أسرار والدرر فى الأعماق مواهب ، والضباب حيرة ، والنار ألسنة تخطب على منبر الفناء ، والنور نار وادعة ساكنة

وتعالت الأصوات صائحة :

— حدثنا عن الخالق والخليقة فنظر إلى السماء ثم قال :

— الخليقة قصيدة كانت مطوية تحت جناح الله فأطلقها شعراً منثوراً فى ساعة طاب له فيها أن ينثر الشعر ... هى قصيدة الحب والجمال وشاعرها الله ... لقد كنتم طيوراً تغرد فى حديقة الخالق ، والشوق إلى تلك الحديقة التى تنقلتم على أفنانها قبل أن عرفتكم هذه الشمس هو اسمى وأبرز ما فى نفوسكم التى تحن أجنحتها حنيناً لا يغذيه ولا يبلغه هدفه إلا الحب الروحانى ينير الطريق ويحرق الحجب الكثيفة ... إن وجه الله الحبيب لا يُرى على ضوء العقل والعلم وإنما يرى على ضوء النار التى يضطرم بها الوجدان ... إن الله يدرك بالوجد وبالعشق الإلهى الذى يقطع إليه وحده المراحل والأودية فإذا أطفأتم ناره فى صدوركم انقلبتم رماداً ...

واقترب منه ملاك وسأله عن الملك والملاكين فقال :

إن اليد التى تتلمس الأشياء ويندلع بين أصابعها لهيب الحلم والشوق والحنين هى اليد الحمراء الجميلة ، فإذا ظفرت بها تروم وقبضت عليه أثقلها الرماد والتراب وتوارى جمالها ... ألا ترون الينبوع كيف يفقد روحه إذا بلغ البحر ، والصحراء كيف كيف تهدم كيانها إذا اهتدت إلى الينبوع فجربوا ما استطعتم أن تطيلوا المسافة بين ينابيعكم وبحورها وبين صحاريكم وينابيعها . وبعد فما هو هذا الذى تملكون ؟ هذه الأجسام هاأجسامكم ، أتحسبون أنها لكم ؟ إنها للتراب الذى تخلى عنها إلى حين ثم يستردها ويقفل العين التى كانت النفس تطل منها على الوجود ..

وهذه الأموال التي تحشدونها وخزائنها الحديدية ، هي من التراب أيضاً ، من مناجمه التي تفتحون لحودها ثم تعودون إليها وليس في أيديكم غير أصابعها التي ستتحول إلى سنابل في الحقول … وهذه البيوت التي تقيمون بين جدرانها ليست لكم وكيف تملكونها وهي باقية يوم ترحلون … إن الحجر أشد منكم شكيمة وقوة وصبراً في ساحة البقاء … ما الذي تملكون ؟؟ أتحسبون أنكم تملكون الفكرة والعاطفة ، إن أفكاركم وعواطفكم حلقات كسلاسل قديمة لا يدلكم فيها ولا تعرفون من أمرها إلا أنها توثقكم … إن قلوبكم ليست لكم فهي تقيم فيكم على الرغم منها وتلح بنبضاتها المتعاقبة للخروج من أقفاصها ، أصابها (كوبيد) ببعض سهامه الطائشة ، فوقفت في صدوركم وظلت هناك جريحة تئن وتستغيث طارقة باب النجدة للانعتاق من الأسر …

والمرأة التي تتخذونها لكم رفيقة ليست لكم أيضاً فستظل إلى الأبد لغزاً لا يدرك سره ، وكيف يملك المجهول ؟ وهؤلاء الأطفال الذين تلدونهم قطرات دم كثيفة من سهام (كوبيد) تجمدت وتجسدت وأطلقها (كوبيد) لتلعب في فنائكم … وهذه الحدائق ليست حدائقكم ففي أشجارها الألوف من الخلق الذين تقمصوا وتجلوا أزهاراً وثماراً … لا ، إنكم لا تملكون شيئاً أنتم وملوككم … الملك لله … هو وحده المالك …

وسألوه عن الصمت والكلام فقال :

الصمت هو الأصل ، وقد خلق الإنسان ليفكر ويتأمل ويحلم … إن ما يحيط به من الأسرار والأعاجيب في السماء والأرض يوقفه موقف المعجب الثمل المشدوه المأخوذ بالعظائم والروائع لا تترك له مجالا لكلمة يقولها . . .

إن الحيرة والإعجاب والوجد والذهول والانجذاب تخرس الألسنة وساحة الحياة أضيق من أن تسع قصور الخيال والتأمل والأحلام فأين فيها مكان الكلام ؟ ألا ترونه الدخيل يحشر نفسه في صفوف الحياة حشراً ويتطفل على مائدتها ؟ الصمت وشاح تتشح به النجوى والتقوى ويتورع به التصوف والإيمان وعليه يقوم بيت الله … الصمت يجمع نفوسكم والكلام يفرقها … إن الآفاق كلها بنيراتها وشموسها ومجراتها صامتة فكيف تتكلمون ولم تتكلمون ؟؟

ودنا منه فيلسوف وسأله عن الكلمات وقوتها وطنينها فقال :

إن الصور والرسوم التي تعرضها لكم الحياة لا تبدو لكم على حقيقتها فأنتم تلبسونها بكلماتكم الأثواب التي يحلو لكم أن تنسجوها .. إن الكلمات التي تستقونها من معاجمكم هي التي تسيركم ، الكلمات الضخمة القوية الطنانة التي تجعل من النسيم عاصفة ومن الشرارة ناراً تحرق الغابة ، ومن الشيء التافه شيئاً يتضخم ويعلو حتى يملأ الجو والساحة . .

قد يكون ما ترونه مظلماً فتطلقون عليه كلمة تشع فيصبح في نظركم منيراً … إن كلماتكم منافخ تنفخ الروح في الأموات ومطافئ تطفئ الحياة في الأحياء . . كلها من نسيجكم وإبركم تضيق وتتسع بإرادتكم وأوهامكم ومعاجمكم .. إن الفقر لا يحمل الجراحات التي تتخيلونها ولكن كلماتكم فيه حملته المدى والطعنات القاتلة ، والغنى ليس الطريق إلى السعادة ، ولكن ما نسجتموه حوله أجلسه على عرش العروش يوزع اللذات ويفتح أبوب النعيم .

إنكم تكثرون من الكلمات فيضيع عليكم الكثير من أهدافكم وأنتم في ذلك كالشجرة التي تكثر أوراقها فتقل ثمارها . التفخيم والتضخيم ووراءهما التشويش والتعقيد والحيرة والإلهام والإبهام من صنع أيديكم كأنه يلذ لكم أن تكثروا النجوم في آفاقكم لتضيعوا في مسالكها ..إنكم تلهون بطنين الألفاظ عن دقة المعاني وحقيقة الحياة وجوهرها وكأن كل كلمة من كلماتكم حجر تلقون به في البحيرة الهادئة الحكيمة الوادعة فتقلق وتضطرب وتفقد الكثير من سكينتها وجمالها . .

إن الله لم يتلفظ بغير كلمتين (ليكن النور) يوم رفع عنا الستار في حين أنه رب الأبجدية والمعاجم .. إن الخالق يوم خلقنا كان بليغاً ..

وسألوه عن القوة الظاهرة والكامنة فقال :

— في عالم الروح قوى كامنة تنتظر من يطلقها فإن شخصية الإنسان لا يبدو منها إلا العشر ما تنطوي عليه والباقي مختزن راقد في الأعماق .. إن القوى الدفينة في رمالكم عديدة بعيدة الأغوار ، وما يستطيعه هذا المخلوق البشري الذي يحسب نفسه ضعيفاً يمتد على مسافات لو كان له أن يجتازها في عالم الحقيقة والمحسوس لأتى بالمدهشات . . . إن في الإنسان فيضاً من نور الخالق ، ولكن

مسرحية « سليمان الحكيم »

للأستاذ توفيق الحكيم

بقلم الدكتور محمد القصاص

(تتمة)

كنا نتكلم فى نهاية المقال السابق عن رأى الأستاذ توفيق الحكيم فى أن التراجيدية تقوم على أساس من الدين ، ووافقناه على هذا الرأى ، وذكرنا أن تلك كانت حالها عند الإغريق . والآن نقول بأن ذلك كان شأن التراجيدية أيضاً فى أوربا المسيحية خلال العصور الوسطى . فقد كانت تستمد موضوعها من صميم العبادة المسيحية والطقوس الكنسية . فى بادئ الأمر لم يكن المسرح إلا صورة مكبرة لما يعمل فى الكنيسة أثناء القداس لجعله أبلغ تأثيراً فى النفوس ، وأشد أسراً للقلوب ، وأفعل فى استثارة العاطفة . بعد ذلك صارت تمثل حياة ابن الإله فى صورة درامية تنفطر لها القلوب ، وحياة السيدة العذراء ، ومعجزاتهما ، ثم معجزات القديسين . ومن بعدها أخذت الخرافات والأساطير الدينية تغذى التراجيدية بمادتها التى لا تنضب . وكلها أشياء شعبية أليفة للشاهدين ، وفى متناول فهم الجميع وإحساسهم . كانت تمتزج بها الدعابة من حين لحين ، بل كانت تنزل فى بعض الأحيان إلى درجة من السخرية لا تليق بقداسة الدين ؛ حتى كانت السلطة الزمنية تضطر إلى التدخل ؛ ومع ذلك فقد ظلت الأرض الخصبة التى أزهر عليها المسرح التراجيدى أكثر من ثلاثة قرون هى عصره الذهبى دون جدال .

هل هذا ما يعنى الأستاذ توفيق الحكيم عند ما يقول بأن التراجيدية لا تقوم إلا على أساس دينى ؟ إن كان ذلك مقصوده فإننا نوافقه كل الموافقة . ولكننا نأسف أن نرانا مضطرين إلى التصريح بأن التوفيق قد أخطأه دائماً عند الاختيار ، ولا سيما فى مسرحية سليمان الحكيم . لأن الأستاذ لعله يخلط بين الإيمان والعواطف الدينية من جهة ، وبين جدل المتكلمين من أمثال أبى حنيفة ، وإبراهيم النظام ، وأبى الحسن الأشعرى من جهة أخرى ، فبدل أن يتخذ موضوع مسرحيته من صميم العاطفة الدينية وما يغذيها من أساطير ، وكرامات ، ومآس يؤمن المؤمنون بحقيقتها وواقعيتها إيمانهم بالتاريخ وبالحقائق الكونية ، راح يبحث عن هذا الموضوع فى الكلام والفلسفة السكولاستية .

العيون لا تقع منه إلا على بضعة أشعة هى التى تأتى بكل هذا الذى ندعوه العبقرية والموهبة والوحى والخيال الخلاق والفن الرفيع ، والبقية الباقية غائبة عن الحس منطوية على نفسها ولا أدرى ما يكون من أمركم وأية أهوال تقذفون بها فى هذه الأجواء ، وأية أسرار تهتكون حجبها إذا لم تصب شموسكم بالكسوف وتجلت شخصياتكم على وجهها الأتم . . خذوا من ساعاتكم ساعة الإلهام وساعة الخطر وساعة الحلم وساعة الخطر وساعة الخمر تلمسوا بأيديكم ما تقوى عليه عقولكم الباطنة إذا ما خرجت عن ذهولها ..

إن نظرة واحدة من نظرات تلك العقول فى يقظتها تكفى لخلق هذه الروائع فى الفن ، وتلك العجائب فى العلم ، وإن شهاباً واحداً من تلك الشهب النفسية يتصل بكم نوره يكفى ليضمكم فى عداد الأبطال والمستشهدين ، ويجعل من أسمائكم سيوفاً تبلغ من المضاء حداً تخترقون به كثافة الأجيال ..

آه لو أستيقظتم اليقظة التامة الكبرى لتأخذ العين ما قدر لها من مجال فى هذا الوجود ، وتنطلق ذراتكم الروحية لتذليل هذه الصخرة الشامخة العاتية الهازئة القديمة القائمة فى طريقكم ، صخرة المستحيل ..

إن فى قبتكم النفسية التى لا تقل عن هذه القبة الزرقاء روعة وسناء مئة ألف نجمة لا يضئ منها إلا نجوم قليلة معدودة فإذا ما أضيئت كلها وجدتم نفوسكم التائهة وشعرتم بذلك الارتياح النفسى الذى تسمونه السعادة ، ولقد حان لكم أن تنشروا كل ما فى كتابكم من صفحات لتحقيق حلمكم الأكبر .

راجى الراعى

أفيظن أن فكرة القضاء والقدر ، ولا سيما على النحو الذى يعالجها به فى مسرحيته ، فى وسعها أن تحرك قلب إنسان ، أو أن تثير انفعال مؤمن أياً كان ؟ الواقع أن الإيمان شىء والفلسفة مهما انحطت شىء آخر . ومع ذلك فقد عرف العالم الإسلامى — على نحو ما — هذا النوع من التمثيل ، تمثيل المآسى الدينية فى الطرقات والميادين العامة على نحو ما كان يفعل الإغريق القدماء أول عهدهم بالتمثيل . من ذلك مأساة مقتل الحسين ، ابن بنت رسول الله (ص) التى يقوم الشيعة فى إيران والعراق بتمثيلها يوم عاشوراء من كل عام .

فى هذا اليوم يحيى عامة الناس من ممثلين ومشاهدين أحداث يوم كربلاء ، لا على حقيقتها ، بل كما أرادت الأساطير وحماسة الإيمان أن تكون . يحيون هذه الأحداث الجسام التى تجتمع عليها خفقات قلوبهم ، وتثير فى نفوسهم عواطف اجتماعية ، ويفنون فى تمثيلها لشدة امتزاجها بنفوسهم واستيلائها على قلوبهم ولصوقها بإيمانهم . حتى لقد حدثنى بعض الأصدقاء ممن شاهدوا هذا اليوم بأن من المشاهدين من ينسى نفسه نسياناً تاماً ، حتى ليصيب نفسه بأذى قد يودى بحياته على غير شعور منه . على مثل هذه «العواطف الدينية» قامت التراجيدية الإغريقية ، وتراجيدية أوربا المسيحية حتى عهد كرنى . وهذه العواطف الدينية هى التى يجب أن تكون أساساً للتراجيدية ، هذه العواطف التى تلهب النفوس وتجمع بين القلوب ، لا جدل المتكلمين ومذاهب الفلاسفة السكولستيين ، كما فعل مؤلف سليمان الحكيم ، خلطاً منه بين العاطفة الدينية ، وبين الجدل حول الدين الذى لم يمس يوماً قلب إنسان ، وقد ينبو عنه فى عصرنا الحاضر عقل كل إنسان .

فإذا رأى الأستاذ الحكيم أن هذه المواضيع الدينية الساذجة أصبحت شيئاً بالياً ، وأن على الكاتب أن يشغل قلمه بما هو أجدى فى عصر طغى فيه جد الحياة وقسوة العمل ، فليترك إذن ميدان التراجيديا لتموت فى هدوء كما هى حالها فى كل مكان من بلاد الغرب ؛ ولينزل إلى ميدان « الدرامة » ميدان الحياة الاجتماعية ؛ إلى العالم الذى نعيش فيه ، فيصفه لنا بخيره وشره ، وإلى العالم الذى يريد لنا أن نعيش فيه ، فيهدينا إلى طريقه ، سواء أكان ذلك فى ميدان العمل أم فى ميدان الروح ، فى ميدان الاجتماع أم فى ميدان الميتافيزيقة . أما أن يصر على التراجيدية وهو يبتعد عن موضوعها على غير شعور منه لأن نفسه غير مهيأة له ، فتلك خسارة كبرى على فن توفيق الحكيم ، وهو فنان كبير ، وتبديد لمواهبه فى الهباء ، وهو ذو مواهب حقة لا نظن أحداً يشك فى قيمتها .

ومن أفدح ما أصاب فن الأستاذ الحكيم فى القصة التى تدرسها من جراء الفكرة التى تقوم عليها ، والتى دفع الكاتب إليها تشبثه بالتراجيدية مع بعده عن الصواب فى إدراكه للأسس التى تقوم عليها وإغراقه فى حب التفلسف ، أن جاءت روايته غير قابلة للتحقيق المسرحى لخلوها مما يثير قلب الإنسان أو يتصل بنفسه ، وبعدها عن واقع الناس والحياة الحقيقية . والظاهر أنه يدافع عن هذا المذهب ، ويعده مذهباً مقبولاً ، أعنى كتابة أدب مسرحى غير مسرحى ، وعمل روايات مسرحية ، لا لتمثل بل لتقرأ فى أوقات الفراغ . فقضلا عن تجلى هذه الظاهرة فى « سليمان الحكيم » ، نراه يقول فى مقدمته « لأوديب الملك » : « وأعنى بالمسرح هنا كل فن يرمى إلى تصوير الأشياء والأفكار على خشبة أو شاشة أو موجة أو صحيفة ... بأن يقيمها حية تتحادث وتتحاور وتبرز مكنون سرها أمام الناظر أو السامع أو القارئ » ولكنا — كما قلنا فى مقال سابق — إذا سلمنا بأن الأدب المسرحى فن من فنون الأدب قائم بذاته ، وجب علينا أن نسلم بأن ميزة هذا الفن إنما هى فى الصفات التى تمكنه من التحقق فى الخارج ، من اللعب على خشبة المسرح . لذلك قلنا إنه إذا تأتى له ألا يكون أدبياً فلا يصح له بحال من الأحوال ألا يكون مسرحياً . هذا هو شرط المسرحية الأول بل حدها . فأول الأضرار التى أصابت المسرحية من جراء الفكرة التى حملها المؤلف إياها ، إنما جاءت مسرحيته لا تمت بشئ إلى قلب الجمهور وعقله ، مسرحية لا تحرك فيه عاطفة ولا صدى لعاطفة وهذا ضرر لا يستهان به لأنه جعل منها قصة غير تمثيلية ولكن فى صورة حوار .

أما الضرر الثانى فلا يقل خطورة عن الأول ، وهو انعدام الشخصيات فى المسرحية ، انعدام ما يميز بعضها من بعض تمييزاً ذاتياً . إذاً لا تكاد توجد بينها شخصية واحدة تصدر فى

مسلكها فى الحياة عن بواعث نفسية وإرادة إنسانية ، عن تقدير شخصى ، وعن عواطف وميول . ودوافع داخلية هى ملك لها وجزء من كيانها المنوى ، وتميزها عن غيرها من أبناء جنسها وتلون مسلكها فى الحياة بألوان تختلف عما عند الآخرين اختلافا قد يكون كبيراً وقد يكون طفيفاً ولكنه جوهرى وذو خطورة عظمى ، لأنه هو الذى يهب الإنسان إنسانيته ويسبغ على كل فرد فرديته . وهو الذى يجعل من كل إنسان كوناً شاملا شاسعاً غامضاً يستحق الدراسة والتأمل ، كوناً منطقياً تارة وغير منطق تارة ، تتصارع فيه الأهواء والعواطف والشهوات والأفكار وجميع العوامل النفسية والانعكاسات الخارجية . من هذا الصراع الداخلى ، جلياً كان أو خفياً ، ومن اصطدام حرية الفرد بحرية الآخرين ؛ ومن نضاله ضد قوانين الكون الراسخة ، تنفجر درامة الحياة الواقعية بما فيها من مآس ومهازل وأبطال هم بنو الإنسان جيماً . وكلهم شاهد ، وكلهم ممثل . وكلهم يلعب دوراً أصيلا فى الدرامة ؛ دوراً لايلغى شخصيته ولوكان ملغى الشخصية ، ولا يجعل منه نسخة من الآخرين لأنه يصدر فى عمله عن نفسه ، عما فيه من صفات ؛ حتى عند ما يحاكى الآخرين ؛ لأنه وجود إنسانى له كيانه . درامة الحياة هذه هى التى يجدر بالكاتب المسرحى أن ينقلها لنا على المسرح كما يراها بعينه وكما يدركها هو ؛ ينقلها بأبطالها بعد أن يتقمصهم الممثلون .

أما شخصيات الأستاذ توفيق الحكيم فى رواية سليمان الحكيم فهى أشبه بالآلات ؛ تأتيها الحياة من خارجها بدل من أن تنبثق من داخلها ؛ وتفرض عليها الحركة من السماء فرضاً بدلا من أن تخلق هى الحركة ؛ لذلك كانت كلها بسيطة متجانسة تجانس حبات القمح ، حتى عند ما تبدو مختلفة بعض الشىء . وذلك لأن أفعالها وتصميماتها غير ذاتية . ومرجع هذا كله ، مرجع انعدام الصراع وعدم التميز والحياة الحقيقية فى شخصيات سليمان الحكيم إنما هو إلى دعوى المؤلف أن الحب وسائر أمور القلب ، بل كل وازع خلقى وكل ما يستطاع الحكم به على سلوك الفرد والجماعة إنما هو أثر لقدر صارم يضرب ضربته حيث يريد هو ، لا حيث نريد نحن . وتلك عقبة كبرى تحول بين القصة وبين المسرح ، لأن المسرح كما قلنا يشترط الحياة والحركة ، الحركة الداخلية

والحركة الخارجية ، والارتباط بين هذه وتلك . ولكنا إذا أخذنا أبطال الحكيم واحداً واحداً ، وقذفنا بهم خارج الرواية لنحل محلهم أفراداً غيرهم أياً كانوا ، لبلغت الرواية نفس النتيجة التى بلغتها ولما تغير شىء فى الوجود ، ما دامت القوة الخفية هى القوة الخفية والإطار المادى الذى يحيط بهم هو هو لم يتغير . فهى أشخاص تشبه العرائس الخشبية (marionettes) قد تصدر عنها حركات بهلوانية عجيبة ، ولكن الفضل فيها يرجع إلى اليد الخفية التى تحركها من وراء الستار . وإلا فهل يمكن لإنسان ، ولوكان المؤلف نفسه ، أن يستخرج لنا من قصة سليمان الحكيم صورة لسليمان تتبين فيها أنموذجاً بشريا خاصاً ؛ أو حتى صورة إنسانية شائمة ؟ وأرجو من القارئ الكريم ألا يخلط بين ماقد يكون فى ذهنه من صورة لسليمان الذى عرفه فى النصوص القديمة وصورة سليمان الذى نفتش عنه عبثاً فى القصة .

فلسنا نعرف شيئاً عن باطن سليمان ، ولا عن مذهبه فى الحياة إن كان له فيها مذهب ، ولا عن وازعه الخلقى ، ولا عن صلة كل هذا بما يظهر من أعماله فى الحياة الخارجية وبحظه فيها من سعادة وشقاء له ولمن يحيط به . بل كل ما نعرفه عنه أنه أوتى الحكمة والثراء ، وأنه أحب بلقيس قضاء وقدراً ، وأن بلقيس لم تحبه قضاء وقدراً أيضاً ، فسعى له العفريت لاستمالة قلبها إليه بالوسائل التى نعرفها فى القصة ؛ فلما لم يفلح علم أن كل شىء بقضاء وقدر . ويمكننا أن نقول نفس الشىء بالنسبة لبلقيس ومنذر وغيرهما ، فبلقيس أحبت منذراً دون أن يحبها ، فسعت لاستمالة قلبه إليها على غير جدوى ، وبقدرة قادر استبان لها أن كل ذلك كان بقضاء وقدر . وأحب الصياد الجارية التى اشتراها بماله ولم تحبه ، فسرحها من فوره ، ولم يحاول أن يستميلها إليه كما فعل سليمان ، وعرف من البداية أن كل ذلك بقضاء وقدر . عرف ذلك لأنه لم يعط ما أعطى لسليمان من القدرة التى تحجب المعرفة عن الإنسان وتجنح به دائماً — على حد ما يفهم من فلسفة الأستاذ الحكيم — إلى أن يسىء استعمالها فيحاول المحال . يقول على لسان سليمان :

« هى القوة يابلقيس تغمض بصائرنا أحياناً عن رؤية عجزنا الآدمى ، وتنينا ما منحتنا من حكمة ، وتزين لنا المضى فى كفاح لا أمل فيه ... فنسير بغرورنا تحت نظرات الرب الساخرة ... آه يا بلقيس

ليس يخشى على الحكمة شيء غير القدرة ... الآن أدرك لماذا أعطانى ربى وهو السلطان والغنى والقدرة إلى جانب ما سألت وهو التمييز والحكمة » . فليس يتميز الإنسان إذن إلا بما يحوطه من مظاهر الحياة الخارجية .

وكان الطبيعي أن تؤدى تفاهة الشخصيات وسطحيتها إلى خلوها من الصراع الداخلي (من أى نوع كان) خلواً يكاد يكون تاماً . أما الصراع الخارجى ، صراع الإنسان ضد القوة الخفية التى أراد الكاتب الكريم أن يجعلها أساساً لمسرحيته ، فلا يكاد يحسه القارىء فى شىء ؛ لأن الإنسان فيها إذا صارع هذه القوة ، لم يفعله إلا بوحى من هذه القوة نفسها ، وكان صراعه معها أقرب إلى العبث منه إلى الجد ، لأنه صراع مدبر مصطنع ، صراع الملهاة لا صراع المأساة ، صادر من شخصيات سلبية ، إذا صح لنا أن نستعمل هذا التعبير . وإذا خلت التراجيدية من الصراع ، فقد فقدت كيانها كما يذهب الأستاذ الحكيم نفسه فى رأيه الذى أشرنا إليه فى المقال السابق . وكانت نتيجة كل ذلك لصوق الرواية بحروفها ، وضحالة حوارها وجوده . نعم نحن لا نخفى إعجابنا الشديد بمهارة الأستاذ النادرة فى إدارة الحوار ، وقدرته الفذة فى جمله يتتابع بعضه من بعض سلساً كالماء ، دون أن يبدو فيه أدنى تكلف . ولكنه خلو من الحياة والحركة ؛ إذ كان أصحابه شخصيات مجردة منهما . وذلك يجمل إحساسنا بوجود تلك الشخصيات الإنسانية التى مسخت أحجاراً ؛ فجاء حوارهم حواراً غير مسرحى ، وصار الكتاب من الوجهة الفنية ، أشبه بمحاورات أفلاطون مثلا منه برواية تمثيلية . فلولا تدخل الكاتب فى كل حين ليلقى بحكمه وأحكامه الخلقيه والميتافيزيقية لتعذر على القارىء فهم غرضه من روايته ونظرته للحياة . من مجرد تتبعه لمسلك أبطاله النفسى (إذا سلمنا بأن فى الرواية ما يشعر بما يبدو فى طوايا نفوسهم) والخارجى . ولعل الفصلين السادس والسابع من الرواية خير شاهد على ما نقول ، ففيهما يحاول الأستاذ أن يلخص وجهة نظره ، ويحرر دعواه الفلسفية ، ويستخلص مغزى قصته ، التى كان قد نوى أن تحملها عنه أحداث الرواية إلى القراء والشاهدين ؛ يفعل ذلك على نحــو ما يفعل مؤلفو الدراسات والرسائل العلمية فيما يسمونه بالخاتمة Canclusion..

ولكنه يرسله على شكل حوار على لسان أبطاله . والواقع أن هذا العمل ضرورى لإيضاح مقاصد المسرحية ولكنه عمل غير مسرحى

والآن إذا اردنا أن نجمل فى سطور ما فصلناه فى مقالاتنا الثلاثة قلنا بأن أساس الفكرة التى بنى عليها الأستاذ توفيق الحكيم قصته غير سديد ، ولا سيما أن استخراج هذه الفكرة من وقائع المسرحية أمر عسير ، بل قد توحى هذه الوقائع نفسها على ما فيها من بعد عن واقع الحياة الحقيقى — بعكس الفكرة المدعاة ، وفى تلك الحياة يبدو التناقض من وقائع الرواية وبين الحكم والأحكام التى ينطق بها المؤلف أبطاله . ولما كانت فكرة الرواية غير جديرة بإثارة الجمهور أو تحريك عواطفه ، كان حظ الرواية من النجاح فى التمثيل ضئيلا . وإذا أضفنا إلى ذلك تفاهة شخصياتها وحرمانهم من الحركة الذاتية ، نقول كل هذه الأشياء مجتمعة تبعد عن الرواية صفة المسرحية الحقة بعداً شاسعاً . كما أن اطمئنان الأشخاص النفسى ، إلا فيما يضيف المؤلف فى حكمه على لسانها من قلق لا يظهر أثرها فى مسلكها فى الحياة ، مما جعل الرواية خالية من كل صراع .

وبعد فتلك دراسة إجمالية للرواية لا ندعى لها الشمول ؛ فقد تركنا التفاصيل جانباً ، ولم نهتم بتحليل حوارها ، وبيان مقدار ما فيها من ملاءمة بين أصلها ومعانيها . وإذا كنا قد سجلنا عليها بعض المآخذ ، فإننا نعترف لمؤلفها الكاتب الكبير بأصالة فنه ، وصدق فهمه للأدب فهماً يختلف عما هو شـــائع لدى كثير من كتابنا — ولا سيما فى باب القصة — من أن الأدب فن مهارة وحذق يهدف إلى توليد المعانى المبتكرة البراقة المعجبة وخلق المفاجآت العجيبة المسلية دون أن يكون فيه أثر لنماء الفكر الجدية . وإذا كان ذلك حكمنا على سليمان الحكيم ، فإننا نعتقد أن أدب الأستاذ توفيق الحكيم وفنه أوسع وأخطر من أن يمثلها كتاب واحد من كتبه . لذلك نرجو أن تتاح لنا فرصة قريبة ندرسه فيها دراسة تليق بمكانه فى نفوسنا ومقامه فى نهضتنا الأدبية . ونرجو أن تحتل هذه الدراسة مكانها فى كتابنا عن المسرح فى مصر الذى نعمل على إخراجه إن شاء الله .

محمد القصاص

دكتوراه الدولة فى الآداب من جامعة باريس

صور من الحياة :

ضعف

للأستاذ كامل محمود حبيب

تبا لك يا من تتشح بالمبادئ الفجة والنظريات السقيمة لتغوى العقول المتداعية والأذهان الضعيفة فتخدعهم عن الوطن وهو روح القلب ، وتصرفهم عن الدين وهو نور الحياة ، وتشغلهم عن اللغة وهى سر الكرامة . أى شيطان وسوس لك - يا صاحبي - فرحت تمتهن الوطن والدين واللغة ، وجئت تريد أن تسترق الناس منها جميعاً لتذرهم - بعدها - حطاماً خوى من الكرامة والرجولة والإنسانية . لقد قلت لى يوماً « أنا ابن الطبيعة وثمرة الحرية فدعنى أهم فى أرجاء الأرض لا يقيدنى وطن ، ولا يمسكنى دين ، ولا تربطنى لغة . دعنى أنطلق منها فهى أغلال ثقيلة تشل عقلى وتصمق خواطرى وتعبث بأفكارى » آه يا صاحبي ، إنك حين تنبذ المعانى السامية للوطن والدين واللغة تسجل على نفسك أن فى عقلك لوثة وأن فى خواطرك خللاً ، وأن فى أفكارك صدعاً .

* * *

لقد درج أحمد وشب فى كنف الريف ، ونما وترعرع فى حضن النيط ، وقوى واشتد فى ظل الدين . ثم دفعه أبوه إلى الكتّاب ليقرأ - أول ما يقرأ - القرآن ، ويتعلم - أول شئ - الوضوء والصلاة . وقضى سنوات يغدو إلى الكتاب ويروح إلى الدار أو إلى الحقل ويختلف إلى المسجد ، وأبوه رجل ريفى جلف ، غليظ الكبد ، شديد البخل ، سريع الغضب ، ضيق العقل ، ثائر الأعصاب ، تنزعج الدار لرؤيته ، وتتفزع لغضبه ، وهو - دائماً - يتلمس أوهى الأسباب ليزجر زوجه فى عنف ، ويعاقبها فى جفوة ويقسو عليها فى إفراط ، والزوجة تضطرب بين يديه فى صمت وتبكى فى تخاذل ، والدار فى عينيها جحيم تتسعر ما يهدأ أوارها ، ولا يسكن لهبها إلا حين يتوارى هذا الوحش الكاسر .

وشب الفتى بين أب جاف وأم متكسرة ، يشهد عنت الأب وثورته ويقاسى هوان الأم وذلتها ، وهو عاجز اليد واللسان لا يستطيع أن يرد أباه ولا أن يدفع عن أمه ، فعاش هملاً فى ناحية من الدار يفتقد العطف ، وقلب أبيه صلب لا ينبض بشفقة ، ولا يخفق برحمة . والبخيل - دائماً - رجل أرضى النزعات ترابى المشاعر طينى الجبلة لا تشرق فى نفسه أضواء الرجولة ولا ومضات الإنسانية . وأمه فى شغل تجتاحها العواصف من حولها فلا تحس فى قرارتها معانى المرأة ولا روح الأنثى .

وهكذا اضطربت الحياة فى ناظرى الفتى وتزعزعت أركانها ، فنشأ ضعيف النفس ، واهى الروح سقيم الخلق وضيع الهمة ، وبدا منقبض الأسارير مشلول العقل ، لا يحس السعادة فى طفولته ولا يجد اللذة فى صباه ولا يستشعر المتعة فى شبابه ، يأنس بالوحدة ويطمئن إلى الخلوة ، وتمقدت نفسه فانحط عن أترابه ، وسفل عن زملائه . ولزمته هذه الخصال فعاش عمره مضعضع الجانب مفلول العزيمة مستلب الحرية .

وحين انتظم فى سلك المدرسة وجد فى الكتاب سلوة وعزاء فدفن نفسه بين دفتيه لا يبغى عنه حولا ، فصدأ عقله من طول ما انكب على الدرس ، ونحل جسمه من طول ما أرهق ذهنه ، وذوى شبابه من طول ما ذاق من حبس ومن حرمان . وإن الطالب فى المدرسة ليقع بين عدوين : الدرس والمنهج . فالدرس فى المدرسة يسيطر عليه الفتور والملل فهو يشرح فى خمول ويعامل تلامذته فى قسوة ، لا يندفع إلى العمل فى نشاط ، ولا يهب إلى الدرس فى رغبة ، وإن نفسه لتتوثب سخطاً و كراهية حين يحس عنت العمل وضياع الحق ، وإن حيويته لتخبو رويداً رويدا حين يخيل إليه أنه قد تخلف عن الركب ، فهو - فى رأى نفسه - يبذل غاية الجهد ولا يجد الجزاء ، ويستفرغ منتهى الطاقة ولا يلمس الوفاء . أما المنهج فهو أخلاط من العلم ينوء بها العقل التالق ، وأشتات من النظريات يتيه فى أضعافها الذهن المشرق ، وألوان من الدرس يضل فى ثناياها الفكر المتوثب . فما بال أحمد ؟ لطالما كان يتعثر فى علومه ، ولكنه سكن إلى الدرس لا يريم ، فهو يخشى وطأة أبيه وإن يده لغليظة ، ويكره داره فى القرية ، وإن جنباتها لموحشة ، ولا يطمئن إلى أمه وإن فيها التكسر والخذلان

* * *

وتخرج أحمد — بعد لأى — فى مدرسة المعلمين العليا قسم الآداب ولكن أعجزه أن يكون مدرساً ناجحاً بالمدارس الثانوية فانطلق يتلمس مخرجاً . ووجد الخلاص على يدى رجل من رجال الدولة ذى مكانة وشأن ، فراح يتملقه ويستخذى له ويستجدى عطفه ، فقربه الرجل إلى نفسه وأدناه من مجلسه ، ونقله من المدرسة إلى الديوان ليكون صنيعة له هو ، وليكون مرءوساً له ، وليكون آلة صماء يديرها على أى نسق شاء .

وجلس الفتى إلى مكتبه فى الديوان ، وإن قلبه ليتوثب فرحاً من أثر الفوز ، ولكنه ما لبث أن رأى نفسه سافة بين زملائه ، منبتاً عن رفاقه ، لا يكاد يبلغ شأوهم ، ولا يستطيع أن يرقى إليهم ، فاستولى عليه اليأس وتملكته الحيرة .

أما الرجل ، فهو موظف كبير فى الحكومة ، وسمته الوظيفة بميسمها ولفته فى خصالها . والوظيفة الحكومية تسم الموظف الكبير بالغطرسة والكبرياء وتصبغه بالعظمة والتسامى ، فهو يركن — دائماً — إلى من يتملقه ويتمسح به ، وينفر — أبداً — ممن يحس فيه الإباء والكرامة والشرف . وتسم الموظف الصغير بالضعة والذلة . واطمأن الفتى إلى رئيسه الكبير حين وجد فيه العون والساعد ، واطمأن الرئيس إلى الفتى حين لمس فيه الطاعة والاستكانة . وعاش أحمد تبعاً لرئيسه يتصاغر أمامه إن أغلظ له القول ، ويتضاءل له إن أرهقه بالعمل ، لا يستشعر فى ذلك الاحتقار ولا المهانة ، وهو يرى أن الأمر قد تهيأ له واستقام ، وأن المستقبل — فى رأى عينه — قد تفتح له وازدهر على يدى هذا الرئيس ...

وكان الرئيس رجلا يتصنع الأدب وما توافرت له أداته ، ويتكلف العلم وما تكاملت له أسبابه ، فاتخذ من الشباب المثقف صنائع ضمهم تحت جناحيه وحباهم بعطف موهوم ، بذل لهم الوعد الخلاب ، ومد لهم فى الأمانى البراقة ، ثم راح يستنزف شبابهم الغض ويستغل عقولهم الناضجة ، فامتلأت داره بمن يقدم له الأبحاث العلمية ، ومن يترجم له أمهات الكتب الغربية ، ومن ينشئوا له المقالات القيمة لقاء كلمة معسولة ، أو ابتسامة عابرة ، أو دريهمات لا تقيم أود ...

ووجد الرئيس فى أحمد فتى سلس القياد ، سهل الخضوع ، لين العريكة ، لا يمل العمل وإن أضناه ، ولا يضيق بالجهد وإن أسقمه ، ولا يقصر فى أمر وإن أعضل عليه ، فاصطفاه لنفسه وعهد إليه — فيما عهد — أن يترجم فصولا من كتاب فى الفلسفة

ودخلت — ذات مرة — إلى مكتبه فى الوزارة فألفيته جالساً إلى هذا الكتاب يترجم فصوله إلى اللغة العربية ، وبين يديه قاموس كبير ، ومن حوله رفاقه فى المكتب وقد انغمروا فى نقاش عنيف صاخب ، فامتلأت أرجاء الحجرة بالضجة واللغط والضوضاء والفتى منصرف عن الحديث إلى الترجمة لا يعبأ بما حوله ... وعجبت أن يؤدى الفتى هذا العمل الفنى الدقيق فى هذه الضجة الصاخبة ، وهو يتطلب المكان الساكن والأعصاب الهادئة والفكر المتفرغ !

وَىْ ... كأن هذا الفتى يعمل عملا آلياً لا روح فيه ولا معنى ! لا عجب إن أخرج للناس صفحات مهلهلة متداعية تتكدس فى جوانبها الأخطاء اللغوية والأغلاط الفنيـة ... ولكن الفتى كان حريصاً على أن يرضى رئيسه وأن يقدم له أكبر إنتاج فى أقصر وقت ...

وحين لمس الرئيس فى الفتى الجد والإخلاص والجلد عزم على أن يجزيه أجر ما عمل . وفى ذات يوم أخذ يحدثه قائلا : « كيف تقضى وقت فراغك يا أحمد ؟ » قال : « فى البيت يا سيدى » . فقال الرئيس : « أفلا تريد أن تشغل فراغك بعمل يدر عليك مالا ؟ » قال الفتى : « وكيف السبيل يا سيدى ؟ » قال : « لقد وجدت لك عملا يرضيك ، أقدمه لك جزاء إخلاصك واجتهادك » قال الفتى فى سرور ونشوة : « وما هو يا سيدى ؟ » قال : « أن تقوم بالتدريس مساء فى معهد (كذا) الأجنبى » ... واندفع الفتى إلى رئيسه يلثم راحته شكراً له على فضله وتقديره !

ودخل الفتى المعهد ليبيع كرامته وشرفه ورجولته بثمن بخس دراهم معدودات ... واطمأن عميد المعهد إلى استخذائه وضعفه ، فشمله بعطفه وحباه بصداقته ... ثم ... ثم قرر — بعد حين — أن يوفده فى بعثة إلى الخارج ليتم دراسته على نفقة المعهد ليكون صنيعة له وعوناً وساعداً .

ولبس الفتى القبعة .. لبس القبعة لينزل عن كرامته ولينبذ المعانى السامية للوطن والدين واللغة ...

كامل محمود حبيب

القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٨ —

تقدم ما شاركت قبيلة أسد فيه غيرها عند الكلام على تميم وهذيل ، وهذا ما نسب إليها بخصوصها ، أو مع غيرها مما لم يسبق الكلام عليه ، وقد صرت الترجمة لها وتبيان أماكنها .

١ — الفعل الماضى الثلاثى المعتل الوسط ، وهو المسمى الأجوف مثل : قال ، وباع إذا بنى للمجهول ، فأكثر القبائل تكسر الحرف الأول وتقلب حرف العلة ياء يقولون : بيع وقيل بإخلاص الكسر فى أول اللفظ ، وهذه اللغة هى المشهورة بين قبائل العرب ، لكن بنى فقعس وبنى دبير من أسد ، وبعض قبيلة هذيل يضمون الحرف الأول ويقلبون الألف واواً يقولون : بوع وقول بإخلاص الضم فى أول اللفظ ، وقد روى عليه قول الشاعر :

ليت وهل ينفع شيئاً ليت ليت شباباً « بوع » فاشتريت

وقول الآخر :

« حوكت» على نيرين إذ تحاك تختبط الشوك ولا تشاك

ولم يقرأ أحد على هذه اللغة مما ورد مبنياً للمجهول فى القرآن الكريم .

وهناك وجه ثالث فى طريقة بناء هذا النوع للمجهول وهى لهجة لبعض أسد وبطون من قيس منها عقيل ذلك بأن يجعلوا حركة الحرف الأول بين الضمة والكسرة ، وبهذه اللهجة قرأ الكسائى وهشام : قيل وغيض وحيل وسىء ، وجىء وسيق وافقهما نافع وابن ذكوان فى سىء ، وسيئت وزاد ابن ذكوان فى موافقته : حيل وسيق . وهذه اللهجة تسمى فى إصطلاح القراء والنحاة : الإشمام . وهناك إشمام آخر ليس هذا موضع بحثه .

٢ — ما كان صفة على وزن فعلان بفتح الفاء ، فالقبائل العربية تجعل مؤنثة إذا كان له مؤنث على فعلى ما عدا صفات قليلة ، عددها الأشمونى ، تبلغ أربع عشر صفة منها خمصان بمعنى الضامر البطن ، وقشوان بمعنى الرقيق الساقين ، وسيفان للرجل الطويل .

ولهذا فإن ما كان مؤنثه فعلى يمنع من الصرف — أى التنوين — ويرفع بالضمة ، وينصب ويجر بالفتحة بشرط عدم إضافته ، وعدم تعريفه بأل ، لكن قبيلة أسد تجعل المؤنث دائماً على وزن فعلانة ، فيقولون مثلاً فى مؤنث غضبان : غضبانة ، وغيرهم يقول غضبى . وعلى لغة أسد تصرف جميع الصفات المذكرة وتجر بالكسرة .

وهنا نتساءل عن هذه الصفات الأربع عشرة التى استثناها النحاة وقالوا إن مؤنثها فعلانة ، أكانت فى أول أمرها تستعمل بلفظها ، ومعناها عند قبيلة أسد ؟ أو غلب استعمال أسد لها ؟ وعنها أخذتها القبائل العربية بمؤنثها ؟ واستعملت مذكرها مصروفاً كاستعمال أسد لها ؟ أم أن النحاة واللغويين وجدوا فى الآثار الأدبية مؤنثها فعلانة — وما ذلك إلا من استعمال أسد — فحكموا بصرفها ومنعوا غيرها من الصرف ؟ مع أنه قد يكون هناك مثلها ؟ وإذا كانت هذه الصفات مستعملة من أول الأمر عند القبائل العربية الأخرى ، فلم كانت وحدها هى التى تؤنث على فعلانة ؟

فى رأيى أن هذا كان من الآثار الأدبية التى استقرأها النحاة واللغويون فاقتصروا على استثنائها وكان حقهم ألا يخضعوها لهذا الاستثناء . كما أرى أنه يجوز لنا أن نمنعها من الصرف حتى تسير على النمط الغالب فى القبائل الأخرى بأن تعرب إعراب ما لا ينصرف كما يجوز لنا أن نؤنثها على فعلى تبعاً للقاعدة العامة عند القبائل حتى مع عدم النص على ذلك فى معاجم اللغة ! ولا معنى لاستثناء بدون معنى ، ويجوز لنا أن نصرف جميع الصفات المذكرة التى على هذا الوزن إذا سلكنا طريقة أسد . على أن بعض هذه الصفات التى استثنوها ، سمع له تأنيث على فعلى بجانب تأنيثه على فعلانة . حكى ابن الأعرابى امرأة خمصى ؛ وأنشد للأصم الدبيرى :

لكن فتاة طفلة خمصى الحشى غريرة تنام نومات الضحى

ونلحظ هنا أن الأصم الدبيرى من دبير وهى بطن من أسد فإما أنه خالف لغته وجرى على نهج القبائل الأخرى فى تأنيث

فملان ، وإما أن هذا البطن الذى ينتمى إليه ، يخالف بقية بطون أسد فى تأنيثه .

وسمع أيضاً : كبش أليان ونعجة أليانة وأليا . وجاء ضحيانة وضحيا .

ونجد صفات لم يستثنوها ومؤنثها فملانة ، فقد ورد شفة ذبانة أى ذابلة ، ونظر القاموس لها بقوله كريانة . وقال شارحه إنها من الصفات التى جاءت على فملانة فى حين أن القاموس وشارحه لم يذكرا لفظة ريانة فى مادتها . وقالت أعرابية : أجد عينى هجانة — أى غائرة — وشفتى ذبانة وأرانى حبلانة . ولفظة هجانة لم يذكروها فى المستثنيات ولم يذكروها أيضاً فى مادتها ، وإنما جاءت عرضاً فى مادة اخرى .

وقد جرت القراءات القرآنية على اللهجات الغالبة فى استعمال ما كان له مؤنث على فعلى ممنوعاً من الصرف حيث لم يقرأ أحد بالتنوين « غضبان أسفا ... » « حيران له أصحاب » بل اتفقو على منع الصرف . ولم تجىء أى لفظة من المستثنيات فى القرآن حتى نحكم عليها .

٣ — بنو مالك من أسد يضمون « ها » التنبيه التى تأتى بعد « أى » فيقولون فى يأيها الرجل ، ويأيها الناس : يا أيهُ الرجل ، ويا أيه الناس إلا إذا تلاها اسم إشارة ، فحينئذ يوافقون بقية القبائل فى فتحها وذلك مثل أيهذا . وقد قرأ ابن عامر أيه الثقلان وأيه المؤمنون بالضم فى حالة الوصل على لغة بنى مالك . ونسب شارح القاموس هذا الضم إلى بنى أسد عموماً .

٤ — إذا كان الاستثناء مفرغاً بمعنى أن المستثنى منه ليس مذكوراً فى الكلام فإن ما بعد إلا يكون حسب ما يقتضيه العامل تقول ما جاءنى إلا محمدٌ . ومعلوم أن لفظة « غير » تقوم فى بعض استعمالها مقام « إلا » على أن تكون حركة المستثنى التى يستحقها ظاهرة على « غير » نفسها وهى مضافة إلى ما بعدها تقول ما جاءني غير محمد برفع غير ، وإضافتها إلى ما بعدها ... الخ المعروف فى علم النحو لكن بعض بنى أسد ويشاركهم بعض قضاعة يفتحون « غير » فى الاستثناء مطلقاً سواء تم الكلام قبلها أم لم يتم يقولون « ما جاءنى غيرك » « وما جاءنى أحد غيرَك » بفتح الراء فيهما وتكون لفظة « غير » على لغتهم هذه مبنية على الفتح عند استعمالها فى الاستثناء .

٥ — فقعس ودبير من أسد يخفضون « حيث » فى موضع الخفض وينصبونها فى موضع النصب يقولون كان ذلك حيث التقينا . ومن حيث لا يعلمون » ولم يقرأ أحد على لهجتهم فى حالة الجر أما حالة النصب فقد وافقوا بعض بنى تميم . وسبق من قرأ بها كما سبق أن اللغة المشهورة هى بناء حيث على الضم دائماً .

٦ — بنو أسد يلقون حركة الهمزة إلى ما قبلها إذا كان ساكناً وذلك فى حالة الوقف فيقولون هذا البُطُؤ وكرهت البُطَأ وهو يسير ببطىء . وسبق أن بعض تميم يفعلون ذلك

٧ — تقدم أن فعل الأمر المضعف يفك إدغامه عند الحجازيين ويظل على إدغامه عند النجديين إلا أن النجديين يختلفون فى حركته الأخيرة فكعب وغنى من قيس تحركه بالكسرة مطلقا وأغلب النجديين يحركونه بالفتح سواء كان بعده ساكن أم متحرك أما أسد فتحركه بالفتح مالم يكن بعده ساكن فإنها تكسره فمثل قولك . ردَّ الجواب يقولون ردِّ الجواب وتقدم لنا أن بعض تميم يحركون الآخر بحركة فاء الكلمة فى الأمر فتحا وضما وكسرا .

٨ — الفعل الذى ينتهى بواو الجماعة أو ياء المؤنثة يقف عليه بنو أسد وبعض قيس فى قوافى الشعر بحذف الضمير يقولون عند الوقف على صنعوا وتكلمى : صنع وتكلم وليس لوقفهم هذا أثر فى القراءات .

٩ — تقول أسد فى جبريل باللام « جبرين » بالنون بكسر الجيم أو فتحها ولم يقرأ أحد بلغتهم . كذلك يؤنثون الهُدى والسُرى بمعنى أنهم يعيدون إليهما الضمير مؤنثاً .. الخ والقرآن الكريم استعمل الهدى على اللغة المشهورة بالتذكير . (قل إن هدى الله هو الهدى . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده) ولم تقع لفظة السرى فى القرآن الكريم .

١٠ — هُوَ وهىَ الضميران يسكنون آخرهما فى الوصل والوقف ولا يفتحون الواو ولا الياء وقد روى :

وكنا إذا ما كان يوم كريهة   فقد علموا أنى وهُو فتيان

١١ — العضد بفتح فضم ينطقونه بفتح فكسر وذكر البحد أن بعضهم قرأ سنشد عضدك بأخيك بفتح فكسر أى على لغتهم ولم يسم القارئين .

١٢ — يقولون قنط يقنط كضرب يضرب وغيرهم يقول كعلم يعلم وقرأ الجمهور قنطوا بالفتح على لغتهم وقرأ الأعمش وابن وثاب بالكسر على لغة غيرهم . وقرأ أبو عمرو والكسائى والأعمش ومن يقنط على لغتهم بالكسر والباقون بالفتح على لغة غيرهم

١٣ — المسكين ينطقونه بفتح الميم . ويكسره غيرهم ولم يقرأ أحد بلغة أسد .

١٤ — من ألفاظهم : إن السمر لخادع : ارتفع وعلا . كلت فلاناً فارأيت له ركزة : أى ليس بثابت العقل . ما أعوج بكلامه : أى ما التفت إليه كرثأ الشمر وغيره : كثر والتفت وتراكم . الأصلج : الأصم .

١٥ — حكى الأخفش أن بعض بنى أسد يقولون فإنهم ، وإما بكسر الفاء والواو بمعنى أن الكسرة أثرت فيما قبلها وتغلبت عليها .

قبيلة كنانة :

وهذا ما ينسب إلى كنانة التى سبق أن ترجمت لها وبينت مساكنها .

١ — المشهور فى المثنى أن يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء لكن بنى الحرث بن كعب وزبيد ومراد وهم من مذحج من كهلان وخثعم وهمدان من كهلان وعذرة من قضاعة وبطون من ربيعة وبكر بن وائل من ربيعة وبنى العنبر وبنى الهجيم من تميم كل هؤلاء مع كنانة يلزمون المثنى الألف فى جميع أحواله رفعاً ونصباً وجراً ، وقد جاء على لغة هؤلاء فى القراءات المشهورة إن هذان لساحران ، وقرأ أبو سعيد الخدرى والجحدرى فكان أبواه مؤمنان وحمل على هذه اللغة حديث « لا وتران فى ليلة » وقد اقتصر كتاب الصاحبى وكتاب النوادر وكتاب المغنى على نسبة إلزام المثنى الألف مطلقاً إلى لغة بنى الحارث بن كعب ، وذكر غيرها كنانة وأضاف بعض الكتب قوله : وأهل تلك الناحية » وأغلب هذه القبائل متجاورة وكنانة التى تشترك فى هذا الإجراء هم بنو بكر بن عبد مناة لأنهم هم المجاورون لبنى الحارث بن كعب .

ويلحق بما سبق أن كلا وكلتا فى اللغة المشهورة ترفعان بالألف وتنصبان وتجران بالياء إذا أضيفتا إلى الضمير وتعربان إعراب المقصور بأن تلزما الألف فى جميع الأحوال إذا أضيفتا إلى الاسم الظاهر لكن لغة كنانة — ولا بد أن من شاركوها فى المثنى مثلها — تلزمهما الألف دائماً .

والقرآن الكريم جاءت به كلتا فى حالة رفع بالألف « كلتا الجنتين » وليس فيه كلتا فى حالة نصب أوجرلتبين استعماله وكذلك « كلا » فى القرآن جاءت فى حالة رفع « إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما » .

٢ — الأسماء الخمسة أو الستة ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء ، لكن كنانة وخثعم وبنى الحارث بن كعب — ولابد أن من سبق ذكرهم مثلهم — يلزمونها الألف فى الرفع والنصب والجر وقد روى :

إن أباها وأبا أباها ... قد بلغا فى المجد غايتاها

وفى البيت شاهد على إلزامهم المثنى الألف .

وقد صرح أبو زيد فى كتابه النوادر وأحمد بن فارس فى كتابه الصاحبى وغيرهما أن هذه القبائل تقلب الياء ألفاً إذا جاءت ساكنة بعد فتحه ولو كان ذلك فى الحرف وقد روى :

« طاروا علاهن فطر علاها »

وأصله عليهن وعليها . وروى :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى ... مساغاً لناباه الشجاع لصمما

ورويت أبيات كثيرة على لغتهم .

٣ — تقول كنانة فى « نعم » حرف الجواب نعم بكسر العين وقد قرأ ابن وثاب والأعمش والكسائى بكسرها على لغتهم

٤ — أكثر العرب تقول سيناء بالفتح والمد أما كنانة فتقول سيناء بكسر السين والمد أيضاً . وقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والحسن « طور سيناء » بكسر السين على لغة كنانة . وقرأ الباقون بالفتح .

٥ — تقول كنانة لقيته على غشاش بكسر الغين وفتحها ولقيته غشاشاً بالفتح والكسر بمعنى لقيته على عجلة .

٦ — تقدم أن هذيلا تقول يازع فى وازع ولم ينصوا على أنها تبدل الواو ياء أما بنو ضمرة من كنانة فقد نص بعض اللغويين على أنها تقلب الواو ياء يقولون يازع فى وازع وقد روى لخصيب الضمرى :

لما رأيت بنى عمرو ويازعهم ... أيقنت أنى لهم فى هذه قود

لكن هذا النص أرى أنه توسع كثير فهل يقولون فى والد ووارث وواهب وواحد ... الخ يالدوياهب ... أو أن نصه استنتاج من لفظة يازع التى نطقها شاعر منهم ؟ أو أن لها نظائر وأمثال أخرى لم يذكروها ؟ على أننا لا ينبغى أن نقيس على هذا الإبدال بل نقتصر فيه على السماع .

عبد الستار أحمد فراج

المحرر بالمجمع اللغوى

ربيع ... وربيع !

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

قال لى صاحبى غداة رآنى ... باكياً، والربيع فوق الروابى
كيف تبكى وفى الوجود ربيع ... شارف الكون من وراء السحاب ؟!
وسرى فيه بهجة ونماء ... وشباباً يضم روح الشباب
هو فى الزهر رقة وعبير ... وخرير فى الجدول المنساب
وهو فى الأفق بسمة وصفاء ... وانطلاق من أسر كل حجاب
وهو فى قلب كل عذراء حُلْمٌ ... بحياة فى جنة الأحباب

أنت يا صاح بلبل، فترنم ... فى الروابى، أو فى رحاب الفضاء
واقطف الزهر، وانسم العطر، واسكر ... من رحيق الندى، وخمر الضياء
زهرة فى الربيع — لو كنت تدرى — ... هى خير من عالم فى الشتاء
قطرة الماء فى الربيع تراها ... بهجةَ النفس، وهى قطرة ماء!
لمعة النور فى الربيع لها فى ... النفس رَجْعٌ كأعذب الأصداء!
ساحر ذلك الربيع المفدّى ... مبدع للحياة والأحياء!

أنت فى ريّق الشباب، فلا تبـ ... ـك، فإن الشباب روح الحياةِ
وإذا لم يكن من الدمع بُدٌّ ... فتنظّرْ عهدَ المنى الضائعات
حين يأتى المشيب وهو خريف ... تدرك النفس فيه سر الممات
سوف تبكى عند المشيب كما تجـ ... ـهش نفس عميقة الحسرات
أو كروح قد أخطأت عالم النو ... ر، فهامت فى عالم الظلمات
لذة العمر فى الشباب، فبادر ... لذة العمر قبل يوم الفوات!

ليت شعرى: ما سر هذا البكاء ... والمغانى نشوى بخمر الغناء؟
فالربيع الجميل لحن جميل ... عزفته ملائك فى السماء
والصباح الوضىء لحن مضىء ... تتراءى ظلاله فى السماء!
كل ما فى الحياة يعزف لحناً ... من بهاء ورقة وصفاء
كل ما فى الحياة ينشر فى النفـ ... ـس أريج المنى، وعطر الرجاء
أنت تبكى، وكل شىء يغنى! ... ليت شعرى: ما سر هذا البكاء؟

قلت: يا صاحبى بكيت لأنى ... لم أجد فى الحياة أسباب أنسى
الربيع الذى تراه، بعيد ... عن شعورى وعن ضميرى وحسى
والربيع الذى أريد، بعيد ... عن حياتى كأنه حلم أمسى
أنت لا تنظر الوجود بعينى ... لا ... ولا تدرك الحياة بنفسى
رب شمس تشع فى الكون نوراً ... حجبتها عنى سحائب يأسى!
وربيعٍ يسقى الرحيق المصفّى ... ما سقانى إلا مرارة كأسى!

لا تحدث عن الربيع، فإنى ... قد عرفت الربيع روحاً ومعنى
أنت لا تعرف الربيع إذا كنت ... تراه زهراً ونهراً وغصنا
ليس روح الربيع ما تجد النفـ ... ـس، ولكنه الذى تتمنى
هو عند المشتاق ليلة حب ... طار فيها طير الهوى وتغنى
ويراه المفزّعون الحيارى ... فى صحارى الحياة، هدْياً وأمنا
خير ما فى الحياة أن تتمنى ... فسِرُّ القلب دائماً أن يحنّا

إن تمنيتَ أن تعيش وحيداً ... فى الصحارى، أو فى أعالى الجبال
فهناك الربيع ... تبصره النفـ ... ـس إذا حلقت وراء الأعالى
وهناك الربيع ... فى هدأة الليـ ... ـل، وهمس الربا، وصمت الرمال
وانطلاق الحياة من عالم الحـ ... ـس، إلى عالم الرؤى والخيال
واهتزاز الوجدان إذ يتلقى ... من جمال الحياة سرّ الجمال
خالد ذلك الربيع المرجّى ... وربيع الأنام مِلك الزوال

وإذا شئت أن تعيش مع النا ... س، وتلقى الربيع زهراً وعطرا
فاقطف الزهر، وانسم العطر منه ... واملأ الكأس من ندى الفجر خمرا
غير أن الزهر الجميل سيفنى ... ثم يغدو فى باطن الأرض سرا!
وتجف الأوراق فى كل غصن ... فترى الغصن ذاهلاً مصفرا!
هذه سُنّةُ الحياة، فلا تحـ ... ـزن إذا أقبل الربيع ومرّا
كل ما ليس باللباب سيمضى ... ثم يأتى، وهكذا مستمرا

لا تلمنى إذا أضعت ربيعى ... فربيعى مكفن بالدموع!
ما غناء الربيع إن لم يُثِرْ قلـ ... ـبى وروحى، ولم يهز ضلوعى؟

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

طالبات الفلسفة بكلية الآداب وحقوق المرأة المصرية :

... ...

قرأت فى « الرسالة » الغراء كلمتكم التى تدور حول «حقوق المرأة المصرية بين الأنصار والخصوم » ... لقد كانت كلمة قاسية ، ولكن ماذا يضير ؟ لقد علمتنا القسوة التى يرمينا بها الدهر من حين إلى حين رحابة الصدر ، وهذه ميزة أخرى تفيدنا فى حياتنا السياسية التى هى حياة وكفاح ونضال وصبر على المكاره !

تقولون عن كلمة الأستاذ زكى عبد القادر إنها كلمة موزونة ، ولست أدرى ماذا يضيركم معشر الرجال أن تروا المرأة وقد أعجبت بمدح أو إطراء ! أتريدون منها أن تخرج عن طبيعتها الوادعة ولو فى أشد الشئون قسوة ومشقة ؟ إن هذا لما يسرى عنها ويجعلها تطمئن إلى مستقبلها فتمشى بخطى وئيدة ، وهو أنها بالرغم من اشتغالها بهذه الأعمال المضنية إلا أنها ما زالت محتفظة بأنوثتها الفياضة . . إن هذا من جانبكم لا يعد حسداً بل هو غبطة !

ثم ذلك السؤال الذى لا تنتظرون الجواب عنه ، وهو أن عدد المثقفات قليل ... مهلا مهلا يا سيدى الأستاذ ! كم كان عدد الرجال المثقفين يوم أن سن قانون الانتخاب عام ١٩٢٤ ؟ ! لقد كنا نود أن يوجه إلينا هذا السؤال بعد مضى ربع قرن آخر من تعديل قانون الانتخاب تعديلا يلائمنا نحن معشر النساء ... إننى لواثقة من أنه لوكان هذا العدد الموجود الآن من المثقفات وهو لا يرضيكم لقلته ، أقول لو كان موجوداً يوم أن سن قانون الانتخاب لكفل للمرأة حقوقها من ربع قرن مضى ! ولكن فى تلك الأيام لم يكن إقبال الفتيات على كليات الجامعة كمثل إقبالهن اليوم ، مما يبشر بالمضى فى تحقيق هذه الغاية وإخراجها إلى حيز التنفيذ ... والآن وقد أصبحت الكليات مفتوحة الأبواب للطالبات ، ويزداد عدد الملتحقات بها والمتخرجات فيها سنة بعد أخرى ، تراهن وقد أسند إليهن ما يسند إلى الرجل من أمور يقمن بها على خير ما يرجى وينتظر ، بعد هذا ما الذى يمنع من إعطاء المرأة حقوقها السياسية ، بل وأقول كرسى الوزارة ؟!

أما قولكم بأن الفتاة المصرية لا تذهب إلى الجامعة طلباً للعلم بل طلباً للزوج فما كنا ننتظر من أستاذنا هذا الكلام ... لنفرض أنه بطريق المصادفة قد لمستم بعض الأمثلة الشاذة يوم أن كنتم فى الجامعة ، ألا يكون من الظلم أن تخرجوا من هذه

ما غناء الربيع ما دام لم يبـ ... مث حنينى ولهفتى وولوعى ؟
كان عندى من الربيع مثال ... فأباد الردى مثال الربيع !
فطويت الأعراس ... أعراس أيا ... مى ، وأطفأت بالدموع شموعى !
إن يكن حل فى الربوع ربيع ... فربيعى هناك تحت الربوع !

—

يا ربيع الحيـــاة إنى غريب ... عنك ، فاذهب إلى سواى ودعنى
يا ربيع الحياة إن حياتى ... لربيع أضاعه الموت منى !
كان روحاً مرفرفاً فى ضميرى ... وشعورى ، وكان قلباً يغنى
كان وحياً لكل فن جميل ... ومثالا لكل روعة حسن
كم سقانى الأفراح فى كأس أيا ... مى ، وأصغى إلى غنائى ولحنى
ثم جفت أفراح كأسى لما ... غاب عنى ، فصرت أشرب حزنى !

—

لا تحدث عن الشباب ، فإنى ... قد فقدت الشباب قبل المشيب !
أين منى الشباب ، والقلب يحيا ... بين جنبى كالأسير الغريب ؟
كان قلبى — إذ كنت أحيا بقلبى — ... يتغنى مثل الهزار الطروب
كان يبنى بالوهم عشا ، ويغضى ... بالأمانى فى كل أفق رحيب !
ماله الآن لا يعيش على الوهـ ... ـم ، كما عاش منذ وقت قريب ؟
أين أشواقه ، وخفق جناحيـ ... ـه وراء الأفق البعيد الرهيب ؟
ليت شعرى كيف استحال رماداً ... بعد أن كان جذوة من لهيب ؟
هذه آية المشيب ، وإن كنـ ... ـت أرانى فى عمر غصن رطيب ؟
كيف لا أذرف الدموع وقد حا ... ن مغيبى من قبل وقت المغيب ؟
الوداع الوداع أيام عمرى ... وسلام على الشباب الحبيب !

(الاسكندرية) إبراهيم محمد نجا

الأمثلة بقاعدة عامة تطبقونها على المثات ؟ ! إن الإنجليز وهم أساتذتنا فى العلم والسياسة قد منحوا المرأة حقوقها السياسية متمثلين بقول شريدان : « النساء يحكمننا فلنجتهد فى جعلهن صالحات » ... ولقد برهنت فى سنين قلائل على أنها جديرة بهذا الحق ، وجديرة بقول لامارتين : « إن كل عمل مجيد وعظيم أساسه المرأة » !

عن طالبات قسم الفلسفة بكلية الآداب

آنسة رسمية على خليل

أشكر للآنسة الفاضلة أدب الخطاب ولطف العبارة ... إنه ليسعدنى حقاً أن يكون من بين فتيات الجامعة فى هذه الأيام من تخاطبنى بهذا الذوق الجميل ، ومن تناقشنى بهذا الخلق الكريم، ومن ترد على بهذا الأسلوب المهذب .

بعد هذا أقول للآنسة الفاضلة إن ما جاء بكلمتى من عبارات غلفت بالقسوة واتشحت بالمرارة ، كان مرده إلى الواقع الذى تكشف لعينى يوم أن كنت فى الجامعة ، ممثلاً فى جيل من الفتيات قد تكون منه حتى اليوم بقية .. ولكن هذه البقية لا يمكن أن تحول دون وجود المثقفات والمهذبات من أمثال الآنسة ومن تحدثت إلى باسمهن من طالبات قسم الفلسفة بكلية الآداب . هذا أمر يفرض على الحق أن أسجله فى كثير من الغبطة ، ويفرض على الإنصاف أن أخصه بكثير من الإعجاب ... وأكتفى بهذا القدر الذى تنوب فيه الإشارة عن الإفاضة ويغنى فيه التلميح عن التصريح ، حتى لا نثير الغبار من جديد حول قضية لا يحسن أن يثار حولها الغبار ... وأعنى بها قضية طالبات العلم وطالبات الزواج ! .

تسألنى الآنسة الفاضلة فى مجال التعرض لعدد المثقفات فى مصر كم كان عدد المثقفين يوم أن سن قانون الانتخاب فى عام ١٩٢٤ . من قال لك يا آنستى إننى أنظر إلى القلة فى عدد المثقفين بمنظار وإلى القلة فى عدد المثقفات بمنظار؟ إننى ما نظرت فى يوم من الأيام إلى عدد المثقفين فى مصر ممن منحوا حقوقاً سياسية إلا بمنظار قاتم يمتزج فيه الإشفاق بالرثاء ! أقسم لك لو كان الأمر بيدى لما منحت طلاب الحقوق السياسية ما يتطلعون إليه من سلطان إلا بمعيار .. معيار قوامه الثقافة الكاملة فى كل أمر من أمور الحياة ، ولا ضير على الإطلاق من أن نظفر بمائة رجل من هذا الطراز لأنهم لو وضعوا فى الميزان لكانوا خيراً من ألوف !

المثقفون فى مصر قليل يا آنستى والمثقفات أقل ... ومن الخطأ أن نعمم وضعاً من الأوضاع بما فيه من أسباب النقص والقصور لأنه قد أصبح حقيقة واقعة ، كلا ! فما كان النقص فى صورة من صوره ليبيح لنا أن نتخذه مقياساً فى نظرتنا إلى كل قيمة من القيم وكل حق من الحقوق ... إننى أرد بهذه الكلمات على ما سقته من حجج وما أتيت به من براهين ، ولو شئت لنقلت القضية من ميدان إلى ميدان ولا بأس لدى من هذه النقلة التى تتيح للحديث أن يفيض ولأفق النقاش أن يمتد ! إننا نستطيع أن ندير دفة الجدل إلى ناحية أخرى لا صلة لها بمسألة القلة العددية فى مجال التعليم والتثقيف ... هناك حيث نلتقى فى رحاب قضية أخرى تتصل بوظيفة المرأة الأساسية فى الكون ومكانها الطبيعى فى الحياة .

تطالب المرأة بحقها فى كرسى النيابة وبحقها فى كرسى الوزارة ، وبالمشاركة فى كل أمر من أمور الدولة وكل شأن من شئون الحكم ، وكأننا قد فرغنا من كل ما يواجهنا من صعاب فى إصلاح المجتمع ولم يبق أمامنا ما يتطلب العلاج الحاسم غير هذه المشكلة بالذات ، لا فقر هناك ولا مرض ولا جهل ، ولا ألف مشكلة تتفرع عن هذه المشكلات الثلاث وتتطلب الكثير من الرعاية والاهتمام ! تنسى المرأة المصرية هذا كله وتنسى معه وظيفتها الحيوية وطبيعتها الأنثوية ... تنسى وظيفتها فى كيان الأسرة ، وطبيعتها فى نظام البيت ، ومكانها فى رحاب الأمومة ، ولا تفكر إلا فى أن تكون صاحبة جاه وسلطان!

إننا نريد أن نسأل المرأة المصرية عن غايتها من كرسى النيابة وعن هدفها من كرسى الوزارة ؟ إن الغاية المبرأة من الهوى وإن الهدف المنزه عن الغرض هو أن تضم جهودها وعلمها وثقافتها وخبرتها بشئون الحياة فى خدمة المجتمع الذى تعيش فيه ... كل هذا ميسر وكل هذا جميل ، ولكنها تنسى أن البيت سيهمل فى سبيل كل أمل مرجو وكل منصب منشود ، والبيت الذى تشرف عليه الزوجة الصالحة والأم الفاضلة هو صانع الرجال وخالق الأجيال ! ... إن المرأة تستطيع أن تحقق رسالتها المثلى وهى فى رحاب البيت وفى نطاق الأسرة ؛ تستطيع أن تمد الوطن عن طريق الرعاية الكاملة والتربية الناضجة والتوجيه الرشيد بالأبناء النابغين ... وعن طريق هؤلاء الأبناء يتهيأ لها أن تضع يديها على عدد من المناصب بدلاً من هذا المنصب الواحد الذى تسعى إليه ،

حين ينوب عنها فى خدمة المجتمع أفراد متعددون ، وعشرون يداً تشارك فى إقامة البناء خير من يدين !!

فى هذا المجال يا آنستى نطق شريدان بكلماته و كذلك لا مرتين ، وحول هذا المعنى الذى قصدت إليه دار أغلب ما قيل فى المرأة من كلمات جهر بها رجال الإصلاح ! أما عن عدد النساء فى البرلمان البريطانى والكونجرس الأمريكى فإنه لا يتجاوز أصابع اليدين . هذا مع بعد الفارق بيننا وبينهم فى ميدان العلم والسياسة والتقاليد والعادات ! إذا لم يقنعك اليوم هذا المنطق يا آنستى ، فأرجو أن يقنعك منطق الحياة فى مقبل الأيام !

مقال قيم عن الشيوعية للأستاذ العقاد :

يهودى ، ومتعلم فاشل ، وفتاة عابثة ، وماجن مستهتر ، ومشاغب يبيع الشغب لمن يشتريه ، ومسخ مشوه منبوذ من الحياة ... هذا هو قوام كل مجموعة شيوعية توجد فى مصر أو فى غيرها فلا تخلو الخلايا الشيوعية من أصناف هذه التشكيلة ، وقد يكون الشيوعى الواحد تشكيلة كاملة من جميع هذه الأصناف !

وكل شىء يمكن أن تدعيه هذه المخلوقات فيصدق ، إلا أنهم محبون للخير مخلصون لبنى الإنسان غيورون على الإنصاف ؟ ولن يعجب أحد إذا قيل له إن هذه « اللامة » البشرية تسعى إلى الخراب ، وإنهم يدينون بالشيوعية لأنها ترضى فى نفوسهم تلك النزعة إلى التخريب ! أما أن يقال ، ولو من قبيل الخيال إن هذه اللامة هى التى تنشد الخير وتصلح نظام الاجتماع فذلك من وراء التصديق ، ومن وراء المعقول !

وكلهم معقولون مفهومون إذا كان التخريب هو الغاية التى يسعون إليها ، لأن اليهودى يستفيد من هدم المجتمع أن يستولى على العالم الذى لا أثر فيه للأخلاق ، أو للعقائد، أو للوطنية ، أو للأسرة والمتعلم الفاشل يحقد على الناجحين فلا يبالى أن يشفى غليل الحقد بكل مصيبة تسوى بين الإخفاق والنجاح والفتاة العابثة تهدم المجتمع الذى يسميها على الأقل عابثة ، وتتطلع إلى المجتمع الذى يسميها « بطلة » أو رائدة من رواد التقدم والتحرر من قيود الآداب والأخلاق . والماجن المستهتر بطل كتلك البطلة حين يصبح الأدب وضبط النفس نكسة إلى الوراء وجموداً يعاب . والعامى الجاهل تابع لكل ناعق . والمشاغب المتاجر بالشغب صاحب بضاعة يعرضها فى كل سوق ، ولا سيما السوق التى تضاعف له الثمن وتغنيه عن الكدح الشريف والمسخ المشوه لديه من أسباب التخريب ما لا يحتاج إلى بيان ! !

طالعت هذه الكلمات منذ أيام فى جريدة « الأساس » للأستاذ العقاد ... وأجمل ما فيها هذا التقسيم الرائع لعناصر الشيوعية فى مصر وغير مصر ، وهو تقسيم لا يعدو الواقع الذى تراه العين ويتمثله الفكر ويردده اللسان ؛ ولا يعدو الحق حين نرده مع الأستاذ العقاد إلى مصادره الأصيلة من التحليل والتعليل ونقيمه على دعائمه الطبيعية من الدراسة النفسية والخلقية ! ... أنا واثق أن هناك « أحراراً وتقدميين » سيشفقون على من هذه « الرجعية الفكرية » التى أؤيدها بقلبى وقلمى فيما كتب الأستاذ العقاد ، ولكنهم لو علموا مبلغ إيمانى بهذه « الرجعية » لأشفقوا على أنفسهم من نعمة التقدم والتحرر التى تدفع بكل مثل أعلى إلى الحضيض احسبهم كما يقول العقاد أنك لن تلق منهم أحداً يعرف الشيوعية معرفة بحث وتحقيق ، فإن وجدت منهم من قرأ بعض الكتب فيها أو أحاط بما نشره كارل ماركس ولنين وغيرهما من « فلسفتها » فلن تجد الباعث له على الإيمان بها فكرة صالحة للاقتناع ؛ فما من فكرة صالحة للاقتناع تقنع أحداً سليم العقل والنفس بتقويض المجتمعات الإنسانية كافة تنفيذاً لحكم قضى به فيلسوف واحد أو مائة فيلسوف ! ... إن العقاد يبلغ الغاية حين يقول : كل فكرة لغط بها كارل ماركس وأتباعه هى فى الواقع محل بحث طويل وشك كثير ، كلها جدليات فى جدليات ، ولكن الشيوعى « المفطور » يؤمن بهذه الجدليات إيماناً لا يسمح بذرة من الشك ولا بشىء من الحيطة والمراجعة ؛ لأنه لا يؤمن بالشيوعية على قدر ما فى عقله من برهان بل على قدر ما فى نفسه من الهجوم على الخراب !

أدباؤنا بين الشرق والغرب :

هذا عنوان مقال كتبه الدكتور محمد مندور منذ أسبوعين فى جريدة « الأهرام » متحدثاً فيه عن مدى تأثر كتابنا وشعرائنا بالثقافة الغربية فى إنتاجهم الأدبى ، ولقد ذهب الدكتور إلى أن روح هذه الثقافة قد ظهرت فى بعض شعرائنا ولم تظهر فى البعض الآخر ... إن أكبر شاعرين عرفتهما مصر الحديثة فى رأيه وهما محمود سامى البارودى وأحمد شوقى قد اتصلا بثقافة الغرب لمعرفتهما باللغة الفرنسية ، ومع ذلك لا نكاد نعثر على أثر للآداب الغربية فى شعرهما ، بينما يظهر هذا الأثر فى شعر ولى الدين يكن وخليل مطران واسماعيل صبرى !



الاتجاهات الحديثة في إعداد المعلمين :

كانت قاعة المحاضرات هذا المساء بمعهد التربية العالى بالإسكندرية لا تكاد على سعتها تسع المستمعين . وما إن جاء موعد المحاضرة حتى وقف صاحب العزة عميد المعهد يقدم السيدة أسماء فهمى بقوله : إنها كانت أول طالبة بالجامعة المصرية وقد سافرت إلى أوربا وتخصصت فى التربية . وكانت أول عميدة مصرية لمعهد التربية للمعلمات . ثم وقفت السيدة (أسماء فهمى) وأشارت إلى أنها ستعرض للاتجاهات الحديثة فى إعداد المعلمين لا فى مصر وحدها بل فى أمريكا وانجلترا وفرنسا . فقالت : لم تكن هناك مشكلة الإعداد للمعلمين . فكان كل من أراد أن يتصدى للتعليم يجد أمامه السبيل ميسرة . وفى سنة ١٨٧٢ أنشئت أول مدرسة لهذا الغرض وهى دار العلوم . وفى سنة ١٨٨٠ أنشئت مدرسة المعلمين ؛ حتى إذا كان الربع الأول من للقرن التاسع عشر أنشئت أول مدرسة لإعداد المدرسين للمدارس الأولية كانت تدرس فيها التربية بجانب المواد الأخرى .

ثم أشارت إلى الحالة فى إنجلترا فقالت : وفى انجلترا حتى سنة ١٨٦١ ألفت لجنة لدراسة حال المعلمين ، وأشارت إلى من كان يتولى التدريس فى تلك العهود بقولها : فالخدم والعاملون وأصحاب المطاعم والفقراء والمصابون بالسل ، كل هؤلاء كان يمكنهم التدريس فى المراحل الأولى . أما التدريس فى الثانوى فكان يستمد من الجامعات . وفى أمريكا قبيل منتصف القرن التاسع عشر لم تكن هناك مدارس للمعلمين ، حتى إذا ارتفع لسان النقد قائلا : كيف لا نفكر فى المعلمين وإذا أردنا إصلاح حذاء فكرنا فيمن يجيدون ذلك ! وسرعان ما اتجهت بفضل هذ النقد إلى طرق إعداد المعلمين . وبعد الحرب العالمية الأولى نشطت الاتجاهات الإنسانية وتجلى ذلك فى إعداد المعلمين . ففى مصر اتجهت العناية بمدرسة المعلمين واهتموا بتعديل مناهج المدرسة السنية ، ولم يكتفوا بمدارس المعلمين ، بل قامت معاهد التربية . ثم تحدثت عن إعداد المعلم فى أمريكا بقولها إن أهم الهيئات فى أمريكا لإعداد المعلمين هى الجامعات ، والكليات ومدارس النورمال ؛ ففى بعض الولات يبلغ عدد الجامعات ٩٥ جامعة . وبأمريكا ١٧٠٠ معهد لإعداد المعلم ، وأمريكا مع هذا تشكو قلة المعاهد . وأهم ما يسترعى النظر أن الجامعة هناك تطلب إلى من يتقدم إليها للتدريس شهادة بحسن السير والسلوك وشهادة تثبت اهتمامه بالشئون الاجتماعية . وفى أمريكا يجمعون

إن الذى يدهشنى فى كلام الدكتور مندور هو فهمه الاتصال بثقافة الغرب ممثلا فى معرفة اللغة ! متى كان فهم اللغة وإجادتها دليلا على أن صاحبها قد نهل من ثقافة هذه اللغة وعب من آدابها ؟! إننى أعرف أفراداً هنا فى مصر يعرفون اللغة الفرنسية كما يعرفها الدكتور مندور ومع ذلك فهم لا يعرفون إذا كان « سارتر » فرنسياً أم أمريكياً ، فيلسوفاً يتحدث عن « الوجود والعدم » أم عالماً يبحث فى « النسبية وتحطيم الذرة » ! . . ثم هل تأثر رجل كإسماعيل صبرى بالثقافة الغربية فى شعره كما يقول الدكتور مندور ؟ إن ديوان صبرى بين يدى وأنا أكتب هذه الكلمة ، وهذا شعره أراجع فى قصائده نفسى وأرسل وراء أبياته ذوقى فلا أخرج بشىء على الإطلاق مما انتهى إليه الدكتور مندور ... إن صبرى كما يدل عليه شعره لأبعد من ذكرهم الدكتور جميعاً عن التأثر بروح الثقافة الغربية ، اللهم إلا إذا كان الدكتور يفهم « التأثر » على وجه لا يشاركه فيه أحد من الناس ، كما فهم « الاتصال » على أنه معرفة لغة من اللغات !

سلامة موسى أشهر منى :

بعد أن فرغت من كتابة التعقيبات تلقيت رسالة عاجلة من قارىء شاء أن يغفل ذكر اسمه ، خضوعاً لمقتضيات الشجاعة . يكفى أن القارىء الفاضل قد غضب على غضبة مضرية ختمها بهذه الكلمات : « مهما حملت على الأستاذ سلامة موسى فهو أشهر منك فى مصر والبلاد العربية وأعرف عند الناطقين بالضاد » !

أنا لا أنكر يا أستاذ أن سلامة موسى أشهر منى ... ولكن لا تنس أيضاً أن محمود شكوكو أشهر منى بكثير ! !

أنور المعداوى

بين التعليم المهنى والنظرى . أما فى انجلترا فالدراسة فى الجامعة نظرية ؛ وبعد الجامعة يتلقى الطالب التعليم المهنى . وفى أمريكا لا يفرقون فى الأعداد بين المدرس الأولى والثانوى فشهادتهما واحدة ، وإن كان بينهما اختلاف فى بعض المواد التى يقومان بتدريسها . وتبدى أمريكا اهتمامها الشديد بمشاكل البيئة ، فكل طالب يكلف ببحث عن البيئة التى يعيش فيها ، ثم تقرأ هذه البحوث فى اجتماعات خاصة . ومن الاتجاهات الحديثة فى أمريكا عمل دراسات صيفية يختلف إليها المدرسون فى الصيف فتكون الجامعات فى الصيف أشبه بخلايا . وهناك عيادات لعلاج عيوب القراءة أو عدم القدرة على النطق . وفى أمريكا خصصت الجامعات مراكز للإيضاح ، فيحصل المدرس على ما يريد من أشرطة سينمائية أو ملابس أو غيرها بواسطة الإخصائيين . ثم أشارت إلى أن الجامعات فى أمريكا يقصدها الشعب من جميع الطوائف من أطباء وتجار وأصحاب مهن ؛ فإذا ما اجتمع المدرس بهؤلاء كان عاملا مهماً فى توسيع دائرة فكره . ومن الاتجاهات الحديثة أيضاً العناية بسيكولوجية الطفل المباشر . ولا يكتفى بالمحاضرات فى علم النفس ، بل يطلب إلى الطالب أن يلازم بعض التلاميذ فى البيت والمدرسة وفى ألعابهم وفى غدوهم ورواحهم ، ويدرسهم على ضوء علم النفس دراسة موضوعية غير مفسرة ، ثم تقدم هذه الدراسة إلى الجامعة .

ثم أشارت إلى الحالة فى مصر بقولها : إلى أى حد يتمشى فى مصر هذا النظام ؟ لقد تعددت فيها المعاهد دون رابط : فهذه معاهد التربية ومدارس المعلمين والمعلمات الأولية والراقية . وإلى جانب ذلك يوجد عدد آخر ، فلا شك أنها تشكيلة كبيرة ، وهذا ينافى مبدأ الديمقراطية . ولا يزال الكثير منا يدين بالتفرقة بين مدرس المدارس الأولية والابتدائية والثانوية ، ويذهب فى زعمه إلى أنه لا حاجة بنا إلى إمداد مدة دراسة المعلم الأولى ، فعمله لا يحتاج إلى كثرة المعلومات .

وهذا خطأ من الوجهة السيكولوجية ، فمهمة المدرس خطرة فى كل مرحلة من المراحل الأولية أو الابتدائية أو الثانوية ، ويجب أن يكون حاصلا على أكبر قدر ممكن من الثقافة . وقد يكون لنا بعض العذر فى قبولنا لهذا القدر الضئيل من الثقافة بالنسبة للمدرس الأولى لو كان الغرض هو إيصال المعلومات ، ولكنه مدرس ومرب ومنشئ جيل . وختمت السيدة الفضلى المحاضرة بالإشارة إلى حاجتنا إلى تقوية الوعى القوى فى معاهد المعلمين ، ثم قالت : وعلى المعلم تقع أخطر المسائل ، وفى عنقه أعز الأمانات ، فإذا بحثنا فى إعداد المدرس الصالح فلابد أن ننتصر على كل مشاكلنا التى تعترضنا فى التربية والأخلاق

محمد عبد الحليم أبو زيد

أنباء الجليس :

عهد المجمع اللغوى الملكى إلى لجنة من الأدباء فى تحقيق هذا الكتاب للقيام بنشره ، والمنتظر من هذه اللجنة أن لا تغفل التعليق عليه بما أخذ العلماء عليه . وإنى ناقل كليمة من (سيرة الإمام أبى يوسف للعلامة الكوثرى) كمثال لمثرات المعافى النهروانى مؤلف الجليس الصالح : حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرىء ، حدثنا محمد بن خزيمة بنيسابور عن المزنى عن الشافعى قال : مضى أبو يوسف القاضى ليسمع المغازى من ابن اسحاق أو من غيره ، فترك مجلس أبى حنيفة أياماً ، فلما أتاه قال له أبو حنيفة : يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت ؟ قال له أبو يوسف : إنك إمام، وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤوس الملأ : أيهما كانت أولا ، بدر أو أحد ؟ فانك لا تدرى أيهما كان قبل ، فأمسك عنه . يقول الأستاذ الكوثرى: هذا اختلاق صرف تكذبه شواهد الحال ، لأن أبا حنيفة هو الذى يحدث أصحابه فى مسانيده عن تفضيل عمر — رضوان الله عليه — أصحاب بدر فيما فرض لهم فى الديوان على باقى أصحاب الغزوات المتأخرة . وهو الذى يتلو فى ختماته ليلا ونهاراً قوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) المعروف نزوله فى أحد ...

وصاحب الجليس الصالح يحكي أن المأمون حمل الشافعى على شرب عشرين رطلا من النبيذ ، ففعل ولم يتغير عقله ، كما فى لسان الميزان : يقول الأستاذ الكوثرى : إن الإمام الشافعى لم يلق المأمون فى عهد خلافته ألبتة . فهذا كذب بحت كتلك الأقصوصة . والمعافى النهروانى ليس من رجال التحرى فى النقل، وكتابه يجمع بين الجد والهزل : وفى سند الحكاية الأولى محمد ابن الحسن بن زياد ، وهو النقاش المشهور بالكذب . قال الخطيب البغدادى : فى أحاديثه مناكير بأسانيد مشهورة . وقال الذهبى إنه كذاب . وقال البرقانى : كل حديث النقاش منكر : وقال طلحة بن محمد الشاهد : كان النقاش يكذب فى الحديث ، والغالب عليه القصص . وترجمته فى تاريخ بغداد للخطيب ولسان الميزان وميزان الاعتدال وغيرها .

عبد الله معروف



بنت عمى راقصة

للأستاذ عباس خضر

حينما أقبلت على صديقى الأديب المعروف الأستاذ محمد مختار البرجى ، وهو جالس فى إحدى أمسيات الصيف الماضى على طوار (بار اللواء) — ألفيته متثاقلا يضع مرفقه على المنضدة ويسند رأسه إلى راحته ، فأخذت مجلسى على الكرسى المقابل له فى الناحية الثانية من المنضدة ، مكتفياً بتحية خفيفة دون أن أمد يدى لمصافحته ، ورد هو التحية رداً خفيفاً أيضاً ، ثم أردف يقول وهو يميل برأسه على يديه المشتبكتين فوق المنضدة :

— سأنعس خمس دقائق .

— فلتكن عشراً .

وأرسلت بصرى إلى الشارع وإلى العابرين به ، ولكن فكرى كان مشغولاً بأمر الصديق ، أهو متعب أم مهموم ؟ ولم يدع هو هذا التفكير يشغلنى طويلاً ويقلق بالى ، فقد رفع رأسه وأشمل لفافته ؛ وابتدأ الحديث بيننا تافهاً ، وقد تجنبت أن أسأله عما يهمه ، ولكنه نظر إلى وقال :

سأقص عليك قصة ... كنت أصطاف منذ سنين فى رأس البر ، فقام بنفسى فى إحدى الليالى أن أجول بمدينة دمياط ، وطاب لى الجلوس على قهوة بها . وبينما أنا جالس اقترب منى شاب كان يتأملنى من بعد وأنا أتغافل عنه وقال لى :

— حضرتك الأستاذ محمد مختار البرجى ..؟

— أتعرفنى ؟

— أنت خالى ...

— خالك ؟! ومن أنت ؟

— أتعرف أن لك عماً اسمه على مختار ؟

— نعم أسمع عنه ، لقد توفى أبى وأنا صغير ، ونشأت مع أمى فى القاهرة ، وكانت تذكر لى عمى هذا وعماً آخر وتقول إنهما فى دمياط ، ولكن من أنت ؟ وما مكانك من عمى على مختار ؟ قل لى أولاً كيف عرفتنى !

— كيف لا أعرفك وصورك تملأ بيتنا .. نفصلها من الصحف والمجلات ونزين بها الجدران ، واسمك يملأ أسماعنا ويبعث النشوة فى نفوسنا ... هلم يا خالى ... كم تسر أمى برؤيتك ! أمى بنت عمك على مختار ...

طرق الشاب باب منزلهم ، وقد طلب إلى أن أتأخر قليلاً حتى أكون بحيث لا يرانى من يفتح الباب ، وفتحت له أمه ، فبادرها بأنه سيفاجئها الآن بهدية نفيسة هى أعز أمانيها ، ثم أردف: سترين الآن يا أماه ابن عمك الأستاذ محمد مختار البرجى .

وتقدمت ، وكان لقاء حاراً أترك وصفه لأنك تدركه من طبيعة الموقف . واستمر الصديق يقول: لا أطيل عليك الكلام . عرفت مما دار بيننا من حديث أن الشاب يحل محل أبيه المتوفى فى تجارته الموفقة ، وأن عمى على البرجى توفى منذ زمن غير قليل ، وكذلك عمى الثانى وله أولاد يعيشون أيضاً فى دمياط ، كما عرفت من بنت عمى هذه أن لها شقيقتين متزوجتين .

وتبادلنا الزيارات العائلية ، وتوطدت العلاقة ، وتم التعارف بين هؤلاء الأقارب الأعزاء وبين أسرتى وأولادى فى القاهرة ، وساد هذه العلاقة مودة وسرور كان لهما أثر كبير فى تجديد نفوسنا جميعا . ثم مضت الأيام ، وصرنا نشعر بالقرابة ، وغفرنا لصروف الزمن ما قضت به من التشتت فيما مضى .

واحتسى الأستاذ البرجى قهوته ، وجذب أنفاسا من لفافة أشملها ، واستأنف يقول : وجاء إلى مرزوق افندى ، وهو ابن عمى الثانى ، وقد اعتاد زيارتى عندما يأتى إلى القاهرة ، ولكنه فى هذه المرة جاء لأمر ... قال :

— أعد نفسك لما سألقى عليك من نبأ .

— قل ...

— إنه نبأ مؤلم ! وأحب أن تكون شجاعاً فى تلقيه .

— هاته ، أسرع ، فقد يكون كلامك أشد منه .

— ما أحسبك لقيت فى حياتك أشد مما سأفضى إليك به ،

ولا مفر لى من ذلك ، لأن هذا الأمر يهمك كما يهمنا .

— لا تخش على شيئاً فأنا أليف شدائد .

— أتعلم أن لك ابنة عم اسمها سنية وأنها ... راقصة !!

— إيهِ ...

— ألم تقل إنك حليف شدائد؟ لا تجزع يا أخى لأنى أريد أن تعاوننى فى ثبات على ما جد فى أمرها . وأجمل لك قصتها فى أن أمها كانت قد تزوجت بعد وفاة أبيها ، وكانت أخواتها الثلاث قد كبرن وتزوجن ، أما سنية فقد ضاق بها زوج أمها ، وضاقت هى بما لقيت من قسوة وخشونة ، فتسللت إلى القاهرة ، ثم احترفت الرقص ، وهى الآن تعمل فى إحدى (الصالات) وكانت قد تزوجت بشاب من أهل الفن توثقت بينها وبينه أسباب المودة فى أثناء عملهما معاً فى (الصالة) وعاشرها سبع سنين ، ثم طلقها أخيراً .

— إيهِ .

— وقد ذهبت إليها اليوم وأردت أن أنقذها من هذه البيئة فعرضت عليها الزواج ، فأبت ، وسخرت منى . وقد اعتزمت أمراً أريد أن تعاوننى عليه ... نقتلها فنغسل عارنا بدمها .

— هون عليك يا أخى ، فالذى بنفسك سيذهب بعد حين ، ولن تقتلها ، وأنا لا أستطيع قتل دجاجة . إذهب إلى حالك ودع الأمور تجرى فى مجاريها .

ولم أرد أن أخاشن ابن عمى وهو فى زيارتى ، فتلطفت معه حتى ودعته وانصرف بعد الغداء ، وقد انثنأ غضبه ، وعاد أدراجه إلى بلده كأن لم يكن شىء . وكنت حريا أن أسأله عما جد فى شأن ابنة عمنا وهى هى كما يعلم منذ أمد بعيد ، وجعلت أفكر فى الأمر وأنا لا أستطيع أن أتصور كيف نقتل فتاة دفعها التيار إلى هذه الناحية من الحياة ... وهل تقتل الفتاة لأنها راقصة ؟! وكلما تذكرت ما كان يريدنى عليه من المعاونة على قتلها عرتنى رعدة اشمئزاز واستنكار لفكرة القتل البشعة . ويختلط هذا كله بألم يحز فيها حينما أتصور حياة الراقصات التى أعرفها ، وأن بنت عمى واحدة منهن ... ودار رأسى من التفكير والألم .

وأخذت طريقى إلى نادى الصحفيين . وما أخذت مجلسى هناك حتى جاء الخادم يدعونى إلى التليفون ، فأمسكت السماعة وأصغيت ، فسمعت صوتاً ناعماً يقول :

— أنا قريبة لك .

— أعرفك ..سنية بنت عمى .

— إذن حضر إليك اليوم مرزوق أفندى . ولكن كيف تقول إنى بنت عمك ؟ ألا تنكرنى ؟!

— إنك بنت عمى من غير شك . أريد أن أراك .

— وتريد أيضاً أن ترانى ؟ أجاد أنت فى كلامك ؟

— دعى هذا ، ولنتم الحديث حين تحضرين .

وأقبلت سنية بعد قليل ، ومن المتبع فى النادى أن يكتب الزائر اسمه فى دفتر الزائرين ، فأمسكت أنا القلم وكتبت اسمها هكذا : سنية على البرجى .

وانتبذنا ركناً قصياً بالنادى ، وهى تقول لى :

— إنّ اسمى سنية على فقط . فلم أرد أن ألوث اسم « البرجى » الذى عرفت أنت به .

— ليكن اسمك من الآن سنية على البرجى !

— لا أكاد أصدق ما أرى ، فما كنت أطمع أن أنال اعترافك بى فيما بيننا فضلاً عن مجاهرتك بقرابتى !

قالت ذلك وطأطأت تفتح حقيبة يدها وتخرج منديلاً تمسح به دموعها ، ثم تابعت :

أما مرزوق افندى فسامحه الله .. لقد كان منزلى مثواه كلما جاء إلى القاهرة ، ولم أكن أضن عليه بما يطلب حين تقصر يده ... فما باله اليوم يستشعر العار فى مسلكى ؟!

— قال لى إنه عرض عليك الزواج .

— نعم ورفضت . ومن أجل هذا تعرضت لعاصفته ... وأنا ما زلت — ولا أخفى عنك — أحب زوجى السابق ، وقد تعودت لوناً من الحياة معه ، ولم يذهب من نفسى الأمل فى أن يعود إلينا حسن التفاهم ويرجع الماء إلى مجراه . ثم أنا إن تزوجت مرزوق أفندى فسيكون خيال ماضى منغصاً لحياتنا ، وهناك الأهل الذين لفظونى ثم أنكرونى .. كيف يطيب لى العيش فى وسطهم ؟ ثم نظرت إلىّ نظرة فيها مزيج من الحنان والشكر ، وقالت :

وأنت يا ابن عمى ... كم أنا سعيدة بهذه الكلمة . ابن عمى كلمة بحثت عنها كثيراً فلم أجدها إلا حينما رأيتك تكتب اسمى فى الدفتر سنية على البرجى !

وأجهشت ، فانخرطت فى بكاء ... ثم قالت :

وأنت يا ابن عمى جبرت نفسى ، جبر الله نفسك !

وانصرفت سنية ، وقد وعدتها بالزيارة فى منزلها . وارتاحت نفسى لحسن استقبالى لها واغتباطها بذلك . ولكن كان فى نفسى شىء يدفعنى إلى بحث ما يحيط بها ... نعم لقد مكثت سبع سنين متزوجة ، وقد عرضت عليها فى النادى أن تكون على حريتها فتطلب ما تشاء فى المقصف كل شىء ... ولكنها أبت وأكدت أنها لا تشرب الخمر وأنها ليست كما قد أظن ... الخ . ولكنى فى الوقت نفسه أعرف (الصالات) وما فيها من (فتح) وغيره ... لذلك جعلت أرقب أحوالها فى زياراتى لها ؛ فلم أجد ما يريب .

وكنت مرة فى نادى نقابة الممثلين مع صديقى الأستاذ أحمد كامل أحد نجوم المسرح والسينما وعضو مجلس إدارة النقابة ؛ وقصصت عليه قصة بنت عمى ؛ وتعمدت أن أذكر اسمها — فى عرض كلام — قبل أن أفضى إليه بقرابتها وقصتها ؛ وهو صاحب مغامرات مع كثيرات من هؤلاء الراقصات ومثيلاتهن . فلما وصلت فى القصة إلى التلويح بشىء من التشكك ، قال لى : حسبك لأن تطمئن أن تعلم أنى لا أعرفها !

وصحبت سنية بعد ذلك إلى نادى نقابة الممثلين ؛ وعرفت أعضاء النادى بها . ثم طلبت أن تشترك فى النقابة ؛ فقال لى الأستاذ أحمد كامل : إننا لا نقبل فى النقابة راقصات (الصالات) ولكن من أجلك سأعمل على قبولها .

وقيد اسم سنية فى نقابة الممثلين . واقترن ذلك بالاتصال بأحد منتجى الأفلام ؛ وتم الاتفاق على أن تظهر سنية فى فلم جديد ، وهى الآن تعمل به وقد تركت العمل فى (الصالة) .

واغتبطت اغتباطاً كبيراً بهذا التوفيق فى نقل ابنة عمى من بيئة (الصالات) إلى مستوى الممثلين والممثلات ، وأنت تعلم أن هذه الطائفة من أهل الفن قد أصبحت لها اعتبارها ومكانتها فى مجتمعنا الحديث . وقد صرت أنظر إلى سنية نظرة المطمئن الذى لا يجد غضاضة فى الظهور معها فى المجتمعات ، ولا أخفى أننى كنت قبل ذلك أواجه الأمر الواقع ، وكنت أحدث نفسى بأنه يجب على أن أقول للناس : هذه ابنة عمى ! فلا أدعهم يتساورون بذلك ... وكان سرورها بى وبعملى هذا يعوض فى نفسى بل يفوق كثيراً ما أشعر به من خفى الشعور ، بل يكاد يمحقه . أما بعد أن صارت ممثلة وعضواً فى نقابة الممثلين فقد طابت نفسى وراق بالى .

وسكت الأستاذ البرجى ، وهو ينزع الغلاف الشفاف عن علبة اللفائف الجديدة ، ويطويه بيده ويرمى به ، ثم يشعل لفافة ويأخذ منها نفسا ؛ ويسند رأسه المثقل إلى راحته وسحابة الدخان تتراقص أمام سحابة الهم على وجهه .

قلت له : إن ما فعلت شىء عظيم ، وهو يدعو إلى الارتياح ، فما لك مهموماً ؟

فنظرت إلى كمن يطلب الصبر حتى آخر القصة ، وقال :

كنا أمس فى النادى ، أنا وسنية وأحد الوزراء السابقين ، وهو صديق قديم معروف بميله إلى الأدباء والفنانين . جلسنا نحن الثلاثة معاً ، فطاب مجلسنا ، وتبسط معنا صديقنا الوزير السابق فأكثرنا من الطرف والدعابات ، وأشرقت البسمات على وجوهنا ، حتى جذب ذلك إلينا الأنظار . ثم انفض المجلس ، وتفرقنا فى أرجاء النادى ، وإذا أحدهم يدنو منى قائلا فى شبه همس :

لا تسرف فى الظهور مع بنت عمك فنحن فى مصر ...

ولست أدرى أحاسد هو أم ناصح ، وعلى أى حال قد قال ما قال ...

عباس خضر

مطبعة الرسالة

17 em Année No. 828

Lundi — 16 — 5 — 1949

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٢٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ رجب سنة ١٣٦٨ — ١٦ مايو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٤ – أمم حائرة

الهداية والرقابة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

إن قامت الجماعة على غير طريقة ، وعملت على غير خطة ، فكيف تستقيم على محجَّة ، وكيف تقصد إلى غاية ؟ وإذا انبهمت الغاية ، واشتبهت السبل ، ساغ لكل جاهل أن يدل على الطريق ، واستطاع كل ناعق أن يقول : « هذا هو النهج » وليس بعد هذا إلا الضلال والحيرة .

لا بد من عقل رقيب ، وفكر ناقد ، ورأى سديد . ولا بد أن يكون للعقل والفكر والرأى طريقة تؤدى إلى الناس نصيحتها ، ونظام يعرّف الناس بدعوتها ، وقانون ينفذها . فلا تضيع الآراء السديدة فى ضوضاء المضلّين ، وصيحات المبطلين . ولا بد من رقابة الجماعة ومن سلطانها متمثلَين فى نظام الحكومات وفى الطوائف التى تقر لها الجماعة بالهداية والرقابة والتقويم .

إنى لأرى أموراً تحدث فى نظام الأسَر وسنن الجماعة ، لا يُعرف كيف نشأت ؛ وهى لا تجد من أولى الشأن رعاية إن كانت صالحة ، ولا حرباً إن كانت فاسدة . وأرى كثيراً من العادات تشيع على كره عقلاء الأمة والمصلحين فيها . فأسأل نفسى وأسأل أصحابى : لمن قيادة الجماعة ؟ وبأى يد أزِمّتها ؟ فأرى أحياناً أن مبتدعى هذه العادات الكريهة ، ودعاة هذه العادات السيئة ، من أصحاب الهوى المولَعين بالتقليد ، أو طائفة من التجار الساعين وراء الكسب بأية وسيلة ، ومن أصحاب الملاهى وأشباه هؤلاء .

فهؤلاء يقضُون فى أمور تُحسب هينة ، وهى فى سِيَر الجماعة ذات عواقب وخيمة ؛ يراها المفكرون المبصرون وتكلّ عنها أبصار من لا يتجاوزون الظاهر ، ولا يدركون ما بعد اليوم . هؤلاء ، ومن ورائهم الدهماء ، يسيِّرون الجماعة أحياناً بأهوائهم ومآربهم ، ويدعو الخيار فلا يستجاب لهم ، ويقول المصلحون فيُسخر منهم ، ويُغضى أولو الأمر تهاوناً واحتقاراً ، عن أمور يرونها صغيرة وما هى بصغيرة .

قد شمل القانونُ والنظام كلَّ الجوانب فى الجماعات الحاضرة قانون الحكومة وقانون الهيئات التى تقرها الحكومة على اختلاف النظم والأسماء .

كانت الجماعات ، فيما سلف ، لا ينالها القانون والسلطان إلا فى بعض شئونها ؛ ولكن حكومات هذا العصر تشرف على كل شىء ، وتحاول الإصلاح فى كل شىء ، بالإجبار أو الإرشاد ؛ فالتعليم والصحة والرياضة وأمور اجتماعية كثيرة تتولاها الحكومات أو هيئات تقرها الحكومة وكانت من قبل لا تعنى بها الحكومات إلا قليلا .

فلا جرم أن هذه الحكومات والجماعات المختلفة قادرة على الهداية والرقابة والتقويم والتهذيب إن عنيت بالأمور النفسية

والاجتماعية العناية الخليقة بها

وليس فى الهداية والرقابة جور على الحرية . فإن الحكومة والهيئات الأخرى مشتقة من الأمة قائمة باختيارها ورضاها . والأمة تغتبط بأن تقيّد بكل نظام صالح ، وتُربط بكل خلق كريم وسنة حميدة ، وتُصد عما يضر بها ويذهب بسعادتها .

ثم الصحف والمدارس ما خطبها فى التقويم والإصلاح والقيام على النشء والإشراف على الجماعة ؟ إن خطبها لعظيم . فأين هى من احتمال الأمانة والاضطلاع بالعبء وتأدية الواجب ؟ إن لكل منها لحديثاً ، وأبدأ بحديث الصحافة :

هى من نعم هذا العصر ومحاسنه ، وهى من نقمه ومساوئه . وهى عظيمة الخطر كبيرة الأثر فى الجماعات . تطلع على الناس صباح مساء بأخبار وآراء ، وعلم وفن ، وأمر ونهى ، وجد وهزل ، لا تدع أمراً مما يهم الإنسان فى معيشته الخاصة ، أو أحوال الجماعة التى يعيش فيها ، أو الأمم الأخرى إلا عرضت عليه خبراً عنه ، أو رأياً فيه ، أو نبذة من علم يتصل به ، أوفن يرجع إليه ، أو تاريخ يبينه ، أو قصة تصوره .

وهى تنتشر فى كل جانب وتلق الإنسان فى طريقه وداره ومدرسته ومتجره ومصنعه وحيثما كان فى شأن عام أو خاص : تطلبه وإن لم يطلبها ، وتقتحم عليه وإن لم يدعها .

وأمر الصحافة أبين وأوضح ، وأشيع وأجلى من أن يُعنى الكاتب ببيانه ، أو يحس حاجة إلى الكلام فيه .

فانظر كيف أثرها إن صدقت ، وتحرت الصدق ، وطلبت الحق ، وأخلصت فى طلبه ؛ وعملت للخير ودعت إليه ، وسارت على طريقه لاتحيد ولاتضل ، ولا تميل ولا تزيغ ، ولا تجور ولا تحابى !

وانظر كيف أثرها إن خلطت صدقاً بكذب ، ولبّست حقاً بباطل ، وعملت لنصرة فرد أو طائفة أو حزب ، وزينت لها العصبية أن تُزيّن كلّ ما يقول حزبها وما يفعل ، وإن تقبّح كل ماينطق به خصمها وما يعمل ! وانظر كيف أثرها إن بغت الانتشار والربح بكل وسيلة ، واحتالت لهما بكل حيلة ، ولم تبال صلاح الناس وفسادهم ولا خيرهم وشرهم ! وانظر كيف هى إن فتنت القراء وأضلتهم وتركتهم على قلق وتردد فى آرائهم وأعمالهم ، ولَبس وحيرة فى أخلاقهم وآدابهم . وأقامتهم فى بيداء مضلة لا تَبين سبلُها ولا تعرف أعلامها ؟ كيف أثرها إن احتالت على القراء بما يهوى القراء ، بل بما يهوى عامة القراء ، وبما يستهوى الدهماء من قصة مفسدة وصورة فاتنة وما إلى القصص والصور من أقوال لم يُصدرها عقل ولم يراقبها وجدان . إن الداء عضال وإلى الله المشتكى .

إن الصحافة خبر ورأى ودعوة وتعليم . وشروط هذه كلها التثبت والنقد وقصد الحق والخير والإخلاص فيه ابتغاء وجه الله؛ فليس كل ما يُسمع من الأخبار يروى قبل التثبت والتحرى . وليس كل ما يصح بعد التثبت والتحرى يُنشر حتى يُنظر أهو جدير بالنشر ؟ أيستحق أن يذكر ؟ أليس فى نشره إثارة فتنة أو إضرار بفرد أو جماعة ، أو إفشاء لسر يحسن أن يكتم ، أو إظهار لأمر يجمل أن يسر ؟ ومرجع هذا كله إلى وجدان القُوّام على الصحف وعلمهم وبصرهم وإخلاصهم . وإن لهم من أولئك رقيباً أكبر من كل رقيب وأعظم شأناً وأقوى سلطاناً من الحكومات والقوانين .

واما أن يختلق الخبر ، أو ينشر دون تثبت ، أو يذاع لنكاية أو لتشنيع أو تسميع أو إثارة فتنة فيها هوى للناشر أو مصلحة له أو لحزبه ، فهذا تنكره مروءاتنا وأخلاقنا وديننا وتاريخنا . ومهما يقل القائلون فى حرية الأخبار وحق النشر ، فلن يجد من عقولنا قبولا ولا فى ضمائرنا رضا . فليتق الله فى أنفسهم ومواطنيهم وأممهم وفى الناس جميعاً هؤلاء الكاتبون وهؤلاء القائمون على الصحف .

وأما الرأى فعماده علم ونظر وَروِ . فإن رُمىَ بالرأى دون إحاطة بموضوعه ، أو دون تفكير فيه ، أو بغير إعمال الروية كان حريّاً أن يبعد من السداد ، وأن يخذله الرشاد ، وكان خليقاً أن يَضل ويُضل ويُفسد ولا يُصلح .

فهل الآراء التى تطلع بها الصحف صباح مساء ، أعطيت حقها من المعرفة ، وشرطها من الروية ، وحظها من الإخلاص ؟ أى فارق بين الكاتب الذى يكتب فيما لم يحط به علماً ، وبين المعلم الذى يتكلم على تلاميذه وهو لم يحط بدرسه ولم يوفه بحثاً وفكراً ؟

هذا ، إن حاد بالرأى عن الصواب جهل أو تهاون أو عجلة . فمابالك إن زاغ به هوى ، وأريد به تضليل ، وقصد به إلى مآرب؟ وكيف إذا اختلفت الأهواء وكثرت الآراء وكلها لا تهدى إلى إلى الحق ، ولاتبغى الخير ، ولاتبالى إلا بهزيمة الخصم والتسميع به

الأدب بين عالمين

للدكتور إبراهيم سلامة

نحن نعيش بين عالمين يتجاذباننا ويحاول كل منهما أن يردنا إلى ناحيته: «العالم الخارجى» و «العالم الداخلى». وللث أن تقول إننا لا نحيا متجاذبين بين هاتين القوتين، بل نحن نعيش فيهما؛ فلنا حواس تنقل ما تقع عليها، فتدرك العين المرئيات، والأذن المسموعات، واليد الملموسات. فحواسنا تنقل إلينا صور الحياة كما هى، ولكننا لا نعيش فى هذا العالم المادى وحده، وإلا ضقنا به وتخلصنا منه، وكان من حرم حاسة من هذه الحواس كأنما أغلق أمامه باب من أبواب المعرفة بالحياة. وما هكذا خلقنا وما هكذا نعيش! فنحن نعيش أيضاً فى عالم داخلى من إدراكنا لما تجلبه حواسنا، ومن تأويلاتنا لهذه المدركات بعد عرضها على ما فينا من حاسية وميول ونوازع وتفكير نحال به ما يرد إلى نفوسنا، وذكاء نرد به ما يرد علينا من العالم الخارجى إلى الناحية التى نجد فيها منفعتنا وصلاح شئوننا وغذاء عواطفنا. ومن هنا ما يقول «ديكارت»: من أن «الأشياء التى تحرك حواسنا تهيج فينا الميول المختلفة لا للاختلافات الكثيرة التى تدور بها المحسات، ولكن لاتصال هذه الاختلافات بنفعنا أو ضررنا»

ومن هنا أيضاً ما قاله «مال برانش» من أن حواسنا أمينة مخلصة فى تعليمنا الملاقات المختلفة التى بيننا وبين ما يحيط بنا من الأشياء فى العالم الخارجى؛ ولكنها مع أمانتها وإخلاصها لا تعطينا صورة صادقة عن كل ما نحس به، فما حواسنا إلا هبة إلهية لحفظ حياتنا».

فديكارت الفيلسوف ومال برانش الأديب متفقان على أن العالم الخارجى الذى تربطنا به حواسنا ليس عالمنا وحده، بل فينا ميول تهيج وتثار بتلك الآثار المحسة ليست صورة صادقة لما نحس به، فنحن نعيش أيضاً فى عالمنا الداخلى الذى يحررنا من

والقارىء الساذج فى حيرة بين الآراء المتصادمة، والأهواء المتقاتلة حتى يميل به طبعه أو هواه إلى جانب، أو تستمر به الحيرة والضلال.

إن كل من يمسك قلماً ليكتب فى صحيفة يتصدى لأمر عظيم، ويتحمل تبعة جسيمة. فليتق الله فى كل فكرة يفكر فيها، وفى كل كلمة يسطرها. ولينظر ما أثر فكرته وكلمته فى أمته، وما حق هذه الأمة عليه.

وأما الدعوة فينبغى أن تكون إلى الأخلاق العالية والسنن الصالحة يُدعى إليها بكل وسيلة، وتسلك إليها كل سبيل. وينبغى أن يحذر كل الحذر من الدعوة، صريحة أو خفية، إلى التحلل من الأخلاق والفرار من التبعات؛ فإن النفوس قد احتملت أعباء الواجب وصبرت عليها ولم تبال بما فيها من مشقة وحرمان؛ ابتغاء ما هو أعلى وأشرف وأعظم؛ ابتغاء الحق والخير وإيثاراً لما هو أجل من خير الناس وصلاحهم. فإن ارتابت فى هذه الأعباء الثقيلة ودعيت إلى الدعة، وإيثار الأهون عليها والأحب إليها، والاستجابة إلى الأهواء والإخلاد إلى اللذات والخضوع للمطامع، والسكون إلى سفاسف الأمور والإشفاق من جليلها. صادفت الدعوة منها هوى ولقيت منها إصاخة واستراحة إليها باطناً وإن نفرت منها ظاهراً، إلى أن يضعف الوجدان الذى يحبب إلى النفس إيثار الأشق الأعظم من الأمور، وإلى أن تُسِفّ الهمة التى تتقدم بالإنسان على الصعاب وتنأى به عن اللذات؛ استجابة للمعانى الجليلة التى يسيِّر الله بها البشر إلى الكمال الذى قدره لهم.

إن الإنسان يعيش تحت أوقار من الواجبات وأوامر الأخلاق وتكاليف الجد، كما يعيش تحت أثقال من الضغط الجوى. فإن دعى إلى طرح هذه الأعباء واستراح إلى هذه الدعوة هلك كما يهلك إذا خف عنه ضغط الجو. ورب كلمة فاتنة أو قصة ساخرة تنقض فى نفس الناشئ أو تزلزل كل ما أمرّت التربية فى نفسه، وتاريخ البشر فى فؤاده! فلينظر الكاتبون وليتقوا الله.

وأما التعليم فكذلك يعمل له الفكر والنظر، ويختار ما هو أنفع للناس وأقرب إلى الصواب من الأمور النفسية والآفاقية على هدى العلم، وإرشاد التجارب وهلم جرا.

ما أقدر الصحافة على الإصلاح! وما أقدرها على الإفساد! وما أكثر المصلح منها فى عصرنا هذا وفى بلدنا هذا وما أكثر المفسد منها! فمن كان مصلحاً فليزدد إصلاحاً، ومن كان مسيئاً فلينزع عن إساءته.

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

الخضوع للعالم الخارجي، ويجعلنا عبيداً له عبودية العالم إلى الملاحظة والمشاهدة والاستقراء، وعبودية التقليدي إلى قاعدته يلتزمها ويقيس بها مسائل العالم. والعالمان كما ترى مشتبكان متدخلان، ولكن ينفرد العالِم «بالعالم الخارجي» يستمده في الملاحظة والمشاهدة، وينفرد الأديب «بالعالم الداخلي» يستغرق فيه ويتسع بطبيعته لتأملاته وتصوراته. إن الأديب الذي استمتع بمنظر من المناظر الجمالية، ثم جلس بعد مشاهداته إلى مكتبه إنما يجلس إلى تأملاته، ويجلس إلى صور وتصورات قد تكون موادها الأولى من العالم الخارجي عالم المحسات، وقد يزيد فيها وينقص بما يهبها من حيوية وخيال وإضافات لم تكن لها في عالمها الأول. والفرق بين الوقفتين هو الفرق بين ما يسميه علماء النفس «بالخيال الاسترجاعي» و«الخيال الابتكاري» وإذا كان الخيال الثاني أسمى من الخيال الأول سمواً قد يصل إلى درجة الاختراع في الصور العقلية، وإلى درجة الخلق والابتكار والإبداع في الصور الأدبية، فذلك لأن الخيال الاسترجاعي يعتمد أكثر ما يعتمد على استعادة المحسات كما هي في العالم الخارجي، في حين يعتمد الخيال الابتكاري على العالم الداخلي الذي يمده بكثير من القوى النفسية التي تعتبر أساساً للجدة والابداع.

إن عالم الحس ضاغط ملزم؛ أما عالم الصور والتصور فحر طليق. إنني أمام شجرة وقع عليها نظري لا بد لي من أن أراها لأنها وقعت على مدى نظري؛ ولابد لي من أن أراها شجرة، ولا يمكنني أن أقول إلا إنها شجرة. أما الأديب فله أن يقول «إنها كلمة طيبة كالشجرة الطيبة» وله أن يقول إن صاحبه الذي لا فائدة فيه كشجر السرو «له رواء وما له ثمر» ولابن الرومي أن يقول إن صاحبه جاف جامد كشجر الخلاف:

فغدا كالخلاف يورق للعـــين ويأبى الأثمار كل الأباء

أن المحسات تتحكم في الأدب لأنها ضاغطة ملزمة كما قدمنا. فلا حرية للأديب أمام العالم الخارجي، أما في عالمه الداخلي فحر طليق يتحكم في صوره حتى ولو جاءته من عالم الحس فيطاردها ويحل أخرى محلها ويجمعها ويفرقها ويتركها أمامه، تتجمع وتتفرق، وتتناصر وتتزاحم، وتتوالد وتتقلص، ليؤلف خياله كما يريد، أو لتطاوع هذه الصور خياله كما يريد أن يبرزها الخيال. فعالم الحس يعرف بشاراً ضخماً قوياً لو توكأ على جدار لانهدم الجدار؛ ولكن بشاراً لا يرى في برديه إلا جسماً ناحلاً «لو توكأت عليه لانهدم» والناس تسمع المتنبي وتراه ملء العين وملء برديه، ولكنه يرى نفسه ضئيلاً هزيلاً، بل يريد أن يخايل الناس في حواسهم ليروه كما يرى نفسه من النحول والذبول ولولا كلامه ما كان في جسمه مَعلم يدل على حياته:

كفى بجسمي نحولا أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني

إن «تين» شيخ المفتنين في الأدب والنقد إذا كان لا يرى في «الصورة» إلا أنها «إحساس ضعيف»، وإذا كان «أبنجهوس» من علماء النفس يفرق بين الإحساس والصورة فيرى أنها باهتة مصفرة كأنها من مادة الأثير، وإذا كان غيره من علماء النفس أمثال بهنس لا يرى في الصورة إلا مادة ضئيلة شفافة متشممة نحيلة قابلة للذوبان بل للتبخير، فأن الأدباء يرحبون بمثل هذه الصور ويرون فيها مادتهم المطاوعة للخيال، ومن ثمَّ للخلق والابتكار. لنحذر إذن علم النفس فلا نتورط في تقسيماته وقواعده إذا أردنا أن نحتفظ للأدب بمواده؛ فإن الصور هي متاع الأديب ينضده كيفما شاء ويستمتع بمرآها ولو كان باهتاً مصفراً. إن علم النفس «بموضوعيته» الحاضرة التي يريد بها أن يثبت شخصه أمام غيره من العلوم يريد أن يضغط على «الذاتية» التي يعتز بها الأدب ولا يمكنه أن يتخلص منها لا في الانتاج ولا في النقد. فكما أن للأديب عالمه كذلك للأدب «علم نفسه» الذي لا يجب أن يخضع لعلم النفس الخاص دائماً، بل له أن يتحكم فيه أحياناً. إن هذه الصور الباهتة قد تتجسم أمام الأديب حتى لتكون حقيقة ماثلة أمامه، وحتى لا يستطيع أن يفرق مع تسلطها بين الحقيقة وبين الخيال؛ وفي هذا الاتصال أو المزج سر الأدب. فأجله ما تخيلت فيه لترجع بحقيقة، وما حققت فيه لترجع بخيال. لحقيقة الأدب تبدو لجدتها أنها متخيلة، وخيال الأديب يبدو لإمكان وقوعه أنه حقيقة واقعة. فسر الجمال الأدبي في الإضافات التي نضيفها إلى العالم الخارجي، وفي المثالية التي ندركها من الصور الداخلية سواء أكانت صوراً نفسية محضة، أم صوراً خارجية تحولت إلى صور نفسية وباعدنا بينها وبين عالمها الأول بما أضفينا عليها من المثالية. إن الأدب وجماله في هذه الزيادة التي نضيفها إلى القيم الوجودية في العالم الخارجي، وإلى القيم الاصطلاحية اللغوية. وإن الذوق الأدبي ليس في القيم اللغوية للألفاظ ولا في

القيم الحقيقية للمعانى ، بل فى القيمة التقديرية التى يهبها الأديب هبة للألفاظ والمعانى ، أى فى القيمة التصويرية . وبعبارة حديثة فى الانسجام الذى نحسه فى الموسيقى ، ونحسه أكثر عند النشاز ، وفى الملاءمة التى نحسها بين الألوان فى التصوير ، ونحسها أكثر إذا اختلطت هذه الألوان ونبا بها النظر ، وفى الفترات الزمنيـة التى نحسها فى التقسيم والوزن والفواصل وإيراد المعنى؛ هذا التقسيم المعبر عنه بالمقابلة أو Symetrie . وبقدر احتفاظنا بهذه التقديرية أو الإضافية تكوّن نظرتنا للأدب . فالأدب «الكلاسيكى» اهتم بالقيم الحقيقية وغالى فيها . والأدب « الرومانتيكى » اهتم بالقيم الإضافية والفردية التى نضيفها إلى القيم الوجودية الحسية والعقلية . وقد غالت الرومانتيكية فى أهمية القيمة الإضافية الجمالية فأصبح كل شىء فى نظرها فناً ، وكل ظاهرة ولوعلمية فنية ؛ حتى لقد قيل إن الطبيعة نفسها عمل فنى ، وإن الكائن الحى نفسه فن . فالفن الحديث ليس فى إضافة قيمة جمالية إلى قيمة علمية فحسب ، بل فى اتحاد الفكرتين : العلمية والجمالية فى صورة تدرك فى العمل العقلى المستمر .

هذه المغالاة فى الرومانتيكية وهذا التعصب للكلاسيكية أثارا الأدباء والنقاد فى القرن التاسع ؛ فإن سانت بيف Sainte Beuve وتين Taine وغيرهما بعد سنة ١٨٥٥ قاموا للمناداة بالحقيقة فى الأدب Le vrai وكانت قومة ضد الرومانتكية وضد الكلاسيكية معاً ، وفى مصلحة مذهب « السريالزم » (الحقيقة) فى الأدب . لقد ابتدأ أنصار المذهب بوصف العالم الخارجى وحده فالتجأوا إلى الحياة نفسها يصفونها كما هى ، ويصفون الأحياء فى الأحيـــاء الفقيرة كما هم ، ولكنهم أخفقوا لأن الوصف كان لمجرد الوصف لا للحكم عليهم ولا للاهتمام بهم ، فكانوا كالنباتيين الذين ينظرون إلى المزروعات التى أمامهم من غير أن يميزوا بين أنواعها ولا بين الفروق البارزة فى هذه الأنواع . وكشفت هذه النهضة عن أمثال ستاندال وبلزاك وفلوبير ممن جعلوا لهـذه المدرسة الحديثة معالم مقررة ، فلم يعد العمل الأدبى خيالياً محضاً أو فردياً محضاً يصدره الأديب وهو فى عالمه الداخلى من غير رعاية للحياة . فلقد نادى فلوبير بأن الإنتاج الأدبى لا بد أن يكون موضوعياً وأن يكون فى نفس الأديب عكساً ذهنياً لما تعرضه الحياة مؤسساً على مصادر حقيقية يطيل الأديب فيها النظر ليتخير منها ما يريد (العالم الخارجى) هذه المصادر لا تشل الخيال ولا تمنعه الحركة ، فإنه سيكون الرقيب على هذه المصادر والصور يتخير منها ما يتلاءم مع فنه وخياله (العالم الداخلى) ، فكان فلوبير يجرى هنا وهناك وراء الحقيقة التى تتفق وأحلامه ، وبذا ينتقل عمله الأدبى من أن يكون مجرد وصف أو مجرد تحليل علمى إلى أن يكون خلقاً وابتكاراً . لهذا أسبغ فلوبير على أدبه نوعاً من المنطق ولكنه منطق الحياة ، واقترض كثيراً من الصور العقلية للطب والفلسفة ، ولكنه لم يقترض من الطب والفلسفة قوانين بل اقترض منهما معنى الحياة . وأعمال الأبطال فى رواياته تبدو طبيعية كما تبدو المسببات عن الأسباب ، فالوسط والظروف والأمزجة التى تعيش فيها شخصياته الروائية هى التى تقودهم بدوافعها وتعقدها وتطلعاتها ورغائبها إلى مصائرهم ، وكأنها أسباب لنتيجة حتمية واقعية . وهذه الحقيقة أو هذه الواقعية فى الوضوع قادت أسلوب فلوبير إلى الصورة المعبرة والكلمة الحقيقية والوزن المنسجم والرقابة على خياله حتى لحق أسلوبه بالكلاسيكية فى كثير من مظاهره ، وبعد عن الرومانتكية باعتماده على الواقع ؛ فقد كان يجمع بين حقيقة العبارة والكلمة فى معناها الحاضر ، وبين حقيقتهما فى معناها الدائم المعروف .

وكان إدموند ، وجول دى كونكور ، من أصحاب نظرية المصادر Theorie du document (العالم الخارجى) ولكنهما لم يقفا موقفاً فاتراً بارداً أمام هذه المصادر ، فكانا فنانين تلتهب أعصابهما وتتألم لتألم الإنسانية (العالم الداخلى) فابتكروا صوراً وكلمات جديدة وأخضعاها لأحساسهما وخيالهما حتى قادهما هذا الازدواج من ناحية إلى مذهب الطبيعة Natusralisme ، ومن ناحية أخرى إلى مذهب التأثريين Impréssionnisme

بعدما تقدم ننكر الأدب وننكر رسالة الأديب بل ننكر طبيعة النفس إن حاولنا أن نجعل من الأدب أداة وصفية لما يقع تحت أسماعنا وأبصارنا لنكون واقعيين من غير أن نتعرض لما تحدثه هذه المناظر والمشاهد فى نفوسنا من ألم وامتعاض أو لذة ومسرة ؛ وننكر رسالة الأدب وتمنع عنه مدداً عزيزاً إن حاولنا أن نصف نفوسنا وأن نفرضها فرضاً على قارئينا فى غير رعاية للواقع والحياة . إن الذكاء فى آخر تحليلاته معناه إدراك العالم الخارجى والداخلى معاً ، فالذكى هو الذى أدرك شيئاً ما وأدرك أنه المدرك لذلك الشىء . وللأدب ذكاؤه وحساسيته .

دكتور إبراهيم سلام

إلى الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ سيد قطب

— ٢ —

... لكأنما أسمعك تقول فى عتب يشوبه الألم والغضب : لماذا تنسى أننى من قبل قد عالجت : « أهل الكهف » و « شهرزاد » و « سليمان الحكيم » وكلها موضوعات إسلامية أو شرقية . ولم تكن محاولاتى قاصرة على « أوديب » و « بيجماليون » و « براكسا » .

شيئاً من التمهل يا صديقى الكبير .

أتذكر على أى أساس عالجت هذه الأساطير الشرقية ؟

لقد عالجتها على الأساس الذهنى ... فكرة تناضل فكرة ؛ أفكار مجردة تتحرك على « مسرح الذهن » كما ألهمت أنت أن تسميه !

إن عبقرية الشرق الأصيلة لم تكن يوما ما مجرد عبقرية ذهن تجريدية . لقد كان الذهن قوة من قواتها ولكنه لم يكن قوامها الأصيل : إنها أبداً كانت عبقرية حس حى أو روح رفاف . تجدها فى الهند صوفية مضحية عميقة ، وفى العرب طبعاً حياً متوفزا ، وفى مصر وداعة وبساطة وإيمانا .

إن عبقرية الذهن التجريدية عبقرية غربية . وعلى وجه خاص ، عبقرية فرنسية !

آه يا صديقى ! ليتك لم تذهب إلى فرنسا !

ولكنك ما كنت بمستطيع إذن أن تقوم بدورك الأساسى فى وضع القالب الفنى الصحيح للتمثيلية العربية . فدراستك هناك للمسرح الإغريقى هى التى مكنتك من وضع القالب السليم .

إن الخير لا يمكن تمحيضه . والشر لا يخلو من الخير بحال .

والآن يا صديقى هل أدلك على النبع ؟

لقد قال لك أستاذك الفرنسى كما قلت فى زهرة العمر ، وأنت تعرض عليه محاولاتك باللغة الفرنسية : « أكتب بلغتك لتبدع » !

هذا هو نفسه ما أقوله لك : استوح « ميراثك » لتبدع ! إن هذا الميراث هناك كامن فى ضميرك ، تخنقه ثقافتك الفنية الفرنسية . إنك تبعد عنه كلما ذهبت إلى الإغريق وغير الإغريق تستلهم أساطيرهم القديمة . إنك مصرى . مصر القديمة الغائرة فى أعماق التاريخ ، السارية فى ضمير الزمن ... مصر هذه ما تزال كامنة فى مصر الحديثة التى تعيش فى ثوب مستعار ... مصر القديمة بأساطيرها هى نبعك الشخصى العميق . ولن تحتاج إلى رحلة وراء آلاف السنين . ما عليك إلا أن تعيش مفتوح القلب والحس والعين فى ريف مصر وفى أحيائها العامة ... دعك من « سليمان باشا » و « الزمالك » و « المعادى » و « الدقى » ... هذه رقع مستعارة فى الثوب الأصيل . هذه لطخ شوهاء فى اللوحة المتناسقة .

افتح قلبك وحسك وعينك ، ثم اقرأ شيئاً عن مصر القديمة ولاحظها ما تزال حية فى ضمير الشعب وعاداته وسلوكه ... ثم اكتب ...

خذ القالب الأوربى . القالب وحده . ولكن صور فى هذا القالب الضمير المصرى ، بروح مصرية ، وحاول أن تهتدى إلى عبقرية الشرق الأصيلة . وهى ليست مجرد عبقرية الذهن التجريدية !

وحين تتناول الأسطورة المصرية لا تحاول أن تجردها من اللحم والدم ، والانفعالات والمشاعر ، لترى ما وراء ذلك كله من فكرة ذهنية تجريدية ... خذها حية بلحمها ودمها ، وصغ منها مسرحيتك .

ولكنك لن تصنع هذا إلا إذا أحسست الأسطورة حية فى شعورك ، غامضة غائرة فى ضميرك .

إن أجل الأعمال الفنية ما تم فى نصف وعى ونصف غيبوبة . استيقظ حين تضع القالب فحسب ، أما ذات الموضوع فيجب لكى يعيش ويخلد أن يكون غائراً فى أعماق ضميرك إلى حد أن تشعر وأنت تكتبه كأنك عشته فى زمن لا تذكره ولا تدريه !

إنك يا صديقى لن تتجاوز منطقة التاريخ الأدبى إلى منطقة القيم الفنية المطلقة ، إلا حين تهتدى إلى النبع — نبعك الموروث الأصيل — وإلى عبقرية الشرق — عبقرية القلب والضمير .

ولكنى أعرف أن هذا عمل عسير .

إن « اللعب » الذهنى على الأساطير الإغريقية يسير على قواعد موجودة فعلا ، فالأوربيون عبدوا الطريق . أما استلهام الأساطير المصرية فعمل تبدؤه أنت بلا نموذج أمامك مرسوم !

ولقد يكون من المغالاة والإرهاق أن نطلب إلى فرد واحد ،

وضع القالب الجديد فى الشكل وفى الموضوع ... ولكننى لا أجد حتى اليوم سواك فى عالم التمثيلية أطلب إليه هذا الاقتراح المعقول !

لقد وجد فى عالم القصة والرواية من يستلهم الطبيعة المصرية الخالصة ، بروح مصرية خالصة — وهذا هو الأهم . فليس من الضرورى — فى غير الأساطير وما يشبه الأساطير — أن يكون الموضوع مصريا ، ولكن المهم أن يعالج بروح مصرية .

والاستطراد يسوقنى إلى « قنديل أم هاشم » ليحيي حقى . وإلى « خان الخليلى » لنجيب محفوظ .

لقد استلهم يحيى حقى أعماق الطبيعة المصرية وهو يصور الإيمان بكرامات الست « أم هاشم » وما يتصل بها من عقائد وأساطير . كذلك استلهم نجيب محفوظ هذه الأعماق وهو يصور « سخرية القدر » بآمال الناس وأحلامهم وحياتهم جميعاً .

لقد كانا مصريين دماً ولحماً وعاطفة وشعوراً فى هذين العملين المعجبين ... وذلك هو الطريق !

وعلى ذكر « نجيب محفوظ » فإنى أستشعر فى نفسى الخوف على هذا الشاب القصاص الموهوب !

لست أذكر متى سمعته يقول ونحن نتحدث عن رواية : « زقاق المدق » إنه أراد أن يدخل قالباً معيناً فى الرواية المصرية . قالب الرواية العرضية لا الطولية ، وأنه لهذا صاغ روايته فى هذا القالب الجديد .

القالب ... ! هذا هو الخطر الأكبر يا صديق نجيب ! لست أفهم هذه الكلمة اللعينة ! أفهم أن يتم العمل الفنى أولا ، بلا قصد من صاحبه أن يضعه فى قالب معين . ثم يأتى النقاد بعد ذلك فيقيسونه ، ويجمعون سماته ، ثم يسلكونه فى عداد القوالب الموجودة بالفعل أو يسجلون أنه قالب جديد !

إذا وضعت القالب أولا فإنك لا بد أن تخنق عملك ليكون وفق هذا القالب . وفى كل خطوة ستستيقظ لتقيس هذا العمل ، وترى إن كان قد خرج على القالب الموضوع !

لا . لا . حذار أيها الصديق المرجوّ . إن القالب لا قيمة له إلا فى عالم التاريخ !

معذرة — أيها الأستاذ الكبير توفيق الحكيم — لقد شطح بى الحديث إلى هنالك . والحديث شجون !

فلنعد إلى ما كنا فيه ...

فكرة أريد أن أصححها عن « الفلسفة الإسلامية » كما يصورها ابن رشيد وابن سينا والفارابى ... فقد ألممت بهذا فى بحثك الممتع الطويل .

إن هذه الفلسفة قد تصح تسميتها « الفلسفة الإسلامية » بمعنى أنها قد وجدت فى أرض إسلامية على يد أفراد مسلمين .

ولكن يكون من الخطأ العميق اعتبارها « فلسفة الإسلام » وقد آن أن تصحح هذه الغلطة القديمة الحديثة !

إن فلسفة هؤلاء الفلاسفة إن هى إلا انعكاسات للفلسفة الإغريقية فى ظل إسلامى . وهى لا تبلغ أن تصور الفكرة الكلية للاسلام عن الكون والحياة والإنسان . هذه الفكرة الخالصة الكاملة المتناسقة .

ما أشبه الدور الذى قام به هؤلاء الفلاسفة الإسلاميون بالدور الذى تقومون أنتم به الآن — أنت وجيل التمهيد من الشيوخ — فتنة بالفلسفة الإغريقية ، ومحاولة لتفسير الإسلام على ضوء هذه الفلسفة . والإسلام يحمل فكرة مستقلة مختلفة فى طبيعتها الأصلية ، عن طبيعة الفكرة الإغريقية من الأساس[1] !

من أذهانهم لا من قلوبهم استمدوا فلسفتهم ... وهكذا نعملون !

لهذا وجدت تلك الفلسفة اهتماماً وعناية من الأوربيين ورثة الإغريق ؛ لأنهم قادرون على فهمها والإحساس بها . أما فكرة الإسلام الصميمة الكلية عن الكون والحياة والإنسان فهى شىء آخر لم تصوره تلك الفلسفة ، ولم يتمثله الأوربيون . وتبعاً لذلك لم يتمثله المحدثون من المسلمين الذين يتلقون كل ثقافتهم عن الأوربيين !

ومالى ألومكم أنتم ، والأزهر ذاته لا يدرس فى كلياته إلا تلك الفلسفة الإسلامية باعتبارها فلسفة الإسلام !

أنا واثق أن سيكون لنا أدب خالد ؛ وأن ستكون لنا حياة فكرية وإنسانية ملحوظة . ذلك يوم نؤمن بأنفسنا ، يوم نشعر أن لدينا ما نعطيه ، يوم نستلهم طبيعتنا الأصيلة . يوم نهتدى فى ذواتنا إلى النبع العميق .

(وشنطون) سيد قطب

(١) راجع كتاب « العدالة الاجتماعية والإسلام » فصل « فكرة الإسلام عن العدالة الاجتماعية » .

صور من الحياة :

قبعـــــة . . .

للأستاذ كامل محمود حبيب

أتذكر — يا صاحبي — يوم أن لبست القبعة لأول مرة ، يوم أن كنت ترسف فى قيود أربعـة : أبيك وهو جافى الطبع شـيطانى الجبلة أرضى النزعة ، وأمك وهى مستكينة واهية متداعية ، ورئيسك وهو يستذلك بفضله وأياديه ، وعميدك وهو يتخذك صنيعة له وداعية لأغراضـه . لطالما استيقظت كرامتك فتراءيت فى عين نفسك سقيم الوجدان مستلب الرأى والإرادة ، وكنت لا تجد خـلاصاً إلا أن تعق والديك فلا تزورهما أبداً ولا تعنى بأمرهما ، وإلا أن تسـتخذى لرئيسك وأن تتودد لعميدك عسى أن تكسب الرضا أو تدفع الأذى .

ورأيت الميناء يموج بالسَّفْر من كل جنس ، وإلى جانب كل مسافر ثلة من الأهل والأصدقاء يودعون وينصحون ويشجعون . وإن كلمات الوداع الحارة لتتصّاعد حواليك تصك مسمعيك ، وإن عبرات الحب والإخلاص لتنهمر هنا وهنالك على خطوات منك لتكون قذى فى عينيك . ولـكنك أنت لم تجد صاحباً واحداً يرفّه عنك وينفث فيك من روحه ومن شـجاعته ومن حبه ، فوقفت وحيداً تنظر .

وتحركت الباخرة فوقفت على ظهرها جامداً ترمق أرض الوطن وهى تتواري خلف الأفق فما نبض قلبك بشوق ولا خفقت روحك بحنين ولا جاشت مشاعرك بعاطفة . ثم وليت وجهك شطر الغرب ، ورحت تتنسم أول نسمات الحرية — كرأيك — حين خيل إليك أنك ألقيت عن نفسك قيوداً أربعة كبّلك بها الوطن .

ترى هل استمتعت هناك بالحرية التى افتقدت هنا ؟

وتقبلك عميد الجامعة هناك بقبول حسن لأنك صنيعة معهد (كذا) الأجنبى ، وإن جناب العميد لرجل علم وأدب وإنه لذو حيلة ودهاء ، ولـكن ماذا أفدت هناك ؟

لقد عشت هناك مثلما عشت هنا : منقبض الأسارير تأنس بالوحـدة وتطمئن إلي الخلوة ، تغدو إلى الجامعة وتروح إلى الحجرة ، تصغى إلى الدرس — صدر النهار — فى غير ملل ، وتنكّب على الـكتاب — شطراً من الليل — فى غير ضجر ، وإن عميد الجامعة هنا ليحبوك بعطفه ويغمرك بفضله لأنه يمتُّ إلى عميد المعهد هنا بأواصر هى : الصداقة فى الشباب والأخوة فى الدرس والوحدة فى الجنس والتآلف فى الرأى . وأنت هناك طالب الجامعة مثلما كنت هنا طالباً فى المدرسة ترضى بالقليـل وتقنع بالتافه ، وأنت هناك خامل الذكر مثلما كنت هنا وضيع الهمة ، وأنت هناك بعيد عن لذائذ الحياة ومتعها مثلما كنتَ هنا تعانى الحرمان والضيق . ولـكن عميد الجامعة أراد فأصبحت ، بعد سنتين ، دكتوراً فى الفلسفة . وتراءيت فى عينى رأيك فيلسوفاً ضخماً فتصنعت الرزانة وتجملت بالهـدوء ، ثم ركبك الغرور وجرفتك الـكبرياء ، فـما كان يليق بك أن تكون رجلاً ممن يعيش فى مضطرب الحياة ونوازعها ، وأنت ابن سقراط وتِرب كَنْت وصـاحب ديكارت . ولـكن ، آه — يا صاحبي — لقد عجزت الفلسفة عن أن تسوّى منك رجلاً آخر غير الذى كانه منذ سنين ، إلا أن تلوى لسانك بكلمات لا تبينة فتزيدك عيًّا على عيك ، وإلا أن تشوب لهجتك لـكنة أعجمية بغيضة إلى القلب والنفس فتضيف حمقاً إلى حمق فيك ، وإلا أن تجهر بآراء هدّامة تحسبها حديثة مبتكرة فتضم سفهاً إلى سفه فيك . ثم . . . ثم جلست إلىّ فى ندوة ثقافية فى القاهرة تحدثنى بآرائك قائلاً « أنا ابن الطبيعة وثمرة الحرية فدعنى أهم فى أرجاء الأرض لايقيدنى وطن ، ولا يمسكنى دين ، ولا تربطنى لغة . دعنى أنطلق منها فهى أغلال ثقال تشل عقلى وتصعق خواطرى وتبعث بأفـكارى » فعجبت أن يكون هذا حديثك وأنت ابن الريف وثمرة الغيط وربيب الدين !

ماذا دهاك ، يا صاحبي ؟ أفـكان لسنتين أن تحولا عقلك من حال إلى حال فتنزل عن كرامتك وتنبذ المعانى السامية للوطن والدين واللغة ، على حين قد عشت نيفاً وأربعين سنة فى وطنك ، عشتها جيماً تتنقل بين المدينة والريف ، وأنت فى المدينة لا تحس إلا العمل الشاق المضنى وإلا هذا الزقاق الضيق القذر الذى تسكن فى ناحية منه ، وأنت فى الريف لا ترى إلا أهلك وهم من أوساط

الناس وإلا دارك وإن رائحة الروث ما تبرح تتأرج فى جنباتها .

يا عجبا ! فا بال الشاب يذهب إلى هناك ليعيش سنوات وسنوات، وهو فى ثورة الشباب وفورة الصبا ، يستمتع بالقوة والثراء ويتألق فى النضارة والذكاء ... ما باله يعود إلى وطنه فلا تحس فى لسانه التواء ولا فى كلامه لكنة ولا فى آرائه جفوة ، على حين أنه بلغ غاية العلم وتسنم ذروة الفلسفة .

قد كان لى أن أقول : لعل أضواء المدنية فى الغرب قد خلبتك فعشى بصرك فما عدت ترى فى الشرق إلا ذبالة توشك أن تنطفىء ، أو لعل نور الثقافة الإفرنجية قد سلبك عقلك فما أصبحت تلمس هنا — فى الشرق — إلا ظلمات من الجهل تكاثف بعضها فوق بعض ، أو لعل بهرج الحضارة هناك قد طمس على قلبك فرحت تحتقر الوطن والدين واللغة ... قد كان لى أن ألتمس لك عذراً فى شىء من هذا لو أنك أخذت منها بنصيب أو ضربت فيها بسهم ، ولكنك عشت هناك على حيد الحياة لا ترى إلا الكتاب والدرس والحجرة ، ولا تحس إلا العمل المرهق ، ثم ... ثم الوحدة والحرمان .

ورجعت — يا صاحبى — إلى وطنك لتتلقفك قيودك من جديد . ولكن القبعة التى لبست ترفعت عن القرية وتسامت عن الريف ، وأبوك شيخ هِمٌّ عصفت به السنون فانحطت قوته ووهى جَلَده فهو يرنو إلى عطفك ويصبو إلى حنانك ، وأمك عجوز شمطاء قد عبث بها الزمن فتقوس ظهرها وسقطت أسنانها فهى تهفو إليك ، وقلبها يرف حواليك . لقد ترفعت القبعة عن القرية فى حين أنها تعبدت لرئيسك القديم واستخذت لعميد المعهد الأجنبى . وهكذا تحررت من قيدين لترسف فى قيدين .

وجاءك رسول أبيك يقول لك « إن أباك يكاد يلفظ آخر أنفاسه ، وإنه ليهتف باسمك بين الحين والحين ، وهو فى غمرة المرض وطأة الحمى ... » وأصغيت إلى الحديث — يا صاحبى — بأذنك ، وقلبك فى شغل لا يحس معنى الإنسانية ، فما انطلقت إلى القرية إلا حين جاءك البرق يقول « مات أبوك اليوم » مات أبوك وفى قلبه شوق يتأجج لأن يرى ابنه العاق .

وجلست إليك أمك فى ضعفها وشيخوختها تستجدى عطفك ورجولتك ، فأصغيت أنت إلى حديثها بأذنك ، وقلبك فى شغل لا يحس معنى الإنسانية . وجرفتك كبرياء القبعة فاستوليت على ميراثك من أبيك وهو ضئيل ، ثم طرت عن القرية إلى الأبد لتذر أمك وحدها ...

وجئت أنا — بعد أيام — لأعزيك فى أبيك ، فألفيتك تبسم — لأول مرة فى حياتك — وأنت مسفر الوجه طلق المحيا . لقد كان يخيل إلى أننى سأراك منكسف البال شارد الذهن وقد أرمضك الحزن وهدك الأسى ، يفريك الندم على أن قصرت فى حق أبيك ، وامتهنت أمنيته الأخيرة وهو على فراش الموت .

فما بالى أراك فى نشوتك وسرورك لا يعنيك إلا أن تظفر ببعض ماله ؟ لقد تراءيت فى ناظرى رجلاً نزل عن رجولتك وإنسانيته وكرامته فى وقت معاً ، فكرهتك واحتقرتك .

يا لقلبى ! إن فى الحياة أناساً يقشحون بثوب الإنسان وإن ضلوعهم لتنضم على مثل روح الثعلب ! آه لو انسلخوا من إهابهم لتكشفت نفوسهم عن مثل نتن الجيفة !

وهناك ، فى البلد الأجنبى ، تعلمت فلسفات ثلاثاً نبعت كلها من القبعة التى لبست بعد أن نيفت على الأربعين : فلسفة العقوق والجحود ، وفلسفة الكفران والكنود ، وفلسفة الاستسلام والخضوع ...

وتلقفك هنا رئيسك وعميدك معاً . أما رئيسك فوظف كبير فى الحكومة ذو شأن ومكانة ، وأما عميدك فرجل أجنبى ذو جاه وسلطان . وتنازعك الرجلان حيناً ، ثم ظفر بك العميد . ظفر بك لتتحدث بلسانه وتفكر برأيه وتتفلسف بعقيدته ، ولتنفث سموم جنسه فى شباب الجيل ، ولتعلم النشء أن القبعة شىء مقدس يستهوى العقل ويسجد له الفكر ، على حين أنها شيطان يتوثب مكراً وخداعاً .

وجلست إلى تلامذتك توحى إليهم بفلسفة القبعة . وبدا لأعينهم ما يتوارى خلف كلماتك فتلاقت نظراتهم فى عجب ، وتقابلت ابتساماتهم فى سخط ، ثم انصرفوا من لدنك وعلى ألسنتهم كلمات الاحتقار والسخرية . لقد سخروا منك أنت أيها الفيلسوف العظيم لأنك أردت أن تمكر بهم وتستلبهم من الوطن والدين واللغة فما انطلى عليهم أسلوبك ولا خدعتهم فلسفتك .

وقال واحد منهم : إن أستاذنا الفيلسوف قد لبس القبعة ذات مرة ... لبسها لينزل عن كرامته ، ولينبذ المعانى السامية للوطن والدين واللغة ...

كامل محمود حبيب

الغـــــريزة

للدكتور فضل أبو بكر

الغريزة عبارة عن ميل خاص ونزعة مجبولة فى نفس الكائنات الحية منذ ظهورها إلى عالم الحس والوجود . وقد تكون نتيجة المعرفة وليدة التجارب حيناً ، كما قد تتجرد عن كل ذلك فى معظم الأحيان ، وأن ذلك الميل وتلك النزعة تمليهما ضرورة الحياة والكفاح من أجلها .

ذلك الميل وتلك النزعة يتجليان فى صورة نشاط تبدو بواكره فى مستهل حياة الكائن ، ويكون أشبه بالنشاط الفسيولوجى كما يظنه الإنسان لأول وهلة نتيجة لعقل أو روية . وعمل الغريزة يكون أوضح فى الحيوانات ولا سيما الدنيا منها مثل الحشرات مثلا .

أما موضوع الغريزة ، فهو من المسائل التى كثر حولها الجدل وتضاربت الآراء إلى حد بعيد ، إذ يرى البعض فيها عملا آلياً ميكانيكياً كعمل الساعة ، أو فسيولوجياً بحتاً غير إرادى كعملية الهضم ، وفريق آخر يعتبرها ناتجة عن معرفة وفهم ، أوعلى الأقل فيها مسحة من الذكاء .

كذلك هم يتساءلون مختلفين عن نشأتها ووجودها فى الكائن : يظن البعض أنها تنشأ كاملة من أول وهلة ومن غير حاجة إلى صقل وتهذيب . ويقول البعض إنها تولد ناقصة بدائية ثم تنمو وتتطور بنمو الكائن . ويقف فريق آخر موقفاً وسطاً بين هذا وذاك ويعتقد بأن بعض الغرائز — وهى الموروثة — تولد كاملة من غير حاجة إلى تطور ، وبعضها — وهى المكتسبة — تكون ناقصة ثم وتكتمل شيئاً فشيئاً بمرور الزمن .

يقف الإنسان حائراً إزاء هـذه الآراء المتضاربة المتنافرة ، وسبب هذا التنافر — كما اتضح أخيراً للباحثين — هو أن بعضهم يخلط بين الغرائز وبين بعض المظاهر الحيوية الفسيولوجية لما يوجد بينها من تشابه يشتد فى بعض الأحيان . وأول من ألمع إلى هذا اللبس هو العالم السيكولوجى البلجيكى « لوى ڤرلين » وفرق بين الغرائز والظاهرات الفسيولوجية ، وأن هذه الظاهرات وإن كانت فى بعض الأحيان تحتم وجود الغرائز وتدعو لخلقها إلا أن هنالك عوامل أخرى غير العوامل الفسيولوجية كما سيتضح لنا جلياً فيما يلى :

خواص الغريزة ومميزاتها :

يقول البعض إن الغريزة لها صفة « نوعية » بمعنى أن كل الحيوانات التى تنتمى إلى نوع واحد تشترك فى الغرائز ، ويكون عمل الغريزة فيها بطريقة واحدة ، والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها أن لحشرة الزنبور نحو ألف من الأنواع ، وكل نوع له طريقته الخاصة فى صيد الفريسة التى يقتات منها ، فالنوع المسمى بالـ Cerceris tuberculata يفترس حشرة من ذوات الأربعة أجنحة ، والتى تعيش على البقول الجـافة والحبوب واسمها Charancon هذا النوع من الزنابير — وكل الأفراد التى تنتمى إلى نوعه — له طريقة خاصة فيما يتعلق بالصيد ، إذ يلسعها ويحقنها بمادة يفرزها ، ومفعول هذه المادة هو شل حركة الفريسة فقط دون موتها ، ثم ينقلها إلى مأواه ويبيض عليها ، حتى إذا ما فقست البويضات ، وجد صغار الزنابير طعاماً جاهزاً من دون سعى ولا مشقة . ونوع آخر من أنواع الزنابير هو الـ Bembex يعيش دائماً على حشرات الذباب ، وضرب آخر منها هو الـ Compile لا يأكل غير حشرات العنكبوت ، إلى غير ذلك من الأنواع الكثيرة ولكل نوع طريقة خاصة فى اقتناص الفريسة ونوع الفريسة .

كذلك لكل نوع طريقة خاصة فيما يتعلق بالمسكن ، فمنها ما يحفر جحره فى هامات الصخور ، أوعلى أديم الأرض ، أوفوق الجدر والحيطان ، أو جذوع الأشجار ؛ ومنها ما لا يحفر ولا يشق ، ولكنه يعيش فى مخابئ طبيعية بين لحاء عيدان الأشجار ، أو داخل ما تجوف من الأصداف والمحار .

غير أن نوعيـة الغريزة لا يمكن أن نقبلها إلا بشئ من التحفظ ، إذ هى ليست بنوعية مطلقة ، ولكنها نسبية لحد ما ، تعتريها بعض الشواذ ، كما أشار إلى ذلك « ڤرلين » بعد تجاربه التى أجراها فى الأناث من طير الكنارى Canari والتى تولد فى أقفاص الأسر ، وجـد أن بعض تلك الأناث لا تكون عندها غريزة بناء العش كاملة ، إذ تبنى عشها بطريقة مشوهة ناقصة ، وقد تخفق إخفاقاً تاماً ، بينما البعض الآخر — وهو من نفس النوع — يعشعش بطريقة عادية تامة . كذلك يروى العالم السيكولوجى « أشيل يوربان » فى كتابه « سيكولوجية الحيوانات المتوحشة » بأن لأشبال الأسـود وصغار الفهود عادات وغرائز

ليست ثابتة كما هو المتوقع .

هذا ، ونجد العكس فى بعض الحيوانات والحشرات بمعنى أنه رغماً من انتمائها إلى أنواع مختلفة ، تتحد فى بعض الغرائز أحياناً كمادة تصنع الموت ، وهى حيلة تلجأ إليها بعض الحيوانات والحشرات بقصد الدفاع أو الهجوم . مثال ذلك حشرة من ذوات الأربعة أجنحة حمراء مبرقشة بنقط سوداء ، وهى أشبه شكلا بحشرة « الجعران » ، وهذه الحشرة اسمها Coccinelle وإذا ما أسرها الإنسان ووضعها على كفه مثلا أو فوق سطح مستو ، فإنها تستلقى على ظهرها وتقبض أرجلها ولا تبدى أى حركة أوعلامة للحياة ، وإذا ما تركنها وشأنها استعادت حيويتها وأطلقت أنفاسها ثم ولت هاربة طلباً للنجاة . وهذه طريقة دفاعية مدهشة حقاً قد يحسدها عليها الإنسان فى بعض الأحيان كما أن هنالك بعض الحيوانات من ذوات الثدى أشبه بالفار الصغير واسمه Raton Iaveur ، لأنه لا يأكل شيئاً إلا إذا غمسه وغسله فى الماء ، ويسميه الأنجلوسكسون بال Racoon هذا النوع من ذوات الثدى يلجأ إلى نفس الحيلة ويشترك مع الحشرة المذكورة فى هذه الغريزة ، ولكنه يستعملها طريقة للهجوم على صغار الطيور

نشأة الغريزة :

يقول عالم الحشرات الفرنسى « فابر » بأن الغريزة تولد كاملة منذ وجود الحيوان وعليه فهى ليست فى حاجة إلى صقل وتهذيب مستشهداً بما أجراه من تجارب فى مجموعة من حشرات الفراش والزنابير ؛ غير أن الكثير من العلماء نذكر منهم «بول مارشال» لا يرى رأى « فابر » إذ يقول « مارشال » بأن بعض أناث الزنابير وإن كانت حقيقة كما شاهد « فابر » بأنها تلسع الفريسة لسمة تشلها من غير أن تميتها ثم تتركها لصغارها لتأكل منها طعاماً شهياً يقيم الأود ويسد الرمق بعكس ما إذا كانت الإناث تميت فريستها وتتركها جثة هامدة ، إذ يكون الطعام فى هذه الحالة أقل إثارة للشهية وأضعف قيمة غذائية ، كما أن هذه الغريزة عند إناث الزنابير والتى تبدو لأول وهلة وليدة عقل مدبر؛ إلا أنه يظن أن تلك الإناث لم تصل إلى هـذا الحد من الإتقان إلا بعد مرور أزمان سحيقة خلال تطورها ونشوئها .

كذلك العالم البيولوجى الإنجليزى « ريد » يعتبر الغريزة ناقصة فى أول نشأة الحيوان تتطور وتنمو بنموه . مثال ذلك ما نشاهده فى صغار الدجاج إذ هى لا تجيد فى حداثتها عملية (التنقير) اللازمة لقوتها ، فتراها تخطئ كثيراً حين تنقر الحبوب إذ لا تصل إلى هدفها إلا بعد محاولات ثم تزداد مهارة شيئاً فشيئاً خلال نموها .

ويوافق « ريد » « ڤرلين » ؛ إذ هو أيضاً يؤمن بتطور الغريزة ؛ إذ شاهد أن إناث بعض الطيور لا تتقن بناء الأوكار فى حداثتها ولا تصل إلى حد الأجادة إلا بعد أن تبلغ من عمرها حداً يؤهلها لذلك .

غاية الغريزة وأهدافها :

إن المرمى البعيد الذى تهدف إليه الغرائز إنما هو بقاء النوع على مدى الأزمان . وتتخذ لذلك عدة وسائل : منها ملاءمة البيئة ، وهى غريزة سبق أن تكلمنا عنها فى مقال سابق وتعرضنا إلى آراء « دروين » و « لامارك » و « اسبنسر » فيما يتصلق بها . ونضيف إلى ذلك أنه كلما كان الحيوان أرقى كانت ملاءمته للبيئة أوضح وأكبر . وعلى ذلك فهى عند الطيور دائماً ملاءمة البيئة فى بناء أوكارها من حيث طقس المكان الذى تعيش فيه وباختلاف الفصول فى ذلك المكان . أما عند الحشرات فهى أقل وضوحاً . مثال ذلك ما شاهده « ڤرلين » فى بعض أنواع الحشرات التى تبنى بيوتها من الطين أو الصلصال ، يقول «فرلين» إذا أدخل بعض التعديلات داخل تلك البيوت فإن بعض الحشرات لا تعيره انتباهاً وتستمر فى حياتها كما لو لم يحدث شىء ؛ ولكن البعض الآخر — وهو من نفس النوع — لا يحلو له العيش ولا يطيب له المقام فى هذه البيئة الجديدة فيعيد هندسة ويقدم ما قوض من أركانه مهما طال أمد التجربة ومهما كلفه من مشقة وعناء .

قلنا إن المرمى البعيد للغريزة هو بقاء النوع فهى فى خدمة النوع أكثر مما هى فى خدمة الفرد ، ولو تراءى العكس فى بعض الأحيان . والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما شاهده « فابر » و « فرلين » فى هذه الحالة إذ تبين لهما أن إناث الدبور عند ما تدخر لصغارها الحشرات التى تشلها وقبل أن تفقس

البويضات وتظهر الصغار إلى عالم الحس والوجود فى هذه الفترة شاهد أن الإناث قد تجوع وتشتد بها غائلة الجوع إذ يندر الصيد أحياناً ويتعذر الطعام . وقد شاهدا أيضاً أن تلك الإناث تلف وتدور حول الفريسة المشلولة وتتلمسها فى حالة عصبية . ولم يشاهد قط عنها أن التهمت ما ندخره لبنيها من طعام ، فتؤثر بنيها على نفسها رغماً عما بها من خصاصة وحرمان .

غير أن « أشيل بوربان » فى كتابه سيكولوجية الحيوانات المتوحشة يقول أن هـذه القاعدة قد ينتابها بعض الشـذوذ أحياناً ، إذ شاهد بعـد تجارب أجراها فى بعض الحيوانات المتوحشة المأسورة لهذا القصد ، شاهد بعض أناث النمور والأسود والدببة تتخلى عن صغارها يوم ولادتها وتنفر منها نفوراً تاماً ، وسمى هذه الظاهرة الشاذة « بالغريزة الضالة » وقد عزاها غيره إلى حالة مرضية تنتاب تلك الأناث .وقد يكون للأمر دخل فى ذلك وشبهوها بما يحدث للمرأة النفساء أحياناً بما يسمى « جنون الولادة » وهو نوع من الذهان والمهلوسـية الحسية والشعور بالاضطهاد يقودها إلى التخلى عن مولودها بل وقتله إذا اشـتدت وطأة الداء ولم تتخذ الاحتياطات اللازمة بإبعاده عنها .

وهنالك ظاهرة أخرى غريبة تشبه من حيث الشذوذ — الغريزة الضالة وتسمى « بغريزة الروتين » بمعنى أنها لا ترمى — كغيرها من الغرائز — إلى هدف يستفيد منه الحيوان وهو ما نشاهده عند الـكثير من الـكلاب وهى عادة دفن الأطعمة كاللحوم أو العظام أو غيرها بعد أن تحفر له حفرة بمخالبها الأمامية ثم تواريه التراب . وقد تلجأ أو لا تلجأ إليه بعد ذلك مع أن بعض الـكلاب التى تفعل مثل هذا قد تـكون كلابا مدللة من أصحابها ولم تمرض إلى الجوع يوماً ما ! !

ولـكن « روسل » يقول إن الـكلاب إنما تخبىء ما زاد على حاجتها وتدخره مهما توفرت الأطعمة ، وفى هذا شىء من بعد النظر بلا شك ، وهو ما يطابق المثل العربى الذى يقول : « أن ترد الماء بماء أكيس » .

قد يكون رأى « روسل » مقبولا لحد ما ، ولـكن هنالك فريقاً من الـكلاب يدفن أشياء غير قابلة للأكل مثل الحجارة ، أو قطع الأخشاب ، أو الملابس ، وهو يدفنها بنفس الاهتمام كما لو كانت ذات فائدة غذائية . وفى هذا المثل الأخير تتضح غريزة الروتين بصورة أوضح . ثم إن الـكلاب فى دفنها الأشياء من غذائية أو غير غذائية تختلف ، فتارة تلجأ إلى مكان بعيد وتختفى عن الأنظار ، وتارة تدفن ما تريد دفنه بمرأى ومسمع عن الناس بغض النظر عما إذا كان المدفون مما يؤكل أو مما لا يؤكل ! !

أسباب الغريزة ودوافعها :

إن للغريزة أسباباً داخلية وأخرى خارجية مؤثرة على الحيوان . ويقول « رابو » إن عمل الغريزة يتوقف على استمالات خارجية ومؤثرات حسية ، فأناث بعض الحيوانات حين تتهيأ للحبل وتكون فى حالة فسيولوجية قابلة له تبعث منها روائح خاصـة من شأنها جلب الذكور وإغرائها جنسياً ، وحاسة الشم عند تلك الحيوانات تلعب دوراً أهم من غيره فيما يتعلق بالناحية الجنسية ، والدليل على ذلك ما قام به « فابر » من تجارب . وضع « فابر » أنثى من أنواع الفراش هومايسمى بال Gasteropacha guercus وضعها داخل إناء مقفل الجوانب عدا نافذتين صغيرتين تسمحان للهواء بالمرور ووضع الإناء وما يحوى فى مكان منعزل ، فوجد بعد مضى ثلاثة أيام نحو ستين من ذكور الفراش تلتف حول الإناء لما ينبعث منه من روائح جلبت ذلك الجيش من الذكور ، ثم وضع بعد ذلك نفس الأنثى فى إناء من زجاج يشف عما بداخل الإناء ، ولـكنه محكم القفل لا يسمح بمرور الهواء ، ثم تركه فى مكان منعزل مدة ثلاثة أيام ، فلم ير غير اثنين من الذكور ، وقد أجرى العمليتين عدة مرات ، وكانت النتائج دائماً واحـدة . أما لدى بعض الحشرات مثل العنكبوت ، فإن حاسة السمع تلعب دوراً أهم من غيره من بقية الحواس ، إذ تعتمد عليها فى اصطياد الفريسة .

من هذا يحق لنا أن نقارن عمل الغريزة بظاهرة ال Tropisme وهى عبارة عن قوة طبيعية تؤثر على الكائن وتجذبه إليها فتكون إيجابية ، أو تصده عنها وتقصيه فتكون فى هذه الحالة سلبية مثل ذلك « الجذب الأرضى » ، إذ يكون إيجابياً فى النبات بالنسبة للأصول والعروق ، إذ هى تتجه نحو الأرض وتندفن فى جوفها ، وسلبياً بالنسبة للسيقان والجذوع والأوراق ، إذ تتجه اتجاهاً مضـاداً وتنفر عن جوف الأرض ، وكذلك ظاهرة « الجذب

الضوئى » تكون فى النبات عكس ما يحدث بالنسبة إلى ظاهرة الجذب الأرضى .

كذلك نشاهد مفعول تلك الظاهرة ، أى الـ topisme فى بعض أنواع الحشرات من ذوات الأجنحة النصفية تعيش على عصير النباتات واسمها Puceron ailé ، فإذا وضعتها فى مكان فهى تتجه دائماً نحو النور . وكذلك نوع من أنواع الذباب اسمه Drosophile تجذبها الروائح الأثيرية والحمضية المنبعثة من الفواكه المختمرة ، وهذا ما يسمونه بالجذب الكيمائى .

وقد حاول العالم الإنجليزى « لوب » تعليل مثل هذه الظاهرات ، ولكنه عللها تعليلاً ميكانيكياً خالياً من الإرادة ، بل ومن مظاهر الحياة ، وزعم بأن كل أنواع الـ Tropisme ما هى إلا إحدى مظاهر الجاذبية العامة خاضعة لها ، وهى كذلك أشبه بالجذب المغناطيسى .

لقيت آراء « لوب » شيئاً من الرواج حيناً ولكنها هوجمت وتبين خطأها . خذ مثلا حشرة العثة فهى تنجذب نحو النور ولكن حين يحين موعد البيض تبحث عن مكان مظلم لا يتطرق إليه بصيص من نور . والأمثال كثيرة فى هذا الصدد مما دعا الباحثين إلى أن يعتقدوا بأن عمل الـ Topisme ليس عملاً ميكانيكيا كما يظن «لوب» وأن الغريزة ليست إلا نوعاً منه كما كان يعتقد .

كذلك توجد عند الحيوانات غريزة التوجيه تعتمد فيها على الذاكرة وعلى حاسة البصر أكثر من سواها من الحواس ؛ فإذا فصلت النحل من خلاياه وباعدت بينه وبينها نحواً أكثر من أربعة كيلو مترات ثم أطلقت سراحه بعد ذلك فإنه يرجع بسهولة إلى خلاياه من غير ما يضل طريقه إليها ، كما تتفاوت درجة غريزة التوجيه لدى الحيوانات .

الغريزة والعقل :

رأينا مما تقدم أن الحيوانات حتى الدنيا منها مثل الحشرات كالنحل والزنبور والطيور تقوم بأعمال يظنها الإنسان لأول وهلة ناتجة عن عقل مفكر مدبر مما دعا إلى الخلط بين العقل والغريزة فى كثير من الأحيان . فبرجسون يقول إن العقل والغريزة ينشآن جنباً لجنب ويتشابهان فى كثير من الأحيان ويكمل بعضهما عمل البعض الآخر ولكنهما يختلفان فى كثير من الأوجه ، ويعتقد بأن الغريزة أميل إلى الآلية وإن كانت لا تخلو من مهارة وشىء من الإلهام .

فالغريزة تتوغل داخل الأشياء ، بينما العقل يطرقها من الخارج ويعلم ما يربطها ببعضها البعض ، فهو يتفكر ويحلل ولكنه مع ذلك يفتقر إلى موهبة فلسفية وفنية لفهم الحياة على وجهها الصحيح .

كذلك كان يظن « أسبنسر » « ودانتك » بأن الغريزة عبارة عن صفة فسيولوجية يرثها الفرد من النوع الذى ينتمى إليه ؛ ولكن المتفق عليه الآن هو أن الغرائز عبارة عن ميول سيكولوجية وفسيولوجية بعضها موروث وآخر مكتسب ، تولد ضعيفة مترددة ثم تتهذب وتنصقل بنمو الحيوان .

ولنذكر الآن بعض الغرائز عند الإنسان :

غريزة التملك :

وهى تظهر جلياً عند الطفل إذ يحاول أن يمتلك كل ما تمتد إليه يده أو يقع تحت بصره . وسبب ذلك تنازع البقاء وطلب الخلود ؛ وهذه الغريزة تشمل عدة غرائز أخرى مثل غريزة الصيد ؛ فإذا أتيحت للطفل الفرصة أن يقتحم عشاً للطيور أو قفصاً للدجاج فإنه يأسر صغارها ويستولى على بيضها ، كما يحلو له أن يتصيد الحشرات مثل الجراد والفراش وتبدو عليه سيماء الغبطة ؛ وقد يكون ذلك بدافع من غريزة التملك أو يكون ذلك نتيجة لبقايا وآثار وراثية كامنة فى نفسه وقتما كان الصيد ضرورة حيوية للانسان الأول يقتات منها .

غريزة الحروب :

كثيراً ما نشاهد الأطفال من مختلف الأجناس والبيئات مولعين بتنظيم صفوفهم فى هيئة جنود محاربة ، ويشنون الحرب بعضهم على بعض متسلحين بالطوب والحجارة أو العصى الرفيعة فى حرب هجومية قد يكون الدافع لها غريزة التملك إذا كان هنالك من الأشياء ما يتنازعون من أجله ويود كل فريق أن يكون له دون غيره ، أو بدافع حب السيطرة ، أو تكون حرباً دفاعية بحوافز من غريزة حب البقاء .

غير أن بعض السيكولوجيين يرى فى حروب الأطفال هذه عاملا جنسياً ؛ إذ أن الطفل يتهيأ بهذه الحروب الصغيرة إلى حرب

منارة الماضى :

الاســـكندرية
في عصورها الاسلامية

للأستاذ أحمد رمزى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

فهذه الاسكندرية التى يحاول البعض أن تطغى على عروبتها كليوبطرة والبطالمة والأغارقة ! هى كما نرى فى تاريخنا الحى الذى ننحدر من أصلابه : كانت موئل المجاهدين والمقاتلين والثاغرين الذين لم ترهبهم قوة الحدثان ، ولا أخافهم بأس العدو ولا هد من عزيمتهم توالى الخطوب .

ولذلك عاشـوا وفى قلوبهم — كما قلت — نخوة وحماسة ودفعة ، وفى أخلاقهم بأس المجاهدين والمرابطين ، وفى عروقهم دماء أولئك الأبطال ، الذين كانوا يقومون كل عام بالصائفة فى بلاد الروم ، ويحشدون الحشود إلى آسيا الصغرى وانطا كية وثغورها . فأين هم والأغارقة ؟ ! . ولماذا لا نسمى الأشياء بأسمائها ؟! .

ومن الغريب أن أسلافنا لم يغمطوا القدماء حقهم ! ! . فقد ذكر المقريزى فى خططه : « أن هذه المدينة من أعظم مدائن الدنيا وأقدمها وضعاً » . ونقل عن وصيف شاه : « أن العمارة كانت ممتدة من رمال رشيد إلى الاسكندرية ومنها إلى برقة . » فكيف يأتى فى عصرنا من يغمط حق أسلافنا ؟ ومع هذا فالعمران الذى كان سائداً فى القدم تولاه بعنايتهم المسلمون فى أيامهم ، فقد ذكر جغرافيو العرب[1] أن هذا العمران بقى وزاد بدليل ما جاء من وصف البلاد بين سخا والاسكندرية ، وما ذكروه عن الحمامات والمساجد والأسواق على الطريق ووصفهم زراعات الكتان ومعاصر زيت الفجل ، وما كانت عليه المدينة من رواج الصناعة

(١) ابن خرداذبة — راجع خطط المقريزى صفحة ٢٦٢ الجزء الأول

أكبر وهى حرب الغرامية بكرها وفرها ، بعنفها ولينها ، مع المرأة ، أو حرب دامية من أجل المرأة إذا ما حاول غيره أن يتملكها أو يغتصبها منه . غير أن هذا التأويل قد يكون بعيداً لا يخلو من المبالغة حتى أن « فرويد » نفسه الذى يعزو كثيراً من مظاهر سيكولوجية الإنسان إلى دوافع جنسية لا يرى فى غريزة الحروب عاملا جنسياً . ويقول فرويد : إن غريزة الحروب عند الأطفال ناشئة عن غريزة الاعتداء والميل إلى الخراب والتدمير .

الغريزة التناسلية :

كان الرأى السائد قديماً أنها تبدو عند سن المراهقة ، ولكن المسلم به الآن أنها تظهر عند الطفل وهو فى مهده رضيعاً كما يقول « فرويد » كما تدخل فى طور جديد عند ما يبلغ الطفل الخامسة من عمره ، ومن الخامسة إلى أن يبلغ سن المراهقة يسمونه « بالطور الكامن » تكون فيه الغريزة مكبوتة بدافع من الحياء وحب قواعد الأخلاق والعرف ، ثم بعد سن المراهقة بعامين أو ثلاثة يكون ميل الشاب أو الشابة أقرب إلى الحب الأفلاطونى والهوى العذرى البرىء منه إلى الحب المادى . والسبب فى ذلك أن الشاب فى مثل هذه السن يكون ميالا إلى المثالية « والرومانتزم » وتحلو له الأحلام وقد يهرب من لقاء المرأة مكتفياً بالطيف محتقراً — إلى حد ما — اللذات الجسدية . وقد عزا السيكولوجى « مندوس » هذه الظاهرة إلى حصانة من جانب الطبيعة ترمى إلى التريث حتى تنضج الأحياء الملقحة فتكون وقتئذ أقدر على أداء وظيفتها . وقد شرح « مندوس » هذه الظاهرة وغيرها فى كتابه الممتع « عقلية المراهق » .

والغريزة التناسلية كما يعلم الجميع ترمى إلى بقاء النوع . وكلما كان الكائن الحى من حيوان أو نبات ضعيفاً كان لزاماً عليه أن يكثر من النسل ؛ لأن أغلب ذراريه — لضعفها — عرضة للفناء على حد قول الشاعر العربى :

بغاث الطير أكثرها فراخا   وأم الصـقر مقلاة نذور

دكتور
فضل أبو بكر
عضو بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

والتجارة ، واحتكارها للتوابل وطرق النقل بين الشرق والغرب . . فأين هذا مما يدعون من الخراب والفوضى وحشر هذا دائماً مع العروبة والإسلام ؟ ! .

فإذا تركنا العصور الأولى ودخلنا العصور الوسطى كما يقولون: أرانى على حق إذا أشرت إلى ما جاء به الدكتور جمال الدين الشيال فى العصر المملوكى : من ذكره ما أدخل على نيابة الاسكندرية من محاسن ووصفه كيف كان يخرج نائبها بالموكب الرسمى من دار الإمارة . وقد عدت إلى صبح الأعشى (١) وقرأت ما كتب عنها وما ذكر من أنها نيابة جليلة ونائبها من الأمراء المقدّمين وهى تضاهى فى الرتبة نيابة طرابلس الشام ، وجاء فيه : « فإذا سار (النائب) إلى دار النيابة ... وضع الكرسى فى صدر الديوان منقشيٌ بالأطلس الأصفر ووضع عليه سيف بَنجاة سلطانية ومُدَّ السماط تحته » .

لقد أنصف قسم التاريخ — فى شخص الدكتور الشيال — الاسكندرية لأول مرة ، وأنصف فيها تاريخ مصر الإسلامى . وكم يكون عمله مستكملا لو كشف لنا أسماء النواب ابتداء من سنة ٧٦٧ هجرية أى فى الدولة الأشرفية شعبان إلى زوال الدولة المصرية بانتهاء حكم الغورى .

إنه ليسهل الحصول عليها فى نظرى ، فقد اطلعت فى عصر الملك الظاهر برقوق من حوادث يوم الاثنين رابع ذى الحجة سنة ٧٨٩ هجرية (ديسمبر ١٣٨٧ — يناير ١٣٨٨ ميلادية) : «خلع الملك الظاهر برقوق على الأمير زين الدين أمير حاج بن الأمير علاء الدين مُغُلْطَاى وولاه نيابة السلطنة بثغر الاسكندرية عوضاً عن الأمير بجمان المحمدى بحكم عزله . وفى يوم الجمعة ١٢ ذى الحجة توجه طُلُب الأمير زين الدين أمير حاج إلى ثغر الاسكندرية نائباً بها » (٢) .

وممن ولى نيابة الإسكندرية بزلار بن عبد الله العمرى المتوفى سنة ٧٩١ هجرية ترجم له القاضى زين الدين طاهر بن حبيب فقال عنه : « كان أميراً لطيف المقالة وافر الهمّة والشجاعة فى كل ملحمة شديد القوة فى اللعب بالسمهرى والحسام تصيب سهامه كل غرض يصوبها عليه » .

فهؤلاء رجال تولوا الحكم فى العهد الإسلامى ، وأعتقد أن أسماءهم جديرة بأن توضع على الطرق والشوارع ، بل هى أولى من الأسماء الأعجمية التى يواجهها كل من زار الثغر الإسكندرى ؟ فينظر أليها ويتأسف .

إننى واثق من أن جامعة فاروق ستكشف صفحات خالدة فى تاريخنا القومى للمدينة ، وتغير رأى الناس فينا .

أكتب هذا وأنتظر الشىء الكثير من معهد الاسكندرية الدينى وأؤمل أن يبعث رجاله وعلماؤه الحياة فى التراث الدينى للثغر الإسكندرى لكى نتعرف إلى أئمته وعلمائه وأوليائه : فنقرأ تراجمهم من جديد ونسعى لزيارة قبورهم ونبهر نا آثارهم وما خلفوه من ورائهم .

وإليك قطرة من بحر زاخر بالأحبة من السلف الصالح ، قطرة من أوائل القرون الأولى :

فى ١٧٧ هجرية توفى بالإسكندرية عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدنى صاحب أبى هريرة .

١٣٥ — « توفى أبو عقيل زهرة بن معبد التيمى بالإسكندرية عن سن عالية . قال الدارمى زعموا أنه كان من الأبدال روى عن أبى عمر وابن الزبير .

١٦٧ — « توفى أبو شريح عبد الرحمن بن شريح المعافرى بالإسكندرية روى عن أبى قبيل وطبقته وكان ذا عبادة وفضل ؛ قال السيوطى فى حسن المحاضرة ذكره ابن حيان فى الثقات .

١٨١ — « ومات بالإسكندرية يعقوب بن عبد الرحمن القارئ المدنى روى عن زيد بن أسلم وطبقته .

٢٨١ — « توفى العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المواز الإسكندرانى المالكى صاحب التصانيف أخذ عن أصبغ بن الفرج وعبد الله بن عبد الحكم وانتهت إليه رياسة المذهب وإليه كان المنتهى فى تفريع المسائل .

أين علماء الإسلام وحملة أنوار الشريعة المحمدية وأين قضاة الإسكندرية فى هذا الزمن ، بل أين أصحاب المذهب المالكى ؟ مالهم يخفون هذه الأنوار عنا وراء ظلال المهجمين على تاريخنا الخالد ؟

أقولها كلمة حق : يا قوم إن تسمة أعشار الإيمان قوة وصلابة وشجاعة : ولكم أسوة فى شيخ الإسلام ابن تيمية الذى نزل سجينا فى برج من أبراج مدينتكم وكان له شباكان أحدهما يطل على البحر والآخر على المدينة وتردد عليه أسلافكم من الأكابر

---

(١) ص ٦٣ الجزء ٤ (٢) ابن الفرات

والأعيان والفقهاء يقرؤون عليه ويستفيدون منه ، فهل هد الاعتقال من عزيمته ؟ وهل أنقصت الأيام وشدتها من حماسته وشجاعته ؟ كان قوة من قوى الإسلام الدافعة ، فليكن منكم فريق على سنته وإقدامه ....

أقول هذا وأمامي أسماء من تولوا القضاء بهذا الثغر في عصور الإسلام الزاهية ، أود لو يتسع المدى أمامي فأتكلم عن كل واحد منهم ، أحقق عصره وأخرج من كتب التراجم حياته وآثاره ؛ ولا أخص أشهرهم ولا أعلمهم ، وإنما بين يدى قضاة الملك الظاهر برقوق وبينهم القاضي جمال الدين الشهير بالحميدي الفقيه الحنفي تولى بعد القاضي همام الدين ، ولو شئت المزيد فارجع إلى ما تركه من آثار تجد أن ناحية القضاء الإسلامي ميدان لا يزال بكراً يطلب البحث والدرس والتقييد والإفاضة .

فإلى قضاة الثغر الوطنيين والشرعيين أوجه كلامي فني عنق كل منهم أمانة . وما القضاء الوطني إلا تكملة للقضاء الإسلامي وشعاع انبثق من أنوار ساطعة في فترة أربعة عشر قرناً من الزمن .

أما تاريخ الإسكندرية الحربي فهو صفحة من صفحات الخلود لم تكتب بعد . ولن أحدثكم عن عمل الإسكندريين في حروبهم وقتالهم ، وإنما أكتفي بأن أشير إلى بطولة امتازوا بها خلال القرون الماضية وهي حماية الحصون والقلاع ، وخدمة الأساطيل الإسلامية .

جاء في حوادث سنة ٢٦١ هجرية أن إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن الأغلب ولى إفريقية وحسنت سيرته فكانت القوافل والتجار تسير في الطرق وهي آمنة ، وبنى الحصون والمحارس على ساحل البحر حتى كانت توقد النار من مدينة سبتة إلى الإسكندرية فيصل الخبر منها الإسكندرية في ليلة أو أكثر وبينهما مسيرة أشهر

وجاء في حوادث سنة ٦٧١ : اهتمام الملك الظاهر بيبرس بأمر الشواني وكيف أمر بإعداد مائة منجنيق ونصبها على أسوار الإسكندرية .

وجاء ذكر أبطال من الرجال حذقوا رماية القوس من أهل الثغر واختصوا بحماية الأبراج ؛ فهؤلاء أتى بهم يوماً الظاهر برقوق واستعرضهم بالقاهرة تحت اسم رماة القوس بالرجل .

ولست أعرف مدينة من مدن البلاد العربية ضاعت آثارها الإسلامية وأزيلت أغلب معالمها مثل مدينة الإسكندرية .

وقد حاولت أن أجد لذلك مبرراً فلم أقدر : سوى تلك الرغبة التي نراها في عبادة المدنيات التي انقرضت ، واتهام المسلمين بأنهم قوم يسرع الخراب على أيديهم . فأسوار المدينة في العهد الإسلامي وأبراجها قد أزيلت ؛ وكانت بقايا باب رشيد لا تزال قائمة فإذا بمكانها يستعمل حديقة عامة ؛ ونحت شمار أن القبور لا تحوى أصحابها أزيلت معالم المدينة الإسلامية وقبور العلماء والأولياء والصالحين ، وكل ما يذكرنا بماضينا : حتى أسماء الأحياء والشوارع قد تغيرت باسم التجديد . فكأننا قد ولدنا اليوم ، وكأننا قد بعثنا وليس لنا ماض يذكر وتاريخ يعرف . ولولا عناية كريمة شملت قلعة السلطان قايتباى تستحق أن نحمد ونشكر ، لبقيت جدرانها مهدمة وزالت مع الزمن .

إن النهضة الصحيحة هي التي تستند على تاريخنا العربي وتذكرنا بأيامنا ومواقفنا ، وأعيد ما سبق لي أن كتبته يوماً ونشرته :

« إننا معاشر الأمم الإسلامية أصحاب مجد وتاريخ وصولة على هذا الكوكب الأرضي ، وهو تاريخ حافل بأيام العراك والكفاح والنصر والهزيمة ، وهو في قوته وبروزه وأثره لا يمكن أن يقارن به تاريخ أية أمة من أمم الأرض مهما علا كعبها في الحضارة » .

أحمد رمزي

كيف تقرأ كتاباً؟

للأستاذ إيليا حليم حنا

كيف أقرأ كتابا ؟!

نعم كيف تقرأ كتابا تنغمس فيه فيستغرقك ويستولى عليك فتعيش فى عالم كاتبه وتحيط نفسك بجوه ، تشعر بإحساساته وشعوره وخوالجه التى هى عصارة عقله وقلبه ، وتحلق بروحك وفكرك فى عالم علوى ساحر متجرداً عن الزمن والمكان وكل ما يدور فى محيطك المادى سائراً فى دروب التفكير العميق منسجماً مع الكاتب تحادثه وتناقشه بصوت عقلك . فى هذا العالم الفكرى المهيمن الأخاذ تستشف ما وراء الكلمات والسطور وترى غير ما يراه الناس وتحكم غير حكمهم وتحس إحساساً خاصاً بك وتصل إلى نتائج قد تكون مكملة لما قصد إليه الكاتب ، وهذه ناحية من نواحى الإبداع والتوليد لا تظهرها إلا الحمية الذهنية والتركيز الفكرى والاندماج فى جو الكاتب .

هذه هى القراءة التى أعنيها والتى توسع الفكر وتصقل الملكات وتغنى النفس وتظهر ما تنطوى عليه من قوى الخلق والابتكار الكامنة وتخلق من الفرد العادى شخصاً ممتازاً متفوقاً يمثل أرق طبقات الذهن البشرى .

والنقاط الآتية هى دستور القارىء الذى يرى فى القراءة نموه الفكرى وزاده النفسى ، ويسعى إليها يقضى فيها أهنأ أوقاته وأحبها إلى قلبه كلما أراد الاستزادة والاستلهام .

١ — لا تستفيد مما تقرأ إن لم يكن لك غرض من قراءتك ؛ فلا تدع الكتاب يكون لذة عابرة بل اخزن من ثروته وأضف جديداً إلى معلوماتك وحياتك .

٢ — يجب أن تقرن القراءة بالتفكير التمثيلى Assimilative Thinking الذى يرمى فيه القارىء إلى فهم ما يقرأ وحذقه وهضمه ولا يتأتى هذا إلا بالتجرد عن العالم الخارجى وحصر كل انتباهه وتفكيره وانطوائه على نفسه وهو يقرأ صامتاً .

٣ — اقرأ بسرعة متفاوتة ، فالعسير من الأفكار والآراء يحتاج إلى تأن حتى تنفذ إليه . والسهل اقرأه بأقصى سرعتك فى القراءة

٤ — إلى جانب الكتاب الذى تقرأه جهز كراسة تقيد فيها سوانحك الطارئة كما هى بغير تهذيب أو صقل حتى تفرغ من قراءة الكتاب ، فتعود إليها تصوغها صوغاً مناسباً . ولكن لا تدع هذه الخاطرة تفلت وتطير .

إذا أتتك فكرة تجلو غوامض موضوع سبق قراءته فبادر بكتابتها حتى لا تضيع فى ضباب الذاكرة المطبق لئلا تفر وينقطع أثرها .

٦ — إذا عرضت لك فكره وسلكت بك طريقا جديدة من التفكير فدع عقلك يسبح طليقاً مسجلاً تفكيرك حتى تفرغ منه ثم تعود إلى الكتاب .

٧ — اكتب ملاحظاتك واستنتاجاتك التى تعن لك على هامش الكتاب — إذا كان ملكك — وضع الخطوط تحت الأفكار والقطع التى ترغب فى تذكرها بصفة خاصة .

٨ — لاحظ كيف تسير النقاط الفرعية ومقدار انسجامها مع الغرض الرئيسى ثم سجل الفكرة الرئيسية فى كل جزء مما تقرأ وضع علامة استفهام أمام النقاط التى صعب عليك فهمها أو التى تريد أن تتوسع فيها واكتب ملخص الفكرة التى استخلصتها من الجزء الذى تقرأه وسجل كل ما يخطر ببالك من الأسئلة والأفكار .

سجل الآراء الجديدة التى هى نتاج تفكيرك وضع تحتها الحرف الأول من اسمك أو علامة تدل على أنها لك .

٩ لا تنتقل من فكرة إلى فكرة دون غاية ودون رابطة معقولة بين الأفكار حتى تشعر بلذة التفكير وتنساق مع الكتاب فى عالم فكرى جميل وقد حصرت كل انتباهك وتأملك دون أن تشعر .

١٠ — لا تأخذ كل ما تقرأ قضية مسلمة بل زن الآراء وانقدها نقداً بريئا ثم احكم على كل منها حكماً مجرداً عن الأهواء على ضوء معلوماتك السابقة واربط الماضى بالحديث فيتحول إلى فكرة جديدة مستقلة بعد أن تعمل فيها تفاعلاتك الذهنية وتجاربك . قف عند هذه الفكرة متسائلا (ماذا عسانا أن نستخلص منها لأنفسنا وللانسانية من فائدة عملية ؟) .

١١ — بعد الفراغ من قراءة الكتاب حاول فى اليوم التالى أن تكتب بإيجاز رأيك عنه وما يعن لك من آراء حرة فى

الموضوع وسيدهشك أنك تكتب عنه أكثر مما قرأت فيه ؛ وتنساب الأفكار على القرطاس سلسة طيعة لا التواء ولا صعوبة فى تسلسلها كأنك تنقل من صفحة أمامك بل أسهل ؛ ذلك لأن العقل الباطن يشتغل بالموضوع فى الوقت الذى يبدو لنا فيه أن عقلنا الظاهر فى دعة وخمول .

١٢ — إذا كان موضوع الكتاب قد أثار اهتمامك فاجعل هذا حافزاً للاستزادة من نفس الموضوع فى كتب أخرى .

١٣ — إذا كنت لا تعرف شيئاً عن الكتاب الذى تريد قراءته فاقرأه بسرعة لتكون لك فكرة إجمالية عنه ثم بعد ذلك انتقل إلى دراسة التفاصيل فيه إن أعجبك موضوعه .

١٤ — ليكن رائدك « اقرأ وفكر واعمل » فإن أجمل صيغ الحياة وأجلها وأنفعها هى التى يمتزج فيها نبل المثل الأعلى وجدوى العمل المحكم ، والعمل بغير ثقافة حركة بصيرة ، والثقافة بدون عمل بصيرة مشلولة .

الأبيض – سودان **إيليا حليم حنا**

دبلوم عال فى التربية — دبلوم صحافة

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

ومضات فكر من وحى الربيع :

قلت لنفسى وجحيم القيظ يلفح الوجوه فى يوم من أيام الأسبوع الماضى : أنحن حقاً فى الربيع ؟ ... أين هو الربيع الذى يفيض على الحياة من رقة أنسامه ، ويضفى على الأحياء من روعة أحلامه ، ويوحى إلى الأقلام من سحر معانيه ؟ !

الربيع فى لغة الفن بسمة ترف على الشفة ، وومضة تشع فى العين ، وفرحة تختلج فى الشعور ، وهمسة تحلق فى فجاج الروح ...

والربيع فى لغة الطبيعة زهرة تفوح بالأرج ، وطير يصدح على غصن ، وموجة تهدهد موجة ، ونسمة تداعب نسمة ، ونغم ينساب من خرير جدول ... فأين لغة الفن والطبيعة من لغة الواقع الذى نعيش فيه ؟ !

الربيع عندنا حلم من أحلام اليقظة يستغرق فيه الخاطر ولا تراه العيون ، وصفحة من كتاب الطبيعة نطالعها فى وجوم وحيرة ، ونطويها فى سكون وصمت .. ثم لا تثير بعد ذلك فى حنايا الضلوع عاطفة !

وقلت لنفسى : إن أدبنا لو خلا من الروح فهو مظلوم ... أين الطبيعة الوادعة التى يستطيع فى رحابها أن يتنفس ، وأين الآفاق الحانية التى يتهيأ له فى ظلها أن يعبر ، وأين الأجواء الطليقة التى تمده بينابيع الجمال ليتدفق ويفيض ؟ !

لا شىء فى أيدينا من هذه النعم التى اصطفى بها الله أرضاً دون أرض ، وخص بها سماء دون سماء ... وبشراً يموجون فى موكب الحياة دون بشر ! !

من صفاء الطبيعة يستمد الأدب إشراقة اللفظ ، ومن إشعاع الطبيعة يقبس الأدب حرارة العبارة ، ومن ألوان الطبيعة يرسم الأدب جوانب الصورة ، ومن توثب الطبيعة يحلق الأدب على أجنحة الفكر والخيال ... ولكننا محرومون من الربيع فى ريعانه ، ومحرومون من عيد الطبيعة فى إبانه ؛ ومن هنا عاشت نفوسنا فى حرمان من البهجة التى تفيض ولا تقطر ، وعاش أدبنا فى حرمان من الموهبة التى تبدع ولا تقلد ، وانتهى بنا المطاف إلى لون من الفن الكئيب الذى ينقل عن الطبيعة الواجمة كل معنى حزين ، وكل فكرة حيرى ، وكل مشهد قاتم ... هناك حيث تلق الحياة فى خمارها الأسود الذى يحيل البسمات إلى أنات !

أدبنا المصرى صورة من بيئتنا المادية ... فيه ما فيها من طابع الكآبة والخمول ، وفيه ما فيها من صبغة التكرار والجمود ، وفيه ما فيها من سمة المظهر البراق الذى يلوذ بالسطوح ولا يدرك الأعماق !

إنك تظلم الأديب فى مصر حين تدفع إليه بالقلم وهو محروم من مصادر الوحى ، وتظلم الفنان فى مصر حين تفرض عليه الإبداع وهو بعيد عن عناصر الخلق ، وتظلم هذه البقعة من الأرض حين تطالبها بإخراج العباقرة وهى خواء من منابع الإلهام ! !

أدبنا فى الخريف ، ونفوسنا فى الخريف ... وذنبنا أننا نتلقف أنسام الربيع من صفحات الكتب ومن أفواه الناس !

ردود قصيرة على رسائل القراء :

حقيبة البريد فى هذا الأسبوع عامرة بالرسائل ... بعضها شعر بعث به إلى أصحابه ليأخذ طريقه إلى صفحات « الرسالة » ، وبعضها الآخر أسئلة من القراء وتعقيبات .

أما الرسالة الأولى فمن الأديب الشاعر يوسف جبرا وبها قصيدة أسماها « صرخة » ؛ إنه يسألنى عن رأيى فى قصيدته قائلا : «وإن كان فيها خروج على أدب يحول دون نشرها فلماذا لا نحرق « الديكامرون » و « ألف ليلة » و «اعترافات جان جاك» ؟ ..

أود أن أجيب الشاعر الفاضل بأننى من الذين يدينون بالقول المأثور : « L'art pour L'art » الفن للفن . وقد كتبت فى هذا الموضوع مقالا فى « الرسالة » تحت عنوان « دفاع عن الأدب » تعرضت فيه لرأى الفيلسوف الإيطالى نبدتوكر وتشه فى أدب الاعترافات عامة وأدب جان جاك على الأخص . هذا من جهتى ، أما من جهة الأستاذ صاحب «الرسالة» فسأعرض القصيدة عليه ليرى فيها رأيه ... فى نطاق فكرتها الفنية لا فى نطاق روحها الشعرية ، لأنها ترضينى فى حدود هذا النطاق الأخير .

أما الرسالة الثانية فبها قصيدة أخرى للأديب الشاعر كيلانى حسن سند تحت عنوان « فى طريق الحياة » ... فى شعر الأديب الفاضل نفحات طيبة تنبىء عن موهبة ، وسأعرض قصيدته على الأستاذ الزيات مع قصيدتين أخريين إحداها تحت عنوان « ذكرى وربيع » للشاعر الإسكندرى أحمد محمود عرفة ، والأخرى تحت عنوان «إلى السودان يا أماه» للشاعر الدمنهورى عبد المطلب منجى .

وهذه رسالة خامسة من « كوستى — سودان » أشكر لمرسلها الفاضل (ع . م) ولعله الأديب الشاعر عبد الله موسى كريم تقديره ، وأجيبه بأننى فى انتظار رسالته الثانية لأرد عليه فى رسالة خاصة . ورسالة سادسة من « أم روابة — سودان » يعرض على فيها الأديب الفاضل محمد الحسن شاع الدين بالنيابة عن زملائه أعضاء نادى « أم روابة » الأدبى ، أن يوجه إلى الأعضاء بعض الأسئلة الأدبية فى كل أسبوع لأجيب عنها على صفحات « الرسالة » نظراً لخلو بلدهم من أديب «حجة» يرجعون إليه ...

إننى مع شكرى الخالص لهذه التحية الكريمة يؤسفنى جد الأسف ألا أستطيع تلبية هذه الرغبة النالية نظراً لضيق وقتى من جهة ، ولكثرة الموضوعات المحلية التى تحتاج إلى تعقيب من جهة أخرى ...

وفى الرسالة السابعة يسألنى الأديب الفاضل محمود أحمد سعيد بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعية بالاسكندرية عن بعض كتاب « الرسالة » القدماء ، ولماذا آثروا هجر رسالتهم فى خدمة الأدب والفن باختفائهم عن العيون والأسماع ... الحق يا أخى أننى أعجب معك لهذا الاختفاء الذى لا أعرف سبباً يبرره أو يدعو إليه !

وأنتقل إلى الرسالة الثامنة ... إن مرسلها الأديب الفاضل ع . ص العرابى من «ساحل سليم» يعقب على ما كتبته حول الصبى الأمريكى المقعد الذى أذاع نداء الحاجة إلى ذوى القلوب الرحيمة من إحدى دور الإذاعة الأمريكية بقوله : « إن هذا الصبى المقعد لو كان فى مصر لما سمح له بالوقوف أمام باب الإذاعة ، فما بالك بالوقوف أمام الميكروفون الذى أصبح وقفاً على المحاسيب والأذناب .. ومع ذلك يقولون إن الشرق شروق ونور وإن الغرب غروب وظلام » !

أما الرسالة التاسعة فمن « العدلية » ، يعبر فيها الأديب الفاضل مصطفى أحمد عثمان عن رغبته فى أن أفسح له طريقاً إلى صفحات « الرسالة » بعد استئذان عميدها فى عرض نتاج قلمه .. إن ردى بعد شكره على كلماته الأولى التى خصنى فيها بفيض من ثنائه ، هو أن « الرسالة » ترحب بكل إنتاج أدبى يتسم بالنضج والأصالة بصرف النظر عن الأسماء والألقاب !

وهذه هى الرسالة العاشرة والأخيرة يقول فيها مرسلها الأديب القاهرى الفاضل عمر اسماعيل منصور بعد كلام طويل عن الأستاذ سلامة موسى : « أناشدك الله يا سيدى ألا تكتفى بما كتبت عن هذا الرجل ... إننا نلح فى الرجاء بأن تنزع عنه هـذا الثوب الشفاف الذى يضلل به المخدوعين والجهلة وضعاف العقول » !

وأنا أقول للسيد عمر إن الأستاذ سلامة موسى أهون من أن أشغل نفسى به وأشغل معى القراء ، بعد أن كتبت عنه ما كتبت على صفحات « الرسالة » !

ولهؤلاء الأصدقاء جميعاً خالص الشكر وعاطر التحية .

حقوق الأدباء بين الرعاية والإهمال :

كتب الأستاذ توفيق الحكيم منذ أيام كلة فى « أخبار اليوم » أشاد فيها بتلك الروح المثالية التى تجلت فى موقف معالى وزير المعارف من الأستاذ الشاعر على محمود طه والدكتور طه حسين بك فقد أصدر الوزير أمراً بتعيين الشاعر وكيلا لدار الكتب المصرية ثم أفاض فى الثناء على الدكتور بمناسبة فوزه بجائزة من جوائز المغفور له الملك فؤاد ، وهى جائزة الأدب . أشاد الأستاذ الحكيم بتلك الروح النادرة لأن صاحبها قد تجرد من رداء الحزبية حين كرم الأدب فى شخص الكاتب والشاعر ، وكلاهما لا يمت بصلة من الصلات إلى حزب الوزير وميوله السياسية ... ثم انتهى الأستاذ الحكيم إلى أن هذه الظاهرة الكريمة إن دلت على شىء فإنما تدل على أن الأدب بخير ما دامت الدولة ترعى حقوق الأدباء

كتب الأستاذ الحكيم هذه الكلمة فى « أخبار اليوم » فانبرى الدكتور ابرهيم ناجى للرد عليه فى جريدة « صوت الأمة » بكلمة أخرى ذهب فيها إلى أن الأدب فى مصر ليس بخير كما يخيل للأستاذ توفيق الحكيم ؛ لأن الدولة إذا كانت قد رعت حق الكاتب الكبير والشاعر الكبير فما أكثر المهملين من الكتاب والشعراء ... أولئك الذين لم يحظوا من رعاية الدولة بنصيب ؟

إننى أعقب على الرأيين فأقول : إن بعض الأدباء فى مصر قد ظفروا برعاية الدولة وهم أهل لهذه الرعاية ، فليس لمعترض أن يعترض على ما رد إليهم من حقوق ... من هذا البعض الدكتور طه حسين والشاعر على محمود طه ! ولا أستطيع أن أختلف مع الدكتور ناجى فى أن هناك أدباء قد أغفلت جهودهم فى خدمة الأدب إغفالا لا يليق بدولة ناهضة أن تقدم عليه ... كما لا يستطيع الدكتور ناجى أن ينكر أن هناك أدباء قد نالوا من عطف الدولة أكثر مما يستحقون لأنهم أبواق ، ولا حاجة بى إلى الإفصاح فهم أغنياء عن التعريف !!

نخرج من هذا كله بأن الأدب فى مصر بخير بالنسبة إلى الفئة الأولى من الأدباء ، وليس بخير بالنسبة إلى الفئتين الأخريين وهذا هو التحديد الذى يجب أن يذكر عند التعرض لموقف الدولة من الأدب وأهله بوجه عام !

الفن والحياة بين أمس واليوم :

هذا عنوان كلة فى « الأهرام » تناولت فيها السيدة بنت الشاطئ بالعرض الطلى والتحليل النابض موقف الفن من الحياة بين الماضى الغابر والحاضر المشهود . ولقد كانت الكلمة من وحى مشاهدتها للحفل الرائع الذى أقيم لتكريم الأدب والعلم فى جامعة فؤاد الأول ، حين أقبل مندوب صاحب الجلالة الملك ليقدم الجوائز للمتفوقين الأعلام .

لقد كان رائعاً حقاً أن تجول الأديبة الفاضلة بفكرها بين الأمس واليوم ، لتقوم بموازنة طريفة بين موقف الفن من القصر وموقف القصر من الفن فى عهد القدامى والمحدثين ... يوم أن كان الشعراء يقفون بأبواب الملوك وقفة الذل والخضوع فى انتظار صلة قد يظفرون بها وقد لا يظفرون ، ولا بأس لديهم من ضيعة الكرامة الشخصية والعقلية فى غمرة القول الملفق والشعور المصنوع ... كما فعل ابن نباتة السعدى حين ورد على ابن العميد ، وكما فعل ابن هانئ الأندلسى حين طرق أبواب المعز ، وكما فعل أبو الطيب المتنبى حين أحسن الظن بتقدير كافور !

من عهد أولئك القدامى تنتقل السيدة بنت الشاطئ إلى عهد المحدثين بهذه الكلمات : « فأين هذا مما نرى اليوم ؟ اليوم تقدم جائزة الملك تقديراً للأدب وتكريماً للعلم ! ... ولمن تقدم ؟ للأديب والعالم ، لم يقفا بباب ، ولا امتهنا بسؤال ، وإنما عكفا على الدرس وشغلا به ! ... وعلى أى شىء تمنح ؟ على درس أدبى لم يرد فيه ذكر للملك صاحب الجائزة ، وعلى بحث علمى لا صلة له بالقصر ! ... وأين ؟ فى دار العلم ، يسعى بها من القصر العامر رسل كرام مختارون ، تقديراً للجامعة واعتزازاً بها ! ... وهكذا أصبحت أموال الملوك ترعى الفن والعلم وتبذل لرفع شأنهما ، وقد كانا — كلاهما — من قبل مسخرين فى خدمة كل ذى مال أو سلطان ! فهل انعكست الأوضاع ودارت الدنيا وتغير نظام الكون ؟ كلا ، لا شىء من ذاك ... فإن مشهد اليوم ومشهد الأمس ليسا سوى مظهرين اثنين ، لصلة الفن بالحياة » .

هذا كلام جميل ، وأجمل منه قول الأديبة الفاضلة : « ونحن (الأمناء) الذين اتخذنا الكرامة شعاراً وحاربنا الأدب الرخيص المرتزق ، نبارك هذا المظهر الكريم ، ونرى فيه طلائع النهضة التى طالما تمثلناها ، وبشرنا بها » !

أنور المعداوى

الأدب والفن فى أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تقدير الدولة للأدباء :

بدا فى الأسبوعين الأخيرين تقدير الدولة للأدب والأدباء فى أشخاص جماعة كريمة من رجال الأدب ، فقد ظفر الدكتور طه حسين بك بجائزة فؤاد الأول الأدبية لهذا العام ، وتفضل مندوب جلالة الملك فى الحفل الذى أقيم لذلك بالجامعة فصافح عميد الأدباء وسلمه الجائزة . وقد كان للعطف الملكى الكريم نحو الدكتور طه وقع حسن وأثر بليغ وخاصة فى نفوس الأدباء ، لما ينطوى عليه من التكريم والتقدير لعميدهم العظيم .

وانتخب أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات عضواً بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، ولم يكن من اللائق أن يظل الأستاذ بعيداً عن المجمع وقد ضم أقرانه من أعلام الأدب فى مصر ؛ وإن لانتخابه لمنى من التقدير الخالص ، فهو لا ينتمى إلى حزب يقدمه ولا شيعة تنصره .

وعين الأستاذ الشاعر على محمود طه وكيلا لدار الكتب المصرية ، وكان قد ترك خدمة الحكومة لملابسات اضطرته إلى الاستقالة ، ولكن معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف مسح على آثار تلك الملابسات فأعاد للشاعر حقه . وإن لمعاليه فضلا ملحوظاً فى ذلك رددته الصحف وتحدثت به المجالس ، إذ تمالى بهذا العمل وبتحيته السمحة للدكتور طه حسين فى احتفال الجامعة على كل اعتبار من الاعتبارات التى اعتدنا أن نرى رجال السياسة عندنا يضعونها موضع الاهتمام . ويضاف إلى ذلك عطف معاليه على الأستاذ محمد سعيد العريان ؛ إذ أحله المحل اللائق به فى الوزارة بعد أن تقاذفته الوظائف المختلفة على كره منه .

وإن الدولة ، إذ ترعى الأدب بمثل هذه العناية وذلك الروح إنما تقوى الحركة الأدبية فى الأمة وتنمى ثروتها الفكرية الخالدة وإذا كانت الدولة تهتم بتقوية الجيش وتعزيز أسلحته للدفاع عن حرية البلاد واستقلالها ، فإن أقلام الأدباء لها شأنها فى الدفاع المعنوى ضد كل الشرور والآفات إلى ما نضطلع به من رسم المثل وتحقيق الغايات البعيدة والقريبة .

فن الأدب فى الإذاعة :

لا أقصد هذه الأغانى الرخوة التى يشكو بعض الناس من إذاعتها على أبنائهم وبناتهم إذ يخشون بأسها على أخلاقهم ؛ ولا أقصد تلك الألحان المثيرة التى أذاعتها الإذاعة فاعترض عليها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وأقنع إدارة الإذاعة بأنها تنافى الحياء ، فاقتنعت . وكثيراً ما تخطئ الإذاعة ، وقليلا ما تهتم بإصلاح الخطأ ، ويكون هذا القليل من قبل ما لا قبل لها بدفعه .

ولندع هذا ، فما إليه قصدت ، إنما أقصد الأدب بالمعنى الفنى وما إليه من ألوان الفكر والثقافة . والأدب فى إذاعتنا المصرية قليل من زمان ، ولكنا نراه أخيراً يكاد يمحى فى برامجها ، وقد كانت تذيع سلسلة اسمها « أعلام الأدب العربى » وقد قطعتها منذ شهور . وحسناً فعلت ، فما كان هذا البرنامج إلا صفحات من مذكرات تاريخ أدب اللغة فى المدارس الثانوية ، ولست أدرى هل منعتها الإذاعة لتفاهتها وسخفها أو لغير ذلك ، ولكن هلا فكرت فى برنامج أدبى آخر؟ ويقولون إن فى الإذاعة قسما لسماع الإذاعات الأجنبية للاستفادة من برامجها ، فهلا استمع هذا القسم إلى الإذاعات العربية المختلفة التى تقدم ألواناً حية من الأدب العربى قديمه وحديثه؟ وفى العام الماضى قام مدير الإذاعة برحلة إلى عواصم أوربا لزيارة دور الإذاعة فيها والاطلاع على برامجها ... أفلا قام بزيارة لدور الإذاعة العربية ليرى كيف تنتفع بالكفايات الأدبية وخاصة المصرية ؟ وقد زار فيما زار دار الإذاعة البريطانية ، فهل عرج على القسم الأدبى فيها ورأى الجهود المصرية الأدبية فيه ؟ .

ومما كانت تقدمه الإذاعة من ألوان الأدب وأمسكت عنه التعريف بكتب الأدب العربى القديمة ، وكان يقوم بذلك الأستاذ على أدهم على خير وجه ، ويعلم علام الغيوب لم منعت الإذاعة هذا البرنامج ، وتقول هى فى مجلتها إنها تهتم بالأحاديث التى تعالج الشؤون الحيوية والمسائل العامة ، ولنفرض أن المستمعين جميعاً

أغلقوا أذهانهم وأذواقهم دون الغذاء الأدبي والفكري وأصبحوا لا تعنيهم إلا المنافع المادية القريبة ، فماذا تقدم لهم الإذاعة؟ نظرة واحدة إلى البرنامج — ولا أجشمك الإصغاء إليه — ترى منها أن أكثر الموضوعات لا فائدة منها ، فهذا «أهم حوادث الأسبوع» يتلو عليك ما نشرته الصحف من أيام ، وكذلك البرلمان في أسبوع ، وهذه أحاديث يلقيها كبار الموظفين كالنشرات التي تصدرها المصالح بالإحصاءات وما تم من الأعمال وما أدرج في مشروع الميزانية إلى غير ذلك من الهذر الذي لا فائدة منه إلا بإقفال أجهزة الإذاعة فيخف الضغط على تيار الكهربا ويقل الاستهلاك ...

الليل لنا :

هو الفلم الذي عرض أخيراً بسينما استديو مصر ، ألفه يوسف جوهر ، وأخرجه ومثل دور البطل الأول فيه محمود ذو الفقار ، واشترك في التمثيل سليمان بك نجيب والمطربة صباح . يبدأ عرض الفلم فإذا حشد من الحوادث المختلطة المزدحمة يؤدي إلى نشوء حب بين نوال (صباح) المغنية بفرقة الكواكب وبين طبيب شاب (محمود ذو الفقار) من أبناء الباشوات ، ينتهي هذا الحب إلى الزواج . ولا بد أن نجتاز كل هذه الحوادث الكثيرة حتى تصل إلى نبضة القصة أو فكرتها ، عند ما تلجأ نوال إلى شقة رسام شاب هرباً من الشرطي الذي اشتبه فيها فظنها من بنات الليل ، وكانت في أثناء ذلك لا تزال تعمل بفرقة الكواكب ولم تتزوج بعد من الطبيب ؛ يستقبلها عباس (الرسام) في شقته ويعرض عليها الشراب فتأبى ، فيستشعر نبل الفنان ويرفق بها ، ثم يسرف في الشراب ويأخذه النوم ، ثم يصحو فيجدها نائمة على مقعدها فيتأمل جمالها ويغطيها بمعطفه ويعود إلى النوم ، ثم تصحو هي فتجده نائماً على مقعده فتغطيه بالمعطف ، وتتسلل خارجة بعد أن اطمأنت إلى ذهاب الشرطي من أمام المنزل . ويتهم بعد ذلك الرسام بقتل عمه لخلاف بينهما ، وقد وقعت جريمة القتل في الليلة التي كانت نوال بشقته فيها ، وفي الوقت الذي كانا فيه معاً ؛ وعند محاكمته يطلب شهادة نوال وكانت قد تزوجت من الدكتور وحيد (الطبيب ابن الباشا) ويصل علم ذلك إلى زوجها وأبيه ، فيعمل الباشا (سليمان نجيب) على إبعادها عن الشهادة خشية

كشكول الأسبوع

◻ انتخب الأستاذان أحمد حسن الزيات وابراهيم مصطفى عضوين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية مكان المرحومين الجميل باشا والجارم بك . وكان بين المرشحين الأستاذ محمد توفيق دياب بك والدكتور بشر فارس ، وقد أرسل كل منهما برقية تهنئة للأستاذ الزيات .

◻ بالمجمع الآن كرسيان شاغران ، خلا أولهما بوفاة الدكتور محمد شرف بك ، والثاني بوفاة المستشرق فيشر ، وقد تلقى المجمع من زوجته رداً يتضمن الشكر على تعزية المجمع لها ، وبناء على هذا الرد أعلن المجمع خلو المكان .

◻ تألفت في لبنان لجنة لتكريم الشاعر اللبناني الكبير بولس سلامة لمناسبة منحه وسام الاستحقاق الإيراني . وستقام حفلة التكريم ببيروت في ٢٢ مايو الحالي . وقد وجه الأستاذ رشيد يوسف بيضون نائب بيروت ، الدعوة إلى الأدباء المعروفين في العالم العربي للاشتراك في الحفلة بكلمات تلقى فيها أو تنشر في كتاب يضم كل ما يتعلق بتكريم الشاعر .

◻ يقول الأستاذ توفيق الحكيم إنه لما كان نائباً في الأرياف كان أحياناً يركب الحمار في بعض الطرق الزراعية ، فلاحظ أنه — أي الحمار — كثيراً ما يترك الطريق الممهد الواضح ويعرج يميناً أو يلتوي شمالا ، ثم يقول الأستاذ : إن الحمار فيلسوف ، لأنه يترك الحقائق الواضحة ويعنى نفسه بالبحث هنا وهناك .

◻ تقدم الإذاعة سلسلة تمثيليات بعنوان « عيسى بن هشام » مأخوذة من كتاب « عيسى بن هشام » للمرحوم محمد بك المويلحي ، وقد رأي شقيق المؤلف خليل بك المويلحي أن هذه الإذاعات مسخ للصور الأدبية في الكتاب ، ومن ذلك أن الإذاعة تجعل الباشا بطل « عيسى بن هشام » يقول لامرأة في الترام : (يا حلبوحه) إلى غير ذلك . فأقام دعوى يطالب فيها بتعويض ألف جنيه . وقد حدد لنظرها يوم ١٣ يونيه أمام قاضي التحضير بمحكمة مصر الكلية.

◻ وكذلك أقام الأستاذ محمد الأسمر دعوى ضد الإذاعة ، لأنها لم تدفع إليه أجر أغنية « فرحة الشرق » وتكملة قصيدة « سلوا قلبي » وهو يطلب لذلك تعويضاً خمسمائة جنيه . وقد حدد يوم ٣٠ مايو الحالي لنظر هذه القضية أمام قاضي التحضير بمحكمة مصر .

◻ أسهل طريقة للحصول على لقب دكتور مثلا أو (بك) مثلا أيضاً — أن تلقى محاضرة في نادي رابطة الأدباء .

◻ أنشأت إدارة الإذاعة مدرسة لتربية الأصوات ، فإذا كان الناس لا يطيقون أصوات من تختارهم الإذاعة ، فما بالك بمن تربي أصواتهم ؟

◻ من المناقشات اللغوية التي تدور رحاها على الصفحة الثالثة من « الأهرام » الخلاف على « أسف له » فواحد يخطئه وآخر يجيزه ، وهو شيء يؤسف له ...

◻ وافق مجلس الوزراء على اعتماد ثلاثين ألف جنيه للمساهمة في إنتاج فلم محمد علي الكبير الذي يقوم بإعداده ستوديو مصر .

تلويث سمعته وتمانى هى صراعاً هائلا بين واجبين : المحافظة على كرامة أسرة الزوج ، وإنقاذ الشاب البرىء من الإعدام وليس له دليل على البراءة غير شهادتها ، وتبدع صباح فى تمثيل هذا الموقف وتصب حيرتها فى أغنية رائعة . وأخيراً تذهب إلى المحكمة وتشهد بأنها كانت مع المتهم فى شقته وقت وقوع حادث القتل ، وتم ذلك فى موقف أجاد المخرج تهيئته بحيث لم يغضب الباشا الذى كان يعارض فى شهادة زوج ابنه أشد المعارضة .

هـذا الجزء الذى ذكرته من وقائع الفلم هو أقوم ما فيه ، ولـكنه لم يأخذ حقه من العرض والإبراز ، بل راح ضحية الزحمة والاختلاط فى حوادث القصة وضحية تلك الفواصل الطويلة من الرقص والغناء ، والغناء خاصة فى غير موقعه ؛ ولم أفهم الحكمة فى عرض منظر الرقص الزنجى الذى كانت تغنى فيه نوال وهى مطلية بالسواد فى شكل قبيح أمام حبيبها الدكتور وحيد الذى جاء يشاهدها فى فرقة الـكواكب بعد أن عرف أنها ممثلة ، وتسميها حوادث الفلم ممثلة مع أنها لم تمثل شيئاً إنما كانت تغنى فقط ، هل أريد بذلك أن يراها الدكتور على هـذا القبح فيزداد شغفه بها ؟ !

وفى منظر واحد يبدو على مسرح فرقة الـكواكب أبو الهول والأهرام فى وسط أشجار وأزهار .. وغناء لبنانى ورقص مصرى بلدى ! والقدرة التى تجمع بين كل ذلك فى مكان واحد هى التى تجمع فى طبق واحد بين السمك واللبن والتمرهندى ...

وعند ما تلتقى نوال وصاحبتها الراقصة بالدكتور وحيد لأول مرة ، وتزعمان أنهما مدرستان ، تنفرج فلقتا ثوب الراقصة عن بطنها العـارى فى زى الرقص ، فيلاحظ الدكتور ذلك ، وأنه لا يتفق مع ادعائهما أنهما مدرستان ، فتقولان إنهما كانتا فى حفلة مدرسية ... فأى حفلة مدرسية ترقص فيها المدرسات عاريات البطون ؟ !

وأظن أن حكاية ابن الباشا الذى يحب البنت الفقيرة (الخفة) قد أكلت عليها الأفلام المصرية وشربت حتى شبعت وارتوت ، ومن المؤسف أنها تلف فى هذا الفلم الجزء المدعم القيم ؛ ومن عيوب الأفلام المصرية أن بعضها يحاكى بعضاً ، ثم تتكرر المحاكاة حتى تمل ، ثم تسخف !

أما اسم الفلم (الليل لنا) ، فهو كلمة من أغنية غنتها المغنية فى فرقة الـكواكب بالليـل ... ولست أدرى إذا كانت المغنية غنت بالنهار — هل كان يسمى الفلم « النهار لنا » ؟ !

دفاع شاعر عن الربيع :

يقول صديقى الشاعر الأستاذ إبراهيم محمد نجا : أنت تقول يا صديقى إن الربيع لا وجود له فى الطبيعة المصرية ، والربيع موجود أمام ناظرى الآن وأنا أكتب لك هذه الـكلمات ... موجود فى الحديقة التى أشرف عليها من نافذتى ، موجود فى أزهارها المختلفة الأشكال والألوان ، هذه التى كانت فى فصل الشـتاء سراً فى باطن الأرض ، حتى جاء الربيع فـكشف السر وأزاح الستار ! وقد أعجبنى قوله : أما اضطراب الجو فى بعض أيام الربيع فذلك شىء لا يؤثر على الشعر والشعور ، لأن القصيدة هى وليدة حالة نفسية فى لحظة زمنية تمتلئ فيها النفس بالمشاعر وتمتلئ فيها الذهن بالتأملات .

وهو دفاع صادق من شاعر إزاء هجوم رآه موجهاً ، ضمناً ، إلى ما قال من الشعر فى الربيع ، وللأستاذ نجا قصيدة فى العدد المـاضى من « الرسالة » عنوانها « ربيع وربيع » وقد عدل فى خلالها عن الحديث فى ربيع الطبيعة إلى ربيع القلوب والأمانى ، وأنا أوافقه على هذا النحو فهو حقيقة شعورية ظاهرة ، أما ربيع الطبيعة فى مصر فأنا لا أزال أسأل : أين هو؟ وقد وصل إلى كتاب الأستاذ فى يوم شديد القيظ وهو اليوم التالى لـكتابته ! فإن كان ينعم بالربيع فى الاسكندرية ، حيث هو ، فإنا فى القـاهرة لا نجد ربيعاً ننعم به ، وقد نالنى الربيع المزعوم بالقذى فى عينى فحجب وجه « الأدب والفن » فى الأسبوع الماضى ... وإذا كانت الاسكندرية تنعم بالربيع فربيعها إذن يتصـل بربيع آخر ، هو الصيف على شاطئ البحر ، كما يقول الأستاذ فى رسالته ، ربيع آخر أزهاره السابحات الفاتنات !

وقلت فى كلمتى السـابقة : إن الفصل الممتع عندنا حقا هو فصل الخريف ، وقد قال البحترى :

ولیالی الخریف خضر ولـكن ... شغلتنا عنها ليـالى الربيع

وكان البحـترى يعيش فى بلاد ذات ربيع جميل ، ولذلك شغلته ليالى الربيع ، أما نحن فـما لنا — ما عدا الأستاذ نجا فى الاسكندرية — غير ليالى الخريف .

عباس خضر



العمل الأدبي :

عرف الأستاذ أحمد أحمد بدوى العمل الأدبي فى مقاله بالرسالة الغراء أنه « التعبير عن تجربة للأديب ، بألفاظ موحية » وقد لفت هذا التعريف نظرى إلى ما عرف به الأستاذ سيد قطب العمل الأدبي فى كتابه « النقد الأدبي . أصوله ومناهجه » أنه « التعبير عن تجربة شعورية فى صورة موحية » ..ولعل التعريف الثانى أعم وأوحى .. واستشهد الأستاذ بأبيات لقتيلة بنت الحارث وهى تعاتب الرسول ... الخ . بأبياتها البليغة ... وأن الرسول (صلعم) بكى .

فأذكر هنا أيضاً أن المرحوم الأستاذ الكبير النشاشيبى قد تعرض إلى هذه الأبيات « فى إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب » فى الرسالة الزهراء العدد ٦٤٥ السنة الثالثة عشر — بنقله عن السيرة لابن هشام — تعرضاً أثبت اختلاقها . وقال المرحوم فى تعليقه على النقل : « إن الذى قيل هو من الأباطيل ، فما عملت قتيلة فى أخيها شعراً ، ولم يقل النبى ما عزى إليه ، وما كان النضر المحتشد المجتهد فى هدم ذاك البناء الإسلامى الإنسانى العربى حقيقاً بأن يمن ذلك البانى عليه » ولولا أن الخبرين نشرا فى الرسالة الزهراء ، ما كتبت هذه الكلمة ، وذكر ... وجاء أيضاً فى الاستشهاد بقول الشاعر « وهو حمدونة الأندلسية » « نزلنا دوحه لحنا عليه » والصواب « لحنا علينا » حتى يستقيم المعنى ويجمل ؛ أبقى الله الرسالة سجلا للحق والأدب الرفيع .

صبرى حسن علوان

١ — الأشقياء :

قرأت حديثاً فى الصحف : أن الحكومة توالى البحث عن هؤلاء الأشقياء . والكتاب يريدون المجرمين والقتلة واللصوص . ويستعملون كلمة الشقى بمعنى المجرم أو الجانى . والصحيح الذى تؤيده المعاجم : أن الشقى ذو الشقاء . والشقا ، والشقاء ، والشقوة ، والشقاوة : البؤس والشدة ونقيض السعادة .

فالصواب أن يقال : توالى الحكومة البحث عن الجناة والمجرمين .

٢ — الكساء :

نقرأ كثيراً ، أن كثيراً من الوزارات قد أقيلت : لأنها لم تهيىء للشعوب الغذاء والكساء . وهذا تعبير خاطىء ؛ لأن الكتاب يستعملون الكساء بالمد : لمطلق الملبوس .

والحق الذى تؤيده النصوص أن الكساء : ثوب بعينه . وهو نحو العباءة من الصوف . قال الشاعر :

جزاك الله خيراً من كساء فقد أدفأتنى فى ذا الشتاء
فأمك نعجة وأبوك كبش وأنت الصوف من غزل النساء

والصواب : أن يقولوا : « الكسا » بالقصر مع ضم الكاف جمع كسوة بكسر الكاف وضمها . وهو كل ما يكتسى .

عبد السميع على محمود
المدرس بمعلمات أسيوط

رجعة إلى القلم الصنع :

قلت فى عدد سابق معقباً أن ال (قلم صناع) خطأ و أن الصواب (قلم صنع) لاصناع ؛ إذ الصنع وصف للمذكر ، والصناع للمؤنث . غير أن هذا القول لم يرض الأستاذ العجمى وأصر على صواب ال (قلم صناع) مستدلاً بهذه العبارة فى القاموس (رجل صناع اليدين ، وصناعهما) .

والحق أن (القلم صناع) خطأ ، والعبارة القاموسية لا تنهض دليلا على الجواز ، لأن (اليد) مؤنثة (والقلم) مذكر . فقول القاموس (صناع اليدين) وصف مضاف للفاعل المؤنث فلا تُقِس القلم المذكر على اليد المؤنثة . وإليك ما فى لسان العرب نصل الصاد حرف العين قال : (رجل صنع اليد وصناع اليد وامرأة صناع اليد .. والذى اختاره ثعلب رجل صنع اليد وامرأة صناع اليد .. ورجل صنع اللسان ولسان صنع) .

وفى هذا الكفاية ؛ لمن يريد الهداية .

(المنصورة) اسماعيل أبو ضيف

الضبع يذكر ويؤنث:

قرأت كلمة فى مجلة الرسالة الغراء تحت عنوان « الضبع مؤنثة » أنكر فيها كاتبها تذكير الضبع ، وهذا ليس بصحيح ؛ فقد جاء فى المصباح ومعيار اللغة : الضبع بضم الباء فى لغة قيس وبسكونها فى لغة تميم ، وهى أنثى ، وقيل تقع على الذكر والأنثى ، وربما قيل فى الأنثى ضبعة بالهاء كما قيل فى سبع وسبعة والذكر ضبعان بكسر الضاد كسرحان ، والأنثى منه ضبعانة اهـ

وجاء فى حياة الحيوان للدميرى وعن ابن الأنبارى أن الضبع يطلق على الذكر والأنثى ، وكذلك حكاه ابن هشام الخضراوى فى كتاب الافصاح فى فوائد الإيضاح للفارسى عن أبى العباس (المبرد) وغيره اهـ

على حسن هلال

المجمع اللغوى

١ — وقعة صفين :

قال الدكتور جواد على فى الرسالة : (وقد ألف غير واحد من المؤرخين فى وقعة صفين) ، وسرد طائفة منهم ، وفى (تاريخ الإسلام للذهبى) الذى يطبع فى القاهرة أن ممن ألف فى هذا الموضوع يحيى الجعفى ، حيث نقل عنه .

٢ — راقنى ذلك :

ويقول الأستاذ عبد الستار أحمد فراج فى عدد « الرسالة ٨٠٧ » : (واقتبسوا من لغاتهم ما راق لهم) . والصواب : (ما راقهم) .

عبد الله معروف

إعلان عن جوائز فاروق الأول سنة ١٩٥٠

تعلن وزارة المعارف العمومية أن الموضوعات التى سيمنح المصريون عن الانتاج فيها جوائز فاروق الأول لسنة ١٩٥٠ هى :

١ — علوم الحياة ، ويدخل فيها بنوع خاص النبات والحيوان والفسيولوجيا والطفيليات والتشريح البشرى والحيوانى والطب وفروعه والأحياء المائية .

٢ — أ — العلوم الكيميائية ، مثل الكيمياء العضوية ، وغير العضوية ، والكيمياء الحيوية ، والتغذية .

ب — العلوم الجيولوجية ، مثل الجيولوجية ، وعلم الطبيعيات الأرضية (الجيوفيزيقا) والتعدين .

٣ — العلوم الاجتماعية :

أ — علم الاجتماع ، وعلم التربية ، وما يتصل بذلك من العلوم .

ب — الفلسفة وعلم النفس وما يتصل بذلك من العلوم .

ج — التاريخ .

د — الجغرافيا .

هـ — الآثار .

ويشترط فى الانتاج الذى يقدم لنيل الجوائز :

١ — أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والانتاج القومى ، وتقدم العلوم .

٢ — أن يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الإعلان .

٣ — أن يكون باللغة العربية الفصحى .

ويرسل الانتاج من أربع نسخ إلى الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف فى موعد غايته ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٩ . ولا تسترد النسخ المرسلة فى أية حالة .

وقيمة كل جائزة من الجوائز الثلاث ١٠٠٠ جنيه ، وسيكون موعد منح هذه الجوائز يوم ١١ فبراير سنة ١٩٥٠ . لمناسبة عيد الميلاد الملكى السعيد .

وزير المعارف العمومية

على أيوب

١٧٨٤



قصة مصرية :

« من وراء الأبد »

للأستـــــاذ أنور المعداوى

(إلى الذين يفهمون القصة على خير ما تفهم القصة على أنها لوحة نفسية ، وظلال إنسانية ، وفكرة من أعماق الحياة) .

يا صديقى العزيز :

تسألنى عن هذا السر الذى أثار فضول الناس ، سر زواجى الذى لم يدم ؟.. ولم لا تقول إنه أثار فضولك أيضاً فكتبت إلى تسألنى !؟ ومع ذلك فسأكشف لك عن سرى الذى أصبح ذكرى ... كل ما أرجوه منك أن تحتفظ بهذه الذكرى الغالية كما احتفظت بنيرها من ذكريات شبابنا . فلا تدعها إذن تترك مكانها من قلبك ، حسبها أنها تركت مكانها من قلبى ... لتقص عليك وحدك قصة الحرمان !

أتذكر يوم كنت تصفنى بأننى إنسان أضاع عمره محلقاً على أجنحة الخيال يرتاد عوالم مجهولة ، ويطرق آفاقاً لم يطرقها مخلوق على أرض البشر ؟! . أنا معك يا صديقى فى أننى كنت وما أزال ذلك الإنسان الذى يقف على الأرض كما يقف غيره من الناس ، ومع ذلك فهو يمد يديه إلى السماء ليلتقط النجوم !.. لقد كنت أعيش فى دنياى الخاصة وكنت تعيش فى دنياك ، وعلى الرغم من هذا التناقض فقد التقينا حول مائدة العلم فى الجامعة ، لقاء شب من لحظاته الأولى بين أحضان الصداقة ... وكانت صداقة بريئة حلوة ، لم يعكر صفوها بعد الشقة بين طبعى وطبعك ، وبين مزاجى ومزاجك . أنت فى أعماق الواقع وأنا فى أعماق الخيال ... ومع ذلك فقد التقينا فى الجامعة ، وتركناها ذات يوم إلى الحيـاة ، وظللنا كما كنا صديقين !

وفرقت بيننا بعد ذلك الأيام . بقيت أنا فى القاهرة وذهبت أنت إلى أطراف الجنوب ... واختلف طريقى وطريقك ألم نكن دائماً فى نظرتنا إلى الحياة مختلفين ؟! لقد فضلت العمل فى وظائف الحكومة وآثرت العمل الحر ... أتذكر يوم خطر لى أن أفتح محلا لبيع الزهور فى حى الزمالك ؟ إنك رميتنى بما كنت ترمينى به دائماً يوم كنا فى الجامعة ... بالنزق والطيش والجرى وراء الخيال ! لقد كنت تقول لى بلهجتك الساخرة الحبيبة : زهور ؟ يالك من شاعر ! ماذا تجنى من وراء الزهور يا حليف الخيال ؟.. ستذبل زهورك يوماً ما ، وستمشى وحدك فى جنازة العطر !! ومضيت فى طريقى لا أكاد أصغى إلى سخرياتك . فتحت المحل ، وربحت الكثير من المال ، وانتصرت بسلاح الخيال فى أول معركة خضت غمارها ضد الخيال !..ومع ذلك فإن كلماتك لا تزال ترن فى أذنى رنينها بالأمس ، ترى أكنت تقرأ صفحة الغيب سطوراً خطتها لى وحدى يد الزمن ؟ أم أنك يوم أطلقت جملتك تلك الساخرة كنت تنفذ بوعيك الباطن إلى ما وراء المجهول ؟!.. لقد ذبلت زهورى يا صديقى ، ومشيت وحدى فى جنازة العطر ، والأمل، والدنيا التى ذهبت إلى غير ميعاد!

أتذكر يوم كنت ترغبنى فى الزواج وتقود أفكارى إلى حواء ؟ لقد كنت ألقاك دائماً بجواب واحد هو أننى لم أجدها ! إن الذين يعيشون فى دنيا الواقع ترضيهم نفحات من الجمال المادى المشدود بالأرض ، أما أنا فكنت أبحث عن جمال آخر ... جمال تربطه بالسماء خيوط إلهية غير منظورة ! إن جمال الروح يا صديقى هو الذى كنت أبحث عنه ، وحين يئست من وجوده على أرض البشر رحت أنشده فى سماء الوهم ! لقد كنت ألتمس فى الزهور شيئاً من العزاء ... رائحتها ، نضارتها ، ألوانها البهيجة ... أليس فى هذا كله بعض ما كنت أنشد من جمال الروح ؟ هل تصدق أن هذا الخاطر هو الذى حملنى على أن أفتح محلا لبيع الزهور أنسقه بذوق الشاعر وخيال الفنان ؟ ! ... بالله لا تدع الابتسامة ترف على شفتيك ، فقد تستحيل فى عينيك دموعاً ! !

لعلك تستحثنى على أن أبدأ القصة ، فاستمع إذن لقصتى :

كان أول لقـاء بينى وبينها ذات صباح ، حين هبطت من عربة التاكسى ودلفت إلى المحل تطلب باقة من الزهور ... ولأول مرة رأيتنى أترك مكانى ، وأسبق أحد عمالى إلى لقائها ، وأقدم لها بنفسى باقة من زهور البنفسج غلفتها — كما طلبت — بزهور البانسيه ، ونظرت إلى الفتاة نظرة امتنان ، وتمتمت ببضع كلمات شكر ... وخرجت !

كان مظهرها ينم عن حزن عميق ، تجلى واضحاً فى قسمات الوجه ونبرات الصوت ... وخيل إلى أن هناك عزيزاً قد فقدته ، وأن تلك الزهور قد أعدت لتوضع فوق القبر الذى لف أحلام شبابها بغلاف من الصمت الأبدى الرهيب ، هناك حيث تقفز من كوى الفناء أشباح وطيوف ! أما جمالها فكان فريداً فى نوعه ... لم يكن جمالا صارخاً يهز العيون حين تنظر إليه ، ولكنه كان جمالاً هادئاً ، معبراً ، يهز مسارب الروح والعاطفة ... كان أشبه بقطعة موسيقية حزينة يهتز لإيقاعها الفكر الحائر والشعور الملتاع ! ... أما عيناها ، فقد كان فيهما أكثر من معنى مبهم ، لقد كان فيهما يا صديقى آثار رحلة طويلة إلى عالم مجهول ... وفى هذا اللقاء الأول رثيت للجمال يتشح فى الربيع بوشاح الأسى والشجن ! وتكرر بعد ذلك لقاؤنا فى موعد لا يتغير ... فى الساعة العاشرة من صباح كل ثلاثاء ، حين تهبط من عربة التاكسى ، تلك الزائرة الحزينة لتطلب كعادتها باقة من زهور البنفسج أغلفها كعادتى بزهور البانسيه ! وعلى مر الأيام نشأ بيننا نوع من الود البرىء تحول معه الرثاء فى قلبى إلى حب عميق ... وجاء على يوم شعرت فيه بأن أحلامى الحيرى فى خضم الحياة ، تلك التى ضلت طريقها فى متاهات الخيال السابح وراء الوهم قد وجدت ملاذها هنا ... فى هذا الوجه النبيل الذى شمت منه فى روحى ومضات الأمل ! !

سألت عن أسرتها فعلمت أنها من أكرم الأسر ، وسألت عن قصتها فعلمت أن خطيبها الشاب قد ودع الحياة منذ شهور ، وأن هذا الأسى الدفين هو كل ما خلف لها من ثروة أثقلتها الأحزان ... وفكرت فى غير تردد بأن أتقدم لخطبتها لأملأ فراغ قلبها ودنياها وفراغ قلبى ودنياى ، وخيل إلى أننى قد وجدتها ... حواء ، تلك التى قضيت العمر أبحث عنها فى سماء الوهم حتى لقيتها أخيراً على أرض البشر !

وفى رحاب الزوجة الحبيبة ذقت — لأول مرة — طعم الحياة ... كانت الحياة قبل أن ألقاها أشبه بفكرة شريدة معذبة لم تجد دفء خاطر تأوى إليه ! كانت لحناً حائراً لا معنى له ... لحناً نبذته شفتاى حين لم تستجب لأنغامه فى حنايا الضلوع عاطفة ! كان الوفاء والحب والحنان المتبادل هى كل معالم الطريق الذى سرنا فيه جنباً إلى جنب ، وقلباً إلى قلب ، وروحاً إلى روح ... كنت أنسى كل متاعب الحياة حين تلقانى وعلى شفتيها ابتسامة مشرقة ، وفى عينيها بريق المودة من لقاء طويل ، هيأته الأحلام تحت ظل وريف فى واد من أودية السعادة !

ومضت بنا الحياة فى طريقها تطوى الأيام حتى أقبل يوم لا أنساه ... كان ذلك حين خرجت من البيت ذات صباح ، ثم عدت إليه بعد ساعتين لأمر من الأمور فلم أجدها هناك ! سألت عنها الخادمة الصغيرة فأنبأتنى بأن سيدتها لم تعين لها المكان الذى ذهبت إليه . وساورتنى الظنون وانتابنى شك قاتل ملح عنيف ... ترى أكانت زوجتى تترك البيت قبل اليوم أثناء غيابى عنه ؟ ! عدت إلى الخادمة الصغيرة أسألها فأنكرت ، وتحت الضرب المبرح لم تجد بداً من الاعتراف ، وأصبح الظن حقيقة ... سيدة محترمة تغادر بيتها مرة فى كل أسبوع إلى حيث لا يعلم أحد ، ترى ما ذا يخبىء لى القدر القاهر فى جعبته ؟ ! ورحت أذرع أرض الشرفة ذهاباً وجيئة فى انتظار الزوجة الغائبة ... وفى غمرة الوعى الذاهل والفكر المحموم ، لم أدر كم من الوقت مر على وأنا أتلفت إلى كل عربة مقبلة من هنا أو من هناك ، مترقباً أن تكون قد عادت بها من المكان المجهول !

وأخيراً أقبلت عربة تاكسى ما لبثت أن هدأت من سرعتها ووقفت أمام البيت ... وهبطت منها زوجتى ! وأسرعت كالمجنون أهبط الدرج وثباً حتى كنت فى ثوان معدودات أمامها وجهاً لوجه ... وحين رأيت لونها قد شحب ، ونظراتها قد عراها الذهول .. رحت أسأل السائق عن المكان الذى ركبت منه ... وفى صوت هامس متلعثم أنبأنى الرجل بأنه قد عاد بالزوجة الحبيبة من مقابر الإمام الشافعى !

وصعدنا إلى البيت صامتين ... وحين احتوتنا إحدى حجراته رحت أنظر إلى عينيها الشاردتين ، محاولا أن أستشف سرها المخبأ وراء قطرات الدموع !

أما هى ، فقد أطرقت برأسها إلى الأرض ، وراح صدرها يعلو ويهبط ، وجسدها ينتفض انتفاضة الحمى ...

وأخيراً أمسكت بيدى بين يديها لتقول لى بصوتها اللاهث المتهدج :

— محمود ... يا زوجي الحبيب ... إغفر لى أن أقول لك كل شىء ... أقسم لك ... أقسم لك أنى كنت أضع بعض الزهور على قبره ... لقد عاهدته أن أظل وفية لذكراه ... لقد أقسمت له يوماً أن أظل على عهدى له ... كان ذلك حين ودع الدنيا وتركنى من بعده وحيدة ... محمود ... إن قلبى الذى كان له أصبح لك ... حسبك قلبى ... بالله لا تضق بأفكارى إذا اتجهت إليه لتؤنسه فى وحشته ... وبيدى إذا وضعت يوماً على قبره زهوراً ترطب ثراه ... محمود ... هل تغار من رجل مات ؟ ... تكلم ... تكلم يا زوجي الحبيب واغفر لى ... اغفر لى أننى لم أبح لك قبل اليوم بشىء ! !

حاولت أن أتكلم فماتت الكلمات على شفتى ... كنت كمن أغفى إغفاءة طويلة استيقظ من بعدها على حلم مخيف بعث رجة الفزع فى أوصاله !

ولأول مرة شعرت بأن أشباح الشقاء ترفرف على المكان بأجنحتها السود فتحيل النور فى عينى ظلاماً ...

وتركتها تنتحب وعدت إلى غرفتى مكدود القوى ، أشبه بجندى عاد إلى بيته بعد المعركة ... عاد ليبحث عن أحبابه بين ركام الأنقاض !

ومرت على ليال لم أذق للنوم فيها طعماً ... حاولت أن أنسى وأن أغفر ولكنى لم أستطع ! لقد تكشفت لى الحقيقة الكريهة البشعة ، وهى أن زوجتى لم تكن صادقة فى حبها لى ... لقد كان قلبها هناك ، يمسح بيد الذكريات فوق القبر الذى طوى بين جنباته أول أمل !.. سبع ليال مرت على كأنها سبعة ذئاب جائعة تنشب أظفارها فى قلبى ، كنت أشعر شعوراً عميقاً أن هذا القبر الرابض فى صحراء الإمام قد سلبنى أعز ما أملك ، وأن هذا الفتى المسجى فى جوف الثرى لص ... ضل طريقه إلى بيوت الناس وقادته قدماه إلى بيتى وحده ، ليسرق أنفس كنز وهبته لى الحياة ! وكلما نظرت إلى وجه زوجتى بدت لى الدنيا جحيماً لا يطاق ، لقد عاد إلى سابق عهده يوم رأيتها لأول مرة : الحزن العميق والأسى الدفين ! أما عيناها فقد أطل منهما الماضى البعيد ... حار فيهما ألف معنى مبهم أو ألف رحلة طويلة إلى عالم مجهول !

ومر شهر وشهران وثلاثة وكلانا يعيش فى العذاب ... العذاب الملح المبرح المتصل الذى تراودنى أشباحه الرهيبة فى الليل والنهار ، وتقذف بى إلى خارج بيتى أنشد العزاء فى الجلوس إلى الناس ! لم أعد أطيق رؤية البيت إلا حين آوى إليه لأنام ، لا يجمع بينى وبينها كسابق عهدنا حجرة واحدة ... كان الخيال يصور لى أن هناك حاجزاً هائلاً يحول بين ضم جسمينا فى فراش واحد ، هو ذلك القبر الكئيب البغيض الرابض فى صحراء الإمام. القبر الذى كان يخيل إلى أنه يترك مكانه كل ليلة لينعم بأحضان زوجتى حتى الصباح !!

ولم يكن هناك يا صديقى بد من أن نفترق ... ترى هل جنى على الخيال ؟ لست أدرى !.. كل ما أدريه أن حواء قد ذهبت ، وأن زهورى قد ذبلت ، وأننى قد طويت القلب على أحلامه وقذفت به بعيداً ... بعيداً فى وادى الذكريات .

أنور المعداوى

خوفاً من أبيه !

وأخيراً تهالك « خالد » على مقعده فى قنوط وقد أيقن أنه فقد ساعته ، فلم يترك مكاناً إلا بحث فيه ولا صديقاً إلا سأله عنها وبالرغم من أن حجرته خالية إلا من أجلاد جسمه ، هادئة إلا من دقات قلبه ، فإن طيفاً فارع العود منقبض الأسارير راح يحدق فيه مستخفاً بذكائه وعلى شفتيه ابتسامة تهكم وفى صوته نبرة ازدراء ! !

وخرج من الغرفة إلى عرض الطريق ضائقاً بذلك الطيف الذى أعاد إلى خياله صوراً كالحة لتلك المواقف التى تكون بينه وبين والده حين يفقد أحقر حاجاته !!...

واستقبله الشارع على غير ما تعوَّد . لقد بدا له كالرسوم الحائلة فى كراس عتيق ! وكأنما أصوات المارة لضعفها تصل إلى أذنيه من بعيد ...

وعجزت أضواء الطريق الألاقة ومعروضات المحالّ المغرية أن تخرجه عن نفسه أو تبعث إليها شعاعاً من أنس ..

ولكن محلا لبيع الساعات فى نهاية الطريق استطاع أن يخترق بأضوائه نطاق كآبته ، وأن يستوقفه أمام معرضه ، وأن يتملق نظراته الموزعة بمرأى ساعاته الجذاب ...

وأخذت عيناه فى لهفة ساعة تشبه ساعته فى الحجم والنطاء ، وإن كانت دونها فى الثمن والرواء !

وهنا افتر ثغره ليبارك فكرة رائعة تفتح عنها ذهنه المضطرب . إن والده لا يستطيع أن يدرك الفرق الداخلى بينهما ؛ وسيكفى شراؤها لتعود المياه إلى مجاريها ...

ولكن سرعان ما شعر بخيبة مرة تخاذلت لها قدماه وانطبقت شفتاه على حطام ابتسامة ... الشراء ؟ ! إن ما معه من المال لا يبقى منه إذا اشترى الساعة ما يسد عوزه إلى أن تبدأ الإجازة التى سيرجع فيها إلى قريته ...

وهنا مرت أمام عينيه صور متلاصقة لتلك المواقف التى تكون بينه وبين والده حين يفقد شيئاً من أشيائه ، ثم تذكر فى مرارة زوجة أبيه وهى تفترص تلك المواقف لتملأ عينيها الوقحة بمنظر دموعه الذليلة وهى تتلمس طريقها على خده الشاحب المزيل!

وهنا وجد نفسه مدفوعاً إلى شراء تلك الساعة ، هازئاً من آلام الحرمان التى سيلاقيها مادام يقاسيها وحده ولن يطلع عليها سواه !

وبعد أسبوع كانت مائدته قد سئمت تلك الوجبات الخشنة ، ومعدته قد عافت تلك الأكلات التافهة . وكان قد تعود أن يسمع رفاقه يتساءلون عن تلك الصفرة التى تغطى وجهه والإعياء الذى يحد نشاطه ! واستطاع أن يجيب رفاقه بما تعود من لباقة ، وأن يتحمل الألم بما انفطر عليه من صبر ..!!

ولكننا نرى نفسه القوية تنهار فى يد الألم وتتخاذل فى حلبة الصراع مع الأقدار ، حين يطلب ناظر مدرسته إلى كل طالب أن يتبرع بعشرة قروش للنشاط الرياضى بالمدرسة ! !

لقد شعر بأن القدر يتحداه ويسخر من إيمانه بكرامته ! ! إنه لا يستطيع أن ينكص عن دفع هذا المبلغ لشهرته الرياضية بالمدرسة، ولا يستطيع أن يدفعه إلا إذا قدر أن يبقى يومين بدون طعام

وتحامل الشجاع الجريح على نفسه وصوّب إلى صدر القدر آخر سهم من كنانة صبره وإيمانه ...

وفى اليوم الذى ابتدأت فيه إجازته كان يسرع على إفريز المحطة ليلحق بالقطار المسافر إلى قريته ...

وفى إحدى عربات الدرجة الثالثة ألقى بجسمه المنهوك وجعل يستعرض آلامه المضنية التى مرت به ، وكأنه جندى مثخن يشفى غليله بمرأى قتلاه فى الميدان !

واختلجت على شفتيه ابتسامة باهتة كانت تسترجع شجاعته وتستنهض أمله وتزف إليه كرامته فى إطار من الثقة ...

وسمع صوتاً يهتف من أعماقه : مرحى أيها الجندى الباسل ! لقد آن لك أن تلقى الجزاء ! ! ولكن أى جزاء يا ترى ؟ ؟

لقد راح يتخيل موقف والده منه وقد علم بفقد ساعته وطفق ينحى عليه بألوان من القسوة وضروب من العنف لتكون فرحته أشد حين يعلم أن شيئاً من ذلك لن يحدث ! ! وازدادت البسمة وضوحاً حين غادر القطار إلى بيته فى أقصى القرية ، كأنما استردت نشاطها من طول ما نامت على شفتيه ...

وفى حجرة من حجرات البيت وقف يقبل يد والده قبلة آلية ، ثم رفع رأسه ليرى وجه والده ، وكأنما غادر حجرته بالمدينة منذ أسابيع ، وسمعه يقول وعلى شفتيه ابتسامة تهكم وفى صوته نبرة استخفاف : ما هذا الذهول الذى لا ينفك مستولياً عليك ؟ كيف نسيت أن تأخذ ساعتك وأنت مسافر ؟ !

محمد أبو المعاطى أبو النجا

مطبعة الرسالة

العدد ٨٢٩ — الاثنين ٢٣ مايو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

[illegible]

17 eme Année No. 829

Lundi — 23 — 5 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٢٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ رجب سنة ١٣٦٨ — ٢٣ مايو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

تيتو والشيوعية « القومية »

للأستاذ عمر حليق

يقف المارشال تيتو سيد يوغسلافيا موقفاً فريداً إزاء هذه التيارات الجارفة التى تهب عليه من المسكرين المتطاحنين : السوفياتى والغربى .

فهذا الخليط من الأقليات العنصرية والطائفية التى تؤلف « اتحاداً جمهورياً من الشعب اليوغسلافية » يمر فى فترة غريبة فى خطورتها . ذلك لأن موقف التحدى الذى يقفه المارشال تيتو من الإدارة المركزية للشيوعية الدولية (الكومنفورم) الذى يعمل بوحى من موسكو جلب عليه غضب المعسكر الروسى فى شرق أوربا وأواسطها وفى البلقان ، ولم يكسبه — إلى الآن على الأقل — بركة حلفاء الغرب ومؤازرتهم ونصرتهم . وتيتو على رغم ذلك قوى العقيدة فى صلاح الماركسية الأصيلة كما تنص عليها تعاليم ماركس ولينين كأساس للحياة السعيدة ، وهو كافر بالنظم التى يعيش عليها المعسكر المعادى للشيوعية .

وماركسية تيتو ليست اشتراكية معتدلة على غرار المجتمعات الاسكندنافية مثلا ، أو تلك التى تحاول توطيدها فى بريطانيا حكومة العمال .

فالنظام الذى يصوغ به تيتو حاضر يوغسلافيا هو نظام شيوعى أصيل فى وسائله وأهدافه . وليس خلافه مع موسكو والكومنفورم يمس العقيدة الماركسية وإنما يمس تفسيرها والوسائل لتدعيمها وتحقيق مراميها .

والواقع أن تيتو « سوفياتى » أكثر من ستالين ؛ فإن جوهر الخلاف بين يوغسلافيا وموسكو يعود إلى إصرار تيتو على الاعتقاد بأن نجاح الماركسية ورسوخها فى الفكر والمسلك لن يتحقق فى هذه المركزية الدقيقة الصارمة التى تفرضها موسكو بواسطة الكومنفورم على الأحزاب والجماعات الشيوعية التى تعيش خارج الاتحاد السوفياتى ؛ بل إنه يؤمن بأن لكل مجتمع ظروفاً خاصة ومؤثرات خاصة ونزعات عاطفية وتكويناً خلقياً خاصاً ، فلا يمكن أن تصهر جميعا لتكون لينة مطاوعة لتوجيهات دقيقة تصدر عن موسكو أو الكومنفورم وتمس المصالح القومية للذين اختاروا الاشتراكية نظاماً للحياة .

وقد انقضت أكثر من عشرة أشهر على انفصام عرى الوئام بين المارشال تيتو وبين موسكو والدول الشيوعية الأخرى ، واتخذ هذا الخلاف صورة جدية فى الأسابيع الأخيرة عندما حشدت ألبانيا وبلغاريا بعض قواتها على الحدود المشتركة مع يوغوسلافيا ؛ ولكن هذه الحالة السيئة لم تضعف من مركز تيتو ولم تقلل ثقة الشعب اليوغسلافى بزعامته .

وتركز النظام الحالى فى يوغسلافيا يعود إلى أسباب ، منها أن الأغنياء ومترفى الطبقة الوسطى بالرغم من استيائهم من الاشتراكية التى حققها تيتو هم الآن مشلولو النشاط ليس لديهم

من المال والأنصار مايستطيعون بواسطته إقصاء تيتو عن الحكم. وعامة الشعب من المزارعين والعمال لا مفر لهم فى يوغسلافيا من اختيار أهون الشرين : فإما ستالين وإما تيتو . وهذه الوضعية كذلك تنطبق على المثقفين . ويبدو جلياً أن الكثرة من كلا الفريقين قد رضيت بالمارشال تيتو مواطنهم . وقد فر أنصار موسكو والكومنفورم إلى خارج البلاد ، ولم يعد لهم أثر فى السياسة والحياة العامة .

والصعاب التى تواجه تيتو جمة ؛ فقد قطعت الحكومات الشيوعية المحالفة لروسيا صلاتها الاقتصادية مع يوغسلافيا ؛ وتحفظ حلفاء الغرب فى تعاملهم مع تيتو فى السياسة والاقتصاد . وبقى هذا الاشتراكى العنيد مصراً على ألا يساوم طرفاً من الطرفين (السوفياتى والغربى) على حساب الاشتراكية القومية التى يعمل لتوطيدها فى وطنه . فتيتو يرى أن الوسائل التى يتبعها السوفيات وحلفاؤهم من الدول الشيوعية الأخرى لتحقيق الماركسية الصحيحة هى طريقة خاطئة تخالف تعاليم لينين من حيث أنها لا تراعى الخصائص الفردية لكل مجتمع ، ولا تحاول أن تفرض على العالم بأسره نظاماً موحداً لا يتناسب مع طبيعة المجتمعات وما هى عليه من تباين فى كثير من الطبائع والميول والاتجاهات . ومع أن الماركسية تصر على بلشفة العالم فى المراحل النهائية من التطور ، فإن لينين رأى أن يراعى طبيعة هذا التباين الاجتماعى عند ما انكب على توطيد الماركسية فى الاتحاد السوفياتى أولا تاركا العالم الخارجى وشأنه ، وهذا على عكس ما جرت عليه السياسة الروسية فى سنوات ما بعد الحرب .

وتيتو كذلك لا يرى أن من الخير ليوغسلافيا أن تترك التجربة الاشتراكية الناجحة التى توطدت فيها الآن لترتمى فى أحضان الرأسمالية .

وخلاف تيتو مع موسكو لا يقتصر على المبادىء الفكرية وتفاسيرها ، بل إنه يمس التعامل الاقتصادى كذلك .

فان سيطرة موسكو على منطقة نفوذها فى شرق أوربا تستدعى أن تنسق يوغسلافيا إنتاجها الزراعى والصناعى بحيث لا ينافس الصناعة والانتاج الروسيين وإنتاج الدول الشيوعية الأخرى لئلا تنفصم عرى الوحدة الاقتصادية فى منطقة النفوذ الشيوعى .

وتيتو لا يرى أن من المصلحة القومية أن يحصر إنتاج بلاده ونشاطها الاقتصادى فى أصناف معينة أو مقادير محدودة مراعاة لمصلحة موسكو والدول الموالية لها . وهو يرى أن يوغسلافيا تستطيع أن تحقق إنتاجاً وافراً دون قيود والتزامات اختيارية أواضطرارية فتستفيد وترفع مستوى معيشة سكانها بدل أن تضحى بذلك إرضاء لتعليمات الكومنفورم .

ويقول تيتو صراحة إن بلاده لم تتحرر على يد الجيش الروسى أو جيوش الحلفاء الغربيين من النير الطليانى والألمانى ، وإنما الذى حرر يوغسلافيا هم أبناؤها من الثوار ورجال المقاومة السرية ، ولذلك فليست يوغسلافيا مدينة لأحد ، وهى ترفض الانصياع لأوامر موسكو والاستسلام لرغبات الغرب .

هذه العزلة الاقتصادية والسياسية التى اختارها تيتو لنفسه ولبلاده قد استوجبت التزامات ثقيلة . وقد أصر تيتو على أن يلمس بنفسه طبيعة هذه الالتزامات وانعكاساتها على طبقات الشعب فقام يجوب أنحاء البلاد ليتعرف مطالبها ويقف على مشكلات الأقليات العنصرية والطائفية المختلفة الميول والنزعات .

وكان لاختبار تيتو حالة الشعب ووسائل الإنتاج اختباراً شخصياً أثر بليغ فى تفهمه لحقيقة الوضع ومواطن الضعف وإمكانيات القوة . كما أن اتصالاته الشخصية قد عززت مكانته فى قلوب الشعب تعززاً متيناً . وتيتو هو أول زعيم شيوعى مسؤول يترك قصره المحاط بالحراس ويندفع فى طول البلاد وعرضها يدرس ويتعرف عن كثب .

ولقد اكتشف تيتوالبون الشاسع بين وضع المشروعات والبرامج على الخرائط والورق وبين حقيقة تنفيذها . فقد وجد أن العمال فى المصانع والمزارع التى تملكها الدولة بطيئو النشاط قليلو الإنتاج منحطو المعنوية بسبب الظروف الصعبة التى تحيط بالحياة العمالية . فعمل تيتو جادا لزيادة نشاطهم وإنتاجهم ورفع معنويتهم عن طريق التحسين فى شؤون العمل وظروفه وشروطه الصحية وساعات الراحة والحصة فى الأرباح وجوائز التفوق وغير ذلك من المؤثرات النفسانية التى يعلمها المعنيون بشؤون العمل والعمال .

وقد أفاد تيتو كثيراً من الجولات فى طول البلاد وعرضها للتعرف على الاتجاهات السياسية ومبلغ مناصرة الشعب له فى

قطرات ندى

للأستاذ راجي الراعي

* سم زعاف، والمحبة سلاف، والغرور أصداف، والحياة غلاف.

* كلما رفعت ستاراً من ستائر الغيب غرد لي طائر في الجنة.

* الأبراج كثيرة وأعلاها تلك التي تتنقل بينها الشمس ويقيم فيها العباقرة.

* اليأس جدار يتداعى.

* ثلاثة حدود لم تعرف بعد: الحد الذي تقف عنده قدرة المرء، والحد بين العقل والجنون، والحد بين الجريمة والعبقرية.

* كيف ترجو أن يقوم بناؤك في الأرض والحجر في إحساسك وضميرك؟

* كأني بهذه الجبال جبلت من كبريائك و كبريائي!

* أنا في رأسي وما يحويه من ذاكرة وإرادة وعقل وشعور وخيال بين منجم وجواد وميزان وقيثارة ومجنون.

* أرى في المحراث مركبة للعلاء بجر إلى الخالق.

* إن المواهب رفيعة عزيزة منيعة أنيقة لا تعرف التطفل والابتذال، ولا القيد والإذلال، ولا تؤخذ رخيصة ولا يسمع لها في كل مقام مقال: اسقني خمراً لأسقيك خمراً... هات لي أجوائي لآتيك بجناحي.. أرسل بطاقة الدعوى إلى الملا، لترى وجهي في الوليمة الخالدة.

* البركان تطلقه الأرض إذا جارت بالدعاء لله.

* الليل ضباب أسود.

* كلما مر بي يوم نزع الموت من طريقه إلى حجراً!

* للفجر مهمته، يقوم بها في كل صباح بنشاطه المعروف: يبدأ بتلاوة سيرة الليل، ويسكب نداه، ويمهد طريق الشمس، ثم يتوارى أمامها تهيباً وإجلالا.

* العقل يهمس والهوى يصرخ.

* الصدى رمم الصوت.

* أين أذهب بأحلامي إذا ما احتضرت غداً؟ أأذبحها حلماً حلماً على عتبة القبر؟ ليست يدي حمراء فلا قدرة لي ولا جرأة على هذه الجزرة.

* الميت أمانة نودعها التراب ولكنه لا يحفظ الوديعة.

* ألم تهتد بعد إلى الطريق، ولم تختر الرفيق وأنت بين ذاك الرحيق رحيق الجنة، وهذا الشهيق شهيق الجحيم؟

* بين المرافىء والبحيرات صلات.

موقف الضغط السوفياتي الشرقي ومن السلبية الغربية.

والظاهر أن موسكو والكومنفوم لن تترك تيتو يطبع الشيوعية بطابع قوي محلي وينفر من المركزية الصارمة التي استنتها موسكو لنفسها ولحلفائها. فبالإضافة إلى حرب الأعصاب وتجمع الجيوش الشيوعية على الحدود اليوغسلافية وحملات الدعاية والتشنيع الذي تتعرض له يوغسلافيا وعاهلها فإن تيتو يواجه حركة جدية من المعسكر السوفياتي تبتغي اقتطاع أجزاء واسعة من الأرض اليوغسلافية وضمها إلى قطاعات يونانية وبلغارية وألبانية لتأليف دولة بلقانية شيوعية جديدة تعرف باسم «مقدونيا»

وهذا التحدي السوفياتي لتيتو يلاقي منه صلابة حازمة. وإلى الآن لم يطلب تيتو معونة من حلفاء الغرب. ولا يبدو أن الحلفاء قد عرضوا عليه هذه المعونة، وكل ما طلبته يوغسلافيا من الحلفاء وغيرهم من الدول الحيادية هو زيادة التبادل التجاري دون التقيد بالتزامات سياسية أو عسكرية.

ومن الجدير بالإشارة إليه أنه بالرغم من هذا الاختلاف الجدي بين تيتو وموسكو فإن الوفد اليوغسلافي في الأمم المتحدة لا يحيد مطلقاً عن الأخذ بوجهة النظر السوفياتية والتصويت بجانب الكتلة السوفياتية في القضايا المعروضة على الأمم المتحدة.

وللمرء أن يتساءل عن المدى الذي قد يستطيع تيتو أن يثبت فيه على هذه الصلابة، وهل سيدفع في المراحل النهائية لمحالفة المعسكر الغربي أم سيخضع لموسكو؟

الجواب في هذه الأيام الحبالى التي تلد كل عجيب...

(نيويورك) عمر حليق

* بين الأوراق والثمار ما بين الأصداف واللآلىء .

* لكلٍّ دمعة ؛ فإذا بكى الجبل ذرف ينبوعا .

* إن لطريق الواجب منعطفات هى الخيانات .

* الفم الذى لا يشبع ولا يرتوى هو فم الشهرة الشرهة .

* كلما تمثلت مرارة يومى الأخير قمت إلى الأيام بفم الشره الولهان أمتص ما فيها من الشهد .

* أنا مثقل بأيامى وبلاياى ومطامعى وموتاى وأحلامى ، ولا أزال مع ذلك قائماً أسعى لم أرزح بعد تحت أثقالى... أفى ساق هذه القوة الجبارة وأنا أحسبنى ضعيفاً ؟. أنىّ هذا العتو وأتعلل، وأخاف وأشكو ؟

* أقدم الممالك وأشدها رسوخاً وهولا وطغيانا مملكة الأموات ، يتولاها رجل صولجانه المنجل وشريعته الغدر ، وجيشه راقد وخزائنه فارغة وعلمه هو العلم وعرشه من تراب تخلعه عنه يد الحين والحين يد تمتد إليه من دار الخلد .

* من وثق بالله وثق بنفسه ووثق به الناس. إنها الثقة المثلثة.

* كم من عبد ذليل هيل عليه التراب ألف مرة قبل يومه الأخير فانطوى قبره على ألف قبر !

* فى كل عاصفة وإعصار خطيب عظيم من خطباء الطبيعة يدعو إلى الثورة ، وفى كل صاعقة غضبة لجوبيتر ، وفى كل بركان أرض تمزق أحشاؤها ، وفى كل فجر ستار يرفع ، وفى كل جبل كبرياء مجسدة ، وفى كل سهل خضوع واستسلام ، وفى كل ينبوع قلب لشاعر عبقرى ، وفى كل نجمة عين رقيب ، وفى كل ليل طليعة من طلائع الموت ، وفى كل شيطان ساع من سعاة الجحيم .

* لقد خلقتم أفراساً لتنطلقوا فى الفضاء الرحب والسهل الفسيح حتى تبلغوا الحد الذى رسمه لكم القدر .

* لولا العين التى تفرقنى فى الدنيا لجمعت نفسى وخلوت بها وعشنا معاً فى جو من الطهر الناصع والمجد الساطع والفلسفة الجامحة التى لا رادع لها ولا وازع .

* أنا حى ولكننى أحمل موتاى وموتى العتيد الذى فرز فى وتداً منذ ولدت ورحل على أن يعود إلى بعد حين حاملا خيمتى لينصبها لى هناك على رابية عساها تكون زاهرة وبين قوم أرجو الا يكونوا الشياطين .

* قد ترقد الفكرة أعواماً ثم تمر بها فكرة أخرى فتوقظها وتمشى الفكرتان متعانقتين كأنهما على موعد فى طريقهما إلى هنائك أو شقائك ...

* إذا جفت البحور اطلقها الإنسان من صدره وعينيه فزخرت ببلاياه ...

* الثدى قِرَب الحب .

* الأساطير هوس التاريخ وتهاويله .

* الأصداء هى الأصوات فى أبانيها وقحتها وعنادها

* الله هو الطيب يفوح ريحه فى العبقرية .

* الجنون عقل سقط تحت أثقاله !

* الرأس والصدر والبطن ثلاثة أقفاص أناطيرها السجين .

* الجبين هو الشاطىء الذى يلقى فيه الدماغ مراسيه كلما خاض عباب التفكير وعاد من رحلته ...

* الحجر فى أسس البناء تضحيةٌ ونكران ، وفى زاويته سيادةٌ وزعامة ، وفى جداره شبابٌ وممونة ، وفى سقفه عطف وحماية ؛ وهو فى سفح الجبل طموح ، وفى شمابه مخاطرة ، وفى قمته غطرسةٌ وشمم ؛ وفى الأعمدة تمردٌ وشموخ ، وفى الخرائب حنين وذكرى ، وفى القبور سأم وهجران ...

* المجنون رجل مجنون يلبس حداد عقله الميت !

* البحر كأس من الماء إذا شرب هرقل .

* الأمثال دنانير تضربها الحكمة وتوزعها على الناس .

* الغصن الذى يحمل الثمرة اليانعة يد تشير إلى الخبرة والحنكة .

* البصر بعض البصيرة أو هو أداتها .

* بين السَّحر والغسق يوم يتقلب بين الهم والقلق ، ودهر وعد وما صدق ... ويجيئنى الليل ويأتى الأرق ... وما أنا إلا سهم أطلقه الحب فانطلق ، ولسان نطق وقلب خفق ... وطارق طرق فكان جزاءه الفلق ... ولله سره فى ما خلق ...

* ما ذا تفعل تلك المئات من الشموس الماجمة فى المجرة ... أتراها تنام على غارها القديم أم هى تنتظر خلائقها وأمجادها العتيدة؟

* الزمان فم لعابه الأمل ولسانه التاريخ ولقمته العمر ونابه الموت ...

* الضباب فكرة غمضت في رأس الطبيعة .
* الذكرى جرس يطنّ في أعماق وادي النسيان .
* الشمم هو ما ارتفع فيك من الهضاب والقمم .
* في اليوم الواحد يتصارع العقل والجنون ألف مرة كأنهما الأسد والنمر في غابة الرأس .
* النجوم وشي الليل ، أو جيش غلب على أمره ، أو نظرات الخالق في ما صنع ، أو شهودنا ونحن نحتكم إلى الزمان ، أو سلك من اللآلىء انتثر ، أو بقايا سيارة كان لها يوماً ثم ارتطمت بما شقها ووزعها في الفضاء ...
* كلما احتك الخالق بخليقته سكنت رياح الكفر وتألق في سماء الإيمان كوكب جديد .
* إن في كسوف الشمس وخسوف القمر شيئاً من اليأس والسأم والقنوط ...
* كل فكرة نبضة من نبضات الرأس .
* الليل عقد ينفرط نجوماً ...
* الكفن آخر هبات الناس للناس !
* المهد أول اللحد ، واللحد مهد الآخرة .
* كلما أقر الهلال ترنح أملي واطمأن طموحي .
* من قلت شموسه وكثر ضبابه فتح له الفن ذراعيه وضمه إلى صدره .
* الأعوام أعمدة الزمن .
* كلما رأيتُ الشجرة السامقة الشامخة حسبتُ أن الأرض تتطاول إلى السماء لتراها وتبثها الشكوى .
* من نحر الحب أكل قلبه .
* ما دام هناك رقاب تنحني فلا بد من بقاء النير !
* يدفنوننا هنا فينهض هناك : تلك هي البطولة .
* خلقت لنا الجباه لنجابه بها الدهر ، فمن ألقى سلاحه أمام الحياة تخلى عن جبينه .
* السهول أكتاف الجبال ، والأودية بطونها ، والقمم رءوسها ، والشعاب عروقها ، والمناور أقفاصها ، والآكام أطفالها ، والثلوج شيبها ، والأشجار خيالها ، والرياح وحيها وتذكاراتها ، والصخور ضلوعها ، والرسوخ في الأرض عقلها وبقاؤها ...
* الرجل الكبير تقرأ على صحيفة قبره في كل صباح سطراً جديداً .
* الموت هدنة ثم يستأنف العراك .
* غضون الوجه والجبين أثلام يشقها محراث الحياة .
* القراطيس لا تحمل وطأة العباقرة .
* الطمع سكرة لا كؤوس لها .
* الأرض التي ترحمك بسنابل خيراتها هي التي تظلمك بحديد قيودها .
* كلما تعددت ذاتيتك قل عنادك .
* كلما رأيت الشمس تميل إلى المغيب خشيت على ما نسجته من الأحلام .
الإيمان ذراع النفس مرتفعة إلى السماء تبتهل ، والكفر ذراعها المبتورة .
* المخترعون أقرب الناس إلى الخالق .
* كلما فنيت أحلامي في أهدافها طاب لي البقاء .
* الموت وحده هو الذي يعتقك مما أنت فيه . . إن في حريتك تراباً ولحداً .
* الأبله ساعة تحطمت آلتها .
* الفجر طفولة ، والظهيرة كهولة ، والمساء شيخوخة ، والليل هو الموت .
* حكاية الليل والنهار حكاية جدار تبنيه وجدار ينهار .
* السماء ترمي الأرض بصواعقها فترميها الأرض ببراكينها .
* قد يكون البركان احتجاجاً على الإنسان الذي تلعب يده بأحشاء الأرض .
* للكهرباء العظيم أسلاك توثقه بالخلود .
* إنني أرى التراب عالقاً بالجباه الذليلة .
* المقيم صفر في سفر الوجود .
* النجوم عديدة ولكن هل لك بينها نجمة ؟
* كلما نظرت إلى الأفق الجبار شعرت أني ما أزال طفلا .

راجي الراعي

صور من الحياة :

قبعـــــة تتفلسف

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا صاحبي ، أي شيطان وسوس لك فرحت تمتهن الوطن والدين واللغة ، وجئت تريد أن تسترق الناس منها جميعاً لتذرهم — بعدها — حطاماً خوى من الكرامة والرجولة والإنسانية ؟

لقد كان حديثاً عجباً أن تقول «أنا لا أومن بالوطن ولا بالدين ولا باللغة لأنها قيود ثقال . وأحْرِ بمن يتحرر منها أن يسود العالم كله .

أما الوطن فهو كلة براقة تستهوى القلوب الضعيفة وتستغرق الألباب السقيمة ، وتخلب العقول الجامدة . على حين أنها — فى رأى الفيلسوف — فارغة من المعنى خالية من الحياة . والوطن هو نعرة بالية توارثها جيل عن جيل فى غير إمعان ولا روية ، وهو آثار فكرة التعصب العتيق حين كانت القبائل المتشعبة تنبث فى فجاج الأرض ومتاهاتها ، تخشى أن يتخطفها الناس من حولها ، وهو لفظ جاف لا يحمل فى ثناياه إلا صورة من جشع الإنسان الأول وكلَبه حين اضطربت الأنانية فى نفسه — لأول مرة — فاختار قطعة من الأرض ووضع حواليها الصُّوى والعلامات ثم قال : هذه ملكى .. هى وطنى ! »

ونسيت أن الوطن روح تتدفق فى مسارب الدم وتخفق بين طيات القلب ، وهو تاريخ حى ينبض فى ملاعب الصبا ومسارح الشباب ، هناك تحت الدوحة الباسقة على شاطىء النيل ، وفى ظلال شجرة الجميز على ضفة الغدير ، حيثُ تداعبهما أنفاس الصبح الندية أو تمابثها نسمات الأصيل الهينة ، والسماء صافية والجو صحو ، وصوت خرير الماء يصّاعد نغماً شجياً يلعب بالفؤاد ويعانق القلب ويهز المشاعر .

هناك فى موكب الحياة على بساط الطبيعة السندسى وهو يتراقص فى رأى العين ليوقع لحناً عذباً فيه جمال الحياة وجمال الوسيقى ...

وقلت « إن الوطن فكرة تتفجر من خلالها ألوان من صراع القوميات العاصف وتفور من جنباتها ضروب من الحروب الطاحنة فتدفع العالم ليتردى فى هاوية من الهلاك والدمار ... هاوية ما لها من قرار ... آه ، لو أصبحت الدنيا كلها وطناً واحداً ، إذن لانمحت الآثام والشرور ! والوطن هو قانون الغابة فى المملكة الحيوانية لأنه يوحى للأسد بأن يحمى حوزته ويذود عن عرينه ، ثم لا يتورع عن أن يقتحم كِناس الظبى الوديع فيفتك به ويهدم داره » .

ونسيت أن الوطن هو أمٌ يتدفق الحنان من قلبها ، وأبٌ يتوثب العطف من حناياه ، وأبناء هم نور العين وجمال الحياة وبهجة العمر وسعادة القلب ، وأهل تهدأ بهم النفس ويأنس إليهم الفؤاد ، وهو عش الطير يأوى إليه ليجد الراحة من عناء العمل ويلمس الطمأنينة من عراك العيش ويشعر بالأمن من فزع العاصفة . أرأيت — يا صاحبي — طيراً يحوم حول بقايا عشه المتهدم بعد أن عصفت به ريح صرصر عاتية أو عبثت به يد غشوم قاسية ؟ إنه — ولا ريب — يتضرَّم أسى ولوعة ويتنزَّى ألماً وحسرة لأن عشه الحبيب قد تمزّق فوجد — فى قرارة نفسه — فقد وطنه العزيز .

هذا هو الوطن فى نفس الطير ، فما بال الإنسان ؟ ولكنك أنت أحسست الضياع فى طفولتك والحرمان فى شبابك والوحدة فى رجولتك ، فلا عجب إن أنت كفرت بالوطن لأنك لم تستشعر معناه إلا فى تلك الحجرة الضيقة المظلمة فى ذلك الزقاق القذر الوضيع حيث عشت وحدك ضائعاً منبوذاً ؛ فحملت لأهلك ووطنك كراهية وبغضاً ، وتأرَّثت نفسك حقداً وحسداً ، وحاولت — جاهداً — أن تضع من جمال الوطن وفتنته وأن تثلب فنونه وآدابه وأن تحتقر ذكاءه وعبقريته وأن تحط من صفائه ورونقه عسى أن تشفى داء نفسك السقيمة أو أن تنقع غلَّة قلبك المريض ورحت تنافح عن الأجنبي وتشيد بعلمه وترفع من قدره لأنه نفخ فيك أنت ، يا صاحبي ، من روحه ووسمك بسماته وخلق منك فيلسوفاً كبيراً ، تفلسفت آراؤه فخان الوطن والدين واللغة .

***

وسمعتك تقول : « أما الدّين فهو غلٌ ثقيل ينحط بهم

الرجال عن أن تنهض بجلائل الأعمال ، وهو خرافة الأخلاق السامية ، وهو روح التخاذل والتواكل . ألا تعلم بأن اليهودى يتوسل إلى الثراء بالسرقة والربا ، ثم يسيطر — بالمال — على الأمم يصرّفها كيف شاءت أنانيته وأطماعه ؟ وأن الدول القوية تفترّ الشعوب الضعيفة بكلمات الشرف والعدل والرأفة وما بها غير الرياء والمكر والخداع وغير شره المال وكلب الذهب ؟ وأن الأخلاق القويمة لتصطرع فى نفس الرجل القوى مثلما تصطرع الأحزاب فى قلب الأمة الفتية فتنهش لحمها وتمصف بحيويتها » .

ونسيت أن الدين نور سماوى يهبط إلى الأرض فتنجاب له ظلمات الحياة ومتاعبها ، ويتدفق فى نواحى الروح فيغمرها بالسلام والطمأنينة ويجذب الإنسان عن النوازع الأرضية ويترفع به عن الوساوس الشيطانية ليلبس ثوب المَلَك وهو إنسان يسير على الأض ...

إننى أذكر — يا صاحبى — يوم أن أرغمت على أن أعيش فى قرية نزل بها بلاء الحمى النخاعية الشوكية يحطم أهلها ويعصف بشبابها فانطلقت إلى طبيب القرية — وهو صديق — أسأله دواء أتقى به شر هذا الوباء الجارف ، فما راعنى إلا أن أرى فى نظراته علامة الدهشة ، فقلت له ! « ما بالك ؟ » قال « ألست مسلماً ؟ » قلت « بلى ، وما للأسلام ولهذا البلاء النازل ؟ » قال . « فأنت تتوضأ خمس مرات كل يوم ، وفى كل مرة تتمضمض ثلاث مرات ؟ » قلت « نعم ! » قال « هذا وقاء من شر هذا البلاء » ثم اندفع فى حماسة يحصى الفوائد الصحية للوضوء والصلاة . هذا هو رأى العلم فى بعض معانى الدين ، فاذا تقول فلسفتك أنت ؟ والدين يشفى الأدواء الاجتماعية مثلما يشفى الأدواء الجسمانية

وسمعتك تقول « وأنا رجل أنانى لا أعتقد إلا فى الكسب المالى ولا أوقن إلا بالفوز المادى . وهذا « فلان بك » رجل عظيم ، سلك إلى غايته طرقاً لا يردعه عنها دين ولا خلق ، فزوجه فتاة شابة ذات جمال ودلال تمهد له السبيل الوعر وتفتح له الباب الموصد ثم تدفعه إلى الهدف فى سهولة ويسر ، وهو من ورائها يندفع حتى كاد أن يبلغ . ولو أنه تشبث بخرافة الدين أو تعلق بسراب الأخلاق لقعد عن الغاية وتخلف عن الركب » .

ونسيت أن الرجولة والشهامة والنزاهة كلها من أمور الدين.

ثم قلت « إن من عبث الأخلاق ما نرى : فالفضائل أشياء نسبية ، يتحلى بها الرجل من أوساط الناس فيبدو فى أعين الناس فاضلاً كاملاً ويتمسك بها الرجل وهو من العظماء فيتمثله الناس منافقاً مخادعاً . وإن الناس ليتندرون بالرجل العظيم إن هو خلا إلى المسجد والمسبحة والمصحف بقدر ما يسخرون من الرجل العادى إن هو عكف على مجالس الخمر والقمار والفجور . وإن الرجل العظيم ليسرق الآلاف فلا تزدريه عين ولا يحتقره قلب ، وإن سرق الرجل العادى درهماً واحداً كبّله القيد الحديدى وإن الزعيم اللبق ليسطو على الشعب فيستلبه من ماله ومن مشاعره ليعبث بها فى لذائذه ومسراته ثم لا يجد إلا التبجيل والتقديس » .

ونسيت أن ميزان الأخلاق — فى رأى الدين — واحد لا يتغير : فالسارق لص أبداً ، ومن يفرط فى عرضه هو ... هو الديوث .

ولكن لا عجب ، فأنت تريد أن تبلغ غاية المجد فى غير كد ولا جهد ، وإن المرء ليستطيع أن يشبع رغبات نفسه ونوازع قلبه عن طريقين: الجهاد البار المتواصل والاستخذاء المهين الوضيع . وأنت قد دأبت على أن تستخذى لرئيسك لتكون — فى يوم ما — رجلاً ذا مكانة وشأن . وفاتك أن المجد الذى يقام على دعائم من المداهنة والخداع والتمويه مجد متداع يوشك أن يهوى ويتهدم .

• • •

وقلت : « أما اللغة فقد انحطت عن غيرها من اللغات الحية ، فما ذا فيها غير كلمات صلبة جاسية وعبارات جافة قاسية وألفاظ واهية متداعية ، فى حين أن اللغات الغربية تموج بالحياة وتنبض بالعقل وتخفق بالثقافة وتتألق بالعلم . ونحن أمة وهى عزمها وانحلت قوتها فذهبت — فى ضعف — تفخر بما تلفظ بطن الأرض من آثار وتتعلق بأهداب خيال زال منذ زمان . لقد أصابتنا كبوة لا نستطيع أن نفيق منها إلا أن تغلق أذهاننا فى وجه الثقافة العربية الفجة لتتفتح للثقافة الغربية النابضة » .

ونسيت أن فى اللغة مجد الأمة وعزتها القومية ، وأن من خلالها تتأرث حرارة الوطنية والكرامة . هذه اللغة ـ يا صاحبى ـ قد وسعت علوم اليونان وفلسفتهم فى فجر النهضة العلمية الإسلامية واقتحمت باب الرياضة والفلك والطب ، ولم تقصر عن العلوم

الأعـــلام والرايات

للأستاذ أحمد رمزي بك

أرى الراية الصفراء يرى اصطفاقها بنى أصفر بالراعفات اللهازم
فتسبي فلسطيناً وتجبي جزائراً وتملك من يونان أرض الأعاجم(١)

إن التاريخ الإسلامي بأكله لا يزال بكراً لم يدرس بعد الدراسة العلمية الصحيحة. وأغلب ما نشر من الكتب الحديثة عنه هو من قبيل جمع المعلومات وتبيوبها ولذلك جاء أكثر ما بين أيدينا من المطبوعات وهو لا يتعرض لحل مشكلة من مشكلات البحث ولا قضى بأمر نهائى فى مسألة مستعصاة.

وقد أثير أخيراً فى مجلة الرسالة موضوع لون الراية التى اتخذها صلاح الدين لجنوده(٢)، واتخاذه اللون الأصفر الذى بقى علماً للأيوبيين وللملوك مصر من دولتى الأتراك والشراكسة.

والكتابة عن موضوع الأعلام وألوانها، قد تكون جزءاً من الكتابة عن أنظمة الجيوش الإسلامية وتقاليدها، وقد تكون جزءاً مما أطلق عليه القدماء اسم ترتيب المملكة ونظام المواكب العظام ....

(١) الروضتين جزء ٢ ص ١١٦ .
(٢) الرسالة عدد ٨٢٠ ص ٣٤٢ بحث الأستاذ أحمد أحمد بدوى المدرس بكلية دار العلوم عن القوة الحربية لمصر والشام فى عصر حروب الصليبيين

ويدخل فى ترتيب المملكة نظام الملك وتقاليده وأبهته وقواعد المراسم فى الحفلات العامة.

وكل هذه المسائل لم تدرس بعد الدراسة الكافية فى الدول الإسلامية ابتداء من عهد الخلفاء الراشدين إلى نهاية الدولة المملوكية أو إلى نهاية الدولة العثمانية، ثم قيام الأسرة العلوية بمصر.

وقد تعرض لمثل هذه الأبحاث المرحوم جورجى زيدان بك فى كتابه عن تاريخ التمدن الإسلامى، واعتقد أن ما جاء فى هذا الكتاب هو من قبيل جمع المعلومات المتفرقة، لا من قبيل الدراسة العلمية الصحيحة، ولم يصل إلى علمى بعد أن هناك من تعرض لدراسة هذه الأمور دراسة علمية سوى الأستاذ «ماير» بالجامعة العبرية بمدينة القدس الذى أخرج كتاباً عن «الرنوك» فوضع بذلك أساساً علمياً يصح أن يتخذ لزيادة الأبحاث وتطورها ومعرفة أصول الرنوك وألوانها وهو عمل يحتاج إلى عناية وتدقيق وإلمام باللغات الشرقية ومدنيات الشعوب الطورانية ولهجاتها ومقدار تأثرها بمدنيات آسيا وكل هذا عمل لا شك أن المستقبل كفيل بتحقيقه.

أما ما يخص جانبى ترتيب المملكة وتنظيم الجيوش، فلكل دولة من الدول الإسلامية لها طابعها الخاص بها. ويمكن فيما يخص مصر أن نقسم البحث إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ترتيب المملكة فى زمن الخلفاء الراشدين إلى آخر الدولة الأخشيدية.

القسم الثانى: الدولة الفاطمية.

القسم الثالث: الدول الإسلامية التى بدأت من عهد صلاح الدين إلى ابتداء الحملة الفرنسية.

أما الكلام عن القسم الأول، فكان ولا يزال ميداناً للبحث والاكتشاف العلمى وجمع المعلومات، ويظهر أنه كان محاطاً بالغموض فى العصور الماضية بدليل أن صاحب صبح الأعشى يقول إنه لم يتحر له معرفة ترتيب المملكة فيها، والظاهر له أن أغلب النواب والأمراء حينئذ كانوا على هيئة العرب واستمروا كذلك حتى ولى مصر أحمد بن طولون وأبناؤه فأحدثوا فيها ترتيب الملك. وهذا الباب الأخير من القسم الأول أى من ابتداء الدولة الطولونية

الطبيعية والميكانيكا ... فوضعت بذلك أسس النهضة العلمية فى أوربا حين كان الغرب يغط فى سبات عميق ويرسف فى أغلال من الجهل والعمى.

وغفلت عن أن المكتبة العربية التى بين أيدينا الآن لا تمثل إلا خمسة فى المائة من إنتاج الذهن العربى الشرقى، فلطالما عبث بها الفاتحون فأوسعوها حرقاً وتمزيقاً وقذفاً فى أعماق النهر.

لعلك - يا صاحبى - تؤمن فى قرارة نفسك بما أقول، ولكنك لبست القبعة ذات مرة ... لبستها لتنزل عن كرامتك ولتنبذ المعانى السامية للوطن والدين واللغة.

كامل محمود حبيب

إلى نهـاية الأخشيدية يحتاج إلى عناية الباحثين ، والدخول فيه عسير لأن مواده لا تزال قيد البحث والتنسيق .

فإذا دخلنا العصر الفاطمى ، نجد أنه كان موضع عناية المتقدمين وأن بين أيدينا مادة للبحث مدونة ومبوبة وتصلح للدرس والمقارنة .

أى أنه توسع الـكاتب أن يتناول ترتيب المملكة من جهة نظام الملك وتقاليده وأبهته وقواعد المراسم فى الحفلات العامة كما قلنا ، ثم يعرض للملابس التشريفة الـكبرى وما كان يلبسه الخاصة والعامة والجند والأمراء ، ثم يخلص إلى الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العامة كالتاج وشدة الوقار والمظلة وغيرها .

أما الأعلام فى العهد الفاطمى بالذات ، فيحتاج درسها إلى احتراس شديد ، وكذلك دراسـة السلاح وأصناف الجند وتعبئتهم فى لصفوف والمواكب ، وأعتقد أن لدينا من المواد والمعلومات ما يجعل دراستها تحت متناول يد الباحث ، لو كان ملماً بالقواعد لمعمول بها فى العالم الآن ، إذ لـكل دولة من الدول القائمة ومنها مصر مراسمها الخاصة بها وتقاليدها ، كما أن لجيوش البر والبحر قواعد تختلف بعضها عن بعض ولـكنها ترجع فى النهاية إلى أصول متعارف عليها . وقد نجد فى بعض هذه الأنظمة بقايا من أثر الشعوب الشرقية واضحاً ملموساً(١) .

فإذا اطلعنا على أنظمة الجيش البريطانى ، نجـد أن قواعد الأعلام والرايات واستعمالها منظمة فيما يخص ما يرفع منها للملك وللقواد ولأصناف الفرق ، ونجد قواعد التحية بالمدفعية وأنظمة خاصة بالموسيقى(٢) .

وما يقال عن الجيش البريطانى ينصرف أيضاً إلى الجيش الإيطالى ، فقواعد التحية بالأعلام وغـيرها منظمة فى كتب معمول بها يطلق عليها Norme Per il Servizio di Presidio

فهذه قواعد قائمة إلى اليوم ونحن فى حاجة إلى الإلـمام بها وتعرفها قبل الدخول فى موضوع الأعلام والرايات ولو كان الـكلام عنها تاريخياً ؛ إذ أن إخراج ما فى بطون الـكتب من المعلومات وتنسيقها يحتاج إلى تفهم ما يجرى به النظام والعرف فى الوقت الحاضر لـكى يجىء عملنا على أساس علمى .

***

قرأت فى البحث الذى نشرته مجلة الرسـالة للأستاذ بدوى قوله فى تبرير اختيار صلاح الدين للراية الصفراء » وكأن فى ذلك إشارة إلى أن مصر وإن كانت قد عادت إلى أحضان الدولة العباسية — فهى مستقلة ذات كيان خاص بها » .

واختلف معه فأقول :

أولا : إن إعادة الخطبة لبني العباس لم يجعل من مصر ولاية عباسية وإنما كان هذا العمل دينياً أكثر منه سياسياً أو إذا شئت هو إعادة اعتبار المذهب السنى وضم ولاية من الولايات إلى الأقطار التى تدين بالولاء الدينى لخليفة بغداد(١) .

ثانياً : إن صلاح الدين حينما اتخذ اللون الأصفر وإن كان يؤمل فى الاستقلال بولاية أو سلطنة لم يقصد ولم يبرر عمله باختيار لون خاص يضعه على أعلامه .

إذن علينا أن ندرس لون العلم على أساس غير هذه الناحية التى أشار إليها الأستاذ بدوى ويخيل إلى أن العصر امتاز بوجود نظامين : نظام الخلافة العباسية ، ونظام الملك . وعلى هذا يمكن استخلاص بعض الحقائق اللازمة لهذا الاختيار :

للخلافة شعارها وللسلطنة شعارها :

إن اختيار اللون الأسـود لبنى العباس قديم والـكلام عنه يخرجنا عن غايتنا . وهو لون اشتهر به بنو العباس وأصبح شعاراً لهم منذ إنشاء الدولة العباسية ولا يفهم من هذا أن نظام الدولة العباسية وترتيب الملك فيها حرّم استعمال لون آخر بل كان للدولة عدة رايات وأعلام مختلفة اللون والشـكل بدليل ما جاء فى الطبرى أن أحد الخلفاء وا لمه المتوكل على الله نصب علماً أبيض اللون وسماه لواء العمل وهـذه ناحية كما قلت تبعدنا عن الغرض الذى رسمناه لأنفسنا . ولذلك أعود إلى القرن السادس الهجرى وأقول : إنه ورث ما كان متبعاً فى القرنين السابقين : الخامس والرابع ، أى ابتداء من دولة بنى بويه ثم قيام الدولة السلجوقية

---

(١) يبدو هنا الأثر واضحاً فى نظام موسيقى الجيوش الأوربية وفى أنظمة كتائب الفرسان مثل « الإعلان » فى ألمانيا وبولونيا.

(٢) kings Regulations and orders for the Army

(١) وهو ما يدخل فى التفويض العا الذى كان يصـدر من دار الخلافة للمتغلبين من السلاطين « تقليده الأمور فيما بلغت الدعوة من جميع الممالك » .

فالذى ألمسه هو أن العالم الإسلامى الذى يدين بالولاء الدينى لبنى العباس عاش فى تلك الحقبة من الزمن وبلاده تحمل شمارين : شمار الخلافة بأعلامها وألويتها وتقاليدها وشمار المملكة أو السلطنة بترتيبها وألويتها وأعلامها .

ولم يكن هناك ما يحول دون قيام الشمارين أو النظامين فى وقت واحد ولذلك أجزم بأن صلاح الدين حينما أعلن الخطبة لبنى العباس وأقام شمارهم فى المساجد جاء إلى مصر ومعه شمار السلطنة أو المملكة المتغلبة . وهى منبثقة من نظام الدولة السلجوقية التى كان يتبعها الأتابكة ولو فى مظاهرها وشمارها ، ومنهم نور الدين الشهيد الذى فتح صلاح الدين مصر باسمه . وكان تابعاً له وقائداً من قواده على رأس جنود من التركمان والأكراد الذين يدينون بالولاء للدولة الأتابكية التى تخضع فى أنظمتها وتقاليدها لآل سلجوق الذين يمثلهم رغم استقلال الولايات وتغلب المتغلبين عليهم ما يطلق عليه .

سلطان السلاطين أو ملك الملوك :

وكان هذا اللقب من مسميات الدولة السلجوقية وهو لا يطلق إلا على من يكون فى ولايته ملوك تحت سيطرته . فالملك فى نظرهم من يملك مثل الشام أو مصر أو مثل أفريقية أو الأندلس وتكون عدة عسكره عشرة آلاف فارس على الأقل (١) .

فإن زاد بلاداً أو عدداً فى الجيش كان أعظم فى السلطنة وجاز له أن يطلق عليه السلطان الأعظم فإن خطب له فى مثل مصر والشام والجزيرة ، ومثل خراسان وعراق العجم وفارس ، ومثل أفريقية والمغرب الأوسط والأندلس كان سمته سلطان السلاطين كالسلجوقية » اه . قاله ابن فضل الله فى المسالك نقلا عن على ابن سعيد (٢) .

تقليد سلطان السلاجقة :

ولدينا وصف كامل للمراسم التى اتبعتها خلافة بغداد فى تقليد سلطان السلاجقة وهى جديرة بالتأمل والدرس ؛ لأنها تعطينا صورة حية لأساليب هذا العصر (٣) ثم تجعلنا نعود إلى أوائل دولة بنى بويه فنجد أن هذا التقليد اتبع فى عهد عضد الدولة فناخسرو الذى كان أول من خوطب فى الإسلام بالملك شاهنشاه (١) . ولدينا صورة لتقليد صمصام الدولة سنة ٣٧٣ ه لا تختلف فى مظاهرها عن تقليد السلطان السلجوقى سنة ٤٤٧ ه (٢) . ونعود إلى هذه الحفلة فنعرضها كما جاءت فى كتب الأقدمين :

جلس الخليفة القائم بأمر الله يوم السبت ٢٥ ذى القعدة سنة ٤٤٧ ه دخل عليه سلطان السلاطين طغرل بك .

تُوِّج وطُوِّق وسُوِّر .

أفيضت عليه سبع خلع سود فى زيق واحد واتخذت له بها مملكة الأقاليم السبعة .

شرف بعمامة مسكية مذهبة تجمع بين تاجى العرب والعجم .

لقب بالمتوج والمعمم .

قلد سيفاً محلى بالذهب .

عاد وجلس على الكرسى .

قام ورام تقبيل الأرض فلم يتمكن لموضع التاج الخسروى .

سأل مصافحة الخليفة فأعطاه يده دفعتين

قلده سيفاً آخر كان بين يديه .

ختم له بتقليد السيفين ، فقلد ولاية الدولتين .

خاطبه بملك المشرق والمغرب .

من ذلك يتضح أن تقليد الخليفة للسلطان تم بمقتضى مراسم موضوعة روعى فيها جلال سلطان الخلافة وعظمة سلطان الأرض قارن هذه المراسم بحرص الملك الظاهر بيبرس أن يتم تقليده طبقاً لها عند إعادته للخلافة العباسية فى مصر مع اختلاف فى بعض مظاهرها .

(للكلام بقية)

أحمد رمزى

---

(١) الروضتين ج ١ ص ٣٤

(٢) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ص ٩٢

(٣) راجع تاريخ الدولة السلجوقية ص ١٣

(١) المنتظم من تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزى ص ١١٣ ج ٧

(٢) بنو بويه سنة ٣٧٣ ه ذيل كتاب تجارب الأمم للوزير أبى شجاع الملقب ظهير الدين الروزراوى ص ٨٤٠ وفيها ركب صمصام الدولة إلى دار الخلافة وخلع عليه الخلع السبع والعمة السوداء وسور وطوق وتوج ، وعقد له لواءان وحمل على فرس بموكب ذهب وقيد بين يديه مثله وجرى عهده بتقليده الأمور فيا بلغت الدعوى من جميع الممالك وعاد إلى داره وجددت البيعة وأطلق رسومها وأقيمت الدعوى وغيرت السكة .

فلسفة طاغور الأخلاقية :

الآلام ثروة الإنسان الناقص

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

ان طاغور الذى برأ الحياة من الشر ، وأرجع وجوده فيها إلى عصيان الإنسان لقانونه الأخلاقى ، لم يغب عن باله ما يعترى الإنسان من نقص فى عقله أو فى إرادته ، ولم يغفل ما يسببه هذا النقص للانسان من متاعب ، وما يجره إليه من فشل يثير فى نفسه ألواناً متضاربة من الآلام قد تشقى حياته وتنفث فيها التعس .

ومع ذلك لم يلق طاغور تبعة هذه الآلام على الحياة ، وأخذ يدلل على أنها لا تتعارض مع السعادة ، ولا تسوق الإنسان بالضرورة إلى الشقاء . وزعم أن الله خلق قوى الإنسان ناقصة وإرادته محدودة ، وأن النقص فى حد ذاته لا يؤذى الإنسان ، وأن حدود الإرادة لا تحد من نشاطها ، وإنما الذى يؤذيه هو أن تظل قواه على ما هى عليه من نقص ، وتبقى إرادته حبيسة حدودها على الدوام بدون أن يسعى لاستكمال قواه الناقصة ، ولا يجد فى أن تصير إرادته المحدودة غير محدودة .

ولو خلق الله بادئ ذى بدء قوى الإنسان كاملة وإرادته غير محدودة ، لفقدت قدرته اللانهائية من ناحية كل معنى لها ، ولتعذر على الإنسان من ناحية أخرى أن يرتقى فى سلم الوجود حتى يصل إلى تلك الدرجة الروحية النموذجية التى يندمج فيها وجوده فى وجود الله ، ويصبح هو والله حقيقة واحدة ؛ لأن القوة لا تتطور إلى أن تتم نموها إلا إذا دفعها النقص لتكمل ، وأن الإرادة لا تتحرك حتى تصبح غير محدودة إلا إذا كانت تعمل على التحرر من نطاق حدودها الذاتية لتفنى فى إرادة الله غير المحدودة . فلولا نقص الإنسان ما عرف الكمال ، ولولا حدود إرادته ما صارت غير محدودة .

فنقص الإنسان ونهاية إرادته لا يسيئان إليه بقدر ما يدفعانه إلى طلب أرقى مراتب الكمال ، وبلوغ السعادة القصوى بالتلاشى فى لا نهاية الله . وما خص الله الإنسان بهما إلا ليمكنه من العودة إلى المنبع الذى انبثق منه ، ويحفزه على الفناء فى روحه الكبرى التى تشمل كل الوجود . وأن جمود النقص وبقاء نهاية الإرادة على ما هما عليه ، يمدان الحياة بسموم الألم وما يتفرع منه من حزن وخوف وقلق .

ولذلك يجب على الإنسان أن يفتش عن أسباب نقصه سواء أكان فى عقله أم فى إرادته ، ويعمل على أن يقومه ، ولا ييأس من طول مدة التقويم ، ويثابر على معالجة عقله وإرادته حتى يصل إلى مكانة من الرقى الروحى ينمحى فيها شعوره بأى نوع من الآلام سواء أكانت من تلك الآلام التى تنتاب النفس حين يصدر عنها إثم من الآثام ، أو من تلك الآلام التى تطرأ عليها عند الفشل فى أداء عمل من الأعمال .

أما عن الآلام التى سببها اقتراف الخطايا ، فترجع إلى جهل الإنسان بجوهر حقيقته وغفلته عن أن إرادته مرتبطة بقانون خلقى ليس إلا صورة من صور سرور الله التى تتجلى فى الكون ؛ وأنه يجب على النفس أن تعلم أن الله مستقر فيها فى قالب القانون الخلقى ، كما يجب على الإرادة أن تأتمر بأوامر هذا القانون ، فإنه هو الذى يفك أسرها ويساعدها على تحطيم قيود الرغبات والأهواء ، ويفتح لها الشعب لتنساب تدريجياً إلى لا نهاية الله ، وتوصلها إلى تلك الحالة الروحية التى تبلغ بها ملكوت السماء ، فيستحيل عليها ارتكاب الذنوب التى تقلقها وتبعث فيها الأحزان ، وإنما تمتعها بنعيم الحياة فى الحقيقة المطلقة الأبدية التى لا تتباين فيها جميع الموجودات .

بينما الفشل فى العمل يمكن التغلب عليه بتنمية المواهب ، وترقية الملكات ، وتربية المهارات عن طريق العلم والعمل ، لأن التزود بثقافة توسع من أفق المعرفة ، وتزيد من قوة الإدراك ، تجنب الوقوع فى غلطات تجلب مشكلات شاقة . وإن ممارسة العمل ممارسة واقعية تكسب دراية عملية به ، وبراعة فائقة فى أدائه

إلا أن كثيراً من الناس يزعمون أن هذه البراعة لا تكتسب بدون مشقة ترهق النفس وتذيقها بعض الآلام ، وأن الذين نضجت مداركهم ومهرت قدراتهم لا تخلو حياتهم من آلام ومتاعب ، فضلاً عن أن مجرد وجود الإنسان فى الحياة يكلفه عذاباً دائماً ، إذ يتطلب منه كفاحاً متواصلاً ليحصل على ما يوفر له حاجاته المادية .

ولكن طاغور يسخر من هؤلاء القوم ويصورهم فى صورة من يحسب ثقل ضغط الهواء على جسم الإنسان ، فيجده ثقلاً هائلاً فيبالغ فى تقدير ما يرزح تحته جسم الإنسان من أحمال ، وينسى

أن من خواص هذا الجسم أن تتعادل مقاومته مع هذا الضغط ، بحيث لا يشعر بأى شىء ينوءه حمله ، فإن كل ما يلاقيه الإنسان فى الحياة من محن وخطوب لا يفوق الطاقة البشرية ، ويشبه إلى حد كبير ضغط الهواء الذى لا تكاد تحس بوجوده ، وأن فى قدرة الإنسان أن يقاومه ويتغلب عليه بأقل جهد .

وإذا بحثنا عن سبب شدة وطأة الآلام ، وعنف وقع المتاعب على الإنسان ، وجدنا أنه يرجع إلى أنه ينظر إلى الحياة نظرة ضيقة تنحصر فى الحاضر دون المستقبل ، وتقصر مطالب ذاتية عارضة دون المطالب العامة الدائمة ، فإن لم يحرز ما يريد بأسرع ما يمكن ، وفى أقرب فرصة ، وبأقل جهد ، يقلق ويضطرب ويظن بالحياة الظنون . وإن نزل به خطب جزع لضياع غنم عاجل لا يستفيد منه إلا شخصه . وإن خذل فى تحقيق مآربه أحس بخيبة مرة تضايقه . وإن عاقته عوارض الحياة دب فيه اليأس والقنوط ، بينما لو نظر إلى الحياة نظرة رحيبة تضم الحاضر والمستقبل ، وتحتضن خير كافة البشر الذى لا يتحتم تحقيقه فى الوقت الحاضر ، إذ قد يتحقق فى المستقبل القريب أو البعيد لما اكترث بما يقابله من أهوال ، ولما حركت المتاعب كوامن أشجانه ، ولا قدم غير هياب على تنفيذ كل عمل يراه ينفع الإنسانية ولا رهب العذاب فى سبيله ، وكان على استعداد دائم لأن يتحمل المشاق طائماً مختاراً ، ويقاسى الحرمان دون تذمر ، لا يسأم النضال الطويل ، ولا يثبط همته الفشل المتوالى ، لأنه يدرك أن هذه الآلام ما هى إلا قرابين زهيدة فرضت على من يريد أن يحظى بالحياة فى الذات الإلهية عن طريق تعميم ضرب من الخير الدائم بين الناس . فمن رض أن يعانى الآلام ليسعد البشر ، تقو عزيمته على تذليل كل عقبة تعترض هذه الغاية ، وتهون عليه نفسه فيضحى بها فى سبيل خير الإنسانية ، ويسير سيراً حثيثاً نحو تلك الحياة الروحية التى لا يحس فيها المرء إلا بحقيقة فريدة لا مثيل لها ، هى حقيقة اتحاد الخالق بالمخلوقات التى يتمتع فى كنفها بسعادة عذبة هادئة ، ويتلذذ بغبطة حلوة تحيط الإنسان بهالة من النشوة والحبور ، تدفع عنه مرارة الألم ، وتحميه من تمس الأحزان .

فطلب الحياة فى الله يصهر المعانى المألوفة ، فيصبح السرور الذى تريد أن تنعم به مضنياً ؛ لأن طريقه وعر صعب ، كما يصبح الألم الذى نسقاه محبوباً لأنه يقودنا إلى إسعاد الغير ، ويسوقنا إلى الاتحاد بالله . فمن يرحب بالتضحيات من أجل الخير العام المستمر ، يعط لحياته قيمة عليا ينمحى فيها الفوارق بين شتى المعانى التى يحياها عامة الناس ، ويفقد السرور والألم عنده تأثيرهما المتناقص المتداول ويتساويان ، ولا يتمايز بعضها عن بعضها بشىء ، لأن التمتع بالسرور لا يحدث بدون مقاساة الآلام ، والآلام هى الضريبة التى تمهد لنا طريق السرور . فالسرور والألم مختلطان ، لا يسهل التمييز بينهما فى مثل هذه الأحوال الإلهية .

ولكى يعيش الإنسان فى سرور دائم يجب أن يخوض ميدان الحياة الاجتماعية ، ليبنى ويهدم ما لا يروقه ما بناه ، ويضع القوانين ويغيرها إذا وجدها لا تلائم خير المجتمع ، ويحلق الأكداس المكدسة من الآراء ، ولا يبالى ما قد يقع فيه من أخطاء فإن استمراره فى خلق أفكار جديدة يصحح غلطاته ، ويكشف عن أسرار الطبيعة وقوانينها الحق ، ويخترع مختلف الآلات ، أى يعمل بلا انقطاع ولا يخشى الفشل ، فإنه سبيل النجاح والتقدم ، ولا ينفك يبدل فيما وصل إليه من علم وعمل ، ويغير ما دام فيها نقص أو عيب ، ويبحث راضياً مرضياً ، لا يفكر مطلقاً فى تجنب الألم أو الهروب من المتاعب ، بل يظهر براعته فى القضاء على ما به من نقص وتحويله إلى كمال ، ويبرز مهارته فى مختلف أنواع الألم من خذلان ونصب وشجن وخوف ، ويجعلها عنصراً من عناصر السرور . فلا ينبغى لأحد أن ينزل الحياة رعباً من آلامها ومتاعبها ، وإنما يجب عليه أن يتحملها صابراً ، عالماً أن الألم ثروة الإنسان الناقص ، وعلامة على أنه أكبر من حاضره ، وبمثابة قوة دافعة تصيره عظيما فى الحياة ، وتخطو به من حاضره المحدود نحو مستقبل باهر غير محدود .

إن تطور الحضارات ، وتقلب المدنيات ، ونبذ الإنسان للقديم وابتكار حديث يقوم مقامه ، لدليل على أن الإنسان لا يفتأ يجد ويخلق ويسير من مرحلة إلى مرحلة أفضل منها ، حتى يبلغ أقصى درجات الكمال التى تكفل له السعادة المرجوة .

فالشكوى من الآلام والمتاعب شكوى لا مسوغ لها ، ولا ينبغى أن نترك لها أى منفذ لتتسرب منه إلى نفوسنا ، وتلق فيها نواة التشاؤم ؛ لأن الآلام ضرورية لتقدم الحياة ، ومحك دقيق يقيس رقى الإنسان ويحسب مدى ما وصل إليه من سعادة ويبين ما بقى عليه من أشواط ليصل إلى ذلك السرور السرمدى الذى ينبعث فى النفس من توافق حياة الإنسان مع حياة الله .

عبد العزيز محمد الزكى

في دنيا البطولات :

ثلاثة جاهدوا فصدقوا...

للأستاذ محمد سليم الرشدان

ما مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وأنف حمى ؟ !
وإباء محلق بي عن الضيـ ـم كما زاغ طائر وحشي ؟ !
« الإمام الشريف الرضى »

لعلك — أيها القارئ — تخالني حين تقرأ هذا العنوان ، سأحدثك عن ثلاثة من أعلام الجهاد ، ممن تردد ذكرهم على ألسنة الناس ؟ لا يا أخي ! ما أنا وذاكِ ؟ إن لهؤلاء في مواطنيهم من يفي بطولتهم حقها؛ وإن حديثي عنهم — لو فعلت — لا يجاوز أن يكون إلمامة عابر ، لمح في الأفق البعيد جبلا ، فهو يصف منه تهاويل ما خيل إليه ، دون أن يصل بيقينه إلى كنه مسالكه وشعابه !

إذن فـا لي ولأولئك ! ودعني أحدثك عن ثلاثة عرفتهم بنفسي ، وصحبتهم عمراً من دهري . وقد جاهدوا فصدقوا في جهادهم ، حتى ارتقوا إلى مراتب البطولة ، إلا أنها صامتة متواضعة ، لم يتبعها زيف من الجلبة ، ولم يتقدمها بهرج من الرياء.

إن هؤلاء الثلاثة من القرويين ، وإن شئت فقل من (الفلاحين) ، على رأى مواطنيهم (من أبناء الذوات) ! وهم من ثلاث قرى مختلفة ؛ إحداها نكرة في القرى ، لا يصلها طريق ذلول ، إلا أن يكون انحداراً من شماف الجبال ، أو صعوداً من بطون الوديان . فاذا ما التمست إليها سبيلا ، كنت كمن يرق في السماء ، أو ينحدر في هاوية ليس لها قرار !

ولا يذهب بك الظن بعيداً ، فتخالهم من سواد الدهماء ! وإنك لتعلم أن الظلمة لا تمتزج مع النور ، وأن الجهل شر ضروب العمى ، وأن من عمى قلبه لا تستقيم له المسالك ، فهو يخبط خبط عشواء لا ينتهي بصاحبه إلى غاية . فلو لم يهذبهم العلم لما أدركوا معنى الجهاد ، ولو لم تصقلهم المعرفة لما استيقنت قلوبهم :

« إن حب الوطن من الإيمان .. »

فهم من أبناء الجامعات ، حملوا منها رسالة العلم ، ثم تقلبوا في الآفاق يؤدون هـذه الرسالة وأخيراً هتف بهم الوطن فلبوا نداءه ، ثم عز عليهم أن يهجروه في محنته حين هجره الكثيرون من أبنائه . وكانت العاقبة أن سقط أحدهم شهيداً ولسان حاله يردد قوله :

وأهوِى بمعفَّـر وجهي ثراكِ قريراً وذلك جهد المقلّ !

وبقى الآخران مرابطين صابرين ، أحدهما يجاهد بقلق ، بعد أن ألقى من حوله السلاح ؛ والثاني مايزال في خطوط القتال ، يبذل حشاشته ، ويراوغ منيته . يدفعه أمل باسم يحمله على أن يردد في نجواه : « من طلب الموت وهبت له الحياة » .

أتذكر فيما مر بك أن شاعراً قتله بيت من شعره ؟ إنه المتنبي حين هتف به غلامه : « أتفر وأنت القائل :

الخيل والليل والبيـداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم ؟»

فرد عنان جواده وقال : « بلى ؛ أنا القائل » ، ثم قاتل حتى قتل .. وإن هذا البطل الذي أسوق إليك نبأه قتلته (كذلك) أبيات من شعره ! أو تدري كيف ؟ كانت جحافل (جيش الإنقاذ) تستعد للانسحاب من مدينة (الناصرة) ، ماخلا كتائب تنتثر هنا وهناك ، يقابلها العدو وجهاً لوجه . وكان ذلك الفتى يقود كتيبة منها ، وصمد هو ورفاقه في وجه العدو المنتصر ، حتى ضاقت عليهم السبل ، وكادوا يطوَّقون.

فالتفت إلى أصحابه يصدر أمره بالانسحاب ، فاذا بأحد المجاهدين يصيح في وجهه — وقد ألهبته سورة الجهاد — : وا ذلاه ! أتفر وأنت القائل : سأحمل روحى على راحتى .. ؟ » فأجاب — وقد أشرق في وجهه نور الشهادة — : « نعم والله ! أنا الذي أقول ذلك » ووثب من مكمنه يخترق حجاباً كثيفاً من الرصاص ، وهو يردد بصوت يسمعه من خلفه :

سـأحمل روحي على راحتي وألقى بها في مهاوى الردى
فإما حيـاة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العـدا
ونفس الشريف لهـا غايتا ن ورد المنايا ونيل المنى
أرى مقتلى دون حقي السليب ودون بلادى هو المبتغى
لعمرك هـذا ممات الرجال ومن رام موتاً كريماً : فذا !!

وسقط المجاهد البطل يلفظ أنفاسه وهو يردد عجز البيت الأخير : « ومن رام موتاً كريماً : فذا !! » وكان آخر ما تلفظ به قوله : « الحمد لله على الشهادة .. » . ولم يكن ذلك أول جهاد قام به ، فلقد كان له قبل ذلك جهاد طويل ، ولكنه في ميدان

آخر . فقد تولى التدريس زمناً فى كلية النجاح الوطنية بنابلس ، كما تولاه زمناً فى العراق . فلقن طلابه دروساً فى (الوطنية) ، أضعاف دروسه فى اللغة والأدب . وكان له فى الصحافة المحلية ميدان لابفتأ يثريه من آيات إبداعه شتى الألوان . وقد طوف فى الأقطار العربية المجاورة ، وتعرف إلى جماعة الأدباء فيها ، فأصبح بينهم علماً يعرفه القريب والبعيد . ومَنْ مِن أدباء فلسطين ومتأدبيها لا يذكر القصيدة العصماء التى استقبل بها الأمير السعودى يوم زار بيت المقدس . وكان أحد أبياتها قوله :

(المسجد الأقصى) أتيت تزوره ؟ أم جئته قبل الضياع تودعه ؟

لقد كانت تلك القصيدة — يومذاك — حديث المجالس ، وطرفة الأدباء . وكأنما تكشف له فيها حجاب الغيب ، فنظر من خلفه ما صارت إليه الأمور !

وإن لهذا الشاعر من ضروب القول ما يضيق عن سرده المجال (لو وصلت إليه يدى !) ، وحسبك أنه يقع فى دواوين ! ولا أدرى ماذا فعل الله بآثاره ، وإنى لأعلم أنها كانت لا تزال مخطوطة كلها .. ويحضرنى من غزله أبيات — له ما يفضلها — من قصيدة عنوانها (يا غادرة !) قال فيها :

روحى فقد راح الذى بيننا
كالبارح السالف ما أن يعود!

روحى ولا تأسى على حالتى وانسى مواثيقى وخونى العهود
لا تحملى من ذكر عهد الهوى إن الهوى صعب وحمل يؤدد !

روحى فقد راح الذى بيننا ..

إذا تلاقينـــا فلا تنظرى أرى وميض الغدر فى ناظريك
ولا تشـــيرى لى ولا تومئى وددت لو تقطع كلتا يديك !

روحى فقد راح الذى بيننا
فلعنة الحب وقلبى عليك ..

هـذا هو أحد الثلاثة المجاهدين ، بذل من أجل وطنه غاية ما يملكه (وهو دمه !) وخلف من ورائه فى قرية (عنتبا) أطفالا ليس لهم عائل ، وأيما لم يترك لها تراثاً ، إلا أن تكون هذه البطولة الفذة ، تنشىء عليها صغاره ! ! ، فرحم الله الشهيد البطل (عبد الرحيم محمود) ...

يا أخى القارئ ؟ لست أزعم لك أن ما قام به هؤلاء الثلاثة بطولة نادرة ، وأعمـال خارقة يعجز عنها الآخرون من بنى الإنسان ! ولكنها مواقف كريمة ، تتمثل فيها الرجولة الصادقة ، ويطمئن إليها الخلق النبيل . وإنك لتسمع فى (مجالس) ، وتقرأ فى صفحات (كتب) ، الكثير عن (النجدة والحفاظ ؛ فزيد يأنف الضيم والعار ، وعمرو يأبى الذل والصغار) ! ولكنك حين تلتمس هذا الـ (ـزيد) ، أو تطلب ذاك الـ (ـعمرو) ، تجدهما — إلا أن تواتيك المصادفة العجيبة ! — قد تخلفا فى زوايا تلك (المجالس) أصداء تتردد ، وفى صفحات تلك (الكتب) مداداً تحتضنه سطور !!

أرأيت إذن أن الأعمال تقاس بما يحوطها من ظروف ، وأن الشاعر كان صادقاً كل الصدق حين قال : (وبضدها تتميز الأشياء) ! إنك — من غير شك — قرأت قول الطغرائى :

حب السلامة يثنى هم صاحبه عن المعالى ويغرى المرء بالكسل

ولكننى لا إخالك لقيت من عبث الأقدار ما يقفك ذلك الموقف الذى يجعلك تحس (بنفسك) ما يريده الشاعر من (حب السلامة) ، كأنْ يخيرك بين أمرين : إما الحياة ، وإما الموت ! وإنه لاختيار عسير ، ندر أن تجد فى الناس من يتردد طويلا فى الانحياز إلى أحد شقيه ! ولعلك لا تعجب أن يختار (بنو الموت) شقه الأول ، فهذا هو الذى يحتمله — على علاته — منطقنا الصحيح أو السقيم لست أدرى !) وهل عسيتك — إن أنت وقفت حيال رجل فر من الموت — أن تستهجن ما صنع ؟ !

وعلى ذلك القياس نجد أن حب السلامة يتساوى فيه الناس جميعاً ، ومن هنا يمتاز من يزهدون فيه ، ويقدمون على الموت بملء اختيارهم ، فى سبيل غاية سامية ، أو ثباتاً على مبدأ يعز عليهم أن يجاوزوا حدوده .. وكذلك كان أصحابى الثلاثة ، فقد أقدم أحدهم على الموت كما رأيت ، لأنه أحب أن يقول فيفعل ، وقال غيره (وهم كثيرون !) أبلغ من قوله ، ولكنهم آثروا العافية ، وهتف بهم (حب السلامة) نخفوا إليه راغبين مسرعين ، كأنما أرهف مسمعهم لندائه شاعريتهم المبدعة ، فسمعوه قبل أن يسمعه أحد سواهم . وسرعان ما انتشروا بين القاهرة وبغداد (ومنهم من جاز البحر إلى قبرص) ، وجعلوا من هناك يحرضون الناس على القتال ! ولكن ذلك الأديب المجاهد ، ثبت لا يبرح مكانه متجاهلا (سلامته) ، فبذل حياته ثمن ذلك التجاهل ، وإنه لثمن لا يملك صاحبه أعز منه .

وقد فعل رفيقاه مثل ما فعل ، إلا أنه لكل أجل كتاب ! فهذا أحدهما تصبح قريته (قلقيلية) فى صميم خطوط القتال ،

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة

للأستاذ ابراهيم البطراوى

قليل من المصلحين الاجتماعيين هم أولئك الذين يبحثون مشكلات الشباب بحثاً جدياً خالصاً لوجه الحق . وأقل من هؤلاء أولئك الذين يوفقون فى حل لا تتدخل فيه الأغراض الخبيثة ولا العناصر الذاتية التى تختلف وتتعدد تبعاً لاختلاف الأفراد وتعدد الجماعات .

والشباب بين هؤلاء وهؤلاء يضطرب فى مسالك الحياة حائراً لايدرى — وسط هذا التناقض الفكرى والمذهبى فى كل مظاهر الحياة تقريباً — لا يدرى ما يأخذ ، ولا يدرى ما يترك ، ولا يدرى ما يفعل ؛ ولكن لديه طاقة فتية يتأجج أوارها ولا بد له من استنفادها على أى وجه من الوجوه .

وإنا لنراه — برغم تعدد السبل التى يسلكها فى استجابته لرغباته ونزعاته — يصل إلى نتيجة واحدة هى (الشك) : الشك فى القيم والمثل ، لأنها لم تتكاتف فى الأخذ بناصره وتحقيق غايته ؛ والشك فى العرف والأوضاع ، لأنها تتجاهله فى أكثر الأحيان ؛ والشك فى السياسة ، لأنها تتملقه لنيل مآربها ؛ والشك فى كل شىء حتى فى نفسه ، لأنه أصبح لايرضى عن شىء حتى عن نفسه : لهذا نراه قلقاً متبرماً بكل شىء ، ثائراً على كل شىء .

ويحاول المصلحون الاجتماعيون أن يعزوا هذه الظاهرة — ظاهرة الثورة فى الشباب — إلى عوامل فسيولوجية وسيكولوجية (معينة) يستغلها أرباب المذاهب السياسية والاقتصادية فى تحقيق غاياتهم بإثارتها بأنواع المثيرات المغرية .

ويبدأ أولو الأمر يعالجون المشكلة على هذا الأساس ، ولكنهم عبثاً يحاولون أن يصلوا إلى نتيجة .

وأنهم ليخطئون كثيراً حين يقدرون أنهم حصروا العلة فى هذه الدائرة الضيقة .

والواقع أن الأمر أعظم وأخطر بكثير مما نتصور ، بحيث تتضاءل بجانبه جميع الاحتمالات التى قدرنا حتى الآن : إنه يتخطى العوامل الفسيولوجية والسيكولوجية إلى ما وراءها : إلى تلك

فلا يضن بحياته على تلك القرية ، ويندفع فى سواد أبنائها يقاتل كما يقاتلون ، ويسمه ما يسمهم من شظف العيش وعنائه ، ثم يعدهم ألا يبرح مكانه بينهم ، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا .

ويجىء له فرصتان ، إحداهما فى العراق والأخرى فى الشام ، ولكنه لا يحول عن عهده الذى قطع ، ليغتنم فرصة العمل — على حاجته إليه — بينما اغتنمها الكثيرون من زملائه ! وما زال الأستاذ (أحمد السبع) إلى اليوم هناك ، يرتقب ما الله صانع ، فحيا الله المجاهد الكريم ، فقد صدق الوعد وحفظ العهد !.

وذاك ثالثهم يعود إلى قريته « روقين » ، وهى التى حدثتك أنها : (نكرة فى القرى) ، بعد أن يجاهد حتى تغلق فى وجهه مسالك الجهاد ، ويقبع فيها إلى أن تحل تلك الليلة المشؤومة ، ليلة سقوط مدينة اللد ، وهى منها على غلوة أو غلوتين . (ومنذا الذى لم يسمع بكارثة اللد وجارتها الرملة ؟) وينطلق أهل القرية يعدون العدة للجلاء ، ويتفقون على ذلك جميعاً كبيرهم قبل صغيرهم ؛ ولكنه هو وحده يعارضهم فيما اتفقوا عليه ، ويعلن لهم أنه لن يبرح مكانه حذر الموت ، ولن يسلمه ما دام فيه عرق ينبض ! فتثبت بقوله خائر العزائم ، فلم يبرح أحد بيته !

وما زال هذا الأستاذ المناضل هناك ، يصدر جريدته (البعث) على مقربة من هذه القرية ، ويضرب صفحاً عما يعرض له من فرص ، وإن اختصاصه النادر يضاعف الحاجة إليه ، وإن آثاره العلمية بين مخطوط ومطبوع ، تدل على سعة اطلاعه فى موضوعه الذى انصرف إلى التخصص فيه ، ولكنه لم يستغل السانحة التى استغلها سواه ، وذلك ثباتاً منه على مبدئه الذى أنف أن يحول عنه — على رغم ما حاطه من سيئ الظروف — وقليل ما أنتك !

لقد سبق أن تحدثت فى (الرسالة الزاهرة) عن هذا المجاهد ، وأتيت على ذكر آثاره مفصلاً حين تحدثت عن ذوى الآثار العلمية فى موضوع (الأدب فى فلسطين) منذ عام . وذلك هو الأستاذ (عبد الله الريماوى) ، ثالث ثلاثة جاهدوا فصدقوا ، فحق لى أن أسجل جهادهم الصامت ، وأنا أردد فى أعقاب ما سردت قول الشاعر :

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

محمد سليم الرشدان

« ماجستير فى الآداب واللغات السامية »

الحواجز القوية التي تضبطها وتمنع انفجارها وانحرافها ، بل وتحول بينها وبين الاستجابة لأي مؤثر في غير ما رسم لها .

نعم ، إن الاتجاه يهدف إلى ما وراء هذه الجزئيات ، إلى الكليات ، محاولا القضاء عليها حتى لا يكون ثمة شيء يقف في سبيله بعد ذلك . هذا الشيء الذي يخشاه أرباب المذاهب السياسية والاقتصادية ، ويحسبون له ألف حساب ، متحينين كل فرصة وكل وسيلة للقضاء عليه ، هو(الدين) . ويتذرعون بمختلف الحيل والأحابيل لإلغاء فطرة الله : تارة باسم الحرية الفردية ، وتارة باسم الأدب والفن ، وتارة باسم العلم والفلسفة ، وتارة باسم الوجودية ، وتارات بإشاعة الفجور ومغرياته بمهوناته من الحاديات وأشياء يزعمون أنها طابع العصر وعنوان المدنية !

والشباب موزع يحس صراعاً في ذات نفسه — من حيث يدري أو لايدري — بين هذه الفلسفات والمثيرات ، وبين ما ورثه من حقائق الدين ، وعقائد الألوهية ، ومواضعات العرف . ونتيجة لهذا تتشتت قواه وتنقسم شخصيته بين عاملي الشك واليقين ، وثمَّ تتملكه الهموم ويتنازعه الشقاء ، وما يستتبع ذلك من نزعات منحرفة قد تودي بحياة الشاب في بعض حالاتها . وأظننا ما زلنا نذكر تلك النزعة الرومانتيكية التي طغت على أوربا حيناً ففشيتها آنئذ موجة الانتحار المشهورة ، والتي هونت على الشاعر الألماني الفيلسوف جوته سبيل الانتحار تخلصاً من يأس الشك ، حتى يرى ما ذا يكون وراء الطبيعة ، أحقيقة هو أم كذب بقوله لنفسه : « لتقتحمى الطريق الذي يوصلك إليه حتى ولو اعترضتك نيران الجحيم المتسعرة » ... لولا أن تداركه لطف الله . وربما يحدث غير ذلك ، فينغمس الشاب في الشهوات تخلصاً من آلامه حتى يهلك . وما إلى ذلك من مآس لا يسمح المقام بذكرها .

ولكن أين إذن موضع الحق من ذلك كله ؟

هذا ما سنحاول الكشف عنه فيما يلي :

رأينا فيما سبق كيف أن الاجتماعيين جانبهم التوفيق في تلمسهم أسباب الثورة عند الشبيبة في حدود العوامل الفسيولوجية والسيكولوجية ليس غير ؛ فتورطوا في غلطة لن يغتفرها التاريخ لهم أبداً ، وهي نصحهم بالعلاج السيكولوجي لنفسيات الشبيبة ، فما ذا ترون إذن يكون هذا العلاج ؟

لا شيء عند السيكولوجيين غير حل العقد الفرويدية وما إليها بالطرق التي نعرفها جميعاً ، وغير تجنب عوامل الكبت بما يسمونه (التنفيس) ؛ وفي سبيل هذا التنفيس يهون كل مرتخص وغال .

ويجب قبل كل شيء أن نعرف أن الحياء مرض نفسي ، ولا يمكن أن تكون النفس كاملة إلا بإزالة هذا المرض الخطير (يعني بقلة الحياء)!

ومن أجل التنفيس لا بأس عندهم من إباحة شيء من المحرمات (ولكن في حدود الاعتدال) هكذا يقولون ! ومن عوامله في الغريزة الجنسية مثلا الاختلاط والرقص وترويج الوريقات الخليعة التي تسير على مذهب الصراحة الجنسية ، وما في هذا المعنى الفاجر .

وكأن لسان حال السلطات يقول : إن لم تكن هذه الأشياء مجدية ، فهي على كل حال ملهية ! إي والله ! إن هذا هو ماحدث !

ويل لهؤلاء المحترمين[1] إن سكتوا بعد اليوم عن هذه الحال وظلوا هكذا متشبثين بذنب الحية دون رأسها !

ألم يعلموا أن في هذا العلاج الجنسي والنفسي إشاعة للفجور ، وأن ترويج المفاسد والفجور هو أفعل سلاح قضى على العقائد والمبادئ حتى الآن ؟ !

والقانون الذي يمكن أن نستنتجه من استقراء حوادث التاريخ قديمها وحديثها هو [أن الثورات وليدة الفجور والإباحية التي هي معول الأديان والعقائد] . وإن أصحاب المبادئ السياسية والاقتصادية لا يمكن أن تقتسم مبادئهم الحياة إلا عن طريق هذا الذي استنتجناه الآن وسميناه — ولو على سبيل المجاز — قانون الهدم الاجتماعي .

والقاعدة التي نستخلصها من تطبيق هذا القانون هي أن كل ملحد أو داع إلى إلحاد لا يمكن أن يكون غير واحد أو أكثر من هذه الثلاثة : (استعماري ، إباحي ، مغفل كالقرد لا هم له إلا أن يقلد ، فهم أو لم يفهم) . ولا يجوز أن يتعدى الملحد بأي حال هؤلاء الثلاثة .

تلك مقدمات لا بد منها لكي نعرف هل الملحدون الذين بلبلوا أفكارنا وورطونا في هـــذه الأزمات النفسية الخطيرة — يؤمنون حقاً بمبادئهم تلك ، أم أن لهم غايات أخرى وراء ما يظهرون ؟

وإذا كانوا هم لا يؤمنون بهذه النظريات ذاتها إلا بقدر ما تحقق لهم من أغراض كما أثبت التاريخ على نحو ما رأينا ؛ فواضيعة

(١) الذين يشيرون بالعلاج السيكولوجي دون غيره .

أعمارنا وزهرة شبابنا فى شىء ليس له حتى عند أصحابه وجود ! على أننا متى عرفنا هذا وتيقناه ؛ فلن تسحرنا أقوالهم ولن نقع — بعد اليوم — فى شباكهم ، وكفانا بهذه المعرفة العاملة سعادة !

والآن يبدو لى أننا بحاجة لأن نمتطى الزمن لحظات عبر التاريخ فى سياحة علمية نلم فيها إلمامة قصيرة بشئ من ختل هؤلاء المشلين البارعين :

هذه هى فرنسا ظهر فيها فولتير وروسو « باسم حماة العدل ، ورافعى الظلم ، ودعاة الحرية بإنارة الفكر ، وهداية العقول » . وبدأ راهبا (الحرية) هذان ينشران مبادئهما التى تتلخص فى تسفيه الأنبياء وإنكارهم الألوهية بزعم أنها خرافات . وأن الدين الحق هو دين الطبيعة الحرة ، والمعبود الحق هو الشهوة ...

وبذلك حدثت المآسى الخلقية التى يذكرها التاريخ خجلا ، والتى رأينا صورة منها فى اعترافات روسو نفسه .

وعلى إثر تسمم الناس بهذه الآراء قامت الثورة المعروفة على أنقاض الدين .

وهذه هى الروسيا لم تتمكن فيها مبادئ ماركس من الوجود إلا على أساس الشيوعية الإباحية التى أعقبتها الثورة على الدين والنظم السياسية والاجتماعية والقضاء على ذلك كله .

والأمثلة تفوق الحصر ولكن ليس هذا محلها : إنما اقتصرت على مثالين حديثين يذكرهما ويعرف تفاصيلهما كل منا ، وإن التاريخ أجمع من أوله إلى آخره هو حجتى وبرهانى على صدق الأرقام التى ذكرت : فما من صاحب مذهب إلحادى إلا وله قصد غير الإلحاد فى ذاته .

أما فى الأمم التى لم تنضج ثقافتها فإنى أصدق أن فيها من يلحدون إخلاصاً للالحاد فى ذاته ، أو لأن الإلحاد قال به ديكارت أو فلان من الناس ، أو للاشتهار بالمخالفة ...

ويعلم الله أنهم — على حسب مقاييس سادتهم الغربيين — لايفهمون من معانى هذه الألفاظ التى يتشدقون بها غير أسمائها ، وأن هذا التقليد الجاهل فيما يضر ولا يفيد — إن دل على شىء — فليس إلا على أحط دركات الانحطاط الخلقى والعلمى

أما الذين يدعون إلى الشك بدعوى العلم لأن ديكارت قد قال به فى يوم من الأيام ، فلست أدرى إن كانوا يفهمون حقاً منهج ديكارت ذاك ، هل شك ديكارت فى الأديان وفى العلوم وفى التاريخ وفى كل قديم لأنه قديم وكفى ؟ وهل كان يصل إلى نتيجة لو أنه قدر وحدث هذا ؟

ومهما يكن فياليت هؤلاء فعلوا ما فعل ديكارت ؛ إذن لكنا جنينا من ورائهم خيراً كثيراً كما جنت العلوم بل والأديان من نهج ديكارت هذا الذى يضللون به السذج ممن لم يعرفوا حقيقته

« جاء فى الجزء الثالث من دائرة معارف Chambero :

« من قواعد فلسفة ديكارت أن ما وجد فى الذهن واضحاً جلياً فهو حق يجب أن يسلم به تسليما » أين هذا من قولهم بالشك فى التاريخ والدين وفى كل قديم لأنه قديم وهذا حسبه ؟ « لم تكن عظمة ديكارت راجعة إلى أنه شك ؛ ولكن إلى أنه اهتدى بالبحث إلى طريق وصله إلى اليقين » « على أنه حين أخذ الشك يساوره كان غلاماً ناشئاً لم يجاوز سنه العشرين (ولما يتم دراسته الجامعية) فشكه حينئذ لم يكن ليحتج به »

ولكنه على كل حال بحث وجدّ فى بحثه حتى توصل إلى أن قال كلمته المشهورة « أنا أشك فأنا إذن موجود » ثم قال بعد ذلك « إنى مع شعورى بنقص ذاتى أحس فى الوقت نفسه بوجود ذات كاملة ، وأرانى مضطراً إلى اعتقادى بأن هذا الشعور قد غرسته فى ذاتى تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال وهى الله »

وقد اعتذر ديكارت الكهل نفسه عما بدر منه أيام الشباب برسالة صغيرة أخرجها للناس فى سن الأربعين بين فيها كيف تخلص من أزمة الشك إلى اليقين بهذه الطريقة العلمية الرائعة التى يعرفها التاريخ باسمه عنوانها (مقال فى الطريقة) .

ومن أهم مبادئها كما شُرحت فى دائرة المعارف البريطانية

إننا لا نقبل شيئاً ولا نسلم به مالم يختبره العقل اختباراً دقيقاً ويتحقق من وجوده بما ليس فيه أدنى ريب ؛ فكل ما كان مصدره الحدس والتخمين يجب رفضه ونبذه قطعاً .

يجب أن يكون بحثنا على الترتيب الآتى من البسيط إلى المركب ومن الصعب إلى الأصعب .

ومن أهم شروط صحة البحث ألا نحكم بصحة رأى أو مقدمة أو خطأ حتى نتحقق من ذلك بالامتحان .

ولو أننا طبقنا هذه الحقيقة على ما يرجف به السادة المشككون باسمه ، لقضت على آرائهم فى مهدها ، ولاستراح الشباب والشيوخ من سفسفاتهم وترهاتهم ...

(للكلام صلة)

إبراهيم البطراوى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

شاعرة حائرة تسأل عن الفن والحياة :

أحييك وأهنئك ، فقد سموت بفن النقد الذى لم نكن نعرف عنه سوى أنه إما مدح أو تملق يحط من كرامة الكاتب ، وإما ذم وتحقير مغرض لا هوادة فيه ولا رحمة ... لقد أعجبنى وأفادنى مقالك عن الأستاذ توفيق الحكيم تحت عنوان « الفن بين واقع الفكر وواقع الحياة » ، ولكنه لسوء الحظ ساءنى وأفزعنى !

لقد قرأته مراراً ثم قلت لنفسى : إذا كان إنتاج الأستاذ الحكيم قد تأثر بسبب انطوائه على نفسه وابتعاده عن الحياة ، وإغلاقه « تلك النافذة المفتوحة التى كان يطل منها على ميدان الحياة الفسيح المترامى أمام عينيه » ، إذا كان هذا قد حدث مع الأستاذ الحكيم فكيف آمل أنا أن أكون شاعرة ناجحة ؟! أنا ربيبة الانطواء المرير والعزلة الطويلة ، أنا التى لم أر العالم ولم أعرف المجتمع إلا عن طريق الصحف والكتب والخيال !

لقد كان كل أملى فى الحياة أن أتعلم إلى آخر مرحلة من مراحل التعليم ، ولكننى حين أتممت تعليمى الثانوى فوجئت بوحش ضار اعترض طريقى إلى الجامعة وقال بصوته الرهيب : إلى أين أيتها الحالمة ؟ قلت : إلى الجامعة . قال : حذار وإلا أشقيت أسرتك ، ألا تعلمين أن سلطانى عليهم عظيم ؟ وأننى سأقلق مضاجعكم جميعاً إذا لم تتبعونى ؟ وسألته واجفة خاشعة : ومن أنت أيها السلطان الجبار ؟ قال : أنا سلطان التقاليد : تفقدت الوجوه الواجمة من حولى وعز على وجومها ، وقلت لن ألتحق بالجامعة ولأ كن كبش الفداء ... وما أنا بأول ضحية من ضحايا التقاليد ولم تثن تلك المحنة القاسية من عزيمتى وداومت على القراءة ليلا ونهاراً ...

وأخيراً أخذت الغيوم الكثيفة تنقشع عن سمائى ، وأذن لى بنشر شعرى بالجرائد اليومية . ولكننى ما كدت أشعر بالسعادة وبأن حلم حياتى قد تحقق حتى هب الكثيرون والكثيرات يهيبون بى أن أترك انطوائى وعزلتى ، وأن أخرج إلى المجتمع وأن أتردد على زيد وعبيد من كبار الكتاب والشعراء . وقيل لى إن لم تفعلى ذلك فسينحط إنتاجك وينضب معينك ! . ومما زاد فى شقوتى وارتباكى وكاد يطيح بى إلى هوة سحيقة من اليأس القاتل ما أقرأه لك حول هذا المعنى فى هذه الأيام . فهل من المحال أن يكون الأديب أو الشاعر قديراً ناجحاً ما دام منطوياً على نفسه بعيداً عن دنيا الناس ؟ وهل الكتب لا تكفى ولا يمكن أن تكفى ليكون الإنسان مثقفاً كما يقول الدكتور مندور ؟

إذا كانت هذه هى الحقيقة فيا لمرارتها ويا لقسوة المقادير ويا لظلم التقاليد ! . إذا كانت هذه هى الحقيقة فسلام على وفى ذمة الله آمالى وأحلامى ومستقبلى الأدبى الذى حلمت به السنين الطوال !

إن رجائى الحار هو أن تجيب عن هذين السؤالين على صفحات مجلتى الحبيبة « الرسالة » ، ولست أدرى لماذا أشعر شعوراً قويا أنك لن تخيب رجائى ولن تهمل الرد على .

شاعرة حائرة

إنسانة فنانة ، وشاعرة حائرة ... وكلمات أحس فيها لوعة القلب وألمس حيرة القلم ، وأكاد أشم رائحة الدموع ! وأعود بذاكرتى إلى الوراء أستعرض ما قرأت من شعر على صفحات الجرائد اليومية ، عسى أن أضع يدى على مفتاح هذه الشخصية المجهولة التى تعرض على قضيتها فى انتظار الجواب ... وقد يسأل سائل عن سر هذا الاهتمام فأقول له : إنه شغف الملكة الناقدة بتتبع سير الحياة الأدبية ، والكشف عن ظواهر هذه الحياة ، والربط بين شخصية الكاتب وما كتب !

وأقف بالذاكرة طويلا عند صحيفة من صحف المساء ، لأسترجع عن طريق التمثل الفكرى بعض ما كنت أقرأ فيها من شعر لآنسة مجهولة .. آنسة كانت ترمز إلى شخصيتها بالحروف الأولى من اسمها ولا تزيد ! لماذا لا تفصح عن اسمها صاحبة هذا الشعر؟ لماذا أحس فى روحها هذه التهويمات التى يئن فيها النبض وتختنق العاطفة ؟ لماذا تهب على من شعرها رائحة الفن السجين ؟ لماذا تحلق بخيالها فى أفق يغلب فيه الضباب على الإشراق ؟ أسئلة لم أكن أجد لها غير جواب واحد أطمئن إليه ، هو أن صاحبة هذا الشعر إنسانة منطوية على نفسها قد فرضت عليها التقاليد أن تبتعد عن الحياة !

وكم قلت لنفسى : هنا أقباس من وهج الشاعرية ولكن لماذا تطل من تحت الرماد ؟ وهنا جناح يملك القدرة على التحليق ولكن لماذا تحد الرياح من رفاته ؟ وهنا روح تود أن تنطلق ، ولكن لماذا ألمح فى انطلاقها أثر القيود والأصفاد ؟! هذه الخواطر التى كانت تجيش فى النفس منذ حين قد ردتنى إليها اليوم رسالة الشاعرة الحائرة ، وجعلتنى أتساءل بينى وبين نفسى: ترى أتكون صاحبة هذه الرسالة التى تلقيتها منذ أيام هى صاحبة الشعر الذى طالعته فى إحدى صحف المساء منذ أسابيع ؟ إن الروح هى الروح ممثلة فى التحدث إلى الحياة والناس من وراء حجاب ، وإن اللوعة هى اللوعة مصورة فى شكوى التقاليد وظلم التقاليد ... رباه ، هل يقدر لهذه الإنسانة الفنانة أن تحطم قيودها يوماً ما ، وأن تستشعر حرارة الحياة كما يستشعرها كثير من الأحياء ؟!

إنها تسألنى هل من المحال أن يكون الأديب أو الشاعر قديراً ناجحاً ما دام منطوياً على نفسه بعيداً عن دنيا الناس ؟

إن الجواب يا آنستى هو أن الفن بعيداً عن الحياة جسد تنقصه الحركة ، وفكرة يعوزها الروح ، ولوحة تخلو من الأضواء والظلال .. والفن كما قلت غير مرة ما هو إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور ، ولن يتحقق الصدق فى الفن ما لم يستخدم الفنان كل حواسه فى تذوق الحياة : يرقب ، ويتأمل ، ويهتك الحجب ، وينفذ إلى ما وراء المجهول . فإذا استطاع أن ينقل كل ما يلهب الخيال فيها إلى لوحات من التصوير الفنى فهو الفنان ... وإذا استطاع أن ينقل إلى هذه اللوحات كل ما فى القلب الإنسانى من نبض وخفوق فهو الفنان الإنسان . وعلى مدار القوة والضعف فى خفقة القلب ودفقة الحياة يفترق العمل الفنى عن مثيله فى كل فن من الفنون !

الحياة يا آنستى هى المنبع الأصيل لكل أثر من آثار الفن يترك ظله فى النفس وبقاءه على الزمن . فى أدب الكاتب ، فى شعر الشاعر ، فى لحن الموسيقار ، فى لوحة الرسام ! لتكن الحياة نقمة أو نعمة ، لتكن مأساة أو ملهاة ، لتكن ألماً أو لذة ، لتكن دمعة أو ابتسامة . حسب الفن أن يعبر عن الحياة فيصدق فى التعبير ، وحسبه أن يترجم عن رؤية العين وإحساس القلب فيسمو بالأداء ! « أدولف » لكونستان ، « آلام فرتر » لجيتة « مانون ليسكو » لبريفوست ، « رفائيل » للامرتين ، « البعث » لتولستوى ، « نانا » لإميل زولا ، « أرض الميعاد » لأندريه موروا « الباب الضيق » لأندريه جيد ... كل تلك الآثار القصصية وما يماثلها فى أدب الغرب قد تنفست فيها الحياة فعبقت بعطر الخلود .

آلام بتهوفن التى صبها فى أنغامه خالدة لأنها من الحياة ، لذات بايرون التى تدفقت فى أغنياته خالدة لأنها من الحياة ، دموع هاينى التى ترقرقت فى أناته خالدة لأنها من الحياة ... وقولى مثل ذلك عن بسمات جورج صاند وتشاؤم ليوباردى وصرخات بودلير

وإذا ما تركت الأدب والشعر والموسيقى إلى التصوير ، فهناك لوحات كتب لها البقاء ما بقيت الحياة التى ألهمت الريشة المبدعة وأوحت إلى الخيال الوثاب ... ترى هل سعدت بالوقوف لحظات أمام «الجيوكندا » لدافنشى ، و«الربيع » لبوتشيللى و«الخريف» لمالى نويل و«الحرية تقود الشعب» لدلا كروا ، و «وحى الشاعر» لبوسان و «حارس الليل » لرمبرانت و « نجوى الراعى » لبوشيه و « الينبوع » لأنجر ؟

الحياة يا آنستى هى الدعامة الأولى التى يقوم عليها كل بناء فنى جدير بالخلود ... هى النهر الجبار المتدفق وكل ما عداه روافد هى البذرة النادرة التى تنشق عنها تربة الفن فإذا الغصن المزهر والثمرة الناضجة !

وتسألينى هل الكتب لا تكفى ولا يمكن أن تكفى ليكون الإنسان مثقفاً ؟ ... إن جوابى عن هذا السؤال هو أنها لا يمكن أن تكفى لسبب واحد هو أن ثقافة من هذا الطراز يشوبها النقص ويعتريها القصور ؛ لأنها تفقد عنصراً خطيراً هو عنصر التطبيق على الحياة ! كيف تستطيعين أن تتذوق آثار الفن وأنت بعيدة عن منابعه ؟ وكيف تستطيعين أن تحكمى على نتاج القرائح وليس بين يديك قاعدة ولا ميزان ؟ إن الثقافة يا آنستى ليست قراءة فحسب ، ولكنها فهم وتذوق وهضم وتطبيق واستيعاب ... وحياة من وراء هذا كله تعين الذهن على الإحاطة ، وتسعف الحواس على التوهج ، وترفع من قيم المواهب والملكات !

معذرة يا آنستى فهذه هى الحقيقة ... ومع ذلك فلا موجب لهذا اليأس الذى ألهب منى الشعور فى كلماتك ، إننى أشعر شعوراً عميقاً بأن القيد سيتحطم يوماً ما ، وعندئذ يمكنك أن تستشعرى حرارة الحياة كما يستشعرها كثير من الأحياء !

رأي في مقدمة « أوديب الملك » حول الفلسفة الإسلامية :

كتب الأستاذ سيد قطب — رد الله غربته فى الوطن والروح — كتب فى عدد « الرسالة » الماضى موجهاً حديثه إلى الأستاذ توفيق الحكيم : « فكرة أريد أن أصححها عن « الفلسفة الإسلامية » كما يصورها ابن رشد وابن سينا والفارابى فقد ألمت بهذا فى بحثك الممتع الطويل . إن هذه الفلسفة قد تصح تسميتها « الفلسفة الإسلامية » بمعنى أنها وجدت فى أرض إسلامية على يد أفراد مسلمين . ولكن يكون من الخطأ العميق اعتبارها « فلسفة الإسلام » ، وقد آن أن نصحح هذه الغلطة القديمة الحديثة ! إن فلسفة هؤلاء الفلاسفة إن هى إلا انعكاسات الفلسفة الإغريقية فى ظل إسلامى . وهى لا تبلغ أن تصور الفكرة الكلية للاسلام عن الكون والحياة والإنسان . هذه الفكرة الخالصة الكاملة المتناسقة » !

معذرة يا صديقى إذا قلت لك إن هذه الفكرة عن « الفلسفة الإسلامية » قد صححت فى أحد أعداد (الرسالة) منذ ثلاثة أشهر عند ما تناولت بالنقد مقدمة « أوديب الملك » فى « التعقيبات » ولقد قدر لهذه الغلطة القديمة الحديثة أن ترد إلى الصواب فى هذه الكلمات التى لم تطلع عليها لبعدك عن أرض الوطن حيث قلت : « ثم يقول الأستاذ الحكيم فى موضع رابع إن فلاسفة العرب قد صبغوا آثار أفلاطون وأرسطو بلون تفكيرنا وطبعوها بطابع عقائدنا ... فى رأيى أن شيئاً من هذا لم يحدث ، إن كل ما فعله فلاسفة العرب هو أنهم نظروا فى الفلسفة اليونانية فنقلوا بعض ما فيها من آراء ومذاهب نقلا يحفل بالخلط والتشويه ؛ ذلك لأنهم حاولوا أن يوفقوا بين تعاليم الفلسفة اليونانية وبين تعاليم الدين الإسلامى فكانت محاولة انتهت بأصحابها إلى الإخفاق . أما الإخفاق فرجعه إلى بعد الشقة بين العقلية اليونانية والعقلية العربية من جهة ، وبين منهج الفلسفة اليونانية ومنهج الديانة الإسلامية من جهة أخرى ... ومن هنا كانت الفلسفة الإسلامية خليطاً عجيباً من أفكار مضطربة لا تقترب كثيراً من الدين ولا من الفلسفة »

بقى أن أبعث إليك بعاطر الشوق على صفحات « الرسالة » وبخالص الشكر على تفضلك بإهدائى كتابك الجديد القيم عن « العدالة الاجتماعية فى الإسلام » .

ثلاثة كتب لأحمد الصاوى محمد :

صديقى الأستاذ أحمد الصاوى محمد رجل وهبه الله قدرة على الإنتاج لا تحد ، واستجابة لدعاء القلم لا تنتهى ، وجلداً على إرهاق العمل لا يعتريه وهن ولا فتور ؛ فهو لا يكاد يفرغ من كتاب يقدمه إلى القراء حتى يدفع إلى المطبعة بكتاب آخر ... أستغفر الذاكرة بل بكتب أخرى تنقل إلى الشرق كثيراً من روائع الغرب!

من هذه الكتب التى ظهرت له منذ قريب « كفاح الشباب » و « مآسى الشباب » و « زواج الشباب » ، ومن قبلها بضعة وعشرون كتاباً فى شتى ألوان الأدب والفن ... وبهذا الإنتاج الضخم يشارك الصاوى فى بناء نهضتنا الثقافية بدعائم من الجهد الأدبى الجدير بالإعجاب .

وكتب اليوم الثلاثة التى تعرض لكفاح الشباب ومآسيه صور من الحياة وللحياة ... يصبها الصاوى فى قالب قصصى ممتع يحتفظ بروح الواقع المحس ، داخل إطار من طلاوة العرض والتحليل والأداء . هى فصول نشرها فى « أخبار اليوم » يوم أن كان يدرس مشكلات الشباب من رسائلهم إليه ، ليقدم العلاج فى رأى يدلى به أو نصح أو مشورة ؛ ومن هنا جاءت هذه المجموعة التى تنتظم كتباً ثلاثة هى « كفاح الشباب » و« مآسى الشباب » و « زواج الشباب » ، جاءت كما يقول الأستاذ الصديق فى مقدمتة : « أسطع نبراس للشباب المتطلع لحياة أفضل وأنفع وأكرم ، وأثمن مرجع للمصلحين الحريصين على توجيه شباب الجيل وتقويمه ونفعه ليكون جديراً بوطنه » .

مشكلة فى حياتنا الأدبية :

يقول الأديب الأسكندرى الفاضل عمر عبد السلام مجاهد فى رسالة بعث بها إلى : « يا أخى فى يدك قلم وفى كتابتك عمق وحياة ، فلماذا لا تخرج كتاباً فى الأدب أو الفن أو النقد تمدنا فيه بمثل هذه الأفكار التى تطالعنا بها فى مقالاتك وتعقيباتك ؟ إن هذه الرغبة ليست رغبتى وحدى ولكنها كما أعتقد رغبة الكثيرين من المعجبين بك » .

أود أن أجيب الأديب الفاضل بعد شكره على حسن ظنه وجميل رأيه بأننى قد فكرت فى هذا الأمر أكثر من مرة ، ولكننى اقتنعت أخيراً بأن الإحجام خير من الإقدام ، لماذا ؟ هذه هى المشكلة التى سأتناولها فى الأسبوع المقبل بالعرض والتحليل ؛ وهى مشكلة لا تتعلق بى ولكنها تتعلق بهذا الجيل من القراء !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

عيسى بن هشام يبتذل فى الإذاعة :

أشرت فى الأسبوع الماضى إلى القضية التى ستنظر أمام محكمة مصر الكلية يوم ١٣ يونيه القادم بشأن التمثيليات التى تذيعها محطة الإذاعة بعنوان «عيسى بن هشام» وقد رفع الدعوى إلى المحكمة خليل المويلحى بك شقيق محمد المويلحى بك مؤلف كتاب «عيسى بن هشام أو فترة من الزمن» مطالباً وزير الشؤون الاجتماعية ومدير الإذاعة ومؤلف التمثيليات ومخرجها ، بأن يدفعوا إليه ألف جنيه متضامنين .

وقد بدأت قصة هذه المسألة فى سنة ١٩٤١ حينما عرض الأستاذ أحمد شكرى على خليل المويلحى بك أن يصرح له باقتباس تمثيليات إذاعية من الكتاب ، فوقع له بالتصريح ، ولكنه لما سمع التمثيلية الأولى رأى أنها مسخت مقاصد مؤلف الكتاب ، إلى أنها أعدت باللغة العامية المبتذلة ، فألغى ذلك التصريح ، وأفضى بالأمر إلى الدكتور طه حسين بك — وكان إذ ذاك المستشار الفنى للإذاعة — فمنع الدكتور الاستمرار فى هذا العمل . وفى سنة ١٩٤٨ استأنفت الإذاعة تلك التمثيليات ، وراح المذيع يقول فى عبارته التقليدية : «محمد الغزاوى يقدم عيسى بن هشام تأليف أحمد شكرى وإخراج محمد الغزاوى ... الخ» فأرسل شقيق المؤلف الحقيق إلى الإذاعة يطلب عدم إذاعة التمثيلية والكف عن التمادى فى هذا التصرف . ولكن الإذاعة استمرت تذيع حلقات متتابعات تدور حوادثها على ما تضمنته قصة الكتاب مع تشويه الأهداف الأدبية فيه وابتذال اللغة ، ففى إحداها إزراء بالمنيكلى باشا بطل قصة الكتاب ، من أحد (الخواجات) مما لا يتفق مع تصور المؤلف الأصيل لهذه الشخصية ، وفى إحداها تقول امرأة فى المحكمة الشرعية للباشا : (يا منيل على عينك ... يا مدهول ..)

وهكذا إلى هذه الحال يصير ذلك الأثر الأدبى القيم الذى يعد المحاولة الأولى للقصة المصرية الحديثة الأصيلة ، بل هو فى رأى التاريخ الأدبى المعبر من المقامة إلى القصة فى عصرين من عصور الأدب العربى .

ولنفرض أن الإذاعة ليس فيها أدباء يعرفون مكان «عيسى ابن هشام أو فترة من الزمن» وعلى هذا أذاعت مراراً أن مؤلف «عيسى بن هشام» هو أحمد شكرى ، ولكن ما بالها تستمر فى ذلك وقد علمت وعلم مديرها — من الخطاب المرسل إليه ومن الاتصالات التى حدثت من أجل الموضوع والتى احتج فيها المدير بالتصريح السابق — أن مؤلف «عيسى بن هشام» هو كاتب مصرى كبير اسمه محمد بك المويلحى — ما بال الإذاعة وقد علمت ذلك لا تزال تعلن أن المؤلف هو أحمد شكرى بعد أن تعلن أن الغزاوى يقدم .. ؟ وكيف تستبيح الإذاعة ومن يعملون فيها الحقوق الأدبية العامة — بصرف النظر عن حقوق الورثة المادية — فتحيل الأدب الرفيع إلى كلام مرذول ، والفن العالى إلى بضاعة مما تزجيه إلى الناس ... ؟

تمثيل كريمات الرسول :

طلبت جمعية الشبان المسلمين من محطة الإذاعة ، إذاعة مسرحية تمثلها على مسرحها ، فاطلعت المحطة على المسرحية فرأت فيها مشهداً تظهر فيه شخصيات تمثل بعض الصحابة وآل الرسول وخاصة فاطمة الزهراء ، فأرسلت إلى فضيلة مفتى الديار المصرية تستطلع رأيه فيها قبل إذاعتها ، فرأى فضيلته أنه لا يليق إطلاقاً أن تمثل شخصية فاطمة الزهراء أو يسمع الناس ممثلة تتحدث باسمها .

وقبل ذلك أذاعت المحطة تمثيلية قصيرة اسمها «زينب وأبو العاص» ونشرت مجلة آخر ساعة صور هذه التمثيلية وهى تمثل فى دار الإذاعة ، ومن بينها صورة زوزو حمدى الحكيم تمثل شخصية زينب بنت رسول الله ... فلماذا لم تستفت الإذاعة فضيلة المفتى قبل إذاعة تمثيليتها وقبل الإذن بنشر صورها فى المجلة ؟ وهل يا ترى تمنع إذاعة «تسجيلها» ؟

مظاهر النشاط المدرسى مظاهر فقط :

نحن الآن فى أواخر العام الدراسى وقد حفل الشهر الأخير

كما يحفل كل عام، بمظاهر النشاط المدرسى أو بالحفلات النهائية لهذا النشاط، من تمثيل وألعاب ومعارض فنية وغير ذلك ... ويبذل المشرفون على المدارس جهداً كبيراً فى ذلك، ولكن هل تتجه هذه الجهود نحو الفائدة التربوية المتوخاة من هذا النشاط أو هى تتسرب نحو أغراض أخرى ؟

لا أنسى منظر ذلك الناظر الذى رأيته فى مكتب أحد رجال الوزارة الكبار، وهو يتحرق شوقاً إلى تشريف الكبير حفلة التمثيل التى ستقيمها المدرسة، إنه يلح على السكرتير فى طلب الإذن له، وكل ملامحه تنطق بالأهمية القصوى التى يعقدها على حضور الشخصية الكبيرة حفلة المدرسة. إن الرجل يبغى الظهور بالمقدرة والنشاط أمام الرؤساء، وتصور ما وراء ذلك وما سبقه من إعداد .

هؤلاء نفر من الطلاب اختارهم المشرفون لتمثيل الرواية التى تعتزم المدرسة تقديمها على أحد المسارح فى آخر العام، وعكف المدربون — وقد يختار بعضهم من خارج المدرسة — على تدريبهم، وكثيراً ما يحتاج الأمر إلى ترك الحصص والدروس للقيام بهذا التدريب فى الوقت الذى يستعد فيه جميع الطلاب للامتحان آخر العام . والنتيجة هى أن تنجح الحفلة ويتباهى الناظر . أما الطلبة فسبعة أو ثمانية منهم دربوا على التمثيل تدريباً شاغلا عن بعض الدروس، وباقى الطلاب كل غنمهم مشاهدة التمثيل ...

وهذا معرض يشتمل على أعمال فنية تنسب إلى التلاميذ، ويعلم الله أن أيدى المدرسين، أو بعض الفنيين من الخارج، هى الغالبة عليها ... وقد دعيت فى هذا الأسبوع إلى حفلة شاى أعدت لمناسبة افتتاح معرض مدرسى، ولا أقدر نفقات الحفلة بأقل من خمسين جنيهاً، ثم نهضنا إلى المعروضات فاذا هى لا تساوى كل هذا الزئاط، ولمحت الطلبة بجوارها لا يفقهون أسرارها، والبركة فى شرح المدرسين ..

لو أن وراء تلك المظاهر ما يدل على أصالة الطلاب فيها وعلى استفادتهم من الدربة عليها استفادة شاملة أو غالبة، لكان الأمر على ما نحب لهم . ولكن يبدو أن مظاهر النشاط المدرسى خطوط متوازية مع الخط الرئيسى وهو السباق نحو الفوز فى الامتحان . وكل ذلك دون العناية بما هو فى الأصل غاية .

كرسى الاعتراف :

يميش الكردينال «جيوفانى»

كشكول الأسبوع

□ اختير السيد منير القاضى رئيساً للمجمع العلمى العراقى خلفا لمعالى الأستاذ محمد رضا الشبيبي، وكان الأستاذ القاضى قبل ذلك عميداً لكلية الحقوق في بغداد .

□ كان الدكتور زكى نجيب محمود كتب مقالا بالأهرام نقد فيه تمثال مصطفى كامل وأثنى على تماثيل إبراهيم باشا ولا ظوغلى وسليمان باشا، قائلا بأن سبب ذلك هو أن صانعى التماثيل القديمة أجانب، أما صانع تمثال مصطفى كامل فهو مصرى... وقد رد عليه الأستاذ مختار الوكيل بكلمة فى الأهرام أيضاً تضمنت أن صانع التمثال الأخير مثال فرنسى هو مسيو سافين .

□ جاء من كراتشى أن محطة الإذاعة الباكستانية ستعمل على إذاعة أحاديث لمشاهير الكتاب والمفكرين فى مصر بعد تسجيلها فى القاهرة .

□ كتبت الحكومة الهندية إلى الحكومة المصرية فى شأن التبادل الثقافى بينهما، وذلك بأن ترسل الهند إلى مصر بعثة جامعية لمدة ثلاث سنوات، وكذلك تفعل مصر، على أن تقوم البعثة الهندية بدراسة أحوال مصر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وتقوم البعثة المصرية بدراسة التاريخ الإسلامى وفنونه فى عصور الإسلام المختلفة بالهند .

□ تضمن تقرير اللجنة المالية بمجلس النواب عن طلب اعتماد فى الميزانية لإنشاء فرقة نموذجية من خريجى معهد التمثيل، أن الممثلين القدماء يحسون بنقص إزاء المستوى العلمى والفنى لخريجى المعهد، وأن التعاون غير ميسور بين الفريقين فى الفرقة المصرية، وأن الأولين ينفردون بالأدوار الهامة ... الخ . وقد ثار لذلك الممثلون القدماء وطلب فريق منهم دعوة مجلس إدارة النقابة للرد على ما جاء فى ذلك التقرير .

ومهما يكن من شىء فالمشاهد حقيقة أن الممثلين الكبار ينفردون بالأدوار الهامة حتى فيما يتطلب صغر السن .

□ تعقد رابطة الأدباء اجتماعات عامة فى أيام الآحاد، تلقى فيها أشعار مبرحة ... ومحاضرات يعقب عليها الدكتور ابراهيم ناجى بأطول منها ! وفى يوم الأحد الماضى خرج أحد الأدباء من دار الرابطة متعباً متصدعاً، فلما سئل عما به قال: (أنا خدت قصيدة!) فما رأي الدكتور ناجى فى هذه الإصابة المرضية ..؟

□ انعقد في لندن أخير مؤتمر مسرحى برياسة السير ستافورد كريبس وزير المالية، ومن أهم القرارات التى انتهى إليها، إنشاء كرسى للمسرح والدراما فى كل الجامعات الإنجليزية

□ انتهت اللجنة العامة فى وزارة المعارف من إعداد مناهج اللغة العربية فى مرحلة الدراسة المتوسطة، وقد استبدل فيها النقد بالبلاغة وروعى فى الأدب الإكثار من النصوص الأدبية والإقلال من مادة التاريخ .

□ ظهرت فى باريس مناديل منقوش عليها شعر فى الغزل لشاعر فرنسى، فطالبت جمعية حقوق المؤلفين صانع المناديل بتعويض كبير فما أشد تسامح شاعرنا المجهول المنقوش بيتاه التاليان على السرادقات:

ملك الملوك إذا وهب ... لا تسألن عن السبب
الله يعطى من يشا ... ء فقف على حد الأدب

أحد رجال الكنيسة بروما، فى قصر أسرته العريقة «آل ميدتشى» مع والدته التى تأمل أن يصل ولدها الكردينال إلى كرسى البابوية، ومع أخيه الشاب «جوليانو»، بجوار أسرة «تشيجى» أحد أشراف روما. ويحب «جوليانو» ابنة «تشيجى» واسمها «فليبرتا» وهى تحبه. ويحاول «أندريا ستروتسى» الذى يقربه البابا لأنه يجاهد فى خدمة الكنيسة بسيفه — يحاول أن يظفر بالفتاة «فليبرتا» فيخطبها من أبيها، فيرفض الأب، ويدور بينهما نقاش حاد ينتهى بأن يقتل «جوليانو» «تشيجى» بخنجره، ويأمر تابعين له بنقله إلى باب داره، ويذهب إلى الكردينال، ليعترف بخطيئته أمام كرسى الاعتراف، ثم يذهب إلى حرب أمره البابا بالسير إليها. وعندما يكون «جوليانو» وخطيبته التى فقدت أباها عند أخيه الكردينال، يقبل محافظ روما ليقبض على «جوليانو» متهماً بقتل «تشيجى» لأنه وجد خنجره بجوار الجثة وكان قد وقع منه عند ما خف لنجدته ولأن اسم «جوليانو» كان آخر ما لفظه القتيل. ويصعق الكردينال لهذه المفاجأة ويؤكد للمحافظ أن أخاه برىء، ولكن المحافظ لا يعبأ به ويسوق المتهم إلى السجن، ثم يحاكم ويُقضى بإعدامه؛ وتمر المحنة بالكردينال شديدة عاصفة لأنه يعرف القاتل ولا يستطيع أن يفشى سر «الاعتراف» وأخوه يساق إلى الإعدام ... وفى خلال ذلك يقبل أندريا القاتل الحقيقى من ميدان القتال ظافراً، فتستقبله روما بالحفاوة، ويطلب إليه الكردينال أن يكشف عن الحقيقة فى قتل «تشيجى» ولا بأس عليه لأن البابا لا بد أن يعفو عنه جزاء بلائه فى الحرب، فيطلب ثمناً لذلك أن يتزوج «فليبرتا» فيمنف الكردينال فى مخاطبته ويطرده ويلعنه. ثم يتصنع الجنون ويهيىء الجو بحيث يستدرج «أندريا» إلى الإقرار بجريمته على مسمع من محافظ روما الذى كان لدى الكردينال عند ما أقبل «أندريا» وهم بالانصراف ولكنه لما سمع الجدال يعلو بين الرجلين اختبأ قريباً منهما خشية أن يعتدى «أندريا» على الكردينال. ثم يهجم المحافظ على «أندريا» ويمسك به ويطلق سراح «جوليانو».

هذه هى قصة فلم «كرسى الاعتراف» الذى يعرض بسينما أوبرا، والذى أخرجه يوسف وهبى ومثل دور الكردينال فيه، وهى قصة مسرحية قديمة مترجمة عن الإنجليزية، ومثلها يوسف وهبى على المسرح مراراً قديماً وحديثاً ... وأخيراً قدمها على الشاشة كما هى بحوارها وشخصياتها، لم يغير فيها إلا قليلاً مما اقتضته الحركة السينمائية، فبدت فى ثوب سينمائى يكاد يتمزق ليكشف عن مناظر مسرحية بحتة، وقد عدمت من السينما أهم لوازمها وهى المناظر المنوعة، فقد جرت كل الحوادث فى قصر «آل ميدتشى» ولم نر شيئاً يذكر من روما مدينة السحر ومهد الفن ومبعث الشعر، كما تقول الأغنية التى بدأ بها الفلم.

ويخيل إلى أن هذا الفلم يتمثل فيه «التقتير» من ناحيتين، فالتقتير من جانب المنتج فى عدم الإنفاق على المناظر والاكتفاء بهذا الاسم المدوى فى عالم الفن: يوسف وهبى، وهو أى يوسف وهبى يبدو رائماً فى مظهر الكردينال كما ترى فى صورته بالإعلان فى الصحف وقد رفع يديه فبدت فتحتا القميص الرشيقتان ... وقد عنى مصور الفلم بالتقاط مناظره فى المواقف المختلفة عناية ظاهرة.

والتقتير من جانب يوسف وهبى بتقديم بضاعة قديمة، لا تكلفه مجهوداً ولا عناء، فقد حفظ دوره فى الرواية وأجاد تمثيله، وأقوم ما فى الفلم إتقان يوسف وهبى فى تمثيل دوره الذى مرن عليه فى المسرح، ولا آخذ عليه إلا ما ينتابه من الصياح فى بعض المواقف دون داع إليه، كما صنع وهو يتمشى مع أمه منفردين فى جو هادئ، إذ هب يخطب فجأة قائلا إنه لا بد أن يحافظ على مجـــد «آل مديتشى» ولا جمهور يخطبه غير أمه والمائدة.

ويبدو لى أن هـذه الرواية لم تصل إلى السينما حتى كان «زبها» قد اعتصر ... فلم تكن تحتمل كل هذا الذى جرى لهـا فى مصر ... ألم يكن يكفى تمثيلها على المسرح والاعتبار بشكوى «الخشبة» من تكراها عليها حتى تبلى بها «الشاشة» فى آخر المطاف؟ أو لم تكن أولى بهذه الجهود السينمائية رواية مصرية جديدة؟ وما ذا يهم الجمهور المصرى من «آل مديتشى» وحب السيد «جوليانو» واعتراف «أندريا ستروتسى»؟ لقد كان الممثلون أنفسهم — فيما بدا لى — ضائقين بهـذا الجو يؤدون أدوارهم فيـه (والسلام!) وإلا فبماذا أفسر جمود فاتن حمامة (فليبريا) وفاخر فاخر (جوليانو) وظهورهما فى مواقف الفلم كأنهما يتفرجان بمناظر قصر «آل مديتشى» وما حوى من العجائب والغرائب ... وهما من أقدر الممثلين.؟

عباس خضر



الأزهر والفلسفة الإسلامية :

فى مقال للأستاذ سيد قطب فى عدد الرسالة رقم ٨٢٨ كتب الأستاذ هذه العبارة التالية موجهاً الكلام إلى الأستاذ توفيق الحكيم :

« ... ومالى ألومكم أنتم والأزهر ذاته لا يدرس فى كلياته إلا تلك الفلسفة الإسلامية باعتبارها فلسفة الإسلام » .

وأود أن أطمئن الأستاذ الكاتب الفاضل على أن الأزهر فى تاريخه لم يدرس الفلسفة الإسلامية على اعتبار أن تمثل فلسفة الإسلام ، أو تحكى مبدأ من مبادئه ، أو هدفاً من أهدافه .

ففى ماضيه كان يحرم دراسة النوع الإلهى من الفلسفة الإسلامية ، لأنه كان يرى فى هذا النوع انحرافاً واضحاً عن الإسلام . ومن أجل ذلك كان يلوم فلاسفة المشرق ، أمثال الكندى والفارابى وابن سينا ، على اشتغالهم به ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، وجارى الغزالى فى كتابه « تهافت الفلاسفة » ، و كفر هؤلاء الفلاسفة لمسايرتهم الفكر الإغريقى فى القول بقدم العالم ، وقصر علم الله على الكليات ، وإنكار بعث الأجسام .

وفى العصر الحديث يدرس الأزهر فى كلياته الفلسفة الإسلامية كما يدرس أنواع الفلسفات الأخرى من الإغريقية ، إلى الدينية فى القرون الوسطى ، إلى المذاهب الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة ... على أنها اتجاهات للفكر الإنسانى فى أزمنة متعاقبة وفى بيئات مختلفة ، وقد يكون بعضها ترديداً لبعض ، أو إضافة جديدة لما سبق .

وهو فى هذه الدراسة يوازن بين إنتاج الفكر الإنسانى فى عصوره المختلفة ، وبين الإسلام كدين أوحى به من عند من له الكمال المطلق .

ومع شكرى للأستاذ الفاضل سيد قطب على غيرته القومية والإسلامية ، ودفاعه عن « أصالة » الشرق فى تفكيره ، ورغبته الشديدة فى أن يرى اعتزاز أهل الشرق والإسلام بما لهم من ثقافة وتوجيه فى المرتبة الأولى مما يمتز به إنسان مثقف ، أؤكد له أن الأزهر الحاضر تسيطر عليه فى البحث والتوجيه روح إسلامية شرقية عرفت ما فى الغرب من ثقافة واتجاه بعدما وعت ما فى الإسلام من مبادئ ، ودرست ما كان لشعوبه من خصائص فى الأدب والحكمة .

ويسعدنى أن يكون كتابى « الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى » وسيلة يعرف بها الأستاذ هذه الروح فى الأزهر .

دكتور محمد البهى

أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية أصول الدين بالأزهر

النكتة :

جاء فى شرح القاموس النكتة النقطة ، ونقل شيخنا عن الفنارى فى حاشية التلويح هى اللطيفة المؤثرة فى القلب من النكت كالنقطة من النقط ، وتطلق على المسائل الحاصلة بالنقل ، المؤثرة فى القلب التى يقارنها نكت الأرض غالباً بنحو الاصبع .

وفى التعريفات النكتة هى مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر من نكت رمحه بأرض إذا أثر فيها ، وسميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثير الخواطر فى استنباطها اهـ

وفى (الكليات) النكتة هى المسألة الحاصلة بالتفكير المؤثرة فى القالب ، التى يقارنها نكت الأرض بنحو الاصبع غالباً ، والبيضاوى أطلق النكتة على نفس الكلام ، حيث قال هى طائفة من الكلام منقحة ، مشتملة على لطيفة مؤثرة فى القلوب . وقال بعضهم هى طائفة من الكلام تؤثر فى النفس نوعاً من التأثير قبضاً أو بسطاً ، وفى بعض الحواشى هى مايستخرج من الكلام ، وفى بعضها هى الدقيقة التى تستخرج بدقة النظر ، أو يقارنها غالباً نكت الأرض باصبع أو نحوها ، وفى حاشية الكشاف ونكت الكلام أسراره ولطائفه لحصولها بالتفكر ، ولا يخلو صاحبها غالباً من النكت فى الأرض بنحو الاصبع اهـ

وجمعها نكت ونكات ، وفى (أساس البلاغة) ومن المجاز جاء بنكتة ونكت فى كلامه ونكت فى قوله تنكيتاً ، ورجل منكت ونكات اهـ . وقد ألفت كتب باسم التنكيت والنكت .

هذا ، ومن هذا يظهر لك تطور الكلمة وصحة استعمالها فى الفكاهة ونحوها .

على حسن هلال

بالمجمع اللغوى

١ — من قوة المرأة :

فى (تاريخ الإسلام للذهبى) المطبوع بالقاهرة : كان صلة بن أشيم فى الغزو ومعه ابن له ، فقال : أى بنى ، تقدم فقاتل حتى أحتسبك ! فحمل يقاتل حتى قتل ، ثم تقدم هو فقتل ! فاجتمع النساء عند امرأته معاذة العدوية ، فقالت : إن كنتن جئتن لتهنئننى فرحباً بكن ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن!

٢ — يعطيهم من ماله ليرخصوا الغلة :

يذكرنا عمل الحكومة اليوم بما فعله نصر بن أحمد العابدى السمرقندى الدهقان ، فقد كان كثير المال والغلات ، فوقع بسمرقند قحط ، فباع غلاته بنصف أثمانها ، وكان يعطى الذين يجلبون الطعام من ماله ليرخصوا الغلة ... الخ ما أورده ابن الأثير فى كتابه (اللباب فى الأنساب جـ ٢ ص ١٠٣) المطبوع بالقاهرة .

عبد الله معروف

الكساء :

خطأ الأستاذ عبد السميع على محمود استعمال الكتاب للكلمة « كساء » فى كل ملبوس وقال : الحق الذى تؤيده النصوص أن الكساء ثوب بعينه ، وهو نحو العباءة من الصوف . والصواب أن يقولوا « الكُسا » جمع كسوة الخ .

والصواب الذى تؤيده النصوص — هو ما يستعمله الكتاب ، فالكساء يطلق ويراد به مطلق ملبوس لا ثوب بعينه ، كما ادعى الناقد الكريم — ولو لم يكن كذلك لما احتاج الشاعر إلى تخصيصه بما ذكره من فأمك نعجة — البيت — كما أنه لا حاجة إلى استعمال « كُسًا » جمع كُسوة « فكِساء » جمع كُسوة أيضاً . قال فى القاموس : الكُسوة بالضم وتكسر الثوب وجمعها كُساً وكِساء .

(القاهرة) كيلانى حسن سند

إعلان عن جوائز فاروق الأول سنة ١٩٥٠

تعلن وزارة المعارف العمومية أن الموضوعات التى سيمنح المصريون عن الانتاج فيها جوائز فاروق الأول لسنة ١٩٥٠ هى :

١ — علوم الحياة ، ويدخل فيها بنوع خاص النبات والحيوان والفسيولوجيا والطفيليات والتشريح البشرى والحيوانى والطب وفروعه والأحياء المائية .

٢ — أ — العلوم الكيميائية ، مثل الكيمياء العضوية ، وغير العضوية ، والكيمياء الحيوية ، والتغذية .

ب — العلوم الجيولوجية ، مثل الجيولوجية ، وعلم الطبيعيات الأرضية (الجيوفيزيقا) والتعدين .

٣ — العلوم الاجتماعية :

أ — علم الاجتماع ، وعلم التربية ، وما يتصل بذلك من العلوم .

ب — الفلسفة وعلم النفس ومايتصل بذلك من العلوم .

جـ — التاريخ .

د — الجغرافيا .

هـ — الآثار .

ويشترط فى الانتاج الذى يقدم لنيل الجوائز :

١ — أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والانتاج القومى ، وتقدم العلوم .

٢ — أن يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الإعلان .

٣ — أن يكون باللغة العربية الفصحى :

ويرسل الانتاج من أربع نسخ إلى الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف فى موعد غايته ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٩ . ولا تسترد النسخ المرسلة فى أية حالة .

وقيمة كل جائزة من الجوائز الثلاث ١٠٠٠ جنيه ، وسيكون موعد منح هذه الجوائز يوم ١١ فبراير سنة ١٩٥٠ . لمناسبة عيد الميلاد الملكى السعيد .

وزير المعارف العمومية

على أيوب

١٧٨٤

رسالة النقد

نظرات فى كتاب الأشربة

للاستاذ السيد أحمد صقر

اختلفت كلمة العلماء في « الأشربة » منذ فجر الإسلام ، وذهبوا فى موقعها من الحل والحرمة مذاهب شتى ، ولجت بينهم الخصومة ، وابتغى كل فريق أن يظهر على خصمه ، ويدفع عن رأيه ، فاج الشك فى عقول الناس وأفكارهم ، وتداخلتهم الحيرة ، وتنازعتهم الروايات المتشاجنة ، والأحاديث المتباينة . وكانوا منها فى أمر مريج . وقد ألف فى الأشربة كثير من العلماء . وممن ألف فيها أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، وقد ظل هذا الكتاب مطوياً فى الخزائن حتى عثر عليه المستشرق الفرنسى « أرتوركى » فأعجب به ونشر أكثره فى سنة ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م فى مجلة « المقتبس » التى كان يصدرها فى القاهرة الأستاذ محمد كرد على . وقد رأى الأستاذ أن الكتاب خليق بالعناية ، جدير بأن يطبع مستقلا ، فبذل وسعه فى تحقيقه وأدرجه فى مطبوعات المجمع العلمى ، وقدم له بمقدمة طويلة يبدو أنها جاءت وحى ساعتها ، وفيض جلستها ، لم يجمع لها عزماً ، ولم يشحذ فهماً ، ولم يعمل فكراً ؛ وإنما أطلق لقلمه العنان يجول هنا وهناك حسبما توحى به النظرة الطائرة ، والفكرة العابرة ، والهوى الجموح .

ومما جاء فى هذه المقدمة العجيبة قول الأستاذ فى ص ٤ : « اشتد ابن قتيبة على مخالفيه ولا سيما المعتزلة منهم ، وفى كتابه « تأويل مختلف الحديث » طعن مبرح فى الجاحظ قال فيه : إنه أكذب الأمة ، وأوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل ، فتجلى حسده تجلياً ظاهراً ، هجن ابن قتيبة الجاحظ وكفره ، ورماه بأعظم كبيرة وهى الكذب ، وسجل عليه أنه أكذب واحد فى الأمة لأنه كتب أشياء تنفع فى تربية العقول فى الدنيا ، كما كتب كل ما ينفع فى الدين ، وابتدع أدباً يسلى ويعلم ، فهل من العدل أن يرمى بوضع الحديث ، وتشدده وتشدد أهل مذهبه فى تحرى السليم من السقيم فى الحديث لا يحتاج إلى دليل ؟ »

إن ابن قتيبة لم يظلم الجاحظ ، ولم يهجنه حسداً من عند نفسه ، ولم يتهمه بالكذب لما زعمه الأستاذ ، بل أنصفه وقال فيه ما له كاملا غير منقوص ، ونقده فى بعض رأيه بما لا يسع المسلم الحقيق إلا نقده ورده على قائله كائناً من كان .

وإليك نص كلام ابن قتيبة فى كتابه تأويل مختلف الحديث ، جاء فى ص ٧١ من هذا الكتاب ما يلى : « ثم نصير إلى الجاحظ ، وهو آخر المتكلمين ، والمعاير على المتقدمين ، وأحسنهم للحجة استثارة ، وأشدهم تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم ، وتصغير العظيم حتى يصغر ، ويبلغ به الاقتدار أن يعمل الشئ ونقيضه ، وتجده يقصد فى كتبه للمضاحيك والعبث ، يريد بذلك استمالة الأحداث وشراب النبيذ ، ويستهزئ من الحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم كذكره كبد الحوت وقرن الشيطان ، وذكر الحجر الأسود وأنه كان أبيض فسوده المشركون ، وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا ، ويذكر الصحيفة التى كان فيها المنزل فى الرضاع تحت سرير عائشة فأكلتها الشاة ، وأشياء من أحاديث أهل الكتاب فى تنادم الديك والغراب ، ودفن الهدهد أمه فى رأسه ، وتسبيح الضفدع ، وطوق الحمامة ، وأشباه هذا مما سنذكره فيما بعد إن شاء الله ، وهو مع هذا من أكذب الأمة ، وأوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل » .

هذا هو رأى ابن قتيبة فى الجاحظ ، وهو يلقف ما يقوله عنه الأستاذ . ولست أدرى كيف استباح لنفسه الطعن فى ابن قتيبة بذلك الأسلوب التهكمى مع أنه لم يستطع أن ينقد مما قاله حرفاً واحداً ، أتراه كان ينتظر منه تقريظ الجاحظ لاستهزائه بحديث الرسول ؟

وإن تعجب فعجب قول الأستاذ بعد ذلك « وكيف لعمرى قضى ابن قتيبة على خصمه فى مذهبه هذا القضاء وهو القائل فى عيون الأخبار من تأليفه : وليس الطريق إلى الله واحداً ، بل الطرق إليه كثيرة ، وأبواب الخير واسعة ، وصلاح الدين بصلاح الزمان ، وصلاح الزمان بصلاح السلطان ، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير » ما هذا الكلام ؟ وماذا

يريد الأستاذ بإيراده ؟ بل ما معناه ؟ وما علاقته بالموضوع ؟ ولست أدرى ، ولعل الأستاذ وحده يدرى !

وأعجب مما سبق قول الأستاذ بعد ذلك عن ابن قتيبة : « ورمى أيضاً أبا الهذيل العلاف بما ليس فيه ، ووصفه بأنه كذاب أفاك ، وطعن فيه أشنع طعن . وكذلك كان حظ ثمامة بن الأشرس منه ، وهما الأئمة ، ورمى هذا برقة الدين وتنقص الإسلام والاستهزاء به . وطعن فى النظام أيضاً وهو الذى رد على الملحدين والدهريين شطراً كبيراً من عمره »

من أين علم الأستاذ أن ابن قتيبة افترى على أبى الهذيل الكذب ووصفه بما ليس فيه ؟ هل قرأ كتب التوحيد وألفى فيها ما يكذبه ؟ هل قرأ كتب التراجم ووجد فيها نكأة له فى تكذيبه ؟ إنه لم يقرأ شيئاً من هذه ولا تلك ! وآية ذلك أنه وصف ابن قتيبة له بالبخل ورقة الدين مسطور فيها جميعاً . وقد كرر الجاحظ فى كتبه وصفه له بالبخل ، وقال عنه : « إنه كان أبخل الناس » ووصفه كذلك بأوصاف كثيرة وفى طليعتها النفاق . واتفق المترجمون له والباحثون لمذهبه فى كتب التوحيد على أن دينه كان أوهى من بيت العنكبوت . قال الخطيب البغدادى فى ترجمته ٣ / ٣٦٦ « وكان أبو الهذيل خبيث القول ، فارق إجماع المسلمين ورد نص كتاب الله إذ زعم أن أهل الجنة تنقطع حركاتهم فيها حتى لا ينطقوا ولا يتكلموا بكلمة ، فلزمه القول بانقطاع نعيم الجنة عنهم والله يقول : (أكلها دائم) ، وجحد صفات الله التى وصف بها نفسه ، وزعم أن علم الله هو الله ، وقدرة الله هى الله ، فجعل الله علماً وقدرة ، تعالى الله عما وصفه به علواً كبيراً » ومذهب أبى الهذيل فى انتهاء حركات أهل الجنة والنار قريب من مذهب جهم بن صفوان الذى زعم أن الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى من فيهما حتى لا يبقى إلا الله وحده كما كان وحده لا شىء معه . بل إن مذهبه شر من مذهب جهم كما يقول البغدادى فى « الفرق بين الفرق » . « لأن جهماً وإن قال بفناء الجنة والنار فقد قال : إن الله قادر بعد فنائهما أن يخلق غيرهما . وأبو الهذيل زعم أن ربه لا يقدر بعد انتهاء الحركات على تحريك ساكن أو إحياء ميت أو إحداث شىء » . ويقول البغدادى عنه أيضاً فى ص ٧٢ « وفضائحه تترى ، تكفره فيها سائر فرق الأمة من أصحابه فى الاعتزال ومن غيرهم » أفبعد ذلك يصر الأستاذ على اتهام ابن قتيبة بأنه وصف أبا الهذيل بما ليس فيه طعناً بغير الحق وتشنيعاً ؟ وكما كان ابن قتيبة صادقاً منصفاً فى حكمه على أبى الهذيل العلاف فإنه كان كذلك صادقاً منصفاً فى حكمه على ثمامة بن الأشرس بأنه كان يتنقص الإسلام ورسول الإسلام ويحقد عليهما حقداً غليظاً ، ولا أريد أن أنقل من حصائد لسانه فى ذلك شيئاً وحسبى أن أنقل للأستاذ الناشر ما ذا قاله البغدادى عنه فى ص ١٠٣ ، ١٠٤ « وكان زعيم القدرية فى زمان المأمون والمعتصم والواثق ، وانفرد عن سائر أسلاف المعتزلة ببدعتين أكفرته الأمة كلها فيهما »

وأما طعن ابن قتيبة فى النظام فيكفى فى تبريره فوق ما ذكره بالتفصيل فى كتابه قول البغدادى فى ص ٨٠ « وجميع فرق الأمة من فريقى الرأى والحديث ، مع الخوارج والشيعة والنجارية ، وأكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام » . ولعل الأستاذ « محمد كردى على » يؤمن بعد هذا بأن ابن قتيبة لم يغال « فى طعنه بما لا يناسب عظمة علمه وأخلاقه » وأنه إنما انتهج النهج الذى رسمه لنفسه ، وهو أن يصحر برأيه فيما ارتآى ، لا يظلم الخصم ولا يؤثر الهوى ...

(يتبع) السيد أحمد صقر

الكتب

العقد الفريد

للأستاذ محمود أبو ريه

كتاب العقد أو العقد الفريد — لابن عبد ربه أشهر من أن ينبه عليه ، أو ينوه به ، فهو من كتب الأدب الممتعة بل هو موسوعة أدبية غزيرة ضمت بين صفحاتها مما يفيد الأديب ويُعد الكاتب ، ويُعين المنشئ ما لا يوجد فى غيرها ؛ ففيها أدب وتاريخ ولغة وشعر وعروض ، وما إلى ذلك مما لم يُجمع مثله فى كتاب .

ولو رأينا أن نجمل الكلام فى هذا الكتاب لقلنا : إن ابن عبد ربه قد حشد فيه خلاصة ما جمع من قبله ، كالجاحظ والمبرد وأبى عبيدة والأصمعى والكلبى وابن قتيبة ، وغيرهم مما يطول القول بذكرهم .

وهو لم يقف فى مختاراته عند ما وقف غيره ممن سبقه ، على ما عُرف عن العرب ولا على ما أثر عنهم من أدب ، بل نقل مما ترجم إلى العربية عن الهندية واليونانية والفارسية ، وقد قال هو عن كتابه :

« وقد ألفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من مُتخير جواهر الآداب ، ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب ، وإنما لى تأليف الأخبار وفضل الاختيار وحسن الاختصار وفرش فى صدر كل كتاب ؛ وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والأدباء ، واختيار الكلام أصعب من تأليفه . وقد قالوا : اختيار الرجل وافد عقله . فتطلبت نظائر الكلام وأشكال المعانى وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادر الأمثال ؛ ثم قرنت كل جنس إلى جنسه ، فجعلته باباً على حدته .. وقصدت من جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفها جوهراً وأظهرها رونقاً وألطفها معنى وأجزلها لفظاً ، وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة ، آخذاً بقبول الله تبارك وتعالى :

(الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)(١) .

مؤلف الكتاب :

أما مؤلف الكتاب فهو : أبو عمر أحمد بن عبد ربه ولد سنة ٢٤٦ هـ ونشأ بقرطبة وتوفى سنة ٣٢٨ هـ

وقد قال فيه ياقوت «.. وكانت له بالعلم جلالة ، وبالأدب رياسة وشهرة مع ديانة وصيانة » وقال الفتح بن خاقان « إنه حجة الأدب وإن له شعراً انتهى منتهاه ، وتجاوز سماك الإحسان ومهاه » :

وقال ابن خلكان : « كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس .

وقال فيه ابن سعيد :

إمام أهل أدب المائة الرابعة وفرسان شعرائها فى المغرب كله » ولقد كان فوق ثقافته العالية فى الأدب والتاريخ والفقه والتفسير والحديث ، له شغف بالموسيقى والغناء .

طبعات هذا الكتاب :

طبع هذا الكتاب أكثر من أربع طبعات أميرية وأهلية — وكلها — كما يقول الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك : « فى العيوب سواء — إذ ملئت بالتحريف والتصحيف والنقص والزيادة حتى كاد يكون شيئاً آخر »(٢) .

ولقد كان هذا الكتاب من الكتب التى قرأناها فى صدر شبابنا ، وذقنا من أغلاطه وتحريفاته مثل ما ذاق غيرنا . وكم كنا نتمنى — كما يتمنى سوانا — لو أن هذا الكتاب القيم قد خرج فى طبعة صحيحة منقحة كما خرج غيره من أمهات كتب الأدب مثل الكامل للمبرد الذى شرحه شيخ الأدب الشيخ سيد المرصفى رحمه الله ، وعيون الأخبار الذى طبعته دار الكتب ،

---

(١) ص ٣ ج ١

(٢) ص ل من تصدير الكتاب .

وكتاب الأغانى الذى لا يزال يطبع ! وغيرها .

وحوالى سنة ١٩٣٨ كنت فى زيارة الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك فى دار لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فكان من حديثى معه أن اللجنة التى يرأسها قد وجهت أكثر غايتها — وكان هذا يومئذ أمرها — إلى التأليف والترجمة ، ولم تعن بالنشر ؛ ولو أنها حولت نصيباً من جهودها إلى النشر لكان ذلك خيراً للناس ولها . وبخاصة فإن النشر من صميم عملها .

ومما ذكرته لحضرته حينئذ ، وحبذا لو اهتمت اللجنة بطبع كتاب العقد الفريد على نفقتها ، فإنه لا يستطيع أحد أن ينشره صحيحاً غيرها ، فأجابنى حفظه الله بأن اللجنة قد أخذت فعلا فى نشر هذا الكتاب وأنها تعد العدة لذلك .

عمل اللجنة :

أما عمل اللجنة فى طبع هذا الكتاب فإنا ندع القول فى بيانه إلى الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك .

قال حضرته — بعد أن ذكر عمل الأستاذ محمد شفيع أستاذ العربية فى جامع بنجاب الذى بذل مجهوداً كبيراً فى العقد ، وأخرج جزءين كبيرين منه ، وأن اللجنة قد استفادت من عمل هذا الأستاذ فوائد عظيمة — « ثم ها نحن أولاء نحاول أن نخرج الكتاب إخراجاً علمياً — مصححين ما استطعنا — أغلاطه معارضين نسخه المختلفة بعضها على بعض مثبتين أصحها ذاكرين فى حواشى الكتاب ما ورد فى النسخ الأخرى مكملين ما نقص من عباراته مفسرين ما أبهم من كلماته ، شارحين ما غمض من مشكلاته ، ضابطين ألفاظه ، متحرين أصح الأقوال فى نسبة المقطوعات الشعرية والنثرية والأخبار إلى أصحابها مبينين اختلاف الروايات فى الشعر والنثر ، منبهين على أحسنها معنونين كل خبر وكل مقطوعة بعنوان خاص يدل عليه ويجمع ما فيه من الإيجاز وكان أول ما فعلنا أن كتبنا إلى الأستاذ ريتر المستشرق الألمانى بالآستانة نرجوه أن يتحرى نسخ (العقد) فى مكاتب الآستانة ليتبين خيرها وأصحها وأحسنها فكتب لنا وصفاً مطولا بالموجود من نسخ الكتاب ومزاياها وعيوبها ، وقد اخترنا خيرها — بناء على وصفه — ورجوناه أن يصورها لنا بالفوتوغراف ، ففعل مشكوراً ، وقد استعنا إلى جانب هذه النسخة بجميع نسخ العقد الموجودة فى دار الكتب المصرية خطة ومطبوعة »[1] .

وبعد أن جمعت اللجنة من هذه النسخ تسعاً أخذت فى طبع هذا الكتاب ، وكان ذلك فى سنة ١٩٤٠ ، وقد ظهر منه إلى الآن خمسة أجزاء فى حوال ٢٧٠٠ صفحة من أكبر قطع وبقى على ما نظن جزء غير الفهارس .

هذا هو كتاب العقد فى حالته البديعة التى أخرجته بها لجنة التأليف والترجمة والنشر ونشرته على الناس بتصحيح فائق، وتنسيق رائق ، وطبع جميل وورق صقيل ليكون من كل طالب على حبل الذراع بعد أن ظل قروناً لا يجد من يعنى به أو يهتم بأمره على نفاسته وعظم شأنه وحاجة الناس إليه . وقد أصبحت هذه الطبعة التى خرجت اليوم بهذه الدقة وهذا الرواء ، هى التى يطمئن إليها قلب الأديب ويثق بها فكر الباحث ، وما سواها من كل ماطبع — ولا نستثنى — إن هو إلا عمل (تجارى) لا يقصد منه إلا الربح المادى .

وإنا إذ نقدم اليوم إلى المتأدبين — فى هذه الكلمة الموجزة — هذا الكتاب الممتع لا نحسب أنا قد وفيناه حقه من التعريف الكافى أو البيان الوافى ، لأن ذلك يدعو ولا ريب إلى إنشاء مقالات مستفيضة . فلندع هذا كله إلى الذين يقرأونه ويستمتعون بما فيه . ولعلنا ننشط يوماً لنُرى قراء الرسالة نماذج تبين الجهود العظمية التى بذلت فى سبيل تصحيح هذا الكتاب

ولا يسعنا إلا أن نزجى خالص الشكر إلى هذه اللجنة الموقرة فى شخص رئيسها الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك ، على إخراج هذا الكتاب خاصة ، وعلى ما قدمت — وتقدم — كل يوم للعلم والأدب والتاريخ والفن من أسفار جليلة وذخائر نفيسة تقرأ فى كل عصر ويظل نفعها على وجه الدهر ...

(المنصورة) محمود أبو رية

---

(١) ص م من تصدير الكتاب

مطبعة الرسالة

العدد ٨٣٠ – الاثنين ٣٠ مايو ١٩٤٩ – السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

17 e Année No. 830

Lundi — 30 — 5 — 1949

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٨٣٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٢ شعبان سنة ١٣٦٨ — ٣٠ مايو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٥ - أمم حائرة

المدارس أو دور العلم

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

أعنى كل موضع درس ، من المدارس الابتدائية والمدارس الثانوية والمدارس العالية ومنها الجامعات ، فلنتوجه إليها لعلنا نجد هدى بعد حيرة ، واطمئناناً بعد قلق . ولعلنا نجد صلاحاً لأمورنا ، وطباً لأدوائنا ، وتأليفاً لنفرتنا ، وجمعاً لشملنا :

كان من عناية الأمم والحكومات بالتعليم والتربية أن أنشئت هذه الأنواع من المدارس وعم نظامها ؛ وقد سرنا على نهج الأوربيين في أنواعها ، وموضوعات دروسها ، ومناهجها ، إلا قليلا . وكثرت هذه المدارس وشاعت في المدن والقرى ولا تزال تكثر وتشيع .

وزالت ، أو كادت تزول ، ضروب الدراسة القديمة ؛ سواء ما كان لتعليم الصبيان مثل الكتاتيب أو دور الكُتّاب ، وما كان لتعليم الكبار كالمدارس التي كانت في القاهرة والأسكندرية وأسيوط وقوص وغيرها ، ومدارس العلماء الخاصة في بيوتهم أو مساجدهم . وتم قيام الحكومة على التعليم وإشرافها عليه ، واضطلاعها بأعبائه ، وانفرادها بتدبيره .

غفلنا في فتنة المدارس والشهادات عن ضروب من الدراسة للمبتدئين والمنتهين كان يضطلع بها ناس في القرى والمدن ابتغاء خير الناس أنفسهم . ولو عنينا بهم ، وحمدنا فعلهم ، وأثبناهم عليه ، وحفزناهم إليه ، لمضوا يحملون عن الحكومة بعض العبء ، ويسدون بعض الحاجة . ولكنا أغفلنا أمرهم ، وهجرهم الناس إلى المدارس الجديدة فحملت الحكومة العبء باهظاً ، واحتملت الأمانة وحدها .

وقد سرنا سيراً ، وتقدمنا تقدماً ، وأصبنا مغانم كثيرة . فازداد إقبال الناس على المدارس ، وعظمت عناية الحكومة بها ، واستجابت لرغبات الراغبين في دخولها والحصول على شهاداتها فنيل وظائفها . فكثرت المدارس ثم كثرت ، وازدحمت بالدرسين ثم ازدحمت .

وغلونا في الإعتداد بالتعليم الدرسي غلواً دفعنا إلى الإسراع فيه قبل الإعداد له ، وإلى الازدحام على المدارس بأكثر مما تسع . وغفلنا في هذا الغلو عن ضروب من التعليم والتهذيب خارج المدارس وحسبنا أن القراءة والكتابة هي وسيلة التثقيف لا وسيلة غيرها . وكم من أناس نبغوا وهم لا يقرءون ، ودرسوا وهم لا يكتبون ، هدتهم التجارب وهداهم السمع والبصر إلى ما اهتدى إليه القارئون أو قصروا عنه .

لا أجحد فضل الكتابة على الحضارة ، ونعمتها على البشر . ولكنى آخذ على الناس الغلو فى إعظامها والغلو فى احتقار ما سواها من الوسائل . ولا أنكر أن الوسائل الأخرى فى أكثر الأحيان راجعة إليها مستمدة منها . لا أنكر هذا وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . ولكن أدعو إلى أن يسجل الناس معارفهم ثم ينتفعوا بها بكل وسيلة من إقراء أو إشهاد أو إسماع إلى أن تعم الكتابة كل فرد . وكم فى تاريخ العلم من نابغ ضرير لم يقرأ .

***

وانتبهنا فراعنا جموع تغدو وتروح إلى دور العلم ، لا تمس الثقافة أرواحها ، ولا يتصل العلم بقلوبها ، وإذا المدارس كالمطابع تخرج كتباً لا عقولاً ، وتكثر أمثلة لا أنفسا ، أو كالمصانع ترمى بقوالب متشابهة وأشكال متماثلة .

وانتبهنا فراعنا أن نرى هم الطالب فى الجامعة أن يمضى سنوات تنتهى به إلى شهادة ، وأن نراه يكتفى بما يجتاز به الامتحان ، ويجتاز الامتحان بأية وسيلة ، فإذا طوى السنين واجتاز الامتحان وظفر بالشهادة شرع يطالب بحقه فى الوظائف ، وينادى بما فى يده ، لا فى عقله وقلبه ، من شهادة ، ويخدع نفسه بما يدعى من علم ، ويزدرى الناس إذ لم يبلغوا من العلم ما بلغ ، ولم تشهد لهم الأوراق كما شهدت له .

وتنظر إلى المتعلم فى الطريق وفى المدرسة فلا يرضيك هيئته ، وتكلمه فلا يعجبك حديثه ، وتختبره فلا يسرك علمه ولا اعتقاده ولا رأيه ، إلا قليلاً من الطلبة الصالحين غلبت طبائعهم وأخلاقهم وأسرهم هذه البيئة الفاسدة المفسدة الحائرة الجائرة .

وننظر فإذا التلاميذ يهجرون الدروس إن استطاعوا ، ويقعدون عن دور العلم إن قدروا ؛ وإذا طلبة الجامعة ، وقد أوتوا نصيباً من الحرية ، يهجرون المحاضرات أو يكتفون بالقدر الذى يحتمه القانون ، بل يحتالون له بتوقيعات مزورة أحياناً ليسجلوا لأنفسهم هذا المقدار .

لقد رأيت تلميذاً خارجاً من الجامعة ضحوة النهار ينادى صاحبه فى غير خجل (الأمريكين الساعة ١١) . ويكاد يكون الداء كله ، والشر جميعه هنا . هذه المقاهى والملاهى التى تجذب الصبيان والشبان بالليل والنهار وتشغلهم عن أعمالهم ، وتفتنهم عن آدابهم ، وتفسدهم بكل ضروب الفساد .

إن التلميذ الذى يترك محاضرته وأستاذه ومكتبته ليسارع إلى الأمريكين وغير الأمريكين لا يرجى منه خير . وإن التلميذ الذى يمضى ليله أو بعض ليله ساهراً فى هذه الملاهى لا تبقى فيه بقية لتعليم أو تهذيب . وليس الأثم عليه ولكن على من أحاطوه بهذه الفتن ثم خلوا بينه وبينها .

***

ثم نظرنا فإذا التلميذ خارج على كل نظام ، مزدر بكل قانون ، مستهين بعمله ومدرسته وحكومته وأمته ، من حيث يدرى ولا يدرى ؛ وإذا أقرب شىء إلى نفوس التلاميذ أن يصيح صائح بهجر الدرس ، أو ينعق ناعق بتدمير المدرسة ، أو يأمر شيطان بالهجوم على معلم أو ناظر ، أو الاقتحام على مجلس الجامعة وفيه كبار الأساتيذ ، فتردد الصيحة ، وتستجاب الدعوة ، فينطلق الشر من عقاله إلى غير غاية . ونظرنا فإذا هذا الهرج والمرج وما هو أشنع من الهرج والمرج .

ويقولون الحرية ! لنا الحرية أن نخرج إذا شئنا ، وأن نضرب إذا أردنا . ويمضون فى دعوى الحرية فإذا لهم الحرية فى أن يخرجوا غيرهم من دور العلم قسراً ، وإذا لهم الحرية فى أن يحرموا إخوانهم حريتهم فى الاستماع إلى الدرس ، وينكروا على معلميهم الحرية فى التدريس ، وإذا الفئة القليلة الشاغبة لها الحرية فى أن تخرج الفئة الكثيرة الحريصة على العلم ، وإذا هذه الكثرة المستمعة إلى الدرس ليس لها الحرية فى أن تستمع ، ولهذه القلة الصاخبة كل الحرية فى أن تمتنع عن الدرس وأن تمنع غيرها .

وانتبهنا فراعنا أن شفقة الآباء وبر الأولاد — وكانا عماد ما بين التلميذ وأستاذه — قد ضلا فى هذه الضوضاء ، وامّحيا فى هذا الشقاء . وإذا آلات كآلات المكينة تدور لا عقل لها ولا قلب ، ولا سمع ولا بصر .

فنقول رحم الله زماناً كان سرور التلميذ وفخره بأن يكلمه أستاذه ، وأن يكتب هو على يد أستاذه يقبلها فى المدرسة وغير

المدرسة ! ورحم الله أيام كان طلبة الأزهر يقبلون يد الشيخ عقب كل درس ويتنافسون في حمل حذائه إلى الباب .

* * *

وعلى ذكر الأزهر أقول : إنه لم ينج من هذه الفتن ، وكان الرجاء أن ينجو ، ولم يبعد عن هذا القلق ، وكان الأمل أن يبعد ، فزهد طلابه في العلم زُهدَ غيرهم ، وضربوا واختصموا وكان منهم ما كان من طلبة المعاهد الأخرى لم يتخلفوا عنهم ، ولم تثنِهم سُنن الإسلام ، ولا وقرهم تاريخ الأزهر ووقاره وسمته ، ولا عصمهم من هذا البلاء عاصم .

ذلك بأن الأمة عامة لا تحرص على السنن ، ولا تعنى بالاحتفاظ بالتاريخ ، وأن الأزهر خاصة أخذته فتنة الحديث والقديم ، فأشفق من تاريخه ، وجهد أن ينافس غيره في الأخذ بالمحدثات ، وخشى أن يقال إنه دون غيره معرفة بالعصر ، ومسايرة له ، واقتباساً منه ، فغلبه التقليد حقيقة وإن تظاهر بالاستقلال والاجتهاد . ولو ثبتته الفكر الحر ، ووقره التاريخ المديد ، لأخذ من العصر شيئاً ورد أشياء ، ووافق في أمر وخالف في أمور ، وخط لنفسه من تاريخه ومما أحدثت المدنية من علوم وآداب خطة تميزه ، وسار على طريقة هي طريقته ومنهج هو منهجه ، ولكان للأمة ملجأ إذا حارت الأفكار وتنازعت الأهواء ، ولكان للأمة قدوة في الدين الحق ، والعمل الصالح ، وفي مقاصد الإسلام ووسائله وسننه وغاياته ، وفي البعد عن سفساف الأمور والأخذ بجلائلها .

لقد حافظت جامعات انكلترا على سننها أكثر مما حافظ الأزهر ، وهي لا تتصل بالدين اتصاله ، ولا توغل في التاريخ إيغاله .

إننا في حاجة إلى من يقتبس الصالح غير متردد ، ومن يتمسك بالصالح غير هياب ، ومن يعتد بنفسه وأمته وتاريخه فيقول : هذا حسن وهذا قبيح ، وهذا يصلح لي وهذا لا يصلح . ذلكم هو الأساس الذي يرسو عليه البناء ، وتلكم الخطة التي تستقيم بها الأمور .

* * *

وأنا حين آخذ على الطلبة هذه المآخذ لا ألقي التبعة عليهم ، وأرد الذنب إليهم ، فإنهم يَنْشئون كما يُنَشَّئون ، وينبتون كما يُزرعون ، وتصوغهم البيئة على أحوالها ، وتربيهم الأمة على مثالها . لا ألومهم ولكن ألوم البيئة التي سيرتهم هذه السيرة ، ولا أحقد عليهم بل أرحمهم مما تهافتوا فيه على غير علم . فأنا أعيب المعلم قبل المتعلم ، وآخذ الأستاذ بأشد مما آخذ به التلميذ ، وأعيب البيئة والنظام قبل أن أعيب الناشئ الغِرّ ، وأشفق على الشاب وأرحمه ، وأذم أثر البيئة فيه ، وطابع التربية عليه ، لنعمل على إصلاحه ، ونجهد في إنقاذه .

ولست في قولي هذا يائساً ولا متشائماً ؛ ولكني أدعو إلى تدارك الشر قبل استفحاله ، ومداواة الداء قبل إعضاله ، إلى تجنب هذه الطرائق ، والحذر مما تؤدى إليه ، وأنهى عن السير على غير هدى ، والأخذ بغير تمييز ، والقبول بغير نقد .

أرى أمورنا في حاجة إلى بحث ودرس ، ونقد وتمييز ، وإلى أن تسيرها آراء العلماء على خطة واضحة ، وطريقة مستقيمة ، فلا تترك الأمور فوضى ، ولا تبحث الأشياء فُرادى ، بل يتناولها النظر المحيط ، والنقد الشامل ، ويجمعها النظام التام ، والخطة الجامعة ، يضعها علماء التربية وعلماء النفس وعلماء الأخلاق وعلماء التاريخ وعلماء الدين .

نريد مدارسنا ومعاهدنا دور تعليم وتثقيف ، ومباءة إصلاح وتهذيب ، ومصدر محبة ومودة وألفة وأخوة ، يتجلى فيها الخضوع للقانون ، والإجلال للنظام ، والقيام بالواجب ، وإيثار الخير العام ، والتكلف بالمروءات ، والتحلي بالآداب ، والترفع عن الدنايا . نريد أن يكون بين المعلمين والمتعلمين ما بين الأب الرحيم والابن البار ، وأن تكون المعاهد كلها أسراً كبيرة قائمة على التراحم والتعاضد ، تخرج للأمة كل حين من يتولى إصلاحها ويكفل هدايتها . نريد أرواحاً لا أجساداً ، وأشخاصاً لا أعداداً ، ومعاني لا ألفاظاً ، وحقائق لا صوراً . ونسأل الله التوفيق .

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

من أعلام رجال الفكر فى عصر الحروب الصليبية :

ابن دقيق العيد

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

تقى الدين أبو الفتح محمد بن مجد الدين أبى الحسن على بن وهب ابن مطيع القشيرى .

ولد يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة ٦٢٥ بظهر البحر الأحمر ، قريباً من ساحل مدينة ينبع بالحجاز ، وأبواه متوجهان من قوص للحج ، قالوا : وحمله والده على يديه ، ودعا ربه ، وهو يطوف به الكعبة أن يجعله من العلماء العاملين ، فاستجاب الله دعوته .

وكانت أسرة ابن دقيق العيد قد اتخذت قوص موطناً لها بعد أن هجرت مدينتها الأولى منفلوط ، فنشأ الفتى بقوص ، وكانت من أهم مراكز الثقافة فى ذلك الحين ، فحفظ القرآن الكريم ، ثم درس فقه مالك على والده الذى كان من أئمة المالكية ، كما أخذ عنه الحديث والأصول ، ودرس فى قوص على غير والده أيضاً ، فأخذ فقه الشافعية عن تلميذ والده بهاء الدين القفطى ، ودرس الأصول على علم من أعلام هذه المادة وهو شمس الدين الأصبهانى ، والنحو على شرف الدين المرسى ، ثم رحل فى طلب العلم إلى القاهرة والأسكندرية ودمشق والحجاز ، وأخذ عن كبار علماء عصره مثل الحافظ المنذرى وعز الدين بن عبد السلام ، وعليه درس فقه الشافعى أيضاً ، وبهذا أتقن وهو شاب مذهبى الشافعى ومالك إتقاناً عظيما بلغ به درجة الإفتاء بهما ، وقد قال فيه ابن القوبع من قصيدة يمدحه بها :

صبا للعلم صبًّا فى صباه فأعْلِ بهمة الصب الصبى
وأتقن والشباب له لباس أدلة مالك والشافعى

وعاد الشاب إلى مدينته وقد درس الفقه على المذهبين ، وأصول الفقه ، والحديث وعلومه ، وعلم الكلام ، والتفسير والنحو واللغة والأدب ، وكان أكبر ما امتاز فيه الفقه والحديث .

أما فى الفقه ، فقد ارتفع عن مستوى التقليد المطلق الذى يقف فيه عند نصوص الأئمة لا يحيد عنها ، بل يرتفع إلى حيث يستخلص الأحكام من أدلتها فى الكتاب والسنة .

قال مؤرخه فتح الدين اليعمرى : « وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعانى من السنة والكتاب ، بلب يسحر الألباب ، وفكر يفتح له ما يستغلق على غيره من الأبواب ، مستعيناً على ذلك بما رواه من العلوم » .

وقال عنه أبو حيان : « هو أشبه من رأيناه يميل إلى الاجتهاد »

ولعل ابن دقيق العيد كان يرى نفسه مجتهد عصره ، فإنه كان يؤمن بأن كل وقت لا يخلو من مجتهد . وقد وضع كتاب الإلمام ، جمع فيه الأحاديث التى يستنبط منها الأحكام ، مما يدل على ما وصل إليه من درجة ممتازة فى الاستنباط والاستدلال .

وأما فى الحديث ، فقد برع فى معرفة متنه وإسناده وعلله ، حتى أصبح أوحد عصره فيه ، وله فى علوم الحديث مؤلف دعاه « الاقتراح فى معرفة الاصطلاح » ، وإليه أسند والى قوص التدريس فى دار الحديث التى أنشأها بها .

وقد ساعده على بلوغ هذه المنزلة من العلم ذكاء ممتاز ، ودأب على التحصيل ، وسهر بالليل للدرس ، وشره فى القراءة ، وغرام بالاطلاع . قال الأدفوىّ فى الطالع السعيد : « كان له قدرة على المطالعة . رأيت خزانة المدرسة النجيبية بقوص فيها جملة كتب ، من جملتها عيون الأدلة لابن القصّار فى نحو من ثلاثين مجلدة ، وعليها علامات له . وكذلك رأيت كتب المدرسة السابقية ، رأيت على السنن الكبير للبيهقى ، فيها من كل مجلدة علامة ، وفيها تاريخ الخطيب كذلك ، ومعجم الطبرانى الكبير ، والبسيط للواحدى ، وغير ذلك » ؛ وأخبرنى شيخنا الفقيه سراج الدين الترندى أنه لما ظهر الشرح الكبير للرافعى اشتراه بألف درهم وصار يصلى الفرائض فقط ، واشتغل بالمطالعة إلى أن أنهاه مطالعة . ويقال إنه طالع كتب مكتبة المدرسة الفاضلية عن آخرها ، وكانت ذات مكتبة ضخمة حافلة .

وإلى جانب غرامه بالقراءة كان كثير النقد والتحرى والتدقيق فيما يقرأ ، لا يقبل الشىء من غير أن يعمل فيه فكره فيقبله أو يرفضه .

ولعل كثيرين من مقدريه وعارفى فضله قد نصحوه بمغادرة

قوص إلى القاهرة ، حيث يظفر فيها بالتقدير وبمد الصوت والرزق الواسع ، وحيث يجد المجال واسعاً لذيوع علمه والشهرة ورفيع المناصب ، وقد تردد ابن دقيق العيد فى قبول هذا العرض ، ظناً منه أن نيل ذلك كله لا يكون إلا بفقد شىء من الكرامة ، والتهاون فى كثير من أمور الدين ، وهو يحدثنا عن ذلك فى قوله :

يقولون لى: «هلا نهضت إلى العلا فما لذ عيش الصابر المتقنع
وهلا شددت العيس حتى تحلها بمصر إلى ذاك الجناب المرفع
ففيها من الأعيان مَن فيض كفه إذا شاء روى سيله كل بلقع
وفيها قضاة ليس يخفى عليهمُ تيقن كون العلم غير مضيَّع
وفيها شيوخ الدين والفضل والأولى يشير إليهم بالعلا كل إصبع
وفيها ... وفيها ... والمهابة ذلة فقم، واسع، واقصد باب رزقك، واقرع»
فقلت : « نعم أسعى إذا شئت أن أرى ذليلا مهاناً مستحقاً لوضع
وأسعى إذا ما لذ لى طول موقفى على باب محجوب اللقاء ممنع
وأسعى إذا كان النفاق طريقتى أروح وأغدو فى ثياب التصنع
وأسعى إذا لم يبق فىَّ بقية أراعى بها حق التقى والتورع
وكم بين أرباب الصدور مجالس يشب لها نار الغضا بين أضلع
فإما توق مسلك الدين والنهى وإما تلق غصة المتجرع »

وكان فى صميم قلبه يرجو أن يظفر بالرفعة من غير أن يفقد فى سبيلها كرامته ، وهذا هو السر فى نقمته على أرباب المناصب الذين لم يعرفوا قدره ، ولم ينزلوه ما هو جدير به من رفيع المنازل ، تحس بذلك فى قوله :

أهل المناصب فى الدنيا ورفعتها أهل الفضائل مرذولون بينهم
قد أنزلونا لأنا غير جنسهم منازل الوحش فى الإهمال عندهم
فما لهم فى توقى ضرنا نظر وما لهم فى ترقى قدرنا هم
فليتنا لو قدرنا أن نعرّفهم مقدارهم عندنا أو لو دروه هم
لهم مريحان: من جهل وفرط غنى وعندنا المتعبان : العلم والعدم

ولكن يظهر أن الحالة المالية لابن دقيق العيد دفعته إلى المجىء إلى القاهرة ، حيث ولى المدرسة الصلاحية سنة ٦٨٠ ، ودرس الحديث بدار الحديث الكاملية وكان له منزل بها ، وعلم الفقه على مذهبى الشافعى ومالك بالمدرسة الفاضلية ، كما درّس أيضاً بالمدرسة الصالحية والقبة المنصورية .

ومع ذلك لم يُثرِ ابن دقيق العيد ، بل لم يدفع عن نفسه شر الفاقة ، وكان يضطر إلى الاستدانة أحياناً ، وإن كان قد ظفر أخيراً بالثراء والرخاء ، فاستمتع وأكثر من التسرى ، وكان ينعى حظه قائلا :

سحاب فكرى لا يزال هامياً وليل همى لا أراه راحلا
قد أتعبتنى همتى وفطنتى فليتنى كنت مهيناً جاهلا

وربما كانت رغبة ابن دقيق العيد فى الاستمتاع بمباهج الحياة هى التى دفعته إلى أن يعترف للشيخ زكى الدين بأنه أدين منه . حكى تاج الدين الدشناوى قال : « خلوت به مرة فقال : يا فقيه ، أفزت برؤية الشيخ زكى الدين عبد العظيم ؟ فقلت : ورؤيتك ؛ فكرر الكلام ، وكررت الجواب؛ فقال : كان الشيخ زكى الدين أدين منى ؛ ثم سكت ساعة وقال : غير أنى أعلم منه !

وظفر ابن دقيق العيد بشهرة واسعة ، وصوت بعيد ، وتقدير عميق فى قوص والقاهرة ، حتى فى أيام أساتذته . وفى سنة ٦٩٥ ولى قضاء قضاة الشافعية فى الديار المصرية ، وقد استقبل كثير من مقدريه قبوله هذا المنصب بشىء من العتب عليه واللوم ، ورأوا فيه حطاً من عظيم قدره ، وكانوا يفضلون بعده عن مناصب السلطان ويعدون ذلك زلة له ، ولكنى لا أوافقهم على ما ذهبوا إليه ، ولا سيما أن ابن دقيق العيد كان أحب الناس رعاية الحقوق وإحقاق العدالة ، ورسائله إلى من كان يعينهم من القضاة يحثهم فيها على تحرى الحق ، ويخوفهم من الظلم ، ويشعرهم بما عليهم من التبعة تدلنا على مقدار ما ظفر به المنصب يوم حله هذا العالم الممتاز . وكان هو نفسه يشعر بثقل العبء الملقى عليه قاضياً ، فكان يقول : « والله ما خار الله لمن بلى بالقضاء » ؛ ويقول : « لو لم يكن إلا طول الوقوف للسؤال والحساب لكفى » . وأثر عنه فى القضاء آثار حسنة ، منها انتزاع أوقاف كانت أخذت واقتطعت لمقطعين ، ومنها أن القضاة كان يخلع عليهم الحرير، فخلع على الشيخ الصوف واستمرت ، ورتب على الأوصياء مباشراً من جهته ، وكان يكتب إلى نوابه يذكرهم ويحذرهم .

ولم ينج ابن دقيق العيد وهو فى منصب القضاء من ساخطين

عليه ، هجوه بالشعر حيناً ، وبالزجل حيناً آخر . قال برهان الدين المصرى الحنفى الطبيب ، وكان قد استوطن قوص سنين : « كنت أباشر وقفاً فأخذه منى شمس الدين محمد بن أخى الشيخ وولاه لآخر ، فمز علىّ ، ونظمت أبياتاً فى الشيخ فبلغته ، فأنا أمشى مرة خلفه وإذا به قد التفت إلىّ وقال : « يا فقيه ، بلغنى أنك هجوتنى ؟ » فسكت زماناً فقال : « أنشدنى » ؛ وألح علىّ ، فأنشدته :

وليت قولى الزهد عنك بأسره ... وبان لنا غير الذى كنت تظهر
ركنت إلى الدنيا وعاشرت أهلها ... ولو كان عن جبر لقد كنت تعذر

فسكت زماناً ، ثم قال : ما حملك على هذا ؟ فقلت : أنا رجل فقير ، وأنا أباشر وقفاً أخذه منى فلان ؛ فقال : ما علمت بهذا . ورد الوقف إليه .

وارتفعت منزلته عند سلاطين عصره ، فكان السلطان لاجين ينزل له عن سريره ويقبل يده . وفى سنة ٦٩٨ بعد وفاة الخليفة العباسى الحاكم بأمر الله ، أرسل إليه السلطان الناصر محمد يستشيره فيمن يوليه الخلافة بعده .

واستمر ابن دقيق العيد فى منصب القضاء ، وإن كان قد عزل منه نفسه أحياناً ، حتى مات يوم الجمعة حادى عشر صفر سنة ٧٠٢ ، ودفن يوم السبت بسفح المقطم .

قال الأدفوى فى الطالع السعيد : « وكان ذلك يوماً مشهوداً عزيزاً فى الوجود ، سارع الناس إليه ، ووقف جيش مصر ينتظر الصلاة عليه ، رحمه الله تعالى ، وهو ممن تألمت على فوات رؤيته ، والتملى بفوائده وبركاته » .

ورثاه الشريف محمد بن محمد القوصى بقصيدة طويلة منها قوله :

سيطول بعدك فى الطلول وقوفى ... أروى الثرى من مدمعى المذروف
لو كان يقبل فيك حتفك فدية ... لفديت من علمائنا بألوف !
ياطالبى المعروف ، أين مسيركم ؟ ... مات الفتى المعروف بالمعروف !
ما عنّف الجلساء قط ، ونفسه ... لم يخلها يوماً من التعنيف
يا مرشد الفتيا إذا ما أشكلت ... طرق الصواب ، ومنجد الملهوف
من للضعيف يمينه أنّى أتى ... مستصرخاً ، ياغوث كل ضعيف
أفنيت عمرك فى تقى وعبادة ... وإفادة للعلم أو تصنيف
لهفى على حبر ، بكل فضيلة ... علياء من زمن الصبا مشغوف
كان الخفيف على تقىّ مؤمن ... لكن على الفجار غير خفيف
أمنت أحاديث الرسول به من ... التبديل والتحريف والتصحيف
ومضى وما كتبت عليه كبيرة ... من يوم حل بساحة التكليف
صبراً بنيه ، قوة من بعده ... صبر الكريم الماجد الغطريف

كما رثاه جماعة من الفضلاء والأدباء بالقاهرة وقوص .

وترك كثيراً من الأولاد ، فكان له من الذكور عشرة سماهم بأسماء الصحابة ، وأخذ عنه عدد ضخم نبغ من بينهم جم غفير صار منهم المحدثون والنحويون وقضاة القضاة .

وألف كثيراً من الكتب : منها كتاب الإلمام ، الجامع أحاديث الأحكام ، وقد أثنى العلماء ثناء جما على هذا الكتاب ، حتى ادعى بعضهم أنه ما وضع فى هذا الفن مثله . وقال عنه تقى الدين بن تيمية : « هو كتاب الإسلام » وشرع فى شرحه ؛ ولكن يظهر أنه لم يتمه . وقد اشتمل الشرح فضلا عن الأحكام المستنبطة على أنواع أدبية ، ونكت خلافية ، ومباحث منطقية ، ولطائف بيانية ، ومواد لغوية ، وأبحاث نحوية ، وعلوم حديث ، وملح تاريخية ، وإشارات صوفية . ومنها كتاب الإمام فى الأحكام ، وهو فى عشرين مجلداً ، وشرح كتاب التبريزى فى الفقه ، ومقدمة المطرزى فى أصوله ، كما شرح بعض مختصر ابن الحاجب فى الفقه ، ووضع فى علوم الحديث كتاب الاقتراح فى معرفة الاصطلاح . وله مصنف فى أصول الدين .

وكان ابن دقيق العيد إلى جانب امتيازه فى التدريس والتأليف خطيباً بارعاً سمعه الشاعر المعروف أبو الحسين الجزار وهو يخطب بقوص فأعجب ببلاغته ، ثم أنشده مادحاً له :

يا سيد العلماء ، والأدباء ، والبلغاء ، والخطباء ، والحفاظ
شنفت أسماع الأنام بخطبة ... كست المعانى رونق الألفاظ
أبكت عيون السامعين فصولها ... فزكت على الخطباء والوعاظ
ستقول مصر إذ رأتك لغيرها ... ما الدهر إلا قسمة وأحاظ
ويقول قوم إذ رأوك خطيبهم : ... أنسيتنا قساً بسوق عكاظ

وجمع له ديوان خطب .

وكان يقول الشعر ، وقد رأينا بعض نماذج له ، وتستطيع

بقراءته أن تعرف بعض خلجات نفسه ، وروى مؤرخوه كثيراً من هذه النماذج ، فتسمعه حيناً ينقم على حظه ويقول :

الحمد لله ، كم أسمى بعزمى فى نيل العلا ، وقضاء الله ينكسه

كأنى البدر أبغى الشرق والفلك الأعلى يعارض مسعاه فيعكسه

كما جأر مرة أخرى بالشكوى من الفقر حين قال :

لعمرى ، لقد قاسيت بالفقر شدة وقعت بها فى حيرة وشتات

فإن بحت بالشكوى هتكت مروءتى

وإن لم أبح ، بالصبر خفت مماتى

وأعظم به من نازل بملمة يزيل حيائى أو يزيل حياتى

ويلجأ إلى الله قائلا :

وقائلة : مات الكرام ، فمن لنا إذا عضنا الدهر الشديد بنابه

فقلت لها : من كان غاية قصده سؤالا لمخلوق فليس بنابه

لئن مات من يرجى فمعطيهم الذى يرجونه باق فلوذوا ببابه

وتلمس حبه للوقار وغرامه به ، حتى قالوا : إن العادة يستطيع إحصاء كلامه ، لأن كثرة الكلام تذهب بالوقار فى قوله :

تمنيت أن الشيب عاجل لمتى وقرب منى فى صباى مزاره

لآخذ من عصر الشباب نشاطه وآخذ من عصر المشيب وقاره

وله شعر كثير فى مدح الرسول ، ومن ذلك موشحة أوردها صاحب الفوات منها قوله :

بنى العز للتوحيد من بعد هدمه وأوجب ذل المشركين بجده

عزيز قضى رب السماء بسعده وأيده عند اللقاء بجنده

فأورده للنصر أعظم مشرع

وله نثر لا يخرج عن طريقة أهل عصره الذين أغرموا بالسجع والمحسنات البديعية ، ونجد له نماذج فى كتبه وفى الطالع السعيد ، كما كان مطلعاً على كتب الأدب ، حتى لقد كان الشهاب محمود يقول عنه : « لم تر عينى آدب منه » .

ويثنى مؤرخوه على أخلاقه الاجتماعية والشخصية ، وكان خفيف الروح لطيفاً على نسك وورع ، ودين متبع ، يقابل الإساءة بالعطف والإحسان ، شفيعاً بالمشتغلين ، كثير البر لهم ، جواداً كريماً ، يحاسب نفسه ويشتد فى حسابها .

كل ذلك قد دفع معاصريه ومؤرخيه إلى أن يغمروه بإعجابهم إلى آخر درجات الإعجاب . فهذا فتح الدين بن سيد الناس يقول : « لم أر مثله فيمن رأيت ، ولا حملت أنى بأجل منه فيما رأيت ورويت ، لا يشق له غبار ، ولا يجرى معه سواه فى مضمار » .

وقال الذهبى عنه : « كان إماماً متفنناً ، مجوداً محرراً ، فقيهاً مدققاً ، غواصاً على المعانى ، وافر العقل ، كثير السكينة ، تام الورع ، سمحاً ، جواداً ، زكى النفس ، عديم الدعوى » .

أما السبكى فيقول عنه : « شيخ الإسلام ، الحافظ الزاهد الورع ، الناسك المجتهد المطلق ، ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعة ، الجامع بين العلم والدين ، والسالك سبيل الأقدمين ، أكل المتأخرين وبحر العلم الذى لا تكدره الدلاء ، ومعدن الفضل الذى لقاصده منه ما يشاء ... ولم ندرك أحداً من مشايخنا يختلف فى أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة ، وأنه أستاذ زمانه علماً وديناً » .

وذكره ابن أبى الإصبع صاحب كتاب البديع فى كتابه فقال : « هو من الذكاء والمعرفة على حالة لا أعرف أحداً فى زمنى عليها » .

وهكذا ظفر ابن دقيق العيد بإعجاب لا حد له ، ولا يزال اسمه إلى اليوم يذكر فى الفقه محاطاً بهالة من الإكبار والإجلال .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

المراجع :

(١) الدرر الكامنة ح ٤ ص ٩١
(٢) فوات الوفيات ح ٢ ص ٢٤٤
(٣) النجوم الزاهرة ح ٨ ص ٨٩ ، ١٤٨ ، ٦ ، ٢
(٤) السلوك للمقريزى الجزء الأول فى مواضع شتى
(٥) خطط المقريزى ح ٤ ص ٢٥١ و ٢٦٢
(٦) طبقات الشافعية للسبكي ح ٦ ص ٢
(٧) طبقات الحفاظ للسيوطى ح ٢ ص ٦٥
(٨) حسن المحاضرة له ح ١ ص ١٤٣ و ح ٢ ص ١١٣ و ١٥٧ و ١٥٩
(٩) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الخامس ص ٤١٧
(١٠) الطالع السعيد ص ٢٩ و ٧٢ و ٣٢٧ و ٣٥٢
(١١) الديباج المذهب ص ٢٨٣
(١٢) تذكرة الحفاظ للذهبى ح ٤ ص ٢٧٧

الأعـلام والرايات

للأستاذ أحمد رمزي بك

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

السلطان وأتباعه من الملوك المتغلبين :

كان أولَ من ملك مع خلفاء الإسلام وتلقب بالسلطان هم بنو بويه ، ثم جاءت دولة آل سلجوق ففاق ملوكها من تقدمهم وأصبحت دولتهم امبراطورية ضخمة ، خطب لملوكها فيما بين الصين وأسـوار القسطنطينية ، ثم ظهر فى أنحائها المختلفة اتباعها وهم :

بنو طفتكين	بالشام
بنو قطلميش	ببلاد الروم
بنو سكمان	بخلاط وارمينية
بنو ارتق	بماردين
بنو زنكى	بالشام
بنو أيوب	بمصر والشام
ثم الترك	الذين ورثوا ملك مصر (١)

ويهمنا منهم أمر زنكى : لأن صاحب النجوم الزاهرة يقول « أنشأ بنو زنكى بنى أيوب سلاطين مصر وأنشأ بنو أيوب دولة الترك وأول ملوكهم الملك المعز « أيبك » . فانظر إلى أمر الدنيا وكيف أن كل طائفة سبب نعمة طائفة »(٢)

وتم هذا التسلسل فى سيادة الممالك وتولى أراضيها وكل بيت جاء من اتباع من تقدمه وأصل الأتابكة أى آل زنكى هو قسيم الدولة آق سنقر وكان تركيا من أصحاب السطان ركن الدين ملكشاه ابن الب ارسلان السلجوقى .

وكان آق سنقر من اتباع هذا السلطان .

وبدأ ملكه فى حلب(٣) والذى أشار بتوليته هـذه المدينة الوزير نظام الملك .

وكان ملكشاه هذا من جملة الملوك السجوقين المتغلبين على البلاد .

إذن كانت ولاية البيت الأتابكى فى نطاق الدولة السلجوقية ، واستمرت هذه التبعية قائمة مدة زنكى وفى أيام نور الدين الشهيد ، وهى العلاقة القائمة بين التابع والمتبوع . كانت تنكمش أحياناً حتى لا تصبح شيئاً ثم تظهر فى ترتيب المملكة وقواعدها ومردُّ ذلك إلى سلطة المتغلبين على الأراضى التى يفتحونها أو يستولون عليها . وبقدر ما يزيد استقلالهم يزيد تمسكهم بتقليد من كانوا هم تابعين لهم فى أبهة الملك والسلطنة وأخصها الأعلام وترتيب الجيوش ونظام الأقطاع .

وتبدو هذه التبعية فى ثنايا التاريخ غير واضحة تماماً فيما كتبه مؤرخو مصر والشام ، ولكن مؤرخى المشرق ، أقصد بذلك بغداد وما يليها من الأقاليم يتحدثون عنها فى فقرات متباعدة .

ومن قبيل هذا ما جاء فى ابن الجوزى عن حوادث سنة ٥٣٨(١) من أن الملاقات ساءت بين السلطان وزنكى ، حتى جمع الأول المساكر لقصد الموصل والشام وترددت رسل زنكى « حتى تم الصلح على مائة ألف دينار تحمل فى نوب فحمل ثلاثون ألفاً ثم تقلبت الأحوال فاحتيج إلى مداراة زنكى وسقط المـال وقيل بل خرج ابن الأنبارى فقبض المال » .

ولو شئنا تفصيل هـذه العلاقات لخرجنا عن موضوعنا إلى دراسة الامبراطورية السلجوقية وعلاقاتها مع التابعين لها ، ومع ذلك أنقل فقرة لتفسير ما جاء فى ابن الجوزى فنحن نعلم أن زنكى وجد ولايته وقد أحدق بها الأعداء والمنازعون من كل جانب. الخليفة المسترشـد والسلطان مسعود وأصحاب أرمينية وأعمالها وبيت سكمان وركن الدولة داود صاحب حصن كيفا وابن عمه صاحب ماردين ثم الفرنج صاحب دمشق .

ولذلك جاء فى أعلام النبلاء نقلا عن الروضتين « أن زنكى كان ينتصف منهم ويغزو كلا منهم فى عقر داره ويفتح بلادهم ما عدا السلطان (مسعود السلجوقى) فإنه لا يباشر قصده ، بل

(١) تاريخ بن خلدون صفحة ٢٦ طبعة مصر ١٩٣٦ جزء ٥ .
(٢) النجوم الزاهرة صفحة ٢٦٨ جزء ٥ .
(٣) كانت حلب والموصل ضمن أملاك السلجوقيين قبل تغلب الأتابكة عليها : إذ استولى عليها ملكشاه السلجوقى عام ٤٧٩ هجرية .

(١) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم طبع حيدر أباد (فك الله قيدها) جزء ١٠ ص ٥٦ .

يحمل أصحاب الأطراف على الخروج عليه فإذا فعلوا عاد السلطان محتاجاً إليه ، وطلب منه أن يجمعهم على طاعته »[١] وفى هذا تفسير الحاجة إلى مداراته .

ودليلي على أن الخلافة كانت تنكمش أحياناً فلا تملك من الأمر شيئاً أمام سلطان السلاجقة والمتغلبين وأن سلطان هؤلاء كان ينصرف إلى السيطرة على أراضى الممالك ، وهذا ما أجاب به الخليفة سنة ٥٣٠ حينما طالبه زنكى بمال لتجهيز الجند إلى واسط إذ قال « البلاد معكم وليس معى شىء فاقطعوا البلاد »[٢] أى أعيدوا توزيعها .

من هذا يتضح أن الخلافة العباسية أصبحت فى ذلك الوقت مظهراً دينياً أكثر من أن تكون صاحبة قوة وغلبة ، وأن شعائرها هى شعائر الخليفة السنى العباسى وإن مبادرة السلاطين والملوك إلى الحصول على تقليد الخليفة ، كان القصد منه أن يرتكز الملك والفتح على أسس شرعية متفقة مع قواعد الدين : لا الخضوع إلى ملك العباسيين والإقرار بسيادتهم الفعلية[٣] .

فنور الدين حينما يرسل صلاح الدين لفتح مصر ، يفهم أنه يعد فى سلطانه وهذا فى حرصه على الاستقلال بمصر لا يجهر بما يبيته فى نفسه ، بل يحتفظ بمظاهر التبعية فى شعار المملكة وترتيبها ، كما كان يحرص الأتابكة فى الاحتفاظ بمظاهر التبعية لآل سلجوق ما دام هؤلاء على شىء من القوة والعظمة ، فإذا ضعف السلاجقة أو الأتابكة أخذوا البلاد لأنفسهم وحصلوا على إقرار الخليفة كما حصل من قبلهم آل سلجوق على الملك والسلطنة .

وفى ذلك يقول صاحب صبح الأعشى[٤] « واعلم أن الدولة الأيوبية لما طرأت على الدولة الفاطمية وخلفتها فى الديار المصرية خالفتها فى كثير من ترتيب المملكة وغيرت غالب معالمها وجرت على ما كانت عليه الدولة الأتابكية عماد الدين زنكى ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود بالشام » .

وألمس أن الأتابكة لم يبتدعوا بل ساروا على سنن السلاجقة فى كل ما استحدثوه من أنظمة ثم كانوا حريصين على أن يحتفظوا بمظاهر السلطنة السلجوقية فى الأعلام والرايات وأنظمة الجند والأقطاع وغير ذلك . بل كان اتخاذ الأعلام السلجوقية مما يقوى مركزهم ويجعلهم مساوين لأصحاب هذا العلم ثم جاء صلاح الدين فنحى نحوهم واتخذ شعائر السلطنة على أعلامه ابتداء من فتح حلب كما سيأتى .

الأعلام :

حدد صاحب صبح الأعشى هذه الأعلام بقوله[١] « هى عدة رايات منها راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه وتسمى العصابة وراية عظيمة فى رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش ورايات صفر صغار وتسمى الصناجق » .

والدخول فى شرح هذا التقسيم واستعمال كل نوع واصله مطلب صعب المرتقى ، ولكنى أكتفى بالإشارة إلى أن استعمال هذه الأعلام كان من عمل الدولة الكبرى أولاً أى من شعائر الدولة السلجوقية قبل أن يستعملها ملوك مصر من الترك أو الأيوبيين أو آل زنكى الذين كانوا فى ذلك مقلدين لا مبتدعين .

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة فى تاريخه : « وأول من حمل السنجق على رأسه من الملوك فى ركوبه غازى ابن زنكى وهو أخو السلطان نور الدين محمود ابن زنكى صاحب الشام » .

ونقل هذا صاحب صبح الأعشى[٢] فقال : « إن غازى أحدث حمل السنجق على رأسه فتبعه الملوك فى ذلك وألزم الجنود أن يشدوا السيوف إلى أوساطهم ويجعلوا الدبابيس تحت ركبهم عند الركوب » .

ويفهم عن عبارته أنه اخترع هذا الشعار الذى أخذ به بعده أبناء عمه فى الشام ، ولكن صاحب النجوم الزاهرة يقول : « الملك غازى ابن زنكى بن آق سنقر التركى أخو السلطان نور الدين محمود الشهيد الأتابكى هو أول من حمل السنجق على رأسه من الأتابكية ولم يحمله أحد قبله لأجل ملوك السلجوقية » .

ويقول صاحب عقد الجمان « وهو أول من حمل على رأسه

---

(١) أعلام النبلاء جزء ١ صفحة ٥١٦ .

(٢) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزى جزء ١٠ صفحة ٥٦

(٣) كان قيام سلطانين فى بغداد وما حولها مما أدى إلى الصراع الخراب إلى كثير من أراضى العراق الخصبة .

(٤) جزء ٤ عند كلامه على ترتيب المملكة .

(١) صفحة ٨ جزء ٤

(٢) من الجائز أن يكون السلجوقية أخذوا الكثير عمن تقدمهم من ملوك الترك .

السنجق من أصحاب الأطراف فإنه لم يكن فيهم من يفعله لأجل السلاطين السجوقية » .

إذن كانت الأتابكية أقل من السلطنة(١) وكان أصحابها من ملوك الأطراف وكانوا يتحاشون الأخذ بمظاهر السلطنة ، التي هي من حق ملوك آل سلجوق الذين لهم وحدهم هذا بانتمائهم إلى البيت المالك الذي يمثله سلطان السلاطين كما يفهم أن ملوك الأطراف كانوا يحاولون أن يتشبهوا بمن هم أعلى منهم ، وأن هؤلاء كانوا يمنعونهم من ذلك حتى لا يرقوا إلى مرتبة تقرب من مرتبة من يتولى الرياسة والصدارة بين السلاطين لأن استعمال شعار السلطنة معناه التساوي في المرتبة والقوة .

ويظهر من كلام فضل الله في عهد دولة المماليك الأتراك : « أن من عادة السلطان إذا ركب يوم العيدين ويوم دخول المدينة ركب وعلى رأسه العصائب السلطانية وهي صفر مطرزة بألقابه وترفع المظلة على رأسه وهي قبة مفشاة بأطلس أصفر مزركش عليها طائرة من فضة مذهبة يحملها بعض أمراء المئين وهو راكب فرسه إلى جانبه وأمامه الطبردارية مشاة وبأيديهم الأطبار » .

ويعلق صاحب المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة(٢) ناقل

(١) قال ابن العديم : كان أتابك جباراً عظيما ذا هيبة وكان الشاووش (الجاويش) يصيح خارج باب العراق وهو خارج من القلعة : قارن هذا بنظام النوبة والنفخ في البوقات وترتيب ضرب الدبادب والكوسات .

(٢) قارن لفظ أتابك مع أتاتورك وأتامان والأخير يطلق على زعماء القوزاق ودخل هذا اللفظ في اللغات الروسية والبولونية والألمانية . سبب تسمية زنكي بالأتابك : إنه لما تقلد الموصل سلم إليه السلطان محمود السلجوقي ولديه الب أرسلان وفروخ شاه المعروف بالخفاجي ليربيهما . فلهذا قيل له أتابك لأن الأتابك هو الذي يربي أولاد الملوك ، أتا بالتركية هو الأب وبك هو الأمير فأتابك مركب من هذين المعنيين .

وكانت القاعدة لدى هذه الشعوب أن يفرق في سن البلوغ بين الأولاد وآبائهم حتى ينشأوا على تربية بعيدة عن تأثير الوالد والوالدة ولذلك أصبح في بلاط كل أمير وملك عدد من أولاد الملوك والأمراء يربى في كنفه كما كان هناك نظام يقضي بتسليم أولاد السلاطين ليربوا في كنف من يوثق فيه من كبار رجال المملكة .

لاحظ تطور الأتابكة في مصر إلى أن أصبح اللقب يطلق على من يتولى الوصاية على السلطان القاصر ، ثم انتهى إلى أن أطلق على قائد الجيش فقيل للأمير أزبك أتابك العساكر المصرية : وهو لقب عظيم يشعر بالرابطة بين القائد وجنده .

هذه الفقرة بقوله : « العصائب المذكورة حرام وقد بطلت الآن والحمد لله » مما يدل على كراهية الناس لها النوع من مظاهر الأبهة المأخوذة من ترتيب ممالك آل سلجوق وبني بويه وغيرهم .

ولكن اللون الأصفر بقي حتى نهاية استقلال مصر بل وأدخل على المظلة وهي من بقايا ترتيب الفاطميين مع أنها من صميم المراسم المصرية وليست من تقاليد ملوك الشرق من الأتراك وغيرهم .

اللون الأصفر واللون الأسود :

الذي أمكنني استخلاصه هو أن اللون الأصفر أصبح شعار السلطنة والأسود استمر للخلافة بل أن العصائب أصبحت في بعض الأحيان من تقاليد الخلافة في مصر : وهذا من أغرب ما أدخل من شعائر الملوك المتغلبين على نظام الخلافة المفروض أن يستمر عريقاً في تمسكه بمراسم الأبهة العباسية ولا يأخذ بمظاهر أجنبية عن العروبة والإسلام . فمن ناحية اللونين والعلمين أشير إلى ما جاء في السلوك(١) .

« إن رسل ملك القبجاق وصلت إلى مصر ومعهم كتاب بالخط المغلي يتضمن أنه أسلم ويريد أن ينعت نعتاً من نعوت الإسلام ويجهز له علم خليفتي وعلم سلطاني يقاتل بهما أعداء الدين » .

وجاء في تاريخ أبي الفداء(٢) من حوادث ربيع الآخر سنة ٧٣٢ هجرية حينما جاء ابن أبي الفداء بعد وفاة والده إلى القاهرة في ربيع آخر سنة ٧٣٢ هجرية .

« ركب بشعار السلطنة الملك الأفضل الحوى بالقاهرة ، وبين يديه الغاشية ، ونشرت العصائب السلطانية والخليفية على رأسه وبين يديه الحجاب وجماعة من الأمراء وفرسه بالرقبة وأمامه الشبابة وصعد إلى القلعة » وفي هذا تصديق لما بدأ به هذا البحث من قيام شعارين .

فلا محل إذن للتساؤل عن اللون الأسود العباسي وعدم

(١) هو منجو بن طوغان بن باطو بن دوش بن جنجيز خان السلوك صفحة ٧١٦ .

(٢) تاريخ أبي الفداء صفحة ١٠٥ جزء ٤ .

اختياره للاعلام فى مصر بعد زوال الدولة الفاطمية إذ أن ولاية الأيوبيين كانت مرتكزة على آل زنكى وهؤلاء يتبعون آل سلجوق ويتقلدون بهم ولذلك لما دخل صلاح الدين حلب وتيقن من ثبوت ملكه « نشر سنجق السلطان الأصفر على سور القلعة وضربت له البشائر »(١) .

فهو قد شعر فى هذه اللحظة بقوته ، ونحا نحو السلاطين من آل سلجوق ، وطمع فى أن يعامل مثلهم ، فاتخذ شعارهم وجعل علمه أصفر اللون ، وهو علم السلاطين الذين يسيطرون على الأرض(٢) ، وطمع أن يصل إليه التقليد من خليفة بغداد (٣) بإقامته سيداً على الأراضى والممالك التى دانت له .

تراث الدولة السلجوقية :

إننى لا أزعم أن آل سلجوق ابتدعوا كل شىء ، بل أقول إن طبيعة الأشياء تحتم أنهم أخذوا ممن تقدمهم أشياء ليس بوسعى تحديدها بواسطة ما لدى من مراجع ، وإنما عمل الباحثين سواى موالاة البحث عنها ، ولكنى أقول أن أثرهم كان كبيراً فى ترتيب نظام الممالك التى جاءت من بعدهم : وأقول أن نظام الأقطاع فى التاريخ الإسلامى لن يقدّر له البحث العلمى الصحيح بدون أن نلم بأصل هذا النظام فى أواسط آسيا ونرجع إلى نشأته الأولى .

وكذلك نظام الجيوش وتعبئتها ومراتبها تأثرت إلى حد كبير بما أدخله السلجوقيون ، ولن تقدر قوة دولتى المماليك العسكرية بدون أن نلم بما كانت عليه أنظمة جيوش السلاجقة .

(١) أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء ص ١٣٢ ج ١٠ نقلا عن الروضتين .

(٢) فى سنة ٦٥٥ أرسل آخر خلفاء بنى العباس المستعصم بالله : الحلقة والطوق والتقليد إلى الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز الأيوبى .

(٣) لاحظ العلاقة بين السلطان والأراضى التى يحكمها واللون الخاص بالسلطنة لما سيأتى فى هذا البحث وهى علاقة تفويض لا تملك :

« طلب العادل من السلطان صلاح الدين كتاباً بولاية حلب ككتاب البيع والشراء فامتنع صلاح الدين وقال إنما تكون إقطاعاً : ولما اجتمعا قال له : «أظننت أن البلاد تباع أو ما علمت أن البلاد لأهلها المرابطين بها ونحن خزنة للمسلمين ... أو ما علمت أن السلطان ملكشاه السلجوقى لما أوقف طبرية على جامع خراسان لم يحكم به أحد من القضاة ولا الفقهاء » أعلام النبلاء بصفحة ١٥٠ جزء ٢ .

ولم يكن أثرهم قاصراً على مصر والشام بل شمل الجزء الشرقى من العالم الإسلامى وأخذ به ملوك خوارزم من بعدهم(١) « ولما ملك صلاح الدين الديار المصرية جرى على منهجهم أو ما قاربه وجاءت الدولة التركية وقد تنقحت المملكة وترتبت فأخذت فى الزيادة وفى تحسين الترتيب وتمضيد الملك وقيام أبهته ، ونقلت عن كل مملكة أحسن ما فيها ، فسلكت سبيله ونسجت على منواله حتى تهذبت وترتبت أحسن ترتيب وفاقت سائر الممالك وفخر ملكها على سائر الملوك »(٢) .

وفى ذلك يقول الأستاذ فيت : « إن سلاطين المماليك كانوا الوحيدين الذين نجحوا فى تاريخ مصر فى تأسيس امبراطورية ضخمة » (٣) .

أما تفسير اختيار الراية الصفراء الذى أشار إليه بيبرس فى كتابه إلى بومند صاحب طرابلس الشام بقوله «إن رايتنا الصفراء قد علت على رايتكم الحمراء وسادت الأرض » فأرده إلى أواسط آسيا حيث منبت السلاجقة ، فقد وجدت فى كتاب « تاريخ مدنية الأتراك (٤) » تأليف «ضيا كوك ألب» إن الأتراك اتخذوا لعناصر الحياة : الماء والتراب والنار ألواناً : فالسواد للماء والبياض للنار واللون الأصفر للأرض وقال « طوبراغك رنكى صاريدر » .

فهل اتخذت الراية الصفراء من القدم شعاراً لسلطان الأرض ؟

إنه ليصعب على أن أقرر شيئاً من ذلك ، حتى بعد المعلومات المتفرقة التى وضعتها أمام القارىء ، لأن ما نعلمه عن آل سلجوق وبنى بويه وآل سبكتكين وغيرهم من المتغلبين لا يزال فى حاجة إلى الجمع والتبويب والتنظيم .

وإن كنت أقرر أن بحث نظام الإقطاع فى تلك الأزمان سيفتح لنا حتماً الطريق الذى يوصلنا إلى نواح لا تزال مجهولة ، أرجو أن يتولاها المهتمون بالتاريخ الإسلامى بعنايتهم .

أحمد رمزى

(١) تاريخ أبى الفداء ص ١٤٨ جزء ٤ .
ضرب خوارزم شاه لأولاده النوب الخمس فى أوقات الصلاة على عادة الملوك السلجوقية .

(٢) دولة الأتراك بمصر . ترتيب المملكة صبح الأعشى ج ٤ ص ٥

(٣) كتاب مساجد القاهرة ص ٤٧ .

(٤) طبعة استانبول ص ١١١ ج ١

عرائس الربيع

للأستاذ على محمود طه

وثبن فى موكب الطبيعه ... وثوب غزلانها الوديعه
منشرات ومرسلات ... غلائل الفتنة الرصيعه
أثار دفء النسيم روحاً ... فيهن مشبوبة وليعه
وهاج عطر الصباح فيها ... ما هاج فى النحلة الرضيعه
فرحن يمرحن فى غناء ... تصغى، وتتلو الربى رجيعه
يحملن ورداً بها لورد ... ينثال بالحمرة الينيعه
كأنما الروض قلب صب ... أسلن فوق الثرى نجيعه
هذا الربيع الجميل يجلو ... فنون إبداعه الرفيعه
مشى تحيي الرياض منه ... خطى على صدرها سريعه
وديعة الخلد فى يديه ... وبوركت فيهما الوديعه
انتشت الأرض من شذاه ... وأترعت كأنها الرصيعه
ولى فم ناضب وقلب ... فارغة كأسه صديعه
عرائس الحسن لا تدعن الـ ... محب للهجر والقطيعه
فإنه شاعر يغنى ... أحلامه الحلوة البديعه
لكن يحيى صبا الليالى ... شدواً، ويغنى الهوى دموعه!

عاد ربيع الثرى وعادت ... صوادح الدوحة الوشيعه
هفت بجوقاتها إليه ... مفشية سره مذيعه
وزقه بلبل لمسوب ... فى حضنه وردة خليعه
وحدق الزهر واشرأبت ... كأنم حوله سميعه
شريعة الغاب ما أراها ... دماً ولا ميتة ذريعه
لكنه الحب فوضوياً ... يقتحم الذروة المنيعه
تدعو له الكائنات طراً ... وقدس الحب من شريعه
فيا عروس الربيع هاتى ... من وحيه وانشرى صنيعه
أنت شباب الحياة أنت الجمال فى موكب الطليعه
وأنت أنت الربيع، لا ما ... تبدعه ريشة الطبيعه
خداك، نهداك، من جناه ... فاكهة الجنة الضميعه
ثغرك ريان من رحيق ... الحب يحيى به صريعه
شعرك من نور ناظريه ... يقبس منه السنى سطوعه
وقيت لمح العيون إما ... رمتك بالنظرة الجميعه
وقيت لفح الشفاه إما ... هفت بها قبلة الخديعه
وقيت فح الصدور إما ... غلت بها الشهوة الوضيعه
فارجعى يا عروس فتى ... صباً يود الهوى رجوعه
أيام كل الطريق زهر ... وكل حافاته مريعه
أيام كل الحياة فجر ... ترقب عين الفتى طلوعه
وليله مهرجان عرس ... قد أوقدوا حوله شموعه
إن أنت لم تحسنى إليه ... فتلت فى صدره نزوعه
ومن لقلب أضاع بين الهوى وبين الصبا ربيعه!!

على محمود طه

كن زهرة

للأستاذ إيليا أبو ماضى

قل للذى أحصى السنين مفاخراً ... ياصاح ليس السر فى السنوات
لكنه فى المرء كيف يعيشها ... فى يقظة أم فى عميق سبات
قم عد آلاف السنين على الحصى ... أتعد شبه فضيلة لحصاة؟
خير من الفلوات لا حد لها ... روض أغن يقاس بالخطوات
كن زهرة أو نفحة فى زهرة ... فالمجد للزهرات والنفحات
تمشى الشهور على الورود ضحوكة ... وتنام فى الأشواك مكتئبات
وتموت هذى العقم قبل مماتها ... وتعيش تلك الدهر فى ساعات
تحصى على أهل الحياة دقائق ... والدهر لا يحصى على الأموات
العمر إلا بالمآثر فارغ ... كالبيت مهجوراً وكالموماة
جعل السنين جليلة وكبيرة ... ما فى مطاويها من الحسنات

إيليا أبو ماضى

صور من الحياة :

غَـدْر ... !

للأستاذ كامل محمود حبيب

لقد كان عهدى بك — يا صاحبى — فتى مشرق الوجه وضاح الجبين زيق الشباب ، تتألق — دائماً — فى الغالى الثمين من اللباس فتبدو فى رأى العين حسن الهيئة جميل الشارة ، تتوثب نفسك سعادة ومرحاً ويفيض قلبك بهجة وحبوراً ، يشغلك مهل الحياة عن حزنها وتصرفك سمة العيش عن شظفه ، تتفتح لك الدنيا عن مثل بسمة الزهرة النضيرة سقاها ندى الفجر الرطيب ورفت عليها نسمات الصبح الرقيقة ، فتتدفق فى قلبك لذة وهدوءاً ، فكنت — إذ ذاك — تبدو كفراشة سعيدة ما بها إلا أن تثب بين الورود والرياحين ترشف الرحيق العذب فى شوق وشغف ثم تنطلق إلى غايتها لا تأسى على شىء . فمالى أراك الآن وقد حال لونك وذوى عودك ، إننى أحس كأن حادثة عصفت بك فلفت بهجتك فى ثناياها وطوت البشر عن عينيك ، فبدت على جبينك سمات الحزن وارتسمت على وجهك علامات الكآبة . يا عجباً ! لقد تغضن جبينك بعد إشراق ، وتكسرت شوكتك بعد صلابة واستحالت أناقتك إلى أسمال خلقة ! فماذا كان من الأيام وماذا كان منك ، يا صاحبى ؟

وأطرق الرجل حيناً فى خجل ثم قال وفى صوته ضعف وفى نبراته اضطراب « إن لى حديثاً طويلاً لا أستطيع أن أفضى به إلا أن يطمئن بطنى ، فأنا منذ ليلتين أبيت على الطوى لا أجد ما أسد به رمق ، وحاولتُ جهدى أن أحتال لأمرى فعجزتُ ، وتنكرت لى الأيام وعصرتنى الحياة بين فكين من حديد ، فانسدت مسالكها وأوصدت مساربها ، وتراءت لى قلوب الناس جامدة لا تنبض بشفقة ولا تهتز برحمة ... »

وحزّ حديثه فى نفسى فانطلقتُ أهيىء له طعاماً وشراباً ، فما راعنى إلا أن يلوك اللقمة ولا يكاد يزدردها ويحركها بين أسنانه ولا يكاد يستسيغها . فقلت له فى دهشة « ما بالك لا تقبل على الطعام ؟ » قال : « يا سيدى ، إن الطير ليزق فراخه وهو خمصان فيحس الشبع والراحة حين تهدأ تقومها ، وإن الوحش الكاسر ليطعم صغاره دون نفسه وبه قرم إلى اللحم فيجد السعادة والهدوء . وإن لى صبية يتلهّبون جوعاً ... » قلتُ : « إن لمنة الله لتنحط على المكتظ فتصيبه بالتخمة ليعلم أن بطنه لا يسع ما يشبع بطنين » ثم أخذتُ أعدُّ لصغاره طعاماً يكفيهم أياماً ، ورأى هو الطعام فهب — فى بشر — يريد أن يحمله إليهم ، فقلت له : « مهلاً ! إن الخادم سيحمله إليهم وستبقى أنت هنا لتقص قصتك ... »

وجلس صاحبى إلى جانبى مطرقاً فى سهوم ، وإن خواطره لتضطرب فى بيداء السنين وإن الحوادث لتشتجر فى قلبه ، وإن نفسه ليتنازعه عن أن يفضى إلى بذات نفسه . فقلت : « يا أخى ، لا بد من شكوى ... ! » قال : « آه ، إن فى الإنسان دوافع ترابية إن سيطرت عليه سفلت به عن معانى الإنسانية » ثم قال : « نشأت أنا وأخى الأكبر وحيدين تجمعنا صلاة الأخوة والصداقة وتضمنا روابط الطفولة واليتم ، لم نشعر بعطف الأب ولم نتنسم حنان الأم ، ولنا دار وتجارة ، فتكفلنا عمنا ، وماله ولد ولا فيه طمع فشملنا بعطفه وخصنا بعنايته وإنه لرجل دين وقناعة ، فما امتدت يده إلى درهم من مالنا ولا عبث بالضئيل من تجارتنا ولا خلبه بريق الذهب ولا استهواه شره المال ، فعاش وعشنا فى كنفه سنوات ، ثم أصابه الكبر وعصفت به الشيخوخة على حين قد نما أخى الأكبر واشتد عوده ، فقام هو على تجارتنا يصرفها ويرعاها ومن ورائه رأى عمى وتجاربه وإخلاصه .

وانطوت السنون تصقل أخى وتحبوه بالمران والدربة ، وأنا منصرف عن شواغل الحياة وعن رواعى العمل إلى عبث الشباب وطيش الصبا ، لا يعنينى إلا أن أجد المتعة واللذة ... وغرّنى ما ألاقى من حب أخى ووفائه فسكنت إلى صفاء وده وخالص حبه ...

ثم تزوج هو وتزوجت أنا ، ودخلت المرأة بيننا تريد أن تفصم عروة عقدتها يد الزمن ، وأن تقطع آصرة ربطتها جفوة الحياة منذ أن شب كلانا عن الطوق . والمرأة شيطان جميل ينسرب حديثه الطلى إلى القلب رقيقاً فى مثل نسمات الربيع اللطيفة ، وهى ثعبان ينفث سموماً تتدفق فى النفس فى مثل حلاوة الرحيق ... ووجدت كلمات المرأة من أخى أذناً صاغية فما تلبث أن شطر الدار شطرين ، وأقام بينى وبينه جدر ، لا يستطيع واحد أن يظهره .

وأحسست أنا — لأول مرة فى حياتى — مسَّ الأسى والحزن حين أحسست فقد أخى وهو إلى جوارى .

وانجابت غشاوة من على عينى فتراءى لى ما يتوارى خلف أستار الزمان ، وخشيت أن يخلو أخى إلى زوجه يلقى السمع إلى حديثها ويلقى السَّلم إلى رأيها فإذا تجارتنا شطرين مثلما أصبحت دارنا شطرين ، وغبرتُ أياماً تؤرقنى الفكرة وتزعجنى الخاطرة ، لا أستطيع أن أصرف نفسى عنها ولا أن أمحوها من خيالى ، ثم رحت إلى أخى أكشف له عن هواجس نفسى وأنشر أمامه خلجات فؤاده فقلت : « أىْ أخى ! أنا لا أستطيع أن أجحد فضلك ولا أن أنكر جميلك ، فلولا ما بذلت من جهد وعناية ما زهت تجارتنا ولا ازدهرت ولا درَّت علينا هذا الرزق العميم . ولقد كنتُ فى حياتى كلها أحس منك شفقة الأخ الأكبر وحنان الأب الرحيم ، أطمئن إلى حبك وأسكن إلى إخلاصك . وإنى لأخشى أن توسوس لك نفسك فتستقل بنصيبك فى التجارة وتذرنى ضائعاً ، وأنا حريص على ألا تعصف بنا نوازع المادة فتتصدع وحدتنا وتنشق عصانا وتتقطع وشائج القلب وصلات الروح . وهذه تجارتنا بين يديك ، هى لك كلها إن شئت ولك جلها إن أردت ، وأنا قانع بما تنزل لى عنه لأننى لا أرضى بأن يشمت عدو أو أن يتشفَّى حسود » .

وسمع أخى الأكبر حديثى فاستيقظ تاريخنا كله فى قلبه منذ أن كنا طفلين نستشعر الذلة ونحن الضياع فترقرقت فى عينيه عبرات ما تتحدر وفاض قلبه بالعاطفة السامية ، ثم ربت على كتفى وهو يقول « لا يزعجك هذا الأمر فأنا أشد حرصاً عليه . ولقد اقتسمنا الدار لأننى كنت أخشى أن يدب خلاف بين زوجى وزوجك أو أن يطغى ابنى على ابنك فتتهدم سعادتنا وتنتقض راحتنا . أما التجارة فهى لى ولك . . »

وقمت من لدن أخى وإن الفرحة لتفعم قلبى .

ومضت سنة واحدة ، ثم انحط علىَّ مرض يعركنى عركاً شديداً . وحبسنى الداء فى حجرة من الدار لا أستطيع أن أبرحها وإلى جانبى زوجى تقدم على حاجاتى فى غير غضاضة ولا ملل ، وأخى يغدو إلىَّ ويروح وإلى جانبه طبيب وبين يديه دواء ، وأنا لا أنوء بأثقال المرض ، وإن زوجى وأخى بين يدى يرفهان عن نفسى شدة الضنى ويخففان عنى صولة العلة ، ومن بينهما طبيب . والطبيب رجل غليظ الكبد ، سقيم الوجدان ، واهى الرجولة ؛ لا يشفى غلته سيل من المال ، ولا ينقع صداه بحر من الذهب ؛ يصرفه الجشع عن الواجب ، ويشغله الشره عن الإنسانية .

وطالت بى العلة ، فما أرمضنى إلا صغارى يحومون حولى ، وإن قلوبهم لتتفطر أسى ولوعة لما أعانى من ألم . ثم برئت — بعد لأى — من سقامى لأخرج للناس شبحاً ضامراً هزيلا شاحب الوجه ، مرتعش اليد ، منحط القوة .

ورأى أخى عجزى وضعفى فتنكر لى وانطوى عنى فلا يزورنى إلا لماماً ولا يحدثنى فى شأن تجارتنا إلا قليلا ، وقبض يده عنى فلا يبض إلا بدريهمات لا تسد حاجة ولا ترأب صدعاً . ولمست أنا فيه الجفوة والقسوة فاضطرب قلبى وانزعج فؤادى ، ولكنى لم أستطع أن أتحدث إليه بأمر . ماذا أقول وأنا أوقن بأن مرضى قد كلفنى فوق الطاقة استنفد الكثير من مالى ، غير أن حاجات العيش ثقال ومن ورائى زوجى وصغارى يطلبون القوت واللباس ولا يقنعون بالتافه من العيش ولا يرضون بالرخيص من اللباس ؛ فذهبت إليه أدفع نفسى دفعاً عنيفاً واحملها أمراً لا تطيقه .

وجلس وجلست أنا ، وتحدثت إليه بحاجتى فأعرض عنى ولم يلق بالا إلى كلماتى ، بل قام فى أناة وتؤدة ليجمع أوراقه ودفاتره ثم لينشرها أمامى وهو يقول : لقد استنزفت أيام مرضك كل ما ادخرنا وركبنا الدين ونحن الآن نسير إلى الإفلاس فى سرعة . وهذه أوراقنا تدل على صدق ما أقول » ووجمت أنا لحديث أخى ، وتراءى لى أن يداً عبثت بالتجارة وأن عقلا عاث فى الأوراق ولكن الكلمات ماتت على شفتى ، واستمر هو فى حديثه يقول « والآن أصبح لا معدى لنا عن أحد أمرين : إما أن نبيع الدكان بما فيه لرجل غريب ، وإما أن يشتريه أحدنا ويدفع الثمن فوراً » وصدمنى الرأى صدمة عنيفة ، فأخى يثق بأننى خاوى اليد والجيب وأننى أضن بتجارتنا أن تصبح فى يد غريبة وأننى فى حاجة شديدة إلى المال . فقلت فى استسلام وكمد « خذ أنت حصتى » قال « فهى تساوى كذا وكذا يخصم منها ثمن الدواء وأجر الطبيب وهو كذا فيبقى كذا » وأرغمتنى الحاجة على أن أنزل عند رأيه فكتبت له تنازلا عن حقى لقاء المبلغ الذى أراد ، ثم انفلت من لدنه وبين يدى جنيهات وفى عينى عبرة وفى قلبى لوعة

آه ، يا صاحبى ، إن فى الإنسان دوافع ترابية إن سيطرت عليه سفلت به عن معانى الإنسانية » ...

كامل محمود حبيب

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة

للأستاذ إبراهيم البطراوى

— ٢ —

بقى بعد هذا بدعة أخرى ، وهى آخر ما سنتكلم عنه — جاءتنا هذه الأيام من فرنسا ، وفرنسا دائماً بلد العجائب وأم البدع . هذه البدعة الجديدة أعجب ما فى أمرها أنها تدعى لنفسها عراقة نسب فى التاريخ وكرم محتد فى الفلسفة تسمى (الوجودية) L'Existantiolisme

وأعجب من هـذا أن يظهر مثيل لهذا المذهب فى ألمانيا على يد الفيلسوف الأديب نيتشه Neizche قبل القرن العشرين ، ويظهر المذهب نفسه بعد ذلك على يد هيد يجر فى ألمانيا أيضاً ؛ فلم يكد يعرفه أحد هنا حتى ظهر هـذه الأيام فى فرنسا على يد سارتر Sartre ؛ فسرعان ما وجدنا له أساتذة عندنا وأعواناً قبل أن يجد سارتر الأعوان والأساتذة ؛ لأن فرنسا غدت بعد الحرب فى فقر من الرجال كما يقول سارتر .

لا يدخلن فى روعكم أن هذه الفلسفة أتت بجديد ؛ فهى عين ما جاء به روسو وفولتير ومزدك والإسماعيلية وماركس : البهيمية والإباحية — مع اختلاف فى الأسماء وتزويق فى الألفاظ ! ولـكنها على كل حال تجلت فى ثوب جديد ، وعرفت كذلك باسم جديد يلائم ذوق العصر وثقافته L'existəntialisme !

فلنعرف أولا ما هى هذه الوجودية ثم ليكن بعد ذلك ما يكون :

خلاصة ما فهمت من شروحهم بعد دراستى لهـذا المذهب وبخاصة ما كتب زعيمهم سارتر ولا سيما فى كتابيه (الوجود والعدم) L'étre et le néant والمتوهم L'rmaginaire

أنهم يقابلون قسمة الـكائنات الحية فى الدين وعند كل الفلاسفة القائلين «بالإثنينية» Dualism إلى روح وجسد ، أو إلى مثال[1] rideab وصورة ، أو إلى جوهر وعرض . تتقدم الروح فى الوجود ظهور الجسد ، ويتقدم المثال تجسيد الصورة ، ويتقدم الجوهر العرض ، إلى آخر تلك الأشياء التى هى فى واقعيتها ومعقوليتها أقرب إلى أن تـكون بداته ؛ فيزعمون أنها خرافات تأصلت فى النفوس بعد أن ابتليت بداء الدين المضلل ! !

فلو سألناهم : إذا كان هذا باطلا حقاً يتجافى الواقع كما تدعون فعرفونا ما لديكم من أنباء الأمور الصحائح لعلنا نهتدى بهديكم ، وحدثناهم يعمدون إلى الغموض والتعمية وإلى المراوغة والتكايس ، ولم يزد كل أمرهم على أن يقابلوا شيئاً بشىء فيضعوا لفظاً مكان لفظ ، ويغيروا اسماً باسم ، ويقلبوا وضعاً لينصبوا مكانه آخر وهكذا ...

فيقولون إن أى كائن يتكون من شيئين اثنين هما : جِبلَّته[1] ووجوده .

فالجبلة : هى تلك السمة التى تميز كل نوع من الـكائنات عن النوع الآخر ؛ فبها تتميز الأنواع .

والوجود : هو الظهور الفعلى النافذ فى هذه الحياة .

ففكرة المهندس فى تصميمه لآلة من الآلات مثلا هى جبلة هذه الآلة . وتنفيذ هـذه الفـكرة أو تجسيدها — كما فى المثال المتقدم — هو وجود هذه الآلة .

من هـذا نعرف أن الجبلة هى التى تتقدم الوجود ؛ ولـكن هذا عند الوجوديين خطأ محض إذا طبقناه على الإنسان : فلنا أن نطبقه على كل شىء إلا الإنسان ؛ فإن له قانوناً خاصاً غير قانون الدين المتقدم ، فهو — كما فى زعمهم — خطأ ! ! وغير قوانين الطبيعة ؛ لأن كل قوانينها (أوهام) اختلقها العقل وقيـد بها نفسه . فليس هنالك شىء اسمه القانون ! ولـكن لا بأس عليهم أن يلزمونا بقانون ، ولا بأس علينا إذا أخذنا بقانونهم هذا فهم أئمة الهدى المعصومون ! وهو : أن وجود الإنسان هو الذى يتقدم جبلته !

فلم يعد ثمة جبلة خلقها الله ؛ ولـكن الإنسان — وهو فى نظرهم ذلك اللقى الذى قذف به فى هذا العالم قذفاً من هاوية

---

(١) كما عند أفلاطون

(١) الجبلة (بضم الجيم وسكون الباء) والجبلة (بكسر الجيم والباء) الخلقة والطبيعة (قاموس) . قال الشارح : قوله والجبلة (بضم الجيم وسكون الباء) الخ : قال الله تعالى : « واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين » : أى المجبولين على أحوالهم التى بنوا عليها ، وسبلهم التى قيضوا لسلوكها المشار إليها بقوله تعالى : « قل كل يعمل على شاكلته » .

لا يدريها ولا يحب (إن كان وجودياً عاقلا) أن يفكر فيها ، فما عليه إلا أن يعرف أنه هكذا وجد ! — هو الذى يخلق جبلة لنفسه بنفسه حال صراعه مع الكائنات الأخرى ومع الطبيعة فى سبيل الحياة ... وما عدا ذلك أوهام وترهات !

وأود أن أطمئن من يجد فى هذه النظرية شيئاً من التناقض أو الغموض بأن سارتر نفسه يعانى هذه الحال ، ويعز عليه أحياناً أن يكون هذا حظه فى فهم المذهب الذى به يعيش ؛ فلا يستحى أن يقول إن التناقض والغموض من أغراض الوجودية ، لأنها تصوير (صادق) للحياة بما هى ، والحياة كلها متناقضات ومعميات !

فإذا قلنا لهم : فى أى منطق يصح هذا ويستقيم ، وبأى عقل يمكن أن نسيغه أو نقبله ؟ وجدنا الجواب حاضراً — فهم قوم قد أعدوا لكل شىء عدته ، ولكل محتمل جواباً ، ولا يتهافت على الهبوط إلى وكرهم للاندماج فى عصابتهم إلا كل بارع فى فن الجدال والمداورة ، وفى فن التمويه والمكابرة — فما أسرع مايقولون وما علينا إذا لم تفهم البقر !

وفى شرح هذه النظرية والدفاع عنها ألفت كتب وأبحاث . كما أن سارتر يدير مجلة فى فرنسا لهذا الغرض هى (العصور الحديثة) les remps Modernes

والشعار الذى يقدمونه لكل مطلع على مؤلفاتهم هو (الحرية) وأنهم دعاتها وحماتها . وتحت هذا الشعار — مهما خدعوا بالألفاظ المزورة واصطلاحات الشعبذة — تسير جيوش الإباحية وادعة آمنة . « أنا حر فأنا إذن موجود » هذا هو شعار القوم . ولكن الحرية هنا ليست بالمعنى الذى نفهمه معشر الشرقيين ، أو الذى يفهمه معظم سكان العالم ، وإنما هى من ذلك النوع الذى نادى به أجدادهم ومن هم على شاكلتهم قبل اليوم بعشرات السنين

الحرية هنا هى أن يتمتع الإنسان بكل شىء وعلى أى نحو بشرط ألا يندم بفعل أى شىء وإلا كان وجوده ناقصاً (أو كان غير موجود !) واسمحوا لى أن أكون أكثر حرية من ذى قبل حتى أستطيع أن أحدثكم عن هذه الحرية الجديدة .

ومهما يكن من أمر ما نادى به سارتر من «وجوب أن يكون الأدب صورة القارىء » أو الكاتب أو حتى البيئة — وقد أثير ذلك فى بعض مجلات[1] مصر العريقة — فإنى لم أقف على هذا متحققاً فيما بين يدى من مؤلفات سارتر ولم يكن ليهمنى أن أقف عليه قدر ما كان يهمنى أن أحلل هذه المؤلفات من حيث هى ومن حيث هى وسائل وضعت لغرض مخصوص هو نشر مذهب معين وأقصد به الوجودية كما يقول بها سارتر .

وما عدا الخطوط الأساسية التى هى أصول (المذهب) والتى أشرنا إليها آنفاً ، فإن مما يلفت النظر — وقد أجمع جمهور النقاد الفرنسيين عليه — هو أن سارتر يفرض على نفسه دائماً أن يبرز أشخاصه الروائية وهى « تقترف عملا من الأعمال » مريباً أو غير مريب ، فهذا أمر ثانوى ، لأن جميع القيم المتعارفة كلها (مُتَوَهمات) — ويشرح اتجاه هذه (الأعمال) وما يجب أن تكون عليه كقاعدة مثلى للآداب عامة والوجودى منها خاصة ، فيقول فى بعض رواياته وهى (سبل الحرية) les chemins de la liberté

« هأنذا موجود أتذوق نفسى ، إنى أحس بالطعم القديم للدم وللماء الحديدى ، وذوق هو أنى أتذوق نفسى . إنى أوجَد والوجود هو هذا : أن أتمتع بنفسى وأرتوى منها بدون ظمأ . أربعة وثلاثون عاماً ، أربعة وثلاثون عاماً أتذوق فيها نفسى ، وقد كبرت — قد اشتغلت وانتظرت وبلغت ما كنت أريد : مارسيل وباريس والاستقلال ، وقد انتهى كل شى فلا أنتظر شيئاً بعد ذلك » (١)

هذا الشذوذ الأعمى هو بيت القصيد فى الوجودية السارترية . ولكى يهون الأمر على الضالين به أخرج قصة غاية فى السخف والتهافت دعاها (الذباب) les mouches ترمى إلى إبطال الألوهية إطلاقاً وإلى إنكار القيم الأجتماعية ، وبالتالى يستتبع هذا بالطبع الإباحية الهمجية حسب القانون الذى استنتجناه فى أول الكلام ، وحسب ما يفهم من كلامه فى غير هذه القصة وإن كان يرمى إلى هذا من طرف خفى ، أو من وراء حجاب بتعبير أوضح ، وهذا أخطر الخطر : فلا شىء هو الإله ولا شىء هو العلم ولا شىء هو الحب أو البغض أو الغنى أو الفقر له وجود ، وإنما هنالك شىء هو الوجود حقيقة ألا وهو الحرية يتمتع بها الآدميون » ...

(يتبع) ابراهيم البطراوى

(١) من الاتفاقات الطريفة أنى وأنا أعانى ترجمة هذه العبارة ؛ دخل على الخادم وبيده طائفة من الأوراق والكتب كان قد أيأسه العثور عليها منذ شهر ، ولما تفقدتها وجدت من بينها ما أريد ترجمته منقولا إلى العربية نقلا أميناً بقلم الدكتور أبو ريدة ! فآثرته ، تيمناً بهذه المصادفة السعيدة ، ولم أخالفه إلا فى لفظة أو اثنتين تؤديان نفس المعنى بأدق وأوضح من غيرهما .

(١) « الرسالة »

نفحة من العبقرية

[فى الذكرى الثانية عشرة للرافعى]

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

« . وسيأتى يوم إذا ذكر فيه الرافعى قال الناس : هو الحكمة العالية مصوغة فى أجل قالبٍ من البيان » مصطفى كامل

المرحوم ، الأستاذ خالد الذكر والأثر ، مصطفى صادق الرافعى أديب عبقرى متفنن ، ذو عقلية وضاءة مبدعة ، مولدة قوية صافية خصت وتميزت باتقادها بالأحاسيس المشبوبة ، والنوازع الطماحة ، والأخيلة الجياشة السيالة ... وتفردت بقدرتها التعبيرية الطيعة ، التى تسمو بنا إلى أجواء رقيقة ندية ... ننسى فيها عالمنا المادى المتطاحن ... ونقبل عليها بكليتنا مشغوفين مأسورين فنسبح فى فيض علوى زاخر ، ملء بالأنغام العذاب ، مفعم بأطايب نسمات الجنات

نشأ الرافعى فى بيئة دينية تقية ؛ تولت إفتاء مصر وقضاءها زمناً طيباً عادلا ... ففقه النور الإلهى الغامر الباهر ، واستوعب العربية وآدابها ، وفنون أساليبها ... وتعلق قلبه بسيرة سيد المرسلين ، فأخذت يراعته تدبج الفصول الرائعة ، والآيات البينات فى حبه وتقديره صلى الله عليه وسلم ... فكانت لروعتها وسموها كأنها تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور الذكر الحكيم ؛ كما يقول (سعد) العظيم . وظل يعمل ويكافح فى سبيل إعلاء كلمة الشرق ، وتوجيه الأجيال إلى خير منهج يضمن له العز والفخار ويعيد له تراثه المضيع ، ويحقق له نسبه الرائع المختلط ، وكان فى كل ذلك (واحد الآحاد فى فنه)(١) . وكما يحمل رسالته التى أخذ على عاتقه أمر تنفيذها وتحقيقها — وإن كانت المنايا قد عرقلت الكثير من أمنياته — بقوله : (أنا لا أعبأ بالمظاهر والأعراض التى يأتى بها يوم وينسخها يوم آخر ، والقبلة التى أتجه إليها فى الأدب ، إنما هى النفس الشرقية فى دينها وفضائلها ؛ فلا أكتب إلا ما يبعثها حية ويزيد فى حياتها وسمو غايتها ، ويمكن لفضائلها وخصائصها فى الحياة ... ولذا لا أمس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا ؛ ثم إنه يخيل إلى دائماً أننى رسول لغوى بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه) .

فالرافعى يعد من جهابذة أعلام الإسلام الخالدين إذ كان أعلم أهل عصره وأبرعهم فى تبيان فضائل القرآن ، التى تتفق مع كل زمان ، وتساير كل تطور ... كان يبذل جهد الجبابرة لبعث الثقافة العربية التليدة المجيدة ، وإبراز محاسن (الجملة القرآنية) الناصعة الرائعة المعجزة . كل ذلك بأسلوب رصين مكين ، وعبارة مشرقة مونقة ، ولفظ فخم جزل منتقى ... يكسو معانى أرتنا النجوم والشمس حية ! وجلت صدأ الأذهان وأنارتها ، وفجرت ينابيع الرحمة والحنان ، والإيمان والعرفان ، فى صحراء القلوب المجدبة ! فأضاف إلى العربية كنوزاً نفيسة من الآداب الرفيعة ، والمآثر الجليلة ... الباقية على الدهر ما بقى الدهر ، بل هى أبقى على الدهر من الدهر ! ؟ فأنت إذا ما حاولت أن تستوعب تلك المآثر وتحتويها فى لب لبك ، سوف تجد نفسك أمام بحر عجيب لجب ، واسع عميق ، يحوى كل نفيس من غالى الدرر واللآلئ ، أو قل يحوى ما هو أغلى من ذلك وأنفس ؟ ! فالدرر النضيدة ، واللآلئ الثمينة تتفق مع غرره الفريدة اليتيمة فى جميع المزايا ؛ من حيث الندرة والنفاسة ، وجمال السبك وفنية الصياغة . إلا أن الدرر واللآلئ تنقصها تلك الروح الشهية البهية ، التى تترقرق حياة خلال منطقه السامق السديد المحكم ! . وأنت إذا ما بحثت فى فى تلك المؤلفات ألفيت بحوثاً شائقة رائقة ، وإنشاء وصفياً حكمياً فى الأدب وتاريخه وسموه وعبقرياته .

وأول مؤلفاته ديوانان من براعم الشعر وعيونه .. هما : ديوان الرافعى (فى ثلاثة أجزاء) ، وديوان النظرات ... وفى شعر الرافعى يقول حافظ :

أراك ـ وأنت نبت اليوم ـ تمشى ... بشعرك فوق هام الأولينا
وأوتيتَ النبوة فى المعانى ... وما دانيتَ حد الأربعينا
فَزِن تاج الرآسة بعد سامى ... كما زانت فرائده الجبينا
وهذا الصولجان فكن حريصاً ... على ملك القريض وكن أمينا
لحسبك أن مُطرِيك (ابن هانى) ... وأنك قد غدوت له قرينا

---

(١) هذه الجملة لأستاذنا الجهبذ الزيات فى نعيه للرافعى رحمه الله .

ونذكر بعد ذلك من آثاره أخطرها شأناً وأعزها مقاماً فى عالم الأدب المعاصر ؛ ونعنى به كتاب (تاريخ آداب العرب) بأجزائه الثلاثة المنوعة ... الذى تجلت لنا فيه شخصية الرافعى الشاب النابغة ، والمؤرخ العالم المحقق الثقة ، الذى ينيف عمره عن الثلاثين ! ونترك أمر الحكم على هذا الكتاب الجامع ، بعد أن فرغ الكرام الناقدون من هذا الأمر ... فليرجع إليه من شاء أن يستقى الأدب عذباً فراتاً سائغاً ، من موارده النميرية المصفاة .

ثم كتابه (حديث القمر) وله أثر عظيم فى تكوين الأسلوب الإنشائى لكثير من أدبائنا ومتأدبينا المعاصرين ...

ثم كتبه (رسائل الأحزان) و (السحاب الأحمر) و (أوراق الورد) . وهى خلاصة آرائه فى فلسفة الجمال والحب ... وهى من أنضج الثمار لنتاج عبقرية الرجل الملهمة ... وقد أحدثت تلك الكتب الثلاثة ضجة أدبية ، إذ تمخضت عن مجادلات نزيهة صادقة معتدلة قيمة ... ومجادلات أخرى عنيفة عقيمة ، ساخطة متبرمة ، قاسية مريرة ! ...

وأخيراً يأتى دور كتابيه فى النقد (المعركة تحت راية القرآن) و (على السفود) وفيهما تبيان لما كان بينه وبين الدكتور طه حسين ثم المرحوم عبد الله عفيفى والأستاذ عباس محمود العقاد على الترتيب ... ويمتازان بطابع العنف والعنفوان فى أسلوبهما . إلى درجة ينكرها البعض وينفر منها ، ويتحمس لها البعض الآخر ويحبذها ...

ولا يحق لى أن أخوض غمار هذا الحديث المطوى غير الشهى .!

هذا إلى شتيت من المقالات تدخل فى عداد هذا اللون من أدب الرافعى ، بينه وبين الكاتب سلامة موسى والدكتور زكى مبارك وغيرهما ... ثم مقالاته المتفرقة فى الصحف والمجلات ، التى جمعها بين دفتى كتابه (وحى القلم) وهذا الكتاب يعد الصرح الشامخ فى تراث العربية فى العصر الحديث .

وجماع الأمر فقد امتازت أحاديثه ، رحمه الله ، بالتبحر والإفاضة والإشراق بدون إسفاف أو إضجار ، وإن كان يغرق أحياناً فى السبك الفنى لمعانيه وألفاظه ... وبخاصة إذا تكلم فى أدب الوصف والحكمة ...

وللرافعى أناشيد مشهورة مشكورة ... منها الوطنى الملتهب شعوراً وحماسة ونبلا ، ومنها الاجتماعى التهذيبى القوى ، ومنها الشعبى الصادق الساذج الفطرى

ولقد أكسب الرافعى فن القصة القصيرة بهاء ، وأبرزه فى أنصع ديباجة وأروع صياغة ... فشق للأقصوصة طريقاً مستقيماً امتاز بخصبه وقوة حججه وأسانيده المؤثرة .

ولقد ظل الرافعى على طبيعته المطمئنة الراضية ، وفيا للأدب يقظاً على تراثه ... غايته وهواه ومنماه أن يستنقذ الشرق مما اعتراه من ألوان الفجور وأسباب الطيش والتبرج والضياع .. ومما نزل به من فساد فى الأرض ، وبوار فى المرض ، وعنس للعذارى — اللائى كسبن الشارع وخسرن الزوج ، وانزلقن فى مهاوى الرذيلة !

وقد انبرى الرافعى — وهو شبه وحيد فى الميدان لا يسنده جاه ولا سلطان حزبى — إلى هدم تخرصات الدجاجلة المغررين ، من شياطين الآدميين الداعين إلى مسايرة مدنية زائفة ، مظهرها خالب وجوهرها كاذب .

وإن رجلا هذا شأنه ، وذاك تراثه يجب على كل رجال الدين والأدب على السواء ، أن يقوموا بدراسته واستيعابه وتدبره ؛ فيكون لهم كمشكاة زيتها لا ينفد ، ونورها لا يخبو ولا يخمد . فالرافعى حجة دينية ، ومصلح اجتماعى ، ولغوى علامة ، وفيلسوف إسلامى مفكر بعيد الغور فى الأدبين القديم والمعاصر

ولقد أطلت الكلام قليلا عن أدبه الدينى ، لأنه عندى أعلى وأرق أدب للراحل الكريم طيب الله ثراه ؛ ولأن النفس تستريح به وتستريح إليه .. لأنه لسان القرآن الفصيح الذى جلى معانيه وبرهن على إيجازه المعجز ، وإطنابه الصافى الوافى الذى لا يلحق

وختاماً أكرر ترحمى على الرافعى الذى مسح الدموع من أعين (المساكين) وسكب الدر فى أفواههم ... كما أشكره وهو فى دار الخلد ، على اللذة العقلية التى أورثنيها خلال قيامى بدراسة آثاره ... وهذه الكلمة اعتراف منى بجميله ، وتقدير خالص لفضله على العرب والعربية . رحمه الله .

أحمد مصطفى حافظ

محرر بمجلة المدينة المنورة

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مشكلة القراء فى حياتنا الأدبية :

فى الأسبوع الماضى سألنى أديب فاضل من الإسكندرية : لماذا لا تخرج كتاباً فى الأدب أو الفن أو النقد تمدنا فيه بمثل هذه الأفكار التى تطالعنا بها فى مقالاتك وتعقيباتك ؟ وكان ردى عليه أننى فكرت فى هذا الامر أكثر من مرة ثم خرجت من هذا التفكير بأن الإحجام خير من الإقدام ، لماذا ؟ لأن هناك مشكلة تحول بينى وبين هذه الأمنية الغالية ، هى مشكلة القراء فى هذا الجيل !

إننى لا أعدو الحق إذا قلت إننا نعانى أزمة فى القراء قل أن تجد لها مثيلا فى بلد آخر غير مصر ... وحين أقرر هذه الحقيقة الماثلة للعيون والأذهان ، أقررها وأنا أعنى هذه الطبقة من القراء الممتازين فى محيط الأدب والفن ، أولئك الذين يسمون وراء القراءة إيثاراً للعلم وشغفاً بالتثقيف . أما تلك الطبقة الأخرى من قراء الصحف الإخبارية والأدب السهل الرخيص ، أولئك الذين ينشدون الفكرة العارية والصورة العارية فهم ألوف والحمد لله !

ومرة أخرى لا أعدو الحق إذا قلت إن القراء فى مصر قد حد من طموحهم قصور فى الثقافة العامة ، وتمكنت من نفوسهم سموم فى الصحافة اليومية ، وعصف بأناتهم عصر السرعة وما يجر وراءه من جناية على العقول والأذواق ... هذه هى الأمور الثلاثة التى تشل حركة التثقيف فى مصر وتدفع بها إلى الوراء بدلا من تدفع بها إلى الأمام !

أما قصور الثقافة فتسأل عنه برامجنا التعليمية حين تلمس طابعها فى هذه الأمية الفاشية بين صفوف المتعلمين ، وأما سموم الصحافة فيسأل عنها فريق من الكتاب هبط بالفكر إلى مستوى رجل الشارع بدلا من أن يرفع رجل الشارع إلى مستواه ، وأما عصر السرعة فيسأل عنه السائرون فى ركابه القانعون بالسطوح فراراً من الأعماق !

نظرة متأملة إلى الطرقات والمحال العامة تكشف لك عن ألوف الأيدى الفارغة من كتاب مفيد ، وجولة متأنية فى المنتديات ودور اللهو تطلعك على ألوف الأذهان الفارغة من فكر عميق ، ودراسة متغلغلة فى صميم مجتمعنا المصرى تقنعك بأن وقت المتعلمين يتسع لخمسة أيام تنفق بين ملهى وملهى ويضيق بخمس ساعات تنفق بين كتاب وكتاب ... أما ميزانية هؤلاء المتعلمين فتضن بعدد من القروش هنا وتجود بعدد من الجنيهات هناك ! ولا تعجب بعد ذلك إذا امتلأت على سعتها دور السينما وخلت على ضيقها دور الكتب ، وإذا ماجت بالفارغين أسواق اللهو وأقفرت من الوافدين أسواق الفن !!

حتى أولئك الذين يقرأون فى مصر قد أصبحوا قراء مقالة ! إن أعصابهم لم تعد تحتمل عناء البحث العميق يتشعب فيه التحليل والتعليل ، ولا مكاره الكتاب الضخم تتمدد فيه الفصول والأبواب إنهم يريدون مقالا خفيفاً لطيفاً يفرغون منه على القهوة مع فنجان الشاى ، ويلهون به فى الترام عن طول الطريق ، ويفزعون إليه فى مقر العمل من فراغ الحياة !

بين أيامي وأنا أكتب هذه الكلمة كتاباً للفيلسوف الفرنسى سارتر عنوانه « الغثيان » وطبعته الثامنة والثلاثون ... ولا تنس أن فى كل طبعة من هذه الطبعات ألوفاً من النسخ يتلقفها ألوف من القراء ! هذا فى فرنسا وغير فرنسا من البلاد الأوربية ، أما فى مصر فتعال نسأل الكتاب عن موقفهم من دور النشر ، وتعال نسأل القائمين على دور النشر عن موقفهم من الكتاب ... إعراض من الجمهور القارئ عن شراء الكتب يتبعه فى الكثير الغالب إعراض من الناشرين عن الطبع ، وتكون النتيجة هذا الركود الذى لا يجدى معه الإنفاق على إخراج الآثار الأدبية من أموال المؤلفين .

ولقد نسيت أن أحدثك عن مشكلة أخرى تدخل فى نطاق هذه المشكلة الرئيسية ؛ وأعنى بها مشكلة هذه الفئة من عشاق الاطلاع على حساب الغير . ترى كم يجنى على المؤلف المصرى هذا القارئ الذى يدفع من جيبه عشرين قرشاً ثمناً لكتاب من كتبه ثم يدفع به آخر الأمر إلى عشرات الأصدقاء من هواة الاستعارة الشخصية ؟ ! إن أبلغ ما يمكن أن يساق إلى أمثال هؤلاء المتطفلين على موائد الأدب والمعتدين على حقوق الأدباء ، هذه الكلمات التى قرأتها عن كاتب من كتاب الغرب قدم لأحد مؤلفاته بهذا النداء الساخر العميق : « أيها القارئ ... أرجو أن لا تعير هذا الكتاب

لأحد ! إنك إن فعلت فقد سرقت منى قارئاً » !!

على ضوء هذا كله أرى الإقدام على إخراج كتاب فى هذه الآونة مغامرة غير مرجوة الفائدة ولا مأمولة العواقب ... وما دام عشاق الأدب فى مصر قد طبعوا على هذا اللون الموجز من القراءات فلا بأس من أن ألتقى معهم كل أسبوع فى رحاب هذه التعقيبات؟

هجوم عنيف على الصحافة المصرية :

لا أرانى مبالغاً حين أقول إن الصحافة المصرية تسف كثيراً وتسمو بنفسها قليلا ، وإنها تعرف قوتها ومصادر هذه القوة ، ولكنها تسىء استعمالها ؛ فهى يندر أن تحاول رفع الجمهور إليها ، ولا تتحرج من أن تنزل إلى مستوى السواد الأعظم من الأوساط العاديين ومن أنصاف الأميين أو أنصاف المتعلمين ، على حد قول المتنبى :

فيابن كروس يا نصف أعمى فإن تفخر فيا نصف البصير !

ولا أدرى ماذا يرجى لأمة ثقافة جمهورها الأكبر من هذا النوع الرخيص ؟ ولست ترى فيها أكثر من تفصيل أخبار الجرائم والخيانات والطلاق وصور الفتيات كاسية أو عارية ، بلا أدنى مناسبة ؛ وعلى الجملة كل ما يمكن أن يغرى القارئ الفارغ باقتناء الصحيفة أو المجلة والإقبال عليها والتزود بما فيها . إن الله جميل يحب الجمال ؛ ولكن للجمال معنى أوسع من أن يقصر على الوجوه المليحة المصنعة ، والقدود الرشيقة المشوقة ؛ وإنه لإفساد لعقول الشعب ، وتضييق لأفقها ، وتشويه لمعنى الجمال عنده أن تلح عليه الصحف بهذه الصور التى يراها على كل صفحة تقريباً ؛ ولا مسوغ لنشرها سوى الرغبة فى الفتنة والإغراء !

أما البحوث فهى فى الأغلب والأعم ملهوجة ، أى مسلوقة غير ناضجة ، والآراء التى تبسط خطيرة ، تقل فيها الروية والتقدير السليم المنزه عن الهوى ؛ وكثيراً ما ترى الرأى ينشر لا لأنه هو الصواب أو الذى حصل به الاقتناع ، بل لأنه الخليق أن يعجب العامة ويرضيهم !

إننا نريد من صحافتنا أن تسمو بنفسها ولا تسف ، وترفع الجمهور إليها ولا تهبط إليه ، وتتقى أن تستغل الغرائز الساذجة أو تهيجها ، وتتوقى المصلحة العامة ولو بشىء من التضحية ، وتحترم المسئوليات ، وتحرص على التثقيف — مع التبسيط — لا على التهريج ؛ وتدرك إدراكا صحيحا عميقاً أنها أداة خير جزيل إذا أحسنت استخدام قوتها ، وأنها تصبح أداة شر وبيل إذا أساءت هذا الاستخدام ! !

هذه الكلمات القوية الملتهبة الصادقة الموجهة ليست لى ؛ ولكنها للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فى « أخبار اليوم » منذ أيام ... إن أروع ما فيها أنها تقرر الواقع فى قسوة تخلو من التجنى وعنف يسمو على المغالاة ، ولكن أين كان المازنى منذ زمان؟ ولماذا لم يتناول قلمه قبل اليوم ليعرض للمشكلة الخطيرة بالدرس والعلاج ؟! وفيم كانت هذه الإغفاءة الطويلة والداء يسرى والأزمة تتفاقم والألسنة تضج بالألم والشكوى والصراخ ؟ مهما يكن من شىء فإننا نشكر للأستاذ هذه الغيرة على الأوضاع المهدرة وإن جاءت متأخرة ؛ ونحمد له هذه الثورة على القيم المشوهة ولا نعفيه من تحمل بعض المسئولية ومن تقبل بعض العتاب !

لقد كان المازنى قاسياً وعنيفاً وصريحاً فى ثورته على الصحافة المصرية ، فهل يأذن لى أن أكون على شىء من قسوته وعنفه وصراحته حين أنسب إليه بعض المشاركة فى هذه الأوضاع التى يهاجمها فى غير رفق ولا هوادة ؟ ! ...

معذرة يا سيدى ، فأنا لا أظلمك حين أقول لك إن طريقتك فى الكتابة — منذ سنين — لا ترضينى ، إنك حين تأخذ على الصحافة إغراقها فى تفصيل أخبار الجرائم والخيانات والطلاق والصور العارية ، تنسى أنك كثيراً ما تقدم لقرائك مادة فكرية يشهد الله أنك تهبط بها إلى مستوى السواد الأعظم من الأوساط العاديين دون أن تحاول رفعهم إلى مستواك ... ترى أتذكر ذلك المقال الذى كتبته منذ شهور تحت عنوان « لو أصبحت امرأة »؟! ذلك المقال الذى تخيلت فيه بعض شيوخ الأدب من أمثال طه والعقاد وهيكل والحكيم فى صور نسائية خلعت عليها ما يناسبها من أسماء ... فهذا (توحة) ، وذاك (علية) ، وذلك (ميمى) ، وغير ذلك مما أذكره هنا على سبيل المثال ؟ !

هل يستطيع الأستاذ المازنى أن يدلنى على القارئ الذى يمكن أن يستفيد ويتثقف من أمثال هذه الفكاهات ؟ !

ومن العجيب أنه يهيب بالصحافة ألا تستغل الغرائز الساذجة أو تهيجها ، هو الذى كتب مرة مقالا عن بائعة برتقال أدار فيه الحوار حول أمور جنسية يمنعنى من الإشارة إليها وقار « الرسالة »!

أنا والله يؤسفنى أن أهاجم المازنى ، هذا الرجل الذى لمست أدبه وظرفه وتواضعه يوم أن لقيته فى مكتب الأستاذ توفيق الحكيم ... ولكننى لا أستطيع أن أنسى الحق فى غمرة هذه الفضائل التى تكشفت لى منه فى ذلك اللقاء !

هذا الرجل العظيم وزير المعارف :

يخيل إلى أن ليس هناك من يبلغ إعجابه بهذا الرجل مبلغ إعجابى به ... إنه مثل أعلى فى سماحة الخلق ورحابة الأفق وصفاء الضمير . مثل أعلى يجب أن يحتذيه الشباب فى أيامهم المقبلة والشيوخ فى أيامهم الوشكة على الذهاب !

إن معالى الأستاذ على أيوب يفتح فى سجل الكرامة العقلية صفحة جديدة لم يرها المصريون منذ أمد بعيد ... صفحة أقل ما يقال فيها إنها مفخرة فى ميزان أنصار العهود وأرباب المناصب وأصحاب السلطان . وإلا فمن يدلنى على رجل آخر غير على أيوب قد واجه نداء العاطفة بمنطق العقل ، ولقى غواية المنصب بترفع العظيم ، وبدد ظلام الحزبية بهذا الضوء الباهر من كرامة القوميـــــة ؟!

معدن نفسى كريم ما فى ذلك شك ، معدن هذا الرجل الذى أجمع على نفاسته الخصوم قبل الأصدقاء ... إننى أشيد بذكره هنا لأنه كرم الأدب والعلم فى أشخاص أدباء تربطنى بهم صلات من الفكر والروح ؛ أدباء لا أرى حرجاً فى القول بأنهم يخالفونه فى أهوائه السياسية وميوله الحزبية ، وهذا هو الخلق القويم الذى يندر أن تجد له مثيلاً فى هذا العصر الذى نعيش فيه !

جاشت فى نفسى هذه الخواطر وأنا أقرأ عن الرجل العظيم هذه الكلمة الطيبة منذ أيام فى إحدى المجلات الأسبوعية :

« لا شك فى أن معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف معلم عظيم ، يؤمن بما كان أرسطو « المعلم الأول » يؤمن به ، وهو أن الخير مصدر العلم كله . فهو يفتح ذراعيه لرجال الأدب والفكر ممن خاصمهم غيره من الوزراء السابقين ، ويعيدهم إلى أعمالهم ، أو يكرمهم لوجه الخير العام وحده ... لقد بدأ الوزير عهده بهذا التقدير الرفيع للأدب والعلم فى شخص الدكتور طه حسين ، ثم أعاد إلى خدمة الدولة الشاعر المبدع على محمود طه والكاتب المعروف محمد سعيد العريان . وآخر مأثرة له فى هذا الباب تعيين الدكتور زكى مبارك فى القسم الأدبى بدار الكتب المصرية .

هذه روح كريمة ينبغى أن نسجلها لأننا فى حاجة إلى كثير من هذا التسامح المحبب الذى ينسى كل شىء فى سبيل المصلحة العامة والذى يضفى على حياتنا المصرية روحاً من الحب السامى نحن أحوج ما نكون إليها ... »

هذا ما قالته مجلة « الإثنين » فى معالى الأستاذ على أيوب ، وإنها لكلمات تشير فى مجال الحديث عن مزاياه إلى قليل من كثير !

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

رسالة مطولة من « السويس » تناقشنى فيها الآنسة الفاضلة ع . عبد الرحمن حول ما كتبته عن حقوق المرأة المصرية ...

يا آنستى ، أشكر لك هذه الغيرة الصادقة ، ويؤسفنى أن أقول لك إن رأيى الذى سبق أن أدليت به يعززه الإيمان والدراسة ، فلا تحاولى أن تقنعينى بعدالة قضية تفتقر إلى كثير من عناصر الإقناع ! وهذه رسالة أخرى من « الخرطوم — سودان » أشكر لمرسلها الأديب الشاعر محمد مجذوب كريم تقديره وعاطر ثنائه ، ويسرنى أن أبعث إليه فى القريب برسالة خاصة أجيبه فيها عن بعض ما سألنى عنه . أما الرسالة الثالثة ، فمن « الناصرية — العراق » يعرض فيها الأديب الفاضل عبد الكريم الأمين مأمور مكتبة المعارف العامة لبعض أقوال الأدباء المصريين فى مذهب الرمزية ، من أمثال الأساتذة الزيات والعقاد وأبى حديد ، ثم يطلب إلى أن أعقب على أقوالهم ، وأن أتحدث عن هذا النوع من الأدب ، ومتى نشأ ، وإلى أى حد تأثر الأدباء العرب بأصوله ومناهجه ... الحق أن الجواب عن هذا كله يحتاج إلى بحث طويل لا تتسع له « التعقيبات » ، ومع ذلك فأنا أرجو أن أتحدث عن هذا المذهب الأدبى يوماً ما فى بحث يخصص له . ورسالة رابعة من « عدن » أشكر لمرسلها الأديب الفاضل على باذيب جميل ثقته وحسن ظنه ، أما هديته القيمة فكان لها أبعد الأثر فى نفسى ، ولا يسعنى إلا أن أستجيب لرغبته فى رسالة خاصة .

بقى أن أبعث بخالص التحية إلى الأديب الفاضل س . ع الطالب بكلية الهندسة بجامعة فؤاد رداً على تحيته الكريمة . وأود أن أطمئنه على أننى ما زلت عند موقفى من حقوق المرأة المصرية . أما الأديب الفاضل محمد محمود حسنين الطالب بكلية الآداب بجامعة فاروق فنصيحتى له أن يترك مالا يحسن فهمه إلى غيره مما يحسن فهمه ، وحبذا لو انصرف عن التوافه إلى استذكار دروسه !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

مجمع سلامة موسى للغة العامية :

في مجمع فؤاد الأول للغة العربية الآن ، كرسيان خلوا بوفاة الدكتور محمد شرف بك والمستشرق الألماني الدكتور فيشر ، وقد فتح باب الترشيح لهما ، فتقدم عضوان من أعضاء المجمع ، هما سعادة عبد الحميد بدوي باشا والدكتور إبراهيم بيومي مدكور ، بترشيح سعادة واصف غالي باشا ليملأ أحد ذينك الكرسيين . وحدث قبل ذلك أن كتب الأستاذ سلامة موسى إلى بعض أعضاء المجمع يطلب ترشيحه للعضوية ، ويقول إن سعادة واصف غالي باشا يزكيه.

وتدل تلك الرسالة التي كتبها الأستاذ سلامة إلى عدد من أعضاء المجمع ، على أنه غير واقف على حقيقة ما يتبع في انتخاب الأعضاء ، فإن تزكية أحد من غير الأعضاء ليست سبباً إلى الترشيح للعضوية ، وإنما يجب أن يرشحه عضوان ويقدما مسوغات الترشيح من إنتاج المرشح ومؤلفاته .

ولنفرض أن اثنين من الأعضاء أرادا أن يرشحا الأستاذ سلامة موسى ، فماذا عساهما أن يقدما للمجمع من مسوغات هذا الترشيح ؟ إنهما لا بد يقعان في حرج شديد بالغ الشدة ما كان أغناهما عن أن يتورطا فيه ، فالأستاذ سلامة دائب — منذ أمسك القلم — على مهاجمة اللغة العربية والأدب العربي والثقافة العربية على العموم ، والمجمع مهمته الأولى المحافظة على سلامة اللغة العربية ، وهو يعمل على تنمية الثقافة العربية ، ويشجع الباحثين في الأدب العربي ، بل إن هذا الأدب الذي لا يعجب الأستاذ سلامة هو معين اللغة التي يتسمى المجمع باسمها ويقوم عليها .

ماذا يقدم العضوان اللذان يجازفان بترشيح الأستاذ سلامة ؟ هذا كتاب يأخذ عنوانه النظر لقربه من موضوع الترشيح ، وهو « البلاغة العصرية واللغة العربية » وهو كسائر مؤلفات الأستاذ سلامة يحتوي « أفكاراً حرة » مما يقذف به هذا « المفكر الحر » كما يقول الذين يشيمون عنه هذه الشائمة .

يهجم الأستاذ سلامة في كتابه هذا على اللغة العربية ويعيب أدبها ويدعو إلى اللغة العامية ، يقول مثلا : « وقد التفت إلى عبارة قالها الأستاذ عباس محمود العقاد بشأن الاشتراكيين في مصر لها مناسبة هنا . إذ هم يدعون ، على غير ما يحب ، إلى اللغة العامية . وقد حسب عليهم هذه الدعوة في مقدمة رذائلهم . لأنه هو يعتز بفضيلة اللغة الفصحى ويؤلف عن خالد بن الوليد أو حسان بن ثابت » ومعنى هذا أن الاشتراكيين في مصر يدعون إلى اللغة العامية ، على ما يحب الأستاذ سلامة الذي يعتز بفضيلة اللغة العامية ويريد أن يؤلف بها عن غير خالد بن الوليد وحسان بن ثابت ، لأن الكتابة عنهما وعن أمثالهما — في رأي المفكر الحر الزعوم — من أسباب تأخرنا ! ... لا يا شيخ !

ويقول بعد قليل من تلك الفقرات « إن ارتباط اللغة بالتقاليد والعقائد هو سبب التبلد والجمود في اللغة » ، وإن الدعوة إلى غير ذلك هي إحدى الغايات التي قصدها من تأليف الكتاب ، وهو يدعو في مواضع مختلفة من الكتاب مرة إلى دفن اللغة العربية ، ومرة إلى إلغاء الإعراب والمترادفات فيها ، ومرة يرى أننا بحاجة إلى لغة المجتمع لا إلى لغة القرآن ، ويقرن ذلك أحياناً بحرية المرأة والتقدم الصناعي ! إلى آخر ذلك الخلط العجيب الذي يفتتن به من يشيمون عن الأستاذ سلامة أنه مفكر حر . وتلك عينة من أفكاره الحرة !

نرجع إلى مجمع اللغة العربية وترشيح الأستاذ سلامة موسى لعضويته ، لنتساءل : هل تتفق تلك الأفكار الحرة وهذه العضوية ؟ أنا لا أنكر على الأستاذ سلامة أن يكون عضواً في مجمع ، ولكن أي مجمع ؟ هو بلا شك مجمع للغة العامية ، بل أنا أرشحه لرياسة هذا المجمع العامي ، وهذه مسوغاته . وليس هذا فقط فالرجل جدير بالتخليد ، ولذلك يجب أن يسمى المجمع باسمه فيقال « مجمع سلامة موسى للغة العامية » .

الفن « في أجازة » :

أربعة من الأصدقاء جمع بينهم سوء الحال وبؤس العيش ،

اتفقوا على أن يهجروا أعمالهم التى يزاولونها ويلقون فيها الشقاء ويكونوا عصابة للسرقة ، وانضمت إليهم فتاة راقصة . واختاروا مدينة الأقصر مجالا لعملهم الجديد ، حيث يكون هناك الأغنياء فى موسم السياحة. ويلاحظهم فى الفندق الذى نزلوا به رجل غنى مولع بقراءة الروايات (البوليسية) فيهتم بأمرهم ، ويشجعهم على الاتصال به وخاصة الفتاة الراقصة التى تعرف أن لديه تمثالا من الذهب فتحتال لسرقته، ثم يضبطها وهى تسرقه فيهددها ثم يعفو عنها على أن تعاونه على ما اعتزم من التدبير نحو زملائها الأربعة . ويرتب الأمر بعد ذلك على أن يوهمهم أن صاحبتهم قد ماتت ، ويتراءى لهم روحها فيهتف بهم أنهم سيلحقونها عما قريب ، ويدبر لكل منهم حادثة يوقن فيها أنه مات ، ويرمى به إلى كهف أعد ليكون « جهنم » يا كاون فيه البرسيم والتبن والشعير ، ويسامون فيه بعض العذاب ، ثم يفزعون برؤية « الزبانية » يتراقصون من حولهم . وأخيراً يبدو لهم الرجل الغنى فيقول لهم إنهم ليسوا أمواتاً كما وهموا ؛ بل هم أحياء عنده يعذبون لسوء أعمالهم ، ثم يعظهم ويرشدهم ويتلو عليهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ... وكنت عندهم فى سينما الكورسال وجيت .وأكلت ورك الديك . كما كانوا يقولون لنا فى نهاية (الحواديت) ونحن صغار .

تلك هى حكاية فلم « أجازة فى جهنم » التى وضعها يوسف جوهر، وقد أخرج الفلم عز الدين ذو الفقار، ومثل الأربعة الأصدقاء حسن فايق واسماعيل يس وكمال المصرى واستفان روستى، ومثل الرجل الغنى عباس فارس واسمه فى الفلم «أدهم بك» أما الراقصة فهى سامية جمال .

وهو فلم فكاهى كما زعموا ، فقد اجتمع فيه جماعة من أبطال التمثيل الفكاهى فى مصر ؛ ولكن ما هدف الفلم وما موضوعه ؟ وهل تكون الفكاهة فى الهواء ؟ هناك فى آخر الفلم يقف أدهم بك على منبر بجهنمه ليبين للمعذبين أن الشرف والاستقامة مع الفقر أحسن مما لجأوا إليه وأنه خير لهم أن يتوبوا ويعودوا إلى أعمالهم الشريفة الأولى . ويذكرنى هذا بما كنا نقرأه فى كتب المطالعة المدرسية القديمة فى ختام كل حكاية : من مثل «والمقصود من هذه الحكاية أن العدو العاقل خير من الصديق الجاهل » ؛

كشكول الأسبوع

▫ قررت لجنة الاحتفالات القومية برياسة معالى وزير المعارف ، أن يحتفل بالذكرى المئوية لوفاة محمد على الكبير فى النصف الثانى من شهر نوفبر المقبل ، على أن تضع من الآن مؤلفاً شاملا لتاريخ منشىء النهضة فى مصر ، وأن يتولى الأستاذ محمد شفيق غربال بك وضع مقدمة لهذا المؤلف لتنشر مستقلة عنه .

▫ يستعد استوديو مصر لبدء العمل فى فلم محمد على الكبير ، وقد وضع قصة الفلم الأستاذ محمد رفعت بك ، ويقوم بوضع الحوار الأستاذ محمود تيمور بك . وسيقوم بالإخراج أحمد بدرخان وبركات . وينتظر أن يمثل محمد على ، سليمان نجيب بك .

▫ يعتزم الدكتور طه حسين بك أن يقول كلة المجمع اللغوى فى حفلة استقبال الأستاذ الزيات عند افتتاح الدورة القادمة فى أكتوبر المقبل .

▫ أصدر معالى وزير المعارف قراراً بتعيين الدكتور زكى مبارك فى القسم الأدبى بدار الكتب المصريه . وهى يد جديدة لمعالى الوزير فى خدمة الأدباء . ولا شك أن الدكتور زكى مبارك أهل لها ولكل تقدير .

▫ فرغت إدارة التشريع بوزارة العدل من وضع مشروع قانون لحماية حق المؤلف ، ورفع المشروع إلى مجلس الوزراء . ويتمتع بحماية هذا القانون مؤلفو المصنفات المبتكرة فى الآدب والفنون والعلوم أيا كانت قيمة هذه المنصفات وبصرف النظر عن استعمالها أو الغرض من تصنيفها .

▫ تذيع محطة الإذاعة أغنيات للصباح يومياً فى الساعة الثامنة والربع صباحاً ، ومن هذه الأغنيات (يانايم يانايم قوم) كأن الإذاعة تذيع ساعة ونصف ساعة تبدأ من السابعة إلا ربعاً — على النائمين ... ثم يبدو لها أن توقظهم ليستمعوا إلى ختام الفترة الصباحية !

▫ وافق معالى وزير المعارف على تعيين السيد على أصغر حكمت وزير خارجية إيران ، والأساتذة إيليا أبو ماضى وميخائيل نعيمة (من لبنان) وعادل جبر (من فلسطين) — أعضاء مراسلين لمجمع فؤاد الأول للغة العربية .

▫ من محاضرات الأسبوع الماضى ، محاضرة لرئيس جمعية هواة طوابع البريد ، عالج فيها مشكلة الطوابع التى تتأثر من الخلف باللصق ! وسبحان موزع الميول والأهواء .

▫ لا تزال الرقابة جارية على الكتب والمؤلفات ، وإن كانت قد ألغيت بالنسبة للصحف والمجلات .

▫ وافقت اللجنة المالية بمجلس النواب على إنشاء مسرح صيفى تابع للفرقة المصرية .

▫ تقرر أن توفد الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، بعثة فنية إلى مكتبة الاسكوريال بمدريد ، لتصوير نفائس المخطوطات التى ألفها علماء العرب بالأندلس .

أما حوادث الفلم فلا تمرض إلا الاعوجاج ومجانية الشرف ، ولم تعرض عواقب طبيعية لذلك حتى تستخلص العظة من الوقائع وليس مما يقع فى الحياة أن يكون جزاء السارق والمحتال فى الدنيا عذاب الآخرة .. فأحداث القصة خلط بين الحياتين لا هدف له إلا الإضحاك ؛ وحينما يصل الأمر إلى مجرد الرغبة فى الإضحاك يؤدى إلى شيء آخر غير المراد ؛ وهو الإشفاق على القائمين بالأمر لإخفاقهم فيما قصدوا إليه .. وتتركز آفة الفلم فى هذا القصد ؛ فقد جمل منتجوه نصب أعينهم أن يخرجوا فلماً فكاهياً فحشدوا أبطال الفكاهة ، وأوصوا المؤلف أن يضع لهم قصة تميت من الضحك ، فأمات الأبطال وألقى بهم فى الجحيم لكى يضحك الناس . واتجه المخرج أيضاً نحو هذه الغاية ، فضحى فى سبيلها بكل قيمة فنية ، وأظهر مناظر الفلم كأنها فى عالم غير عالمنا ولست أدرى فى أى مكان من القاهرة تقع القهوة التى يغنى فيها أحد المغنين فيرميه المستمعون بالحصى والأحجار ؟ وكيف يسافر أربعة من الفقراء ذوى الحرف إلى الأقصر فى عربة نوم فاخرة بالقطار ولما يسرقوا شيئاً بعد ؟ وكيف يجلس رجل فى ردهة فندق كبير والناس من حوله وقد خرق الصحيفة التى يتظاهر بقراءتها خرقاً واسعاً ليرقب منه أفراد العصابة الجالسين على كثب منه ويستدعى سكرتيره ليشاركه النظر من الخرق ؟ وكيف يتصور الإنسان فى فندق فخم أن يكون بالجدران بين الغرف ثقوب يرى منها الناس بعضهم بعضاً ؟ هذه أسئلة على سبيل المثال فقط ؛ تبين ما فى الفلم من « خروق » واسعة وقع فيها من قاموا به ، لا لشيء إلا للاضحاك ... وقد كنا نستطيع أن نضحك تصنعاً من أجل (خاطرهم) لولا أنهم فى أثناء العمل به سرحوا الفن ومنحوه « أجازة » .

ولا يمنعنى ذلك أن أذكر إجادة الممثلين على قدر ما هيئ لهم وفى حدود القالب الذى وضعوا فيه ، غير أن « استفان روستى » كان جامد الحركة ، قليل التعبير ، وكان الفرق واضحاً بينه وبين زملائه الثلاثة ، وكان عباس فارس موفقاً فى دور « أدهم بك » ولكنه بدا ثقيل الظل فى خطابته الأخيرة ؛ أما سامية جمال فهى فى الفلم فتاة جميلة بارعة الرقص وكفى ...

وقد صاحب بعض مناظر الفلم ، قطع موسيقية جيدة ، كالقطعة التى صاحبت إسماعيل يس وهو يندب نفسه حين يتوهم أنه مات ، وقد وفق واضع هذه القطعة فى تصوير جو المآتم المصرية ، وكان إسماعيل يس يوقع عليها ندب نفسه توقيعاً ظريفاً.

يقولون لي :

يقول الأديب عبد العزيز سالم بعد استنكار ما كتبه التابعى عن أسمهان فى « آخر ساعة » : « وقد مات المراغى كما مات مصطفى عبد الرازق فلم تظفر حياتهما بشيء من تقدير حياة أسمهان ، ألأن أسمهان أفادت الفن وخدمت الغناء أكثر مما خدم المراغى الدين ومصطفى الأدب والفلسفة ؟ »

وأقول: لكل صحيفة أو مجلة لونها الخاص ، وما كتبه التابعى يلائم لون « آخر ساعة » ، وليست المجلات مرفقاً من مرافق الدولة ، وإنما هى بضاعة تعرض للراغب فيها . وليس لأحد — كما أرى — أن يقول إن مجلة كذا تشغل صفحاتها بكذا ، لأنها هى تريد أن تكون كذلك ، وما عليك إذا لم يعجبك ما فيها إلا أن تبحث عن غيرها . ثم ما ذنب التابعى إذا كان أصدقاء المراغى ومصطفى عبد الرازق لم يفوا لهما بمثل ما وفى التابعى لصاحبته ؟

ويسألنى الأديب « السيد عوض محمود الجعفرى بمعهد فاروق الأول بقنا » عن مجلة « الرواية » ، وعن انقطاع الأساتذة : سيد قطب ، وشاكر ، والطنطاوى عن الكتابة ؛ والسؤال الثالث : « هل يجب على من تنشر له مقالة ، أو قصة ، أو رد على سؤال ، أو إصلاح كلمة فى مقالة ، أو أى شيء — أن يكون من المشاهير؟»

أما « الرواية » ، فقد تأخر ظهورها لما أشار به الأطباء على الأستاذ الزيات من الاحتياط لاستكمال الصحة ببعض العلاج ، ولانقضاء موسم النشاط وحلول الصيف . والمأمول بعد ذلك أن تتحقق آمال عشاق القصة الرفيعة فى « الرواية » .

وأما السؤال الثانى ، فيحال إلى الأساتذة المسؤول عنهم ، ولعل الأستاذ سيد قطب قد أجاب إجابة عملية كما رأيت فى عددين ماضيين من «الرسالة» ولعله يجد مندوحات من مهام بعثته فيبعث بنفحاته الشرقية من ذلك العالم الغربى .

وأما الإجابة عن السؤال الثالث فقد فصلتها فى العدد (٧٩٠) من الرسالة ولا داعى للتكرار .

عباس خضر



تصحيح :

فى الجزء الخامس من المجلد السابع لمجلة الكتاب كتب الدكتور مصطفى جواد — من بغداد — مقالاً تحت عنوان « ناصر الدين شافع الكنانى » وهو أحد المؤرخين من ذوى الآثار المغفلة . وقد عرض لى فى تضاعيف مقال التعريف بهذا المؤرخ الأديب أمور أجلها فيما يلى :

نقل الكاتب المؤرخ ما جاء فى الورقة ١٦ هو ما نصه : « .. وظهر منهم البلاد ، وأمن من عدوانهم العباد ، وأحدهم (كذا) عن آخرهم » وأقول : إشارة الأستاذ الكاتب بـ (كذا) لا تغنى شيئاً عن الصواب الذى ينشده الكاتب فيما يكتب والقارىء مما يقرأ ... وحين تقصر المراجع عن الإفادة بالأصل لا يبقى لدى الكاتب والمحقق على الخصوص غير الاجتهاد . وعندى أن أصل الكلمة إن لم يكن « وأبادهم » فهو (وأخذهم) بالخاء والذال المعجمتين ، والمعنى أنه أذهب ريحهم وشتت شملهم وجعلهم فى الأرض بدداً أى أنه أخذهم — مع الفارق — أخذ عزيز مقتدر .

وجاء نقلاً عن هذه الورقة أيضاً : « ووصل إلى غازان ملكهم ما ساءه من خبرهم وأيس من (صدرهم) » قلت : وصواب الكلمة (صدهم) بحذف الراء على الأرجح ، ويرجح هذا ما جاء بعده « وأخذ فى ترقيع جيشه ولا يترقع ، وفى لم شمله هذا وما فى قوسه مرمى ولا فى سهمه منزع » .

وورد أيضاً : « ولم يصل إليه منهم إلا اليسير (أو) جريح أو مذعور » . قلت : ليس لـ (أو) هذه مكان فى جملة الخبر ، وصوابها (من) الجارّة وبها يستقيم الكلام .

وجاء أخيراً ما نصه : « .. تجوس بلاده وتعرف (طارده) وتلاده .. » قلت : الصواب (طارفه) بالفاء وهو ضد التالد والتلاد . على أن لجملة (طارده وتلاده) الواردة تخريجاً آخر ولكنه بعيد المراد ، ولا أظن صاحب الرسالة قصد إليه ، وإن جار القصد إليه من طريق غير هذا الطريق .

وبعد فما رأيناه أجلنا صواب هناته مجتهدين ، ونرجو أن يكون فى هذا الاجتهاد السداد ، والسلام .

(الزيتون) عدنان

الضبع مؤنثة :

كتب محرر بالمجمع اللغوى « يثبت » تذكير الضبع على أسلوب عجيب فى التحقيق اللغوى ، فقد اكتفى بنقل « ضعيف » عن المصباح المنير فيه إحالة على مجهول ، إذ قال : « وهي أنثى — وقيل — تقع على الذكر والأنثى ، ثم أراد « المحرر » التوهيم فنقل ما فى « الإفصاح » فى رواية غير مؤيدة بشاهد عن « المبرد » .

وما ساقه بعيد عن التحقيق فى إيراد « المسموع » ، فإن دوران الكلمة يحقق مدلولها الوضعى ما لم تعارض بنص سماعى ، وهو — كعادته — يعتمد على النقل من المعاجم من دون استعمال المقايسة ، وصنيعه ليس شيئاً يعطى الإفادة ، ونحن لا زلنا نؤثر تأنيث الضبع ، فقد ورد : « فإن قومك لم تأكلهم الضبع » . وفى نظرة إلى ميسرة نأمل بعد التأمل سياق شاهد على التذكير

(بور سعيد) أحمد عبد اللطيف بدر

العمل الأدبي أيضاً :

كتب الأديب صبرى حسن علوان بالعدد ٨٢٨ من الرسالة الغراء معقباً على تعريف الأستاذ أحمد أحمد بدوى للعمل الأدبي بأنه التعبير عن تجربة للأديب ، بألفاظ موحية ؛ فقال « قد لفت نظرى هذا التعريف إلى ما عرف به الأستاذ سيد قطب العمل الأدبي فى كتابه « النقد الأدبي أصوله ومناهجه » أنه « التعبير عن تجربة شعورية فى صورة موحية » ثم قال المعقب « ولعل التعريف الثانى أعم وأوحى » والمهم هو هذا التذييل

الأخير فإنه كما يبدو يدل على أن المعقب غير متأكد فى تحقيقه العموم فى التعريفين . والحقيقة أن تعريف الأستاذ أحمد بدوى أعم من التعريف الآخر لأنه لم يقيد التجربة بوصف يحد من نطاقها فصح أن تطلق على التجربة الشعورية وغيرها ؛ أما الأستاذ قطب فقد قيد التجربة « بالشعورية » .

(الأسكندرية) أحمد محمود عرفه

١ — راق له :

تعبير عربى صحيح فقد جاء فى الأفعال لابن القوطية طبع أوروبا ص ١١٠ ما نصه :

راق الشىء أعجب ، والشراب صفا . أه .

وجاء فى مقاييس اللغة (الراء والواو والقاف) أصلان يدل أحدهما على تقدم شىء والثانى على حسن وجمال أه .

ومن هذا يظهر لك صحة استعمال قولهم راق له وراق فى نظره . أليس هذا مثل قولهم حلا له وساغ له وصفا له .

٢ — الكساء والكسوة :

خطأ أحد أفاضل المدرسين استعمال الكساء بمعنى الملبوس مطلقاً ، لأنه ثوب بعينه وهو نحو العباءة من الصوف ، واقترح استعمال الكسى جمع كسوة لأنها كل ما يكتسى به ، فيقال الغذاء والكسى الخ .

وهذا ليس بصحيح ؛ فقد جاء فى المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ما نصه : الكساء والكسوة اللباس . أه .

ولا يخفى أن الكساء ألطف من الكسى ، حتى أن القدامى عدلوا عنها إلى الكساوى كما تقول الرشاوى والقهاوى .

٣ — الأشقياء :

خطأ أحد المدرسين استعمال الأشقياء بمعنى المجرمين والجناة واللصوص ، لأن الشقى خلاف السعيد ، وأقول إن هذا الاستعمال صحيح بل فصيح لأنه استعمال مجازى . ألا ترى أن المجرم ونحوه غير سعيد ؟ ومعانى الشقاء وهى البؤس والشدة والعسر والتعب ونحوه متوافرة فيه ؛ بل هو شقى الدارين : شقى فى حياته وشقى بعد مماته .

علي حسن هلالي
المجمع اللغوى

حول كتاب « المنصف » :

سقطت سهواً أثناء جمع القسم الأول من كلمتى عن كتاب « المنصف » لابن وكيع المصرى جملة لا مناص من ذكرها ، وهى : « وعند صديقى الدكتور خليل محمود عساكر المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول صورة من هذه النسخة الفريدة ظفر بها قبيل الحرب الأخيرة بأيام قلائل ، وقد كتب على الصديق الفاضل أن يظل فى ألمانيا مدة الحرب كلها » .

وإنى أنتهز فرصة هذا التصويب وأتوجه إلى الدكتور خليل بخالص الشكر وجزيل الثناء .

السيد أحمد صقر



نظرات فى كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٢ —

ثم يقول الأستاذ محمد كرد على : « ولما عزمت هذه الأيام على طبعه تفضل صديقى الأستاذ عباس العزاوى وأرسل لى نسخة من مخطوطة خزانته من هذا الكتاب معارضة على نسخة أخرى ، وبوجود ثلاث نسخ منه سهل الاهتداء إلى أصح روايات المؤلف ، فجاءت هذه الطبعة صحيحة على ما يحب المؤتمنون على نصوص القدماء » .

حسب الأستاذ أن ظفره بهذه النسخ قد هداه إلى أصح روايات الكتاب ، ومكنه من نشره نشراً علمياً صحيحاً يرضى النقاد الأمناء على تراث العرب ، وليس ذلك من الحق فى شئ ، فإنه لم يفطن إلى أصح الروايات إلا قليلاً ، وخرج الكتاب من بين يديه مفعماً بالتحريف ، مترعاً بالتصحيف ، ووقعت فى حواشى الكتاب التى صنعها أوهام لغوية غريبة عجيبة ما كنت لأعنى بتبيانها لولا أن الأستاذ رئيس للمجمع العلمى العربى بدمشق وعضو فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة .

١ — جاء فى ص ٧٤ « وماذا يقولون فى رجل زنى وهو لا يعلم أن الله حرَّم الزنا ؟ وآخر زنى وهو يعلم أن الزنا من الكبائر التى تسخط الرب وتوجب النار ؟ أيهم أقرب إلى السلامة وأولى من الله بالعفو ؟ أو ليس أهل العلم على أن الذى لا يعلم لا حدَّ عليه من جَلد وتعزير ولا رجم ؟ وأن على الآخر حد البكر إن كان بِكراً ، وحدَّ المحصن إن كان محصناً ؟ فهذه أحكام الدنيا ، وأما أحكام الآخرة فلولا كراهة التألى على الله لقلنا فى الذى ركب الفاحشة وهو لا يعلم أن الله حرمها ، معفو عنه »

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « التألى : التكبر » !!!

وهذا شرح ينبو عنه الذوق ، ولا يسوغ فى شرعة العقل والدين . ولا يتصور أن يكون التكبر على الله قد دار بخلد ابن قتيبة أو طاف بفكره عند ما كتب هذا الكلام إن ابن قتيبة لم يقصد بكلمة : « التألى » إلا معناها المشهور ، وهو القسم والحكم على الله . جاء فى لسان العرب : « وقد تألَّيتُ ، وائتليت : أقسمت ، وفى الحديث : من يتألَّ على الله يُكَذِّبْهُ ، أى من حكم عليه وحلف ، كقولك : والله ليدخلنَّ اللهُ فلاناً النار ويُنجحنَّ اللهُ سعي فلان . وفى الحديث : ويل للمتألّين من أمتى ، يعنى الذين يحكمون على الله ويقولون : فلان فى الجنة وفلان فى النار » .

وسيرى القارئ بإذن الله من أمثلة هذا الشرح العجيب ما يستنفد عجبه ، ويستفرغ دهشته .

٢ — ص ١٥ يقول ابن قتيبة فى معرض حديثه عن الله وإكرامه لأمة محمد عليه السلام « وأوسع لنا من طيب الرزق ، وحرم علينا الخبائث ، ولم يجعل فى الدين من حرج ، ولا خطر بالاستعباد إلا ما جمل منه الخلف الأطيب والبذْلَ الأوفر رحمة منه وبراً ولطفاً وعطفاً » .

وليس للبذل هنا أى معنى ، والصواب : « والبدَل الأوفر »

٣ — ص ١٦ تحدث ابن قتيبة عن اختلاف الناس فى الأشربة « ... حتى يحتاج ابن سيرين مع ثاقب علمه ، وبارع فهمه إلى أن يسأل عبيدة السلمانى عن النبيذ ، وحتى يقول له عبيدة ، وقد لحق خيار الصحابة وعلماءهم منهم على وابن مسعود ، اختلف علنا فى النبيذ . وفى رواية أخرى آخذت الناس أشربة كثيرة فالى شراب منذ عشرين سنة إلا من لبن أوماء أوعسل »

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « فى ع : علينا والغالب أنها علنا »

وقد أخطأ فى تصويبه ، ولم يدرك أن « اختلف » مبنى للمجهول . والصواب : « اختُلِفَ علينا فى النبيذ . وفى رواية أخرى : أحدث الناس أشربة كثيرة ... »

وابن سيرين هو أبو بكر محمد بن سيرين البصرى روى عن مولاه أنس بن مالك وزيد بن ثابت وأبى هريرة وعائشة وطائفة من كبار التابعين . قال ابن سعد ، وكان ثقة مأموناً عالياً رفيعاً

فقيهاً إماماً كثير العلم . مات سنة عشر ومائة .

وقد ترجم ابن قتيبة لعبيدة السلمانى فى كتاب المعارف ص ١٨٨ فقال : « هو عبيدة بن قيس السلمانى من مراد . قال ابن سيرين . قال عبيدة : أسلمت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فصليت ولم ألق رسول الله . ومات سنة اثنتين وسبعين »

٤ — ص ١٧ ذكر ابن قتيبة أنه بين مذاهب الناس فى الشراب وحجة كل فريق « لعل الله يهدى به مسترشداً ، ويكشف من غمة ، وينقذ من حيرة ، ويعصم شارباً ما دخل على الفاسد من التأويل والضعيف من الحجة ... » .

والصواب « ويعصم شارباً مما أحِلَّ على الفاسد من التأويل والضعيف من الحجة » قال ابن قتيبة فى ص ٣٦ « ... وتتابع الناس فى الأشربة المسكرة على التأويل ... »

٥ — ص ١٧ يقول ابن قتيبة « قد أجمع الناس على تحريم الخمر بكتاب الله إلا قوماً من مَجَّان أصحاب الكلام وفساقهم لا يعبأ الله بهم ... »

هكذا ضبط الأستاذ كلمة « مجان » بفتح الميم ، والصواب ضمها .

٦ — ص ١٨ ذكر ابن قتيبة بعض أقوال هؤلاء المُجَّان ثم عقب عليه بقوله « وليس للشغل بهؤلاء وجه ، ولا لتشقيق الكلام بالحجج عليهم معنى ؟ إذ كانوا ممن لا يجعل حجة على إجماع ، وإذ كان ما ذهبوا إليه لا يختل على عاقل ولا جاهل »

والصواب « لا يُخِيلُ » أى لا يشكل من قولهم : هذا شىء لا يخيل على أحد أى لا يلتبس أو يجوز عليه .

٧ — ص ٢١ قال الشاعر :

نبيذ إذا مرَّ الذباب بدَنّه تفطَّر أو خر الذباب وقيذا

والصواب « تقطر » بالقاف لا بالفاء ، جاء فى لسان العرب « طعنه فقطره ، أى ألقاه على قطره أى جانبه ، فتقطر ، أى سقط وقال الليث إذا صرعت الرجل صرعة شديدة قلت : قطرته ، وأنشد :

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس إلا أنا

٨ — ص ٢١ « وقال آخر :

تركت النبيذ وشرابه وصرت حديثاً لمن عابه
شراباً يضل سبيل الرشاد ويفتح للشر أبوابه

والصواب كما فى العقد الفريد ٤/٣١٩ « وصرت خدينا لمن عابه . شراب يضل ... »

٩ — ص ٢١ « عن عمر بن شيبة بن أبى كبير الأشجعى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خدر الوجه من النبيذ تتناثر منه الحسنات » .

والصواب « عن عمر بن شيبة بن أبى كثير الأشجعى » كما فى الإصابة ٣/٢١٨ — ٢١٩ ولسان الميزان ٤/٣١٢ مجمع الزوائد ٤/٢٣٠ والجرح والتعديل ٣/١١٥ من القسم الأول .

والحديث مذكور فى الإصابة ٣/٢١٩ وفى لسان الميزان ٤/٤٨٢/٤٨٣ وهو حديث منكر .

وشيبة بن أبى كثير هذا هو الذى داعب امرأته فاتت من وقع يده عليها فى غزوة تبوك . وقد سأل النبى عليه السلام عن ذلك فقال : لا ترثها ، كما فى الإصابة ومجمع الزوائد من رواية ابنه عمر عنه .

١٠ — ص ٢٢ « وحدثنى سبابة ، عن عمرو بن حميد ، عن كبير بن سُليم قال : حدثنى أصحاب أنس عنه أنه كان يشرب النبيذ الصلب الذى يكون فى الخوابى » والصواب « وحدثت شبابة ... عن كثير بن سليم » .

وهو شبابه بن سوار المتوفى سنة ست ومائتين كما فى تهذيب التهذيب ٤/٣٠٠ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٢٩ وخلاصة تذهيب الكمال ص ١٤٢ وطبقات ابن سعد ٧/٦٦

وأما كثير فهو كما جاء فى خلاصة تذهيب الكمال ٢٧٢ « كثير بن سليم الضبى ، أبو سلمة المدائنى ، روى عن أنس . قال أبو حاتم وهو منكر الحديث .

١١ — ص ٢٢ ، ٢٣ قال ابن قتيبة : وأما السكر فإن فريقاً يذهبون إلى أن كل شىء أسكر كثيره كائناً ما كان ولو بلغ فرقاً فقليله كائناً ما كان ولو كان مثقال حبة من خردل حرام ... عن عائشة رحمة الله عليها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر حرام . وما أسكر الفرق فالحسوة منه حرام » .

شرح الأستاذ كلمة الفرق بقوله « الفرق بكسر الفاء القسم من كل شيء » .

والصواب « الفرق بفتح الفاء والراء » قال ابن قتيبة فى ص ١٠٩ من هذا الكتاب « والعوام يقولون الفرق بسكون الراء ؛ ويذهبون إلى أنه مائة وعشرون رطلا على ما اصطلحوا عليه فى فرق الدوشاب . ومن فى وسعه أن يشرب مائة وعشرين رطلا حتى يعلم ما يسكر منه هذا القدار من الشراب ؟ وإنما هو الفرق بنصب الراء ، وهو ستة عشر رطلا ، قال خداش بن زهير .

يأخذون الأرش من إخوانهم فرَق السمن وشاة فى الغنم

وللعرب أربعة مكاييل مشهورة . المدّ . والصاع . والقسط ، والفرق ، وهو ستة عشر رطلا ، ستة أقساط فى قول الناس جميعاً

١٢ — ص ٢٥ قيل للعباس بن مرداس « بعد ما آمن وأسلم : قد كبرت سنك ، ودق عظمك ، فلو أخذت من هذا النبيذ شيئاً يقويك ! فقال : أصبح سيد قومى وأمسى سفيههم ! وآليت ألا يدخل رأسى ما يحول بينى وبين عقلى » والصواب : « ورق عظمك ... سفيههم آليت ... »

١٣ — ص ٢٧ « ودخل أمية بن خالد بن أسيد على عبد الملك بن مروان وبوجهه آثار فقال : ما هذا ؟ فقال : قمت الليل فأصاب الباب وجهى . فقال عبد الملك :

رأتنى صريع الخمر يوماً فسؤتها وللشاربيها المدمنيها مصارع

فقال أمية : لا آخذنى الله بسوء ظنك يا أمير المؤمنين . فقال بل لا آخذنى الله بسوء مصرعك » .

والصواب : « ودخل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد » . والقصة موجودة في العقد ٤ / ٣٢١ ومحاضرات الأدباء ١ / ٣٢٦ وقد ذكر ابن قتيبة أمية بن عبد الله فى عدة مواضع من كتاب « عيون الأخبار » وقد ورد فى الجزء الأول منه ص ١٦٦ هذا النص : وقال عبد الملك بن مروان فى أمية بن عبد الله بن خالد :

إذا صوت العصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند الثرائد

وهو خطأ لأن عبد الملك لم يقل هذا البيت وإنما قاله عمرو ابن حرثان . روى العتبى أن عبد الملك بن مروان قال لأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد : مالك بعمرو بن حرثان حيث يقول فيك :

إذا هتف العصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند الثرائد

فقال يا أمير المؤمنين ، وجب عليه حد فأقمته ، فقال : هلا درأت عنه بالشبهات ؟ فقال : الحد أبين ، وكان رغمه على أهون . فقال عبد الملك : يابنى أمية أحسابكم أنسابكم لا تعرّضوها للهجاء . وإياكم وما سار به الشعر ، فإنه باق ما بقى الدهر . والله ما يسرنى أنى هجيت بهذا البيت وأن لى ما طلعت عليه الشمس :

يبيتون فى المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرثى يبتنَ خمائصا

وما يبالى من مُدح بهذين البيتين ألا يمدح بغيرهما :

هنالك إن يُستخبلوا المال يُخبلوا وإن يسألوا يُعطوا وإن ييسروا يُغلوا

على مكثريهم رزق من يعتريهمُ وعند المقلين السماحة والبذل

راجع أخبار أمية بن عبد الله مع أبى فديك الخارجى فى الطبرى ٧ / ١٩٤ ، ١٩٥

١٤ — ص ٢٨ « وكان ابن هرمة الشاعر فى شرفه ونسبه وجوده يشرب الخمر بالمدينة ويسكر فلا يزال الشرط وقد أخذوه ورفعوه إلى الوالى فى المدينة لحده ... » .

والصواب « فلا يزال الشرط قد أخذوه ... فى المدينة يحده »

١٥ — ص ٣٠ « وحدثنا الرياشى عن الأصمعى قال : كان عقيل بن علقمة المرى غيوراً ... »

والصواب « عقيل بن عُلَّفة » . قال البغدادى فى خزانة الأدب ٢ / ٢٧٨ « وعقيل بفتح العين ، وكسر القاف ، وعلفة بضم العين المهملة وتشديد اللام المفتوحة بعدها فاء ، وهو علم منقول من واحد العلف وهو ثمر الطلح . ونقل الشريف المرتضى فى أماليه ٢ / ٤٠ معنى العلفة عن ابن الأعرابى وأبى سعيد السكرى وكرر ابن قتيبة ذكر عقيل ابن علفة فى عيون الأخبار ، وقد ترجم له أبو الفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى ترجمة طويلة ١١ / ٨٥ — ٩٣ قال فيها « وعقيل شاعر مجيد مقل ، من شعراء الدولة الأموية . وكان أعرج جافيا شديد الهوج والعجرفية والبذخ بنسبه فى بنى مرة ، لا يرى أن له كفؤاً ، وكانت قريش ترغب فى مصاهرته ، تزوج إليه حلفاؤها وأشرافها » .

(يتبع)

السيد أحمد صقر

المدرس بالليسيه الفرنسية بمصر الجديدة

مطبعة الرسالة

العدد ٨٣١ — الاثنين ٦ يونيو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

[illegible]

17 e Année No. 831

Lundi — 6 — 6 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣١ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ شعبان سنة ١٣٦٨ — ٦ يونيو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٦ - أمم حائرة

الأسرة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

تعالوا نلتمس الطمأنينة في موضعها ، والسكينةَ في موطنها ، ونظفر بالسعادة في مكانها ، ونسعد بالمحبة في دارها . هلم إلى الأسرة ، إلى البيت الذي يُنبت الودّ والصفاء ، والإخلاص والولاء ، إلى الجنة التي يرد سلسبيلها الظماء ، ويتفيأ ظلالها من برّحت به الرمضاء ، ويأوي إليها من مسّه العناء ، فيجد الروح والرَّيحان ، والسلم والأمان ، والغِبطة والرضوان .

هلمَّ إلى المعبد الذي تطهر فيه الأشباح ، وتصفو الأرواح ، وتقام على الإخلاص الشعائر ، وتتناجى به السرائر ، الحرم الذي تهفو إليه الأفئدة ، ويظلله الأمان ، وتمحى فيه الأضغان ، ويتمكن فيه التوحيد ، فإذا نفس واحدة في أجسام متعددة ، وإذا ألفاظ كثيرة لمعنى واحد !

تعالوا ننظر إلى المدرسة التي تعلّم الودّ والحب ، والتعاونَ والإيثار ، وتُنشّيء على الأخلاق العالية ، والفضيلة الكاملة ، وتعلّم الإخلاص والفِداء ، والبر والولاء ، والصدق والوفاء .

تعالوا إلى العش يأتلف فيه الزوجان على الخير والشر ، والنفع والضر ، يأوي إليه الزوج مجهوداً فتمسح تعبه يد رحيمة ، ويدخله غاضباً فترضيه كلمة حكيمة ، ويفر من ضوضاء الأسواق ، ونصب العمل ، وكد العيش ، فيظفر بالهدوء والسكينة ، والقرار والطمأنينة ؛ فيتلو الآية الكريمة : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . »

إلى دار الأمومة والأبوة ، والبنوة والأخوة ، حيث الأم على أولادها مشبلة ، ولتربيتهم عاملة ، ولنومهم ساهرة ، ولراحتهم جاهدة ؛ الأم مبعث الشفقة والرحمة ، وموئل البر والعطف ، أعظم الناس عملاً ، وأبلغهم أثراً ، وأرفع الخلق مكانة ، وأعلاهم منزلة ، وأطهرهم فكراً ولساناً ويداً ، وأحسن الناس حملاً للأعباء ، وأصبرهم احتمالاً للأمانة ؛ الأم التي تحمل الأمم وتضعها ، وتربيها وتنشئها ، وتزكيها وتعلمها . والأب يغدو ويروح بثمار كده ، ونتاج سعيه ، فيضع ما في يده من تعب وما في فكره من كد ، وما في نفسه من هم ، وما في قلبه من بغض ، ساكناً إلى زوج كريمة هي أم رحيمة . الوالدان اللذان عظّمهما القرآن ، وكاد يؤلّههما الإسلام . فذ كرهما مع الله ، وقرن البر بهما بتوحيده : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا » « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » « قل تعالوا أتلُ ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا

به شيئاً وبالوالدين إحساناً » الوالدان اللذان أعطاهما الله من سلطانه وبرهانه ، ونوره وهدايته ، ورأفته ورحمته .

هلمّ ننظر إلى الأسرة ، دار الأمومة والأبوة والبنوة والأخوة ، حيث تنشأ الأمم وتموت ، وتقوى وتضعف ، وتسعد وتشقى ، وتجتمع وتفترق ، وتصلح وتفسد ، وتضيء وتظلم ، حيث النواة التى تنشأ منها الجماعة ، والطينة التى فيها تنمو الأمة ، والصورة التى عليها تكبر ، والسر الذى أودع سرائرها ، وسيرها من المهد إلى اللحد ... الأسرة سر الله فى خلقه ، وآيته فى عباده .

* * *

هلمّ ننظر إلى هذا البيت ، إلى هذه الجنة ، إلى هذا المعبد ، إلى هذه المدرسة ، إلى هذا العش ، إلى هذه الدار مشفقين عليها من أعاصير هذا العصر ، خائفين من آفاته ، وَجِلين من فتنه ، فزعين أن يمتدّ الرجس إلى طهارتها ، والقلق إلى هدوئها ، والبغض إلى محبتها ، والافتراق إلى اجتماعها ، حذرين أن تمتد المادة إلى روحانيتها ، والضوضاء إلى سكونها ، والحيرة إلى طمأنينتها ، جاهدين أن تبقى لها حرمتها وتدوم قداستها ولا يغلب عليها شر الأسواق والأندية والملاهى ، فليس بعدها وَزَر ، ولا فى غيرها مستقَر .

احذروا أن تُحرم الإنسانية هذا الينبوع الطاهر الذى يمُد بالعواطف رقراقة ، وبالأخلاق صافية ، فتقسو القلوب ، وتذبل الأخلاق ، ويضل النشء فى الطرق والأسواق وما إليها ، يشرب من ماء كدر ، ويقتات من سم قاتل ، ويذهب به القلق إلى المهالك ، وتسوقه الحيرة إلى الضلال البعيد .

* * *

ألسنا نرى البيت يُهجر يوماً بعد يوم ، تؤثر الأمُّ عليه جولات فى الأسواق أحياناً ، وجلسات فى الملاهى أحياناً ، ويفر الأب إلى المقهى والملهى مؤثراً لذاته وراحته ، ساكناً إلى لهوه ولعبه ، مشفقاً من تبعاته فى داره ، وواجباته فى أسرته ؟

إن تمادى الوالدان فى إيثار الطريق على السكن ، والملهى على الأسرة ، وأغفلا ما يحبب البيت إليهما وإلى الأولاد كان النفور من الدار ، ثم زاد إهمالها ، فازداد النفور منها ... وهكذا حتى تذهب بهجتها ، وتفقد سعادتها ، وتزول حرمتها ، وتختنق قداستها .

وليس البشر — وإن حرصوا — بقادرين على أن يستبدلوا بالدار معهداً للتربية والتهذيب ، ولا بقادرين على أن ينشئوا فى غير الأسرة عواطفها وأخلاقها وتعاطفها وتراحمها ، وتآلفها وتعاضدها ، وفداءها وإيثارها .

وإن زالت حرمة البيت ، وضعفت عواطفه ، وطغت المادة على روحانيته ، فجعلناه مكاناً من الأمكنة التى نقسم بينها الليل والنهار ، وعدلنا به الطريق والمقهى والملهى ، وصارت عواطف الوالدين والأولاد واجبات تؤدى على كره ، وأعمالا تتصل بالأعضاء أكثر مما تتصل بالقلوب — فقد حُرمنا الخير كل الخير ، وأصبنا الإنسانية فى صميمها ، وقضينا على الأخلاق فى منابتها ، وعلى السعادة فى مهدها .

ولو أتت المدنية الحاضرة بكل صناعة وكل علم وكل نظام وكل متاع ، وذهبت بسعادة البيت ، فقد باءت بالخسار ، وعملت للبوار .

ولو جاءت الشيوعية بكل طعام وشراب لكل إنسان بغير عناء ، ومتّعت الإنسان بكل متعة ، ويسرت له كل لذة ، ثم حرمته أسرته ، وسلبته رحمة الوالدين وبر الأولاد ، وعواطف الأمومة والأبوة والبنوة ، وأبعدته من ظلال البيت الوارفة وأفيائه العاطفة ، وموارده الصافية ، لكانت قد ربّت له الجسم وسلبته الروح ، وهيأت له الصورة وأخذت الحقيقة ، ووفرت له لذات جثمانية قليلة ضيقة ، وباعدت بينه وبين لذات الروح التى لا تُعد ولا تُحد ، ولكانت قد ردته حيواناً لا إنساناً ، ويسرت له العلَف وسلبته الإنسانية !

الأسرة حُوطوها بكل رعاية ، وأحكموا أواصرها ، ووفروا بركاتها ، وادفعوا عنها كل ما يخل بسعادتها وطهارتها وقداستها ، وزودوها بالعلم النافع والتربية الصالحة .

* * *

إنى أرى الأم تُخدع عن سلطانها فى البيت ، وتُنزل عن عرشها فى الأسرة ، وتُضلل عن منزلتها ، وتُفتن عن واجبها ، فيقال لها : دعى البيت إلى السوق ، واهجرى الأولاد إلى المصنع ، اتركى تدبير الأسرة إلى تدبير الشئون العامة .

وأرى الوالد يستبدل بداره الأندية ، وبأسرته جلساء المقاهى و

المستغربون

(مهداة إلى الأستاذ عباس خضر)

للاستاذ على محمد سرطاوي

الاستغراب كالاستشراق، حذوك النعل بالنعل — إذا جاز هذا التعبير — هو الهيام بالغرب والوله فى حبه وكل ما يصدر عنه من خير وشر وأوهام وأباطيل.

والمستشرقون لفيف من أبناء الغرب، بسقوا من جرثومة شعوب قد استكملت الاستقرار الاجتماعى الصحيح العميق، وفتحوا عيونهم فى الحياة على كيان قد توطدت أركان الأسرة فيه على أسس من تصميم الزمن، وبناء من مجتمع قد أرهفت الثقافة الشاملة الفرد فيه.

والشعوب الغربية التى نشأ فيها المستشرقون قد نضج الفرد فيها وفنى فى المجموع فناء تاماً. والمواطن الصحيح عند تلك الشعوب، ذلك الذى يؤدى واجبه فى الخدمة الاجتماعية تاماً غير منقوص، وهو الذى يفتش عن أحسن دور يستطيع تمثيله على مسرح الخدمة العامة مهما تجشم من صعاب فى سبيل إتقان ذلك الدور دون أن ينتظر ثناء أو تقديراً.

ولم يكن كل ما قدمه المستشرقون من الدراسات المضنية التى وقفوا حياتهم عليها خالصاً لوجه العلم؛ بل إنما كان فى كثير من الأحايين ضرباً شاقاً من الخدمة الاجتماعية يؤديه المستشرق لأمته فى هذا الميدان الذى يحطم الأعصاب، ولا يصمد فيه غير الأبطال والجبارين الموهوبين.

والمستغربون عندنا نكرات اجتماعية بسقوا من جرثومة شعوب لا تزال تمتز بالمظالم، وتعيش على أمجاد التاريخ، وتدور حول حقائق الحياة، وتدبر عن النور وتقبل على الظلام، وتغفو فى وادى الأحلام.

وهؤلاء ليسوا إلا أفراداً تميزوا عن القطيع الذى لا يزال فى مستوى الحيوان يرعى العشب ويرضى بالهوان ويقيم على الضيم كالأذلين: عير الحى والوتد.

والذكاء على قلة عند الفقراء، والثراء على كثرة عند الأغنياء، هما اللذان دفعا بعض الشرقيين إلى حضارة الغرب يتتلمذون عليه فى دراسات لا تزيد على بضع سنوات، كان بعضها خالصاً لوجه العلم بالنسبة للذين كان يصرفهم عن العبث نقص جسدى فى العينين أو مادى فى الجيب، وبعضها كان ريثاً فى العلم بالنسبة للذين آتاهم الله بسطة فى الجسم وسخاء فى الإنفاق، ومصدراً لا ينضب له معين من النضار.

هذه السنوات لم تصنع المعجزة فى أولئك الرواد المستغربين فى الشرق، أو الغربان التى تنعق — على أصح تعبير — وكل ما فى الأمر أنها صبغت ظواهرهم بطلاء براق من الألقاب العلمية ولم تنفذ إلى جوهر الروح الذى بقى مربوطاً بالأمة التى لا يزال مجموعها يعيش فى الجهل، وبالأسرة التى لا تزال على غرار أسرة الإنسان الأول فى طفولة الحياة البشرية.

ولا نستطيع أن ننكر عقولنا ونسلم جدلا بأن هؤلاء قد أصبحوا — على سوء الخيرة — كالغربيين روحاً وذوقاً وفناً، وإنما كل ما فى الأمر — وهو الصحيح والواقع — أن حضارة الغرب قد بهرتهم ماديتها ولم يفهموها فهماً صحيحاً، وفى محاولتهم تجريح الشرق بأظافر مستعارة من روح الغرب، البرهان الذى لا يقبل الجدل على أنهم يشعرون بذلك فى أعماق نفوسهم ويحاولون التضليل.

ويسهو عن كثير من تبعاته.

وأرى الولد يقسو على والديه، ويلق بالغلظة أبويه، ويطلب بحقه ويحاسب عليه، ويعصى الوالدين أحياناً ويطيعهما أحياناً.

إنى أرى صلة ما بين الوالدين والأولاد تهين، وسلطان الوالدين على الأولاد يضعف، وأخشى إن لم نتدارك الأمور أن تزلزل أركان الأسرة، وتتقطع وشائجها، ويتبدد نظامها... وكيف تقوم الأمة على قواعد واهية وأركان متداعية؟!

إنى أخاف على الأسرة، وأشفق على البيت — الجنة والمعبد والمدرسة — أن يُستباح حماه، وتدخل الفتن إلى مغناه... والمرأة وقاية من هذا الشر، وطب لهذا الداء، وشفاء لهذه العلة...

وللمرأة حديثنا الآتى إن شاء الله.

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

والبيئة الجغرافية تترك أثراً عميقاً من سماتها فى الأخلاق والدين والفن والذوق والاجتماع فى الجماعات التى تعيش فيها وتطبعها بطابع خاص لا تجد سبيلا إلى الخلاص منه مهما أوتيت من عزيمة وجبروت .

ولو أنك غرست شجرة من مناطق خط الاستواء فى غير تربتها ومناخها ، وحاولت كل طريقة لاستدامة روعتها وروتقها ولذة فاكهتها ، لما وجدت إلى ذلك سبيلا .

والأفكار المستوردة من بيئات بعيدة لا تستطيع الحياة فى مناخ غير مناخها ، وفى تربة غير تربتها ، وغالباً ما يكون نصيبها الموت .

أرأيت نتيجة تلك المحاولة التى قام بها ملك من الشرق لينقل حضارة الغرب إلى بلاده عن طريق اللباس فى بلاد الأفغان ، وهى على بعد سحيق من أوروبا ، غير مقدر النتائج الخطيرة التى آلت إليها ، وغير مفرق بين موضع تركيا الجغرافى والفارق البعيد بين الأتراك والأفغان ؟

وأولئك المربين المستغربين الذين يغيرون على أفكار أساطين التربية فى الغرب — تلك الآراء التى ترعرعت وشبت فى جو ملائم وبيئة جغرافية خاصة — فيملأون بها المجلدات نقلا حرفياً وتقليداً وتشويهاً ومسخاً للعمل بها فى بيئات وشعوب لا صلة لها بالشعوب التى انتزعت من حياتها تلك الأفكار . أليس مثلهم مثل الطبيب الذى يأتيه المريض وقد هد جسمه الداء فلا يستأصل شأفة المرض ، وإنما يصبغ وجه المريض باللون الأحمر ، وكفى الله المؤمنين القتال ؟

والنكسات الروحية والخلقية والقومية التى تصاب بها الأمم والشعوب من حين إلى آخر فى سير الزمن لا تمس جوهر الروح فى تلك الأمم والشعوب ، بل لعلها تجدد شبابها وتخلع عليها أبراداً قشيبة من اليقظة فتفيق من سباتها وتعاود السير من جديد ، عزيزة الجانب ، قوية الخلق ، متحدة كالبنيان المرصوص .

والكسب المادى ، والأشخاص الذين حرمهم الله نعمة الذوق الذى لا تعلمه الكتب والجامعات ، والذين فى نفوسهم مرض — كل ذلك وهؤلاء لا يزيدون فى نظر الواقع على غبار تثيره أقدام الأمة فى مسالك الحياة وهى سائرة إلى غايتها البعيدة .

ولعل شر فئة من هؤلاء المستغربين تلك الفئة الخاملة الجاهلة التى تعيش فى الحياة كالنباتات الطفيلية على أفكار غيرها من مرضى الضمائر ومعتلى النفوس ، فقد يضمك مجلس مع جماعة فينبرى منها من يكيل الثناء لشكسبير لأنه غربى ، ويطعن فى المتنبي لأنه شرقى ، حتى إذا حز فى نفسك هذا المسلك وطلبت منه تحديد النقد وتقديم الأمثلة ، تكشف لك عن عامية مغرقة فى الجهل ، لأنه لم يقرأ المتنبي ، ولم يعرف لغة شكسبير ، وإنما كل ما فى الأمر أنه يقلد التقليد الأعمى ليضاف إلى قائمة أصحاب الرأى الحر الذين يهدمون بيوتهم ليبنوا من حجارتها بيوتاً للآخرين .

وفى كل قطر عربى مجموعة من هؤلاء المستغربين يحملون الأجازات الدراسية العالية وقد مكنت لهم تلك الدراسات من الجلوس على المقاعد الأمامية فى رواية الحياة وتوجيه الأجيال المقبلة التى تضع الأمة العربية آمالها وأحلامها فيها .

ومن رعاية الله لهذه الأمة أن جعل فى جذورها النهضة التى تستمد حياتها إلى الغد المجهول قوة شديدة تقاوم تلك الرياح اللافحة ، وجعل فى كنانته جنوداً يذودون عن المجد التليد والدين الحنيف والتاريخ المشرق ، ولا تأخذهم فى الحق لومة لائم ، ومكن « لرسالته » فى النفوس .

(العراق) على محمد سرطاوى
مدرس فى متوسطة المسيب

صور من الحياة :

جـــزاء . . .

للأستاذ كامل محمود حبيب

آه ، إن فى الإنسان دوافع ترابية إن سيطرت عليه نزلت به عن معانى الإنسانية !

قال لى صاحبى : وانفلتَّ من لدن أخى بعد أن سخر من ضعفى وسلبنى مالي ... انفلت من لدنه وفى يدى جنيهات ، وفى قلبي لوعة ، وفى عيني عبرة ، وأحسست بقلبي يحتدم غيظاً وكمداً ، وشعرت بفؤادى ينشق أسى وألماً .

ولبسنى الشيطان ، وسيطر علىَّ الأرق ، وتناهبتنى الهموم ، فقضيت ليلتى أتقلب فى أراحى وشجونى والشيطان إلى جانبى ما يبرح ينفث فىَّ سموماً شيطانية ويسوِّل لى أمراً ، وأنا ألقى السمع إلى كلماته ، أطمئن إلى حديثه حيناً ، وأفزع عنه حيناً ، وبين يدىَّ جنيهاتى أقلبها ذات الشمال وذات اليمين وفى قلبي قلق واضطراب ، وفى رأسى خواطر سود ما تنقشع ... ولكن أخى هو أخى ، ضمنى وإياه تاريخ سنوات عجاف ، ولطالما استثمرت منه العطف والحنان والتضحية .

وقال لى الشيطان : لقد غالك أخوك وأنت فى مرضك تهفو إلى شفقته وترنو إلى رحمته ، غالك لتصبح فقيراً ترى أبناءك يحسون لذع الفاقة ومرارة العوز وقسوة الحرمان على حين يرفل أبناؤه فى السعة ويتقلبون فى النعيم .

لا عجب ، فهو رجل ترابى العقل ، أرضى العاطفة ، نشر حواليك شباك الجشع — على حين غفلة منك — ليستلبك من مالك ، وأنت فى سقامك لا تستطيع أن تذود عن نفسك بعض طمعه ولا أن تناقشه الرأى ، فاستسلمت — على الرغم منك — فى فتور وضعف . لقد عبث بالأوراق فى خسة ، ورتب الحساب على نسق أراده هو ليبلغ غاية يتلظى الشره من ثناياها منذ أن شطر الدار شطرين ، وأرهقك بالدين من عمد منه ، ثم صدمك بفكرة بيع الدكان ليرغمك على أن تنزل له عن حصتك بثمن بخس . تلك أمور سوَّلتها إرادة طينية تغلغلت فى نفسه ليستولى على مالك فى غير حق . فأنت عاجز الهمة ، فاتر المروءة إن لم تدفع ما أصابك من ظلم وطغيان . ستراه — بعد أيام — يرفل — هو وصغاره — فى الحرير والدمقس ويستمتع بأطايب الطعام ولذيذ المآكل ، على حين لا تجد أنت إلا صبابة من مال لا تغنى من عرى ولا تسمن من جوع . فلا تقعد عن أن تغمد هذا الخنجر فى صدره ، أو تصوب فوهة ذاك المسدس إلى قلبه . تسلل إليه فى سكون الليل ، تحت ستر الظلام ، ثم استل روحه من بين جنبيه وارتد إلى فراشك هادئ البال ، ساكن الجأش ، فتكون قد انتقمت لكرامتك ومالك . وإلا فأنت عاجز الهمة فاتر المروءة .

وظل الشيطان يوقع لحن شيطانيته على أوتار أذنى فى دربة ولباقة ، حتى أوشكت أن ألقى إليه السَّلم فأتردى فى الهاوية ، وظللت أنا أضطرب فى مضلات لا أهتدى ولا يغمض لى جفن ، فما سكنت جائشة نفسى إلا حين سمعت صوت المؤذن ينادى فى الفجر : « الله أكبر ، الله أكبر » ... فاستيقظت الروحانية فى قلبي ، وقمت فى تراخ وكسل أدس جنيهاتى فى درج مكتبى ، ثم انطلقت صوب المسجد عسى أن أجد هناك راحة النفس وهدوء الضمير ، أو أن أنفض عنى الخواطر الشيطانية وهى مازالت تتدفق فى قلبي منذ الغسق . وهناك — فى المسجد — أحسست بالسكينة والأمن حين ألقيت عن كاهلى متاعبى وشجونى . وكنت كلما سمعت « الله أكبر » شعرت بروح المسجد تغمر قلبي نوراً وهدوءاً ، وتملأ جوانحى ثقة وإيماناً ، وتنفث فى روحى الحياة والنشاط . والمسجد فى قلب المؤمن معان سماوية تسمو به عن النوازع الأرضية الوضيعة ، وترتفع به عن شواغل المادة الحقيرة . وسكنت إلى المسجد فجلست فى ناحية منه استلهم وحيه السماوى وأجتلى نوره الفياض ، فما أفقت إلى حين ملأ نور الصبح صحن الجامع .

ورجعت إلى دارى يهدنى الجهد والإعياء مما قاسيت فى ليلتى وأنا مؤرق الجفن ، مضطرب البال ، مشتت الذهن ، فبدا علىَّ الشحوب والذبول . ورأت زوجى عذاب نفسى مسطوراً على جبينى فنظرت إلىَّ فى ذهول وشفقة ، ثم انعقد لسانها فما استطاعت أن تحدثنى بأمر ولا أن تشير برأى ، وخشيت أن تقول كلاماً ينكأ جرحى ويدمى قلبي ويركسنى إلى العلة التى برئت منها منذ أيام ، فأمسكت بالرغم منها .

وقضيت يومى أضطرب فى أنحاء القرية لا أستقر ، أريد أن أفر من خواطرى ، وأن أهرب من أخيلتى ، فلا أستطيع إلى ذلك سبيلا ، وظلت هى تلاحقنى وتتشبث بى حتى رجعت إلى دارى عند الأصيل . وألفيت زوجى تختلج اختلاج مكروب أرمضه الأسى ، وفى عينيها أثر البكاء والضنى .

وعزّ علىّ أن أحمّلها بعض وزرى ، أو أن أشركها فى هذا البلاء ، فأطفئ فيها جذوة الشباب وأخمد فيها نور الحياة . وعزّ علىّ أن تتساقط أسفاً وحسرة ، وأنا قد لمست فيها العطف والحنان فى ساعة العسرة ، فجلست إلى جانبها أحدثها : « ما بك ؟ » قالت : « لا شيء ، إلا أن أراك تأسى على أمر تافه ضئيل » . قلت : « لقد غالنى أخى فسلبنى مالى » . قالت : « لا بأس عليك ، فهو أخوك الأكبر ، وهو منك بمنزلة الأب ، وله عليك ألف حق وحق » . قلت : « أفيذرنى وحيداً عاجزاً يلتهمنى الألم وتعصرنى الفاقة » . قالت : « آه ، إن فى السماء أموراً غُـيِّبت عنا لتكون بلاء للصابرين ! وما أقسى فقر النفس ! » . قلت : « هذه فلسفة عفنة » . قالت : « ولكنها فلسفة روحانية تذر النفس هادئة مطمئنة ، فكم أخذت من أخيك بالأمس ثمناً لحصتك فى الدكان » . فسحبت جنيهاتى من درج المكتب فى فتور ، ثم ألقيتها بين يديها فى صمت . ونثرت هى الجنيهات بين يديها تعدها وأنا أرمقها فى سكون ، ثم قالت : « الحمد لله ، هذا شيء كثير » . وعجبت أنا لقولها ، ولكن نفسى اطمأنت حين أحسست بكلماتها تزيح عنى عبئاً ثقيلا يمضنى ويضجرنى ...

وفاضت روح الإيمان والعقيدة على المبلغ الضئيل فلأنه خيراً وبركة ، وفاض نور المسجد على قلبى فغمره فاستحال اليأس القاتل إلى أمل واسع جيّاش ، وانقلب الفتور إلى نشاط بتوثب ، وأحسست بالصحة تسرى فى عروق ، وانطوت الأيام فإذا جنيهاتى تصبح دكاناً يفهق بالبضائع من كل صنف ، ورفت السعادة على دارى فأفعمتها بالهدوء والطمأنينة ... ثم ... ثم نسيت ما كان من أخى الأكبر .

أما أخى فظل يدل علىّ بماله وصحته وأولاده حيناً من الزمان ، ثم ضربته العلة وركبه السقام فأنهدت قوته وذوى نشاطه . أفكان ذلك من أثر الندم الذى يتأجج بين جوانحه على أن غالنى حق وأنا مهدود القوة لا أستطيع أن أدفع أذى ولا أن أرد شراً ؟ أفكان من أثر أكل المال الحرام وهو ينسرب إلى جوفه لظى يتضرم ؟ أفكان من عدل السماء وهو يجازى الشر بالشر ويدفع السيئة بالسيئة ؟ من ذا يدرى ؟ ولكنه انطلق يطب لداءين : داء نفسه وداء جسمه ... وثقلت عليه وطأة المرض فانحط فى فراشه لا يبرحه ، وانصرف عن تجارته فأغلق دكانه ، وتسلل المال من بين يديه إلى الدواء والطبيب ، وبدا على وجه زوجه سمات الجزع والقلق — بادئ ذى بدء — ثم برمت به فهى لا تصغى إلى حديثه إلا فى ملل ، ولا تجيب نداءه إلا فى ضجر ، ولا تقوم على خدمته إلا فى تثاقل .

واختلفت إليه أريد أن أخفف عنه لوعة المرض ، وأن أزيل عنه جفوة الوحدة ، فاستقبلتنى زوجه — أول الأمر — فى بشر وتلقتنى فى بشاشة وتحدثت إلىّ فى سرور ، ثم تراءى لى أنها تطمع فى أن تصرفنى عن أخى ، وأن تخدعنى عن نفسى ، وأن تستلبنى من قلبى ، فدفعتها فى رفق ونصحتها فى لين ، ولكنها كانت فتاة جبلة فيها المكر والمداهنة ، تتوسل إلى رغبات نفسها بأساليب شيطانية فيها الإصرار والعناد . وخشيت أن أغلظ لها القول فتنطلق إلى أخى توسوس له وتوحى إليه بأننى أريد أن أعبث بكرامته ، أو أن أسطو على عرضه فتقصمه الصدمة ، وهى قوية عنيفة ، وهو ما يزال يعانى عنت المرض ولأواء العلة .

لشدّ ما آذانى أن أراك — يا أخى — تفقد مالك وصحتك وزوجك فى وقت معاً ! ولشدّ ما حزّ فى نفسى أن أرى زوجك تحاول أن تفتننى عن كرامتى وشرفى ورجولتى لأكون حيواناً يرتدع فى حيوانيته فى بيتك أنت يا أخى !

بالرغم منى — يا أخى — أن أزوى عنك فلا أزورك إلا بين الحين والحين ، وبالرغم منى أن أصانع زوجك اللعوب لأحفظ ودك ... آه ، لو أن لك أذناً تسمع حديثى وتطمئن إلى قولى ! ولكنى أوقن بأنك لا تسكن إلا إلى حديث زوجك ، ولا تستعذب إلا كلماتها ، ولا تستسيغ إلا خداعها !

ومضت الأيام ، فإذا أخى يخرج إلى الناس يتسكع فى مشيته من الضعف والهزال ، وقد ضربه الإفلاس وركبه الدّين ، لا يجد من يحنو عليه غيرى أنا .. أنا أخوه الذى اغتال مالى وسلبنى حقى ليشبع رغبات نفسه ورغبات زوجه .

فيا أخى ، إن فى الإنسان دوافع ترابية إن سيطرت عليه سفلت به عن معانى الإنسانية !

كامل محمود حبيب

شعر المعتمد بن عباد

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ١ —

ولد فى مهاد الملك ، وعاش أميراً فملكا ، لم تدفعه الحاجة إلى الارتزاق بشعره ، وإنما كان كالعصفور الفَرِد ، يمتلىء شعوراً بالحياة ، فيغنى ، وتبهجه آيات الجمال ، فيصدح ، لا يضطر إلى أن أن يلبس عواطفه غير لبوسها .

وقد رأى والده فيه بادرة هذا النبوغ ، فشجعه على أن يقرض الشعر ، وعرف الابن فى أبيه حبه للشعر ، فاتخذه فى رسائله إليه : يمدحه آنا ، ويستعطفه حيناً ، ويعتذر إليه مرة ، ويطلب منه بعض أنعامه تارة أخرى كما سنرى علماً منه بما للشعر من تأثير فى نفس والده ، وبأنه جدير أن يبلغ به ما يريد .

وأغرم المعتمد بالشعر ، حتى إنه ليفضل أن يكتبه فى رقعة الدعوة إذا دعا ، ويستجيز الشعراء ، ويطلب إليهم أن يكملوا ما بدأ ، وكثيراً ما كان يرسل إلى وزرائه ، وندمائه ، وشعرائه رسائل بالشعر بدل منثور الكلام .

— ٢ —

وكان شعره صورة للحياة التى عاشها فى عهد الإمارة والملك ، حياة الترف والجلال معاً ، تراها ممثلة فى قوله :

ولقد شربت الراح يسطع نورها ‏ ‏ ‏ ‏ والليل قد مد الظلام رداء
حتى تبدى البدر فى جوزائه ‏ ‏ ‏ ‏ ملكا تناهى بهجة وبهاء
لما أراد تنزها فى غربه ‏ ‏ ‏ ‏ جعل المظلة فوقه الجوزاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه ‏ ‏ ‏ ‏ لألاؤها ، فاستكمل الآلاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله ‏ ‏ ‏ ‏ رفعت ثرياها عليه لواء
وحكيته فى الأرض بين مواكب ‏ ‏ ‏ ‏ وكواعب جمعت سنا وسناء
إن نشرت تلك الدروع حنادسا ‏ ‏ ‏ ‏ ملأت لنا هذى الكئوس ضياء
وإذا تغنت هذه فى مِزهر ‏ ‏ ‏ ‏ لم تأل تلك على التريك غناء

فحياته كما ترى بين راح يسطع نورها فى ظلمة الليل ، تحت أضواء بدر يملأ الكون بهاء وبهجة ، تحف به النجوم المتلألئة كما تحف الرعية بمليكها . وهنا يعقد موازنة بين نفسه فى الأرض والبدر فى السماء ، فهو فى ملكه بين مواكب من الجند ، أو بين كواعب أتراب ، يصدحن بأعذب الموسيقى ، وأرق الغناء .

وملهاة أخرى كانت أثيرة لديه ، تلك هى ملهاة الصيد ؛ يطلب من والده حيناً أن يأذن له بساعة ينفقها فيه ، ويرى فى ذلك منة من والده عليه ، وحيناً يرسل إلى أبيه يحدثه عن ساعة قضاها فى الصيد والقنص .

وكان لبعض الأحداث السياسية صداها فى شعره ، ولعل من أعظم تلك الأحداث استيلاءه على قرطبة ، وهو حادث ملأ نفسه زهواً ، وربما أفعم قلبه بالأمل ، فى أن يوحد الأندلس العربية تحت رايته ، ويقيم فى البلاد دولة بنى عباد . ولا جرم فقد كانت قرطبة عاصمة الأندلس كلها ، يوم كان الحكم العربى مزدهراً بتلك الديار . ويبين المعتمد عن هذا الزهو ، وذلك الأمل فى قوله :

من الملوك بشأن الأصيد البطل ‏ ‏ ‏ ‏ هيهات ، جاءتكم مهدية الدول
خطبت قرطبة الحسناء إذ منعت ‏ ‏ ‏ ‏ من جاء يخطبها بالبيض والأسل
عِرْس الملوك لنا فى قصرها عُرُس ‏ ‏ ‏ ‏ كل الملوك به فى مأتم الوجل
فراقبوا عن قريب ، لا أبالكم ‏ ‏ ‏ ‏ هجوم ليث بدرع البأس مشتمل

ومن أعظم هذه الأحداث أيضاً تلك المعركة التى دارت رحاها يوم العروبة بين المعتمد بن عباد ، والمرابطين ، وأمراء الأندلس من ناحية ، وبين ألفونس السادس ملك إسبانيا المسيحية من ناحية أخرى ، وعرفت فى التاريخ بمعركة الزلاقة ، وقد تحدث عن صبره على أوار تلك المعركة . والمؤرخون يروون بلاءه فيها ، ويثنون على شجاعته واستبساله ، وسجل ذلك فى حديثه عن ابنه أبى هاشم ، وقد ذكره ورحى القتال دائرة ، إذ يقول :

أبا هاشم ، هشمتنى الشفار ‏ ‏ ‏ ‏ فلله صبرى لذاك الأوار
ذكرت شخيصك ما بينها ‏ ‏ ‏ ‏ فلم يَثْنِنى حبه للفرار

ويظهر أنه كان رقيق المعاملة لوزرائه وندمائه ، عظيم التواضع لهم ، كتب مرة إلى ذى الوزارتين أبى الوليد بن زيدون ؛ وكان المعتضد قد أمر أن يكون مجلس الوزير دون مجلس ولده المعتمد :

أيها المنحط عنى مجلسا ‏ ‏ ‏ ‏ وله فى النفس أعلى مجلس
بفؤادى لك حب يقتضى ‏ ‏ ‏ ‏ أن تُرى تُحمل فوق الأرؤس

ولذا لا نعجب أن يجيبه ابن زيدون فيصفه بأنه ملك مالك

بالبرق الأنفس .

كما كان يحب أن يأخذ الأمور بالرفق واللين ، ويدل على ذلك شعره الذى أرسل به إلى ابن عمار عقب نزوع هذا إلى أن يستأثر بمرسية :

متى تلقق تلق الذى قد بلوته ... صفوحاً عن الجانى ، رءوفاً على الصحب

كان شعر المعتمد أميراً وملكاً يفيض بالبهجة ، ويغمر بالسرور ، حتى إذا ما قلب الدهر له ظهر المجن ، فهاجه يوسف ابن تاشفين حليفه بالأمس ، انقلبت تلك الحياة الراضية حياة بؤس وشقاء . ولعل من أوائل الكوارث التى نزلت به وفاة ولديه اللذين كانا على قرطبة ورندة عند ما أغار عليهما جيش يوسف ، وهنا يبدأ عهد المحنة ويفيض شعره الباكى الحزين ، حتى إذا تم أسره مضى الشعر يروى إحساساته الحزينة ، وآلامه الدفينة ، وذكرياته المؤلمة ، وخواطره القاتمة ، كما سنرى .

— ٣ —

كان الغزل أهم أغراض شعر المعتمد فى عهد الإمارة والملك ، وهو غزل حقيق تحدث فيه عن عواطفه فى حال الرضا والغضب والقرب والبعد ؛ وأظهر ما فيه أنه غير وقف على واحدة بل هن جوار وزوجات عرفنا منهن جوهرة ، وسحر ، ووداد ، وأم الربيع ، وزوجه اعتماد ، يقول فى الأولى منهن :

سرورنا دونكمُ ناقص ... والطيب ، لا صاف ولا خالص

والسعد إن طالعنا نجمه ... وغبت فهو الآفل الناكص

سموك بالجوهر مظلومة ... مثلك لا يدركه غائص

ويقول فى الثانية :

عفا الله عن (سحر) على كل حالة ... ولا حوسبت عما بها أنا واجد

أسحرُ ، ظلت النفس واخترت فرقتى ... فجمعت أحزانى ، وهن شوارد

وكانت شجونى باقترابك نزحا ... فهاهن لما أن نأيت شواهد

ويقول فى ثالثهن :

اشرب الكأس فى وداد ودادك ... وتأنس بذكرها فى انفرادك

قمر غاب عن جفونك مرآ ... ه ، وسكناه فى سواد فؤادك

ويقول فى أم الربيع :

تظن بنا أم الربيع سآمة ... ألا غفر الرحمن ذنباً تواقعه

أأهجر ظبياً فى ضلوعى كناسه ... وبدر تمام فى جفونى مطالعه

وروضة حسن أجتنيها وباردا ... من الظلم لم تحظر على شرائعه

إذاً عدمت كفى نوالا تفيضه ... على معتفيها أو عدواً تقارعه

أما زوجه اعتماد فيقول فيها :

بكرت تلوم ، وفى الفؤاد بلابل ... سفها ، وهل يثنى الحليم الجاهل

يا هذه ، كفى فإنى عاشق ... من لا يرد هواى عنها عاذل

حب اعتماد فى الجوانح ساكن ... لا القلب ضاق به ، ولا هو راحل

يا ظبية سلبت فؤاد محمد ... أو لم يروعك المزبر الباسل

من شك أنى هائم بك مغرم ... فعلى هواك له على دلائل :

لون كسته صفرة ومدامع ... هطلت سحائبها وجسم ناحل

وهذا الغزل الذى لا يقتصر على واحدة يدل على أن صاحبه مغرم بالجمال ، يعجب به أينما كان ، لا كهؤلاء المحبين الذين لا يرون الجمال إلا ممثلا فى واحدة . وليس حبه حباً عذرياً ، يقنع من الحب بالذكرى وطيف الخيال ، فلا ترى فى غزله صوفية ، ولكنه غزل دائم الحديث عن لذة المتعة بالجمال ، فتسمعه يقول :

الصبح قد مزق ثوب الدجى ... فزق الهم بكفى مهما

خذ بلسما من ريقها خمرة ... فى لون خدها تجلى الأسى

ويخاطب من يحب قائلاً .

متى أداوى — يا فدا ... ك السمع منى والبصر

ما بفؤادى من جوى ... بما بفيك من خصر

ويقول :

وشادن أسأله قهوة ... فجاء بالقهوة والورد

فبت أسقى الراح من ريقه ... وأجتنى الورد من الخد

حتى فى النوم عندما يزوره طيف من يهوى لا يقنع إلا بالحب الواصل ، ولا يرضيه إلا أن يظفر فى النوم بما كان يظفر به فى اليقظة ، فهو يرسل إلى من يحب رسالته منها :

إنى رأيتك فى المنام ضجيعتى ... وكأن ساعدك الوثير وسادى

وكأنما عانقتنى وشكوت ما ... أشكوه من وجدى وطول سهادى

وكأننى قبلت ثغرك والطلا ... والوجنتين ونلت منك مرادى

والمعتمد يسجل فى شعره ما ظفر به من متع حسية بالجمال ، ويحن إليها إذا نأى عنها ، وشعره فى الشوق إلى الجمال المفارق بارع قوى ، ومن ذلك ما كتب به إلى ابن عمار يذكر عهده

بشلب (إحدى مدن الأندلس) ولياليه السعيدة بها ، ومعاهد لهوه فيها ، فقال :

ألا حى أوطانى بشلب أبا بكر   وسلهن هل عهد الوصال كما أدرى
وسلم على قصر الشراحيب عن فتى   له أبدا شـــوق إلى ذلك القصر
منازل آســـاد وبيض نواعم   فناهيك من غيل وناهيك من خدر
وكم ليلة قد بت أنعم صبحها   بمخصبة الأرداف مجدبة الخصر
وبيض وسمر فاعـــلات بمهجتى   فعال الصفاح البيض والأســل السمر
وليل بسد النهر لهواً قطعته   بذات سوار مثل منعطف البدر
نضت بردها عن غصن بان منعم   فيا حسن ما انشق الكمام عن الزهر
وباتت تسقينى المدام بلحظها   فمن كأسها حيناً وحيناً من الثغر

وأغلب الظن أن ميدان حبه كان جواريه وحظاياه ، وهؤلاء كن قريبات منه ؛ ولهذا لا تحس فى شعره لوعة ولا حرمانا ، فهجر الجوارى دلال ينتهى بوصل ، وخصام لا يلبث الصلح أن يعقبه ، والفراق إذا كان اليوم ، ففى غد اللقيا والوصال ، وهو حين يغالى فى التعبير عن أساه للهجر والفراق — مدلل لمن يهواه ، وكثيراً ما صور لنا مداعبات جرت بينه وبين من يهوى . ولعل من أرقها تلك التى صورها وقد جرى بينه وبين جاريته جوهر عتاب فكتب إليها يسترضيها ، فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها ، فقال :

لم تَصِفْ لى بعد ، وإلا فلمْ   لم أر فى عنوانهـــا جوهره
درت بأنى عاشـــق لاسمها   فلم ترد للغيظ أن تذكره
قالت : إذا أبصره ثانياً   قبَّـله ، والله لا أبصره

***

وللمعتمد شعر بعث به إلى أبيه تلمس فيه ما كان يحمله الفتى الأمير لوالده من إكبار وإجلال ، فهو حيناً يمدحه إلى التفرد بالمجد والسيادة إذ يقول له :

ألا يا مليكا ظل فى الخطب مفزعا   ويا واحداً قد فاق ذا الخلق أجمعا

وحيناً يرسل إليه يسأله بعض نعمه ، كما كتب إليه يطلب مجنا ، وحيناً يشكره على كثرة ما أولى وأنعم ، ومن ذلك أن أباه أرسل إليه فرساً أصدأ ، فكتب إليه المعتمد :

نوال جزيل ينهر الشكر والحمدا   وصنع جميل يوجب النصح والودا
لقد جدت بالطِّرف الذى لو أباعه   بذلت ولم أغبن به العيشة الرغدا
جواد أتانى من جواد تطابقا   فيا كرم المهدى ويا كرم المهدى
وكم من أيدٍ أوليت موقعها ندٍ   لدى ، ولكن أين موضع ذا الأصدى
لعلى يوماً أن أوفى حقه   فأنمله ممن عصى أمرك الحدا

فإذا ما غضب الوالد على الأمير وجد هذا من شعره وسيلة يستل بها هذا الغضب . ولعل أكبر قصيدة فى الديوان تلك التى بعث إليه بها ، وقد خرج من مالقة منهزماً أمام باديس ، وقد تصرف فى هذه القصيدة تصرفاً بارعا ، فبدأها بالحديث إلى نفسه ، يطلب منها أن تهدأ وتستقر ، إذ لا فائدة فى البكاء ، ولا خير يرجى من الحزن والألم ، ما دام القدر قد عاق عن بلوغ الأمل فيقول :

سكن فؤادك لا تذهب بك الفكر   ماذا يعيد عليك البث والحذر

ثم ينتقل انتقالا طبيعياً إلى مدح والده مدحاً رائعاً قويا بدأه بقوله :

سميدع يهب الآلاف مبتدئاً   ويســـتقل عطاياه ويعتذر

ويمزج المدح بالاعتذار إليه ، طالباً منه أن يبقى عليه ولا يوهنه فهو العدة فى حوادث الدهر ، وهو الناب والظفر وقت الشدة . ويظهر مما وصف به المعتمد نفسه ، معتذراً إلى والده حين يقول :

فالنفس جازعـــة ، والعين دامعة   والصوت منخفض ، والطرف منكسر
وزاد همى ما بالجسم من سقم   وشبت رأساً ، ولم يبلغنى الكبر
وذبت إلا ذماء فىّ يمسكنى   أنى عهدتك تعفو حين تقتدر

يظهر أن وقع الهزيمة كان شديداً على نفس أبيه ، وأكاد ألمح أن والده المعتضد قد أرجع سبب الهزيمة إلى انصراف ولده المعتمد إلى اللهو والغناء ، والخمر والنساء ، ومن أجل هذا بذل المعتمد جهداً كبيراً فى أن يبرىء نفسه منها ، منحيا على قوم ذوى دغل ، لعلهم هم الذين نقلوا إلى أبيه أموراً لا ترضيه ، فقال المعتمد يتنصل :

لم أوت من زمنى شيئاً ألذ به   فلست أعهد ما كاس ولا وتر
ولا تملكنى دل ولا خفر   ولا سبى خلدى غنج ولا حور
ما ترك الخمر من هدذ ولا ورع   فلم يفارق لعمرى سنى الصغر
وإنما أنا ساع فى رضاك فإن   أخفقت فيه فلا يفسح لى العمر

(البقية فى العدد القادم)

أحمد أحمد بدوي

من أسرار الوضع فى اللغة العربية

للأستاذ جلال الحنفى

ليس للشك مجال إلى أفكار الباحثين فى أن اللغة العربية ذات سلطان مبين فى عالم اللغات ؛ وأن معجماً واحداً من معاجم اللغة العربية يكفى للدلالة على أن هذه اللغة لغة بالغة أوج المراتب من بين سائر الألسنة ؛ وأن أهلها الذين وضعوها كانوا على جانب عظيم من الرجحان العقلى والنضج والإحساس .

ومن البديهى أن لغة كل قوم حجة لهم أو عليهم . فإذا كانت لغتهم حصيفة موزونة ، فهم أولو أفكار عالية وأذهان خصبة ؛ وإذا كانت لغتهم ركيكة ضئيلة فإن ذلك يدل على أنهم متفككو عرى التفكير ومتقطعو سلاسل الثقافة .

والعرب وإن كانوا أميين لا يمنون بالقراءة ولا بالكتابة فإنهم استطاعوا أن ينشئوا لأنفسهم لغة محكمة مفصلة فى خلال أدوار أميتهم ومن قبل أن ينتقلوا إلى عهود الكتابة والتدوين .

وليس المهم أن يضع العرب الأميون لأنفسهم لغة واسعة للتخاطب كغيرهم من الأمم ؛ وإنما المهم أن تكون اللغة التى وضعوها قائمة على مقاييس فنية عجيبة تدهش العقول وتخلب الألباب . ولم يُعرف أن لغة أخرى غير العربية قام فيها الوضع على مثل هذه الملاحظات والدقائق . فكثير من الألفاظ التى أطلقها العرب على بعض المسميات أو بعض المعانى لم تكن لمجرد التسمية فحسب، بل كانت فوق ذلك للملاحظات فنية بارعة ؛ فمن ذلك أن العرب سموا المتاهة المخوفة (مفازة) تفاؤلا بالسلامة من المكاره وارتقابا للنجاة من المخاطر ؛ وفى ذلك إشعاع على النفوس وامداد لها بالطمأنينة والرجاء ... كما أنهم سموا الملسوع الذى لدغته الأفعى (سليماً) ليوحوا إلى نفسه شيئاً من الأمل بالبرء ، وليوقعوا فى ذهنه بعض الرجاء فى الشفاء ... وسموا الأعمى (بصيراً) ليهدئوا فى نفسه ثورة التبرم ولئلا يشعر بأن العمى منقصة فى الحياة أو جناية من الجنايات ، أو أنه شىء مما يقصر بالمرء عن مساواة الناس فى الحقوق ...

ومن هذا النوع الشىء الكثير من مفردات اللغة يستدل منه على أن الوضع فى العربية قام على أركان غير ملحوظة فى سائر اللغات العالمية التى توخى واضعوها تركيب الألفاظ لقاء المعانى المقصودة ليستعان بها على التخاطب والتفاهم ...

وهناك أنواع من المفردات أتقن الواضع العربى أمرها كل إتقان ، وأحكم تدبيرها كل إحكام، فجاءت مهندسة الشكل معينة على بلاغة الأساليب صريحة فى دلالتها على عظمة هذه اللغة وعلى جلالة قدرها وارتفاع شأنها . وقد وضعت هذه المفردات لتدل دلالة مفاجئة على المعانى المقصودة ، فمن ذلك لفظة (ضيزى) فإذا قرأ أحد قوله تعالى : (تلك إذن قسمة ضيزى) علم بالبداهة أن هذه اللفظة إنما تعنى وصف القسمة بالجور والنقيصة ، وإن كان لم يسبق إلى ذهنه شىء من تفسير معنى اللفظة ، وذلك لأن النمط الذى نسجت عليه يدل دلالة واضحة على أن هذه اللفظة لا ترى لغير معنى الجور والنقص . وكذلك الحال فى معظم ألفاظ العربية فإنها جاءت مقارنة لمعانيها فلم توضع فى العربية لفظة خشنة لمعنى رقيق ، ولا وضعت لفظة رقيقة لمعنى ثقيل ... وأسباب ذلك أن الواضع كان يتأثر نفسياً ببعض الأعمال أو ببعض الأمور فيضع لها مسميات بحسب ما يسيطر عليه من الشعور نحو تلك الأعمال والمسميات ، فكان إذا كره شيئاً أو اشمأزمنه سماه باسم فيه وعورة وخشونة ، وإذا أحب شيئاً ورغب فيه سماه باسم فيه رقة وليونة ؛ فهو مثلا عند ما بوغت يوماً ما بقسمة جائرة اشتد غضبه وعظم انزعاجه فانبرى يصف تلك القسمة بوصف يثير أكبر مقادير الاشمئزاز فى النفوس فكان لديه من ذلك لفظة (ضيزى) . ويرى الواضع شيخاً هرماً خائر القوى فلا يجد إلا أن يطلق عليه تسمية خشنة تنم عن مبلغ ما اعترى هذا الواضع من الدهشة لذلك المنظر الذى هو رمز من رموز الموت ، تلك التسمية هى : (القشعمان) .

ونجد الواضع يستمع إلى شاعر يلقى قصيدة من الشعر الركيك المهلهل فيمج ذوقه مثل هذه القصيدة ويستسخف مثل هذا الشاعر فيؤلف له من بعض الحروف الخاصة تسمية يصب عليها شعوره الحاد ، ثم يطلقها عليه ليثأر منه فينقلب ذلك

الشاعر وقد حمل اسماً جديداً هو (القرزام)

ويعشى الواضع فى طريق كثيرة التلبد والأعقاد فينهكه التعب ويجهده السير فيلاقى على الطريق اسماً جديداً ينم عن شدة تذمره منها وذلك الاسم هو (القردودة) وكذلك أطلق نفس الاسم على شدة برد الشتاء ... وينزعج الواضع من امرأة كثيرة الكلام والصخب تقطع عليه راحته وتشوش عليه طمأنينته فيطلق عليها اسم (القُراقِرة) تشويهاً لها . ويرى رجلا متهيئاً للشر متربصا لأسباب الشقاق والخصومات على الدوام فيسميه (المقدّحر) ...

ومن هنا وجدت فى العربية مفردات متنافرة الحروف أو ثقيلة على الأسماع ، وكان البلغاء يظنونها معيبة في البلاغة غير أنها إذا جاءت فى مواقعها الملائمة لها كانت من عرافين البلاغة ومن عيون الكلام ...

ولقد عيب على الشاعر استعماله كلمة (النقاخ) فى هذا البيت

واحمق ممن يكرع الماء قال لى: دع الخمر واشرب من نقاخ مبرّد

مع أن الشاعر نال باستعمال هذه الكلمة توفيقاً عظيماً من البلاغة ، لأنه أراد أن يهجو الماء تحدياً لمن نهاه عن الخمر ، ولم يكن مناسباً لهذا الهجو إلا أن يطلق على الماء أبشع أسمائه .

والعجيب فى هذه اللغة أن كل لفظة موضوعة فيها يمكن الوصول إلى معرفة السر فى وضعها واختيارها ، وما وضعت فى العربية لفظة واحدة لمعنى من المعانى إلا لعلاقة رابطة أو بسبب وثيق . فإن الواضع العربى وضع مثلا لفظة (المضجم) لمعنى وضع الجنب على الأرض ، ثم وضع نفس اللفظ لمعنى ميلان النجم للغروب ، وأسباب ذلك أن النجم عندما مال للغروب شابه ميلان الرجل للنوم فأطلق عليه ذلك . ولما كان النائم المضطجع قاصراً عن كل عمل فقد قالوا : تضجّع الرجل إذا قصر فى الأمر ، وأطلقوا (الضجعة) على الوهن فى الرأى ، لأن الرأى الواهن أشبه بحالة الراقد الذى لا يفكر تفكيراً سليماً . وأطلقوا لفظة (الضاجع) على الأحمق لأنه أشبه بالنائم لعدم إنتاجه لشىء من الخير والمصلحة ، وكذلك أطلقوا هذه اللفظة على منحنى الوادى لأنه مائل كالنائم المضطجع ، وأطلقوا لفظة (الضجوع) على السحابة المثقلة بالماء والبطيئة فى سيرها كأنهم شبهوها بمن يريد أن يضطجع من ثقل وتراخ . . وهكذا الأمر فى كل لفظة من ألفاظهم ...

وليس الألفاظ المشتقة فى العربية أصل لدى الواضع فإنه كان طوراً يبدأ الاشتقاق بالفعل وطوراً يبدأه بالمصدر وطوراً باسم من الأسماء ، فمثلا على ذلك أنه أطلق اسم (الأسد) على الحيوان المفترس المعروف ، وبعد حين احتاج إلى أن يصوغ منه فعلا فقال (أسِد) أى صار أسداً فى بعض خصائصه . . وكذلك الأمر فى سائر الألفاظ فإنها تنقسم فى الاشتقاق إلى هذه الأقسام . وقد يضع الواضع المعنى المطلوب لأول مرة بصيغة الأمر ثم يشتق منه الماضى ، أو بصيغة الماضى ثم يشتق منه باقى الأفعال ؛ وربما وضعه بصيغة اسم الفاعل أو اسم المفعول ثم ينتقل فيتصرف فى النحت والاشتقاق ...

وقد أعانت هذه الطرائق فى الوضع على توسيع دائرة البلاغة وإنهاض أساليب الكلام ، فقد هيأ واضع اللغة للشعراء جملة كبيرة من الوسائل الميسرة لقرض الشعر وتجويده ؛ فإعداد مئات من الألفاظ المترادفات أدى إلى انتعاش القافية فى الشعر كما أدى إلى تعدد الأوزان والبحور ، ولولا هذه المترادفات الكثيرة لما حصل لدينا هذا الرقم الكبير من البحور والقوافى والتفاعيل ، فإن الشاعر إذا لم يجد ملاءمة بين بعض الألفاظ ذات المعنى المقصود وبين وزن التفاعيل استطاع الإتيان بألفاظ أخرى تماشى الوزن وتناسب الروى وتقضى المطلوب ...

وهناك حروف إن اجتمعت فى بعض كلمات دلت على معان متقاربة (فالعين) و (القاف) و (الدال) إن اجتمعت دلت على الشدة والأحكام ؛ و (العين) و (الطاء) و (النون) دلت على الإقامة والثبات ؛ و (الكاف) و (الراء) تدل على الجمع والترديد ؛ و (الهاء) و (الزاى) تدل على الاضطراب والحركة . وهناك حروف إن اجتمعت فى كلمات دلت على أنها منقولة إلى العربية من ذلك (الظاء) إذا جاءت بعد (الخاء) وكذلك (الزاى) بعد (الدال) ...

وهنالك أسرار وأعاجيب فى هذه اللغة المجيدة تثير الدهشة ذلك تلخيص الكلام عن أسرار الوضع فى العربية فكيف يا ترى تيسر لسكان جزيرة العرب أن يؤلفوا لغتهم هذا التأليف المحكم ، وكيف كان عليهم أن يضعوا مفرداتها هذا الوضع الفنى الدقيق ؟! ...

إن ذلك شىء عجيب يستحق الكلام الطويل ...

(بغداد) جلال الحنفى

ترجمة وتحليل :

الخلود (*)

لشاعر الحب والجمال لامرتين

ترجمة الأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

— ١ —

كان لفاجعة لامرتين فى حبيبته (جوليا) — وهى موضوع قصة (رفائيل) — أثر عظيم فى إرهاف حسه، وإخصاب خياله، وتفتيق عبقريته: فله فيها مراثٍ جياد تفور بالعاطفة الجياشة، وتزخر بالتصوير البارع، وتمتاز بالنفس الطويل.

ولا ينسى مطلع على كتاب (من الأدب الفرنسى) تلك اليد البيضاء التى أسداها إلى أبناء هذا الجيل أستاذنا الجليل الزيات يوم نقل إلى العربية بقلمه الرشيق، وحسه الدقيق، وأسلوبه الذى لا يجارى، قصائدَ (البحيرة، والوحدة، والوادى، والمساء، والذكرى، والدعاء) فأظهرنا على نفسية شاعر عظيم، وعلمنا كيف نترجم للخالدين ...

أما القصيدة التى نقدمها اليوم إلى الرسالة — بعد غيبتنا الطويلة — فهى إحدى مراثى لامرتين لحبيبته، وهى فياضة بصوره وأخيلته، تصف بلباقة ما كان يكظمه من الحزن، وتفصّل بأسلوب شعرى علاقة الروح بالبدن، وتقوّى فى الفطرة السليمة عقيدة (الخلود).

***

نظم الشاعر هذه القصيدة سنة ١٨١٧ بعد أن مضى زمن قصير على موت جوليا وأفول شمسها، وكان الحزن لا يزال يلاع قلبه، ويحطم أعصابه؛ فلا غرو إذا كانت نغماته فى كل فقرة تنطلق كالزفرات وتوشك أن تسكب الدموع؛ ولا بدع إذا شرع — فى استهلال قصيدته — يصور فكرة الفناء بأسلوب يثير الخشوع.

فالشمس ليست عنده آية النهار ومصباح الوجود، وإنما هى شمس أيامنا السريعة التى ما تكاد تشرق حتى تؤذن بالغروب؛ فتشحب فى صباحها قبيل ضحاها، وتستبدل اصفرارها بسَناها، وتأفل متعثرةً بخطاها، وتنضِحُ على جباهنا الكليلة الفاترة، بأشعتها المرتجفة الحائرة، ثم تمن بها علينا باهتةً حائلة تتهاوت بين يدى الليل الهاجم، فتتوالد فى عقِبها ظلمات حوالك يولى منها كل شىء فراراً، ويمتلئُ من سوادها رعباً، وينمحى فى طياتها ذعراً ورهباً.

« إن شمس أيامنا تشـحب مع صبحها المتنفس؛
وعلى جِبـاهنا الكليلة تلـقى وهى تتردّد
أشـعة مرتجفـة تقاوم الليل المعسعس:
فيولد الظلام، ويموت النهار، وينمحى كل شىء ويتبدد! »

وجدير بالإنسان الذى وُهب حساسة وشعوراً أن يتمثل فكرة الفناء كلما رأى مغرب الشمس، وحضر مأتم النهار، وشهد مولد الليل! وجدير به أن يقشعرّ جلده ويلين قلبه لهذا المنظر الخاشع المؤثر، وأن يوجس فى نفسه خيفةً من ظلام الدجى وأن يتلمس مواطئ قدميه حيثما أسرى، فإذا أحس أنه على شفا حفرة أو لدى شفير مهوى، تراجع منتفضاً ناكصاً على عقبيه، وظل متراجعاً حتى يثوب حسه إليه.

ولقد يسمع أثناء نكوصه وانقلابه ألحاناً تشكو، وأنغاماً تبكى، وزفرات تتصاعد حرّى، وأنفاساً تختنق كرباً، ونواقيس تنتحب ولْهى، وأجراساً تملن نعياً ... فتلك أصوات تعزى المشـاق فى فقد أحبابهم، والإخوان على رحيل صحابهم، يوم جثوّهم على سُرُر الموت لا يتزحزحون، وتشبثهم بأقدامها لا يتحولون. فلتتمشّ الرعدة فى أوصال الإنسان إذا ما سمع هذه النغمات، فإنها — مهما بعدت عنه — نذير الفناء، يعكر فى القلب صفو الهناء.

« ما أحرى الإنسان أن يقشعر لهذا المنظر ويلين
ويتراجع منتفضاً عن مهاوى الشـقاء،
ثم يرتعد حين يسمع لحن الموت الحزين
الذى يوشك أن يتعالى فى الفضـاء،
ومحتبس الأنفاس من عاشقة ولْهى أو أخ حيران

(*) هذه القصيدة هى الرابعة فى ديوان (التأملات الشعرية)، وهى من مختارات لامرتين وروائعه.

متشبثين بأقدام السرير الرهيـــب ،
أو ناقوساً منتحباً يُنبىء صوته الهيمان
أن شمس بائس شـــقى آثرت المغيب ! »

أما وإن هذه الشمس الغاربة الخليقة بتحية الشعراء ، فإنها رمز حزين لاحتضار بائس يستحق العزاء ! فليضع الشاعر يده على ما يكمن فى الموت من أسرار ، وليسمِّ المحتضر (فدية) تستغفر بها السماء من ذنوب الأرض وخطاياها ؛ وليناج روحه مخففاً عنه ما غشيه من سكرة الموت ورهبة الحساب ، غابطاً إياه على رحيله من دار الفنـاء إلى الملأ الأعلى ، حيث تتغير حياته ، وتتبدل عاداته ؛ فلن يحمل سيفه الصقيل ليطيح بالرءوس ظلماً وعدواناً ، ولن يقطب جبينه ويحدق بصره ليناضب إنساناً ، ولن يطلب الشر ويسعى إليه ، فسيلهمه الله كل معانى الخير ، وسيجعله ملكاً رحيماً يضىء بنوره ما حوله ، ويحمل بيده مشعلا قدسياً يمض منه بريق الرفق والحنان .

« سلاماً أيها المحتضر ! إنك لم تبدُ لحظة فى دنياك
— يا فدية السماء — بهـــذا المنظر المخيف
الذى غشَّـاك به ذعرُك أو خطاياك .
لن تشهر ذراعك أبداً ســيفك الرهيف ؛
ولم يعُدْ لك جبين عبوس ، ولا بصر حديد :
فسيلهمك الإله الرحيم مواساة الضـعفاء .
وأنت لا تبيد ... بل ستنطلق فى عالم الخلود ،
حاملاً بيدك مشعلاً قدسـياً يا ملك السماء ! »

طوبى لروح المحتضر ! فإن مآله إلى عالم الأنوار المشعشع إلى الأبد ، بينما الأحياء فى دار الفناء يقضون نصف حياتهم بلا نور ؛ فتى ولد الليل هجمت العيون ، وانطفأت الأنوار ، وامتد الظلام .

طوبى لهذا الروح ! فإنه سيكون أحد هذه الأرواح العلوية التى تحمل مشاعلها القدسية ، وتنزل من السماء إلى الأرض لتتسور بيوت النائمين ، فتدنو من فراشهم ، وترقد إلى جانبهم ، ثم تسبح بهم فى بحر من نورها الأزلى ، وتُغرق أجفانهم فى موج من ضيائها الأبدى ؛ وتريهم فى منامهم أخيلة رائعـة ، وأضواء ساطعة ؛ وتريهم الليل نهاراً ، والسراب أنهاراً ؛ وتريهم الهائمين بين القبور يفتحون بيد الأمل أبواب الخلود ، ويدخلون بسلام آمنين

« وإذا أحيل بين بصرى الحسير وبين النور
أقبلت تفرق جفنى بنهـــار أصفى وأزهى ؛
فيفتح لى الأمل — وأنا قريب منك هائم بين القبور
معتصم بالإيمـان — عالماً أسمى وأبهى ... »

وهذا العالم السرمدى الذى تنعم به الأرواح فى منامها ودّ الشاعر لو يسمو بنفسه إلى آفاقه ، لأنه الموطن الأول الذى نزح الإنسان منه فينبغى أن يعود إليه ؛ ولكنه يرى أغلال حسه وقيود بدنه تعوقه عن الطيران ، فليست يداه جناحين فيحلق بهما فى السماء ، وإنما هما وسائر أعضائه سجن ضيق يتحرك فيه بقدر ، ويدور منه على حذر . فمن له بتحطيم أغلاله ، وفك قيوده ، وفتح سجنه ، وجعله طائراً يطير سوى هذا الروح الطليق الذى يمضى فى اللانهاية حيث يشاء ؟

فليستغث به عله يُصرخه ، وليستعجله إلى نجدته قبل أن يقذف بنفسه إلى العالم المجهول ، وهو فى غمرات الحيرة والذهول .

« تعـال إذن ... تعـال حطم أغلال حسى !
ثم افتح سجنى وأعرنى جناحيك فأطير على رسلى !
ما يبطىء بك ؟ أسرع فإنى قاذف بنفسى
إلى هذا العـالم المجهول غايتى وأصـلى ... »

ويخيل إلى الشاعر — وما ذاك منه سوى خيال — أن روحا لبى نداءه ، فحطم أغلاله ، وأطلقه من سجنه ، وألقى فى روعه أنَّ فى مكنته أن يطير ؛ فينظر فيما حوله حائراً شروداً ، ويرى أنه خُلق خلقاً جديداً ؛ فتعجب نفسه من نفسه ، ويقارن بين حاضره وأمسه . ويتساءل عن الذى فك قيود حسه ، ويستفهم عن منقلبه ومصيره ، وعن سر بعثه ونشوره . ويستعلم عن الضيف المجهول الذى أجابه إلى رجيته ، وعن مثواه العلوى الذى كان فيه وعن غرضه حين سعى إليه .

« من حطم أغلالى؟ من أنا وما ينبغى أن أكون؟
إنى أموت ... ولا أفهم سر بعثى ونشورى ...
عبثاً أسألك أيها الضيف المجهول والروح الأمين!
أين كان مثواك قبل أن ترد حياتى وشعورى ؟ »

(يتبع) صبحى ابراهيم الصالح

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة

للأستاذ إبراهيم البطراوى

— ٣ —

يزعم سارتر أنه أخذ هذه الفلسفة عن الفيلسوف الألمانى المعاصر هيديجر Heidegger . ويجب أن نعرف أن هيديجر هذا كان يلوّح للناس لينظروا إلى فلسفته بصفتها بشيراً ورسولا من لدن الإشتراكية الألمانية . وبعد أن دالت دولة هتلر رأيناه فى كل ما وصل إلينا من آرائه تقريباً يتجه اتجاهاً لاهو بالاشتراكى ولا هو بالإلحادى ولا هو بالشيوعى ، وإنما هو أقرب — كل القرب — إلى أن يكون دينياً منه إلى أى شىء آخر . يزاد على هذا أنه يدعو الناس إلى أن ينظروا إلى فلسفته القديمة بهذا المنظار ويؤولوها بما يتفق وهذا المعنى الجديد . فأى شىء بقى إذن للتلميذ وعشاقه ؟

يزعمون أن الوجودية ليست بدعاً وإنما قال بها الفيلسوف الطبيعى باسكال Pascal قبل سنة ١٦٦٣ ، ولكن باسكال هذا حينما أحس وجوده وتعمق هذا الوجود ، وحينما نظر إلى الموجودات الأخرى وتعمق النظر راعه أن يرى الإنسان — وهو أسمى الموجودات طراً — ينغمس فى شهواته الحسية الجامحة مهملا عقله فصاح صيحته الخالدة : « عجبى للانسان يهمل عقله الذى به صار وجوده » ! ولما أدمن النظر العميق فى الكون ، أدرك خالقه الأعظم سبحانه وآمن به أعمق إيمان ، ثم انصرف ببحثه إلى الدين وبدأ يؤلف كتابه المشهور فى الدفاع عن المسيحية فكان أشبه فى ذلك بالرجل المتصوف .

فهل فعل سارتر مثل ما فعل ؟ لقد قال إن للسن عند بسكال عذره !!

وعلى نهج باسكال ، أو قريب منه ، سار كير كجارد Kier Kegard الفيلسوف الدنمركى وكثيرون غيره أخص منهم بالذكر الكاتب المسرحى الفيلسوف جابرييل مارسيل Gabriel Marcel الذى توصل إلى معرفة الله وبين أن أسمى صلة بين الموجودات ما كانت قائمة على المحبة ، وأسمى أنواع المحبة محبة واجب الوجود سبحانه .

لم يبق إذن لاتحاد شركات سارتر وآخرين كما يسمونهم فى فرنسا إلا أن يدعوا أنهم وريثو فلسفة نيتشه وأنهم على طريقة نا كبون . فما هى فلسفة نيتشه هذا ؟ وهل الغرض الذى قامت من أجله هذه الفلسفة فى ألمانيا هو الغرض الذى تقوم من أجله فى فرنسا ؟ وهل يمكن لزاعم أن يزعم أنه حتى هذه النظرية — نظرية نيتشه — كتب لها البقاء ؟

أما من الناحية العلمية فلم يعد لهذه النظرية ظل من الوجود بعد زوال ظروفها وبهذا قضت على نفسها بنفسها .

وأما الغرض الذى قامت من أجله هذه الفلسفة فى ألمانيا فهو تخليص الشعب من أزماته النفسية التى حلت به إثر طغيان الروح الرومانتيكية عليه كما قدمنا ، وتخليصه كذلك من سلطان الدين وسيطرة رجاله ، لأن نيتشه كان يظن أنهم أصل كل شر ، وأن الدين علم الناس العبودية للناس ، هذا فضلا عن بث روح الجندية القوية التى لا تعتمد على شىء خارج عن ذاتها والتى لا تبالى بشىء فى الشبيبة ، لأن موقع ألمانيا الجغرافى يحتم عليها ذلك .

لهذا جعل إنسانه الأعلى Supper Man هو ذلك الذى يحقق لذاته وآلامه وحاجاته ، أو بالمعنى الاصطلاحى (يحقق وجوده) بنفسه وبفعله الإرادى دون خوف أو ترقب لإرادة السموات فهى لا تمطر ذهباً ولا فضة .

وليس لنا إلا اللحظة التى نحن فيها : إما عشنا عظماء وإلا فلنمت عظماء . ومن السخف أن ينظر الإنسان إلى تالد مجده فهذا شىء قد مات ، ومن الغباء النظر إلى الموتى . لنفعل دائماً بإرادتنا شيئاً جديداً نجدد به وجودنا ، ولنكن أقوياء نطفر قدماً نحو الأمام ، وويل لمن ينظر وراءه أو ينتظر عون الإله . فليست الحياة هى التى تحدد للارادة وجهتها ، وإنما الإرادة هى التى تحدد معنى الحياة ووجهتها .

وبفرض أننا تغاضينا عما فى هذه النظرية من التناقض البين فمها يكن من خطئها أو صوابها ، فإنها على كل حال قد ماتت واستنفدت غرضها ووجودها أيضاً فى مهدها ألمانيا . فما ذا يقصد هذا الرجل المعاصر بنشر نزواته فى فرنسا ومحاولة نشرها خارج فرنسا ؟ شتان بين ما أراد نيتشه وبين ما يريد « اتحاد الشذذ » ، فإنهم يهملون الغاية ؛ لأنهم ليسوا لها أكفاء كما أثبتت الحوادث الأخيرة فى حرب هتلر ، ويتشبثون بالوسيلة ولا هم لهم إلا الإباحة وهتك ستر ما بقى للناس من وشل الحياء .

وفى هذا يقول شاب فرنسى من الوجوديين المتحمسين يصف حال الشبان هناك بعد تفشى هـذا المذهب فيهم واعتناقهم له : « كان الرجل البورجوازى يطالب أسرته بأن تتكلم كلاماً مهذباً وتتأدب بآداب حسنة ... ولـكن ذلك لم يمنع من إتيان المفاسد سراً » . « فالأجيال الناشئة إذ تنبذ هذه الحياة الزائفة تصرعمداً على كل هذه النقط التى يراد الحيلولة بينها وبينهم فى سنهم الصغيرة ؛ فهم يقضون كل يومهم فى ضروب التسلية في السينما وصالات الرقص والحانات ، وهم يمجدون الـكسل ويمارسونه ، ويتكلمون كما تتكلم شخصيات سارتر ، لغة مشوبة باللهجة الدارجة Argot مملوءة بالألفاظ التى يأباها الحياء . وليس هذا عندهم مجرد ميل طبيعى ، بل هم يضمون إلى ذلك روح عدم الاكتراث ، وهو روح الحياة التى قد خلصت من الأوهام بما فيها وهم اللذة نفسه ، ويجمعون إلى ذلك أيضاً نظراً منيراً يعرفون به أن (الوجود) هو هذا ، وأن الإنسان لا يستطيع أن يفعل سوى أن يكون موجوداً » اه

ولـكم بعد هذا أن تفرقوا بين غاية نيتشـه وغاية سارتر إن استطعتم إلى ذلك سبيلا .

***

وأخيراً قولوا لى بربكم مالى أرى الإنسان هكذا يأبى إلا أن يكون عبداً ؟

إنه يريد واهماً أن يتخلص من (عبودية) اختيارية سـامية يحتمها العقل السليم ويوجهها الذوق المهذب ؛ وأقصد بها عبودية المدين للدائن ، عبودية المحسن إليه للمحسن ، أستغفر الله ! فما كان مثل هذا عبودية ! وإنما هو الشكر : شكر الموجود لمن أوجده ، شكر المخلوق للخالق .

يخدعه الشيطان ويخدع نفسه بوجوب التخلص من هذه العبودية (الثقيلة البغيضة) ! ثم يخدع نفسـه بوجوب تعطيل الفـكر من النظر فى آثار رحمة هذا المعبود لـكى لا يكون فى ذلك منغص لوجوده ، وهذا غاية الإفلاس .

ويخدع المسكين نفسه مرة أخرى فيخيل إليها أنه قد صـار — بهذا — موجوداً بعد أن لم يكن كذلك ؛ لأنه — فى زعمه — قد صار (حراً) . وما هذه الحرية لو تبصرناها إلا ارتماء فى هوة أحط دركات العبودية وأقذرها ، وإنها لتتنافى ويستحيل وجودها مع أبسط قواعد التفـكير السليم .

أوتدرون ماذا ؟ إن الفلسفة حين ارتقت وتقدمت اكتشفت هذا الـكشف الباهر وهو أنه إذا كان هنالك إله فهو الشهوة ، وإذا كان لا بد للانسـان من عبودية فأنعم بها من معبود ؛ لأنه يكون حينئذ بكامل حريته ، ومهما تـكن فهى على كل حال خير ألف مرة من العبودية للاله ؟!

رحمك الله يا من قلت : « يظن ابن آدم أنه حر وذلك لجهله مصدر الملل التى تجره لما يقوم به من عمل »

ولـكن ليس لنا أن نعجب فهـذه بدعة من بدع العصور الحديثة (المودرن) التى تتوهم الحرية فى هذا الضرب من الجنون الذى يسمونه الوجودية ، وما زالت الليالى حبالى ... !

فواضيعة هذا الشريد المسكين (الإنسان) ! إن أهون ما يقال فيه هو أنه عبد بفطرته . ذلـكم هو الرأى المتواضع الذى أرجو أن تسمحوا لى بتقريره وقد بلغنا هذا الموضع من حديثنا .

هذه عقدة الفاجعة الإنسانية التى يعاد تمثيلها اليوم على مسرح المدنية باسم الفلسفة الحديثة .

والحق أننا نـكون أسوأ حالا لو انتظرنا منهم غير هذا . وماذا ننتظر من قوم (خليين) يجلسون فى المقاهى وفى المجتمعات والصالات يزجون فراغهم بالمناقشة فى أى شىء : فى أصل الـكون وكنه الإله ، ويصفون الميتافيزيقيا وحقيقة الوجود ، وما إلى ذلك من أى شىء يخطر ببالهم ؛ ويحكمون على هذا كله حكم من شاهد واختبر وتثبت ما داموا هم قد اقتنعوا بصحة هذا أو بطلان ذاك ! ماذا ننتظر من هؤلاء القوم أكثر من انتظارنا من جماعة من الصبية نشأوا فى بيت ريفى منعزل : لم يروا أحداً ولم يرهم ولم يختلط بهم أحد ولا يعرفون — فيما عدا بينهم — عن العالم الخارجى شيئاً ؛ ثم ننتظر منهم أن يصفوا لنا حياة الزنج فى مجاهل أفريقيا ، وناطحات السحاب فى أمريكا ، وطرق المناقشة فى هيئة الأمم المتحدة — وصفاً دقيقاً صميماً !

والواقع أنه لا فرق بين هؤلاء وهؤلاء إلا أن أولئك نسميهم فلاسفة وهؤلاء نسميهم صبية ، كما نطلق على هذا (نبيل) وعلى ذاك (ابن المقفع) .

(يتبع) إبراهيم السطراوى



من مشاهير رجال العلم :

بافلـــوف

١٨٤٩ - ١٩٣٦

يعد العلامة أفان بتروفتش بافلوف من أشهر رجال العلم الحديث . وقد تبوأ مكانة سامية ومقاماً ملحوظاً بين علماء روسيا .

بدأت شهرته كعالم فسيولوجى منذ سنوات عديدة ، عندما شرح المبادىء الرئيسية لعملية الهضم ، ونجح فى ذلك البحث المظيم . وكان يحافظ على راحة الحيوان الذى يجرى عليه تجاربه أثناء دراسته دورته الدموية . كان يقول إنه إذا تألم الحيوان أثناء إجراء الاختبارات عليه ، فإن أعصابه المضطربة تؤثر فى العمليات الفسيولوجية التى تحدث فى جسمه . فإن الألم يمنع الغدد التى تمد المعدة بالعصارات الهاضمة من إفراز هذه العصارات إفرازاً طبيعياً . وكان هذا الأمر باعثاً له على محاولته التخلص من الألم . فانعدامه شرط من الشروط الرئيسية لنجاح البحث الفسيولوجى . ولذلك سنحت الفرصة لبافلوف — حينما أنشأ الأمير أولد نبرج معهد الأبحاث الفسيولوجية ببترغراد عام ١٨٩١ — أن ينشىء معملاً خاصاً ومستشفى بالمعهد ليمارس فيهما إجراء التجارب على الحيوان بأقل ألم . ويعد هذا المعمل الأول من نوعه فى العالم .

وقد استطاع بافلوف فى أوائل تجاربه على الدورة الدموية ، أن يقلل بقدر المستطاع من آلام الحيوان أثناء إجراء العمليات الجراحية له ، بطريقة فنية دقيقة . وكانت عملياته فى العروق من السرعة بمكان حتى أن الكلب الذى كانت تجرى له هذه العملية لم يكن يشعر بها على الإطلاق . وتعود الكلب أن يقفز طواعية يوماً بعد يوم وفى عروقه أنابيب لقياس ضغط الدم ، دون أن يشعر بوجودها .

وقد ساعدته مهارته الفائقة فى الجراحة أن يثبت — عن طريق الاختبار — أن هناك أعصاباً معينة فى الجسم تتحكم على الغدد التى تمد المعدة بالمصارات الهاضمة .

وكان بافلوف يدعو إلى دراسة التركيب الفسيولوجى للجسم الحى دون الإخلال من نظام عمله ؛ ولذلك يقول : « نحن لا نستطيع أن نسمح لأنفسنا بتحطيم التركيب الآلى للجسم الحى ، بما فيه من أسرار خفية تحتل أفكارنا منذ زمن بعيد ، بل طول حياتنا . فإذا كانت الميكانيكا ترفض أحياناً أن تغير أو تتداخل مع تركيب بعض الآلات الدقيقة ، حتى لا تفسد آليتها ؛ وإذا كان الفنان يخشى فى رهبة أن يلمس بريشته إنتاج فنان عظيم ، أليس العلماء الفسيولوجيون الذين يتعاملون مع أدق تركيب آلى — وهو الكائن الحى — أليس لهم نفس هذا الشعور؟ »

وقد نال بافلوف جائزة نوبل عن أبحاثه فى عملية الهضم عام ١٩٠٤ . ومع ذلك فقد اشتهر فى أبحاث أخرى ، كبحثه الشهير فى نشاط المخ المعروف باسم « الانعكاسات الشرطية » . ولو أن هذا البحث يبدو مختلفاً عن بحثه السابق ، فإنه يتفق معه فى موضوعين : فعل الغدد الهاضمة ، وإجراء التجارب بدون ألم .

ومن الجلى أنه إذا كان الألم يعرقل عملية المعدة الفسيولوجية ، فإنه لا بد أن يعرقل أيضاً عملية المخ الفسيولوجية . إذاً يجب أن تجرى التجارب على المخ بدون ألم ، وتراقب فى عناية زائدة . ولذلك كان على بافلوف أن ينشىء معملاً خاصاً لإجراء اختباراته على الكلاب بعيداً عن تدخل المختبر ، نفسه والأصوات ، بل حتى أشمة الشمس .

إن الصلة بين المخ وعملية الهضم ناتجة من الظاهرة الطبيعية التى تربط الفم بالمعدة ، تلك الظاهرة التى تدعى « اللعاب » . فحينما يشاهد كلب أو إنسان ، الطعام ، أو يشمه ، أو حتى عندما يسمع وقع أقدام الخادم وهى مقبلة به ، فإن لعابه يسيل . ويسيل كذلك ، بمجرد أن يضع الكلب الطعام فى فمه فيأخذ فى مضغه . ويفسر هذا الفعل بأنه انعكاس بدأ من التأثير الكيماوى للطعام على سطح الفم الداخلى ، تبعته رسالة على طول المسار العصبى ، تصل إلى عضلات الفك . ولكن ، لماذا يسيل لعاب الكلب بمجرد سماعه وقع خطوات الخادم ؟ هل تدخل عقله وفسر ذلك

الصوت إلى الفم ؟ يقول بافلوف : لسنا فى حاجة إلى معرفة أن الكلب لا يعقل . إن الصوت يؤثر على أذن الكلب ، فتذهب رسالة إلى الأغشية ، ثم إلى الفم . ولكن ، لماذا ترسل الأغشية الرسالة إلى الفم ؟ ذلك لأنه فى الحالات السابقة كانت تعقب خطوات الخادم عملية الهضم فى انتظام وبذلك اختلطت الرسائل التى نشأت فى الجهاز العصبى من ذلك الصوت بالرسائل التى ولدت عملية المضغ . ونشأ من ذلك أنه فى مرة ، تبعث الرسائل العصبية التى نشأت من تأثيره ، برسالة إلى الفم ليقوم بعملية يسيل اللعاب .

ويبدو من ذلك ، أن أى رد فعل يعزى إلى ذكاء الحيوان ، كمعرفة أن صوت وقع الأقدام يعنى الطعام ، نستطيع تفسيره تفسيراً صحيحاً بمصطلحات من الرسائل العصبية والانعكاسات . فلماذا إذاً لا تعزو كل فعل نفسره بالذكاء إلى انعكاسات محضة على قدر كبير من التعقد ؟ ذلك كان موضوع بحث بافلوف ، وهذا سبب أهمية آرائه .

* * *

جعل بافلوف يجرى الاختبارات على الحيوانات ويبحث هو وأتباعه فى نشاط الانعكاسات وموقعها من السلوك . وبذلك حصل على معلومات قيمة . واستطاع بتنشيط بعض الانعكاسات على بعضها الآخر وضع الكلب فى حالات من النوم والتنويم والنورستانيا .

وعلى ذلك فسلوك الكلب أثناء هذه التجارب يستطاع وصفه بأنه من تدبير الانعكاسات . وتلك نتيجة غريبة !!

* * *

كان بافلوف من رجال العلم الذين يؤمنون بأن رفاهية العالم وسلامته ، ورقى الإنسان وتقدمه ، لا تتوفر إلا عن طريق العلم . ولذلك كان يدعو إلى ذلك فى محاضرات ، وكانت أهمها تلك التى يقول فيها « إنى مقتنع تمام الاقتناع أننا سنجد فى هذا الطريق — أى طريق العلم — أن العقل البشرى قد انتصر انتصاراً تاماً على أعظم معضلاته ، وهو معرفة التركيب الآلى وقوانين طبيعة البشر . وبهذا فقط يستطيع الإنسان أن يحقق لنفسه سعادة دائمة كاملة . دع العقل يسمو من نصر إلى نصر على الطبيعة المحيطة به ، دعه ينتصر للحياة البشرية ، لا على سطح الأرض فحسب ، بل بين أعماق البحار ، بل وفوق أجواز الفضاء . دعه يسخر لخدماته نشاطاً فائقاً يفيض على العالم من بقعة إلى أخرى . دعه يسيطر على السماء حتى تنتقل أفكاره . ومع ذلك ، فالمخلوق الحى ذاته ، ذلك الذى ينقاد بقوى حالكة إلى الحروب والثورات وما فيها من شرور ، ينتج لنفسه من وسائل الدمار ما يجعله يرتد إلى الحياة البهيمية ، ويقاسى من الآلام ما يجل عن الوصف . العلم الصحيح الدقيق فى طبيعة البشر ذاتها ، هو الذى سينقذه من ظلامه الحالى ، ويطهره من عاره على سطح الأرض المعمورة »

* * *

ولد بافلوف فى مقاطعة زيازان بروسيا . وتلقى العلم فى بطرسبرج . وكان والده كاهناً ريفياً ، وأقاربه مشهورين بأنهم محاربون من الطراز الأول . ولذلك كان بافلوف يهوى فلاحة البساتين والملاكمة وغيرها من الألعاب الرياضية التى تحافظ على قوة عضلاته . فقد كانت شيئاً ضرورياً له فى الجراحة التى كان بارزاً فيها . وكان دقيقاً فى مواعيد عمله ، وأوقات راحته ، فيثابر على العمل فى ساعات معينة ، وحينما ينتهى منه يترك معمله ، إلى أن يعود إليه فى ساعة معينة فى صباح اليوم التالى . وكان ذا نشاط عظيم ومقدرة فائقة فى كبح جماح نفسه .

وفى عام ١٨٩٧ عين أستاذاً للفسيولوجيا بالأكاديمية الحربية . وفى عام ١٩٠٧ أصبح عضواً من أعضاء علماء أكاديمية سان بطرسبرج . ومنح وسام كوبلى من الجمعية الملكية عام ١٩١٥ .

وكان بافلوف لا يميل إلى البلشفية ، ولذلك كان يناهضها فى كل مكان ، ولا يخفى كراهيته لها ، بل يصرح بذلك لتلاميذه فى كل مناسبة .

ثم اختفى ذلك الرجل العظيم خلف ستار روسيا الحديدى . وتساءلت الأوساط العلمية فى أوربا إذ ذاك : ما الذى يحدث له هناك ؟ وماذا يعمل فى روسيا ؟ وهل هو حى أو فى عداد الأموات ؟

وأخيراً ، تبين ، أنه على الرغم من عداوته للبلشفية ، فقد بذل لينين مجهودات كبيرة لمده بالمهمات العلمية ، وبذلك حصل على كل ما يلزمه لمواصلة أبحاثه .

وفى عيد ميلاده الخامس والستين ، منحته الحكومة الروسية — وكان لا يزال ينتقدها — مبلغاً كبيراً من المال لتوسيع معامله ، ومعاشاً سنوياً قدره ٢٠ ألف روبل .

وظل يواصل أبحاثه الهامة حتى مات فى سن السابعة والثمانين

محمد فتحى عبد الوهاب

نفسى حزينة حتى الموت (*)

للاديب أميل خليل بيدس

« الكلمة الأخيرة التى قالها خليل بيدس لشريكة حياته قبل أن ينام ليظل نائماً ، فلا يفيق من رقاده الأبدى » !

« نفسى حزينة حتى الموت » ! ما أسمى نفسك هذه يا أبى ؟ ما أنبل القلب الفياض بالعاطفة ، المختلج بالشعور الهادئ الحزن الذى يستطيع وهو يعانى سكرات الموت ويشرب من كأس الحمام أن يعبر عن خلجاته بهذه الكلمات القليلة البسيطة ؟ !

ما أصفى هـذه النفس الحزينة التى شاركت كل متألم أله ، وعانت مع كل شقى لوعته ، ورمضت مع كل من أرمضته البرحاء ، وأثخنته ضربات الدهر بالجراح ؟ !

هكذا كان حزن نفسـك وألمها ! هكذا كانت تباريحك انعكاساً لتباريح البشرية ، وصدى لبؤس الإنسانية ، وصورة لما يعانيه إحساسك المرهف المصقول من شعور من يكون من المسئولين أمام الله للتخفيف من كروب الإنسانية وأوصابها !

كنت مملوءاً حياة ، وكنت تحب الحياة وتحب كل ما هو حى ، وكانت الحياة فى نظرك هى الحركة والعمل ، وكانت الحياة فى ناموسك كل شىء جميل .

فالفن الجميل هو الحياة ؛ والأدب الجميل هو الحياة ؛ والإنسان الجميـل فى نفسه وقلبه وأخلاقه وأعماله وحزنه وألمه وفرحه وانشراحه ، هو الحياة ؛ وما عدا ذلك جميعاً فهو الموت والاندثار ، وهو الفناء والزوال !

كنت تحب الحياة لأنك عشت فى سبيل الحياة ، وتفانيت من أجل الحياة ، وجاهدت للاعلاء فى شأن الحياة ... والحياة من عمل الله وصنعه ؛ والحياة هى الإنسانية التى أحببت والتى جاهدت من أجلها وضحيت فى سبيلها ، لأنك أحببتها وأخلصت لها .

* * *

ما أرق هذا القلب المشبع بخوف الله ، المستنير بهدى الله ، العامل على خدمة الحياة التى خلقها الله !

ما أرق هذا القلب الذى شع نوراً ساطعاً ساحراً ، ورمضت فيه ومضات من القوة السماوية الكامنة فيه !

ما أرق هذا القلب الذى ما نزع يوماً إلى النفاق والرياء ، وما جنح مرة واحدة إلى المكر والخديعة والدهاء ؛ بل كان عنوان الطيبة ورسولا من رسل الخير ، أدى الرسالة التى ناطه الله بها خير أداء وعلى أحسن وجه وأتم صورة .

* * *

كنت تحيى الليل تسطر بدائعك الزاخرة . وكنت تتعذب فى جسمك المتعب المرهق المحتاج إلى الراحة وإلى الغذاء .. كنت تقنع بالقليل من القوت تقيم به الأود ، لأن نفسك الملهمة كانت «حزينة حتى الموت» ولأنك كنت تريد أن تسكب على القرطاس حروفاً متسقة العقود من الكلم الكثير الذى نصب الله لسطوره أبهى المعانى وأبدعها .

* * *

« نفسك حزينة حتى الموت » ولكن دمى جمد فى عروقي ، وقلبي تحول إلى حجر ساعة أراحك الموت من حزن نفسك ..

« نفسك حزينة حتى الموت » ولكن صدرى تمزق ، وقلبى سالت دماؤه ساعة رأيت ضبابة الموت منتشرة على محياك ...

وإن فى فؤادى من نار الحزن ما يحرق جسدى .. لأن مرارة الحياة تمثلت لى بانفصالى عمن كان سبب وجودى وكيانى .

أميل خليل بيدس

(*) تأخر نشرها سهواً .

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

الفن والحياة بيني وبين الدكتور طه حسين :

كان للكلمتين اللتين كتبتهما عن « الفن والحياة » على صفحات « الرسالة » أثرهما البعيد عند أديبين كبيرين هما الدكتور طه حسين والأستاذ توفيق الحكيم ، فقد عقب عليهما الدكتور فى « الأهرام » بكلمة مستفيضة وكذلك فعل الأستاذ الحكيم فى « أخبار اليوم » .

أما الكلمة الأولى فقد حاول فيها الدكتور أن يرسم الطريق نحانه التوفيق ... ومعذرة إذا ما بدأت ردى بهذه العبارة لأنى لا أعرف فى النقد صداقة ولا مجاملة ! وأشهد أننى أعجبت كل الإعجاب بروح الدكتور حين بدأ تعقيبه على ما كتبت بهذه الكلمات : « وكذلك تشيع فى بيئات المثقفين ألفاظ ظاهرة الوضوح شديدة الغموض (يقصد لفظى الفن والحياة) ومع ذلك يخيل إليهم أنهم يفهمونها حق الفهم فإذا أرادوا تفسيرها لم يحققوا منها شيئاً » ... أعجبت بهذه الكلمات لأن صاحبها قد نسى ماينى وبينه من صلات الود والصداقة فى سبيل إبداء رأى يعتقد أنه الحق ، وكذلك أفعل أنا حين أؤكد لقراء « الرسالة » أننى قد أصبت بخيبة أمل مزيرة حين خرجت من مقال الدكتور بحقيقة ناصعة ، وهى أن كل ما كتبه حول « الفن والحياة » لم يكن سوى « لخبطة » من طراز ممتاز ! !

ولن أعيد اليوم ماقلته بالأمس حول « الفن والحياة » فقد قرأه الناس وعرفوا رأيى فيه ، كل مايهمنى هو أن أنقل إليهم تلك الخطوط الرئيسية التى خرجت بها من مقال الدكتور طه حسين ، ليروا أينا كان أكثر فهماً لموضوعه وأينا كان أوفر احتشاداً لفنه !

لقد تساءل الدكتور فى ثنايا كلمته : هل يتاح للانتاج الفنى أن يبلغ ذروته دون أن يكون هناك اتصال بالحياة العامة الصاخبة أم لا سبيل إلى تلك الذروة إلا إذا اضطرب الكاتب أو الشاعر أو صاحب الفن فى كل ما يضطرب الناس فيه من شئون حياتهم اليومية على اختلافها وتنوعها واختلاطها وتعقدها فى أكثر الأحيان ؟ إن صاحب الفن فى رأى الدكتور وكذلك الكاتب والشاعر ليسوا محتاجين إلى أن يعيشوا فى أعماق المجتمع لينتجوا فناً تنبض فيه الحياة ؛ « فالقراءة والاستمتاع من أخصب المصادر التى تتيح للأدباء وأصحاب الفن أن يتصلوا بالحياة ويسيغوها ، وتتيح لهم بعد ذلك أن يصوروها خيراً من الذين يبلون حلوها ومرها ويسعدون بنعيمها ويشقون بجحيمها » !

إلى هنا ونقف قليلا لنناقش هذه الكلمات التى تحفل بطلاوة الأسلوب وتفتقر إلى سلامة المنطق ... إذا أمكنك أن تصدق أن « القراءة والاستماع » من أخصب المصادر للاتصال بالحياة ، فلا بأس عليك إذا كنت من بلد آخر غير مصر أن تقرأ ماتنقله إليك عنها بعض الكتاب المغرضين من أمثال وندل ويلكى ، لتستطيع بعد ذلك أن تصور الحياة المصرية خيراً من الذين بلوا حلوها ومرها وسعدوا بنعيمها وشقوا بجحيمها كما يقول الدكتور طه حسين ! ولا بأس عليك أيضاً إذا كنت من بلد آخر غير مصر أن تستمع لكاتب مثل جان كوكتو إذا ماحدثك عن البيئة الشعبية فى مصر لتستطيع بعد ذلك أن تصور هذه البيئة خير تصوير ، مع أن كوكتو مثلا لم يشهد من معالم الحياة المصرية غير فندق الكونتننتال ودار الأوبرا وأهرام الجيزة وجامعة فؤاد !

أريد أن أقول لك إن القراءة قد تنقل إليك الحقائق مشوهة وإن الاستماع قد يطلعك على الوقائع محرفة ، ومعنى هذا أن الأديب إذا اتصل بالحياة عن هذا الطريق فهو اتصال لا فائدة منه فى الأغلب الأعم ولا خير فيه ، لأنه اتصال مشوه المعالم ممسوخ السمات !

إن الدكتور يستشهد على صدق ما ذهب إليه بما كتبه جيته عن الشرق ، فهو « قد كتب مثلاً أشياء رائعة صادقة فيها كثير من الدقة والصدق وحسن الاستقصاء مع أنه لم يزر الشرق ولم يشهد حياة الناس فيه ، وإنما قرأ كتب الذين رحلوا إلى الشرق وقرأ ما ترجم من آثار الشرقيين فى عصره ففهم الشرق خيراً مما فهمه الذين رحلوا إليه والذين ترجموا آثاره » !

هذا كلام لا يقوى على التمحيص ولا يثبت على المراجعة ، لأن جيته الذى استمد كل معلوماته عن الشرق وحياة الشرقيين

من كتب الغير ، لا يمكن أن يكون أكثر صدقاً ولا استقصاء من هؤلاء الذين قرأ لهم ونقل عنهم ، ورأوا الشرق رأى الحس والعين لا رأى الفكر والخيال ! وإذا كان جيته قد صور الحياة فى الشرق تصويراً رائعاً عن طريق « القراءة والاستماع » . فما لا شك فيه أنه لو قدر له أن يزور الشرق وأن يطلع بنفسه على حياة أهله لكتب خيراً مما كتب ولأجاد التصوير خيراً مما أجاد ؛ لأن الواقع المحس شىء والواقع المنقول شىء آخر ... وإذن فلا مبرر إطلاقاً للقول بأن « القراءة والاستماع » من أخصب المصادر التى تتيح للأدباء أن يصوروا الحياة خيراً من الذين بلوا حلوها ومرها وسعدوا بنعيمها وشقوا بجحيمها ، إلى آخر هذه الكلمات التى تحفل بطلاوة الأسلوب وتفتقر إلى سلامة المنطق .

بعد هذا انتقل الدكتور طه إلى رأى آخر حيث يقول : « وليس الأديب المعاصر مضطراً إلى أن يخالط الناس مخالطة مادية ؛ لحياة الناس كلها تحمل إليه ، وليس اتصال الأديب بالحياة هو العسير الآن وإنما اعتزال الأديب للناس هو الشيء الذى لا يكاد يجد إليه سبيلا » .

إننى أوافق الدكتور على أن الأديب المعاصر متصل حقاً بالحياة ، ولكن الدكتور ينسى أن هذا الاتصال يفترق عند أديب عنه عند أديب سواه ... هناك أديب يرقب مجرى الحياة من حجرة مغلقة ، وهناك اديب يرقب مجرى الحياة من زقاق ضيق ، وهناك أديب يرقب مجرى الحياة من شارع واسع ، وهناك أديب يرقب مجرى الحياة من ميدان عام ، وهناك أديب يرقب مجرى الحياة من كل حجرة وكل زقاق وكل شارع وكل ميدان ! ومعنى هذا أن هناك أدباً هو أدب الجدران المغلقة والآفاق المحدودة ، وأن هناك أدباً آخر هو أدب الهواء الطلق والآفاق الرحيبة ! .

ومالى أذهب بعيداً والدليل قائم بين يدى من أدب الدكتور نفسه ممثلا فى بعض أعماله الأدبية ؟ لقد عالج الدكتور فيما عالج من فنون الأدب فن القصة ، أعنى أنه حاول فيما حاول أن يكون فناناً يصور الحياة وينقل عن الحياة ... وها هو ميزان النقد يقرر فى ثقة واطمئنان أنه قد أحس الحياة يوماً كما يجب أن تحس ، وأنه قد عاش فيها بفكره وقلبه وشعوره ، وأن هذا الإحساس الصادق الكامل الأصيل المتميز قد انعكس فى صورته القوية الرائعة على صفحات « الأيام » ! فى هذه القصة الذاتية تلهب حسك الفنى حرارة الحياة ... الحياة التى نقلها حواس طه حسين لا حواس الناس وكتب الناس وأقوال الناس ! ! ترى هل يستطيع بعض الكتاب عن طريق « القراءة والاستماع » أن يصوروا حياة طلاب الأزهر فى أمسهم الغابر خيراً مما صورها هذا الأديب الذى بلى حلوها ومرها وأعنى به الدكتور طه حسين ؟

نترك « الأيام » لننتقل إلى « شجرة البؤس » و « دعاء الكروان » ، لننتقل من فن الحياة إلى فن المخيلة ، من فن الهواء الطلق إلى فن الجدران المغلقة ... إن الأديب الذى يحاول أن يرسم صورة للحياة والناس فى إقليم من اقاليم مصر وهو جالس فى حجرته من ذلك البيت القائم فى حى الزمالك ، أشبه بمن يحاول أن يرسم صورة للحياة والناس فى منطقة من مناطق القطب الشمالى وهو يعيش فى منطقة من مناطق خط الاستواء ... أقول هذا ولا أزيد !

ويختم الدكتور طه مقاله بهذه الكلمات : « ولكن أريد قبل كل شىء أن يطمئن الشباب الذين لا يتاح لهم التنقل ولا يتيسر لهم مخالطة الناس ومشاركتهم فى حياتهم بالفعل ، فإن هذا كله لم يتح لكثير من أفذاذ العبقريين ولا لكثير من أوساط الأدباء ، فلا ينبغى أن ييأس الشباب الأدباء وأصحاب الفن إذا لم يتح لهم من ذلك ما يريدون » !

لقد كنت أود أن يذكر لنا الدكتور طه اسم عبقرى واحد من هؤلاء الأفذاذ الذين لم يتح لهم التنقل ولم يتيسر لهم مخالطة الناس عبقرى واحد حتى لا أتهمه بأنه يلقى الكلام على عواهنه ... إننى أؤكد لقراء « الرسالة » أن طه حسين لو قدر له أن يعيش فى بيئته التى نشأ فيها دون أن يرحل إلى أقطار الغرب لينتقل هنا وهناك ، وليتصل بالحياة فى أوسع آفاقها ممثلة فى مخالطة الناس من كل جنس ولون ، لو قدر له أن يقضى عمره فى تلك البيئة التى نشأ فيها لكان حتى اليوم أديباً محدود الأفق قاصر الأداة !

مرة أخرى أعود فأقول : من أعماق الحياة ينبع الصدق فى الفن ، ولن يتحقق الصدق فى الفن ما لم يستخدم الفنان كل حواسه فى تذوق الحياة . . يرقب ، ويتأمل ، ويهتك الحجب ، وينفذ إلى ما وراء المجهول . فإذا استطاع أن ينقل كل ما يلهب الخيال فيها إلى لوحات من التصوير الفنى فهو الفنان ، وإذا استطاع أن ينقل إلى هذه اللوحات كل ما فى القلب الإنسانى من نبض

وخفوق فهو الفنان الإنسان . وعلى مدار القوة والضعف فى دفقة الحياة وخفقة القلب يفترق العمل الفنى عن مثيله فى كل فن من الفنون !

هذا هو الطريق ، فمن شاء أن يسلكه فليسلك ، ومن شاء أن ينحرف عنه فلينحرف ... ولكل اتجاه من هذين الاتجاهين ميزان يقام .

الفن والحياة بينى وبين الأستاذ توفيق الحكيم :

حلقت بك فى أفق الدكتور طه حسين ، وبقى أن أحلق بك فى أفق الأستاذ توفيق الحكيم ... ومرة أخرى أقدم إليك الخطوط الرئيسية فى كلة هذا الفنان الصديق ، تلك التى يبدأها بقوله : « ولقد رددت الألسن عبارات « الفن والحياة » و« الفن والشعور » ... وهو كلام فى جملته صحيح والخطأ فيه يسير » !

أما تلك العبارات التى أشار إليها الأستاذ توفيق الحكيم فقد وردت فى كلتى عن فنه ، حين تحدثت عن هذا الفن بين واقع الفكر وواقع الحياة وحين وزنته بميزان القلب والشعور ... من حقه إذن أن يدافع عن نفسه فيما كتب على صفحات « أخبار اليوم » ، ومن حقه أن ينسب إلىّ بعض الخطأ فيما أخذته عليه ، وإن كان الأستاذ توفيق قد اتصل بى عقب أن كتبت عنه ما كتبت متفضلا بإبداء موافقته غير مشير إلى هذا الخطأ اليسير! مهما يكن من شىء فقد كان فى كلام الدكتور طه شىء كثير من اللخبطة ، أما كلام الأستاذ الحكيم ففيه شىء يسير من المغالطة !

يقول الأستاذ توفيق : « القلب فى الفن هو الصدق ، لا الصدق بمعناه الضيق المقصور على الشعور العاطفى أو الوجدانى ، بل أيضاً الشعور بحقيقة فكرة من الأفكار ... على هذا النحو يجب كذلك أن نحدد معنى « الحياة » فى الفن . ما من شك أن الفن هو التعبير عن الحياة ، وليس من السهل تصور فن منفصل عن الحياة » .

إن الفن يا صديقى ليس هو التعبير عن الحياة ، وإنما هو صدق التعبير عن الحياة ، لأن التعبير عن الحياة حين يخلو من « الصدق » لا يعد فناً ! هذه واحدة ... أما الثانية فهى قولك بأن القلب فى الفن هو الصدق ... ترى أى قلب هذا الذى تقصد ؟ أهو القلب الذى ينبض بشعور صاحبه وحده دون سواه ؟ إن هناك كثيراً من أمثال هذا القلب ، القلب الذى يخفق بعاطفة لا تمثل عواطف كثير من الناس ، وبالشعور بحقيقة فكرة لا تتفق وأفكار كثير من الناس ... صدقنى إن قلباً من هذا الطراز لا يمكن أن يمثل الصدق فى الفن ، لأنه إذا حقق شيئاً من المشاركة الوجدانية بين الفن وصاحبه ، فإنه لا يحقق شيئاً من هذه المشاركة بين الفن ومتذوقه !

كلماتك يا صديقى تحتاج إلى كثير من الدقة وإلى كثير من التحديد ... القلب فى الفن هو الصدق ؟ نعم ، ولكنه القلب الذى تتفق دقاته ودقات قلوب الملايين ، هو القلب الذى يهتز بين جنبى صاحبه فيهتز له الجيل الذى يعيش فيه ومن بعده أجيال ، هو القلب الذى يقبس وهج حرارته من أفراح الناس وأحزان الناس ، هو القلب الذى يرى فيه كل صاحب شعور صورة من قلبه ، هو القلب الذى يستطيع كثير من الأحياء أن يفزعوا إليه فراراً من أنفسهم ! هنا يا صديقى يتحقق الصدق فى الفن ، لأن القلب الذى أعنيه بهذه الكلمات هو الذى يغترف من ماء الحياة !

هذا عن الصدق فى الفن ، أما قولك بأنه ليس من السهل تصور فن منفصل عن الحياة فتجد الرد عليه فى كلتى عن الدكتور طه حسين .

بقى أن أناقش المغالطة الأخيرة عند ما تقول عن الحياة فى الفن : « لا بد أن تكون الحياة فى الفن ليس فقط كل ما يقع فى العالم الخارجى ويضطرب فيه الإنسان بحسه وقلبه وشعوره ، بل أيضاً كل ما يقع فى العالم الداخلى ويستخرجه الإنسان بفكره وذهنه وتأملاته ... إن الحياة تسكن فى كل جزء من أجزاء الإنسان الحى ، فى قلبه وفى غريزته وفى حسه وفى رأسه ... ولو جئت بإنسان ، شاعر أو مفكر ، وحبسته فى جب وأغلقت عليه بسبعة أختام وتركته الأعوام ، لأخرج بعد كل ذلك حياة! »

ما هذا الكلام يا أستاذ توفيق ؟ إن أحداً ممن يفهمون رسالة الفن لا يمكن أن يوافقك عليه ! ... شاعر أو مفكر تحبسه فى جب ، ثم تغلق عليه بسبعة أختام وتتركه الأعوام ، ثم يخرج بعد كل ذلك حياة ؟ ! أية حياة تلك يا صديقى ؟ إنها حياة المغاور والكهوف ... ولا يمكن أن ترضى حياة المغاور والكهوف إلا عشاق الفن منذ خمسين ألف سنة ! معذرة يا صديقى فإننا نعيش فى القرن العشرين ، ومن مزايا القرن العشرين أنه يضيق بالحياة محبوسة بين جدران أربعة ، فما بالك لو قدمت إليه فناً تتنفس فيه الحياة داخل جب تغلق عليه بسبعة أختام ؟ ! ... كلا يا أستاذ توفيق ، إننا لا نريد أن نعيش فى الماضى الغابر ، ولكننا نريد أن نعيش فى الماضى المشهود !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

التوجيه السامى والأدباء :

حيا الله الفاروق العظيم ، فقد اقتضت رعايته لهذه الأمة أن يكون توجيهه الكريم السامى فارقاً بين أمر وأمر ، أو قل بين خير وشر . لقد راعه أن رأى روح الحزبية يطغى على الصالح القومي ، ويحول دون استفادة البلاد من كفايات بعض أبنائها ، لأن غباراً مما يثار بين الأحزاب يعلق بأشخاصهم ، بل قد يفضى الأمر إلى استهلاك هذه الكفايات فى ضروب من الصراع الشخصى الزائل ، فلا يكاد يبقى من طاقاتهم شىء للعمل الصالح الخالد .

فكانت التفاتة الرعاية من الفاروق لخير هذه الأمة ، التنبيه على وجوب النظر إلى المسائل العامة نظراً قومياً ، وألا يحول شىء دون انتفاع الوطن بكفايات من أنجب .

وكان من أثر ذلك التوجيه الملكى السديد ، أن استجاب له معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف بما صنع من التقدير والتكريم للأدب فى أشخاص أربعة من كرام الأدباء ، هم الدكتور طه حسين بك والأستاذ على محمود طه والأستاذ محمد سعيد العريان والدكتور زكى مبارك ؛ فأحسن التلقى من القائد الأعلى ، وأحسن عملا ؛ وقد كرم أيضاً بذلك المثل الأعلى لولاة الأمور فى شخصه المظيم . وإذا كانوا يقولون : العلم لا وطن له ، فقد أضاف معاليه إلى هذا القول — بلسان العمل — أن الأدب لا حزب له . والعلم والأدب والفن إخوة لأب واحد هو الفكر الفائق .

وبعد فقد وضع معالى الوزير بذلك الصنيع عنوان الكتاب والمأمول بعد ذلك أن يقوم بتأليفه .. فإن هناك غير أولئك الأربعة أربعات من الأدباء ، ما أجدرهم بأن يتم بالالتفات إليهم وتقديرهم تأليف الكتاب ، وما أجدر معاليه أن يبحث عنهم بإبرة العالم ، ولا يخفى عليه أن الأدباء أهل كبرياء وذوو حماقة ... وأن كبرياءهم وحماقتهم تمنعانهم من كثير مما يظفر به « العقلاء » فليقرب إليهم — متفضلا — ما أبعدته عنهم كبرياؤهم ، وليغض — جزاه الله صالحة — عن حماقاتهم .

فى وزارتكم يا معالى الوزير ، وزارة العلم والثقافة ، جم ذو عدد من الأدباء الذين يعرفهم الجمهور بإنتاجهم ، وقد حشدا كثرهم فى الإدارة العامة للثقافة مع من حشد فيها من غيرهم ... للقيام على ما تختطه للتثقيف العام من الوسائل الأدبية والفنية . يعيش هؤلاء الأدباء فى غمار الموظفين ، لا ينالون ما هم أهله — بحكم مواهبهم وآثارهم النافعة — من وسائل العيش الكريم ؛ ومما يتذرع به لتأخيرهم شىء اسمه « الأقدمية » يقدم عليهم من لم تقدمهم السنون فى غير العلاوات والدرجات ...

ومن أولئك الأدباء من أفسدت الحماقة عليه أقدميته ، ومنهم من ألزمته حماقته العزلة اليائسة الساخرة ، وجعلت هذه الحماقة بعضهم ينتظر ركب الزمن المتوانى . والحماقة ، بما فيها من الكبرياء ، فنون ...

والخطير فى الأمر يا معالى الوزير ، أن ما تجره حماقة أولئك الأدباء عليهم يكاد يستنفد الطاقات ويستهلك الكفايات . فهلا أنقذت الأدباء من حماقاتهم وأغضيت عن كبريائهم وبحثت عنهم ... لتيسر من أمرهم ما يعسرونه على أنفسهم بحماقتهم ، وتقدمهم إلى ما هم خليقون أن ينهضوا به ، إتماماً للعمل بتوجيه الفاروق العظيم نحو خير هذا الوطن العزيز .

الصحافة والفن :

ألقى الدكتور محمد صلاح الدين بك محاضرة موضوعها « الصحافة والفن » يوم السبت الماضى فى قاعة فاروق الأول بنادى نقابة الصحفيين ، فبين أهمية الفنون للمجتمع قائلا بأنها علاج روحى لأمراض الأمم النفسية ، ثم انتقل إلى موقف الصحافة من الفن ، فقال إن صحافتنا تقدمت تقدماً كبيراً فى النواحى المختلفة ، ولكنها مقصرة فى حق الفن ؛ حقاً إن أكثر الصحف يخصص كل منها صفحة أسبوعية للشئون الفنية وتصدر بعض المجلات خاصة بالفنون ، وحقاً أيضاً إن النقد فى هذه المجلات وفى تلك الصفحات قد تجرد مما كان يسوده قديماً من التأثر بالعلاقات الشخصية ، إلا أن

الصحافة على العموم تنظر إلى الفن على أنه شيء كمالى ، لا تهتم به كما تهتم بالشئون السياسية والاجتماعية ، ولا تضع لها فيه خطة تسير عليها كما تفعل فى تلك الشئون ، وهى لا تعنى بالبحوث الفنية من الناحية العملية التطبيقية ، فتنظر مثلا هل عناية الحكومة بالفنون كافية أولا ، وهنا ذكر المحاضر أنه تتبع خطب العرش من سنة ١٩٣٤ إلى الآن فلم يجد بإحداها كلمة واحدة عن الفن ، وقال إن الصحافة هى التى تستطيع أن تحمل الحكومة والشعب على النظر إلى الفنون باعتبارها ضرورة من ضرورات الحياة، تجب العناية بها كما يعنى بسائر الأمور .

وقد تحدث الدكتور صلاح الدين عن تقصير الصحافة والحكومة والشعب نحو الفنون ، وبين خاصة موقف الصحافة من حيث أنها لا تختط لها خطة فى خدمة الفن كما سبق ، ولكنه لم يحدثنا عن أهل الفن وهل هم يؤدون رسالتهم الفنية أوهم أيضاً مقصرون ، ولم يذكر لنا الخطة التى رسموها للغايات الفنية فى هذا البلد ، إن كانت لهم خطة .

ولست أدرى أظلم الصحافة أم حاباها حين أخذ عليها أنها لم تتخذ لها منهجاً فى خدمة الفن ... والذى أراه أن خطة صحفنا ومجلاتنا إزاء الفن وأهله واضحة كل الوضوح ، وهذه الخطة ترتبط بالإعلان عن الأفلام والروايات بها ... وتقوم خطة صحافتنا الفنية على استغلال الرشاقة والجمال والفتنة والإغراء لدى الممثلات والراقصات وعلى ما يسود البيئات الفنية من الحرية فى العلاقات وعدم التحرج من كثير مما يتحرج منه سائر الناس ، فمن أخبار شخصية ماجنة إلى صور مغرية فاتنة ، فهذه ممثلة تحافظ على رشاقتها بتمرين تنام فيها على قفاها وترفع رجليها إلى أعلى . وهذه راقصة تبادل ذاك الممثل قبلة عميقة يهتز لها كيان القارئ العزيز .

وأيسر ما تشتمل عليه هذه الصحف هو النقد ، وكثيراً ما يكون مرتبطاً بالاعتبارات التى قال المحاضر إنه تجرد منها .

ليلة الإسراء فى سفارة الباكستان

دعا سعادة سفير الباكستان إلى الاحتفال بليلة الإسراء فى دار قسم الصحافة والاستعلامات بالسفارة الباكستانية . وكانت ليلة تجلت فيها وحدة الشعور بهذه الذكرى الدينية المقدسة بين أمتين إسلاميتين ، مصر

كشكول الأسبوع

□ تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فأمر بإصدار مجموعة جديدة من المطبوعات على نفقته الخاصة تسمى « مطبوعات المكتبة الخاصة لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول » الغرض منها نشر الوثائق المجهولة المتعلقة بتاريخ مصر الحديث ، وفى مقدمتها الوثائق المودعة مكتبة جلالته الخاصة بقصر القبة العامر ومكتبة الديوان الملكى بقصر عابدين .

□ فى مساء الجمعة الماضى بدأ الدكتور طه حسين بك سلسلة أحاديث من الإذاعة المصرية موضوعها « الأدب المصرى المعاصر » وكان الحديث الأول مقدمة لموضوع السلسلة الذى يتناول فيه الأدباء المعاصرين من أول هذا الجيل . وقد سجلت الإذاعة الأحاديث التالية لإذاعتها فى غيبة الدكتور ، لأنه سافر إلى فرنسا يوم السبت الماضى .

□ رأت وزارة المعارف فى ضوء تجربة إحياء آثار المعرى ، أن تنشىء لجنة دائمة باسم « لجنة إحياء التراث القديم » وقد فوّع الدكتور طه حسين بك فى الإشراف على هذه اللجنة للانتفاع بتوجيهه والاستفادة من صلاته بالمكتبات الغربية الكبيرة ومعرفته ما تحويه من المخطوطات العربية .

□ فى سنة ١٩٤٣ أنشىء معهد مصرى فى لندن للتعاون العلمى وتوثيق الأواصر الثقافية بين البلدين . وأنشىء على غراره معهد ثقافى بواشنطن . وقد بدا لوزارة المعارف أن أولى البلاد الغربية بتحقيق هذه الفكرة فيها هى إسبانيا لما تحويه بلادها من الآثار العربية وللصلات الثقافية القديمة بينها وبين مصر ، ولهذا فهى تعمل الآن على إنشاء معهد هناك يسمى باسم « فاروق الأول » ويرجى أن ينفذ فى سبتمبر القادم .

□ انتهت الدورة الحالية لمجمع فؤاد الأول للغة العربية بجلسة يوم الاثنين الماضى وتستأنف الدورة القادمة فى أكتوبر المقبل .

□ صدر أخيراً كتاب « مختار » للأستاذ بدر الدين أبو غازى ، وهو دراسة وافية للمثال المصرى الخالد ، عرض فيه المؤلف حياة مختار عرضاً مستقصياً ، وكتب عن فنه كتابة عاش فيها مع المثال فى مصادر وحيه ، ودل على مواطن الجمال فى أعماله الفنية . وفى الكتاب ٤٤ صورة لأروع آثار مختار وصور أخرى .

□ اجتمعت اللجنة الاستشارية للفنون برياسة معالى وزير المعارف يوم الثلاثاء الماضى ، وافتتح معاليه الاجتماع بكلمة قال فيها : إن الفنون يجب أن يقصد بها إلى تطهير الشعوب من المادية الغليظة الخشنة ، وقال إننا نريد الوصل بين الفنون وبين الحياة المصرية الصميمة . ومما أثير فى هذا الاجتماع مشروع إنشاء مدينة للفنون الجميلة فى مصر .

□ عرفت إحدى المجلات الخطيب بأنه رجل يعمل على توزيع منتجات شركات (الاسبيرين) وعلى ذلك يمكن التنويه بما تؤديه رابطة الأدباء لهذه الشركات من خدمات لا يستهان بها .

□ اجتمعت لجنة إحياء ذكرى شوبان بوزارة الخارجية برياسة معالى محمد زكى باشا وزير الدولة ، وقررت إقامة مهرجان شوبان فى شهر نوفمبر المقبل ويشتمل المهرجان على عزف قطع موسيقية مصرية ثم عزف مقطوعات مختلفة من موسيقى شوبان . ويتولى أحد أعضاء اللجنة وضع مؤلف عن حياة شوبان باللغة العربية .

والباكستان ، وأثيرت فيهما آمال العروبة والإسلام فى حياة كريمة قوية تليق بسالف المجد وتبعثها عظمة الروح الكامنة فى خير تراث على الأرض .

ابتدأ الحفل مدير قسم الصحافة بالسفارة ، واختتمه سفير الباكستان ، فرحبا وشكرا ، وأشادا بجلال الذكرى ونوها بروح الإسلام وحاجة العالم إلى رسالته إزاء المادية التفتيشية . وألقى صاحب المعالى الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظه باشا كلمة قيمة قال فيها إن لهذا الاحتفال مظهراً اجتماعياً وأدبياً إلى مظهره الدينى ، لما يشتمل عليه من تبادل الشعور وجمال التعبير ، وأشار إلى الاتجاه القويم الذى تسير عليه دولة الباكستان من حيث ربط مصائرها بمصائر البلاد العربية الإسلامية .

وقال الأستاذ محمد مصطفى حمام فى كلمته الظريفة إننا فى هذه المناسبات : ليلة الإسراء ، والمولد النبوى ، والهجرة الشريفة ، وما إليها ، نحتاج إلى تجديد إيماننا بل إلى اعتناق الإسلام من جديد

وأنشد الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى قصيدة تحدث فيها عن قصة الإسراء والمعراج حديث الشاعر المفتن الممتع ، وقد ختمها بقوله :

إن من شاقه السمو لواد الـ ـغيب فليحى ليلة الإسراء
يذهب الدهر ليلة بعد أخرى وهى فيه حنينه للبقـاء

وقد أثار الدكتور منصور فهمى باشا مسألة فلسطين ، من حيث مناسبة المسجد الأقصى فى الإسراء ، فعبر عن الألم لما يحيط به من القلاقل والمخاوف ؛ وقد بدأ الدكتور كلامه بأنه لا يحسن الكلام على ليلة الإسراء لأنه ليس من رجال الدين ، واستند إلى ذلك عند ما أخطأ فى إيراد آية من القرآن الكريم . ولا أرى هذا العذر خيراً من الذنب ، فقد كان الدكتور عميداً لكلية الآداب وأستاذ الفلسفة الإسلامية بها وهو عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، ومن كان فى مكانه لا تبعد عنه مناهل العلم الإسلامى وأنا لا أحب هذه الكلمة التى جاءت إلينا من الخارج وهى « رجال الدين » فكل مسلم رجل دين .

وقد عقب الدكتور حسن إبراهيم حسن على أثر الدكتور منصور فهمى باشا فتواضع تواضعه ... وقال قولته تلك ، كما قال إنه إنما يعرض للأمر من ناحيته التاريخية البحتة . والدكتور حسن إبراهيم كان أيضاً عميداً لكلية الآداب ولا يزال أستاذاً للتاريخ الإسلامى بها . وقد سلك فى حديثه عن الإسراء مسلك الرواية ، أعنى أنه روى عن فلان ، كأنه كان يقرأ فى كتاب من كتب السيرة النبوية فلم يقص القصة متماسكة ولم يقل شيئاً من عنده ولا من أسلوبه .

وتطوعت السيدة ملك فى ختام الحفلة لغناء قصيدة « وحقك أنت المنى والطلب » فأبدعت فيما لم تخرج فيه عن التلحين المرسوم فى غناء أم كلثوم ... وقد بدت خفيفة مرحة ، تضحك وتبادل الدعابة ، مما حفز الدكتور زكى مبارك على إدناء مجلسه من المنصة وهو مبرنشق يبدى رغبته فى اختطافها لولا أنها فى حمى معالى الوزير ...

عباس خضر



حول مدفن الاسكندر :

أورد الأستاذ عزيز خانكى فى العدد (٨٢٤) من مجلة الرسالة الزهراء تعليقاً على مقالى (إيوان كسرى) فقال : إن الاسكندر توفى فى مدينة بابل وتابوته لا يعرف له مقر حتى الآن ، وأمه عند وفاته كانت تقيم فى بيللا مسقط رأس عائلة الاسكندر .

أما مدينة بابل فقد سبق خرابها قبل ظهور الاسكندر إلى عالم الوجود . وفى ذلك يقول البستانى فى دائرته بمادة بابل م ٥ ص ١٦ : « ولما استولى عليها الاسكندر كانت خربة بالنسبة إلى حالها الأولى فعزم على إعادة بنائها وجعلها عاصمة لمملكته فى آسيا غير أن المنية أدركته قبل إنفاذ مقصده » وليس فى هذا الخبر ما يدل على أن الاسكندر مات فى بابل كما أنها ليست فى ذلك الوقت بالمدينة العامرة الآهلة بالسكان .

والمسعودى لم يتحقق تماماً من المكان الذى مات فيه الاسكندر فذكر فى ذلك أقوالاً ثلاثة لم يرد فيها اسم بابل . قال فى ج ١ ص ١٨٠ : « وسار الاسكندر راجعاً من سفره يؤم المغرب . فلما سار إلى مدينة شهرزور اشتدت علته . وقيل ببلاد نصيبين من ديار ربيعة وقيل بالعراق فعهـــد إلى صاحب جيشه وخليفته على عسكره بطليموس . فلما مات طافت به الحكماء ... الخ »

وما ادعاه الأستاذ خانكى من أن (تابوته لم يعرف له مقر حتى الآن . وأمه عند وفاته كان تقيم فى بيللا مسقط رأس عائلة الاسكندر) لا ندرى من أين استقاه . والمسعودى يصرح فى ج ٢ ص ١٨٢ من المروج أن الاسكندر « عهد إلى ولى عهده بطليموس بن أذينة أن يحمل تابوته إلى والدته بالاسكندرية » . وقال بعد ذلك : « وأمرت به فجعل فى تابوت من الرمر وطلى بالأطلية الماسكة لأجزائه وأخرجته من الذهب لعلمها أن من يطرأ بعدها من الملوك والأمم لا يتركونه فى ذلك الذهب ، وجعل التابوت الرمر على أحجار نضدت وصخور نصبت من الرخام والرمر قد رصعت ، وهذا الموضع من الرخام والرمر باق ببلاد الإسكندرية من أرض مصر يعرف بقبر الاسكندر إلى هذا الوقت وهوسنة ٣٣٢ هـ » . هذا مانص عليه المسعودى وهو من المصادر المعتبرة التى يعتمد عليها فى مقام النقل .

وجاء فى تاريخ بغداد للخطيب ج ١ ص ١٢٨ مايلى : وذكر بعض أهل العلم : أنها — أى المدائن — لم تزل مستقره — أى الاسكندر — بعد أن دخلها حتى مات بهـا ، وحمل منها فدفن بالاسكندرية لمكان والدته فإنها كانت باقية هناك .

وأورد ابن خلكان هذا الخبر ونسبه إلى الخطيب فقال : وحكى الخطيب فى تاريخ بغداد أن الاسكندر جعل المدائن دار إقامته ولم يزل بها إلى أن توفى هناك ... إلى آخر ما وجدته فى كتاب الكنى والألقاب للقمى ج ٣ ص ١٣٢ إذ ذكر القمى هذا الخبر عن ابن خلكان .

ولا يخفى ما لابن خلكان والخطيب من شهرة واسعة فى عالم التاريخ وما لديهما من خبرة ودراية بشؤن الأمم القديمة وأحوال ملوكها وأيامها وغير ذلك .

كاظم المظفر

حول كتابى (خمر وجمر) :

سألنى سائل بالبريد : ما السبب الذى دعا الصفوة من الكتاب إلى الإحجام عن الكتابة والتعريف بكتابك (خمر وجمر) مع العلم بأن كتاباً مثل هذا الكتاب — الفريد فى الباب واللباب (كذا) — يجب أن يكتب فيه ويجب أن ينشر ويذاع فى الناس ؟ ومع العلم أيضاً بأن أضأل كتاب — بل أتفه كتاب ! — يصدر فتقرع من حوله الطبول ويحرق من أجله البخور ؟!.. الخ

وأنا بدورى أشكر للسائل الفاضل سؤاله ، وأرجو أن يتفضل فيعلم يقيناً بل ويعتقد — كما يعتقد بوحدانية الله — أن صاحب الكتاب فى أغنى الغنى عن الكتّاب والتعاريف ... ولو أراد أن يكتب فيه وله — وليس عليه — مائة من المأجورين لكان ما أراد ... وأنا حقيقة — وكما تقول — قد بعثت بعشرات النسخ إلى الأصدقاء من الأدباء والشعراء والكتاب ، ولكن ما كان ذلك إلا من باب رد الجميل بالجميل أو من باب الإهداء لا غير .

والكتاب الذى لا يأخذ القراء سبيلهم إليه ليقرؤوه — وليس يأخذ هو سبيله إلى القراء ليقرأ — يعد — عندى على الأقل — من فقع القاع أو من سقط المتاع .

ثم أعود لأعلن على صفحات الرسالة — منبر الحق — أن أية كلمة يكتبها الكاتب فى تقريظ كتابى سأعتبره وأستميح القراء كذلك أن يعتبروه مأجوراً من المأجورين ؛ ولو كان الكاتب ممن لا يرقى إليهم الشك فى قليل أو كثير .

على أنى أستثنى من هؤلاء الأديب الشاعر الأستاذ محمد الأسمر الذى تفضل — بادىء ذى بدء — فكتب فى الزمان المسائية — كلمتين مشكورتين حول الكتاب ، وقد كان فى نيته — كما يقول فى رسالة منه إلى — أن يكتب كلمة أخرى تعقبها كلمات ... الأمر الذى اضطرنى إلى أن أبعث إليه برسالة شاكرة فيها الرجاء الذى ألجم القلم ... وكان من المشكورين !

وبعد : فالشكر أزجيه بدياً للناقدين ثم للسائل الفاضل ، والسلام .

عمر نالد
(الزيتون)

انسجام :

خطأ أحد الباحثين استعمال الانسجام بمعنى الوفاق ؛ لأنه فى اللغة سيلان الماء وانصبابه وأقول : إن استعمال الانسجام بمعنى الوفاق والوئام والائتلاف والانتظام ، والتناسب والتجانس والامتزاج وما أشبه ذلك صحيح بل فصيح لأنه استعمل فى غير هذا المعنى على سبيل التجوز والتشبيه وإليك النصوص التى تؤيد هذا وتبين تطور الكلمة :

فقد جاء فى محيط المحيط للبستانى :

الانسجام : مصدر انسجم ، وعند البديعيين أن يكون الكلام لخلوه من التعقيد متحدراً كتحدر الماء المنسجم ولسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه وعدم تكلفه يكاد يسهل رقة ويكون له فى القلوب موقع وفى النفوس تأثير اهـ

وجاء فى نفحات الأزهار فى فن البديع ص ٢٩٥ :

الانسجام : هو أن يأتى الشاعر أو الناثر بالبيت أو الفقرة من النثر خالية من المقادة وتكلف السبك ، كانسجام الماء فى انحداره يكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة وعذوبة مع لطافة معناه ورشاقته وخلوه من الأنواع البديعية إلا أن يأتى ضمن السهولة من غير قصد وإن كان الانسجام فى النثر يكون غالب فقراته موزونة ومن غير قصد لقوة انسجامه الخ .

وجاء فى خزانة الأدب لابن حجة الحموى فى البديع ص ٢٣٦

المراد من الانسجام أن يأتى الكلام لخلوه من المقادة كانسجام الماء فى انحداره ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسهل رقة ... الخ وجاء فى زهر الربيع للحملاوى :

الانسجام ويقال له السهولة أيضاً هو أن يكون النثر أو النظم خالياً من التعقيد وتكلف السبك بحيث يكاد يكون كالماء فى انسجامه وسهولة انحداره عذب الألفاظ متين السياق مع لطافة المعنى ورشاقته وخلوه من أنواع البديع إلا أن أتت بغير قصد وبدون تكلف الخ .

على حسم هلالى
بالمجمع اللغوى

مدرج مصطفى عبد الرازق :

أرسل الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى خطاباً إلى عميد كلية الآداب جاء فيه بعد التحية : أذكر أن هيئة التدريس بقسم الفلسفة اجتمعت عقب وفاة المغفور له الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا واتخذت بعض قرارات لتخليد ذكراه .

منها أن يطلق اسم مصطفى عبد الرازق على أحد مدرجات الكلية إحياء لذكرى العاملين وتخليداً لفضل أستاذنا وقد كان من أعلام المفكرين .

وقد رأيت من واجبى نحو أستاذى الذى أخذت عنه وطلبت العلم عليه أن أتقدم بهذا الاقتراح إليكم راجياً عرضه على مجلس الكلية .

وأحسب أنه سوف يلقى من قلبكم الاستحسان والترحيب ومن ألسنتكم الموافقة والتقدير .

الضبع عند ابن جنى :

تعليقاً على مادار حول « الضبع » فى مجلة « الرسالة » أورد ماياتى : يقول العلامة الأمير شكيب أرسلان فى (المناظرة اللغوية الأدبية) المطبوعة بالقاهرة ص ٩٤ : هذه مسائل قيل فيها الشىء وعكسه كثيراً ، وما أوسع أبواب العربية لمن عرفها .

وقال الإمام ابن جنى فى (كتاب المذكر والمؤنث) : الضبع مؤنثة ...

عبد الله معروف



نظرات فى كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٣ —

١٦ — ص ٣١ يقول ابن قتيبة : « وقد فضح الله بالشراب أقواماً من الأشراف فحدوا ، ودونت فى الكتب أخبارهم ولحقت بتلك السبة أعقابهم ، منهم الوليد بن عقبة ، شهد عليه أهل الكوفة بشرب الخمر ، وأنه صلى بهم الغداة وهو سكران وقال : أزيدكم يشهد الله بذلك ، وبمنادمه أبى زبيد الشاعر — وكان نصرانياً — فحده هناك عمرو بن العاص سراً ، فلما قدم على عمر رضى الله عنه جلده حداً آخر » .

وهذا نص مضطرب أشد الاضطراب ؛ يشوه وجه الحق والتاريخ معاً . فإن الوليد بن عقبة لم يكن والياً للكوفة فى عهد عمر، وإنما وليها فى عهد عثمان بن عفان؛ ولم يذهب عمرو بن العاص إلى الكوفة ليحده هناك ، ولم يحد الوليد فى الكوفة وإنما حد فى المدينة ، ولم يشترك عمرو بن العاص فى حده بسبب من الأسباب . والذى حده عمرو فى مصر سراً وأعاد عليه عمر ابن الخطاب ، كما ذكر المؤرخون ، وكما ذكر ابن قتيبة نفسه فى هذا الموضع من كتاب الأشربة . وقد ضلت تلك الحقائق التاريخية عن ذهن كرد على . ولو وجد ريحها لأحس أن فى الكلام سقطاً لا يستقيم معناه إلا بذكره . وهو كما جاء فى العقد نقلا عن ابن قتيبة . « ... وأنه صلى بهم الغداة وهو سكران ثم التفت إليهم فقال : إن شئت زدتكم . فجلده علىّ بن أبى طالب بين يدى عثمان وكان نديمه أبو زبيد الطائى ، وفيه يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه   أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم   ليزيدهم خيراً ولا يدرى
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا   لجمعت بين الشفع والوتر
كبحوا عنانك إذ جريت ولو   تركوا عنانك لم تزل تجرى

ومنهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر فحده هناك عمر بن الخطاب سراً . فلما قدم على عمر رضى الله عنه جلده حداً آخر » .

١٧ — وفى صفحة ٣٢ ذكر ابن قتيبة أبيات الأخطل فى نديمه العباس بن عبد الله بن العباس التى أولها :

ولقد غدوت على التجار بمُسْمِيح   هرّت عواذله هرير الأكلب
فضل الكياس إذا تمشى لم يكن   عند الشراب بفاحش متقطب

مر الأستاذ على البيتين الأخيرين ولم يعقب ؛ لأنه لم يدرك معناهما ، ولو أدركه لأصلح ما فيهما من خطأ . وصواب البيت الأول منهما : « خُضُلُ الكِياس إذا تشتى » والخضل : الندى والكياس جمع كأس . وتشتى : أى دخل فى الشتاء .

وصواب البيت الثانى «وإذا تُعُوِّرت الزجاجة» من التعاور وهو التداول .

١٨ — ص ٣٢ ذكر ابن قتيبة أن من المفضوحين بشرب الخمر « عبد الرحمن بن عبد الله الثقفى القاضى بالكوفة ، فضح بمنادمة سعد بن هبار فقال حارثة بن بدر :

نهاره فى قضايا غير عادلة   وليله فى هوى سعد بن هبار
ما يسمع الناس أصواتاً لهم عرضت   إلا دويا دوىّ النحل فى النار
فأصبح القوم أطلاقاً أضر بهم   حث المطى وما كانوا بسفار
يدين أصحابه فيما يدينهم   كأساً بكأس وتكراراً بتكرار

ولست أدرى كيف فهم كرد على معنى أن القوم أصبحوا « أطلاقاً » وهى لامعنى لها لأنها محرفة وصوابها « فأصبح القوم أطلاحا » جاء فى لسان العرب : « الطلح والطلاحة : الأعياء ، وجمع طلح : أطلاح وطلاح » .

١٩ — ص ٣٤ يتابع ابن قتيبة حديثه عمن فضح بالشراب فيقول : « ومنهم خالد بن عمرو بن الزبير ، وفيه يقول القائل :

إذا أنت نادمت المتيروذا الندى   حبيراً وعاطيت الزجاجة خالدا
أمنت بإذن الله أن تقرع العصا   وأن يوقظوا من رقدة السكر راقدا

وصرت بحمد الله في خير فتية حسان الوجوه لا تخاف المرابدا

والعجب عندى من قوله : وأن يوقظوا من نومة السكر راقداً وأكثر ما يوقظ السكران للصلاة ، أفتراهم حدهم على تركه إيقاظه للصلاة إذا سكر » .

والصواب « وذا الندى جبيراً » والرواية الصحيحة التى رواها ابن قتيبة كما ذكرها فى الجملة السابقة هى : « وأن يوقظوا من نومة السكر راقدا » . ولكن الأستاذ لم يفطن لذلك التخالف البين بين رواية البيت والرواية التى يتحدث عنها ابن قتيبة . وصواب الجملة الأخيرة : « ... أفتراه حدهم ... » على أن فى هذا النص خطأ تاريخيا كبيراً لم يلحظه للأستاذ ، وهو من أوهام الناسخين الماسخين وليس من أوهام المؤلف ، فإن ابن قتيبة لم يقل « ومنهم خالد بن عمرو بن الزبير » وإنما قال : « ومنهم خالد ابن أيوب الأنصاوى » وقد أشار إلى ذلك فى كتاب المعارف ص ١٠٥ ، ١٠٦ فى تضاعيف حديثه عن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : « ولسهيل عقب بالمدينة . منهم عتير بن سهيل وكان صاحب شراب وفيه يقول الشاعر :

إذا أنت نادمت العتير وذا الندى جبيراً وعاطيت الزجاجة خالداً

وجبير هو ابن أيمن ابن أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخالد هو ابن أبى أيوب الأنصارى » .

ولم يسم ابن قتيبة قائل هذا الشعر لا فى كتاب المعارف ولا فى كتاب الأشربة ، وهو السرىّ بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم ابن ساعدة الأنصارى . قال أبو الفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى ٢٥/١٨ « والسرى شاعر من شعراء أهل المدينة ، وليس بمكثر ولا فحل ، إلا أنه كان أحد الغزلين ، والفتيان المتنادمين على الشراب ، كان هو وعتير بن سهيل ابن عبد الرحمن بن عوف ، وجبير بل ابن أيمن ، وخالد بن أبى أيوب الأنصارى يتنادمون ، وفيهم يقول :

إذا أنت نادمت العتير وذا الندى جبيراً وعاطيت الزجاجة خالدا

وذكر بقية الأبيات ثم أعاد روايتها مرتين فى ص ٦٧ ، ٦٦ وروى فى هذه الصفحة أنهم قالوا له : « قبحك الله ما ذا أردت إلى التنبيه علينا ، والإذاعة لسرنا ؟ إنك لحقيق أن لا نناد مك ، قال والله ما أردت بكم سوءاً ، ولكنه شعر طفح فقذفته عن صدرى ... »

٢٠ — ص ٣٤ يقول ابن قتيبة « وهذا أبو محجن الثقفى شهد يوم القادسية وأبلى بلاء حسناً ، شهر وكان فيمن شهد ذلك اليوم عمرو بن معدى كرب فقال عليه ، وهو القائل :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فإننى أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها »

وهذا نص مضطرب جداً لا معنى له وقد مر عليه الأستاذ مرور الكرام كما يقال وكأنه قد فهمه ، ما معنى « فقال عليه » وما معنى إقحام « عمرو بن معدى كرب » هنا ؟ لست أدرى ولعل الأستاذ يتفضل علينا وعلى القراء ببيان معناه .

٢١ — ص ٣٥ « قال العتبى شعراً ذكر فيه كثيراً من مقابح السكر :

دع النبيذ تكن عدلا وإن كثرت فيك العيوب وقل ما شئت يحتمل
هو المشيد بأسرار الرجال فما يخفى على الناس ما قالوا وما فعلوا
كم زلة من كريم ظل يسبرها من دونها سُتر الأبواب والكلل
أضحت كنار على علياء موقدة ما يستسر لها سهل ولا جبل

والصواب « ... ظل يسترها » ثم يقول العتبى :

والعقل علق مصون لو يباع لقد ألفيت يُبَّاعه ما سألوا

والصواب « يعطون ما سُئلوا »

فاعجب لقوم مناهم فى عقولهم أن يذهبوا بمل بعده نَهَل
قد عقدت لخار السكر ألسنهم عن الصواب ولم يصبح بها علل
وازورت بسنات النوم أعينهم كأن أحداقها حول وما حولوا

والصواب « قد عقدت بخار ... وازْوَرَّت بسنات النوم أعينهم » أى مالت .

٢٢ — ص ٢٦ ، ٢٧ « وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى ابن أرطاة حين تتابعت الأخبار عليه ، وتتابع الناس فى الأشربة المسكرة على التأويل : أما بعد فإنه قد كان من أمر هذا الشراب أمر سامت فيه رغبة الناس حتى بلغت بهم الدم الحرام ، والمال

الحرام والفرج الحرام ، وهو يقول : شربنا شراباً لا بأس به . وإن شراباً حمل الناس على هذا البأس شديد وإثم عظيم ، وقد جعل الله عنه مندوحة وسعة من أشربة كثيرة ، ليس في الأنفس منها حاجة : الماء العذب ، واللبن والعسل والسويق ، وأشربة كثيرة من نبيذ التمر والزبيب في أسقية الأدم التي لا زفت فيها ، فإنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نبيذ الضروف المزفتة وعن الدنان والجرار » .

والصواب « أمر ساءت فيه رِعْيَتُهم ... »

جاء في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٠١ « كان في الناس من هذا الشراب أمر ساءت فيه رِعْيَتُهم ، وغشوا فيه أموراً انتهكوها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحلامهم ، بلغت بهم الدم الحرام ... » وهذه الجملة أدق من الجملة التي نقلها ابن قتيبة .

والصواب أيضاً « ... من أشربة كثيرة ليس في الأنفس منها جانحة » .

والصواب أيضاً « .. فإنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نبيذ الجرّ والدُّبَّاء والظروف المزفتة » وليس لكلمة « الضروف » أى معنى في لغة العرب .

٢٣ ... ٣٧ ، ٣٨ « وقد شهر المتعاشرون على الشراب بسوء العهد ، وقلة الحفاظ وأنهم صديقك ما استغنيت حتى تفتقر ، وما عوفيت حتى تنكب ، وما غلت دنانك حتى تنزف ، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك ، قال الشاعر :

أرى كل قوم يحفظون حريمهم وليس لأصحاب النبيذ حريم
إذا جئتهم حيوك ألفاً ورحبوا وإن غبت عنهم ساعة فذميم
إخاؤهم مادارت الكأس بينهم وكلهم رث الوصال سؤوم
فهذا ثباتي لم أقل بجهالة ولكنني بالفاسقين عليم

والصواب « فهذا ثنائي » كما في العقد الفريد ٤ / ٣٢١ وليس للثبات هنا أى معنى يستقيم به نظم الكلام ، ويقوم عليه بناء معناه .

(يتبع) السيد أحمد صقر

المدرس بالليسيه فرنسية بمصر الجديدة

العدد ٨٣٢ — الاثنين ١٣ يونيو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

17 ème Année No. 832

Lundi — 13 — 6 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٦٨ — ١٣ يونيو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٧ ـ أمم حـــائرة

المرأة فى هذا العصر

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

قلت فى خاتمة مقالى عن الأسرة وما أخشاه عليها : « والمرأة وقاية من هذا الشر ، وطب لهذا الداء ، وشفاء لهذه العلة » .

وفى هذا المقال نظرات إلى المرأة فى هذا العصر . وأقدم قبل حديث المرأة فى عصرنا هذا ثلاث مقدمات :

الأولى أنه لا يمكن أن تقع خصومة بين الرجال والنساء ، فيكون الرجال فريقاً والنساء فريقاً ، ويتحزب هؤلاء بعضهم لبعض ، ويتحزب أولئك بعضهن لبعض ، وينحاز الذُّكران كلهم إلى جانب ، والأناث كلهن إلى جانب؛ إلا أن تكون الخصومة ضرباً من المزاح وأسلوباً من الفكاهة .

ذلك بأن الرجل أبو المرأة وابنها وأخوها ، وأن المرأة أم الرجل وبنته وأخته . وهيهات أن تثور عصبية بين هذه الأواصر ، أو يقطع تحزبٌ هذه الوشائج ، أو يفرّق خلاف ما جمعه الله ، أو يفصل نزاع ما وصله الخالق .

فالخصومة فى كل أمور المرأة واقعة بين رجال ورجال ، ونساء ونساء ، يقال الرأى فينصره نساء ورجال ، ويخذله نساء ورجال ، وتُدعى الدعوة فيستجيب لها رجال ونساء ، ويردّها كذلك رجال ونساء .

فالرجال قبل النســاء طلبوا بعض ما يُطالب للمرأة فى هذا الزمان ، والنســاء قبل الرجال عارضوا بعض ما يُطلب للمرأة فى هذا العصر .

وأحسب الرجال المنتصرين لمطالب المرأة أكثر من النساء المنتصرات لها ، كما أحسب النساء النافرات من مطالب المرأة أكثر من الرجال النافرين منها .

ولو تعرفنا آراء النساء وحدهن فى كل ما يختلف فيه الرأى من شئون المرأة فى عصرنا هــذا لكانت الكثرة الكاثرة ، والغلَبة الغالبة ، مخالفة لما ينادَى به من حقوق المرأة أو مطالبها ودعاويها .

ومن كان فى ريبة من هــذا فليجرّبه ، ومَن أكبرَ هذه الدعوى فليستَفتِ النساء فيها ... هذه المقدمة الأولى .

والمقدمة الثانية ، وهى لا جرم ، متصلة بالأولى :

إن المخالفين فيما يُدّعى للمرأة فى زماننا ، ويُطلب باسمها فى أيامنا ، لا يخالفون استخفافاً بشأن المرأة ، وازدراء لها ، واحتقاراً لمكانتها ، وإنكاراً لفضلها ، وغفلة عن أياديها . بل المخالفون من أولى العلم والفكر والرأى يخالفون فى بعض هذه المطالب إعظاماً لشأن المرأة ، وإجلالا لها ، وإكباراً لمكانتها ، واعترافاً بفضلها ، ومعرفة بأياديها . يرون فى هذه الدعاوى تعظيماً ظاهراً ، وتحقيراً باطناً ، ورحمة فى القول ، وقسوة فى الفعل ، وتحريراً فى الوهم ،

وتسخيراً فى الحقيقة ، ونعمة على المرأة بادى الرأى ، ونقمة عليها حين التأمل . ويخافون أن تُمتَهن كرامتها ، وأن تُبتذل صيانتها ، ويشفقون أن تذِل عزتها ، وتذال سيادتها ، ويحذرون أن تنتهك حرمتها ، وتستباح قداستها . ويخافون أن تستبدل بكرامة الأمومة ، وعزة الزوجية ، ذلَّ الخدمة ، وأن تُعطَى بحرمة البيت ابتذال السوق ، وأن تترك سيادة الأسرة إلى عبودية المصنع وأن تُهمل جمال الخلقة ونضرة الطبيعة إلى زيف الأصباغ والألوان ، وتدع زينة الثياب إلى سخرية الأشكال التى نراها .

والمقدمة الثالثة : أن للمرأة حقوقاً لا تنكر ، وعلى الجماعة للمرأة واجبات لا يرقى إليها خلاف . ونحن — المسلمين — سبقنا إلى تكريم المرأة ، والإشادة بحقها وفضلها ، وحسبنا من آيات كثيرة هذه الآية الجامعة « ولهنَّ مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » . وحسبنا من أحاديث كثيرة هذا الحديث « سووا بين أولادكم فى العطية ، ولو كنت مؤثراً أحداً لآثرت النساء » .

وقد اعترفنا — قبل غيرنا — بحق المرأة فى الميراث والملك ، والتصرف فيما تملك بكل الوجوه ، وتوليها كل أنواع العقود — أمور لم تنلها المرأة الأوربية فى بعض الدول حتى يومنا هذا — ودعونا المرأة إلى التعلم وفرضناه على النساء والرجال سواء ، وزخر تاريخنا بالمحدّثات والفقيهات والأديبات والشاعرات .

بل بلغنا فى تدليل المرأة أن قال فقهاؤنا : إن المرأة لا تُلزم بخدمة دارها إن كان الرجل قادراً على أجرة خادم ، بل لا يجب عليها إرضاع ولدها إن كان فى مكنة الزوج أن يأتى لولده بمرضع . هذا موضوع يتسع فيه مجال القول ، ولكنه ليس من قصدنا فى هذا المقال .

ولا ننكر أن هذه الشريعة العادلة ، وهذه السنة الكريمة ، غطى عليها الجهل فى أوطان وأزمان ، كما غطى على حقوق كثيرة للجماعات ، وأن المرأة ظُلمت وما تزال مظلومة فى بعض البلدان أو بعض الطوائف ، وأن علينا أن نأخذ بيدها وندفع عنها ونرد إليها كرامتها ومكانتها ، ونعترف بسلطانها فى الأسرة ، ويدها على الأمة .

***

خلصنا من هـذه المقدمات إلى أن الخصومة فى قضايا المرأة ليست خصومة بين الرجال والنساء ، وأن المخالفين فى هذه القضايا لا يغضون من قدر المرأة ، بل يعظمونها ويحرصون على كرامتها وسعادتها ، وإن أحداً لا ينكر أن للمرأة حقوقاً على الجماعة يجب أن تؤدّى إليها ، وفضلا على الأمة يجب أن يُعترف به .

بعد هذه المقدمات يضيق مجال الخلاف ، ويُحد موضع النزاع ، ويستبين الطريق . علام الخلاف إذاً بين المختلفين ؟ وفيم الخصومة بين المختصمين ؟ الخلاف كله أو جله فى هذه القضية :

يقول قائلون وقائلات : « إن مكان المرأة دارها ، ومملكتها أسرتها ، ومعقلها بيتها ، وعملها القيام على العش وإسعاد نفسها وزوجها وأولادها فيه ، لا تتجاوز هذه المملكة أو تهملها إلا معتدية ظالمةً ، ولا تُخرج منها أو تُقهر فيها إلا معتدًى عليها مظلومة » .

وتقول جماعة أخرى : « بل للمرأة السوق ، والمصنع ، والمنصِب ، ومُعترك السياسة ، والمقهى والملهى والمرقص وما وراء هذه ... ولها أن تزاحم الرجل بالمَنكِب فى كل مُزدحم ، وأن تغالبه فى كل معترك » .

فتقول الجماعة الأولى : مَن للبيت إذاً ؟ من للأسرة ؟ من يربى الأولاد وينشّئ النشء ، ويقوم على هذه المدرسة أو المعبد أو الجنة التى ذكرنا آنفاً ؟ إلى من يسكن الزوج المرهق حين يفر إلى داره من ضوضاء الأسواق ومعترك العيش ؟ وبمن يعتصم الناشئ حين يأوى إلى بيته ؟ وأية يد رحيمة — غيرَ يد المرأة — تُطعم وتُسقى ، وتُفرش وتُنيم ؟ وأى قلب غير قلبها يسع الرأفة والرحمة والحب والود ، ويُشيع النظام والجمال فى الدار؟ من غيرها يَطب للأدواء ، ويضع فى مواضعه الدواء ؟ !

إنما أخرج المرأة الأوربية من معقلها ، وأنزلها عن عرشها هذه الوحشية المدمرة التى قتّلت الرجال فحرمت المرأة عائلها ، فخرجت تسعى لنفسها ، وتكدح لقوتها ... ولو خيّرت ما اختارت هذا الشقاء ! وما على وجه الأرض امرأة تؤثر السوق والمصنع على سكينة البيت ونعيم الأسرة ! إن هذه ضرورات أدّى إليها تعاسة الإنسان وشقاوته ، والضرورة تُقدّر بقدرها ، وينبغى السعى لدفعها ، وألاّ نقر لها ونخضع لسلطانها ، ونجعلها قانوناً تسير عليه

المعيشة ، فإنما هي شذوذ عارض ، وخلل طارئ في نظام الأسرة وقانون الأمة .

ويقول فريق : حررنا المرأة من أغلال العصور الأولى ، وفككناها من إسار العادات القديمة ، وأخرجناها من الظلمات إلى النور ، وأطلقناها تمرح كما تشاء ، وتخالط الرجال في كل مجتمع ، وتنافسهم في كل عمل .

فيقول فريق آخر : نحن ننصركم في التحرير وفك الإسار ، والإخراج من الظلمات ، ولكنا نرى في كثير مما تفخرون به تسخيراً لا تحريراً ، وأسراً لا فكاكاً ، ومهانة لا كرامة ، وشقاء لا سعادة !

إنا ننظر إلى مدنيتكم هذه فنرى فيها مُتعاً وفِتناً ، وملاعب وملاهي ، وأسواقاً للذات رائجة ، ومجامع للهو صاخبة ، وفنادق للترف آهلة ، ونرى تجاراً وسماسرة ، وشياطين وسحرة . ثم لا نجد في متعكم وفتنكم وملاهيكم وملاعبكم وأسواقكم ومجامعكم وفنادقكم إلا سلعة واحدة تتداولونها ، وبضاعة مفردة تديرونها ، ومخلوقاً تعبثون به وتلهون ، وتجمعون به المال في أساليب شتى وتتجرون ، هو المرأة البائسة الشقية ! لقد أدرتم عليها المسارح والمراقص والحانات ، وكل دار للهو ، وكل مباءة للإثم ، وعرضتموها على النظارة رقيقة في صورة حرة ، ومُكرهة كأنها مختارة ، وباكية بوجه ضاحكة ، وشقية في ثياب سعيدة ، ومبتذلة بدعوى التكريم ، ومسخرة باسم التحرير ... جعلتموها وسيلة إلى كل كسب ، وشركاً لكل صيد ، وجلبتم بها المشترين إلى متاجركم ، ونشرتم صورها في آلاف الأشكال للترويج لبضائعكم ، وجذب القراء إلى صحفكم ... وأخذتموها إلى سواحل البحار ، وإلى مسابح الملاهي ، فعريتموها ولهوتم بها ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ، وكذبتم على أنفسكم وعلى الحقائق ، فقلتم : حررناها وأسعدناها ، وليس للمرأة في هذا كله تحرير ، ولا لها من السعادة نصيب . إنها مسخرة مسيرة بأهواء الرجال ، وأشراك عباد المال . وليس لها في الحق نصيب من هذه المتع ، ولا اختيار في هذه الأسواق . وهان على العابثين كرامة المرأة ، وخفت على اللاهين كرامة الأمة ، واستوى عندهم صلاحها وفسادها ، وصحتها ومرضها ، وعزها وهونها .

ثم استدرجتم المرأة إلى الطرق والأسواق كاسية كعارية ، وجعلتموها ألهيّة لكل سائر ، ومتعة لكل ناظر ، وحديثاً لكل عابث ، وهونتم أمرها على الدهماء ، فلقيها الأوباش بالأقوال والإشارات ، حتى لم تبق للسيدة في الطريق حرمة ، ولا لربة البيت في السوق من الأشرار عاصم !

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

قطرات ندى..

للأستاذ راجي الراعي

* الكفر ماء الروح إذا جمد .
* سخرية الموت أشد بروزاً فيه من جشمه .
* المنطق الذي لا هم له إلا أن يوثق النتائج بالأسباب حبل قديم ثخين — ينظر إليه الخيال مذعوراً إذ يحسبه حبلاً في عنقه .
* كلما تمثلت المد والجزر تمثلت الطي والنشر والوصال والهجر
* المنتحر رجل يستبطئ الموت فيحشو فمه تراباً !
* كأني بالعبارة وهي تذهب في الطول عبارة تائهة تفتش عن محورها أو هدفها الذي انحرفت عنه .
* أترانا نميل إلى تجسيد ما نتخيل ؛ لأن لنا أجساداً .. أفي هذا اليد التي تشير إلى الميثولوجيا والأساطير والتهاويل والهالات والتماثيل ؟
* كل صخرة من صخور الجبل فلذة من كبده ، وكل كثيب من كثبان الرمال منبر من منابر الصحراء .
* يطلبون العناق والإخاء ، وهذه النجوم المتفرقة لا تعرف غير الجفاء والعداء ، ويقولون إن الطبيعة هي الألف والياء في أبجدية الأحياء .
* الدعوات التي تتلقاها العبقريات هي بطاقات الآلهة لحضور الوليمة الخالدة .
* القاعة التي تقام فيها وليمة العباقرة ما تزال مفتوحة الأبواب منذ العبقرية الأولى .
* الوهم ضباب الرأس .

* أتكون الأجيال فصول رواية بدأها الزمان ولم يهتد بعد إلى الخاتمة ؟

* أتكون الحقيقة إطار هذا الرسم الذى ندعوه خيالا ؟

* إن المجهول يستهويكم حتى يصبح معلوماً ، ذلك أنكم لا تحبون أن تمشوا وراء راع ترون عصاه وتتشددون فى نقصكم وضعفكم الكمال فكلما ظهر لكم وجه قائد تحولتم عنه وقد عرفتموه إلى غيره ، ولعل فى هذا السير المستديم وراء القوى الخفية المتعاقبة سر بقائكم .

* الزلزلة أرض انتفض ضميرها وارتمش وجدانها .

* لا يستطيع العظيم أن يتبوأ مقعده فى العلاء إذا لم يرفعه إليه جناح فنان .

* إن الفنانين الخالدين المخلدين هم الذين تقام على قواعدهم تماثيل التاريخ .

* الحياء والكبرياء يلتقيان فى العزلة ، ويفترقان فى الثقة بالنفس .

* هذا الوادى يذهب فى الأعماق كأنه حامل جواهر يريد أن يودعها قلب الأرض أو رجل يرى غير رأى الجبل فيقول له : أنت تحسب العظمة فى الشموخ والقسوة والطموح وأنا أراها فى الوداعة والتواضع واللين ، أو يرى رأيه ويخالفه فى الكبر فيقول له : كلانا طالب عظمة : أنت تطلبها فى آفاقك وأنا أطلبها فى أعماق .

* إذا استطعت أن تجمع بين القوة واللين كان لك جناح العقاب وبيتك فى القمة .

* إذا كان الذكاء لساناً من نار فالماء بلادة .

* للعبقرى موجاته الأربع : موجة الهيب ، وموجة البحر وموجة الأثير ، وموجة الصحراء .

* أنت أول الخونة إذا رضيت أن تتخلى عن قيراط واحد من جنونك الفنى الأدبى السامى إرضاء للجماهير .

* النجوم شظايا ما انفجر فى جوانب القبة الزرقاء يوم غضب الله غضبته فطرد آدم من الجنة .

* العبقرى غنى بنفسه تأتيه عبقريته المستقلة بكل ما يطلب فلا يمد يده إلى العواطف والأحداث والأهواء مستجدياً .

* الطعنة الطعنة طعنة العدالة إذا طعنت بمدية غلافها القانون ودمها مداد النص وبريقها بريق الحق والوجدان .

* سألت عن السياسة الحكيمة المتئدة التى لا تُجزى الأمر على إطلاقه فقيل لى . هى فى البحر ، فى المد والجزر .

* كلما أطبقت الجفنين والشفتين اشتممت رائحة التراب ، وسمعت فىّ شيئاً كأنه قرقعة المعول فى يد الحفار .

* من أتعس الناس رجل ذو ذاكرة قوية يصرف الساعات الطوال من نهاره وليله فى المطالعة ولا يرى فيه قوة للتعبير عما يشعر به فتظل تلك الخلائق فى أرحامه لا تقوى على الخروج وتتراكم مع الزمن حتى يصاب بالاستسقاء الروحى الذهنى . وفى مساء يوم من أيامه السود ينفجر رازحاً تحت أثقاله ويسلم الروح منتحراً أو مجنوناً ... إن النفس إذا غصت ساحتها بما فيها ولم تجد لها منفذاً أصيبت بالاختناق فلا تصرفوا أوقاتكم فى القراءة إذا كنتم لا تستطيعون أن تكتبوا ... القلم فرجة الروح فاكتبوا كلما قرأتم لترتفع أشجاركم بدورها بين تلك الأشجار التى تتفيأونها فى غابات الفكر والإحساس ... افتحوا كوى أرواحكم بين الحين والحين لئلا يفسد هواؤها .

* كلما تمثلت نفسى محشوراً فى ذلك الوادى الرهيب ، وادى يوشافاط تبسطت ما استطعت فى دنياى وأحلامى مغتنما فرصة البقاء قبل الجلاء إلى ذلك الموقف المخيف بين الملايين التى لا تعد من الموتى الأحياء ، يتلى عليهم الماضى ويحاكمون ..

* البحار ابن البحر رجل كئيب فمن أين أتاه البحر الفسيح الرحاب بالكآبة . ونحن نعرف الرحب الصدر صابراً متفائلا غير كئيب ؟

* أنا أومن بالوراثة ولكن أين خليفة المتنبى فى صحراء العرب .. وأين نظرات الفراعنة فى عيون المصريين اليوم . وأين أثينا القرن العشرين من أثينا أفلاطون وسقراط إلى آخر تلك القافلة العلوية التى جاوزت الأولمب وسيطرت بفلسفتها وخيالها على الدنيا .. وأين هذا الإيطالى الناعم الفنان ، صاحب الأوتار والألحان ، فى البندقية وميلان ، من أولئك الجبابرة الرومان الذين ملكوا بشجاعتهم الأرض وخضع لهم الزمان ؟ ألا ترى معى أن هناك سلاسل تقطعت ودماً تحول عن مجراه ؟

* القلم الذى يأتيك بالموجة الطويلة ليس قلماً عربياً .. إن مذياع لغة العرب لا يعرف غير الموجة القصيرة .

راجى الراعى

سفينة المعارف

في يد «الربان على أيوب»

للأستاذ عبد الله حبيب

كيف قاد الربان سفينة المعارف؟ وكيف اجتاز بها مصاخب الأمواج الهوج، في مصادم البحر، بين الرياح الرعن، والمهاوى السحيقة؟؟

الربان مقضى عليه أن يجهد جهده، فيحسب حساب المد والهواء، بين أفاعيل الماء والسماء، ليهتدى فى تماريج تلك المهاوى بين الضباب والأمواج، إلى ما يبنى من سبيل مأمون العواقب، محقق الثمرات.

وقد جهد وزير المعارف جهده، فحسب حساب المد والهواء، ففكر، ودبر، وأنعم النظر فيما كان، وما يجب أن يكون. واستطاع — فى فترة وجيزة — أن يقود سفينة العلم والأدب بيد ربان حكيم حصيف. وهو الوزير الذى لم يتدرج — قبل أن يلى الوزارة — فى مراحل الوظائف الحكومية، ولم يعرف من «صناعة الحكم» أو أساليب الحكام، ما عرف غيره من الوزراء الذين لابسوا شئون الوظائف فى مراحلها المديدة ... وأثبت أن الحكم ليس «صناعة» تستوجب المران والتمرس، ولكنها تستوجب العقل الراجح والوعى الشامل والأفق الفكرى المترامى الأنحاء.

وقد أقبل على وزارة المعارف مفترضاً أن شئون التعليم وشئون رجال العلم والأدب «قضايا» يجب أن تدرس بعقل المدره المستنير، لجعل لكل قضية من تلك القضايا واجباً فى عنقه. وراح يقرأ ويقرأ مئات من الأضابير فى مئات المسائل، وما زال حتى وضحت أمامه المعالم، واستوى الطريق، فأخذ يقضى فى تلك القضايا — واحدة إثر أخرى — بأحكام قاض عادل متزن. وحالف التوفيق تلك الأحكام، فجاءت موضع الإعجاب والتقدير.

وكانت «قضية الأدباء» أول قضية استهل بها عهد أحكامه العادلة، يوم نظر إليها نظرة وطنية شاملة فرد إلى طائفة منهم حقوقاً كانت ضائعة، وجعل يبحث ويبحث عن حقوق بقية الأدباء ليردها إليهم، ويدفع الظلم عنهم، بقلب وطنى شجاع، لا يخشى فيما يراه حقاً لوم اللائمين وتعنت المتزمتين، ويقول فى ذلك: إن العلم والأدب لا وطن لهما، ولا حزبية فيهما، وإنه أراد بما فعل أن يوحد الجهود فى سبيل العلم والأدب؛ راجياً أن يكون عمله هذا فاتحة خير لتوحيد الجهود فى سبيل قضية الوطن.

وقد أعلى بذلك شأن الأدب — فى عهد الفاروق — أعلى الله شأنه، وأكرم الأدباء أكرم الله صنيعه، ولقى فى سبيل إنصافهم ما لقى من عنت ولوم واحتجاج، فكان عزاؤه ما لهجت به الألسنة من الثناء عليه، والدعاء له، ورضاء الأمة عن عمله، وعرفانها لجميله.

ونفى عن الأدباء — بما فعل — تهمة التعطل والتبطل والميل إلى الكسل وتلمس الرزق من أيسر طريق. فأظهر الناس على أن الأدباء «كفايات» مذخورة للوطن، يجب أن يعلو بها الوطن، وأن الأمة التى تطمس حق أدبائها، وتأخذهم بجريرة الحزبية البغيضة، لا خير فيها ولا أمل يرجى فى صلاحها.

أما بقية القضايا فهى فى طريقها إلى النور، وسوف تظهر أحكامها السديدة الرشيدة لكل ذى عين وبصيرة، ناطقة بما وهب الله قاضيها من سداد ورشاد وبصر وإيمان.

وأما السفينة بما فيها ومن فيها، فهى فى طريقها إلى شاطىء السلام وبر الاطمئنان، يقودها ذلكم «الربان» الذى عرف من أفاعيل الماء والهواء، والرياح الرعناء، ما لم يعرفه ربان قديم.

ولم يبق أمام هذا الربان القدير سوى بعض صخور وبعض أعشاب تنساب فيها الأفاعى والحيات. ومن يدرى!! فلعله «رفاعى» يرود الأفاعى والحيات، ويعرف كيف يخدرها بتماويذه وأدعيته، ثم يستلها من بين تلك الأعشاب، فيكسر أنيابها ويقى الناس من سمومها، ويصل بالسفينة إلى شاطىء السلام، بعد القضاء على الصخور والأعشاب.

وسيعرف الناس — بعد ذلك — أى جهد بذل هذا الوزير العادل، وأى مجد بنى لأمته فى محيط العلم والأدب.

أما أدباء مصر، فقد أصبح فى أعناقهم لهذا الوزير المنصف العادل دين أى دين، وكذلك علقت بنفوسهم أكبر الآمال فى عدله وبره ورعايته وتعميم فضله وتقديره لأهل العلم والأدب.

عبد الله حبيب

صور من الحياة :

على هامش القبعة

للأستاذ كامل محمود حبيب

لقد صادفت مقالات « القبعة » هوى فى نفوس قراء « الرسالة » القراء ممن يحسون فى أنفسهم غيرة وحماسة ، فأهدى إلىّ الأستاذ عدنان أسعد كتابه « خمر وجمر » وقدم هديته الأنيقة المشكورة بقوله « أهدى إليك كتابي المتواضع لقاء مقالك الماتع القبعة » ولمست فى تضاعيف كتابه ثورة على هذه الفئة من الناس الذين لبسوا القبعة حيناً من الزمان لينبذوا المعانى السامية للوطن والدين واللغة ، حيث يقول : « ... وهكذا تفرنج الشرقى إذ انسلخ من شرقيته وصبأ من تقاليده ، فلبس القبعة وتبرنط ووضع البيبة وتهبّسط ، ولوى لسانه اليعربى برطانة الغرب ولغة الهمج ثم تبجح فقال : هى المدنية يا قوم فقلدون ! »

***

وكتب إلى الأستاذ عبد الحميد يونس المدرس بكلية الآداب يقول « ... لم يكن المنظر الذى أثار اهتمامى هو منظر النيل الساحر تقف على ضفتيه عمد النخيل الباسقات والأشجار الخضر المتشابكة وهو يتلألأ صافياً رقراقاً يصافح أشعة الشمس الذهبية عند الأصيل كأنه يودعها وداع الحبيب الوامق إن حم الفراق . ولاهو للصحراء الساجية بالليل المتشابتة بالنهار كأنها أمواج البحر المتلاطمة مسحت عليها يد ساحر رهيب فجمدت فى مكانها لا تريم . ولاهو لعاشقين تأجج الهوى فى قلبيهما ضراماً من شباب وشواظاً من عاطفة فذابت أنفاسهما مع لظى النجوى وزفرات الغرام . ولا هو للزهر النضير المتألق وهو يزهو فى رونق ويختال فى بهاء وينفح أريجه فى خيلاء وقد تعهدته يد صناع فبدا على نسق يخطف البصر ويأسر اللب . ولكنه منظر يشغل أذهان العامة وتطرب له أفئدة الأطفال ... هو منظر سيارة عطلت فى عرض الطريق فتقدم لها حمار يجرها . والسيارة رمز الجديد وشارته والحمار صورة القديم ورسمه .

تحاربا وتخاصما وتدابرا ، وسخر الأول من الثانى فى عزة وكبرياء ، وأغضى الثانى عن الأول فصمت وطأطأ رأسه فى استسلام ، ثم اندفع على سننه لا يعبأ به ولا يلقى السمع إلى حديثه وحاول كل منهما أن يقتل صاحبه ويمحوه ويبيده ، حتى إذا حزب الأمر بأحدهما ونزلت به النازلة وضاقت به سبل الأرض أسرع الثانى إليه يمسح عنه ما أضناه ويهوّن عليه ما آده ويعينه على ما أعضل عليه ... ما أشدهما خصمين وما أكرمهما عدوين !

هذه — يا صاحبى — هى الحرب الصحيحة بين الجديد والقديم ، ولكنها فى مصر — وطننا العزيز — معركة عنيفة فى ضعف ، شديدة فى فتور ، لا تسمو عن المهاترات الوضيعة والألفاظ النابية والمفارقات العجيبة ، يريد الواحد أن يحط من قدر أخيه على جهل منه وصلف .

وأنت هنا لا تكاد تفرّق بين المجدد والمحافظ إلا من أسماء خاوية تسمى بها البعض دون البعض الآخر ، فليت شعرى هل آن الأوان لأن تفقه السيارة المجددة أنها ستصاب — فى وقت ما — بالعطب فيتقدم إليها الحمار فى رزانة وهدوء ليقيلها من عثرتها وليكون لها عوناً وساعداً . أو أن يفهم حمارنا المحافظ أن من سماحة الطبع وسمو الخلق أن يهفو نحو غريمه — فى ساعة الخطر — ليكون صاحب الشدة ورفيق المسرة ؟

والمجدد هنا رجل لبس القبعة حيناً أو بعض حين وقرأ الكتب الغربية سنة أو بعض سنة وانكب على الثقافة الأفرنجية ردحاً من الزمان ، ثم جاء يلوى لسانه برطانة بربرية ويملأ شدقيه بكلمات أعجمية على جهل منه بالغرب ، لا ريب فهو قد عاش زماناً فى بلاد الغرب ولكنه لم ينغمر فى البيئة ولم يتغلغل إلى عاداتهم ولم يكشف من أخلاقهم ، فبدا فج العقل والعقيدة والفكر . وما به إلا أن يهدم تراث الشرق وهو تراث أقامته الأجيال المديدة على دعامات قوية ثابتة .

وداء هذه الأمة أنها تبذر — دائماً — فى القبعة روح الغرور والكبر حين تفسح لها المكان المرموق ، وحين تضعها فى صدر الجماعة ، وحين تهيىء لها مجلساً عالياً بين القادة والزعماء . والقبعة — لهذا — تتكلم وتخطب وتملّ فتملأ قلوب الشباب من أبنائنا خلطاً وخرفاً ، وتزين لهم — فى أسلوب سياسى رقيق —

أن يمقوا الدين والوطن واللغة ، وتدفعهم — في مكر ولين — إلى الهاوية .

وأكبر همّ صاحب القبعة أن يعبث بصورة الوطن الحبيبة لتبدو شوهاء مبتورة تعافها النفس ويزدريها العقل ، وأن ينقب عن النقائص يلصقها بأهله ثم يتحدث بها في طلاقة وإسهاب ، وأن يأخذ نفسه بالبحث عن نواحي الضعف في بني وطنه فيذيعها في غير اكتراث ولا مبالاة . ثم ينكر علينا النبوغ والعبقرية والسمو ، ويسمنا بالتقصير والخمول والتخاذل ، وينسى أنه واحد من هذه الأمة لا يستطيع أن يهرب من عاداتها ولا أن يتفلت من خصالها .

ولشد ما يحلو لصاحب القبعة أن يتمادى في الغي وأن يسترسل في المكابرة ، فيتصنع احتقار المصري ويحاول جهده أن يحط من قدره ، وأن ينال من كرامته ، فهو لا يؤمن به عالماً ولا أديباً ولا صانعاً ولا … ثم يتبجح فيجهر برأيه السقيم في غير تحرج ولا حياء .

وأنا أعرف رجلاً من ذوي القبعات رأى أثراً من آثار الصناعة ، ظنه مصرياً — وفي رأيه أن الصانع المصري رجل متواكل واهي العزيمة مغلق الحس — فهاله ما في هذا الأثر من ضعف وتداع ، فراح ينحط على الصنعة والصانع يثلبهما بأقذع الكلم ويسلقهما بألفاظ غلاظ . فلما تبين له أن الصانع أفرنجياً تراجع في ندم وتخاذل في ضعف كأنما عزّ عليه أن ينال من الأفرنجي وهو سيده ومثله الأعلى .

وأعرف رجلا آخر من هذه الفئة ترامى إليه أن أجنبياً ذا مكانة أدبية يوشك أن يزور مصر ، فأخذ يترقب مقدمه في شغف ، ثم اندفع يستقبله في حفاوة وأفسح له من قلبه ومن قلمه في وقت معاً ، وملأ صفحات الصحف بما أضفى عليه من إطراء ومدح . ثم حاول أن يمن عليه الأجنبي فيزوره في داره لتسعد الدار بزورة السيد الأجنبي ، ولتظفر المائدة بفضل الأديب الغربي ، فتشاغل هذا عنه وتملل بالتعلات ، ثم ضاق بالحاحه فردّه — بادئ ذي بدء — في هوادة ، ثم ضاق به مرة أخرى فردّه في عنف . وحزّ في نفس صاحبنا أن يندفع إلى الرجل في غير صبر ، وأن يتشبث في غير أناة ، ثم لا يلقى — بعد هذا كله — إلا الاحتقار والمهانة ، فأطلق فيه لسانه وقلمه يثلب علمه وأدبه وأخلاقه ، ويزدري رجولته وإنسانيته وفنه …

هذه هي أخلاق القبعة ، وهذه هي عقيدتها ، وهذا هو إيمانها ، فتى … متى نتحلل من قيودها ؟ إن القبعة — ولا ريب — هي بقايا عهد زال منذ زمان ، عهد السيطرة الأجنبية البغيضة ، عهد الاستخذاء والضعف … فتى … متى نتحلل من قيودها لنمسح عنا عار التعبد والخضوع ؟

***

وجاءني صديق من ذوي القبعات هائجاً يهدر وهو يتلظى غيظاً وغضباً ، وفي يده مجلة أسبوعية وصحيفة يومية ، ثم قذف بهما أمامي وهو يرغي ويزبد ، ثم قال : « أرأيت ، أرأيت الصحافة في بلادنا وهي تشوه الحقائق؟ » قلت : « ماذا ؟ ماذا أصابك ؟ » قال : « هذه الصحيفة نشرت مقالا بعنوان : الشعب الإنجليزي ذهبت أخلاقه . وهذه المجلة كتبت مقالاً بعنوان : عشش الترجمان في لندن! » . قلت : « وماذا يعنيك وأنت رجل مصري الجنس ؟ » قال : « هذا افتراء بيّن على شعب عظيم ! » قلت : « ومالك أنت ولهذا الشعب ؟ » قال : « لقد عشت هناك سنوات فما شعرت بشيء مما يقولون ! » قلت : « عجباً ! إن في الصحيفة أرقاماً تنطق ، وإن في المجلة صوراً تتكلم ! » قال : « فأنت تصدق هذا البهتان الواضح فتتنكر على هذا الشعب العظيم خصاله العالية وأخلاقه السامية ، وهو قائد العالم وسيده » قلت : « وأنت تغضى عن الدعايات النكراء ، والشائعات الشوهاء ، يروجها عنا أصحاب الأغراض السقيمة في البلاد الأجنبية لتحط من كرامتنا و … » قال مقاطعاً : « إنهم لا يقولون إلا حقاً » قلت : « كأني بك قد تعلمت هناك — يا سيدي — كيف تنبذ المعاني السامية للدين والوطن واللغة ! »

وأحس هو بأن كلماتي تخزه وخزاً شديداً ، فانطلق من لدني في ثورة وغضب ، ولكني لم أعجب أن يكون هذا الفتى قد استحال في سنوات إلى قبعة تتفلسف فلسفة واهية منحطة ! !

وقص عليّ صديق حبيب إلى نفسي قصة زواج القبعة … فليت شعري هل أفلح صاحب القبعة أن يكون زوجاً وأباً ورب أسرة ؟ !

كامل محمود حبيب

ترجمة وتحليل :

الخلود

لشاعر الحب والجمال لامرتين

ترجمة الأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

- ٢ -

وما ينفك الفضول مستأثراً بلب الشاعر ، فهو يريد أن يعرف كل شيء عن هذا الضيف الكريم الذي فتح عليه سجنه وحطم له قيده ؛ فما الذي حمله على الهبوط من سمائه إلى الأرض ، ومن دار الخلود إلى دار الفناء ؟ وما هذه القدرة الخارقة التي أمسكته عن الطيران ، ووقفته عن الجولان ، ثم حبسته في هذا الكوكب الأرضي بين أجساد مخلوقة من سلالة من طين ؟ وأنى يتسنى له وهو سجين أن يتصل بالبدن الذي تحللت عناصره ، فأمسى رميم العظام ؟ وما هذه العرى المدهشة للعقول ، والصلات الخفية عن الأبصار التي تربط بينهما هذا الربط المحكم الوثيق ؟

« أي قدرة ألقتك على هذه الأرض الفانية ؟
أي يد غيبتك في سجن من الطين ؟
وبأي عرى مدهشة ، وروابط خافية ،
يمسك بك الجسم كما تمسك به وأنت سجين ؟

ولم يكتف لامرتين بهذه الأسئلة ؛ فهو يرتقب بشوق لجوج يوم يُفصل بين الروح والبدن ، يوم لا تنفع العرى والروابط مهما خفيت على الأبصار ؛ وينتظر مفارقة الروح لهذه الأرض وصعوده إلى السماء حيث يجد قصراً مشيداً بدلا من القبر الذي كان يشترك فيه مع البدن .

« متى يوم الفصل بين الروح والبدن ؟
متى تغادر الأرض إلى قصرك المشيد ؟
هل نسيت كل شيء ؟ ألن يبعثك الزمن
من أعماق القبر إلى مجهل جديد ؟.. »

وإذا انفصل الروح عن البدن وتحرر من قيوده وطار من هذه الأرض إلى السماء ، وانتقل من قبره إلى قصره — فكيف تكون حياته المقبلة ؟ أهي مماثلة لحياته الماضية ؟ أفيها متع عاجلة وشهوات زائلة ، ومطامح سرعان ما تُنسى ، ورغائب ما أقل ما تبقى ؟ أم فيها نعيم خالد لا يُصدَّع عنه ولا يُنزف ، ولا ينقطع ولا يفتر ، ولا يُمل ولا يُستكره ، لأنه يتدفق من عين قدسية تنبع من الذات الإلهية ؟

« هل ستحيا غداً حياتك الماضية ؟
أم ستتمتع أخيراً بنعيم السماء
دافقاً من نفس الإله عينك الجارية ،
بعد أن تحررت إلى الأبد من قيود الفناء ؟ »

وهنا يثوب إلى الشاعر وعيه ، ويصحو على نفسه ، فيوقن أنه لم يمت ولم يُقبر ، وأنه لم يُبعث ولم يُنشر ؛ وأن نفسه جالت فأكثرت التجوال ، وتخيلت فأسهبت في الخيال ؛ وأن كل ما تصوره وتمثله لم يعدُ أن يكون آمالاً عِذاباً كثيراً ما تراءت أمام عينيه ؛ وإنما شخص له هذه الآمال ذكراه لحبيبته التي انفصلت عنه انفصال الروح عن البدن ، وعرجت إلى ملكوت السماء بعد أن خلفته وراءها جسداً محطماً وأعضاء جامدة ، ومشاعر خامدة ؛ فكيف لا يناجي روحه الذي فارقه ، ولم لا يتمنى أن يلحق به ولو بالموت والفناء ؟

لا . لن يندم لامرتين على جسده إن كان فناؤه قرباناً لروحه ؛ فإن أمله في لقاء المحبوبة يهوّن عليه كل شيء ، وأن هذا الأمل نفسه هو الذي جعله لا يُراع ولا يضطرب حين رأى شحوب الموت على وجه (جوليا) الجذاب كأنه صفرة ألوان الربيع بعد أن تذوي وتحول : كلاهما أمر جرت به سنة الحياة ، وقضت به حكمة الوجود .

من أجل ذلك عاد يناجي روحه — وهو في الحقيقة لا يناجي غير حبيبته — بهذه الكلمة التي لا تفيض إلا من قلب نقي وسريرة طاهرة .

« بلى ... تلك — يانصف حياتي — آمالي العِذاب
فبها استطاعت نفسي أن تجول ،
وترى بلا روع على وجهك الجذاب
ألوان الربيع الزاهيات تحول .. »

ويؤكد هذا المعنى النبيل بأن آماله في لقاء (جوليا) ومناقلتها

الحديث ومشاركتها فى نعيم السماء لم تبعثه على الصبر والاحتمال فقط ، وعلى الرضا بحكم القضاء فحسب ، وإنما ستبعثه على الشجاعة وقت الشدة ؛ فهو سيبتسم ساعة يتأرجح بين الوجود والعدم ، ساعة يحتضر على فراش موته ؛ ثم هو لن يأسف على صباه حين يفصم الدهر عُراه ، وإنما سيبكى من فرط سروره بلقيا حبيبته منية نفسه ، ونصف حياته .

« وبها ستراني أبتسم وأنا أحتضر ،

بعد أن يفصم الدهر عُرى صباى

وأن دموعى من فرط السرور ستطفر

فى لقائنا ... فتتلألأ بها عيناى ! »

ويستمر لامرتين فى نجواه — وما أروعها من نجوى ! — فيتمثل حبيبته ويجثو بين يديها مقلباً لها صفحات الماضى البهيج بذكرياته الحلوة ؛ وما يفتأ يخاطبها على أنها روحه الذى انفصل عنه فيذكر هذا الروح باليوم السعيد الذى ولد فيه الحب بينهما من نظرة عاجلة تلاها حديث لطيف ومجلس عفيف ، ثم جولات جميلة وسكرات نبيلة ، فى محراب الطبيعة حين تأخذ زخرفها وتزّين تارة على رءوس صخورها الناتئة كأنها رقيب نشوان يرهف أذنيه ليسمع أحاديث الهوى ؛ وتارة حول بحيراتها الحزينة كأنها صديق أسوان يقاسم الحبيبين ما كتبت لهما يد القضاء ؛ وأحياناً على شطئانها الجُرد وكثبانها النواعم التى تكتم السر فلا تفشيه وتحفظ العهد فلا تنساه ؛ والحبيبان — فى تلك الأويقات كلها — لا يحسان مرور الزمن ، ولا يكترثان بالظلال التى تهوى من الجبال ، ماحية القرى فى أذيالها السود ، فإنهما لفى نشوة ، وإنهما لطائران عن هذا العالم المادى المحدود إلى عالم عرضه السموات والأرض تصفو فيه الأنفس ، وتمتزج الأرواح ، وتأتلف القلوب !

« كثيراً ماتستعيد الذكرى فى هذا المقام السعيد

الذى وُلد فيه حبنا الخالد من نظر عجلان ،

تارة على رءوس هذه الصخور الجلاميد ،

وتارة حول البحيرات الحزينة على موحش الشطئان ،

حيث كنت أقتحم معك الظلمات الغاشية ،

طائرين — بنجوة عن العالم — على جناح الأمل المنشود

وكانت الظلال — وهى من الجبال هاوية —

تمحو أمامنا القرى فى طياتها السود ! »

ولكن الله زين السماء الدنيا بمصابيح جعلها كمنثور اللآلى ، موشية برقم الليالى . إن لها لأنواراً رَخية تغشى الفضاء ، وإن لأنوارها لألحاناً توقعها أنامل قدسية فى الخفاء ، وإن فى ألحانها لسراً عجزت عن فهمه العقول ؛ فربما كان رجعاً لزفزفة الرياح ، أو صدى لزقزقة الأطيار ، أو ترديداً لخرير الأنهار ، أو تسجيلاً لسحر العشاق .

وقد اكتفى الشاعر بوصف ألحان الليل بالخفاء ، وبدنوها بلا ضوضاء ؛ فانطوى تحت وصفه الوجيز ما تشاء أخيلة الشعراء من سبح فى العالم المجهول .

« لكنّ كواكب الليل بألحانها الخفية

— وهى تدنو بلا صخب ولا ضوضاء —

تغشى الفضاء بأنوارها الرخية ،

ملقيةً على كل شىء نقابها الوضاء ! »

وما كان أسرع لامرتين إلى اقتناص التشبيهات المحكمة !

فلقد رأى صورة الكوكب الذى يضىء فى الليل محراب الطبيعة أدنى إلى صورة المصباح الذى ينير بضوئه الخاشع جنبات المعابد بعد أن تنمحى آية النهار : وكما أن هذا المصباح يعوض لألاء الشمس عند الراهب المتبتل ، فيحسب ضوءه الباهت الخاشع نوراً ساطعاً وهاجاً ، لأنه يشعره بمعانى الورع والتقى والزهادة ، فإن الكوكب يعوّض النهار الأضحيان ، عند العاشق الولهان ، فيخلع على ضوئه الرخىّ معانى شمرية ، وأسراراً علوية ، إذ يوحى إليه سمراً شجياً ، وحديثاً حلواً ندياً ...

« كذلك ... حين تشحب رويداً رويداً أشعة السماء

فى معابدنا المقدسة التى تضيئها آية النهار ،

يملأ المصباح — وهو يرسل خاشع الضياء —

جوانب المحراب بساطع الأنوار . »

ولعلّ ألحان الكواكب — بلطفها وخفائها — هى التى ذكّرت الشاعر بألحان روحه ، وقلما كان هذا الروح يسكر سكرته الوديعة ، وهو يتأمل مناظر الطبيعة ، ويرجع البصر فيها بين السماء والأرض فينقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير ، ثم إذا يوقظ بسكرته عينى الشاعر الحالمتين ، ليطلعه على جمال الوجود ، ويسبّح معه للاله المعبود ، ويبرهن له على عقيدة (الخلود) .

شعر المعتمد بن عباد

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

وبرغم شهرة شعراء الأندلس بوصف الطبيعة ، وغرام المعتمد بها لم نجد له كثيراً من الشعر فيها ، اللهم إلا حديثاً عرضيا عن البدر الذى كان يساهره ، وهو هانىء بشرب الراح ، كما تحدث عن شمعة سهرت معه كذلك وهو يشرب الخمر أيضاً ، وقد رأى فى نورها ولهبها ممثلا لجمال ساقيه ونار غرامه إذ يقول :

ساهرتها والكاس يسمي بها   من ريقه أشهى من الكاس
ضياؤها لا شك من وجهه   وحرها من حر أنفاسى

ويقف ابن عباد فى وصفه للخمر عند حد ما تراه العين ، غير متجاوز ذلك إلى الحديث عن وصف أثرها فى نفسه كما ترى ذلك فى وقوله :

لو زرتنـــا لرأيت ما لم تمهد   ذوب اللاجين خليط ذوب العسجد

ولعل المعتمد قد شغله الجمال الناطق ممثلا فى المرأة عن الجمال الصامت ممثلا فى الطبيعة .

ووصف المجن عند ما طلب إليه أبوه وصفه ، وكان قوى الخيال عند ما ربط بين منظر المجن وقد أصبح يحكى السماء بما رسم عليه من نجوم وبين بعد أن تناله طوال الرماح إذ قال :

مجن حكى صانعوه السماء   لتقصر عنه طوال الرماح

***

وله قصيدتان تهكميتان بلغ فيهما مبلغاً كبيراً من الإتقان والإجادة ، أما أولاهما فتلك التى رد بها على ابن عمار عند ما طمع فى أن يستأثر ببلنسية ، فقال ابن عمار فى ذلك شعراً يشيد فيه بمجده ومجد أسرته ، ولم يكن ابن عمار من أسرة رفيعة الذار ، بل كان خامل البيت ، كما يقول مؤرخوه ، فما هو إلا أن قال :

كيف التفلت بالخديعة من يدى   رجـــل الحقيقة من بنى عمار

حتى أنشد المعتمد قصيدة يعرض فيهـا بابن عمار وآبائه ، ويذكر نشأتهم ومنبتهم ، ويسخر من فخره بهم فى أسلوب تهكمى لاذع بدأه بقوله يكمل قصيدة ابن عمار :

الأكثرين مسودا وممـلكا   ومتوجا فى سالف الأعصار

والثانية بعث بها إلى ابنه الراضى ، عند ما أرسل إليه يأمره بالخروج لمحاربة عـدو هاجم « لورقة » فأظهر الراضى تمارضاً وانصرف إلى القراءة ، فـكتب إليه قصيدة تهكمية بدأها بقوله :

الملك فى طي الدفاتر   فتخل عن قود العساكر

***

والمعتمد فخر بنفسه وبأسرته فى ثنايا قصائد غزله ورسائله إلى أبيه ، ولم ينشىء قصيدة للفخر قصداً إلا تلك التى أوحى إليه بها فتحه قرطبة ، وإلا ثانية يفتخر فيها بالجود ، وإلا ثالثة أنشأها فى الأسر وسوف نعرض لها .

***

ولم يَرْث غـير بنيه الذين قتلوا وهم يدافعون عن مدنهم ،

وما يبرح لامرتين خالماً على روحه شخص حبيبته ، ليستدل فى هذا الجو الناطق على الإيمـان بالله ، مهاجماً من طرف خفى الفلاسفة الأبيقوريين والماديين الذين ينفون خلود الروح .

وكأنى بالشاعر — فى إصاخته لصوت الغريزة ورفضه البراهين المنطقية — يريد أن يطوى فى غضون شعره مذهبه فى تمثل الإيمان وتمقل معانيه ... فليدع تلك المناقشات البيزنطية العقيمة ، وتلك البراهين الجدلية السقيمة ، ولينطق فى نفس الإنسان لسان حاله إذا ما تأمل معبد الطبيعة القدسى ، وسمع ألحان الأرض والسماء حتى استنارت بصيرته بما رأى بصره ، فتجلت له حقيقة الإيمان .

ألا وإن هذه الحقيقة السامية لتسبيحة خالدة طالما تمتم بها روح الشاعر ، فأيقظه من سباته ، وبعثه من مرقده .

« حينئذ توقظ عينىّ بسكرتك الوديعـــة
وأنت ترجع فى السماء والأرض طرفك الحيران
قائلاً : « أيها الإله الباطن ! معبدك الطبيعة .
فإذا تأملها البصر شهدتك البصيرة فى كل مكان »

(البقية فى العدد القادم)   صبحى ابراهيم الصالح

وهو حين يرثى يندفع حيناً وراء حزنه ، حتى ليرى من الغدر ألا يفيض جفنه عليهم ، ويرى نفسه أحق بالبكاء من تلك القمرية التى أثارها فقد إلفها :

فالى لا أبكى ؟! أم القلب صخرة
وكم صخرة فى الأرض يجرى بها نهر

بكت واحداً لم يشجها غيرفقده وأبكى لآلاف عديدهم كثر
غدرت إذاً إن ضن جفنى بقطره وإن لومت نفسى فصاحبها الصبر

وحيناً تتغلب العاطفة الدينية لديه ، فيخفف ذلك من وقع المصائب عليه :

يخفف عن فؤادى أن ثكلكا مثقل لى يوم الحشر ميزانا

أما عند ما كان فى الأسر فإنه وجد فى رثاء بنيه وبكائهم متنفساً عن آلامه ، ووجد فى الجزع عليهم تعبيراً عن يأسه وتبديد أحلامه ، ولا ريب أن حاله فى الأسر هو الذى أوحى إليه بهذا البيت الباكى :

يقولون صبراً ، لاسبيل إلى الصبر
سأبكى ، وأبكى ما تطاول من عمرى

وهو فى هذه القصيدة يرى الطبيعة تشاركه فى الحزن ، فالبدر والنجوم الزهر فى مأتم كل ليلة ، والغمام يبكى مشاركة له فى مصابه ، ولا غرو فذو المنظار الأسود يرى الدنيا كلها سوداء ، والمعتمد يناجى ولديه ، محدثاً لهما عما خلفه بعدهما فى القلوب من جروح وندوب ، وما استحال إليه مجده بعدهما من تبدد وانهيار ، حتى إنهما لو عادا لآثرا الموت على أن يرياه مقيداً مأسورا .

فلوعدتما لاخترتما العودفى الثرى إذا أنتما أبصرتمانى فى الأسر

***

أما شعره فى الأسر فكان سلواه ، يشكو له بثه ، ويندب إليه حظه ، ويحدثه بآلامه ، ويبكى به مصيره ومصير ملكه .

وقد دافع المعتمد عن عرشه ، وخرج بسيفه يذود عن حماه ، ولم يستمع إلى رأى ناصحيه الذين أشاروا عليه بأن يتخذ خضوعه للمغيرين سياسة ينتهجها ، عساهم يبقونه على العرش ، فأبى ، ورأى استلاب عرشه أفضل من النزول عن شرفه :

قالوا : الخضوع سياسة فليبد منك لهم خضوع
والذ من طعم الخضو ع على فمى السم النقيع

إن يسلب القوم العدا ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
لم أستلب شرف الطبا ع ، أيسلب الشرف الرفيع

واستقبل المعتمد أسره لا بالثورة والتهديد والوعيد ، ولكن بالبكاء والنحيب ، فلم نر فى شعره حديثاً عن أنصار سيثورون ، ولا عن شعب سينتقم ، بل رأينا استسلاما لآمريه ، وبكاء على ماضيه . خرج به يوسف بن ناشفين إلى العدوة بعد أن خلعه ، فوصل إلى موضع منها ، وأهل البلد خارجون للاستسقاء فقال :

خرجوا ليستسقوا ، فقلت لهم دمعى ينوب لكم عن الأنواء
قالوا : حقيق،فى دموعك مقنع لكنها ممزوجة بدماء

ولم نره طول مدة مقامه فى الأسر متوعداً ولا ثائراً ، بل يائسا مستسلماً ، ولم يمر به أمل العودة إلى سابق مجده إلا مروراً عابراً كما يمر به فى حلم إذ يقول :

فيا ليت شعرى هل أبيتن ليلة أمامى وخلفى روضة وغدير
تراه عسيراً أم يسيرا مناله ألا كل ما شاء الإله يسير

ولم نحس بروح الثورة فى شعر المعتمد وهو أسير إلا عند ما بلغه نبأ ثورة ابنه عبد الجبار ، فهنا يذكر المعتمد السيف الذى طال رقاده فى جفنه ، والرمح الذى عطش إلى شرب الدماء ، والجواد وقد حيل بينه وبين ارتقاب غرة فى العدو فينادى قائلاً :

ألا شرف يرحم المشرفى مما به من شمات الوثين
ألا كرم ينعش السمهرى ، ويشفيه من كل داء دفين
ألا حنة لابن محنية شديدالحنين ضعيف الأنين

بل إن ذكرى مجده ومجد آبائه الغابر فى القصيدة الفخرية التى أنشأها فى الأسر لم تكن لتثير فيه الطموح إلى إعادة هذا المجد ، بل يسلى نفسه فيها بقوله .

وإذا ما اجتمع الدين لنا فحقير ما من الدنيا افترق

فالسائد فى شعره روح الاستسلام لجور الدهر وظلم الأيام : يوصى نفسه بالصبر ، ويدعوها إلى تحمل الكرب ، ويوطنها على الكره ، عسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيقول :

اقنع بحظك فى دنياك ما كانا وعز نفسك إن فارقت أوطانا
فى الله من كل مفقود مضى عوض فأشعر القلب سلواناً وإيمانا

أما سمعت بسلطان شبيهك قد بزته سود خطوب الدهر سلطانا

وطن على الكره ، وارقب إثره فرجا واستغفر الله تغنم منه غفرانا

كان هذا الأمر القاسى وما عومل به من إذلال فيه ، والموازنه بين حاضره وماضيه ، مدعاة لإثارة شجونه ، وإدماء عيونه ، وها هو ذا يصف لنا عيداً حزيناً قد أقبل عليه فى منفاه وقد دخلت عليه بناته ، يلبسن ثياباً أخلاقا وفى أيديهن المغزل يغزلن به للناس حتى لمن كان لهن بالأمس خادما ، فثارت فى خاطره أطياف السعادة الماضية ، فتمزق قلبه وقال :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فساءك العيد فى أغمات[1] مأسورا

ترى بناتك فى أغمات من عُدُم يغزلن للناس ما يملكن قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطأن فى الطين، والأقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا فردك الدهر منهياً ومأمورا

وكثيراً ما كان يتذكر قصوره بالأندلس فيحن إليها ، ويحس كأنها تبكى أيامه الزاهرة ، ولياليه المتلألئة ، ويشعر على البعد بما ارتدته من الذل والوحشة بعده .

ومما ضاعف أساه ، هذا القيد الذى غلت به قدماه ، وشعره ملىء بالحسرة التى تمزق قلبه لهذا القيد الثقيل الذى يراه يتلوى كالحية الرقطاء ، وذا أيد وبطش كالأسد ، ومن أروع شعره فى ذلك حديثه إلى القيد ، وقد دخل عليه ابنه أبو هاشم فارتاع له :

قيدى ، أما تعلمنى مسلما أبيت أن تشفق أو ترحما

دمي شراب لك ، واللحم قد أكلته لا تهشم الأعظما

يبصرنى فيك أبو هاشم فينثنى القلب وقد هشما

ارحم طفيلا طائشاً لبه لم يخش أن يأتيك مسترحما

وارحم أخيات له مثلَه جرعتهن السم والعلقما

ولم يكن هناك بصيص من أمل فى النجاة والحرية ينفذ إلى قلبه ، وكان الهم يحطمه والأسى يوهنه ، واليأس يعصر قلبه ، فكان يشعر بدنو أجله ، بل كان يتخيل هذا اليوم قد حل ، ولعله كان يراه آلامه وأحزانه ، فرثى نفسه بأبيات أوصى أن تكتب على قبره ، لم يشر فيها لغير ماضيه ، وكأنه يريد بذلك أن يمحو من ذاكرة التاريخ ما بلاه من الأسر والشقاء حيث يقول :

قبر الغريب، سقاك الرائح الغادى حقاً ظفرت بأشلاء ابن عباد

بالطاعن الضارب الرامى إذا اقتتلوا بالخصب إن أجدبوا بالرى للصادى

نعم هو الحق وافانى به قدر من السماء ، فوافانى لميعاد

ولم أكن قبل ذاك النعش أعلمه أن الجبال تهادى فوق أعواد

فلا تزل صلوات الله نازلة على دفينك لا تحصى بتعداد

وقبل أن أختم هذا الفصل أشير إلى صلة المعتمد بالشعراء فى منفاه ، فقد استقبله فى طنجة الحصرى الشاعر ، وأقبل عليه يلح فى طلب العطاء ورفع إليه شعراً ، فبعث إليه المعتمد بأكثر ما كان معه من مال قليل ، واعتذر إليه بقطعة من الشعر ، فأخذ الحصرى ما أرسل إليه ، ومضى مستقلا للعطاء ، مهملا للمعتمد ؛ ولما سمع الشعراء بعطاء المعتمد أقبلوا عليه يسألونه ، فعجب من أمرهم وقال :

سألوا العسير من الأسير وإنه بسؤالهم لأحق منهم فأعجب

لولا الحيــاء وعزة لخمية طى الحشا لحكاهمو فى المطلب

ووفى له ثلاثة من شعرائه هم أبو بكر الدانى ، وابن حمديس ، وابن عبد الصمد ، وأبى كرم المعتمد إلا أن يرسل إلى أولهم عند ما زار أغمــات بالقليل الذى كان يملكه ، فأبى الدانى أن يأخذ على وفائه أجراً ، وأما الثانى فقد أقبل يريد زيارته فصرفه بعض الخدم ، فأرسل المعتمد إليه قصيدة يعتذر فيها . ولعله كان يرجو أن يرى فى شاعره صورة من مجده الغابر ، وأثراً من آثار عظمته وسلطانه . وأما ابن عبد الصمد فإنه مضى إلى قبر المعتمد بعد صلاة العيد مع ملأ من الناس يتوجعون له ويترحمون عليه ثم أنشد قصيدة طويلة أولها :

ملك الملوك أسامع فأنادى أم قد عدتك عن السماع عوادى

لما خلت منك القصور فلم تكن فيها كما قد كنت فى الأعياد

أقبلت فى هذا الثرى لك خاضعا وتخذت قبرك موضع الإنشاد

وخر يبكى ، ويعفر وجهه فى تراب قبره .

— ٤ —

أهم ما يتصف به شعر المعتمد الوضوح الذى يدل على وضوح

---

(١) مدينة تقع جنوبى مراكش أسر فيها ابن عباد وبها مات .

التجربة لدى الشاعر ، فلا تمتر فى شعره على غموض ولا التواء . ومما ساعد على هذا الوضوح الوحدة فى شعره ؛ فكل مقطوعة أو قصيدة تتحدث عن خاطر من نفس المعتمد ، وتتضافر الأبيات فى إيضاح هذا الخاطر وتسير فى اتساق ونظام .

وكثير من شعره فى عهد الإمارة والملك مقطوعات تدل على انفعال يكفى هذا القدر فى تصويره ، مع قدرة المعتمد على الإطالة إذا أراد .

أما موسيقاه فمناسبة لهذه الانفعالات ، ولذا ترى أكثر أوزان الغزل مطربة سارة سريعة كقوله :

يابديع الحسن والإحسان ، يا بدر الدياجى
يا غزالا صاد منى بالطلا ليث الهياج
قد غنينا بسنا وجهك عن ضوء السراج

وترى شعره فى الأسر يلتزم البحور الطويلة التى تدل على التأمل والأناة لا على الثورة والجموح . وليس فى شعره فى هذا العهد موسيقى تشعر بالسرعة إلا قطعته التى قالها فى أثر ثورة ابنه عبد الجبار ؛ فهى من المتقارب السريع الحركة ؛ لأنها تعبر عن انفعال سريع ، وحركة تضطرم فى صدره ، كما اختار البحور الطويلة لذلك فى رثائه .

وتشبيهات المعتمد مألوفة ، ولكن يزينها مايضفيه على الشعر من تناسب كقوله :

ياهلالا ، إذا بدا لى تجلت عن فؤادى دجنة الكربات

فأنت ترى التناسب بين الهلال والدجنة . وحينا يفصل التشبيه فى الغزل زيادة فى بعث اللذة بتصور من يحب حين يقول:

ياهلالا حسن خد ، يا رشا غنج لحظ ، يا قضيبا لين قد

ولا يتخذ المعتمد الغزل مقدمة لقصائد مدحه لأبيه ، كما كان يفعل الشعراء السابقون .

ويميل المعتمد إلى الجمال الطبيعى فى شعره ، فقل أن يلجأ إلى الصناعة . وإن كنت لا تعدم أن ترى هنا جناسا ، وهناك طباقا وهنالك لفا ونشرا ، وغيرها ، ولكنه مع ذلك يحسن الصوغ ، فلا تحس بنبو ولا قلق ، وإن كنت لا أنكر أثر الكلفة فى قوله ، يدعو بعض زملائه إلى الشراب :

أيها الصاحب الذى فارقت عيـ نى ونفسى منه السنا والسناء
نحن فى المجلس الذى يهب الرا حة والمسمع المنا والغناء
نتعاطى التى تنسيك فى اللذ ة والرقة الهوى والهواء
فأته تلف راحة ومحيا قد أعد لك الحيا والحياء

وزادت الصناعة من جمال قوله يتحدث عن قرية تنوح :

وناحت وباحت واستراحت بسرها وما نطقت حرفا يبوح به سر

ولم تغض الصناعة من جمال مقطوعته الغزلية التى جعل فى أول كل بيت منها حرفا من حروف زوجه اعتماد .

والمعتمد دقيق ذو ذوق مرهف فى اختيار ألفاظه التى توحى إلى القارئ بخاطره . وخذ مثلا لذلك كلة الأوار التى توحى إليك بلهيب النار وقد دل بها على نيران المعركة ، وكلة شخيص المصغرة وهى توحى بضآلة جسم ابنه أبى هاشم ، وهذا فى البيتين اللذين أوردناهما فى معركة الزلاقة ، وتأمل كلة « مسيحا » فى قوله يسترضى أباه :

سخطك قد زادنى سقاما فابعث إلى الرضى مسيحا

لترى ما توحى به إلى نفسك من مقدرة المسيح على الإبراء ، وما فى الكلمة نفسها من دلالة على مسح آثار الداء ، وهو يصف الليل باعتكار ، ويضيف الوسواس للحلى ، ويصف النفس بالنرجس فى قوله :

فلاقتك بالنفس النرجسى ولاقتك بالملبس المسجدى

وكل ذلك دليل الدقة فى اختيار الألفاظ .

وقوافى الشاعر محكمة فى أبياتها ، لا تشعر فيها بقلق ، ولا اضطراب ؛ بل هى مستقرة مطمئنة تشعرك بقدرة الشاعر على تذليلها ، إذا استثنينا كلة كبد فى قوله :

أغائبة عنى وحاضرة معى لئن غبت عن عينى فإنك فى كبدى

فالمحبوب مكانه القلب لا الكبد .

وبعد فإن على شعر المعتمد بن عباد مسحة من الحسن تأسر النفس ، وتملك الحس ، لصدق العاطفة التى انبعث عنها ، وجمال الأسلوب الذى صيغ فيه .

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

الانحـــراف الجنسى
أســـبابه وعلاجه

للأستاذ عبد العزيز جادو

كان الدكتور سيجموند فرويد ، مبتكر التحليل النفسى ، أول من وصف الأطفال بأنهم « ذوو انحراف متعدد الأشكال » Polymorphous pérverts ولقد أثار بذلك عاصفة من السخط واتهم من جميع الأوساط بقذف الطفولة البريئة وطعنها .

ماذا تعنى هذه العبارة ؟

إنها تعنى باللغة السهلة أن كل نوع من أنواع الانحراف الجنسى ينغمس فيه المراهقون ونتغاضى عنه أو نتساهل فيه ، يمكن أن يُبحث فى حالات النشاط العادى عند الأطفال .

وإنا إذا قلبنا هذا الأمر على وجوهه المختلفة ، فلا يكون أسوأ مما كان ، فليس الأطفال هم الذين يتصرفون كالرجال ، ولكن الرجال هم الذين يتصرفون كالأطفال . ويقصد بهذا أيضاً أن كل طفل به انحراف جنسى يكون فى الغالب الأعم ناقص النمو من جهة غريزته الجنسية . ويرقد ارتقاؤه ونضجه وراء تلك الغريزة الجنسية عند المراهق العادى .

وليس الطفل هو المنحرف الضال ، وإنما يعتبر المنحرف طفلا

وكلمة « منحرف » Bervert معنـاها التحول عن المجرى الطبيعى . والمنحرف الجنسى هو الذى لا يستعمل دافعه الجنسى بالطريقة السوية .

وكثير من الرجال لا يستطيعون جعل حياتهم الغرامية متناسقة بقدر الإمكان ، لاعتقادهم أن كل شىء يميل عن الطريق القويم إنما هو انحراف . وهناك بالفعل مجال فى لعب الحب الأولى لكل نوع من أنواع الملاطفة والتودد .

ويمكن استعمال أى صورة من صور الاتصال التى يحتمل أن تكون مقبولة ومنبهة Stimulating لكل من الطرفين على شرط أن تؤدى إلى الاختلاط الجنسى Sexual Union ولا تحل محله والملاعبة للغرض الجنسى يجب أن تظل بمثابة « المشهيات » لا أن تكون الوليمة ذاتها .

وفى الانحراف الجنسى أصبحت الملاعبة غاية فى حد ذاتها ، وليس الامتزاج أو الصلة بشخص من الجنس الآخر هى الغاية المشتهاة .

فلكى ندرك كيف يحدث هذا ، علينا أن نرجع إلى الطفل. فليس هناك من يقرر بأن الطفل ، بما له من أعضاء ناقصة النمو وبما يحتاجه من إفراز غددى ، يكون فى حالة جنسية كحالة المراهق أو البالغ ؛ ولكنه قادر من أول أمره على جلب المتعة عن طريق الإحساسات الجسدية ، وهذه هى خلاصة اللذة الجنسية ولو أنها لا تهم الغرض الجنسى فى شىء .

وهكذا نرى أن المص ليس وسيلة فحسب لتخفيف الجوع وتهوين أمره ، ولكنه يمسى لذة فى حد ذاته . وهـذا ما يلمسه أى فرد من مشاهدته طفلا يلعب بدميته . ويقتنع معظم الناس بأن التدخين ، سواء بالغليون أو بالسيجار يدين بشىء من جاذبيته إلى تخلف اللذة أو بقائها فى الشفة ، وتكون هذه اللذة فى الغالب كلذة التقبيل سواء بسواء .

وهناك فى الواقع عدة أجزاء فى الجسم تلتقى فيها المحتويات الداخلية أى الغشاء المخاطى بالجلد الخارجى . وجميع هـذه المناطق ذات حساسية وشمول باللذة . والفم — كما ذكرنا — أحد تلك المناطق ، كما أن الثغرة التى فى الطرف المقابل للقناة الهضمية منطقة هى الأخرى .

وموضع الأعضاء التناسلية فى كل من الذكر والأنثى متشابه . وكلما اطرد التحسن وتدرج النضج وصلت تلك الأعضاء إلى درجة أعلى من المناطق الأخرى . ولو أن هذه المناطق لن تفقد حساسيتها جميعاً ويمكن أن تقوم بدورها فى الحياة الجنسية .

ولقد امتدت هـذه الحساسية إلى أن بلغت بشكل واضح الأرداف . أما كيف أحاطت هذه الحساسية بتلك المنطقة حتى أن اللذة والألم صارا أكثر تمييزاً فيها ، فهى مسألة لم يصل العلم إلى حلها . ولكن لاريب فى أن وظيفة الأم المحبوبة عند اعتنائها بنظافة رضيعها شىء له أهميته . كما أن ملاطفات المرأة الفاتنة غير المتزوجه عند إعجابها بالطفل لها أهميتها أيضاً . ومما لا شك فيه أن مثل هذه العادات تقوى اللذه الأصيلة المكتسبة وتعززها .

وقليل من الناس فى حاجة إلى أن يعرفوا أن هذه الطاقة من اللذة والألم كائنة . وفى النزوات التى تصحب العادة السرية يحتل الجلد whipping المكانة الأولى . وليس بعجيب أن تأخذ تلك النزوة هذه الهيئة ، إذ أن تخيل تجربة ماضية أسهل من التوسل إلى وصف شىء ليس للمرء معرفة شخصية به ؛ وهذا هو الوضع العادى للاستمناء الصبيانى بالنسبة إلى الامتزاج الجنسى .

ولا يكون الاستمناء انحرافاً إلا حينما يتم فى حياة المراهق بإيثاره إياه على حياة جنسية كاملة ممكنة . وإنه لنشاط عادى للصبى المنقب تنقيباً اختيارياً ليس فيه أى ضرر إلا عند ما يأتى القلق والخوف والجزع ليتجمع ويتركز حوله .

وكثير من المراهقين الذين يعوقهم الطبع أو الظروف عن الزواج ولا يمكنهم التمتع بالعملية الجنسية المحرمة ، ربما يكون هذا هو الحل السوى للحافز الجنسى عندهم . ولكن يجب أن نذكر ونضع نصب أعيننا الحقيقة التى تتركز فى الفعالية الذاتية فهى تشبع الشعور الذاتى إلى حد يصبح فيه معتلا .

واقتران الجلد whipping باللذة الجنسية هو السبيل الذى يمكن أن يوصّل إلى القمم الوهمية ، ولذا فقد أصبح عبادة منظمة ذات آداب خاصة وحياة اجتماعية سفلية .

وله ، كما أسلفنا القول ، أسس طبيعية . ولا ينبغى أن يلتبس علينا الأمر بينه وبين السادية ؛ فالسادية حالة لا يمكن أن تأتى فيها الهزة أو الرعشة الجنسية إلا إذا كانت مصحوبة بالتعذيب والتشويه والبتر ، وتنتهى فى أكثر الحالات بموت الضحية . ويكفى بقاؤها لتذكيرنا بأنه لا وجود لنوع من الرعشات لا يمكن أن يكون ملتوياً فى صالح الغريزة الجنسية .

وبينما نرى أحد الأشخاص فى حاجة إلى التحكم فى الباعث CbJect على رغبته أو مشاغبته والاستبداد به أو تعذيبه ، نرى آخر يختبر اللذة الجنسية الكاملة ويتذوقها حين يكون مغلوباً أو عند ما يُهان ويؤذى ويحتقر . وهذا الأخير هو الذى يطلق عليه : (مازوكى) Masochist

ومتوسط الرجال والنساء يمكنهم أن يكشفوا فى أنفسهم جراثيم الاتجاهين ولا حاجة بهم إلى القلق والانزعاج من هذه المباينة . والملاعبة يمكن أن تضيف صنفاً منسوجاً فى مصلحة الحب بدون خطر من أن يغدو انحرافا .

والفيتيشية Fetichism انحراف جنسى آخر يأخذ صوراً غريبة . ومعناه فى الأصل أن الباعث على التهييج الجنسى ليس شخصاً بعينه أو أشخاصاً معينين ولكنه بعض شىء . وقد يكون هذا الشىء حذاء أو جورباً أو معطفاً من الفرو أو أى شىء ذاو أو خصلة من الشعر أو أى أداة من أدوات الملبس . كما أن أصل الفيتيشية فى جميع الانحرافات قد يرجع إلى بعض تجارب صبيانية يقول الشاعر (ما الحب إلا للحبيب الأول) وهى حقيقة سيكولوجية ؛ ذلك أن سلوك الطفل فى أزمة من الأزمات الانفعالية يمكنه أن يصنع نموذجاً من السلوك حينما تتلاقى فيما بعد بعض الحالات بجيل انفعالى يماثلها .

وطبيعى أنه كان ينبغى أن يغير اللبيدو ، وهو تيار الحب حينما كان قصده كلما ترعرع الفرد . فهو فى البداية يتركز بكليته فى الذات ، ولكن وظائف الدم تبعث على تحويل التيار إلى نفسها فتغدو محبة لشخص آخر .

وهذا التعلق الأول بالأم جنسى بأوسع معانى الكلمة — ليستبدل به فيما بعد حباً يقوم على تبادل المنفعة والاستحسان .

وإن لم يحوّل هذا التعلق الأساسى كما يجب ، يحار الفرد فى ارتقائه الجنسى ، ولا تكون شهوته Libido طليقة كما يجب أن تكون لكى تنفذ أو تمر من الأم إلى رفيق الدراسة أو صديق من الجنس ذاته إلى أن تجد أخيراً حبيباً ورفيقاً فى شخص ما من الجنس الآخر . وإنه لو تحرر الدافع الجنسى من الأم ، لكان عرضة لمقابلة الكبت فى اى مرحلة من مراحل النضج والارتقاء؛ ومن ثم يرتد راجعاً إلى الوراء ، كمجرى من الماء وضعت أمامه السدود ، وينتشر فى مساحة أوسع . ويمكن إذن أن يكون الفرد مراهقاً فى كل شىء ما عدا الحافز الجنسى الذى يظل فى المستوى الصبيانى مضافاً إلى ذلك الشذوذ . وقد يكون نوع الكبت موضحاً بواسطة حالة ثابتة .

يضبط صبى فى السادسة من عمره وهو يقارن هيكله بهيكل أخته التى تصغره ، وبدلا من أن يتغاضى والداه عن هذا الأمر باعتباره دافعاً طبيعياً للاستطلاع ويوجهانه التوجيه الصحيح بتعليمه الحقائق الواضحة ، نراهما يردّانه عنه بغضب وسخط .

إذن فالارتقاء الجنسى فى الولد قُطع دابره من أول الأمر ، وبعد ذلك حين يأخذ النشاط الغددى فى تنبيه الغريزة والتأثير فيها

لازدياد النمو يشعر نفسه « بعدم الأهمية » فالحادث الأصلي يضاف إليه الشعور بالخطيئة والندم وتأنيب الضمير ، كل هذا لا بد أن ينسى وإلا سيجعله قليل الاهتمام بالجنس الآخر ، وبالتالى تقمع شهوته .

وقد ينجذب وراء تعلقه بأمه واتصاله بها . ولكن بما أنه من غير المقول أن تظهر فى نزواته ، فإنه يجد بديلا من ذلك فى بعض أشياء فى لا شعوره يقرنها بأمه . وربما تكون رائحة معطفها أو لمسه إياه حين يكون على انفراد هو الذى يؤنس وحدته . وربما يكون الحذاء الذى تركته خارج باب حجرة نومها هو الذى يؤكد له أنها فى الداخل وأنها على استعداد للترحيب به فى سريرها.

وكما أن أى شىء يتناسب غالباً مع ما يشاركه فى العاطفة ، كذلك تأخذ الحياة الجنسية لهذا الشاب صورة العادة السرية تحت المؤثرات الفيتيشية ، وربما لا يرجع إلى عهد بعيد ، ولكنه يرجع إلى أواخر طفولته عند ما شعر فى نفسه بمؤثر سارحين قاده حب الاستطلاع إلى النظر من خلال ثقب مفتاح (الحمام) وقت أن كانت أخته الكبيرة تغتسل .

واحتمال آخر هو أنه قد يصير محباً لإظهار جسده لغيره Exihbitionist غير قادر على اللذة الجنسية السوية ، ولكن يتوق إلى عرض نفسه على بنات المدرسة — وأخيراً ينقاد لبعض نماذج من السلوك المخزون فى الماضى .

هذه كلها أمثلة للانحراف الناتج عن النكوص Regression ولكننا لم نشر إلى التفسير بعد .

ومتوسط البنين والبنات الذين تتراوح أسنانهم بين الحادية عشرة والخامسة عشرة على جهة التقريب يكونون فى مرحلة حب الجنس للجنس Homosexuality حيث يتركز الليبيدو على واحد من الجنس ذاته . وليس معنى هذا أن كل صغير ينغمس فى اللذة الجنسية ، ولكن معناه أن الاهتمام المتيقظ وأوهام أحلام اليقظة تتركز حول بعض زملاء اللعب أو المدرسين .

وهذه الحالة إن كانت فى صورة تبلغ من الصحة والعافية منتهاها يكون صاحبها فيها « شبه بطل » أو يكون « ذا بطش شديد » . وهذه المرحلة تندمج بطبيعة الحال فى المرحلة الثانية والأخيرة من ميل الجنس إلى الجنس الآخر Heterosexuality وضبط الليبيدو وأوصده عن تقدمه كما يحتمل أن يحدث من خوف فى الحياة الجنسية ناتج من مشاهدته مشاجرات عائلية ، أو عن أى سبب من مئات الأسباب المحتملة للاغراض اللاشعورية ، وبما يوقفه (أى الليبيدو) عند مرحلة حب الجنس للجنس . وهنا أيضاً نجد اختلافات وفوارق فى الدرجة والطبع .

ويجد بعض محبى الجنس ذاته أن تصور الامتزاج بواحد من الجنس الآخر يبعث حتما على النفور والاشمئزاز . وآخرون يغالبون شعورهم بكل جهد ليتزوجوا وينسلوا أطفالا .

وبعض الذكور من محبى نفس الجنس تبدو على هيأتهم الذكورة كاملة ، ومزاولة الانحراف الجنسى بين هؤلاء كان يشجع عليها قدماء اليونان إذ كانوا يعتقدون أن هذه الارتباطات إنما جعلت للتدريب الصحيح وللجنود الطيبين . ولقد قيل إن حب الجنس للجنس يقابل اليوم بمثل هذا التشجيع فى بلدان أخرى ولأسباب مماثلة .

وفى الطرف الآخر من السلم يوجد نموذج « اليانسيه » المخنث ، والمرأة المسترجلة . ويوجد غالباً فى مثل هذه الحالات خطأ ما فى الارتقاء الغددى والجسدى . والتقارير الطبية الأخيرة فى أثر تأدية هرمونات الجنس ، فتحت باب الأمل لمثل أولئك الناس ؛ لكى يكونوا عاديين وفى حالة سوية .

ومحبو الجنس ذاته ، من جهة أخرى ليس لديهم الرغبة ليعالجوا ويشفوا وسيجادلون بعد زمن فى تحبيذ طريقتهم فى الحياة .

ويجب أن يكون واضحاً للقارئ الآن أن الانحراف الجنسى عصاب Neurosis جوهرى ناشىء عن أسباب مماثلة ، وأنه سهل الانقياد لمعالجة مماثلة شأنه شأن العصابات الأخرى .

والأسباب فى كل الحالات مخبوءة فى اللاشعور . وفى قدرة التحليل النفسى أن يحرر الليبيدو ويجعله يرقى إلى طرق سوية . ولكن هذا ليس من الميسور عمله ما دام الانحراف الجنسى يتنحى عن المسئوليات ويتملص منها . والعلاج لا بد أن تصحبه الرغبة فى مواجهة حياة نقية تقية . وليس هناك بالطبع من يرغب رغبة أكيدة فى الشفاء ويترك اليأس يستولى عليه .

عبد العزيز جادو

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة

للأستاذ إبراهيم البطراوي

— ٤ —

لسائل أن يسألني : إذا كانت جميع الوسائل التي التمسها أولو الأمر لعلاج الأزمات التي يعانيها الشباب قد أخفقت هذا الإخفاق ، فأي باب مأمون يمكن أن يطرقه الشباب وهو على يقين من أنه سيجد فيه ضالته وشفاءه وسعادته ؟

والحق أقول — واعتذر إذ أضطر إلى الحديث عن نفسي — أنني بعد أن أفنيت كل عمري العلمي حتى الآن وها أنذا أناهز (سن الرشد) التي يقولون ، وبعد أن أذويت شبابي وما زلت في أبحاث شاقة متشعبة — لم أجد ما أجيب به غير كلمتين اثنتين : العلم والدين . أما الدين فأقصد به الدين النقي الخالص ، وأما العلم فأقصد به العلم اليقيني الثابت من ذلك الذي يسميه الإنجليز Science

وكما يقول بعض الباحثين : « إن الدين وإن انحطت درجته بين الأديان ووهى أساسه ، فهو أفضل من طريقة الشك والإلحاد ، وأمس بالمدنية ونظام الجمعية الإنسانية ، وأجل أثراً في عقد روابط المعاملات ، بل في كل شأن يفيد المجتمع الإنساني ، وفي كل ترق بشرى إلى أية درجة من درجات السعادة في هذه الحياة الأولى [(١)] »

ورحم الله ذلك الفيلسوف العربي الشاعر أبا العلاء حيث يقول :

قال المنجم والطبيب كلاهما : لا تحشر الأجساد ، قلت إليكما

طهرت ثوبي للصلاة وقبله طهر ، فأين الطهر من جسديكما ؟

إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما

أما العلم الثابت فلأنه يحترم نفسه ويعرف لها قدرها فلا يزج بها إلى ما فوق طاقتها ، ولا يقول عن شيء إنه حقيقة حتى يتثبت بالتجربة الدقيقة الصحيحة ؛ ولهذا فحقائقه ثابتة بعكس الفلسفة فمعظمها آراء ظنية يخيل إلينا أصحابها أن الحقيقة هي ، ومن هنا نشأ الخلط والتناقض فيها مع الغموض ، ولم تكتسب كالعلم صفة البقاء والخلود .

أما العلم فلا يخلط بين الظن والحقيقة — ولا سيما فيما يمس الدين — متعصباً لرأيه كما تفعل الفلسفة ؛ بل يقول في تواضعه المعهود على لسان بعض رجاله : « الفرق بين أي اعتقاد ديني وبين نظرية علمية أن الاعتقاد فيه عند معتقديه عنصر من الحقيقة المطلقة . أما النظرية العلمية ، فهي عند أهلها صحيحة مادامت نافعة . ويعتبر رجل العلم حتى أحسن نظرياته وسيلة مؤقتة تعينه على طريقه . ولا ينفك ينظر حوله منقباً لعله يجد شيئاً خيراً منها وأشمل ... »

ويرى بعض الفلاسفة من أتباع وليم جيمز أننا حين نقول عن معتقد إنه حق لا نعني أكثر من أنه نافع — أي أن كل حق في رأيهم إنما يحكم له أو عليه بالاختبار والتجربة لا عن طريق آخر [(١)] »

أما إذا خرج العالم عن دائرته (دائرة الحقائق القطعية) وأدلى برأي فيجب أن نحترس منه ولا نقبل كل قوله من غير تمحيص ؛ لأن العالم أحياناً يتفلسف ولكل عالم هفوة .

ومهما يكن فلكل شيء حد إذا جاوزه اختلت موازينه ، وكما يقول ابن خلدون في مقدمته : « لا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وبأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله ، وسفه رأيه في ذلك . واعلم أن الوجود عند كل مدرك له في بادئ رأيه ينحصر في مداركه لا يعدوها ؟ والأمر في نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه : ألا ترى الأصم كيف ينحصر الوجود عنده في عالم المحسوسات الأربع والمعقولات ، ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات ؟ وكذلك الأعمى بالنسبة للمرئيات ... ولو أننا سألنا الحيوان الأعجم ونطق لوجدناه منكراً للمعقولات » من منطق ورياضة ... الخ « وكانت ساقطة لديه كلية » وكذلك الدودة بالنسبة للجهات النائية والسماء . فهل ينحصر الوجود حقاً فيما تدركه وما عداه معدوم ؟ « فاتهم إدراكاتك ومدركاتك واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقاد وعمل لأنه أعلم بما ينفعك وأحرص على سعادتك » .

« العقل ميزان صحيح ولكنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة الوجود والنبوة وكل ما وراء طوره ؛ فإن ذلك طمع في محال . ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال » اهـ

وهذه الكهرباء والمغناطيسية والجاذبية كلها موجودات نعرفها — فقط — بآثارها ، ولكن العلم الحديث أثبت أنه لا يمكن إدراك كنهها . فهل معنى أننا نعجز عن إدراكها يجعلنا نستطيع أن ننكر وجودها ؟ .

ولله ما أجل تلك العبارة الرائعة التي تنسب لفيلسوف من أجدادنا الفراعين زعموا أنها وجدت منقوشة على هرم في هيكل إيزيس

---

(١) من كلام فيلسوف الشرق السيد جمال الدين الأفغاني رحمه الله .

(١) The Mechnism of nature للعالم الطبيعي الأستاذ أندراد

بـ « صا الحجر » وهى : « أنا كل شيء كان ، وكل شيء كائن ، وكل شيء سيكون . ومحال على من يفنى أن يزيل النقاب الذى تنقب به من لا يفنى » . ولكن العلم بنفس التواضع وبنفس الدقة ورغم كثرة مشاغله استطاع أن ينير لنا الكثير من معالم الطريق ، وأن يقول كلمة الفصل التى ينتظرها منه العالم بفارغ صبر .

فأثبتت جميع تجاربه على طول الخط وجود قوة مدبرة مسيطرة هي الله ، بل ذهب إلى أكثر من هذا فأثبت كذلك أنه تعالى قيوم ever existing ونزهه سبحانه عن الزمنية والمكانية . كما أثبت له صفات الكمال ونفى عنه كل صفة نقص . ذكر ذلك العلامة الفلكى النابغ السير جيمس جينز فى مؤلفاته ولا سيما فى كتابيه The Universe around us—The Mysterious Universe . وكذلك ذكره غيره من مشاهير العلماء الأفذاذ .

وليس ببعيد ذلك اليوم الذى نعنى فيه الدين حينما ننطق بكلمة العلم كما تنبأ بذلك أستاذنا العلامة الورع الدكتور محمد أحمد الغمراوى أستاذ الكيمياء بكلية الطب .

العلم والدين : وهل هنالك لذة أسمى من لذة المعرفة ؟ وهل هنالك سعادة أكمل من سعادة الاطمئنان ؟ « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب . الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » « أولم يتفكروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء . وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأى حديث بعده يؤمنون ؟ »

سمعاً وطاعة ! لقد تفكرنا وتحققنا فآمنا ولم يبق إلا أن نفرغ من مشاغلنا المتعددة فنكمل إيماننا بالعمل .

هذا ما أجاب به العلم الحديث بعد طول تأمل وتدبر .

وإن هذا التفكير العلمى المتأمل فى نظام الكون أنطق شيخ الإلحاد الفرنسى فولتير فى أخريات حياته بقوله : « إنه لا توجد ساعة بدون ساعاتى يصنعها » :

أما الدين فمعروف أمره وليس هذا مجال البحث فيه . وأما العلم فأى شيء لديه ؟ وحبذا لو قمنا بسياحة إلى أرضه الطيبة فإن هذا يعود علينا بخير كثير . إلا أن عقولنا المتزنة ، وحياتنا المثقلة بالمواعيد ، وأعصابنا الرقيقة المرهفة ، كلها دواع تستلزم الاقتصاد فى الزمن ، وتجعل من العسير إن لم يكن من المستحيل علينا أن نحتمل حصر الأرقام ، أو نطيق المكث فى المدن العلمية ومعاملها بين هذا الدخن المتصاعد ، والوهج المتطاير ! فلنكتف بالوقوف فى هذه الزاوية إذن حيث آلة التسجيل التى يدون فيها كل شيء .

وأول ما يصادفنا فى هذا المعمل المتواضع توقيع صغير للفلكى الرياضى النابه السير آرثر إدنجتون يقول فيه : « إن صورة الكون كما ترسمها النظريات العلمية الحديثة ، توضح لنا ترتيباً للعناصر الأساسية لا يترك فرصة للمصادفة فيه إلا بنسبة واحد إلى ملايين متعددة » . يلى هذا توقيع متمم للعالم الجيولوجى (لل) يقول فيه : « إننا كلما تعمقنا بأبحاثنا فى أية ناحية من نواحى الكون نجد أوضح البراهين على وجود عقل الخالق وعنايته وقدرته وحكمته » .

إلا أن هذا الهمس الذى يعلو بعض الشفاه يشعر بأنه ما زال فى النفس شيء ! ولكن رويداً رويداً ؛ فها هو ذا النابغة الألمانى (ليبج) عالم النبات الشهير يقدم إلينا فى حزمه المعهود أول البراهين التى نتطلع إليها فى لهفة وشوق :

« إننى أفضل الاعتقاد بأن كتاباً فى علم الكيمياء أو النبات (كتب نفسه) ونشأ من تلقاء ذاته من المواد غير الحية ، على الاعتقاد بأن ورقة من أوراق الشجر أو زهرة من زهوره استطاعت أن تخلق نفسها وتتكون من تلقاء ذاتها بواسطة العوامل الطبيعية المجردة » ثم يبتسم وهو يشيح عنا بوجهه قائلا : « حقاً ! » إن دراسة الطبيعة هى الطريق لعبادة الخالق .

ولكننا وإن سلمنا بهذه النتائج يلوح أننا فى حاجة لأن نخلو بأنفسنا لحظات نتناقش معها بهدوء : فكيف توصل العلم إلى هذه النتائج ؟ وهل هناك براهين أخر ؟

وقبل أن نتم هذا التساؤل — نجد الرجل النشيط ذا الروح اللطيف الجذاب السير جيمس جينز — وكأنما أدرك بفطنته ما نعانى — لأنه يعرف طبيعة النفس البشرية التى قالت لربها (ولكن ليطمئن قلبى) — نجد هذا العالم الإنجليزى يقبل نحونا وبيده طائفة من الكتب وهو يقول متهللا : إليكم الجواب ! ثم يفتح أولها وهو (الكون المحيط بنا) لنجده فيه يأتى بمقدمات مهما تعددت وتباينت فإنها تصل بنا حتما إلى شيء واحد هو « أن فى الكون آيات ساطعات صحيحات على وجود قوة مدبرة مهيمنة عليه » لنسمها ما شئنا : المدبر ، المتحكم ، الطبيعة ، الله ؛ فإن هذه الأسماء كلها تصل بنا إلى معنى واحد هو « الرب الخالق » الذى نزلت باسمه الأديان .

(النهاية في العدد القادم)

إبراهيم البطراوى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

لحظات مع الأستاذ العقاد فى كتاب « الله » :

جاء فى كتاب « الله » للأستاذ عباس محمود العقاد ما يلى :

« ولا يرى علماء المقابلة أن عبادة الشمس كانت معدومة فى أطوار الديانات القديمة ، ولكنهم يقررون أن « ديانة الشمس » لم تنتشر فى تلك الأطوار ؛ لأنها تستلزم درجة من الثقافة العلمية والأدبية لا تتيسر للهمج وأشباه الهمج فى أقدم عصور التاريخ الخ» ص (٢٩)

وإننى لأشذ عن هذا القول ، وأعتقد أن ديانة الشمس كانت أكثر انتشاراً من غيرها فى المهد البدائى ؛ وذلك لعظم تأثير الشمس على حياة الهمج العامة ، وبخاصة تأثيرها على الزراعة ؛ إذ لا بد أن الهمجى قد لاحظ تأثيرها ولو بطريق الصدفة ، ورأى كيف أن نبتة عاشت تحت أشعة الشمس قد زانها الازدهار والنمو ؛ بينما الأخرى التى نمت فى الظلال قد أصابها الذبول والاضمحلال . أليس فى ملاحظة ذلك ما يدعو الهمجى إلى معرفة مصدر الخير وهو « الشمس » فيتجه إليها ويأخذ بعبادتها ؟ !

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فلا أعتقد أن هناك من يستطيع القول بأن الهمجى كان قليل الاهتمام بالطوارئ التى تحدث امامه ؛ فلا يهتم للتغيير الذى تحدثه الشمس عند شروقها وغروبها فى طقس إقليمه ، بالإضافة إلى كونها هدفاً لأنظار الهمج على الدوام . فلا يعقل أن الهمجى كان يفترش أديم الأرض ، وينام ملء جفنيه دون أن يفكر فيما يجرى حوله وما يراه وما يحسه من التبديل الطارئ ، ثم لا يقارن بين الحالتين : حالة شروق الشمس وما تبثه فى السكون من الحركة والنشاط ، وحالة غروبها وما يتبعه من سكون وهجوع !

كل هذا يحمل على الاعتقاد بانتشار عبادتها فى ذلك الزمان . كما أنى لا أرى أن للثقافة العلمية والأدبية تأثيراً فى الأمر ؛ لأن الإنسان يستطيع أن يعرف حقيقة بعض الأشياء دون معرفة بعلم أو أدب ، كأن يحدث ذلك عن طريق الصدفة المحضة أو الإحساس الباطنى الذى يتخيل حقيقة الشىء فيدفع الإنسان إلى الإيمان به .

لهذا كله أرجو من الأستاذ المعداوى أن يكشف لنا عن الحقيقة فيما ذهب إليه الأستاذ العقاد وفيما أدليت به من رأى ، فقد أكون مخطئاً فى اعتقادى وبخاصة إن كان هناك شىء خفى على فلم أتبصره وفاتنى حقيقة معناه ... ودمتم سنداً لمحبى المعرفة وطالبى الثقافة الحقة .

(بغداد — العراق) **عبد الواحد محمد**

أستاذ العربية بمدرسة الكرخ الثانوية

أشكر للأستاذ الفاضل جميل ثقته وحسن ظنه ، وأجيبه فى مجال التعقيب على قول الأستاذ العقاد بأن علماء المقابلة لا يرون أن عبادة الشمس كانت معدومة فى أطوار الديانات القديمة الخ ... أجيبه فى هذا المجال بأن هناك فارقاً بين « عبادة الشمس » و « ديانة الشمس » فى واقع الأمر وفيما ذهب إليه الأستاذ العقاد وهذا هو الشىء الذى غاب عن السائل الفاضل فلم يتنبه له .

إن القول بأن « ديانة الشمس » تستلزم درجة من الثقافة العلمية لا تتيسر للهمج وأشباه الهمج فى أقدم عصور التاريخ صحيح لا غبار عليه ؛ وذلك لأن العبادة شىء والديانة شىء آخر ... وإذا كانت العبادة لا تحتاج إلى شىء من الثقافة العلمية ؛ فإن الديانة تحتاج إلى مثل تلك الثقافة كل الاحتياج وأهمها الإحاطة ببعض الشىء بالعلوم الفلكية والحسابية . إن العبادة تقوم على أسس من الشعور بالتأليه والخضوع للإله ، أما الديانة فتقوم على أسس أخرى هى تنظيم هذا الشعور عن طريق إبرازه فى صور شتى من إقامة الشعائر وتقديم القرابين وبناء المعابد والمحاريب .

كلام الأستاذ العقاد إذن عن « ديانة الشمس » صحيح لا غبار عليه إذا قصرناه على الثقافة العلمية لا الأدبية . أما كلامه عن « عبادة الشمس » حين يقول إنها لم تكن معدومة فى أطوار الديانات القديمة فليس صحيحاً فى جملته ... إن عبادة الشمس مثلا فى العصر البليوليثى المتأخر لم يكن لها وجود على الإطلاق ، وهو العصر الذى عرفته الحياة منذ عشرين ألف سنة على وجه التقريب . فإذا انتقلنا إلى العصر النيوليثى المبكر وجدنا عبادة الشمس على

نطاق ضيق لا يكاد يذكر ، وهو العصر الذى عرفته الحياة منذ عشرة آلاف سنة قبل الميلاد . فعبادة الشمس كانت معدومة تماماً فى أقدم عصور التاريخ ، وكانت شبه معدومة فى عصر آخر أقل قدماً ، وهذا هو التحديد الذى يؤكده بالدليل المادى « ورثنجتن سميث » فى كتابه « الإنسان المتوحش البدائى » ، ويؤكده بأدلة أخرى معنوية كل من العالمين الكبيرين « ج . ج . أتكنسون » فى كتابه « القانون البدائى » و « هـ . ج . ولز » فى كتابه « معالم تاريخ الإنسانية » !

بعد هذا التحديد ، نعرض لشىء من التحليل والتعليل لظاهرة انعدام «عبادة الشمس» عند الهمج وأشباه الهمج فى أقدم عصور التاريخ كما ورد فى كتب هؤلاء العلماء الثقات ، لنرد به على الآراء الخاصة التى أبداها الأستاذ صاحب السؤال .

لم يكن الإنسان الهمجى فى أقدم عصور التاريخ يعرف لوناً من ألوان التفكير الذى يقوده إلى الكشف عما يجرى حوله من ظواهر الكون وأحداث الحياة ؛ لقد كان كل تفكيره محصوراً فى قليل من الأمور التى تهمه كإنسان يتجنب الخطر حرصاً على حياته ويسعى إلى اجتلاب الرزق ليستطيع أن يعيش . فأفق التفكير عنده كان مشغولا بمثل هذا الإجهاد الفكرى الممثل فى طريقة الخلاص من حيوان مفترس قد يعترض طريقه فى الليل أو النهار ، وفى طريقة الحصول على حيوان أليف يهيئ من لحمه طعاماً يرد به غائلة الجوع ! ... ولقد كان قصوره عن التفكير المتغلغل فيما حوله من ظواهر وأحداث مرجعه إلى قصور اللغة التى تعد فى حقيقتها الدعامة الأولى لكل تفكير عميق . إن الرجل الهمجى فى العصر البليوليثى المتأخر لم يكن يعرف لغة تعينه مثلا على أن يفكر لماذا تشرق الشمس فى الصباح ولماذا تغرب فى المساء ، ومن أين جاء ولماذا يعيش ؟ ! لقد كانت لغته هى لغة الحركات والإيماءات ، وكان فكره يدور حول تلك الأشياء التى تقع فى دائرة إحساسه الساذج الذى لا يفترق أبداً عن إحساس الأطفال ؛ لأن اللغة كما يقول « ويلز » هى يد الفكر التى يطبق بها على الأشياء ويختزنها لديه إلى حين !

وليس من شك فى أن الرجل الهمجى فى ذلك العصر لم يؤت درجة من التفكير تهيئ له نعمة التمييز بين ما هو جماد وبين ما هو حى ... لقد كان يرهبه منظر النهر إذا ما تدفق وفاض ، ويخيفه رؤية الظلام إذا ما أطبق بجناحيه على الكون ، ويعصف بجلده وشجاعته زئير حيوان مفترس أو حدوث رؤيا مزعجة تقض مضجعه . وكل تلك الأمور فى وهمه أعداء يخشاها كل الخشية ويأتى من الأعمال ما يستجلب به رضاها عنه وعطفها عليه !

ولدينا من الأدلة المادية ما يثبت أن تفكير الهمج فى العصر البليوليثى لم يكن يتيح لهم بحال من الأحوال أن يستشفوا ماوراء الظواهر الكونية ؛ فرسوم الإنسان حتى التى تنتسب منها إلى العصر البليوليثى المتأخر لا تقدم لنا أية إشارة إلى أنه كان يهتم أدنى اهتمام بالشمس أو القمر أو النجوم أو الأشجار ... لقد كان كل تفكيره مركزاً فى الحيوان والإنسان دون غيرهما مما يقع تحت حسه وبصره من شتى الصور والمرئيات !

ولقد يسأل سائل : ألم يكن هناك نوع من العبادة يحتل مكانه من نفوس الهمج فى ذلك العصر من التاريخ ؟ ونحن نجيبه بأن هناك نوعاً من العبادة كان له أبعد الأثر فى حياة الإنسان البدائى فى العصر البليوليثى وهو « عبادة الرجل المسن » ... لقد كانت خشية الرجل المسن وأثرها العميق فى نفوس أهله وعشيرته هى مقدمة الشعور الدينى عند الهمج البدائيين كما يؤكد ذلك «جرانت الان » مقتفياً أثر « هربرت سبنسر » فى كتاب « تطور فكرة الإله » هذا الشعور الدينى الأول كان مبعثه إجلال الأهل والعشيرة للرجل المسن ، حتى لقد كان يحرم على كل فرد أن يلمس رمحه أو يجلس فى مكانه ! ومما كان يبث هيبته وخشيته فى النفوس ، ويبعث على احترامه وتقديره ذلك الدور الذى كانت تقوم به الأمهات فى توجيه شعور الأبناء نحو هذا الهدف المقدس !

هذا فى العصر البليوليثى ، فإذا ما انتقلنا إلى العصر النيوليثى لمسنا بعض التطور فى عقلية رجاله من الهمج وأشباه الهمج ... لقد بدأت مرحلة الرعى البدائى الذى يتطلب الترحل من مكان إلى مكان ، ولقد أجبر الراعى النيوليثى الترحل بحكم هذه الحياة الجديدة على أن يشحذ فكره ليدرك الاتجاهات المختلفة وانبساط الأرض كما أجبر على أن يهتم بالشمس فى النهار وبالنجوم فى الليل لأنها كانت أشبه بموازين يزن بها الوقت وتهديه إلى الطريق وترشده

فى تنقلاته ورحلاته . من هنا نبتت فى نفسه بذور لون من الشعور الدينى يختلف عما سبقه من شعور عند الإنسان البليوليثى ... إن توقير « الرجل المسن » هناك قد تحول هنا إلى توقير هذه الظواهر الكونية ممثلة فى اعتقاده بأنها أجسام ذوات أرواح وشخصيات تقدم له من الهداية والعون ما كان يقدمه الرجل المسن إلى أهله وعشيرته ! ولكن عبادة الشمس على الرغم من هذا كله لم تحظ بنصيب وافر من عناية الرجل النيوليثى حيث وجه جل عنايته إلى عبادة النجوم ؛ لأنها كانت فى رأيه أثبت دليلا من الشمس ! هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد كان للثعابين أثر كبير فى نفسه ترتبت عليه أن اضمحلت عبادة الشمس أوكادت لتحل محلها « عبادة الثعبان » ، وبخاصة فى تلك المناطق التى كان فيها للأفعى أهمية عملية خطيرة فى الحياة الإنسانية !

وهكذا ظلت عبادة الشمس شبه معدومة حتى أواسط العصر النيوليثى ، ولم يقدر لها أن تنتشر إلا يوم أن تكتل البشر فى مجموعات إنسانية تنتظم دولا مميزة المعالم موحدة الكيان ، هناك حيث توطدت أركان عبادة الشمس وديانة الشمس فى كل من مصر وبابل وفارس والهند واليابان .

وسيط هيئة الأمم وعدالة الديمقراطية الأمريكية :

يقولون إن فى أمريكا ديمقراطية ، ويقولون إن من مبادئ هذه الديمقراطية الأمريكية تلك المساواة بين رعاياها فى الحقوق والواجبات ... إذا لم تصدق هذا الذى يقال فاقرأ معى هذين الخبرين اللذين طالعتهما فى الصحف منذ أيام :

« حجز معهد الشرق الأوسط فى أمريكا حجرة فى فندق بارك لإجراء مباحثات خاصة بين خبراء شئون الشرق الأوسط غير أن خادم الفندق ما كاد يرى الدكتور رالف بانش بين هؤلاء الخبراء حتى انبرى له ومنعه من الكلام لأنه أسود ، ثم قررت إدارة الفندق إلغاء حجز الحجرة وإعادة النقود التى دفعت لذلك إلى المعهد ، لأن الدكتور بانش زنجى لا يسمح له بارتياد مثل تلك الأماكن » !

هذا هو الخبر الأول الذى طالعته فى « المصرى » .

وإليك الخبر الثانى الذى طالعته فى « الأهرام » :

« صرح الدكتور رالف بانش لمندوب مجلة (كوليرز) الأمريكية بأنه رفض منصب مساعد وزير الخارجية الأمريكية الذى عرضه عليه الرئيس ترومان لأنه (أى بانش) لا يستطيع الإقامة مع أسرته فى واشنطن حيث يلقى الزنوج اضطهاداً شديداً على أيدى البيض » ! !

رالف بانش وسيط هيئة الأمم المتحدة فى المشكلة الفلسطينية هذا الشاب العظيم المثقف الإنسان الذى خلف الكونت برنادوت عقب أن اغتالته الأيدى اليهودية القذرة ، هذا السياسى الممتاز الذى عرض عليه الرئيس ترومان منصب مساعد وزير الخارجية لكفايته ومواهبه ؛ رالف بانش هذا يحول بينه الديمقراطية الأمريكية فى شخص خادم وبين الكلام لأنه زنجى ، ويحول بينه الديمقراطية الأمريكية فى أشخاص أبنائها البيض وبين المنصب الخطير لأنه زنجى ... ترى كم علامة من علامات التعجب تكفينى لأثبتها فى ذيل هذا التعقيب ؟ أغلب الظن أن مئات الألوف منها لا تمكن أن تكفى لتعبر عما يجيش بنفسى من شتى الخواطر والانفعالات !

لقد كان الأمريكيون ينفقون من ميزانيتهم فى خلال الحرب ملايين الدولارات ليقنعوا الشعوب المضللة بتلك الحقيقة الفذة ، وهى أن الألمان برابرة متوحشون ، لماذا ؟ لأنهم يضطهدون جنساً يستحق الاضطهاد ، ويشردون جنساً يستحق التشريد ، ويحتقرون جنساً يستحق الاحتقار ، وأعنى به تلك الفئة من حثالة المخلوقات البشرية فى كل زمان وكل مكان ! ... قالوا هذا عن الألمان وهم يمثلون نفس المأساة ، وما أبعد الفارق بين جنس وجنس فى حساب الإنسانية وحساب الخلق والضمير ، نعم ما أبعده بين موسى شرتوك ورالف بانش فى مجال التمثيل بالفرد الواحد للألوف والملايين ! !

دكتاتورية حين تصدر عن الألمان وديمقراطية حين تصدر عن الأمريكيين ... وصفقوا ما استطعتم للديمقراطية الأمريكية المزيفة !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حول الكتب الأدبية بوزارة المعارف :

قررت اللجنة المختصة في وزارة المعارف ، تقرير طائفة من كتب الأدب الحديثة للقراءة الأدبية بالمدارس الثانوية في العام الدراسي القادم ، وهي توزع على الطلبة ، ويقدر ما يؤخذ من كل كتاب بين عشرة آلاف وعشرين ألف نسخة ، وأهم هذه الكتب ما يلي :

« زعماء الإصلاح في العصر الحديث » للدكتور أحمد أمين بك وقد جدد تقريره إذ كان مقرراً في العام الماضي ، و « الشاعر » للمنفلوطي بدلا من « في سبيل التاج » التي كانت مقررة في العام الماضي ، و « أبو الهول يطير » للاستاذ محمود تيمور بك بدلا من « نداء المجهول » ، و « مجنون ليلى » لشوقي بدلا من « الشوقيات » ، و « المهلهل » للاستاذ محمد فريد أبو حديد بك بدلا من « عنترة » ، و « عبقرية الصديق » للاستاذ عباس محمود العقاد بدلا من « عبقرية عمر » ، و « يوميات نائب في الأرياف » للاستاذ توفيق الحكيم ، و « العباسة » لعزيز أباظة باشا ، وجدد تقرير الجزء الأول من « الأيام » للدكتور طه حسين بك و « فارس بني حمدان » للجارم .

وقد ثار حول هذه الكتب ، أمران : الأول متعلق باختيارها والثاني خاص بثمنها .

أثار الأمر الأول معالي وزير المعارف عند ما اطلع على الكتب التي قررتها اللجنة ، إذ سأل معاليه عن أدباء كبار منهم الأستاذ الزيات ، لم لم تقرر لهم كتب ؟ وسأل عن كتب قررت وكان قد لوحظ بها أخطاء في اللغة والنحو والموضوع — لم قررت ؟

وأجابت اللجنة عن أسئلة معالي الوزير ، ومما قالت إن مؤلفات الأستاذ الزيات فوق مستوى الطلبة ، وأن الكتب التي بها أخطاء قد تعهد أصحابها أن يصححوا هذه الأخطاء في الطبعات الجديدة ! وإجابة اللجنة ، وفيها غير ذلك ، لم تستطع أن تزحزح علامات الاستفهام من مواضعها . وهنالك علامة استفهام كبيرة تحدق في اللجنة من تحت إلى فوق ومن فوق إلى تحت .. وذلك أن اللجنة مؤلفة من نحو ثلاث سنين ، للنظر في أمثل الطرق للنهوض باللغة العربية في المدارس وتحبيبها إلى الطلاب ، وهي مهمة وقتية غير دائمة ، واتخذت اللجنة طريق تقرير الكتب الأدبية لتحقيق هذه الغاية ؛ هذا حسن ، ولكن علامة الاستفهام تريد أن تعرف لم فرضت اللجنة نفسها سلطة تنفيذية دائمة ، تقرر وتنفذ في كل عام ، ولا تعرف الجهات الأخرى في الوزارة التي لها شأن فني في الموضوع ، إلا الأوامر تأتي إليها للتنفيذ ، حتى سميت « لجنة الأوصياء » وكأن علامة الاستفهام تريد أن تقف باللجنة عند وضعها الفني الاستشاري ، وقد تسائلها لم أعطت نفسها حق الاستمرار .

والمتأمل في الكتب التي تقررها اللجنة سنوياً ، يرى مؤلفيها « طقماً » ثابتاً لا يأتيه التبديل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا أريد أن أمس أحداً من أولئك الأعلام الذين تقرر كتبهم ، فهم أساتذتنا ومكانتهم الأدبية معروفة وكتبهم نافعة من غير شك . ولكن لم الاقتصار عليهم والاحتفاظ بهم في كل عام ، حتى إن من لم يجدد كتابه يقرر له كتاب آخر ، كأن المقرر هو المؤلف ...

أنا أفهم من تقرير تلك الكتب أنه يرمي إلى غرضين : اتصال الطلاب بالحركة الأدبية العامة ، وتشجيع المؤلفين . والغرضان يقتضيان التنويع في الاختيار بحيث يشمل ألواناً مختلفة من آداب العصر لأدباء مختلفين من مؤلفي العصر ، شيوخاً وكهولا وشباباً . وعندنا طائفة من الأدباء ذوي النشاط المحمود في التأليف قد تقدموا إلى الكهولة ، لم لا يقرر الصالح من كتبهم ؟ وأذكر منهم — على سبيل المثال — سيد قطب والعريان وعلى طه والخفيف وعلى أدهم ونجيب محفوظ . ولعل هؤلاء أولى بالتشجيع من أولئك المقررة كتبهم لحاجتهم إليه أكثر منهم ، ولاشك أن الناشئين وغير الناشئين يجدون في إنتاجهم ألواناً مختلفة محببة .

ويلاحظ أن بين الكتب المقررة كتباً لبعض أعضاء اللجنة ورئيسها الدكتور أحمد أمين بك ، وأنا أحب هذا الرجل الكبير ،

وبما أحبه فيه أفكاره التقدمية المبنية على أساس من ثقافة أصيلة.

وليس لهذا علاقة بالموضوع ولكنه استطراد أعود منه لأقول : إنى لا أحب أن يسلبنى ذلك الحب حريتى فى تناول الموضوع بما أراه . بين الكتب المقررة « زعماء الإصلاح فى العصر الحديث » وكانت اللجنة قد قررته فى العام الماضى قبل أن يطبع ؛ قررته فى إبريل وظهر فى أغسطس ، وبينها « المهلهل » ومؤلفه الأستاذ فريد أبو حديد بك عضو اللجنة. وقد يكون بينها كتب أخرى لأعضاء آخرين لم ألتفت إليها ، وهذان المثالان يكفيان لما أرمى إليه ، وهو أن هؤلاء السادة يحكمون بذلك لأنفسهم مهما قيل فى تبرير موقفهم وتعليله ، وفى الوقت نفسه يحكمون على غيرهم ممن لم تسعدهم الحال بعضوية اللجنة ..

ولا أدرى لمن الكتب التى اشتملت على أخطاء تمهد أصحابها بإصلاحها ، هل هى لأعضاء فى اللجنة أو لغيرهم ؟ وهل كتبوا « التعهدات » ووقعوها أو تعهدوا شفويا ؟ وهل تعهدوا بأنفسهم أو تعهد عنهم أولياء ؟

أما الأمر الثانى الخاص بأثمان الكتب فأرجئه إلى الأسبوع القادم .

كشكول الأسبوع

◻ قرر مجلس المجمع اللغوى فى جلسته الأخيرة اعتبار الأستاذ أحمد حسن الزيات خلفاً لأنطون الجميل باشا ، والأستاذ ابراهيم مصطفى خلفاً للجارم بك ، فى عضوية المجمع . وقد جرت العادة أن يتحدث العضو الجديد عن سلفه فى حفلة الاستقبال .

◻ يتجه الرأى فى لجنة الأدب بالمجمع إلى عدم تعيين موضوعات البحوث الأدبية فى المسابقة المقبلة ؛ بل يكون للمتسابق حريته فى اختيار الموضوع .

◻ خطب معالى وزير المعارف فى حفلة اختتام العام الدراسى فى كلية فيكتوريا ، باللغة العربيــة ، وهو أول وزير مصرى يخطب بالعربية فى هذه الكلية الانجليزية .

◻ تحتفل جامعة الدول العربية فى العام القادم بالذكرى الألفية لابن سينا . وقد رأت وزارة المعارف أن تشترك فى هذه الذكرى اشتراكا عملياً باقى الأثر ، وذلك بنشر كتاب « الشفاء » لصاحب الذكرى ، وألفت لجنة لهذا الغرض تعمل بتوجيه الدكتور طه حسين بك .

◻ نشرت « آخر ساعة » : أن صاحبة السمو الملكى الأميرة فائقة تهوى الأدب وتنظم الشعر باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية ويمتاز شعرها بالمرح والسخرية والنقد اللاذع .

◻ كتب الأستاذ محمود تيمور بك فى العدد الأخير من « الهلال » بعنوان « أيهم الأدباء » فقال إن الأدباء استكملوا حريتهم فى خارج أنفسهم ، ولكنهم لم يوفقوا إلى تحطيم الأغلال التى تقيد مشاعرهم ، وحبذا لو ضرب بعض الأمثلة لما يرمى إليه .

◻ قال لى الأستاذ كامل محمود حبيب : إنه كان يريد كتابة كلمة عن كتاب « خمر وجمر » ولكنه بعد أن اطلع على كلمة مؤلفه الأستاذ عدنان أسعد فى العدد الماضى من « الرسالة » — خشى أن يعتبره « مأجوراً » فنكل عن الكتابة ولنفرض أن أحداً قرظ الكتاب فاعتبره المؤلف مأجوراً كما قال ، فالسؤال بعد ذلك : ممن هو مأجور ؟

◻ ابتداء من ١٥ أغسطس القادم تنتظم فى لبنان حلقة للدراسات الاجتماعية تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة ، وتلقى فى هذه الحلقة محاضرات وتجرى مناقشات فى الموضوعات الاجتماعية المختلفة ويشترك فيها مندوبون من الدول العربية ، وقد وافق مجلس الوزراء على تأليف الوفد المصرى فيها من جماعة من المشتغلين بالدراسات الاجتماعية برياسة سعادة محمد العشماوى باشا .

◻ طلبت الحكومة السعودية ندب ثلاثة من مهندسى الإذاعة المصريين للعمل فى إنشاء محطة إذاعة فى جدة ، وقد وافقت الجهات المختصة على ذلك .

ولا بأس بالمهندسين ، ولكن لتحذر الحكومة السعودية من « خبراء » الإذاعة المصرية فى البرامج واختيار ما يذاع .

متحف الثقافة العربية :

احتفلت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية يوم الأربعاء الماضى ، بافتتاح متحف الثقافة العربية فألقى سعادة عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة كلمة نوه فيها بأثر الرابط الثقافى بين الأمم العربية من حيث إنه أهم الروابط بينهـا ، وقال إنه إذا وقع اختلاف على خطط عسكرية أو أغراض سياسية فإن الجميع متفقون على الأهداف الثقافية، كما قال إن العمل الثقافى فى الجامعة ليس مقصوراً على الدول المشتركة فيها وإنما هو لجميع الأمم العربية . وأعقبه الدكتور أحمد أمين بك فبين الأعمال التى قامت بها الإدارة الثقافية والأغراض التى تعمل على تحقيقها ، وعرف بمتحف الثقافة العربية وذكر المقصود منه وهو جمع المعلومات والوثائق المتعلقة بشئون الثقافة ونظم المعارف فى مختلف الأقطار العربية وتهيئتها للباحثين ، ثم عرض خلاصة هذه المعلومات وأهم الوثائق على الأنظار لإعطاء فكرة واضحة عن الحالة الثقافية فى كل قطر من الأقطار العربية.

وقد دلفنا بعد ذلك إلى مكان المتحف فألفيناه مقسما إلى

أقسام ، منها « التعليم الجامعي » و « التعليم الثانوي » و « التعليم الابتدائي » الخ ، وقد عرض في كل قسم نسخ من كتبه الدراسية وبعض صور للمدارس وما فيها من نشاط ، وما إلى ذلك مما يتعلق بالنظم والحياة المدرسية ، وعلقت بجدران المتحف مصورات ورسوم بيانية .

والمتحف وإن كان وليداً صغيراً إلا أنه عظيم الفكرة ، وقد نسق تنسيقاً جميلاً في حدوده الضيقة . وقد ساءلت نفسي بعد مشاهدته : هل هو متحف للثقافة العربية ؟ حقاً إن معروضاته تعطي فكرة واضحة عن النظم والمناهج المدرسية في البلاد العربية ولكن أين ما يمثل الثقافة العامة والنشاط الأدبي خارج النطاق المدرسي ؟ وهل هو متحف ؟ إن كلمة « متحف » أول ما يتبادر إلى الذهن منها أنما تطلق عليه يضم منتوجات من الفنون الجميلة ، وهو خال من هذه المنتوجات ، اللهم إلا بعض صور فوتغرافية ومصورات جغرافية . كنت أوثر أن يسمى « معرض التعليم في البلاد العربية » ولو مؤقتاً حتى يتسع ويشمل ما يجعله أهلا لاسم « متحف الثقافة العربية » .

حسن فائق باشا :

في الأسبوع الماضي عقد معالي وزير المعارف اجتماعاً دعا إليه رجال التعليم في الوزارة وفي الجامعة ، عرض فيه أمر استقالة وكيل وزارة المعارف سعادة حسن فائق باشا من منصبه ، وقال إنه ألح على سعادته في البقاء واستعان بدولة رئيس الوزراء على إقناعه بالعدول عن الاستقالة ، ولكنه أصر عليها مراعاة لصحته فاضطر آسفاً إلى قبولها .

وقد كان ذلك الاجتماع حفلا رائعاً لتكريم حسن فائق باشا وتوديعه ، تجلى فيه الوفاء الكريم والتقدير العظيم لرجل خدم العلم والتعليم أربعين عاماً كان فيها ، وخاصة أثناء توليته المناصب الكبيرة ، مثلا للرجل العادل النظيف ... وقد كان معالي الوزير دقيقاً في وصفه إذ قال له : «عرفتك مترفعاً في غير صلف ، ليناً في غير ضعف ، متميزاً على نظرائك في غير خيلاء ولا زهو» وهذه العبارة من كتاب بليغ وجهه معاليه إلى سعادته بهذه المناسبة . ومن معاني ذلك الحفل أنه كما قال فائق باشا في كلمته ، تكريم للعلم ورجاله في شخصه .

كان حسن فائق باشا بوزارة المعارف دعامة لحفظ التوازن فيها فالملك تعرف أن في هذه الوزارة منذ قديم عهدها تيارات مختلفة وعصبيات معهدية وغير معهدية ، وكان الرجل متجرداً من تلك الصغائر ، ينظر إلى الجميع نظرة واحدة ، لا يمين فئة على فئة ، ولا يقصر في نصرة الجانب الذي يرى فيه الحق . ومن هنا كانت خسارة الوزارة باستقالته عظيمة .

أرواح هائمة :

هذا هو اسم الفلم الذي ابتدأ عرضه هذا الأسبوع في سينما بارادي وسينما مترو بول . وهو يعرض قصة تبدأ بمنظر في مكتب رئيس تحرير جريدة « الحرية » حيث نرى الآنسة هدى رئيسة جمعية تحرير المرأة تحتج على المقالات التي يكتبها الأستاذ زهدي ضد حقوق المرأة ، ثم تدعوه إلى حفلة في (الأوبرج) تقيمها الجمعية للاحتفال بتخريج الفوج الأول من الفتيات اللاتي تطوعن للعمل في حرب فلسطين ، كي يقتنع بأن المرأة تستحق المساواة بالرجل . وفي الحفلة نرى زهدي مع فتاة عابثة مستهترة باللهو هي مخطوبته ، وهدى مع شاب ماجن هو خاطبها . ثم يتطوع زهدي للقتال في فلسطين ، وتتطوع هدى للتمريض في الحرب . ويعود زهدي في إجازة ، وعند وصوله إلى منزله يفاجأ ببرقية تتضمن أن والده يحتضر ، فيسرع إليه في سيارته التي تنقلب به في الطريق فيصاب إصابات شديدة ينقل على أثرها إلى المستشفى العسكري حيث يعالج فيشفى غير أن وجهه يشوه تشويهاً منكراً . ثم يذهب إلى مخطوبته ، وهو يخفي دمامته بقناع يبدي الوجه طبيعياً ، ويلومها على سلوكها ، ويفسخان خطبتهما ، وكذلك تفسخ هدى وخاطبها خطبتهما في منظر آخر ، وبعد ذلك نرى زهدي يغازل بعض الفتيات ، ثم يخلع القناع ويبدي لهن وجهه فينفرن منه . ثم يلتقي بهدى ، ويغازلها وهو مقنع ، ثم تكشف هي أنه المريض الذي كانت تمرضه في المستشفى وخرج مشوه الوجه ، فتنفر منه أولا ، ثم تذهب إلى أبيها وتقول له إن زهدي يريد أن يخطبها إليه فيرسل الوالد إليه ويفاتحه في الأمر ، فيرفض زهدي ويكشف له وجهه ، ولكن هدى تبدي رغبتها في زواجه لأن تشويهه من التضحيات الوطنية ، ثم يذهب والدها به إلى سويسرا ويعالج وجهه حتى يعود إلى طبيعته .

وفي الفلم فجوات وتضاريس ... منها أن زهدي يلتقي بهدى



مدفن الاسكندر :

قرأت الكلمة التي كتبها الأستاذ كاظم المظفر (حول مدفن الاسكندر) رداً على ردى على ما كتبه من قبل .

لا زلت أقرر وأكرر وأؤيد ما قلته من قبل من أن الاسكندر الأكبر توفى فى مدينة بابل وأن تابوته لا يعرف مكانه حتى الآن وأنه عند وفاته لم تسكن أمه فى مصر بل كانت فى بيللا مسقط رأس عائلة الاسكندر .

يسألنى الأستاذ كاظم : من أين استقيت ما أقول ؟ فأقول له : إن جميع المؤرخين اليونانيين والألمانيين والفرنساويين والانجليز وغيرهم وغيرهم حققوا ودققوا وقالوا ما قلت وقولهم هو عين اليقين منهم المؤرخ اليونانى أريين Arien وها ما قاله عنه صاحب القاموس العام للتراجم والتاريخ والجغرافيا القديمة والحديثة :

C'est Arrien qui, écrivant d'aprés les mémoires de quelques lieutenants d' Alexandre, a composè le livre le Plus consciencienx et le mieux raisonnè sur ce sujet

ومثله المؤرخ درويزن الألمانى الذى كتب كتابه المشهور « تاريخ الاسكندر » المطبوع فى برلين فى سنة ١٨٣٣[1] .

ومن قبله المؤرخ الإنجليزى وليمس الذى كتب عن (حياة وحروب الأسكندر الأكبر) .

ومثلهم المؤرخ الفرنساوى سنت كروا Sâinte Croix الذى وضع كتاباً عن بحث ونقد ما كتبه مؤرخو اسكندر الأكبر . وهذا الكتاب طبع ونشر فى سنة ١٧٧٥ وقد وصفه صاحب القاموس سالف الذكر بقوله إنه :

(١) والمؤرخ درويزن Droysen هذا حذق اللغتين اللاتينية واليونانية، ودرس كتب بلوطرخوس وكونت كورس وتوسيديد وكسنوفون وأصبح ثقة فى التاريخ .

فى المرة الثانية على أنه أول لقاء وقد سبق أن تعارفا ، ولست أدرى لماذا جُعلت إصابة زهدى فى السيارة بعد أن عاد من الحرب وكان الأولى أن تكون إصابته فى الميدان حتى يتحقق معنى التضحية التى قدرتها فيه هدى ؟ وفى حفلة (الأوبرج) لم نر فتيات مجندات غير الست هدى . ولم يكن طبيعياً أن يعنف السيد زهدى مع مخطوبته ويكشف لها وجهه فترى بخاتم الخطبة فى هذا الوجه الكريه ، ثم يقبل عليها بعد هذا بشغف وبيثها هواه ويذكرها بالذى كان .

ثم أريد أن أسأل عن هدف القصة ، هل هو الاعتراف فى آخر الأمر بأن المرأة تستحق المساواة بالرجل ؟ تظهر فى القصة هذه المحاولة ولكنها لا تستند إلا إلى شخصية هدى ، وقد انتهت عقدة القصة بقبولها الزواج من الرجل الذى قدرت شخصيته وتضحياته ... ولكن هذا التقدير لم يظهر إلا فى كلمات مقتضبة عند ما أبدت رغبتها فى هذا الزواج ، ولم يكن لهذا « الشعور » مقدمات ، ثم هل هذا يعنى المساواة ؟ وقد أضفى منظر الوجه المشوه على الفلم روحاً ثقيلاً قابضاً ، وقد انطلق صاحبه بخفيه ثم يظهره فيفزع بنات الناس ويروعهن ... ولست أدرى هل « الأرواح الهائمة » هى أرواح هؤلاء البنات المروعات ، أو هى روح صاحب الوجه الشاردة وداءهن ، وقد جمت على « أرواح » اعتباطاً ..؟ فانى لم أجد بالفلم ما يدل على اسمه « أرواح هائمة » غير ذينك الفرضين . أو لا تكون الأرواح الهائمة هى أرواح الجمهور التى شردتها مشاهدة الفلم ... ؟

وقد مثل فى هذا الفلم أحمد علام وزوزو حمدى الحكيم ، وقد ظهرا فى بضعة مناظر قصيرة ، وكليا (هدى) ولولا صدقى (مخطوبة زهدى) وقد أحسنت كليا فى دورها غير أنها كانت متكلفة فى زيها العسكرى وجامدة فى التمريض . أما لولا صدقى فقد أجادت فى تمثيل الفتاة العابثة وقد تخصصت فى هذا الدور . وأما سائر الممثلين والممثلات فأكثرهم وجوه جديدة ، ومنهم بطل الفلم (زهدى) واسمه سليمان عزيز ، وكذلك المؤلف سامى عزيز ، وقد أخرج الفلم كمال بركات . وأود لهم التوفيق فى مقبل الإنتاج .

عباس خضر

Le principal monument de L érudition de L ' anteur; vérttable trésor de L' histoire d ' Alexandre oû la noble - -sse d' un style un peu prolixe se Joint â La Profondeur et à L'exactitude des recherches

فإذا أضفت إلى كل هـذا كتاب بلوطرخوس Plutraque عرفت صحة المصادر التى استقينا منها ما كتبناه .

على أن من ينعم نظره فيما كتبه الأستاذ كاظم يدرك على الفور بأن المصادر التى استند إليها هو لا تفيده . فمثلا استند إلى البستانى الذى قال (ولما استولى الاسكندر على بابل كانت خربة بالنسبة إلى حالتهـا الأولى فعزم على إعادة بنائها وجعلها عاصمة لملكته فى آسيا ، غير أن المنية أدركته قبل إنفاذ مقصده) هذه الجملة ليس فقط لا تفيد أن الاسكندر لم يمت فى بابل ، بل ترجح بالعكس أنه مات فيها . وكون المنية أدركته قبل إعادة بنائها وجعلها عاصمة لملكته فى آسيا لا ينفى وجوده وموته فيها بعد تجديد بنائها وتعميرها . لأن اسكندر لما رأى الخراب عم مدينة بابل أمر ٢٠ ألفا من جنوده برفع أنقاض العمارات المتخربة ورفع أنقاض معبد بابل ثم البدء فوراً بترميم ما تخرب من المدينـة وتعميرها وتجميلها لتكون مقراً له ؛ وجعل تنفيذ هذه الأعمال تحت إشراف حاكم بابل ، ثم أمر بحفر ترعة على مقربة من بابل . فما قاله البستانى صحيح فى بعضه وغير صحيح فى كله .

ثم يقول الأستاذ كاظم إن (المسعودى لم يتحقق تماماً من المكان الذى مات فيه الاسكندر ، وأنه ذكر فى ذلك أقوالا ثلاثة لم يرد فيها اسم بابل) وهذا استدلال غير منتج أيضاً .

على أن من القرائن الواضحة — عـلاوة على أقوال وتحقيق المؤرخين الذين ذكرتهم — على أن الاسكندر توفى فى بابل أن جميع المؤرخين رووا أنه قبل دخول الاسكندر مدينة بابل حذره المنجمون من دخولها وقالوا له إذا دخلت بابل كان دخولك وبالا عليك ، فلم يحفل الاسكندر بتحذيرهم ودخلها فكانت وفاته فيها فى يوم ١١ يونيه سنة ٣٢٣ قبل الميلاد . ومن القرائن أيضاً أنه عقب وفاة الاسكندر نودى بابنه ملكا فى مدينة بابل نفسها خلفاً لأبيه . فإن كان الاسكندر مات فى ديار ربيعة أو فى العراق بناء على أن بابل كانت خراباً يباباً لما نودى بابن الاسكندر ملكا فى بابل

أما قولى بأن تابوت الاسـكندر لم يعرف له مقر حتى الآن فتؤيده الأبحاث والحفريات والتحقيقات الجارية حتى الآن . كما يؤيده مضى ٢٣٠٠ سنة على وفاة الاسكندر وعدم العثور على تابوته حتى الآن . وإن كان الأستاذ كاظم يعرف أين مقر هذا التابوت فليرشدنا ليكون له شكر جميع المؤرخين فى العالمين القديم والحديث .

أما ما صرح به المسعودى من أن الاسكندر (عهد إلى ولى عهده بطليموس أن يحمل تابوته إلى والدته بالاسكندرية) فقول بعيد عن الحقيقة بُعد الأرض عن السماء ؛ لأن إقامة الاسكندر فى مصر لم تطل أكثر من ستة شهور ما كانت تكفى وما كانت تستحق سفر أمه من بيللا إلى مصر . ولم يقل أحد من المؤرخين أنها تركت مقدونيا وحضرت إلى مصر ، بل أجمع المؤرخون على أن بطليموس أحد قواد الاسكندر أراد أن ينفذ وصية الاسكندر عندما وصى بأن يدفن فى واحة سيوه بجوار أبيه آمون رع . وقد حار المؤرخون فى أمر معرفة إن كان تابوت الاسكندر نقل حقيقة من بابل إلى مصر . ولما أشاع بعض المؤرخين أن تابوت الاسكندر موجود فى مصر وعين بعضهم موضعه فى شارع النبى دانيال قام المغفور له الأمير عمر طوسون بعمل حفريات على مقربة من مسجد النبى دانيال فلم يعثر على شىء .

إن الرجوع إلى بعض المؤرخين العرب مثل المسعودى وابن خلكان والخطيب فى جميع الحوادث القديمة وعلى الخصوص فيما تعلق منها بغير العرب من إغريق ويونانيين ورومانيين وغيرهم غير مأمون العواقب ، لأنهم لم يحققوا ولم يدققوا بأنفسهم كما فعل المؤرخون الأفرنج ، لأنهم يكتفون بنقل ما يقوله من سبقهم نقلا بغير تحقيق وبغير تدقيق . فقول الأستاذ كاظم بأنه (لا يخفى ما لابن خلكان والخطيب من شهرة واسعة فى عالم التاريخ وما لديهما من خبرة ودراية بشئون الأمم القديمة وأحوال ملوكها وأيامها وغير ذلك) لا يكفى لاعتماد ما يقولونه بغير بحث وبغير الرجوع إلى أبحاث العلماء الذين بحثوا وحققوا ودققوا وأصبحوا ثقة فيما يكتبون وفيما يقولون ...

عزيز خانكى



مادلين

للأديب يوسف جبرا

« لم تجف الزهور البيضاء التي وضعوها على قبرك ، ولم تتلاش أصداء النواح من الأفق بعد . لقد كف جرس الموتى عن دقاته الحزينة المتفرقة ، ولكن الأسى لم يكف عن دق الصدور التي اشتملت على صورتك الحبيبة يا مادلين ، والدمع لم يكف عن الاشتعال في مآق تسهر الليل بعدك ...

ها هي ذي الشمس تغمض جفنيها بين فلذات من الدم القاتم ، وها هو ذا وشاح الليل يلف الكائنات ، وها هي ذي الأشجار الضخمة في نواحي المكان ساكنة واجمة ... الجميع يشاركونني آلامي ووحدتي ... وأنت في طي لحدك يا مادلين راقدة ، كما رقدت ما جدولين المسكينة من قبل ! »

* * *

أقبلت علينا صاحبة النزُل في صباح تقول : بشرى لكم ... إن أسرة صغيرة من مواطنيكم توشك أن تحل هنا : أب وابنه وابنته ... لقد أعددنا الغرفة المجاورة وهيأناها ، وستكون هنا في المساء » .

وانطلقت صاحبة النزل فانضمت إلى أختيها في الغرفة الكبيرة التي كنا نسميها « الإدارة » . كن ثلاث أخوات سوريات يشتغلن بالخياطة ويدرن هذا النزل الصغير الأنيق . وكان للثلاث طابع واحد ... بدانة مفرطة تصحبها رقة وظرف — وكثيراً ما تكون البدانة والرقة صنوان !

أما « الإدارة » فهي المكان الذي تجلس « الركائب » الثلاث في ناحية منه معظم النهار ... بينما تتناثر في النواحي الأخرى ماكينات الخياطة ، والفتيات اللواتي يتعلمن المهنة ، وخليط من الأدوات والأقمشة والسلال ... دائماً ! وفي هذه الغرفة يتشاور الثلاث البدينات همساً في ما يهمهن من الأمور التي تختص بالنزلاء ؛ وفي هذه الغرفة تقوم « الزبونات » بتجريب « البروفة » أمام المرآة وتسلم الثياب التي تكمل خياطتها .

وفي هذه الغرفة تنعقد جلسات عائلية بين الأسر القيمة بالنزل ، فينصت الجميع إلى حكايات طريفة تحكيها « الركائب » عن أصلهن الرفيع وعن الشبان الذين تقدموا للزواج منهن في غابر الأيام ... وكان نصيبهم جميعاً الرفض !

في ذلك المساء قدمتنا كبرى الأخوات الثلاث إلى مادلين وأسرتها الصغيرة ... أما أبوها فكان رجلاً ، مسناً ، في فمه أسنان صناعية ، وعلى عينيه منظار غائم لا تكاد ترى عينيه من ورائه . أما الأخ فكان شاباً ظريفاً لما ينته من دراسة الطب . أما هي — مادلين — فقد بدت فتاة في الربيع الخامس والعشرين من عمرها ، نحيلة ، سمراء ، في عينيها لهيب قاتم ، وفي خصلات شعرها الأسود المهدل فن وعبقرية .

كانت الصورة الأولى التي وعتها لها ذاكرتي هي تلك ، وكانت إذاك في ثوب بنفسجي اللون ، يزيد لهب عينيها قتامة وسحرا . كانت مرحة كثيرة الضحك ، وكان أول ما فعلته أن دعتني إليها — وكنت إذاك في السادسة من العمر — فقالت لي : ما اسمك ؟» وحاولت أن أجيب ... ولكن قبلتها كوت فمي وخدي ، وأرسلتني أعدو إلى أمي في تعثر وخجل ! ..

وسرعان ما اتصل الود بين مادلين وبين أمي ، فكانتا تشتركان في كل أمر من الأمور ... كنت تراهما معاً طيلة الوقت في المطبخ ، أو أمام ماكينة الخياطة ، أو في الخارج تبتاعان شيئاً ... إلى آخر هذا كله ! .

واتصل الود أكثر من هذا بيني — أنا الصغير — وبين مادلين . كانت دائماً تدخر لي جانباً من الحلوى ، وكانت دائماً تستقل هي بعمل ما أحتاج إليه من قطع الملابس الصغيرة ، وكانت في كثير من الأحيان تصحبني معها إلى الخارج ... ومن قبل ومن بعد كانت تحيطني بساعديها وتضمني إلى صدرها الحار لتغمرني بقبلات لا عداد لها ... قبلات محمومة والهة أشعر أنا

الصغير بأنها تختلف كثيراً عن قبلات أمى وسائر من بالمنزل ...

أما من ناحيتى ، فقد كنت أحب كثيراً أن تقبلنى ، وأن أملأ خياشيمى الصغيرة بعطر البنفسج الذى يفوح دائماً من شعرها الحالك . وكنت أحب أن ألوذ بغرفتها التى كانت غالباً ما تخلو من الأب والأخ ... وهناك أطل من نافذة كبيرة على سطح دار مجاورة — كانت على ذلك السطح بقايا لعب ملونة ، وأصص صغيرة فى كل واحدة منها زهرة حمراء !.

... إلى أن كان ذلك اليوم الذى رأتنى فيه أمى بين ذراعى مادلين وهى تقبلنى تلك القبلات المحمومة ، فدعتنى إلى غرفتنا بعيداً عن أنظارها ، ثم عبست فى وجهى وحذرتنى قائلة : لاتدعها تقبلك مرة ثانية .. أفاهم أنت ؟ لاتذهب إليها إن دعتك .. إياك ! وعرتنى الدهشة ، ولم يستطع عقلى آنذاك أن يفسر ذاك التصرف الغريب .. أتحرمنى من مادلين ؟ .. لماذا لا أدعها تقبلنى ؟ لماذا لا أذهب إليها ..

رحمك الله يا أمى ، فما كنت آنذاك أستطيع أن أدرك شيئاً مما كان يدور بخلدك..أنت يا من حنكتك التجارب وعرفت من أمور الدنيا الكثير . أما الآن ، وقد كبرت واتسعت مداركى ، فإنى أعتب عليك يا أمى — أعتب عليك حتى وأنت فى عالمك الآخر : لماذا دار بخاطرك ما دار عن مادلين ؟ هل كانت مادلين كغيرها من البشر ؟ لماذا حرمتنى منها ، وحرمتها منى ؟ إن الأمر لم يكن أكثر من أنها فتاة جياشة العاطفة طال بها انتظار الزواج والأمومة .. فلماذا قصرت عن فهمها ؟ ...

وقد كان محالا أن أقطع صلتى بها هكذا دفعة واحدة ! أريد على الأقل أن أعود لرؤية الصور الجميلة التى بغرفتها ، وأن أطل أحياناً من النافذة الكبيرة على السطح الملىء باللعب وأصص الزهور !.. وهكذا مضيت إلى أمى ، وتوسلت إليها والدموع فى عينى قائلا : لا أدعها تقبلنى ..لكن دعينى أذهب إليها إذا نادتنى مثلا ! فنظرت إلى نظرة حادة ، وقالت : حسن .. سنرى !

« وفى ذلك المساء دعوتنى إليك يا مادلين ، وأريتنى آلة للتصوير اشتراها أخوك ، ثم حاولت من بعد أن تقبلينى . . كدت أن أستسلم أول الأمر حسب ما اعتدت ، لكنى تذكرت والدتى .. فاضطربت ! لكنك ألححت يا مادلين ، فلما حاولت أن أتخلص من ذراعيك .. عرت وجهك سمات الدهشة ، وقلت ما ذا .. ألا تريد أن أقبلك ؟ »

وحاولت أنا أن أنظر فى عينيك لكننى لم أستطع ، فأرخيت أهدابى ، وكان طبيعياً أن تلحظى فى تصرفى إزاءك شيئاً غريباً طارئاً ، فوضعت يديك على كتفى ، وحدقت فى بعينين تجلت فيهما الحيرة ، وقلت : لماذا ؟ .. لماذا لا تريد ؟! »

وفى براءة الطفل، كأنى أريد أن أتخلص من هم يجثم على صدرى ، أو كأننى أريد أن ألصق التهمة بصاحبتها ، رميت فى وجهك بالحقيقة ويدى تخفى اضطراب وجهى ... قلت : أمى قالت لى . لا تدع مادلين تقبلك ! » . فكأنما أصابتك لطمة شديدة ... لقد شحب وجهك الحبيب ، وغامت عيناك فتلاشى منهما ذلك الألق الحار فى الضباب . صرفتنى فى لطف، لكنى مضيت إلى تلك الشرفة الكبيرة التى تطل على الميدان الفسيح ، وهناك انتحيت ركناً بعيداً ، وجلست أبكى — لم أكن أبكى وحدى فى تلك الساعة .. لقد رأيت فى يدك منديلا صغيراً وأنت تحملين الطعام إلى أبيك فى الليل!

ولم يكن فى مقدورك أن تطيلى الصبر أو السكوت ، ففى صباح اليوم التالى فاتحت أمى فى الأمر — كان ذلك وهى تطهو الطعام — فعاتبتها عتاباً رقيقاً ، فأنكرت يامادلين وقالت إننى — أنا — قد اخترعت ذلك الشىء اختراعاً ..!

ولم تصف القلوب فى تلك الساعة ، فكان أن تشاجرتما من بعد كطفلتين ، وكان أن انطلقت كل واحدة إلى غرفتها تغسل كبرياءها بفيض من الدموع السخينة .

كان اليوم التالى يوم الرحيل ، فاستطاعت كبرى الشقيقات الثلاث أن تصلح بينكما ، فتعانقتما عناقاً مؤثراً ، وأبت أمى إلا أن ترتدى ثياب الخروج من وقتها وتصحبك أنت وأسرتك الصغيرة إلى القطار .! أما أنا ، فقد أوعزت أمى لإحدى الشقيقات أن تأخذنى إلى « الإدارة » لتقص على قصة شائقة ، حتى لا أفكر فى اللحاق بك . كانت تعلم مدى تعلقى بك ، فكنت عند « حسن ظنها » وهربت من الأخت الطيبة إلى الشرفة المطلة على الميدان الفسيح ، ومن هناك جعلت أصغى إلى أصوات القطر الغادية والرائحة ، متخيلا إياك وأنت ترحلين إلى السودان!

مضت على أيام من بعدك قضيتها فى ذكرى أليمة ، كلما أتانى صفير القطار اغرورقت عيناى بالدموع ، وكلما نظرت إلى غرفتك الخالية أكل قلبى الأسى . ثم كان أن انتهت أيامنا بدورنا ورحلنا إلى السودان — كنت أحس دائماً بفرحة كلما عدنا إليه ، لكنها كانت هذه المرة فرحة زائدة ... تذكرنى

بشموري يوم عدت إلى دارنا بعد أن ضللت فى إحدى المرات نهاراً كاملاً . ولقد تخيلت أنى سرعان ما ألقاك يا مادلين ، لكن آمالى خابت إذ عرفت أنك تقيمين فى بلد مجاور ، ومن ثم فلا أمل فى شيء أكثر من زيارات ممدودة ... ربما اعترضت أمى أيضاً على أن تصحبنى فيها .. ما كان أشد فرحتى يوم زرنا بيتك للمرة الأولى ! كان البيت جميلاً يوحى بالرغد والسلام ، وكانت بالفناء شجرة تين جملت تقطفين منها وتطعميننى ، وكانت بالفناء الآخر «عشة» كبيرة فيها سرب من اليمام الجبلى ، وقبل هذا وذاك كنت أنت هناك .

لقد كانت المرة الأولى والاخيرة يا مادلين ، وإنى لا أزال أذكر كيف ظهرت مرحة أمام الجميع حتى لكأنك فتاة مقبلة على الزواج! ماذا قلت! سامحينى .. فربما أكون قد مسست شعورك! لا أنكر أنى تساءلت طويلا ... لم بقيت دون زواج حتى ذلك الوقت؟ لو كنت زوجة آنذاك وكان لك أطفال ، لما أفرغت على كل هذا الحب ، ولما تركت فى حياتى ذلك الأثر العميق ! ... ثم كان يا مادلين أن حملوا إلينا ذلك النبأ السيء ، حملته إلينا جارة تمت إليك بصلة قرابة ، قالت إنك شغفت بالقصص وأدمنتها إدماناً شديداً — وجدك أخوك ذات يوم نائمة وعلى صدرك قصة حب ضممت عليها راحتيك ... فما كان منه إلا أن جذبها منك فى عنف وهو يصرخ بك : استيقظي ! كانت حماقة منه كلفتك أعصابك . لقد دهمتك نوبة حادة انتهت بذلك « الشلل » الذى أصاب إحدى يديك ! أواه يا مادلين ! قالوا إنك بت ضحية للسقم والعلة ، وإنك تذوين كغصن فى طريقه إلى الجفاف . كان من سخف الأيام أن منعتنا زيارتك فى ذلك الوقت ، وأن شهوراً مرت فكدنا ننسى أمرك كل النسيان .

وفى يوم سعيد — أحد أيام العيد الثلاثة — كانت ساحة البيمة فى أوج زينتها ، تموج بالناس رجالا ونساء ، شيوخاً وأطفالا ، وكانت هناك حلقة منهم تحت شجرة « اللالوب » الضخمة فى ظل البرج الكبير ، وفى وسط الحلقة شاب ظريف يقوم ببعض الألعاب ليضحك الناس . لمحتك فجأة ، وأنا على حافة الجدار مع ثلة من الرفاق ، مع فتاة أخرى فى ناحية من المكان . لم أكد أعرفك يا مادلين ، لكننى أحسست أنه لا بد أن تكونى أنت ، فوثبت إلى الأرض دون أن أعى ، ورحت أخترق جموع الناس وقلبى يدق فى خبل !

آه ، كم كنت جميلة فى ذلك اليوم يامادلين ! كنت فى معطف من الصوف أحمر اللون ، وكانت على رأسك قلنسوة بديعة حمراء أيضاً ، وكنت كأحسن ما تكون الفتاة صحة وجمالا . لم تبخلى على بقبلة صغيرة فى خدى ، ولكن ترقرقت فى عينيك آنذاك دموع الفرح والسعادة ؟ لقد رأتك أمى فى تلك الساعة فأقبلت عليك تحييك فى شوق واهتمام .. وأى اهتمام ! لقد أثرت يا حبيبتى يومها حسد النساء وألهبت قلوب الرجال — وصدق أننى فرحت لك كل الفرح إذ قالوا إنك ستتزوجين ... أخيراً !

ستجدين إذن من تفرغين عليه ذلك الحنان المكبوت ، وسيروى حقلك الظامىء أيضاً بفيض من الحب والرعاية .. لكن جاء ذلك اليوم المشئوم .. بعد شهر من الزمن .. اهتز البرج الكبير فى الصباح ، ودق الجرس الضخم فى أعلاه دقات متقطعة رهيبة !

لقد غرقت سفينة كانت تحمل خطيبك .. وغرق كل أمل باق لك فى الحياة ! لم تتحملى الصدمة يا مادلين .. فعادتك نوبة شديدة كانت هى النهاية ! هاهى الشمس تدرج فى السماء ، وهاهى الطيور البيضاء تنشر أجنحتها على قبة البيمة ، وهاهو الندى يترقرق بعد على الغصون وإلى الساحة الكبيرة يحملون نعشاً أبيض صغيراً ، نعشك أيتها العروس !

يوسف جبرا

مطبعة الرسالة

العدد ٨٣٣ — الاثنين ٢٠ يونيو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٢٠٥٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 833

Lundi — 20 — 6 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١٣٦٨ — ٢٠ يونيو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٨ ـ أمم حـــائرة

المرأة في هذا العصر أيضاً

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

قال الفريق الأول : أتبغون المرأة حبيسة فى دارها ، منقطعة عن دنياها ، محجوبة عن الطرق والأسواق ، ممنوعة من الأندية والمجامع ، محرومة من المسارح والملاهى ؟ أتبغونها قعيدة بيت لا تعرف إلا ما حوته الجُدُر من دارها ودور جيرتها وأهلها ؟ أكذلك تبغونها أيها الظالمون ؟

فيقول الفريق الآخر : كلا كلا . لقد بينا قبلا مكانة المرأة من نفوسنا ، وأعربنا عن إعظامنا بل تقديسنا إياها ، ودعونا إلى أن تبلغ من العلم والُخلق الدرجات العُلى ، وهى أعز علينا وأكرم من أن تُحبس أو تُحجب أو تُمنع أو تُحرم .

إننا نريدها أميرة دارها ، وملكة أسرتها ، قوّامة على أولادها ، فى الدار عملها ، وفيها جهادها ، وفيها عبادتها ، وفى الأسرة يتجلى علمها وأدبها . ثم لاحرج عليها بعد هذا أن تخرج إلى الأسواق ، وتسير فى الطرق ، وتغشى المجامع ؛ ولكن مسير السيدة الكريمة ربة الأسرة التى تخرج من دارها لشئونها ثم تسرع الأوبة إليها .

نريد أن تكون خارج دارها ملء الناظر إعجاباً وإكباراً ، وكرامة ومهابة ، يُخسِىء العيون عنها تصونها وكبرياؤها ، ويرد السفهاء استقامتها فى طريقها ، وسمتُها فى سيرها .

كذلك نود أن تكون المرأة حيثما توجهت ، وأينما سارت ، ونود أن تحيطها البيئة بأدب يزيدها كرامة وعزة ، وتلقاها بأخلاق تيسر لها السيرة الكريمة ، والخطة القويمة ، والمنزلة العالية . لا كما تعرفون فى شوارعكم وأسواقكم ومجامعكم وملاهيكم ، فنحن لا نخالفكم على الحرية ، ولكن على الأخلاق والآداب والكرامة والصيانة .

وليس الذى ندعو إليه محالا ولا عسيراً . نحن لا نزال فى أول الطريق ونخشى العاقبة التى ينتهى إليها هذا المسير ، والنهاية التى تؤدى إليها هذه البداية . وكم رأينا فى بلاد شرقية وغربية المرأة الوسيمة المتجملة جادّة فى طريقها ، مستقيمة إلى وجهتها ، توحى إلى كل من يراها الإجلال والإكرام والأدب والحياء . وكثيراً رأينا بعض هؤلاء عامدات إلى مسجد أو كنيسة معهن أولادهن ، كأنما هن فى معبد على الطريق إلى المعبد . فكذلك نريد النساء .

وعلى ذكر المساجد والكنائس نقول : هؤلاء الداعون والداعيات إلى ارتياد كل موطن ، وغشيان كل مجمع ، والمزاحمة فى كل مضيق — لما ذا لا يدعون إلى حق النساء فى المساجد ؟ لما ذا لا يطالبن بأن يغشين المساجد مشاركات للرجال أومنفردات ، ليصلين ويستمعن إلى المواعظ ، بل ليعلّم بعضهن بعضاً من علوم

الدين والدنيا ؟ لماذا لا يُطالب بأن يكون للنساء مدرسة دينية لتخريج عالمات فى الفقه والحديث والتفسير وآداب الدين ؟ لماذا تتوجه الدعوة وجهة واحدة ؟ ولماذا تُذكر الحقوق فى جانب وتُنسى فى جانب ؟ أليس الأمر محاكاة وتقليداً أو إيثاراً للدعاوى المدوّية .

هذا فصل المقال بيننا وبينكم أيها المجادلون : تريدون خروج المرأة عن طبعها ، وهجرانها دارها ، وابتذالها فى الأسواق والمجامع ؛ ونريد لها الحياة على طبيعتها ، والاعتصام بدارها ، والصيانة والكرامة فى كل سبيل ، وكل مكان ، وعلى كل حال .

قال الفريق الأول : إن دعواكم ينقض بعضها بعضاً ، ويكذب آخرها أولها . تقولون لا نضيق على المرأة ولا نحجبها ولا نمنعها غشيان الجامع ، وتقولون إن عملها فى دارها ، لا نُخرجها منها إلا الضرورات ، وتحرمون عليها العمل فى المصانع وتولى المناصب ، بل كل عمل خارج البيت ، وهذا التهاتر فى أقوالكم هو صورة الاضطراب فى أفكاركم ، وتزلزل الأدلة وراء دعاويكم .

ويقول الفريق الثانى : لو فقهتم ما قدمنا ، وبلغتم غور ما أسلفنا ، لم ترمونا بالتناقض فى القول والاضطراب فى الفكر .

إن الكلمة الجامعة فى رأينا أن المرأة للدار ، والدار المرأة ، فكل عمل ينأى بها عن الدار ، ويحرم الدار تدبيرها محرم عليها إلا ما اضطرتها إليه الضرورات ، والضرورة شر ينبغى دفعه ، وفساد فى الجماعة يجب إصلاحه . والمرأة أن تتولى كل عمل يلائمها ولا يقطعها عن أسرتها ، ولا يخل بشئون بيتها ، ولا يحرم أولادها تربيتها ورعايتها ، ولا يسلب زوجها إيناسها وإسعادها ، والأعمال التى على هذا الشرط كثيرة .

للنساء مجال فسيح فى أعمال البر والرحمة من تربية الأيتام ، والقيام لهم مقام الآباء والأمهات بالشفقة والحنو ، والعمل لتعليمهم وتهذيبهم ، ومواساة الأسر الفقيرة وإنقاذها من العوز والمرض ، وإمدادها سراً بما يحفظ كرامتها ويصون سمعتها ، وإنشاء الملاجئ وما يتصل بها لصيانة الصبايا المشردات اللاتى لا يجدن من يأخذ بأيديهن فى هذا المجتمع المائج ومن يسمع شكواهن فى هذا العيش الصاخب .

كل أولئك وأمور أخرى مثلها المرأة بها أولى ، وبدخائلها أدرى ، وهى أحسن قياماً عليها بالرأفة والشفقة واللين والرفق والحلم والصبر .

فلسنا ندفع المرأة عن هذه الأعمال وما أكثرها ، وما أعظم العمل فيها ، براً بالأمة وإحساناً إلى الجماعة . ويستطيع النساء أن يعملن هنا ما يعجز عنه الرجال عملا دائباً فى غير دعوى ولا جلبة ، ولاجدال ولاخصومة . ولكن كثيراً من نسائنا مولعات بالقال والقيل ، مغرمات بالبطولة والزعامة ، يؤثرن الأمور الصغيرة التى يثورفيها الخلاف ، ويشتد النزاع ، وتذكر الأسماء ، ويلتمس الصيت ، فراراً من الأمور الجدية الشاقة التى يقوم بها الدأب والصبر والصمت وجهاد الأفكار والأيدى لا الألسن والأقلام .

ورحم الله الغزالى ! كان يسمى المسائل التى يشتد فيها الجدل ويتمادى عليها النزاع « بالطبوليات » ، ويرى أن كثيراً من فقهائنا يؤثرون هذه الطبوليات الجوفاء على العلم النافع والعمل الصالح والجهاد الخالص لوجه الله .

فما أشد ولوع بعض نسائنا ورجالنا بالطبوليات ، يملأ بها الجو ضوضاء ، وتُشغل الأمة عما هو أجدى وأعظم وأولى بسعيها وجدها وإعدادها فيما تتصدى له من الخطوب ، وما يحيط بها من الحادثات ، وما تضطلع به من أمور الإصلاح الكبار ، وشئون التدبير الجسام .

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

قطـــــرات ندى

للأسـتاذ راجى الراعى

* ليس من السهل على من تزخر نفسه بالصور والأحاسيس ان يعرف ماذا يريد .

* كن الشين أو الزاى فى مستشزرات ، ولا تكن الواو فى عمرو . أقول كن كيف شئت ولا تكن كمية مهملة .

* قلب الجبان سيف يعلوه الصدأ .

* الثابرة تتحدّى القدَر .

* الليل ثوب أسود يرتديه النور .

* كلما بكى الإنسان هدم حجراً من كبريائه .

* تتآخى الليالى وتتنادى ثم تندغم فى ليل واحد كثيف تطلع بعده الشمس على ترابك !

* كلما مشيت على التراب هبت علىّ ريح قديمة .

* تكبّر ما شئت ولكن لا تنس أنك الحيوان الكبير .

* ما تزال الحكمة تائهة شاردة تفتش عن مكان لها فى هذه الأرض تبنى فيه بناءها !

* لو كنت جبلاً لهويت بقمتى الشامخة إلى السهل نكاية بالمتكبرين .

* العشاق والشعراء هم الذين طلبوا وزمروا للقمر فأحلوه المحل الرفيع .

* عجبت للأثير كيف لم يتكاثف حتى اليوم وفيه ما فيه من زفرات البشر .

* الحكمة كلها فى رأس الميت فاذهب إليه واسأله أن يتلو عليك فصولها .

* إن (أبا الهول) فى صمته المستديم ثائر على كل ثرثار .

* الجلاد والحطاب والحفار : هذا مثلث الموت !

* إذا أفلت من الأحياء لحق بى موتاى فإلى أين المفر ؟

* ماء الشجرة دمها تسكبه فى الثمار .

* الأرض الدائرة أسطوانة تنشد مجد الشمس .

* الندم عاطفة شائكة .

* الشيب ما سحقه فيك الدهر فذرته الحقيقة فى خيالك .

* تقضى العين حياتها بين جفنيها لا تدرى أيهما تختار .

* العبقرية كتاب أبرز ما فيه صفحة القلق .

* ليت للأفلاك أبجديتها فأعرف أين تبدأ وأين تنتهى .

* كنت أحسب الفجر مخلصاً فلما رأيت له وجهين الكاذب والصادق شككت فيه . . أفى الفجر كذب أيضاً ؟ أ يكذبه عدو أنته من الدنيا ؟

* إذا حلت عليك النعمة حُلّ قيدك .

* إذا كانت الجبال شعراً تجسد معه الخيال وانقلب تماثيل فجبلى (لبنان) بيت القصيد فى الملحمة الجبلية .

* العمود عريان وقح .

* الصحراء جثة بحر مات .

* للقدر أختامه والعبقرى هو الذى يفضها .

* يقيمون للأسد عرشاً ولكنهم ينسون أن أمانة الكلب تعدل شجاعة الأسد .

* اشمّ فى الليل رائحة عراك وقد فازت الظلمة بالشمس .

* أغصان الشجرة هى اتجاهات روحها المصفدة بالتراب التواقة إلى الانعتاق .

* العين ملتقى الخطوط الصاعدة والمنحدرة والمنحرفة .

* كل موهبة حجر كريم فى تاج الله .

* كم من خيال كثيف كالجدار وعقل يسيل كالماء وذاكرة لا أذن لها وقلب ضاق شريانه وقل ماؤه !

* الفناء شرط البقاء ، إن فناءك فى الله هو الذي يبقيك ..

* الهرم فجر الموت .

* أرقام الرجل الخيالى نجومه فى جدول الأفق .

* رأيت الحياة الصفراء والمنون السوداء والجنة الخضراء والجحيم الحمراء فى علم واحد يخفق فى الفضاء ، علم الموتى والأحياء

* بين دورة الزمن ودورة الأرض ودورة الفكر ودورة الدم دورة خامسة هى دورة الدائرة علىّ يوم الحد !

* ما أكثر وجوه الموت وألوانه ! المجنون عقل مات ... والقلب الذى لا يعرف الحب جثة فى الصدر .. والبله شعلة الذكاء انطفأت .. والأعمى ميت يتأمل .. والأصم رجل توارى عن عن الدنيا .. والأبكم رجل ماتت فيه الكلمة .. والجاهل ميت سقط فى ساحة العلم .. والحائر المتردد قتيل يسيل الدم من إرادته الجريحة .. وابن الطمع والجشع قتيل ترثيه الفلسفة والحكمة .. والعاقر قتيلة فى ساحة الأمومة .. والشيخوخة موت الشباب .. والانتحار موت قبل الموت . والعليل الذى لا يرى لدائه يبنى لنفسه فى كل يوم لحداً .. والشاعر الحالم الطموح الذى تخذله الحياة وتهدم له عروش أحلامه هو الميّت الأكبر الذى لا يعلوه ميت !

* الحياة برق خلب فى أفق مبهم .

* الذهب يملأ السموات وما فيها ويبرق فى العظمة والجمال ولكن الناس لا يرونه ولا يعرفونه إلا فى مناجمه .

* لا همّ لى فى الحياة إلا أن أوفق بين قصرها وطول أحلامى

* أسرح الطرف فى هذه الطبيعة فلا أرى غير أمهات وأرحام : الأرض تلد الشجرة والشجرة تلد أوراقها ، والجبل يلد الينبوع والينبوع يلد الجدول .

* الخط المستقيم هو الذى جاء بكلمة الاستقامة فى معجم الأخلاق .

* لو كنت بركاناً لابتلعت حممى ولم أطلقها عبثاً فى الفضاء الذى لم يسىء إلى فتبق فى أحشائى ليصطلى بها موتاى .

* من حبل بالروائع ولم يستطع أن يلدها تألبت عليه أجنته السجينة وأخمدت أنفاسه .

* كلما أطلّ علىّ الفجر جمعت شتيت نفسى التى بعثرها الأمس .

* الهوس يشق بمحرانه النفس فيخرج لك ما فيها من قمح وزؤان .

* أحب الذهب إذا كان معدنه الجبين .

* أتموت جوعاً ؟ وسنابل القمح هذه التى تملأ الرحب ، لمن هى ؟؟؟

* لولا المدة القاهرة لما فكرت لحظة فى المال .

* يقول لى سقراط : اعرف نفسك ولكنه لم يعطنى كتابها لأقرأ هذا الذى يدعونى إلى معرفته ، ويقول غيره : ادخل إلى محراب نفسك ولكنه لم يهدنى إلى الباب .

* لا تعجب لهذا الظالم العاتى فإن لنفسه ساحة احتلتها الشياطين فلم يبق فيها مكان لملاك !

* إن للموت هيكلا عظامه عظام القبور !

* أعجب ما فى الخليقة هذه الأرض التى تنمو سنابل قمحها بين جماجم موتاها وتشع مناجم ذهبها بين فحيح أفاعيها وتندلع ألسنة نيرانها من قلبها الذى تنبجس منه الينابيع ...

راجى الراعى

صور من الحياة :

قبعة تتزوج

للأستاذ كامل محمود حبيب

أما قصة زواجك أنت — يا صاحب القبعة — فهي عجب من العجب، قصة فيها سلوى للنفس وعظة للعقل ومتعة للقلب. أتذكر يوم أن جئت، أيها الفيلسوف، من البلد الأجنبي — بعد أن نيفت على الأربعين — وإن رأسك ليزدحم بالخواطر والخرافات، وإن قلبك ليجيش بالآمال والأماني، وإن فلسفتك لتتحدث إليك بأمر.

ونظرت حواليك فتراءيت في عين نفسك عزباً تضطرب في الحياة وحيداً منبوذاً، والأيام تنطوي في سرعة لتدفعك نحو الشيخوخة في غير هوادة ولا لين، وأنت تفتقد العطف والحنان فلا تستشعر الهدوء في الدار ولا الاستقرار في العمل، وإن وظيفتك لتدر عليك مايفيض على حاجات نفسك ورغبات قلبك، وضقت بحياة القلق والاضطراب فعقدت النية على أن تتزوج.

وسيطرت عليك الفكرة فشغلت قلبك وعقلك، واستولت على مشاعرك فأرّقت جفنيك وأزعجتك عن مرقدك، وبدا عليك الوجوم والصمت لأنك انطويت على نفسك زماناً ففقدت الأهل والصاحب والصديق فأغلق أمامك السبيل إلى الزوجة. ثم وجدت متنفساً حين جلست إلى زميل لك تحدثه حديثك وتقول: «إنني أشعر — دائماً — بالضياع والشقاء، فالعزب رجل مقطوع الصلات بجذوذ العلائق، يجد الهم والأسى في داره، ويحس الضيق والملل في خلوته، ويلبس الضنى والعذاب في وحدته، تتراءى له — دائماً — أخيلة مفزعة تزعجه عن الدار، وتصرفه عن العمل، وتملأ ذهنه بالخرافات، وتحطم أعصابه بالقلق، لا تهدأ له خاطره ولا يقر له قرار، وأنى له الهدوء وهو يرى نفسه لقىً في ناحية من حجرة، هملا بين همل من الأدوات والأثاث والملابس. فإن أبق الخادم طار صوابه، وتناثرت خواطره، وتشعثت حاجاته، رغم أنه يثق بأن الخادم رجل يسرق ماله ويستلبه من وقته ويزعجه عن راحته، وهو همّ لايدفع إلا بهم آخر. وإن مرض انحط في فراشه ليسكون بقايا إنسان قذر تافه تنطوي الساعات وإن نفسه لتئن أنيناً رهيباً، وإن قلبه ليبكي بكاء مراً. لهذا — ياصاحبي — فأنا أشعر — دائماً — بالضياع والشقاء» ...

وأطرق زميلك ساعة من زمان ثم قال: «لا بأس عليك، ستجد في بيت فلان بك بغيتك وتحس راحة نفسك، فهو رجل ذو مكانة وشأن وذو ثراء عريض ... وابنته فتاة في مقتبل العمر ونضارة الشباب، تتألق بهاء وجمالا وتشع رونقاً وصفاء، فيها جاذبية الأنثى وخفر العذراء، لم يلوثها بهرج المدنية، ولا دنسها زيف الحياة، وهي قد تخرجت في الجامعة منذ قريب ... وأبوها — سعادة البك — فيه الحصافة والرأي، وبينه وبيني صلات قربى ووشائج نسب ... وأنت — في رأيي — خير من يتقدم ليخطب ابنته، فهو لايطمع في مال، ولايسعى إلى جاه، ولكنه يريد رجلا فيه الرزانة والعقل، لأنه يخشى شباب الجيل، وإن فيهم ميوعة وليناً، وإن فيهم استهتاراً وضعفاً» ...

وتفتح قلبك — لأول مرة في الحياة — لحديث زميلك حين أحسست فيه النصيحة والإخلاص فقلت: «لا ضير، ولكن مَنْ عسى أن يكون رائدي وأنا لا أستطيع أن أجد السبيل إليه وحدي؟»

فقال لك الزميل: «إن شئت رافقتك إليه» ..

وفي أمسية يوم من أيام الصيف انطلقت — يا صاحب القبعة — بصحبة زميلك إلى دار سعادة البك، وجلستما إليه ساعة من زمان، ثم خرج زميلك وحده ... خرج ليخلفك إلى جوار البك، وقد أنس كل منكما بصاحبه واطمأن إلى حديثه، فسميت الفتاة عليك بعد أيام، ثم خطبت إليك ...

وهدأت جائشة نفسك، واستقرت أفكارك إلى شاطئ أمين ... ولكن ترى فيم كنت تفكر؟ آه ... إن فلسفتك المفنة قد لصقت بك فلم تتركك ساعة واحدة في حياتك ... لقد خيل إليك أن سعادة البك رجل يستطيع أن يشبع نهم طمعك وأن ينقع غلة أنانيتك، وأن ابنته فتاة تستطيع أن تمهد لك السبيل الوعر، وتفتح أمامك الباب الموصد، ثم تدفعك إلى

الهدف فى سهولة ويسر ، وأنت من ورائها تندفع حتى تبلغه ، فتركت مسكنك القذر الوضيع ورحت تعد داراً أنيقة لتستقبل العروس المنتظرة ، ونبذت ملابسك القذرة المشعثة لتتأنق فى الجديد الغالى ليروق مظهرك فى ناظرى أهل الزوجة ، وتصنعت الرزانة والعقل لتخدعهم بثقافتك الفجة ، وتجملت بالرقة والذوق لتصرفهم عن خواطرك السقيمة ، وخرجت من عزلتك القاتلة لتكون رجلا لبس القبعة حيناً أو بعض حين .

وانطلى على سعادة البك ما تكلفت من قول ومن فعل فحباك بالثقة ، وخصك بالتقدير ، وقربك إلى قلبه ونفسه ... واطمأنت الفتاة إليك ففتحت لك باب حجرتها لتجلس إليها فى خلوة ، وتحدثها فى غير رقبة .

واندفعت تزين للفتاة أن تصحبك إلى السينما وإلى المسرح وإلى الندى ، فما تمنعت ولا تأبت ، وهى لا ترى بأساً فى ما تفعل لأنك زوجها ... وتماديت فى غيك فأردت أن تحملها على أن تنزع عن نفسها تقاليد الأسرة ، وأن تمتهن تاريخها — وهو قد تدفق فى عروقها منذ زمان — لترود معك الملاهى الوضيعة ، وإن كثيراً منها لينضم على فنون من الخلاعة والفجور ، ويحوى ألواناً من الخداع والإغراء ، فهى تثير فى الرجل الدوافع الحيوانية ، وتبذر فى المرأة غراس الثورة على الدار والزوج والأولاد ، وألقت الفتاة إليك السلم — بادئ الرأى — ثم استيقظت التقاليد فى عقلها فرفضت أن ترتدغ فى هذه المباءة ، فرميتها أنت بالجمود والرجعية ، واحتقرتها لأنها تمسكت بالشرف وتشبثت بالكرامة .

لقد كنت تريدها على أن تندفع فى الغواية لحاجة فى نفسك .

وأرادت فلسفتك الثعلبية أن تمكر بالفتاة فتخدعها عن نفسها فتتعلم الرقص وتصاحب رفاقك وتتحدث إلى صحابك ، تأخذ منهم وتعطى ، ولكنها كانت قد جبلت على الحياء وطبعت على الخجل فرأت الطريق أمامها وعراً وبدت لها الغاية صعبة ، فتراجعت ..

وجلست إليها — ذات مرة — تخدعها عن نفسها وتغريها أن تصحبك لتزورا معاً دار فلان باشا ، وزعمت بأنه من ذوى قرابتك ، فانطلقتما معاً إلى داره مرات ومرات . واستقبلها الباشا — بادىء ذى بدء — فى احترام وشملها بالعطف وانهالت عليها منه الهدايا ، ثم راح يداعبها فى رقة ويمابثها فى ظرف ، وهى تطمئن إلى عطفه وتسكن إلى حديثه ، غير أنه ما تلبث أن سقط عن وجهه قناع التصنع فانكشف عن ذئب مفترس فى مسلاخ إنسان ، وامتدت يد الباشا إلى الفتاة فذعرت ، وأوجست خيفة منه ثم أقبلت عليك تنفض أمامك ذات نفسها فأغضيت عن حديثها وامتهنت هواجس نفسها على حين أنك توقن بأن هذا الباشا شيخ داعر شرير لا يتورع عن نقيصة ولا يترفع عن دنيئة . وعزّ على الفتاة أن تلمس فيك هذا الخلق الواهى المنحل فلاذت بعقلها واعتصمت بكريم منبتها ، ورفضت أن ترافقك — بعدها — إلى دار الباشا ، وأصررت أنت وأصرت هى ، ثم فزعت عنك إلى أبيها وفى قلبها أسى يتضرم وفى عينيها عبرات تترقرق .

وعجب البك أن يرى ابنته تنطوى عن زوجها وتهرب من لقياه ، وعلى وجهها أثر الحزن وفى عينيها أثر البكاء ، فجلس إليها يريد أن يهدىء من ثورتها وأن يمسح على أتراحها بقلبه الرفيق ، فأجهشت للبكاء وهى تقص قصة زوجها الفيلسوف الذى لبس القبعة حيناً من الزمان وهو يدفعها إلى الهاوية مرة بعد مرة ثم يسوقها إلى دار الباشا الداعر لتنزل هناك عن كرامتها وتتخلى عن شرفها .

وثار البك لما سمع ثورة قذفت بالفيلسوف العبقرى ، صاحب القبعة ، إلى خارج الدار بعد أن سامه الاحتقار والمهانة ، قذفت به إلى خارج الدار لأنه حين لبس القبعة نبذ المعانى السامية للدين والوطن و ...

وأصابتنى الدهشة حين رأيتك - يا صاحب القبعة — تنصرف عن دار البك فلا تزورها وتنفر من زوجك فلا تلقاها ، فذهبتُ أستوضحك الأمر فزورت كلاماً يمتهن عقل الفتاة المصرية ويضع من قدرها ويحط من خطرها ، ويتهمها بالرجعية والجمود . فما انطلى على الزور ، وأنا أعرف أنك استنزفت كل ما ادخرت فى سنى حياتك لتهيىء داراً أنيقة تستقبل فيها عروسك الجميلة ولتخلق من نفسك رجلاً أنيقاً جذاباً ولتغمر فتاتك بالهدايا الثمينة الخلابة . فعلت كل ذلك وأنت كز الجبلة شحيح الكف ضنين بالمال .

فيا ليت شعرى هل حملت نفسك مالا تطيق لترضى سعادة البك ولتخدع الفتاة عن نفسها ؟

آه ، يا صاحب القبعة ، لقد خسرت مالك وشرفك لأنك رفضت أن تكون مصرياً يتمسك بالمعانى السامية للدين والوطن و .

كامل محمود حبيب

الحركة العلمية بالإسكندرية
فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

كانت الإسكندرية تلى القاهرة من حيث المكانة العلمية فى ذلك الحين ، حفيلة بطائفة كبيرة من أعيان العلماء ، فى مواد الثقافة المختلفة ، ودرس فيها كثير من رجال السنة ، حتى فى الوقت الذى كان مذهب أهل الشيعة سائداً فيها ، وأنشئت فيها أول مدرسة فى الديار المصرية كلها ، وإليها رحل صلاح الدين لاستماع حديث رسول الله .

وقبل أن تنشأ المدارس بها ، كان جامع العطارين منذ أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٧٧ هـ معهد علم وينبوع ثقافة ، وقد ظل يؤدى رسالته طول عصر الحروب الصليبية ، ويساهم مساهمة جدية فى نشر العرفان .

وتنوعت الدراسات فى جامع العطارين ؛ فهذا عمر بن عيسى السوسى نحوى أخذ عنه النحو أكثر أهل الأسكندرية ؛ وكان يقرأ لهم فيه كتاب سيبويه وتوفى سنة ٤٩٨ هـ . وهذا عبد الرحمن ابن أبى بكر بن خلف شيخ الإسكندرية الذى انتهت إليه رياسة الإقراء فيها ، ونبغ حتى قال فيه سليمان بن عبد العزيز الأندلسى : ما رأيت أحداً أعلم بالقراءات منه ، لا بالمشرق ولا بالمغرب . وهذا محمد بن أحمد بن الخطاب شيخ الأسكندرية فى الحديث وتوفى سنة ٥٢٠ . أما أبو القاسم بن مخلوف فأحد كبار المالكية الذين أذاعوا هذا المذهب فى الأسكندرية . وكان لمحمد بن الحسن بن زرارة حلقة فى الجامع لإقراء الأدب كما كان المشرف على خزانة الكتب فيه . وممن سجل لهم التاريخ تدريسهم بالجامع الجيوشى العالم الأديب أحمد بن محمد بن المنير أحد الأئمة المتبحرين فى التفسير وفقه المالكية والأصول والبلاغة كما كانت له اليد الطولى فى علم الأدب . وكان عز الدين بن عبد السلام يقول عنه : الديار المصرية تفتخر برجلين فى طرفيها : ابن دقيق العيد بقوص ، وابن المنير بالأسكندرية .

وأول مدرسة أنشئت بهذا الثغر المدرسة الحافظية التى أقيمت فى عهد الحافظ الفاطمى (٥٢٤ — ٥٤٤ هـ) ويظهر أنها أنشئت فى عهد الوزير أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش لتدريس علوم الشريعة . ويحفظ لنا القلقشندى فى كتاب صبح الأعشى (ج ١٠ ص ٤٥٨) نسخة سجل بتولية مدرس هذه المدرسة . وقد تكفل فيه الوزير برزق طلبة المدرسة وأستاذها الذى سيشرف على هذا الإنفاق . وفى هذا السجل يتحدث عن السبب الذى دعا إلى بناء مدرسة بثغر الأسكندرية فيقول : « ولما انتهى إلى أمير المؤمنين ميزة ثغر الأسكندرية — حماه الله تعالى — على غيره من الثغور ، فإنه خليق بعناية تامة ... لأنه من أوثق الحصون والمعاقل ، والحديث عن فضله وخطير محله لا تهمة فيه للراوى والناقل ، وهو يشتمل على القراء والفقهاء ، والمرابطين والصلحاء ، وأن طالبى العلم من أهله ومن الواردين إليه ، والطارئين عليه ، مشتتو الشمل متفرقو الجمع — أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين ، ولم يرض لهم أن يبقوا مذبذبين متبددين ، وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية ... »

واختارها ابن السلار الوزير الفاطمى كذلك سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) لإنشاء مدرسة للشافعية فيها ، أسند إدارتها إلى السلفى وقد عمرت هذه المدرسة ، وكانت تعرف بالمدرسة السلفية حتى بعد وفاة شيخها ، وفيها تخرج كثير من العلماء الممتازين ولم يكن للشافعية مدرسة غيرها .

وقبل هاتين المدرستين ، سكن الأسكندرية ودرس فيها عالم ممتاز هو محمد بن الوليد الطرطوشى ، فقد تزوج من موسرة وهبت له داراً هيأ منها قاعة وهبها للطلبة ، وجعلها مدرسة لازم التدريس فيها ، وتفقه عنده بها جماعة من الأسكندريين . ولما توفى الطرطوشى سنة ٥٢٠ هـ جلس لإلقاء الدرس بها بعده تلميذه سند بن عنان الفقيه المالكى .

تلك حال المدارس قبل عهد الأيوبيين ، فلما جاء صلاح الدين استكثر منها ، وفتح أبوابها للأقربين والأبعدين ، ونصب فيها مدرسين لجميع ألوان العلوم . وقد شاهد ابن جبير هذه المدارس عندما زار الأسكندرية فى أيام ابن أيوب وقال عنها فى كتابه : « ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة فى الحقيقة إلى سلطانه

المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد يفدون من الأقطار النائية ، فيلقى كل واحد منهم مسكناً يأوى إليه ، ومدرساً يعلمه الفن الذى يريد تعلمه ، وإجراء يقوم بجميع أحواله. واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء ، الطارئين ، حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ، ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم ، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم التى يشيرون بها من علاج وغذاء . »

والظاهر أن أغلب مدارس الأسكندرية كان لطائفة المالكية ، فقد عرفنا عدداً جماً من أساطين هذا المذهب يسكنون ذلك الثغر ، فمن تلك المدارس مدرسة ابن الأنجب ، وقد عرفت باسم مدرسها على بن الأنجب الفقيه المالكى ، وأحد أكابر حفاظ الحديث وعلومه ، صحب السلفى وانتفع به ، وصحبه العلامة المنذرى وأطال صحبته وعليه تخرج ، وله نظم علماء كقوله :

أيا نفس ، بالمأثور عن خير مرسل   وأصحابه والتابعين تمسكى
عساك — إذا بالغت فى نشر دينه —   بما طاب من نشر له أن تمسكى
وخافى غداً يوم الحساب جهنماً   إذا لفحت نيرانها أن تمسك

وكان ينوب فى الحكم بثغر الأسكندرية ومات سنة ٦٢١ .

ومنها مدرسة بنى حديد التى درس فيها أحمد بن محمد بن سلامة وهو من رؤساء المالكية توفى سنة ٦٤٥ .

ولست أدرى إن كانت دار الحديث النبيهية التى تولى مشيختها على بن أحمد العراقى المتوفى سنة ٧٠٤ قد أنشئت فى عصر الحروب الصليبية أو بعده .

وعرفت الأسكندرية طائفة من أعلام العلماء درسوا فى دور العلم المختلفة بها ، مما يدل على حركة علمية ناضجة :

فمن فقهاء الشافعية ، وكانوا قليلين بها — أبو الحجاج يوسف ابن عبد العزيز ، وهو من علماء الأصول والجدل ، روى عنه السلفى ومات سنة ٥٢٢ ، ومحمد بن عبد الله بن النن المتوفى عن ثمانين سنة بالأسكندرية سنة ٦٧٩ .

ومن فقهاء المالكية ، وكانوا بها أكثرية — أبو الحرم مكى نفيس الدين ، وقد أدرك السنين الأولى فى الحروب الصليبية ، ومات سنة ٥٠١ ، وألف شرحاً عظيماً لتهذيب المدونة للبراذعى فى مجلد ، وشرحاً على ابن الجلاب فى فقه المالكية أيضاً فى عشر مجلدات ، وأبو الحسن على بن إسماعيل الأبيارى الذى برع فى علوم شتى : الفقه والأصول وعلم الكلام ، وله مؤلفات حسنة ، منها شرح البرهان فى أصول الفقه ، وكان بعض العلماء يفضله على فخر الدين الرازى فى الأصول ، ومنها كتاب سفينة النجاة ، على طريقة إحياء العلوم للغزالى . وكان الفضلاء يقولون : إنه أكثر إتقاناً من الإحياء وأحسن منه . وأصله من مدينة أبيار على شاطئ النيل بالقرب من الأسكندرية ، ومات سنة ٦١٦ . ومنهم ابن رواج تلميذ السلفى ، وهو عالم ورع توفى سنة ٦٤٨ هـ .

ونبغ فى الأسكندرية طائفة كبيرة من القراء ، نذكر منهم الحسن بن خلف القيروانى المتوفى سنة ٥١٤ . واليسع بن عيسى الأندلسى الذى أخذ القراءات عن أبيه ، وكان أبوه من جلة القرئين ، وأقرأ هو بالأسكندرية ، ثم رحل إلى مصر فقربه صلاح الدين ، ورتب له معلوماً وافراً . وكان يكرمه ويشفعه فى مطالب الناس . وكان مقرئاً محدثاً حافظاً نسابة مؤرخاً ، له كتاب تاريخ فى محاسن المغرب وتوفى سنة ٥٧٥ . ومنهم عبد الرحمن بن عبد المجيد الصفراوى الفقيه المالكى المقرىء المحدث المتوفى سنة ٦٣٦ ، وقد انتهت إليه رياسة العلم فى الثغر . وعبد الله بن محمد النكزاوى المقرىء النحوى المؤلف المتوفى سنة ٦٨٣ . والمكين الأسمر شيخ قراء الأسكندرية المتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

ومن رجال التفسير بالأسكندرية يحيى بن محمد التجيبى ، قال الذهبى : حج وجاور ، وسمع بمكة وسكن الأسكندرية ووعظ ، وصنف فى التفسير والرقائق ومات سنة ٦٥٢ .

ومن رجال الحديث بها عبد الله بن عبد الرحمن العثمانى ، من ولد عثمان بن عفان ، كان واسع الباع فى علم الحديث ، كثير الرواية ، متصرفاً فى النظم والنثر ، مات سنة ٥٧٢ . وأبو الطاهر إسماعيل بن مكى بن عوف ، وهو شيخ المالكية بالثغر ، تفقه على الطرطوشى ، وصار إمام عصره فى المذهب ، وعليه مدار الفتوى مع الورع والزهد ، وله مصنفات منها كتاب التذكرة فى أصول الدين ، وهو الذى قصد إليه صلاح الدين وسمع منه موطأ مالك ومات سنة ٥٨١ هـ . ومنهم الفقيه المالكى المحدث أبو العباس

أحمد ابن عمر القرطبي ، سمع الحديث من مشايخ المغرب وتلمسان وسبتة ، ورحل مع أبيه من الأندلس صغيراً ، وسمع بمكة والمدينة والقدس ومصر ، واستقر به المقام فى الأسكندرية ، وكان معروفاً بالبلاغة والتقدم فى علم الحديث ، وله على صحيح مسلم شرح سماه المفهم فى شرح صحيح مسلم ، واختصر صحيحى البخارى ومسلم ومات سنة ٦٥٦ ، ومنهم ابن العماد منصور بن سليم الذى رحل فى طلب العلم إلى مصر وبغداد ودمشق وحلب وغيرها ، وعنى بالحديث وفنونه ورجاله ، وبالفقه ، وألف فيهما كما ألف تاريخاً للأسكندرية ، وصنف معجم شيوخه . وممن روى عنه الشرف الدمياطى ، ومات سنة ٦٧٣ . ولم يخلف فى الثغر مثله .

وعرفنا فى الإسكندرية طائفة من النحاة ، نذكر من بينهم الحسن بن جعفر بن مروان الذى صنف كتاباً فى النحو سماه المذهب ، وكان موجوداً سنة ٥١٧ . ومنهم ثابت بن حسن خليفة اللخمي ، وكانت له معرفة بالنحو ، وينظم شعر علماء كقوله :

العلم يمنع أهله أن يمنعا فاسمح به تنل المحل الأرفعا
واجعله عند المستحق وديعة فهو الذى من حقه أن يودعا
والمستحق هو الذى إن حازه يعمل به أو إن تلقنه وعى

ومات سنة ٦٢٥ ، وعيسى بن عبد العزيز بن عيسى ، وكان مقرئاً نحويا ، وترك مؤلفات تزيد على خمسة وأربعين فى النحو والحديث والوعظ والتاريخ والأدب والقراءات والتجويد والفقه ، منها كتاب الأمنية فى علم العربية ، والرسالة البارعة فى الأفعال المضارعة ، والإفهام فى أقسام الاستفهام ، وكتاب الجامع الأكبر والبحر الأزخر فى القراءات ، وقد قرىء عليه فى رجب سنة ٦١٤ بداره فى ثغر الإسكندرية . وله ديوان شعر ومات سنة ٦٢٩ هـ . ومنهم العالم المشهور ابن الحاجب فقد وفد على الإسكندرية . وعبد العزيز بن مخلوف الذى قدم إلى الإسكندرية من بلاد المغرب وأصبح بها من أئمة النحو ، وتخرج على يديه نحاة الإسكندرية ولكنه لم يصنف شيئاً ، وله شعر متأثر بالنحو تأثراً بالغاً مثل قوله :

ومعتقد أن الرياسة فى الكبر فأصبح ممقوتاً به وهو لايدرى
يجر ذيول العجب طالب رفعة ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

ومات سنة ٦٩٣ .

وأرجو أن أوفق فى فرصة أخرى إلى دراسة باقى ألوان الثقافة ومعرفة رجالها .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

مراجع البحث :

١ — الديباج المذهب . ٢ — حسن المحاضرة .
٣ — طبقات الحفاظ للسيوطى . ٤ — السلوك للمقريزى .
٥ — بغية الوعاة للسيوطى . ٦ — طبقات القراء للذهبي .
٧ — كشف الظنون . ٨ — رحلة ابن جبير .
٩ — وفيات الأعيان ١٠ — الدرر الكامنة .
١١ — صبح الأعشى . ١٢ — النجوم الزاهرة .
١٣ — شذرات الذهب . ١٤ — طبقات المفسرين للسيوطى
١٥ — الروضتين فى أخبار الدولتين ١٦ — الخطط للمقريزى
١٧ — طبقات الشافعية للسبكى .

مالتـــــــــــوس
ومشاكل السكان فى العالم

للأســـــتاذ فؤاد طرزى

لم يثر أى كتاب من الكتب ضجة كالضجة التى أثارها كتاب توماس مالتوس (بحث فى نظرية السكان) الذى صدر فى سنة ١٧٩٨ فى منتصف فترة النهضـة التى تسمى نهضة « الزيادة الكبرى » فى مجموع السكان وفى بلاد إزداد عـدد سكانها زيادة سريعة لم تدانها أية زيادة من الزيادات التى حصلت فى بلدان القارة الأوربية الأخرى . فقبل هذه النهضة بـ ١٥٠ سنة كان سكان القارة الاوربية يبلغون قرابة الـ ١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة ، ولكن بعد النهضة بـ ١٥٠ سنة أخرى واجهت شعوب أوروبا مشكلة ابتداء حصول نقصان فى مجموع السكان . ولكن فى سنة ١٧٩٨ ، عندما أخذ يتضاعف عدد سكان القارة الأوربية الذى يبلغ الـ ١٨٧ر٠٠٠ر٠٠٠ — على الرغم من ارتفاع عـدد المهاجرين الذى بلغ ٥٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ — اكتسبت نظرية مالتوس التى سماها نظرية زيادة السكان أهمية سريعة .

ففى عام ١٦٥٠ كان تعداد سكان العالم يقارب ٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ، ثم بلغ هذا التعداد فى سنة ١٩٤٠ بليونين ، وقد حصل نصف بليون من هذه الزيادة خـلال المائة سنة بين ١٦٥٠ر١٧٥٠ ، فى حين حصلت زيادة البليون الآخـر فى السنوات التى تلت ذلك . وبذلك ازداد فى ٣٠٠٠ سنة عدد الأوربيين — الذين يدخل فيهم السلالات المتحدرة النقية التى تعيش فى الخارج — زيادة تبلغ السبعة أضعاف ، وهكذا ، ومع مرور الزمن غدت ظاهرة الزيادة — كما كتب لنكزلى دافيس — شبيهة بسلك رفيع يحترق ببطء وتمتر ، إلى أن أدرك الاحتراق نهايته فانفجر . ولعل أبرز مظهر لظاهرة زيادة السكان فى الغرب — وهى الظاهرة التى أطلقنا عليها اسم نهضة « الزيادة الكبرى » فى مجموع السكان — تتبدى فى إزدياد عدد نفوس الشعوب الناطقة بالإنجليزية . فقد كان تعداد هذه الشعوب يبلغ ٥ر٥٠٠ر٠٠٠ فى عام ١٦٠٠ فتضاعف إلى ٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ فى عام ١٩٤٠ . وفى المائة سنة الأخيرة من التاريخ التقويمى إزداد عدد سكان الجزر البريطانية نحو أربعة أضعاف ما كان عليه ، هذا بالإضافة إلى أن أكثر من ١٧ر٥٠٠ر٠٠٠ قد هاجروا من هذه الجزر إلى أميركا الشمالية ودومنيونات ما وراء البحار .

ويرى العلماء المحدثون أن مالثوس قد وجه نشاطه مبدئياً ، فى الطبعة الأولى من رسالته ، نحو دراسة مشكلة الفقر ، وإن مسألة السكان كانت ثانوية فى آرائه . فقد أراد أن يدرس طبيعة الفقر كما انكب آدم سمث على دراسة طبيعة الثروة ؛ إلا أنه وضع رسالته رد بها على وليم كودون والتلاميذ الاشتراكيين مستهدفاً إثارة المحافظين الدينيين والاشتراكيين المتطرفين فى آن واحد . وكتب مؤرخ حياته جيمس بونار يقول : « لقد غدا مالتوس من بعد ثلاثين سنة أمطر خلالها الناس سيلا من الأخطاء أعظم شرير فى عصره ، وأصبح إنساناً يدافع عن الجدرى وعن العبودية وعن قتـل الأطفال وعن إلغاء الزواج المبكر ، إنساناً بلغت به الوقاحة أن يتزوج بعد إلقائه وعظاً يبين فيه مساوىء العائلة ، إنساناً ظن أن العالم بمجموعه سلسلة ظواهر تحكمها عوامل الشر حكماً يدفع إلى الاعتقاد بأن خير الأعمال هى ما كانت أكثرها إيذاء . ولم يقدم مالثوس — باعتباره شارحاً لأسباب الفقر — أجوبة مقنعة تتفوق فى شمولها وقناعتها على تلك الأجوبة التى وضعها بعض المتعصبين من ذوى العقول الجافة كهنرى وجورج وكارل ماركس . وإن نظريته التاريخية التى نقحها فى الطبعة السادسة لرسالته هى أكبر ما قدمه » .

قرر مالثوس بأن نسبة الزيادة بين السكان تفوق نسبة الزيادة فى المواد الغذائية ، ولذلك — إذا لم نضبط هاتين النسبتين عند حد متوازن واحد — فستجتاح الإنسانية المصائب والكوارث والنكبات والآلام . وقد أفرغ نظريته فى قانونه المشهور : تجرى زيادة السكان على شكل متوالية هندسية — بهذه الصورة ٢ر٤ر٨ر١٦ر٣٢ ... الخ — وتجرى زيادة المواد الغذائية على شكل متوالية حسابية — بهذه الصور ١ر٢ر٣ر٤ر٥ ... الخ — فإذا لم تضف أراض جديدة كما يقول مالثوس فسوف لا يستطيع أى شعب فى العالم أن ينتج من المواد الغذائية سنوياً إلا ما كان

ينتجه فى السنة السابقة ، فى حين أن عدد السكان — كما ظهر فى أميركا — يزداد زيادات متضاعفة من جيل إلى جيل ، ولذلك فإن زيادة السكان لا تسير فى مستوى واحد مع إنتاج المواد الغذائية إلا بوجود تحديدات معينة ، وإن التحديد الحاسم بين هذه التحديدات هو المجاعة التى تعتبر الضابط الذى يوقف ازدياد السكان . وعلى ذلك فإن هناك تحديدات أخرى من الممكن أن يظهر مفعولها قبل ظهور فعل هذا التحديد ، وهى الفقر والحرب وسوء التغذية والفجور . كما أن تقييد الزواج من الوسائل الرئيسية المعينة على التهرب من مثل هذه النتائج المخيفة . وكل مشروع يوضع لإنشاء مجتمع أصلح ولتحقيق حاجات أكبر يستهدف إضعاف مفعول هذا القيد — تقييد الزواج — لا ينجح إلا فى تقوية الجراثيم التى ستأكل قلب الإنسانية .

إن العلماء يميلون اليوم إلى تجنب المناقشات التى لا طائل تحتها بتوجيه سؤال واحد ، هو : كيف يمكن لفروض مالثوس أن تصاغ بشكل تثبت فيه لاختبارات الباحثين فى مشاكل زيادة السكان . ويقول هؤلاء العلماء : دعنا نفترض حصول زيادة كبيرة فى السكان أعقبها هبوط فى استهلاك الأغذية ، وإن ارتفاع معدل الوفيات أدى فى النهاية إلى المجاعة . ففى هذا الفرض — حسب نظرية مالثوس — يجب أن يكون العلاج الوحيد تقليل نسب الزواج بدرجة كافية للتقليل من نسب الاخصاب البشرى . ولكننا إذا ما أخضعنا هذا التقدير الافتراضى إلى حقائق علم السكان نجد — باستثناء حالات الحرب — أن شعباً واحداً فقط من بين شعوب أوروبا قد انطبقت عليه تنبؤات مالثوس وهو الشعب اليهودى . وبتعقب فترة المائة والخمسين سنة التالية لعهد مالثوس ظهر لعلماء السكان بأن هذا الباحث قد عاش فى مرحلة خاصة من مراحل التطور الإنسانى . وعن طريق المصادر العلمية المادية وتقدم الوسائل الاحصائية والرياضية وتطور أساليب إحصاء النفوس يستطيع هؤلاء العلماء أن يحللوا هذه المراحل ليكتشفوا التغييرات الأساسية فى نسب الوفيات والولادات التى تخللتها ، وبذلك تستطيع هذه التحليلات والدراسات أن تعينهم على إعداد العدة للمستقبل . ومن هنا يظهر أن أغلب أساليب التحليل والاحصاء الحديثة قد استخدمت لإصلاح عمل هذا الباحث الذى عبر عن روح العصر الذى كان يعيش فيه

ونحن نعلم علماً تاماً — بعد أن ندع جانبا التطورات التى تعود فى أصلها إلى ظروف الحرب — بأن معدل الوفيات قد استمر فى هبوطه منذ زمن مالتوس كما نعلم بأن ارتفاع معدل الأعمار لا ارتفاع معدل الولادات هو الذى سبب هذه الحركة فى مسائل السكان وهى الحركة التى دفعت مالتوس دفعاً مباشراً لصياغة نظريته . وكان لكارساندرس فضل الكشف عن هذا الهبوط فى معدل الوفيات الذى بدت ظواهره فى انجلترة حوالى ١٧٣٠ فى السنة التى ولد فيها أكبر معمر فى عصر مالتوس . وقد أبان هذا الباحث أن المعدل قد هبط من ٣٥ فى الألف إلى ٢٢ فى الألف فى عام ١٨٣٠ ، أى بعد ثلاث سنين من إخراج مالتوس الطبعة الخامسة من رسالته . ثم مرت بعد ذلك مائة وأربعون سنة أخرى قبل أن تبدو بوادر هبوط فى معدل الولادات عام ١٨٨٠ يعادل الهبوط الذى طرأ على معدل الوفيات فى انجلترة حوالى ١٧٤٠ . وظلت الوفيات تتناقص إلى أن بلغت ١٠ فى الألف فى العقد الأول من هذا القرن ، وظلت تتزايد نسبة الولادات خلال الستين سنة التالية . ويعود سبب ذلك لحد كبير إلى الفرق الكبير بين المعدلين .

ولقد كان من نتيجة التطورات العظيمة فى العلوم الطبية والصحية وفى الشئون الاجتماعية العملية إنقاذ نفوس كثيرة ، ثم تطعم ذلك فى عام ١٧٥٠ بقيام الفلاحين بزرع أرضهم زروعاً زودتهم بالخضروات واللحم الطازج بدلا من تركها بوراً فى الشتاء ، كما وفر استعمال القطن بعد ذلك للطبقات العامة منسوجات رخيصة فازداد هبوط معدل الوفيات .

إن مشكلة السكان التى شغلت مالتوس خاصة ، مشكلة إطعام الشعب الإنجليزى الذى يتزايد عدده مع بقاء جزيرته كما هى من حيث المساحة . هذه المشكلة قد حلت — كما يقول هارولد رايت [1] بعد بضع مئات من السنين بنتيجة الزيادة الهائلة التى حصلت فى إنتاج البضائع المصنوعة ومبادلتها بالأغذية والمواد الخام المنتجة فى القارات الجديدة . فكلما ازدادت النفوس أصبح الغذاء أرخص لازدياد المهاجرين الذين ينتجون الأغذية

(١) كتاب السكان طبعة نيورك ١٩٢٣ ص ٣٣

فى الخارج وازدياد العاملين الذين انتشروا فى أوروبا عند استعمال الماكينة الزراعية والبواخر والقاطرات وهى الوسائل التى ساعدت على إنتاج الأغذية ونقلها من مكانها إلى محلات استهلاكها : فالثورة الصناعية قد قضت على أزمات السكان طوال مدة بلغت المائة عام .

وتزايد هذه الوسائل الجديدة مكن أوروبا من إنشاء شعب صناعى كثيف لم تكن تحلم باستطاعتها إعاشته . وكى لا نغمط كل حق لمالتوس يجب أن نشير إلى أنه قد تنبأ بهذه الإمكانيات ولو كان تنبؤه مشوباً باليأس كما يظهر من الملاحظة التالية الواردة فى رسالته .

« وقد نفرض ، ونحن فى غمرة التأملات الشاردة الجديدة ، أن أوروبا يجب أن تنمى حبوبها فى انجلترة وأن تكرس نفسها تكريساً تاماً للصناعة والتجارة وتصبح أحسن آلة عاملة على سطح الكرة الأرضية . ولكن حتى إذا ما جارينا المفترضين فى مبالغاتهم وقلنا بأن طبيعة الأشياء ستنتهى بجعل أوروبا آلة عاملة من النوع الذى يفترضونه ، وإنها ستوفر إمكانيات تستطيع بواسطتها هذه القارة أن تزيد نفوسها زيادة تتجاوز مساحة أراضيها ، إلا أنه مع ذلك ستكون النتائج مؤلمة إيلاماً كبيرا ، إذ أن الحقيقة التى لا يصح نكرانها تتطلب أن يقوم كل أقليم ، حسب إمكانياته الطبيعية وقدرته على خلق الثروة ، بالإنتاج لنفسه . فما العمل إذن عند ما تبدأ أمريكا — بمقتضى هذه الظاهرة -- بسحب حبوبها من أوروبا لتكفى نفسها ، وحين تصبح المنتجات الزراعية الأوروبية غير كافية لسد النقص الذى تحس به ؟ لا شك أنه سيبدو حينذاك بأن الفوائد الوقتية المتحصلة من زيادة نسب الثروة والسكان قد كلفت غالياً ودفعت إلى مقاساة فترة طويلة عامرة بالآلام والمتاعب[1] .

ومع أن الثورة الصناعية قد وقت أوربا من أخطار ازدياد السكان ، إلا أنها لم تعدل تعديلا أساسياً تحدى مالتوس ، ولذلك فانه حين ابتدأت حركات الموازنة اتخذت الأسلوب الذى دعا إليه — اطراد هبوط معدل الولادات — ولو أنها لم تتشكل بالشكل الذى تنبأ به . فإن معدل الزواج ظل فى منطقة واحدة مرتفعاً — فى الروسيا — أما شعوب المدنية الغربية فقد تجنبت أزمات السكان بالإشراف على الولادات عن طريق وسائل التحديدات العائلية . فإذا ما قلنا بأنه قد تخلل عصر نمو السكان هبوط معدل الوفيات فيجب أن نعترف بأن هبوط معدل الولادات قد كان جزءاً مضادا .

فقد كان واضحاً منذ عام ١٨٥٠ بأن معدل الولادات قد هبط فى فرنسا والولايات المتحدة وإرلندا ، كما كانت الدلائل تدل على أن الزيادة الهائلة التى طرأت على الولادات فى أميركا قد ابتدأت فى الهبوط ثانية منذ الإحصاء الأول عام ١٧٩٠ . فبين عام ١٨٤٧ وعام ١٩١٤ هبط معدل الولادات فى فرنسا من ٢٧ فى الألف إلى ١٩ ، وهبط خلال الحرب العالمية الأولى إلى ١١ فى الألف ثم استأنف بعد ذلك الهبوط بعد ارتفاع وقتى . وقد اشتد هذا الهبوط ، مع بعض التغيير حيناً ، أو مع عدمه فى حين آخر ، فى العصر الذى يسمى عصر الزواج ، ويعزى سبب هذا الاشتداد إلى تحديد الولادات داخل العائلة ، إذ المعروف أن عمليات تقليص حجم العائلة قد استمرت فى فرنسا ، ثم انتشرت من هذه البلاد إلى شعوب أوروبا الغربية .

وأما فى انجلترا فإن معدل الولادات قد وصل إلى درجة عالية عام ١٨٥٠ ، إلا أنه من عام ١٨٨٠ أخذ يعانى هبوطاً مستمراً . وفى خلال فترة قصيرة أمدها ستون سنة (بين ١٨٧٠ و١٩٣٠) هبط هذا المعدل من ٣٥ فى الألف إلى ١٥ . وقد كان لهذا الهبوط أثر كبير على الحياة الإنجليزية .

فكيف إذن فشل مالتوس فى التنبؤ بإمكانية هذا التقلص فى حجم العائلة الذى يعتبر أعظم انقلاب فى شؤون السكان فى العالم الحديث ؟ لقد ظهر لأغلب المفكرين الأحرار بأن مالتوس كان يخدم جهتين مختلفتين : جهة المستغلين ، وجهة ذوى السلطة . واكتشف العالم الألمانى هانس ميوهوف بأن أعمال مالتوس قد تأثرت بدفاعه عن التقاليد ، كما أن العالم جيمس فيلد قد وصل بعد دراسة دقيقة إلى نتيجة أثبت فيها بأن مالتوس كان مطلماً على الدعاية الموجهة لتحديد الولادات فى زمانه ، ولذلك عارض بقوة كل تدبير طبيعى لتحديد حجم العائلة .

---

(١) ف . ع مالتوس (بحث فى السكان) طبعة السابعة المجلد ٢ ص ١١ . مجلدات مكتبة الجيبع .

ولعل هذا الدفاع عن التقاليد الأرذوكسية — والذى دفع علماء السكان إلى أن يسموا صاحبه « البارسون مالتوس » قد جعل من منافسيه من أمثال فرانسيس بلاس وريشارد كارليك وروبرت ديل والدكتور جارلس نولتون أقدر منه فى معالجة الفروض العلمية

إن الضرورات تقتضى — حسب نظرية مالتوس — أن يكون الزوج قادراً على إعالة زوجة وستة أطفال ، أما علماء السكان فى الوقت الحاضر فيقولون إن إنجاب العائلة ثلاثة أطفال يكفى لاستقرار السكان ، بينما يؤدى إنجاب كل عائلة ستة أطفال إلى مضاعفة السكان من جيل إلى جيل . وليس هناك من يشك فى إخلاص مالتوس فى دفاعه عن الضابط المعنوى ، ولكننا يجب أن نشير فى مقابل ذلك إلى أن الكتاب والمصلحين فى أيامه قرروا ما يقرره اليوم كثير من رجال الدين وعلماء التشريح وقادة الاجتماع بأنه إذا ما أراد المجتمع أن يجعل من الاتصال الجنسى قيمة سامية ؛ فالزواج المبكر خير معوان على ذلك .

ويبدو أن تاريخ الشعب الإيرلندى خير تصوير محزن لفرضية مالتوس ، وهو الشعب الذى كانت المجاعة أكبر آفة أصابته ؛ ففى سنة ١٦١٠ ابتدأ السير والتر راليه بزرع بذور البطاطس المستوردة من أمريكا فى مزرعته ، وبعد مضى جيلين أصبحت البطاطس الغذاء الرئيسى فى إيرلندا . وكان الفرد يزود بهذا المصدر الغذائى الجديد ، فيتزوج شاباً ثم ينمو بسرعة . ولذلك أخذ عدد السكان يتضاعف ابتداء من عام ١٨٤٩ إلى أن بلغ هذا التضاعف أوجه عندما صار تعداد السكان ٠٠٠ر ٣٠٠ ر ٨ . وقد جاء فى كتاب السير جيمس كونور « تاريخ إيرلندا » ما يلى : « لقد شجع المسلك الدينى الزيجات المبكرة ، وشجعت السياسة الإيرلندية الزيجات المبكرة كذلك ، وأدى هذا التشجيع المزدوج إلى حصول زيادة سريعة فى السكان . ولكن ظل ما يقارب الثلاثة ملايين والنصف من النفوس ملمومين فى أكواخ موحلة مغطاة بالقش ، كل كوخ يتكون من غرفة واحدة بلا نافذة ولا منفذ . وفى عام ١٨٤٤ ظهرت فى أميركا الآفة النباتية التى تعطن البطاطس خلال بضعة أيام .

وفى صيف ١٨٤٦ اجتاحت هذه الآفة إيرلندا كالوباء الأسود وأهلكت المؤن الغذائية التى يعيش عليها الفلاحون ؛ ومات خلال خمس سنين بين ١٨٤٦ و ١٨٥١ حوالى ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١ شخص . وكان من نتيجة ذلك فيضان هجرة كبيرة من إيرلندا فغادرها خلال عقد واحد ربع السكان متوجهين إلى الولايات المتحدة . ثم أخذ عدد المهاجرين فى التزايد حتى بلغ فى ظرف جيلين ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٥ ولكن الإيرلنديين جابهوا الموقف بإيقاف الزواج أو تركه . ويصعب علينا قياس معدل الولادات فى إيرلندا إلا فيما يتعلق بفترة منتصف القرن التاسع عشر ، ولكن كارساندرس قال إن هذا المعدل ربما كان حوالى الأربعين فى الألف عام ١٨٥٠ ثم أخذ فى الهبوط بعد فترة قصيرة من هذا التاريخ فصار ٦٢٣ بالألف بين عامى ١٨٧١ و١٨٨١ ، و٢١٢ بالألف بين عامى ١٩١٠ ١٩٢٦ . وخلال هذه الفترة ازداد معدل نسبة النساء الإيرلنديات غير المتزوجات من اللواتى تتراوح أعمارهن بين الـ ٢٥ و٣٥ من ٢٨ فى المائة فى عام ١٨٤١ إلى ٥٢ فى المائة فى عام ١٩٢٦ . ولا شك أن ترك الزواج بالنسبة لشعب بأكمله فترة طويلة يعنى بالطبع أن عدداً كبيراً سيترك الزواج نهائياً .

ففى عام ١٨٤١ كان ١٥ بالمائة من النساء الإيرلنديات بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين غير متزوجات . وفى عام ١٩٢٦ ارتفع هذا المعدل إلى ٢٩ بالمائة . وهكذا ، فإن ثلاثة أعشار النساء الإيرلنديات يعشن بلا زواج . وأما بالنسبة لأولئك اللواتى تزوجن فإن معدل الولادات بقى بينهن عاليا . وفى عام ١٨٦١ كان يوجد لكل ١٠٠ امرأة إيرلندية متزوجة من اللواتى دون الخامسة والأربعين ١٣٠ طفلا دون الخامسة . وفى عام ١٨٢٦ كان العدد المماثل ١٣٠ طفلا أيضاً . ويقابل ذلك فى انجلترا وفى نفس الفترة هبوط المعدل من ١٠٠ طفل لكل امرأة متزوجة إلى ٧١٠ وقد استقر الآن عدد سكان إيرلندا حوالى ٠٠٠ ر ٣٠٠ ر ٤ نسمة أى ما يقارب نصف العدد الذى كان عليه عدد النفوس قبل المجاعة . ولهذا السبب نجد أن عدد المنخرطين فى المسلك الدينى فى إيرلندا يفوق أى عدد مماثل له فى العالم الغربى إذا لم نقل فى العالم كله . فقد جندت هذه البلاد أبناءها فى سلك الرهبنة ليخدموا الكنيسة الكاثوليكية فى كافة أنحاء العالم . ولكنا إذا عدنا إلى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وجدنا أنه لم يحدث فى هذه البلدان إلا هبوط قليل فى نسبة الأفراد المتزوجين ؛ ولذلك نرى الكنيسة الكاثوليكية

خسرت كثيراً من المجندين فى هذه الأقطار . ومن هنا نرى أن تخفيض إرلندا معدل الولادات فيها بترك الزواج يعتبر نتاج سلسلة غريبة من الظروف الاقتصادية قويت بإخلاص أهلها للكنيسة ، وأن قصتها تعتبر نموذجاً لطريقة إنقاص عدد السكان فى العالم وهى الطريقة التى يمكن أن تلفت انتباه مالتوس الأخلاق أكثر من جلبها انتباه مالتوس العالم علاوة على دلالتها على مبلغ جسامة الوسائل التى يحتاج إليها لهزيمة تفسير مالتوس .

فؤاد طرزى

(البقية فى العدد القادم)

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة

للاستاذ إبراهيم البطراوى

(تتمـــة)

وفى هـذا الـكتاب كما فى كل ما كتب جينز تقريباً نجد أوضح البراهين وأقواها ، تصريحاً أوتلويحاً ، على أن العلم — بعد تجارب مضنية استغرقت القرون الماضية — عجز بل اعترف أنه من المحال عليه أن يجد معلولا من غير علة . ودليله على هذا جميع تجاربه الصحيحة الماضية بدون استثناء ، ولذا وضع قانونه الشهير عن (العلة والمعلول) Cause and Effect

ثم يرينا فى (نجومه) دلائل عظمة الله وقدرته ولطفه وحلمه وعطفه ، تلك الدلائل القوية التى تبهر العقول وتصعقها . وإن أصدق ما يوصف به هذا الـكتاب هو أنه تسبيحة العالم .

ثم ينظر إلينا قائلا : وها كم البرهان الواضح القاطع — بينما أشار إلى كتابه (الـكون الغامض) وإذ فيه :

« إن الطبيعة تتجافى الآلات ذات الحركة المستديمة ... ويفسر علم الديناميكا الحرارية كيف أن كل شىء فى الطبيعة يصل إلى حالته النهـائية بعملية يطلق عليها : (زيادة درجة التعادل) Entropy (١)

(١) وهى خارج قسمة مقدار الحرارة على درجة الحرارة المطلقة ، وهى تتزايد في الطبيعة باستمرار لأن عمادها فناء القدرات الـكونية من نجوم وأجرام ... عن طريق الإشعاع Radiation وهذا لا ينقطع لحظة من الزمن . ولنلاحظ على سـبيل المثال أن الشمس وحدها تصدر من الإشعاع مايكاد يفصل بالضبط ٢٥٠ مليوناً من الأطنان فى الدقيقة الواحدة ، وهو يساوى متوسط ما يمر من الماء تحت جسر لندن ١٠٠٠٠ مرة تقريباً

فدرجة التعادل إذن يجب أن تزيد على الدوام ، وهى لا تقف عن الزيادة إلا إذا وصلت إلى حد لا يمكن أن تتعداه . فإذا وصل الـكون إلى هـذه المرحلة وأصبحت كل زيادة أخرى فى درجة التعادل (أنتروبى) مستحيلة ، فنى الـكون ...

« وقانون الطبيعة دائماً هو أحد شيئين ليس غير : النماء أو الموت . وهى لا تجيز إلا سكوناً واحداً هو سكون القبر ...

وعلى أصح المشاهدات العلمية نجد أن درجة التعادل الـكونية فى ازدياد مستمر مريع ، وإذن فقد كانت لهـا بالضرورة بداية وأنه حدث ما يمكن أن يسـمى (خلقاً) وفى وقت ليس ببعيد بمداً لا نهائياً »

وإن نهائية الفضاء والزمن على هذا النحو لتضطرنا إلى التسليم بأن عملية الخلق عمل من أعمال الفـكر » .

« وإن تحديد الثوابت مثل نصف قطر الـكون ، وحجمه ، وكهاربه (ليستلزم) وجود الفـكر الذى تقاس خصوبته بضخامة هذه الـكميات » .

ثم يبين لنا أن الله سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه ، وليس كمثله شىء ، فلا يجوز عليه مايجوزعلى خلقه بهذه العبارة الرائعة :

« إن الخالق القادر على كل شىء ، والذى لا يخضع للقيود أياً كان نوعها ، لا يقيد نفسه بالقوانين التى تسود هذا الـكون »

ولم يكتف بهذا بل نزهه سبحانه عن الحلول فى زمان أومكان (لأنه خالق الزمان والمكان) بنفس الحجة القاطعة والأسلوب العذب الرنان .

فالزمن والفضاء اللذان هما إطار الفـكر قد كان وجودهما من غير شك جزءاً من هذه العملية — عملية الخلق — وقد كانت علوم الهيئة البدائية تتخيل خالقاً يعمل فى الفضاء والزمن فيصوغ الشمس والقمر والنجوم من مادة غفل موجودة من قبل ؛ أما النظرية العلمية الحديثة ، فإنها تضطرنا إلى أن ننظر إلى الخالق على أنه يعمل خارج الفضاء والزمن اللذين هما جزء من خلقه ، كما يعمل المصور خارج لوحته .

وهذا يقابل قول أوغسطين : « لم يخلق الله الـكون فى زمن بل خلقه مع الزمن » .

والحق أن هذا الرأى قديم يرجع إلى زمن أفلاطون الذى يقول : « خلق الزمن هو والسموات فى وقت واحد ، وذلك

لـكي يفنيا معاً إذا أريد فناؤهما . هكذا كان عقل الله وفـكره في خلق الزمن »

وحين يهم جينز بتوديعنا لا يفوته أن يؤكد كلامه بقوله : « والآن فإن الآراء متفقة إلى حد كبير يكاد في الجانب الطبيعي من العلم يقرب من الإجماع — على أن نهر المعرفة يتجه نحو هذه الحقيقة وهي أن الـكون بدأ يلوح أكثر شبهاً بفـكر عظيم منه بآلة عظيمة .... » .

« ولسنا نقصد بهذا العقل بطبيعة الحال عقولنا الفردية — إنما نعني ذلك العقل الـكلي الذي توجد فيه على شـكل فِـكَـر تلك الذرات التي نشأت منها عقولنا » .

وهذا ما يعنيه بعض الفلاسـفة المتقدمين من تحويل الفـكر إلى مادة ، وما يعنيه العلم الحديث اليوم من محاولات لعله يستطيع رداً لطاقة أو تحويلها إلى مادة .

وفي قول جينز تفسير (إلى حد ما) لمعنى قوله تعالى : إنمـا أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملـكوت كل شيء وإليه ترجعون » .

على أنه يجب أن نكون أكثر حذراً ولباقة في تمييز حقائق العلم من فروضه وآرائه : فالقانون أو الحقيقة قصدنا ، وما عدا ذلك يكون حكمه حكم غيره من الآراء الإنسانية . وعلى حد تعبير الغزالي : العاقل يقتدي بسيد العقلاء على رضي الله عنه حيث قال : « لا تعرف الحق بالرجال . اعرف الحق تعرف أهله . فالعـاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول : فإن كان حقاً قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقـاً ، بل ربما يحرص على انتزاع الحق من كلام أهل الضلال عالماً بأن معدن الذهب الرغام » اه

هذا هو العلم ، وإن شئنا قلنا الدين ؛ فـكلاهما فطرة الله . وكلاهما في تواتره — في حدود قوانينه ومجموعاته الأزلية — خاضع لإرادة الله وسنته التي منها سنة التطور والارتقاء .

ولعل خير ما أوجهه إلى الشـباب تلك العبارة الطريفة التي وجهها إليهم وإلى الشيوخ أيضاً قبل اليوم بقرون ، المفـكر العبقري الإمام الغزالي . قال رحمه الله في كتابه الممتع (المنقذ من الضلال) : « إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي ؟ فظهر لي أن العلم اليقين هو الذي ينكشف منه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم . ولا يتسع القلب (أي العقل) لتقدير ذلك ؛ بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارناً لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكا وإمكاناً : فإني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة وقال قائل لا ؛ بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعباناً ، وقلبها وشاهدت ذلك منه ؛ لم أشك بسببه في معرفتي ، ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه ؛ فأما الشك فيما علمته فلا .

ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هـذا الوجه ولا أتيقنه على هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقين » اه

***

تلـكم هي قضية الشباب بوقائعها وملابساتها . وهذا غاية ما أمكن أن نصل إليه من وسائل علاجها ، والتاريخ بحوادثه شاهدها وأنتم قضاتها العدول ، فالحـكم لها أو عليها وما يترتب على ذلك منوط بذمتكم أنتم ، فعليكم وحدكم تقع جميع تبعاته .

وقبل أن أختم كلامي أرى واجب العـلم يحتم على أن أثبت ضمن أقوالي هذه الحقيقة :

وهي أننا سجلنا في أفقنا المحلي هـــذه الأيام ظاهرة تنبئ القرائن أنها تتجه وصالح قضيتنا .

ومهما يكن الباعث عليها فإنا على كل حال نرجو أن نستفيد منها إلى حد كبير .

إبراهيم الطراوي

مراجع لم تذكر في ثنايا البحث :

(١) الرد على الدهريين (للسيد الأفغاني)
(٣) تهافت الفلاسفة (للامام الغزالي)
(٣) الفقد التحليلي (للدكتور محمد أحمد الغمراوي)
(٤) سنن الله الـكونية (« « « «)
(٥) أسرار الفطرة : (الدكتور الغمراوي والدكتور الـكرداني بك)
(٦) الـكون الغامض : ت (الأستاذ مرسي)
(٧) الثورة الفرنسية (للدكتور صبري)
(٨) الـكاتب المصري
(٩) مذهب داروين للدكتور سوريال

ترجمة وتحليل :

الخــلود

لشاعر الحب والجمال لامرتين

ترجمة الأستاذ صبحى إبراهيم الصالح

[تتمة]

وهذه البصيرة التى تشهد الإله باطناً فى كل شىء ، ظاهراً من كل مكان ، ترى فوق ذلك أن العالم — بحيه وجماده — ما يفتأ باحثاً عن الله ، ناشداً نجواه ، حريصاً على عرفان صفاته ، والتقرب إلى ذاته ؛ وأنه بجماله ونظامه وإحكامه صورة تحكى جمال خالقه ، وحكمة مدبره ، وقدرة صانعه ، ومرآة تنعكس فيها معانى رحمته ورأفته ، وفضله وكرمه . فالنهار لا يشمشع بنور الشمس وإنما يشرق من نظرات الإله ، والحسن لا يرثه المرء عن أبويه وإنما يفيض من بسمات الله ؛ فإذا ما ابتسم راضياً عن العبيد ، أذن لمولود جيل سعيد ، أن يبهر هذا الوجود !

فما أجدر القلب الذى ينبض بإذن الله أن يعبده ويهواه !

« إن هذا العالم الذى ينشد الوصول إلى كمال صفاتك
صورة تحكى جمــالك ، ومرآة تعكس مزاياك :
فالنهار يفيض من نظراتك ، والحسن يفيض من بسماتك ،
والنفس فى كل مكان تلقاك ، والقلب أينما كان يهواك ! »

بيد أن هذا الإله الحى القيوم ، المقتدر الرحيم ، لو اجتمعت الفطر السليمة والأرواح الصافية على أن تصفه لا تستكمل وصفه ولو كان بعضها لبعض ظهيراً ؛ وإن العقول البشرية لأعجز من أن تدرك مزاياه الحسنى : فهى كلما شرعت تصفه أدركها الكلال ، وكلما أخذت تتكلم عنه غلبها الصمت ، وكلما طفقت تتحرك نحوه رزحت تحت ذاته القاهرة ؛ فتستكين وتشعر بضعفها ثم لا تجد الراحة بعد كلالها إلا فى طمأنينة الوجدان ، ولا تطيق الكلام بعد سكوتها إلا بألفاظ الحمد والتقديس ، ولا تستطيع الحركة بعد جمودها إلا بالقيام والركوع والسجود .

« لا يستكمل وصفَ اسمك كلُّ هذه المزايا الباهرة
أيهــا القيوم الأزلى المقتــدر الحبيب !
والروح — وهو رازح تحت ذاتك القاهرة —
يقــدس قدرتك حتى فى صمته الرهيب ! »

ومهما قدس الروح قدرة الله ، ومهما جدّ فى البحث عنه وألقى اليد بذاته وخضع له فى جميع أحواله ، فلن يُسلمه شئ من ذلك إلى أكثر من أن يحبه حباً يملك عليه مشاعره ويزيد شوقه وحنينه ؛ فيستحيل هذا الحب فى النفس الشاعرة ناراً مضطرمة لا تتراجع دون باب الله مهما طردت عنه حتى يؤذن لها بالدخول فيأخذ لهيبها فى الانطفاء حين ترى عن قرب بعض صفات هذا الخالق العظيم .

« رباه ! ما زال يلقى إليــك بذاته
هذا الروح المحطم خاضعاً لإرادتك الأزلية .
ولما ضاق بالحب شاعراً أنه ختام حياته ،
التهب لعرفان صفاتك القدســية ! »

هذه صلاة الروح فى معبد الطبيعة : ألحانها من السماء ، ونورها من الله ، وينبوعها الشعور والوجدان .

ومثل هذه الصلاة الروحية كثيراً ما صفا بها قلبا لامرتين وحبيبته ؛ فانطلقا على نغماتها إلى العالم المجهول الذى يتخيلان الوصول إليه ، فيجثوان بين يدى الإله الرحيم ، ويصليان لوجهه الكريم ، ويدعان الصباح والمساء يحملان إليه أنفاسهما الطاهرة ثم يستشمران فى سكرتهما البون الشاسع بين السماء والأرض ؛ فما الأرض إلا سجن أو منفى ، وما السماء سوى المأمن والمأوى .

« ولمــا ختمت القول استجمع أنفاسَنا قلبانا
إلى عالم مجهــول حققتــه الآمال ،
ودأب الصباح والمســاء ينشــدانه نجوانا
ونحن جاثيان أمامه بالغدو والآصــال ؛
فرأت عيوننا الأرض منفــانا والسماء مثوانا
وهى سَكرَى فى نشــوة ما تزال ! »

ومع ذلك فما هذه الصور الرائعة التى تبدو لعينى الشاعر فى سكرته الروحية سوى نشوة ما أسرع ما تزول ؛ والروح كلما شرد هذا الشرود ، ورأى هذه الرؤى وثب ثائراً هائجاً وراح يضرب الجسد الذى يحبه ، ويريد أن يتخلص منه إلى الأبد لينتقل من

هذه الأخيلة الكواذب إلى عالم الحقيقة الخالد . وهذا ما حرك نفس الشاعر وحمله على التأوه والأنين ، وعلى التضرع إلى الله أن ينعم على الروح بفصله حقاً عن الجسد وإطلاقه من قيوده حين يكونان في مثل هذه السكرة لكيلا يرتدا بعدها إلى الصحو الذي ليس فيه سوى الواقع المر الأليم .

« وفي هذه اللحظات التي يثب فيها الروح الشرود ،
ويود لو حطم الصدر الذي يحبسه ويخنقه ...
أواه ! لو استجاب لنا الإله من أعلى الوجود ،
فضرب كلاً منا ضربة تفصله وتطلقه ... »

يتمنى لامرتين هذا في تأوه وأنين ، لأنه يتوقع السعادة يوم تنفصل الأرواح عن الأبدان !

فالأرواح ما دامت أجسادها تكبلها بأغلال من عظام ولحم وشحم وعروق وشرايين ، وتكلفها ما لا تنتهي مطالبه من طعام وشراب ومشتهيات ، لن تستطيع أن تتحرك قيد أنملة ؛ بل ستبقى محجوزة عن كل ما تريد ، محجوبة عن كل ما ترغب !

وما بالأرواح رغبة في حطام فان أو مادة زائلة ، إن تريد إلا أن تسرى في العوالم أنى تشاء ، وأن تجتاز حزنها وسهلها ، وعاليها وسافلها ، وظاهرها وباطنها ؛ وأن تمرج من سماء إلى سماء فترى ما يغشاها وتتسمع موسيقاها وأن ترق في لمح البصر إلى موطنها الأول روضة الخلود ، وإلى ينبوعها الذي لا ينضب روح الإله ؛ وأن تطير على جناح الحب في فضاء واسع لا يحده البصر ، ولا ينتهي في الزمان ولا المكان ؛ وأن تضيء في طيرانها ما حولها كما يضيء شعاع الشمس في سطوعه كل شيء ؛ وأن تنفذ أخيراً إلى نفس الخالق وتمتزج فيها إلى الأبد امتزاج الأنفاس ، ثم تهدأ بعد ثورتها ، وتأنس بعد وحشتها ، وترى الحقيقة بعينها بعد أن ذهلت كثيراً في دنيا الخيال .

ولو استجاب الله دعاء لامرتين ودعاء أمثاله .

« إذن لاجتازت أرواحنا العوالم في مسراها
وهي ترق بوثبة واحدة إلى ينبوعها الثرّار ،
ولا تصاعدت على جناح الحب في فضاء لا يتناهى
كأنها شعاع من أشعة النهار ،
ثم امتزجت إلى الأبد في نفس من براها
بعد أن تصل إليه ولها مستطار ... »

والشعراء مهما استغرقوا في أخيلتهم لا بد للشك أن يغزو قلوبهم ؛ وما هو إلا أن يصحوا من سكرتهم ، ويصرخوا في وجه الأقدار مستنسخيها ما تكتب أيديها ، ومستنطقيها عن ما تبيته لياليها ؛ فهل هي خادعتهم عن أمانيهم وضاحكة من آمالهم أم ستجعل أخيلتهم حقائق ، وأحلامهم واقعات ؟

وكذلك فعل لامرتين ... فإنه لما أحس استغراقه في خياله عاد إلى الأقدار يسألها : هل الكائنات مولودة للفناء ؟ ثم يسألها بشيء من المرارة : هل ستفنى النفس مع الجسد إذا قضت عليها الشركة أن تقاسمه الموت ؟ وهل سيبلع القبر في جوفه هذه النفس في ظلام الليل ؟ وما تصير بعد فنائها ؟ أتستحيل غباراً متناثراً ، أم تطير فوق الأحياء ، ثم تذهب في الفضاء ؟

وفي هذه الأسئلة حيرة الشاعر وتردده ، وفيها خوفه على مصيره ورهبته من عاقبته وعواقب الناس .

« أيتها الأقدار ! هل خدعتنا أمانينا ؟
وهل الكائنات مولودة للفناء ؟
وهل يبلع القبر آناء ليالينا
نفساً تقاسم جسدها حكم القضاء ؟
وهل تصير غباراً أم تطير حوالينا
ثم تتلاشى كصوت ذاهب في الفضاء ؟ »

وحين يختم لامرتين هذا اللحن الحزين في هذه القصيدة العصماء يأبى إلا أن يصرح بأن الروح الذي خاطبه وناجاه لم يكن سوى حبيبته (جوليا) فتراه يتغنى باسمها في البيت الأخير ، مستعلماً منها عما امتنعت الأقدار من إعلامه به ، إذ يسألها بعد أن فاضت أنفاسها وفارقت دنياها : هل بقي على حبها شيء مما أحبت ؟ وهل تشعر بحب هذا المقيم على العهد أم تريد على وفائه موثقاً ودليلاً ؟ ثم يعلن لها أنه يهبها حياته ، ويرجو أن تشهد مماته مقابل شيء واحد : هو أن تشعر بحب هذا الذي أخلص في حبها فيكون شعورها برهاناً على خلودها ويكون خلودها جواباً لسؤال خطير طالما خبأته الأقدار ، وعوذته بالأسرار .

« بعد أن فاض نفسك يوم الوداع الأخير
ألم يبق شيء يحبك من كل ما كنت تحبين ؟
أواه ! لن أسأل سواك هذا السر الخطير ،
فانظري يا جوليا موت حبيبك ثم أجيبين ! »

وهكذا عاد الشاعر إلى خياله ، واستمسك بآماله ، وختم قصيدته بمعاني الخلود ...

صبحي ابراهيم الصالح

من وحي الربيع :

زهـــرة !

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

سألتني ذات مره ما تراني ؟ قلت : زهره
عطرها في القلب أفرا ح ، وفي النفس مسره
ولها لون كلون الـ حب ما أعجب سحره !
ولهـا إشراقة النو ر على صدر البحيره
وربيع مستـهام قد أطال الحب عمره
ليس يمضي عن رباها وصباها قيد شعره
أسرته بهـواها ففدا يعشق أسره !
كلما مرت عليها نسمة تعرف سره
حدثتها عن جواه ومضت تنشد شعره
وتغنت بهـواه وأزاحت عنه ستره
فتثنت وهي نشوى وأغاني الحب خمره

أنت يا زهرة عندي جنة عـذراء نضره
أنت للحيران أفق عنده يبصر فجره
أنت للظمآن عين بالنمير العذب ثره
أنت إلهام وفن يعرف الفنان قدره
أنت في أعماق روحي وفـؤادي مستقره
فيك أحلام حياتي ـ ياحياتي ـ مستسره
فيك شيء لا تراه غير روحي وهي حره
فيك سحر لست أنسا ه ، وقد أنسيت غيره
فيك ما أجهل سره فيك ما أعرف أمره !

يا هوى عمري ، ويا نو ر الهوى الساري وعطره
يا رجاء بعد يأس واهتداء بعد حيره
يا صفاء بعد أن كا نت حياتي مكفهره
يا نعيما بعد أحزا ن وحرمان وحسره
إن يكن قصـر فني فاعرفي للفن عـذره
هل يحوز الكون ذره أو نضم البحر قطره ؟
إنمـا أنت جمال يتراءى الفن إثره
نادر في كل وقت ساحر في كل فتره !
قد تجلى فيه ما لله من فن وقدره
أنت لحن تخشع الأر واح إذ تسمع نبره
زهرة أنت ، ولـكن يا نسيمي أي زهره !
حسب قلبي منك عطر وكفاني منك نظره

من ألحانه الوفاء :

أبي . . .

للشيخ محمد رجب البيومي

أبي ، لستُ أهوى في الحياة سوى أبي
فلا تلحني إن ضقتَ يوماً بمذهبي
مليكٌ على قلبي توطد عرشُه يُتوجه حبي بتاجٍ مُذهب
تربيتُ طفلا في حدائق بره وقد لبست من وشيها كل معجب
فذقتُ جناها وانتشيتُ بكرمها ولذت بفينان من العيش مخصب
ومازلت في دور الشباب أزورها فأقطف من ريحانها الغض ما ربي
حـاني وللدهر الخؤون براثن تأوهتُ منها بين ناب ومخلب
وآثر تعليمي ولم يك ذا غنىً فأنفق جهداً طال منه تعجبي
يظل وراء الرزق يكدح مُتعبا لأرفل في نعمائه غير مُتعب
كأنيَ منه مستظلٌ بدوحةٍ نمت فأقامت وحدها بين سبسب
أراه فأنسى الهم مبتهجاً به كساررأى في الليل طلعة كوكب
وما سر قلبي أنْ أفارق ظله ولو أن لي ما بين شرق ومغرب
إذا مسني سُقمٌ تبدد بِشره فليس يُرى إلا بوجه مقطب
فيدعو أطبائي ويسأل ربه ويمكث عندي لا يطيق تجنبي
أقول له هون عليك مطمئنا فللداء وقتٌ إن دنا منه يذهب
ويعـلم أني بالقراءة مُولعٌ فيملأ بالأسفار والصحف مكتبي
ويقرأ مثلي ثم يصدر نقدهُ فإن أر للتعقيب باباً أعقب
وأطلب منه الرأي إن عنَّ مشكل فينطق عن فكـر أصيل مُرتب
فإن جاء أضيافي تهلل وجهه فيلقاهمو عني بأهـل ومرحب
كأن أمينُ الله أقبـل نحوه من الملأ الأعلى ، على رأس موكب
فياليت شعري هل إذا كنتُ والدا
أكون لأولادي كما كان لي أبي
وهيهاتَ أن أرقى إليه فوالدي ملاك ومن لي بالملاك المحجب
بعثت به يارب والليل حالك يضل به الساري فبدد غيهبي
فعش يا أبي ـ طوال الحياة فإنما بقاؤك في دنياي غاية مطلبي
لـكل أب فضل كبير على ابنه فمن برو سوءاً عن أبيه فكذب

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

سلامه موسى أو قصة الكاتب وما كتب :

لم أكن أعلم أن للأستاذ سلامه موسى تلميذاً آخر إلا حين وقع فى يدى العدد الأخير من مجلة « المقتطف » ... فى هذا العدد الذى أصدرته المجلة عن شهر يونيو طالعت مقالا آخر فى الرد علىّ تحت عنوان « النقد والتعقيب فى الصحف والمجلات » لكاتب لاداعى لذكر إسمه لأن أحداً لايعرفه ؛ لايعرفه على الرغم من أن له كتاباً صدرمنذ شهور إسمه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ! ... وأعلم أن هناك سؤالا يتردد فى الأذهان ليأخذ طريقه إلى الشفاه : كيف لايعرفه أحد وله فى أسواق الأدب كتاب ؟ الجواب عن هذا السؤال هو أن الكتاب « القيم » لم تعرفه أسواق الأدب حتى الآن ، وإنما عرفته أسواق تجار الورق حيث يباع « الفن الرفيع » بالرطل !!

إن لهذا الكتاب قصة ... قصة تكمن فصولها وراء هذا الهجوم الذى شنه علىّ صاحبه فى « المقتطف » منذ أيام . ولا بأس من أن أسرد لك فصول القصة بإيجاز ، لتدرك أن الدافع الأصيل لهذا الهجوم لم يكن بسبب موقفى من الأستاذ سلامه موسى ، ولكنه كان بسبب موقفى من الكتاب « القيم » ! وقبل أن أحدثك عن فصول القصة أقسم لك أن هجوم الكاتب « النابه » قد هزنى هزاً عنيفاً ... إن التافهين يستطيعون أن يهزونا نفس الهزات العنيفة التى نتلقاها من العباقرة ؛ فالعبقرى يستطيع أن يزلزل كيانك حين تقرأ له زلزلة تقديس وإعجاب . وكذلك التافه فإنه يستطيع أن يزلزل كيانك أيضاً زلزلة رثاء وسخرية ! ومن هنا هزنى الكاتب « النابه » هزاً عنيفاً خشيت معه على رئتى القويتين إثر الإنفجار ... من الضحك !!

قصة طريفة مافى ذلك شك ، أقصها عليك لتنسى — ولو إلى حين — حر الصيف و « هجوم الذباب » ...

مفتاح القصة أمامى وأنا أكتب هذه الكلمة ؛ إنه ليس إلا نسخة من كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ... إياك أن تظن أننى من الغفلة بحيث أشترى مثل هذا الكتاب ، ولكن صاحبه هو الذى كان من الغفلة بحيث أهداه يوما إلىّ لأكتب عنه سطوراً تقدمه إلى القراء ! ويبدو أننى كنت قليل الذوق لأننى تغافلت حتى اليوم عن الكتابة عنه ، على الرغم من أن الكتاب قد أرسل إلىّ مع رسول خاص يحمل إلىّ رجاء صاحبه أن أخصه بشىء من عطفى ، وعلى الرغم من أن صفحته الأولى قد حملت إلى إهداء ضخما يمكن أن يرتفع بى إلى مكانة سانت بيف فى النقد الأدبى !!

ومضت الأيام « والرسول الكريم » يلاحقنى ليلاً ونهاراً موفداً من قبل « الأستاذ » المؤلف لأكتب عن الكتاب ولو كلمة صغيرة فى « الرسالة » ؛ ولكننى تماديت فى قلة الذوق إلى الحد الذى دفعنى إلى مصارحة « الرسول الكريم » بأننى أهين قلمى وأهين « الرسالة » وأهين عقول القراء إذا كتبت عن هذا الكتاب ... وذهل « الرسول الكريم » ولم يجد بدا من نقل كلامى إلى « الأستاذ » المؤلف ، ولعله فعل هذا ليريح لسانه من كثرة الرجاء وقدميه من طول المسير !!

أنا على إستعداد لأن أنقل إليك عبارات الإهداء الضخمة بالزنكغراف ، وعلى استعداد لأن أذكر لك اسم « الرسول الكريم » وعلى استعداد لأن أقدم لك أسماء من شهدوا فصول القصة من الأدباء ، لتدرك الدوافع الأصيلة لهذا الهجوم الذى « عطر » ثلاث صفحات من « المقتطف » ؛ لقد كنت بالأمس فى رأى الكاتب « النابه » أديباً كبيراً يشار إلىّ بالبنان فأصبحت اليوم فى رأى الكاتب نفسه لاشىء ... وسبحان من جرد الكاتب « الجهبر » من ثوب الخلق والضمير ، ومن أضاع ماء الحياء من وجوه بعض الأحياء !!

أترك هذا كله لأقول للكاتب « النابه » إن القائمة الطويلة التى قدمها إلىّ عن كتب الأستاذ سلامه موسى راجياً منى أن أعود إليها عسى أن أغير رأيى فيه ، أقول له إن تلك الكتب بما تحمل فى أحشائها من جراثيم الفتك بالقيم والتقاليد والضمائر والأخلاق والعادات ، هى وحدها سبب حملتى عليه ... فليرجع هو إليها ليغترف العلم من منابع الإنحلال !

أما تلك الفقرات التي نقلها إليّ من كتاب «تربية سلامه موسى» ليستدر بها عطفي على رجل «خدم الأدب والفكر قرابة أربعين سنة كي ينير ويعلم ويسمو بالشباب إلى مثليات القرن العشرين ويخرجهم من ظلمات القرون الماضية ويكافح هذا الشرق المتعفن الذي تنغل فيه ديدان التقاليد» إلى آخر هذا الكلام المضحك الذي ورد في ذلك الكتاب، أقول إن تلك الفقرات جديرة بالتصديق من نزلاء مستشفى المجاذيب!!

ليصدقني قراء «الرسالة» إذا قلت لهم إنكم لم تجدوا تلميذاً لهذا الرجل إلا وهو واحد من هذه التشكيلة العجيبة:

متعلم فاشل، وماجن مستهتر، وفتاة عابثة، ومشاغب يبيع الشغب لمن يشتريه، ومسخ مشوه منبوذ من الحياة...

مع أخلص التحية للأستاذ عباس محمود العقاد!!

بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية:

هذه قصـــة ذات مغزى ودلالة، وقعت حوادثها في أرض الديمقراطية الحق لا أرض الديمقراطية المزيفة... هنـاك حيث يتفيأ الناس ظلال الحرية ويستروحون أنسامها الوديعة! ولقد حدثتك في العدد الماضي من «الرسالة» عن أرض الديمقراطية المزيفة، تلك التي يلقى فيها «رالف بانش» ما كان يلقاه العبيد في أحلك عصر من عصور التاريخ... من حق هذه الأرض أن نهدي إليها هذه القصة، وإن كنا نخص بالإهداء أرضاً أخرى يعرفها المضللون من أصحاب الأفـكار المنحرفة والمبادىء الهدامة!

«حنّ» المستر كليمنت أتلي رئيس وزراء بريطانيـا يوما إلى كليته القديمة فذهب لزيارتها حيث أقيمت له حفلة غداء... وبدأ الطلبة المحافظون عملهم فكتبوا بحروف كبيرة فوق سيارة رئيس الوزراء (ممنوع الوقوف هنا)، ثم داروا حول السيارة وأطلقوا سراح الهواء المحبوس في العجلات ثم ذهبوا من حيث أتوا. وفي تلك اللحظة حضر سائق سيـارة رئيس الوزراء وراعه ما أصاب السيارة فجرها إلى أقرب جراج ولم يخرجها منه إلا في اللحظة التي استعد فيها المستر أتلي لمغادرة كليته القديمة! غير أن الطلبة المحافظين أبوا أن ينتهي نشاطهم عند هذا الحد فأسرعوا إلى الغرفة التي توجد فيها قبعة رئيس الوزراء، ولما وجدوا بابها مغلقاً داروا حولها حتى وجـــدوا نافذة مفتوحة فتسلقوا بها وانتزعوا القبعة بعصا لأحدهم ثم كتبوا على ورقة بخط جميل (انتخب المحافظين في الانتخابات القادمة)، ثم ثبتوا الورقة ببعض الدبابيس في قبعة المستر كليمنت أتلي... كل ذلك وقع ولا علم لرئيس الوزراء به، ولـكنه ما كاد يستقل سيارته حتى هرع الطلبة المحافظون إلى نافذة في الطابق الأعلى ورشوا عربة الرئيس بالماء!

وتقبل أتلي كل هذه الأعمال بروح طيبة، واعتبرها مداعبة مألوفة من الطلبة»!!

ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستشعرها المحـكوم، ويلتقون جميعاً في رحابها كأكرم ما يلتقي الإنسان الـكريم بالإنسان الـكريم وما أروعها من أرض تلك التي تنبت الحرية ليجني ثمارها الأحرار ضع أي رجل من رجال «الـكرملين» في مكان كليمنت أتلي، وضع بعض الطلبة من الروس في مكان بعض الطلبة من الإنجليز وتصور ما حدث هنا وقد حدث هناك! إن في مجاهل سيبريا متسعاً للجميع... وهـــذا هو مفرق الطريق بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية!

إلى المضللين من أصحـاب الأفـكار المنحرفة في مصر نهدي هذه القصة، ونهدي إلى المثقفين منهم — وما أقلهم — كتابين يصوران هذا الجحيم الشيوعي خير تصوير، وإن كان أحدهما قد نقل عن رأي اليمين بينما نقل الآخر عن رأي الشمور... «أثرت الحرية» للـكاتب الروسي كرافتشنكو، و«الأيدي القذرة» للـكاتب والفيلسوف الفرنسي سارتر!!

بعض الرسائل من حقيبة البريد:

هناك أصدقاء مجهولون يكتبون إلى من حين إلى حين... لماذا يؤثرون أن يظلوا مجهولين وهم أصدقاء؟ إنني أود من الـكاتب المجهول (س) الذي بعث إليّ برسالته الـكريمة حول قصة «من وراء الأبد» أن يكشف عن شخصيته لأرد على تحيته.

وهذه رسالة أخرى نبيلة الهدف جليلة الغاية من «حلفا — سودان» يقترح على مرسلها الأديب الفـاضل الطيب عبد الله جلال الدين أن أطلب إلى الدكتور طه حسين والأستاذ العقاد أن يكتب الأول كلمة في «الرسالة» عنوانها «أخي الزيات» وأن

يكتب الثاني كلمة أخرى عنوانها « مصطفى صـــادق الرافعي » ليتحقق الصفاء في الأدب عن طريق الصفاء في النفوس ... أود أن أقول للأديب الفاضل إن الكلمة التي ينتظرها من الدكتور طه عن الأستاذ الزيات ستلقى قريباً عند مايستقبل مجمع فؤاد الأول للغة العربية صاحب « الرسالة » بمناسبة إختياره عضواً في المجمع؛ أما الكلمة الأخرى فلعل الأستاذ العقاد يكتبها يوماً ما . ومهما يكن من شيء فقد حسم الموت مابين الرجلين من خلاف . أما الرسالة الثالثة فتحمل إلى من « الخرطوم — سودان » تقديراً كريماً أرده لصاحبه شكراً خالصاً وهو الأديب الفاضـــل أحمد عوض محمد الموظف بالبنك الأهلي المصري ، وكم أود أن يرجع إلى بعض مؤلفات الأستـاذ سلامه موسى ومقالاته ليدرك سر نقمتي على أفكاره المنحرفة ، هذه الأفكار التي تهدم كثيراً من القيم الخلقية والإنسانية !

وحين أنتقل إلى الرسالة الرابعة أشعر أن إخواني في الجنوب قد بلغوا الغاية في الوفاء للخلق والعقل ... إن الأديب الفاضل عبد الله شلبي من « عطبرة — سودان » يقدم الدليل على هذا السمو الخلقي والفكري في ثنايا رسالته . أما الجواب عما سألني عنه حول شخصية الأستاذ توفيق الحكيم الفنية فيستطيع أن يستخلصه مما كتبته عنه على صفحات « الرسالة » ، لأنني قد تعرضت لهذا الجانب من جوانب شخصيته في الكلمة التي حملت عنوانها « الفن بين واقع الفكر وواقع الحياة » . وأقول لصاحب الرسالة الخامسة الشاعر الفاضل جعفر عثمان موسى « كوستي — سودان » إنني قد قضيت مع شعره لحظات تذوق ودراسة ، وسأوافيه برأيي في رسالة خاصة .

أما الرساله السادسة فأشكر لمرسلها الشـــاعر الفاضل محمد العديسي نبيل عاطفته وعاطر ثنائه ، وأقول له إن الكلمة التي كتبها صديقي الأستاذ عباس خضر رداً على رسالته إليه قد خففت من وقعها وضوح القصد في رسالته إليّ ... ولهذا يبادر الأستاذ خضر بشكر الشاعر الأديب مثنياً على هذه الروح المثالية . وهذه هي الرساله الأخيرة من الأديب الفاضل عبد الرحمن أحمد شادي الطالب بالأزهر، أنها تحمل سؤالا ينتظر الجواب عن رأى لشوبنهور ورد في كتاب « قصـــة الفلسفة الحديثة » للأستاذ أحمد أمين بك والدكتور زكي نجيب محمود ... أرجوأن يتسع وقتي للرد على سؤال الأديب الفاضل في الأيام المقبلة ، لأن التعقيب على آراء الفلاسفة يحتاج إلى كثير من الوقت والجهد والعناء !

« مقاتل الطالبيين » لأبي الفرج الأصفهاني :

إذا قلت عن هذا الكتاب إنه كتاب قيم فلا أعدو الحق والواقع ... حسب القارىء أن يكون مؤلفه هو أبوالفرج صاحب « الأغاني » وحسب أبي الفرج أن يكون « الأغاني » مشـــيراً إليه ودليلا عليه . أما محققه الأستاذ السيد صقر فشاب يضن بوقته على أن ينفق فيما لافائدة منه ولا خير فيه ، كما يفعل كثير من شباب العلم في هذه الأيام ... وإنما ينفقه في البحث والتنقيب والتحقيق ليقدم إلى قراء العربية من حين إلى آخر مايقع عليه من نفائس الآثار الفكرية في التراث العربي القـــديم ؛ يقدمها خالصة من الشوائب في حدود مابين يديه من مصادر تتصل بموضوع تحقيقه من قريب أو من بعيد : أما موضوع الكتاب فتدرك أهميته ونفاسته من عنوانه : مقاتل الطالبيين !

في هذا الكتاب ترجم أبو الفرج للشهداء من سلالة أبي طالب ، أولئك الذين استشهدوا في سبيل الرأى والعقيدة على أيدى الخصوم من بني أمية أو بني العباس ! ترجم لهم في الفترة التي تبدأ من عصر الرسول وتنتهي بنهاية القرن الثالث الهجري ، سواء أكان المترجم له قد لقى حتفه بالسيف في ساحة الجهاد ، أم لقى حتفه بالسم في ساحة الغدر ، أم لقى حتفه بالتعذيب في غيابة السجن ، أم لقى حتفه في مكمنه الذى لجأ إليه فراراً من البطش والعدوان !

ولقد رجع الأستاذ السيد صقر في تحقيق هذا الكتاب إلى نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصريه ، كما راجع نصوص الكتاب على الكتب التي نقل منها أبو الفرج أو التي نقلت عنه مثبتاً ما بينها من فروق ... كما حرص على أن يثبت في أول كل ترجمة كل مايعرف من مراجع عرضت للمترجم له بأى لون من ألوان الذكر ، وعلى أن يصنع للكتاب فهارس مفصله للرواة والأعلام ، والجماعات ، والفرق ، والأماكن ، والأيام ، والشعر ، والمصادر ، والتراجم .

كل هذا يطلعك على مدى الجهد الذى بذله الأستاذ المحقق واستحق عليه كل تقدير وكل ثناء ... أما الكتاب نفسه فتحفة نادرة من تحف أبي الفرج ينشدها قارىء الأدب وقارىء التاريخ !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أثمان الكتب في وزارة المعارف :

أوضحت في الأسبوع الماضي موضوع اختيار الكتب للقراءة الأدبية في المدارس الثانوية وما أثير حوله في وزارة المعارف ، كما أبديت ما عنّ لي من الملاحظات في شأنه . وأريد أن أعرض اليوم لمسألة أثمان تلك الكتب ، وغيرها من الكتب المدرسية المؤلفة وفق المناهج الرسمية .

أما كتب المطالعة الأدبية فقد كانت الوزارة تشتريها من السوق الحرة بأثمانها التي تباع بها الجمهور أو بما ينقص قليلا عن هذه الأثمان ، إذ كانت الوزارة تكتب إلى المكتبات ودور النشر ، تطلب موافاتها بالثمن الأصلي وبمقدار ما هي مستعدة أن تنقصه من أصل الثمن من أجل الوزارة ..

وفي فبراير الماضي قررت الوزارة أن تثمن الكتب بحسب نفقات طبعها وورقها وحبرها وتغليفها وما إلى ذلك ، وتقدر هذه النفقات لجنة خاصة في الوزارة تضم بعض الفنيين في الطباعة والنشر ، وبطبيعة الحال تحصى اللجنة عدد الصفحات والسطور والكلمات والحروف لتقدر ما تكلفته المطبعة في إعدادها . ويضاف إلى هذه النفقات ستون في المائة منها ، للناشر والمؤلف حسبما يتفقان .

وقد كان يقوم بنفسي إزاء الذي كان متبعاً من قبل ، أنه لا يليق بالوزارة أن تطلب من الناشرين وأصحاب الكتب معاملتها معاملة خاصة من حيث إنقاص الثمن بنسبة معينة ، فهذا أشبه بالمساومة التي يترفع عنها كثير من الناس ، ولم تشترى الحكومة بثمن غير الذي يشترى به الناس ؟ وهل هي عند ما تشترى السلع الأخرى تطالب بمثل هذا « الخصم » ؟

ولكن ذلك شيء يسير ، يشغلنا عنه الآن هذا القرار الأخير الذي جب ما قبله ، والذي أربى عليه غبنا . ويظهر أن « حرفة الأدب » تدخلت في الموضوع ، فبغت — كدأبها — أن ترزئ أهلها : الأدباء ...

وقل لي بربك هل تشترى الحكومة العلف من تبن وشعير وبرسيم لما تملكه من بهائم ، بحسب نفقات الإنتاج ، في غير ما يدخل التسعير العام للجمهور ؟ فما بالها تتخذ هذه الطريقة في غذاء العقول ومنتجات قرائح أصحابها من الطبقة التازة في الآدمية ؟

ولم يرتح أصحاب الكتب المقررة إلى تلك الطريقة التي تقرر اتباعها في تثمين كتبهم ، ومن أوجه الضرر التي تلحق بهم أن الوزارة حينما تشترى الكتاب بثمن بخس وتأخذ منه عشرة آلاف أو عشرين ألفاً أو ما بين ذلك ، ترخصه في السوق ، فقد يعود إليها بعد التوزيع على الطلبة بثمن أقل . ويرون أن الأمر غير لائق من الوجهة الأدبية كما هو مجحف من الناحية المادية يقول بعضهم : هل نحن نعتصر أفكارنا لتقدر بسعر ما نكتب به من الحبر ؟

وقد حدث أن قدرت اللجنة الجزء الأول من كتاب « الأيام » بسبعة قروش وهو يباع للجمهور بعشرين قرشاً ؛ ولما علم الدكتور طه حسين بك مؤلف الكتاب بهذا التقدير ، رأى الامتناع عن بيعه للوزارة ، فزيد التقدير عدة مرات إلى أن وصل التقدير إلى ثلاثة عشر قرشاً ، حتى رضي الدكتور . وهذا مثل يطلعنا على ما عساه أن يكون لذلك القرار من جرائر وما يسود تنفيذه من اعتبارات . .

ومما يوجه إلى طريقة تثمين الكتب بنفقاتها المادية ، أنها تسوى بين كتاب وكتاب قد يكونان مختلفين في القيمة الأدبية ، وتلك الطريقة لا تكون عادلة إلا في بيع الكتب المتخلفة عن الرواج حينما توزن بالأقات والأرطال . .

ومما يذكر في هذا الصدد ، أن الكتب التي تقرر لمكتبات المدارس تطبق في تثمينها الطريقة الأخيرة ، فيما يؤخذ منه أكثر من ثلثمائة نسخة ، أما ما دون ذلك فيشترى بأثمان السوق أو بما ينقص عنها قليلا كما تقدم .

أما الكتب المدرسية المؤلفة وفق المناهج الرسمية فلها قصة أخرى : كانت الوزارة تطبع هذه الكتب بالمطبعة الأميرية ، وتوزعها على طلبة المدارس الأميرية . وقد جرت على أن تعطى

المؤلف مكافأة نحو مائة أو مائتين من الجنيهات ، و كثيراً ما يكون للكتاب عدة مؤلفين ، وقد يكون له عدا المؤلفين مراجعون ولم تكن المكافأة فى نظر المؤلفين والمراجعين شيئاً مذكوراً إنما كان ربحهم من طبع الكتب فى مطابع أهلية بنفقات أقل من نفقات المطبعة الأميرية وبيعها بالثمن المقدر رسمياً على أساس هذه النفقات ، لطلبة المدارس الحرة فى مصر ، ولبعض وزارات المعارف والمدارس الحرة فى الأقطار العربية الشقيقة.

وفى فبراير الماضى قررت وزارة المعارف أن توزع الكتب المدرسية على المدارس الحرة كما توزعها على مدارسها .

ورأت دور النشر فى هذا القرار ما يهددها فى أرحب مجال لعملها وخاصة فى هذا الوقت الذى قل فيه الإقبال على الكتب وتعذر إصدارها إلى الخارج ، فشكت إلى الوزارة ماينالها من جرائه ومايؤدى إليه من تعطيل عمالها ، وشاركها فى ذلك المؤلفون إذا رأوا أن كل كسبهم من تأليفهم ينحصر فى المكافأة الضئيلة المزيلة التى تمنحها الوزارة لهم ، وقد قرر بعضهم الامتناع عن التأليف المدرسى ما دامت هذه الحال .

ومما لا شك فيه أن امتناع المؤلفين الممتازين عن التأليف وقيام غيرهم به ممن يرضى بالقليل يؤدى إلى ضعف التأليف للمدارس وانحطاط مستواه .

وقد تولى وزارة المعارف معالى الأستاذ على أيوب ، وتلك الحال قائمة ، وقد تلقى شكايات واستمع إلى وجهات نظر مختلفة. والأمر — فى كل ما يتعلق بالكتب مدرسية أو أدبية عامة — بين يدى معاليه قيد البحث والنظر ، ولا شك أن روح القاضى التى يعالج بها معاليه أمور وزارة المعارف منذ وليها ، يبعث الطمأنينة فى نفوس المهتمين بالأمر وذوى الغيرة على الصالح العام .

اليوم خمر :

هى حياة امرئ القيس ، وهى تتلخص فى هاتين الكلمتين « اليوم » و « خمر » فقد كان يعيش فى يومه عيشاً كله خمر ، فلم يعبأ بالغد ولم يجد فيا نازعته إليه نفسه أحياناً من أمر ، فهو يلهو بالشرب والصيد ومغازلة الحسان ، حتى إذا قتل أبوه وبلغه نعيه وهو عاكف على لهوه لم يثنه ذلك عن شرابه ولعبه وأعلن أن « اليوم خمر وغداً أمر » فإذا نال من قتلة أبيه بعض الشىء أعلن أن الحظر

كشكول الأسبوع

◘ تنفيذاً لرغبة ملكية كريمة قرر معالى وزير المعارف إقامة لوحة تذكارية بدار الأوبرا للمرحوم نجيب الريحانى تقديراً لما أداه من جهود فنية فى خدمة البلاد .

◘ أطلق اسم « ابن سينا » و « الرازى » على مدرجين فى كلية الطب بباريس . وقد اقترحت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية إطلاق اسم « ابن سينا » على أحد مدرجات كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول .

◘ اعتزمت اليونسكو إخراج مؤلف شامل عن ابن سينا يشترك فى وضعه لفيف من أعلام المختصين فى مختلف الأمم .

◘ نشرت مجلة « الأديب » البيروتية لوكيلها فى القاهرة ، أن العالم الأدبى (ممثلا فى شخصه) استاء من مهاجمة « الرسالة » لسلامة موسى ... وقد كتب ذلك قبل نشر كلمتنا « مجمع سلامة موسى للغة العامية » والمنتظر أن يكتب وكيل المجلة إليها للنشر فى العدد القادم معبراً عن استياء « العالم العامى » .

◘ وافق مجلس كلية الآداب بجامعة فؤاد على تعيين الأستاذ عبد الوهاب حمودة أستاذاً لكرسى شوقى بالكلية .

◘ تلقت وزارة المعارف من السيرجون هامرتن ناشر كتاب « تاريخ العالم » الذى تقوم بترجمته إدارة الترجمة بالوزارة وتنشره مكتبة النهضة — رسالة يثنى فيها على توفيق الوزارة فى نشر الكتاب ودقة ترجمته . وقد جاءت الأنباء بأن الناشر توفى ، وكانت وفاته قبل وصول رسالته إلى وزارة المعارف .

◘ اعتاد الدكتور ابراهيم ناجى رئيس رابطة الأدباء ، حينما يلقى محاضراته بالرابطة ، أن يجلس بين فتاتين ، تبتسم له كل منها إذا التفت يميناً أو يساراً ، وتجلس قبالته فتاة أخرى تبدى على أساريرها علامات الإعجاب كأنها تفهم ما يقول . وقد علق أحدهم على ذلك فقال إن الدكتور ناجى يبدو فى هذه الهيئة مثل هارون الرشيد بين جواريه .

◘ أذيع يوم الجمعة الماضى الحديث الثانى من أحاديث « قصة الأدب المصرى الحديث من أول القرن إلى اليوم » المسجلة بالإذاعة للدكتور طه حسين بك ، وقد تناول فى هذا الحديث إنشاء الجامعة القديمة وأثرها فى النهضة العلمية الحرة ، كما تحدث عن بعض أساتذة الجيل وأثرهم فى تحرير الفكر ، وأفاض خاصة فيما كان يكتبه « الشيخ طه حسين » — على حد تعبيره — عن المنفلوطى ، ومما قاله أنه يشعر بالخجل إذا ذكر عنفه فى الهجوم على المنفلوطى وإن كان لهذا الهجوم أثره فى التوجيه إلى حرية النقد والتجرد من تقديس شيوخ الأدب فى ذلك الحين .

◘ تقيم اليونسكو بالاشتراك مع الحكومة الفرنسية ، معرضاً دولياً فى أواخر هذا الصيف بباريس ، لعرض الأطوار التى اجتازها البصر فى سبيل تحريرهم حتى الآن .

واستأنف يومه وخمره، وأعرض عن غده، وأعياه أمره. وتعرض له فكرة الرحلة إلى القسطنطينية للاستعانة بقيصر على استعادة ملك أبيه، فيحزم أمره على الرحلة عند ما يعلم ما في القسطنطينية من خمر معتقة ومن فيها من حسان فاتنات. وهناك يستبدل حانة ميخاليوس بدارة جلجل، وأين عذارى الغدير من لا ريسكا وميونورقا وابنة القيصر؟

تلك هي حياة الأمير الشاعر امرئ القيس بن حجر الكندي كما صورها الأستاذ محمود تيمور بك في مسرحيته الجديدة «اليوم خمر» وقد عني فيها بتصوير الصراع في نفس امرىء القيس بين حياة اللهو والمرح وبين المجد المؤثل، ويغوص الأستاذ في طوايا هذه النفس ليستخرج حقيقة معدنها، فإذا هي نفس جادة إذا هزلت وهازلة إذا جدت!

والمعجزة الكبرى في هذه المسرحية، هي تطويع الجزالة العربية لأسلوب العصر وصب الفحولة الجاهلية في قالب الرشاقة المصرية، وقد مزجت بعض العبارات الأصيلة المأثورة بأسلوب المؤلف فلا تميزها إلا بمعرفتك إياها من قبل، ومع هذا لا يذهب بك بعيداً عن لغة عصرنا هذا برقتها وسهولتها.. وأعتقد أن الأستاذ تيمور بك توحى بذلك أن يستكمل تصوير عصر المسرحية بأسلوب أشبه بلغته، وقد بلغ بذلك ما أراد مع تجنب الإغراب وترك ما ليس مأنوساً في هذا العصر.

وتعرض المسرحية صورة صادقة للحياة العربية البدوية الأولى — كما نتخيلها — وتبرز شيمها وطبائعها التي تنزع نفوسنا إليها باعتبارها أصلاً من أصولنا، ولا نزال نترسمها في مثلنا وحياتنا. وفيها تعبير عن معان وحقائق إنسانية خالدة. وهي تتسم بالجمال، جمال البيان، وجمال التنسيق في عرض الحوادث والمناظر، وجمال الصدق في التعبير عن خلجات النفوس ومفارقات الحياة.

وقد آثرت أن أمسك عما لاحظته في المسرحية مما أظنه مآخذ، إلى أن نلتقي بها في المسرح، ولعل الفرقة المصرية تفتتح بها موسمها القادم على مسرح الأوبرا، وتهيىء لنا بذلك لقاءها هناك.

نجيب الريحاني:

توفي يوم الأربعاء الماضي، الممثل الكبير الأستاذ نجيب الريحاني، وقد بعث نعيه الحزن في كافة الطبقات، فلم يكن فقيد طبقة أو طائفة دون أخرى. إنما هو فقيد أمة، عاش لها وخدمها بفنه ظل حياته على المسرح يفيء لها، وأخيراً احترق.

كان رحمه الله فناناً ساخراً، يسخر من الحياة وممن يعقدون أمورها على أنفسهم وعلى الناس، وطالما حل مشكلاتها بحكمته الضاحكة، وطالما بعث المسرة إلى القلوب بفكاهته الرائقة، وأخيراً أسدل الستار على المأساة إذ فارق الحيـاة. وقد كان يكشف بحاسته الفنية ما في الحياة من سخف وتفاهة، ولعله بمفارقتها قد بلغ نهاية الفن... إذ أشرف روحه على مهازل الأحياء فسخر منهم السخرية الكبرى.

ووفت له الجماهير، إذ احتشـدت في تشييع جنازته التي هرع الناس إليها من جميع الطبقات فكانت جموعهم ودموعهم مرثية رائعة مطلعها مندوب جلالة الملك.

كانت صحة الفقيد الكريم قد اعتلت أخيراً، ولكنه ظل يعمل على المسرح لأنه لم ير للعيش طعماً مع اعتزال الفن والخلود إلى الراحة، ولكن الراحة الكبرى سلبته الاختيار، فخلى مكانه في المسرح، وأسلم الراية مكرهاً.

كان الريحاني مدرسة في فن التمثيل تهدف إلى الأغراض الإصلاحية، وتؤدي إلى هذه الأغراض بطريقة فكاهية محببة إلى الخاصة والكافة، فكان المجتمع يتلقى عليه ويستفيد منه وهو يستمتع بفنه ويطرب لدعابته.

فما أشد فاجعة المسرح في الريحاني، وما أفدح خسارة الأمة في فنانها العظيم.

عباس خضر

البريد الأدبي

١ — حول شاهد :

استشهد أحد الكتاب على تأنيث الضبع بقول الشاعر :

فإن (قومك) لم تأكلهم الضبع

وقد أخطأ فى استشهاده ، وفى روايته ، كما أخطأ من قبل فى ادعائه التأنيث فقط . فقد جاء فى لسان العرب : الضبع السنة الشديدة المهلكة المجدبة ، قال عباس ابن مرداس :

أبا خراشة أما (أنت) ذا نفر فإن (قومى) لم تأكلهم الضبع

ومثله فى شرح القاموس وغيره .

وجاء فى مادة (خرش) من اللسان وغيره ما نصه :

أبا خراشة أما (كنت) ذا نفر فإن (قومى) لم تأكلهم الضبع

قال ابن برى : البيت لعباس بن مرداس السلمى ، وأبو خراشة كنية خفاف بن ندبة ، فقال يخاطبه : إن كنت ذا نفر وعدد قليل فإن قومى عدد كثير لم تأكلهم الضبع وهى السنة المجدبة اه ومن هذا يظهر لك خطأ الرواية أيضاً .

والعرب يستعملون هذا كثيراً فى الشكايات ونحوها ، فقد جاء فى النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير : إن رجلا أتاه فقال قد أكلتنا الضبع يارسول الله ،يعنى السنة الشديدة المجدبة ،وهى فى الأصل الحيوان المعروف ، والعرب تكنى به عن سنة الجدب اه . وفى النهاية أيضاً ومنه حديث عمر « خشيت أن تأكلهم الضبع » .

وفى اللسان : جاء أعرابى إلى رسول الله فقال يا رسول الله أكلتنا الضبع فدعا لهم اه .

وفى شرح القاموس: وفى حديث أبى ذرقال رجل يا رسول الله أكلتنا الضبع فدعا لهم ، وهو مجاز اه . وقوله مجاز أى تجوز فى التعبير بالضبع ، فإن المعنى الأصلى الحيوان المفترس المعروف ، والمعنى المجازى هو العام المجدب ، وهو أشد فتكا من الضبع كما ترى فى المجاعات ولا سيما فى بلاد العرب .

وجاء فى خزانة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٨١ ترجمة خفاف ابن ندبة ما نصه : قال حمزة الأصبهانى فى أمثاله التى على وزن (افعل) عند قوله (أفسد من الضبع) إنها إذا وقعت فى الغنم عاثت ولم تكتف بما يكتفى به الذئب . ومن إفسادها وإسرافها فيه استعارت العرب اسمها للسنة الجدبة فقالوا أكلتنا الضبع . ومما يؤيد هذا أن العرب يقولون أكلتهم السنة إذا أهلكهم الجدب والقحط (شرح القاموس — سنة)

٢ — هام ومهم :

لغتان عربيتان صحيحتان ولا فرق بينهما فى الاستعمال :

فقد جاء فى لسان العرب : همه الأمر هما وأهمه ، وقال أبوعبيدة فى باب قلة اهتمام الرجل بشأن صاحبه همُّك ما همَّك ويقال : همك ما أهمَّك اه

وجاء فى القاموس والمعيار : همه الأمر هماً كأهمه اه

وجاء فى المصباح : أهمنى الأمر بالألف وهمنى هماً من باب قتل مثله اه

وإنى أحذر الكتاب من النقود المزيفة فى « لغة الجرائد » وغيرها وعليهم أن يرجعوا إلى المعاجم العربية وغيرها من المراجع العربية .

على حسن هلالى
بالمجمع اللغوى

لفظة فى بيت :

فى مقال للأستاذ السيد أحمد صقر حول كتاب « نظرات فى كتاب الأشربة » للاستاذ كرد على عقب على البيت التالى :

فهذا ثباتى لم أقل بجهالة ولكننى بالفاسقين عليم

بقوله : « والصواب (فهذا ثنائى) كما فى العقد الفريد ، وليس للثبات هنا أى معنى يستقيم به نظم الكلام ، ويقوم عليه بناء معناه » !

قلت : بل للثبات » هنا معنى يستقيم به نظم الكلام وهو إلى الصواب أقرب مما ورد بالعقد الفريد وذلك لسببين :

الأول : أن الشاعر يقرر حالة هى إلى قدح القادح أقرب منها إلى « ثناء » المادح . وأى « ثناء » ذلك الذى يوجه إلى قوم

لا يحفظون الحريم ، وينقلبون بين الجيئة والذهاب من حب إلى بغضاء ، ومن وفاء إلى عداء ؟ !

والثانى أن الأستاذ الناقد فهم من « الثبات » أنه الدوام والاستقرار ، ومن ثم كتب ما كتب معتمداً على رواية العقد الفريد وهي — كما سبق — رواية لا يزكيها واقع الحال ... وإنما يقال فى مقام التصحيح أن « الثبات » بمعنى الحجة والبرهان. تقول : لا أحكم بكذا إلا بثبت أو بثبات أى بحجة وبرهان ودليل . فالشاعر إنما يقول عن علم وليس عن جهالة وهو بالفاسقين عليم ... وحجته معه !

(الزيتون) عدنان

ثلاثة جاهدوا فصدقوا :

نشرت الرسالة الغراء فى العدد ٨٢٩ مقالاً قيماً للاستاذ محمد سليم الرشدان تحدث فيه عن ثلاثة جاهدوا فصدقوا ، فى فلسطين ، فأجاد وأبدع فى وصف بطولة الشهيد المرحوم عبد الرحيم محمود الشاعر المبدع .

لقد كان بطلاً فى حياته ومماته ، وقد كانت الخسارة فادحة ، والرزء عظيم فيه .

وحينما تحدث الأستاذ عن البطلين الآخرين ، لم يصاحبه التوفيق ، لأن الأستاذ الرشدان من السلط من شرق الأردن ، وليس من فلسطين ، ومعرفته بجغرافية فلسطين وأهلها محدودة جداً ، وهذا ما كان سبب عدم الدقة فى حديثه عن هذين البطلين .

فأما البطل الثانى السيد أحمد السبع فهو من أسرة السبع المشهورة بثرائها وأملاكها الواسعة فى قلقيلية ، فلم يكن فى حاجة إلى العمل خارج فلسطين ، ولا ينتظر من شاب مثقف مثله أن يترك أملاكه وثروته ويتشرد جائعاً ، وقلقيلية لم يتطرق إليها خطر مباشر كما حدث فى البلدان الفلسطينية الأخرى ...

وأما البطل الثالث وهو الأستاذ عبد الله الريماوى ، فقد نسبت إليه البطولة لأنه أبى أن ينسحب هارباً من قريته بروقين ليلة كارثة اللد والرملة . والذى يعرف مكان قرية بروقين وبعدها عن اللد والرملة يستغرب كيف خطر للاستاذ الرشدان أن ينسب بطولة لشاب مثقف : يريد أن يفر من مسقط رأسه . وهى تبعد مسافة تزيد على عشر ساعات سيراً على الأقدام داخل الجبال التى يعسر على الإنسان السير فيها عن اللد والرملة .

وللاستاذ الرشدان تحياتى .

راتب يحيى الشامى

« الجائزة » أو لماذا أومن بالله :

كتاب فى ٣١٠ صفحات يدلل على وجود الله فى أسلوب سهل شائق كأنك تقرأ فى قصة . يتناول كل شبهات الملحدين التى ضلوا بها وأضلوا — فينقضها نقضاً ويدحضها دحضا .

من الموضوعات التى عالجها لإثبات وجود الله تعالى : تهيئة البيئة الصالحة للحياة ، إمداد الكائن الحى بجميع معدات الحياة ، للانسان كل ما فى الأرض وهو خليفة لله فيها ، دليل الضبط والتقدير الكونى ... الخ .

ومن الشبهات التى دحضها : الصدفة ، الطبيعة ، القوة والمادة ، نظرية النشوء والارتقاء ، وهل هي تريب إن صحت . شبهة أعطى فكفر ، ضلالات المتدينين وأخطاؤهم فى تعليل الأمور — وما يتعلل به الملحدون علينا بسبب ذلك للآن .

إن الملحدين قد دأبوا على تضليل الناس وتشكيكهم فى عقائدهم باسم العلم وكتاب كهذا يكشف الأمر على وجهه ويرد الحق إلى نصابه . ثمنه ٢٥ قرشاً

رسالة النقد

نظرات فى كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٤ —

٢٤ — ص ٣٨ « وقال آخر :

بلوت النبيذيين فى كل بلدة	فليس لأصحاب النبيذ حفاظ
إذا أخذوها ثمّ أغنوك بالمنى	وإن فقدوها فالوجوه غلاظ
مواعيدهم ريح لمن يمدونه	بها قطعوا برد الشتاء وقاظوا
بطان إذا ما الليل ألقى رواقه	وقد أخذوها فالبطون كظاظ
يراع إذا ما كان يوم كريهة	وأسد إذا أكل الثريد فظاظ

وعلق الأستاذ على هذه الكلمة بقوله « فى ع : يراعوا »

والصواب « يراعٌ إذا ما كان يوم كريهة » جاء فى لسان العرب : « اليراع : القصب ، واحدته يراعة . واليراعة ، واليراع : الجبان الذى لا عقل له ولا رأى ، مشتق من القصب ، أنشد ابن برى لكعب الأمثال :

ولا تك من أخدان كل يراعة	هواء كسقب البان جوف مكاسره

٢٥ — يقول ابن قتيبة : « وربما بلغت جناية الكأس إلى عقب الرجل ونجله ، قال المأمون لقوم : يا نطف الخُمار ، ونزاع الطاؤور ، وأشباه الخؤولة » .

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « فى الأصل ونزائع الصؤور والذى أثبتناه رواية ع »

والصواب : « ... ونزائع الطاؤورة »

٢٦ — ص ٣٨ « وقال مسلم بن قتيبة : إن آل فلان أعلاج أوباش لئام غدر ، شرابون ما نقع . ثم هذا يُعد فى نفسه نطفة خمار فى رحم صناجة »

وقد علق الأستاذ على ذلك بقوله « فى الأصل بأنقع ، ولعل الصواب ما اخترناه » وقد أخطأ الأستاذ فى تغييره العبارة عن أصلها ، ولم يفطن إلى أن « شرابون بأنقع » تعبير فصيح ، ولم يعرف أنه مثل عربى مشهور . جاء فى لسان العرب : « ومن أمثال العرب : إنه لشرّاب بأنقع ،

وورد أيضاً فى حديث الحجاج : إنكم يا أهل العراق شرابون علىّ بأنقع . قال ابن الأثير : يضرب للرجل الذى جرّب الأمور ومارسها ، وقيل للذى يعاود الأمور المكروهة ، أراد أنهم يجترئون عليه ويتناكرون . وقال ابن سِيده : هو مثل يضرب للانسان إذا كان معتاداً لفعل الخير والشر » .

وصواب عبارة مسلم بن قتيبة : « .. شرابون بأنقع ، ثم هذا يَعُدُّ فى نفسه نطفة خمار ... » .

٢٧ — ص ٣٩ يقول ابن قتيبة : « وربما بلغت جناية الكأس زوال النعمة ، وسقوط المرتبة ، وتلف النفس . فإن الرجل ربما استخلصه السلطان لمنادمته ، وأدخله موضع أنسه فيزين له الكأس غمز القينة » .

والصواب : « فتزين له الكأس » لأن الكأس مؤنثة . ومثل ذلك ما جاء فى ص ٤١ « ومن شربة النبيذ الشطار والخلعاء والمجان ، فحملهم الكأس على المجون » والصواب : « تحملهم الكأس على المجون » .

٢٨ — ص ٣٩ « وقد كان عمرو بن هند استخلص طرفة ابن العبد لندامته ، فبينا هو يوماً معه يشرب أشرفت أخته عليهما فرأى طرفة ظلها فى الجام فقال :

ألا أيها الملك الـ (م)	ـذى يبرق شنفاه
ولولا الملك القاعد	قد ألثمنى فاه »

والصواب : « استخلص طرفة بن العبد لندامه » أى منادمته .

وقد شرح الأستاذ كلمة الشنف بقوله : « الشنف بفتح الشين أعلى القرط » !!!

ولما كنت لا أعرف أن لأجزاء القرط أسماء خاصة بها فقد سألت صديقى الراوية الأستاذ محمود محمد شاكر عما قاله الأستاذ فقال : « هذا كلام لا معنى له ، وكل ما قاله اللغويون أن الشنف هو القرط الذى يلبس فى أعلى الأذن ، والرعثة : هو الذى يلبس

فى أسفل الأذن ولعل صاحبك قرأ ما جاء فى القاموس واللسان والصحاح من قولهم : الشنف القرط الأعلى ، فلم يدرك ما يريدون وصحح لهؤلاء العلماء الأجلاء هذا الخطأ ، فجعل للقرط أعلى وأسفل على ما يتوهم ، وأبى إلا أن يكون الصواب أعلى القرط » .

٢٩ — ص ٤٨ « واحتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ، وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام . فإن هذا منسوخ ، نسخ بشربه الصلب يوم حجة الوداع » .

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « فى النهاية لابن الأثير : فى حديث أبى عبيدة : تمر ذخيرة مصلبة أى صلبة ، وتمر المدينة صلب . وقد يقال رطب مصلب بكسر اللام أى يابس شديد »

فيكون معنى كلام ابن قتيبة بناء على شرح الأستاذ « فإن هذا منسوخ ، نسخ بشربه التمر » !

ولو رجع الأستاذ إلى صفحة ٢٠ من هذا الكتاب لوجد ابن قتيبة يقول : « وأما النبيذ فاختلفوا فى معناه فقال قوم : هو ماء الزبيب وماء التمر من قبل أن يغليا ، فإذا اشتدّ ذلك وصلب فهو خمر » . وجاء فى صفحة ٢٢ « حدثنى أصحاب أنس عنه أنه كان يشرب النبيذ الصلب الذى يكون فى الخوابى » وفى ص ٢٩ « ... وبأن عمر كان يشرب على طعامه الصلب ويقول : يقطع هذا اللحم فى بطوننا » .

ويمنعنى احترامى للأستاذ محمد كرد على من أن أعقب على شرحه هذا بحرف واحد ...

٣٠ — ص ٤٨ « وبأن ابن مسعود قال : شهدت التحريم وشهدت التحليل وغبتم ، وبأنه كان يشرب الصلب من النبيذ الجر حتى كثرت الروايات عنه ... » .

والصواب : « كان يشرب الصلب من نبيذ الجر ... »

٣١ — ص ٤٨ « ... عن عبد الملك بن أخى القمقاع بن ثور عن ابن عمر أنه قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأتى بقدح فيه شراب فقربه إلى فيه ثم رده ، فقال بعض جلسائه : أحرام هو يارسول الله ؟ فقال: ردوه فردوه ، ثم دعا بماء فصبه عليه ثم شرب وقال أنظروا هذه الأشربة إذا اغتلمت عليكم فاقطعوا متونها بالماء » .

وقد علق الأستاذ على ذلك بقوله : « فى قول عمر رضى الله عنه إذا اغتلمت عليكم هذه الأشربة فاكسروها بالماء قال أبو العباس : يقول : إذا جاوزت حدها الذى لايسكر إلى حدها الذى يسكر »

أخطأ الأستاذ فى فهم النص السابق وحسب أن عمر بن الخطاب هو الذى قال : إذا اغتلمت عليكم هذه الأشربة فاكسروها بالماء . ولست أدرى كيف أقحم الأستاذ عمر بن الخطاب هنا وليس فى النص مايشير إليه ؟ ولعله توهم أن ابن عمر روى ذلك عن أبيه أو لعله يقصد أن ابن عمر هو الذى قال هذه الكلمة . وسواء علينا أتوهم الأستاذ ذلك أم قصد هذا فانه مخطىء لامحالة وقائل هذه العبارة — حسب تلك الرواية هو النبى صلى الله عليه وسلم « ... فقال بعض جلسائه أحرام هو يارسول الله ؟ فقال ردوه فردوه ، ثم دعا بماء فصبه عليه ثم شرب وقال : أنظروا هذه الأشربة إذا اغتلمت عليكم فاقطعوا متونها بالماء »

وهذا حديث مكذوب على النبى ، وسنده يحمل فى أطوائه دليل وضعه « عن عبد الملك ابن أخى القمقاع بن ثور عن ابن عمر أنه قال كنا عند النبى الخ »

جاء فى خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٠٨ « عبد الملك بن نافع أو ابن القمقاع عن ابن عمر . قال أبو حاتم لايكتب حديثه » على أن فى الكلام تحريفاً لم يتبينه الأستاذ وهو « القمقاع بن ثور » والصواب : « القعقاع بن شور » بالشين لابالثاء ، قال ابن قتيبة فى كتاب عيون الأخبار ١ — ٣٠٦، ٣٠٧ « كان القعقاع بن شور إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيباً فى ماله وأعانه على عدوه ، وشفع له فى حاجته وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً . وقسم معاوية يوماً آنية فضة ودفع إلى القعقاع حظه منها فآثر به القعقاع أقرب القوم إليه فقال :

وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن إن نطقوا بخير وعند الشر مطراق عبوس

راجع القاموس وتاج العروس فى مادتى « شور وقعقع »

ولسان الميزان ٤ — ٤٧٤ والبيان والتبيين ٣ — ٢٠٣

ومحاضرات الأدباء ١ — ٢٣٠ وثمار القلوب ص ١٠٠

والتاريخ الكبير للبخارى ٤ — ١٨٨ من القسم الأول ،

وتهذيب التهذيب ٦ — ٤٢٧

٣٢ — ص ٤٧ « ... عن ابن جرير ، عن عطاء أن عمر وقف على السقاية فوضع يده على بطنه فقال : هل من شراب ؟ فانى أجد فى بطنى غمزاً ، فأتى بشربة من السقاية فشربها ... » وعلق الأستاذ على ذلك بقوله « فى البغدادية : عن أبى جريح »

والصواب : « عن ابن جريج عن عطاء ... » وابن جريج كما فى المعارف للمؤلف ص ٢١٤ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٢٢٥ هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموى المكي ، قال ابن المدينى : لم يكن فى الأرض أحد أعلم بعطاء من ابن جريج . توفى سنة خمسين ومائة . وكانت وفاة عطاء بن أبى رباح القرشى فى سنة ١١٤هـ كما فى تهذيب التهذيب أوفى سنة ١١٥ كما ذكر ابن قتيبة فى المعارف ص ١٩٦

« يتبع »

السيد أحمد صقر

المدرس فى اللبيسيه بمصر الجديدة

تصويب :

وقع فى الكلمة المنشورة فى العدد الماضى تحريف كثير نذكر بعضه مصوباً فيما يلى :

ص ٩٦١ س ١٣ من العمود الأول « والذى حده عمرو فى مصر سراً وأعاد عليـه عمر بن الخطاب الحد هو عبيد الله ابن عمر بن الخطاب ... »

س ١٠ من العمود الثانى « خيضل الكياس »

ص ٩٦٢ س ٢٥ من العمود الأول « وجبير ابن أيمن »

س ٢٠ من العمود الثانى « بياعه بيطون ما سألوا »

ص ٩٦٣ س ١ « وهم يقولون »

س ٢ « على هذا لبأس شديد »

سكك حديد الحكومة المصرية

إلغاء تحصيل رسم حجز المقاعد بالقطارات السريعة

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور مرة أخرى أنه قد تقرر اعتباراً من أول يونيه سنة ١٩٤٩ إلغاء تحصيل رسم حجز المقاعد لركاب الدرجتين الأولى والثانية بالقطارات السريعة على أن يكون الركوب بهذه القطارات فى مقاعد محجوزة « دون تحصيل رسم حجز » بحيث تثبت أرقام المقاعد على ذات تذاكر السفر بالترتيب عند صرفها .

أما من يحملون تذاكر الاشتراك أو التصاريح فيجب أن يدفعوا الرسم الإضافى قبل سفرهم وعندها تثبت أرقام مقاعدهم على ذات قسايم الرسم .

العدد ٨٣٤ — الاثنين ٢٧ يونيو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

17 em Année No. 834

Lundi — 27 — 6 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣٤ « القاهرة في يوم الاثنين أول رمضان سنة ١٣٦٨ — ٢٧ يونيو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٩ — أمم حـــائرة

المرأة والانتخاب

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

ثار جدال واشتد نزاع على اشتراك المرأة في الانتخاب. وحسبي في هذا المقال أن أصور للقراء جدالا في مجلس ضم جماعة من أولى العلم تختلف آراؤهم في هذا الشأن.

تحدث حاضرو المجلس في بعض ما نشر في الصحف تأييداً لمطالبة المرأة، أو المطالبة لها بالانتخاب، وإنكاراً لهذه المطالب. فبدأ أحد المتكلمين الجدال إذ قال:

حقٌّ للمرأة كيف يجحد، وكرامةٌ لها كيف تهان، ومشاركة في تدبير أمور الأمة كيف تحرَّم عليها؟ لا أرى لمنكر حجة، ولا لمخالف عذراً ».

قال أحد المتحدثين: « وددت أنَّا تجنبنا هذا الحديث في هذا المجلس، ولكن صاحبنا لا يجد لمنكر حجة ولا لمخالف عذراً، فحق علينا أن نبيّن حجتنا وعذرنا.

إنا نعوذ بالله من السياسة ومكايدها، وعصبية الأحزاب وطرائقها، وتحيز الصحف وجدالها.

ونعوذ بالله أن تسابق المرأة في هذا المضمار، وأن تصلى بهذه النار. ونعيذها بالله أن تَشغل نفسها بهذا اللجاج، وأن تزج نفسها في هذا المجاج، ونحذر أن تمتد ضوضاء السياسة إلى سكينة البيت، وخلافُ الأحزاب إلى وفاق الأسرة.

إن من شئون الأمة لشئوناً ينبغي أن تُنزَّه عن الجدال، وتُصان عن النزاع والخصام، ويكتنفها الوفاق والوئام، وتحوطها السكينة والسلام، وأولها شئون الأسرة.

إننا لا نرضى لطلبة العلم أن يعملوا في السياسة فيتفرقوا شيعاً، ونود أن تكون معاهد التعليم للأمة كلها، يجمع طلابها الحق، ويؤلف بينهم العلم، ويؤكد أخوتهم التعاون على كل بر، والجهاد لكل خير. وقد خبرنا من عمل السياسة في الطلبة ما خبرنا، وبلونا من شرها ما بلونا.

وإن الأمم تنأى بالجيوش عن معارك السياسة وخصومات الأحزاب، لأنهم للوطن كله، وللأمة جميعها، والوطن واحد والأمة واحدة.

ونعوذ بالله من جند يختلف أحزاباً ويتفرق طرائق! إن الجند سياج الوطن المنيع، وحرزه الحريز، ينبغي أن تجتمع قلوبهم وألسنتهم وأيديهم على الذود عن ديارهم، لا تفرقهم الأهواء، ولا تتقسمهم النزعات.

وشئون أخرى للأمة لا تصلح إلا باجتماع الرأي فيها، واتفاق القلوب عليها. وشئون الأسرة أولى هذه الشئون بالتنزه عن

التحزب ، والتطهر من التعصب .

والمرأة ربة الأسرة ، وملكة البيت ، تنشر فيهما السلام والسكينة ، وتبعد عنهما النزاع والضغينة ، فتربّى أولادها للوطن كله ، وتنشّىء ناشئتها للأمة جميعها . مثّل لنفسك زوجين اجتمعا على مائدة ، وقد تعصب كل منهما لحزبه ، وجادل عنه ، وذكر حزب الآخر ونال منه ، واستمع الأولاد لجدال الأبوين ، والجدال طريق الخصام ، والخصام رسول العداوة والبغضاء . ثم انظر كيف تكون العاقبة .

هذا جانب واحد من جوانب عمل النساء في السياسة ، وآفة واحدة من آفات تعصبهن ، ودخول التحزب إلى بيوتهن .

نناشدكم الله والوطن أيها الدعاة أن تدعوا لنا المرأة نسكن إليها من ضوضاء العيش ، ونفر إليها من خلاف المذاهب ، ونستريح عندها من جدال الأحزاب ، ونتعلم في جوارها الحب والود ، والسلام والبر .

نناشدكم ألا تجعلوا من كل أسرة لجنة حزبية ، أو لجاناً متعددة لأحزاب مختلفة ، وألا تنقلوا الجدال والخصام ، والافتراء والبهتان ، إلى المعبد الذى نأوى إليه ، ونتمس الدعة والسكينة والألفة والمحبة فيه .

حسبنا — أيها الإخوان — هذا النزاع الدائم ، والدوىّ المستمر الذى نلقاه في كل طريق ، وكل ندىّ ، ونقرؤه في كل صحيفة ، ونسمعه في كل مذياع . فنحن منه في شغل بالنهار وهمٍّ بالليل .

دعوا المرأة تتزوّد من العلوم والآداب والأخلاق ، وأبعدوها من هذا المعترك لتكون داعية وفاق ورسول مودة ، ولتكون — كما خُلقتْ — مصدر خير وبر ، وألفة وحب .

قال الأول — وقد احتدّ قليلاً — : « إنكم إذاً تحرمونها المشاركة في أمور الأمة ، وتحرمون الأمة تدبير المرأة ، وهى — كما تعترفون — مصدر خير وبر وألفة ووفاق ، فلماذا تحرمون الأمة من برّها ووفاقها في بعض شئونها ؟ »

فأجابه مناظره : « كلا ، كلا ، بل تشارك خير مشاركة بالتربية والتهذيب ، وبالتعليم والإرشاد ، وتدبّر أجدى تدبير بالقيام على أخلاق النشء وأفكارهم ، وبدعوتهم إلى الحق والخير ، وتنشئتهم على العدل والإحسان ، وإشراب قلوبهم المودة والمحبة ، وتعويدهم العدل والإنصاف .

إنها إذاً تشارك وتدبّر بقلبها الطاهر ، وفكرها البرأ من العصبية ، وتهدى الأمة إلى الخير دون تحيز ، وترشدها إلى الحق دون تحزب ، فتكون داعية ألفة لا فرقة ، ومنبع سلام لاخصام .

وليس هذا بعيداً من المرأة ، إن قبلتم فيها دعوتنا إلى التكريم والتقديس ، ورضيتم لها سلطانها في الأسرة ، ومكانها من الأمة .

إننا نرضى شركتها في كل أمر ما عدا الخصام والجدال ، ونقبل تدبيرها في كل شأن حاشا معارك السياسة ومكايد الأحزاب .

إننا ننزه المرأة — ومكانُها في القلوب مكانُها — أن تباشر الخصام ، وتتخلل الزحام ، وتسير في مواكب الانتخاب ، وضوضاء المظاهرات ، وترى منافسها ويرميها ، ويَبهتها وتبهته .

إنا والله نُشفق عليها أن تسير في المدن والقرى ، وتطرق الأبواب ليلاً ونهاراً ، وإعلاناً وإسراراً ، وتلق الكريم واللئيم ، والحر والنذل ، والغليظ والرقيق ، مستجدية التأييد ، منفقة من الوعود !

ثم ضحك المجادل وقال مازحاً : « ولسنا نعرض لما وراء هذا من الأقاويل حين يقول السفهاء : هذه المرشحة جميلة ، وتلك دميمة ، وهذه بسّامة ، وتلك متجهمة ، وتلك غليظة في القول ، وهذه لينة ... وهلم جرا .

وإنا والله لنرثى لها حين نتمثلها وقد ابتُليت بالنيابة فجاءت الوفود تستنجز الوعود ، وطرق الناخبون دارها كل حين ، يرفعون الشكايات ، ويقتضون الحاجات ، ويخرجونها من أسرتها طوعاً أو كرهاً ، ويشغلونها عن عيالها ، شاءت أم أبت !

إنا وايم الحق لنشفق على الرجال ونرثى لهم حين نراهم في معركة الانتخاب وبعدها ، وحين نرى تحكم المُبطلين فيهم ، وتدلل الطامعين عليهم ، حتى لنتمنى أحياناً أن يُعفى الرجال من الانتخاب ومطالبه ، والتمثيل ومتاعبه . وكم عرفنا وبلونا وأشفقنا ورثينا !

فاشتد صاحبه في الجدال ، واحتد في الحوار ، قائلا : « أيها الدعون المبطلون ، والمجادلون الجاهلون ، إنكم تعطلون نصف الأمة أو أكثر ، وتحرمونه الإبانة عن رأيه ، والإعراب عن حجته في المجالس النيابية . والتمثيل لايصح حتى يمثل كثرة الأمة

وُيبين عن آرائها ، فكل أمة لا تشارك نساؤها في الانتخاب والنيابة ، لا يصح تمثيلها ، ولا يجوز في الحق تصرفها ... هذه حجة دامغة ، فكيف تحتالون لدفعها ؟ »

قال له صاحبه : قلت آنفاً إن على النساء تنشئة الأجيال وتربيتها ، فآراؤهن منبثة في نفوس الرجال والنساء ، ممثلة فيها ، وأقول الآن : إن مدار تمثيل الأمة على أن يكون لكل مذاهبها وآرائها من يتكلم بها ويجادل عنها في مجالس النيابة . التمثيل صحيح ما تحقق هذا الشرط ، فإن عمدت أمة إلى تقليل مشاغل الانتخاب بتقليل عدد الناخبين بأية وسيلة دون إجحاف بطائفة بعينها ، أو تمييز جماعة على أخرى . كان الناخبون ممثلين لآراء الأمة ، وصح التمثيل ، ولم يضر هذا التقليل .

هب أنك أخذت دفاتر الانتخاب في بلد فحذفت نصفها بالاقتراع ، ألا يكون النصف الباقي ممثلا أفكار هذا البلد ونزعاته ؟ أتقول إن مذهباً أو رأياً فقد أصحابه بهذا الاقتراع ، إن انتصر للرأى ستون من مائة ، أو ثلاثون من خمسين ، أو خمسة عشر من خمسة وعشرين ، لم تختلف النتيجة ، ولم تتغير النسبة .

وليس النساء طائفة ، أو طبقة في الأمة ، ولكنهن شريكات في كل أسرة وفي كل جماعة ، فإن أعفت أمة نساءها من مشاغل الانتخاب تمكيناً لهن مما هو أولى بهن ، وتنزيهاً عن معارك السياسة ومطاعن الانتخاب ، لم يخل هذا بتمثيل الأمة ، ولم ينقص من كرامة المرأة .

فسخر صاحبه بهذا الرأى وشرع يجادل فيه ، فصاح به : لقد ضاق الوقت ، لا تجادل ، سأدع كل حجة إلا حجة واحدة ، وأتجنب كل القضايا إلا قضية فذة ، فإن أجبتم عنها ، وخلصتم من سلطانها ، كان بيننا وبينكم ما شئتم من جدال .

إني أقول لمن يطلب الانتخاب للنساء ، أنطلب هذا عن رضاً من النساء أو كره ، أنكرههن على الانتخاب ، أو تأخذ برأيهن فيه قبولا ورداً ؟

إن فيصل الأمر بيننا وبينكم أن تبدأوا فتعرفوا آراء النساء في قضيتهن هذه ، أيردن الانتخاب أم يأبينه ، أيحرصن عليه أم يزهدن فيه ؟ فاستفتوا النساء قبل أن تطلبوا لهن ، واسألوهن قبل أن تدّعوا عليهن .

فإن استفتيتم النساء فأعرض أكثرهن عن المشاركة في الانتخاب ، وأبين أن يكون لهن هذا العناء ، فليس لفضولي أن يتكلم عنهن .

وإن قلتم إن عسيراً أن يعرف رأى النساء في أحوالهن الراهنة ، قلنا فكيف إذن تحاولون إشراكهن في الانتخاب ؟ إنهن إن عجزن عن الإعراب عن آرائهن في قضيتهن فهن في غيرها أعجز !

وإن قلتم إن أحوال النساء تحول الآن دون تعرف آرائهن ولكنها حال تزول ، وسيكون لهن من الثقافة ما يعبرن به عن أفكارهن من بعد ؛ قلنا فانتظروا حتى تحول الأحوال ، ثم عودوا إلى الجدال .

إنها لحجة دامغة لا تستطيعون الفرار منها ، وبرهان مفحم لا تملكون الجدال فيه !

تعرّفوا رأى النساء في أمرهن ، ولا تفتروا عليهن ، ولهن القول الفصل ، وعلينا السمع والطاعة .

وأخذت المجادل سَورة الحجة ، فوجم وفكر ، وانتهز الحاضرون الفرصة ، فأنهوا الجدال وانفض المجلس .

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

صور من الحياة :

قبعـــة تتزوج

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٢ —

آه ، يا صاحبي ، لقد خرجت من لدن سعادة البك بعد أن سامك الاحتقار والمهانة ، وبعد أن سفه رأيك وازدرى عقلك ، وبعد أن قذف بك إلى خارج الدار ليحول بينك وبين أن تعبث بكرامة ابنته الشابة ، أو أن تلوث شرفها .

خرجت وفي قلبك أسى ولوعة ، وفي نفسك هم وضيق ... فلشدّ ما آذاك ما رأيت من إباء الفتاة المصرية ومن ترفعها ! ولشد ما أزعجك ما لمست من كبرياء الأب المصري ومن صلفه ! ولشد ما أفزعك ما أحسست من صلابة الأسرة المصرية ومن تماسكها ! وحز في نفسك أن يفلت الطائر الجميل من بين يديك بعد أن ظفرت به ، فيطير معه أمل عقدته على جمال الفتاة وعلى جاه الأب وعلى ثراء الأسرة .

وحاولت أن تداري خيبة أملك خلف ستار من الكذب والرياء ، فذهبت تحقد على الفتاة المصرية وتتهمها بألوان من النقائص ، وتقذفها بفنون من الافتراء ، لأنها استعصت على خداعك الوضيع ، وتمنعت على أساليبك الثعلبية ، وضنت بشرفها أن تعبث به يد ، وصانت كبرياءها عن أن تنحط إلى أسفل .

وقلت لي — ذات مرة — : « إن الفتاة المصرية إنسانة ضعيفة العقل ، خاوية الذهن ، واهية الخلق ، سقيمة الفكر ، تنزعج لكل صوت ، وتفزع من كل نأمة ، وتضطرب لكل حادثة . يلذ لها — دائماً — أن تعيش على حيد الحياة ، بعيدة عن نور المدنية لأنه يعشى بصرها ، وفي منأى عن دوافع العيش لأنها تصعق أعصابها .

هـذا هو تاريخها — تاريخ العزلة والإهمال — يتدفق في عروقها دماً قذراً تافهاً ، وهي لا تستطيع أن تنهض بعمل ولا تصبر على مسئولية . وإن تعلمت أضافت سخفاً إلى سخف فيها ، وضمت سفهاً إلى سفه ، وجمعت بلاهة إلى بلاهة ، فهي تتحدث بلسان العلم حديثاً فيه السخف والسفه والبلاهة جميعاً ، وهي ... »

فقلت لك مقاطعاً : « وهي فتـاة فيها الشرف والكرامة والانزواء عن الشرور ، والنأي عن الدنايا ، والفزع عن الفحش . وهي إن تعلمت كانت في الدار صاحبة ورفيقة ، وفي الجماعة نبراساً وضياء ، وإن تزوجت أصبحت أماً وزوجة ومعلمة » .

وقلت لي في ملل وضيق : « إن فيها الرجعية والجمود وانغلاق الذهن وفساد الرأي » .

فقلت لك : « وإن فيها بواعث الحياء ، والخجل والترفع والإباء ، ولكنك أنت — يا صاحبي — قد لبست القبعة حيناً ، فنفثت فيك من روحها ودمغتك بأسلوبها ، فهل كنت تؤمن بما تقول حين اندفعت إلى فلان بك في غير أناة ولا صبر تخطب إليه ابنته وهي فتاة مصرية ... »

فأرتج عليك ، واضطرب ذهنك ، وتبلبل عقلك ، وخانتك فلسفتك ، وأنت فيلسوف كبير .

لا عجب — يا صاحبي — إن كانت قد عصفت بك صاعقة عنيفة يوم أن طردك سعادة البك من داره فتزلزل كيانك وتصدع قلبك ، لأن رجلاً مصرياً دعّك من داره في غير هوادة ولا لين ، وامتهنك وأنت فيلسوف عظيم لبس القبعة حيناً من الدهر !

وآدك أن تصبر على ما أصابك من سعادة البك ومن ابنته ، فانطلقت تشوه الحقيقة وتمسخ الواقع لتثلب الأسرة المصرية وتحط من قدرها بحديث تافه فيه المغالطة والمكابرة .

وذهبت تلقي أعباء نفسك في نُزل قاهري الموقع أجنبي الصبغة بين يدي سيدة عجوز ، ألمانية اللسان يهودية النزعة ، ومن حواليها بناتها الثلاث ، وإن الواحدة منهن لترف رفيف الزهرة الغضة حين تنفح عطرها الجذاب لتأسر به القلب وتسيطر على الفؤاد .

وسكنت إلى هذا النزل ، تعيش بين العجوز وبناتها تمثالاً صامتاً لا ينبض بالحياة ولا يخفق بالإنسانية ، فأنت تقضي يومك منطوياً على نفسك في حجرة لا تندفع إلى حديث ولا تنشط إلى سمر ، ولا تبسم لفاكهة ، ولا تنزع نفسك إلى رفيق . وضاقت العجوز بأسلوبك في الحياة ، فهي تطمع في أن تراك طلق الوجه واليدين واللسان تنغمر في حياة الأسرة تأخذ منها وتعطي ... ضاقت بك العجوز وهي ذات مكر وخداع ، وهي ذات حيلة ودهاء ، لا يعجزها أن تتوسل إلى غايتها بأساليب شيطانية ، ولا يقعدها أن تبلغ الهدف بأفانين أرضية . وانصرفت أنت إلى خلوتك وشغلت بخواطرك ، ولكن العجوز اليهودية لم تنصرف عنك ، فراحت تسعى إليك ، وتنفث فيك سمومها ، وتنقض عليك — بين الحين والحين — تريد أن تنزعك من خلوتك ،

وأن تزعجك عن وحدتك ، وأن تكشف عن سرك ، وإن لنفثاتها لسحراً ، وإن لحديثها لطلاوة ، وبين يديها فتياتها الثلاث وإن فيهن الدلال والجمال وفيهن السحر والجاذبية . وأخذت العجوز اليهودية تتلو رقى السحر حواليك وتتقرب إليك ثم تنشر عليك شباك التمويه والمداهنة لا تهن عزيمتها ولا تفتر قوتها . واستطاعت — بعد لأى — أن تجذبك إلى المائدة الخضراء لتسرق مالك ؛ واستطاعت — بعد جهد — أن تسقيك الكأس الأولى لتسرق عقلك . وهكذا خطوت أول خطوة فى سبيل الانهيار العقلى والانهيار الاجتماعى ، ولكن عقلك المغلق لم يتوضح الطريق فما شعرت بقدمك وهى تنزلق إلى الهاوية . لقد غطي على عينيك ستار من لذاذات كنت تحسها وأنت تطوى لياليك بين فتيات النزل تصغى إلى حديثهن وتنتشى بخمرهن وتشاركهن اللعب والمزاح والعبث ، تتودد إليهن وهن يتملقنك فبدأت تهوى إلى أسفل وهن من ورائك يدفعنك إلى الهاوية والأم العجوز — من ورائهن — توسوس بأمر وتسعى إلى غاية . وراقتك الحياة الجديدة وفتنك زخرفها فاندفعت لا تجد رادعاً من دين ولا وازعاً من خلق على رغم أنك تخسر مالك وتقتل وقتك . لقد أسرك القمار والخمر وخلبك الجمال والإغراء فما عدت ترى أنك أنت

الآن — يا صاحبى — رضيت بأن تصبح سجيناً فى قفص من ذهب ، وأغلق باب القفص من دونك حين تزوجت من أصغر فتيات النزل ، وهى فتاة عابثة لعوب ريقة الشباب غضة الإهاب ، ذات دل آسر وجمال خلاب ، وتراءى لك أن الفتاة قد مسحت بيدها الرقيقة البضة على أحزانك ، وآست بحديثها الجذاب جراحك العميقة ، وبدا لك أنك أمسيت روح هذه الدار وريحانها ، وأنك أصبحت فتاها المرموق وسيدها المدلل فاطمأنت نفسك وهدأت نوازعك . ثم أردت أن تحول بين النزل وبين زواره من كل جنس — وهم كثر — فما استطعت إلى ذلك سبيلاً . وأوحت إليك زوجك الأجنبية بأن تتخذا داراً غير هذه تكون عش الغرام ومنزل السعادة ومهبط الأمان ، فانطلقتما معاً تهيئان داراً صغيرة فيها البساطة والأناقة وفيها النظام والترتيب وفيها الهدوء والاستقرار . ثم دفعتك الفتاة إلى السينما وإلى المسرح وإلى الندى ، وراقفتك إلى الملهى وصحبتك إلى المرقص ، وأنست بصحابك تأخذ منهم وتعطى ، وأقبلت أنت على رفاقها فى بشر وإيناس

وهكذا — يا صاحبى — وجدت فى زوجك الأجنبية ما افتقدته فى زوجك المصرية ، وحدثتك نفسك قائلة : « لا ضير فهذه الفتاة تستطيع أن تمهد لك السبيل الوعر وتفتح أمامك الباب الموصد ، ثم تدفعك إلى الهدف فى سهولة ويسر ، وأنت من ورائها تندفع حتى تبلغ » أما هى فكانت تجلس إلى أمها العجوز بين الحين والحين وتستمع إلى حديثها بين الفينة والفينة ، وإن العجوز لتعرض إليها بأمر وتغريها برأى وهى من ورائها تندفع . ووجدت الفتاة فى رفاقك لذة صرفتها عنها ، ولمست فيهم متعة شغلتها عن الدار

وعشت حيناً مع زوجك الأجنبية . وهى ألمانية اللسان يهودية النزعة شيطانية المشرب لا تجد غضاضة فى ما تفعل ولا تحس أذى فى ما تذر . ولكن دمك الشرقى ما تلبث أن ثار وهدر ؛ وإن للشرقى لكرامة يعز عليه أن تنهار ، وإن له لشرفاً يضن به عن أن يمتهن ، وإنه ليبذل روحه ودمه دون أن يخدش . فأنت حين تغاضيت عن مثالب زوجك كنت قد نزلت عن شرقيتك وانصرفت عن مصريتك لتعيش زماناً فى جو القبعة وتردغ فى مباذلها ، ولكن دمك الشرقى ما تلبث أن ثار وهدر فعزمت على شىء . وأنى لك ما تريد وإن زوجك — ومن ورائها أمها — لذات حيلة ودهاء ، فهى تترضاك حيناً وتتوسل برؤسائك حيناً ، حتى إذا ضاقت بجهلك وعجزت عن ترويضك راحت تهددك بأن تفصلك عن عملك إن وسوست لك نفسك أن تنالها بأذى ، وإنها لقادرة على أن تفعل .

وجاءك — ذات يوم — رجل من بنى جلدتها ذو جاه ومكانة يحذرك غب طيشك بقوله : « حذار أن تحدثك حماقتك فتطلق زوجك ، وإذن لا تلبث إلا قليلا حتى تطلقك الوظيفة ثم لا تجد بعدها ملجأ ولا ملاذاً إلا الشارع » وصمت لسانك حين شعرت بأن غلاً ثقيلا يشد على عنقك فلا تستطيع أن تفلت منه ، وحين خشيت أن تصبح صعلوكاً تتقاذفك مضلات الحياة وتصفعك متاهات الحاجة ، فألقيت السلم وكبت فى نفسك نوازع ونوازع لتكون فى الدار حملاً وديعاً تتلقى الأمر من زوجك الأجنبية الفاجرة فلا تجد مصرفاً عن الطاعة ، ولتكون خارج الدار ثوراً هائجاً تفرغ همّ نفسك فى موظف صغير لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، وتنفس عن غرائزك المكفوفة فى خادم عاجز لا يملك أن يتقى شرك

ليتك ، يا صاحبى ، تعلمت من فلسفتك أن صلات الأسرة تزداد قوة ومتانة حين توثقها روابط الوطن والدين واللغة ، فهى تلم شعثها وتجمع ما تبعثر منها وتبذر فيها غراس الألفة والحنان وتنفث روح العطف والمحبة ! ليتك ، يا صاحبى ، ليتك ... !

كامل محمود حبيب

مثل من فهم الشعر القديم

في بحث أدبي جامعي

للأستاذ أبو حيان

قرأت هذه الأبيات التى أُوردها بعد قليل ، فى كتاب من هذه الكتب الجامعية التى يتعرف بها الناس ، عادة ، ألوان النشاط العلمى فى الجامعة . وقد زعموا أن هذا الكتاب من خير ما يمثل الجامعة فى سنواتها الأخيرة ، إذ لم يجل على الناس إلا بعد أن أقرته الجامعة وأجازت صاحبه ، ورأته جديراً بأن يحمل أرفع ألقابها ، وهو كتاب « الهجاء والهجاءون ، تأليف الدكتور م . محمد حسين ، مدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول » كما يتألق به صدره .

أما هذه الأبيات فهى أبيات الخطيل بن أوس ، أخى الحطيئة وقد قالها فى حركة الردة وها هى ذى ، كما أوردها صاحب ذلك الكتاب ، نقلا عن الطبرى ، وكما ضبطها هذا الضبط الذى رآه :

فدى لبنى ذبيان رحلى وناقتى ... عشية يحدى بالرماح أبو بكر
ولكن يُدَهْدَى بالرماح فهبنه ... إلى قدر ما إن تقيم ولا تسرى
وﷲ أجنـاد تذاق مهانة ... لتحسب فيما عد من عجب الدهر

ثم يعلق على البيت الثانى ، شارحاً له ، بقوله :

« دهديت الحجر فتدهدى دحرجته . هبنه كذلك هى بالنص (يريد : بالمصدر المنقول عنه) ، لعلها من أهاب بالإبل والخيل إذا زجرها قائلا هاب هاب ، فيكون المقصود أن هؤلاء الرجال يزجرون أبا بكر وجيوشه ، ويدفعونهم إلى قدرهم وحينهم »

أما البيت الأول فلا إشكال فيه عنده ، فلا حاجة به إلى التعليق عليه بشرح أو تفسير أو تحرير ، وإن كنت أنا لم أفهم — ومعذرة لامرئ بعيد عن منهج المدرسة الحديثة — كيف يحدى أبو بكر بالرماح ، فالحادى يحدو الإبل بغنائه ، فتنساق خلفه وتطرد وراء حدائه ، فكيف يمكن أن تكون الصورة حين يضع الرماح فى موضع الحداء ؟

يستطيع كل امرئ — ولو لم يكن من الأساتذة الكبار — أن يتكلف ويتمحل فى الفهم والتخريج ، ويلتمس المذاهب المختلفة فى ذلك ، وإن لم يمكن أن تستقيم مع ذوق أدبى سليم ، أو منهج علمي سديد ، ولكن هذه التمحلات لا غناء فيها ، ولا جدوى لها ، فى أداء الصورة الشعرية الجديرة بذلك الشاعر . والأمر بعد أيسر من هذا العناء ، فالدال فى يحدى إنما هي ذال معجمة ذهب إعجامها ، فتكون العبارة : « عشية يحذى بالرماح أبو بكر » يعنى يطعن ويمزق جسده ، كما هو الأصل فى معنى حذا وأخواتها ، كحذ وحذق وخذف وحذم .

هذا هو البيت الأول ، ولا بأس على الأستاذ أن يتجاوزه ، كما تجاوز — فيما يبدو — كثيراً غيره ، إذ ليس بصدد التحقيق والتدقيق والتنقيب والتعقيب ، وإذا كان أمر الدرس الأدبى قد صار — فيما يبدو أيضاً — أمر دراسة خاطفة عابرة ، يعنيها أول ما يعنيها أن تخطف الأبصار — فيما يخيل إليها — ببعض الظواهر البراقة الباهرة ، وأن تصل إلى أهدافها المرموقة ... بما تستطيع أن تصطنعه من حركات بارعة ماهرة .

ولكنا لا نغمط الأستاذ حقه ، فبقدر ما تجاوز البيت الأول مسرعاً مجلا ، وقف عند البيت الثانى مستأنيا محققا متأملا ، كما رأينا فى التعليق الذى نقلناه عنه منذ قليل . ففسر كلمة « يدهدى » كما لقنته المعاجم ، وجزاه الله عن الباحثين خيراً ! ولكن هذه المعاجم التى أسعفته فى موقفه من هذا البيت ، فى هذه الكلمة ، فقدمت إليه تفسيرها ، فأسرع إليه يدونه كما هو ، أميناً عليه ، فرحاً به ، جمعت تراوغه وتمابثه وتمكر به فى الكلمة التالية ، نخيلت إليه أنها تستطيع أن تمده فيها بما يثبت استاذيته ، ويظهر ألميته ، ويحقق دكتوريته ، فتشبث بها ، وتعلق بذراعها :

« ولكن يد هدى بالرجال فهبنه » ، فهبنه ؟ ما عسى أن يكون معنى هذه الكلمة ؟ أجيبى أيتها المعاجم المعززة كما أجبتنى من قبل . ولكن المعاجم لم تجبه فى الأولى إلا لتزلقه وتعبث به وتسخر منه فى الثانية . فها هى ذى تأخذ بيده المتشبثة بها ، وتجره معها ، وتجول به بين هذا الموضع وذاك من مواضع الهاء والباء ، ثم تقف به أخيراً — وقد بلغ منه الكلال والعناء حتى كاد يتساقط من الوهن والأعياء — عند كلمة « أهاب » ، وتقول له ، وهى تبسم بسمة ساخرة ماكرة : انظر ها هنا ضالتك !

أجل ! ها هنا أخيراً ضالته ، وما يكاد يصدق أنه واجدها ، ولكنه يسارع فيصطنع هيئة العلماء المتزمتين ، ويتخذ سمت الأساتذة المحققين ، ثم يتناول قلمه ، فيكتب : » لعلها من أهاب بالإبل والخيل إذا زجرها قائلا هاب هاب » ، ثم يتنفس الصعداء بعد هذه الرحلة المضنية الموفقة ! مستريحا إلى هـذه الجملة البارعة الرائعة !

ويا لله لهذه الشرارة التى سطعت له من بين صفحات المعاجم، فأضاءت له أرجاء ذلك البيت وجملته يتبين فيـه سبيله على ذلك الوجه ! . وكذلك أحس الاستاذ من أعماق قلبه بالولاء البالغ لهذه المعاجم ، فهو مخلص لها ، منصرف إليها ، مغمض عينيه بين يديهـا ، متفان فى الخضوع لما تشير به ، وإن لم يتبين وجهه ، غير عابئ بما يمكن أن يعارضها فيما يلقفه منها . وكذلك ضرب صفحا عن قوانين النحو والصرف ، وأعرض ، ونأى بجانبه عما تحتمه هذه القوانين ، إذا كان فيها ما يعترض سبيل الفهم الذى فهمه عن المعاجم ، أيا كان هذا الفهم ، أو يخالف ما حسب أن المعاجم تدلى إليه به .

وإذن فلا عليه أن تكون هذه الكلمة « هبنه » معدولة عما ينبغى أن تكون عليه ، باعتبارها من « أهاب » ، ولا عليه أن تكون بدلا من « أهابوا به » مؤدية ما تؤديه هـذه ، وأنف القوانين اللغوية الأولية المجمع عليها راغم ، ما دام لا بد من هذا فيما تأدى إليه . ومنذ الذى أجاز للغة أن تستعصى عليه ، أو تنفر من بين يديه ؟! وأى شىء هذه القوانين التى تجعل اللغة شيئاً جامداً متماسكا لا يساير الأفهام ، ولا يطوع لأستاذيته ، أو لما تريده منه ، وما لا تستطيع أن تفهمه إلا به .

وهكذا يكون معنى البيت ، بعد هذا كله : « أن هؤلاء الرجال يزجرون أبا بكر وجيوشه ، ويدفعونهم إلى قدرهم وحينهم » ، وياله من معنى !

من هم « هؤلاء الرجال » ؟ أهم رجال أبى بكر « يزجرون أبا بكر وجيوشه » أى يزجرون أنفسهم ؟ أم هم بنوذبيان الثائرون على أبى بكر ، والذين يفديهم الشاعر برحله وناقته ، ثم يجعلهم يتدحرجون كما تتدحرج الحجارة ؟ أم ماذا ؟ ما أحوج هـذا الشرح ، بعـد كل ما سبق ، إلى ما يشرحه ، ويزيل ما يبدو صارخا من تهافته .

لا لا ! ما هكذا ينبغى أن يتناول الشـعر . وماذا يبقى لـ « بطن الشاعر » إن كان لا بد للشعر أن يكون ظاهراً واضحاً مكشوف المعنى مستقيم الوضع ؟ وأين إذن فضل الغموض وأثره الوجدانى والهزة التى يبعثها فى حنايا النفس ؟ ولكنها المدرسة القديمة ، قاتلها الله ! لا تزال تلجأ إلى قواعد النحو والصرف ، ثم إلى قوانين المنطق والعرف ، دون أن تمنى بالمذهب الجديد فى الشعر وأساليب قراءته وإدراكه .

وبعد ، فما أدرى ما القديم والجديد فى فهم الشعر وتذوقه ونقده ، ولكنى أرى الأمر فى هذا البيت أيسر من هذا التخبط والتسكع وتحدى قواعد النحو والصرف والعقل والمنطق والفن أيضاً . فليس هناك أكثر من أن نتعلم كيف نقرأ قراءة صحيحة دقيقة ، ولا نكون كهؤلاء الصحفيين والمصحفين الذين يتندرون بأخبارهم ، والذين يحكون عن أحدهم أنه نظر فى المصحف قوله تعالى : « إذ يبايعونك تحت الشجرة » ، فقرأه : اذئباً يعونك تحت الشجرة . وأمضى ليلة يكد نفسـه فى التماس التخريجات المختلفة من هنا وهنا تحقيقاً لأستاذيته !

فالأمر فى هذا البيت شبيه بالأمر فى البيت الأول . تصحيف يسير قريب ، ولكنه أدى إلى ذلك الخلط العجيب . فليست كلمة « فهبنه » المؤلفة من فاء عطف لا يدرى ماذا تعطفه وماذا تعطف عليه ، وفعل لا يعرف من أى أصل هو ، ونون نسوة لا موضع لها ، وضمير غيبة لا مرجع له . ليست هـذه الكلمة أو الجملة إلا تصحيفاً قريباً لكلمة واحدة ، هى كلمة « مهينة » من الهوان وبذلك يكون البيت :

ولكن بدهدى بالرجال مهينة إلى قدر، ما إن تقيم ولاتسرى

وبدهدى بصيغة المبنى للفاعل لا المبنى للمفعول ، والفاعل هو أبو بكر ، وبذلك يستقيم البيت ويطرد المعنى ، دون تحد للنحو أو معاندة للصرف أو معارضة للمنطق .

وأما بعد فهذا مثل من فهم الشعر القديم فى كتاب « الهجاء والهجاءون » ، ولم أقرأ الكتاب جملة بعد ، ولكننى أحسست عند هذا الوضع الذى عرضته بالحسرة تلذع قلبى وتفزعنى أشد الفزع ، أن يكون مثل هذا من صور الدرس الجامعى فى هـذه السنوات الأخيرة . والمشتكي إلى الله .

« أبو عبادة »

من رجال البلاغة فى عصر الحروب الصليبية :

ابن الأثــــير

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

إخوة ثلاثة ، بلغوا حظاً كبيراً من المجد العلمى ، والمنزلة الرفيعة فى الحياة ، وخــلود الذكر بعد الموت . أما أكبرهم فجد الدين المبارك (٥٤٤ — ٦٠٦ هـ) الذى كرس حياته لدراسة القرآن والحديث والنحو ، وله فيها مؤلفات ، لا يزال بعضها باقياً إلى اليوم . وأوسطهم عز الدين على (٥٥٥ — ٦٣٠هـ) المبرز فى التاريخ ، والمصنف فيه عدة مصنفات ، أهمها الكامل الذى يعد مرجعاً من أشهر المراجع وأصغرهم ضياء الدين نصر الله ، الأديب الوزير ، وهو الذى نريد الحديث عنه . ومع اختلاف مناحيهم فى الثقافة شغفوا جميعاً بالأدب وألفوا فيه . وتحتفظ دار الكتب برسائل المبارك الأدبية ، وبكتاب الجامع الكبير فى صناعة المنظوم والمنثور لعز الدين . أما أصغرهم فكان أوفاهم حظاً من الأدب وبلوغ أسمى المناصب ، وإن قصرت به سياسته عن أن يحتفظ عا ناله من سلطان وجاه .

ولد نصر الله فى يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣) بجزيرة ابن عمر ، وهى بلدة على دجلة فى شمال الموصل وبالقرب منها . وإذا كان التاريخ لم يتحدث عن والده محمد بن محمد بن عبد الكريم فأغلب الظن أنه كان ميسور الحال يسراً هيأ لأولاده أن يغترفوا من الثقافة وأن يتفرغوا لها .

وانتقل نصر الدين مع والده إلى الموصل حيث تثقف بها ، فحفظ كتاب الله وكثيراً من الأحاديث النبوية ، وأخذ بحظ صالح من النحو واللغة ، أما علم البيان فقد خصص له أكثر وقته ، ووقف عليه معظم جهوده ، فقرأ فيه الكتب النظرية ، وأقبل على دواوين الشعراء يحفظ منها ما يشاء ، فدرس ما ألف فى البلاغة ، وعرف ما انتهى إليه العلماء فيها ؛ ومن أهم ما قرأه منها :

كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ، والتذكرة لابن حدون البغدادى ، وكتاب أبى العلاء محمد بن غانم ، والأقصى القريب للتنوخى ، وكان معجباً بكتاب الموازنة بين الطائيين للآمدى ، وكتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، « غير أن كتاب الموازنة أجمع أصولا ، وأجدى محصولا » ، كما قال فى المثل السائر.

أما علمه بالشعر ، وحفظه له ، فقد قال عنه فى كتابه : «ولما نصبت نفسى للخوض فى علم البيان ، ورمت أن أكون معدوداً من علمائه ، علمت أن هذه الدرجة لا تنال إلا بنقل ما فى الكتب إلى الصدور ، والاكتفاء بالمحفوظ عن المسطور ...

ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وأنفدت شطراً من العمر فى المحفوظ منه والمسموع ، فألفيته بحراً لا يوقف على ساحله ، وكيف ينتهى إلى إحصاء قول لم تحص أسماء قائله ، فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده ، وتتشعب مقاصده ، ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم ، فى اتباع من قصر نظره على الشعر القديم ، إذ المراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى الشريف فى اللفظ الجزل واللطيف ، فتى وجد ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل ، وقد اكتفيت فى هذا بشعر أبى تمام حبيب بن أوس ، وأبى عبادة الوليد ، وأبى الطيب المتنبى ، وهؤلاء الثلاثة هم لات الشعر وعزاه ومناته ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته. وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء ، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء » .

وأخذ ابن الأثير كذلك بحظ من الحساب ، والجبر ، والمقابلة ، والهندسة ولست أدرى إن كان قد عرف لغة غير العربية ، مما هيأ له أن يحكم على الالتفات بأنه خاص باللغة العربية دون غيرها من اللغات(١) ؛ وأرجح أنه كان يعرف الفارسية والتركية ، كما يدل على ذلك حديثه عنهما فى كتابه(٢)؛ وكان ابن الأثير متعصباً للغة العربية ، مؤمناً بأنها سيدة اللغات ، لما أوتيت من خصائص فى تركيب كلماتها ، وما منحته من سعة ودقة جمال .

أما موقفه من الفلسفة فوقف المبغض المزدرى ، يرى فى دارسيها من أمثال ابن سينا والفارابى رجالا مغرورين أضلهم أرسطو وأفلاطون .

ولما استكمل ابن الأثير ثقافته ، مضى يريد الاتصال بصلاح الدين ، فأوصله القاضى الفاضل إليه فى جمادى الآخرة سنة ٥٨٧

(١) المثل السائر . (٢) ص ١٦٤ ص ٢٥١

وقرر له صلاح الدين مرتباً ، ولـكنه لم يلبث فى معية صلاح الدين بضعة أشهر ، حتى طلبه الملك الأفضـل نور الدين من والده ، بخيره صلاح الدين بين الإقامة فى خدمته ، والانتقال إلى ولده ، فاختار ولده ، ومضى إليه فى شوال من تلك السنة . ولعل الباعث له على هذا الاختيار رغبته فى أن يكون بمكان يستطيع أن يظفر فيه بسامى المناصب وقوى النفوذ ، ولن يكون ذلك مع صلاح الدين ووزيره القاضى الفاضـل . وحقق ابن الأثير أمنيته عند الملك الأفضل ، فقد استوزره ، ونعم بما كان يبغيه من السلطان . فلما مات صلاح الدين ، وصارت دمشق إلى الأفضل انفرد ضياء الدين بتدبير شئون الملك ، وتصريف أمور الرعية ، وأصبح مرجع الحل والعقد . ويجمع المؤرخون على فساد سياسته الخارجية والداخلية فقد توترت العلاقات بين الأفضل وملوك أسرته ، بسوء تدبير وزيره ، ونفرت الرعية من حكمه ، وكان له بلا ريب أكبر الأثر فى المصير المحزن الذى انتهى إليه مليكه بعزله عن الملك . وكثيراً ما أشار العادل على ابن أخيه أن يقبله فلم يكن يفعل ؛ وهجاه الشهاب فتيان الشاغورى فقال :

متى أرى وزيركم وماله من وزر
يقلعه الله فــذا أو ان قلع الجزر (ى)

وبلغ من سخط الشعب أن الناس هموا بقتله عند ما نزل الأفضل عن عرش دمشق ، فأخرجه الحاجب مستخفياً فى صندوق مقفل عليه ، ولـكن ذلك كله لم ينزع ثقة مليكه فيه ، فصحبه أنى ذهب وحضر إلى مصر فى معيته ، عند ما جاء الأفضل وصياً على العرش لابن أخيه العزيز . وظل ابن الأثير فى خدمة الأفضل حتى أواخر سنة ٦٠٧ بعد نحو عشرين عاماً قضاها فى صحبته ، ثم تنقل بين حلب عند الظاهر غازى ، والموصل ، وإربل ، وسنجار ، ولـكن لم يطلب له المقام فى واحـد منها ، فعاد إلى الموصل ، واتخذها دار إقامة ، وكتب الإنشاء لصاحبها : ناصر الدين محمود بن عز الدين مسعود ، وكان ذلك سنة ٦١٨ ، وبقى بالموصل زهاء عشرين عاماً أخرى . وفى رحلة له إلى بغداد ، يحمل رسالة من صاحب الموصل توفى بها فى إحدى الجماديين سنة ٦٣٧ (١٢٣٩ م) ، ودفن هناك .

كان أظهر صفات ابن الأثير إعجابه بنفسه ، وإيمانه بمواهبه ، نلمس ذلك فى كل خطوة يخطوها فى كتبه ، فتراه حيناً يعرض عليك نماذج من رسائله ، معجباً بها ، منوهاً بقدرها ، مبيناً ما استطاع أن يصل إليه فيها من معان جديدة ، وأفكار مبتكرة ، وحيناً يوازن بين كلامه وكلام غيره ، ليقنعك بجودة ما خطته براعته ؛ وفى نظريات البلاغة كثيراً ما تراه يقدم إليك آراء يعدها من مبتكراته ، أو يأخذ بيدك لتلمس ما زاده هو على آراء من سبقه .

وإنا نقر لابن الأثير أنه كان من مجتهدى هذا الفن ، وأن أكثر كتابه كان ناشئاً عن تجارب لصاحبه ، وعن تقليبه النظر فى ألوان الـكلام ليستخلص منه وجوه حسنه ، وإن كنا نعرف أنه يغالى أحياناً فى ادعاء الاختراع لمعانى رسائله ؛ قال ابن خلكان « ومن رسائل ضياء الدين ما كتبه عن مخدومه إلى الديوان العزيز من جملة رسالة وهى : ودولته هى الضاحكة وإن كان نسبها إلى العباس ، فهى خير دولة أخرجت للزمن كما أن رعاياها خير أمة أخرجت للناس ، ولم يجمل شعارها من لون الشباب إلا تفاؤلا بأنها لا تهرم ، وأنها لا تزال محبوبة من أبكار السعادة بالحب الذى لا يسلى ، والوصل الذى لا يصوم . وهذا معنى اخترعه الخادم للدولة وشعارها وهو مما لا تخطه الأقلام فى صحفها ، ولا أجالته الخواطر فى أفكارها .

أقول : لعمرى ، ما أنصف ضياء الدين فى دعواه الاختراع لهـذا المعنى ، وقد سبقه إليه ابن التعاويذى فى قصيدته السينية التى مدح بهـا الإمام الناصر لدين الله أبا العباس أحمد ، أول يوم جلس فى دست الخلافة ومنها :

ورأى الغانيات شيبى فأعرضن ، وقلن : السواد خير لباس
كيف لا يفضل السواد ، وقد أضحى شعاراً على بنى العباس

ولا شك أن ضياء الدين زاد على هذا المعنى ، لـكن ابن التعاويذى هو الذى فتح الباب ، وأوضح السبيل ، فسهل على ضياء الدين سلوكه .

وتنوعت أغراض الرسائل التى كتبهـا ضياء الدين بين سـلطانية وأخوية ، وهى رسائل دسمة ، فيها كثير من معانى ما حفظه من قرآن وحديث وشعر ، وكثير من الأمثال والإشارات التاريخية ، فقد كان ابن الأثير مثقفاً ثقافة أدبية قوية ، والتزم فى

رسائله السجع ؛ لأنه كان يراه أعلى درجات الكلام ، ولا يرى وجهاً لمن يذمه سوى عجزه عن أن يأتى به ؛ وإلا فلو كان مذموماً ما ورد فى القرآن الكريم ، ويعلل وجهة نظره فى استحسان السجع بأنه اعتدال فى مقاطع الكلام ، والاعتدال مطلوب فى جميع الأشياء ، والنفس تميل إليه بالطبع .

وجمعت رسائله فى ديوان بلغ عدة مجلدات ، يبلغ المختار منها مجلداً واحداً ، ولكنى لم أعثر على هذا الديوان ، بل رأيت نماذج له كثيرة فى كتابيه المثل السائر ، والوشى المرقوم .

وبلغت ثقته بنفسه فى إنشاء الرسائل ، والعلم بقوانين البلاغة حداً كبيراً ؛ فكان يعارض شيخ الإنشاء فى عصره : القاضى الفاضل ؛ يكتب فى أغراض كتبه ، وحيناً يعرض له من المعانى ما يراه قد نقص عبد الرحيم ؛ فمن ذلك أنه قد عرض عليه كتاب له ، أرسله إلى بغداد على لسان صلاح الدين سنة ٥٧١ ، وضمنه ما أبلاه فى خدمة الدولة : من فتح مصر ، ومحو الدولة العلوية ، وإقامة الدعوة العباسية ، وشرح فيها ما قاساه فى الفتح من الأهوال ، فلما تأمله ضياء الدين ، وجده كتاباً حسناً ، قد وفى فيه الموضوع حقه ، إلا أنه أخل بشىء واحد ، وهو أن مصر لم تفتح إلا بعد أن قصدت من الشام ثلاث مرات ، وكان الفتح فى المرة الثالثة ، وهذا له نظير فى فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة فإنه قصدها عام الحديبية ، ثم سار إليها فى عمرة القضاء ، ثم سار إليها عام الفتح ففتحها ، فلما عارض ضياء الدين رسالة القاضى الفاضل ، أشار فيها إلى الشبه بين فتح مصر وفتح مكة ، وقال بعد أن أورد هذه الرسالة التى أنشأها : وعجبت من عبد الرحيم بن على البيسانى مع تقدمه فى فن الكتابة ، كيف فاته أن يأتى به فى الكتاب الذى كتبه . وانتقد القاضى الفاضل مرة أخرى وإن لم يصرح باسمه عندما رآه يشبه حصناً من حصون الجبال بأنه أنملة ، قال : فأى مقدار للأنملة بالنسبة إلى تشبيه حصن على رأس جبل ؟!

وكان يوازن بين رسائله ورسائل الصابىء الكاتب ليرى مقدار تفوقه عليه ؛ وهو يرى فيه أن عقله زائد على فصاحته وبلاغته ، ذلك أنه يورد فى كلامه وصايا وشروطا ، واستدراكات وأوامر ، ما بين أصل وفرع ، وكل وجزء ، وقليل وكثير ؛ إلا أنه عبر عنها بعبارة فى بعضها ما فيه من الضعف .

أما موقفه من علماء البلاغة فموقف الناقد المحاسب لا القابل المسلم ، يورد أفكارهم ، فيقبل منها ، ويرفض ، مناقشاً ، مدعماً رأيه بالحجة ، وإن جانبه الصواب أحياناً . وما كان يرى أن يدخل علماء النحو فى الأمور البلاغية حتى لا يصدروا أحكاماً لم تؤهلهم لها دراستهم ؛ وهو لذلك ينتقد أبا الفتح بن جنى عند ما شرح قول أبى الطيب :

كل جريح ترجى سلامته إلا جريحاً دهته عيناها
تبل خدى كلما ابتسمت من مطر برقه ثناياها

فظن ابن جنى أن أبا الطيب أراد أنها كانت تبتسم فيخرج الريق من فمها ، ويقع على وجهه فشبهه بالمطر ؛ قال ابن الأثير : وما كنت أظن أن أحداً من الناس يذهب وهمه وخاطره حيث ذهب وهم هذا الرجل وخاطره ، وإذا كان هذا قول إمام من أئمة العربية تشد إليه الرحال ، فما يقال فى غيره ؟!

وأما رأيه فى الشعراء فإنه يرى الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر العرب أولا وآخرا . « ومن وقف على الأشعار ، ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة علم ما أشرت إليه ، ولا ينبغى أن يوقف مع شعر امرىء القيس وزهير والنابغة والأعشى فإن كلا من أولئك أجاد فى معنى اختص به حتى قيل فى وصفهم : امرؤ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا شرب . وأما الفرزدق وجرير والأخطل فإنهم أجادوا فى كل ما أتوا به من المعانى المختلفة . وأشعر منهم عندى الثلاثة المتأخرون وهم أبو تمام ، وأبو عبادة البحترى ، وأبو الطيب المتنبى ؛ فإن هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان فى طبقة الشعراء ، أما أبو تمام وأبو الطيب فربا المعانى ، وأما أبو عبادة فرب الألفاظ فى ديباجتها وسبكها » . وهو فى هذا الفصل من كتابه يورد آراء بعض الناقدين فى الشعراء ويناقشها كعادته .

ومع تعصب ابن الأثير للعربية ، يقر بفضل العجم فيما أوتوه من المقدرة على الإطالة المفرطة فى الشعر ، « فإن شاعرهم يذكر كتاباً مصنفاً من أوله إلى آخره شعراً ، وهو شرح قصص وأحوال ، ويكون مع ذلك فى غاية الفصاحة والبلاغة فى لغة القوم كما فعل الفردوسى فى نظم الكتاب المعروف بشاه نامه ، وهو ستون ألف بيت من الشعر ، يشتمل على تاريخ الفرس ، وهو

قرآن القوم ، وقد أجمع فصحاؤهم على أنه ليس فى لغتهم أفصح منه ، وهذا لا يوجد فى اللغة العربية على اتساعها ، وتشعب فنونها وأغراضها ، وعلى أن لغة العجم بالنسبة إليها كقطرة من بحر » .

وألف ابن الأثير كتباً بعضها لم أعثر عليه .

١ — كتابه فى السرقات الشعرية الذى حدثنا عنه فى المثل السائر .

٢ — كتاب كنز البلاغة الذى أشار إليه السبكى فى شرحه على التلخيص .

٣ — كتاب مختارات اختار فيه من شعر أبى تمام والبحترى وديك الجن والمتنبى ، قال عنه ابن خلكان : « وهو فى مجلد كبير ، وحفظه مفيد » ، وقال أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ إربل : نقلت من خطه فى آخر هذا الكتاب المختار ما مثاله :

تمتع به علقاً نفيســـا فإنه اختيار بصـــير بالأمور حكيم
أطاعته أنواع البلاغة فاهتدى إلى الشعر من نهج إليه قويم

٤ — كتاب المعانى المخترعة فى صناعة الإنشاء .

٥ — الكتاب المرصع فى الأدبيات ، وقد طبع فى القسطنطينية سنة ١٣٠٤ .

٦ — أما أهم كتاب له فهو المثل السائر الذى حاول أن يضبط فيه قواعد البلاغة ، ونهج فى تأليفه نهجاً أدبياً عملياً ، لا نظرياً جافاً ، وملأه بالأمثلة وبيان مواضع الجمال ، ونقد مواطن القبح ، وعقد الموازنات ، وهو يعد من أسس كتب البلاغة ، وكان لهذا الكتاب وقع كبير فى الدوائر البلاغية فعند ما وصل هذا الكتاب إلى بغداد انتقده المدائنى بكتاب سماه الفلك الدائر على المثل السائر ، وانتصر أبو القاسم السنجارى المتوفى سنة ٦٥٠ للمثل السائر ، فألف كتاباً سماه نشر المثل السائر وطى الفلك الدائر ؛ وتستطيع أن ترجع إلى كشف الظنون لترى ما أثاره هذا الكتاب من دراسات .

٧ — وكتابه الوشى المرقوم فى حل المنظوم منهج تطبيق لفكرته التى يدعو إليها ؛ ذلك أنه يرى الكاتب محتاجاً لحفظ القرآن الكريم والأخبار النبوية والأشعار الكثيرة بقدر المستطاع . وفى هذا الكتاب يبين بطريقة عملية كيف نستفيدهما نقرأ ونحفظ فى ترقية أسلوبنا والثروة فى معانينا ، ولو أن اللفتات التى نبه عليها ابن الأثير ، فى المعانى والعناية بها ، وكيف نستنبطها ، ونبتكرها سارت فى طريقها ، ولم تمقها الدراسات النظرية المحضة لكان لبلاغتنا اليوم شأن جد رفيع .

وله بدار الكتب :

٨ — كتاب مؤنس الوحدة ، جمع فيه أشعاراً وأخباراً فى المدائح والأوصاف والتشبيهات .

٩ — كتاب المفتاح المنشا لحديقة الإنشا ، بدأه مبيناً فضل صناعة الإنشاء وأنها أشرف صناعات الممالك ، « فهى اليد اليمنى التى بها الأخذ والعطاء ، والمنع والإمضاء ، والقبض والبسط » ، فلا جرم كان من الواجب أن يختار لهذه الصناعة رجل تتوافر فيه صفات خاصة بين عقلية وخلقية وثقافية . ورتب الكتاب على بابين : أولهما فى مراتب الكتب والمخاطبات ، والثانى فى الأدعية والانتهاءات ، فذكر ما تبدأ به الرسائل ، والألقاب التى يخاطب بها الرسل إليهم ، والدعاء لهم . وذكر فصلا فى الأدعية لأرباب غير الملة الإسلامية ؛ وأورد الصيغ التى يقدمها الكاتب بين يدى مراده . كما شرح فيه كثيراً من ألوان المحسنات البديعية .

ولابن الأثير شعر قليل ، لا يضارع قوة نثره ، ولعل من أجوده قوله :

وساءلتمونى عندكم كيف حالتى وذلك أمر بين ليس يشكل .
فمن قلبه ، لا تسألوا فهو عندكم وأما عن الجسم المخلف فاسألوا .

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

المراجع :

(١) وفيات الأعيان ح ٢ ص ١٥٨ و ٤٠٨ .
(٢) بغية الوعاة ص ٤٠٤ (٣) شذرات الذهب ح ٥ ص ١٨٧
(٤) كتبه . (٥) صبح الأعشى ح ٢ ص ٤٤٦ .
(٦) الروضتين ح ١ ص ١٩٢ و ح ٢ ص ٢٢٨ .
(٧) السلوك ح ١ ص ١١٥ و ١١٦ و ١١٨ و ١٢٣ و ١٢٩ و ١٣٥ و ١٥١ . (٨) نثر الجمان — القطعة الثانية ص ١١٦
(٩) النجوم الزاهرة ح ٦ ص ١٢٠ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٥ و ١٦٢ و ٣١٨ (١٠) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول — الجزء الثانى ص ٨٢ (١١) معجم البلدان ح ٣ ص ١٠٢
(١٢) شرح السبكى على التلخيص ص ٨٢ ح ١ شروح التلخيص
(١٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ح ٢ ص ١٨٩
(١٤) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ٧٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥
(١٥) كشف الظنون ح ٢ نهر ١٥٨٦ و ١٩٤٨
(١٦) معجم المطبوعات العربية لسركيس ح ١ نهر ٣٥

حرارة الصيف

بين العلم والأدب

للأستاذ ضياء الدخيلي

يعانى اليوم قراء (الرسالة) فى أنحاء الشرق الأدنى سطوة عامل فيزيائى يقسو على سكان بعض البلاد العربية ويخف بطشه بآخرين — ذلك هو وبل الأمواج الحرارية التى تصلى شواظها فى هذه الفترة من الزمن فتنصب على رؤوسنا من هذا الكوكب الملتهب الذى سجر لظاه رب السموات . فلنتحدث عن حرارة الصيف وما قال عنها العلم الحديث مخصصين عنايتنا بأثرها فى أجسامنا ، ثم فلنعرض شكوى الأدباء وعويل الشعراء من وهج بلاد العرب وكيف كانوا يتقون عنفها فى المملكة العربية قبل أن ينعم أديسون وإخوانه — على البشرية بالكهرباء ، ومراوحه السحرية ، ومولدات الثلج فى لحظات تغلب خطو الأماني عبر الدياجى إلى تخوم الوجود .

لعل من مظاهر الرفق ومجالى العطف على القارىء الكريم أن لا تقحمه أبحاث علماء الفيزياء فى الحرارة فالمثل يقول : (لا تكن أنت والزمان عليها) . فليس من لطف الإنسانية أن نخوض به غمار تلك الأبحاث المتعبة التى يشكو اليوم من ويلاتها الطلبة وهم على أبواب الامتحانات فلننفض عن حديث ما تسببه الحرارة من تمدد فى الغازات والسوائل والأجسام الصلبة ، ولنضرب صفحاً عن معاملى التمدد الحجمى والطولى فلا نريد أن نبنى جسوراً فولاذية فى رأس القارىء الكريم وهو يرزح تحت سطوة الحر فى بلاد العرب ، ولنترك للطلبة استظهار الحرارة النوعية وبحث الانصهار والجمود تلك الأبحاث التى اعتادوا أن يجمدوها فى حافظتهم لساعة الامتحان الحرجة حتى إذا انغمروا فى لهو العطلة الصيفية انصهرت معلوماتهم ، فكأنما كانت تماثيل من الثلج أذابتها حرارة الصيف وتلاشى قانون (بويل) كما غاب نفس بويل قبله فى عالم العدم وتصاعدت المعلومات متطايرة بعد أن تكاثفت لخزنها لأوقات الامتحان ولنصم آذاننا عن تعريف الفيزيائيين للحرارة بأنها (عبارة عن طاقة حركية للجزيئات) ولكن لنصغ إلى ذلك الأديب يعرف لنا الحرارة تعريفاً شعرياً . وقديماً عد اليونان فى علم المنطق من أساليب البرهنة — القياس الشعرى وضربوا له المثل بقولهم : (الخمر مرة مهوعة) فالحق أن التعريف الشعرى والبرهان الشعرى أقوى تأثيراً فى نفوس الناس من الأبحاث الدقيقة القائمة على الإحصاءات ، فأكثر الذين اندفعوا إلى الهيام بالخمر جذبتهم أخيلة الشعراء الذين وصفوها بأنها ياقوتة ذائبة تطير بالنفوس بأجنحة الخيال فى عالم الأفراح . ولو قالوا إنها سم يشل مراكز التفكير العليا لكانوا أقرب إلى الحقيقة . ولكنهم يبعدون عن تفكير الجماهير العمياء التى لا يقودها غير عاطفتها . وإذن فلنترك الأديب يحدثنا عن الصيف وحره فيقول (كما أورده النويرى فى نهاية الأرب فى فنون الأدب) .

(أوقدت الظهيرة نارها ، وأذكت أوارها . فأذابت دماغ الضب ، وألهبت قلب الصب . هاجرة كأنها من قلوب المشاق ، إذا اشتعلت بنيران الفراق ، حر تهرب له الحرباء من الشمس ، وتستجير بمترا كب الرمس ، لا يطيب معه عيش ، ولا ينفع معه ثلج ولا خيش ، فهو كقلب المهجور ، أو كالتنور المسجور) هذا مما قيل فى حرارة الصيف نثراً ، وأما الشعر فحسبك منه ما يلى : قال ذو الرمة :

وهاجرة حرها واقد	نصبت لحاجبها حاجبى
تلوذ من الشمس أطلاؤها	لياذ الغريم من الطالب
وتسجد للشمس حرباؤها	كما يسجد القس للراهب

(فى المنجد : حاجب الشمس ناحية منها وأول ما يبدو منها مستعار من حاجب العين ، وحواجب الشمس أشمها) وقال مسكين الدارى :

وهاجرة ظلت كأن ظباءها	إذا ما اتقتها بالقرون سجود
تلوذ بشؤبوب من الشمس فوقها	كما لاذ من حر السنان طريد

وقال ابن الفقيسى :

فى زمان يشوى الوجوه بحر	ويذيب الجسوم لو كن صخرا
لا تطير النسور فيه إذا ما	وقفت شمسه وقارب ظهرا
ويود الغصن النضير به لو	أنه من لحائه يتعرى

وقال أيضاً :

يا ليلة بت بها ساهداً	من شدة الحر وفرط الأوار
كأننى فى جنحها محرم	لو أن للمودة منى استتار

وكيف لا أحرم في ليلة سماؤها بالشهب ترمى الجمار

وقال آخر :

ويوم سموم خلت أن نسيمه ذوات سموم للقلوب لواذع
ظللت به أشكو مكابدة الهوى فكوزى ملآن وماني فارع

وقال محمد بن أبي الثياب شاعر اليتيمة :

وهاجرة تشوى الوجوه كأنها إذا لفحت خدى نار توهج
وماء كلون الزيت ملح كأنه بوجدى يغلى أو بهجرك يمزج

وقال الثعالبي :

رب يوم هواؤه يتلظى فيحاكى فؤاد صب متيم
قلت إذ صك حره حر وجهي « ربنا اصرف عنا عذاب جهنم »

ولقد تقدم من ذلك الأديب أن وصف حر الصيف بأنه : (لا يطيب معه عيش ولا ينفع معه ثلج ولا خيش) . فما هو الخيش ؟ يحدثنا الطبرى وياقوت فى معجم الأدباء إنه كانت عادة الأكاسرة أن يطين سقف بيت فى كل يوم صائف فتكون قيلولة الملك فيه وكان يؤتى بأطباق الخلاف (وهو صنف من الصفصاف طوالا فتوضع حول البيت ويؤتى بقطع الثلج الكبار فتوضع مابين أضعافها . وكانت هذه عادة الأمويين أيضاً ؛ ولكن فى عهد المنصور العباسى اتخذت طريقة أخرى للتبريد فكانوا ينصبون الخيش الغليظ ولا يزالون يبلونه بالماء فيبرد الجو (فى المنجد : الخيش نسيج خشن من الكتان)

وكان أهل الترف فى ذلك العصر يستعيضون عن دخول السراديب بنصب قبة الخيش أو بيت الخيش .

وفى لطائف المعارف للثعالبي (وكان الخيش ينصب على قبة ثم اتخذت بعدها الشرائج فاتخذها الناس) . وحكى المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم ، فى معرفة الأقاليم) : أنه رأى في دار عضد الدولة البويهى بشيراز بيوت الخيش يبللها الماء على الدوام بواسطة قنوات حولها من فوق .

قال الأستاذ آدم متز فى كتابه (الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى) يظهر أن طريقة استعمال الخيش وسيلة لتبريد الهواء كانت شائعة فى بغداد جداً ؛ إذ يحكى عن أحد القواد فى القرن الرابع الهجرى أنه لم ير فرقة من الجند أتت من بغداد أهلا للقيام بغزوة هامة لأنهم فى رأيه قد ألفوا بيوت دجلة وشرب النبيذ والثلج وبيوت الخيش المبلل وسماع القيان كما نقل ذلك ابن مسكويه .

وقال الغزولى فى مطالع البدور : وكان يستعمل فى البيوت صيفاً مروحة تشبه شراع السفينة تعلق فى سقف البيت ويشد بها حبل يديرها وهى تبل بالماء وترش بماء الورد ؛ فإذا أراد الرجل أن ينام وقت القائلة جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجئ فيهب منها نسيم بارد طيب .

وجاء فى جمهرة الإسلام للشيرازى وكتاب المحاسن والمساوئ للبيهقى (أنه كانت حراقات دجلة التى يستعملها رجال الدولة فى غدوهم ورواحهم يمد فيها الثلج ويعلق عليها الخيش المبلل بالماء وكانت ترخى على الخيش ستور الكرابيس) .

وقد رأيت فى كتاب أساس البلاغة للزمخشرى ما نقله عنه فى تاج العروس من أن (الحراقة هى سفينة خفيفة المر) . أما الكرباس فهو كما فى المنجد : الثوب الخشن جمعه كرابيس والكلمة من الدخيل .

وكان أهل بغداد ينامون فى ليل الصيف على سطوح البيوت يدل على هذا ما حكاه معظم المؤرخين كابن الأثير فى الكامل وابن الجوزى فى المنتظم وغيرهما — من ظهور حيوان يسمى الزبزب فى عام ٣٩٤ هـ كان بحسب زعم الناس يأكل الأطفال بالليل من على السطوح وما كان حيواناً بل وهماً نشأ من وجود اللصوص . ويقول ابن الجوزى فى المنتظم إنه فى تموز من سنة ٣٠٨هـ برد الجو حتى نزل الناس من السطوح وتدثروا باللحف ؛ هذا فى مدينة بغداد أما فى آمل وهى كما فى المعجم لياقوت أكبر مدينة بطبرستان فى السهل لأن طبرستان سهل وجبل — لقد كانت السطوح فى آمل مسنمة لكثرة الأمطار صيفاً وشتاء كما نقل ذلك الاصطخرى فى مسالك الممالك .

أما فى اليمن فيحدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد الهمدانى فى كتابه صفة جزيرة العرب — فكان الغالب على صنعاء البرد حتى كان إذا اشتد بها الصيف ودخل الرجل ليقيل على فراشه لم يكن له بد من أن يتدثر لأن البيوت باردة بسبب القصة (الجصة) التى تشبع بها (تطين) بواطن البيوت لأن الجص فى صنعاء يخلط بمادة غروية هناك فيظهر للبناء بعد جفاف الجص بريق جوهرى كبريق المصقول من الجواهر ؛ وتشبه الجدران فى بياضها الفضة. وربما دخل الرجل فى صنعاء فى المخدع على فراشه وأطبق عليه الباب وأسبل السترين والسجف فلا يتغير ضياء البيت لما فى الجدران والسقف من الرخام ؛ بل إذا كان فى السقف رخامة صافية

نظر عوم الطائر بظله عليها إذا حاذاها وتؤدى الرخامة لمعان الشمس إلى القصة فتقبلها بجوهرها وبريقها .

ولكن في سامراء من العراق كانوا يستخدمون السراديب تحت الأرض . قال آدم متز : لقد كشفت لنا حفائر سامراء عن طريقة بناء الدور عند أهل العراق في القرن الثالث الهجرى حيث كانت تشتمل على سراديب للسكنى مهيأة بوسائل التهوية . ولا نجد فيما بين أيدينا من أخبار القرن الرابع في العراق ما يدل على استعمال السراديب للسكنى في فصل الصيف ولا تشير إلى ذلك أية حكاية من الحكايات الكثيرة التى ترجع إلى ذلك العصر

وفى كتاب العيون أنه كان السرداب فى ذلك العصر عبارة عن مكان تحت الأرض فيحكى مثلا أن الخليفة المقتدر أمر بحفر سرداب لمؤنس وأن مؤنساً وقع فيه ومات ، هذا ما نقله ولكن الذى فى كتب التاريخ أن مؤنساً هو الذى قتل المقتدر على يد أصحابه.

ويقول عريب وكان عند رجل فى داره سرداب تحت الأرض عليه باب من حديد . بل يحكى عن مروج الذهب أنه فى عهد المنصور سير جماعة من أبناء على إلى الكوفة وحبسوا فى سرداب تحت الأرض لا يفرقون فيه بين ضياء النهار وسواد الليل . وفى مقاتل الطالبيين عن رجل كان مسجوناً مع يحيى العلوى فى عهد الرشيد ، وكان الرشيد يعذبه تعذيباً مؤلماً حتى مات من وقع السياط ، وكان اسم السجن المطبق وهو تحت الأرض وكان من شدة ظلامة لا يعرفون أوقات الصلاة فيه .

وإذن فالسراديب لم تكن فى صدر الدولة الإسلامية متعارفاً استعمالها لاتقاء الحر فى بغداد ، وإن كانت موجودة فى السجون التى يحبس بها العلويون الذين كان بنو العباس يخشون من ثوراتهم

قال آدم متز .

ويرجع أصل عادة اتقاء الحر الشديد بالنزول فى السراديب إلى بلاد آسيا الوسطى حيث يحكى لنا الرحالة [وانج بن تى فى عام ٩٨١ م أن بعض أهل تلك البلاد يسكنون فى الصيف غرفاً تحت الأرض . أما فى بلاد الإسلام لذلك العهد فقد كانت مدينة زرنج أكبر مدن سجستان ومدنية ارجان بفارس أول مدينتين اتخذ أهلها فى الصيف سراديب تحت الأض يجرى فيها الماء كما نقل ابن حوقل فى كتابه صورة الأرض .

قال ياقوت فى معجم البلدان إن أرض سجستان كلها رملة سبخة والرياح فيها لا تسكن أبداً ولا تزال شديدة تدير رحيهم وطحنهم كله على تلك الرحى .

وفى القرن الخامس الهجرى يفكر الرحالة الفارسى ناصر خسرو أن من خصائص مدينة ارجان أن فيها من الأبنية تحت الأرض مثل ما فوقها وإن الماء يجرى تحت الأرض وفى السراديب وفى أشهر الصيف يستروح الناس فيها .

ويذكر المقريزى بعد ذلك بقرون (إن من محاسن مصر أن أهلها لا يحتاجون فى حر الصيف إلى الدخول فى جوف الأرض كما يمانيه أهل بغداد) . وأما اليوم فقد ضربت مدينة النجف الأشرف فى العراق الرقم القياسى فى استعمال السراديب ، وذلك لأنها واقعة على أرض مرتفعة فى الصحراء قد جذب المسلمين إليها قبر الإمام على (ع) فازدحم حوله علماء الإسلام فقامت حركة علمية جبارة وقصدها طلاب العلم فى أطراف العالم الإسلامى ، ففيها الطلبة من أنحاء إيران والعراق ومن لبنان وسورية والحجاز والصين والهند وأفغانستان وسمرقند وبخارى وغير ذلك فهى مقر (الأمم الإسلامية المتحدة) وإن هؤلاء المهاجرين يمانون من قسوة الصيف ولذع هاجرة الصحراء — أعنف التعذيب لو لم يتفنن النجفيون فى نحت السراديب تحت الأرض فيحفرون فى طبقات الأرض حفراً عميقاً جداً حتى يصلوا إلى طبقة صخرية يسمونها (السن) فيضربونها بالمعاول ضرباً قوياً عنيفاً حتى يثقبوا تحتها ممراً فينتهون إلى طبقة رملية سريعة الإزالة وإن كان فى تضاعيفها صخور كبيرة فإذا حفروا تحتها فسحة تسع أهل البيت برفاهية أووا إليها فى هاجرة الصيف فإذا البرد الشديد الذى لا يطاق إلا بالتدثر باللحف على حين أن الحرارة الملتهبة على سطح الأرض تشوى الوجوه ؛ وبذلك يستغنى النجفيون عن الثلاجات ولاسيما إذا وصلوا تلك السراديب بالآبار حيث تجهزهم بالهواء النقى من أعلى . ولعل هذه العادة اقتبست من أواسط آسيا حيث يكثر فى النجف المهاجرون فى تلك الأنحاء الإسلامية . وتبلغ السراديب أرقى درجات الاتقان فى مدارس الفقهاء ولاسيما مدرسة السيد كاظم اليزدى التى من محاسن مرافقها (الزنبور) وهو طريق للهواء يهبط من أعلاه ثم يمر تحت أرض السرداب فيكوّن تحتها تجويفاً يقلل الرطوبة فيه . ثم إن ذلك الطريق ينتهى بثقب صغير فى وسط أرض السرداب فيخرج منه الهواء الملطف البارد . وهكذا يحتمى الطلبة فتطيب لهم دراسة الفلسفة والمنطق والرياضيات وعلوم الأدب والشريعة وقد أنتجوا الكتب الكثيرة فيها .

(البقية فى العدد القادم)

ضياء الدخيلى

رثـــاء الفنـــان (*)

للأستاذ الشاعر على محمود طه

أسائلكم : ويح من يُجيب ! ما خطبكم ؟ لم يَمتْ نجيب
ما مات من أضحك المآسى من قَدَرٍ صُنعُهُ عجيب
وصيّر الدمع فى المآقى على ابتساماته يذوب
وجمّل العيش للحزانى فكل حال به تطيب
وأنصف الدهر من حظوظ تُخطئ فى الناس أو تُصيب
ومثّل الزّيف من حياة مُرَقّع ثوبها القشيب
كادت لتمثيله الليالى تبكى ، وتستعبر الخطوب
وكاد منه الزمان يُغضى خِزياً ، وتستغفر الذنوب
مُعلّمٌ ماله ضريبٌ معهدُهُ المسرحُ الحبيب
فتىً كطير الربيع روحاً موهوبةٌ نفسُه وهوب
البارعُ اللفظ فى بيانٍ يحار فى صوغه الأديب
كأنه ما تنلْ لمينى وعهده بالنوى قريب
حلوُ الأشارات فى سِماتٍ له بتصويرها ضروبُ
وصوته ملء كل سمع تهفو لإيقاعه القلوب
أستاذُ جيل إلى نداهُ عواطفُ الجيل تستجيب
يعلّم الشعبَ أو يُسلى من شفّهُ الهمُ واللغوبُ
فى قصةٍ مُرّةٍ حوتها ملهاته الحلوةُ الطروب
أو مُلحيةٍ عذبة جلاها أسلوبُه الساخر اللعوبُ
يُلقى بها ضاحكاً ويمشى وقلبه ساهمٌ كئيب
حياتنا مثلما رآها صوّرها ناقد لبيب
مصرية الذوق لم يشبها تصنع لفظه مشوب
ولم تلفق ولم تنمق بها الأباطيل والعيوب
حقائق لم يوار منها مجامل هازل هيوب
مدرسة مابها كتابٌ ومنبرٌ ماله خطيب
لا سِنٌّ للدارسين فيها طُلاّبها فتيةٌ وشيب
ويستوى جاهل لديها وعالمٌ فاهم أريب
الكل فيها لهم متاع وفرٌ ومن علمه نصيب

(*) ألقيت فى حفلة التأبين التى أقامتها نقابة الصحفيين أول أمس للمرحوم الأستاذ نجيب الريحانى

يا لهفة الفن حين أودى وما اعترى نجمه شحوب
ولا زوى أفقه ظلام له على موجه وثوب
فى لحظةٍ لم يجُل بذهن قضاؤها الفاجع الرهيب
حيث تُنادى وحيث تُرجى مشيبه الرائع الخصيب

قم يا نجيب انفُض المنايا واسمع نجد أمّةٌ تُجيب
صيحاتٌ على موكبٍ هلوع يخنقه الحزنُ والنحيب
مصر التى قدّرتك حياً يا أيها النابغ الغريبُ
بمثل ما شيّعتك يوم الوداع لم تسمع الشعوب
وأنت بالمهد من هواها ربيبها وابنها النجيب
لم ينس « فاروقُ » من إليها انتمى ، ومن باسمها يهيب
ومن رعاها ، ومن حماها هواهُ أو صدرُه الرحيب
ملاكٌ تلوذ الفنون منه بسُدّةٍ حصنها القلوبُ
فى مفرق الفن فى يديه لؤلؤة حرّةٌ خلوبُ
تود منها الشموس قبساً وتصمد الشهبُ أو تصوب
أشعةُ المجد من سناها عن ملكه الضخم لا تغيب !

على محمود طه

إعلان

تعلن وزارة الزراعة أنها فى حاجة إلى ٢٥ ميكانيكيا باليومية من الحاصلين على إحدى دبلومات المدارس الصناعية قسم الميكانيكا للتعيين بصفة وقتية .

فعلى راغبى الالتحاق تقديم طلباتهم على الاستمارة رقم ١٦٧ ع ح باسم حضرة المحترم مدير قسم الهندسة الميكانيكية فى موعد غايته ١٥ يوليو سنة ١٩٤٩ .

وسيعقد امتحان للمتقدمين فى يوم أول أغسطس سنة ١٩٤٩ وسيمنح من يقع عليه الاختيار الأجرة المقررة لمؤهله الدراسى . ٢١٧٢

مالتـــــــوس ومشاكل السكان فى العالم

للأستاذ فؤاد طرزى

(بقية ما نشر فى العدد الماضي)

لا يتوقع إلا قلائل من الباحثين إمكان الوصول إلى قانون عام فى موضوع نمو السكان ينطبق على الشعوب وفى كل الأزمان ؛ ولهذا يحتل اليوم مشكلة التوازن القسم الأكبر من أعمال الباحثين فى مسائل السكان وفى مسائل المواد الغذائية على السواء . ولـكن فروض مالتوس كانت بمثابة فتيلة ظلت متقدة طوال عصور التاريخ من حين نشر هـذا العالم نظريته . وإذا كان هناك من يميل إلى إنكار هذه الفروض فيجب عليه تبعاً لذلك أن يطلع على الملاحظة الدقيقة التى أثبتها لينارد هوبوس والتى قال فيها « إن نظرية مالتوس ذاتها كانت من جملة الأسباب فى هزيمة تنبؤاتها فقد كان فحواها أن السكان يتزايدون بسرعة فائقة فى الوقت الذى تجرى فيه عمليات غير مباشرة تعمل للحد من هذه الزيادة » .

ويظن علماء الإحصاء اليوم بأن نظرية مالثوس تكون أكثر نفعاً متى اعتبرت على ضوء صلتها بعصور الدورة الإحصائية العالمية وهى العصور التى تمثل مراحل مختلفة مرت بها شعوب ومناطق مختلفة . وقد بذل فرانك نوتستين ومساعدوه فى جامعة برنستون جهوداً كبيرة لاكتشاف هذه الدورة وترتيب هذه المراحل كما يلى : المرحلة الاحتمالية ، والمرحلة الانتقالية ، وتمثلت فى التجربة الأوروبية الغربية التى شهد مالثوس قسما منها ، ومرحلة الهبوط الأولى ، (وهذه المرحلة لم ترد فى نظرية مالثوس) .

يخمن الأستاذ نوتستين بأن ما يقارب نصف سكان العالم هم اليوم فى مرحلة النمو الاحتمالى بالقياس إلى العصور الإقطاعية . وإن الشرق الأدنى وجميع آسيا (باستثناء اليابان والاتحاد السوفياتى) والبلدان المتأخرة فى جنوب ووسط أميركا لا تزال ، مع بعض الاختلافات ، فى هذه المرحلة التى سبقت عهد مالتوس . فهناك ولادات كثيرة ولـكن عدد السكان لا يزال ثابتاً بسبب ارتفاع معدل الوفيات . وهذه هى البلدان التى يمكن إنقاذ النفوس فيها بالوسائل الطبية والصحية ولا يمكن فقدانها إلا بسبب الفقر والمجاعة وفق طريقة مالتوس الأصلية . ومع أنه من الصعب أن نشرح بأى قدر من الدقة الظروف التى تحيط بشعب ما وتؤدى إلى انعدام الطرق الإحصائية الحديثة فيه ، إلا أنه من المحتمل اتخاذ الصين كمثل لتقلبات إحصائيات السكان المتصلة بهـذه المرحلة . فنحن نعرف أن الوسائل الطبية والصحية لم تنتشر إلى الآن بين الجماهير الصينية ، ولذلك فإن عدداً من العلماء يشكون فى إمكان حصول أية زيادة ثانية بين الشعب الصينى الضخم . وعلى كل فنى حالة حدوث أى تغير فى النسبة المتعادلة بين معدل الولادات ومعدل الوفيات فإن للصين شعباً قادراً على إحداث زيادة كبيرة حالما تضبط معدلات الوفيات .

وقد ظهر فى الماضى أن نمو الشعب الصينى قد جرب الأسلوب الدورى الذى جربه العالم الغربى . فحين تسلمت أول عائلة جديدة الحكم شاع السلام واستتب النظام ورجح معدل الولادات على معدل الوفيات بين طبقات العمال المتزايدة وبين الجماعات المثقفة . ولـكن الصين رغم بلوغها مرحلة عالية من مراحل المدنية لم تعمل على تحسين مواردها الآلية كما فعلت أوروبا ؛ ولذلك بلغ فيها عدد السكان حد الإشباع . ثم جاءت المجاعات والثورات والحروب تخفف من ضغط السكان . وقد حدثت دورة مالثوس هذه أربع مرات منذ القرن الثانى بعـــد المسيح . واليوم تعيش المرحلة الاحتمالية فى الصين فى حالة سكون فلا يحس خلالها بضغط السكان ولـكن من غير أن تغذى الزيادة فيها كما يحدث فى اليابان .

وأما فى الهند فإن تنظيم الأساليب الصحية وطرق مكافحة الأمراض الوافدة وتحسين طرق المواصلات واتساع سيطرة القانون والنظام قد ساعد على إحداث هبوط فى الوفيات أدى إلى حصول زيادة فى السكان مقدارها ٨٣٫٠٠٠٫٠٠٠ خلال عقدين (من ١٩٢١ إلى ١٩٤١) وهكذا فإن الهند مستعدة الآن لقبول

زيادة أخرى ، ولا توجد حتى الآن دلائل تشير إلى أنها ستمر بالأدوار التى مرت بها كل من فرنسا وإرلندا .

وقد دخلت اليابان فى المرحلة الثانية من مراحل الدورة فحدثت فيها زيادة فى السكان أثر انخفاض معدل الوفيات . إن إمكانيات التصنيع قد استغلت فى هذه البلاد بنطاق واسع ثبت منه بأن فى إمكان الشرق أيضاً أن يخفض الولادات . ولم يسجل معدل الوفيات فى اليابان انخفاضاً ملموساً ؛ بل إن معدل الولادات فى الفترة الحالية تحول نحو الهبوط . وقد أظهرت الإحصائيات اليابانية بين ١٩٢٠ و ١٩٤٠ نتائج مشابهة للاحصائيات التى حصلت فى إنكلترة وويلز بين ١٨٨١ و ١٩١٠ . وخلال العقدين اللذين تخللا الحربين الأولى والثانية كانت معدلات الوفيات والولادات تشبه تقريباً مثيلاتها فى إنكلترة قبل ٤٠ سنة : وبهذه المناسبة من المهم أن نتذكر ، كما يقول الأستاذ نوتستين : « بأن التمدين والتهذيب فى اليابان قد قطعا أشواطاً بعيدة ؛ إلا أن نمو السكان كان من نوع التضاعف الثلاثى فى القرن الواحد . وقد حصلت أكثر من نصف الزيادة بعد أن ابتدأ معدل الولادات فى الهبوط . ومع أن اليابان قد قدمت للعالم مثلا للتصنيع السريع فإن الاتجاه القادم لنمو السكان فيها سيعتمد على المدى الذى ستؤثر فيه الهزيمة على تطورها الاقتصادى . ولكن علماء السكان يقدرون بأن النمو لا يزال يفعل فعله بين الشعب اليابانى .

وإذا عدنا إلى روسيا التى تملك مساحة واسعة من الأرض بين أوربا وآسيا ، وتلتقى فيها خصائص الشرق والغرب المتنوعة التى تتميز بها ظاهرة النمو ، وجدناها تجنى الآن ثمار النهضة الإحصائية ، لأنها البلاد الوحيدة القادرة على استغلال كل إمكانيات النمو الانتقالى . فقد حصل فيها توسع صناعى كبير ، وانخفض معدل الوفيات بنتيجة التقدم الصحى والطبى . ولم يتخلل عهد التصنيع فى هذه البلاد سوى هبوط ضئيل فى معدل الولادات ، ومع ذلك فإن هذا المعدل حسب ما هو ملاحظ آخذ فى الازدياد ؛ لأن السياسة القومية تشجع بنشاط العائلات الكبيرة ، يضاف إلى ذلك أن الوضع الحالى للاتحاد السوفياتى يشير إلى احتمال حصول زيادة فى عدد النساء خلال العقود القادمة . ويتوقع فرانك لوريمر المستخدم فى شعب الإحصاء فى روسيا فى كتابه « سكان الاتحاد السوفياتى » حصول زيادة فى السكان بين عامى ١٩٤٠ و ١٩٧٠ تقدر بـ ٧٠٫٠٠٠٫٠٠٠ . وقد وصلت روسيا فى الوقت الحاضر إلى المرحلة الانحدارية من الدورة ، ودخلت كدولة أوربية فى مرحلة الهبوط الأولى . وإذا ما استقرينا قوانين السكان وجدنا أن معدل النمو فى روسيا لا يفوق معدل الزيادة الكبيرة فى نفوس سكان جاوه مثلا تحت ظل النظام الاستعمارى الهولندى ، ولكن فى روسيا مجالات نمو جديدة تتمثل فى الحركة الصناعية النامية بينما سبق لجاوة أن اجتازت المرحلة النهائية من مراحل التطور الاقتصادى الزراعى . وبالإضافة إلى ذلك أن الاتحاد السوفياتى يملك داخل حدوده منطقة بكر واسعة لا تملكها أية دولة كبيرة أخرى وهى منطقة سيبيريا . فليس هناك من شك بأن روسيا تنتظر توسعاً كبيراً فى السكان ، ولكن السؤال الذى يدور فى بقية أنحاء العالم هو فيما إذا كان فى مستطاع روسيا أن تحتفظ بهذه الزيادات داخل حدودها .

وعندما بحثنا المرحلة الثالثة للدورة الكبرى — مرحلة الهبوط الابتدائى — لم نسر خلف مالتوس لأن توقف الزيادة وهبوطها لم يكونا معروفين فى الفروض المالتوسية . فبلدان أوروبا الوسطى والشمالية الغربية كانت أولى المناطق التى دخلت فى المرحلة الثالثة ، فى حين أن فرنسا والسويد وإيسلندا واستراليا وانكلترا وويلز ستواجه هبوطاً فى عدد السكان ابتداء من سنة ١٩٧٠ . أما إيرلندا فقد استعادت كما رأينا قواها ولكنها لم تحقق أية زيادة . ويمكن إضافة ألمانيا إلى هذه المجموعة بسبب خسائرها فى الحرب . كما تعانى بولندا نقصاً فى السكان لم تعانه أية أمة أخرى فى العصور الحديثة . إلا أن طبيعة تكوين شعبها تساعد على العلاج إذا ما توفرت الظروف الاقتصادية الملائمة . ويقول علماء الإحصاء إن شعوب أوروبا الوسطى وأوروبا الشمالية الغربية قد بلغت مرحلة النضج ، وقد أدى تحديد النسل بينها إلى إنقاص نسبة الشباب بينما رفع تقدم مستوى المعيشة من نسبة ذوى الأعمار الطويلة . وما دامت أعمار أغلبية النساء فى هذه المنطقة قد تجاوزت معدل الخمسين فإن ذلك سيجر وراءه زيادة فى طول الأعمار يؤدى إلى توسع إنتاجى إضافى . ففى الولايات المتحدة واستراليا وزيلندا الجديدة من الممكن أن تعيش المرأة البيضاء إلى

من السابعة والستين، كما أنه من الممكن أن تستطيع المدنية الأوربية أن تزيد معدل الحياة عشر سنوات أخرى خلال العقدين القادمين

وقد كان متوقعاً من دراسة معدلات ١٩٣٥ — ١٩٣٩ أن يبلغ نمو سكان أميركا نهايته حوالى ١٩٨٠ . إلا أن الولايات المتحدة قد خرجت من الحرب العالمية الثانية بأرباح غير متوقعة فى النفوس، لقد فاقت الولادات مقدار عدد الضحايا بين الشعب الأميركى الذى لم يدخل بعدُ مرحلة الهبوط الابتدائى .

وعند هذه المرحلة من مراحل دراستنا سندخل منطقة يميل عند بلوغها علماء الإحصاء فى العصر الحديث إلى وضع إرشادات تجريبية فقط بشأنها . إن معرفة ما يمكن أن يحدث وماذا يستحب أن يحدث ، إذا ما سارت القوى الطبيعية فى مجراها الطبيعى ، تدفع الأفراد لأن يستعملوا عقولهم وإرادتهم للوصول إلى نتائج أكثر تكيفاً مع حاجاتهم ورغباتهم . وهنالك بعض الباحثين لا ينظرون إلى ظاهرة النقص فى السكان نظرة جدية ، فى حين أن هذه الظاهرة قد بنيت على أسس الاتجاهات التى توجه الوقائع والقوانين . ولكن يتساءل اليوم عمن يستطيع التحدث عن التقلبات الاجتماعية التى ستظهر فعل هذه الاتجاهات ؟ إذ أننا نرى أن ظاهرة زيادة السكان من الممكن أن توجه توجيهاً يساير حركات القوى الاجتماعية والاقتصادية التى تعترضها . فهل يمكن أن تفعل مثل ذلك بالنسبة لمشكلة الخوف من نقص السكان ؟ وهل ضبط النسل يمثل ثورة على بعض انحرافات النظام الاقتصادى والصناعى ؟ وهل يمكن أن يوقف إذا ما تحسنت مؤسسات اجتماعية أخرى تحسناً مناسباً ؟ وللاجابة على هذه الأسئلة يجب أن تترك المرحلة النهائية من مراحل دورة السكان مفتوحة ، معترفين بأنه من المحتمل حصول هبوط مطرد بين السكان يسرى قانونه على البلدان المتقدمة فى المدنية الغربية . كما أن هناك بعضاً من الخبراء يعتقدون بإمكان ظهور نوع من أنواع الحركات الميكانيكية توازن بين السكان لتقليل الهبوط الناجم من تحديد النسل .

وإذا ما أردنا أن نطبق هذه التطورات التاريخية على مسائل السكان فى الشرق جابهتنا فى الحال — وعلى الأخص فى البلدان العربية — الصعوبات الناجمة عن تأخر الطرق الإحصائية الحديثة التى يمكن الاعتماد عليها لتنظيم دراسة متفقة موحدة . وكل ما نستطيع أن نقوله فى هذا الصدد هو أن البلاد العربية لا تزال فى مرحلة النمو الاحتمالى ، وأن مجتمعاتها مستعدة لتقبل زيادات أخرى نظراً لكثرة الموارد الطبيعية غير المستغلة إلى الآن ، ولانحطاط وسائل الاستغلال الزراعى والصناعى فيها . ولذلك فإن مثل كل السكان الحديثة لا يمكن أن تطبق على هذه المجتمعات إلا بعد أمد طويل نسبياً .

(بغداد) **فؤاد طرزى**

المحامى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

« كاهن نساء » للأديب اللبنانى سهيل ادريس :

لصاحب هذه المجموعة القصصية مجموعتان أخريان صدرا من قبل وكتبت عنهما فى مكان آخر غير « الرسالة »؛ ومعنى هذا أننى تتبعت هذا القصاص اللبنانى الشاب منذ أن كتب أول قصة حتى فرغ من آخر قصة ... هناك تطور لا شك فيه ، فالوثبة الأولى كانت وثبة الأديب الذى يعالج فن القصـة لأول مرة : جناح يصعد به نحو القمة ، وجناح يهبط به إلى السفح ، وبين الصعود والهبوط تلمح موهبة أصيلة ينقصها الزمن والمران لتنضج وتكتمل وهكذا كان سهيل إدريس فى « أشواق » .

ومضت فترة أخرى أخرج بعدها مجموعته القصصية الثانية « نيران وثلوج » ... فى هذه الوثبة الجديدة لمست أن القصاص الشاب قد قطع مرحلة بعد بها عن نقطة البدء حتى أوشك أن أن يبلغ منتصف الطريق . لقد كان خط السير فى المجموعة الأولى بكثرة تعاريجه ، يشعرك أن المؤلف لا يصل إلى نهاية الشوط إلا وهو مكدود فاتر الأنفاس ! أما فى هذه المجموعة الثانية فقد استطاع ان يبصر المسالك التى تدفع به فى خط مستقيم تقل فيه الدروب والمنحنيات ... وكانت محاولة ثالثة تبلورت فيها القطرات الأولى فى بوتقة التجربة النفسية والفنية ، وإذا « كاهن نساء » دليل مادى حى على أن الجهد والمثابرة جديران بخلق عمل فنى مهما حوى من مآخذ فهو جدير بالتهنئة ! وتبقى بعد ذلك حقيقة نسجلها قبل أن نسجل غيرها من حقائق ، وهى أن سهيل إدريس كاتب قصة أدبية سـواء فى مجموعته الأولى أو فى مجموعته الثانية أو فى مجموعته الثالثة ... هذه فى رأيى ميزة كبرى ؛ لأن القصة العربية القصيرة التى تطالعها فى هذه الأيام قد فصلت عن هيكل الفن التعبيرى الرفيع ؛ لقد أخرجها القصاصون العوام من حظيرة الأدب ليلحقوها بحظيرة الربورتاجات الصحفية !

هذا هو قصاص الأمس أشرت إليه فى كلمات ، أما قصاص اليوم فمن حقه على أن أحدد اتجاهه القصصى الجديد على ضوء هذه الخطوط الفنية : الخط الأول هو خط النزعة التحليلية التى تضحى بالحادثة فى سبيل الفكرة ذات الطابع التصويرى ، والخط الثانى هو خط التمثيل للواقع المحس عن طريق النماذج النفسية والبشرية ، والخط الثالث هو خط تحديد الزاوية التى تلائم بين الفكرة التصويرية والنموذج النفسى ، والخط الرابع هو خط امتداد نقط الارتكاز الفنية فى ثنايا العرض ، والخط الخامس هو خط التقاء العناصر الرئيسية التى تـكون الهيكل الأخـير للقصة الـكاملة ... هذه الخطوط التى تبرز التصميم الفنى العام للقصة ، أو هـذه الخيوط التى تنسج الثوب الفنى العام للقصة ، قد توفرت منها أشـياء فى « أشواق » ، وتوفرت منها أشياء أخرى فى « نيران وثلوج » ، وتوفر منها الـكثير فى « كاهن نساء » . هناك فى «عودة الماضى» و «أنانية» و «الخطيئة الطاهرة» و «لعنة الحب» و «القصاص» و « دموع فى الـكونتنتال » ! ... إن هذا الترتيب الذى تراه هنا قد أقمته على أساس من الصدق الفنى أولا ، وعلى أسـاس من الصدق الشعورى ثانياً ، وأخـيراً على مدار اللمحات الفـكرية والنفسية فيما حدثتك عنه من خطوط القصة .

بعد هذا أقدم إليك قصة من قصص هذه المجموعة هى «عودة المـاضى » ... هذه القصة فى رأيى من القصص التى تعرض لك موهبة الأستاذ إدريس خـير عرض ، وتصور ملـكته القاصة أكمل تصوير ، وتطلعك على نموذج قصصى ناضج يشـير إلى فنه ويدل عليه . إنها قصة الحب بين فتى وفتاة ، الحب القوى الجارف الذى يجمع فى النهاية بين قلبين تحت ظل وريف من الرباط المقدس وتمضى الأيام وتصبح الفتاة امرأة ويصبح الفتى رجلا ويتخطى كلاهما دور الشـباب ! ويبقى الحب بين الزوجين ما بقى الوفاء المتبادل والبيت الآمن والأبناء الأحباء . ولـكن القدر يضرب ضربته ليتصدع البناء ويتفرق الشمل ويتناثر عقد السعادة حبات من دموع ! ستة عشر عاماً ذاق فيها العش الجميل الهادئ ما ذاق من ألوان البهجة وضروب النعيم ، ثم ختمت أيامه بأبشع ما يتلقاه الأحياء من معانى الألم والحسرة والعذاب ... لقد عصفت ريح الغواية بوفاء الزوجة المخلصة فنبذت منطق العقل وانقادت لمنطق

العاطفة ، وفى سبيل حبها الجديد نسيت الزوج والبيت والولد ، وهذا الماضى الأثير بكل ما فيه من ذكريات ! ولم يكن الشيطان الذى طرق أبواب الجنة غير أخ تجمع بينه وبين أخيه رابطة الدم وينتهى الأمر بالزوجة الوفية إلى أن تمل السير فى طريق الشباب الآفل لتنحرف إلى طريق الشباب المقيم ، ولا بد من جمرة تشتعل تحت الرماد لتلهب الضمير الذى مات .. وفى رسالة يتلقاها الزوج من شريكة حياته تقع عيناه على قصة حبه الشهيد ؛ لقد مضت تستعرض فصول القصة كما وقعت على مسرح الحياة : مبتدئة بدور الزوج ، معرجة على دور الزوجة ، منتهية بدور الحبيب . ولم تنس الهاجرة وهى فى غمرة الوفاء للذكرى الباقية أن تطلب الصفح والمغفرة !

هذا هو الإطار الخارجى لقصة الأستاذ إدريس ، إننى لو اقتصرت عليه لبدت لك القصة هيكلا عظميا عاريا من اللحم والدم والروح ... إن الحياة تكمن هناك ، فى تلك الصورة النفسية التى تعرض طبيعة امرأة ؛ امرأة يضع المؤلف بين يديك مفتاح شخصيتها وكل شخصية تمثل المرأة الخالدة ! وهذه هى الصورة التى حملتها رسالة الزوجة إلى الزوج ، أقدمها إليك منتزعة من معرض السطور : « لقد حمل نايف إلى جونا الاضطراب والخوف والعذاب ، ولكنه مع ذلك هز منى الأعماق أعنف الهز ، وكشف أمام عينى دنيا جديدة تزخر بالمتناقضات وتمتلىء بالمفارقات . ولست أدرى يا صبرى كيف أعبر لك عن الأثر الذى تركه أخوك فى نفسى ساعة وصوله ! » ... « وسرعان ما أسبلت جفنى ، كأنما خشيت أن تنفر من عينى صور كثيرة ، جلية ، تميد إلى الماضى بحذافيره فتبعث فى نفسى فيضا غنيا من المشاعر المذبة . أجل ! إن الماضى تدفق ساعتذاك يا صبرى كأنه نبع جار يحمل فى ثنايا أمواجه ذكريات وذكريات » ... « وفتحت عينى مرة أخرى ، لا يا صبرى ! لم يكن نايف يشبهك ، وإنما كان هو نفسك ... أجل ! كان أنت فى شبابك ، يوم عرفتك للمرة الأولى . لقد رجع فى نايف ماضى شبابك يا صبرى ، شبابك ذاك الذى أغرمت به قبل أن يولى وعشقته يوما حتى الجنون ! » ... « لا يا صبرى ! أنا لم أخنك ! إننى مقيمة على شدة إخلاصى لك ، إننى أحبك فى نايف ، وسأظل أحبك إلى الأبد . أراك تود أن تسألنى : وأولادنا ؟ وحاضرنا ؟ ومستقبلنا ؟ ... لا تكن ساذجا يا عزيزى ! أما أدركت أنه لم يبق لى شىء بعد ، وأنه لا حاضر عندى ولا مستقبل غير هذا الماضى الذى يعود ؟! » .

أرأيت كيف حلت الفكرة الناضجة من جسم القصة محل الروح ، وكيف سما بها النموذج النفسى النابض إلى الأوج ؟ ... هكذا تخلق القصة ، وهكذا تحيا ، وهكذا تتنفس ، وهكذا يكتب لها البقاء ! إنك تستطيع أن تجد فى هذه المجموعة القصصية نماذج أخرى لا أقول إنها تبلغ هذا المستوى الممتاز ، ولكنها تقترب منه وتنبع من نفس المنبع وتدور فى نفس الأفق .

وتسألنى بعد هذا كله ما ذا ينقص سهيل إدريس ككاتب قصة ؟ .. إننى أعود إلى ما سبق أن كتبته عنه فى مكان آخر غير « الرسالة » ، أعود إليه لأحذف منه فقرات وأقتطف فقرات ، تبعاً لما جد من أسباب الكمال وما بقى من أسباب القصور .

إن كل ما يؤخذ على فن الأستاذ إدريس ظاهرتان : الظاهرة الأولى هى أنه لا يكاد ينظر إلى الحياة إلا من زواياها الضيقة ، تلك التى لا تتمثل الخلجات النفسية إلا فى إنسان يحب وإنسانة تحب ، مع أن فى الحياة زوايا متعددة وألوانا لا حصر لها من المشاعر الإنسانية ! أما الظاهرة الثانية فهى خلو قصصه من النماذج البشرية ؛ إن سهيل إدريس لا يقدم إليك نموذجا بشريا واحدا يمكن أن يمثل شخصية من الشخصيات المحلية فى المجتمع اللبنانى الذى يعيش فيه ، ومن هنا كان نقص النماذج البشرية فى قصصه يفقدها عنصرا ممتازا من عناصر التصوير الوصفى ، ذلك الذى يعنى برسم الملامح الخارجية للشخوص كما هى فى واقع الحياة ! وتسألنى مرة أخرى عن حكمى الأخير على هذه المجموعة القصصية فأقول لك : إنها عمل فنى جدير بالتهنئة !

« من وراء الأبد » ورسالة من شرق الأردن :

قبل أن أكتب إليك ما أريد كتابته عن قصتك الخالدة « من وراء الأبد » المنشورة فى الرسالة الغراء العدد (٨٣٨) ، أقدم إليك تحية التقدير والثناء ، تحية القلب من الأعماق إلى روحك الطهور المثالى وقلبك الخفاق ، يفيض الإبداع فى شجون القلب وشئون الفكر .

لقد ساقت إليك الأقدار فتاة أحلامك ، فوجدت فيها الجمال الروحى الذى كنت تنشده فى سماء الوهم يوم أن هبطت إليك وأنت على أرض البشر لتأخذ باقة من الزهور فأحببتها ، وأنت تعرف جيداً زيارتها لأملها الدفين يوم كنت تقدم لها تلك الباقة فى صباح كل ثلاثاء ، لتعطر ثرى ذلك القبر ... ثم تقدمت إلى تلك الروح بغير تردد حين وجدت أنها ضالتك المنشودة ، لتملأ فراغ قلبك ودنياك . فلم كرهت ذهابها إلى القبر بعد الزواج ، حتى أدى ذلك إلى القطيعة والفراق ؟ أليس الحب شعوراً مقدساً قبل الزواج وبعده ؟! ولماذا لم تستطع أن تملأ هذا الفراغ الموحش من قلبها (إن كان موجوداً) بعد الزواج بأحاسيسك وشعورك وأنت صاحب الأحاسيس والشعور والخيال ؟!

إن الحب لا يبلغ أعلى مراتب السمو إلا بالتضحية وأنت هنا لم تضح بشعورك وقلبك فى سبيل إسعادها ... إذ الحب المثالى العميق يقضى عليك فى هذه الحالة أن تقدم إليها باقة الزهور ، ولو أنك فعلت لتناست ذلك القبر الكئيب البغيض الرابض فى صحراء الإمام ، ولأصبح مع الأيام طيفاً ضئيلا وبالتالى تمسى وأنت مسيطر على أحاسيسها ووجدانها مالكا كل قلبها بأطيافه وأحلامه هذا إذا فرضنا جدلاً أنها ما زالت تحن إلى أملها الأول ، ولكنها وهبت لك قلبها وأخلصت لك الحب طيلة مدة الزواج ، بدليل أنك لم تستشف من خلال شعورها أن هنالك طيفاً يملأ فراغ قلبها وتتشوق إليه بقلب مفجوع وأنت صاحب الشعور والنظرات العميقة ، ولو لم تكن تلك العودة لما اكتشفت سرها الذى لم يكن إلا وفاء بعهد .

ألم تشعر أخيراً يا سيدى أنك سببت لها نكبة أخرى فوق نكبتها الأولى ، وسببت لك لوعة تصرخ بين الضلوع كلما عاودتك ذكراها ؟ .. أنا فى انتظار جوابك .

محمد دويك

عمان — شرق الأردن

أود قبل كل شىء أن أشكر للأديب الفاضل هذه العاطفة الكريمة النبيلة التى أملت عليه هذه الكلمات ... الحق أننى لم أتلق فى حقيبة البريد أجمل من هذه الرسالة ولا أطرف حول قصتى « من وراء الأبد » ؛ هذه القصة التى حركت مشاعر الأديب الأردنى الفاضل وأثارت شجونه ، حتى دفعته إلى أن ينقل إلى هذا الفيض من المشاركة الوجدانية العميقة التى عشت فى أجوائها يوم أن عكست من الحياة على الورق مأساة فنان جنى عليه الخيال !

لقد ظن الأديب الفاضل أن القصة قصتى الذاتية ، ولعل هذا الظن قد استقر فى نفسه من أن القصة كانت فى رسالة .. الحق ياصديق أننى قد نقلت القصة من حياة الناس حيث ألف القدر فصولها لا من حياتى ! وصدقنى إذا قلت لك إننى مازلت واقفاً على الشاطىء أرقب كل زورق حالم يمخر عباب النهر المقدس ، منتظراً أن تدفع أمواج السعادة إلى شاطئى بالحلم الجميل الكبير ، بالزورق الذى يمكن أن يحمل إلى أعذب أمانى العمر .. وأعنى بها رفيق القلب وشريك الحياة ! متى تتحقق الأحلام ؟ متى تتألق الأيام ؟ لست أدرى !!

لفتة إنسانية للأستاذ العقاد :

قرأت فى « المصور » منذ أيام مقالا تحليلياً للأستاذ العقاد حول نفسية المنتحر ، وقد كتب المقال بمناسبة حادث الانتحار الذى وقع فى وزارة المعارف وراح ضحيته موظف بائس .. ولست أبغى من وراء هذه الكلمة أن أعقب على هذا التحليل النفسى الموفق الذى ورد فى مقال الأستاذ العقاد ، وإنما أحب أن أشير إلى كلمة حق تهز كل صاحب ضمير كضمير الرجل العادل وزير المعارف . كلمة حق نطق بها العقاد الإنسان حين طالب بمعاقبة المسئولين عن الحالة النفسية التى دفعت بالموظف البائس إلى التخلص من الحياة ، فيما إذا ثبت بالتحقيق الدقيق أن رؤساءه قد حالوا بينه وبين حقوقه التى كان يطالب بها كانسان يحتاج إلى شىء من العطف والرعاية !

إننا نسجل هذه اللفتة الإنسانية للأستاذ العقاد ، ونتوجه بها فى نفس الوقت إلى معالى وزير المعارف .

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

نحن وأدباء المهجر :

كتب الأستاذ حبيب كتاباً من نيويورك إلى جريدة الأهرام، يقول إنه التقى هناك بالأستاذ عبد المسيح حداد صاحب جريدة « السائح » التي تصدر بالعربية في أمريكا ، بعد عودته — عودة الأستاذ حداد — من رحلته الطويلة في البرازيل والأرجنتين وتشيلي ، فأراد أن يستطلع رأيه في الأدب العربي بأمريكا الجنوبية ، فقال الأستاذ حداد :

إن هناك فرقاً أساسياً بين السوريين واللبنانيين في أمريكا الجنوبية وفي أمريكا الشمالية ، ويتجلى هذا الفرق بأجلى مظاهره في البرازيل ، فالسوريون وغيرهم من الناطقين بالضاد هنا — في أمريكا الشمالية — هم عرب ولكن أولادهم ليسوا عرباً . أما في البرازيل فهم عرب جيلا بعد جيل » ثم ذكر تعليلا لذلك أن العرب في البرازيل — حيث تسنى له أن يدرس أحوالها درساً وافياً دون غيرها — يحرصون على تعليم أبنائهم وبناتهم اللغة العربية ، وأن هناك كليتين عربيتين تتبعان برنامج البلاد في التعليم المدرسي وتلقنان العلوم العربية بأجمعها من صرف ونحو وبيان وبلاغة وعروض وإنشاء وبعض العلوم الأخرى بالعربية ، وقال إنه سمع كثيرين من خريجي هاتين الكليتين يخطبون ويلقون قصائد بالعربية من نظمهم ، وذكر مع الأسف أن إحدى الكليتين قد اضطرت إلى إقفال أبوابها بعد أن خرجت خمسة عشر ألف طالب ...

وإنا هنا — حين نقرأ هذه الأنباء — لتهفو نفوسنا وتتطلع إلى تلك الآفاق التي انبثقت منها ألوان جديدة معجبة من الأدب العربي الحديث ، واسترعت أنظار الأدباء ، وجرت في مشاعر الشباب ؛ تلك الآفاق التي لمع فيها جبران خليل جبران وأمين الريحاني وميخائيل نعيمة وغيرهم ، وقد امتازت آدابهم بالحرية والانطلاق والتجديد .

تتطلع نفوسنا إلى أدباء العرب في المهجر الأمريكي ، فنحب أن نطلع على كتاباتهم وتتصل أفكارنا بأفكارهم ، كما نحب أن تتوافر لهم وسائل الإبقاء على اللغة العربية وآدابها وازدهارها هناك . وإنه لمما يسوؤنا أن نتفقد المجلات العربية الأمريكية في القاهرة مثلا فلا نجدها ، وتلك الأنباء تنقل إلينا أن هناك صحافة عربية زاهرة ، وبودي أن نقرأ لهم ويقرؤون لنا ، ونبدي الرأي فيما يكتبون كما يبدون آراءهم فينا ، وجملة القول أن نعاملهم معاملة أدبية كاملة تعود علينا وعليهم بالفائدة المرجوة في عالم الفكر والأدب والاجتماع .

ولست أدري من المسؤول عن الانقطاع الحالي بيننا وبين أبناء العمومة في عالمهم الجديد ، ولكننا نذكر هذا الانقطاع فنتألم له ، في الوقت الذي نرانا فيه نسعى إلى توثيق الأواصر الثقافية بين جميع بلاد العالم ما عدا العالم العربي في أمريكا ، ولنا مكاتب ثقافية في لندن وباريس وواشنطون للتعاون الثقافي بيننا وبين هذه البلاد ، فليت وزارة المعارف تنشيء مكتباً على غرار هذه المكاتب في إحدى العواصم الجنوبية بأمريكا حيث تكثر الجاليات العربية ، ويكون من عمل هذا المكتب تحقيق التعاون والتبادل الأدبي بيننا وبين أدباء المهجر ، كما يعمل على إمداد المعاهد العربية هناك بما تحتاج إليه من مؤلفات وأساتذة .

والإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، لماذا لا تمد يدها إلى هناك ؟ وهي غير مقصورة على الدول المشتركة في الجامعة فالمفروض فيها أن تخدم الثقافة العربية في كل مكان ، ويا حبذا لو ضم « متحف الثقافة العربية » شيئاً مما هناك ؛ وهي ترسل بعثات المخطوطات إلى مختلف البلاد الغربية والشرقية فلماذا لا ترسل بعثة لرياد الثقافة العربية المعاصرة في البرازيل والأرجنتين وتشيلي ؟

وليس الاتصال المنشود بين البلاد العربية وبين أبنائها في أمريكا ، مقصورة فوائده على الآداب والثقافة ، بل هو إلى ذلك يخدم قضايا العرب في الهيئات المالية ، وإنهم ليستجيبون لداعي

القومية العربية بدافع الشعور المشـــترك الذى يعززه تنظيم العلاقات ، ويتحقق لنا بذلك ما لا نبلغه باسـتجداء الأمم الغربية التى تخذلنا لقرب مشاعرها من خصومنا .

ونحن نرى الدول الغربية تعمل دائبة على نشر لغاتهـا وثقافاتهـا فى خارج حدودها وخاصة فى بلادنا الشرقية ، وهى ترمى بذلك فيما ترمى إلى توسيع نفوذها وكسب أصدقاء موالين لها ، فما أجدر البلاد العربية أن تمين تلك الجاليات العربية الكبيرة فى العالم الجديد ، على تعزيز لغتها وثقافتها العربيتين . ولن يحتاج ذلك فيما أعتقد إلى جهود وأموال كبيرة ، بل يكفى القليل مع العناية بتنسيق وسائل التبادل والاتصال .

تقرير وتبعات :

فى غمرة الأسى على فقيد فن التمثيل المرحوم نجيب الريحانى يستطيع المرء أن يلاحظ ظاهرة تدعو إلى الارتياح ، بل تبعث الاغتباط .

ذلك أنك لا تكاد تفتح مجلة أو تطالع صحيفة منذ توفى الريحانى فى الأسبوع الماضى ، إلا ألفيت بها رثاء له نثراً أو شـــعراً ، وقد حفلت بعض الصفحات بالكتابة فى تاريخه والتحدث عن فنه وأثره فى هذا الجيل وما إلى ذلك مما يتصل به ولم يكن ذلك إلا صدى لما يجيش فى صدور الناس على اختلاف طبقاتهم من الأسف لفقد هذا الرجل والشعور بمكانته باعتباره ممثلا أدى رسالته الفنية على أتم وجه . ومعنى هـذا أن الجمهور فى مصر قد عرف قيمة فن التمثيل وقدر أهله إذ أصبح لهم فى حسه وشعوره ما هم أهله من مكانة واعتبار ، فإذا قضى علم من أعلام التمثيل أخذ الحزن عليه مظهراً عاماً ، واستشـعر الجميع لخيمهم فيه ، وهذا ماعنيته فى صدر هذه الكلمة بالظاهرة التى تدعو إلى الاغتباط ، وهى كذلك لأنهـا تدل على تطور عظيم فى حيـاتنا ، إذ تغيرت نظرتنا إلى التمثيل والممثلين من حال إلى حال ، ولا تزال للحال الأولى آثار باقية ، وإن كانت فى سبيل الزوال ، تلمح ذلك فيما تنشره بعض الصحف من أن يوسف وهبى أو عبد الوهاب أو غيرهما من الفنانين ، يعتزم ترشيح نفسه عن دائرة كذا فى الانتخاب القـادم لعضوية مجلس النواب ، وهى تنشره على أنه أمر طريف جديد ، ولعله كذلك فعلا لأننا لم نمهد بعد

كشكول الأسبوع

□ أخذت وزارة المعارف في العمل على تحقيق رغبة ملـكية سامية أبلغت إليها ، وهى أن يلحق بكل متحف من المتاحف التى تقيمها الوزارة بالأقاليم قاعة محاضرات ومكتبة يتردد عليها الراغبون فى التزود من العلوم والآداب والفنون .

□ تلقت وزارة المعارف كتاباً من جامعة درهام بانجلترا ، ذكرت فيه أنها اعتزمت إنشاء قسم للدراسات الشرقية يبدأ عمله من أول السنة الدراسية المقبلة ، وطلبت موافاتها بطائفة من الـكتب العربية القديمة والحديثة ، وبعضها من تأليف مصريين معاصرين .

□ كانت اللجنة الثقافيـة بجامعة الدول العربية قد كتبت إلى وزارات معارف الدول العربيـة ، طالبة إلى كل منها تأليف لجنة قومية لتنسيق العمل الثقافى بين دول الجامعة ، وخاصة تمثيلها فى المؤتمر الثقافى العربى ، ولم تتلق اللجنة إلى الآن نبأ بتأليف هذه اللجان إلا من وزارة المعارف المصرية على الرغم من مضى مدة طويلة وأخيراً بعثت بكتاب دورى تستحث فيه سائر الدول العربية أن تسارع إلى تأليف اللجان المطلوبة كما فعلت مصر .

□ لاحظت إحدى دور الـكتب بنيويورك أن بعض الـكتب يسرق من قاعة المطالعة ، فأرادت أن تعرف أى الـكتب يسرق أكبر عدد من نسخه ، فـكانت النتيجة أن الـكتاب الذى يسرق كثيراً هو التوراة .

□ تتخذ الآن إجراءات لتعيين الأستاذ محمود محمد شاكر فى القسم الأدبى بدار الـكتب المصرية .

□ يرى الأستاذ على محمود طه وكيل دار الـكتب ، أن يخصص قسم فى قاعة المطالعة بشؤون السودان ، يضم كل ما فى الدار من مؤلفات فى هذه الشؤون ، و يطلق عليه « ركن السودان » .

□ بعثت جريدة الأهرام إلى الأستاذ على محمود طه بخمسة عشر جنيها ، لقاء نشر قصيدته « عرائس البحر » فى عددها الخاص بالصيف ، ولما علم بذلك الأستاذ توفيق الحـكيم أبدى رغبته فى أن يكون شاعراً ... ولعله الآن يعالج قرض إحدى المصبوات .

□ صدر أخيراً كتاب « الحروب الصليبية وأثرها فى الأدب العربى فى مصر والشام » للأستاذ محمد سيد كيلانى ، وهو يشتمل على تاريخ الحروب الصليبية وآثارها فى الحياة الاجتماعية وفى الأدب نثراً وشـعراً ، ثم التعريف بمشاهير الـكتاب والشعراء فى ذلك العصر . وقد أحسن المؤلف بإكثاره من الشواهد ، لأن أدب تلك الفترة أكثره مخطوط لم تعرفه المطبعة بعد ، فجاء الـكتاب جامعاً مفيداً ، إلى ما فيه من بحث مستنير .

□ وجهت الجامعة العربية إلى وزارة الخارجية كتاباً تطلب فيه الاتصال بوزارة المالية ، للسماح لدور النشر فى القاهرة أن تصدر الـكتب إلى البلاد العربية دون اشتراط ورود أثمانها عن طريق البنوك ، وذلك أسوة بما يتبع نحو الصحف والمجلات المصرية .

نواباً من المشتغلين بهذه الفنون مع جدارتهم بأن يأخذوا المكان اللائق بهم في قيادة الأمة .

وقد كان الريحاني من القلائل الذين أعلوا قدر التمثيل في مصر إذ جعلوا له أهدافاً في المجتمع وساروا به ارتقاء العلوم وسائر الفنون في مصر ، فأثبتوا أنهم من المضطلعين بترقية الأمة والناهضين بها . والريحاني أول ممثل ظفر بنشان النيل ، وأول ممثل تفضل جلالة الملك بإرسال مندوب عنه لتشييع جنازته ، وأول ممثل أعرب جلالة الملك عن حزنه عليه بعبارة كريمة سامية .

وبعد ، فذلك هو الوعي القوي نحو فن التمثيل وتقدير أهله ولاشك أن هذا التقدير يلقي على فنانينا تبعات نحو فنهم والإخلاص له وإفادة الناس منه ، وعلى مقدار شعورهم بهذه التبعات ونهوضهم بمقتضياتها يتوقف مصير الغراس الذي نما وأثمر بعض الشيء ولا يزال في حاجة إلى تعهد وعناية ورعاية ليؤتي أكله على ما يشتهي الجميع .

قضية « عيسى بن هشام » والإذاعة :

عرضت على قاضي التحضير بمحكمة مصر الكلية يوم الثلاثاء الماضي ، القضية المرفوعة من خليل بك المويلحي مؤلف كتاب « حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمن » ضد الإذاعة ، لأخذها تمثيليات من الكتاب وإذاعتها بلغة عامية مبتذلة ، على ما فصلناه في عدد مضى من الرسالة . وقد أجل نظر القضية إلى جلسة ٧ نوفمبر المقبل أمام محكمة مصر الكلية .

وأذكر بهذه المناسبة أني وقفت على مقال عن ذلك الكتاب للمستشرق الفرنسي هنري برز عضو المعهد الفرنسي بدمشق ، في المجلد العاشر من مجلة الدراسات الشرقية لسنة ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ قال فيه : « إن حديث عيسى بن هشام يعد في طليعة الكتب المؤلفة في الأخلاق والعادات والنقد الاجتماعي ، وما من شك في أنه كان العامل الأول في بناء صرح النهضة الحديثة للغة العربية ، وإن سلاسة لغته وسجعه غير المتكلف يعيدان إلى الذاكرة أسلوب الكتابة الفنية لجنسكور والإنشاء الخيالي لهويسمان . ولقد صور المويلحي الحياة المصرية في شتى مظاهرها الاجتماعية بقلم جريء وصراحة واضحة وإخلاص بلغ حد القسوة في تصوير الحقائق الواقعة تصويراً دقيقاً أذكرنا كتابة بلزاك وفلوبير . وإنه لمن المتعذر على أي أديب أن ينسج على منوال حديث عيسى بن هشام أو أن يصل إلى سمو أسلوبه مقلد ، فقد بلغ المثل الأعلى للإنشاء الوصفي ودقة تصوير المجتمع ولقد بزغ نوره في فجر النهضة الحديثة للأدب العربي ، فمحت آيته مختلف المقامات الأدبية وهدى بنوره الرجعيين القدامى من كتاب الأدب ، واسترشد بسناه المجددون من الأدباء فسلكوا من بعده الطريق المعبد إلى المستقبل المثمر »

والواقع أن حديث عيسى بن هشام يعد المحاولة الوحيدة الناجحة في عصره لإحداث فن قصصي جديد في الأدب العربي الحديث ، ومن المحاولات المخفقة التي عاصرته « ليالي سطيح » و « صهاريج اللؤلؤ » ، ومما يؤسف له أشد الأسف أن تتخذ الإذاعة ذلك العمل الأدبي التاريخي الخالد ، ذريعة إلى إحداث فن جديد في تمثيلياتها العامية الهابطة المسفة ، فن يجري فيه الحوار بمثل : (يا حلمبوحة) و (يا مدهول يا منيل على عينك) وغير ذلك من ألفاظ اللغة التي يدعو إليها سلامه موسى بدلا من العربية الفصيحة !

والإذاعة بذلك لا تكتفي باستباحة كتاب لم يتصدق به عليها مؤلفه ، بل تعمد إلى تحريف أهدافه عن مواضعها وتهوي به إلى برامجها العامية ، بعد أن سلك سبيله إلى نهضة أدبية مثمرة

خمر وجمر :

تلقيت من الأستاذ عدنان أسعد رسالة ذكر فيها ما دفعه إلى كتابة ما كتبه في « الرسالة » عن كتابه « خمر وجمر » منذراً من يقرظه بأنه سيعتبره مأجوراً ، قال : « إن جماعة من الأدباء والشعراء الأصدقاء أجمعوا على أن كتاب (الخمر والجمر) كتاب يعتاص على الفهم وتحتاج معاني شعره ونثره إلى التذييل والشرح الطويل . ومن ثم ذهبوا إلى أن أية كلمة يكتبها الكاتب في تقريظ الكتاب لا تخرج عن كونها واحداً من اثنين : إما أن الكاتب المقرظ قد غمض عليه معنى في بطن الشاعر أو ظهر الناثر .. فأراد أن يظهر للناس علمه وفهمه بكلمة التقريظ حتى يقول الناس : قرأ وفهم ثم هضم . وإما أنه « مأجور » أو « مدفوع » بدافع الصداقة ، وللصداقة تكاليف ، أو « مرجو » يجيب رجاء الراجي



رد وتصحيح :

حضرة الأستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة الرسالة :

يأبى الأستاذ كاتب التعقيبات إلا أن تكون له الكلمة الأولى والأخيرة فى إنتاج الأدباء وفى ذواتهم ، وتثور ثورته ، إذا ما وجد كلمة حقة هادئة أو متحمسة ، رداً على تعقيباته ، وهذه مجافاة للروح الأدبى الرياضى المنشود .

وقد كان نصيبى من الرد على بعض تعقيباته ، حملة شعواء على شخصى وأدبى ، فى العدد (٨٣٣) المؤرخ ٢٠ / ٦ / ١٩٤٩ أما حملته على شخصى فسأترك جزاءه لمجال آخر ، ويهمنى الآن تصحيح الرد على ما جاء فى هذه التعقيبات من وقائع غير صحيحة

فقد زعم الكاتب أنى سعيت إليه بوساطة رسول كريم لكتابة كلمة ، ولو صغيرة عن كتابى « الشعر المعاصر » وإن هذا الرسول الموفد من قبلى — كما يقول — دميت قدماه فى سبيل هذه الكلمة وإن الكاتب صارحه بأنه لو كتب عن هذا الكتاب لأهان قلمه وأهان (الرسالة) وأهان عقول القراء وهذه قصة خيالية ، ابتدعها التوهم ، فإن مركزى الاجتماعى ، وتاريخى الأدبى الطويل ، وخلقى المترفع ، تدحض جميعاً ، ما أسند إلىّ من لهفة لكلمة منه ، يقدمنى بها كما يقول ، إلى الناس ، فلست فى حاجة إلى التقديم ، وبحوثى الأدبية والاجتماعية ، منذ أكثر من عشرين سنة وكتبى التى أخرجتها كفلت لى التقدير من الخاصة .

وأما عن كتابى « الشعر المعاصر » فقد حفلت به البيئات الأدبية وأنصفته الأقلام الممتازة ، وحفلت به وزارة المعارف واقتنت منه عدداً « ضخماً » لمكتباتها كما ازدانت مجلة الرسالة ذاتها بكلمة عنه من قلم أحد محرريها ، وهو زميل للكاتب المعقب فى التحرير ، ومما جاء فى قوله بمجلتكم الصادرة بتاريخ ٤ / ١٠ سنة ٤٨ « لا يسع متتبع الحركة الأدبية إلا أن يلتفت لهذا الكتاب ويهتم به لأنه كتاب جديد فى المكتبة العربية ، وهو أول مؤلف فى موضوعه » وقوله فى خاتمة كلمته : « وحسب الأستاذ السحرتى أنه وضع بكتابه هذا لبنة فى بناء الأدب العربى الحديث » .

فما رأى الأستاذ المعقب فى زميله ، وما رأيه فيما كتبته السيدة الأديبة « ابنة الشاطىء » وهى من جماعة الأمناء التى ينتمى إليها إذ قالت عن الكتاب الذى يباع بالرطل فى الأسواق « والكتاب يكاد يكون دائرة للشعراء المعاصرين فلم يدع الأستاذ المؤلف شاعراً عرفه أو قرأ له إلا سلكه فى هذه الدراسة ، وقدم نماذج من شعره ، ويجد القارىء إلى جانب هذا عرضاً طيباً لمذاهب النقاد وأساليبهم فى وزن الشعر وتقويمه ، كما يقرأ خلاصة لمقاييس النقد الأوربى الحديث مطبقة على شعرنا المعاصر » .

وزعم الأستاذ المعقب أن الدافع لكلمتى بالمقتطف « النقد والتعقيب » راجع إلى أنه لم يكتب كلمة عن كتابى ، ونسى أنه ذكر فى صدر كلمته أننى تلميذ للأستاذ سلامة موسى وأن كلمتى فى المقتطف كانت دفاعاً عنه . والحق يشهد بأنى لا أدافع إلا عن كرامة الأدباء كيفما كانت ألوانهم وإنى قد وهبت قلمى المتواضع للدفاع عن الحقيقة منذ تخرجى فى الحقوق من ثلاثة وعشرين عاماً إلى اليوم ، وقد شهدت منابر القضاء والخطابة والأدب عفة لسانى وقلمى ، كما سجلت صفحات الكتب مبادىء الأدبية والديمقراطية والوطنية ؛ فقول الأستاذ المعقب بأنى من التشكيلة العجيبة ، التى تريد إرهاب كل من يحاول تصحيح آرائه بها يحمل اتهاماً باطلا ، وما كان يساغ بأى حال من الأحوال أن يلوذ الأستاذ الكاتب إلى مثله .

ولا يخيب آمال ذوى الآمال فكان جوابى على هؤلاء إنكم أرضيون ماديون والكتاب على ضآلة شأنه روحانى المذاهب سماوى الجناح مطلق السراح . . وصاحب القلب الكبير والروح الطليق من أسهل السهل عليه أن يستوعب الكتاب من الغلاف إلى الغلاف فى جلسة أو جلسات بغير ما حاجة إلى تذييل أو شرح طويل » .

وأقول للأستاذ عدنان : إنى أراك تفرط الكتاب ، ولا يسعنى — على الرغم من بيانك السابق — إلا أن أعتبرك « مأجوراً » من المؤلف ... ولك تحيتى .

عباس خضر

وليس هذا المكان مجالا للرد على ماورد فى تعقيبات الأستاذ الكاتب من عبارات مهينة لاداعى لذكرها ؛ لأن قاموسنا الأدبى قد خلا من مثلها خلواً تاماً .

ولكن لنا أن نطرح هذه الأسئلة تعقيباً على كلة الأستاذ الكاتب وعلى طريقته فى الكتابة ، هل يجوز للكاتب من الوجهة القانونية أو الأدبية أن يترك عمل الأدباء ويتناول أشخاصهم ؟ وهل يباح للأدباء الدفاع عن أنفسهم ، والرد على نقد ناقديهم ؟ وهل يصح فى شرعة الأدب محاولة الغض من كرامة الأدباء للاختلاف فى الرأى ؟

والجواب الصحيح على هذه الأسئلة ، وهو محور النقد الأدبى السليم أن الناقد ليس حاكما بأمره وليس له تناول أشخاص الأدباء تناولا غير كريم وأن للأدباء أن ينقدوا النقدات الموجهة إليهم وهذه الآراء التى ندين بها هى محور الخلاف بيننا وبين كاتب التعقيبات .

مصطفى عبداللطيف السحرتى

هذا هو الرد الذى بعث به إلى « الرسالة » الأديب صاحب التوقيع وفى الأسبوع المقبل يقرأ ويقرأ معه القراء تعقيبنا على هذا الرد .

أنور المعداوى

الألفاظ بين الحقيقة والمجاز :

يعرف أبناؤنا دلالات الألفاظ فى حقائقها ومجازاتها ، و « العلاقة » الرابطة بينها سواء أكانت للمشابهة أم للارسال ، وقد كتب مدعى تذكير الضبع — بتصحيح موهم — ينفى رواية (قومى لم تأكلهم الضبع) ... (بقومك) مما لا يبعد الضبع عن أن تكون مؤنثة ! فإن التصحيف فى المضاف إليه واقع فى أسمار القدامى ، بل إن « زهر الآداب » وغيره محتشد شواهد متعددة دالة على عدم إبعاد المعنى مع وجود هذا التصحيف .

لكن الكاتب — كدأبه — يريد الضرب فى منحى دعوى البحث ؛ فتوقعه الورطة فى مأزق المغالطة ؛ فالإضافة إلى ياء المتكلم أو كاف الخطاب لم تخرج الضبع على أنها « اسم للحيوان المعروف » ! وهى مؤنثة !

أما المباحثة فى الحقيقة والمجاز ؛ فنكبر « المجمع اللغوى » على عرضهما فى معرض الإفادة ، لكنا نشير إلى أن التجوز بلفظة « الضبع » إلى السنة المجدبة لن يبعدها عن وضعها فى حقيقتها ، لأن الحقيقة أصل المجاز !

فما إجداء سياقة الكاتب ومكازته وهو لم يستشهد على « تذكير » الضبع ، ولم يسق فى « تحقيقه » الأخير ما يباعد بين وضع اللفظ والتجوز فيه ؟ .

إننا لم نخطىء فى الاستشهاد لأن حقيقة اللفظة باقية على مدلولها فى إفادة الحيوان ، ولم نبعد فى الرواية لأن اختلافها لا يقدح فى صحة الإيراد ، ولم نجانب الصواب فى التأنيث لعدم ورود ما يباعده ؛ فلعل الكاتب لا يتورط فيما يدعو إلى المؤاخذة والتوجيه

(بور سعيد) **أحمد عبد اللطيف بدر**

تعقيب على تعقيبات :

قد وردت بالتعقيب الأول من تعقيبات الأستاذ الفاضل أنور المعداوى بالعدد (٨٣٢) من الرسالة — جمل من هذا القبيل : « لم يكن يعرف . لم تكن تتيح » وهى بينة الخطأ . وصوابها حسب استعمالات العرب — أن ترى على هذه الهيئة : « لم يكن ليعرف . لم تكن لتتيح » ؛ لأن كان المنفية بما ، ويكن المنفية بلم لا يرد بعدها الفعل المضارع إلا مسبوقاً باللام المؤكدة للنفى . ويسمونها لام الجحود .

وقد ورد القرآن الكريم بهذا الاستعمال قال تعالى : « لم يكن الله ليغفر لهم » . **محمد غنيم**



صديقان حميمان

للكاتب الايطالي لويجي بيراندللو

كان جيجي ميار ينتظر مركبة الترام لتقله كالمعتاد إلى طريق باستريينو حيث مقر عمله وكان متذمراً بمعطفه ذلك الصباح ، وقد وضع منديله على أنفه ، ويديه في قفاز انجليزي صفيق وإن المرء إذا ما جاوز الأربعين ، فإن ريح الشمال لا تعد مزاحا .

إن كل امرىء يعرف أن مركبة الترام لن تقبل بأية حال إذا كان في انتظارها . فإما أن تتعطل في منتصف الطريق لانقطاع التيار الكهربائي ، أو تختار مركبة تمر عليها ، أو شخصاً سيء الحظ تدهمه تحت عجلاتها . وكانت ريح الشمال الباردة تهب بشدة في ذلك الصباح . وجعل جيجي ميار يرفع رجلا وينزل أخرى ، وهو يراقب النهر وقد بدا كأن المسكين يشعر بالبرد القارص أيضاً .

وأخيراً أقبلت مركبة الترام تدندن ، وأخذ جيجي يستعد للقفز فيها وهي سائرة دون أن تقف ، عند ما سمع صوتاً آتياً من بونت — كافور ينادى « جيجي ، أيها الصديق العزيز ، جيجي » فالتفت فرأى سيداً يهرول قاصداً نحوه ، يلوح بذراعين كأنهما عمودا التلغراف . وفي تلك الآونة ابتعدت مركبة الترام . وكان عزاء جيجي على ابتعادها أن وجد نفسه بين ذراعي السيد الغريب الذي لا بد أن يكون صديقاً حميما له ، إذا حكم على ذلك من عنف القبلتين اللتين طبعهما الرجل على المنديل الحريري الذي يغطي وجهه

وقال الرجل — أتعلم أني عرفتك في الحال ، أيها العزيز ؟ ! ألا تخجل من نفسك ؟ أعطنا قبلة يا عزيزي لبلوغك هذه السن . إنك تبدو وكأنك كنت واقفاً في انتظاري . وعند ما شاهدتك تمد ذراعيك لتتعلق بمركبة الترام اللعينة قلت لنفسي « هذه خيانة محض خيانة » . فقال ميار وقد علت شفتيه ابتسامة مغتصبة — نعم ، كنت ذاهباً إلى المكتب .

— أرجوك ، لا تحدثني عن مثل هذه الأشياء المنفرة .

— لماذا ؟ — إني أعني ذلك . في الواقع أخ .

— أنت شخص غريب الأطوار أتعرف ؟

— نعم أعرف . ولكن خبرني ، إنك لم تكن متوقعاً رؤيتي ، أليس كذلك ؟ إنه يبدو في وجهك .

— حسن ، كلا ... في الواقع .

— لقد وصلت مساء أمس . وأخوك يرسل إليك تحياته . وهو — على فكرة ، سأجعلك تضحك — لقد أراد أن يبعث إليك بكتاب يقدمني فيه إليك ! ... فقلت « ماذا ! كتاب تبعث به إلى جيجي الصغير ؟ ألا تعلم أني أعرفه قبل أن تعرفه أنت ؟ نحن صديقان منذ الطفولة ، ورفيقان في الدراسة الجامعية ألا تذكر بادوا القديمة الشهيرة ؟ وذلك الناقوس الضخم الذي لم تكن تسمعه مطلقاً ؟ فقد كنت تنام مثل — مثل — ماذا أقول — مثل الزغبة ! أظن كان يجب أن أقول ، كالخنزير . حسن ... وعند ما سمعته — مرة واحدة — حسبته إنذار حريق ... ما أحلى تلك الأيام ! إن شقيقك في صحة جيدة ، وشكراً لله ، فنحن مشتركان في عمل صغير . وأنا هنا من أجله ، ولكن ، ماذا بك؟ إنك تبدو كالجنازة . أمتزوج أنت ؟

فأجاب جيجي ميار في دهشة وشدة — كلا يا عزيزي !

— على أهبة الزواج ؟ — أمجنون أنت ؟ بعد سن الأربعين ؟ يا إلهي ؟ كلا . لم أفكر في ذلك مطلقاً .

— أربعون ! إنك تبدو في الخمسين أيها الصغير جيجي . ولكن ، لم لا ؟ لقد كدت أنسى أن وجه غرابتك هو في أنك لا تسمع ما يحدث — من الأجراس والسنين . خمسون يا صديقي العزيز ، خمسون سنة ، أؤكد لك ذلك . لقد ولدت .. دعني أفكر .. في أبريل عام ١٨٥١ ، أليس كذلك ؟ ١٢ من أبريل .

وصاح ميار قائلا في لهجة من التأكيد — لا تؤاخذني ، في مايو . ولا تؤاخذني أيضاً عام ١٨٥٢ ، أتعرف أحسن مني ؟ ١٢ مايو سنة ١٨٥٢ ، وعلى ذلك فسني الآن ٤٩ سنة وبضعة أشهر

— وبلا زوجة ! هذا عظيم ! أنا متزوج ، ألا تعرف ؟ آه ، بلى ، إنها مأساة . سأجعل جانبيك ينفجران من الضحك ، وفي أثناء ذلك ، سأعتبر نفسي بالطبع ، مدعواً للغداء عندك . أين تأكل هذه الأيام ؟ ألا زالت تقصد مطعم باربا القديم ؟

وتعجب جيجي في دهشة بالغة وقال — يا إلهي ، أتعرف أيضاً أني أذهب إلى باربا ؟ أظنك كنت من رواده .

— أنا ، عند باربا !؟ كيف أكون هناك وأنا في بادوا ؟ لقد علمت وسمعت عن ذهابك أنت والآخرين ، تقصدون — أيحق لي أن أقول الحانة ، أو الهيكل ، أو مكان الأكل ؟

فأجاب ميار — سمها الحانة ، أو ماشئت ، ولكن إذا كنت ستتناول طعام الغذاء معى فلا بد أن أخبر الخادم بذلك .

— صغيرة ، أليس كذلك ؟

— أوه ، كلا ، عجوز يا صديقى ، عجوز . فضلاً عن أنى انقطعت عن الذهاب إلى باربا . ثم لم أتردد عليه منذ ثلاثة أعوام . فأنت فى سن معينة ... — بعد الأربعين

— بعد الأربعين ، يجب أن تتحلى بالشجاعة ، وتدير ظهرك للطريق الذى قد يؤدى بك إلى الهاوية . فإن أردت التردى — حسن ، فليكن ذلك ، على أن تنزلق فى بطء ، فى منتهى البطء وفى خفة ، محاذراً ألا تتدحرج ، أو تتعثر فتسقط . حسن ، ها قد وصلنا . سأطلعك على ما قمت به من عمل طيب بسيط لدارى الصغيرة

وأخذ صديق جيجى ميار يردد قائلا وهو يصعد الدرج خلفه — فى بطء ، فى منتهى البطء ، وفى خفة .. عمل طيب بسيط .. دارك الصغيرة . مخلوق ضخم التكوين مثلك يتأنق ! مسكين أنت يا جيجى ! ما الذى فعلوه بك ؟ أحرقوا ذيلك ؟ أتود أن تترقرق عيناى بالدمع ؟

فقال ميار وهو ينتظر حتى تفتح الخادم الباب — حسن ، يجب أن نكون فى وفاق مع وجودنا اللعين ، عند هذه المرحلة من العمر . دلل هذا الوجود ، تملقه حتى بالتوافه ، وإلا جعلك تافهاً . إنى لا أود بأية حال من الأحوال أن أجد نفسى مدفوناً فى حفرة عمقها أربعة أقدام . لا ، لست أنا .

فقال الآخر يحاول أن يجادله فى هذه النقطة — إذاً فأنت تعتقد فى الرجل أنه حيوان من ذوى الساقين ؟ لا تقل إنك تعتقد ذلك يا جيجى الصغير ؟ أنا أعرف أية مجهودات أبذلها لأظل قائما على قدمىّ . صدقنى يا صديقى ، لو تركنا الطبيعة تسير فى طريقها لأصبحنا من ذوات الأربع . إن هذه المدينة اللعينة تهدمنا لو كنت من ذوات الأربع لأصبحت حيواناً متوحشاً جيلا ، ولرفصتك رفصات عديدة بسبب ما حدثتنى عنه ، ولأصبحت بلا زوجة ، وبلا ديون ، وبلا هموم . أتريدنى أبكى ؟

ودهش جيجى من حديث صديقه ، ذلك الذى هبط إليه من السحاب وجعل يتأمله وينقب فى أركان ذهنه عن اسم ذلك الشيطان ، وكيف ومتى عرفه فى بادوا ، سواء فى طفولته أو فى دراسته الجامعية . واستعرض فى مخيلته أصدقاءه الحميمين كل من كان يمهدهم فى تلك الأيام ، دون أن يطابق أحدهم ملامح هذا الرجل . على أية حال ، أنه لا يجرؤ على سؤاله ، فقد كان يخشى أن يجرح شعوره بعد أن بدت منه كل هذه المودة . فعزم على أن يعرف الحقيقة عن طريق اللف والمداورة .

ومكثت الخادم مدة طويلة دون أن تستجيب إلى قرع الباب فقد كانت لا تتوقع أوبة سيدها سريعاً . وقرع الباب مرة أخرى وأخيراً سمع وقع أقدامها .

وقال لها ميار : ها أنذا قد عدت ثانية أيتها الفتاة العجوز ومعى رفيق فاعتنى به ، وانتبهى، فلا يقبل مزاحاً مع صديقى هنا ، صديقى ذى الاسم الغريب ...

فقال الرجل وهو يضحك مما جعل المرأة لا تدرى هل تشاركه ضحكه أو تعبس فى وجهه : « إنسان متسلسل من تيس بقرنين ولحية ! » . ولا يميل أحد إلى التعرف بذلك الاسم الجميل ، اسمى أيتها الفتاة ! لقد جعل وجوه مديرى البنوك تلتوى ، والدائنين يترنحون . ما عدا زوجتى . كانت مسرورة به . إنه الاسم الوحيد الذى وهبته لها . ادخل يا جيجى ، ودعنى أرى رياشك ومتاعك المسكين . .

وقاده ميار وقد خاب أمله من جراء فشله فى معرفة اسمه ، وجعل يطلعه على شقته الصغيرة وغرفها الخمس ، وقد امتلأت بالرياش فى عناية وترتيب . وزاد عذابه فى غرفة الاستقبال عند ما سمع صديقه يتحدث فى مودة كبيرة عن أشيائه العائلية ، ويتطلع إلى الصور القائمة فوق الموقد ويقول :

— وددت يا جيجى الصغير لو كان لى زوج أخت مثلك . لو عرفت أى وغد تزوجت أختى ؟

— أيعامل شقيقتك معاملة سيئة ؟

— كلا ، بل يسىء معاملتى أنا . لقد كان من الهين عليه أن يساعدنى فى عسرى . ولكن لا ، ليس هو الذى يفعل ذلك .

— أرجو المعذرة ، إنى لا أذكر اسم زوج شقيقتك .

— لا داعى للاعتذار . إنك لا تذكره ؛ لأنك لا تعرفه . إنه لم يقدم إلى بادوا إلا منذ سنتين . أتدرى ما الذى فعله بى ؟ إن شقيقك كان رؤوفاً بى ووعد أن يساعدنى ، إذا قبل هذا التعس أن يبدل سنداتى — ولكن صدقنى ، لقد رفض أن يفعل ذلك . وشقيقك ، مع أنه غريب ، قبل أن يأخذ مشكلتى بين يديه

وهو ساخط ناقم عليه . فلأخبرك عن سبب رفض زوج شقيقتى لقد كانت شقيقته سيئة الحظ فوقعت فى شراك حى . يا للفتاة المسكينة ! لقد سممت نفسها ...

فقال ميار : — توفيت ؟

— كلا ، لقد لفظ جوفها ما ابتلعته ؛ ولذلك شفيت . ولكنك تستطيع أن تدرك أنه أصبح من المستحيل على أن أطأ عتبة دار شقيقها بعد هذه المأساة . يا إلهى ألا تأكل ؟ أصبحت لا أرى من الجوع . أكاد أموت جوعاً كالذئب !

وعند ما كانا يتناولان الطعام على المائدة جعل جيجى ميار يدفعه عن طريق الثقة المتبادلة بين الأصدقاء ، على أن يحدثه عن أخباره فى بادوا ، لعله بذلك يزلق لسانه فيذكر اسمه على الأقل . وكان ضيفه إذ ذاك يزداد شيئاً فشيئاً . فقال له حدثنى عن بعض أخبارك — كيف حال فالفيرد مدير بنك إيطاليا ، وزوجه الحسناء وشقيقتها الحولاء ، ألا يزالون فى بادوا ؟

وإذا بصديقه ينفجر ضاحكا . فقال مار فى دهشة — ما الأمر؟ أليست شقيقتها حولاء ؟ فرجاه الآخر أن يكف عن أسئلته وقد ارتجف بدنه وتملكه نوع من التشنج من كثرة الضحك الذى كان يحاول كتمانه دون جدوى ، وقال له — أصمت لحظة ، بحق السماء ، أصمت . حولاء ؟ لم أكن أعتقد أنها كذلك . وذلك الأنف المتسع الذى ترى منه مخها ! نعم إنها نفس المرأة .

— أية امرأة ؟ — زوجتى !

وشده جيجى ماير دهشة . ولم يبق له من قوته إلا ما يستطيع بها أن يتمتم بعض كلمات الاعتذار . ولكن ظل الرجل سادراً فى ضحكه أكثر من ذى قبل ، إلى أن هدأ أخيراً ، ثم عبس ، ثم أخذ نفساً عميقاً ، وأخيراً قال : — يا صديقى العزيز ، هناك فى الحياة بطولة لا تستطيع حتى مخيلة الشاعر أن تتصورها .

نتنهد ميار قائلا : — نعم ، حقاً ، أنت على صواب ... إنى أعرف ما ذا تعنى .

فعارضه الآخر قائلا : — إنك لا تعرف شيئاً مطلقاً . أتعتقد أنى أنوه عن نفسى ؟ أنا البطل . أنا لست إلا الضحية ! إن الشجاعة صفة نادراً ما تتحلى بها شقيقة زوجتى ، زوجة لوسيو فالفيرد اصغ لى قليلا . يا إلهى ما أغباك أيها الرجل !

— كلا ، أنا أنا ! فى خداع نفسى بأن زوجة لوتشيو فالفيرد تعشقنى ، لدرجة أنها تزوجت زوجها . ولكن ماذا تظنه حدث؟ مثال من الروح التى لا تبالى فى سبيل التضحية ، كما ستسمع . دعتنى ذات مرة إلى دارها ، وكان زوجها متغيباً . وعندما حدثت اللحظة المؤلمة التى فوجئنا فيها سوياً ، أخبأتنى فى حجرة شقيقتها السيدة الحولاء ، فاستقبلتنى فى حياء وخجل ، وبدت كأنها تضحى بنفسها فى سبيل شرف أختها . ولم يكن عندى متسع من الوقت لأصيح .. ولكن يا سيدتى العزيزة ، انتظرى لحظة . كيف يصدق لوتشيو ذلك .. فقد اندفع لوتشيو غاضباً مزمجراً . وتخيل أنت الباقى .

فصاح ميار متعجباً — ماذا ؟ أنت ، بكل ما فيك من ذكاء؟

فقال الآخر — وديونى ؟ فقد رفض مدى بعـا يلزمنى من المال . دعنا من ذلك الحديث أرجوك . على أية حال وازنت بين حقيقة كونى لا أملك فلساً ، وبين عدم رغبتى فى الزواج ..

فقاطعه ميار قائلا : — ما ذا ؟ أتزوجتها ؟

— أوه ، كلا ، إنها هى التى تزوجتنى . إنها هى التى تزوجت فقط . لقد حدثتها فى ذلك وكلمتها بكل صراحة . قلت أيتها السيدة ، إذا أردت اسمى . حسن ، إذاً ، خذيه . إنى أكاد لا أعرف ما الذى أفعل به ، أقسم لك . أكاف هذا ؟

وجازف ميار قائلا : — إذاً فهذا ما حدث ؟ لقد كان اسمها فالفيرد ، ثم أصبح الآن ...

فضحك الآخر وهو يهب قائماً — تماماً .

وهتف جيجى ميار ، وقد أصبح لا يحتمل أكثر من ذلك وتمالك شجاعته بين يديه وقال : كلا ، اصغ ، لقد تمتعت معك بصباح طيب . وعاملتك كما لو كنت أخى . والآن يجب أن تقدم لى معروفاً . — لعلك تود أن أقرضك زوجتى ؟

— كلا ، شكراً . أود أن تخبرنى عن اسمك .

فسأله فى دهشة وهو يطرق باصبعه على صدره ، وكأنه يشك فى وجوده — أنا ؟ اسمى ؟ ماذا تعنى ؟ ألا تعرف ؟ ألا تستطيع أن تتذكر ؟ فأجاب ميار معترفا فى حياء — كلا ، أرجو المعذرة ، سمنى أكبر رجل عديم الذاكرة فى العالم . ولكنى أكاد أقسم أنى لم أرك مطلقاً .

— أوه ، عظيم جداً ، عظيم جداً ! يا عزيزى جيجى الصغير ، ضع يدك فى يدى . إنى أشكرك من أعماق قلبى على حسن

ضيافتك — ولكني سأذهب دون أن أخبرك . وهذا كل ما هنالك !

فانفجر جيجي ميار صائحاً وقد هب واقفاً على قدميه — ستخبرني ، عليك اللعنة ! لقد أرهقت عقلي طول الصباح ، ولن أدعك ترحل دون أن تخبرني .

فأجابه الآخر في هدوء وثبات — اقتلني ، قطعني إرباً ، ولكني لن أخبرك !

فأخذ ميار مرة أخرى يعدل من لهجته وقال — كن رجلا طيباً . إني لم أجرب مثل هذه التجربة من قبل — فقدان الذاكرة — أنت تعرف . إني أقسم لك أنه شعور مؤلم . تخبرني عن اسمك بحق السماء . — ابحث عنه بنفسك .

— استمع إلى . إن ضعف ذاكرتي لم يمنعني عن السماح لك بالجلوس على مائدتي . وفي الواقع ، حتى إذا لم أكن أعرفك على الإطلاق ، فقد أصبحت الآن عزيزاً لدى . صدقني . إني أشعر بشعور الأخوة نحوك ، وأعجب بك ، وأود أن تظل معي دائماً . تخبرني إذاً عن اسمك

فقال الآخر في حزم — لا فائدة ترجى من ذلك . أنت تعرف أنك ستنساني إذا ما رحلت . كن عاقلا . أتود أن تحرمني من تلك اللذة التي لم أكن أتوقعها ، لذة تركي إياك دون أن تعرف من يكون ضيفك ؟ كلا .. اذهب .. إنك تطلب الشيء الكثير . إني أرى جيداً أنك لا تملك أية ذاكرة نحوي . فإذا لم تكن تود أن تجرح شعوري بذلك النسيان ، فدعني أذهب كما سأفعل الآن

فصاح جيجي بغضب عاصف — اذهب إذاً ، سريعاً ، هذا كل ما أطلبه . إني لا أحتمل رؤيتك بعد الآن .

— حسن ، إني ذاهب . ولكن اسمح لي أولا بقبلة صغيرة يا جيجي الصغير .

فأجاب ميار صائحاً — إني أرفض ، إلا إذا أخبرتني . .

فقاطعه الآخر قائلا — كلا ، كلا ، هذا كل ما هنالك . والآن .. إلى الملتقى . وذهب ضاحكا . والتفت إليه وهو يذهب في نزول الدرج ؛ وأرسل إليه قبلة في الهواء ...

محمد فهمي عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٨٣٥ — الاثنين ٤ يوليو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

17 em Année No. 835 — Lundi — 4 — 7 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٣٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ رمضان سنة ١٣٦٨ — ٤ يوليو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

١٠ – أمم حـــائرة

سبل الهدى والطمأنينة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

عرضتُ جوانب من قلق الآراء واضطراب الأعمـال فى مدنيتنا هذه ، وذكرت مواطن تسرب إليها القلق وكانت جديرة أن تنجو منـه ؛ وبدت فيها بوادر الخلل وهى خليقة أن تنأى عنه ، وذكرت الحكومات والقوانين والصحف والنساء والأسَر والآن أفصل القول ، بعد إجماله ، فى السبب الذى تنشأ عنه هذه العلل ، والأصل الذى تتفرع منه هذه الأدواء لنعرف الدواء ونلتمس الشفاء :

لابد للنفس مما يقيمها على طريقة ، ويسيرها على نهج ، ويوجه رغباتها وجهة واحدة ، ويجمع نزعاتها على سنة بينة . فكلما همت بأمر رأت أمامها سبيلا واضحـة ولم تشتبه عليها المناهج ، ولم تضطرب بها الآراء وتتجاذبها الأهواء . وكلما حزبها أمر لم تتبلد ولم تذهب شعاعاً ؛ بل تعمد إلى عدتها من الآراء القويمة والمذاهب المستقيمة ، فتعرف ما تفعل وما تجتنب ، وما تأخذ وما تدع .

والذى يقيم النفس على طريقة ، ويعرفها منهجها فيما تهم به ، وفيما ينزل بها ، هو العقائد الراسخة ، والقوانين الواضحة ، عقائد الدين ، وقوانين الأخلاق ، وشرائع الأمة كلها . فإذا ثبتت النفسَ العقائد ، وقومتها الآداب ، ووضحت أمامها القوانين ، خضعت أهواؤها للحق ، واتفقت نزعاتها على الخير ، وسارت فى أعمالها على قوانين تطمئن بها ، وتسكن إليها ، وتحرص عليها ، ولم تشتبه عليها السبل ، وتنبهم أمامها الغايات .

وإن لم تمِل النفس إلى عقائد بينـة ، وترجع إلى مذاهب معروفة ، لم تستطع السير على طريقة ، ولا العمل على قانون ، واضطربت فى شدتها ورخائها ، وحربها وسلمها ، وكانت نهباً لنزعات مختلفة ، وآراء متشاكسة ، وتذبذبت بين دواعى الوقت وخطرات الساعة ، واختلف عملها بين الحين والحين ، ولم تثبت فى المحن ، ولم تصبر فى الشدائد ، وكانت عرضة للحيرة كل آن . والحيرة هى تفرق الفكر ، بل تقسم النفس ، ولا يبلى الإنسان فى حياته بشر من الحيرة ، وكثيراً ما أقدمت بالإنسان على الهلاك .

إن نزعات الإنسان كثيرة مختلفة ، نزعات إلى اللذة وإلى الغلبة والسيطرة وإلى إيذاء من يخالفه ، وحسد من يفضُله ، والبغى على من يحسده ، وإلى جمع المال والحرص عليه . وهو يحب ويبغض ، ويسكن وينفر ، ويرضى ويغضب ، وفى كل هذا نزوات ونزعات .

ومواضع هذه النزعات كثيرة لا تحد، تعرض للإنسان كل حين، وفي كل مكان، فهو إن لم يعتصم بالعقائد والمذاهب يمضى على غلوائه إلى أهوائه، ويضطرب فيأخذ الشيء حيناً ويدعه حيناً، وينهج السبيل وقتاً ويحيد عنه وقتاً. شريعته رغبته، وقانونه نزعته وكيف تكون الرغبات المتغيرة والنزعات المتقلبة شريعة أو قانوناً؟ وهذا فرق ما بين الخير والشرير، والمصلح والمفسد.

وإذا حار الإنسان أو سار على هواه، اضطرب في نفسه، واضطرب في جماعته، وصادمت أهواؤه أهواء غيره، فصار أمره في الجماعة نزاعاً وشقاقاً، واختلافاً وافتراقاً.

وهذه النزعات كثيرة كثرة الحسيات المحيطة بالإنسان وهي لا تعد، والجزئيات التي تتعلق بها رغبته وهي لا تحصى؛ فلا بد من عقيدة أو مذهب يرد هذه الكثرة الحسية إلى معنى جامع من معاني الخير أو الشر، فيسير الإنسان على قانون من التحريم والتحليل، والعرف والنكر. فإذا التزم الإنسان العدل والإحسان — مثلا — حسنت له آلاف من الأعمال الجزئية التي يرى فيها معنى العدل أو الإحسان، واستقام على هذه الطريقة لا يتردد في كل حادثة، ولا يتحير في كل جزئية. وإذا كره الجور والإساءة فكذلك يتجنب آلافاً من الأعمال يدرك فيها معنى الجور والإساءة. وهكذا تجمع معاني الخير والشر في نفس الإنسان، هذه الجزئيات التي لا تنتهي، وتردها إلى كليات يشرع بها قوانين يسار عليها.

وإذا انتقلنا من الجزئيات الحسية إلى الكليات المعنوية، فقد انتقلنا من العالم الخارجي إلى النفس، ومن الماديات إلى المعنويات، ومن الجثمانيات إلى الروحيات. يجب أن نزكي النفوس ونزيدها إدراكا للمعاني وكلفاً بها، حتى تسيطر على الحسيات سيطرة كاملة، فتعمل الخير وتجتنب الشر، غير مبالية بآلاف الصور الحسية وآلاف اللذات الجزئية.

ويسمو الإنسان شيئاً فشيئاً إلى إدراك اللذات المعنوية التي لا تحد ولا تنتهي، ولا يقدُرها قدرَها إلا من عرفها وأنس بها، ويتمكن الإنسان في عالم المعاني، حتى يسمو على الحدود، حدود الزمان والمكان والأشخاص، فتتسع حياته، وتعظم همته، ويكلف بكل جليل، وينفر من كل حقير، ويُكبر بالقوانين العامة، ويستصغر المنافع الخاصة.

إذا جمعت النفس الواحدة هذه المعاني أو هذه القوانين، وجمعت الأنفس الكثيرة أي الجماعة أو الأمة هذه المعاني وهذه القوانين، استقام الواحد على طريقه مؤتلفاً مع كل واحد، وسارت الجماعة في طريقها متآلفة متحابة.

وحينئذ يكون سعي الواحد لنفسه وللجماعة كل حين، إذ التأمت منفعته ومنفعتها بهذه القوانين الجامعة المؤلِّفة، وكان صلاحه صلاحها، وفساده في فسادها.

وترقى هذه المعاني في النفوس وتتمكن حتى يجد العامل الخير كل الخير، واللذة كل اللذة، في إعطاء غيره بالعدل، وفي حرمان نفسه بالعدل، وحتى يكره كل الكراهة أن يأخذ ما ليس من حقه، ويأبى كل الإباء أن يستمتع بما يؤذي غيره، بل لا يجد فيها لذة ومتاعاً، ولكن ألماً وندماً.

ثم ترقى هذه المعاني في النفوس وتتمكن، حتى يبلغ الإنسان المرتبة التي سماها بعض الصوفية مرتبة الكلية، وهي المرتبة التي بلغت بأحد المتصوفين أن يقول: «أشعر بأني مأخوذ بذنوب الناس كلهم». كأنه ارتكب كل ما ارتكب الناس من ذنوب، فهو يألم لها ويخاف عاقبتها.

***

والجماعة كالنفس الواحدة تؤلف بينها العقائد وتهديها الشرائع، وتنشئها التربية على العمل بالعقيدة وإطاعة الشريعة، فتجتمع آحادها، وتتعاون أفرادها، فتلقى الحوادث بعقائد تثبتها، وشرائع تقومها، مجتمعة غير متنافرة، متعاونة غير متخاذلة، فتسير إلى غاية معروفة، على سبيل بينة، قوية على السير، متعاونة عليه، محتملة كل مشقة، مقتحمة كل عقبة.

والأمة التي لا تضمر عقيدة صحيحة، ولا تطيع شريعة قويمة، ولا يؤلف بينها نظام جامع، لا يثبتها في اللزبات إيمان ولا خلق، فتلقى الخطوب فزعةً هلعة، متدابرة متنافرة، متجادلة متلاعنة، كثلة من الغنم تفجؤها الذئاب.

فالعقائد والمذاهب والشرائع هي وسائل الوفاق في النفس

الواحدة ، وفى الجماعة ، وعلى قدر قوتها وصحتها تكون قوة الائتلاف وصحته ، وتكون استقامة الواحد والجماعة على العمل الصالح ، والدأب على السير والصبر عليه ، والثبات فى الشدائد حتى تزول ، والتجلد فى الغمرات حتى تنجلى . وفى القرآن الكريم : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم » . «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء » .

وسنبين من بعدُ الأصل الذى ترجع إليه فروع الإيمان الصحيح ، والقاعدة التى تقوم عليها طمأنينة الناس ونجاتهم من الضلال والحيرة إن شاء الله .

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

مستقبل الشعر

للأستاذ يوسف البعيني

أجمع فريق من الحكماء والمصلحين وفى طليعتهم الموسيقى البولونى المشهور أنتون بادربسكى على أن الفنون الجميلة تسير بخطى واسعة نحو الفناء . ومما قاله ذلك العبقرى الموهوب أن تلك الأنغام العميقة التى كانت ترفع الروح إلى الملأ الأعلى توارت أمام الموسيقى الأميركية الحديثة .

لقد صدق هذا الفنان فى تعليله ؛ فإن رجل الفن كان فى الماضى البعيد يغذى عبقريته بجمال الطبيعة . أما الآن فهو لا يعنى بإغناء موهبته وتهذيبها ، إذ طغت موجة المادة وتبدلت أغراض الحياة فاختلفت عما كانت عليه فى سالف الأجيال .

ليس من ينكر أن عصرنا هو عصر الراديو والسيطرة على عناصر الوجود . فالذوق البشرى يتجه اتجاهاً نحو المادة هازئاً بالروح . وقد نجم عن ذلك أن تدني مستوى الموسيقى والشعر وسائر الفنون . وكما أن الآلة لا تفهم الفن ، فهل يفهمه الإنسان المستعبد للآلة ؟

إن فن الرسم ، وهو من أرقى الفنون ، فقد كثيراً من روعته بسبب اختراع آلة التصوير . وقد لاحظ أحد الرسامين أن الفنان فى الماضى كان يعنى عناية خاصة بإعطاء الصورة ملامح الوجه وتقاطيع الجسد — وهذا يظهر جلياً فى رسوم رفائيل وليونارد دى فينشى ولا كروا وسواهم — بينما نرى أكثر مصورى اليوم يهتمون بتصوير خطوط سطحية دون أن يعنوا بإيجاد الفكرة والمقاصد النفسية والخلقية فى الإنسان .

وما يقال عن فن الرسم يقال كذلك عن الموسيقى ، إذ أن الموسيقى الكلاسيكية لا تزال مرجعاً للناس فى هذا العصر . ولم يظهر حتى اليوم من تفوق على بيتهوفن وباخ وموزار وشوبين وبيزيه وفردى — فى زمن نرى فيه من يخترع القنبلة الذرية بدلا من أن يخفف مصائب المجتمع .

***

فإذا كان الرسم والموسيقى قد منيا بالرزيئة الفادحة فهل يتمتع الشعر ، وهو أجلى مظهر من مظاهر الألوهة فى الإنسان ، بتلك المنزلة التى كان يشغلها قديماً ؟

لقد كان للشعر دولة وأعلام فى الغرب ؛ أما اليوم فنرى نظماً لا شعراً ، وقشوراً لا لباباً ، وقتاماً لا نوراً . والسبب الوحيد هو أن الإنسانية أشاحت عن جوهر الجمال إلى مساخر مموهة بالطلاء والمساحيق . ومهد لهذه الحالة ما عصف بالمجتمع من زعازع ، وماروعه من مصائب ، فأفلتت أعنة الشعر من أيدى الشعراء وراح بعضهم يجشم الألفاظ والبحور ما لا طاقة لها به .

كان الشاعر يحمل على جبينه نجمة الإلهام فيتقوى على النوائب ويخوض الظلمات غائصاً إلى الأعماق ، فصرف نفسه عن الهدف المقصود متلهياً بالأوضاع السخيفة تلهى الطفل بالأكر ... وهكذا فقدت الحياة تلك الروعة التى كانت ترفل فى أوشحتها المفافة .

فإذا لم يتحرر الشاعر من مادية هذا العصر ويعمد إلى قيثارته القديمة فإن الشعر سائر إلى الموت .

هذا — وهل يستطيع أن يسمعنا أنغام الحياة بما فيها من خير وشر وقبح وجمال غير الشاعر ؟ وهو لا يؤدى رسالته فى الناس إلا حين يصور لهم أحزانهم وأفراحهم ، ويهديهم إلى مواطن الحق حيث تسود الميول والعاطفة والإحساس .

المثل الأعلى

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

من أهم وسائل النجاح فى الحياة أن يحدد المرء له هدفاً يجعله غاية يسعى إليها ؛ لأن تحديد الغرض يمكّن صاحبه أن يتخذ له من الوسائل ما يضمن تحقيقه والوصول إليه ، أما هؤلاء الذين يسيرون فى حياتهم بلا هدف معين ، فهم كالذين يخبطون فى الصحراء على غير هدى ، قد تقودهم أقدامهم إلى بلد أمين ، وقد يرديهم الجهل والتخبط فيهلكون .

والمثل الأعلى نوع سام من أنواع تحديد الهدف ، لأنه الغاية القصوى التى يراها الإنسان منتهى آماله ، ويعد نفسه سعيداً ناجحاً إذا انتهى به المطاف فى الحياة إليها ؛ فهو للانسان كالنار الهادى ، يجذبه بنوره ولألائه ، ويضىء له مسالك طريقه ويرشده إن انحرف أو ضل ، ويغريه إن يئس أو مل .

وهو يختلف باختلاف الناس ، فما يصلح أن يكون مثلا أعلى للتاجر ، لا يصلح أن يتخيره الصانع ، والزارع والمصلح والكاتب والسياسى ؛ لاختلاف كل فرد منهم فى غاياته ومراميه ، كما تختلف المثل العليا باختلاف عزمات الناس ؛ فما يتخيله صغير الهمة مثلا أعلى لا يرضى به الطموح ، ولا يقنع بالوقوف عنده :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها وتصغر فى عين العظيم العظائم

والغاية التى يسعى إليها المرء لا تسمى مثلا أعلى إلا إذا تحقق فيها شرطان أساسيان : أولهما أن تكون بعيدة المنال ، تحتاج إلى أمد طويل فى تحقيقها ، بل قد تحتاج إلى الحياة كلها . فالآمال التى يمكن أن تنال فى بضعة أعوام لا تدعى مثلا عليا ، فأن تكون مهندساً أو طبيباً أو قاضياً ليس من المثل الأعلى فى شىء ؛ ولكن أن تكون كبير المهندسين أو شيخ الأطباء أو قاضى القضاة هو المثل الأعلى الذى تكرس على نيله الحياة . وثانيهما أن تتطلب فى الوصول إليها جهداً غير عادى ؛ فما يمكن أن تناله من الرق بمرور الزمن وحده لا يعد مثلا أعلى ، أما ما يحتاج منك إلى المشقة ، ويكلفك الجهد ، ويدفعك إلى العناء ، وكثيراً ما يحملك على أن تنهج نهجاً غير مألوف ، وأن تخترق الطريق من غير مواضع بدئه ونهايته فذلك هو المثل الأعلى .

يتخذ المرء مثله الأعلى شخصاً حيا يرقبه من قريب أو من بعيد ، أو شخصاً تاريخياً تبهره عظمته ، أو فكرة نبيلة تملكه ، ويهب حياته لتحقيقها ، فالتاجر مثلا قد يتخذ تاجراً آخر ناجحاً موفقاً مثلا أعلى له فى الحياة ، والحاكم قد يتخذ عمر بن الخطاب أسوة له حسنة ، والمصلح يتخذ فكرة صالحة مثلا أعلى يسعى لتحقيقه .

وإذا اختار الإنسان مثله الأعلى شخصاً حيا أو تاريخياً استطاع أن يدرس سيرته ، فيلمس فيها نواحى القوة والعظمة ، ويدرس المناهج التى اتخذت لتذليل الصعاب وتحطيم العقبات ، والوسائل التى اتبعت لنيل الظفر والفوز بالنجاح ، فتشحذ هذه الدراسة من عزيمة المقتدى ، ويرى فيها الدروس الصادقة الواقعية. غير أن الواجب فى الاقتفاء ألا يلغى المرء شعبيته فيكون ذيلا

وكيف ترتاح النفوس إلى الشاعر إن لم يحمل إليها الأمل والتعزية ، ويوفر لها تلك الحياة الجميلة فى شتى نواحيها ؟

وهذه الحياة التى نريد أن يخلقها الشاعر لا نعثر عليها فى منتجات شعراء العصر بسبب المادة التى استأثرت بشعرهم فأفقدته تلك الحرارة بفقد العوامل التى كانت تثيره وتطلقه شملاً زافرة على آفاق المجتمع . وهكذا اختل نظام الشعر — وما كان الشعر إلا دموع الإنسانية تنحدر قطراتها بلسماً على جراحه .

***

وبعد . فيستطيع الإنسان أن يبنى القصور ، ويحشد الثروات ، ويستعمر الأرض والفضاء … يستطيع أن يفعل كل شىء ، لكنه إذا تغافل عن الشعر فإن حياته تمسى عارية جرداء . والغرب لو لم يخنق عاطفته وشعوره ما كان ليعانى اليوم أكبر أزمة فكرية فى تاريخه .

إن مستقبل الشعر بين الموت والحياة . فعلى الملهمين من أبناء الحياة ، وقد سطروا القيم الخالدة على مدار العصور ، أن يحتضنوا الشعر ويغذوه بجمال الطبيعة ليقوى على مواكبة الأجيال .

يوسف البعيني
من العصبة الأندلسية

لسواه ، لأن إضعاف الشخصية ، ينافى طلاب الكمال والتسامى إلى المجد . والتقليد إنما يحصل فى نوع الفضائل التى تبهر كعدل عمر وصلابته ، ووطنية مصطفى كامل ومثابرته ، وقوة المتنبى وفحولته ؛ أما إذا اتخذ الشاعر شاعراً آخر مثلا له ، وظن أن معنى المثل الأعلى تقليده فى أفكاره ، والسرقة منه فى معانيه ، فإنه يعيش عيلا عليه ، لا يرتفع إلى مستواه ، ولا يمنحه الناس من الإجلال ما يمنحونه لمن يقلده ، فاحتفاظ المرء بشخصيته ، وطبع أعماله بطابع هذه الشخصية شرط أساسى للنجاح ونيل المجد .

كيف نختار لأنفسنا مثلا عليا ؟ ومن أين نأخذها ؟ وكيف ننجح فى الوصول إليها ؟ مسائل ثلاث مهمة ؛ فإن نجاح المرء فى الوصول إلى المثل الأعلى يتوقف إلى حد كبير على اختيار هذا المثل ؛ ولا يكون الاختيار حسناً إلا إذا عرف المرء نفسه ، ودرس اتجاهاته وميوله ، وعرف مقدار ما لديه من قوة الإرادة وصلابة العزم ، ثم بنى اختياره على أساس من هذه الدراسة الدقيقة . والإخفاق إنما يأتى من غرور المرء بقوته ، وظنه أن له من المزايا والصفات ما ليس له ، أو من خطئه فى تعرف ميوله واستعداده ، فيضل الطريق ويتيه ، فإذا كانت استعدادات الإنسان وميوله تتجه مثلا إلى التجارة ، والتصرف فى شئونها ، فليختر مثله الأعلى المجد التجارى ، وليثق بأن النجاح سيكون حليفه . أما إذا اختار أن يكون مثله الأعلى كاتباً يشار إليه بالبنان فهنا يكون الإخفاق ولا يتم الظفر بإحدى الغايتين .

والمثل العليا لها مصادر شتى ، منها كتب التاريخ ، فهى حافلة بالنماذج السامية للانسانية ، يستطيع القارىء أن يتخذ منها ما يتفق مع ميوله وما يراه جديراً بالتأسى والقدوة . فى تلك الكتب يجد الحكام والزعماء والعلماء والمخترعون مثلا تهديهم وتنير لهم السبيل .

ومن تلك المصادر أيضاً كتب السير التى تتخذ موضوعها شخصية ناجحة تدرس حياتها ووسائل نبوغها ، والأسباب التى مهدت لها سبل الفوز والنجاح . وبهذه المناسبة أرى أن التأليف العربى ، يجب أن يعنى بتاريخ العصاميين الذين نجحوا فى حياتهم من التجار والصناع والزراع حتى نضع بين أيدى النشء نماذج لأنواع المثل العليا .

ومن مصادرها المسرحيات التى يكون من أغراضها تصوير السمو الإنسانى لبطل حقيقى أو متخيل ، وكذلك الروايات والقصص التى تعالج هذه الناحية السامية .

ومن تلك المصادر الشعر أيضاً ؛ فقد حفظ لنا صورا لنماذج ممتازة من الناس ، ومثلا راقية من الأخلاق . ومنذ القديم يضع القادة الشعر فى قائمة تربية الناشئين ، وغرس المثل العليا فى نفوسهم . وللشعر أثر كبير فى توجيه النفس نحو الكمال ، والبعد عن الصغار ، وها هو ذا معاوية بن أبى سفيان يتخذ مثله الأعلى بطلا يأبى الفرار من ميدان القتال مهما كان الثمن :

حدث معاوية قال : « اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر أدبكم ، فقد رأيتنى بصفين ، وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض ، وأنا أريد الهرب لشدة البلوى ، فما حملنى على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة :

أبت لى همتى وأبى بلائى ... وأخذى الحمد بالثمن الربيح

وإقحامى على المكروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشيح

وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أو تستريحى

لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمى بعد عن عرض صريح »

وقد صدق أبو تمام حين قال :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى ... بغاة الندى من أين تؤتى المكارم

هذا وفى الحياة أمامنا نماذج صالحة لأن تكون مثلا عليا ؛ فلدينا عصاميون جعلوا وسيلتهم إلى المجد همة ماضية وعزيمة قوية ، وهم شواهد حية على أن المرء يستطيع أن يحقق مطامعه إذا أراد وعمل .

والطريقة الفضلى لتحقيق المثل الأعلى أن نرسم الخطط والوسائل التى تصل بنا إليه ؛ فإننا إذا حددنا المنهاج وضح أمامنا الطريق ، ورسم الخطة يحتاج إلى تفكير عميق ووزن دقيق للأمور واستفادة من تجارب الآخرين . ومن الواجب أن تكون الخطط التى تصل إلى المثل الأعلى متنوعة متعددة ؛ فإذا نال المرء الإخفاق فى واحدة ، لم يكن لليأس سبيل إلى نفسه ، ولم يصطدم بهذا الإخفاق ،

بل يكون قد أعد المدة من قبل لينهج نهجاً آخر يصل إلى الغاية عينها ؛ أما إذا رسم لنفسه خطة واحدة ، ولم يفكر فيما يصنعه إذا أصيب بالإخفاق فيها فإن الصدمة تكون قاسية إذا فشل قد تقضى عليه وتحطمه . والمرء حين يضع الخطط يقدر دائماً أن كل خطة منها عرضة للنجاح والفشل ، لأن ظروف الحياة لا سلطان لأحد عليها حتى يكيفها كما يريد . فليقدر المرء إذاً حين يخطو كل خطوة أنه قد يفوز وقد يخفق، لأن هذا التقدير يحول بينه وبين الصدمة إذا لم تنجح خطوته ، فيعود من جديد ليحاول محاولة جديدة . والذى يصمم على النجاح لابد أن يظفر به ولو كانت الخطوات الأولى فى سبيل أمله فاشلة غير ظافرة :

ومغالب العقبات حتما غالب إلا إذا اطرح الجهاد وقصرا

فأول شرط النصر — كما يقولون — إرادة النصر . والتصميم على الظفر يسهل على المرء بدء المحاولة من جديد إذا أخفق ، كما أنه يحول بينه وبين اليأس الذى هو أعدى أعداء المثل العليا ؛ لأن اليأس رضا بالخيبة واعتراف بالضعف ، ووقوف فى منتصف الطريق ونكوص عن الجهاد . ومن أين لليائس أن يظفر بغايته وقد رضى أن يضع سلاحه ويستريح :

لا تيأسنّ وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

ومن بواعث اليأس فى النفس التفكير فى ماض مخفق ، والحزن على ما أفلت من فرص ، فإن ذلك الحزن يضعف قوة المرء على الجهاد . وإنما يفكر المرء فى الماضى لا ليحزن على ما فات ، ولكن ليتخذ من أغلاطه عظة ودرساً فى قابل الأيام !

إن من يهيىء نفسه لنيل مثل أعلى يجب أن يعلم أن الطريق إليه شاق طويل ملىء بالصعاب والعقبات ، وأن لا سبيل إلى قطعه إلا إذا كان لديه ذخيرة كبيرة من الجلد والمثابرة ، فإن بلوغ الآمال لا يتطلب منا ذكاء نادراً ، ولكنه يتطلب الصبر والمثابرة . سئل بعض المربين عن شروط النجاح فقال: ثلاثة : أولها المثابرة ، وثانيها المثابرة ، وثالثها المثابرة .

كما أن التفاؤل يجب أن يكون رفيق المرء فى هذا الطريق ، لأن التفاؤل يبعث فى النفس سروراً ، والسرور يضاعف قوة المرء على الاحتمال ، وعلى تخطى الصعاب والعقبات ؛ وليس معنى التفاؤل تقدير النجاح فى كل خطوة ، ولكن معناه تقدير النجاح النهائى ، واعتقاد أن الفشل عارض من المستطاع التغلب عليه .

هـذا ، وعلى من يريد المثل العليا أن يحاسب نفسه فى الحين بعد الحين ، ليرى مقدار ما قطع من الطريق ، ومـدى نجاحه فى خطته ؛ ليعدل منهجه إذا احتاج إلى التعديل ، ويستفيد من أخطائه إذا هفا وزل .

ومن ذلك يتبين أن المثل الأعلى ليس أمنية تتمنى ، ولا أملا يرجى ، ثم يقف المرء عند التمنى والرجاء :

فما طلب المعيشة بالتمنى ولكن ألق دلوك فى الدلاء

فهو هدف يجاهد المرء فى سبيله ، ويكرس له حياته واضعاً نصب عينيه قول أبى تمام :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تنال إلا على جسر من التعب

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

فلسفة طاغور الأخلاقية :

حقيقة المـــوت

لا تبعث على التشاؤم

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

إن خوف الهند التقليدى من المرض والشيخوخة والموت خوف قديم قدم حضاراتها الأولى ، إذ كانت الهند منذ أن عرفها التاريخ موطن الأمراض المعدية المهلكة التى تحصد الناس حصداً ، ومرتعاً خصيبا للأوبئة الفتاكة التى كانت تجتاح البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وتنزل بأهلها السقام

فأشاع أنين المرض الفزع فى النفوس ، وعدت الأوبئة من تلك الأحداث الفاجعــة التى تحض على كراهية الحياة ، وتحث على الهرب منها . ولم يكن للشيخ مكانة محترمة فى هيئة إجتماعية مزحومة بالسكان ، لعجزه عن القيام بمطالب الحياة الضرورية ، واعتماده على غيره فى كل شىء . بينما الموت الذى لا يعبر إلا عن نهاية الحياة ، كان أشد الأحداث الإنسانية وقعا فى نفوس الهنود الذين أفقدهم الموت الأمل فى جدوى العيش فى كنف عالم لن يفلت فيه أحد من شر المنية .

ولقد كان لهذه الوقائع الثلاث أثر ملحوظ فى الحياة الهندية الروحية لونها بلون قاتم نشر فيها التشــاؤم ، وبغض الهنود فى الإندماج فى الحياة العامة ، وأصبح مثلهم الأعلى هو تجنب كل مايتعلق بالدنيا من أمور عارضة ، لأنها تجلب الآلام؛ والانغماس فيها لا يثير إلا القلق والخوف والشك . فاستطاب الهنود إعتزال المجتمعات حتى لا يتعرضوا لأى نوع من الأذى يمــلأ قلوبهم بالأسى والشجن .

وما هجر بوذا قصر أبيه الملكى إلا بدافع من الفزع من الموت والشيخوخة والمرض ، وما تخلى عن حياة الترف إلا ليدفع عن نفســه عذاب الدنيا الذى تمثل له فى هذه الأحداث الأليمة التى صبغت تفكيره بصبغة سوداء ، وشكلت وجدانه فى قالب حالك ، فرأى العالم غارقاً فى الآلام ، واعتقد أن الحياة سلسلة لا تنتهى من الأحزان لن يخرج من دائرتها أحد مالم يعتزلها ، ويرضى بعيشة الزهاد .

أما طاغور فلم يجزع من الحياة جزع بوذا ، ولم يطرأ على باله أن ينسحب منها ، ويأوى إلى زاوية نائية يعتزل فيها الناس ، ويعيش فى كهف أو غار عيشة الرهبان ؛ بل رأى أن الخلق انطلق من السرور اللانهائى حينما غمر الخالق هذا السرور ، وأن سعادة الحياة فى عودة الإنسان إلى مصدره الأصلى أى إلى السرور . فالخلق يخرج من السرور بالسرور ويرجع إلى السرور ، والحياة قائمة على السرور تستمد منه نشاطها وتطورها ، بل هو حافزها إلى التقدم والرقى . وإن كانت هذه الآراء أفكارا هندية قديمة ، فإن طاغور أضفى عليها من ضيــاء نفسه ما جعلها تبدو كأنها صادرة منه ، ولم تصدر من أحد قبله ، لأنه أعطاها قيمة أولية ، واتخذ منها مبدأ يزيل به ما يعلق بالنفس الهندية من نزعات تشاؤمية ، حببتها فى حياة سلبية اعتزالية بعيدة عن ميادين الأرض الحيوية ، مما حمل المستشرقين على إتهام العقلية الهندية بأنها تقف من الحياة موقفاً سلبياً ، وتعجز عن الإندماج فيها ، ولا تقدر أن تسلك طرقاً إيجابية فعالة تفيد الإنسان فى عيشته الواقعية أوتقدم ركب الحضارة الإنسانية .

ولــكن ما الذى يفزعنا من المرض والشيخوخة والموت ما دمنا نعلم أننا إنبثقنا من السرور بالسرور ، وأننا يجب أن نسعى لنعود إلى السرور إذا أردنا أن نعيش فى سعادة لا يشوبها ألم .

لا ريب أن تحقيق وحدة الوجود بتلاشى الفرد فى النفس الإنســانية ثم فى محتويات الطبيعة ، هو السبيل المباشر لذلك السرور . لأن فناء الفرد فى النفس الإنسانية يتطلب التمثل بقوانين النفس الأخلاقية عن طريق خوض المجتمعات الإنسانية ، حتى تمتحن أعماله ، وتختبر مشاعره ، ويتأكد من صفاء نيته فى الاتحاد بالله .

فإن جاهد فى سبيل الله ، وعمل على رقى الحياة البشرية ، ولم يبال بما يقابله من صعاب ، ولم ينظر إلى منافعه الخاصة ، فقد سار فى طريق وحــدة الوجود ، وقرب من السرور الإلهى .

وإذا استمر فى السير فى طريق الله ، وعمل على أن يمحى ذاته فى محتويات الطبيعة بالكشف عن القوانين الطبيعية مدركا أنها رسل الله فى الكون ، وآياته البينات التى تشير إلى وجوده فى كل مكان ، فبشره بالفوز بالحياة فى السرور المطلق لأنه أدمج فى ذاته النفس الإنسانية بالطبيعة الكونية وحقق وحدة الوجود .

وهكذا لم يكتف طاغور بإخراج الإنسان من السرور بالسرور ، وإنما اتخذ من السرور نفسه محوراً جوهرياً تدور عليه حياته ، إذ اعتبر القيم الروحية والعمل الخير النافع والعلم البعيد عن الهوى المؤدى إلى الله ، ومسائل تحقق وحدة الوجود التى تبعث السرور . لأن التمسك بالفضائل من غيرية وتضحية وحب للانسانية ، تطهر النفس من المواطف الشريرة والانفعالات القاسية التى تعرض الحياة لمختلف ضروب الآلام النفسية . بينما العمل الخير النافع يقوى الملاقاب بين الأفراد ، ويوثق الروابط بين الدول ، ويحث الجميع على المساهمة فى الشئون الإنسانية ، ويساعد على تنقية الفكر من الاتجاهات التشاؤمية ، وتبرر له ضرورة اندماجه فى الحياة الإجتماعية .

وبذلك يقضى العمل على كل نزعة تحض على الهرب من مشاكل الأرض . ولا يقل شأن العلم في حياة الإنسانية عن شأن القيم الأخلاقية والعمل الخير ، إذ أن معرفة القوانين الطبيعية فضلا عن أنها تبين ملامح الله فى وجه الخليقة ، فإنها تفهمنا كذلك طبيعة الأشياء وكيفية سيرها . وذلك يسهل علينا إصلاح أى خلل يصيبها . فهى تعرفنا قوانين الجسم الإنسانى ، وتعدد أسباب إصابته بالأمراض ، وتبين وسائل مقاومة هذه الأمراض التى أرهبت الهند منذ فجر الحضارة ، وتخفف من حدة آلامها التى دفعت الهند إلى هجرة المجتمعات . وبذلك يزيل العلم خوفنا من المرض وما قد يحدثه فى النفوس من ذعر واضطراب وريبة . . .

فالهندى فى طريقه نحو الله يزداد إيمانه بالقانون الخلق لأنه يجلب السرور ، ويقوى إعتقاده فى أن السماة فى الانغماس فى الحياة اليومية لا فى الهرب منها ؛ ويستفيد من معرفه قوانين الطبيعة فى توضيح أسباب المرض ، وتعرض عليه كيفية علاجها وتعلمه طريقة تجنب آلامها ، فتصون عليه مصائبها ، وتذهب عن نفسه تلك الهواجس التى تفسد حياته وتحصرها فى آلام وهمية ، وأحزان مبالغ فيها .

وتحقيق وحدة الوجود لا يستأصل بذور التشاؤم من النفس ، أو يقضى على مخاوف المرض ، ودائماً يهيء النفس كذلك لأن تبق فى شباب أبدى لا يلحقه الهرم ، ولا تدركه الشيخوخة ، ويحافظ دائماً على حيوية الروح ، حتى لا يسرى العجز إطلاقاً إلى قوتها ، ويحمى النفس من الضعف والوهن : لأن الإنسان فى مثل هذه الحياة الإلهية يعيش فى كنف اللانهاية التى لا تعرف غير نضارة الشباب وقوة الفتوة . فمن بلغ درجة الفناء فى الله ، وغمرته وحدة الوجود لا تتصدع قواه ، ولا تختل طاقاته ، ولا يتخلف عن مهام الحياة الإجتماعية مهما كبر سنه ، لأن روحه ستظل شابة إلى الأبد تحس بقوة دافعة إلى الاضطلاع بأعظم الأعمال بدون أن تنفر من كد الخير أو تتألم من قسوة العمل .

ولذلك لا ينبغى أن يقصر أحد فى تحقيق وحدة الوجود ، فانها تسوقه إلى ذلك السرور الذى بزغ منه ، وتنجيه من آلام المرض ومخاوفه ، ومن هزال الشيخوخة وخذلان القوى . أما الموت الذى يعد المصدر الرئيسى للتشاؤم ، والذى عول عليه كل متشائم فى تعزيز نظرته الداكنة نحو الحياة ، فما هو إلا حدث من تلك الأحداث التى تقابل الإنسان فى طريق الحياة ، وهو لايحول دون تقدمه ، ولا يقف عثرة فى سبيل رقى البشر . كما أن الحياة لاتمطى له من الأهمية بحيث تشغل به فكر الإنسان ، فيغفل عما هى قائمة عليه من سرور ، وما يمكنها أن تبعثه فى نفسه من غبطة وحبور . والذى يشهد على ذلك هو أن الإنسان يلهو ويلعب ويضحك كما يجد ويعمل ويدخر ويأخذ أهبته لذلك اليوم الذى يفاجئه فيه الموت . بل إن سير قادة الروح تدل على أن الموت لايوجد ثغرة فى ميدان الحقيقة التى يسمون إليها ، لأنه لايؤدى إلى فناء الروح الخالدة ، ولا يعوق تلاشيها فى الذات الإلهية ، أو يعطل تحقيق وحدة الوجود ، إذ أن الروح لن تموت أبداً ، مادامت هى والعالم الذى يكمن فيه الله شيئاً واحداً ، وتنم عن صورة من سرور الله الذى أظهر به ذاته فى الكون فالموت ليس له أثر عميق فى الحياة ، ولا يعبر إلا عن حادثة

فردية ، لاتفسر إلا ذاتها فقط ، وإنما تفزع منه عندما تلتفت إلى حادثة من أحداثه ، وتنظر إليها نظرة منفصلة عن الحياة الشاملة التي تضم جميع الأحداث الإنسانية التي من بينها الموت . ومثل من يبالغ في جزعه من الموت في ميدان الحياة ، مثل من ينظر إلى جزء صغير من قطعة قماش كبيرة خلال مجهر ، فتبدو له كالشبكة ، فيرتعد فرقاً من مجرد مشاهدة خروق هذا الجزء المكبر ، بدون أن ينتبه إلى بقية أجزاء قطعة القماش .

ولكي يذهب عن الإنسان ذلك الهلع الذي يثيره الموت في نفسه ، يجب أن يعلم أن هناك وحدة مزدوجة في الحياة تشمل الموت والحياة معاً ، وأن الموت مظهرها السلبي الخادع لأنه موت لايسبب فناء الروح وإن كان رفيقاً لايفارق الحياة ، بل إن الروح العظيمة ترحب بالموت ، وترى الدوام فيه وفي الحياة على حد سواء ، وتقبل أن تضحى بوجودها الدنيوي في سبيل تحقيق وحدة ، وتنظر إلى ظهور الإنسان واختفائه على أنه شيء أشبه بارتفاع الأمواج وانخفاضها على سطح البحر ، بينما الروح باقية أبداً في الموت والحياة مثل بقاء البحر سواء علت أمواجه أم هبطت . ولا تغالى إذا زعمنا أننا نطلب الموت حين نرفضه ، لأن خوفنا منه يحبس الروح في حدود الحياة الأرضية ، ويلزمها أن تعيش على وتيرة واحدة لاتغير فيها ، ولا تسمح بأي تطور يعتريها ، فلا تحس بأي دافع يحفزها لتجميل حدودها شيئاً لانهائياً ، ولا تستطيع أن تتصور أن الحصول على الكمال الروحي قد ينتهي بها إلى موت دائم وحياة دائمة يسيران جنباً إلى جنب في وقت واحد ، لأن بلوغ الكمال لايتم إلا بعد فناء الذات الفردية وبقاء حقيقة وحدة الوجود الإلهية .

وهكذا لايبعث المرض والشيخوخة والموت على التشاؤم ، مادام الإنسان لايجهل حقيقة اتحاد الخليقة بالخالق ، ويعمل على تحقيقها في ذاته ، ويؤمن بخلود الروح في اللانهاية . أما الذين يمعنون في التشاؤم ، ويستشهدون بالموت في تدعيم نظرتهم العابسة نحو الحياة ، لا شك أن تشاؤمهم ليس إلا نزوة فكرية أو انحرافاً عاطفياً ينبذ ما في الحياة من سعادة وخير وحب كما ينبذ المريض الطعام الصحي ، ويعب في شراب التشاؤم الفاسد ، الذي يسمم النفس ؛ نعم مصطنع يوحي إليها بالأفكار الحزينة ، ويبعث فيها العواطف الضالة التي يمكن أن تبدد من الأذهان بمجرد ملاحظة قدرة الحياة على التقدم المستمر ، ونجاحها المتواصل في تحقيق مآربها الحضارية التي تنشد الوصول إلى أقصى درجات الكمال ، لتنعم البشرية بحياة ملائكية في مرور إلهي سرمدي .

وينتهي طاغور من ذلك كله إلى أنه لاينبغي أن نهيم في واد من الهواجس الرعبة ، أو نغرق في خضم من الأوهام السود ، أو نرى الوجود قائماً على العذاب والحزن ، فنهجر الحياة هرباً من آلامها وخوفاً من أشرارها ؛ وإنما يجب أن نخوض المجتمع الإنساني واثقين من أن كل من يجتهد في سبيل وحدته بالله الذي يتجلى في كل شيء في الوجود ، سيتغلب حتماً على مايقابله من أحزان وآلام ، ويقتلع الشر من أساسه ، ولا يجد في المرض والشيخوخة والموت إلا أحداثاً تافهة تمر بكل إنسان ، ولا تؤثر في حياته ، ولا تلهيه عن توجيه عنايته نحو الله ، ليفوز بالاتحاد به ويعيش في السرور الذي صدر عنه .

(كفر الزيات) **عبد العزيز محمد الزكي**

أثر العظماء فى التاريخ

للأستاذ نجم الدين حمودى

إن أثر الأفراد فى تغيير مجرى التاريخ من الموضوعات الطريفة التى جلبت اهتمام المفكرين فى كافة العصور . ولا عجب إذا وجدنا الفلاسفة يولون هذه المشكلة عنايتهم ، فيثيرون الجدل حولها . ومن الجدير بالذكر أن هذا الجدل جعل الفلاسفة ينقسمون إلى فئتين متناقضتين : فئة تقول : « إن التاريخ فى جوهره عبارة عن سير العظماء » ؛ أو بكلمة أوضح : « إن التاريخ من صنع الصفوة الصالحة من الذين يؤلفون زعامة اجتماعية مستمدة من مزاياهم الشخصية[1] » . أما الفئة الثانية فتدعى عكس هؤلاء تماماً ، ولسان حالها يقول : إن العظماء نماذج كاملة للبيئة التى يعيشون فيها .

إن فيمن يعضد نظرية تأثير العظماء فى سير التاريخ وقدرتهم على تغييره الكاتب الانكليزى « توماس كارليل » فى كتابه (الأبطال وعبادة البطولة) فيتحدث عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم و « أوليفر كرومويل » ويجعلهما أمثلة للرجال العظماء الذين غيروا مجرى التاريخ . أما رأى « كارليل » فى نابليون فيختلف كل الاختلاف عن رأيه فى النبى محمد وكرومويل ، إذ أنه يجرده من صفة العظمة . ويشاركه فى هذا الرأى الكاتب الروسى « تولستوى » الذى يحلل شخصية نابليون بقوله : (إنه رجل خلقته الظروف والمصادفات التى تحكمت فى انتصاراته أول الأمر ثم عادت فسببت خذلانه وانحداره) .

ومن أبرز المؤرخين المعاصرين فى إنكلترا الذين شرحوا نظرية العظماء وأثرهم فى التاريخ السر « شارل أومان » أستاذ التاريخ فى جامعة أكسفورد الذى يعارض نظرية التطور التى فحواها : إن التاريخ سلسلة من الحوادث التدريجية الاعتيادية . وبهذا تتغافل هذه النظرية عن أثر العظماء وقدرتهم فى تغيير التاريخ فتجعل من أعمالهم صورة للأمور التدريجيه الاعتيادية المحتمة الوقوع .

(١) على أدهم (المذاهب السياسية المعاصرة) مصر ١٩٤٥ .

إن السر « أومان » من مؤيدى نظرية العظماء ، ويدعم رأيه بأمثلة لأشخاص غيروا مجرى التاريخ دون أن يكونوا ممثلين لبيئتهم التى عاشوا فيها . وأول مثل يستشهد به هو النبى محمد (صلعم) فيقول : (لقد أخفقت فى محاولاتى الكثيرة لا يجاد مؤرخ واحد يستطيع البرهنة على أن النبى محمد (صلعم) كان وليد الحالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى كانت تسود الجزيرة العربية فى القرن السابع بعد الميلاد . ولم أجد بين المؤرخين أيضاً من يقدر أن يقول : لو لم يبعث النبى محمد (صلعم) لكان من الطبيعى أن يستعاض عنه بشخص يقوم بنفس المهام التى اضطلع بها . ويستمر السر « أومان » فى بحثه عن النبى محمد (صلعم) فيقول : (منذ القرن الثانى للميلاد حتى أواخر القرن التاسع عشر وجد عدد من الأنبياء أو الذين حاولوا التشبه بهم كظهور المهدى فى السودان ، إلا أن جميع هؤلاء لم يقوموا بأعمال خارقة كالتى قام بها النبى محمد الذى جعل أبناء الصحراء أمة تمكنت من المحافظة على المدنية وتقدمها فى نصف أرجاء المعمور .

يبلغ اعتداد السر « أومان » بنظريته الذروة عندما يستشهد بسيرة وليم الفاتح فيقول : (لقد لعبت بريطانيا العظمى خلال القرون الماضية دوراً مهماً فى تاريخ ومقدرات العالم . وإنى أؤكد جازماً أنه لولا مجىء وليم الفاتح لما تيسر لبريطانية أن تلعب هذا الدور فى الأوضاع العالمية ، وأن تاريخ بريطانية كان من المحتمل أن يكون شبيهاً بتاريخ الدول الاسكندينافية ، أى معزولاً عن السياسة الأوربية العامة لولا وليم الفاتح وانتصاره فى موقعة (هيستنكز) عام ١٠٦٦ . ولا غرو إذا قلنا إنه لو كُتب لوليم الفاتح أن يندحر عوضاً عن (هارولد كود وينسون) فى موقعة جسر (سنلاك) لبقيت بريطانية محافظة على عزلتها ولازمت عدم التدخل فى القارة الأوربية .

ونستعرض الآن رأى كاتب آخر يفوق السر « أومان » فى أعمق تفكيره وبحثه الفلسفى المركز ؛ وهذا الكاتب هو (جيكوب برخاروت) أستاذ التاريخ بجامعة « بيزل » فى سويسرة بين عام ١٨٦٥ ، ١٨٨٥ . يبتدئ (برخاروت) بالقاء نظرة عامة على مفهوم كلمة العظمة والغموض الذى يكتنف ماهيتها لعدم وقوعها ضمن الأشياء المادية التى يمكن وزنها وقياسها ،

فلا هى هبة حتى يعرف مصدرها ، ولا هى منحة حتى يشار إلى مانحها ؛ وعلى هذا الأساس فإن الحكم على عظامة الأشخاص حكماً عادلاً أمر من الصعوبة بمكان عظيم .

ويعتقد (برخاروت) أن من أهم الصفات اللازمة للعظمة أنها وحدة فريدة غير ممكنة التعويض . ولهذا فالرجل العظيم هو ذلك الشخص الذى لولا وجوده لما تم تنفيذ جزء مهم من الأعمال الخطيرة فى تلك الحقبة من الزمن والمكان اللذين عاش فيهما . ويتعرض (برخاروت) إلى المثل السائر « ليس هناك فرد لا يمكن تعويضه فيقول : (نعم إن هذا المثل يصدق فى أكثر الحالات وأعمها ، إلا أن أولئك الافراد الذين لا يمكن تعويضهم هم العظماء ، ويكونون عادة أقلاء وسيبقون كذلك أو ربما يقلون .

ولا شك أن التقدم الذى بلغته الإنسانية فى المضمار الحضارى من علوم وفنون وآداب أصبح ممكناً بفضل جهود نفر من العظماء الذين سخروا مواهبهم فى سبيل تحقيق هذا التقدم . وإن من يدرس آراء (برخاروت) بصورة دقيقة يلاحظ أنه يميل إلى أن العظمة تتمثل فى الفلاسفة والفنانين فقط ، فيقول فى سياق بحثه : إننى لا أعد المخترعين والمكتشفين من العظماء لأن ما ينتجونه يمكن الوصول إليه فى يوم من الأيام ، أما الفلاسفة والفنانون فلا يمكن أن يستعاض عنهم بصورة مطلقة . فلو صادف أن مات رفائيل قبل نضوجه الفنى لما خرج في العالم شخص مثله يتمكن من رسم لوحته الخالدة « تجلى المسيح » . ومن البديهى أن يكون تصوير العاطفة والخيال ، وتجسيد الوحى والالهام فى هيئة جيلة ، وإظهارها بشكل آية فنية رائعة تكشف النقاب عن مواطن الجمال ، ليس بالأمر الهين ؛ لأن إعادة خلق الأفكار وتجسيدها فى مظهر فنى لا يقدر أن يقوم به إلا خالق الفكرة نفسه.

خاتمة :

أعتقد أن الآراء التى بينتها حتى الآن تكفى لإعطاء فكرة عامة عن النظرية التى تقول : (أن التاريخ سلسلة من سير العظماء) أما النظرية المعاكسة التى من أبرز زعمائها « سبنسر » فتقول إن الإنسان خاضع لمحيطه ويتطور بتطوره . وإذا ما تعارضت ميول الفرد مع سير الحوادث تبددت وزالت ولا يبقى إلا آثار التطورات الاجتماعية المحتمة الوقوع . ويدعى أصحاب هذه النظرية — نظرية التطور — أن الأعمال العظيمة التى استطاع أبطال التاريخ أن يقوموا بها لم تتيسر لهم إلا عندما اتجهت إرادتهم وميولهم نحو تحقيق الرغبات التى كانت ضرورية لتطور المجتمع . لذلك فإن التطور المادى هو أساس كل شىء فى التاريخ ، وكل الحوادث التاريخية بما فيها سير الأبطال تتمشى وسنة الطبيعة بدون استثناء .

وبعد أن استعرضت بصورة مجملة آراء كل من أصحاب النظريتين أود أن أذكر بأن كلا الفريقين على الرغم من الحقائق التى بينوها كانوا مغالين فى نظرياتهم ، والمثل على ذلك ما ذكره السر « أومان » عن النبى محمد (صلعم) ، فمع أنه عظيم حقاً إلا أن ذلك يجب أن لا يحجب عنا حقيقة واقعة وهى لو لم تكن الظروف مهيئة لقبول دعوته ، ولو لم تكن هناك عوامل كثيرة ساعدت على نشر رسالته لما كان له هذا التأثير على مجرى التاريخ . والكلام نفسه يقال عن وليم الفاتح ، إذ أن إيجاده لنواة بريطانيا كان فى طريق التحقيق قبل ظهوره .

أما جهة نظرية التطور فليس من المعقول أن تفسر جميع حوادث التاريخ بتفسيرات مادية صرفة ونهمل أثر الشخصيات الفذة التى أثرت فى سيره . ولهذا فالنظريتان إذ فرقنا كلا منهما على حدة تفشلان فى تفسير الحوادث التاريخية وأثر العظماء فيها ؛ ولكن إذا جمعناهما معاً وشكلنا نظرية ثالثة تجعل العظماء يؤثرون على الظروف ويكيفونها بحسب أهوائهم ، وفى الوقت نفسه تجعل الظروف تؤثر على العظماء وتتحكم فى مصير أعمالهم نكون قد قربنا كثيراً من الحقيقة .

نجم الدين حمودى
سكرتير مجلة سومر — بغداد

حرارة الصيف

بين العلم والأدب

للأستاذ ضياء الدخيلي

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

ومن ظريف ما ينقل عن تدابير القدماء فى اتقاء قسوة الحر ما نقله ابن أبى أصيبعة فى كتابه عيون الأنباء فى طبقات الأطباء فى ترجمة الطبيب بختيشوع بن جبرئيل ، وقد قال عنه الدكتور أمين أسعد خير الله فى كتابه عن (الطب العربى) إنه كان مقرباً من الخليفة المتوكل وكان غنياً وأنيقاً يشابه الخلفاء من حيث اللبس والحاشية والمعيشة . ومن الطريف أنه كان أول من استعمل طريقة تكييف الهواء والحرارة كما حدث عنه أبو محمد بدر . قال ابن أبى أصيبعة (حدث) أبو محمد بدر بن أبى الأصبع الكاتب قال حدثنى جدى قال دخلت إلى بختيشوع فى يوم شديد الحر وهو جالس فى مجلس مخيش بعدة طاقات من الخيش وفى وسطها قبة عليها جلال من قصب مظهر [١] بدبيقى قد صبغ بماء الورد والكافور والصندل وعليه جبة يمانى سعيدى مثقلة ومطرف [٢] قد التحف به ، فعجبت من زيه ، فحين حصلت معه فى القبة نالنى من البرد أمر عظيم ، فضحك وأمر لى بجبة ومطرف وقال يا غلام اكشف جوانب القبة ، فكشفت فإذا أبواب مفتوحة من جوانب الإيوان إلى مواضع مكبوسة بالثلج وغلمان يروحون [٣] ذلك الثلج فيخرج منه البرد الذى لحقنى ، ثم دعا بطعامه ، فأتى بمائدة فى غاية الحسن عليها كل شىء ظريف ، ثم أتى بفراريج مشوية فى نهاية الحمرة ، وجاء الطباخ فنفضها كلها فانتفضت ، وقال هذه فراريج تعلف اللوز و (البزر قطونا) وتسق ماء الرمان .

(١) جلال جمع جلة وهى فى المنجد قفة كبيرة ، ظهر الثوب جعل له ظهارة وهى فى الثوب ضد البطانة قال الفيروزبادى فى القاموس وديق كامير بلدة بمصر منها الثياب الديقية .

(٢) المطرف رداء من خز ذو أعلام ، والجبة ثوب واسع يلبس فوق الثياب .

(٣) روح عليه بالمروحه حرك يده بها يستجلب الريح .

ولما كان فى صلب الشتاء دخلت عليه يوماً والبرد شديد وعليه محشوة وكساء وهو جالس فى طارمة فى الدار على بستان فى غاية الحسن وعليها سمور [١] قد ظهرت به وفوقه جلال [٢] حرير مصبغ ولبود [٣] مغربية وأنطاع أدم [٤] يمانية ، وبين يديه كانون [٥] فضة مذهب مخرّق وخادم يوقد العود المندى وعليه غلالة قصب [٦] فى نهاية الرفعة ؛ فلما حصلت معه فى الطارمة وجدت من الحر أمراً عظيما ، فضحك وأمر لى بغلالة قصب وتقدم بكشف جوانب الطارمة فإذا مواضع لها شبابيك خشب بعد شبابيك حديد ، وكوانين فيها فحم الغضا ، وغلمان ينفخون ذلك الفحم بالزقاق كما تكون للحدادين؛ ثم دعا بطعامه فأحضروا ما جرت به العادة فى السرو [٧] والنظافة فأحضرت فراريج بيض شديدة البياض فبشمتها [٨] وخفت أن تكون غير نضيجة ، ووافى الطباخ فنفضها فانتفضت ، فسألته عنها فقال هذه تعلف الجوز المقشر وتسق اللبن الحليب . وكان بختيشوع ابن جبرائيل يهدى البخور فى درج [٩] ومعه درج آخر فيه فحم يتخذ له من قضبان الأترج [١٠] والصفصاف وشنس الكرم المرشوش عليه عند إحراقه ماء الورد المخلوط بالمسك والكافور وماء الخلاف والشراب العتيق ، ويقول أنا أكره أن أهدى بخوراً بغير فحم فيفسده فحم العامة ، ويقال هذا عمل بختيشوع .

(وحدث) أبو محمد بدر بن أبى الأصبع من أبيه عن أبى عبدالله محمد بن الجراح عن أبيه أن المتوكل قال يوماً لبختيشوع : ادعنى؛ فقال السمع والطاعة . فقال أريد أن يكون ذلك غداً . قال نعم وكرامة ؛ وكان الوقت صائفاً وحره شديداً ، فقال بختيشوع لأسبابه

(١) السمور حيوان برى يشبه ابن عرس وأكبر منه ، لونه أحمر مائل الى السواد يتخذ من جلده فراء ثمينة وربما أطلق السمور على جلده .

(٢) والجل من المتاع البسط والأكسية ونحوها جمعه جلال .

(٣) اللبد كل شعر أو صوف متلبد . البساط من صوف ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج جمعه لبود .

(٤) النطع بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم علية بالعذاب أو بقطع الرأس ، والأديم الجلد المدبوغ جمعه أدم .

(٥) الكانون الموقد .

(٦) الغلالة شعار يلبس تحت الثوب ، والشعار ما تحت الدثار من اللباس وهو مايلى شعر الجسد ، والقصب ثياب ناعمة من كتان، الواحد قصي .

(٧) السرو السخاء فى المروءة .

(٨) تبشم فلان بالأمر ضاق به ذرعاً .

(٩) الدرج سفيط صغير تدخر المرأة فيه طيبها وأدواتها .

(١٠) الأترج من جنس الليمون ويقال له أيضاً الترنج .

وأصحابه: أمرنا كله مستقيم إلا الخيش فإنه ليس لنا منه ما يكفى. فأحضر وكلاءه وأمرهم بابتياع كل ما يوجد من الخيش بسر من رأى، ففعلوا ذلك وأحضروا كل من وجدوه من النجارين والصناع فقطع لداره كلها صحونها وحجرها ومجالسها وبيوتها ومستراحاتها خيشاً حتى لا يجتاز الخليفة فى موضع غير مخيش، وإنه فكر فى روائحه التى لا تزول إلا بعد استعماله مدة فأمر بابتياع كل ما يقدر عليه بسر من رأى من البطيخ، وأحضر أكثر حشمه وغلمانه وأجلسهم يدلكون الخيش بذلك البطيخ ليلتهم كلها، وأصبح وقد انقطعت روائحه، فتقدم إلى فراشيه وعلقوا جميعه فى المواضع المذكورة. فلما وافاه المتوكل رأى كثرة الخيش وجدّته، فقال أى شىء ذهب برائحته؟ فأعاد عليه حديث البطيخ فعجب من ذلك. واستشرف المتوكل على الطعام فاستعظمه جداً. وأراد النوم فقال لبختيشوع أريد أن تنومنى فى موضع مضىء لا ذباب فيه، وظن أنه يتعنته بذلك. وقد كان بختيشوع تقدم بأن تجعل أجاجين السيلان [1] فى سطوح الدار ليجتمع الذباب عليه فلم يقرب أسافل الدور ذبابة واحدة. ثم أدخل المتوكل إلى بيت مربع كبير سقفه كله بكواء [2] فيها جامات يضىء البيت منها وهو مخيش مظهر بعد الخيش بالدبيقى المصبوغ بماء الورد والصندل والكافور. فلما اضطجع للنوم أقبل يشم روائح فى نهاية الطيب لا يدرى ما هى لأنه لم ير فى البيت شيئاً من الروائح والفواكه والأنوار، ولا خلف الخيش لا طاقات ولا موضع يجعل فيه شىء من ذلك. فتعجب وأمر الفتح بن خاقان أن يتتبع حال تلك الروائح حتى يعرف صورتها، فخرج يطوف فوجد حول البيت من خارجه ومن سائر نواحيه وجوانبه أبواباً صغاراً لطافاً كالطاقات [3] محشوة بصنوف الرياحين والفواكه واللخالخ [4] والمشام التى فيها اللفاح والبطيخ المستخرج ما فيهما المحشوة بالخام والحاحم [5] اليمانى المعمول بماء الورد والخلوق [6] والكافور والشراب العتيق والزعفران الشعر. ورأى الفتح غلماناً قد وكلوا بتلك الطاقات مع كل غلام مجمرة فيها ند يسجره ويبخر به، والبيت من داخله إزار فى إسفيداج مخرم خروماً صغاراً لا تبين يخرج منها تلك الروائح الطيبة العجيبة إلى البيت. فلما عاد الفتح وشرح للمتوكل صورة ما شاهده كثر تعجبه منه وحسد بختيشوع على ما رآه من نعمته وكمال مروءته، وانصرف من داره قبل أن يستتم يومه، وادعى شيئاً وجده من التباث بدنه وحقد عليه ذلك، فنكبه بعد أيام يسيرة، وأخذ من بختيشوع مالا كثيراً لا يقدّر (نقل ذلك ابن أبى أصيبعة فى عيون الأنباء ج ١ ص ١٤١) والخبر صورة من ترف بغداد وسر من رأى فى عهد العباسيين؛ ولكن ليس معنى هذا أن كل الشعب كان يعيش فى مثل ذلك الرفاه والسعادة.

وقبل أن نفرغ من حديث الخيش ننقل لك من معجم الأدباء القصة التالية وفى أبياتها تعرف أن المسلمين فى ذلك العهد كانوا يضربون الأمثال ببرودة قبة الخيش لأنها لمهدهم عنوان البرودة. وقد استعار بعض الشعراء برودتها المائية للبرودة المعنوية فى الألفاظ والتراكيب الشعرية. قال ياقوت الحموى فى أخبار عوف بن محلم الخزاعى المتوفى سنة ٢٢٠ هـ إنه كان صاحب أخبار ونوادر وله معرفة بأيام الناس، وكان طاهر بن الحسين قد اختصه لمنادمته واختاره لمسامرته، ومن بعده قربه عبد الله بن طاهر من نفسه، وأنزله منزلته من أبيه. قال: وكان قد ورد على عبد الله بن طاهر شاعر يقال له (روح) وعرض على عوف شعره فمنعه من إنشاده عبد الله وقال: إن عبد الله رجل عالم فاضل لا ينفق عليه من الشعر إلا أحسنه. فقال له: قد حسدتنى، وتوصل حتى أنشده عبد الله فاسترذله واستبرده ورده، فبلغ ذلك عوفاً فقال:

أنشد فى (روح) مديحاً له ... فقلت شعراً قال لى فيش

(فيش: من فاش الرجل فيشاً: افتخر وتكبر ورأى ما ليس عنده. وفايشه فاخره، وفايش الرجل أكثر الوعيد فى القتال ثم لم يفعل).

فصرت لما أن بدا منشداً ... كأننى فى قبة (الخيش)

وقلت زدنى وتفهمته ... والثلج فى الصيف من العيش

ولقد كان عوف هذا من أدباء القرن الثالث الهجرى.

***

ولقد صبر العربى على قسوة محيطه ولم يتضجر من عنف الحياة

---

(١) الأجانة إناء تغسل فيه الثياب والسيلان عصير التمر.

(٢) الكواء جمع كوة هى الخرق فى الحائط.

(٣) الطاقات جمع طاق وهو ما عطف فى الأبنية أى كالقوس من قنطرة ونافذة وما أشبه ذلك.

(٤) لخه بالطيب طلاه به.

(٥) قال الفيروزبادى فى القاموس الحاحم الحبق البستانى العريض الورق ويسمى الحبق النبطى جيد للزكام مفتح لسدد الدماغ مقو للقلب.

(٦) الخلوق ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران.

فيه بل خلق من سيئاته حسنات ؛ فكان صبره على شظف العيش فى بلاده مصداق قول الدكتور أحمد أمين فى كتابه (الأخلاق) فى بحث الوطنية . « على أن حب الوطنية يكاد يكون طبيعياً فى كل إنسان حتى لنرى بعض الحيوانات تحن إلى أوطانها كما تحن الطيور إلى أوكارها . ولقد ينشأ البدوى فى بلد جدب ومكان قفر وهو مع ذلك يسعد بوطنه ويقنع به ويفضله على كل مصر » .

قال الجاحظ : « وترى الحضرى يولد بأرض وباء وموتان وقلة خصب ؛ فإذا وقع ببلاد أريف من بلاده ، وجناب أخصب من جنابه ، واستفاد غنى ، حن إلى وطنه ومستقره . وخير مثال لقول الجاحظ قصيدة مالك بن الريب يحن إلى بادية العرب وهو فى جنان إيران ، وكان قد ذهب إليها مع الجيوش العربية التى سارت لفتحها فنها :

ألا ليت شـــعرى هل أبيتن ليلة
بوادى الغضا أزجى القلوب النواجيا

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه وليت الغضا ماشى الركاب لياليا
لقد كان فى أهل الغضا لودنا الغضا مزار ولكن الغضا ما دنا ليا

وهذا هو السر فى أنك ترى البلد تفشى فيه أنواع الحميات ، أو يكون مثاراً للبراكين من حين إلى حين أو عرضة لطغيان الماء أو عصف الرياح ثم لا يبرحه أهله ولا يبدلون به بلداً سواه . قيل لأعرابى كيف تصنع فى البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شىء ظله ؟ قال وهل العيش إلا ذاك ؟ يمشى أحدنا ميلا فيرفض عرقاً ثم ينصب عصاه ويلقى عليها كساءه ويجلس فى فيئه يكتال الريح فكأنه فى إيوان كسرى !

لقد أطلنا الحديث عما قاله الأدب عن حرارة الصيف فلننهض العلم ليقف على المسرح ويحدثنا عن أثر حرارة الصيف فى الجسم فنجمع بين الحسنيين . وما أجمل العاطفة والعقل إذا اجتمعا فى صعيد واحد ! وإن الأدب والعلم زوجان ينتج من اقترانهما تمام المعرفة .

قال البروفسور (بويد) صاحب المؤلفات الغزيرة الفائدة فى علم الباثولوجى وهو العلم الباحث من كيفية تهدم الجسم بالأمراض : إن ضربة الحر فى أساسها شلل فى الجهاز المنظم للحرارة ويسببه التعرض لحرارة شديدة . وإن درجة الحرارة التى توجب الإصابة بضربة الحر تتوقف على الرطوبة وتختلف باختلاف الأشخاص ؛ وإن تخليص الجسد من الحرارة الفائضة يتم بفعل قابلية الجلد للتعرق ؛ إذ أن الرشيح العرق يتبخر فيجذب الحرارة من الجلد الذى يتبخر منه فينتعش الإنسان . غير أن بعض الناس يقل عرقهم ، وإن درجة حرارة الجسم الطبيعية هى حوالى ٩٨٫٥ فهرنهايت؛ فإذا تشبع الجو ببخار الماء لحد الإشباع وارتفعت حرارته إلى التسعين فهرنهايت سبب ذلك أن ترتفع حرارة الجسم ارتفاعاً جامحاً لا ينضبط ولا يسيطر عليه جهاز تنظيم الحرارة فيه ؛ وعندما تتجاوز حرارة الجو حرارة جسم الإنسان تتوقف عملية تخليص البدن من حرارته الفائضة الداخلية — بواسطة الإشعاع ؛ إذ أن تشع الحرارة إذا كان المحيط أزيد حرارة فيغدو عند ذاك — التعرق لتبريد الجسم بواسطته هو المعول الوحيد لإضاعة الحرارة المتراكمة فيه .

وقد يفرق الأطباء بين الإعياء وانهيار القوى المسببين بالحرارة الخارجيـة — وبين ضربة الحرارة . ولكن البرفسور (بويد) يرى من الصعب التفريق بينهما إذ هما مرحلتان لمرض واحد . ففى الانهيار المسبب عن الحرارة الخارجية يحصل إجهاد عنيف لما كنة تنظيم الحرارة فى الجسم فيهجم عليه الضعف والاصفرار والذهول وهبوط ضغط الدم ، وإذ ذاك قد ترتفع دجة حرارته ؛ ولكنها قد تكون أقل من الطبيعى .

أما فى ضربة الحرارة فإن جهاز تنظيم الحرارة يصبح مغلوباً على أمره فترتفع حرارة الجسم عشر درجات فهرنهايت أزيد من الطبيعى أو أكثر . وقد سجلت وقمة بلغت فيها حرارة الجسم الداخلى المريض (١١٧) فهرنهايت ، والطبيعية كما قدمنا هى (٩٨٫٥) فهرنهايت . وليكن معلوماً أن حرارة الجسم الداخلية الحقيقية التى تمثلهـا حرارة الشرج قد تكون أعلى بكثير من حرارة الفم وتحت الإبط . وهذه المواضع اعتاد الأطباء أن يضعوا فيها مقياس الحرارة .

وإن ضربة الحرارة قد تسبب بالتعرض المباشر للشمس الحالة المعروفة بضربة الشمس . ولا علاقة لأشـــعة الشمس الفوق البنفسجية بإحداث الضربة الشمسية ؛ إذ أن نفس الأثر المرضى يمكن إحداثه بالتعرض لأية حرارة زائدة وبخاصة إذا اجتمع إليها زيادة فى الرطوبة النسبية ، وأن الأشخاص الذين يعملون فى غرف المكائن الحارة والحدادين الذين يشتغلون بالقرب من الحرارة العالية يصابون بنفس الطريقة ، وإن حالة الشخص الفيزيائية تسبب بعض الاختلاف ، وإن المرضى المعرضين لعملية جراحية

خطيرة خلال فترة تمر فيها موجة حرارية على البلاد — قد يموتون بالضربة الحرارية. وقد أجريت تجارب مهمة على الحيوانات بتعريضها لضربات حرارية . وقد لوحظ أثر تغيرات الدم الكيماوية مما يطول شرحه . وقد يموت المريض من ضربة الحرارة بمباغتة مرعبة ، وقد يسقط فاقداً شعوره وهى الحالة المعروفة بداء السكتة الحرارية . وهذه الحالة شائعة الوقوع فى الجنود الذين يجبرون على المسيرة المتعبة فى المناطق الاستوائية ،وحتى فى الحالات الأقل مفاجأة قد يصبح المريض بسرعة فاقداً شعوره .

وفى الإعياء المسبب بالحرارة قد تجد الجلد رطباً ، ولكن فى ضربة الحرارة من المعتاد أن تجده جافاً ومحرقاً بحرارته الشديدة ، ويظهر عجز المريض عن التعرق . وقد ينتابه تهيج شديد حتى قد يبتلى بجنون حاد . وقد تصعد درجة الحرارة درجات عليا ، ولكن ليس ذلك فى كل وقعة . وفى الأدوار الأخيرة تصبح الحرارة أقل من الطبيعية . وإذا استعاد المريض صحته وعوفى فقد يصاب بعطل عصبى أو عقلى دائمين .

ويقول (كرين) فى كتابه Manual of Patbology أن تعريض كل الجسم لحرارة عالية خارجية خاصة إذا اجتمع إلى ذلك رطوبة الجو — ربما يؤدى إلى الإصابة بالضربة الحرارية وهو الأمر المشاهد فى وقادى الآلات البخارية العاملين فى غرف المكائن فى البواخر الماخرة فى المناطق الاستوائية . وفى فرق الجنود فى مسيراتها فى الأجواء الشديدة الحرارة أو إذا عسكرت فى تلك المناطق . ويحدث ذلك بصورة طفيفة فى السكان المدنيين الذين يقومون بأشغال ومساعى اعتيادية ، ولكن فى جو رطب شديد الحرارة. وإن من العوامل المهيئة للاصابة بضربة الحرارة العمل الشاق والإفراط فى السكر والملابس الغير الصالحة. فى الحالات الشديدة يحصل تدهور وانحطاط فجائيان فى القوى وتضييع للشعور مع هذيان وتشنجات عضلية ، وأخيراً إغماء . وقد ترتفع حرارة الجسم إلى درجات عالية فقد تبلغ (١٠٨) أو (١١٠) وهى نهايته ويقال أن المريض مصاب بحمى فوق المعتادة .

وفى الدرجات الأقل عنفاً قد يحصل انتهاك فى القوى وعسر فى النفس وازرقاق اختناق ، بينما نجد فى الحالات الطفيفة — تعباً وصداعاً وحمى خفيفة ، وإذا شرح جسم الميت بالإصابة الحرارية لايوجد تغيرات مرضية ثابتة ما عدا الاحتقان الشديد فى الأعضاء الداخلية والأحشاء . وقد يرى تورم بالمائعات فى الدماغ وزيادة فى السائل الذى تحت الطبقة العنكبوتية فى أغشية الدماغ ، ويرى فى حجيرات الدماغ التغيرات الخاصة المشاهدة فى الحمى العالية .

وإن تعريض الرأس والعلياء لأشعة الشمس المباشرة فى المناطق الاستوائية — قد قيل أنه يسبب مرضاً شديداً قد يكون مهلكا يسمى بضربة الشمس .

والظاهر أن الإصابة تسببها الأمواج الحرارية ؛ أما الأشعة الفوق البنفسجية فلم ينهض دليل علمى على تركها أثراً ضاراً فى المجموعة العصبية إذا جردناها من أمواج الحرارة التى تصحبها . وفى غالب الظن أنه لا يوجد مرض مستقل منفرد متميز من ضربة الحرارة يصح أن نطلق عليه اسماً خاصاً هو (ضربة الشمس)

أما سير الحوادث فيظهر كما يلى : إن الحرارة الخارجية عند ما تتجاوز حرارة البدن فإن إنعاشه بالتعرق الذى يبرده عند ما يتبخر العرق — يكون العامل الوحيد والواسطة الفعالة لتنظيم درجة الحرارة . فإذا انهار هذا الجهاز وأصابه العجز فإن الحرارة سترتفع وتسبب الحمى العالية مع نتائجها المتلفة المسببة للهلاك .

ولا فرق فى إحداث ضربة الحرارة بين أن تكون ناتجة من سير الإنسان فى الشمس أو عمله فى غرفة وقاد السفينة أو فى غرفة شديدة الحرارة رديئة التهوية (تعددت الأسباب والمرض واحد) وبعد مدة ما من التعرض للحرارة نصل إلى حالة العجز من التخلص من الحرارة الداخلية الزائدة فيصاب بالعطل والعجز جهاز التعرق ويعترى القلب الوهن ويقع ارتفاع لا بد منه فى درجة الحرارة الجسمية . أما أثر القبعة الصيفية والمظلة وأشباههما فهو مجرد تقليل ما يأخذه الجسم من الحرارة الخارجية ؛ أما تناول الثلج والماء المثلج ورش الماء البارد على الجسم والمراوح — فكل هذه وسائط لزيادة تضييع الحرارة من الجسم وتخليصه منها .

وبينما تجد عجز البدن عن التعرق يؤدى إلى ضربة الحرارة فإن التعرق الزائد الغزير يسبب فى عضلات الأطراف والبطن تشنجها واعتقالها الوقتيين ، وهذا لا علاقة له بجهاز تنظيم الحرارة لكنه بسبب إضاعة ملح الكلوريد من الجسم بواسطة الرشيح العرق مما يؤدى إلى اختلال فى توازن الصوديوم والبوتاسيوم فى البدن، ومن الممكن مداواة تلك التشنجات بسهولة بشرب ماء مالح بدلا من الماء العذب حتى يعوض الجسم ما فقده من ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) بالرشيح العرق الزائد .

(بغداد) **ضياء الدخيلي**

الطبيب المتمرن فى المستشفى التعليمى (سابقاً)

رثاء الجارم

للأستاذ محمود غنيم

« ألقيت فى حفلة التأبين التى أقامتها جماعة دار العلوم للمغفور له على الجارم بك »

عرش ينوح أسى على سلطانه   قد غاب كسرى الشعر عن إيوانه
طوت المنون من الفصاحة دولة   ما شادها هارون فى بغدانه
فى ذمة الفن المقدس عازف   لقى الحمام على صدى ألحانه
لما تهامست الصفوف بنعيه   كاد الفؤاد يكف عن خفقانه
ساءلت حين قضى علىّ فجاءة :   هل حل يوم الحشر قبل أوانه ؟

سقط المؤبن وهو يسمع شعره   من ذا يؤبنه بمثل بيانه ؟ !
وصف الزمان لنا وجاد بنفسه   لتكون برهاناً على حدثانه
قال احذروا غدر الحمام معززاً   بحياته ما قاله بلسانه
لا تعجبوا من موته فى حفله   إن الشجاع يموت فى ميدانه
بطل المنابر ما له من فوقها   يهوى وكم عرفت ثبات جنانه؟
إن خانه ضعف المشيب فطالما   قهر المنابر وهو فى ريعانه
كلا لعمرى لم يخنه مشيبه   لكنّ حس المرء من خوّانه
لم يجنها إلا رقيق شعوره   والرهف الحساس من وجدانه
حر قضى متأثراً ببيانه   ولكم جنى فن على فنانه

يا شاعراً طار اسمه بقوادم   من عبقريته ومن إتقانه
ما دان يوماً للصغار بصيته   أو دان للزلفى برفعة شانه
والمجد منه زائف وممحض   لا تخلطوا بلوره بجمانه
ما كل لماع يبرق ممطر   البرق غير الآل فى لمعانه
عرش القوافى بعد موتك شاغر   يا طول ما يلقاه من أشجانه
قل للذى يومى إليه بلحظه   هـذا مجال لست من فرسانه
لاهُمّ حكمك فى الورى جارٍ وما   من حيلة للعبد فى جريانه
الطير ملء الروض أشكالا فما   للسهم لا يصمى سوى كروانه ؟
يمضى العظيم من الرجال فينبرى   لمكانه خلفاء من أقرانه
والشاعر الموهوب فلتة دهره   إن مات أعيا الدهر سد مكانه

قل للرياض قضى علىّ محبه   ولطيرها الشادى على أفنانه
الشاعر النسر المحلق فى السما   بجناحه قد كف عن طيرانه.
بكت اللآلئ بعده لا ألمها   وتساءل الياقوت عن دهقانه
وتساءل التاريخ عمن شعره   كان السجل لحادثات زمانه
بكت الكنانة فى على شاعراً   جمل اسمها كالنجم فى دورانه
عف اللسان مؤدب الأوزان لم   يتلق وحى الشعر عن شيطانه
بل كان نفح الخلد أمتعنا به   حيناً وعاد به إلى رضوانه
للنيل شاد بشعره ما لم يشد   فرعون والهرمان من بنيانه
من كل بيت فى السها شرفاته   تتلألأ الأضواء فى أركانه
يعيى الفراعنة الشداد أساسه   ويحار ذو القرنين فى جدرانه
شعر إذا غنى به لم يبق من   لم يروه كالبرق فى سريانه
غنى الطروب به على قيثاره   وترنم المحزون فى أحزانه
بهر المذارى حسنه فوددن لو   صيغت قلائدهن من عقيانه
ويكاد سامعه يفسر لفظه   من قبل أن يسرى إلى آذانه
تغرى سلاسته الغرير فيقتفى   آثاره سيراً على قضبانه
حتى إذا هد المسير كيانه   حصب الورى بالصلد من صوانه
يا رب ديوان تأنق ربه   فى طبعه وافتن فى عنوانه
لا يسمع اليقظان وقع قريضه   حتى يدب النوم فى أجفانه
والشعر إما خالد أو مدرج   من ليلة الميلاد فى أكفانه

قالوا : علىّ شاعر؟ فأجبت : بل   ساقٍ عصير الكرم ملء دنانه
قم سائل الفقهاء: هل فى شرعهم   حرج على ثمل بخمرة حانه ؟
كم خط من صور الحياة مداده   ما لم يخط مصور بدهانه
بيراعة لو أدركت موسى رأى   من سحرها ما غاب عن ثعبانه
أين القصائد كالخرائد كلها   بكر ، وبكر الشعر غير عوانه
أحيا لنا ابن ربيعة تشبيبها   وأعاد للأذهان عهد حسانه
شيخ يحس الشيخ عند نسيبه   بدم الشباب يسيل فى شريانه
وإذا تحمس قلت حيدرة انبرى   تحت العجاجة فوق ظهر حصانه
وإذا تبدى قلت لابس بردة   قد جاء من وادى العقيق وبانه
وإذا تحضر قلت نسمة روضة   من فرط رقته وفرط حنانه
يا طالما حمل الأثير نشيده   وكأنما هو عازف بكمانه
بغداد مصغية إلى أنغامه   ودمشق راقصة على عيدانه
وكأنما الحرمان عند هتافه   سمعا بلالاً هاتفاً بأذانه
يثنى على الفاروق تحسبه فتى   ذبيان قد أثنى على نعمانه
والملك يظهر بالثناء جلاله   والشعر مثل الدر فى تيجانه

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أمر جديد في مسألة الكتب المدرسية :

أتيت فى الأسبوع الأسبق على موضوع الكتب المدرسية من حيث ما قررته وزارة المعارف فى فبراير الماضى من القيام بتوزيع هذه الكتب على طلبة المدارس الحرة كما توزعها على طلبة مدارسها وأبنت ما اكتنف ذلك وما يترتب عليه من آثار سيئة مادية وأدبية ، وأذكر اليوم أن ذلك القرار يتضمن أن تغير الوزارة العقود مع المؤلفين بحيث تصبح وحدها صاحبة الحق فى طبع الكتب وتعوض مؤلفيها عن كسبهم مما كانوا يطبعونه لغير مدارس الوزارة ، وذلك بمضاعفة مكافآتهم ، وينص القرار على أن ينفذ ذلك ابتداء من السنة الدراسية ١٩٥٠ — ١٩٥١ وبينما الناشرون والمؤلفون يواصلون مساعيهم للعدول عن ذلك فى ريث وتمهل لا يرون داعياً إلى العجلة لأن أمامهم موسماً دراسياً كاملا يستمر العمل فيه بالنظام القديم ويأملون أن يوفقوا فى خلاله إلى تسوية عادلة — بينما هم كذلك إذ فوجئوا بأمر لم يكن فى حسبانهم إذ اتصل بهم بعض مجالس المديريات فأبلغهم أن مدارس هذه المجالس لن تحتاج إلى كتب منهم فى السنة الدراسية القادمة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ لأن وزارة المعارف ستتولى صرف الكتب لها ذلك أن وكيل وزارة المعارف كتب إلى وزارة الداخلية لتوافى وزارة المعارف بإحصاء عن مدارسها وعدد طلبتها لتحسب الوزارة حسابها فى توزيع الكتب المدرسية عليها ابتداء من العام الدراسى القادم .

وعجب المؤلفون كيف تبادر الوزارة إلى اتخاذ هذه الخطوة ، وهى لم تجدد معهم العقود بعد ، ولا تزال العقود القديمة بأيديهم ، وهى تخول لهم أن يطبعوا كتبهم لغير مدارس وزارة المعارف حتى تتغير هذه العقود . وغضبت دور النشر وانحسر ظل الطمأنينة عن عمالها ، فقد كان أمامهم سنة أخرى يرجى أن يعدل الله الأمور بعدها .

والشمس مرآة النفوس يذيع ما ... طويت قرارتها على كتمانه
من أحرف سوداء إلا أنه ... نقش يريك الطيف فى ألوانه
والشاعر الموهوب تقرأ شعره ... فترى جمال الله فى أكوانه
يا ويح قومى كم أشاهد بينهم ... من شاعر هو شاعر بهوانه

يا رائى الموتى ومخلد ذكرهم ... بالخالد السيار من أوزانه
أرثيك حفظاً للجميل وإنه ... دين أعيذ النفس من نكرانه
ما ذا يؤمل شاعر من راحل ؟ ... أتراه يطمع منه فى إحسانه ؟
وأنا الذى ما سمت شعرى ذلة ... أو بعته بالبخس من أثمانه
يا رب بيت قد ضننت ببذله ... ضناً على من ليس من سكانه
أقسمت ما جاوزت فيك عقيدتى ... قسم الأمين البر فى أيمانه
دار العلوم بنتك حصناً شامخاً ... للضاد تلقى الأمن فى أحضانه
رزئت لعمرى فيك رزء الدوح فى ... كروانه والفلك فى ربانه
دار قد انتظمت أياديها الحمى ... أشياخه والنشء من ولدانه
دار العلوم ونيل مصر كلاهما ... بنميره يروى صدى ظمآنه
فاضا على الوادى فكان العلم من ... فيضانها والماء من فيضانه

يا خادم الفصحى وكم من خادم ... تمتز سادات بلثم بنانه
أفنيت عمرك ذائداً عن حوضها ... ذود الكريم الحر عن أوطانه
أنصفتها من معشر مستعجم ... الغرب أصبح آخذاً بعنانه
والضاد حسب الضاد فخراً أنها ... كانت لسان الله فى فرقانه
هى سؤدد العربى يوم فخاره ... وقوام نهضته وسر كيانه
من ذاد عنها ذاد عن أحسابه ... بل عن عقيدته وعن إيمانه
نم يا على جوار ربك آمناً ... لك عنده ما شئت من غفرانه
لك عند رب العرش أجر مجاهد ... فانعم برحمته وعدن جنانه
كم من شهيد مات فوق فراشه ... جد الدم السيال فى جثمانه
إن المجاهد من أغار بفكره ... لا من أغار بسيفه وسنانه
سيظل شعرك يا على مردداً ... ما غرد القمرى فى بستانه
أقسمت ما نال البلى من شاعر ... يحيا حياة الخلد فى ديوانه

محمود غنيم

والمؤلفون من رجال العلم والتعليم فى الوزارة ، فكانوا عند ما يجمل بهم إذ هدءوا رجال الطبع والنشر وأشاروا عليهم بما تقتضيه الحكمة فى معالجة الأمور ، وتولوا هم مواجهة الحال فتقدموا إلى معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف بشكاياتهم وتفنيدهم لما حدث وبيان حقهم فى الموضوع ، ولا يزال الأمر بين يدى معاليه .

وإذا جاوزنا المؤلفين والناشرين وجدنا فى الأمر ما هو أخطر مما يتصل بهم ، ذلك أن مدارس مجالس المديريات قد قد قطعت صلتها ومعاملتها لدور النشر اتكالا على وزارة المعارف ، فهل ستوزع الوزارة على تلاميذ هذه المدارس الكتب فى العام القادم ؟ يقف فى سبيل ذلك نص القرار على البدء بتنفيذه من سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ ، كما يقف فى سبيله أيضاً عدم تجديد عقود المؤلفين ، ومن الجائز عملا ألا يوافقوا على التجديد فتعهد الوزارة إلى آخرين يؤلفون من جديد ، ومع الإغضاء عن كل ذلك فإن سير العمل بالمطبعة الأميرية لا يكفل الطبع فى الشهور القليلة التى يعقبها بدء الدراسة على فرض أن يبدأ الآن فى الطبع .

فما ذا يا ترى تصنع مجالس المديريات فى العام الدراسى القادم ؟ وهل يبقى طلابها من غير كتب ؟

تأبين الجارم :

أقامت جماعة دار العلوم حفلا لتأبين الشاعر الكبير المغفور له على الجارم بك ، يوم الخميس الماضى بمسرح حديقة الأزبكية ، وقد افتتح الحفل الأستاذ سعد اللبان رئيس الجماعة بكلمة ألم فيها بصور من حياة الفقيد كان لها تأثير فى شاعريته وتكوين شخصيته الأدبية .

وتوالى بعده الخطباء والشعراء ، فتحدث الأساتذة مصطفى أمين بك ومحمد على مصطفى والسباعى بيومى ، وألقى الأساتذة محمود غنيم وعلى عبد العظيم ومحمود حسن اسماعيل ، قصائدهم فى رثاء الجارم .

وأول ما يلاحظ على الكلمات التى ألقيت أنها لم تكن ذات موضوعات موزعة ، أعنى أنه لم يختص كل واحد من المتكلمين بناحية معينة من نواحى الفقيد المؤبن ، فنشأ عن ذلك أن كلا منهم كان يطرق ما طرق الآخر .

ومما توافقوا عليه و كرروه ، نشأة الجارم فى مدينة رشيد فى أسرة ذات علم وأدب ، وما كان للبيئة

كشكول الأسبوع

▫ قرر معالى وزير المعارف توزيع الجزء الأول من « وحى الرسالة » على مكتبات المدارس الثانوية وما فى مستواها على أن تزود كل مكتبة بخمس نسخ منه ، وذلك لأن الوقت ليس فيه متسع هذا العام لتقرير توزيعه على الطلبة . ومما يذكر أن هذا القرار بنى على الرغبة فى توسيع مدارك التلاميذ والتلميذات ومنحهم ذخيرة من التعبير الجميل ونماذج من الأدب الرفيع ، وهى الأسباب التى من أجلها لم تر تقريره اللجنة التى أشرنا من قبل إلى مسلكها فى اختيار الكتب .

▫ حضر معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف حفلة تأبين الجارم ، وقد توجه الأستاذ السباعى بيومى إلى معاليه باقتراح إنشاء كرسى للأدب الحديث باسم الجارم فى كلية دار العلوم ككرسى شوقى فى كلية الآداب .

▫ تقرر تأجيل انعقاد المؤتمر الثقافى العربى الثانى إلى صيف السنة القادمة ١٩٥٠ ، وكان الاتجاه أن يعقد فى أغسطس القادم ، ولكنه أجل لعدم الاستعداد الكافى فى هذا العام . وستجتمع اللجنة الثقافية بالأسكندرية فى أغسطس المقبل لوضع مناهج المؤتمر وبرامجه .

▫ يعمل الدكتور زكى مبارك فى تصحيح الجزء الثالث عشر من « الأغانى » بدار الكتب ، وقد كتب فى شرح كلمة « قدر » أنها تؤنث بالتاء فى العامية ، وأتى بشاهد على ذلك قولهم : (يا واد يا عترة يا سمن فى القدرة) .

▫ كتب الدكتور بشر فارس مقالا عن « الموسم الأجنبى للأوبرا » بجريدة « المصرى » يوم الأحد الماضى ، قال فيه : إن فى المسرحيات التى مثلت بالأوبرا فى الموسم الماضى فسقاً تمجه أذواقنا الشرقية ، وضرب مثلا مسرحية « الأهل المغفلين » قائلا إنها أثارت حين ظهورها فى باريس قبل الحرب اشمئزاز أعضاء المجلس البلدى هنالك إذ رأوا فيها دعارة وزنى وحضا للنظارة عليهما .

▫ تلقت وزارة الخارجية من سعادة علوبة باشا سفير مصر فى الباكستان ، رسالة ذكر فيها رغبة الباكستانيين فى اتخاذ اللغة العربية لغة للتعليم والثقافة فى بلادهم بدلا من الإنجليزية ، وأنهم يتجهون إلى مصر لكى تساعدهم على تحقيق هذه الغاية ؟ واقترح سعادته أن تنشىء الحكومة المصرية ثلاثة معاهد لتعليم اللغة العربية فى أهم الحواضر الباكستانية ، على أن ينتدب للتدريس فيها مدرسون مصريون ، وأن تساهم حكومة الباكستان فى نفقات هذه المعاهد .

▫ أقدم فى هذا الأسبوع شخصية عصامية فى الأدب ، وهو الأديب عبد الرازق مرزوق العامل فى مطبعة السكك الحديدية ، وهو شاب مكافح لم يتح له أن يتلقى أية ثقافة مدرسية ، فعلم نفسه بنفسه وأغرم بالقراءة والاطلاع . وقد تقدم بقصص كتبها إلى المسابقات الأدبية ، ففاز فى عشر من مسابقات وزارة المعارف والإذاعة وبعض المجلات الأسبوعية .

الساحرة والأسرة الفاضلة فى إذكاء شاعريته ، وذكرياتهم مع الفقيد فى دار العلوم وفى إنجلترا ، وغير ذلك . ولم يكن لأحد من المتحدثين موضوع خاص بعد كلمة الأستاذ سعد اللبان التى اقتضاها مقام الافتتاح ، سوى الأستاذ السباعى بيومى فقد تناول بالدراسة موضوع « الجارم الأديب » فتتبع مناحى شعره وأرجعها إلى منبعين فى نفسه هما حبه للجمال وإيمانه بالوفاء ، وطاف بأجزاء ديوانه الأربعة فأورد منها أمثلة لما قرر ، فوفى الموضوع حقه ، ودل حديثه على اقتدار الدارس وذوق الأديب .

وكان حظ التأبين من الشعر أقيم من النثر ، فقد كانت القصائد جيدة ، ولا سيما قصيدتا الأستاذين غنيم ومحمود اسماعيل وقد خرج محمود شيئاً مما اعتاده من الإبهام وإكراه الاستعارة ، وأجاد فى تصوير وفاة الشاعر وهو يسمع قصيدته تلقى فى تأبين المغفور له محمود فهمى النقراشى باشا ، وأحسن فى استطراده إلى الحديث عن النقراشى باشا ومصرعه وفجيعة البلاد فيه .

ويظهر أن ترتيب الخطباء والشعراء كان وفق « أقدمية التخرج » فقد ران على الحفل بعد كلمة الافتتاح ، وهن الكبر ، فبعث شيئاً من الخمود ، لم يلبث أن ذهب بما اتقد بعده من جذوات كانت أخراها قصيدة محمود حسن اسماعيل ...

تأبين الريحانى :

وأقامت نقابة الصحفيين حفل تأبين لفقيد الفن المرحوم الأستاذ نجيب الريحانى يوم الجمعة الماضى . وقد تكلم فى هذا الحفل الأستاذ حافظ محمود عن نقابة الصحفيين ، والأستاذ أنور أحمد عن وزارة الشؤون الاجتماعية ، والدكتور محمد صلاح الدين بك رئيس اللجنة العليا للتمثيل المسرحى والموسيقى والسينما ، والأستاذ يوسف وهبى بك نقيب الممثلين ، والأستاذ بديع خيرى باسم أسرة الفقيد ؛ فألقى كل منهم كلمة مناسبة للصفة التى تقدم بها ، وعزف الأستاذ سامى الشوا على الكمان قطعة حزينة موضوعها « نجيب الريحانى » .

والذى يستوجب الوقوف عنده فى هذه الحفلة ، كلمة الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى ، وقصيدة الأستاذ على محمود طه . أما الأستاذ المازنى فقد حلل شخصية الريحانى الفنية وفكاهته المسرحية تحليلا قيماً بارعاً ، قال فيه : ما تذكرت الريحانى أو ذكر اسمه إلا تذكرت صوته الأجش الخشن الذى كنت أشعر أنه خارج من أعماق صدره ، وأنا عاجز عن الفصل بين نجيب وصوته حتى لقد كان صوته يغنينى عن رؤية تمثيله فأغمض عينى أو أطرق . وقال إن الريحانى لم يكن يشعر أنه يظهر على المسرح ليؤدى دوراً فى رواية ثم يخرج ليستأنف حياة أخرى لا علاقة لها بالمسرح ، وإنما كان يشعر أن هذه الرواية هى الحياة الحقيقية وأنه لا يمثل بل يحيا ، وأنه إنما كان يمثل حين يترك المسرح ويخرج إلى هذه الحياة . وبين الأستاذ قيمة الفكاهة فى التمثيل وقال إن الريحانى سما بها إلى مرتبة التوجيه الاجتماعى . ولم تخل كلمة المازنى مع قيمتها مما دعا إلى الملل فى الحفلة ، وذلك عندما أطال فى علاقة الريحانى ببديع خيرى واشتراكهما فى التأليف وأيهما كان صاحب الفضل الأكبر فى جودة التأليف وحبكه وسلاسة الحوار والبراعة فيه .

وأما قصيدة الأستاذ على محمود طه فقد صور فيها نجيب الريحانى وفنه تصويراً شعرياً دقيقاً تكاد ترى فيه معالم السمات وجمال الألوان ، وقد عبر فيها عن فجيعة مصر فى فقيدها تعبير الشاعر الناطق بلسانها المعبر عن آلامها ، فكان « شاعر مصر » النابض بآمالها وآلامها ، رثى فقيد مصر فى فن التمثيل .

مجلة المجمع اللغوى :

قال محدثى : كنت قد قرأت منذ شهور أن مجمع فؤاد الأول للغة العربية أصدر الجزء الخامس من مجلته . وأخيراً أردت أن أحصل على نسخة منها ، فجعلت أبحث وأسأل عن طريقة الحصول عليها ، حتى علمت أنها تباع فى إدارة التوريدات بوزارة المعارف . وقصدت إلى هذه الإدارة وصعدت إلى طبقة عالية هناك حتى بلغت الموظف المختص متعباً متتابع الأنفاس ، فقد كان اليوم حراً والسلم طويلا . وطلبت المجلة ، وطلب منى الثمن ، فأخرجت ورقة بجنيه ، فقال لى الموظف : (مفيش فكة) ولم أجد بداً من أن أنزل وأخرج إلى الشارع لأفك الجنيه . ثم عدت وتجشمت الصعود للمرة الثانية ، ولكنى فى هذه المرة لم أجد الموظف المختص فانتظرت ، وضقت ذرعاً بالانتظار ولم يتسع وقتى له ، فانصرفت

ثم عدت فى اليوم التالى وقد حزمت على إعداد الثمن (فكة) وكنت قد دعوت الله فى طريقى أن ييسر لى أمرى هذا اليوم فاستجاب دعائى وظفرت بالمجلة .

عجبت لجلد محدثى هذا وصبره فى سبيل الحصول على مجلة المجمع اللغوى ، وقلت فى نفسى : كم واحداً يطلبها هكذا ويتعب فى طلبها كما تعب صاحبنا ؟ ما أظن أمثاله كثيرين إن كان له أمثال .

إن الباعة ينادون على الصحف والمجلات فى كل مكان ، ويلوحون بها فى الوجوه ، ويلاحقون بها ركاب الترام وغيرهم ، وقد يعرضون ما على غلاف بعض المجلات من صور جذابة — يأتون كل ذلك كى يغروا الناس بالشراء ، ومع ذلك قد لا يفلحون فى إغرائهم .. فما بالك بمجلة المجمع اللغوى وهى مستقرة فى مخازن (التوريدات) بوزارة المعارف قيد (الروتين) ؟

وإذا كان من غير المستطاع الخروج عن هذا (الروتين) فلم يتكلف المجمع إصدار هذه المجلة ؟ أليس الغرض منها أن تنشر على الجمهور أعماله وما وضعه من مصطلحات وما أقره من كلمات ؟ فإذا كانت المجلة لا تنشر فما الفرق بينها وبين محاضر جلسات المجمع وأضابيره ؟

هلا نظر مجمعنا فى هذا الموضوع ، لعله يصل إلى طريقة تكفل توزيع مجلته أو على الأقل تيسير الحصول عليها لطلابها .

رأيى فى كتاب :

رأيت ما كتبه مؤلف « الشعر المعاصر » فى العدد الماضى من الرسالة ، واسترعى التفاتى فيه استشهاده على قيمة كتابه بما اقتطعه من كلمة كنت كتبتها عنه ، فقد رأيته يقطع أوصال تلك الكلمة ويأخذ منها ويدع .. أخذ قولى إن الكتاب يستوقف نظر متتبع الحركة الأدبية وإنه لبنة فى الأدب الحديث ، وترك الباقى وفيه قلت مترفقاً : « ولا إخال المؤلف قصد إلى التطفيف والإرجاح فى ميزانه بما لاحظته فى الكتاب منهما ، ولا أرجع ذلك إلا إلى ما ارتآه . وأكتفى بهذه الإشارة لأن المقام لا يسمع بالتفصيل والتمثيل » ومن هذا وذاك يتكون رأيى فى هذا الكتاب وأوضح هذا الرأى فأقول : إننى أعنى بقيمة الكتاب فى المكتبة العربية ما نقله المؤلف من آراء النقاد الغربيين ومذاهبهم فى النقد . أما ناحية التطبيق من حيث تعرضه لشعر الشعراء — وهى الناحية التى تختبر فيها الأصالة الأدبية — فقد امتلأ الكتاب فيها بالخبط فى الحكم على الشعر وإنزال الشعراء فى غير منازلهم صعوداً وهبوطاً ، وهذا ما عنيته بالتطفيف والإرجاح .

أما أن الرسالة « ازدانت » — لفظ المؤلف — بما كتبته عن كتابه ، ففيه نظر ...

تصويب :

وقع فى العدد الماضى تحريف مطبعى فى أول موضوع « نحن وأدباء المهجر » إذ جاء هكذا : « كتب الأستاذ حبيب كتاباً من نيويورك » وصوابه : « كتب الأستاذ (حبيب كاتبه) من نيويورك » .

وحدث كذلك سقط فى موضوع « قضية عيسى بن هشام والإذاعة » إذ جاء فى فقرة منه « خليل بك المويلحى مؤلف كتاب حديث عيسى بن هشام » وصوابه : « خليل بك المويلحى شقيق محمد بك المويلحى مؤلف ... الخ »

عباس خضر

الكتب

اليــــوم خمر

تأليف الأستاذ محمود تيمور بك

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

ما يبرح الأستاذ تيمور يحبو صحابه بكرمه ، فهو لا ينسى — أبداً — وشائج الصداقة الأدبية ، ولا يغفل أواصر المحبة الروحية ، ولا يغضى عن روابط الإخاء والود ، فهو — دائماً — يخصهم ، أول ما يخص ، بمؤلفاته وكتبه ، ولقد أهدى إلى — أخيراً — مسرحيتين هما « المخبأ رقم ١٣ » و « اليوم خمر » .

وإنه ليعز عليّ أن أتحدث عن « اليوم خمر » قبل أن أقف حيناً بإزاء مسرحيته « المخبأ رقم ١٣ » فلقد ألفيت فيها روحاً وثابة متألقة وفناً عالياً رقراقاً وجمالاً في السبك وقوة في الأداء وسمواً في التصوير . ووجدته قد جمع فيها أخلاطاً من الناس اختلفت مشاربهم وتنافرت بيئاتهم وتضاربت ثقافتهم ، ثم أنطقهم بحديث يكشف عن خلجات نفوسهم وخواطر عقولهم ، فجاء الحديث قوياً لم يصبه الفتور ولا الضعف ولم يشبه الإخفاق ولا الوهن . وإنك لتعجب أشد العجب أن يتقمص المؤلف روح الرجل الارستقراطى المهذب وروح السوق الوضيع في وقت معاً فلا يخطئه التوفيق في التعبير عن نوازع نفسيهما ولا يفلت من بين يديه زمام التحليل السيكولوجي . ولا يسف في حادثة ولا يتصنع الحديث ولا يتكلف الحبكة الفنية ... هذه — ولا شك — هي عبقرية الفنان ونبوغ القاص وتجربة المجرب ...

***

أما مسرحية « اليوم خمر » فهي قصة حياة امرىء القيس الشاعر العربي الجاهلي المعروف من لدن كان فتى غض الإهاب في العشرين من عمره إلى أن خذله قيصر الروم فأحس خيبة المسعى وضياع الأمل . وإن القارىء ليعجب أن وفق المؤلف توفيقاً عجيباً حين التزم أسلوب البداوة في قوة التعبير وجزالة اللفظ ورصانة الأداء ليخرج لنا من حياة الشاعر تمثيلية فيها روح هذا العصر ، وإنه ليحس — مع ذلك — بأشخاص الرواية ينبضون بالحياة ويخفقون بالإنسانية مما يدل على سمو الفن في روح المؤلف وسلامة ذوقه . ولا عجب أن يستنبط الأستاذ تيمور — وهو فنان عظيم — مسرحية مسلسلة مترابطة الأوصال متماسكة الجوانب ، يستلها من حوادث التاريخ المضطربة المتداعية ، فهذا عمل لا يتأتى إلا لمثله ، وهو فتح عظيم في هذا المضمار الشائك .

وإن الحوار ليبلغ غاية القوة والإتقان في مواقف ثلاثة : في يوم دارة جلجل حين هبط امرؤ القيس على العذارى وهن يتبردن في الغدير . وفي تصادم الشاعر مع أبية وهما إلى جانب ذي الخلصة ، حين تصارعت قوتان : قوة الملك حجر الجبار القاسي وقوة الفتى البوهيمي الذي لا يؤمن بعقابيس الحياة المادية ولا يخضع إلا لشهوات عقله وجسمه . وفي موقف امرىء القيس من وفد بني أسد حين أقبلوا إليه يترضونه ويستغفرون لزلتهم أن ثار بعض صعاليكهم بأبيه الملك فقتلوه ...

ولقد أراد المؤلف فأبان عن كثير من خصال الشاعر : فهو رجل عربيد داعر لا يرده الحياء ولا يمسكه الخجل فيقف على غدير دارة جلجل موقفاً مشيناً فيضطر العذارى إلى أن يخرجن إليه عاريات ... وهو — في حادثة أخرى — يجلس إلى فاطمة ابنة عمه يغازلها ويغريها بأمر في الساعة التي علم فيها بمقتل أبيه حجر فترده فاطمة بقولها « أصبابة وهيام في مثل هذا المقام ؟ لقد أفقدتك الخمر رشدك وهاجت في نفسك شجوناً ليس هذا حينها » ولكنه يجيبها في استهتار وخفة « إن الحب يا فاطمة لا يضرب له وقت موعد ولا يمين له حين ... أحبك ، يا فاطمة ، أحبك في كل آن ... ما ضرنا اليوم وقد زالت من طريقنا العوائق أن نحقق حلمنا القديم ، يا طالما حالوا بيننا وبين وصالنا . أما الآن فلا حائل يحول » . هذا — ولا ريب — كلام رجل لا يشعر بالعبء الذي يثقل كاهله ؛ فلا هو أحس الحزن لمقتل أبيه ولا هو ارعوى فاحترم مصيبة ابنة عمه في أبيها وفي أبية في وقت معاً .

وهو رجل متلاف لا يبقى على شيء مثلما قال خادمه حنظلة .. « أخبرني فديتك ، ماذا بقى لهذا الأمير من جاهه وماله؟ إنه كما ترى لا يبقى على شيء . ولست أدرى إلى أين ينتهى به وبنا المساق ألم يتنكر له أبوه فيغدو شريداً طريداً ؟ »

وهو رجل خال من الفحولة ، فلقد غبر زماناً يدفعه الشوق إلى أقحوان الثانية ، حتى إذا ظفر بها وخلا إليها خانته رجولته فارتدت الفتاة عنه مغيظة يبدو عليها النفور لتقول لرفاقه : « إن صاحبكم ليتشدق بالطعن والضرب ، آخذاً للحرب أهبتها فى كل وقت ، فإن حانت ساعة العراك تبوأ مقعده يرقب السماء ويحصى نجوم الليل » . هذا تعبير قوى عن خلة من خلال الشاعر يعرفها له التاريخ ولكنه تعبير يترفع عن الإسفاف والضعة .

ولكن القصة مثلت امرأ القيس فتى داعراً لم تغيره الحوادث ولا عركته السنون ولا أصابه الوهن يتراءى فى كهولته فتى فى الثلاثين غزلا يتشبب بالنساء ، ويفرغ للكأس ، عزباً يرنو إلى إلى فاطمة حيناً وإلى ابنة قيصر حيناً آخر .. غير أن التاريخ يقول إنه تزوج من أم جندب بعد أن تزوجت فاطمة من أبى عنبسة وإن قصة تحكيم أم جندب فيما شجر بين امرئ القيس وبين علقمة الفحل قصة يعرفها كل من قرأ تاريخ الأمير الشاعر .

***

لست أنكر أن تاريخ العرب فى الجاهلية مضطرب اضطراباً كبيراً لا تجمعه آصرة ولا تربطه صلة ولا يدعمه سند ، ولكن فيه حوادث ثابتة أجمع المؤرخون على صحتها . وما كان للمؤلف أن يغفلها فى مسرحيته ، أو أن يضع شيئاً مكان شيء إلا أن تكون قد تضاربت الروايات .

وهكذا انضمت المسرحية على بعض المآخذ التاريخية منها : أن المؤلف جمع بين يوم دارة جلجل وبين حادثة عفو الملك حجر عن أسرى بنى أسد ... جمعهما فى قرن فى حين أن الحادثتين كانتا فى مكانين مختلفين ويفصلهما زمان طويل . ومنها أن المؤلف أقحم صمصاماً فى نهاية الفصل الرابع من المسرحية ليوحى إلى امرئ القيس بأن يطلب العون من قيصر الروم وليزين له الرحلة إلى القسطنطينية فى حين أن التاريخ يجزم بأن السموأل بن عاديا هو الذى مهد السبيل لامرئ القيس كى يبلغ بلاد الروم فى أمان ويستقر هناك فى هدوء ... ومنها ما جاء فى ختام القصة حين فر امرؤ القيس ورفاقه من القسطنطينية ، وهذه حادثة لم نعثر لها على أصل فى ما لدينا من مراجع إلا أن تكون قد حاكتها يد فنان بارع . وأنى لرجل من أعداء قيصر أن يفر من بين يدى جنده وحراسه وجواسيسه وهم يملأون أرجاء المدينة وشعابها ؟ أما التاريخ فإنه يقول إن قيصر كان يخشى سطوة الأمير الشاعر فأهدى إليه حلة مسمومة فلبسها فأصابته القروح وتناثر لحمه ومات فى أنقرة وهو فى طريقه إلى حرب كسرى على رأس كتيبة من جيش عرمرم .

***

هذه — ولا شك — هنات هينات لا تضع من قيمة الجهد العظيم الذى اضطلع به القصاص الكبير الأستاذ تيمور .

كامل محمود حبيب

البريد الأدبي

أخي الأستاذ أنور المعداوي :

كثر الكلام حول مسرحية (الملك أوديب) لتوفيق الحكيم، فأرجو ألا أثقل عليكم بعودتي إلى طرق أبواب الموضوع نفسه من جديد . فقد لفت نظرى فى التعقيب الذى عقب به توفيق الحكيم على مقدمة الترجمة الفرنسية المسرحية ما يلى :

١ — قال الحكيم إن الإسلام يرفض فكرة الله المدبر لأذى الإنسان تدبيراً سابقاً دون مقتض أو جريرة . وقد شاء الحكيم لهذا السبب أن يوفق بين فكرة الأسطورة وبين روح الإسلام فجعل من رغبة أوديب فى العلم بالحقيقة وبحثه المتصل عنها سبباً يدفع أوديب إلى الكارثة . أى أن الحكيم جعل الموجب للكارثة — كما يقول صراحة فى ص ٢٦٧ — طبيعة أوديب ذاتها ، طبيعته المحبة للبحث فى أصول الأشياء الممعنة فى الجرى خلف الحقيقة . وهو يقول : إن رغبة أوديب فى العلم بالحقيقة هى التى جرته إلى ما جره العلم الحديث على الإنسان الحديث ممثلا فى (فرويد) عند ما طفق يحفر فى أعماق الإنسان إلى أن وجد أنه عاشق فى الباطن لأمه . وقد استبدت بى الحيرة عند ما قرأت هذا التعليل .

فلست أدرى كيف استساغ كاتب فنان كتوفيق الحكيم أن يجعل من حب أوديب للحقيقة وسعيه وراءها إثماً يستحق عليه ذلك العقاب المنكر الفظيع ، فإن حب الحقيقة والسعى وراءها — مطلقة كانت أو نسبية ، عامة كانت أو جزئية — لدى أناس كالفلاسفة والعلماء هو الذى بث شهرتهم فى الآفاق خلد ذكرهم فى أعماق الأفئدة والهج به الألسنة على مدى الأجيال والعصور .

ثم إننى لم أفهم كيف ارتضى الحكيم أن يشبه حالة أوديب أمام المأساة بحالة فرويد أمام حقائق النفس . فعند ما طفق فرويد يحفر فى أعماق الإنسان بحثاً عن الحقائق النفسية ووجد أنه عاشق فى الباطن لأمه لم يكون هذه الحقيقة ولم يخلقها أو يوجدها بنتيجة سعيه وراء الحقيقة وإنما اكتشفها وقررها .

فالحقيقة التى اكتشفها فرويد كانت موجودة ، ولكنها كانت مطمورة فى أغوار النفس الإنسانية . ولكن أوديب عند ما بدأ يبحث عن أصله وذويه لم تكن الكارثة أو الحقيقة موجودة ، وإنما حدثت فيما بعد على يده . ولو ادعى الحكيم أن الحقيقة التى واجهت أوديب كانت موجودة ومستقرة سلفاً فى ضمائر الآلهة ، فإن ذلك لا يغير من صلب الحقيقة ؛ لأن وجود الحقيقة واستقرارها فى ضمائر الآلهة شىء وحدوثها فى عالم الحس والواقع شىء آخر . فالبحث عن الحقيقة قد أدى عند فرويد إلى اكتشاف الحقيقة فحسب ، والبحث عن الحقيقة أدى عند أوديب إلى وقوع الكارثة أو المأساة أو الحقيقة . وواضح أن الفرق بين الحالين أكبر وأوسع من أن يستسيغ أى تشبيه بينهما .

٢ — لاحظت أن الحكيم يقول فى الرد نفسه أن الطعن الذى أنزله أوديب بعينيه قد ذهب فى تفسيره أندريه جيد فى مسرحيته إلى كونه إمعاناً فى الكبرياء . والواقع يشهد وصحائف الكتاب بدورها تشهد بأن أندريه جيد لم يقل مثل هذا الكلام ولم يفكر فيه ؛ لأنه قال بصراحة عن لسان أوديب مخاطباً الكاهن تيرسياس بأنه — أى أوديب — إنما يفقأ عينيه لأنهما لم تحسنا تنبيهه إلى الكارثة قبل وقوعها ولم تضيئا له الطريق ، فهو إذ يطعن عينيه إنما يتلف أداة عاطلة لم تنفعه إن لم تخدعه فى نفس الوقت .

هذا ما وددت أن أعرضه عليكم آملاً أن أتلقى منكم الرأى المصيب الذى عودتمونا إياه فى أغلب الفرص والمناسبات . وختاماً أبعث إليكم وإلى صاحب الرسالة الجليل أطيب الود وأخلص التقدير

(بغداد) **فؤاد الونداوى**

ليسانسيه فى الحقوق

حول هام ومهم :

قرأت للأستاذ على هلالى تصويباً لاستعمال كلمتين لم يقل أحد بخطأ إحداهما وصواب الأخرى وهما هام ومهم . وبعد أن استعان بلسان العرب والقاموس وغيرهما وحكم بأنهما لغتان عربيتان صحيحتان ولا فرق بينهما فى الاستعمال قال : وإنى أحذر الكتاب

من النقود المزيفة فى لغة الجرائد ، فدخل فى روعى أن فى لغة الجرائد تخطىء لإحدى الكلمتين فمدت إلى تلك النقود المزيفة عند الأستاذ فوجدت ما يأتى :

« ويقولون هذا أمر هام بصيغة الثلاثى لا يكادون يخرجون عنها فى الاستعمال والأفصح مهم بالرباعى » « وعليه اقتصر فى الصحاح والأساس » .

فعجبت مما فهم الأستاذ من هذا النص الصريح الذى دفعه إلى أن يتبرع بكلمة « مزيفة » .

رجل قد رأى الناس لا يستعملون إلا كلمة « هام » ويتحاشون استعمال كلمة « مهم » بل لعله قد رأى من تعرض لتخطئتها فدلنا على الأفصح والأفصح لا ينفى الفصيح ، افترميه بالزيف ؟!!

كنت أود أن يدقق الأستاذ « هلالى » فى تعابيره كما يدقق فى البحث عن بعض الكلمات فى المعجمات . يقول الأستاذ فى نهاية كلمته « على الكتاب أن يرجعوا إلى المعاجم العربية وغيرها من المراجع » فهل يثق الأستاذ بصحة هذه المعاجم ؟ ألم يطلع على ما فى هوامشها من الحواشى ؟ أو لم ير مآخذ الفيروزابادى على الجوهرى ؟ ولماذا ننتظر من المجمع اللغوى قاموساً صحيحاً شاملا جديداً ؟

ثم إن الأستاذ هلالى يخطىء من « يدعى » — على حد تعبيره — تأنيث كلمة الضبع فقط للحيوان المعروف ، فهلا أتى بشواهد على جواز تذكرها تعزز هذا التخطىء ؟

ابن ماضى

١ — التقليد :

أنكر أحد المدرسين استعمال التقليد بمعنى الاقتداء والمحاكاة لأنه لم يرد فى كتب اللغة ، وهذا ليس بصحيح فقد جاء فى لسان العرب وشرح القاموس ومعيار اللغة وأساس البلاغة وغيرها ما نصه :

قلدتها قلادة : جعلتها فى عنقها ، ومنه التقليد فى الدين ، وتقليد الولاة الأعمال وهو مجاز كأنه جعل قلادة فى عنقه الخ

وجاء فى كتاب التعريفات للجرجانى : التقليد عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقيقة من غير نظر وتأمل فى الدليل كأن هذا المتبع (وهو المقلد) جعل قول الغير أو فعله قلادة فى عنقه ، أو التقليد عبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل اه

ومن هذه النصوص يظهر لك أن المعنى الأصلى للتقليد واحد فقط وهو وضع القلادة فى العنق ، ثم استعمل فى غيره على سبيل التجوز والتشبيه والاستعارة وقد ألفت كتب ووضعت بحوث فى التقليد ولم يطعن فيه أحد لأنه يرجع إلى معنى عربى صحيح .

٢ — المصيف :

من الأخطاء الشائعة مصْيَف بتسكين الصاد وفتح الياء والصواب : كسر الصاد لأنه اسم مكان من صاف يصيف كمصير من صار يصير ، وجمعه مصايف بالياء ، ولا تقل مصائف بالهمزة لأن الياء أصلية فى تركيب الكلمة (ص ى ف) فلا بد من ظهورها فى الجمع ولا تقلب همزة .

على حسن هلالى
بالمجمع اللغوى

إلى خنساء فلسطين الآنسة فدوى طوقان :

تحية التقدير وسلام الوفاء وبعد :

منذ زمن طويل بعد أن قامت الحرب فى الأرض المقدسة ونحن ننتظر منك حدثاً جديداً فى عالم الفن والأدب ولا سيما وقد سطرت فى عالم الخلود أروع ترانيم الحسرة واللوعة على أخيك المرحوم شاعر فلسطين إبراهيم طوقان .

وحوادث فلسطين الأخيرة قد تفتت لهولها صلد الصخر ونضب لها معين الضمير الحى ، إن كان فى الوجود ضمير حى ، وما أظنك يا أختاه إلا سكبت فى بوتقة الشعر والفن أعظم آلام الإنسانية المعذبة .

« والرسالة » مذ كانت وهى منبر الحق والفن والعلم والأدب وقد ترعرعت بين أحضانها ، فهل لك يا خنساء الأندلس الجديدة أن تزفى زفراتك من فوق منبرها الرفيع ؟

ذلك ما نرقب وننتظر .. فهلمى يا أختاه .

وللأديبة الموهوبة نجوى مقوار (مى فلسطين) أطيب تحياتى

فتى الأندلس
كلية اللغة العربية بالأزهر



نظرات فى كتاب الأشربة

للأستاذ السـيد احمد صقر

— ٥ —

٣٣ — ص ٤٩ يقول ابن قتيبة : « وحدثنى محمد بن خالد ابن خداش ، عن سالم بن قتيبة قال : حدثنا حمزة الزيات ... » والصواب « .. عن سلم بن قتيبة ... » وهو سـلم بن قتيبة الشعيرى — بفتح المعجمة وكسر العين — أبو قتيبة الخراسانى نزيل البصرة . قال ابن أبى عاصم : مات سنة مائتين كما فى خلاصة تذهيب الكمال ١٢٤

وأما حمزة الزيات : فهو كما قال ابن قتيبة فى المعارف ص٢٣٠« حمزة بن حبيب بن عمارة ويكنى أبا عمارة ، مولى لآل عكرمة ابن ربعى التيمى مات بحلوان سنة ست وخمسين ومائة فى خلافة أبى جعفر » .

٣٤ — ص ٥٠ « وكذلك قال الأشج لبنيه : لا تشربوا ولا تنجروا ، ولا تعاقروا فتسكروا »

والصواب . « لا تبسروا ولا تنجروا .. » جاء فى لسـان العرب « البسر هو خلط البسر بالرطب أو بالتمر وانتباذهما جميعاً . والنجر : أن يؤخذ نجير البسر فيلقى مع التمر ، والنجير : ثفل البسر » والحديث بتمامه فى الفائق للزمخشرى مادة بسر راجع ترجمة الأشج فى الاصابة وابن سعد ٧ / ٦٠ وأسد الغابة ١ / ٩٦ وقد روى ابن سعد عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن الأشج قال :

رغبة واستجابة :

وعدت القراء فى عدد « الرسالة » الماضى بأن أعقب على الـكلمة التى نشرت فى « البريد الأدبى » للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى ، ولقد كنت أود أن أفى بهـذا الوعد لولا رغبة كريمة من صديقين عزيزين بأن أكف يدى وأقبض قلمى ، تحقيقاً لغاية نبيلة هى إعادة الصفاء إلى النفوس ...

وأنا لا يسعنى إلا الاستجابة لرغبة الصديقين العزيزين ، وهما الأستاذان إبراهيم الابيارى وحسن كامل الصيرفى .

فإلى القراء أعتذر ، راجياً أن يتقبلوا الاعتذار على ضوء أسبابه ودواعيه ... وللأستاذين الصديقين أستجيب ، آملا أن أكون عند حسن الظن من الراغبين فى الخير والداعين إلى الصفاء .

أنور المعداوى

الاتساع فى اللغة :

إن الجـدى على محبى العربية فى التنوية بالثروة اللغوية التى ترمز إلى مدى الاتسـاع فى دلالات الألفاظ المشتركة فى إفادة المعنى الفذ، ولقد حررنا منذ سنوات بالأهرام الغراء٢٩/١٠/١٩٣٨ كلمات : « الذعر ، والرعب ، والفزع ، والخوف . » ، وأوضحنا مدى ما فى هذه الـكلمات من تلاق فى الدلالة وتباعد فى الصياغة ؛ ونحب أن نورد بالرسـالة الزهراء ما وقع لنا من ألفاظ تدل على السـعة ، وتمطى الراغبين فى البحث نهزة للايناس بما يوضح جلال هذه اللغة .

(ا) جاء الفعل الدال على « الرأفة » — وهى أشد الرحمة — بثلاث صيغ (رؤف) به و (رأف) به و (رئف) به .

(ب) يقال : رجع الشئ بنفسه و (رجعه) غيره : متعد ولازم من الثلاثى .

(ح) يقال فى مقام الرجاء . ترجاه ، وارتجاه . بمعنى واحد .

(٥) يقال فى التنقل : رحل ، وارتحل ، وترحل .

(ه) مصـدر حدث : المحادثة ، والتحادث ، والتحدث والتحديث .

(و) يقال : أضاءت النار ، وأضـاءت النار المكان . يتعدى ويلزم .

(ز) يجرى على الألسنة (تشكر له) وهو صواب (كشكر له)

(بور سعيد) أحمد عبد اللطيف بدر

قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فيك خلقين يحبهما الله ورسوله ، قلت : وما هما ؟ قال : الحلم والحياء ، قلت : وقديماً كانا فىّ أو حديثاً ؟ قال : بل قديماً ، قلت : الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله .

٣٥ — ص ٥٢ « ... وقال أبو الغالية الرياحى : اشرب النبيذ ولا تمزز ، والتمزز أن يشرب قليلاً قليلاً » .

والصواب : « أبو العالية » بالعين لا بالغين ، واسمه رُفيع بن مهران الرياحى البصرى ، وهو من الأئمة المخضرمين ، صلى خلف عمر ، ودخل على أبى بكر . وتوفى فى شوال سنة تسعين ، وكان ثقة كثير الحديث . وهو من موالى بنى رياح ، اشترته امرأة منهم ، ثم انطلقت به إلى المسجد الجامع بالبصرة فى يوم جمعة والإمام على المنبر ، فقبضت على يده وقالت : اللهم أذخره عندك ذخيرة ، اشهدوا يا أهل المسجد أنه سائبة لله ليس لأحد عليه سبيل إلا سبيل معروف . وقد حدث أبو العالية عن نفسه قال : كنت مملوكا أخدم أهلى فتعلمت القرآن ظاهراً والكتابة العربية وقرأت المحكم بعد وفاة نبيكم بعشر سنين ، فقد أنعم الله على بنعمتين لا أدرى أيهما أفضل : أن هدانى للاسلام أم لم يجعلنى حرورياً ، ثم يقول : وكنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم . ويقول : لما كان زمن على ومعاوية وإنى لشاب ألقتال أحبّ إلىّ من الطعام الطيب ، فتجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم فإذا صفان لا يرى طرفاهما ، إذا كبّر هؤلاء كبّر هؤلاء ، وإذا هلل هؤلاء هلل هؤلاء ، فراجعت نفسى فقلت : أى الفريقين أنزله كافراً ؟ وأى الفريقين أنزله مؤمناً ؟ أو من أكرهنى على هذا ؟ فما أمسيت حتى رجعت وتركتهم . وكان ابن عباس أيام إمارته بالبصرة يكرمه ويجلسه معه على سريره . وكان أبو العالية يبعث بصدقة ماله إلى المدينة فتدفع إلى أهل النبى فيضعونها فى مواضعها . ومن كلامه : إذا سمعتم الرجل يقول : إنى أحب فى الله وأبغض فى الله فلا تقتدوا به.

راجع ترجمته فى تهذيب التهذيب وميزان الاعتدال ١ / ٣٤٠ وطبقات ابن سعد ٧ / ٨١ — ٨٥ وحليه الأولياء ٢ / ٢١٧ — ٢٢٤ وصفة الصفوة ٣ / ١٣٥ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٠

٣٦ — ص ٥٢ « وقيل لمحمد بن واسع : أتشرب النبيذ ؟ قال : نعم ، قيل : وكيف تشربه ؟ قال : على غدائى وعشائى وعند ظمإى . قيل فما تركت منه ؟ قال : النكات ومحادثة الرّجال »

وقد علق الأستاذ على ذلك بقوله : « النكات : جمع نكتة وهى هنا الجملة المنقحة المحذوفة الفضول »

ولست أرى رأيه فى هذه الكلمة وهى عندى محرفة بيد أنى لم أدرك وجه تصويبها . ويرى صديقى الراوية الأستاذ محمود محمد شاكر أن صوابها « التكأة » يريد بها الجلوس المطمئن وإدارة الأقداح . ويستدل بما رواه المؤلف فى صفحة ٦٠ من قول جميل ابن معمر :

فظللنا بنعمة واتكأنا	وشربنا الحلال من قلله

ومحمد بن واسع قائل هذه الكلمة فيما يقال من كبار الزهاد العابدين الورعين توفى فى سنة عشرين ومائة . راجع ترجمته فى صفة الصفوة ٣/١٩٠ — ١٩٥ والمعارف ٢٠٩ .

٣٧ — ص ٥٣ « وقيل لسعيد بن سالم : أتشرب النبيذ ؟ قال لا . قيل : ولم ؟ قال : تركت كثيره لله ، وقليله للناس »

والصواب : « وقيل لسعيد بن سلم » كما فى عيون الأخبار ٤/٣٧ وقد مدحه أعرابى فقال :

أيا سارياً بالليل لا تخش ضلة	سعيد بن سلم ضوء كل بلاد
لنا سيد أربى على كل سيد	جواد حثا فى وجه كل جواد

فلم يعطه شيئاً فقال :

لكل أخى مدح ثواب يعده	وليس لمدح الباهلى ثواب
مدحت ابن سلم والمديح مهزة	فكان كصفوان عليه تراب

وسعيد بن سلم هو القائل : إذا لم تكن المحدّث أو المحدَّث فانهض وراجع . وقد هجاه أبو الشمقمق ، ومسلم بن الوليد ، ورثاه عبد الصمد بن المعذل بأبيات جيدة تجدها فى الكامل للمبرد مع شىء من أخباره فى ص ٧١٢ — ٧١٨ من طبعة الشيخ أحمد محمد شاكر .

٣٨ — ص ٥٨ « ولو كان تحريم الخمر للسكر لم يطلقها الله تعالى للأنبياء والأمم قبلنا ، فقد شربها نوح عليه السلام حين

خرج من السفينة واعترس الحبلة حتى سكر منها » .

وجد الأستاذ هذه الكلمة بهذا الرسم فلم يفهم معناها ولم يفطن إلى وجه الصواب فيها ، وعلق على الجملة بقوله : « كذا فى الأصل، والحبلة : العنب ، وفى الحديث : لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة . الحبلة : بفتح الحاء والباء وربما سكنت » .

والصواب « واغترس الحبلة » بمعنى غرس ، وكذلك رويت جاء فى لسان العرب « وفى الحديث لما خرج نوح من السفينة غرس الحبلة » .

٣٩ — ص ٥٨ فى الحديث عن الخمر والنبيذ « واما قولهم الخمر ما خمر ، والمسكر مخمر فهو خمر مثله ... »

والصواب « والنبيذ مخمر فهو خمر مثلها » كما فى العقد الفريد ٣٣٦/٤

٤٠ — ص ٥٩ « ولو كان الله تعالى حين أحل النبيذ أحل منه السكر الذى يكون منه الخمار وكان شربة النبيذ من الصحابة والتابعين سكروا فأصابهم ذلك ، للزمنا أن يقال : نباذ ولا يقال فيجب ما ذهبوا إليه » وعلق الأستاذ على « ولا يقال » بقوله : وفى الأصل أو ، وما أثبتناه رواية ع »

والصواب : « للزمنا أن يقال نباذ ولا يقال : خمار فيجب ما ذهبوا إليه » .

٤١ ص ٦٢ فى شعر بعض الأشراف :

تلم بنا الخصاصة ثم تعفى   على إقتارنا حسب ودين

والصواب : « ثم يعفى »

٤٢ ص ٦٢ وقال يحيى بن نوفل اليمانى :

وينتبقان الشراب الذى   يحل به الجلد للجالد
شراب يوافق فهر اليهود   ويكره للمسلم العابد

وقد ضبط الأستاذ كلمة « فهر » بكسر الفاء ، والصواب ضمها كما فى لسان العرب ، وجاء فى القاموس : « وفهر بالضم مدارس اليهود تجتمع إليه فى عيدهم ، أو هو يوم يأكلون فيه ويشربون »

٤٣ — ص ٧٠ « وقال الأعشى :

ولقد شربت ثمانياً وثمانيا   وثمان عشر واثنتين وأربعا
من قهوة باتت ببابل صفوة   تدع الفتى ملكا يميل مصرعا

والصواب : « وثمان عشرة ... »

٤٤ — ص ٧٥ « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : البر ما سكنت إليه القلوب ، واطمأنت إليه النفوس ، والأثم ماحاك فى صدرك فكرهت أن تطلع عليه الناس . وقال ابن مسعود : الاثم جواز القلوب ، وهى الهوادج فيها بالشكوك ، فإذا كان الاثم يكون بما قدح فى القلب من الشك فكيف هو فيما يتيقنه القلب ، أولست الأعمال بالنيات ونية المؤمن خير من عمله »

وعلق الأستاذ على ذلك بما يلى: « الهودج : مراكب النساء وهدج الظليم : مشى وسعى وعدا ، وكل ذلك إذا كان فى ارتعاش ، وظليم هداج ونعام هداج ، وهوادج وتقول : نظرت إلى الهوادج كما فى التاج »

وهذا شرح عجيب غريب لست أدرى كيف ارتضاه الأستاذ فى هذا المقام ، والذى أوقع الأستاذ فى هذا الخطأ الطريف أنه اعتقد أن « الهوادج » هنا كلمة صحيحة قالها ابن مسعود ، وهى محرفة وصوابها : « القوادح » كما أن « جواز » محرفة أيضاً وصوابها : « حُزَّاز » جاء فى لسان العرب : « وفى الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه : الاثم حُزَّاز القلوب ، وهى الأمور التى تحز فيها ، أى تؤثر كما يؤثر الحز فى الشىء ، وهو ما يخطر فيها من أن تكون معاصى لفقد الطمأنينة إليها ، وهى بتشديد الزاى . جمع حازّ ، يقال إذا أصاب مرفق البعير طرف كِركِرَته فقطعه وأدماه : قيل : به حاز . وقال الليث يعنى : ما حز فى القلب وحك . وقال القدِّيس الكنانى : العرك والحاز واحد ، وهو أن يحز فى الذراع حتى يُخلص إلى اللحم ، ويقطع الجلد بحد الكركرة وقال ابن الأعرابى : إذا أثر فيه قيل : ناكت ، فإذا حز به قيل: حاز ، فإذا لم يدمه فهو الماسح . ورواه شمّر : الاثم حواز القلوب بتشديد الواو ، أى يحوزها ويتملكها ويغلب عليها . ويروى : الاثم حُزَّاز بزايين الأولى مشددة ، وهو فعال من الحزّ »

(يتبع)

السيد أحمد صقر

المدرس فى الليسيه بمصر الجديدة



قصة طفل

للكاتب الانجليزي شارلس ديكنز

ترجمة الأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

يحكى أنه منذ سنوات كان هناك مسافر ، يقوم برحلة سحرية . فقد وجد عندما بدأ القيام بها ، أنها تبدو طويلة جداً ، وقصيرة جداً عندما وصل إلى منتصفها .

وسار فى طريق حالك بعض الوقت دون أن يقابل أحداً . ثم التقى أخيراً بطفل جميل . فقال له « ماذا تفعل هنا ؟ » فأجاب الطفل « إنى دائماً فى لهو ومرح ، فتقدم وامرح معى ! » .

ولعب مع الطفل طول اليوم ، وكانا سعيدين . كانت السماء زرقاء ، والشمس مشرقة ، والماء متألقاً ، وأوراق الشجر مخضرة ، والأزهار يانعة . واستمعا إلى تغريد الطيور ، وشاهدا مختلف الفراش ، وراقبا هطول المطر ، واشتما الروائح الزكية . وكانا يسران من الاستماع إلى هبوب الرياح ، ويتخيلان ما تهمس به ، عندما تندفع مقبلة من موطنها . ويتساءلان فى عجب عن أصل نشأتها ، وهى تصفر وتزمجر ، وتدفع بالسحب أمامها ، وتحنى الأشجار فى طريقها ، وتندفع خلال المداخن ، وتهز الديار هزاً ، وتثير غضب البحر فيهدر مزمجراً . وما أجمله مشهداً عندما يتساقط الجليد ، فيتمتعان برؤية البرد النازل فى سرعة وغزارة ، وكأنه الزغب الساقط من صدور ملايين الطيور البيضاء . ويشاهدان تراكم الثلج الناعم ، ويستمعان إلى الهمسات الصادرة من الدروب والطرقات . وكان لديهما العديد من أجمل الألعاب فى العالم ، وأغرب الكتب المصورة .

ولكن فى ذات يوم ، وعلى غير انتظار ، تفقد المسافر الطفل فلم يجده . وناداه مرات ومرات دون أن يسمع مجيباً . فتابع سيره فى طريقه ، ومشى مدة من الزمن دون أن يقابل أحداً ، حتى التقى أخيراً بصبى حسن الطلعة ، فقال له « ماذا تفعل هنا ؟ » فأجاب الصبى « إنى أتعلم ، هلم وتعلم معى » .

وأخذ يتعلم مع الطفل عن جوبيتر ، وجونو ، والإغريق والرومان ، وشتى مختلف العلوم . وكان لديهما بجانب ذلك أبهج أنواع الألعاب الرياضية . فكانا يجدفان فى النهر صيفاً ، وينزلقان على الثلج شتاء ، ويعدوان فى نشاط ، أو يمتطيان صهوات الجياد . وهكذا كانا يمارسان شتى أنواع الرياضة ، حتى أصبحا لا يفوقهما أحد فيها . وكانت لهما حفلات للرقص ، ومسارح يتمتعان فيها برؤية قصور من الذهب واللجين . وشاهدا كل عجائب العالم . وكان لديهما من عزيز الأصدقاء ما لا يعد ولا يحصى .

ومع ذلك ، ففى ذات يوم افتقد المسافر الصبى مثلما افتقد الطفل . وبعد أن ناداه دون جدوى تابع رحلته . وسار فترة من الزمن دون أن يشاهد أحداً ، حتى التقى أخيراً بشاب ، فسأله « ما الذى تفعله هنا ؟ » فأجاب الشاب « إنى أعشق دائماً . أقبل واعشق معى » .

وسار المسافر مع الشاب فالتقيا بفتاة من أجمل ما شاهد من الفتيات ، ذات عينين نجلاوين ، وشعر أثيث ، وابتسامة خلابة ، ووجه مشرق . ووقع الرجل فى حبها من النظرة الأولى . ومع ذلك كانا يغضبان فى بعض الأحيان ، ويتشاجران ، ويتخاصمان ، ويجلسان فى الظلام يكتبان الرسائل كل يوم . ويختلسان النظر إلى بعضهما ، ثم يصطلحان فى حفلة عيد الميلاد ، ويعتزمان الزواج فى أقرب وقت .

ولكن المسافر تفقدها ذات يوم مثلما تفقد الشاب فلم يجدها ، وبعد مناداته عليهما تابع رحلته . ومشى فترة من الزمن دون أن يرى أحداً ، ثم التقى أخيراً بسيد متوسط العمر فقال له «ماذا تفعل هنا ؟ » فأجاب « إنى مشغول دائماً . تعال واشتغل معى » .

وهكذا تعددت مشاغله . وذهب مع السيد إلى الغابة . وأصبحا يرحلان إليها كثيراً . وكانت الغابة بادىء ذى بدء مكشوفة خضراء ، ثم أخذت تتكاثف وتظلم ، وحاول لون أشجارها التى كان قد التقى بها مبكراً إلى لون قاتم . ولم يكن السيد وحيداً ، بل كانت ترافقه سيدة فى مثل عمره ، وهى زوجته . وكان لهما أولاد أيضاً . وذهبوا جميعاً يخترقون الغابة ، ويقطعون الأشجار وينشئون دروباً بين

الأفنان ، ويعملون فى حرارة .

وكان أحياناً يقابلهم طريق أخضر مكشوف فى غابات كثيفة . ويستمعون إلى صوت على مقربة منهم يقول « أبتاه ، أبتاه ، أماطفل آخر ! انتظرنى ! » ثم يشاهدون شخصاً صغيراً جداً ينمو ويكبر وهو مقبل يعدو ليلحق بهم ، حتى إذا ما وصل ، التفوا حوله ، وقبلوه ، ورحبوا به ، ثم تابعوا سيرهم جميعاً .

وكانوا أحياناً يلتقون بطرق مختلفة فى وقت واحد فيقفون . ثم يقول أحد الأولاد « أبتاه إنى ذاهب إلى البحر » ويقول الآخر « أبتاه ، إنى راحل إلى الهند » ، والثالث « إنى مسافر لأبحث عن الثروة أينما استطعت » ويقول الرابع « أبتاه ، إنى مرتفع إلى السماء ! » وهكذا يفترقون وقد فاضت دموعهم فى غزارة . وبذهبون ، كل منهم فى طريق من هذه الطرق . ويرتفع الطفل الصاعد إلى السماء ، يرتفع فى الهواء الذهبى ، ثم يختفى .

وكان حينما يحدث مثل هذا الفراق ، ينظر المسافر إلى السيد فيشاهده يتطلع إلى السماء فوق الأشجار ، حيث يأخذ النهار فى المضى ، وتبدأ الشمس فى الغروب . ويلاحظ شعره وقد اشتعل شيباً .

ثم ساروا يقطعون رحلتهم دون أن يستريحوا لحظة . فقد كان من الواجب عليهم أن يكونوا منشغلين . وهكذا أقبلوا على طريق أكثر حلكة من غيره ، واندفعوا فى رحلتهم ، عندما وقفت السيدة وقالت « زوجى ، أنهم ينادوننى » .

فأصغوا فاستمعوا إلى صوت آت من بعيد يقول « أماه ، أماه ! » كان صوت الطفل الأول الذى قال إنه صاعد إلى السماء . وقال الأب « لا تذهبى الآن ، أرجوك ، إننا على وشك الغروب ، لا تذهبى الآن ، أرجوك » . ولكن الصوت نادى « أماه ، أماه » دون أن يبالى به ولا بما أصبح عليه السيد من بياض الشعر وغزارة الدمع .

وعندئذ قبلت الأم زوجها وهى تبتعد عنه ، وتنسحب فى الطريق المظلم ، وتحرك ذراعيها ولا يزالان ملتفتين حول عنقه . وقالت له « يا أعز أعزائى ، لقد نادونى ، وها أنذا ذاهبة » ثم رحلت ، وظل الزوج والمسافر وحيدين .

واستمرا فى سيرهما حتى اقتربا من نهاية الغابة . فاستطاعا أن يشاهدا الشمس تغرب أمامها بأشعتها الحمراء خلال الأشجار .

وبينما كان المسافر يشق طريقه خلال الأفنان ، إذ فقد الرجل . ونادى ، ثم نادى دون مجيب . وأخيراً سار وحيداً حتى أقبل على رجل كهل جالس على شجرة ساقطة ، فقال له « ماذا تفعل هنا ؟ » فأجاب الكهل فى ابتسامة وديعة « إنى أتذكر دائماً . أقبل وتذكر معى ! » .

وهكذا جلس بجوار الكهل وجهاً لوجه يشاهد غروب الشمس الصافية وجمل يتذكر ، فأقبل عليه أصدقاؤه عائدين فى هدوء ، ووقفوا وأحاطوا به . الطفل الجميل ، والصبى الحسن الطلعة ، والشاب العاشق ، والأب والأم والأولاد . كانوا كلهم حوله . ولم يفقد منهم أحداً .

وهكذا أحبهم جميعاً ، وكان رحيما رفيقاً بهم ، ومسروراً بوجودهم . وكانوا جميعاً يجلونه ويعشقونه .

وأظن أن هذا المسافر هو أنت يا جداه ؛ لأن هذا هو ما فعلته بنا ، وهذا ما فعلناه بك .

محمد فتحى عبد الوهاب

ظهرت الطبعة الحادية عشرة المزيدة المنقحة الصحيحة من كتاب

تاريخ الأدب العربي

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هـذا العصر بأسلوب قوي ، واستيعاب موجز ، وتحليل مفصل ، واختيار موفق ، ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى

بقلم الأستاذ أحمد حسن الزيات

اطلبه من دار الرسالة ومن المكتبات الشهيرة فى مصر والخارج وثمنه ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

قطارات البحر لفصل الصيف سنة ١٩٤٩

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه قد تقرر اعتباراً من يوم السبت الموافق ٢٥ يونيه سنة ١٩٤٩ تسيير قطار بحر بين القاهرة والأسكندرية وفقاً للمواعيد المبينة بعد وذلك على أن يقوم من القاهرة أيام السبت أسبوعياً ويعود من الأسكندرية أيام الآحاد.

المواعيد

الذهاب

مصر	قيام	الساعة	١٥ر٠٠
طنطا	وصول	»	١٦ر٠٦
	قيام	»	١٦ر١٠
سيدى جابر	وصول	»	١٧ر٤٠
	قيام	»	١٧ر٤٢
الأسكندرية	وصول	»	١٧ر٥٠

الإياب

الأسكندرية	قيام	الساعة	٢٠ر٣٠
سيدى جابر	وصول	»	٢٠ر٣٨
	قيام	»	٢٠ر٤٠
طنطا	وصول	»	٢٢ر١٠
	قيام	»	٢٢ر١٤
مصر	وصول	»	٢٣ر٢٠

وقد تقرر أن ينقل ركاب من طنطا فى كل دفعة .

الأجور

	كوامل	أنصاف
مصر — الأسكندرية	٥٠٠ مليم	٢٥٠ مليم
طنطا — »	٣٠٠ »	١٥٠ »

على أن يكون صرف التذاكر بإثبات شخصية (كارنيهات) كما اتبع فى العام الماضى . وستعمل المصلحة على تسيير قطار بحر آخر فى يوم الخميس من أول كل شهر ويعود يوم الجمعة وذلك ابتداء من يوم الخميس الموافق ٤ أغسطس سنة ١٩٤٩ (أى بعد شهر رمضـــان المعظم).

مطبعة الرسالة

العدد ٨٣٦ — الاثنين ١١ يوليو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 836

Lundi — 11 — 7 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ رمضان سنة ١٣٦٨ — ١١ يوليو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

البرلمان الشعوبى العربى والاستعداد للحرب مع اليهود

للأستاذ نقولا الحداد

لا يخفى على أحد ما ينويه اليهود من البغى والعدوان على الأمم العربيـة ؛ فهم عاقدو العزم على غزوها جميعاً وامتلاك بلادها واستعمارها . وفى هذه الحالة يتسنى لهم أن يستعبدوها استعباداً مطلقاً أو تهاجر منها جماعات وفرادى ... ولـكن إلى أين وقد وطد اليهود العزم على هـذا وحرصوا عليه منذ دُمر هيكلهم فى أورشليم وتشتتوا فى جميع أقطار المسـكونة ، وصمموا أن ينشئوا دولة يهودية يتوقعون أن تشمل سلطتها جميع دول الأرض!

قد تتراءى هذه الفـكرة سخيفة لأنها شـبه المستحيل ، ولـكن سلوك اليهود منذ قديم الزمان إلى اليوم يدلنا على أنهم يستطيعون المستحيل . ومنذ القرن الماضى شرعوا يستعدون لتنفيذ هذه الفـكرة الجبارة ، فعقد حكماؤهم أو حاخاماتهم عدة مؤتمرات سرية لدراستها وتقرير إمكانياتها ووضع خططها كما شرحنا ذلك فى هذه المجلة. وكانت إثاراتهم للثورات والحروب والانقلابات منذ أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن من جملة خططهم ؛ كالحرب السبعينية الألمانية الفرنسـية ، والثورة التركية فى أوائل هذا القرن ، والحرب العظمى الأولى ، والانقلاب الروسى ، والحرب العظمى الأخيرة — كل هـذه الثورات والانقلابات حدثت بدسائسهم الفظيعة ووسائلهم المختلفة ، ومنها ماسونيتهم الخاصة التى كانت ولا تزال تسخر الماسونية العامة لأغراضهم — كل هذا يؤكد لنا أنهم عاقدو العزم على اجتياح البلاد العربية ، ثم اجتياح الشرق كله ، ثم اجتياح العالم كله !

ومنذ الحرب العظمى السابقة شرعوا ينفذون خططهم على أن تكون فلسطين نواة مملـكتهم . وقد اختاروها نواة لسببين جوهريين : الأول أن فلسطين بحسب مالفقوه فى توراتهم ، منذ ستة قرون قبل المسيح ، هى أرض الموعد التى وعدهم بها الرب (لا الله) ، فجرّ هـذه التوراة عليهم وعلى سائر الأمم الوبال ، لأنها غرست فى أذهان عامتهم أنهم شعب الله المختار . والسبب الثانى أنّ مُقامهم ساء بين الأمم الأوربية الجبارة ولا سيما الأمة الألمانية ، فصاروا يطلبون سلامتهم فى الخروج منها ، إلى أين... إلى بلاد أهلها ضعاف يستطيعون هم أن يستعمروها من غير نزاع ، فرأوا أن الأمم العربيـة خير مرمى لهم ، فقاموا يطالبون بملك إسرائيل ، وقد نجحوا وأسفاه النجاح الأول وأسسوا دولة إسرائيل فى أرض الميعاد ، وشرعوا يوسعون فيها قبل أن يحددوها ويرسموا خارطتها ، فلم يعودوا يرضون بمشروع التقسيم الذى قرربه

هيئة الأمم ، بل صاروا يريدون كل فلسطين ، وكل يوم لهم غزوة فى هذا السبيل ، حتى إنهم غزوا لبنان ، وسيأتى دور سوريا . وأما شرق الأردن فقد صار فى جيبهم بفضل الملك عبد الله ، وعما قليل يمدون أيديهم إلى مصر فالعراق ، وهكذا دواليك حتى تصبح كل البلاد العربية فى وطابهم !

ليس من الضرورى أن يحتلوا البلاد العربية احتلالا حربياً أو احتلالا عسكرياً لأول وهلة ، ويكفى أن يحتلوها تدريجياً احتلالا اقتصادياً واحتلالا سياسياً ، وهذان يتمشيان معاً بسرعة . وقد لايمضى وقت طويل حتى نرى هنا وفى جميع البلاد العربية بنوكا لإسرائيل تمنح تسهيلات لا تمنحها البنوك الأخرى ، ثم نرى فروعاً لمتاجرهم وشركاتهم حتى تصبح معظم اقتصاديات العرب فى أيديهم ، وبحجة ازدياد معاملهم فى البلاد ، وبقوة الأموال التى يبذلونها ، تصبح لهم كراسى فى الحكومة . وسترى أنه لا تمضى بضع سنوات حتى يكون فى الوزارات العربية وزراء يهود يكثرون أو يقلون حسب الظروف ، وفى مصالحها الإدارية المختلفة رؤساء إدارات يهود ، وبعد ذلك تصور ما تشاء من التغلغل اليهودى والأغلال اليهودية التى تغل بها أيدى البلاد !

لا يستغرب القارئ إذا قلت إن هذا يتم أو يحدث فى بضع سنين من ٦ — ٩ . وقد يحدث بتؤدة واحتيال وتمليق وإغراء ؛ وهو حاصل الآن . كم من مصلحة يهودية صارت تسمى مصلحة مصرية لأنها استخدمت وزيراً أو وجيهاً مصرياً أو باشا فى مجلس إدارتها ! وإذا وقفت الوطنية أو النعرة العربية فى طريقهم فعندهم جيش عظيم يضمن لهم تنفيذ مآربهم . ومتى استفحل أمرهم فلا بد أن يقع احتكاك بينهم وبين العرب يقدح شرر الحرب ، فهل نحن لها مستعدون ؟

هذا ما ألفت له أنظار العرب !

كانت الجامعة العربية تجمع نحو ٣٥ مليوناً على الأقل من العرب ، وكان اليهود ثلاثة أرباع المليون ، ومع ذلك انتصروا وانخذلنا ! لا يحق لنا أن نقول إن الإنكليز خانونا ، ولا أن الأمريكان مالأوا اليهود علينا ، ولا أن الروس ناصروهم !

كل واحدة من هذه الدول التى تألبت علينا مع اليهود عملت بمقتضى مصلحتها . ليس الإنكليز ولا غيرهم أولاد عمنا حتى نعتب عليهم . أما الشعوب العربية فهى أولاد أعمام ؛ وأولاد الأعمام يعتب بعضهم على بعض ، فعلينا أن نبحث أسرار انخذالنا .

قالوا لم يكن عندنا سلاح . صحيح ، فيجب أن نبحث أسباب نقص السلاح عندنا ... وأن نزيله !

ولكن ليس هنا مصدر الخلل .

قالوا كانت الجامعة هى المسؤولة عن جميع النقائص والعيوب فيجب أن نبحث عن سبب خللها ونصلحه !

قالوا كان عندنا خونة . وذلك حق ؛ فإن مصر حينما كانت تجاهد وحدها فى الميدان كانت دولتان تخونانها وتمنعان ثالثة عن إمرار جندها فى أراضى إحداها لمساعدتها ، فيجب إذن أن نطهر جامعتنا من الخونة ...

كان أحد الخونة العرب وأحد الوزراء فى دولة عربية يجندان بعض العرب (الدروز) لكى يحاربوا العرب مع اليهود وقد سلما حصناً لبنانياً لليهود . وهل فى ضروب الخيانات أعظم من هذه الخيانة وأفظع ! ومع ذلك بقى ذلك الوزير وزيراً للدفاع فى دولته ، مع أن محاكمة طيارة (فى دمشق) ورفيقيه الذين قتلوا كامل الحسين أحد الخائنين قد شهرت بذلك الوزير تشهيراً يندى له الصخر الجلمود ، ومع ذلك لا يزال وزير الدفاع وزيراً فى حكومته إلى اليوم والغد . فخيانة كهذه يجب أن تجد لها قصاصاً فى الجامعة العربية .

فى الجامعة العربية إذن ضعف وأى ضعف يجب أن نداويه . إننا الآن فى بحر لجى من الخطر الهائل ، فإذا لم نبن السفينة بناء متيناً غصنا إلى قاع الفناء !

الخطر عاجل جداً ما دام ابن غريون رئيس وزارة إسرائيل يقول للجنود الماجانا : « لم يزل أمامكم فتح من أعالى الفرات إلى أعالى النيل » ! وكل تهاون فى شأن هذا الخطر يفضى بنا إلى الخطر الماحق !

لكى نتدارك هذا الخطر يجب أن ينعم القراء العرب النظر فى الأمور التالية :

كان أكبر عيوب الجامعة أنها مجموعة مندوبين من سبع دول عربية ليس لها ميثاق إلا بروتوكول عقد فى الاسكندرية ولم يكن له من غرض سوى ضم العرب فى اتحاد (لماذا هذا الاتحاد؟) ولكن لم يكن فى البروتوكول قانون للدفاع . وليس لأى مندوب فى الجامعة من وظيفة إلا أن يحمى استقلال دولته وحريتها من

هذا الاتحاد ، كأن الاتحاد خطر على الدولة ! لذلك وُلدت الجامعة ضعيفة . كانت اتحاداً لا وثاقة فيه ، ومجتمعاً لا وحدة به

غرضي من هذا المقال أن نبحث الوسائل اللازمة لجعل الجامعة قوة . يجب أن تكون هذه الجامعة جامعة الشعوب العربية — لا جامعة الدول العربية ؛ لأنها باعتبارها جامعة دولية تسعى كل دولة فيها إلى مصلحتها الخاصة لا إلى مصلحة شعبها وبهذه الصفة تكون كل دولة حرة فيها بحيث أنها إذا لم تجد مصلحتها فيها أعرضت عنها وتخاذلت إذ لا تهمها مصالح الدول الأخرى . وليس لهذه الجامعة سلطة على أية دولة من الدول العربية بحيث ترغمها على أن تبقى في الاتحاد . وبسبب هذه العيوب تفككت كأنها كومة من الهشيم هبت عليها ريح فبددتها .

لكي تكون الجامعة اتحاداً قوياً يجب أن تكون برلماناً نيابياً لجميع شعوب العرب يكون فيه لكل شعب عدد من النواب بنسبة عدد أفراده كأن يكون لكل مليون نسمة وكسورها نائب ، أو لكل مليونين وكسورهما نائب إذا شئنا تقليل الأشخاص لتقليل الجدال والنقاش .

وعلى الشعب نفسه أن ينتخب نوابه من غير تدخل حكومته . ولا يجوز اختيار النواب بالتعيين بل بالاقتراع فقط . ويجب أن يرشح للنيابة أشخاص مثقفون ثقافة عالية ووسطى يكونون قد مارسوا السياسة وفهموها وعرفوا بالنزاهة . فيجتمع لنا في هذا البرلمان الشعوبي العربي نحو ٣٠ أو ٦٠ نائباً لا سلطان لأحد عليهم ؛ فيكونون أحراراً مستقلين عن أي تأثير خارجي .

تكون وظيفة هذا البرلمان الشعوبي الرئيسية :

أولا : الدفاع عن جميع الأقطار العربية .

ثانياً : فض المشاكل التي تقع بين الدول العربية ، حتى إذا اقتضى الأمر إرغام بعضها على قبول أحكامه استخدم سلطته العسكرية . وهذا يستلزم :

١ — أن تكون لهذا البرلمان قوة عسكرية تناهز المائتي ألف جندي أو أزيد في أول الأمر . وبعد ذلك تزاد حسب اللزوم .

٣ — أن تعبأ هؤلاء الجنود من جميع الشعوب العربية بنسبة عدد كل منها .

٣ — أن يمول هذا البرلمان بالمال الكافي لنفقاته ونفقات الجيش وسائر النفقات الحربية . فيجبى المال — على ألا يقل من خمسين مليون جنيه كل عام — بنسبة عدد السكان ونسبة مقدرة كل شعب . ويزاد حسب اللزوم .

٤ — أن هذا البرلمان ينتخب قائد الجيش الأعلى وأركان الحرب والمجلس الحربي كما تقتضيه الفنون الحربية .

٥ — لا يكون لأية دولة جيش محلي غير الميليشيا والبوليس اللازمين لحفظ النظام المحلي والأمن العام ؛ لأن الجيش الشعوبي كفيل بالمحافظة على سلامة كل دولة .

٦ — يجب أن يقرر هذا البرلمان إنشاء معامل سلاح وذخيرة في كل مملكة أو في بعض الممالك وينفق على هذه المعامل من خزانة البرلمان الأعلى .

٧ — ينشىء هذا البرلمان المدارس الحربية لتدريب الجنود والضباط ويضعها تحت إدارة مجلس حربي يشترك فيه القائد الأعلى ويحسن أن يكون هذا القائد رئيسه .

٨ — القائد الأعلى وأركان حربه أو المجلس الحربي الأعلى يقرر أماكن معسكرات الجيوش حسب مقتضى الحال لكي يكون استدعاء الجيوش وتحريكها سهلا وسريعاً .

٩ — سياسة الدول العربية الخارجية تكون في يد هذا البرلمان . ولا شك أنه حريص على مصالح دوله جميعاً ولا يفرط في شيء منها . وأظن أن هذا الأمر أضمن لسلامة الدول العربية من الاستعمار الأجنبي الذي يثلم الاستقلال .

١٠ — ليس لدولة من الدول العربية أقل سلطة على هذا البرلمان . وإنما له هو سلطة على الدول في العلائق بينها وفي الشؤون الخارجية أيضاً .

١١ — إذا تمردت إحدى الدول على هذا الاتحاد وجب على البرلمان الشعوبي أن يخضعها ويردها إلى حظيرة الاتحاد .

* * *

هذا هو ملخص مشروع جامعة الشعوب العربية العملي . ولأجل إخراجه إلى حيز الفعل لابد من إقناع جميع الدول العربية بصلاحيته وضرورته ووجوب تحقيقه عاجلا قبل أن يستفحل خطر الغزو اليهودي . فإذا لم تقتنع الدول العربية كلها بضرورته العاجلة فإسرائيل اليهودية واقفة بالمرصاد تتحين الفرص للهجوم الاقتصادي

أنا ... والمـــوت !

للأســـتاذ راجى الراعى

رأيت الموت أمس جاثماً بين القبور يتأمل ما صنعته يداه ، ومنجله الدامى إلى جانبه ، فجرّأنى عليه سكونه ، وأن المنجل ليس فى يده ، فأتيته ... فتفرّس فىّ ، وقلّب قلبى بين جفنيه ، ثم زفر قائلا :

— ما الذى جاء بك ! إن ساعتك لم تأت بعد !

— ولما ذا تزفر ؟

— لأنك لم تقع بعد فى يدى !

— ومتى أقع فيها ؟

— تقع فيها يوم تبلغ حدك المرسوم ، أو يوم تطلبنى !

— وهل أنت تُطلب ؟ إننى أتخيلك وفى يدك المنجل تطرق الأبواب وتدخل متى شئت !

— لا ، لست وقحاً إلى هذا الحد . أنا لمن يبلغ المئة ، وهى الحد الأخير الذى أقيم لعمر الإنسان ، فإذا بلغه أقبلت عليه وأعدته إلى ترابه ، ولا آتيه قبل ذلك إلا إذا دعانى !

— وكيف يدعوك ؟

— يأثم ويشذ عن الصراط القويم ، ويجن جنونه ، فتحترق كبده ، ويجف عرقه ، ويتضخم قلبه ... إن معظم الذين يموتون يقبلون علىّ قبل أن أقبل عليهم ، ويسوقوننى إليهم سوقاً كأن الحياة عبء عليهم ، وكأنهم يستطيبوننى !

— ألم تتعب بعد من الحصاد أيها الموت ؟

— وهل تعبت الحياة من زرع بذورها ؟

— أليس لك ساعة تموت فيها ؟

— الأقوياء الخالدون يميتوننى ، ثم أُبعث فى الضعفاء حيًّا !

— من يشحذ منجلك ؟

— حنين التراب إلى بنيه .

— كم بلغ عدد الذين قبضت عليهم حتى اليوم ؟

— إن عددهم فى التراب عدد ذرّاته ... فكيف أحصيهم ؟

— أين أنت منى الآن ؟

— كلما نبض قلبك نبضة خطوت إليك خطوة !

— ما هى كلمتك فى لغة الأحياء ؟

— الرحيل ...

— أحقاً أنك القبح كله والقسوة كلها ؟

— يقولون ذلك ، ولكن من أراح الإنسان من ألم الحياة ، وطول البقاء ، وأطل به على دنيا قد ينتظره فيها النعيم ، لا يكون قاسياً قبيحاً ، بل جيلا رحيماً ...

— أتكون الموت وتذكر الجمال والرحمة ؟

— نعم ، أذكرها وأذكر شيئاً آخر هو الغبطة التى يشعر بها الراقد فى سريرى .

— ما هوّ كتابك ؟

— أنا كتاب عنوانه الولادة ، وسطوره مطموسة ، وخاتمته رمم يتكشف عن جفن مطبق على قلب مطمون ...

— ما ألذ ما تلذك رؤيته فى الأرض ؟

— قطع السنابل فى الحقول ، وجمع الكثبان من الرمال !

— أين تقيم ؟

— وراء الباب ، وفى الزاوية ...

— وأين أيضاً ؟

— فى العلة العاصية ، والشريان الجاف ، وفى عقل المجنون ، وإرادة العاشق ، وشهوة الزاهد ، وثمالة الخمر ؛ وفى موجة البحر ، وموجة اللهيب ، وفم المجد ، والصاعقة ، والبركان ، وناب الأفعى ، وضمائر بعض الناس ، وجبين الأبله ...

والحربى معاً . ولا يردها عن هذا الهجوم إلا علمها بأن مشروعنا هذا فى طريق التنفيذ . فما هى الخطوة الأولى التى نخطوها فى هذا السبيل ؟

أولا . إذاعة هذا المشروع على جميع الشعوب العربية وحثها للعمل بمقتضاه . وأول ما يقتضيه هو السعى لدى الحكومات أن تقبله على اعتقاد أنه هو السبيل الوحيد لإنقاذ الأمم العربية من الخطر الصهيونى لكى تساعد على انتخاب البرلمان الشعوبى العام .

ثانياً : استدعاء ممثلين من كل أمة عربية لعقد مؤتمر للبحث الجدى فى هذا المشروع وتقريره وإنشاء ميثاق له ودستور للبرلمان الشعوبى .

٢ ش البورصة الجديدة القاهرة نقولا الحداد

— أين ترى ظلك فى الناس ؟

— فى الحصّاد والحطاب والحفار والجزار والجلاد والمنتحر.

— كيف أنت وهذه الألوية الخفاقة ؟

— لوائى هو اللواء الذى يخفق فى أفسح الأجواء .

— أى الألوان والأصوات أحب إليك ؟

— السواد والحشرجة ...

— كيف أنت والحروب ؟

— أرى فيها أخصب مواسمى .

— والحب ؟

— الحرب بيننا سجال .

— والجريمة ؟

— إنها حليفتى ...

— والشمس ؟

— إن لهذه المتعجرفة الهازئة بى فى أعالى الفضاء يوماً من أيامى ، وقبراً من قبورى ... إن أشعتها أصابع النور ، وهذه الأصابع ستقطع يوماً ... وفى ذلك اليوم تنتهى المهزلة الأرضية ، وأقبض عليكم جميعاً فى لحظة واحدة ... انظر إليها ، لقد جاوزت حد الشباب ، وهى الآن فى كهولتها ، وعما قريب يدب فيها الهرم .. سيملكم النور وأنتم فى فنون حيوانيتكم لا تستحقونه .. إنكم تقابلون هذه الشمس التى تكرمكم كل يوم باللؤم والجحود . إن سماجتكم تكره جمالها ، ولو أمكنكم أن تصمدوا إليها وتطفئوها لفعلتم !

— كيف تريد أن أرسمك أيها الموت ؟

— ارسمنى قمة لجبل الحياة ، أو حجراً فى القلب ، أو صليباً فى الحب ، أوشبحاً يقهقه فى رحم المرأة ، أوعظمة فى حلق الأمل

— من أنت فى الأدب ؟

— أنا ناثر أنثر ما تنظمه الخليقة .

— كيف أنت والجوع والظمأ ؟

— لا أعرفهما ، فمنذ ولدت والتخمة تقتلنى ، والدماء فى فمي ...

— والرقاد ... هل تعرفه ؟

— كيف أرقد وأنا هو الليل ، وهل يرقد الليل ؟ أنا إن رقدت هلت الخلائق ، وصرت الحياة فوق أحلامى هازئة بى ، وأفلتت من يدى .. أنا اليقظة الكبرى ، فكيف أطبق أجفانى؟

— كيف ترانى أيها الموت ؟

— أراك تنأى بخيالك عن الحياة ، وتدنو منى ... إنك تعيش فى عالم الأشباح ، وهو من عوالمى ... إن مطارق الخيال والتصوف تهدم فيك تمثال البقاء ...

— لى حاجة أسألك قضاءها

— وما هى ؟

— إذا دقت ساعة الرحيل ، فلا تقبض على وأنا مقوس الظهر أتوكأ على عصاى ... اقبض على ورأسى ينطح الأفق ، وقدمى راسخة فى الأرض لكى يقال إننى صارعتك ، وفى ذلك عزائى فى بلية الترب ... أنا لا أحب الغنيمة الباردة ... اقبض علىّ وأنا أحدق إلى الشمس ، وأفتش عن وجه الله ، حتى إذا مثلت بين يديه تذكر أننى كنت ربيئاً جريئاً ... فتش عنى فى أعماق قلب الحياة ، وانتزعنى منها إذا استطعت . ولا تنتظر أن أجمع بقاياى لأرمى بنفسى على باب بيتك ... والويل لك ثم الويل إذا أنت مسست روحى ، وتجرأت على خيالى ... إن خيالى أقوى منك لحذار ...

— إن خيالك يتكلم الآن ... أما أنت ... وهنا نفخ الموت نفخة جد لها دمى ، وحدق فى منجله اللمّ إلى جانبه ، وأخذ يهز رأسه ويحملق ويغمغم ، فخيل إلى أنه يقول لنفسه : لقد أتعبنى هذا الوقح بتحديه وأسئلته التى لا آخر لها ، فإذا وكزته بهذا المنجل ، أو لوحت به أمام عينيه كف عنى . فتملكنى الرعب ، وكاد يهوى قلبى ، فشددته بيدى ورحت أهرول مطلقاً ساقى للريح ، لا ألتفت إلى الوراء ، وأنا أحسب أن الموت يجد فى أثرى .. وبعد قطع الثلاث من الأميال وأنا أعدو كجياد المتنبى الذى قال فيها :

عقدت سنابكها عليها عثيرا لو تبتغى عنقاً عليه لأمكنا

وقفت عند ينبوع يتدفق بالحياة وأنا أرتجف والهث إعياء ، ورحت أعب الماء وأنا لا أصدق أنه الماء ، وأجس رأسى وصدرى وما فىّ من شرايين وأوردة ودماء بعد أن تحدثت إلى الموت ...

نعم ، الموت الذى لا يفتح فمه إلا ليشرب الدماء ...

راجى الراعى

مصطفى كمال الزعيم التركى

بقلم الكونت سفورزا وزير خارجية إيطاليا
للأستاذ أحمد رمزى بك

— ١ —

منذ أشهر لمع اسم سفورزا فى المحفل السياسى الدولى وقد قلت إن مثله قليل فى الساسة ، وهو يذكرنى بكافور ومدرسته ، الذى حقق الوحدة الإيطالية ، فإذا تبنى سفورزا عودة المستعمرات لإيطاليا فهو خصم جبار لا يستهان به .
وإذا أردت أن تعلم من هو هذا الجبار فقرأ له
هذا بحث قديم عثرت عليه بين أوراق ، وأغلب الظن أنى كتبته في عام ١٩٢٧ حينما كنت أشغل وظيفة سكرتير قنصلى بمدينة تريستا بإيطاليا ، ولم يكن لدى من العمل أو من العبث ما يشغلنى عن مثل هذه الأبحاث .
أعرضه على قراء الرسالة ليروا ناحية من نواحى ساسة الغرب حينما يتكلمون عن الشرق وأهله : فإن لنا فى كل هذا ذكرى وعبرة .

أحمد رمزى

من الغريب أن كتب التاريخ الحديث المستعملة فى المدارس الإنجليزية والفرنسية والإيطالية لا تزال تلقن الأطفال الذين ولدوا بعد الحرب العظمى أن تركيا من الممالك التى قهرها الحلفاء وفرضوا إرادتهم عليها ، مع أن الحقيقة بخلاف ذلك لأننا إذا حاولنا التفرقة بين الغالب والمغلوب ، رأينا أن الغالب هو الذى خرج من الحرب بمعاهدة حصل فيها على كل مطالبه ، والمغلوب هو الذى فقد كل مصالحه وتنازل عما يدعيه من الحقوق التى كانت له قبل الحرب فى بلاد الآخر .

فمن من الطرفين الذى حصل على مطالبه ، الحلفاء أم تركيا ؟ لا نزاع فى أن تركيا هى التى وصلت إلى كل ما تطلبه من الحلفاء . وقد حصلت على ذلك بعمل رجلها مصطفى كمال .

***

عرفته لأول مرة وهو شاب فى الثامنة والعشرين من عمره وذلك فى سنة ١٩٠٨ حينما كان يشغل وظيفة أركان حرب محمود شوكت باشا قائد الجيش التركى الذى زحف على اسنتبول وأجبر السلطان عبد الحميد على منح الدستور لرعاياه . وكان شوكت باشا فى ذلك المهد آلة بيد جماعة الاتحاديين فى سلانيك ، تلك المدينة التى كانت مركز الثورة والتى تمخضت عن فكرة الانقلاب والاستيلاء على الحكم ، والتى اشتهر أهلها المسلمون بنزعاتهم الوطنية فى تاريخ الانقلاب التركى . وقد نشأ مصطفى كمال بتلك المدينة وتشبع فيها بأفكار جماعة الأحرار ، وسرعان ما صار أحد خطبائهم العاملين على نشر الأفكار الثورية الحديثة بين الضباط فى الجيش

والذى يفسر لنا اختيار شوكت باشا إياه ليكون رئيساً لأركان حربه رغم حداثة سنه هو أن شوكت لم يكن عضواً بأحد الألواج المركزية لجماعة الثورة فاختار مصطفى كمال ليجتذب إليه ثقة أصحاب النفوذ فى الحركة ويفهمهم باختيار أحد المتحمسين لهم أنه مُسلِّم بأفكارهم متبع لخططهم .

وقد تمكن مصطفى كمال بعد اثنى عشر عاماً مضت على هذه الحوادث أن يصير رئيساً مطاعاً فى أمته ذا كلمة نافذة على الجيش ورؤسائه — ثم انتهى بعد ثلاث سنوات إلى تقلد رئاسة الجمهورية التركية — ويعد هذا نجاحاً عظيماً لأى شخصية ولو كانت وليدة عصر مملوء بالانقلابات والثورة .

***

إننى مع ثقتى التامة بالنواحى الظاهرة من شخصية مصطفى كمال مثل همته المقترنة بالاقدام وشجاعته المقترنة بالتحوط والانتباه أرى عدم إغفال الإشارة إلى العامل الأساسى الأول الذى دفع به إلى قمة النجاح ، وهو عمل السياسة الإنجليزية فى تركيا بعد الحرب؛ لأن مصطفى كمال وأنصاره ما كان فى وسعهم أن يفكروا أو يصلوا إلى عزل السلطان وحيد الدين أو الذهاب إلى أنقرة والعمل على تحطيم معاهدة سيفر المشؤومة — بغير حدوث الأغلاط التى ارتكبتها السياسة الإنجليزية فى بلادهم .

وإنه لجدير بمصطفى كمال أن يتخذ دوننج استريت حيث كان يقطن لويد جورج كعبة ينحنى أمامها لأنها كانت سبب صعود نجمه السياسى .

وفعلا قد اعترف بذلك رجال إنجلترة الرسميون ؟ ولا أريد بذلك لويد جورج الذى لا يكتب ولا يبوح — وإنما أقصد ونستون تشرتشل الذى اعترف بهذا فى كتابه عن مفاوضات الصلح — وطبيعى إنى لا أقصد بكلامى هذا مناقشة وتحقيق ما تم فى

هذا العهد الذى انتهى بالتسليم بوجهة النظر التى لمستها من أول الأمر وشرحتها من المبدأ بطريقة إيجابية للجهات المسئولة .

* * *

انتهت حالة الحرب مع تركيا بهدنة مدروس التى تم التوقيع عليها على ظهر بارجة إنجليزية فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ ولم ينص فى بنودها على شروط خاصة بنزع السلاح ولا تسريح الجيش بشكل قطعى ولا على العقوبات التى كان يجب أن توقع على الرجال المسئولين الذين باعوا ضمائرهم لدول الوسط .

ولما كانت فكرة تقسيم تركيا بعيدة عن الأنظار فى ذلك العهد ولم يكن أحد متوقعاً لها — وإن كانت السياسة الإنجليزية أعلنتها بعد ذلك وجعلتها غرضاً من أغراضها — لذلك لم تتخذ الاحتياطات اللازمة لتنفيذها ولم ينص على شئ من ذلك فى عقد الهدنة . وهذا يدهش طبعاً العقلية الألمانية أو الفرنسية التى اعتادت التفكير بشكل منطقى منظم يتطلب النظر والاستعداد لكل حالة بعد وقوعها ، ويجعل الكثيرين حيارى أمام التغييرات التى تطرأ على السياسة الإنجليزية بل تجعل بعضهم يرمونها بأنها دائماً مقترنة بنكث العهود مع أن الحقيقة أن هذه التغييرات هى نتيجة للتسرع فى العمل أمام حالات طارئة ، وهذا التسرع تستدعيه طبيعة القرارات التى توجه السياسة لجهة معينة بغير الدخول فى التفاصيل التى يترك لمقتضى الأحوال تكييفها وتسييرها

قررت الحكومات الثلاث لدول إنجلترة وفرنسا وإيطاليا بعد عشرة أيام من إمضاء الهدنة تعيين ثلاثة مندوبين ساميين لتعهد مصالحها فى تركيا ، فعينت إنجلترة الأميرال كالتروب الذى عقد الهدنة مندوباً لها ، وعينت فرنسا الأميرال أميت قائد أسطول الشرق ، وتعينت أنا مندوباً عن إيطاليا فسافرت لتسلم عملى عن طريق كورفو ، وسافر معى جزء من الأسطول إلى استانبول .

ولما وصلنا تبين لنا أن الآلة الحكومية التركية قد تعطلت وفقدت سلطتها فأصبح من الحتم علينا تحمل عبء الحكم مؤقتاً انتظاراً لما يقرره مؤتمر الصلح فى باريس .

وكانت القوات البحرية الراسية فى البوسفور والقوات البرية المعسكرة فى تركية الأوربية كفيلة بضمان تنفيذ ما نقرره فى كل جهة . وكنا نعقد كل أسبوع اجتماعاً فى إحدى السفارات الثلاث تحت رئاسة المندوب المجتمع فى داره — وكان لتركيا فى ذلك العهد صدر أعظم يعمل فى الباب العالى ، وسلطان يقيم فى سراى ضولمة باغجة — ولكن لم يكن هناك من يهتم بهما لأن طلبات المونة والحماية والتعويض كانت كلها تقدم لإحدى هذه السفارات كأنها الجهة أو السلطة صاحبة الشأن فى البلاد ، وكان عملنا سائراً لا تشوبه غيرة أو تنازع على المصالح ، وإنما باتفاق تام ساعد عليه كثيراً تآلفنا الشخصى .

وكنت قد استحضرت معى علماً إيطاليا من إحدى البوارج أسرعت برفعه على دار السفارة بعد أن قمنا بتحية إنزال العلَم الأسبانى الذى كان يرفرف عليها طوال مدة سنوات الحرب الطوال ، وما كادت الموسيقى تعزف ألحان النشيد الوطنى الإيطالى حتى اجتمع عدد كبير من الأهالى مكون من يونان وأرمن ويهود وبعض الترك ، الذين لم يظهر عليهم أى مظهر عدائى نحونا .

لقد اقتنع كثيرون من أن حملة الدردنيل كانت نكبة من الوجهة العسكرية لما سببته من النتائج الخطيرة التى أطالت مدة الحرب ، ولكننى تيقنت من ذلك حينما أقمت باستانبول بعد الهدنة لما علمته من بعض السلطات التركية من أن القواد الترك دهشوا لما رأوا انسحاب القوات البحرية فى الوقت الذى بدأت فيه قوى المدافعين تخذلهم — فكأنهم لم يشعروا بانتصارهم إلا بعد انسحاب عدوهم — وهذا دليل جديد على أن العامل النفسى هو أساس كل انتصار حربى .

وقد دهشت كثيراً عند وصولى استانبول وبعد زيارتى لبروسة من وفرة المؤن والمحاصيل الغذائية فى البلاد ، لأن إيطاليا تأثرت كثيراً من حالة الضيق التى كانت فيها مدة الحرب . ولعلمى بوجود جالية إيطالية كبيرة فى تركيا ، كنت أنتظر أن أجدها فى شبه مجاعة ، فاستحضرت من إيطاليا كميات كبيرة من الدقيق لتوزيعها على أفراد الجالية -- ففوجئت حينما علمت أن الجالية ليست فى حاجة إلى شىء من المونة وإن أفرادها يفضلون الدقيق التركى الممتاز ببياض لونه ونقاوته على الدقيق الإيطالى — وعلمت من ذلك أيضاً فداحة ما تحمله الحلفاء بسبب إخفاق حملة الدردنيل؛ ولكن الماضى قد انتهى الآن وليس أمامنا إلا مواجهة الحقائق التى أمامنا .

أقنعتنى هذه الحقائق منذ البداية أن تركيا لم تكن قد ماتت بل بالعكس كانت الحكومة المركزية تمثل وحدها الجزء الفانى المحطم فى البلاد، أما تركيا الحقيقية فكانت موجودة يستطيع من يريد أن يلمسها، فكان فى اعتقادى من خطل الرأى محاولة تضييق حبل الخناق كثيراً — لأن فى تضييقه انتقال تركيا إلى آسيا وبقاءنا نحن فى استانبول وسط بلد مهجور.

هذا الرأى الذى كونته لنفسى عن الحالة والمستقبل بادرت بإخبار حكومتى به وأبلغته فى نفس الوقت إلى مؤتمر باريس. وصارحت روما بأننى لا يسمنى أن أخدم بلادى الخدمة الحقيقية إلا إذا حصرت الجهد كله للوصول إلى صلح عاجل يعطى إيطاليا كل المزايا الممكنة فى الأراضى التركية بشرط الإقلاع عن أى فكرة ترمى إلى القضاء على وحدة البلاد.

ولم أكن أجهل المشروع الذى وضع لتقسيم الأراضى التركية إلى مناطق نفوذ بين الدول، وأعلم أيضاً أن هذا المشروع يوافق هوى الدوائر الرسمية فى باريس، ولكنى لم أعط نفسى حق الوقوف عند ذلك — بل تيقنت أن رأيى هو الذى يلتئم مع الحقائق التى أمامى، وأن من الواجب على لمصلحة بلادى أن أصارحها به لعلمى أنه يغلب فى النهاية أن يكون الرأى المتبع.

وكنت أنتظر من الحكومة استدعائى من مركزى بعد تصريحى بهذا الرأى ولكن لم تبد من جهة أورلاندو ولا سونينو (أولهما رئيس الوزارة والثانى وزير الخارجية) أى بادرة لمعارضتى فى هذا الرأى مما دل على موافقتهم لى ضمناً — وإنما كتب لى سونينو بعد ذلك، بصراحته المعروفة، أنه إذا أظهرت الأيام فساد هذا الرأى وعدم مطابقته للواقع فإنه سيترتب على ذلك تنصل الحكومة الإيطالية من تبعة أعمالى وإعلانها عدم موافقتها على سياستى.

***

وكان السلطان ضعيفاً لا يقر على رأى حتى ينقضه مهتما بمستقبل عائلته أكثر من اهتمامه بمستقبل بلادة وشعبه. وكان فى مظهره وحركاته مثلا تاماً لسليل عائلة انتهى عملها وظهرت بوادر فنائها.

واختار له وزيراً أول الداماد فريد باشا؛ وهو كما يدل عليه اسمه صهر للبيت المالك بزواجه من الأميرة خالدة، وهو مثل لما تفرغه التربية الإنجليزية فى عقلية شرقية، لأنه أتم دراسته فى أكسفورد وتأثر من ذلك لخرج صورة تامة للجنتلمان الإنجليزى.

ولما كانت الدوائر التركية فى سبات تام لا تبدر من جهتها بادرة حياة، اقتنع الرجال المنوط بهم الاتصال بلويد جورج وكيرزون أن تركيا قد أصبحت طوع أيديهم وفى وسعهم أن يفرضوا عليها ما تشاء أهواؤهم — ويرجع معظم الخطأ إلى أن هؤلاء الأفراد وممثليهم ودعاتهم ومأجوريهم أبوا من المبدأ أن يتصلوا بأى فرد من الترك الذين تكونت منهم النواة الأولى لحكومة أنقرة — وقد ساق لى الحظ مقابلة بعض هؤلاء الترك فى منزل مهندس إيطاليا والتحدث إليهم فى نادى «السير كل دوريان» تحت أنظار زملائى الذين اشمأزوا من ذلك.

وقد شعرت من أول وهلة أن هؤلاء الرجال لم يحاولوا قط تضليلى بل فاتحونى بصراحة تامة قائلين إنه إذا اشتدت الحال ببلادهم ففى وسعهم أن يحافظوا على استقلالهم مهما كلفهم ذلك ولو بانسحابهم جميعاً إلى آسيا.

***

ولذلك لم أتردد فى أن أصرح برأيى حينما أبلغنى الأميرال كالثروب فى ١٢ مايو سنة ١٩١٩ قرار مؤتمر باريس القاضى باحتلال اليونان لأزمير — من أنى مقتنع تمام الاقتناع أن مسائل الشرق الأدنى ستزداد تعقداً، وقد تدخل دوراً مملوءاً بالحوادث الفاجعة — ولكن الأوامر التى صدرت إلينا كانت قاطعة ولم يكن هناك مناص من إطاعتها وتنفيذها.

وقد تم إنزال الجنود واحتلال المدينة بالشكل الذى كنت أتوقعه أى بعمل حربى مجرد من القتال ولكنه مقرون بالدماء. وقد اتضح لى خطأ أثينا فى اليوم الذى احتفلت برفع علمها الأزرق على قلاع أزمير بعد معركة تمثلت فيها البطولة كما نقلت إلينا البرقيات فى حينه.

وكانت الجنود التركية وقت مباشرة الاحتلال بواسطة القوات اليونانية ملازمة لقشلاقاتها، مطيعة للأوامر التى صدرت إليها من الحكومة وحملها رسل من طرف الداماد مؤكدين بأن الاحتلال مؤقت وسيزول فى القريب — وكانت المدينة خالية من

صور من الحياة :

رجُــل ... !

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا رجل ! لست رجلاً إلا أن تعتز بالشرف والكرامة وإلا أن تفخر بالشهامة والإباء وإلا أن تتشبث بالرجولة والعفة ، لا يغنيك عنها أن تبدو أنيق اللباس نضير الإهاب بهيّ الطلعة .

***

عرفتك يا صاحبي — أول مرة — فتى فى مقبل العمر وزهرة الشباب تتأنق فى لباسك وتتألق فى زينتك حسن الهيئة والشارة يتضوع العطر من جوانبك وتفوح رائحة الأنوثة من أعطافك ، فأنت متكسر الرجولة لين العود فاتر الهمة ، وعجبت — أول ما عجبت — أن أراك فى زى ذوى الثراء والغنى وأنت موظف حكومة لم يبلغ راتبك إلا تسعة جنيهات ، وأن تبذل فى بذخ وإسراف وأنت لا تملك شيئاً غير راتبك ، وإن الموظف

أولئك الفدائيين الذين ظهروا فى كثير من جهات آسيا الصغرى وقدموا حياتهم بشجاعة خارقة للعادة فداء للوطن التركى .

فمن المسئول إذن عن أول طلقة وجهت من ناحية الشكنات ؟

أكد لى بعض المكلفين باستقاء الأخبار أن مطلقها أحد المهيجين اليونان بقصد إثارة الفتنة والمذابح . فإذا كان هذا صحيحاً فمن المؤكد أن حكومة « أثينا » بعيدة عن إرسال أوامر بمثل هذه الأعمال التى تصدر غالباً — وفى كل البلاد بدون استثناء — من عمل بعض الرجال العسكريين المتحمسين لدخول معركة لا يكلفهم الانتصار فيها شئ .

وقد كان احتلال أزمير وخيم العواقب لأن الأمل الضعيف الذى كان باقياً فى توطيد الحالة وإيجاد حل يقبله الطرفان قد انتهى بارتكاب هذا الخطأ — والأخطاء فى عالم السياسة كالذنوب لدى الأفراد تأتى تباعاً ويجر بعضها بعضاً .

(يتبع) أحمد رمزى

— وإن علت درجته — ايمانى الجدب والإمحال من شدة الغلاء ويقاسى الضيق والعنت من قلة الدخل ، فهو يأكل التافه بقدر ويلبس الخلق البالى ، ويحمل نفسه على شظف العيش ويصبر على بؤس الحياة . وراعنى أن أرى زملاءك فى المكتب يقابلونك فى ابتسامة ساخرة وأفزعنى أن أجد أترابك فى الديوان يتهامسون فتطوف همساتهم حولك بسوء ، فجلست إلى زميل لك استشف خبرك واستجلى قصتك ، فقال :

هو فتى — كما ترى — واهى الرجولة صفرت نفسه من الشهامة ، يتهاوى ضعفاً وأنوثة ، فهو بيننا أحدوثة قذرة تمجها الألسن وتعافها الأنفس ، وهو يحس منا فنوناً من الازدراء ويلمس ألواناً من الاحتقار ، ولكنه لا يرعوى ولا يرتدع كأنما استمرأ حياة الذلة والضعة حين جمع المال منتهى غايته .

قلت : وماذا يضير المرء إن جمع المال بعض همه لينفذ منه إلى متعة نفسه وسعادة قلبه وهدوء باله .

قال : ولكنه يتخذ إلى المال سبيلاً معوجاً يتنافى مع الكرامة والشرف ... أما قصة الفتى فهى :

عشت أنا وهو حيناً من الزمان زميلين يربطنا عنت العمل وقسوة الرئيس وتضمنا أواصر الأخوة ونزوات الشباب ، فكنت أقضى إلى جانبه ساعات الفراغ ننشق معاً أريج الحياة وهى تتفتح لنا رويداً رويداً ، ونبتسم للصبا وهو يرف علينا رفيفاً حلواً ، ونستمتع بالعافية وهى تنشر علينا جناحاً رفيقاً ، ونسمد بالهدوء وهو غاية قصدنا . لا يبهرنا زيف المدينة وهو فوق طاقتنا ، ولا يسحرنا بهرج الحياة وإنا لنحس ضيق ذات اليد ، ولا نندفع إلى شهوة وإنا لنشمر بالحياء والخجل . وغبرنا زماناً نجد اللذة والسعادة فى حياة الهدوء والاستقامة . ثم جاءت الحرب فصفعت الموظف صفعة قوية طار لهالبه وزلزلت كيانه وشغلته شدة الحياة عن نفسه وإن لى أخوة صغاراً أحمل ثقلهم فأ كاد أنوء به فى الرخاء فما بالى وقد ضرستنى الغلاء وعركتنى الفاقة ، فعشت دهراً لا ألقى صديقى إلا فى الديوان ولا أجلس إليه إلا فى المكتب ، وصمت هو فلا يحدثنى بأمر ولا يكشف لى عن حادثة . ثم جاء ذات صباح ثائراً ضيق النفس مضطرب الخاطر . وأرادنى على أن أجلس إليه فى خلوة ليقص لى قصة أخته ، وهى فتاة فى العشرين من سنى

حياتها تتنزى شباباً وتتوثب جمالاً ، وإن دلالها ليعصف باللب ويخلب الفؤاد ، وإنها لتتأرج بهاء وإشراقاً ، تشع من عينيها معانى الأنوثة والجاذبية وتنفث ابتساماتها فى القلب هزات الكهرباء ...

آه ، يا صاحبي ، لقد كنت أخشى نظراتها الجذابة وأغضى عن بسماتها العاصفة وأغمض عن أنوثتها المنيفة خيفة أن ينفرط فؤادى أو أن ينقد قلبى على حين أن نفسى كانت تنازعنى إليها ، ولكنى لا أستطيع أن أنفض على عينى أخيها خلجات قلبى ، فما كان لى أن أصبح زوجاً وبين يدى أخوة أخاف أن يستشمروا — بفقدى — اليتم والضياع . فكنت أنصرف من لدن زميلى وقد شاع الأسى فى أوصالى وأفعمنى الحزن وسيطر على الضجر ، ولكن لا سبيل ... وعاشت الفتاة إلى جانب أخيها الموظف عيش الكفاف والشرف ، ثم أقبلت الحرب والغلاء معاً فأحست بأنوثتها وهى تتكامل رويداً رويداً ولكن الضيق يوشك أن يعصف بها ، وشعرت بجمالها الوضاء يشرق حيناً بعد حين غير أن الفاقة تحاول أن تستله منها ، وعز عليها أن تنطفىء فيها شعلة الشباب والدلال من أثر الحاجة والفقر فراحت تتوسل إلى غايتها بأساليب شيطانية منحطة ، فتعرفت على فتى ثرى من أبناء الذوات . وأبناء الذوات فئة من الناس أتلفهم الثراء وأبلاهم التعطل فغدوا زبداً لا ينفع الناس وعاشوا عيالاً على الجماعة ، لا يقيمون وزناً لمقابيس الأخلاق السامية من خور التربية ، ولا يتمسكون بالشرف من انفراط عقد الأسرة ، ولا يؤمنون بالعفة من أثر الاستهتار والتبذل ، وهم داء الأمة العضال وعظامها النخرة .

وترامى إلى زميلى أن أخته قد حادت عن الطريق المستقيم وأوشكت أن تتدغ فى هاوية مالها من قرار فأخذ يتأثر خطاها ويضيق عليها السبل .

ولكن الفتاة كانت ذات مكر ودهاء فسلكت إلى قلب أخيها مسالك براقة خلابة فغمرته بالطيب من الطعام والغالى من الثياب ، وحبته بسيل من الهدايا ما ينضب معينه ، فوهى ما اشتد من قوته وانحلت عقدة عزيمته فأغضى عن زلاتها وأرخى لها العنان ، فاندفعت الطائشة لا تلوى على شىء ، وعاش هو لا يهمه إلا أن يبدو فى زى ذوى الثراء والغنى ، لا يشغله إلا أن يبذل فى بذخ وإسراف ...

ثم تاقت نفس صاحبنا إلى أن يكون زوجاً ورب أسرة فجلس إلى أخته يكشف لها عن ذات نفسه فما صرفته عن رأيه ولا ردته عن غايته ، ثم راحت تمهد له السبيل من مالها وهى تذكره — فى لباقة — بأنه موظف حكومة يجب ألا ينسى أن راتبه لم يبلغ بعد إلا نسمة جنيهات .

وانطوت الأيام فإذا الفتى زوج لفتاة جميلة آسرة رغم أنها من أسرة رقيقة الحال تقنع بالتافه وتجتزىء بالضئيل لا ترنو إلى المال ولا تطمع فى الترف . ولقد راع الزوجة أن ترى بيت زوجها يموج بالطنافس والصور ويفهق بالأثاث والزخرف ، ولكنها عاشت إلى جانب زوجها سعيدة تنظر إلى ما حولها ولا تتكلم وترى ولا تتحدث وخشيت أن تكون ضحية حماقتها إن هى ترثرت بكلمات تؤذى زوجها أو تنال من كرامة أخته ، وخُيل إليها أن زوجها فى عمى عن نزوات أخته فانضمت على أذى فى نفسها ووقفت على حيد الطريق فى صمت وضيق ، ومرت أيام وأيام .

وأرادت الفتاة أن توسوس لزوج أخيها بأمر لتجتذبها من وحدتها فجلست إليها تحدثها قائلة : « أرأيت ما أفعل ؟ » قالت الزوجة « وماذا تفعلين ، يا أختى ؟ » قالت « أرأيت الشاب الذى يطوف بسيارته حول دارنا فلا يقر له قرار إلا أن أرافقه فأملأ فراغ وقته وفراغ قلبه فى وقت معاً » فقالت الزوجة « ما رأيت شيئاً » فقالت الفتاة فى إصرار وصراحة « لا تنكرى ، لقد سمعت ورأيت ، ولا عليك فنحن الآن فى خلوة لا يسمعنا أحد ولا يرى» فأجابت الزوجة « نعم ، لقد رأيت وسمعت ، ولكن مالى أنا ولذلك الشاب » قالت الفتاة « إن له لأخاً فى مثل شبابه ورونقه وثرائه ، وهو يطمع فى أن تكونى شغل فراغه وشغل قلبه » فأجابت الزوجة فى ذعر « أنا ؟ لا ، لن أكون شيئاً من ذلك ! فقالت » الفتاة « لا بد أن تكونى ، لعلك من الحمق والغباء بحيث تطمعين فى أن أبذل من نفسى لأوفر لك السعادة والهناء ! » فأجابت الزوجة فى غيظ « إننى أجد السعادة إلى جانب زوجى فأقنع بإخلاصه وأقنع براتبه الضئيل » وثارت الفتاة فى وجه الزوجة قائلة « إذن لا معدى لك عن أحد أمرين : إما أن تكونى كما أريد وإما أن تبرحى هذه الدار حالاً » فصاحت الزوجة « وزوجى ... وزوجى ..! »

قصـــــة الحيـــــاة

« إلى روح صديقى محمود ، الذى رحل إلى عالم الخلود »

للأستاذ صبحى ابراهيم الصالح

كنت فى الحديقة ساعة الأصيل أتفيأ شجرة وارفة الظلال متأملا ســفيرها المتأثر بين قدمىّ ومن حولى ؛ ثم التقطت منه — على غير شعور منى — ورقة صفراء يابسة ففركتها بين إصبعى ، وهفت الريح فأطارت ما فى يدى مع الغبار ، وتركتنى أهيم فى تفكير طويل !

ولـكن ... لشد ما آلمنى تفكيرى ، وأرهف حسى وشعورى!

***

لقد تلوت « قصة الحياة » تحت هذه الشجرة وشهدت تمثيلها الخاطف المجول ؛ ولقد كانت القصة مأساة بثقت لهـا عيناى ، وكان تمثيلها مؤثراً حرك حزنى وأساى ...

رأيت الحياة — فى هذه المأساة — نبتة نزل عليها الغيث فأخرجت شطأها وهاجت وترعرعت ، ثم استوت على ســوقها وأينعت وأثمرت ، ثم علا رأسها فأغصنت وأفرعت ، ثم أضحت شجرة فأخصبت وأمرعت ، فجنى ثمارها القاطفون ، واستورف ظلالها العابرون .

على أن الرياح — وا أسفاه — استطالت عمر هذه الشجرة فهوت عليها ، وحطمت أفنانها ، وذرت أوراقها ، وأتلفت ثمارها ، وأنذرتها فناء قريباً !

ولبثت الشجرة حائرة فى مهب الرياح ، ترى أوراقها تذوى فلا تملك إلا النواح !

***

تلك فصول هذه (القصة) تلوتها وشهدت تمثيلها تحت هذه الشجرة : فلم أر بعد اللعب واللهو والزينة ، وبعد البهجة والفرح والمسرة ، وبعد التكاثر والتنافس والتفاخر ، إلا ضعفاً وعجزاً ومرضاً ، وكهولة وشيخوخة وموتاً .

ولم أر أنفسنا إلا أوراقاً على أغصان هذه الشجرة ، غير أن هذه الأوراق مختلفة الألوان والأحوال ، فمنها الخضراء الناضرة ، ومنها الصفراء الشاحبة ، ومنها التى أوشكت أن تصوّح ، ومنها التى تساقط أسفل منا ونحن لا نشعر !

***

وقلت فى نفسى وأنا أستعيد فى خيالى فصول هذه القصة : « كما فركت بين اصبعىّ وأنا لا أبالى تلك الورقة اليابسة المسكينة

فقالت الفتاة « لا زوج لك هنا ... أنا هنا صاحبة الدار وصاحبة الرأى وصاحبة الأمر » .

وران الأسى على قلب الزوجة لما سمعت فقضت ليلتها تتململ فى فراشها لم يغمض لها جفن ولا قر لها قرار ، وإن الخواطر السود لتضطرب فى خيالها فتفزعها عن هدوئها وراحتها ، وإن الخوف ليسد أمامها الطريق فهى تخشى أن تزل قدمهـا فتفقد كرامتها وشرفها وتخشى أن تبوح لزوجها بمـا سمعت من أخته فيرميها بالفتنة والنميمة ، فـكتمت أتراحها لا تبدى عن شىء منها .

وآدها أن تصبر على حـديث الفتاة وهي تلاحقها تريد أن تدفعها إلى الجريمة ، فانطلقت — بعد لأى — إلى زوجها تنفص أمامه جملة الخبر فما أحست فيه الإباء ولا الترفع ولـكنه انطوى عنها وعلى شفتيه ابتسامة ... ابتسامة الذئب يوشك أن يغرر بالفريسة ، فساورها الأسى والضيق وتراءت أمامها فوهة الرذيلة تنفرج فى غير رحمة ولا شفقة تكاد تبتلعها فأصابها الذعر والخوف ، فطارت إلى أمها العجوز الفقيرة علها تجد هنا متنفساً .

وترفعت الأم العجوز الفقيرة عن أن تبيع شرف ابنتهـا الطاهرة بثمن بخس دراهم معدودة ، وأخذتها العزة بالإثم فآثرت أن تبيت ابنتها على الطوى تقاسى المخمصة والشمب على أن ينثلم شرفها أو تنخدش كرامتها .

***

أما أنت يا رجل ، فلست رجلاً إلا أن تعتز بالشرف والكرامة وإلا أن تفخر بالشهامة والإباء وإلا أن تتشبث بالرجولة والعفة ، لا يغنيك عنها أن تبدو أنيق اللباس نضير الإهاب بهىّ الطلعة .

كامل محمود حبيب

يفرك الدهر الجبار بين اصبعين من فولاذ أوراقنا الجافة بغير اكتراث » .

ومرت بي آنئذ — في لمح البصر — صور عزيزة لا تنسى، وذكريات قريبة لا تمحى ، لبعض أصدقائي الأوفياء ، وأقربائي المحبوبين الذين أبى الدهر أن يؤنسني ببقاء أوراقهم على الغصن الذي أورقنا جميعاً عليه ، فاختطفهم وأرسل عليهم ريحاً صرصراً جعلتهم كهشيم المحتظر !

وبكيت لأول مرة في حياتي بكاء مراً — وما عهدت نفسي بكاء ولا مدماعاً — لأني فكرت في العالم المجهول الذي سيق إليه أحبابي وأصحابي ، وخشيت ألا يجدوا فيه روحاً وريحاناً ، لا لأني في شك من الخلود ، ولكن لأن بعض أولئك الأعزة الذين فارقوني لم يتح لهم من الزمن ما يستعدون معه للرحيل ، ويتأهبون خلاله لسفر طويل ، إذ جفت أوراقهم واصفرت بعد اخضرارها بقليل ...

وكان (محمود) آخر من أسرع إليه الجفاف من أصحابي ؛ ولقد والله كان أنضرهم وجهاً ، وأحلاهم مبسما ، وأنداهم حديثاً ، وآنسهم مجلساً ، وأرقهم شعوراً ، وأنبلهم عاطفة ، وأطهرهم قلباً ، وأصفاهم نفساً ، وأعفهم يداً ، وأصدقهم لساناً ، وأكثرهم تواضعاً ؛ وكنت أحسبه أطولنا عمراً ، وأنسأنا أجلا ، وأرغدنا عيشاً

لكن الموت عدا على (محمود) وهو في ربيعه الخامس والعشرين — ما يزيد على سوى عامين — فدفنته كنزاً ثميناً ، ودفن معه آماله الكبار ... فكيف أبقى صامتاً لا أرثيه ، أم كيف أظل جامد العين فلا أبكيه ؟ !

***

وفيما أنا مستغرق فيما يساورني من الأفكار ، هزت الريح الشجرة كرة أخرى ، فتناثرت أوراقها تترى ، فأسرعت أفتح لها حجري كأني وددت لو أتلقاها وأحول دون سقوطها على الأرض ووطئها بالنعال ، بيد أنها آثرت جميعاً أن تتقبل نهايتها وتقع على الأرض إلا ورقة واحدة كان نصيبها حجري ، وانحنيت لالتقاط أخواتها وأنا شاعر بأني أحيي أنفساً توشك أن تموت ، وإذا بالورقة نفسها تسقط أثناء انحنائي فأسحقها بقدمي على غير إرادة مني ، فعدلت عن التقاط الأوراق الباقية ، وأيقنت أن لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ، وإننا لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً ، ولا نملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وإننا أوراق في مهب الرياح ، لا ندري كم تبقى نضرتنا ، ولا نعلم متى نصفر فنموت !

***

وحينئذ فاضت معاني الإيمان في قلبي ، واستطاعت هذه المعاني — على سذاجتها وبساطتها ونفورها من التعقيد — أن تلهمني الصبر ، وتوحي إلى الرضا والسكينة ، وهي تهمس في أذني آية خالدة صورت (قصة الحياة) أروع تصوير : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح ... وكان الله على كل شيء مقتدرا » .

صبحي ابراهيم الصالح

وقفة ...

للأستاذ محمد محمود عماد

حبذا ساعة نجوى	ساقها الدهر إلينا
قدطوينا من فصول الـ	ـحب فيها ما طوينا
وقفة دامت فما نعـ	ـلم كم فيها قضينا
لم ندرى ؟ لم نحصى ؟	والأماني في يدينا
ساعة أو ساعتين	أو ثلاثا ما علينا
كل ما نبغيه من حب	ومن قرب لدينا
قد تباعدنا زماناً	ثم من بعد التقينا
كنت ظمآن وكانت	فاحتسينا وارتوينا
ارتوينا من ينابـ	ـيع الهوى قلباً وعينا
حبذا القبلة رفت	عذبة في مسمعينا
قبلة طالت فما نَد	رى متى منها انتهينا
نحن الاثنين نسينا	أو تناسينا فنينا

محمد محمود عماد

اهتمام الباكستان

بترقية الثقافة العربية فيها

للدكتور حسين الهمداني
(الملحق الصحفى بسفارة الباكستان)

لكل حضارة ومدنية تقاليدها الخاصة يعبر عنها فنها وأدبها وتتمثل فى مظاهر الحياة اليومية المحيطة بها. والتقاليد هى التى تميز أى شعب عن شعب ، وهى التى تفرق بين قوم وقوم ، وهى التى تعطى كل لون من ألوان التفكير فى الحياة اللون الخاص الذى يصطبغ به . فالحضارة الإسلامية غير الحضارة الأوربية ، والحضارة العربية غير الحضارة الصينية . وعلى كل تقليد إذا ما أراد أن يحافظ على كيانه ، وأن يبقى سليما من كل شائبة ، صامداً ضد كل عدوان أن يعمل أولا على الاحتفاظ باللغة التقليدية ومن ثم على تقويتها . وأمامنا حضارة الصين التى ترجع إلى خمسة آلاف سنة فإنها بقيت وظلت متماسكة متصلة غير متغيرة بفضل محافظتها على لغتها وعدم التفريط فيما لها من حق الرعاية .

وبقيام الباكستان أمة تضم شعباً تربطه وشائج الحضارة الإسلامية أصبح لزاماً عليها أن تفسح للثقافة العربية الإسلامية المكان اللائق وأن تحلها محلها من الاعتبار . فالباكستان تريد أن تعيد لهذه الثقافة مكانتها السامية المرموقة ، وهى تريد أن تصل ما انقطع من ذلك التراث . والحضارة الإسلامية ككل حضارة كبيرة أخرى سجلت سطورها فى ثبت التاريخ لها تقاليدها ولها كتابها الخاص بها الذى منه تنبثق ينابيع التقاليد الإسلامية العظيمة والذى فيه تتجسم وتتمهور الحضارة بكل مظاهرها والذى فيه تتبلور المعانى والأفكار ثم ترسلها إلى الناس منعكسة حقائق ظاهرة ملموسة . هذا الكتاب وهو القرآن الكريم الذى أوحاه الله إلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام أساس الحضارة الإسلامية والنقطة التى سارت منها مدينة الإسلام؛ لهذا يتطلع إليه المسلمون كافة لأن فيه الوحى بصدق الإيمان والتعبير بصلابة الدين . وإذا عرفنا أن القرآن هو المصباح الذى ينير للمسلمين طريقهم ويدلهم على مسالك الخير ويبعدهم عن مهاوى الشر ، عرفنا لماذا تريد الباكستان أن تندمج وأن تتصل بحضارة الإسلام ، وأدركنا لأول وهلة عزمها على التمشى حسب تعاليمه السمحة مؤملة الفلاح والنجاح. وهى لم تقصر رغبتها هذه على مجرد النية الطيبة أو الادعاء بل عمدت إلى تضمين هذه الأغراض الشريفة والدوافع الطيبة التى تتمثل فى الإسلام دستورها الجديد الذى أقرته الجمعية التأسيسية أخيراً متوخية أن تعطى الشعب بواسطة ممثليه ونوابه السلطة والوديعة المقدسة التى فى أيديهم مراعين الله فى أوامره ونواهيه

وليس اهتمام مسلمى شبه القارة الهندية الباكستانية وتعلقهم بالقرآن ظاهرة جديدة بل هو أمر يمتد إلى مئات السنين أيام أن غزا العرب هذه الأنحاء ومعهم لغتهم واللغة العربية كانت وما زالت لغة غنية بألفاظها بليغة بأسلوبها عميقة فى معانيها وتعبيراتها . ولهذا أصبحت الأداة الأدبية الوحيدة التى تربط سكان هذه المناطق لمدة ثلاثة عشر قرناً طويلة . وعلى قصر حكم العرب لهذه الأنحاء المعروفة اليوم بالباكستان بقيادة الفاتح محمد ابن القاسم إلا أنه كان للغة العربية عزها وأثرها . ساعد على ذلك وجود كثرة من المتأدبين والعلماء والمتفقهين فى الدين والمتشرعين ضمن جحافل الجيوش الغازية . وظل الأدب العربى مزدهراً فى هذه الأرجاء وظلت اللغة جزءاً لا يتجزأ من حياة المسلمين بسبب تعلقهم بالدين حتى فى تلك الأيام التى حكم البلاد فيها حكام غير عرب . ففى أيام الأتراك والتتار والفرس ، وحينما كانت اللغة الفارسية لغة رسمية كان للغة العربية المكان الأول لم تستطع عوادى الدهر أن تمحوها ولا تقلبات الزمن أن تزيل أثرها . وكان المسلمون هناك على اتصال فكرى وروحى دائم بالعالم الإسلامى الخارجى ، وامتد هذا الامتزاج إلى أيام الغورى والخلجى وتغلق ، وإلى أيام لودى ثم إلى أيام المغول . وفى أيام السلطان علاء الدين الخلجى ازدهرت مدن عدة فى الهند وأصبحت مراكز للتعليم الإسلامى وقواعد للدراسات الدينية واللغوية منها دلهى ولاهور .

وأحمد أباد كان شأنها تماماً كشأن بغداد والقاهرة . واهتمام شبه القارة بتعلم اللغة العربية أمر طبيعى كان على أشده أثناء حكم الإسلام . ولكن كنتيجة لقيام الثورات السياسية والأزمات

الاقتصادية وكنتيجة لاستعمار الأجانب لهذه البلاد أفل نجم اللغة وضاع أثرها بين الناس . ولكن كان يقوم بين وقت وآخر رغم قيام هذه المصاعب أفراد يعشقون هذه اللغة فيرفعون منارها ويخصصون لها المعاهد للعلم والدرس . وقد أرادت الباكستان اليوم بعد أن استكملت استقلالها وسيادتها أن تعيد مجدها وأن تحيي تقاليدها القديمة ، وتحققت أنها بسبيل هذا لا بد لها من إعادة مجد ثقافتها ولهذا قام زعماؤها وأولو الرأي فيها من أول ساعة يمهدون الطريق أمام هذه الفكرة ويبسطون للناس كافة أن عليهم إذا ما أرادوا أن يوثقوا الروابط الثقافية والفكرية والروحية بينهم وبين مختلف البلاد العربية أن سارعوا لتوحيد اللغة بينهم . ولما كانت اللغة هناك متعددة واستعمال الأحرف العربية يغني عن استعمال أية أحرف أخرى ، ولما كان هناك رابطة تربط الناس بعضهم ببعض كما تربط هذا الشعب بغيره من الشعوب وهي رابطة الدين ، ولما كانت لغة القرآن العربية فقد هبوا يشجعون على تعلمها واتجهوا نحو مصر منارة العلم والدين حامية الأزهر الشريف حاملة اللواء ذخر المتعطشين إلى الارتواء ، فهي تريد الآن أن تتخذ الحروف العربية حروفاً بها تكتب لغتها ؛ وهي تريد أن تتخذ اللغة العربية لغة إن لم تكن رسمية فهي إلى الرسمية أقرب ؛ وقام الكبراء والعظماء يرعون هذه الحركة ويشجعونها فساعدوا في تأسيس جمعية ثقافية عربية باكستانية أنشئت في العام الماضي بعد مرور شهور قليلة من قيام الباكستان تحت رعاية معالي وزير المعارف السيد فضل الرحمن وكانت فرصة طيبة ومناسبة حسنة للتعرف بأهمية اللغة العربية . وأهمية الاتصال بالعالم العربي تلك التي أتيحت يوم افتتاح هذه الجمعية فقد شرفها بحضوره فخامة الحاكم العام السيد ناظم الدين وأعلن من فوق منبرها أن أحسن وسيلة لإقامة علاقات متينة وثيقة بالبلاد العربية إنما يكون من طريق اللغة العربية . وكم كان جميلا منه أن يقول (إن معرفة اللغة العربية أمر ضروري جداً لكي تتخذ الوحدة الإسلامية صورتها العملية . وليس في مكنة العالم الإسلامي أن يحكم اتصالاته وأن يدعم روابطه إلا إذا اتخذ اللغة العربية لغة مشتركة أتقن دراستها . وواجبنا أولا أن نتخذ الحروف المطبعية العربية حروفاً بها تكتب لغاتنا ؛ لأننا بهذا نتفادى الاختلاف والتعقيد ونتوخى الحصول على أقصر ما يمكن من التماثل والسهولة والتقرب بين المعاني والأفكار . فعلى العالم الإسلامي أجمع أن يخطو هذه الخطوة وأن يتخذ اللغة العربية لغة له) . وقد استجابت الباكستان لهذا الدعاء فقامت تنشئ الجمعيات وراحت الحكومة تنفذ كل مشروع يرمي إلى هذه الغاية ويهدف إلى هذا الهدف . ومن ذلك أن الحكومة تنشر مجلة عربية اسمها « البشير » تحاول بواسطتها أن تنقل أفكارها وتعرف بأحوالها وتتعاون مع شقيقاتها مؤمنة بأن إصدارها لهذه المجلة خطوة موفقة نحو التآخي والتآلف الذي تنشده .

ولقد ترك الاستعمار الأجنبي الطويل لشبه القارة الهندية الباكستانية تركة ثقيلة كريهة من نظم التعليم لا تتصل بثقافة الناس ولا تتناسب مع ظروفهم وحياتهم ولا تتوافق مع بيئتهم . فأمام الباكستان والحال كذلك صعوبات جمة لتزيل هذا الأثر ولا سيما وأن الجهل متفش بين غالبية الناس ؛ فهي تجاهد اليوم لأن توفق بين سياسة التعليم وبرامجه وميول الشعب واستعداده مدفوعة في ذلك بتاريخها الطويل وثقافتها متوخية في ذلك مقتضيات العصر الحديث واضطرار التقدم في مناحي الحياة . وقد عقد بكراتشي سنة ١٩٤٨ مؤتمر تعليمي نصح الباكستان أن تهتدي في سياستها التعليمية بالمثل العليا الإسلامية التي تنادي بالإخاء والتسامح والعدالة ، والباكستان بسبيل تنفيذ هذا ، وهي تسهم بقسطها في سير القافلة الدولية فتشارك في تبادل الأساتذة والطلاب وفي تبادل المطبوعات وفي إرسال بعثات إلى الخارج . وقد وقف معالي فضل الرحمن وزير المعارف في إحدى اجتماعات الجمعية الثقافية العربية الباكستانية وقال : (كثيراً ما نوهت بضرورة اتصالنا بالبلاد العربية المختلفة والعمل على ربط ثقافتنا بثقافتهم . واليوم أكرر القول بأن علينا ألا نقف مكتوفي الأيدي أمام مجرد رغبتنا بالاحتفاظ بتراث ديننا القويم ، بل علينا أن نسعى بإخلاص لأن نعيد المجد الغابر وأن نقوي علاقاتنا الثقافية والدينية التي تكمل فيها روح الإسلام وفلسفته ، وتحقيقاً لهذا الاقتراح أن تصبح الحروف العربية وسيلة لكتابة لغاتنا بها حتى يصبح سهلا على الباكستان أن تتقرب عن هذا الطريق نحو البلاد العربية الأخرى . فاللغة هي طريق الاتصال الفعال بين أمة وأخرى . ونحن إن سلكنا هذا السبيل فتحنا الباب على مصراعيه أمام تبادل التفاهم والمعرفة وتناقل الأفكار ، كما أننا في نفس الوقت نتيح لشعبنا الفرصة كي ينهل من معين الثقافة العربية المجيدة) .

حسين الهمداني

مكتبتك الخاصة

للأستاذ إيليا حليم حنا

١ — المكتبة الخاصة ضرورة لازمة :

المكتبة الخاصة ضرورة لازمة من ضرورات كل منزل فى هذا العالم المتجدد المتغير . والكتب أداة قيمة لإحكام الصلة بيننا وبين تيارات الفكر الحديث والقديم ، فى صفحاتها ننصت إلى أصوات نتحدث معها من خلال العصور . ولا غنى لإنسان يشعر أنه عضو نافع فى المجتمع عن الكتب الحافزة للشعور المقوية للنفوس التى تمالج موضوعاته المحببة إلى نفسه وتعينه على آداء أعماله ومشروعاته الهامة وتحل له مشاكله وتوقفه على ثمار العقل البشرى في نواحى النبوغ المختلفة العديدة حتى لا يتخلف عن قافلة الزمان . قال ما كولى الناقد العظيم والكاتب المؤرخ الكبير : لو طلبوا منى أن أصير ملكا بتاج على رأسى وقصر فخيم أسكن فيه ومآكل ومشارب فاخرة ، وملابس مزخرفة وحدائق وعربات وخيول ومئات من الخدم — لكن بدون كتب أقرأها — فإنى أرفض أن أكون ملكا ؛ لأننى أفضل المسكين الساكن فى كوخ حقير يقرأ ما لديه من الكتب على الملك الذى لا يحب أن يقرأ .

وقال أوجستين بريل (يوجد مكانٌ واحد فى العالم يمكن للشخص أن يكون فيه سعيداً ، إنه المكتبة .)

والقراءة هواية مفيدة فإنه بين كتب مكتبتك تدفن آلامك وأتعابك بعد العمل المضنى تختار الكتاب الذى يلائم تفكيرك وشعورك . يقول العالم الكبير السرجون هرشل (لو تضرعت إلى الله وكانت دعواتى مضمونة الأجابة من أجل موهبة تكفينى مؤونة تقلبات الظروف وتبدلات الأحوال ، وتكون نبع سعادة وسرور لا ينضب ، وعدة أتقى بها سهام الأيام ، ودواء يشفينى من كل سقام ، لكانت تلك الموهبة محبة الكتب والرغبة فى المطالعة .)

٢ — كيف تكون مكتبتك ؟

الناس مختلفون فى أذواقهم وثقافتهم ، متفاوتون فى مواهبهم . وبنسبة هذا الإختلاف يتباين تذوقهم للكتب وتقديرها . لذلك كان تكوين المكتبة لا يخضع لقواعد ثابتة ونواميس معينة ، فكل يختار كتبه بما يتفق وعقليته وشعوره وذوقه وعمله .

يقول (أوجستين بريل) جميل أن ترث مكتبة ولكن الأجمل والأفيد من ذلك أن تجمع أنت كتب مكتبتك واحداً بعد الآخر ؛ فالمكتبة لا تجمع دفعة واحدة ، ولكنها تنمو حسب ذوقك وحاجتك النفسية العابرة وتأملاتك وخوالجك ومشاكلك وأبحاثك وعملك . دع الظروف التى تمر بك تدفعك إلى شراء الكتاب وبذلك يكون بينك وبين كتبك اتصال روحى وفكرى . نظرة واحدة خاطفة إلى كل منهما وهو على رفه ترجع بك إلى وقت شرائه والفكرة التى كانت تخامرك فى ذلك الوقت ، وما يحوى بين دفتيه من أفكار وآراء . ولا يفيد أن تكوّن مكتبتك بشراء كتاب تلو الآخر إن لم تفرغ من قراءة كل كتاب قبل أن تشترى غيره ؛ فإن تكديس الكتب بدون قراءة يجعل المكتبة قليلة الفائدة لصاحبها . ولكن هناك كتباً يجب أن تزود بها المكتبة الخاصة دفعة واحدة ؛ لا يستغنى عنها القارىء المثقف الذى يطالع للالمام بأنواع المعارف المختلفة ، أو القارىء الأديب الذى يقرأ للاستلهام ، وهى المعاجم ودوائر المعارف باعتبارها مراجع ، وكتب النحو والصرف والبلاغة والنثر الفنى والدواوين الشعرية للتمكن من اللغة وفنونها ومفرداتها وتراكيبها .

٣ — ماذا يجب أن تحوى مكتبتك :

يجب أن تحوى مكتبتك الكتب التى تنمى قواك العقلية جميعها نمواً متناسباً . ويمكن حصر هذه الكتب فيما يلى .

(ا) كتب تتعلق بعملك :

أول ما يجب أن توليه عنايتك من الكتب هو الأبحاث التى تتعلق بمهنتك . ويلزم أن تتابع كل ما يكتب عنها فى اللغات التى تعرفها وبذلك ترقى بعملك وتكون حجة ومرجعاً فيه وتراه شيقاً متجدداً دواماً بإدخال عوامل التحسين التى سبقك إليها الخبراء . وهذا يعود عليك بأحسن النتائج الأدبية والمادية فإن أفضل ما تفعله لتنجح ماليا هو إتقان عملك وبلوغ الغاية فيه فتصل إلى المال دون أن تقصد إليه مباشرة .

ومن الجهل أن يعتقد الشاب أن الـكتب القليلة التى درسها فى حياته المدرسية كافية لتسيره فى عمله ، ومن ثم لا يقرأ شيئاً يتعلق به فيركد ويتضاءل ، ولا يرفعه عمله بل هو ينزل بعمله إلى مستوى دون المطلوب فيجرم فى حق المجتمع ويحرم وطنه من موهبة كامنة فيه كانت تظهر لو أنه تمشى مع الزمن وضاعف معلوماته ووقف على آخر ما جد فى عمله من تقدم فتعظم شخصيته ويكسب ثقة نفسه وغيره فى مهنته .

اقرأ وادرس واطلع على أحدث ما جد فى عملك وتابع سيره ونموه حتى ترق به ويرق هو بك .

(ب) كتب تتعلق بهوايتك :

وهناك الـكتب التى تتعلق بهوايتك التى تلجأ إليهـا فى أوقات فراغك لتعالج الملل الناتج عن عملك وتجدد نشاطك وتعيد لنفسك اتزانها وتعطيك مهارة عقلية أو يدوية أو الاثنتين معاً .

هوايتك هذه يجب أن تتفقدها لتنمو ، ويجب أن تقف على أفكار وآراء وأعمال الآخرين فيها حتى تكون ناضجة تعطيك لذة أكبر وفائدة أوفر فتشعر بالسعادة فى التطور والتجدد والنمو والتوسع :

وقد تصبح الهواية يوما عملك الذى تعيش به وترتزق منه وتظهر فيه مواهبك الـكامنة أكثر مما تظهر فى مهنتك أو حرفتك .

ويساعد الاطلاع على كل ما يختص بهوايتك من كتب ومجلات ونشرات ومطبوعات دورية على نبوغك فيها وتنمية شخصيتك وترقية ذهنك .

(ج) كتب تختص بالمرأة والأطفال :

يغفل كثير من المثقفين نصيب المرأة والأطفال فى المـكتبة الخاصة ولا يهتمون إلا بنواحيهم وما يتعلق بهم وحدهم بينما يجب الاهتمام إلى حد كبير بركن المرأة والطفل فى المـكتبة الخاصـة وتغذية هـذا الركن بأحدث الـكتب التى تبحث فى شئون المنزل وإدارته وتربية الأطفال وتنشئتهم وكل ما يتعلق بالمرأة والفنون النسوية وبكون الزوجة والأم والمواطنة العاقلة الـكاملة فى خلقها ومثلها العليا .

وهـذا الركن فى المـكتبة الخاصة أكبر معين للوالدين على تربية أبنائهم وتعويدهم حب القراءة بوضع ما يلفت نظرهم ويناسب مداركهم وأطوار نموهم العقلى بين أيديهم وأمام ناظرهم . ويجب أن يحوى هذا الركن معجما صغيراً يستخرج منه الطفل ما يصعب عليه فهمه من المعانى بإرشاد أحد والديه ، ودائرة معارف مبسطة بجانب الـكتب التى يرى الوالدان أنها موضع أسئلة الطفل وميوله

أن ما يعرفه الطفل بهذه الطريقة لا يمكن أن ينسى علاوة على أنه يتعود القراءة ومحبة الاطلاع بالتوجيه الحسن وتأثير هـذا الوسط المنزلى الثقافى الراقى فيه .

(.) كتب للثقافة العامة :

وتأتى أخيراً الـكتب التى تتناول الثقافة العـامة فى كل ما يلذ لك قراءته وما تدفعك إليه حاجتك النفسية ومشاكلك وذوقك وما يجب أن تقف عليه من أنواع المعارف والثقافات التى بدونها تكون متخلفاً عن عصرك الذى تعيش فيه . ومن الخطأ أن تهمل التراث القديم وكتبه الخالدة التى عاصرت كل الأزمان والحضارات ؛ فالـكتاب النفيس الخالد كما قال ملتون هو دم الحياة الثمين ، المتقطر من روح كبيرة ، محنطاً ومحفوظاً لحياة بعد الحياة

ويخطىء الشاب الذى نال القليل من التربية المدرسية عندما يندب سوء حظه الذى لم يتح له الحصول على الثقافه المدرسـية اللازمة فإن أمامه فرصة التثقيف الذاتى ؛ فإنه بين مجلدات مكتبته يتصل بأذكى العقول فى أرقى الأمم ويصل إلى درجـة عالية من الثقافة يحسده عليها حائزو أرقى الشهادات الذين لا يقبلون على القراءة ويكرهون الـكتب . يقول (ارنولد بنيت) لا أرى سبباً يمنع أى رجل متوسط الذكاء بعـد أن يقضى عاماً فى القراءة المتواصلة أن يصبح قادراً على الهجوم على أسمى ما أنتجه الإنسان من البراعات فى التاريخ أو الفلسفة .

فى ركن الثقافة العامة هذا نلم بأحسن ما سبق التفكير فيه ثم تبدأ أنت نفسك فتفكر فى حل ما يصادفك فى الحيـاة من المسائل فى الآداب والفنون والسياسة والدين والمسائل الدولية والعلاقات المنزلية .

٤ — فلسفة شراء كتاب :

عند شراء كتاب ضع أمامك الاعتبارات الآتية :

١ — عندما تدخل مكتبة لشراء كتاب كون لنفسك فـكرة سريعة عنه بملاحظة العنوان والمؤلف ومكانته ومؤلفاته الآخرى

التى تعرفها والناشر ومركزه الثقافى والسنة التى طبع فيها الكتاب ثم المقدمة والفهرس وطريقة عرض الموضوع .

٢ — خابر دور النشر المشهورة لترسل إليك نشراتها وقوائمها عن أحدث مطبوعاتها فى المعارف المختلفة لتكون على اتصال بآخر التيارات الفكرية فى الموضوع الذى تخصه بالدراسة الدقيقة وتكرس له جهودك .

٣ — اهتم بالمراجع اللغوية والفنية والتى تتصل بنوع عملك والموسوعات المختلفة فهذه عون كبير لك فى تسهيل أبحاثك وجعل مادتها ميسورة فى متناول يدك .

٤ — الكتب الملخصة لا تصلح أن تكون مكتبة ذات أثر ثقافى عميق ولكنها نواة لشراء الكتب الأصيلة الدسمة فى نفس الموضوع . أنها أداة للتثقيف السطحى فقط .

٥ — لا تشتر أكثر من كتاب واحد فى المرة الواحدة ؛ ولكن إذا وجدت عدة كتب متممة لناحية من نواحى ثقافتك أو لبحث تشتغل بإعداده فضمها فى برنامج قراءتك اليومية فى أقرب فرصة وإلا فستجد فى يوم من الأيام صفوفاً من الكتب على الرفوف لم تقرأها وقد لا يسعفك الوقت بأن تقرأها بعد ذلك .

٦ — لا تشتر الكتب لاقتنائها بل للانتفاع بها . واجعل أساس شرائها حاجة نفسية أو عملية حاضرة كأن تحل لك مشكلة أو توجهك وجهة صحيحة فى عملك أو تكمل لك بحثاً علمياً أو أدبياً حتى تقبل على قراءتها بلذة وشغف بمجرد شرائها . ولكن عندما يعجبك كتاب لرغبة عارضة لا ترمى إلى هدف ، فإنك تتوانى فى قراءته وتتكدس لديك الكتب دون أن تؤدى غرضها المقصود .

٧ — اختر من الكتب ما يجعلك أكثر تعلقاً بأملك ، ويعطيك آراء جديدة فى الحياة تجعلك أكثر صلاحية لتعيش وتخلق فى نفسك الحماس وتجعلك أكثر إصراراً على الاندفاع نحو هدفك . وابتعد عن الكتب التى تغذى المثل الدنيا الحقيرة والتى تقلب غرائزك ولا تسمو بها فإنها تهدد مستقبلك وتحطم أملك وتخلق منك إنساناً مسلوب الإرادة ضعيف الشخصية .

٥ — احتفظ بكتبك ورتبها :

لا تكدس كتبك بعضها فوق بعض بل ضمها على رفوف أو فى خزائن ورتبها بحسب موضوعاتها بطريقة تسهل عليك تناولها بسرعة حتى لا تضيع وقتاً فى البحث عن كتاب تريده فتضطر أن تقلب كل كتبك رأساً على عقب فتفقد الدافع وتخسر الحماس الذى تشعر به لقراءته أو تفوت عليك فرصة الاطلاع عليه للاستعانة به فى بحث تمده .

لا تكن ممن يلقون بالكتاب لأنك فرغت من قراءته أو لأنك لم تتذوقه . إن الكتاب الذى لم يحز إعجابك فى وقت من الأوقات قد يصبح مدار اهتمامك بعد ذلك عندما يفيدك للاستنارة به فى موضوع يشغلك أو يوضح لك رأياً غمض عليك أو يحل لك مشكلة تقلقك . والذى لا تهضمه اليوم قد تهضمه غداً عندما ينمو ويزداد زادك العقلى .

٦ — الألوان فى حجرة المكتبة :

للألوان أثر كبير فى نفسية الإنسان ، فنها ما يرتاح إليه ويجعل الراحة والهدوء يسريان فى جسمه ونفسه ، ومنها ما يجعله منقبضاً متململا . فالأزرق والأخضر المائل للزرقة والرمادى تدعو للراحة وتبعث فى النفس الارتياح . والأزرق القامق والرمادى القامق يدعوان للوجوم والإنقباض .

وللألوان أيضاً أثرها فى امتصاص وانعكاس الضوء وفى جعل الحجرات تبدو ضيقة أو متسعة . فإذا كانت حجرة مكتبتك ضيقة كثيرة الضوء فاستعمل الألوان الزرقاء أو الرمادية أو الخضراء أو الخضراء الضاربة للزرقة فإن هذه الألوان تمتص الضوء وتجعله مريحاً للأعصاب فضلا عن أنها تشعر الناظر أن الحجرة فسيحة .

وإذا كانت النوافذ فى الجهة الشمالية فإن ضوء الشمس لا يدخلها إلا قليلا جداً ، وأيضاً إذا كانت الحجرة قليلة النوافذ وجب أن تستعمل فيها الألوان الزاهية مثل الأصفر والبرتقالى والأخضر الضارب إلى الصفرة والقرنفلى الفاتح والخوخى الخافت فهذه الألوان تعكس الضوء ولكنها تجعل المكان يبدو ضيقاً .

وإذا سقط نور المصباح على ألوان زاهية كالأحمر والأصفر والبرتقالى فإنه يعكس هذه الألوان على جدران الحجرة ؛ أما الألوان الباهتة مثل الأزرق والأخضر والرمادى فإنها تخفف من حدة الضوء وتجعل نور المصباح أقرب إلى الضوء الطبيعى فيرتاح له النظر والنفس .

(أسيوط) إيليا حليم حنا
مدرس أول اللغة الإنجليزية والآداب
مدرسة النهضة الوسطى . الأبيض . سودان

طمأنينة السماء

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

عج الأسى فى نفسها الشاعره   فى ليلة مقرورة كافره !
وحيدة ؛ ضاق بها مخدع   توغل فيه الوحشة السادره !
كم شهد المكبوت من شجوها   تثيره خلجاتها الثائرة ...
كم التوت فيه على قلبها   تبكى أمانى قلبها العاثرة
وكم !. وكم !. ولا يدٌ برةٌ   تأسو جراح الزمن الغائره !

تنهدت مما عراها وقد   مالت على شرفتها حانيه
وقلبته بصراً تائهـاً   فى قلب تلك الظلمة الغاشيه
لا ومضة تخفق من كوة   لا نبأة تصعد من ناحيه
سوى هزيز الريح تهتاجها   أصداؤه المفجوعة الباكيه
وقلبهـا المحروم ما يأتلى   يدق خلف الأضلع الواهيه ! .

ورجت الوحشة أعماقها   فى هيكل الليل الكئيب الضرير
فاصطرعت فيها أحاسيسها   كاللج يطغى فى الخضمّ الكبير
ووثبت أشباح آلامها   مجنونة ، تشبُّ شبّ السعير
فجمدت فى جفنها دمعة   تصاعدت من قلبها المستطير
ثم همت محرورة ، مرّة ،   كأنها تضرّع المستجير

تلفتت وراءها فى أسىً   نحو مهاوى أمسها الغابر
لعـل فى أغواره لمحة   تلوح من ذكرى سنىً عابر
لعل فى الماضى وأطيافه   عزاءها من قسوة الحاضر ! .
فما رأت غـير حطام المنى   على صخور القدر القادر ..
وبعض أشلاء هوًى حالمٍ ..   مرتطم بالواقع الساخر ..

وسرّحت أمامها طرفهـا   عبر غدٍ مكتنفٍ بالضباب !
فأبصرت،ما أبصرت ؟ مبهماً   مستبهم الأفق، مخوف الشعاب
تبعثرت فيه الصوى واختفت   معالم السبل وراء اليباب
ومى على الدرب ذعور الخطى ..   رفيقها الوحدة..والاغتراب .
والظمأ الكافر لا يرتوى   فى قلبها الهائم خلف السراب !.

وكان أقسى ما شجى نفسها   وابتعث الراعب من هجسها
تدفق الظلمة فى يومها   فى غدها المحروم .. فى أمسها ..
ظلمة عمـــر ، كل أيامه   ليـل تدجى فى مدى حسها
النور ، أين النور ؟ هل قطرة   تسيل منه فى دجى يأسها
من أين ؟ والأقدار قد جففت   منابع الأضواء من نفسها !.

وفى شرود مبهم غامض   تعلقت مقلتها بالسماء !.
فانشق صدر الليل عن كوكب   مشعشع الوهج ، دفوق الضياء
كأن روح الله من فوقه   تمده بنورها عن سخاء
فانخطفت فى ذهلة روحها ،   خلف النهايات ، وراء الفضاء ..
هناك ، حيث النور لا ينتهى ،   هناك،حيث النور فوق الفناء !

هناك غشتهـا طمأنينةٌ   عـلوية ، ما لمداها حدود
وصاح من أعماقها هاتف   ينتظم الأرض صداه البعيد :
يا أرض ، أهواؤك مهما طغت   وأقعدت خطوى بثقل القيود ..
يا أرض ، أحزانك مهما قست   وطبقت حولى مجالى الوجود
هيهات أن تلمس روحاً سرى   فيها من الله ضياء الخلود ! .

(نابلس)   فدوى عبد الفتاح طوقان

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

كرسى شوقى للأدب العربى الحديث :

تحت هذا العنوان وفى جريدة « الأساس » منذ أسبوعين ، كتب الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى كلمة عن شوقى بمناسبة الشروط التى يجب أن تتوفر فيمن يشغل كرسيه الذى أنشأته كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول . ولقد أوضح الأستاذ المازنى رأيه فى الشروط التى حددتها الجامعة ، مؤكداً أنها مبالغة فى التيسير على طالب هذا الكرسى لأنه للأدب العربى الحديث كله لا للأدب المصرى وحده ... وليس أدل على هذا التيسير فى رأى المازنى من أن الجامعة قد اشترطت على من يتقدم لشغل هذا الكرسى أن يكون حاصلا على الدكتوراه من مصر أو ما يعادلها من الخارج ، أو أن يكون حاصلا على أعلى الأجازات العلمية التى كانت تمنح قبل إنشاء الجامعة المصرية ، أو أن تكون له أبحاث أتت للعلم بفائدة محققة ، أو أن يكون قد مضت أربع عشرة سنة على حصوله على درجة بكالوريوس أو ليسانس ، وأن تكون له أبحاث قيمة مبتكرة .

هذه هى خلاصة الشروط التى حددتها الجامعة ، والتى يرى فيها المازنى وأرى معه أنها مبالغة فى التيسير على طالب هذا الكرسى الجامعى الممتاز ؛ لأنها لا يمكن أن تنهض بالدراسة الفنية التى تتفق ومكانته ، ولا بالمستوى العلمى الذى يجب أن يتوفر فيه شاغله ... ومرة أخرى يضع المازنى الأمر فى مكانه ويزنه بميزانه حين يقول : « إن درس الأدب العربى الحديث على وجهه الصحيح فى هذا العصر يتطلب علماً وافياً بلغة أو لغات أجنبية وآدابها وفلسفاتها أيضاً ، فما تستطيع — ولا سيما فى زماننا هذا — أن تباعد بين الفلسفة وبين الأدب ونقده . ثم إن أستاذ هذا الباب لا يستغنى عن الإحاطة بأحوال الاجتماع والسياسة فى كل قطر عربى ، وبكل عامل من العوامل التى تؤثر فى الأدب وتطوره ، وبمذاهب الفلسفة والنقد ، وبأثر الآداب الغربية فى الأدب العربى فإن الأدب — أى أدب — ليس شيئاً قائماً بذاته مستقلا عما عداه ، وإنما هو فرع من شجرة ضخمة ، ومن أولى من رجال الجامعة بأن يحرصوا على الأصول التى أخرجت الفروع ؟! ...

أكاد أقول — بل أنا أقول — إن هذا الكرسى الذى يعد من أعظم الكراسى شأناً يحتاج إلى علم غزير وإلى إحاطة شاملة بالآداب العربية والغربية ، وإلى دماغ فلسفى منوع الثقافة ، وإلى معرفة بالتاريخ السياسى والاجتماعى ، وإلى بصيرة نافذة ؛ فليس يكفى أن يكون مشروطاً أن يكون لطالب هذا الكرسى أبحاث قيمة لأن الأمر أكبر من ذلك ، والموضوع أوسع وأعمق ، وأحوج إلى العلم الشامل المنوع ... وأخشى ألا تكون العجلة فى هذا الأمر إلا من الشيطان ، فالتريث أحجى وأرشد ، ولن تعاب الجامعة إذا هى تأنت ، ودققت ، إيثاراً لحمل الأمانة العلمية كما ينبغى أن تحمل . ولكنها تعاب ولاشك إذا هى اكتفت « بمل الخانات » كيفما اتفق ، أى إذا قدمت المظهر على المخبر والصورة على الحقيقة » !

من هذه الكلمات نخرج بأن المازنى لم يكن غالياً فى شعوره بأهمية الموضوع الذى تعرض له بالبحث والمناقشة ، ولا بضخامة العبء الذى يجب أن يقوم به من هو أهل للقيام به ، ولا بقصور النظرة الجامعية إلى مقومات الأستاذية الكاملة التى تنهض بواجبها العلمى عن جدارة واستحقاق ... ولكن المازنى — غفر الله له — شاء أن يدس بين زهوره الفكرية أشواكا تبخر منها الشذى المعطر والعبير الفواح ، وبقيت منها وخزات تجرح الذوق والفن والشعور ! يقول المازنى من شوقى فى ثنايا كلمته : « وقد سرنى أن كلية الآداب أنشأت هذا الكرسى وسدت به نقصاً ملحوظاً فى دراستها ... ومع احتفاظى برأيى القديم فى شعر شوقى أقول إنه قد سرنى أن يطلق اسمه على هذا الكرسى » !!

ترى ألا يزال المازنى بينه وبين نفسه محتفظاً برأيه القديم فى شعر شوقى أم لا يزال محتفظاً به بينه وبين الناس ؟ أخشى أن يكون الفرض الأخير هو الأصح ، لأننى أعلم أن هناك أدباء

يشمرون بالحرج إذا ما واجهوا الرأى العام الفنى بتغيير آرائهم بين الأمس واليوم ... إننا نعلم أن رأى المازنى فى شعر شوقى يرجع إلى أيام الشباب وحماسة الشباب واندفاع الشباب ، ولكن للشباب نظرته التى قد يهذب من جموحها مضى الزمن ، وذوقه الذى قد يحد من انحرافه تقدم السن ، وحكمه الذى قد يعدل من مقاييسه اكتمال الثقافة واتساع الأفق . لهذا كله أخشى أن يكون المازنى قد نبذ بينه وبين نفسه رأيه القديم فى شعر شوقى واحتفظ به بينه وبين الناس ، خشية الحرج من أن يتهم بتقلب الرأى بين اليوم والأمس وترجحه بين اليمين والشمال ! ... إننا نعرض لهذا الأمر على أنه فرض يحتمل أن يكون هو الواقع أولا يكون ، فإذا كان فما أحوجنا إلى شئ من الشجاعة يردنا إلى الحق ويرد الحق إلى نصابه فإن ذلك أدعى إلى التقدير لا إلى الحرج والتشهير . إننى لم أقدر الدكتور طه حسين يوماً كما قدرته وهو يذيع على الملأ منذ قريب استنكاره لرأيه القديم فى أدب المنفلوطى ... بل لقد زاد تقديرى له وهو يعلن فى صدق نادر وصراحة محببة أنه يشعر بالخجل كلما تذكر أيام الشباب وما جنت حماستها على القيم الأدبية ومنها آثار المنفلوطى ، حتى لقد نعت نقده لتلك الآثار بأنه لم يكن إلا لوناً من ألوان السخف !

هذا مثل طيب يجب أن يحتذيه المازنى وغير المازنى من شيوخ الأدب إذا ما خطر لهم أن يرجعوا إلى آرائهم القديمة فى صدر الشباب لينفضوا عنها غبار التجنى الذى أثاره الهوى والغرض إذا ما كانت هناك أهواء وأغراض ... ونستطيع بعد هذا كله أن نلغى هذا الفرض وما حمل بين طياته من مقدمات ونتائج ، لنقول إن المازنى بينه وبين نفسه كان وما يزال محتفظاً برأيه القديم فى شعر شوقى ، إذا عبر هذا الفرض الآخر عن الواقع فليس من شك فى أنه سيعبر عن واقع آخر ، وهو أن موازين النقد الأدبى ستحتفظ برأيها الصريح فى ذوق المازنى !؟ ...

جولة فكرية فى ربوع الريف :

لم أستطع فى الأسبوع الماضى أن أكتب « التعقيبات » لأننى غادرت القاهرة إلى الريف على غير انتظار ... وفى غمرة الحزن على فقد قريب تلقيت نعيه المفاجئ ، راعنى ما رأيت على طول الطريق من شتى المشاهد والصور والوجوه ، حتى خيل إلىّ أننى منذ عشرين عاماً لم أر كل هذا الذى بدا لعينىّ غريباً ، مع أننى لم أتغيب عن الريف إلا عاماً وبعض عام !

وقلت لنفسى وأنا أتنقل الطرف بين الوجوه الصفر والحقول الخضر : أين أنا اليوم مما كنت فيه بالأمس ؟ أين المدينة الصاخبة الضاحكة الجياشة بالحياة ، من هذا الريف الهادئ العابس الذى يطالعك منه ألف معنى من معانى الهمود والجمود والموت ؟! ألا ما أبعد الفارق بين أرض وأرض وبين أحياء وأحياء ... هذه الأجسام الذابلة ما أحوجها إلى تدفق العافية ، وهذه العقول المظلمة ما أحوجها إلى نور المعرفة ، وهذه القرى المهملة ما أحوجها إلى شيء من الاهتمام والرعاية ! ومع ذلك فأنت هنا تلمس حلاوة الرضا حين تلمح مرارة التذمر هناك ؛ ذلك لأن نفس الريفى قد طبعت على القناعة ، وفطرت على الصبر ، وجبلت على الإيمان ... وتلك أمور تنثر فى تربة النفوس بذور الصفاء الروحى الذى يرفع الملتصقين بالأرض إلى آفاق السماء !

إن أجمل ما فى القناعة أنها تظهر لك القليل على قلته وهو أكثر من الكثير ، وإن أروع ما فى الصبر أنه يفلسف لك أعباء الحياة فلسفة تنقلك من عالم المادة إلى عالم الروح ... أما الإيمان فهو قائم من وراء هذا كله ليرد الأمور إلى أسبابها من حكمة القدر ومشيئته فلا اعتراض للناس !

من هنا أعرض المسئولون عن إصلاح الريف ، لأنهم لا يستجيبون فى الكثير الغالب إلا للأصوات الساخطة المتذمرة تحمل إليهم العجيج والضجيج ؛ تحملهما من قلم كاتب ، أو من حنجرة نائب ، أو من وساطة يتقدم بها صاحب جاه وسلطان !

ومن العجيب أنك تجد أكثر الكتاب والنواب وأصحاب الجاه قد نشأوا فى ربوع الريف ، واستروحوا طيب أنسامه ، وترعرعوا بين أحضانه ، ومع ذلك فلا يرتفع لهم صوت إلا للمدينة على حساب القرية ، وللمتعلم على حساب الجاهل ، وللطائفة على حساب الفلاح ، وللمصلحة الفردية على حساب المصلحة العامة ! ذلك لأن الكاتب إذا ذهب إلى الريف فإنما يذهب إليه طلباً

للهدوء والترويح عن النفس ، وأما النائب فليجدد للناخبين عهوده الـكاذبة ووعوده الباطلة ، وأما صاحب الجاه والسلطان فليشرف على استغلال الأرض ليستكرش بطنه وتمتلئ خزائنه !

صدقنى إذا قلت لك إن ريفنا المصرى مصنع نادر للبطولة ... البطولة الـكريمة على الضيم ، الصابرة على الشدائد ، العامرة بأعمق مشاعر التضحية . كل من فيه أبطال ، وأروع ما يروعك من هؤلاء الأبطال ... أنهم شهداء !

كلمات عن فقيد الفن نجيب الريحاني :

كتب إلى أكثر من قارئ ، وقال لى أكثر من صديق : لماذا لم تكتب عن نجيب الريحانى ؟ ... إن الذى مات فنان ، فكيف لم يحرك فقده فى نفسك كوامن الشجن ، وكيف لم يستجب قلمك للفجيعة كما استجابت بقية الأقلام ؟ ورجعت إلى شعورى أسأله : أمن الممكن أن يهزني نجيب الريحانى أعنف الهز فى حياته ، ثم لا يهزنى أعنف الهز فى مماته ؟ وسمعت جواب الشعور منبعثاً من الأعماق : محال !

ومع ذلك فلن أكتب اليوم عن نجيب الريحـانى ... لن أكتب عن الفنان الإنسان الذى كان أسطورة أبدع فكرتها خيال الفنان الإله ... لن أكتب عن اللحن الخالد الذى وقعته على قيثارة الأبد أنامل العبقرى الأعظم .. لن أكتب عن الحلم القصير الذى داعب أجفان الحيارى ، ثم صحوا من بعده على صرخات الدموع !

لن أكتب عن نجيب الريحانى إلا إذا جاءنى الغد المرتقب بأن مكانه الشاغر لم يشغل ... عندئذ سأصدق أن نجيب الريحانى قد مات ، وأن من حقه على أن أكتب عنه صفحات وصفحات!

رسالة ثائرة من شيوعى ثائر :

حقيبة البريد تحمل إلى من حين إلى آخر كثيراً من روائع العقول وطرائف الأفكار ... من هـذه الطرائف وتلك الروائع ما نقلته إلى فى الأسبوع الماضى رسالة ثائرة من شيوعى فاضل آثر السلامة فلم يذكر اسمه ! لم يناقشنى الشيوعى الفاضـل مثلا فيما كتبته على صفحات « الرسالة » ، ولم يناقشنى مثلا فيما جاء به أستاذه الأكبر كارل ماركس من آراء ومذاهب ؛ لم يناقشنى فى شىء من هذا ليقنعنى بعدالة قضيته ، أو لأقنعه — على الأقل — بأنه مضلل مفتون ، ولـكنه غمرنى بفيض من شتائمه التى إن دلت على شىء ، فإنما تدل على طيب عنصره وكرم محتده ، شأن كل شيوعى من أمثاله !

يقول حضرته إننى كاتب رجعى مأجور ... مأجور من الرأسمالية فى مصر وغير مصر ، ولولا « المرتب » الذى أحصل عليه كل شهر من بعض « الجهات المعينة » لما هاجمت مذهباً من مذاهب الإصلاح الاجتماعى يحتاج إليه ملايين المصريين ليرتفعوا من مرتبة الحيوانات إلى مرتبة الآدميين !

أود أن أقول للشيوعى الفـاضل إننى أرحب بالرجعية ما دام رائدها الـكشف عن مخازى الشيوعية ، أما « المرتبات » فلا يعرفها سوى زبائن « الـكومنفورم » ... وأما ملايين المصريين الذين أشار إليهم فأؤكد له أنهم آدميون والحمد لله ، وإذا كان فى مصر حيوانات فهم بضع مئات لعل منهم حضرة الشيوعى المحترم!

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

خليل مطران :

فقد عالم الشعر يوم الخميس الماضي (٣٠/٦/١٩٤٩) علماً من أعلامه بوفاة خليل مطران، كما فقدت به مصر وسائر الأقطار العربية شاعراً كبيراً، عاصر حقبة مضطربة من حياتها السياسية ولابس فترة انتقال في حياتها الأدبية، فكان في الأولى ممن غضبوا للكرامة الوطنية وجاهدوا في سبيل الحرية، وكان في الثانية أستاذاً من أساتذة الجيل الذين ارتادوا آفاقاً جديدة في عالم الشعر العربي الحديث، فسبق أقرانه في الابتداع بافتنانه في المعاني والصور الشعرية الجديدة، ومهد السبيل لمن أتى بعد المدرسة الشعرية القديمة من شعراء اتجهوا بكل فنهم إلى الحس والشعور والحياة ...

نشأ خليل مطران في موطنه الأول لبنان، وأمضى به صدر شبابه، ثم هجره إلى باريس حيث اشترك في بعض الحركات الوطنية، ثم عاد إلى مصر وكان قد نزل بها في طريقه إلى باريس فطاب له المقام بها، واشتغل فيها بالصحافة، وشارك في الإنتاج الأدبي كتابة وشعراً، وكان من العاملين على رقي المسرح فترجم له وألف، وظل يغرد بأشعاره في وادي النيل حتى أخذ مكانه في الصف الأول من الشعراء المقدمين. وكان لمطران إلى جانب ذلك نشاط في مجال الاقتصاد والمال، زاوج بينه وبين نشاطه الأدبي.

كان رحمه الله دقيق الجسم، رقيق الحس، كريم العاطفة، وكان من الذين تأكل مشاعرهم العليا وإنسانيتهم الرفيعة حيويتهم وغذاء أجسامهم ... وقد قضى سنواته الأخيرة يعاني الاعتلال ويغالب الأدواء، ثم غلبته ففقدناه.

وكان مطران موضع التقدير والتكريم من كبار الرجال في مصر وغيرها، وكان أباً ودوداً وأخاً كريماً للأدباء والشعراء، ولم يسعد كاتب هذه السطور بلقائه ومعرفته الشخصية، ولكن طالما استروحت نسمات من سيرته الطيبة في مجالس الإخوان، وامتلأت مشاعري بما استفاض من بره ورقة شمائله.

فإن مات خليل مطران فهو خالد في ضمير الأمة العربية شاعراً وإنساناً.

اللغة في الإذاعة :

نشرت مجلة الإذاعة المصرية، أن حديثاً جرى في اجتماع لجنة الشؤون الدستورية بمجلس الشيوخ، بين بعض الأعضاء وبين الأستاذ محمد قاسم بك المدير العام للإذاعة الذي كان يشهد هذا الاجتماع، وأن سعادة العشماوي باشا رأى أن تكون الأغاني والتمثيليات باللغة العربية المبسطة، وقال الأستاذ جمال الدين أباظة بك: إن الشيخ سلامة حجازي الذي كان الجميع يطربون لأغانيه وتمثيلياته كان يلقي هذه الأغاني والتمثيليات باللغة العربية، ثم طلبت المجلة أن يبدي المستمعون آراءهم في هذا الموضوع.

والذي يقرأ هذا يخيل إليه أن الإذاعة تحافظ على اللغة العربية في كل برامجها ولم يبق إلا الأغاني والتمثيليات، والواقع أن جزءاً كبيراً من برامج إذاعتنا يؤدى بلغة لا هي عامية ولا هي عربية، مثل الأحاديث الطبية والزراعية، وما يلقى في ركن المرأة وركن الفلاح وغير ذلك، وأقصد هذا النوع الذي يعده صاحبه على أنه باللغة العربية، وما هو إلا تكسير لها واعتداء على صحتها. وإنها لمهزلة كبرى أن تذاع هذه اللغة المكسرة المهلهلة من الإذاعة الرسمية بأكبر عاصمة عربية في العالم.

في الصحف والمجلات رقابة لغوية، وإن لم تكن دقيقة في بعضها، تمنع نشر ما كتب بأسلوب غير سليم، أو تقومه؛ فلم لا يكون بالإذاعة موظفون في مقام رئيس التحرير أو سكرتير التحرير أو المصححين في الصحف، يشرفون على لغة الأحاديث؟ ولم لا يشترط على المتحدث أن يجيد النطق العربي ويجرب قبل إلقاء حديثه؟ وإن بعضهم ليخجل إذا أخطأ في نطق لغة أجنبية وإنه لأجدر أن يخجل لخطئه في لغته.

ذلك مثل من الفوضى اللغوية في إذاعتنا المصرية التي تنطلق بلسان مصر زعيمة العروبة، وفيها غير ذلك كثير، وقد

كدت أنفلق من المذيع الذى يلقي النشرة الجوية فيقـول : أذاعت مصـلحة الأرصاد التنبؤات التالية عن حالة الجو من ظُهَيْرة اليوم إلى ظُهَيْرة غد ، فهو يريد أن يظهر مقدرته اللغوية بالإتيان بكلمة (ظهيرة) بدل (ظهر) ولـكن نطقه لها يأبى إلا أن يظهر حقيقة مقدرته ولو أنه تجنب الحذلقة لما وقع فى هذا الخطأ الفاضح .

أما الأغانى والتمثيليات فمن الواجب حقاً أن تكون باللغة العربية المبسطة كما قال العشماوى باشا ، فاللغة الفصيحة يجب أن تكون لسان الإذاعة المصرية العربية فى كل برامجها ، وليس من الحق ما يقال من أن طبقات الشعب الجاهلة لا تفهم العربية فهما صحيحاً ، فإن هذه الطبقات تصغى إلى القرآن الكريم وتفهم كثيراً من آياته ، ويقرؤون أو تقرأ عليهم الصحف بالأسلوب العربى المصرى فيفهمونه حق الفهم ، وإن وسائل الاتصال بالجمهور المعبرة بالعربية تمد الألسنة بفيض منها فتدنى لغة العامة من لغة الخاصة ، فلماذا تتخلف الإذاعة عن سائر تلك الوسائل ؟ وتقول مجلة الإذاعة فيما نشرته تسويغاً للعامية ، إنها أدق تصـويراً لواقع الحياة فى

كشكول الأسبوع

□ جاء فى مقال للدكتور طه حسين بك بالأهرام فى رثاء نجيب الريحانى ، ما يلى : « وألقى الريحانى فأثنى عليه وأسره حين أثنى عليه ويثنى على ويسرنى حين يثنى على » وعهدنا بالتكرار فى أسلوب الدكتور طه أنه حلو كالسكر « المكرر » ولكن هذه الفقرات جاءت كالسكر الأحمر الخام الذى يباع الآن من غير بطاقة التموين .

□ كان الدكتور عبد الوهاب عزام بك قد ألقى محاضرة فى مؤتمر المجمع اللغوى عن أسماء الحيوانات والنباتات فى جزيرة العرب . وقد رأى المجمع — تنفيذاً لبعض ما تضمنته المحاضرة من اقتراحات — أن يتصل بكلية العلوم لإيفاد بعثة علمية لتحقيق تلك الأسماء ، وكتب إلى الكلية فى ذلك فردت بالموافقة على الفكرة ولكنها ترى إرجاء ذلك إلى أوائل العام الدراسى المقبل .

□ جاء فى « الأساس » يوم الاثنين الماضى فى وصف حفلة تأبين الريحانى بنقابة الصحفيين ، ما يلى : « وسمعنا قصيدة من قصائد الدكتور محمود على طه الشاعر عن نجيب الريحانى الممثل » فأين يعيش ذلك المحرر الذى لا يعرف صحة اسم شاعر مصر الكبير الأستاذ على محمود طه ؟ ما أشبهه بالمذيع الذى سمعته مرة يقدم أم كلثوم لتغنى « سلوا قلبى » من شعر محمد شوقى !

□ من الصور الحية التى تقع عليها العين فى رابطة الأدباء ، إنسان غليظ البدن والحنجرة أعجمى اللسان ، قام يخطب مرة فدعا إلى إلغاء كلية الآداب اكتفاء بكلية العلوم .. لماذا ؟ لأن الأدب يجب أن يكون علماً ! صنع الله لأولئك المساكين الذين يذهبون لسماع ما يلقى — أى يقذف — عليهم فى رابطة « العلماء » .

□ يرغب كثير من الناس فى شراء بعض أجزاء كتاب « الأغانى » التى أصدرتها دار الكتب ، فلا يجدونها أو يجدونها فى السوق السوداء لأنها نفدت من دار الكتب ، ويقترح بعضهم أن تعيد الدار طبع هذه الأجزاء ، ويستبطئها بعضهم فى موالاة أو استئناف إخراج بقية الأجزاء وأذكر بهذه المناسبة أن آخر جزء ظهر سنة ١٩٣٨ وهو الجزء الحادى عشر .

□ أصدرت لجنة النشر للجامعيين قصة « بعد الغروب » للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله ، وهى القصة الفائزة بجائزة وزارة المعارف الممتازة لهذا العام . وتمتاز هذه القصة بما عهد فى قصص كاتبها من متانة الأسلوب ونبالة الأهداف

□ نشرت « أخبار اليوم » أن جمعية الشعر الدولية فى روما كتبت إلى الملحق الثقافى المصرى فى إيطاليا ، أنها أعدت جائزة قدرها خمسمائة ألف ليرة إيطالية لأجود قصائد هذا العام ، وقد طلبت إليه دعوة الشعراء المصريين للاشتراك في المباراة التى وضعت للحصول على هذه الجائزة .

□ أنشئت فى وزارة المعارف إدارة لإحياء المخطوطات العربية ، سميت « إدارة التراث القديم » ولست أدرى فائدة لكلمة « القديم » هنا إلا أنها تضيف ثقلا إلى ثقل « التراث » هلا سموها « إدارة الآثار الأدبية » مثلا .

المجتمع . وإذاعتنا نفسها تذيع باللغة العربية تمثيليات مترجمة فهل اللغة العربيـة قادرة على تصوير واقع الحيـاة فى المجتمع الانجليزى مثلا وليست بقادرة على ذلك فى المجتمع المصرى ..

أقول ذلك وأنا لا أشـير على الإذاعة أن تتخذ العربيـة لغة لكل الأغانى والتمثيليات ، فهذا هدف لم تعد المدة الكافية لبلوغه فى إذاعتنا أو لم نصل إلى الحال الملائمة له بعد ، فإن أكثر المغنين والمغنيات والممثلين والممثلات الذين يعملون الآن بالإذاعة ، لا يحسنون إلقاء هذه الفنون بالعربية ، فلو أنهم حملوا عليها لما كانت هذه الأغانى والتمثيليات خيراً من تلك الأحاديث .

يجب أن يسـبق الإقدام على « تعريب » التمثيليات إعداد ممثلين وممثلات ، مدربين على التمثيل بالعربية . وهناك كثيرون مدربون ولكنهم غـير الذين يعملون بالإذاعة ، وهناك أيضاً خريجو المعهد العالى لفن التمثيل . أما الأغانى فالإذاعة تذيع كثيراً منها بالعربية وبعضها لا بأس به ولكن جمهرة المغنين والمغنيات لا تحسن أداء العربى الفصيح ومدار الأمر فى كل ذلك على السياسة المرسومة والعمل

لبلوغ الهدف ؛ فإذا لم يكن من المستحسن أن تكون الأغانى والتمثيليات بالعربية جملة واحدة والحال على ما هى عليه الآن فى الإذاعة — كما أرى — فينبغى أن توضع خطة توصل إلى الحال التى يصح فيها تنفيذ ذلك الغرض .

فى قاعة المطالعة بدار الكتب :

شيئان فى مصر لا يزالان كأول عهدهما لم يلحقهما التطور ، ولم تجر عليهما سنة الارتقاء : محراث الفلاح ، وقاعة المطالعة فى دار الكتب المصرية ، فكما أن الفلاح المصرى لا يزال يشق الأرض بمحراثه على نحو ما كان يفعل أسلافه منذ آلاف السنين ، لا يزال ذلك الساعى ذو الحلة الصفراء يتردد بين المخزن وقاعة المطالعة فى دار الكتب . توافينا أنباء الغرب بما يجد هناك فى عالم المكتبات العامة وما يصطنعه القوم من أنواع التيسير على جمهور المستعيرين ، وإنى لأخال آخرنبأ فى الطريق أن مكتبة فى نيويورك أو واشنطن أو غيرهما من العالم الجديد قد استحدثت طريقة تكفل لطالب الكتاب الحصول عليه بمجرد كتابة رقمه ووضعه فى ثقب معين ، إذ يخرج الكتاب إليه ساعياً إلى لقائه دون أى انتظار ..

أما فى دار الكتب المصرية الكائنة بميدان أحمد ماهر من القاهرة المعزية ، فإنك بعد ما تكتب « سند الاستعارة » وتملأ المطلوب فيه من الاسم والوظيفة والسن والمسكن والعنوان واسم الكتاب والجزء والمؤلف ورقم الفن ورقم المقعد ... الخ ، تجلس فى القاعة ترقب طلعة الساعى ، تستبشر إذا بدا ينقل خطوه كما يخطو الطير الآمن على الأرض .. وقد ضم إلى حضنه مجموعة من الأسفار مختلفة الأحجام ، وتؤمل أن يرمى لك أحدها ، وإذا هو لا يلتفت إليك بل يجاوزك تنتظر لتعيد التطلع إليه فى الدورة القادمة لعل وعسى ... وقد يرمى إليك بعد كل ذلك « سند الاستعارة » مخطوطاً عليه ما لا تفهمه ، فإذا لجأت إلى من يحل الرموز ظهر أن المكتوب : « فى الخارج » أو « فى المطالعة » أو « لدى الموظفين » أو « ليس فى المخزن نور » وما إلى ذلك وخلاف مايستجد من نحو « الكتاب متعب » أو « فى لجنة ! »

وإذا كنت من ذوى الجد السعيد وجاءك الكتاب ، فعليك أن تقرأه أو تأخذ منه حاجتك فى نصف ساعة بقى من الوقت وأنت بين صغار يتحدثون ويعبثون ويتضاحكون ، لم يخصص لهم ولكنهم مكان فى القاعة ، بل انتثروا فيها لافرق بين كبير وصغير ولا رعاية لمزاج باحث تضايقه حركات الغلمان من قراء روايات حافظ نجيب وأرسين لوبين .

والمترددون على قاعة المطالعة من قراء تلك القصص والروايات هم الذين يضخمون المدد الذى تصدر به بيانات الدار التى تنشر ويظهر أن الدار تحب أن تنشر هذه الأرقام الكبيرة مغتبطة بدلالتها على إقبال الجمهور على التزود من المعارف والآداب ، ولكن التزود من المعارف والآداب مظلوم لأن دار الكتب تزحم نفسها بهذه الروايات وبطلابها ، وهى ليست بذات غناء فى التثقيف من جهة ، والجهة الأخرى أنها تباع فى الخارج الواحدة بقرش ، والأولى منها بالتوفير فى الدار الكتب ذات القيمة العلمية والأدبية ، وخاصة الكتب والمراجع الغالية التى يحتاج إليها طلبة الجامعة وطلبة الأزهر ، والتى يقال لمن يطلب واحداً منها « معار » أو « لا يوجد منه غير نسخة فى الدار » فيخرج الطالب وهو ينظر إلى عشرات من الصغار منهمكين فى قراءة الروايات البوليسية والغرامية .

لا اعتماد للفن :

كان مجلس النواب قد وافق فى ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية على اعتماد ٧٠٠٠ جنيه لإنشاء فرقة نموذجية من خريجى المعهد العالى للتمثيل ، و ١٥٠٠ جنيه زيادة على المقرر لتشجيع التأليف المسرحى ، و ٢٥٠٠ جنيه لإنشاء مسرح صيفى بالقاهرة و ٣٠٠ جنيه جائزة لأحسن فلم خلال العام . ولكن لما عرضت هذه الميزانية على مجلس الشيوخ رفض اعتماد تلك المبالغ ، قائلا إنه لا داعى لإنشاء الفرقة النموذجية ، ويلحق خريجو المعهد بالفرقة المصرية ليكسب الشبان الجدد مراناً وتجربة إلى جانب من مارسوا التمثيل قبلهم ؛ أما الزيادة للتأليف المسرحى فلا مبرر لها لأن ما صرفته الوزارة من اعتماد العام الماضى لم يزد على نصفه ؛ وأما المسرح الصيفى فكان قد اقترح إقامته فى حديقة الأزبكية أو على شاطىء النيل شمال حديقة الأندلس بجوار المسجد المقام بها ، فرأى مجلس الشيوخ أنه من غير اللائق إقامة المسرح بجوار المسجد ، وسكت عن حديقة الأزبكية ؛ وأما من حيث الجائزة



البريد الأدبي

في مجالس الأدب :

إن في مجالس الأدب جمعاً بين إشباع الوجدان ، وإمتاع العقل ، وإشباع المواصلة الروحية التي تجمع وحدة الطبع واتفاق المزاج ، وتآلف الميل ؛ ولقد تلمع الخواطر ، فيبدو في لماتها ما يشرق بالمجلس الأدبي . ونعلم أن للرسالة الزهراء ندوة فيها نداء المعرفة ، وندى الوفادة ، وبالود منا أن يسجل بين الحين والحين ما يأتي في جوانب الندى للقبس منه ، والأخذ عنه ، والمشاركة فيما يترامى إلى أهداف سامية لها وصلة بالحياة ، التي اصطرعت أهواؤها في مصارع المادة ، وتنكب جادة المعاني الروحية .

ولقد دعانا إلى تلك الإشارة ما عاودنا قراءته عن « المناظرات الأدبية » وما كان لها من شأن ، بعد أن حاورنا محاور عن الصيغ التي تفيد الصفة ، ووثب إلى الذهن ما حققه المازني « النحوي » في حضرة المتوكل في قوله تعالى : « وما كانت أمك بغياً » بعد أن سئل : كيف حذفت التاء وبقي فعيل مع أنه فعيلا إذا كان بمعنى فاعل لحقته التاء كفتي وفتية ؛ فكان حقها « بغية » ؟ فأجاب : إن بغياً ليست بفعيل ، وإنما هي فعول بمعنى فاعلة — يقصد أنها كصبور — فالأصل فيها « بغوى » وأجرى عليها تقعيد التصريف من قلب الواو ياء وإدغام الياء في الياء ؛ فهي « بغي » ، ووجب حذف التاء لأنها بمعنى باغية . على هذا الأسلوب أمكنه الإعلام والإفحام ، وسجل تحقيقه مخلداً تتعاوره الأجيال ، فلماذا لا تثبت مباحث الأثبات ؟ .

إن من حق الأدب على الهداة إنارة الطريق ، وليست المباحث وحدها بكافية للاستنارة ؛ فمجالس الأدب في محاوراتها ، ومناظراتها ، وطرائفها ، وطرائقها ذات تشوف وتشويق !

ولقد أعجبنا من الأديب الموفق الأستاذ « العباس » عرضه قضية ذلك البطار البشم بغروره الذي انتفخ أنفه باسترواحه رائحة « الأجنبي » ، وتكسر لسانه برطانة الصلف ؛ فعاب على الشرق تربيته العالية ، وتورط بعد أن « تبرنط » ، ثم خرج من لدن المجلس بدعه الخزي ، ويخزيه العار . من هذه الإبانة وضحت ظاهرة المغالاة في تمجيد الغرب إلى درجة تجاهل الشرقية المشرقة من قوم يجب أن يشرقوا من ماء النيل !

إن رجاوتنا تجاوز الإلحاف في وجوب العناية بمجالس الأدب التي ندرت في هذا الزمان الذي نثر الأوقات الرخيصة على كراسي المقاهي حيث إضاعتها بين قالة اللسان ، ومطاولة اليد ، والبعد عن سمو الحياة !

(بور سعيد) **أحمد عبد اللطيف بدر**

أسرفة أم تهافت أدبي ؟

قرأت في العدد ٨٣٢ من مجلة الرسالة الغراء قصة بعنوان

السينمية فاستند المجلس إلى أن إنتاج الأفلام يجب أن يترك للمنافسة الحرة .

وقد أعيدت الميزانية إلى مجلس النواب ، فوافق على حذف تلك الاعتمادات منعاً لتعطيل الميزانية .

وهكذا خرج الفن من هذه الجولة البرلمانية صفر اليدين ، فلم يظفر بأي اعتماد في ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية التي تشرف على المسرح والسينما .

والدولة بعد كل هذا تعتبر فن التمثيل ضرورياً لتربية الشعب وتثقيفه عن طريق الإمتاع الفني ، فهل يتفق حذف اعتماداته مع هذا الاعتبار ؟ لقد علل مجلس الشيوخ رفضه لكل اعتماد منها ، ولكن أين الهيئة الفنية الرسمية التي تستطيع أن تؤيد المشروعات الفنية وتدافع عنها وتدعم رأيها إزاء وجهة نظر المجلس ؟ أين من يقول مثلا بحاجة البلاد إلى عدة فرق مسرحية لا فرقة أو فرقتين ، وبأن المسرح الصيفي يمكن إقامته في غير المكان المعترض عليه ، وبأن التأليف المسرحي يكاد يكون معدوماً ، وبأن مكافأة القلم تؤدي إلى تحسن الإنتاج .

تتجه الأنظار إلى وزارة الشؤون فهي راعية الفنون ، ولكن من المؤسف أننا نجدها غير جادة في هذه الرعاية ، ومما يدل على ذلك ما لاحظه مجلس الشيوخ من أنها لم تصرف من المقرر للتأليف المسرحي في العام الماضي غير نصفه ... فهل هي تحرص على الإشراف على المسرح والسينما لتتفرج أو لتنهض بهما ؟

عباس خضر

(مادلين) للأديب يوسف جبرا . وهذه القصة نشرتها جريدة البلاغ بدون توقيع في عددها الصادر بتاريخ ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ . ولقد راعني أن تنقل القصة من جريدة البلاغ إلى مجلة الرسالة بفصها ونصها ، فهل كانت القصة المنشورة في جريدة البلاغ من ترجمة الأديب يوسف جبرا نفسه ؟ وإذا ادعى أنها له فهل له أن يتكرم فيثبت لنا صحة ما يقول بالدليل القاطع الذى لا يقبل الجدل ولا يرقى إليه الشك ؟ وإذا أحسنا الظن بالأديب الناشيء فاعتبرنا قصة البلاغ من ترجمته هو فإنا نعتبر السعى إلى إعادة نشرها تهافتاً أدبياً وتكالباً على الشهرة غير مشروع ، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على إفلاس عقلى وفرار من الجهد الذى يعانيه الأديب ليخرج للناس أثراً يقرأ . وإن للأديب حدوداً من الأدب واللياقة لا يتعداها المرء إلا حين يحس بالخور والفتور . وإذا كان ما نشر في جريدة البلاغ ليس من عمل الأديب جبرا فهذه سرقة أدبية أربأ به عن أن يرتدغ فيها .

يا سيدى الأديب ، هذه هي ثانى مرة ترتكب فيها مثل هذه المخالفة الأدبية . ولابد أن تثق بأن للقراء عيناً وقلباً وعقلاً . هذا وإن عدتم عدنا .

كامل محمود حبيب

وضع الزهور على القبور :

دارت مناقشات في بعض الصحف حول هذه العادة وكيف نشأت ، فمن قائل أنها غربية ، وقائل أنها شرقية إسلامية والرأى الثانى هو الصحيح .

فقد جاء في صحيح البخارى عن ابن عباس قال : مر النبي عليه السلام بقبرين فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله ؛ وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة . ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة ، قالوا يا رسول الله لم فعلت هذا ؟ قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا . والحكمة في ذلك أن كل حى ونام يسبح الله دون الميت واليابس ، وفي الحديث الشريف إشارة إلى أنهما يسبحان ما دامتا رطبتين دون ما إذا يبستا . وهذا الإشراق الروحى للرسول عليه السلام حيث يشاهد تسبيح النبات والجماد من خصوصياته ، وقد يكشف الحجاب لبعض الأطهار من أمته حتى يسمع تسبيح الكائنات كما حصل ذلك لبعض الخواص من أهل الطريق ولا زالت هذه السعادة عند العامة في جميع البلاد متأسية بالرسول الطاهر ثم أبدلت بالزهور عند الخاصة — والتسبيح من كليهما واقع — والتخفيف على الترجى بيد الله سبحانه وتعالى ، وهو الرحمن الرحيم .

(شطانوف) محمد منصور خضر

لام الجحود . ومظانها :

كنا وما نزال نستظهر أن من ضمن نواصب المضارع وعلى التجوز ، لام الجحود ، ونتذكر أيضاً أن لام الجحود هي المسبوقة بكون ناقص ماض منفى ؛ ولكننا كنا نجهل أن لها شرطاً عدا ما تقدم : وهو أن يكون المسند إلى ما كان ، ولم يكن هو عين المسند إلى المضارع الآتى بعدها حتى تلحقه اللام المؤكدة للنفى الصريح ؛ وزدت الصريح لأنه لو كان غير صريح لصح للفعل المضارع أن يأتى بعد الكون الناقص الخ — خالياً من اللام ، وإليك قوله تعالى : « ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون » فإن النفى هنا صورى في معنى الإثبات أى قد تليت عليكم آياتى فكنتم بها تكذبون .

وليتم الاستقصاء أزيد على ما أسلفت أن يكون ثم مقتض بلاغى يقتضيها ، والقرآن الكريم ملىء بهذه المقتضيات . وقد بينها لنا بأجلى بيان في معارض شتى : كالتخويف ، والإنذار ، والتقرير ، والإصرار ، وها هى ذى طائفة من الآيات توضح ما مر : قال تعالى في معرض الإنذار : « لم يكن الله — يستغفرلهم » وفى مجال التقرير : « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » وفى موضع الإصرار : « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين » . وبلى القرآن في ذلك الحديث وها هو ذا يطفىء غلتنا بنغبة من حديث مشهور قال صلى الله عليه وسلم : « واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك »

وإذا استوفيت الشروط المتقدمة ولم يكن ثم مقتض لتأكيد النفى فلا داعى لهذه اللام ، ويرد الفعل المضارع خالياً منها — كما في هذه الآيات : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون »

محمد غنيم



الطفل الضال

للكاتب الهندى ملك راج أنائر

ترجمة الأستاذ محمد فتحى عبد الوهاب

كان ذلك اليوم مهرجان الربيع ، وقد خرج الناس مبتهجين فى حلل قشيبة ، وازدحمت بهم الطرقات ، يسيرون وكأنهم حشد من الأرانب المتعددة الألوان اندفعت خارجة من أجحارها . وأغرقتهم الشمس فى بحار أشعتها العسجدية ، أثناء سيرهم قاصدين السوق . فمشى البعض على قدميه ، وامتطى البعض صهوة جواده ، وجلس البعض الآخر تحمله مختلف المركبات .

وهرول صبى صغير ، مفعم بالنشاط والبشر ، وكأنه ذلك الصباح المشرق البسام يرحب بالناس فى حرارة ويدعوهم بصدر رحب إلى ارتياد الحقول بأزهارها وأغانيها .

وناداه والداه « هلم يا بنى ، هلم » وقد تباطأ خلفهما . كانت قد جذبته رؤية الدمى القائمة فى الحوانيت المصطفة على جانبى الطريق . وأسرع الصبى الخطى صوب والديه . وقد لبت قدماه نداءهما ولما تزل عيناه تتطلعان إلى الدمى وهى تبتعد عن ناظريه . وعندما أقبل إلى حيث وقفا ينتظرانه لم يستطع كبت رغبة فؤاده على الرغم من مشاهدته نظرات الرفض الباردة التى كانت تبدو فى أعينهما ، والتى كان معتاداً رؤيتها ، فقال فى توسل « أريد تلك الدمية » .

ونظر إليه والده نظرة صارمة بعينين متقدتين ، وأولته والدته — وقد ذاب فؤادها ببهجة ذلك اليوم — نظرة من العطف ، ثم ناولته أصبعها ليمسك به وهى تقول « انتبه أمامك يا بنى » .

وما كاد ضيق الطفل — الذى انتابه لعدم تحقيق رغبته — يخمد فى الزفرة الحارة المتصاعدة مع أنفاسه وهو ينادى والدته بصوت متقطع ، حتى امتلأت عيناه الشفافتان ببهجة ما بدا أمامه . كانوا قد تركوا الطريق وغباره ، ومشوا فى حركة التفاف صوب الشمال ، ثم سلكوا طريقاً داخل حقل مزدهر بنبات الخردل الباهت وكأنه الذهب السائل ، انتشر أميالاً وكأنه نهر من الضوء الأصفر يتماوج مع الريح ، وتجرى أمواجه لتصب فى محيط الضوء اللجينى للأفق البعيد .

وقامت الديار على جوانب الحقل بجدرانها الطينية ، وقد تعالت منها أصوات قطانها وصفيرهم وصخبهم وهمهمتهم ، ترتفع صوب قبة السماء الزرقاء ، وكأنها صوت ضحكة « سيفا[1] » الجنونية .

ورنا الطفل إلى والديه وقد غمرته البهجة والإعجاب بتلك الغابة الشاسعة . وبدا له كأنما أشرقت السعادة على محياهما ، فترك الطريق ، واخترق الحقل ، يعدو ويطفر وكأنه المهر .

كانت جموع من اليماسيب تطن بأجنحتها الشفافة الأرجوانية وتترقب تحليق نحلة سوداء منفردة أو فراشة تبحث عن رحيق شذى من أعماق الزهور . وتبعها الطفل بناظريه ، وحاول أن يمسك أحدها وقد طوى جناحيه ، ولكن سرعان ما فردهما وحام فى الهواء . وقامت نحلة سوداء جريئة باستهوائه بطنينها حول أذنيه حتى تتجنب القبض عليها ، أن تستقر على شفتيه لولا أن نبهته والدته قائلة « هلم يا بنى ، هلم ، تعال إلى الطريق » .

وقصد إلى والديه مبتهجاً ، وسار معهما جنباً إلى جنب . ثم إذا به يتركهما وقد جذبته رؤية الحشرات والديدان تسعى على طول الطريق ، وقد خرجت من مخابئها لتتمتع بأشعة الشمس .

وناداه والداه وقد جلسا على حافة بئر ، يتفيآن ظل دغل ، يجرى صوبها ، كانت شجرة التين قد بسطت أذرعتها القوية على الأهليلج المزدهر وغيره من النباتات ، وألقت بظلها على أحواض الزهور الذهبية والقرمزية ، وكأنها جدة بسطت ذيلها على أحفادها الصغار . وقامت البراعم بعبادة الشمس وقد كشفت قليلا عن أوراقها فى حياء . واختلط العبيق الشذى لحبوب لقاحها بالنسيم العليل يهب بين الفينة والفينة .

وتساقط فيض من الزهور الصغيرة على الطفل عندما أتى الدغل ، فنسى والديه وأخذ يجمع بين يديه أوراقها المنهملة كالمطر .

(١) سيفا — ثالث إله من آلهة الهندوكين . وهو رمز الإنشاء والتدمير

ولكن . . ما هذا !؟ لقد سمع هديل الحمام ، فأسرع إلى الخطى صوب والديه هاتفاً « الحمامة ! الحمامة ! » وسقطت أوراق الزهور العديدة من يديه المتخاذلتين ، وبدا على وجهي والديه نظرات الاستغراب والفضول وهتفا يناديان الطفل « تعال يا بني ، تعال » .

كان الصبي قد ذهب يعدو في طفرات جنونية حول الشجرة فانضموا إليه ، ثم سلكوا الطريق الضيق المنحنى الذي يؤدي إلى السوق . واستطاع الطفل عند وصوله أن يشاهد العديد من الطرق تمج بالناس القادمين إليه .

ونادى بائع على ما يعرضه من الحلوى ، وهو قابع في ركن من أركان مدخل السوق ، واحتشد الناس حوله وقد قامت تحت أقدامه أكوام منتظمة من الحلوى الملونة المزركشة بأوراق مذهبة ومفضضة . وحدق الطفل فيها وقد اتسعت عيناه وسال لعابه من رؤيته حلواه المفضلة « البوق » ، وتمتم في بطء قائلا « أريد البوق » . ولكنه كان يدرى أن هذا الطلب لن يلقى أذناً صاغية ، فقد يقول عنه والده أنه شره ولذلك ابتعد دون أن ينتظر أية إجابة .

ونادى بائع الزهر على باقاته المختلفة ، وبدا الطفل كأنه جذب بالشذى الدائم الذي أتى إليه سابحاً على أجنحة النسيم الواهن . فذهب صوب السلة حيث ترقد باقات الزهور وتمتم قائلا : « أريد تلك الباقة » . ولكنه كان يعرف جيداً أن والديه سيرفضان شراءها ، فقد يقولون أنها زهور تافهة ، ولذلك تحرك مبتعداً قبل أن ينتظر أجابتهما .

وأمسك رجل بعمود خشبي تدلت منه بالونات تتطاير بألوانها المتعددة ، فنها الأصفر والأحمر والأخضر والأرجواني ، ودهش الطفل من جمال ألوانها وكأنها قوس القزح . وغمرته رغبة جارفة في امتلاكها جميعاً . ولكنه كان يدرك تماماً أن والديه لن يبتاعاها له ، فسيقولان أنه أكبر من أن يلعب بمثل هذه الألعاب ، ولذلك سار مبتعداً عنها .

ووقف مشعوذ يصفر في مزماره لأفعى تتلوى في سلة ، وقد ارتفع رأسها في انحناءة لطيفة وكأنها عنق أوزة . وانسابت الموسيقى إلى أذنيها الخفيفتين وكأنها خرير مسقط ماء صغير .

وكاد الصبي أن يتجه إلى المشعوذ لولا أنه كان واثقاً أن والديه سيمنعانه عن سماع مثل هذه الموسيقى الفظة ، فتابع سيره مبتعداً .

وكانت هناك عجلة دائرة في أبان حركتها محملة بالرجال والنساء والأطفال وهي تتحرك بهم حركة دائرية سريعة . وشاهدهم يتصايحون في ضحكات جزلة ، وراقبهم يدورون ويدورون وقد علت شفتيه ابتسامة حياء زاهية . وعينيه تتماوجان مع حركة العجلة ، وفغر فاه دهشته وقد بدأت العجلة تهدئ من سرعتها تدريجياً . ووقف الطفل مذهولا وأصبعه في فه يشاهدها وهي تقف . وفي هذه المرة — وقبل أن ينطفىء شوقه الشديد بذلك الإصرار الأبدى على رفض كل طلب له — قال في جرأة « أريد أن أركب العجلة الدائرة ، أرجو يا أبتى ، وأنت يا أماه » فلم يسمع أى جواب وتلفت ينظر إلى والديه فلم يجد لهما أثراً .

وانفلتت من حنجرته الجافة صيحة مدوية عميقة ، وفجأة اندفع يجرى وهو يصيح في رعب « أبى ، أمى » وانهملت الدموع من عينيه ، غزيرة جارفة . واختلج وجهه الممتقع خوفاً ، وعدا وقد تملكه الفزع ، من ناحية إلى أخرى ، في شتى الاتجاهات ، دون أن يدرى أين يذهب . ونشج بالبكاء وهو ينادى « أماه ، أبتاه » وقد تبللت حنجرته بما ابتلعه من لعاب ، وانحلت عمامته الصفراء ، وثقل جسمه الخفيف ، وصار ككتلة الرصاص ، بعد ما ابتلت ملابسه بما تصبب من جسمه من العرق وما اختلط بها من غبار .

وبعد أن هرول هنا وهناك مقهوراً على أمره ، وقد تحول صيحاته إلى عويل . وشاهد عن بعد ، خلال عينيه وقد علتهما طبقتان شفافتان من الدمع ، رجالا ونساء راقدين على العشب الأخضر ، يتحدثون ويتسامرون . وحدق فيهم بين رقع ملابسهم الصفراء اللامعة ، لعله يشاهد أثراً لوالدته أو والده بين أولئك الناس ، وقد بدا المرح على ملامحهم ، يتحدثون ويضحكون لمجرد الضحك والحديث وجرى في حرارة مرة أخرى ، وقصد حرم معبد احتشد فيه الناس . كانت كل بقعة من الأرض تموج بالناس ، وعدا بين أرجلهم ، وكانت صيحاته الصغيرة تنادى في لهفة « أماه ، أبتاه » وازدادت كثافة الحشد قرب المعبد . كان الناس يتدافعون بالمناكب ، رجال ثقلاء بأعين لامعة من الغدر ،

وأكتاف ثقيلة . وجاهد الطفل يشق طريقه بين أقدامهم ، ولكنهم كانوا يدفعونه هنا وهناك بمخالبهم المتوحشة . وكادوا أن يطئوه بأقدامهم لولا أنه صرخ يقول فى صوت جهورى « أبتاه ، أماه » فسمعه رجل منهم وانحنى فى مشقة ورفعه بين ذراعيه .

وسأله الرجل وهو ينأى به بعيداً عن هذه الكتل المتراصة « كيف جئت إلى هنا يا بنى ؟ ابن من أنت ؟ » .

وبكى الطفل فى مرارة زادت عن ذى قبل وصاح قائلا « أريد أبى ، أريد أمى » .

وحاول الرجل أن يهدىء من روعه فأخذه إلى العجلة الطائرة وقال له وهو يقترب منها « ألا تود أن تجلس على أحد جياد العجلة . ؟ »

وخرجت من حنجرة الطفل آلاف النشجات المدويه ، ولم يجب إلا بقوله صائحا « أريد أمى ، أريد أبى » .

واتجه الرجل صوب المكان الذى لا يزال المشعوذ يصفر فيه بزماره إلى الكوبرا الراقصة وقال فى رجاء « استمع إلى هذه الموسيقى الساحرة يا بنى » .

ولكن الطفل صم أذنيه وصاح « أريد أمى ، أريد أبى » .

وحمله الرجل إلى مدخل المدينة ، وكان لا يزال يشفق على الطفل ويرغب فى الترفيه عنه ، ووقف أمام بائع الزهور وقال له « انظر ، ألا تود أن تشم شذى هذه الزهور اللطيفة يا بنى ؟ ألا تريد باقة تضمها حول عنقك ؟ » .

وأبعد الطفل أنفه عن السلة وردد نشيجه قائلا « أريد أبى ، أريد أمى » .

وظن الرجل أنه قد يبتهج الطفل وتذهب عنه كآبته لو أهداه قطعة من الحلوى ، فأخذه إلى البائع وسأله « ما الذى تختاره من هذه الحلوى يا بنى ؟ » .

ونحى الصبى وجهه عنها وبكى قائلا « أريد أبى ، أريد أمى »

محمد فتحى عبد الوهاب

إعلان جوائز فؤاد الأول لسنة ١٩٥٠

تعلن وزارة المعارف أن الموضوعات التى سيمنح المصريون عن الانتاج فيها جوائز فؤاد الأول للآداب والقانون والعلوم عن سنة ١٩٥٠ هى .

أولا — جائزة الآداب .

الآداب البحتة مثل الأدب القصصى والأدب التصويرى والأدب الاجتماعى والشعر والبحوث الأدبية (النقد — البحوث اللغوية — الدراسات الإسلامية الأدبية .)

ثانيا جائزة القانون .

العلوم الجنائية — الإجراءات الجنائية وعلم الاجتماع الجنائى وعلم النفس الجنائى ، وعلم العقوبة وغيرها من فروع العلوم الجنائية

القانون العام ويشمل القانون الدستورى والقانون الإدارى والقانون الدولى (العام والخاص) وغيرها من فروع القانون العام .

ثالثا — جائزة العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية ويدخل فيها بنوع خاص علم الطبيعة التجريبى وعلم الطبيعة النظرى والعلوم الإحصائية وعلم طبيعة الأجرام السماوية (الاستروفيزيقا) والهيدروليكا والميكانيكا والكهرباء .

ويشترط فى الإنتاج الذى يقدم لنيل الجوائز الثلاث .

١) أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والإنتاج القومى وتقدم العلوم .

٢) أن يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الإعلان .

٣) أن يكون باللغة العربية الفصحى

ويرسل الإنتاج من أربع نسخ إلى الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف فى موعد غايته ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٩ ، ولا تسترد النسخ المرسلة فى أية حالة .

وقيمة كل جائزة من الجوائز الثلاث ١٠٠٠ جنيه ، وسيكون موعد منح هذه الجوائز يوم ٢٨ أبريل سنة ١٩٥٠ تخليداً لذكرى المغفور له الملك فؤاد الأول .

٢٢٦٥

مطبعة الرسالة

العدد ٨٣٧ — الاثنين ١٨ يوليو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

17 em Année No. 837

Lundi — 18 — 7 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٨٣٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ رمضان سنة ١٣٦٨ — ١٨ يوليو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

١١ - أمم حـــائرة

الإيمـــــان بالله

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

قوام العقائد الصحيحة ، ونظام السِّيَر القويمة ، وعماد الحياة الروحية السعيدة ، ومدد كل خير ، ومنبع كل طمأنينة ، ومصدر كل سعادة ، والهادى إلى الصراط المستقيم ، والسَّنَن القويم ، والنير فى ظلمات الحياة ، والدليل فى مجاهلها ، والجامع ما ظهر وما بطن من حقائق العالم ، والمجلّى لما جلّ وما دقّ من مواهب الإنسان — هو الإيمان بالحقيقة العظمى ، حقيقة الحقائق ، ومركز الدائرة من الخلائق ، الحقيقة التى نطق بها الكون مُفصحاً ومعجماً وصريحاً ومجمجماً ، وتكلم بها الإنسان ضالا ومَهدياً ، وسعيداً وشقياً ، وقرأها القارىء والأمى ، وبصر بها البصير والضرير ، وأعرب عنها الناطق والصامت ، وتحدث بها المتكلم والساكت ، وأقرّ بها المنكر وهو لا يدرى ، واعترف بها الجاحد وهو لا يشعر ، والتى ظهرت حتى بهرت ، واستسرّت حتى حيرت . وهى فى فضائلها ظاهرة للمتوسّمين ، وفى ظهورها خافية على الغافلين . الحقيقة التى تخترق كل حجاب ، وتدخل من كل باب . ويبين عنها النور والظلام ، كسواد المداد وبياض القرطاس ، لا تدرى أيهما أدلّ على المكتوب ، وأهدى إلى المحجوب ، وكالليل والنهار ، فى نظام الشهور والأعوام ، من النور والظلام ، فيهما يسير الزمان ، ويستمر الحُسبان .

ذلكم الإيمان بالله جل وعلا .

« تسبِّح له السموات والأرض ومن فيهنّ . وإن من شىء إلا يُسبح بحمده ؛ ولكن لا تفقهون تسبيحهم . »

الإيمان بالله حياة النفوس وقوامها . يجمعها ويدفعها ويصلها بالكون العام ، والروح الشامل ، فينظم قواها ، ويُحكم ملكاتها ، ويشرف بها على العالَم ، مسيطرة عليه ، نافذة إلى أسراره ، مسخرة لقوانينه لا تتفرق أجزاء متخاذلة ، ولا تتساقط أهواء متهافتة ، ولا تضطرب مطامع ومخاوف ، يجذبها ميل ويدفعها آخر ، وتُقدم بها رغبة ، وتصدها رهبة ، بل تضىء سريرتها ، وتصفو بصيرتها ، وتستقيم سبيلها ، وتبين غايتها .

والإيمان بالله العظيم ، وذكره والاتصال به ، تملأ النفس عظمة وقوّة ، وتُصغر أمامها الأهوال ، وتذلل العقبات ، فتنطلق كأنها إرادة الله فى خلقه ، وقدره فى عباده . ولله من عظماء خلقه أقدار . يسلطهم ويمكنهم ، فإذا هم ينشئون الأجيال ، ويخلقون الأعصار . لا يمتلون بالزمان والمكان ، ولا يفرقون بين اليسير والعسير ، والبعيد والقريب ، يُصدّق الله أقوالهم ، ويُبر أقسامهم . ويقسم بأيديهم أرزاقه ، ويُصرّف بعزائمهم أقداره . بصّرهم الإيمان ،

وأضاء لهم العقل والوجدان . . لولا الإيمان بالله ما اهتدوا ولا قدروا ، وما جاهدوا وما صبروا .

والإيمان بالله الواحد السلام ، يُوحد النفس ويملؤها سلاماً ووئاماً ، وألفة ونظاماً ، فتدرك الائتئام فى الحق والخير والجمال والحب ، وتعرف التنافر فى الباطل والشر ، والقبح والبغض . فتسير على الأرض سلاماً يهدى إلى السـلام ، ونظاماً يدعو إلى النظام ، وجمالا يهفو إلى الجمال ، وحباً يرشد إلى الحب .

وما أحسب الشر وما يتصل به فى هذا العالم إلا قلقاً وتنافراً أو سبيلا إلى القلق والتنافر . ولا أرى الخير وما هو منه بسبيل إلا سكينة وائتلافاً ، أو وسيلة إلى الائتلاف والسكينة . وإذا لم يُوحد النفس الإيمان ، تنازعتها أصنام من آلهة أو أهواء ، وتجاذبتها أوثان من أرباب أو مطامع ، فلم تلتئم فى نفسها ، ولم تعرف الالتئام فى غيرها .

ذلكم مبدأ الضلال والهدى ، والشقاء والسعادة .

والإيمان بالله الذى لا يحدّه زمان ولا مكان ، يطلق النفس من قيودها ، ويخرجها من حدودها ويرفعها على الزمان والمكان ، فإذا هى ، فيما تحب وتكره ، وفيما تأتى وتذر ، سُنة من سنن الله لا تحول ، وقانون من قوانينه لا يزول . فتستكبر على الشهوات المحدودة ، والنزعات الضيّقة ، ولا تُبالى المنافع والمضار الخاصة ، فيسمى الإنسان لنفسه ولأسرته ولطائفته ولأمته وللناس جميعاً ، على قوانين الحق العامة ، وسُنن الخير الشاملة ، لا يسعه غيرُها ، ولا يتسع هو لغيرها . وكذلك يعلو على الأهواء والعصبيات والنزعات والنزغات المتزاحمة المتصادمة ، المتنازعة المتقاتلة ، المنفرة المفرّقة ، المهلكة المدمرة . إنما انتصاره للحق والحق لا يتغير ، وتحيزه للعدل والعدل لا يتعدد . فهو فى توحيد من إيمانه ، ومن عقله ووجدانه ، ومن قوله وفعله ، فى سرّه وعلنه .

* * *

إذا أضاء الإيمان بالله فى سرائر الإنسان ، وعمل فى نفسه فجمعها ورفعها ووصلها بالحق والخير ، وعظمها وقوّاها ، وأحكم قُواها ، ووحدها وملأها سلاماً ووئاماً ، وحباً للحقّ والخير والجمال ، ثم أطلقها من قيودها ، وأخرجها من حدودها ، عملت جاهدة مصلحة راضية صابرة ، وأدركت اللذات الروحية وأنست بها ، وسكنت إليها ، وكلفت بالسلام والوئام ، وبكل ائتلاف واتفاق ، ونفرت من كل اضطراب واختلاف ، وتفرق وتنافر .

وقد جاء فى بعض الآثار أن يتشبه المخلوق بخالقه ، أو يتخلق العبد بأخلاق ربه . فهذا هو التشبه والتخلق . يسير الإنسان من الخاص إلى العام ، ومن المقيد إلى المطلق ، ومن المتغير إلى الثابت ، ومن الجزئيات إلى الكليات ، ومن الأحداث الفانية إلى الباقيات الصالحات ، حتى يكون كأنه سنة من سنن الله فى خلقه ، وشريعة من شرائعه فى عباده . وإذا نزعاته وشهواته مهجورة إلى الخير العام ، بل نزعاته وشهواته فى الخير العام ، ولذته وطمأنينته فى صلاح الناس كلهم ، وانتظام العالم جميعه .

وإن لم يكن هذا هو الفناء فى الله كما قال الصوفية فليس بعيداً منه ، وإن لم يكن هو البقاء بعد الفناء فى طريقتهم فليس نائياً عنه .

عبد الوهاب عزام

المتنـــبى . . .

للأستاذ راجى الراعى

تمر الأجيال بالمتنبى فلا تجسر أن تلقى عليه ستار النسيان وتتابع السير فى طريقها فيستوقفها لتنشد الشعر ؛ شعره الذى نظمه كله ليرويه له الدهر فتروى له بعضه والموتى من حوله واقفون إجلالا والخلود يلقى ظلاله وينصت نخوراً طروباً ...

وليس من السهل أن تنطفىء شعلة أضرمها المتنبى . ومن يزر ضريحه يشهد فوقه كل يوم صراعاً دامياً بين الموت والخلود يقع بعده الموت فى كل مرة قتيلا يتشحط فى دمه ... إن الموت يخاف الشاعر العبقرى ويحسب له حساب خلوده . وهو إذا أتاه أتاه مكرهاً قياماً بوظيفته التى لا تعرف الإقالة والاستقالة ، وكل ما يستطيعه الموت هو أن يوقف حركة القلب الواحد الخفاق فى صدر الشاعر العظيم . أما القلوب الأخرى التى يحملها فتظل على الرغم من الموت والفناء حية نابضة فى صدور قصائده ..

ها هو ذا المتنبى الذى قال الشعر لينشده الدهر، يقف أمامى فى ساحة الموت فى نبوته التى لم تشهده نبياً أتحدث إليه أو أتحدث عنه كأن ابن أبى جهل لم يضربه تلك الضربة التى حسبها قاضية ولم تقض له أمراً ... وإذا كنت قد فكرت فى المتنبى وناديته فى عالم الأرواح لأراه وأحييه وأقول كلمتى فيه والناس لا يحتفلون بذكراه التى مضى يومها ، فذاك لأنى لا أحب أن أتقيد بما يتقيد به الناس وهم يحتفلون بموتاهم ويحددون لاحتفالاتهم البرامج والمواعيد . فالميت الحى الكبير ماثل أمامى فى كل حين أناجيه ويناجينى . وليس للمتنبى يوم خاص لذكراه ثم تطوى صفحته ، إن له علينا حقه الكبير كلما أشرقت هذه الشمس وغابت بالأشعة من شاعريته . ومن أخلص لمن أحبه وقد هيل عليه التراب دفعه الحب والوفاء إلى رفع الغطاء عن ضريحه بين الحين والحين ليرى وجهه ويشعره أن يد الموت قصرت عنه ...

وبعد فمن هو المتنبى ؟ من يكون هذا الجبار الذى تهيبه الردى فارتد عنه ؟ إنه يطربنا ، فما هو هذا الذى يطربنا به ؟ وهل كل مافيه يطرب ؟ وكيف رفع بناؤه ؟ وهل من صدوع فى ذلك البناء؟ وما هى وأين هى ؟ ما هى نقطة الاحتراق التى التقت فيها أشعته ؟

قال بعضهم إنه أشعر الشعراء ؛ ولكننى لا أذهب إلى هذا الحد ، فلا محل لأفعل التفضيل . كتاب الشعر ودولة الشعر لا تعرف لها ملكا واحداً ؛ وإنما هى عروش وإمارات متفرقة . وصولجان الشعر أكبر وأرفع من أن تقبض عليه يد واحدة ولو كانت يد هوميرس ...

لكل شاعر لونه وصوره ومجاله ؛ والألوان والصور والمجالات كثيرة ، فما هو مجال المتنبى ؟

هو شاعر القوة والطموح والكبرياء ، يطاعن خيلا من فوارسها الدهر، ويقدم إقدام الأتى كأن له سوى مهجته ، ويعلن أنه « إذا قال شعراً أصبح الدهر منشداً » وأن « الخيل والليل والبيداء تعرفه والسيف والرمح والقرطاس والقلم » ويجرى القسمة على هواه « فله النفوس وللطير اللحوم وللوحش العظام وللخيالة السلب » وليته أبقى للخيالة غير هذا الدور ولم يدخل السلب فى هذه القسمة التى تخيلتها البطولة .

هو سيد الأولب وشقيق المشترى ورب البادية والسيف والقلم . هو القوة بكل ما فيها ؛ ولكنها قوة لم تتعد عالم خياله . أرته فى ما أرته النبوة ؛ فلما عاد من تحليقه إلى الأرض والتفت حوله لم يجد المحراب ولا المصلين .. نبى وهم وخيال ؛ غير أن هذا الطموح إلى ذروة الذرى نفخ فى شعره الروح التى نهتز لها ، ولولاها لما استطاع أن يأتينا بروائعه ... إن الكبرياء شىء لا غنى عنه للفنان الكبير ، فهو يقيم على قاعدتها تماثيله الفنية .

هو الشاعر الذى يدور فى شعره حول كلمة هى « أنا » ، وقد تمركزت فى رأسه وتزعمت ، وللرأس زعامته ، فدارت حولها الصور النفسية الأخرى . ولو أن المتنبى نظر إلى العظمة دون أن ينظر إلى نفسه لكان شعره أبلغ أثراً فى النفوس ، فكلمة « أنا » وإن نبعت من أعماق طبيعة الإنسان لا يلتف حولها الخلق ، وهى تشير إلى المتكلم ، التفافهم حول العظمة العامة الشاملة ... إن تغنيك بعظمتك شىء وتغنيك بالعظمة شىء آخر .. وقد خيل إلى البعض أن المتنبى نسى تغنيه بنفسه عند ما راح ينظم القصائد لسيف الدولة وعضد الدولة وابن العميد وكافور ، ويرفعهم بمدائحه

إلى الأوج طمعاً فى المال الذى كانوا يغدقونه عليه ، وتساءلوا عن عظمته وهو بين أيديهم . والحق أن المتنبى أنفق الكثير من عبقريته فى هذه السوق الملكية الرابحة بدلا من أن يقول الشعر للشعر ويقيم هياكله للفن وآلهته وروحانيته . غير أن من نظر إلى البيئة التى نشأ فيها وإلى العقيدة العربية وسلطان الملوك فى عهده وقدرهم قدر الشعراء لا يرى فى مدائحه للملوك ما يغض من عظمته التى كانت تظل مكانها لو أنه كف عن هجائهم يوم كانوا يقطعون عنه الصلات ...

المتنبى شاعر الخيال قبل أن يكون شاعر العاطفة ؛ فخياله أكبر من قلبه . إن بدائعه صور تصيبك بدوار الإعجاب ، ولكنك لا تسمع فيها صراخ القلب ونحيبه . ولعل طموحه وتعاظمه شغلاه عن الدمع فلم يأت به غزيراً محرقاً ، وعن دم القلب الجريح فلم يره إلا على شفار السيوف ، وحوَّلاه عن المرأة مع مالها من سلطان وصدر أرضع الشعراء فى كل زمان ومكان فلم يقف عندها طويلا ، فى حين أن أبياته فيها حين كانت تستوقفه فى سيره إلى العظمة لا تنحط عن سائر ديوانه ، بل هى أشد ما فيه روعة وقد فاض بها القلب . وهل أجمل من قوله :

* تناهى سكون الحسن من حركاتها *

وقوله :

أتراها لكثرة العشاق   تحسب الدمع خلقة فى المآقى

وقوله :

نرى عظما بالبين والصد أعظم   ونتهم الواشين والدمع منهم

ومن لبه مع غيره كيف حاله   ومن سره فى جفنه كيف يكتم

ولما التقينا والنوى ورقيبنا   غفولان عنا ظلت أبكى وتبسم

فلم أر بدراً ضاحكا قبل وجهها   ولم تر قبلى ميّتاً يتكلم

ليت المتنبى وقف طويلا عند هذا الوتر من قيثارته ! كان لامرئ القيس عنيزة ، ولطرفة هريرة ، والمجنون ليلى ليلاه ، وجميل بثينة ، ولابن أبى ربيعة الثريا ، وللبحترى علوة . أما المتنبى فقد كان عالياً على الحسناء ، (علوته) العلياء ...

ولا نرى المتنبى يشرب الكأس التى نعرفها للشاعر وخمرته وإنما كانت كاسه كأساً صب فيها بدل الخمرة مجداً سكر به فلم يسأل عن الخمار والخمرة ولم يقل فيها وحولها شعراً لا سراً ولا جهراً ، وكم من شاعر استمان بها لتثير ما كمن فى صدره وتطلقه حِكَما ومعجزات . كان شاعر الخمرة التى لا كأس لها ، شاعر العروش التى لم يشأ أن يجلس عليها المرأة وهى التى تقيمها ...

ليس المتنبى مع إبداعه بالشاعر الوجدانى الروحانى ؛ فاعتداده بنفسه ومزاجه وبيئته ، وحبه للمال ، وبريق سيوفه وهزيم رعوده وصهيل خيوله وروعة أوتاره أقصته عن تلك الأصوات والهمسات التى تأتى من الأعماق فلم يسمعها ؛ فهو يمدح ويهجو ويرثى ويصف ويفخر ويتغزل ويطلق الحكم ، ولكنك لا تحس فى ذلك كله تلك الخلجات والرعشات التى لا يعرفها غير الإحساس المرهف الدقيق الصارخ القاطر دماً ودمعاً ، القائم بين الحيرة والاضطراب والذهول والوجد .. كان شاعر الحس والمادة لا شاعر الروح والروحانية ..

وكان شاعر الحكمة التى تكاد تحتل قمة شاعريته ، وكأنه شعر بذلك فقال : أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحترى .

إن الحكم والأمثال التى أطلقها هى الدعامة الكبرى التى قامت عليها شهرته فقد تداولها الناس وحفظوها لأنها تعبر عما تنطوى عليه صدورهم ، وهى حكم وأمثال معروفة دونت قبله بأجيال فلا إبداع فيها ، ولكنه عرف كيف يصوغها فى قالب جديد .

إن فى شعر المتنبى روعة الصور التى يجيش بها الخيال الخلاق وهو اليد التى تشير إلى العبقرية . وقول القائلين إنه سرق بعض شعره قول فيه الكثير من الجور والتعسف؛ فشاعر يأتيك بقوله :

وتكاد الظبي لما عودوها   تنتضى نفسها إلى الأعناق

وقوله :

كأنها الشمس يعيي كف قابضه   شعاعها ويراه الطرف مقتربا

وقوله :

وخص تثبت الأبصار فيه   كأن عليه من حدق نطاقا

لا تنسب إليه السرقة فى الشعر . ويكفى أن يأتى الشاعر ببيت واحد يدل على الإبداع حتى يقال إن فيه منجما من ذهب ..

على أن كل ما قذفت به أرحام المتنبى ليس بالرائع العجيب . فبينا تسمعه يقول :

أمعفّر الليث الهزبر بسوطه   لمن ادخرت الصارم المصقولا

إذا بك تقع على قوله :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم   شيم على الحسب الأغر دلائل

صور من الحياة :

زَلَّــةٌ ... !

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا عجباً ! وَىْ كأن الحياة تأبى إلاَّ أن تسخر منك — يا صاحبي — فتفسح لى مكاناً فى زاوية من دارك لأكتب قصة حياتك بين جدران حجرتك ، أستلهم الوحى مما كان يدور هناك من عبث وسخف ، والتقط المعانى مما كان يشرق به المكان من حماقة وطيش .

خبِّرنى ، يا صاحبي ، أى لذة استشعرتها فى الكأس الأول عند أول رشفة تجرعتها من قدح الخمر ؟ لا تدع قلبى يرثى لحماقتك وأنت ما تزال فتى فى عنفوان العمر ، ولا تذر النفس تسَّاقط حسرات لجهلك وأنت موظف كبير تدر عليك الوظيفة ما يكفيك أنت وزوجك وأولادك . آه ، يا صاحبي ، لو ثاب عقلك فرجعت عن غيك ! إذن لأصبحت — كما عرفتك منذ سنوات — رجلا طيب النفس هادئ الطبع رضيَّ الخلق .

***

وقوله :

هذى برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

وقوله :

لواستطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

إلى ما هناك من هذا الطراز .

لو كان تعاظم المتنبي سمح له بأن يضحى ببعض ما نظم لزاد عدد ملوكه وقل حجابه ... وحبذا لو اختير الملوك فى شعر المتنبي وجمعوا فى قاعة واحدة فيتجلى سلطانه على غير الوجه الذى يعرفه الناس. هذا الكتاب الذى يجمع ملوك المتنبي وجواهره دون الحجاب والأصداف تطالب به المكتبة العربية وهو روح ديوانه ! وهو ديوانه الحقيقى الذى لا أرى له فى غيره روقين ينطح بهما النجوم ودهراً يروى له القصائد وينشد ..

راجى الراعى

لقد عرفتك ، يا صاحبي ، بعد أن تخرجت فى كلية التجارة ، شاباً كثير الدأب والنشاط شديد القوة مفتول العضل وسيم الطلعة جميل السمت ، ولمست فيك توقد الذكاء ورجحان العقل وقوة الحجة ، ثم ضربت بينى وبينك نوازع الحياة ومشاغل الوظيفة فما تلاقينا منذ سنوات .

أما أنت فقد تلقفتك الحياة لتلقى بك بين براثن الشهوة وتقذف بك بين مخالب الشر . وقال لك شيطانك : لا عليك إن أنت ألقيت بدلوك فى الدلاء فتكون قد تذوقت رحيق الحياة ورشفت رضاب اللذة واستمتعت بجمال السعادة .

إن الحياء الذى دفعك عن النساء هو الذى دفعك لتعب الكأس الأولى حتى الثمالة .

وسرت حميا الخمر — أول الأمر — فى مفاصلك فأحسست بالنشوة تتدفق فى عروقك فتشيع المرح فى أعصابك والطرب فى قلبك . وخيل إليك أن فى الخمر سحراً تنجاب له هموم النفس وتنزاح أعباء الروح ، فطابت لها خواطرك وهدأت جائشتك : لا ضير علىَّ إن أنا اختلست من عمرى فترات أقضيها بين رفاق الحانة أسعد بحديثهم وهو طلى وأشاطرهم الكأس وهى لذيذة ، وأنا أجد فيها شفاء من رهق الحياة ودواء من هموم العيش وجلاء من صدأ العقل . ولكن الخمر جذبتك إليها فى شدة وعنف فما استطعت أن تنصرف عنها . يا لحماقتك يا من تضع قدميك عند حافة الهاوية ثم تطمع أن ترتد عنها قبل أن تبلغ القرار !

لقد كان راتبك يربو على حاجات عيشك ، ومتعة نفسك ، ولذة قلبك . ولكن الخمر قد سيطرت عليك فسلبتك مالك ، واستنفدت وفرك ، فقنعت بالعيش الخشن ، واللباس الوضيع ، والحياة المضطربة ، ثم شعرت بضيق ذات اليد ، فتعرفت على (فلان بك) ، وهو فتى فى مثل سنك من أبناء الذوات ، يغمره الثراء ويفهق جيبه المال ، ولصقت به فى غدوه ورواحه ، تشاركه عبثه ولهوه ، وتشاطره هزله وجده ، وراقه حديثك وطرب له ، فصاحبك وسكن إليك . ووجدت أنت فى ماله دريئة تقيك ثمن الخمر وهو باهظ ، وتزيح عنك تكاليف اللهو وهى ثقيلة ، ثم انحطت همتك ، وسفلت رجولتك ، ففتحت له بابك ، وأفسحت له مكاناً بين زوجك وأولادك ليقضى هناك لياليه فى عبث ومجون

وقد لعبت الخمر بعقله وهتكت عنه أستار الخجل وسلبته نعمة الحياء. ثم مرت أيام فإذا رفيقك - سعادة البك - يحس بثقلك ويضيق بشهواتك ويضن عليك بماله، ثم راح يدفعك عنه - بادئ ذي بدء - في رفق ولين، ويفر من صحبتك في لباقة وذوق. ثم ضاق بك مرة أخرى فانطوى عنك وأنت تطلبه وينفر منك وأنت تتلمسه، ثم طار عنك فما عدت تراه ولا تسعد بماله.

ونظرت حواليك فإذا سعادة البك قد ضربك بالقلي والهجران وصفعك بالاحتقار والازدراء، وإذا راتبك لا يكفيك إلا أياماً. لقد خذلك رفيق اللهو وإن الذكاء ليتألق في ناظريك، وإن الحيلة لتضطرب في خيالك، وأنت موظف كبير في مصلحة الضرائب. وركبك شيطان الخمر وشيطان الحاجة معاً حين عزّ عليك ألا تجد ما تنفقه في ملذاتك التافهة، وألا تجد ما تسد به طلبات زوجك وأولادك، وخشيت أن تنهار حياتك في المنزل وأن تبدو على أولادك سمات الذلة والمسكنة، فانطلقت تريد أن تتلمس فرجة تنفذ منها إلى رغبات نفسك ورغبات الأسرة.

وخلوت إلى نفسك تحدثها حديث شهواتك والشيطان من ورائك يوسوس لك ويزين الشر في عينيك، ورأيت في مصلحة الضرائب فجوات يستطيع المرء أن ينفذ منها إلى المال في غير مشقة وأن يبلغ الثراء من خلالها في غير جهد، ولكنك نسيت أنها فجوات لا يسترها إلا الرياء والمداهنة، ولا يداريها إلا المكر والخداع، ونسيت أيضاً أنك إن واريت الجيفة التراب لم تستطع أن تكتم رائحتها النتنة أن تفوح فتملأ الخياشيم فتتقزز لها النفس

ثم غدوت تجمع حواليك أصحاب رءوس الأموال من التجار والصناع تناقشهم في يسر وتخضع لهم بالقول وتتبسط معهم في الحديث حتى أنسوا إليك. لقد كان الواحد منهم - من قبل - يخشى وطأة قلمك ويرتعد لحدة ذكائك ويشفق من سلاطة لسانك ويفزع من جفوة حديثك. أما الآن فقد انفتح الباب ولان الحاجب و...

وهمست الألسن بكلمات، وطارت شائعة بين موظفي مأمورية الضرائب أنك - لأمر ما - نزلت عن جفوتك ونأيت عن غلظتك وجمت كبار التجار والصناع في مكتبك تحبوهم بعطفك وتسبغ عليهم من رقتك وظرفك.

وجاءك - ذات مرة - تاجر أجنبي من كبار التجار يساومك لترفع عن ظهره الرقيق سوط المصلحة وهو جاف غليظ ويوحي إليك أنه يريد أن يدفع ثمن رأيك وجاهك، فوعدته... وجلس التاجر أمامك في صمت وأمل ليرى ما عساه أن يكون. وأمرت أنت فجاءك موظف شاب سمهري القوام مرفوع الرأس علامة الكبرياء، ثابت الخطوة علامة الثقة بالنفس، تتأجج في عينيه نار الذكاء، وتبدو على قسمات وجهه سمات الفطنة وتتوثب حركاته نشاطاً وحياة وهو - إلى ذلك - جميل الطلعة طلق المحيا أنيق اللباس من أثر النعمة والثراء ...

جاء الموظف الشاب يتأبط أوراقاً وفي رأيه أنك تسهلت بعد صعوبة، ولنت بعد صلابة، وأسلست بعد شماس، ونظر فرأى التاجر إلى جانبك فبدا له ما تكن نفسك، وآذاه أن تحدثه في شأن من شئون العمل وهذا التاجر الأجنبي يسمع ويرى، ولكنه صبر على مضض وسكن على غيظ، وبدأت أنت تحدث الموظف الشاب بقولك: «ما ذا فعلت - يا بني - بهذا الملف» فقال في هدوء: «يا سيدي، لقد انتهيت من فحصه وربطت عليه الضرائب، والأمر الآن في سبيل التنفيذ». فقلت أنت: «ولكني أريد أن تجيل بصرك ورأيك فيه مرة أخرى، لأن التاجر يشكو عنت المصلحة وغلوها فأجابك «لا سبيل إلى ذلك، فالعمل من ورائي يستحثني وقد خلصت من هذا الأمر منذ زمان» فقلت له في غلظة «ولكنني آمرك» فنظر إليك الموظف الشاب في احتقار ونفضك في مهانة ثم قال لك «تأمرني، نعم، لأنك رئيسي، ولكنني لن أطيع أمرك» فنهرته في شدة قائلاً «ماذا! ماذا تقول؟ كيف؟ إنني آمرك ولا بد أن تطيع» فألقى الموظف الشاب أوراقه على مكتبك وخرج من لدنك وهو يقول «هذا هو الملف خذه، افعل به ما تشاء. أما أنا فسأعرض الأمر على سعادة المدير العام!» وسُقط في يدك، يا صاحبي، حين ألقى الموظف الشاب عليك درساً عنيفاً قاسياً لن تنساه أبداً، لأنه امتهنك أمام التاجر الأجنبي ولأنه سخر من أمرك وعبث برغبتك، فما استطعت أن تفعل شيئاً.

***

الآن برح الخفاء واستحالت الهمسات إلى كلام يسمع،

خليل مطران

١٨٧١ - ١٩٤٩

فجع العالم العربى بأفول نجم لامع فى سماء الشعر والبيان ، شغل الناس أكثر من نصف قرن بشعره الطريف الجديد .

ولد خليل مطران سنة ١٨٧١ فى بعلبك ونشأ تحت سماء سورية بين أوديتها الخضراء وجبالها البيضاء وبحرها الصافى وأمواجه المتدفقة وصخوره الناتئة ، فكان لذلك كله الأثر البيّن فى صقل خياله وتغذية روحه ووجدانه بالعواطف النبيلة والجمال العبقرى . ثم قدم مصر سنة ١٨٩٢ وهو ما يزال فى فورة الشباب فشب وترعرع بين ربوع النيل وبين آثار المدنية القديمة وأهرام مصر الخالدة ، فهو شاعر بعلبك والأهرام ، تغنَّى بوطنيْه فى قصائده الرائعة . وهو إذ يذكر بعلبك وآثارها ، إنما يذكر أيام الطفولة المرحة والحياة الطروبة ، ويحنُّ إلى وطنه الأول ومسقط رأسه . استمع إليه فى قصيدة « بعلبك » يصف آثارها وقلعتها ويتذكر طفولته :

إيه آثار بعلبك ســـلام ... بعد طول النوى وبُعد المزار !

ذكرينى طفولتى وأعيدى ... رسم عهد عن أعينى متوارى

يوم أمشى على الطلول السواجى ... لا افترار فيهن إلا افترارى

نزقاً بينهن غِراً لعوباً ... لاهياً عن تبصر واعتبار ...

إلى آخر هذه الأبيات الوجدانية الرقيقة .

وهو إذ يتغنى بمصر وطنه الثانى ، إنما يتغنى بمجدها التليد وأهرامها المجيدة ونيلها السعيد وسمائها الصافية ويثنى عليها وعلى كرم ضيافتها ونبل أخـلاق شعبها العريق . استمع إليه يقول :

يا مصر أنت الأهل والوطن ... وحمى على الأرواح مؤتمن

أى الديار كمصر ما برحت ... روضاً بها يتقيــد الظعن

فيها الصـفاء وما به كَدَر ... فيهـا السماء ومابهـا غضن

مصر التى أخـــلاق أمتها ... زهر سـقاه العارض الهتن

فهى التى عرفتْ مروءتهـا ... أمم ويعرف مجدها الزمن

ويقول من قصيدة « تحية الشام لمصر » :

تتناقله الألسن فى نواحى المصلحة ويتشدق به صغار الموظفين ، فما لبث أن بلغ مسمعى المدير العام . وذعر المدير للخبر وعجب أن يرتدغ فى هذه الحمأة موظف فى المصلحة ذو رأى ومكانة . وتحدث إليك بالأمر فما استطعت أن تنكر وأمامك الموظف الشاب يرمقك بنظرات يتطاير الشرر من خلالها . وترفق بك المدير فأرغمك على أن تترك المصلحة كلها فى أقرب وقت .

ولفظتك المصلحة لتلقى بك فى زاوية من وزارة المالية وإن رائحة النتن لتفوح من بين مخازيك ، وأصبحت مفتشاً بالمالية . والمفتش فى رأى الحكومة موظف واهى الهمة أو وضيع الكرامة لا يستطيع أن ينهض بعمل ولكنه يمتاص عليها أن تقذف به إلى الشارع لأن القانون يحميه ، وهو — دائماً — يكتب التقارير لتلقى فى سلة المهملات .

***

والآن ، يا صاحبى ، لقد انثلمت كرامتك ولوثت الأقذار ذكرك من أثر الإدمان على الخمر ، ولكنك ما تزال تأنس إلى الشراب وتطمئن إلى الكأس ، فعمى بصرك عن حاجات البيت فهذه زوجك تضيق بك لأنك تنفق جُل مالك فى التافه الوضيع وتغضى عن رغبات نفسها ، ولأنك — دائماً — محطم الأعصاب ثائر النفس كثير الشغب فى المنزل وفى الديوان وفى الشارع . وإن أولادك ليفتقدون عطفك أحوج ما يكونون إليه ، ويفتقدون مالك حين يحسون الضياع والشقوة وإن شهواتهم لتدفعهم إلى اللباس الأنيق والطعام الشهى وإلى الحلوى واللعب فلا يجدون شيئاً منها ، ويفتقدون عقلك حين تترنح فى فناء الدار من أثر الخمر ، ويفتقدون الهدوء حين يمج المنزل رفاق السوء .

فهل تستشعر — يا صاحبى — اللذة فى الكأس أو تلمس السعادة فى الشراب ؟ إن قلبى يرثى لحماقتك وإن نفسى تساقط حسرات لجهلك ، لأننى عرفتك يوم أن كنت فتى متوقد الذكاء راجح العقل قوى الحجة تفور شباباً وقوة وجمالاً ...

كامل محمود حبيب

فحيا أيها الوطنان إنى وسيط العقد فى هذا النظام
بـلادى لا يزال هواك منى كما كان الهوى قبـل الفطام

* * *

قدم خليل مطران مصر وعرف صاحب الأهرام واشتغل مدة فى تحريرها ، ثم أصدر جريدة الجوائب ، وأنشـأ أيضاً المجلة المصرية ، واشترك فى تحرير المؤيد واللواء ، وناصر المرحوم مصطفى كامل فى جهاده المجيد ، وأتقن دراسة الأدب العربى قديمه وحديثه ، كما أتقن الأدب الفرنسى ممـا أثر فى نزعته الثورية إلى التجديد فى الشعر إلى أبعـد حدود التأثير . ولم تشغله صـناعة الأدب عن أعمال ليس لها صلة بالأدب ، وهو فى أثناء ذلك كله لم ينقطع عن نظم الشعر والتأليف المسرحى وترجمة المسرحيات . وقد تولى إدارة الفرقة القومية زهاء سبع سنوات .

ولا يهمنا فى دراسة خليل مطران تلك الدراسة العاجلة إلا الناحية الشعرية منه وإن كانت آثاره جميعاً جديرة بالدراسة العميقة. خليل مطران صاحب مدرسة حديثة فى الشعر العربى ، فهو أول شاعر ثار على أساليب المدرسة التقليدية ، وجاهر بمذهبه الجديد فى الشعر ورأى أنه المذهب الذى سيسود فى شعر المستقبل حينما أصدر ديوانه الأول ؛ لأن هذا الشعر كما قال « شعر الحياة والحقيقة والخيال جميعاً » .

نهج خليل مطران نهجاً جديداً فى نظم الشعر ونادى بمذهبه حيث قال « اللغة غير التصور والرأي . وإن خطة العرب فى الشعر لا يجب حتما أن تكون خطتنا ، بل للعرب عصرهم ولنا عصرنا ، ولهم آدابهم وأخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم ولنا آدابنا وأخلاقنا وحاجاتنا وعلومنا ؛ ولهذا وجب أن يكون شعرنا ممثلا لتصورنا وشعورنا لا لتصورهم وشعورهم ، وإن كان مفرغاً فى قوالبهم محتذياً مذاهبهم اللفظية » . بهذا الرأى الجرىء الغريب نادى خليل مطران ودعا إليه ؛ بينما كان شـعراء مصر فى ذلك الحين يتورطون فى شعر المديح والتهانى يرفعونه إلى السدة العلية والأعتاب السنية

ومن هنا كان شعر مطران ومذهبه فى النظم نقطة تحوُّل فى تاريخ الشعر العربى وانقلاباً بعيد المدى ، فهو بحق شاعر العربية الإبداعى ، يمر شعره على أوتار القلوب فيحركها ويهز الوجدان ويثير العواطف .

« فمطران أول من عمل على إخراج الشعر العربى من نطاق الذاتية والفردية إلى باحة الموضوعية وميدان الحياة . وهو أول رائد خرج على الطريقة الاتباعية الـكلاسيكية إلى الطريقة الابتداعية (الرومانتيكية) وإن ساير الاتباعية غالباً فى الأسلوب . وهو أول من أثر فى شعراء الشرق سواء باتجاهاته أو شاعريته » . ولعل السبب فى ثورة مطران على الطريقة التقليدية فى نظم الشعر هو أن هذه الطريقة وذلك اللون من الشعر التقليدى أصبح لا يعبر عن العواطف تعبيراً صادقاً ولا عما يعتلج فى النفس من أحاسيس ، وزاده إيماناً بذلك ثقافته الأجنبية ولا سيما فى الآداب الفرنسية وهى أغنى الآداب الأوربية بالشعر العاطفى الوجدانى ذى النزعة الإبداعية . لذلك لم يكن غريباً أن ينبذ مطران المدرسة القديمة العتيدة ولها أنصار كثيرون فى مصر ، ويأخذ بالمدرسة الحديثة فى نظم الشـعر . ونلاحظ هنا أن كثيراً من الشعراء الذين أخذوا بهذه المدرسة الحديثة ونهجوا نهج مطران فى الشعر بالغوا إلى أبعد حدود المبالغة وأصبح الواحـد منهم على حد قول محب الدين الخطيب : « يظل يومه يسطو على منظومات الإفرنج يستل منها معانيها الغريبة عن الأذواق العربية فيصـوغها بألفاظ وتراكيب يلعن بعضها بعضاً ! ! فلا يفهم منها القارئ العربى إلا بقدر ما أفهم أنا من الصينى !! » أما خليل مطران فهو وإن تأثر بالآداب الافرنجية لا يزال عربياً خالصاً فى أسـلوبه وتعبيره وصيغه ، ومحل ما أدخله على الطريقة التقليدية فى الشعر العربى هو التجديد الطريف فى المعانى والأخيلة والموضوع . وقد ذكرنا أن مطراناً نفسه قال : « ... وجب أن يكون شعرنا ممثلا لتصورنا وشعورنا وإن كان مفرغاً فى قوالبهم (أى قوالب العرب) محتذياً مذاهبهم اللفظية » .

فمطران إذن عرف كيف يستفيد من اللغات الأجنبية دون تقليد ، وأن ينهج نهج قدماء العرب دون تقييد ، فاحتفظ بصيغة العرب فى التعبير ، وأدخل أساليب الافرنج فى التأليف والتفكير .

ومن هنا نجد الفرق الشاسع بين هؤلاء الشعراء الذين يدعون « التجديد » وبين إمام المجددين خليل مطران .

وقد أدخل مطران على الشعر العربى لوناً طريفاً من ألوان التجديد وهو الشعر القصصي . وقد ثار البحث بين الأدباء عما إذا كان

للعرب شعر قصصي أم لا . وأخذوا يتلمسون ذلك اللون فى الشعر العربى القديم ؛ ولكننا نستطيع أن نجزم أنه قبل مطران لم يكن للشعر القصصى مكان فى العربية . فطران أول شاعر نظم شعراً قصصياً بالمعنى المعروف . ولا شك أن هذه النزعة فى شعر مطران تساير نزعته الإبداعية فى سائر فنون الشعر التى نظم فيها . ولعل من روائع هذه القصص الشعرية قصيدة « الجنين الشهيد » التى لا مثيل لها فى الشعر العربى ، وقصيدته « فتاة الجبل الأسود » و « العصفور » و « فنجان قهوة » و « نيرون » التى تعد من عيون الشعر القصصى .

ومطران واقعى فى قصصه الشعرى لا يحلق به الخيال فى آفاق مفقودة بيننا فى الحياة العادية ، ولكنه يستلهم الحوادث المألوفة لنا فى الحياة الواقعية ويفرغها فى قالب قصصى رائع بديع .

وقصصه الشعرية تستأهل دراسة مستفيضة منفصلة عن باقى شعره ؛ ذلك بأن القصص هو العنصر الفذ الذى قامت عليه شاعرية مطران .

وللخليل مطران « تجارب شعرية » رائعة إمتاز بها على المعاصرين من شعراء العصر الحديث ، نذكر من هذه التجارب الشعرية قصيدته الرائعة « المساء » وقصيدته « الحمامتان » وقصيدته « الشمس والنبتة » وقصيدته « بدرى وبدر السماء » التى خلع فيهما على أحداث الطبيعة سمات البشرية .

ويلاحظ فى شعر مطران ظاهرة واضحة هي أنه لا يعنى بالبيت منفرداً كما هى عادة العرب حيث « ينفرد كل بيت من القصيدة بإفادته فى تركيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وعما بعده » وإنما يعنى مطران بالوحدة الفنية فى القصيد كله ، ولذلك نشعر بانسجام تام وتسلسل بديع إذا قرأنا له قصيدة من قصائده الوجدانية جملة واحدة بينما يفسد ذلك تجزئة القصيدة كما تنال من الوحدة الفنية فيه .

أما عن الخيال عند مطران فإن نشأته بين الخضرة والماء والصخور فى ربوع الشام وجبال لبنان ، ثم فى ربوع الوادى وربى الأهرام ، فتق خياله عن معان عبقرية رائعة . استمع إليه من قصيدة يستقبل بها الشام :

هذى رؤس القمم الشماء   نواهضاً بالقبة الزرقاء
نواصع العمائم البيضاء   روائع المناطق الخضراء
ياحسن هذى الرملة الوعساء   وهـــذه الأودية الغناء
وهـــذه المنازل الحمراء   راقية معارج العـــلاء
وهذه الخطوط فى البيداء   كأنهـــا أسرة العذراء
وذلك التدبيج فى الصحراء   من كل رسم باهر للرائى
مشوش النظام فى جلاء   منتسق بالحسن والرواء
وهـــذه المياه فى الصفاء   آناً وفى الإزياد والإرغاء
تنساب في الروض على التواء   خفيـة ظاهرة اللألاء

وهذه القصيدة كما يقول الأستاذ الدكتور إسماعيل أدهم فى بحثه القيم عن مطران « تلمس فيها طبيعة الشام وتستحضر فى ذهنك صورة محسوسة بين يديك منها » . وكما يقول المنفلوطى الكاتب الوجدانى « يكاد يلمسك خياله ويسمعك رنين أوتار قلبه » . وذلك لأن نفس الشاعر كالمرآة الحساسة ينطبع عليها كل مايمر بها ولذلك كان الخليل شاعر الشعور والخيال .

ومن روائع شعره قوله فى قصيدته الخالدة « المساء » :

يا للغروب وما به من عبرة   للمستهام وعـــبرة للرائى
أو ليس نزعاً للنهار وصرعة   للشمس بين جنازة الأضواء !
والشمس فى شفق يسيل نضاره   فوق العقيق على ذرى سوداء
مرت خلال غمامتين تحدرا   وتقطرت كالدمعة الحمراء !

وهذا من رائع الوصف ورائق الشعر العربى :

ومجمل القول فى مطران أنه أول شاعر إبداعى عرفته العربية . وقد أثر إلى أبعد حدود التأثير فى الشعر العربى بمدرسته الحديثة التى أخلص لها وغذاها بروائع شعره الإبداعى والقصصى فالتف حوله جمهور من شباب الشعراء والأمل معقود عليهم فى أن يحملوا مشعل الإبداعية فى مصر بعد أن رفعته يد مطران نصف قرن تقريباً .

رابح لطفى جمعة

مراجع البحث :

بحث الأستاذ الدكتور إسماعيل أدهم عن « خليل مطران شاعر الإبداعية » فى المقتطف سنة ١٩٣٩ .
شعراء مصر للاستاذ عباس محمود العقاد .
كتاب « نقد الشعر المعاصر » للاستاذ مصطفى السحرتى .
كتاب « رواد الشعر الحديث » للاستاذ مختار الوكيل
مقال للاستاذ سلامة موسى عن خليل مطران فى مجلة الهلال .
مجلة الزهور .
ديوان الخليل .
كتاب « شوقى » للامير شكيب أرسلان .

مصطفى كمال الزعيم التركى

بقلم الكونت سفورزا وزير خارجية إيطاليا
للأستاذ أحمد رمزى بك

— ٢ —

كان مصطفى كمال يتمتع بعد الحرب العظمى بشهرة عامة فى بلاده باعتباره بطلا من أبطال الجندية التركية الذين أبلوا بلاء حسناً فى معارك الدردنيل ، وقد اعتقد الباب العالى إبان هذه الحوادث أن فى بقائه باستنبول خطراً على الحالة السياسية الداخلية ، ولذلك أسندت إليه وظيفة عسكرية لإقصائه إلى داخلية الأناضول، وكانت رغبتهم فى التخلص منه كبيرة لدرجة أعمتهم عن تقدير ما فى عملهم هذا من أن البعد سيكون أشد خطراً فى آسيا منه فى العاصمة . وقد علم مصطفى كمال بخبر احتلال أزمير وهو فى سمسون فكان وقعه شديداً عليه ، ولذلك جمع أهالى هذه المدينة وألقى عليهم خطاباً حماسياً من أشد الخطب التى ألقاها فى حياته ، فأبرع الضابط البريطانى الذى كان مكلفاً من قبل القيادة العامة بمراقبة أحوال وسير الولاية فى إرسال برقية إلى استانبول يطلب فيها استدعاء هذا الضابط المهيج للخواطر .

وهنا قررنا بناء على إلحاح المندوب السامى البريطانى التدخل بطلب استدعائه فقبل الباب العالى ذلك ، ولكنه لاعتياده الأساليب البيزنطية لم يستدعه نهائياً ، وإنما طلبه لأخذ آرائه واستفتائه فى مجرى الأحوال العامة ، وقد بادر أصدقاؤه القيمون باستانبول إلى تحذيره من هذه الدعوة ، فقرر عدم إجابتها وتنصل منها بسفره فجأة إلى أرضروم محتجاً بأن الاستدعاء الرسمى وصل متأخراً بعد قيامه .

لقد كان من الممكن إنقاذ الحالة بعمل سياسى قاطع ، وكنت الوحيد بين المندوبين السياسيين الذى أبلغ حكومته وأبلغ مجلس الأربعة بباريس أن الحالة تستدعى قراراً حاسماً بعرض صلح عادل يسلم ببعض مطالب تركيا مع المحافظة على المزايا والمصالح الأجنبية التى يجب التمسك بها فى أراضيها . أما حكومة الباب العالى ، فقد بدأت تتردد فى قراراتها وتبدو عليها مظاهر الضعف التى هى عوارض كل نظام انتهى دوره .

***

وبعد مضى أسبوعين على احتلال أزمير طلب منى الصدر الأعظم مقابلة خاصة سرية ، فقابلته فى مصيف السفارة الإيطالية بطرابيا على البوسفور ، حيث أسمعنى حديثاً منمقاً بالجمل التى كالها فى مدح إيطاليا وما تتمتع به من المحبة فى القلوب ، ثم شكى إلىّ بشدة من وقع القرار الذى أصدره مؤتمر الصلح بالتصريح لدولة كانت فى القريب تحت حكم الترك لتحتل جزءاً من وطنهم ولتستعبد وتدوس حقوق أحفاد أولئك الذين كانوا سادة لأجداد رعايا هذه الدولة . ثم قال :

— ألا يفهم رجال باريس أن هذه هى الطريقة الوحيدة لإحياء روح الكراهية ، وإنه إذا قامت يوماً ما مذابح من جراء اتباعكم هذه السياسة سيكون أول عمل لكم اتهامنا بها كما حدث فى المائة السنة الماضية من إلصاق تهم المذابح دائماً بالترك أنى أرى من واجبى تنبيهكم إلى ذلك ، وتحميلكم من الآن مسئولية ما يحدث فى المستقبل .

ثم التفت إلى كمن يريد أن يبوح بسر خاص قائلا :

— من المسلم به أنه لن يكون هناك موضع لهذه المخاوف لو كانت تقدمت دولة عظمى من الدول المحبوبة للترك وأخذت على عاتقها احتلال أزمير وولايتها .

قال ذلك منتظراً إجابة منى لم يظفر بها مدة العشر دقائق التى دامت فيها محادثتنا ؛ والتى توقعت فى خلالها ما يريد أن يقول ، وأخيراً ألقى كلمته قائلا :

— لماذا لا تطلب إيطاليا عمل استفتاء بين أهالى ولاية أزمير الذين يفضلون بالإجماع أن يروا إيطاليا تحتل بلادهم بدل اليونان ؟

كان فريد فى ذلك مقلداً للسياسة القديمة التى اتبعها وأتقنها عبد الحميد ، واستعملها لمدة ثلاثين عاماً ضد أوربا بتحريك الغيرة بين دولها ، وبشجع أطماعها ، ويزيد فى شقة اختلافها ، حتى يضمن بقاء استقلال بلاده . ولكن هذه السياسة كانت علاجاً مسكناً نجح فى وقته ؛ أما الآن فقد انتهى ذلك العهد ، ومن

جهتي لم أكن واثقاً من نجاح مشروع كهذا بفرض التسليم بإمكان وقوعه ، ولا واثقاً من فوائده لإيطاليا ، لأن مصلحتها هي في اعتبار كل تركيا سوقاً لمصنوعاتها . أما أزمير وولايتها ، فلا تصلح لنا كبلاد لتشجيع هجرة الإيطاليين إليها ، لأن أهاليها أكثر انتشاراً وتناسلا من الإيطاليين أنفسهم ، ثم احتلالها مع كثرة ما سيتطلبه من التكاليف سيكون عقبة في سبيل التوسع السلمي التجاري ، ذلك التوسع الذي كنت أعلق على تنفيذه أهمية خاصة .

أما الاعتراف لنا بالجميل ، فكان من الظاهر أنه ينتهي بعد مضي شهر من رحيل اليونان ، بل وينقلب إلى كراهية إذا أقمنا هناك .

كانت تجول بمخيلتي هذه الأفكار وقت حديثي مع الداماد ، ولم أشأ أن أبوح له بشيء منها ، ولكنه أخذ صمتي كأنه تحوط دبلوماتي وخرج من عندي مقتنعاً بأنه وجه طعنة قوية إلى صلب الاتفاق السياسي القائم بين الحلفاء .

ولكن الأخبار تتسرب بسرعة غريبة في الشرق ، حتى ما يقال في السر بين رجلين تتناقله الآذان ، ويذاع بين الناس كأنه قد ألقي من على منابر المجالس النيابية في أوربا . وبالفعل انتقلت فكرة الداماد إلى أذان مصطفى كمال وأعوانه ، لأن أحد رجاله حضر إلي وخاطبني بكل احترام قائلا : إن أصدقاءه — ويريد بذلك مصطفى كمال — يؤملون مني ألا أشجع من جهتي مشروع الباب العالي ، لأن تركيا الحديثة ترى من واجبها أن تحارب إيطاليا بنفس الشدة التي تحارب بها اليونان إذا طمعت في شطر من أراضيها .

ولم يكن في وسعي إلا أن أعجب — في داخل نفسي — من صراحة هذا القول ، وأرى فيه فتحاً جديداً في السياسة الشرقية لم نكن نحن في أوربا نعتاد سماعه .

***

وبمضي الزمن انتهى كل من زميلي الأميرال كالتروب والأميرال اميت ، رغم الروح الحربية المتغلبة عليهما ، والتي اعتبرها طبيعية واحترمها في الوقت نفسه ، إلى التسليم بأني لم أكن بعيداً عن الصواب في إبداء رأيي بخصوص التعجيل بالصلح . ولكن الوصول بهما إلى الدفاع عن هذا الرأي أو زعزعة الفكرة السائدة لديهما كان صعباً على عقلي رجلين خرجا من الحرب وكانا لا يزالان واقعين تحت تأثير ثورة القتال . ولكم من مرة طرق بالهما أنني رغم ضعف مركزي باعتباري رجلا ملكياً (غير جندي) لم أتأخر عن تبليغ ما أعتقد أنه حقيقة ملموسة إلى علم حكومتي .

ولكن ما فائدة أي نصيحة يبديها الآن المندوب السامي البريطاني لحكومته إذا كان تأثيرها يضيع بجانب تقارير ضباط قلم الاستخبارات الذين كثر عددهم وكثرت بالتالي تقاريرهم إلى لندرة . وأصبح أسلوبهم بعيداً عن التقاليد البريطانية الأولى المعروفة بنزعتها إلى التسامح وطول الأناة ، فكثرت أغلاطهم في جو العاصمة التركية الذي استوعب في السابق دهاء الدبلوماتية الغربية وصبر رجالها . لقد جاء أسلوبهم هذا ليعمل على ضياع الهيبة التي كان الدبلوماتيون الغربيون يتمتعون بها في نفوس الشرقيين ، إذ من الخطأ البين الاعتقاد بأن اليد القوية واستعمال العنف هي السياسة المنتجة في الشرق .

وقد كان يصعب على مثلي — الذي بدأ حياته السياسية في القاهرة ، وقدر عمل أمثال كرومر وونجت ، وأعجب بالتقاليد البريطانية في تسامحها وتمسكها بالحرية والعدالة — أن يسمع وهو متأثر صديقي طلعت باشا يقول بلهجته التهكمية ، والابتسامة على شفتيه عن بريطانيا :

— هي ألمانيا فقط تنقصها الدقة والضبط الألمانيين .

مثال ذلك حوادث بوليس الحلفاء باستانبول ، وبعضها جدير بالتدوين ، لأنه في صباح أحد الأيام أخبرنا أننا قد نجونا من مؤامرة خطيرة كانت تدبر في الخفاء ضد الحلفاء ، ولم نصدق نحن — لأول وهلة — هذه الأخبار . ولكن الجنرال البريطاني قرر العمل بسرعة بمجرد علمه بخبرها ، وقدم كشفاً إلى السلطات التركية يحتوي على أسماء المتآمرين وطلب القبض عليهم . وكان في الكشف ثمانية وعشرين اسماً بينهم أحد عشر شخصاً منهم يشتغلون بالسياسة ويقيمون فعلا بأنقرة ، أي بعيدون عن متناول السلطات ، والباقي سبعة عشر اسماً لأشخاص غير معروفين يصعب العثور عليهم ، إذ يتعذر بطبيعة الحال القبض على مثل علي أو أحمد

فى مدينة كبيرة مترامية الأطراف مثل استانبول .

والأغرب أن السلطات التركية لم يبد عليها أى انزعاج ، بل قدمت تهانيها للجنرال ، لأن رجاله تمكنوا من اكتشاف هذه المؤامرة الخطيرة ، وفعلا وعدوا بتسليم المتآمرين ونفذوا ذلك بالقبض على عدد ممن يدعون على وأحمد جموهم من أحياء غلطة واستانبول ممن لا شأن لهم وأعدموهم شنقاً . فاكتفى الجنرال بذلك وأعلن رضاءه وسحب تهديداته ...

وقد علمت بعد ذلك أن هذه المؤامرة الموهومة وضع شباكها بعض الترك وأدخلوها على رجال قلم الاستخبارات للانتقام من بعض مواطنيهم ، وكان كل ذلك مدعاة للتسلية والتهكم إذا استثنينا حادث شنق الأفراد الذين ذهبوا ضحية هذا التلفيق وهم أبرياء .

إن الأخطاء التى ترتكب فى سياسة أى دولة تضطر هذه الدولة أن تدفع ثمنها فى الغالب غالياً . وكذلك كان الحال مع دول الحلفاء فى تركيا ، لأن الزعيم التركى وأنصاره لم يجدوا بداً بعد كل هذه الحوادث من المجاهرة بعدائهم ضد الإنجليز والفرنسيين واستثنوا الإيطاليين فقط من ذلك . فما كان من الإنجليز إلا أن ازدادوا تمسكا برأيهم وأرادوا أن يؤثروا فى الترك باتخاذ هذه الطرق الشديدة .

أما الزعيم التركى ، فقد باشر القتال بعصابات مسلحة تحميها قوات من الجيش المنظم الذى بدأ ينظمه فى الداخل بإرادة تشهد بعبقريته المنظمة .

وبقدر ما كانت تزيد قواته المنظمة بقدر ما اتجه الناس إليه ، حتى أن موظفى حكومة الباب العالى لم يعودوا يخفوا إعجابهم به وشمورهم نحوه .

وهكذا فهم الترك أن الزمان حليفهم ، وأن حل المسائل المعلقة بأيديهم .

***

بقيت أمامنا بعد هذه الحوادث مسألة واحدة موضعاً للتساؤل، وهى ما ذا ينوى الحلفاء عمله بعد أن صدقوا فى المؤتمر الذى عقد فى سان ريمو فى إبريل سنة ١٩٢١ على الشروط القاسية التى وضعت فى لندرة ؟

لقد وقف اللورد كيرزون عند افتتاح جلسات المؤتمر يقول : « إنه قد بولغ كثيراً فى تقدير القوة التى لدى الكماليين ، وليس مصطفى كمال بالعامل المهم الآن كما يحاول إظهاره بعض السياسيين »

وكنت طبعاً المقصود بهذه الإشارة ، لأننى داومت من روما حيث كنت أقيم فى ذلك الوقت على إسداء النصيحة بعرض صلح مقبول على تركيا .

وبعد انفضاض مؤتمر سان ريمو الذى انتصرت فيه السياسة الإنجليزية على فرنسا وإيطاليا تابع لويد جورج التمسك بخطته التى سار عليها ، وجاهر بثقته بها فى خطبة رنانة ألقاها بلندرة فى شهر يونية حيث قال : إن اليونان هى الدولة الوحيدة القادرة على تأخذ مكان الحكومة التركية فى آسيا الصغرى .

وفى اجتماع هيث Hythe حيث التقى لويد جورج بميليران عرض فنزيلوس على انجلترة فكرة تعاون حكومته باستعمال الجيش اليونانى فى تأديب الكماليين . وكان اقتراحه يرمى إلى توجيه قوات مشكلة من ٩٠٫٠٠٠ جندى يونانى مزودين بأحدث الأسلحة للقيام بحركة سريعة إلى وسط الأناضول لقطع كل اتصال بين الكماليين والساحل تلجئ الأخيرين إلى التقهقر إلى الداخل ، حيث يكون مصير قواتهم الانحلال والتشتت .

وكان ميليران على علم بما فى هذا الاقتراح الإنجليزى اليونانى من المجازفة والأخطار ، ولكنه فضل التسليم به رغبة منه فى استبقاء مودة لويد جورج ، وهو فى حاجة إليه لتعقد الحالة على نهر الرين .

أضف إلى هذا أن نشاط الترك كان كبيراً فى هذا الوقت على حدود سوريا ، حيث سببوا لفرنسا مشاكل لا يستهان بها .

ولكن الوزيرين كانا فى حاجة إلى موافقة إيطاليا حتى تأخذ هذه التصميمات صبغتها الدولية ؛ فعقدا مجلساً لهذا الشأن بعد عدة أيام من هذا التفاهم اختاروا له مدينة بولونيا وحضرته نائباً عن إيطاليا بصفتى وزيراً للخارجية ، وما أن عرضت فكرة حملة الأناضول حتى بينت لهما بشكل قاطع أوجه الخطأ فى تنفيذ هذه الخطة التى لن يتحقق بها تشتيت القوات التركية ، بل تؤدى حتما إلى إذكاء الروح الحربية وتقوية عوامل القتال والوطنية لدى الأتراك

وفى مدينة أسبا Spa حيث عقد مؤتمر آخر كنت أشد تمسكا بهذا الرأى ، ولكن المؤتمر قرر قبول اقتراح فنزيلوس لسوء حظ الشعب اليونانى .

(البقية فى العدد القادم)

أحمد رمزى

مالتـــوس
ومشكلة السكان فى مصر

للأستاذ محمد محمد على

يعتبر مالتوس أشهر من كتب فى مسألة السكان ، إذ أثار الرأى العام فى بلاده وفى البلاد الأخرى ، كما نبه الأذهان إلى ضرورة دراسة السكان ، فهى أساس المشكلات الاجتماعية .

وقد ألقى مالتوس ضوءاً جديداً على مسألة السكان وقد أثار هذا جدلا واختلافاً فى الرأى . ولعل ما يعنينا فى مصر هو معرفة الحد الذى تتحقق عنده آراء مالتوس فى مشكلة السكان فى مصر . وللوصول إلى ذلك يجمل بنا أن نعرض آراء مالتوس ونظريته فى السكان ، ثم نلخص النقط الأساسية فى مشكلة السكان فى مصر .

***

هنالك دوافع ثلاثة حفزت مالتوس إلى وضع كتابه المشهور : هى حياته وثقافته ، والعصر الذى عاش فيه ، ثم آراء معاصريه . فقد كان أبوه صديقاً لجان جاك روسو ، ونشأ فى بيت تسوده المحافظة على التقاليد ، لذلك كان لا يعتقد فى إمكان إصلاح المجتمع عن طريق الثورة . وفى كمبردج جعلته حياته الدينية يؤمن بملازمة الألم للانسان بسبب وجود الغريزة الجنسية وغريزة البحث عن الطعام .

وكان للعصر الذى عاش فيه أكبر الأثر فى تكوين آرائه ، ووضع نظريته ؛ إذ كانت أوربا — فى أواخر القرن الثامن عشر — فى حالة سيئة نتيجة الثورة الفرنسية ، وانجلترا كانت تسودها أزمة اقتصادية واجتماعية ، فقد ساء المحصول الزراعى فى الريف . وكانت الصناعة تتقدم تدريجاً وزاد السكان تبعاً لذلك ، وحالت الضرائب ورسوم الجمارك دون إزدياد موارد الغذاء . كما نتج عن الاختراعات لتحسين الآلات الاستغناء عن كثير من العمال فانتشرت البطالة وعم البؤس مما أثقل كاهل الفقراء .

وكان من نتيجة كل ذلك ظهور آراء فوضوية بغية الإصلاح . وكان من زعماء الحركة الاشتراكية حينئذ : جودوين الذى كتب بحثاً فى العدالة الاجتماعية ، وكان يعتقد فى طبيعة الخير التى تنطوى عليها البشرية ؛ وكندرسيه وكان يرى أن الإنسانية تسير نحو الكمال فى عشر مراحل وأنها كادت تبلغ ذروة الكمال فى عهده .

إذن فالظروف التى سادت فى عصره أوحت إليه بالتشاؤم فأراد أن يحذر مواطنيه من سوء العواقب . ثم إن آراء معاصريه لم ترقه فرغب فى أن يرد عليهم . لذلك وضع مالتوس كتابه وظهرت الطبعة الأولى عام ١٧٩٨ بعنوان طويل اختصره فى الطبعة الثانية عام ١٨٠٣ ويبحث الكتاب فى أربعة موضوعات :

العقبات التى تعترض زيادة السكان فى الأزمنة الغابرة . ثم العقبات التى تعترض زيادتهم فى الأمم الحديثة . ثم دراسة النظم المقترحة لعلاج أضرار زيادة السكان ، وأخيراً عرض لآرائه ومقترحاته .

وتتلخص نظريته فى السكان فى نقط ثلاث :

١ — إن عدد السكان يحدد بالغذاء ، فهناك علاقة بين عدد السكان وكمية القوت .

٢ — يزيد عدد السكان كلما زاد القوت إلا إذا وجدت عقبات قوية .

٣ — هذه العقبات التى تجعل ازدياد السكان متناسباً مع الغذاء هى البؤس ، أى المجاعة والحرب والأوبئة ، والرذيلة أى الخيانة الزوجية والعلاقات الجنسية الفوضوية ؛ والضابط الأخلاقى أى تأخير الزواج مع حياة العفة . وهذا العامل الثالث أضافه فى الطبعة الثانية بعد إذ اتهمه الناس بالكفر لظنهم أنه إنما ينسب البؤس والرذيلة إلى قوة إلهية .

فمالتوس يرى أن المجتمع الإنسانى كالكائن الحى فى حاجة دائمة إلى الغذاء . وأن من العبث معالجة الفقر بالتوزيع العادل للثروة . وينسب الفقر فى المجتمع إلى اختلال التوازن بين عدد السكان وموارد الغذاء ، على أن السكان يزيدون على حسب متتالية هندسية والغذاء طبقاً لمتتالية حسابية. لذلك يتضاعف عدد السكان كل ربع قرن : مالم تكن هناك ضوابط إيجابية أو مانعة . ولم يناد مالتوس بضبط النسل بل نادى بالضابط الأخلاقى .

***

هذا عرض عام لآراء مالتوس والظروف التى أحاطت به حين

تأليف كتابه . أما عن مشكلة السكان فى مصر ، فقد تحدثت عنها بإيجاز فى مقال سابق[١] . وأساسها ازدياد عدد السكان زيادة لا تتناسب مع زيادة الموارد الغذائية ، وسوء توزيع الثروة ،وإحجام أصحاب الأموال والشباب عن خوض غمار الصناعة واستغلال الثروة المدنية . والآن يمكن أن نتبين مدى تحقق آراء مالتوس فى مسألة السكان فى مصر :

لم يتضاعف عدد السكان فى ربع قرن بل تضاعف فى نصف قرن . وقد يكون هذا راجعاً إلى الضوابط الإيجابية وهى البؤس والرذيلة .

وزاد السكان زيادة خطيرة فى حين أن الغذاء زاد زيادة بسيطة. وهنا يحسن ألا ننظر إلى المسألة بعين مالتوس ، فقد قامت الصناعة فى مصر وبدأت تزدهر منذ ربع قرن وذلك بفضل عاملين : الحرب العالمية الأولى، والتعريفة الجركية وحمايتها للصناعة المحلية .

وليس من شك فى أن العامل الصناعى يعيش فى مستوى أرفع وأرقى مما يعيش فيه العامل الزراعى ، وأوضح دليل على ذلك تكوين النقابات العمالية واهتمام الحكومات بالعامل الصناعى وخاصة فى (وضع الكادر) والتأمين الاجتماعى ... ومما يبعث على الأمل إمكان ازدهار الصناعة المصرية فى المستقبل ، وغنى مصر بثروتها المدنية ، وما سيحدثه من تغير عظيم مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان .

ومن الصعب تنفيذ الضابط الأخلاقى فى مصر فى ظل المدنية الحديثة وما فيها من مباهج و ... حقاً يعمد الشباب إلى تأخير الزواج لدوافع اقتصادية واجتماعية ، ومن جهة أخرى يستخدم ضبط النسل بنجاح بين الطبقة العليا والمثقفة .

أما توزيع الثروة توزيعاً عادلا فهذا ليس من العبث كما قرر مالتوس فليس يعيب ثروة مصر كميتها بل توزيعها . إذن لم تتحقق آراء مالتوس كلها كاملة :

ويرى الدكتور وندل كليلند حلاً لمشكلة السكان فى مصر بما يأتى :

١ — العمل على زيادة الموارد الطبيعية زراعية وصناعية .

(١) حول مشكلة السكان فى مصر : الرسالة عدد ٨٢٤ .

٢ — تحديد عدد السكان ، بوسائل ضبط النسل .

ويظهر لنا من كتاباته أنه يحبذ الاتجاه الثانى لأنه لاحظ أن التقدم الحضارى فى أوربا يصحبه نقص فى المواليد ، وذلك لزيادة رغبة الناس فى صحة أحسن وسعادة أعظم وثقافة أرقى ورغبات أسمى ، ولكن تحديد النسل من الصعوبة بمكان تبعاً للتقاليد والعادات والأفكار القديمة .

ولعل من المفيد أن أختتم هذا المقال بما اختتم به كليلند كتابه[١] إذ يقول :

إن موقع مصر الجغرافى يجعل من الصعب عليها أن تحل مشكلاتها وحدها بل لا بد من التعاون مع جاراتها ، ذلك لأن النيل دولى : Nile is inrernational

محمد محمد على
ليسانيه فى الآداب

(١) Ths Popnlotion Problem in Egypt, 1936

من أدب رمضان

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

« ... رياضة للنفس بالتجرد ، وثقافة للروح بالتأمل ؛ وتوثيق لما وهن بين القلب والدين ؛ وتقريب لما بعد بين الرافه والمسكين ... ونفحة من نفحات السماء تغمر دنيا المسلمين بعبير الخلد وأنفاس الملائكة ! ... فالبيوت الباقية على العهد تتقرب إلى الله بالذكر والصدقات ، والمساجد المقفرة طول العام تعج بالوعظ والصلوات ... والمآذن الحالية بالمصابيح الشادية بالتسابيح ترسل في أعماق الأبد نور الله وكلمته ! »

« الأستاذ أحمد حسن الزيات »

عن ابن بجير ، قال : أصاب النبي صلى الله عليه وسلم جوعٌ يوماً ، فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ، ثم قال : « ألا رُبَّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا ، جائعة عارية يوم القيامة . ألا رب مكرم نفسه وهو مهين لها ! ألا رب مهين نفسه وهو مكرم لها » فانظر – عافاك الله – إلى إنسانية سيد الخلق العليا ، فهو يضرب أروع الأمثال لكي تتأسى به أمته من قبل ومن بعد ... وهو الذى خُيِّر أن يكون له مثل (أحُد) ذهبا فقال : (لا يارب ، أجوع يوماً فأدعوك ، وأشبع يوماً فأحمدك !) فالسواد الذى تراه في فقره صلى الله عليه وسلم هو السواد الحى ، سواد الليل حول الروح النجمية الساطعة ، كما يقول الرافعي الخالد . وبعد فالغرض الأسمى من صوم رمضان المبارك إن هو إلا العمل المصمم على إضعاف الحيوانية ، وكسر شرة الهوى ، وكفكفة النفس عن الشهوات والأهواء ، بالحرمان والمجاهدة فتتحرر الروح من ربقة الأسر في الجسد ، وتتطهر من الأدران المخجلة ، وتسمو إلى مراتب الإيمان العالية ... فتتهدى إلى جلال ربها ، وتدرك ما كانت عليه من زيغ وغفلة ، فتتذكر الموت وهوله ، والقبر وسؤاله ، والبعث وأهواله .. فتخشع وتخضع وترجع إلى طاعة ربها راضية مرضية ...

ما لذة الأيام تتعاقب على استواء حالة واحدة ؟ ... بل كيف يصنع المرء إزاء الدهر وتقلباته ، وضرباته وهجماته ... إن لم يتزود بذخيرة من الصبر والجلاد ؟ ...

ولقد فاضت كتب الدين ، وخطب المصقعين ، تحض على التآلف والإخاء ، والتمسك بأهداب الشرائع السماوية المقدسة ، ولكن كل ما كان ويكون لها من أثر لا يقاس بأثر الردع والتأديب الإلهى ، الذى تحس وقعهما في أعصابك وحلقك وأحشائك ... وسعار الجوع هو الذى يدع الخيال يصنف للمعدة معانى متجددة متعددة للطعام ... فلا تنفك تستشعر – على التضور – آلاماً لذيذة ، ولذات أليمة ! ...

وليس يُطرب صوت الماء منحدراً
كما ترى وقعه في سمع ظمآن !

وترى الغنى المترف المتنعم وقد ردعه الضمير ، وأدبه الدين .. فأدبه ما لذ وطاب ولكنه يصبر ويصابر ، ويتذكر أنه يُسأل عن النعيم ...

ولا صيام للنمامين والمغتابين ؛ فمن ابن مسعود ، قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقام رجل ، فوقع فيه رجل من بعده ... فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تخلَّلْ » قال : مِمَّ أتخلل ؟ ما أكلت لحماً ... » قال : « إنك أكلت لحم أخيك ! » ...

(السويس) **أحمد مصطفى حافظ**

محرر بمجلة المدينة المنورة



نظرات فى الفن

للأستاذ نجم الدين حمودى

الفنان والطبيعة :

علاقة الفنان بالطبيعة علاقة متينة محكمة ، فهى مصدر وحيه وإلهامه ، منها يستقى عبقريته ، ومن جمالها يروى أحاسيسه ومشاعره . ومع أن الطبيعة ينبوع الجمال وموطن الروائع ، فهى ليست كل شىء عند الفنان ، كما أنه من العبث أن نشبه الفن بتقليد الطبيعة ، أو محاكاة الجميل فيها ، إذ ليس الفن تقليداً وتشبيها ، وإنما هو تفسير وتحليل وخلق وإبداع . وليس من المبالغة فى شىء أن يقال : يبتدئ الفن عند ما يبتعد الفنان عن التزامه لتقليد الطبيعة .

نعم ، إن الطبيعة مصدر للجمال ولها أعظم الأثر فى عمل الفنان ، إلا أنها — كما ذكرنا سابقاً — ليست كل شىء عنده . فالفنان فى روائعه يضفى على الطبيعة من أعماق نفسه جمالا يزيد من جمالها ، وألواناً من خلقه وإبداعه تكسبها جاذبية وتأثيراً . وإذا كانت السمفونية الريفية لبيتهوفن قطعة فنية رائعة ، فهى ليست كذلك لكونها تقليداً لأصوات طبيعية ، بل لأن بيتهوفن نفسه استطاع أن يعبر فيها عن إحساسات تفتحت من جراء اتصاله وانغماسه بجمال الطبيعة ، وتمتعه بنغمات أصواتها الجميلة العذبة ، فخرجت تلك الإحساسات ، وتفجر ذلك الشعور إلى عالم الواقع بأصوات موزونة ونغمات منسجمة ، وبهذه النغمات وتلك الأصوات برزت عبقرية الفنان وقوة خلقه وإبداعه ، فجمل من توفيقه بين هذه وتلك قطعة موسيقية رائعة تتوق القلوب لسماعها ، وترتوى النفوس من أنغامها وألحانها .

فالابتهاج الذى يغمرنا عند سماعنا السمفونية الريفية ، والروعة التى برزت بأجلى مظاهرها فى أنغامها المنسجمة الموزونة ، لا يرجعان كلية إلى الطبيعة ، بل إلى عبقرية بيتهوفن وملكته الفنية .

يشير الأديب الفرنسى أندريه جيد فى دراسته للفنان الفرنسى بوسان إلى رأى الكاتب كريستفرمارلو عن أثر الطبيعة فى نضوج الفنان فيقول : « يثبت الأستاذ مارلو بأن الباعث على الخلق الفنى فى كل الرسامين لا يتأتى مباشرة من الطبيعة ، وإنما يتأتى من بعض الروائع الفنية التى أنتجها قبلهم عظماء الرسامين الذين حللوا فى روائعهم ما فى الطبيعة من جمال وفتنة وكمال » .

ويعلق الأستاذ أندريه جيد على ذلك بقوله : « لا شك أن جمال العالم الخارجى ومظاهره البديعة الجذابة لا يمكنها أن تترك بوسان دون أن تؤثر فى مشاعره وإحساساته ، بل فى الحقيقة أن اتصاله بالروائع الفنية القديمة هو الذى دعاه إلى أن يدرك قابليته فى الخلق الفنى » .

نقد الفن :

إن تعذر إيجاد مقاييس عامة لمعرفة المدى الذى تبلغه الروائع الفنية من الكمال ، كل حسب نوعه ، هو الذى جعل أمر نقد الفنون الجميلة من الصعوبة بمكان عظيم . ويقول الأستاذ أندريه جيد فى هذا المعنى : « إن نقد الفنون الجميلة من أخطر أنواع الكتابة ، ولم يجد فى هذا الباب إلا النزر القليل من الكتاب » ومن الممكن حصر الأسباب التى تجعل النجاح فى نقد الفن عسيراً فى ثلاثة أمور :

١ — عدم وجود نماذج مثالية تقاس عليها القطع الفنية .

٢ — اختلاف الأذواق وتباين النزعات فى تقدير القطع الفنية ، ومن النادر أن نجد ناقدين يتفقان على أمر واحد بحذافيره .

٣ — والسبب الثالث ويتفرع من الثانى ، هو صعوبة وجود التجرد التام فى الحكم على القطع الفنية .

وكثيراً ما يصدر النقاد حكمهم على قطع فنية عظيمة دون أن يعيروها الوقت الكافى ، فيكون حكمهم غير دقيق وبعيد عن الحقيقة والواقع . ويذكر الناقد الكبير كلايف بل فى موضوعه « مهلا أيها النقاد » بأن نقاد الفنون على الرغم من

ادعائهم بعدم التسرع فى الحكم على القطع الفنية كثيراً مايقترفون أخطاء جسيمة ويجورون على الفنانين بغير حق .

ويستمر كلايف بل فى بحثه قائلا : « إن بعض القطع من الممكن تذوقها من أول التفاتة يوجهها الناقد إليها ، أما البعض الآخر فيستحيل عليه إدراك مواطن الجمال فيها ، واكتشاف الأفكار التى تحملها ، والبواعث التى دعت الفنان أن يجمل قطعته بهذا الشكل دون غيره ما لم يمعن هذا الناقد فى النظر ويتعمق فى التحليل » .

ويدعم الأستاذ كلايف بل معالجته لهذا الموضوع بأمثلة عديدة لأخطاء جسيمة اقترفها كبار النقاد .

يذكر الأستاذ ماك كول فى كلامه عن نقاد الفنون أن هناك نوعين من هؤلاء : النوع الأول وأحسن كلة نصفهم بها هى كلة « مراسلون » ، وهؤلاء لا هم لهم سوى حشو الصحف والمجلات بكلمات فارغة مسؤولة عن المعارض التى يحضرونها نيابة عن الصحف والمجلات التى يراسلونها ، ومعظم هؤلاء لايملكون المعرفة الكافية التى تؤهلهم لنقد القطع الفنية ، فإذا ما عرضت عليهم قطع ترجع فى طابعها إلى الفن الكلاسيكى القديم ، قالوا : لقد سبق أن صدر الحكم على الفن القديم ، وإن جادلتهم فى معروضات الفن المعاصر ، أجابوك بقول : إما ينطوى على عدم الاكتراث ، أو يدل على الإطراء والإمعان فى المديح .

ويقول الأستاذ ماك كول فى هذا : « ليس الفنانون بضاعة يكال لها المديح والإطراء ، أو الذم والافتراء ، من النقاد حسب ما تمليه عليهم أذواقهم وأهواؤهم » .

أما النوع الثانى من النقاد ، فنهم من يملك معرفة كافية واطلاعاً واسعاً بالفنون ، ولكنهم إلى جانب هذه المؤهلات مدفوعون بعامل التحيز . لهذا فإنهم ممقوتون من الفنانين لافتقارهم إلى النزاهة فى الحكم ، وتراهم يختارون من القطع ما لذ لهم ، ويجعلونها هدفاً لصب معلوماتهم ، كأنه لا فرق بين القطع الفنية الرائعة والمواد الأولية التافهة .

نجم الدين حمودى

سكرتير مجلة سومر — بغداد

حيران !

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

حيران فى دنيا الجمال نشوان من خمر الخيال
لمن العيون كأنها نور يطوّف بالظلال ؟
حوراء إن نظرت تخا ل بها ـ وليس بها ـ الكلال !
سكرى من الخمر التى لعبت بأفئدة الرجال
لمن العيون كأنها أفق توشح بالجلال ؟
زرقاء تحلم فى هدو ء لا يعذبه ملال
كبحيرة مسحورة سحرت حواليها الرمال
تسبى القلوب كمنظر الآفاق من قمم الجبال
لمن الغدائر حرة من كل قيد أو عقال !
يشدو النسيم لها فتر قص فى اليمين وفى الشمال
سوداء فى لين الحرير ، ورقة الماء الزلال
لمن الخدود نقية كالنبع فى أعلى القلال ؟
قد ضمه وحنا عليه فى خشوع وابتهال
زهر يقبله الندى وتضمه ريح الشمال
لمن الشفاه نواضرا ريَّا بأحلام الليال
شمَّت كشمس فى الضحى وتقوست مثل الهلال
تدعو الرشيد إلى الضلا ل ، وآه من هذا الضلال !
لمن النهود روانياً فى كبرياء واختيال ؟
متحفزات للوثو ب ، مبادرات للنضال !
تدنو لمن تهوى ، وتبـ ـعد عن سواه ، فلا تُنال
لمن الخصور الراقصا ت مع الأشمة والظلال ؟
من كل خصر مرهف ريان من خمر الدلال
أخشى عليه من النسيـ ـم دنا فطوقه فمال
ومن الغلالة إذ تما نقه ، فيشمر بالملال !

أواه لو رويت هـ ـذا القلب من خمر الجمال !
أواه ! لكنى أعيـ ـش كزهرة بين التلال !
أبكى من الحرمان حتى صرت أنتظر الزوال
فتن تمر بناظرى وبخاطرى منها مثال
فتن حرمت وصالها وأنا المشوق إلى الوصال
علقت بها نفسى كما علقت بأطياف المحال !
فتن أعانقها وألـ ـثمها ، ولكن ... فى الخيال !

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مع الأستاذ توفيق الحكيم فى « أوديب الملك » :

فى العدد (٨٣٥) من الرسالة ، سألنى أديب عراق فاضل هو الأستاذ فؤاد الونداوى عن بعض الآراء التى عقب بها الأستاذ توفيق الحكيم على مقدمة الترجمة الفرنسية لمسرحية « أوديب الملك » ... ولقد عرض الأستاذ الونداوى لتلك الآراء بالنقد والتحليل ، مخالفاً صاحبها فيما ذهب إليه من تفسير لبعض القيم النفسية والفنية ، طالباً إلى أن أعقب على الرأيين : رأى الكاتب ورأى الناقد .

يقول الأستاذ الونداوى إن الأستاذ الحكيم قد حاول أن يوفق بين فكرة الأسطورة وبين روح الإسلام ، فجعل من رغبة أوديب فى العلم بالحقيقة وبحثه المتصل عنها سبباً يدفع أوديب إلى الكارثة ، أى أنه جعل الموجب للكارثة طبيعة أوديب ذاتها ؛ طبيعته المحبة للبحث فى أصول الأشياء الممعنة فى الجرى خلف الحقيقة . ثم يعقب الأديب العراق الفاضل على ذلك بقوله : ولست أدرى كيف استساغ كاتب فنان كتوفيق الحكيم أن يجعل من حب أوديب للحقيقة وسعيه وراءها إنما يستحق عليه ذلك العقاب المنكر الفظيع ؛ فإن حب الحقيقة والسعى وراءها — مطلقة كانت أو نسبية ، عامة كانت أو جزئية — لدى أناس كالفلاسفة والعلماء هو الذى بث شهرتهم فى الآفاق وخلد ذكرهم فى أعماق الأفئدة ، وألهج به الألسنة على مدى الأجيال والعصور !

أود أن أقول للأستاذ الونداوى رداً على اعتراضه : هل أقمت اعتراضك يا صديقى على أساس من خطأ الفكرة النفسية ، أم على أساس من التعثر فى خطوات العمل الفنى ؟ فى رأيى أن الأستاذ الحكيم قد بعد عن منطقة الاعتراض فى كلتا الناحيتين ؛ لأننا لو وضعنا الفكرة النفسية تحت المجهر لبدت لنا متفقة مع منطق الحياة ومنطق الفن ... لا خطأ أبداً إذا ما جعل توفيق الحكيم من جرى أوديب وراء الحقيقة سبباً يدعو إلى الكارثة ؛ لأن طبيعة أوديب النفسية — طبيعة الشك والتحدى والغرور والكبرياء — من شأنها أن تدفع به إلى هذا المصير المحزن الذى انتهى إليه ! إننا لو بحثنا عن نقط الارتكاز الفنية فى المسرحيات الثلاث وأعنى بها مسرحية سوفوكل ومسرحية أندريه جيد ومسرحية توفيق الحكيم ، لوجدناها تتفق جميعاً على أن الطبيعة النفسية عند أوديب كانت هى مصدر الكارثة ؛ الكارثة التى أدت بأوديب إلى أن يقتل أباه لايوس ويتزوج من أمه جوكاست ويفقأ فى النهاية عينيه ليحرم إلى الأبد من نعمة الضياء ... أوديب عند سوفوكل يبحث عن الحقيقة ، وعند أندريه جيد يبحث عن الحقيقة ، وهو يبحث عنها أيضاً عند توفيق الحكيم ؛ فالأساس النفسى موجود عند الكاتب الإغريقى وموجود عند الكاتب الفرنسى وموجود عند الكاتب المصرى . وإذا كان الصراع الخارجى بين إرادة الآلهة وحرية الإنسان هو الهدف الأصيل لخطوات العمل الفنى عند سوفوكل وأندريه جيد ، فإن خطوات العمل الفنى عند توفيق الحكيم قد أحالته صراعاً داخلياً بين إرادة الإنسان وبين سطوة الحقيقة ... هناك صراع مشبوب تثيره فى نفس أوديب نزعة التحدى للقوى الخفية ولو كان فيها ألف مورد من موارد التهلكة ، وهنا صراع مشبوب أيضاً ولكن الدافع إليه نزعة أخرى هى نزعة الشك الملح فى التخلص من الواقع ، ولو كان فيه ألف سبيل من سبل النجاة من الكارثة . وكلا الصراعين يتقرر معه المصير على ضوء الطبيعة النفسية التى عالجها الأستاذ الحكيم علاجاً حاول فيه أن يوفق بين فكرة الأسطورة وبين روح الإسلام !

هذا يا صديقى عن منطق الفن ، أما عن منطق الحياة فلا أرى أن توفيق الحكيم قد خالف منطق الحياة أو اعترض سيرها الطبيعى ... إن الحياة تقدم لنا فى كثير من الأحيان نماذج نفسية من طراز أوديب يدفعها حب الاستطلاع والبحث عن الحقيقة إلى كثير من المتاعب والكوارث والآلام ! أنا معك فى أن حب الحقيقة والسعى وراءها لدى أناس كالفلاسفة والعلماء هو الذى بث شهرتهم فى الآفاق وخلد ذكرهم فى أعماق الأفئدة ، وألهج به الألسنة على مدى الأجيال والعصور . أنا معك حين أقدم إليك واحد ممن ذكرت هو الفيلسوف الألمانى نيتشه ... ولكن

لا تنس أن هذا الفيلسوف العظيم الذى ظل يبحث عن الحقيقة حتى رفع عنها الغطاء ، هذا الفيلسوف يا صديقى قد فقد عقله فى سبيل الجرى وراء الحقيقة !

أختلف معك فى هذه النقطة وأتفق معك فى نقطة أخرى ، هى اعتراضك على الأستاذ الحكيم حين يقول : إن رغبة أوديب فى العلم بالحقيقة هى التى جرته إلى ما جره العلم الحديث على الإنسان الحديث ممثلا فى (فرويد) عند ما طفق يحفر فى أعماق الإنسان إلى أن وجد أنه عاشق فى الباطن لأمه ! ... الواقع أنك لم تعد الحق حين أفصحت عن حيرتك أمام هذا التمليل ، وحين قلت إنك لم تفهم كيف ارتضى الأستاذ الحكيم أن يشبه حالة أوديب أمام المأساة بحالة فرويد أمام حقائق النفس ! إلى هنا يا صديقى وأقف إلى جانبك لأنه لا وجه للمقارنة على الإطلاق ...

أما بعد ذلك فلا أرضى عن تفسيرك المشكلة عند ما تقول : إن البحث عن الحقيقة قد أدى عند فرويد إلى اكتشاف الحقيقة فحسب ، ولكنه عند أوديب قد أدى إلى وقوع الكارثة أو المأساة وواضح أن الفرق بين الحالين أكبر وأوسع من أن يستسيغ أى تشبيه بينهما !

أريد أن أسأل : هل كشف فرويد حقاً عن الحقيقة التى رددها من بعده الكثيرون فى الشرق والغرب ، وأعنى بها عشق الطفل فى الباطن لأمه ؟ هذا العشق الناتج عن مص ثديها فى حالة الرضاع مما يترتب عليه لون من ألوان اللذة الجنسية ، حتى لتتحول تلك اللذة عند تقدم السن إلى عادة التدخين عند كثير من الناس ؛ لأن فيها بقية من المتعة الجنسية فى الصغر ممثلة فى عملية المص بالشفتين ، والفم كما يقول فرويد منطقة من المناطق الشديدة الحساسية والشعور باللذة ؟! ... ليصدقنى الكثيرون إن هذا التفسير النفسى الذى جاء به فرويد تفسير يحفل بالشذوذ وانحراف التفكير ؛ لأنك لو أرضعت الطفل من ثدى أنثى من إناث الحيوان لهام بها نفس هيامه بأمه ، ولتعلق بها نفس التعلق ولأقبل عليها نفس الإقبال ؛ لأن عقله الصغير إلى أبعد حدود الصغر لا يهيء له أن يفرق بين مرضعة ومرضعة ولا بين حيوانة وإنسانة ! إن المسألة مسألة شعور بالجوع واندفاع إلى كل منبع من منابع التغذية يمكن أن يرد عن الطفل الجائع غائلة الجوع ، فكيف نقبل هذا الشذوذ الفكرى الذى ينادى به فرويد حين يلصق بالطفولة البريئة نزعة الانحرافات الجنسية ؟ ! ... ثم هل تتحول حقاً تلك اللذة الجنسية المتخلفة عن أيام الطفولة إلى لذة التدخين عند كثير من الناس ؟ ترى كيف يستقيم هذا التفسير العجيب إذا ما قدر لفرويد أن يعيش فى تلك الأيام التى لم يكن فيها تدخين ولا مدخنون ؟! . إننا فى انتظار الجواب من المولعين بهذا اللون الطريف من الدراسات النفسية !

بقى أن أرد على النقطة الأخيرة التى أثارها الأستاذ الونداوى حول رأى آخر من آراء الأستاذ الحكيم حين يقول : إن الطعن الذى أنزله أوديب بعينيه قد ذهب فى تفسيره أندريه جيد فى مسرحيته إلى كونه إمعاناً فى الكبرياء . يؤكد الأستاذ الونداوى أن الواقع يشهد وصحائف الكتاب بدورها تشهد بأن أندريه جيد لم يقل مثل هذا الكلام ولم يفكر فيه ، لأنه قال بصراحة عن لسان أوديب مخاطباً الكاهن تيرسياس بأنه — أى أوديب — إنما يفقأ عينيه لأنهما لم تحسنا تنبيهه إلى الكارثة قبل وقوعها ولم تضيئا له الطريق ! معذرة يا صديقى إذا أكدت لك أن الواقع يشهد وصحائف الكتاب بدورها تشهد بأن أندريه جيد قد قال مثل هذا الكلام وفكر فيه ... أما عن الواقع فهو ممثل فى تلك الزاوية التى سلط منها أندريه جيد أضواءه على شخصية أوديب الإنسانية ؛ وهى الشخصية المتعالية المتحدية المتكبرة المغرورة الثائرة على الآلهة فى كل فصل من فصول مسرحيته . إن طعن أوديب لعينيه لم يكن فى الواقع إلا تحدياً للألم وإمعاناً فى الكبرياء ! مهلا يا صديقى ولا تعترض ... إن صحائف الكتاب تشهد بصدق ما أقول ، هناك قبل نهاية الفصل الأخير بصفحتين حيث يقول أندريه جيد عن لسان تيرسياس مخاطباً أوديب بعد أن فقأ عينيه : « إذن فهى الكبرياء التى دفعتك إلى أن تفقأ عينيك . لم يكن الإله ينتظر منك هذا الإثم الجديد ثمناً لجريمتك الأولى ، وإنما كان ينتظر منك الندم ليس غير » !

بعد هذا أرجو أن يتقبل الأستاذ الونداوى خالص الشكر على حسن ظنه ، وعاطر التحية على صدق إخائه .

حول مستقبل الشعر وانحراف المواهب :

هذا العنوان يجمع بين عنوانين ، أحدهما لمقال كتبه الأستاذ يوسف اليمينى فى العدد (٨٣٥) من الرسالة ، والآخر لمقال كتبته أنا فى العدد (٧٩٧) من الرسالة ... ولقد لاحظت أن الأستاذ اليمينى قد جال بفكره فى نفس الأفق الذى جلت فيه

من قبل ، وأن هناك كثيراً من التقارب بين وجهات النظر وطرائق التعبير ومرامى الألفاظ . إنه لون من توارد الخواطر غير شك ؛ لأن طبيعة الموضوع الذى تناولته بالدراسة كما تناوله الأستاذ البعينى حول ماضى الفن وحاضره ، من شأنها مع النظرة المتغلغلة فى أعماق المشكلة أن يخرج منها الباحث بمثل ما خرج به الأستاذ وخرجت ، من تحليل يؤدى إلى تعليل ومن مقدمة تدفع إلى نتيجة .

يبدأ الأستاذ البعينى مقاله عن « مستقبل الشعر » بهذه الكلمات : « أجمع فريق من الحكماء والمصلحين وفى طليعتهم الموسيقى البولونى المشهور أنتون بادريفسكى على أن الفنون الجميلة تسير بخطى واسعة نحو الفناء . ومما قاله ذلك العبقرى الموهوب أن تلك الأنغام العميقة التى كانت ترفع الروح إلى الملأ الأعلى توارت أمام الموسيقى الأمريكية الحديثة . لقد صدق هذا الفنان فى تعليله ؛ فإن رجل الفن كان فى الماضى البعيد يغذى عبقريته بجمال الطبيعة . أما الآن فهو لا يعنى بإغناء موهبته وتهذيبها إذ طغت موجة المادة وتبدلت أغراض الحياة فاختلفت عما كانت عليه فى سابق الأجيال » .

هذا هو مفتاح المشكلة الذى يعالج به الأستاذ البعينى فتح المنافذ المؤدية إلى نتائج موضوعة ، وهو نفس المفتاح الذى قدمته من قبل حيث قلت : « ... هذه الحضارة التى نعيش فيها حضارة قوامها المادة تبدأ منها وتنتهى إليها ، وتدفع الناس إلى أن يتلمسوا الوسائل لكسب العيش عن طريق غير طريق الأدب والفن فى كثير من الأحيان ؛ لأنه طريق غير مرجو الفائدة ولا مأمول العواقب فى ميدان النضال مع الحياة ومن هنا يتجهون باستعدادهم وملكاتهم اتجاهاً يبغون من ورائه الكسب المادى والمكان المرموق والفن فى رأى الماديين لا يحقق لهم شيئاً من هذا ، وماذا تجدى الشهرة فى رأيهم مع الفاقة أو يعود عليهم من المجد وفى ركابه الحرمان ! ...

إن صوت هربرت ريد فى كتابه (الفن والمجتمع) ليضيع وسط ضجيج المادية الأهوج حين يقول : « يجب أن ننظر إلى الفن نظرتنا إلى كل شىء لا يستغنى عنه ، مثله كمثل الخبز والماء وعلى أنه جزء من حياتنا اليومية لا يتجزأ . وينبغى ألا يعامل الفن كضيف عابر ، ضيف يدفع أجر ضيافته ، ولكن كواحد من أفراد الأسرة سواء بسواء » ! ...

إن الحضارة الحديثة وتعقد مشكلاتها قد استبدت بالمواهب والعقول فوجهتها تبعاً لهذه المشكلات ، وما فيها من تعقد لم يدع لها من لحظات الفراغ ما يمكنها من استلهام الوحى فى الفنون الرفيعة ، وما أبعد الفرق بين الفنون فى ماضيها الغابر وحاضرها المشهود ! لقد كان الناس فى الماضى البعيد يعيشون للفن ويطربون له ويشجعون المواهب على أن تمضى فى طريقها فلا انحراف ولا اعوجاج وإنما اتصال مطلق بالطبيعة واستلهام لمظاهرها وروائعها ، فلما تعقدت الحياة وطغت المادة على كل شىء طغيانها القوى الجارف ، انحرفت المواهب عن ميادينها الأصيلة وانحرفت معها الأذواق »!

« *من وراء الأبد* » *وجرأة القصاصين العوام* :

قيل إن الذبابة هبطت يوماً على رأس الفيل ، فلما يئست من أن تشعره بوجودها قالت له : يا عزيزى ، إنى طائرة عنك ... ونظر إليها الفيل ضاحكا ثم قال : يا عزيزتى ، والله ما أحسست بك هابطة حتى أحس بك طائرة !!

تذكرت هذه القصة الطريفة وأنا أستمع لمن نقل إلى خبراً فحواه أن قصاصاً من القصاصين العوام ، اجترأ على أن يتهمنى فى إحدى الصحف اليومية بالسطو على أحد الأفكار من قصصه لتزدان بها قصتى « من وراء الأبد » ... أما هذا القصاص العامى النابغ الذى أراد أن يشعرنى بوجوده كما فعلت الذبابة الخالدة ، فهو السيد أمين يوسف غراب !

أود أن أقول لهذا القصاص الذى لا أشك لحظة فى أنه درس فن القصة فى كتاب القرية ؛ أود أن أقول له إنه لو قدر له أن يعاصر المثال الفرنسى العظيم رودان لألهمه الإبداع فى صنع تمثال يمثل الغباء النادر ... ذلك لأنه لو خطر لى أن أنقل فكرة عن أحد القصاصين ، فإن الذوق يفرض على أن ألجأ إلى أعلام القصة فى أدب الغرب . عندى مثلا فى الأدب الفرنسى بلزاك ودعاس وفلوبير وزولا وموباسان ، وعندى مثلا فى الأدب الروسى تولستوى ودستويفسكى وتورجنيف وتشيكوف وجوركى ، وعندى مثلا فى الأدبين الإنجليزى والأمريكى ديكنز ولويس ولورنس وبوموم .. فمن يصدق أننى أترك تلك القمم حيث يحلق النسور ، لأهبط إلى السفوح حيث يحلق الغراب ؟ !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تعليم اللغة بدراسة الأساليب :

عقد مفتشو اللغة العربية مؤتمراً بكلية دار العلوم في الأسبوع الماضي برياسة عميدهم الأستاذ مهدي علام ، ومن الموضوعات التي نظروا فيها موضوع دراسة قواعد اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية ؛ وقد انتهى المؤتمر في هذا الموضوع إلى أن تدرس اللغة العربية عن طريق اللغة نفسها نصوصها وأساليبها وتستخلص القواعد من هذه الأساليب من غير إسراف في الاصطلاحات النحوية المطولة . وقد عرض الفكرة على المؤتمر ، الأستاذ مهدي علام ، فلقي معارضة شديدة في أول الأمر من لدن أنصار النحو والقواعد ، ولكنه ما زال يبين وجهة نظره ويدلل عليها حتى وافقه الجميع إلا واحداً ، وكان عند بدء عرضها لا يؤيده فيها غير واحد ..

وقبل أن أعقب على قرار المؤتمر أبسط الموضوع بعض البسط فأقول : إن الطريقة الطبيعية في تعلم اللغة هي سماع مفرداتها وتراكيبها والتمرن على محاكاتها بالتعبير على مثالها ، حتى تصبح القدرة على هذا التعبير ملكة يصدر عنها القلم واللسان ، أما القواعد فهي ضوابط يقصد منها التحرز من الخطأ في اللغة لا تعلم اللغة نفسها .

وقد وضعت القواعد أول ما وضعت لذلك الغرض ولكن المشتغلين بها تدرجوا فيها إلى أن صارت دراسة مقصودة لذاتها في العصور المتأخرة ، وهي العصور التي انحطت فيها اللغة وركت أساليبها ، ومن المشاهد المعروف أن النحويين على قدر ما برعوا في صناعة النحو لحقهم العجز والضعف في ملكة التعبير والبيان ، على خلاف البلغاء من الكتاب والشعراء الذين لم يحصلوا من تلك الصناعة إلا القدر الضروري لضبط ما يقولون ويكتبون .

وقد رأينا في عهد التعلم معلمين يتوكؤون على الإعراب حتى في غير دروس القواعد ، فإذا عرض أحدهم البيت من الشعر مثلا شغل بأوجه الإعراب في ألفاظه عن وجه الجمال السافر فيه ، وكان لنا أستاذ ألف كتاباً سماه « ترويق الجو بتحقيق لو » ثم كان من فضل الله أن ضاع منه أصل هذا الكتاب قبل أن يدفعه إلى المطبعة فراق الجو بفقده ولم يكن من المنتظر أن يروق بتحقيق لو ..

وكم رأينا مدرسين يحولون دروس المطالعة والأدب إلى نحو وصرف لأنهما المجال الذي يحسنون الكلام فيه . وإن ناقشت هؤلاء في جدوى كثير من التفصيلات النحوية التي يخوضون فيها ، قالوا : إنها رياضة ذهنية . أوليس من العبث أن تنفق الجهود والأوقات في هذه الرياضة الذهنية العقيم ، في هذا العصر الذي تعددت حاجاته إلى أنواع المعرفة ؟

ولا تزال مناهج المدارس في اللغة العربية مثقلة بهذا النحو ، وخاصة في المدارس الابتدائية التي يبدأ فيها التلميذ تعرُّف اللغة العربية ، فالطفل في السنة الثانية مكلف أن يعرف الفاعل والمفعول به والمبتدا والخبر ، ومطالب بتكوين جمل تشتمل على مضاف إليه خبر ، ومضاف مبتدا ، ومنعوت مفعول به ... الخ ، وهو لم يتصور بعد هذه اللغة التي يطلب منه أن يحللها ويفهم مصطلحات قواعدها

ولا بد أن نذكر إلى جانب ذلك حقيقة بديهية مفهومة ، وهي أن اللغة العربية الفصيحة ليست لغة البيت والمجتمع الآن ، فلا بد إذن من ضوابط تعصم من الخطأ فيها ؛ ولنفرض أننا فرغنا من تصفية هذا الخليط من القواعد ومصطلحاتها وغربلته ، حتى حصلنا على القدر اليسير النافع منه ، فكيف ومتى يتعلمه الناشئ ؟ وهنا نصل إلى ما قرره مؤتمر مفتشي اللغة العربية ، وهو دراسة الأساليب واستخلاص القواعد منها ، وأقرر أولا أنه لا جدال في ضرورة الإكثار من المطالعة بأنواعها مع التشويق إليها والإكثار من التمرين على التعبير شفوياً وتحريرياً . ثم أسأل ما المقصود باستخلاص القواعد من الأساليب ؟ هل هو أن يبدأ بتعليم القواعد على طريقة الإتيان بأمثلة كثيرة واستنتاج القاعدة منها ؟ أو المقصود أن يترك الناشئ سنوات يسمع فيها اللغة ويقرؤها ويعالج التعبير بها ، بحيث يدركها إدراكا كلياً ، وبحيث يشعر بالحاجة إلى ضوابط لها ؟ وعند ذاك تنتهز فرصة تشوقه إلى

الضوابط ، فيعرَّف بها بطريقة مهلة ميسرة ؟

أما الطريقـة الأولى فهى المتبعة الآن ، وهى طريقة ملوجة ، لأن التلميذ لا يكاد يبدأ فى تذوق اللغة حتى يصدم بالقاعدة والمصطلحات ، والمأمول أن تمد المنـاهج الجديدة وفق الطريقة الثانية ليتحقق المنشود من دراسة الأساليب واكتساب ملكة اللغة من نفس اللغـة .

كابوس ليلة :

هو فلم « حلم ليلة » الذى عرض فى هذا الأسبوع لأول مرة بسينما أوبرا ، وهو من تأليف وإخراج « وجه جديد » فى الإخراج بمصر هو صـلاح بدرخان ، وبطلاه أيضاً وجهان جديدان هما وجيه بدرخان ونور الصباح ، واشـترك فى التمثيل من الممثلين المعروفين بشارة واكيم ومنسى فهمى .

آدم (بشارة واكيم) تاجر قماش شامى بمصر ، تحتال عليه امرأة من بنات البلد ، فتأخذ منه بضاعة وتغريه بأن يصحبها على أن تحضر له الثمن من زوجها الطبيب ، وتفلت منه فى عيادة الطبيب الذى ادعت أنه زوجها بعد أن أدخلت على الطبيب أن زوجها تاجر القماش مجنون ، فيفحصه ويدفع به إلى مستشفى المجانين ، ثم يهرب آدم من المستشفى ويعود ليستأنف عمله . وفى أثناء ذلك يتوجه ابن أخته نبيل (وجيه بدرخان) إلى عيادة الطبيب ليخاطبه فى أمر خاله ، وهناك يسمع غناء ، فينظر من نافذة بسـور الحديقة ، فيرى بنت الطبيب نجاح (نور الصباح) تغنى ومعها فتيات يرقصن . ثم يدخل من الباب ويلتقى بنجاح ويقول لها إنه موسيقار ، وقد سمع صـوتها فأعجب به ، فتستصحبه إلى ملعبهن فى الحديقة حيث يعزف لهن ، وبعد ذلك يصير معلماً لها فى الموسيقى ، ويتبرم به رشاد ابن عم نجاح ، ويحـاول أن يحقره أمام نجاح فتقهره ، وينشأ حب بين نجاح ونبيل ، ويفاجئهما أبوها فى وضع غرامى فيغضب ويطرد الموسـيقار العاشق . ويحاول رشاد أن يكسب ود نجـاح ويخطبهـا إلى أبيها ولكنها تعرض عنه وترفض خطبته ، فيخرج ساخطاً ، ثم يلجأ إلى الانتقـام فيسرق خزانة عمه ويدب على ابنـة عمه ليلا ، ويحرض عليـه المجانين فى المستشفى فيعتدون عليه اعتداء يذهب ببصره ، ثم يختفى لدى قبيلة من الأعراب . ويتوجه نبيل هو وخاله إلى الطبيب ،

كشكول الأسبوع

◘ وافق مجلس الوزراء فى اجتماعه الأخير على أن ينشأ فى القاهرة معهد للدراسات العلمية الخاصة بالسودان باسم « معهد السودان » على أن يكون ملحقاً بجامعة فؤاد الأول مستقلا عن كلياتها ، ويكون طلابه من خريجى كليات الجامعة وما يعادلها .

◘ أصدر معالى وزير المعارف أمراً بتأليف لجنة يرأسها الأستاذ محمد شفيق غربال بك وكيل الوزارة ، لدراسة موضوع عقد مؤتمر لحضارات دول البحر الأبيض المتوسط باعتبارها أساس الحضارة الإنسانية . وأهم مشروعات هذا المؤتمر إنشاء معهد فى كل دولة من تلك الدول لدراسة حضارتها دراسة عالية .

◘ جاء فى بعض الأنباء أن القوات الأمريكية بألمانيا تحتفظ برأس نفرتيتى ولا تريد أن تعيده إلى مصر لأن الرئيس ترومن قد أغرم به ... وقد صب هذا الرأس لعنة الفراعنة على رأس هتلر ، فليحذر ترومان هذا الغرام !

◘ يقام بباريس فى سبتمبر القادم معرض « مصر — فرنسا » تعرض فيـه أعمال فنية مصرية ، وتعتزم مصلحة الآثار أن تبعث برأس أخناتون إلى هذا المعرض ، فهل نأمن الغرام الفرنسى على هذا الرأس ؟ أقترح على مصلحة الآثار المصرية أن تؤمن على كل تمثال مصرى ضد « الغرام » الأجنبي .

◘ مما نظر فيـه مؤتمر مفتشى اللغة العربية ، موضوع الإنتاج الأدبي للمدرسين ، وقد حـدده المؤتمر بأنه ما يضيفه المدرس — خارج النطاق المدرسى — إلى الإنتاج الأدبى العام ، ورأى أن يكون الإنتاج اقيم من أسـباب ترقية صاحبه وتقديمه فى الوظائف الأدبية والثقافية .

◘ عهدت وزارة المعارف إلى الأسـتاذ زكى طليمات أن يقوم بدراسة فن الإخراج فى الهواء الطلق ، وهو الآن بإيطاليا يشتغل بهذه الدراسة . هذا وقد رفض أخيراً اعتماد إنشاء مسرح صيفى فى القاهرة ، فهل يطبق الأستاذ طليمات ذلك الفن — بعـد عودته — فى صحراء الإمام أو فوق تلال زينهم ؟

◘ لا يسعنى — بعد أن قرأت قصـيدة « طمأنينة السماء » للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان ، فى العدد الماضى من الرسالة — إلا أن أقول : إيه يا فدوى ! .

◘ يجتمع المؤتمر العام لهيئة اليونسكو بباريس فى التاسع عشر من شهر سبتمبر القادم ، ويستمر إلى أول أكتوبر الذى يليه . ومن المسائل المدرجة فى جدول أعماله مسألة مساعدة الفنية للبلاد التى لم تتوافر لها الأسباب لاستغلال مواردها .

◘ كتبت اليونسكو إلى وزارة المعارف تقترح إيفاد أحد الطلبة المصريين للتخصص فى دراسة الآثار والمتاحف والمسارح لمدة ستة أشهر بمتحف اللوفر بباريس على نفقة اليونسكو ، وذلك توكيداً لاتصال تلك الهيئة بثقافات الشرق الأوسط .

فيتوددان إليه ويخطب آدم نجاح لابن أخته نبيل فيرحب بهما أبوها الطبيب . ويجدُّ نبيل وخاله آدم فى البحث عن رشاد حتى يعثرا عليه فى البادية ، فيفر ويلحقان به ومعهما بعض الأعراب ، فيقتلونه ، ويعود نبيل بالنبأ إلى مخطوبته ، والدها الضرير الذى يسر ويضمهما إلى صدره ، ولا بد أن يعود إليه بصره فى هذا المنظر الأخير ...

والقصة كما تراها فارغة لا غاية لها ، وقد حشيت مناظر قصد بها الإضحاك ، ولـكن المضحك حقاً هو نفس الحوادث الجدية فيها فمثلا هذا الشاب (نبيل) البطل المحبوب الذى يفترض فيه « النبل » يقف ليختلس النظر إلى عورات الناس من النوافذ . . وما يكاد يدخل حتى تلتقطه الفتاة وفى منتهى السرعة والسهولة يصير لهـا معلماً ويأتى أبوها تواً ويسأل عن هذا (الأفندى الغريب) ويوافق فى الحال !

ولا أدرى لماذا أباحت نجاح لنفسها أن تشتم ابن عمها وتهينه عند ما أراد أن يخطبها ولم تظهر لنا الحوادث قبل ذلك أن شيئاً بدر منه يستحق عليه هـذه الشتيمة التى لا تليق ببطلة الفلم ، والغريب أن ما ارتكبه من الحوادث يأتى بعـد ذلك ، فـكأنها كانت تؤنبه مقدماً ! وكان منظر دبيب رشاد إلى ابنة عمه داعياً إلى الاشمئزاز وكان يمكن أن ترتبط الحوادث دون الوقوع فى هذه الزلة . وكانت خاتمة الأضاحيك هى ختام القصة بذلك المنظر الذى عاد فيه البصر إلى الرجل لأنه سر بقتل ابن أخيه المجرم وزواج ابنته من حبيبها ، وهى طريقة فريدة فى علاج العمى واسـترداد النظر ، جديرة بأن يلتفت إليها أطباء العيون أو بأن يستغنى بها الناس عنهم .

وأخلص بعد ذلك إلى ثلاثة عناصر حشى بهـا الفلم بقصد التسلية والإمتاع أو قل لملء فراغه من القيمة الموضوعية ، تلك العناصر هى : روعة المناظر ، والحوادث المضحكة ، ثم الرقص والغناء . من الأولى منظر البدو فى الصحراء وعدو الخيل ومطاردة الفرسان ، عند ما عثر على الجانى هناك . ولا تدرى لم اختفى الجانى ولجأ إلى تلك القبيلة ولم يصدر أمر بالقبض عليه ولم يجر أى إجراء لمحاكمته ، ولـكن الرغبة فى عرض المنظر نفسه جعلت الأعراب مكان الشرطة ، وجعلت الموسـيقار الفنان يجيد الرماية ويطلق الرصاص على منافسه فى الحب فيرديه قتيلا !

واما المضحكات فقد أخذ لها فى الفلم بشاره وا كيم ومنسى فهمى ، ووضع الثانى فى موضـع رجل بخيل يقتر على زوجته ، فيحتال لها جارهما آدم (بشارة) ويمثل للرجل الأشباح والأرواح ليفزعه ويهدده إن لم يوسع على زوجته وإن لم يذهب إلى (آدم) ويعطيه مقداراً كبيراً من المال ، وهذه الحادثة مثل مما ربط إلى القصة من غير حاجتها إليه ليضحك ، ولـكنك ترى أنها أفسدت شخصية آدم إذ جعلته محتالا على أخذ مال الغير وهو ليس شريراً فى القصة . ولم يكن بشارة وا كيم واضح الدعابة ولاخفيف الظل فى هذا الفلم ، ومن أسباب ذلك التواء لسانه وتـكلفه تقليد اللهجة الشامية . أما منسى فهمى فـكان متقناً لدوره ظريفاً إلى حد ما .

وتأتى بعد ذلك ثالثة الأثافى : الغناء والرقص ، وقد امتلأ الفلم بالغناء من البطلين نور الصباح ووجيه بدر خان ، وهو غناء متوسط الحال ، لا هو مطرب ولاهو مضحك ، ولـكن تكراره والإكثار من مواقفه والانهماك فيه ، بلغت به درجة الطرف الثانى . ولا أريد أن أسترسل فى وصف غناء هذين المطربين ، خشية أن تضمهما الإذاعة إلى مطربيها... وحسب الناس مايلقون من هؤلاء . والحق أن الموسيقى كانت جيدة .

ومن تعمد مواقف الغناء والرقص أن آدم مر فى طريقه وهو هارب من المستشفى بعرس فيه راقصة ومغن ، فتفرج عليه ومضى فى طريقه .. ولم يكن لهذا العرس أية صلة بحوادث الفلم غير ذلك وهذه الراقصة هي الوحيدة التى ترقص فى الفلم على أصول الفن ، أما بقية المناظر الراقصة فهى اجتهادية فطرية ، وقد أوحى اهتزاز الفتيات اللائى يرقصن فى أحد المناظر إلى خيالى منظر (بلاليص) على عربة (كارو) تركت بلا ربط فراحت تتمايل على صرير المجلتين ووقع حوافر الحمار .

والوجهان الجديدان صالحان للتقدم فى التمثيل ، ولـكن ينبغى ألا يعتمدا كثيراً على الغناء .

عباس خضر



المصريون فى نظر أنفسهم :

دعينا لسماع محاضرة سنوية يلقيها الأستاذ مصطفى شاهين برحبة نادى فاروق الرياضى حيث تطل على شاطىء البحر ، ويحتشد فيها الجمع المثقف فى جو ينعش الوجدان ، ويسحر العقل — مرة فى كل عام — !

وكان موضوع المحاضرة « شائقاً — شائكا » — على حد تعبير المحاضر — ، لكنه اقتدر على تقديم الأزاهير من بين الأشواك فى بيان أخاذ جامع بين لغة الخاصة والتنزل إلى الأسلوب الدارج . ولقد أبان قسمة الأمم بتواضعها ، واعتزازها وغرورها ، موضحاً المفارقة بينها ونصيب مصر منها قائلا : إن المصرى يعنف فى الحكم على أمته مدفوعاً بتوثب طبيعة النقد لديه ؛ لكنه يسرف إلى حد إغفال حقه نحو وطنه ؛ فيرميه رميات كلها تسقط السقطات !

وقد عرَّض بمن يدعون الثقافة وينعون على الوطن أوضاع الحياة ، ويتخذون من الحوادث الفردية قاعدة عامة للسلوك الاجتماعى ويجعلون همهم الزراية عليه فى أساليب غير مهذبة تحط بالكرامة الوطنية .

وألمع إلى قول فولتير : « إن الشعور بالنقص أول درجات الكمال .. » وعقب على هذا القول بأنه يعنى به « الشعب الناقد الساخر لاينقد نفسه لذات النقد بل لدافع قوى يحضه على الكمال . لكن هذا المعنى ليس ممثلا تمام التمثيل لدى الزارى المنتقص لوطنه ، لأنه يتخذ أسلوب نقده لتجاهل قيمته .

ثم استطرد المحاضر عارضاً خصائص تفكير الأمم فى النقد معرضاً ببعضها على طريقته الساخرة ، وخلص من العرض إلى وجوب قيام معرفة النقص على ركنين أساسيين أولهما « الكرامة الوطنية » المقصود بها الاعتزاز بالوطن عند نقده ، وثانيهما « معرفة الواجب نحو الكمال » باتخاذ الأسباب المهيئة له .

ولقد سوغ حدة ثورة النقد بفترة الانتقال التى شبهها « ببكارة الفتاة ، ووثبة بلوغ الفتى » قاصداً عدم القصد فى هذه النزوة ؛ فكأنه يبرر ما يبدو من نظر المصرى لنفسه على الطريقة المسرفة ، لكنه يدفع هذا التبرير بوجوب « التوجيه » فى أسلوب مقصود به الإصلاح فى شتى مناحيه .

وكنا نود أن يلمع الأستاذ إلى نزوات بعض المبعوثين الذين يعدون التقاط بعض الثقافة الغربية « بعثاً » لهم بعد موت شرقى !

فالعقول المستنيرة تفشيها غشاوات هؤلاء الضالين المترامين تحت أقدام الغرب وهم يضعون السم فى الدسم استجابة لرغبة جامحة يقصد بها الخفض من رفعة وطنهم ملقاً لمظاهرة كاذبة ، وظواهر مخدوعة ! على أنا ننوه بقدرة المحاضر على الاستمالة ، وإبداعه فى العرض وإخضاعه العبارات التى تستعصى على أفهام السواد . ونعتقد أن « الرُّوع » القلب أو الروح و « الرَّوع » الفزع ؛ فقد وردت مرات متعددة فى المحاضرة على غير وضعها ، لكن هذا لن يغض من قيمة هذه المحاضرة القيمة التى يجب أن تكون نواة محاضرات متصلة بالوطنية التلاقية مع الوعى القومى فى حياتنا الماثلة !

بور سعيد **أحمد عبد اللطيف بدر**

كلمة هادئة إلى المعقبين المغوبين :

فى البريد الأدبى من العدد (٨٣٤) من الرسالة ، وقعت على كلمة موجزة تحت عنوان « تعقيب على تعقيبات » للأستاذ الفاضل محمد غنيم ... فى هذه الكلمة ذهب الأستاذ غنيم إلى أن قولى « لم يكن يعرف » قول بين الخطأ ، وصواب الجملة حسب استعمالات العرب أن ترى على هذه الهيئة « لم يكن ليعرف » ، لأن كان المنفية بما ويكن المنفية بلم ، لا يرد بعدها الفعل المضارع إلا مسبوقاً باللام المؤكدة للنفى ويسمونها لام الجحود . وقد ورد القرآن الكريم بهذا الاستعمال ، قال تعالى : « لم يكن الله ليغفر لهم »

ولما كنت أعلم تمام العلم أن التعبير صحيح لا غبار عليه ، وإن كان المنفية بما ويكن المنفية بلم لا يتحتم ورود الفعل المضارع بعدهما مسبوقاً بتلك اللام ، لما كنت أعلم هذا فقد رحت أجمع للاستاذ كثيراً من الشواهد من القرآن والحديث وأدب العرب شعره ونثره ، ولكن ... ولكننى فى الوقت الذى تأهبت فيه للرد كفانى الأستاذ مؤونة الرد ! لقد عاد الأستاذ غنيم فى العدد الماضى من الرسالة فتطوع من تلقاء نفسه بتقديم الأدلة على صحة التعبير الذى خطأنى فى استعماله ، ولم ينس أن يستشهد ببعض الآيات من القرآن الكريم !

أود بهذه المناسبة أن أوجه كلمة هادئة إلى المعقبين اللغويين ، هى أن يتريثوا قبل أن يكتبوا ، وأن يحتشدوا لموضوعهم قبل أن يعقبوا ... لأن العجلة من الشيطان ، وما أغنى صاحبها عن الحرج الذى يدفع به آخر الأمر إلى ما يشبه الأسف والاعتذار !

أنور المعداوى

زوج وزوجة :

جاء فى المصباح وشرح القاموس

قال أبو حاتم وأهل نجد يقولون فى المرأة زوجة بالهاء . وأهل الحرم يتكلمون بها . وعكس ابن السكيت فقال وأهل الحجاز يقولون للمرأة زوج بغير هاء ، وسائر العرب زوجة بالهاء وجمعها زوجات . والفقهاء يقتصرون فى الاستعمال عليها (زوجة) للايضاح وخوف لبس الذكر بالأنثى إذ لو قيل : تركة أو فريضة فيها زوج وابن لم يعلم أذكر هو أم أنثى أهـ .

وجاء فى لسان العرب

وبنو تميم يقولون هى زوجته وأبى الأصمعى فقال زوج لا غير ، واحتج بقول الله عز وجل : (اسكن أنت وزوجك الجنة) فقيل له نعم كذلك قال الله تعالى فهل قال عز وجل لا يقال زوجة ، وكانت من الأصمعى فى هذا شدة وعسر أهـ .

من هذا يظهر أن جميع العرب يقولون زوجة ما عدا الحجازيين وعبروا بها فى شعرهم ونثرهم كما أن العلماء ورجال الشرع يؤثرونها على زوج دفعا للاشتباه . وأرى أن نخصصها للمرأة ونخصص الزوج للرجل ، ولا سيما فى لغة التخاطب .

على حسن هلالى
بالمجمع اللغوى

براعوا لا براع :

علق الأستاذ السيد صقر فى العدد ٨٣٣ على تعليق الأستاذ كرد على على البيت :

يراعوا إذا ما كان يوم كريهة وأسد إذا أكل الثريد فظاظ

فقال : والصواب يراعٌ لا يراعوا . وأقول للأستاذ الفاضل إن يراعوا هى الصواب وهى من الروع بمعنى الفزع قال قطرى بن الفجاءة :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تراعى

ولو قرأ الأستاذ الفاضل هذه الأبيات لأدرك أن الكلام عن جماعة لا عن فرد ، وأن يراعاً بمعنى جبان لا تصدق على الجماعة إذ تأتى للمفرد فقط . قال فى الأساس : « ومن المجاز وهم للجبان الذى لا قلب له هو يراعة ويراعٌ قال ... فارسٌ فى اللقاء غير يراع . كذلك خطأ الأستاذ « فيزين له الكأس » وأوجب تأنيث الفعل ونسى الأستاذ أن الكأس مجازية التأنيث يجوز معها تأنيث الفعل وتذكيره . وأخيراً للأستاذ الناقد تحياتى وإعجابى .

عمر إسماعيل منصور

من صحيح العربية :

مما يجرى على ألسنة العامة كثيراً حتى ليظن أنه عامى ، ولا يمت إلى الفصحى بسبب قولهم : « فلان يفك المشاكل » يعنون أنه يحل المعقد من الأمور ، وهو بهذا المعنى ورد فى اللغة .

ففى « تاج العروس » — وهو يفك المشاكل — الأمور الملتبسة — جـ ٧ ، ص ٣٩٤ .

ومن هذا القبيل قولهم : « شكل فلان كذا ، ظريف أو جميل » يقصدون صورته — وبهذا ورد فى اللغة فى « اللسان » شكل الشىء صورته المحسوسة والمتوهمة .

من الأخطاء — أبحاث — والصواب — بحوث — يدور هذا الخطأ على ألسنة الخاصة ، ويرد فى كتاباتهم مع أن القياس لا يجيزه ، وكتب اللغة لم تذكره .

« اللسان » اقتصر على ذكر البحوث جمعا — لبحث — ومثله — تاج العروس — و « الأساس ، ومحيط المحيط » والمختار ، والمصباح» لم يتعرضوا له . والغريب أن صاحب « أقرب الموارد » يذكره — ونص عبارته « البحث : طلب الشىء تحت التراب وغيره ، ج — أبحاث — ولنا أن نسأل : ما مصدره ؟

رياض عباس
دبلوم فى التربية ، وعلم النفس

تصحيح :

فى العدد الأخير من الرسالة وقع خطأ فى ترقيم الصفحات فذكرنا بعد رقم ١٠٩٩ رقم ٢٠٠٠ وكان اللازم ١١٠٠ .



اللهجات العربيـــة (*)

للدكتور ابراهيم أنيس

الأستاذ المساعد بدار العلوم

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

ما من شك أن أستاذنا الدكتور أنيس قد بذل مجهوداً عظيما فى كتابه اللهجات العربية ، وحاول مشكوراً تطبيق ما تخصص فيه من علم الأصوات الحديث على ما ورد إلينا من اللهجات العربية وسيجد القارئ تبويباً مرتباً وتسلسلاً مرتبطاً فى عرض واضح لفكرته التى يسوقها وهو يكاد يقنعنا بموافقته على آرائه وقد أبدع فى أغلب فصول كتابه الستة ودل — كما نعهده — على علم فياض

وإذا جاز أن تكون العادات والتقاليد فى جميع العالم خاضعة لناموس واحد ، جاز لنا أن نقهر جميع اللهجات العربية على الخضوع لما استنتجه الأوربيون من دراستهم للهجاتهم وأصواتهم ولكن ما أحسب أن العوامل التى أثرت فى التقاليد الإنجليزية مثلاً تتفق مع العوامل التى أثرت فى التقاليد العربية تمام الاتفاق فليست البيئة كالبيئة وكذلك فى اللغة ليست الحروف فى أكثرها كالحروف وإذا كانت نظرية الطب أن سوء التغذية مثلاً يسبب ضعفاً عاماً فليس كل ضعف عام فى الطب يرجع إلى سوء التغذية ولكن الظاهرة التى نلاحظها فى كتاب أستاذنا هى وجوب إخضاع اللهجات العربية بدون قيد ولا شرط لما قرره علم الأصوات الحديث فإذا وجدنا بعد البحث أن كثيراً من الظاهرات العربية فى لهجاتها غير منطبق على ما قرره طعنّا فى رواية الرواة مهما بلغت من القوة .

فى رأيى أن هذا الاتجاه غير مستقيم ، فليس من العدل أن أفرض النظريات فرضاً ، وإنما العدل أن أدرس وأستقصى ثم أحاول استخلاص قواعد غالبية غير مكتف بمثل أو بضعة أمثلة . لكنه كما قدمت جعل نظريات علم الأصوات الحديث قضايا مسلمة تنطبق على اللهجات العربية تمام الانطباق ، مع أن النظريات الهندسية لا ينطبق فيها كل مثلثين إلا إذا تساوى فى الفرض ضلعان والزاوية المحصورة بينهما أو زاويتان وضلع . كما أن الطب إذا وجد أغراضاً حاول أن يطبق عليها علمه السابق فإذا وجد فيها نوعاً من المغايرة بحث عن الأسباب ودرسها لا أنه ينكرها أو يخضعها بالقوة لمعلوماته .

أول ما يطالعك كتاب اللهجات العربية فى مقدمته ويتكرر فى ص ٣٢ : « ولسنا نعلم مؤلفاً من علماء العربية على وفرتهم واهتمامهم بكل دقائق الدراسة اللغوية عنى باللهجات العربية عناية خاصة فأفرد لها كتاباً مستقلاً » لو أنه قال لم يصلنا مما ألفه علماء العربية كتاب مستقل باللهجات لكان محقاً لكن إنكاره عليهم العناية باللهجات العربية حكم جائر ، ولقد رجعت إلى كلمة كتبتها فى كراساتى(١) من زمن فوجدتنى كتبت منها ما يأتى : وليس إفراد كتاب فى لغات العرب بالأمر المستحدث ، فقديماً كتبت فى هذا الموضوع مصنفات أفردها أعلام العربية بالتأليف ، وأول من أفرد كتاباً فى لغات العرب هو يونس بن حبيب ونسج على منواله الأصمعى وأبو زيد الأنصارى وأبو عبيدة وجرى على نهجهم أبو عمرو الشيبانى والفراء ثم ابن دريد وغيره ، إلا أن أيام الشقاء فى بغداد والعراق التى جلبها المغول إليها كانت أشد شقاء على العلم والأدب فعبثت أيديهم بما أنتجته القرائح الفذة وأتت على مجهود كثير من العلماء الأعلام ، فلا يوجد بين أيدينا — فيما أعلم — كتاب ينفرد بلغات العرب ، وقد قرأ هذه الكلمة أستاذنا المرحوم الجارم بك أيام أن كان عميداً بالنيابة لدار العلوم منذ ثمانية أعوام ، وفيها بخطه لفظان بالقلم الأحمر عدلها . أرجو أن يراجع الدكتور تراجم من قدمتهم وغيرهم فى كتاب ابن خلكان ومعجم الأدباء ، وسيجد أنهم عنوا باللهجات العربية عناية خاصة وأفردوا لها كتباً مستقلة ، ولكنها مع الأسف لم تصلنا ، وقد تكون مختفية فى ثنايا مكتبات العالم تنتظر من يخرجها .

فى ص ٤٢ « ولكن الذى قد يدعو إلى الدهشة أن قراءة

(*) ١٨٤ صفحة طبع بمطبعة الرسالة

(١) أردت بها أن تكون مقدمة لكتاب لى عن اللهجات جامع لها

أبي عمرو وتلميذه يعقوب لم تنتصر للامالة إلا في مواضع خاصة نصت عليها كتب القراءات ، ولعل الصراع العلمي الذي كان بين الكوفة والبصرة هو الذي دعا إلى أن تتخذ البصرة طريق الفتح في معظم المواضع حتى لا تشبه الكوفة في إمالتها » ...

حقيقة أن يعقوب لم ينتصر للامالة إلا في مواضع خاصة ، أما أبو عمرو فهو من الذين انتصروا للامالة ومن المكثرين فيها — براجع اتحاف البشر — غاية ما في الأمر أن الإمالة قسمان كبرى وهي التي تسمى الاضجاع والبطح ، ومتوسطة وتسمى التقليل والتلطيف ، وأبو عمرو يميل إمالة كبرى تارة ويميل إمالة متوسطة مرة أخرى ، ولكنه على كل حال من القراء المكثرين في الإمالة ، أما أن الصراع العلمي الخ ففيه نظر حيث إن القراءة سنة متبعة تؤخذ بالتلقي والرواية لا بالتشهي والهوى ، وقد يخالف القارئ من حوله لتلقيه عن شيوخ آخرين متأثراً بما تلقاه عنهم ، ولهذا لم يكن من الغريب أن عاصماً خالف الكوفيين في إمالتهم لأنه قال لحفص : ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن عليّ . والقراءة التي أقرأتها أبا بكر بن عياش هي القراءة التي كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود .

في ص ٤٦ « في مثل الفعلين باع ، وقال يظهر أنه قد أتى عليهما حين من الدهر كان ينطق بهما بيْعْ وقوْلْ بفتح فسكون ثم تطور الصوت الأول « ai » إلى « e » والصوت الثاني « aw » إلى « o » ثم تطور إلى « a » أي أن فتحة باء الكلمة في الفعل الأول قد أميلت إلى الكسرة وفي الفعل الثاني قد أميلت إلى الضمة — وحقه أن يقول تخمت لأن هذا هو الاصطلاح كما في النشر وكتاب سيبويه ومفصل الزمخشري — ثم تطورت الإمالة إلى الفتح باع وقال » .

اين الدليل على أنه أتى عليهما حين من الدهر كان ينطق بهما بيْعَ وقوْلَ مع أن الأفعال الماضية الصحيحة وهي الأكثر متحركة الوسط ويقاس على وزنها الأجوف ولِمَ لم تكن مثلا من أول أمرها قال وباع والطفل يقول بابا وماما من أول الأمر وهل اللفظ الإنجليزي made كان أصله مثلا maid ثم تطور فصار made وأنه ينتظر تطوره إلى mad التي بمعنى آخر محافظاً على معناه وهل لفظة sad مثلا كانت said ثم تطورت إلى sade ثم صار أخيراً sad حيث يقول لنا في ص٤٧ تلك هي المراحل التي تبررها القوانين الصوتية ، وهل لفظة home كانت haim ثم تطورت إلى home وستصير مستقبلا ham وأرجو ألا يحتج على بمثل write وماضيها wrote لأن الأول مضارع والثاني ماض ، وإلا فهمت أن الأول كان يستعمل الماضي أولاً ، ومع ذلك فهل سيصير مستقبلا rat بالمعنى الأصلي لا المعنى الحالي ، ثم ما قوله في الشعر الآتي :

ليت وهل ينفع شيئاً ليت ليت شبابا بوع فاشتريت

و : حوكت على نيرين إذ تحاك تختبط الشوك ولا تشاك

في ص ٥٢ « ثم قسموا الإدغام إلى كبير وهو الذي فيه يفصل بين الصوتين الساكنين صوت لين قصير « أي حركة » وقد نسب الإدغام إلى أبي عمرو بن العلاء ، وهذا النوع من الإدغام يتطلب عمليات صوتية معقدة قبل أن يتحقق .. أما النوع الثاني للادغام عند القراء فهو الإدغام الصغير وفيه يتجاوز الصوتان الساكنان دون فاصل من أصوات اللين وهو الذي شاع في معظم اللغات لأن شرط تأثر صوت بآخر هو التقاؤهما التقاء مباشراً »

أما أن الإدغام الكبير يتطلب عمليات صوتية معقدة قبل أن يتحقق ففيه نظر لأنه لا فرق بين الصغير والكبير إلا أن الكبير يكون فيه المثلان أو المتجانسان أو المتقاربان متحركين مثل : لذهب بسمعهم و يشفع عنده . والصغير يكون أولهما ساكناً مثل : اضرب بعصاك واذهب بكتابي ، أما شروط تأثر صوت بآخر هو التقاؤهما التقاء مباشراً ففيه نظر أيضاً لأن كلمة سراط ومسيطر وباسط وغيرها تأثرت السين بالطاء فقلبت صاداً أو أشمت فقرئ صراط ومصيطر وباصط . الخ وقرئ بعضها بالإشمام وكلها قراءات صحيحة مسموعة وليس الالتقاء فيها مباشراً بل فصلت بينها أصوات ساكنة وأصوات لينة .

ص ٥٧ « على أنه قد روى أيضاً أن بعضاً من تميم يقلبون الهمزة الساكنة إلى صوت لين من جنس حركة ما قبلها فيقولون في رأس وبئر وشؤم على الترتيب راس وبير وشوم » .

لقد نقل هذا الخطأ عن حفني ناصف بك فليس هناك كتاب ينسب إلى تميم أو بعضها تسهيل الهمزة ، لأن التميميين أحرص العرب على النبر وذلك بإجماع كتب اللغة ، فمن أين جاء به و كيف تجمع القبيلة بين متناقضين ؟ وقد يجاب أن أبا عمرو التميمي كان يسهل كثيراً من الهمز في قراءته ولكن الجواب قد قدمته في مقالي المنشور بالرسالة في العدد ٨١٣ عن أبي عمرو وهو أنه تأثر بشيوخه الحجازيين وهم أكثر من أخذ عنهم ، وكانت نشأة أبي عمرو الأولى في مكة والحجاز .

ص ٦٣ ذكر ما اختلفت فيه القبائل من جهة الإعراب

وأورد .. ليس الطيب إلا المسك وما الحجازية وإن النافية وكم الخبرية — مع ملاحظة أنه وضع علامة استفهام بعد أمثلة كم الخبرية ولعله سهو — ولعل والجر بها ومتى .. الخ ثم قال فى ص ٦٥ «والحق أن هذا النوع من الاختلاف الإعرابى لا يمت للهجات العربية بصلة ، وإنما هو من صناعة النحاة حين اشتد الجدل بينهم فلم تكن لهجات الكلام عند القبائل تلتزم الإعراب على الصورة التى رويت لنا فى كتب النحاة ، وإنما التزم الإعراب على تلك الصورة فى اللغة الأدبية التى نزل بها القرآن الكريم ونظم الشعر» ثم قال فى ص ٦٦ «وإلا فكيف يتصور من الناحية الصوتية أن لساناً يعجز عن نصب خبر ما أو نصب اسم لعل أو جر تمييز كم الخبرية »

ونحن قد نسلم أولا — جدلا — أن هذا من صنع النحاة فكيف رضى فى صفحة ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ أن يعتبر صنع النحاة يمت للهجات العربية حين يقول إن القبائل البدوية تميل بوجه عام إلى الضم واستشهد له ص ٧٣ بورود : ياأيهُ الناس ونحن الذون صبحوا الصباحا وأن بنى تميم يعربون أمس . فكيف تصورنا هنا أن لساناً يعجز عن ياأيها الناس ونحن الذين وبناء أمس على الكسر أم أننا حين نقرر نظرية ننكر وحين نقرر نظرية أخرى نثبت ؟ ومع ذلك فإن هذه الاختلافات الإعرابية التى نسبها إلى صنع النحاة قد جاءت فى القراءات والشعر ، فقد قرأ ابن مسعود : ما هذا بشر ، وقرئ فى رواية المفضل عن عاصم : ما هن أمهاتُهم بالرفع . وورد فى الشعر :

لعل أبى المغوار منك قريب   متى لجج خضر لهن نئيج

فلا معنى لأن نكذبهم فى كثير ونصدقهم فى قليل بدون مبرر

ص ٧٠ « القبائل البدوية تميل إلى الأصوات الشديدة فى حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام ، فالباء والتاء والدال والكاف وغيرها من الأصوات الشديدة قد نسمعها فى أفواه المتحضرين : فاء . سيناً . زاياً . شيناً . على الترتيب » أما أنا فأعترف أننى لم أسمع أحداً من المتحضرين يفعل ذلك ، ولعلنا سنسمع فى المستقبل من ينطق جملة : بركت دابتك هكذا : فرشس زافسبسن ، وجملة بنيت بيتى عندكم هكذا : فنيس فيسى عنزشم ، وحينئذ ننتقل بالتحضير إلى الرطانة.. أما إذا كان قصده بالتاء الثاء وبالدال الذال وحدث خطأ مطبعى فأقول أيضاً إن الثاء حالياً تنطق تاء توب . تلاتة . تور . تعبان .. الخ والذال تنطق دالا : دهب . ديب . ديل .. الخ ومع ذلك تبق الباء والكاف فنسمع جملة بشذنك ما فى ذا كرتى هكذا فسستش ما فى زاشرتى .

ص ٨٦ « أجمع الرواة على نسبة صفة خاصة لقبائل ربيعة سموها أحياناً بالكشكشة وحيناً آخر بالكسكسة ... ثم قال ونحن حين ننظر إلى هذه الروايات على ضوء القوانين الصوتية نستطيع أن نستخلص أموراً :

١ — أن الكسكسة بالسين لا وجود لها فى اللهجات العربية
٢ — أن الكشكشة مقيدة بكاف مكسورة ..
٣ — ليست الكشكشة مقيدة بحالة الوقف .
٤ — لا بد فى الكشكشة أن تحل الشين محل الكاف .
٥ — أن ما خيل للقدماء أنه شين ليس شيناً خالصة — وأراد حرف « تش ch » ثم يقول وهذا الصوت هو نفس ما سمعه القدماء فى تلك الظاهرة ، ثم نقل حفنى ناصف أن لهجة بلدتى شرويدة وزنكلون وما حولهما من مديرية الشرقية يجعلون الكاف كالشين فى مثل الكلمتين : كلب وكتاب . ثم يقول : « وعلى هذا فلا شك أن أهل شرويدة وزنكلون ينطقون بكلمة كلب على أنها مكسورة الكاف ... »

إن أغلب الرواة والكتب القديمة والحديثة يقرنون الكشكشة بالكسكسة ولا يفردونهما . واختلافهم إنما هو فى نسبة كل منهما إلى القبيلة — انظر الصاحبى والقاموس وشرحه ولسان العرب والصحاح وكافية ابن الحاجب والأشمونى وخزانة الأدب — وليس كل منهما قد نسبه معظم الرواة إلى قبيلة واحدة فقد نسب إلى تميم وإلى أسد ، وإلى هوازن من قيس ، وإلى بكر من ربيعة وإلى مضر عموماً شاملة تميماً وقيساً وأسداً ، وإلى ربيعة عموماً شاملة بكراً وتغلب . ومن مجموع هذه الروايات يتبين أن الكشكشة والكسكسة موجودتان . على أن الدكتور أنيس فى قسم المترادفات ص ١٤٥ ذكر أنه قام بجمع عشرات من الكلمات مع ذكر العلاقة الصوتية بينها ، ومما ذكره ص ١٥٢ تحت اختلاف المخرج : الرعس والرعش . والغبس والغبش .الخ » كما أننا نجد كثيراً من الأطفال وبعض الكبار يجعلون الشين سيناً . فإنكار الكسكسة ليس له ما يبرره بل يجب أن ندرسه . أما أن الكشكشة مقيدة بكاف مكسورة وإلزام أن يكون أهالى شرويدة وزنكلون وما حولهما من مديرية الشرقية ينطقون بكلمة كلب على أنها مكسورة الكاف فهو إلزام بدون ملزم إذ ليس من ذكرهم يكسرون الكاف فى كلب ولا كون ، ولم يقل ذلك من نقل عنه مع أنه نقل كسر أول المضارع فى موضوع آخر تحت

ملاحظة أخرى . على أن اللهجات العامية فيما كان على وزن فِعال وفُعال بضم الأول أو كسره كـكتاب وحصان وبساط وغراب وصداع يسكنون فاء الـكلمة فيقولون كْتاب وغْراب وذلك البدء بالساكن موجود فى اللغات الأخرى Flag brass كما أن حرف تش ch ينطق فى كثير مفتوحاً « charm chap chánt chaff char » . والرواة لم يقيدوا الكشكشة بحالة الوقف ، بل قالوا من الناس من يجرى الوصل مجرى الوقف ورووا فميناش عيناها ولبيش اللهم لبيش ، وعلى فيها ابتق ايفيش . الخ ما رواه الدكتور نفسه فى صفحات ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ، أما ما استخلصه تحت رقم ٤ فيناقضه ما هو منتشر فى اللهجات العامية الآن — ولندع قول القدامى فإنه يناقضه أيضاً — من أنهم يلحقون شيناً آخر الـكلام فى النفى والاستفهام التقريرى سواء كانت هناك كاف أم لم تكن فى وصل الـكلام ووقفه فيقولون يافلان ما تلعبش وماقابلتكش وسافرش فلان ؟ ونحن وإن كنا نستطيع إرجاع الشين فى بعض الأحوال — ما عدا الاستفهام وما آخره كاف خطاب — إلى لفظة شىْ مثل ما تلعبش أصلها لا تلعب شيئاً ، ثم ضاعت الحركة الإعرابية والتنوين بفعل العامة فصارت : ما تلعبشى أو ما تلعبش ، إلا أننا لا يمكن أن نرجعها فى مثل : سافرش فلان ؟ وماسمعتكش تتـكلم إذ لا يؤدى المعنى المقصود قولك أسافرشىْ فلان ؟ وما سمعتك شيئاً تتكلم إلا بتكلف وتجوز بعيد ، ولهذا نرجع أمثال ذلك إلى التوسع فى لهجة ربيعة ومضر . وعلى كل حال فهنا صوت آخر اتصل بصوت سابق .

ص ١٢٨ « كل لهجة من اللهجات أو مجموعة منها قد التزمت اشتقاق المضارع من الماضى الثلاثى على هيئة خاصة ولا تشذ عنها إلا فى النادر » .

ولقد كتبت فى الرسالة فى العدد ٨٠٥ مبيناً خطأ ذلك ولا داعى لتكراره على أننا فى لهجاتنا العامة لا نسير على نظام واحد فى اشتقاقنا نقول يكتب ويرسم وينسج ... الخ بكسر الثالث ونقول يرطن وينتر ... الخ بضم الثالث ويحلم ويلعب .. الخ بفتح الثالث وكل هذا مما له أوزان فى الفصحى قد توافق العامة وقد لا توافقها . أما الإمالة والتسهيل ونحوهما فذلك من العادة اللغوية التى لا تشذ عنها الجماعة المرتبطة والبيئة المتفقة .

ص ١٣٩ « روى أن أبا هريرة لم يعرف المقصود من لفظة السكين لأنها فى لهجته تسمى المدية ثم قال : ولعل هذه الحادثة كانت قبل نزول القرآن الـكريم بلفظ السكين فى سورة يوسف » ولو أنه اكتفى بالمثل دون التعليل لـكان أحسن لأن أبا هريرة أسلم سنة سبع من الهجرة وسورة يوسف نزلت قبل الهجرة ولو قال قبل سماعه سورة يوسف لـكان أدق .

ص ١٤٠ ذكر أن رجلا ذهب إلى أحد ملوك اليمن فأطلع إلى سطح والملك عليه فلما رآه الملك اختبره فقال له ثب ... الخ ولست أدرى سبب زيادة « اختبره » لأن القصة وسؤال الملك ما شأنه وإجابة الحاضرين وقول الملك ليست عربيتنا كعربيتهم تنفى أنه اختبره .

ص ١٦٧ « لقت الشىء بمعنى كتبته فى لهجة عقيل وبمعنى محوته عند قبائل قيس » مع أن عقيلا من قبائل قيس ولو قال عند بقية قبائل قيس لـكان أفضل .

لقد أعجبنى كل الإعجاب تحليله فى الإمالة ووصوله فى ص ٤٧ ، ٤٨ إلى أن الـكلمات التى أصلها يائى تكون الإمالة فيها هى الأصل ويكون الفتح تطوراً والحجازيون قد قطعوا مرحلة فى تطور لهجتهم . وإن الإمالة لأجل الحركة فى مثل كتاب وهى التى كان سببها الـكسرة للانسجام بين أصوات اللين يكون أصلها الفتح وتكون الإمالة تطوراً إلى مرحلة الانسجام . وكنت أنتظر أن يحكم بعد هذا بأن الحجازيين يميلون الألف لأجل الـكسرة لأن النظرية التى قررها سليمة وهى نظرية السهولة والاقتصاد فى الجهد العضلى تتجه إليها القبائل المتحضرة ولـكنه لم يسعفه الدليل فقال ص ٦٩ « أما حين تكون الإمالة نتيجة انسجام بين أصوات اللين كما فى إمالة نحو كتاب فتلك صفة اختصت بها القبائل البدوية وقد سبقت فيها القبائل المتحضرة » ولو رجع إلى الهمع مثلا لوجد النظرية صحيحة إذ نص على أن الحجازيين يميـلون الألف لأجل الـكسرة . ولاستغنى عما قاله ص ٦٩ فناقض به نظريته الصحيحة .

إنى أكتفى بهذا القدر وأعتقد مع ذلك أن كتاب اللهجات العربية قيم فى أبحاثه جيـل فى عرض موضوعاته وإنى إذ أنقد كتاب أستاذى فإنما أعطى حق العلم أيضاً ولـكل إنسان رأيه وبخاصة أنه كتاب نشر على الناس وأصبح من حق الجميع فإما كنت على حق فيعاد النظر فيما نقدته وإما كنت مخطئاً أو لم أفهم بعد فيردنى المؤلف والقراء مع رجائى ألا يكون علـم الأصوات الحديث هو كل شىء فى الرد وبخاصة ما استنبط بمقارنة السنسكريتية باللاتينية واليونانية مع التعليل المعقول لما عارضت به .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

مطبعة الرسالة

العدد ٨٣٨ — الاثنين ٢٥ يوليو ١٩٤٩ — السنه السابعه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٥٧

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 838

Lundi — 25 — 7 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ رمضان سنة ١٣٦٨ — ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

١٢ - أمم حـــائرة

العـــدل

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

إذا اجتمعت النفس بالإيمان ، وقويت واستنارت ، وارتقت إلى عالم المعانى ، وأنست بالمعانى الجميلة العامة ، وأحست الوئام والسلام ، ونفرت من النزاع والخلاف ، وانطلقت من حدود الأهواء والشهوات والرغبة والرهبة والعصبية ، وعلت على الزمان والمكان — حينئذ تؤهل للحق والخير والجمال والعدل والإحسان

وإذا أهلت النفس للعدل . وسكنت إليه وآثرته كانت أهلا لأداء الأمانة التى قال فيها القرآن :

(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها وأشفقنَ منها وحملها الإنسان) .

وكانت أهلا لخلافة الله فى الأرض ، أى القيام بعدله بين خلقه ، وجهدت للارتقاء إلى منزلة العدل ، العدل المطلق ، فى الرغبة والرهبة ، والمنشط والمكره ، والرضا والغضب ، ومع القريب والبعيد ، والعدو والصديق ، فى كل حين وعلى كل حال .

العدل الذى قال فيه القرآن :

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ، ولا يَجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقربُ للتقوى)

وقال : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)

فتجعل النفس هذا العدل قصدها وغايتها ، وأملها ومُنيتها ، وتسير إليه دائبة ، وتعمل له جاهدة ، حتى تبلغه أو تقاربه ، أو تبقى راغبة فيه ، سائرة إليه على قدر الطاقة ، حتى تبلغ أو تقارب أو تنقطع دونه وقد سارت إليه مراحل ، وضربت فى طريقها أمثالا وخلّفت فيه آثاراً .

بهذا العدل قامت السموات والأرض ، واستقامت الخليقة ، واتسقت أمور الأمم .

(والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألاّ تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تُخسِروا الميزان)

فإذا عدل الواحد فيما بينه وبين الناس ، وعدلت الجماعات فيما بينها ، والتزمت العدل وآثرته ومرنت عليه ودأبت ، زال البغى والعدوان والظلم والطغيان ، وكل ماعتّ إلى هذه المعانى ، مما هو خلل فى النظام ، وميل فى الميزان وحَيْد عن الائتلاف والوئام ، ونزوع إلى الاضطراب والخصام .

وإذا زال التنافر والتنازع والتغابن فى صورها الكثيرة ، وأحوالها المختلفة ، وغلبت قوانين العدل العامة المؤلّفة الجامعة ، وأخذ الوحدان والجماعات بالحق وأعطت به ، وصرّفت صغار

الأمور وكبارها بالعدل ، ائتلفت الأعمال ، وانقلب البغض حباً ، والاختلاف ائتلافاً ، والخصام وداً ، والتنازع تعاوناً ، والتقاطع تعاضداً .

تمثّل الوحدان والجماعات ، وقد أخذ كل حقه وأعطى حق غيره ، وتعاونت الألسن والأيدى والقلوب على خير البشر وسعادة الناس ، وتحول هذا الجهد الدائب والعمل الناصب فى تدريب الجند ، وإعداد السلاح ، وتدبير خطط القتال ، للتسلط والغصب والجور ، إلى اجتهاد فى إسعاد الناس دون تفريق بين شرقى وغربى وأسود وأبيض . وانقلبت مصانع الدمار وآلات البوار مصانع للعمران وآلات لرغد العيش ، وجلب الرفاهية للناس ودفع الشر ومغالبة الفقر والمرض ومايتصل بهما من بؤس وتعاسة .

تمثل هذا ثم اعجب لهذه الإنسانية الضالة ، والبشرية الشقية تملأ الأرض والسماء عداء وقتالا ، وتشغل بالقتال والإعداد له عن خيرها وسعادتها ، ثم تحاول بعد كل معركة غسل الدماء ، وضمد الجراح ، ودفع البؤس غير آلية فى الإعداد للمعركة الأخرى .

ولن يستقيم للناس العمل للخير والشر والسعادة والشقاء معاً ، لن يستقيم العمل للحرب والسلم ، والسعي للعمران والدماء سواء ؛ فإما عملوا للخير خالصاً والسعادة ، وإما عملوا للشر والتعاسة . يرجون النجاة ولا يسلكون مسالكها ، ويقصدون الخير ولا يسيرون على نهجه !

(ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) .

(ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السموات والأرض) .

* * *

كل هذا القلق وهذا الشقاء عما حاد الناس عن العدل .

إن آفة الناس فى البغى والعدوان ، وشقاؤهم فى الأثرة والعصبية التى تحيد بهم عن العدل ، وتنأى بهم عن التحاب والتعاون .

* * *

وإذا تعامل الناس بالعدل بينهم ، وضعفت الأثرة أو امّحت فى نفوسهم ، ارتقوا من بعدُ درجات إلى الفضل فى المعاملة ، والإيثار فيما بينهم . ووراء هذا درجات من السعادة لا تنتهى .

يرى كثير من الناس أن هذا خيال أو حلم ، وأن الناس لن يتعاملوا بالعدل مقيداً أو مطلقاً ، ولن يكفوا عن العدوان والبغى . ولست أذهب مذهبهم .

ففى وجدان الإنسان خير ، وفيه نزوع إلى الحق والعدل إذا أوقظت فى نفسه دواعى الخير بالدعوة الصالحة ، والأسوة الحسنة ، وإذا أحيط من العلم والعمل بما يعظم رغبته فى الخير ، ويصدوفه عن الشر وينبه معانى الحق والعدل فى وجدانه .

وإن كانت درجات العدل التى ندعو إليها أرفع من العامة ، وأعلى من الدهماء ، فليس بعيداً أن يستجيب لها فى كل أمة طائفة من أولى العقل والعلم . وإذا قامت فى كل أمة أئمة تدعو إلى العدل ونبغ فيها قادة تسير عليه وتعمل به وصرّفوا الأمور بالعدل المطلق وأخذوا الناس به طوعاً وكرهاً عمّت الأسوة ، وسكن الناس إليها وغلب العدل فى قلوب الناس وأعمالهم ، واستقرت عليه الأمور ، وشاعت به المحبة والسلام ...

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

مصطفى كمال الزعيم التركي

بقلم الكونت سفورزا وزير خارجية إيطاليا

للأستاذ أحمد رمزي بك

(تتمة)

وددت كثيراً لو أن ما رأيته في المؤتمر الذي عقد بلندرة في فبراير سنة ١٩٢١ كان كافياً ليكشف الغطاء عن أنظار أولئك السياسيين الذين أبوا أن يصغوا لأي نصيحة فيتبينوا الحقائق .

حضر إلى هذا المؤتمر وفدان تركيان . .

الأول يمثل تركيا الرسمية حكومة السلطان المعترف بها وعلى رأسه توفيق باشا ، وهو رجل طاعن في السن محترم من الجميع تولى الصدارة العظمى عدة مرات .

والثاني وفد حكومة أنقرة يرأسه وزير خارجيتها بكير سامي بك . وقد رفضت الحكومة البريطانية استقباله حتى لا يؤخذ هذا منها بأنه اعتراف رسمي بحكومة الكماليين .

ولكن كم كانت دهشة المفوضين الأوربيين الذين كانوا يؤملون رؤية أعضاء الوفدين تفرق بينهم الكراهية والبغضاء أن يجدوهم في تآلف تام جالسين على نفس المقاعد .

وكم كان تعجبهم لدى رؤية ذلك الشيخ الوقور توفيق باشا يقف بما له من حق الرياسة على المندوبين الترك ليعطي الكلمة لبكير سامي بك رئيس وفد أنقرة الذي تكلم بالنيابة عن الوفدين

وقد أدرك بكير سامي بك قيمة النصائح التي أسداها إليه المسيو بريان رئيس الوفد الفرنسي والتي أبديتها من جهتي بالتمسك بخطة معتدلة وقدر ما يمكن أن تكسبه قضية بلاده إذا أظهر أنه أكثر رغبة من المفوضين اليونان في قبول رأي هيئة تحكيم منصفة .

وبناء عن هذه الخطة تم قبول اقتراح التحكيم ومشروع إجراء التحقيق الدولي في آسيا الصغرى .

وكان هذا القرار على جانب عظيم من الأهمية السياسية لما قد يأتي به من النتائج الحاسمة ولأن في قبول دول إنجلترة وفرنسا وإيطاليا إجراء تحقيق في الأناضول اعترافاً ضمنياً من واضعي معاهدة سيفر، أنهم لم يحسنوا استقاء المعلومات الحقيقية فبنوا أعمالهم في سياستهم الشرقية على مبادئ غير مستقيمة مع الواقع .

ولم يكن لدى الزعيم التركي ما يحمله على التشدد ، لأن كل المظاهر تدل على أنه قد اقترب من الحصول على صلح يصح أن يقبل .

* * *

ولكن لم تمض ثلاثة شهور على هذا حتى انهار كل البناء لأن حكومة أثينا رفضت الاعتراف بقرارات لجنة التحقيق ولجأت إلى تحكيم القوة .

فكانت هزائمهم لسنة ١٩٢١ التي أعقبت توغلهم في الداخل وانتهت بتراجعهم إلى خط أفيون قره حصار وكوتاهية حيث وقفوا سنة بطولها ينتظرون ، ذلك لأن الزعيم التركي أراد لهم هذا — وقد يكون المرء في تريثه وإمهاله لخصمه أكثر شجاعة منه في مبادرته بالهجوم ومناجزته لعدوه .

وهكذا تحفزبهم سنة بطولها حتى أتم عدته ثم قضى عليهم بضربة كانت الأخيرة .

لأنه في ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٢ هاجم أفيون قره حصار؛ وفي اليوم التالي أتم فتح الثغرة في قلب الجيش اليوناني ، فأصدر القائد العام الجنرال تريكوبيس أمراً بالتراجع انتهى بتمزيق الجيش كله ووقوع القائد نفسه أسيراً في يدي مفرزة من الفرسان الأتراك ، وكان ختام المعارك احتلال أزمير التي دخلها الترك بعد مضي أسبوع واحد على اختراقهم الجبهة .

أعقب ذلك ضياع الملك من يدي قسطنطين ثم اجتماع مندوبي إنجلترة وفرنسا وإيطاليا في ١١ أكتوبر سنة ١٩٢٢ ليوقفوا الحركات العدائية بهدنة مودانية التي اختتمت بعقدها أربع سنوات مملوءة بالأوهام والأخطاء ، والتي أرجعت لحكومة أنقرة استانبول وتراقيا الشرقية وأدخلت جيشهم إلى أوربا منتصراً تحت قيادة مصطفى كمال الذي فكر بعض عمال بريطانيا عند بدء الاحتلال في نفيه إلى مالطة .

* * *

وليس الغرض من سياق هذا الحديث والدخول فى التفاصيل أن أشرح حوادث كنت شاهداً لها وعاملاً فيها بطبيعة المراكز التى شغلتها كمندوب سام لإيطاليا فى الشرق أو وزيراً للخارجية الإيطالية فى روما أو سفير لإيطاليا فى باريس وقت عقد هدنة مودانيا ، وإنما قصدت أن أشير فى هذه التفاصيل إلى الأسباب الخارجية الحقيقية التى سببت نجاح الزعيم التركى وساعدته على الوصول إلى هذه النتيجة .

* * *

لقد حكم الزعيم التركى بلاده منذ ذلك التاريخ كدكتاتور ، وأظهر رغبة وحماساً شديدين للتجديد والتبديل متجهاً بكليته نحو أوربا بشكل جعل مفكرى الغرب ينظرون إلى هذه التغييرات بغير النظرة التى كان ينتظرها منهم ، لأن أغلبها مظهرى ، ثم هى ثانوية بجانب الأعمال الضرورية الأخرى ولم تقتصر نتيجتها على إهمال التقاليد الإسلامية التى طالما استمد منها الشعب التركى قوته وجلده فى القرون الماضية .

والخطأ العظيم الذى ارتكبه الزعيم فى عمله الإصلاحى هو محاولة الجرى بسرعة لم يجرؤ عليها المصلحون الذين تقدموه ، ولا يبعد أن تكون وسائل الاتصال الحديثة من السكك الحديدية وغيرها وما طرأ على العالم بعد الحرب العظمى قد أثرت فيه وجعلته يعتقد أن فكرة التقريب بين شعوب تختلف اختلافاً كلياً فى الأفكار والعواطف أصبحت أمراً سهلا مستطاعاً فى الوقت الحاضر .

ولكن هذه الإصلاحات الغربية مهما تشعبت وكثرت فلن تكوّن فى يوم ما إلادوراً ثانوياً بجانب العمل الكبير الذى قام به الزعيم كمنظم وموجد للقوة العسكرية التى كوّنها من العدم فى بلاده ، ثم كمحرك لعوامل الدفاع والجهاد بين قومه ، وسيبقى اسمه كجندى ورجل من رجال الحرب يذكره التاريخ دائماً مقروناً بالحركة العظيمة التى كان على رأسها .

وقد امتاز مصطفى كمال فى كل أدوار حركته الاستقلالية بتيقظه وضبطه لنفسه وطول أناته ؛ وكان فى أشد الأوقات وأعصبها مالكا لحواسه شديد الحذر فى تصرفاته بقدر ما كان سريع الإقدام والتنفيذ فى إصلاحاته وتغييره الطربوش وأخذه بالقبعة .

ولطالما دفعه أنصاره — وفريق منهم يبطن الكيد له — إلى التعجل . فكان يأبى إلا أن يصبر الشهور الطوال وهو لا يبدى نشاطاً للقتال ، بل يجمع قواته ويزيد فى معدات جيشه ويزن الأمور حتى يتأكد من أن كل عوامل النجاح فى صفه ، ثم يوجه ضربته الأخيرة . وما إن يقذف بقواته حتى يرى أعوانه أن ذلك التباطؤ الذى طالما أخذوه عليه قد انقلب إلى دفعة ومناجزة للخصم قوية يسيرها نشاط دائم منظم لا يوقفه عائق حتى يقذف بالأعداء إلى البحر .

والذى يدهش له الإنسان أن هذه الصفات التى ملكها الزعيم التركى لم تغادره وهو فى أعلى قمة مجده وعلى رأسه أكاليل النصر وطوع أمره جيش يترنح بنشوة الظفر — لأنه غداة المعارك التى اكتسبها تلاقت طلائع جيشه أمام غاليبولى بقوات بريطانية تحاول منعه من العبور إلى الشاطىء الأوربى إذ قرر لويد جرج ساعتئذ أن يوقف سيل الجيش المنتصر أمام المنطقة المحايدة للمضايق ، ومعنى هذا قيام حرب جديدة .

وكان رئيس وزراء بريطانيا مصمما على هذا الرأى على رغم مخالفة فرنسا وإيطاليا له ، بل وقبل أن يستشير رؤساء وزارات الممتلكات البريطانية الحرة — الدومنيون — قبل قذفه بالأمبراطورية فى غمار حرب جديدة ، وهذه غلطة أخذها عليه السياسيون الإنجليز لمخالفتها لنصوص نظام تكوين أمبراطوريتهم .

ولكن الزعيم التركى فاز بصبره عليه إذ عرف كيف يتجنب خطر ذلك الموقف الزلق ، وكيف يدرأ عن بلاده مصيبة حرب جديدة ، وقدر على نفسه وهو فى قمة مجده وبيده مقاليد رجال طوع إشارته ، فردها عن سراب الأطماع وأخضع نفسه لإرادته

ويلذ لى هنا ذكر ما كتبه تشرشل وهو الواضع مع لويد جورج أساس السياسة التى اتبعتها بريطانيا فى الشرق الأدنى والمسئول معه عن نتائجها وإن كان كاتبها لم يقدر تماماً ما كان للزعيم التركى من فضل فى حقنه للدماء وإيقافه اشتعال حرب جديدة مع دولة أوربية بعد أربع سنوات من انتهاء الحرب العظمى قال . .

« وجه كمال كل مجهوده إلى الغرض الأساسى الذى أمامه والذى كان من السهل الوصول إليه واستعمل قوات الفرسان

التى كانت تحمى جناحيه ليظهر قوته أمام الإنجليز المحتلين لجناق — ولكنه أصدر لضباطه تعليمات صريحة شديدة ليتحاشوا القيام بأى مظهر عدائى، وأن يكون تقدمهم بطريقة ودية. ولم يتغير تصرفهم هذا أمام كل الظروف التى اعترضتهم ، بل ذهبوا إلى إظهار التآخى بطلب بعض المهمات والأشياء التى يحصل تبادلها بين قوات متحابة معسكرة فى مكان واحد — وبهذا أمنت كل القوات البريطانية التى كانت محتلة للمضيق فى الوقت الذى كان الخطر محدقاً فيه بإستانبول التى لم يكن من اختصاص بريطانيا الدفاع عنها .

* * *

لقد عرفت عن كثب أنور باشا وهو قائد من رجال الحرب نبغ من بين أحرار الأتراك ، وكان عاملا من أول الحركة التى أشعلتها جمعية الاتحاد والترقى ، ثم قائداً فى حرب طرابلس ضد إيطاليا ، وأخيراً فى الحرب البلقانية .

ولم أر اليأس قط متغلباً على أنور حتى فى أشد الأوقات محنة حينما كان البلقانيون على خطوط تشا طلجة ، ولكن مزاياه الخلقية والفكرية كانت تتضاءل أمام حبه للمباهاة بنفسه وخيلائه .

ولذلك قصر عن تملك القدرة على النظر بدقة إلى الأمور وتفهم الأشياء على طريقة كمال الذى يتبع خطة للعمل يقرن فيها الإقدام المتناهى مع الصبر والتأنى الطويل ويعرف كيف يُملى على نفسه وهو قائم بحرك الجيوش على جبهة القتال — وهذا هو سر نجاحه —

وهذا دليل على أن الروح العسكرية القديمة التى كانت لدى العثمانيين القدماء ومكنتهم من تدويخ أوربا ومقارعتهم لها وهم تحت أسوار فينا قد عادت وتقمصت فيه .

ولكن المهمة السياسية التى ألقيت على عاتق هؤلاء كانت سهلة ليست مستعصية كالتى تلقاها خلفهم فى القرن العشرين لأنهم دخلوا أوربا منتصرين واحتلوا بلاداً وأقطاراً شاسعة وكان من حقهم إهمال من يعيش فيها ما دامت القوة فى جانبهم

إنى أصرف النظر كما ذكرت فى السابق عن موضوع إصلاحاته الغربية التى أعدها من قبيل عمل المسيطرين النواة المتشبعين بطريقة بطرس الأكبر — وأعود إلى سياسته التى أوجدها لنفسه أمام الظروف القاسية التى وجد فيها بلاده ، تلك السياسة التى أملاها بحزم ، وقصر نفسه عليها من المبدأ إلى النهاية ثم داوم على اتباعها مخالفاً بذلك تقاليد الدكتاتوريين الذين قبله وما يعمله دكتاتوريو هذا العصر .

لأن كلا منهم فى حاجة إلى اتباع سياسة مظهرية ترمى إلى إدخال الهيبة فى نفوس العامة ، وفى حاجة إلى إشغال الشعوب التى فقدت حريتها بشىء من المجد .

وأرى مصطفى كمال الأول من هذا النوع من الناس الذى أوتى من الشجاعة الأدبية ما جعله يقرر من أول الأمر أن يقصر نفسه عن هذه المظاهر الفخرية — ثم أن يداوم على حرمان نفسه وعدم إشغال أمته بمثل هذا بعد انتصاره وقد بلغ من الأمر منتهاه . فكثيراً ما هددت الدولة العثمانية بخلافتها وبإعلانها الجهاد رغبة منها فى الظهور بمظاهر الدولة ذات السياسة العالمية وإن كانت تمثل الرجعية والتقهقر بأجلى مظاهرها . وجاء مصطفى كمال فكان أول من تحقق من أن مصلحة تركيا تقضى بتنازلها عن أى نفوذ أو سلطة خارج حدودها القومية ، ولذلك وضع نصب عينيه أن يتحاشى إشغالها بأى عمل يشتم منه الرغبة فى مغامرات خارجية فوق طاقتها .

وقد عاينت ذلك بنفسى فى الشهور الأولى من عام ١٩١٩ حينما كنت بإستانبول وتيقنت من أن الزعيم التركى قد عزم على اتباع هذه السياسة الإيجابية التى تؤدى حتما إلى استقلال فعلى حقيقى لتركيا .

وكان قد لجأ إلى بروسة فى تلك الأيام السيد أحمد السنوسى الزعيم الدينى المشهور فى برقة حينما أيقن من ضياع آماله فى إخراج الإيطاليين من بلاده . ولما كنت مقتنعاً بأن السياسة العملية الوحيدة لتوطيد الأمن والسلام فى ربوع المستعمرتين الإيطاليتين تتلخص فى إعطاء الأهالى الوطنيين شيئاً من الحكم الذاتى الواسع النطاق ، لم أتردد لحظة واحدة فى قبول المفاتحات التى عرضها على أصدقاء السيد السنوسى بإستانبول ، وفعلا دخلت معه فى محادثات طويلة على الطريقة المعتادة للشرقيين انتهت به إلى فهم وتقدير مشروع اتفاق مع الحكومة الإيطالية يعطى للسيد سلطة متسعة فى الداخل على شرط أن يعترف نهائياً بسيادة إيطاليا على بلاده وأن يعطى المواثيق بتشجيع ومساعدة المصالح الاقتصادية والسياسية فى بقية الجهات الواقعة تحت حكم إيطاليا مباشرة فى طرابلس وبرقة .

وقد عقد فعلا وزير المستعمرات الإيطالية السنيور لويجى

طرائف من العصر المملوكي :

الشكوى في شعر ابن نباتة

للأستاذ محمود رزق سليم

لا ريب أن البشرية غايتها السعادة ؛ فهي تسعى إليها أفراداً وجماعات ، وتطرق كل باب يؤدي إليها ، وكل سبيل تفضي نحوها . — وقد اختلف الناس — ولا يزالون مختلفين — في كنه السعادة وفي الوسائل المؤدية إليها . ولكن — ليت شعري — أيكون البؤس مظهراً من مظاهر السعادة ، أو يكون وسيلة من وسائلها ؟ نتساءل ، لأن النفوس مختلفة الطباع ، متباينة الاتجاه . ومن الناس من يجد لذته في شقائه ، وسعادته في بؤسه . إذ خلقت نفسه ذات طبيعة قلقة حائرة تنشد الهدوء ، حتى إذا وجدته نفرت منه ، وعاودت سعيها إليه . وتطلب الرضا ، حتى إذ ظفرت به ونعمت بأسبابه ، قطعت ما بينها وبينه ، ثم شاقها الحنين للبحث عنه . هذه نفوس من طراز خاص توسع في آمالها ما أفسح لها الخيال ، وتسعى في سبيلها ما بدا لها السعي . حتى إذا وصلت إلى أمل جددت أملا ؛ وإذا ما انتهت من سعي عاودت سعيا . لأن غايتها في السعي نفسه ، لا في عاقبته . ولأن إربتها في البحث ذاته ، لا في نهايته . فهي أبدا في عمل دائب وهم ناصب . وهي لقلقها الذي فطرت عليه ، وحيرتها التي خلقت بها ، لا تستريح إلى طريق في الحياة ممهدة معبدة ، لا أمت فيها ولا عوج . ولا تطيب لها السبل ، إذا امتلأت جنباتها بالورود والأزاهير . بل تفضل منها المعقدة الملتوية المجدبة ، على السهلة المستقيمة المخصبة . وتختار المشقة على اليسر ، وتؤثر التعب على الراحة . كل ذلك لا ليقال : مجيدة بلغت السيادة بجدها وجهادها ، ولا ليقال : فريدة حازت السعادة بكدها وجلادها ، بل لكي تلائم بين هذه المشقات وبين طبيعتها ، وما فيها من قلق وحيرة . ولكي تجد فيها من الأسباب ما ترتل عليه شكواها وتوقع أنينها . فهي مطبوعة على حب الشكوى ، تجيدها وتجد فيها راحتها ، ومفطورة على

روسي على أساس هذه المحادثات اتفاقاً حكيما جنت منه إيطاليا ثمرات عديدة حتى جاءت الحكومة الفاشية فضربت به عرض الحائط ، لأنها وجدت في المستعمرتين ميداناً واسعاً لاستغلال منشوراتها وتقاريرها عن انتصاراتها الحربية التي يتضح للمتأمل عبث القيام بها بجانب ما تتكلفه من التكاليف والخسائر .

ولم يكن منتظراً بقاء مثل هذه المحادثات في طي الخفاء ونحن في جو استانبول لأنها سرعان ما تنتقل إلى علم أنصار مصطفى كمال وقد يعملون على إحباطها ، ولذلك رأيت من المصلحة إبلاغه عنها فجاءني منه الرد الآتي :

« كان علة شقائنا وسقوطنا محاولاتنا المحافظة على سيادة تركيا على الأقطار العربية فنحن لا نريد أن نسمع من الآن شيئاً عن ذلك ، والسنوسي حر في أن يفاوضكم على ما يرغب وأن تتفقوا معه على ما تريدون » .

ولقد زادني هذا الرد القاطع المقرون بالصراحة اعتقاداً في أننا على وشك أن نلمس عصر إحياء جديد في النفس التركية — ووصل مصطفى كمال إلى أوج ما ينشد من المجد والسلطة فلم يغير من خطته هذه — وهو موقف يستدعي الإعجاب والتقدير وهو نادر في نفس الوقت

لقد عرف من البداية أن الدولة العثمانية بلاد متأخرة تقع بين أوربا وآسيا ، وأن تركيا إذا اقتصرت على توجيه قواها إلى استغلال آسيا الصغرى أمكنها تحت نظامها الجديد أن تصير عامل حضارة وتقدم ، وقد يأتي يوم تلعب فيه دوراً مهماً تجاه آسيا الوسطى .

وهنا يظهر عمله الإنشائي الحقيقي الذي أتمه بحنكة وشجاعة وإن بقي مجهولا لدى الكثيرين بجانب ما يتحدث الناس به من إصلاحاته الثانوية في تغيير الحروف وفرض القبعة .

وإنه لمن المشرف له أن يشاد بعمله هذا وأن يقال إن هذا الزعيم وصل من بين الدكتاتوريين أن يجني ثمار نجاحه بحق ، لأنه أقدم على ما لم يقدم عليه غيره ، وعرف كيف ينظر شزراً إلى مخلفات سياسة المجد الكاذب التي كانت تتبعها الحكومة العثمانية السابقة والتي لم يكن لها غرض إلا ما تحدثه من الضجيج الفارغ والضوضاء الكاذبة ...

أحمد رمزي

الأنين نحبه ، وتستشعر خلاله طمأنينتها . وهي لا تستطيع الحمد فلا تجأر به ، ولا تستسيغ الرضا فلا تهدأ إليه . ولو راحت تحمد وترضى ، ما استطاعت ذلك إلا متكلفة مجهودة ، ومتعبة مكدودة .

هذه نفوس من طراز خاص كما أشرنا . وتأبى الأقدار إلا أن تهيء لها كل العوامل التي تنضج فيها هذا الفن من فنون الحياة فتلقى في طريقها الأشواك ، وتبث الشراك ، حتى يكثر عثارها ، ويتكرر نفارها . وهي — في الحق — راضية في قرارتها ، هانئة في أعماقها ؛ لأن ما تصنعه لها الأقدار يتلاءم مع سجيتها ، وينسجم مع طبيعتها . وهكذا تبدو بائسة يكاد يأكلها البؤس ، ونحسة يكاد يطويها النحس . فتفر بقلقها من دار إلى دار ، ومن سبيل إلى أخرى . تنشد ما تزعم من سعادة وعزاء ، شاكية آنة ، بائة حانة . حتى إذا ما ظفرت نفرت وإذا وصلت فصلت . ولم تستطب هذا الاستقرار ، ولا ما هيأه لها من سعادة ، ولا مادعاها إليه من لهج بالحمد والثناء .

تتجاذبنا هذه الخواطر كلما جلسنا إلى ديوان ابن نباتة الشاعر المصري الكبير ، لنقرأ طرفاً من أبياته ؛ إذ نرى فيها شاعراً بادي القلق ظاهر البؤس ، كثير الشكاية . وتلك سمة واضحة في شعره ، وفي مراحل حياته .

كان جمال الدين بن نباتة «٦٨٦ هـ — ٧٦٨ هـ» أمير شعراء مصر في جيله غير منازع . وهب الله له نفساً أديبة خصيبة ، وخيالا واسعاً رحيبا ، ولساناً طيعا ، ومنطقاً مصوراً بارعاً . فهام لذلك في أودية الشعر ، وطرق الجم من فنونه . وحق له أن يفخر بقوله :

فما الدر إلا دون نظم أصوغه وما القصر إلا دون بيت أشيده

ويقول :

من مبلغ العرب عن شعري ودولته

أن ابن عباد باق وابن زيدونا

ظن ابن نباتة ، وقد طاع له من القول عصيه ، ودان له من الشعر أبيه ، أن من حقه على الزمن أن يسعده لا يجحده ، وأن ينعمه لا يشقيه ، وأن يهيء له من أسباب الرضا ما تقر له عينه ، وتطيب به نفسه ، حتى يستبق جهده ، لفنه وحده لا تشغله عنه شواغل الحياة ، ولا تقعده دونه هموم الرزق .

ظن ابن نباتة ذلك ، ولم يعلم أن الزمان قد استحال ، وأن الدهر قد تغير ، وأن دولا ذهبت ، وجاءت على أنقاضها دول . وأن الملوك قد استعجمت بل والشعوب ، وذهبت أيام الرواج للشعر ، وطويت بسط الإنشاء ، وانفض سامره ، وقضى عهد التكسب ، وقبضت يد العطاء عن الشعراء ، وأقفلت في وجوههم جنات النعيم .

هذه حقيقة فطن لها انداده من شعراء عصره فلووا جيدهم وانصرفوا عن التكسب بالشعر إلى التكسب بغيره . فكان منهم العالم الفقيه ، أو الكاتب المنشيء ، أو التاجر المتنقل ، أو المحترف الصانع . والتمسوا الرزق بالوظيفة في القضاء أو الكتابة في الدواوين ، أو التجارة والصناعة . ورفهوا عن أنفسهم بين الفينة والفينة بأبيات من الشعر ينظمونها في حاجاتهم النفسية . ولم يسلموا مصيرهم إلى يد الشعر ، يستمطر لهم الرزق من الملوك وأشباه الملوك ، كما كان أسلافهم في عهد بني أمية ، وعهد بني العباس — حتى بدا لبعضهم أن يحمل على صناعة الشعر ، ويفضل عليها صناعته الدنيا التي يقتات منها . ويعلل لذلك فيحسن التعليل ، ويوري فيجيد التورية . وقد قال أبو الحسين الجزار «٦٧٩ هـ» :

كيف لا أشكر الجزارة ما عشت حفاظاً وأرفض الآدابا

وبها صارت الكلاب ترجيني وبالشعر كنت أرجو الكلابا

أما ابن نباتة ، فقد صمم على أن يعيش لفنه ، لا تلهيه عنه تجارة أو بيع ... ظانا أنه سيدر عليه من الذهب النضار ، ومن الفضة النثار . فانساق إلى مهواة التكسب حتى أدركته حرفة الأدب ، ولحقه كساد الشعر وبواره . ولم يجن من وراء ذلك إلا القلق والبؤس وصار كما يقول عن نفسه وهو بدمشق ، متذكراً ما مضى من أيامه :

شهور وصل كساعات قد انقرضت

بمن أحب وأعوام كأيام

ولّت كأني منها كنت في سنة ثم انبرت لي أيام كأعوام

مقلقلا بيد الأيام مضطربا كأنما استقسمت مني بأزلام

قد حرمت حالتي طيب الحياة بها كأن طيب حياتي طيب إحرام

هي المقادير لا تنفك مقدمة وللحجا خطرات ذات إحجام

وهذه حالة لا مفر منها ، مادام قد طرق أبوابها ، وسلك رحابها . وماظنك بمتكسب فى غير سوق ، وسادر دون وثوق . يترك بابا ليقرع بابا ، ويهجر مقصوداً ليمم شطر مقصود . هذا يعطيه وذاك يمنعه ، وهذا يهب له وذاك يدفعه . وهو ما بين هذا وذاك ساخط على من حرمه وقلاه ، شاك فيمن منحه وأعطاه . هذه — لعمرك — حياة المتبطل الكسول الذى لم يلبس لبوس عصره ، ولم يرتد مسوح زمانه . يقول :

يا سائلى بدمشق عن أحوالى قف واستمع عن سيرة البطال
ودع استماع تغزلى وتمشق ماذا زمان العشق والأغزال
طول النهار لباب ذا من باب ذا أسعى لعمر أبيك سعى ظلال

ويقول منها :

أرى الزمان بميني بولاية أحمى بها وجهى عن التسآل
زحل يقارن حاجتى وقد انحنى ظهرى من الهم انحناء الدال

لم تهتم المقادير باجابة ابن نباتة إلى سؤله ، بل ادخرت له فى جعابها أقسى ما ادخرت لإنسان . وحفظت له فى قرابها أحد ما أرهفته لامرئ . وهى تعلم — بلا ريب — خبيآت نفسه ومغيبات حسه . فادخرت له ما ادخرت ، وأرهفت ما أرهفت لملاءمته لها . وبذلك وحده ، ينبغ أدبه ، وينبغ فنه ، ويصبح شاعر البؤس والشكوى . وما كل بائس يلتئم مع بؤسه فى أعماق نفسه . أما ابن نباتة فقد نعم بهذا البؤس ، لأن نفسه وجدت فيه معيناً لشكايتها حتى خلقت لتجيدها وتحسن القول فيها . لهذا جاء شعره ترجاناً صادقاً عن مطوى نفسه ، ولساناً معبراً عن مذخور حسه . وصارت الشكوى فى خلال أبياته ، على اختلاف منازعها ، اللون الأصيل ، واللحن المشترك ، الذى لا تتم ألوان القصيدة أو أنغامها إلا به . يقول وقد عجل إليه المشيب :

عجبت خلتى لو خط مشيبى فى أوان الصبا وغير عجيب
من يعم فى بحار همى يظهر زبد فوق فرعه الغريب
من يحارب حوادث الدهر يخفى لون فوديه فى غبار الحروب
أى فرع جون على عنت الأ يام يبقى وأى غصن رطيب
لو همى ماء معطفى من اللين لأفنته مهجتى بلهيب

ونعتقد أن ابن نباتة ، كان فى مقدوره أن ينجو بنفسه بعيداً عن نحسه ، وأن يجنبها مشاق الحياة وعثاء العيش بالارتزاق بإحدى الطرق المألوفة فى زمانه ، وأيسرها عليه الكتابة فى ديوان الإنشاء . ونعتقد أنه لو سعى جاداً إلى الوظيفة لظفر بها . فهو لا يقل باعاً ولا يقصر ذراعا عن رؤساء هذا الديوان ، إن لم يكن فى الإنشاء أحفل منهم وأفضل . ولا ندرى ما نعلل به حرمانه من وظائف الديوان — وما خلقت إلا لأمثاله — إلا وثوقه من شعره واعتقاده أنه سيكون سبيله إلى الغنى والثراء والعيش الكريم ، وإلا خوفه ممـا فى الديوان من قيود ونظم لا تتلاءم مع قلقه وحبه للتنقل . ولعل استحواذ جملة من أدباء العصر — أمثال العلاء بن الأثير ، وأبناء فضل الله العمرى — على قلب الناصر سلطان مصر حينذاك ، كان فى جملة أسباب حرمانه ، وتأبى وظائف الديوان عليه .

على أن ابن نباتة كانت لأبيه ثروة ما بدمشق وبمصر ، وكان يعينه بشيء منها بين الآن والآن . فلما مات أبوه بدد ما ورث فى مسارح اللهو ومطارح الهوى ومغامرات الشباب ، وأنفق وأسرف ، وبذر وأتلف ، كأنما وعده القدر أن يهيء له الأمل الجديد فى المستقبل السعيد . ولكن القدر ضحك منه ملء شدقيه وأسلمه للحاجة تأزمه ، وللفاقة لا ترحمه .

هذه أمور كان لها أثر فى ابتئاسه وشكواه . ويأبى الدهر إلا أن يضاعف له فى هذه الأسباب كلما تراخت الأيام وتطاولت عليه الليالى .

فقد ابتلى بالزواج الباكر . والزواج الباكر نعمة وعصمة ، لولا مسئولياته الضخمة وأعباؤه الثقال . ولو كان ابن نباتة فى بحبوحة من العيش ، وسعة من النعمة ، لما أرهقه الزواج وآده . وقد كان شاعراً . والشاعر تطن الأحداث فى دنياه الباطنة طنيناً مضاعفاً . وكانت أوتار نفسه تجيد ألحان الشكوى ، فوجدت فى أحداثه ما يحسن التوقيع عليها .

لقد ولد له نحو ستة عشر وليداً . والأبناء عزة وقوة وزينة ، إلا مع الفاقة ، فإنهم ذلة ومجبنة ومذمة ... هكذا جرى العرف بين الناس . يقول ابن نباتة :

لقد أصبحت ذا عمر عجيب أقضى فيه بالأنكاد وقتى
من الأولاد خمس حول أم
فوا حرباه من خمس وست

ويقول :

كنت فى الشعر جواداً يحرز السبق بلمحه
فثنانى العسر والأو لاد لا أملك فسحه
كل ابن لى وبنت كشكال لى وسبحه
وزناد القول لا يسمح فى وجهى بقدحه

وتأبى الأقدار مرة أخرى إلا أن تتخذ من هؤلاء الأبناء هدفاً تقذفه فيه وتصميه منه . فقد كان أبناؤه يموتون واحداً إثر واحد إذا بلغوا الثامنة أو نحوها . فتكررت فجيعته فى كل واحد منهم يوم ميلاده ويوم وفاته ... بكاهم وأودع فى رثائهم ما فى قلب الأب من وله ولوعة ، وما فى صدره من زفرة ، وفى عينه من دمعة ورثاء الأبناء من أمر ضروب الشكوى . يقول الشاعر فى رثاء ولده عبد الرحيم .

أسكنت قلبى لحدك لا خير فى العيش بعدك
يسيل أحمر دمى لما تذكرت خدك
وقدّ بالهم قلبى لما تذكرت قدّك
يا سائل الدمع إيه فما أجوّز ردك
أقصدتنى يا زمانى كأنى كنت قصدك
وكان ما خفت منه فاجهد الآن جهدك ... الخ

نبا بابن نباتة المقام بمصر ، فنزح إلى دمشق ولقى وزراءها أبناء فضل الله العمرى ، ووجد من لدنهم شيئاً من الخير والبر أطلق لسانه مادحاً مشيداً بذكرهم ، حتى قال :

من مبلغ الأهلين عنى أننى
بدمشق عدت لطيب عيشى الأرغد
وأمنت من نار الخطوب ولفحها لما لجأت إلى الجناب الأحمدى

ويقول شهاب الدين بن فضل الله :

نظرت أبا العباس نظرة باسم لحال امرئ كاد الزمان يبيده
فأحييته بعد الردى وأقمته وقد طال من تحت التراب هموده

ولكننا لا ندرى بالضبط ما الذى نفره من دمشق فزايلها إلى حماة ، إلا ما كان فى نفسه وطبيعته من حب التنقل ، وكراهة الاستقرار . ولعل أريحية المؤيد صاحب حماة ، جاذبته عصا تسياره وحل أسفاره . وهناك فى حماة وجد طمأنينة وبلهنية ، ورفاهة ونعيما ، وصحبة كريمة . وظفر منه المؤيد وابنه الأفضل ، لقاء ذلك ، بأعطر ما تطمع فيه الملوك من القصيد . قال يذكر لقاء المؤيد له ويمدحه :

زمن الأنس قائم بالتهانى ونوال الملك المؤيد يسرى
ملك باهر المكارم يروى وجه لقياه عن عطاء وبشر
زرت أبوابه فقرب شخصى ومحا عسرتى ونوه ذكرى
ونحا لى من المكارم نحواً صاننى عن لقاء زيد وعمرو الخ

غير أن الزمان تجهم له فى حماة . ولعل ذلك بسبب وفاة المؤيد ثم زوال الأفضل ، فعاد إلى دمشق يطرق أبواب وزرائها مرة أخرى ، فأدخله ابن فضل الله فى ديوان الرسائل . وهكذا نال فى شفق حياته ما حرمه وعز عليه فى ضحاها . وضج لسانه بشكر ابن فضل حيث يقول :

بلغتنى يا ابن فضل الله مطّلباً لم أرجه من بنى الدنيا ولم أخل
وقد سموت لديوان الرسائل فى طى ادكارك لا كتبى ولا رسلى

غير أنه ابتلى حينذاك بتأخر مرتبه ، وانقطاع هبات علاء الدين بن فضل الله وتغير قلبه عليه . وكان ذلك مثاراً لشكاية ابن نباتة فدح علاء الدين مدحاً امتزج فيه العتاب واللوم ، والاعتذار والشكوى ، والأمل والرجاء . فمن ذلك قوله :

أمولاى قد غنى بمدحى لك الورى
وسارت به الركبان فى السهل والوعر

إلى أن قال :

على أن عندى كأس شكوى أديرها
على السمع ممزوجاً بمدمعى الغمر
أيكسر حالى بالجفاء وطالما تعودت من نعماك عاطفة الجبر
ويدفعنى عن قوت يومى معشر وأنت عليهم نافذ النهى والأمر
ولو كان ذنب لاعترفت به ولا تحيلت فى عذر ولا جئت من غفر

ويقول له :

يا ساحب الذيل من لفظ وفضل علا
هل أنت مصغ لما تمليه أسمالى
عاثت يد الدهر فى يومى وقد بليت أضعاف ما بليت بالهم أقوالى

وقد تكررت هذه المعانى منه فى أبيات كثيرة . ومما زاد فى

آلامه حينذاك أن اشتد به الحنين والشوق إلى بقية أبنائه ممن تركهم بمصر ، وكأنما أبقاهم بها وسيلة ميسورة لقلقه وهمه وشكواه . يقول :

صب بمصر حيث أولاده   بالشام يذرى الدمع مصبوبا
ذو كبد حرى وهم بعضها   فالكل يشكو الشوق ألهوبا

ويقول :

ياساكنى مصر تبت للفراق يد   قد صيرت بعدكم حزنى أبا لهب

ويقول فى سياق مرثيته للتقى السبكى يتشوق إلى مصر ويصف قلبه الموزع :

من لى بمصر التى ضمتك ، تجمعنا   ولو بطون الثرى فيها فيا طربى
ما أعجب الحال ، لى قلب بمصر وفى   دمشق جسمى ، ودمع العين فى حلب

وتنتابه ذكرى أيامه الماضية وماجنت فيه من لذة ومتاع ، والذكرى ضرب آخر من الشكوى ، فيصف شعوره فى أبيات موجعة حيث يقول :

رمى الله دهراً كنت فارس لهوه   أروح إلى وصل الأحبة أو أغدو
جوادى من الكاسات فى حلبة المنا   كميت ، وإلا من صدور المها نهد

إلى قوله :

زمان تولى بالشبيبة وانقضى   وفى فىَّ طعم من مجاجته بعد

عاد ابن نباتة إلى مصر بعد رحلة طويلة غير موفقة ، إلا فى فترات متفرقة . فلقى من الناصر حسن سلطانها الجديد شيئاً من العطف شكره عليه . ولكن كانت لا تزال جراح قلبه ناغلة ، وعبارات الشكوى على شفتيه حيث يقول :

قضيت العمر مداحا   وهذا يا أخى الحال
فقير الوجه والكف   فلا جاه ولا مال

آمن ابن نباتة أخيراً بالحظ إيمان المضطر ، وزهد زهد المغلوب . يقول :

هى الحظوظ فمش منها بما وهبت   ولا تقل عالياً عزى ولا دونا

ويقول :

منعتنى الدنيا جنى فتزهد   ت ولكن تزهد المغلوب

ويلتمس لكساد أدبه المعاذير ، فيقول :

لا عار فى أدبى إن لم ينل رتباً   وإنما العار فى دهرى وفى بلدى

والإيمان بالحظ قد يكون مظهراً من مظاهر اليأس ، ودليلا على القلق والبؤس ، إذ لا يصل المرء إلى حظيرته إلا بعد مدافعة وممانعة ، وأمل وإخفاق . آمن ابن نباتة بالحظ ولكن إيمان البرم به الساخط عليه ، الذى عالجه فلم ينجع علاجه ، وأوقد له نخبا مراجه . آمن به إيمان المهزوم المستسلم ، وفى نفسه ثورة عليه مكبوتة .

غير أن هذا الحظ الذى نمصى عليه ، والقدر الذى عبث به ، قد انضجا فى شعره فن الشكوى . وكم لهذا الفن بين الناس من عشاق !

(حلوان) **محمود رزق سليم**

مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

حديث الصيام :

عـــدالة قاض

للاستاذ محمد رجب البيومى

« مهداة إلى أستاذى الأديب الشاعر الراوية أحمد شفيع السيد »

— ١ —

كانت أخيراً بالبحث فى تاريخ القضاء الإسلامى فشاهدت صفحات لامعة تغرى بالتتبع والاستقصاء ، ووقفت على جهود محمودة لنخبة ممتازة من رجال الحق وأنصار العدالة ، فتعجبت كيف لا تُجمع هذه الدرر الوضيئة فى عقد نضيد يكون موضعاً للمفاخرة والمباهاة !!

ونحن لا نستغرب إذ نجد رجال القضاء فى عصور الإسلام الزاهية على جانب كبير من التحرر والدقة ، فقد تمكنت تعاليم الإسلام الخالدة من نفوسهم فعرفوا الله حق معرفته ، وقرأوا الكتاب والحديث ودرسوا مسائل القياس وقوانين النظر . هذا إلى ما يشرق فى قلب المؤمن التقى من نور يهديه إلى الحق مهما تكاثف الظلام !!

ومن هؤلاء الأئمة الأفذاذ القاضى أبو جعفر أحمد بن إسحق ابن البهلول التنوخى الأنبارى . وقد أجمع الذين كتبوا عنه على سلامة استنباطه وصحة توجيهه ، وصدق تعليله . وأنت تجدهم يصفونه — فى إسهاب زائد — بالبلاغة العالية إذا خطب أو ترسل كما ينقلون شذرات ثمينة من شعره تُنبئ عن عاطفة وذوق ، ويجعلونه حجة فى التفسير والحديث والرواية والإسناد . أما تبحره فى الفقه على مذهب أهل القياس فقد بوّأه منصة القضاء أكثر حياته التى زادت على الثمانين . وإذا اجتمع لفاضل من الناس كل هذه الميزات الرفيعة ، فماذا ينقصه من الشمائل والصفات ؟ !

على أننا لا نُكبر الرجل لعلمه وحده ، فكثير من الأئمة فى القديم والحديث قد جاوزوه فى التحصيل والدراية ، ولكننا ننظر بكثير من الإجلال والإكبار إلى صرامته فى الحق دون مبالاة ، وهجومه على الباطل فى غير هوادة ، مهما جر عليه ذلك من بلاء وعنت . وناهيك بمن يفاجئ رؤساءه وصدور الدولة فى عهده بما لا يطيق المؤمن الورع صبراً عليه من ميل عن الحق ونكوص عن الجادة ، وولوغ فى البهتان ! !

وهأنذا أقدم للقارئ الكريم موقفين متشابهين له فى نصرة الحق ، راجياً أن يكون أسوة حسنة ، ومثالا يحتذيه الناس .

— ٢ —

نحن فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، وقد انحدرت الدولة العباسية من أوجها السابق إلى وهدة سحيقة سقطت فيها هيبة الخلفاء والأمراء ، وتنازع الوزراء وأعيان الدولة على الحكم شر تنازع وأبشمه ، فكان هم كل وزير أن ينكل بمن سبقه ، فيخلق له الاتهامات الخطيرة التى تطيح بحياته ليأمن على منصبه وجاهه فلا يجد المنافس المنيد . وقد كان حامد بن العباس وزير الخليفة المقتدر بالله يضيق ذرعاً بسلفه الوزير أبى الحسن بن الفرات . فحاك له من خياله الآثم أفظع تهمة يمكن أن توجه إلى إنسان حيث اختلى بالخليفة ، وأخبره أنه عثر على وثائق هامة تثبت اتصال ابن الفرات ببعض العلويين المطالبين بالخلافة ، وأن الحزم يوجب أخذه بالشدة لتجرى الأمور فى وضعها الصحيح . وقد اهتم الخليفة المقتدر بالأمر ، فعقد لفوره مجلساً برئاسته لمحاكمة الوزير السابق ، وقد أحضر فيه على بن عيسى وأحمد بن إسحق بن البهلول وأبا عمر محمد بن يوسف . وجيء بابن الفرات مخفوراً إلى المحاكمة حيث وقف غريمه الوزير حامد بن العباس أمام الخليفة يبسط التهمة الخطيرة ، ويبين مغبتها الجريئة ، ثم اتجه إلى الباب فجأة وصاح بأحد الحجاب : أدخل الجندى فى الحال !

فدخل جندى مديد القامة ، مكتمل الصحة ، فاتجه حامد إلى المقتدر وقال : لقد ضبطت هذا الجندى قادماً من مدينة «أردبيل» ومعه كتب خاصة من ابن الفرات إلى ابن أبى الساج يطلب فيها معاونة الداعى العلوى وتجهيزه للمد إلى بغداد ، حيث يستقبله ابن الفرات فيتعاونان معاً على تقويض الخلافة العباسية ، وإنهائها إلى العلويين !!

ثم التفت الوزير إلى الجندى وقال له : قل ماسبق أن اعترفت به لدى فقال الجندى : لقد ترددت بضع مرات على ابن أبى الساج فى أردبيل أحمل الرسائل المتنوعة من ابن أبى الفرات جاهلا عاقبتها

الخطيرة ، فهو المسئول عنها وحده ، وما أنا غير حامل قدم يتكسب بالمسير والتجوال .

دهش الخليفة من هذا الاعتراف الجرىء ، وطار شرر الغضب من عينه ، وأخذ يصوب نظراته المحرقة إلى ابن أبى الفرات وهو يتململ فى مكانه ممتقع الوجه منقبض الأسارير !

ثم التفت المقتدر إلى القاضى أبى عمر فسأله : ما عندك فى ذلك يا أبا عمر ؟ ! فقال فى غير روية : لقد أتى ابن الفرات أمراً تخر له الجبال ، وللخليفة — أيده الله — أن ينزل به ما شاء من العقاب !..

فتألق وجه الوزير بالبشر وظن أن المحاكمة ستنتهى على ماريده من البطش بصاحبه ، وجعل يرخ عطفه فى نشوة الظافر المنتصر ولكنه رأى الخليفة يتجه إلى أحمد بن أسحق فسأله : وما عندك فى ذلك يا أبا جعفر ؟ فيقول القاضى : لا بد من مناقشة الجندى ، فهل يأذن الخليفة بذلك ؟ فيجيبه إلى طلبه ، ثم تدور هذه الأسئلة بين القاضى والجندى .

القاضى — تدعى أنك رسول ابن الفرات إلى ابن أبى الساج فى أردبيل فهل رأيت أردبيل ؟

الجندى — نعم رأيتها ودخلتها عدة مرات

— صفْ لى أردبيل ، أعليها سور أم لا ؟

فسكت الجندى .

قال القاضى : وما صفة باب الإمارة الذى دخلت منه ؟ أحديد أم خشب ؟

فسكت الجندى أيضاً

قال القاضى : ومن هو كاتب ابن أبى الساج الذى ذهبت إليه ؟ ما اسمه ؟ ما كنيته ؟ ما لقبه ؟

فبهت الجندى ، ولم يرد بشىء .

قال القاضى : وأين الكتب التى كانت معك من ابن أبى الساج لابن الفرات ؟

فقال الجندى متلجلجاً مضطرباً : رميتها فى البحرجين وقعت فى أيدى الجنود .

فاتجه القاضى إلى الخليفة وقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل يقول : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) ، وقد صح عندى أن هذا الجندى جاهل متكسب مدسوس على ابن الفرات

فقال على بن عيسى فى حماسة مشتعلة : قد قلت ذلك مراراً للوزير حامد بن العباس فلم يقبل قولى ، وأرى أن يهدد هذا الجندى بالضرب حتى يقر بالواقع الصريح !

أمر الخليفة بإحضار من يضرب الجندى فى المجلس ، فما كاد السوط يلهب جسمه حتى صاح : كذبتُ وغدرت ، وضُمنت لى الضمانات . والله مارأيت أردبيل ، ولاحملت كتباً إليها طيلة الحياة !

وهنا أمر الخليفة بحبس الجندى وتعذيبه . وكاد يغشى على الوزير المختلق من الهم والانكسار ، وانتصر الحق على الباطل بصرامة القاضى النزيه أبى جعفر أحمد بن إسحاق البهلول !

— ٣ —

كرت الأعوام تلو الأعوام ، فتغير الخليفة المقتدر على وزيره حامد بن العباس فأقاله من منصبه مخفوراً ، وأسند الوزارة إلى المتهم السابق أبى الحسن بن الفرات ، وتلك الأيام نداولها بين الناس .

ولقد سعى الوزير الجديد — لأول عهده بالرئاسة — إلى قتل غريمه السابق فشفى لواعج صدره ، واستراح من ناحيته ، ثم دار بذهنه فيمن حوله من المقربين لدى الخليفة ، فرأى أن الوزير الأسبق على بن عيسى لا يزال ممتعاً بالحياة ، وقد يتم صفاؤه مع الخليفة فى وقت من الأوقات فيعيده إلى الحكم رامياً بأبى الحسن إلى غياهب السجن ، ومن ثم أخذ الوزير يدبر لعلى مكيدة ترديه مع أنه كان من أنصاره المتحمسين يوم حوكم فى التهمة الخطيرة ، ولكن يالضيعة الوفاء ! .

رأى ابن الفرات — لانحطاط نفسه — أن يقتدى بسلفه السابق فى الاختلاق والوقيعة ، فاتجه إلى الخليفة المقتدر وأفهمه أن على بن عيسى على اتصال بالقرامطة أعداء الدولة ، وقد أرسل لهم فى مدة وزارته بعض المواد الحربية التى يحظر إرسالها إلى العدو كما أنه لا يعترف بتكفيرهم وخروجهم عن مبادئ الإسلام !

اهتم الخليفة بالوقيعة ، وأصدر أمره بمحاكمة على ، على أن يسمع بأذنه ما يدور فى المحاكمة من وراء حجاب ، وقد تم الأمر فى أسرع من البرق وشكلت لجنة المحاكمة برئاسة الوزير ، وحضر القاضيان السابقان فى المحاكمة الأولى : أبو عمر محمد بن يوسف وأبو جعفر أحمد بن إسحاق البهلول .

افتتح الرئيس الجلسة ، وسيق على بن عيسى إلى المحاكمة وبدأ الوزير فأسرع بإحضار رجل يدعى « ابن قليجه » وأذن له فى الكلام فقال :

لقد أرسلنى على بن عيسى إلى القرامطة مبتدئاً ، فكاتبوه يلتمسون منه المساحى والطلق وعدة حوائج فأنفذها إليهم ، ومعى خطابه الذى بعث به فى هذا الشأن ، ثم قرأ الخطاب فوُجد خالياً من تكفيرهم وسبهم كما ينبغى أن يكون فى نظر ابن الفرات .

وشاء الرئيس أن يلخص الإتهام فى نقط مركزة محدودة ، فصاح فى وجه على ، والمقتدر يسمع من وراء حجاب .

تقول إن القرامطة مسلمون والإجماع قد وقع على كفرهم ، فهم أهل ردة لا يصومون ولا يصلون ، وتبعث لهم الأدوات الحربية وهم أعداء الخلافة ومبعث الفساد والشقاق !

قال على : أردت بذلك المصلحة وإعادتهم إلى الطاعة ، دون أن تراق الدماء .

قال الرئيس : ويحك لقد أقررت بما لو أقر به إمام لما وسع الناس طاعته ، فكيف يجوز لك التعاون مع أهل الفساد ؟ !

ثم التفت إلى القاضى أبى عمر فقال له : ما عندك فى أمر على ؟ فأفحم ولم ينطق بحرف . فاتجه إلى أبى جعفر وسأله ما عندك يا أحمد ابن إسحاق ؟ !

قال أحمد : لقد صح عندى أن علياً افتدى بكتابه إلى القرامطة ثلاثة آلاف رجل من المسلمين كانوا مستعبدين فرجعوا إلى أوطانهم أحراراً ، فإذا فعل إنسان ذلك على سبيل المغالطة للعدو ، فلا لوم عليه بل يستحق أطيب الثناء .

تجهم وجه ابن الفرات ، وسأل القاضى : ما تقول فيما أقر به على من إسلام القرامطة وهم أهل طغيان .

قال القاضى : إنهم كاتبوه بحمد الله والصلاة على رسوله فلم يصح عنده كفرهم ، فهم لا ينازعون فى الإسلام ولكن ينازعون فى الإمامة فقط ، ومن نازع فيها فهو غير كافر عند الأئمة الأعلام

دهش الوزير من الرد المفحم ، ثم استأنف أسئلته فقال :

— ما رأيك فى الأدوات الحربية التى أرسلها إلى الأعداء ، أ كان ينوى بذلك تقويتهم على الشغب والفساد ؟ !

— هو لم يعترف بذلك فلا تؤاخذه به .

— كيف نصدقه مع أن رسوله وثقته ابن قليجة قد قال إنه أرسل لهم المعدات !

— إذا قال رسوله ذلك فهو مدع وعليه البينة !

— كيف يكون مدعياً وهو ثقته الذى استأمنه على حمل الكتب والرسائل ؟

— إن علياً قد استوثق به فى حمل الكتب ، فلا يقبل قوله فى الأدوات الحربية بحال من الأحوال .

— أأنت وكيله حتى تحتج عنه أم أنت حاكم وقاض ؟

— لست وكيله ، ولكنى أقول الحق كما قلته فيك يوم أراد حامد بن العباس أن يتهمك أمام الخليفة بما هو أعظم من هذه التهمة ، فهل كنت وكيلك حينذاك ؟

بهت الوزير ، وانكسر انكساراً طأطأ رأسه إلى الغبراء ، وانتصر الحق مرة ثانية على يد أحمد بن إسحاق .

— ٤ —

وبعد فقد كان الورع والصلاح ديدن قضاة السلف الصالح فى صدر الإسلام ، فكانوا يتحرزون ويدققون ، مقدرين عظم المسئولية وفداحة التبعة . ومهما قارنت هؤلاء الأتقياء بأعلام القضاء الحديث فى الشرق والغرب ، فهم الراجحون الفائزون ، حيث كانوا يبتغون وجه الله وحده ، فأنزلهم منازل الصالحين ، وفازوا بأعظم الدرجات !

تبينت أن لا دار من بعد عالج   تسر وأن لا خلة غير زينب

(الكفر الجديد)   **محمد رجب البيومى**

من كتاب قصور العرب :

الخَـــوَرْنَق (١)

للأستاذ كاظم المظفر

إن من يتجول فى جهات العراق ، ويطلع على آثاره التاريخية المنتشرة فى أنحائه وزواياه ؛ تلك الآثار التى تشير إلى ما كان لهذه البلاد من الماضى المجيد ، والحضارة الزاهية ، وما بلغته فى تلك العصور من الرقى والعظمة ، والفن والذوق ؛ وخاصة من الناحيتين — المهارية والزراعية — بما هو جلى فى معالمها التى صارعت الدهور ، وبارزت الخطوب ، وتمردت على الجائرين والعابثين ، وأبت إلا أن تستمر على ما قطعته على نفسها من العهود ، تسامر النجوم ، وتضاحك الشمس ، وتماشى الخلود (٢) ... ولا يستكثر على العراق الذى يسميه المؤرخون « مهد الأمبراطوريات » إذا ضم بين أطباقه من النفائس الأثرية ما كان فى الأهمية من الدرجة الأولى ، وفى طليعة نفائس العالم (٣) ... وقد شاهدنا مواقع مهمة من هذه الآثار فى سامراء القديمة ، وفى الحيرة ، وفى القادسية ، وفى بابل وأور ، وهى لا تفتأ تناطح الزمن ، وتصمد للحوادث غير عابئة بهجات العواصف ولا مكترثة بزعازع الأنواء . آثار قيمة وكنوز ثمينة ؛ تتمثل فيها عظمة الأجداد وفخر الأسلاف (٤) .

ولما عاد الأستاذ البحاثة « وولى » إلى لندن بعد أن تولى الحفر فى أور للسنة الخامسة قال فى حديث له : « نعلم اليوم أن حضارة العراق كانت فى درجة رفيعة حينما كان سكان مصر القدماء فى حالة الهمجية » (٥) ولا يبعد ذلك فإن الآثار التى نراها ونشاهدها والتى عثر عليها حتى الآن لتدل دلالة واضحة على ما كان عليه العراق سابقاً من تقدم فى المدنية ورقى فى الحضارة .

(١) الخورنق : بفتح أوله وثانيه وراء ساكنة ونون مفتوحة وآخره قاف . هكذا ضبطه الحموى . وقد جاء فى دائرة المعارف لبطرس البستانى الخورنق بضم الخاء وفتح الواو والنون وسكون الراء .

(٢ ، ٣ ، ٤) مجلة الاعتدال العدد الخامس من السنة الثانية ص ١٩٣ — ١٩٥

(٥) مجلة لغة العرب السنة الرابعة ص ٦٣

أما الحيرة فقد اشتهرت بحضارتها الواسعة ، وملوكها المناذرة الذين أسسوا المدن حين توسعوا فى ملكهم ، وامتد سلطانهم إلى بعيد ، فشيدوا القصور الشامخة ، وأقاموا الصروح المنيفة ، والعمارات العالية المشمخرة التى تعلوها الشرفات ، وتحوطها الحدائق الغناء ، والرياض الزاهرة . وقد سارت بذكر قصورها الركبان ، وتغنى الشعراء بخورنقها وسديرها ، وأنشدوا القصائد فى لحيانها وأبيضها (١) .. وفيها يقول عاصم بن عمرو .

صبحنا الحيرة الروحاء خيلاً ورجلاً فوق أثباج الركاب
حضرنا فى نواحيها قصوراً مشرفة كأضراس الكلاب (٢)

وكان لقصور الحيرة شأن خطير وأحاديث طويلة ، دونها التاريخ ، فأعطانا صورة واضحة عما بذله أولئك الملوك والأمراء من جهود جبارة فى تشييدها وإقامتها . كما سنرى ذلك فيما يأتى

ومن أشهر قصور الحيرة « الخَوَرْنَقْ » الذى عقدنا هذا الفصل للتحدث عنه . وهو قصر يقع بظهر الحيرة بالقرب منها مما يلى الشرق على نحو ميل (٣) أو فى شرقي الحيرة فى الطريق بينها وبين النجف ، وكان على نهر يسمى باسمه (٤) . وقد تجاهل الأستاذ درويش المقدادى قصر الخورنق وموقعه وآثاره الظاهرة فقال : وفى جنوبى النجف اليوم تل يقال له الخورنق لعله من آثار المناذرة (٥) .

وقد اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً فى أصل هذا الاسم ومعناه الأولى الذى اشتق منه ، فذهب الخليل إلى أنه عربى الاشتقاق من الخرنق ومعناه الصغير من الأرانب (٦) . وارتأى البحاثة الألمانى « نلدكه » أنه حرف من العبرية الربانية بمعنى المزرعة والعريش . وذهب « أندريا » أنه إيرانى من « كورنة » بمعنى ذى السقف الجميل (٧) . وقيل أنه معرب من « خورنكاه » أى موضع الأكل والشرب (٨) . وقيل بل تعريب « خورنقاه »

(١) كتاب الحيرة ليوسف غنيمة ص ١٩

(٢) معجم البلدان مادة حيرة

(٣) كتاب خالد بن الوليد للعميد طه الهاشمى ص ١٢٧

(٤) كتاب نشأة الدولة الإسلامية لأمين سعيد ص ٢٦٣

(٥) كتاب تاريخ الأمة العربية ص ٢٦

(٦) معجم البلدان مادة خورنق ص ٤٨٣ من المجلد ٣

(٧) المعلمة الإسلامية مادة خورنق

(٨) الألفاظ الفارسية المعربة . وتاج العروس ج ٦ ص ٣٣٢

أو على الأصح «خانقاه» وهو الموضع الذى يؤكل فيه ويشرب [1] وإلى هذا المعنى الأخير تميل كفة الرجحان عند معظم الباحثين واللغويين [2] .

وكما اختلف فى اسم القصر فقد اختلف أيضاً فى بانيه فقال ابن السكيت: الخورنق بناه سنمار [3] للنعمان الأكبر الأعور السائح ابن امرئ القيس [4] وإلى هذا القول ذهب الهيثم بن عدى فقال: إن الذى أمر ببناء الخورنق النعمان بن امرئ القيس بن عمرو [5] وقال الكلبى : صاحب الخورنق والذى أمر ببنائه بهرام جور بن يزد جزد بن سابور ذى الأكتاف ؛ وذلك أن يزد جرد كان لا يبقى له ولد ، وكان قد لحق ابنه بهرام جور فى صغره علة تشبه الاستسقاء فسأل عن منزل صحيح ليبعث بهرام إليه خوفاً عليه من العلة ، فأشار عليه أطباؤه أن يخرجه من بلاده إلى أرض العرب فأنفذه إلى النعمان وأمره أن يبنى له قصراً مثله على شكل الخورنق فبناه له وأنزله إياه [6] . وقال المسعودى فى حديثه عن ملوك الحيرة : وملك الحيرة المنذر بن النعمان فارس حليمة وهو الذى بنى الخورنق [7] ...

ولما فرغ سنمار من بناء الخورنق عجب النعمان من حسن بنائه وإتقانه فأمر أن يلقى سنمار من أعلاه حتى لا يبنى مثله لأحد . ويقال إنه إنما فعل ذلك به لأنه لما أعجبه شكره على عمله ووصله ، فقال : لو علمت أن الملك يحسن إلىّ هذا الإحسان لبنيت له بناء يدور مع الشمس كيفما دارت ، فقال له النعمان : وإنك لتقدر على أن تبنى أفضل منه ، ولم تبنه ! فأمر به فطرح من أعلاه [8] . وقيل: بل قال : إنى أعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله. فقال النعمان : أيعرفها غيرك ؟ قال : لا . فقال لأدعنها وما يعرفها أحد ؛ ثم أمر به فقذف من أعلى القصر إلى أسفله فتقطع [9] .

---

(١) نهاية الأرب للنويرى ج ١ ص ٣٧٣
(٢) الحيرة لقتيبة ص ١٩
(٣) سنمار : بكسر السين المهملة والنون وتشديد الميم على وزن طرماح وهو اسم رجل رومى (العرب وأطوارهم ج ١ ص ١٢)
(٤) العرب وأطوارهم لمحمد عبد الجواد الأصمعى ج ١ ص ١٢
(٥) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٨٣
(٦) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٨٥
(٧) مروج الذهب ج ١ ص ٢٩٣
(٨) نهاية الارب للنويرى ج ١ ص ٣٧٣
(٩) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٨٣

ويقال إن الذى قذف بسنمار أحيحة بن الجلاح بعد أن فرغ من بناء أطم له [1] وهذا القول ضعيف بالنسبة إلى أغلبية أقوال المؤرخين فيما نقلناه أولاً .

والعرب تضرب المثل بفعل النعمان مع سنمار فى المكافأة على الفعل الحسن بالقبيح . فيقال : جازاه مجازاة سنمار . وفيه يقول بعض الشعراء :

جزانى جزاه الله شر جزائه ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رمه البنيان ستين حجة ... يعل عليه بالقراميد والسكب [2]

وقال أبو الطحان القينى فى قصة سنمار :

جزاء ســنمار جزوها وربها ... وباللات والعزى جزاء المكفر [3]

وقال سليط بن سعد :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر ... وحسن فعل كما يجزى سنمار [4]

وقال آخر :

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب [5]

وقال يزيد بن إياس النهشلى :

جزى الله كالا بأسـوء فعله ... جزاء سنمار جزاء موفرا [6]

وكان النعمان هذا قد غزا الشام مراراً ، وكان من أشد الملوك بأساً ؛ فبينما هو ذات يوم جالس فى مجلسه فى الخورنق إذ أشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار مما يلى المشرق ، والخورنق مقابل الفرات يدور عليه على عاقول كالخورنق فأعجبه ما رأى من الخضر والنور والأنهار، فقال لوزيره : أرأيت مثل هـذا المنظر وحسنه ؟ فقال لا والله أيها الملك ما رأيت مثله لو كان يدوم . قال . فما الذى يدوم ؟ قال : ما عند الله فى الآخرة. قال : فيم ينال ذلك ؟ قال : بترك هذه الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده . فترك ملكه فى ليلته ولبس المسوح ، وخرج مختفياً هارباً ، ولا يعلم به أحد ؛ ولم يقف الناس على خبره إلى الآن . وفى ذلك يقول عدى بن زيد :

---

(١) مجمع الأمثال للميدانى ج ١ ص ١٠٧
(٢) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٨٣ وقد روى البيت الثانى فى بلوغ الأدب على هذه الصورة
سوى رفعه البنيان عشرين حجة ... يعلى عليه بالقراميد والسكب
(٣) العرب وأطوارهم ج ١ ص ١٢ والأغانى ج ٢ ص ٣٦
(٤) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٧٣ والعرب وأطوارهم ج ١ ص ١٢
(٥) مجمع الأمثال للميدانى ج ١ ص ١٠٧ (٦) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٧٣

وتبين رب الخورنق إذ أ‍ شرف يوماً وللهدى تفكير
سره ما رأى وكثرة ما يـ ‍ـملك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال فما غبـ ‍ـطة حى إلى الممات يصير (١)

وقد أكثر العرب من ذكر الخورنق فى أشعارهم وصار مضرب أمثالهم ولم يتصدوا لوصفه وصفاً مسهباً . غير أن المؤرخ يستنتج من أقوالهم أنه كان طرفة من طرف البناء جامعاً بين العظمة وبهاء الزخرف وروعة الموضع (٢) . وجاء فى كتاب « البرهان القاطع » مادة سنمار : إن سنمار البناء الرومى بنى الخورنق وأجاد فى صنعه كل الإجادة ، حتى إن القصر الذى بناه كان يتلألأ ليلا ونهاراً بالألوان المتنوعة نظير أبى قلمون ، فكان يظهر صباحاً أزرق وظهراً أبيض وعصراً أصفر . وفى ذلك خطاب شريح القاضى للضحاك بن قيس : يا أبا أمية أرأيت بناء أحسن من هذا ؟ قال : نعم السماء وما بناها (٣)

وفى الروايات أن بناء الخورنق دام ستين سنة فكان يبنى سنمار السنتين والثلاث ، ويغيب الخمس سنين وأكثر من ذلك ، فيطلب فلا يوجد ؛ ثم يأتى فيحتج حتى فرغ من بنائه (٤) . ولا يخفى على القارئ المحقق ما فى هذه الروايات من المبالغة القصصية ، وما عليها من مسحة الافتعال ؛ لأننا إذا دققنا النظر فى زمان ملك النعمان نرى أنه حكم تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر (٥) ، فكيف جاز أن تستغرق مدة بنائه ستين سنة مع أن ملك النعمان الذى أمر ببنائه لم يتجاوز الثلاثين بعد أن قتل سنمار وبقى فى القصر مدة طويلة .

ومما كان يزيد هذا الجوسق بهاء وروعة موقعه الطبيعى الفتان ، فكان يشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار . وكان البحر تجاهه ، وفيه الملاحون والغواصون والحوت ، وخلفه البر وفيه الضب والظبى ، ويقابل الفرات فيدور عليه على عاقول كالخندق (٦) ولهذا افتتن المؤرخون والشعراء بهذا القصر وهاموا فى الإشادة بذكره (١) فقال المنخل اليشكرى من قصيدة :

ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير
فإذا سكرت فإننى رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإننى رب الشويهة والبعير (٢)

وقال الأسود بن يعفر النهشلى :

ما ذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد أياد
أهل الخورنق والسدير وبارق
والقصر ذى الشرفات من سنداد (٣)

وقال المتلمس للمحرق عمرو بن هند مهرط الحجارة :

ألك السدير وبارق ومرايض ولك الخورنق (٤)

وقال ابن كناسة :

الآن حين تزين الظهر ميثاؤه وبراقه العفر
بسط الربيع بها الرياض كما بسطت قطوع اليمنة الحمر
وجرى الفرات على مياسرها وجرى على أيمانها الزهر
وبدا الخورنق فى مطالعها فرداً يلوح كأنه الفجر (٥)

وقال سلامة بن جندل :

ألا هل أتى أبناءها أهل مأرب
كما قد أتى أهل النقا والخورنق (٦)

وقال الأعشى :

ويجبى إليه السيلحون ودونها
صريفون فى أنهارها والخورنق (٧)

وقال الثروانى :

يا دير حنة عند القائم الساقى
إلى الخورنق من دير ابن براق (٨)

وقال الثروانى أيضاً يصف دير مارت مريم :

بمارت مريم الكبرى وظل فنائها فقف

---

(١) تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ١٧٠ . ومعجم البلدان ج٣ ص ٤٨٤
(٢) الحيرة ص ١٩ — ٢٠
(٣) معجم البلدان مادة خورنق ج ٣ ص ٤٨٥
(٤) معجم البلدان مادة خورنق والعرب وأطوارهم ج ١ ص ١٢
(٥) الأغانى ج ٢ ص ٢٦
(٦) حمزة الأصفهانى ص ٦٨

(١) الحيرة ص ٢١
(٢) ، (٣) العرب وأطوارهم ج ١ ص ١٣
(٤) شعر الناصرية ص ٤٨١
(٥) الأغانى ج ١٢ ص ١٠٨
(٦) شعراء النصرانية ص ٤٩١
(٧) تاج العروس ج ٦ ص ٣٣٢ ، ولسان العرب ج ١١ ص٣٦٦
(٨) كتاب الحيرة ليوسف رزق الله غنيمة ص ٤٤

فقصر أبي الخصيب المشـ رف الموفي على النجف
فأكناف الخورنق والسـ دير ملاعب السلف
إلى النخل المكمم والحمـ ـائم فوقه الهتف[1]

وقال ابن المولى :

مورك أرض المذيب وقد بدا فسر به للآئبين الخورنق[2]

وقد بقي الخورنق إلى عهد الفتح الإسلامي حين دالت الحيرة بدخول القائد خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ونزوله بالخورنق[3] .

وقال في ذلك عبد المسيح بن بقيلة :

أبعد المنذرين أرى سواماً يروّح بالخورنق والسدير[4]
تحاماه فوارس كل حي مخافة ضيغم عالي الزئير[5]

وأنشد علي بن محمد العلوي الكوفي الحماني :

سقياً لمنزلة وطيب بين الخورنق والكثيب
بمدافع الجرعات من أكناف قصر أبي الخصيب
دار تخيرها المـلو ك فهتكت رأي اللبيب[6]

قال الحماني أيضاً :

فيا أسفي على النجف المعرى وأودية منورة الأقاحي
وما بسط الخورنق من رياض مفجرة بأفنية فساح[7]

وقال أيضاً :

كم وقفة لك بالخورنق ما توازي بالمواقف
بين الغدير إلى السد ير إلى ديارات الأساقف[8]

وقد بقي هذا القصر عامراً — كما ترى من أقوال الشعراء فيه — بعد الفتح الإسلامي وتخطيط الكوفة زمناً[9] ؛ وإن كلا من ولاة الكوفة أحدث فيه شيئاً من الأبنية ومنهم الضحاك ابن قيس بني فيه مواضع وبيضه وتفقده[1] . وقد سكنه الأمراء العباسيون ، وبقي قائماً إلى القرن السابع الهجري ، ومفاد ذلك ماجاء في مراصد الاطلاع[1] : والمعروف أنه — أي الخورنق — القصر القائم إلى الآن بالكوفة بظاهرة الحيرة . بل ظل عامراً إلى القرن الثامن الهجري وذلك حين ذكره محمد بن بطوطة في رحلته المشهورة إذ قال :[2] ولما تحصلت لنا زيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام سافر الركب إلى بغداد وسافرت إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة وخرجنا من مشهد علي عليه السلام فنزلنا الخورنق موضع سكنى النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بني ماء السماء وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات ... اما ماجاء في المعلمة الإسلامية مادة خورنق من أنه أصبح خراباً في القرن الرابع عشر للميلاد فليس بصحيح لما قدمناه من قول ابن بطوطة والحنبلي صاحب مراصد الأطلاع.

وفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري أرادت الحكومة العثمانية إنشاء سراي وثكنة وأنبار (مخزن) لواردات الخزينة الميرية فأوعزت ولاية بغداد إلى حكومة أبي صخير أن تشرع بهذا العمل فلم يكن من تفكير قائمقام أبي صخير العثماني في إنشاء هذه البنايات إلا القضاء على قصر الخورنق هذا الأثر العربي القديم فأمر بهدم ما كان ماثلا من جدرانه وقبابه ونقل تلك الأحجار والأنقاض إلى أبي صخير وبنوا بها المواقع التي أشرنا إليها ولازالت قائمة إلى اليوم . وحكى بعض الشيوخ أنهم وجدوا أثناء الحفريات في إحدى غرف الخورنق المطلة على بحيرة النجف عصاً من الخشب الأسود وعليها نقوش وزخرف ، ولما أخبر القائمقام والي بغداد بذلك أمره بإرسالها إلى بغداد ، ومن ثم أرسلت إلى الأستانة بطلب من السلطان عبد الحميد[3] .

وقد زرت موقع الخورنق منذ أيام معدودة لقربه من مدينتي النجف ، فوجدت آثاره ظاهرة بالقرب من نهر السدير أو ما يسمى اليوم بنهر كرى سعد ، ويقع جنوبي النهر المذكور بمسافة قدرها (٣٠٠) متراً تقريباً ، ويبعد عن بدء آثار الكوفة الحادثة

(١) كتاب الحيرة ص ٤٦
(٢) كتاب الأغاني ج ٣ ص ٢٨٧
(٣) خالد بن الوليد للعميد طه الهاشمي ص ١٢٧
(٤) أمالي السيد المرتضى ج ١ ص ١٨١
(٥) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٨٤
(٦) معجم البلدان مادة خورنق
(٧) معجم البلدان مادة نجف
(٨) معجم البلدن مادة خورنق
(٩) كتاب الحيرة ص ٢٣
(١٠) معجم البلدان مادة خورنق

(١١) ص ١٥٨ طبعة إيران
(٢) الجزء الأول ص ١١٣
(٣) هذا ما أخبرني به الأستاذ البحاثة الشيخ محمد علي اليعقوبي نقلا عن كتاب تاريخ الحيرة للسيد حسين البراقي النجفي وهو مخطوط موجود في بلد الحيرة عند رجل تاجر يسمى بالحاج محمود البزاز

على عهد الإسلام بمسافة تقدرها ستة كيلو مترات ، وعن بدء آثار مدينة الحيرة بمسافة قدرها أربعة كيلومترات ، وعن النجف (١٢) كيلومتراً أيضاً . وتقع آثاره على أرض رملية جافة مرتفعة ومتصلة بسلسلة مرتفعات طف الحيرة ، ويبعد عن فضاء أبي صخير ستة كيلو مترات تقريباً من جهة الغرب ، كما يبعد عن آثار مدينة الحيرة القديمة (كنيدرة) بمسافة تقدر بأربعة كيلومترات تقريباً ، ويشرف على أرض منخفضة من أراضي الطف انخفاضاً يقدر بعشرين متراً تقريباً من جهة الجنوب الشرقي ، ويطل على مناظر جميلة من الرياض الرحبة والبساتين والأنهر . وإذا توجهت إليه من جهة الجنوب تراه واقعاً على قمة جبل مرتفع وهو يتصل من جهاته الثلاث الأخرى بأراض سهلة من أراضي كوفان الرملية ، فضاؤه رحب وهواؤه طلق ، مبتعداً عن آثار مباني المدن شأن قصور الملوك ، أما مساحة آثار هذا القصر فتقدر بعشرة آلاف متر مربع تقريباً بما في ذلك آثار المباني المندرسة والملحقة به والمرافق المتصلة فيه(١) .

(النجف — العراق) كاظم المظفر

(١) من مقال لمعالي الحاج عبد المحسن شلاش تحت عنوان « الكوفة ويوم التاج » وقد نشر في مجلة الاعتدال بالعدد السابع من سنتها الثانية ص ٢٩٤ — ٢٩٥

هـــروب !.

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

كرهتِ حقائق دنيا الورى وهمت بأوهام دنيا الخيال
فما يتصبَّاك إلاَّ الرؤى وسحر الطيوف وسحر الظلال
متى يا ابنة الوهم تستيقظين ، متى ينجلي عنك هذا الخبال
أفيقي ، كفاك ، لقد طال مسراك عطشى وراء سراب الرمال

تعيشين في ذهلة الحالمين بعيداً بآفاق كون عجيبِ
ويملأ روحك في قيـــده حنين المشوق وشجو الغريب
ومن فلك الأرض كم تطلقين خيالك فوق الفضاء الرحيب
يجوز مدارَ النجوم ويمعن في اللانهايات ، عبر الغيوبِ

فني ، أين تمضين؟ فيم اندفاعك ؟ من ذا ترين بأفق الشرودْ
وما هـــذه ؟ رجفةٌ في كيانك مما تشـــدُّ عليه القيود
تمرَّد روحك في ســـجنه يريد يحطم تلكِ السدود
ليسمو طليقاً خفيف الجناح وراء الزمان ، وراء الحدود !

فني ، أين تمضين ؟ من ذا ترين هنالك عبر الفضـــاء العظيم
وماذا يشوقك ، أم من ينادي ويومئ من شرفات السديم ؟!
تمرُّ أمامك هـذي الحياة مواكبَ مختلفاتِ الرسوم
فتلوين وجهك لا تنظرين وفي مقلتيك ظلال الوجوم

ألا كم تهيمين في عالم تناءى بعيداً بعيـداً مداه
وفي عمق روحك شوق ملح جموح لظاه ، عنيف ظماه !
تراك هنالك تستلهمين السموات سر الردى والحيـــاة !؟
تراك هنالك تســـتطلعين خفايا الوجـود وكنه الإله !؟

ألست من الأرض ، فيم انخطافك ؟ فيم انجذابك نحو الأعالي !
أأنـكرتِ في الأرض هول الفناء ، وظلم القضاء ، وجور الليالي ؟
تراكِ افتقدت جمال العدالة فيها فهمت بأفق الخيال
محيرة والهاً تنشـــدين الحقيقة في غامضـــات المجالي !

أراعك في الأرض سيل الدماء وبطش القوى والرزايا الكبر ؟
أراعك فيها شقاء الحياة أراعك فيهـا صراع البشر
أمن صرخات القلوب الدوامي تمض عليهـا نيوب القدر
تلوذين في لهف ضـــارع بكون تسامى نقي الصور !؟

بلى ، هي هـذي المآسي الكبار تمذب فيك الشعور الرقيق
فتنأين عن واقع راعب إلى عالم عبقري سحيق ..
ويمضي خيالك مستغرقاً هناك بتهويمه .ما يفيق ..
هو الوهم ، عالمك الشاعري ، المثالي ، مسرى الخيـال الطليق
توَّحدت فيه بأشواقك الحيـــارى ... بهذا الحنين العميق !

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

لحظات فى سجن أبى العلاء :

... ...

جلست وصاحبى نتجاذب أطراف الحديث فى نواحى الحياة المختلفة من بقاء الجنس والنزوع إلى البقاء وآراء بعض الفلاسفة فى الحياة ، وساقنا الحديث إلى أبى العلاء ، فذكرت لصاحبى قوله فى بقاء الجنس :

فليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساء !

واسترسلنا فى الحديث فذكرت قوله فى النزوع إلى عدم البقاء :

تواصل حبل النسل ما بين آدم وبينى ولم يوصل بلامى باء

وأخيراً تطرقنا إلى رأيه فى الحياة ، وحبه فى عدم البقاء ، وتشاؤمه من الدنيا ، فعرضت لقوله :

دعانى بالبقاء أخو وداد رويدك إنما تدعو علىَّ
فما كان البقاء لى اختياراً لو ان الأمر موكول إلىّ

فقال صاحبى : ما هى أهم صفة له ؟ فقلت : أعمى ! فارتسمت على وجهه علامة استنكار لهذا الرأى ، وكأنه لم يرتح له ، ولم يطمئن إليه ... ولذا جئت أسألك ، وقد سبقنى إلى هذا السؤال شاعرنا الرصافى حينما خاطب الدكتور طه حسين قائلا : « لو لم يكن أبو العلاء أعمى ، فما ذا يكون رأيه فى الحياة عند ذاك » ؟ !

دلك الله إلى الطريق السوى لطلاب المعرفة الحقة ، وجعلك هادياً لمن يريد الهداية ، وأدامك ما دمت مجيباً لكل سائل .

(ف . ع)

يوسفية — العراق

سؤال الأديب العراق الفاضل سؤال يجىء فى إبانه ... لقد قضيت لحظات فى سجن أبى العلاء قبل أن أتلق هذه الرسالة بأيام ، وليس أحب إلىّ من أن أعود إلى أبى العلاء من حين إلى حين لأرجع إلى كثير مما قال ، ولأراجع كثيراً مما قيل فيه ، سواء أكانت المراجعة لأقوال القدامى ، أم كانت لأقوال المحدثين .

إن شخصية أبى العلاء لتعد فى رأيى أهم شخصية قلقة فى الفكر العربى كله ؛ ومن هنا يلذ لى أن أعود إليه ، كما تلذ لى العودة إلى الشخصيتين الأخريين المقابلتين فى الفكر الغربى ، وأعنى بهما بودلير وليوباردى !

إن الشخصيات القلقة تستهوينى دائماً ؛ تستهوينى لأنها مصدر خصب من مصادر الدراسة النفسية ، تلك التى تحيل الشخصية الإنسانية غرفة تشريح يتكشف بين جدرانها وتحت لمسات المبضع مكامن الداء ومنابع الانحراف ... إن هؤلاء الأعلام الثلاثة — وإن افترقوا فى الوطن والدين واللغة — إلا أنهم يلتقون فى ميدان واحد توجههم فيه نزعة نفسية واحدة : هى القلق ... والقلق — كما يقول صديقى الأستاذ راجى الراعى — هو أبرز صفحة فى كتاب العبقرية !

لو قال الباحثون عن أبى العلاء إنه إنسان قلق لعبروا عن الواقع أدق التعبير ، ولأحاطوا بكل جانب من جوانب شخصيته بهذه الكلمة الواحدة ، ولكنهم ركزوا كل عنايتهم فى جانب واحد انتهوا منه إلى حكم عام ما لبث أن استقر فى الأذهان واطمأنت إليه النفوس ؛ هذا الحكم العام محوره التشاؤم فى شخصية الرجل وفى فلسفته على حد سواء !

من الخطأ — فى رأيى — أن ينسب الباحثون أبا العلاء إلى نزعة نفسية بعينها ليتفرد بها وليقف عندها لا يكاد يتعداها إلى غيرها من النزعات ؛ ذلك لأن أبا العلاء قد مال إلى التفاؤل كما مال إلى التشاؤم ، ونصح بالإقبال على الحياة كما نصح بالإعراض عن الحياة ، وآمن بالبعث كما أنكر إيمانه بهذا البعث ، وأوصى بالزهد فى نعيم الدنيا كما أوصى بالإغراق فى هذا النعيم ، ونادى بفكرة الزواج والنسل كما نادى بنبذ هذه الفكرة مقدماً من نفسه مثالا لهذا الحرمان !

أبو العلاء إذن لم تكن له « لافتة » واحدة « يعلن » فيها عن رأى واحد تتميز به شخصيته الفلسفية والإنسانية ، ولكنه كان أشبه بالتاجر الذى يعلن كل يوم عن « صنف » جديد من أصناف « بضاعته » عقب وروده بلحظات !

نعم ، فلم يكن أبو العلاء إلا تاجر آراء على التحقيق ... آراء

فلسفية مختلفة متناقضة لا تستطيع أن تصدق رأياً منها لتكذب الآخر ، فإما أن تقبلها جميعاً ، وإما أن ترفضها جميعاً ، أما أن تقف منها عند رأى بعينه لتخرج منه بلافتة كبرى هى « التشاؤم » فذلك أمر تثور عليه فلسفة أبى العلاء كل الثورة ، لأنها فلسفة الإثبات هنا وفلسفة الإنكار هناك ! إن وجه الشبه بين تاجر البضائع وتاجر الآراء هو أنك لا تستطيع أن تنسب الأول إلى صنف واحد مما يقدمه إلى الشارين ، ولا أن تنسب الثانى إلى رأى واحد مما يقدمه إلى المريدين ؛ وإنما تستطيع أن تنسب الأول إلى أصناف بضائعه كلها فتقول عنه مثلا إنه يبيع « البقالة » ، وأن تنسب الثانى إلى مجموعة آرائه كلها فتقول عنه مثلا إنه يبيع « القلق » ! وهكذا كان أبو العلاء فى حقيقة شخصيته وحقيقة فلسفته ... تاجر آراء ... فيها التشاؤم وفيها التفاؤل ، وفيها الإلحاد وفيها الإيمان ، وفيها الإقبال وفيها الإعراض ، وفيها الهدم وفيها البناء ، وكل تلك السطور المتناقضة يمكنك أن تضمها تحت عنوان كبير مكون من كلمة واحدة هى « القلق » !

هذا القلق هو الظاهرة الكبرى فى شخصية أبى العلاء ؛ فإذا أراد الدارسون أن يقتفوا آثاره ليصلوا إلى أسبابه ، فليس أمامهم غير حقيقة واحدة ، هى أن الذبذبة الفكرية ما هى إلا انعكاس مباشر للذبذبة النفسية ... وهذه هى المرحلة الثانية التى تدفع بهم إلى الباب الأخير ليفتح على مصراعيه !

ولنا بعد ذلك أن نسأل : ما هو المفتاح الأصيل الذى نعالج به هذا الباب لنضع أيدينا على سر تلك الذبذبة التى وجهت العقلية العلائية هذه الوجهة التى لا تطمئن إلى رأى ولا تستقر على حال ؟ أهو العمى ؟ أهو تلك الآفة التى أصيب بها وحرمته نعمة الضياء وردد وقعها على نفسه فى كثير من شعره ؟ !

إن العمى قد يبعث على الألم ، وقد يدفع إلى الشكوى ، وقد يحض على التشاؤم وكراهية الحياة ، ولكنه إذا سبب هذا كله لأبى العلاء ، فإن منطق الشعور لا يرتضى أن يخرج أبو العلاء عن دائرة الألم والشكوى والتشاؤم ، فما بال الرجل قد خرج عن هذه الدائرة وتذبذب بين الأمر ونقيضه ، وانحرف مرة نحو اليمين ومرة أخرى نحو الشمال ؟ !

ونعرض للمشكلة من زاوية أخرى فنقول : إذا مال الباحثون إلى الأخذ بهذا التفسير الذى يلتمس فى الآفة الجسمية سر النظرة إلى الحياة فهو تفسير غير مقبول ... فما أكثر المكفوفين الذين امتلأت حياتهم بالنور ، وامتلأت نفوسهم بالرضا ، ونظروا إلى الدنيا من خلال منظار أبيض يحيل الدمعة فى عيونهم فرحة وابتسامة ، وما أكثر المبصرين الذين نظروا إلى الدنيا من خلال منظار أسود فقضوا كل أيام الحياة وهم يتخبطون فى الظلام !

ليست الآفة الجسمية إذن هى مصدر هذا القلق الذى أقض مضاجع الفكر فى شخصية أبى العلاء ، ولكنه فيما أعتقد شىء آخر نفسر على ضوئه المشكلة دون أن نحمل النفسية العلائية ما لا تطيق ... إنك لو رحت تبحث عن سر القلق والاطمئنان فى كل شخصية إنسانية لما وجدته ممثلا إلا فى كلمتين : هما فراغ الحياة ، وامتلاء الحياة !

نعم ، وهذا هو المفتاح ... المفتاح النفسى البسيط الذى لا غموض فيه ولا تعقيد ... لو فرغت الحياة عند المبصر وغير المبصر لغدت فى رأى الشعور وهى مأساة تحفل باللوعة والألم والعذاب ، ولغدا الفكر الثابت المستقر وهو نهب لزلزلة الرياح والأعاصير !

ولو امتلأت الحياة عند المبصر وغير المبصر لأصبحت فى رأى الشعور أملا كبيراً تتبخر تحت أشعته المتوهجة قطرات الهم والأسى وتفر أشباح الحرمان !

الفراغ فى حياة أبى العلاء ولا شىء غير الفراغ ، وعلى هديه نلتمس العلة الأصيلة لتلك الذبذبة النفسية ممثلة فى هذه الذبذبة الفكرية !

ولنا بعد ذلك أن نسأل : أى لون من ألوان الفراغ كان يشكو أبو العلاء ؟

إنها ثلاثة ألوان : فراغ النفس ، وفراغ القلب ، وفراغ الجسد ... ولك أن تردها جميعاً إلى الحرمان ؛ فنفس أبى العلاء كانت تشكو الحرمان من العطف ، وقلب أبى العلاء كان يشكو الحرمان من العاطفة ، وجسد أبى العلاء كان يشكو الحرمان من المرأة !

وقف طويلا عند هذا الحرمان الأخير ، فهو مصدر الحرمان كله ، ومركز الفراغ كله ، وعلة هذا القلق الذى وجه أبا العلاء ألف وجهة ، وحيره بين ألف رأى وعقيدة ، وقذف بعقله إلى

ألف درب من دروب الفكر ، حيث يتجلى التناقض والتضارب والاختلاف !

هذا الجدب العاطفى فى القلب الإنسانى ، وهذا الكبت الطويل المنيف للغريزة الجنسية ، هما فى رأيى — ولا شىء غيرهما — مركبا النقص الخطيران فى شخصية أبى العلاء ، ولا حاجة بنا إلى الحديث عن مركب النقص وأثره فى توجيه العقول والأفكار !

لقد سألنى الأديب العراقى الفاضل : لو لم يكن أبو العلاء أعمى فما ذا يكون رأيه فى الحياة عند ذاك ؟

ترى أيحتاج بعد هذه الدراسة النفسية إلى جواب ؟ !

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

أشكر للأديبة الفاضلة التى كتبت إلىّ مهنئة بشهر الصوم ، أشكر لها هذه العاطفة النبيلة التى حملتها إلىّ سطور وكلمات ، أما عن سؤالها إذا كنت مسلماً أو مسيحياً فأنا مسلم والحمد لله . ولو رجعت إلى بعض أعداد « الرسالة » لتأكدت من صدق هذه الحقيقة ! أما عن قضيتها الأدبية فأرجو أن تثق كل الثقة بأننى معنى بها كل العناية ، وسأبذل كل ما فى وسعى لأقنع « صاحب الأمر » بعدالة هذه القضية . وأنتقل إلى الرسالة الثانية التى تلقيتها منذ أيام من « دمشق » حيث يقول مرسلها الأديب الفاضل عزة عثمان : « أود أن أتقدم بواجب الشكر وعظيم الامتنان ، لما أفدته من أبحاثك حول (الفن والحياة) ... لقد تفهمت تماماً — على الرغم مما قاله الدكتور طه حسين — كل معنى قصدت إليه ، وقد توارد على فكرى وأنا أقرأ ردك على كلمتى الأستاذين طه والحكيم ، مايقول الأستاذ راجى الراعى : « جليلة هى الموجة المقتحمة الهائجة وأجل منها الصخرة التى تردها ! » يا صديقى ، أشكر لك هذه التحية الكريمة وأقول لك رداً على الأسئلة التى وجهتها إلىّ : إن الترجمة القديمة خير من الترجمة الجديدة ، خير منها من جميع الوجوه التى عرضت لها فى رسالتك ، وأكتفى بهذا القدر من الإجابة دون التعرض للأسماء حتى لا يحرج بعض الناس ! أما عن رجائك فى أن أترجم لقراء الرسالة — ولو مرة فى كل شهرين — فصلاً أو قصيدة أو قصة أختارها مما بين يدى من نتاج كتاب الغرب ، فإننى أجيبك على هذا الرجاء بأننى لا أميل كثيراً إلى الترجمة لأنها ميدان لا تظهر فيه الشخصية الفكرية كما تحب أن تظهر ، ولعلك تلمس من كتاباتى أننى إذا قرأت فصلاً من الفصول فى الأدب الغربى أو الأدب العربى حرصت كل الحرص على أن أقف منه موقف العارض والمحلل والناقد ، وأظنك توافقنى على أن الترجمة لا تحقق لى شيئاً من هذا الشغف الذى فطرت عليه ! ومع ذلك فأنا أرجو أن أحقق هذه الرغبة يوماً لأنها رغبة صديق .

ولا بد من الشكر مرة ثالثة لصاحب الرسالة الثالثة ، وهو الأديب الفاضل محمد دوبلة من « شرق الأردن » ... يا صديقى إننى أرحب بصداقتك وبكل صداقة يعطرها الخلق والوفاء ، وإذا كانت « من الأعماق » و « من وراء الأبد » قد ربطتنا بينى وبين كثير من القراء برباط المودة الروحية المتسامية فكم أود أن أكثر من هذا اللون الوجدانى ليزداد عدد الأصدقاء المتذوقين . أما الرسالة الرابعة فهى من الأديب الفاضل محمد تميم بمصر الجديدة يقول الأديب الفاضل : « أرسلت إليكم كتاباً طلبت فيه شرح الخطوط الفنية التى درستم على ضوئها إنتاج الأستاذ سهيل إدريس القصاص اللبنانى فى العدد (٨٣٤) من « الرسالة » ، واليوم أعود فأطالبكم ثانية بهذا الشرح ، وأرجو أن يكون وافياً موضحاً بالأمثلة من كتاب القصة عندنا وفى الغرب » . إن ردى على هذه الرغبة هو أن بين يدى كثيراً من كتب الأدباء فى انتظار النقد وكثيراً من أسئلة القراء فى انتظار الإجابة ، فإذا أرجأت التعقيب بعض الوقت على هذا الموضوع فأرجو المعذرة !

كتاب جديد للأستاذ أحمد الصاوى محمد :

لست أدرى كيف أشكر للصديق الأثير الأستاذ أحمد الصاوى محمد هذه التمة الروحية الخالصة التى غمرنى بفيضها حين أهدى إلىّ كتابه الجديد « بنات » ... إن الذين يعرفون الصاوى كما أعرفه ، يعرفون فيه إنساناً يضع قلبه على يديه ليقدمه إلى الناس فى غلاف من سمو العاطفة ، ومن هنا كان الصاوى فى أكثر كتاباته دقات قلب تسبق وثبات قلم ، وبخاصة فى هذا الكتاب الجديد الذى كنت أود أن أقدمه إلى القراء فى هذا العدد لولا ضيق النطاق ، فإلى العدد القادم حيث أضعه على مشرحة النقد والتحليل .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ذكريات منسية:

جاءت ذكريات ثلاثة من أعلام النهضة الأدبية والفكرية بمصر في الأسبوع الماضي، وهم الشيخ محمد عبده، والمنفلوطي، وحافظ ابراهيم، فماذا لقيت هذه الذكريات من اهتمام؟

أما الشيخ محمد عبده أستاذ الأساتذة والرائد الأول لإصلاح الأزهر، ونافض الغبار عن الفكر الإسلامي في العصر الحديث، فقد انحصر إحياء ذكراه في حديث عنه للدكتور عثمان أمين بالإذاعة يوم الذكرى الموافق ١١ يولية الحالي، وكذلك السيد مصطفى لطفي المنفلوطي الكاتب الإنساني الذي أحبه كل قارئ وقرأه كل شاد في الأدب، إذ كان كل نصيبه من الذكرى حديث عنه للأستاذ محمد خلف الله أحمد يوم ذكراه الموافق ١٢ يولية الحالي، أما حافظ ابراهيم شاعر النيل الذي ظل حياته يشجي بالتعبير عن أوجاع مصر، فقد نسيته مصر وتجاهلت ذكراه الموافقة ٢١ يولية الحاضر، وأنكرته الإذاعة كأنها لا تعلم أنه كان في مصر شاعر اسمه حافظ ابراهيم!

وقد اقتربت ذكرى أمير الشعراء أحمد شوقي بك، ولا بد أن الإذاعة ستستعد لإحيائها كما تفعل كل عام بذلك البرنامج الحافل الذي يتلخص في إذاعة فصل من مسرحية مجنون ليلى، وإدارة (اسطوانة) يا جارة الوادي، وجفنه علم الغزل!

منذ شهور احتفلت سفارة الباكستان في القاهرة بذكرى شاعرها الكبير محمد إقبال، وكان ذلك فرعاً أو مشاركة للمهرجان الكبير الذي أقيم في الباكستان للشاعر العظيم، ومن نحو شهرين تألفت لجنة في مصر للاشتراك في إحياء ذكرى الموسيقى العالمي شوبان، واجتمعت هذه اللجنة في وزارة الخارجية، ووضعت برنامج الاحتفال الذي سيكون في سبتمبر القادم، ومنذ قليل تلقت وزارة المعارف من هيئة اليونسكو كتاباً يتضمن أنها ستحتفي بذكرى الشاعر الألماني جيته وتدعو مصر إلى الاشتراك في إحياء ذكراه، ونشرت الصحف أن الوزارة أخذت في العمل على تأليف لجنة من الأدباء والفنانين المصريين للاحتفال في مصر بذكرى جيته.

ولو ذهبنا نسوق الأمثلة لاهتمام الأمم والدول بذكريات أعلامها من الأدباء والفنانين والمفكرين لطال المقام، كما يطول بسياق الأمثلة لجحود مصر ونسيان الراحلين عنها بعد أن فنوا بأداء رسالاتهم فيها، والعجيب أن تهتم بمشاركة غيرها في الاحتفال للذكريات وهي لا تهتم بذكريات أبنائها!

وجدير بالغير ألا يهتم بهم ما دامت هي غافلة عنهم!

والتقصير في ذلك يرجع إلى الجهات الحكومية وإلى الهيئات الأهلية، أذكر من الأولى وزارتي المعارف والشؤون الاجتماعية والإذاعة، ويختص الأزهر بالتقصير في جانب الشيخ محمد عبده!

وما أكثر الجميات الأدبية والثقافية في مصر، وما أقل الأدب والثقافة فيها! وإن أليق شيء بها أن تقوم بإحياء ذكريات الأدباء والمفكرين.

ولا ينبغي أن يهمل ذكر الصحافة في هذا التقصير، فإنه لا تغني كلمة هنا ونتفة هناك، ولا شيء هنا وهناك ...

وكذلك الكتاب الذين عاصروا وعاشروا الشخصيات التي نسيت ذكرياتهم، وهم أولى الناس بأن يذكروها.

وأعتقد أن أولئك الراحلين ليسوا في حاجة إلى تلك الحفاوات والاحتفالات، إنما تنفع الذكرى الأحياء بما يجلي عليهم في إحيائها من آثار أدبية ومثل عالية في حياة من تحيا ذكرياتهم، فهي للجيل الحاضر معرض رائع من صور الإنسانية الراقية في حياة الماضين ومما يلابسها من آداب وعلوم وفنون ... فذكروا الأحياء بذكرى الأموات!

تعليم العربية في جنوب السودان:

رددت الصحف أخيراً أنباء خلاف وقع في السودان بين وزير المعارف هناك السيد عبد الرحمن علي طه وبين

السلطات البريطانية على دراسة اللغة العربية فى مدارس السودان الجنوبى ، وقالت الأنباء إن السيد عبد الرحمن قام برحلة إلى الجنوب تفقد فيها حالة التعليم هناك ، ولما عاد إلى الخرطوم رأى ضرورة اعتبار اللغة العربية لغة أساسية فى مدارس الجنوب وهذا النبأ يدل على حقيقة تدعو إلى الأسف ، وهى أن أهل السودان الجنوبى يعلم من يعلم منهم بغير اللغة العربية ، بالإنجليزية طبعاً . . ولكن الإنجليز لا يشاركوننا هذا الأسف بطبيعة الحال ، بل هم يدهشون لاجتراء وزير المعارف السودانى على الاهتمام باللغة العربية واتخاذها مادة أساسية بتلك المدارس ، ولا بد أن يعارضوا فى ذلك ويلتمسوا لمعارضتهم أسباباً تحمل (ماركة) البرود الإنجليزى المشهورة ... قالوا : إن هذه خطوة سابقة لأوانها ! واعتلوا بعدم وجود مدرسين للغة العربية ملمين باللغة المحلية الجنوبية . . ومعنى هذا وذاك باللغة العربية الفصيحة ، أنه يجب ألا يتعلم السودان الجنوبى إلا الإنجليزية ولا تفتح أبوابه إلا للإرساليات المسيحية التبشيرية ، أى يجنب كل ما يربطه بالشمال من تلك الروابط التى تقلق البال البريطانى

ولعلك تعلم أن فى (ملكال) من جنوب السودان مدرسة ابتدائية مصرية أنشأتها وزارة المعارف المصرية منذ سنوات هناك حيث توجد إدارة للرى المصرى ، وأن هذه المدرسة يعلم فيها معلمون مصريون أبناء الجنوب باللغة العربية ، ويمتحن تلاميذها فى امتحان الشهادة الابتدائية المصرية ، وقد نجحت جهود هذه المدرسة نجاحاً ملحوظاً . فهل المعلمون المصريون يفهمون اللغة المحلية فى جنوب السودان أكثر مما يفهمها معلمو شمال السودان ؟

ثم كيف توافر معلمو اللغة الإنجليزية الذين يعرفون لغة أهل الجنوب دون أن يتوافر مثلهم معلمون للغة العربية ؟ إذا كان معلمو الإنجليزية من السودانيين الشماليين فحكمهم حكم من يعلمون اللغة العربية من مواطنيهم ، وإن كانوا من الإنجليز فما أحسبهم يدعون أن هؤلاء هم الذين أوتوا القدرة على فهم لغة الجنوب .

إن ما يبديه البريطانيون فى السودان بهذا الصدد إنما هو تعلات يقصد بها الوقوف فى وجه الثقافة المصرية خاصة ووجه

كشكول الأسبوع

◘ سبق أن أشرنا إلى موافقة مجلس كلية الآداب على تعيين الأستاذ عبد الوهاب حمودة أستاذاً لكرسى شوقى . ونضيف الآن إلى ذلك أن المذكرة المعدة لهذا الغرض تتضمن أن يكون ذلك ترقية للأستاذ على أن تسند الدراسة نفسها إلى أستاذ كبير غير متفرغ قد يختار من الأساتذة الذين أحيلوا إلى المعاش . وقد رفع الموضوع إلى مجلس الجامعة .

◘ الصديق الكريم الأستاذ محمد سعيد العريان أديب مهزأ ، وآخر ما حدث له أن سطا بعض اللصوص على داره فسرقوا ما يقدر بنحو مائتى جنيه . وقد رفع هذا الحادث رؤوس الأدباء إذ أثبت أن فى بيوتهم ما يطمع السارقين ... لا أخلى الله بيت الأستاذ مما يسرق ، على ألا يسرق .

◘ استقر الرأى فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية على إخراج معجم فيشر ، وهو المعجم الذى كان يشرف عليه فى المجمع الدكتور فيشر المستشرق الألمانى ، وانقطع العمل فيه بانقطاعه عن مصر فى خلال الحرب حتى توفى أخيراً . وتقوم فكرة هذا المعجم على بيان معانى الكلمات فى تراكيبها المأثورة . وقد شكلت لجنة من بعض موظفى المجمع لمراجعة ما خلفه فيشر من قصاصات وأوراق خاصة بالمعجم . وتتجه الرغبة إلى أن يتولى إعداده للطبع أحد المستشرقين الذين اشتركوا مع فيشر فى هذا العمل .

◘ جاء من باريس أن مدير جامعة باريس أقام مأدبة غداء تكريماً للدكتور طه حسين بك حضرها جماعة من رجال الفكر فى فرنسا ، كما حضرها سفير مصر فى باريس الذى أعرب عن اغتباطه بما سمع من تنويه المثقفين الفرنسيين بمواهب الكاتب المصرى الكبير وإعجابهم بمؤلفاته التى ترجم كثير منها إلى اللغة الفرنسية .

◘ وجاء من باريس أيضاً أن الأب جومبيه عضو المعهد الفرنسى بالقاهرة ألقى محاضرة عن مصر بين فيها خطأ السائحين فى قصر اهتمامهم على الآثار الفرعونية ، فقد تعاقبت على مصر حضارات أخرى كحضارة البطالسة والحضارة الإسلامية ، وخلفت فيها آثاراً جديرة بالاهتمام ؛ وكذلك ينبغى الوقوف على مظاهر التقدم الحديث فى مصر .

◘ يهتم الفنيون فى وزارة المعارف بمعرض (مصر — فرنسا) الذى يفتتح فى ٢٦ سبتمبر القادم بباريس ، وذلك من حيث اشتراك مصر فى معروضاته والإشراف على تنظيمه وسيحضر افتتاحه معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف ، وقد ندب بعض موظفى الوزارة للسفر إلى باريس للاشتراك فى الإجراءات التمهيدية لافتتاح المعرض

انتشار التعليم على العموم ، فهم لا يريدون تعليماً يستنير به المتعلمون وإنما يريدون تعليما «يجلنز» وحسب . وزمام الإنجليزية فى يدهم يطبعون من يعلمونه بها كما يشاؤون ، بخلاف الأمر فى تعليم العربية غير المأمون.

وتلك « التعلات » ليست جديدة علينا ، فقد سمعناهم من عهد قريب يقولون — لمعارضة التوسع فى إنشاء المدارس المصرية بمدن السودان — إنه ليس من مصلحة البلاد تعدد الثقافات فيها وقد فندت هذا القول فى حينه . ثم خطب بعد ذلك معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف فى حفلة نهاية العام الدراسى الماضى بكلية فيكتوريا الإنجليزية فقال إنه يرى نجاح هذه الكلية فى مصر دليلا على فائدة تعدد الثقافات !

وكانت هذه رمية مسددة من معاليه كان أحرى بالإنجليز فى مصر أن يبعثوا بها إلى زملائهم فى السودان ، ولكنهم لم يفعلوا لأنهم يوقنون أن ما يقوله الزملاء هناك إنما هو « تعلات ».

وبعد ، فإنى أبعث إلى السيد عبد الرحمن على طه بتحية من شمال الوادى ، لتشدده فى أن تدرس اللغة العربية دراسة أساسية فى جنوب السودان ، تشدداً بلغ حد التهديد بالاستقالة ، ويبدو من آخر الأخبار أنه مصر على رأيه وأنه أدنى إلى النجاح فيه ، وهو موقف مشرف ينظر إليه التاريخ نظرة ملؤها الاحترام والاعتبار .

مركب إذاعة :

إذا رأيت فى الصحف أو سمعت فى البرلمان نقداً للاذاعة ينصب على تقصيرها فى مسألة من المسائل التى يجب أن تهتم بها ، فلا بد أن ترى على أثر ذلك فى مجلة الإذاعة المصرية — إن كنت تراها — أن إذاعتنا مهتمة بهذه المسألة أكبر الاهتمام ولم تتوان عن أن تتخذ فيها كيت وكيت ، وذلك بأسلوب يجتهد فيه كاتبه أن ينطلى موضع المؤاخذة بالتعميم والتهويش دون أن يحرج نفسه بالتفصيل والتبيين ؛ وبذلك تحاول الإذاعة أن تعوض النقص ، ولكنها تركبه ..

وآخر مثل لذلك ما أخذه الكتاب على الإذاعة من تقصيرها فى تسجيل روايات نجيب الريحانى المسرحية ، وكانت الإذاعة تذيعها من مسرحه ، فكان أن توفى ولم يسجل له عمل مسرحى .

ثم طلعت مجلة الإذاعة فى الأسبوع الماضى (عدد ٧٤٥) تقول إننا سنقدم قريباً رواية للريحانى ، وأعقبت ذلك بأن الإذاعة المصرية تحتفظ بتسجيلات وافية لأصوات العظماء والأدباء والفنانين ، وأنها لم تقصر فى هذا المضمار .

وتوهم المجلة بذلك أنها سجلت شيئاً للريحانى ، دون أن تحرج نفسها بذكر اسم الرواية ، على طريقتها التعويضية المتقدمة .

وأخيراً ، يوم الخميس الماضى تمخض المذياع فنقل من سينما استديو مصر فلم (سى عمر) لنجيب الريحانى !

وكفى الفلم الإذاعة عناء التسجيلات ! !

عباس خضر

◻ أعلنت سفارة الباكستان فى القاهرة عن حاجة الإذاعة الباكستانية إلى مدير للقسم العربى بها ومساعدين له ، وذكرت الشروط التى يجب توافرها — من حيث الكفاية والمؤهلات — فيمن يتقدم لهذه الوظائف . والشروط فى جملتها لا تتحقق فى واحد من كبار المشرفين على إدارة الإذاعة المصرية وخاصة المراقب العام .

◻ كتب الأستاذ سلامة موسى فى « النداء » يوم الثلاثاء الماضى مقالا حمل فيه على من يسمى دولة إسرائيل (مزعومة) « لأنه بهذه الكلمة يحملنا على الاستهانة بهذه الدولة الجديدة التى تحاول أن توجد مجتمعاً علمياً وحكومة علمية وأخلاقاً علمية » كما قال : وهذه عينة أخرى من الأفكار الحرة « المزعومة » التى يدافعون عنها فى رابطة اللا أدباء .

◻ ظهر العدد الأخير من مجلة الإذاعة المصرية ، وعلى صفحة غلافه الأولى صورة مسجد ، وعلى صفحة الغلاف الثانية صورة امرأة عارية (بالمايوه) — خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً .

◻ أعلنت جريدة الزمان بجريدة الأهرام عن مسابقة شعرية تجريها فى (ركن الأدب) بها بين الشعراء الناشئين . ولعل الجريدة ترمي بالإعلان فى زميلة أخرى وعدم الاكتفاء بالنشر فيها إلى أن تنبه من لا يقرؤها من الشعراء الناشئين إلى المسابقة . وقد رأيت أن أتمم لها هذا الغرض بهذه النبذة.

◻ أنشأت الجالية اللبنانية بمدينة مكسيكو مدرسة عربية ، وقد بلغ عدد تلاميذها ٢٥٠ وكلهم من أبناء المهاجرين العرب الذين يرغبون فى درس لغة وطنهم الأول .



بيان وتنبيه !

١ – قرأت للمرة الأولى كتاب التصوف وفريد الدين العطار للدكتور عبد الوهاب عزام بك مع نقده فى مجلة الكتاب الغراء ، وقد طلب الناقد الكشف عن فقرة فشرحتها ، ولم يتيسر إيضاح الفقرة الثانية .

ثم قرأته للمرة الثانية ولا زالت تلك الكلمة أمام ناظرى ، حتى تبين لى وجه الصواب فيها . وتلك الكلمة هى قول الجنيد كما وردت فى الكتاب المذكور « ليس الاعتبار بالخرقة ، إنما الاعتبار بالُحرقة » .

وقد قال الناقد عنها فى مجلة الكتاب «وهذا يدعو أن نسأل الدكتور عن تساهله أحياناً فى إيراد القول الواحد على وجهين قد لا يتأثر بهما المعنى، ولكن تتأثر بهما إرادة التحقيق ، فقد روى فى ص٢٩ عن الجنيد أنه قال : ليس الاعتبار بالخرقة ، إنما الاعتبار بالُحرقة » وفى ص ٣١ ذكر أن الجنيد قال : إنما الاعتبار بالحرقة وليس الاعتبار بالخرقة «ومؤدى الروايتين وملفوظهما يكاد يكون واحداً لولا الفرق بين إيراد النفى أولا والحصر بإنما ثانياً وما يتبع ذلك من فرق دقيق فى المعنى من حيث علم المعانى ... » .

وأقول : إن الصوفية همهم العمل ظاهراً وباطناً ، فظاهراً الاحتراف وعدم الكسل ، وباطناً تنقية النفس من أدرانها حتى تكون العبادة على صفاء . وقد كان الأكابر من رجال الطريق عند ما يأخذون على أحد العهد يقرونه على حرفته ويطلبونه منه عدم تركها والإحسان فيها . ولذا كان الخواص يقول : إن الذى يأكل من كسبه ولو مكروهاً كالحجام أحسن من المتعبد الذى يأكل بدينه ويطعمه الناس لصلاحه . وكان رضى الله عنه لا يجيب فقيراً إلى طعامه إلا إذا علم أن له كسباً شرعياً من تجارة أو زراعة أو صنعة . وقد سأل شخص من الأمراء أن يعمل له مولداً فأبى الشيخ وقال : والله إن كسبى من هذا الخوص لا يعجبنى الأكل منه ، فكيف آكل من كسب الأمراء أو أدعو الناس إلى الأكل منه !

مما ذكر يتضح أن التصوف الحق هو العمل وهو المراد من قول الجنيد رضى الله عنه . وصحة قوله هو : ليس الاعتبار بالخرقة ، أى بلبس ثياب المتصوفة ، إنما الاعتبار بالحرفة أى الصنعة . بمعنى أن الدين الصحيح والعبادة الحقة ليس لبس الإنسان لباس التقشف والمعيشة على حساب الغير وترك التكسب ، وإنما هو الإحتراف ومنفعة العباد ، فلا خير فى شخص لا فائدة فى حياته . وهذا نبى الله داود عليه السلام مع مرتبته « كان يأكل من عمل يده » .

فالعمل فى نظر المتصوفة هو الحياة ، ولا خير فى حياة بلا عمل .

٢ – ظللت أرتع فى رياض كتاب « عبقرية محمد » للأستاذ عباس محمود العقاد وأستمتع بالنظر إليها وبأريجها ، وبما فيها من جمال وجلال ، ولكنى وجدت نبتة صغيرة — ليس لها مكان — يسهل اقتلاعها إذ لا يصح أن يشملها هذا الروض العطر .

وأفصح فأقول وجدت حديثاً فى ص٢٣٩ وهو « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف ... » .

وهذا الحديث القدسى ليس مذكوراً فى الكتب المعتمدة فى الحديث ، وقد قال عنه ابن تيمية : ليس من كلام النبى عليه السلام ولا يعرف له سند صحيح . «وتبعه الزركشى وابن حجر والسيوطى وغيرهم ، ومن المتأخرين من أفتى ببطلانه . ولو ورد على لسان بعض المتصوفة فليس لبعضهم باع فى ذلك وقد قال أحد أكابرهم وهو الغزالى « أنا مزجى البضاعة فى الحديث » . ولأن مدار صحة الحديث على السند ، وهذا الحديث الذى معنا لا سند له .

ولو خلا منه كتاب الأستاذ العقاد لما أثر فيه ولما ذهب من جماله شىء بل يزيده جمالاً فوق جماله .

(شطانوف) **محمد منصور خضر**

حب عذرى :

يكاد يجتمع الكاتبون فى عصرنا على أن الحب الطاهر لم

يعد له وجود إلا فى بطون الكتب ، وخيالات الشعراء ، وأدمغة المحررين ، ويرون أن الحب إن كان بالأمس سموا بالنفس عن الدنيات ، وارتفاعاً بالروح عن أوضار التراب ، فإنه اليوم شهوة جسد إلى جسد ، ورغبة جنس فى جنس ، قالوا ، ولا يدعى الهوى الطاهر إلا أحد رجلين إما مجنون أو مغالط .

وقد حدثنى صاحبى — وما عهدته يكذب — بقصة أسوقها لقراء الرسالة ، أنا أعلم أن الجم الفقير منهم سيزم شفتيه ، ويجحظ بعينيه ، ويرسل خياله فى الأفق ثم يقول : أين ، ومتى ؟ وأن القليل ، أو الأقل من القليل ، سيتفاءل ، ويقول : يحتمل ، ولكننى على كل حال واثق من صدق صاحبى ، مؤمن بما قال ، وقد أوجز قصة صاحبته فقال : هى فتاة لم تبلغ العشرين من عمرها ، وهذه السن هى سن الطيش والنزق عند الفتيان والفتيات ، ولكن هذه الآنسة أثبتت بسلوكها أن الفتاة المتدينة المحافظة ، المترفعة بنفسها ، الخاضعة لكبريائها ، تستطيع أن تكون قوية الإرادة ، صادقة العزيمة ، فلا تندفع وراء عواطفها ، ولا يجرفها التيار ، رأته فأحبته ، أحبته حباً شديداً ملك عليها نفسها ، وسيطر على مشاعرها ، وكما يقول الرافعى رحمه الله : « أراه حباً فالقاً كبدى » كان شاباً مديد القامة ، أبيض الوجه ، مفتول العضل ؛ وكان فوق ذلك (فناناً) ، أحبته ، وتطلعت نفسها إليه ، وأوشكت أن تنزل إلى الشارع لتتحدث إليه ، وتنعم بقربه ، ولكنها — بعد جهاد نفسى عنيف — خضعت لكبريائها ، ونزلت عند تقاليد أسرتها ، فآلت على نفسها أن تتجلد ، وتتحمل ، وأن تترك حبه يفعل فى نفسها ما يفعل .

قال صاحبى : وأتيح لى أن أطلع على سرها وأن أتحدث إليها فيه ، فسألتها مرة : كيف عرفت هذا الفتى ؟ قالت : رأيته يروح ويغدو إلى مدرسته فى هدوء الفنان ، قلت : ما اسمه ؟ قالت : ذلك اسم مقدس ، لا أسمح لنفسى أن تنطق به ، ولا أبيح لغيرى أن ينطق به أمامى ، قلت : هل تريدينه زوجاً لك ؟ قالت : لا . إنه جميل ، إنه أجمل منى ، وأنا لا أصلح له . إن كل ما أرجوه أن يبلغ قمة الشهرة فى فنه ، وأن يتزوج بفتاة جميلة تسعده ، ولا أريد أن يضحى بعواطفه فى سبيلى . قلت : كأنه يحب أخرى ، قالت : نعم ، قلت : هذا شاب صغير النفس ، قالت تريد سيدى ، أرجو أن تتأدب فى الحديث عنه . إننى أحبه حباً خالصاً ، لا أريد من ورائه ما تريده الفتيات أمثالى ، وسأظل وفية له ، ولو أحب مائة فتاة أخرى . ويا حبذا لو استطعت أن أقدم إليه ما يساعده على بلوغ آماله .

تلك هى قصة هذه الفتاة المثالية ، فما رأى قراء الرسالة ؟

على العمارى

الجمع بين الأختين :

ورد فى القصة التى نشرتها السيدة بنت الشاطىء فى مجلة الهلال لشهر حزيران (يونيه) إن الزوج قد جمع بين أختين فى زواج واحد ، حيث قالت الكاتبة : (حيث شاع فى الحى بعد حين أنه تزوج من أختها وهى أرملة ...) وجاء أيضاً فى الصفحة ذاتها (... فسكنت حيث هى ، تضع عيناً على طفلها ، وترسل الأخرى وراء الزوج والضرة الأخت وبنتيها) .

ولما كان أدب القصة يقضى أن تكون القصة منتزعة من صميم المجتمع مصورة تقاليده ، واعية شعائره ، ممثلة لشتى النزعات والخلجات التى تدور فى نفوس أشخاصه لكى يسهل أداء الرسالة وتحقيق الغاية التى يهدف من ورائها القاص . ولست أدرى كيف غرب عن بال الكاتبة الفاضلة أن الجمع بين الأختين محرم فى الشريعة الإسلامية السمحة ، إذ أن القاعدة فيها أنه يحرم الجمع بين امرأتين لو فرض أحدهما ذكراً حرمت عليه الأخرى ، كالجمع بين الأختين وبين امرأة وعمتها أو خالتها أو بنت أخيها أو بنت أختها . لأنه لو كانت أحداهما رجلاً » كانت الأخرى أخته أو عمته أو خالته أو بنت أخيه أو بنت أخته وذلك لقوله تعالى فى كتابه الكريم : (وأن تجمعوا بين الأختين) . ولقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها ، فإنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » وبهذه المناسبة أقول إن الجعفرية تذهب إلى أنه يجوز للرجل أن يتزوج على امرأته بنت أخيها أو بنت أختها برضا من امرأته . وبعمتها وخالتها مطلقاً قاصرين الجمع على ما ورد فى النص .

هذا وللكاتبة الفاضلة ولصاحب (الرسالة) الغراء جزيل الشكر

(بغداد — كرخ) **محمد العبطة المحامى**



قصة من لبنان :

رفيق عـــلام ...

[مهداة إلى الصديق الأستاذ أنور المعداوى]

للاستاذ سهيل إدريس

كانت تشدنى إلى رفيق علام صداقة مخلصة وثقت أواصرها خمسة أعوام تلازمنا فيها تلازم الظل وصاحبه . فلم يكن عجباً أن أدرك من شأن رفيق ، ويدرك هو من شأنى ، مثل الذى يتاح للاخ من أخيه . وقد كانت طبيعة عملنا التجارى الواحد ، وتجاورنا فى السوق ييسران لنا اللقاء ، كلما وجدنا من وقتنا سانحة . وكنا إلى ذلك نتواعد على قضاء سهراتنا فى الملاهى ، فيجد كلانا أن صاحبه أقرب إليه من نفسه .

والحق أن صديقى رفيق كان شاباً وسيما جـذاب الملامح ، ممشوق القامة ، تحسبه إذا ما رأيته من أولئك الذين يختارون اختياراً لتمثيل الأفـلام السينمائية ... وكانت الملابس -- إذا ما ارتداها -- تكتسب أناقة ليست هى من طبعها ، فتجتذب إليه أنظار النساء قبل الرجال .

وكان يسعدنى أن يجد رفيق فىّ وأجد فيه مستودعاً ينفض كلانا عنده ذات نفسه ، فكنا نتعاون على شـؤوننا ونتبادل المشورة فى الشجون ، حتى لم يكن أحدنا يحبس عن صاحبه خبيئة ، وقد أتيح لى بفضل ذلك أن أقف من حياة صديقى على نفسية شاب تعد نموذجاً بشرياً فى حياة الناس .

* * *

لقد تابعت عن كثب قصة حبه الأول ، ذلك الحب الذى كانت بطلته فتاة أقسم أنى لم أر أجمل منها فى النساء اللواتى أعرف وأرى . وقد عاش رفيق هـذا الحب بكل ما فى أردانه من طاقة الحيوية وبقصارى ما تنطوى عليه جوانحه من رصيد الشـباب وحميا الفتوة ؛ ثم تحطمت كأس الحب فى يده ذات يوم ، لشدة ما عصرتهـا أصابعه ، فخرج من ميدان المعركة مثخناً بجراحات دامية ، لا يكاد يملك وعيه من فرط ما كانت تورث فى نفسه من آلام . ولما اندملت الجراحات حسب أنه شفى ، وأن بوسعه أن يستأنف طريقه أثبت قدماً ، وآمن غاية .

ولقد سلك هـذه الطريق حقاً ، ولـكنى رأيته يتهاوى على الجانبين ، فأدركت أن آثار الصدمة لا تزال تفقده توازنه .

كنت أعرف الأثر الذى تركه حب « مها » فى قلبه وكيانه ونفسه . كنت أعرف عمق هذا الأثر ؛ فلم يكن بدعاً أن يبدو أعمق منه جرح خيانتها إياه ، فى أعنف فترة من فترات حبه . وقد بلغ من شـدة هذه الصدمة أن رفيق لم يحدثنى عن الخيانة إلا مرة واحدة بكلمات قليلة مقتضبة ، كأنما كان يرغب فى أن يوفر على نفسه العذاب الشديد الذى تبتعثه ذكراها ...

ومنذ ذلك اليوم ، تبدى لى صديقى كالشبح التائه الحائر ، يسير دون أن يمين مقصداً ومن غير أن يستشرف محجة . كان كهؤلاء الذين كتب عليهم أن يقضوا حياتهم هائمين سادرين ، فى طريق ضالة ، يتناولون الأحداث كما تأتى ، ولا يفـكرون بغير اللحظة التى يحيون .

على أن شـيئاً من ذلك لم يكن ليبدو فى ظاهر الحياة التى يسوقها صديقى ... بل لقد كانت آثار السعادة وآيات الرضى والمرح بادية على وجهه ، حتى تحسبه قد طرح عنه هموم الدنيا وتدرع باللامبالاة واتخذ من الحياة كلها أداة لهو ومتعة ... أفيكون هذا رد فعل عنيفاً للصدمة النفسية التى حطمت أعصابه وأوهنت قواه ؟

ولعل أعجب ما فى أمره أن سعادته تلك كانت تتجلى أكثر ما تتجلى إزاء مبعث شقائه الغامض ومصدر ألمه المكنون .. إزاء المرأة نفسها ... سعادة ترتسم بسمة على ثغره لا تغيض ، ومرحاً فى عطفه لا ينفد .

وكنت كلما لقيته أستمع إليه يحدثنى عن مغامراته فيصدقنى الحديث ، فلا أعجب من أن تقبل عليه الفتيات كلفات بحبه

شديدات الإعجاب بشبابه ، وكان هذا يتيح له أن يحظى من المرأة بما تمتنع عن بذله غالب الأحيان .

وقد كنت موقناً أن صديقى يطلب فى المرأة أول مايطلب الجمال الفاره ، والفتنة الطاغية ، وكان سرعان ما ينصرف عن الفتاة التى لم يجد عليها القدر بحظ بالغ من الجاذبية والحسن . وقد عرفنى ذات مساء بفتاة فى متجره ظلت صورتها مطبوعة فى عينى طوال تلك الليلة ، ولم أستطع أن أخنق شعور الحسد الذى داخلنى منه ! كانت « سميرة » — وهذا هو اسمها — ذات عينين تنفثان السحر ، وملامح تعجز يد الفنان النابغ عن أن تخط مثلها فى الدقة والانسجام ، وقامة نحتت فى قالب صناع .

وأقبلت على رفيقى فى اليوم التالى أسائله ؟

— إنها لجديرة بك حقاً ... فما تنوى أن تفعل ؟

فانتفض يقول : — أتزوجها ؟ أهذا ما تعنيه ؟

فأومأت برأسى إيجاباً ، فإذا هو يصمت لحظات ، ويرنو إلى بعيد فلا أرى فى عينيه غير الشرود . إنه لم يفكر فى هذا من قبل ، وها هو ذا غير مطمئن ولا مستقر ، كأنما كانت تخيفه فكرة الزواج .

وكان هذا شأنه أيضاً يوم سألته لماذا لا يخطب ابنة عمه التى كانت تهوى إليه بكل ما فى كيانها من حب ، وكانت تنعم بحظ وافر من الجمال والأناقة والثقافة ... وقد حدثنى هو نفسه عنها ، ولم يخف على أنه معجب بها ، وأنه سعيد فى أن يشعر نحوها بالحب ، ولكنى إذ جابهته بفكرة الزواج ، ألفيته يعود إلى حيرته وتردده ، كأنما لم يكن له الخيار فى أمره ...

على أن صديقى أخفى عنى أمراً واحداً ، هو أنه كان على علاقة بفتاة ثالثة لم يحدثنى عنها لحظة ، وقد رأيته فى صحبتها غير مرة فى مطعم أو ملهى ... وفاجأته ذات مساء بذكرها فعراه الارتباك ، ثم أخذ يضحك قائلا :

— لم أحدثك عنها خجلا منك ... إننى أبالغ حقاً فى علاقاتى مع النساء !

— فبادلته ضحكته ، ولكنى لم أجرؤ على مصارحته بأنى بت أخشى عليه كل الخشية ، وإنى أود لو يقر فى حياته على قرار ... هكذا كان رفيق : تحسبه إذا رأيته سعيداً مرحاً راضيا ، فإذا أحببت أن تكشف عن دخيلته ، ألفيت فكره وحسه غارقين فى أمواج متلاطمة من الحيرة والشك والاضطراب .

لقد كنت أقرأ فى عينيه أنه شقى فى أعماقه ، وأنه لا يدرى هو نفسه ما الذى يريد . وكان هذا الاضطراب مسطراً فى نظراته الشاردة التى لا تستقر على معنى ... بل كنت ألاحظ أنه كان يحاول جاهداً أن يتفادى النظر فى عينى والتحديق بهما ، كأنما كان يخشى أن أشرف من عينيه على عالمه النفسى المتهافت ...

ولم أجد آخر الأمر مناصاً من أن أجابهه برأيى الصريح ، فانتهزت فرصة أدركت أنه كان متهيئاً فيها للبوح والبث ، وساءلته بلهجة لا تخلو من تعنيف :

— إلام تنتظر يا رفيق ؟ ألست راغباً فى أن تستقر بحياتك على قاعدة ؟ إنك الآن فى فجر شبابك ، وإن بيدك المال وافراً ، فلماذا لا تتزوج إحدى فتياتك الثلاث ، وكلهن رائعات الحسن ، فتحظى بالطمأنينة التى تفتقر إليها ؟

وحاول أن يضحك وأن يعمد إلى المزاح ، ولكنه سرعان ما انقبضت أسارير وجهه ونظر إلى بإحداد ، ثم قال بعصبية :

— لا ... لست أطمع فى واحدة منهن ... إنهن لسن جميلات ... وأنا لا أحب إحداهن ولست أرغب فى الزواج .

وحين حاولت أن أظهر له خطأ نظرته إلى جمالهن قاطعنى يقول :

لا ... ليست واحدة منهن فى مثل جمال « مها » ويخيل إلى أنى لن ألقى بعد الآن فتاة جميلة مثلها ، وإنى سأبقى أبد الدهر أعزب .

كان هذا كل ما نطق به تلك الليلة ، ثم انصرف عنى ، على شدة رغبتى فى أن أستمع إليه وألتمس المزيد مما يشجيه ... والحق أن هذه العبارات اليسيرة كانت غامضة لم تحسر لى عن طوايا نفسه . وكل ما خلته ساعتذاك أن امتناعه عن التفكير بالزواج عائد إلى هذا الخوف الغامض الذى تمتلىء به نفسه من الخيانة ... ومن المرأة ... ومن الجمال ... ومع ذلك فهو لا يلتمس غير المرأة وغير الجمال ! إنه دون ريب لا يعى هذا الخوف ، ولو كان يعيه لما غرق فى هذه الحيرة التى تجعله تائهاً فى خضم الحياة ...

* * *

ثم وقع صديقى رفيق ذات يوم فجأة فى مرض أقعده زهاء ثلاثة أسابيع فى داره . وقد عدته فى هذه المدة غير مرة ،

وكان يشكو « الدوسنطريا » ، ولكنى أيقنت أن مرضاً نفسياً هو الذى أودى بصحته . وإنه كان يشكو عقدة توهن قواه .

وفى تلك الفترة ، عادت جراحات الذكرى تدمى روحه وضميره وترهق أعصابه ، ثم صارحنى بعزمه على أن يهجر البلاد ويسافر إلى أوربا . فإذا وجد راحة لنفسه استقر فيها ، وإلا عاد بعد أن يكون قد التمس من العزاء والتفريج قدراً كافياً للانطلاق فى طريق جديدة من طرق الحياة .

ولم أجد أنا مبرراً لأن أقنعه بالبقاء ، بل لقد شعرت بأن على أن أحثه على مغادرة الجو الذى فجع فيه بعاطفته البكر ، فلعله إذ يبتعد عنه يسلو ويتعزى ... ولعله يجد هناك — فى أوربا — المرأة الجميلة الرائعة التى تمحو من قلبه ونفسه صورة الفتاة الأولى التى يخيل إليه أنه لن يلاقى أجمل منها ...

وكأن هذا العزم أزال طرفاً من الحيرة التى كانت تقلق حياة رفيق ، فإذا البشر يعاوده ، وإذا سيماء المرح تشيع على محياه ، وإذا هو يشفى من نكسته فى وقت يسير ، ويأخذ بعد عدته للسفر إلى بلاد الغرب .

ولكنه ما لبث أن فاجأنى يوماً بأنه قد عدل عن السفر ، وأنه لا ينوى أن يغادر بيروت . وحين سألته تعليل هذا الانقلاب ، دعانى إلى تناول الغداء معه ذلك اليوم ، ووعدنى أن يزيل فضولى إذ أوافيه إلى داره عند الظهيرة . وجعلت أترقب حلول موعد اللقاء ، وبى عجب لا ينقضى ، ورحت أتساءل : لعل رفيق لقى فتاة حظى جمالها من إعجابه بما لم يحظه جمال سابقاتها الثلاث ! أو لعل « مها » نفسها عادت إليه تستغفره ، فصفح عنها ، واستسلم لجمالها الطاغى ؟ ...

وظللت فى حيرة وتساؤل شديدين حتى بلغت داره عند الظهر فاستقبلنى بترحاب لم أعهده منه ، وما عتم أن دلف بى إلى غرفة الطعام ...

وسرعان ما لاحظت أن المائدة كانت قد أعدت لثلاثة أشخاص ، وابتسم رفيق إذ أدرك أنى لاحظت ذلك ... ولكنه امتنع عن أن ينغم بحرف .

وإن هى إلا برهة وجيزة حتى قطع صمتنا وقع خطى متجه إلينا ، وقبل أن يتاح لى أن ألتفت إلى مصدر الصوت ، كان رفيق قد نهض مرحباً ...

وحين عدت إلى الجلوس ، بعد أن جلست هى ... كنت ملتاث الحس ، مختلط الذهن ، أكاد لا أميز معانى الأشياء .

لقد كانت هى ... علياء ، خادمة رفيق ...

يا إلهى ... إنها هذه الفتاة التى لم تكن تمتاز بأى حظ من الجمال ... هذه الفتاة التى كانت تخدمه فى إبان مرضه ، فلم أكن أوليها نظرة من نظراتى . إنها خادمته ... خادمته ...

وانتزعنى هو من وهدة التفكير المضنى ، حين سمعته يقول لى :

— إنها علياء ... وقد عرفتها ولا ريب ... لقد خطبتها أمس .

وكنت مطرقاً ببصرى إلى المائدة لا أرفعه إليه ، حتى رأيت يده تمتد إلى منبسطة تبغى المصافحة ، وسمعته يسألنى :

— ما بالك ... ألا تهنئنى يا صلاح ؟

فلم أستطع إلا أن أنظر إليه ...

وسرعان ما أحسست بكفى تمتد إلى كفه ، فتصافحها ، ثم تشد عليها بحرارة ، بينما كنت أتطلع فى عينيه .

لأول مرة منذ عرفت رفيق ، قرأت فى عينيه الطمأنينة والاستقرار .

(بيروت) **سهيل إدريس**

مطبعة الرسالة

العدد ٨٣٩ — الاثنين أول أغسطس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٩

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 839

Lundi — 1 — 8 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ شوال سنة ١٣٦٨ — أول أغسطس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

١٣ - أمم حــائرة

العــــدل أيضاً

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

(وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية)

إذا أثار الإيمان النفوس ورفعها وهداها إلى العدل ، ثم أنفت العدل ودربت عليه واطمأنت إليه ، وأخذت به فى الكبير والصغير ، والعظيم والحقير ، والجليل والدقيق ، وارتفعت عن الأهواء المتصادمة ، والمنافع المتقاتلة ، وأمرّت كلّ هذا فى الأنفس الثقافةُ والتربية والأسوة الحسنة ، والمثل الصالح ، سيطر العدل على الآراء والأقوال والأفعال ، وماتت العصبيات المضلة ، وهلك الهوى المفرّق .

يخلص الإنسان فى الفكر ، ويتنزه فيه عن الهوى ، ويعدل بين الحجج ، ويلتمس الصواب حيث كان ، ويسأل الله الهدى ، ويحرص عليه مبرّأ من الميل ، والجور وابتغاء مصلحة له أو مضرة لغيره فيدرك الحق أو يقاربه ،

ويخلص الإنسان فى قوله ، فلا يقول إلا بالحق ، وبالعدل ، ولا يتزيد لنفسه ، ولا يبخس حق غيره ، ويهجر الكلمة المضللة ، والقَولة الفاتنة ، ولا يلبس الحق بالباطل فيما يدعى لنفسه أو جماعته وفيما يدعى على غيره من الآحاد والجماعات ، ويتعاون الوحدان والجماعات على بيان الحق ، وإيضاحه ، وحياطته ، والدفع عنه ، وتيسيره للعقول ، وتقريبه إلى الأذهان ، وعرضه على الناس ، نقياً جلياً ، لا يحجبه ضباب الباطل ، ولا يخفيه زخرف الكذب وتمويهه . « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قُربى وبعهد الله أوفوا » .

لو سار النــاس على هذه السيرة أو قريب منها ، ما فتنتهم الدعاوى الباطلة ، وما أضلتهم الأقوال الخادعة ، وما سولت لهم أنفسهم أن يُلبسوا الباطل ثوب الحق ابتغاء منفعة لهم ، ويصوروا الحق فى صورة الباطل للاضرار بغيرهم ، وما ابتليت الأمم بهذه الجلبة والضوضاء التى يسمونها الدعاوة ، يدعى كل قبيل لنفسه ، ويزين باطله ، ويفترى على غيره ويبطل حقه ، وما أخذت الناس هذه الفتن ، والمحن فى العقائد والأقوال والأعمال ، وما سدّ القوىُّ على الضعيف الآفاق ، وضرب عليه الأسـداد بما ينشر ويذيع ويكرر نشره وإذاعته ابتغاء الغلَب بالحق والباطل ، بل إيثاراً للغلب بالباطل ، وحباً للظفر بالفرية والبُهتان .

لو سار الناس على السيرة العادلة أو قاربوها ما استعانوا بالنشر والإذاعة ، لترويج الأباطيل ، يفسدون بها الأخلاق ، ويفتنون بها الضعفاء ويُثيرون الخوف والقلق ، ويُشيعون الهرْج والمرْج ، ويزلزلون الجماعات لينالوا فى الفتن المائجة رغائبهم ، ويبلغوا فى النقع الثار رغائبهم ، لا يبالون أنصروا الحق أم خذلوه ، وباعدوا العدل أم قاربوه .

لو عدل الناس فى الرأى والقول ، وجعلوا العدل قسطاساً لهم ولغيرهم ، وحدًا بينهم وبين إخوانهم ، ما أجازوا بذل

الأموال ، لفتنة الأفكار ، والتوسل بالشهوات إلى تضليل العقول ، وما رضوا أن يحكم السلاح فى نشر المذاهب ، وزلزلة الجماعات ليبثوا فيها رأياً أو مذهباً .

ثم لو عدل الناس فى أعمالهم . ما شهدت الأمم هذا النزاع المستمر ، والقتال المستحر ، بين أمة وأمة ، وطائفة وطائفة ، وحزب وحزب ، وفرد وفرد ، وما رأينا قوياً يظلم ضعيفاً ، ولا غنياً يجور على فقير . ولا رأينا أنفس الأنيس كأنفس السباع يتفارسن جهرة واغتيالا كما قال أبو الطب .

لو عدل الناس فى أعمالهم لجمعهم العدل على الحب ، وأحاطهم الحب بالأخوّة ، وتعاونوا بالأخوة على الخير ، وأدّى التعاون إلى الرفاهية والطمأنينة والسعادة .

لو فكر الناس بالعدل وقالوا به ، وعملوا ، وكانوا كما قال القرآن : (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) . ما شقى الناس فى هذه المدنية الحاضرة ، وقد أتت بكل عجاب ، واخترعت كل بدع من الصناعات وكشفت الخليقةَ عن أسرارها ، وسخرتها بقوانينها ، وبلغت فى العلوم والمعارف ما تمنى الناس بل أكثر مما تمنوا .

لو عدل الناس ما رأينا هذه الأمم التى بلغت الذروة من هذه الحضارة تفرق بين شرقى وغربى ، وأبيض وأسود ، وما شهدناها تشقى بعلمها ، وتهلك بصنعها ، وتُقاد إلى الموت بأسباب الحياة ، وتتوسل إلى الدمار بوسائل العمران ، ولما صارت ، كما ترى ، أجساماً تتصادم ، وآلات تتقاتل ، وقطعاناً تتفانى .

لقد حُرموا العدل فى كل نفس ، وبين الواحد والواحد والطائفة والطائفة ، والأمة والأمة ، والشعب والشعب . ففرقتهم المعارف وكانت حرية أن تجمعهم ، وأهلكتهم الصناعات ، وكانت جديرة أن تحييهم . ولو عدلوا ما تفرقت بهم السبل ، واختلفت الوجهات ، ولجمعهم سبيل الحق الواحد ، وطريق العدالة البين .

« وأنّ هذا صراطى مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبُل فتفرّقَ بكم عن سبيله »

إن الناس يريدون الأخوّة ، ويحاولون السلام ، ويسعون ليجمع أممهم نظام واحد من الحق والعدل ، ولكن تخفق أعمالهم وتخيب مساعيهم بما استقرّ فى أنفسهم ، من الأثرة والهوى ، وعكن فيها من العصبية والجور .

وقد رأينا هيئة الأمم تتكلم باسم الأمم ، وتتحدث عن الحق والعدل والأخوّة والسلام حتى إذا امتحنتها الحادثات بإحدى القضايا ، رأينا الأهواء تنأى بهم عن الحق والعدل ، والعصبيات تبعد بهم عن الأخوّة والسلام . وشهدنا المنافع والأموال والشهوات تسخرهم للباطل ، وتغريهم بالظلم . فعرفنا أنهم ليسوا أهلاً للأمانة التى حملوها ، وأن دون ما يبتغون من الأخوة والسلام عدلاً يرفعهم عما ارتكسوا فيه ، وإيماناً يؤهلهم لهذا العدل ؛ ولكنهم حُرموا العدل والإيمان .

إن البشر لا يجتمعون على الأهواء المختلفة ، ولا يأتلفون على الشهوات المتفرقة ، فلا مناص لهم — إن أرادوا السعادة — أن يُحكموا العدل فى الأهواء والشهوات ليجمعهم على شرعة ، ويشملهم بقانون ، ويربط بينهم بالحق ، ويُحكم بينهم الأخوّة .

ولن يستطيعوا هذا حتى تغلب الروح المادة فى أنفسهم ، وتنتصر القوانينُ على الجزئيات فى معيشتهم ، قوانينُ الحق والعدل والخير .

ولن يبلغوا هذا المستوى إلا بإيمان يُنير النفوس ويُطهرها ويرفعها ويعظمها ...

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

أنا والصحراء ...

للأستاذ راجي الراعي

وقفت أمس في قلب الصحراء أتحدث إليها ، وإليك ما دار بيننا :

— من أنت أيتها الصحراء ؟

— أنا الجبال منبطحة وقد صرعتها الأقدار ...

— ألست شيئاً آخر ؟

— أنا بحر ماتت أمواجه وتقمصت رمالا ...

— كيف أنت والأفق ؟

— أرى في نجومه رمالي ويرى فيّ شمسه..

— والعبقرية ؟

— أنا أذنها التي تلتقط أصواتها التي لا يلتقطها الناس ..

— والمرأة والحب ؟

— أنا ليلى ومجنونها .. وجميل وبثينة .. وعروة وعفراء .. والبحتري وعَلْوة .. وابن أبي ربيعة والثريا ...

— والجمل ؟

— هو رفيق القديم ، أحبه ويحبني ويعانق صبره صبري ..

— على أي شيء تصبرين ؟

— أصبر على لهيب القدر الذي جاءني بهذه الأرحام المضطرمة.. أنا في رمالي نار تأكل نفسها ! ...

— أقاسية أنت أيتها الصحراء أم رحيمة ؟

— أنا قاسية لأضل الذين يضلون الناس ، ورحيمة إذ رضيت بأن أكون الصحراء لتبقى لك الروضة تستلذها ، وليبقى لك الماء تستطيبه ... ألا ترى أنه لولا شبح الليل لم يكن لشعاع النور معناه ... إن القدر أقامني رحمة بك ... لقد بسطني لتطوى مراحلك في الحياة طروباً ...

— كيف أنت والشعر ؟

— إن رمالي جاءت (ببحوره) . لقد عرف الشعر نفسه في مجاهلي ... أنا امرؤ القيس والأعشى وزهير والنابغة والأخطل وبشار وأبو نواس وعمر بن أبي ربيعة والمتنبي والبحتري وأبو تمام والمعري فيلسوف الشعراء وشاعر الشعر .. أنا ألف عبقري في ألف جنة خالدة ...

— هذه الرمال فيك ، ما هي ؟

— هي حبات قلبي ...

— بماذا تحلمين أيتها الصحراء ؟

— إذا شققت قلبي تكشف لك عن ينبوع تظله شجرة ..

— أتريدين أن تكوني الغابة الغبياء ؟

— ويك يا شاعري أرحني من وطأتي .. إجعلني في خيالك أشجاراً خضراء لأستريح فيك ساعة من الزمن .. إرحمني يا ابن الخيال فأنا أرضي قاحلة موحشة ... غذني بمائك وارفعني إلى سمائك .. دعني أتنشق هواء الجبال وعبير الرياض .. أقمني في مملكتك قمة لجبل أو فماً لينبوعٍ أو نهراً في جنة ..

إرحمني أيها الشاعر واستر عُريي .. إرحمني ..أنا امرأة تحلم بالينابيع والظلال .. لقد تعبت من رمالي .. أنا قتيلة الشمس التي لا ترحمني .. أنا ظمآى ظمآى افتش عمن يبرد لظاي ..

— ظمآى ؟ .. ولكنك سقيت التاريخ كؤوساً من الشعر والخمر قلّ أن مر على شفتيه مثلها ... إنني أخاف إذا ما تخليت عن رمالك الماء والشجر أن تضيعي شاعرك المظيم وثأرك الخالد وروحانيتك المضطرمة وأحلامك الكبار وإلهامك البديع ..

إن ظمأك هو الذي سقى الناس ، ونارك هي التي جاءت بأجرأ وثبة دهش لها التاريخ .. إن سرك في الرمال فلم تفتشين عن الظلال ؟ أنت تائهة أيتها الصحراء كالحالمين التائهين فيك ... إذا كانت شمس قتلتك فالقمر الذي يغمرك بنوره قد أحياك ... وإذا كنت بعدت عن ضجيج الناس فقد اقتربت من الخالق ... أنت للحالم فلا تظلميه .. أنت للأحرار المستقلين فلا تقيدي نفسك بحجر أو شجر .. أنت أرحامك حمر ولكنك امرأة ولود ، وإن في رياحك روحاً وفي ضلالك هدى بنير السبيل .. ليس الدواء كله في الماء ، وليست الثمرة كلها في شجرة ، فإن في وهج وحيك ألف بلسم لألف جريح ، وفي خصب خيالك من الأشجار ما تضيق عنه ألف غابة كثيفة .. أنت للملهمين فلا تستري أقارك بالأوراق ، وللروحانيين فلا تحجبي جمال الأرواح بما يقف بينها وبين أهدافها .. لا تلبسي الثوب مهما يكن لونه ونسيجه ..أنت امرأة عريانة ولكنها في عربها تكسو الشعراء والحالمين ..

راجي الراعي

صور من الحياة :

يوم عيد ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

ما أشد وقعك – يا يوم العيد – على نفسى ، لأنك قذى فى عينى وشجى فى حلقى وأسى فى قلبى ! فالدار خاوية من الأحباء تلفظنى فى غير هوادة ولا لين ، والطريق خلو من الرفيق يدعنى إلى غير غاية ، والنفس خواء إلا من خطرات الحزن وخلجات الأسى ، والقلب يحس لذع الوحدة فيلمس الجدب والإمحال فيما حوله وإنه ليرى الدنيا أمامه تموج بالزهر النضير والفرحة المتوثبة والعبث البرئ والثوب الجديد . وهؤلاء أقاربى قد حبونى بالجفوة والقلى ، فرّق بينى وبينهم نهم المال وجشع الذهب فما أرى فيهم إلا العداوة والبغضاء وإلا الازورار والعبوس ، وأخى ... أخى الذى أحبه قد أوصد بابه من دونى لأنه أراد أن يكون واحداً من ذوى قرابتى . أما زوجى فقد فزعت عنى لاختلاف فى الرأى والثقافة وتباين فى المشرب والبيئة ، فخلعت رشدها واستنامت إلى حماقتها فطارت إلى دار أبيها لتذرنى وحيداً فى يوم العيد . وأبنائى أين هم ؟ إنهم لم يدرجوا – بعد – فى فنـاء الدار فتمتلىء بهم حياة وبهجة ، ويطفح قلبى نوراً وضياء وتزخر نفسى هدوءاً وسكينة .

وجلست إلى نفسى أشكو بثى وأنا أشرف على الناس من حولى وهم يضطربون فى لجة العيد ، يرفلون فى الجديد ويتدافعون إلى البشرى وينغمرون فى المرح . ووجدت لوحدتى حرقة ضاقت لها نفسى فترقرقت العبرات فى محجرىّ تريد أن تنهمر ... وشملنى الخزى على أن أكون رجلا لمت فى فوديه شعرات بيض علامة الرجولة والعقل ، وتألقت فى رأسه فلسـفة الحياة ، وكابد حلو العيش ومُره ؛ ثم أستخذى لهذه الخواطر أو أتعبّـد للضعف الإنسانى وآذانى أن أستسلم للوحدة فتصفعنى مرة وتعركنى مرة ثم لا أستطيع أن أنفلت من بين مخالبها وإنها لتعصرنى عصراً .

واهبت بشجاعتى فطرت عن الدار علّى أجد السلوى والراحة أو أجد متنفساً من همومى أو أنفض عن نفسى الشجن ، فألفيت – آخر الأمر – ملجأ فى مقهى من مقاهى القاهرة .

***

وفى المقهى جلست إلى فنجان القهوة والسيجارة أتحدث إليهما حديث ميراث ضئيل لم أطعم لذته بعد ولكنى أدفع ثمنه قطرات من دمى الحار أنزفها يوم العيد من خلال هموم تتوزعنى فلا تذرنى إلا حطاماً . وغرقت فى خضم الفكرة فاستولت على مشاعرى فما أحس مما يدر حولى شيئاً . وغبرت ساعة فما أفزعنى عن شواغل نفسى غير رجل يطلب صدقة .

وفى مقاهى القاهرة مفزعات تغضى عنها الحكومة فتنطلق من مكامنها فى وضح النهار لتزعج الآمن فى جلسته وتقطع عليه خواطره وتؤذى نفسـه ... مفزعات منها ماسح الأحذية وبائع أوراق النصيب و ... والشحاذ . ليت الحكومة تعرف أن القهوة مثابة يستجم فيها المرء من عناء أو يستريح من نصب ، وليتها توقن بأن هذه الزمر من المفزعات وصمة فى جبين البلد لا تستطيع يد أن تمتد إليها فتمحوها إلا يدها هى ، ليتها تعلم ، ليت ...

واستقر الرجل إلى جانبى لا يريم فرفعت بصرى إليه أنظر . وعجبت أن رأيت أمامى شحاذاً فى ثوب العيد وسمته ، لعله أراد هو أيضاً أن ينعم بفرحة العيد وسعادته ! وهو رجل قد تخطى عمر الكهولة فبدا عليه أثر الضعف والهزال ، ولكنه تجمّل للأيام فهو حليق الذقن مفتول الشارب تفوح منه رائحة عطر خفيفة لا يتنشاها إلا من أصاب قوة فى حاسة الشم ، وهو يرتدى بذلة أفرنجية أنيقـة قريبة عهد بالكواء ، وقيصاً أبيض ناصع البياض يزينه رباط رقبة أسود جميل ، ويتألق على رأسه طربوش أحمر قان ، وحذاؤه لامع نظيف .

ووقف الرجل بإزائى فى أدب يسأل فى هدوء ويطلب فى خضوع رغم أنه شديد الإلحاح صفيق الوجه . وراعنى أن أرى هذا الرجل فى زيّه وهندامه يتكفف الناس فى غير حياء ولا خجل ، ولكن نفسى حدثتنى قائلة « لعل ما ترى بقية عيز باد منذ زمان ! » فحبوته ببعض عطفى ثم صرفته فى لين .

ونظر إلىّ النادل – وهو يعرفنى منذ سنوات – نظرة ذات معنى وابتسم حين رآنى أنفح هذا الشحاذ الأنيق بشىء من المال . ورابنى ما رأيت من النادل . فقلت لعل فى الأمر حادثة أو متعة ، فناديتـه أريد أن أكشف عن الخبر ، فقال : « أفلا منحت

دراهمك — يا سيدى — لفقير تقتله الحاجة ، أو مسكين تلح عليه الفاقة ! » قلت : « ولـكن الرجل يسأل الناس ، فما باله ؟ وإنى لأراه جيـل الهيأة ، أنيق المظهر ، يسرى فى عروقه دم الشباب ، وإن بلغ سن الشيخوخة ؟ » قال : « إن له حديثاً » . قلت : « هات » . فقال : هـذا رجل واهى الرجولة ، ساقط الإنسانية ، وضيع الـكرامة ، وهو شحيح النفس ، كز اليد ، بخيل الجبلة ، يقضى نهاره بين مقاهى القاهرة يتكفف الناس فى أدب ويسألهم فى ذوق ، يموّه عليهم بخضوعه ويزوّر بمسكنته ، يتخذ من ذلك مهنة يزجى بها الفراغ ، وعملاً يقتل به الوقت ، فلا يأوى إلى داره آخر النهار أو أول الليل إلا وقد امتلأت يده وفاض جيبه ، ثم هو يحرم نفسه من كل ما أصاب فيقنع باللقمة ويرضى بالـكسرة ...

ولقد كان موظفاً فى الحـكومة أحيل على المعاش لبلوغه سن التقاعد ، سن الستين . والحـكومة تلفظ الموظف حين يصيبه الـكلال من أثر الـكبر والشيخوخة ، ولا تطرده إن انحلت أخلاقه واتّضعت كرامته وتمزقت إنسانيته . وهى تطلب من ذى العمل الشريف أن يحصل على رخصة ، فترهقه فى الطلب وتسد عليه المسالك وتضيق الخناق ، ثم تذر صاحب المهنة الوضيعة يتقلب فى الشوارع كيف يشاء . وهى — دائماً — تزعج التاجر فى متجره أو الصانع فى مصنعه ، تكلفه الشطط وتحمله الرهق ، على حين تطلق العنان للشحاذ يستلب الناس من أموالهم فى غير رقبة ولا حذر . إن أخى — يا سيدى — خيّاط ، دفعه الأمل إلى أن يفتح دكاناً عسى أن يصيب منه قوت عياله ، وطمع أن يدر عليه أخلاف الرزق بعد عسرة ، فانحطت عليه وزارة الصحة ومصلحة العمل فى وقت معاً ، حتى أرغمته على أن يغلق الدكان بعد أن سار شوطاً فيه التوفيق والنجاح . فماذا ترى ؟ لعل الحـكومة تريد أن تقول للعامل الشريف : كن عاطلاً . وتقول للشحاذ : تمتع كيف تشاء !

هذا الرجل أحيل على المعاش ، وإن دخله ليربو على خمسة عشر جنيهاً ، وله زوجة وأولاد . فلما أحيل على المعاش سوّل له خرف الشيخوخة أن يطرد زوجه وأولاده ثم ينطلق هو فى نواحى القاهرة يتكفف الناس ، فطرد أولاده جميعاً وإن فيها الصبى واليافع ، ألقى بهم إلى الشارع ليذوقوا مرارة الحرمان وحرقة الفاقة ولذع الضياع ، ولفظهم المدرسة حين لم يجدوا ثمن العلم ، وفيهم الذكى المجتهد والسابق المتفوق ، ورآهم هو على حالهم هذه فلم ينبض قلبه برحمة ولا خفقت نفسه بشفقة . ثم غوى مرة أخرى فطرد زوجه وهى عجوز أنهد كيانها وذوى عودها ، وهى فقيرة لا تجد ما تتبلغ به إلا دريهمات يغلّها وقف . والوقف ملك ضائع وقع بين فـكين شديدين : ناظر الوقف وهو رجل لا يرتدع من دين ولا يرعوى من ذمة ، يثقل الوقف بما لا يطيق ، ثم يزعم بأن الأرض لا تغل شيئاً . ووزارة الأوقاف وهى ترقب فى غير رعاية وتحاسب فى غير دقة ، والمستحق يقف ببابها مثلما يقف الشحاذ فيه الحياء بباب كز شحيح فلا يظفر إلا بالشتيمة والطرد ... يقف دهراً لينال فضلة من مال لا تسمن من جوع ولا تغنى من عرى ... أما هو فهو كما ترى ...

***

وتركنى النادل وإن الأفكار لتصطرع فى خاطرى من أثر حديثه ، وأصابنى الجزع أن تثور حماقة صعلوك عجوز فتلقى بصبية صغار إلى عرض الشارع ، تضربهم الفاقة وتصفعهم الحاجة وقد فقدوا — على حين فجأة — عطف الأب وحنان الأم وسعادة العيش فى وقت معاً ، وأن أرى زوجة عجوزاً تضطرب فى غمرات الـكرب تأسى على تاريخ طويل كانت تنعم فيه براحة الضمير فى الدار ، وبهجة القلب فى الأولاد ، وعز الحياة فى الزوج . وآذانى أن يكفر هذا الرجل بحق زوجته وهى رفيقة الصبا وصديقة الشباب وعمود الأسرة ، وأن يجحد فضلها وهو قد قضى عمره فى كنفها يسعد بالهدوء والطمأنينة ، وأن ينسى أن الأسرة معنى من معانى الإنسانية السامية لا يفزع عنها إلا الأحمق والمجنون !

أفأمن الرجل أن تتدفق عليه بلايا الأيام أو أن تنصب عليه مصائب الزمن ، فتذره حطاماً فى ناحية من حجرة يقاسى العنت والشدة ، ثم لا يجد الآسى فى زوجته ولا العون فى أولاده ؟

ولـكن ... آه ، إن فى الناس وحوشاً ضارية لا تشبع إلا أن تلغ فى دم الإنسان ، وأن تنهش لحمه ، وأن تفرى عظمه !

يا لقلبى ! لقد فزعت من دارى لأنفض عن نفسى هماً واحداً فرجعت بهمين : همى وهمّ هذا الحيوان المفترس الذى يتكفف الناس فى غير حياء ولا خجل !

فما أشد وقعك على نفسى ... يا يوم العيد !

كامل محمود حبيب

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو دلامة !...

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

— ١ —

اسم هـذا الظريف زَنْد بن الجَوْن ، و « أكثر الناس — كما قال صاحب الأغاني [١] — يصحف اسمه فيقول : « زيد » بالياء ، وذلك خطأ ... إنما هو زند بالنون » . وإنما سلكناه في عداد الظرفاء العباسيين — مع أنه أدرك في شبابه آخر عهود بني أمية — لأنه لم يكن له في أيامهم نباهة ، ولم يذع له في عصور خلفائهم صيت ، فما نبغ واشتهر إلا في أيام بني العباس ، إذ انقطع إلى أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور والمهدي ، فكانوا يقدمونه في المجامع ، ويصلونه أحسن الصلات ، ويستطيبون مجالسته ، ويستعذبون نوادره [٢] .

وإذا كانت المراجع التي بين أيدينا لم تلق ضوءاً كافياً على مولد هذا الظريف ، ففي وسعنا أن نستنبط ذلك من خلال السطور ، فهو لم ينسب إلى الكوفة إلا لمولده فيها أو نشأته بها على الأقل . وهو — بلا ريب — لم يدرك آخر أيام بني أمية طفلا لا يعي شيئاً لأننا سنرى في نوادره وطرائفه ما يشير إلى أنه بلغ سن الشيخوخة بعد أن عاش في ظلال الدولة العباسية وحدها تسعة وعشرين عاماً : إذ حضر خلافة السفاح التي دامت أربع سنوات وتسعة أشهر [٣] ثم خلافة المنصور التي دامت اثنتين وعشرين سنة هلالية إلا ستة أيام [٤] ، ثم شهد من خلافة المهدي ما يقارب ثلاث سنوات توفي على أثرها سنة إحدى وستين ومائة [٥] .

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج ١٠ ص ٢٣٥ طبعة دار الكتب المصرية

(٢) في المرجع ذاته ، الصفحة ذاتها وفي معجم الأدباء لياقوت ج ١١ ص ١٦٦

(٣) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) للخضري ص ٧٣ الطبعة الثالثة . (٤) المراجع ذاته ص ١١٧

(٥) معجم الأدباء ج ١١ ص ١٦٦ . وقد وقع سهو في هـذه الصفحة يحسن التنبيه إليه ، فيها أن أبا دلامة مات في خلافة المهدي سنة إحدى وستين ومائتين ، مع أن المعلوم أن المهدي نفسه مات سنة تسع وستين ومائه

ولكي نقبل أنه بلغ سن الشيخوخة يحسن بنا أن نفترض أن أبا دلامة ولد بين سنة مائة — ومائة وخمسة ، فقضى طفولته وصباه وشبابه حتى بلغ الثلاثين — أو الخامس والعشرين — في أواخر العصر الأموي ثم أمضى ما تبقى من عمره في أيام السفاح والمنصور والمهدي .

ولم يوصف لنا أبو دلامة بأكثر من أنه كان أسود ، بيد أنه اضطر — هو نفسه — في مجلس حافل إلى وصف خلقه بشعر يجعلنا موقنين بأنه كان على جانب من الدمامة عظيم :

دخل على المهدي يوماً وعنده اسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم . فقال له المهدي : أنا أعطى الله عهداً لئن لم تهجُ واحداً ممن في البيت لأقطعن لسانك — وفي رواية لأضربن عنقك — فنظر إليه القوم ، فكلما نظر إلى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه ... قال أبو دلامة : فعلمت أني قد وقعت وأنها عزمة من عزماته لابد منها ، فلم أر أحداً أحق بالهجاء مني ، ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت :

ألا أبلغ إليك أبا دلامه	فليس من الكرام ولا كرامه
إذا لبس العمامة كان قرداً	وخنزيراً إذا نزع العمامه
جمعت دمامة وجمعت لؤماً	كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
فإن تك قد أصبت نعيم دنيا	فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه [١]

وما أحسبه رضي أن يسلك هذا المسلك في هجاء نفسه لمجرد التخلص من هذا الموقف الحرج الذي أوقعه فيه الخليفة المهدي ، فقد كان في مكنته أن يحسن التخلص بما لا يؤذي نفسه أو يجرح كرامته ، ولكن هـذا النوع من الناس قلما يكترث بتلك المظاهر التي يقيم لها المجتمع أكبر الوزن ، لأنه — لشدة صراحته — يصف حقائق نفسه مكشوفة مفضوحة .

ولو ظننا أبا دلامة مغروراً يحسب أنه في الجمال بدر مشرق وهو مشوه كالقرد ، قذر كالخنزير ، فهل يمنع غروره الناس من وصفه بأنه جمع الدمامة كلها مادامت أعينهم لم تكن تقع منه إلا على رأس كرأس الدب في ضخامته ، وعيون كعيون الحرباء

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٥٨ .

من الضيق ، وأنف فارض[1] فى احديداب ، وشفتين منتفختين من الملظ ، وعلى جسم مكتنز على قصر ، وذراعين مرتخيتين من الشحم ، وساقين مقوستين فى تموج ... وليس الناس عمياً فيحتجب عنهم هذا الجمال الساحر فى تقاطيع هذا المخلوق العجيب!

لكن أبا دلامة كان من الدهاء بحيث لم يفسح للآخرين مجالاً لوصف خلقه والشماتة به والضحك منه فأظهر الناس على حقيقة نفسه ليقطع عليهم سبيل السخرية اللاذعة التى تجد فى دمامة المخلوق باعثاً على مواصلة التهكم والازدراء .

وهذا الأسلوب الذى نهجه أبو دلامة فى إظهار الناس على مدى بشاعته وفر عليه كثيراً من مفارقات غلاظ القلوب ، ومن سخافات صلاب الأفئدة ، إذا ما كانوا ليجدوا فى هجائه وصفاً ملامته أعنف من وصفه .

والإنسان إذا سمع ماحكم به على نفسه رضى بحكمه ، وإن سمع ماحكم به عليه سواه لم يرضه منه إلا ما يتفق مع عزته ، ولا يتنافى وكرامته .

والذى يعنينا مما سبق أن هذا الظريف قد جمع إلى سواد لونه دمامة شكله ، ولكن الله عوضه من هذا النقص لساناً حلو الحديث ، رائع البيان ، قوى البرهان .

ونعرف أنه كان مولى لبنى أسد ، فقد كان أبوه « جَوْن » عبداً لفضافض الأسدى الذى أعتقه . فمن نسب أبا دلامة إلى بنى أسد فإنما يقصد أنه كان أسدياً بالولاء . ولذلك نتسامح مع الذين وقعوا فى هذه النسبة خطأ أو عفواً كأبى حيان التوحيدى فى كتابه « الامتاع والمؤانسة »[2]

وإن الباحث لتأخذه الحيرة إذا ما استعرض حياة هذا الظريف إذ يتساءل كيف أمضى شبابه — حتى أواخر العصر الأموى — مغموراً لا يحس به أحد ، ولا يعرف له شعر ، ولا يطير له ذكر ؛ ثم وثب إلى الشهرة فجاة فى أيام السفاح والمنصور والمهدى ، فأصبح ينادمهم ويداعبهم ولا يكاد ينقطع عن مجالسهم !

(١) الفارض من الأنوف الطويل .

(٢) ج ٣ ص ٢٤ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر . وقد صحح هذا الكتاب وضبطه وحققه وشرح غريبه ورتب فهارسه الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين

فأين كان قبل اتصاله بأبى العباس السفاح ؟ وأين ومتى وكيف تلقى العلم ؟

كل هذا مما أغفلته المراجع كأنها لا ترى فائدة فى الإشارة إليه.

ونحن نحاول أن نرجح — على الأقل — أصوب الأجوبة على الأسئلة المتقدمة : فأبو دلامة كان فى بلده « الكوفة » قبل اتصاله بالخلفاء العباسيين ، ولم يكن من السهل على مثله أن يتصل بمن كان قبلهم فى قصر الخلافة بدمشق لبعد الشقة من ناحية ، ولانشغاله بتحصيل شىء من العلم وكسب قليل من القوت من ناحية أخرى ، ولأنه أيقن بأن بضاعته المنادمة والمداعبة ، وأن مثل هذه البضاعة مزجاة فى أواخر أيام بنى أمية التى كانت بركاناً يثور ، وزلزلة لا يقر لها قرار .

أما الأشخاص الذين طلب عليهم شيئاً من العلم فلم يكونوا من نباهة الذكر بحيث يفردهم الرواة من قبلنا أو نفردهم من بعدهم بالتخصيص ، بل لنا أن نحكم بأن أبا دلامة لا رواية له ، لأن معلوماته ليست نصوصاً تنقل ، وإنما كانت فكراً نابعة من ذكائه الوقاد ، وبديهته الحاضرة التى كانت تأذن لمن يسمعه إن يظن أنه على جانب من العلم عظيم !

والحق أن أبا دلامة كان من هؤلاء الظرفاء الذين عرفوا بخفة الروح ، ورشاقة النكتة ، ولطف الدعابة ، لا عن علم محفوظ ، ولا عن سند مقبول ، ولا عن استنباط للأصول . غير أنك إذا تلوت أشعاره طالعتك فيها قوة فى السبك ورصانة فى التعبير ، فتغزو قلبك الحيرة وتميل إلى الظن بغزارة علمه ، فنوفر عليك حيرتك ونؤكد لك أنه بلغ هذا كله بمواهب فطرية لا باجتهاد عملى ، فقد كان مطبوعاً على الشعر فى سليقته ، يرسله متى شاء دون توقف ولا انقطاع .

* * *

وأظنك راغباً فى معرفة سبب اشتهار هذا الظريف بأبى دلامة إذ تجد فى هذه الكنية شيئاً من الطرافة ، والأمر أهون من هذا فطرافة كنيته دعت إليها الصدفة المحضة التى وهبته ولداً متعباً سماه « دلامة » لأنه « كنى باسم جبل بأعلى مكة يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات فى الجاهلية » كما روى الأصبهانى فى أغانيه[1] ذاهلا عن تصريحه — فى مواضع من ترجمة هذا

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٣٧

الظريف — يذكر اسم ابنه « دلامة » وضروب عبثه مع أبيه !

ومن النوادر التى صرح فيها أبو الفرج بذكر دلامة بن هذا الظريف — قصة نذكرها على سبيل المثال ، ونقرأ فيها — فى الوقت نفسه — شيئاً من نفسية أبى دلامة وابنه الخبيث :

حجت الخيزران ، فلما خرجت صاح بها أبو دلامة . قالت : سلوه ما أمره ؟ فقالوا له : ما أمرك ؟ فقال : ادنونى من محملها . قالت : ادنوه فأدنى . فقال : أيتها السيدة إنى شيخ كبير وأجرك فى عظيم . قالت : فمه ؟ قال : تهبين لى جارية من جواريك تؤنسنى وترفق بى وتريحنى من عجوز عندى قد أكلت رفدى ، وأطالت كدى ، وقد عاف جلدى جلدها ، وتمنيت بعدها ، وتشوقت فقدها . فضحكت الخيزران وقالت : سوف آمر لك بما سألت . فلما رجعت تلقاها وذكّرها ، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غَرِض[1] . ثم دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع إليها رقعة قد كتبها إلى الخيزران فيها :

أبلغى سيدتى بالله يا أم عبيـــده
انها أرشدها الله وإن كانت رشيده
وعدتنى قبل إن تخرج للحج وليده
فتأنيت وأرسلت بعشرين قصيده
كلما أخلقن أخلفت لها أخرى جديده
ليس فى بيتى لتمهيد فراشى من قعيده
غير عجفاء عجوز ساقها مثل القديده
وجهها أقبح من حوت طرى فى عصيده
ما حياة مع أنثى مثل عرسى بسعيده

فلما قرئت عليها الأبيات استمادتها منه لقوله « حوت طرى فى عصيده » وجعلت تضحك . ودعت بجارية من جواريها فائقة فقالت لها : خذى كل مالك فى قصرى ، ففعلت . ثم دعت ببعض الخدم وقالت له : سلمها إلى أبى دلامة . فانطلق الخادم بها ، فلم يصادفه فى منزله . فقال لامرأته : إذا رجع فادفعيها إليه وقولى له تقول لك السيدة ، أحسن صحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها . فقالت له نعم . فلما خرج دخل ابنها دلامة فوجد أمه تبكى ، فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت : إن أردت أن تبرنى يوماً من الدهر فاليوم . فقال : قولى ما شئت فانى أفعله ، قالت تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها وتطؤها فتحرم عليه ، وإلا ذهبت بعقله وجفانى وجفاك . ففعل ودخل إلى الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه ، وخرج . ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ قالت فى ذلك البيت . فدخل إليها شيخ محطم ذاهب ، فمد يده إليها وذهب ليقبلها . فقالت له : مالك ويلك ! تنح عنى وإلا لطمتك لطمة دققت منها أنفك . فقال لها : أبهذا أوصتك السيدة ؟ فقالت : إنها قد بعثت بى إلى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت ، وقد كان عندى آنفاً ، ونال منى حاجته . فعلم أنه قد دهى من أم دلامة وابنها . فخرج إليه أبو دلامة فلطمه ولببه[1] وحلف ألا يفارقه إلا عند المهدى . فمضى به ملياً حتى وقف على باب المهدى فعرف خبره وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بإدخاله . فلما دخل قال له : مالك ويلك ؟ قال : عمل بى هذا ابن الخبيثة ما لم يعمل ولد بأبيه ، ولا ترضينى إلا أن تقتله . فقال له ويلك ما فعل؟ فأخبره الخبر . فضحك حتى استلقى ثم جلس . فقال أبو دلامة : أعجبك فعله فتضحك منه ؟ فقال : على بالسيف والنطع . فقال له دلامة : قد سمعت حجته يا أمير المؤمنين فاسمع حجتى . قال : هات قال : هذا الشيخ أصفق الناس وجهاً ، (يلامس)[2] أمى منذ أربعين ما غضبت ، (ولامست) جاريته مرة واحدة فغضب وصنع بى ما ترى ! فضحك المهدى أكثر من ضحكه الأول ، ثم قال : دعها له يا أبا دلامة وأنا أعطيك خيراً منها . قال : على أن تخبأها لى بين السماء والأرض ، وإلا (لامسها) كما لامس هذه فتقدم إلى دلامة ألا يعاود بمثل فعله ، وحلف أنه إن عاود قتله ، ووهب له جارية أخرى كما وعده[3]

إنها قصة طريفة كما رأيت ، وفيها تصريح بذكر دلامة (ابن شاعرنا الظريف) وتصريح بذكر أم دلامة زوجته الخبيثة فنفهم منها أولا إنما اشتهر هذا الظريف بأبى دلامة كما يشتهر

---

(١) غرض : مل وضجر . ومنه الغرض : الملالة والضجر ، ويأتى بمعنى الشوق

(١) لببه : أخذ بتلابيبه فجمع ثيابه عند صدره واشتد عليه فى الخصومة

(٢) اللفظ ، فى الأغانى ، مما نتره القلم عن التعبير به ، وإنما تأدب بأدب القرآن (أو لامستم النساء) .

(٣) الأغانى ج ١٠ ص ٢٦٢

الآباء عادة بابنهم البكر ، لا لشيء آخر ، ونفهم منها — وهو الأهم — شيئاً من نفسية هذا الظريف وابنه وزوجته .

فأما أبو دلامة فجرىء يتدلل على أهل الخليفة ، فيصيح بالخيزران ويطلب ما يريد في غير ما خجل ، ويستبطئ الوعد فيؤكد غرضه بشعر يفيض بالدعابة حتى يجاب طلبه ، فترسل إليه تلك الجارية الحسناء التي طالما حلم بالوصول إلى مثيلاتها بعد أن مل امرأته التي أقعدها كبر السن عن تمهيد فراشه والقيام على خدمته . وأما دلامة فهو أصدق مثل للولد الخبيث الذي لا يرعى حرمة أبيه ولا يقيم له وزناً ، وإنما يسترسل في إيذائه وتعذيبه ، فيوافق أمه الماكرة على أن ينال حاجته من جارية أبيه كأنه لا يجد خيراً من هذا ليبر أمه . ثم نراه أمام الخليفة المهدي يدافع عن نفسه دفاعاً مضحكا ، فهو لم يقض تلك الحاجة مع الجارية الحسناء إلا بعد أن قضى أبوه مع أمه أربعين سنة ، ويصف مع ذلك اباه بأنه أصفق الناس وجهاً . فما أهون — بعد هذا — جميع الأوصاف التي يلصقها ابن بأبيه ! وأما أم دلامة فيالها من عجوز شمطاء ، سليطة اللسان ، خبيثة النفس ، عرفت الأسلوب الذي تستطيع به إلزام زوجها بما تشاء ، فاستعملت ولدها في إيذاء أبيه . وهكذا ترى أن بيت أبي دلامة جمع أنواع الدعابة وأسباب الطرافة ؛ في الأب والأم والولد ، وكأنما خلق الله كل واحد من هؤلاء الثلاثة لكي ينسجم مع الآخرين ، ولقد كان الانسجام من توثق العرى بحيث أنه جمل ما يصدر من أي واحد منهم مفهوماً للآخرين لا يستغربه أحد منهما وإن أضحك الناس زمناً طويلا .

ولكي يتضح لك هذا الانسجام العجيب بين هؤلاء الثلاثة فتعرف مقدار ما انطوت عليه أنفسهم من خبث ، نأتي على ذكر قصة جديدة فيها بعض ما تريد .

جاء دلامة يوماً إلى أبيه وهو في محفل من جيرانه وعشيرته جالس فجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إن شيخي — كما ترون — قد كبرت سنه ، ورق جلده ، ودق عظمه وبنا إلى حياته حاجة شديدة ، فلا أزال أشير عليه بالشيء يمسك رمقه ويبقى قوته ، فيخالفني فيه . وأنا أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضرتكم فيها صلاح لجسمه ، وبقاء لحياته ، فأسعفوني بمسألته . فقالوا : نفعل حباً وكرامة . ثم أقبلوا على أبي دلامة بألسنتهم وتناولوه بالعتاب حتى رضي وهو ساكت ، فقال : قولوا للخبيث فليقل ما يريد ، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببلية . فقالوا له : قل . فقال : إن أبي إنما يقتله كثرة إتيان النساء فتعاونوني عليه حتى أخصيه ، فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء ، فيكون أصح لجسمه ، وأطول لعمره . فعجبوا من ذلك وعلموا أنه إنما أراد أن يعبث بأبيه ويخجله حتى يشيع ذلك عنه فيرتفع له بذلك ذكره ، فضحكوا منه . ثم قالوا لأبي دلامة : فأجب . قال : قد سمعتم أنتم وعرفتكم أنه لن يأتي بخير . قالوا فما عندك في هذا ؟ قال قد جعلت أمه حكما بيني وبينه فقوموا بنا إليها . فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها ، وقص أبو دلامة القصة عليها وقال لها : حكمتك . فأقبلت على الجماعة فقالت : إن ابني — أصلحه الله — قد نصح أباه وبره ولم يأل جهداً ، وما أنا إلى بقاء أبيه بأحوج مني إلى بقائه ، وهذا أمر لم تقع به تجربة منا ، ولا جرت به عادة لنا ، وما أشك في معرفته بذلك ، فليبدأ بنفسه فليخصها ، فإذا عوفي ورأينا ذلك قد أثر عليه أثراً محموداً استعمله أبوه . فنعر[1] أبوه وجعل يضحك به ، وخجل ابنه وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبثهم جميعاً واتفاقهم في المذهب[2] .

وللقوم الذين شهدوا هذه المحاورة التي تضحك الثكلى أن يعجبوا ما شاءوا ، ولهم أن يروا فيها دليلا على خبث الثلاثة واتفاقهم في مذهب العبث والمجون ، فقد رأينا فيها ولدا يخجل أباه ، وأماً تخجل ابنها ، وأباً يوزع خبثه على الاثنين ، فيسمع كلام ابنه غير غبي ولا متغاب ، ثم يحتكم إلى زوجته احتكام العالم بما ستقوله ؛ لأن عبث ابنه ينالها كما يناله .

ومن هنا نرى أن أم دلامة — وإن كانت تحب أن تخجل زوجها في بعض الفرص — لم تكن لتخذله دائماً ، فهي تحبه على ما فيه من عبث ومنقصة ، وهو يثق بها في تمام ما يعجز عن إتمامه بنفسه ؛ لأنه عرفها وعرفته ، واستطاع كل منهما أن يستكمل بالآخر مواضع نقصه ، ونقط الضعف فيه !.

(يتبع) صبحي إبراهيم الصالح

(١) نعر : صاح وصوت بخيشومه

(٢) الأغاني جـ ١ ص ٢٧٢

أساليب التفكير :

فلسفة الشعب

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

اعتذار :

منذ أكثر من شهرين كنت أتحدث إلى قراء الرسالة عن الأسلوب الفلسفى فى التفكير ، وكلى عزم أن أواصل الحديث حتى يكتمل ؛ ولكن شئون العيش ، وشجون الحياة ، وهموم العمل الرتيب ، وفوضى المعاملات الإنسانية ، تحرم المفكر نعمة التأمل ، وتسلبه صفاء الذهن ؛ فلا يعود يعمل إلا كما تعمل الآلة ، ويمضى فى غمار الحياة اليومية كما تمضى قطرة الماء فى خضم التيار : مسلوب الإرادة ، فاقد الوعى، خامد الحس، موزع النفس . وهل من سبيل إلى التفكير المشرق الصافى ، ما لم نكن بمنجاة من عمل مرهق يأخذنا من جميع أقطارنا ، وما لم نهتد إلى فرجة من وقت نتسلل من خلالها إلى الوطن العزيز : وطن الفكر المقدس ؟ والمثل اللاتينى يعزينا بقوله : « عش أولاً وتفلسف بعد ذلك » .

لا مفر من الفلسفة :

انتهينا فى مقالات سابقة إلى أن أداة التفكير الفلسفى هى العقل بوسائله الخاصة : من تجريد إلى حكم إلى استدلال إلى برهان. ولما كانت هذه الوسائل فى متناول كل إنسان — أياً كان ذكاؤه وأياً كانت ثقافته - لم يكن مناص من أن يتفلسف الناس جميعاً ، وإن كانت الانفعالات والأهواء تتدخل أحياناً فتفسد ملكة الحكم السليم ، وتطمس إشراقة الذهن ، فليس ذلك بمنكر وجود القدرة على التفكير الخالص . إن ومضات الفكر قد تنبثق فى لحظات لدى أجهل الناس ، كما أن ضياء العقل قد تكتنفه سحب الانفعال أحياناً لدى أعمق المفكرين . وقد كان إمامنا سقراط يؤكد هذا المعنى فيخاطب العامة والخاصة على حد سواء ، ويدعو إلى فلسفته فى عرض الطريق ، وفى الأسواق ، وفى أروقة المحاكم كان يناقش الصبى الغرير ، واليافع البحاثة ، والمثقف المتحذلق ، موقناً أن الجهل عرض زائل ، وغشاوة تنجاب بشىء من الجهد والإخلاص ، حتى ليذهب إلى أن الصبى الصغير يمكنه بقليل من التوجيه والإرشاد ، أن يستنتج جميع مبادىء الهندسة التى وضعها إقليدس الرياضى . وكان منهج ديكارت « أبو الفلسفة الحديثة » يقوم على أساس أن العقل « أعدل الأمور قسمة بين الناس ، وأنصبة الناس منه متساوية . . »

قد يعجز الناس فى عصر من العصور عن فهم ما يكتبه فيلسوف من الفلاسفة ، بل قد يرمونه بالخلط والالتواء فى التفكير ، ويسخرون منه ، وينالون من عقليته . وعندى أن ذلك لا ينهض دليلاً على استحالة فهم الناس لتلك الفلسفة ، إنما مرده إلى قلة حظ هؤلاء من الثقافة ، وعدم اعتيادهم التعمق فى التفكير وخشيتهم من كل جديد يزلزل عقائدهم فضلاً عن كون الفيلسوف يعمد أحياناً إلى التعبير فى غموض عن أفكار تخطر ببال كثير من الناس العاديين ، ويستخدم أسلوباً فنياً مشحوناً بالمصطلحات الغريبة عنهم ؛ فيقيم بذلك بينه وبين أذهانهم سداً منيعاً . ولذلك كانت لا تكاد تمضى حقبة من الزمن ، يكون الشراح قد تناولوا فيها إنتاج الفيلسوف بالشرح والتفسير ، وتكون العقول قد نضجت بعض الشىء ، والأفهام تهيأت بقبول ما نبذت ، فإذ المجنون عبقرى خالد ، والمارق قديس متبتل ، ومذهبه عقيدة راسخة . وقد كان الفيلسوف الألمانى « عما نوئيل كنت »[1] يقول : « جئت بمؤلفاتى قرناً قبل موعدها ، ولن أفهم إلا بعد مائة سنة ، وحينذاك ستقرأ كتبى وتقدر قدرها . » وقد صدقت نبوءة الفيلسوف العظيم فلم يكد ينتصف القرن التاسع عشر حتى كان فى كل قطر من أقطار أوروبا مدرسة فلسفية بأسرها تستمد مبادئها من فلسفة كنت .

الفيلسوف إنسان :

إن الفيلسوف لا يأتى بدعا ، ولكنه يرى ويسمع ، فيحكم ويستنتج ؛ وما يراه وما يسمعه أمور تقع تحت بصر الناس وسمعهم ، وملكة الحكم أو ملكة الاستنتاج ليست وقفاً عليه ، فالناس جميعاً يحكمون ويستنتجون ؛ ولكنه أدق منهم حساً ،

(١) من فلاسفة القرن الثامن عشر ، اشتهر بالعمق والغموض .

ولديه من الفراغ والذكاء والصفات المزاجية ما يكفل له التعمق في تأملاته ومزاولتها أغلب الوقت ، والانشغال بمحاولة فهم الكون عن كل ما عداها من شئون الحياة الجارية . ناهيك بقدرته على التجرد من أهوائه ، والوقوف من حوادث الكون موقف المحايد : لا تعنيه التقاليد الموروثة والآراء الشائعة ، إن تعارضت مع العقل . وكل امرىء بمقدوره ذلك ولو في فترات متقطعة عبر حياته . ويمكننا كربين أن نعود النشء كيف ينتزع نفسه — زمناً ما — من استغراقه في تيار الحياة اليومية ، وكيف يستخلص العبر العامة من حادث مفرد ، وكيف يتجرد من عواطفه ، ويتجرد من تأثير غيره ليحكم في نزاهة ، وينقد في جراءة ، ويسمو فوق المشاغل الجزئية التافهة . لست أقصد بطبيعة الحال أن الناس جميعاً فلاسفة ولكنني أقصد أن كل امرئ بمقدوره أن ينتهج في حياته نهجاً فلسفياً ، وأن الفيلسوف لا يفضل المفكر العادي إلا في الدرجة ، وأقصد علاوة على ذلك ما قصده أرسطو بقوله : « إذا لم يلزم التفلسف فلتتفلسف أيضاً لتثبت عدم لزوم التفلسف . »[1] أي أن المرء ليس بوسعه إلا أن يتفلسف ما دام كائناً في عالم دائب الحركة ، زاخر بالتطورات والمشاهدات والمفارقات . كل ما يقع عليه البصر يثير العجب والدهشة ، ويستفز نزعة الاستطلاع الكامنة في تحفز . هو لا يستطيع أن يقف موقف المسجل لهذه الظواهر فحسب ، فعقله دائب التساؤل ، وهو قلق ما لم يصل إلى تفسير لما يرى ، وتصور معقول للكون في مجموعة أو في ناحية من نواحيه . وهو إذا ما صاغ نظرية ما ، هدأ القلق ، وحقق — إلى حين — الطمأنينة العقلية التي لا غنى عنها للمضي في رحلة الحياة .

قد تكون النظرية التي يفضي إليها تفكير المرء خاطئة أو قاصرة ، ولكن ذلك لا يقضي على قيمتها من حيث أنها كافية لإعادة الأمن العقلي إلى نفسه القلقة ، والتعلل بها حتى يتهدى لتفسير نهائي . وإذا كان الإنسان عاجزاً عن الوصول إلى تفسير نهائي ، فلا يبرر ذلك أن ننكر الفلسفة أو نمتنع عن التفلسف كما حدث لبعض المفكرين : شككوا في قدرة العقل الإنساني ، ويئسوا من بلوغ الحقيقة كاملة ، فارتموا في أحضان التصوف ، ومنهم من آثر الجهل على علم ناقص[1] .

يذكرني ذلك بالنقاش الطويل الذي احتدم بين سقراط — إبان إعدامه — وبين تلامذته حول الروح وخلودها . يعترف سقراط بعد إيراد الأدلة على وجود الروح وعلى خلودها ، وبعد موافقة تلامذته عليها ، بصعوبة المسألة وعدم جواز القطع برأي نهائي بصددها . حينئذ يتشجع أحد الحاضرين ، « سيبيس » ، ويقول قولاً حكيماً : « يبدو لي يا سقراط ، كما يبدو لك ، أنه من المستحيل ، أو بالأحرى من العسير جداً ، بصدد هذه الأمور ، أن نعرف الحقيقة في حياتنا هذه . ومع ذلك نرى من الجبن ألا نفحص بعناية فائقة كل ما أسلفنا قوله ، وأن ندع جزءاً دون بذل قصارى جهودنا : ذلك أنه لا مناص من أحد أمرين ؛ إما أن نعلم الحقيقة عن غيرنا وإما أن نكتشفها بأنفسنا ؛ فإن استحال كلا الأمرين فلنتخذ من الآراء الإنسانية أقومها وأبعدها عن التفنيد ، ولنمتط هذه الآراء كما نمتطي زورقاً يعبر بنا ، مخاطرين ، هذه الحياة حتى يتيسر لنا أن نعبرها على نحو أسلم وأقل تعرضاً للخطر[2] ...

أجل إن لكل نظرة فلسفية قيمتها ، وليس بقادح فيها بعدها عن الصواب أو قصورها عن مطابقة الحقيقة ، ما دامت ضرورة حيوية لتهدئة توتر الذهن عند ما يعجز عن حل مشكلة من المشاكل . وعلى هذا الأساس يحق لي أن أتحدث عن فلسفة شعبية تنطوي عليها حياة عامة الناس ، وقد يصرح بها نباهؤهم قولا كما سنبين :

فلسفة الخير والشر :

رجل الشارع إذ يقول : « كله فانٍ » إنما يركز في لفظين اثنين مذهباً فلسفياً ضافياً ملأ أسفار كثير من فلاسفة الأخلاق ؛ لم يستمده من بطون الكتب ولا هداه إليه معلم ، إنما هي مدرسة الحياة بتجاربها تمده بالعرفان ، وملكة الحكم السليم : « أعدل الأشياء قسمة بين الناس » تهديه إلى نظرياته . إنه يستقري الحوادث والكائنات ، ويلمس انتهاء حياة كل كائن إلى الموت . كل ما يقع تحت حسه ينمو ويزهو ، ثم يذوي ويذبل . كل حي يدب على البسيطة دبيباً قد يتجاوب صداه في الآفاق ، وينتفض من فرط القوة والحيوية ،

(1) في الميتافيزيقا .

(1) الكلبيون الذين عاشوا في القرن الرابع قبل الميلاد .

(2) محاورة فيدون ص 61 من الترجمة الفرنسية بول لمير

وبأتى من الأفعال ما نحمده وما ننكره ؛ ثم إن هى إلا ساعة أو بعض ساعة حتى يتلاشى الدبيب ، ويزول الصدى ، وتخمد الحركة وتستحيل السيرة ذكريات لا تلبث أن تنمحى :

أُرى الدنيا سوى دار سفار ذات بابين ظلام ونهار
كم وكم من ملك جمّ الفخار حلّ فيها برهة وارتحلا
حين لبى دعوة الداعى المطاع[1]

ذلك مايدور بخلد العامى حينما يخلو إلى نفسه يناجيها ، أو إلى جماعته يؤانسها ، أى حينما ينتزع نفسه من غمار العيش الرتيب ، فيطل على السكون من قمة الفكر التى تشرف على الزمان والمكان، ويتحرر إلى حين من إلحاح الحاجات الجسدية التى تعطل التفكير الخالص مالم ترتو .

وحكيم الشعب الذى يقضى العمر لا يحمل حقداً أو ضغينة ، ولا يحس إحناً أو سخيمة ، يقدم للناس كل خير فلا يجد منهم غير الحسد ونكران الجميل ؛ تقصد مضجعه خيانة الإنسان لأخيه الإنسان ، وتترك عشرة الناس فى نفسه ندوباً أليمة ، حتى ليعصف به شك فى وجود الخير فى هذه الحياة التى يحياها ، شكاً يعبر عنه غناء فى أسى نبيل :

« يا زارع الودّ هو الود شجرُه قل
ولا سواق الوداد نزحت وماءها قل ؟! »

وقد يكون لشكه هذا أبلغ الأثر فى سلوكه العملى : إما نقمة وسخط على المجتمع فإعلان الحرب عليه وتلمس السبل للانتقام ؛ وإما عفو وغفران فمضى على الصراط المستقيم لا يرعى فى شئ إلاً ولا ذمة ، ولا ينتظر جزاء ولا شكوراً . وهو فى الحالين مبرر سلوكه بفلسفة تثبت فؤاده ، وتؤكد سلامة اتجاهه أمام نفسه أو أمام الناس . فهو فى الحالة الأولى نفعى ، قيمة الفعل الأخلاقى فى نظره رهن بمقدار ما يجلب لصاحبه من نفع وما يدفع من نكر ؛ وهو فى الحالة الثانية مثالى يفعل الخير للخير ، قيمة الفعل عنده لا ترتهن بما يجلبه من نفع ، ولكن بما تحدثه فى النفس من رضى وطمأنينة .

ولو تتبعنا تاريخ الفلسفة لوجدنا كلا الاتجاهين فى الفلسفة الأخلاقية . يمثل الاتجاه الأول طائفة السوفسطائيين الذين قادوا حركة فكرية فى أثينا إبان القرن الخامس قبل المسيح أعلنوا الثورة على العقائد الموروثة ، وسخروا فى جسارة من آلهة اليونان ومضوا فى شكهم حتى تناول قواعد الأخلاق فأنكروها زاعمين أنها بدعة ابتدعها ضعاف النفوس ممن جردتهم الطبيعة من القوة والامتياز، فتوسلوا بالأخلاق والدين للسيطرة على الأقوياء والموهوبين . أما الخير عندهم فهو المنفعة ، والسعادة فى إشباع الرغبات والميول التى فطر عليها الإنسان . والواجب يقتضى تحطيم أغلال الأخلاق ، لأنها ابتداع يتعارض مع الطبيعة البشرية ، وعليه فالإنسان كما يقول أحدهم « بروتا غوراس » مقياس الأشياء جميعاً ... « فالأشياء هى بالنسبة إلىّ على ما تبدولى ، وهى بالنسبة إليك على ما تبدو لك ، وأنت إنسان وأنا إنسان . » أجل : أنا إنسان ، وأنت إنسان — فليمض كل منا وفق هواه ، وليجرد كل سلاحه ، فالقوة فوق الحق والبقاء للأصلح .

وقد أجاد الكاتب الفرنسى « هونوريه دى بلزاك » فى تصوير هذا الاتجاه الوصولى النفعى فى شخص مجرم خطير هو « ڤوتران » الخارج على المجتمع . يلتقى « ڤوتران » ذات يوم بشاب هبط باريس يطلب العلم هو « راستنياك » الذى يحمل بين جنبيه نفساً أبية ، وقلباً ذكياً ، وطموحاً نبيلا ، ولكنه مع ذلك كغيره من الموهوبين فى مجتمع منحل يعجز عن بلوغ المجد لأنه وقف على من يضحى بمبادئ الشرف والكرامة . يلقاه « ڤوتران » وهو على هذه الحال من الألم واليأس والرضا — مع ذلك — بالأوضاع والمقادير فيلقنه فلسفة فى تلك الكلمات : « أتدرى كيف يشق الناس طريقهم فى هذه الدنيا ؟ يشقونه ببريق العبقرية ، أو بالمهارة فى الخسة . يجب أن تسقط فى صفوف البشر كقنبلة أو أن تتسلل بينها كوباء . أما الشرف فلا فائدة فيه »[1] .

تلك فلسفة يتخذها نفر من الناس يؤيدون بها مسلكا عملياً ويبررون بها ثورتهم على مجتمع يرونه ظالماً ، وهى لعمرى تحمل بين طياتها اعتذاراً ضمنياً عن فعال يحسون فى قرارة نفوسهم مجانبتها للصواب . وفى المقال القادم أحدث القراء عن الفلسفة المقابلة ، تلك التى ترى الخير غاية فى ذاته ، والسعادة فى رضى النفس وراحة الضمير ...

عبد المنعم المليجى
(الاسكندرية)

(١) رباعيات عمر الخيام ترجمة محمد السباعى

(١) مسرحية « الأب جوريو »

دراسة الطفل

من الوجهة النفسية الحديثة

للاستاذ فؤاد طرزى المحامى

بعد بحث وتنقيب دام حوالى النصف قرن قدمت لنا صورة عن طبيعة سلوك الطفل تختلف كل الاختلاف عن الصورة التى قدمها لنا الباحثون القدماء فى ميدان التحليل النفسى . فقد قدم لنا العلماء الحديثون القواعد الأولى التى بنيت عليها الدراسات الجديدة ، وإن النقاط الرئيسية التالية تلخص وجهات النظر الحديثة فى ميدان الدراسات العلمية التجريبية ، فعلم النفس الحديث يقول :

١ — إن الطفل تركيب عضوى حى نام يتطور على شكل تحولات وتغيرات متناهية فى الدقة من الخلية الأولى إلى التكوين العضوى المعقد الذى يؤهل الفرد للعمل وفق مستويات الراشدين . وفى ميدان هذا النمو والتطور يشرح العلماء خصائص الأعمال والتكوينات الجديدة ، وعناصر التغيرات التى تتناول الحجم والشكل والتركيب ، وصفات التغيرات التى تتناول مستوى الفعاليات وأوجه النشاط . كما أنهم يبحثون أيضاً فى المبادئ الأساسية التى تحلل أساليب هذا النحو المستمر وأحواله وهذه الفعاليات النشطة .

٢ — إن الطفل وحدة حية مستقلة بنفسها ، تعمل بمفردها عملا منظما إزاء المواقف التى تواجهها . وهذه الخصائص الجزئية التى يتميز بها السلوك تحتاج إلى تأكيدات خاصة . وتثبت العلوم الكيماوية والفيزيولجية بأن الوحدات المنظمة تستطيع أن تنقسم إلى أجزاء متشابهة ، وهذه الأجزاء تنقسم إلى أجزاء أصغر منها ، وهكذا باستمرار . وبمقتضى هذا فإن القوانين التى تحكم هذه الوحدات المنظمة ستستمر فى عملها بنوع من الدقة والتماثل ينتج أعمالا منسجمة متحدة . وبما أنه لا الطفل ولا سلوكه يتجزآن هذا التجزؤ نفسه ، فقد وجدت الصعوبات فى ميدان التحليل العلمى للطفل من هذه الناحية ، لأن كل الوسائل النفسية والأساليب القياسية التى استعملت لتحليل السلوك إلى وحدات نموذجية معينة قد اقتصرت على الأعمال التى يقوم بها التركيب العضوى بمجموعه . ولهذا السبب عندما نتكلم عن الذاكرة وعن التعلم وعن العاطفة ، فإنما نتكلم عن أعمال سلوكية مستقلة صنفت وفق قواعد التماثل والتشابه ، لأن هذه المظاهر ليست ظاهرة قائمة بذاتها ، ولكنها جمعت مع بعضها لخصائصها الجوهرية المتماثلة ، فكل نشاط يمكن أن يصنف تحت عدد من المراتب المختلفة ، فإنما نفعل ذلك تسهيلا لمهمتنا العلمية . ولهذا فإن نفس السلوك الواحد يمكن أن يصنف كإحساس أو كمعرفة أو كعاطفة أو كذاكرة ... الخ . وهذه الوحدة فى قوى النشاط الطفولى تستعمل إجراءات تبدو شاذة ولا تتصل اتصالا مباشراً بالعلوم البيولوجية

٣ — إن الطفل يعيش فى محيط لا يتميز هو نفسه لا بطابع الوحدة ، ولا بمظاهر البساطة ، ويعمل باستمرار مؤثراً على سلوك ونمو الطفل . وإن نماذج الدوافع الفعالة تأتيه من خارج محيطه ، وبعد ذلك — بصورة غير مباشرة — وبواسطة دفع ذاتى فيه ، يختار من بين مظاهر محيطه ما يناسبه ويوافقه . ويظل هذا التبادل المشترك بين الكائن البشرى وبين المحيط الاجتماعى الطبيعى مستمراً فى جميع الأوقات . وبما أنه قد يحصل نوع من التثبيت والتوقف فى النمو ، فإن صنفاً من السلوك يتشكل ويتحدد ، وإن النماذج النوعية السلوكية تتطور فى ميدان البواعث المتحركة وفى ميدان النظام الذاتى الخاص . وإن بعض هذه البواعث تصبح بواعث محركة منتجة بسبب تأثيرها على مجرى النمو بالتجارب العلمية وبالعلاقات الاجتماعية مع الآخرين ، بينما تبقى بواعث غيرها غير ذات تأثير ، لأنها لم تؤثر فى هذه العلاقات المتشابكة المتبادلة . وأما لماذا تصبح بعض البواعث مؤثرة ، وتبقى غيرها غير مؤثرة ، فإن هذه مسألة لم يبت فيها نهائياً فى الدراسات النفسية الطفولية.

٤ — إن الطفل يبقى خاضعاً لعملية نمو مستمرة متتابعة ، لا ترتد إلى الوراء ولا تقف . فلا يمكن للبيئة ولا للعلاقات الطبيعية والاجتماعية أن تظهر مرة ثانية بنفس الشكل الذى ظهرت فيه فى مرة سابقة ، وذلك بسبب تجدد النمو وتجدد العلاقات المشتركة المتبادلة . إن السلوك فى أية لحظة من اللحظات هو ثمرة تاريخ الطفل وتعبير عن باعث مؤثر معاصر .

وعلى ضوء هذه القاعدة ، فإن دراسة الأسباب المفردة والبسيطة يجب أن تستبدل ويستعاض عنها بدراسة البواعث المتجددة ، والعلاقات المتبادلة ، والتأثيرات النامية المتراكمة .

المشاكل النفسية للطفل :

ينقسم منهج العالم الذي يبحث في المشاكل النفسية للطفل إلى قسمين رئيسين مختلفين من ناحية البحث والعمل . فهو يبحث أولا عن قواعد عامة ، أو مبادئ تنطبق على نماذج وأشكال كثيرة تعين على فهم السلوك وعلى السيطرة عليه والتكهن بعداه ونتائجه . وفي هذه العملية يتناول بحثه :

(ا) أعمال الكائن الحي الآلية ، أو ما تسمى النوازع الذاتية الأصلية للكائن الحي نفسه التي توجه أعماله توجيهاً مستقلا عن أي تأثير خاص يسببه شخص معين أو بيئة معينة .

(ب) التأثيرات التي يؤثر بها الكائن الحي على البيئة التي تحيط به ، أو ما تتركه الكائنات الحية من مظاهر خاصة على العالم الخارجي الذي حولها .

(ج) التأثيرات التي تؤثر بها البيئة على الكائن الحي ، ودراسة كيف يحكي تغيير السلوك وتكييفه بتغيير وتكييف البيئة التي ينمو بداخلها الكائن الحي .

وأما القسم الثاني ، فيتناول تفسير وشرح الظواهر ، وهما الأمران اللذان يتمثلان تمثلا رئيسياً في عدد من العلوم . فالعالم النفسي يحاول أن يفسر عملية النمو نفسها بنماذج متقاربة ومفهومة ، إذ يشمل عمله أولا أن يضع القواعد العامة المشتركة بين جميع الأفراد . وفي هذا المجال توجد طائفتان من القواعد :

(ا) قواعد النمو التناسلي أو التكويني المتعارض أو المتقاطع .

(ب) قواعد النمو التناسلي أو التكويني الطولي .

ثم يقوم ثانياً بمهمة شرح وتفسير وفهم السلوك الفردي بحثاً عن الوحدة العامة بين أنواع السلوك . وفي هذا المجال يجب التمييز أيضاً بين أمرين :

(ا) ترتيب الأفراد حسب مستواهم .

(ب) شرح حالة الفرد شرحاً يتناوله كوحدة جامعة .

أعمال الكائن الحي الميكانيكية :

في كل نظام من الأنظمة تنجز فيه الأعمال بمجموعها ومتحدة نتائج معينة في مرحلة وزمن معينين يفترض العلم بأن هذا النظام يقوم على مبادئ منطقية ، وأن هذه المبادئ تعمل مستقلة استقلالا يتفاوت كثرة وقلة عن المجهودات الآلية للكائن الحي ، وعن تأثيرات البيئة التي تحيط بهذا الكائن ، وأن هذه المبادئ تعمل بصورة مكانيكية مختلفة ومتعددة وفي بيئات مختلفة ، فإذا عرفنا هذه المبادئ فهمنا سلوك الأفراد واستطعنا السيطرة على هذا السلوك ، وإن كنا لم نعرفها فلا نحصل إلا على ما يسمى السلوك غير المفهوم .

هذه هي — بصورة عامة — المبادئ الأولى في علم النفس ، ومن استعراضها يظهر لنا بأن التجربة أصبحت الأساس الفني لتنظيم الدوافع والعوامل والسيطرة عليها . لذلك فإن فهمنا يزداد وإنتاجنا يغزر كلا :

١ — رتبت الدراسات بشكل يسمح للدوافع والحوافز بأن تعمل بكل قواها لتجنب الانهماك بأجزاء صغيرة من العلاقات موضوعة البحث .

٢ — ونظمت الدراسات على أساس اتصال العوامل والحوافز واشتراكها .

٣ — وأعطي اهتمام أكثر سواء عند وضع تصميم التجربة وتنظيم المبادئ ، أو عند المباشرة في الدرس والبحث ، إلى المبادئ المتشابكة وتوافقها مع البيانات الإيضاحية . وذلك بدلا من إشاعة الاضطراب والفوضى في البحث باستعمال الأساليب التقليدية التي تخضع الكائن الحي لآراء متنوعة بدلا من إخضاعه للطرق البيانية المستمدة من الوقائع والتجارب .

وهناك مسألة أخرى — تجابهنا في حقل الدراسات النفسية لمشاكل الطفل — وهي اختلاف قابليات النمو ، واختلاف الأعمار وتأثيرها على الآراء والتجارب ، ثم درجة وطبيعة التغير بالنسبة لهذه الاختلافات في الأعمار والقابليات .

تأثير الكائن الحي على البيئة :

يجب أن ينظر إلى الطفل في أية لحظة من اللحظات كنموذج خاص ، أو كنظام تركيبي مشغول في مواجهة البيئة الخارجية ، وكلما تحرك إلى الأمام مع الزمن ، فإن علاقاته بالعالم الخارجي تتحدد

فى جانب منها بانفعالياته الخاصة ، فإن الأطفال يختلفون اختلافاً كبيراً من ناحية الذكاء ، والقابلية الموسيقية ، والقدرة الإنتاجية ، والقابلية الإحساسية ، والأحوال البيئية . فإذا أمكن ترتيب الأساليب حسب ما يمكن قياسه من هذه الخصائص مفردة ومجتمعة ، فإنه يمكن فيما بعد تسجيل وتحديد وتعميم الإنجازات الفردية التى لوحظت بدرجات متقاربة .

ولكن هذه الملاحظات جميعها قد أجريت — وهذا مما يؤسف له فى قياس الذكاء — مع أنه ليس هناك مايمنع من توسيع هذه القياسات لتتناول مجالات أخرى غير دراسة الذكاء وقياسه ، إذ أن مواضيع علم النفس المقارن كتلك التى تتناول الفروق الجنسية والعنصرية من الممكن أن تؤدى إلى وضع تصميمات نافعة جداً إذا أمكن تصنيف الجماعات فى المراحل الأولى وتبع ذلك دراستهم دراسة مثمرة . ومثل هذه الدراسات الآن غير كاملة تماماً لاختلاطها بالتأثيرات الطبيعية الكثيرة المزدحمة .

ولهذا ، فنى هذه الناحية يستعمل الفرد كنشاط متطور مستقل نام ، أو ينظر إليه كبيئة نفسية يقوم هو نفسه ببنائها .

تأثير البيئة على الكائن الحى :

يقوم المجتمع عن طريق إرشاد وتدريب الأطفال بتكييف البيئات التى ينمو بداخلها الطفل ، فالعالم يهتم بتكييف البيئات تكييفاً تجريبياً مقصوداً لاستكشاف المبادئ الرئيسية والإجراءات العملية التى يمكن استعمالها فى تعليم وتدريب الأطفال .

وهنا تجابهنا مواضع كثيرة تتعلق بالأسلوب المنتج الذى يمكن الاستفادة منه فى التعليم والتدريب ... كيف يحدد مستوى المناهج ؟ ما هى المواد التى يجب أن تدرس فى الجغرافيا مثلا ؟ وهل الصور المتحركة والصور الحركية تساعد فى تحسين نوعية التعليم؟ إن الدراسات التى تتناول تكييف البيئة تشتمل فى بعض الأحيان على دراسة العوامل والبواعث الموجهة كل على انفراد ، بينما تشتمل فى ظروف أخرى على دراسة نماذج معقدة جداً من قوى النشاط . ومن الواضح بأن التصميم التجريبى يتألف من تصنيف جماعات من الأطفال كل جماعة تتميز بعامل من العوامل موضوعة البحث ، ويؤخذ بهذه الطريقة ، لأن دراسة عوامل وبواعث بسيطة أسهل من تناول بحث يتألف من عناصر متشابكة ومتداخلة . وعلى كل يجب أن لا نفترض بأن جميع المشاكل فى هذا المجال تتمركز فقط حول مثل هذه العوامل والبواعث ، إذ الحقيقة أن العامل الفرد ذا التأثير الواحد يعتبر حالة محددة من طرف واحد ، وأن البيئة مع كل تأثيراتها تعتبر حالة محددة من طرف آخر . ولذلك فإن هدفنا النهائى يتناول جميع العلاقات البيئية فى جميع درجات الاشتباك والتعقد ، فإن كافة البحوث فى هذه الدراسات تنتهى بتعميم يعبر عنه باصطلاحات عددية ، وبفروض تنبؤية ، وبتحديدات معينة تطبق على الجماعات والأفراد .

إن مهمة علم النفس فى الماضى كانت تنحصر فى جمع إنجازات السلوك والرجوع إلى الوراء للبحث عن العوامل المسببة .

وهكذا يقارن تحت ظل هذا النوع من الدراسة بين الأطفال الحاذقين وغير الحاذقين ، وبين الحسودين وغير الحسودين ، وفى هذه الدراسات كذلك يعتبر « النموذج » النتيجة النهائية . وعلى كل فإنه إذا حصل تقدم فى معارفنا عن الطفل ، فإن البيئة يجب أن تصبح ظاهرة مستقلة متطورة ، ويصبح السلوك نشاطاً متحولا غير مستقل ، وذلك بشكل يمكننا أن نتعرف على السلوك من دراسة البيئة لا التعرف على البيئة من دراسة السلوك . ولكن هناك فى هذه الناحية صعوبات عديدة ، فقد قام العلامتان شيرمان وهنرى (١٩٣٣) باختيار خمس بيئات متفاوتة حسب قربها وبعدها من المدنية ، ثم قاسا بعد ذلك ذكاء الأطفال ، وفى النهاية فشلا فى الوصول إلى نتائج واضحة قاطعة من وجهة نظر التعميم العلمى . ويعود سبب هذا الفشل إلى حقيقة أن أية بيئة توجد لمدة طويلة من الزمن ستجرب إخضاع أفرادها إلى نوع من التأثير البيولوجى الانتقائى . ولكن إذا مارتبت سلفاً البيئات التى تختلف اختلافاً جوهرياً فيما بينها ، ثم وزع الأطفال عليها توزيعاً متناسباً يمكن بواسطته السيطرة على العامل البيولوجى الانتقائى ، فإنه يمكن الحصول على نتائج هامة .

وقد أمكن الحصول على تعميمات عديدة حول تأثير النظام والإدارة على الأطفال من دراسة الأطفال العاديين ومن شرح حالات البيوت التى يجيء منها الأطفال وشرح خصائص جيرانهم ومعارفهم . وعلى كل فإذا أمكن ملاحظة نماذج من البيوت

المتباينة من ناحية الأنظمة السائدة فيها والمتشابهة من النواحي الأخرى ، وأمكن كذلك قياس سلوك الأطفال ، فمن الممكن الحصول على نتائج هامة أكبر . إن السؤال العلمي الدقيق في بحوث علم النفس الحديث اليوم ليس هو من أي بيت جاء الطفل الذي تبدو عليه متناقضات السلوك ؟ بل هو : ما هي أنواع الحالات البيئية التي تعرض الأطفال لمتناقضات السلوك ؟ لأن الانتقال في العصر العلمي الجديد من السلوك إلى البيئة أقل إنتاجاً من الانتقال من البيئة إلى السلوك .

(بغداد) **فؤاد طرزي**

الربيع

للأستاذ محمد هارون الحلو

غدا الربيع فنجوى الحب ألحان … دنٌّ راق وقينات وولدان

أرى بنات الربى يرقصن في طرب … مع النسيم وفردوس الهوى حان

خماره بات يسقيها على ظمأ … وهن من حوله شَرب وندمان

حلم يجاذب قلبي وهو مفتتن … وكل قلب به ظام وهيمان

لقد نماه بسر الغيب مبدعه … تبارك الله ما سواه إنسان

يد تخط كما شاءت مصورة … وكل ما تمنمنه فهو بستان

ما للأماليد في أعطافها زهر … ينهل من نشره روح وريحان

كأنهن عذارى قد خطرن وفي … معاصم السحر ياقوت ومرجان

يمسسن في خفر عبر الظلال كما … يميس من طرب بالراح نشوان

بكرت أصطبح النجوى على شغف … بين الورود وكم فيهن فتان

يا للحداق بها كم أيقظت شجناً … فنوّح طير الهوى يدنيه لهفان

أنا المصاب وهذا السهم في كبدي … رماه ظبي إلى جنبي غيران

يوم استبقت إلى النجوى فغامزني … بلحظه وبريق اللحظ وسنان

فلت منـه بأذيال معطرة … ومال مني ... وقلبي منه ظمآن

قطفت منه ندياً غير معتصر … كما تألق تفاح ورمان

آذار مهلا دفقت الحب في وتري … فدف شدو به في القلب حيران

نشدتك الله عرس الروض بلبلني … وهاج مني خيالي فهو يقظان

الأمنيات أباريق معتقـة … تديرهن على الأرواح غزلان

ولؤلؤ الندى المنضور مؤتلق … على الخمائل قد وشته عقيان

والدر والتبر في الياقوت نضده … بطابع الحسن في الفردوس فنان

له بكف الورى آلاء ذي منن … يحفهن به فضل وإحسان

والشمس تضفي غلالات مزركشة … يرف منها على الوشي تيجان

كأنها ملك يسـمو به أفق … وللربيع بها عرش وسلطان

ما كان أسنى بنات الليل شاردة … وإلفها شارد الوجدان سهران

يرنو إليها فتغضي في موادعة … وقد أضر به صد وهجران

فهل ترى أملا يهفو على أمل … وهن منه حوازي وأخدان

أنا الذي هاجت النجوى بلابله … وللقماري في الأغصان ألحان

لكم تسمعت منها لحن ذي وتر … يضم عطفيه آلام وأشجان

أما لقلبي ينبـوع أذوق به … من الأفاويق ما يهواه ندمان

بين الربيع ودنيا الحب آصرة … هما على الدهر إن شبهت صنوان

هما حياة بعثناها بأرغنـة … وكم تغنى بها في الخلد رضوان

لا تسألني أذات الطوق حالية … كأمس حيث رياض الحب أفنان

وما حلاها أسوسان الربى عبقا … وزنبق القاع في الأعطاف فينان

أم الحوادث بين الشرق قد عصفت … بمهرجان الهوى فالتاع غصان

ربيع هذا الورى في كل بارقة … للخير ، ما لربيع العيش أوطان

ربيع قلبي شبابي طالما انبجست … منه عيون إلى النجوى وخلجان

ربيع روحي يقين أستقي به … يشف عنه بنور الله إيمان

ربيعنا العلم إن قرت دعائمه … فما يزعزعه بغي وطغيان

الله للعرب قد ناداهم سبب … إلى الجهاد فهم في البأس فرسان

إن مال بالقدس إعصار فروعه … فسوف يحمي ربيع الحق رحمان

محمد هارون الحلو

إلى الشاطئ

للاستاذ ابراهيم الوائلي

أيها الملاح – والزورق ينساب ويجنح
ونسيم الفجر يختال على الماء ويمرح –
يمم الشاطئ حيث الحلم النشوان يسنح
فهنا كنت مع الطير أناجيها فتصدح

أيها الملاح – والشاطئ مسحور الهضاب
وعروش الكرم تزهى فوق هامات الروابي
وشعاع الفجر ينساب على الطل المذاب
أعد الذكرى وجدد لى أحلام الشباب

مل إلى الضفة فالزنبق يختال ويعبق
ومذاب الطل فى الزهر دموع تترقرق
فلكم ينقر مجداف وكم يسبح زورق
والدجى لفت جناحيها وهذا الصبح أشرق

هذه الفتنة فى الشاطئ – والطير تغنى –
إنها مبعث إلهامى وإحساسى وفنى
أيها الملاح جدد لى عهداً ضاع منى
فلكم وقّعت كالطير هنا بالأمس لحنى

إن فى الشاطئ من حبي عهداً لا يزال
هائماً مثلى فى الآفاق مشبوب الخيال
فى دموع الطل ، فى النرجس ، فى خفق الظلال
فى خرير الماء ، فى الأنسام ، فى صمت الرمال

ها هنا حبي واقداحى وساعات اللقاء
وربيع ذاب فيه الصيف واندك الشتاء
وانطلاق قد تساوى الصبح فيه والمساء
وهنا ودعت أمسى مثلما شئت وشاء

أيها الملاح فى نفسى للماضى رغاب
لم تزل تضحك للفجر وتحيا فى الشعاب
فهنا كان رفاق ، وهنا مر شباب
وهنا كان صباح وأمامىَ عذاب

أيها الملاح فى جفنى طيف لا يغيب
لترانيم وكأس ولقاء وحبيب
فهنا دنياى بالأمس وماضىّ الرتيب
وهنا مجلى خيالاتى ومغناى الخصيب

أترى مثلى تشجيك ترانيم الطيور ؟
والسواقى تتهادى فى رمال وصخور ؟
والندى الذائب خمر سكرت منها الزهور
فهنا شمت كئوس وهنا رفت ثغور

إيه يا ملاح : إنى طال فى الشط اغترابى
فلكم أطوى حياتى بين موج وضباب ؟
أنا فى الزورق ظمآن فهل تدرك ما بى ؟
وعلى الشاطئ سمارى وأقداح شرابى

مل إلى الضفة كى ننسى تهاويل الطريق
فهنا العيش رغيداً ، وهنا الظل الرقيق
علنى أدفن همى بين أكواب الرحيق
وأرى الحاضر يزهى مثل ماضى الطليق

أيها الملاح – والزورق ينساب ويجنح
ونسيم الفجر يختال على الماء ويمرح –
يمم الشاطئ حيث الحلم النشوان يسنح
فهنا كنت مع الطير أناجيها فتصدح

(القاهرة) ابراهيم الوائلي

اعصفى يا رياح . . !

للأستـــاذ رضوان ابراهيم

اعصفى أيتها الرياح وزمجرى .

من كان له فى هذا البلد كوخ يخشى عليه التحطيم فليستعطفك !

اعصفى أيتها الرياح ... من كان له فى هذا الحقل سنابل يخاف أن تتقصف فليسترحمك !

اعصفى أيتها الرياح .. من كان له فى هـذا الوجود أحبة يشفق عليهم من لفحاتك فليطلب إليك أن ترفقى !

اعصفى ... اعصفى يا رياح !؟

مهما عصفت فلن تزلزلى هذا الأساس ؛ لأنه لاصق بالأرض !؟

ومهما غضبت فلن تهز فى هذا البناء؛ لأنه وهم من الأوهام ! ؟

ومهما زمجرت فلن تدكى هذه الصروح؛لأنها أشباح الأبدية!؟

اعصفى أيتها الرياح ... اعصفى !.

إننى سـار غريب ... مهما عصفت فلن ينشق عنى هـذا الأهاب الذى يشـد عظامى ... إنه هدية أمى يوم جاءت بى إلى هذا الوجـــود !؟

ومهما ثارت ثائرتك فلن تطيحى بهـذه القبة الزرقاء التى أسـتظل بها كلما ألهبت رأسى زفرات الهجير ... هجير المجتمع . كل موطىء لقدمى وطن حتى أنقل القـدم إلى غيره ... وكل مضجع آوى إليه تحت سماء الله بيت حتى أنفض غبار الجهد . وكل كسرة أتبلغ بها مائدة ما دامت تحفظ على الحياة ! ؟

اعصفى أيتها الرياح ... اعصفى .

اعصفى وزلزلى ... فقد تزلزلين يوماً صروح الظلام !

اعصفى ودكدكى ، فقد تدكين مرة معاقل الظلم والطغيان !

اعصفى وثورى . فقد تحطمين سدود الرحمة فتتدفق فتغمر الوجود !

اعصفى ... فقد يصحبك برق يمزق الغشاوة التى ترين على الأبصار والقلوب ، فيرتد إليها البصر والبصيرة ، فترى حكمة السماء على الأرض ، ونور الله على ظلام الناس .

اعصفى وغبرى ، فقد يعقبك غيث يهطل على القلوب فيحييها فتخضر فى جوانبها الرحمة ، ويمرع فيها الإيمان ، وتزدهر فى حواشيها الإنسانية !

اعصفى واملائى الدنيا ظلاماً ورعباً ، فقد تنجلين عن شمس ساطعة تغمر الـكون بضيائها ، فتطرد أشباح اليأس ، وتتعقب فلول الظلام ، وتنشر الأمل والنور والطمأنينة والسلام .

رضوان ابراهيم

مدرس بالزعفران — العباسية

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

« بنات » للأستاذ أحمد الصاوى محمد :

كتاب يطرق أبواب الشعور فى النفس الإنسانية طرقاً عنيفاً فى كل فصل من فصوله قصة ، وفى كل قصة قلب ، وفى كل قلب عاطفة . ويقف المؤلف من وراء هذا كله ليلهب القلب الذى يخفق ، وليؤجج العاطفة التى تحرق ، وليقدم من صور الحياة نماذج فيها من زهر الشرق ، وفيها من عطر الغرب ، وفيها القلم الذى يصب الزهر والعطر فى قارورة الوجدان !

فى هذا الكتاب فتاة ظلمها الصاوى كل الظلم حين لخص قصتها الرائعة فى ثلاثين صفحة ؛ فتاة ليست ككل الفتيات ، لأن مبدع شخصيتها كاتب ليس ككل الكتاب !

هذا الكاتب الفرنسى أخفض قلمى تحية لفنه ، ولا تصفنى بالغلو إذا أحنيت رأسى إجلالا لعبقريته !

وتسألنى لماذا ظلمها الصاوى؟ فأقول لك : لأن هذه المسرحية تهز منك الأعماق وهى ملخصة فى ثلاثين صفحة ، فما بالك لو أفرد لها الصاوى كتاباً نقل فيه كل همسة نفسية من همسات الكاتب الفرنسى وكل وثبة فنية من وثبات قلمه ؟ !

مسرحية تمد فى رأى النقد نموذجاً فنياً بلغ من النضج فى كل عنصر من عناصره ما يدفع به إلى القمة من الأدب المسرحى الحديث ... الفكرة من تلك الأفكار التى لا يلتقطها من أعماق النفس إلا ملقط خبير بمسارب الشعور الإنسانى حين يرتطم بواقع الحياة ، والحوار موهبة فذة ترقب الشخوص من مرصد الوعى المرهف لتسجل الحركة النفسية قبل الحركة الفكرية ، والصراع من هذا اللون الذى تستحيل معه الكلمات إلى متحف من متاحف العرض الفنى لصور الأهواء والنزعات ، أما طريقة التوزيع المسرحى للأدوار الرئيسية فتذكرك بطريقة الكاتب النرويجى إبسن فى مسرحيته الخالدة « The wild duck » أو البطة المتوحشة ؛ كل دور يلائم شخصيته القائمة به ملاءمة تجمع بين منطق الحياة ومنطق الفن . ويبقى بعد ذلك للكاتب الفرنسى تفرده بحرارة الصراع وعنف الوجيب فى القلب الإنسانى !

دعنى أقدم إليك هذه المسرحية الرائعة التى لخصها الصاوى تلخيصاً أميناً تحت عنوان « بنت بين أبوين » ... هى فتاة كما قلت لك ليست ككل الفتيات ؛ فتاة رقيقة الحس ، مكتملة العقل ، مشبوبة العاطفة . نشأت فى بيت من تلك البيوت التى تظلل سماءها الصافية غيوم من الحيرة والشك والضلال ؛ فأبوها رجل مغلق القلب ، مغمض العينين ، متبلد الشعور والوجدان . زوجته فى رأيه ليست زوجته ، وابنته فى وهمه ليست ابنته ... وتمضى عجلة الزمن لتطوى من حياة الأسرة المعذبة الحائرة عشرين عاماً ؛ عشرين عاماً لقيت فيها الزوجة ما لقيت من شكوك الزوج وإهماله ، ولقيت فيها الفتاة ما لقيت من خشونة الأب وإعراضه ! وتشب الفتاة عن الطوق وبين جنبيها قلب يتقلب على جمرات من الحقد على هذا الأب الذى لم يشعرها يوماً بحنان الأبوة ، وعلى تلك الأم التى حرمتها هذا الحنان فى فجر العمر وشبابه ، حين جاءت بها إلى الحياة من رجل غير الرجل ... وللأسرة صديق يتهمه الزوج بانتهاك حرمة العطر فى زهرة كان يمكن أن تملأ بيته بالأرج ، وتقف الزوجة والصديق أمام هذا الاتهام السافر موقف المظلوم من القاضى الجائر ؛ فهو إن قدم الدليل على براءته لا يجد الأذن التى تسمع ولا القلب الذى يشفع! والفتاة البائسة تجلس فى الصف الأول من صفوف النظارة لتشهد المأساة بكل خلجة من خلجات الفكر الموزع والعقل المشتت والضمير الملتاع . وينتهى الفصل الأخير بأن تغادر الفتاة المسرح الذى ملأ عينيها بالدمع وأرمض جوانحها بالعذاب ، ولكن إلى أين ؟ ... إلى هناك ، إلى البيت الآخر الذى يضم بين جدرانه رجلاً كانت تناديه أبداً بيا « أبى » تناديه بها بالقلب والروح واللسان ! أكان أبوها حقاً ذلك الرجل الذى لجأت إليه ؟ الله يشهد أنه لم يكن للعائلة غير صديق؛ صديق يحب الزوج ويجل الزوجة ويعطف على الفتاة ، ولكن الشك قد أظهره فى عينى الزوج المضلل بمظهر العاشق وفى عينى الفتاة الشقية بمظهر الأب ، وما أثقلها من كلمة كانت تلهب شعوره بسياط الأسى الدفين حين تناديه الفتاة بنداء الأبوة وهو عنه بعيد بعيد !

ويأتى يوم يتدخل فيه القدر ليرفع الغطاء عن وجه الحقيقة ، والغشاوة عن عينى الزوج ، وكما يستيقظ النائم من نومه الطويل وأحلامه المفزعة ، فقد استيقظ الزوج بعد عشرين عاماً ليطلب الصفح من الزوجة والإبنة والصديق ... ويصفح الصديق عن

زلته ، وتعفو الزوجة عن سـقطته ، وتبقى الفتاة يحول البغض والحقد بينها وبين الصفح والمغفرة ! وهنا يبدأ الصراع النفسى المنيف الذى يرتفع بالفن المسرحى إلى الأوج ... أب يتوسل إلى ابنته أن تصـفح ، وأن تعفو ، وأن تعود إليه ، أب فرغ قلبه وفرغت حياته من الحب البنوى عشرين عاماً ويريد اليوم أن يملأ فراغ القلب والحياة ، أب يئن أمام عاطفة ابنته المتحجرة أنين حيوان شجته السهام فراح يلعق جراحه ، أب يحاول أن يقنعها بأنه أبوها وأنها ابنته ، وكلما شق طريقاً إلى القلب المغلق وقف الماضى البغيض ليعترض طريق أحلامه وأمانيه ! ... إذا قال لها إن عينيه تشبهان عينيها قالت له : أجل يا أبى ، بما ليس فيهما من حنان ! وإذا قال لها يجب أن تؤمنى بطهارة الأم التى أنجبتك ، قالت له : إن من يعيش معك يا أبى لا يؤمن بأحد ! وإذا قال لها أحبى يا ابنتى ما كرهته واجتويته ونفرت منه عشرين عاماً ، أما بشكلى ورأسى ويدى وظهرى قالت له : ولـكن ابتسامتك يا أبى ، ونبرة صوتك ، ووقع خطاك ! وإذا قال لها ألا نحاول يا ابنتى أن يقترب أحدنا من الآخر قالت له : إن من واجبنا يا أبى أن نحاول! ويهتف الأب وهو يغص بلوعته : أرأيت يا ابنتى أن الـكلمة الوحيدة التى وجـدتها هى كلمة (الواجب) وهى كلمة ينقصها السحر ؟ ! وتجيبه الفتاة وهى تشرق بالدمع : آه لو أمكننا ! ويهمس الأب من أعماقه : أن نتسامح ، وأن نتصافح ! وأمام اللهفة الضارعة تقول له: تـكفى لحظة حنان فى حياتنا المدائية ، تذكر شيئاً ، شيئاً نستطيع أن ننسج عليه مودتنا ، ثم محبتنا ، ثم سعادتنا تذكر عند ما كنت طفلة ومرضت ، ألا تذكر ؟ فلنبحث عن شىء آخر يا أبى ، شىء أكون قد قلته لك ... كلمة ... أو إشارة تسعفنا اليوم وتقرب أحدنا إلى الآخر ! ويصرخ الأب فى يأس مرير : آه يا ابنتى ، لا أكاد أجد شيئاً ، لقد كنت بلا ريب طفلة لطيفة ، ثم بنتاً جميلة ، ولـكننى لم أنظر إليك ، لقد كرهتك منذ مولدك ، أما الآن فلشد ما أحب أن أحبك يا ابنتى !! ... أنظرى أليس مثلنا كمثل كفيفين عمى منهما البصر وهما يتخبطان فى الظـلام مادين أيديهما ليلتقيا ؟ ! هيا يا ابنتى إلى البيت ، ولن نـكون الأسرة الوحيدة على ظهر الأرض التى يعيش فيها أب وابنته جنباً إلى جنب بغير حب !

ترى هل ذهبت معه ؟ كلا ! إن الريشة المبدعة تريد أن تختم المسرحية الفذة ختاماً نفسياً لا نظير له ... إن الـكاتب الفرنسى يريد أن يلقى على رجال الفن درو...اً ترسم لهم الطريق ؛ وها هوذا ينطق الفتاة بأعمق وأروع ما يمـكن أن تنطقها به الحياة :

« لن أذهب معك يا أبى لأننى أريد أن أحبك ... يجب أن نتحاب يا أبى وقد أحبك إذا سافرت إلى أى مكان بعيد ! إننى لا أستطيع أن أنطق أمامك بشعور الميل والانعطاف لأنك أمامى وحتى لو قلت لى أرنى ما عندك فإنى لم أتأثر به إذ أنك تقوله بذلك الصوت الذى طالما تثلجت منه أطرافى وجرح فؤادى ... لا حيلة لى فيه فهو ما زال يثلجنى ويجرحنى ! حتى لو بكيت يا أبى فإن دموعك تسيل على وجهك ؛ وجهك الذى ظل عشرين عاماً وهو يتجهم لى !! ... وعلى ذلك فلا بد لبناء شىء بيننا من أن نهدم أولا كل شىء ، ولـكى أحبك لا بد لى من أن أنساك ... ولـكى تزداد قرباً منى ينبغى أن تزداد بعداً ... سافر إذن لأفـكر فيك . وأكتب إليك ... ولكى تـكون أبى الذى بعـد عنى والذى سـيعود إلى ... أبى المجهول الذى لا يعرفنى ، والذى سيجىء يوماً ما... سوف ترى ، فإنه ما إن يتم البعد بيننا قليلا حتى يشب الحب بيننا قليلا ... وفى رسـالة من رسائلنا ، نزداد جرأة على إبدائه ، والتعبير عنه ... ثم نتحاب حقاً يوماً ، وعندئذ تعود ... أريد ذلك يا أبى »؟ ويجيبها الأب وهو يجر قدميه مندفعاً إلى الخارج وفى صوته رائحـة الدموع : نعم يا بنيتى ... وسأنتظر رسالتك الأولى !!

فتاة كما قلت لك ليست كـكل الفتيات ، لأن القلم الذى قدمها إلى الناس قلم كاتب ليس كـكل الـكتاب ... واقرأ بعد ذلك للصاوى قصـصاً أخرى بعضها له وبعضها لـكتاب آخرين من الأدب الفرنسى ، ومهما بدا لك من الاعتراض هنا وهناك فلن تستطيع أن تنـكر على الصاوى أنه إنسان ؛ إنسان يستشير قلبه فى قصصه حين يكتب ، ويرجع إليه دائماً فى قصص غيره حين يعرّب! اقرأ مثلا فى الفصل الأول قصة الفتاة التى تضحى بحبها الذاتى فى سبيل الكرامة ، وفى الفصل الثانى قصة الفتاة التى تضحى بحبها الأبوى فى سبيل الزوج ، وفى الفصل الرابع قصة الفتاة التى تضحى بحبها الخيالى فى سبيل الأمومة ، وفى الفصل الأخير قصة الفتاة التى تضحى بحبها المثالى فى سبيل الوطن ! واقرأ إذ شئت فى الفصـول الأخرى ألواناً من المرأة وألواناً من الحب ، وإذا كانت هذه الألوان لا تبلغ المستوى الرفيع فى قصة الـكاتب الفرنسى والقصص الأربع التى أشرت إليها فى الفصل الأول والثانى والرابع والأخير ، فحسبك أن خفقات القلب فيها تسبق وثبات القلم !

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

قلت وما زلت أقول لماذا يؤثر بعض القراء أن يظلوا مجهولين وهم أصدقاء ؟ ... هذه رسالة من « القضارف — سودان » تحمل إلىّ من أديب لم يذكر اسمه تحية ملؤها التقدير الكريم لهذا القلم المتواضع الذى يسطر تعقيباته من أسبوع إلى أسبوع . إن هذه التحية الكريمة وأمثالها من التحايا الصادرة من أعماق الشعور والقلب والعاطفة ، لتؤكد لى أن رسالة الأدب بخير ما دام هناك خلق وعقل وذوق ووفاء ، أما أنا فلا أملك لهؤلاء القراء الأصدقاء جميعاً غير الشكر ، وإنه لشكر العاجز المقصر عن بلوغ ما يريد !.

وهذه رسالة أخرى من « الإسكندرية » تحمل إلىّ أيضاً ما حملته الرسالة السابقة من عاطر الثناء ، ولكن مرسلها الأديب الفاضل سعيد كامل غير راض عن الكلمة التى كتبتها منذ أسبوعين عن الريف ، لأن قضية الريف كانت تنتظر منى تصويراً أصدق وأوفى وأكثر إحاطة مما كتبت ! إن ردى على الأديب الفاضل بعد خالص شكرى له هو أننى ما أردت من وراء كلمتى عن الريف إلا أن أسجل حالة شعورية صادقة تركت أثرها فى نفسى وحسى ، وأعتقد أننى قد نقلت حديث الشعور إلى الورق نقلا يمكن أن يحرك ذوى النفوس الشاعرة من أصحاب الأقلام وأصحاب السلطان

أما الرسالة الثالثة فمن تاجر فاضل « بمحلة مرحوم » يهوى الأدب ويحب « الرسالة » وهو السيد حنفى الشريف ... يسألنى التاجر الأديب حلاً لمشكلة سبها له صديق الأستاذ راجى الراعى فى قطرات نداه حين قال : « أتعس الناس رجل ذو ذاكرة قوية يصرف الساعات الطوال من نهاره وليله فى المطالعة ولا يرى فيه قوة للتعبير عما يشعر به ، فتظل تلك الخلائق فى أرحامه لا تقوى على الخروج وتتراكم مع الزمن حتى يصاب بالاستسقاء الذهنى وفى مساء يوم من أيامه السود ينفجر رازحاً تحت أثقاله ويسلم الروح منتحراً أو مجنوناً ! إن النفس إذا غصت ساحتها بما فيها ولم تجد لها منفذاً أصيبت بالاختناق ، فلا تصرفوا أوقاتكم فى القراءة إذا كنتم لا تستطيعون أن تكتبوا . القلم فرجة الروح فاكتبوا كلما قرأتم لترتفع أشجاركم بدورها بين تلك الأشجار التى تتفيأونها فى غابات الفكر والإحساس . افتحوا كوى أرواحكم بين الحين والحين لئلا يفسد هواؤها » ! ... إن مشكلة التاجر الأديب هى أنه مشغوف بالقراءة والاطلاع والاغتراف من منابع الأدب ، ولكنه لا يملك القدرة على التعبير عما يجيش بنفسه من شتى الخواطر والأحاسيس بما يرضى أديباً كبيراً كالأستاذ الراعى ، فهل يترك القراءة والاطلاع لأنه لا يستطيع أن يعبر ؟ ! هذا السؤال يوجهه إلىّ صاحب الرسالة ، وأنا أترك الجواب للأستاذ راجى الراعى لأن الموضوع موضوعه وهو أحق منى بالجواب !

ونبقى بعد ذلك الرسالة الرابعة وهى من « السودان » أيضاً إنها رسالة عزيزة علىّ لأن ما فيها من عتاب وطنى حار قد لفح منى الشعور والوجدان ! أود أن أقول لمرسلها الأديب الفاضل ج . البشير إننى سأفرد الموضوع الذى أثرته بكلماتك الملتهبة بصدق الوطنية والإيمان مكاناً خاصاً من « تعقيبات » العدد القادم ...

قصة « مالك الحزين » فى مجلة الثقافة :

قصة مالك الحزين قصة معروفة لكل من قرأ كتاب « كليلة ودمنة » ، وهى قصة قصها بيدبا الفيلسوف على دبشليم الملك حين طلب إليه أن يضرب له مثلا للرجل يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه .. هذا المثل الذى ضربه الفيلسوف لهذا الصنف من الناس مستمداً معناه من شخصية مالك الحزين ، هذا المثل تستطيع أن تمثر عليه فى العدد الصادر منذ أسبوعين من الثقافة فى صورة دكتور من الدكاترة الشبان ، يلذ له دائماً أن يحمل عصا الأستاذية فى النقد الأدبى ! قال الدكتور وهو يعرض لأحد الكتب بالنقد والتوجيه :

« دعوت فى مقال سابق إلى أن لا يكتب المؤلف كتاباً إلا وقد أصبحت أفكاره تجارب يعيشها ويحياها ، حتى يكون الكتاب ذا قيمة حقيقية وحتى يمكن أن ينتفع به الناس ؛ فإن الكتاب إن لم يصدر عن منطق المؤلف وروحه ، ولم يصبح جزءاً لا يتجزأ من ذهنه ونفسه ، يكون شيئاً تافهاً ، ولا يكون خليقاً بالنظر والدرس . وقد يظن بعض المؤلفين فى هذا عنفاً وقسوة فى الحكم على الكتب ، ولكنهم إذا نظروا فى الساعات التى اقتطعوها من القارىء فى غير جدوى ، إلا أن يأتوا بأخبار من هنا وهناك ، حتى ليغدو الكتاب كأنه سوق غير منظمة يختلط فيها الزائف بغير الزائف والمهوش بغير المهوش ، إذا نظروا فى ذلك اعترفوا بصحة ما نذهب إليه » .

كلمات الدكتور الناقد حق فى حق ، ولكن هل يتفضل بتطبيقها على كتبه قبل أن يطبقها على كتب الناس ؟ أم أنه يريد أن يعيد لنا قصة مالك الحزين ، ذلك الذى قال عنه بيدبا الفيلسوف أنه يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه ؟ ! ...

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

بينى وبين رجل طيب :

تصدى كاتب فى مجلة المقتطف لما كنت كتبته فى العدد (٨٣٠) من الرسالة بعنوان « مجمع سلامة موسى للغة العامية » فكتب تحت عنوان « النقد والتعقيب فى الصحف والمجلات » متوهما أننى نقدت فى ذلك الموضوع كتاب « البلاغة العصرية واللغة العربية » للأستاذ سلامة موسى ، نقداً « انعدم فيه التجاوب وضاعت الأمانة الواجبة على الناقد ... الخ » وأنا أبادر أولا فأقول إنى لم أتعرض لنقد الكتاب ، وإنما كان مبنى الموضوع على طلب الأستاذ سلامة موسى عضوية مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، إذ قلت إن الأستاذ دائب الطعن على اللغة العربية وأدبها وثقافتها . والغرض الأول من المجمع هو المحافظة على هذه اللغة وتنمية أدبها وثقافتها ، والأستاذ سلامة يدعو إلى اتخاذ اللغة العامية بدلا من العربية الفصيحة ، وعلى ذلك فهو ليس أهلا إلا لعضوية مجمع ينشأ للغة العامية ، ومن التخليد له أن يسمى المجمع العامى باسمه . واستشهدت على ما قلت ببعض نصوص وردت فى كتابه المذكور آنفاً نعى فيها على العربية وثقافتها ودعا إلى اللغة العامية .

فهل يعد الاستشهاد ببعض ما جاء فى كتاب ، نقداً له ؟ ولو أننى نقدته حقاً لما ضيعت الأمانة ، ولما انعدم « التجاوب » فى نقدى ولو أنه فى غير صالح الكتاب . ويظهر أن الكاتب رجل طيب مجد مجتهد ، كما يظهر من قوله « وغايتنا من وراء هذا إعلاء مكانة النقد وتنقيته من الشوائب » أنه أيضاً غيور على صالح النقد الأدبى ، ولكن كل هذه أشياء غير الأصالة والإصابة ، وفقدان هذين هو الذى جر على ما ند به قلم الكاتب ، سامحه الله .

وقد صدق الرجل الطيب الغيور فى مؤدى قوله : « لقد زعم الكاتب الشاب (الذى هو أنا) أن الأستاذ سلامة موسى يهجم على اللغة العربية ويعيب أدبها ويدعو إلى اللغة العامية وأن آراءه فى هذا الكتاب ككل الآراء التى فى كتبه وأن رجلا هكذا اتجاهه لا يجوز أن يحتل مقعداً مع الخالدين فى المجمع اللغوى بل إنه ليرشحه لرياسة مجمع يطلق عليه المجمع العامى ويسمى باسمه »

نعم قلت ذلك ودللت عليه بما جاء فى الكتاب ، وأزيد عليه الآن ما قاله المؤلف بعد أن ادعى أن السلفية — ويقصد بها الكتابة عن الأسلاف دون هنرى فورد وكارل ماركس — منعت الأمة من التقدم الصناعى ، قال فى (ص ١٢) : « لأن المجتمع الصناعى كان جديراً بأن يحدث مجتمعاً مستقبلياً يكتب مؤلفوه بلغة الشعب وتنتقل اهتماماتهم الذهنية من التآليف عن قدماء العرب إلى التآليف عن مشكلاتنا العصرية فى الأخلاق والتعليم والاقتصاد ومكافحة الفاقة . وإنى بالطبع لا أغفل هنا ارتباط اللغة بالتقاليد والعقائد وأن هذا الارتباط من أسباب الكراهة للتطور اللغوى » وفى الكتاب كثير من أمثال هذا الكلام .

على أن عنوان الكتاب نفسه يدل على أن المؤلف يدعو إلى اللغة العامية ، فهى المعنية بـ « البلاغة العصرية » لأن الواو الواقعة بينها وبين « اللغة العربية » فى اسم الكتاب ، تقتضى التغاير بينهما ، أى أن البلاغة العصرية شىء مغاير للغة العربية !

والرجل الطيب المجد الغيور ينفى عن الأستاذ سلامة موسى أنه يعيب العربية ويدعو إلى العامية ، وقد دفعته طيبته إلى الإغضاء عما استشهدت به من الكتاب ، وأعمل جده واجتهاده فى عرض أبواب الكتاب ومحتوياته التى منها بحوث فى « أثر الألفاظ من الناحية السيكولوجية والاجتماعية والخلقية » ولم يدرك الرجل الطيب — لطيبته — أن المؤلف يقصد بذلك ثلب اللغة العربية ، فهو يقول مثلا فى أثر الألفاظ النفسى ص ١٤٦ : « فى لغتنا كلمات تحمل شحنات عاطفية سيئة تؤدى إلى ارتكاب الجرائم (الدم والعرض فى الصميد) » .

ومن محتويات الكتاب التى أشاد بها الرجل الطيب ما جاء فى قوله « ولم يقف مؤلف كتاب البلاغة العصرية عند هذه الفكرات بل ارتأى أن يكون المنطق أساس البلاغة الجديدة (ولا تنس أنها العامية) وأن تكون مخاطبة العقل غاية المنشىء بدلا من مخاطبة العواطف ، وذلك لأن البلاغة العربية تخاطب

العواطف دون العقل ، وهـذا ضرر عظيم » ومعنى هـذا أن نلغى الأدب كله لأنه يخاطب العواطف ونعمل ببلاغة عصرية عامية تحرر بها العلوم ويكتب بها عن كارل ماركس وهنرى فورد من أجل خاطر سلامة موسى الذى ألف هذا الكتاب متأثراً بـ « عاطفة » الكراهية للغة العربية !

إن النتيجة التى يستخلصها القارئ الفطن من هذا الكتاب — بعد أن « يتجاوب » معه — هى أن اللغة العربية علة تأخرنا فى كل شىء ... ففيها كلمات تفسد الأخلاق كالدم والعرض فى الصعيد ، وهناك ألفاظ مثل الحريم تهدر كرامة المرأة، وهناك كلمات أرستقراطية تبسط السيادة الطبقية كصاحب السعادة وصاحب العزة ، وخلوها من ألفاظ الصناعة أدى إلى تأخرنا الصناعى ، كل ذلك إلى ما فيها من مترادفات وما تمتلىء به من كلمات بدوية منحوتة من أصول حسـية لا تنفع للحضارة المصرية .

لذلك الهذيان كله ، الذى يوجع القلب ويذهب الوقت سدى بقراءته ، وجب أن نتخذ البلاغة المصرية بدلا من تلك اللغة العربية ... والتعبير

كشكول الأسبوع

□ أمر معالى وزير المعارف بتحويل دار ابن لقمان بالمنصورة إلى متحف يحوى آثار العصر الأيوبى ، وهى الدار التى أسر فيها لويس التاسع ملك فرنسا فى الحروب الصليبية التى أغار فيها على مصر .

□ جاء فى كلمة بمجلة منصور أن والد الشاعر خليل مطران كان يكره أن يكون ولده شاعراً حتى إنه كتب إليه فى صباه يقول : « فيا ولدى برضانا عليكم لا تمارسوا هذه الصنعة لأننا ما وجدنا شاعراً على جلده قيس » .

□ قال الأستاذ أحمد الشايب فى إحدى محاضراته بكلية الآداب : نستطيع أن نقسم الشعر العربى تقسيما جديداً على حسب تدرجه فى العصور المتعاقبة من خشونة البداوة إلى لين الحضارة ، فالشعر الجاهلى « صوف » والأموى « قطن » والعباسى « حرير » فبادره أحد الطلبة قائلا : أليس هناك شعر (نايلون) ؟

□ كتبت السيدة صوفى عبد الله فى مجلة الاثنين بعنوان « شدوا اللجام وأرخونا » فقالت إن المرأة تطلب فى الرجل قوة الشخصية وتحب أن تشعر بسطوته ، فإذا حرمت هذا الشعور انتقمت بالتحكم فى الرجـل . وأرجعت الكاتبة إلى ذلك مطالبة المرأة بالمساواة وحق الانتخاب والاشتراك فى الحكم ، فقد استنوق الجمل ، فرأت الناقة أن « تستجمل »

وقد استرعى التفاتى فى مقال السيدة قوة أسلوبه على خلاف ما ينشر فى المجلة إذ يراعى فيه النزول إلى مستوى الجمهور العام ، حتى ليضطر أستاذ جامعى كالدكتور حسين مؤنس إلى الكتابة فيها بأسلوب يكاد أن يكون عامياً .

□ أصدرت دار المعارف آخر حلقة فى سلسلة (اقرأ) كتاب « الحب والكراهية » للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، وقد تحدث فيه عن عاطفتى الحب والكراهية من حيث الفلسفة والأدب وعلم النفس وعلم الحياة ، حديثاً يجمع إلى إمتاع الأدب فائدة العلم والثقافة

□ قالت طبيبة كبيرة فى انجلترا للآنسة أم كلثوم : إن دواءك الوحيد هو أن تغنى . وقد أعربت أم كلثوم عن رغبتها فى الإسراع بالعودة إلى مصر كى « تغنى وتغنى وتقول للطير من بدرى صباح الخير »

□ تحاول محطة الإذاعة ستر موقفها المزرى الناشئ من تقصيرها فى تسجيل مسرحيات الريحانى — بشراء نسختين لروايتين كاملتين كانت محطة الشرق الأدنى قد سجلتها من مسرح الريحانى .

□ لعل محطة تل أبيب اللاسلكية هى الإذاعة الوحيدة فى العالم التى تؤدى إذاعتها العربية باللغة العامية .

بالبلاغة المصرية ماهو إلا ترويق وطلاء للفظ « اللغة العامية » إذ نرى الدعوة فى الكتاب سافرة إلى الكتابة بلغة الشعب والمجتمع وما إلى ذلك ، ليكون « المعلم دبشة » الجزار أمير البلاغة المصرية ...

وكاتبنا ذاك رجـل طيب جداً ، لأنه يدفع تهمة الدعوة إلى العامية عن الأستاذ سلامة موسى ، مع أن هذا يجاهر بها ولا يرى فيها عيباً ويسره أن ينشأ باسمـه مجمع للغة العامية أو بعبارة أخرى ، مجمع للبلاغة المصرية .

وقد خيـل إلى الكاتب المجتهد بعد أن تعب من عرض أبواب الكتاب « أن ما جاء فى أقوال كاتب مجلة الرسالة من أن الكتاب يدعو إلى التهجم على اللغة العربية ويعيب أدبها ويدعو إلى العامية لا يقوم على أى أساس من الصدق والحق ، ونخشى أن نقول إنه تشويه متعمد قصد به التشهير وإذاعة الآراء الباطلة ، وهذا مانشجى له كل الشجى » .

يا أخى ، لا تغضب ولا تشج فأنا لم أشوه ولم أقصد التشهير، لأنى لم أرم الأستاذ سلامة بما يكره،وإذا لم تكن مصدق فسله أو سل أى أحد ممن لا تأخذهم غفلة الناس الطيبين .

هدى :

هو الفلم الجديد الذى يعرض بالقاهرة فى سينما ريفولى ، أخرجه حلمى رفلة ، ووضع قصته نقولا بدران ، وكتب حواره بديع خيرى ، وقام بتمثيل البطلين فيه نور الهدى وكمال الشناوى ، واشترك معهما فى التمثيل حسن فائق ومحمد كمال المصرى (شرفنطح) وآخرون .

« هدى » اسم الفتاة التى بنى الفلم على تقديم شخصيتها (مثلتها نور الهدى) تظهر فى أول منظر بمنزل والدها فتحى بك (حسن فائق) مدير شركة التصوير والتوريد ببور سعيد ، وهى تستذكر دروسها استعداداً لامتحان التوجيهية . ثم تنجح فى الامتحان ، وما تكاد تفرح بنجاحها حتى تحزن لزواج أبيها من نعيمة الموظفة عنده بالشركة ، ويسوؤها أن تحل نعيمة ، وهى من بيئة سيئة ، محل أمها المتوفاة ، ولكن والدها يسترضيها وزوجته تحسن معاملتها فى أول الأمر تملقاً للوالد الحدب على ابنته ، ثم تتغير عليها تغيراً شنيعاً وتذيقها ألوان الهوان حتى يصل الأمر إلى أن تحاول تزويجها من أخيها عاشور الذى كان بائعاً على عربة يد ثم أصبح مديراً للمخازن بشركة صهره فتحى بك ، وكانت هدى قد عادت من القاهرة حيث كانت تقيم مع خالتها وقد لحقت بكلية الحقوق طالبة فيها ، ولما كانت فى القاهرة عرفها شكرى (كمال الشناوى) أخو زميلة لها فى الكلية ، فغازلها وهم بإغرائها، ولكنها أعرضت عنه وصفعته . وشكرى ضابط بحرية يعرف والد هدى من تردده على ميناء بورسعيد ، فذهب إليه يخطبها منه ، فعارضت نعيمة زوجة الأب وأصرت على تزويج هدى من أخيها عاشور . فهربت هدى وقصدت إلى الأستاذ عبد الصبور الوسيق الذى عرفته فى حفلة بمنزل زميلتها بالكلية ، وأفضت إليه برغبتها فى الاشتغال بالغناء فرحب بها ومهد لها السبيل إلى الغناء بأحد الملاهى

وتستبد نعيمة بزوجها فتحى بك وتمكن لأخيها عاشور فى الشركة ، فيدأب هذا على سرقة البضائع وتهريبها حتى تسوء حال الشركة ويفلس فتحى بك . ويذهب شكرى مرة إلى الملهى فيرى به هدى التى تأبى مقابلته ، فيتصل بأبيها ويخبره فيحضر فوراً ، ثم نرى فى المنظر الأخير شكرى وهدى عروسين .

والفلم يعتمد — فى موضوعه — على تقديم هذه الفتاة المكافحة التى أصرت على أن تحيا حياة كريمة شريفة ، فكان لها ما أرادت رغم ما اعترضها من عقبات وشدائد . ولكنه فى فى الوقت نفسه كلفها معجزات ، فقد كانت تقوم ، عدا ما قدمت فى تلخيص القصة ، بأعمال (بوليسية) فى بور سعيد لكشف البضائع التى سرقها عاشور ، واقتضاها ذلك أن تسقى عاشور وشركاءه الخمر فى إحدى الحانات ، حتى عرفت منهم وهم سكارى موضع البضائع . وقد أدى ذلك إلى زحمة الفلم بالحوادث الثانوية إلى جانب إرهاق هدى بما ليس فى الإمكان المعتاد ، فهى طالبة بالحقوق ومطربة بالقاهرة و (أرسين لوبين) فى بور سعيد ! ألم يكن فى الإمكان تصوير هذه الشخصية دون وقوع المتناقضات فى حياة فتاة نشأت فى منزل محافظ ودرست فى الجامعة ، ثم نراها تحذق سقاية الخمر واللعب بعقول رواد الحانات ..؟

وقصة الحب فى هذا الفلم وضعها عجيب ، الفتى يحب الفتاة من أول نظرة وهى لا تعيره أية نظرة حتى النهاية حيث نراهما عروسين . نعم هو حاول إغراءها وهى فتاة شريفة ، ولكن لم هذا الوضع ؟ لم نر ما يبرره غير أن نشاهد الفتاة معرضة عنه لتتزوجه برغبتها أخيراً .. وقد أضعف ذلك مركز كمال الشناوى فى الفلم وأظهره فى مظهر تافه رغم أنه الفتى الأول فيه ، وقد طغت عليه شخصية حسن فائق حتى تحول مجرى الفلم من قصة حب بين فتى وفتاة إلى قصة بنت وأبيها .

ونور الهدى ممثلة بارعة ، معبرة فى التمثيل وفى الغناء ، وقد قام نجاح التمثيل فى الفلم عليها وعلى حسن فايق ، فقد أبرزا الحياة فيه ممثلة فى روعتها وظرفه .

ويمتاز الفلم بما اشتمل عليه من مشاهد الفن والجمال الخالية من الإسفاف والتهريج ، وقد وجه المخرج عناية كبيرة إلى برنامج الملهى الذى كانت تغنى فيه هدى ؛ ومن روائع هذا البرنامج منظر قطع فيه بيت شوقى المشهور :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

ولا تحسبن تقطيعه على (فاعلاتن مستفعلن) بل جسم كلاً من النظرة والابتسامة و ... الخ فى هدف تحمله بنت ويرى إليه السهم وتمر هدى بكل منها وتغنى له غناء يشرح القصة الخالدة من النظرة إلى اللقاء .

عباس خضر

البريد الأدبي

الضمير الأدبي ... وأين يوجد ؟!

اعتادت الرسالة الزاهرة أن تقدم لقرائها فى سائر أقطار العالم أنضج الثمرات الأدبية وأشهاها لمختلف أدباء العربية من نثر وشعر وفن وعلم وأدب ونقد ..

وكانت رسالة النقد فى « الرسالة » أسمى الرسالات حيث يوضع المؤلف على بساط الفن والبحث ويحمل المبضع ناقد نزيه لا هم له إلا الحرص على المستوى الأدبى والحقيقة العلمية وتمييز القول ، وتلك رسالة النقد الجليلة . ولكن الأستاذ أنور المداوى كاتب « التعقيبات » بعد أن سطع نجمه فى النقد البرىء شط به الهوى فنسى قلمه ونسى ضميره حين كتب فى العدد « ٨٣٥ » من الرسالة قوله « ولقد كنت أود أن أفى بهذا الوعد لولا رغبة كريمة من صديقين عزيزين بأن أكف يدى وأقبض قلمى تحقيقاً لغاية نبيلة هى إعادة الصفاء إلى النفوس . » إلى هنا وأتساءل فى حيرة وتردد أين الضمير الأدبى ؟! وأين الحقيقة العلمية السامية التى من أجلها خلق النقد ؟

أحب أن أسأل الأستاذ المداوى ما معنى إعادة الصفاء إلى النفوس ؟! وما معنى الاستجابة للصديقين وترك الحقيقة الأدبية تنتحب وتلفظ أنفاسها الأخيرة بين يدى الصداقة ... !

ويعلم الله كم كنت مبتهجاً لجرأة هذا الأديب حين تناول بعض الأدباء بالنقد النزيه فى إحدى تعقيباته وكتب «وأنا حين أكتب أنسى المجاملة والصداقة وأتوخى الحقيقة العلمية والأدبية ما استطعت إلى ذلك سبيلا » .

ولا شك أن هذا الكلام جدير بالتقدير والإعجاب أسطره للاستاذ المداوى بكل غبطة وسرور .

ولعل الأستاذ المداوى يذكر قول القائل « إذا كنت حريصاً على الصداقة فكن على الحق أكثر حرصا » .

ولعله يجيب على كلمتى هذه فى تعقيباته ليستأنس به الضمير الأدبى ضمير النقد النزيه الذى تعودناه منه ... وإنى أناشد الأستاذ الكبير عميد الرسالة باسم الأدب والحق نشر كلمتى هذه فى « الرسالة » الغراء منبر الحق .

وللاستاذ المداوى تحيات المؤمل المنتظر .

سلمان البغدادي

ليسانس آداب

رد على هجوم :

قرأت فى العدد ٨٣٦ من الرسالة الغراء كلمة للاستاذ كامل محمود حبيب أوجز الرد عليها فى السطور التالية :

أولاً : يقول إن قصة « مادلين » نشرت من قبل بالبلاغ بدون توقيع ... وأقول إن التوقيع سقط عند الطبع ، ويستطيع السيد أن يسأل الأستاذ إبراهيم نوار بالبلاغ !

ثانياً : يريد منى أن أثبت له أن القصة لى ... وأقول إنى أتحدى أن يثبت أى كاتب هذا الشىء بالنسبة لقصة نشرها باحدى الصحف ! أما الأدلة التى أملكها فهي ... أولا شهادة والدى الشيخ وأشقائى، وذلك أن أخى الثالث هو بطل القصة ، ولأن القصة لا فضل لى فيها غير وضعها فى الحروف ! ... ثانياً شهادة صديق من الأدباء ... ثالثاً شهادة «الثلاث أخوات السوريات» وشهادة شقيق « مادلين » وهو طبيب بالقاهرة ... فهل يريد سيدى أن أحمل إليه كل هؤلاء فى « تاكسى » ليشهدوا لى ؟ ...

لقد اضطررت مرة للهرب من القاهرة بسبب قصة لى ، هربت من « النبابيت » ، فهل يرضى السيد أن أفعلها ثانية ؟

ثالثاً : يأخذ علىّ نشر القصة بالرسالة بعد أن نشرتها البلاغ .. وأقول : أين كنت يوم نشر غيرى من الأدباء قصائدهم فى عدد من المجلات فى وقت واحد .. لا أريد بهذا كبار الأدباء بالطبع لأن المسألة هنا فيها نظر ؟! ... نشرت « مادلين » بالرسالة لأن البلاغ لا يخرج عن القاهرة والاسكندرية فيما أظن ، بينما تذهب الرسالة إلى مشارق الأرض ومغاربها ! وإذا علم السيد إنى لا أطلب للآن أجراً عما أكتب فهل يعود ليلومنى على نشر قصة — سقط منها اسمى — للمرة الثانية ؟

رابعاً : يشير إلى « سابقة » لى ويعنى بها أسطورة « الديك

الذهبي» لبوشكين .. هذه القصة بعثت بها للرسالة منذ شهور .. ثم حسبت أنها فقدت بالبريد ، فعدت وأرسلتها للبلاغ . وشاء سوء الحظ أو حسنه أن تنشر بالرسالة في نفس الأسبوع !

خامساً : يرى أن نشر قصة للمرة الثانية هو «فرار من الجهد ، وضعف ، وخواء» .وأقول إني لا أجهد نفسي في كتابة القصص .. وإنما أتلقاها « جاهزة » من السماء أو الأرض وقد حاولت أن « أجهد » في كتابة بعض القصص فكانت النتيجة أن ضميري الفني أبى عليّ حتى الآن أن أرسلها لصحيفة ما !

هذا يا سيدي . وحسبي الله ونعم الوكيل !

يوسف جبرا

بويضة وانسجام :

جاء في « الأهرام » تحت عنوان (بعض أوهام الكتاب) أن تصغير بيضة على « بويضة » خطأ في اللغة ، وأنه من أوهام الكتاب ، وأن الصواب : « بييضة » بيائين متعاقبين . كما جاء مع هذا أن « بينهم انسجام » أي وفاق من أوهام الكتاب أيضاً !

وأقول : إن تصغير بيضة على بويضة ليس بخطأ ولا وهم ، بل هو وارد مسموع عن العرب الخلّص . وقد يدهش القارئ إذا علم أن كلمة « بويضة » تصغير بيضة هي مستند النحاة الكوفيين منذ أكثر من ألف سنة في تجويزهم في كل مصغر فيه ياءان متعاقبتان أن تقلب الياء الأولى منهما واواً ، فيقولون في تصغير شيخ شويخ ، وفي بيت بويت ، وفي عين عوينة وهكذا . وذلك قياساً على ما سمعوه عن العرب . وهو « بويضة » . نص على ذلك الأشموني على الألفية ، عند شرح قول ابن مالك : واردد لأصل ثانياً ليناً قلب ...

والعلامة السيوطي في كتابه همع الهوامع عند الكلام على التصغير بالجزء الثاني من هذا الكتاب .

نعم قد وقع تقصير في كتب المعاجم اللغوية ، فلم تذكر ذلك ؛ ولكن عدم الذكر لا يدل على عدم الوجود . وكم من مفردات لغوية لم تذكرها كتب المعاجم !

أما « بينهم انسجام » فهو صحيح على ضرب من التجوز الذي لا حجر فيه في اللغة العربية متى وجدت العلاقة والقرينة المصححتان للاستعمال . وهذا من تشبيه توافق الناس وانتظامهم في مشاربهم بتوالي انسجام الدمع من العين ، أو الماء النازل من السماء على نمط واحد بدون اختلال . ومن هذا يعلم صحة قول الأطباء : بويضات جمع بويضة ، ووجاهة قول من قال : هؤلاء بينهم أو ليس بينهم انسجام .

(كلية اللغة العربية) عبد الحميد عنتر

١ — حول المؤرخ المصري المسلم أحمد بن زنبل الرمال وكتابه :

يذكر أنور زقلمه في كتابه المماليك في مصر أنه اعتمد على كتاب صغير وضعه رجل قبطي يدعى ابن زنبل الرمال .

وللحقيقة والتاريخ أقول إنه ليس هناك ثمة مؤرخ عرف بهذا الإسم إلا المؤرخ المسلم أحمد بن علي بن أحمد المحلي . ولقد ذكر الدكتور محمد مصطفى زيادة طرفاً من الحديث عن هذا المؤرخ في كتابه « المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي القرن التاسع الهجري» في ص ٧٥ ، ص ٧٦ . ويذكر الدكتور زيادة أن لابن زنبل كتاباً عنوانه « أخذ مصر من الجراكسة » وبالرجوع للكتب المخطوطة والمطبوعة بدار الكتب الملكية لم أجد لابن زنبل مؤلفاً بهذا العنوان . وإنما وجدت عدة كتب مختلفة العناوين تعالج موضوعاً واحداً هو فتح السلطان سليم لمصر وتتقارب هذه الكتب في عباراتها بل وألفاظها . فمن عناوين هذه الكتب كتاب السلطان سليم العثماني مع السلطان قانصوه الغوري . ويسمى سيرة السلطان سليم خان والجراكسة وما جرى بينهم ومع قانصوه الغوري ؛ وكذلك يسمى تاريخ ابن زنبل الرمال . وثمة كتاب آخر بعنوان آخر هو الواقعة بين السلطان سليم خان في فتوح مصر مع السلطان الغوري وطومان باي .

ومن هذا نرى أنه ليس في دار الكتب الملكية نسخة تحمل عنوان «أخذ مصر من الجراكسة» لهذا آمل أن يحافظ الناشر

رسالة النقد

نماذج من عناية المستشرقين بالمخطوطات العربية

للأستاذ عبد العزيز مزروع الأزهرى

مما سبقنا إليه الغربيون عناية المستشرقين منهم ببعث الكنوز الشرقية فى عالم المؤلفات المخطوطة وبخاصة ما كان منها نفيساً نادراً . وساعد على هذا أنهم تخصصوا فى كل فرع من فروع الثقافة الشرقية : عربية وهندية و ... ؛ وأن مراجع كل فن تحت أيديهم بالمئات ، وأن لكل مرجع منها فهارس منظمة لكل ما اشتمل عليه ، ففهرس للشعراء ، وآخر للأعلام ، وثالث للأمم والقبائل ، ورابع للبقاع ، وخامس للقوافى ، وسادس لرجال السند مثلاً وهكذا .

فكل ما يحتاج إليه الباحث جملة وتفصيلاً فى أى علم أوفن يستطيع العثور عليه بنظرة خاطفة بفضل هذا التنظيم المثمر الذى ثبتت دعائمه على تضافر علمائهم ، وهيئاتهم الثقافية ، وسخاء أغنيائهم ، وتقديرهم لكل مايوضح جانباً من جوانب الثقافة الشرقية التى هى إحدى الجوانب المشرقة للثقافة الإنسانية .

وقد كان همنا فيما مضى أن نستفيد من آثار هؤلاء المستشرقين بشراء ما طبعوه من مباحث ، أو نشروه من دفائن فى مدائنهم الكبرى ، ومكتباتهم العامرة ؛ أو ببعض حواضرنا الشرقية إذا أشرفوا على الطبع .

أما الآن فقد رأينا فتحاً جديداً فى مصر فى هذا الميدان ؛ إذ قد تضافر (المستشرق ا . ليفى بروفنسال) أستاذ اللغة والحضارة العربية بالسربون ، ومدير معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس مع (دار المعارف بمصر) فكان من نتائج هذا التضافر نشر كتاب ثمين من أمهات الكتب المخطوطة فى الأنساب وهو (جمهرة أنساب العرب لابن حزم) الأندلسى

على عنوان الكتاب وأن يجعله أقرب إلى أحد العناوين السابقة ؛ بل إننى أرى أن خير عنوان للكتاب هو « الواقعة بين السلطان سليم خان فى فتوح مصر ... الخ هذا إذا لم يكن الناشر قد عثر على مخطوطات أخرى تحمله على أن يجعل عنوان الكتاب «أخذ مصر من الجراكسة » .

ونرجو من ناشر ومحقق الكتاب أن يضرب صفحاً عن هذه الأشعار الكثيرة التى وردت فى النسخة المخطوطة رقم ٤٤ تاريخ بدار الكتب الملكية لأن هذه الأشعار تفسد كثيراً رونق الحقائق التاريخية التى ذكرها المؤرخ المصرى وتجعل الكتاب أقرب إلى الملاحم الشعرية الأدبية . كذلك على الناشر أن يلاحظ كثرة الأخطاء النحوية والإملائية التى تزخر بها النسخ المخطوطة من الكتاب بجانب اللغة العامية الفاشية فى معظم صفحات الكتاب . حقاً إنها لمهمة شاقة على الناشر والمحقق نأمل أن يوفق فيها فيخرج لنا سفراً هاماً فى تاريخ مصر فى أواخر عهد المماليك وبداية الحكم العثمانى .

٢ — الغَورى لا الغُورى :

وبمناسبة ذكر اسم الغَورى أقول إن من الخطأ نطق الغَورى بضم الغين وخاصة بعد أن حقق الدكتور عبد الوهاب عزام بك اسم الغورى فى كتابه « مجالس السلطان الغورى » فذهب الدكتور عزام إلى أن الضبط الصحيح لهذا الإسم الغَورى بفتح الغين لا ضمها . فهل لمدرسة تحفيظ القرآن الكريم التى اتخذت من ذلك البناء الأثرى الذى يطل على كل من شارعى الأزهر والغورية -- ذلك البناء الذى فيه سبيل الغورى ومسجده على ما أعتقد ، ومدفن طومان باى على ما أرجح ، هل لهذه المدرسة أن تبقى اسم الغَورى مكتوباً خطأ بضم الغين وخاصة بعد أن ظهر الحق وبان ؟ ارفعوا اليافطة واكتبوا اسم الغورى صحيحاً تخلدوا ذكر الغورى حقاً .

شفيق أحمد عبد القادر

كلية الآداب — قسم التاريخ جامعة فؤاد الأول

المتوفى فى منتصف القرن الخامس الهجري ، فأراحوا الباحثين من عناء الباحث المرهقة فى صحارى المخطوطات القديمة التى هى أشبه بألغاز الخطوط الهيروغليفية أو المسمارية أو الحميرية ، ومهدوا بفهارسه سبيل البحث لرواد الثقافة .

فهل إذا عثر المتصفح لهذا الـكتاب الضخم على بعض هنات يرفع عقيرته بالغض من قيمة ما صنعوا ويبالغ فى النقد والتجريح وينسى الجوانب المشرقة لهذا المجهود الجبار !!

إن الإنصاف يدعو إلى تقدير ذلك العمل ، وإنصـاف من أشرفوا على طبعه ؛ لأنهم لم يألوا جهداً ، ولأنهم اختاروا فأحسنوا الاختيار ، واجتهدوا والمجتهد حقه واجتهاده .

فإذا ما زل القلم فلا تثريب عليهم ؛ لأن صفحات الـكتاب تربى على ٥٢٤ صفحة ، وكثير من أعلامه وقبائله غريب صعب فوق أنها تبلغ عشرات الألوف ، وبخط مغربى لا يكاد يقرأ ...

هذا جوابى لمن طلبوا إلى إبداء رأيى فى هذا الـكتاب باعتبارى من المشتغلين بهذا النوع بل من المؤلفين فيه . أما الإشارة إلى بعض ما ند عن التصحيح ، أو ما سها عنه الأستاذ بروفنسال فسأنشر منه فى كل فترة جزءاً مما عثرت عليه . وإلى حضرات القراء أولى كلماتى فى هذا الموضوع إيضاحاً للحقيقة وتبصرة للباحثين :

١ — أول ما عثرت عليه من تلك الهنات كان فى صفحة ٣٦٦ وقد جاء فى السطر الثالث : « ومن بنى عرينة بن (نذير) بن قسر بن عبقر : حيـة بن (جوين) بن على بن (نهم) » وضبطهم (نُذيراً) بوزن زبير خطأ ، كما أن ضبطهم (نِهماً) بوزن رِجس خطأ آخر ؛ والصواب فى (نَذير) أنه بوزن بَشير ، (نُهم) بوزن قُفل أى بضم النون لا كسرها .

يؤيد هذا الضبط ما جاء فى أحـدث مؤلفاتى « قاموس الأعلام والقبائل » وقد اعتمدت فيه على أمهات المعاجم ، وكتب الأنسـاب المضبوطة بالأوزان ، وما جاء فى « مختلف القبائل ومؤتلفها » لابن حبيب ص ٥ ؛ وما ورد فى « القاموس المحيط » . وقد يكون الناشر متأثراً فى هذا الضبط ببعض المستشرقين الآخرين

٢ — وفى صفحة ٢٢٠ فى الـكلام على بنى عبد الله بن دارم ذكر خمسة منهم ثم قال : أمهم من بنى (أسَيْد) كزبير بن عمرو ابن تميم ، والصواب (أسيِّد) بتشديد الياء التحتية المثناة كما فى صفحة ٤٥ من المؤتلف والمختلف ؛ ولما ضبطه طابعو الاشتقاق لابن دريد وهم من المستشرقين ، بل بدليل ضبط « بروفنسال » نفسه قبل ذلك ص ١٩٩ من الجمهرة نفسها .

٣ — وفى ص ١٩٠ أمران : (هُما) أن المؤلف قال فى نسب « بلال بن الحارث » إنه من بنى مازن بن حـلاوة بن ثعلبة ؛ فشاء الأستاذ الناشر أن يضبط باقى سلسلة النسب فقال : (ابن هُدمة) بالدال المهملة (ابن الأصم) . والصواب : (ابن هُذمة) بالذال المنقوطة و (لاطم) لا الأصم وهو من به صمم ، وقد وضح الصواب فيهما معاً « الفيروزابادى » فى قاموسه فى مادة (ه ذم) والمختلف لابن حبيب صفحة ٣ بل إن فى الجمهرة نفسها ضبطها الناشر نفسه ص ١٩٢ اعترفت بلاطم هذا ، فوق أن « أسد الغابة » ج٢ فى ترجمة « شرح بن ضمرة المازنى » وترجمة « عبد الله بن درة المزنى ج ١ منها » وقبل هذا أثبت القاموس المحيط حقيقة الاسم الثانى وهو لاطم فقال : « جرس بن لاطم بن عثمان من مزينة » لا الأصم .

٤ — وفى ص ١٩٢ « ولد ضبة بن أد : سـعد بن ضبة وسعيد ، قتله الحارث بن سعد ، ثم قتل ضبة الحارث بن كعب ، وفى ذلك سارت الأمثـال : « أسَـعد أم سَـعيد » كأمير ، والصواب : سُعيْد كزبير) .

٥ — وفى ص ١٩٣ وهى الصفحة التالية قال المؤلف : منهم — أى من بنى ضـبة — ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب ؛ فجمل المصحح أبا كعب « بجادا » وهو ابن ذهل بن مالك والصواب : (بجالة) بن ذهل بن مالك بدليل الاشتقاق لابن دريد فى كلامه على قبائل بنى ضبة ورجالهم ص ١١٩

٦ — وفى ص ٢١٠ قال الناشر فى ترجمة « زهرة التميمى قاتل جالينوس الفارسى » : (زُهرة) كحجرة بن (جوريه) والصواب فى الـكلمتين : « زَهرة كفرحة » و « جوية » بالجيم المضمومة والواو المفتوحة ؛ وبراجع هذا فى « أسد الغابة » وغيره كالإشتقاق ص ١٥٥

٧ — وفى ص ٢١٣ عند الحديث فى نسب « بنى يربوع » ابن حنظلة بن مالك التميمى نقرأ : « منهم واقد بن عبد مناف بن

(عُزَير) وزن زبير بن ثعلبة ؛ وكرر هذا عدة مرات ؛ والحق أن عبد مناف هو بن (عَـرِين) وزن رئيس بالراء لا الزاى ، والنون الأخيرة لا الراء ؛ ولم تختلف كتب الأنساب فى هذا الضبط ، ولا المعاجم اللغوية كمختلف القبائل ص ٤٦ ، والقاموس المحيط مادة (عرن) والاشتقاق ١٣٥ ، ١٣٨ .

٨ — وفى نفس الصفحة أراد المؤلف أن يفيض فى ذكر « مالك ومتمم ابنى نويرة » فجاء مسيو بروفنسال وجعل أبا نويرة (نميرة) بن شداد بن عبيد بن ثعلبة ؛ والصواب (جمرة) فالاختلاف فى (الحروف) و (عددها) و (ضبطها) وراجع هذا فى المؤتلف ص ٣٥ والمفضل الضبى ص ٥٢٥ والأغانى حـ ١٤

٩ — وفى ص ٢٠٠ عند الكلام عن (الهمهام التميمى) جعل من أجداده « كافية » بن حرقوص ، وفعل مثل هذا الضبط فى نسب « خفاف بن هبيرة » وأعاد هذا الاسم ست مرات بالضبط نفسه ، والصواب : « كابية » وزن رابية بالباء المفردة التحتية قبل الياء المثناة التحتية لا الفاء أخت القاف وراجع الاشتقاق ص ١٢٦ والمختلف المتقدم ص ٣٦ ، وخزانة الأدب للبغدادى .

١٠ — وجعل الأستاذ المستشرق فى ص ٢٠١ (حبيل) ابن ربيعة تصغير حبل جداً لمالك بن الريب التميمى أول من رثى نفسه قبل موته ، والصواب : « حسل » وزن مجل كما فى المراجع السابقة .

اشارات إلى الهنات :

١١ — وفى ص ١٣٦ سطر ١٥ قال : فأما هاشم فإنه ولد « حنتمة أم عمرو بن الخطاب » والصواب : (عمر) وهو الخليفة التالى لأبى بكر .

١٢ — وفى ص ١٧٥ سطر ٣ قال : وأبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن (جندب) بن يعمر بن (حابس) والصواب : ابن (جندل) بن يعمر بن (حلس) ، وقد تكونان غلطتين مطبعيتين .

١٣ — وفى الصفحة نفسها ولكن فى سطر ٤ قال : ابن عدى بن (الدُّئل) وابن حبيب مثلا يرى أن ضبطه (الدِّيل) كزبير

١٤ — وفى ص ١٧٩ جاء فى العنوان : وهؤلاء بنو (ملْكان) ابن كنانة بفتح الميم ، والصواب كسرها .

١٥ — وفى الصفحة ذاتها ولكن فى السطر ١١ قال : ولد الهون بن خزيمة (مليح) كأمير ، وكررها فى السطر ١٧ ، والصواب (مُليح) كزبير بضم الأول وفتح الثانى .

١٦ — وفى ص ١٨٤ سطر ١٩ قال : فمن ولد منقذ بن طريف الشاعر « عبد الله بن الزبير » بضم الزاى وفتح الباء ، والصواب (الزبير كأمير) أى بفتح الزاى وكسر الباء المفردة التحتية .

١٧ — وفى ص ١٩٢ سطر ٩ قال : « يزيد بن عمرو بن أوس بن سيف بن (عمرو) بن (جلدة) فى الوقت الذى سبق أن قال فيه فى ص ١٩٧ سطر ٤ (ابن عرم لا عمرو) بن (حلزة لا جلدة) فأيهما الصواب ؟!

١٨ — وفى ص ٢٠٩ سطر ١١ قال : فمن بنى حمان (نمرة) ابن مرة ، والصواب (نمر)

١٩ — وفى ص ٢١٣ سطر ١٤ قال : وصرد بن (حمزة) الذى سقاه أبو شواح المنى ، والصواب : (جُمرة) بالجيم المضمومة لا الحاء المفتوحة ، وقبل التاء المربوطة راء لا زاى .

٢٠ — وفى الصفحة عينها سطر ١٩ قال : فمن بنى سليط (أُسيِّد) بن حياة ، والصواب : (أَسيد) كأمير .

٢١ — وفى ص ٢١٤ سطر ١٦ قال : أم مسحل المذكور (الريداة) بنت جرير الشاعر ، والصواب : « الرَّبذاء » بالذال المعجمة وهى المنقوطة لا الدال المهملة .

٢٢ — وفى ص ٢٤٤ سطر ٣ فى البيت الثالث :

(والذئب أخشاه إن مررت به وحدى وأخشى(الريح) والمطرا

أما ضبط الذئب بالضم فأرجو أن يتذكر قول « ابن مالك فى الألفية :

(فالسابق أنصبه بفعل أضمرا حتما موافق لما قد أظهرا)

وأما الريح ، فصوابه : (الرياح) أولا : لأنها الروام ؛ ثانياً : لأنه العروض وحسبى هذا الآن ، وإلى اللقاء ...

عبد العزيز مزروع الأزهرى
بالقبة الثانوية

مطبعة الرسالة

العدد ٨٤٠ — الاثنين ٨ اغسطس ١٩٤٩ — السنه السابعه عشره

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

[illegible]

[illegible]

17 em Année No. 840

Lundi — 8 — 8 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٤٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ شوال سنة ١٣٦٨ — ٨ أغسطس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

١٤ - أمم حـــائرة

الخـــاتمة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

بالعدل ، وهو شريعة لا تناقض فيها ، ولا اضطراب ، ولا تخلف ، تسكن نفس العادل إلى طريق لاحبة ، وتطمئن إلى خطة بينة ، ويملأها السلام . وكذلك تسكن وترضى وتطمئن أنفس الآحاد والجماعات التى يدبر العدل أمورها ، ويصرّف شئونها ، فيسرى السلام فيها ويربط الوئام بينها ، ثم يشيع السلام والوئام فى أمور الجماعة جليلها ودقيقها ، كلها أو أكثرها ، والسلام هو سعادة الأحدان والجماعات ، وقوام الخير والشر بينها ، ووسيلة الصلاح والاستقامة فى كل أمورها . وقد سمى الله تعالى نفسه السلام . وفى القرآن الكريم : (والله يدعو إلى دار السلام) (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور) .

فالإيمان بالله سبحانه يؤدى إلى العدل وفضائل أخرى كثيرة عظيمة . والعدل يؤدى إلى السلام ، والسلام قوام السعادة والطمأنينة فى نفوس الوحدان والجماعات .

فلهذا فليعمل العاملون ، وعلى هذه القواعد فليبن بناة الجماعات والأمم ، وهذه السبيل فليسلك دعاة الحق والخير ، وهذا النهج فلينهج المعلمون والمربّون على اختلاف درجاتهم ، وأممهم ومواطنهم وعصورهم .

إن الناشىء فى هذا العصر تتلقفه آراء لم تُحكمها الروية والتثبت ، وأقوال لم يزنها الصدق والإخلاص ، وأفعال لم يرَد بها وجه الله . وتحيط به هذه الآراء والأقوال والأفعال أنى سار ، وتلزمه كل حين بما اخترع العلم من وسائل النشر والإذاعة . وهو هالك إن لم يدركه العقل والعمل .

وعلى قادة الرأى وأولى العلم أن يجنِّبوا النشء كل حين بكل وسيلة القلق والحيرة والزلل والشطط بهذه الآراء والأقوال والأفعال ، فى الدار والمدرسة وبالإذاعة والكتب والصحف ؛ وبكل ما هدى إليه العقل السليم والعلم الصحيح من وسائل .

إن هذا الصخب المحيط بنا ، وهذا القلق المستكن فى أنفسنا والظاهر فى كثير من معايشنا و نُظمنا وشرائعنا وأمورنا ، وهذه الحيرة الدائرة بالناس على غير طريق إلى غير غاية ، وهذا التهاتر فى الأقوال ، والتخالف فى الأفعال ، كل أولئك مرده إلى فقد السلام فى النفس الواحدة ، وبين الأنفس المتعددة ، فى كل طائفة وكل قبيل وكل أمة ثم بين الناس أجمعين .

ولا سبيل إلى السلام إلا بالعدل يجمع الناس على شرائع من

الحق، وسُنن من الخير والبر، ويقيها الأهواء المتصادمة فى الأنفس المتنافرة، والأحداث المتلاطمة فى الأمم المختلفة.

ومرجع العدل وأخوات له بها أمن الناس وائتلافهم وتوادهم وتعاونهم وأخوّتهم، وفيها الخير العميم والسعادة الشاملة، هو الإيمان بالله، الإيمان الذى يعظم النفس كما قلت آنفاً، ويجمعها ويرفعها عن الدنايا وعن سفساف الأمور وعن الأهواء وعن المادة إلى معالى الأمور وجلائلها، وإلى الحق وإلى عالم الروح المتلائم المتناسق المطّرد المنسجم.

نحن فى عالم تتصادم آراؤه لأنها لا ترجع إلى أصل يوحّد بينها، بل تنشأ عن نزعات ونزغات؛ وتختلف أقواله لأنها لا ترجع إلى صلة يجمعها ويؤلف بينها، وتتقاتل أفعاله بما فقدت الحق والعدل، والمعانى العامة، والشرائع الهادية الجامعة.

ولا منجاة من التصادم والتخالف والتقاتل إلا بالسمو عن الأهواء إلى الحق، وعن الظلم إلى العدل، وعن الأحداث الجزئية إلى القوانين الكلية. ولا يتسنى هذا إلا بالعلو إلى أصل الأصول وحقيقة الحقائق وهو الله تعالى مصدر الحق والخير والجمال والعدل والسلام وما يتصل بأولئك جميعها.

هذا الكلام الموجز عنوان لمعان لا تحد، يعيا عنها البيان، وتحسر فيها العقول والألسن والأقلام. وإنما هو إشارة إلى عالم فسيح، للعقل فيه مَراد، وللوجدان فى أرجائه مجال. فليفكر المفكرون، وليتأمل المتأملون، وليدعُ المصلحون، وليضرب الأخيار الأمثال، وليبينن هذا للناس كل من أوتى نصيباً من العلم وحظاً من الرأى: غير آل جهداً ولا مقصّر فى فكر أو عمل حتى تستبين السبيل ويتضح النهج وتلوح الغاية ويستقيم المسير. ولله ولى التوفيق.

* * *

أما بعد فهذه كلمات مخلصة لله، اطرد فيها الفكر، وفاض بها القلب فى غير تكلف ولا تزيّد ولا مراءاة.

وقد عرضت فيها أسباباً لقلق الناس وحيرتهم، وشقاوتهم بعقولهم وأعمالهم، وبما صنعت أيديهم، ووراء هذه الأسباب أسباب أُخَر. وما أردت الاستيعاب والاستقصاء. وقد دعوت إلى أمور رأيتها طباً لهذه الأدواء، وشفاء لهذه العلل، ومعها أمور أخرى، متصلة بها أو تابعة لها، وما حاولت الاستقراء والاحصاء.

ولم يقف بالقلم عند هذا الحد بلوغ الغاية أو الإيفاء عليها، ولا ضيق المجال، ولا نضوب الرأى وقصور القول: بل وقف بالقلم طول الطريق وبعد الغاية، وأنها سبيل يغنى فيها الإيجاز، وتكفى فيها اللمحة والإشارة والدعوة والتنبيه والإيقاظ والتحذير. وكذلك وقف بالقلم الترويح عن القارئ والإشفاق من أن يمل من هذه السلسلة الطويلة وراء هذا العنوان الوحيد.

وإنى لأدعو كل مفكر وأحفز كل كاتب إلى أن يمنح هذا الموضوع بعض عنايته، ويصرف له بعض وقته أداء للأمانة وقياماً بالواجب.

وعسى أن أعود إلى هذا الموضوع أو إلى موضوع يتصل به ويمت إليه.

والله نسأل السداد فى الرأى والإخلاص فى القول والعمل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

عبد الوهاب عزام

أيتهـــا الشمس ..

للأستاذ راجي الراعي

أيتها الجمرة البيضاء التي يسكبها لنا الله في وليمة الحياة ...

أيتها النقية الطاهرة التي لم تمسها يد بشر ... ولم يتسرب إليها لؤم الأرض ونفاقها ...

أيتها الكريمة الباسطة يدها لتصافح الخارجين من الظلمة ...

أيتها الجندية الأمينة الواقفة على باب السماء ...

أيتها الجبارة التي تحتل الخليقة ...

أيتها الساحرة التي علقت بأشراكها الأرض ...

أيتها الشعلة المتقدة في دماغ الأفق ...

أيها الثغر الجميل الذي يفترّ عن الشعاع ...

* * *

أيتها الشمس !

يا مصدر النور

ويا هدية السماء إلى الأرض

أيتها اليد الحمراء التي ترفع ستار الليل وتسدله والليل صابر مطيع ...

أيتها الأميرة المتكئة على وسادة الفجر ...

أيها القلب المشتعل الذي يفيض حباً وحناناً ...

أيتها الناظرة إلى الأرض نظرة السيد القديم إلى العبد القديم

أيتها الرفيقة المخلصة الشريفة النادرة التي عاهدت الخالق أن ترافق الخليقة من يومها الأول إلى يومها الأخير ولم تنقض عهدها

أيتها الكرة النارية التي تتقاذفها القرون ...

* * *

أيتها الشمس !

يا ابنة الله ...

ويا صاحبة الجلالة

ويا فتنة الخليقة

ويا منارة الهدى

أيتها الفاتحة التي تغزو بأشعتها القاهرة ...

أيتها الضاربة خيامها في كل بقعة من بقاع الأرض ...

أيها الشلال الذي يتدفق نوراً من جبال الآلهة ...

أيتها الرقيبة التي ترقب الخلائق بعين لا تنام ...

أيتها المستحمة في البحور ، المرتدية حلة العذراء ، الضاحكة بأشعتها كالأطفال ، الواقفة مكانها لا تتزحزح عنه ، وقد سحرها جلال الله ...

أيتها الموزعة هداها على الضالين ...

أيتها المرأة التي اقترنت بالأفق ولم تخن رجلها ...

أيتها الأميرة الناصبة عرشها على رءوس الليالي ...

أيتها الدرة المستقرة في أعماق بحر الأثير ...

* * *

أيتها الشمس !

يا عين الله ...

ويا قلب الزمان ...

ويا كبد السماء ...

ويا ذروة الكمال ...

ويا حجة المؤمنين على الكافرين !

أيتها الأم الكبرى الحنون التي لم تستطع الأمومة في الأرض أن تجاريها في حنانها ...

* * *

أيتها الشمس !

يا معقل الكبرياء

ويا وطن الكهرباء

ويا عدوة الخبث والرياء

ويا رسولة المساواة والإخاء

ويا سيدة الفضاء

ويا علة الهناء والشقاء

لقد فررت من الأرض وأتيتك أسألك عن اليوم العتيد ...

هل أنت مقيمة على عرشك إلى الأبد ؟

أيطول أمر هذه الخليقة ؟

اكشفي لي سرك ... انت النور ... والنور فضّاح ...

ألم تسأم نفسك الشروق والغروب ؟

إلى متى نظل مسحورين بجمالك الذي لا يعدله جمال ؟

لقد أنهك السحر قوانا ...

إلى متى تأخذين منا ليالينا وتعيدينها إلينا ؟

لقد حار فيك الليل !

إلى اللقـــاء

للأستاذ كامل محمود حبيب

« إلى أبنائى الذين أحسوا لذع الفراق يوم الوداع الأول ، وهم ما يزالون أطفالا ، فاغرورقت عيونهم بالعبرات ، ثم كفكفوها لأننى قلت لهم : يا رجال ! »

إلى اللقاء ، يا بنى ، هناك على سيف البحر حيث تموج الدنيا بفلسفة الحرية فى معانى اللهو والمرح .

إن الإنسان ليحن — دائماً — إلى حيوانيته الأولى فيسعى ليتحلل من أعباء الرزانة والعقل وليحطم أغلال الإنسانية حين يحس أنها قد كبلته بقيود من الجدار والثوب .

يا لبؤس الحيوان حين تعصره الزريبة بين جدرانها فلا يستطيع أن ينفلت منها إلى الحقل ... إلى العشب والنور والشمس والهواء ! ويا لشقاوة الطير حين يضغطه القفص بين قضبانه فلا يجد السبيل إلى روح الغابة ... إلى الحرية والسعادة والجمال !

هناك على شاطئ البحر ، عند الربيع الأزرق ، يخلع المرء ثوبه فيخلع إنسانيته ليستمتع حيناً بالحيوانية ، ويند عقله لينعم بالجهل ، ويفزع عن صوابه ليسعد بالحمق .

وأنت — يا بنى — طفل يلذ لك أن تنطلق إلى طفولتك لا يربطك قيد ولا يمسكك غل ولا يحدك عقل .

فإلى اللقاء ، يا بنى ، على سيف البحر حيث تموج الدنيا بفلسفة الحرية فى معانى اللهو والمرح .

* * *

أتذكر — يا بنى — يوم أن جاء خالك يطلب إلى أن أدعك تصحبه إلى الأسكندرية فتشبثت بى ترجونى ، لأنه شاقك أن تمرح على شاطئ البحر مرة أخرى . ونزلت أنا عند رأيك الفطير ، رأى الطفولة الوثابة ، لأننى خشيت أن يضربك الأسى والحزن وأشفقت أن تعصف بك معانى الخيبة واليأس ، فتستشعر الصغار والذلة وأنت ما تزال غض الإهاب لين العود لدن العظم

لقد كان بودى أن أرافقك لولا غل الوظيفة وشواغل العيش وعنت الصيام ، فبقيت أنا هنا — فى القاهرة — ترمضنى الهاجرة ويمضنى الفراق . ونسيت أننى سأجد فقدك لاذعاً فى قرارة نفسى

ولبثت ليلتك تهيئ حاجاتك ، وإن إهابك ليكاد ينقد من شدة الطرب والسرور . وأرغمتنى على أن أشاطرك فرحة نفسك فنبرت حيناً طفلا كبيراً قد وخطه الشيب وهدته السنون يعبث بين أطفال صغار . واستشعرت اللذة والسعادة فاندفعت أرتب لك حاجاتك بين المزاح والدعابة . ثم انحلت عزيمتك وكلت قوتك ، فانحططت فى فراشك تغط فى نومك ، ووقفت أنا إلى جانبك أتملى سمات البهجة وقد رسمها الأمل الحلو على قسمات وجهك النائم !

وفى القطار أقبلت أقبلك قبلة الوداع ، فأحسست أنت مرارة الفراق ، فاغرورقت عيناك بالدمع وشرقت بالكلمات ، وأوشكت عواطفك أن تثور ، فتشبثت بى وقد طغت مشاعرك الطاهرة على نوازع طفولتك وهى تدفعك إلى البحر . ولكننى قلت لك : « ما ذا جرى ، يا رجل ؟ » ... فكفكفت عبراتك وتماسكت وكتمت خفقات قلبك النقى ، ثم تعلقت عينك بى فما تطرف حتى تحرك القطار ، وتواريت أنا عن ناظريك ...

لشد ما حز فى قلبى أن تحمل نفسك على أن تكفكف عبراتك الرقراقة الغالية ، يا بنى ، لتبدو رجلا قبل الأوان !

آه ، يا بنى ، لقد كانت هذه الكلمة — كلمة الرجولة — شديدة الوطأة على نفسك لأنها حملت طفولتك فوق الطاقة ، وكلفتها فوق الجهد ، ولكن ..

إن جلالك لاحد له ولا يفوقه جلال وقد ناء به كاهل الخليقة الضعيف ...

* * *

أيتها الشمس المشرقة على اليوم ...

هل أنت تلك الشمس التى أشرقت على الرجل الأول ؟

هل نورك اليوم كنورك بالأمس ؟

هل أنت تلك التى عرفتها القرون الأولى ؟

أم أن العمر فعل فعله فخف ضرامك واعتراك العياء ؟

اكشفى لى سرك ... أيتها الشمس ...

إن لك الملايين من الأشعة ... فانفذى إلى شعاعاً واحداً يهمس فى أذنى كلمة السر ويحينى ... !

راجى الراعى

ولـكن إلى اللقاء ، يا بنى ، على سيف البحر حيث تموج الدنيا بفلسفة الحرية فى معانى اللهو والمرح !

* * *

لقد عودتك ، يا بنى ، أن أفسح صدرى لطهر الطفولة وسخفها ، وأن أسع عبثها ومجونها ، وأن أتقبل نزواتها وطيشها ، وأن أستسيغ حلوها ومرها ، فلا تنفض طفولتك كلها أمام خالك فيحس الجفوة ، أو يستشعر الضيق ، أو يجد الملل !

وإذا ربَّت على كتفك فى عطف ، أو قبلك فى حنان ، أو ضمك فى شوق ، فلم تحس لين كفه ، ولا حرارة قلبه ، ولا دفء صدره ، فلا تمتعض ولا تتململ ، لأنك لن تلمس اللين والحرارة والدفء إلا فى رجل واحد هو أنا ... لأننى أنا أبوك !

وإذا طلبت إليه أمراً فأغضى عنك ، أو امتهن رغبتك ، فلا تحزن لأننى أنا وحدى الذى لا أضيق بحاجاتك ولا أسخر من نزواتك ... أنا أبوك !

وإذا ابتسمت فعبس أو عبست فابتسم ، فلا تأس لأننى أنا وحدى الذى أشاطرك سرورك وحزنك ، وأشاركك مرحك وشجوك . . أنا أبوك !

وإذا افتقدتنى — على حين فجأة — فضاقت نفسك بالحياة وهى تتألق فيك ، وعزفت عن اللذة وهى تضطرم فى قلبـك ، فلا تدع شجونك تستلبك من سعادتك وأنت على شاطئ البحر كالفراشة الطروب تطير وتقع فلا تقع إلا على مرح وبهجة !

وإذا أحسست بالغربة والضياع فلا تضق بما ترى ولا تفزع مما تجد ، فغداً أكون معك !

وإلى اللقاء ، يا بنى ، على سيف البحر حيث تموج الدنيا بفلسفة الحرية فى معانى اللهو والمرح !

* * *

لست آسى ، يا بنىّ ، على عمر مضى خلوٌ من نبضـات القلب ، ولا على شباب انطوى صفر من دفعات الهوى ، لأنك أنت أفعمت قلبى بالحب والأمل والحياة جميعاً !

فأنت النبتة اليانعة النضيرة فى صحراء العمر ، وأنت الزهرة الرَّفافة الزاهية فى بيداء الحياة ، وأنت النشاط فى زمن الخمول ، والقوة فى سنى الضعف ، والخلود فى دنيا الفناء !

وأنت نور العين إن أظلمت الحياة ، وانطوت زهرة الشباب ، وأنت بهجة القلب إن ذوى العود ووهى الجَـلد ... إن أوشكت القدم أن تنزلق إلى طريق الأبد !

وأنت عمرى الدائم ، وصوتى المدوى ، وحكمتى الأبدية ، وروحى الخالدة !

فدعنى ، يا بنىّ ، أوقع على أوتار القيثارة الإلهية — قلبى — لحن الحنان الأبوى الذى فاضت به مشاعرى يوم أن دفعنى العطف لأنزل عند نزوات طفولتك الطائشة ، فافترقنا لأول مرة !

إن ألحانى شجية آخاذة ، غير أن عقلك الغض لا يدرك معناها ، فأنت ما تبرح فى جهلك الأول ... ولـكن حين تصقل السنون عقلك ، وتشحذ الأيام ذهنك ، فيستقيم منطقك ، ويستد رأيك ... حينذاك أجلس إلى نفسك ، وأستشف — فى إمعان — ما وراء هذا النغم الحى ...

لقد رأيت يا بنىّ — ذات مرة — رجلاً يضنّ على صغاره بالضئيل ويبخل بالتافه ، ولـكننى رأيت — أيضاً — الحيوان يطعم صغاره ويستمرئ هو المسغبة ، ورأيت الطير يزقّ فراخه ويستعذب المخمصة !

آه ، يا من أفنيت عمرك صعلوكا فى دنيا العزوبة !

لقد سفلت حين نبذت معانى الأبوة فى نفسك ، وصغرت حين مسحت على آثار البنوة فى دارك ، وانحططت حين استعبدت لأنانيتك الوضيعة !

يالحـكمتك أيها الفلاح الساذج حين ذهبت تجتث جذور الشجرة التى لا تثمر ولا تفيء الظل !

ويا بنىّ ، لا تجزع إن تراءت لك كلماتى فوق عقلك الصغير ، وبدت لك خواطرى فوق قلبك الغضّ !

فإلى اللقاء على سيف البحر حيث تموج الدنيا بفلسفة الحرية فى معانى اللهو والمرح ...

وإلى اللقاء حين تصقل السنون عقلك وتشحذ الأيام ذهنك فترقى إلى المعانى السامية التى يفيض بها قلب أبيك الـكبير ، وهى تتدفق بالعطف والحنان ...

كامل محمود حبيب

قناة السويس ومستقبلها (*)

للأستاذ أحمـــد رمزى بك

حديث الليلة ، يتناول قنـاة السويس ، وموقع مصر الممتاز باعتبارها صاحبة هذا البرزخ ، الذى كان يفصل بين البحرين قبل افتتاح القناة .

١ — ولبيان أهمية هذا الموقع ، أعرض عليكم تاريخين مهمين :

فى ٧ مارس سنة ١٩٤٩ وقعت الحكومة الملكية المصرية اتفاقاً مع شركة القناة بعد مفاوضات ومباحثات قامت بها وزارة التجارة والصناعة : وهو اتفاق تناول أقطاب الوزارة نصوصه وبنوده بأحاديثهم ، وأبانوا ما حصلت عليه مصر من مزايا وما حققته لنفسها من أهداف : وبعد إتمام هـذا الاتفاق عملاً وطنياً كبيراً يصح لوزارة التجارة والصناعة أن تفخر به ، وهو عمل معروض الآن على الهيئات التشريعية للبـــلاد لإقراره والتصديق عليه .

وفى ١٧ مارس سـنة ١٩٦٨ ينتهى عقد الامتياز الممنوح للشركة .

٢ — وبين هذين التاريخين تقع فترة من الزمن تقرب من عشرين عاماً ، تحتم علينا أخذ الأهبة والاستعداد لتسلم هذا العمل العظيم حتى ننهض به ونتحمل أعباءه أمام العالم . وبالتوقيع على الاتفاق أصبحنا شركاء لحد ما مع الشركة نقاسمها وتقاسمنا المغانم والأعباء ونعمل معها على قواعد أكثر ملاءمة لنا مما عهدناه من قبل وفى فترة تحضّر لتمصير القناة وجعلها مشروعاً قومياً صميماً .

٣ — فهل لنا أن نتسـاءل ، ماذا أعددنا لهذا اليوم ؟ أما من الناحية الإدارية والفنية ، فأعتقد أن مصر لن تعجز عن إخراج الفنيين والإداريين الذين يتولون هذا العمـل ويثبتون كفايتهم وجدارتهم على صيانة هذا الطريق العالمى : أما من ناحية المستقبل الذى يحيط بالقناة وما يتبعها من تأثر موقع مصر الجغرافى الممتاز، فهذا الذى يحملنا نفكر تفـكيراً منطقياً يتفق مع ما يحيط بنا من أحداث وما يغمر الدنيا من اتجاهات وتطورات ، أخشى أن تؤثر فى أهمية القناة وموقعنا الجغرافى ، أو تساعد على الإقلال مما كان لهذا الموقع العالمى يسبغه علينا من مظاهر احتـكار إحدى طرق المواصلات العالمية .

٤ — إننا لا ننسى أن مصر تعرضت مرتين وسط كل من الحربين العالميتين فى القرن العشرين لهجومين يرمى كل منهما إلى انتزاع هذا الموقع الجغرافى الهام . فى سنتى ١٩١٥ ، ١٩١٦ تعرضت القنـاة مباشرة لهجوم من جانب الجيش التركى ، وإذا من ضفة القناة الشرقية تبدأ حملة الهجوم المضاد الذى اقتحم سينا وفلسطين وسوريا ولبنان وانتهى عند جبال طوروس سنة ١٩١٨.

وفى سنتى ١٩٤١ — ١٩٤٢ تـكرر الهجوم من ناحيـة الصحراء الغربية ووجهته منطقة القناة ، والذى ساعدته الظروف لزيارة هذه الجهة أيام معارك العلمين كان يرى التجمعات التى أتت تترى من قوات الجيش التاسع وأخذت أماكنها على الضـفة الشرقية لقبول المعركة إذا قدر لقوات المحور اقتحام استحكامات الدلتا ووصولها إلى منفا فى قناة السويس .

فهذه الجيوش التى تجمعت فى الحرب العالمية الأولى والثانية كانت تقصد بهجماتها قناة السويس وانتزاع هذا الموقع الهام باعتباره الشريان الحيوى الذى يربط القارات الثلاث ، وجاءت هزيمتها فى العلمين بهجوم مضاد استمر حتى تونس فى الحرب الأخيرة ١٩٤٣ .

فالذى يسيطر على القنـاة ، يسيطر على مقدرات الحروب وتوجيهها وانتصاراتها ، ويفرض على خصمه ما شاء من القرارات الحاسمة التى يتوقف عليها مصير الحروب ونهاية المعارك : ونحن إزاء هذه الأهمية نرجو ألا يشاركنا غيرنا بامتلاك طريق عالمى آخر يقلل من أهمية هذه المنطقة فى يوم من الأيام .

٥ — هذا ما لمسناه فى السنوات الأخيرة ، أما فى المـاضى فقد لعب هذا الموقع الجغرافى لمصر صاحبة السـيادة على برزخ السويس دوراً هاماً فى حياتها ، إذ جعلها صاحبة احتـكار الطرق البرية والبحرية بين الشرق والغرب .

فى القرون الوسطى ، كانت مصر تحتل مكاناً مرموقاً فى

(*) الحديث الذى ألقاه حضرة الأستاذ أحمد رمزى مراقب مصلحة التشريع التجارى والملكية الصناعية من محطة الاذاعة اللاسلكية فى يوم ١١ أبريل سنة ١٩٣٩

اقتصاديات العالم المعروف وقتئذ . وكانت تجارة جزء كبير من الدنيا يمر من البحر الأحمر عبر مصر إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط ، وكانت مراكز التجارة فى إيطاليا تشارك مصر فى هذا الاحتكار وخصوصاً مدينة البندقية .

٦ — وما كاد يكتشف طريق رأس الرجاء الصالح إلى الهند حتى فقدت مصر أهمية موقعها الجغرافى الممتاز الذى كان يدرُّ الخير عليها ، ولم تقبل مصر أن تقف موقفاً سلبياً بل أرسلت حملات بحرية إلى آسيا عن طريق برزخ السويس وساعدها فى ذلك حلفاؤها من البنادقة ، وكان القصد منها رد غائلة البرتغاليين عن الهند . وأراد هؤلاء أن يهاجموا مراكز مصر فى البحر الأحمر فتعرضت سواكن وغيرها لحروبهم ، واستمر هذا النزاع حتى العهد العثمانى .

٧ — وفى عدد المجلة الجغرافية الأمريكية بواشنجتن ، مقال تحدث فيه كاتبه عن أثر التوابل فى اكتشاف طرق الملاحة وفى خدمة علم الجغرافية العالمية ، ويفهم منه أن مصر بحكم سيطرتها على هذا الموقع الجغرافى ، كانت تسيطر أيضاً على تجارة التوابل ، وأن هذا الاحتكار للطرق المائية أدّى فى النهاية إلى اندفاع الدول البحرية نحو اكتشاف آفاق بعيدة وطرق مواصلات تقلل من أهمية هذا المركز الممتاز وتضعف من أثر هذا الاحتكار

وتنتهى هذه الاكتشافات العظيمة بأن تفقد مصر هذا المركز الذى كان يدر عليها الخير ، وتهبط أهمية البندقية وجنوة وغيرها وتصبح ثغوراً من الدرجة الثانية بعد أن كادت دولاً مستقلة فيها مستودعات المتاجر ومراكز الثروات المالية .

٨ — وهانحن اليوم نواجه عهداً يذكرنا بتلك الأيام البعيدة : إننا نرى أمامنا تقدماً بعيد المدى وانقلاباً شاملاً فى طرق المواصلات الجوية والبرية والبحرية التى تربط أنحاء الأرض .

ونعيش فى زمن ملىء بالأحداث الكبرى والتطورات السريعة وأرى فى الآفاق المحيطة بنا قوات قد اتجهت إلى البناء والخلق والإنشاء وهى تعتقد أن عمل المعجزات ممكناً وأنه بوسعها إحياء الموات من الأرض ونقل السكان وإجلاؤهم عن مواطنهم . ونشعر بأن الشرق الأوسط يتمخض عن تطور وتغيير شامل (١) .

٩ — فمن ناحية المواصلات يتحدثون عن طرق القوافل القديمة التى كانت تخترق الصحارى ويؤملون فى إعادة تعبيدها

(١) يقصد الكاتب ظهور دولة إسرائيل فى الشرق .

حتى تستعمل لنقل البضائع ، ويتحدثون عن العقبة وأثرها ومستقبل خليجها ، ونسمع عن طرق حديدية توضع على الخرائط ثم تنفذ مشاريعها ، ونرى أنابيب البترول تأتى من الأماكن البعيدة لتصب فى أماكن معينة(١) ، ونسمع عن موانئ وثغور توسع وتفرض نفسها على هذا الجزء من شرق المتوسط .

١٠ — وقد يبدو هذا لأول وهلة صعب التحقيق ولكن المطلع على ما كان عليه الشرق من عظمة وحضارة وغنى لا يعجب أن يسمع فى القريب العاجل بعودة العمران إلى هذه المناطق ، ويكفى أن نستعيد ما كانت عليه مدينة أنطاكية فى العصور السالفة لنعرف شيئاً مما يخبئه المستقبل لثغر مثل حيفا يطل علينا .

١١ — إنه من أصعب الأمور مواجهة المستقبل على قياس الحاضر ، كما أنه من أخطر الأمور الاكتفاء بنظرتنا القومية بل يجب أن نتبعها بنظرة عامة لما يدور حولنا .

ولهذا نقول أن منطق الحوادث الدائرة حولنا يحتم علينا دراسة مستقبل قناة السويس دراسة علمية ، لا من ناحية المصلحة المحلية وحدها ، بل على ضوء التطور العالمى وما يدور فى بقاع هذه المنطقة المحيطة بنا والتى تحاول أن تشاركنا فى مركزنا الممتاز

١٢ — إننا فى حاجة إلى عدة مشاريع إنشائية : أهمها توسيع الموانىء المصرية فى بور سعيد والسويس ، وإنشاء مناطق حرة متسعة ، وفى وضع شبكة من المواصلات البرية السهلة من الشرق إلى القناة ومن الغرب إليها ، وفى حاجة لسياسة عامة للخطوط الحديدية حول القناة ، ثم فى حاجة إلى عدد من المطارات الكبرى والمحطات المائية التى تسمح بهبوط أى نوع كبير من الطائرات فيها .

١٣ — إن تطور مصر سيفرض نشر العمران فى سينا ، ومصلحة القناة تحتم إنشاء منطقة صناعية كبرى فى المثلث الذى تشغله المعسكرات البريطانية : لأن توسع الصناعات الكبرى يفرض من المبدأ أن تكون على الطرق المائية .

هذه نظرة لمستقبل القناة فى السنوات القادمة إذا أخذنا بها نقول : أن مصر قد انتقلت من الزمن الذى كانت معدة فيه لخدمة القناة ودخلت العهد الجديد الذى يضع القناة فى خدمة مصر

أحمد رمزى

(١) أشارت البرقيات الخارجية إلى أثر هذه الأنابيب فى دخل قناة السويس .

خلف الرداء الجامعي

للأستاذ أبي حيان

لم أكد آخذ في قراءة كتاب « الهجاء والهجاءون في الجاهلية » للدكتور م. محمد حسين المدرس بجامعة فاروق الأول ، وأتجاوز الفقرات الأولى منه ، حتى وقفتني هذه العبارة التي يقولها في سياق الكلام عن تصنيف الشعر العربي ونصيب أبي تمام من ذلك في حماسته . قال :

« أما أبو تمام ، فهو يخرج الأبيات في كثير من الأحيان عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها . وقد لاحظ هذا الخلط بعض المتقدمين كصاحب اليتيمة » (ص ٣) .

وقفتني هذه العبارة وصرفتني عن المضي في القراءة ، إذ أحسست فيها — لأول وهلة — نوعاً من التناقض الصارخ يشيع فيها ، ويباعد بين طرفيها ، ويضرب بعضها ببعض .

صاحب اليتيمة يعرض لأبي تمام في يتيمته ، وينقد منهجه في حماسته ، إذ يلاحظ عليه خلطه الأبواب بعضها ببعض ؟ !

هذا هو العجب العجاب الذي لفتني إليه لفتاً شديداً ، ووقفني عليه وقفاً طويلاً ، وأنا أحاذر ألا يكون طرفي ضل فيه ، أو تاه عقلي في إدراك مراميه ومنازيه ، إلا أن العبارة — كما نرى — يسيرة صريحة مستوية لا عوج فيها ولا أمت . فما لليتيمة ولأبي تمام ، وأين يمكن أن يقع منها ؟ وكيف له أن يقتحم نطاقها ولم يتجاوز الثعالبي بها الشعراء المعاصرين ، أو على حد قوله — في تحديد موضوعها — : « نجوم الأرض من أهل العصر ، ومن تقدمهم قليلا وسبقهم يسيراً » ؛ ومن هنا كانت تسميتها : « يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر » . وعصر الثعالبي هو ما بين منتصف القرن الرابع وأوائل القرن الخامس . فكيف أمكن لأبي تمام من أهل القرن الثالث ، بل أوائل ذلك القرن ، أن يطوى الزمن ، ويتخطى أعناق الأجيال ، ثم ينضو عنه الكفن ، وينفض عنه ركام التراب ، ثم ينتفض قائماً ، ليستوى ماثلا بين أصحاب الثعالبي ورجال اليتيمة ؟ !

أليس هذا عجباً عاجباً جديراً بأن يشتت الذهن ويستغرقه ، ويثير بعض ألوان الإعجاب بهذه الجامعية الجديدة القديرة على « الخلق الفني » ، والجمع بين الأشتات والأضداد ؟ !

بلى ! وتلك هي الأعجوبة التي ساورتني وماسكت على مذاهبي منذ نظرت في تلك العبارة السالفة . وقد جعلت الحيرة تشيع في نفسي : بين ما كنت أحسبه حقائق مقررة ، وصفات ثابتة محررة ، وبين ما ينبغي أن توحي به الجامعية من ثقة ، وما يفترض أن تقترن به في الذهن من ضبط ودقة ، وما تدعو القارئ أو الدارس إليه من طمأنينة وإيمان ، ومن تسليم وإذعان . فبأيهما آخذ ، وإلى أيهما أطمئن وأسكن ، إلا أن يتحقق الإعجاز ، وتلتحق الأوالي بالإعجاز . وهكذا جعلت أسائل نفسي : أو يمكن لهذه الجامعية الجديدة أن تغير طبائع الأشياء ، وأن تبدل الأرض غير الأرض والسماء ، وتنسخ قوانين الوجود فتضع من تشاء حيث تشاء وأيان تشاء ، فتنشر أبا تمام بين ناس غير ناسه ، وفي زمان غير زمانه ؟ !

وبعد ، فهاهنا إذن نوع من الاستحالة الظاهرة في نسبة هذه الملاحظة إلى صاحب اليتيمة ، وهي — كما رأينا — استحالة لا مساغ لها إلا على ذلك المذهب العابث ، فكيف تأتى للأستاذ الدكتور ذلك ؟ وأنى صدر بهذه النسبة الغريبة التي كان يجب أن تلفته لو أنه وقع عليها على ما فيها من غرابة على الأقل ؟ !

إن تتبع هذه المسألة يثير بين أيدينا لوناً من ألوان الطرافة بديعاً ، فلم يضن علينا الأستاذ الفاضل ببيان المصدر الذي صدر بتلك الملاحظة عنه ، وإن كان هو لا يعبأ في كثير من الأحيان بالتنبيه إلى مصادره ، فأثبت في الهامش تعليقاً على تلك العبارة الآنفة : « تاريخ آداب العرب للرافعي ٣ : ٣٦٦ نقلا عن اليتيمة ٣ : ٤١٦ » .

وهكذا تكون — والله — الدقة الجامعية والأمانة العلمية ! تاريخ آداب العرب عن اليتيمة ! عنعنة جديرة بالبحوث العلمية الجامعية !

على أنه ينبغي أن تكون اليتيمة هذه مصدراً نادراً أتيح للأستاذ الرافعي أن يطلع عليه ، ويرجع إليه ، ويصدر عنه بتلك الملاحظة ، ثم تقطعت أسبابه ، وغاب عن حياتنا الأدبية وجهه ، فلم يبق لنا من ذلك إلا ما نقل الرافعي عنه .

هكذا يجب أن يكون الأمر لتكون لهذه المنمنة قيمتها ، إذ كان من الأوليات المقررة فى أسلوب البحث العلمي أن يكون النص فى مصدره الأصلى هو الذى لا معدل عنه ، ولا مترخص فى التزامه ، ولا سبيل إلى تجاوزه أو المسامحة فيه ، ما دام ذلك المصدر الأصلى ممكناً بأى وجه من وجوه الإمكان ، فلا بد إذن أن تكون اليتيمة مصدراً غير ممكن .

أفكذلك هى ؟

أما أن اليتيمة ليست مصدراً ممكناً فحسب ، ولكنها مصدر قريب ميسور حاضر ، فقد طبع غير مرة فى دمشق والقاهرة ، ولم يبعد العهد بعد بطبعته الأخيرة . ويستطيع أى إنسان — دون أن يكون أستاذاً جامعياً تفتح له خزائن الكتب وتتاح له ذخائر الآثار — أن يمد يده إلى أية دار من دور الكتب ، أو أى دكان من دكاكين الوراقين ، فإذا به بين يديه . فكيف ساغ للأستاذ الباحث أن يتجاوز هذا المصدر الأصلى ، وهو — كما رأينا — قريب حاضر ، إلى مصدر آخر غير مباشر ؟ وكيف أجيز له فى رسالة جامعية أن ينكب عن هذه السبيل العلمية المعهودة ، وأن يتحدى على هذا النحو أوليات البحث المقررة ؟

وقد فعل الأستاذ هذه الفعلة مرة أخرى ، بالنسبة لكتاب ككتاب اليتيمة ، ذيوعاً وقرباً ، وهو أمالى الشريف المرتضى ، فقد تجاوزه فى نص من نصوصه نقله فى كتابه (ص ٥٩) ، فلم يتكلف الرجوع إليه والأخذ مباشرة عنه ، وإنما اكتفى بأن ينقله من كتاب الرافعى أيضاً !

فما ذا عسى أن يسمى هذا الصنيع الذى يصر عليه صاحبه إصراراً ، ويكرره تكراراً ، وبأى وصف يمكن أن يوصف ؟ وما ذا يرى الجامعيون فى هذا المنهج العلمى الجديد الذى يؤثر الدعة ، ويأخذ الأمور من حيث تتفق لا من حيث يجب ، ويحسب أنما يكفيه فى تحقيق الصورة العلمية أن يورد هذه المنمنة التى لا معنى لها ، إلا أن يكون القصد إلى شىء من الخداع الرخيص المفضوح ؟ !

ومع ذلك ، فهذا الخطأ المنهجى ، وذلك التحدى لقواعد البحث الأولية ، أو ذلك الإهمال والاستخفاف بما يجب للعلم والصفة الجامعية الصحيحة من حق وحرمة … كل ذلك ليس شيئاً كبير الخطر بالقياس إلى ما وراءه من منكر علمى لا ندرى كيف أباحه الأستاذ لنفسه ، وكيف أجازته له الجامعة وأجازته عليه :

الرافعى — بمقتضى ذلك التعليق المنمنن — هو المسؤول المباشر عن تلك الإحالة الظاهرة فى نسبة القول فى حماسة أبى تمام إلى صاحب اليتيمة … هكذا جعله الأستاذ — غفر الله له — فى سذاجة وغفلة ، وبذلك مثله أمام القارئ المتفحص أدنى تفحص فى مظهر شائن من الجهالة بالتاريخ الأدبى ، والإغفال لجانب التحقيق العلمى .

والذين يعرفون الرافعى — رحمه الله وأكرم مثواه — يعلمون علم اليقين أنه كان من سعة العلم وقوة العقل ، ونفاذ البصر فى حقائق التاريخ الأدبى ، ورهافة التذوق لأسراره ، والإحاطة التامة بأطرافه المختلفة ، والدقة العلمية البالغة ، وقوة الشخصية والضمير العلمى الذى لا تتطرق إليه الشبه ، بحيث لا يمكن أن يتورط فى مثل هذه الإحالة ، فيضع أبا تمام بين رجال اليتيمة .

وكذلك كنت مستيقناً منذ أول وهلة أن هذه النسبة إلى الرافعى لا يمكن إلا أن تكون مدخولة ، وأنه قد أصابها — ولا ريب — نوع من أنواع التزوير ، أو فسرت على لون من ألوان التحريف والتحوير … ومعذرة إلى سيدى الأستاذ — غفر الله لنا وله — فالذى استشعرته سلفاً حققته المراجعة ، وها هوذا نص الرافعى — كما جاء فى كتابه تاريخ آداب العرب — :

« وقد انتقد كتاب الحماسة حمزة بن الحسين ، فزعم أن فيه تكريراً وتصحيفاً وإيطاء وإقواء ، ونقلا لأبيات عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها ، ولا تصلح لها ، إلى ما سوى ذلك من روايات مدخولة ، وأمور عليلة » .

هذا هو كلام الرافعى بنصه عن حماسة أبى تمام ، وقد صدر به عن رسالة لأبى الحسين أحمد بن فارس ، أوردها صاحب اليتيمة فى سياق ترجمته له بين رجال « الجبل » ، فليت شعرى كيف استطاع الأستاذ الفاضل أن يفهم من هذا النص ما قرره من أن صاحب اليتيمة هو الذى لاحظ على أبى تمام أنه « يخرج الأبيات فى كثير من الأحيان عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها » ؟

كيف جاز هذا الفهم فى نص صريح مستقيم هين قريب ، لا عوج فيه ولا غرابة ولا تعقيد ، إلا أن تبطل العلاقة بين اللفظ

والمعنى ، وتنقطع الصلة بين الدال والمدلول ، وتصبح اللغة عبثاً وباطلا ، أو هذياناً لا مؤدى له ؟ ليس فى هذا النص إشارة ما إلى صاحب اليتيمة ، فمن أين جاء به ؟

هذا هو الأمر الذى يغمرنى بالحيرة من جميع جوانبى ، إذ لا أستطيع أن أجد له تعليلا ، أو أنفذ فيه إلى تأويل ، مهما ساء ظنى بالقيم الجامعية الجديدة فى هذه السنوات الأخيرة ، منذ وقعت فى ذلك الكتاب على تلك الأبيات التى عرضت لها فى (الرسالة) من قبل[1] ، وعرفت بها كيف يفهم الشعر القديم فى هذه الأيام ، وكيف تدرس النصوص الأدبية فى بعض حلقات الجامعة !

ولكن الأمر لم يعد — فيما يبدو — قاصراً على النصوص الأدبية التى تحتاج فى درسها إلى ألوان من الثقافة مختلفة ، فقد أصبحت النصوص التقريرية أيضـاً موضع خلط فى فهمها والاستدلال بها ، فهل فى هذا النص الذى بين أيدينا أية علاقة أو شبه علاقة بينه وبين ما فهمه الأستاذ منه ونسبه إليه ؟ لا شىء من ذلك مطلقاً ، إلا أن يكون قد خيل للأستاذ الفاضل أن حمزة بن الحسين المذكور فى النص هو صاحب اليتيمة . ونعوذ بالله ونبرأ إليه أن يذهب بنا التشاؤم وإساءة الظن إلى هذه الغاية المنكرة !

فهذه سلسلة من الأخطاء يأخذ بعضها برقاب بعض فى نقطة واحدة بعينها لم نتجاوزها إلى غيرها ، وكلها أخطاء غليظة فاحشة تبعث الفزع وتثير الزعب من هذا المنحدر السحيق الذى يبدو لنا — من خلال هذه النظرات — أن القيم الجامعية التى ظلت الجامعة زماناً حفية بها ، حريصة عليها ، قد أخذت تتهاوى فيه ، ويوشك أن تتردى فى قاعه ، إلا أن يقيض الله — جلت قدرته — للجامعة من يستطيع أن يعصمها ويحيد بها عن ذلك المصير المزعج المشؤوم ! !

* * *

وبعد ، فما نريد أن ندع هذا الفصل قبل أن نبين للقارئ كيف كان أبو تمام — فى نظر الدكتور الفاضل — يخرج الأبيات عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها ، وهى الدعوى التى ادعاها حمزة بن الحسين فى القرن الرابع ، وأخذها عنه صاحبنا فى القرن الرابع عشر ، ثم أبى إلا أن يوجهها ويستشهد لها ، ليكون أحق بها وأجدر أن يتبناها ، أو ليهتف مع الشاعر :

كم ترك الأول للآخر ؟

وسنكتفى هنا بأن نورد شاهداً واحداً من الشواهد التى ساقها تقريراً لتلك الدعوى ، لنتبين مبلغ ما أتيح له ووفق إليه فى سبيل تبنيها ، ونتعرف قيمة تصدى مثله فى العلماء ، لمثل أبى تمام فى الشعراء ، نقداً له ، وتسفيهاً لصنيعه . ولعلنا نستطيع أن نرى فى خلال ذلك مدى فهم الشعر فى صورته المجملة ، بعد أن رأينا ، فى ذلك الفصل ، مدى فهمه له فى صورته المفصلة :

عقد أبو تمام فى حماسته باباً سماه باب « الأضياف والمديح » ، وقد اعترض أستاذنا الفاضل على عقد هذا الباب بقوله : « أما باب الأضياف والمديح ، فهو لا يصلح أن يكون قسما من أقسام الشعر أصلا ، لأن تفريقه على الأقسام الأخرى ممكن ، فمعظمه يدخل فى الفخر فهو حماسة ... وبعض هذا الباب يدخل فى الهجاء ... »

وهذا اعتراض — كما يرى القارئ — متهافت لا قيمة له ، إذ كان تصنيف الشعر أمراً اعتبارياً وليس من قبيل التقسيم العقلى .

على أن هذا لا يعنينا الآن ، وإنما نحن بصدد استشهاده لدعوى الخلط فى أبواب الشعر ، وقد أورد فى عقب تلك العبارة التى اعترض بها طائفة من الأمثلة ، مما أخطأ — عنده — فيه أبو تمام — وأى خطأ ! — فجعلها من هذا الباب ، باب الأضياف والمديح ، وحقها عنده أن تكون فى باب الهجاء . فخطأ أبى تمام هنا إذن لا سبيل إلى اغتفاره أو تمحل العلل له ، إذ هو خطأ — لو صح — غليظ كل الغلظ ، شنيع غاية الشناعة ، جدير أن يمحو اسمه من ديوان الأدباء والمتأدبين ، بل جدير أن ينأى به عن خواص العامة ، والمثقفين منهم أدنى ثقافة ، أو الذين يملكون منهم قدراً يسيراً من الذوق والإدراك الأدبى ، ليلحقه بالعامة الحفاة الأقدام الذين لا يفرقون بين ما هو مديح وما هو هجاء !

فالاتهام — كما نرى — خطير غاية الخطورة ، وبقدر خطورته هذه يحتاج مع الجرأة — وهى موفورة جداً عند صاحبنا فيما يبدو — إلى بذل غاية الجهد فى تأييده والتدليل عليه والاستشهاد له ، والتبسط فى ذلك ، وتحليل الشواهد تحليلا تسطع فيه الحجة ، وتتلخ به الشبهة . ولكن الدكتور لم يلبث — بعد أن كان

(١) العدد ٨٣٤ (٢٧ يونية ١٩٤٩) .

يتشدق بالتهمة ويرفع بها عقيرته — أن انكمش وتضاءل فى بسطها وبيانها وتأييدها وتوجيهها ، فاكتفى من ذلك كله بالإشارة العاجلة المسرفة فى العجلة ، إلى بعض الشواهد التى اعتبرها حجة له ، بإيراد مطالعها وحسب ، ودون بيان لموضع الحجة فيها .

وها هو ذا أحد هذه الشواهد ، نورده كاملا عن ديوان الحماسة ، لنتبين فيه مبلغ المطابقة بين الدعوى والدليل ، وقد زعم الدكتور أنه مما يدخل فى الهجاء ، وهو من شعر حُطائط بن يعفر:

تقول ابنة العبَّاب رُهم : حربتنا ... حطائط ، لم تترك لنفسك مقعدا
إذا ما أفدنا صرمة بعد هجمة ... تكون عليها كابن عمك: أسودا
فقلت، ولم أعيَ الجواب، تبيني: ... أكان الهزال حتف زيد وأربدا
أريني جواداً مات هزلا لعلني ... أرى ما ترين أو بخيلا مخلَّدا

وليت شعرى أين رائحة الهجاء هنا ؟ ليتنى أستطيع أن أدرك مهب هذه الرائحة التى زكمت أنف الأستاذ الفاضل ، فجملته يراها هجاء صريحاً برغم أنف أبى تمام ، بل برغم أنف كل من يقرأ الشعر ويلم به أدنى إلمام .

ألا ليت من يدلنى على لمحة خفيفة من الهجاء فى هذه الأبيات ، أم لعلها كلمة « أسود » (ويعنى الشاعر بها أسود بن يعفر النهشلى) هى التى غامت فى عين الأستاذ واحلولكت ، فغمرت جو الأبيات بالسواد ، وإن يكن لون المديح أبيض فلون الهجاء لاشك أسود ، وكذلك أخطأ أبو تمام — عفا الله عنه — فأقحم فى المديح هذه الأبيات السوداء ، وقد غفل عن أن السواد لون الهجاء !

أستغفر الله وأتوب إليه !

هذا الشاهد وحده — وسائر الشواهد مثله فى مبلغ المطابقة بينها وبين الدعوى — يبين لنا بياناً صريحاً قاطعاً مبلغ وفاء الأستاذ بما أخذه على عاتقه وأراد أن يبذ به الأوائل والأواخر من الاحتجاج لتلك الدعوى ، وتعزيز ذلك الاتهام الخطير ضد أبى تمام .

لقد كنا نرقب أن نرى وجهاً جديداً من وجوه المعركة القديمة بين العلماء والشعراء ، فإذا بنا أمام مهزلة تملأ النفس خجلا وتغمرنا معشر أهل العلم بمعانى الخزى والاستخذاء ! !

ومن حقنا وحق كل قارئ أن يتساءل : إذا كان هذا مبلغ فهم صاحب كتاب « الهجاء والهجاءون » لشعر الهجاء ، على النحو الذى رأينا — فيما زعم — لهذه القطعة من صفة هجائية ، فما عسى أن يكون الظن بكتاب يضمه فى هذا الفن ، ويريد أن يؤرخ به له ، ولا بد أن يعتمد — أول ما يعتمد بطبيعة الحال — على ما أثر فى الأدب العربى من شعر هجائى ليكون مادة بحثه ؟

وبعد ، فهل لنا أن نعتبر هذا مثلا من أمثلة الدرس الأدبى الجامعى فى هذه السنوات الأخيرة ؟

وهل لمؤرخى الحياة الجامعية فى مصر أن يروا فى هذا الكتاب وثيقة تبين بعض مسالك هذه الحياة فى هذه الأيام ؟

وددت والله ألا يكون الأمر كذلك ، وأن يكون مثل هذا الكتاب شذوذاً لا يؤخذ به ، وفلتة لا تدل على الحالة العامة ، فإنه ليحزننى أشد الحزن ويأخذ بأكظام قلبى أن تتكشف الحياة الجامعية أخيراً عن مثل هذا الاستخفاف ، وأن ينفرج الرداء الجامعى عن مثل هذا الخزى !

« أبو حيان »

فلسـفة المعتزلة

للدكتور ألبير نصري نادر

إن المعتزلة يمثلون سلسلة من المفكرين المسلمين تبدأ بواصل ابن عطاء المتوفى سنة ١٣١ هـ أى ٧٤٨ م وتمتد إلى أبى هاشم بن الجبائى المتوفى سنة ٣٢١ هـ أى ٩٣٣ م وهو أستاذ أبى الحسن الأشعرى رأس الأشاعرة .

بعد الأبحاث التى قام بها الغربيون والشرقيون ، وبعد ما كُتب عن المعتزلة بقى أن نبين طريقتهم الفلسفية وأن نستخرج الأصول التى بنيت عليها . هذا ما حاولنا أن نفعله فى الرسالة الكبرى التى تقدمنا بها إلى حضرات أساتذة جامعة السربون بباريس وعنوانها فلسفة المعتزلة .

الأصل الأول والعام لهذه الفرقة التى توصلنا إليه بعد كل ما طالعناه من مراجع ، هو أن العقل البشرى عند ما يكتمل نضوجه يمكنه أن يتوصل إلى معرفة الحقائق الكبرى الأول وهى:

أولا : أن وجود العالم يدل حتما على وجود كائن أسمى متعال منح العالم هذا الوجود .

ثانياً : أن الإنسان يعمل حراً وهو مسئول عن أعماله محاسب عليها .

لذلك قسمنا الرسالة إلى قسمين كبيرين : أحدهما خاص بالتوحيد وما يتعلق به من مسألة الخلق ، والآخر خاص بالحرية عند الإنسان وما يتوقف عليها .

فى القسم الأول بينا أن المعتزلة لا تقول بأى مشابهة أو تمثيل بين الله والعالم من جهة ، ومن جهة أخرى هم يقولون بالمذهب الوجودى ، فلا نعرف عن الله سوى حقيقة واحدة هو أنه موجود ، ولكن ماهيته لا يمكننا إدراكها لأنه غير متناهٍ ونحن متناهون . ثم إن ماهيته هى علمه وقدرته وإرادته . وإذا ما تكلمنا عن صفاته تعالى فهذه الصفات لا توجد حقيقة فيه بل هى اعتبارات ذهنية نلجأ إليها لضعف عقلنا . ونتيجة لمنع المشابهة بين الله والعالم المخلوق قالت المعتزلة إن الله لم يخلق ماهية العالم بل إنه وهب الوجود فقط لماهية كانت فى حالة العدم . وحسب قولهم هذا يصبح المعدوم شيئاً وذاتاً وعيناً ينقصها الوجود فقط . وهذه نتيجة منطقية لقولهم بالمذهب الوجودى ومؤداه أن لكل فكرة مقابل فى الحقيقة . ففكرة المعدوم يقابلها حقيقة .

ذهبت المعتزلة إلى هذه النتيجة لأنهم كانوا يريدون أن يصونوا فكرة التوحيد من كل شرك ومن كل مذهب حلولى ؛ وهم يفتخرون بأنهم أهل توحيد — وقولهم إن العالم لا يستمد ماهيته من الله بل يستمد منه وجوده فقط يدلنا على أنهم تأثروا بعض التأثر بالفلسفة الأريسطوطالية ولا سيما فيما يختص بفكرة الهيولى ، وهى عند أريسطو المادة الأولى التى لا صورة لها والتى يقول عنها إنها قديمة وأنها الماهية الأولى للعالم . وفى هذه المناسبة نقول إن القسط الأكبر من مؤلفات الفلاسفة والطبيعيين اليونانيين ترجمت إلى السريانية والعربية فى عهد المعتزلة ؛ ويكفينا أن نذكر « دار الحكمة » فى عهد الخليفة المأمون وعلى رأسه حنين بن إسحق .

إن المعتزلة متفقون على تفسير خلق العالم هذا التفسير وهو أصل أساسى فى مذهبهم؛ ولكن هناك مسائل تعد ثانوية فى نظرهم تختلف آراؤهم فيها . إذ بينما نرى مثلا أبا الهذيل العلاف يقول بالجوهر الفرد أى الذرة ، نجد النظام يقول إنه لا جزء وإن تقسيمه جائز ولو بالوهم . وبناء على هذا القول كان النظام أول من قال بالطفرة فى الفلسفة الإسلامية ؛ ومعناها أن الجسم يمكنه أن يمر من مكان أول إلى مكان ثالث أو رابع بينهما أجزاء غير متناهية فى القسمة وذلك بأن يطفر من الأول إلى الثالث أو الرابع .

الأصل الثانى فى فلسفة المعتزلة هو الحرية عند الإنسان . فهم يقولون إن العقل عند ما يكتمل نضوجه يمكنه أن يصل إلى إدراك الحقائق الأولى التى يسترشد بها الإنسان فى أعماله ، وذلك قبل أى تنزيل . ثم إن الإنسان حر أن يعمل بمقتضاها أو لا . فإذاً معرفة الخير والشر وما يترتب عن الأعمال من مسئولية وجزاء كلها مسائل يدركها العقل المكتمل . وإذا ما جاء تنزيل فلا يجوز أن يناقض ما يدركه العقل فى هذا المضمار بل يجب أن يقويه ويتممه .

جزأنا هذا الأصل أيضاً جزءين : أحدهما خاص بعلم النفس — وكلام المعتزلة فى دراسة النفس هو البرهنة على حرية الإنسان

في عمله ؛ وهم يردون بكل حماس على الجبرية ؛ فللعقل في مذهبهم دور أخلاقي مهم يقوم به وهو التمييز بين ما هو خير وما هو شر بواسطة النظر . والجزء الثاني خصصناه للمسألة الأخلاقية . إنهم يقولون إن الخير خير في ذاته ، وأن الشر شر في ذاته ، وليس بموجب إرادة خارجية حتى ولو كانت إرادة إلهية . هذه النظرية سيكون لها أهميتها عند دانس سكوت والقديس توما الأكويني في القرن الثالث عشر ، ورأى المعتزلة فيها هو رأى توماوى قبل القديس توما بحوالي ثلاثة قرون .

عندما يصل العقل إلى معرفة الشريعة يكون الإنسان حراً أن يفعل بمقتضاها أو لا يفعل . فحينئذ تظهر مسألة المعاصي والفسق؛ ولكن المعتزلة لا يبدون حكما على الظواهر (أي أعمال الإنسان الخارجية) لأنها لا تدل على ما تكنه القلوب ؛ لذلك يلزمون التحفظ في الحكم على أعمال الغير .

ولما كان الإنسان يأتي المعصية حراً فيمكنه أيضاً أن يتوب منها . ولكن المعتزلة يضعون شروطاً للتوبة حتى تكون مقبولة . فيقولون إنها لا تجوز إلا إذا ندم الإنسان على فعله وعزم على أن لا يأتي بمثله . ولكن ألا يمكن أن يتدارك الله الفاسق بلطف ويساعده حتى يصبح مؤمناً ؟ إنها لمسألة دقيقة ولكن المعتزلة قالت : إذا وهب الله ذا الكبيرة أي الفاسق لطفاً من عنده ليؤمن جاز أن تقول أنه يهيء كفراً للمؤمن ليصبح كافراً . ويزيدون على ذلك قائلين إن من آمن حراً فضله أكبر من فضل الذي وُهب لطفاً ليؤمن . ومع ذلك لا ينكرون أن الله يهب أحياناً لطفه لبعض الناس ليؤمنوا ولكنها حالات شاذة .

بقي أخيراً مسألة الجزاء . فإن المعاصي تجلب حتما العقاب ؛ كما أن العمل الحسن يجلب حتما الثواب . والعقل يدل على ذلك ويطلبه . ولكن في هذا العالم لا يوجد تكافؤ بين الأعمال وجزائها أو عقابها فيجب أن يصير هذا التكافؤ في عالم آخر . وعليه فالجنة والنار لازمتان .

فها نحن أولاء بصدد فلسفة كاملة شاملة متماسكة الأجزاء :

النقطة الأولى : الله متميز تمام التميز عن العالم — ليس بينه وبين العالم أي مشابهة أو تمثيل .

العالم كان في حالة عدم — العالم لا يستمد من الله إلا الوجود

النقطة الثانية : المسألة الأخلاقية - في عالم خاضع لقوانين ثابتة لا يمكنه رد نظرية الجبر وجعل الإنسان مسئولاً عن أعماله إلا إذا كان حائزاً على ملكة خاصة تمكنه من تمييز الخير من الشر كما يجب أن يكون حراً في قصده وعمله .

لذلك سميت المعتزلة أهل توحيد وأهل عدل .

هذا المجهود الفكري مدة قرنين متتالين فتح الطريق للفكر الإسلامي . وأثر المعتزلة سيكون بيناً واضحاً عند الفلاسفة المسلمين المعاصرين أو اللاحقين لهم مثل الكندي والأشعري .

لذلك سميناهم فلاسفة الإسلام الأسبقين .

البير نصري نادر
دكتور في الآداب والفلسفة

حول بيتين للخطيل بن أوس

للأستاذ السيد مصطفى غازى

عرض الأستاذ (أبو حيان) فى العدد ٨٣٤ من مجلة الرسالة الغراء مثلا من فهم الشعر القديم فى كتاب «الهجاء والهجاءون» للدكتور (م. محمد حسين). وكان مدار الحديث حول بيتين للخطيل بن أوس هما:

فدى لبنى ذبيان رَحلى وناقتى   عشية يحدى بالرماح أبو بكر
ولكن يدهدى بالرجال فهبنه   إلى قدر ما إن تقيم ولا تسرى

قالهما الخطيل فى حركة الردة، وأوردهما الدكتور فى مستهل حديثه عن نشأة الأحزاب السياسية فى المجلد الثانى من كتابه.

وقد أحس الأستاذ أبو حيان (بالحسرة تلذع قلبه) وهو يقرأ هذين البيتين مضبوطين بهذا الضبط، مرويين على هذا النحو، وهاله أن يتجاوز الدكتور البيت الأول فلا يعلق عليه بشرح أو تفسير أو تحرير. وإلا فكيف مر بكلمة «يحدى» دون أن يحس فى البيت إشكالا؟ كيف يحدى أبو بكر بالرماح والحادى من يحدو الإبل بغنائه فتنساق خلفه وتطرد وراء حدائه؟ كيف يمكن أن تكون الصورة حين تأتى الرماح فى موضع الحداء؟ ... إن الأمر — فى رأى الأستاذ أبى حيان — أيسر من هذا العناء. فالدال فى «يحدى» إنما هى ذال معجمة ذهب إعجامها. والعبارة فى البيت الأول إنما هى «عشية يحذى بالرماح أبو بكر» بمعنى يطعن ويمزق جسده، كما هو الأصل فى معنى هذا وأخواتها، كحذ وحذق وحذف وحزم.

ثم انتقل الأستاذ أبو حيان إلى البيت الثانى (فأفزعه أشد الفزع) أن يعلق المؤلف عليه، شارحاً له، بقوله: «دهديت الحجر فتدهدى دحرجت. هبنه كذلك هى بالنص. لعلها من أهاب الإبل والخيل إذا زجرها قائلا: هاب؛ هاب فيكون المقصود أن هؤلاء الرجال يزجرون أبا بكر وجيوشه ويدفعونهم إلى قدرهم وحينهم» وهاله أن يروى الدكتور «يدهدى» بصيغة المبنى للمفعول، وأن يجمد عند «فهبنه» فيتعسف فى تأويلها هذا التعسف. وإلا فكيف يمكن أن تكون «هبنه» معدولة عما ينبغى أن تكون عليه باعتبارها من «أهاب»؟ ومن هم هؤلاء الرجال الذين يزجرون أبا بكر وجيوشه؟ أهم رجال أبى بكر يريدهم أن يزجروا أنفسهم؟ أم هم بنو ذبيان يجعلهم يتدحرجون كما تتدحرج الحجارة؟ ... إن الأمر فى هذا البيت شبيه — فى رأى الأستاذ أبى حيان — بالأمر فى البيت الأول؛ تصحيف يسير قريب ولكنه أدى إلى ذلك الخلط العجيب. فليست كلمة «فهبنه» المؤلفة من فاء عطف لا يدرى ماذا تعطفه وماذا تعطف عليه، وفعل لا يعرف من أى أصل هو، ونون نسوة لا موضع لها، وضمير غيبة لا مرجع له — ليست هذه الكلمة أو الجملة إلا تصحيفاً قريباً لكلمة واحدة، هى كلمة «مهينة» من الهوان وبذلك يكون البيت.

ولكن يدهدى بالرجال مهينة   إلى قدر ما إن تقيم ولا تسرى

ويدهدى بصيغة المبنى للفاعل لا المبنى للمفعول، والفاعل هو أبو بكر، وبذلك يستقيم البيت ويطرد المعنى، دون تحد للنحو أو معاندة للصرف أو معارضة المنطق.

ويبدو لنا أن الأستاذ أبا حيان قد أعجلته الرغبة فى النقد، وشغله الاهتمام بالتجريح واللمز، عن أن يرجع إلى المصدر الذى نقل عنه المؤلف بيتى الخطيل. ولو أنه رجع إلى الطبرى فى تاريخه واصطنع التحقيق والتدقيق فى بحثه، لأفاد من فهم الظروف التى لابست هذين البيتين، ولاطمأن إلى «يحدى» فى البيت الأول كما اطمأن المؤلف، ولم يجزم هذا الجزم العجيب بأن الدال إنما هى ذال معجمة ذهب إعجامها. فقد روى الطبرى فى تاريخه أن بعض المرتدة، وفيهم نفر من ذبيان أعدوا العدة للاغارة على المدينة ليلا بعد أن خلفوا بعض رجالهم فى ذى حى ليكونوا لهم رداً. فأسرع أبو بكر للقائهم «وخرج فى أهل المسجد على النواضح إليهم، فانفسن العدو، فأتبعهم المسلمون على إبلهم حتى بلغوا ذا حى، فخرج عليهم الرده بأنحاء[1] قد نفخوها وجعلوا فيها الحبال، ثم دهدهوها بأرجلهم فى وجوه الإبل، فتدهده كل نحى فى طِوَله[2]، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها — ولا تنفر من شىء نفارها من الأنحاء — فعاجت بهم ما يملكونها حتى دخلت بهم المدينة، فلم يصرع مسلم ولم يرهب. فقال فى ذلك

(١) جمع نحى وهو الزق أو ما كان للسمن خاصة.
(٢) الطول — كالطيل — حبل يشد به قائمة الدابة

الخطيل بن أوس أخو الحطيئة بن أوس ... الأبيات [١] » اﻫ .
فأبو بكر ورجاله قد عادوا إلى المدينة إذن دون أن يصيب أحدهم مكروه (فلم يصرع مسلم ولم يصب) ، ولم يطمن أبو بكر أويمزق جسده كما أراد الأستاذ أبو حيان أن يفرض ذلك علينا فرضاً .
وعلى ذلك فلا محل للجزم بأن الدال فى « يحدى » إنما هى ذال معجمة ذهب إعجامها . ولا غرابة بعد ذلك فى أن « يحدى » أبو بكر بالرماح ، وأن يساق بها سوقاً كما تساق الإبل بالحداء . فالاستعارة فى ذلك مألوفة مأنوسة ، واستعمال الحداء هنا على سبيل التهكم كاستعمال القرى فى معرض التنديد بالقتل ، وكاستعمال البشرى فى معرض التهديد بالعذاب .

ولو أن الأستاذ أبا حيان رجع إلى نص الطبرى ، ولم تعجله الرغبة فى النقد والتجريح ، لعدل عما انزلق إليه فى البيت الثانى من تأويل . فالطبرى يحدثنا بأن المرتدة هم الذين دهدهوا الأنحاء فى وجه أبى بكر ، وأن أبا بكر هو الذى دهده بهـذه الأنحاء ، دهدهه بها الرجال ، رجال بنى ذبيان فيمن معهم من المرتدين . وعلى ذلك فالقصة كما رواها الطبرى تقتضى أن يكون « يدهدى » بصيغة المبنى للمفعول لا المبنى للفاعل . وإذاً فلا محل للجزم بأن الفعل مبنى للفاعل ، وأن الفاعل أبو بكر ، وأن المقصود بالرجال هنا المرتدة من بنى ذبيان . وليس ببعيد أن تكون « فهبنه » التى تشكك المؤلف فى أمرها قائلا : (كذلك هى بالنص) والتى حاول تأويلها قائلا : (لعلها من أهاب الإبل والخيل إذا زجرها قائلا هاب هاب) — ليس ببعيد أن تكون هذه الكلمة من « الهاب » وهو زجر الإبل عند سوقها فقد جاء فى لسان العرب فى مادة (ﻫ ى ب) : « والهاب : زجر الإبل ، عند السوق ... وأما الإهابة : فالصوت بالإبل ودعاؤها » . فالهاب إذن زجر الإبل وتنفيرها ، والإهابة دعاؤها وجمعها . والهاب — كما لا يخفى على الأستاذ أبى حيان — مصدر من الفعل الثلاثى . فأى غرابة فى أن يكون الثلاثى من هذه المادة مستعملا ؟ وكيف تكون (هاب) بعد ذلك مجهولة الأصل والمصدر منها موجود فى معاجم اللغة ؟ أما عن ضمير الغيبة فى (فهبنه) فرجعه أبو بكر فى البيت الأول . والفاء تعطف « هاب » على « يدهدى » . ويدهدى فعل مضارع ، ولـكنه يدل على المضى هنا ، وإنما عدل به عن المضارع لاستحضار صورة الحادث فكأنه يقع الآن أمام أعيننا . والأمثلة على ذلك كثيرة نكتفى منها بما ورد فى السيرة : « فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ » [١] . وإذا كان استعمال نون النسوة هنا غريباً ، فليس هناك ما يقطع بأن الشاعر القديم لم يقصد إلى استعمالها قصداً . وما أكثر ما كان الشاعر القديم يخرج على قوانين النحو والصرف ليقيم شعره ! وما أكثر ما كان يخرج على هـذه القوانين نتيجة السهو والخطأ . فإذا أخذنا بعد ذلك رواية الشطر الثانى من البيت (إلى قدر ، ما إن يقيم ولا يسرى) — وهى رواية أوردها ناشر تاريخ الطبرى فى حاشية الـكتاب [٢] إذا أخذنا بهذه الرواية ، فقد استقام البيت واطرد المعنى ، إذ أن عبارة (ما إن يقيم ولا يسرى) تعود بذلك إلى أبى بكر مصورة حاله حين عاد إلى المدينة مضطرباً مفزعاً قد أخذت منه الحيرة والمفاجأة كل مأخذ . وعلى ذلك تـكون قراءة البيت :

ولـكن يدهدى بالرجال فهبنه   إلى قدر ، ما إن يقيم ولا يسرى

أى أن رجال بنى ذبيان يدهدهون أبا بكر بالزقاق ، فيزجرونه إلى قدره وقضائه ، وقد سدت فى وجهه المسالك ، وأعيته الحيلة وأخذت منه الحيرة ، ونالت منه المفاجأة ، فهو لا يقيم ولا يسرى

ذلك — فيما نرى — أدنى إلى سياق القصة ، وأقرب إلى روح العلم ، وما ينبغى لطالب من الأمانة فى التدقيق ، ومن البعد عن البت والجزم حين تحتمل المسائل أكثر من وجه . ولعل الأستاذ أباحيان واجد فى كلمتنا هذه مايشيع الرضافى قلبه فلا يحس (بالحسرة تلذعه) ، وما يعيد الطمأنينة إلى نفسه فلا يعود (يشكو إلى الله) أن يتهجم الجامعيون على الشعر القديم فيما يعرضون له من بحوث .

السيد مصطفى غازى
ليسانس فى الآداب من جامعة فاروق الأول

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى ط لندن ج ٤ ص ١٨٧٤، ١٨٧٥

(١) السيرة النبوية لابن هشام ط الحلبى ﺣ ٢ ص ٦٩

(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبرى ط ليدن ﺣ ٤ ص ١٨٧٥

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو دلامـــة !...

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

– ٢ –

وحين ندرس نفسية هذا الظريف من خلال قصصه ونوادره — وهي غاية ما وصل إلى أيدينا من حياته — سنضطر إلى ذكر بعض مداعباته لنستدل بها على شيء مما نراه . ومن تلك الداعبات التي نشير بهـا إلى ما كان من انسجام بين أبي دلامة وزوجته اشترا كهما في خداع المهدي وزوجته الخيزران : فقد دخل أبو دلامة يوماً على المهدي وهو يبكي . فقال له مالك ؟ قال : ماتت أم دلامة ، وأنشده فيها :

وكنا كزوج من قطاً في مفازة ... لدى خفض عيش ناعم مؤنق رغد
فأفردني ريب الزمان بصرفه ... ولم أر شيئاً قط أوحش من فرد !

فأمر له بثياب وطيب ودنانير ، وخرج . فدخلت أم دلامة على الخيزران فأعلمتها أن أبا دلامة قد مات فأعطتها مثل ذلك ، فلما التقى المهدي والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه[(1)] .

ومثل هذا الاشتراك في الخداع الذي كان يمضي طليقاً حتى يصل إلى الخليفة وزوجته — يدل على تفاهم عميق بين الزوجين ، وعلى وحدة في نظرتهما إلى الحياة ، فكأنهما يشرفان على العالم من منظار واحد فيه مرح النكتة ، ولطف الدعابة .

وهنا نرغب في معرفة اسم هـذه المرأة الخبيثة — زوجة شاعرنا الظريف — فتضن به علينا المصادر كأنهـا لا ترى في ذكره فائدة .

ونعلل هـذا — كما يبدو لنا — بأن أمثال هذا الظريف تروى في كتب الأدب حياتهم للاشارة إلى جانب يستحق الدراسة فيهم وهو ظرفهم ومرحهم وسلاطة ألسنتهم ، وما بعد هذا الجانب فأمور تتعلق بأحـدهم من قريب أو بعيد كما تتعلق بآحاد الناس فلا تستأهل الدراسة ، ولا تستحق التسجيل .

لذلك سنمر — في أثناء عرضنا لحياة أبي دلامة — مروراً رفيقاً بما يتصل بأسرته ، فنعلم أنه كان له أولاد غـير دلامة وأن فيهم بنتاً قبيحة ولـكنا لا نعرف أسماءهم ، ولا نحاول أن نعرف ما إذا كان له أخوة ، فقد سكتت عن هذا كله النصوص التي بين أيدينا . ولـكن الذي يجدر بنا أن نعرفه منزلة هذا الظريف لدى أبي العباس السفاح ، وأبي جعفر المنصور والمهدي أيام انقطع إلى مجالستهم ومنادمتهم .

ويبدو أنه كان رفيع المكانة لدى السفاح ، وأنه — للطف محله منه — كان ينال ما يشاء من المطالب ولا سيما إذا أحسن في أسـلوب الطلب : من ذلك أنه وقف يوماً بين يدي السفاح — فقال له : سلني حاجتك . قال أبو دلامة : كلب أتصيد به . قال: أعطوه إياه. قال: ودابة أتصيد عليها. قال: أعطوه دابة. قال: وغلام يصيد بالكلب ويقوده . قال : أعطوه غلاماً . قال : وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه . قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها . قال : أعطوه داراً تجمعهم . قال : فإن لم تـكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون ؟ قال : قد أعطيتك مائة جريب[(1)] عامرة ومائة جريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : ما لا نبات فيه؟ فقال : قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد . فضحك وقال : اجعلوها كلها عامرة . قال : فائذن لي أن أقبل يدك . قال : أما هـذه فدعها . قال : والله ما منعت عيالي شيئاً أقل ضرراً عليهم منها[(2)] .

فانظر — في هذه القصة — إلى مكانة أبي دلامة لدى السفاح ، تلك المـكانة التي تهيء له أن يجاب له كل طلب بعد أن يصير عليه الخليفة فلا يسكته ، بل يتقبل جرأته ويثيبه عليها فيجزل ثوابه ؛ ثم انظر — كما قال الجاحظ — « إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها : ابتدأ بكلب فسهل القصة به ، وجعل يأتي بمـا يليه على ترتيب

(1) الأغاني ج ١٠ ص ٢٥٥ .

(1) الجريب من الأرض : ثلاثة آلاف وستمائة ذراع وقيل عشرة آلاف ذراع .

(2) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٦

وفكاهة ، حتى نال مالو سأله بديهة لما وصل إليه ! »

وكما أحسن السفاح إلى أبى دلامة نجـد الظريف مقيما على الوفاء له يمدحه فى كل مناسبة ويذكره بكل خير ، بل لقد أقام يذكر جميله حتى بعد موته ، فرثاه بأبيات كثيرة . ومما قاله فى قصيدته الهمزية :

وكنا بالخليفة قد عقدنا   لواء الأمر فانتقض اللواء
فنحن رعية هلـكت ضياعاً   تسوق بنا إلى الفتن الرعاء

ولم يكتف بهـذا ، بل إنه دخل على المنصور والناس عنده يعزونه فى السفاح فأنشأ يقول :

أمسيت بالأنبار يا ابن محمـد   لم تستطع عن عقرها تحويلا
ويلى عليك وويل أهلى كلهم   ويلا وعولا فى الحيـاة طويلا
فلتبكين لك النساء بعبرة   وليبـكين لك الرجال عويلا
مات الندى[1] إذمت يا ابن محمد   فجعلته لك فى الثراء[2] عديلا
إنى سألت النـــاس بعدك كلهم   فوجدت أسمح من سألت بخيلا[3]
ألشقوتى أخرت بعدك للتى   تدع العزيز من الرجال ذليلا
فلأحلفن يمين حق برة   بالله ما أعطيت بعدك سولا[4]

فلما سمع الناس هـذه الأبيات بكوا . فغضب المنصور غضباً شديداً وقال : لئن سمعتك تنشد هـذه القصيدة لأقطعن لسانك . فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لى مكرماً وهو الذى جاء بى من البدو كما جاء الله بأخوة يوسف إليه ، فقل كما قال يوسف لإخوته : (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) فسرى عن المنصور وقال : قد أقلناك يا أبا دلامة ، فسل حاجتك . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا ـ وهو مريض ـ ولم أقبضها . فقال المنصور : ومن يعرف هذا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممن حضر ، فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا : صدق أبو دلامة ، نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبى أيوب الخازن وهو مغيظ : يا سليمان ادفعها إليه[1] .

ولو لم يكن السفاح يكثر العطاء والصلة لأبى دلامـة مقرباً إياه على سواه لما مدحه الشاعر هذا المدح العظيم ، ولما رثاه أمام المنصور ذاك الرثاء البليغ ، ولما بقى مقيما على الوفاء له . ويظهر أن لحذق أبى دلامـة فى المسألة ومهارته فى إظهار حاجته ولباقته فى طلب ما يريد — أكبر الأثر فى رغبة الخلفاء العباسـيين بوصله ولا سيما المنصور الذى اشتهر ببخله ، ومع ذلك «لم يصل إلى أحد من الشعراء ما وصل إلى أبى دلامة منه خاصة » كما قال صاحب الأغانى[2] .

وحسبك أن تعلم أن أبا دلامة دخل على المنصور يوماً فأنشده :

أما ورب العـاديات ضبحا[3]   حقاً ورب الموريات قدحا
إن المغيرات على صبحا   والنا كئات[4] من فؤادى قرحا
عشر ليـال بينهن ضبحا[5]   يجعلن مالى كل عام صبحا ...

فقال له أبو جعفر : وكم تذبح يا أبا دلامـة ؟ قال : أربعاً وعشرين شاة . ففرض له على كل هاشمى أربعة وعشرين ديناراً ، فكان يأخذها منهم ، فأتى العباس بن محمد[6] فى عشر الأضحى يتنجزها . فقال : يا أبا دلامة ، أليس قد مات أبوك ؟ قال بلى . قال : انقصوه دينارين . قال : أصلح الله الأمير لا تفعل ، فإنه ترك على ولدين . فأبى إلا ينقصه . فخرج وهو يقول :

أخطاك ما كنت ترجوه وتأمله   فاغسل يديك من العباس باليأس
واغسل يديك بأشنان[7] فأنقهما   ممـــا تؤمل من معروف عباس
جزاك ربك يا عباس عن فرج   جنات عدن وعنى جرزتى[8] آس

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك ، واغتاظ على العباس ، وأمره

---

(١) وفى رواية : هلك الندى إذ نبت .

(٢) الثراء : لغة فى الثرى (٣) وروى هذا البيت برواية أخرى:
ولقد سألت الناس بعدك كلهم   فوجدت أكرم من سألت بخيلا

(٤) السول (بهمزة وبغيرها) ما سألته . ويروى أول البيت أيضاً : ولقد حلفت ...

---

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٤٠

(٢) الأغانى ج ١٠ ص ٢٣٥

(٣) الضبح : صوت أنفاس الخيل إذا عدت ليس بصهيل ولا حمحمة

(٤) نكأ القرح : قشره قبل أن يبرأ فيندى

(٥) هكذا وجدنا فى الرواية ، وفى أخرى (صبحا) والمعنى غير واضح فيهما (٦) كان هذا الرجل مشهوراً بالبخل

(٧) الأشنان (بالضم) حمض تغسل به الأيدى

(٨) الجرز : الحزمة

بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أخرى[1] .

فرجل يفرض له المنصور عطاء على كل هاشمى لا بد أن يكون محبوباً لديه ، مقرباً عنده . ولم لا يقرب المنصور أبا دلامة وهو لا يستريح إلى منادمة أحد سواه ، بل يضحك لدعابته فى أدق الظروف ؟

توفيت حمادة بنت عيسى وحضر المنصور جنازتها . فلما وقف على حفرتها قال لأبى دلامة : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال : بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها ! فضحك المنصور حتى غُلب فستر وجهه[2] .

وما أظنك إلا ضاحكا مع المنصور لو سمعت من أبى دلامة مثل هذا الجواب الذى يدل على بديهة حاضرة ، ونكتة سريعة ، لا يستطيع صاحبنا أن يقلبها حتى فى أحرج المواقف .

وبمثل هذه الطلاقة فى الرد والسهولة فى الجواب تستطيع أن تفرق بين نكتتين إحداهما متكلفة مصطنعة ، والأخرى صادرة عن طبع وملكة . وأنت نفسك إذا سمعت النكتة الباردة — أو التى يسمونها « بايخة » — رفضتها وضجرت من سماعها ونبا عنها ذوقك ، وإن أنت سمعت النكتة الموفقة المحكمة أدركت حلاوتها فضحكت لها من صميم قلبك ، لأنك تحس فيها روح الدعابة كما تحس فى الشعر الرفيع عبقرية الإلهام ، فتنتقل من عالمك الصغير المحدود ، إلى عالم الجمال والخلود !

(يتبع) صبحي إبراهيم الصالح

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٥٦ وقيل إن هذه القصة كانت مع على ابن صالح بن على

(٢) الأغانى ج ١٠ ص ٢٦٢

وداع مصر ...

للشاعر الكبير الأستاذ محمد على الحوماني

جددى يا مصر ... فينا الخيلاء   نُخِف الأرض ونختل السماء

« المعز » اختال فى كل حشاً   من بنيك الشوس ، عزا وإباء

منذ كان « النيل » كانت « مصره »   جنة تطفح بشراً ورواء

وعلى شطيه من كل فم ...   درة تضفى على الفجر الضياء

يا لمـــاء النيل ما أسعره !   فى شرايينك ناراً لا دماء

تنشدين المجد من عبقره   زاحفاً جيشاً ، وخفاقاً لواء

كل قرم قذفت « مصر » به   لم يخر عزما ولم ينكل مضاء

سل فلسطين به إذ رخصت   عندها الأنفس بيعاً وشراء

فى ســبيل الحق من أمته   نبذ الفردوس واختار العراء

يا لمرأى النيـــل ، ما أروعه   تحت أفيائك صبحاً ومساء

يا لأفق النيـــل ما أحفله   بالمنى منك خلوصاً وصفاء

بالوشى النيـــل ما أبهجه   فوق إعطائك ظـلا لا رداء

يا لصوت الفن ما أعذبه   فى فم النيـل خريراً لا غناء

كلمـــا أمعنت فى تحليله   هزنى العُجب وعفت الكيمياء

ذهب سال فأجنى ثمـــراً   لفظ الشمس ، ومج الكهرباء

بالمـــاء النيل . ما أنضره   فى وجوه الغيد ، لوناً لا طلاء

شفق ذاب على كل فم ...   فجلا الكأس وحيا الندماء

وبدا خلف المـــآقى حوراً   يرصد النجم ويصطاد الظباء

وعلى المعصم من كل يد   أفعواناً يتحدى السفهاء

هذه « مصر » وهـذا نيلها   خصنا الله بما شاءت وشاء

شرف من عهد « خوفو » لم يزل   يخلع الدهر عليه الكبرياء

تقف الدنيا على أمجـــاده   فتغض الطرف أو تغضى حياء

وجمال يحـــلم « السين » به   فيرى « باريس » أن لا تتراءى

فاتها من « مصر » أفق لم تفت   أوجه الأقمارُ صيفاً وشتاء

وعلى ضاحية النيـــل رؤى   تذهـل الرائى أماماً ووراء

برد النزهة والمساء معاً ... كتل الخلق رجالا ونساء
فقبيل حال منهم بشراً ... وقبيل لم يزل طيناً وماء
فبنات القصر يكرعن الطلا ... وبنات الكوخ يشددن الوكاء
مشهد إن شئت أغواك وإن ... شئت أشجاك بما سر وساء

بالماء النيل ، ما أعرقه !! ... فى الدم المصرى ، حذقاً ودهاء
عالجوا الحكم فسادوا ساسة ... ورعوا الفن فسادوا أدباء
وبنو الأزهر إذ قاموا بنا ... للهدى ، بروا فكانوا حنفاء
لغة القرآن عزت بهمو ... فشوا فيها إلى الله ظماء
ينشدون الحق فيما كتبوا ... أبعد الناس ، خداعاً ورياء
عهد الفن إلى أقلامهم ... بأمانيه فكانوا أمناء
لا تريم الخلد عن ساحتهم ، ... وعلى الأهرام ، باتوا خفراء

يا لماء النيل ، ما أحفله !! ... بالدم الفائر خوفاً ورجاء
يتقى الزائف فيما يتقى ... ويرجى من بنيه الخلصاء
حكمة أفضت به عن كثب ... أن يري الداء ويختار الدواء
لم أجد فى بلد أنظمة ... قام أهلوه عليها حكماء
ورأيت النيل يحمى بلداً ... سادت الحكمة فيه الرؤساء
رب شخص أو شخوص منيت ... بهم مصر ، فكانوا دخلاء
بيد أن النيل لم ينبت على ... ضفتيه شجر يثمر داء

بالماء النيل ، ما أطهره ... فى الدم المصرى عطفاً وإخاء
كن كما شئت ، ولكن مسلماً ... عربياً ، تنل « النيل » جزاء
يحسب النازل فيهم أنه ... وطنى وبراهم غرباء
هكذا أعرق فيهم خلق ... حال فى الأعراق نبلا ووفاء
لم أقف منهم على غير يد ... تمطر الدنيا عفافاً وسخاء
أطفت فى يد من لا طفها ... وجفت فى يد من أولى الجفاء

إيه : يا مصر ، على أى يد ... لك عندى ، أبعث الشعر ثناء ؟؟
كم جديد حفل الغرب به ... طبق الداعى له الأرض نداء
لم يسؤنى منه إلا أسف ... كلما خاصرنى زدت استياء
كل زهر نعمت عيني به ... لم يهب روحى من المطر غذاء
وجمال صبت النفس له ... لم أجد فيه من الروح شفاء
وغناء وعت الأذن به ... لم يجد عنك به السمع غناء
ولدى أن همست روح الصبي ... بين جنبيَّ تنسمت الهواء
وعرفت السر فى الزهر الذى ... وهب الصب له القلب وعاء
هو من روضك فى «أندلس»[1] ... يحسد النجم عليه الظرفاء
هو فى «الندوة» حيث اتقدت ... شهب الندوة من «عين ذكاء»[2]
هو فى «الجيزة» روض وشمت ... حبب الكاس لياليه الوضاء
سر هذا الزهر عطر لبست ... ضفة النيل به هذا الكساء
وجمال هو فى كل دم : ... حركات تستخف الشعراء

هذه مصر وهذا نيلها ... تنعم الدنيا بها مما أفاء
هذه « نويورك » لم تبطر ولم ... يغبط العقل عليها الرقعاء
ناطحات السحب فيها همم ... شمخت عزاً ولم تشمخ بناء
إنها « نويورك » لم تعمل بها ... يد إسرائيل كيداً وبغاء

هذه « لندن » لم تطغ ولم ... يملك البغى عليها النبلاء
كانت الدنيا . فلما عبثت ... يد «صهيون» بها عادت هباء
وستلقى ضعف ما ألقت على ... جيرة « الأردن » ذلا وشقاء

هذه « باريس » لم تخسف ولم ... تبذل العرض من الخسف وقاء
تنشد القوة لم يعصف بها ... نزوان يسترق الضعفاء
هذه الدنيا يرى السعد بها ... محسن الناس ويشقى من أساء

أى مستقبل عز ظافر ... لك يا مصر . يناديك النجاء !
عرب الدنيا تفديك بما ... لم تجد إلا لك الدنيا فداء
نحن يا مصر ، بنو الصيد الأولى ... فتحوا غلباً وسادوا رحماء
لا ترى فى قول من ينعتنا ... أننا عرج الوفا ، إلا افتراء
لم تريم « دجلة » عن نصرتكم ... فى «فلسطين» ولم تحجم عداء
البلاء المر فى « أهرامنا » ... لم يزل فى «بابل» ذاك البلاء[3]
لا يرد الغرب عن إجرامه ... أن يرى منا خصوماً شرفاء
غمة لا تنجلى مالم نعد ... مرة أخرى غزاة رعناء

(صيف مصر ١٩٤٩)

محمد على الحومانى

---

(١) هى حديقة الأندلس فى الجيزة .

(٢) عين ذكاء ، هى عين شمس أى مصر الجديدة حيث تلتئم الندوة الأدبية التى انتخبت الناظم عضواً فيها .

(٣) كنى الشاعر بالأهرام عن مصر وببابل عن العراق .

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

كبار الأدباء وعضوية البرلمان :

حديث الانتخابات المقبلة أهم مايشغل الصحف في هذه الأيام وقد أمسكت بإحداها وغرقت ساعة في أنهارها وجداولها المملوءة بأحاديث الوزراء ورجال السياسة وتعليقات المحرر ، عن تعديل الدوائر وفتحها وإغلاقها وما إلى ذلك . ثم ألقيت الصحيفة جانباً ورحت أفكر في الموضوع على نحو آخر ، قلت في نفسي : لا شك أن تمثيل الأمة في البرلمان يتطور من حيث المستوى الفكري لنوابها وشيوخها ، تبعاً لتطور الأمة نفسها لانتشار التعليم وازدياد المتعلمين ، أي أن عهد (النمر) الذي بدأت به الحياة النيابية في مصر آخذ في الانقراض شيئاً فشيئاً ، و « الموافقون » على ما لا يعرفون ما يوافقون عليه يوشكون أن يتركوا أماكنهم للعناصر الجديدة . ثم قفز إلى ذهني خاطر آخر ، فقلت في نفسي أيضاً : هل اقترب التطور من الحال التي يمكن فيها أن يشتمل البرلمان على الصفوة من رجال الأدب والفكر في مصر ؟ ولكن كيف السبيل ؟ هل يخوضون معامع الانتخابات ؟ . وهنا جعلت أتصور بعض هؤلاء الأعلام وقد رشحوا أنفسهم للانتخاب ...

الدكتور طه حسين خطيب يسحر الجماهير ولكنها ليست جماهير الانتخابات ، وهو لا يستطيع أن يجلس إلى أهل الدائرة إذا ارتفع الضحى وإذا أقبل المساء ، يسمع منهم ويسمعون منه ، فيضيق بهم وقد يضيقون به ، حتى إذا بلغ الأمر ما اعتاد أن يبلغ كل عام في أوائل الصيف ، ولم يعد في وسعه احتمال الحر والشر والنكر ، فر إلى باريس ...

والأستاذ توفيق الحكيم لا يستطيع مخالفة حماره الذي هو مصر على مقاطعة الانتخابات ومجانبة « التمرغ » في أوحالها ، وقد خبرها أيام كان صاحبه نائباً في الأرياف ، فأصبح فيها من الزاهدين .

والأستاذ المازني إذا طاف بالدائرة فسيرغب عن سماع القصائد التي ينظمها أنصاره والداعون له ، فقد أنكر شعره فهل يسمع شعر هؤلاء ؟ وقد لا يجد له جلداً على قصيدة من الشعر الوسط فلا يصبر عليها ولو أدى ذلك إلى ضياع « تأمين » الانتخابات ... وسيشعر بضيق وقته عن هذا العناء والعبث فيهرب إلى حيث يكتب المقالات المطلوبة منه للصحف والمجلات .

والدكتور أحمد أمين بك رجل فكر ومنطق لا يعجبان الناخبين ، وعند ما يشاهدون ما يبدو عليه من الجد المؤنس ، وما يصطنعه أحياناً من التفاؤل ، ينصرفون عنه إلى منافسه ويتركونه قانعاً يتعزى بـ « زعماء الإصلاح في العصر الحديث » وقد يدرك بعض الخبثاء أنه سيكون عضواً في كل لجنة من لجان المجلس الذي انتخب له ، وقد يكون رئيساً لبعضها ، فيعملون على محاربته ليظل قانعاً بلجان وزارة المعارف ولجان المجمع اللغوي واللجنة الثقافية بالجامعة العربية ولجنة التأليف والترجمة والنشر .

أما الأستاذ الزيات فتقف « الرسالة » في طريقه عقبة أي عقبة ... إذ لا بد أن ينجم له في الدائرة « شعراء وكتاب » يريدون أن ينشروا في الرسالة ماتجود به قرائحهم من النظم والنثر؛ وقد يطلبون تغييرعنوان هذا الباب بحيث يكون « الأدب والفن في الدائرة » وعميد الرسالة لن ينشر لأحد من هؤلاء شيئاً ، والأدب والفن لن يخضعا للدائرة . وهكذا تتعقد المسألة وتستعصي على الحل ، فيقنع الأستاذ بظل « الكافورة » في المنصورة صيفاً ونظفر نحن بمجلسه في ندوة الرسالة إذا جاء الشتاء .

وأما الأستاذ العقاد فهو عضو بمجلس الشيوخ عن طريق التعيين ، ولو أنه دخل الانتخابات لاصطدم بطلاب الوظائف ومطالب الموظفين من أهل الدائرة ، فالكاتب الجبار لن يرجو مخلوقاً لمخلوق ، فإذا وصل الأمر إلى أن يطلب موظف نقله من أسوان فإن الأستاذ الكبير يعتبر ذلك إساءة بالغة إلى مسقط رأسه ، فينسحب من الدائرة في الحال ، ويكتب مقالا بجريدة الأساس منذراً بسوء المآل .

إذن ما هو الطريق المفضي بأولئك الأعلام إلى البرلمان ؟

عضوية الأستاذ العقاد بمجلس الشيوخ تبعث إلينا بصيصاً من الضوء ، حقاً إنه ينتمي إلى حزب سياسي ، والسياسة الحزبية

تعين على تقديم الحزبيين ، ولكن ألست ترى أننا الآن قد أخذنا في عهد قومي جديد وجه إليه جلالة الفاروق ، إذ أمر بتأليف الوزارة من جميع الأحزاب على أن يخلع الجميع رداء الحزبية في خدمة البلاد .

وقد أوشكت الدورة البرلمانية الحاضرة أن تنتهي ، وسيجرى الانتخاب لمجلس النواب ولثلي مجلس الشيوخ ، ولندع ذلك لنحصر النظر في الثلث الباقي من مجلس الشيوخ وهو الذي يختار أعضاؤه من ذوي الكفايات في الميادين المختلفة ، فإذا كان يختار الأعضاء من رجال السياسة ومن رجال الاقتصاد وغيرهم ، أفلا ينبغي أن يتجه النظر إلى رجال الأدب والفكر فتختار خلاصة منهم أعضاء في مجلس الشيوخ ؟ فذلك هو المنفذ الوحيد الذي يصل منه أولئك الرجال إلى مقاعد النيابة عن الأمة . كما أن ذلك يعتبر من دلائل القومية التي تهدف إلى صالح البلاد .

كشكول الأسبوع

◘ قدمت الجامعة العربية إلى هيئة اليونسكو ألفي جنيه مصري على سبيل الإعانة لهذه الهيئة فيما تقوم به من جهود لتعليم أبناء اللاجئين العرب . وهذه المساهمة من الجامعة ، على أي حال ، خير من أن لا تعمل شيئاً في هذا السبيل .

◘ أحسنت وزارة المعارف بعدولها عن شراء أوراق البردى التاريخية التي طلبت سيدة أجنبية تملكها ٦٥٠٠٠ جنيه ثمناً لها ، وقد ذكر أن عدول الوزارة عن شرائها لما تبين لها من أن قيمة هذه الأوراق لا تدعو إلى اقتنائها لقاء هذا الثمن . ولا شك عندي في أن تيسير التعليم لأبناء الأمة أولى من هذه الآثار مهما كانت قيمتها ومهما قل ثمنها .

◘ تحدث السيد عبد الرحمن علي طه وزير المعارف السودانية من محطة أم درمان فقال : ستتخذ وزارتي الخطوات الضرورية لإدخال اللغة العربية مادة أساسية في الجنوب بأسرع ما يمكن في مدارس الوزارة ومدارس الإرساليات ، ولجعل هذه اللغة كذلك وسيلة لتدريس سائر العلوم . وقال إن الوزارة ستنشئ قسماً عربياً بمكتب النشر في جوبا يعمل على إخراج الكتب الصغيرة والمجلات المصورة التي تساعد على نشر اللغة العربية هناك .

◘ جاء في مقال للأستاذ خليل شيبوب في الأهرام بعنوان « التعاون الأدبي » قوله عن التعاون : « وهو مبدأ قد ينجح في المواقف الاقتصادية والاجتماعيـــة ، وأما الأدبية أو الفكرية فلا ولا كرامة » والذي نعرفه أن هذا التعبير « ولا كرامة » يقال في خطاب من يهينه المتكلم ، وليس في المقال مخاطب يستحق الإهانة . فهل يتفضل الأستاذ ببيان ما يقصد بذلك التعبير ؟

◘ تسلمت إدارة التراث القديم بوزارة المعارف من المجمع اللغوي نسخة مصورة من ديوان ابن الرومي المخطوط بدار الكتب . وكانت هذه النسخة لدى اللجنة التي كانت ألفت لإخراج الديوان وكان مقرها المجمع ، ولم تنجز هذا العمل ، فرؤي أن يسند إلى إدارة التراث وديوان ابن الرومي لم يطبع كاملا إلى الآن ، ولعل إدارة التراث توفق إلى نشره قريباً .

◘ صدر أخيراً كتاب « صور من العشق » للأستاذ كمال منصور ، وهو يحتوي على ثلاثة أقسام تمثل ثلاث صور من الحب ، الأولى مغنيات عاشقات كحبابة ، والثانية عذارى في الهوى كليلى ، والثالثة حب يتصل بالأنبياء ، وختم المجموعة بعاشـــقة الله رابعة العدوية .

وقد جلا تلك الصور في ثوب جميل من الفن الممتع .

◘ تصدر بعض الصحف اليومية أعداداً خاصــة بنواح مختلفة كالمرض والصيف والعيد ، وتكون بطبيعة الحال كبيرة الحجم ، ولكنك تتصفحها فلا تكاد تجد شيئاً تقرؤه ، فهي « بقالة » في مادتها ، وتنفع « للبقالة » بورقها .

فاطمة وماريكا وراشيل :

هذا هو اسم الفلم الجديد الذي عرض في هذا الأسبوع بسينما راديو ، أخرجه حلمي رفلة ووضع قصته وحواره أبو السعود الأبياري ، وأهم ممثليه محمد فوزي وإسماعيل يس ومديحة يسري ولولا صدقي ونيللي مظلوم .

يوسف جلال (محمد فوزي) شاب لا هم له إلا خداع البنات باسم الحب والتأميل في الزواج وقد أعد له أحد الصاغة تسعة وعشرين خاتماً ، على عدد حروف الهجاء ، نقش على كل خاتم حرف منها ، وإذا اتصل ببنت قدم لها الخاتم الذي يوافق أول حروف اسمها . ويقيم معه حمص افندي (إسماعيل يس) وهو صديقه وسكرتيره عند اللزوم .

يتصل يوسف بفتاة يهودية هي راشيل (نيللي مظلوم) في حفلة زفاف ، إذ كانت ترقص في الحفلة وكان هو يغني فيها ، فيغازلها وتبدي له الحب فقد عرفت أنه غني ويتفقان على الزواج بعد أن يقول لها إن اسمه يوسف كوهين وتذهب به إلى محل تجاري لتشتري ثوباً ، فتستقبلهما ماريكا (لولا صدقي) مديرة المحل ، وفي غفلة من راشيل يغازل يوسف الفتاة الرومية ماريكا ويتسمى لها باسم جوزيف تريا كو ، ويتفقان على الزواج . ثم ينتهي أمره مع كل منهما عند ما تفاجئه راشيل في حفلة خطوبته لماريكا فيطفىء حمص افندي الأنوار ويقفز هو وصاحبه من إحدى

الشرفات . ثم يتلقى يوسف برقية من والده القروى الثرى يأمره فيها بالحضور إلى القرية فى الحال . وهناك ينهى إليه أبوه أنه غير راض عن سلوكه وأنه لن يعطيه نقوداً حتى يطيع أمره ويتزوج من فاطمة (مديحة) بنت وصفى بك التى ورثت عن أبيها ثمانمائة فدان ، وتقيم مع عمها راشد بك فى الضيعة المجاورة ، فيمارض يوسف فى الزواج من بنت لم يرها ولـكنه يضطر إلى الموافقة إزاء تهديد أبيه ، وكذلك تمارض فاطمة فى الزواج من ابن جلال بك لأنها ظنته فلاحاً ساذجاً ، ولـكن عمها راشـد بك المرشح فى الانتخابات والذى يرجو مساعدة جلال بك يلح عليها ويرغمها . ويذهب يوسف إلى حمص افندى ويبلغه خبر الـكارثة ، ويطلعه على صورة الفتاة التى يريد أبوه أن يزوجه إياها ، وهى فى الحقيقة صورة علية بنت راشد بك الدميمة ، وقد اتفقت مع ابنة عمها على إرسالها للخاطب لتنفيره ... ويتفق يوسـف وحمص من الجهة الأخرى على خطة لتنفير العروس من يوسف ، فيذهبان إلى منزل راشد بك فى زى قروى وقد حمل يوسف (بلاص عسل) وقفة مملوءة من (كيزان الذرة) واحتضن حمص (لبشة قصب) ، ثم ينتهى المنظر بطردهما من المنزل فى غيبة راشـد بك . وفى خلال ذلك يلمح يوسف فاطمة من بعيد وهو لا يعلم أنهـا المخطوبة ، فيضع خطة لمقابلتها ومغازلتها ويتبين أنها تحب رجلا اسمه ظريف بك النابلسى ، ولـكن يوسف يظل يطاردها ويضايق ظريف بك حتى يظفر بها ويتفقان على الزواج ، وتحدث عدة حوادث يتخللها إصرار كل من جلال بك وراشـد بك على زواج ابن الأول من بنت أخى الثانى ، ثم يحضر جلال بك ابنه يوسف بالإكراه لعقد الزواج ، وكذلك يكره راشد بك بنت أخيه فاطمة ويأمر بحملها حملا إلى حيث أعدت معدات العقد . وهناك تحدث المفاجأة إذ تنكشف الحقيقة ويعرف كل من يوسف وفاطمة أنه المقصود بالإكراه على الزواج من صاحبه ، فيتمانقان ويكون منظر زفافهما حسن الختام والذى يتبادر إلى الذهن من اسم الفلم « فاطمة وماريكا وراشيل » . وهو فلم مصرى ، أنه يقدم كلا من هؤلاء الثلاث بخصائصها ، على أن تظفر صـورة فاطمة المصرية بأحسن إطار ، ولـكنا نراها فتاة عابثة ليس لها مثل تتمسك به ولم ترسم لها غاية نبيلة تهدف إليها فـكل ما تريده رجل كهل (ظريف بك النابلسى) لم يقدم لنا الفلم ما يبرر تعلقها به ، ثم هذا الشاب الذى تسمى إليه بعد أن نفضت يدها من ذاك الـكهل ، إذ تذهب إلى منزله لتخطب حبه ، أو فى الحقيقة ليرينا المخرج منظرهما فى حديقة المنزل وهما يجوسان خلالها حيث تبدى مديحة فتنتها ودلالها ومحمد فوزى يغنى لهـا ... ولك أن تستمتع بمنظر الجمال وعليك أن تسمع الغناء ! وهذا المنظر يعطينا « فـكرة » الفلم كله ، فهو إحدى الخلايا التى يتكون منها ، فأكثر مناظره وأهمها معـارض لهؤلاء الحسان الثلاث : مديحة ولولا ونيللى ، جمال ورقص وسحر وفتنة ... والقصة (مفصلة) على قدودهن الرشيقة . وليس لك أن تطلب شيئاً فى الفلم غير ذلك ، حتى محمد فوزى عليك أن تتغـاضى عن إدلاله بنفسه وفرحه بشبابه ؛ وقد أخذ اسماعيل يس فى هذا الفلم ملحقاً فـكاهياً على الهامش .

والفلم ليس معدوم الغاية القيمة فحسب بل هو على عكس ذلك؛ لأنه يقدم بطلين منحرفين هما : يوسف وفاطمة ؛ ويظل يعرض انحرافهما وعبثهما فى تصوير مغرجيل ، ويظل يعطف عليهما حتى النهاية السعيدة ، فهو وإن تم له الجمال الحسى ، يفقد ناحية الجمال المعنوى الذى يبرز من مناصرة الحق والخير .

وحوادث الفلم تجرى نحو مناظر الرقص والجمـال والغناء ، فتمتثر فى جريها . ومن هذه المثرات أن نرى يوسف يغنى فى حفلة زفاف ويقود فرقة يحمل أفرادها الطبول من غير أن نعرف صفته فى ذلك . ولا نرى أى سبب يدعو إلى أن يأتى هذا الشاب الغنى غير المحترف ليحيى حفلة زفاف ، ولـكن الحادثة تجرى بيوسف إلى هذه الحفلة ليلتقى براشيل التى ترقص فيها . والعجيب أن الفلم يملى علينا إملاء أن تعرف راشيل يوسف على أنه شاب غني وهى تراه فى زمرة المحترفين حاملى الطبول ...

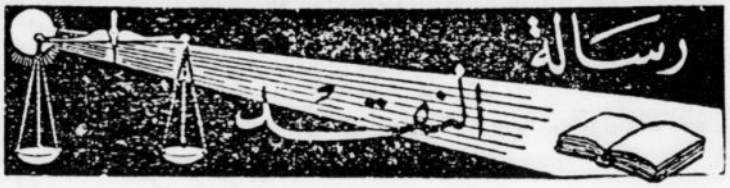
ولم أقف على سر الطريقة العجيبة التى كان يتبعها يوسـف عند ما يعرف اسم الفتاة التى تقع له ، فيدس يده فى جيبه ويخرج الخاتم المنقوش عليه أول اسمها ... فلو فرضنا أنه يحمل معه دائماً التسعة والعشرين خاتماً فكيف ينتقى الخاتم المطلوب ويخرجه بمجرد معرفته الاسم ؟

ويظهر أن المنازل و (الفلات) صنعت فى هذا الفلم على طراز خاص بحيث يمـكن القفز من شرفاتها ونوافذها فى غاية اليسر ،

فترى الهارب يسير من النافذة إلى ممر ممهد فيصل إلى الشجرة المعدة خاصة للهرب ... حتى يصل إلى الأرض سالماً غانماً . وهل يليق بفاطمة التى تفر من النافذة حين يمنعها عمها عن الخروج ، لتلقى حبيبها بثيابها الحريرية المكوية — هل يليق بهذه الفتاة الناعمة أن يمسها أذى أو يذهب صقل المكواة عن ثيابها ، من القفز على الجدران والسقوط على الأشجار ... ! لا يليق غير ذلك لأن المخرج يريد ذلك !

وفى أى مكان من بلاد الله تقام حفلة يبحث فيها فتى عن فتاته ، فيظل يشتبه فى عدد من الفتيات ، يتوسم كلا منهن ويقبلها وهى ساكنة تبتسم ، فيعرف من طعم القبلة أن « المشتبه فيها » ليست فتاته ، وإنما هى تشبهها فقط ... ولو أن « العدوى » الذى يدعوه الناس للبحث عما يضيع منهم ، جرى فى عمله على ذلك النمط الذى جرى عليه بطل الفلم فى البحث عن فتاته ، لأمل دوام البحث عن الضائعات ...

عباس خضر



الوزراء العباســـيون

تأليف الأستاذ محمد أحمد برانق

بقلم الأستاذ محمود رزق سليم

تحتاج الدول إلى رجال ، من أفذاذ أبنائها ، ليعاونوا ولى الأمر فيها ، على الاضطلاع بمسئولياتها ، والقيام بأعباء الحكم فيها ، وتنفيذ مشروعاتها الإصلاحية ، والسهر على حياطتها ، والعمل على الترفيه عنها ، وإشاعة الأمن والعدل فيها ، ورعاية الدولة ، وتثبيت أركانها ، وتدعيم بنيانها . ويختارون — عادة — ممن حصفت عقولهم ، وصفت أذهانهم ، وبلغوا من الثقافة الواسعة حداً ممتازاً ، وأوتوا من الرأى صائبه ، ومن النظر ثاقبه ، ومن الحيلة نافذها ، ومن الدهاء أوسعه — هذه مؤهلاتهم الأولى — وإن اشترطت مؤهلات ثانية فى العصر الحديث — التى ترشحهم لأسمى منصب فى بلادهم ، وهو معونة السلطان على رعاية ملكه وشعبه .

ومن هؤلاء طبقة الوزراء . عرفتها الدول الإسلامية ، منذ بنى بنو العباس ملكهم المجيد ودولتهم العتيدة . وقد كان الخليفة حينذاك هو الدولة . وكثيراً ما كان يلقى بأمور دولته إلى وزيره . ومن هنا كان الوزير — فى الحق — هو الدولة ، وإن كان المفروض أنه يسير فى تصرفاته وفق مشيئة أميره . ومن هنا أيضاً كانت سيرة الوزير جزءاً هاماً من تاريخ عصره ، بل ربما كان لعمل الوزير أثر فيما يلى عصره من العصور .

لهذا ، كانت دراسة حياة وزراء دولة ، أمراً حيوياً ضرورياً لفهم حياتها واتجاهاتها وتصرفاتها . وتاريخهم من أبرز أجزاء تاريخ دولتهم . وهو يلقى أضواء وهاجة على حوادثها ، ويكشف الخبىء من أحوالها ، والمستتر المكنون من وقائعها . وذلك لمكانة الوزير من صاحب السلطان .

ومنصب الوزارة — عادة — من المناصب التى إليها تتوثب الآمال ، ومن حولها تصطرع الرجال . يسمون للوصول إليها ، ويجاهدون لاحتيازها . ولهذا تكثر حولها الدسائس والمؤامرات ، وتنشط الشباك والأحابيل . وهنا تنكشف الأخلاق والنفوس والنيات ، وتشتد المغامرات . ويتألف من هذا كله ، قصص من قصص الحياة ، ممتعة ، فيها كثير من العظات والعبر .

ونقرأ كثيراً من أخبار وزراء الدول الإسلامية ، فى كتب التاريخ العام ، وفى كتب التراجم وكتب الأدب العربى ، وهى كثيرة واسعة ، غير أنها على رحابتها وامتداد آفاقها ، مبعثرة متفرقة ، تحتاج إلى مستوعب يستوعبها ، ومؤلف يجمع شتاتها ، وملائم يلم شعثها ، ومنشىء يسبغ على عرضها ثوباً جديداً من أساليب الإنشاء ، ويضفى عليها من جميل رأيه ، وحصيف نظرته ، ما يوضح للقارىء خفى الأمور فيها ، وغامض الحوادث من بينها .

وقد فطن صديقي وزميلي الأستاذ النابه « محمد أحمد برانق » إلى ذلك كله ، فوجه عناية محمودة إلى الدولة العباسية ، وهي الدولة الحافلة بحوادثها ، الآهلة بعظيم الأمور . وهي أولى الدول الإسلامية التي جعلت « الوزارة » منصباً من أبرز مناصبها . حتى كاد الوزير في سنيها أن يكون المهيمن على أقدارها ، والموجه الفرد إلى مسالكها . — فطن صديقي إلى ذلك ، فاتخذ سير وزرائها وسيلة إلى دراسة تاريخها ، وإلى دراسة هذا التاريخ في أعلى مكامنه وأغلق جهاته . وعنى بخاصة بعلاقات الوزراء بالخلفاء وقصورهم . وكشف الغطاء عن كثير مما يحاك في الخفاء ، بعيداً عن الدهماء . فكان الأستاذ في هذه الدراسة موفقاً ورشيداً .

وقد أصدر الأستاذ من كتابه الكبير «الوزراء العباسيون» الجزء الأول . وقد صدره بمقدمة حافلة واسعة المدى رحبة الأفق طاف فيها طوفة كبرى بالأمة العربية في جاهليتها ، وأثبت كيانها السياسي والاقتصادي . ونعى على من يفرضونها أمة مغلقة الحدود ضئيلة الصلات بمن حولها من الأمم ، تافهة النظم ، محرومة من كل نشاط سياسي أو اقتصادي .

وقد دلل على ذلك بأدلة كثيرة قاطعة ، قذف بها في وجوه بعض المستشرقين ومن لف لفهم من أدباء الشرق ، ممن يرمون العرب بالجهل والتفكك ونحو ذلك ، في عصرهم الجاهلي .

وتحدث عن المملكة العربية ونظمها في عهد النبوة وما بعدها حتى جاءت الدولة العباسية ، فاتخذ خلفاؤها لأنفسهم وزراء يعينونهم في شئون دولتهم . وقد شرح المؤلف ، كيف قامت الدولة العباسية ، وركز حديثه بصفة خاصة في ثلاثة رجال من الأعاجم ، وهبوا لها الرأي والنفس ، حتى أقاموا عمودها ونشروا بنودها ، وهم أبو مسلم الخراساني ، وأبو سلمة الخلال ، وخالد ابن برمك . وقص قصة كل رجل منهم وما لابس حياته من حوادث وأهوال ، مشيرا إلى موقف كل خليفة من وزيره ، ومن رجاله ، وأدى إلى ذلك الموقف من حوادث ، وما أدى إليه هذا الموقف من نتائج .

وعلى نمط من هذا ، درس حياة عدد من وزراء الدولة العباسية ، منهم : أبو أيوب المورياني والربيع بن يونس وأبو عبيدة ومعاوية ابن عبد الله ، ويعقوب بن داود ، والفيض بن صالح ، وإبراهيم ابن ذكوان الحراني .

ونود لو عنى الأستاذ في أبحاثه بأن يزيدنا علماً بمنشأ كل رجل من أعلامه ، وأن يقدم لنا شيئاً عن سني حياته الأولى ، مما يكون له أثر — بلا ريب — في تكوينه وتوجيهه . نقول ذلك لخلو بعض التراجم منه .

على أنني لحظت أن كثيراً من دراسات هذا السفر القيم ، تركزت في حوادث شخصية فردية . وأعتقد أن الأستاذ الفاضل بجوار ذلك ، لو عنى بالحوادث العامة وصلتها بالوزير وصلة الوزير بها ، لكان حديثه أرفه وأمتع .

ثم إني أحسب أن الوزراء في الدول العربية الأولى إنما اختيروا لفرط أدبهم وسليم منطقهم وروائع لفظهم وجامع حكمتهم . وهذه ناحية لم تتضح وضوحها المرجو في كتاب ككتاب صديقنا الأستاذ برانق ، وهو من تعرفه علماً وأدباً . وإني لواثق كل الثقة أنه سيعير هذه الناحية عناية في أجزاء الكتاب التالية .

وأخيراً ، كنت أحب أن يعقد الأستاذ نبذة بين نبذ تصويره الطويل ، يتحدث فيها عن منصب « الوزارة » من الناحية التاريخية ، ومن اختصاصات الوزير ، والفارق بينه وبين غيره كالحاجب ، ومبلغ تقلب هذه الاختصاصات في الدول الإسلامية ودرجة سمو منصب الوزير ، أو صفته في كل منها . إلى غير ذلك مما يتصل بهذا المنصب الهام ولعل الأستاذ أن يلم بهذا الموضوع في مناسبة من مناسبات بحوثه القادمة .

وبعد فقد سد هذا الكتاب فراغاً ملحوظاً في المكتبة العربية والإسلامية . من أجل ذلك نزجي لمؤلفه الفاضل الثناء الجم والشكر المتصل وجزاه الله عن العربية والإسلام خير الجزاء

(حلوان) **محمود رزق سليم**

مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

البغيضة » .

هذا قولى .. فما ذا يقول الأستاذ عمر ؟ !

أحمد محمد مصطفى
أستاذ الأدب بمعهد طنطا الثانوى



أهذا من نوادر الخواطر ؟ !

فى ١٣ / ٧ / ١٩٤٩ م طالعتنا جريدة المصرى بكلمة لأستاذ فاضـل تحت عنوان « آن الأوان لتخليص مصر من الامتيازات » وقد استرعى نظرى فى هذه الـكلمة بعض جمـل وعبارات نقلت نقلا أو نقلت مع شىء من التصرف من مقـال للأستاذ الـكبير أحمد حسن الزيات نشر فى الرسالة الغراء فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٣م بعنوان « بين النيل والأكروبول » ويستطيع أن يعثر عليه القارىء بسهولة فى كتاب وحى الرسـالة « الجزء الأول » ص ٣٥ وسأنقل هذه الجمل إثباتاً لدعواى وإنصافاً للحق وتقريراً للواقع .

يقول الأستاذ الزيات وهو يصف الشعب المصرى « أسرف فى اللين حتى رمى بالجبن ، وأمعن فى التسامح حتى وصف بالبلادة ، وأفرط فى التواضع حتى نسى الأنفة ، وبالغ فى إكرام الغريب حتى أصبح هو الغريب » .

وهذه الـكلمات بنصها وفصها مذكورة فى كلمة الأستاذ عمر .

ثم يقول الأستاذ الزيات « وليت الذى قاسمنا أنعم الوادى الحبيب يذكر فضيلة الإحسان ويشكر عطف الإنسان على الإنسان ! إنمـا يتمتع بخيرنا تمتع الغازى الفاتح ، فى يمناه سيفه ، وفى يسراه قانونه ، فإذا عاملنا احتقرنا ، وإذا عاقبناه انتهرنا ، وإذا ضج المغبون أوصاح المسروق أو صرخ الجائع ضربه « الخواجه » ضربته ، ثم استعدى عليه دولته » .

ويذكر الأستـاذ عمر هذا الـكلام مع شىء من التصرف إذ يقول « وليت ذلك الأجنبى الذى اغتصب منـا أنعم الوادى الحبيب كان على شىء من الأدب والذوق وأحسن معاملة هؤلاء الذين فتحوا له بلادهم على مصراعيها فدخلها دخول الفاتح الغازى وأصبح فيها السيد المطاع وحرم أهلها سبل الحياة وحجز عنهم اللقمة ، بل تراه ينظر إليهم نظرة الازدراء والامتهان ويعاملهم فى خشونة وقسوة فإذا ضج المظلوم وصاح الجائع ضربه الدخيل ضربته ، واستعدى عليه دولته وحته قنصليته ، وتلك الامتيازات

الضمير الأدبى والـكرامة العقلية :

فى العدد الماضى من « الرسالة » قرأت كلمة لأديب فاضـل تحت عنوان « الضمير الأدبى وأين يوجد ؟ » ... ولقد أسفت أن يفلت زمام التعبير من يد الـكاتب ، حتى خطر لى أن أرد عليه فى شىء من القسـوة والعنف ، ولـكننى عدت فقلت لنفسى : ترفق ... فلعل الأديب الفاضل قد نسى نفسه — وهو فى غمرة الحماسة لفـكرته — فاندفع قلمه بغير زمام !

مهما يكن من شىء : فقـد كففت قلمى رعاية لحق قارىء لاح لى من كلماته حسن الظن حين قال : « وامل الأستاذ المداوى يجيب على كلمتى هذه فى « تعقيباته » ليستأنس به الضمير الأدبى ، ضمير النقد النزيه الذى تعودناه منه » !

يا صديقى ، ما دمت قد تعودت من قلمى نزاهة الضمير ، فلم ارتضيت أن يكون عنوان كلمتك موحياً بعكس هذا الذى قلت؟

أما أنا ، فأؤكد لك أننى لم أتخل عن ضميرى الأدبى فى يوم من الأيام لسبب واحـد ، هو أننى أقدس شيئاً اسمه الـكرامة العقلية ؛ والـكرامة العقلية هى أن يحترم الـكاتب عقله وعقول الناس ، فإذا فعل فقد ارتفع فى رأى نفسه ورأى غيره ، وهذا هو ما أحرص عليه كل الحرص منذ أن تناولت قلمى لأكتب !

تسألنى ما معنى إعادة الصـــفاء إلى النفوس ، وما معنى الاستجابة للصديقين وترك الحقيقة الأدبية تنتحب وتلفظ أنفاسها الأخيرة بين يدى الصداقة ؟! ... معذرة إذا قلت لك إن عبارتك قد صيغت فى قالب خيالى أشبه بقوالب الـكتاب القصصيين ؛ ذلك لأنك — على حد تعبير النقاد القدامى لشعر امرئ القيس — قد وقفت واستوقفت وبكيت واستبكيت على مصرع حقيقة أدبية ليس لهـا وجود ! ... أين هى الحقيقة الأدبية وأنا لم أكن فى موقف الـكشف عن مذهب أدبى جديد ، ولا فى موقف النقد لـكتاب أدبى جديد ؟ ! كل ما حدث هو أن أديباً من الأدباء هاجمنى على صفحات « المقتطف » لأسباب شخصية فرددت عليه بكلمة أوضحت فيها الدوافع الحقيقية لهذا الهجوم ، وإذا كان هناك



روز . . . !

للكاتب القصصي الفرنسي جي دي موباسان

ترجمة الأستاذ أنور المعداوي

« إلى صديقي الأستاذ الكبير الزيات

أنت قدمت موباسان إلى الناس فنقلت الفن صادقاً من لغة إلى لغة ، ونقلت السحر خالصاً من قلم إلى قلم ... قدمته في قممه الثلاث : « ضوء القمر » و « الحلية » و « جولي رومان » ، فهل تأذن لي في أن أقدم إليك هذه القمة الرابعة . تحية متواضعة ؟ »

الفتاتان تبدوان للعين غائصتين في فراش من الزهور ، وحيدتين في عربة فارهة قد اكتظت بطاقات الزهر ، فهي أشبه بسلة مفرطة في الضخامة ، وعلى المقعد الخلفي سفطان صغيران قد ملئا بزهور البنفسج « النيسي » ، وفوق فراء الدب الذي يغطي الركبتين أكداس من الورد وزهور الأقحوان والزنبق والبرتقال ، شد بعضها إلى بعض بأشرطة من الحرير يخيل إلى الظن أنها ستهصر الجسدين الناعمين ... ومن الفراش المعطر في العربة الفسيحة لم يكن يظهر من كلتيهما غير الكتفين والذراعين ، وجزء صغير من نطاقين يلتفان حول الخصر النحيل أحدهما أزرق اللون بينما الآخر في لون البنفسج !

وتنظر إلى سوط السائق فتراه وقد لف بغطاء من زهور الأنيمون ، بينما ازدانت رءوس الخيل بزهور الزنبقة واكتست العجلات بثوب من زهور الخزامى ... وفي مكان المصابيح طاقتان من الزهر مستديرتان كبيرتا الحجم ، أشبه بعينين تطلان من وجه هذا الحيوان الغريب المتدحرج على الأرض في هيكل من الزهور !

لون من ألوان الحقيقة فقد عرضت له في كلمتي الأولى ورفعت القناع عن كل ناحية من نواحيه ... وإذن فكل ما يمكن أن يقال قد قيل بالفعل ، ولو كتبت كلمتي الثانية لما هدفت إلا إلى تأكيد ما جاء بكلمتي الأولى على ضوء الدليل المادي الذي لا يُدفع .

بقي أن أقول لك إنه ما دامت الحقائق قد ذكرت فلا بأس من الاستجابة لرغبات الساعين إلى الخير والداعين إلى الصفاء ... ترى أتنكره الصفاء في الأدب وهو الأمنية الكبرى لكل قارئ وكل أديب ؟ أم أنك أردت أن تثيرها زوبعة فكانت زوبعة في فنجان على حد تعبير الصحفيين ؟!

أنور المعداوي

حول تعقيب :

عقب الأستاذ محمد غنيم في العدد (٨٣٤) من الرسالة الغراء على قول الأستاذ أنور المعداوي (لم أكن أعرف — لم تكن تفتح) — بأن جزم بأن هذين التعبيرين يبنا الخطأ وأوجب إلحاق لام الجحود ، ولكني لا أرى لجزم الأستاذ الناقد بالخطأ هنا محلا وما كان استعمال القرآن لهذا التعبير بلام الجحود في موضع لينفي استعمال تعبير آخر يجري في مجراه بغير لام الجحود في موضع آخر ، ولو حصرنا كل الشواهد في هذا التعبير — من القرآن الكريم — لرأينا كيف يتخلى عنه الصواب في رأيه هذا وجزمه ... يقول الله تعالى في سورة هود (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ويقول في السورة نفسها (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) ويقول في سورة العنكبوت (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) ويقول في سورة الزمر (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) .

وإني أسوق هذه الشواهد وأجمعها إلى شاهده لنقول إن وجود لام الجحود يتوقف على وجود الكون المنفي ، ولكن وجود الكون المنفي لا يحتم وجود لام الجحود ، إلا ما رأته الأذن العربية وأوحى به الذوق العربي السليم . والسلام ...

عبد العظيم طه الحبلي

وتندفع العربة إلى شارع « أنتيب » خفيفة الركض ، يحف بها من الأمام والخلف والجانبين جمع من العربات المكللة بالزهور تحمل نساء قد اختفين تحت لجة من بنفسج ... إنه عيد الزهور فى « كان ».

وانتهى بهن المطاف إلى شارع « بوليفار » ، وعلى طول الطريق من الشارع الضخم كان هناك صف مزدوج من العربات المزركشة يروح ويجىء كخيط بلا نهاية ... ومن عربة إلى أخرى رحن ينثرن زهوراً تشق الفضاء كالكرات ، ثم ترتطم بالوجوه المشرقة ، ثم ترفرف فى الهواء وتسقط على الأرض ، حيث يلتقطها جيش من الصبية الصغار . واصطف على الجانبين حشد كثيف من النظارة يثير الضجيج ولكن فى شئ من النظام ، لقد بقى كل فى مكانه بفضل الجنود وهم يعبرون الشارع على ظهور الخيل ، ويدفعون بأقدامهم أصحاب الفضول فى عنف إلى الوراء ، حتى لا يختلط الأوشاب بأصحاب الثراء .

ومن داخل العربات راح كل راكب يتطلع إلى صاحبه ، ويناديه ويطلق عليه قذائف من الورد . وها هى ذى عربة قد غصت بالفتيات الأنيقات فى ثيابهن الحمر كالشياطين تتعلق بها الأنظار ، وتنظر فترى أحد الفتيان فى ثياب هنرى الرابع يقذفهن فى نشوة الشوق بطاقة ضخمة من الزهر فى غلاف من « المطاط » ، يقذفهن مرة بعد مرة ، وكلما همَّ خفضت الفتيات رءوسهن وأخفين عيونهن ، ولكن القذيفة الرشيقة تنطلق فى انثناء ثم لا تلبث أن ترتد إلى صاحبها ليقذف بها ثانية إلى وجه جديد ! ...

ويستمر الموكب فى طوافه ساعة من الزمن يعترى الفتاتين بعدها شئ من الفتور ، فترغبان إلى السائق أن يلتمس طريقه إلى خليج « جوان » .

وغابت الشمس وراء « الإستريل » ، مخلفة ظلالها القاتمة فوق أرض من اللهب ، على القطاع الجانبى من الجبل الممتد عبر الفضاء . وانبسط البحر الساكن أزرق صافياً على مدار الأفق البعيد ، هناك حيث يمتزج بالسماء ، وبتلك الجماعة التى ألقت مراسيها وسط الخليج كقطيع من الحيوانات الغريبة ، تلك التى تظل فوق سطح الماء جامدة بلا حراك ... حيوانات من عالم الغيب تقوست منها الظهور وتدثرت بدروع من الزرد ، واتخذت غطاء الرأس من عوارض رقيقة كريش الطير ، ولها تلك العيون التى تقدح الشرر حين يهبط الظلام !

وانتثرت الفتيات تحت سماء أشبه برداء فراؤه السحب ، ورحن يتطلعن إليها فى استرخاء ثم همست إحداهن قائلة :

— لله ما أرق هذه الأمسيات ! ... ألا ترين أن كل شئ يبدو جميلا يا مارجو ؟

— بلى ، كل شىء جميل ولكن ... ألا تشعرين أن هناك شيئاً ما ينقصنا دائماً ؟

— ما هو ؟ من جانبى ، إننى لأحس السعادة كاملة فلا أرغب فى شىء !

— نعم ؟ هكذا تظنين ، ربما ... ولكن مهما كانت السعادة التى تحيط بأجسادنا ، فإننا نرغب فيما هو أكثر ... فى هذا الشىء الذى يسعد القلب ! وقالت الأخرى وهي تبتسم : قليل من الحب ؟ فأجابت : نعم !

وساد بينهن الصمت ، ورحن يرسلن البصر مستقبلا إلى الأمام ، وعندئذ هتفت إحداهن وتدعى مرجريت :

— الحياة ... إنها لا تبدو لعينى محتملة بغير حب . لكم أشتهى أن أحَب ... ولو من كلب ! هكذا نحن جميعاً ، مهما خطر لك من فنون القول يا سيمون !

وصاحت سيمون قائلة :

— كلا كلا يا عزيزتى ، إننى لأوثر ألا أحَب على الإطلاق على أن أحَب من شخص لا خطر له ! هل تظنين مثلا أنه قد يكون من الملائم لى أن أحَب من ... من ...

وتطلعت سيمون إلى من تستطيع أن تظفر بحبه ، وألقت ببصرها إلى الفضاء المجاور ، وبعد جولة طوت بها كل جنبات الأفق ، هبطت عيناها على زرين من المعدن يتألقان على ظهر السائق ، واستمرت فى حديثها ضاحكة :

— من ... من سائق عربتى ؟!

وأجابت مرجريت وقد لاح على شفتيها ظل ابتسامة :

— أستطيع أن أؤكد لك أنه ما من شىء يبعث على التسلية مثل أن يقع خادم فى حبك ... لقد جربت ذلك مثنى وثلاث !

ودرن بعيونهن شاخصات ، إلى تلك التى كادت تموت من الضحك ... واسترسلت مرجريت قائلة :

— من الطبيعى أن تلك التى تلقى المزيد من الحب ، تصبح

وهي أكثر النساء قسوة . وعلى النقيض تلك التي تزج بنفسها في طريق لا تجنى منه غير السخرية ، لسبب تافه يستطيع أي إنسان أن يلحظه !

وأرهفت سيمون سمعها وألقت ببصرها إلى الأمام ثم قالت معقبة :

— كلا يا مرجريت ، إن قلب خادمي لا ينقع لي غلة ما دام تحت قدمي ... ولكن هل خبرتني كيف أدركت أنهم قد وقعوا في حبك ؟

— لقد أدركت ذلك منهم كما أدركته من الآخرين ... ولذا فهم يصبحون في نظرى أغبياء !

— ولكن الآخرين لا يبدون لي أغبياء عند ما يقعون في الحب !

— بلهاء يا عزيزتي ، عاجزون عن الكلام ، عاجزون عن الجواب ، عاجزون عن فهم أي شيء !

— وأنت ؟ ما الذي أثر فيك حتى وقعت في حب خادم ؟ أكنت مسيرة بدافع الملق ؟

— مسيرة ؟ كلا ! ملق؟ نعم! قليل من الملق ... إن كل فتاة ليسعدها الملق دائماً إذا ما أحبها رجل ، مهما كان هذا الرجل !

— أوه ... الآن جاء دورك يا مارجو !

— نعم يا عزيزتي ، انتظري ... سأقص عليك نبأ مغامرة فريدة وقعت لي ، وسترين كيف أن أشياء بالغة الغرابة تحتل مكانها من حياتنا في أحوال مماثلة ! ... كان ذلك في الخريف منذ أعوام أربعة ، عند ما ألفيت نفسي وحيدة بلا خادمة . لقد جربت من بين الخادمات عدداً يربى على الخمس ، جربتهن واحدة بعد أخرى ولكنهن كن جميعاً لا يصلحن لشيء . ولقد تملكني اليأس من أن أعثر على واحدة ، حتى وقعت في إعلانات إحدى الصحف على خبر فتاة صغيرة تبحث عن عمل ، فتاة تجيد الحياكة ، وتجيد التطريز ، وتجيد تصفيف الشعر ، وتستطيع أن تقدم خير الشهادات على ما تتمتع به من خبرة وكفاية ، وهي في الوقت نفسه تحسن التحدث بالإنجليزية .

وكتبت إلى الصحيفة على العنوان الذي قرأت ، وفي اليوم التالي حضرت الفتاة لتقدم نفسها إلي . كانت أقرب إلى الطول ، رقيقة البدن ، شاحبة اللون ، ينم مظهرها عن خوف بالغ . لها عينان سوداوان جميلتان ؛ عينان تنفثان السحر ، حتى لقد راقت لي على الفور . وسألتها عما تحمل من شهادات فقدمت إلي واحدة مكتوبة بالإنجليزية ، لأنها جاءت — كما قالت لي — من بيت السيدة « رزويل » حيث طوت من عمرها عشرة أعوام ... كانت الشهادة تقرر أن الفتاة قد عادت إلى فرنسا بمحض رغبتها الشخصية ، وإذا كان هناك شيء تستحق عليه اللوم في خلال خدمتها الطويلة للسيدة « رزويل » ، فهو هذا الشيء اليسير من « الدلال » الفرنسي !

وابتسمت قليلا وأنا ألمح ما وراء العبارة الإنجليزية من تورية مهذبة ، ولكنني تعاقدت مع الفتاة على الفور ، وحضرت إلى بيتي في نفس اليوم ، وكانت تسمى نفسها « روز » .

وجاء علي يوم أحببتها فيه إلى الحد الذي ينقلب معه الحب إلى عبادة ... لقد كانت كنزاً من الكنوز ، لقد كانت درة من الدرر ، لقد كانت ظاهرة من ظواهر الطبيعة . كانت في تصفيف الشعر صاحبة ذوق شائق ، وفي تثنية شريط « الدنتلا » على غطاء الرأس أكثر دراية من خير الممتهنات ، وكانت تجيد حياكة « الفساتين » ... أبداً لم أر لها مثيلا في خدمتها لي !

كانت تساعدني على ارتداء ملابسي في سرعة فائقة ، وخفة يد تثير العجب ، ما شعرت أبداً بمر أناملها على بشرتي الرقيقة ، ولا شيء يبدو لي خالياً من اللياقة مثل أن تلمسني يد خادمة ! .. وانغمست على الفور في عادات تتميز بالإفراط في البطالة ، فلكم كنت أشعر بالسرور حين أدعها تدثرني من الرأس إلى القدم ، من القميص إلى القفاز ، هذه الفتاة الطويلة ، الخائفة ، التي تخجل قليلا ولا تتكلم أبداً ! وبعد الاستحمام قد تجففني ، وتدلكني بينما أكون على أهبة النوم أو مضطجعة على الأريكة ... وعلى مر الأيام بدأت أنظر إليها كصديقة بائسة أكثر مما أنظر إليها كخادمة !

وذات صباح أقبل البواب في مظهر يثير الظنون ، معلناً عن رغبته في التحدث إلي ، واستولت علي الدهشة ولكنني أذنت له في الدخول .

كان جندياً كهلا يبدو عليه التردد في الإفصاح عما يريد أن يقول ... وأخيراً همس في صوت متلعثم :

— سيدتي، إن ضابط بوليس المنطقة موجود في الطابق الأسفل

وقلت متسائلة : ماذا يريد ؟

— إنه يريد أن يفتش البيت !

حقاً إن رجال البوليس ضرورة لازمة ولكنني أمقتهم ... ولا أستطيع أبداً أن أعترف بأنهم يزاولون مهنة شريفة ! وأجبت في صوت ألهبته الكرامة الجريحة :

— لماذا يفتش هنا ؟ لأي غرض ؟ إننا لا نعرف السطو !

ورد الحارس قائلا :

— إنه يعتقد أن أحد المجرمين يختفي هنا في مكان ما .

وبدأت أشعر بشيء من الرهبة ، وأمرت بأن يصعد إليّ ضابط البوليس عسى أن أظفر منه بشيء من الإيضاح ... كان رجلا جم الأدب يزدان صدره بوسام « اللجيون دونير » . وبدأ حديثه معرباً عن أسفه ، مقدماً اعتذاره ، مؤكداً أن هناك مجرماً بين ما لدي من خدم ...

وكدت أصعق ، وأجبت بأني أستطيع أن أشهد لكل واحد منهم ، بل وينبغي أن أقدمهم إليه مستعرضة ليقتنع .

هناك « بيير كورتان » ، جندي كهل ... ليس هو . سائق العربة « فرانسيس بنجو » ، مزارع ، ابن المشرف على مزارع أبي ... إنه ليس هو .

صبي يعمل في الحظيرة ، من شمباني ، من أبناء مزارعين أعرفهم ... ليس هو .

ولا أحد بعد ذلك غير هذا الخادم الذي تراه ... إنه ليس واحداً من كل من ذكرت . وإذن فأنت ترى أنك قد خُدعت يا سيدي !

— معذرة يا سيدتي ، ولكنني واثق من أنني لم أخدع .. هل تسمحين بأن يكون استعراضك لخدمك عن طريق إحضارهم هنا ليظهروا أمامي وأمامك ؟ كل خدمك بلا استثناء ؟

وترددت بادىء الأمر ، وأخيراً أذعنت ، ولم أر بداً من استدعاء كل الخدم رجالا ونساء .

وتفحصهم جميعاً في لحظة ثم أوضح : إنهم ليسوا كل الخدم وأجبت قائلة : معذرة يا سيدي ، ليس هناك غير خادمتي الخاصة ، تلك التي لا يمكن بحال أن تخلط بينها وبين أحد المجرمين!

— هل أستطيع أن أراها أيضاً ؟ — من غير شك !

وغمزت الجرس فظهرت « روز » على الفور .. وفي اللحظة التي دخلت فيها الفتاة أرسل الضابط إشارة إلى رجلين قد كانا وراء الباب فلم تقع عليهما عيناي ، وألقى الرجلان بثقليهما فوق الفتاة ثم أمسكا بيديها . وشدت إحداهما إلى الأخرى بالقيود !

وأطلقت صرخة غضب ، ورحت أحاول الدفاع عنها ولكن الضابط أوقفني قائلا :

— هذه الفتاة يا سيدتي ليست إلا رجلا يسمى نفسه « جان نيكولا ليكابيه » ... حكم عليه بالإعدام لإقدامه على جريمة قتل سبقتها جريمة هتك عرض ، ثم استبدلت العقوبة بالسجن مدى الحياة . لقد فر منذ أربعة أشهر ، ومنذ ذلك الحين ونحن نجد في البحث عنه .

أصابني الفزع ، وعقلت الدهشة لساني ، ولم أستطع أن أصدق ... واستمر الضابط في حديثه ضاحكا :

— أستطيع أن أقدم لك دليلا واحداً ، هو أن هناك وشماً على ساعده الأيمن .

وتحققت من صدق هذا القول عند ما كشف عن ساعده ، ولكن ضابط البوليس أردف في لهجة نابية :

— ليس من شك في أنك غير محتاجة إلى الإقناع عن طريق الأدلة الأخرى ؟

قالها ثم انصرف مصحوباً ... بخادمتي !

صدقيني إن أقصى شعور تملكني هو شعور الغضب من أن يُغرر بي على هذا الوجه ، وأن أخدع ، وأن أعرض للسخرية .. وصدقيني إنه لم يكن شعوراً بالخزي أن يلمسني ذلك الرجل ؛ وأن يمسكني بيديه ، وأن أبدو أمامه عارية وكاسية ، ولكنه كان شعوراً آخر ... شعوراً عميقاً بالضمة : ضمة امرأة ! ترى هل فهمتِ ما ذا أقصد ؟

— كلا ، لم أفهم تماماً ماذا تقصدين !

— فكري هنيهة ... لقد أُدين ذلك الرجل لأنه أقدم على هتك عرض ... وهذا هو الشيء ... الشيء الوحيد هناك ... الذي أشعرني بالضمة ! ترى هل فهمتِ الآن ؟

ولم تجب سيمون ، بل راحت ترسل البصر مستقيما إلى الأمام ، إلى حلة السائق حيث ثبتت عيناها في زرّين يتألقان ، وعلى شفتيها تلك الابتسامة الغامضة التي تعرفها الغانيات ... في بعض المناسبات ! !

أنور المعداوي

مطبعة الرسالة

العدد ٨٤١ – الاثنين ١٥ أغسطس ١٩٤٩ – السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

17 em Année No. 841

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Lundi — 15 — 8 — 1949

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد «٨٤١» القاهرة في يوم الاثنين ٢٠ شوال سنة ١٣٦٨ — ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

أخي عزّام!

قرأت فصولك الأربعة عشر التي كتبتها لقراء الرسالة بقلم المؤمن الصادق والمصلح الحكيم والخبير المجرب والكاتب المفتن، عن هذه الحيرة الاجتماعية التي عوّقت الأمم، وهذا القلق النفسي الذي أشقى الأفراد؛ فكنت كلما قرأت منها فصلاً نشأت في خاطري فكرة، وحفزتني إلى الكتابة رغبة؛ فإذا قرأت الفصل الذي يليه ذهبت فكرة وجاءت فكرة، وسكنت رغبة وتحركت رغبة، حتى قرأت (الخاتمة) فوجدتك قد جمعت شتيت الأخطاء والأدواء ثم رددتها إلى مصدر واحد هو ضلال الإنسان، ووصفت لها طباباً واحداً هو هـدى الله، فلم تدع في الموضوع فضلةً يناقشها أديب، ولا علةً يعالجها طبيب.

كلام يشرق فيه الحق وعلاج يهدي إليه العقل، فما كان يجوز أن يختلف فيهما صاحب دين ولا صاحب دنيا، ولا أن يعمى عنهما أهلُ شرق ولا أهلُ غرب؛ ولكن الله لأمر يعلمه شاء أن يجوز العمى على البصير فلا يرى إلا بتنبيه، وأن يجري الصمم على السميع فلا يسمع إلا بتبليغ!

ولقد كان من بدائه المنطق ومسلَّمات الطبع ألاّ تستبد الحيرة والقلق بقوم يأمرهم ربهم بالعدل والإحسان، ويقوم شرعهم على الهدى والفرقان؛ ولكن المسلمين اليوم قد اتبعوا سبيلاً غير سبيل محمد، واتخذوا دليلاً غير دليل الله؛ فأصبحوا كسائر الأمم الغربية عباداً للذهب والسلطان والهوى، لا يتبعون غير رجال المال والسياسة بالطمع، ولا يطيعون غير رجال الحكم والحرب بالخوف. أما رجال الفكر ورجال الدين فقد جعلوهم من نوافل الحياة؛ مكانُهم على الهامش لا في المتن، وميدانهم نوازع الكمال لا دوافع الضرورة؛ إلا من استغوَوْه منهم فقد استحبَّ عماهم على هداه، وآثر هواهم على عقله.

ورجال الفكر أمثالك يا أخي قوم جعلوا (وظيفتهم) التفكير للناس. فهم ينتجون الفكر كما ينتج أصحاب العمل المال، ورجال السياسة الخداع، وأرباب الحكم الغطرسة! فما كان أجدرَ بابن آدم وهو لا يزال يتبجح بالعقل ويتميَّز به على غيره أن يجعل قياده لرجال الفكر! ولكن ابن آدم إنسان وحيوان، فإن استجرَّ بإنسانيته للقلم، فلن ينجرَّ بحيوانيته إلا للعصا!

لقد قرأ الناس ما كتبتَ وأعجبوا بما قرأوا. ولكن إعجابهم به لا يعدُو أن يكون إعجاباً بالجمال في ذاته. سيزعم كل قارئ أنك عنيت بكلامك سواه. فالفرد يقول أنا ضعيف؛ فليتني أقوى لتكون لي إرادة. والشعب يقول أنا جاهل؛ فليتني أعلم ليكون لي رأي. والحزب المعارض يقول أنا غير مسئول؛ فليتني أحكم ليكون لي أمر. والحزب الحاكم يقول أنا غير مستقر؛ فليتني أثبت ليكون لي تنفيذ! فإذا قوي الفرد عمل لنفسه، وإذا تعلم الشعب عصف الطغيان في رأسه، وإذا حكم المعارض لها بيومه عن أمسه!! وإذن تذهب كلماتك الطيبة وأمثالها يا عزام كما تذهب النغمات الرخيمة في هزيم العاصفة، أو النسمات الرخيَّة في ألف الغابة!

حديث الطائر الصداح

للأستاذ كامل كيـــلانى

مر السلطان ذات ليلة بمنزل ، فتسمع فيه إلى ثلاث أخوات يتمنين الأمانى :

قالت الكبرى : أتمنى أن يبنى بى خباز السلطان !

وقالت الوسطى : أتمنى أن يبنى بى طباخ السلطان !

وقالت الصغرى : أتمنى أن يبنى بى السلطان نفسه !

ثم أصبح الصباح ، فحقق السلطان للأخوات الثلاث أمانيهن

دب فى نفس الأختين الكبرى والوسطى دبيب الغيرة من أختهما الصغرى ... فكيف تفسدان بينها وبين السلطان ؟

حملت الصغرى ، وجاءها المخاض ، ولكنها لم تضع أميراً صغيراً ، بل وضعت — فيما زعمته شقيقتاها — كلباً !

وفى العام التالى وضعت قطاً ! وفى الثالث وضعت قرداً !

جازت حيلة الشقيقتين على السلطان ، وفعلت الخيانة فعلها فى نفسه ... فهجر زوجته البريئة !

ترعرع الأمراء الثلاثة أبناء السلطان الحقيقيون ... وفى ذات يوم أقاموا مأدبة حضرها البلبل الصداح ... وكان قد أشار على الأمراء أن يحشوا الخس والخيار باللآلئ !

غير أن السلطان لم يرقه ذلك ، فلما أبدى استنكاره ، هتف البلبل الصداح بالنشيد التالى ، وهو مقتبس من قصة : « عجائب الدنيا الثلاث » للأستاذ كامل كيلانى التى تظهر فى أواخر سبتمبر القادم إن شاء الله .

حبّاتُ هذا اللؤلؤ الصغارُ … يُحشَى بها الخسُّ أو الخيارُ
تُثير منك حَيْرةً فتُنْكِرُ … عينُك ـ من دهشتها ـ ما تبصر
ترى عجيباً قد تناهى فى العجب … وغفلة ، فى طيِّها سوءُ أدب !
تراه شيئــاً لا يجوزُ أبدا … تُنكره ، وليس يُؤذى أحدا
وقبل هـذا صـدَّق السلطانُ … أن يَلدَ البهائمَ الإنسانُ
هل تَلدُ الكلبةُ عنزاً أوحَمَلْ … أو تلد النعجةُ فيلا أو جملْ ؟
أو تلدُ النُّمورةُ الغِزلانا … أو تُخرجُ التفاحةُ الرُّمانا
أو تلدُ الوحشيةُ الإنسيهْ … أو تلدُ القِطةُ آدميهْ ؟ !
فكيف جاز فى المعقول أن تلدْ … سيِّدة السادات فى هذا البلدْ
كلباً وقِطاً بعدهُ ، وقِردَا … أيهزلون ... فتراه جِدّا !
وهو مُحالٌ ، عقلُنا يأباه ، … وسنَّةُ الحياةِ لا ترضاه !
حشوُ الطعامِ بنفيسِ الماسِ … أدنى إلى المنطق والقياس

أغلب الظن يا صديقى أن أبرار الكتاب سيظلون يقولون الخير لأن لذتهم فى أن يقولوه ، وأن فجار الساسة سيظلون يعملون الشر لأن منفعتهم فى أن يعملوه ؛ حتى يشاء الله وحده للوئام أن يعم وللسلام أن يعود ، فيهيئ حينئذ لكلام الكتاب السبيل إلى أذهان الأحزاب والأقطاب ، فتتجدد دعوة الأنبياء ، وتتصل الأرض بأسباب السماء ، ويصبح الأدلاء فى ركب الحياة من أمثال عمر وصلاح الدين ، لا من أمثال ترومان وستالين .

فكر يا أخى وعبر ، ولا ضير عليك ألا يفهم الناس عنك ؛ فإن التفكير متعة العقل ، كما أن التعبير متعة الروح

(المنصورة) احمد حسن الزيات

(٣) فلسفة الشعب :

الفلسفة الصـــامتة

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

لست أبغى أن أمحو الفروق العديدة التى تميز فكر الفيلسوف عن فكر الجمهور ، إنما أريد التقريب وعقد الصلات بينهما ، وبيان أن الهوة المزعومة بينهما لا وجود لها . ذلك أن المذاهب الفلسفية استمرار طبيعى لفلسفة صامتة ، تتسلل فى آلاف الأذهان خفية كما تتسلل النار الكامنة ، حتى تشتعل وتومض وميضاً يبهر الأبصار بعد أن تكون قد مرت بدور كون طويل . فما من مذهب جديد إلا وله سوابق وممهدات فى مذاهب السابقين ، وهذه بدورها سبقتها نظرات ولمحات صامتة تبدو فى حكم العامة وأساطيرهم وشعر الشعراء وقصص الأدباء . ولكن هؤلاء جميعاً بدت النظرات الفلسفية فى إنتاجهم دون قصد أو وعى بها ومن أجل هذا أسميها فلسفة صامتة . إنما الفلسفة الناطقة هى تلك التى تعبر عنها المذاهب الفلسفية التى صاغها أصحابها على وعى منهم بها ، والتى تبدو جديدة مبتكرة . وما هى — لو تأملناها وأحطنا بملابساتها — غير تأليف وتوفيق جديد بين عناصر قديمة مرت بالعقل البشرى من قبل وبوسعنا الاهتداء إليها فى مذاهب السابقين بل منبثة فى ثنايا الشعر والحكمة الشعبية القديمة قدم الإنسان ذاته

إليك مثلا أفلاطون وهو صاحب أول مذهب متكامل شامل فى تاريخ الفلسفة . يبدو مذهبه عملا ابتكارياً صرفاً . ولكن الحقيقة التى يكشف عنها تاريخ الفلسفة أن بعض النتائج التى وصل إليها غيره من المفكرين السابقين عليه ، قد دخلت فى تكوين هيكل فلسفته : نظرية هرقليطس فى التغير المستمر ، وفكرة فيثاغورس فى العدد والموسيقى ، ورأى بارمنيدس فى الوجود ثم فلسفة سقراط أستاذه الحبيب ، هذه جميعاً امتصها أفلاطون وتمثلها حتى استحالت إلى كيانه الفكرى كما تستحيل الأغذية إلى كياننا الجسمى . ليس هذا فحسب بل نستطيع لو ثابرنا أن نجد فى الفكر القديم عند الهنود والمصريين أفكاراً تتصل بسبب قريب بأفكار منبثة فى مذاهب أفلاطون .

يقول الأستاذ إسماعيل مظهر :

« إن مبادئ أفلاطون الأساسية وفكراته الجوهرية التى قام عليها مذهبه ، تدفع بنا إلى الرجوع سعياً ، لا إلى أسلافه الأقربين ولا إلى معلمه العميق الغور سقراط ، الذى عاش فى صفحات ما كتب أفلاطون ، ولكن إلى مدارس متفرقة سبقته فأ كبت على التأمل الفكرى فى إغريقية وأيونيا وإيطاليا . ومن قبل هؤلاء قد نرجع إلى عصر الشعر ، ذلك العصر الذى ترى فيه بدايات الفلسفة تكاد تبدو من ضباب الزمن ، وهى لا تكاد تعرف حتى من قيمة ذاتها شيئاً . ثم مد نظرك لأبعد من هذه الفلسفة غير الواعية الحقيقة ما هى ، وانغمر فى ضمير الزمان إلى تلك البدايات التى تمثلت فى الميول العقلية والخلجات النفسية وترامى قوى الفكر إلى حجب العالم ، تجد أن هذه الأشياء قد شهدت ميلاد فكرات أفلاطون بنسب ، منحدرة إليه من مدنيات عتيقة موغلة فى القدم من الهند ومصر ، وتجد فوق ذلك أن هذه الفكرات لا تزال حتى اليوم تؤثر أثرها المحتوم فى عالم التأمل . »[1]

وليس هذا عجيباً إذا علمنا أن الطريق إلى التعليمات الفلسفية ليس عقل الفيلسوف وحده فهنالك لدى العامة حدس صادق ، أو حس سليم هو طريق آخر يفضى إلى نظرات عامة فى الكون والأخلاق فيها من الصدق والصفاء ما يجعل لها قيمة تدانى قيمة مذاهب الفلاسفة والخلاصة أن المذاهب الفلسفية يقابلها فلسفة واقعية صامتة أو هى — كما قال الأستاذ إسماعيل مظهر : « لا تعى ذاتها » .

عقد الأستاذ « ألبير بابيه »[2] فى كتابه « أخلاق العلم »[3] فصلا يبين فيه أن النظريات الفلسفية الأخلاقية ، تسبقها أخلاق واقعية ، وأنها مجرد تركيز أو تبلور لتصورات الناس الواقعية لمثل أعلى . بل ويفضل الأخلاق الواقعية على النظريات الفلسفية لأن أثر الأخيرة فى تطور المجتمع أثر يكاد ينعدم .

يقول الأستاذ بابيه بهذا الصدد :

---

(١) فى مقال له بعنوان « الفيلسوف الباكى » هرقليطس بالمقتطف عدد يونيو سنة ١٩٤٥

(٢) الأستاذ بالسربون

(٣) قام بترجمه تلميذه الدكتور عثمان أمين بعنوان « دفاع عن العلم »

« لننظر فى أكبر تحول عرفته المجتمعات البشرية : وهو إلغاء الرق . لو سئلنا اليوم فى القرن العشرين باسم أى مذهب نستنكر الرق ؟ استطعنا أن نجيب جواباً لا يخلو من منطق : إن ذلك باسم فلسفة القرن الثامن عشر التى أعلنت حقوق الإنسان ولكننا نعلم حق العلم أن تلك النظرية لم تحرر إلا بعد حين ، أى بعد أن كانت المهمة قد تمت ، وبعد أن كان الرق كله قد اختفى أو كاد يختفى من مجتمعاتنا ، ولكن نبحث فى التاريخ عن المذاهب التى أدت إلى إلغاء الرق : يُحيل بعض المفكرين إلى الأخلاق الرواقية ، ولكن الرواقيين كان لهم أرقاء . ويحيل البعض الآخر إلى الأخلاق المسيحية ، ولكن المسيحية كان لها أرقاء . ولقد كان المفكرون من جميع المدارس يجدون دائماً صيغة مرنة تعينهم على أن يراعوا النظام العتيق ، وكأنهم يحملون عليه بإحدى اليدين ويؤيدونه باليد الأخرى . ابحث ما شئت فى التاريخ ، فإنك لن تجد ذلك المشهد الرائع : مشهد مذهب يقوم فيقضى على الرق . ولكن من حسن الحظ أن هنالك أخلاقاً واقعية كانت تعمل وتؤثر ، بينا كان الفلاسفة يتكلمون ويكتبون . وتلك الأخلاق الواقعية هى التى ألهمت « نيرون » ذلك المحسن إلى الإنسانية ، أن يحقق ذلك العمل الثورى المظيم الذى أباح للرقيق إذا عومل معاملة بالغة القسوة أن يرفع شكواه إلى القضاء . وألهمت القرارات الكثيرة التى أصلحت حال الرقيق ثم الموالى . فماذا كانت حقيقة تلك الأخلاق الواقعية ؟

لو سئل الذين كانوا أول من عمل لهذه الأخلاق ، يقعون فى متناقضات تستدعى الإشفاق حين يستهدفون إلى الإشارة بهذا الصدد إلى شىء من المبادىء (١) . ولكننا نحن بعد حين نرى النهج الذى سلكوه ، والذى انتهى إلى حقوق الإنسان . إن الأخلاق الصامتة المتضمنة فى جهودهم المتواصلة أقوى من العبارات المزعومة التى نقرأها فى كتب الفلاسفة » .

أجل ، بينا كان الفلاسفة يكتبون ويناقشون مذاهبهم الفلسفية فى الأخلاق كانت هنالك فى ضمير الشعب فلسفات أخلاقية صامتة ، تؤثر أثراً قوياً ولكن فى صمت حتى تحققت بعد أن كانت أملا تهفو إليه النفوس ذلك هو التحرر من الرق والعبودية .

الفلسفة فى الإنتاج الأدبى :

ألا ينهض ذلك دليلا على أن الفلسفة تمد جذورها فى حياتنا إلى أعماق سحيقة ؟ وأن لحظات قد تواتى جمهور الناس — رغم طغيان المشاغل اليومية — فتنفذ بصائرهم إلى هذه الأعماق ، وتغوص عقولهم إلى القاع لتصمد محملة بلآلىء الأفكار يذيعونها أمثالا مأثورة أو حكما ، وقد لا يفصحون عنها لفظاً ولكن تفصح عنها حياتهم بما تنطوى عليه من معنى فلسفى ؟ ولو تركنا طبقة الجمهور إلى طبقة الكتاب من غير الفلاسفة ، لوجدنا فى طيات كتبهم نظرات وتعميمات فلسفية . مثال ذلك : مسرحيات سوفوكليس وشكسبير وموليير وروايات برناردشو وأندريه جيد ونجيب الريحانى وشارلى شابلن وجوته ، نرى فيها جميعاً لمحات فلسفية منبثة هنا وهناك فى إنتاجهم ، وطالما كانوا أكثر توفيقاً من الفلاسفة ؛ إذ سرعان ما تنفذ اتجاهاتهم إلى شعاب نفسك فى يسر لتستقر فى الأعماق . وما ذلك إلا لأنهم لم يعمدوا إلى ما يعمد إليه أهل الصنعة من الفلاسفة حين يجرون الأفكار من الحياة ، وينتزعونها من الواقع الذى نولدت فيه ، ونمت وازدهرت .

أينما نولى الطرف فى الإنتاج الروائى الخالد يقع بصرنا على بطل يجسم مشكلة من المشاكل الإنسانية ، تعترضنا جميعاً أياً كان زماننا وأياً كان مكاننا ، كمشكلة السعى الأبدى لبلوغ الحق والخير والجمال كما تصورها مأساة « فاوست » ، والصراع الدائم بين قوى الفرد وقوة المجتمع العاتية التى لا تأبه لآمال الأفراد أو آلامهم كما تبرزها قصة الحلاق الفيلسوف « فيجارو » ، أو روايات نجيب الريحانى التى تضحكنا رغم انطوائها على المأساة البشرية الكبرى : ما تلاقيه النفوس الخيرية من عنت فى هذا العالم والتى تنتهى جميعاً إلى اعتبار الخير غاية فى ذاته والسعادة فى راحة الضمير والمتتبع لروايات شارلى شابلن خاصة فى الفترة الأخيرة من حياته يلمس روحاً فلسفية تسرى فى جوانبها . لو تأملنا آخر روايات « المسيو فيردو » محترف قتل السيدات لاستخلصنا الدرس العميق الذى يلقيه على الإنسانية العاتية الحمقاء « التى ترفع مثيرى الحروب

(١) يقصد أن إرجاع هذه الأخلاق الواقعية إلى مذهب من مذاهب الفلاسفة عمل لا يخلو من تناقض .

الذين يسفكون دماء الملايين إلى منزلة الأبطال الخالدين ، وتحكم بالإعدام على فرد قتل عدداً قليلا من النساء ليحصل منهم على ما يقيم الأود بعد أن طرق الأبواب فلم يجد رزقاً » ، ذلك الدرس يفرغه شارلى المظلم فى الحوار الأخير بينه وبين القسيس الذى أتى يباركه قبيل تنفيذ حكم الإعدام فيه ، إذ يعلن للقسيس عدم احتياجه إليه فيلح القسيس عليه أن يصلى ويتحدث إليه لعل الله يستجيب له فيقول « المسيو فيردو » : ليس الخلاف يا سيدى بينى وبين الله إنه بينى وبين البشر » أجل إن النظام الطبيعى خير ولكن البشر هم الذين يفسدونه . البشر وحدهم مسئولون عن وجود الشر فى العالم ويخطئ من يدعى أن الله يريد بالعالم شراً .

عالج كثير من الفلاسفة فى أسفار عدة موضوع الإرادة الإنسانية أهى حرة أم مجبرة ، وعالجوا فكرة القضاء والقدر ، وفكرة الاتفاق فى الطبيعة والحظ لدى الإنسان . ونستطيع الاستنارة فى هذه الموضوعات لو فتشنا عنها فى كتب الفلاسفة ، ولكنا نراها فى ضوء باهر ونلمسها ونحياها لو أنا عشنا لحظات مع الشاعر الروائى سوفوكليس فى مسرحيته « أوديب ملكا » التى كتبها فى أثينا فى القرن الخامس قبل الميلاد ، أو لو أنا جلسنا إلى « أندريه جيد » نقرأ روايته « أوديب » التى كتبها فى فرنسا منذ أعوام قلائل . خمسة وعشرون قرناً من الزمان تفرق بين الخالدين ، دون أن تمحو من الأذهان مشكلة فلسفية كبرى : تلك هى الصراع بين القضاء المحتوم والإرادة الإنسانية المختارة .

ولأترك القارئ لحظات إلى أستاذنا الدكتور طه حسين يكشف له عن الفلسفة التى تتضمنها قصة أوديب عند كل من سوفوكل وجيد :(١)

« هناك قضاء كان اليونان يؤمنون بأنه مسيطر على كل شىء وعلى كل كائن لا يفلت منه الآلهة أنفسهم . وهناك الإنسان كان يشعر بأن له عقلاً يميز به بين الخير والشر ، وبأن له إرادة يعمد بها إلى أحد هذين الشيئين اللذين يميز العقل بينهما وهما : الخير والشر . فليس هناك إذن بد من أن يكون اصطدام بين القضاء المحتوم الذى لا يفلت منه الإنسان أو الإله ، وبين هذه الإرادة التى زعم الإنسان أنها حرة مختارة تستطيع أن تعمد إلى ما تحب وتنصرف عما تكره سواء أراد القضاء أم لم يرد .

هذه الفكرة التى قصد سوفوكل إلى أن يصورها فى قصته ومن قبله كان الشاعر اليونانى الممثل (أيسكاوس) الذى ذهب فى تمثيله إلى تغليب القضاء على الإرادة الحرة المختارة ، ومن بعده جاء الشاعر اليونانى الممثل (أرويبد) الذى ذهب إلى كسب الحرية للارادة الإنسانية وأنكر القضاء أوكاد ينكره . أما سوفوكل فتوسط بين الأمرين . لم ينكر القضاء ولكنه لم يلغ الإرادة الإنسانية ، وإنما اعترف لها بشىء من الحق واعترف لها بأنها إن لم تستطع تغيير مجرى القضاء ، فإنها تستطيع أن تقاوم هذا القضاء مقاومة ما ...

صور لنا سوفوكل صراعاً بين القضاء وبين الإرادة وأظهر لنا الإنسان وقد غلبه القضاء . ولكنه لم يغلبه فى سهولة ويسر . وإنما غلبه بعد أن قاومه الإنسان مقاومة عنيفة متصلة ، بالغة أقصى ما يمكن أن تبلغ من القوة والعنف ... »

ثم يمضى الدكتور طه مبيناً تصور أندريه جيد لنفس المشكلة :

« يصور لنا أوديب مصارعاً للقضاء يغلبه القضاء أولا . ثم مؤمناً بنفسه ممتزاً بإرادته وينتصر على القضاء آخر الأمر ... أوديب عنده رمز للانسان الذى لا يؤمن إلا بنفسه وبإرادته ، قد قبل سعادته راضياً عنها ، وهو يقبل شقاءه راضياً عنه ، وهو مطمئن كل الاطمئنان إلى أن الرجل الحق هو الذى يتلقى الحياة صامداً لها راضياً عنها ، متنبها بخيرها عن ثقة وعلم أيضاً ، لايشكو ولا يتزعزع ، فهنالك سؤال واحد يلقى دائماً على كل إنسان ليس له إلا جواب واحد . أما السؤال فهو : ما اللغز وكيف يحل لغز الحياة الإنسانية ؟ وأما الجواب فهو : أن اللغز هو الإنسان ، وحله : هو أن يمضى الإنسان تبعاً لإرادته ، وفق عواطفه وشعوره وغرائزه وعقله .

هذه هى القصة التى كتبها أندريه جيد وهى كما ترون تمعن فى الفلسفة ، وتبعد عن العناية الفنية » .

(الاسكندرية) عبد المنعم المليجى

---

(١) نقلا عن محاضرته فى نادى الخريجين المصرى سنة ١٩٤٩ « الملك أوديب فى الآداب المختلفة »

عبقرية محمد على الكبير

للأستاذ كمال السيد درويش

« حقاً لقد كان عبقرياً ! »

هتفتُ بهذه العبارة من أعماق قلبي ونطق بها لساني بعد أن ملك الإعجاب نفسي . كان ذلك بعد أن انتهيت من قراءة بعض صفحات تاريخه الخالد بمناسبة ذكراه .

قلبت تلك الصفحات ، فاستوقف نظرى ذلك الحوار الذى دار بين محمد على وبين بُركارت الرحالة السويسرى . كان الرحالة قد اعتنق الإسلام وتسمى بالشيخ ابراهيم وأطلق لحيته حتى يتسنى له الاختلاط التام بالمسلمين . وكان محمد على قد سافر بنفسه — كما هو معروف — إلى بلاد العرب على رأس حملة عسكرية لمساعدة نجله فى قتال الوهابيين . ويصل الشيخ إبراهيم إلى الحجاز فى ذلك الحين ليؤدى فريضة الحج مع المسلمين ويدون ذلك كله فى كتابه المشهور .

ويستدعى الباشا الرحالة — وقد علم بوجوده — ما السر فى حضوره إلى الحجاز ؟ وفى ذلك الحين بالذات ؟ ألا يحتمل أن يكون جاسوساً انجليزياً ؟ دارت هذه الأفكار فى ذهن الباشا فالتفت إلى بركارت وهو يقول مداعباً : ألا ترى منى يا شيخ ابراهيم أن اللحية وحدها لا تكفى لجعل الإنسان مسلماً حقيقياً ؟ وحين يحجم الرحالة بين ذلك عن تكرار الزيارات لأن الباشا يشك فى أمره — كما فهم — يقول محمد على لترجمانه : اخبره أنى أرحب به سواء كان مسلماً أو غير مسلم .

وتتعدد المقابلات بينهما ...

ويستفسر محمد على منه عن أسفاره السابقة إلى بلاد النوبة ، ثم يتدرج إلى السؤال عن المماليك ومدى قوتهم وعن رأيه فى عدد القوة التى تكفى للقضاء عليهم ، وأفضل الطرق للوصول إلى السودان وعن المال اللازم لإعدادها .

وتصل إليهما فى ذلك الحين الأخبار بهزيمة نابليون وبدخول الحلفاء باريس وبإبعاد نابليون إلى جزيرة إلبا ، ويسأله الرحالة عن رأيه فى تلك الحوادث ، ويعلق محمد على بقوله : إن نابليون كان جباناً فى سلوكه . كان يجدر به أن يلقى حتفه فى الميدان بدلا من الاستسلام للذل والهوان وللحبس فى هذا القفص حتى غدا أضحوكة العالم بأسره . ثم يلتمس محمد على لنابليون العذر فيقول : لقد كان أعوانه خونة كالعثمانيين . لقد تخلى عنه أعوانه الممتازون وقواده المشهورون من يدينون له بالفضل والشهرة والجاه ، فهو ضحية خيانة الأصدقاء قبل أن يكون ضحية الأعداء !

ويروى الرحالة أن الباشا كان شديد الشوق لمعرفة أثر التطورات الأخيرة فى حوادث أوروبا على العلاقة بين روسيا وبريطانيا وفى نيات الأخيرة نحو مصر . وحين حاول الرحالة إزالة مخاوف محمد على وشكوكه من جانب انجلترا وإقناعه بسلامة نيتها نحو الدولة العثمانية ونحو مصر بالذات أبى الباشا أن يستجيب له ، وهز رأسه فى إنكار وهو يقول : إن السمكة الكبيرة تأكل السمكة الصغيرة ؛ ومصر ضرورية لانجلترا ، فكيف أطمئن على نياتها نحو مصر ؟ أنا لا أخاف من السلطان ، فأنا أعرف كيف أتفوق عليه فى المكر والدهاء ، ولكنى أخشى على مصر من انجلترا وأطماعها .

ولاحظ بركارت فى لهجة محمد على حماس الشاب الولهان ، وغيرته على زوجه الصغيرة الحسناء من الغرباء ، بالرغم من تأكده من حبها وإخلاصها .

عند ذلك يرد محمد على على محدثه وهو يقول فى حماس شديد كلمته الخالدة : « حقاً أنا أحب مصر ، أحبها حب العاشق المتيم الولهان ، ولو كنت أملك سوى روحى عشرة آلاف أخرى ، لضحيت بها فى سبيلها » .

أفلا يحق للقارئ — وقد انتهى من هذا الحديث الخالد — أن يهتف من أعماق قلبه : « حقاً ، لقد كان رجلا عبقرياً ؟ »

كان وهو يحارب الوهابيين فى بلاد العرب يفكر فى مصر وفى أهلها ، وفى علاقتهم بولده إبراهيم وقد تركه حاكما عليهم ، فيسأله الرحالة عن مدى حب الأهالى لولده وعن رأيهم فيه ؟ ألم يكن بهذا أول حاكم يبنى علاقة الحاكم بالمحكوم على أساس متين من المحبة الصادقة ؟ فى الوقت الذى كان فيه الاستبداد من الأصول

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو دلامــة

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

— ٣ —

عرف أبو دلامة بخل المنصـور ، وأنه لن ينال منه العطاء إلا بعد تعب طويل ، فـكان ينتهز الفرصـة في إرضائه بما يعلم أنه يستريح إلى سماعه . فهو مثلا يعرف أن المنصـور — بعد قتله أبا مسلم الخرساني — كان يحب من الناس أن يبرروا عمله ويعتبروا أبا مسلم مستحقاً لتلك المأساة التي ختمت بهـا حياته ، فلينتهز أبو دلامة هـــذه الفرصة ولينشد المنصور في محفل من الناس :

أبا مســـلم خوفتنى القتل فانتحى
عليك بما خوفتنى الأسد الوردُ

أبا مسلم ما غــــير الله نعمةً على عبـده حتى يغيرها العبد

وإنك لتجد فى هذين البيتين قوة فى السبك تشعرك بأن أبا دلامة لم يكن فى القصيد شيئاً يستهان به أو يستخف بوزنه . لذلك سر المنصور بهذه القصيدة وقال لأبى دلامة : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم . فأمر له بهـا : فلما خلا به قال له مازحاً : إيه ! أما والله لو تعديتها لقتلتك ! (١)

بل لقد أعطاه المنصور داراً و كسوة لإعجابه بقصيدة وصف له فيها سوء حاله وقلة ماله وجوع أهله ، ومدحه فيها وأثنى على بنى العباس واسمع إذا شئت هذه القصيدة :

هاتيك والدتى عجـــوز همةٌ (٢)
مثـل البليلة دِرعها فى المِشجب (٣)

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٣٥

(٢) الهمة : العجوز الفانية .

(٣) المشجب (ومثله الشجاب) خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر . يريد أن أمه فنيت حتى أشبهت خشبات المشجب .

المرعية لدى الحـكام والمحكومين ؟

ألم يتابع — وهو فى عزلته — تطور الحوادث العالمية مقدراً ما سيكون لها من أثر على مستقبل مصر ؟ ألم يدرك بثاقب فكره وحسن تقديره ، ونفاذ بصيرته ، حقيقة العلاقة بين انجلترا ومصر؟ وأن واجب مصر يحتم عليها الأخذ بأسباب القوة حتى لا تلتهمها تلك السمكة الـكبيرة ؟

ولقد فعل فلم تـكشف انجلترا عن نواياها ، حتى إذا تركنا الأخذ بأسباب القوة ، وتنكبنا الطريق التى رسمها ، هب إعصار الإنجليز ، فاكتسح استقلالنا ، ومسخ قوميتنا ، وشوه تاريخنا ؟

حقاً ، لقد أيدت الحوادث صدق نظر محمـد على وسذاجة الرحالة السويسرى !

وهكذا تفتحت عبقرية محمد على الـكبير وهو بعد لمـا يزل والياً صغيراً !

لقـد أحب مصر لدرجة العشق والهيام ، وتمنى أن لو كان لديه أ كثر من روح واحدة حتى يقدم الآلاف فى سبيلها .

ولقد ضحى فعلا بأبنائه بإسماعيل وبطوسون وبإبراهيم ، وأخيراً بروحه هو نفسه .

وهكذا أعطى مصر أ كثر مما أعطته ، ومنحها أ كثر مما منحته وأصبح اسمه علماً على نهضتها وعظمتها فى تاريخها الحديث .

لقد أخلص محمد على فى حبه لمصر لمشوقته الحسناء ، وفتاته الهيفاء ، حتى الرمق الأخير ...

فلا عجب إذا احتفلت قلوب المصريين بذكرى المؤسس الأول الخالد فى سجل الخالدين وهى تهتف بلسان واحد :

حقاً لقد كان عبقرياً !

كمال السيد درويش

مدرس بالرمل الثانوية — اسكندرية

ليسانسيه الآداب بامتياز ودبلوم معهد التربية العالى

وعضو الجمعية التاريخية لخريجى جامعة فاروق

مهزولة اللَّحيين(١) من يرها يقلْ   أبصرتُ غولاً أو خيالَ القُطرب(٢)

ما إن تركتُ لها ولا لابن لها   مالاً يؤمل غير بَكْرٍ أجرب

ودجانجاً خمساً يُرحن إليهمُ   لما يبضن، وغيرَ عَيْرٍ(٣) مغرب

كتبوا إليَّ صحيفة مطبوعة(٤)   جعلوا عليهـا طينة كالعقرب

فعلمت إن الشر عند فكاكها   ففككتها عن مثل ريح الجورب

وإذا شبيه بالأفاعى رُقشتْ   يوعدننى بتلمُّظ وتثوّب

يشكون أن الجوع أهلك بعضهم   زَرَباً(٥) فهل لك فى عيال زُرَّب

لا يسألونك غـير طل سحابة   تغشاهمُ من سيلك المتحلب

يا باذل الخيرات يابن بذولهـا   وابن الكرام وكلِّ قرم منجب

أنتم بنو العباس يُعلَم أنكم   قدماً فوارسُ كل يوم أشهب

أحلاس(٦) خيل الله وهى مغيرة   يخرجن من خَـلَل الغبار الأكهب(٧)

وكانت الدار التى أعطاها المنصور أبا دلامة قريبة من قصره، فأمر بأن تزاد فى قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها. فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله:

يابن عم النبى دعوة شيخ   قد دنا هدم داره ودمارُهْ

فهو كالماخض التى اعتادها الطلـ   ق فقرَّت وما يقر قراره

إن تحزْ عسره بكفيك يوماً   فبكفيك عسره ويساره

أو تدَعــه فللبوار وأنى   ولمـاذا وأنت حى بواره ؟

هل يخاف الهلاك شاعرُ قوم   قدُمتْ فى مديحهم أشعارُه ؟

لكم الأرض كلها فأعيروا   شيخكم ما احتوى عليه جداره

فكأنْ قد مضى وخلّف فيكم   ما أعرتم وأقفرت منه داره

فاستعبر المنصور، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله.(٨)

ولو لم يتأثر بمعانى الشعر أبو جعفر، لما دمعت عيناه فاستعبر ولما عوض عليه تلك الدار بأحسن منها وطيب خاطره وأجزل صلته مع علمه بأنه أكثر إجادة للتمثيل منه لوصف حقيقة حاله. وانظر إلى تمثيل أبى دلامة واستخدامه الأساليب التى ترقق من قلب المنصور تارة، وتضحكه حتى تبدو نواجذه تارة أخرى، يوم دخل عليه فأنشده قصيدته التى يقول فيها:

إن الخليط أجـدَّ البَيْنَ فانتجعوا(١)   وزوَّدوك خبـالاً بئس ما صنعوا

والله يعلم أن كادت لبينهمُ   يوم الفراق حصاة القلب تنصدع

عجبتُ من صبيتى يوماً وأمهمُ   أمِّ الدلامة لما هاجها الجزَع

لا بارك الله فيها من منبهة   هبت تلوم عيالى بعد ما هجعوا

ونحن مشتبهو الألوان أوجهنا   سُودٌ قباح وفى أسمائنا شَنع

أذابك الجوع مذ صارت عيالتنا   على الخليفة منه الرِّىُّ والشبع(٢)

لا والذى يا أمير المؤمنين قضى   لك الخلافةَ فى أسبابها الرِّفع

ما زلت أخلصها كسبى فتأكله   دونى ودون عيالى ثم تضطجع

شوهاء مشنأةٌ فى بطنها ثجَلٌ   وفى المفاصل من أوصالها فدع(٣)

ذكرتُها بكتاب الله حرمتنا   ولم تكن بكتاب الله تنتفع

فاخرنطمت(٤) ثم قالت وهى مغضبة   أأنت تتلو كتاب الله يا لُكَعُ

أخرجْ لتبغ لنا مالاً ومزرعة   كما لجيراننا مال ومزدَرَعٌ

واخدع خليفتنا عنهـا بمسألة   إن الخليفة للسؤال ينخدع

ولقد انخدع أبو جعفر حقاً بهذه المسألة فإنه ضحك ثم قال: أرضوها عنى واكتبوا له بمائتى جريب عامرة ومائتى جريب غامرة فقال له: أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة

---

(١) اللحى عظم الحنك وهو الذى عليه الأسنان.
(٢) القطرب هنا: ذكر الغيلان أو الصغير من الجن.
(٣) العير: (بالفتح) الحمار. والمغرب: الذى اشتد بياضه حتى تبيض محاجره وأرفاغه. (٤) مطبوعة: مختومه
(٥) الزرب ضيق العيش (٦) أحلاس الخيل هنا: الملازمون ظهورها (٧) الكهبة: غبرة مشربة سواداً.
(٨) الأغانى ج ١٠ ص ٢٥٩

(١) راعى فى ضمير الخليط اللفظ فأفرد (أجد البين) والمعنى لجمع (انتجعوا) وهذا جائز لغة على حد قوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنوره) أى كمثلهم كمثل الفريق الذى ... والفريق كالخليط كلاهما من الأسماء التى يدل معناها على الجمع
(٢) ويروى هذا البيت:
إذا تشكت إلى الجوع قلت لها   ما هاج جوعك إلا الرى والشبع
وما رويناه أجود.
(٣) الثجل: عظم البطن واسترخاؤه. والفدع: الاعوجاج
(٤) إخطرنطمت: رفعت رأسها واستكبرت

فيما بين الحيرة والنجف ، وإن شئت زدتك . فضحك وقال : اجعلها كلها عامرة[١]

ولعلك تذكر أن قد مر بك — حول الجريب العامر والجريب الغامر — محاورة شبيهة بهذه بين أبي دلامة والسفاح فلا تسرع إلى اعتبار إحداهما موضوعة ، فكثيراً ما يستطيب اللاحق نكتة للسابق فيتناقلها استمتاعاً بها ورغبة في سماع جواب جديد عليها . وجواب أبي دلامة للمنصور هنا — وإن أشبه جوابه للسفاح — إلا أن الرد الجديد أكثر طرافة . فقد قال هناك : قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد ، ولم يكتف بفيافي بني أسد مع المنصور فقد أبعد الشقة فقال له : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف ، وإن شئت زدتك .

ولأبي دلامة في مسألة المنصور والوصول إلى عطائه أسلوب أدعى إلى الغرابة من كل ما سبق ، فقد تطوع له نفسه تلفيق الرؤيا ، وهو يعلم أنه متهم بالكذب فيطلب من الخليفة تصديقه كأنه يريد أن يشهده على خداعه .

دخل على المنصور يوماً فأنشده :

رأيتك في المنام كسوت جلدى ثياباً جمة وقضيت دَيني
فكان بنفسجيُّ الخز فيها وساجٌ[٢] ناعم فأتم زيني
فصدقْ يا فدتك النفس رؤيا رأتها في المنام كذاك عيني

فأمر له بذلك وقال له : لا تعد أن تتحلم[٣] على ثانية ، فاجعل حلمك أضغاثاً ولا أحققه[٤]

ونديم يجد في نفسه الجرأة على تلفيق الرؤيا إمام الخليفة له من الدلال عليه ما يشفع له ، وإلا لالتمس لنفسه أسلوباً آخر . ونعرف دلال أبي دلامة على المنصور من إعفائه إياه من السواد والقلانس دون الناس : فقد أمر أبو جعفر أصحابه بلبس السواد وقلانسَ طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يعلقوا السيوف في المناطق

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٧

(٢) الساج : الطيلسان الأخضر وقيل الأسود وقيل المقور ينسج كذلك . وفي الأساس : «لبسوا السيجان وهي الطيالسة المدورة الواسعة»

(٣) تحلم فلان : قال حلمت بكذا وهو كاذب

(٤) الأغاني ج ١٠ ص ٢٥١

ويكتبوا على ظهورهم (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) . فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزى فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شر حال ، وجهى في نصفى ، وسيفى في أستى ، وكتاب الله وراء ظهرى ، وقد صبغت بالسواد ثيابى . فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع هذا منك أحد[١] .

وفي هذا يقول أبو دلامة :

وكنا نرجى من إمام زيادة فجاد بطول زاده في القلانس
تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جللت بالبرانس[٢]

فهل كان الخليفة يعفيه من ذلك اللباس من دون الناس لولا دلاله عليه ؟ ...

(يتبع) صبحى إبراهيم الصالح

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٦ . وفي معجم الأدباء ج ١١ ص ١٦٦

(٢) البرانس : جمع برنس قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه منه

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

عتاب وطنى كريم من السودان :

... ...

تحية طيبة وتقديراً عظيماً ، وشكراً على هـذا الأدب الحار الذى تمتعنا به فى « الرسالة » كل أسبوع ...

وبعد ، فقد ذكرت فى كلمتك بعدد « الرسالة » (٨٣٣) تحت عنوان « بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية » كلمات مدحت بها الإنجليز فى حفاظهم على مبـدأ الحرية وتأثرهم بالحياة الديمقراطية الحرية حينما تقارنهم بالأمريكيين أو الروس .

وكاتب هذه السطور يحتقر الشيوعية ، كما يكفر بكل هذه النظم الغربية الفاشلة . أما الذى دعانى إلى الكتابة إليك ، فهو أنى أستكثر جداً ذلك المدح المعمم الذى أضفيته على الإنجليز حينما قلت إنهم « أصحاب ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستثمرها المحكوم ، ويلتقون جميعاً فى رحابها كأكرم ما يلتقى الإنسان الكريم بالإنسان الكريم » ...

إذ كنت تقصد يا سيدى أنهم يسيرون وفق هذا المبدأ فى انجلترا وحدها فهو صحيح ، ولكن الإنجليز لا يستحقون على ذلك كل هذا المدح ، بل يجب أن نقول إنهم أنانيون وغير إنسانيين ، وإنهم لم يؤمنوا بعـد بمبدأ الحرية الذى يجعل الناس سواسية كأسنان المشط مستعمرين أو مستعمَرين . فالإنجليز خارج انجلترا حكام إرهابيون بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، وأظنك قد سمعت بالقنابل التى فتكت بمواطنيك من أبناء الجنوب فى شهر نوفمبر الماضى فى « عطبرة » و « بورسودان » ، وبمئات الجرحى ومئات الذين ضربوا بالعصى المليظة فى « الخرطوم » ، ومئات الذين زجوا فى سجون البلدان الأخرى بالسـودان لشىء بسيط هو أبسط مايسمح به للفرد فى ظل الحكومة الديمقراطية ، هو إعلان الرأى سواء بالكتابة أو الخطابة أو المظاهرة السلمية العزلاء !

وأظنك تسمع بسلسلة المحاكمات الجارية اليوم تحت المادة (١٠٥ من قانون عقوبات السودان) ، لأن فلاناً كتب مقالا ، أو أدلى بتصريح من شأنه أن يسبب كراهية الإنجليز أو حكومة السودان ، وغير ذلك ... فما رأى الأستاذ فى هذه الديمقراطية المزيفة ؟! أقول لن يستطيع الإنجليز أن يحصلوا على مدحك هذا عن جدارة واستحقاق حتى يتساوى المحكوم فى (الخرطوم) بالمحكوم فى (لندن) فى كل الحقوق الديمقراطية ، وحتى يؤمن الإنجليز ببيتى فيلسوف العرب المعرى :

ولو أنى حبيت الخلد فردا ... لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضى ... سحائب ليس تنتظم البلادا

وإنى لفى انتظار ردك الكريم .

(السودان) **ج . ح البشير**

هـذا هو العتاب الوطنى الكريم الذى تلقيته من الجنوب وأشرت إليه فى عدد مضى من « الرسالة » ... إن كلماته الملتهبة بصدق الوطنية وحرارة الإيمان لتهزنى هزاً عنيفاً ، تهزنى لأنها تحمل إلى من أعماق النفوس الأبيـة نفحات ونفحات ، وتنقل إلى من سجل الجهاد النادر سطوراً هى فى حساب الشعور صفحات ... أما العتاب — وإن كنت لا أستحقه — إلا أننى أنزله من نفسى منزل الود الخالص والأخوة المتسامية ، الأخوة التى استروحت أنسام الأرض الطيبة على ضفاف نهر واحد وتحت سماء وطن واحد!

يأخى ، يأخى فى الله والدين والوطن ... إن الأرض التى جمعت بين قلبى وقلبك لتجمع بين جراح وجراح ، وإن النيل الذى ربط بين روحى وروحك ليربط بين كفاح وكفاح ... أنا هنا وأنت هناك ، ويابعد الشقة فى منطق الظلم البغيض ، ويا قربها فى منطق الحب المتغلغل فى طوايا الوجدان ... نحن يأخى فى ميدان الجهاد يد تمد إلى يد ، وفى معرض التضحية قدم تسمى إلى قدم ، وفى مجال الوفاء عاطفة تقبس من عاطفة ... فكيف تعاتبنى على كلمات قلتها فى سياق الحديث عن قوم يؤمنون بالديمقراطية فى أرضهم ، ويكفرون بها فى أرض الناس ؟!

أجل ، ياصديق ، لقد كنت أتحدث عن الإنجليز فى بلادهم ، إنهم هناك أصحاب ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستثمرها المحكوم ، ويلتقون جميعاً فى رحابها كأكرم ما يلتقى الإنسان الكريم بالإنسان الكريم ... حقيقة نسجلها فى اطمئنان ويسجلها

التاريخ ، حتى إذا ما سجلنا النقيض كنا أمناء على الحق سواء أشدنا بالعدل أم أشرنا إلى الظلم والطغيان !

من الحق أن ننعت الإنجليز بأنهم مثاليون فى بلادهم ، مثاليون فى قيم النزاهة ومعايير الخلق وموازين الإنسانية والضمير!

ومن الحق أيضاً أن ننعتهم بأنهم مثاليون فى غير بلادهم ، مثاليون فى الأنانية والجشع ، وضـيمة الضمير والخلق ، وانتفاء العدل والإنصاف . وتلك هى العناوين الضخمة التى يسطر تحتها التاريخ كلماته الخالدة حين يعرض للحكم البريطانى فى أرضه وكل أرض سكنها الأحرار فى كل زمان ومكان !

يأخى ، يأخى فى الله والدين والوطن ... إن الأنشودة الرائعة التى بدأناها فى شمـال الوادى ، أنشودة الجهاد التى انطلقت من قيثارة الأحرار ، قد أذن الله أن ترسل أنغامها فى جنوبه . وكل نغم إلى فناء ، وكل نار إلى رماد ، وكل ذكرى إلى نسيان ... ولـكن أنغامنا ستظل إلى الأبد ترن فى مسمع الزمن ، ولـكن نارنا ستظل إلى الأبد تضئ الطريق للسالـكين ، ولـكن ذكرانا ستظل إلى الأبد قصة تروى وعطراً يفوح !

ولا عليـك يأخى من تلك القيود ... إن معدنها الرخيص سيذوب يوماً تحت وهج النار المتأججة فى حنايا الضلوع !

ولقد قال أبو العلاء ما قال لأنه إنسـان ، ولـكن أين من يستمع لنداء الإنسانية وقانون السماء ؟ ألا ليت الطغاة قد جعلوا شعار حكمهم هذه الـكلمات التى انطلقت من أعماق بطل الحرية إبراهام لنـكولن : « إن ضـوء الشمس لا يفرق فى يد الله بين أحرار وعبيد ، فلم يفرق ضوء الحرية فى أيدينا بين أنصار وخصوم »! ومع ذلك فنسير يوماً جنباً إلى جنب ، وقلباً إلى قلب ، وعيوننا أبداً إلى الأفق البعيد !

ضجة أدبية حول كتاب لأرتير رامبو :

أرتير رامبو شاعر من شعراء الرمزية فى الأدب الفرنسى توفى فى أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٩١ ... ولقد كان رامبو صديقاً حميماً لشاعر الرمزية الأول بول ڤرلين ، حتى لقـد تعرضت تلك الصداقة الوطيدة لتجريح بعض النقاد من ناحية السلوك الأخلاقى!

ونترك هذه الناحية الشائـكة لنقول إن إحدى دور النشر الـكبرى فى باريس قد أعلنت فى الأيام الأخيرة عن حصولها على مجموعة شعرية لرامبو ، وأنها على أهبة طبعها لتـكون بين أيدى القراء ... ولقد كان معروفاً أن هناك أديباً فرنسياً كبيراً يمتلك هذه المجموعة التى كتبها رامبو بخط يده وتركها بعد موته دون أن تأخذ طريقها إلى المطبعة . ومن هنا أحدث الخبر ضجة كبرى فى الأوساط الأدبية الفرنسـية ، حتى لقد تهافت المعجبون بفن رامبو على ألوف النسخ المطبوعة فنفذت فى مدى يومين !

أما النقاد الفرنسيون ، فقد استقبلوا الـكتاب بحفاوة بالغة دفعت أحدهم وهو « باسكال بيا » إلى أن يكتب عنه كلمة مستفيضة رفع فيها شـعر رامبو إلى القمة من الأدب الفرنسى الحديث ... وحين فرغ الـكاتب الفرنسى الـكبير « فرانسوا مورياك » عضو الأكاديمية الفرنسية من مطالعة المجموعة تناول قلمه ليكتب مقالا يصب فيه إعجابه البالغ بفن رامبو، ذلك الإعجاب الذى فجر الدموع فى عينيه وهو ينصت لهمسات الشاعر فى كل قصيدة من قصائده! وفى الوقت الذى هم فيه مورياك بأن يبعث بمقاله إلى جريدة « الفيجارو » أذاع أحد الـكتاب الفرنسيين وهو « بيير بريسون » خبراً فحواه أن هناك خدعة كبرى وقعت فيها « المار كيردى فرانس » حين أقدمت على نشر كتاب لا يمت إلى الشاعر الفرنسى بصلة من الصلات ، مؤكداً أن النسخة الخطية التى طبعت لم يكتبها رامبو وإنما كتبها شابان عابثان يسعيان إلى جمع المال عن طريق غير شريف ! واهتزت الأوساط الأدبية الفرنسية تحت وقع الخبر ، وبخاصة حين أعلن الـكاتب السريالى الـكبير « أندريه بريتون » أن النسـخة الخطية التى كتبها رامبو بين يديه ، وأن تلك التى نشرت ما هى إلا تقليد بارع ! وانقلبت الضجة إلى خصومة عنيفة انقسم بسببها الأدباء الفرنسيون إلى فريقين : فريق ينتصر لباسكال بيا وفرانسوا مورياك حين يزعمان أن التقليد لا يمكن أن يسمو إلى مثل هذا الأداء الفنى الرفيع ، وفريق آخر ينتصر لأندريه بريتون وبيير بريسون حين يؤكدان أن الأمر لم يكن إلا خدعة نسجت خيوطها بمهارة !

وأخيراً انتهت الخصومة المنيفة إلى مهزلة ليس لها نظير ... لقد اعترف الأديبان الناشئان بفعلتهما الجريئة ، ذاهبين إلى أنهما لم يهدفا إلى الحصول على المـال عن طريق غير شريف ، ولـكن هدفهما هو أن يحصلا على شهرة أدبية لا يستطيعان أن يصلا إليها عن طريق إسمين غير معروفين ، ولقد دانت لهما تلك الشهرة عن جدارة أيدهما بقلبه وقلمه عضو من أعضاء الأكاديمية الفرنسية ... هو فرانسوا مورياك !

قصة فريدة نهديها إلى أدبائنا الناشئين ممن تعرض عن إنتاجهم دور النشر وتوصد المجلات الأدبية أبوابها فى وجوههم .. نهديها إليهم لندلهم على أقصر طريق يصـلون منه إلى الشهرة الأدبية وقلوب الناشرين !!

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

رسالتان من « العراق » وكلتاهما من « بغداد » ، أما الأولى فمن الأديب الفاضل عمر عيسى السامرائى بمعهد التربية البدنية وبها سؤال عن بعض ماجاء بكتاب « على هامش السيرة » من آراء متناقضة للدكتور طه حسين ، وأما الثـانية فمن الأديب الفاضل إسماعيل محمد السامرائى وبها سؤال آخر عن بعض ماجاء بمسرحية « شهر زاد » من فلسفة لفظية تخـالف منطق الواقع للاستاذ توفيق الحكيم ، وسأجيب عن السؤالين فى العدد القادم من « الرسالة » . وهذه هى الرسالة الثالثة من « عمان — شرق الأردن » تحمل إلى معلومات طريفة صبت فى قالب من التهكم اللاذع على ذلك القصاص العامى النابغ الذى قلت عنه إنه درس فن القصة فى كتاب القرية ، ولقد كنت أود أن أثبت هذا التهكم غير أنى تذكرت أن المقصود به أهون من أن يشار إليه بأى لون من ألوان الذكر ، ولذا أعتذر للاديب الأردنى الفاضل أحمد عزيز بيتوغن شاكراً له كريم تقديره . والرسالة الرابعة من « المحرق — البحرين » أشـكر لمرسلها الأديب الفاضل مبارك راشد الخاطر حسن ظنه ، وأجيبه بأن رأيى فى شـعره هو أن أداءه اللفظى لا بأس به وأن كل ما ينقصه هو العناية بالأداء النفسى ، وتلك ناحية سأعرض لها بالنقد والتحليل فى عدد مقبل من « الرسالة » تحت عنوان «الأداء النفسى فى شعر المهجر » . والرسالة الخامسة من « عدن » يأخذ على فيها الأديب الفاضل على باذيب ذلك الرأى الذى سبق أن أبديت فيه إعراضى عن إخراج كتاب مادام الجمهور القارئ معرضاً عن شراء الـكتب ، يا صديقى أنا شاكر لك ثناءك العاطر وثقتك الغالية ، أما الإعراض عن التأليف فهو إلى حين ، وليس بمستبعد أن تنتهى أزمة القراء ويتجدد الأمل !

وأنتقل بعد ذلك إلى الرسالة السادسة وهى من « عطبرة — سودان » لأقول لصاحبها الأديب الفاضل مكرم سعيد إننى مقدر له هذا الشعور النبيل المتدفق من كلمـاته ، ولست أملك إلا أن أستجيب لرغبته فى الأيام المقبلة . وإلى الرسالة السابعة وهى من « الخرطوم — سودان » أيضاً لأقدم خالص امتنانى للأديب الفاضل عبد الرحيم محمد أحمد على تحيته الصـادقة ، ولأجيبه عن رغبته فى أن أخص الأدب السودانى بشىء من العناية بأنه يوسفنى حد الأسف ألا يكون بين يدى من نصوص هذا الأدب ما يمكننى من الـكتابة عنه ، وحبذا لو بعث إلى كتاب السودان وشعراؤه بإنتاجهم الأدبى مطبوعاً لأقوم بدراسته وتقديمه إلى القراء . أما الرسالة الثامنة فمن الأديب الفاضـل عبد الرحمن السياسى بهيئة الإذاعة البريطانية « بالخرطوم — سـودان » ، وفيها يرد على الأستاذ محمد غنيم بمناسبة تخطئته لى حين قلت « لم أكن أعرف » مستشهداً بالآية الـكريمة من سورة المدثر « ولم نك نطعم المسكين » إن تعقيبى على هذه اللفتة الموفقة بعد خالص الإعجاب هو أن الأستاذ غنيم معذور لأنه « لم يكن يعرف » : أن التعبير صحيح لا غبار عليه

وتبقى بعد ذلك أربع رسائل مصرية ... الأولى من الأديب الفاضل السيد على الشوربجى الطالب بكلية الحقوق ، وفيها يناقشنى نقاشاً طويلا حول الـكلمة التى كتبتها عن أبى العلاء ، يا صديقى أرجو أن تعود مرة أخرى إلى ما كتبت لأن هناك بعض معان قد خفيت عليك ولعلها تنكشف لك بعد التأمل والمراجعة . والثانية حول أبى العلاء أيضاً وهى من جندى فاضل بالجيش المصرى رمز لنفسه بتلك الحروف الأولى من اسمه (م . ف . ا) ... أنا شـديد الإعجاب بأن يكون بين جنودنا البواسل من يقرأ « الرسـالة » ويعشق الأدب ، ويغوص بفـكره فيما كتبت عن أبى العلاء ، ويخاطبنى بقوله « سيدى طبيب الأدب ، أنا مؤمن بما جئت به عن الحرمان النفسى والجسدى عند أبى العلاء ، ولـكن ما ذا تقصد بالحرمان القلبى حين قلت إن قلب أبى العلاء كان يشكو الحرمان من العاطفة مع أن هذا القلب كان عامراً بالعاطفة الانسـانية » ؟ ... عزيزى أديب الجيش ، أنا أقصد العاطفة الأنثوية لا العاطفة الانسانية ؛ تلك التى تنسب إلى المرأة وكان يمكن أن تملأ بعض الفراغ فى حياة أبى العلاء. أما الرسالة الثالثة فمن الأديب الفاضل (م م س) بمعهد أسيوط الدينى ، إن ردى عليه هو أنه يستطيع أن يدرس اللغة الإنجليزية وهو باق فى دراسته الأزهرية ، وذلك عن طريق بعض الدروس الخاصة من أحد المدرسين الأكفاء ، وهذا هو الطريق الوحيد الذى يحقق له ما يصبو إليه . وأنتهى إلى الرسالة الرابعة أو الثانية عشرة والأخيرة لأشكر لمرسلها الأديب الفاضل محمد فتحى سعيد بدمنهور هذا الإخلاص الرائع للمثل العليا الفـكرية ، أما شعره الذى بعث إلى به فأود أن يتعهده بالصقل لأرضى عنه فى المستقبل القريب .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

لسنا أوربيين ولا حالمين :

كتب الأستاذ إبراهيم المصرى فى العدد الأخير من « أخبار اليوم » حديثاً جرى فى مجلس حضره ، بين رجل أجنبي يستوطن مصر وبين شاب مصرى جامعى . حمل الرجل الأجنبي على الثقافة الشرقية ، واتهم العقل الشرقى بالهوس الديني والتواكل القدرى والتجرد المطلق من الروح العملية ، وزعم أن العلم المادى التجريبي كما تفهمه الحضارة الحديثة دخيل على العقل الشرقى المولع منذ القدم بالأخيلة الدينية .

وقد رد عليه الشاب الجامعى بالتفرقة بين الشرق الإسلامى وبين الشرق الأقصى والعقائد الأسيوية التى تنفر من الحياة وتحتقر العمل وتنادى بخنق الرغبات البشرية ، وقال الشاب إن الحضارة الإسلامية استمدت قواها من الغرب أكثر مما استمدتها من الشرق ، فالعلم العربى مدين للاغريق أكثر مما هو مدين للهند أو للصين أو للشرق الأقصى . إلى أن قال : « فالشرق الإسلامى إذن ليس هو الشرق الذى تزعم . ونحن فى الحقيقة لسنا بالشرقيين الأسيويين الحالمين . نحن من الغرب . نحن أوربيون » .

أعجبنى تفريق الشاب بين الشرق الإسلامى وبين الشرق الحالم المغرق فى العقائد البعيدة عن الحياة العملية ، كما أعجبنى إرجاعه التأخر الملحوظ علينا اليوم إلى سياسة الأجنبي المستعمر وسياسة بعض الإقطاعيين من رجالنا . ولكن الشاب لم يعرّف الشرق الإسلامى تعريفاً صحيحاً ، فليس استمدادنا من أوربا بالذى يجعلنا أوربيين ، كما أن أوربا لم تصبح من الشرق الإسلامى لأنها أخذت منه فى بعض العصور . ونحن لسنا بحاجة إلى ثبات اتصالنا بأوربا أو نسبتنا إليها لننفى عن أنفسنا ما نتهم به من الإغراق فى الخيال والبعد عن الحياة المادية وما يسمونه الهوس الدينى . والواقع أن بعض الذى يرموننا به هو الذى ينفى عنا هذه التهم ، وهو النزعة الدينية ، فالدين الإسلامى لم يفصل فى شؤون الحياة بين مادى وروحى يدعو إلى هذا وينهى عن ذاك ، بل هو ينظر إلى الحياة باعتبارها وحدة كاملة ، وليس هو دين عزلة ، بل هو نظام حياة إنسانية وتشريع مجتمع كامل .

والعقلية العربية هى كذلك عقلية عملية ، إلى جانب تمسكها بالقيم الإنسانية والمثل العليا ، فقد كان العربى يصنع الصنم فإذا جاع أكله ، وهذا يدل على العقلية العملية البعيدة عن العقائد الحالمة .

فنحن لسنا من الحالمين ولسنا أوربيين ، وإنما نحن . . . نحن عرب مسلمون ، لم تؤخرنا نزعة دينية ولا فلسفة روحية ، وأنا لم يأخذنى أبداً رنين الكلمة السائرة التى قالها أمين الريحانى وهى : « أنا الشرق عندى فلسفات ، فمن يبيعنى بها دبابات ؟ » فالشرق العربى الإسلامى لم تعقه فلسفات عن دبابات ، وإنما العائق ، كما جاء فى مقال الأستاذ إبراهيم المصرى سياسة الاستعمار والإقطاع ، وبالتخلص من هذين يشترى الشرق العربى الإسلامى الدبابات ، لا بما لديه من فلسفات .

فى مسابقة المجمع اللغوى :

أعلن المجمع اللغوى عن مسابقة فى نقد الشعر العربى من منتصف القرن التاسع عشر إلى اليوم .

فهل يريد المجمع الشعر العربى فى جميع البلاد الناطقة بالضاد الممتدة من المحيط الأطلسى غرباً إلى الخليج الفارسى شرقاً ، ومن جبال طوروس شمالا إلى خط الاستواء جنوباً ، بالإضافة إلى إنتاج الشعراء الذين يقيمون فى أمريكا وأوربا ؟

أرجو التكرم بالإفادة ولكم جزيل الشكر .

محمد سيد كيلانى

رجعت لنص المسابقة وهى مسابقة سنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ فوجدته يتضمن أن يجاز بمائتى جنيه « أحسن بحث فى نقد الشعر العربى فى الفترة التى تبدأ فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر إلى اليوم — ولا ينقد شعر الأحياء » والواقع أنه موضوع مترامى الأطراف ، وهذه الفترة بالذات زاخرة بالإنتاج الشعرى المتنوع

المذاهب والمختلف الألوان، بل هى تشمل الشعر العربى الحديث كله وهـذا الشعر ليس من السهل الحصول عليه أو على نماذج لمذاهبه ومواطنه ، ومناحيه نادرة ، وطرقه متشعبة . وهو الموضوع الذى قررت الجامعة إنشاء كرسى له يسمى باسم « شوقى » ولا تزال حائرة فى اختيار أستاذه . فكيف يوفى ذلك الموضوع فى بحث يقدم فى مثل هـذه المسابقة ؟ إن المجمع ينظم هذه المسابقات لتشجيع الإنتاج الأدبى ، ولكن الأمر يكاد يخرج فى هذا الموضوع إلى التعجيز عن الإنتاج الأدبى ..

لقد حاولت أن أفهم أن المقصود من الموضوع بحث جزئى لا يخرج عن نطاق الفترة المحددة حتى يكون معقولا ، ولكنى رأيت النص لا يساعد على هذا الفهم ، ولو كان هذا هو المراد لما أعيا بيانه لجنة الأدب بالمجمع .

المرأة :

تعيش فاطمة مع أبيها المقعد فى الاسكندرية . يتهدم المنزل الذى يقطنانه وهى فى المدرسة ، فيذهب بأبيها ولا عائل لها سواه ، فتتوجه إلى القاهرة حيث أمها متزوجة من رجل آخر . يرحب بهـا زوج أمها ويتودد إليها تودداً مريباً ، ولما تقف على حقيقة نواياه تغادر منزله ليلا ، وتنقذها الحاجة محروسة من يد الشرطى الذى اشتبه فيها ، وتأخذها إلى منزلهـا وتكرمها . والحاجة محروسة هى « ملكة البسبوسة » التى تبيع هذا الصنف من الطعام وأمثاله لعمال مصانع الزجاج الأهلية . تعيش فاطمة فى منزل الحاجة محروسة الملاصق لمنزل يسكنه أخوان من عمال المصانع هما محمود وفريد ، يشاهد كل منهما فاطمة وهى تغنى فى نافذة مقابلة لنافذتهما ، فيحاول كل منهما أن يظفر بها ، يخطبها فريد من الحاجة محروسة ، ولكنها تحب محموداً . ولما يعلم محمود بالخطبة يحزن ويذهب إلى مرقص ليتسلى هناك ، وتأتى إليه نجمة الراقصة ويشربان معاً ، وتوصله إلى منزله وهو ثمل ، ويراها عنده أخوه فريد ، ويدور حديث بين الأخوين يقول فيه فريد لمحمود إنه تنازل له عن فاطمة لما عرف أنها لا تحبه ولم يكن فريد صادقاً فى ذلك وإنما كان يدبر أمراً ، اتفق مع نجمة الراقصة على أن تذهب إلى أخيه محمود بحيث تراها عنده فاطمة . ويظل الأخوان يتنازعان إلى أن ينتهز فريد فرصة صعود أخيه على آلة عالية فى المصنع فيعبث بأسفلها حتى يسقطه ، وينقل محمود إلى المستشفى ، وتذهب

كشكول الأسبوع

□ جاء فى مجلة المصور أن خليل مطران أول من دعا إلى إقامة أول حفلة تأبين وأول حفلة تكريم فى مصر ، وكان ذلك فى تأبين البارودى فى اليوم الأربعين من وفاته ، وفى تكريم الشيخ سلامة حجازى . ومما يؤسف له أن أحداً لم يفكر فى إقامة حفلة لتأبين مطران وقد مضى على وفاته أكثر من أربعين يوماً ، فأين الذين كانوا يقيمون له حفلات التكريم فى حياته ؟

□ ظهر « البلاغ » مساء الخميس الماضى وعلى رأس صفحته الأولى العنوان التالى بالثلث : « بريطانيا وأمريكا تؤيدان رفع الحظر على إصدار السلاح إلى الشرق الأدنى لأنه أصبح غير ذات موضوع » ويخيل إلى أن المحرر الذي اقتبس « غير ذات موضوع » من تعبير لطفى السيد باشا عن المعاهدة ، مزهو ببراعته فى هـذا الاقتباس من المؤنث للمذكر دون تغيير !

□ من أنباء (روتر) بباريس أن السيد مصباح صلاح نائب رئيس المجلس الجزائرى أعلن أنه يدعو فرحات عباس محرر صحيفة الجمهورية الجزائرية إلى المبارزة لأن مقالة بالصحيفة تضمنت طعناً فيه .

وأذكر بهذه المناسبة ما حدث بمصر منذ شهور فى مبارزة السيف العالمية ، إذ تقدم اللاعب الإيطالى الفائز من اللاعب الفرنسى المنهزم ليصافحه ، فصفع الثانى الأول . ولم يذع نبأ هذا الحادث إذ ذاك لا روتر ولا غير روتر .

□ نشرت « آخر لحظة » أن محمد محمود خليل بك رئيس جمعية محبى الفنون الجميلة فى مصر ، عهد إلى خمسة من المثالين الفرنسيين أن يصنع كل منهم تمثالا لمحمد على باشا الكبير ، على أن يختار أحسن التماثيل الخمسة ليوضع فى ميدان محمد على بالقاهرة ، ويأخذ كل من المثالين أجره من الحكومة المصرية سواء اختير تمثاله أم لا . وهى مجاملة مؤسفة على حساب الممول المصرى والفن المصرى .

□ أهم المعروضات الفنية التى أخذت من مصر لعرضها فى « معرض مصر — فرنسا » من الآثار الفرعونية ، وهذه ليست فى حاجة إلى دعاية ، فقد شبعنا من تنويه الأجانب بها ، أما الجدير بالاهتمام فى هذا المجال فهو الأعمال الفنية المصرية الحديثة .

□ تفتتح الإذاعة العربية الباكستانية يوم ١٤ أغسطس الحالى ، وهو يوم عيد استقلال الباكستان ، وقد أعد له برنامج حافل يحتوى على كثير من المسجلات فى مصر

□ رأت رابطة الأدباء من الإنسانية أن تريح الناس من محاضراتها فى هذا الحر ، عملا باقتراح وكيلها الأستاذ مبارك إبراهيم .

□ تذيع محطة الشرق الأدنى فى برنامج المرأة ، مختارات مقتطفة من كتاب جديد مرتين فى الشهر .

□ تناقلت الصحف والمجلات المصرية فى هذا الأسبوع ، أن كاتبين يابانيين سيقومان برحلة فى الشتاء القادم إلى الشرق العربى ، ومن أغراضهما اختيار بعض المؤلفات المصرية الحديثة لترجمتها إلى اليابانية ونحن بدورنا ننقل هذا الخبر ، والعهدة على الأصل .

إليه نجمة الراقصة ، فتدرك من حديثه إليها أن أخاه هو الذى دبر إسقاطه ، فتصر على إبلاغ (البوليس) ويسممها فريد ، فيلقاها فى ممر بالمستشفى ويطعنها بسكين ، ويفر ثم يقبض عليه . ويشفى محمود وتأتى إليه فاطمة فيخرج بصحبتها من المستشفى مسرورين .

ذلك هو ملخص قصة فلم « المرأة » الذى عرض لأول مرة فى سينما أوبرا بالقاهرة ، والقصة من وضع عبد الفتاح حسن ومحمود السباع ، والأول هو مخرج الفلم ، واشترك الثانى فى التمثيل وهو فى الفلم (فريد) ومثل كمال الشناوى (محمود) وأحلام (فاطمة) وسميحة توفيق (نجمة) ومارى منيب (الحاجة محروسة) .

والقصة كما ترى تدور على نزاع أخوين على امرأة ، وهى قصة عريقة فى القدم ، قصة ابنى آدم هابيل وقابيل . ولننظر كيف عولجت فى هذا الفلم ، ولكن أرانى أمام أمر آخر هو ولا شك أهم من موضوع القصة فى نظر العاملين فى إعداد الأفلام المصرية ، ذلك هو استخدام مميزات فى الممثلين وتطويع الحوادث لإبراز هذه المميزات ، معنا الآن : صوت أحلام ، ووسامة كمال الشناوى وظرف مارى منيب ، ورشاقة سميحة توفيق . أما أحلام (فاطمة) فنراها فى أول الفلم تلميذة فى مدرسة ، فلا بد إذن أن تكون مدرسة موسيقى لتغنى فى (الفصل) أغنية تتضمن التنديد بظلم الرجل للمرأة ، وهى أغنية لا مناسبة لها ، وهى أيضاً تافهة فهى تلخص ظلم الرجل للمرأة فى أنه يريدها عالة عليه ! ثم تقول إنها لا بد أن تطالب بحق الانتخاب ، وهنا تضم أحلام أسفل قبضة يدها اليمنى على كفها اليسرى وتحركها لتغيظ الرجال وإشعارهم بحرقة الفلفل ! وهى حركة غير لائقة ، وهى كذلك بائخة .

وفى أحد المناظر يقال إن فاطمة ذهبت إلى أمها بحلوان ، ثم تظهر فاطمة فى حلوان لا مع أمها ولا فى منزلها بل فى حديقة كبيرة ، وذلك لتغنى أحلام بين الأشجار والأزهار فى حديقة حلوان التى خلت لها ... أرأيت حديقة عامة تخلو لمطربة كى تغنى فيها وحدها .. ؟

وأحلام مغنية ذات صوت جميل ، ولكنها فى الفلم تغنى بطريقة واحدة فى المواقف المختلفة ، ولا ينسجم غناؤها مع الحوادث ، فتشعر كأنها تغنى ريثما يتيسر تتابع المناظر . وقد أجادت تمثيل البنت المسكينة ، وهى تصلح للادوار التى تستحق فيها العطف لا الحب .

أما كمال الشناوى فله نصيب الأسد فى هذا الفلم ، فقد طغى على من معه من الممثلين ، وهو الفتى الأول فيه ، وتسير به القصة على أنه البطل الجميل المحبوب الخير ، وأخوه مكروه لا تستخف البطلة ظله فلا بد أن يكون مرذولا يدبر الأذى حتى يقع فى شر أعماله . قد يقع هـذا فى الحياة وقد لا يقع ، ولـكنه لازم فى أكثر أفلامنا المصرية .

وأما مارى منيب فقد اختيرت « ملـكة للبسبوبة » وملجأ لفاطمة ، ولـكثرة قيامها بمثل هذا الدور فى الأفلام المختلفة أصبحت ذات شخصية تتميز بالظرف الشعبى الأصيل ، وهى كذلك فى هذا الفلم ؛ أما علاقة فاطمة بها فهى عجيبة ... امرأة ترتزق من صنع البسبوبة والـكنافة والمهلبية ، تؤوى فى بيتها فتاة لا عمل لها إلا الغناء فى الشرفة ، كأنها تمدها خاصة لمغازلة محمود إياها وليتنازع عليها الأخوان !

وأما سميحة توفيق فقد قامت بدور الفتاة اللعوب فأجادت فى هذا الدور أكثر من تأديتها لدور الفتاة المحبة المضحية ، فقد كانت متكلفة فى هذا ، كما كانت متكلفة فى الأغنية التى غنتها ، والأغنية نفسها سخيفة ، فهى تغنى لحبيبها فتقول : « يا خرابى عليك ! » وفى هذه الفتاة حيوية وقدرة على التعبير ، ويلمح المشاهد مواهب فيها لم تظهر ، لأنها لم تستغل ، فى هذا الفلم .

وأظهر شىء فى الفلم مجافاته للواقعية ، فحياة العمال ومساكنهم وملابسهم وسائر مظاهرهم لا تقل عن أمثالها فى حياة العمال بأمريكا ! وتصور أن منزل الحاجة محروسة بائعة البسبوسة به أشجار وأزهار تغرد بينها أحلام !

وعهدنا بالمراقص الـكبيرة أن تكون مراداً للاغنياء والوارثين ولـكننا نرى رواد المرقص الفخم فى هذا الفلم ، ومحط أنظار حسانه الفاتنات ، من عمال مصانع الزجاج الأهلية ..

ومن مآخذ القصة أن والد فاطمة بدا فى أول منظر شيخاً ضعيفاً مقعداً ، فهو لا يكسب شيئاً من عمل يزاوله ، ويدل منظره وحالته فى المنزل وأثاثه على معيشة لا بأس بها ، فلا بد أن يكون له إيراد ما ، وتهدم المنزل لا يذهب إلا بالرجل وأثاثه ، ولـكننا نرى ابنته شريدة لا تجد قوتها ، فأين مصادر الإيراد التى كان يستمد منها أبوها ؟

عباس خضر



نعي خليل مطران في جريدة الهدى التي تصدر في نيويورك :

رب القريض وسيد القلم   وفيت قسطك للعلى فنم

هذا البيت الجامع الذي عبر به المطران عن شعور العالم العربي نحو اليازجي يصح فيه .

بل إن الشعور بفقد خليل مطران أوفر شمولا وامتداداً لأن العالم العربي أصبح أعظم اتساعاً بعد أن انتشر أبناء العربية في مشارق الأرض ومغاربها وهم لما يزالون أوفياء بعهد أوطانهم الأولى ، والرعيل الأول منهم شديد التمسك والمفاخرة بوطنه الأم

ومعظم المهاجرين من متكلمي اللغة العربية هم من اللبنانيين . وخليل مطران يمت إليهم بصلة نسب ؛ لأنه رأى النور في ظلال بعلبك : مدينة الشمس ومهبط الوحي العلوي في مسارح الفن والجمال . إلا أن خليلا من الهبات التي جاد بها لبنان على العالم ، فصار لا شاعر القطرين فقط بل شاعر الأقطار العربية . وكان للقطر الشقيق مصر الفضل الأكبر في إفساح المجال لإنماء مواهبه وتجلي عبقريته . فأفضلت مصر بذلك على عالم العروبة بأجمعه .

وقد رأينا من شواهد المنزلة العليا التي يحتلها خليل مطران في عالم العروبة بشتى فروعه ما كان من إجماع الرأي في العالمين : القديم والجديد على تكريمه في ذكرى يوبيله الذهبي الذي وافق الاحتفال به في السنة ١٩٤٧ . ففي مصر جرى الاحتفال الرائع في دار الأوبرا الملكية برعاية جلالة الملك ، وأقيمت في نفس الموعد احتفالات متشابهة في سائر الأقطار العربية ، كما أقيمت حفلة في نيويورك برعاية جريدة الهدى وبحضور الأستاذ إميل زيدان صاحب الهلال ومندوب لجنة التكريم المركزية في القاهرة ، وبمشاركة عدد كبير من رجال الأدب من مقيمين وزائرين ، ومن ساسة العرب وفي مقدمتهم فارس بك الخوري .

وما دمنا قد أكرمنا خليل مطران حياً ، اعترافاً برفيع أدبه وعميم فضله فأحر بنا أن نشارك العالم العربي في تكريم ذكراه برهاناً على شدة شعورنا بألم خسارتنا إياه . وحقاً إن الخسارة بالغة والألم شديد ، وإذ نحن نقوم بواجب الذكرى فإنما نقدم على ذلك عن شعور صميم .

وما هذه بالمرة الأولى التي تنهض بها جريدة الهدى للقيام بالواجب نحو أدباء أفذاذ أفضلوا على عالمنا بما خلفوا فيه من آثار خالدة من نتاج الأدب . وإذا نحن لم نذكرهم جميعاً فنكتفي بالإشارة إلى شوقي وحافظ والبستانيين عبد الله وسليمان الذين كانت حفلة تكريم ذكرى كل منهم مجلى لأبدع نتاج الأدب وأجل مظاهر الشعور الصافي بين المهاجرين .

وقد خاطبنا في أمر الحفلة التأبينية لخليل مطران طائفة من الأدباء فأجمعوا على إقامتها في موعد الأربعين الموافق اليوم العاشر من شهر آب القادم . وكان في طليعة المحبذين الأديب المصري الكبير المقيم بيننا الآن في نيويورك الدكتور أحمد زكي أبوشادي الذي كتب إلينا في الموضوع يقول :

« إن فجيعة العالم العربي في شاعره العبقري النبيل لأعظم من أن تصور . وما الغاية من التأبين إلا الاعتراف بالجميل واستخلاص العظات والدروس الملهمة من حياة مجيدة ، وإذا كانت مصر ولبنان تتنافسان في نسبة الفقيد العزيز إلى ربوعهما فلا مشاحة في أن لبنان — مسقط رأس مطران — أحق برعاية تأبينه وإن كانت مصر قد تصدرت لطبع آثاره ودواوينه » .

وقد تلطف الدكتور أبو شادي بقبول تولي سكرتيرية لجنة حفلة التأبين ، كما كان قد تلطف بتولي عرافة حفلة التكريم التي أقيمت للفقيد في نيويورك منذ سنتين يقيناً بأن علينا جميعاً واجب التآزر والتعاون في تكريم النبوغ في ذويه وقد كان الخليل في الطليعة.

في النقد الأدبي :

تتجه مراقبتنا إلى الناقدين في هذه الآونة ؛ فلم نجد صراحة التنزه عن المهالأة ، فإفاضة الإطراء تفيض على النتاج ما يباعد بينه وبين المؤاخذة ، وإذا كان العمل الأدبي الفذ أساسه « التعبير عن الحياة » ؛ فقد نأى التذوق عن تبيانه على أسلوب قوام مقسط بعيد عن التحامل والدَّخل !

وإن منهج « النقد الأدبي » يقوم على « الفهم ، والأناة ، والإلمام والموازنة » ، لكن أداته لم تعد ذات جلال لانحرافها عن القصد إلى الغاية ؛ فالوساطة قد تغلغلت في حياتنا حتى شملت حاسة الضمير فأبدلته وأثرت في حكمه ، وألفت رقابته التي لها القول

الفصل فى الحكم على الأمور .

وأدب القصة لون بلون « التجربة والخبرة » ؛ لأنه يصور الحياة تصويراً دقيقاً ؛ فينقل المشاهدات فى عبارات تختلف قرباً وبعداً على قدر الملابسة « النفسية » لموضوع القصة .

ورسالة القاصّ يجب أن تلم إلماماً شاملا بمعنى « التجربة » حتى يجيء عمله الفنى صورة حية مشخصة أمام باصرته ، على ألاّ يوغل فى الخيال الجزاف أو الاسترسال المسرف ، استدناء لميول « شعبية » ، أو استثارة لغرائز بدائية .

نقول هذا بعد قراءتنا قصة للرجل الملهم الأستاذ « توفيق الحكيم » ... أسماها « ليلة الزفاف » . وحسبك أن ترى فى العنوان سمة استمالة الغريزة ، لكنك سترى تصويراً لرجل « مثالى » أضفى عليه الخيال الحكيم ما باعد بينه وبين البشرية ، حتى كاد أن يلحقه بالتجريد ، ويدنيه من خلائق النبوة ! وإن تلك الصورة — الوهمية — على ما فيها من تجاف عن الواقع « فى الحياة » ، تدلنا على مدى رغبة القاص فى السمو بالمعانى الروحية ، ومجانبة الماديات ، لكنها فى الوقت نفسه تثير الغريزة الفوارة بالجسدية عن طريق أسلوب العرض القصصى استجابة لميول « الشعبية » التى أشرنا إليها .

ولقد صوّرت لنا صورة « البطلة » أنها تنام على وجهها (كذا !) ثم تحتضن الوسادة . فهل يرضى الفن الرفيع أن يعبر رجل أصيل فى التعبير الأدبى السامى : « وطوقته وضمته .. وإذا هو يجد نفسه فى مكان الوسادة التى اعتادت أن تحتضنها ليلا ! »

كان يمكن للحكيم أن يقول : « ودنت منه ... ثم سبحت روحاهما فى سماء الحب القدسى » ... لكنه تعبير شعبى آثره ، وليس هذا فيما نعتقد الرمز الصادق لما يسمونه « الأدب الواقعى »

« بور سعيد » **أحمد عبد اللطيف بدر**

تعليم اللغة بدراسة الأساليب :

حضرة المحترم الكاتب النابه الأستاذ عباس خضر

قرأت كلمتكم السامية بالرسالة الغراء عن تعليم اللغة بدراسة الأساليب . وقد كنت أرقب من حين إلى حين الكتابة عن هذا الموضوع الحيوى الذى يتصل بقوميتنا وحياتنا إتصالا قوياً .

ولقد راقتنى جداً الإحاطة بالموضوع من جميع أطرافه ، فشفيت نفسى ، وأثلجت صدرى ، غير أنى أحب أن أزداد فهماً لمعرفة استخلاص قواعد اللغة العربية من الأساليب ؛ فإنك مع تعليقك عليها لم تشف غليلى ، وتنقع غلتى ، لأنك أتيت بتفسير من عندك وكان ينبغى لك أن تأتى البيوت من أبوابها ، تسأل حضرات المفتشين عن المراد من تعليم القواعد بالأساليب ؛ لأنى رأيتك تتكلم عن القواعد باعتبار ما كان . حتى أنك قلت : « ولا تزال مناهج المدارس فى اللغة العربية مثقلة بهذا النحو ، وخاصة فى المدارس الابتدائية . فالطفل فى السنة الثانية مكلف أن يعرف الفاعل والمفعول به والمبتدأ والخبر ومطالب بتكوين جمل ... » .

وفاتك أن تعلم أن تلميذ السنة الثانية غير مكلف بمعرفة الفاعل والمفعول به ولا بمعرفة تكوين الجمل ، فقد حذف النحو من منهجه ، وصار يتعلم اللغة بالأساليب من غير استخلاص القواعد

والواقع أن اللغة العربية فى أمر مريج وقلق شديد ، فمناهجها فى تغيير دائم ، فقد يغير المنهج فى العام الدراسى الواحد مرتين أو أكثر — كما حصل فى هذا العام — وبجوارها اللغة الإنجليزية لا تغير مناهجها إلا فى فترات مختلفة متباعدة .

ومنهج اللغة العربية لو اطلعت عليه لوجدته عجيباً غريباً يدعو للسخرية والابتسام ، فالمدرس مكلف — كما تعلم — أن يستخرج القواعد من الأمثلة أو بتعبير أدق من الأساليب ، ولكن الكتب المقررة لا تفيد المطلوب ، ولا المنهج نفسه يعين على الاستخراج والاستنباط .

فتلميذ المدارس الابتدائية حدد له منهج فى اللغة العربية يبدأ بمعرفة المبتدأ والخبر فكيف يستنبط المبتدأ ويعرف أنه اسم وهو لم يعرف الاسم والفعل والحرف ؟ ثم يطالبه المنهج بالمطابقة بين الخبر والمبتدأ وهو لم يعرف علامات الإعراب : الأصلية والفرعية ثم يطالبه بالإعراب والتلميذ قد حماه الله من المعرب والمبنى ، ثم يطالبه بالمطابقة بين الحال وصاحبها والصفة والموصوف ، وهو لم يطالب بمعرفة النكرة والمعرفة ، ليفرق بين الحال والصفة ، إذ الحال ينبغى أن يكون صاحبها معرفة إلى غير ذلك من الأشياء المتناقضة المتمادية ، فليس يكفى أن نقول استخلاص القواعد من الأساليب ونسكت ، بل يجب أن يبين لنا الأستاذ العميد الطريقة فالأبواب المقررة على التلميذ معلقة بين السماء والأرض . لا تستند إلى شيء ، ولا تقف على أساس .

وما تلك الأساليب ؟ أهي أساليب عصرية أم قديمة ؟ فاللغة المصرية الموضوعة أمام التلميذ إما مفتعلة متكلفة وضعها الواضع للصغار وقد خلت من الرونق والبهاء وإما مختارة من شعراء وكتاب كشوقي وحافظ والمنفلوطي ، ولغتهم أعلى من إدراكه ، وإذا كانت الأساليب المشار إليها قديمة فتلك أدهى وأمر ، فأنت أيها الأستاذ في حيرة مني ، فالنحو في المدارس قد بتر بتراً ، والأساليب غير كافية وغير شافية . فماذا نصنع للابقاء على تلك اللغة والمحافظة على رونقها وبهائها ، لقد أبغضنا النحو والإعراب وحيل بين التلميذ والرياضة الذهنية — كما كان يقال — فماذا يقدّم له حتى يجد من نفسه لنفسه دافعاً يدفعه إلى العناية بها ، والتعلق بآدابها ؟

أما أنا فتشائم ؛ لأن إهمال النحو سيعطى للتلميذ فكرة خاطئة بجانب فكرة خاطئة سابقة فهو سيعتقد أن اللغة محفوظات ومطالعة وإنشاء لا بالمعنى الذى نفهمه نحن ، وإنما بالمعنى الذى يفهمه التلميذ ، فأى قصيدة تكفيه ، والمطالعة فيها تسامح ، والإنشاء أى كلام ينفع لأن اللغة العامية لغة عربية ، وصدقنى أن بعض المدرسين لا يتورع من وضع الدرجة على اللغة العامية ما دام المعنى مستقيما . وبجانب ذلك قد تعلم اللغة الأوربية تعلما صحيحاً ودرسها بعناية ، واهتم بها ليله ونهاره ، فهو يتلقاها نقية من العامية ، ويتمرن عليها بجد واجتهاد ، أما اللغة العربية فتأتيه بعاميتها ، ويقبل عليها من غير اهتمام ؛ لأنه سينجح فيها اهتم بها أو لم يهتم ، وهذه نهاية محزنة ، وخطب جسيم يجب أن نتحاشاه فالواجب إذاً أن يوضع المنهج وضعاً جديداً يلائم بين أبواب النحو حتى يفهمها التلميذ فهماً تاماً ونقدم إليه أساليب جيدة تختار بعد تمحيص وتنقيب .

فاليك أيها الأديب الغيور كلمتي راجياً منك أن تعاود الكتابة فى ذلك الموضوع حتى تصل إلى حل يرضى المفتش والمدرس والتلميذ .

السيد حسن قرون
المدرس بسوهاج الابتدائية للبنات

رد على معترض :

قرأت فى العدد (٨٣٣) من الرسالة الزاهرة كلمة فى البريد الأدبى بتوقيع السيد راتب يحيى الشامى . يعترض بها على فقرتين من كلمة سبقت لى فى الرسالة بعنوان « ثلاثة جاهدوا فصدقوا » .

وفيما يتعلق بتبينك الفقرتين أنبه المعترض الكريم إلى أنه حين يدقق النظر فى الكلمة نفسها يجد جواب ما يتساءل عنه فى ثنايا الكلام .

على أن الذى عجبت له أن يعرف هذا السيد (الشامى !) أننى من « الساط من شرق الأردن » ثم لا يعرف إلى جانب هذه الحقيقة — التى لم أنكرها يوماً — أننى مواطن فى فلسطين منذ ما ينيف على الأربعة عشر عاماً أساهم فى التوجيه الثقافى طيلة هذه الفترة من الزمن . ولقد طوفت فى مختلف أنحاء البلاد زائراً أو محاضراً ، فتعرضت إلى النفر المثقف من أبنائها . ولعلى لا أبالغ حين أزعم أن الكثيرين من هذا النفر الطيب يعدوننى فى معارفهم إن لم أكن فى أصدقائهم .

ولقد عجبت أيضاً أن يفوت هذا السيد (الشامى !) — إلى جانب ما عرف — أننى منذ سبع سنوات أحاضر من محطتى القدس والشرق الأدنى ، ثم من محطتى دمشق وبغداد (بعد ذلك) عن الأدب والأدباء فى فلسطين من قديم وحديث ، حتى انتهيت من ذلك كله إلى أن أضع كتاباً بعنوان « الأدب فى فلسطين » وأن أنشر فى مجلة الرسالة الزاهرة ما يزيد على عشرة فصول منه ، دون أن أجد من يعترض على ما كتبته أو حاضرت به من أدباء البلاد وأبنائها !!

ثم لا أدرى أخيراً كيف فاته أن يعلم أن إدارة المعارف الفلسطينية انتدبتنى للعمل فى معاهدها بفضل هذه المواطنة التى أشرت إليها آنفاً .. فهل ترى يا أخى المعترض بعد ذلك كله ؟ «أن معرفتى بجغرافية فلسطين وأهلها (على رأيك) محدودة جداً »

فإن كان (خطبك !) — يا أفادك الله — يقف عند حدود الإشفاق على جغرافية فلسطين (وليس غير ؟) فليفرخ روعك ، ولتعلم أنى ما تحدثت عن مكان إلاوقد وطئته قدماى ، ولا ترجمت لأديب إلا بعد روية وتبصر واطلاع على ما تصل إليه يدى من آثاره . ثم إن الذى نشرته (أو أذعت به) فصول من كتاب ، وأن فى الكتاب ما يفتقده من تتبع تلك الفصول .

ومع ذلك فلن يضيرنى أبداً أن أجد من يأتى بأوفى مما أتيت به ، ويصنع أكمل مما صنعت . فما أنا وذاك إلا خادماً حقيقة ، لا نستوفى عما نصنعه أجراً ، إلا أن يكون من مثل هذا الإعجاب الذى كتمه فؤادك ونم عليه قلمك !

محمد سليم الرشدان



البلاغة العربية فى دور نشأتها

تأليف الدكتور سيد نوفل

بقلم الأستاذ على العمارى

هذا الكتاب يؤرخ الدور الأول للبلاغة العربية ، وقبل أن أتحدث عنه أحب أن أقول إن البلاغة العربية تنوء بظلم فادح ، فكل فن ينال قسطاً غير يسير من عناية العلماء ، وهى وحدها التى ظلت قروناً عديدة تضطرب فى دائرة ضيقة من قواعدها السكاكية ، فدراستها فى معاهد التعليم على اختلاف أنواعها فى مصر وفى غير مصر لا تبعد كثيراً عن هذا المنهج القديم ، والتأليف فيها مشدود إلى هذا المنهج نفسه بأمراس كتان ، حتى الطريقة الأدبية التى عنى بها بعض العلماء ، وخصوصاً قبل عصر السكاكى لا تنال حظها من الدراسة والتأليف ، ولهذا فكل كتاب يؤلف فى علوم البلاغة على نمط جديد نعتبره خدمة جليلة لهذه العلوم ، والكتب المؤلفة فيها محدودة تعد على أصابع اليدين وبعضها لا غناء فيه ، فلا تزال البلاغة العربية مجاهل يسلكها طلاب المعرفة من غير دليل ، ويعتسفون مثانيها ومحانيها على غير هدى ، ولا بد من جهود جبارة ومن عمل دائب ، مع إخلاص وصدق حتى أن تقعد على أسس قويمة خالصة من تلك الشوائب الكثيرة التى تعقد مسائلها ، وتعكر مناهلها .

والكتاب الذى نحن بصدد الحديث عنه عالج شأناً من شئون البلاغة المهمة ، عالج البلاغة فى إبان نشأتها ، وتحدث عنها وهى فى لفائف المهد ، تبارکها أيد قليلة ، وتربت عليها برفق وحنان ، وتغذيها بما تستطيع أن تقدمه لها فى تلك العهود البعيدة . والكلام فى تاريخ نشأة البلاغة ليس حديث عهد بالدراسة ، ولكن أقلاماً تناولته ، وأظن أن أول من تناول هذا التاريخ صاحب المعالى الأستاذ الشيخ على عبد الرازق فى كتاب أسماه (الأمالى) ومن الذين كتبوا فيه الأستاذ الشيخ أمين الخولى أستاذ البلاغة العربية فى الجامعة المصرية فى كتابه (فن القول) . وقد قرأت رسالة فى هذا الموضوع للأستاذ الشيخ أبى الوفا المراغى مدير المكتبة الأزهرية . غير أن الدكتور نوفل زاد على هؤلاء أنه ركز موضوعه فى البلاغة عند الجاحظ ، والكتاب مقسم إلى قسمين : القسم الأول تحدث فيه عن البلاغة قبل عصر الجاحظ ، وقد سجل فيه جهود العلماء والأدباء والمتكلمين والمعلمين ومجالس النقد فى نشأة البلاغة ، والقسم الثانى تحدث فيه عن جهود الجاحظ فى البلاغة ، وهذا القسم يعتبر جديداً ، ويا حبذا لو اقتصر المؤلف على هذا القسم ، فإنه موضوع بكر ، وقد بسط القول ووفاه ، ولو سمى كتابه (البلاغة عند الجاحظ) لأصاب المحز ، وطبق المفصل — كما يقولون — على أن القسم الأول من كتابه جاء تكراراً لما كتبه العلماء ، وفيه بسط يعتبر من فضول القول ، فقد أخذ الأستاذ على نفسه أن يترجم لكل من له حكمة فى البلاغة أو إشارة إليها من قريب أو بعيد ، ترجم لأبى بكر وعمر ومعاوية ، وترجم للعتابى وسهل بن هرون وشبيب بن شبة وعبد الحميد وابن المقفع ، وجعل كلا منهم فى فصل مستقل ، وكان يمكن أن يكتب فصلا يذكر فيه آراء هؤلاء فى البلاغة ، ومدى تأثير هذه الآراء فى نشأة علومها ، وهل يترجم لواصل بن عطاء لأنه ألف كتابين يحتمل أن يكونا فى البلاغة ، أو لأن الجاحظ نسب إليه العلم بأن الخطابة فى حاجة إلى البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة ؟ فإذا تجاوزنا الرجال إلى الموضوعات وجدنا فصولا لا حاجة بالكتاب إليها كالفصل الذى عنوانه (العصر الجاهلى) ولو نقل منه كلمة أكثم بن صيفى ، واصطناع الكهان للسجع إلى الفصل السابق لاستغنى عن هذا الفصل ، وكذلك الفصل الذى يليه لا حاجة إليه ، وما دخل حديث القرآن أو الرسول عن البيان فى نشأة البلاغة وليس فيه مما يمس البلاغة إلا الحديث عن مذهب الرسول فى القول ، وهو كلمات ، ولو أنه صح لنا أن نرسم للمؤلف المنهج لقلنا : إن القسم الأول الذى ينتهى بصفحة ٩٢ كان يكفى فيه عشر صفحات ، فصل يجمل فيه القول عن أثر النقد فى البلاغة ، وأظن المؤلف لن يزيد شيئاً

عما كتبه الدكتور طه ابراهيم فى كتابه (تاريخ النقد عند العرب) — كما فعل — مع شىء كثير مما لا حاجة إليه ، وفصل يتحدث فيه عن المدارس التى درجت البلاغة فى ظلها ، ويكتفى فى هذا الفصل بجهود المتكلمين واللغويين والنحاة والأدباء . أما الفصل الثالث فيتتبع فيه آراء السابقين للجاحظ فى البلاغة ، ويترجم لاثنين منهم أو ثلاثة كأبى عبيدة ، ثم يتحدث عن كتابه ، وكل هذا لا يستغرق عشرين صفحة ، وقد استغرق فيه المؤلف تسعين صفحة !

على أن المؤلف فاته أن ينوه بأثر عالمين جليلين فى البلاغة ، وهما من أوائل العلماء قولا فيها ، أحدهما الخليل بن أحمد وقد تحدث عن الجناس والمطابقة والاستعمال المجازى ، والآخر سيبويه وقد تحدث فى (الكتاب) عن مجاز الحذف ، وعن التأخير والتقديم ، إلى مباحث أخرى تمس البلاغة .

أما القسم الثانى ، فهو لب الكتاب ، وقد جعله المؤلف بيت القصيد فى كتابه ، فإنه قال فى المقدمة : « ولما كان الجاحظ هو مؤسس علم البلاغة العربية وجامع مسائلها لم يكن مناص من اتخاذه الأساس الأول لهذه الدراسة » . وقد وفق كل التوفيق فى دراسة البلاغة الجاحظية وبلغ الغاية ، ولا نملك إلا الثناء المستطاب على هذا الجزء من الكتاب ، ولو أردنا أن نصور عمله لما وجدنا أوفى من تصويره هو لجهوده قال : « ولما كان — يريد الجاحظ — أكثر معاصريه استطراداً ، وأبعدهم عن مراعاة النظام فى التأليف ، فقد كان من العسير على من يبحث موضوعاً عنده أن يركن إلى كتاب معين ، وكان لا بد لدارس بلاغته من قراءة جميع كتبه ، وجمع المتفرق فيها ، والمقابلة بينه وتفسيره ، إذ كثيراً ما يبدو متناقضاً ، وهذا ما صنعت ، قرأت ما بأيدينا من كتبه ، وجمعت النصوص التى ورد فيها ذكر البلاغة أو أى اصطلاح من اصطلاحات علومها ، أو لفظ من ألفاظها ، أو معنى من معانيها ، وحاولت أن أصور هذه الاصطلاحات كما تدل عليها تلك النصوص المبعثرة » . ولم يفته أن يتحدث عن بعض معاصرى الجاحظ وعن بعض الذين جاءوا بعده ، وإن كان حديثه إشارات عابرة .

وقصارى القول فى جملة هذا الكتاب أن الجزء الأول منه سابغ فضفاض ، وكان من الواجب أن يركز ويقتصر فيه على الأغراض الرئيسية فى الموضوع . أما الجزء الثانى ، فقد بلغ فيه الغاية ، أجاد وأفاد ، لكن بقيت لنا تفصيلات نحب أن نراجع المؤلف فيها ونطرحها للبحث والدراسة ، وسنغض الطرف عن الأغلاط الجزئية ، وإنما نتناول مسائل ذات أهمية :

١ — تحدث المؤلف عن قصة نقد النابغة لحسان بن ثابت فى بيته المشهور :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وما كان من قول النابغة له : أقللت جفاتك وأسيافك ، وقلت يلمعن بالضحى ، ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ فى المدح ؛ وقلت يقطرن من نجدة دما ، ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم ؛ ثم يقول المؤلف : « وقد يقال إن هذه الروايات ضعيفة — على ما قرر ابن رشيق من شهرة حديث النابغة ، لكنها تلائم طبيعة الحياة الفنية ، فيمكن الاطمئنان إلى وقوعها » .

ونقول إن الحديث مشهور ، ومشهور كذلك أنه موضوع ، ولسنا نلف وندور ، ولكنا نضع هنا قول الدكتور طه ابراهيم فى هذه القصة ، فلعل فيه بلاغاً ؛ قال بعد ذكر هذه القصة واختلاف وجوه النقد فيها : « وكل ذلك تأباه طبيعة الأشياء ، وكل ذلك يرفض رفضاً علمياً من عدة وجوه :

١ — فلم يكن الجاهلى يعرف جمع التصحيح ، وجمع التكسير ، وجموع الكثرة والقلة ، ولم يكن له ذهن علمى يفرق بين هذه الأشياء ، كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه ، ومثل هذا النقد لا يصدر إلا عن رجل عرف مصطلحات العلوم ، وعرف الفروق البعيدة بين دلالة الألفاظ ؛ وألم بشىء من المنطق .

(البقية فى العدد القادم) **على العمارى**



الأحــــلام

مسرحية للكاتب الانجليزى ارك براوول (١)

ترجمة الأستاذ على محمد سرطاوى

أشخاص المسرحية :

إيف (حواء) وهى فتاة جميلة فى الثامنة عشرة من العمر
الجد : وعمره فوق الثمانين
زوج
طبيب
أمير
امرأة

مناظر المسرحية :

(منزل الجد : غرفة مريحة كسيت جدرانها بألواح من خشب البلوط قد عبث بها الدهر . فى طرفها موقد كبير يتأجج فى ناره حطب جزل . ضوء الغرفة شاحب مضطرب ، يتألف معظمه من لهيب النار . هى غرفة تتراقص فيها الأشباح ويتراخى فيها هدوء عميق شامل . جلس الجد أمام الموقد ، وقد أحنت ظهره السنون ، وقد راح ينفث الدخان من غليون يماثله فى القدم . ويبدو فى مطلع المسرحية هادئاً لا يتحرك إلا قليلا .

وجلست إيف أمام الموقد ، منحرفة عن النار قليلا ، وقد تراقصت على وجهها ظلال اللهب ، وتدل نظرات وجهها على القلق والحيرة . وكلما امتد شوط المسرحية يبدو معنى اسمها (حواء) واضحاً جلياً . أما لباسها فيترك لذوق المخرج وفنه وكل مايتصل بحوادث المسرحية نفسها فإذا أخذ نصب عينيه أن يقلل من أهمية الزمن للمشاهدين فقد يوفق كثيراً

وحينما ترتفع الستارة ، تقف إيف ناظرة إلى الباب . ولا داعى مطلقاً لقطع الصمت الذى تستغرق فيه . وعند ما يبتدئ الحوار يجب أن يكون هادئاً وبطيئاً)

الجد : فيمَ تفكرين يا بنيتى ، وماذا يدور فى خلدك ؟

إيف : (فى بطء) أفكر قليلا فى أمور خطيرة ، وكثيراً فى أمور تافهة !

الجد : أصحيح ما تقولين ؟ إذا لم تخنى الذاكرة ، فقد كانت أمك كذلك ، وكانت أمها مثلها .

إيف : نعم ! إننا من طينة واحدة . ما أغرب ذلك . ألا يدعو أمر من هذا النوع إلى العجب !

الجد : لا يدعو إلى الغرابة إلا السر المجهول ، وحتى ذلك لا يبدو غريباً إذا اتصل بعلم الإنسان !

إيف : (متنهدة) نعم يا جدى !

الجد : لماذا تتنهدين يا وردتى العابقة !

إيف : لماذا تتنهد كل امرأة ؟

الجد : حقاً ... لماذا ... ؟ لقد حيرنى هذا الأمر طويلا !

إيف : آه .. ترى لو قيل لى اختارى شيئاً واحداً بمفرده من الدنيا بأسرها ، فهل كنت أستطيع ذلك ؟

الجد : لا تتعلقى بأمل واحد ، مخافة أن تمر بك آمال أخرى فلا تتلفتين إليها فى سير الحياة !

إيف : لست أعرف بالضبط أملا واحداً أهفو إليه .

الجد : أكان هذا سبب تنهدك ؟

إيف : نعم ... إنه لكما تقول . بربك حدثنى عن ماضيك البعيد يا جدى ؟

الجد : إنه عمر حافل ، تكاد صوره تفلت من ذاكرتى . (يتنهد) والذى أعرفه أنه كان طويلا جداً .

إيف : إذن فى مقدرك أن تخبرنى عن أثمن شىء فى الدنيا ؟

الجد : إن أثمن شىء فى الحياة يا بنيتى ، هو الشىء الذى لا تصل إليه يد الإنسان ، والإخفاق هو أساس التقدير . لا تتمى خيالك المرهف بأفكار معقدة من هذا النوع .

إيف : لست أنا التى تضطرب فى مهب هذه الأفكار ، ولكنها هى التى تدفعنى إلى الاضطراب دفعاً عنيفاً فى تيارها .

الجد : إن كل إنسان فى الدنيا يتمنى أن يحصل على الصحة والثروة والسعادة .

إيف : (مفكرة) الصحة ... والثروة ... والسعادة .

الجد : لا أعرف إنساناً اجتمعت عنده هذه الأمانى الثلاث ، وقلما أدرك أحد أمنيتين منهما ؛ وإذا كان فى استطاعتك الحصول على واحدة منها فإن حظك لسعيد .

---

(١) المؤلف : كاتب انجليزى معاصر كتب هذه المسرحية ونشرها عام ١٩٣٠ وهو فى نيوزيلندا

إيف : (فى رقة) نعم ... يا جدى . (تشير فجأة إلى النار) آه ! انظر !

الجد : ما ذا ؟

إيف : لقد تلاشى . آه .. آه .. لقد خيل إلىّ أننى أرى شبحاً صغيراً يرقص فى اللهيب .

الجد : إنك مرهفة الإحساس ، وكثيراً ما يرى صاحب هذا الإحساس أحلاماً غريبة .

إيف : وكثيراً ما أراه هناك حينما أفكر كثيراً (بسذاجة) لعلنى أحلم دائماً بالآمال .

الجد : (ملاطفاً) إن الأحلام لا تضر أحداً .

إيف : أحب أن أغنى الثروة لأننا فقراء ...

الجد : لكن لا تنسى أن الثروة كثيرة ما تسير فى ركابها التعاسة !

إيف : إذن سأغنى السعادة .

الجد : هل فى استطاعتك أن تكونى سعيدة بغير صحة ؟

إيف : آه . لقد فاتنى أن أغنى الصحة التى هى أثمن شىء فى الحياة (فى تصميم) نعم ... نعم سأغنى الصحة . ولكن إذا لم أغن الثروة فسنظل فقراء ، ولم أعرف أن الفقر حمل السعادة لنا فى الماضى ، فأريد أن أغنى الثروة أيضاً . وما دمت ترى أن الثروة لا تجلب السعادة ، فأود أن أغنى السعادة أيضاً . (بحرارة) آه .. يا أبت ... لقد تمنيت الثلاثة مجتمعة بدلا من واحدة !

[يداعب النعاس عينى الجد ، فيأخذ رأسه فى حركة بطيئة يميل إلى الأمام ، ويستقر على صدره ... وترتخى يده الممسكة بالغليون فيسقط على صدره أيضاً . تخمد النار فجأة .. يمر بالغرفة تغيير مفاجئ . تتراقص فى جوها الأشباح ... تحلق أيضاً فى اللهب مبهورة ... وعلى غير توقع تسمع من ورائها ... من الظلام صوتاً يقول :]

الروح : ولكن ليس فى مقدورك الحصول على الثلاث معاً .

إيف : لماذا ؟ من أنت ؟

الروح : أنا روح اللهيب الذى لا يفنى ... أنا الذى يمنح الأمانى النادرة للذين يستطيعون الاختيار .

(ترى إيف الروح الآن فى الظلام الذى يعتصم به غير جلى ... وقد بدا كتلة من السواد لا تستطيع تبيان شكله . فى استطاعة المخرج أن يطلق لفنه العنان فى الترتيب)

إيف : (فى شىء من السرور) يا للسماء ؟ لقد رأيتك ترقص فى اللهيب .

الروح : آه .. نعم . إننى أرى فى كل نار ... فى نار الشباب ... وفى نار الحب ... وفى نار الطموح .. !

إيف : ولماذا أتيت إلى !

الروح : لأحضر لك هدية !

إيف : (تدق يداً بيد) ما أجمل ذلك . ما هى ؟

الروح : أثمن شىء فى الدنيا !

إيف : (فى لهفة) ولكن ما هو ذلك الشىء ؟

الروح : إن اختياره يتوقف عليك .

إيف : (باكية) ولكننى لا أعرف .

الروح : يجب عليك أن تختارى .

إيف : (فى شك) كيف فى استطاعتك إعطائى ما أختار !

الروح : أستطيع أن أعطيك شيئا واحداً ... أى شىء ... على أن يكون من اختيار نفسك ومن غير إيحاء الآخرين .

إيف : ولكن جدى الذى تراه يغط فى نومه أمام النار يقول إن أثمن ثلاثة أشياء فى الدنيا هى الصحة والثروة والسعادة كيف أستطيع اختيار واحد منها ؟

الروح : هنالك أشياء أخرى (محذراً) ولكن تذكرى أنك لا تمطين إلا شيئاً واحداً فقط .

إيف : يبدو لى الأمر أكثر صعوبة مما توقعت . علىّ أن لا أكون متهورة فى الاختيار .

الروح : (بعد صمت) هل اخترت ؟

إيف : واأسفاه ! لم أستطع . أليس فى إمكانك مساعدتى؟

(يتلاشى خيال الروح مبتعداً فى الظلام)

إيف : أرجوك البقاء ! لما أختر ! أريد أن أكون أكثر روية وحذراً !

الروح : أوه ! أود مساعدتك ! سأريك الصحة والثروة والسعادة . ولكن اذكرى دائماً أن هنالك أشياء أخرى غيرها فى الحياة .

إيف : كيف ؟ أيمكننى أن أرى ذلك ؟

الروح : (فى غضب) سأريك ذلك. لا تسأليني كيف؟

إيف : إننى لشديدة الأسف ! (بعد صمت) أرجو أن لا أكون قد أسأت إليك .

(لا تسمع جواباً . تفتش الغرفة . لقد اختفى)

إيف : (مضطربة) أرجو أن لا أكون قد أسأت إليه .

(قرع عنيف على الباب)

إيف : آه .. من الطارق ؟

(تقترب من جدها لتوقظه ، ولكنها تتوقف عن ذلك ... تتراجع إلى الباب ماشية على رؤوس أصابع رجليها . تفتح الباب . يدخل شاب جميل يبتسم)

الطبيب : عمى مساء . أرجو أن تغتفرى لى تطفلى بالمجىء إليكم فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل . لكنها زيارة لم أجد بداً منها .

إيف : هل طلب ذلك إليك أحد ؟

الطبيب : لم يطلب إلى ذلك ! الفرق طفيف ... أكرر اعتذارى مرة ثانية ؟

إيف : آه .. لم نرسل فى طلبك أبداً ! أتريد أن تقابل جدى ؟

الطبيب : رغبة من هذا النوع لم أفكر فيها !

إيف : إذن لماذا أتيت ؟

الطبيب : أتيت لأراك !

إيف : أرجو أن توضح ذلك !

الطبيب : إننى طبيب كمعظم الأطباء ، غير أننى أختلف عنهم قليلا .

إيف : فى أى شىء تختلف عنهم !

الطبيب : إننى لا أعالج مرضى .

إيف : لا تعالج مرضى ! ألا يبدو كلامك غريباً !

الطبيب : غريباً ! لماذا يبدو لك غريباً !

إيف : (بصراحة) حسناً ! إذا كان ما تقوله صحيحاً فإنك طبيب غير ماهر لا يستعمل معرفته وفنه .

الطبيب : لكننى من طراز نادر من الأطباء .

إيف : إذن لماذا لا تعالج المرضى ؟

الطبيب : لا أعالجهم لأننى لا أستطيع شفاء أمراضهم !

إيف : (فى لهجة قاسية) فلست طبيباً أبداً !

الطبيب : ما الذى يدعوك إلى هذا الظن ؟

إيف : لأنك لا تستطيع شفاء المرضى .

الطبيب : (فى لطف) لا أستطيع شفاء المرضى لأننى لا أراهم ولعلك تلاحظين الآن الفرق جلياً .

إيف : بالتأكيد . هنالك فرق عظيم .

الطبيب : وإن حزناً غريباً ليعتادنى من وقت إلى آخر .

إيف : قد يكون ذلك صحيحاً .

الطبيب : لا تبصر عيناى المرضى على كثرة عددهم . لا ترى عيناى غير الصحة فى أجمل وأروع مظاهرها .

إيف : إن ذلك يبدو غريباً محيراً .

الطبيب : لقد مر ألف عام على ، لم أجد فيها مريضاً واحداً أجرب فنى فى معالجته .

إيف : (غير مصدقة) ألف عام ؟

الطبيب : (متلطفاً) هل بدا لك ذلك مخيفاً ؟

إيف : أه . ربما ... لا ... لا

الطبيب أتظنين أن ملامح وجهى تدل على عمرى

إيف : أبداً . أنك تبدو قوياً ، جميلا ، فاتناً

الطبيب : شكراً لك . إن هذه النقطة مهمة جداً

[يتململ الجد ويسمع لاستيقاظه صوت]

الجد : (يعتدل فى جلسته) لقد غلبنى الكرى على أمرى

إيف : نعم يا أبت

الجد : من هو هذا الشاب يا إيف ؟

الطبيب : عم مساء يا سيدى الشيخ الوقور

إيف : إنه طبيب يا أبت . هكذا اخبرنى

الجد : (مرتجفاً) طبيب ! طبيب ! هل نحن فى حاجة إلى طبيب ؟ أكرر قولى هل نحن فى حاجة إلى طبيب يا إيف ؟ (إلى الطبيب) لماذا أتيت ؟

الطبيب : أتيت لأشاهد جمال حفيدتك الساحر الذى تحدثت به الركبان فى كل مكان ذهبت إليه فى البر والبحر .

الجد : وماذا تريد ؟

الطبيب : أريد أن أطلب يدها للزواج

الجد : أتمنى ما تقول ؟ إن هذا أول طلب أسمعه . هل فى استطاعتك إسعادها ؟

الطبيب : كيف تريد أن تكون سعادتها

الجد : بمتاع الدنيا

الطبيب : لا أحب متاع الدنيا وما فيها من وهم وغرور

الجد : (بلهجة جافة) ولكن حفيدتى تحب ذلك . ما هى ثروتك ؟

الطبيب : أتريد ثروة الجسد ، أو ثروة الروح ، أو ثروة المادة البراقة الخادعة ؟

الجد : لا تدر حول الحقائق . أريد المادة . وأعنى الثروة

الطبيب : إننى لا أملك يا سيدى شيئاً من ذلك أبداً . إن مهنتى قد علمتنى أن لا أقيم وزناً لأمور تافهة من هذا النوع . إن الجمال فى حاجة إلى الصحة ، وفى مقدورى أن أمنحها ذلك ، كما فى استطاعتى منحها أموراً أخرى .

إيف : ما هى الأمور الأخرى ؟

الطبيب : لا أعطى ما عندى إلا لأولئك الذين يغمروننى بالحب ورغماً عن طلبى يدها للزواج فأريد منها الحب قبل أن أمنحها أى شىء . وسوف ترى كيف يصنع الحب المعجزات وينيل السعادة

إيف : انتهى كل شىء بيننا . لا أحب هذه الصفقة . إننى راغبة عنها . إن التوفيق بنقضها .

الطبيب : إننى أعطى الصحة ولكننى أفتش عن الحب .

إيف : (غاضبة) اذهب إلى غير رجعة أيها الذى يطلب الحب ولا يشعر به ، ولا يعطى إلا الصحة ... الصحة ليس إلا ، لا أريد صحتك ... إن مرض الجسم ليس شيئاً بالقياس إلى مرض الروح إننى أرضى عن طيبة خاطر أن تهاجم الأمراض جسدى فى سبيل المحافظة على هناءة روحى . إذهب ... إذهب ... إذهب .

الطبيب : ما دام الأمر قد انتهى إلى هذه النتيجة ، فمن العبث الاستمرار فى الحديث . لن تتكرر هذه الفرصة التى أتيحت لك فرغبت عنها . أتمنى لك يا آنستى مساء سعيداً .

(يختفى الطبيب قبل أن يتلاشى صدى كلماته)

الجد : (يعود إلى كلماته) . شاب غريب الطباع . ما رأيت على شاكلته أحداً قبل اليوم .

إيف : إنه لكما تقول . ويخيل إلى الآن اننى كنت متهورة . لقد كان جميلا جذاباً رائعاً . (يتسلط النوم على الجد فيغفو مرة ثانية) لا أستطيع أن أصدق أنه عاش ألف سنة ، ولعله لم يكن جاداً فى حديثه يا أبت . كم يكون جميلا أن تكون للإنسان صحة رائعة ثم لا يموت ، وأن يكون إلى جانب ذلك رائعاً فتاناً . ليتنى لمست فى بعض حديثه معنى من معانى الحب . لقد ساومنى على جسدى فاحتقرته . من يدرى ! لعله يعود مرة أخرى .

(يظهر الروح مرة ثانية بين الظلال المتراقصة فى الغرفة)

الروح : إنه لن يعود إليك أبداً

إيف : أهو أنت مرة أخرى ! لقد روعتنى !

الروح : ألم تتوقعى حضورى ؟

إيف : لا

الروح : تقولين لا ... أن الأنتظار يحمل فى ثناياه معنى الشك ، ويخيل إلى أن ليس لديك شك أبداً . لعلى مصيب فى رأيى !

إيف : لم أفهم معنى ما تقول

الروح : إننى أتكلم كما أعيش

إيف : بالكلام الذى لا يفهم

الروح : أليست الحياة لغزاً ؟ ألم تجديها كذلك ؟

إيف : إن جميع ما تحدثنى عنه غير واضح بالنسبة إلى أليس كذلك ؟

الروح : ليس فيه شىء غامض مطلقاً

إيف : أستميحك المعذرة !

الروح : هل احتفلت بالزائر الذى أرسلته إليك !

إيف : أأنت أرسلته ؟

الروح : نعم ألم تعرفى ذلك ؟

إيف : ربما ... لم أكن متأكدة !

الروح : وهل أجبته ؟

إيف : (مذعورة) ... لست ... حقيقة ...

الروح : (بصراحة) كما توقعت تماماً

إيف : (بهدوء) أبداً ... كيف عرفت ما كان يدور فى خواطرى !

الروح : هل كانت مهمته إذن غير موفقة

إيف : (فى حنان) بالتأكيد ... كما تقول

الروح : إن الأشياء فى حد ذاتها لا قيمة لها ، وإنما ترتفع تلك القيمة حينما تتلاقى الأضداد . إن التناقض أساس الانسجام فى الحياة . إن الانسجام هو الذى يولد السعادة

إيف : لقد أحسنت التعبير . لا فض فوك !

الروح : لست فى حاجتك إلى معرفة المتناقضات ودراستها ، ليكون حكمك صحيحاً على طبائع الأشياء .

إيف : كيف ؟

الروح : (محتداً) لا تسأليني أسئلة فى هذا النوع

إيف : (بهدوء) آسفة جداً . عفواً

الروح : سأريك الثروة ، ولست أدرى كيف يكون موقفك منها ؟

إيف : ولست أدرى أيضاً

(تسمع أصوات أبواق خارج المنزل . يختفى الروح مرة ثانية . يعيق الجد مذعوراً من الأصوات)

الجد : ماذا تسمع أذناى ! يا للسماء !

(أصوات فى الخارج تردد الأمير الأمير الأمير تسمع إيف الأصوات فتسرع إلى مرآتها تصلح هندامها . ينهض الجد متثاقلا إلى الباب ويفتحه)

الأمير : (من طرف المسرح) أهذا منزل إيف ؟

الجد : إن لى حفيدة بهذا الاسم !

الأمير : (يدخل) إذن أرجو أن تحضرها أيها الشيخ . أريد أن أقول لها كلمة .

(يبدو الأمير فى ملابس حريرية مزركشة بالحجارة الكريمة النادرة قصير وضخم الجثة . يتلفت حواليه فى قلق ظاهر)

إيف : (تشير إليه) إننى إيف التى تسأل عنها .

الأمير : (يحس بشعور من الحب مفاجىء نحوها) آه . رحلة موفقة . إنها جميلة .

إيف : ماذا تريد أيها الأمير ؟

الأمير : (مرتبكا قليلا) أتيت لأحملك معى الآن !

إيف : تحملنى معك !

الأمير : نعم . فاذا تقولين ؟

الجد : لا ... إن هذا الأمر مستحيل . لقد مضى الموعد الذى تأوى فيه إلى فراشها .. قد مضى ... عليها أن ....

الأمير : (فى غضب) أغرب عن وجهى أيها الأثر القديم . داعب شعر لحيتك أمام النار .. إياك أن تنبس ببنت شفة !

(يتراجع الجد مذعوراً دون أن يقول شيئاً)

إيف : (فى غضب) كيف تجرأت على قول هذه الكلمات القاسية لجدى .

الأمير : تقولين تجرأت أيتها الشابة . ومن غير الأمير يفعل ذلك ويأمر الناس ؟

إيف : (بجرأة) أنت تعتقد ذلك .. وربما ...

الأمير : إننى أعجب بجرأتك التى تماثل جمالك البديع .

إيف : (ببساطة) الجمال ؟ أترانى جميلة فى عينك ؟

الأمير : جميلة ورائعة أكثر مما أصف ، وهذا الجمال هو الذى جذبنى إليك .

إيف : هذا شىء يحيرنى تماماً .

الأمير : لقد سمعت كثيراً عن جمالك وسحرك وجمال عينيك فأحببت أن يكون كل ذلك لى من دون الناس جميعاً .

إيف : لأية غاية تريد هذا الجمال ؟

الأمير : (مقهقهاً) إنك تحملين عقل طفل برئ ، وهذا من حسن حظى ويمن طالعى . وهو مما يزيد فى رغبتى فيك وحبى لك وتلمسى العزاء والراحة بالقرب منك .

إيف : هل الأمير فى حاجة إلى مواساة من أحد ؟

الأمير : (فى سرور زائد) إن لها لساناً ساحراً أيضاً ومنطقاً سليماً .

إيف : وماذا تريد منى ؟

الأمير : أريد ... نفسك وحسبى ذلك . (يحرك يداً قد أثقلت كمها الجواهر اللامعة) أنظرى . إننى أدفع ثمن ما أريد منك غالياً . من هذا الجوهر الثمين . سيكون كل ذلك لك ... ولك وحدك !

إيف : الثروة ؟

الأمير : طبعاً !

إيف : (فى هدوء) يخيل إلى أننى قد بدأت أدرك الحقائق .

الأمير : يسرنى جداً أن أساعدك على ذلك .

إيف : كيف تساعدنى ؟

الأمير : فى فهم الأمور على وجهها الصحيح .

إيف : ليبدو لى أننا نتحدث عن أمرين متناقضين ، ونرمى عن قوسين مختلفين .

الأمير : إن الثروة فصيحة لا تحتاج إلى لسان .

إيف : (بمرارة) إن الحياة مع أمير لا تروق لى .

الأمير : (بلطف) معذرة يا آنستى ، لم يدر بخلدى أن أجملك أميرة .

إيف : لـكن ... لـكن ظننت أنك قلت ....

الأمير : قلت إن ثروتى ستكون تحت تصرفك . وهى كما ترين صفقة رابحة بالنسبة إليك وبالنسبة إلى ما ستقدمين لى من جمال وحب .

إيف : أوه ... الحب !

الأمير : لقد نسيت أن أذكر لك ذلك . أعطيك الثروة وتعطينى الحب.

إيف : أتعنى أنك تريد أن تتزوجنى ؟

الأمير : (ينفد صبره) كلا ، كلا . أحسب أننى قد أوضحت لك ذلك بصراحة لا غموض فيهـــا . إننى أقدم لك الثروة والملابس الفاخرة والجوهرات .

إيف : وماذا تريد منى عندئذ ؟

الأمير : (بقهقهة) أريد منك أن تحبينى كما تفعل كل فتاة جميلة

إيف : لنتحدث الآن بصراحة مهما تكلفنا ذلك !

الأمير : إذن فقد اتضحت لك مقاصدى

إيف : تماماً بالضبط

الأمير : هل أنت راغبة فيها

إيف : كلا . بكل أسف .

الأمير : ولـكن لماذ ؟

إيف : إن الزواج يتراءى خيالا جميلا ساحراً أمام عينى

الأمير : لماذا تترنم النساء كثيراً عن الزواج فى مناسبات من هذا النوع ؟

إيف : ألا توافقنى على ذلك ؟

الأمير : إن الزواج حيلة اخترعتها المرأة لترفع من شأن نفسها . دعينا من هذه الأمور السخيفة وامضى.مى . لا أستطيع الزواج لأن زوجتى أميرة ولى محظيات غيرها

إيف : ما أقبح ذلك بك أيها الأمير

الأمير : ليس قبيحاً ما يبدو لك . إنما هى عادة اعتدتها . لقد وجدتها بعد التجربة متعبة

إيف : إذن لماذا تحدثت إلى باسم الحب

الأمير : إننى أبحث عن الحب فى كل مكان . إنه الشىء الذى لا تستطيع ثروتى الحصول عليه . جربت أن أطلبه بثروتى فى محاولات متنوعة ، ولـكننى عدت منها بخفى حنين . كثيراًمابيدولى هذا الأمر غريباً لأننى أدفع ثمن هذا الحب غالياً فلا أعثر عليه .

إيف : مرد ذلك الفشل إلى أنك لا تعطى من قلبك ثمن الحب ولـكن مما تملك يداك

الأمير : أخشى أن يكون ذلك مستحيلا

إيف : (تنظر إليه) إنك لتجده حتما لو دفعت من قلبك ثمن الحب

الأمير : إذن ما الفائدة من الثروة إذا لم تكن وسيلة للحصول على شىء فى الحياة ؟

إيف : لست أعرف من الثروة ولا من فوائدها شيئاً

الأمير : تعالى ... لتعرفى كل شىء عنها

إيف : إننى آسفة لا يمكننى أن أفعل ذلك

الأمير : ولـكن لماذا لا تريدين ؟ (فى لهجة منكسرة) لا بد من سبب دعاك إلى الرفض

إيف : لأنك سمين جداً وغير جميل

الأمير : (فى مرارة) كنت أظن أن بريق الجواهر سيذهب بنور عينيك فلا تبصرين عيوبى . وا أسفاه . إن المرء لا يستطيع أن يملك كل شىء .

إيف : ربما كان ذلك . ولـكننى لم أجد صعوبة كثيرة فى اكتشاف ما فيك من العيوب

الأمير : إذن ترفضين طلبى !

إيف : رفضاً قاطعاً

الأمير : (فى لهجة حزينة) هذا ما كنت أخشاه . لقد رضيت بالغاية وكرهت الوسيلة . إن الثروة هى أحبولة الشيطان للمرأة ، ولم أجد غيرك امرأة لم تقع فيها .

إيف : إن ما تقوله صعب التصديق

الأمير : لقد ولدت أحلام الحب ميتة بيننا . لقد أخفقت وانتهى كل شىء

إيف : أما أنا فلقد ربحت المعركة التى كنت أحسبنى مدحورة فيها

الأمير : نعم . إن ذلك يدعو إلى التفكير

إيف : فكر ملياً فى سبب إخفاقك ، ولعل ذلك يعود

عليك بالخير الـكثير

الأمير : (متذمراً) لا أجد شيئاً يبعث الراحة إلى قلبي غير الحب الذي أضناني التفتيش عليه . لقد أخفقت فيما كان يداعب قلبي من أمان وأحلام . كم أتمنى أن أنام نوماً عميقاً في الليل ، وأترك الثروة التي لا تنيل الحب ، طائعاً مختاراً

إيف : أوه . أتجد النوم صعباً بالنسبة إليك

الأمير : إنه سوء الهضم أيتها الآنسة . إن الثروة لا تسير جنباً إلى جنب مع الصحة لقد دفعت ثمن الثروة غالياً من راحة جسدي . إنني ضعيف الإرادة .

إيف : إذا أصبحت إرادتك قوية فماذا تفعل ؟

الأمير : لعل الأمور تختلف آن ذاك . إرادة أي إنسان تقوى على الصمود أمام جمال فتاة ساحرة . إن الثروة تفتح أبواباً كثيرة ولا نعرف – إلا متأخرين – أن أبواباً أخرى لا تستطيع فتحها . لا أريد أن أعترف لك كثيراً ، ولـكنني أندفع إلى ذلك تحت تأثير جمالك . أود لو أنني فقير بائس جميل الصـورة فنجد السعادة بدلا من الحب .

إيف : أتحسب أن الفقر والحب لا يجتمعان ؟

الأمير : قد يكون ذلك صحيحاً أو غير صحيح . إنما مرد كل إلى طبيعة الإنسان .

إيف : (في هدوء) كل رأي مرده إلى طبيعة الإنسان ! والآن أرجو أن تذهب ، فإن بقاءك حتى الآن إلى جانبي لما يؤلم جدي إذا استيقظ .

الأمير : (بدون احتشام) ألا تعاودين النظر في أمري !

إيف : أبداً . أبداً ... جد آسفة . لن أرغب فيك مطلقاً .

الأمير : (متذمراً) إنني لا أحسن الهجوم . وهـذا ذنبي (مبتهجاً) لـكن الجواهر لا تزال معي . ما أقبح الحياة إذا لم يجد المرء فيها ما ينسيه الإخفاق في حب امرأة . (صوت أبواق من الخارج) استمعي ! إن رجال حاشيتي قد قلقوا لتأخري . الوداع أيتها العذراء الطاهرة . أذكريني ... لا تجعلي ذكرياتي في نفسك مرتبطة بما تـكرهين واذكري ... إنني قدمت إليك أحسن ما عندي . (يخرج) .

إيف : ما أثقل ظل هذا المخلوق القمىء !

الروح : (يظهر) لقد بدا لي أنك لم تحتفلي به أبداً .

إيف : أبداً .. أبداً .

الروح : ألا يدعو ذلك إلى الأسف ؟ لقد كان لديه الشيء الـكثير من الذي يتهالك الناس عليه في الحياة وكان راغباً في تقديمه إليك .

إيف : لقد تعلمت من ذلك أيضاً أن لدي ثروة نادرة أغلى من الدر والجوهر والذهب يطلبها الناس .

الروح : نعم . نعم . صدقت .

إيف : وعلى أن أكون حريصة على هذه الـكنوز فلا أمنحها من لا يستحقها .

الروح : صحيح مرة أخرى . لـكن الذي أريد معرفته : ما هو اعتراضك على صديقي الأمير ؟

إيف : إنني لأحس في قرارة نفسي بالأسف على خيبته ، وإنه إحساس يملأ نفسي بالزهو أن أشعر بالأسف على فشل أمير لقد وجدته قد فقد الإدراك الصحيح لموازين الأشياء ومقياس الحقائق .

الروح : أما صديقي الزائر الأول ، أفلم يفقد إحساسه بالزمن ! ألا بربك خبريني : أيهما وجدت أكثر أهمية إدراك الزمن ، أم إدراك حقائق الأشياء ؟

إيف : إنك تسأل أسئلة محيرة أيها الروح !

الروح : إن الأسئلة المحيرة تغلب على أجوبتها الطرافة .

إيف : اسمح لي أن أقول لك إنني تعلمت كثيراً من صديقك وكثيراً جداً .

الروح : وماذا تعلمت أيتها الآنسة ؟

إيف : تعلمت أن الصحة لا تقيم وزناً للثروة ، وأن الثروة كثيراً ما تطلب الصحة .

الروح : يا للأسف ! هل اكتشفت ذلك ؟

إيف : ذلك ما تأثرت به على الأقل . وخيل إليَّ أنهما يفتشان عن السعادة . وقد يكون مبهجاً — إن لم يكن مغرياً — أن يعرف المرء ما هي السـعادة . (تضم يديها) السعادة ! ترى أتكون السعادة أثمن ما في الدنيا ؟ لست أدري

الروح : أراك تتعجبين ؟ إن كثيراً من الناس على شاكلتك

إيف : أتستطيع أن ترينى السعادة يا صديقى ؟

(يختفى الروح . تتلفت إيف حولها تسير إلى الموقد وهى تفكر تفكيراً عميقاً ، يفتح الباب ، تدخل امرأة قصيرة الجسم يبدو على محياها الشحوب والإعياء)

إيف : (مذعورة) آه . لا شك أن هنالك خطأ . . ! ماذا تريدين أيتها السيدة ؟

المرأة : (فى لهجة حزينة) أسفاً يا بنيتى ! ألا تعرفيننى ؟

إيف : (تهز رأسها) لا

المرأة : (فى حنان) إننى أمك

إيف : أمى ؟ أمى ! لقد ماتت أمى !

المرأة : ألا تتذكرين تلك الأم ؟

إيف : لقد ماتت منذ زمن بعيد ، ومحا الزمن صورتها من خيالى .

المرأة : لقد مات جسدها ، أما روحها فلم تمت . إنها الشيء الذى لا يموت .

إيف : ولماذا رجعت من العالم الآخر ؟

المرأة : لا تقولى هذه الكلمة فا بارحتك أبداً

إيف : وما هى غايتك من هذه الزيارة الآن ؟

المرأة : أتيت لأحملك معى . لقد بلغ جدك من الكبر عتياً ، ولسوف يسير جسده فى الطريق التى تسير فيه الأجساد إلى نهايتها . سنذهب معاً وهناك تعتادين على حبى ، وسنجد السعادة معاً

إيف : ولماذا غبت عنى طويلا !

المرأة : لم أعرف أن الفراق كان طويلا إلا الآن .

إيف : أمى ! أرى حديثك غريباً . ماذا تريدين منى !

المرأة : أريد حبك ولا شيء آخر .

إيف : وماذا تعطينى إذا أنا منحتك هذا الحب ؟

المرأة : حنان الأم وحبها العميق . لا شيء ، غير ما لك فى قلبى من حنين ، ومالى فى قلبك من لهفة وشوق . لك منى الاطمئنان والسكينة والسعادة .

إيف : كيف أسعد الآخرين وأنا لا أجد الطريق إلى السعادة

المرأة : السعادة بين يديك إذا كان فى مقدورك أن تحملى بين جوانحك حب الفتاة لأمها .

إيف : لقد سمعت الناس يتحدثون كثيراً عن الحب ؛ إنهم دائماً يطلبون ولا يعطون .

المرأة : أما بالنسبة إلى فإنك ستأخذين وتعطين . هذا هو السر . إن البساطة هى الطريق المعبد إلى السعادة .

إيف : إن البساطة مفتاح القناعة . لكن أين السعادة الحقيقية من ذلك . هل هنالك شيء يطلق عليه هذا الاسم ؟ هل السعادة حديث خرافة يا أم عمرو ؟ يخيل إلى أنها شيء معقد جبار يتألف من ألف فكرة ، ومن ألف عاطفة ، ومن ألف زخرة ، ومن ألف عذاب . إنها ليست شيئاً واحداً إننى لن أجد السعادة الحقة معك

المرأة : ولماذا لا تجدينها معى أيتها الابنة الفيلسوفة !

إيف : لأن ليس فى استطاعة الإنسان أن يتذوق السعادة الخالصة إلا إذا شرب كؤوساً مترعة بالشقاء من يد الزمن . إن السعادة شيء بعيد جداً عن مجرد القناعة ، والسكون إلى حقائق الواقع المريرة . ليس فى استطاعتنا الحكم على حقائق الأشياء دون الغوص إلى أعماقها .

المرأة : إن هذه الأفكار القوية لا تدور بخلد فتاة فى عمرك

إيف : (ببساطة) أصحيح ما تقولين ؟

المرأة : بعد أن يتعبك السير فى الطريق الذى سترسمه لك الحياة ، وبعد أن تبدد اليقظة أحلامك الجميلة ؛ وبعد أن يتحطم الطموح فيك على صخرة الفشل — تعالى إلى — فستجديننى فى انتظارك

إيف : أتحسبين أننى آن ذاك فى حاجة إليك . ومع ذلك فإن السعادة هى الحلم الجميل الذى لا يستحيل إلى حقيقة ملموسة . ويبدو لى أننى سأحلم كثيراً ، وأتعلم كثيراً ؛ وأعطى شيئاً ليس بالقليل من عواطفى .

المرأة : سأنتظرك . سوف تمر بك ساعة تدركين فيها أن السعادة لا تتعلق بزمان ومكان . إنما هى سعادة الروح

إيف : ألا تحبين الصحة والثروة ؛ ما رأيك فيهما ؟

المرأة : أية قيمة للصحة حينما يموت الجسد ؟ وما نفع الثروة إذا لم يستطع الإنسان استعمالها . وماذا يبقى بعد ذلك غير السعادة ؟

إيف : نعم إنك على حق . ولكن هل هنالك أمور أخرى فى الحياة ؟

المرأة : (فى لهفة) الأمر المهم بالنسبة إلى ذهابك معى

إيف : (تهز رأسها) كلا . لن أذهب معك ! أن العجز والهزيمة من الحياة أمر مهل جداً . أريد أن أحل ألغاز الحياة بنفسى . لن تهزمنى الحياة أبداً . سأصمد لزوابعها

المرأة : سأكون فى انتظارك اذكرى ذلك جيداً .

إيف : سوف أذكر ذلك

(تقف إيف مفكرة ومحلقة فى النار ، بينما تعود المرأة أدراجها من حيث أتت وتختفى)

إيف : هلم إلىّ يا صديقى ! إلىّ يا مانح الهبات ! ساعدنى !

الروح : (يظهر) لبيك ! لقد حان الوقت . هل اخترت !

إيف : واآسفاه ! لم أستطع ، لأننى لا أريد الصحة ولا الثروة ولا السعادة . لا أريد هذه فى حد ذاتها بعيدة عن المعانى الإنسانية

الروح : يخيل إلى أنك لم تتوقعى رؤيتها على الشكل الذى بدت لك فيه .

إيف : نعم

الروح : لا تنسى أن هنالك أشياء أخرى فى استطاعتك اختيار منحة منها

إيف : نعم هنالك أشياء أخرى . أنك على صواب !

الروح : (فى سأم) إنما عليك أن تختارى واحدة منها

إيف : لقد لاحظت أن الأشياء الثلاثة التى عرضتها على ، كان كل واحد منها يزعم أن فى مقدوره إعطائى كل ما أريده ، ومع أن كل واحد منها كان يمنح شيئاً يختلف عن الآخر ، إلا أنها جميعاً كانت تطالب منى ثمن ذلك

الروح : وما هو ذلك الثمن ؟

إيف : أنه الحب . أنها جميعاً كانت تفتش عن الحب فيخيل إلى أن الحب أثمن شىء فى الوجود .

الروح : إننى لا أستطيع تقرير ذلك .

إيف : لقد ظهر لى ذلك واضحاً جلياً لا غموض فيه

الروح : إذن هل تختارين الحب كأغلى منحة !

إيف : كلا . لن أختار الحب . لأنه إذا كان من جانب واحد لم يكن حباً ، وإنما هو خداع الطبيعة لاستدامة النوع ومد جذوره إلى المستقبل فى وجه مستمار من شهوة الجسد . ليس الحب إلا امتزاج روحين ، وتقارب قلبين وفناء جسدين فى هدف لا يدرك . إننى لن أطلب الحب . ينبغى أن يأخذ الحب طريقه إلى القلوب بعيداً عن الأرادة والتوجيه . أن الحب الصحيح لا يطلب ، ولكنه كالجوهر النفيس تكتشفه القلوب فى مسارب الحياة

الروح : إذن أى شىء تختارين

إيف : إذا كان لابد من الاختيار فأختار العقل . أنه ينجدنى فى الشدة ؛ فاختار اختياراً صائباً ، وأعيش حياة متزنة ، وأحب حباً صحيحاً . نعم سأختار العقل

الروح : (مقهقها) ها ... ها ... لا يختار العقل إلا إنسان مدرك عاقل . وأنت باختيارك لم تطابى شيئاً جديداً . لقد طلبت ما هو لديك . أهذا كل ما تطلبين ؟ (يقهقه بصوت مسموع) إنك يا آنستى العزيزة فى غير ما حاجة إلى من يقدمه إليك ! ... ها .. ها .. ها .. ها ....

(يتلاشى الروح)

إيف : (مفكرة) إننى لا أشك فى سلامة عقلى

(ترجع إيف إلى وضعها الأول ، جالسة أمام الموقد ، محلقة فى اللهيب ، تتلاشى الخيالات تدريجياً ويتوهج لهيب النار ، وبعد فترة تفرك عينيها ، بينما يأخذ غطيط الجد بخفت ، ثم يفتح عينيه)

الجد : لقد غلبنى السكرى على أمرى

إيف : لقد أغضيت طويلاً يا أبت

الجد : ماذا كنت تصنعين أثناء نومى يا إيف ؟

إيف : كنت أفكر

الجد : تفكرين ! هل أضعت كل ذلك الوقت فى التفكير؟

إيف : نعم يا أبت

الجد : لا أحسب أنك فعلت ذلك ! ربما يخيل إليك أنك كنت تفكرين !

إيف : إننى واثقة من ذلك وثوقك بأنك كنت نائماً

الجد : إنك تفكرين كثيراً يا بنيتى ؛ بماذا كنت تفكرين !

إيف : أفكر قليلا فى أمور هامة ، وكثيراً فى أشياء لا أهمية لها ! أليس كذلك يا أبت !

الجد : إن أساليب النساء تعجز الفهم ، هلمى إلى فراشك

إيف : (تنهض) سمعاً وطاعة يا أبت وشكراً

(أصوات ضحك تنبعث من بعيد)

(يهبط الستار)

(المسيب) — علي محمد سرطاوي

مطبعة الرسالة

العدد ٨٤٢ — الاثنين ٢٢ اغسطس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠١٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 842

Lundi — 22 — 8 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٤٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ شوال سنة ١٣٦٨ — ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

إبرهيم عبد القادر المازنى



موجة من الأسى غمرت شعورى كله وأنا أقرأ نعى الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى منذ أيام ... ألأنه ودع الحياة وفارق أصدقاءه ومحبيه على غير ترقب وانتظار ، أم لأنى قد رأيته وجلست إليه ساعة أو بعض ساعة كانت هى اللقاء الأول والأخير ، أم لأنى قد هاجمته مرتين على صفحات « الرسالة » هجوماً عنيفاً راعيت فيه جانب الحق وأهملت كل ما عداه ؟ !

ليس من شك فى أن تلك الأمور جميعاً قد تركت فى نفسى إحساساً عميقاً بالأسى لفقده ؛ ومن دواعى الأسف حقاً أن يمسى الأحياء ويصبحون فلا يجدون المازنى يملأ مكانه ، وأن ألقاه أنا منذ قريب فيتحدث إلىّ وأتحدث إليه ، ثم يشاء القدر أن أهاجمه هجوماً عنيفاً دون أن أعلم أنه قد شدّ الرحال ومضى فى طريقه ... إلى لقاء الله !

لقيت المازنى أول لقاء وآخر لقاء بمكتب الأستاذ توفيق الحكيم فى « أخبار اليوم » ، وكان ذلك منذ شهور ... وحين دخلت الحجرة لم يكن بها غير بضعة أشخاص ما لبثوا أن استأذنوا مودعين وبقينا نحن الثلاثة : المازنى وتوفيق الحكيم وأنا ... ومضينا نطرق من أبواب الحديث ما شاءت السياسة والأدب والفن ، متفقين حيناً ومختلفين حيناً آخر ، ثم شاءت الظروف أن نعرض لمشكلة طال حولها الجدل بينى وبين المازنى حيث قنع توفيق الحكيم بالإنصات ومضى يرقب نهاية الشوط بصبر لا ينفد .

كان — رحمه الله — إنساناً جم الأدب فى نقاشه ، مهذب العبارة ، مشرق اللمحة ، لبقاً فى التخفيف من حدة الجدل بالبسمة العذبة والنكتة البارعة ، ولكن القضية كانت قضية بعدت فيها الشقة بين نظرتين : نظرة الشيوخ ونظرة الشباب ، أو نظرة الأمس ممثلة فى الماضى القريب ، ونظرة اليوم ممثلة فى الحاضر المشهود . وكأنما ضاق المازنى بحجج محدثه فراح يسأل عنه توفيق الحكيم ! ...

ونظر إليه توفيق الحكيم فى شىء من الدهشة وهو يقول : لقد ظننتك تعرفه حق المعرفة ، ومن هنا لم يخطر لى أن أقدم كلا منكما إلى الآخر ... هذا « فلان » كاتب « التعقيبات » فى الرسالة .

ورأيت المازنى — رحمه الله — يمد إلىّ يده مصافحاً فى حرارة ، مصافحاً للمرة الثانية وهو يقول : معذرة ، فأنا أقرأ لك ولا أراك !

ومن العجيب أنك ثائر هنا وثائر هناك ! ولكن لماذا تهاجم بعض من أعزهم من حين إلى حين ... لماذا تهاجم العقاد مثلاً وفضله على الثقافة والأدب لا ينكر ؟ !

وأجبت وعلى فمى ابتسامة تسجل للمازنى معانى الوفاء : ومن قال لك إني أنكر هذا الفضل ؟ أنا أول من يعترف به ، وإذا كنت قد هاجمت العقاد يوماً فلأننى أقدره ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى طه حسين وتوفيق الحكيم !

وكأنما أعجب المازنى بهذا الجواب فارتسمت معالم السرور على وجهه ، ثم قال وهو يغرق فى الضحك ونغرق معه : هل أفهم من هذا أن ليس لى عندك منزلة هؤلاء السادة لأنك لم تهاجمنى حتى الآن ؟ !

فقلت معقباً على اللفتة الرائعة : معاذ الله يا صديقى ، إنك سترغمنى إرغاماً على أن أقول عنك ما فى نفسى إثباتاً لتقديرى لك !

ويهتف المازنى والابتسامة العذبة لا تفارق شفتيه : أنا أدرى الناس بما يمكن أن تقوله عنى ... ستقول إن المازنى كان بالأمس خيراً منه اليوم ، وإنه ترك زمرة الأدباء وانضم إلى زمرة الصحفيين ، وإنه يكتب فى كل مكان ، ويكتب فى كل شىء ، حتى أصبح تاجر مقالات يهمه ملاحقة السوق أكثر مما تهمه جودة البضاعة ، أليس كذلك ؟... ولكن لا تنس أن الأديب فى « بلادكم » مجبر على أن يسلك هـذا الطريق ليكسب عيشه وعيش أولاده ، وليستطيع أن يحيا حياة كريمة تشعره بأنه إنسان ... ترى هل بقى شىء يمكن أن تقوله ؟

فأجبت وأنا مأخوذ بصراحته المحببة وتواضعه الجم : نعم ، بقى أن أقول إن المازنى لم يهتد حتى الآن إلى خير ملكاته ، خيرها على الإطلاق ... لو عرف المازنى أن معدنه القصصى من أنفس المعادن لأفسح الطريق لملكته القاصة ، ولغدا فى ميدان القصة وهو قمة من القمم ... لقد قلت ذلك لتوفيق الحكيم أكثر من مرة فكان يوافقنى كل الموافقة !

وضحك المازنى وهو يقول : هذا حق ، ولكنك تريدنى على أن أكون منافساً يسد الطريق فى وجه توفيق الحكيم ... لا يا سيدى ، أنا لا أحب أن أقطع أرزاق الناس !

ويهتز توفيق الحكيم من الضحك وأهتز معه ، ويمضى الوقت حافلا بأسباب الأنس الأنيس والمتعة التى تغمر آفاق النفس والروح!

ويستأذن المازنى فأنهض لتوديعه قائلا له : أنا سعيد بلقائك !

ويشد المازنى على يدى بكلتا يديه قائلا لى : ويسعدنى أن يتكرر هذا اللقاء !

ولكن اللقاء لا يتكرر ، ثم تشاء الظروف أن يثيرنى رحمه الله مرتين فأهاجمه مرتين : أهاجمه وأنا لا أعلم أنه شد الرحال ومضى فى طريقه ... إلى لقاء الله !

لقد كان المازنى عالماً من خفة الظل وعذوبة الروح ، وعالماً من سماحة الطبع ونقاء السريرة ، وعالماً من كرم الخلق وندرة الوفاء ، وكان المازنى وكان ... وأصبح كل شىء فى عداد الذكريات!

هذه كلمة عابرة تحدد مكان المازنى من نفسى ونفوس عارفيه ؛ أما مكانه من تاريخ الأدب العربى المعاصر فله حديث غير الحديث ، ومناسبة غير المناسبة ...

وأهتف مع العقاد فى غمرة حزنه ووهج أساه : سلام على إبرهيم ، وسلام على الدنيا ! !

(أ . م)

ترميم الجامعة العربية

للأستــاذ نقولا الحداد

تقرر أن يجتمع اللجنة السياسية للجامعة العربية فى ٢٠ أغسطس الحالى . وقد نشرت جريدة المصرى مجموعة الاقتراحات التى تقدمت بها الحكومات العربية وستكون جدول أعمال اللجنة . وهى مستخلصة فى ١٢ مادة . وبالاطلاع على هذه المواد رأيت أن المقصود من التعديلات المقترحة هو ترميم الجامعة كترميم منزل آيل إلى السقوط وتلا فى سقوطه أو تأجيل سقوطه إلى أجل قصير ، كالبت فى موضوع الأمانة العامة وربما كان هذا أهم موضوع عند المرممين . ثم يليه فى الأهمية الروابط الاقتصادية والثقافية والمواصلات . ثم مشروع الدينار العربى وبنك الجامعة إلى غير ذلك مما لا يمكن أن يتقرر ما دامت الجامعة متداعية إلى السقوط . ليس فى هذه الاقتراحات والتعديلات المطلوبة ما يبنى جامعة عربية . بل ستبقى الجامعة فى تداعيها وتزعزعها بحيث يستحيل أن تتمدل هذه التعديلات والجامعة فى هذا الوهن المتناهى والتقلقل المنذر بالهبوط العاجل .

قبل أن تفكروا يا قوم بالأمانة العامة والدينار والاقتصاديات الخ يجب أن تهدموا هذه الجامعة إلى الحضيض وتقذفوا بأنقاضها إلى البحر أو إلى الصحراء وثم أن تبنوها من جديد على أساس متين بمواد قوية وبنيان راسخ .

والمقترحات المقترحة آنفاً إنما هى مقترحة على هيئة سياسية إدارية غير موجودة ولا وجود إلا لظل لها — فظل جامعة أو جمعية لا يمكن أن ينشىء بنكا ولا يقرر ضريبة ولا ينظم علائق اقتصادية الخ — لابد من وجود الجامعة أو الهيئة أولا . والجامعة غير موجودة . كانت خيالا وقد امحى الخيال حين طلعت شمس الحقيقة

شمس الحقيقة التى طلعت وتحت الظل هى انخذال ٣٠ مليون عربى أمام ٣ أرباع مليون صهيونى وقيام دولة إسرائيل أمام الدولة العربية المزعومة وتشرد مليون عربى أمام ٣ أرباع مليون يهودى وانصباغ فلسطين بالصبغة اليهودية أمام كلة فلسطين عربية وستبقى عربية للعرب . ولم يبق للمروءة إلا استجداء حقوق عرب فلسطين من أيدى اليهود . واليهود لا يتكرمون إلا بعودة مائة ألف من المليون عربى اللاجئين إلى فلسطين ممن ينتقيهم اليهود لكى يكونوا فعلة وخداماً عند اليهود وعبيداً وإماء .

هذه هى الحقيقة التى طمست معالم الجامعة العربية .

الجامعة العربية صارت فى خبر كان ، والزائل لا يرمم ، والذى مات لا يقوم من الموت قبل يوم الحشر . نحن الآن فى حاجة إلى جامعة عربية جديدة توجد مادة وروحاً وقوة .

* * *

الجامعة لا تكون باجتماع وفود من الدول العربية تحت رئاسة أمين عام ما هذه جامعة . هذه جمعية لا تمثل إلا الأشخاص المجتمعين فيها . الجامعة العربية ليست الجماعة التى لا تمثل إلا أشخاصها ولا التى تمثل الدول التى أرسلتها . الجامعة العربية هى التى تمثل الأمم العربية أنفسها تمثيلا حقيقياً بمعنى أن يجوز لكل فرد عربى أن يقول إنى ممثل شخصياً فى جامعة العرب (لا حكومتى بل أنا شخصياً) .

الجامعة العربية الحقيقية هى التى تجمع أفراداً عرباً ينتخبهم العرب لا التى توفدهم دولهم كما حدث فى الجامعة الحالية التى حبطت وامحى ظلها .

الجامعة العربية الحقيقية هى برلمان عربى أعلى والنواب فيه يمثلون الأفراد العرب . كل نائب يمثل مليوناً أو نصف مليون . ينتخبه أفراد العرب من مثقفين أكفاء خبيرين لا من ذوى الأملاك أو ذوى الثروات .

ويكون لهذا البرلمان (الجامعة العربية) السلطة العليا الدفاعية على جميع الدول العربية المشتركة فيه . وليس للدولة مهما كانت عظيمة وقوية سلطة على هذا البرلمان أو الجمعية .

يقتصر اختصاص هذا البرلمان على الإدارة الدفاعية عن جميع الدول العربية . ولهذا يجب أن تنتقل قوى الدفاع الجندية من أيدى الدول إلى يد هذا البرلمان . ولا يبقى للدولة من القوى الجندية سوى قوة البوليس وقوة الجندية (الميليشيا) المحدودة اللازمة لحفظ الأمن فى الدولة .

بناء على هذا يجب أن يكون تحت أمر البرلمان الدولى العربى المذكور لا أقل من ربع مليون جندى وإذا لزم الأمر فنصف

مليون أو أكثر حسب اللزوم . تؤخذ هذه الجنود من الأمم العربية بالنسبة العددية المعلومة .

ثم هذا البرلمان يجبى من جميع الدول بنسبة عدد السكان المال اللازم للدفاع من وجوهه بحيث لا يقل عن مائتى مليون جنيه . وإذا لزم أكثر فأكثر يجبيها هذا البرلمان من جميع الأمم العربية من غير اعتراض ولا تمنع أو نقاش . هذا المال هو حق للدفاع عن الأمم العربية قاطبة وهو واجب على هذه الأمم .

تكون سلطة هذا البرلمان نافذة لا مرد لها . وهو ينفذ مقتضياتها بما له من السلطة المسلحة .

يتولى هذا البرلمان سياسات الدول العربية الخارجية .

هذا البرلمان يفض الخلافات الدولية العربية وينفذ أحكامه بقوة السلاح .

يكتسب هذا البرلمان هذا الحق لأنه ممثل جميع الأمم العربية

قد يُعترض عليه بأن لبعض الأمم كمصر مثلاً نصف البرلمان تقريباً ولهذا تكون أحكامه متحيزة لمصر . ولتلافى هذا التحيز يختار مجلس شيوخ إلى جانبه لا يكون أعضاؤه بنسبة عدد الأهالى بل كعدد الأمم الممثلة فيه عضو أو عضوان عن كل أمة صغيرة كانت أو كبيرة على حد مجلس الشيوخ الأمريكى .

هذا البرلمان الشامل المجلسين يعتبر « الجامعة العربية » القانونية النافعة الذى يستطيع أن يحمى ذمار العرب ويدافع عن العروبة .

هذا البرلمان سيختار قيادة الجيش العليا ومجلس أركان الحرب وهو يقرر الحرب أو الصلح . وليس لأية دولة حق التدخل بشئونه . يكفى أن يكون لكل أمة ممثلون فيه يحرصون على حقوقها وحياتها .

إذا ثبتت الجامعة على هذا النحو أمكن الأربعون مليون عربى أن يرغموا أنف مليون إسرائيلى أو مليونين وإلا فالمليون إسرائيلى يستعبدون الأربعون مليون عربى .

فى أقل من خمس سنين يتم هذا الحلم الإسرائيلى فليفتح العرب عيونهم وآذانهم قبل يروا أنفسهم أمام هذا الأمر الواقع .

فى عشرين الجارى سيجتمع أعضاء الجامعة العربية لكى يفضوا هذه الجامعة ويبددوا أنقاضها فنطالبهم بما يأتى :

١ — أن يطردوا الخونة من بينهم سواء كانوا وفوداً أو دولاً أو ممثلى دول .

٢ — عليهم أن يقدموا حساباً عن كل ما دخل إلى خزينة الجامعة تبرعاً أو اشتراكات دول — حساباً صريحاً واضحاً من داخل وخارج بالتفصيل وأن يعلن فى الجرائد العربية .

متى تكونت الجامعة على هذا الشكل يشرع البرلمان العربى الأعلى الذى يعتبر جامعة العرب — يشرع أن يعمل الإصلاحات المطلوبة المقترحة على اختلاف أنواعها من بنوك واقتصاديات وثقافيات وجمركيات و ... الخ

هذا العمل الإنشائى يجب يشرع به حالا وأن ينجز حالا لأن اليهود لا يصبرون . فهم قد وضعوا عيونهم على جبال أراراط وأعالى النيل وما بينهما .

نقولا الحداد

طفيلي من النـاس

ما زا سألني . . وكيف أجبته ؟

للأستاذ راجي الراعي

كنت أسبح في أفق من آفاق الخيال والتفكير فخطر لأحدهم أن يتطفل على نفسي وهي تخوض عباب الأثير وينهال عليّ بالأسئلة .. وإليك ما دار بيننا :

– لماذا تحلم ؟

– لأتمرى من الدنيا .

– ولماذا تكتب ؟

– لأهرق دمي في القراطيس .

– ولماذا تنشد المجد ؟

– لأنجو من سخرية النجوم .

– ولماذا ترحم ؟

– لأنني أتألم .

– ولماذا تصمت ؟

– لأن موجة التفكير أغرقت بياني .

– ولماذا تنظم الشعر ؟

– لأن أبياته هي الأصابع التي أبسط بها يدي في الوجود .

– ولماذا تحب ؟

– لأنني أحب .

– ولماذا تفكر في الغد ؟

– لأنني لا أرى أمامي سواه وقد فرّ الأمس من يدي وأضمت يومي .

– ولماذا تدوس القبور ؟

– نكاية بالموت الذي يدوس الأحياء .

– ولماذا تحاول أن تخترع ؟

– لأدنو من الخالق .

– ولماذا تشمخ بجبينك ؟

– لأنه نطح الأفق ولم يجرح .

– ولماذا تلجأ إلى الهيولى ؟

– لأفر من هولك .

– ولماذا تأوي إلى الظلال ؟

– لأتحدى الشمس .

– ولماذا تنشق الزهر ؟

– لأنه سينبت في ترابي .

– ولماذا تهوى الفجر ؟

– لأن فيه من (قطرات ندای)

– ولماذا تصلي ؟

– لأصطلي بإيماني .

– من أنت ؟

– كلمة نطقت بها الحياة .

– وما هي مهنتك ؟

– حفار يحفر في نفسه ليستكشف دفينها .

– وما تلك التي بيمينك ؟

– عصاي .

– ولمن أعددتها ؟

– لأمثالك أيها الوقح الثرثار الفضولي المتطفل على هيا كل النفوس المنساب بين قلم الكاتب ودواته .

ورفعت عصاي ففر الثقيل فتنفست الصعداء وقمت أخط ما وقع بيننا في هذا المقال .

راجي الراعي

القراءة وأصول الثقافة

للأستاذ إيليا حليم حنا

القراءة والحياة :

القراءة فن يربط بين الكتب والحياة ويفتح أبواب التفكير والتصور . وهى وسيلة لتوسيع عقولنا وتنمية تفكيرنا الحر وإيجاد ملكة النقد عندنا وزيادة ثقتنا بأنفسنا وبقيمة آرائنا الشخصية .

ويخطئ شبابنا المتعلم عندما يظن أن أيام الدراسة هى مرحلة القراءة والاطلاع . إننا عندما نقطع أكبر مرحلة دراسية لا نكون قد قبضنا على زمام الحياة بل نكون قد بنينا لأنفسنا أساساً صلباً يمكننا أن نثبت عليه أقدامنا لنسير فى الحياة نحو الكمال حتى الشوط الأخير فيها . ولا يمكننا أن نساير روح العصر الذى نعيش فيه فى مرحلة عمرنا إلا بالقراءة المستمرة والوقوف على أسرار الحياة المختلفة التى يميط العلم اللثام عنها كل يوم ويظهر منها شيئاً جديداً كان مجهولا . ويموت الشخص عقلياً عندما يقف عند حد محدود من ثمار العقل البشرى ويتخلف عن قافلة زمانه الذى يعيش فيه .

والقراءة ليست غاية فى ذاتها وإنما وسيلة للعيش عيشة إنسانية سعيدة عندما ننتفع بما نطالع انتفاعاً عملياً يقودنا إلى عمل متقن وحياة أفضل . ولا فائدة من القراءة التى لا نبغى من ورائها إلا حشو رءوسنا لنظهر أمام الناس أننا ملكنا ناصية العلم والثقافة

والكتاب وحده لا يصل بنا إلى النمو العقلى والنفسى إلا إذا مزجنا قراءاتنا بتأملاتنا وخبرتنا وتجاريب الغير وما يجرى معنا وحولنا كل يوم وكل ما نراه فى الطبيعة ويقع تحت حسنا وإدراكنا . فكل هذه كتب مفتوحة يجب ألا نهملها عندما نقرأ ونفكر . قال جونسن : « من يتصور أن الأفكار لا توجد إلا فى الكتب وأن فى الكتب كل الأفكار ، فما هو إلا واهم . والأفكار تجرى مع الأنهار والمجارى ، وتطفو على وجه البحر ، وتتكسر على شواطئه ، وتسكن التلال والجبال ، وتسطع مع نور الشمس ، وتنسدل على أجنحة الظلام . إن الأفكار موجودة فى كل مكان وزمان » .

وتصديق كل ما هو مكتوب والأخذ به دون تأمل وبحث عن حقيقة دلالة على جهل القارئ وموته العقلى فالقارئ الحى اليقظ المتوثب لا يترك كتاباً دون أن يقتله دوساً وتأملا ونقداً . يقول جون ستوارت مل (يجب على طالب الثقافة أن يشعر بأنه حر الفكر ، له أن يجارى الغير فى معتقداتهم ، وله أن يخالفهم فيها . عليه إذا شك فى صحة أمر أن يبحث وينقب جهده ليقف على ما يروقه ويقنعه . وعليه أيضاً ألا يلقى الكلام على عواهنه ، وألا يأخذه دون روية وإعمال فكر) .

هذه القراءة الحية التى تقترن دواماً بالتفكير والتأمل والتجرد من أهواء النفس وعدم التعصب للعادات العامة والآراء المتواترة والعقائد الشائعة تخلق منا الإنسان الحى الكامل الذى يتأثر بثقافة عصره ويؤثر فيها بعد أن يكون قد أرضى من البحث حاجته وشفى غليله وأحس الحياة وأمعن فيها إمعاناً بانصرافه إلى التفكير والملاحظة والاستنباط .

القراءة والثقافة :

الغرض الأول من القراءة هو التهذيب الكامل للنفس وليس تعبئة الذهن بالمفردات والتراكيب أو الحقائق مستقلة منفردة . والقراءة الحية تنمى القوى والمواهب الإنسانية وترقيها . فإن ما نكسبه من معلومات ونهضمه ونجعله جزءاً من حياتنا الفكرية وتفكيرنا الخاص يكسبنا قوة ذهنية تتجه بنا نحو الإصلاح بأنواعه وتؤهلنا إلى الاندماج فى مشاكل المجتمع الذى نعيش فيه وإنهاض ذلك المجتمع وتجديده ، وتزودنا بقوة فكرية مهمتها البحث عن الحقيقة أياً كانت والسعى لرقى الإنسان عقلياً وروحياً هذه هى الثقافة المنتجة التى تمكننا أن ننعم بالحياة ، نسرح فيها ونمرح ، ننشط ونستنبط فتنتعش قوانا العقلية وتظهر كفاياتنا المغمورة وتزهو مقدرتنا فى أعمالنا أو فى أى نشاط ابتكارى تغذيه ميولنا .

هذا كله فعل القراءة الثقافية المجدية التى قال عنها (بيكون) إنها تجعل العقل البشرى ينطلق من عقاله لنقبل على كل مجهول ونفكر لنعيش ونعيش لنفكر .

التثقيف الذاتى :

يمكن للقارئ العادى أن يثقف نفسه لو توافر له الميل إلى القراءة المفيدة المحبوبة التى تهدف إلى غرض ثقافى واضح وليست تلك التى يقصد بها التسلية وقطع الوقت .

وقد طرق كثير من المفكرين والفلاسفة موضوع التثقيف الذاتى فقال (لوك) للتهذيب الذاتى ثلاثة طرق تبتدئ الواحدة من حيث تنتهى الأخرى :

الأولى : قراءة الكتب وإدراك معانيها :

الثانية : التفكير والتأمل فى تلك الأفكار والمعانى .

الثالثة : التحدث مع الناس بها واختبار سقيمها من صحيحها وسليمها من فاسدها .

ويرى الفيلسوف النفسانى وليم جيمس ثلاثة طرق أخرى للتثقيف الذاتى وهى :

١ — إتقان اللغة القومية إتقاناً يمكن الفرد من التعبير عما يدور برأسه من أفكار وآراء تعبيراً صحيحاً . ويقول (باوند) عميد هارفارد فى هذا الخصوص : (الرجل الذى لا تبلغ غرائزه اللغوية النضج لا يمكن أن يفكر تفكيراً متقناً أو يصل إلى نتائج دقيقة) .

٢ — استيعاب ما يمكن استيعابه من أنواع المعارف المختلفة حتى يمكنه مسايرة الثروة العقلية التى وصل إليها عصره .

٣ — تكوين مبادئ وعادات تخلق منه رجلا كاملا خليقاً بما استوعب من ثقافة . ويعرض (أرنولد بنيت) اقتراحين عامين لتثقيف النفس بالقراءة وهما :

١ — عين اتجاه جهودك ومداها واختر فترة معينة أو موضوعاً معيناً أو مؤلفاً واحداً وقل لنفسك مثلا : أريد أن أعرف شيئاً عن الثورة الفرنسية أو عن اختراع السكك الحديدية أو ... وتفرغ فى زمن معين لما وقع عليه اختيارك فإن متعة عظيمة تستفاد من التخصص .

٢ — فكر واقرأ فى آن واحد ، فإنى أعرف أناساً يقرأون ويفكرون كثيراً ولا يستفيدون شيئاً ... ذلك لأنهم يجوبون أقاليم الأدب فى سيارة وكل همهم الحركة ويفتخرون بعدد ما قرأوا من كتب فى العام .

ويقول (أندريه موروا) : لا تهمل آراء الأجيال التى سبقتك بل يجب أن تمنى عناية خالصة بالكتب القديمة الخالدة ولثق بما اختارته القرون السالفة من روائع الكتب ، فقد يخطئ الاختيار رجل واحد وقد يخطئه جيل واحد ولكن الأجيال لا تخطئ جميعاً فشكسبير وموليير جديران بما نالا من مجد خالد على الدهر ... ومن الضرورى أيضاً أن نهتم بالكتاب المعاصرين لأننا بدون شك نجد فيهم أصدقاء يشعرون بما نشعر ويحتاجون لما نحتاج إليه » .

فيما تقدم آراء مختلفة تصلح جميعاً أن يعمل بها للتثقيف الذاتى وأرى بالإضافة إليها أن تدرس كاتباً من كبار الكتاب المعاصرين وتتابع مؤلفاته وآراءه ثم تدرسها دراسة وافية فإنك ترتقى معه ذهنياً وتصل إلى مستواه وتقف على أساليب التفكير المنظم فى جيلك . وبذلك تكتسب عصارة قلبه وفكره وتفكر مع إنسان يحسن التفكير ولكن لا يجب أن تنساق معه بدون تفكيرك الحر . حاول أن توسع دائرة اطلاعك واجمل ما أنتجه المفكرون أساساً لتكون لك رأياً على ضوئه . وبذلك قد تكتشف نقصاً تكمله فى رسالة زميلك الكاتب فتعلو عليه فى هذا الزاد العقلى وترقى بالإنتاج الثقافى .

فند آراء كبار الكتاب وحللها وقارن بين ما احتوت عليه مؤلفاتهم . ولا تكتف بهذا ، بل كرس جهودك فى ناحية من نواحى الثقافة واقتلها بحثاً وتمحيصاً وتتبع جميع ما يكتب عنها فى اللغات التى تعرفها . ولكن مع هذا لا بد أن تعرف أشياء كثيرة دون أن تتعمق فيها .

القراءة للاستلهام والابتكار والاختراع :

هذه هى أرقى أنواع القراءة التى تعمل عملها المظيم فى حياة الفرد والمجتمع وتدفع الأمة نحو حضارة أرقى بما يتبع هذه القراءة البارعة من التفوق العلمى والأدبى والروحى .

ويقبل على هذه القراءة أصحاب العقول الممتازة الذين يرون مع الفيلسوف العالم (إسحق نيوتن) : « أن الناس مع كل ما بلغوه من المعرفة وتوصلوا إليه من الاكتشافات ، ليسوا إلا أولاداً صغاراً يلتقطون الاصداف والأعشاب التى ينبذها ويقذف بها بحر الحقائق وخضم المجهولات من حين إلى آخر » .

ويؤسفنا أن المضمار العلمي عندنا يخلو من مثل هذا القارئ العبقري ونسأل أنفسنا ما الذي جعل الاختراع والاستنباط والتفوق العلمي وقفاً على أبناء الغرب ! ليس السبب في عقولهم أو ذكائهم ولكن لأنهم عرفوا لذة القراءة وانغمسوا فيها وجعلوا شعارهم (اقرأ وفكر واعمل) فمكنهم ما اكتسبوه من محصول من فهم العالم الذي حولهم وضبطه والكشف عن قوى الطبيعة المجهولة وإخضاعها لفائدة البشر . وهؤلاء القراء البارعون هم حملة المشاعل في الأمم النواهض واجبهم ملاءمة التطور والعون على التقدم والسبق .

والقارئ العبقري يقرأ ويهضم ويفكر ويجرب ليستخلص شيئاً جديداً يضيفه إلى تراثنا وحضارتنا ويعمل على تغيير حياتنا وتكييفها . وكلما أكثر من هذه القراءة المركزة المنظمة كلما وجد نفسه يقترب من هدفه فيزداد تفكيراً . وأثناء حرارة التفكير والانغماس فيه بعقله وكل حواسه تنقدح في ذهنه الأفكار الملهمة فيزداد محصوله العقلي ويزداد هو استحواذاً على العالم الخارجي وإدماجاً له في حياته العقلية .

ومثل هذا القارئ يتبع في قراءته طريقة التفرغ والاستيعاب أي طريقة أخذ الشيء مفصلا والتمكن من كل جزء من أجزائه فتظل أفكاره في حركة دائمة تتحرك حول غرض عملي محدد واضح وتتحرك هذه الأفكار إلى ملكة . يقول « هربرت سبنسر » : المعرفة لا يكاد يعيها الواعي حتى تتحول عنده إلى ملكة ، وتظل بعدها تعينه على التفكير عامة » . ويأخذ هذا القارئ المفكر ينمو في نشاطه العقلي يبني المقدمات بالخبرة والمشاهدة والاستقراء والقياس حتى يصل إلى النتائج التي يهدف إليها .

وهذه القراءة المركزة المنظمة سبب قوي في توجيه حياة الأفراد الممتازين إلى نواح معينة وحفزهم لتحقيق غايات جليلة سامية عاد عليهم تحقيقها بالصيت الخالد والجاه والثروة . وأذكر على سبيل المثال أمثلة حية خالدة لما توحي به القراءة عند ما تقترن بالتفكير العميق واليقظة المستمرة والرغبة القوية وتحديد الهدف وحشد الجهود .

اشترى لورد كلفن كتاباً عن الحرارة تأليف عالم طبيعي اسمه « فوريه » وانغمس في قراءته واستيعابه . فكان لهذا الكتاب أكبر الأثر في حياة الرجل بما أوحى إليه من الاختراعات .

وقرأ « بت » كتاب « ثروة الأمم » تأليف « آدم سميث » فاستطاع أن يرسم للأمة الإنجليزية سياستها الاقتصادية الرشيدة في وقته . وقرأ « سسل رودس » كتاب « الامبراطورية الرومانية » تأليف « جبون » فذهب إلى إفريقية يوسع نطاق الإمبراطورية البريطانية .

وقرأ « فورد » مقالا في مجلة عن العربات التي لا تجرها الخيل ؛ فأوحى إليه هذا المقال بالتفكير في صنع السيارة ودأب على تحقيق هذا الحلم الجميل حتى كان له ما أراد .

كل من هؤلاء عرف كيف يستفيد مما يقرأه ، وهضم ما قرأه فأصبح جزءاً من كيانه العقلي وحجراً أساسياً لابتكار أو خلق أو عمل شيء جديد .

والأديب الفنان كالمخترع ورجل العلم يقرأ للابتكار والاستلهام وليس ليشبع جشعه الثقافي فقط ؛ بل لتوحي إليه الفكرة المقروءة بفكرة جديدة ، وهو في قراءته يحلق في الآفاق العليا منطوياً على نفسه ، لا يتقيد بمكان أو زمان ، بالغاً المكانة التي يستشرف منها للالهام ويتعرض فيها بروحه وبصيرته لنبضات الوحي فيمزق حجب الأشياء وينفذ تواً إلى صميمها ، ويصل إلى أعمق الأغوار من الفكر الإنساني الأصيل .

هكذا يقبل القارئ الأديب على القراءة لتفتح لذهنه آفاقاً جديدة فتنهال عليه الخواطر التي تضطرب في نفسه وتريد أن تظهر ، وتملأ قلبه وتريد أن تفيض ، وتكرهه على أن يأخذ القلم ويسجل ما تمليه عليه تلك الأصوات الخافتة التي يسمعها داخل عقله وقلبه ويلمسها بإحساسه المرهف في جوه السحري الصامت . إنه لا يقرأ لينقل ولكن ليحس نبضات الفن والإلهام والبصيرة .

(أسيوط) إيليا حليم حنا
مدرس أول للغة الإنجليزية والآداب
مدرسة النهضة الوسطى : الأبيض — سودان

صور من الحياة :

يقتـــــل أخاه ... !

« مهداة إلى الأستاذ كامل محمود حبيب »

للأستاذ عمر عودة الخطيب

درج الناس فى القرية على أن يستقبلوا صباح اليوم الأول من العيد فى المقبرة ، فيزوروا الأموات قبل الأحياء ، ويضعوا على قبورهم أكاليل الزهر ، وفروع النخيل ، وباقات الورد ، ويواسى بعضهم بعضاً ، ويخفف الخلى مصاب الشجى ، ويجفف الغريب دمع القريب ... وذهبت صباحاً مع القوم ، وبدأت بزيارة ذوى القربى والأصحاب ، أقرأ للجميع آيات من القرآن ، وأستلهم الله لهم الرحمة والرضوان ، وما لبثت أن فوجئت — خلال تطوافى — بصيوان كبير فوق ضريح أبيض قد ازدان بالأقمشة الحريرية الزاهية والورود ، كأنه عروس مجلوة ليلة الزفاف وقد تدلت على صدرها أجمل العقود ، وكما يزدان رأس العروس ووجهها بالأصباغ والعطور ، قد أفعم رأس هذا القبر بأوراق الآس وأكمام الزهور ، فوقفت — من بعيد — أنظر إلى هـذا القبر ، وقد استهوانى ما فيه من بهرج وزينة ، ألهانى عما يعانى ذووه من حزن ولوعة ، فسألت صاحبى عن أهل هذا الميت ، ولم يخامرنى ريب فى أنها (عروس تزف إلى قبرها[1]) ، وقد أقام لهـا أهلها وزوجها المفجوع هذا المأتم الحافل ، وهذا الزفاف الباكى ... أو خيل إلىّ أن هذا صنيع حبيب رزئ قبل العيد بحبيبته ... أنس نفسه ، وروح فؤاده ... فدعاه الهوى — والهوى ذو أعاجيب — إلى ما أرى من عناية وتكريم ، ولم يفته أن يهدى إلى القبر — برهاناً على وفائه وصدق حبه — أجمل الورود وأشذى العطور ، إذ فاته أن يضع بين يدى حبيبته أزهى الثياب وأروع الحلى ... وكادت عينى تبض بقطرات من الدمع ، حزناً وأسى ، لولا أن صاحبى أخذ بيدى قائلا : هلمّ نزور هذا الضريح ونواسى هؤلاء المحزونين! وانحدرت معه إلى الصيوان ، فرأيت — على جوانبه — نسوة نائحات ، ورجالا باكين ، ولفت نظرى أن الجمع — وكان كثيراً — كان يبكى بحرقة لاعجة وحزن شديد ... وليسوا كلهم أهلا للميت أو إخواناً له ، فاعترانى خشوع ملك علىّ نفسى ، وهز ما بين جوانحى ، فمالجت دمعى فلم يذرف ، فجلست مطرق الرأس ، أستمع — بحزن صامت — إلى هذا النواح المتواصل ، وهذا البكاء الطويل ، ورأيت — والله — أن هذا الدمع الغزير ، يغسل من النفس أوزارها ، ويشيع فيها الصفاء والنور ، ويجعلها بيضاء نقية ، وادعة كالحمَل ، عذبة كالماء ، جميلة كالزهر ، فواحة كالعطر ... ونظرت بعيداً بعيداً ... إلى ما وراء الأبد ... وقلت لنفسى : لو أن هذا الإنسان القاسى الذى يسمي المال الكثير والجاه الوفير ، والسيطرة والطغيان ، متخذاً لذلك أعنف الأسباب وأقسى الوسائل ... لو أنه يختلف كل أسبوع ، أو كل شهر ، إلى هـذه المقابر ، ليتلقى منها دروس الرضى والقناعة ، والمحبة والصفاء ... لسكن هذا الضجيج ، وهدأ هذا العجيج ، وعاش الناس سعداء هانئين ، تظللهم المحبة ، ويرفرف عليهم السلام ...

ووثب إلى ذهنى حينذاك جواب ذلك الفيلسوف الصينى العظيم (كونفوشيوس) حين كتب إليه بعض تلاميذه : (إنى أرى للناس أخوة وليس لى أخ) ! فأجابه بقوله : (إن الإنسان الكامل ينظر إلى جميع من يسكنون بين المحيطات الأربعة كما لو كانوا اخوته ...)

قلت لنفسى بعد أن رددت هذا الجواب كثيراً : لو أن الناس جميعاً كانوا هكذا لاختفت من الدنيا هذه الحروب ، وانطوت — إلى الأبد — هذه المآسى والكروب ... ووثبتْ إلى ذهنى — مرة أخرى — محاورة ممتعة بين (بوذا) وتلميذه (برنا) ، تصور ما كان يحوبه هذا من نفس طيبة ، وخلق كريم ، وتسامح عظيم ، وحب للانسانية ، ورحمة لها وعطف عليها :

بوذا : إنك يا برنا مرسل إلى شعب غضوب قاس متوحش سفيه ، فلو أنهم بادروك بالسب واللعن ، فماذا يكون رأيك فيهم؟

برنا : أرى أنهم أناس طيبون ، لأنهم شتمونى ولم يضربونى بيد ولا بحجر !

— فإن ضربوك بيد أو حجر ؟

— أرى أنهم أناس طيبون ، لأنهم ضربونى باليد والحجر ، ولم يضربونى بعصاً ولا بسيف !

— فإن ضربوك بالعصا أو بالسيف ؟

— أرى أنهم أناس طيبون ، لأنهم ضربونى بالعصا أو بالسيف ولم يقضوا على حياتى !

(١) للرافعى (عليه رحمة الله) مقال بهذا العنوان فى « وحى القلم »

— فإن قضوا على حياتك ؟

— أرى أنهم أناس طيبون رحماء ، لأنهم خلصوا روحى من هذا الجسم الملىء بالأدناس بأقل ما يمكن من الألم !

— هذا حسن يا برنا ! وإنك لخير من يستطيع أن يباشر تلك الشعوب البربرية ... اذهب يا برنا أنت الخالص تخلص غيرك وأنت المعزّى ، فعز غيرك ، وأنت الواصل إلى (النرفانا) (١) ، فاذهب وادع إليها الآخرين !

وانصرفت بهذه الوثبات الذهنية عمن حولى ، ولم أعد أبصر التياع الباكين والباكيات ، أو أسمع صوت النائحات الحزينات ، ولم يردنى إلى الواقع الدامع ، إلا امرأة معفرة الوجه بالتراب ، ممزقة الثياب والحجاب ، يمشى خلفها شاب دامع العينين ، قد اتشح بالسواد ، لجثا على أحد جانبى القبر يبكى ويمرغ به وجهه ، وجثت المرأة على الجانب الآخر تنتحب وتولول ، وكان مشهداً محزناً رأيت فيه عينى تسحان بالدموع .. وبعد قليل رأيت المرأة وقد غابت عن وعيها ، وفقدت صوابها ، ونظرت إلى ذلك الشاب بعينين دامعتين جاحظتين قد اختلطت فيهما نار الحقد بدموع الأسى ... ونهضت إليـه ، وأهوت بيدها عليه تضربه ، وهو ساكت ساكن لم يرفع بصره إليها ، ولم يحاول أن يفر من أمامها ، ونظرت إلى صاحبى ومن حولى ، فإذا بهم جميعاً يبكون ، وألسنتهم تتمتم قائلة : (لا حول ولا قوة إلا بالله ...)

أخذت بيد صاحبى ونهضت والدهشة ملء نفسى ، والألم يحز فى فؤادى ، ولم يغب عن فكرى أنها مأساة باكية ، بيد أنى لم أفهم منها شيئاً ، وبقيت صامتاً أمشى بين القبور رويداً رويداً وأبو العلاء يصيح فى أذنى :

سر إن اسطعت فى الهواء رويداً	لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحداً مراراً	ضاحك من تزاحم الأضداد

وما إن ابتعدت عن المقبرة ، وغاب عن بصرى مرأى الصيوان ، وانقطع عن سمعى صوت البكاء والنواح حتى التفت إلى صاحبى قائلا :

— يبدو أن ما رأيته فصـل محزن من مأساة دامعة وقصة باكية ؟ !

فتنهد صاحبى وجفف بمنديله دموعه ... ثم قال :

— لعلك — يا صاحبى — لم تشهد من هذه المأساة إلا أقل فصولها ألماً ، وأيسرها أسى وحزناً ... أتذكر — يا صاحبى — ذلك الشاب الوادع الهادئ الظريف الذى كان يملأ المجالس أنساً وصفاء ، والذى كان زهرة عطرة بين أترابه ، ونجمة لامعة بين أصحابه ... جميل ؟

وسكت صاحبى ثم قال : نعم ... جميل الذى ...

فقاطعته قائلا : كان زينة القرية وبهجتها ، وأنسها وأمنيتها ، ما ذا أصابه ؟ !

فقال وكأنه يتحاشى النبأ :

— أسفاً على شبابه الغض ! هو — يا صاحبى — هو ... (القتيل) الذى رأيت على قبره الصيوان والأحزان ... وتلك التى رأيتها تولول وتنوح (أمه) ، وذاك المتشح بالسواد الذى كانت تضربه فلا يتحرك هو (أخوه) !

— قتيل ... ومن القاتل ؟ !

وهنا تململ صاحبى وهمس بأذنى والدمع قد بلل وجهه :

— حقاً إنها مأساة ! لقد قتله (أخوه) ... يا صاحبى !

— وكيف قتله ولما ذا ؟ !

— ذلك هو حكم القدر !

وهنا تمثل لى (بوذا وبرنا وكونفوشيوس) باكين محزونين ، يلقون على هذه الإنسانية نظرة إشفاق ورثاء ، وقد نظر كل واحد منهم إلى صاحبه — والألم يمض نفسـه — كأن يذكره بمصير تعاليمه ، ومآل مبادئه ...

ولقد أثار حديث صاحبى كوامن الألم فى نفسى ، والأسى فى لبى ... فقلت : عليه رحمة الله ... ولم أشعر — قبل أن أترك يد صاحبى إلا ولسانى يتلو قوله تعالى :

(واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبـل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسـط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) .

(دمشق — المزة)

عمر عودة الخطيب

---

(١) من تعاليم بوذا : أنه كما أن الأرض تحمل ما يلقى فوق ظهرها من خبائث الأشياء ، دون ضجر وتتقبلها قبولها للطيبات ، كذلك يجب على البوذى أن يحتمل باسماً احتقار الناس وإهاناتهم ، وأن يتقبلها بنفس الروح التى يتقبل بها الإجلال والتشريف . وكما أن الماء يتخلص عن التراب ليروى الظمآن ، كذلك يجب على البوذى أن يشعر أعداءه بنفس الخيرية التى يشعر بها أصدقاءه .

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو دلامة

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

— ٤ —

وما ترك المنصور أبا دلامة يتدلل محققاً له كثيراً من رغباته إلا لأنه كان يحب العبث به وسماع نوادره ، ولا يريد أن ينقطع عنه : بل كان يحاول أن يجعله قريباً منه في مقره . وكان كلما سأل عنه قيل له : إنه في بيوت الخمارين لا فضل فيه . فعاتبه على انقطاعه عنه . فقال أبو دلامة : إنما أفعل ذلك خوفاً أن تملني . فعلم أنه يحاجزه[1] . فأمر الربيع[2] أن يوكل به من يحضره الصلوات معه في جماعة في الدار . فلما طال ذلك عليه قال :

ألم تريا أن الخليفة لزّني بمسجده والقصر مالي وللقصر !
فقد صدني عن مسجد أستلذه أعللُ فيـــه بالسماع وبالخمر
وكلفني الأولى جميعاً وعصرها
فويلي من الأولى وعولي من العصر
أصليهما بالكرْه في غير مسجدي
فمالي من الأولى ولا العصر من أجر
يكلفني من بعد ما شبت توبةً يحُـُط بها عني المثاقيل من وزري
لقد كان في قومي مساجدُ جمةٌ ولم ينشرح يوماً لغشيانها صدري
ووالله مالي نية في صـــلاته
ولا البرُ والإحسان والخير من أمري
وما ضره — والله يغفر ذنبه — لو أنّ ذنوب العالمين على ظهري ؟

فبلغته الأبيات فقال : صدق ، ما يضرني ذلك ، والله لا يصلح هذا أبداً ، فدعوه يعمل ما يشاء[1] .

وقد لا ترضى عن هذا التساهل صادراً من الخليفة المنصور ، إذ تراه يدّع أبا دلامة وشأنه فلا يعاقبه على تهاونه بشعائر الدين أو على اعترافه بشرب الخمر وإتيان المنكر : ولكنك تغفر للمنصور كثيراً من تساهله إذا حاولت أن تعرف كيف كان فهمه لأبي دلامة : كان يفهمه على أنه مخلوق لا بد منه ليسد في هذه الدنيا فراغاً لا يسده إلا أمثاله من الظرفاء ، وأن هؤلاء كثيراً ما يطغى هزلهم على جدهم فليس من الحكمة أن تحمل كل بادرة منهم محمل الجد ، وإلا لخرست ألسنتهم فما تنطق ، وسكنت حركاتهم فما تداعب ، وانطووا على أنفسهم فما يضحكون ولا يُضحكون : وبذلك نفقد هذا العنصر من المرح الذي لا نكاد نجده على حقيقته إلا لديهم ، والذي ننظر بدونه إلى الحياة بمنظار أسود كئيب . ولا ريب أن المنصور لم يلزّ أبا دلامة بمسجده في القصر لمجرد حمله على الصلاة ، وإنما أراد قبل كل شيء — كما أفهم — أن يظفر منه بين الحين والحين بشيء من نكاته الطريفة ، ومداعباته اللطيفة . حتى إذا وجد أن إلزامه بالصلاة في مسجده سيرهقه من أمره عسراً حتى ليوشك أن تغيب بديهته الحاضرة ، وترقد دعابته اليقظة ، عاد يعفيه من ملازمة الجماعة ؛ ويقال في رواية أخرى أنه أحلفه أن يصلي في مسجد قبيلته .

بيد أن دلال أبي دلامة على المنصور ولطف محله منه لم يحولا دون تطبيق حكم الشرع عليه أحياناً وإن كان هذا التطبيق مشوباً بشيء من التساهل وقابلاً للتعديل السريع : شرب أبو دلامة في بعض الحانات فسكر وانصرف وهو يميل . فلقيه العسس فأخذوه وقيل له : من أنت وما دينك ؟ فقال :

ديني على دين بني العباس ما خُتم الطينُ على القرطاس
إني اصطبحت أربعاً بالكاس فقد أدار شربها براسي
فهل بما قلت لكم من باس ؟

فأخذوه ومضوا ، وخرقوا ثيابه وساجه وأتي به أبو جعفر المنصور — وكان يؤتى بكل من أخذه العسس — فحبسه مع الدجاج في بيت . فلما أفاق جعل ينادي غلامه مرة وجاريته أخرى

(١) يحاجزه : يتخلص منه وينتحل المعاذير الباطلة لانقطاعه عنه .

(٢) هو الربيع بن يونس آخر وزراء المنصور كان أحد أجداده أبو فروة كيسان مولى عثمان بن عفان من سبي الخليل وظل في خدمة المنصور إلى موته .

(١) الأغاني جـ ١٠ ص ٢٤٧ .

فلا يجيبه أحد ، وهو فى ذلك يسمع صوت الدجاج وزُقاء الديوك . فلما أكثر قال له السجان : ما شأنك ؟ قال : ويلك من أنت وأين أنا ؟ قال : فى الحبس وأنا فلان السجان . قال : ومن حبسنى قال : أمير المؤمنين . قال : ومن خرق طيلسانى ؟ قال : الحرس . فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس ففعل ، فكتب إلى أبى جعفر:

أمير المؤمنين فدتْك نفسى ... علام حبستنى وخرقت ساجى ؟
أمن صفراء صافية المزاج ... كأن شعاعها لهب السراج ؟
وقد طبخت بنـــار الله حتى ... لقد صارت من النُّطف(١) النضاج
تهشُّ لها القلوب وتشتهيها ... إذا برزت ترقرقُ فى الزجاج
أقاد إلى السجون بغير جُرمٍ ... كأنى بعض عمـال الخراج
ولو معهم حُبستُ لكان سهلاً ... ولكنى حبست مع الدجاج
وقد كانت تخبرنى ذنوبى ... بأنى من عقابك غيرُ ناجى
على أنى وإن لاقيتُ شراً ... لخيرك بعد ذاك الشر راجى

فدعا به وقال : أين حُبست يا أبا دلامة ؟ قال : مع الدجاج . قال : فما كنت تصنع ؟ قال : أقوق معهنّ حتى أصبحت . فضحك وخلى سبيله وأمر له بجائزة . فلما خرج قال له الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين . أما سمعت قوله « وقد طبخت بنار الله » — يعنى الشمس — فأمر برده ثم قال : يا خبيث شربت الخمر ؟ قال : لا : قال : أفلم تقل « طُبخت بنار الله » تعنى الشمس ؟ قال : لا والله ما عنيت إلا نار الله الموقدة التى تطلع على فؤاد الربيع . فضحك المنصور وقال : خذها يا ربيع ولا تعاود التعرض(٢) .

فقد رأيت — فى هذه القصة — أن المنصور أراد أن يطبق حكم الشرع على أبى دلامة ، فعزره على شرب الخمر بالحبس ، ولكنه لم يشأ أن يحبسه مع الناس ، وإنما ابتكر له سجناً مع الدجاج لعله يسمع منه كلمة تضحكه : فالخليفة كان يتنازعه عاملان : عامل الدين الذى يأمره بمساواة نديمه بغيره من الناس فى كل حكم شرعى ، وعامل المنادمة الذى يدخل السرور عليه كلما أطلق العنان لأبى دلامة : ولعل العامل الثانى كان أغلب على المنصور مع مثل هذا الظريف .

وإذا كنا قد أطلنا الحديث على نوادر أبى دلامة مع المنصور فلأنه حضر خلافته كلها — وقد دامت اثنتين وعشرين سنة — وكان مقرباً منه ، مكرماً لديه . حتى إذا توفى أبو جعفر وبويع بالخلافة من بعده لابنه المهدى ثم علم أبو دلامة بقدومه من الرى سارع إليه فورد عليه ببغداد وأنشده :

إنى حلفت لئن رأيتك سالماً ... بقرى العراق وأنت ذو وفْر
لتصلينَّ على النبى محمد ... ولتملأن دراهما حجرى !

فقال : صلى الله عليه وسلم ، وأما الدراهم فلا . فقال له : أنت أكرم من أن تفرق بينهما ثم تختار أسهلهما . فأمر بأن يملأ حجره دراهم(١) .

وقد لا نحمد لأبى دلامة مسارعته إلى المهدى — بعد وفاة أبيه — وإنشاده هذين البيتين اللذين لم يزد فيهما على أن طلب المال بأسلوب طريف ، ونرى أن قد كان جديراً به أن يعزيه بوفاة أبيه ويهنئه بالخلافة ثم يؤخر مسألته إلى وقت أكثر ملاءمة ومناسبة : لكنك تعذر أبا دلامة متى علمت أنه ورد على المهدى بعد مضى زمن غير قصير على وفاة المنصور فأعفى نفسه من التذكير بما طوته الأيام لئلا يكون كمن ينكأ الجرح بعد اندماله ؛ ثم إن له من حب المهدى ما يشفع له ، فكثيراً ما كان يداعبه — وأحياناً ما كان يعذبه — فى حياة أبيه ؛ وقد قالوا — وصدقوا — : من لم يوقرك صغيراً لا يوقرك كبيراً .

فأبو دلامة أراد أن يذكر المهدى حين قدم عليه لأول مرة بما كان بينهما فى حياة أبيه من دعابة ومزاح ليحتفظ عنده بما كان له من مكانة ، وليستشعر بنفسه مدى موقف الخليفة الجديد من ظرفه وهزله ، فإن غيرته الخلافة فعبس فى وجهه لزم صاحبنا الصمت ووجد الخير فيه ، وإن بقى على مرحه وأنسه به زاده من الدعابة ألواناً وظل نديمه الظريف .

ولتهنأ يا أبا دلامة ، فما قطب لك المهدى وجهاً ، ولا غل عنك

(١) النطفة : الماء الصافى قل أو كثر

(٢) الأغانى ج ١٠ ص ٢٥١ .

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٥٣ وتجدها فى شذرات الذهب فى ترجمة هذا الظريف .

يداً ، ولا رد لك طلباً ، بل ملأ حجرك دراهم منذ أول يوم قدمت فيه !

وكان هم أبى دلامة الأكبر أن يكسب بمنادمته كثيراً من المال : ويأخذه فى قصر الخليفة منه ومن أقربائه وممن يتردد على الخليفة من الأمراء والوزراء ، بل كان يأخذه من الموالى أنفسهم ؛ فإن أمسك أحد منهم يده عنه تنادر به ليفضحه !

دخل على المهدى وبين يديه سلمةُ الوصيف واقفاً ، فقال : إنى أهديت إليك يا أمير مُهراً ليس لأحد مثلُه ، فإن رأيت أن تشرفنى بقبوله . فأمره بإدخاله إليه . فخرج وأدخل إليه دابته التى كانت تحته ، فإذا به برذَون محطم أعجفُ هَـرِم . فقال له المهدى : أى شىء هذا ويلك ! ألم تزعم أنه مُهر ؟ فقال له : أو ليس هذا سلمةُ الوصيف بين يديك تسميه الوصيف وله ثمانون سنة ، وهو عندك وصيف ! فإن كان سلمةُ وصيفاً فهذا مُهرِ ! فجعل سلمةُ يشتمه والمهدى يضحك . ثم قال لسلمة : ويلك ! إن لهذه منه أخوات ، وإن أتى بها فى محفل فضحك . فقال أبو دلامة : والله لأفضحنه يا أمير المؤمنين ؛ فليس مواليك أحد إلا وقد وصلنى غيره ، فإنى ما شربت له الماء قط قال : فقد حكمت عليه أن يشترى نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك . قال سلمة : قد فعلتُ على أن لا يُعاود . فقال المهدى لأبى دلامة : ما ترى ؟ قال : أفعلُ ، فلولا أنى ما أخذت منه شيئاً قط ما فعلت منه مثل هذه فمضى سلمة فحملها إليه(١) .

فانظر كيف لم يرض أبا دلامة إلاحملُ سلمةَ ألف درهم إليه كانت أشبه بضريبه لم يستطع أن يتخلص منها أحد من موالى الخليفة فكيف بأهل بيته وذوى قرباه ؟

وقد صرح الظريف فى هذه القصة بأنه لولا أنه ما أخذ من سلمة شيئاً قط ما تنادر به ، ففى هذا إنذار لكل من يدخل قصر الخلافة سيداً كان أو مولى بأنه معرّض للفضيحة إذا هو لم يرضخ شيئاً لأبى دلامة !

فما كان أعجب هذا الظريف !

(يتبع) صبحى إبراهيم الصالح

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٧١ .

من صور النكبة :

رقـــية...

للآنسة فدوي عبد الفتاح طوقان

تدلّت عن الأفق أمُّ الضياء ملفّعةً باصـــفرار كئيب
وقد لملمت عن صدور الهضاب وهـام التلال ذيول الغروب
وجرّت خطاها رويداً رويداً وأومتْ إلى شرفات المغيب
فأطبقن دون رحاب الوجود وأغرقنـه فى الظلام الرهيب
وغشّى الدجى مهجات نبضن بشوق الحياة ، بوهج اللهيب !
وأخرى تلاعب ثاج السـنين بها نخبت فى حنايا الجنوب !
وأوغل فى حاليات القصـور ، وأوغل فى كل كوخ سليب
فمدّ الجناح على بسمات الشــفاه ، وفوق جراح القـــلوب
وضمّ الســعيد بأحلامه ،
وضمّ أخا البؤس نِضْو الكروب

* * *

وفى وحشة الليل ، ليـل المواجع ، ليـل المواجد ، ليـل الهموم
للريح ولولة فى الشــعاب وللرعد جلجلة فى الغيوم
وللبرق خفـق توالى دراكاً يشـق حجاب الظلام البهيم
بدا (جبل النار) ترب الخلود له روعة الأزلىّ القـديم
تعـــالى أشمّ أمام السماء يجـاذب منها حواشى الأديم
كأنّ ذراه رُفعن هناك ، على الأفق ، متكأً للنجوم
وكان وراء غواشى الدجى رهيب السكون ، عميق الوجوم
تحسُّ به رجفـــة الكبرياء الجريحة والعنفوان الكليم
وفى قلبه النـــار مكبوتة الزّفير ، فيـــالهيب الكظيم !

* * *

هنالك ، فى سفح مهد البطولات ، والمجد ، والوثبات الكُبَرْ !
هنالك ، تحت الضـــباب المسفّ والأرض غرقى بدفق المطر
كأن الرحاب العلى بعيون السحاب تبكى شقاء البشر . .
هنالك ضمّ (رُقيّة) كهفٌ رغيب عميق كجرح القـدر

تدور به لفحات الصقيع فيوشك يصطك حتى الصخر
وتجمد حتى عروق الحياة ويطفأ فيها الدم المستعر
(رقية) ؛ يا قصة من مآسى الحمى سطرتها أكفّ النير
ويا صورة من رسوم التشرد ، والذل ، والصدمات الأخر ...
طوى القبرُ ، فانطرحت هيكلاً شقىَّ الظلال ، شقىَّ الصور !

***

تملَّق شىءٌ كفرخ مهيض على صدرها الواهن المرتعد
وقد وسَّدت رأسه ساعداً وشدَّت بآخر حول الجسد
ولو قدرت أودعته حنايا الضلوع ، وضمَّت عليه الكبد !
عساها تقيه بدفء الحنان ضراوةَ ذاك المساء الصَّرِد
وعانقها وهو يصغى إلى تلاحق أنفاسها المطَّرِد
وكانت خلال الدجى مقلتاه كنجمين ضاءا بصدر الجلد
تشمَّان فى قلبها المدلهمّ فيوشك فى جنبها يتّقد
وغمغم : أمّ ، وراحت يداه تعيثان ما بين نحرٍ وخد
فأهوت على الطفل تشتمُّ فيه روائح فردوسها المفتقد

***

وفى مثل تهويمة الحالمين وغيبوبة الأنفس الصّافيه
أطلّت على أفق الذكريات وفى عمقها لهفة ظاميه
تعانق بالروح طيف الديار وتلثم تربتها الزاكيه
وتبصر فى سبحات الخيال ملاعبها الرحبة الحانيه
وأفياءها الدافئات وتلك الدهاليز فى الروضة الحاليه
ومن ههنا ظلّة الياسمين ومن ههنا ظلّة الداليه
وإلفُ الحياة يُشيع الحياة بأجواء جنتها الهانيه
فيا دار ما فعلته الليالى بأشيائك الحلوة الغاليه ؟
وربُك ... كيف تهاوت به يدُ البغى والقوة الجانيه !

***

ومرّ على قلبها طيف يوم دجىّ الضحى ، عاصف مربد
وقد نفرت فى جموح الإباء نسور الحمى للحمى تفتدى
دعاها نفير العلى والجهاد فهبَّت خفافاً إلى الموعد
تذود عن الشرف المستباح وتدفع عنه يد المعتدى
وتقتحم الهول مستضحكاً وتسخر باللهب الموقد
فتنقضُّ مثل القضاء المتاح وتهبط كالأجل المرصد
وليست تبالى وجوه الردى كوالح فى الموقف الأربد
فياللحمى ! كم حمىٍّ أبىٍّ تجدَّل فيه ... وكم أصيد !
أباحوا له المهج الغاليات واسقوا ثراه دم الأكبد

***

وطالعها فى رؤى الذكريات فتاها ، نجىُّ العلى والطماح
إباء الرجولة فى بردتيه وزهو البطولة ملء الوشاح
يشدُّ على الغاصب المستبد ويضرب دون الحمى المستباح
ويلقى عراك المنايا وجاهاً ويكتسح الهول أىَّ اكتساح
وتعرف منه الوغى كاسراً قوىَّ الجناح عنيد الجماح
يخط على صفحات الجهاد سطور الفدا بدماء الجراح
نبيل الكفاح إذا الخصم راغ . ومن شرف الحرب نبل الكفاح
فيا من رأى النسر بجناحه وتلوى به بغتات الرياح
تهاوى صريعاً وأرخى على حطام أمانيه ريشَ الجناح !..

***

وفاضت لواعجها ، لا أنيناً جريحاً ، ولا عبرة زافره
ولكن ذعافاً من الحقد والبغض والضغن والنقم الثائره !
متى يشتفى الثأر ؟ يا للضحايا أتهدر تلك الدما الطاهره
ويا للحمى ! من يجيب النداء نداء جراحاته النافره
وقد أغمد السيف ، لا رد حقاً ولا أطفأ الغلة الساعره !.

***

تململ فى حضنها فرخها فضمته محمومةً ثائره ..
ومالت عليه وفى صدرها مشاعر وحشيّةٌ هادره ..
لترضعه من لظى حقدها ونار ضغائنها الفائره ..
وتسكب من سم خلجاتها بأعماقه دفقةً زاخره !.

***

هنا (جبل النار) كان يطوِّف حُلمٌ بأجفانه الساهره
تناديه فيه طيوف نسور تنقلّ بأفق العلى طائره
مخالبها راعفات ... وملء جوانحها نشرة ظافره ..
وورد التشفىّ بثاراتها وراء مناسرها الكاسره !

(نابلس — جبل النار) فدوى عبد الفتاح طوقان

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مقاومة الفكرة بالفكرة فى المبادئ الهدامة :

من رأى معالى مصطفى مرعى بك وزير الدولة أن مقاومة الفكرة بالفكرة هى أنجع الوسائل فى سبيل القضاء على المبادىء الهدامة ... ذلك لأن التربة الصالحة لنمو الأفكار المنحرفة هى رءوس الطبقة المتعلمة قبل الطبقة الجاهلة ؛ فإذا حاربنا تلك الرءوس بنفس السلاح الذى تلجأ إليه ، كان ذلك أجدى على طلاب الحقيقة سواء أ كانوا من الداعين إلى الانحراف والساعين إلى الخراب ، أم كانوا من هواة التصديق الذى يعقبه التصفيق لكل رأى جديد يغرقهم فى تيه من المظاهر الخداعة !

الحجة بالحجة والفكرة بالفكرة والدليل بالدليل ، وتلك هى الأضواء الثلاثة التى يجب أن تسلط على الأوكار الفكرية التى يعيش أصحابها فى الظلام ... رأى يحمل كثيراً من الصواب ما فى ذلك شك ؛ لأننا لو جنّدنا بعض الأقلام لمثل تلك الغاية لأتينا بخير النتائج ولظفرنا بالكثير ، ولأزهقنا باطل الدعاة حين يذيعون على الملأ أننا قد لجأنا إلى منطق الإرهاب فى محاسبتهم حين عجزنا عن منطق الإقناع ... وتلك نغمة خبيثة يرددها اليوم أعداء النظام كما كان يرددها بالأمس أعداء الإسلام ، حين نادوا بأن الدين الجديد قد فرض على خصومه بقوة السيف لا بقوة الدليل والبرهان !!

نحن مع وزير الدولة فى هذا الرأى الصائب الذى يدعو إليه .. وإنه لمن أيسر الأمور أن ندلل على فساد بعض المبادىء وفساد العقول التى تؤمن بها عن غير روية ولا تفكير ، وتتخذها فى بعض الأحيان تجارة لتصل من ورائها إلى كثير من الأغراض! ولكن لا بد لذلك من حملة تجند لها القوى الفكرية ولا بد للحملة من هيئة تشرف عليها فى شتى السبل والميادين ، ولا بأس من أن تخصص وزارة من وزارات الدولة لهذا الهدف وحده دون سواه ... هناك كتب تكشف عن مساوىء الشيوعية وتنزع عن وجهها الدميم كل نقاب ، فلم لا يعهد إلى بعض الأقلام بترجمة هذه الكتب لتوزع على طبقات الشعب بالمجان ؟ تلك هى إحدى الوسائل المثلى ليطلع الناس على تصوير الأفكار المنحرفة تصويراً صادقاً ، يكون بالنسبة إليهم أشبه بالأمصال الواقية من جراثيم المبادىء الهدامة ! ...

قد يعترض معترض بأن هناك لوناً من الاستحالة المادية فى طبع الملايين من الكتب لتوزع على الملايين من الأفراد ، فضلا عن التكاليف الباهظة التى ترهق الميزانية وفضلا عن الوقت الطويل الذى ينفق فى سبيل الترجمة والمراجعة والنشر ... إذا تحقق شىء من هذا فلا بأس من التلخيص والتركيز لنقدم إلى الشعب فصلاً صغيرة تقوم مقام النشرات ، وعندئذ ينتفى الاعتراض إذا ما تفادينا إضاعة الوقت والجهد والمال !

وهناك فضلا عن ذلك ميادين الصحافة اليومية والأسبوعية ومحطة الإذاعة اللاسلكية ؛ ففى تلك الميادين تستطيع وزارة الدولة أن تكرس الجهود عن طريق المقالات والمحاضرات ، لتغلق كل نافذة يمكن أن تهب منها الرياح التى تزكم الأنوف المريضة ، وتهز العقول الفارغة ، وتعصف بنفوس السذج ممن يصدقون كل ما يقال !

وقد يعترض معترض آخر بأن هناك مشكلة ستظل رغم تلك الحلول وهى مشكلة المشكلات ؛ وخلاصة المشكلة الكبرى هى أن هناك أناساً سيبقون على إيمانهم بالأفكار المنحرفة مهما جاهدنا فى مكافحة الفكرة بالفكرة ومحاربة الدليل بالدليل ، ذلك لأنهم تجار مبادىء وأصحاب أهواء وأغراض ... وتلك فئة قد عاهدت الشيطان على أن تسد منافذ السمع دون صوت الحق ومنطق الضمير ، فلا وسائل الإقناع بمجدية ، ولا بنافعة طرائق التوجيه والإرشاد ! ...

إذا واجهتنا تلك المشكلة الخطيرة فلدينا العلاج الحقيقى للقضية كلها ، أو قل إنه السلاح الرئيسى الذى يرد أسلحة الدعاة وهى مفلولة لا تقطع ولا تدفع ... إنهم ينفثون سمومهم فى كل بقعة يلوح لهم منها شبح الفقر وتبدو معالم الحرمان ، وفى كل مجموعة

من الأحياء تجار بالشكوى منادية برفع غبن أو مطالبة برد حق مهضوم . وإذن فلنعمل جاهدين على تحقيق العدالة الاجتماعية التي لا تفرق بين فرد وفرد ولا بين فريق وفريق ... علينا أن نهيئ العلم للجاهل ، والعمل للعاطل ، والدواء للمريض ، والحياة الكريمة التي توفر الاستقرار للموظف والعامل والفلاح ، وعندئذ تذهب دعوة السوء صرخة فارغة في واد عميق وتكسد البضاعة الزائفة حين تغلق في وجه تجار المبادىء المنحرفة كل سوق من الأسواق !

لحظات مع توفيق الحكيم في « شهرزاد » :

ورد الحوار التالي في مسرحية « شهر زاد » للأستاذ توفيق الحكيم ... المنظر السابع ص (١٧٢) :

شهر زاد — لا أظن أنها تقارعك أو تتكافأ لك . ما أنت إلا شعرة في رأس الطبيعة .

شهر يار — كلا (ابيضت) نزعتها .

شهر زاد — إنها تكره الهرم .

شهر يار — نعم .

شهر زاد — تنزعها كي تعود من جديد .

شهر يار — (فتية قوية) !

والشعرة البيضاء إذا انتزعت لا تخرج محلها إلا شعرة بيضاء لا فتوة فيها ولا قوة ، ضعيفة كأصلها واهية كأصلها ... فهل ترى أن الأستاذ الحكيم قد وفق في تكوين هذه الصورة البيانية أم أنه قد أعجم على الفهم ؟ نرجو أن تبينوا لنا هذا في تعقيباتكم ودمتم ذخراً للأدب .

إسماعيل محمد السامرائي

بغداد — العراق

هذه اللمسة من الأديب العراقي الفاضل لمسة جد موفقة . وإنه ليستحق عليها خالص الإعجاب ... ذلك لأن الواقع المحس يؤيده كل التأييد فيما ذهب إليه ! إن الصورة الفكرية هنا تبدو مهزوزة ، أتدري لماذا ؟ لأن توفيق الحكيم يعمد أحياناً إلى الفلسفة اللفظية ؛ الفلسفة التي تعتمد على ظاهر اللفظ دون أن تنبع من أغوار النفس ، وهذا هو المأخذ الذي نستطيع أن نعثر عليه في كثير من قصص الأستاذ الحكيم ومسرحياته !

صراع الأفكار لا صراع النفوس ، هو السمة الغالبة على فن توفيق الحكيم ، ومن هنا تهتز الصورة الفنية أحياناً وتهتز معها الصورة الفكرية ... إن صراع النفوس حين ينقل عن واقع الشعور ينتفي معه كل تناقض لمنطق الحياة ، وعلى العكس من ذلك تجد صراع الأفكار ؛ لأنه صراع جدلي في أغلب حالاته يهمه مقارعة الحجة بالحجة ، لتنتصر في معركة الألفاظ فكرة معينة نبتت في رأس الفنان فوضعها على لسان شخص من الشخوص ، ولا بد لها أن تنتصر على سنان قلمه ؛ لأنه يريد لها أن تنتصر ، ولو كان ذلك على حساب الحقيقة النفسية التي تعبر عن الواقع فتصدق في التعبير !

إنك لو رجعت مثلا إلى « أوديب الملك » لوجدت أن إغراق توفيق الحكيم في الفلسفة اللفظية قد أفسد الجانب الواقعي من المسرحية في فصلها الأخير ؛ ذلك الفصل الذي كان يجب أن يعالج علاجاً نفسياً ليستقيم مع منطق الحياة والأحياء ... ولكن منطق الفلسفة اللفظية قد ارتضى لأوديب أن ينظر إلى نهاية الكارثة نظرة لا تتفق وطبيعة البشر ولا تتفق وجلال المأساة ؛ لأنها نظرة قوامها الرضا عن الحاضر بما فيه من قسوة ومرارة ، ونسيان الماضي بما فيه من شرور وآثام ، وهذا هو الطريق إلى السعادة : سعادة المستقبل الذي يكفر بهناءته عن حاضره وماضيه ... ولا بأس من أن يقضي أوديب ما بقي من حياته إلى جانب جوكاست ، على الرغم من أنه قد اكتشف أن تلك التي يريد أن يعيش معها من جديد هي أمه ، أمه التي عاشرها معاشرة الأزواج وأنجب منها عدداً من الإخوة يقال عنهم إنهم أبناء ؟ !

إن هناك فارقاً كبيراً في القيم الفنية بين الصراع الفكري والصراع النفسي ، وحسبك أن ترجع إلى مسرحية فرنسية عرضت لها بالنقد والتحليل في عدد مضى من « الرسالة » ، وأعني بها مسرحية « بنت بين أبوين » ... تلك التي نقلها الأستاذ أحمد الصاوي محمد إلى العربية في كتابه الجديد : « بنات » ، حسبك أن ترجع إليها لترى كيف تعبر الألفاظ عن دخائل النفوس ، وكيف تستحيل الكلمات إلى ظلال نفسية موحية ، وكيف يصب الحوار في قالب من اللمعات الشعورية المشرقة ، وكيف تضيء الصورة الفكرية تحت إشعاع الحياة !

لحظات أخرى مع طه حسين فى « هامش السيرة » :

ينقل لنا الدكتور طه حسين فى كتابه « على هامش السيرة » الجزء الثالث ، حديثاً يدور بين ورقة بن نوفل وصديقه نسطاس حول رواية سمعها ورقة من السيدة خديجة بنت خويلد عن الرسول الكريم فراح يقصها عليه ، وعند ما فرغ الدكتور من سرد هذا الحديث عقب عليه بهذه العبارات فى ص (٥١) : « ثم سكت ورقة فلم يقل شيئاً ، وكف نسطاس فلم يكتب شيئاً ... وظل الرجلان فى هذا الصمت والسكون ساعة ، كأنما كانت نفساهما قد فارقتاهما وجعلتا تسموان إلى أفق بعيد ليس من هذا العالم الذى يحيط بهما شىء . ولو قد رآهما راء على هذه الحال لخيل إليه أن قد اشتمل عليهما النوم ، وآية ذلك أن الحس عاد إليهما فجأة فذعرا من هذا الصمت كأنما هبا من نوم عميق . ونظر كل منهما إلى صاحبه نظرة طويلة صامتة ، ثم مد كل منهما يده إلى صاحبه فصافحه مصافحة طويلة ... الخ »

ثم يعود الدكتور فى الفصل نفسه فيقول فى ص (٥٣) : « وكان ورقة يقص هذا الحديث هادئاً مشرق الوجه باسم الثغر وكانت يد نسطاس تجرى على قرطاسه بتفسير ما يسمع فى لغة يونان » !

كيف تتفق هذه الفقرة الأخيرة ياسيدى مع الفقرات السابقة ألا ترى أن هناك شيئاً من التناقض بين القولين ، التناقض الذى يتمثل فى أن نسطاس قد كف عن الكتابة هناك بعد أن سكت ورقة ، وفى أنه قد عاد هنا لتجرى يده على قرطاسه بتفسير ما يسمع؟ أرجو أن أسمع رأيك ، وما جئت إليك أسألك إلا لأن رأيك هو الصواب ، ودمتم عوناً لطلاب المعرفة .

عمر عيسى السامرائى
العراق — معهد التربية البدنية

عند ما اطلعت على رسالة الأديب الفاضل قلت لنفسى : تناقض لا شك فيه ... وعند ما رجعت إلى كتاب الدكتور طه حسين وجدت الأمر على غير ما صوره لى الأديب الفاضل فى رسالته ، لأننى وقفت عند صفحة بين الصفحتين اللتين نقل عنهما صاحب السؤال تلك الفقرات التى بدا له أن فيها رأيين متناقضين وقفت عند هذه الصفحة لأخرج من سطورها بحقيقة ملموسة ، وهى أن الأديب العراقى الفاضل قد مر بها معجلا فيما يظهر ، فلم يتنبه لتلك القصة الأخرى التى قصها ورقة على نسطاس بعد فراغه من القصة الأولى ... الواقع أنه لاتناقض هناك على الإطلاق ففى ص (٥١) كان ورقة ينقل إلى نسطاس أول قصة سمعها من السيدة خديجة عن الرسول الكريم ، وعند ما انتهى ورقة من قصته تلك « سكت فلم يقل شيئاً وكف نسطاس فلم يكتب شيئاً وظل الرجلان فى هذا الصمت والسكون ساعة ... وعند ما ذعرا من هذا الصمت وكأنما هبا من نوم عميق » بدأ ورقة فى ص (٥٢) يقص على نسطاس قصة أخرى عن الرسول الكريم ، وعند ما انتهى ورقة من قصته الثانية كان فى ص (٥٣) « هادئاً مشرق الوجه باسم الثغر ، وكانت يد نسطاس تجرى على قرطاسه بتفسير ما يسمع فى لغة يونان ... » ومن هنا يرى الأديب الفاضل أنه قد ظلم الدكتور طه حسين بلا ذنب ولا جريرة ؟

نهضة أدبية موفقة فى عدن :

من دواعى الغبطة أن هناك نهضة أدبية مباركة فى عدن ، يشرف عليها ويرعاها نخبة من الشباب المخلصين لرسالتهم فى الحياة ومن دواعى الغبطة أيضاً أن أطلع على دعائم هذه النهضة فيما يرسل إلى من إنتاجهم ، ممثلا فى مجلة شهرية هى مجلة « المستقبل » ، وفى بضعة آثار فنية أهمها الشعر ... الله يشهد أننى سعيد بهذه النهضة ؛ لأنها وثبة رائعة من وثبات الشباب العربى فى جنوب الجزيرة ، ومتفائل بها كل التفاؤل ؛ لأننى أومن كل الإيمان بأن النهضات الأدبية ما هى إلا مقدمات طبيعية لنهضات أخرى ، ولو قلبت صفحات التاريخ فى كل أمة من الأمم لرأيت أن كل وثبة فى ميدان السياسة والعلم والاجتماع قد مهد لها الطريق على أكتاف رجال الأدب والفن ؛ لأنهم كانوا وما يزالون حملة المشاعل فى الصفوف الأولى من ركب الإنسانية فى سيرها الطويل

أنا مقدر للشبيبة العدنية تلك الجهود الموفقة راجياً لها من الأعماق كل مزيد من التوفيق .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

المازني :

فجعنا بوفاة الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني يوم الأربعاء الماضي (١٠ أغسطس الحالي) ، وأقول « فجعنا » وأنا أشعر بألم الفجيعة في واحد من أساتذتنا الذين تعلمنا وما زلنا نتعلم مما يكتبون وليس من السهل أن نرى كاتباً كالمازني يسلم الروح بعد عشرة روحية طويلة ، وقد كان رحمه الله يصدر في كتابته عن ذات نفسه يحدثك حديث الإنسان المجرد من الزهو والتصنع والرياء ، كان يصور نفسه ، وما ينعكس على صفحتها الصافية من صور ، وما يضطرب فيها من أحاسيس ، تصويراً طبيعياً صادقاً ، فيشعر القارىء أنه إزاء إنسان صديق ممتاز . وكان من أقرب الكتاب إلى النفوس ، لأنه كان قريباً إلى نفسه ، وإلى حياة الناس ، يأخذ مادته من الواقع ، ويصوغها في أسلوب يستمد حياته من الواقع أيضاً ، أسلوب عربي متين ، ومع ذلك يطابق به لغة الخطاب في روحها وسياقها ، ويخيل إليّ أنه حين كان يكتب يتمثل الحديث العادى في الحياة الواقعة ، فيترجمه إلى أسلوب يجمع قوة البيان العربي وروح الطبيعة الصادقة ، وكثيراً ما كان يتوخى الكلمات العربية السائرة في العامية أو المحرفة فيها التي نكتب ويمكن قراءتها على أصلها العربي ، فيقول مثلا : « ربنا يجازيك » مؤثراً هذا التعبير على « جزاك الله » لأن الأول يستعمله الناس في خطابهم مع سلامته في العربية بتصحيح نطقه . وأنا أميل إلى هذا المذهب في الكتابة ، وأحب أن أتابع فقيدنا المازني فيه .

وكان الفقيد الكبير من النقاد الأوائل القلائل الذين بدؤوا حياتهم الأدبية بالثورة على المناهج الأدبية القديمة ، فدعا فيمن دعا إلى تجنب التقليد وتزييف الشعور ، وأن ينظر الأديب في حياته وإلى ما يحيط به ، فيصدر فيما يكتب عن صدق وأصالة . وقد نشؤوا جيل الأدباء الحاضر على تلك الأفكار التجديدية ، ورددها تلاميذهم وطبقوها على إنتاجهم ونقدهم ، حتى استقرت في الأذهان وأصبحت حقائق أدبية مسلمة .

وفي أدب المازني إنسانية تتجلى في تحليله للضعف البشري الذي يشعر به من نفسه ومن الناس ، فتراه فيما يصور من أمر نفسه صريحاً ظريفاً ممتعاً ، وتراه عطوفاً كريماً في عرض عيوب الناس ومقابحهم ، يلتمس العذر لأهله ، وينظر إلى المخطىء والمسيء نظرة الطبيب إلى المريض .

أراني استطردت إلى شيء من قبيل النظرة الدراسية التي لا يتسع لها المجال ، وإنما أردت أن أبين أثر فقيدنا الراحل في هذا الجيل الأدبي وفي واقع حياة الناس . ولست بحاجة إلى بيان صفاته الإنسانية التي هي صفات الأديب المطبوع ، المتسامى عن سفساف الناس ، الساخر من غرورهم ، الزاهد في زخرف الحياة ، العازف عن أباطيلها .

تخرج المازني في مدرسة المعلمين العليا ، واشتغل بالتدريس حيناً في مدارس الحكومة ، ثم تمرد على تسلط المستعمرين وأذنابهم في ذلك الحين ، فاستقال ، واشتغل بالتدريس أيضاً في بعض المدارس الأهلية ، ثم خلص للكتابة والصحافة فقضى فيهما أطول مرحلة من حياته العملية ، وكان يكتب في الأدب والاجتماع والسياسة ، وقد تميزت كتابته في السياسة بالكياسة والنظرة القومية .

وقد لقي المازني عنتاً وشقاء في بعض أيامه الأولى ، حتى اضطر إلى بيع الكتب التي تحويها مكتبته . وابتسمت له الأيام في العهد الأخير ، ولكن هذا الابتسام كان افتراراً يسيراً مقتصداً فقد كان الرجل يحمل عبء العيال ، وكان يضطر إلى كثرة الكتابة ليواجه تبعاته ، حتى كان يكتب بعدة صحف ومجلات في وقت واحد . ولم يكن شيء من ذلك يبلغ حد التقدير الذي يستحقه هذا الرجل العظيم الذي عزف عن المناصب الحكومية التي ارتقى إليها مَن دونه ، وظل يكافح ويستنبط رزقه بقلمه حتى أسلم الروح .

إن الفجيعة بفقد المازني ، هي فجيعة الأدب في الأديب الحر الصادق ، وفجيعة الحياة الإنسانية في الإنسان الكريم ، وفجيعة مصر وسائر أقطار العروبة في الكاتب العظيم .

أبوشادى العجيب :

كتب الأستاذ مصطفى أمين بك صاحب «أخبار اليوم» بعد رحلته فى أمريكا — أن الدكتور أحمد زكى أبو شادى الطبيب والشاعر المصرى الذى يقيم الآن فى نيويورك ، نشر سلسلة مقـالات فى جريدة «الهدى» التى تصدر فى نيويورك هاجم فيها مصر هجوماً عجيباً ! وأنه تقدم إلى الحكومة الأمريكية بطلب التجنس بالجنسية الأمريكية ..

وأبو شادى هذا سافر إلى أمريكا منذ سنوات ، معلناً أنه لن يعود إلى مصر وأنه سيبقى هناك حتى توافيه أم قشعم [1] . وقد طهرت منه مصر منذ ذلك الحين ، وتنفس الجو الأدبى الصعداء ، وشرع بعض الشعراء الذين أفسد سليقتهم الشعرية فى إصلاحها ، ولا يزال بعضهم على ذلك الفساد .

وقد مكث أبوشادى دهراً ينظم كلاماً فارغاً ويقـذف به ديواناً وراء ديوان ، وهو يحاول أن يقنع الناس بأنه شـاعر ، فأخفق ، ولم يفلح إلا فى إفساد المذهب التجديدى فى الشعر العربى الذى دعا إليه العقاد والمازنى وعبد الرحمن شكرى ، وكان من رواده خليل مطران حتى لقد نفر أبو شادى بعض الشعراء المجيدين من لفظ التجديد وأصبح مثار التندر فى مجالسهم

فلا غرابة أن يأتى إلينا نبأ انحراف ذلك الرجل عن الكرامة الوطنية ، ومصر لا تستحق هجومه عليها إلا لسبب واحد هو أنه من أبنائها .. وإن كانت كفرت عن ذنبها بلفظه وقذفه إلى ما وراء البحار ...

حمير الإذاعة :

سمعت فى هذا الأسبوع حـديث «ندوة الحيوانات» ببرنامج الأطفـال فى الإذاعة المصرية . خارت البقرة وافتخرت بأن الشـعراء يشبهون بعينيها العيون الجميلة . فما كان من الحمار إلا أن نهق وقال : حتى أنا يذكر الشعراء صوتى فى أشـعارهم فيقولون : إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ! ولا لوم عليه فى اعتقاده أن هذا من كلام الشعراء فهو حمار ..

إنما السبيل على من أنطقه !

وقديماً قرأنا فى نوادر الحمقى والمعتوهين بكتب الأدب ، أن أحدهم قام يخطب فى الحث على الجهاد فقال : قال الله تعالى : كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

(١) كنية الموت

كشكول الأسبوع

□ اختير معالى الأستاذ لطفى السيد باشا رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، عضواً بالمجمع العلمى العراقى .

□ تجتمع اللجنة الثقافية للجامعة العربية بالأسكندرية يوم ٢٢ أغسطس الحالى . ومما تنظر فيه برنامج المؤتمر الثقافى الثانى وموعد انعقاده وتنظيم الاحتفال بالذكرى الألفية لابن سينا .

□ ابتدأت جلسات حلقة الدراسات الاجتماعية ببيروت يوم الاثنين الماضى (١٥ أغسطس) وهى الدراسات التى دعت إليها هيئة الأمم المتحدة ، الدول العربية ليتناقش مندوبوها فى شؤونها الاجتماعية ، ويرأس وفد مصر فيها وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية ، ويمثل جامعة الدول العربية فيها سعادة محمد العشماوى باشا .

□ جاء إلى مصر وفد هيئة الندوة الشـعبية بأمريكا ، وهو يتكون من ثمانية وعشرين من قادة الرأى الأمريكى ، وهم يقومون برحلات إلى مختلف البـلاد لتبادل الرأى مع المختصين المحليين فى المسائل الثقافية والاقتصادية فى اجتماعات يسجل ما يقال فيها لإذاعته على الشعب الأمريكى ليدرك حقيقة مشاكل الدول الأخرى ، ليتجه إلى التعاون معها .

□ أمر معالى وزير المعارف بإلغاء الرقص التوقيعى فى مدارس البنات . وقد كتب أحـدهم فى جريدة الأساس يقول إن الرقص التوقيعى ينقض الوضوء لأنه يحدث انتعاشاً باطنياً .

□ عاد من أوربا الأستاذ زكى طليمات عميد معهد التمثيل العالى بعد رحلة فنية قام بها متنقلا بين فرنسا وإيطاليا وإنجلترا ، ودرس فى خلالها الاتجاهات الحديثة فى فنون التمثيل لاقتباس مايلائم منها الحياة الفنية فى مصر وخاصة الدراسة بمعهد التمثيل ، وكان موفداً لذلك الغرض من وزارة المعارف .

□ كتب الدكتور ابراهيم ناجى مقالا فى «النداء» قال فيه إن السادية (وهى التلذذ بتعذيب الغير) ليست مسألة جنسية فقط ، بل تكون كذلك فى الأدب ، وضرب أمثلة لذلك ، ولـكن فاته أن يذكر من هذه السادية الأدبية محاضراته فى رابطة الأدباء .

□ وافقت وزارة المعارف على إرسال مجموعـة منتقاة من إنتاج مدرسة الفن الشعبى بحدائق القبة ، إلى مكاتب البعثات المصرية فى روما وباريس ولندن ، وذلك لإقامة معرض متنقل بين هذه المواصم الثلاث تعرض فيه نماذج فن النحت والتصوير الشعبى فى مصر .

□ الأستاذ محمد بدران المراقب بالإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف ، معروف بنشاطه الفائق فى ترجمة الـكتب الأدبية والثقافية . وذات مرة كان عند الأستاذ شفيق غربال بك وكيل الوزارة ، فأمسك بدفتر التليفون وجعل يقلب صـفحاته ، فقال له شفيق بك : أتريد أن تترجمه ؟

□ وصلت الحال ببعض المجلات إلى أن تعلن عن نفسها فى الصحف بأنها مجلات البهجة والترفيه ... وهى صراحة لا تحمد عليها .

تعليم اللغة باللغة :

قرأت كلمة الأستاذ السيد حسن قرون المنشورة بالعدد الماضي من « الرسالة » تعليقاً على ما كتبته في عدد مضى بعنوان : « تعليم اللغة بدراسة الأساليب »

وأقول للأستاذ أولاً : إن مؤتمر مفتشي اللغة العربية انعقد باعتباره هيئة فنية تنظر فيما يتعلق بأعمالها وتبدى الرأى في المسائل المتصلة بها ، على أنه رأى فقط ، يصح أن تأخذ به السلطة الرئيسية في الوزارة أولاً . وأنا كتبت في موضوع تعليم اللغة العربية بمناسبة ما قرره المؤتمر فيه ، لا لعرض ما انتهى إليه ، والواقع أن المؤتمر لم ينته إلى أمر ذى خطر بغير واقعاً ، فقد رأى أن تدرس اللغة العربية عن طريق نصوصها وأساليبها لتستخلص منها القواعد من غير إسراف في الاصطلاحات النحوية المطولة . وهذا متبع فعلاً ، فالدرس يعرض الأمثلة على التلاميذ ويستنتج منها القاعدة ، والذى يمكن أن يعد جديداً في قرار المؤتمر هو عدم الإسراف في الاصطلاحات النحوية المطولة ، وهذا هو ما يطلق عليه « تيسير النحو » على أن هذا أيضاً هو ما اتجهت إليه لجنة تيسير تدريس اللغة العربية بوزارة المعارف في منهج اللغة العربية الجديد الذى يوشك أن يأخذ طريقه إلى التطبيق والتنفيذ في المدارس .

وما ذكره الأستاذ من اضطراب منهج اللغة العربية في المدارس صحيح ، وقد ذكر أمثلة له . وأنا أريد أن أعدى عن هذا فما هو بذى شأن فيما أريد أن أحصر الكلام فيه ، وهو تعليم اللغة بالكلام الفصيح ، وقد تساءل الأستاذ قرون عن المقصود باستخلاص اللغة من الأساليب ، فإن كان يبغى ما عند المفتشين والوزارة فقد تقدم بيانه ، وإن كان يريد ما رميت إليه بكتابتى السابقة في الموضوع فهو ما قلت « أن يترك الناشىء سنوات يسمع فيها اللغة ويقرؤها ويعالج التعبير بها ، بحيث يشعر بالحاجة إلى ضوابط لها ، وعند ذاك ننتهز فرصة تشوقه إلى الضوابط فيعرف بها بطريقة سهلة ميسرة »

وتفصيل ذلك أو تطبيقه أن تحذف القواعد من المدارس الابتدائية ، لا أن تؤخر فقط من السنة الثانية إلى الثالثة ، وليس معنى ذلك أن تظل الحال في المطالعة والمحفوظات والإنشاء على ما هى عليه الآن ؛ ولا ندع التلميذ يفهمهما على أن أى قصيدة تكفيه ، والمطالعة فيها تسامح ، والإنشاء أى كلام ينفع له ولو كان عامياً ؛ ولا ندع حصص القواعد لصنع الصلصال وشؤون الفلاحة والبساتين .

وإنما يجب أن يعنى بالمطالعة على أنواعها من جهرية وسرية ومدرسية ومنزلية ، ويجب أن يكون أكثر ما يطالع قصصاً مناسباً لعقول التلاميذ من حيث الأسلوب السهل والفكرة المستساغة الواضحة والموضوع المشوق المأخوذ مما يدور في بيئاتهم وتقع عليه حواسهم ، ويجب أن تشجع الوزارة على تأليف ذلك كما يجب أن تستعين بالأدباء المعروفين بالإنتاج للأطفال والناشئين . وكذلك ينبغى الاهتمام باختيار ما يحفظ ووضعه ، وبالتعبير الذى يسمونه الإنشاء ، من شفوى وتحريرى ، بحيث يتجه فيه إلى الاستفادة مما يقرأ ومما يحفظ .

وبذلك نهيىء للناشىء فرصة طويلة يستطيع فيها أن يتذوق اللغة من كلامها الفصيح ، ويعيش في جوها ، فتنطبع ملكته بأساليها ، دون أن نفسد عليه ذلك بربكه باستخلاص القواعد ، لأننا عند ما نقدم له القطعة أو القصة ولا نتركه يهنأ بجمالها ومتعتها فنطالبه على أثرها بالمبتدأ والخبر والفاعل في جملها ، ونأخذ منها ما يكمله بمفعول أو ظرف — عند ما نفعل ذلك يحار التلميذ في المراد من القطعة أو القصة ، وقد يذهب به الفكر الغض إلى أن المقصود من هذه الحكاية بيان جملها الاسمية والفعلية …

وبعد ذلك ، أى بعد أن يتصفح التلميذ أساليب اللغة ويكتسب ملكتها ويدركها إدراكا كلياً ، نمهد به إلى التحليل والتعليل ، ويكون قد جاوز المرحلة الابتدائية وبدأ التعليم الثانوى فنعلمه القواعد الميسرة مع الاكتفاء بالضرورى منها . وهذا ينطبق على القاعدة التربوية المعروفة وهى الانتقال من الكلى إلى الجزئى . وسيشعر التلميذ بالحاجة إلى القواعد في أثناء تجاربه اللغوية الابتدائية ويتشوق إلى معرفتها للانتفاع بها ، وهنا أيضاً يتحقق ما يراه علماء التربية من إثارة شوق التلميذ ودفعه إلى طلب المعلومات بنفسه .

ونجنى من كل ذلك غاية أخرى جليلة الشأن ، هى أن نعود الناشىء القراءة والاطلاع منذ الصغر ، فإذا شب وكبر طلب من زاد الفكر ما يناسبه .

عباس خضر



ديوان أبي فراس الحمداني

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

لم يجمع أبو فراس أشعاره بنفسه ، وإنما كان يدفعها إلى أحد أساتذته المعجبين به ، أبي عبد الله الحسين بن خالويه ، وهو من أشهر علماء البلاط الحمدانى ، ولعله بهذا ، كان يريد أن يلقيه بين يدى أستاذ يذيعه فى الناس ، ويشرح لهم ما غمض عليهم منه ، ويبين ما فيه من إشارات تاريخية يدركها ، بحكم اتصاله بأمراء الأسرة ؛ ولهذا أستبعد صحة تلك الرواية التى تدعى على أبى فراس أنه حظر على أستاذه نشر شعره ، فلو أنه كان يقصد حقاً حظر هذا النشر لكفى نفسه مئونة إلقائه إلى أستاذه ، بل مئونة إنشائه وكيف ومن هذا الشعر ما أرسل به إلى أقربائه وأصدقائه ، ومنه ما قصد به إلى تسجيل مفاخره ومفاخر أسرته ، ولا معنى لهذا التسجيل إذا لم يشع بين الناس ، ويجر على الألسنة ، ويحفظ فى الصدور ، وتحمل به الكتب ، وكان أبو فراس يعد الشعر ديوان العرب ، وعنوان الأدب ، لا شيئاً يحط من قدره ، ويرغب فى إخفائه ، بل لقد كانت قدرته البيانية من أسباب فخره ، وإذا كان قد نفى عن نفسه أنه شاعر حين قال :

نطقت بمدحى ، وامتدحت عشيرتى

وما أنا مداح ، ولا أنا شاعر

فإنما كان يرى إلى أنه ليس من هؤلاء الشعراء الذين ينسبون إلى ممدوحيهم ما ليس فيهم رغبة فى الصلات والعطايا .

وإن فى مقدمة ابن خالويه ما يدل على أنه كان يلقيه إليه ، ثقة منه بحفظه إياه ، إذ يقول : وما زال ، رحمه الله ، إيجاباً لحق الأدب ، ورعاية للصحبة ، وعلماً بأهل المحافظة ، يلقي إلى دون الناس شعره .:. فجمعت منه ما ألقاه إلى ، وشرحته بما أرجو أن يقرنه الله ، عز وجل بالصواب ، والرشاد ، بمنه وطوله ، وقوته وحوله ؛ ولا ينبغى أن يفهم من كلمة ابن خالويه أنه شرح الديوان ببيان معانى أبياته ، وإنما ذكر أحياناً الظروف التى قيلت فيها القصائد فحسب ، كما شرح الحوادث التاريخية ، لقصيدة الفخر الرائية ، من غير تعرض لشرح لغوى ، أو تفسير غامض .

لست أدرى الترتيب الذى اختاره ابن خالويه لديوان أبى فراس وربما كان يضم المحدث الذى كان الشاعر يلقى به إليه ، ويضيفه إلى القديم الذى عنده ، فيكون بذلك أقرب إلى الترتيب التاريخى .

أما النسخ الباقية لنا من الديوان فغير متفقة فى ترتيب قصائده ، وقد شوه نساخها شعر أبى فراس ، فحذف بعضهم بعضه ، حتى لم تبق نسخة واحدة تجمع كل شعره ، فضلا عن المسخ الذى أصيب به كثير من ألفاظه حتى صار من العسير فهم النص فى كثير من الأحيان ، والوصول إلى حقيقة معانى الشاعر ، ولم تخل من هذه العيوب النسخ المطبوعة للديوان ببيروت سنة ١٨٧٣ وسنة ١٩٠٠ و سنة ١٩١٠ م .

ومن العجيب أن شارح ديوان أبى فراس ، وهو عبد اللطيف البهائى ، أحد فقهاء القرن الحادى عشر ، وأحد قضاة بلغراد ، كما حقق ذلك ناشر الديوان الحديث الدكتور سامى الدهان — عثر على إحدى هذه النسخ المشوهة فشرحها ، وجره الخطأ إلى شرح خاطىء ، وقد أشار ناشر الديوان إلى أمثلة كثيرة من هذا الخطأ ، ومنه أن أبا فراس قال بيتين ، لما مضى سيف الدولة يطالب قتلة عامله على قنسرين بدمه ، ثم كف عنهم بتوسط أبى فراس ، ولكنهم قصروا فى شكره ، وهما :

وما نعمة مكفورة قد صنعتها إلى غير ذى شكر بمانعتى أخرى

سآتى جميلا ما حييت ، فإننى إذا لم أفد شكراً أفدت به أجرا

فوقع للشارح البيت الأول محرفا إلى :

وما نعمة مكفورة قد صنعتها إلى غير ذى شكر بما تبتغى أخرى

فلم يحقق النص ، بل شرح البيتين بقوله : « يقول مخاطباً لسيف الدولة : إن النعمة التى صنعتها بعفوك عن قاتلى الصباح الذى وليته قنسرين ، لكونها مكفورة ، لا تقتضى أن تماد عليهم مرة أخرى ، لكن عادتى أن أفعل الجميل مدة حياتى ، فإن لم

أستفد منه الشكر استفدت منه الأجر » ؛ وهو بهـذا الشرح لا يلحظ أن الشاعر يجعل الأمير حينئذ فى منزلة أقل من منزلته ، إذ يخبره بأن نعمته ما دامت مكفورة لا يجدر به أن يسدى للمنكرين يداً أخرى ، بينما أبو فراس من عادته فعل الجميل دائماً شكر أم كفر .

كما شرح قول أبى فراس :

وفارق عمرو بن الزبير خليله وخلى أمير المؤمنين عقيل

فقال : « يعنى هذا شأن الدنيا وشأن أهلها من الغدر وعدم البقاء على الصحبة ، كما فى قصة عمرو بن الزبير مع خليله وتخلية أمير المؤمنين سيف الدولة قبيلة عقيل الذين قادهم ندى بن جعفر كما ذكر سالفاً » . وهـذا شرح يدل على جهل بالتاريخ ، أما أبو فراس فيشير إلى عـداوة عمرو بن الزبير لأخيه عبد الله وقيامه ضده ، وإلى عقيل بن أبى طالب الذى فارق على بن أبى طالب أخاه فى خلافته ، ومضى إلى معاوية .

وعن شرح هذا الفقيه أخذ نخلة قلفاط فى حل بعض أبيات الديوان عند ما طبع ببيروت وكثيراً ما يوجز ويختصر .

لم يعثر البهائى على ديوان أبى فراس كاملا ، بل ينقصه الكثير من قصائده ، ولم يقف فى شرحه عند الإشارات التاريخية التى فى الديوان يوضح المراد بها ، ولم ينقل ما أورده ابن خالويه فى توضيحها بل كان التفسير اللغوى وجهته ، فيذكر النص ، ويشرح ما فيه من ألفاظ لغوية ، ذاكراً بعض ما لكلمه من مشتقات وجموع ، ومبيناً ما فى الكلام من أنواع البيان والبديع ، ومتبعاً ذلك بذكر المعنى الإجمالى للنص ، وكل ذلك فى إيجاز ، دفعه إليه إسراعه فى هذا الشرح الذى أتمه فى عشرين يوماً ، وكثيراً ما كان يعفى نفسه من عناء الشرح ، فيقول عن البيت من الشعر : « ظاهر غنى عن الشرح » وربما كان خفياً غامضا .

ظل ديوان أبى فراس على ما وصفنا من النقص والتشويه حتى هيىء له أحد العلماء الناشرين ، وهو الدكتور سامى الدهان ، فأخرجه متبعا أمثل طرق الإخراج ، ووقف عليه حقبة من عمره ، حتى استطاع أن يخرج أصح وأكمل ما استطاع أن يظهره لديوان أبى فراس ، وإن من يعانى مثل ما عاناه الناشر ليقدر ما بذله من جهد مضن فى التنقيب والتحقيق والاختيار ، ولا يسعنا إلا أن نشكر له هذا الجهد الموفق .

وبرغم التحقيق الدقيق الذى بذله الناشر الكريم لم يدع أنه وصل إلى المثل الأعلى الذى يبغيه ، وطلب من النقاد أن يوافوه بآرائهم فى عمله المثمر إذ قال : « غير أنى لم أظفر بمن يقرؤه من الدقة إلى الدقة يسجل نقده وأسجل يده .. وأملى أن يحظى بالناقد الحكيم والقارىء الكريم فيرد إلى معايبه ، ويبصرنى بزلله » ؛ وعلى هذا الأساس أبدى بعض ملحوظات عنت لى بعد قراءة الديوان كله قراءة دارسة ناقدة ، من غير أن تقلل هذه الملحوظات اليسيرة من قيمة هذا الجهد المشكور ، والعمل الصالح .

وأول ما ألحظه على الديوان ترتيبه فقد اتبع نهجاً صناعيا لا فنيا فى هـذا الترتيب ، إذ قسمه على نظام حروف القوافى ، وإنى أوثر على ذلك النظام نظامين آخرين ، هما الترتيب التاريخى ، والترتيب الموضوعى ؛ ذلك أن الترتيب على حسب القوافى ليس له قيمة فنية ما ، وليس له من فائدة سوى سهولة العثور على القصيدة فى الديوان ، ويغنى عن ذلك فهرس يوضع فى آخر الكتاب لتسهيل المراجعة ، أما الترتيب التاريخى فيساعد على تتبع التدرج الفنى للشاعر ، ويعين على معرفة أثر الزمن فى نفس الشـاعر ونظراته إلى الحياة ، وربما كان الترتيب الذى سار عليه ابن خالويه أقرب إلى الترتيب التـاريخى كما ذكرنا ، فإذا عز علينا الترتيب التاريخى ، فالأفضل أن نرتب الديوان على حسب موضوعاته ، فنجمع قصائد كل باب متجاورة ، فذلك خليق بأن يبرز لنا خصائص الشاعر فى كل فن من فنونه فى سهولة ويسر ، فإذا جمعنا بين الترتيب الموضوعى والتاريخى معا فذلك هو المثل الأعلى للجمع والترتيب ؛ أما وقد سار الناشر على هذا الترتيب الصناعى فإنى كنت أرجو أن يؤرخ القصائد إذا استطاع الوصول إلى تاريخها .

وكنت أوثر أن لو أضاف الناشر إلى جهده الضخم شرح غريب الديوان فى ذيل الصفحات حتى يكون بذلك قد خلى بين القارىء والشعر لا يحول بينهما تحريف فى عبارة ، ولا غرابة فى لفظ ، ولم يكن أبو فراس مغرماً بالغريب أو مستكثراً منه ، فكان من السهل على الناشر شرح هذا القليل حتى يصبح كتابه مستغنياً بنفسه عما سواه ، كما حمدنا له جهده فى شرح الإشارات

الجغرافية الواردة فى الديوان .

وقد تحرى الناشر أقرب الروايات إلى الصحة من بين الروايات المختلفة فى النسخ ، ولكنى أرى أن قد اختار ، فى أحيان قليلة ، رواية أراها مرجوحة ، كما آثر أن يروى هذا البيت :

وهل لقضاء الله فى الخلق غالب وهل لقضاء الله فى الخلق هارب

وإنى أوثر رواية الشطر الثانى بمن بدل اللام فيكون :

وهل من قضاء الله فى الخلق هارب .

وآثر أن يروى هذا البيت ، وهو فى خطاب سيف الدولة :

دعوناك ، والهجران دونك ، دعوة

أتاك بها يقظانَ ، فكرُك ، لا البرد

وأوثر رواية العاملي : البحران بدل الهجران الذى لا معنى له هنا ، ولعله يقصد بالبحرين نهرين يفصلان بينه وبينهم .

وروى البيت :

ياطلعة الشمس لما صادفت حللا من السحاب على أرض من الزهر

وأوثر خللا بالخاء ، أى منفرجاً بين السحب ، لأن طلعة الشمس إذا لبست حلل السحب لا ترى ، ولا تفرح بها أرض الزهر .

وروى البيت :

أخو الثمرات فى جِدٍّ وهزلٍ أخو النفقات من سعة وضيق

وأفضل رواية : فى سعة وضيق ، أو فى جد وضيق ، إذ أنه ينفق من سعة ولكن لا يقال ينفق من ضيق . وروى البيت :

ولكنَّ دهراً دافعتنى خطوبه كما دفع الدين الغريم المماطل

وأفضل : كما دافع الدين الغريم المماطل ، لأن الغريم المماطل يدافع الدين ولا يدفعه ، وروى البيت :

خليلَّى شدَّا لى على ناقتيكما إذا مابدا شيب من العجز ناصل

ولا معنى للعجز هنا ، وأختار رواية الفجر . وروى البيت :

وإنَّ مقيما منهج العجز خائب وإنَّ مريغاً خائب الجهد نائل

وأفضل على ذلك رواية : وإن مقيما منجح العجز ، خائب . فإن أبافراس يوازن بين رجلين أحدهما مقيم لايطلب ، عاجز عن الجهاد، غير أنه قد نجح ، وثانيهما طالب مجدٌّ ولكن جهده قد خاب ، فأبو فراس لا يعد نجاح الأول نجاحاً ، ولا فشل الثانى خيبة وإخفاقاً ، ورجح رواية البيت :

لقد ظننتك بين الجحفلين ترى أن السلامة من وقع القنا تصم

والأفضل رواية : لقد رأيتك . لما فيها من اليقين الذى يناسبه التوكيد . وآثر رواية البيت :

ومن لقى الذى لاقيت هانت عليه موارد الموت الزؤام

ثناء طيب لا خلف فيه وآثار كآثار الغمام

وأنا أوثر الرواية الأخرى وهى : ومن أبقى الذى أبقيت هانت لأنه فسر ما أبقاه فى البيت الثانى ، وبدون ذلك يبقى هذا البيت منقطعاً عن صاحبه . وروى البيت :

فيغلظ قلبي ساعة ثم ينثنى وأقسو عليه تارة وبلين

والأفضل عندى رواية : وأقسو عليه تارة وألين ؛ حتى يكون المتحدث عنه واحد فى الشطر الثانى ، كما هو واحد فى الشطر الأول هذا ، ويخيل إلى أن أبياتاً ثلاثة قد تسللت إلى القصيدة رقم ٣٣٢ ص ٤٠٦ من غير أن تكون هذه الأبيات فيها ، أوأن موضعها فى القصيدة ليس هو الموضع الذى اختير ، وذلك حيث يقول أبو فراس :

مالى جزعت من الخطوب بعدما أخذ المهيمن بعض ما أعطانى

ولقد سررت كما غممت عشائرى زمناً ، وهنأنى الذى عزانى

وأسرت فى مجرى خيولى غازياً وحبست فيما أشعلت نيرانى

فأنت تراه هنا يتحدث عن حاضره المؤلم ، متسلياً بماضيه ، ولكن ينتقل من ذلك إلى مدح سيف الدولة فيقول :

يرى بنا شطر البلاد ومشيع صدق الكريهة فائض الإحسان

بلد لعمرك لم أزل زواره مع سيد قوم أغر هجان

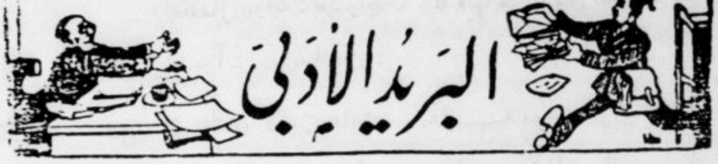
إنا لنلقى الخطب فيك وغيره بموفق عند الخطوب معان

ثم يعود مرة أخرى إلى الحديث عن حاله اليوم والأمس فيقول:

أصبحت ممتنع الحراك ، وربما أصبحت ممتنعاً على الأقران

مما أرجح معه أن هذه الأبيات قد دست بين الغرض الواحد دساً ، فضلا عن حديثه عن بلد غير مذكور فى القصيدة ، وعن غموض المعنى وضعف الأسلوب فى قوله : إنا لنلقى الخطب فيك وغيره .

وفى الديوان عنوان خاطئٌ هو : وقال فى ابنته زوجة أبى المشائر (ص ٣٧٥) ، فأبو المشائر لم يتزوج ابنة أبى فراس ولكن أخته ، والصواب أن هذه القطعة قالها أبو فراس فى زوجته وهى ابنة أبى المشائر ، والشعر نفسه يدل على ذلك يقول :



ابن زنبل الرمال :

تحت يدي نسخة من كتاب له تحت اسم :

« كتاب تاريخ السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مع قانصوه الغوري سلطان مصر وأعمالها » تأليف الشيخ أحمد ابن زنبل الرمال المحلى رضى الله تعالى عنه على التمام والكمال والحمد لله على كل حال وبه نستعين . وفيه نهايته .

« تم طبع هـــذا الكتاب فى أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٢٧٨ »

ولم أعثر على ترجمة لابن زنبل فى الكواكب السائرة ولا فى شذرات الذهب ، وإنما وجدت فى كتاب تاريخ آداب اللغة العربية للمرحوم جرجى زيدان بك أنه توفى بعيد ٩٦٠

وهوأحمدبن أبى الحسن بنأحمدنورالدين المحلى الشافعى بن زنبل الرمال كان ضمن موظفى نظارة الجيش إلى سنة ٩٦٠ .

(لا أعتقد بأن نظارة الجيش استمرت إلى هذا العهد)

وكان يتعاطى ضرب الرمل والتنجامة . ولم يذكر جرجى زيدان من أين استقى هذه المعلومات وعرض لمؤلفاته وهى :

١ — فتح مصر : أو أخذها من الجراكسة على يد السلطان سليم من غلبة قانصوه الغورى ٩٢١ إلى فتح مصر ٩٢٢ منه نسخ خطية فى المكتبة الخديوية فى ٢١٨ صفحة وطبع فى مصر على الحجر سنة ١٢٨٧ (وصحتها ١٢٧٨هـ) وعبارته ركيكة ومنه نسخ فى فينا وليدن وباريس . ومن هذا الكتاب نسخة مختصرة اسمها «واقعات السلطان سليم خان والجراكسة فى فينا» . وعليه ذيل إلى وفاة السلطان سليم سنة ١٩٢٦ . وذيل آخر ينتهى إلى فتح رودس ومالطة كلاهما فى غوطا .

وسيرة السلطان سليم والجراكسة وماجرى بينه وبين قانصوه الغورى ، يشبه فى موضوعه وأسلوبه الكتاب المتقدم ، نسخة منه فى المكتبة الخديوية ٢٥٦ صفحة .

٢ — تحفة الملوك والرغائب فى أكسفورد .

٣ — المقالات فى حل المشكلات فى السحر والرمل .

وأدبية اخـــترتها عربية تعزى إلى الجد الكريم وتنتمى
محجوبة لم تبتذل ، أمارة لم تأتمر ، مخدومة لم تخدم
لو لم يكن لى فيك إلا أننى بك قدغنيتعن ارتكاب المحرم

فواضح أن التى أغنته عن ارتكاب المحرم زوجته لا ابنته .

وهناك — وإن كان ذلك نادراً — بعض جمل غير مفهومة مما يدل على أننا لم نصل إلى النص الصحيح . وذلك مثل قوله :

حملت على ورود الموت نفسى وقلت لصحبتى : موتوا كراما
ولم أبذل لخــوفهم مجنا ولم ألبس حذار الموت لاما

فلا معنى لكلمة أبذل هنا .

وأشعر بقلق فى كلمة صباح من هذا البيت :

يئول به الصباح إلى صباح ويسلمه الظلام إلى ظلام

فالشاعر فى الشطر الثانى يريد أن يقول : إن ظلام الليل يسلمه إلى ظلام فى نظرته إلى الحياة ، وإلى متاعب قلبية يظلم بها عيشه ، ومن هنا لا أجد لكلمة صباح موضعاً .

وعنى الناشر بأن يستدرك ما أخطأت فيه المطبعة من الشكل ، ولكن لم يزل هناك بعض لم يشر إليه ، فمن ذلك زَمَّت أباعره ، والصحيح زمت بضم الزاى (ص ١٨١) وينسُون (ص ٢٧١) والصواب ينسَوْن ، وتُعال (ص ٢٨٤) وصوابها تعال بفتح التاء . ووُلوا (ص ٢٨٥) والصحيح ولوْا . وتوْضع (٣٧٩) وصحيحها توضع . ولكن الكلام والصواب : ولكن الكلامَ (ص ٣٧١) .

هذا وكنت أوثر للناشر أن ينقل إلى العربية آراء المستشرقين فى الشاعر ، كما نقل إلى الفرنسية ، موجز ما كتبه العرب عنه ، حتى يقف من لا علم عنده بالفرنسية ، على آراء المستشرقين فى الشاعر العربى .

وبعد فهذه ملحوظات لا تقلل شيئاً من قيمة جهد الناشر الكريم ، الذى أحيا بجده ديوان أبى فراس ، وقد ذكرناها أمانة للعلم ، وسعياً للوصول إلى الكمال .

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

القانون فى دنيا النجامة . منة قطعة فى برلين »

انتهى كلام المرحوم جرجى زيدان بك .

وقد اشتهر فى هذا العصر سنبل مقدم المماليك . وقد تتبعت تاريخه فانتهيت به إلى ترحيله ضمن أعيان المصريين الذين سافروا إلى استانبول سنة ٩٢٣ ، ثم انقطعت أخباره . ولا أجزم للآن بأن هذا كتب تاريخاً ؛ ولكنى أشير بطبع إحدى النسخ الخطية المطولة وأرى ألا تهمل الأشعار والملاحم فإنها تمثل حقيقة مشاعر الشعب المصرى أيام الفتح العثمانى . وقد يكون بعضها زاد عليه الرواة من عندهم .

أحمد رمزى

١ — أعداد من الرسالة خاصة بالأقطار العربية :

فى عام سنة ١٣٦١هـ أصدرت مجلة « الرسالة » الغراء أعداداً خاصة بالأقطار العربية الشقيقة ساهم فى تحريرها نخبة من كبار الأدباء فيها ، وكان لصدورها فى ذلك الوقت الذى لم تولد فيه « الجامعة العربية » ولم يكن فيه للعرب التضامن الذى يكفل لهم الحرية والسيادة ؛ صدى ذو نتائج طيبة فى الأوساط الأدبية والسياسية . كما كان له أكبر الأثر فى التعريف بالأدب العربى المعاصر على اختلاف أنواعه فى شتى أقطاره .

ولكم وددت — والله — لو سارت « الرسالة » على هذا النهج مرة فى كل عام ؛ مسجلة بعملها هـذا ، التطور الذى يمر عليه الأدب العربى الحديث فى كل قطر من أقطاره الشقيقة وما أظن — غير الرسالة — مجلة تستطيع القيام بمثل هذا العمل الجليل :

ذلك لأن للرسالة كتابها الذين — إذا ماذكر كتاب العرب — كانو فى مقدمة من يذكرون . هذه كلمة أرجو أن يكون لها صدى طيب لدى أستاذنا عميد الرسالة .

٢ — نسبة بيت :

أورد الأستاذ الكبير راجى الراعى فى مقاله عن « المتنبى » المنشور فى العدد (٨٣٧) من الرسالة الغراء : هذا البيت ونسبه لأبى الطيب :

لى النفوس وللطير اللحوم وللـــوحش العظام وللخيالة السلب!

والبيت — كما أعرف — لعنترة العبسى من قصيدته التى يتوعد بها النعمان بن المنذر ومطلعها :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

وبهذه المناسبة أكرر للأستاذ الراعى شكرى وتحياتى راجياً منه أن لا يضن على قراء الرسالة — المعجبين بأدبه — بما لديه من قصائد رائعة ، وبحوث قيمة .

محمد عامر الرميح

المدينة المنورة — ٣ . ع . الرميح

١ — مباع ومباعة :

جاء فى (لغة الجرائد) بعد الكلام على الأفعال التى يزيدون الهمزة فى أولها خطأ ... ويقولون سلعة مباعة

وهذه التخطئة خطأ فقد جاء فى المخصص ج ١٤ص٢٢٧ — ٢٢٩ فى الكلام على باب (فعلت وأفعلت) بمعنى واحد ما نصه باع الرجل متاعه بيعاً وأباعه بمعنى ، قال النحويون أباعه عرضه للبيع والمعنيان متقاربان وأنشد ابن السكيت .

فرضيت (آلاء) الكميت فمن يبع

فرســـاً فليس جـــوادنا بمباع

آلاؤه نعمه ، هذه رواية أبى أسحق ، وروى غيره (أفلاء) الكميت جمع فلو هـ .

وجاء فى المصباح : باعه يبيعه بيعاً ومبيعاً فهو بائع وَبيّع ، وأباعه بالألف ، لغة قاله ابن القطاع اهـ .

أى فى كتاب الأفعال والمصريون يستخفون استعمال مباع ومباعة ، ولكنهم لايستعملون الفعل الرباعى أباعه أصلا .

٢ — أبحاث :

أنكر أحد الكتاب جمع بحث على أبحاث فى مجلة الرسالة الغراء ، وهذا ليس بصحيح فقد جاء فى (معيار اللغة) ما نصه : بحث عن الأمر بحثاً كنفع فتش وتفحص واستقصى .. ثم استعمل المصدر (البحث) إسما (للبحوث) وجمع على أبحاث كبعض وأبعاض اهـ .

ولم يجمعه على بحوث مع أنه الجمع القياسى المشهور و بجعله إسما ساغ جمعه لأن المصدر لا يجمع لأنه يصدق على القليل والكثير

وللصرفيين فى جمع (فعل) المفتوح الفاء على (أفعــال) كلام شاذ ، لا مستند له لنا فإنه المأثور عن العرب من منظوم ومنثور وإنى أستطيع أن أذكر للقراء مئات من الجموع كبحث وأبحاث وقد لاحظت أن كل اسم ثلاثى مفتوح الأول وثانيه واو يطرد جمعه على (أفعال) مثـل ثوب وأثواب . أثوار . أحواض . أحوال . أدوار . أذواق . أزواج . أشواط . أشواق . أشواك . أطواد . أطوار . أطـواق . أفواج . أقواس . أقوال . أقوام . أكوام ألواح . ألوان . أمواج . أنواء . أنوار . أنواع . أنوال . أهوال وهكذا .

وجمع هذا شأنه يجب أن يكون قياساً ، ومن المضحك المبكى أن ننتظر من العرب أن يوردوا لنا كل شىء وإنما :

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

على حسن هلالى
بالمجمع اللغوى

تصويب (أبحاث) :

كتب الأستاذ رياض عباس كلمة فى بريد الرسالة الأدبى عدد (٨٣٧) تحت عنوان (من صميم العربية) جاء من عناصرها قوله : إن من الأخطاء الشائعة على ألسنة الـكتاب جمع بحث على أبحاث ثم قال : وهو خطأ لا يجيزه القياس ، وكتب اللغة لم تذكره . اللهم إلا « أقرب الموارد » . ثم سأل الـكاتب الفاضل عن مصدر صحة هذا الجمع الذى استقى منه صاحب أقرب الموارد .

وإجابة عن هذا السؤال أذكر له قاعدة النحاة الـكوفيين العامة ، ومنهجهم فى القياس على المسموع من كلام العرب . وهى تتلخص فى جواز القياس على ما ثبت ورود نوعه عن العرب ولو كان هذا الوارد قليلا . بينما يتزمت النحاة البصريون ويتشددون فى أمر القياس ، فلا يقيسون إلا على المسموع الـكثير : سواء فى ذلك التراكيب والمفردات .

وقد ثبت أن العرب جمعت وزن (فعل) المفتوح الفاء السا كن العين الصحيحها على (أفعال) .

من ذلك حَمل وأحمال ، وفَرخ وأفراخ ، وزند وأزناد . قال الله تعالى : « وأولات الأحمال » . وقال الحطيئة :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ[1] زغب الحواصل لا ماء ولا شجر؟

وقال الأعشى :

وُجدت إذا أصلحوا خيرَهم وزندك أثقب أزنادهـــا[2]

يرى البصريون أن هذه الجموع ونحوها مما شذ عن القياس فهى من النادر الذى لا يجوز القياس عليه . فأبحاث ونحوه جمع خطأ ؛ لأن العرب لم تنطق به بذاته .

ويرى الـكوفيون احترام المسموع ولو كان قليلا . فأبحاث ونحوه عندهم جمع صحيح لا غبار عليه ؛ لأن العرب نطقوا بنوعه وإن كان قليلا .

وبعد فلعل هذا الرأى هو المصدر الذى استقى منه صاحب أقرب الموارد ما أورده . وأكبر الظن أن ليس له مصدر سوى هذا

أما ترجيح أحد الرأيين على الآخر فالذى أميل إليه فى هذا النزاع بذاته رأى الـكوفيين ؛ إذ قد ورد فى اللغة الفصحى مع مع ما ذكرت أولا : أفراد وآلاف وآراء . وفى هذا قلب مكانى وأنجاد وأنهار وأنحاء . وكثر هذا الجمع فى واوى الفاء ومضعف اللام . مثل : أوقاف وأوقات وأوصاف وأوكار وأوعار وأوغاد ؛ ويمثل : أجداد وأعمال وأبرار وأفذاذ . وربما كان فى اللغة غيرها . وهى طائفة صالحة للقياس عليها . وهذا يدل على أن العرب طردوا هذا الوزن (أفعال) فى جميع أوزان الإسم الثلاثى المجرد المشرة بلا قيد ولا شرط . نعم إنهم لم يكثروا منه فى جمع المفرد المفتوح الفاء السا كن العين الصحيحها . ولـكن هذا لا يمنع من القياس على ما سمع منه كما ذهب إليه نحاة الـكوفة . وبهذا ظهر أن قول الأستاذ رياض : « وهو خطأ لا يجيزه القياس » إن أراد قياس البصريين فسلم ، وإن أراد قياس الـكوفيين فلا . كما عرفت ، وأن مصدر « أقرب الموارد[2] » اللغوى هو الاعتماد على هذا القياس ، لأن كتب اللغة فى الغالب لا تذكر الجموع القياسية اتكالا على معرفة القواعد . فهذا جواب السائل المفضال . « وفوق كل ذى علم عليم » .

عبد الحميد عنتر
الأستاذ بكلية اللغة العربية

---

(١) واد بالحجاز .
(٢) أثقب : أضوأ . من قولهم : ثقبت النار أتقدت .

الكتب

البلاغة العربية في دور نشأتها

تأليف الدكتور سيد نوفل

بقلم الأستاذ علي العماري

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

٢ — ولو أن هـذه الروح جاهلية لوجدنا أثرها في عصر البعثة . يوم تحدى القرآن العرب وأفحمهم إفحاما ، فقد لجأوا إلى الطعن عليه طعناً عاماً ؛ فقالوا سحر مفترى ، وقالوا أساطير الأولين ، ولو أن لديهم تلك الروح البيانية لـكان من المنتظر أن ينقدوا القرآن على نحوها ، وأن يفزعوا إليها في تلك الخصومة المنيفة التي ظلت نيفاً وعشرين عاماً ، هذا إلى أن تلك الروح في النقد لا أثر لها في العصر الإسلامي ، لا عند الأدباء ولا عند متقدمي النحاة واللغويين .

٣ — على أن من نحاة القرن الرابع من لم يطمئن إلى ما سبق، فأبو الفتح بن جني يحكي عن أبي علي الفارسي أنه طعن في صحة هذه الحكاية . هذه الزيادات لا تثبت للروح العلمية ، ولا للتاريخ . وبعيد كل البعد أن توجد ملـكة الفـكر في النقد الجاهلي ، وأن توجد على هذا النحو الدقيق ، الذي يحلل ويوازن ، ويفرق بين الصيغ تفريقاً علمياً .

٤ — وردت القصـة في الجزء الثاني من نقائض جرير والفرزدق ، وليس فيها إشارة إلى شيء من ذكر النابغة أو النقد الذي قيل في عكاظ .

وهكذا يسوق صاحب تاريخ النقد عنـد العرب الأدلة التي لا تدع مجالا للاطمئنان إلى صحة هذه القصـة ، ولـكن المؤلف يكتفي بقوله أنها تلائم طبيعة الحياة الفنية ، ويرى ذلك داعياً إلى الاطمئنان إليها ، أما ما هي الحياة الفنية في ذلك العصر ، وكيف

الاعتبار بالحرفة !

يرى الأستاذ محمد منصور خضر أن « الاعتبار بالحُرقة » في كلام الجنيد خطأ وأن صحته « الاعتبار بالحِرفة » بمعنى المهنة أو الصنعة لأن التصوف الحق هو العمل والعمل عندهم هو الحياة .

وأرى أن « الاعتبار بالحُرقة » هو الصحيح هنا ومعناه الحب والتشوق ذلك الحب الذي يشغل الإنسان عما سوى الله ويزداد حُرقة وحرارة بازدياد القرب ومعنى قول الجنيد إنه ليس الاعتبار بالظاهر من اتخاذ الشارات ولبس الصوف وأكل الخشن وإنما الاعتبار بالباطن وما وقر في الصدور من الإخلاص والصدق والحب والمراقبة ... والمواجيد الأخرى .

ومن ناحية سلبية يمكن القول أن التجرد عند الصوفية أسمى من التعلق بالأسباب ولـكن الصوفي قد لا يتأتى له من الاجتهاد ورفع الهمة حتى يتحقق بالتجرد فيأخذ بالأسباب ويدعو السالكين في بدء دخولهم في الإرادة إلى ذلك . فرفع الهمة والأخذ بالأسباب معاً في نفس الصوفي يجني تزايد هذا من تناقص ذا . ولـكن غاية الصوفي التجرد ورفع الهمة حتى قال أحدهم « من تزوج أو تحدث أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا » وشاور أحد المريدين الخواص في أن يعتزل الناس ويعتكف في المسجد فقال « إن كنت على إيمـان إبراهيم الخليل فاعتـكف » وفي حكم ابن عطاء الله « إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسـباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية » .

فالاعتبار بالحِرفة أمر لا يتفق والروح الصوفي الذي ينزع إلى الخروج إلى الله والتجرد من الأسباب والتحرر من رق الآثار والأكوان .

أحمد الكاشف

ليسانس في التاريخ

تلاعبها هذه القصة ، فلا خبر ، ولا أثر ؟

٣ — ذكر مذهب الجاحظ فى إعجاز القرآن ، فقال إنه فى نظم القرآن ، ولكن الله صرف العرب فى الوقت نفسه عن محاولة محاكاته خشية الفتنة . ومر سريعاً ، واكتفى بنقل أثبته من كتاب الحيوان والمؤلف فى نشأة البلاغة فى حاجة شديدة إلى أن يتحدث عن مذهب (الصرفة) وما كان له من الأثر فى نشأة هذه العلوم ، والمؤلف فى بلاغة الجاحظ على الخصوص لا يقبل منه أن يلصق هذا المذهب بالجاحظ ثم يمر كأن الأمر من الهوان بحيث تكفى فيه الكلمات . بل كان الواجب أن ينقب فى كتب الجاحظ عن هذا المذهب ، ويحققه ، ويبين مدى تأثر الجاحظ به ، ومدى تأثيره فى علماء عصره ، وقد رجعت إلى النص الذى نقله من كتاب الحيوان ، فبدا لى فيه أمر أنا ذاكره بعد أن أثبت هنا ما يقوله الرافعى رحمه الله فى نسبة مذهب الصرفة إلى الجاحظ قال عن هذا المذهب أولا « وهو عندنا رأى لو قال به صبية المكاتب وكانوا هم الذين افتتحوه وابتدعوه لكان ذلك من تخاليطهم فى بعض ما يحاولونه إذا عمدوا إلى القول فيما لا يعرفون ليوهموا أنهم قد عرفوا » ثم قال ثانياً عن مذهب الجاحظ نفسه : (أما الجاحظ فإن رأيه فى الإعجاز كرأى أهل العربية ، وهو أن القرآن فى الدرجة العليا من البلاغة التى لم يعهد مثلها ، وله فى ذلك أقوال تشير إلى بعضها فى موضعه ، غير أن الرجل كثير الاضطراب ، فإن هؤلاء المتكلمين كأنما كانوا من عصرهم فى منخل ... ولذلك لم يسلم هو أيضاً من القول بالصرفة ، وإن كان قد أخفاها ، وأومأ إليها عن عرض ، فقد سرد فى موضع من كتاب الحيوان طائفة من أنواع المعجز وردها فى العلة إلى أن الله صرف أوهام الناس عنها ، ورفع ذلك القصد من صدورهم ثم عد منها « ما رفع من أوهام العرب ، وصرف نفوسهم عن المعارضة لقرآنه بعد أن تحداهم بنظمه » وقد يكون استرسل بهذه العبارة لما فى نفسه من أثر أستاذه ، وهو شىء ينزل على حكم الملابسة ، ويعترى أكثر الناس إلا من تنبه له ، أو نبه عليه ، أو هو يكون ناقلا ولا ندرى » .

قلت وفى كلام الجاحظ ما يؤيد الشطر الأول من هذا الكلام وهو أنه يرى فى الإعجاز ما يراه أهل العربية ، فقد قرأت فى كتابه البيان والتبيين تصريحاً بأن العرب يعجزون أن يساموا الرسول فى البلاغة ، قال « فإذا رأت مكانه — يريد النبى صلى الله عليه وسلم — الشعراء ، وفهمته الخطباء ، ومن تعبد المعانى ، وتعود نظمها ، وتنضيدها وتأليفها وتنسيقها ، واستخراجها من مدافنها وأثارتها من أماكنها علموا أنهم لا يبلغون بجميع ما معهم مما قد استفرغهم ، واستغرق مجهودهم ، وبكثير ما قد خولوه قليلا مما يكون معه على البداهة والفجاءة من غير تقدم فى طلبه ، واختلاف إلى أهله » . فإذا كان هذا رأيه فى بلاغة الرسول ، فلا يمكن أن يكون رأيه فى بلاغة القرآن ما يفهمه العلماء من مذهب الصرفة ، وهو أن العرب قادرون على الإتيان بمثل القرآن ، ولكن الله صرفهم عن أن يعارضوا على أنه فى ذاك الموضع[1] من كتاب الحيوان التصريح بعجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن قال : « وفى كتابنا المنزل الذى يدلنا على أنه صدق نظمه البديع الذى لا يقدر على مثله العباد . الخ » .

هذا . والذى يظهر — والله أعلم — أن القائلين بالصرفة لم يكونوا يقصدون إلى أن العرب قادرون على الإتيان بمثل القرآن ، وأن الله صرفهم عن هذا الإتيان ، حتى يثبت أن القرآن فى متناول البشر ، كما فهمه طائفة من العلماء ، وأطالوا الرد عليه ، وبدهى أن هذا لا يشمل آراء أولئك الذين صرحوا فى مقالاتهم بأن القرآن غير معجز وأن الناس يقدرون على مثله ، وعلى أحسن منه ، من أمثال الجعد بن درهم — وإنما الذى أفهمه من مذهبهم أن الله منع العرب أن يأتوا بمعارضة للقرآن ، مع أنهم غير قادرين عليها ، وإنما صرفهم لئلا تكون فتنة ، وهذا صريح فى كلام الجاحظ حيث يقول : « وصرف نفوسهم — يعنى العرب — عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول بنظمه ، ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القصة على الأعراب وأشباه الأعراب ، والنساء وأشباه النساء ، ولألقى ذلك للمسلمين عملا ، ولطلبوا المحاكمة والتراضى ببعض الأعراب ، ولكثر القيل والقال » وهذا كلام واضح جداً وصريح فى أن الجاحظ لا يجعل الصرف عن المعارضة هو السر فى الإعجاز ، وإنما يجعل الصرف

(١) ج ٤ ص ٣٢

أمراً ثانوياً جاء بعد التحدى والعجز ، وأنهم لو عارضوا لوجدوا من يستجيد وكما يقول فى موضع آخر « فلم يرم ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامى عليه ، ويكابر فيه ، ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستجابه لغتهم ، وسهولة ذلك عليهم ، وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم ، وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمته لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله وأفسد لأمره ، وأبلغ فى تكذيبه ، وأسرع فى تفريق أتباعه من بذل النفوس ، والخروج من الأوطان ، وإنفاق الأموال » ونحن يمنينا الشطر الأول من هذا الكلام ، أما الشطر الثانى فسقناه لأنا نلمح فيه أن الجاحظ يرى أن المعارضة كانت ميسورة للعرب ، ولكن بعد التدقيق فى كلامه يظهر أنه لم يجعل هذا العجز سراً من أسرار الإعجاز ، بل جعله دليلا على أن المعارضة لم تكن ، ولم يكن ميسوراً لهم أن يأتوا بسورة ولو مفتراة ، وليس أدل على عجزهم عن المعارضة من أنهم تركوها وهى — لو أمكنت — كانت أفسد لأمر الدعوة ، وأسرع فى تفريق أتباعها ، ومما يؤيد ما ذهبت إليه ، أن لكل من الجاحظ ، وأستاذه النظام — وينسب إليه مذهب الصرفة — رأياً فى الإعجاز غير الصرفة ، فالنظام يرى أن الإعجاز كان من حيث الأخبار عن الأمور الماضية ، والآتية ، والجاحظ يرى الإعجاز فى النظم ، على أن ترديد العلماء فى ماهية المذهب يقوى جانبنا (انظر الطراز ج ٣ ص ٣٩٢) . ومهما يكن من شىء فأنا أستبعد أن يكون الجاحظ قائلا بالصرفة على ما فهمها العلماء ، وأرجح أن يكون ذكرها على المعنى الذى أشرت إليه ، وفوق كل ذى علم عليم .

٤ — فى حديثه عن السجع ذكر عبارتين تؤديان إلى حكمين متناقضين وهما يتعلقان بأمر ذى بال ، قال : « وليس من شك فى أن معارضة المتنبئين للقرآن ، واصطناعهم السجع فى هذه المعارضة كان له أثر كبير فى كراهية النبى والخلفاء له ، وخشيتهم الفتنة به » ومعنى هذا الكلام أنه كان للمتنبئين معارضات ، ثم قال : « وقد روت كتب السيرة نماذج من سجع مسيلمة وطليحة وسجاح وغيرهم قصد رواتها — فى أغلب الظن إلى تسخيف أولئك المتنبئين » ومعنى هذا أن هذه المعارضات من وضع الرواة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن مسيلمة تنبأ فى آخر حياة الرسول ، فهل بلغت معارضاته حداً جمل الرسول يكره السجع؟ أما طليحة ، فإنه وإن كان تنبأ فى حياة الرسول ، إلا أن أمره لم يعظم إلا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر الرافعى أنه لم يدع لنفسه قرآناً لأن قومه من الفصحاء ولم يتابعوه إلا عصبية ، وإنما كانت له كلمات يزعم أنها أنزلت عليه ، ولم نظفر منها بشىء ، ففى أى كتب السيرة وجد المؤلف معارضة لطليحة ؟ أما أنا فقد عثرت على كلمة له نشرت فى مقال سبق من الرسالة ولكنى لم أظفر بها فى كتب السيرة ، وأما سجاح فتنبأت بعد وفاة الرسول ، ولم تدع قرآناً وإنما كانت تزعم أنه يوحى إليها ، أفليس من حق العلم على المؤلف أن يحرر عباراته ، ويحققها ، ولا يلقى القول هكذا . . ؟ !

٥ — وقد سبق أن ذكرت أن فى الكتاب مآخذ كثيرة جزئية ، وأنى سأعرض عنها ، وسأفى ، ولكنى لا أجد مندوحة من ذكر بعض أغلاط ، ربما لبست على الناشئة من قراء كتابه : ذكر أن الخطبة التى لم تشتمل على شىء من القرآن تسمى (بتراء) يذكر مثلا لذلك خطبة عمران بن حطان ، وليس الأمر كذلك فالخطبة البتراء هى التى لم يحمد الله فيها ابتداء ، وذكر كذلك الجاحظ فى أول الجزء الثانى من البيان ، وذكرته معاجم اللغة ومثلت له بخطبة زياد بن أبيه ، ولا محل للاطالة ، وأما خطبة عمران وأشباهها مما لم يشتمل على شى من القرآن فتسمى (شـــوهاء) .

وذكر قوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً) وقال إن فى الآية استعارة ، والذى نعرفه أن فى الآية مجازاً مرسلا ، والفرق بينهما معروف للمؤلف .

ولا يسعنا فى النهاية إلا أن نثنى على المؤلف ، ونرجو أن نتتبع محاولاته هذه محاولات ، وأن يكون — كما يقول — بداية تنتهى إلى غاية .

على العمارى

مطبعة الرسالة

العدد ٨٤٣ — الاثنين ٢٩ أغسطس ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

١٧ ٥ ٣٣

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 eme Année No. 843 — Lundi — 29 — 8 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٨٤٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ ذو القعدة سنة ١٣٦٨ — ٢٩ أغسطس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

كانتـــا أمتين . . !

فى عيد الباكستان(*)

لحضرة صاحب المعالى إبرهيم دسوقى أباظه باشا

كانتا أمتين انبثقت إحداهما عن الأخرى، ثم حثت الأولى خطاها إلى مستقر الخلود، وظلت الأخرى وستظل تصعد فى مراقى الحرية والكرامة، مدفوعة بما ينبض فى تجاليدها من حرارة الإيمان وصدق الجهاد اللذين تحدرا إليها من الأمة الماثلة فى الرجل الخالد محمد على جناح.

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

كان، أجزل الله مثوبته، أمة وحده حقاً، خلق أمته من حلم رف فى يقينه، وخاطر استبد بخَلده؛ ثم نشأها على معان عالية من العزة والكرامة، فكانت بين عشية وضحاها خامس دولة بين دول العالم، وأول دولة بين دول الإسلام.

إن محمد على جناح الزعيم المسلم يقف وحده بين عظماء التاريخ وزعمائه فوق قمة لم يطاولها ولن يطاولها عظيم من عظماء الرجال وأفذاذهم، فقد تميز بسمات وخصائص لم تتوفر لسواه.

رجل تمخضت حركته عن إنشاء دولة وبناء أمة.

(*) ألقيت هذه الكلمة فى الاحتفال الكبير الذى أقامته جمعية الشبان المسلمين احتفالا بعيد استقلال الباكستان.

ولو تراخى الزمن بفيلسوف الضاد وشاعرها المعرى، ورأى كيف تسنم جناح هضبة المجد بأمته الباكستان وأحلها أعلى قممها وأرفعها سموقاً وعظامة ما قال هذا البيت:

وزهدنى فى هضبة المجد خبرتى   بأن قرارات الرجال وهودها

ومن هنا طاب لى أن يدور حديثى فى تحية عيد استقلال الباكستان على صاحب الفضل الأول والأخير فى هذا الاستقلال الضخم العتيد.

فالحديث عن جناح إذن هو الحديث عن الباكستان، فهما اسمان مترادفان يتواردان على مدلول واحد من العمل الخالد والمجهود العظيم.

سمعت عن منشئ الباكستان العجب العجاب من أحاديث البطولة والتفوق، ثم أتيح لى شرف الصلة الوثيقة به، وأسعدنى بزيارة كريمة فى بيتى، فشهدت عن كثب هذه الشخصية الفريدة؛ وتحدثت إليه وتحدث إلىّ فى فنون شتى من ألوان الحديث لمست خلالها تلكم المثل العالية فى الوطنية الممتازة، والسيرة العاصرة بمعجزات الجهاد.

إيمان عميق، وعزيمة غلابة، ونضال كريم، يترجمها مع حديث القائد الأعظم هذا البريق الحاد المتدفق من عينيه النفاذتين، ثم هذه التجاعيد المرسومة على وجهه الدقيق التى تلخص جهاده الطويل المرير فى جمع شتات قومه ودعم استقلال دولته.

عامان مرا على ميلاد هذه الأمة الفتية؛ فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ أشرقت الباكستان فى الأفق الدولى دولة مستقلة

من معجزات الإسلام فى القرن الرابع عشر الهجرى :

بين مهاجرى قفقاسيا الجنوبية

قالت السيدة : «هذه الأرض الطيبة فليباركها الرب لأهلها»

للأستـــــاذ أحمد رمزى بك

إن القوة الإسلامية التى بعث بها الخليفة عثمان بن عفان[1] وكانت من عرب الجزيرة وأهل الشام تحت قيادة حبيب بن مسلمة الفهرى إلى أرض الشمال لازمها الحظ فى الحروب حتى أخضعت ما وراء أرمينية ونفذت إلى بلاد القوقاز ، ولما طلبت الإمداد جاء

(١) ذكر صاحب مقالة باكو فى دائرة المعارف الإسلامية اكتشاف بعض القبور الإسلامية بشواهد تحمل ٨١٨ هجريا فى قصر شروان شاه وتقع فى شمال باكو . أرجو الاطلاع على المراجع فى نهاية الحديث

ذات سيادة . ولقد كانت الدعوة الدينية التى اضطلع بها القائد الأعظم عدته وعديده فى بناء صرح الباكستان وجعلها قوة ملحوظة الجانب مرهوبة الشأن .

ولقد ثارت العواصف حول هذه الدولة إبان قيامها ، واكتنفتها الهزاهز تريدها على أن تحنى الهام وتعود إلى الوحدة ، فأبى لها جناح الخنوع والذلة قائلا : « نحن نعلم المصير الأسود المهيأ لنا إذا اضطررنا يوماً إلى الركوع وطلب المغفرة والعودة إلى الوحدة ؛ ولذلك وطدنا العزم على ألا نفعل مهما نقاسى ومهما نشق . امنحونا سنتين ولن يستطيع أحد بعدئذ أن يرغمنا على الركوع »

ولقد صدق القائد الأعظم حين صدق الله وعده له ، فها هى ذى دولة الباكستان تسير بخطى فسيحة متوثبة طموحة إلى أبعد الغايات وأسماها فى الوطنية والقومية والاجتماع .

هيأ الله للباكستان من أمرها رشدا ، وشد أزر رجالها العاملين ليؤدوا رسالة قائدهم الأعظم التى تركها أمانة فى أعناقهم . وسيكتب الله للباكستان الظفر بحقوقها كاملة والغلبة على ما يعترضها من صعاب ، لأنها شعب عميق الإيمان بشريعته السمحة ، عظيم الثقة برب السماء .

وفقنا الله جميعاً لما فيه خير الإسلام والمسلمين .

ابراهيم دسوقى أباظه

إليها جيش من عرب الكوفة عليهم سلمان بن ربيعة الباهلى[1] وهو سلمان الخيل وكان ذلك المدد من الننمية عن طريق أذربيجان التى يتحدثون عنها اليوم .

وانضم الجيشان حتى أتوا إلى بلاد الكرج وجاء صاحب فتوح البلدان بكتاب الأمان الذى أعطى إلى أهل تفليس وقال صاحب معجم البلدان إنها أى تفليس بقيت قروناً بيد المسلمين ثم خرجت من أيديهم ثم عادت فخضعت لآل سلجوق ثم لأهل خوارزم وأخيراً الملك التتار ولا تزال بأيديهم .

فهذه البقعة من أراضى القوقاز بجبالها العالية ومروجها الخضراء وغاباتها وثلوجها ومياهها العذبة روتها دماء الفاتحين من المسلمين ، وطالما سرحوا خيولهم فيها كما أنها استظلت بأعلام العروبة والإسلام فى عهود الراشدين وبنى أمية وبنى العباس وفى يوم قريب من الأيام القادمة سنعثر حتما على بقايا الآثار الإسلامية وسنقرأ ويقرأ من يأتى بعدنا ما نقشه السلف على الأحجار تأكيداً لتلك الفتوح وإثباتاً بأن هذه الأرض لشعوب أسلمت ودخل أهلها فى دين الله أفواجاً .

ومن حوادث القرن السابع الهجرى أن الأمير بدر الدين الخازندار كان على ولاية يافا من قبل المصريين فى عهد الملك الظاهر بيبرس وكان لا تشرد منه شاردة فأتاه الخبر بأن ملكا من ملوك الكرج قد دخل عكا عن طريق البحر فى زى الرهبان يقصد بيت المقدس للزيارة فبعث إليه وقبض عليه وسيره للسلطان بدمشق فأنزله ببرج من أبراج قلعتها حتى بعث بنفرين إلى بلاده ليعرفهم بأمره حتى إذا تأكد السلطان من حقيقته أعاده معززاً مكرماً .

وكانت الصلات قائمة على أهل تفليس وبقية سكان من جهة جورجيا وبلاد المسلمين من جهة أخرى وأطلعنى صديق لى على صور لبعض المساجد هناك وعلى المنائر وقد ظهرت بغير أهلة وقال الصديق

(١) لم نتمكن من التوسع فى ذكر الفتوحات ومقتل سليمان الباهلى لحاجتنا إلى تحقيق الأماكن الجغرافية والقارىء يعذرنا لتغير المعالم والأسماء والاختلاف قائم حولها بين المستشرقين أنفسهم . ولكن اكتفى بنقل ما جاء فى المسعودى عن سبب تسمية سليمان بن ربيعة الباهلى ص ٢٧٠ جزء ٤ : حدث محمد بن عبد الله الدمشقى أن الذى سماه بذلك هو عمر بن الخطاب إذ قال له : أنت سليمان الخيل ، وساق قصة جاء فيها ذكر المتقى بالله وورد فيها أن سليمان بن ربيعة الباهلى كان يهجن الخيل ويعديها فى زمن عمر بن الخطاب .

هذا إن الناس يؤكدون أن زعيم روسيا من جورجيا والحقيقة أن والدته كرجية أما والده فهو من الشمال من أقليم « استونيا » وهو الذى يطلق عليه الجبليون « قوشحا » وهذا الصديق من أهل هذا الأقليم ويقول إن غالبية « الأساتين » مسلمون ويغلب عليهم التشيع وأن والد الزعيم البلشفى كان مسلماً شيعيا وأمه كرجية مسيحية ولما مات أبوه أرادت أن تجعل منه قسيساً فادخلته مدرسة دينية : فخرج منها يدعو إلى الثورة.

كنت فى أواخر عام ١٩٢٨ بمدينة استانبول بين القارتين أوروبا وآسيا على ضفاف البوسفور ومرمرة حيث يلتقى البحران وكان قد مضى تسعة أعوام أو عشرة على إمضاء هدنة الحرب الأولى ، ومر أكثر من ذلك على قيام الثورة الروسية الكبرى التى حررت الملايين من البشر فى زعمها وسببت تشتيت الآلاف من الناس ففر المرء من موطنه ومن أمه وأبيه والتمس الخلاص من الموت ، فكانت استانبول أول مرحلة من مراحل الهجرة الطويلة التى بدأت عام ١٩١٨ ولم تنته بعد .

وكان المهاجرون يفضلون العاصمة التركية القديمة لا لأنها بقعة من أجل بقاع الأرض فحسب بل لأن من بينهم من هم من أصحاب العقول أى الفكر ومن هم من أصحاب القلوب أى العاطفة ، فالأوائل يفضلون مركزاً قريباً يرابضون فيه للمراقبة وتلمس الأخبار فى بلادهم أما أصحاب العاطفة فهم الذين لا يصدقون بوقوع ما قد حدث ولا يسلمون بما قد رأته أعينهم ولمسته أيديهم، إذ ليست الثورة عندهم إلا كحلم من الأحلام ، فمثلهم ممن طالت به الغربة كمثل أهل الكهف « إذ يتساءلون بينهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم» كذلك هم تمرّ بهم الأيام والشهور والسنوات وهم فى حلم دائم ينتظرون اليقظة لتأتى إليهم بالحقيقة أو هم يسرح بهم الوهم فيقولون : « سنفتح أعيننا يوماً لنعود إلى بلادنا وأعز شىء لدينا ولن نترك استانبول أبداً لأننا الطليعة الأولى التى ستترك أرض المهجر وتستأنف حياتها الأولى بأرض الوطن يوم يزول حكم البلاشفة وليأت من بعدنا من يشاء » .

تلك كانت أمانيهم وهذه كانت آمالهم تقرأها مرسومة واضحة فى عيون الفريق الأكبر من مهاجرى روسيا سواء من موسكو أوشبه جزيرة القريم أو بلاد القوقاز . رأيتهم وعاشرتهم وصادقتهم وأنست بهم فى العاصمة القديمة للدولة العثمانية ، كانوا من أجناس وأعمار مختلفة ولم يكونوا من طبقة أو فئة واحدة فنقول النبلاء مثلا أو الرأسماليين أو التجار أو الصناع أى الذين أضرت بهم الثورة بل كان بينهم العمال والمزارعون والخدام ، لم يكونوا من جنس واحد أو وطن واحد أو دين واحد بل كانوا يهوداً ونصارى ومسلمين كانوا شيعة وسنية : فهم مع اختلاف أديانهم وطبقاتهم وأجناسهم ومراتبهم يمثلون دنيا بأكملها لا وطناً واحدا بل يمثلون قارة من القارات .

وكانوا مع اختلافهم هذا وتباين مذاهبهم السياسية والفكرية تجمعهم عقيدة واحدة وأمل ثابت وفكرة راسخة : هى أنهم مهما طال بهم الزمن وأن تقطعت بهم الأسباب سيعودون يوماً ما إلى تلك الأرض الشرود التى ولدوا عليها ونشأوا بها ، والتى ذهبت من بين أيديهم فصارت حلماً فى أذهانهم يمثله الحنين الدائم والذكريات الحائمة على صدورهم وخفقات القلوب لدى أى خبر يأتى من عزيز فى بلاد لا طريق للوصول إليها .

***

وكانت الحكومة التركية قد أمضت مع الحكومة السوفيتية الروسية اتفاقاً للجنسية جعلت فيه نصاً يخول كل مسلم من مسلمى روسيا يلجأ إلى الأراضى التركية الحق فى اختيار الجنسية التركية وحرمت على اللاجئين من غير المسلمين هذا الاختيار فكان من نتيجة ذلك أن حصل المسلمون من المهاجرين على تبعية البلاد التى استوطنوها وتمتعوا بحقوق المواطن التركى بينما بقى الآف غيرهم يحملون جوازات السفر التى أطلقوا عليها اسم « نانسن » والتى تجعلهم عرضة للنفى والتشريد فى أى وقت — وبمرور الزمن تبين لفريق كبير من المهاجرين هذا النص فقالوا لأنفسهم إن كل مهاجر من أصل روسى أو من الأجناس التى خضعت لروسيا ينشرح صدره للاسلام ويشهر اعتناقه له ، يكتسب تواً الجنسية التركية ويصبح عالقاً بتلك الأرض الطيبة التى تفيض عسلاً ولبناً حيث المناظر الخلابة والمياه العذبة والطيور المغردة وحيث الحياة اللينة السهلة التى تعطى ما نشتهى، وأهم من كل ذلك العيش فى عالم قريب

من الأرض التي نحن إليها — فلم لا نقدم على ذلك ؟

وكان أن دخل عدد من المهاجرين في دين الله أفواجاً منهم اليهودي والارثوذكسي والحر العقيدة ، وفيهم التاجر والمالي والفنان ، منهم من آمن بحق ومنهم آمن ظاهرياً وبقي على دينه الأصلي ولكنهم جميعاً تسموا بأسماء تركية وأخرى إسلامية وسجلوا ذلك على أنفسهم فأصبحت معاملاتهم وتصرفاتهم خاضعة لصفتهم الجديدة وشخصيتهم التي أخذوها وبهذا ضمنوا كاخوانهم المسلمين البقاء في تركيا والحصول على تبعية خاصة وتنازلوا عن أوراق « نانسن » وقواعدها ومضايقاتها وفي ذلك كله راحة كبرى واستقرار لهم .

ومن العائلات التي قذفت بها ثورة ١٩١٧ إلى الهجرة عائلة من أشراف مدينة تفليس تعرفت إليها بمدينة استانبول وارتبطت منها بروابط الصداقة والمودة الدائمة وكان تركها لموطنها الأصلي شاملا أي كان بالخدم والاتباع صغاراً وكباراً وكانت إقامتها في مدينة استانبول ثم نقلت إلى ضاحية على الشاطىء الأسيوي . وكان منزل هذه الجماعة قطعة صغيرة من أراضي جورجيا الشهيدة يجمع كل مافي الروح القوقازية من مرح وسرور وحيوية مع أدب جم وحساسية متناهية وعطف على الفقير وتواضع مع الناس بغير تبذل وكانت مظاهر الكرم والرغبة في إدخال السرور وراحة على الضيوف من الأمور الثابتة الراسخة التي يقوم بها الصغير قبل الكبير أو الخادم عند غياب السيد ، وتفليس ملتقى الشرق مع الغرب بل هي قطعة من هذا الشرق الأوسط ارتبطنا بها خلال القرون الماضية ، لا يفصلنا عنا فاصل .

ومن منا لم يسمع بمدينة صراغه وعلمائها أو بردعة[1] وما كان عليه في الماضي وهذه الأنهار المنحدرة من جبال قفقاسيا أو من جبال آسيا الصغرى يعرفها مؤرخو العرب ويتحدث عنها مؤلفوهم ويشاء القدر أن تلتقي الأنهر وتصب في بحر قزوين . فالصلات بيننا وبين تفليس كانت قائمة مستمرة ولم يقطعها إلا مجيء الروس في غفلة من الزمن وقطعهم لهذه البلاد وحرماننا منهم وحرمانهم منا .

فالوصل حالة طبيعية والقطع الروسي حالة غير طبيعية : تتساءل إلى متى تدوم ؟ ولذلك تشعر أنك لست غريباً عن هؤلاء القوم من أهل تفليس حيث تطل جبال قفقاسيا من الشمال وحيث تظهر في أحيائها المنابر وبقايا المساجد التي كانت يوماً ما عامرة .

لقد أنسنا بالأيام والليالي التي قضيناها مع القوم بل سعدنا بها وكان بالمنزل الذي يقع على شاطىء بحر مرمرة وكيل يدعى قافتراتز نشأ أرثوذكسياً على مذهب كنيسة جورجيا وانتهى به المطاف أن دخل وتسمى باسم تركي ، وكان يعامل كأحد أفراد العائلة ، لا يرد له طلب ولا يجنح بطبعه إلى شدة أو إلحاح ؛ فهو جزء من البيت الذي اعتاد عليه في تفليس واستمر على العيش فيه بتركيا لا فارق بين الحالين سوى السنوات تمضي سراعاً .

كان محدثنا ابقاً له مكانه على المائدة الرئيسية : يشرب الأنخاب ويحضر لكل ضيف كلمة طيبة يلقيها بأسلوبه الخطابي مرحباً بالضيف هاتفاً باسمه ولا تنسى أن الموائد تبدأ من الثامنة ولا تنتهي إلا عند أنتصاف الليل ، كانت تمد بالردهة الكبرى شتاء ، وفي الحديقة تحت ظلال الأشجار المطلة على البحر صيفاً ، حيث تكشف وأنت جالس مناظر جزر الأمراء (برينكبو) ، ومرت الأيام واعتدنا اللغة الكرجية وألفاظ التحية بها ، وأعقب الصيف شتاء وجاءت السنوات تترى . وفي يوم أيام الصيف ١٩٣٤ توفي هذا الرجل الذي أمضى حياته مع أهل هذا البيت الكريم .

وكانت السيدة الفاضلة تعرف قدر إيمانه وتمسكه ، فأمرت بأن يؤتى بقسيس أرثوذكسي وأن يقيم مراسم الصلاة ليلا ، وأوقدت الشموع وسهر أهل البيت يرتلون الصلاة وينشدون ترانيم بلاد الكرج بلسان أوطانهم ، حتى انتهى الأمر عند مطلع الفجر ، وانصرف رجال الدين وقد نفحتهم بمبلغ لا يستهان به . وكان خروجهم من المنزل تحت جنح الظلام في قارب أعد لهم لينقلهم إلى المرسى المجاور حتى لا ينتبه لقدمهم ومسيرهم أهل القرية .

وفي الصباح المبكر جاء مختار القرية ومعه الهيئة الاختيارية من أهل بوستنجي ومعهم الخطيب والإمام ، وتسلموا جثمان الوكيل وتولوا غسله وتكفينه على سنة النبي العربي وتعاليم الإسلام ،

(١) ذكر صاحب تجارب الأمم في حوادث سنة ٣٣٢ هـ خبر مجي الروس واحتلالهم بردعة ثم طردهم منها وتسمى الآن على الخرائط Berada ويسمى نهر الترثور Terter

وساروا به فى جنازة محمولاً فى نعش على الأعناق ، حتى أتوا المسجد فصلوا عليه صلاة المسلمين ، وقاموا بدفنه فى قبور المسلمين وانصرفوا بعد أن قدموا تعازيهم لأهل الفقيد والسيدة الفاضلة

وكانت السيدة على شيء كبير من مكارم الأخلاق ، يغلب عليها الحياء وتخشى أن تجرح الناس فى عواطفهم وأفكارهم ، فاستعملت الحيلة مع مختار القرية وإمامها ، ووسطت من حادثهم برفق وتؤدة ، وطلبت إليهم أن يعلموها عن رسوم الحكومة وتكاليف الجنازة ، وما يطلبه أهل المسجد الذى أقيمت الصلاة فيه ، وما تكلفته البلدية من ثمن للكفن والغسل ومكان للدفن فدهشت السيدة حينما تقدم كبير القرية وقرر أمامها : أن القرية لا تطلب شيئاً وأن الجماعة من الرجال الذين حملوا النعش متطوعون وأن ما قام به إمام المسجد وخطيبه إنما هو واجب عليهم إزاء كل مسلم ، وأن هذا البلد ليرحب بأن يدفن فى ثراه رجل نطق بالشهادتين وأتى إلى بلادهم لاجئاً فحباه الله بنور الإسلام والهداية .

ونظرت السيدة الفاضلة إلينا نحن معاشر المسلمين وقد أتمت حديثها ، وقامت من مقعدها وأخذت حفنة من تراب الحديقة وقالت : هذه الأرض الطيبة فليباركها الله ، لقد حمتنا بعد جور وأنقذتنا من ظلم ، أما إن أر ما رأيت من أهل الإسلام وما بذلوه لغريب ليس منهم ، فإنى لولا قدم الإسم الذى أحمله لأعلنت اليوم إسلامى ودخلت بينكم . إننى أفهم لماذا لا تدخل الشيوعية بينكم ...

أحمد رمزى

المراجع :

(١) راجع فتوح البلدان فى باب فتوح أرمينية ص ١٩٨ وفتح أذربيجان ص ٣٢١

(٢) راجع دائرة المعارف الاسلامية فى مادة أذربيجان .

(٣) يقول بارتولد كاتب مقالة ترك فى دائرة المعارف الإسلامية :

« إن أهالى ترك أسلموا فى القرن الثامن الهجرى » . ونهر ترك فى شمالى جبال القوقاز تقع على جانبيه جمهورية القاباردای .

(٤) ذكر ابن خلدون فى تاريخه ص ٣٩٣ الجزء ٢ طبعه :

كان الترك والخزر يعتقدون أن المسلمين لا يقتلون لما رأوا من شدتهم وظهورهم فى غزواتهم . فكانوا يفرون منهم حتى كمنوا لهم فى بعض الفيافى فقتلوا منهم فتجاسروا على حربهم .

(٥) اليعقوبى جزء ٢ ص ١٤٥

كتب عثمان إلى سلمان يأمره على أرمينية فسار حتى أتى البيلقان ، فخرج إليه أهلها فصالحوه ومضى حتى أتى برذعة فصالحه أهلها على شيء معلوم . ونفذ سلمان إلى شروان (على بحر قزوين) فصالحه ملكها ، ثم سار حتى أتى أرض مسقط وصالح أهلها وفعل مثل ذلك ملك اللكز (وقد يكونوا Lesginky) ؛

(٦) المسعودى ص ١٧٢ ج ١

كانت الأبخاز والخزرية يؤدون الجزية إلى صاحب ثغر تفليس منذ فتحت تفليس وسكنها المسلمون إلى أيام المتوكل .

وفى ص ٧٣ ج :

وهؤلاء الضبارية (من سكان جنوب القوقاز) يزعمون أنهم من العرب من نزار بن معد بن مضر وأنهم خذ من عقيل سكنوا هنالك فى قديم الزمن وهم هناك مستظهرون على كثير من الأمم

جيوفانى بوكاشـيو

للسيدة الفاضلة ماهرة النقشبندى

١٣١٣ – ١٣٧٥

ولد جيوفانى بوكاشيو فى باريس عام ١٣١٣، حينما كان والده فى زيارة لتلك المدينة فى مهمة تجارية . فقد أحب الوالد فتاة فرنسية تدعى « جان » ، وكان جيوفانى ثمرة هذا الحب الجامح ، ولم يعرف من حنان هذه الأم أو ذكرياتها سوى بعض الحروف المتشابهة التى يحملها اسمه من اسمها ، إذ عاد به والده إلى فلورنسا بعد سنة من ولادته ، وتزوج مباشرة بفتاة اسمها « مرغريتا » ولدت له ولداً شرعياً سماه « فرنسسكو » . لقد كانت طفولته خالية من الحنان والرحمة والرعاية ، فماتت فى نفسه الغضة المعانى الإنسانية فى الحياة لأنه لم يشعر بها ، وهذا يفسر من ناحية نفسية قسوته الشديدة وتهكمه المرير وعبثه بالفضائل المعنوية التى يعلم أن البشر لا يعرفونها أبداً ، فى قصصه ، وفى الأشخاص الذين تتصل بهم تلك القصص من قريب أو بعيد .

وقد قضى وقتاً غير يسير من طفولته فى تسكانيا ، ووقتاً فى مسقط رأس والده ، وحيناً فى ضواحى فلورنسا ، وخاصة فى التلال حول فيزول ، حيث كتب كتابه المظلم « دى كامرون » وأعماله الأدبية الأخرى . وأرسله أبوه إلى « نابولى » وهو لا يزال شاباً فى الحادية والعشرين من عمره ليتعلم مهنة تكون عوناً له على حياته المقبلة . وهناك فى تلك المدينة الساحرة ، لقى صبيحة يوم السبت – المقدس فى كنيسة القديس لورنزو – فياميتا الإبنة غير الشرعية للملك روبرت ملك نابولى الملقب « بالعاقل » ، فأحبها من النظرة الأولى حباً ملك عليه قلبه وحياته وجعله مسلوب اللب لا يعيش إلا لأجلها مدة اثنتى عشرة سنة ، حتى ماتت عام ١٣٤٨ فى الوباء المعروف فى التاريخ الأوربى بالموت الأسود .

كان حبه يشابه فى شدته حب بترارك للورا ، وقد أوحى إليه هـذا الوله العنيف جميع أعماله الأدبية الأولى ، ومن بينها أول قصة سيكولوجية فى التاريخ سماها « فياميتا المحبوبة » .

وظهر ميله الأدبى المبكر وهو فى نابولى ، فرأى والده أن يوافق على رغبته فى تعلم القانون ، وأن يترك ما كان فيه ، ولكن إفلاس والده المالى ، وعودته مضطراً إلى فلورنسا عام ١٣٤١ ، أعاده إلى الأدب وحال بينه وبين المضى فى دراسة القانون .

وبدأ فى نابولى آثاراً أدبية أتمها فى فلورنسا منها « فيلو كولو » و « فيلوستراتو » و « تسيد » ؛ وزاد على تلك الآثار « اميتو » و « فياميتا » و « نتفال فينسالانو » . وعاد بعد ذلك إلى نابولى . أما فياميتا ، فقد كان قلبها يخفق بحب غيره حتى قبل مغادرته نابولى . والمعتقد أنها توفيت سنة ١٣٤٨ فى وباء الموت الأسود المروع الذى يعتبر نهاية العصور الوسيطة فى التاريخ ، فقد أهلك ثلاثة من كل خمسة أشخاص فى فلورنسا ونابولى ومختلف بقاع أوربا وانجلترا ، فكان موتها ضربة أليمة لقلبه المعذب . وقد خلدها فى الفصل الأول الذى يفتتح به كتابه المظلم « دى كامرون » إذ يعترف أن هـذا الحب هو الذى دفعه إلى كتابة هذا الأثر الخالد ، وفى القصص التى كتبها سابقاً يعود إليها فصلا فصلا ، فيشيع فى جوها حب فياميتا واللوعة على فراقها والحنين إليها .

لقد كان حبه لفياميتا الأساس لجميع أعمـاله الأدبية ، حتى رأى بترارك فنشأت بينهما مودة متبادلة كانت عوناً له على تناسى بعض آلامه وعلى شفاء بعض الجراح العميقة التى سببها موتها .

لقـد مات الحس المرهف فى خياله ، وخبا النور الذى كان يشرق على بصـيرته فى شمس الحب ، فتبلد حسه ، وتحجرت عواطفه ، وانتهت أجمل فترة من فترات الإلهـام ، فـكتب بعد « دى كامرون » كتابه « كاربا كشيو » وهو مجموعة من الهجاء المقذع ما رأته لغة من اللغات ، صب جام غضبه فيه على الدنيا التى حرمته الحب وعذبته بقسوتها ...

ثم هدأت الثـورة قليلا فى عواطفه ، ومال من تلقاء نفسه وبتشجيع من صـديقه بترارك إلى نوع من الاستقرار وتناسى المـاضى ، فأخذ يدرس الآداب اللاتينية والإغريقية ، وكتب كتابه « تاريخ حياة دانتى » ، وأهدى نسخة من « الـكوميديا الإلهية » إلى صديقه بترارك ، وأهدى إليه بترارك فى مقابل ذلك مجموعة خطية من إلياذة هوميروس .

لقد رأى بترارك للمرة الأولى فى ربيع عام ١٣٥١ فى مدينة

بادوا ، حيث ذهب إليه يرحب به باسم مدينة فلورنسا ليعود من منفاه . فشاهد حماسه الشديد للآداب الكلاسيكية أو الدراسات المقدسة ، وعدم رضاه عن الأدب الإيطالى ، وقد كان لذلك ، لسوء الحظ الأثر الفعال فى نفس بوكاشيو ، فترك العناية بالأدب المعاصر ، وقصر مجهوده الأدبى على دراسة آداب اللغة اللاتينية وكل ما يتصل بها .

لقد كان بوكاشيو أديباً أصيلا ، وفناناً مبدعاً ، وفلتة نادرة من فلتات الذكاء التى تراها الإنسانية فى سيرها الطويل فى فترات متباعدة جداً ، وفى أشخاص تخلقهم القدرة المبدعة لعمل يحوله الزمن إلى ذروة الخلود . لقد خلق فى كتابه « دى كامرون » عالماً جميلا يموج بالحركة والإحساس العميق . فهو يجلس فى عالم الخلود الأدبى إلى جانب دانتى وتشوسر وشكسبير . وقلما عرف التاريخ الأدبى فناناً مرهف الحس يجمع إلى فنه علماً غزيراً وجلداً على دراسات مضنية تتطلب صبراً جميلا . ليس فى مقدورنا أن نزعم أن بوكاشيو كان من هذا الطراز النادر ، كما أنه ليس من الإنصاف أن نبخس مؤلفاته فى اللغة اللاتينية حقها من التقدير ، فقد كانت دائرة معارف الأدباء ومعجمهم فى أوائل عصر النهضة ، وهو وإن لم يبذل فى تآليفها أكثر من مجهود الجمع والترتيب ، كان بجلده الرائع وصبره وأناته الوحيد الذى حفظ للعالم قصائد هوميروس .

إن إيطاليا وأوربا مدينتان لبوكاشيو بحفظ آثار أعظم شاعر تفخر به الأجيال ... لقد بذل بترارك مجهوداً فى جمع تلك القصائد التى لم يكن فى مقدور أحد فى أوربا قراءتها فى اللغة اليونانية ، ولكن بوكاشيو هو الذى أخذ تلك القصائد وراح يراجعها كلمة كلمة ويعيد كتابتها مستعيناً بليون بلاتوس الذى كان يلفظ له حروف الكلمات اليونانية ، وبذلك تمكن بوكاشيو من ترجمتها بأسرها إلى اللسان اللاتينى .

كانت حياته الخاصة سلسلة من الآلام والعذاب ، ولم يكن يخفف من قسوتها عليه غير العطف الذى كان يغمره به بترارك وزيارته لأسرة هذا الصديق . كان معدماً ينغص عليه الحياة القاسية خوف وتشاؤم من الموت ومن المصير المجهول فى العالم الآخر ، ذلك الخوف الذى استطاع بترارك أن يخفف شيئاً من وقعه عليه ويهدئ قليلا من سواد أفكاره . كان مهملا فى زمانه لا يعرف أحداً . وابتسم الحظ له فى أخريات أيامه ، فاختير لملء أول كرسى فى جامعة فلورنسا أسس باسم دانتى ، وكأنما جاء تكريم دانتى فى الوقت المناسب لتخفيف وطأة الفقر ، وراح يحاضر عن « الكوميديا الإلهية » ويدافع عن شعر دانتى ، ذلك الشعر الذى أحبه وتعصب له حتى مع صديقه بترارك . وألقى محاضرته الأولى فى شهر تشرين الأول من عام ١٣٧٣ ، وكان فى الستين من عمره ، واستمر يحاضر حتى بلغ النشيد السابع عشر من الجحيم فى الكوميديا الإلهية ، فداهمه مرض شديد أقعده عن العمل ، وبقى يعانى سكرات الموت حتى اليوم الحادى والعشرين من شهر كانون الأول سنة ١٣٧٦ ، فأراحه الموت من عذاب الحياة بعد أن ذاق حسرة موت صديقه بترارك فى صيف ١٣٧٤ .

***

لقد ذكرنا فيما مضى أن جميع ما كتبه بوكاشيو فى اللغة الإيطالية كان من وحى فياميتا التى أحبها ، ففى الصفحات الأولى من كتابه « دى كامرون » نرى أنه لم ينس حب تلك الفتاة بعد أن كتب عنها — أو متأثراً بها — ستة مؤلفات نثرية ، فافتتح ذلك الكتاب العظيم بالإشارة إليها دون أن يذكر اسمها ، وختمه بنفس الطريقة والأسلوب . إن جميع الأسماء التى قص على لسانها فى كتابه مائة قصة فى عشرة أيام خيالية محضة ما عدا اسمها « فياميتا » . أما بوكاشيو ، فإنك لا تجد له ظلا فى تلك القصص المائة . إن العجب ليأخذ الناقد الحصيف وهو يرسل رأيه ويتأمل كتابه الخالد « دى كامرون » الذى يمثل نبوغه ومجونه وتسامحه الكثير ومحبته العميقة للانسانية ، إذ يجده على النقيض فى مؤلفاته الأخرى التى كتبها باللغة الإيطالية الدارجة ، لا يعبر كما عبرت عن حوادث حياته الخاصة ، وآرائه فى الحياة وحبه وكرهه وسخطه.

إننا نتلاقى مع بوكاشيو فى هذا الكتاب مرة أو مرتين ، ولكن فى غير القصص التى يبدو غامضاً جداً فى حوادثها وأشخاصها ورسم أهدافها .

إن تصميمه الفنى لهذه القصص يدل على فن أصيل وعبقرية فذة وذكاء مفرط ، استطاع أن يشيع فيها عالماً تضطرم فيه الحياة بكل ما فيها من أحزان ومسرات ، وظواهر وأسرار . لقد نفذ

بعبقريته الفذة إلى ما وراء مظاهر الأشياء ، نفذ إلى أسرار النفس الإنسانية فصور أفراحها وأحزانها ، صفحها وانتقامها ، رحمتها وحقدها ، كرمها وبخلها ، تصويراً عميقاً شاملا ، لم تشذ عنه النفس ، ولم يتوار عنه ضمير ؛ فكان بذلك « شكسبير » عظيم الأثر في عصره ، وفي العصور التي حملها فجر الزمن من بعده ، يقرأها المرء فيجد فيها وصفاً لما يضطرع بين جنبيه من ألم وعذاب ، وفرح وسرور ، في أي عصر كان ، وهذا عمل العباقرة الخالدين !

إن كتاب ألف ليلة وليلة يتوارى خجلا أمام دي كامرون إذا وضعا في ميزان التقدير وتحت ضوء النقد . إن كتاب ألف ليلة وليلة لا يقوم في مجموعه إلا على ملك مستبد يقتل زوجاته لألم في نفسه من النساء ، وعلى شهرزاد الفتاة الأريبة التي تقص عليه تلك القصص ، ولا تهدف إلى غاية غير استبعاد الكارثة وإطالة أمد المقاومة والتعلق بآمال الغيب ، لعل المعجزة تتم فتنجو بحياتها ، ولكن هذا القلق لا يلبث أن يتلاشى رويداً رويداً من نفسها بحكم ما تثيره قصصها من اللذة في نفس الملك شهريار . أما دي كامرون ، فتقوم حوادثه على ثلاثة من الفتيان وسبع من الفتيات ولوّا هاربين إلى سفوح تلال الفيزول من الموت الذي أباد مدناً بأسرها ... يروون تلك القصص تناسياً للآلام وتوارياً خلفها من خيال الموت !

تعتبر مقدمة اليوم الأول من قطع الوصف الخالدة في الآداب الإنسانية عامة صور فيها مدينة فلورنسا في قبضة الوباء المهلك عام ١٣٤٨ وقد أقفرت شوارعها من الحركة وتكدست الجثث هنا وهنالك وقد فاحت منها الروائح المنكرة ، تصويراً لا يلحقه فيه لاحق ... صور ذلك الصمت الشامل الذي يغشى المدينة فلا يسمع فيها غير قهقهات خافتة من بقايا أجساد حطمت الكارثة كل ما فيها من حس إنساني وشعور نبيل ، وغير مجموعات أخرى تتحرك وقد خولطت عقولها وعبث بها الرعب فغدت كأشباح الموتى .

وفي صبيحة يوم من أيام الثلاثاء تلاقت في الصلاة سبع فتيات في كنيسة القديسة ماريا فلورنسا ، فاقترحت عليهن كبراهن بامبينا أن يرافقنها إلى الريف هرباً من الموت ، حيث يعشن في أحضان الطبيعة ، في قصر ريفي لإحداهن عيشة الفضيلة والانقطاع عن الناس فلا تصل إليهن يد الموت وتشاء المصادفات أن يدخل الكنيسة في تلك اللحظة ثلاثة شبان يتصل أكبرهم ببامبينا بصلة القرابة ، فاقترحت عليهم الانضمام إليهن فوافقوا مغتبطين .

وفي فجر اليوم التالي كانوا في طريقهم إلى ذلك الريف ، فاستقربهم النوى في قصر جميل وارته الأشجار وقامت على جوانبه الحدائق الوارفة . واقترحت بامبينا أيضاً أن يختاروا في كل يوم رئيساً عليهم يكلون إليه أمرهم بحيث يكون كل منهم مسؤولاً بدوره . وتم انتخاب بامبينا في اليوم الأول فوضعوا على رأسها إكليلاً من أغصان شجر الغار . وبعد غروب الشمس أخذوا طريقهم إلى حقل غطى العشب الأخضر أرضه ... وهنالك جلسوا في دائرة وطلبت بامبينا ملكة ذلك اليوم أن يقص كل واحد قصة في كل يوم ، وقد رأوا في اقتراحها طرافة فوافقوا عليه ... وتلفتت بامبينا إلى بامفيلو الذي كان يجلس على يمينها وأمرته أن يبتدىء بقصة ، وهكذا تأخذ هذه القصص طريقها إلى الوجود .

من هذا النوع من التصميم تنبع قصص بوكاشيو في دي كامرون ، وهي تشابه قصص ألف ليلة وليلة في بقاء القاصين في مكان واحد في حقل العشب الأخضر في تلال الفيزول ، وفي غرفة الملك شهريار في بغداذ . وهو جمود يضفي على قصص الكتابين لوناً من الكسل والخمول . أما قصص كانتباري تشوسر فتتسم بالحركة والنشاط والحياة ، فالحجاج الذين يقصون القصص لهم سمات الأحياء تميزهم وتتعرف شخصياتهم في سهولة ويسر .

والضعف الذي نلمسه في قصص ديكامرون حين نقارنها بقصص كانتباري لا يتصل بالخطوط الرئيسية في بنائها وإنما يتصل في الأشخاص . فأشخاص قصص كانتباري يتحركون فيمثلون الحياة الاجتماعية الإنجليزية في القرن الرابع عشر ، لكل منهم شخصيته مستقلة واضحة المعالم . أما أشخاص بوكاشيو فليس في المقدور تمييز الواحد عن الآخر . وليس هنالك فارق بين لورتا وفيلومينا ، وربما حسبناهما ديونيو أو فيلستراتو . أما فياميتا أقوى أشخاصه فإننا لا نراها وإنما نستمع إليه يصف جمالها وذكرياتها ويقحمها في مجال القصص من وقت إلى آخر .

(البقية في العدد القادم)

ماهرة النقشبندي

على هامش (دراسات عن المقدمة) :

رأي ابن خلدون عند الحصري

للأستاذ محمـــد سليم الرشدان

— ١ —

كتب الأستاذ أبو خلدون (ساطع الحصرى بك) فى المددين (٨١٩ و ٨٢٠) من الرسالة الزاهرة ، بحثاً قيما أورده جواباً على سؤال تقدم به إليه الأستاذ الكبير (صاحب الرسالة) وكان مؤداه : « هل الشقاق طبيع فى العرب ؟ » . وقد تطرق الأستاذ الحصرى فى جوابه إلى الحديث عن ابن خلدون وعن رأيه فى العرب الذى جاء فى مقدمة تاريخه . ثم تدرج من خلال ذلك إلى الحديث عن كتابه (دراسات عن مقدمة ابن خلدون) واستشهد من هذه الدراسات (بنموذجين من البراهين المسرودة فيها) . كان أحدهما من القسم الأول عن المقدمة ، والثانى من القسم الأخير منها .

فأغرانى حديث الأستاذ هناك أن أصطحب (دراساته) تلك ، لأجعلها شغل فراغى فى المصيف الذى جنحت إليه ، فكانت خير مشغلة ، وكانت نعم الرفيق . وهأنذا أتقدم بهذه الكلمة المتواضعة ، تعليقاً على هامش تلك (الدراسات) فأقول :

لقد كان الوازع الذى حفز الأستاذ الحصرى لإصدار هذا الكتاب — كما أحسست من دراسته — أنه أعجب بابن خلدون إعجاباً جمله يتمكنى باسمه ، ولذلك يدافع عنه فى رد هذا المآخذ الذى أخذه الناس عليه من رأيه (فى العرب) . ولقد حاول جهد طاقته أن يظهره بمظهر الحدب الشفيق ، وأن يلبس أقواله زخرفاً يخضد معه كثيراً من هذه الأشواك التى يلمسها (ناتئة وخازة) كل من ينصرف إلى دراسة آراء هذا المؤرخ الفاضل فى الأمة العربية منذ أقدم أزمانها إلى أيامه .

وإنك لتجد الأستاذ الحصرى فى (دراساته) يبذل غاية الجهد فى هذا السبيل . فهو لا يدع حجة تلوح له من قريب أو بعيد إلا ساقها . فيستشهد بنص يورده كاتب فرنسى . كما يشير إلى آخر يورده كاتب تركى . ويقبل بعد هذا على كلام المؤرخ يستقرئه حيناً ، ويحمله فوق ما يحتمل أحايين . ثم لا يقف عند هذا الحد ، بل يلجأ إلى كلام تواطأت عليه العامة ، فيدور حوله طويلاً حتى يكاد يبرزه بين معظم هذه السطور التى أعدها للدفاع عن ابن خلدون . وهأنذا أسوق للقارئ الكريم طرفاً من دفاعه ، وأظهر مبلغ تساوقه مع الحقيقة ، مستشهداً — ما وسعنى المقام — فى استجلاء ما أشكل وانبهم ، بكلام المؤرخ نفسه كما أورده فى مقدمته .

يقول الأستاذ الحصرى عن كلة العرب عند ابن خلدون ما يلى :

« إن كلة العرب فى مقدمة ابن خلدون من الكلمات التى ولدت أغرب الالتباسات وأنتجت أسوأ النتائج . ذلك لأن ابن خلدون استعمل الكلمة المذكورة بمعنى البدو والأعراب ، خلافاً للمعنى الذى نفهمه منها الآن ، كما يتبين من الدلائل والقرائن الكثيرة المنبثة فى جميع أقسام المقدمة ... (١) »

ويتحدث بعد هذا طويلا عن دحضه أقوال الكثير ممن تحاملوا على ابن خلدون بسبب خطئهم فى فهم ما يقصده من كلة (العرب) . ومن هؤلاء — على حد تعبيره — مدير المعارف العراقية الذى دعا إلى « حرق كتبه ونبش قبره باسم القومية ، زاعماً أنه من الكافرين بالعروبة ... (٢) »

ثم يورد بعد ذلك ما يذكره علماء اللغة فى تعريف كلمتى (العرب والأعراب) فيعقب عليه بقوله : « يظهر من ذلك أن مدلول كلة العرب تطور تطوراً كبيراً خلال أدوار التاريخ . ويمكننا أن نمين اتجاه هذا التطور بالصفات الثلاث التالية :

أولا : كان مدلول كلة العرب يختص بالبدو وحدهم .

ثانياً : صار يشمل هذا المدلول من يسكن المدن والأمصار من غير أن يقطع صلاته بالبادية ...

ثالثاً : (وهنا موضع الشاهد) صار يشمل مدلول كلة العرب سكنة الأمصار أيضاً ، بقطع النظر عن صلاتهم بالبادية ، أو رجوع نسبهم إلى البادية ... (٣) »

وهكذا يحدد الحصرى مدلول هذه الكلمة فى صفات ثلاث

---

(١) ص ١٠٧ س ٣ ج ١ من كتاب (دراسات ..)

(٢) دراسات ص ص ١٠٧ س ١٤ ج ١

(٣) ص ١٠٨ س ١٥ ج ١

تطورت – كما يقول – مع أدوار التاريخ . ودعنى أيها القارئ الكريم أقف بك عند كل واحدة منها ، مبتدئاً – حسب الترتيب الذى سار عليه – بالأولى حيث يقول : « كان مدلول كلمة العرب يختص بالبدو وحدهم .. » و (كان) هذه تحتمل من الإمكان ما نعيدها معه إلى إبان صدر الإسلام وما قبله ، حيث جعلها الأستاذ بداية التطور خلال أدوار التاريخ . ولو تساءلنا على ضوء هذا التحديد ، عما إذا ورد فى القرآن الكريم – وهو قاموس العربية – ما يؤيد قول الحصرى ! لألفينا الجواب بأن القرآن الكريم لم يخصص كلمة (العرب) للبدو ، وإنما خصص لهم غيرها حين يقول : (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً ... (١)) و (قالت الأعراب آمنا ... (٢)) . وهذا النبى صلوات الله عليه يقول : « ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى ... (٣) » وما أظنه يقصد بالعربى (هنا) من كان مقيما فى البادية دون سواه ! وهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول يوم السقيفة : « نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاماً وأكرمهم أحساباً ... وأكثر الناس ولادة فى العرب ... » وهو يقصد بالعرب أهل (مكة) . وهي حاضرة الجزيرة يومذاك .

وبما أن الأستاذ الحصرى لم يحدد زمناً ربط به تطور مدلول هذه الكلمة ، فالاعتراض عليه لا يتجاوز حد الافتراض . ولذلك فإننا نقف بهذا الذى أوردناه إلى جانب أول وصف لمدلول هذه الكلمة عنده ، ثم نترك للقارئ الكريم الحكم عليها.. وننتقل إلى الصفة الثانية فنجده يقول فيها : « صار يشمل هذا المدلول من يسكن المدن والأمصار من غير أن يقطع صلاته بالبادية .. » ولا أظنه يقف ابن خلدون عند هذا التعريف . وإنه لو فعل ذلك لأقام الدليل بنفسه على بطلان ما يقوله فى دفاعه عنه . ولأثبت عندئذ أن ابن خلدون إنما قصد أهل الأمصار من العرب بقوله ، وهو عكس ما يريده ويبتغيه .. إذن فلم يبق أمامنا غير التعريف الثالث ، وهو الذى يقول فية : أن مدلول كلمة العرب « صار يشمل .. سكنة الأمصار بقطع النظر عن صلاتهم بالبادية .. » وفى هذا الوصف ثالثة الأثافى ! فهو إن كان قد تطور خلال أدوار التاريخ ، فلا بد من أن يكون قد عاصر ابن خلدون أو تقدم عنه أو جاء بعده . فإن كانت الأولى أو الثانية ، فقد جعل قوله حجة عليه ، ولم تبق هنالك حاجة لإقامة برهان . وإن كانت الثالثة ، فقد أنطق ابن خلدون بالغيب ، وجعله يتحدث بلسان الزمن قبل أن يجىء . وهيهات أن يكون ذلك كذلك ؟!

وإليك أيها القارئ ما يجيبنا به الأستاذ على كل ما تقدم حين يقول : « ومما تجب ملاحظته أن هـذا التطور لم يكن تاماً ولا قاطعاً .. لأن الطور الأول لا يزال مستمراً فى استعمال العوام .. فقد تعود الناس فى جميع البلاد العربية استعمال كلمة (العرب) بمعنى البدوى والفلاح ... (١) »

ولا أدرى كيف (تطور تطوراً كبيراً خلال أدوار التاريخ) ثم نجد تطوره بعد ذلك (لم يكن تاماً ولا قاطعاً) !! بل يستمر الطور الأول منه فى استعمال العوام إلى يوم الناس هذا !! وإنه ليلذ لى أن اتساءل فى هذا المقام : لماذا لم يظهر مثل هذا الالتباس فى مدلول كلمة العرب على أقلام المؤرخين ممن سبق ابن خلدون أو تأخر عنه ؟ ! ولماذا لم يظهر كذلك فى شعر الشعراء ممن تقدموه أو عاصروه ، ما دام هذا هو مدلول الكلمة منذ طورها الأول الذى كان فى بداية أدوار التاريخ ؟!

ويورد الحصرى بعد ذلك – تأييداً لابن خلدون – مثلاً شعبياً كثيراً ما تلوكه ألسنة العامة من أهل الحواضر ، فيوردونه شاهداً على فساد ذوق البدوى ، وهو قولهم : « الكل عند العرب صابون ... » وأشهد لقد سمعته كثيراً ولكن بتحريف بسيط ، فذكرنى بـ (غير عزيز !) ، وأعاد للنفس ذكريات مفزعة من الماضى الرهيب الذى توالى على الأمة العربية فصبرت عليه صبر الجبال ... أجل لقد سمعت هذا القول كما سمعه الحصرى فذكرنى بشىء غاب عنه تذكره ، ذكرنى بذلك الاستعباد الطويل الذى تقلبت هـذه الأمة بشتى مطارفه ، يوم كان العربى فى حاضرته يضطر – كارهاً أو مختاراً – أن يتشبه بذلك المتسلط القاهر فيحاكيه فى عجمته ، ويماثله فى بزته . يوم كان العلج فى عنجهيته يقف أمام هؤلاء الأعراب الذين يردون الحواضر ، فيتأذى ببصره المترف رؤية شقائهم البادى من فتوق أسمالهم ، فلا يجد شتيمة يحقرهم بها ، فتوصل إلى قرارة نفسه الرضوان ، أكثر من أن

(١) س التوبة آية ٩٧ (٢) س الحجرات آية ١٤
(٣) من خطبته فى حجة الوداع

(١) الجزء الأول من كتاب (دراسات ..) ص ١٠٩ س ٣

يردد على ملأ منهم قائلا : « عرب ! عرب ! » .

وإن كنت فى ريب من ذلك فسل من شئت : هل عسيت إن شا كسك رجل من أهل هذه الدساكر حتى بلغ منك ما تكره ثم أردت أن تثأر لنفسك منه ، فهل رأيتك تغمغم بأكثر من أن تقول له : « فلاح ! فلاح ! » إلا أن هذه قرينة تلك ، وكلتاهما مما خلفته لنا عصور الاستعباد الطويل ، وتلقفناه عن أفواه أولئك المستعبدين، بعدان يورد الأستاذ الحصرى هذا الشاهد يعلق عليه طويلا ويتحدث عن مبلغ تفشيه بين العامة فى شتى الأقطار ، وهذا أمر سلمنا له به ، ولعل فى ردنا عليه الكفاية . ثم ينتقل إلى الاستشهاد بأقوال كبار المؤرخين والباحثين ، ملتمساً فى ذلك ما يقوله شاهداً على صواب ما يورد . وإننى أتناول واحداً من هذه الأقوال الكثيرة ، فاتخذه شاهداً على عكس ما يقول ، وأؤكد له أن (الثعالبى والقالى وابن السكيت وابن الأثير) وغيرهم ممن استشهد بهم ، لم يخرجوا قيد أنملة عما تآلف عليه الناس منذ أقدم الأزمنة إلى اليوم . إنهم حين لا يفرقون بين باد وحاضر يقولون : (عرباً) وإذا ما أرادوا أهل البادية دون سواهم قالوا : (أعرابياً) أو (بدوياً) . وهذا نص يورده الأستاذ يؤيدنى على ذلك ، وهو قوله : « وإننا نجد فى المثل السائر .. لابن الأثير .. ما يلى : (فإن قيل إن ذلك البدوى كان له ذلك طبعاً وخليقة ... فالجواب على ذلك أنى أقول : إن سلمت إليك أن الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع والفطرة فماذا نقول فيمن جاء بعدهم من شاعر وخطيب(١)

أرأيت كيف يقفك عند قوله : (البدوى) حين أراده قبل أن يهجر باديته ،ثم يطلقها بعد ذلك حين لا يريد مثل هذا التحديد؟!

وليت شعرى كيف يرتضى الأستاذ الحصرى أن (يحصر) مثل هذا العدد الوافر من كرام المؤرخين ، وأن (يحصر) نفسه أيضاً فى حدود هذه الدائرة الضيقة حين يؤكد أنهم أرادوا جميعاً بقولهم (العرب) أهل البادية فقط ؟! وبماذا سموا إذن — لله أبوهم — أهل الحواضر من عرب الشام والحجاز ومصر والعراق والمغرب والأندلس ؟! هل قالوا حاضرى أم حضرى أم كيف ؟! لقد توقعت أن أجد للأستاذ قولا مثل هذا ، فكنت أجد منه موئلا للاعتراض ، ولكنه لم يفعل بل ترك الأمر غامضاً ملتبساً ! وأن الأستاذ الحصرى بعد ذلك يتحدث عن ابن خلدون بما يؤكد

(١) الدراسات ج ١ ص ١١١ س ١٤

(ما ذهبت إليه) غاية التأكيد . وذلك حين يقول : « لم يستعمل ابن خلدون فى المقدمة كلمة (الأعراب) و (الأعرابى) ، إلا قليلا جداً . فإنه قد استعمل كلمة (العرب) أو (العربى) فى نحو (٣٣٠) موضعاً ، فى حين أنه لم يستعمل كلمة (الأعراب والأعرابى) إلا فى بضعة مواضع ... (١) »

هو ذاك ! لأن الرجل أراد أن يسير على نهج زمانه ، وهو منهج كل زمان من أزمان العربية ، لذلك يطلق كلمة العرب على كل عربى من غير ما تخصيص ، ويخص أهل البادية — حين يريد أن يميزهم عن سواهم — بقوله : (الأعراب) . وهذا القرآن الكريم — وكان وما يزال (قرآناً عربياً غير ذى عوج) — وقف عند هذا التحديد بعينه ، وسار الناس بعد ذلك على مناهجه و (أرى) أن ابن خلدون ما تجاوز ذلك إلى سواه . .

ويأخذ الأستاذ الحصرى بعد هذا فى اقتباس الشواهد من المقدمة ، للتدليل على ماذهب إليه ، فيقول: « لنبدأ من الفصل الذى يتضمن أقسى الأحكام وأعنف الحملات على (العرب) . فلنلاحظ الفصل الذى يقول فيه ابن خلدون : « إن العرب إذا ما تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب » ، ولننعم النظر فى الأدلة التى يذكرها لتعليل وتأييد رأيه هذا : (فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب ... فالحجر مثلا إنما حاجتهم إليه لنصبه أثافى للقدر ، فينقلونه من المبانى ويخربونها عليه ... والخشب أيضاً إنما حاجتهم إليه ليعمروا به خيامهم ...) ومن البديهى أن مدار البحث هنا لا يتعدى البدو الذين يعيشون تحت الخيام ، فلا مجال للشك فى أن ابن خلدون عند ما كتب هذه العبارات لم يفكر قط بأهل دمشق أو القاهرة ... بل إنما قصد أعراب البادية وحدهم ... (٢) »

والذى أقوله ، ويقوله ذلك الفصل بعينه ، يغاير ما أورده الأستاذ الحصرى ، ويؤكد أن ابن خلدون أراد البدو وغير البدو، وأقول بتعبير آخر: إنه أراد العرب على اختلاف مشاربهم . ونتبين ذلك من قوله الذى يكمل به ذلك الفصل بعينه . فهو يقول بعد الكلام الذى استشهد به الحصرى (مباشرة) ما يلى : « فهم متنافسون فى الرئاسة ، فيتعدد الحكام منهم والأمراء ، وتختلف الأيدى على الرعية فى الجباية والأحكام ، فيفسد العمران وينتقض ،

(١) الدراسات ج ١ ص ١١٣ س ٣

(٢) الدراسات ج ١ ص ١١٣ س ١٧

وانظر إلى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الأوطان ، كيف تقوض عمرانه وأقفر ساكنه ، فاليمن قرارهم خراب ، وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذى كان للفرس أجمع ، والشام لهذا العهد كذلك وأفريقية والمغرب[١] » . فهل نتبين من ذلك كله أنهم البدو فقط ؟ ! وإذا كان الذين عمروا اليمن والشام والعراق وأفريقية والمغرب هم (البدو) ، فمن هم (العرب) إذن ؟ ! ثم يخطو الأستاذ الحصرى بعد ذلك خطوة لا تخلو من تعسف ، وهى أنه يصدر بحكم مبرم مؤداه أن ابن خلدون لم يقصد بقوله (العرب) فى سائر فصول المقدمة غير (البدو) ، ولم يتجاوز ذلك إلى غيره قط . فيورد هذا بأن يقول : « إن ابن خلدون لم يستعمل كلمة (العرب) بمعنى البدو فى فصول الباب التى ذكرتها فحسب ، بل استعملها على نفس المنوال فى فصول الأبواب الأخرى أيضاً[٢] »

وهكذا يحملنا الأستاذ فى حل ، لنلتمس ما يناقض دفاعه (فى سائر الفصول) ، بعد أن أكد — كما رأيت — أن ابن خلدون لم يقصد بقوله (العرب) فى سائر الفصول سوى البدو وليس غيرا ويستشهد بعد هذا ببعض كلام ابن خلدون مقدماً له بما يأتى : « يوجد فى الباب الرابع أيضاً فصل خاص بالعرب ، وهو الفصل الذى يقرر : (أن المبانى التى كانت تختطها العرب يسرع إليها الخراب إلا فى الأقل)[٣] » . ثم يأتى على ذكر ما قاله ابن خلدون عن العرب فى هذا الباب فيقول : « والعرب إنما يراعون مراعى إبلهم خاصة ، ولا يبالون بالماء طاب أو خبث ... ولا يسألون عن زكاء المزارع والمنابت والأهوية ، لأن الرياح إنما تخبث مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات[٤] » .

ويعلق على ما سلف بما يلى : « يظهر من ذلك بكل وضوح أن العرب المقصودين فى هذا الفصل هم البدو الذين يعيشون فى القفار ولا يوجد فى هذا الفصل كلمة واحدة تنطبق على أهل الأمصار[٥] »

وفى هذا المقام أيضاً استشهد من الفصل عينه ، مؤكداً أن فى هذا الفصل أكثر من (كلمة واحدة) تنطبق على العرب الأولين الذين خرجوا من الحجاز واليمن ، من مكة والمدينة والطائف وصنعاء وظفار وغيرها (وهى أمصار كلها !) بل خرجوا

(١) المقدمة مط مصطفى محمد سنة !! ص ٥٠ ؛ س ١٦
(٢) دراسات ج ١ ص ١١٥ س ٨
(٣ ، ٤) دراسات ج ١ ص ١١٥ س ١٢ ، ١٨
(٥) دراسات ج ١ ص ١١٥ س ٢١

جميعاً من مدرسة محمد (ص) بعد أن قذف فى قلوبهم هذا الإيمان الراسخ ، فإذا هم يعلمون الحضارة لأهل الحضارة .

أجل ، تنطبق على هؤلاء بعينهم ، ويتضح ذلك مباشرة بعد آخر كلمة يوردها الأستاذ الحصرى فى النص الذى استشهد به من كلام ابن خلدون ، وذلك حين يقول : « وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان ، فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار ، ولم تكن فى وسط الأمم فيعمرها الناس[١] » .

ألا ترى — يا أخى القارئ — صدق ما أشرت إليه من خلال هذا النص الذى (بُتر) أوله ليؤدى معنى غير معناه الذى أراده له صاحبه ؟ ! وهل اختط الكوفة والبصرة والقيروان إلا رجال أفذاذ من أقران (عمر ومعاوية وابن العاص) وغيرهم ممن ساسوا البدو والحضر فأحكموا السياسة ؟ !

ثم يتدرج الأستاذ الحصرى بعد كلام طويل إلى قوله : « ومما يزيد الأمر وضوحاً وقطعية أن ابن خلدون يعود إلى هذه القضية (أى أن العرب بمعنى البدو) فى بحث العلوم أيضاً ، إذ يقول بعد أن يشبه العلوم بالصنائع :(وقد كنا قدمنا أن الصنائع من منتحل الحضر ، وأن العرب أبعد الناس عنها ، وصارت العلوم لذلك حضرية ، وبعد العرب عنها وعن سوقها) ... يلاحظ أن ابن خلدون يذكر هنا كلمة (العرب) مرتين مقابلا لكلمة (الحضر) بشكل لا يترك مجالا للشك فى أنه يقصد منها (البدو)[٢] » .

والذى أقوله : إن كلام ابن خلدون لا يدع مجالا للشك فيما يقصد . ويوضح لنا فى كلمات تلى(ما استشهد به الأستاذ الحصرى) ما يقصده من الكلمتين (العرب والحضر) . وهأنذا أورد قوله ليتضح وجه الصواب : « والحضر لذلك العهد هم العجم أو من هم فى معناهم من الموالى الذين هم يومئذ تبع للعجم فى الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف[٣] » .

أرأيت كيف كان يقصد بقوله (الحضر) غير العرب ، وأن العرب لديه هم العرب سواء سكنوا البادية أم الحاضرة ؟ !

ولما كان المقام لا يتسع لمناقشة جميع الشواهد التى أوردها الأستاذ الحصرى من كلام ابن خلدون ، لذلك أكتفى بهذا القدار الذى أوردته منها ، ملمحاً إلى أن جميع ما جاء فى هذا الصدد

(١) المقدمة الطبعة السابقة ص ٣٥٩ س ١٢
(٢) دراسات ص ١١٦ س ١٩ ج ١ ط بيروت
(٣) المقدمة ص ٥٤٤ س ٧

من ظرفاء العصر العباسى :

أبو دلامـــة

توفى سنة ١٦١ ﻫ

للأستاذ صبحى إبراهيم الصالح

— ٥ —

ونلاحظ أن أبا دلامة لم يكن يصله — غالباً — شيء من المال إلا بنادرة كما رأينا فى قصة سلة الوصيف ، أو بحيلة كما سنرى الآن فى قصته مع العباس بن محمد — عم المهدى — الذى كان من أبخل الناس :

دخل أبو دلامة يوماً على المهدى ، فحادثه ساعة وهو يضحك وقال له : هل بقى أحد من أهلى لم يصلك ؟ قال : إن أمنتنى أخبرتك ، وإن أعفيتنى فهو أحب إلى . قال : بل تخبرنى وأنت آمن . قال : كلهم قد وصلنى إلا حاتم بنى العباس . قال : ومن هو؟ قال : عمك العباس بن محمد . فالتفت إلى خادم على رأسه وقال : جَأْ(١) عنق الماض بظر أمه . فلما دنا منه صاح به أبو دلامة : تنحَّ يا عبد السوء لا تحنث يمين مولاك وتنكث عهده وأمانه . فضحك المهدى وأمر الخادم فتنحى عنه ، ثم قال لأبى دلامة : ويلك ! والله عمى أبخل الناس . فقال أبو دلامة : بل هو أسخى الناس . فقال له المهدى : والله لو مت ما أعطاك شيئاً . قال : فإن أنا أتيته فأجازنى ؟ قال : لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم. فانصرف أبو دلامة فخبر للعباس قصيدة ثم غدا بها عليه وأنشده :

قف بالديار وأىَّ الدهر لم تقفِ ... على المنازل بين الظهر(٢) والنجف

وما وقوفك فى أطـــلال منزلة ... لولا الذى استدرجتْ من قلبك الكلف

إن كنت أصبحت مشغوفاً بساكنها ... فلا وربك لا تشفيك من شغف

(١) جأ : اضرب .
(٢) الظهر : موضع . والنجف (بالتحريك) موضع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها ، وبالقرب منه أمير المؤمنين على بن طالب .

لايعدو ما ذكرته فى مكانته من الحقيقة . وحسبك — فى كشف الغطاء عنه — أن تواصل قراءة تلك النصوص فى المقدمة عينها لينطق لك ذلك الكلام (المبتور) بأن ابن خلدون إنما عنى بقوله (العرب) ، العرب الذين يعرفهم الناس منذ خلق الله العرب فى الناس !

وأما الكاتب الفرنسى الذى أشرت إليه فى بداية هذه الكلمة وقلت إن الأستاذ الحصرى استشهد به ، فهو الأستاذ (العربانى (١)) البارون (دوسلان) ، وقد ترجم مقدمة ابن خلدون إلى الفرنسية قبل ثمانين عاماً ، وقال فيها عن مدلول كلمة العرب عند ابن خلدون ما يلى :

Les arabes (Jbni Khaldoun) sont les arabes nomades (٢)

وترجمة ذلك : « أن عرب ابن خلدون هم الأعراب . . » .
كما أن الكاتب التركى الذى أشار إليه الأستاذ الحصرى هو المؤرخ (جودت باشا) . وقد ترجم كلمة عرب — كما يقول الأستاذ فى (دراساته) اعتماداً على ما فهم من كلام ابن خلدون ، فأثبتها : « فى مواضع كثيرة على شكل (قبائل عرب) . . (١) » .

ومن هنا (أكاد) أجزم بأن الأستاذ الحصرى إنما جاءه بهذا الرأى الجديد نقلا عن هذين الكاتبين . وإننى لا أجد تعليلا (لوهمهما) هذا إلا أنهما أبصرا فى بعض المواضع اقتران كلمة العرب بالإبل والخيام فحسبا أن عرب ابن خلدون ليسوا سوى أهل البادية من الأعراب . غير أن الحقيقة التى لا تغيب عن باحث هى أن ابن خلدون لم يكن يدقق فى التمييز بين أهل البادية وأهل الحاضرة من العرب ، فكان يسميهم جميعاً (عرباً) على أنه كان يستعمل كلمة (الأعراب) أو (البدو) حين يريد أن يحصر مدلول كلامه فى حدود معينة . وهذه الحقيقة مشاهدة فى مقدمته ، وظهورها أعم وأبين فى دراسات الأستاذ الحصرى عن ابن خلدون ، وذلك حين يحصى عدد ما أورده ابن خلدون من كلا التعبيرين فيقول أنه ذكر العرب (كذا) مرة ، وذكر الأعراب (كذا) مرة . وقد ذكر ذلك وعلقت عليه فى خلال ما أسلفت .

(البقية فى العدد القادم)

محمد سليم الرشدان
ماجستير فى الآداب واللغات السامية

(١) استعمل هذا اللفظ بمعنى (المستشرق) المرحوم النشاشيبى
(٢) Les Prolegomenes d.ibni klaldoun'vol 3 rag488

(١) دراسات ص ١٢٣ س ٢٠ ج١ ط بيروت

دَع ذا و قل فى الذى قد فاز من مُضر

بالمكرمات وعز غـير مقترَف(١)

هـذى رسالة شيخ من بنى أسد

يهدى السلام إلى العباس فى الصحف

تخطها من جوارى المصر كاتبةٌ   قد طالما ضربت فى اللام والألف

وطالما اختلفت صيفاً وشاتيةً   إلى معلمها باللوح والكتف

حتى إذا نهد الثديان وامتـلأ

منها وخيفت على الإسراف والقرف(٢)

صينت ثلاث سنين ما ترى أحداً   كما يصون تجارٌ درة الصدف

فبينما الشيخ يهدى نحو مجلسه   مبادراً لصلاة الصبح بالسدف(٣)

حانت له لمحة منها فابصرها   مطلة بين سجفيها من الغرَف

نخر والله ما يدرى غداتئذ   أخر منكشفاً أم غير منكشف

وجاءه الناس أفواجاً بمـائهمُ

ليغسلوا الرجل المغشى بالنُّطف(٤)

ووسوسوا بقُـران فى مسامعه   مخافة الجن والإنسان لم يخف

شيئاً ولكنه من حب جارية   أمسى وأصبح موقوفاً على التلف

قالوا : لك الويل ما أبصرت ؟ قلت لهم

تطالعتْ من أعالى القصر ذى الشرَف

فقلتُ — أيكم والله يأجره —   يمعن قوته فيها على ضعف

فقام شيخ بهيٌّ من رجالهمُ   قد طالما خدع الأقوام بالحلف

فابتاعها لى بألفى درهم فأتى   بها إلىَّ فألقاها على كتفى

فبتُّ ألثمها طـوراً وألزمها

طوراً وأصنع بعض الشىء فى اللحف

فبين(٥) ذاك كذا إذا جاء صاحبها

يبغى الدراهم بالميزان ذى الكفف

وذكرَحق على زند(٦) وصاحبه   والحق فى طرف والطين فى طرف

وبين ذاك شهود لا يضرُّهمُ   أكنت معترفاً أم غير معترف

فإن يكن منك شىء فهو حقهمُ   أو لا فإنى مدفوع إلى التلف

---

(١) مقترف : مكتسب .

(٢) القرف : التهمة . (٣) السدف : الظلمة

(٤) النطف : جمع نطفة (بالضم) وقد عنى بها الماء الصافى قل أو كثر .

(٥) المشهور فى مثل هـذا أن يقال : فبينا ذاك كذا أو (بينما) وقد جاء بها أبو دلامة هنا على الأصل .

(٦) زند هو اسم أبى دلامة كما مر .

فضحك العباس وقال : ويحك أصادق أنت ؟ قال نعم والله . قال : يا غلام ادفع إليه ألفى درهم ثمنها . فأخذها ثم دخل على المهدى فأخبره القصة وما احتال له به . فأمر له المهدى بستة آلاف درهم وقال له المهدى كيف لا يضرهم ذلك ؟ قال : لأنى مُعدِم لا شيء عندى . وفى رواية : إن العباس بن محمد قال له : شاركنى فى هذه الجارية يا أبا دلامة . قال : أفعلُ ولكن على شريطة . قال : وما هى؟ قال : الشركة لا تكون إلا مفاوضة(١) فاشتر معها أخرى، ليبعث كل منا إلى صاحبه ماعنده ، ويأخذ الأخرى مكانها ليلة وليلة . فقال له العباس : قبحك الله وقبح ماجئت به ! خذ الدراهم لا بارك الله لك فيها وانصرف(٢) .

وإنما أوردنا هذه القصة بتمامها لكيلا نمسخها إذا اختصرناها فتفقدها كثيراً من جمالها : ولعلك تذكر أننا استشهدنا بها على وصول أبى دلامة إلى المال بأسلوب الاحتيال ، ولاسيما مع البخلاء من الناس .

والواقع أنه كان لا ينجو من تنادر أبى دلامة وهجائه إلا من أعطاه فأجزل عطيته . وإنه ليكون المرء أبغض الناس إلى قلبه ، فإن هو وصله بشيء أضحى أحبهم إليه . وكان الناس يفرون من هجاء أبى دلامة فرارهم من تنادره بهم ، فإذا تجرأ أحدهم على النيل منه أو ذمه عرف كيف يسلقه بلسانه الحاد .

دخل أبو دلامة على المهدى وعنده مُحرِز ومقاتل ابنا ذؤال يعاتبانه على تقريبه أبا دلامة ويعيبانه عنده . فقال أبو دلامة :

ألا أيها المهدى هل أنت مخبرى   وإن أنت لم تفعل فهل أنت سائلى ؟

ألم ترحم الأُنحيَيْن من لحيتيهما   وكلتاهما فى طولها غيرُ طائل ؟

وإن أنت لم تفعل فهل أنت مكرمى   بحَلْقهما من محرِز ومقاتل ؟

فإن يأذن المهدى لى فيهما أُقلْ   مقالاً كوقع السيف بين المفاصل

وإلا(٣) تدعنى والهمومُ تنوبنى   وقلبى من الملجين جمُّ البلابل

فلم يدعه الخليفة للهموم تنوبه ، وإنما ساعده على الملجين فقال له يتمم أسئلته : أو آخذ لك منهما عشرة آلاف درهم يفديان بهما أعراضهما منك ؟ قال ذلك إلى أمير المؤمنين . فأخذها له منهما وأمسك عنهما(٤) .

---

(١) شركة المفاوضة هى الشركة العامة فى كل ما يملكه الشريكان .

(٢) الأغانى ج ١٠ ص ٢٦٥ .

(٣) فعل الشرط محذوف — أى وإلا تفعل تدعنى .

(٤) الأغانى ج ١٠ ص ٢٦١ .

فلا يُرضى المهدىَّ إذاً أن يسمع من أحد تجريحاً بشخص أبى دلامة لأنه واجدٌ فيه أنسه ومرحه ، وقابلٌ إياه على ما فيه من عيب ومنقصة ... ولا يُرضى أبا دلامة ويُسكتُ لسانه السليط إلا المالُ يُعطاه وفيراً !

وكما يهجو أبو دلامة مخلوقاً أملاً فى الوصول إلى بعض ماله ، تراه يمدح آخر للغرض ذاته . وقد ينتظر مطلوبه من سواه كما حدث يوم دخل أبو دلامة على المهدى وعنده شاعر ينشده . فقال له : ما ترى فيه ؟ قال : إنه قد جهد نفسه لك فاجهد نفسك له فقال المهدى : وأبيك إنها لكلمة عذراء منك أحسبك تعرفه ! قال : لا والله ما عرفته ولا قلت أنا إلا حقاً . فأمر للشاعر بجائزة ، ولأبى دلامة بمثلها لحسن محضره[(١)] .

ولقد صدق أبو دلامة ، فما كان أطراؤه للشاعر عن معرفة سابقة به أو بعد وقوف على شىء من شعره — وإنما هى كلمة تعجب المهدى وتسر قلبه ، وهى — بعد ذلك — وسيلة هينة للوصول إلى شىء من المال الذى يجزى به الخليفة من كان لبقاً حديثُه ، حاضرة بديهته ، سديداً جوابه .

وكما درس أبو دلامة نفسية المنصور فاستطاع أن يأخذ منه الجوائز السنية — على بخله — عرف كيف يفهم المهدى حق فهمه لكى ينال منه — فى مختلف المناسبات — أكثر مما يحلم به . وتجده لذلك يحرص على إضحاك الخليفة الذى تفيض يداه كلما تهلل وجهه : خرج المهدى وعلى بن سليمان إلى الصيد ، فسنح لهما قطيع من ظباء ، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، فرمى المهدىُّ ظبياً بسهم فصرعه ، ورمى علىُّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله . فقال أبو دلامة :

قد رمى المهدى ظبياً شك بالسهم فؤادَهْ
وعلى بن سليما نَ رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما ، كل امرىء يأكل زادَهْ !

فضحك المهدى حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة ، وأمر له بجائزة سنية . ويقال : إن على بن سليمان لقب منذ ذلك اليوم « صائد الكلاب » وعلق به[(٢)] .

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٦٤ .
(٢) الأغانى ١٠ ص ٢٥٩ .

وما دام الخليفة يملأ عين أبى دلامة ويشبع بطنه ويعطيه من المال ما يجعله مغموراً بفضله ، فما على الظريف إلا الإخلاص فى طاعته ، والصدق فى محبته ، وإدخال السرور عليه ولو لم ينتظر منه شيئاً ، لأن فضله سابق عليه : لذلك كان أبو دلامة ينتهز الفرصة ليثبت أن تقريب الخليفة له مصيبٌ موضعه ، فهو الذى ينفس عنه كربه ، ويسرى عنه غمه ، ولو كان هو نفسه مغموماً .

مر أبو دلامة بنخاس يبيع الرقيق ، فرأى عنده منهنَّ من كل شىء حسن ، فانصرف مهموماً ، فدخل على المهدى فأنشده :

إن كنت تبغى العيش حلواً صافياً فالشعرَ أعزِبْه وكن نخاسا
تنَل الطرائف من ظراف نُهَّد يحدثن كل عشية أعراسا
والربح فيما بين ذلك راهنٌ سمحاً ببيعك كنت أو مكاسا[(١)]
دارت على الشعراء حرفة نوبة فتجرعوا من بعد كأس كاسا
وتسربلوا قُمص الكساء فحاولوا بالنخس كسباً يذهب الإفلاسا

فجعل المهدى يضحك منه[(٢)] .

وليضحك الخليفة ما شاء فما قص عليه أبو دلامة هذه القصة ولا نظم ذاك الشعر إلا ليضحكه ويسرى عنه ، ويحيطه بجو مشبع بالأنس والسرور !

(يتبع) صبحى إبراهيم الصالح

(١) مكس فى البيع يمكس (من باب ضرب) نقص الثمن والمراد هنا المشاحة فى البيع والشراء .
(٢) الأغانى ج ١٠ ص ٢٥١ .

قلب يتحدث... على أي شيء؟!

للأستاذ محمد رجب البيومي

تباطأت عني بعد طول تسرع ... على أي شيء كل هذا التمنع
تصنعت هجراً فاستحال طبيعة ... فيالك طبعا قد أتى من تصنع
يخادعني شوق فأحسب أنني ... أراك تناجيني بمرأى ومسمع
أحاديث يحسوها الفؤاد كأنما ... تعاطى بها كأس الرحيق المشعشع
ويدهشني أني أرى كل ليلة ... خيالك عندي لا يبارح مضجعي
تذكرت ما قد كان بالأمس بيننا ... من الود فانهلت على الفور أدمعي
عشية تلقاني ببشر كأنما ... نزلت بروض ضاحك الزهر مونع
أراك على بعد فأقفز عاجلا ... إليك وقلبي خافق بين أضلعي
تجاورني جنباً لجنب كأنما ... أتيت إلى الدنيا لتبقى بها معي
وكنا إذا نمشي يقولون إخوة ... تغذوا معاً في المهد من ثدي مرضع
فكيف غدا روض الصداقة بلقعاً ... تصيح به الغربان في كل موضع
أمر على ناديك كل عشية ... وبي غلة إن أقترب منك تنقع
أحدث نفسي أن أجيئك زائرا ... وأحذر ما عودتني من ترفع
فأرجع حران الجوانح صاديا ... وقد كنت من عيني على قيد أصبع
أنقل خطوي فوق شوك من الأسى ... كأني أمشي إذ أسير لمصرعي
ويرهقني التفكير فيك فأنثني ... إلى مكتبي كالحائر المتصدع
تمر فلا تلقى على تحية !! ... وتلك التي تدمي فؤادي بمبضع
وتقرى أعدائي السلام ودونهم ... مهامه أعيت ناظر المتطلع
فياليت شعري هل توهمت أنني ... أمامك تمثال من الصخر لا يعي
ويا ليت أني حين أخجلت موقفي ... تسترت حتى لا تراني ببرقع
أتعرض عمن كان ظلا مجاورا ... فأين تسر في رقعة الأرض يتبع
هنيئاً لأرباب الوشاية بيننا ... فقد حققوا في أمرنا كل مطمع
أطاطيء رأسي إن قدمت تزلفا ... وإن كان في جنبي مهجة أروع
وفاء بعهد قد تغيب في الثرى ... وشيعته عمداً ولما أشيع
إذا هاج بي وجدي أقول لعلها ... سحابة صيف آذنت بتقشع
ولكن أرى الجو الرحيب ملبدا ... بغيم متى يشخص لعيني تهمع
تمر الليالي وهو في القلب راسخ ... رسوخ الأسى في قلبي المتوجع
تهيج بي الذكرى فأطرق جازعا ... ومن يذكر عهد الصداقة يجزع
وأخفض للغبراء رأسي كأنما ... أقول لها: إني أمامك فابلعي
فيا كبدي صبراً جميلاً على النوى ... ويا مهجتي بالله لا تتقطعي
ويا من نأى عني بغير جريرة ... ولم يبق غير النار تلهب أضلعي
نصحتك بالحسنى وأنت مخير ... فدونك فافعل ما بدا لك واصنع
فإن تغترب عني إلى غير رجعة ... فبين يدي السم فلأ تجرع

(الكفر الجديد) محمد رجب البيومي

وداع ...

عن الانجليزية للشاعر «كوفنتري باتمور»

ترجمة الآنسة «ن. ظ. ع»

رغم إحساسي وطوع الـ ... عقل لبيت الوداع
قد بدا الآن وما لي ... من عزاء في الصراع

رغم إعيائي سأمضي ... في خطاي الواهيه
لست أدري كيف أخطو ... من دموعي الهاميه

وجهتي للغرب هيا ... أنت نحو المشرق
لهف نفسي كيف أنا ... بعد هذا نلتقي

حين يخبو حزننا الغا ... لي ويتلوه الهجوع
حين تجلو عن مآقيـ ... ـنا غمامات الدموع

سوف نلتقي الليل مزدا ... نا بأسراب النجوم
والأماني عاودتنا ... بعد إعصار الهموم

رغم ما تبدين من صد ... ق وأبدي من إباء
وارتحالي في طريق ... لا يؤدي للقاء

نلتقي وجهاً لوجه ... في ذهول قاهر
لست أدري كيف سرنا ... في طريق دائر

بعد ذاك النأي والتجـ ... ـوال في وادي الشقاء
سوف نحيي ما حيينا ... ذكر هذا الالتقاء

ن. ظ. ع

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

واقعة حال مع المازني :

وقعت هذه الواقعة من نحو ثلاثة عشر عاماً ، وكنت طالباً في مطلع الشباب . كان الأستاذ كامل كيلاني قد أصدر كتاب « أساطير ألف يوم » فكتب الأستاذ المازني نقداً له في جريدة « البلاغ » وكنت قد قرأت الكتاب فسررت من قصصه وأعجبني أسلوب المؤلف في سياقتها . فلما قرأت نقد المازني له بدت لي أوجه في الرد عليه ، فكتبتها وبعثت بالرد إلى « البلاغ » فنشرته ونشرت معه تعقيب المازني عليه . وقد ساءني من التعقيب أنه لم يتضمن تفنيد شيء مما أوردته في الرد ، ولو أنه سفه كلامي وبين فيه وجه فساد أو قال مثلا إنه يدل على عدم الفهم أو نحو ذلك ، لكان الأمر أهون عليّ مما وقع ...

ذلك أنه ألمع إلى أن للأستاذ كامل كيلاني يداً في الرد إن لم يكن هو كاتبه ، وزاد على هذا أن ذلك مما يزهده في نقد الكتب وأنه سيمسك عن هذا النقد ...

كدت أجن من ذلك ، وامتلأت نفسي سخطاً على المازني، فكتبت رداً على ذلك التعقيب ناقشته فيه مناقشة عنفت فيها ، ومما قلته إنه لا ينبغي أن يكتب ما يكتب ثم يعتصم مني في « قلعة التقديس » وأذكر أن كلمتي تضمنت هذا اللفظ بعينه ، وتوجهت إلى دار البلاغ ، وقصدت إلى مكتب المازني حيث ألفيته ، فدفعت إليه الرد وأنا أنظر إليه نظرة معناها : هأنذا فهل تريد أن تعرف أني صاحب الرد الأول ؟

وتناول المازني ردي وألقى عليه نظرة خاطفة ، ولم يزد على أن قال : « طيب حاضر » فسلمت بالإشارة منصرفاً كما فعلت مقبلا . ورضيت نفسي بأن أبلغته الرد ، وقلت يستوى بعد ذلك أن ينشره أولا ينشره ، المهم أني جابهته بما أريد .

وفي اليوم التالي رأيت كلمتي منشورة في البلاغ بحذافيرها وفيها ما فيها من العبارات القاسية الموجهة إلى فقيدنا اليوم . اغتبطت بنشر الرد ، ولكن خاطراً قلل من قيمة هذا الاغتباط في نفسي : أيكون الرجل قد استهان بي وأراد أن يدلل على أنه لا يحفل بمثلي مهما كتب ؟ ولكن ألا يكون ذلك من قبيل الإفساح لحرية الرأي ؟ ترددت بين هذا وذاك ، ولكن الأمر المحقق الذي لا شك فيه أني أكبرت المازني منذ ذلك الحين وصنعت له في نفسي تمثالا سيبقى ما بقيت .

وبعد أن مضت سنوات على ذلك الحادث ، التقيت بالأستاذ كامل كيلاني ، وقال لي غير مرة : أنا لا أنسى أنك هاجمت الأسد في عرينه ! ولكني لم أغتر بكلمة الأستاذ كيلاني ، لأن الذي قرّ بنفسي أن الأسد أكبر نفسه من أن يصغر في مدافعتي ، فمكن لي من الهجوم عليه ...

المازني والإذاعة :

على أثر ما وجهه بعض الكتاب إلى إدارة الإذاعة من اللوم على تقصيرها في تسجيل مسرحيات الريحاني أعلنت الإذاعة في مجلتها أن همتها لم تقعد عن تسجيل أصوات العظماء وأعلام الأدب والفكر والفن في مصر ، وأنها قامت بذلك فعلا ، حتى أصبحت لديها هذه السجلات .

ثم توفي المازني ، وظهر أن الإذاعة الهامة ليس لديها أي تسجيل لأحاديثه ... ولا أظن المشرفين على الإذاعة لم يسمعوا بأن المازني أديب كبير ، فلماذا لم يسجلوا شيئاً من أحاديثه ؟ لقد قالوا إنهم سجلوا أصوات أعلام الأدب وأريد أن أصدقهم، فلم إذاً لم يسجلوا له فيمن سجلوا لهم ؟ أليس هو من أعلام الأدب ؟

ولم يظفر المازني من عناية الإذاعة بعد وفاته ، بغير نعي قصير في نشرة الأخبار ، في الوقت الذي نسمع فيه المحطات العربية من خارج مصر تتحدث عن المازني وتفيض في الحديث عنه .

فلم كل هـذا يا إذاعة ؟ ألأنه غضب من الفوضى المتغلغلة في أعمالك ، ولم ترضه تصرفاتك غير اللائقة معه ، فانقطع عن مواصلة أحاديثه ؟

وأريد بعد ذلك أن أسأل : هل الإذاعة مرفق عام من مرافق

الدولة العامة تعرف للناس أقدارهم كيفما كانت علاقة موظفيها بهم أو هي ملك خاص لهذه الفئة المشرفة عليها ، من رضيت عنه قربته وكانت له ، ومن لم يحظ برضاها أعرضت عنه وأهملت شأنه مهما كان مكانه ؟

عيد الباكستان :

احتفلت سفارة الباكستان بالذكرى الثانية لاستقلال الباكستان يوم الإثنين ١٥ أغسطس الحالي بدار جمعية الشبان المسلمين . وقد اشتمل الحفل على برنامج حافل من الخطب والقصائد والموسيقى والغناء ، وتجلى فيه روح المودة والإخاء بين الدولتين الإسلاميتين الباكستان ومصر ، تجلياً رائعاً بعث الأمل في استعادة تماسك البنيان الإسلامي ، ولقد كان سرورنا نحن المصريين لا يقل عن سرور إخواننا الباكستانيين بعيدهم وعيدنا عيد استقلال الشقيقة الناشئة الكبيرة : الباكستان .

وقد تحدث الخطباء وأنشد الشعراء فعبروا جميعاً عن ذلك الشعور وأشادوا بما يجمع بيننا من التراث الإسلامي والثقافة الإسلامية ، ومن هؤلاء الخطباء والشعراء الدكتور حسين الهمداني الملحق الصحفي بالسفارة وأصحاب المعالي إبراهيم دسوقي أباظه باشا وحافظ رمضان باشا وصالح حرب باشا والأستاذ إبراهيم اللبان والدكتور إبراهيم ناجي والأستاذ محمد عبد المنعم إبراهيم الهامي .

وقد أفاض حافظ رمضان باشا في الكلام على الاسلام من حيث هو عقيدة ونظام ، وبدأ حديثه بالإعراب عن شعوره حينما دعي إلى هذا الحفل ، فقال إنه لبى هذه الدعوة ، وقد جرى أخيراً على رفض الدعوات إلى الحفلات الكثيرة التي تقام لمناسبات وأغراض مختلفة ، لأن رجال الباكستان أعلنوا أنهم يضعون دستور بلادهم على أساس التعاليم الإسلامية ، وقال إن الإسلام هو دين العدل والحرية والمساواة والإخاء ، وإنه لا يوافق الديمقراطيات الحديثة فحسب بل إن هذه الديموقراطيات لم تستطع أن تخالف مبدأ واحداً من مبادىء الإسلام .

ولما جاء دور الأستاذ إبراهيم اللبان شرع في بيان تاريخي لتطور الدولة الإسلامية في الهند ، واسترسل إلى إجادة المثقفين الباكستانيين للغة الإنجليزية ، ذاهباً إلى أن هذا يتيح لهم التقريب بين الإسلام والعقلية الأوربية . والأستاذ اللبان عالم مستقيم

كشكول الأسبوع

□ وافقت وزارة المعارف على إنشاء معهد للثقافة الإسلامية في إسبانيا يحمل اسم الفاروق من أغراضه تنظيم التعاون الثقافي بين مصر وإسبانيا ، وتمكين دارسي الأدب العربي والثقافة الإسلامية من الاستعانة بما خلفه العرب في إسبانيا من آثار وخاصة المخطوطات العربية التي تزخر بها المكتبات الإسبانية .

□ كان الأستاذ علي محمود طه قد أصيب بمرض حاد منذ شهر تقريباً ، ومنع الأطباء زيارته ، مما زاد القلق عليه . ويسرنا أن نذكر أن الأستاذ قد تماثل من علته وتقدم نحو الشفاء .

أسبغ الله على شاعرنا الكبير ثوب الصحة والعافية .

□ قررت الحكومة المصرية تأليف وفد رسمي يمثل مصر في مهرجان « كان » السينمائي الدولي — من محمد الشريف بك ومحمد رشدي بك ويوسف وهبي بك وسليمان نجيب بك وأحمد سالم .

□ وافق معالي وزير المعارف على ندب الدكتور محمد عوض محمد بك المدير العام للثقافة بوزارة المعارف ، لحضور اجتماع الدورة الرابعة لهيئة اليونسكو التي ستعقد بباريس من ١٩ سبتمبر إلى ٥ أكتوبر القبل .

□ أوشكت اللجان المشكلة بمجمع فؤاد الأول للغة العربية لمراجعة المعجم اللغوي الوسيط على الانتهاء من مراجعة أصوله ، وسيستأذن مجلس المجمع عند اجتماعه في شهر أكتوبر المقبل في طبعه . والمعجم يقع في نحو ألف صفحة من القطع المتوسط ، وقد حوى أهم ما يحتاج إليه المثقف من ألفاظ العلوم والفنون والآداب إلى جانب المواد اللغوية العامة .

□ أوصى أحد الكبار بقبول مغن في الإذاعة ، فلما رأى المشرفين عليها مترددين في قبوله قال لهم : خذوه ، وعلى كل حال إذا رأيتم أن المستمعين سروا منه فافصلوه !

□ صدر أخيراً كتاب « الوساطة الروحية » للأستاذ عبد اللطيف محمد الدمياطي ، وهو يبحث في الوساطة الروحية من النواحي المختلفة : في التاريخ ، ومن ناحية العلم والعمل ، والعلاج الروحي ، وما إلى ذلك . وقد سلك فيه المؤلف مسلكا واضحاً يقف منه القارىء على ما يهمه من هذه الأبحاث .

□ قرر استديو مصر المضي في إنتاج فلم محمد علي بعد رفض اللجنة المالية بمجلس النواب ما اقترحته وزارة الشؤون الاجتماعية من اعتماد ثلاثين ألف جنيه لمساعدة الاستديو في إنتاج هذا الفلم وقد رفع « السناريو » إلى الجهات العليا ، فإذا ما وافقت عليه أخذ في الإخراج والتصوير .

□ صدر السجل الثقافي لسنة ١٩٤٨ الذي أعدته إدارة التسجيل الثقافي بوزارة المعارف . وقد طبع منه ألفا نسخة ، وافق معالي وزير المعارف على أن يهدى منها ١٥٠٠ نسخة إلى الشخصيات والهيئات التي لها صلة بالثقافة العامة ، وأن يباع الباقي بسعر النسخة ٤٠٠ مليم .

الفكر ، ولكنه لم يراع مقتضى المقام فى حفل يتعاقب فيه خطباء كثيرون ، فأطال مع خلو كلامه من العناصر الخطابية المشوقة ، فنال أكبر حظ من تصفيق الحاضرين ... حتى اضطره هذا التصفيق إلى أن يقطع كلامه ويجلس ساخطاً على المصفقين المحتجين .

وكم كان جميلا وظريفاً أن تمتلئ المطربة ملك خشبة المسرح ، وقد ارتدت « السارى » ثوب المرأة الباكستانية ، فغنت « نشيد الباكستان » الذى نظمه الأستاذ عبد المنعم إبراهيم ، وهو نشيد جيد حبذا أن تتخذه الباكستان نشيداً دائماً ، على أن يلحن تلحين الأناشيد ، فقد « غنت » فيه ملك على طريقتها المعروفة بصوتها الجميل ، فأطربت ولكنها لم تؤده باعتباره نشيداً ، فقد كانت تلين وتطرو عند ما تنشد أو تغنى مثلا :

عيد باكستان أضحى عيد مجد المسلمين

وكسرت « المسلمين » وأنثته برقة صوتها ، وهو جمع مذكر سالم ...

الباكستان تتجه نحو العروبة :

التفت هذا القلم إلى دولة الباكستان الفتية منذ أشرقت عليها شمس الاستقلال ، واتجهت مشاعر أهلها وأنظار قادتها إلى توطيد العلاقات بالبلاد العربية وإحياء اللغة العربية وآدابها وثقافتها بين مسلمى الهند الذين أصبح لهم كيان مستقل بالباكستان . وقلت مرة : إننى أرصد هذه الدولة الفتية كما يرصد الفلكى حركات نجم جديد . وهأنذا اليوم أنظر إلى هذا النجم فيسرنى أن أراه صاعداً فى السماء ...

إن حضارة الأمة الباكستانية ولغتها وعاداتها وتقاليدها ، مستمدة من الحضارة العربية الإسلامية ، ولم يستطع الزمان أن أن يمحو ميلها الشديد إلى العرب بسبب الروابط الدينية والتاريخية الوثيقة التى تربطها بهم ، ولم يمنع اكتمال عروبتها إلا الظروف والأحداث التاريخية فى القرون الأخيرة إذ حكمها الترك والمغول ثم الاستعمار الإنجليزى فى آخر المطاف . ورغم هذه الظروف والأحداث لا تزال الصبغة الإسلامية باقية ، ولا يزال الأثر العربى بارزاً فى مظاهر الحياة المختلفة ، فاللغات المحلية كالسندية وغيرها تحتوى على ألفاظ لا حصر لها من اللغة العربية كألفاظ الجبل والنهر والخطر والقلم والعلم والمدرسة والكاتب والحكيم والمدير وغيرها ، واللغة السندية تكتب حتى اليوم كتابة عربية . ويقال إن اللغة الأردية لو أسقطت منها الكلمات العربية استحال استعمالها .

وقد تخلصت الباكستان من الاستعمار البريطانى ، وأصبحت بلاداً حرة ، فجعلت تقوى صلاتها بالعرب ، وكان من ذلك ما أبدته من المؤازرة فى قضية فلسطين أمام هيئة الأمم المتحدة ، ثم هذه الأريحية العظيمة التى جادت بنحو خمسين ألفاً من الجنيهات للاجئين من عرب فلسطين ، وهو مجموع ما تبرعت به دولة الباكستان وشعبها .

ولاشك أن الإسلام والعروبة صنوان ، والباكستان الإسلامية تتجه الآن إلى العروبة اتجاهاً ظاهراً ، لا بتعزيز علاقاتها بالدول العربية فحسب ، بل كذلك بما شرعت فيه من العمل على نشر اللغة العربية بين أهلها والبدء باتخاذها لغة ثقافية لها ، إلى ما تدعو إليه الضرورة الدينية من فهم لغة القرآن الكريم ، وسيفضى ذلك إلى اتخاذ العربية لساناً قومياً لا تقاً بأكبر أمة إسلامية ، وإن توحيد لغة التفاهم بين المسلمين كفيل بالتقارب وتبادل الآراء بينهم . وحكومة الباكستان جادة فى تعليم اللغة العربية بمدارسها ، وهى تتجه فى ذلك إلى مصر كما تتجه إلى الأزهر خاصة للتوسع فى التعليم الإسلامى . وقد افتتحت الإذاعة العربية من الباكستان يوم الاحتفال بعيد استقلالها ، وبرامج هذه الإذاعة حافلة بالإنتاج المصرى فى الفنون والثقافة ، وقد اختير لإدارة هذه الإذاعة شبان مصريون مثقفون .

وبعد فإنى أريد — مع اغتباطى بكل تلك المظاهر — أن أهمس فى آذان زعماء الباكستان وقادتها ، أن يبدؤا بأنفسهم فيتعلموها قليلاً بتعلم اللغة العربية ، لتكون لساناً لهم ، بدل الإنجليزية فى البلاد العربية على الأقل .

عباس خضر



حياة الريف في الأدب :

إن الخضرة المترامية التي تكسو الوادي الخصب لتبدو رائعة حينما تأتلق بين أعطافها الإشعاعات الحانية المرسلة من شمسنا الوادعة ، والأبصار تختلب حينما يجذب أحداقها مرائي الصور الخلابة في مرامي الأحاسيس الشاعرة ؛ فأين تصوير حياة الريف بعد الانفعال بمظاهر روائعه الأخاذة ؟.

لقد صعد بنا الخيال إلى أقاصي الصعيد ، ومتعنا برؤية المرئيات التي شاهدت بها عواطفنا أسمى ما يصل بين الخالق والمخلوق ، وعلى الرغم من معاناتنا التأزم النفسي لم يتقلص شعورنا بل كانت الباصرة تطل من نافذة الإيمان على مشاهد الوجود ، فتأنس إلى الوحدة ، وتستأنس الوحشة ، ويقال : إن نقد الشيء أيسر من وجوده ؛ ونحن لا نتطاول في نقدنا إلى درجة التعجيز ، أو تدفعنا غرة الغرور إلى الاستصلاف ، وإنما نبغي التنويه بما يجب أن تتجه إليه المشاعر ؛ فالأدب مقفر من معالم « البيئة » ، لانصراف الأذهان عن الاتصال بالحياة الأصيلة الفطرية إلى الصنعة الوافدة الراكدة !.

لقد بلغت الجهود الاكتفاء بأوصاف أجزاء الأجسام « العارية » عن الإنسانية ، فيكد الشاعر خياله ، وديباجته ، ولغته في تصيد الألفاظ التي تكشف سيئاتها عن سوآتها ! ، وهو يكون رائعاً إذ يصف الثغر ، والنهد ، والساق ، والشعر وما « يلي ..! » ، وقد تنامى تلك المتهادية في خفر الأنوثة حاملة جرتها على رأسها تناغي مع مناغاة ماء النيل أعذب غنوة من أطهر شفة !. ، يذهب بالتغني « بالعوامة » إلى تجاهل روعة « المركب الشراعي » الذي لا زال وفياً بعهده ، باقياً على وده !.

إن أدبنا فقير في تصوير « البيئة » ، وطفت موجة التقليد للصحف البعيدة عن حياتنا وعاداتنا ، وطبيعة بلادنا ، حتى كاد يغمرنا طوفان ننسى معه قوميتنا !

لا نعني بالأدب المنثور والمنظوم من الكلام ، وإنما نقصد كل لون فني يسمو بالمعاني الإنسانية ، كالتصوير والنحت والخيالة ذات التقصير المعيب ! . ولا ننسى أن أديبة ملهمة موفقة كالسيدة « بنت الشاطئ » قد كتبت عن الريف ، ولا زالت تنتهز النهزات « للتعريف » به لمن جحدوه وجفوه وأنكروه لكن صوتاً واحداً مهما تبلغ جهارته لن يكون بعيد الأثر إذا لم يكن من دخائل الطباع ما يحثها على تعرف مواضع الجمال في هذا الريف وتمجيده ، والتباهي . في مقام المفاخرة ، والإشارة بما يرسمه الفن على صفحة النفس من الانفعالات التي ترتفع بمعالم الوطن إلى مواطن الخلود !

(بور سعيد) **أحمد عبد اللطيف بدر**

من لحن القول :

١ — دأب الكتاب على جمع باسل على بواسل ، وتردد هذا الجمع في هذه الأيام وصفاً لجنودنا . ويعلم السادة الأفاضل — الكتاب — أن الجنود رجال أبطال وقوم عقلاء فلما يضعونهم — من الوجهة الصرفية — بين ربات الجمال وفاقدي العقول .

وهذا الجمع غريب شاذ ، فلا المعاجم تذكره ولا القياس يبرره ولا السماع يؤيده ، فلما لا نقتله ونحيي لفظين رشيقين صحيحين يستعذبهما الذوق ويستلهمهما القلم وهما بسل وبسلاء .

وقد ورد هذا الجمع في تعقيبات الأستاذ أنور المعداوي في العدد (٤٨١) من الرسالة .

٢ — ومما يقلبه الكتاب — عامتهم — قلباً ويمسخونه مسخاً ويسلخونه سلخاً استعمالهم تواً بمعنى « الساعة وحالاً » فيقولون ذهب تواً وذهب لتوه .

وهذا المعنى تلفظه المعاجم وتنبذه اللغة وما قالته هو التو بمعنى الفرد ، فذهب تواً أي فرداً أو لم يلوه شيء والصواب توه .

٣ — ويقال التحق بالجيش وبالمدرسة ، وهذا غير فصيح وليس بالصريح ، بل هو عامي مولد كما جاء في تاج العروس والصواب لحق وألحق .

هذا ما أردت إثباته ، ثبتنا الله على الفصيح والسلام ...

(المنصورة) **عبد الجليل السيد حسن**

نقد وتعقيب :

كان الأستاذ أبو حيان جائراً أشد الجور في نقده لكتاب .. « الهجاء والهجائين » ولو كان محقاً فيما قاله لقبلناه منه وحمدناه له برغم ما فى المقال من ألفاظ التهكم التى لا تليق بكبار الكتاب ولكنه مع هذا كان مجانباً للصواب فى بعض ما أخذه على المؤلف الكريم ...

فالأستاذ الناقد يقول فى البيت الأول : « كيف يحدى أبو بكر بالرماح .. فالحادى يحدو الإبل بغنائه فتنساق خلفه وتطرد وراء حدائه .. فكيف يمكن أن تكون الصورة حين يضع الرماح فى موضع الحداء .. وفات الناقد أن الحدو أو الحداء ليس الغناء فقط ، وإنما هو سوق الإبل والغناء لها .. وللرماح — حالة إرسالها .. صوت يشبه الترنم والغناء قال الشماخ :

إذا نبض الرامون فيها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

وعلى هذا فالصورة الشعرية واضحة لا تعقيد فيها ولا التباس ..

أما قوله بأن يحذى بالذال المعجمة بمعنى يطعن فدخلها التحريف. فلا حاجة إليه بعد أن اتضح المعنى على التخريج الذى ذكره المؤلف ورضيناه .. فضلا .. عن أنه لم يُسمع حذا بالذال بمعنى طعن لكذ وحذق وحذف .. وأننى أود أن يكون الناقد رفيقاً فيما يتناوله بالنقد ...

(أسيوط) كيلانى حسن سند

إلى الأديب الأستاذ الكبير راجى الراعى :

أعجبتنى خطرات فكرية رقيقة ، وأضواء ذهنية مشرقة دبجتها براعتكم بالعدد ٨٤٠ من الرسالة . ولقصورى عن الإحاطة بالمراد من العبارتين الواردتين فى مناجاة الشمس وهما « يا ابنة الله » « يا عين الله » أرجو التفضل بجلاء ما غمض منهما خدمة للحقيقة والأدب ولكم منا عاطر الثناء ، ومن الله أحسن الجزاء .

(المنيا) دسوقى إبراهيم حنفى

حول تصحيح :

طالعت تعقيب الأستاذ « غازى » على شرح الأستاذ « أبى حيان » لبيتى الحطيل بن أوس — ومع تقديرى لرأى الأستاذين رأيت أن أدلى بدلوى فى الدلاء ، فأقول : كلمة « الرجال » فى البيت الثانى قد تكون محرفة من « الرحال » جمع رحل والمقصود بها الأنحاء وكذلك كلمة « هبنه » محرفة من « هجنه » بمعنى أفزعنه وأثرنه ، فلا يبقى محل لتخطئة الأستاذ « غازى » للشاعر : فيكون البيت هكذا :

ولكن يدهدى بالرحال فهجنه إلى قدر ما إن يقيم ولا يسرى

وبذلك يستقيم معنى البيت والله أعلم .

(كفر الدوار) أبو جمادة



الشقاء المقدّس ...! (*)

[إلى اللائى يعشن فى مأتم الروح ... عزاء من الحياة]

للأستاذ أنور المعداوى

كانت أجمل امرأة فى عصرها ، وكانت أشقى امرأة ... أما جمالها فحسبه أنه كان وحياً لأمير النثر الفرنسى شاتوبريان ، وأمير الشعر لامرتين ، وسيد كتاب القصة الذاتية بنجامان كونستان . وأما شقاؤها فلو قدر لفنان أن يصنع تمثالا للجمال البائس ، أو يرسم لوحة للأمل اليائس ، لما وجد لفنه خيراً من قصة مدام ريكامييه !

عندما وفدت إلى باريس عام ١٧٩٣ ، كانت الثورة الفرنسية المجنونة تلتهم أبناءها فى غير رفق ولا هوادة . وكانت نفس الصغيرة جولييت برنار تفيض أسى ولوعة ، لمنظر الذاهبين إلى المقصلة : نساء ورجال ، فى ميعة الصبا وفجر العمر ... يذهبون إلى غير رجعة . وشعب يصفق للدماء المراقة تجرى هنا وهناك ، وهو أبداً ظمآن لا يرتوى ! ... أية نفوس تلك التى خلت من معانى الرحمة وأية قلوب تلك التى تحجرت فلا ينبض فيها عرق بعاطفة ، وأية عقول تلك التى أذهلتها القسوة فلا تصغى لصوت برئ ولا تحفل بشكاة مظلوم ؟! ... كانت جولييت الفاتنة تحدث نفسها بهذا كله وهى تصبح وتمسى على منظر واحد : مقصلة ، ودماء ، وشعب يلهو بضحاياه كما يلهو عالم التشريح بحيوان بائس ، يئن تحت أطراف مبضعه ... ولكم ودت أن تفر من هذا العذاب إلى بلد آخر ، تنعم فيه بالهدوء والصفاء والأمن ، وتلقى بنفسها فى أحضان الطبيعة الحانية : تشبع عينيها من النهار المشمس والليل المقمر ، وتملأ رئتيها من الهواء النقى ، يحمل إليها رائحة الزهر لا رائحة الدم ، وغناء الطير لا أنين الضحايا ، وتلقى نفوساً لم يدنسها حقد ولا ضغينة ، بل يجمع بينها صفاء ووفاء ، ووداعة وقناعة ، ولكن أين هى من هذا كله ؟ ... لقد قدر لها منذ أن فتحت عينيها على الوجود ، أن تعيش فى العذاب : إحساساً ورؤية !

كانت فى ربيعها الخامس عشر حين كان مسيو ريكامييه يتردد على بيت أبويها ، وكان أبواها يدركان أن ريكامييه الثرى وصاحب المصرف الشهير ، لا يتردد على بيتهما إلا لأنه يحب ابنتهما كل الحب ، ويعجب بها كل الإعجاب ... وما أكثر الذين كانوا يتهافتون على جمالها النادر فيرتدون على أعقابهم إلا ريكامييه ، فقد وصل . وصل بماله إلى قلب الأم والأب ، ولكنه لم يصل إلى قلب جولييت ... وحين خطبها إلى أبويها ألحا على ابنتهما أن تقبله زوجاً فقبلت على مضض ! كان فى الأربعين من عمره ... خمسة وعشرون عاماً تفصل بين قلبين ، ومزاجين ، وشعورين . وهنا يلتقى الخريف بالربيع ، ربيع حياتها بخريف حياته ! وعاشت فى قصر ريكامييه كما تعيش المليكات ، ولكنها كانت تحس القفر فى كل مكان تطؤه قدماها ... لقد مضت بها الأيام قلقة متشابهة ، لا يشع فيها أمل يبدد من ظلام القلب والروح . أى شباب هذا الذى تقذف به المقادير فى خضم من أعاصير الحيرة ، فلا يدرى على أى شاطئ ترسو سفينة أحلامه وأوهامه ؟! ... لقد مرت شهور ومدام ريكامييه لا تزال عذراء كما كانت . حياة كلها غموض وأسرار ، ولقد كان الحياء وحده هو الذى يمنعها أن تسأله عن سره ... سره الذى طال ! أى إنسان هذا الذى يحوطها بعطفه وحبه وحنانه ، ثم لا يقربها كما يقرب الأزواج ... ؟! كانت تتعذب فى صمت ، وتبكى للجمال يذوى بين يدى الحرمان ، ولا تجد الجرأة على أن تفاتحه يوماً بما يعتلج فى نفسها : أليس رجلاً ؟ أليس زوجاً ؟ ألا يهزه هذا الجمال ؟ ألا يصير راهباً إلا حين تربط بينهما المقادير ؟! وتتلظى الكلمات على شفتيها كصفوف جيش أعدت للهجوم ، وتلتهب الأفكار فيما بينها التهاب القنابل ... ولكنها حين تلتقى بزوجها وجهاً لوجه ، تموت الكلمات ، وتخور العزيمة ، وتخمد الجرأة ، ولا يبقى إلا الحياء يشل منها اللسان ، ويجعل منها إنسانة ضعيفة مسلوبة

(*) عن كتاب « مدام ريكامييه » للسياسى الفرنسى الكبير إدوار هريو ، ومراجع أخرى .

الإرادة ! كانت تتلهف إلى شيء واحد ... هو أن تعلم سره . ولكن سره الرهيب كان أمنية بعيدة المنال ، وعاشت مدام ريكامييه وماتت ، دون أن تعلم شيئاً . لقد عاشت عذراء ، وماتت عذراء !!

ثلاثة هم الذين كانوا يعلمون سر ريكامييه : الله ... وهو ... وأمها ! أكان يمكن أن يبوح مسيو ريكامييه بسره إلى زوجته ألا ما أقسى سخرية القدر ! ... أيقول لها إنه أبوها ، وإنها ثمرة حبه من أمها ؟! أمن الممكن هذا ؟ زوج وأب ؟ وتريد ابنته أن يباشرها كزوج ؟ ... إنه يحنو عليها كما لم يحن على إنسان ، ويؤثرها بحبه وعطفه ورعايته ، ليذيبها على سر الزمن هذا الذى تفكر فيه ، ويرمض جوانحها بالعذاب ! واستطاع مسيو ريكامييه على الأيام أن يحل الروح من نفسها محل الجسد ، وأن يزيح عن كاهلها كثيراً مما تعانيه .

أما لماذا تزوجها وهو يعلم أنها ابنته ، فذلك سر آخر ... كان ريكامييه من أنصار الملكية ، وكان ينتظر يومه الذى لا مفر منه على أيدى الثوار . وكان يدرك أن المقصلة فى انتظاره ، وإذا كانت قد أخطأته اليوم فلن تخطئه غداً ، فلمن يترك ملايينه بعد مصرعه ؟ ليس هناك من يستحقها غير ابنته .. جوليت برنار ! ومن هنا تزوجها ليكفل لها حياة هنيئة ، يسعد فيها هذا الجمال الذى ينتسب إليه . كان يخشى أن يثير الظنون إذا ما ترك لها ثروته دون علاقة تربط بينها وبينه ... ولكن المقصلة تخطئه ، والثوار يغفلون عنه ، ويقدر لمسيو ريكامييه أن يعيش ليتعذب وأى عذاب أكثر من هول الشعور الذى كان يرزح تحت أثقاله .. الشعور بأن زوجته هى ابنته ؟! لكم ود أن يطلقها ولكنه لم يستطع ، إنها ابنته ومن حقها وحدها أن تنعم بثروة أبيها . وماذا يقول الناس ، وماذا يقول زوجها الآخر إذا ما قدر لها أن تتزوج من بعده ، حين يكتشف أنها خرجت من بيته وهى عذراء ؟ ! أليس فى ذلك ما يجرح كرامته كرجل يعتز برجولته ؟ أليس من المحتمل أن يكشف سره فيتهامس به الناس ، فلا يلبث أن يكون حديثاً تجهر به الشفاه ؟ ! ... ويلح عليه العذاب حين يخلو إلى نفسه ، ويشعر أن زوجته ، تلك الزنبقة الغضة ، قد أرغمت على أن تعيش بسببه بين سفى الرمال ولفح السمائم ! شيء واحد كان يعجب له مسيو ريكامييه ولا ينتهى له عجب ، هو ما تتحلى به ابنته من طهر وعفاف ، على الرغم من أن حياتها الزوجية قد خلت من الرجل ! ... لقد كانت مدام ريكامييه محط أنظار الشباب وحديث أمانيهم ، يتهافتون عليها فى كل مكان من أجل نظرة أو ابتسامة . وما أكثر ما كانت تنظر إليهم وتبتسم لهم ، وتضن عليهم بما دون ذاك ... إنها امرأة ، وجميلة ، فلم لا تفيض على ركب المعجبين من هذا النبع الفياض ، وهم الذين يشعرونها فى كل لحظة بأنها إنسانة ساحرة ، تنطق بذلك وجوههم فلا حاجة بها إلى مرآة ؟! من هنا كان ريكامييه يعجب بها ويعجب لها ، ويزداد حبه لزوجته وتقديره لابنته ... وكانت مدام ريكامييه تنسى مرارة الحرمان حين ترمقها نظرات المعجبين ، وحين تنادى شفتيها شفاه الظامئة ، فتمتنع وفاء للزوج ، واستجابة للضمير ، وإرضاء للدلال ! ... جمال تتقاذفه أمواج الحرمان لحرم من نعيم الحياة وحرم معه الناس ، وزهرة ندية بالمطر فواحة بالأرج ، عاشت فى تربة من عفاف وصون فعزت على القاطفين !

كان قصرها فى « كليشى » أشبه بندوة عامرة يؤمها رجال السيف والقلم بين حين وحين ، وصالوناً من تلك الصالونات الفخمة التى كانت تزخر بها باريس ويقصد إليها المترفون من الرجال والنساء لتغذية العين والفكر والخيال ... وفى يوم من أيام قصرها الحافلة بالترف والإيناس والمتعة ، يقع لمدام ريكامييه حادث يهز كيانها هزاً عنيفاً ، وتتذوق فى ظلاله طعم الرى ، وتنسى حرقة الظمأ ، وتشعر كما لم تشعر من قبل .. بأنها امرأة ! كان ذلك فى حديقة القصر حين ركض وراءها ابن أخت ريكامييه ، وكان شاباً جميلا من ذلك النوع الذى يخلب ألباب العذارى ... وكانت هى تنفر منه فى دلال ، وتضحك من عجزه عن اللحاق بها ، ولكنه يلحق بها ويحتويها بين ذراعيه ... وكادت تصعق من هول المفاجأة ، فراحت تقاوم فى عنف ، ولكنها أحست بوجهها يلتهب تحت أنفاسه المحترقة ، وبشفتيها تذوبان فى شفتيه ، وبكيانها يتلاشى فى كيانه . وفى غمرة النشوة رأت نفسها تغيب معه فى حلم جميل ، وتطوق عنقه بذراعيها ، وتدفن وجهها فى صدره ، وتنظر فى عينه نظرة طويلة حالمة ... نظرة امرأة استيقظ فى أعماقها الرجل ! وحين أفلتت من بين يديه تطلعت إليه كغزال مذعور ، وانطلقت تجرى إلى القصر ... كانت تريد أن تخلو إلى نفسها لتستعيد الحلم الجميل مرة أخرى !

حرك هذا الحادث فى نفس مدام ريكاميبه كل عاطفة خامدة ، وأثار كل شعور كامن ... وراح الفكر الحيران يسبح فى خضم الوجود ، باحثاً عن أمنيات ضلت طريقها من طول ما لقيت من ظلام وضباب . والذهن الكليل يحلق فى أجواء الخيال ، يبنى من قصور الأوهام ما شاءت فنونه وشجونه . والقلب الثائر يرسل أنّاته فى نبضاته ، فلا يسمع لها صدى من عطف حبيب أو رفيق ، والروح الشاردة تعبر عالم الأسى والأنين مرتاعة ملتاعة ، تنشد الرى فلا تجد إلا الظمأ ، وتترقب النشوة فلا تحس إلا الألم ، وترجو الفرحة فلا تلق إلا الشجن ، ولا تعود من عالمها هذا إلا بأشتات المنى تحتضر !

وتمضى الحياة فى طريقها تطوى الأيام حتى تقف بمدام ريكاميبه عند يوم لا ينسى ... لقد رآها نابليون فى ذلك اليوم فى حفلة من تلك الحفلات الصاخبة التى كان يعج بها قصر أخيه لوسيان !

كان لوسيان يهيم بها ، ويتقرب إليها ، ويلقى إلى الصيد الجميل بكل ما شاء من شباك ، ولكنه لم يكن يظفر إلا بابتسامة عذبة تحمل إليه كثيراً من المعانى ... ولوسيان من هو ؟ جمال تحلم به كل فاتنة ، ووزير الداخلية ، وأخو القنصل الأول والحاكم بأمره ! وعلى كثرة الوجوه الفاتنة التى كانت تزخر بها حجرات القصر وردهاته ، فإن نظرات بونابرت النفاذة لم تستقر إلا على وجه مدام ريكاميبه ، وحين مرت به لموباً كما مرت بغيره ، راح يسأل الجنرال برنادوت عن هذا الجمال الذى لم يحفل بنظرات القنصل الأول :

— برنادوت ... أتعرف هذه الفاتنة ؟

— أية فاتنة يا مولاى ؟ !

— تلك التى تتحدث إلى أخى لوسيان ...

— أتعنى مدام ريكاميبه يا صاحب الجلالة ؟ !

وهتف بونابرت فى صوت حالم : مدام ريكاميبه ... يالها من امرأة ... !

وغادر المكان وفى رأسه ثورة تحتدم ... لقد قرر أن ينالها مهما يكن الثمن ، وأن يخوضها معركة حامية ... ضد امرأة !

ويالها من معركة كانت أسلحتها من أهداب وجفون ... معركة لم يكن يقدر لها أن تطول ، وأن تنتهى بهزيمته ! لقد جرب القائد الشجاع كل سلاح ، واستنفد كل خطة ، وحارب فى كل ميدان ، وحين باء بالخذلان راح يصب نقمته على الجمال الغادر ... وابتدأت حياة العذاب ، تلفح بنارها الوجه المشرق ، والثغر الباسم ، والعينين الساحرتين ... وعلى مر السنين ، وتحت وطأة الشجن ، ذبل الشباب النضر ، وسكت الصوت العذب إلا من أنات !

لقد بدأ النضال بين بونابرت ومدام ريكاميبه فى ذلك اليوم الذى قبض فيه على أبيها ، أعنى زوج أمها ، ليحاكم فى اليوم التالى بتهمة الخيانة العظمى ... كان الرجل مديراً عاماً للبريد ، وكان من الذين يدينون بالولاء للنظام الملكى ، فاشترك فى إيصال بعض المكاتبات للحزب الملكى الذى كان يعمل فى الخفاء ضد الحكم القنصلى ... لقد خارت قواها فى ذلك اليوم من هول الصدمة ، ومضت تنشد العون عند كل صديق ، لتبعد شبح المقصلة عن الرجل الذى كانت تظنه أباها . ويتوسط لها الجنرال برنادوت ، ويصحبها إلى قصر التويلرى لمقابلة القنصل الأول ، وكانت هذه هى المرة الثانية التى يرى فيها بونابرت مدام ريكاميبه ... وخضع الجبار لسطوة الجمال القاهر ، فأمر بحفظ الدعوى والإفراج عن الرجل ! وخيل إلى الصقر الفرنسى أنه بهذا الصنيع الذى أسداه إلى الحمامة الوديعة ، خيل إليه أنه يستطيع أن يدنيها منه حين يشاء ، وأن يخضعها لرغباته !

وتدور عجلة الزمن ، ويصبح القنصل الأول امبراطوراً تدين له فرنسا وما حولها بالطاعة والولاء . وعلى الرغم من المهام الكثيرة الملقاة على عاتقه ، وما يشغل فكره من أمجاد وأطماع ، فإن صورة مدام ريكاميبه ما فتئت تداعب أحلامه وأمانيه ... عرض عليها أن تكون وصيفة لزوجته الإمبراطورة فاعتذرت عن قبول هذا الشرف فى لطف ولباقة ! كانت خطة محكمة رسمها القائد العظيم لينهى بها المعركة التى طالت ، وكان يهدف من ورائها إلى أن يدنى منه مدام ريكاميبه ... وحين ألح عليها أن تقبل ما عرضه عليها ، اعتذرت مرة أخرى فى عزم وإباء ... كل شىء قد خضع لنابليون إلا مدام ريكاميبه ! ومن هنا أعلنها حرباً سافرة لا تبقى ولا تذر ... وتحت ضرباته الرهيبة المتوالية ، هوى الجمال النادر من قمة الثراء إلى حضيض الفاقة ... وفقدت مدام ريكاميبه كل صديق ، وانطلقت الأراجيف تنال من سمعتها كل منال ، ولقى كل من ينتسب إليها أعنف ألوان الاضطهاد والتشريد ... هذه صديقتها الكاتبة الفرنسية الشهيرة مدام دى ستايل يلقى بها بونابرت بعيداً عن أرض الوطن ، ولا يلبث أن يلحق بها صديقها الآخر بنجامان كونستان ! أما مسيو ريكاميبه

فقد أمر بونابرت بأن يقطع عنه بنك فرنسا كل ممونة مالية ، وأسرع الناس يسحبون ودائعهم من مصرفه ، وحين أوشك على الإفلاس ، لم تجد مدام ريكامييه بداً من أن تتوسل إلى الجنرال مينو حاكم باريس ليشفع لها لدى الإمبراطور ... ويرفض بونابرت ، ويصيح بشماتة صارخاً فى وجه صديقه :

قل لمدام ريكامييه إننى لست عشيقاً لها حتى أنتشلها من مهاويها ... وهكذا تردّى مسيو ريكامييه إلى هوة الفقر والشقاء ، وذاقت معه مدام ريكامييه طعم البؤس والحرمان كما لم يذقه إنسان

وحين فقدت أمها وهى آخر أحبابها وأعز أمانيها ؛ قررت أن تهجر فرنسا أرض العذاب ، لتلحق بصديقتها الوفيـة مدام دى ستايل ... وهناك على شاطئ بحيرة ليمان فى سويسرا ، التقى قلب بقلب ، وتصافحت روح بروح ، وامتزجت دموع بدموع ! وفى رحاب صديقتها وعلى مر الأيام استطاعت مدام ريكامييه أن تنسى بعض آلامها وأن تجد لقلبها بعض العزاء ... لقد التقى بها أحد الأمراء البروسيين ، وكان له من جماله وشبابه ونبل محتده ما ألهب عواطفها الخامدة . وحين صارحها بحبه ، تفتح له قلبها المغلق كما تتفتح الزهرة تحت أنداء الفجر ... وراحت تـكتب إلى زوجها مسيو ريكامييه ، طالبة إليه أن يطلقها لتتزوج من الرجل الذى أحبها وأحبته . وعند ما تلقت رد زوجها من باريس لم تملك إلا أن تبلل سطوره بالدمع ! ومضت تقرأ وهى لا تكاد تتماسك من الأسى واللوعة : « عزيزتى جوليت ... لم أكن أنتظر أن أفقـد كل شىء فى دنياى حتى زوجتى الحبيبة ... ذلك الأمل الأخـير الذى كان يسطع فى أفق حياتى فينير لى الطريق ... ما أقساك يا جوليت ؟ ... إنك لا ترحمين وحدتى وغربة روحى . أتريدين أن تتخلى عنى لأننى أصبحت فقيراً ؟ ... أنا الذى ضحيت بمالى فى سبيل إسعادك ! ... إن كان ذلك يسعدك يا جوليت ، فلا يسعنى إلا أن أفسح لك الطريق ... وإلا أن أدعو لك الله ... دعاء تباركه الدموع » . وحين فرغت من تلاوة رسالته الحزينة ، تطلعت إلى الأمير أوجست وهى تقول له : يا صديقى ، أرجو أن تغفر لى ... لقد عدت إلى قلبى أسأله ، فوجدت أن زوجى هو الرجل الوحيد الذى أحببته ... لك دعواتى ، ووداعاً ! وشدت رحالها مرة أخرى إلى فرنسا ... إلى أرض العذاب ، فما عادت تطيق البقاء فى ذلك المكان الذى لف حبها فى أكفانه .

وإلى جانب مسيو ريكامييه راحت فى مأتم الأحلام تقتات على بقـايا الذكريات ... ولـكن الذكريات تلح على القلب الحزين فيطول ليلها ويطول أرقها فى رحاب الشجن . ويشير عليهـا الأطباء بتناول بعض المخدرات لتمنع عن نفسها الأرق فلا يفلح الدواء ... ويخطر لها ذات يوم أن تضع حداً لهذه الحياة المريرة ، فتتناول زجاجة فيها سائل مميت ، وحين تهم بوضعها على شفتيها يسرع ريكامييه وهو لا يملك نفسه من الفزع ... ويختطفها من بين يديها وهو يصيح صيحة ملتاعة : ابنتى ... ابنتى !. وتطلعت إليه فى ذهول كمن أفاق من حلم مروع ، وأخذت تنظر إلى عينيه كأنما تريد أن تستل من أعماقها سر ما نطق به لسانه ... وحين أوشك ريكامييه أن يفضى إليها بسره الرهيب ، دخل أبوها برنار! وانتابها شعور خفى لم تدرك له كنهها ، شعور فيه حيرة تجلت فى عينيها تساؤلا ولهفة ، ومضت تنقـل بصرها بين الرجلين ، وصاحت وهى ترتمى فى أحضان برنار : أبى ... أحبك يا أبى ! أما ريكامييه فكان يغالب دموعه !! وعلى الرغم من كل هـذا العذاب ، فقد أمر نابليون بنفيها إلى خارج فرنسا حين علم أن بعض الرسائل تصلها من مدام دى ستايل ، تلك الـكاتبة التى أصلته بقلمها ناراً حامية ، هى وصديقها بنجامان كونستان ... ومرة أخرى يممت شطر صديقتها الوفية ، والتقى قلب بقلب ، وتصافحت روح بروح ، وامتزجت دموع بدموع !

وحين دالت دولة الجبار ، عادت من جديد إلى أرض العذاب لتقضى بقية أيامها فى أحد الأديرة ... بعيداً عن الناس . وفى مكانها هذا المنعزل يقضى إلى جانبها أمير النثر الفرنسى شـاتوبريان أكثر أوقاته ، ويضفى عليها من عذوبة روحه ، وسحر حديثه ، وذوب قلبه ، ما يعزيها عن فقد الأحباب ، ولـكن أين من يعزيها عن فقد الشـباب ؟.. لقد أطفأت الأيام بريق عينيها ، وعبثت بنضارة وجهها ، وحكمت على شبابها بالأفول !

وقالت له وهو يعرض عليها أن تكون شريكة حياته : يا صديقى ... إن حبك لى هو آخر واحة ترسل ظلالها فى صحراء حياتى ... ولـكن أصوات من سـبقونى إلى الله ، تهتف بى أن أظل كما كنت ... مدام ريكامييه !.. ومع ذلك فماذا يجدى من التقاء قلبينا وضم جسمينا ، ونحن نحث الخطى إلى القبر ؟!.

وهكذا عاشت مدام ريكامييه ... وكانت حياة كلها شقاء ... شقاء مقدس !!

أنور المعداوى

رسالة النقد

موسيقى الشـــعر

تأليف الدكتور إبراهيم أنيس

بقلم الأستاذ إبراهيم الوائلي

تفضل أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس أستاذ فقه اللغة بكلية دار العلوم فأهدى إلى نسخة من كتابه « موسيقى الشعر » وقد أخرجه أوائل هذا الصيف دارساً الأوزان الشعرية عند العرب ومقدار تعرض الباحثين لها مؤيداً تارة ومخالفاً تارة أخرى . وقد بنى بحثه على قواعد علم الأصوات وخصائص الحروف من حيث الجهر والهمس والشدة والرخاوة . وقد استأثر بآراء جديدة فى التنافر وعيوب الشعر والأوزان الإضافية الزائدة ، وابتداع تفاعيل جديدة .

والكتاب يتألف من أحد عشر فصلا تنوعت إلى مواضيع مختلفة ، وسنشير إلى الفصول ذات الأهمية ، كما أننا سوف لا نكتم ما نجده من ملاحظات على هذه الفصول .

يتحدث الدكتور فى الفصل الأول عن الإحساس الأدبى وعلاقته بالفطرة والتجارب المكتسبة ، ثم عن أثر النغم فى حفظ الشعر ، وعن أبرز صفات الشعر وهى الموسيقى ، وعن التجديد فى هذه الموسيقى التى هى عبارة عن الوزن والقافية وينعى على الشعراء المحدثين عدم تجديدهم فى الأوزان ويعزو ذلك إلى البطء فى تطور الأوزان وأن هذا البطء طبيعى « لأن الناس عادة لا يقبلون الطفرة فى تطور موسيقاهم أو أوزان شعرهم » ثم يضيف إلى هذا إهمال الإنشاد فى عصرنا الحديث ، وهذا الإهمال « أفقدنا إلى حد كبير تذوق الموسيقى الشعرية » . هذا رأى سديد ، ولكن لماذا لا نضيف إليه التزام شعر المناسبات : من مدح ورثاء وغيرهما من الأوزان التى لا تزال آخذة بتلابيب كثير من الشعراء ؟ . وآية ذلك أن الشعراء الذين تحرروا من كلاسيكية المناسبات أخذوا يجددون فى أوزانهم وقوافيهم كما عند المهجريين واللبنانيين وبعض العراقيين . وقد أشار الدكتور إلى هذا التجديد عند المهجريين وذكر لهم بعض شواهد ، ولكنه لا يريد أن يبقى ذلك مقصوراً عليهم بل يجب أن يشيع فى البيئات العربية .

وفى الفصل الثانى يتحدث عن « الجرس فى اللفظ الشعرى » وأهم ما فيه تعرضه للتنافر وتعريف علماء البلاغة له وهو يتفق مع القائلين بأن التنافر إنما يكون إذا تقاربت الحروف فى مخارجها ، ولكنه يشترط لذلك ألا يفصل بين الحرفين حركة من الحركات لأن الحركة صوت كسائر الأصوات الأخر ، وعلى هذه القاعدة يجب أن تنظر فى الشواهد التى ساقها البلاغيون للتنافر .

ثم يتحدث عن طبيعة الأصوات وصلتها بموسيقى الشعر ، فالأصوات المهموسة وأصوات الأطباق وبعض أصوات الحلق لا تستسيغها موسيقى الشعر كما تستسيغ الأصوات المجهورة ، والشديدة أسهل من الرخوة فعدم استحسان كلمة « اطلخم » يرجع إلى الطاء والخاء لأن الأولى من أصوات الأطباق والثانية من أصوات الحلق وكلاهما مهموسان .

وفى هذا الفصل يتحدث عن « جرس الألفاظ فى البديع » ويناقش عبد القاهر الجرجانى مناقشة عنيفة لأن الجرجانى لا يهتم بجرس الألفاظ بل يعزو الجمال فى التعبير — إذا كان هناك جمال — إلى المعنى وحده .

يقول الدكتور فى صفحة ٤٤ : (ولا شك أن عبد القاهر قد بالغ فى هذا مبالغة غير محمودة ، فجمال الجرس أمر معترف به بين أهل الأدب ونقاده ولا معنى لإنكاره) .

ثم يقول فى الصحيفة نفسها : (وتظهر مبالغة الجرجانى حين نتذكر أن نقاد الأدب ، قديمهم وحديثهم ، قد أجمعوا على أمر واحد وهو وجوب إخضاع اللفظ للمعنى) . وإلى هنا يبدو شىء من التناقض بين التعبيرين ، ويظهر أن الدكتور أراد أن يقول : إنهم يجمعون على إخضاع المعنى للفظ حتى يتناسب هذا مع إنكاره لرأى الجرجانى ، وإلاّ فأية مبالغة تظهر عند الجرجانى وهو الذى لا يقيم لجرس الألفاظ وزناً : « فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً ويستجيد نثراً ثم يجعل الثناء

عليه من حيث اللفظ ... فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف وإلى ظاهر الوضع اللغوى بل إلى أمر يقع من المرء فى فؤاده[١] » . ويقول معلقاً على الجناس والسجع : (وعلى الجملة فانك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساقه إليك [٢]) . والجرجانى يستحسن سجع الجاحظ لأنه خال من التكلف والصنعة ويزيف كثيراً من التجنيس عند أبى تمام ومن نحا نحوه لأنه مصطنع متكلف ، ويسوق لذلك أمثلة كثيرة فى أسرار البلاغة للحسن والقبيح .

نعم إننا لا نريد أن نزركش الثياب على جسم ناحل متداعى الأوصال كما أننا لا نريد من الزهرة أن تبتسم وهى بين الأشواك والصخور ، وامل الجرجانى لا يند عن هذا الرأى .

أما الفصل الثالث فإنه يبحث فى الأوزان وأنواعها وبحث القدماء لها وفيه نقد للقدماء على إغراقهم فى خصائص الأوزان ومصطلحاتها وإتيانهم بأوزان لم يرد عليها من الشعر العربى شىء وإذا ورد فلا يكاد يتجاوز البيت أو البيتين ، ولعل أكثرها موضوع . كذلك ناقش القدماء فى بعض الأوزان التى افترضوا لها أصولاً ثم سقطت منها بعض التفاعيل مع أنه لم يرد لهذا الأصل الذى افترضوه شاهد من الشعر العربى . ونحن مع الدكتور فى مناقشته لهذا التمحل الذى شغل العروضيون به أنفسهم فلا داعى للافتراض لأن الدوائر العروضية لم توضع اعتباطاً وإنما وضعت وفق ما جاء من الشعر العربى . وفى أثناء بحثه تعرض لبحر المقتضب بشىء من الحذر لأنه نادر الشواهد وذكر قطعة للحسين بن الضحاك شاهداً عليه وأولها :

عالم بحبيـــه مطرق من التيه

ومنها :

لا وحق ما أنا فيـــه من عطف أرجيه

وآخرها :

تائه تزهــده فى رغبتى فيه

فقال : إننا مضطرون إلى منع كلمة « عطف » من الصرف حتى يستقيم الوزن . والحقيقة أن الوزن لا يستقيم حتى مع هذا الاضطرار بل يكون الشطر الثانى من الهزج على كلتا القراءتين ، ويخيل إلىّ أن البيت مصحف ولا يستقيم إلا إذا قلنا فيه هكذا :

لا وحق ما أنا فيـــه فلا أرجّيه

وإن اختلف المعنى وقال : إن الشطر الأخير من القطعة لا يستقيم له وزن ، والصحيح أن الوزن مستقيم بتشديد « فىّ » وهذا ما يقتضيه المعنى كذلك .

وعالج فى هذا الفصل نسبة شيوع الأوزان فى الشعر مقدماً بعضها على بعض حسب هذا الشيوع وابتدأ بالطويل وذكر ما فيه من التفاعيل الشاذة التى تأباها الأذن الموسيقية ونحا باللوم على العروضيين الذين أقروها لمثل أو مثلين قد تكون من أخطاء الرواة أو من التصحيف . ومن هذه التفاعيل ورود « مفاعيل » و « مفاعل » حشواً فى البيت ومن الأول قول امرئ القيس :

ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل

ونحن نوافق الدكتور على هذا ونعتقد أن البيت مصحف إذ تكاد تكون أمثلته نادرة جداً وقد يكون هو وحده الذى روى بهذه الصورة ولذلك روى هكذا :

ألارب يوم لى من البيض صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل

فراراً من هذا الشذوذ . ومن الثانى قول امرئ القيس أيضاً :

ويوم عقرت للمذارى مطيتى فيا عجباً من رحلها المتحمل

وقد افترض الدكتور قراءة : « عقرنا » فراراً من الزحاف . كما افترض لبعض الأبيات التى ساقها شاهداً لهذا النوع قراءة تتفق مع الوزن الصحيح ، وإلى هنا لا نستطيع أن نوافق الدكتور على تخطئة الرواة أو التصحيف ؛ لأن هذا النوع شائع عند العرب فى الجاهلية والإسلام وفى العصر العباسى وشواهده كثيرة فى الشعر الجاهلى ، ويكثر عند الأخطل فى صدر الإسلام ومنه قوله :

لخـــاء بها كأنمـا فى إنائه بهاالكوكب المريخ تصفو وتزبد

وعند البحترى فى العصر العباسى ومنه قوله :

جديد الشباب كبره لفعاله وبعض الرجال كبره بسنيه

---

(١) أسرار البلاغة ص ٩ مطبعة الاستقامة .

(٢) أسرار ص ١٥

ومثل هذا كثير لا يتسع المقام لذكره . ولعل مرجع ذلك إلى طبيعة الغناء فى العصر الجاهلى فإن معظم الشعراء كانوا يترنمون بأشعارهم حين ينشدون وهذا الإنشاد قد يطيل المقاطع والحركات فلا يحس الشاعر بنبوة أوشذوذ . وإطالة الحركة شائعة فى الشعر قال لبيد :

فبنى لنا بيتـــاً رفيعاً سمكه   فسما إليـه كهلها وغلامها

فوزن البيت يقتضى إطالة الكسرة فى هاء « إليه » وعلى هذا فلا يبعد أن امرأ القيس كان ينشد بيته هكذا :

ويوم عقرت(و) للعذارى مطيتى   فيا عجباً من رحلها المتحمل

أما شيوعه فيما بعد العصر الجاهلى فلأن الشعراء وجدوه شائعاً فنسجوا عليه . على أننا مع الدكتور فى أن هذا النوع من التفاعيل يجب الابتعاد عنه .

وفى استعراضه لبحر البسيط ذكر شواهد لمجىء « متفعلن » بدل « مستفعلن » فى حشو البيت . ومن هـذه الشواهد بيت للنابغة وهو :

سراته ، ماخلا (لبانه) ، لهق   وفى القوائم مثل الوشم بالقار

وآخر لأعشى باهلة وهو :

طاوى المصير على (العزاء) منجرد   بالقوم ليـــله ، لا ماء ولا شجر

وقد وضعنا كلمتى (لبانه) و (العزاء) بين قوسين إذ فيهما يرد احتمال الشذوذ . أما القراءة الصحيحة فإنها تجعل البيتين مستقيمى الوزن ، فصحة الكلمة الأولى : (لبّاته) بياء مشددة وتاء جمع لبّة وهى موضع القلادة . وصحة الكلمة الثانية (العزّاء) بتشديد الزاء وهى السنة الشديدة وهذا ما يقتضيه المعنى أيضاً .

تعرض الدكتور فى ص ٩٤ لبحر المديد وذكر أنه وزن قديم جداً هجره الشعراء وليس فى القدماء الجاهليين من نظم عليه ما يستحق الذكر إلا بضعة أبيات نسبت للمهلهل بن ربيعة . ولا أدرى هل يوافق الدكتور على رواية أبى تمام فقد روى هذا قصيدة ذات ٢٦ بيتاً لتأبط شراً وأولها :

إن بالشعب الذى دون سلع   لقتيلاً دمه ما يطـــل

ولعل رأى الدكتور فى بحر المديد أرجح لأن الأصمعى نفسه شك فى أن تكون هذه القصيدة جاهلية لبعض المعانى والتعابير التى وردت فيها ؟ وقد أشار إلى هذا التبريزى فى شرحه للحماسة وبيّن الآراء التى قيلت فيها .

وقد جمع الدكتور بين الهزج ومجزوء الوافر فى بحث واحد وسرُّ هذا الجمع كون البحرين يلتقيان فى تفاعيلهما ويفترقان فى بعض التغييرات . فالهزج يأتى فيه « مفاعيل » أحياناً بدل « مفاعيلن » ولا يجوز ذلك فى مجزوء الوافر . كما أن هذا الأخير تأتى فيه « مفاعلتن » ولا تأتى فى الهزج . وقول الدكتور : (فإذا جاءت الأبيات مكونة من مكرر مفاعلتن وحدها فذلك هو مجزوء الوافر) قول صحيح لا غبار عليه . أما قوله : (وإذا رويت من مكرر « مفاعيلن » وحدها فهنا يلتبس الأمر بين مجزوء الوافر والهزج) فهذا ما لا نستطيع أن نؤيده بل نقول : إنه الهزج بصورته الأصلية القديمة ، وكان على الدكتور أن يبرئ الهزج من « مفاعلتن » ليستريح من كل هـذا العناء ، والذى جعله يمزج بين البحرين هو هـذا الخلط العجيب الذى درج عليه بعض المحدثين فلم يفرقا بين الهزج ومجزوء الوافر بل تأتى القطعة وهى خليط من هذا وذاك . فالقطعة التى نقلها الدكتور من ديوان (الملاح التائه) شـاهداً على الهزج لا يقرها الوزن الصحيح لأنه يقول فيها :

هنـــاك على ربى الوادى   لنـــا مهد من العشب

فإن الشطر الأول من مجزوء الوافر حتما لمجىء « مفاعلتن » فيه

وقال : (ويظهر أن الهزج تطـور لمجزوء الوافر جاءت به عصور الغناء أيام العباسيين ولم يكن معروفاً أيام الجاهليين) وقد بنى رأيه هذا على ندرة الشواهد وعدم اعتماده على الرواة فى معظم الأحيان . ولو أنه اعتمد على رواية أبى تمام لما أنكر وجود الهزج فقد روى أبو تمام فى الجزء الأول من الحماسة قطعة نسبها إلى الفند الزمانى من شعراء بكر بن وائل ومنها :

صـــفحنا عن بنى ذهل   وقلنا القوم إخوان

والدليل على أنها من الهزج قوله فيها :

ولم يبق سوى الأعداء   دنّاهم كما دانوا

وقوله :

بطمن كفم الزق غذا والزق ملآن

فقد وردت « مفاعيل » فى البيتين الأخيرين وهى من خصائص الهزج .

هناك شىء يجب أن أشير إليه بإعجاب وهو التفاعيل التى استنبطها الدكتور لتبنى منها الأوزان الشائعة بعد ترك الأوزان التى لم يرد عليها شاهد صحيح ، وهذه التفاعيل ثلاث : فعولن ، فاعلن ، مستفعلن . ثم يضاف إلى كل تفعيلة مقطع ساكن فيتولد ثلاث تفاعيل أخر : وهى فعولان ، فاعلان ، مستفعلان . ومن هذه التفاعيل الست يمكن بناء عشرة أبحر ماعدا الكامل والوافر والهزج . وعذر الدكتور فى استثناء هذه الثلاثة أنها قد تشتمل على مقطعين قصيرين متواليين فيتعذر بناؤها . وكان على الدكتور أن يضم الهزج إلى هذه البحور العشرة ويبنيه من « فعولان » مكررة بعد أن قلنا : إن الهزج لا تأتى فيه مفاعلتن ، أما الكامل والوافر فإنه يمكن أن تجرى فيها على قواعد الصرفيين . ونقول : إن الحرف المتحرك لا ينافى أن يقابله الساكن فى التفعيلة لأن الصرفيين كثيراً ما يقابلون الساكن فى الكلمة بالمتحرك فى الميزان الصرفى ؛ فيقولون : اشتد على وزن افتعل . وإن كان فى هذا مجال للبحث .

وفى الفصل الرابع تعرض لتحليل المستشرقين للأوزان واتخاذ نظام المقاطع بدل التفاعيل . ولعل هذا يحتاج إلى دراسة شاملة ؛ لأن نظام المقاطع مبنى على دراسة الأصوات اللغوية وهذه لا تزال فى بداية مراحلها .

وفى الفصل الخامس تحدث عن غناء الشعر وإنشاده وعلاقة هذا بجودة الشعر وموسيقاه ونبه على ضرورة العناية بالإنشاد فى المدارس لتؤدى رسالة الشعر غير منقوصة . ولدى الحقيقة أن إهمال الإنشاد فى العصر الحديث قد أفقد الشعر ميزة كبرى لا تقل عن العاطفة والتعبير .

واختص السابع بدراسة أوزان المولدين كالمستطيل والممتد والمتوفر وغيرها وشيوع الأزجال المبنية على نظام البحور القديمة وقد ذكر لهذا عدة شواهد من مقدمة ابن خلدون ومن الأزجال المصرية الحديثة وحاول جهد الطاقة بناءها على البحور الشائعة .

والحق أن الأزجال فى البلاد العربية كلها أو معظمها موزون كالشعر الفصيح ولكن الوزن يختلف باختلاف اللهجات والأغانى فى الشعوب العربية ؛ لأن الشقة قد أصبحت بعيدة بين البيئات العربية فى تأدية الكلمات العامية .

وفى الختام لا يسعنى إلا أن أثنى على المؤلف الجليل لما بذله من عناية وجهد فى هذا الكتاب فجاء تحفة رائعة تغنى عما كتبه العروضيون وتكفى من يريد درس العروض دراسة صحيحة يستطيع بواسطتها أن يعرف النسج الشعرى دون مشقة أو عناء ويتجنب العيوب الشعرية من علل وزحافات وغيرها .

ابراهيم الوائلى

مطبعة الرسالة

العدد ٨٤٤ — الاثنين ٥ سبتمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠١٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 844

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi — 5 — 9 — 1949

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد «٨٤٤» القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٨ — ٥ سبتمبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

أقول بصراحة .. !

أقول بصراحة : إن الجامعة العربية فى محنة ، وإنها تجتاز مرحلة ينظر إليها العقلاء بعين الرثاء حيناً وبعين الإشفاق حيناً آخر ... مرحلة سبقها ماض لم يخل من الشوائب ، ويصحبها حاضر لا يبرأ من التنابذ ، وينتظرها مستقبل لا يبشر بالخير ... وهى خطوات يشيع فيها التعثر والانحراف على كل حال ، والذنب — كما يقرره الواقع — ذنب الأفراد الذين يسمون أنفسهم ساسة وقادة ، وليس ذنب الأفراد الذين يكوّنون الشعوب والجماعات !

الشعوب العربية فى ميزان التعاطف والسلام والوئام والحب ، أيادٍ متحدة وقلوب مؤتلفة .. ولو ترك لها الأمر لتعبر عن دخائل النفوس ومكامن الشعور لاقتربت الآمال المتفرقة ، وتوطدت الأواصر المفككة ، وتركزت الجهود المشتتة بفعل الفردية المتأصلة فى بعض الضمائر والقلوب !

وماذا ينقص الساسة فى غمرة الأزمات وزحمة المشكلات ؟ ماذا ينقصهم ليقيموا بناء الجامعة العربية على دعائم جديدة تقيها الزلزلة فى مهب الرياح والأعاصير ؟ !

ينقصهم الكثير فى هذا المجال ، ومن هذا الكثير شىء من الصراحة أولا ، وشىء من خلوص النية ثانياً ، وشىء من الثقة ثالثاً ، وأخيراً أشياء من التضحية والإيثار وإنكار الذات ، وأمانة التعبير عن أهداف الجماعة الكبرى ممثلة فى شعب بأكمله ، شعب يضم صوته إلى أصوات جيرانه لتنطلق الصيحة الواحدة من أعماق حنجرة واحدة ... هى حنجرة الأمة العربيــة فى كل بقعة من البقاع ، وكل قطر من الأقطار !

تجتمع اللجنة السياسية من حين إلى حين ، تجتمع ثم تنفض ، ثم لا يعلم أحد أى قرار اتخذت ، ولا أى طريق رسمت ، ولا أى هدف من الأهداف سمت إليه فى طوايا الظلام ...

لو ملكنا الصراحة لكشفنا للشعوب عما دار من حديث بين أربعة جدران ، ولو وُهبنا خلوص النية لبدت الوجوه سافرة بغير قناع ، ولو طبعنا على شىء من الثقــة بالنفس والثقة بالغير لما اختلفنا على التافه وقنعنا باليسير ، ولو فطرنا على التضحية وإنكار الذات لما تفرّق الشمل وتصدّع البنيان ، ولو حرصنا على أن نعبر فى صــدق عن التيارات النفسية التى توجه الشعوب لما بعدت الشقة بين رأى ورأى فى حديث الساسة وذهب كل فى طريق ! !

غموض وحيرة وقلق ... وهــذا هو العنوان الوحيد الذى يجب أن يعلو كل مقال يشير إلى حاضر الجامعة العربية ومستقبلها .

ولست أدرى ما هى المعجزة التى يمكن أن تطمس تلك الكلمات لتحل محلها كلمات أخرى تبرز لنا عنواناً آخر يضفى على الحاضر

أنـــا . . . والقمر !

للأستاذ راجي الراعي

لقيت القمر أمس ، وكان بدراً ، وإليك ما دار بيننا :

— من أنت أيها القمر ؟ !

— أنا ... أنا هو القمر !

— ولم هذه الغطرسة ؟ !

— ألا ترى أين أنا ؟ إني أتوسط الأفق ... !

— ولكنك مع علائك لست بالعصامي ، فأنت تستعير نورك من الشمس ...

— وهل ترى في ذلك ما يشير إلى الضعف ... من هو الذي لا يحتاج ولا يستعير ولا يستجير ... أتحسب أن في الأرض والسماء حراً مستقلا غير الله ؟ ... الإنسان مدين لدمه ، ودمه مدين للأرض التي غذته بثمارها ، والأرض مدينة لعناصرها التي تصون كيانها ، وقلب الأرض مدين لقلب الأفق الذي يسقيه ويحييه ... الغمامة التي تراها عالقة بأهداب السماء ، مدينة للبحر الذي قذف بها إلى سمائها ... البحار مدينة للأنهار ، والأنهار للينابيع ، والينابيع للجبال ، والجبال لذراتها التي تضامنت فكونتها ... نعم ، أنا مدين للشمس ، والشمس مدينة لذاتها ، وذاتها مدين لذاته ... الحياة مدينة للأرحام التي تقذف لها بالأجنة ، والموت مدين للحياة التي تملأ لحوده ... القرون مدين بعضها لبعض ، وكلها مدينة للرجل الأول ... الموسيقى والغرام والتصوير والنقش والشعر فنون مدينة للخيال ، والخيال مدين للمرأة ، والمرأة مدينة للحب والجمال ... الليل مدين للشمس التي غابت ، فلولاها لم يضرب خيامه في الأرض ، والفجر مدين لليل ، فلولاه لم يطلع ... أنا مدين للشمس أستعير نورها ، ولكن الليالي مدينة لي ، وأنت مدين لي ساعة تتسكع في الظلمة ، وساعة أثير صدر حبيبتك النابض في ظلي فتضمك إليه ، إن في كل قبلة من قبل حبك شيئاً مني ... أنا هو القمر ... أنا القمر ... أنا البدر وكفى ...

— ما عهدتك يا صاحبي فصيحاً إلى هذا الحد وغزيراً ... ولم أر قبلك من يدافع عن نفسه بمثل هذه البلاغة ... حقاً إنك لنقيب المحامين ، وإنك لجميل ، وأجمل ما فيك وضوحك وجلاؤك ! عبقريتك عبقرية الوضوح والجلاء ... ليس فيك شيء من الإبهام والقلق والاضطراب ، وهي نعمة أحسدك عليها ...

— لا ، لا تحسبها نعمة ولا تحسدني ... أرأيت تلك النجمة التي تقلق الناظرين إليها وتدفعهم إلى السؤال عن وجهها ، إنها أجمل مني ، لأنها تحجب بعض ما فيها عن الخلائق ولا ترفع الحجاب عن محياها فيبدو بكل ما فيه ، ولا تقف مثلي على ملتقى الطرق لتهدي بوضوحها التائهين ... إنها تتشبث بسرها ، وتخفي عنك ضميرها ، فهي ليست عارية مثلي ، وعيبي الذي تحسبه جمالا هو أنني نزعت كل ثيابي وانبطحت أمامك فأريتك نفسي ... أنا رجل ساذج أبله ... وهل يتعرى أمام الناس إلا الساذج الأبله .. أنا رجل صريح سره في وجهه وقلبه على لسانه ، ولكن صراحتي وسذاجتي ووضوحي صور لا يعرضها الجمال الحقيقي على لوحته ، فهو يرتاح إلى ما تفتش عنه العيون ، إلى الأسرار ، إلى الإبهام الذي يهز أعماق النفوس ويثيرها .. انظر إلى الموسيقى كيف تؤجج النار في نفسك كلما زادت إبهاماً ، وانظر إلى الليل كيف يقلب صفحات قلبك وأنت تتلمس فيه طريقك ، وإلى المستقبل كيف يجذبك إليه وأنت محجوب عنه ، وإلى الشعر كيف يطربك وأنت لا تدري لذلك من سبب ، وإلى الحب المفعم باللذات لأنك

المظلم من إشراقه ما يملأ جوانب النفوس بالنور ، ويرسل إلى المستقبل المجهول من أقباس ضيائه ما يطمئن الحيارى على مواطئ أقدامهم في مقبل الأيام !

أليس من المخجل أن نتلقى الدروس في كل حين من تلك الدولة التي نحيط بها من كل ناحية إحاطة السوار بالمعصم ؟

لقد كان الأمل أن نحيط بها لنزهق بأيدينا المتحدة أنفاس هذا الوليد اللقيط الذي اعترف العالم بشرعية مولده ، ولكننا وا أسفاه قد أحطنا به لنتلقى عنه آخر الأمر كثيراً من الدروس .. الدروس التي تنقصنا وتكتب للشعوب معاني الحياة والبقاء ! !

(أ . م)

لا تعرف له بداية ولا نهاية ... حبذا لو كان لى وشاح واحد من أوشحة هذا الليل الذى يكتنفنى !

— ما الذى تراه فيك جيلا أيها القمر البدر ؟

— رأفتى بالمتسكعين فى الظلمة !

— ولمن أنت ؟

— أنا لامي الشمس

— من هو عدوك الأكبر ؟

— الفجر

— من يقيم فى دارك ؟

— العاشق والفيلسوف والشاعر

— ومن أيضاً ؟

— المرأة ... المرأة ... المرأة !

— كيف تحتج أيها القمر ، وكيف تغضب إذا ما طفحت كأسك وضاق صدرك ؟

— بخسوف

— هل جاءك يوماً جارك النسر وهمس فى أذنيك من كلامه ؟

— أنا فى رأفتى بالعباد أكره منقاره الذى ينقض به على الفريسة ...

— كيف أنت والنجوم ؟

— القوى والضعيف لا يتحابان ولا يتصافيان ...

— هل أنت راض عن الليل ؟

— لى معه يومان : يوم ولاء ، ويوم عداء !

— ألم تسأم من العلياء ؟

— ومن يسأم منها ؟

— ألم تحدثك نفسك يوماً بالتخلى عن عرشك ؟

فضحك القمر البدر حتى ضحكت لضحكه ، وما زلنا نضحك فى أعالى الفضاء حتى أقبل علينا الفجر متململا من ثرثرتنا وانقض على جنون البدر وجنونى ، وأعادنا من سماء الخيال الرفيع إلى الحقيقة الكثيفة ...

راجى الراعى

خواطر مسجوعة :

قد يقتل الألم الشـــعر !

(إن القوة التى تشد الأوتار هى التى تمزقها ، والنار التى تشد الدفوف هى التى تحرقها .

فإلى من تمزقت أوتارهم ، واحترقت دفوفهم ، أهدى رماد النار ، وتراب القيثار !!)

يقال إن الألم يوقظ الحواس ، ويشد أوتار الإحساس ، ولهذا القول من الصواب خلاق ، لكن على غير الإطلاق . فإن القوة التى تشد الأوتار هى التى تمزقها ، والنار التى تشد الدفوف هى التى تحرقها ، والقسر الذى يضغط الشغاف حتى يلهبه ، ليس أقتل منه للموهبة ! فالشاعر كالطائر يعبر عن كل آلامه بالبكاء ، إلا ألم القسر فقد يموت به من غير اشتكاء . والأملاق ضرب من القسر والإذلال ، والإذلال غل من أبغض الأغلال ! فإذا حصر الشاعر فى عيشة محدودة ، ودراهم معدودة ، كبت القسر إحساسه ، وكتم العسر أنفاسه !

وقد قيل إن البؤس أسدى إلى حافظ إحساناً ، وأضفى على شعره إتقاناً ، فلم يأت بالنفائس ، إلا وهو بائس ، وأنه لما لمس بعض السعادة ، أخلد إلى البلادة ، ولما ارتاح باله ، قل فى الشعر مقاله ، فهل استراح هذا الشاعر إلا بعد أن هدت الأيام قواه ، وأشرف من العمر على منتهاه؟ وحسبنا البيت الذى قاله ، مصوراً حاله

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما   وعدت فما أعقبت إلا التندما

لقد كان فعل الآلام قوياً متماسكا ، عند ما لاذ الشاعر بالغاية لاهثاً متفككا ، فلم يصمت مؤثراً الصمت ، وإنما كان يتاهب للموت ، ومن قطع جل عمره فى لأواء ، ناء فى منتهى الشوط بالداء العياء !

وإذا كان البؤس هو الذى جعل حافظاً شاعراً كبيراً ، فبماذا كان شوقى للشعر أميراً ؟ وقد نشأ فى أنعم دار ، ولعب باللؤلؤ والنضار ، وتربى فى أحضان البلهنية ، ولم تعز عليه أمنية ؟ أعتقد أن البحبوحة ، هى التى أطلقت روحه ، فنبغ فى ظلال النعمة ، والعيشة المتممة

حامد بدر

القاهرة الإسلامية :

جامع الأشرف جانبلاط

مدرسته وضريحه

للأستاذ أحمد رمزى بك

كتب الجبرتى فى تاريخه عن حوادث شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٢١٥ هجرية « وانقضت هذه السنة بحوادثها وما حصل فيها ، فنها توالى الهدم والخراب ، وتغير المعالم وتنويع المظالم ، وعم الخراب خط الحسينية ، خارج باب الفتوح والخروبى ، فهدموا تلك الاخطاط والجهات والحارات والدروب والحمامات والمساجد والمزارات والزوايا والتكايا وما بها من الدور والقصور المزخرفة ، وجامع الجنبلاطية بباب النصر ، وما كان به من القباب العظام ، المعقودة من الحجر النحوت المربعة الأركان الشبيهة بالأهرام ، والمنارة المظيمة ذات الهلالية ، واتصل الهدم خارج باب النصر وباب الفتوح وباب القوص إلى باب الحديد ، حتى بقى ذلك كله خراباً متصلا وبقى سور المدينة الأصلى ظاهراً مكشوفاً » .

لماذا أقدم الفرنسيون على هذا التدمير والتخريب وإزالة هذه العالم ؟ .

وما الذى جنته الآثار الاسلامية لكى تسوى بالأرض وتزال من الوجود ؟ .

واستمر الجبرتى يحدثنا عن المساجد والمدارس والدور والآثار التى هدمت ، والنفس تفيض أسى وحسرة ، ثم ختم بقول « قصدوا بذلك إنشاء عدة قلاع ومتاريس وتحصينات لحماية القاهرة » .

كنت أسمع للمؤرخ المصرى وكأنه ينتزع بكلامه عن كل أثر قطعة منى لأنى قاهرى مولداً ونشأة ، وأرى فى القاهرة مدينة حية خلال العصور الماضية إذا أصابها سوء فكأنه أصابنى . وأعجب لقوم لايشعرون بشعورى ، ولا يقدرون عظمة القاهرة الاسلامية ! وقمت مسرعاً فى سيارة وقد حملت فى يدى خريطة الحملة الفرنسية وأخرى مفصله لتلك الناحية ، ونظرت إلى باب القصر وإلى باب الفتوح ، وقلت من هنا مر صلاح الدين وبعده نابليون ، وهذا جامع الحاكم : ترى لو كان مع غيرنا هل يتركونه على حالته ؟ أم كانوا يعيدون إليه رونقه ، ويجعلونه بيتاً للعبادة ؟

وفتحت أطالس الفرنسيين وعثرت على جامع الأشرف ورسمه وشكله فإذا بى أكون فكرة عما كان عليه المسجد قبل هدمه ، ومن نظرة واحدة تعرفت على ركن قائم منه فى زاوية من سور القاهرة فى الجهة الشرقية من باب النصر .

ونظرت إلى الباقى منه أنادمه منادمة من يصبو إلى بانيه وواضعه ، ويرثى لسقطة هادميه ويقول ألم يجدوا لقلاعهم وخنادقهم غير حجارة هذا المسجد !

وما الذى كسبوه بإزالة معالمه ؟ لقد أصبح مكانه فضاء كساحة خالية ، فأخذت أسير فيها وقد تملكتنى رهبة ، ثم مر بخاطرى المنظر الآتى :

كيف جاء صاحب المسجد بعد زيارته لقبر قايتباى فكشف عن عمارة هذه المدرسة ، ثم دخل من باب النصر وشق المدينة فكان آخر عهده بها إلى أن أحضرت جثته من الأسكندرية فى شوال سنة ٩٠٦ فى عهد الغورى فدفنت بتربة الأشرف قايتباى ثم تقدمت مماليكه « فقالوا لا ندفن أستاذنا إلا فى تربته التى بباب النصر » فنقل إليها وهذه ثالث نقلة لجثمانه .

ومرت منذ مدة فإذا الركن الذى كان عالقاً بالسور عند باب النصر وبقى من هدم جيوش نابليون قد أزيل بدوره . وذهبت المدرسة وضاع الضريح . ويقول حارس الأضرحة إن جماعة يسكنون فى جهة تحت الربع كانوا يدفنون موتاهم فى أرض المدرسة ويقولون إنهم من سلالة الأشرف جانبلاط الرابع والأربعين من ملوك الترك ، والثامن عشر من ملوك الجراكسة بالديار المصرية . قلت نعم وهو الذى تولى إمارة ركب المحمل المصرى سنة ٨٩٤ وكان قاصداً (سفيراً) لدى بنى عثمان سنة ٨٩٦ هجرية ثم نائب مصر بحلب ثم بالشام ثم أتابك العساكر المصرية بعد الأتابكى أزبك وانتهى أمره وأمر مدرسته وعهده وضاعت معالم قبره وتذكرت أبا الطيب المتنبى وقوله .

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها
وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمة (١)

(شارع الأهرام بالجيزة) **أحمد رمزى**

(١) ذكر الترى فى الكواكب السائرة أن جثمانه لم يتغير (ص ١ جزء أول)

على هامش (دراسات عن المقدمة) :

تحامل ابن خلدون على العرب

للأستاذ محمد سليم الرشدان

— ٢ —

(فى الفصل السابق من هذا البحث برهنت على أن دفاع الأستاذ الحصرى بك عن ابن خلدون فى تحامله على العرب (بكتابه دراسات عن المقدمة) لم تكن تؤيده أقوال ابن خلدون نفسه ، واستشهدت بنصوص (المقدمة) التى اعتمد عليها ، مثبتاً أن الاستمرار بتلاوة تلك النصوص ينطق بعكس ما يريده الحصرى ، ويقوم حجة على أن ابن خلدون تعمد ذلك التحامل ، وأراد به العرب فى أمصارهم وبواديهم ... وها هنا أكمل التعليق على هامش تلك (الدراسات) ، مبيناً وجوه الرأى فى ذلك التحامل وأسبابه المحتملة . فأقول :)

لعل سائلا يسأل ، ما سبب تحامل ابن خلدون على العرب بهذه الصورة التى لفتت أنظار الباحثين ، حتى من غير العرب ؟! فجعلت البعض يظنون فى حقيقة نسبه شتى الظنون ، وجعلت البعض الآخر يتهمونه فى قوميته . كما جعلت هذين الكاتبين ، وأعنى بهما (بارون دوسلان الفرنسى) و (جودت باشا التركى) يتلمسان له وجه العذر بهذا التأويل الذى أولا به كلمة (العرب) عنده كما مر آنفاً .

فهل كان حقيقة دعياً فى (نسبه) ، فهو يحمل فى نفسه موجدة على العرب الذين هدموا مجد أسلافه — فيما إذا كانوا من غير العرب ! — وسلبوا حريتهم . فهو من أجل ذلك موتور ، وصاحب الترة كثيراً ما يجنح به الخطل ، ويميل مع الهوى كل الميل دون روية أو تبصر .

أم كان حقيقة متهماً فى (قوميته) ، فهو من أجل هذا الالتواء والشذوذ ، يتحامل على العرب شر تحامل ، ويرميهم بهذه العيوب التى أحاطهم بها ، وينسب إليهم أسوأ الصفات ، وأية صفات أسوأ من هذا الذى وصف به العرب وبالغ فى وصفه ؟! هذا ما نقف للاجابة عليه ، وأنه لموقف عسر شائك ، لا يخلو صاحبه من أن يتحكم به هواه ، أو يضل طريق الصواب فى اجتهاده . على أننى سأحاول — جهد الطاقة — أن أتقى ذلك «بالشمال واليمين» وأن أقف عند حد الاعتدال فيما أعرض له . فأقـول :

إن اتهام ابن خلدون فى وجه من الوجوه التى ذكرت ، والتى يمكن أن تفترض كذلك ، ليس بالأمر البسيط الهين . وإن ابن خلدون لو لم يكن له من الفضل إلا أنه المبتكر الفذ الذى سبق الأولين والآخرين من سلفه ، فى استنباط فلسفة علم التاريخ وفلسفة علم الاجتماع لكفاه ذلك فخراً . وحسب هذا الذى تراوده نفسه أن يتهم ابن خلدون فى أية ناحية (فكرية أو نفسية) ، أن يضع بين يديه شيئاً من أقوال عظماء الأجيال فيه ، فى شتى العصور ومختلف الأمم . وحينذاك — بعد أن يعرف ابن خلدون حق المعرفة — يستطيع أن يتحدث عنه بالكيفية التى يطمئن إليها . وأن تلك الأقوال التى أثرت عن كبار الباحثين فى (ابن خلدون) لوافرة جمة يضيق عنها الحصر . على أننى برغم ذلك استشهد بشىء منها تأييداً لما ذكرته عن ذلك المؤرخ العالم الفيلسوف .

يقول (البارون فون كرايمر) العربانى النمسوى ، فى رسالته (ابن خلدون وتاريخه لحضارة الدول الإسلامية) أن ابن خلدون يؤرخ الحضارة الإسلامية وهو : «من بين المؤرخين المسلمين أول من خصص فصولاً ضافية للتحدث عن النظم السياسية وأنواع الحكم[1] ... » .

ويقول الأستاذ (ثميث) الإنجليزى ، وهو أحدث من درس ابن خلدون ونقده ما يأتى : «إذا وجب — مع بعض التحفظ — أن نعتبر ابن خلدون مؤرخاً للحضارة الإسلامية ، فيحسن أن نتدبر ما إذا لم يكن قصد ابن خلدون الحقيقى ، هو أن يقدم لنا أمثلة إيضاحية ، ومجموعة تبين لنا ما يعتبره موضوع التاريخ وجوهره ... ولقد كانت هذه الفكرة العظيمة المستنيرة فى فهم التاريخ بأنه سجل لتطور الإنسان الاجتماعى مترتباً على العوامل الطبيعية ، وناشئاً عن تأثير الوسط وتفاعل الفرد والجماعة ، خليقة بأن تجعل كتابه مفتتح عهد جديد[2] ... » .

(١و٢) ابن خلدون حياته وتراثه لعنان · طبعه أولى القاهرة ج ٢ ص ١٤٧و١٤٨و١٤٩ ثم ج ١ ص ١٣ س ١ .

ويعتبر الأستاذ الهولندى (دى بور) ابن خلدون فيلسوفاً « ويضعه فى ثبت الفلاسفة المسلمين إلى جانب ابن سينا والغزالى وابن رشد وابن الطفيل ، وينوه بقيمة المنطق فى صوغ نظرياته . ويصفه بأنه مفكر متزن(١) ... » .

ويعبره آخرون كثيرون فى مكانة لا تقل عن هذه المكانة التى وضعه فيها هؤلاء الباحثون . ويصرحون بذلك على مرأى ومسمع من أساطين العلم والفكر ، دون أن يجدوا من يعارض قولهم ، أو ينتقص قيمته من حيث الحقيقة ، أو يتهمهم بالمبالغة فى سرد هذه الحقيقة .

ونحن حين نعرف ابن خلدون عن هذا الطريق ، نقف حيال آثاره موقفاً لا يزايلنا معه أجلاله وأكباره ، وتقدير اللائق بمكانته العلمية الرفيعة ... على أنه من الجدير بنا فى هذا المقام إلا نمتهن رأينا وتفكيرنا ، فيصور لنا احترامنا لابن خلدون سقطاته التى وقع فيها حسنات كلها . وهيهات ! فالحق أبلج والباطل لجج ، وأن الحقيقة التى لا نرتاب فى صحتها هى أن ابن خلدون قسا فى حكمه على العرب قسوة بالغة ، وحكم عليهم حكماً كان من القمين به وبمكانته العلميـة أن يتبصر كثيراً فى إصداره والمجاهرة به .

وأما أنه أصدر هذا الحكم لأنه كان دعى النسب فى العرب ، فذلك أمر يحتاج البت فيه والجزم فى صحته إلى كثير من التدقيق . ولا أدرى هل كان ابن خلدون دعياً فى نسبه حقاً ؟! وأنى لنا معرفة ذلك معرفة لا تخالطها ريبة ، ولا يمازجها شك !!

يقول الرجل (أعنى ابن خلدون) عن نفسه أن يرجع فى أصله إلى العرب اليمانية فى حضر موت ، « ونسبه إلى وائل بن حجر ، ويعتمد فى ذلك على رواية النسابة الأندلسى ابن حزم (توفى سنة ٤٥٧هـ) غير أنه يشك فى صحة هذه السلسلة ، ويعتقد أن أسماء منها قد سقطت . لأنه إذا كان خلدون هو جده الداخل إلى الأندلس عند الفتح ، فإن عشرة أجداد لا تكفى لقطع ستة قرون ونصف التى انقضت منذ الفتح حتى مولده . وفى رأيه أنه يجب لقطعها عشرون ، باعتبار ثلاثة أجداد لكل قرن . وأما نسب جده خلدون الداخل إلى الأندلس ، فهو كما روى

(١) المصدر السابق .

ابن حزم أيضاً : خالد ، المعروف بخلدون بن عثمان بن هانىء بن الخطاب بن كريب بن معد يكرب بن الحارث بن وائل بن حجر . فابن خلدون – طبقاً لهذه النسبة – سليل أصل من أعرق الأصول العربية اليمانية(١) ... » .

هـذا ما يقوله ابن خلدون عن نفسه مستق من تلخيص الأستاذ عبد الله عنان المحامى الذى يقول فى تعليقه على هذا النسب ما يلى : « ولكن هنالك ما يحمل على الشك فى صحة هذا النسب البعيد ، الذى يدونه ابن حزم لأول مرة فى القرن الخامس الهجرى . ويقوى هذا الشك لدينا ما نعرفه من ظروف الخصومة والتنافس بين العرب والبربر فى الأندلس ... وكانت العروبة فى الأندلس شرفاً يرغب فى الانتساب إليه ، لما كان لها من السيادة والنفوذ ، ولكن الشك كان يحيق بأنساب كثير من أهل العصبية والرياسة . بل لقد تطرق هذا الشك إلى أنساب زعماء الفاتحين أنفسهم ، فقيل عن طارق بن زياد أنه من البربر ، وقيل إنه فارسى من موالى العرب(٢) ... » .

ويلتفت الأستاذ عنان بعد هذا التعليق إلى نسب ابن خلدون ، التفاتة بارعة ، مستقرئاً ذلك من الحقيقة الراهنة مع ابن خلدون . فيقول : « وهنالك أيضاً ما يبعث على التأمل فى تعلق ابن خلدون بهذه النسبة العربية ، وهو أنه فى مقدمته يضطرم نحو العرب بنزعة قوية من الخصومة والتحامل ، بينا نواه فى مكان آخر من تاريخه يمتدح البربر ويشيد بخلالهم وصفاتهم(٣) » .

وهـذا الذى يقوله الأستاذ عنان يكاد يقره الكثيرون ، وذلك حين يؤكدون : أن مثل هـذه الخصومة البادية فى تحامل ابن خلدون على العرب ، لا يمكن أن تصدر عن مؤرخ استهدف الحقيقة ، وزاملته النزاهة ، وصحبته الاستقامة . كما أنه من البعيد المستهجن أن لا تكون الأمة استطاعت أن تتغلب على دولتين من أقوى دول الأرض يومذاك ، وأن تشيد على أعقاب ملكهما ملكا تزدهر فيـه الحضارة ويعم الرخاء ، ويستبحر العمران ، ويقوى على مقارعة الخطوب ومصاولة الأيام سنين طويلة وعصوراً مديدة .

(١) المصدر السابق .
(٢) ابن خلدون حياته وتراثه – ١ص١٢ س ١١ ط أولى القاهرة.
(٣) ابن خلدون حياته وتراثه لعنان ج ص١٤س٢ ذات الطبعة .

أجل ، إنه من المستهجن حقاً ألا يكون لهذه الأمة من المزايا ما يجعلها فى نظر ابن خلدون فى مصاف الفرس والرومان ، أو فى مصاف (البربر) على الأقل !! الذين امتدحهم كثيراً ، وأطنب فى مدحهم ، وذكرهم فى كثير من المواطن التى كان للعرب ما يفوقها ، فضلاً عن أن يماثلها ويسير فى نهجها . وأن ذلك عجيب يستفز الريبة !!

إذن فلم يبق أمامنا إلا أحد وجهين : إما أن ابن خلدون كان اتهامه فى نسبه حقيقة راهنة ، حتى بدر على لسانه هذا الذى بدر من الشك فى ترتيب ذلك النسب ، ثم هو يدعيه ويتظاهر به ، حرصاً على مكانته لدى الملوك والأمراء ، إذ كانت العروبة — كما يذكر الرواة — « شرفاً يرغب فى الانتساب إليه » . إلا أنه ينم عليه قلمه ، ويكشفه تعصبه ، فإذا هو عدو فى ثياب صديق ، وإذا هو يحمل ضغينيين :

أولاهما : هذا الداء الموروث الذى كانت تنطوى عليه تلك الأقوام المختلفة من دعاة الشعوبية فى شتى الأقطار التى دخلها العرب غزاة فاتحين .

وأخراهما : هذا الحقد المرير الذى يضطرم فى دخيلة نفسه ، كلما الفاه محمولاً على أن يتظاهر بالانتساب إلى غير أهله ، حرصاً على مكانته بين الناس !

ومن جراء هذه وتلك ينبرى ملتمساً المثالب فى كل باب ، ومقتنصاً المعايب من كل سبيل ، ومنقباً عن أسباب الخيبة والفشل وانتقاض العمران ، ليلبس ذلك كله للعرب ويسنده إليهم ، ويلحقه بهم غير مستنكف ولا متورع .

وإما أن يكون ابن خلدون على النقيض من ذلك ، أى أنه عربى محض ، وأن تحامله على العرب كان وليد تأثره بأوضاع شخصية ، وظروف خاصة أحاطت به فى شتى أطوار حياته وتشتت بها شمله ، وتغرب عن بلده ، وقاسى من العناء والمشقة الدسائس وحسد الحاسدين ، ما جعله يسىء الظن بأقرب المقربين إليه ، فيميد هذا الفساد الخاق إلى نقص موروث ، تناقله الأبناء عن الآباء .

أضف إلى ذلك أنه كان يعيش فى زمان كثرت فيه الدويلات ، وانتقصت فيه ممالك الإسلام من أطرافها . فهذا (تيمور لنك) يكتسح الممالك الإسلامية من الشرق فتخربين يديه دولة أثر دولة ... وهؤلاء الأسبان فى الأندلس ، يدحرون المسلمين أمامهم ، وينتزعون منهم بلداً أثر بلد . وهنالك الثورات والقلاقل التى كانت لا تخبو نارها ، ولا يخمد أوارها . ثم هو لا يزال يشاهد من أهوالها ما يجعله ذاهلاً حائراً ، لا يدرى إلى أية فئة ينحاز ، ولا إلى أى قبيل يلتجىء !!

وإذا ما التزم العافية عاش عالة على سواه ، وبقى همَلاً لا قيمة له ولا أثر ، وهيهات أن يرتضى ذلك ابن خلدون ، وهو سليل السادات وحفيد الأمجاد . إذن فلا بد من أن يخوض هذه المعمعة ، ويصيبه من شرورها شتى الألوان .

ومن ظن ممن يلاقى الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

فابن خلدون إذن حين يحمل على العرب هذه الحملات ، إنما يتحدث عن عرب زمانه ، ومن يدرى ، فلعلهم — شأن من يؤثرون الشقاق على الألفة ، ويظاهرون العدو للايقاع بأخوانهم !! — جديرون بهذا الذى نمتهم به ، بل خليقون بأكثر منه ... وهو حين يتجاوزهم إلى من سبق من أسلافهم لم يزد على أن يأخذ البرىء بجريرة العاصى ، وتلك سنة من جمح به هواه .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدى المساويا

هذا ما عن لى أن أقوله فى تمليق على رأى ابن خلدون فى العرب ، وذلك (على هامش دراسات الأستاذ الحصرى) . ولعلى أميل فى تعليل تحامله إلى الرأى الثانى وهو فى يقينى أقرب إلى الحقيقة والواقع .

وهنا أختم كلامى بتعبير كان يكرره ابن خلدون كثيراً — وذلك على سبيل التيمن والبركة — فأقول : والله تعالى أعلم !

(زحلة — نزل إلياس ثابت) **محمد سليم الرشدان**

« ماجستير فى الآداب واللغات السامية »

مصادر البحث :

١ — العددان (٨١٩و٨٢٠) من مجلة الرسالة الزاهرة .

٢ — مقدمة ابن خلدون — المطبعة التجارية الكبرى لمصطفى محمد. لم يذكر رقم الطبعة ، ولم يذكر تاريخ الطبع !

٣ — دراسات عن مقدمة ابن خلدون تأليف الأستاذ ساطع الحصرى بك . جزءان ، الأول طبع سنة ١٩٤٣ فى مطبعة الكشاف ببيروت . والثانى سنة ١٩٤٤ بالمطبعة عينها .

٥ — ابن خلدون — حياته وتراثه الفكرى . تأليف الأستاذ عبد الله عنان المحامى . طبعة أولى دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٣ .

٦ — فلسفة ابن خلدون الاجتماعية . تأليف الدكتور طه حسين وعربه عن الفرنسية الأستاذ محمد عبد الله عنان المحامى . الطبعة الأولى سنة ١٩٢٦ القاهرة .

الفلســـفة الصامتة

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجي

(تتمـة)

الحياة أعظم الشرور :

تحدثنا الحكمة الهندية[1] أن الأمير السعيد (سا كيامونى) وهو من نعرف باسم (بوذا) خرج فى عربته وهو شاب قد خفى عنه العلم بالمرض والشيخوخة والموت . فوقعت عيناه على رجل مسن مفزع ، تحطمت أسنانه وسال لعابه من فمه . فدهش الأمير الذى خفى عنه حتى اليوم العلم بالشيخوخة ، وسأل سائق عربته عما رأى ، وكيف آل هذا الرجل إلى مثل هذه الحال الزرية المفزعة . ولما علم أن ذلك هو المصير المألوف للناس جميعاً ، وأن تلك الحال عينها تنتظره بغير مناص — وهو الأمير الشاب — لم يستطع أن يواصل السير ، وأمر السائق أن يقفل راجعاً إلى البيت كى يتدبر الأمر . ثم حبس نفسه وأخذ يفكر . وربما وجد فى نفسه ما يعزيه ، لأنه خرج بعدئذ فى العربة مرة أخرى وهو مرح سعيد . غير أنه رأى هذه المرة رجلاً مريضاً : رأى رجلا هزيلا شاحب اللون قاتم العينين يرتعش من شدة الهزال . فوقف الأمير الذى خفى عنه العلم بالمرض ، وسأل عما رأى . ولما علم أن ذلك هو المرض الذى قد يتعرض له أى إنسان ، وأنه هو نفسه — وهو الأمير الصحيح البدن الهانئ القلب — قد تصيبه العلة فى غده ، عاد إليه ذلك الاكتئاب الذى يحرمه المتعة بحياته وأمر سائقه أن يقفل راجعاً إلى البيت . وبحث عن العزاء مرة أخرى ، وربما وجده ، لأنه خرج فى عربته للمرة الثالثة قصد النزهة . ولكنه فى هذه المرة الثالثة رأى مشهداً آخر جديداً : رأى جماعة تحمل شيئاً فسأل :

« ما هذا ؟ » فقيل له :

« هذا رجل ميت » . قال :

« ما معنى كلمة ميت ؟ » فقيل له :

« إن المرء حين يموت يمسى كذلك الرجل » .

واقترب الأمير من الجثة ، ورفع عنها الغطاء ، ونظر إليها ، وسأل :

« ما الذى سيحدث له الآن ؟ » فقيل له :

إن الجثة ستوارى التراب .

« لماذا ؟ » .

« لأنه بالتأكيد لن يعود إلى الحياة ، ولن يصدر عنه غير النتن والدود » .

« وهل هذا هو مصير الناس أجمعين ؟ هل يحدث لى نفس هذا الشىء ؟ هل يدفنوننى ؟ وهل تصدر عنى الرائحة الكريهة ويأكلنى الدود ؟ » .

« نعم » .

« إلى البيت ! لن أركب عربتى للنزهة ، ولن أفعل ذلك مرة أخرى » .

ولم يجد سا كيامونى فى الحياة ما ينطوى على أية قيمة وانتهى إلى فلسفته التى تقرر أن الحياة أعظم الشرور ، وأن الخير يقضى بالتحرر منها ودعوة الناس للتحرر منها بكل ما يملكون من طاقة روحية . وهذه القصة ترمز إلى فلسفة الهند الزاهرة فى الحياة ، المتعلقة بالروحانية . [1] وهى عين الفلسفة التى يعبر عنها سليمان الحكيم فى الكتاب المقدس إذ يقول :

« باطل الأباطيل — كل شىء باطل . ما فائدة الإنسان من أى عمل يتولاه تحت الشمس ؟ جيل يتولى وجيل يقبل إلى الأبد . إن ما كان سوف يكون وما حدث سوف يحدث ، وليس تحت الشمس جديد ؟ هل هناك شىء نستطيع أن نقول عنه : انظر ! هذا جديد ؟ كلا . إنه من قديم الزمان الذى سلف . ليس لما سلف ذكرى ، ولن تكون لما يُقبل ذكرى . أنا الذى أعظكم كنت ملكا على بنى إسرائيل فى بيت المقدس ، ولقد وهبت قلبى للتنقيب والبحث عن طريق الحكمة فى كل ما حدث تحت السماء ... وناجيت قلبى وقلت له : هيه ، أنا مالك لضيعة كبرى وعندى من الحكمة أكثر من كل من سبقنى ببيت المقدس — أجل ، إن قلبى مفعم بكثير من تجارب الحكمة والمعرفة . ولقد

(١) نقلا عن كتاب (اعترافات تولستوى) ترجمة الأستاذ محمود محمود

(١) راجع مقالينا « الفكر الشرق القديم » فى العددين : ٨١٣ و ٨١٤ من الرسالة .

وهبت قلبي لإدراك الحكمة ولمعرفة الجنون والحماقة ، فرأيت أن ذلك يبعث على الحزن العميق . ومن يزدد علماً يزدد أسى .

قلت لنفسي : الآن انطلق ، ولسوف أمتحنك بالمرح . وإذن فلتنعم بمختلف المتع . فكان ذلك باطلا كذلك ... شيدت لى بيوتاً وزرعت الكروم ، وأنشأت الحدائق والبساتين ، وغرست فيها الشجر من كل الثمار ، وحفرت البرك أروى من مائها الغابة التى تنمو بها الأشجار ، واستخدمت الخدم والإماء ، وولدت الخدم فى بيتى ، وامتلكت من قطعان النعم والماشية أكثر من كل من سبقنى فى بيت المقدس . وجمعت كذلك الذهب والفضة ونوادر الكنوز من مختلف الملوك والأقاليم . وظفرت بالمغنين والمغنيات ، وبكل مايلهو به ابن آدم ، كآلات الموسيقى وما إليها. وهكذا كنت عظيما ، وتوفر لى ما لم يتوفر لكل من سبقنى ببيت المقدس . وبقيت حكمتى معى كذلك ، ولم أحرم عينى من كل ما اشتهتا ، ولم أبعد قلبى عن أى لون من ألوان السرور ... ثم نظرت إلى كل عمل عملته يداى ، وإلى الجهد الذى بذلت ... فرأيت أن الكل باطل يبعث على حنق النفوس ، وليس من ورائه جدوى تحت الشمس . وهناك حدث واحد يقع للطيبين كما يقع للاشرار ولمحبى الخير ومحبى الشر ، وللطاهر والدنس ، ولمن يضحى ومن لا يضحى ، والطيب كالخبيث ، ومن يقسم بالباطل ومن يخشى القسم . إنه شر يتخلل كل ما يقع تحت الشمس ، وكل شىء يتعرض لحدث واحد . نعم إن قلوب بنى الإنسان كذلك مليئة بالشر ، والجنة فى قلوبهم ما داموا أحياء ، وبعد ذلك يذهبون إلى الموتى . »(1)

شوبنهور وسقراط :

لندع أسطورة بوذا وموعظة سليمان فهما من الحكمة الشعبية الصامتة ، لنتأمل قليلا رأى كل من سقراط وشوبنهور الفيلسوفين يقول سقراط وهو يتأهب للموت : « إننا نقترب من الحقيقة كلما أشرفنا على مفارقة الحياة ؛ إذ ما الذى نجاهد فى سبيله نحن محبى الحقيقة ؟ إننا نجاهد فى تحرر أنفسنا من الجسد ! ولما كان الأمر كذلك ، فلماذا إذن لا نفرح حينما يأتى إلينا الموت ؟ إن الرجل الحكيم يبحث عن الموت طوال حياته ، ولذا فالموت لا يفزعه » .

ويقول شوبنهور : « إذا ما أدركنا أن طبيعة العالم الخفية ليست سوى (الإرادة)(1) ، وأن كل مظاهر الطبيعة — من الحركة اللاشعورية لقوى الطبيعة الغامضة إلى عمل الإنسان الكامل الوعى — إن هى إلا مظاهر لهذه الإرادة ، لم يعد لنا ما يبرر التخلص من هذه النتائج : وذلك أننا إن نبذنا الإرادة وتخلينا عنها طائعين ، ألفينا كذلك كل تلك المظاهر — ذلك التيار الدافق والجهد الذى لا يكل ولا يهدأ فى كل مرحلة من مراحل المظاهر الطبيعية التى منها وعن طريقها يتألف العالم ؛ وتلك الصور المتعددة التى تتلو إحداها الأخرى فى تدرجها ، وستختفى مع هذه الصور كل دلائل الإرادة ، وستختفى كذلك فى النهاية الصور العالمية لتلك الدلائل — الزمان والمكان ، والصور النهائية الأساسية ، أى أن كل ما هو ذاتى وكل ما هو موضوعى سوف يتلاشى . إذا لم تكن هناك إرادة فلن يكون هناك مظهر لشىء ، ولن يكون هناك عالم . إنه لا يبقى أمامنا بالتأكيد سوى العدم »

وقف تولستوى(2) أمام هذه الأقوال الأربعة فوجدها جميعاً تجيب عن سؤال واحد عرض لكل منهم بصدد مشكلة الحياة ، وتنتهى إلى نتيجة واحدة :

يقول سقراط : « إن حياة الجسد شر وأكذوبة . وإذن فتحطيم حياة الجسد نعمة ، يجب أن نتمناها . »

ويقول شوبنهور : « الحياة هى مالا ينبغى أن يكون — هى شر ، والانتقال إلى العدم هو وحده ما فى الحياة من خير . »

ويقول سليمان : « كل ما فى الحياة — من حماقة وحكمة وثراء وفقر ومرح وحزن — باطل وعدم . يموت المرء ولا يبقى منه شىء وهذا سخف » .

ويقول بوذا : « يستحيل على المرء أن يعيش وهو يدرك أن الألم والضعف والشيخوخة والموت أمور لا مفر منها — يجب أن نتحرر من الحياة الممكنة كلها » .

ويعلق تولستوى على هذه الأقوال بما يؤيد دعوانا التى سبقت

(1) نفس المصدر .

(1) أرادة الحياة

(2) « اعترافات تولستوى » ترجمة الأستاذ محمود محمد ص ٤٢

الإشارة إليها وأعني انتساب المذاهب الفلسفية إلى الحكمة الشعبية فيقول :

« وما ذكره أصحاب العقول الجبارة فكرت فيه وأحست به وعبرت عنه ملايين الملايين من أمثالهم من البشر . وقد فكرت فيه وأحسست به أنا كذلك ».

كتاب الحياة :

لعل قارئي العزيز قد اقتنع بعد هذا العرض لنصوص الكتاب والحكماء أن حس هؤلاء الدقيق يكفل لهم في كثير من الأحيان النفاذ إلى كنه الحياة ، وأن حكمهم السليم المبرأ عن الهوى وسيلة من وسائل المعرفة الفلسفية ، وأن إنتاجهم لا يخلو من نظرات عامة في الكون لم تفسدها الصنعة ولم يعوزها الصدق في التصور ولعله قد تبين أن كتب الفلاسفة ليست وحدها المصدر الذي نستقي منه الفلسفة ، فقد نستقيها من حكمة الشعب كما بينا في مقال سابق ، وقد نستخلصها من الأدب الروائي أو الشعر والأساطير وقد نهتدي إليها في مسلك كثير من الناس ، وبالجملة قد نتعلمها في مدرسة الحياة . وقد تنبه ديكارت إلى هذه الحقيقة فأنحى باللائمة على العلوم التي تدارسها في المدرسة ، واتهم بالقصور والتفاهة المعارف التي تلقاها على أساتذته . فألقى بالكتب عرض الحائط ، وعول على أن يبدأ حياته الفكرية من جديد بقراءة « الكتاب الكبير » كتاب الحياة . فأقبل على الناس يضطرب وإياهم في مناكب الحياة ، وأنفق بقية أيام شبابه في الارتحال ورؤية القصور ، وتعلم صنعة الحرب على يد أشهر جندي في أوربا في ذلك الحين وهو الهولندي « موريس دي ناسو » . ثم رحل إلى ألمانيا ، وهناك ساهم إلى جانب بافاريا في مقاتلة بوهيميا الثائرة في الحرب المعروفة بحرب الثلاثين ، وخالط مختلف الأجناس والشخصيات . وهكذا طفق يستمد فلسفته من مصدرين : نفسه حيث « النور الفطري وحيث تكمن الحقيقة كون النار في الحجر الصوان » والعالم حيث الحقيقة حية بسيطة لم يفسدها التجريد والجفاف ، فجاءت فلسفته متلألئاً للوضوح والإشراق والتكامل المذهبي ، واستحق بجدارة لقب « أبو الفلسفة الحديثة » .

الأبراج العاجية :

إن المتفلسفين الأكاديميين ليكشفون عن غرور أحمق — إذ يزدرون هذه المصادر الكبرى ويعتزلون في أبراج عاجية شاهقة بمعزل عن الحياة التي تلفهم جسداً وعقلاً ، يقضون العمر فيها يجترون أفكاراً جامدة لا حياة فيها ، فارغة خلواً من المعنى ، متوهمين أنها الحق في حين أنه هنالك عند أقدامهم : في عقول المحنكين ، ذوي الحس الدقيق والبصيرة النافذة من العامة والكتاب ، ممن لم يفسد تفكيرهم التمحل . إلى هؤلاء أسوق سخرية عمر الخيام من الفلاسفة ليطامنوا من كبريائهم :

« طالما خضنا غمار الفلسفة ... وسمعنا من صواب وسفه
وخبطنا في مضلٍّ متعسفه[1] ... ثم صرنا حيث كنا أولاً
لم نسر نحو الهدى قيد ذراع
كم بذرنا حكمة الفكر البصير ... وسقيناها حيا[2] العقل الغزير
ما جنينا غير بهتان وزور ... ما علمنا غير أنا في الملا
شغل البرق خبت بعد التماع[3]

ولا يفوتني أن أعيد إلى الأذهان سخرية باسكال[4] من فلسفة أفلاطون في عبارته الشهيرة « أراد أفلاطون أن يعلو على الطبيعة فسقط إلى الحضيض . » إذا كان أفلاطون العبقري الفذ مهدداً بالسقوط إلى الحضيض فما رأي المتفلسفين الذين يقيمون بينهم وبين البصيرة الشعبية سداً منيعاً ؟ لقد كان لأفلاطون من تماسك مذهبه أسس مكينة تحميه من السقوط فبماذا يتشبث أصدقاؤنا هؤلاء وهم يحتمون بأبراج من خيوط العنكبوت ؟!

خاتمة :

بعد كل ما تقدم أخشى أن نسف في فهم الفلسفة ونظن كل نظرة عابرة فلسفة كبرى ، وصاحبها فيلسوفاً كبيراً ، فننخدع عن أنفسنا ، ويركبنا الغرور . ولذلك أنبه القارىء إلى أن تلك النظرات ليست سوى محاولات للنظر الفلسفي يأتيها الحكيم الشعبي أو الروائي ، ثم إنها محاولات تلونها الانفعالات والأمزجة

(١) المضل المتعسفة هو المجهلة من الأرض يخبط فيها المرء غير هدى .
(٢) الحيا المطر .
(٣) الرباعيات ترجمة الأستاذ محمد السباعي .
(٤) فيلسوف ورياضي سويسري .

الخاصة ، ولا تكاد تنفصل عن السلوك العملى وشئون الأخلاق ، وقلماً تتعرض لمسائل ما بعد الطبيعة . فلسفة الشعب مزيج من القول والفعل والنقل ، مصدرها تجاريب العيش وصروف الأيام ، أفراح الحياة وأتراحها ؛ ويقين الشعب بفلسفته أشبه باليقين الدينى لا يحتاج إلى دليل أو برهان ، وذلك ما يخلع عليها حرارة تعوز مذاهب الفلاسفة التى تتميز ببرود المنطق وجفاف الجدل . وأداة الفلسفة الشعبية ليست المنطق الصورى ، ولكنها ملكة الحكم السليم التى يدعوها الفرنسيون (bon sens) ويسميها الإنجليز (Common sense) ، وأثرها فى نفسية الشعب عميق غاية العمق : تثبت فؤاده ، وتعزيه عما يصادف من محن ، وتبرر كثيراً من تصرفاته . أما صورتها العامة فيعوزها التكامل لأنها نظرات مبعثرة وخواطر متفرقة يندر أن تأتلف كلا واحداً .

أما الفلسفة بالمعنى الخاص فبريئة من أمرين : النظرة السطحية ، والنظرة الجزئية . (١) فلسفة الخاصة (أى فلسفة الفلاسفة) تهدف إلى تفسير عام شامل للكون فى مجموعه ، ولذلك كنا نجد تفسيرات الفيلسوف لمختلف نواحى الكون تنتظم كلا واحداً متناسقاً هو « المذهب » . نواة المذهب الفلسفى نظرية كبرى تتشعب منها أو تدور فى فلكها نظريات فرعية صغرى فى المعرفة والوجود والأخلاق ، بل والسياسة والجمال أحياناً . نواة مذهب أفلاطون مثلا « نظرية المثل » ، وأرسطو « الهيولى أى المادة الأولى والصورة » ، وأفلوطين « الفيض الإلهى » ، وشوبنهور « إرادة الحياة » ألخ ...

وللمذاهب الفلسفية قيمة كبرى فهى الوسيلة التى ينمى بها العقل الإنسانى أعمق نظراته وتفسيراته . إنها تعينه على تعمق كنه الحقيقة ، وتعطى الأفكار المبعثرة حياة وحركة وقوة . مثل المذهب مثل البلورة تلم شتات الأشعة ، وتركزها فى نقطة ضوئية صغيرة ، ولكنها أكثر التماعاً والتهاباً من الأشعة المتفرقة . وبدون هذه الجهود التى يحتملها الفلاسفة من ذوى المذاهب المتكاملة ، فإن الأفكار الإنسانية المتفرقة قد تومض فى لحظات من التأمل المتكاسل المتراخى وسرعان ما ينطفىء الوميض .

وأضيف أخيراً أن الفيلسوف أقدر من المفكر العادى على التحرر من شطحات الخيال ، ونزوات الانفعال ، أكثر منه فردية وابتعاداً عن تيار الحياة الجارف الرتيب . لا يؤمن بأمر قبل أن يتناوله بالنقد ، ولا يسلم برأى دون تمحيص ؛ لا تراوده فكرة إلا قبلها على جميع الوجوه ؛ تلقى إليه بالرأى فيطلب الدليل ، وتنقل إليه الخبر فيلتمس البرهان ، وتقدم إليه التفسير فيسعى إلى تفسير لذلك التفسير . منهجه الشك قبل اليقين . الشك فى كل شىء حتى فى عقله ، وشعاره النقد قبل التسليم . الاستسلام للعاطفة عنده خطأ مبين ، والرضا بالمزاعم الجارية إثم لا يغتفر . عقل مستديم القلق ، وذهن لا نهائى التساؤل ، وفكر لا ينى عن التمحيص . النظرة العابرة لا ترضيه ، واستكشاف الجزئيات لا يكفيه ، فميدانه الكون فى مجموعه ، وهدفه الحقيقة كاملة غير منقوصة .

(الإسكندرية) عبد العزيز المليجى

(١) أرجو أن أوفق فى مقالات قادمة إلى الحديث عن الفلسفة بالمعنى الخاص .

جيوفانى بوكاشيو

للسيدة الفاضلة ماهرة النقشبندى

١٣١٣ - ١٣٧٥

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

ان المقارنة بين الكتابين تدفعنا إلى المقارنة بين الفن الأدبي في اللغة اللاتينية وبينه في اللغة الإنجليزية . يقوم الفن في اللاتينية على التصميم في القصة وعلى رسم حوادثها وعدم الاهتمام بأشخاصها. أما في اللغة الإنجليزية فيعتمد على الأشخاص وجعل الفن متصلاً بهم وموسوماً بما في نفوسهم وطبائعهم من خير أو شر وتماسة ونعيم . وعلى هذا الأساس يجد القارئ ما يبعث السأم في نفسه وهو يقرأ قصص كانتبارى ، ولكن أشخاصها يبعثون في سأمه ما فيهم من حياة وحركة . أما في قصص دى كامرون ، فإن القصص رائعة والأشخاص أموات لايتحركون . فالأشخاص في دى كامرون غير مسؤولين مطلقاً عمايدور على ألسنتهم من حوار وقصص قد لا يتفق في كثير أو قليل مع احتشام الفتاة التى تقصها ، حينما تتصل المعانى بالأدب الجنسى المكشوف الذى ضرب فيه بوكاشيو بسهم وافر . وليس في استطاعة الناقد إلا أن يسقط هذه الشخصيات من اعتباراتها الشكلية التى وضعت مرغمة فيها وعلى وجهها أقنعة مستعارة لا تتصل بها ولا تمثلها ... وناقل الكفر ليس بكافر ، إذا أراد أن ينصفها ويدلل على مكانها من الحقيقة ...

لكن هذه الشخصيات في بعض أحاديثها خارج القصص تصورلنا المناظر الجميلة حول فلورنسا ، والقصور المترفة ، والمروج التى تجرى فيها الأنهار تصويراً رائعاً ...

لم تقع حوادث القصص المائة في مكان واحد، وإنما وقعت في ثلاثة أماكن : أولها يبعد ميلين عن فلورنسا ، وهو قصر باذخ تقوم على أطرافه حدائق غناء ، وسواق جارية ، وحقول خضر، وتلال منطاة بأشجار الفاكهة ، وموقعه الآن على مقربة من قرية ستجنانو التى كانت تصلها طريقة ضيقة تبعد ميلين عن ضاحية بورنالا كروز، وكان هذا القصر يقع في مزرعة تدعى بوجيوجرادو وهى حصة مارجريتا زوجة أبيه من إرثها من أسرتها .

وفى نهاية اليوم الثانى بعد أن تم اختيار نيفيل ملكة لليوم الثالث اقترحت عليهم أن يزوروا مكاناً جديداً بالغت في مدحه ، وهو قصر فخم على سفوح تلال الفيزول ويسمى فيلا بالميرى ...

وفى مساء اليوم السادس ، وكان يوماً من أيام الربيع ، وبعد الانتهاء من القصص ، وكانت قصيرة ، وبينما كان الرجال الثلاثة منهمكين في لعبة النرد ، أشارت أليسا من طرف خفى إلى صواحبها الست ، فتجمعن واقترحت عليهن الذهاب إلى مكان جميل جداً يدعى لافلا وبلادون . وبعد مسيرة ميل واحد وصلن إلى مجرى يسيل منه ماء عذب رقراق كالبلور ، وكان السهل الذى يجرى فيه ذلك المجرى عبارة عن دائرة قطرها نصف ميل تحيط بها ستة تلال وينبع من بين تلين ، ويكون في طرف السهل بركة لا يزيد عمقها عن بضعة أقدام وقد أغراهن صمت المكان والماء فنزعن ملابسهن وابتدأن في الاستحمام ، ولا تزال هذه البقعة تدعى بالإسم نفسه حتى الآن ...

ونعود الآن إلى القصص نفسها فنرى أنها تعود في أصولها إلى المصريين القدامى والعرب والفرس والفرنسيين . ومن المحقق أن بوكاشيو لم يعرف مصادرها ، وإنما سمعها في نابولى وأنحاء إيطاليا ، ولعل ثلثها يعود في أصوله إلى المصادر الفرنسية وقسما إلى الهنود والفرس ، والقليل إلى المصادر اللاتينية . إننا نستطيع توجيه التهمة نفسها إلى شكسبير وتشوسر ونتهمهما بالنقل وعدم الإبداع . ولكننا حين نوجه التهمة نفسها إلى بوكاشيو نقول واثقين إنه لم يعرف تلك المصادر ، وإنما رأى فيها عملا إبداعياً أصيلا ...

إنه كتاب يتصل بالناس كما تتصل بهم الحياة ، يتصل بهم في الجد واللهو، في الفضيلة والرذيلة ، في الشر والخير، في التهكم والمجون ، وهو إلى جانب ذلك مفعم بالمجازفات والمآسى والأفراح والنهايات التى يلعب الحظ فيها دوراً كبيراً ، وهو في تفصيله مجموعات من الحقائق الصحيحة أضفت عليها عين الفنان اليقظة ثوباً قشيباً تراءت فيه أعمال الناس وعاداتهم وطبائعهم في ذلك العصر واضحة جلية ... إنه البؤرة التى انعكست عليها الحياة بكل

ما فيها من مظاهر ... فهو كتاب قريب إلى الإنسانية أكثر من أى كتاب آخر لدانتى أوتبرارك ، حتى قصص شوسر ، فإن الإنسانية فيها غير كاملة حينما تتصل بالحب وما يدور وراء النفس الإنسانية من شعور مكبوت ...

وتتسم هذه القصص بتنوع صور الحياة التى عبرت عنها ، فهى تكشف لنا القناع عن عدد من المتهورين المجازفين ، وعن الحياة الخاصة التى يحياها وراء الستار عدد آخر من الناس تعرفهم على حقيقتهم المعرفة الصحيحة ، وهذا هو فن بوكاشيو ، لأن هذه القصص لم تكن عملا إبداعياً ولا دراسة للأخلاق ، وإنما هى قصص تختلف فى طولها وقصرها باختلاف الموضوع الذى تتصل به عن مجازفات ، أو حب غير مشروع ، أو راهب ، أو امرأة ؛ إما للتسلية أو إثارة الضحك وإشاعة السرور ، أو جواب مختصر لتوبيخ شخص ، أو لدفع خطر جسيم . ومهما كان نوع هذه القصص، على روعتها وشهرتها فإنها ليست الدافع الوحيد الذى يدفع المولعين بديكامرون إلى قراءتها المرة بعد الأخرى فى رغبة وسرور.

إن سر خلود هذا الكتاب هو الجماهير الحية التى تتحرك فيه . هنالك شخصيات أخرجها فنه فيه حية وبقيت كذلك وستبقى إلى يوم يبعثون تثير فى قرائها الدهشة والإعجاب إثارة لا تقل عما تفعله شخصيات شكسبير الخالدة فينا ... لقد عاشت للأبد لأن الفن الخالد حملها إلى عالم الخلود ...

إنه صورة مصغرة للدنيا ، ومرآة انعكست عليها حياة الناس فى ذلك الزمن ، إلا أن المثالية والهدف السامى الذى يرفع الأعين إلى النور ، ويجمل للعمل الفنى قيمته التى لا ينكرها أحد ، لا توجدان فيه .

أما الأدب المكشوف والتعابير الجنسية الساخرة التى تفيض بها القصص فرده إلى الأصول الفرنسية التى نقل عنها وهذبها كثيراً ... ومن المحقق أن التعبير عن الأدب الجنسى المكشوف فى ذلك الوقت ، كما هو الآن غير مألوف ولا مستساغ ... لكن بوكاشيو جعل منه فناً أبدع فيه أيما إبداع ، وأخرجه من مكانه المستور من حياة الأفراد والجماعات ورجال الدين إلى الحياة اليومية وجعله ملموساً مألوفاً يتحدث عنه متهكما كأنه يتحدث عن شىء لا يتعارض مع قيم المجتمع الروحية والخلقية .

إن كل ما فى الكتاب مبالغ فيه ، وخصوصاً الموضوع الجنسى الذى أسرف فيه إسرافاً عظيما ، فصور الشبان والشابات غارقين فى الإثم والفجور والخلاعة إلى أبعد الحدود ، وصور الزوجة تلهو ما شاء لها اللهو والزوج غير مكترث بما يدور حوله ، وصور رجال الدين لا يعملون شيئاً عدا الانقياد للشهوات والسير وراء مطالب الجسد ... يصور كل ذلك فى تهكم لاذع وقسوة متناهية ... !

والدافع الأساسى الخفى الذى دفعه إلى ذلك — كما أعتقد — هو طفولته الأولى ، فعندما فتح عينيه فى الحياة ووجد أنه ابن غير شرعى لأبيه ... وحينما فهم ما يدور حوله من حقائق ، وأدرك قيود الكنيسة والمجتمع ، وإنه غير مسؤول عن خطأ أبيه ، جرد القلم لينتقم لأمه جان ، فجعل نساء عصره ساقطات ، وتلفت إلى رجال الدين فتأثر منهم بما يضطرم فى قلبه من ألم وحقد وحرمان .

وعلى هذا الأساس ، لا يجمل بنا أن نحكم على نساء عصره بالحكم الجائر الذى أصدره عليهن فى قصصه ، ولا يصح كذلك أن نتصور رجال الدين من الرهبان والقساوسة غارقين فى الفجور كما أرادهم أن يكونوا ، ومع ذلك فلا يعنى أننا ننفى نفياً باتاً عن المجتمع فى عصره بعض الصور المخجلة التى صور فيها الرهبان والنساء ... لقد كان فناناً لا يشق له غبار فى « الكوميديا » ، وتربة صالحة من هذا النوع تنموفيها بذور التهكم والمجون والعبث .

ويجدر بنا أن نشك كثيراً فى صحة هذه القصص . إن الرذائل تثير عادة ضجة أكثر من الفضائل ، ورجال الدين فى القرن الرابع عشر فى إيطاليا كانوا يعدون أنحاء الكرة الأرضية بالمبشرين الذين تلهبهم الحماسة والعقيدة لنشر دينهم بين الشعوب ، وإيطاليا نفسها كانت المكان الوحيد الذى اشتهر بالقديسين ، فلا يعقل — والحالة هذه — أن يسوء سلوك رجال الدين إلى هذا الحد دون أن يكون له رد فعل سيئ على الكنيسة فى إيطاليا وخارجها . ولكن هذا لا يمنع من وجود طبقة غير نقية السمعة اختلطت برجال الدين فشوهت سمعتها لأنه لم يسبق لأحد أن يشك فى أخلاق الناس فى القرن الثالث عشر بسبب جحيم دانتى، وتمشياً مع ذلك ، لا يجوز أن نحكم على أخلاق الناس فى القرن الرابع عشر بسبب قصص ديكامرون .

إن هذا الكتاب والكوميديا الإلهية يعبران تعبيراً صادقاً بحكم ما فيهما من قوة وحيوية ونشاط عن العصر الذى ولدا فيه ، وعلى ما كان عليه ذلك العصر من حركة ووعى .

إن انتشار دى كامرون وحماس الناس له ، لم يحولا دون النقد الشديد الذى وجه إليه فى ذلك الزمان ، ونجد دليلا على ذلك فى مقدمة اليوم الرابع وفى نهاية الكتاب . لقد قاومته الكنيسة مقاومة عنيفة ، لكن سلطانه غلب سلطانها ، فكان ينتشر فى أوربا وانجلترا ، كما تنتشر النار فى الهشيم . ويعتبر فى نظر النقد أعظم أثر نثرى كتب فى اللسان التسكانى ، وأسلوبه غاية فى الجمال وغاية فى التعقيد ... ولكن من يستطيع أن يهاجمه ؟ لقد مكن لنفسه فى عصور التاريخ فى نفوس البشر ، لأنه صرخة مدوية من أعماق الإنسانية على ممر العصور !

إن مخطوطات الكتاب الأصلية قد نفدت ، وإن أقدم مخطوطاته تلك التى كتبها فرنسسكو مانيلى فى سنة ١٣٦٨ . والنسخة الخطية المحفوظة فى برلين باسم هملتن هى المعتمد عليها .

لقد أعيد طبع هذا الكتاب عشر مرات فى القرن الخامس عشر وسبعة وسبعين طبعة فى القرن السادس عشر ، ولم ينشأ أديب فى إيطاليا إلا وتتلمذ على هذا الكتاب فى عصور أدب هذه اللغة ...

أما نصيبه من الذيوع خارج إيطاليا فكان عظيما جداً ، فقد تتلمذ عليه موليير ولافونتين وهانس ساكس ولوب دى فيجا . أما فى انجلترا ، فقد نقل عنه كثير من الأدباء والشعراء ، وكان الوحى الذى استوحوا منه أدبهم الخالد ، منهم تشوسر وسدنى وشكسبير ودريدن و كيتس وتنسون ، الأمر الذى يظهر مقدار ما تدين به انجلترا لبوكاشيو !

إن أدب اللغة الإنكليزية لا يعرف كتاباً نثرياً أصيلا ، ويرجع ذلك إلى أن التوراة قد أصبحت جزءاً من الأدب المنثور فى هذه اللغة ، ولكن « إشام » يقول : « إن كثيراً من قصص ديكامرون كانت تنتشر بين الناس أكثر من قصص التوراة نفسها » .

لقد ظهرت كثير من قصص ديكامرون مترجمة إلى الإنجليزية فى القرن السادس عشر . وفى عام ١٦٢٠ ظهرت الترجمة الكاملة لهذا الكتاب منقولة عن اللغة الفرنسية ترجمة أنطيون لاما كون ، لكنها لم تكن دقيقة كما يجب ، وقد قام الناشر إسحاق جكارد بطبع هذه الترجمة فى مجلدين ، ولم تكن تحمل اسم المترجم ، وأعيد طبع هذه الترجمة خمس مرات فى القرن السابع عشر .

ولم تظهر الترجمة الدقيقة الوافية لهذا الكتاب إلا عام ١٨٨٦ ، فقد نقلها المستر جون بن لجمية فلون .

أما الترجمة التى تتداولها الأيدى وانتشرت فى الأسواق ، فقد قام بها المستر « ج . م . ر ج » ، وهى دقيقة ، ولعلها أقرب الترجمات إلى روح هذا الكتاب القيم .

(بغداد) ماهرة النقشبندى

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو دلامة

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

– ٦ –

وأبو دلامة – مرحه وهزله – كان يلتزم مع المهدي الجد ، فيسري عنه بغير الدعابة إذا وجد الموقف يستدعي الوقار : وما ذاك من هذا الظريف إلا دليل جديد على حسن تفهمه لنفسية الخليفة ومهارته في استخدام الأساليب المرضية له حسب الظروف والمناسبات :

كان عند المهدي رجل من بني مروان ، فدخل إليه وسلم عليه . فأتى المهدي بعلج[1] فأمر المرواني بضرب عنقه ، فأخذ السيف وقام فضربه فنبا السيف عنه ، فرمى به المرواني وقال : لو كان من سيوفنا ما نبا . فسمع المهدي الكلام فغاظه حتى تغير لونه وبان فيه . فقام يقطين[2] فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذه سيوف الطاعة لا تعمل إلا في أيدي الأولياء ، ولا تعمل في أيدي أهل المعصية . ثم قام أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، قد حضرني بيتان أفأقولهما ؟ قال : قل . فأنشده .

أيهذا الإمام سيفك ماض ... وبكف الولي غير كهام[3]

فإذا ما نبا بكف علمنا ... أنها كف مبغض للإمام

فسري عن المهدي وقام من مجلسه ، وأمر حجابه بقتل المرواني فقتل .

وهذه المواقف التي كان يقفها أبو دلامة جاداً على هزله ، وقوراً على مرحه ، حببت تصرفاته إلى المهدي فرضي عنه وده مثل أبيه أو أكثر : فإذا كان المنصور قد أعفاه من صلاة الجماعة بالقصر ومن لبس السواد والقلانس دون الناس وأخرجه من حبس الدجاج رغم سكره – فإن الخليفة المهدي عجل جائزة كان قد أمر له بها حين كتب إليه رقعته يشكو فيها أذى الحر والصوم ، وهي :

أدعوك بالرحم التي هي جمعت ... في القرب بين قريبنا والأبعد

ألا اسمعت ، وأنت أكرم من مشى ... من منشد يرجو جزاء المنشد

جاء الصيام فصمته متعبداً ... أرجو رجاء الصائم المتعبد

ولقيت من أمر الصيام وحره ... أمرين قيسا بالعذاب المؤصد[1]

وسجدت حتى جبهتي مشجوجة ... مما يناطحني الحصا في المسجد

فامنن بتسريحي بعطلك بالذي ... أسلفتنيه من البلاء المرصد

فلما قرأ المهدي رقعته غضب وقال : يا عاض كذا من أمه أي قرابة بيني وبينك ؟ قال : رحم آدم وحواء ، أنسيتهما يا أمير المؤمنين ؟ فضحك وقال : لا والله ما نسيتهما . وأمر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه[2] .

فنفهم من القصة أنه لولا شديد عطف المهدي على أبي دلامة لما أحسن جزاءه رغم شكواه من الصوم ، ونفهم منها أن أبا دلامة كان رقيق الدين ، فهو يلقى من أمر الصيام وحره أمرين لا يعيشهما إلا بالعذاب المطبق ، وهو يتضجر من كثرة ما سجد حتى ليدعي أن جبهته قد شجت مما يؤثر فيها من الحصى المنتثر في أرض المسجد : وما كان ليعترف بهذا مظهراً ضجره وملاله لولا رقة دينه ، وضعف يقينه .

وكيف لا يكون رقيق الدين ضعيف اليقين وهو مدمن على شرب الخمر لا يكاد يصل إلى شيء من المال حتى يسكر به . وكثيراً ما كان يعطى المال ليقوم بفريضة دينية يستغفر بها من ماضيه ، ويصلح بها حاضره ، فلا ينثره إلا في المعصية التي أحاطت به ورانت على قلبه واستحوذت على فؤاده !

عزم موسى بن داود بن علي الهاشمي[3] على الحج . فقال لأبي

---

(١) العلج : الرجل من كفار العجم .

(٢) هو يقطين بن موسى البغدادي .

(٣) الكهام من السيوف الكليل الذي لا يقطع

---

(١) المؤصد : المطبق .

(٢) الأغاني ج ١٠ ص ٢٥٤ .

(٣) هو ابن عم السفاح ، كان أبوه داود أمير مكة والمدينة ، واستخلف حين احتضر على عمله ولده موسى . فاستعمله السفاح خاله زياداً على مكة ، وموسى بن داود هذا على امرة المدينة .

دلامة : أحجج مني ولك عشرة آلاف درهم . فقال هاتها ؛ فدفعت إليه ، فأخذها وهرب إلى السواد فجعل ينفقها هناك ويشرب بها الخمر . فطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشى فوت الحج فخرج . فلما شارف القادسية إذا هو بأبي دلامة خارجاً من قرية إلى أخرى وهو سكران ، فأمر بأخذه وتقييده وطرحه فى محمل بين يديه ففعل ذلك به . فلما سار غير بعيد أقبل على موسى وناداه :

يا أيها الناس قولوا أجمعون معاً   صلى الإله على موسى بن داود
كأن ديباجتى خديه من ذهب   إذا لاك فى أثوابه السود
إنى أعوذ بداود وأعظمه   من أن أكلف حجاً يا ابن داود
خبرت أن طريق الحج معطشة   من الشراب وما شربى بتصريد[1]
والله مالى من أجر فتطلبه   ولا الثناء على دينى بمحمود

فقال موسى : ألقوه لعنه الله عن المحمل ودعوه ينصرف ، فألقى وعاد إلى قصفه بالسواد ، حتى نفدت العشرة آلاف درهم[2] .

ولا ريب أن أبا دلامة لم يكذب فى وصف نفسه ، فما فيه أجر فيطلبه أحد ، وليس الثناء على دينه بمحمود ، فعلام يكلف بالحج وسواه من الفروض ؟

لذلك قال صاحب الأغانى فى وصفه : « كان فاسد الدين ، ردئ المذهب ، مرتكباً المحارم ، مضيعاً للفروض ، مجاهراً بذلك . وكان يعلم هذا منه ويعرف به ، فيتجافى عنه للطف محله »[3]

وهو — لفساد دينه — لم يكن يكتفى بشرب الخمر والعربدة ، وإنما كان يقضى أكثر أوقاته فى أسواق النخاسين الذين يبيعون الرقيق ، ليستمتع برؤية الجوارى الحسان . وكان كثير الزيارة للجنيد النخاس ، إذ كان يتعشق جارية له ويبغضه ، فجاءه يوماً فقال : أخرج لى فلانة . فقال : إلى متى تخرج إليك ولست بمشتر؟! قال : فإن لم أكن مشترياً فإنى أخ يمدح ويطرى . قال : ما أنا بمخرجها إليك أو تقول فيها شعراً . قال : فاحلف بعتقها أن ترويها إياه وتأمرها بإنشاده من أتاك يعترضها ولا تحجبها . فحلف لا يحجبها .

فقال أبو دلامة :

إنى لأحسب أن سأمسى ميتاً   أو سوف أصبح ثم لا أمسى
من حب جارية الجنيد وبغضه   وكلاهما قاض على نفسى
فكلامها يشفى به سقمى   فإذا تكلم عاد لى نكسى[1]

فما قولك بهذا الشيخ الذى لم يمنعه العجز والكبر من خروج الجوارى الحسان إليه ليملأ عينيه من جمالهن الجذاب ، وسحرهن الخلاب ؟

وإنك لترى صورة من أخلاق أبى دلامة فى مسلكه مع الناس ومعاملته لهم — ولا سيما العادبين منهم — فهو يقسم كاذباً ، وهو يلفق الأحلام ، وهو لا يبالى بأية وسيلة يصل إلى مبتغاه : مر أبو دلامة بتمار (بالكوفة) فقال له :

رأيتك أطعمتنى فى المنام   قواصر[2] من تمرك البارحة
فأم العيال وصبيانها   إلى الباب أعينهم طامحة !

فأعطاه جلتى[3] تمر وقال له : إن رأيت هذه الرؤيا ثانية لم يصح تفسيرها . فأخذهما وانصرف[4] .

وللتمار الحق فى ألا يصدق منامه مرة ثانية ، فإنه مستعد للتحلم وتلفيق الرؤى فى كل يوم ما دام يأخذ جلات التمر وقواصره ، ومستعد للكذب أمام كل مخلوق ما دام ينتظر من ورائه منفعة ، لأنه كان نفعياً بكل ما فى الكلمة من معنى ، ولم يكن يخجل من التماس المنفعة والعمد إليها حتى مع الذين لا ينتظرون أن يخدعهم ولو خدع الناس جميعاً .

دخل أبو دلامة على إسحاق الأزرق يعوده ، وكان إسحاق قد مرض مرضاً شديداً ، ثم تماثل منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفاً ، وعند إسحاق طبيب يصف له أدوية تقوى بدنه . فقال أبو دلامة للطبيب : يا ابن الكافرة ! أتصف الأدوية لرجل أضعفه المرض ! ما أردت والله إلا قتله . ثم التفت إلى إسحاق فقال :

---

(١) صرد شربه : قطعه .

(٢) الأغانى ج ١٠ ص ٢٤٦ وقوله (العشرة آلاف درهم) لغة ضعيفة ، وإنما أثبتناها نقلا عن الأصل ، وأفصح اللغات : عشرة الآلاف درهم

(٣) الأغانى ج ١٠ ص ٢٣٥

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٦٩

(٢) القواصر : واحدها قوصرة ، وهى وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوادى

(٣) الجله (بالضم) قفة كبيرة للتمر

(٤) الأغانى ج ١٠ ص ٢٥٢

إسمع أيها الأمـــير منى . قال : هات ما عندك يا أبا دلامة . فأنشأ يقول :

نح عنك الطبيب واسمع لنعتى   إننى ناصح من النصاح
ذو تجاريب قد تقلبت فى الصـــنعة دهراً وفى السقام المتاح
غاد هذا الكباب كل صباح   من متون الفتية السحاح[1]
فإذا ما عطشت فاشرب ثلاثاً   من عتيق فى الشم كالتفاح
ثم عند المساء فاعكف على ذا   وعلى ذا بأعظم الأقداح
فتقوى ذا الضعف منك وتلقى   عن ليال أصح هذى الصحاح
ذا شفاء ودع مقالة هذا   ... ...

ونسكت عن الشطر الثانى من البيت الأخير لأن فيه ألفاظاً ينبو عنها الذوق ، وننزه عنها القلم . لكنها — على كل حال — أضحكت إسحاق وعواده فأمر لأبى دلامة بخمسمائة درهم . وكان الطبيب نصرانياً فقال : أعوذ بالله من شرك يا ركل (يريد يا رجل) ثم قال الطبيب لإسحاق : إقبل منى أصلحك الله ولا تسألنى عن شىء قدامه . فقال أبو دلامة : أما وقد أخذت أجرة صفقتى وقضيت الحق فى نصح صديق ، فأنعت له الآن أنت ما أحببت[2]

فهل من النصيحة أن يدعو المريض إلى مجانبة الطبيب وأكل الكباب والعكوف على شرب الخمر وهو مازال ضعيفاً يطلب أن يتقوى ، أم رغبة أبى دلامة فى إضحاك إسحاق وعواده هى التى حملته على هذا النعت العجيب ، ليصل إلى شىء من النفع القريب ؟

ولكن لا تنس أن الناصح ظريف ، وبمثل هذا ينصح الظرفاء !

(النهاية فى العدد القادم)   صبحى إبراهيم الصالح

(١) السحاح : السمان ، وأحدها ساح وساحة بالحاء المشددة
(٢) الأغانى جـ ١٠ ص ٧٢٠

لن يقعد الأحرار عن ثأرهم

للآنسة فدوي عبد الفتاح طوقان

يا وطنى ، مالك يُخـنى على   روحك معنى الموت ، معنى العدم
أمضّك الجرح الذى خانه   أساته فى المـأزق المحتدم ! ؟
جرحك ، ما أعمق أغواره   كم يتنزّى تحت ناب الألم
أين الألى استصرختهم ضارعاً   تحسـبهم ذَراك والمعتصم
ما بالهم قد حال من دونهم   ودون مأساتك حسٌ أصم
قلبت فيهم طرفَ مستنجد   فعزك المنـــدفع المقتحم
واخجلتا ، حتام أهواؤهم   تفرقهم فى لجهـا الملتطم !
همُ الأنانيون ... قد أغلقوا   قلوبهم دون البلاء الملم
لا روح يستنهض من عزمهم   لا نخـــوة تحفزهم ، لا همم
أحنوا رقاب الذل ، يا ضعفهم   واستسلموا للقادر المحتكم

يا هذه الأقدار لا ترحمى   فرائسَ الضعف ، بقايا الرمم
بالمعول المحمـوم أهوى على   تلك الجذوع الناخرات الحطم
كونى أتيّـاً عارماً واجرفى   كلّ ضعيف الروح واهى القدم
كونى كما شئت ، لظى يغتلى   أو عاصفاً يقذف حمر الحمم
واكتسحى أنقاض هذا الحمى   من كل ركن خائر ، منهدم
اكتسحيها وانفضى أمتى   مما علاها من رماد القدم
ستنجلى الغمرة يا موطنى   ويمسح الفجر غواشى الظلم
والأمل الظامئ مهما ذوى   لسوف يروى بلهيب ودم

فالجوهر الكامن فى أمتى   ما يأتلى يحمل معنى الضرم
هو الشباب الحر ذخر الحمى   اليقظ المسـتوفز المنتقم
غلوا جناحيه وقالوا انطلق   وشارف الأفق وجز بالقمم
واستنهضوه لاقتحام اللظى ..   والقيد ، يا للقيد ! يدمى القدم
لكن للثأر غداً هبّةً   جارفة الهول ، عصوفاً عمم
فالضربة الصمّاء قد ألهبت   فى كل حر جذوة تضطرم
لن يقعد الأحرار عن ثأرهم   وفى دم الأحرار تغلى النقم !

(نابلس)   فدوى عبد الفتاح طوقان



الوقـــت

للأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

يقابلك زيد من الناس في الطريق ، ويسألك عن الوقت . فتنظر إلى ساعتك لتجيب قائلاً : « إنها الثالثة بعد الظهر » . ولكنه يهز رأسه ويقول إنما يقصد بسؤاله تعريف الوقت . فتتولاك الحيرة ولا تجيب . ثم تسير وأنت تتساءل : ما هو الوقت ؟ وتذهب وتبحث في الكتب والمعاجم فتخبرك بأن الوقت : هو الذي تتميز به الحوادث بالدلالة إلى « ما قبل » أو « ما بعد » أو « البداية » أو « النهاية » فلا يساعدك هذا التعريف في شيء . وتذهب إلى صديقك العالم لتسأله عن معنى الوقت ، فيفكر ملياً قبل أن يقول لك « إنه الفترة التي بين حادث وآخر » فتزداد حيرتك . فيتبسم صديقك ويخبرك أنه لا يوجد حتى الآن تعريف صريح للوقت . ولكن أقرب تعريف إليه هو الذي أخبرك به .

والوقت في الواقع أحد الأشياء التي لا نستطيع تعريفها تعريفاً صريحاً كالحياة والموت والكهرباء وما إلى ذلك من تلك التي لا ندركها إلا عن طريق تأثيرها علينا .

وقد يقول قائل إنما الوقت هو حركة عقربي الساعة . ولكنه قول غير صحيح . فإن هذه الحركة هي أسهل طريق لمعرفة مسار الوقت ؛ فالساعة لا تساعدنا على الدلالة على مقدار الوقت الذي مرّ منذ أن وقع حادث من أمد طويل . إنها لا تصنع الوقت ، بل كل ما تعمله أن تسجل لنا الوقت في الحاضر .

والشمس أكبر حارس للوقت في العالم ، ولو أنها لا تخلو من أخطاء طفيفة . فطول النهار في منطقة خط الاستواء يعادل طول الليل خلال سنة ، أما في القطبين فهناك ستة أشهر من النهار تعقبها ستة أشهر من الليل ، بينما تختلف أوقات شروق الشمس وغروبها في المناطق الوسطى باختلاف الفصول .

والأرض تدور حول محورها في ٢٤ ساعة . والفترة التي تمر بانتهاء دورة كاملة تسمى باليوم . ثم إن الأرض ترحل حول الشمس فيما يقرب من ٣٦٥ يوماً ، وهذا ما نسميه بالعام . هـــذا هو التقسيم الطبيعي للوقت . بيد أننا — للسهولة — نقسم كلا من اليوم والسنة إلى فترات صغيرة . فاليوم يقسم إلى ساعات ودقائق وثوان ، والسنة إلى شهور وأسابيع

والناس يقيسون الوقت عن طريق الشمس . فعند ما نقول إنها الساعة السادسة مساء نعني أنه مرت ست ساعات منذ أن وصلت الشمس إلى أعلى نقطة في السماء ، وتسمى نقطة السمت ، أو الظهر . واليوم هو الفترة التي انقضت منذ ظهور الشمس في السمت وظهورها مرة أخرى .

وهناك دورتان للأرض : دورة بالنسبة إلى نجم معلوم ، وتستغرق مدتها ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة ؛ ودورة بالنسبة إلى الشمس وطولها حوالي ٢٤ ساعة . والدورة الأولى تسمى اليوم النجمي ، والدورة الثانية تسمى اليوم الشمسي . واليوم النجمي لا يهم سوى الفلكيين . أما اليوم الشمسي فنظراً لأنه يمثل حالة الأرض بالنسبة إلى الشمس فأنه أهم عندنا من اليوم النجمي . على أنه لا ينطبق تماماً على دورة الكرة الأرضية حول محورها .

وبينما تدور الأرض حول محورها ،تدور في الوقت نفسه من حول الشمس . والوقت الذي يمر لدورة كاملة يسمي بالسنة الشمسية ، وهو الذي نشير إليه عندما نتحدث عن « سنة » . وهذا هو العام الذي نحاول أن ندونه في نتائجنا الزمنية . وطوله على وجه الدقة ٢٤٢٢ و ٣٦٥ يوماً ، أو ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٢٨ دقيقة و ٥١ و ٤٥ ثانية .

وكان الناس من قديم الأزل يستعملون القمر في قياس الوقت . والشعوب الاسلامية تدون نتائجها الزمنية بالشهور القمرية والسنة القمرية تتكون من ١٢ شهراً قمرياً ، يحتوي كل شهر منها على ٣٠ أو ٢٩ يوماً على التتابع .

وكانت سنة قدماء المصريين تتكون من ١٢ ، كل شهر منها يحتوي على ٣٠ يوماً . وكان يضاف إلى كل سنة خمسة أيام ، فينقدون بهذه الطريقة يوماً كاملاً كل أربع سنوات مما يسبب

اختلافاً فى مواعيد الفصول بمرور الوقت .

وقد حاول الناس منذ آلاف السنين ضبط نتائجهم الزمنية حتى تنتظم مواعيد الفصول سنة بعد أخرى .

كان الرومان يقسمون السنة إلى عشرة أشهر . وكانت الشهور السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة تسمى على التعاقب سبتمبر وأكتوبر ونوفبر وديسمبر ، ومنها اشتققنا حالياً أسماء الشهور الأربعة الأخيرة ولو أنها تعد فى نتائجنا الزمنية الشهور التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة . ثم أضيف بعد ذلك شهران : يناير وفبراير .

ولما كان متوسط الشهر القمرى ½ ٢٩ يوماً ، فقد أدى ذلك إلى أن تكون السنة ١٢ شهراً قريباً أى ٣٥٤ يوماً .

وتشاءم الناس من كون هذا العدد زوجياً ، فأضافوا إليه يوماً منعا للتشاؤم وأصبحت السنة ٣٥٥ يوماً . ومع ذلك كانت تنقص السنة عشرة أيام مما أدى إلى اختلاف فى مواعيد الفصول، ولذلك أضاف الرومان شهرا إضافياً سموه مرسيدرنياس . ولكنهم لم يقرروا عدد أيامه ، بل تركوا ذلك للكهنة فاستعملوه للاستفادة بتحديد أيامه حسب أغراضهم ، حتى يستطيع أصدقاؤهم المطالبة بديونهم فى وقت أقل من ميعاد استحقاق دفع الديون ، أو مد أجل الدين فى حالة استدانتهم .

وفى عام ٤٦ قبل الميلاد استنبط يوليوس قيصر نتيجة زمنية سميت النتيجة الجوليانية . وجعل الشهور الفردية ٣١ يوماً ، والشهور الزوجية ٣٠ يوماً ، ماعدا شهر فبراير فقد جعله ٢٩ يوماً فإذا مرت أربع سنوات صار ٣٠ يوماً .

وهكذا جعل عدد أيام السنة ¼ ٣٦٥ يوماً ، أى أطول من السنة الحقيقية بمقدار ما يقرب من ٢٣ دقيقة .

ثم جاء أغسطس فأخذ يوماً من فبراير وأضافه إلى شهر أغسطس بعد أن سمى باسمه (وكان يدعى قبل ذلك سكستليس — أى الشهر السادس ، كما أن الشهر الخامس « كوينتيلس » سمى باسم يوليو بالنسبة إلى يوليوس قيصر عم أغسطس) . ولكى يتجنب أن تكون الثلاثة أشهر يوليو وأغسطس وسبتمبر ذات أيام عددها ٣١ يوماً — منعاً للتشاؤم — أخذ يوماً من شهر سبتمبر وأضافه إلى أكتوبر ، ويوماً من شهر نوفبر وأضافه إلى ديسمبر . وهذه هى النتيجة المتبعة حالياً ، إلا أنه فى السنوات البسيطة أى التى لايقبل عددها القسمة على ٤ يكون شهر فبراير ٢٨ يوماً ، وفى السنوات الكبيسة أى التى يقبل عددها القسمة على ٤ يكون شهر فبراير ٢٩ يوماً .

وانتشرت هذه النتيجة فى أنحاء أوروبا . ومع ذلك كان الخطأ البسيط بينها وبين السنة الحقيقية وهو لايتمدى ٠٠٧٨ و . من اليوم ، يتراكم بمرور الزمن ويصير عدداً من الأيام .

وفى عام ١٥٨٢ استنبط البابابوس الثالث عشر «جريجورى» نتيجة زمنية سميت النتيجة الجريجورية . فصحح خطأ الأيام العشر بأن دعا اليوم الذى يلى اليوم الرابع من أكتوبر ، اليوم الخامس عشر من نفس الشهر . وجعل سنى القرون التى تقبل القسمة على ٤٠٠ سنين كبيسة . فالسنوات ١٦٠٠ و ٢٠٠٠ و ٢٤٠٠ تعد سنوات كبيسة ، أما السنوات ١٧٠٠ و ١٨٠٠ و ١٩٠٠ و ٢١٠٠ تعد سنوات بسيطة . وبذلك جعل السنة صحيحة تقريباً . وفى الواقع ، تعد النتيجة الجريجورية من الدقة حتى أنه يجب أن تمر ٤٠٠٠ سنة قبل أن يتراكم الخطأ ويصير يوماً واحداً .

وطريقة يوليوس قيصر تدعى الطريقة القديمة ، أما الطريقة الجريجورية فتدعى الطريقه الحديثة ، وأحياناً ما يؤرخ المؤرخون حادثاً ما بالطريقتين معاً .

***

ويعد العلماء الصفر القياسى للوقت ، اللحظة التى تعبر فيها السمت فى مكان ما . وقد اختارت انجلترا بلدة جرينتش مكاناً لقياس الصفر الزمنى . واعترفت به جميع البلاد الأخرى ؛ ثم استنبط الفليكون صفر القياس الزمنى ، أى بدء اليوم ، من منتصف الليل ، ومع ذلك لم تعمل به انجلترا بل ظلت تقيس الصفر الزمنى من الظهر .

وتسبق أوقات أوروبا الوسطى وقت جرينتش بساعة واحدة . ثم يزيد الفرق عن ذلك كلما بعدت البلدان عن جرينتش .

محمد فهمى عبد الوهاب

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

كلمات عن الإذاعة موجهة إلى الوزير المسئول :

نقلت الصحف أن معالى الدكتور محمد هاشم وزير الدولة سيخص محطة الإذاعة المصرية بجزء من وقته وجهده ، عسى أن تفلح العناية والرعاية فى تخفيف شىء من سخط الجمهور المستمع فى كل مكان ... هذا الخبر إذا تخطى مرحلة التصديق إلى التحقيق كان حرياً أن يبعث فى النفوس اليائسة من إصلاح الأمور فى الإذاعة ، أملا كبيراً مبعثه الإيمان الصادق بأن الشباب فى أكثر خطواته ... عمل وأمل !

أعرف وزير الدولة الشاب منذ تسع سنوات على التحديد ؛ أعرفه معرفة هيأتها قاعة المحاضرات فى كلية الآداب ، يوم أن كنا نجلس متجاورين لنستمع إلى محاضرات الدكتور طه حسين بك عن الأدب المصرى الحديث ... ولو علم القراء مبلغ عشق الوزير الشاب للأدب ومدى تعلقه به لبدا لهم الأمر عادياً لا غرابة فيه ، فما لو قدر لهم أن يروا الدكتور هاشم المدرس بكلية الحقوق فى ذلك الحين وهو يترك محاضراته ليأخذ مجلسه بين الطلبة فى كلية الآداب ! كنت أدخل إلى قاعة المحاضرات فأرى الدكتور هاشم وقد سبق الطلاب إلى التبكير بالحضور ، حتى لقد كان فى الكثير الغالب من الأحيان أول « طالب » يلقى على القاعة تحية الصباح . وآخذ مكانى إلى جانبه دون أن أعرف شيئاً عن هذا الذى أجاوره ؛ فكثيراً ما كان يقع فى الظن أنه زائر غريب أقبل من خارج الجامعة ليستمع إلى الدكتور طه حسين ، شأن أولئك الزائرين الغرباء الذين كانوا يسعون إلى محاضراته ليروه رأى العين والفكر فى وقت معاً !

ولكن هذا الزائر الغريب كان يثير اهتمامى بشخصيته ، تلك الشخصية التى كنت ألمح فى سماتها مظهر العلماء ... جلسة هادئة متزنة فيها الكثير من الوقار ، ونظرة نفاذة ساهمة تزن حقيقة المحاضر على ضوء كلماته ، وأذن مصيخة واعية تحتشد للحديث لتلتقط كل مايقال ، ووجه مشرق القسمات يعبر عن امتلاء النفس والعقل والشعور ... هذا كله دفعنى يوماً إلى أن أسأله عن اسمه شغفاً بمعرفته ، ولشد ما راعنى أن أعرف أنه الدكتور محمد هاشم المدرس بكلية الحقوق . ومنذ ذلك اليوم وأنا أحمل له فى نفسى كثيراً من معانى الإكبار والإعجاب !

واليوم ، وبعد تسع سنوات من اللقاء الأول فى قاعة المحاضرات بكلية الآداب يصبح الدكتور هاشم وزيراً للدولة .. أنا سعيد بأن يكون فى كرسى الوزارة هذا الشاب العالم الأديب فليس من شك فى أن كل عمل ينتسب إليه إنما ينتسب إلى همة الشباب ، ويصطبغ بصبغة الخلق ، ويطبع بطابع الآفاق الرحيبة التى تحلق فيها أجنحة ممتازة من الثقافة والعلم والأدب ... ولهذا أود أن أخاطب فيه كل تلك الصفات مجتمعة ، حين أسوق إليه بعض الحقائق عن الإذاعة المصرية وهو على أهبة النهوض بها من وضع إلى وضع كما يقال .

يعلم وزير الدولة أن الإذاعة فى كل أمة من الأمم ما هى إلا وسيلة من وسائل الترفيه والتثقيف والإصلاح ... الترفيه عن طريق تغذية النفوس بالتسلية الرفيعة التى تهدف إلى مثل عليا وغايات ، والتثقيف عن طريق إمداد العقول بكل مفيد فى ميدان الآداب والعلوم والفنون ، والإصلاح عن طريق تنوير الأذهان بعرض كل مشكلة فى نطاق صلة الفرد بالمجتمع الذى يعيش فيه ولن يتحقق هذا كله إلا إذا تحقق التوفيق فى الاختيار ... اختيار المشرفين على أقسام الإذاعة ، واختيار المشتركين فى برامج الإذاعة ثم أولئك الذين يوجهون دفة الأمور فى كل شأن من الشئون .

المراقب العام للإذاعة يجب أن يكون من صفوة المثقفين ، وكذلك المشرفون على الأقسام والمشتركون فى البرامج ؛ ولست أطالب هنا بأن يكون هؤلاء السادة من حملة الإجازات العلمية كالدكتوراه والماجستير ، كلا فليست العبرة بما يحمل الإنسان فى يده من شهادات ولكن بما يحمل فى رأسه من ثقافات . هؤلاء جميعاً هم المسئولون عن سخط الجمهور وتذمره وضيقه بما يسمع فى الصباح والمساء : محاضرات دينية يقف الجهد فيها عند سطحية السرد وسذاجة العرض ، فهى أشبه بتلك القصص التى تلقى على

الأطفال ، ومحاضرات أدبية تخلو من عمق الفكرة وإشراق اللمحة فهى ترديد وتقليد ، ومحاضرات سياسية وعلمية واجتماعية تنقل نقلا عن الصحف ، فإذا قرأت هذه أمكنك أن تستغنى عن سماع تلك ! وتمثيليات تافهة مسفة قصد بها إلى ملء الفراغ الذى تحسه البرامج لا الفراغ الذى تحسه الأذهان ، وغناء مريض يدغدغ الغرائز ويرضى هواة الانحلال ممن يعانون مركب النقص فى صفات الخلق والرجولة ، ومقرئون يسيئون إلى روعة الترتيل بأصواتهم المنفرة التى يقع عليها اختيار الآذان الصم والأذواق الفاسدة !

وأعجب العجب أن الأسماء التى تطالعك اليوم من وراء المذياع هى الأسماء التى طالعتك بالأمس القريب والأمس البعيد ، وستطالعك فى الغد القريب والغد البعيد ، أتدرى لماذا ؟ لأنها أسماء فرضت فرضاً وكأنها ضريبة يدفعها الجمهور المستمع من وقته الضائع وأعصابه المرهقة ! وإذا رجعت إلى بعض دعاة الإصلاح فى الإذاعة قالوا لك : لقد حاولنا فضاع الجهد وتبدد الأمل وذهب التوجيه مع الريح .. إذا رغبنا فى هذا « الفلان » رغب غيرنا فى ذاك ، وإذا رأينا الرأى هنا صدر الأمر بالغائه من هناك ! أسماء مفروضة ولو شكت رءوس أصحابها من أزمة الخواء ، وأسماء مرفوضة ولو ناءت رءوس أصحابها بنعمة الامتلاء ، وهذا هو مصدر الداء الذى يجب أن يعالج ليستقيم كل معوج من الأمور وكل منحرف من الأوضاع !

إذا أراد الدكتور هاشم أن ينهض بالإذاعة فليس أمامه إلا أن يعيد النظر فى تلك الفئة من المشرفين على الإذاعة ، فإذا خطر له أن يبقى كلا منهم فى مكانه فلا بأس من تكوين لجنة من العقول الممتازة فى ميدان الأدب والعلم والفن ، تكون مهمتها الإشراف على هؤلاء المشرفين حتى لا يخطوا خطوة يمليها الهوى والغرض أو يمليها الجهل الأصيل بقواعد الذوق السليم ... وعليه بعد ذلك أن يراجع تلك الجهات التى تصدر أمرها وتفرض رأيها على الإذاعة فى مسألة تلك الأسماء المعروفة التى ملتها النفوس ومجتها الأسماع ، فإذا حقق تلك الغاية فلا بأس مرة أخرى من تكوين بضع لجان تقوم بتنظيم البرامج فى كل قسم من الأقسام ، وانتهاج خطة دائمة يسير عليها العمل وتجنبه الركود والجمود ، ولها أن تختار من يصلحون للاذاعة من الأدباء والعلماء والفنانين على ضوء الكفاية الشخصية لا الكفاية الحزبية !

هذا هو الطريق ... ونحن فى انتظار الخطوة التالية لوزير الدولة ووزير الشباب ، وعهدنا بالشباب دائماً إذا اهتدى بنور العلم ونور الخلق أن يتخطى السدود ويحطم القيود ! !

جائزة أدبية والمقال مسروق من « وحى الرسالة » :

جريدة « بيروت المساء » اللبنانية جريدة عزيزة على نفسى حبيبة إلي قلبى ... عزيزة وحبيبة لأنها من لبنان ، ولأن محررها الفاضل الأستاذ عبد الله المشنوق صديق كريم ، وما أكثر أصدقاء القلب والروح فى لبنان الشقيق .

ولست أدرى ما هو رأى الصديق الكريم فى هذه القضية التى يشترك فيها بنصيب ... ولعله قد جهر بهذا الرأى على صفحات « بيروت المساء » ، ثم لم يقدر لى أن أطلع عليه ، لأن الجريدة العزيزة الحبيبة قد انقطعت عن الوصول إلىّ منذ أمد بعيد ، انقطعت على الرغم من وعود الأستاذ سهيل إدريس بأن « بيروت المساء » و « الصياد » فى طريقها إلىّ من أسبوع إلى أسبوع ... وها هو شهر قد مضى وأعقبته شهور ولم أر وجه الصحيفتين الحبيبتين ، ولا أدرى ... أأعتب على الصديق سهيل إدريس ، أم أعتب على الصديقين عبد الله المشنوق وسعيد فريحة ؟ !

مهما يكن من شىء ، فحسبنا أننا نستروح أنسام لبنان ونتسقط أخباره من مصادر أخرى تحمل إلينا مما نريد قليلا من كثير .. هذه جريدة « صدى الأحوال » اللبنانية تطالعنا فى عددها الصادر يوم السبت ٦ آب بمقال افتتاحى أشارت فيه إلى سرقة أدبية وقعت بين جدران كلية المقاصد الإسلامية ببيروت ، أما تلك السرقة ، فمن كتاب « وحى الرسالة » للأستاذ الكبير الزيات ، وأما الذى أقدم عليها فى رابعة النهار فهو طالب جرىء من طلاب كلية المقاصد لم يجد حرجاً فى السطو على أدب الأستاذ الزيات من جهة ، وعلى مال الأستاذ محى الدين النصولى من جهة أخرى !

هذه القصة الغريبة أشارت إليها « صدى الأحوال » بهذه الكلمات : « نشرت جريدة بيروت المساء بعددها الصادر فى ١٩٤٩/٥/٣٠ مقالا بعنوان (مقارنة خلقية بين بريطانيا وفرنسا) مهد له قلم التحرير بهذه المقدمة : منذ اثنين وعشرين عاماً والزميل الكبير الأستاذ محى الدين النصولى يقدم بانتظام جائزة مالية سنوية

توزع على الفائزين من طلاب كلية المقاصد الإسلامية فى مباراة خطابية إنشائية . وقد امتازت مباراة هذا العام بالمستوى الرفيع الذى بلغه المتبارون فى ناحيتى الكتابة والخطابة ، وكان المحكمون الأساتذة : حسن فروخ ، وموسى سليمان ، والدكتور جميل عانوتى موفقين فى أحكامهم . ويبدو فى الصورة المحكمون الثلاثة وخلفهم الطلاب الفائزون الثلاثة ، ونحن إذ نشكر الأستاذ النصولى على هذه الأريحية المتيقة (عمرها ٢٢ سنة) يسرنا أن ننشر فيما يلى الخطاب الذى كتبه وألقاه الشاب الأديب السيد ظافر تميم الفائز بالجائزة الثانية وعنوانه (مقارنة خلقية بين بريطانيا وفرنسا) ... »

بعد هذا يعقب الأستاذ يوسف أبو عبد الله محرر « صدى الأحوال » قائلا : « إن المقال الذى فاز بتلك الجائزة منقول نقلا أميناً عن مقال لأحد مشاهير الكتاب وهو الأستاذ الزيات تحت عنوان (انجلترا هى المثل) فى الجزء الثانى من (وحى الرسالة) ، منقول بنصه وفصه ، فلا تحريف ولا تأويل ولا استيحاء ولا اقتباس ! ... ولقد عدت إلى نفسى متسائلا : كيف جازت هذه السرقة على لجنة من المحكمين الجهابذة ! وكيف لم يفطن لها الأستاذ الكبير عبد الله المشنوق ، بل كيف لم يتمكن أحد من كبار الأدباء ممن يساهمون فى تحرير الزميلة (بيروت المساء) من معرفة ذلك ؟ ! ... لقد ذهب قسم من الجائزة إلى من لا يستحقها ، إلى مختلس جازت حيلته على المحكمين ! إننى أقترح على الأستاذ النصولى أن يبدى رأيه فى الموضوع وفيما عساه أن يفعل بالجائزة التى تمكن منها من هو غير أهل لها ، وفيما إذا كان مستعداً للتعويض على من يجىء بعده من المتبارين ، ومكافأة الفتى زهير لاوند مكتشف السرقة الأدبية ... أما كلمتى للجنة (الموفقة) ، فهى أنها دون شك لم تكن مطلعة على الاختلاس ، ولم يخامرها ريب فى أن الموضوع هو من وضع الطالب ، وسوى ذلك لما جازفت بنشره فى الجريدة كأداة جرمية تدين المجرم والمتواطئين معه ، فهى غير ملومة من هذا القبيل ، ولها من حسن نيتها خير شفيع ، إنما يمكن نعتها بالقصور وعدم الاطلاع الكافى لتكون أهلا لضبط مثل هذه المهمات البسيطة » !

هذه هى الكلمات التى عقب بها المحرر الفاضل على السرقة الجريئة ، وإنك لتلمس فيها غيرة كريمة على القيم الأدبية والأوضاع الخلقية يستحق عليها صاحبها كل ثناء وكل تقدير .

حول الفن والحياة مرة أخرى :

يذكر القراء تلك الرسالة التى بعثت بها إلىَّ شاعرة فاضلة فى العدد (٨٣٩) من « الرسالة » ، ويذكرون أنها سألتنى عن صلة الفن بالحياة وعما إذا كانت الثقافة الناضجة يكفى فيها الكتاب وحده عن كل ما عداه ... ولقد رددت عليها فى ذلك الحين بهذه الكلمات : « إن جوابى عن هذا السؤال هو أن الكتب لا يمكن أن تكفى لسبب واحد هو أن ثقافة من هذا الطراز يشوبها النقص ويعتريها القصور ؛ لأنها تفقد عنصراً خطيراً هو عنصر التطبيق على الحياة ! كيف تستطيعين أن تتذوقى آثار الفن وأنت بعيدة عن منابعه ؟ وكيف تستطيعين أن تحكمى على نتاج القرائح وليس بين يديك قاعدة ولا ميزان ؟ إن الثقافة يا آنستى ليست قراءة فحسب ، ولكنها فهم وهضم وتذوق واستيعاب ... وحياة من وراء هذا كله تعين الذهن على الإحاطة ، وتسعف الحواس على التوهج ، وترفع من قيم المواهب والملكات » !

قلت هذا فعقب الدكتور طه حسين فى « الأهرام » على ما قلت ، وكذلك فعل الأستاذ توفيق الحكيم فى « أخبار اليوم » ، وذهب الأول إلى أن الإنسان يستطيع أن يكون مثقفاً عن طريق القراءة والاستماع فلا حاجة به إلى الحياة ، وأكد الثانى أن الكاتب يستطيع أن يخرج فناً ولو حبسته فى جب وأغلقت عليه بسبعة أختام وتركته الأعوام ... إلى آخر هذا الكلام العجيب الذى يفتقر إلى سلامة المنطق وقوة الدليل كما أثبت ذلك فى حينه !

واليوم أعود إلى الموضوع بمناسبة مقال ظهر فى « الرسالة » منذ أسبوعين تحت عنوان « القراءة وأصول الثقافة » للأستاذ الفاضل إيليا حليم حنا ... فى ذلك المقال أورد الأستاذ إيليا كلمات قالها « جونسن » ، وهى كلمات تؤيد الواقع الذى ناديت به ، وتغنى عن كل تعقيب ! .

يقول جونسن : « من يتصور أن الأفكار لا توجد إلا فى الكتب ، وأن فى الكتب كل الأفكار ، فما هو إلا واهم ... الأفكار تجرى مع الأنهار والمجارى ، وتطفو على وجه البحر ، وتتكسر على شواطئه ، وتسكن التلال والجبال ، وتسطع مع نور الشمس ، وتنسدل على أجنحة الظلام ... إن الأفكار موجودة فى كل مكان وزمان » !

فإلى الكاتبين الكبيرين اللذين خالفانى فيما ناديت به ... أهدى هذه الكلمات ! !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

بعثات البنات والرقص التوقيعي :

نشب الجدل أخيراً في الصحف والمجلات حول ما رآه معالي وزير المعارف مرسي بدر بك وقرره ، من منع بعثات البنات إلى الخارج ، وإلغاء الرقص التوقيعي في مدارس البنات ، وقد انقسم الكاتبون والمعقبون إلى معارضين ومؤيدين ، واتخذت بعض المجلات هذا الموضوع مجالا للفكاهة والتندر . وقد اشتملت حملة المعارضين لمنع البعثات على مغالطات واندفاعات وجانبت القصد وجاوزت الاتزان .

لقد أفضى معالي الوزير بوجهة نظره فقال : إني لا أوافق على إيفاد بعثات بنات إلى الخارج ما عدا لندن لوجود بيت خاص للطالبات بها وتقوم بالإشراف عليهن مربية فاضلة ترعى مصالحهن وتشرف على تصرفاتهن ، أما إلى أي بلد آخر فلا أسمح بذلك مطلقاً . وإذا كنت أنا وزير المعارف لا أسمح بأن أرسل ابنتي إلى سويسرا أو فرنسا بمفردها دون رقيب ، فلهذا لا أسمح بإرسال فتيات للخارج أنا مسئول عن سلوكهن دون أن يوجد من يشرف عليهن .

هذا كلام « رجل » يمسك الزمام ويقدر المسئولية العامة كما يقدر المسئولية الخاصة . ولا شك أن الذين يعارضون — ولندع السيدات جانباً — إنما يسترسلون في حملتهم غير شاعرين بشعور الرجل الحر المسئول عن أخواته وبناته ، وإلا فكيف يتفق هذا الشعور وأن يرسل الرجل ابنته إلى بلاد كفرنسا أو سويسرا لتعيش هناك كالغزال الشارد في مجتمع يستبيح كثيراً مما نحظر ؟ وإذا كنا لا نسمح للفتاة التي تأتي إلى جامعة فؤاد من غير القاهرة ، أن تعيش وحدها من غير رعاية أقارب ورقابتهم لها ، فكيف نرسلها إلى باريس مثلا بمفردها دون رقيب أو موجه ؟ أخشى — إن فعلنا — أن تعود إلينا فتتحدث عن مغامراتها هناك كما يتحدث الفتيان ...

وأعجب العجب أن يذكر أولئك المعارضون في هذا الصدد ، التقدم والرجعية والعلم والجهل ، ويبدون خجلهم مما يقوله عنا الأجانب ... إلى آخر هذا الكلام المعروف . ولست أدري ما الذي جرى للعلم والتقدم بهذا الإجراء الذي لا يقصد منه إلا تنظيم الخطة والحفاظ على الكرامة والأخلاق ؟ هذه مدارس البنات وكليات الجامعة التي يتعلم فيها البنات ، لا تزال قائمة تتيح للبنات من العلم والتثقيف ما تتيح للبنين ، ومنع بعثاتهن إلى أوربا ليس عاماً ولا دائماً ، فالبعثات إلى انجلترا لم تقف ، والمانع منها إلى سائر البلاد سيزول بتدبير مثل ما في انجلترا من بيت ورعاية ، فلا بأس على العلم ، كما أنه لا بأس على التقدم إلا إن كان يراد به الإباحية والإفساد . وجدير بهؤلاء أن يخجلوا من بيغاويتهم ومن فراغ نفوسهم من الشعور بكرامة الأسرة ، أكثر مما يخجلون من أي شيء آخر .

أما الرقص التوقيعي فما أرى به بأساً ، على أن يكون محصوراً في بيئة المدرسة بعيداً عن أنظار الرجال ، فإن الناس يبعثون بناتهم إلى المدارس ليكن في صيانتها ، إنما البأس في إظهار الفتيات بالحفلات العامة ليبدين هذا الرقص التوقيعي ، أو ليقمن حتى بالألعاب الرياضية — وفيهن فتيات ناضجات الأنوثة — على نحو ما يقع في حفل الجزيرة . والبأس كل البأس في التمكين للمجلات المصورة من أخذ صور الفتيات بالمدارس في أثناء قيامهن بالألعاب الرياضية في أوضاع تظهر فيها العورات والسوءات ...

أما الرقص التوقيعي من حيث هو رياضة موسيقية مرحة فلم يعلق به الغبار إلا من كلمة « الرقص » وهو لا يزيد على رياضة تفيد الجسم وتكسبه الجمال والرشاقة ، وحركاته المنسقة مع الموسيقى تبعث السرور والسعادة في نفوس البنات فيقبلن عليه أكثر مما يقبلن على الألعاب الرياضية الأخرى .

تسعير الأدب في الإذاعة :

وقعت إدارة الإذاعة أخيراً في مشكلة عمقها شبر ... وإن كانت تبدو لها مغرقة .. وذلك عند ما أرادت أن تقدر أجر الأستاذ محمود أبو الوفا على ما ألقاه من شعره بالمذياع . فهي تحسب أجور

الأدباء والشعراء وسائر المحدثين ، الموظفين بالحكومة ، على حسب درجات وظائفهم ، وأبو الوفا موظف باليومية فى دار الكتب المصرية ، وهو مع ذلك شاعر معروف متمسك بكرامته اللائقة بمكانته الأدبية ، فلن يرضى أن يوزن قدره بميزان الوظيفة .

وحدث كذلك عندما أرادت إدارة الإذاعة محاسبة الأستاذ محمود حسن إسماعيل على إذاعة شعره — أن كتب الموظف الذى طلب إليه تقدير أجره ، مشيراً بأن يعتبر الشاعر كدرس « حرف ا » وهى رتبة جديدة اخترعها هذا الموظف .. ولولا الخوف على وزارة المعارف من عدوى الإذاعة لاقترحت عليها أن تضم إليها هذا المخترع الفذ لاستخدام عبقريته فى تقدير المدرسين ... وذلك كله مع العلم بأن الأستاذ محمود موظف بالإذاعة نفسها !!

ولا أدرى إلى الآن كيف حل عباقرة الإذاعة تينك المعضلتين ، وإن كان ذلك يجرنا إلى النظر فى هـذا الموضوع العجيب ، موضوع تقدير الأدباء فى الإذاعة على حسب درجات الوظائف ، لا على القيمة الأدبية ، ويخيل إلى أنها تلجأ إلى ذلك لتتخلص نفسها من ورطة الحكم على هذه القيمة ، وعلى هذا يمكن أن نعتبر هذه الطريقة أسلم مما كان يحتمل أن يقع ، فقد يحسبون حديثاً جيداً ، أو يظنون آخر رديئاً ، والأمر على خلاف ما يحسبون ويظنون .. فلا مناص إذن من القياس على درجات الوظائف ، فمن كان يشغل إحدى الدرجات العلا فهو أستاذ كبير ، ومن يشغل الدرجة السادسة أو الخامسة مثلا فيحال إلى ذلك الموظف العبقرى ليختار له حرف ب أو ج ...

ولست أدرى هل هم ينظرون أيضاً فى أحوال أولئك الأدباء الموظفين ، من حيث من يكون منهم عزبا ، أو متزوجاً ليس له أولاد ، أو متزوجاً وله أولاد ، وكم عدد الأولاد ، وهل يعول أقارب آخرين ، وهل هو من « المنسيين » أو ممن أدركهم « التنسيق » وما إلى ذلك ... ومن يدرى ؟ فقد تتألف جمعية من زوجات محدثى الإذاعة المغبونين كتلك الجمعية المؤلفة من زوجات الموظفين المنسيين ...

من طرف المجالس :

فى ندوة الأستاذ كامل كيلانى بدار مكتبة الأطفال ، قال فؤاد شيرين باشا محافظ القاهرة إنه دخل مرة بابنته الصغيرة محلاً

كشكول الأسبوع

□ قرر المجمع العلمى العراقى انتخاب سعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك وزير مصر المفوض بالحجاز — عضواً به .

□ أعلن القصصى العراقى عبد المجيد لطفى انصرافه عن الكتابة ، لأنه مرض منذ شهور ودخل المستشفى فلم يجد فى جيبه من النقود ما يواجه به نفقات العلاج فاضطر إلى بيع أثاث بيته ومع ذلك لم يكف ثمنه للعلاج المطلوب .

□ أغلقت الحكومة العراقية نحو ٢٤٠ صحيفة بين مجلة وجريدة لأنها لم تكن تصدر بانتظام ، وكثير منها لم يصدر غير عدد أو عددين لبعض المناسبات .

□ شرعت وزارة المعارف فى تغيير مناهج التاريخ والجغرافية فى المدارس الابتدائية والثانوية والعمل على وضع كتب دراسية جديدة فى هاتين المادتين . ومما يؤسف له أن الطالب المصرى يلتقى فى الجغرافية — على المنهج الحالى — معلومات عن جميع بلدان العالم ما عدا البلاد العربية التى يكاد يجهل جغرافية أكثرها .

□ أعلن أحد الذين يؤلفون قصصاً للسينما بالأهرام أنه كنز زاخر وأن خيـاله مرهف وقدرته فائقة فى تأليف القصص ، وذلك مع صورته المنشورة فى الإعلان ... وهكذا ينافس مؤلفو القصص العرافين وقارئى الكف .

□ قال الدكتور زريق مندوب سوريا فى حلقة الدراسات الاجتماعية المنعقدة ببيروت : إن روح التضامن الاجتماعى متأصل لدى العرب ، وإن نظام الأوقاف خير دليل على ذلك .

وقال المستر كليلاند الأمريكى فى تعقيب له بالحلقة : إنه لا يجب الاعتقاد بأن كل تفاوت بين الأفراد أو بين الشعوب سيختفى أثره فى هذا الجيل .

□ جاء من شيكاغو أن السيدة نادية عبود أستاذة اللغة العربية فى المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو ، أعلنت أنها تملك صفحتين من أقدم طبعة لكتاب « ألف ليلة وليلة » وتقول السيدة إن أصل العنوان « الليالى الألف » . وإن دينازاد كانت مربية شهرزاد لا أختهـا .

□ يؤخذ من تقرير عرض على اللجنة الثقافية للجامعة العربية عن تعليم اللاجئين الفلسطينيين ، أن المدارس المصرية قبلت نحو ٨٥٠ طالبا فى التعليم العام و٣٠ فى التعليم العالى ونحو مائة فى جامعتى فؤاد وفاروق عدا من ألحقوا بالأزهر .

□ افتتحت اللجنة الثقافية للجامعة العربيـة دورتها الخامسة بالأسكندرية يوم ١٢ أغسطس الماضى ، وألفت لجانا فرعية للموضوعات التى هى موضع نظرها ، وتواصل هذه اللجان اجتماعاتها إلى حين كتابة هذا .

□ قال الدكتور أحمد أمين بك فى الكلمة التى افتتح بها اجتماع اللجنة الثقافية : إن المجهود العلمي هو خير الجهود فى بناء التعاون بين الأمم ، ولو أمكن وضع سياسة ثقافية موحدة بين الدول العربية لأمكن التغلب على كثير من الصعاب فى الميدان السياسى .

لبيع (الشكولاته) بإحدى مدن ألمانيا، وكانت التي تبيع فيه سيدة، وبعد أن اشتريا منها وخرجا قالت الابنة لأبيها : لماذا تبيع المرأة (الشكولاته) ولا تأكلها ؟

قال الأستاذ كامل كيلاني : هذا بعينه هو معنى الخيام في رباعياته إذ يقول : هل يشترى الخمار بما يبيع به الخمر أثمن منها ؟

وكان المجاهد الأمير عبد الكريم الخطـــابي حاضراً ، فانتقل الحديث إلى الاستبسال في الحروب وأثر الإيمان فيه ، وهنا انبرى أحمد حلمي باشا رئيس عموم حكومة فلسطين ، فجعل يقص روائع مما شاهده من حسن البلاء في المواقع التي اشترك فيها، قال: سقط أحد الجنود المسلمين في حرب الأتراك مع الانجليز سنة ١٩١٤ — جريحاً ولم يستطع الكلام ، فأخرج ورقة من جيبه وتناول عوداً من الأرض وجعل يغرزه في جرحه الثائر برقبته ويكتب في الورقة بالدم ، فكتب أولاً : أين القبلة ؟ فدلوه عليها ، فاستقبلها ، ثم كتب : فليأخذ جيشنا بثأري . وأخيراً كتب : لا إله إلا الله محمد رسول الله . ثم فاضت نفسه ! وقال حلمي باشا : وهذه الورقة محفوظة بأحد المتاحف بتركيا .

قال الأستاذ كامل كيلاني : لم أر في هذا المجال أبدع مما قالت أم حكيم زوجة قطرى بن الفجاءة وهي تتقدم في الحرب ولا أدل منه على الصدق في الجهاد ، قالت :

أحمل رأساً قد مللت حمله
وقد مللت دهنه وغسله
ألا فتى يحمل عنى ثقله ؟

فأين جان دارك وغير جان دارك من هذه الروعة ؟

قال شيرين باشا : وهل تعرف جان دارك أن تقول مثل هذا ؟

السنة المدرسية :

بشرت بعض الصحف أن وزارة المعارف تفكر في أن تجعل بدء الدراسة بالمدارس من أول سبتمبر وأن تجرى الامتحانات في ابريل بدلا من مايو ويونيه، حتى لا يرهق الطلاب بالامتحان في أوقات اشتداد الحر . وهذا اتجاه حسن ، وإن كانت الفكرة لم تنضج في الوزارة ، على ما يظهر فلم يمكن تنفيذها في هذا العام .

ولا شك أن الجو في شهر سبتمبر معتدل وملائم للعمل المدرسي وخاصة حين تبدأ الدراسة هينة خفيفة في أول السنة ، فليس من الحكمة أن يضيع هذا الشهر ويترتب على ضياعه تراخي الدراسة إلى الصيف ثم إجراء الامتحانات في القيظ الذي يصيب شره الطلبة والمدرسين جميعاً ، وإن فترة الامتحانات التي تقع في أوائل الصيف كل عام لهي مأساة الشباب في مصر ، تنهك فيها أبدانهم وتنهك أعصابهم وتكل أذهانهم وتضطرب أفكارهم .

والمدرسون لو رأيتهم وقد حشدوا في الحجرات للتصحيح وجلسوا على مقاعد التلاميذ حتى ضاقت بهم ، يتصببون عرقاً يجففونه تارة ، وتارة يمسكون بالأقلام الحمراء ويهوون بها على أوراق الاجابة — لو رأيتهم على هذه الحال لأشفقت عليهم وعلى الطلاب الذين وضعت مصائرهم بين أيديهم في هذا الجو المنهك المرهق .

وأذكر بذلك أن وزارة المعارف في السودان تنظم زمن الدراسة في العام تنظيما موافقاً للبلاد الحارة ، فالسنة المدرسية تبدأ في أول يناير ويستمر العمل إلى آخر ابريل ، ثم تكون بعد ذلك إجازة الصيف التي تقع في خلال السنة الدراسية ، وتستأنف الدراسة بعدها في يولية (يبدأ فصل الخريف في السودان من يولية) وتستمر حتى أول ديسمبر ، ثم يجرى الامتحان النهائي في أوائل ديسمبر وبذلك تنتهي السنة المدرسية .

أما المدارس المصرية في السودان فتجرى على مواعيد المدارس

□ وقال أيضاً : إن الإدارة الثقافية لم تتمكن من تنفيذ ما كانت تريده من استخدام السينما والإذاعة في نشر الثقافة الأدبية والعلمية والفنية ، لضيق ميزانيتها وعدم استيفاء أنصبة الدول .

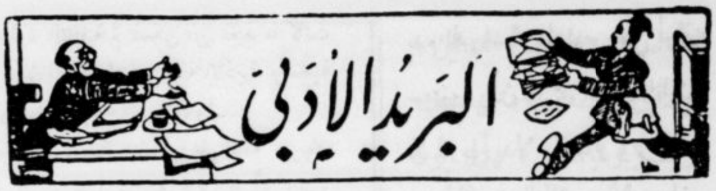
□ تفق رأى اللجنة الثقافية في إحدى جلساتها على إقامة مهرجان لذكرى ابن سينا ببغداد في خريف سنة ١٩٥٠ أو ربيع سنة ١٩٥١ ، تدعى إلى الأشتراك فيه الدول الشرقية وكبار المستشرقين والمنظمات العلمية وهيئة اليونسكو ووزارة المعارف الفرنسية لاهتمامها بدراسة آثار ابن سينا على يد الأستاذ ماسنيون .

□ وتقرر أن يعهد إلى الإدارة الثقافية بإنشاء جائزة سنوية باسم ابن سينا تعطى لأحسن مؤلف في العلوم أو الفلسفة ، كما تقرر توصية البلدان الأعضاء بإنشاء كرسي لابن سينا في جامعاتها .

□ أبلغ مندوبا لبنان اللجنة الثقافية أن الحكومة اللبنانية ستنشىء جامعة علمية بقصر اليونسكو باسم « جامعة ابن سينا » .

□ ووافقت اللجنة مبدئياً على أن يعقد المؤتمر الثقافي الثاني للبلاد العربية بالأسكندرية في العام القادم .

□ ونظرت اللجنة في تقرير اللجنة الخاصة بالتعاون العلمي بين البلاد العربية ، فرأت أن ينشأ بالإدارة الثقافية لجنة دائمة لدراسة المشكلات العلمية المختلفة في الميادين الزراعية والاقتصادية والعمرانية بوجه عام ، ووضع ما تراه من تدابير لتنسيق التعاون بين البلدان العربية في معالجتها .



قطرة في قطرة :

تلقى صديقى الأستاذ أنور المداوى رسالة حملتها إليه « حقيبة البريد » من السيد حسنى الشريف وفيها أن قطرة من قطرات نداى سببت له مشكلة يرجو لهـا حلاً ، وخير القطرات عندى تلك التى تثير المشكلات . أما القطرة فهى إننى خفت على الذين يقضون السنوات فى المطالعات ولا يكتبون أن يصابوا وقد غصت النفس بما فيها ولم تجد لها منفذاً ، بالاستسقاء الذهنى والاختناق ودعوتهم إلى الكتابة والتعبير عما يجيش فى نفوسهم بين الحين والحين ، ويقول المراسل إنه لا يستطيع أن يعبر بما يرضى الأديب الكبير فهل يكف عن المطالعة وهو يحبها ؟

أنا حين أقول للسيد حسنى الشريف وأمثاله الذين يطالعون ولا يكتبون : إكتبوا كلما قرأتم لكى لا تصابوا بالاختناق وبما سميته الاستسقاء الذهنى لا أطلب إليهم أن يأتوا بمـا يأتى به هوميروس وشكسبير وهيجل وملتن فللتعبير ألف وجه ولون وأسلوب ويكفى أن يعبر المرء عما يجول فى صدره بالطريقة التى تلائم مزاجه وذهنيته وقالبه الوراثى وما انتهى إليه عقله وقلبه بحيث يأتى التعبير صدى للصوت الخارج من أعماق النفس ولكل نفس طبقاتها وأعماقها ولونها وهيكلها وحدودها وهواتفها وأرحامها ، ومتى عبر المرء بطريقته الخاصة نفس عن نفسه وظهر بوجهه الذى خلق له ولم يستعر وجه غيره وأقبح الوجوه الوجه المستعار وأمن شر ذلك الداء ، داء الاستسقاء .. كل يعبر بلسانه وأسلوبه فللأُسد زئيره وللعصفور تغريده وللحمام هديله وللاقواس حنينها وللورود شذاها وللرعد هزيمه وللبركان حممه ، وليست القرائح كلها براكين ، ومن الخير أن لا تكون كلها براكين ليظل للعبقرية ندورتها وللموهبة مكانتها ، وفى كل قريحة تنفجر شىء من البركان وإن كانت لا تطلق المعجزات والروائع .

وإنى لأعجب لمن يسلخ الساعات الطوال من نهاره وليله فى المطالعة كيف لا يثير فيه ما يقرؤه ويتمثله قوة التعبير ويوقظ ما رقد فى نفسه وتلك الخواطر والرسوم التى يلقى بهـا المؤلفون فى ساحات النفس وأعماق العقل والخيال والشعور بذور صالحة للنمو وكائنات حية لها أعصابها وطرقها وأيامها وحيويتها التى تأبى إلا أن تشق لها المنافذ إلى أهدافها ...

إن الذى يغنم من كنوز المطالعات ما يغنم ولا يكتب بدوره سطوراً يقدمها للحياة وللناس يقف موقف من ينعم بمال الدائن ولا يفى الدين وليس ذلك بالموقف الكريم المستحب ... إن من أخذ يجب أن يعطى ، هكذا تقول لنا الطبيعة ..

ولا شك أن تاجرنا المراسل الذى يهوى الأدب ويحب (الرسالة) يعرف من تجارته أنها استيراد وتصدير ، وكذلك هو الأدب ، وإنى لأدعوه إلى الكتابة بالشكل الذى يراه وقد تكون فيه وراء شغفه بالمطالعة قوة كامنة لم يهتد إليها بعد ولم يسمع صوتها .. إن فينا من القوى الخفية ما يعوق بكثير ما يطفو على بحورنا من القوى الظاهرة . وكم من أديب قضى الحياة والقلم فى يده خائف متردد والينبوع كامن راقد فى أعماقه ينتظر حريته ويومه ...

راجى الراعى

فى مصر ، ويلاقى الطلبة والمدرسون هناك فى الامتحان عنتاً أكبر مما يلاقيه زملاؤهم فى مصر .

ويمكننا الانتفاع بنظام الحكومة السودانية مع شىء من التحوير الذى يناسب جو مصر . يمكن أن تبدأ السنة وتنتهى كما تبدأ وتنتهى هناك ، على أن تكون أجازة الصيف شهرى يونية ويولية فقط ، ولا ضير من العمل فى أوائل الصيف وأواخره ، لأن الامتحان لا يقع فيهـا وإنما يكون فى ديسمبر . والمزية الكبرى لهـذا النظام هى إجراء الامتحان فى الشتاء وقت النشاط والعمل .

أما المدارس المصرية فى السودان فيجب أن ينظم أمرها بحيث تكون مواعيدها موافقة للنظام السودانى الملائم للبيئة الطبيعية هناك .

عباس خضر

ليس فى كلام العرب :

نقرأ كثيراً فى هذه الأيام تصحيحات لغوية لبعض الكاتبين فى الصحف والمجلات وعلى كثرة هذه التصحيحات لم نجد إلا القليل منها سـلم من التصحيح ، مما يدلنا على أن الكاتبين لا يتعمقون فى البحث والاستقراء . وليست اللغة ضيقة المادة ، حتى يتمكن كل من تحدثه نفسه بأن يقول هذا خطأ . وهـذا لم يرد عن العرب ، بل الواقع أن لهجات العرب كثيرة متشعبة ، ولذلك قالوا : عجبت لنحوى يخطىء ، ومجال التوسع فى الاستعمال فسيح ، الاستعارة والمجاز ، والاشتقاق ، كل ذلك مما يجعل مهمة (المخطّىء) شاقة وعسيرة .

وقديماً ألف الحريرى كتابه [درة الغواص فى أوهام الخواص] وأطال فيما أعتقد أنه من الأوهام ولكن الشهاب الخفاجى تتبعه فى [شرح الدرة] ورد أكثر ما كتبه .

وبين أيدينا كتاب (ليس فى كلام العرب) لابن خالويه ، وهو كتاب مملوء بالفوائد العلمية ، وقد أثنى عليه ابن خلكان ثناء مستطاباً ، غير أنه جاء ناقص الاستقراء ، والقارىء للجزء الموجود بين أيدينا من الكتاب يجد فيه مواضع كثيرة فيها نظر ، وقد اعتمد بعض مؤلفينا الكبار على هذا الكتاب فتابعوه فى الخطأ ، وأريد أن أذكر أمثلة مما قصر فيه ابن خالوية حتى يطيل الناشئون التريث قبل أن يقدموا على الحكم فى المواد اللغوية :

١ — يقول : ليس فى كلام العرب اسم جمع ست مرات غير الجمل ، فقد جمع على جمال وأجمل وجماله وجمالات وجامل وأجمال لأنه أكثر ما يكون الجمع مرتين أو ثلاثا وهذا ست مرات فهو نادر ، يقولون نعم وأنعام وأناعيم وقوم وأقوام وأقاويم لا يجاوزون ذلك . وينقل الرافعى رحمه الله هذا القول بنصه فى كتاب « تاريخ آداب العرب » ، ويزيد أنه وجد صاحب القاموس عد للجمل جموعا ثمانية .

وهذا كله غير صحيح ؛ فإن هناك أسماء جمعت أكثر من هذا الجمع ، ولنذكر على سبيل المثال (الدار) فقد ذكر لها صاحب القاموس أحد عشر جمعا ، وكذلك ذكر للفظة (الشيخ) . وذكر لبعض الكلمات جموعا ستة ، وعبارة الرافعى الأخيرة غير صحيحة لأن صاحب القاموس ذكر للجمل أثنى عشر جمعا ، فإنه قال : وجماله وجمالات مثلثين ، ومعنى ذلك أن هذين اللفظين مع الضبط ينتجان جموعاً ستة .

٢ — ويقول : ليس فى كلام العرب أفعلت أنا وفعلته لأنه عند كلام العرب غير أكب وأقشع ، ولكن فى كتب اللغة من ذلك أفعال ، وقد أوصلها بعضهم إلى ثلاثة عشر فعلا ، ومنها أنقض وألام وأظأرت الناقة وأنزفت البئر وأمرت الناقة ، وأسبق البعير وقلعه الله فأقلع ، وحجمه فأحجم وأنسل ريش الطائر ونسلته .

٣ — ليس فى كلام العرب اسم على فعال ليس بمصدر إلا كلمة واحده وهي قولهم أدخل الفعال فى خرق الحدثان فأس له رأس واحد ، والفعال خشبة الفأس ، فأما المصادر تطرد على الفعال فى باب فاعل نحو ضارب مضاربة وضراباً وهو منقوض بنحو زمام الناقة وسوار المرأة وصوان الثوب وملاك الأمر ووجار الضبع ... الخ .

علي العمارى

أخطاء مطبعية :

تقع أحياناً رغم التصحيح والمراجعة بعض الأخطاء المطبعية التى لا تغيب عن فطنة القراء ... ومن هذه الأخطاء ما جاء بمقال الأستاذ أنور المعداوى عن فقيد الأدب الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى فى العدد (٨٤٢) من الرسالة حيث ورد هذا التعبير : « ومن دواعى الأسف حقاً أن يمسى الأحياء ويصبحون فلا يجدون المازنى يملأ مكانه » وصحته : « ومن دواعى الأسف حقاً أن يمسى الأحياء ويصبحوا الخ » . كما ورد فى مقال الأستاذ المعداوى أيضاً عن « مدام ريكاميبه » فى العدد الماضى من الرسالة هذه الكلمات : « وتنادى شفتيها شفاهم الظامئة ... وتصافحت روح بروح » وصحتها : « وتنادى شفتيها شفاههم ... وتصافحت روح وروح » .

وفى العدد (٨٤٠) من الرسالة ورد هذا البيت فى قصيدة الأستاذ محمد على الحومانى :

جددى يا مصر فينا الخيلاء نخف الأرض ونحتل السماء

وصحته :

جددى يا مصر فينا الخيلاء نخف الأرض ونحتل السماء

وفى العدد الماضى ورد هذا التعبير فى مقال الأستاذ ابرهيم الوائلى عن كتاب « موسيقى الشعر » : « والذى جمله يمزج بين البحرين هو هذا الخلط العجيب الذى درج عليه بعض المحدثين فلم يفرقا بين الهزج ومجزوء الوافر » وصحته : « ... فلم يفرقوا بين الهزج ومجزوء الوافر » كما ورد هذا البيت : لاوحق ما أنا فيه فلا أرتجيه وصحته : فلا أرجيه .

« الرسالة »



عاصـــفة فى قلب (*)

للاديب يوسف يعقوب حداد

الحب ، والأمومة ، اتفقا على الصراع فى قلب زوجة ... فاذا تراها فاعلة ؟!

كنت قرب النافذة أتلهى بشغل الأبرة ، واستروح آخر نسمات الربيع ، وألقى على الطريق نظرات متباعدة لعلى أرى طفلى وهما فى طريقهما من المدرسة إلى البيت . وفى آخر نظرة لم تقع عيناى على وجهى طفلى ، وإنما رأيت زوجى يجتاز آخر مرحلة من الطريق إلى البيت ، فألقيت على الساعة نظرة وجلة ، فاذا زوجى قد عاد اليوم مبكر بنصف ساعة على غير عادته !

واستولى على القلق ، فألقيت ما فى يدى ، وأسرعت إليه خافقة القلب ، وسألته — ما بك يا عزيزى ؟

فأجابنى بصوته الهادئ النبرات — لا شىء .

ولكنه كان يخفى عنى الحقيقة ، فقد كان وجهه شديد التجهم والانقباض . وحين دلفنا إلى داخل المنزل ، جلس « جان » على حافة المقعد ، وقال :

— الحقيقة أننى استلمت رسالة اليوم ، أثارت اهتمامى . هى من ابن عمتى « دك برنت » ولعلك تتذكرين مقابلتك له فى الشمال ، يوم كنا نقضى شهر العسل .

فأمنت على قوله — نعم ... أتذكره جيداً ، وقد استلطفته كثيراً . ثم قلت مازحة — كان يومئذ يجتاز أخطر أدوار الشباب وقد أولع بى فكان ولعه هذا مصدر سخريتنا منه . لعله اليوم فى الرابعة والعشرين ... أليس كذلك ؟ !

ولكنه لم يهتم بحديثى ، ومضى يقول — استطاع الحصول على عمل فى المطار المجاور لنا ، وأنه يتساءل فيما إذا كنا نقبله عندنا ريثما يجد له مكاناً آخر .

وبدا عليه أنه يسألنى رأيى ، فقت له — لم لا ؟ . لدينا غرف كثيرة ، يستطيع أن يشغل إحداها ... ثم أننا هنا نشكو الوحدة ، فلا قريب ولا صديق يزورنا ونزوره فسيخفف عنا « دك » هذه الوحدة ... والأطفال ؟.. تصور وقع الخبر عليهم .

* * *

وسرعان ما أولع الطفلان بدك ، وسرعان ما انسجم دك معهما ... وكثيراً ما كانوا يتحدثون عن الطيران ، حتى أصبح كل من فى المنزل خبيراً بأموره وما يتعلق به ! . . ولكن ولع دك بالطفلين لم يكن أكثر من اهتمامه بى !

ومرت الأيام ، فاذ زوجى يتغير . لم يعد يدير دفة الحديث كما كان يفعل من قبل ، وبدأ ينفرد بنفسه كثيراً ... وازداد اهتمامه بالصيد وكان الصـيد هوايته المفضلة . وكنا ذات مساء نجلس حول مائدة العشاء ، فبدأ الطفلان سلسلة أسئلتهم الساذجة .

قال جاك — كيف كان طيرانك اليوم يا دك ؟

— لا بأس به يا عزيزى .

وقال « بل » محدثاً شقيقه — ألم تر مغامرته اليوم فوق بناية المطار ؟

فتحدث جان زوجى من بعيد ، وقال لبل وفى حديثه الشئ الكثير من العتب واللوم : إذن فقد ذهبت اليوم إلى المطار وقد وعدتنى بالأمس ألا تذهب !.. أنسيت أننا اتفقنا على تنسيق طوابع البريد معاً ؟ فهتف الطفل فى أسف قائلا — والله ... لقد نسيت ... معذرة يا أبى .

ثم عاد إلى دك يحدثه عن الطيران ، فاستطعت أن أرى نظرات الحقد والغضب فى عينى زوجى جان !

وصعد جان إلى غرفته لينام ، وجلسنا أنا ودك والطفلان نصنع نموذجاً لطائرة دك من الكارتون ، ومضى الوقت ونحن لاهون ، وشعرت وقتئذ بسعادة الشباب تعود إلى تخدير حواسى مرة أخرى ...

دك الشاب المرح ... وهذا العمل الصبيانى ... أعادا إلى ذكريات الشباب .

وسمعت زوجى يقول وهو واقف على باب مخدعه فى الطابق

(*) مترجمة عن مجلة « تورستورى »

الثاني — لقد حان موعد نوم الأطفال ... الساعة الآن النصف بعد العاشرة !

ثم عاد إلى فراشه . وصعد الطفلان إلى فراشيهما ، وبقينا أنا ودك الذي قال لي ضاحكا — ألم يحن موعد نومك أنت الآخرى ؟

فضحكت ، وأدرت عيني إلى النافذة ، فإذا أنا أرى القمر الساطع يتوسط كبد السماء ، فخيل إلى أن القمر يشاركني سعادتي!

قال دك — ألم تجربي الطيران في ليلة مقمرة ؟

— إنها خسارة ... أليس كذلك ؟

— عندي طائرة جاهزة في أي وقت .

شكراً ... إني متعبة الآن .

لا شك أن دك كان يدعوني لنزهة ليلية ... ولكنه لم يجسر على توضيح رغبته ... ولكنني فهمتها ... مسكين دك !

وصعدت درجات السلم متخاذلة ، وفتحت باب مخدع زوجي فإذا هو غارق في نومه . فاقتربت منه أمشي على رؤوس أصابعي ، وانحنيت عليه أقبله ، ولست أدري لماذا جاءتني تلك الفكرة . فكرة المقارنة بين وجهه الذي دبت فيه معالم الكبر ، ووجه دك الريان بالشباب !

وسرت إلى النافذة حزينة متألمة ، فطالعني القمر بوجهه الضاحك ... فإذا أنا أعود إلى دك ... وما هي إلا لحظات ، حتى كنا نشق طريقنا مسرعين إلى أرض المطار .

قلت لنفسي وأنا أسبح في الجو إلى جانب دك — يا لها من سعادة ! وتمنيت لو أن هذه النزهة الجوية لا تنتهي أبداً .

— أأعجبتك هذه النزهة ؟

— بل أحببتها كل الحب .

— وأنا ؟

في هذا السؤال كان دك جاداً كل الجد ، وخيل إلى أن الحب يصرخ في عيني : دك — أوه ! دك .. لا تكن .

ولكنه لم يمهلني ، وعاجلني بذراعين قويتين ، وشفاه ملتهبة .

— أحبك يا روث ... أتذكرين أول مرة قابلتك فيها ... وكنت تقضين شهر العسل ؟.. منذ ذلك اليوم أحببتك ، ولكني لم أجد فرصة لأعرب لك عن حبي .

***

كان زوجي شديد الولع بطفليه ... لم يكن يعاملهما كما يعامل الأب أولاده ، وإنما كان يعاملهما كما يعامل الصديق صديقه . لا يكاد يدخل البيت حتى يأخذ طفليه ليشغل كل وقته معهما . واعتاد الطفلان هذه الحياة ، حتى أنهما كانا يدعوانه ويدعوانه باسمه المجرد ، حتى خلا البيت كلمة من « بابا » أو « ماما » وكنت أنتقد هذه الطريقة في تربيته لولديه . ولكن رأيه لم يكن ليتأثر برأيي أنا .

وذات يوم أخذ زوجي يعد معدات السفر مع طفليه ... مع طفليه فقط !.. وتوسلت إليه أن يأخذني معهما ، ولكنه أبى على هذه الرغبة . — جان ... خذني معك . ستحتاج لمن يطبخ طعامكم ، ويغسل ملابسكم ... جان ، ربما تمرض الطفلان ، فماذا تفعل وحدك ؟

ولكن السيارة ابتعدت بهم عن عيوني ، فوقفت وراء النافذة أسكب دموعي في حرقة ولوعة .

وسمعت دك يقول لي في تأثر شديد لماذا تحاربين حبنا يا روث ؟ إن الحب لأسمى من هذه القيود البغيضة التي تقيد عاطفتك بالأغلال وأمطرني بسيل منهمر من قبلاته .

وكتبت لجان رسالة طويلة أطلب حريتي ... وانتقلت مع دك إلى منزل صغير أحلناه إلى جنة صغيرة . ولكن حبي لدك لم يكن كل شيء بالنسبة لسعادتي ... حب دك لم يستطع أن ينسيني طفلي ، فأنا في منتصف الليل استيقظ من نومي ، فإذا وسادتي مبللة بدموعي ... كنت أحلم بهما .

وأقف أمام المرآة فأرى جمالي يعتريه الذبول ... إنني أكبر من دك بعشرة أعوام ، ومعنى هذا أنني أسبقه إلى الشيخوخة بعشرة أعوام ... وفي هذه المدة من يدري ماذا سيكون ... ربما انصرف دك عن حبي إلى حب امرأة أصغر مني وأجمل !.. وربما هذا لن يكون . وربما كبر طفلاي فيدركان معنى الأمومة ، فيعودان إلى ... من يدري ماذا يخبىء لي المستقبل . على كل حال ، فإنني أتمنى لو أنني أستطيع إعادة عقارب الساعة إلى تلك الأيام التي سبقت دخول دك منزلنا الهادىء لأول مرة .

(البصرة . عراق) يوسف يعقوب حداد

مطبعة الرسالة

العدد ٨٤٥ — الاثنين ١٢ سبتمبر ١٩٤٩ — السنه السابعه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

[illegible]

[illegible]

17 em Année No. 845 — Lundi — 12 — 9 — 1949

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٤٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٦٨ — ١٢ سبتمبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

رحم الله صديقى المازنى !

لقد كان رَجُلٌ وَحْدِه فى طراز عيشه ونظام عمله ونمط تفكيره وأسلوب كلامه . والتفرد في الحياة والعمل والفكر والعبارة معناه فى دنيا الأدب الشخصية الممتازة التى لا يغنى عن وجودها وجود ، ولا يَجزى عن جهدها جهود ، ولا يسهل من فقدها عِوض . فإذا أُضيف إلى ذلك أن المازنى كان أحد الكتاب العشرة الذين يكتبون لغتهم عن علم ، ويفهمون أدبها عن فقه ، ويعالجون بيانها عن طبع ؛ وأن هؤلاء العشرة البررة متى خلَت أمكنتهم فى الأجل القريب أو البعيد ، فلن يخلفهم فى هذا الزمن الثائر الحائر العجلان من يحمل عنهم أمانة البيان ويبلغ بعدهم رسالة الأدب ، أدركنا فداحة الخطب الذى نزل بالأمة العربية يوم توفى هذا الكاتب العظيم .

عرفت المرحوم المازنى فى خريف سنة ١٩١٤ يوم دخلنا المدرسة الإعدادية الثانوية معلمين ، وكان يومئذ فى مرح شبابه وميعة نشاطه يتوسط باحة الأدب ويطرق باب الشهرة ويحاول هو وصاحباه العقاد وشكرى أن يشقوا طريقهم إلى المجد فى أرض غليظة صلدة يقوم فى بدايتها عقبتان : صاحب (الشوقيات) بشعره الرائع ، وصاحب (النظرات) بنثره البليغ . ولكنهم كانوا أصحاب مِعول ومِسطرين : يهدمون بالنقد والثلب والتجريح ، ويبنون بالتجويد والتجديد والدرس ؛ فلم يفعلوا فِعل ضعفاء الملكة اليوم ، يخفضون مستوى البلاغة ليصعد القمىءُ ، ويقربون غاية الفن ليلحق البطىءُ ! !

وكان المازنى على هذه الثورة وهذا الطموح خافض الجناح لأنه قوى النفس ، راكد السطح لأنه عميق الغور ، فما كنت تراه يوماً ذاهباً بنفسه ولا متبجحاً بعلمه ولا مباهياً بعمله . ثم كان على ضآلة جسمه ووهن عظمه مهيب الجانب لذكاء قلبه ورجاحة عقله ، فلا يعبث فى درسه تلميذ ولا يجرؤ على كرامته معلم . ثم توثقت بينى وبينه أسباب المودة ، فزاملته فى التعليم ، وصادقته فى الأدب ، وعاملته فى الصحافة ، فلم أجرب عليه شهد الله لؤماً فى زمالة ، ولا غشًّا فى صداقة ، ولا سوءاً فى معاملة .

كان أدب المازنى أداة عيشه ووسيلة رزقه . لذلك كان يكره أن يعرضه لكيد الخصومة وعنت النقد . وكان سبيله إلى هذا أن يغضّ هو من قدر فنه ، وأن يقلل من قيمة نتاجه ، حتى يفوّت بذلك على خصمه لذة التجنى عليه فلا يجد ما يقوله إذا أراد أن ينتقصه بنقده أو حقده . وتصغيرك لشأنك فيه معنى التواضع ، ولكن تصغير غيرك لك فيه معنى الضَّعة . على أنه كان إذا أُكرِه على الخصومة شديد المعارضة حديد القلم يقرع صاحبه بالتهكم أكثر مما يقرعه بالحجة . ولو كان المازنى مكفول الرزق من طريق غير طريق الأدب لما قصَر أكثر جهده على الصحافة . ومن مساوئ الصحافة أنها تفرض على الكاتب

الموضوع وتحمله على السرعة . وموضوع المازني القصص وفنه الوصف . فلو أنه خلص لهذين البابين لأتى فيهما بأعجب العجب .

* * *

هذه بعض صفات الصديق الراحل ذكرتها مجملة في مقام الحزن على فقده والجزع لمصابه . أما سائر صفاته وتحليل ملكاته وترجمة حياته فلها في تاريخ الأدب فصل طويل سأكتبه بعد قليل .

(المنصورة) أحمد حسن الزيات

الظمآن..!

للأستاذ راجي الراعي

في ذلك المساء كنت عائداً إلى بيتي لأطرح على عتبته أعباء اليوم وأنا أمسح العرق الذي يتفصد به جبيني وألتقط حجارة البؤس وأرجم بها الدنيا ، فشعرت بيد ناعمة تمتد إلي ونظرت فإذا بشبح في عينيه ألف شعاع انتصب أمامي وبادرني قائلا : أنت من البائسين ولكن خفف عنك فالحياة التي ترجها تدعوك الليلة إلى جلسة شراب تقيمها لك ولأمثالك في القصر القائم على تلك الرابية التي تراها فاذهب واشرب وتمتع ، فسألته : ومن تكون أيها الشبح المشع؟ فأجاب : أنا الرحمة ، وماهي إلا طرفة عين حتى حملة النسيم وتوارى عني فقلت لنفسي : هل لمثلي أن يتمتع بشيء في هذه الدنيا ؟ هي ولا شك مهزلة جديدة فلأذهب إليها لأشهد فصولها وواصلت السير إلى حيث ألقيت بأحمالي على عتبة البيت ، وخرجت والليل يشتملني ، أهبط الوادي وأتسلق الجبل حتى بلغت القصر فإذا هو يعج بالخلائق يتدافعون بالمناكب ليستمعوا إلى الكلمات التي كانت تعيدها عليهم امرأة توسطت المكان ، طويلة القامة بدينة ، ورحت أشق الصفوف المتواصلة حتى دنوت من تلك المرأة فسمعتها تقول : أنا الحياة ... أعرف أنكم البائسون من أبنائي الذين طالما عبست في وجوههم وقد رأيت أن أجمعكم منذ اليوم مرة في العام لأعرض لكم أثمن ما لدي من الكؤوس وأسكب لكم منها فتبتل شفاهكم الجافة ببعض ما حرمتموه من دناني ... أنا الحياة ، ولي كؤوس وأفخرها وأجملها وأعزها ثلاث:

ورفعت بيدها الكأس الأولى وقالت : هذه هي الكأس الصفراء كأس الثروة من شربها اتسع أمامه مدى العيش وأقام القصور الناطحة السحاب واقتنى الأرض الفسيحة الرحاب ونال ما يشتهيه من الطيبات وتحدى الأقدار ، ورفل بالدمقس والحرير وبسط الموائد المثقلة بما لذ وطاب من الطعام والشراب ... ورمت الحضور بقبضة من الدنانير فهجموا يلتقطونها وصبت خمرة الثروة فشربوا جميعهم ... أما أنا فلم أشرب ...

ثم رفعت الكأس الثانية وقالت : هذه كأس الكؤوس ، كأس المرأة يحفها الحب والجمال ، من شربها فرشت له الجنات تجري من تحتها الأنهار وتدفقت عليه قبل الحسان وحملته أجنحة القلب إلى آفاق الغبطة والنعيم وتنشق الرياحين وسجع له الحمام وانتقل بين الزهر والورد وذاق الشهد ... وأطلقت في تلك القاعات فتاة غضة بضة سمراء الوجه دعجاء العينين رشيقة القد يفوح منها عبير الحسن وتشع عيناها بالإغراء والفتنة فتخاطفت وجنتيها وتنافست في ثغرها القبلات ... وصبت الحياة خمرة المرأة فشرب الجميع .. أما أنا فلم أشرب ...

ورفعت الكأس الثالثة وقالت هذه هي الكأس الحمراء ، كأس المجد ، كأس الفاتحين الغزاة من شربها دقت له الطبول وخفقت في سمائه الرايات وسارت في ركابه الجيوش واكتسح البلدان وأخضع الشعوب وثمل بخمرة النصر ونصبت له التماثيل والعروش ... ودارت على الناس بأكاليل من الغار فزينوا بها رءوسهم ، وصبت خمرة المجد فشرب الجميع ... أما أنا فلم أشرب ...

كنا عشرة آلاف من بائسي (هيجو) يغص بنا القصر ، وكان الجميع من حولي يهللون للحياة ويترنحون بخمرها ويثنون على كرمها وحنانها إذ جادت عليهم وهم المحرومون بساعة من ساعات نعيمها .. وكانت الحياة تطرب لبنيها وهم يطربون ولكن ساءها أن لا أكون من دعاتها المهللين وسكاراها الطروبين وراحت تسأل عني وقد جرحت كبرياءها وما لبثت أن أقبلت علي والعيون تحدق إلينا والقوم يتهامسون وسألتني : من أنت ؟ فأجبتها : أنا الظمآن .. الظمآن القامح ، الظمآن كله ! فقالت : ولم لا تشرب من كؤوسي التي أدرتها على رفاقك ؟ فقلت : أنت تجهلين نفسك أو تعرفينها ولكنك تخدعين فالكؤوس التي عرضتها وسكبت فيها

فى الأدب المهجري (*)

للأُســـتاذ حبيب مسعود

ليس من شأنى فى هذا الحديث أن أعرض عليكم صورة عن الأدب العربى فى كل أنحاء العالم الجديد. فذلك يقتضى وقتاً طويلاً ودراسة مستفيضة، وإنما أقتصر فى حديثى على أدبنا فى البرازيل؛ ومتى ذكرت هذا القطر الكبير بمساحته وشعبه فلا يسعنى إلا أن أحيى فيه رمز الكرامة والسماحة، وموطن الحرية والضيافة؛ فقد فتح صدره لقومنا وغمرهم بعطفه ومتعهم بشرائعه الحرة فأصابوا فيه من نعمه ما أصابوا وكان لهم هذا المقام الذى يحتلونه.

لقد بلغكم ولا شك الشيء الكثير عن مآتى قومنا فى البرازيل وسمعتم عن المكانة المادية والأدبية التى وصلوا إليها بعد جهاد سبعة عقود من الزمن وفروا له من العزيمة والجلاد ما تضؤل عنده بطولة الأساطير.

ولست معيداً فصول المآسى والبطولة فى حياتهم المهجرية فهى أبعد من أن تستوعبها الكلمة العجلى فأحصر كلامى فى الناحية الأدبية لعل فيها جلاء للذين يعتقدون أن المفتربين أصحاب بيع وشراء وحسب، أو أن الأدب العربى المهجرى أدب مسيخ لا يمت إلى الفصحى بنسب.

الأندلس الجديدة لقب أطلقوه على البيئات العربية (وكلها من سوريا ولبنان وفلسطين) التى تكتلت فى العالم الجديد وكونت عنصراً له قواه المادية والمعنوية، تشبهاً بالأندلس القديمة التى فتحها العرب وأنشأوا فيها تلك الدولة التى لم يجل ما قيل فيها حتى الآن حقيقـة كيانها، فإن كل ما كتب فى التاريخ الأندلسى من دوزى وكونده ودلريو إلى بروفنسال وكوديرا وريبيرا وبالاسيوس وغيرهم من الأفرنج والعرب لم يسبر غور تلك الحقبة الطويلة من الزمن وهى تناهز الثمانمائة من السنين. أما نحن فإننا نستقى تاريخ الأندلس من مناهل مؤرخى الغرب وعلمائه ونعتمدهم فى دروسهم الاستقرائية ومباحثهم التحليلية فنستشهد بما قاله دوزى الهولاندى وريبيرا الأسبانى.

إن بين الأندلس القديمة والأندلس الجديدة فرقاً من وجهة وشبهاً من وجهة أخرى. فالفرق هو أن العرب دخلوا الأندلس فاتحين ففرضوا سلطانهم ونشروا هيبتهم وحموا بسيوفهم مؤسساتهم ومعاهدهم وافتهم فدرج الأدب والعلم فى ظلال أعلامهم وزها الشعر

(*) محاضرة ألقاها الأستاذ فى الجامعة الأمريكية ببيروت.

أيتها الضالة المضللة كؤوس وهمية خداعة لا تجدى ولا تروى.. إنك لا تستطيعين أن تعطى أكثر مما عندك، وما عندك ليس بالشيء الكثير ولا هو بالترياق لعليل مثلى فلو أعطيتنى كل ما لديك من الذهب ونفحتنى بكل ما لديك من النساء وصور الحب والجمال وزينت رأسى بكل ما لديك من أكاليل الغار ووهبتنى الدنيا بأسرها لما اكتفيت ولا هدأت نفسى.. ما الفائدة من الكأس إذا لم ترو شاربها؟ أنا هو الإنسان، أنا هو الظمأ المستديم وليس فى كؤوسك ما يروينى، أنا لسان من اللهيب يندلع وليس فى وسعك أن تقطعيه، أنا نار ليس فى يدك رمادها.. إن بينك وبين نفسى منذ تعرف أحدنا إلى الآخر لفلوات شاسعات كتب لى أن أظل مكتوياً بضرامها حتى يفتح الله لى شرفة من دارك على الآخرة حيث آمل أن أرى وجه الله وأذوب فيه وأرتوى. أما الظمأ وأنت لا ترويني، أنا الإنسان الكبير وأنت الحياة الصغيرة وما هو ذهبك، ما هى نساؤك وما هو مجدك إذا جاشت الجائشات فى صدرى وأطلقت خيالى... أنا ظمآن، ظمآن إلى الله وأنت كافرة ظمآن إلى الحق وأنت الباطل، ظمآن إلى الوفاء وأنت الخيانة، ظمآن إلى الخلود وفى كأسك ثمالة الموت! أنا ظمآن خلقت ظمآناً من قوم ظامئين وأجتاز صحاريك ظامئاً وسأموت ولسانى جاف وشفتاى المرتعشتان تتلمسان الغيب وتلتهبان شوقاً وحنيناً إلى الماء الذى هو الماء والخمرة التى هى الخمرة.. ومن أجل ذلك أنا واجم كئيب وبائس يائس فلا ترأفى بى أيتها الحياة، إن رأفتك لا تجدينى ولا تفخرى بكؤوسك بعد اليوم ولا تسكبيها فهى تؤلمنى ولا تكفينى...

راجى الراعى

فى خمائل مجدهم ، فى حين أن قومنا دخلوا أرض كولمبس مسترزقين طالبين عطفاً وسائلين عدلا . أما وجه الشبه فى هذه الدولة الأدبية التى بناها قومنا هناك شأن العرب فى الأندلس .

إن لانتقال العربية إلى الوطن البرازيلى ونشرها بين عشيرتنا المغتربة بالصحف والكتب حكايات لا تقل غرابة عن حكايات ألف ليلة وليلة ، فالصحافة العربية كانت فى أول عهدها ضرباً من الاستشهاد ، ومزاولة الأدب العربى فى تلك البيئة الغربية كانت نوعاً من الانتحار . ذلك لأن مغتربينا الأوائل كانوا فى معظمهم أميين أو شبه أميين ، ولم يكن همهم الأوحد إلا اقتناص الرزق وادخار الكسب . فما يجرى فى عروقنا قد ورثناه عن أولئك الذين قذفوا بأول قارب إلى البحر وعرفوا العالم الجديد قبل كولمبوس وأميركو بآلاف السنين ، وعن أولئك الذين توغلوا فى قلب آسيا وفتحوا بلاد القوط من مغامرة مغتربنا الأول الذى ركب البحر إلى ديار بعيدة يجهل حتى اسمها أسست دولة ضخمة بصناعتها وتجارتها لا يدرك عظمتها إلا من خبرها ، ومن مجازفة ذلك الأديب الذى أنشأ أول نشرة عربية قامت الدولة الأدبية التى دعيت الأندلس الجديدة .

فالأندلس الجديدة هى نشيئة الأديب المغترب الذى استشهد فى سبيل قومه ومن أجل لغته . زهد فى كل شىء ما خلا وطنه ، وقنع بالبلغة لكى يحافظ على لسانه . وليس الفضل أن تصون لغتك وأنت قابع فى ديارك وبين عشيرتك ، وإنما الفضل كل الفضل أن تصونها وتحضنها وتشقى من أجلها وأنت فى بلاد غريبة عنك لساناً وعادة وعرقاً .

على أن هذا المناضل الذى ذكرت لم يسلم من افتراء بعضهم حتى أن أحدهم وهو من أدباء دمشق عرض بأدباء المهجر عامة وتنقص شعراءه . وقد يكون عذره الوحيد أنه ألقى كلامه جزافاً أو أنه وقع عرضاً على بضاعة تافهة ، ومثل هذه البضاعة كثير هنا وهناك وفى كل مكان . ولو تروى ومحص وكشف الرغوة عن الصريح لأدرك أن فى المهجر عناصر لها مكانتها الرفيعة فى اللغة والأدب والشعر ، وأن أمثالها قليل فى أى قطر من الأقطار العربية . لست مفاخراً ولا مفرقاً فسأورد لكم بعد قليل أمثلة من نتاج أدبائنا المغموطين ولكم أن تتخذوا منها حجة لى أو على

تقلب الأدب العربى فى البرازيل بين مد وجزر ، وتنازعته عوامل البقاء والفناء مراراً ، ولد فقيراً بين حفنة من البشر نزحت عن وطنها طلباً للرزق ، ودرج هزيلاً لسوء غذائه المادى والأدبى ، وشب نشيطاً يجرى فى عروقه دم استمده من قافلة أدبية جديدة لحقت بالقافلة الأولى ، وتعطف عليه بيئة ارتفع مستواها العقلى وباتت تتذوق الأدب وتقبل على جيده . أما اليوم فقد دخل فى طور كهولته فأينعت ثماره وطاب شرابه . عندنا اللغوى المدقق ، والشاعر المنطلق فى أجواء الإبداع ، والمنشئ الناصع الديباجة ، والكاتب الذى يجمع بين روعة الأسلوب وعمق التفكير

وعندنا المدارس التى تعلم العربية وقد طالما أخرجت الألوف من نشئنا وعلى ألسنتهم لغة قحطان ، وفى قلوبهم صبوة لوطن آبائهم ، وعندنا الأندية التى ما برحت سوقاً يتبارى فيها فرسان الشعر والأدب . ما انطوى علم من أعلام الأدب أو الوطنية إلا مجدت ذكراه بمهرجان أدبى . فى تلك الأندية شهر فضل محمد عبدو ، وفرح أنطون ، وسليمان البستانى ، ومصطفى المنفلوطى ، والحسين ، وفيصل ، وعبد الله البستانى ، وفوزى المعلوف ، وجبران ، ورشيد أيوب ، والريحانى ، ورشيد نخلة ، وميشال المعلوف ، ونعمة يافث ، وشكرى الخورى ، وعقل الجر وغيرهم ممن تفوتنى أسماؤهم . أما الحفلة الكبرى التى أقامتها العصبة الأندلسية لذكرى المتنبى الألفية فقد بزت بروعتها وبما قيل فيها من الشعر كل ما ألقى فى الحفلات الأخرى ، ولقد حلق شعراؤنا فى سماء الإبداع حتى جاوروا شاعر العرب الأكبر .

أما الصحف العربية التى ظهرت فى البرازيل منذ بدء الهجرة حتى يومنا فتجاوز الخمسين ، وقد بلغ عددها قبيل الحرب العالمية نحواً من خمس وعشرين صحيفة بين مجلة وجريدة لم يبق منها إلا مجلتان وثلاث جرائد .

لم تكن الصحافة العربية فى المهجر إلا مدارس نقالة تحمل إلى قومنا الثقافة والأدب ، ورسولاً ينقل إليهم أخبار أوطانهم وذويهم ، وبوقاً يذيع مآثرهم ، وصديقاً يواسيهم فى أتراحهم ويشاركهم فى أفراحهم ومعلماً يلقنهم القراءة والكتابة .

بيد أن ظهور العصبة الأندلسية كان أكبر أثر أدبى فى تاريخ الأدب العربى بالبرازيل . ففى عام ١٩٣٣ وقد استفحلت

فوضى الأقلام ، شعر نفر من أدبائنا على رأسهم الطيب الذكر ميشال بك معلوف بافتقارهم إلى رابطة تجمع شملهم وتصون أدبهم فتنادوا وتعاقدوا وأجمعوا على إنشاء مؤسسة أدبية دعوها العصبة الأندلسية تيمناً بالعصر الأندلسي الزاهر . وفى عام ١٩٣٥ قر رأيهم على إصدار مجلة تنقل نتاجهم الأدبى وعهدوا إلى هذا الحقير الواقف أمامكم فى رئاسة تحريرها . وليس لى أن أقول شيئاً فى هذه المجلة فالرأى والحكم لمن رافق حياتها وبينكم منهم كثيرون ، وإنما لى كلمة أقولها وفاء لحرمة الأدب وهى أن « العصبة » كانت وما تبرح الصحيفة التى لم تمن لتأثير شخصى مهما كان حوله وطوله ، ولم تمن بغير الأدب والثقافة ، فمن الأدب الذى لا يؤمن إلا بالكفاءة والنزاهة والصراحة والتضحية نشأت ، ولأجل هذا الأدب وحده تعيش .

تحمل « العصبة » شهرياً فى المائة والعشرين من الصفحات نتاج الأدباء المنضمين تحت لوائها وغيرهم . ورسالة « العصبة » أن تنقل إلى الشرق العربى أدب المهجر ، وإلى المهجر أدب الشرق ، وهى رسالة وقفنا لها قلوبنا ودفعنا إليها هيامنا بهذه اللغة التى حضناها فى جوانحنا . ورسالة « العصبة » أيضاً أن تطلع العالم العربى على بدائع الفكر الغربى ولا سيما البرازيلى . ها كم مثالاً ، هذا المقطع عن الشاعر البرازيلى الكبير كاسترو ألفس وقد نقله شعراً شفيق معلوف رئيس العصبة الأندلسية وعنوانه «العبقرى» :

هو لو طوف فى الدنيا وجابا مدن الأرض ذهاباً وإياباً

لقضى العمر يند الناس عنه

كفه فارغة ، والأرض ملأى ولئن قرّب ، والأحشاء ظمأى ،

فـــه للنهر ، فر النهر منه

لم يصب مأوى على وسع الفيافى لا ولا ظلا ، وظل الغاب ضاف

لا ولا ضمة تحنان وعطف

ولئن لوح فى عرض الطريق بيديه ناشداً كف صديق

لم يفز إلا بتصفيق الأكف

سار فى قفر بعيد الدرب وعر ينقل الخطوات من نصر لنصر

حاملا من مجده زاداً وقوتاً

قيل هـذا عبقرى لا يموت فمضى يسأل : هل يوماً حييت

يا بنى قومى لأخشى أن أموتا

ودونكم هذه القطعة للشاعر البرازيلى فيسنتى دى كارفاليو وقد ترجمها نثراً أخونا فى العصبة الأندلسية يوسف البعينى وعنوانها « اختراع الشيطان » :

« تقاسم الله والشيطان هذا العالم فكانت حصة الله الأفلاك ، وحصة الشيطان العالم الموبوء بالمعاصى والشرور الذى لا ينبت إلا العوسج ولا يلد سوى الأفاعى والغيلان . وخرج الشيطان مرة من وكره الناغل بالعفاريت وصعد إلى السماء حيث ترتكز عرش الآلهة . وفيما هو يتهادى مخلوباً بمناظر النعيم شاهد حواء مستلقية بجسمها العارى فى ضوء القمر فحسبها فى أول الأمر قطعة من المرمر الشفاف . ولكنه دهش إذ علم أن صاحب هذا الهيكل البض امرأة تتمشى فى أعضائها حرارة مبهمة — هى حرارة كل كائن حى .

وما كاد يفكر قليلاً حتى تجسدت فى مخيلته صورة اختراعه الفذ فاقترب من حواء وسكب فى فمها الوردى الجميل كأساً من السم . عند ذلك تبسم بخبث ودهاء ومضى مسروراً لأنه اخترع قبلة المرأة ! . . . . »

ولا أزيدكم ، ففيما أوردت كفاية للدلالة على بدائع الأدب البرازيلى

وقعت أخيراً على بحث لأحدهم فى أدب المهجر عزا فيه روح التجدد إلى أدباء الشمال يوم كان جبران يتزعمهم ، واتهم إخوان العصبة الأندلسية بالمحافظة على الأساليب القديمة . أقول إذا كان جبران وبعض إخوان الرابطة القلمية قد فتحوا بتفكيرهم جواء جديدة فهذا لا يعنى أن كل أديب فى أميركا الشمالية بلغ شأوهم ، أو أن أدباء العصبة محافظون لأنهم لم يسبحوا فى تلك الجواء . أما إذا كان المراد من الأساليب القديمة الصيغة اللفظية والمحافظة على ضوابط اللغة فليس فى ذلك موضع للغمز واللمز . ألم يخلق جواً جديداً فوزى المعلوف فى بساط ريحه ، وأخوه شفيق فى عبقره ، والشاعر القروى فى حضن الأم ؟ أما إذا كان التفكير الجديد يقتضى أسلوباً جديداً ، والأسلوب الجديد يقتضى خروجاً على اللغة وبلبلة فى التركيب ورطانة فى التعبير ، فلست مبرئاً إخوانى من التهمة بل أعلن على رؤوس الاشهاد أنهم محافظون أكثر من تشرشل وأعوانه .

ثم لا أدرى ماذا يقصد بعضهم بالتجدد وقصة التجدد طويلة عالجتها الأقلام وتناولتها مساجلات عنيفة بين مقدسى الأدب القديم ، ومحقرى تراث الغابرين . وكلا الرأيين فى شرعي مثال ، فليس فى الأدب قديم ولا حديث ، وإنما فيه جيد وسقط ، والجيد يظل جيداً مهما قدم ، والسقط لا قيمة له سواء كان قديماً أوحديثاً . بعد ألف عام ما ننفك نطأطىء الرأس احتراماً لخرائد المتنبى ، وبعد أحد عشر قرناً ما يزال ابن المقفع والجاحظ أميرى القلم وسيدى البيان وإمامى المنشئين .

والتجدد ليس علماً يلقن أو قواعد تدرس ، إنما هو نزعة خلاقة فى الفكر ، وصبوة فى النفس إلى الإبداع ، وملكة فى الطبع تأبى الانقياد . والمجددون هم صنف من العباقرة أوتوا موهبة الفتح والقدرة على الخلق ، وليس فى طاقة كل أحد أن يكون مجدداً ، وإنما فى طاقته ألا يكون مقلداً .

وسألنى بعضهم هل لأدب العصبة الأندلسية اتجاه خاص أو طابع معروف به ، فكنت أجيب : لا أعرف للأدب اتجاهاً واحداً ولا طابعاً خاصاً ، وإنما أعرف أن الأدب فن كسائر الفنون الجميلة يمكنك من التعبير عن مشاعرك وتصوير ما يرتسم بأفكارك وتدوين ما يجرى فى أيامك وتعريف ما يقع تحت نظرك من المشاهد وغير ذلك من الأغراض . وأعرف أيضاً أن لكل أديب اتجاهاً وطابعاً لميوله وثقافته وبيئته . أما هذه الأنماط التى يعرفونها تارة بالمدرسية وطوراً بالوجدانية ومرة بالرمزية فهى أشبه شىء بالأزياء التى يستحدثها هواة الطرافة يقبل عليها الناس زمناً ثم يهملونها . قالوا إن هوجو وجماعته ابتدعوا المذهب الرومانطيقى الذى يعتمد المشاعر والخيالات والصور الطبيعية ، والواقع أن هذا المذهب قديم جداً تلقاه فى التوراة وفى أدب الهند والأندلس وغيرها ، فهو لا يخرج عن زى قديم ، كما أن الرمزية التى يريد دعاتها اليوم أن يرفعوا علمها على أنقاض الرومانطيقية ليست سوى الصوفية بعينها .

أنا لا أستنكر المذاهب الكتابية مهما كان شأنها لأنها تحمل روح الابتكار ودلائل الحياة ؛ فالركود آخرته العفن والجمود معناه الموت ، لكنى لا أعتبرها من الأدب أسسه وأركانه ، فالمذاهب تتغير أما الأدب فباق . لقد كانت الموشحات فى عصرها بدعة استهوت الألباب ، ثم خمل شأنها مع الزمن حتى كادت تهمل فى أيامنا على انتشار الغناء وهى فى أصلها ابتدعت للغناء والطرب . أما أدب امرىء القيس وعمر بن أبى ربيعة والمتنبى وابن المقفع والجاحظ وابن خلدون وأضرابهم فراسخ كالطود مهما تنوعت المذاهب وتجددت طرق التعبير .

وهذه بعض قطع لشعرائنا لم أخترها وإنما وقعت على أكثرها هنا فى بضعة أجزاء من « العصبة » . ابتدىء بقصيدة « ساعى البريد » وقد نظمها شاعرنا شفيق معلوف فى أثناء الحرب الأخيرة تخيل فيها أما فى وطننا تترقب ساعى البريد لعله يحمل إليها خبراً من ابنها فى المهجر :

ساعى البريد وما ينفك منطلقاً ... وكل باب عليه غير موصود

يسعى بأكداس أوراق مغلفة ... تفوح منهن أطياب المواعيد

خلف النوافذ أجفان مشوقة ... إليه تخفق من وجد وتسهيد

بدا فهز عقود الغيد مقدمه ... هز النسيم لحبات العناقيد

كم قبلة من فم العشاق يحملها ... على يديه ويهديها إلى الغيد

يا ساعياً بابتسامات توزعها ... على الشفاه بلا من وترديد

كم وجه أم عجوز إن برزت له ... لم تبق من أثر فيه لتجعيد

تلقى إليها كتاباً إن يصب يدها ... شدته باليد بين النحر والجيد

كأن كل غلاف منك ملتحف ... بابن إلى صدر تلك الأم مردود

وهذه قطعة لشاعرنا رشيد سليم خورى المعروف بالشاعر القروى عنوانها « الغفران » :

قمت قبل الطيور أشدو حبوراً ... لا أرى باعثاً لفرط حبوراً

مؤنساً وحشة الفضاء كأنى ... نبأ طيب سرى فى الأثير

أتهادى بين الغصون كغصن ... وأناغى العصفور كالعصفور

وعلى وجنتى للورد ظل ... عائم فوق موجة من نور

قلت ربى أزال عهد شقائى ... أم أرانى فى عالم مسحور

وإذا زهرة كوجنة طفل ... جنبها شوكة كناب هصور

فتذكرت ليلة الأمس رؤيا ... باح لى وردها بسر سرورى

إن كف الرحمن تحت سكون ... الليل بالعفو غلفت فى سريرى

فرمت نفحة من العطر فى قلبى ... وعادت بشوكة من ضميرى

وهذه مقاطع من قصيدة « النغم الأخيرة » لشاعرنا شكر الله الجر :

وقفت ... وقد نفث الدجى في وجنتيها نجمتين
وأذاب حبة قلبه في شعرها والحدقتين

وتفتقت في الأفق أكمام الغمام عن القمر
فبدا لها كالوردة البيضاء فتحها السحر

والنهر كالديباجة الخضراء جعدها النسيم
ينساب مثل اللوعة الخرساء في صدر الكريم

والحور عند ضفافه مما ألم به أرتبك
ألقى شباك ظلاله فاصطاد أخيلة السمك

وأقتطف هذه الأبيات من قصيدة نظمها شاعرنا نصر سمعان في « الصدور » :

زيف دم أرقت به شبابك | أصاب الأرض منه ما أصابك
أقبل الموت تنثره وتشقى | به في كل آونة ترابك
ملأت مسامع الدنيا أنيناً | أذعت به على الدنيا مصابك
وما لك يا حليف اليأس إلا | حديث اليأس عن ألم أذابك
تحس الكف كف الموت فيها | إذا لمستك أو مست ثيابك

وهذه أبيات من قصيدة « مخازن الأظلال » لشاعرنا المدني قيصر سليم الخوري :

يا دهر كم لك منة عندي وكم | من منة للدهر رهن زوال
نأوى البيوت إذا استهلت ديمة | ونفر منها ساعة الزلزال
متع الليالي لا تدوم وطالما | حذر المحاذر جره لوبال
ينجو المغفل وهو في حدق الردى | ويصاب في عينيه حين يبالي

وهذه أبيات لشاعرنا حسني غراب من قصيدة يدفع فيها ما اتهم به العرب أحد كتاب الأجانب :

قل للأُلى حملوا علينا حملة | شعواء شبت نارها الأهواء
ما نحن ما رسمت لكم أوهامكم | بل نحن مما تزعمون براء
نهتز عجيباً واختيالاً كلما | عصفت بنا من ريحكم هوجاء
وتظل أعراض الكرام نقية | بيضاء مهما عابها السفهاء

وأخيراً ها كم هذه الأبيات من قصيدة لفقيد الأدب العربي عقل الجر بعنوان « أمي » :

ذكرت ولكن كحلم عبر | أموراً تقضت زمان الصغر
غداة أدب دبيب النمال | وحولي تدب صروف القدر
أتفتح لا مفصح كلمة | فتحسب أمي كلامي درر
وأعبث في البيت مستبسلاً | فأي إناء أصبت انكسر
وأبكي فيضجر بي والدي | وليس يلم بأمي الضجر
فتلهب خدي في لمسها | وتمسح عن مدمعي ما انهمر
فديتك أماً تسام العذاب | النهار وفي الليل ضنك السهر

هذا مثال خطيف من أدب الأندلس الجديدة اقتصرت فيه على النظم دون النثر . هذا من شعر المهجر الذي أبى أحدهم أن يتعرف إليه لأنه ليس شعراً عربياً . وهذا أيضاً شيء من نتاج العصبة الأندلسية وقد قال فيه آخر إنه من طراز الجاهلية .

لا هذا ولا ذاك ، بل هو شعر جمع إلى فخامة الديباجة دنيا من الألوان والصور والرقة والفتنة ، فليس فيه ميعة الشعر الأندلسي ولا خشونة الشعر الجاهلي .

أقول مجاهراً في هذا المعهد العلمي الذي يحترم حرية الرأي : إن أديب المهجر مغموط حقه ، وإن أديب الأندلس الجديدة مبخوس فضله . ولكن إن لم تقدر الأقوام العربية اليوم شأنه فسوف يقدرونه غداً بعد أن تفقد الأندلس الثانية ويقيمون له ضريحاً رمزياً يحمل هذه الكلمات : « هنا يرقد الأديب العربي المجهول » .

حبيب مسعود
رئيس تحرير مجلة العصبة الأندلسية

ركب المعتزلة :

فكرة الله عند المعتزلة

للدكتور ألبير نصرى نادر

نزل القرآن الكريم يتحدث عن الله تعالى خالقاً للكون مدبراً له . والتوراة والإنجيل يتحدثان عن الله وعن صفاته . والكون بأثره وما فيه من نظام يدل على وجود كائن أول متعال ، والمعتزلة لا تشك أبداً فى وجوده تعالى ولكن جل همها كان البحث فى ماهيته وعلاقته بهذا العالم المخلوق .

نفى صفات الله :

تفخر المعتزله بأنهم أهل توحيد . ولكن كل مؤمن موحد أيضاً — ولما كان التوحيد اعترافاً بوجود إله واحد نجد المعتزلة على حذر كبير فى التحدث عن صفاته تعالى خوفاً من أن يؤدى الكلام فى هذا الموضوع إلى شرك يقضى على كل توحيد . لذلك نفت الصفات عن الله .

والأصل الأول الذى كان يقول به واصل بن عطاء رأس المعتزلة (المتوفى سنة ١٣١ هـ) هو نفى صفات البارى تعالى من العلم والقدرة والإرادة والحياة (١) . لأن واصل أراد أن يرد فكرة الأقانيم (٢) عند النصارى ، وكان يرى فيها ثلاثة آلهة ، إذ أن الثلاثة قديمة . فخشى أن تؤدى فكرة الصفات حتى الأزلية إلى شرك عند المسلمين ؛ لذلك جنح إلى التنزيه البحت وبه نفى أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته .

كانت هذه المقالة فى بدئها غير نضيجة . وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين ، لأنه من أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت إلهين .

ثم شرع أصحاب واصل فى هذه المقالة بعد مطالعة كتب الفلاسفة وانتهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات إلى كونه عالماً قادراً ثم الحكم بأنها صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات القديمة (١) والمعتزلة حجة قوية فى نفى الصفات وردها إلى اعتبارات ذهنية للذات .

حججهم :

يقول المعتزلة : لو قامت الحوادث بذات البارى لا تصف بها بعد أن لم يتصف ؛ ولو اتصف لتغير ، والتغير دليل الحدوث إذ لا بد من مغير (٢) . فإذا ما تكلمنا عن علم الله مثلاً لا يجوز أن نعتبر العلم صفة قائمة بذاته تعالى ؛ لأنه إما أن تكون هذه الصفة أزلية كالذات ، وإما أن تكون حادثة . فإذا كانت أزلية فكيف يمكنها أن تحل فى الذات ؟ وإذا حلت فيها كان هناك أزليان ... وإذا كانت حادثة وحلت فى الذات فكانت الذات قد تغيرت من حال (حال عدم العلم) إلى حال (حال العلم) والتغير دليل حدوث ؟ فتكون الذات حادثة فى صفاتها . وهذا ما لا يتفق وكماله تعالى .

تعريف المعتزلة لله :

نجد فى كتاب « مقالات الإسلاميين » (٣) للأشعرى تعريفاً كاملاً شاملاً لله حسب رأى المعتزلة . فيقول : « أجمعت المعتزلة على أن الله واحد » (ليس كمثله شىء (٤) وهو السميع البصير) . وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذى لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذى حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض . وليس بذى إبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء ، وليس بذى جهات ولا بذى يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت ولا يحيط به مكان ولا يجرى عليه زمان ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول فى الأماكن .

(١) الشهرستانى : الملل والنحل على هامش الفصل لابن حزم جزء أول صفحة ٥٣

(٢) الأقانيم ثلاثة : الآب وهو الوجود ، والابن أو الكلمة وهو العلم ، والروح القدس وهو الحياة (شرح المواقف للجلبى ج ٤٢٦)

(١) الشهرستانى : المصدر نفسه .

(٢) الشهرستانى : نهاية الأقدام ص ١١٥ من طبعة لندن وترجمة جيوم

(٣) كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تأليف الإمام أبى الحسن على بن إسمعيل الأشعرى المتوفى سنة ٣٢٤ هـ ، عنى بتصحيحه هـ ريتر طبع استانبول سنة ١٩٢٩ .

(٤) سورة الشورى ٤٢ الآية ١١

ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدثهم ، ولا يوصف بأنه متناه ، ولا يوصف بمساحات ، ولاذهاب فى الجهات ، وليس بمحدود ، ولا والد ولا مولود ، ولا تحيط به الأقدار ، ولا تحجبه الأستار ، ولا تدركه الحواس ، ولا يقاس بالناس ، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ولا تحل به العاهات ، وكل ما خطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه له .

لم يزل أولاً سابقاً متقدماً للمحدثات ، موجوداً قبل المخلوقات ، ولم يزل عالماً قادراً حياً ، ولا يزال كذلك ، لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأوهام ولا يسمع بالأسماع .

شيء لا كالأشياء . عالم قادر حى لا كالعلماء القادرين الأحياء ، وأنه القديم وحده ولا قديم غيره ولا إله سواه ولا شريك له فى ملكه ولا وزير له فى سلطانه ولا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق . لم يخلق الخلق على مثال سبق ، وليس خلق شيء بأهون عليه من خلق شيء آخر ولا بأصعب عليه منه . لا يجوز عليه اجترار المنافع ولا تلحقه المضار ولا يناله السرور واللذات ولا يصل إليه الأذى والآلام . ليس بذى غاية يتناهى ولا يجوز عليه الفنـاء ولا يلحقه العجز والنقص . تقدس عن ملامسة النساء ، وعن اتخاذ الصاحبة والأبناء .

فها نحن بصدد تعريف جله نفى كل صفة عن الله ؛ ونتيجة لهذا التعريف لا يمكننا أن نكوّن عن الله فكرة حقيقية وواقعية أى موضوعية ، ولا يمكننا أن ندرك فكرة اللاألوهية حتى ولا بالمشابهة مع المخلوقات ، لأن فكرة اللاألوهية متعالية عن كل مخلوق مجردة عن كل صفة يتصف بها المخلوق — وهذا ما جعل المعتزلة تقول بأن الخلق لا يستمد ماهيته من الله ، لأنه لو كان الأمر كذلك لوجد تشابه فى الماهية بين الله والخلق ؛ ولـكن ماهية الخلق لا تشارك البتة ماهية الله التى نجهلها تمام الجهل — وتنتهى المعتزلة إلى القول بأن الله لا يمنح سوى الوجود للخلق ، وكل ما عدا الوجود فلا يوجد أى تشابه بينه وبين الله .

أن هذه النقطة فى غاية الأهمية لمـا يترتب عليها من أقوال ونظريات تتعلق بمسألة خلق العالم وماهيته .

تحليل هذا التعريف :

إذا نظرنا إلى هذا التعريف نظرة تحليلية وجدنا أنه رد على اعتقادات مختلفة إسلامية كانت أو مسيحية أو مجوسية ؛ كما أنه رد أيضاً على نظريات فلسفية كانت منتشرة فى عصر المعتزلة أى فى القرنين الثانى والثالث للهجرة .

كانت الرافضة تقول وهى معتقدة أن ربهـا جسم ذو هيئة وصورة يتحرك ويسكن ويزول وينتقل ؛ وأنه كان غير عالم ثم علم ، وأنه يريد الشيء ثم يبدو له فيريد غيره[1] .

ومن جهة أخرى تقول المشبهة بأن البارى تعالى يشبه الخلق فى شعوره وإحساسه وتفـكيره وإرادته حتى أن بعضهم قال بأن له أعضاء كأعضائنا تماماً محتجين ببعض آيات مثل (يد الله فوق أيديهم)[2] . (وقالتِ اليهود يدُ الله مغلولة)[3] . (ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام)[4] (الرحمن على العرش استوى)[5] والمشبهة تأخذ بهذه الآيات حرفياً بدون أى تأويل .

لذلك نفت المعتزلة الجسمية عن الله كما نفت كل ما يتعلق بالجسم من حركة وسكون وصورة ولون الخ . . كما هو واضح فى الجزء الأول من التعريف . وكذلك نفت عنه تعالى كل ما يتعلق بالنفس الإنسانية من شعور ومعرفة (بمعنى المرور من درجة إلى درجـة أسمى فى المعرفة) وإرادة (بمعنى الاختيار) ، وقالت إنه تعالى « لا يقـاس بالناس ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه » ولا نعلم شيئاً عن ماهيته سوى أنه الواحد ، فتكون المعتزلة لا أدرية agnostiques .

وبينما يقول النصارى بثلاثة أقانيم فى الله نجد المعتزلة يرفضون كل فـكرة عن الأسرار ويعلنون بأن الله « لا والد ولا مولود ولا شريك له فى ملـكه » .

ونجد أخيراً فى هـذا التعريف رداً على المثل الأفلاطونية[6] التى كما يقول أفلاطون قد أنشأ الله الخلق على صورتها . ولـكن المعتزلة ترى فى هذه المثل الأزلية شرك لله وتقول أن لا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق . ولم يخلق الخلق على مثال سبق » .

---

(١) كتاب الانتصار للخياط المعتزلى ج ٨ وص ١٠٧

(٢) الفتح ٤٨ آية ١٠

(٣) المائدة ٥ آية ٦٤

(٤) الرحمن ٢٥ آية ٢٧

(٥) طه ٢٠ آية ٥

(٦) تيماوس لأفلاطون .

ما يترتب على هذا التعريف :

تقول المعتزلة بأن الله واحد ومتميز تمام التميز عن الخلق ، هو الأصل الوحيد الذي بمقتضاه يفرقون بين ما هو حق وما هو باطل في التوحيد ؛ ويعتبرون أنفسهم بأنهم هم فقط « أهل توحيد » . وعلى هذه الفكرة بنى المعتزلة مسألة الخلق وهي مسألة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمبدأ نفي كل مشابهة بين ماهية الله وماهية العالم المخلوق . وبما أن هاتين الماهيتين مختلفتان ومتباينتان تماماً في عرف المعتزلة قالوا إن الماهية المحدثة المخلوقة ليست حاصلة من الماهية القديمة ؛ لذلك قالوا بالعدم واعتبروه شيئاً وذاتاً وعيناً وحقيقة يمنحه الله الوجود ليصير كائناً[1]

مصدر هذه الفكرة :

إنا نجد في القرآن الكريم هذه الآية (ليس كمثله شيء)[2] وكذلك (لا تدركه الأبصار)[3] ولكن كم أيضاً من الآيات التي تتحدث عن أعضاء الله وعن الشبه بينه تعالى وبين الإنسان ؟

هل تكفي آية أو آيتان حتى تبني عليهما المعتزلة هذا التعريف المنفي لله ويصبح تعالى كائناً متميزاً تمام التميز عن خلقه ؟ لا شك في أن المعتزلة استرشدت أيضاً بمصادر أخرى .

كان واصل بن عطاء متصلاً بالنصارى . ولكنه رأى في سر الثالوث الأقدس (وهو سر إله واحد في ثلاثة أقانيم) شركاً لله ؛ فأخذ يرده بقوة حتى يصل إلى فكرة عن إله واحد في غاية البساطة ومميز تماماً عن خلقه . وابتداء من أبي الهذيل العلاف أخذت المعتزلة تطالع كتب الفلاسفة اليونانيين التي ترجمت إلى السريانية والعربية في ذلك العهد . فكانت محاورة تيماوس لأفلاطون قد ترجمت إلى العربية[4] والله في عرف أفلاطون لا يكوّن العالم على صورته بل على صورة المثل الأزلية . فساعدت هذه الفكرة المعتزلة على القول بأن العالم المخلوق لا يشبه الله الخالق أعني (في لغة المعتزلة) المانح الوجود لماهيات مختلفة ومميزة منه ؛ كما أنهم نفوا أن الله يخلق الخلق على مثال سبق .

ومن جهة أخرى يقول أرسطو إن الله ليس بالعلة الفاعلية للعالم وإنما العالم يجتهد بأن يحيي بقدر المستطاع حياة مماثلة لحياة الله ، ولكنه لا يستطيع ذلك لسبب مادته ، فيقلد الحياة الإلهية بحركة مستمرة وأزلية وهي الحركة الدائرية (انظر ارسطو كتاب الطبيعة ص ٢٦٥ ب ١) التي هي العلة الغائية للعالم — فإذاً لا توجد أي مشابهة بين الله والعالم ، والله على رأي أرسطو لم يبدع ماهية العالم ولا وجوده ؛ إنما المعتزلة مع نفيها كل مشابهة بين الله والخلق تقول إن الله منح الوجود فقط للعدم حتى صار كائناً .

وعندما أغلقت مدارس أثينا الفلسفية لجأ سمبلقيوس الفيلسوف إلى كسرى ملك الفرس وصديق الفلاسفة . وترك سمبلقيوس Simpliciws عدة شروح لنظريات أرسطو وكان أغلب المعتزلة على صلة بالفرس حتى إن بعضهم كان من أصل فارسي مثل أبو علي الأسواري .

فهذه الترجمات العربية لكتب الفلاسفة اليونانيين التي قام بها السريانيون من جهة ، والترجمات التي قام بها الفرس من جهة أخرى ، ساعدت المعتزلة على مطالعة الفكر اليوناني وقدمت لهم ما يلزمهم من براهين للدفاع عن التوحيد كما فهموه .

لكن هذا لا يمنع أن المعتزلة وجدت الأفكار التي تدافع عنها وقامت بها جاهزة كاملة — أن فضلهم لكبير ، لأنهم اقتبسوا من الفكر اليوناني ما رأوه مناسباً للرد على الشبهة ودفع كل شرك مفاخرين بأنهم « حماة التوحيد » .

* * *

نفي المعتزلة لصفات الله تعالى لا يمنعهم من البحث في بعض الصفات على زعم أنها اعتبارات ذهنية فقط وليست حقائق تتصف بها الذات الإلهية .

وهذا ما سنتطرق إليه في مقالنا القادم إن شاء الله .

ألبير نصري نادر

دكتور في الآداب والفلسفة

(١) الشهرستاني : نهاية اقدام ص ١٥١ الملل والنحل على هامش الفصل لابن حزم ج ١ ص ٨٥

ابن حزم ج ٤ ص ١٥٣ — البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٩٥

الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ٣٧

(٢) الشورى ٤٢ آية ١١ (٣) الأنعام ٦ آية ١٠٣

(٤) ترجمة يحيى بن البطريق في عهد المأمون وراجع الترجمة حنين ابن إسحق (١٩٤ هـ إلى ٢٦٤ هـ) وطالع هذه الترجمة شيوخ المعتزلة المتقدمون مثل أبو الهذيل العلاف وإبراهيم النظام الذي عرف حنين بن إسحق في بغداد .

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو دلامـــة

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

« تتمة »

لا ريب أن شذوذ هذا الرجل قد بلغ أشده ، فعلى الرغم من كثرة ما كان يصل إلى يده من المال من الخلفاء والأمراء والأغنياء كنت لا ترى عليه إلا سيماء الفقر ، إذ لا يعنى بملبسه ، ولا يكترث بمظهره ، بل ربما بدا أمام الناس بثياب لا تليق إلا بالمتسولين : وقد رأى عليه أبو عبد الله المقيلي مرة فروة في الصيف ، فقال له : ألا تمل هذه الفروة ! قال : بلى ، ورب مملول لا يستطاع فراقه . فنزع المقيلي فاضل ثيابه في موضعه فدفعها إليه[1] .

وما كان ليعجز عن فراق فروته في الصيف على رغم ملله منها وضجره مما تحمله من الحرارة لولا أنه كان يعيش عيشة المحتاجين ، وإن أعطى عطاء المترفين . لكنك عرفت أنه كان ينفق أكثر ما يأتيه من المال في شرب الخمر وإتيان المحرمات ، فلا غرابة إذا بدا أمام الناس بهذا المظهر الخشن البغيض !

ومع أن رداءة المظهر تصم صاحبها بالازدراء في أعين الناس — فإن لسان أبي دلامة كان من الطول والسلاطة بحيث يمنع الأذكياء من الاستخفاف بشأنه ، بل يدعوهم إلى الحذر منه والخوف من طعنه في أعراضهم :

أدلى أبو دلامة بشهادة لجارة له عند أبي ليلى[2] على أتان نازعها فيها رجل . فلما فرغ من الشهادة قال اسمع ما قلت فيك قبل أن آتيك ثم أقض ما شئت . قال : هات ؛ فأنشده :

إذا الناسُ غطوني تغطيت عنهم ... وإن بحثوا عني ففيهم مباحث
وإن حفروا بئري حفرت بئارهم ... ليعلم يوماً كيف تلك النبائث

ثم أقبل ابن أبي ليلى على المرأة فقال : اتبيعينني الأتان ؟ قالت : نعم . قال : بكم ؟ قالت : بمائة درهم . قال : ادفعوا إليها ففعلوا . وأقبل على الرجل فقال : وهبتها لك . وقال لأبي دلامة : قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابتعت ممن شهدت له ، ووهبت ملكي لمن رأيت . أرضيت ؟ قال : نعم . وانصرف[1]

وهكذا أمضى القاضي شهادته ولم يبحث عنه ولم يطلب تزكيته خوفاً من لسانه الفضاح الذي استبان بعض شره في بيتين من الشعر . وقد ترى — من هذا — أن أبا دلامة كان جريئاً لا يخاف أحداً . والحق أن هناك فرقاً عظيماً بين جراءة اللسان وثبات الجنان ، فقد كان هذا الظريف جباناً من الطراز الأول يكاد يخاف من ظله ولو خاف جميع الناس لسانه .

أهدي للمهدي فيل ، فرآه أبو دلامة فولى هارباً وقال :

يا قوم إني رأيت الفيل بعدكم ... لا بارك الله لي في رؤية الفيل
أبصرت قصراً له عين يقلبهـــا ... فكدت أرمي بسلحي في سراويلي[2]

ورجل يخاف من رؤية الفيل — وهو الحيوان الأليف الذي لا يجزع من ركوبه الأطفال — جبان ما في ذلك ريب . وهو — لجبنه — كان يفر من مبارزة الرجال فراره من الأسود !

كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروب مع بني أمية . فدعا رجل إلى البراز ، فقال له أبو مسلم : أبرز إليه . فأنشأ يقول :

ألا لا تلمني إن فررت فإنني ... أخاف على فخارتي إن تحطما
فلو أنني في السوق أبتاع مثلها ... وجدك ما باليت أن أتقدما

فضحك أبو مسلم وأعفاه[3] .

ولقد حدث أبو دلامة عن نفسه — وفي حديثه إثبات لجبنه وخوره — قال : أتى بي المنصور أو المهدي وأنا سكران فحلف

---

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٦٤

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قاضي الكوفة . أول من استقضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي واستقضاه بعد ذلك بنو العباس

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٨ .

(٢) وقد روى البيتان في شذرات الذهب وتاريخ بغداد ولسان الميزان مع اختلاف يسير في اللفظ والقصة .

(٣) الأغاني ج ١٠ ص ٢٦٨ .

ليخرجني في بعث حرب ، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلبي[١] لقتال الشراة[٢] . فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثراً ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ، ولآخذنك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلى ، ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلما حصل ذلك فى يدى وزالت عنى حلاوة الطمع قلت له : أيها الأمير ، هـذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما . قال : هات ، فأنشدته :

إنى استجرتك أن أقدم فى الوغى   لتطاعن وتنـازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة   فتركتها ومضيت فى الهراب
ماذا تقول لما يجيء وما يرى   من واردات الموت فى النشاب

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة ، فقال : أخرج إليه يا أبا دلامـة . فقلت : أنشدك الله أيها الأمير في دمى . قال : والله لتخرجن . فقلت : أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما شبعت منى جارحة من الجوع ، فمر لى بشيء آكله ثم أخرج . فأمر لى برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف . فلما رآنى الشارى أقبل نحوى عليه فرو وقد أصابه المطر فابتل ، وأصابته الشمس فاقفعل[٣] وعيناه تقدان ، فأسرع إلى . فقلت له : على رسلك يا هذا كما أنت ، فوقف . فقلت : أتقتل من لا يقاتلك ؟ قال : لا . قلت : أتقتل رجلاً على دينك ؟ قال : لا . قلت أفتستحل ذلك قبـل أن تدعو من تقاتله إلى دينك ؟ قال : لا ، فاذهب عنى إلى لعنة الله : قلت لا أفعل أو تسمع منى . قال : قل . قلت: هل كانت بيننا قط عداوة أو ترة ، أو تعرفنى بحال تحفظك على ، أوتعلم بين أهلى وأهلك وتراً ؟ قال : لاوالله. قلت : ولا أنا ، والله لا أحفظ لك إلاجميل الرأى، وإنى لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أراده لك . قال : يا هـذا جزاك الله خيراً فانصرف. قلت: إن معى زاداً أحب أن آكله معك وأحب مؤاكلتك لتتوكد المودة بيننا ، ويرى أهل العسكر هو انهم علينا . قال : فافعل . فتقدمت إليه حتى اختلف أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة ، ولى أفريقية والبصرة وغيرهما ، وكان جليلا شجاعاً جواداً

(٢) الشراة : الخوارج   (٣) واقفعل : تقبض

معارفها والناس قد غلبوا ضحكا . فلما استوفينا ودعنى . ثم قلت له : إن هذا الجاهل أن أقت على طلب المبارزة ندبنى إليك فتتعبنى وتتعب ؛ فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلت . ثم انصرف وانصرفت. فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتك قرنى ، فقل لغيرى أن يكفيك قرنه كما كفيتك ، فأمسك . وخرج آخر يدعو إلى البراز ، فقال لى : اخرج إليه ، فقلت:

إنى أعوذُ بروْح أنْ يُقدمنى   إلى البراز فتخزى بى بنو أسَـدِ
إن البراز إلى الأقران أعلمه   مما يفرّق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا إذ صمدت لها   وأصبحت لجميع الخلق بالرَّصَـد
إن المهلب حبَّ الموت أورثكم   وماورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها   لـكنها خُلقت فرداً فلم أجُـدِ

فضحك وأعفانى[١]

فأبو دلامة يعترف هنا بجبنه ، بل يصفه فيبدع فى وصفه ؛ وكأنى به لا يجد فيه غضاضة ، أو يريد بذكر قصته ما يريده أمثاله من الظرفاء من إضحاك الناس ولو اتهموا أنفسهم بما لا يرضاه مخلوق لنفسه . والجبن خلق قديم فى طبع أبى دلامة ، فهو حتى فى أيام شبابه — والشباب زمن التهور والحماسة — كان لا يخجل من الفرار من الأقران . وإليك اعترافه بذلك فى هذه القصـة :

كنت فى عسكر مروان[٢] أيام زحف إلى شِنانٍ الخارجى . فلما التقى الزحفان خرج منهم رجل فنادى : من يبارز ! فلم يخرج إليه أحد إلا أعجله ولم يُنهنهـه[٣] فغاظ ذلك مروان وجعل يندب الناس على خمسمائة ، فقُتِل أصحاب الخمسمائة ، فزاد مروان وندبهم على ألف ، ولم يزل يزيدهم حتى بلغ خمسة آلاف درهم . وكان تحتى فرس لا أخاف خونه ؛ فلما سمعت بالخمسة آلاف[٤] ترقبته واقتحمت الصف . فلما نظرنى الخارجى علم أنى خرجت للطمع ، فأقبل إلى متهيئاً وإذا عليه فرو قد أصابه المطر فابتل ، ثم أصابته الشمس فاقفعل ، وإذا عيناه تقدان كأنهما من غورهما فى وقبين . فلما دنا منى أنشأ يقول :

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٤٣ — وتجد الأبيات أيضاً فى معجم الأدباء ج ١١ ص ١٦٧ — كما تجدها فى وفيات الأعيان لابن خلكان مع اختلاف يسير فى اللفظ واختصار فى القصة .

(٢) يعنى آخر خلفاء بنى أمية مروان بن محمد .

(٣) نهنهه : كفه وزجره . وسياق الكلام يقتضى أن يكون (ولم يمهله)

(٤) أشرنا من قبل إلى أن هذه لغة ضعيفة ، وأن الأفصح : (بخمسة الآلاف) .

وخارجٍ أخرجه حبُّ الطمعْ فرَّ من الموت وفى الموت وقع
من كان ينوى أهله فلا رجَعْ

فلما وقرت فى أذنى انصرفت عنه هارباً . وجعل مروان يقول : من هذا الفاضح ؟ ائتونى به ، فدخلت فى غمار الناس فنجوت [(١)] .

فهذه القصة التى يرويها أبو دلامة عن نفسه كانت فى أيام شبابه لأنه لم يجاوز عهد الشباب حتى أواخر الخلافة الأموية ، ففيها دليل أقوى على جبنه وخوفه . وقد تشم فيها رائحة الوضع لأنَّ فيها صِيَغاً وأوصافاً تقارب ما فى القصة السابقة مع روح المهلبى ، حين صور الخارجى المبارز بأن « عليه فرواً قد أصابه المطر فابتل ، وأصابته الشمس فاقفعل ، وعيناه تقدان ... » الخ . ويمكننا القول بأن الحادثة قد تعددت على هذه الصورة مصادفة ، أو أن أبا دلامة أعجبته هذه الأوصاف التى صوَّر بها مبارزه فى المرة الأولى فأعادها فى وصف مبارزه الثانى ليبرر موقفه فى هربه أو فزعه من هذا المنظر الذى يملأ قلوب الجبناء رعباً .

ونحن — على كل حال — لا نريد أن ننفى كثيراً من أخبار أبى دلامة من ضعف الرواية ، فقد لاحظنا بعض التضارب فى قصصه ، إذ رأينا مثلاً أن الخيزران هى التى وعدته جارية فاستنجزها بشعر ، مع أننا نجد فى الأغانى (ص ٢٦٨ ج ١٠) أن ريطة هى التى وعدته ، ورأينا أن أبا دلامة طلب من السفاح كلب صيد ثم تدرج فى الطلب إلى أشياء كثيرة ، مع أننا نجد الجاحظ يروى القصة على أنها فى زمن المنصور لا السفاح ، ورأينا أبا دلامة يداعب السفاح فيقطعه خمسمائة ألف جريب غامرة على حين أننا نجده فى موضع آخر قد أقطع أمثالها مازحاً للمنصور — وانتحلنا هناك لمنع التضارب علة لعلها غير مقبولة — لكن هذا كله لا يمنعنا من قبول أخبار أبى دلامة — على ما فيها من ضعف فى الرواية — لأننا نجزم بأن مثل هذا الظريف لا بد من الزيادة فى نوادره ، والمبالغة فى دعاباته . ومن المعروف أن الرجل إذا اشتهر بالظرف نسب إليه الناس كثيراً مما يستظرفون عمداً أو عفواً ؛ بل إن الظرفاء أنفسهم كثيراً ما يجدون رغبة فى اختلاق الروايات المعجبة وابتكار الأخبار المدهشة التى تدل على خيال خصيب ، وذكاء عجيب ، وتدل فى الوقت نفسه على ميل إلى إرضاء السامعين والظفر بإعجابهم ...

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٤٥

ومن هنا لن نعجب إذا وجدنا فى ترجمة أبى دلامة فى كتاب (شذرات الذهب) : « إنه مطعون فيه ، وليست له رواية » ولن نعجب إذا قال مثل ذلك الحافظ الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد والحافظ ابن حجر العسقلانى فى (لسان الميزان) .

وهكذا شابه أبو دلامة أبا العيناء الذى سبق أن كتبنا عنه فى الرسالة [(١)] فى الطعن فى روايته وعدم الثقة بأخباره . والفرق بين الظريفين من هذه الناحية أن أبا العيناء كان أحياناً ما يروى السنة فكان ضرورياً أن يطيل الحفاظ فى بيان ضعفه تحذيراً منه بينما اكتفى أبو دلامة برواية أخباره ووصف نوادره التى تضحك الثكلى .

هذا هو الفرق بينهما من ناحية الرواية ، وأما من حيث الشخصية فإننا نرى أن قد كان لأبى العيناء نوع من الفلسفة الخاصة فى هذه الحياة ، فقد كان معتزاً بنفسه إلى أبعد الحدود ، يرى أن الله قد عوضه عن عماه لساناً سليطاً وشعراً متيناً وذكاء نادراً ، بينما نرى أن أبا دلامة كان يعيش على هامش الحياة عيشة لاهية ، فكثيراً ما كان يحقر نفسه ويذل كرامته ليضحك سواه رغباً فى عرض أدنى يناله . ثم إن أبا العيناء كان ينتقد مجمعه ويتهكم بأهل زمنه تهكماً يدل على أن الألم كان يعصر قلبه على حين كان أبو دلامة لا ينتقد عيباً ولا يكاد يتألم من شىء ، وإنما كان يعيش عيشة فردية همه فيها إرضاء شهواته ، وبلوغ مآربه .

ولا شك أن رقة الدين ورداءة المذهب وارتكاب المحارم وتضييع الفروض والمجاهرة بالإثم — من الأوصاف التى توشك أن تجعل من الظريفين شخصاً واحداً لشدة التشابه بينهما فيها . ولا ينتظر الناس من ظريف يضحكهم أن يكون ملاكا أو قديساً ، فإذا كان بعض القدامى قد صرح بأن (أعذب الشعر أكذبه) فإن كثيراً من المحدثين لا يعجزهم أن يزيدوا على ذلك (وأعذب الدعابة أكثرها فضحاً عن المستور ، وكشفاً للمحجوب) .

والظريف فى أبى دلامة — وما رأيت فيه إلا ظريفاً — أنه عاش حياته كلها ضاحك السن لا يتألم ولا يبكى ، ثم مات سنة إحدى وستين ومائة وهو ما زال ضاحكا لا يتألم ولا يبكى !

فهل كتب الظريف عهداً على نفسه ليضحكن مدى الحياة ؟ لعله فعل ... فما أكثر شذوذ الظرفاء !

صبحى إبراهيم الصالح

(١) الأعداد ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ من الرسالة .

أساليب التفكير :

فلســـفة الشعب

للأستاذ عبد المنعم المليجي

— ٢ —

يقول حكيم الشعب : « اعمل خيراً وارمه فى البحر » . فماذا يملى عليه هذا القول ؟ إنه يرى فناء كل حى ، وزوال كل نعمة ، وضياع كل مجد ؛ ويرى إلى ذلك أن ذكرى العمل الصالح تبقى حية فى الأذهان والقلوب والضمائر ، وأن لفعل الخير حلاوة تجعل منه غاية جديرة بأن تُطلب لذاتها وكفيلة وحدها أن تحقق السعادة فى نظره ليست فى جاه نبلغه ، أو صيت نذيعه ، أو مال نصيبه ، إنما هو فى راحة الضمير وهدوء النفس ، ولا سبيل إلى ذلك بغير سلامة النية وصفاء الطوية وهما لا يتفقان مع طلب الخير لغير الخير . إعمل خيراً وألق به فى البحر ، وترقب السعادة بعد ذلك تأتك طوعاً من حيث لا تدرى ولا تحتسب .

أيختلف هذا الاتجاه المثالى فى شىء عن اتجاه الشاعر الفيلسوف « جوته » فى قصة « فاوست » ؟ . لقد جاهد فاوست جهاداً طويلا مريراً دون أن يظفر بشىء ، ولكن حياته لم تضع هدراً إذ رفعه المؤلف إلى جنات ربه ، وما ذلك إلا لأنه قد أحس بالحق والخير والجمال فجاهد فى سبيلها وكان فى جهاده هذا خلاصه. نعم إن معنى تلك الحيـاة والأثر الذى خلفته خطى فاوست على صفحات الزمن هو أنه علينا أن ندأب ما استطعنا فى سبيل المثل العليا ، وسيان بعد ذلك أصبنا نجاحاً أم إخفاقاً ، فالجهاد نبل فى ذاته »[1] . ذلك هو الاتجـاه الفلسفى الذى تنطوى عليه قصة فاوست وهو نفسه الاتجاه الذى تنطوى عليه عبارة حكيم الشعب « اعمل خيراً وألق به فى البحر » . أى هدوء تحس به النفوس الخيرة إذ تتمثل هذا الدرس فتتغالب بقوته السحرية تيار الجشع والاستهتار . حقاً إن الفلسفة الشعبية الساذجة لتتسامى مع الفن والدين فى التخفيف من أعباء الحياة .

وبعد ، أليس ما ذهب إليه الشعب فى حكمته أو « جوته » فى قصته ، من اعتبار الخير غاية تُقصد لذاتها ، هو فى جوهره عين ما ذهب إليه الفيلسوف الألمانى العظيم « عمانوئيل كنط » فى مذهبه الأخلاقى الذى يرى أن الخير الأسمى الذى يتعين علينا أن نخضع له هو «الواجب» المجرد الذى يمليه علينا «أمر مطلق» يصدر من تلك القوة الذاتية الخفيفة التى ندعوها « الضمير » ، تلك القوة التى تعتبر صورة الله فى نفوسنا ، فالله فى الأبدية والضمير فى أعماق النفس البشرية ؟ إن السعادة فى نظر كنط إنمـا هى فى الخضوع للأمر المطلق الصادر من الضمير ، والعمل للواجب لذاته وأمر يتفق تمـاماً مع ما ذهب إليه كل من جوته والحكيم الشعبى ...

ويعرض أرسطو لنفس المسألة فيحصر الخيرات فى ثلاثة : إما اللذة ، وإما المجد ، وإما الحكمة . ويُعمل عقله أيها يختار على اعتبار أنه الخير الأسمى ؟ فيرى اللذة شعوراً نفسياً يصاحب فعلا من الأفعال أو وظيفة من الوظائف ، وعليه فلا يمكن أن تكون غاية فى ذاتها ؛ وإنمـا هى عرض يزول بانتهاء الفعل أو الوظيفة ، ويرى المجد لمال نصيبه ، أو شهوة ننالها ، أو تكريم نحصل عليه ، فليس المجد هو الغاية القصوى ، إنما الغاية المال أو الشهرة أو التكريم. وهكذا تنتهى فلسفة أرسطو الأخلاقية إلى اعتبار الحكمة هى الخير الاسمى الذى ينبغى أن نطلبه ونعمل وفقاً له ، وما الحكمة إلا تغلب قوى العقل على قوى الحس ، وتفضيل السعادة الدائمة على اللذات المؤقتة ، ونشدان الاتزان النفسى وراحة الضمير — وهل لأحدهما أو كليهما أن يتحقق ما لم « نفعل الخير ونلقه فى البحر » كما يفعل الحكيم الشعبى ، وما لم « ندأب ما استطعنا فى سبيل المثل العليا » كما فعل « فاوست » ، وما لم نصغ لصوت الضمير الكامن فى أعماق نفوسنا شأن « عمانوئيل كنط » ؟!

فهم السعادة :

حلا للأستاذ الزيات أن يسأل قروية ساذجة : « كيف ترضى بالحياة وهى فقيرة ، وتبسم للدنيا وهى منهوكة » ؟ فأجابت : « المـاء فى الكوز والعيش مخبوز » . ثم مضى أستاذنا يحاورها

(١) نماذج بشرية تأليف الدكتور محمد مندور .

حتى ينتزع من فمها درساً غالياً فى فن السعادة . قالت أم عامر :

« نشأتُ كما تنشأ القرويات الفقيرات ، على التلول كالدجاج وأنا طفلة ، وبين الحقول كالذئاب وأنا صبية ؛ آكل العشب وأستمرئه ، وأشرب الكدر وأستسيغه ، وألبس الخشن وأستلينه ، وأفترش المدر وأستوطئه ، وأعالج الصعب وأستسهله . والذى أحلى المر فى فمى ، وجمّل القبيح فى عينى ، وألان الغليظ لجانبى : صحة كصحة الظبى الشادن لم تجنح يوماً لراحة ، ولم تحتج يوماً إلى دواء ؛ ومرانة على عنف الطبيعة لا تفرق طاقتها بين صبح ومساء ، ولا بين صيف وشتاء ؛ ونفس راضية تقنع بميسور العيش وتخضع لمكتوب القضاء ... »(١) .

لقد استطاعت صاحبتنا بجهد ذاتى أن تنتصر على أقسى ظروف الحياة وتنعم بالرضا والهدوء ، ذلك أنها « مرنت على عنف الطبيعة ، وقنعت بميسور العيش ، وخضعت لمكتوب القضاء . » هى إذن ببصيرة نافذة وبملكة الحكم السليم ترى السعادة أمراً شخصياً وليس رهناً بالظروف الخارجية ، هى شأن من شئون الذات بمقدور كل إنسان أن يحققها على رغم قسوة الظروف الخارجية .

تلك فلسفة نستشفها من ثنايا العبارات الصادقة على سذاجتها يفوه بها نفر من البسطاء وهى لا تفترق فى جوهرها عن فلسفة الرواقيين التى سادت الفكر اليونانى فى القرن الرابع قبل الميلاد وسيطرت على العقلية الرومانية بعد ذلك ، وكان لها أثر فعال فى الفلسفة المسيحية ، وتقترب هذه الفلسفة من الفلسفة البوذية . عرض لجميع هؤلاء سؤال واحد : « كيف السبيل إلى السعادة رغم قساوة الظروف الخارجية ، وهل يمكن بلوغها مع ذلك ؟ » واتفق الجميع على إمكان الوصول إلى السعادة رغم قساوة الظروف ورسموا طريقاً واحدة ، وجاء تعريفهم للسعادة واحداً فى معناه رغم اختلاف الألفاظ . فقالت أم عامر : هى « مرانة على عنف الطبيعة ونفس راضية تقنع بميسور العيش وتخضع لمكتوب القضاء . » وقال الرواقى : هى أن تمتلك نفسك امتلاكا حراً ، وتتحرر النفس من قيود الظروف الخارجية ، وتخضع إرادتك الجزئية لإرادة الكون الكلية ، تلك الإرادة الكلية الخيرة المنبثة فى أرجاء الكون جميعاً . » وقال البوذى : « هى أن تعرف كل شىء ، وتفهم كل شىء . تنطلق من عبء الحدث وعبء الوجود ، لا تشعر بأية حاجة ، تسافر منفرداً لا يعنيك اللوم ولا المديح ، تقود الغير ولا يقودك أحد .

دعوة مخلصة :

قد يعجب البعض كيف أقارن بين الحكمة الشعبية وبين المذاهب الفلسفية الكبرى ، وقد يرى بعض المهتمين بالدراسات الفلسفية من القحة والتهجم على قدسية الفلسفة أن أحاول التقريب فى مجال الأخلاق بين الحكمة الشعبية وبين المذاهب الفلسفية الكبرى . فلهؤلاء أؤكد أن بذور التفكير الفلسفى مغروسة فى جميع العقول تقضى عليها لدى البعض ظروف معينة ، وتنميها لدى آخرين ظروف مواتية . ليست الفلسفة ركاماً من المعارف المختزنة ، إنما هى اتجاه فكرى ، إحساس بمشكلة تعترض الذهن وتأملها تأملا حراً بغية الاهتداء إلى سرها عن طريق العقل والمنطق . وإذا فهمت الفلسفة على هذا النحو قرَّ فى نفوسنا أن الواجب يقضى علينا أن نتعمق حياة العامة ونغوص على حكمهم السائرة ، ونجيل البصر فى كتب الشعراء والأدباء ، لنبرز بدايات التفكير الفلسفى . ويقضى علينا أيضاً أن نكشف عن بساطة المذاهب الفلسفية وكيف أنها تنبع على نحو طبيعى من نفس المنابع التى تنبع منها الحكم الشعبية مع فرق فى درجة الإتقان والتوفيق . حينئذ يتحقق الوئام بين الحكمة الشعبية والفلسفة المذهبية رفعنا من مقام الأولى وردنا الحياة إلى الثانية ، وتندمج عقول العامة وعقول العباقرة فى وحدة فكرية نبيلة لا تنفصم عراها .

تلك رسالتى أدعو إليها بكل ما أوتيت من قوة ، وأجهد فى سبيلها حتى تتلاشى الحواجز الصناعية التى يقيمها نفر من المثقفين . وأؤكد لهؤلاء أن أعقد المذاهب الفلسفية لا يفهم بفهم الألفاظ التى تنقله إلينا ، ولكن تفهم المذهب عند ما نلمس المشكلة التى اعترضت ذهن صاحبه وتتمثل الكفاح الفكرى الذى قام به حتى توصَّل إلى حل المشكلة وتفسيرها بمذهبه ، أى عند ما نعيش اللحظات الفكرية التى عاشها حينئذ نكتشف أن المشكلة ذاتها قد تعترض أى ذهن ، حتى ليمكننا فى أحوال كثيرة أن نوفق فى

(١) « قروية فيلسوفة » مقالان للأستاذ الزيات بالعددين ٨١٣ ، ٨١٤ من الرسالة .

رد بعض المذاهب الكبرى إلى أصول فى الحكمة الشعبية . إن الفلسفة حركة فكرية طبيعية قبل أن تكون معرضاً لفظياً لمصطلحات مبتسرة ، وهى بهذا المعنى بسيطة كما رآها ديكارت وغير واحد من فلاسفة الفرنسيين .

وفيما أنا مشغول بالتفكير فى هذه المحاولة ، أقرأ رسالة صغيرة أهداها إلينا أستاذنا الدكتور عثمان أمين (١) يحلل فيها خصائص العقلية الفرنسية ، إذا بى أجد ماىؤيد محاولتى . وكم كان سرورى عظيما عند ما بلغت قوله : « ليست عبقرية الفلاسفة والمفكرين الفرنسيين إلا كمال ذلك المعنى الذى نجده متحلياً عند فلاحى فرنسا ملموساً فى أعمالهم اليومية . » (٢) وعند ما ردد مع « برجسون » « ليس هنالك فكرة فلسفية مهما يكن حظها من العمق والدقة إلا ويستطاع — بل يحسن — التعبير عنها بلغة الناس المتداولة البسيطة . » ومع « بوالو » :

« إن ما أجد تصوره استطعنا أن نعبر عنه تعبيراً واضحاً ، وجاءتنا الألفاظ عنه طائعة مختارة . » وعند ما علق على قولى برجسون وبوالو بعبارة ساخرة تحفزنى إلى المضى فى طريقى وتعتبر خير سند لفكرة التقريب بين عقول الفلاسفة وعقول المستنيرين من البشر : « ليست كل المياه الملونة بالطين مياهاً عميقة ، ولا كل المياه الصافية مياهاً سطحية » . (٣)

لست إذن أدعو إلى المستحيل ، ولا أنا أطلب بدعاً ، فالفلاسفة الفرنسيون أنفسهم مهدوا السبيل أمامنا فلم يشحنوا مؤلفاتهم بتلك المصطلحات الفنية التى تعتبر ستاراً صفيقاً يحول بين الكثيرين وبين فهمها ، بل عرضوا أفكارهم فى بساطة ووضوح ، ولم يعمدوا إلى غموض هو كما قال برجسون : « فى منزلة القناع يلقيه المؤلف على فكر لم يوفق بعد إلى أن يستبين ذاته تمام الاستبانة . » وتوجهوا بفلسفتهم إلى الجمهور كله بل إلى الإنسانية جمعاء ؛ ذلك أن الفلسفة فى رأيهم حق للبشر جميعاً ، وليست امتيازاً لطبقة على أخرى . وعلىَّ بيان ذلك فى العدد القادم إن شاء الله .

(الاسكندرية) عبد المنعم المليجى

(١) خصائص الروح الفرنسى
(٢) صفحة ١٦
(٣) صفحة ١٩

دخـــان ولهب

للأستاذ إبراهيم الوائلى

لا تخلها — وهى تذكو شعلاً — بنت كرم إنها كانت ضراما
كلما أفرغتها فى كبدى غادرتها بين أضلاعى حطاما

قد عصرت الروح فى الكأس ومن
قلبى المشبوب ذوبت الحبب
وحبست اللحن فى صدرى أسى فإذا اللحن دخان ولهب
وترامبت على وقد الجوى مثلما يلقى على النار الحطب
أتراني — ولقد ودعت أمسى
ودفنت اللحن فى ظلمة يأسى —
أبعث الأنغام أو تعذب كأسى ؟

لا وعينيك فما تجرى سوى قطرات لم تكن إلا ضراما
وغنائى لم يكن إلا صدى لرنين صيَّر القلب حطاما

يا حبيبى إنَّ لحناً مرَّ فى شفتى بالأمس قد عاد خيالا
وربيعاً كان مفتان الرؤى لا أرى منه على السفح ظلالا
وغديراً كم بشئناه الهوى كفنته الريح شوكاً ورمالا
أتراني — ولقد بات نشيدى
همسة ترقد فى الماضى البعيد
أحتسى الخمرَ على رنة عُودى

لا وعينيك فما لحنى سوى قطع ينفثها الصدر ضراما
وشعاع الكأس ما كان سوى لهب قد صيَّر القلبَ حطاما

إيه يا أيامى اللائى مضتْ وتلاشتْ فى زوايا الأبد
هل يعود اللحن مرنان الصدى وتمسُّ القدح العذب يدى ؟
كلما قلتُ : ستخبو جذوة أيقظتها أختها فى كبدى
آه ما كأسى ، ما عُودى وفنّى
غير أحلام توارتْ خلف دجن
يا حبيبى لا تسلنى أينَ لحنى ؟

إنَّ أنغامى فى ليلِ الأسى لم تكنْ إلا دُخاناً وضراما
وبقايا الكأس ما كانت سوى حرق صيَّرتِ القلبَ حطاما

ابراهيم الوائلى

غب النــوى ...

للآنسة الفاضلة (المطوقة)

مضيتَ ؟ إلى أين ؟ هلاّ تعود   إلىّ ، إلى روحىَ اللائبِ
حنانك ، ضقتُ ، وضاقت حياتى
بهـنا الصدى المحرق اللاهب
بأشواق العاتيات تزلزل صـدرىَ   فى عنفها الصاخب
حنانك ، قلبى يذوب وراءك ،   أواه من قلبى الذائب
تلفّتْ ، وراعِ بقاياه تذوى   وتفنى مع الأمل الغارب

مضيتَ ؟ وكيف ؟ ألا رجعة   ترد إلى القلب دنيا رؤاه ؟
لقد اقفر الكون فى ناظرىّ   وغشى الظلام مجالى ضياه
وكيف أحس جمالَ الوجود   ووجهك عنى توارى سناه
فما أقبح العيش يا موحشى   وياما أشد سواد الحياه
وأنت بعيد بعيد هناك ...   وقلبى وحيد يعانى أساه

مضيتَ ؟ فيا لحنينى إليك   وواهاً لأمسى القريب البعيدِ
زمان أمرّ بدرب الكروم   وللدرب نفح جنان الخلود
ويشرد طرفى ويطوى المدى   ولقياك غاية طرفى الشرود
وفى القلب نار جموح الوقود   ينادى بها الشوق : يا نار زيدى
وطرفى قرير بذاك الشرود   وقلبى سعيد بذاك الوقود

ويفجأنى وقع خطو بعيد   ورائىَ ، أصغى إليه طويلا
ويهتف قلبىَ : هـذى خطاه   أرى فى صداها عليه دليلا
خطى العنفوان، خطى الكبرياء   تنم عليه عظيماً نبيلا
وتختطف الروحَ غيبوبةٌ   وقد رحتَ تدنو قليلاً قليلا
وأغرق فى حلم ساحر   أحال حيـاتى فناً جميلا

وفى غمرات الذهول العميق   تطالعنى القامة الفارعه
فأشخص ، ثم أغضّ حياء   وأكسر من لهفتى الجائعه
وأبدى جمودَ الخلىّ كأن لم   ترج دمى الطلعة الرائعه
وتحت جمودى اضطراب عصوف   أداريه منغضبةً وادعه
وتحت جمودى من العاطفات   أعاصير جارفة دافعه

وتنهب عيناك وجهى وقد   عرا مهجتى منهما ما عرا
فيمحى بعينىّ كل الوجود   ويمحى بعينىّ كلُّ الورى
وما لفتة النسر يا فتنتى   تطلع من عاليات الذُرى
وسلّط لحظاً على إلفه   عنيفَ التوقد ، مستكبرا
بأروع منك وعيناك فىّ   أوارٌ تلظى وسحر سرى

وتمضى ، وأمضى مع العابرين   وما بيننا غير نجوى النظر
وطيف ابتسام على شفتيك   ووهجُ هيام بعمق استعر
وقد هبط الليل حلوَ الغموض   خلوبَ الرؤى،عبقرىّ الصور
وماجت مع الريح خضر الكروم   مشعشعةً بضياء القمر
وفاض الوجود شعوراً وشعراً   وذاب من الوجد حتى الحجر !

سل الدرب كم جئت غبّ النوى
أجرُّ الخطى فى الغروب الحزينْ
وحولى من الذكريات الخوالى   طيوف تثير لهيب الحنين
أخاف تبكّرُ عليهـا الليالى   وتدفن تحت ركام السنين
فيبسط قلبى جناحىْ هواه   عليها ويحنو حنوّ الضنين
وأنت بأعماق روحى صلاة   يسبح باسمك روحى الأمين

مضيت ؟ إلى أين ؟ هلاّ تعود   لروحى اللهيف ، لقلبى الغريب ؟
توحدتُ بعـدك يا موحشى
على الدرب ، درب الكروم الجديب
أسير إلى غير ما غاية   وكفى على جرح قلبى الخضيب
وفى مقلتىّ غـيوم حزانى   وفوق جبينى وجوم كئيب
وسمتك فى خاطرى ماثل   يهيج الحنين ويذكى اللهيب

إلى أين؟ رحماك يا ابن الصحارى   ورِد ظماء الفؤاد العميدْ
فما برمال عطاشى تمتّكَ   كهذا الغليل الملح المبيد
إلى أين ؟ يا لك طيفاً ألمّ   وعانق روحى بحلم سعيد
ويا لك وهمَ سراب تألق   فى قفر عمرى لقلبى الشريد
حنانك ، عد ، كيف أحيا الحياةَ
وأنت هنـاك بعيد ، بعيد

(المطوقة)

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

« تحت المبضع » للأديب السورى محمد روحى فيصل :

كتاب فى بضع وثمانين صفحة ، ولكنه يقدم صاحبه خير تقديم ؛ يقدمه فى معرض النقد الأدبى حين يكون للذوق المرهف أثره الملحوظ فى اللمحة الفنية التى تغنى عن لمحات ، وفى اللمعة الفكرية التى تهدى إلى لمعات ... أما الكتاب ، فهو « تحت المبضع » ، وأما الكاتب فهو الأستاذ محمد روحى فيصل رئيس قلم المطبوعات فى « حمص » .

هذه كلمات يجب أن تقال قبل أن أقدم للأستاذ روحى فيصل خالص الشكر على هديته ، وقبل أن أضع مبضعه تحت المبضع ، فأتفق معه حيناً ، وأختلف معه حيناً آخر ... ولا بأس أبداً من أن نلتقى هنا لنفترق هناك ، ما دامت السطور الأولى من هذه الكلمة النقدية تحمل إلى القراء حكماً صادقاً وأخيراً على شخصية الكاتب وما كتب !

فى هذا الكتاب فصول أفردت لنقد الشعر والنثر ممثلين فى مهرجان أبى العلاء ... ومرة أخرى نعود إلى فيلسوف المعرة لننظر فيما قاله الأستاذ روحى فيصل عن هؤلاء الذين اشتركوا فى إحياء ذكراه ، وبخاصة تلك النخبة من الشعراء أمثال الأساتذة : عمر أبى ريشة ، وبدوى الجبل ، وشفيق جبرى ، ومحمد البزم ، ومهدى الجواهرى ... شعراء خمسة تقدم كل منهم إلى المهرجان بأبيات من الشعر تفاوتت فى سبحات الخيال ورفات الجناح ، وكاتب يقف منهم جميعاً موقف العارض فى أمانة ، المحلل فى أناة ، الناقد فى ثقة واحتشاد .

أول شىء أود أن أشير إليه هو تلك الكوى الفكرية التى أطلت منها رءوس الشعراء والناثرين لتنفذ إلى أغوار الشخصية العلائية ... بما ذا خرجت تلك الرءوس من ذلك الفكر المسجى على فراش الأجيال والعصور ؟! كاد أقول لا شىء ! ... لا شىء غير تلك القصة المكررة التى ترويها كتب القدامى والمحدثين ، ولا شىء غير ذلك « الفلم » الذى تعرض مناظره على « شاشة » الشعر والنثر دون أن تتجدد الزوايا العديدة فى الصور النفسية ، وكأن أبا العلاء على كثرة « المخرجين » و « المصورين » نسخة واحدة أبرز فصولها مخرج واحد ، والتقط مشاهدها مصور واحد ، وكأنى كنت أمد عينى إلى مهرجان أبى العلاء ، وأرهف سمعي إلى ما يقال عنه يوم أن قلت فى عدد مضى من « الرسالة » : « لو قال الباحثون عن أبى العلاء إنه إنسان قلق لعبروا عن الواقع أدق التعبير ، ولأحاطوا بكل جانب من جوانب شخصيته بهذه الكلمة الواحدة ، ولكنهم ركزوا كل عنايتهم فى جانب واحد انتهوا منه إلى حكم عام ما لبث أن استقر فى الأذهان ، واطمأنت إليه النفوس ؛ هذا الحكم العام محوره « التشاؤم » فى شخصية الرجل وفى فلسفته على حد سواء ! ... من الخطأ فى رأيى أن ينسب الباحثون أبا العلاء إلى نزعة نفسية بعينها ليتفرد بها وليقف عندها لا يكاد يتعداها إلى غيرها من النزعات ؛ ذلك لأن أبا العلاء قد مال إلى التفاؤل كما مال إلى التشاؤم ، ونصح بالإقبال على الحياة كما نصح بالإعراض عن الحياة ، وآمن بالبعث كما أنكر إيمانه بهذا البعث ، وأوصى بالزهد فى نعيم الدنيا كما أوصى بالإغراق فى هذا النعيم ، ونادى بفكرة الزواج والنسل ، كما نادى بنبذ هذه الفكرة مقدماً من نفسه مثالاً لهذا الحرمان ! ... أبو العلاء إذن لم تكن له « لافتة » واحدة « يعلن » فيها عن رأى واحد تتميز به شخصيته الفلسفية والإنسانية ، ولكنه كان أشبه بالتاجر الذى يعلن كل يوم عن « صنف » جديد من أصناف « بضاعته » عقب وروده بلحظات ؛ وكل تلك السطور المتناقضة يمكنك أن تضمها تحت عنوان كبير مكون من كلمة واحدة واحدة هى : القلق » !

ولقد فسرت هذا القلق على ضوء علم النفس الأدبى تفسيراً جديداً ، حيث قلت بعد كلام طويل فى هذا المجال : « الفراغ فى حياة أبى العلاء ، ولا شىء غير الفراغ ، وعلى هديه نلتمس العلة الأصيلة لتلك الذبذبة النفسية ممثلة فى هذه الذبذبة الفكرية ... ولنا بعد ذلك أن نسأل : أى لون من ألوان الفراغ كان يشكو أبو العلاء ؟ إنها ثلاثة ألوان : فراغ النفس ، وفراغ القلب ، وفراغ الجسد ... وتلك أن تردها جميعاً إلى الحرمان ، فنفس

أبي العلاء كانت تشكو الحرمان من العطف ، وقلب أبي العلاء كان يشكو الحرمان من العاطفة ، وجسد أبي العلاء كان يشكو الحرمان من المرأة ... وقفْ طويلا عند هـذا الحرمان الأخير ، فهو مصدر الحرمان كله ، ومركز الفراغ كله ، وعلة هذا القلق الذي وجه أبا العلاء ألف وجهة ، وحيره بين ألف رأي وعقيدة ، وقذف بعقـله إلى ألف درب من دروب الفـكر ، حيث يتجلى التناقض والتضارب والاختلاف ! هذا الجدب الماطق في القلب الإنساني ، وهذا الـكبت الطويل العنيف للغريزة الجنسية ، هما في رأيي — ولا شيء غيرهما — مركبا النقص الخطيران في شخصية أبي العلاء ، ولا حاجة بنا إلى الحديث عن مركب النقص وأثره في توجيه العقول والأفكار » ! !

قلت هـذا بعد أن تعرضت لآراء الباحثين ممن وقفوا عند الآفة الجسمية في حياة أبي العلاء مفسرين على ضـوئها معالم الاضـطراب في نظراته وآرائه ... فليرجع القراء إلى ما قلت ، لأن تلك السطور التي نقلتها هنا لا تغنيهم عن البحث كاملا مرتبط الفصول ، متماسك الأجزاء ، مسلسل النقلات ، بين النتائج والمقدمات ... قلته بالأمس ، وأعود اليـوم فأذكّر به ، لأن الأستاذ روحي فيصـل يتفق معي في أن خطباء المهرجان لم يأتوا بجديد حين يقول في مقدمة كتابه : « فأما إن أبا العلاء المعري نفسه قد استبان لنا على غير ما كنا نعرف من صورته ، فذلك لا يقوله أديب له شيء من مشاركة في فهم الأدب على العموم ، وفي فهم الأدب العربي على الخصوص . فما شع من هذا المهرجان الذي انقضى ضـوء نظرية جديدة من شأنها أن تنير ناحية من أبي العلاء كانت مجهولة أو مظلمة ، ولا انبثق عرض شامل ينظم هذا الرجل الـكبير في شتى مجاليه » !

وأقف هنا وقفة قصيرة لأهمس في أذن الأستاذ فيصل قائلاً له : لقد كنت أرجو ألا يكون ناقداً فحسب ، وإنما كنت أرجو أن يكون ناقداً وباحثاً في وقت معاً ... أعني أنني كنت أود ، وقد أشار إلى هـذا الاجترار الممل فيما قيل عن أبي العلاء ، أن يحاول هو من جانبه أن يضع شخصية الرجل تحت المبضع عسى أن يخرج من دراسته بنظرات جديدة . ولـكن الأستاذ فيصل قد ترك أبا العـلاء إلى هؤلاء الذين تحدثوا عنـه من الـكتاب والشعراء ، مقتصراً على الإشارة العابرة إلى كلمات الفريق الأول ، والنقد المفصل لقصائد الفريق الأخير !

وأنتقل بعد هذه اللفتة إلى الفصول النقدية الخمسة التي أفردها الأستاذ فيصل لشعر أبي ريشه والجبل وجبرى والبزم والجواهري .

في تلك الفصول لمسات تنبئ في الـكثير الغالب عن سلامة التقويم ، ونزاهة التقدير ، وعرض موفق للشخصية الأدبية على مدار الحقل الشـعري واتساع مداه ... هناك حيث تبحث عن معدن الملـكة الناقدة فيشع في اللمحة الفنية التي تغني — كما قلت لك — عن لمحات ، وفي اللمعة الفكرية التي تهدي إلى لمات ... انظر مثلا إلى هذين البيتين من قصيدة بدوى الجبل حول مشكلة الآفة الجسمية في حياة أبي العلاء ، واحكم — بعد ذلك — على الذوق الأدبي عند روحي فيصل :

من راح يحمل في جوانحه الضحى ... هانت عليه أشـعة المصباح
وجلا المصون من الضمائر فانتهى ... همس النفوس لضجة وصياح

« فاقرأ هذين البيتين كما قرأتهما أنا ، وأعد تلاوتهما على نفسك ، وانفذ إلى مطاويهما ، وتذوق حلاوتهما ، فستجد أنك حيال لون من الشعر المجنح الجميـل طالما رغبنا في مثله ، وطالما حرصنا على أن يسحب الشعراء على ذيله . وسترى عمل البيان في الخروج بخوافي النفس إلى دنيا النور أو دنيا الضجة والصياح كما يقول البدوي ؛ وإنما يعجبني البيت الأول لأن صـورة « الضحى بين الجوانح » من أرق الصور وأدناها إلى الخيال وأعلقها بالجمال ... ويعجبني البيت الثاني لأن كناية « الضجة والصياح » من أبرع الـكنايات في الدلالة على الـكشف والإعراب » .

هنا ذوق رائع في فهم الشعر ورفع الغطاء عن أسرار مراميه ، ولـكنني أختلف مع صاحبه حين يزن هـذا البيت بميزان الأداء اللفظي في الوقت الذي أنادي فيه بإقامة الميزان للأداء النفسي في الشعر العربي الحديث ... يقول بدوى الجبل في مجال الحديث عن موقع المرأة من شعور أبي العلاء :

يا ظـالم التفاح في وجناتها ... لو ذقت بعض شمائل التفاح !

ويقول روحي فيصل في مجال التحليل والنقد : « فهنا عتاب ناعم يوجهه الشاعر لأبي العـلاء فيما تجنى على المرأة من نقد ، وهنا إغراء جميل على محاسن الأنوثة ، وهنا فوق ذلك ، ألفاظ خفاف ،

ومسرى حلو ، ونغم لطيف ، وشعور — على أنه سطحي وابتدائي وجماهيري — لا يخلو من شيء من الإحساس بفتنة المرأة وسحر الجمال » .

معذرة إذا قلت للأستاذ فيصل : إن هذا الشعور الذي يصفه بأنه سطحي وابتدائي وجماهيري ، هو وحده الذي أكسب بيت بدوي الجبل ذلك الأداء النفسي الذي أدعو الشعراء إلى أن يطرقوا أبوابه ... إن كلمة « لو ذقت » هي التي أوحت إلى الأستاذ فيصل بهذا الوصف ، ولكنه لو نظر إلى الظلال الفنية التي أسكنها الشاعر بناء التعبير ممثلة في تلك الكلمة ، لتكشف له عمق الحركة النفسية في ذلك الصدق الشعوري المنبعث من بساطة الأداء.

ولقد كنت أود أن أطيل القول في مشكلة الأداء النفسي في الشعر ، لولا أن هناك بحثاً يدور حول هذا الموضوع في انتظار العرض على صفحات « الرسالة » في الأيام المقبلة .

ويبدو لك من كتاب الأستاذ روحي فيصل أنه يفضل قصيدة عمر أبي ريشه على غيرها من الشعر الذي ألقي في المهرجان ... وهنا أختلف معه مرة أخرى ما دام هو يضع الشعر أحياناً تحت مجهر الحركة اللفظية ، ومادمت أنا أضعه أبداً تحت مجهر الحركة النفسية.

يقول أبو ريشه مثلاً :

أتريد الوجود منتهك الستر   يرينا أسراره عريانا
ويفض الفدام عن قلبه السمح   ويجريه للعطاش دنانا
لو بلغنا ما نشتهي لرأينا الله   في نشوة الشعور عيانا

هنا معرض ألفاظ يعج بصور فكرية عادية التلون مألوفة الأضواء ، كل ما يهزك منها هو هذا الإطار التعبيري الذي يحيط بالصورة ، ويضفي عليها شيئاً من الجمال ، الجمال الذي يطالع الأنظار والأسماع ولا يطالع المشاعر والنفوس ! ولكن الذوق المرهف يعود إلى محرابه الأصيل عند روحي فيصل عند ما يهتز طرباً ، واهتز معه لهذا التصور النفسي الموفق في هذين البيتين لمهدي الجواهري حول قسوة القدر على حياة أبي العلاء :

على الحصير و كوز الماء يرفده   وذهنه ، ورفوف تحمل الكتبا
أهوى على كوة في وجهه قدر   فسد بالظلمة الثقبين فاحتجبا

ولمحة أخرى للأستاذ فيصل تبلغ الغاية في الإشراق ، لمحة أصافح عليها يقظة النقد عند هذا الناقد الذواق ... بيت من الشعر في قصيدة عمر أبي ريشه مأخوذ من بيت آخر في شعر شوقي ، ويشهد الله أنني وقفت عند هذا البيت ورددته إلى منبعه الأصيل وتحدثت عنه منذ عام إلى بعض إخواننا من الأدباء ، وكان ذلك يوم أن تلقيت من لبنان ذلك الديوان الجديد الذي أخرجته دار مجلة « الأديب » للشاعر أبي ريشه ، والذي حوى إلى جانب ما حوى من شعره قصيدته التي ألقاها في مهرجان أبي العلاء ...

يقول شوقي في « مجنون ليلى » :

قد يهون العمر إلا ساعة   وتهون الأرض إلا موضعا

ويقول عمر أبو ريشه :

قد تجف الحياة إلا وريدا   ويضيق الوجود إلا مكانا

ويقول روحي فيصل : « ... والتقى شاعرنا مع شوقي في بيت لا أدري كيف أخذه في رابعة النهار » ! ثم يسكت عن الموازنة ، تاركا الحكم للقراء ، حيث يقول : « أي البيتين أجل وأروع ؟ لا أريد أن أقطع أنا بالجواب الواضح ، فالترجيح متروك لذوقك وفطنتك ، ولفهمك فن البيان وفلسفة اللفظ ، وحسبي الآن أني أثرت شوقك إلى البحث والموازنة ، على ضوء مزاجك وثقافتك وصراحتك » ...

سكت الأستاذ فيصل عن الموازنة ، ولكن هذا السكوت أفصح من كل كلام ... ولو كان في المجال متسع للافاضة لقدمت أنا إلى القراء نقداً مفصلا في مجال الموازنة بين البيتين ، نقداً ينتهي فيه الحكم الأخير إلى هذه الكلمات :

لقد حاول أبو ريشه أن يقف من شوقي موقف سلم الخاسر من بشار فلم يبلغ شيئاً ... إن الفارق بين بيت أبي ريشه وبيت شوقي ، هو الفارق بين الجميز البلدي والتفاح الأمريكاني ! !

وتبقى بعد هذا كله كلمة أخيرة أوجهها إلى الأستاذ روحي فيصل ، وهي أن كثيراً من النقاد المتذوقين قد خلا منهم الميدان منذ أمد طويل ، وحبذا لو تفرغ للنقد الأدبي ليضم جهده إلى جهود هذه القلة التي تعمل مخلصة على سد هذا الفراغ !

مصرع الكاتبة الأمريكية مرجريت ميتشل :

أسفت كل الأسف وأنا أطالع في الصحف منذ أيام نبأ مصرع الكاتبة القصصية الأمريكية مرجريت ميتشل ...

ومرجريت ميتشل كما لا يخفى على القراء هى مؤلفة تلك القصة الرائعة التى قرأها الملايين وشاهدوها على الشاشة ، وأعنى بها قصة « ذهب مع الريح » . إن مصدر أسفى على مصرع هذه الكاتبة العظيمة هو أنها استطاعت بقصتها تلك أن تخرج أثراً فنياً لا يمكن أن تقاس إليه آثار كاتبة أخرى مثل جورج صاند ، وأن تقدم الدليل على أن الأدب الأمريكى الحديث على تفاهته لا يخلو من الروائع ، وأن قدرة المرأة على استكناه حقائق الحياة واستكمال أدوات الفن تفوق قدرة الرجال فى بعض الأحيان !

ومن دواعى الأسف أيضاً أن تختم حياة هذه الفنانة بمثل هذا الختام الذى يثير الأسى والشجن ... لقد كان من الممكن لو لم يقض القدر القاهر بانطفاء الشعلة المتوهجة فى الخيال الخلاق ، أن يفيض النبع أكثر مما فاض فيظفر عشاق القصة الطويلة بأثر فنى آخر يضاف إلى ذلك الأثر الوحيد الفريد ، وأعنى به « ذهب مع الريح » ! مهما يكن من شىء فحسب مرجريت ميتشل أن يدرج اسمها فى سجل كتاب القصة الأفذاذ بهذه التحفة اليتيمة التى كانت فى حساب الفن كل رصيدها المدخر ، وإنه فى ميزان النقد لرصيد عظيم ... ومهما يكن من شىء أيضاً ، فإن طريق الخلود لا يسلكه السالكون بكثرة ما قدموا إلى الناس من نتاج القرائح وعصارة الأذهان ، وإنما يسلكونه بقيمة هذا النتاج ومدى تمثيله لصور الحياة وتصويره لحقائق النفوس على اختلاف الميول والأذواق وتفاوت الأجيال والعصور . الكيف لا الكم فى ميزان الفن هو وحده أساس الخلود والبقاء ؛ وإلا لما استطاع كاتب مثل بنجامان كونستان أن يأخذ مكانه فى صفوف الخالدين بقصة واحدة هى أدولف تلك القصة التى قال عنها بول بورجيه : « إن أدولف لتعد مثلاً أعلى للقصة الذاتية ، ولقد بقيت من كل تلك القصص التى ظهرت فى القرن التاسع عشر وهى أحفلها بالحياة ، وأكثرها إنسانية ، وأشدها أسراً للشعور ، ولا توجد قصة أخرى تهزنى كما هزتنى هذه القصة » ... كما قال عنها فردينان برنتيير : « إن أدولف قصة إنسانية لا يمكن أن ترق إلى حقيقتها التحليلية قصة أخرى

ينظر بورجيه إلى الفن من ناحية القيم الإنسانية ، وينظر إليه برنتيير من ناحية القيم التحليلية ، وبهذين الجناحين معاً يحلق الفن فى أرحب الآفاق ، فإذا ما نال منه الجهد فهبط ليستريح فإن مكانه هناك ... فى أعالى القمم ! أما الإنسانية فى « ذهب مع الريح » فهى فى تلك الدفقات العاطفية العميقة المنبعثة من قلب امرأة حائرة بين رجلين : رجل جدير بحبها ومع ذلك فهى لا تحبه ورجل غير جدير بهذا الحب ومع ذلك فهى تحبه ، وهكذا كان حال « سكارليت » وهى موزعة الفكر والشعور بين « أشلى » و « بتلر » ! ... وأما التحليل فهو فى تلك الصفحات الزاخرة بقصف المدافع ودوى القذائف وأنات الضحايا وزفرات الثكالى وعصف الحديد ؛ هناك حيث تقدم مرجريت ميتشل للحرب الأهلية الأمريكية صورتين لا مثيل لهما فى متاحف الفن ومتاحف التاريخ ! ...

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

بين يدى وأنا أكتب هذه الكلمات كثير من رسائل القراء فى مصر والأقطار العربية ... أما الذين يبعثون إلىّ برسائلهم معبرين عن حسن الظن وكريم التقدير فلهم خالص الشكر وعاطر التحية ، وأما أصحاب الأسئلة التى يوجهونها إلى فى محيط الأدب والفن فبودى أن أوجه إلى بعضهم رجاء خاصاً ، هو أن يراعوا فى أسئلتهم مدى الفائدة التى يمكن أن تعود على القارئ وهم فى انتظار الجواب ؛ وذلك بأن تكون الموضوعات التى تثار جديرة بخلق قضية من القضايا الأدبية يهم القراء وضعها على بساط البحث والمناقشة . وإلى الأعداد المقبلة حيث أتناول بالتعقيب بعض هذه الأسئلة ، ولا بأس من تسجيل الشكر فى مجال الرد على بعض التحيات ...

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

سلامة موسى يعارض التعليم الديني :

منذ أسابيع أصدر معالي وزير المعارف قراراً بجعل التعليم الديني مادة إجبارية في المدارس الابتدائية بعد أن كان مادة اختيارية لا يجب تحصيلها لاجتياز الامتحانات ، فأصبح من المواد الأساسية التي لا بد من الامتحان فيها لبلوغ النجاح . وقد كان لهذا القرار موقع حسن في النفوس ، اغتبط له كل من يقدرون أثر الدين في طبع الناشئة بطابعه ، وتشرُّب نفوسهم روحه ، وتبصيرهم بحقائقه ، ليكونوا مواطنين متعاونين على الخير ، متمسكين بالفضائل ، متهجين نحو المثل العالية .

ولكن في مصر — مع الأسف — مفكراً حرا ، أو هكذا يقولون ، لم يغتبط لذلك ، بل ابتأس له ، واعتبره تخلفاً ورجعية ... ذلك المفكر الحر المزعوم هو سلامة موسى ، كتب مقالا في جريدة « النداء » بعنوان « الرجعية تتحدى الزمن » قال فيه : « ونحن نقرأ هذه الأيام عن حركات يراد منها تقييد التعليم في الجامعة ، وبعث التعليم الديني في المدارس على الرغم مما سوف يحدثه من خلاف بل شجار بين المسلمين والأقباط » ولست أدرى أين قرأ عن الحركات التي تقيد التعليم في الجامعة . وقال « ... وعباس العقاد أيضاً يقول بأننا نكون شيوعيين حين نقول بفصل الدين عن الدولة ،فهل فهم نهرو ذلك أيضاً ؟وهل كان شيوعياً عند ما فصل دولة الهند من ديانتها الهندوكية ؟ إن لنهرو مذهباً في الوطنية وللرجعيين في مصر مذهباً آخر ، فأيهما أصح ؟» ثم قال «وأعود فأطلب المقارنة بين الساسة الهنود والساسة العرب في أقطار الشرق العربي كله ، وأعود فأتساءل : هل نحن المصيبون وهم المخطئون أو العكس ؟ لقد فصلت الهند الدين من الدولة في حين أننا شرعنا في تعليمه بالمدارس وجعلناه مادة أساسية » .

وسلامة موسى ، إذ يقول هذا الكلام ويفكر ذلك « التفكير الحر » إما أن يكون سيء النية نحو الدين الإسلامي متعصباً ضده ، وإما أنه يجهل حقائق هذا الدين فهو يكتب عن جهل ويدس أنفه فيما لا يعنيه ، وقد يجتمع الأمران ولكني أوثر الإغضاء عن الأمر الأول ، فحسبه جزاء عليه ، إن كان ، ما يجد من الغيظ في نفسه ، وإذن لا أجد مناصاً من الأمر الثاني وهو جهل مفكرنا الحر حقائق الإسلام .

إن الإسلام ليس دين عزلة ، وإنما هو نظام حياة وتشريع مجتمع ، وتعليمه في المدارس يهدف إلى التهذيب والتثقيف وتطبيق شريعته على مسائل الحياة المختلفة . فهو يختلف عن الديانة الهندوكية ، وأظن أن سلامة يعرف الهندوكية ويعرف ما يبرر فصلها عن الدولة في الهند ، ولكن الذي لا يعرفه — على أحسن الفرضين السابقين — أن الإسلام ليس كالهندوكية في ذلك . فلا محل للمقارنة ، التي بدأها وعاد إليها ، بين ساسة الهنود وساسة العرب ، وما كان أحراه أن يمسك بزمام « فكره الحر » فلا يدعه يخبط ذلك الخبط العجيب .

ومن جهل سلامة موسى أنه لا يعرف أن المجتمع الإسلامي عاش قروناً على الجمع بين الدين والدولة ، وأن الأزمان التي أصابه فيها الضعف هي التي كان فيها الساسة يبعدون عن الدين ، وأن المجتمع الإسلامي والدول الإسلامية كانت تحتضن علماء ومفكرين من غير المسلمين وتكرمهم وتحلهم المكان اللائق بهم ، وأن هؤلاء وغيرهم من سائر المخالفين في الدين كانوا يعيشون مع المسلمين عيش المواطنين المتضامنين ، فلم نسمع عن خلاف أو شجار حدث بسبب التعليم الديني بين المسلمين والمسيحيين ، ولم نسمع أن أحداً من المسيحيين خرج على مقتضى الترابط الاجتماعي فآذى أحداً أو أطلق « أفكاراً حرة » كالتي يطلقها سلامة موسى في آخر الزمان ...

وبعد فإن سلامة موسى يقول دائماً ، ويردد مريدوه ، إنه صاحب دعوة جديدة في الكتابة ، تلغي العاطفة وتحكم العقل وتقوم على الاطلاع والبصر بالأمور ، فهل ينطبق هذا على ما كتبه عن تعليم الدين الإسلامي بالمدارس ومقارنته بالهندوكية ؟ لقد بينت أنه في ذلك إما صادراً عن التعصب أو الجهل أو كليهما ، وفي التعصب « عاطفة » الكراهية ، وفي الجهل جهل ... فهل

هـذا من مقتضيات تلك الدعوة ؟ أو هى « أفكار حرة والسلام ! » ؟

القصر الإذاعى :

تحدثت السيدة تماضر توفيق المذيعة ، إلى محرر مجـلة « الاستديو » بعد عودتها من انجلترا حيث كانت تشترك فى دراسات إذاعية بمحطة لندن ، فجاء فى حـديثها عن الإذاعة البريطانية أنه لو حدث أن أذيع هناك حـديث يخالف المنهج المرسوم لأحاديث الإذاعة فإن المقالات تـكتب فى نقد هـذا التصرف ولوم المشرفين على البرنامج الذين يهتمون بهـذا النقد ويعملون على تحقيق ما يوجه إليه .

قرأت ذلك وقارنته بما يحدث عندنا فشعرت بالأسف . هناك الجمهور راض عن برنامج الإذاعة فى جملته لأنه مرض فعلا ، فإذا حاد منه شىء عن الجادة دفعه الحماس والغيرة إلى اللوم والنقد وهو يثق أن هناك من يصغى إليه . وهنا اعتاد الناس أن يسمعوا الإذاعة تخبط كما تشاء ، لا منهج لها ولا غاية ، وإنما هو الاعتساف والفوضى وسـوء الاختيار، وما ينشأ عن كل ذلك ذلك من تقديم بضاعـة ليس لأكثرها من فائدة إلا تزجية الوقت وسد الفراغ ، فإذا كتب ناقد أو صاح فيور ذهبت الكتابة والصيحة مع الريح ، ولا تجد لها صدى إلا ما تنشره مجلة الإذاعة من أشباه البلاغات الرسمية التى تقول فيها إن ما تنشره الصحف والمجلات جميعاً عن الإذاعـة غير صحيح ...

وعلى ذكر مجلة الاذاعة أذكر أن محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية تصدر مجلة أول ما تقرأ فيها نقد برامج المحطة، وقد وزعت أبواب البرامج من أدبيـات وتمثيليات وموسيقى على كتاب يتتبع كل منهم ما يذاع فى بابه ويتناوله بالنقد . أما مجلة إذاعتنا فهى تشبه بعض صحف الأحزاب السياسية المتطرفة فى الحزبية ، لا هم لها إلا الدفاع عما هى لسان حاله ورمى المعارضين بكل الصفات الذميمة .

وقد أفضى كل ذلك إلى أن انصرفت قـلوب الناس عن الإذاعة ، وأيأسهم من صلاحها ضياع صيحاتهم مـع الهباء ، ولم يسعهم إلا أن يسكتوا مسلمين أمرهم إلى الله ، وقد وطنوا أنفسهم على احتمال الأذى وسماع جانبيه صباح مساء ... وأخذوا أنفسهم بالصبر على اسـتبداد الإذاعة بهم وإسماعهم ما يكرهون

كشكول الأسبوع

□ بعث وزير المعارف بسوريا برقية إلى الأستاذ الـكبير ساطع الحصرى مستشار اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، يستدعيه فيها إلى دمشق لتنظيم الشئون التعليمية هناك ، وقد لبى الأسـتاذ الدعوة فسافر يوم الأربعاء الماضى .

والأستاذ الحصرى من رجال الفكر والثقافة المبرزين فى العالم العربى ، ويمتاز بالإخلاص لفكرته وتحريرها من المؤثرات الغريبة عنها ، فهو ربع لـكل عمل يسند إليه ، وهو غيث أينما نزل .

□ أعدت اللجنة الثقافية للجامعة العربية برنامج المؤتمر الثقافى الذى يعقد فى خريف العام القادم ، وسيكون مدار البحث فيه مسألتين ، الأولى : هل من الخير للدول العربية أن تبيح التعليم الجامعى لـكل من يطلبه أو تقتصر على قبول المتفوقين . المسألة الثانية تحـديد الأغراض العليا التى ينبغى أن يتجه إليهـا التعليم فى البلاد العربية

□ صرح الدكتور أحمد أمين بك بأن مصر وسوريا شرعتا فى العمل بتوجيهات المؤتمر الثقافى الأول التى تتضمن توحيـد برامج العلم بالبلاد العربية فى اللغة العربيـة والجغرافية والتاريخ والتربية الوطنية ، وذلك فى البرامج الجديدة للموسم الدراسى القادم .

□ قال الدكتور زكى مبارك فى « البلاغ » : إن سلامة موسى مفكر حر على طريقة القرود .

□ فى برنامج الإذاعة ليوم الأربعاء الماضى ، حديث اقتصادى وصف فى البرنامج بأنه « فى متناول الفهم » وهذا يدل على أن مراقب البرامج قد فهم الحديث ... ولذا لزم التنويه .

□ تلقى زميلنا الأستاذ أنور المعداوى كتاباً من أحد إخواننا فى السودان ، يطلب فيه العمل على إلحاق ولده بإحدى المدارس الثانوية فى مصر ، وأرفق الـكتاب بالمؤهلات الدراسية وشهادة الميلاد . وقد بنى طلبه على ما يشعر به من المودة والإخاء إزاء الأسـتاذ المعداوى لما يقرؤه له فى الرسالة كل أسبوع . ولا يزال الأستاذ أنور مجداً فى السعى والبحث عن المدرسة المطلوبة .

□ تفتتح الفرقة المصرية موسمها القادم بالأوبرا الملـكية فى أوائل أكتوبر المقبل . ولدى الفرقة الآن ثلاث روايات جديدة ، هى « اليوم خمر » لتيمور و « شـجرة الدر » لعزيز أباظة « ألف ليلة وليلة » لبيرم التونسى . ولم يتقرر بعد بأيها تبدأ الفرقة

□ فى فلم « العيش والملح » ينـادى بائع الصحف : الأهرام والمصرى وأخبار اليوم ... ألا يعلم المخرج أن هذه الصحف الثلاث لا تصدر مجتمعة فى يوم واحد ؟

□ ينعقد الآن فى لندن مؤتمر ثقافى مصرى ينظمه مكتب البعثات المصرى بلندن ، ويدرس المؤتمر شئون التعليم والثقافة والفنون المتصلة بمصر ، ومما يذكر أن لغة الإلقاء والخطابة فيه هى اللغة العربية.

□ جاء من نيويورك أن الأسـتاذ أحمد فراج مندوب مصر فى اللجنة الخاصة بالمعلومات الثقافية عن المناطق التى تتمتع بالاستقلال الذاتى ، حمل على سياسة الفرنسيين في فرض اللغة الفرنسية على سكان شمال إفريقية الذين يتكلمون لغة واحـدة هى اللغة العربية التى تـتخذها البلاد العربية باعتبارها أداة ثقافة عالية كان لها أثر كبير فى الحضارة الإنسانية .

وفرض رواجها عليهم ضريبة ثانية إلى جانب الضريبة المالية السنوية .

والعادة المتأصلة فى المصريين أن ينفسوا عن أنفسهم وينتقموا من المستبد بهم بالفكاهة والتندر عليه ، وما أكثر وأظرف ما نسمع من ذلك عن الإذاعة . ولباحث اجتماعي أو تاريخى أن يرجع هذه الظاهرة إلى أن الفترة التى تمر بها الإذاعة الآن تشبه عصور الاستبداد الماضية ، فقد تسمى هذه الفترة بعد ذلك « العصر الإذاعى » نسأل الله الخلاص والسلامة ..

الموضوع فى فنوننا :

أقصد بهذه الفنون السينما والغناء والموسيقى ، وأعنى بالموضوع فيها فكرة التأليف ، وهى تكاد تكون معدومة فى هذه الفترة من زماننا . والملاحظة أن تلك الفنون قد تقدمت وارتقت فيما عدا الموضوع ، وخاصة السينما ، فالتمثيل فيها جيد على العموم وكذلك ما يسمونه (حرفية السينما) وعندنا بعض المخرجين الذين يجيدون فنهم ، وإن كان بعضهم يفرض نفسه على التأليف فيأبى إلا أن يكون مخرجاً ومؤلفاً فى آن فلا يكون شيئاً ... أما القصة فهى بيت الداء فى السينما المصرية ، وتسعة وتسعون فى المائة من قصص الأفلام المصرية لا موضوع لها ، فهى حوادث يتخللها غناء ورقص وإضحاك ، وأحسنها ما كانت هذه الأشياء فيه ممتعة بعيدة عن السخف ، ومن اللوازم التى تتكرر فى معظم الأفلام أن تنزل بالبطلة كارثة ، أو تقع فى أزمة ، فتضطر إلى كسب رزقها ، ولا بد أن تكون مطربة ، فتلتجىء إلى ملهى تغنى وترقص فيه ، وهنا تجىء الفرصة الذهبية لتقف حوادث القصة ريثما يستمع المشاهدون ببرنامج الملهى الطويل ... وبعد ذلك وعلى مهل يعثر الأب على ابنته والأخ على أخته والمحب على حبيبته حيث تعمل فى الملهى ، بعد أن يشبع الناس من السماع والنظر والضحك . وهذا كله قد يكون لا بأس به ولكن على أن يغلف شيئاً ، أما أن يكون فارغاً فإنه لا يدل إلا على الفراغ الهائل فى ذهن المؤلف .

ومن المضحك أن بعضهم يحاول أن يجعل لقصته موضوعاً « تلبية لرغبة الصحافة والنقاد » وقد قرأت هذه العبارة التى بين الأقواس على الشاشة فى تقديم أحد الأفلام ، يحاول المؤلف أو المخرج ذلك فيدس فيها شيئاً من قبيل الوعظ الخلق أو بعض العبارات الوطنية الجوفاء ، فلا تزيد الفلم إلا برودا وسماجة ، وذلك للتكلف وإيراد الشىء فى غير موضعه . ومما يدعو إلى الضحك والأسف معا أن يقولوا فى الدعاية عن الفلم إنه يعالج مشكلة اجتماعية ، وليس فيه عن المشكلة إلا بعض مناظر عابرة أو كلمات متناثرة لا تبرز ناحية ذات شأن من المشكلة فضلا عن معالجتها .

ويدعى هؤلاء المؤلفون أنهم ينزلون إلى مستوى الجمهور ، وهذا ليس صحيحاً ، لأنهم ليسوا فى مستوى أعلى ينزلون منه ... والنزول إلى مستوى الجماهير لا يكون مفيداً إلا إذا كان مع النازل شىء يقدمه إلى من ينزل إليهم بالاحتيال على إساغتهم إياه .

هذا وفى وزارة الشئون الاجتماعية لجنة للنهوض بالسينما ، لست أدرى ماذا تعمل لهذا النهوض إن لم يكن فى مقدمة ما تعمله العناية بهذا النقص فى الأفلام . وهناك رقابة تمنع ما يخالف الآداب العامة أو يمس الأمن العام ، ولست أدرى لماذا لا تكون هناك رقابة تمنع ما يفسد الذوق العام .

أما الغناء والموسيقى والأغانى الفكاهية (المنلوجات) فهى كذلك فى مجموعها ، ينقصها الفكرة والموضوع ، وقد كانت الأغانى الفكاهية تدور حول موضوعات وطنية واجتماعية ولكنا الآن صرنا لا نكاد نسمع من الإذاعة غير «ورد عليك فل عليك» وأشباه ذلك . وأغانى الأفلام تصلح بصلاحها إن صح العزم على ترقيتها . أما الأغانى التى تقدمها الإذاعة فالله المستعان عليها وعلى الإذاعة .

عباس خضر



بين الأدب والوطنية والأخلاق :

تفضلتم في عدد (الرسالة) المؤرخ ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٦ بأمنياتكم الودية لي وأنا في طريقي إلى أمريكا ، وكان تلطفكم هذا تعليقاً على رسالتي إليكم التي هي آخرة ما كتبتُ إلى أصدقائي الصحفيين في مصر ، فجعلتكم رمزَ مَنْ أقدِّرهم من رجال المهنة التي لستُ غريباً عنها ، ولذلك أحرص على ألا تشوب مودَّتنا أية شائبة، ولذلك يؤسفني — وأنتم تعلمون مبلغَ إعزازي الشخصي لأدبكم ، ومهما يكن مبلغُ تقديركم لحرية النشر — أن تنشروا ما نشرتم ضدِّي في عدد الرسالة رقم ٨٤٢ المؤرخ ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٩ دون أن تُقابلوا مودَّتي المجرَّبة لكم بكلمة استفهام خاصَّة ترسلونها إليَّ قبل أن تسمحوا لمنبركم العالي بترديد مطاعن جارحة في أخلاقي وفي محبتي لمسقط رأسي ، اعتماداً على كلمة يذيعها صاحب جريدة اشتهرت بتلفيق الأخبار كما اشتهرت بمجانبتها حرية الرأي ، وقد بلوتُها من قبل تكراراً ، ولا ينبئك مثل خبير

إن كاتبكم الفاضل على غير علم — على ما يبدو — بقانون الجنسية المصرية ، كما أنه لا يعرف مدلول « الجنسية المزدوجة » التي يتمتع بها آلاف الأفاضل بل العظماء والمتفوقين من اللبنانيين في أمريكا حتى يتمكنوا من الانتفاع بحقوقهم المدنية بهذه البلاد أولئك الذين تمجدهم الحكومة اللبنانية ذاتها وتفتخر بهم بأعلى صوتها ، وقد صفق لهم حافظ ابراهيم بك وهتف بمديحهم وبالدعوة إلى التشبه بهم ، فهتف المتعلمون من المصريين ، بل ومن جميع أقطار الضاد بعده وأمَّنوا على مديحه . ولستُ إلاَّ أحد القلائل من المصريين الذين جاروهم ، ولن أستفيد من هذا الحق إذا شئتُ إلا بعد استئذان حكومتي المصرية .

وأن ما نشرته (أخبار اليوم) ضدي ليس إلا مثالا من الجحود الطاهر العفيف جزاء لخدماتي لوطني الأول في شتى البيئات ابتداء بهيئة الأمم المتحدة وانتهاء بجامعة نيويورك فضلا عن منابر الصحافة الحرة الراقية وفي مقدمتها (الهدى) و (السائح) و (النيويورك هرالد تربيون) بعد أن حال الرقيب دون نشر آرائي الحرة في مصر ، ولحمتها وسداها الدفاع عن صوالحها العليا وعن عاملها وفلاحها وعن حرياتها العامة وعن عرش مصر .

أما ادعاء انحرافي عن الكرامة الوطنية والقول « بأن مصر لا تستحق هوى عليها إلا لسبب واحد هو أني من أبنائها ، وإن كانت كفرت عن ذنبها بلفظي وقذفي إلى ما وراء البحار » ، فجوابي على هذه الفلسفة الباطلة من أساسها أن مصر ذاتها أكرم من أن تصنع ذلك برجل خدمها طول حياته وبسليل أسرتين عريقتين لم تعرف عنها إلا محبة مصر والتضحية لها ، وما تركت مسقط رأس إلا وأنا المحب له والباقي على محبتي . أجل ، من الظلم توجيه هذه التهمة إلى مصر الخالدة التي اتسع صدرها وحلمها لآلاف المرتزقة والوصوليين وشذاذ الآفاق وقليلي الأدب .

بقيت الأوصاف الكريمة التي نعت بها أدبي وشعري ، وهذه من حق ناقدكم التلفظ بها وتدوينها وسأعمل على اطلاع أدباء المهجر عليها حتى لا يقعوا في نفس الغلطة التي وقع فيها زملاء لهم بمصر وفي غير مصر من أقطار الضاد ، فيتجنبوا المغالاة في تقديري وقد يرون حينئذ أني غير أهل لأي تقدير ... كذلك سأعمل على اطلاعهم على الآراء النيرة الأخرى ليعرفوا مصادر عبقرية خليل مطران بك وعلى من تتلمذ في مصر !

وإني إذ أرجو إليكم التفضل بنشر رسالتي هذه أهدي إليكم تحيتي واحترامي .

(نيويورك) المحامي
أحمد زكي أبو شادي

(الرسالة) التعليق للأستاذ عباس خضر

حول (أبو شادي العجيب) !

قرأت بالرسالة الغراء عدد (٨٤٢) كلمة للأستاذ عباس خضر عن (أبو شادي العجيب) . وقد آلمني حقاً الأسلوب الذي تحدث به الكاتب الفاضل عن رجل كان له في الحياة الأدبية أثر لا ينكر . وإذا تركنا قيمة أبوشادي كشاعر جانباً لأنه يحتاج لنقد دقيق ودراسة كاملة نخرج منها إما للشاعر أو عليه ، فلا يستطيع منصف أن يذهب معه إلى أن أبو شادي (حاول أن يقنع الناس بأنه شاعر فأخفق ولم يفلح إلا في إفساد المذهب التجديدي في الشعر العربي الذي دعا إليه العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري وكان من رواده خليل مطران) فأولا من المعروف أن أبو شادي بذل مجهوداً صادقاً في خدمة الأدب الحديث وأقل ما ينسب إليه

من فضل أنه جمع جمهور شعراء العربية وحفز هم الشباب منهم بنوع خاص. ومن ينكر نشاط جماعة أبولو التى كان رئيسها شوقى ووكيلها أحمد محرم وسكرتيرها أبو شادى ؟ وأعتقد أنه قبل مجلة أبولو وهى مجلة خاصة بالشعر ودراساته مما لم يسبق له نظير فى عالم الصحافة العربية كان القارىء العربى لا يعرف شيئاً عن هذا العدد الكبير من شعراء الشباب بنوع خاص نذكر فى طليعتهم الشاعر أبو القاسم الشابى ... فهل أفسد سليقته أبو شادى ؟

وأعجب لقول الكاتب عنه (وقد طهرت منه مصر منذ ذلك الحين وتنفس الجو الأدبى الصعداء وشرع بعض الشعراء الذين أفسد سليقتهم الشعرية فى إصلاحها) .

ونقطة أخرى نحب أن نصححها لوجه الله والتاريخ ... أظن أن من المعروف أن خليل مطران كان إمام المذاهب التجديدى للشعر العربى الحديث قبل أن يدعو إلى ذلك العقاد والمازنى ، وعبارة الكاتب تقول إن خليل مطران كان من رواد المذهب الذى دعوا إليه ... فكيف يستقيم هذا مع التاريخ الأدبى الصحيح ؟

أما الخبر الذى ساق الأستاذ عباس خضر لهذا التجنى على أبو شادى وعلى التاريخ الأدبى فلم يحفل بالتحقق منه وما كان يصح أن يستقى مصادر (الأدب والفن فى أسبوع) من غير مصادرها و (المدى) جريدة عربية وإن صدرت فى نيورك ولا يعدم معرفة مهاجر هنالك أو قارىء عربى لها هنا ... إن لم تكن تهدى للرسالة .

وهل تأكد الأستاذ من أن ما كتبه أبو شادى كان فى غير مشا كل مصر ؟ وقليلون فى مصر هم الذين يجدون الحرية والشجاعة للكتابة عنها ..؟

وهل يعرف الأستاذ أن الدكتور أبو شادى آثر أن ينجو بكرامته حتى لا تمتهن وإن فقد بذلك مصدر عيشه وإن ضاق به وطن عاش من أجله فى خدمة الأدب والعلم ... لا مهرجاً فى الأسواق السياسية وكان من قبله أبوه أحد أعلام الحركة الوطنية.

عز على الرجل أن يهون ويقدم عليه من هم دونه .

لقد هضم حق أبو شادى فلم يذكره أحد فى محنته بكلمة حق وهاجر فما ذكره أديب ممن كانت له عليهم أياد ...

(دمنهور) عبد الحفيظ نصار

١ — بواسل ليست من لحن القول :

كتب الأستاذ « أنور المعداوى » فى بعض تعقيباته يقول : « أنا شديد الإعجاب بأن يكون بين جنودنا البواسل من يقرأ الرسالة ويعشق الأدب » وقد حسب الأستاذ « عبد الجليل السيد حسن » أن جمع باسل على بواسل من لحن القول الذى شاع استعماله فى هذه الأيام بين عامة الكتاب فكتب فى البريد الأدبى كلمة يعلم بها « السادة الأفاضل الكتاب » صواب هذا اللحن ، قال فيها « وهذا الجمع غريب شاذ ، فلا المعاجم تذكره ، ولا القياس يبرره ، ولا السماع يؤيده ، فلم لا نقتله ونحيي لفظين رشيقين صحيحين يستمد بهما الذوق وهما بسل وبسلاء »

وهذا قول كما تعوده بعض المصححين من جرأة بالغة على اللغة وعلى مالا يعلمون . إن « بواسل » كلمة عربية رشيقة فصيحة صحيحة ، مسموعة عن العرب الخلص منذ الجاهلية الأولى ، قال باعث بن صريم اليشكرى يذكر يوم الحاجر :

وخِمَار غانية عقدت برأسها ... أُصُلاً وكان منشراً بشمالها
وعقيلة يسعى عليها قيم ... متغطرس أبدَيت عن خَلخالها
وكتيبة سُفع الوجوه (بواسل) ... كالأسد حين تذبُّ عن أشبالها
قد قُدتُ أول عنفوان رعيلها ... فلففتها بكتيبة أمثالها

وتمر الأبيات فى ديوان الحماسة ٢/١١ وقال المحاربى كما روى ابن الشجرى فى حماسته ص ٧٣

أيا راكبا إما عرضت فبلغن ... خداشا وعبد الله ما أنا قائل
فلا توعدونا بالحروب فإننا ... لدى الحرب أسد خادرات (بواسل)

٢ — ذهب توا :

وكما جانب المعقب الصواب فى إنكار « بواسل » فقد جانبه كذلك فى إنكار « ذهب توا » حيث يقول « ومما يقلبه الكتاب عامتهم قلباً ويمسخونه مسخاً ويسلخونه سلخا استعمالهم توا بمعنى الساعة وحالا فيقولون ذهب توا وذهب لتوه . وهذا المعنى تلفظه المعاجم وتنبذه اللغة ، وما قالته هو : التو بمعنى الفرد فذهب توا أى فرداً أو لم يلوه شيء . والصواب توه » وهذا الذى قاله غير

صحيح أيضاً ، قال الزمخشرى فى الفائق : « ومنه قولهم سافر توا إذا لم يعرّج فى طريقه على ما كان » وفى القاموس : « التو الفرد والحبل » وبهاء الساعة ، وجاء توا : إذا جاء قاصداً لا يعرجه شىء فإن أقام ببعض الطريق فليس بتو » .

هذا وإنى أنصح الأستاذ المعقب بنصيحة خالصة نصحنى بها منذأ كثر من عشرة أعوام صديقى الراوية الأستاذ « محمود محمد شاكر » ونحن نقرأ حماسة ابن الشجرى ، قال لى عند ما قرأت قول باعث اليشكرى : وكتيبة سفع الوجوه بواسل : « وهذه كلمة أغفلتها المعاجم فيما أغفلت من أوابد اللغة وشواردها ، ومن ثم أنصح لك ألا تقطع برأى فيما لا تجده فى المعاجم إلا بعد تثبت ؛ فإن كثيراً من ألفاظ اللغة موجود فى الشعر الجاهلى والشعر الإسلامى ولم يقيده الرواة فى معاجم اللغة ، واقتصروا أيضاً فى شرح بعض الكلمات على ما ورد فى أبيات بعينها مما رووه ، وفيما لم يرووه ولم يشرحوه كثير مما ينبغى أن يشرح مرة ثانية بدلالة هذا الشعر » .

هذه نصيحة صديقى الأستاذ « محمود محمد شاكر » وهى نصيحة قيمة تعصم من اتبع هداها من التردى فى مهاوى العثرات .

وإنى لأرجو من المعقبين اللغويين أن يلقوا إليها أسماعهم ليجنبوا القراء متاعب « الجعاجع » الفارغة التى يثيرونها كل حين باسم الحفاظ على العربية ، وما بالعربية إلا قلة بصرهم بها ، وذهابهم توا إلى إنكار مالا يعلمون من ألفاظها ، ونضر الله وجه الشافعى إذ يقول :

« ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأ كثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى ، ولكنه لا يذهب منه شىء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه » .

السيد أحمد صقر

حول « زعيم الجامعة العربية » :

الأستاذ نقولا الحداد فى هذا المقال قد سما به تفكيره الاصلاحى إلى غاية قصوى فوضع أمامنا سياسة رائعة للجامعة العربية وماينبغى أن تكون عليه فى الواقع ، ورسم لنا صورة خيالية أخاذة للجامعة المنتجة التى يراها جديرة بالحياة ...

وفكرة الأستاذ جميلة من حيث هى مجرد فكرة ولكنها مستحيلة من حيث هى منهاج لتنفيذه فى الواقع ، فأنا لا يمكننى أن أتصور الدول العربية تنزل عن سلطتها الدفاعية لبرلمان الجامعة ، كما أنه من العبث أن أتخيل الدول العربية تستطيع أن تدفع من ميزانيتها ذلك المبلغ الضخم الذى يقترحه الأستاذ والذى لا يقل مائتى مليون جنيه يجبيها هذا البرلمان من جميع الأمم العربية من غير اعتراض ولا تمنع أو نقاش ، وأخيراً أرى خيالى قاصراً عن إدراك ذلك المطمح البعيد الذى يدرك الدول العربية وقد أسلمت سياستها الخارجية لذلك البرلمان يتولاها وينفذ رأيه بماله من السلطة المسلحة ويفرض أحكامه بقوة السلاح ...

لو فكر الأستاذ الفاضل بعقلية الواقع لأدرك استحالة فكرته لأن ذلك البرلمان الذى يقترحه لا يمكن أن يحقق كل ما نصبو إليه من آمال وأهداف ، فغاية الدول العربية ليست واحدة فى جميع النواحى ومصالحها غير متفقة تماماً وظروفها الخارجية ليست موحدة تمام التوحيد ، وعلى ذلك لا يمكن أن تسلم الدول العربية سياستها الخارجية لبرلمان من هذا النوع مكون من أفراد لا يدركون جميعهم مصلحة الدول الممثلة فيه كما أنهم قد يرون رأياً يخالف ما أجمع عليه شعب من الشعوب ويكون فى تنفيذه نكال بهذا الشعب ، والعذر لهم فى ذلك لأن الغريب عن بلد لا يمكنه أن ينظر إلى مصلحته بعين المواطن الذى يدرك مصلحته تمام الإدراك ويبذل من نفسه مخلصاً فى سبيل تلك المصلحة ، وعلى فرض أن الغايات توحدت — واعتبرت مصالح الجميع هدفاً واحداً للجميع — فإنه لا يمكن أن تتفق الأساليب فى إدراك ذلك الهدف والعمل له . وهذه الحقيقة الواقعة تواجهنا فى مجال الدولة الواحدة ممثلة فى أحزابها ، فكل حزب له أسلوب خاص يتبعه ، ومن هنا نشأت الخلافات والمشاحنات وانقلبت الأحزاب إلى جبهات مختلفة متعادية تقف كل واحدة أمام الأخرى لتحاربها مخلفة وراءها الأهداف التى قامت من أجلها ...

ولاشك أن ذلك سيحدث فى مجال البرلمان الجامع المقترح إذ يقف ممثلو كل دولة للدفاع عن وجهة نظرهم التى تخالف وجهات النظر الأخرى فينقلب البرلمان إلى ساحة فوضوية تتكسر فيها المصالح على صخرة الخلاف ، ولقد حدث ذلك الأمر تماماً فى الجامعة

بين الكتب

صور من الريف

تأليف الأستاذ محمد زكي عبد القادر

بقلم الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

لقد استحفزت همة الكاتبين بعد أن أعمى إغفال «الريف»، وما فطر عليه من وداعة تبدو على قسماته، والعمل الفني يجب أن يسحق إلى غاية عالية، بخلوده إلى الحياة الملابسة لوجوده.

وليست المهابة فى استبهام البيان على الأفهام، وإنما الإبانة المستدنية التى تداخل العواطف، وتماطف القلوب، وتناجى الآمال هى التى تكشف جوانب الجمال مع صدق التعبير.

واللفظ الشعرى فى مبناه ومعناه له إيقاع عجيب إذا اتسق مع سواه، لأن موسيقاه لها صدى يتردد فى أعماق النفوس، والمصور الفنان فى تصويره المقتدر على نداني مشاهد الحقائق حتى تتجسد فى مرأى الأبصار كأنها نحسها بين الألفاظ.

وخصوصية الكاتب تظهر فى لمة ذهنه، وبراعة إلماعه، وروعة تفرده مع رصانة الأداء، وجاذبية العرض، وسلاسة الوحدة التعبيرية! لهذا أردت تقديم «صور من الريف» فى الرسالة الزهراء؛ فقد استبنت فيها ما استبانه الإحساس الإنسانى على تفاوت درجاته، وإن عمل القاص عسير إذا أراد الإلمام بالفطر الإنسانية، والتنويه بتناقض الحياة على اختلاف مخالف الأحياء!

وإن تلك الصور الرائعة قد وضحت فيها ناحية جميلة تغيب عن تقدير متناولى الأسلوب القصصى لأنها تدور مع الحوادث ثم تعود إلى التلاقى مع «وصف الريف ...» فى كل خطرة منها؛ فالقصص لا تورد لذاتها، وإنما يقصد منها تبيان السذاجة الريفية فى عواطفها، ومشاعرها، وعقائدها وإيمانها، وقناعتها، واستسلامها، ورضاها بالمقدور.

العربية الحالية عندنا كانت فى أوج عظمتها فى أول الحرب الفلسطينية، ذلك أنه رغم أن هدف العرب جميعاً كان تحطيم الدولة اليهودية المزعومة وتطهير فلسطين من أرجاس الصهيونية إلا أنه حدث نفس الخلاف عندما أمر مجلس الأمن بوقف القتال وتنفيذ هدنة مؤقتة، وبذلك انقسم المجلس إلى جهتين إحداهما ترى رفض الهدنة والأخرى تحبذها، ثم كان أن تنازل الفريق الأول عن مبدئهم إشفاقاً منهم على وحدة العرب فى ذلك الوقت الحرج وقبلت الهدنة التى كانت الغلطة الكبرى فى حرب فلسطين والتى تسبب عنها هزيمة العرب فى تلك المعركة.

هذا فضلا عما نراه من انصياع بعض الدول العربية إلى السياسة البريطانية انصياعاً تاماً، ولا يشك أحد فى أن بريطانيا التى تعمل جاهدة على تحطيم وحدة العرب بشتى الوسائل والأساليب يمكنها أن تقف مكتوفة الأيدى إزاء هذا الأمر بالنسبة للدول التى تسيرها على الأقل.

هذه الدول العربية المتخمة بالمشاكل والأدواء لا يمكن أن تجتمع فى برلمان. هذا وإنه لا يمكننى أن أتخيل العراق أو شرق الأردن أو غيرها من الدول العربية تقبل أن تضحى بشبابها وجنودها لتخرج الانجليز من مصر أو السودان، كما أننى لا أقدر على أن تصور جيشاً مصرياً يستطيع اجتياز الحدود ليذهب إلى تركيا فيحاربها فى سبيل مصلحة سوريا التى تنازع تركيا إقليم الإسكندرونة. ومن العبث أخيراً أن نتوهم جيش الجامعة وقد أعلن الحرب على سوريا ولبنان وفيه جنود من أبناء سوريا ولبنان — ليكون بذلك سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب، أليس ذلك المشروع من مصلحة شرق الأردن والعراق والجامعة تعمل لمصلحة الجميع

أرى أن تتجه كل دولة إلى تقوية جيشها وإعداده لتحقيق أهدافها وإدراك استقلالها التام وحريتها الكاملة، ويوم تتحقق للدول العربية آمالها وتصبح دولا قوية فتية مستقلة لها كيان محترم غير مزعزع ... يومئذ يجوز أن تتجه أنظارنا إلى تنفيذ مشروع كهذا.

السيد على الشورنجى
كلية الحقوق

يقول المؤلف المقتدر في « العيد » : « هذا الريف صنعه الله ، والله أيضاً هو الذى صنع هؤلاء الريفيين ، والله طهارة ونور وقداسة » .

ثم يسكت الكاتب الرائع تاركا نتيجة هذا « القياس » ... المنطقي التعبيرى تلمع فى خاطر قارئه المأخوذ بروعة بيانه .

ويقول فى موضع آخر : « العيد فى الريف ذكرى ، وخشوع ، وإيمان مطلق لكنه فى المدن قطعة من اللهو والعبث والاستهتار » .

وليس المصور فى هذا التعبير متجنياً على المدنية ؛ فالواقع أن جنون المظاهر تلعب ، فالانطلاق على غلواء الأهواء لا يعترف بزمام التؤدة والوقار ! ويدعى المدنيون أن ضيق نطاق القرية يدعو إلى التحفظ وتكلف التجمل لكن الواقع يناقض دعواهم : « فالعيد فى الريف نور وجمال له قدسيته وجلاله الذى يستمده من الدين » ، وقد أبدع الوصاف فى تلك القولة الموجزة ، لأنه صور بها قوة عاطفة الإيمان لدى القروى الذى يبصر فى نهاره وليله دلائل القدرة تتجمع فى الآفاق ؛ فتوحى إليه بتقدير القدرة العالية ! وفى قطعة « ورقة النصيب » : « صورة ممتعة حقاً لأنها تجمع إلى قناعة الريف المتواضع الراضى طعم الحياة الإنسانية » .

ويعقد المؤلف بين خيبة المؤمل وحب الأمل فيقول : « لم يربح لكنه سعيد بالأمل ، سعيد فى خياله ورجائه ، ولا بد أن يواتيه الرجاء والخيال يوماً » .

* * *

إن فى « صور من الريف » نواحى متعددة تصور لك كما قلت حقائق الحياة فى نطاق التجربة ، وإنما عمدت إلى « وصف العيد » و « ورقة النصيب » لأنهما يصوران حقيقة النفوس ، ويدلان على تعلقها بما يستحقها أو يدفعها إلى السكينة والدعة .

ولقد تهادت بين أعطاف هذه الصور ، أطياف من الحب الريفى القائم على التكتم واعتصار الفؤاد ، من دون الإفصاح عن الانفعال حيث تضغط المشاعر بضغط القسر والإرغام ، ويصور إحساس عذراء القرية حينما تفاتح فى الزواج : « سألونى هل تتزوجين ؟ فعقد الحياء لسانى ولم أستطع أن أتكلم ، وإنما أجبت بالدموع ، ألحوا فى السؤال فألححت فى البكاء ، ولو كانوا يفهمون أو يريدون أن يفهموا لأدركوا ماذا تعنى دموع عذراء » .

إن الأستاذ محمد زكى عبد القادر يحب الاستدلال على ما يصدر بقول غيره توكيداً لمراده ، ونلمح دائماً حبه الاستشهاد بأقوال الفرنجة ، والأدباء ملهمون يصدرون المعانى الإنسانية المشتركة على تباين الأديان والأقطار ، وقد نقل عبارة عن « واشنجطن أرفنج » فى قطعة « على قبور أعزائنا ترمز إلى أن زيارة القبور مدعاة إلى التوبة والندم » ، ومع اعترافى بحسن اختياره ورشاقة ترجمته أوثر الاستدلال بما ورد فى لغتنا إيناساً لها ، وتقريباً لموضوع الكتاب الداعى إلى تمجيد البيئة .

هذا ، ولست فى إيرادى مؤاخذاً ، وإنما أقصد أن يكون هذا السفر الجليل خالياً من الكلف فى وجه البدر .

(بورسعيد) **أحمد عبد اللطيف بدر**

العدد ٨٤٦ — الأثنين ١٩ سبتمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

٣٣٠٢٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

17 ème Année No. 846

Lundi — 19 — 9 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٤٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ ذو القعدة سنة ١٣٦٨ — ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

أخى صاحب « الرسالة »

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

أخرتنى الأسفار والأشغال عن الاطلاع على الكلمة الكريمة التى قفَّيتَ بها على الفصول الأربعة عشر التى كتبتُها لقراء الرسالة ؛ فلعلك قابل عذرى فى تأخير الجواب والشكر .

فأما رأيك فى الكاتب وفى فصوله فقد سرّنى وحفزنى إلى أن أصدّق ظنك بى ورجاءك فىّ . وناهيك بشهادة الزّيات ، وإعجابه بمقالات ، وحسبك صاحب الرسالة كاتباً وشاهداً .

وقد عجبتَ وأَلِمتَ من الناس لا يُبالون « بكلام يُشرق فيه الحق ، وعلاج يهدى إليه العقل » ، وأعجبُ من هذا أن كثيراً من كتابنا وممن يتصدرون للتفكير والتحرير ، يسيرون فى أقوالهم وأفعالهم سيرةً أصدقُ أسمائها أنها « الاستسلام للتيار » ؛ فهم يرضون بكل بدعة ، ويسايرون كل ضلالة ، جرياً مع التيار ، وسيراً مع الحياة ، وخضوعاً للشهرة (المُودة) . وإنّ من نكد الدنيا أن تتقلب العقول والآراء مع المودة كما تتقلب أثواب النساء فى هذا العصر .

وشدّ ما يُؤلم العاقلَ الناقدَ أن يتسمى هؤلاء المسايرُون المستسلمون أحراراً وأن يهزءوا بكل من يدعو إلى رشد ، أو ينذر قومه ألا يسيروا إلى الهاوية .

وأشد إيلاماً من هذا أن الناقدين المتثبتين الداعين إلى المحافظة على ما عندنا من خير ، ورد ما يأتينا من شر ، تأخذهم أحياناً رهبة هذا الموكب ، موكب العصر فى صخبه وضوضائه ، ودعاويه وأهوائه ، وفتنته وزخارفه ، ويرهبون أحياناً هؤلاء المسايرين للموكب يصفقون له ، ويهتفون به ، ويسخرون بكل من يعترض طريقه أو يتجنب المسير فيه .

إن الخارجين على سنننا وآدابنا ليسوا فى حاجة إلى المطالبة بالحرية ، فهم يظفرون بها فى كل مكان ؛ إنما يطلب الحرية فلا يظفر بها هؤلاء المستمسكون بتاريخهم وآدابهم . أضرب مثلاً المرأة التى تسبح فى البحر وترود على شاطئه عارية أو كالعارية ، لها الحرية أن تسبح وترود أينما شاءت ومتى شاءت ؛ ولكن المسكينة التى تريد أن تستمتع بماء البحر وهوائه وشمسه وتأبى أن يراها الناس فى لباس البحر ، لا تجد حريتها ولا تمكَّن مما تريد ، ولا يحميها القانون ليدبر لها الاستمتاع بالبحر ، ولا يخصص لها مكان أو زمان لتستمتع بحريتها وتستمسك بأخلاقها .

والأمثال فى هذا كثيرة والقياس يسير والخطب جليل .

رأى بالأمس وزير معارفنا أن يصون بنات الأمة بما يصون به بناته ، فصاح به دعاة الحرية من كل جانب ، وأخذه هزؤ النساء والرجال على أساليب شتى . وما تجد فى بلدنا داعياً يملك عقله وقلبه فيدعو إلى ما يراه حقاً وخيراً إلا كان أحدوثة الساخرين والساخرات واتخذته الصحف تفكهة لقرائها ومُضحكة .

وقد كتب كاتب من كبار كتابنا يسمى هذا الوزير وزير

التقاليد ويسخر به ، ويتحدث عن الحياة وقضيتها ، ويتكلم عن الأيام والساعات والدقائق والثواني ، وهي ماضية سراعاً ، ونحن ماضون معها لا نستطيع لها رداً . فلانستطيع لأمر وقفاً ولا تغييراً

لست أدرى فيم عِلمنا وفِكرنا إن حمَلنا تيار الساعات والدقائق راضين بكل واقع مستسلمين لكل حدث . إنما يذهب التيار بالأجسام الجامدة أو الميتة ، فأما الحى فلا يستسلم للتيار وبه قوة ، ولا يرضى الغرق وفيه رمق .

إن علينا أن نسيطر على الخليقة ونسخرها كما نشاء جهد طاقتنا ، وإن علينا أن نسيِّر الحياة بعقولنا وعلومنا ، وأن نقهرها لإرادتنا ما استطعنا . فما هذه الدعوة إلى الاستسلام بل المضىّ إلى الموت ؟ وما هذا الخنوع للعبودية باسم الحرية ؟

إن الاستعباد قبيح فى كل صوره ؛ ولكنه أقبح ما يكون حين يصيب النفوس ، فتخنع للواقع ، وتحتج بسير الزمان . إن الحر يفكر ويقول ويفعل كأنَّ إرادته من قضاء الله ، وجهادَه من قدرة الله ، ساخراً بسلطان الزمان والمكان — ليخلق تاريخاً ، وينشئ جيلا ، ويغير الزمان والمكان . وهل خلد فى تاريخ البشر إلا من تصدى للباطل يدمغه بالحق ، وللشر يغلبه بالخير ، وللفساد يمحوه بالصلاح ؟ وهل دعا نبى أو نادى مصلح إلا بصد التيار الجارى ، ورد الأحداث السائرة ، وتغيير السيرة الفاسدة .

إن الذى يريح نفسه وعقله من تكاليف الإصلاح ومشقة الجهاد يساير الزمان ، ويحتج بالمكان ، ويمضى مع الماء أو الريح ؛ ولكن لله خلقاً يحملون كل عبء ، ويعانون كل مشقة ، ويستصغرون كل هول ، ويسخرون من كل سخرية ، ليثبتوا بالحق وفى الحق على مضى الأيام والساعات والدقائق والثوانى كالطود فى مجرى السيل ، والحق فى معترك الأباطيل .

يا أخى الزيات : إنها لفتنة ، وإنها لمحنة . وسيمضى الأحرار لا العبيد ، يقولون ويفعلون ويجاهدون حتى يبلغوا غايتهم أو يقضوا نحبهم على السبيل قاصدين وعلى الله متوكلين .

وإنى لأدعوك وأمثالك من الفئة القليلة الناضبة للحق ، الناصرة للخير ، إلى الكتابة ، والصدع بالدعوة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأداء الأمانة ، على رغم الزمان ، وعبيد الزمان .

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

(الاسكندرية) **عبد الوهاب عزام**

صور من الحياة :

جنـــــة الشيطان !

للأستاذ كامل محمود حبيب

« يا لحوم البحر ... سلخك من ثيابك جزار ! »

مصطفى صادق الرافعى

لشد ما شاقنى أن أقضى ساعة من العمر إلى جوارك — أيها البحر — ساعة أفزع فيها عن وقدة القيظ إلى ربيعك النضر الرطيب ، أسعد بالراحة من عناء العمل ، وأسكن إلى الهدوء من صخب الحياة ، وأتحلل من دواعى العيش ، وأنفض وعثاء الطريق! فأنا — دائماً — أجد فيك هدوء البال ، وراحة النفس ، وصحة البدن ... إننى ما زلت أذكر يوم اللقاء الأول — أيها البحر — يوم أن كنت فتى غضّ الإهاب ، ريّق العود ، بسّام الخواطر ، لا تشغلنى نوازع الحياة ، ولا ترمضنى سفعات الرزق ، لا أرى الدنيا سوى متعة الروح ولذة القلب وفرحة النفس ... ورأيتك — لأول مرة — فراعنى موجك الثائر وهو يتلاطم فى قسوة ويتهارش فى عنف ، وأزعجنى هديرك الصاخب وهو يتصاعد فى عنفوان لا يهمد ، وأخذتنى روعة المنظر الهائل حين كلّ البصر عن أن يحيط بنواحيك ، وحين عجز الخاطر عن أن يلم بأطرافك ، وسحرتنى الشمس وهى تكاد تتوارى خلف الأفق ، فتندفع تبكى أفولها بعبرات من دم أحمر قان يتألق على صفحة اللجة التى توشك أن تتردّى فيها ... فوقفت أتأمل فى صمت ، وقد غلبتنى الحيرة ، وسيطر علىّ الذهول ... فما استطاعت الكلمات أن تتحدث عن بعض خلجات فؤادى ، لأن عالمك أدهشنى يوم اللقاء الأول ، أيها البحر ... وكنت حينذاك شاباً عزباً أحتال للأمر فأنفذ إليه فى غير عناء وأبلغه فى غير عنت . وللشباب أساليب شيطانية ماكرة تؤرثها عزيمة جياشة لا يعبث بها وهن ولا يقعدها ضعف ، فانسربت فى مسالك الطيش أنعم بأفانين اللذة وأرشف رضاب السعادة ، هنا ... هنا على شاطئك الجميل الجذاب ، أيها البحر .

والآن — وقد انطوت سنوات وسنوات منذ يوم اللقاء الأول — ما زلت أحس بالذكرى الرفافة تتقد فى خاطرى ، لأننى كنت شاباً عزباً أحتال للأمر فأنفذ إليه .

واليوم جئت إليك بقلب الرجل وعقل الفيلسوف ، فماذا رأيت فيك ، أيها البحر ؟

وجلست بإزائك أياماً استشف حكمتك من خلال الموج وأقرأ خواطرك من ثنايا الزبد وأتسمع كلماتك من بين الصخب ، وإن قلبي ليفتقد جلالك الأول لأنه شاب فلم يعد يحس سحرك القديم .

وأخذ القوم يفدون إليك أرجالا خلف أرجال وزمراً من وراء زمر ، فطغى لغطهم على همساتك وتلاشت نبرات صوتك الرقيقة خلال الضجة المنيفة على الشاطىء . فغاظك أن تعجز — وأنت عظيم — عن أن تسكت هذا اللجب ، ففار موّارك واضطربت أمواجك ، ووقف الجمع حيالك ينظرون فى عجب ومن أمامهم (الراية السوداء) تنذرهم بالخطر العظيم . ثم استخفك الطرب حين رأيتك تظفر بهذا الجمع فتنفث فى نفوسهم الفزع والرهبة ، فنبرت أياماً تقهقه بضحكات ساخرة مخيفة ، وطالت ثورتك فرحت أحدث نفسى : « غداً ، حين ينفرط عقد الصيف ، يعود إليك — أيها البحر — الهدوء وتشملك السكينة لأنك تكون — إذ ذاك — قد نفضت عن نفسك همّ هذا المشهد .

وسمعتك — أيها البحر — تحدثنى من خلال ثورتك قائلاً :

« هذا الشاطئ كان هاجعاً يغط فى نومه فلما دبت فى جنباته أول سمات النشاط والحركة هب الشيطان من سباته العميق ينشر زخرفه على أعين الناس وهو يترنم بالنشيد الأرضى الساحر فانطلق الحشد صوبه يتهافتون على بضاعته فى غير وعى ولا عقل ، وما زخرف الشيطان إلا اللذة والشهوة والفجور ...

« هذا الشاطئ هو الجنة الشيطانية التى تضم ألف آدم وألف حواء ، ولكنها لا تبسم عن نبتة واحدة ولا تزدهر بثمرة ، إلا ورقة التوت ... ورقة صاغها الشيطان بيده الصناع ليتوارى خلفها ثم يندفع من بين ثناياها يبذر غراس الإثم فى القلوب الفاجرة فتؤتى أكلها — بعد حين — ندماً وحسرة . والشاطئ فى الصيف ملعب الفجور ومسرح الفسق ومرتع اللهو

« لا عجب ، فإن حرارة الشاطئ لا تصهر إلا الفضيلة والإباء ، وإن مائى — ماء البحر الملح — لا يغسل إلا الشهامة والكبرياء ، وأن نسماتى اللطيفة لا تزيح عن الأنفس سوى الأنفة والعفة ! ...

« هذه اللحوم البشرية العارية جاءت تطلب الصحة والعافية والجمام فارتدغت فى حمأة الرذيلة ، وتلك النظرات الزائغة تطوّف بأرجاء المكان وفيها نهم ما يشبع وبها قحة ما تترفع ، وهى — دائماً — لا ترعوى من حياء ولا ترتدع من خجل . وهذه المباذل الإنسانية تنحط إلى حيوانيتها حين تتعرى عن الدين والشرف

« إننى أتقزز من هذا الفتى الذى جاء يغسل قاذورات جسمه ليكشف عن أدران نفسه

« وأمقت هذه الفتاة الطائشة حين تنفلت — بين الحين والحين — من بين يدى الرقيب ، وهو هين لين ، لتسمر ساعة إلى فتى من فتيان الشاطىء ؛ تعرفت إليه فى نزوة من نزوات القلب ، واطمأنت إليه فى ثورة من ثورات الشباب ، فاغترها بحديثه ، وخلبها بشبابه . والتاث عليها الأمر فعميت عن أن تراه وهو يجرها إلى هاوية من العبث والخطيئة ، والشيطان من بينهما يُزوق الحديث ويمهد السبيل » . وقلت لى ، أيها البحر :

« أما هذا الرجل ، فهو قصة الشاطىء وروح الشر وبلاء الإنسانية . هو رجل جاوز سن الشباب ، فلمعت فى فوديه شعرات بيض علامة العقل فى رأس أحمق ، وعبثت أنامل الأيام بنضارته فسطرت خطوط الرزانة على جبين فارغ . هو أب وزوج ، ولكن أنانية عاصفة دفعت به إلى هنا ليعيش وحده عمراً من عمره يبتغى الفراغ من أعباء الحياة وينشد الراحة من قيود الأسرة ويطلب النجاء من أغلال الدار . ومن ورائه زوجته وأولاده يتلهبون فى لظى القاهرة ، ويتحرقون فى عذاب الوحدة ، ويتقلبون فى ألم الفراق

« وبهره منظر البحر وهو يموج فى آذيّه ، وخلبته هبات النسيم وهى عليلة ندية ، وسحرته الأجسام العارية وهى تتألق فى ضياء الشمس ، ووسوس له الشيطان فانطلق الرجل فى تبّانه يذرع الشاطىء وإن فى عينيه الظمأ والفجور

« يا لضعة الإنسان إن خلع إنسانيته ليصبح وحشاً كاسراً لا يؤمن إلا بشريعة الناب والظفر !

« واطمأن الرجل — بعد لأى — إلى فتاة من فتيات الشاطىء ... فتاة فى ريعان الشباب ورونق الحياة وجمال الأنوثة ، تقضى سحابة يومها بين طفلين تحت مظلة ، فهو يرمقها بنظرات شرهة جائعة ، وهى تختلس إليه نظرات متكسرة . وابتسم هو وابتسمت . ثم انطوت الأيام فإذا الفتاة قد أسهلت وانقادت ، وإذا هى إلى جانب صاحبها يتحدثان فى غير رقبة ولا حذر رغم أنها زوجة وأم ؛ زوجة موظف صغير طارت عن بيته لتنعم هنا بالحرية بين طفليها . لقد نبذت زوجها هناك فى القاهرة يذوق مرارة الوحدة والحرمان فى الدار ، ويعانى عنت العمل فى الديوان

ويقاسى لظى الهاجرة فى المدينة . نبذته هناك ليدخر للذاتها ثمرات جهده وكدّ عقله وراتب شهره .

« ليت شعرى ، ماذا عسى أن تقول الخائنة لزوجها إن هى جلست إليه فى خلوة تحدثه حديث البحر ؟ وما ذا عسى أن الزوج الوضيع لزوجته المسكينة ؟

غداً تعود الزوجة إلى دارها وفى قلبها ذكرى ، ويعود الزوج إلى أهله وفى فؤاده هوى » .

ثم تلاشت همساتك — أيها البحر — بين صيحات الجمع الزاخر وهو ينادى : أن انقذوا الغريق . فنظرت فرأيت كهلاً من كهول الشاطىء تصفعه الأمواج فى غير رحمة ويجرفه البحر فى غير شفقة ، وقد خارت قوته ونفد جهده ، وأبناؤه على الشاطىء يصرخون فى لوعة وأسى : أبى .. أبى ! وزوجته تصك وجهها فى جزع وحزن . وتدافع الشباب يشقون أمواج البحر فى قوة وعزيمة ، ثم حملوا الرجل إلى الشاطىء بعد جهد فإذا هو جثة هامدة

يا لقلبى ! لقد جاء الناس يطلبون الصحة والعافية والجمام فإذا هم بين غريق فى الشهوات وغريق فى اليم ...

كامل محمود حبيب

فن القـــــــراءة

للأستاذ إيليا حليم حنا

القراءة فن له أصوله وقواعده كأى فن آخر ، وهى أداة تثقيف واستزادة فى كل الفنون المنوعة الأخرى . وقد أصبح لها الآن عيادات ملحقة بالجامعات فى أمريكا اسمها (عيادات المطالعة) غرضها إصلاح عيوب القراءة والإرشاد إلى أصولها وقواعدها . هذا بالإضافة إلى آلاف الكتب والمقالات التى عالجت هذا الفن وما زالت تمدنا بخبرة رجال التربية وعلم النفس وتجاربهم فى ضبط أصول هـذا الموضوع الحيوى الذى لم يكتب عنه فى العربية إلا القليل من المقالات التى لا تتعدى أصابع اليدين .

إننا ما زلنا لا نولى درس المطالعة العناية الكافية فى مدارسنا . والذين يقومون بتدريس هذه المادة المهمة يرون أنها فرع تافه من فروع اللغة العربية ، ولذا تراهم كثيراً ما يشغلون وقتها بقواعد اللغة أو التطبيق ، وذلك لأننا لا نعد مدرس اللغة الإعداد الكافى لتدريس هذه المادة المهمة ، وإننا نجهل حتى الآن أن القراءة فن يجب أن يدرس على الأقل للذين نعدهم للتدريس فيعرف المعلم كيف يعلم الطفل القراءة فى مراحل نمو العقلى ومتى يقوم بتعليم القراءة الجهرية والقراءة السرية والقراءة البطيئة والقراءة السريعة ، ويعرف أن الغرض من المطالعة تعويد الأطفال على حب القراءة وتربيـة ملكة الانتباه وسرعة الإدراك وإنماء قوة التفكير والقوة المتخيلة .

ويتكلم (الدكتور نيل رايت) رئيس قسم علم النفس بكلية (جون دانهل) عن أهمية درس المطالعة فى حياة الطالب فيقول (تعليم الطفل القراءة مهمة ذات مسئولية خطيرة تتطلب درجة عالية من المهارة فى فن التدريس والثقافة)

إننا لا نشترط فى مدرس المطالعة إلا أن يكون ملماً بفنون اللغة فيرهق التلاميذ الصغـار بضبط أواخر الكلمات والكبار بالإعراب فيرى كل منهما درس المطالعة عبثاً ثقيلاً لا لذة فيه ، وهى الطريقة العتيقة المسئولة عن تنفيرنا من القراءة وكراهيتنا لها أثناء مرحلتنا الدراسية وبعدها .

القراءة الناطقة :

القراءة قد تكون ناطقة ولكنها غير مسموعة وإليك ما قالته الدكتورة (ستلا سنتر) رئيسة عيادة المطالعة بجامعة نيويورك : « إذا أردت أن تعرف هل تقرأ بصوت أو لا فالمس شفتيك بخفة وأنت تقرأ ، فإذا كانتا لا تتحركان فالمس عنقك عند أوتار الصوت ، فإن وجدتها تختلج قليلا فأنت تقرأ بصوت » .

ويلذ للطفل حتى سن الثامنة أو التاسعة أن يقرأ قراءة منطوقة جهرية لأنه يدرك أثناءها نبرات صوته ويتذوقها ولذا يجب أن نستغل حبه هذا للقراءة .

وفى هـذه القراءة المنطوقة يستعمل الطفل عضلات النطق ويحرك شفتيه ويتوقف لفهم المنطوق وبوساطتها يكون معجمه اللغوى . وهذه القراءة لازمة لتعليم الطفل فى مراحل نموه الأولى لإتقان النطق وإخراج الألفاظ من مخارجها وضبطها بالشكل وجودة الإلقاء ، كما أنها تساعده فى تلك المرحلة على محاولة فهم ما يقرأ لأن استعمال حاستين فى القراءة أقوى من استعمال حاسة واحدة ؛ ففى القراءة الناطقة تصل رسالتان إلى الدماغ فى وقت واحد فتصبح العبارة أقرب للفهم وأثبت فى الذهن ، أى أنها تترك أثراً أعمق فى طيات المخ . وهى تخلق الجرأة فى الطفل وتعوده على الخطابة والتكلم فى الجماعات . ولكن القراءة الصامتة تفضلها

فى هجاء الكلمات لأنه فيها يكون غير مقيد بمستلزمات المطالعة الجهرية من جودة النطق وتنويع الصوت حسب المناسبات . والتلميذ فى المطالعة الجهرية قد يخشى النقد فيقرأ دون أن يعى ما يقرأه .

والقراءة الناطقة المسموعة فن لازم لبعض الناس ؛ فهى وسيلة لإسماع الغير ما نقول بصوت عال واضح ونبرات تتمثل فيها إحساساتنا وشعورنا . ويحتاج إليها الزعماء والخطباء والمحامون والمعلمون وأعضاء المجالس النيابية . ولكن هؤلاء لا يحتاجون إليها مطلقاً فى قراءاتهم الخاصة . إننا إذا أردنا الاطلاع على التقدم العلمى والثقافات المختلفة لنجارى فى التفكير العصر الذى نعيش فيه ونتنفع بما نقرأ فى حياتنا العملية فإننا نستعمل القراءة الصامتة ، لأن القراءة الناطقة قراءة بطيئة لا تستعمل بعد التاسعة إلا فيما نرغب أن نسمعه لغيرنا. والسبب فى هذا البطء أنها تتقيد بالسرعة التى تنتج بها عضلاتنا الصوتية الصوت . ومعدل القراءة بها ١٢٠ كلمة فى الدقيقة للشخص العادى الكبير .

ولا يخفى أن القراءة الجهرية تجهد العضلات الصوتية ويشعر بهذا كل من يستمر نصف ساعة يقرأ بصوت مرتفع ، ويعجز الشخص عن القراءة بصوت عال مدة تزيد على الساعة مع أنه يستطيع مواصلة القراءة الصامتة ساعات متوالية .

القراءة الصامتة :

القراءة الصامتة قراءة بصرية دون نطق ، تتعطل فيها وظيفة الأوتار الصوتية والشفاه ، ومدارها البصر والتركيز الذهنى . وهى قراءة سريعة لأننا لا نتقيدفيها إلا بالسرعة التى يعى بها العقل معنى ما نقرأه . وقد دلت تجارب الدكتوراستارك Stärch على أن سرعة القراءة الصامتة للطفل الذى فى الثامنة من عمره كلمة أوكلمتان فى الثانية ، أو ١٢٦ كلمة فى الدقيقة ، أى أنه يكون أسرع من الشخص الكبير الذى يقرأ قراءة منطوقة . والطفل الذى فى الثالثة عشرة من عمره يقرأ قراءة صامتة بمعدل أربع كلمات فى الثانية أى ٢٤٠ كلمة فى الدقيقة .

والقراءة الصامتة أكبر معين على فهم العبارات التى تقرأ والإلمام السريع بما تنطوى عليه من الآراء ، لأنه فيها ينطوى الإنسان على نفسه ويتجرد عن عالمه الخارجى ، ويكون مخه مصدر النشاط لا يشغله سماع اللفظ ورنين الصوت ومحاولة ضبط الكلمات بالشكل ، بل يشعر بحماسة ولذة لأن ما يقرأه يملأ عقله وشعوره وحسه .

والقارىء الصامت يقتنص المعانى من أطراف الألفاظ ويلتقطها من خلال السطور ويقفز ببصره قفزاً فوق حروف الجر والعطف ... والأفكار السهلة المعروفة لديه من قبل . وهو لا يرى الكلمات مركبة من حروف بل يراها صوراً يعرفها من مظهرها العام . وهو أثناء القراءة لا يحمل الكلمات إلى مخه بل يمر عليها بنظره فيقفز معناها إلى عقله . وتتوقف سرعة استيعاب معانى الألفاظ على مبلغ تمكن الشخص من لغته ومن الموضوع الذى يقرأه . وهو عندما يقرأ الجمل تتحول بسرعة إلى صور فى عقله . فمثلاً عندما يقرأ هذه الجملة (أسرع الأسد خلف الرجل فأدركه وألقى به على الأرض وأخذ يمزقه بأنيابه ومخالبه) يراها بعين عقله صوراً لا ألفاظاً ؛ يرى ثلاث صور متلاحقة تمر مروراً خاطفاً فى مخيلته ؛ يرى صورة الأسد يعدو مسرعاً وراء الرجل ، ثم الأسد يلقى بالرجل على الأرض ، ثم الأسد وقد جثم فوق الرجل يمزقه بأنيابه ومخالبه .

وعندما يجول القارىء الصامت بين بدائع الفن وآيات الأدب وحقائق العلم تنتقل نفسه لحظات إلى ما وراء عالم الحس وينكب على الفكرة إنكباب العالم فى معمله على أدواته يرصد الحقائق العارضة وتستيقظ فيه خصائص المخيلة ووظائف التفكير وراء فى نوبة توقد يحس بمعانى الكاتب حساً ويشعر بالحياة والحرارة فى أفكاره.

ويتعود الطفل القراءة الصامتة إليه إن وضعنا بين يديه الكتب التى تمده بغذاء عقلى لا يثقل عليه هضمه ويتمشى مع معجمه اللغوى فى مرحلة النمو التى يمر بها ويثير ميوله ورغباته ويشبع غريزة حب الاستطلاع فيه . كما يجب أن نعطيه الكتب الصغيرة التى لا تستغرق وقتاً طويلا فى القراءة حتى لا يسئمه طول الوقت وطول الموضوع فيلجأ إلى القراءة الجهرية ليتخلص من سأمه بسماع صوته الذى يساعده على التركيز الذهنى الذى أوشك أن يفقده بطول مدة القراءة .

القراءة البطيئة :

(ا) تطور السرعة فى القراءة :

يتدرج الطفل فى القراءة من بطىء إلى سريع ومن سريع إلى أسرع تبعاً لربط الكلمات بمدلولاتها ؛ وحينئذ يتمكن من أن

يقرأ الكلمة بدون أن يقطعها إلى حروف ويفهم معناها بدون تفكير. وتزداد سرعته فى القراءة بوفرة محصوله اللغوى والذهنى.

ونحن الكبار تزداد سرعتنا أيضاً بنضوجنا الذهنى وسعة اطلاعنا ووفرة معلوماتنا وتمكننا من اللغة ومفرداتها ومدى اطلاعنا فى الموضوع الذى نقرأه؛ لذا نرى المبتدئين فى بعض العلوم لا يسرعون فى قراءتها لأن عدم الإلمام بها يلزمهم التوقف.

(ب) متى يلزم البطء فى القراءة :

لا تدل القراءة البطيئة على شيء إلا على قلة المحصول اللغوى للفرد وعدم نضوجه الذهنى. والقارىء البطيء غالباً ما يكون آلياً يحرك شفتيه عند القراءة أو سماعياً يقرأ بصوت مسموع لتنتقل الألفاظ من أوتار صوته إلى أذنيه.

والقراءة البطيئة من أكبر عيوب فن القراءة ولكنها تكون ضرورة لازمة فى الحالات الآتية :

١ — عند القراءة التى يقصد بها التحليل والنقد.

٢ — فى الكتب العلمية الدقيقة ككتب الطبيعة والفلك وعلم النفس.

٣ — فى الكتب التى تقرأ لإشباع لذة وجدانية كالشعر والنثر الفنى والأدب الراق وكل ما يقرأ للتذوق.

والقارىء فى هذه الحالات قد يقرأ بصوت مسموع بعض الفقرات أو الأبيات للاستمتاع بها، وقد يعيد قراءتها عدت مرات للتمعن فيها أو استيعابها ولكنه يقرأ كل ما يراه مفهوماً قراءة سريعة خاطفة ليوفر الوقت لكل ما هو معقد يحتاج إلى الروية فى التفكير والاستيعاب.

(ح) القارىء الضعيف (البطىء) :

١ — يقرأ كتاباً سهلا بسرعة تتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ كلة فى الدقيقة.

٢ — يقرأ كلة ويقف عند كل لفظ تقريباً لأنه ضيق المعرفة كما أن محصوله اللغوى ضئيل.

٣ — يقرأ الكلمة أو الجملة مرات حتى يفهمها جيداً باستجماع كل مدلولاتها فى ذهنه.

٤ — يقرأ بعينيه وشفتيه ولسانه وحنجرته وأوتاره الصوتية

٥ — لا يركز تفكيره تركيزاً كاملا بل ينشغل كثيراً بالعالم الخارجى من ضوضاء ومناظر وحوادث لأنه يتلكأ ويتباطأ فى الوقوف عند كل كلة.

٦ — غالباً ما يترك ما يقرأه دون أن يتم قراءته وأقصى مايستطيع أن يقرأه فى المرة الواحده لا تزيد على اثنتى عشرة صفحة

(ء) القارىء العادى :

أما القارى الوسط البالغ الذى يقرأ ٢٢٥ كلة فى الدقيقة فى الكتب فهو قارىء عادى فى حاجة أن يدرب نفسه لتزيد سرعته ومعدل سرعة القارىء العادى فى المدارس الثانوية ٣٠٠ كلة فى الدقيقة وفى المدارس العليا ٣٥٠ كلة فى الدقيقة..

القراءة السريعة :

(ا) متى يمكننا القراءة بسرعة :

كلما زاد عدد المفردات التى يفهم الفرد معناها الحقيقى المقصود منها ازدادت قدرته على التفكير والفهم بسرعة.

٢ — عندما يزيد النضوج الذهنى للشخص بوفرة المعلومات وسعة الاطلاع يكون أقدر على التفكير الهادىء السريع.

(ب) القارىء السريع :

١ — يقرأ بسرعة لأنه يفكر بسرعة نتيجة لمحصوله اللغوى الوافى ومعلوماته الواسعة وقوة بصره.

٢ — يقرأ ٦٠٠ كلة أو أكثر فى الدقيقة فى المجلات أو القصص ومن ٤٠٠ إلى ٥٠٠ كلة فى الأبحاث العميقة الدقيقة.

٣ — يلتقط المعنى الكامل للجملة من نظرة واحدة ولا يقرأ كلمات منفردة، ويتخطى الكلمات التى لا أهمية لها مثل حروف الجر وأدوات التعريف وحروف العطف والضمائر ... ألخ.

٤ — يستطيع قراءة الكتاب فى جلسة واحدة.

٥ — يتجه كل وعيه إلى ما يقرأ ولا يشغله عن ذلك مؤثر خارجى، بل يركز فهمه ويحصر ذهنه ويشعر بلذة وحماسة تجعلانه يلتهم ما يقرأه التهاماً.

٦ — يفهم ما يقرأ ويتمشى تفكيره مع المؤلف ويوافقه أو يخالفه بسرعة.

٧ — يستوعب السطر العادى المطبوع فى حركتين أو ثلاث حركات للعين.

٨ – يمكنه أن يقرأ كتاباً أسبوعياً ما عدا ما يقرأ من الكتب التى تتعلق بمهنته والمجلات الأسبوعية والشهرية والدورية والصحف اليومية والنشرات .

(ح) القراءة السريعة ضرورة لازمة :

إنها ضرورة ماسة لجميع رجال الفكر والأعمال لمجاراة العصر فى تفكيره وخاصة وإن الإنتاج العقلى لا يحده حصر وأعمالنا وواجباتنا لا تتيح لنا وقتاً كافياً للقراءة . وهى أشد ما تكون لزوماً فى الأحوال الآتية :

١ – عندما يكون أمامك مراجع كثيرة للبحث عن نقطة معينة .

٢ – عند قراءة الصحف اليومية والمجلات لأنك فى مثل هذه القراءات تريد الفكرة العامة بالإضافة إلى كون الأسلوب الصحافى فى غاية السهولة يفهم بدون بطء .

٣ – عند قراءة الأجزاء المعروفة لديك فى كتاب جديد أو مقال .

٣ – عندما تريد اكتساب نظرة طائرة عن الموضوع .

٥ – عندما تكون راسخاً فى الفن الذى تقرأه أو ملماً به ولست مبتدئاً فيه .

(ء) اختبر سرعتك :

اختر صفحة من كتاب لم تكن قد قرأتها من قبل بحيث لا تكون معقدة لغوياً ولا تحوى أفكاراً بعيدة عن مجرى تفكيرك اليومى ومحصولك الثقافى ثم اقرأها بسرعة كما تقرأ فى مجلة للتسلية وليس للفحص والتدقيق ، ثم وقت ما تفعل بدقة ثم اقسم عدد كلمات الصفحة على عدد الدقائق التى استغرقتها فى قراءتها فتعرف سرعتك فى الوقت الحاضر . لو وجدت أنك تقرأ ٣٠٠ كلمة فى الدقيقة فأنت فى حاجة إلى أن تزيد سرعتك . تمرن لمدة شهر واختبر مقدار سرعتك يومياً فى مذكرتك فتجد أنك فى نهاية الشهر تقرأ من ٤٠٠ إلى ٦٠٠ كلمة فى الدقيقة فإنه من الممكن أن تمرن نفسك على السرعة حتى تقرأ صامتاً ثلاثة أو أربعة أضعاف ما يقرأ الآن .

(ه) كيف تحسن القراءة :

دلت التجارب على أن سرعة الفرد فى القراءة تزداد بمقدار ٣٥٪ بالتمرين اليومى . فاحمل نفسك على أن تقرأ ربع ساعة يومياً بأسرع ما يمكنك حاصراً كل ذهنك وانتباهك فيما تقرأ ، ثم سجل عدد الكلمات التى أمكنك قراءتها كل يوم . قد تجد أول الأمر أن السرعة تحول بينك وبين الفهم ، ولكن لا تلبث بعد التدريب اليومى أن تجد أنك تستوعب من المعانى أكثر فأكثر .

زد عدد الكلمات التى تقرأها كل يوم عن سابقه بالتدريج بحيث تفهم ما تقرأ . لا تقرأ كلمة كلمة واعتد قراءة الجمل . وإذا كنت ترجع نظرك بين الفينة والفينة إلى كلمة أو كلمتين تريد استيعاب المعنى فاقض على عادة الرجوع هذه واستمر حتى تنتهي من الجملة على الأقل . ويمكنك تجنب إعادة القراءة بأن تجعل بالك إلى فكرة الكاتب .

تعلم أن تثب وثباً حكيما لتقبض على الفكرة الرئيسية ، ولكن لا تتجاوز الكلام بل اعبره بأن تمر عليه بلحظك مراً سريعاً والتقط الألفاظ الرئيسية .

بعد قراءتك التدريبية يومياً لخص الأفكار الرئيسية التى خرجت بها من قراءتك السريعة ثم عد وتمعن فى قراءة نفس القطعة ، ولخص فى أثناء قراءتك هذه ، المعانى الرئيسية والفكرات الأساسية واعمل نسبة مئوية لمقدار استيعابك ما قرأت بسرعة .

وفق بين سرعتك والمادة التى تقرأها ، فمثلا فى قراءة الصحف والمجلات يمكنك أن تمر مراً خاطفاً على الأخبار مستوعباً معنى فقرة بأ كلمها فى نظرة واحدة وبعد ذلك تتمكن من أن تمر مراً خاطفاً بارعاً على الصفحة كلها مختاراً الفقرات والأفكار الدالة ، وفى الإمكان أن تصل إلى سرعة من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ كلمة فى الدقيقة فى القراءة الخاطفة فى الموضوعات البسيطة التى لا تحتاج إلى دراسة عميقة وإمعان كالقراءة فى الصحف اليومية .

ويدهشك أن توماس كارليل وثيودور روزفلت كان لهما قدرة عجيبة على قراءة صفحة بأ كلمها بنظرة واحدة . ويدهشك أكثر عندما تعرف أن السر فى إنتاج البروفسور لاسكى الإنجليزى فى عالم التأليف يرجع إلى قوته الغريبة وسرعته فى القراءة التى لا تفوقها سرعة إذ يستطيع أن يتصفح مجلداً ضخماً ويستوعب كل ما يستحق الاستيعاب بسرعة ٢٦٠ صفحة فى الساعة .

إيليا حليم حنا
مدرس أول للغة الإنجليزية والآداب
مدرسة النهضة الوسطى الأبيض ـ سودان
(أسيوط)

الشاعر فى الشارع

للأستاذ أنور لوقا

نشرت « الرسالة » فى أعداد سابقة بعض أقاصيص الأديب الفرنسى ألفونس دوديه . وألفونس دوديه كاتب ساحر ، حلو الحديث ، كبير القلب ، ساذج عميق ، أحبته النفوس على تنافر نزعاتها ، واستعذبته الأذواق على اختلاف مواردها ، والتف به الجمهور على تشعب مذاهبه وتناثر أهدافه ... سحر النساء والشعراء ، وسحر الكافرين بالشعور والضاربين فى طين المادة ، ففتن أولئك المحلقين فى الخيال ، وفتن هؤلاء المحدقين فى الواقع ، راق المدنفين بالرقة ، وراع الهاتفين للقوة ، وأطرب الذين يجول الدمع فى عيونهم ، وأشجى الذين لا تفارق البسمات شفاههم ، ومزج فيض الحنان بمرح الفكاهة دائماً ...

كاتب ساحر نظر إلى الشئ الصغير نظرة كبيرة ، وكشف فى الشئ المبتذل ناحية طريفة ، وقرن المعنى القديم بالظاهرة الجديدة ، وصور الحقيقة الملموسة فى وشى من الوهم الجميل ...

وإذا حاولنا أن نقف على منبع هذا « السحر » فى أدبه رجعنا إلى شبابه ونشأته .

ليس من العبث أن يبدأ الأديب بالشعر ، ولا الفتى الشاعر يضيع وقته لأنه ينفقه فى الحلم والتأمل .

أو لاينبغى للكاتب الناشئ أن يعيش فى برج من العاج قبل أن يهبط إلى الأرض ، ويخبط فى زحمة الشارع ؟

يقول الناقد « جول لميتر » فى سياق حديث له عن ألفونس دوديه : إن خير ما نفعله ، حتى نحسن تقدير ما تمج به الدنيا ، هو أن نلم أول الأمر بأطراف من جمال السماء ... وتلك ملاحظة خليقة بأن تسلط الضوء على وجه كاتبنا الساحر من زاوية ممتازة .

ومن هو الشاعر ؟

يجب أن نتفق أولاً على أنه ليس الذى ينظم الأبيات ، كما تظن العامة دائماً .

الشاعر قبل كل شىء — وما أصدق تسميته فى اللغة العربية — كائن مرهف الشعور ، يسره شىء صغير ، ويبكيه شىء صغير ، وتكاد تهتز أوتار حسه من لا شىء ...

إنه يستأنس الأشياء جميعاً ، ويندمج فى وجودها ، ويعيش فيها وتعيش فيه ، فيخفق قلبه إذا أسرعت ، ويهدأ إذا أبطأت ، وتلهث أنفاسه لضيقها وكربتها ، أو ينشرح صدره لبردها وسلامها ، وتصطبغ نفسه بلونها قاتماً كان أو زاهياً .

لكل شىء عنده قيمة شعورية ، وطاقة عاطفية ، ومعنى باطنى ، فهو يعنيه النبض والدبيب لا الحجم والمساحة ، هو يعى ألباب الأشياء وقلوبها قبل أن يعى أشكالها ومظاهرها . ولا يكاد ينظر إلى الصور ، وإنما يستقبل ما تلقى هذه الصور فى نفسه من أحاسيس ... ذلك أن البصيرة عنده أنفذ من البصر ، والوجدان عنده أقوى من العين ، وبهذا يمتاز الشاعر من المصور : ذاك تطغى عليه ملكة الشعور ، وهذا تطغى عليه ملكة الملاحظة .

وحين ينزل الشاعر من عليائه ويلتفت إلى دنيا الواقع ، ثم يتجه نحو سوق المجتمع ، ويريد هناك أن يخالط الناس ، ويتفهم الخلائق ، ويدرس الحياة ، إذن فسيهمل الشئ المبتذل ، والشئ الأجوف ، والشئ الرخيص . سيهمل فى الحياة كل ما هو حشو . سيصغى ويرى ويلمس ، ولكن هيهات أن يعلق بذهنه إلا كل طريف عميق ، ولن يسجل من كل ما يجد حوله إلا الجدير بالتسجيل ، ولن يقدم لنا فى آخر الأمر إلا مشاهد فنية غريبة رائعة استطاعت أن تستأثر بوعيه وتستغرقه استغراق خياله السابق .

وألفونس دوديه بدأ بالأحلام ، وإننا لنقرأ فى الصفحات الأولى من قصة حياته المؤثرة (الشئ الصغير) كيف كان طفلا رقيق العاطفة فى « نيم » ، يقضى نهاره فى حديقة الدار وفناء مصنع النسيج الذى أنشأه أبوه ، متخيلا أنه « روبنسون كروزو » فى جزيرته ، ثم كيف أحزنه فراق تلك الربوع عندما أفلس أبوه وهاجرت العائلة من المدينة . قال : « شهراً كاملا ، بينما كان أهل البيت يحزمون الأمتعة ، كنت أتمشى حزيناً وحيداً فى مصنعى العزيز . لم يكن قلبى لينصرف إلى اللعب فى تلك الأيام كما تقدرون ، لا ، بل رحت أجلس فى كل ركن ، أنظر إلى الأشياء من حولى وأخاطبها كأنى أخاطب أشخاصاً ... وكانت فى أقصى الحديقة شجرة رمان كبيرة قد تفتحت أزهارها الحمراء الجميلة للشمس ، سألتها واحدة من أزهارها فأعطتنى ، ووضعت الزهرة فى صدرى

تذكاراً لها ... لقد كنت بائساً شقياً ... ثم خرجنا ... وكلما ابتعدت قافلتنا من البيت كانت شجرة الرمان تشرئب ما استطاعت فوق جدران الحديقة لتنظر إلينا وتنظر إليها قبل أن تغيب ... وكانت الأشجار الأخرى تلوح لنا بأوراقها وتقرئنا الوداع ... وكنت شديد التأثر أرسل إليهم فى خلسة قبلات حارة على أطراف أنامل » ...

وفى ليون ، يفتقد الصبى شمس « نيم » المشرقة وهواءها الطيب ، فلا يجد إلا سماء قاتمة وضباباً كثيفاً ، ويُلحق بكتاب « سان بيير » ، حيث تستغرق الصلاة والترنيم معظم الوقت ، والدرس أقله ... وفى هذا الجو القابض ، جو البيت المفلس ، وجو المدينة القاتمة الموحشة ، سرعان ما يصبح ألفونس غلاماً عابثاً متمرداً شريراً ، فإذا أدخل المدرسة الابتدائية لم يرعو عن عبثه ، ولم يقتصد من لهوه ، بل مضى يطلق لنفسه العنان فى التخلف والتغيب والهرب ، ليجدف فى نهر الرون حيناً ، ويهيم فى الريف حيناً ، ويعرج على المقاهى والحانات بين ذلك ... ولكنه يطلق لنفسه العنان أيضاً فى القراءة والمطالعة ، فيلتهم كتب القصص ودواوين الشعر ، ويعيش فى عالم مسحور بعيد من إبداع خياله ، يهرع إليه ويلوذ به كلما ضاق بالبيت والمدرسة والمدينة ... وفى الخامسة عشرة من عمره بدأ يقرض الشعر ، وأخذ ينشر الأبيات تلو الأبيات فى صحيفة محلية من صحف ليون ، وينضد فى دفتر أنيق مادة ديوان أنيق ...

ولكن الشعر لايقوت أصحابه ... لا بد من كسب العيش ... ولا بد لهذا الفتى بعينه من الاعتماد على نفسه منذ سن مبكرة ، لأن مالية الأسرة ما زالت مضطربة ... هناك يأتيه نبأ وظيفة خالية ، وظيفة « مشرف » فى مدرسة « إلياس » الثانوية ، دفعته شجاعته إلى طلبها ، وأنعمه حظه بنوالها — كما يقول هو — فقد جرعته سنة مرة من العذاب القاسى فى جحيم تلاميذ خبثاء ، لم يطق بعدها صبراً ، بل انطلق إلى باريس يهلك فى سبيلها فرنكاته المائة التى كان قد ادخرها طيلة العام لمشروع رحلة دبرها طموحه إلى مونبلييه ، حيث أزمع أن يتقدم لامتحان البكالوريا ...

ويحط فى باريس فتى حالم العينين ، صبوح الوجه ، متهدج الصوت ، حيياً كأنه عذراء ... ولا يزال يستلهم الشعر والخيال فى غرفة عالية على سطح منزل فقير ، حتى يتصل — لنشر ديوانه — بصغار الأدباء والفنانين فى مجالسهم وحاناتهم ... إذ ذاك يرى ويلمس واقعاً من الحياة ساحراً نابضاً غريباً ، حافلا بروائع كالتى أنسها فى أحلامه .. وها هوذا يقبل على تلك الحياة « البوهيمية » إقبال الظامئ على شراب عذب ، يعب ولكنه يتذوق ، ويرتوى ولكنه يستمتع ويتلذذ ... ويخرج يتسكع على أرصفة باريس ، ويضرب فى أحيائها ، ويغشى جميع أوساطها ، وينغمر فى عبابها المصطخب ، وحواسه المتفتحة المرهفة دائماً تتصيد الأطياف الخفية ، وتسجل الصور الظاهرة ، وتلتقط من الدقائق ما يغيب عن أعين الباريسيين التى اعتادت النظر وأعين المحترفين التى كلت من التحديق .

هناك وجد الشاعر بين يديه ما يجذب بصره الذى كان شارداً إلى الأفق البعيد ، وجد ما يسترعى حواسه كلها ، أشياء جديرة بأن ينظر إليها ويتأملها ويطيل تأملها والنظر إليها ، أشياء طريفة لاحظها وعلمته كيف يلاحظها ، أو لعلها أشياء عادية مبتذلة يهملها سواد الناس ولكن ملكات الشاعر فيه قد تنبهت إلى روعتها وطرافتها وامتيازها . ومن هنا كادت صور باريس ومفاتنها ومآسيها أن تصبح مادة جميع قصصه فيما بعد ، ومادة « أقاصيص يوم الاثنين » بوجه خاص .

ليس إذن أفضل للكاتب الذى يريد رسم طبيعة الحياة من أن يحظى ، قبل أن يخوض غمارها ، بخيال خصب وشعور خصب .

ونحن نحس اليوم أن نفس ألفونس دوديه التى حرمت هناء الطفولة وأفراح الصبا ، فباتت تنشد السعادة والحنان أحلاماً عريضة يبسطها لها الأمل ويوشيها الخيال ويحدوها الشعر ، ما زالت ترفرف على أقاصيصه ، تضيف إلى دقة النظرة هزة التأثر ، وتؤلف من جزئيات الواقع وتفاصيل الحياة المتناثرة هنا وهناك صوراً فريدة صادقة ، لايدخل فى نظمها من صنعة إلا سحر الاختيار الساذج ، ولكنها لا تحتاج إلى أكثر من ذلك لكى تثير فينا هذا الشعور الغزير بتدفق الخيال الزنق من صميم الواقع والملموس ...

ولقد كان دوديه يعى عن نفسه هذا كله ، ويرى فى الشعار الذى اتخذه جوته — « الحقيقة والشعر » — حكمة غنية تشمل الحياة الإنسانية بأسرها .

أنور لوقا

مدرس منتدب بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

سحابة صيف

للأستاذ ثروت أباظة

على شاطىء البحر أرسل فيه ناظرى فينطلق لا يعوقه إلا الأفق البعيد ... تتهادى منه إلى الشاطىء موجات كل منها تتزين لملاقاة هذا الشاطىء بلون يختلف عما اتخذته صاحبتها ، وإذا هى مرتمية عليه فى إلحاح العاشق المشوق حاملة معها نسيماً يشتد حيناً ويلين أحياناً ... يشتد فالشوق عارم ، ويخفت فالشوق خفيف ... والشاطىء رابض يستقبل كل ما يرد ، لا تلمح عليه من التغير غير بعض الماء يعلوه من أثر الخجل ، ثم لا تلبث الرمال الظامئة أن تبتلع هذا الماء إلى غير رجعة وفى غير اكتفاء ... والناس بين ذهاب وأوبة منهم من يولى الموجات نظره واهتمامه ، ومنهم من شغلته حوريات أخرى ، فهو غير حافل بشىء مما يدور حوله من غزل يرق ويحتدم ... ومن الناس من اقتحم على الموجات غزلها فأفسد من زينتها وعاق من شوقها ... قاسياً عاتياً ... وهل كان الإنسان إلا كذلك ... فما الذى ساق صاحبى وأنا فى هدأتى هذه يقطعها على قائلا فى صوت أجش:

— سلام عليك !

— بسم الله الرحمن الرحيم ... لا أنزل الله عليك السلام أبداً ... من أين خرجت ؟

— أعوذ بالله ! أهذا لقاء ؟

— فليكن وداعاً

— خيراً ، ماذا بك ! ؟

— ليس بى غيرك ، فاجلس صامتاً أو انصرف مشكوراً.

— آه ... آسف ، لقد قطعت عليك خيالك ... آسف يا حضرة ...

لا فائدة إذن ، لقد آلمه لقائى فأراد أن يرده سخرية ، وحسبى الله ... لابد أن أقطع السخرية بمثلها واجعل الحديث كله مزاحاً ... ليجلس ... والبحر لن يغيض ، والشاطىء لن يفر ، والقسوة فى الناس لن تزول : —

— لا ... لا تأسف فهكذا أنت والله ... بل أنك عادة أكثر جوداً منك الساعة ، فها أنت ذا تحس فتأسف وما كنت فى يوم ذا إحساس ، إجلس ... وتكلم ...

— أذنت لى ... أى تنازل ... كيف حالك وما حال الصيف معك ؟

— أما حالى فالله محمود على كل شىء ؛ وأما الصيف فلا أدرى لماذا يمر بطيئاً . يخيل إلى أنه لن يزول ... أنا لا ألتذ شيئاً هنا ولا يسرنى غير وحدتى ؛ وما كنت فى يوم محباً للوحدة ... ولكننى أجدها أقل سوءاً من غيرها .

— سحابة من ملل الصيف تزول إن شاء الله .

— وأنت ... ؟

— أنا ماذا ؟

— متى تزول ؟

— أعوذ بالله ماذا جرى لك ؟ لقد أصبحت طويل اللسان إلى حد لا يطاق .

— أراك تطيقه .

— فتى أراك ؟

— أمر عليك

— فأنت لا تريد أن ترانى ... ماذا بك ... لن أنصرف أو أعرف .

— لقد أحسنت التهديد ... مللت من قلة العمل والاسترخاء ، وكسلت عن العمل فى ذاته فاصبح حالى مزيجاً عجيباً من عمل أمامى أكسل عنه ، وملل من هذا الكسل ، وقعود عن إزالة هذا الملل

— كنود ذلك الإنسان ... لقد رأيتك والعمل يتكاثف عليك فتناشد الله العون وترجو منه أن يسوق إليك الصيف يرفع عنك حملك ... وأجاب سبحانه الدعاء ، وأزال عنك كدرك وساق إليك الصيف فإذا أنت تستقبله فى هذا الفتور العابس وذلك الملل المصطنع .

— مرض ...

— أنت طبيبه ... إن نفسك هى أضرى أعدائك فحاربها ... تضع أمامك المسالك المسدودة وهى قديرة أن تفتحها لك ، وأنت قدير ... من نفسك تطمك ، وامنعها أن تمل تمرح ، وازجرها أن تموج بك تستقم لك الحياة

أيها القمر

للشاعر الايطالى (جاكو موليبو باردى)

ترجمة الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

(صحب الشاعر فى إحدى رحلاته أحد الرعاة فأوحت إليه هذه الصحبة روائع من الشعر . هذه القصيدة إحداها . ويعد شعره نموذجاً للابداع والرقة والرشاقة الجذابة والعواطف المتأججة ، ولم يكن شاعراً فحسب ، بل كان عالماً فاضلا متقناً لعدة لغات (العبرية واللاتينية والأسبانية وغيرها) وقد ولد فى ١٨٩٨ بمدينة (ريكانتى) ومات فى نابولى ١٩٣٩ م) .

... أيها القمر ما عملك فى السماء ؟ خبرني ماذا تعمل أيها الوحيد الصامت ؟ إنك تظهر ليلا وتسير مشاهداً البوادى ثم تختفى

أما حل بك التعب من مرورك دوماً فى هذا الفضاء الخالد ؟

ألم يعترك الضجر والملل ؟ ألا زلت ترغب فى مشاهدة هـذه الوديان ؟

ما أشبه حياة الرعاة بحياتك ! إنهم يستيقظون فى تباشير السحر يسوقون أغنامهم إلى الحقول ، فيرون أمامهم قطعاناً ومروجاً واسعة وعيوناً نابعة ... فإذا ما حل بهم التعب من الطواف طول النهار ، ناموا فى المساء ولا أمل لهم غير الراحة .

أيها البدر ! خبرنى ماذا ينفع العيش وماذا تجدى الحياة ؟

ليت شعرى ما الفائدة من عبورنا السريع لهـذه الحياة ، وما الغرض من مسيرك المتواصل دائماً ؟

ها أنت ذا ترى الواحد من الرعاة شيخاً مسكيناً مموهاً يكاد ثوبه البالى لا يستر بعض جسمه ، حافى القدمين ، مشعث الشعر ، يحمل على عاتقه عبئاً ثقيلا لا يفارقه ... فهو تارة يتسلق الجبال العالية وطوراً تسوخ قدماه فى الرمال ، يخترق الخمائل الملتفة ويسير فى العواصف الهوجاء ، يقاسى قر البرد وهجير الحر ، يواصل جريه فلا يعوقه مستنقع يخوضه ولا صخرة يتسلقها . تراه يكبو ثم ينهض فيسرع فى جريه دون توقف ليستريح ولو تمزق جسمه وانبثقت منه الدماء إلى أن يبلغ نهاية الطريق التى حددها له النصب والعناء ، وهناك تتلقفه هاوية سحيقة يهوى فيها ، فينسى كل ما لقيه من هم وبلاء . هذا مثل الحياة الفانية أيها البدر المنير

أيها المتفرد فى عليائه ؛ يولد الإنسان بالتعب والعناء ، فيكون عرضة للمرض ، ثم طعمة للموت . يحس أول حياته الألم والشقاء ، فيبدأ أبواه يعزيانه عن ميلاده من يوم أن يوجد فى المهد ، فإذا نما وترعرع شرعا فى مساعدته حتى يكبر ، فيبذلان جهدهما فى إعداده لما ينتظره من هموم الحياة ، بالأقوال والأفعال ، فإذا أصبح رجلا زكاه ليحمل نصيبه من أعباء الحياة .

أخبرنى لماذا نولد ونوهب الحياة مادمنا سنسلبها ؟ وما دام الوجود هما وشقاء فلماذا نعمل على تقوية دعائمه ؟ هذه حالنا نحن الفانين . . .

أما أنت أيها القمر فلست عرضة للموت ، لذلك لا تحفل بما أفضيت لك به :

أيها السارى فى الليل ! ربما تعلم سر الحياة وسر ما ينتابنا من آلام وما نذرف من دموع . ربما تعرف سر الموت ، وشدة شحوب ألوان وجوهنا عند ما تودع الحياة ، والحزن الذى يلم بنا عند مفارقة خلان أوفياء ومحبين أمناء .

إنك لتعلم علة الأشياء وتعرف فائدة الصباح والمساء ومسير الزمن الذى لا نهاية له .

أنت الذى تدرك سر تبسم الزهر فى الربيع وذبوله فى الخريف ،

— خطيب بارع ...

— لا فائدة منك اليوم . أنا آت إليك غداً ، وسوف أصحب معى رفقه ترتاح إليهم ، ولأحارب أنا نفسك ما دمت تضعف عنها ، سلام عليك .

— سلام ؟

ومضى وسيأتى غداً . . كم كنت فظاً معه ! ولكنه الحبيب الذى لا يكلفنى اصطناعاً فى إظهار عواطفى ، فهو يقبلها كما أبديها ، وأبديها كما أحسها . . كم أحبه وكم تحمل ! . على أية حال إنه غداً آت وما أظننه إلا متغلباً على نفسى ... نعم إنها كما قال ... سحابة صيف .

ثروت أباظة

وما فائدة الصيف المحرق والشتاء القارس . إنك تعرف آلافاً من الأسرار وتكشف فيها عن أشياء لا تخطر لنا على بال .

... إنني حينما أراك صامتاً محلقاً فوق السهول المقفرة والجبال العالية ، وكلما أراك تتبعني أينما سرت خطوة خطوة ، وكلما نظرت الكواكب تتلألأ فى السماء ، أقول وأنا سابح فى بحار من التفكير لم هـذا الضوء الساطع والنور الكثير ؟ وما ممنى هذه الوحدة العظيمة ! ومن أكون أنا ؟

هذا ما يجول فيه فكرى ... أما المقام العظيم الذى لا تقاس مدته ، والكائنات التى اختلفت أنواعها وتعددت فضائلها ... والنشاط المستمر والحركات المتعددة التى تصدر عن الأجرام السماوية والأجسام الأرضية ، تدور بغير توقف وتسير بلا انقطاع ثم إلى مصدرها الأول ، فلا أستطيع أن أفهم أى غرض لها ، ولا أية فائدة تقوم بها .

أما أنت أيها المختال بشبابه ، المدل بجماله ، فإنك لا تجهل منها شيئاً . وأما أنا فجل ما يصل إليه علمى ، أن هذه الحركة المستمرة والدوران الدائم ووجدى الواهى ، ربما كان فيهما خير أو إرضاء شيء آخر ، ولكن حياتى كلها شقاء وشر

* * *

ما أسعدك أيتها الشياه فأنت سعيدة مستريحة ، لأنك لا تعرفين البؤس والشقاء ، ولا تحسين لذع الهموم والأحزان . وكثيراً ما نظرت إليك بعين الحسد ، كلما نزلت بى الهموم والأحزان ، لأنك لست عرضة لها .

إنك حينما تضطجعين تحت ظل الأشجار فوق العشب الأخضر النامى تكونين مطمئنة مسرورة ، تقضين معظم أيام حياتك خلية البال مرتاحة الفكر .

إننى أنام كما تنامين تحت الأفياء وفوق الكلأ ، ولكن لا يلبث الضيق أن يغمر نفسى ، ويخيل إلى أن أشواكا تخزنى وإبراً تغرز فى جسمى ، وأكون وأنا على هذه الحال بعيداً عن الراحة والدعة .

أما أنت فسعيدة على كل حال . وأنا قليل السرور وليس هذا كل ما أشكوه .

آه أيها الصامت إلى الأبد ! لو أنك تستطيع النطق لسألتك : لم تستريح كل بهيمة كيفما تربد فى حالة السكون ، بينما أنا يكاد يقتلنى الضيق والسأم كلما ركنت إلى الراحة والهدوء .

آه أيها القمر الزاهر ! لو كان لى جناحان فأحلق بهما فوق السحاب وأعد النجوم واحدة واحدة والكواكب كوكباً كوكباً ، وأطوف من ذروة لأخرى ، لكنت أسعد حظاً وأهنأ بالا أيها الكوكب الفضى .

وربما كنت أنعم بالحياة وأسعد بالعيش مما أنا فيه .

إن عقلى يكاد يضل كلما حاولت النظر فى حظوظ الكائنات .

إنه يخيل إلى أن يوم الميلاد يوم مشئوم لكل مخلوق من المخلوقات مهما كانت فصيلته التى ينتسب إليها والحالة التى يكون عليها سواء أكانت فى المهود أم فى الزرائب .

فهل جانبنى الصواب أيها الساحر على تعاقب الأجيال .

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ

من الأعماق...

للآنسة الفاضلة (المطوقة)

سرت وحدى فى غربة العمر ، فى التيه المعمى ، تيه الحياة السحيق
لا أرى غاية لسيرى ولا أبصر قصداً يوفى إليه طريق
ملل فى صميم روحى ينساب ، وفيض من الظلام الدفوق
وأنا فى توحشى ، تنفض الحيرة حولى أشباح رعب محيق

سرت وحدى فى التيه ، لا قلب يهتز صدى خفقه بقلبى الوحيد
سرت وحدى ، لا وقع خطو سوى خطوى على المجهل المخوف البعيد
لا رفيق ، لا صاحب ، لا دليل غير يأسى ووحدتى وشرودى
وجمود الحياة يضفى على عمرى ظلّ الفناء ، ظلّ الهمود ...

والتقينا ... لم أدر أى قوى ساقتكَ حتى عبرت درب حياتى !
كيف كان اللقاء ؟ من ذا هدى خطوك ؟ كيف انبعثت فى طرقاتى ؟
لست أدرى ، لكن رأيتك روحاً يوقظ الشوق فى مسارب ذاتى
ويذرّى الرمادَ عن روحى الخابى ، ويذكى نارى ، ويحيى مواتى ...

حدقت مقلتاك فىّ ، وآلامى يغشّى ضبابها مقلتيَّه
لست أدرى ما استجلتاه ولا ما رأتا خلف وحدتى الأبديه ...
غير أنى أبصرت روحك تهتز انعطافاً ، فى رقة علويه
وهنا خلتنى شعرت بروح الله رفت من السماء عليَّه !

يا لعينيك ! أى نفضة بعث أوجدتها عيناك فى أعماق
فإذا بالحياة عارمة النبض بفيض الحنين ... بالأشواق ...
وإذا بالجمال يعكس ألوان رؤاه على مدى آفاق
وإذا بى فى ظل حب عظيم معجز السحر ، مبدع ، خلاق

نظرة فتحت لقلبى أبواب السموات والجنان العليه !
وجلت لى أفقاً يموج به الوحى وتستعلن الرؤى القدسيه ...
فيه سحر الألوان ، فيه صدى الألحان ، فيه منابع الشاعريه !
نظرة خلف عمقها رحت أستشرف عمق الخلود والأبديه !

ومضت بى الأيام ، لا أنا صرّحتُ ، ولا لمفتى الحبيبةُ تبدو
كم وكم راح يحتوينا مكان وأنا صبوة توارت ... ووجد ...
كم حديث حدثتنى ، كم قصيد هز روحى وأنت تروى وتشدو
وبقلبى السعيد شىء كعنف الموج ، يطغى تياره ويمدّ !

ومضت بى الأيام ، والزمن العجلان يجرى كالهارب المجنون
وسكونى ما انفك يرخى سدولاً فوق رعشات قلبى المفتون
وتلفّتُ بغتة ، وبعمق نشوة السحر والهوى والفتون
وإذا قلبى المرنح أشلاء على راحة الوداع الحزين !

وافترقنا ، وملء نفسى — لو تدرى — أحاسيس هائمات حيارى
وهواى المكبوت يجهش فى صمت ، وتهمى دموعه أشعارا
كم شجانى وداعك المرّ ، كم ساءلت قلبى الممزق المستطارا
كيف كان الفراق ؟ كيف ازوى وجهك عنى فى لحظة وتوارى ؟

وافترقنا ، وبين كفىّ رسم لم يزل كل زاد روحى المتيم
كم تلمستُ عمق عينيك فيه وبعينىّ أدمع تتضرم
يا لقلبى ، كم راح بين يديه يهتك الحجب عن هواه المكتم
أصغ ، تسمع عبر الصحارى صداه يترامى إليك شعراً مرنم ...

(المطوقة)

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

إلى الأديب اللبنانى الصديق سهيل إدريس :

سألتنى أن أطالعك برأيى فى قصــتك اللبنانية الطويلة « سراب » ، وتفضلت فبعثت إلىّ بعشرة أعداد من « بيروت المساء » فى كل عدد منها فصل من فصــول القصة ، وهأنذا أطالعك بهذا الرأى على صفحات « الرسالة » بعد أن فرغت من قراءة فصلك الأخير ، ذلك الفصل الرائع اللاذع الذى هزّ فى عينىّ قطرات الدموع !

إذا قلت لك إنك قد بلغت غاية التوفيق فثق أننى لا أجاملك ، وإذا قلت لك إننى أود أن أشد على يديك مهنئاً فثق مرة أخرى أننى لا أجاملك ! وأظنك تعلم حق العلم أننى ما جاملتك قط ، أنت بالذات ، بل لعلى كنت أقسو عليك أحياناً حتى لا أترك فى نفس قارئ أثراً للشبهات ولا موضعاً للظنون !

ولقد قلت لنفسى بعد أن فرغت من قراءة قصتك : ترى أى صدى خلفته هذه القصة بين جوانح القراء والأدباء فى لبنان ؟

أما القراء ، فأنا أعلم أنهم يعجبون بك ويعطفون عليك ، وأما الأدباء ، فلهم معك شأن آخر ؛ شأن أبرز سماته الحقد الذى يدفع إلى الظلم ، وملء الطريق بالحجارة لتتعثر أقدام الناجحين !

هذا هو الشعور الذى كان يخالجنى كلما خطوتَ إلى الأمام خطوة ، شعور بعطف القراء وحقد الأدباء ... هذا الحقد الذى كنت ألمسه كلما ظهرت لك مجموعة قصصية جديدة . لقد كان إخوانك فى لبنان يحرصون دائماً على أن يقدموك إلى الناس فى كفة تغلب فيها السيئات على الحسنات ، بل لعلهم لم يشيروا إلى حسناتك إلا فى القليــل النادر ، ومع ذلك يقال عنهم إنهم حملة الأقلام وأصحاب الميزان ! وأشهد أنك كنت تلق ظالميك دائماً وعلى شفتيك ابتسامة ، وعلى قسمات وجهك آيات من الصــبر الجميل ... وتشهد رسائلى إليك أننى كنت ألومك أعنف اللوم على هذا المسلك الذى كان يثيرنى منك ، ذلك لأن أكثر الناس لا يفهمون ولا يدركون ... لا يفهمون سر الابتسامة على أنه من أثر الثقة بالنفس ، ولا يدركون أن الصبر الجميل مصدره الإيمان بالمستقبل ! وكم قلت لك إن بين يديك قلماً يستطيع أن يرد الطعنة طعنات ، وأن يدرأ عن صاحبه تلك الحملات الظالمة التى لا تستند إلى شرعة من إنصــاف ولا إلى مسكة من ضمير ، فلم لا ترفع معول الهدم لتهوى به على الأصنام ، ولم لا تشق طريقك على أشلاء الجثث المحنطة فى توابيت الأدب ؟ !

وتزداد أنت صمتاً وأزداد أنا ثورة ، لأننى أريد لك ولــكل إنسان ناجح أن يتخذ شــعاره من هذه الــكلمات التى نطق بها نيتشه : « حطم كل مأفون يعترض طريقك » !

ومع ذلك ، فقد مضيت فى طريقك لا تكاد تصغى إلى هذا الصوت الثائر الذى يهيب بك أن تلقى العنف بالعنف ، ولا إلى تلك الصيحات المنكرة التى كانت تتجاوب من حولك كلما قطعت مرحلة من مراحل الطريق ... لقــد كانت البسمة على شفتيك وليدة الثقة ، وكان الصبر بين جنبيك ضريبة الإيمان ! وبهذين السلاحين النادرين استطعت أن تبلغ الغاية التى كنت أرجوها لك ... صدقنى إن الدموع التى اضطربت فى قلبى قبل أن تندفع إلى عينىّ ، كانت صدى صادقاً لهذا الفصل الرائع الذى ختمت به « سراب » ، وكانت — فوق ذلك — انعكاساً مباشراً لتلك الأضــواء التى غمرت جوانب نفسى وأنا أراك تجنى ثمار الصبر والجهد والأيام المضنية !

لقد كنت آخذ عليك أحياناً ضعف النبض المنبثق من قلب الحياة خفاقاً على صفحات فنك ، وكنت آخذ عليك أحياناً أخرى عدم العناية بوضع التصميم الفنى الــكامل قبل رص اللبنات الأولى فى بناء القصــة ... وكأنك كنت تحشد تجاربك كلها وتشحذ أسلحتك كلها لهذه المعركة الفنية التى انتصرت فيها على وخزات النقد ، وإذا « سراب » قصة تصور فى جلاء مراحل هذه المعركة قبل أن تصور فى صدق حياة الجبل فى لبنان ... قصة تروى لقرائها قصة أخرى ، خير ما فيها أنك قد رسمت خط الاتجاه التفكيرى فى صبر وأناة ، فبدوت ثابت القدم إلى حد بعيد ... هذه واحدة ، أما الثانية ، فهى إكمال التصميم الفنى قبل الشروع فى البناء ،

ومن هنا ظهرت كل طبقة من طبقات القصة وهى فى مكانها الذى حددته المقاييس ، وتبقى بعد ذلك هذه الإنسانية التى تترجم فى صدق عن لغة الشعور ، وتلك الواقعية التى تنقل فى أمانة عن لغة الحياة !

ولقد كنت أود أن أقدم للقراء تلخيصاً كاملا لقصتك ولكننى عدت أخيراً فأحجمت ... أحجمت لأن التلخيص سيظلم «سراب» الطويلة كل الظلم ، وأنا لا أحب أن أظلم هذه القصة التى يجب أن تقرأ كاملة . هناك الأفق الذى رحب ، وهناك القلب الذى وجب ، وهناك رفات الجناح المحلق فى سماء جديدة ، وكل تلك القيم يجنى عليها التلخيص العابر والعرض السريع !

يا صديقى ، حسبك هذه الكلمات رأياً فيك وفى قصتك .. ويشهد الله أنها كلمات تمليها نزاهة النقد لا عاطفة الصداقة !!

مسرحية « الملك أوديب » بين الكتاب والمسرح :

... ...

قرأت تعقيبك حول الملاحظات التى توجهت بها إليك على على صفحات «الرسالة» من كتاب «الملك أوديب» لتوفيق الحكيم. وقد أعجبنى منطقك حقاً ، وأشهد أنه كان فى منتهى الروعة والدقة ، وإذا كان هناك أى خلاف بينى وبينك حول بعض النقاط ، فأحسب أنه يقتصر على التفاصيل والجزئيات فحسب . وقبل أن نوصد باب الحديث فى هذا الموضوع وددت أن أحتكم إليك فى مسألة جديدة هامة حول مسرحية أوديب . فقد لفت نظرى فى مسرحية « أوديب ملكا » لسوفوكليس أمر هام ، إذ لاحظت أنه فى الوضع الذى تخنق فيه الملكة چوكاستا نفسها ويطعن أوديب عينيه ، لا يصور المؤلف المشهد مباشرة ولا ينقلنا إلى المكان الذى حدثت فيه الفاجعة ، وإنما يسرد لنا خبرها وتفاصيلها على لسان خادم . وقد اتبع أندريه جيد نفس الطريقة فى معالجة المشهد المذكور وكذلك فعل توفيق الحكيم . ومعنى هذا أنه لو مثلت هذه المسرحية على المسرح فإن المتفرج لن يرى الملكة چوكاستا معلقة من رقبتها بالحبل ولن يرى أوديب يفقأ عينيه بالمشابك الذهبية ، وإنما يرى أمامه شخصاً واحداً استبد به الجزع فوقف يسرد تفاصيل الفاجعة . وأحسب أن هذه الخطوة تخل بالمأساة إلى حد بعيد ، وتغض من قيمتها بدرجة محسوسة ، لأن ثمة فرقاً كبيراً بين عرض المشهد مباشرة على المتفرج وبين تصويره له عن طريق الرواية والسرد . وهذا الفرق يتعاظم دون شك إذا كان المشهد المقصود من أدق وأبرز مشاهد المسرحية كما هى الحال فى مسرحية أوديب .

لهذا فقد شككت كثيراً فى أن يكون جان كوكتو قد انتهج فى معالجته لهذا المشهد فى « الآلة الجهنمية » نفس المسلك الذى انتهجه أقرانه المشار إليهم فيما سلف من كلام . ومبعث الشك هو كون جان كوكتو فناناً مسرحيا خبر المسرح عن قرب ودرس مطاليبه ومطاليب رواده وألم من قريب بكل ما من شأنه أن يهيىء للمسرحية النجاح أو يكتب لها الإخفاق . وبدافع هذا الشعور تحققت حاجتى إلى قراءة كتاب كوكتو عن أوديب ، ولكن الظروف لم تهيىء لى ذلك ، ولم تيسر لى الحصول على نسخة من الكتاب في لغته الأصلية . ولذا فقد جئت أسألك عن هذه النقطة آملاً أن تغنينى إجابتك عن قراءة النص . وأرجو ألا تحرمنا بعد ذلك من تعقيبك حول هذه الملاحظة ، فيما إذا كنت تقرنى على رأيى أو تخالفنى فيه .

ولك جزيل شكرى وخالص امتنانى وفائق مودتى وتقديرى .

(بغداد) **فؤاد الونداوى**

ليسانسيه فى الحقوق

مرة أخرى يؤسفنى أن أختلف مع الصديق العراقي الفاضل فى هذه الملاحظة التى أبداها وفى ذلك الرأى الذى نادى به ... إن هؤلاء الكتاب المسرحيين الذين أشار إليهم قد نظروا إلى طبيعة المسرح وإمكانياته المادية ، حين خطر لهم ألا يعرضوا على النظارة ذلك المشهد الذى يرى الأستاذ الونداوى فى إغفال عرضه إخلالا بالمأساة وغضا من قيمتها التمثيلية ! الواقع أنه لا إخلال هناك ولا إفساد ، ما دام سير الحوادث فى المسرحية قد هيأ أذهان النظارة لوقوع الفاجعة وتلقى خبرها على لسان شخص من الشخوص ... ثم إن هناك لوناً من الاستحالة المادية فى إظهار الملكة چوكاستا على المسرح وهى معلقة من

رقبتها بحبل وكذلك الملك أوديب وقد طمس عينيه بالمشابك الذهبية ، ذلك لأننا إذا أقدمنا على إخراج هذا المشهد كما يريد له الأستاذ الونداوى أن يكون ، لا نقلب الأمر من عالم التمثيل إلى عالم الواقع ، ولتحول من دنيا الخيال إلى دنيا الحقيقة . أى أننا لو فرضنا على إحدى الممثلات أن تقوم بدور الملكة جوكاست ووضعنا الحبل حول عنقها ثم تركناها تتأرجح على المسرح ، فمعنى هـذا أن الانتحار الذى نريده تمثيلاً يصبح آخر الأمر وهو حقيقة ماثلة ! .

هـذه الاستحالة المادية فى إبراز مشهد الانتحار بالنسبة إلى الملكة جوكاست تتكرر مرة أخرى بالنسبة إلى الملك أوديب ... إن أى مخرج مسرحى لا يستطيع أبداً أن يعرض على النظارة منظراً رهيباً يتمثل فى رجل يفقأ عينيه بالمشابك الذهبية حتى لتتدحرج حدقتاه على خديه وسط فيض من الدماء ! استحالة مادية تقف فى وجه المخرج والممثل وتضيق بهـا طبيعة المسرح قبل أن يضيق بها شعور النظارة على التحقيق ... ولـكن هذه الاستحالة يمكن التغلب عليها بسهولة إذا ما نقلنـا القصة من خشبة المسرح إلى شاشة السينما ، لأن هناك من الحيل السينمائية ما يستطاع التغلب به على شتى المواقف والعقبات !

أما الـكاتب المسرحى الفرنسى چان كوكتو فقد سـار على نفس النهج فى « الآلة الجهنمية » مع العلم بأنه هو الذى يشرف على إخراج مسرحياته ، وليس من شك فى أن كوكتو مخرج مسرحى ممتاز يدرك طبيعة العمل المسرحى ومدى التفاوت بين حاضره وماضيه ، من ناحية القيم الفنية والتمثيلية .

هذا وللأستاذ الونداوى خالص الشـكر على صادق تقديره وكريم مودته .

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

هذه رسالة طريفة من الآنسة الفاضلة سـعاد عبد الهادى بالقناطر الخيرية ، تستشيرنى فيها حول أمر يقلقها قليلاً كل مساء ، أما هذا الأمر فهو أنها كثيراً ما تقف وهى عائدة إلى البيت أمام واجهة إحدى المكتبات ، حيث يطالعها فى كل مرة كتاب يجذبها إليه اسمه وينفرها منه اسمه أيضاً ، وهو كتاب « صور من المشق » ... وتسألنى الآنسة الفاضلة : هل تقدم على شراء هذا الـكتاب ؟ وهـل مما يليق أن تقرأ فتاة كتاباً عن العشق ؟ « إن كلمة العشق رغم لذتها وظرفها فإنها أيضاً تخيف وتخجل وتضايق » ! إن ردى على الآنسة هو أنه لا بأس أبداً من قراءة هـذا الـكتاب لأنه كتاب يتحدث عن ألوان من الحب استخلصها المؤلف من زوايا التاريخ ، ومهما يكن من شىء فإن الفتاة التى تجد الشجاعة على أن تصف الحب بأنه لذيذ وظريف ، هذه الفتاة يمكنها أيضاً أن تجد الشجاعة على أن تقرأ كتاباً من هذا الطراز !! ... أما الرسـالة الثانية فمن « بغداد — العراق » أشكر لمرسلها الأديب الفاضل عبد الله نيازى بمديرية التسوية العامة رقيق تهنئته ، وأجيبه بأنه يؤسـفنى جد الأسف أن كتاب « نهاية حب » الذى تفضل بإرساله إلى قد وقع فى يد غير يدى على التحقيق ! وهذه رسالة ثالثة من « بغداد — العراق » أيضاً تحمل إلى من كريم التقدير ما يستحق خالص امتنانى لمرسـلها الأديب الفاضل عبدالوهاب البياتى ، أما المسألة التى أشار إليها فهى موضع عنايتى . ورسالة رابعة من الشاعر الفاضل جعفر عثمان موسى « كوستى — السودان » تحوى بضعة أسئلة حول فن القصة وفنون أخرى ، كما تحوى عتاباً رقيقاً على سؤال قديم شغلت عن الإجابة عنه ، الواقع أن كثرة شواغلى قد ألهتنى عن هذا الصديق الذى سأكتب إليه رسالة خاصة تصله بعد أيام . ورسالة خامسة من « مدنى — السودان » أيضاً يطلب إلى فيها مرسلها الفاضل ع . عبد الله أن أكتب مرة أخرى عن الشيوعية البغيضة التى « يحاول المتشبثون بأهدابهـا تسفيه النصوص والآراء الدينية نابذين فى سبيل منطقهم المتهافت كل منطق قويم وكل برهان قاطع وكل حجة دامغة ، وأى منطق متهافت هذا الذى يتحدى القرآن » ؟! ... إننى أشكر للأديب الفاضل هذا الشعور الصادق نحو المبادىء الهدامة ، وأعده بالكتابة فى هذا المجال كلما حانت الفرصة . وتبقى بعد ذلك بضع رسائل سأشير إليها فى العدد القادم إن شاء الله .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

شاعر يثور على الطبيعة :

لكثير من الكتاب والشعراء — في القديم وفي الحديث — ولع بمشاهد الطبيعة والسكون إليها والتغني بجمالها ، حتى لقد صار ذلك تقليداً متبعاً يجرى عليه الناشئون في الأدب والمتطلعون إلى قرض الشعر ، تراهم يقصدون إليها ويسرحون الطرف في مغانيها ، عسى أن تزف إلى قرائحهم بنات الأدب والفن .

وقد قرأنا كثيراً من القصائد والقطع الجيدة في وصف مناظر الطبيعة والتفنن في التعبير عن جمالها ، وقد أوحت بها إلى أصحابها تأملاتهم تلك المناظر وسبحات أفكارهم في جوها ، ولعل هذا النوع من الأدب أقل أنواعه رواجا في عصرنا هذا الذي يفضل الخوض في مسائل الحياة والتحدث عن الحقائق الإنسانية وتحليلها . فالأديب يذهب إلى الحدائق والشواطئ ليأخذ قسطه من الاستجمام والترويح عن النفس وصحة الجسم ، كأى إنسان آخر ، ثم هو مطلق الحرية في أن يأخذ موضوعه من أى مكان شاء ، لا يتقيد إلا بما يثير عقله وإحساسه من صور الحياة وشؤون الناس .

أثارت تلك الخواطر بنفسي ، قصيدة نشرت بالأهرام للاستاذ محمد مفيد الشوباشي ، عنوانها « شاطئ بلطيم » ذهب بها في الحديث عن هذا الشاطئ مذهباً إنسانيا طريفاً يعاكس مذهب شعراء الطبيعة المفتونين بها ، فهو لم يسكت عنها ويعدل إلى غيرها ، بل إنه استنكر السكون والروعة والجلال وما إلى ذلك من الأوصاف التي تجذب أولئك الشعراء إلى أماكنهم المحببة إليهم ، فلم يرقه شيء من ذلك بل شعر بالوحشة والملل فيها ، قال :

على الشاطئ المهجور قضيت حقبة
من الدهر محزون الفؤاد وحيدا

يباب خلا من كل أنس وبهجة
يمر به الدهر الممل وئيدا

تمر به الأيام جرداء مثله
فلست ترى فيما تراه جديدا

ويمضى على هذا النحو في التبرم بتلك الأماكن المقفرة ، حتى يقول :

حننت إلى الإنسان في خلواتها
وإن كان شيطان الخصال مريدا

ألا ليتنى ألقى عدوى فأرتمى
على صدره سهل القياد سعيدا

فلم يعد الليل الرتيب يشوقني
ولا البدر وضاح الجبين فريدا

ولا الريح تشدو ولا الموج راقصا
ولا الشطر منداح الرمال مديدا

حننت إلى شط يموج بأهله
ترى فيه حفل الغانيات نضيدا

والذى استرعى انتباهي في هذا الشعر وأطربني منه ، قيمة هذه المشاعر والصدق في التعبير عنها ، فالشاعر يضيق بالليل والبدر والموج ، ويحن إلى الإنسان مهما كان ، ويشتاق إلى لقاء عدوه ليرتمى على صدره ... لأنه إنسان !

هل يباح التعليم الجامعي لكل من يطلبه ؟ :

جاء في « كشكول الأسبوع » الماضي أن البحث في المؤتمر الثقافي العربي القادم سيدور على مسألتين ، إحداهما : هل من الخير للدول العربية أن تبيح التعليم الجامعي لكل من يطلبه أو تقتصر على قبول المتفوقين . والموضوع حقيق بالنظر . نحن الآن نقبل في التعليم الجامعي كل من يطلبونه تقريباً ، وهم كثيرون لا يرد منهم إلا القليل ، حتى ازدحمت الجامعة ، وتعذر إشراف الأساتذة والمدرسين على العدد الكبير من الطلبة ، وتعذر قيام الملاقة المرجوة بين الطالب والأستاذ . ويتخرج في كليات الجامعة كل عام مئات المنتهين منها ، قل أن تجد فيهم من تكون تكونا جامعياً حقيقياً . ومعنى ذلك أن الجامعة لا تغربل المتقدمين إليها ، لتعرف ذوى الاستعداد للدراسة الجامعية من غيرهم ، وكل ما تقيس به هو « التفوق » في الشهادة التوجيهية ، وليس هذا القياس دقيقاً لأن هذا التفوق كثيراً ما يكون في تحصيل المعلومات وحفظها ، أما العقلية الدراسية فشيء آخر ، وقد يتخلف صاحبها في التحصيل والاستظهار . ومن ثم أشير بأن يعدل تعبير اللجنة الثقافية بإبدال ذوى الاستعداد للدراسة الجامعية بـ « المتفوقين » .

وأذكر أن خطاب العرش لافتتاح الدورة البرلمانية في العام الماضي ، تضمن أن الحكومة تهتم بإنشاء معاهد للتعليم الفني العالي تقلب

عليها الصبغة العملية تقوم بجانب الكليات الجامعية ، ليحلق بها طائفة كبيرة ممن أتموا التعليم الثانوى . ولا شك أن هذه المعاهد تحل أزمة الراغبين فى إتمام التعليم العالى كما تحل أزمة الجامعة أو أزمة الدراسة الجامعية المنشودة إذ يتحول عنها إلى تلك المعاهد العدد الضخم من الشباب الراغب فى الشهادات العالية دون استعداد حقيق للحياة الجامعية .

الرد على الدكتور أبى شادى:

قرأت رسالة الدكتور أحمد زكى أبو شادى المنشورة فى العدد الماضى من « الرسالة » التى كتبها رداً على ما كتبته عنه فى العدد (٨٤٢) .

أما طلبه الجنسية الأمريكية الذى نفاه فى « الأهرام » و « البلاغ » وخرّجه فى « الرسالة » على مدلول « الجنسية المزدوجة » فليكن كما خرج . فأساس الموضوع هو طعن الدكتور أبى شادى على مصر فى حملات بجريدة « الهدى » وقد دافع عن نفسه بأن ما نشرته « أخبار اليوم » جحود للجهود التى يقول إنه بذلها فى خدمة « وطنه الأول » فى شتى البيئات بأمريكا وعلى منابر الصحافة الحرة . ومن العجيب ألا نعلم شيئاً عن هذه الجهود كأن الصحافة المصرية قد اتفقت على إغفالها حتى جاءت أخبار اليوم فمكست الوضع واتهمته بالتحامل على مصر .. ولم يتعرض الدكتور لبيان ما كتبه فى « الهدى » عن مصر ، وهو موضع التهمة ، ويؤسفنى أن أتفقد صحيفة الهدى فى القاهرة فلا أجدها .

ولا أستطيع إزاء ما نسبه الأستاذ مصطفى أمين بك — وجهوده الصحفية القيمة معروفة — إلى الدكتور أبى شادى من التحامل على مصر ، وإزاء نفى الدكتور هذا التحامل أن أرجح أحد الأمرين على الآخر وإن كنت أستريح إلى مبادرة أبى شادى بالدفاع عن نفسه وتكذيب ما نسب إليه . وبودى لو أستدل بذلك على اتجاهه نحو الوفاء للوطن ، كما يرجى من كل مصرى ينأى عن بلاده وإن هجر الإقامة فيها .

وكما صدر ما كتبته تعليقاً على اتهام أبى شادى بالخروج على مصر ، عن شعور وطنى كذلك ، صدر ما وصفت به أدبه عن رأيى فى هذا الأدب أو الإنتاج الذى يقل فيه الأدب . وقد لمحت دفاعاً عنه نشر أيضاً فى العدد الماضى من « الرسالة » قال فيه

كشكول الأسبوع

□ وافق معالى وزير المعارف على تخصيص ألفى جنيه لشراء كتب ثقافية وعلمية توزع على النوادي والهيئات الثقافية فى السودان .

□ رأت اللجنة الثقافية للجامعة العربية أن التعاون الثقافى بين البلاد العربية كان حتى الآن مقصوراً على النواحى الأدبية ، فقررت تنشيط التعاون العلمي بينها ، وألفت لجنة بالإدارة الثقافية لهذا الغرض ، من أعضائها الدكتور أحمد زكى بك وخليل عبد الخالق بك

□ جاء من « الجزائر » أن شركة للنشر هناك سعت فى استجلاب كتب ومجلات عربية من المشرق ، فرفضت الإدارة طلبها ، جرياً على سياسة الاستعمار الفرنسى التي تعمل على إغلاق أبواب المغرب فى وجه الثقافة العربية المشرقية ، وقد علقت مجلة الأسبوع التونسية على ذلك بأنه يجب على الحكومة المصرية أن تقابل موقف فرنسا من صحفها بمثله ، فتمنع الصحف الفرنسية من الدخول إلى مصر .

□ أمر معالى وزير المعارف بمنع استعراض السابحات الفاتنات الذى كان يقيمه الاتحاد المصرى للسباحة بحوض السباحة بمدرسة الصناعات البحرية ببور توفيق . والغريب فى هذا الخبر أن ذلك كان يجرى فى مدرسة من مدارس الوزارة

□ يؤخذ من السجل الثقافى لسنة ١٩٤٨ الذى أصدرته أخيراً وزارة المعارف ، أن عدد الكتب التى ظهرت بمصر في تلك السنة ٥٤٨ كتاباً منها ٤٨١ مؤلفاً و ٦٧ مترجماً ، وعدد الصحف اليومية ٢٢ والأسبوعية ١٨٣ ونصف الشهرية ١٦ والشهرية ٤٧ ، وعدد المحاضرات والمناظرات والإذاعات الثقافية ١٧٧٠ . وكان تسجيل المحاضرات شاملا لكل ما ألقى ، وقد رؤى ألا يسجل في السجل الجديد لسنة ١٩٤٩ إلا المختار من المحاضرات والأحاديث الإذاعية .

□ أراد مكتب الصحافة فى سفارة الباكستان ، أن يستعين بمدير الإذاعة المصرية فى سبيل الحصول على مسجلات فنية وثقافية من مصر للإذاعة الباكستانية العربية ، فلم يجد عند سعادته غناء ، وقد أمكن على رغم ذلك الحصول على مجموعة كبيرة من تلك المسجلات .

□ قال الأستاذ زكى طليمات فى مقال له بمجلة الكواكب عن نجيب الريحانى : اليوم أقرر أننى كنت فى مهاجمى للريحاني الكاتب المتحمس المتعصب ، ولم أكن الكاتب العارف المنصف ولعل هذا الاعتراف الذى لا أخجل من إتيانه جهاراً يكون بمثابة جديلة من الزهر أضعها على رأس الريحانى وهو ثاو فى مرقده الأخير .

□ تقرر أن يبدأ موسم الفرقة المصرية يوم الأحد ٢ أكتوبر القادم بمسرحية « اليوم خمر » للأستاذ محمود تيمور بك .

□ أخرجت مطبعة نهضة مصر ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، وقد نشره وحققه وقدم له الدكتور جميل سعيد الأستاذ بدار المعلمين العالية ببغداد ، وأعانت على طبعه وإخراجه وزارة المعارف العراقية .

□ ظهر الجزء الأخير من شروح سقط الزند الذى أعدته إدارة التراث القديم بوزارة المعارف .

كاتبه الأديب عبد الحفيظ نصار إنه يصحح لوجه الله والتاريخ ما قلته عن المذهب التجديدي ، فذكر أن مطران سلك هذا المذهب قبل أن يدعو إليه العقاد والمازنى وشكرى . وأنا لم أرتب ترتيباً تاريخياً ، وإنما ذكرت العقاد وزميله فى الدعوة ، وقلت إن مطران كان من رواد التجديد وأنا أعنى حظه العملى فى إنتاج الشعر . أما سائر ما تضمنه هذا الدفاع فلا أرى داعياً لمناقشته .

فرقة الكوميدى المصرية :

هى فرقة جديدة بدأت عملها فى الأسبوع الماضى على مسرح كازينو أوبرا ، وهى إحدى فرقتين محور كل منهما ممثل يقلد نجيب الريحانى ، وممثل هذه الفرقة هو نعيم مصطفى ، ويشترك معه بشارة واكيم وعباس فارس وكاميليا وآخرون . ويظهر أن اسم بشارة واكيم يستخدم للاعلان ، فإنه لم يظهر بالرواية الأولى إلا فى منظرين قصيرين تكلم فيهما بضع كلمات وكان يمكن أن يقوم بدوره أى ممثل من الدرجة الثالثة .

أما الفرقة الثانية فتتكون من بعض الممثلين والممثلات الذين كانوا يعملون مع الريحانى ، وممثلها الذى يقلده هو عادل خيرى ابن بديع خيرى زميل الريحانى فى التأليف ، وستبدأ عملها على مسرح الريحانى فى الأسبوع القادم .

بدأت فرقة الكوميدى المصرية برواية (خطف مرانى) وهى تأليف نعيم مصطفى ، ولا بد أنه أراد أن يظهر كخليفة للريحانى وأكثر .. فالريحانى كان يؤلف بالاشتراك مع بديع خيرى ، ولكن هذا ينفرد بالتأليف . بدأت الرواية بمنظر حمودة وزوجته ، مع الزوج إبريق والزوجة (قلة) يفضل كل منهما ما معه على ما مع الآخر ، فالابريق فى نظر الزوج رمز الابن ، و (القلة) عند الزوجة كناية عن البنت ، وليس لهذا الحوار أى أثر فى حوادث الرواية بعد ذلك ولا ارتباط له بها . ولهذين الزوجين بنت (سامية) متزوجة من الدكتور عادل ، والجميع يشكون فى سيرته ويتفقون مع (مدام كاميليا) الخياطة لاختباره و (مدام كاميليا) هذه فتاة جميلة صغيرة متزوجة من رجل كبير فى السن ، ولا ندرى على أى أساس بنى هذا الزواج ، إن كان على غنى الزوج فلم إذن تعمل هى خياطة ؟ والمسلى المشوق فى الرواية هو ظهور الشخصية التى يمثلها نعيم مصطفى ، وهى (قراقيش) الصعلوك الذى يفرض صداقته على الدكتور عادل ويتقمص شخصيته فى علاج المرضى بطرق مضحكة . ويطلع قراقيش على رسالة من الخياطة إلى الدكتور عادل تستدعيه فيها لمعالجتها — تنفيذاً للخطة التى وضعتها لاختبار أمانته الزوجية — فيذهب قراقيش إليها على أنه الدكتور عادل ، وتحدث مفارقات فى منزل الخياطة ، بسبب ادعاء قراقيش أنه الدكتور ، ويلتقى الجميع هناك فى مناظر مضحكة ، وتنتهى الرواية بأن يتزوج قراقيش بمدام كاميليا.. وكيف ذلك وهى متزوجة ؟ لا ندرى! إنه يخطفها (والسلام !) .

والرواية محشوة بالمناظر المقصودة لذاتها لا لسياق الحوادث ، وقد كثر هذا الحشو المقصود حتى أخرجها عن الطبيعة إلى التكلف والافتعال . وعلى المناظر المتكلفة تعتمد الفكاهة فى الرواية ، وما كان هكذا فن الريحانى ، فن الفكاهة الراقية والنكتة الرائقة .

ومجموعة الممثلين والممثلات لابأس بها ، ولكن الرواية مبتذلة مسفة كنت أفضل ألا يبدؤا بها إن كان لديهم خير منها ، وأرجو أن يكون حظهم فى غيرها أحسن منها . وقد أجاد نعيم مصطفى فى تمثيل شخصية الصعلوك وهو ممثل خفيف الظل ، ولا أخشى عليه إلا أن يصر على التأليف فإنه يحتاج إلى تأليف قوى يظهر كفايته التمثيلية، وهو يشبه الريحانى فعلافى صوته وطريقة كلامه وسخريته. ولا بأس أن يبدأ بهذا على سبيل الإعلان ، ولكن لا بد له أن يكون لنفسه شخصية مستقلة . وإنى لأعجب من أولئك الذين يتحدثون عمن يخلف الريحانى ، هل الريحانى منصب يبحثون عمن يشغله ؟ وهل كان هو صورة لأحد قبله ؟ إن الفنان الأصيل هو الذى يأتى على غير مثال سابق .

عباس خضر



للأستاذ السيد أحمد مصطفى

توماس مان :

عند ما وصل توماس مان الروائى الألمانى الأشهر لندن فى أواخرشهرمايو الماضى أخبره ناشرو كتبه Seckes and waeburg بأن متوسط ما يباع من كتابه الأخير (الدكتور فاوستس) يبلغ الثلاثمائة نسخة فى اليوم الواحد . هذا بالرغم من أنه ليس من الروايات التى يستطيع عامة القراء هضمها بسهولة ، وأن النقاد لم تجتمع كلمتهم جميعاً فى الإشادة به والثناء عليه .

وفى خلال إقامة الدكتورمان بانكلترا سجلت له دار الإذاعة البريطانية أحاديث أدبية متنوعة ، كما كلّف بإلقاء محاضرات عن (جوت) فى جامعة أكسفورد (باللغة الألمانية) وفى جامعة لندن (باللغة الإنكليزية) وذلك قبل أن ينهى رحلته التى يقوم بها الآن إلى قارة أوروبة .

ومع أن الروائى الألمانى الكبير لم يكن يبغى زيارة ألمانيا فى بادئ الأمر ، إلا أن الدعوة التى وصلته من فرانكفورت ، وجائزة جوت (أرفع جائزة يمكن أن ينالها مؤلف أديب) التى أنعم بها عليه ، غيرتا رأيه فى هذا الخصوص . فقرر السفر إلى ألمانيا ، والاشتراك فى حفلات ذكرى جوت التى أقيمت هناك فى اليوم الثامن والعشرين من شهرأغسطس الماضى وذلك لمناسبة مرور مائتى عام على مولد هذا العبقرى الألمانى الفذ .

أريكا :

وترافق الدكتور مان فى رحلته الأوروبية هذه زوجته وكبرى بناته الثلاث ؛ أريكا المرحة الخفيفة الروح ذات الشعر القاتم والتى تجتاز أواسط العقد الرابع من عمرها الآن ، وتتكلم الإنكليزية بطلاقة عجيبة .

وأريكا هذه هى التى تمكنت من إنقاذ النسخة الأصلية من رواية أبيها (يوسف وإخوته) وحالت دون وقوعها فى أيدى النازيين على أثر استيلائهم المفاجئ على مقاليد الحكم فى ألمانيا ، حيث صادف أن كان أبواها آنذاك يقضيان عطلتهما السنوية فى سويسرة .

وقد هرّبت أريكا هذه الرواية التى لم تكن حينذاك سوى مسودات فحسب إلى سويسرة بعد أن خبأتها فى صندوق الأدوات فى سيارة من طراز فورد .

أسرة أدبية :

وأريكا فى الوقت نفسه أديبة موهوبة ومؤلفة طائفة من الكتب الرائجة ... ومن آثارها الأدبية كتاب قامت بتأليفه بالاشتراك مع أخيها الأصغر منها سناً (كلاوص مان) صديق أندريه جيد المؤلف الفرنسى الذائع الصيت ومترجم حياته ...

ويقيم أفراد هذه الأسرة الأدبية فى سان ريمو بكاليفورنيا ، وعلى بعد مسافة قليلة منهم ، فى بيفرلى هيلز ، يقيم هنريخ مان الشقيق المؤلف الحائز جائزة نوبل .

القصة الطويلة :

أخذت القصة الطويلة تعود إلى الظهور مرة ثانية فى لندن على أثر انتهاء الحرب وعودة الأمور إلى مجاريها وزوال العقبات التى كانت تعترض طريق المؤلفين والأدباء فى الحصول على القدر الكافى من الورق لطبع مؤلفاتهم وإخراج كتبهم .

ويستطيع المتفرج والمتنقل بين مختلف مكتبات لندن ودور نشرها أن يشاهد بغير عناء أن الكتب التى تبلغ صفحاتها الخمسمائة فما فوق ليست بالقليل النادر هناك فى هذه الأيام .

فثمة كتابان ظهرا فى خلال هذا العام أربى عدد صفحات كل منهما على الـ (٧٠٠) صفحة ؛ هما (الفيل والقصر) للكاتب الإنجليزى (هتجنسون) و (العالم غير كاف) و (زوى أولد بتركس) كما أن هناك كتباً أخرى مماثلة آخذة طريقها إلى الظهور الآن .

ومن الكتب التى امتازت بحجمها الكبير أيضاً قصة (الدكتور فاوستس) لتوماس مان التى نقلت إلى الإنجليزية ونشرت فى لندن فى الربيع الفائت ، فقد بلغ عدد كلماتها (٣٠٠/٠٠٠) وصفحاتها (٥٢٠) ولكن فاقتها فى الطول قصة (العارى والميت) للكاتب الأمريكى نورمان ميلر التى أثارت عاصفة من النقد فى بريطانية عند ما ظهرت طبعتها الإنجليزية

هناك منذ عهد قريب . أما أطول الكتب فى هذه السلسلة فهو بلا نزاع كتاب (Raintree) بقلم روز لوكريدج الذى سيظهر قريباً والذى ستبلغ صفحاته أكثر من ألف صفحة كاملة .

كتب التراجم أيضاً :

ليست القصص وحدها التى أتيح لها أن تفوز بكل هذه الزيادة فى عدد صفحاتها بل أن الأمر شمل كتب السير والتراجم أيضاً ، فأخذت تنعم هى كذلك بما تنعم به أختها القصة من المجال الفسيح والمضطرب الواسع ... فترجمة (روزفلت) الحديدة بقلم أحد أساتذة جامعة مدينة الكاب بجنوبى أفريقية تقع فى (٧٠٠) صفحة ، وترجمة (تولستوى) للأستاذ أرنست سيمون فى (٩٠٠) صفحة ، وكتاب المؤلف الإنجليزى هالدى وعنوانه (شكسبير وناقدوه) فى (٥٠٠) صفحة .

كتب « حرب » :

ذكرت مجلة (جون أولندن) الأدبية الإنجليزية أن الكتب التى تقوم حوادثها على أساس ما وقع فى الحرب الأخيرة من أحداث لم تعد تثير اهتمام الناشرين الإنجليز وتجلب انتباههم فى هذه الأيام مثلما كان عليه الحال فى الماضى القريب ، هذا بالرغم « من أن هناك حرب » ضربت رقماً قياسياً فى الرواج والانتشار فى خلال الاثنى عشر شهراً الأخيرة ، مثل : قصة (العارى والميت) لنورمان ميلر ، التى لا تزال فى طليعة الكتب الرائجة ، وكتاب « Cry , the Beloved Country » لمؤلفه (آلان باتون) الذى ظهر فى الخريف الماضى وأعيد طبعه تسع مرات حتى الآن ... وكتاب « From the city from the Plough » للكاتب الإنجليزى الكسندر بارون . هذا ، وستظهر لهذا الأخير طبعة أمريكية فى نيويرك فى الخريف القادم .

أما فى أمريكا فالاقبال على كتب الحرب لا يزال على أشده . وقد نالت قصة (الأشبال) التى صدرت أخيراً لمؤلفها أروين شو استحساناً عاماً من النقاد ، كما أن الأديب الأمريكى المعروف (هيمنجوى) يعمل الآن بجد لوضع قصة جديدة تقوم على أساس اختباراته وتجاربه فى حملة نورماندى حيث كان مراسلاً حربياً هناك فى خلال الحرب العالمية الثانية .

ضعف الإنتاج الأدبى فى تركيا :

قرأنا فى أحد أعداد مجلة (شادروان) الأدبية التركية التى يقوم بإصدارها الشاعر التركى المعروف (بهجت كمال جاغلار) ملخصاً لخطاب مستفيض ألقاه الروائى التركى الشاب موفق إحسان جاران فى حفلة افتتاح معرض (المؤلفين الأتراك الحديثين) الذى أقيم أخيراً فى استانبول ، ندد فيه بحالة الأدب والأدباء البائسة فى تركية ، وعدم استطاعة المؤلفين الأتراك إنتاج آثار أدبية تضاهى ما ينتجه زملاؤهم أدباء الأمم الأخرى المعروفين ، فى القوة والجودة . وقد عزا المؤلف الناشئ عدم ظهور أديب تركى يأخذ موضعه بين الخالدين العالميين حتى الآن إلى العوامل التالية :

١ — إن الذين يعرفون القراءة والكتابة فى تركية قليلون. (ولا يمكن اعتبار القارئ مشجعاً حقيقياً للأدب العالى الرصين إلا إذا كان مثقفاً ثقافة حقيقية) .

٢ — إن الذين يعتبرون أنفسهم من عشاق الأدب ومحبيه لم يتعودوا اقتناء الكتب الأدبية وجمعها وإنشاء مكتبات أدبية خاصة فى بيوتهم .

٣ — إن اللغة التركية ليست منتشرة انتشاراً كباقى اللغات العالمية ، وفى ذلك ما يثبط همم المؤلفين الأتراك من الناحيتين : المادية والمنوية ، ويعرقل سيرهم قدماً إلى الأمام فى طريق الخلق والابداع .

٤ — إن المؤلف هو الشخص الوحيد الذى لم تتضاعف أرباحه فى موجة الغلاء التى اجتاحت المملكة بسبب الحرب الأخيرة (فمند ما نشترى كتاباً بـ (٢٥٠) مليما فإنك لا تدفع للمؤلف سوى ستة مليمات فقط ، وقد صادف أن يبعث حقوق مؤلف يزيد على مائة صفحة بأقل من جنيه مصرى واحد) .

٥ — حالة التوزيع سيئة للغاية ولا يمكن الثقة بالباعة الذين هم فى خارج المدن الكبيرة بأى حال من الأحوال ، فهم لا يهتمون ببيع الكتب ، وإن اهتموا فلا يسلمون أثمان الكتب التى يبيعونها إلى أصحابها .

٦ — الدولة غير سخية ولا متساهلة ، مع المؤلفين الوطنيين فهى تنفق عميم خيرها على المؤلفات الأجنبية التى تنتقل إلى اللغة التركية بغير حساب وتغل يدها إلى عنقها عند ما يأتى دور

رسالة النقد

نظرات في كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٦ —

يجمل بي قبل أن أستأنف كتابة الحلقة السادسة من هذا البحث أن أعرض بالنقد لما نقدت به في بريد الرسالة .

أما النقد الأول ، فقد كتبه الأستاذ عدنان وجعل عنوانه « لفظة في بيت » . قال : « في مقال للأستاذ السيد أحمد صقر حول كتاب « نظرات في كتاب الأشربة » للأستاذ كرد على بك » . وفي هذه الجملة خطأ طريف ، فإني لا أنقد كتاباً اسمه « نظرات في كتاب الأشربة » للأستاذ كرد على بك ، وإنما أنقد كتاب « الأشربة » لابن قتيبة التي نشره الأستاذ كرد علي ، ولكي يستطيع القارىء متابعة النقاش في يسر وسهولة أنقل ما قلته أولاً ، وما عقب به الأستاذ عدنان ثانياً .

قلت (ع ٨٣١ ص ٩٦٣) « في ص ٣٧ ، ٣٨ من الأشربة » وقد شهر المتعاشرون على الشراب بسوء العهد ، وقلة الحفاظ ، وأنهم صديقك ما استغنيت حتى تفتقر ، وما عوفيت حتى تنكب ، وما غلت دنانك حتى تنزف ، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك ، قال الشاعر :

أرى كل قوم يحفظون حريمهم ... وليس لأصحاب النبيذ حريم
إذا جئتهم حيوك ألفاً ورحبوا ... وإن غبت عنهم ساعة فذميم
إخاؤهم ما دارت الكأس بينهم ... وكلهم رث الوصال سؤوم
فهذا ثباتي لم أقل بجهالة ... ولكنني بالفاسقين عليم

والصواب « فهذا ثنائي » كما في العقد الفريد ٣٢١/٤ وليس للثبات هنا أي معنى يستقيم به نظم الكلام ويقوم عليه بناء معناه »

وقال الأستاذ عدنان في تعقيبه « بل للثبات هنا معنى يستقيم به نظم الكلام وهو إلى الصواب أقرب مما ورد بالعقد ، وذلك لسببين : الأول أن الشاعر يقرر حالة هي إلى قدح القادح أقرب منها إلى « ثناء » المادح ، وأي « ثناء » ذلك الذي يوجه إلى قوم لا يحفظون الحريم وينقلبون بين الجيئة والذهاب من حب إلى بغضاء ومن وفاء إلى عداء . والثاني أن الأستاذ الناقد فهم من « الثبات » أنه الدوام والاستقرار ، ومن ثم كتب ما كتب معتمداً على رواية العقد وهي كما سبق رواية لا يزكيها واقع الحال . وإنما يقال في مقام التصحيح أن « الثبات » بمعنى الحجة والبرهان تقول : لا أحكم بكذا إلا بثبت أو بثبات أي بحجة وبرهان ودليل » .

ليس في كلام الأستاذ عدنان ما يحملني أعدل عن رأيي في أن الثبات ليس لها هنا أي معنى يستقيم به نظم الكلام ويقوم عليه بناء معناه ، وأما تفسيره له بمعنى الحجة والبرهان فتكلف وتمحل وتعمل ينبو عنه الذوق الشعري . وهل يقول شاعر « فهذا ثباتي » ؟

وليس في كتب اللغة التي بين أيدينا (ثبات) بمعنى الحجة والبينة ، وقد جاء في اللسان : « الثبت بالتحريك الحجة ، وتقول أيضاً : لا أحكم إلا بثبت أي بحجة » ولست أدرى من أين جاء الأستاذ « بثبات » .

والذى حمل الأستاذ على أن يتكلف في تصحيح « الثبات » هذا التكلف البعيد أنه لم يفهم معنى « الثناء » ، وعجب من أن أقول

المؤلفات التي يضمها الأدباء الأتراك .

٧ — ليس ثمة قانون يحمى حقوق المؤلف حسبما تقتضيه الظروف والأوضاع الجديدة (فالقطع التمثيلية التي تمثلها مختلف الفرق في طول البلاد وعرضها لا تأتي للمؤلف بمليم واحد ، وقد يهمل أصحاب هذه الفرقة حتى سلوك مسلك الأدب واللباقة مع المؤلف ، ومجاملته في الحصول على موافقته على تمثيل رواياته ، بل وقد يجهل المؤلف نفسه جهلاً تاماً أن رواياته تمثل هنا وهناك من أنحاء البلاد) .

٨ — لماذا يدفع الناشر أجراً للمؤلف ما دام هناك طريق ترجمة أرقى الآثار الأدبية العالمية — ولو ترجمة هزيلة — مفتوحاً أمامه بلا رقيب أو حسيب ؟ .. وما دام أن ليس ثمت أى تشريع يلزمه ولو بدفع مليم واحد لأصحابها الشرعيين ...

وقد أكد الروائي الشاب بعد ذلك أنه ما لم يعثر على علاج شاف لهذه الأدواء الثمانية ، فإن ظهور الأديب التركي العالمي المرتقب سيتأخر كثيراً إن لم يكن أمراً عسير التحقق ، بعيداً عن التصور .

(العراق — أربيل) السيد أحمد مصطفى

إن الصواب « فهذا ثنائى » فقال « وأى ثناء ذلك الذى يوجه إلى قوم لا يحفظون الحريم الخ » . ولو قد عرف الأستاذ حقيقة الثناء لما قال ذلك بل لما كتب من نقده حرفاً واحداً . إن الثناء ليس مدحاً فقط بل هو ذم أيضاً ، يستعمل فى الخير والشر على السواء ، وقد ورد فى شعر زهير :

سيأتى آل حصن أين كانوا من المثلات ما فيها ثناء

وفُسر بالوجهين : فمن قال إن « ما » نافية قال : إن الثناء بمعنى المدح ، ومن قال إنها موصولة قال : إنه بمعنى الهجاء . جاء فى لسان العرب « الثناء ما اتصف به الإنسان من مدح أو ذم وخص بعضهم به المدح . الثناء ممدود : تمدحك لتثنى على إنسان بحسن أو قبيح . أثنى يثنى إثناء أو ثناء يستعمل فى القبيح من الذكر فى المخلوقين وضده » .

وإذا كان الثناء يستعمل فى الذم فى أصل اللغة فليس هناك ما يدفع قولى إن الصواب « فهذا ثنائى » على أنى وجدت للبيت رواية أخرى حبت إليها نفسى وهى كما فى نهاية الأرب ٤ / ١٠٨

فهذا بيانى لم أقل بجهالة ولكننى بالفاسقين عليم

براع لا براعوا :

أما النقد الثانى ، فقد كتبه الأستاذ « عمر إسماعيل منصور » وجعل عنوانه « براعوا لا براع » وأنا أورد ما قلته وما قاله على نحو ما فعلت فى سالفه .

قلت فى العدد ٨٣٣ وفى ص ٣٨ من الأشربة : وقال آخر :

بلوت النبيذيين فى كل بلدة فليس لأصحاب النبيذ حفاظ
إذا أخذوها ثم أغنوك بالمنى وإن فقدوها فالوجوه غلاظ
مواعيدهم ريح لمن يعدونه بها قطعوا برد الشتاء وقاظوا
بطان إذا ما الليل ألقى رواقه وقد أخذوها فالبطون كظاظ
براع إذا ما كان يوم كريهة وأسد إذا أكل الثريد فظاظ

وعلق الأستاذ محمد كرد على على هذه الكلمة بقوله فى ع : براعوا .

والصواب « براع إذا ما كان يوم كريهة » جاء فى لسان العرب « اليراع : القصب واحدته يراعة . واليراعة ، واليراع : الجبان الذى لا عقل له ولا رأى ، مشتق من القصب . أنشد ابن برى لكعب الأمثال :

ولا تك من أخدان كل يراعة
هواء كسقب البان جوف مكاسره »

هذا ما قلته ولكن الأستاذ « عمر » لم يرقه قولى واتهمنى بعدم الفهم وقلة الإدراك بل بعدمه أيضاً وإليك ما قال : « وأقول إن يراعوا هى الصواب ، وهى من الروع بمعنى الفزع ، قال قطرى ابن الفجاءة :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعى

ولو قرأ الأستاذ الفاضل هذه الأبيات لأدرك أن الكلام عن جماعة لا عن فرد ، وأن يراعا بمعنى جبان لا تصدق على الجماعة إذ تأتى للمفرد فقط . قال فى الأساس « ومن المجاز قولهم للجبان الذى لا قلب له هو يراعة ويراع قال : فارس في اللقاء غير يراع »

ولست أدرى كيف يكون « فاضلا » من ينقل أبياتاً لشاعر يقول فيها « بلوت النبيذيين ومواعيدهم ريح قطعوا بها برد الشتا وقاظوا » ثم لا يدرك « أن الكلام عن جماعة لا عن فرد » كما يقول الناقد ونضرب صفحاً عن هذا اللغو ونأخذ فى مناقشة كلامه فإن ذلك أخلق بنا وأحجى .

يزعم الناقد المدرك أن الصواب « يرعوا » من الروع بمعنى الفزع ولو كان يعرف أن يراعوا فعل مضارع ، وأن كل مضارع اتصلت به واو الجماعة يرفع بثبوت النون وينصب ويجزم بحذفها لما قال إن الصواب « يراعوا » ولسأل نفسه : أين النون ؟ ولم ذهبت ؟ ويزعم الناقد صاحب المدارك الثاقبة « أن يراعا بمعنى جبان لا تصدق على الجماعة إذ تأتى للمفرد فقط !! وهذا زعم لا حقيقة له لم يقله أحد من علماء العربية ، ولكن الناقد افتراه وأوهم القارىء أنه اعتمد فى نفيه على الأساس حيث يقول : (قال فى الأساس ومن المجاز قولهم للجبان الذى لا قلب له هو يراعة ويراع » . وأنا أنقل للقارىء نص كلام الزمخشرى فى الأساس ليعلم كيف دلس الناقد فى نقله و كيف فهم منه ما افتراه . قال الزمخشرى فى ص٥٦١ « وقع الحريق فى اليراع : فى القصب ، قال المسيب ابن علس :

ومها يرف كأنه إن ذقته عانيةٌ شُجّت بماء يراع

أراد قصب السكر . ونفخ الراعى فى اليراعة ، وكتب الكاتب باليراعة ، قال :

أحنّ إلى ليلى وقد شطت النوى بليلى كما حن اليراع المثقَّب

أى المزامير . وغشى اليراع الوجوه . وهو شبه البعوض . ومن المجاز قولهم للجبان الخ » .

وهذا النص صريح فى أن اليراع : هو القصب ، وأن اليراع المثقب المراد به المزامير ، وأن واحدة هذا كله يراعة .

ولست أدرى كيف قرأ الأستاذ هذا الكلام ولا كيف طواه لئلا يناقض دعواه ، ولكن الذى أدريه أن الأستاذ لم يفهم كلامى

ولم يفطن إلى معنى النص الذى نقلته عن اللسان ، وكان فيه الغناء لو تدبره . لقد قلت إن الصواب « يراع » ونقلت ما فى اللسان من أن اليراع : القصب واحدته يراعة ، واليراعة واليراع الجبان الذى لا عقل له ولا رأى ، مشتق من القصب » .

ولكن الناقد المدرك لم يفطن إلى أن هذا النص صريح فى أن اليراع اسم جنس . واسم الجنس هو ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء ، جاء فى المخصص ١٦/١٠٠ « باب دخول التاء فرقاً بين الجمع والواحد منه ، وذلك نحو تمر وتمرة وبقر وبقرة وشعير وشعيرة وجراد وجرادة فالتاء إذا ألحقت فى هذا الباب دلت على المفرد وإذا حذفت دلت على الجنس والكثرة ، وإذا حذفت التاء ذكر الإسم وأنث ، وجاء التنزيل بالأمرين جميعاً ... »

واليراع واليراعة كالزّباب والزّبابة جاء فى اللسان : « الزّباب : جنس الفأر لا شعر عليه . قال الحارث بن حلزة :

وهمُ زَبَابٌ حائر لا تسمع الآذان رعدا

أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد لأنهم صم طرش ، والعرب تضرب بها المثل فتقول أسرق من زبابة ، ويشبه بها الجاهل ، واحدته زبابة » .

على أن جو الأبيات يتطلب كلمة « يراع » ولو جاز أن يقع الفعل موقعها ؛ لأن الشاعر وصف النبيذيين قبل ذلك بأنهم « بطان » ووصفهم بعد ذلك بأنهم « أسد » وسبيل يراع فى المجاز كسبيل « أسد » ومع ذلك فإننا إذا نحينا المجاز جانباً ولجأنا إلى الحقيقة وسمينا الجبان باسم « يراع ويراعة » كان الجمع فيهما « يراع ويرعات » . ورحم الله الشافعى إذ يقول : « فالواجب على العالمين ألا يقولوا إلا من حيث علموا ، وقد تكلم فى العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به ، وأقرب إلى السلامة له » .

***

ونرجع إلى ما كنا فيه من بيان الأوهام فى كتاب « الأشربة » فنقول :

٤٥ — جاء فى ص ٢٤ : « قال عثمان رحمة الله عليه : ما تغنيت ولا تفتيت ، ولا شربت خمراً فى جاهلية ولا إسلام » .

وشرح الأستاذ كرد على معنى «ولاتفتيت بقوله : ولاتشبهت بالفتيان » ! ومعاذ الرجولة أن يقول ذلك عثمان عن نفسه ، ومعاذ الأدب أن يظن به ظان أنه يمكن أن يقوله ، وبمن يتشبه عثمان إذا لم يتشبه بالفتيان ؟ إن فى العبارة خطأ لم يفطن إليه الأستاذ ، وصوابه : « ما تغنيت ولا تمنيت » أى ولا كذبت جاء فى النهاية ٤/١١٩ « وفى حديث عثمان : ما تغنيت ولا تمنيت ، ولا شربت خمراً فى جاهلية ولا إسلام . وفى رواية : ما تمنيت منذ أسلمت ، أى ما كذبت . التمنى : التكذب ، تفعّل من منى يمنى إذا قدّر لأن الكاذب يقدر الحديث فى نفسه ثم يقوله . قال رجل لابن دأب وهو يحدث : أهذا شىء رويته أم شىء تمنيته ؟ أى اختلقته ولا أصل له » .

وقد كان ابن دأب هذا — واسمه عيسى بن يزيد — من أحسن الناس حديثاً وبياناً ، وكان شاعراً راوية وافر الأدب ، صاحب رسائل وخطب غير أنه كان يضع الأشعار ويزيد فى الأحاديث ما ليس منها . وناهيك برجل يسمه خلف الأحمر بالكذب ويصفه بأنه آفة ، وفيه يقول ابن مناذر :

ومن يبغ الوصاة فإن عندى وصاة للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عون ولا ترووا حديث ابن داب
ترى الهلاك ينتجعون منها ملاهى من أحاديث كذاب
إذا طلبت منافعها اضمحلت كما يرفض رقراق السحاب

وقد توفى ابن دأب فى سنة إحدى وسبعين ومائة فى أول خلافة الرشيد . وترجمته فى لسان الميزان ٤/٨ . ٤ وتاريخ بغداد ١١/١٤٨ والمعارف ٢٣٤ ومعجم الأدباء ١٦/١٥٢ .

(يتبع) السيد أحمد صقر



مصحف من عهد عثمان بن عفان في روسيا :

هكذا نشرت الأهرام بعددها الصادر بتاريخ ٣٠ من أغسطس سنة ١٩٤٩ .

وإذا كان المشتغلون بالحفريات ، وبالتنقيب عن الآثار ، يسرهم أعظم السرور وأطيبه ، أن يجدوا قطعة حجر متآكلة ، قد نقشت عليها بضع كلمات ؛ رجاة أن يقدموا إلى العلم شيئاً ؛ وإن يكن تصحيحاً لتاريخ وفاة أمير ، أو ميلاد وزير ، أو نسب وليد ، فقدِّر كم يكون سرور المعنيين بالمخطوطات ، حين يجدون كتاباً ضخماً ، يحوى بين دفتيه كثيراً من العلوم والمعارف ، والآراء والنظريات ؟! خصوصاً إذا كان موغلا في القدم ، ويرجع تاريخه إلى ما يقرب من الثلاثة عشر قرناً .

وقدر كم يكون سرور المشتغلين بالإسلاميات على وجه العموم وسرور المسلمين على وجه الخصوص ، إذا كان هـذا المخطوط ، هو المصدر الأول لعقائد المسلمين وثقافتهم ؟!

إنه لا يداخل المسلمين أدنى شك ، في صحة كتابهم ، ولا في شيء مما يحتويه من آيٍ هي غرر البيان ومعجزة الدهر ؛ تتقدم العلوم ، وتتسامى الفهوم ، وتتكشف الحقائق ، وتتجلى الغوامض ؛ ولا يزيده ذلك إلا ثباتاً ورسوخاً ، وانفهاماً ووضوحاً ؛ حتى لقد كان أن يعد لدى الباحثين على اختلاف مشاربهم ، وتباين ميولهم ونزعاتهم ، معيار الحقيقة ، يكون حظ الفكرة من القبول أو الرفض بمقدار ما تنال من القرب منه أو البعد .

ولـكن هذا لا يمنع من أن يداخلهم سرور أي سرور ، حين يجدون لهذه النسخ التي بين أيديهم أصلا يرجعون إليه ، ويطابقونها عليه ، ليكون النسب متصلا .

وإذا كان المسلمون الذين امتزج الإسلام بطبيعة وجودهم ، وجرى منهم مجرى الدم في شرايينهم ، لا يحسون أن هناك فراغاً كان ينتظر هذا المخطوط ليشغله ، ولا أن هناك نقصاً جاء هـذا المخطوط فـكمله ؛ فهم على حق في حكمهم ؟ لأن العناية الإلهية قد تكفلت بحفظ الـكتاب الـكريم وصيانته من أن تمتد إليه يد بتحريف أو تبديل .

ولـكنهم يكونون على حق أيضاً ، حين لا يغفلون ما عسى أن تختلج به نفوس غير المسلمين ، أو حديثو العهد بالإسلام من تساؤل حول نسب هذه النسخ التي بين أيدينا الآن .

وحين لا يغفلون ما تختلج به نفوس العلماء والباحثين ، من افتراضات واعتراضات ، تتطلب إجابات من نحو آخر ، غير تلك الإجابات التي تقوم على أساس من التفويض إلى ما تـكفلت به العناية الإلهية .

وإن أنس لا أنس ذلك الحرج الذي شعرت به حين وجه إلينا — أنا ونفر من هيأة التدريس بكلية أصـول الدين — ذلك الشاب الأمريكي المسلم ، الذي حضر إلى مصر بعامة ، وإلى الأزهر بخاصة ، منذ عامين تقريباً ، ليتأكد من صحة إسـلامه ، بعرضه على الهيأة المختصة ، وليؤكده بإزالة ما عسى يكون في نفسه من شبه وشـكوك حول العقيدة ، على يدى العلماء المختصين بهذه الشئون . أقول : لست أنسى ما شعرت به من حرج حين وجه إلينا ذلك الشاب هذا السؤال الذي لم يكن لدينا جميعاً جواب عنه :

« هل يوجد لديكم أصل من مصحف عثمان ؟ وكيف يطمئن الباحث الحر إلى أن ما بأيديكم الآن هو صورة طبق الأصل منه ؟ »

وقد شاءت إرادة الله أن تظفرنا بجواب هذا السؤال — وإن يكن بعد عامين — عن طريق هذا الأثر العلمي الجليل .

وإني لا أشك في أن فضيلة مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوي شيخ الجامع الأزهر — بما عرف عنه من غـيرة على الدين ، وحرص على خدمته ، وقصر الجهود على رفع شأنه — لن يدخر جهداً أو مالا في سبيل العمل للحصول على هذا الأثر العلمي الجليل ، الذي تـكمل به مكتبتنا وتقوى به حجتنا .

وإني — ليشهد الله — لجد مشفق على هذا الأثر النفيس ، حين أنظر إلى صورته في الأهرام ، وهو بين يدى علماء التركستان ، يقلبون أوراقه ، ثم يبدئون القراءة فيه ويعيدون ، وأخشى أن لا يكونوا مقدرين لقيمته العلمية ، وأنه أسمى من أن يستعمل للقراءة والاستذكار ؛ فتسرع إليه يد العفاء ، إذ حسبنا منه أن يكون أصلا نرجع إليه عند الضرورة .

فاللهم وفق للعمل على اجتلاب هذا الأثر وصيانته ، وإحلاله من نفوس أولى الأمر وعنايتهم في المـكان اللائق به .

سليمان دنيا

مدرس الفلسفة بكلية أصول الدين
ومبعوث الأزهر بجامعة لندن



قلب محـــــروم ..!

للأستاذ غائب طعمة فرمان

[إلى صاحب القلب الكبير الذى كتب « من وراء الأبد » ... إلى صديق الأستاذ أنور المعداوي أهدى هذه القصة] .

عزيزى ...

حين تصلك رسالتى أكون قد غادرت أرض الكنانة ميمماً شـطر وطنى ... وبين جوانحى قلب مضطرب ، ونفس مفعمة بشتى الأحاسيس ... قلب جريح تجرع كؤوس الأسى مترعة ، ونفس عصفت بها رياح صارمة تخلف أرض مصر زهوراً ذابلة هى ذكريات ليال وأيام؛ ستظل رؤى مرة فى فكرى لا يطردها النور ، وجـذوة مستعرة فى قلبى لا يخمدها تقادم العهد ، وتطاول الأيام .

كنت تسألنى كثيراً والابتسامة على شفتيك عن سبب سكناى فى مصر الجـديدة ، والشقة بعيدة بينها وبين جامعتى ، فأقابل ابتسامتك بابتسامة ، ويظل سؤالك من غير جواب .

وأرانى الآن مدفوعاً بقوة صارمة صادرة من أعماق إلى أن أقص عليك طرفاً من تاريخ قلبى ، علك تشاركنى آلامه ، وأشجان دنياى .

لست أدرى السر فى أن الإنسان يستطيع أن يكتم كل شىء إلا الحب والبغض ، حتى أصبح هذان الأمران محورين أساسيين للانسانية : الحب يبنى ، والبغض يهدم .

فلا جناح علىَّ — إذن — فى أن أقول لك : إننى أحببت ... نعم أحببت حباً امتزج بدمى ، وطوق روحى ، وشغلنى عن كل

إلى معالى وزير المعارف:

مرحى يا معالى وزير المعارف والعلم والأخلاق ! مرحى أيها الرجل الغيور !

لقد أصبت إذ قررت أن ترتدى الطالبات والمدرسات ملابس طويلة تخفى معظم الجسد عملاً بالدين واحتراماً لمحاريب العلم والأخلاق . إننى إحدى المؤيدات من الطالبات آلمنى الضجيج الذى علا أخـيراً فى الصحف بين « المتمدنيين » أنصار الإباحية وعجبت لمعارضاتهم التى لا تستند إلى حجة اللهم إلا « التقدم والرجعية » الـكلمتين اللتين بليتا من كثرة الاستعمال بالحق والباطل .

يامعالى الوزير : ناشدتك الله ألا تلتفت إلى هذر أدعياء المدينة فالعلم بدون أخلاق مدرجة للشر وسبيل للفساد .

الطالبة

(ف . أ . ع)

حول قصر الخورنق :

فى عدد سالف من الرسالة .. نشر الأستاذ كاظم المظفر .. تبحث عن « الخورنق » القصر المشهور بالحيرة .. وكانت طريقته فى تأليف تلك السطور طريفة .. غاية بالطرافة .. إذ دس بها أقوالاً حول آثار العراق التاريخية .. كانت قد نشرت بنصها فى مجـلة الاعتدال النجفية .. كما أشار هو إليها ، وأقوالاً مثلها حول قصر الخورنق نشرت هى أيضاً فى كتاب الحيرة للباحث القدير يوسف غنيمة ... ولـكنه لم يشر إلى هذا الـكتاب إلا قليلاً ... حيث شغله عنه ذكر بعض المصادر القديمة التى اعتمد عليها يوسف غنيمة من قبيل « الملمة الإسلامية » و « الألفاظ الفارسية المعربة » و « حمزة الأصفهانى » و « البرهان القاطع » ...

والطريف هنا أن يوسف غنيمة كان يصوغ النصوص القديمة بتعبيره الحديث ويشير إلى أصولها فى كتب القدماء ... فجاء كاظم فنسب هذه النصوص بألفاظها الحديثة إلى القدماء ليوهم أنه اطلع عليها رأساً . ولم يأخذها من كتاب الحيرة المطبوع . وإنا لوأردنا أن نبرز الـسطور التى أخذها من مصادرها ومن يوسف غنيمة خاصة لما ظل لـكاظم المظفر من هذا المقال الطويل شيئاً ... إذ هو جميعه مأخوذ من هنا ومن هنا .. وإن حاول أن يخفى ذلك بذكره لـكثير من المراجع التى لم ير أغلبها .

(بصره — عشار — عراق) قارىء

شىء ، فظللت أهيم فى زورق ، والأمل سد أقطار الحقيقة عنى ، ومنافذ النور عن بصيرتى ، ورحت أدنو إلى الشاطىء الثانى ، والضباب قائم من حولى ، وفى أغوارى الظلمة واليأس المرير .

إننى لأذكر أول لقاء لى بها فى أحد تلك المقاهى المخضلة الأضواء وقد عرفنى بها ضابط مصرى عشت معه فى دار واحدة زمناً طويلاً ... وقد كانت شعلة من إغراء ، وقد بدت لى صغيرة ... صغيرة جداً حتى عبق فى وجهى عطر الطفولة الآسر .. وكانت الابتسامة رب شفتيها كأنها تشجع القلب المحروم على أن يحب ...

... فتاة فى العشرين من عمرها أجمل ما فيها عيناها السودوان المتألقتان كنجمتين فى سماء غسلتها دموع الملائكة .

وقد تحدثنا كثيراً ، وكان حديثها عذباً ، حلو النبرات ، وشعرت بأن عينيها تحدثاننى فأنصت إلى الإيقاع الروحى الصادر من الأعماق ... وبان لى أنها متذمرة كأنها تعيش فى سجن ، خائفة كأنها تتوقع شيئاً مؤلماً ، وكانت ثقافتها الفرنسية ذات أثر عظيم على نفسها ، بذرت فيها بذور الانطلاق ، ونسجت حول مخيلتها العوالم التى تخلقها قصص الحب ... والعاطفة الملتهبة .

ولما رجعت إلى بيتى لم أكن وحيداً ... فقد كان خيالها لا يبرح مخيلتى ، وما زلت أشم عطرها الآسر ، وألمح إبتسامتها الجميلة ... وكانت معى أحلامى المجنحة .. يا عجباً أبهذه السرعة تنبت ... فأشعر بظلالها تغمر فكرى ؟

ورحت أنتظر صديقى والنوم هجر أجفانى ، والرؤى ملأت عالمى ... ولما سمعت وقع أقدامه قفزت من فراشى ، وطفقت أتطلع إلى شفتيه المنفرجتين عن إبتسامة ماكرة .

قال :

— أتعرف ماذا تقول عنك ... إنك فى نظرها طفل غرير . بالمكر المرأة يا صديقى ... هل أحست بنظراتى تضرعاً ، وباختلاج شفتى ظمأ لرحمة ؟!

ثم قال : ولكنها تريد مقابلتك مرة ثانية .

فقفزت فرحاً كأننى أبرهن على صحة نظرها ... وقلت : رحماك يا صاح حدثنى عنها ... أقصص على أخبارها ... أى نوع من النساء هى ؟ فصاح صاحبى .

— بالك من طفل ... أتعلقت بها من أول لقاء ؟

لا ... لا ... لم أتعلق بها ... ولكننى أحس بظمأ يحرق روحى إلى أن ألتقى بها وأنظر إليها . وأتحدث معها ... وأتملى سحر وجهها ... وأتحدث إلى عينيها الساحرتين ... وأغمر قلبى فى وجهها العاطر .!!

***

وفى اليوم الثانى ذهبت إليها .

وجلسنا فى أحد مقاهى مصر الجديدة ، والأنوار فى ألوانها المختلفة تخلق لنا فى آفاق مخيلتنا عوالم غريبة ... والجو الساجى يرهف أعصابنا ، والنسيم المنبعث من وراء الأشجار الخضر ندىٌّ كأنه يداعب أحلامنا ، ويشرق فى عالمنا بأطياف جميلة ... ومن خلف عالمنا السحرى تتألق النجوم من بعيد كأنها أشباح لدنيا مسحورة مختفية فى ضمير الأبد .

جلست إليها وهى أمامى ساحرة مشرقة القسمات ، وجفناها مسبلان بدلال على عينيها السوداوين ، وأنا أرتشف من كؤوس نشوتى .. ولاحت لى الأيام الماضية طلولا ينعق فيها غراب الوحدة ، وتصرخ فى جنباتها ريح اليأس المرير ... وحرقت ذكرياتى كلها فى نار وجدى ، وهمت فى الأجواء البعيدة التى تخلقها حواء .. أنا المحروم من ... العائش فى ضباب ، المسحور بتهاويل الأحلام .

وطال صمتنا ونطقت حواء أخيراً :

— ما بالك يا صاحبى ساهماً كأنك تفكر فى المستحيل ؟ ولمت عيناها ، ووقفت أمام سؤالها حائراً . . وأردت أن أصرخ فى وجهها :

— أقسم لك إنها هذا حق ... فأنا فى رحاب المستحيل .

ولكننى آثرت الصمت ، وانطلقت من شفتى ابتسامة هاربة كأنها جواب مبهم .

قالت : — إن الشباب دائماً يفكر فى المستحيل .. أتخالنى بعيدة عن عالمك الغامض ؟

— ولكن أية قوة قادتك إلى تلك الأبراج الشاهقة ؟!

— القوة التى تدفع الشباب إلى المستحيل ... ولكن لست أدرى لم يهيم الشباب بالمستحيل ؟

— لأنه كثير الآمال ... وكل أمل يخبو يزيد حياته ظلمة ، وينقلب فى سفر أيامه إلى ذكرى إخفاق ... مؤلم .

الآن بدأت أعرف لم يلف عمرى سحاب من الأحزان ... إن أشياء كثيرة تحزننى هى جراح أحلامى ... إن عمرى يذبل من غير غاية ... فأنا الآن فى العشرين من عمرى ولم يتحقق حلمى الجميل .

وأشفقت على حلمها الجميل الذى لم يتحقق وشعرت بيد من حديد تهصر قلبى وأردت أن أقول لها .

أيتها الهائمة فى الصحراء تفتشين عن حلمك الجميل ... أيتها الفراشة التى أصلتها نار الحرمان ، قلبى المحروم يناديك ... أتسمعين نداءه ؟.. إنه يدعوك إلى أن تتنكبى عن الماضى ومآسيه ، وتدخلى فى الجنة التى خلقتها عيناك له ... جنة أحلامه وأمانيه .

* * *

وافترقنا على ميعاد ... وظللنا نداف إلى عرائش أحلامنا مدة طويلة .

وجئت إليها مرة وفى قلبى همس ... قلت

— اسمعى يا « نادية » فى ضميرى سر يعذبنى قد تكون اختلاجاتى نمت عليه ... إننى أحبك !.. من أعماق نفسى ، وإنك قد دخلت دائرة حياتى ، ولا يمكننى أن أخرجك منها . ولا يمكننى أن أنساك ... إن آلامك آلامى ، وآمالك آمالى ، وقلبى يدعوك إلى أن نسير جنباً إلى جنب فى طريق الحياة .

فضغطت يدى وابتسمت عيناها ... ثم شفتاها ... وقالت :

كأنك تقرأ أفكارى ... فأنا أخاف من طريق حياتى هذا المقفر .

... وعندما رجعت إلى بيتى كنت إنساناً جديداً

أقسم لك يا عزيزى لقد تغيرت نظرتى إلى الحياة ... فقد تخيلتها إلى جنبى ملكاً حلالاً لى ... أنا وحدى ... أنا الذى قطعت حياتى فى صحراء الوحدة ... أنا الذى أذبل قلبى الحرمان والظمأ القاتل إلى الحنان ... إلى الصدر العامر بحبى والإخلاص لى. إلى القلب الذى يضمد جراحى ... إلى الروح التى تنشلنى من الأوحال ... دنياى المظلمة القاتمة المضطربة التى لا تستقر على قرار .

وبنيت فى مخيلتى بيتى المنتظر ... بيتاً بسيطاً لاثنين . .

وتخيلتها إلى جنبى زهرة تمدنى بالعطر ، وتملأ حياتى حبوراً ، وروحى قوة وحيوية ، وترد لى سعادتى الضائعة مع الأوهام .

كانت الدنيا فى عينى جميلة بهيجة ، حتى لقد أسفت على عمر قضيت شطراً منه فى عمى وجدانى من غير شعور ببهجة الدنيا وجمالها ... وشعرت بأن الناس يشاركوننى أفراحى فقد رنت فى أذنى ضحكاتهم ، وابتساماتهم الحلوة ، وانطلاق أساريرهم ، ودلائل السعادة فى محياهم ... وودت أن تكون معى لتشاركنى بما أشعر به من سعادة .

... ووصلت إلى البيت فرأيت بطاقة من صديقى الضابط يقول : إنه سافر إلى الأسكندرية لعمل هام يتطلب منه أن يغيب عشرة أيام ... أو أكثر .

... ولم أعر الخبر شيئاً من اهتمام لعلمى بما تقتضيه الحياة العسكرية من تنقل فجائى ... وفى أصيل اليوم ذاته سمعت أن « نادية » سافرت إلى « رأس البر » لقضاء أسبوع مع أقاربها . وقد تركت لى رسالة تخبرنى بذلك .

وظللت حائراً أمام هذه المصادفة العجيبة ... ورأيتنى فجاءة وحيداً إلا من وساوسى وخيالاتى ، وأشواقى المضطرمة .

أنت تعرف — يا عزيزى — أن الوحدة لدى الإنسان العادى جحيم لا يطاق .. فكيف بوحدة الإنسان الممتلىء بالظنون ، المتأرجح فى الأجواء ، تتلاقفه الأهواء ، وتستبد به الخيالات ، ويحس بشوق إلى أكتناه حجب المستقبل .

لقد تعذبت كثيراً وتحطمت أعصابى تحت أعباء الظنون القاسية ، وهزت نفسى هزات من القنوط ، وصرت صريع دياجير من أفكارى وتصوراتى .

وأخيراً رجع صاحبى ... ومعه زوجته

لست أعرف السر فى إخفاء خبر زواجه عنى أنا الصديق المقرب له.

وبعد يومين رجعت نادية ... وفى مساء اليوم ذاته ألتقيت بها ... وكانت معى « دبلة » تختفى فى حياء إحدى زوايا جيوبى.

ولكن رأيتها صورة ثانية ... كأننى لم أرها قبل عشر سنوات ولمحت على وجهها اكتئاباً عميقاً ، وفى عينيها شروداً وغموضاً ، وفى اختلاج صوتها رنة من العبرات المحبوسة .

تكلمت فى مواضيع مختلفة ، ولكنها لم تتطرق إلى موضوع

زواجنا .. أنسيته أم تناسته ، أم ندمت على ما قالته ؟ .. لست أدرى فقد بلغ الغيظ منى مبلغاً عظيماً وأحسست بأن الأرض من تحتى تتحول إلى رمال هشة ، وتحاول أن تبلعنى .

قلت لها :

— أنسيت ما عاهدتنى عليه ؟

أى عهد ؟

— أى عهد ؟! أنسيت أحلامنا وأمانينا ؟

سكتت وشردت بصرها أثر النجوم التى تطل على عالمنا ساخرة كأنها تضحك من مآسينا ... ورأيتها تمسك يدى وتقول :

فلان ... أنت عزيز على ... إننى أشفق على حياتك أن تتحطم ، وعلى روحك أن يعصف بها إعصار ... لهذا فأنا لا أوافق على الخطبة ! !

... عزيزى الأستاذ لقد حدثتك عن الأحلام التى كانت تعمر فكرى ... وعجبت من سرعة إزدهارها . لقد ذبلت اليوم بسرعة أيضاً ... وها أنا أحس بقسوتها وضراوتها فى فكرى قالت :

— أنت الآن فى نظرى صديق عزيز أثق بقلبه ، واطمئن إلى إنسانيته ... لهذا سأقص عليك سراً كتمته عن جميع أصدقائى وأوثق الناس بى صلة ... الماثلة أمامك فتاة تجرعت صاب الخديعة ، ولقيت جزاء سذاجتها وبراءتها ، وطيبة قلبها ... لقد كنت أتصور الدنيا خالية إلا من الحب والطيبة فأوغلت فى دروبها منقادة بانطلاق حتى تعرفت على رجل ! صورته ليالى سهادى ملاكاً يمثل القدسية على وجه الأرض ، وانجرفت مع تيار تصوراتى إلى شاطئه ، فأحببته من صميم قلبى ، حباً جارفاً مجنوناً عاصفاً حتى رحت أهرع إلى صدره حين يستبد بى الضجر ، وتزرع الدنيا بذور الأحزان فى قلبى . . لقد كنت أقرأ كثيراً مما يكتبه الفرنسيون المصابون بهستريا الحب ، فأنساع إلى آرائهم وأدخل فى جنائن مخيلاتهم ، وأهيم فى الأودية التى تخلقها أفكارهم .. وأمتص رحيق الحب المحرق من شفتى محبوبى !!. كان صاحبى يعدنى بالزواج ، ويمنينى بالأمانى العذاب ، ويطفىء ظمئى بالتعلات ... ولكننى والحمد لله ما زلت محتفظة بجوهرتى الغالية على رغم إغرائه وتوسله ، وخورى أمام قوته الجارفة !!

ولكن الأيام والليالى تسير مسرعة غير متوانية ... وصاحبى صامت إلا من إحراق أزهار أحلامى ، حتى رأيت حبه لى يتحول إلى فتور ، وشوقه ينقلب إلى نفور ، وأرانى وحيدة إلا من حب يائس لم تصبه الأيام المضنية بوهن ... تلك الأيام التى قضيتها فى ظلال هجرانه لى ، وتنكبه عنى ، ونفوره منى .

وذات يوم سمعت أنه سافر إلى الأسكندرية للزواج من فتاة من أسرة محترمة ... وتوهج الحب فى قلبى ، وانقلب إلى شواظ من نار ... وقام فى نفسى ميل شديد إلى الانتقام ممن سلبنى قلبى ، وربطنى معه ، ثم ولى هارباً إلى الوجهة التى ليست وجهتى . فسافرت إلى الأسكندرية ، وعرفت البيت الذى سيظلل حبيبى ، فذهبت إليه ، ورأيت صاحبى مع عروسة يتألق ويفيض سعادة ، وتشرق الابتسامة فى فمه فى الجهة النيرة من الحياة كأنه نسى أن هناك قلباً يلهج بحبه ، ويتعذب فيشقى فى هوة سحيقة فى الجهة المظلمة العابسة من الحياة ... وأحسست بالعبرة تخنقنى ، وبكيانى ينهار كأنه جدار خاو ، وعدت أدراجى من البيت الذى سرق مصباح حياتى وتركنى أهيم فى الدجى وحدى ... إنه نكث عهده ، ولكننى ما زلت أحبه حباً عميقاً وأنا عارفة أنه سبب شقائى ، ولكننى لن أتنكب عنه ... أما أنت فلا أريدك تتعذب بسببى ، ولا تتجرع كأس الأسى معى ... وسأظل مخلصة لحبى اليائس حتى يضع الله حداً لحياتى التعسة .

وطفقت تبكى بدموع لم أتبين حقيقتها ... ثم قالت : — أعرفته ؟.. فأجبت : — لست غبيا إلى هذه الدرجة ... وامتلأ صدرى بالحقد على تلك العلائق التى تربط الإنسانية .

قلت : أتذكرين عندما التقينا ثانى مرة فى هذا المقهى ، وقلت : مالك ساهماً كأنك تفكر فى المستحيل ؟.. لقد أردت أن أصرخ فى وجهك : هذا حق ... فأنا الآن فى رحاب المستحيل . ذلك لأننى سمعت هاجساً يهجس بى أن حبك لى مستحيل ... لأن القوة التى صاغت حياتى كانت قاسية كتبت على أن أسير وحيداً فى طريق عاص بالأشواك .

ومددت يدى فى جيبى وأمسكت بالدبلة وحطمتها بين أصابعى بقوة ... ثم رميت حطامها بعيداً ... ومعها أحلام قلب محزوم .

غائب طعمة فرمان

العدد ٨٤٧ — الاثنين ٢٦ سبتمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

[illegible]

17 eme Année No. 847

Lundi — 26 — 9 — 1949

بدل الاشتراك عن سنة
صـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٤٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ ذو الحجة سنة ١٣٦٨ — ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

مشكلة واحدة وعلاج واحد !

يقولون إن مشكلاتنا الاجتماعية ثلاث : هى الفقر والجهل والمرض ... وأقول إنها مشكلة واحدة : هى الفقر وحده دون سواه ! ولا أريد بهذا القول أن ألغى وجود المشكلتين الأخريين ، ولكننى أردها إلى المشكلة الأولى حين نلتمس موضع العلة الرئيسية ، ونضع أيدينا على موطن الداء الأصيل ، ونبحث عن الحل الموفق والعلاج الناجع . وتستطيع فى حساب المنطق السليم أن تبرهن على صحة هذه القضية حين تقول إن الفقر يدفع بأصحابه إلى مهاوى المرض وظلمات الجهل ، ولا يستقيم لك هذا المنطق إذا قلت إن الجهل وحده أو المرض وحده يقود أصحابه إلى حومة الفقر الذى لا وسيلة لهم فيه !

على هذا الأساس يجب أن ننظر إلى المشكلة ؛ المشكلة التى تخص السواد الأعظم من هذا الشعب ممثلا فى طبقات الكادحين من العمال والفلاحين ؛ فهنا الفاقة التى تحول بين الفرد وبين نور العلم ، وتحول بينه وبين نعمة العافية .. وماذا يفعل الفقير إذا أراد أن يتعلم وهو موزع الفكر بين مشكلتى الغذاء والكساء ، وماذا يقدم للجسد المنهك تحت عوادى السقم وهو لا يملك ثمن الدواء ؟! فى هذه التربة الخصيبة ينثر دعاة الشيوعية بذور المبادئ الهدامة ويشيعون دعوة السوء ، وفى ساحة الفقر وحدها يركزون هجماتهم فى الظلام بغية تمهيد الطريق لحملة المشاعل ... وفى غمرة الأمانى الكاذبة والدعوة الباطلة ، يصور الفقر لأصحابه أن الدجالين قادة ، وأن المستضعفين سادة ، وأن الشياطين ملائكة ، وأن المشاعل التى وعدوا بها ستحمل إليهم الإشراق كل الإشراق ، وما دروا أن فيها الإحراق كل الإحراق !

من العجيب حقاً أن يفطن دعاة السوء إلى موطن الداء الأصيل فى مصر ، ولا يفطن إليه المسئولون ومن بيدهم الأمر جرياً وراء التعلق بالروافد غافلين عن النهر الكبير ، نهر الفقر الذى يصب مياهه الملونة بجراثيم الجهل والمرض فى أودية النفوس والعقول ... ويقولون تبعاً لذلك إن مشكلاتنا الاجتماعية ثلاث ، ولا بأس أبداً من أن نبحث لكل مشكلة عما يلائمها من علاج . وتمضى الأيام والفقر هو الفقر ، والجهل هو الجهل ، والمرض هو المرض . . لماذا ؟ لأن الخطوة الواحدة قد أريد لها أن تكون خطوات ، ولأن الجهد الواحد قد قدر له أن يصير إلى جهود ... وهكذا تشتت القوى فى شتى الميادين بدلا من أن تركز فى ميدان واحد ، ولا ضير من أن نظفر ببعض النتائج فى عدد من السنين قد يستحيل إلى عدد من القرون ! ومن العجيب أيضاً أننا لا نزال نأخذ بسياسة الارتجال فى سبيل القضاء على المشكلة الخالدة ؛ ومن هذا الارتجال أننا نحاول مكافحة الفقر والمرض والجهل عن

الاستقلال فى الأدب

للأستاذ راجى الراعى

الأدب قديم يعود إلى ذلك اليوم البعيد الذى بدأ الدماغ ينسج فيه خيوطه الأولى وله دولته ذات الهيا كل والأبراج والعروش وهى أعظم الدول وأضخمها وأجلها وأبعدها مدى وأغناها.

الأدب عظيم له كلمته الفيحاء الفينانة الخلابة الشاملة أتناولها فيمرض أمامى الأدب القديم مواكبه ويأتى امراؤه الذين ضخمناهم وأطلنا قاماتهم خلال القرون ويتربعون فى ساحتى قائلين :

نحن أرباب الأدب ودعائمه وأساطينه كتبنا الآيات الرائعات واحتللنا فى قصور التاريخ أنخم القاعات وغردنا فى جنان الأدب على كل غصن فيه فلم نبق غصناً لطائر وحمنا حوماتنا فى جميع آفاق الفن واستقطرنا النجوم نجمة نجمة فلم نترك لغيرنا أفقاً ونجمة فى كأسها خمرة وحى وإلهام فما أنت كاتب بعدنا ؟ ماهذا الجنون فيك تأتى بالدواة وقد استنفدنا مدادها وتكتب المقال وترسل الآية وتؤلف الكتاب ونحن أمامك لم نبق لك جديداً ، أنسيت أن العالم قديم وأن الذين فكروا وأحسوا قبل أن ولدت جيوش لو عرضت كلها أمام عينيك لسحقتك أمجاد القلم وأعماك غبار المباقرة عما أنت فيه ، لقد عصروا رأس الأدب وقلبه ولم يدعوا لك قطرة .

نحن هنا أيها الدعى المغرور ولم نمت بعد وهذه أصواتنا المدوية فى الدهور فقل ، قل أنك تردد أصداءها .

أجل ، أجل ... أن لكم ذهبكم الذى يبرق فى الأدب القديم ولكن ليس كل ما أخرجتموه للناس ذهباً ففى جواره نحاس كثير ، ولكم نفائسكم ولكن ليس ما عرضتموه فى المتاحف كل ما يمكن أن يعرض فيها ، وأنتم أغنياء فى الأدب ولكنكم لم تحتكروا الثروة الأدبية فهناك دنانير لم تضرب فى أيامكم وأسواق للأدب تعرض فيها بضاعة لم تعرفوا حريرها ... أجل ، لقد عصرتم رأس الأدب وقلبه وأسكرتم الناس ولكن خمرة الروح لم تفرغ دنانها فهى دنان الزمان الذى لا تفرغ كأسه ... أنت يا « هيجو » نسر فى الخيال عظيم ولكنك لم تحتل الآفاق كلها ولم تقو على إخضاع أثير الشعر لمشيئتك فلا يحمل غير روحك ولا يطرب لغير صوتك ... وأنت يا شكسبير لست الفن كله ... وأنت يا « روسو » لست رب النثر ... وأنت يا من نظار الأعمى إلى أدبك لست وحدك الذى ينظر إلى أدبه العميان ... أنتم ورفاقكم القدماء موجات فى بحر الأدب والفن والخيال الذى لا ساحل له ، وفى وسعى أن آتيكم اليوم وغداً وبعد غد وأنا أصف هذه الشمس فى شروقها وغروبها بصورة جديدة لم تخطر لكم وأن ألبس ما أراه وأسمعه ثوباً جديداً ليس فيه خيط واحد من خيوطكم .

أن الوجوه التى أراها والأصوات التى أسمعها هى غير وجوهكم وأصواتكم ، والأدب ليس وقفاً على جيل من الناس وإنما هو مرعى للانسانية لكل أديب مفكر موهوب قطيعه فيه ... أنتم فى الأدب بشر ونحن الذين ألهناكم وأقمنا لكم الهيا كل وجعلنا الكلمة لا صدى لها إلا إذا خرجت من أفواهكم .

نحن الذين خلقنا لكم وجوها لم يعرفها لكم معاصروكم ، لقد أقصاكم عنا تعاقب الأجيال فى لجة القدم فقام الخيال ينسج نسيجه ويلبسكم الأثواب الفضفاضة التى خاطتها الأساطير والأوهام ... أنتم أسياد فى الأدب ولكننا لا نعترف بكم طغاة مستبدين .

طريق الاستجداء وبيع أوراق اليانصيب ... فمن مشروع البر إلى مشروع الحفاء ، إلى مبرة محمد على ويوم المستشفيات ، إلى آخر تلك الأشياء التى يسخر منها منظر الملايين من المعوزين والجهال والمرضى والحفاة !

لو نظرنا إلى الأمور بمنظار الواقع لعرفنا كيف نسلك الطريق ... هناك مشكلة واحدة وعلاج واحد ، أما المشكلة فهى الفقر وأما العلاج فهو النهضة الصناعية . وبهذه النهضة نقضى على المشكلة الخالدة وتخضع من تلقاء نفسها بقية المشكلات . أما السبيل إلى تحقيق هذا الأمل الكبير فهو أن تستنزل الأموال المكدسة فى المصارف كما يفعل الرجل المصاى أحمد عبود فى سبيل تلك النهضة المنشودة ، وعندئذ تنتعش الثروات التى يعيش لها أغنياؤنا وينتعش المجتمع الذى يعيشون فيه !

(أ . م)

مذاهب الماضي :

على طريق الحملات المصرية في لبنـــــان

أيام دولة سلاطين المماليك البحرية

للأســـتاذ أحمد رمزي بك

إن الطريق الموصـل بين بعلبك ومدينة طرابلس يعد أعلى طريق معبد في الشرق الأدنى ، ويخترق مناطق من أجمل المناطق في جبال لبنان ويمر قريباً من شجر الأرز الذي عاصر القرون الطويلة . وكلما اتجهت لزيارة هذه الجهة الخالدة واجتزت بلدتي بشرى وأهدن تواردت الخواطر تترى عليّ ، ومرّت أمامي ذكريات حوادث التاريخ ، ففي سـنة ٨٨٢ هجرية قام الأشرف قايتباي برحلته المشهورة إلى أقاصي الحدود المصرية في الشمال حيث القلاع الإسلامية في داخل الأراضي التركية الحالية .

كان وصوله إلى بعلبك في يوم السبت ١٩ جمـادى الآخرة وغادرها الأحد وقت الظهر متخذاً طريق طرابلس مخترقاً الجبال العالية فأمضى الليـل في عقبة « ليمونة » على ارتفاع ١٩٦٠ مترا من سطح البحر . ويقول كاتب رحلة السلطان إن الطريق إليها كان وعراً وهي وسط الجبال تحيط بها أشجار الـكمثرى .

ولما اجتاز العقبة اتخذ طريقه إلى الحدث (حدث الجبة) حيث صلى الصبح ومن هـذه إلى كفر قاحل ويسميها صاحب الرحلة قاهر . والطريق إليها يمر بحوالي ٣٦٠ لفته ، ثم انحدر السلطان إلى طرابلس فوصلها في مساء الاثنين وأقام بها إلى الخميس ٢٤ جمادى الآخرة سنة ٨٨٢ .

وهذه الرحلة تعيد إلى مخيلتي الحملات التي وجهها جند مصر إلى هـذه النواحي فأنا لا أذكر للقارىء ما كتبه البطريرك اسطفانوس الدويهي عن تاريخ سـنة ١٢٨٣ نقلا عن بعض كتب للصلاة عن فتح « جبة بشرى » وحصار «أهدن» كما لا أعرض لما كتبه صالح ابن يحيى في كتابه عن تاريخ أمراء الغرب وما جاء

أن للأدب تاجاً يطمح كل أديب موهوب إلى درة فيه ، وهذا النير ، نير الأدب العتيق يجب أن نتحرر منه فليس في الأدب أنيار وإنما فيه أنهار تتدفق من ينابيع الألهام الذي ينزله الله على من يشاء في أي وقت شاء .

تلك هي اللغة التي يجب أن يخاطب بها أديب اليوم أديب الأمس ، إن ما نطلبه من أديب اليوم هو الجرأة في التفكير والثقة بالقدرة على الإبداع والطموح بالعاطفة والخيال إلى آخر نجمة في أقصى الآفاق وغمس القلم في مداد حر ورفع البناء بحجارة جديدة فكم هو جميل أن تبني بناءك وتقول : هذا حجوى ، وما الفائدة من القلم وأين جماله وجلاله إذا غمس في دواة قديمة .

لقد اجتازت بنا قوة التفكير والإحساس مراحـل لا تمد واتسعت عيوننا وجباهنا فتكشفت لنا آفاق لا عهد للأمس بها ووعينا ما لم يكتب للأقدمين أن يقفوا عليه وغصنا إلى أعماق الوجدان وعرضنا مواكب السماء والأرض موكباً موكباً وجئنا بالـكهرباء وما وراء الـكهرباء ... أبعد هذا كله نظل أتباعاً لشاعر قديم أو ناثر مفكر موهوب بيننا وبينه ألف جيل .

أن ما نطلبه من أديب اليوم هو الاستقلال في الأدب فلا وصاية ولا انتداب للأدب القديم على الأدب الحديث .

أن الاستقلال هرم له جوانبه الثلاثة فإلى جانب الاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي يقوم الاستقلال الأدبي الذي لا رقابة فيه ولا قيود .

خلقت الفكرة طليقة شـامخة وولد الفن عزيزاً حراً وجمال الفـكر والشـعور يطلع علينا في كل صباح ومساء بوجه جديد واللا نهاية في الآفاق هي في الأدب أيضـاً فشموسه وكواكبه وسياراته ونجومه تشع في الدهور وما وراءها .

أن هيا كل الأدب أوفر عدداً من النجوم والرمال والأمواج ولـكل منا مذبحه الأدبي إذا كان في روحه دم يهرق فلترفع الرأس في معابد الأدب والخيال أحراراً مستقلين ولننفض يدنا من الخانعين المستعبدين .

راجي الراعي

فيه نقلا عن النويرى والصلاح الكتبى فى فتوح المصريين للكسروان لأن العبارات الواردة فى كتابه صفحة ٢٩ هى بعينها التى أوردها ابن الفرات فى كتابه جزء ٨ صفحة ١٤٢ مما يدل على أنهم جميعاً ينقلون عن مصدر واحد حينما يتحدثون عن توجه الأمير بدر الدين « بيدار » قائد السلطنة بمصر ومعه العساكر المصرية وصحبته أمراء الجند يقصد جبال كسروان فى شهر شعبان سنة ٦٩١ (١٣٠٢) ميلادية . وإنما اكتفى بالنوبات التى جاءت بعد ذلك وأولها الحملة التى قام بها جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام فى عهد الملك الناصر محمد . آقوش هذا ترجم له صاحب الدرر الكامنة فقال عنه « آقش الأفرم الجركسى كان من مماليك المنصور (قلاوون) ذكر عنه أنه التمس من أستاذه ولاية الشام فأجابه السلطان « ما هو فى أيامى » وذكر صاحب الدرر نقلاً عن ابن فضل الله العمرى : إن الأفرم كان يتردد على فقير مغربى بالقرافة فى مصر فقال له الفقير : « ماذا تعطينى إذا صرت يوماً نائب السلطنة بالشام ، فقال الأفرم «ومن أنا حتى تسند إلى نيابة الشام» قال الفقير : لا بد فى ذلك وإذا حصل هذا تصدق بألفى درهم عند السيدة نفيسة وبألف عند الإمام الشافعى .

وذكر الأفرم أنه نسى كل هـذا وفى يوم من الأيام وقد عاد هارباً من حروب غازان ملك التتار بعد نوبته الأولى وفتحه دمشق وصل القاهرة ، وبينما هو يتجول بالقرافة تذكر قول المغربى فأحضر الدراهم وفرقها فى الموضعين . ويقول صاحب الدرر « كان الأفرم فارساً بطلا عاقلا جواداً يحب الصيد وكان خليقاً للملك لما فيه من المهابة والحماية ، وكان خيراً عديم الشر والأذى يكره الظلم ولم يحفظ أنه سفك دم أحد ولا لوجه شرعى ، وكان يعاشر أهل العلم كابن الوكيل[1] وكان لأهل دمشق فيه محبة مفرطة ومدحه جماعة من الشعراء» . أما هو فبلغ تلهفه على دمشق وأهلها مبلغاً جعله يقول « لولا القصر الأبيض (الأبلق) والميدان الأخضر ما خليت بيبرس وسلار ينفردان بمملكة مصر » . وهما مكانان بدمشق

ولذا أقام بدمشق إحدى عشر عاماً وأنشأ بها[1] جامعه المشهور سنة ٧٠٦ الذى تولى الخطابة فيه قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عطاء العز الأوزعى الحنفى .

ويعجبنى فى الأفرم هذا الود لمدنية دمشق وهذه المنزلة التى أوجدها لنفسه هناك حينما تولى نيابة السلطنة عن مصر فى ربوع الشام وما تم على أيديه من عظائم الأمور .

ذكر صاحب البداية والنهاية أنه عقب انكسار التتار وأخلائهم لدمشق حدث[2] : فى يوم الجمعة ١٧ رجب ٦٩٩ أعيدت الخطابة بدمشق لصاحب مصر . وفى يوم السبت ١٨ رجب ٦٩٩ نودى بأن تزين البلد لقدوم العساكر المصرية وفى يوم الأحد ١٩ رجب ٦٩٩ فتح باب الفرج مضافا إلى باب النصر . وفى ١٠ شعبان دخل الجيش الشامى وعلى رأسه نائب دمشق الأمير جمال الدين آقوش الأفرم . وفى يوم الجمعة ٢٩ شوال « ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم فى جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان وخرج الشيخ تقى الدين بن تيميه ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنه لقتال أهل تلك الناحية بسبب فساد نيتهم وعقائدهم» .

« ولما وصلوا بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ فاستتابهم » .

وفى يوم الأحد ١٣ ذى القعدة عاد الأفرم من طريق الجبال فتلقاه الناس بالشموع على طريق بعلبك وسط النهار .

وهذه هى النوبة الأولى فلننتقل إلى الثانية : —

وكان خطر التتار جاثماً على الصدور رغم انتصار المصريين فى

---

(١) الشيخ الصدر بن الوكيل : — هو العلامة أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام مفتى المسلمين زين الدين عمر بن مكى بن عبد الصمد المعروف بابن الوكيل شيخ الشافعية فى زمانه ولد سنة ٦٦٥ وتوفى بالقاهرة ١٤ ذى الحجة ٧١٨ كان منزله بجوار جامع الحاكم ، درس بعدة مدارس بمصر والشام ، كان يتكلم فى الحديث والطب والفلسفة وعلم الكلام .

ص ٨٠ جزء ١٤ ابن كثير . النجوم الزاهرة ص ٢٣٣ جزء ٩ والمنهل الصافى وطبقات الشافعية «صاحب كتاب الأشباه والنظائر» ولد= فى دمياط ودفن فى تربة الفخر ناظر الجيش بالقرافة .

ومن شعره :

أقصى مناى أن أمر على الحمى ويلوح نور رياضه فيفوح
حتى أرى سحب الحمى كيف البكا وأعلم الورقاء كيف تنوح

(١) راجع ثمار المقاصد فى ذكر المساجد ص ١٩٣ ، ابن كثير فى جزء ١٤ ص ٤٢ . هذا المسجد قائم الآن .

(٢) ابن كثير ص ١٢ جزء ١٤ .

البر والبحر ورغم حروبهم ضد الأرمن فى سيس ورغم أنهم فتحوا جزيرة أرواد سنة ٧٠٢ وكان بقلمة دمشق علم الدين «أرجواش» وهو من أقدر قواد مصر فصمد بالقلمة فاقتدت به بقية القلاع الشامية ، ومع كل هذا اشتد الجزع وقنت الخطيب فى الصلوات وقرىء البخارى بالمساجد حينما ظهرت طلائع التتار وأخيراً جاءت المركة ، أى وقعة شقحب المشهورة التى وقف فيها الناصر محمد مع خليفه الزمن ، وانتصر فيها جند مصر والشام ، وكان النساء والأطفال على أسطحة المنازل والمآذن يتتبعون مراحلهم وقد كشفوا رؤوسهم وارتفعت أصواتهم بالدعاء .

ومرت سنتان على تلك الحوادث فإذا بالأفرم يقوم من دمشق بقيادة حملة إلى الجبال بعد أن استراحت الجيوش الإسلامية واستعادت قوتها .

ذكر المقريزى فى السلوك هذه النوبة على الترتيب الآتى :

سنة ٧٠٤ توجه شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيميه فى ذى الحجة من دمشق ومعه الأمير بهاء الدين قراقوش المنصورى إلى أهل جبل كسروان يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا . فجمعت العساكر لقتالهم .

سنة ٧٠٥ سار الأمير جمال الدين آق كوش الأفرم نائب الشام من دمشق فى عساكرها لقتال أهل كسروان ونادى بالمدينة من تأخر من الرجال والأجناد شنق فاجتمع له نحو الخمسين ألف راجل ، وزحف بهم لمهاجمة أهل تلك الجبال ونازلهم وخرب ضياعهم وقطع كرومهم ومزقهم بعد ما قاتلهم أحد عشر يوماً ، قتل فيها الملك الأوحد شادى بن الملك الزاهد داوود وأربعة من الجند ، وملك الجبل عنوة ووضع السيف وأسر ستمائة رجل وغنمت العساكر منهم مالاً عظيما وعاد إلى دمشق فى أربع عشر صفر ٧٠٥

***

وفى المقريزى : أن السلطان أقطع فى جمادى الآخر جبال كسروان بعد فتحها للأمير علاء الدين ابن معبد البعلبكى وسيف الدين بكتمر عتيق بكتاش الفخرى[1] ، وحسام الدين لاجين ، وعز الدين خطاب العراقى ، فركبوا بالشربوش وخرجوا إليها فزرعها لهم الجبلية ورفعت أيدى الرفضة عنها .

وسنعود بعد قليل إلى هذا الاقطاع بالذات لأهميته .

ويظهر جلياً أن أهل الجبال كانوا السبب المباشر لشن الغارة على أراضيهم فقد ذكر صالح بن يحيى : فى تاريخ بيروت ما يأتى عن النوبة الثانية نقلا عن النويرى :

« كان أهل كسروان قد كثروا وطغوا واشتدت شوكتهم وامتدوا فى أذى العسكر عند انهزامه من التترسنة ٦٩٩ (١٣٠٠ ميلادية) وتراخى الأمر عنهم وتمادى وحصل إغفال أمرهم فزاد طغيانهم وأظهروا الخروج عن الطاعة واعتزلوا بجبالهم المنيعة وجموعهم الكثيرة وأنه لا يمكن الوصول إليهم » .

وهكذا يتضح أن الفوضى عمت جبال كسروان وأن الاعتداء حصل على الجيش عند تراجعه من حملة التتار الأولى قبل موقعة شقحب ، وفى ذلك يقول أبو الفداء وهو معاصر أنه على أثر حملة الأمير أقوش الأفرم ٧٠٥ طهرت تلك الجبال الشاهقة بين دمشق وطرابلس ، وأمنت الطرق بعد ذلك ، وهذا يفسر اجتياز هذه الطرق بالذات بواسطة السلطان قايتباى بعد قرنين تقريباً من الزمن حينما اشتدت الحوادث بين مصر من جهة ودولة حسن الأكبر « اوزون حسن » ثم مع بنى عثمان من بعده وذلك للتأكد من أمن الطرق إذا قدر للجيوش المصرية أن تتراجع فلا تهاجم من الخلف .

ويستمر صالح بن يحيي يحدثنا فيقول :

فى ذى الحجة ٧٠٤ جهز إليهم (أى أهل كسروان) جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام زين الدين عدنان ثم توجه بعده تقى الدين (ابن تيميه) وقراقوش وتحدثا معهم فى الرجوع إلى الطاعة فما أجابوا إلى ذلك فمند ذلك رسم بتجريد العساكر إليهم من كل جهة وكل مملكة من الممالك الشامية » .

وهذه العبارة نقلها البطريرك اسطفانوس الدويهى فى كتابه وأخذها منه المطران الدبس فى كتابه مشيراً إلى أن الأفرم أمر الجبليين أن يصلحوا شؤونهم مع التنوخيين (أى أمراء الغرب فى لبنان حلفاء المصريين) وأن يدخلوا فى طاعتهم فلم يحصل اتفاق

(١) لما قتل الملك المنصور لاجين أجمعوا على سلطنه الفخرى فامتنع وأشار بعودة الملك الناصر محمد بن قلاوون ص ٢٤٤ النجوم الزاهرة

فاقتى العلماء حينئذ بنهب بلادهم لاستمرارهم على العصيان ولذلك جردت العساكر من جميع بلاد الشام ولم تزل الجموع تزداد من كل ناحية .

وفى كتاب صالح بن يحيى: أن أقوش الأفرم توجه من دمشق بسائر الجيوش فى يوم الاثنين ٢ المحرم سنة ٧٠٥ (وهو ما جاء فى ابن كثير ص ٣٥) وجمع جمعاً كثيراً من الرجال نحو ٥٠ ألفاً وتوجهوا إلى جبال الكسروانيين ، وتوجه سيف الدين أسندمر نائب طرابلس ، وشمس الدين سنقرجاه المنصورى نائب صفد ، وطلع اسندمر المذكور من جهة طرابلس ، وكان قد نسب إلى مباطنتهم فجرد العزم واراد بجهاده فى هذا الأمر أن ينفى عنه هذه الشناعة التى وقعت به ، فطلع إلى جبل كسروان من أصعب مسالكه واجتمعت عليهم العساكر واحتوت على جبالهم ووطئت أرضاً لم يكن أهلها يظنون أن أحداً يطأها ، وقطعت كرومهم وأخربت بيوتهم وقتل منهم خلق كثير وتفرقوا فى البلاد واستخدم اسندمر جماعة منهم فى طرابلس بجامكيته وخزائنه من الأموال الديوانية فأقاموا على ذلك سنين . وأقطع بعضهم (أخبازاً)[1] من حلقة طرابلس واختفى بعضهم فى البلاد واضمحل أمرهم وتخلذ كرمهم»

وينقل المطران يوسف الدبس رئيس أساقفة بيروت المارونى عن ابن الحريرى وابن سباط « أنه فى يوم الاثنين ثانى محرم سار آقوش الأفرم نائب دمشق بخمسين ألفاً بين فارس وراجل إلى جبل الجرد وكسروان التى حيال بيروت . فجمع الدروز رجال الجرد وكانوا عشرة أمراء بعشرة آلاف مقاتل والتقت الجموع عند عين صوفر وجرى بينهم قتال شديد وكانت الدائرة على الأمراء فهربوا بحريمهم وأموالهم وأولادهم ونحو ٣٠٠ نفس واحتموا فى غار غربى كسروان يعرف بمغارة نيبية فوق أنطلياس بالقرب من مغارة البلانة فدافعوا عن أنفسهم ولم يقدر الجيش أن ينال منهم ثم بذلوا لهم الأمان فلم يخرجوا فأمر نائب الشام أن يبنوا على الغار سداً من الحجر والكلس وهالوا عليه تلاً من التراب وجعلوا الأمير قطلو بك حارساً عليهم مدة أربعين يوماً حتى هلكوا داخل الغار .

وفى أسباب هذه النوبة يقول صاحب كتاب أخبار الأعيان فى تاريخ جبل لبنان أن أهل كسروان والجبال قتلوا أميرين من التنوخيين حين تعرضوا العساكر الإسلامية فى واقعة جبيل .

وأن نائب الشام آقوش الأفرم أراد حقن الدماء وبعث الشريف زين الدين بن عدنان للتوسط فى الصلح بين الأمراء التنوخيين وخصومهم فلم يقبل هؤلاء » .

هذه صفحة أولى لتلك الحملات وسنرى كيف أثرت فى تاريخ لبنان وعلاقات أمرائه مع مصر الإسلامية التى خاضت أشد الحروب هولا وكتبت أعظم ملاحم التاريخ .

(يتبع) **أحمد رمزى**

(١) جاء فى ص ٣٣ تحقيق الأب لويس شيخو أخبار وصححه ما يذكر (أخبازاً) .

صور من الحياة :

ربة الشـــاطىء ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا ويح قلب ينبض بالحب والهوى ويخفق بالصبا والغرام على حين قد جاوز سن الطيش وطوى أيام العبث ! ولـكن ماذا عسى أن يضير المرء إن هو نفض عن نفسه أغلالها ساعة من الزمان، ليستمتع برواء الحياة ورونق العمر ، هناك على سِيف البحر ، حيث تضطرب الدنيا بالجمال والمرح وتموج الأرض بالشباب والحركة ؟

لشد ما راع صاحبي أن أستمرئُ الوحدة وأستعذب الخلوة فأقضى صدر يومى وحيداً فى ناحية من الشاطئ ، أستروح نسمات البحر فى شغف ولذة ، وأنشق عبير الحياة فى هدوء بعيداً عن نزوات الشاطىء ومباذله ، وأنطوى على نفسى أحدثها حديث عقلى حيناً وحديث قلبى حيناً آخر ، ثم أوفق خواطرى بين أضعاف كتاب اخترته رفيقاً لى . ولشد ما آذاه أن ألصق فى مكانى لا أريم إلا حين تدعونى حاجات الدار أو رغبات الابن أو شهوة البطن .

وإنه لنزّاع إلى اللذة وصاحبي فتى عذب تتدفق الحيـاة فى قلبه مرحاً وسعادة ، وتتألق الدنيا فى ناظريه حبوراً ودعة ، تجذبه الفـكاهة ويستخفه الطرب ، لا تشغله الزوجة ولا يرهقـه الولد ولا تثقله الدار .

وعجب صاحبي أن أفزع من حر القاهرة لأتخـذ خلوة على الشـاطئ ، فأراد أن يستشف ما وراء ··· وحاول — مرات ومرات — أن يكشف عن سر صاحبه — أنا — وإنه ليرى فيه شغل البال وقلق الضمير ، فما كان ليظفر منى إلا بنظرة خاطفة أو كلمة عابرة ثم يضيق بى فينطلق من لدنى ليتسكع على الشاطىء أو ليسبح فى البحر أو ليملأ ناظريه من جمال الأجسام العارية الملقاة على الرمال .

ولـكن صاحبي كان ضيق الصدر قليل الصبر فأصر على أن ينفذ إلى سر نفسى — كزعمه — فى لباقة ومكر ، فجلس إلىّ يحدثنى قائلاً : هلا حدثتنى عن بعض ما يفدحك ؟ « قلت » يفدحنى ؟ يفدحنى أنا ؟ ماذا بك ؟ « قال » لعلك جئت إلى هنا تريد أن تدفن همومك فى رمال الشاطئ أو تطمع فى أن تغرقها فى لجة اليم ! فقلت له مقاطعاً « على رسلك ! يا صاحبي » ولـكنه استمر فى حديثه لا يعبأ : فلما أعجزك أن تفعل جلست فى ناحية تبدئُ فيها ثم تعيد فعميت عن أن ترى هنا غير خواطرك السود وتفعم الشاطىء والبحر معاً وتسدل بينك وبين الحياة ستراً ثقيلاً « قلت » ها ... ها ! وَىْ كأنّ حاجة فى نفسك دفعتك إلى أن توهمنى بأن أعبـاء تثقلنى لتبلغ غاية فى نفسك ! « قال » فما بالى أراك ساكتاً فى مهموم تنضم على خطرات قلبك وتنطوى على دفعات نفسك تغضى الطرف عن الدنيا فى قناعة وتـكبت القلب عن المتعة فى زهد ومن حواليك بسمات الشاطىء تتـكشف عن نشوة ولذة « قلت » وماذا عساى أن أفعل وأنا من ترى ؟ ثم أشرت إلى شعرات بيض تلمع فى فودى . فقال « أرى ؟ أرى؟ » ثم جذبنى وهو يضحك فى سخرية ويقول « أراك شاب القلب واليد واللسان ! »

وألقيت السلم إلى صاحبي وفى رأيى أننى أهرب من سجنى ··· من المظلة والـكتاب ، وخُيِّل إلىّ أن المظلة هى سجن جسمى وأن الـكتاب هو سجن عقلى ، فانطلقت إلى جانبه .

واندفع صاحبي ينشر أمامى تاريخ قلبه منذ أن فزعنا من لظى القاهرة إلى ربيع الاسكندرية ، ومنذ أن انطلق هو على سنته تدفعه حرية الشباب والعزوبة ، وجلست أنا تحت المظلة تقيدنى أغلال الرجولة والأسرة . وقال فيما قال ... ورأيت هنا ربة الشاطىء ، وهى فتـاة أشربت روح الخمر ، فى جسمها نشوة ، وفى عطرها سكر ، وفى نظراتها سحر ، هى زهرة الشاطىء اليانعة وجماله الخلاب وروحه الرفافة ، وهى ... « فقلت مقاطعاً » كفى ! لقد أصبحت شاعراً وعهدى بك بليد اللسان بليد العاطفة . ولا عجب ، فالشاطىء الآن — فى ناظريك — بلد ألف ربة « قال » لا تعجب فسأريكها .

وأقبلت ربة الشاطىء تتهادى فى رقة وتخطر فى دلال فتعلق بها بصرى ما يطرف ، ورأيت فتـاة تشع جمالاً يعصف بالقلب ويعبث بالفؤاد ، وهى تسير الهوينى فى تبّـان أنيق حاكتـه يد صناع فبدت عليه سمات الذوق السليم والفن السامى ، وإنه ليكشف عن فتنة يقظى ويوارى فتنة عارمة ، وإن نسمات البحر الهـادئة تداعب شعرها الذهبى المرسل فيضطرب على كتفيها ويدارى صفحة خدها الأسيل حيناً ويكشف عنها حيناً فتتراءى الروعة والبهاء

من خــلاله . ورأيت فى نظراتها عزوفاً عن التطلع وفى مشيتها كبرياء الأنفة وفى حركاتها امتهاناً للنظرات النهمة وفى أذنيها وقراً عن كلمات الإعجاب والملق ، كأنها تعيش فى عالمها هى ... عالم الجمال والسـحر والفتنة ، عالم السمو الترفع والصلف . ومرّت بى فأحسست بقلبى يعربد بين ضلوعى فى شدّة وعنف ويتشبث بها فى إصرار وعناد فوهى ما اشتدّ من عزمى وتحطم ما تماسك من قوتى ، وحاولت عبثاً أن أصرف عنها خواطرى لأن قلبى كان قد علقها على حين غفلة منى . ورأيتنى أندفع خلفها ، بالرغم منى ، وأنا أجرُّ صاحبى خشية يبتلعها الجمع الزاخر على سيف البحر .

وانتحت ربة الشاطئ مكاناً قصياً فى منأى عن أمواج البشرية المتلاطمة على سيف البحر عسى أن تسكن ساعة إلى نفسها . وهناك ، نزلت إلى البحر ثم اندفعت بين طيات المـاء تصارع الموج فى عزيمة لا تخشى نصباً ولا رهباً .

وفى صباح اليوم التالى شهد الشاطئ أمراً عجباً ، شهد هذا الرجل الذى ظلّ أياماً طوالاً يعيش فى ثنايا فلسفته ، ينطوى على نفسه ويسكن إلى كتابه وحيداً تحت مظلة لا يمل الوحدة ولا يأنس إلى رفيق ... شهده — لأول مرّة — يذرع الشاطئ فى تبّـانه وبرنسه ونظراته زائغة ما تستقر وعقله قلق ما يهـدأ وفؤاده مضطرب ما يسكن .

وحين اندفعت ربة الشاطئ إلى البحر — كدأبها — اندفعت أنا من ورائها أغالب الموج وأنا أحس بفورة الشـباب تتدفق فى عروق وتدفعنى — فى حرارة — إلى غاية . وشعرت الفتاة بى وأنا أتأثرها فى خفة وصمت فنظرت فارتاعت — بادئ ذى بدء — ولـكن حديثى بعث فى نفسها الرضـا والطمأنينة ، فانطلقنا معاً جنباً إلى جنب لا أستشعر الـكلال ولا أحس التعب

وعدنا إلى الشاطئ صديقين جمعتنا أمواج البحر على الصفاء ساعة فيها لذة القلب وسعادة العمر ، عدنا لنتلاقى — بين الحين والحين — على ميعاد .

وأحسست بالسعادة تتسرب إلى قلبى وبالهـدوء يتدفق فى فؤادى وبالنشـاط يتألق فى عروق وبالشباب يفعم روحى ، وانطوت أيام ...

لك الله يا صاحبى ! لقد جذبتنى من خلوتى لأكون صديق روحاتك ورفيق غدواتك ، ففقدت فى الصاحب والرفيق حين دفعتنى إلى الفتاة التى سحرتك .. إلى ربة الشاطئ .

وعز على صاحبى أن تستشعر الدار فقدى ، وهو من ذوى قرابتى الأدنين ، وأن يحس هو منى الإهمال وإنه لذو دالة على ، لجاء يشكونى إلى نفسي . وأنصت إلي حديثه بأذنى وقلبى هناك . هنـاك عند الفتاة التى صرفتنى عن الزوجة والابن والدار جميعاً .

وبدا لعينيه أن الفتاة قد سـيطرت على مشاعرى فغدوت مسلوب العقل مختلب اللب لا أجد النور إلا من خلال نظراتها الساحرة ولا ألمس السعادة إلا فى نبرات صوتها الموسيقى ولا أحس الدفء إلا إلى جانبها ، فأراد أن يبلغ غايته من بين خفقات قلبى ، فقال : « لقد شغلت — منذ حين — عنى وأنا أطمع أن أظفر ببعض وقتك لأصحبك فى نزهة جميلة » قلت فى جفوة « أى نزهة تريد؟ » قال « نقضى معاً سهرة الليلة فى كازينو كذا » قلت « ولـكننى أمقت السهر لأنه عناء ينفث العلة فى الجسم ويبذر الضعف فى الشباب ويلد الخبل فى العقل » قال « إنك ولا ريب تحتال لتضنّ علىّ ببعض فراغك ، وأنا منك من تعلم » ثم نظر إلى نظرة فيها الرجاء والاستعطاف رق لها قلبى فما استطعت أن أرفض طلبته .

وهناك فى الـكازينو شملنى جو المرح وسيطرت على روح البهجة فرحت أنا وصاحبى نعبث فى هـدوء ونسخر فى أدب ونضحك فى رقة . وعلى حين فجأة قال لى صاحبى وهو يشير إلى المسرح « انظر ، ما أجمل هذه الراقصة ! » ونظرت ... نظرت فإذا الراقصة هي فتاتي ... هى ربة الشاطئ .

وأصابتنى الدهشة والذهول لما رأيت . إنها راقصه من بنات الهوى تنفث السم فى قلوب الناس لتسرق الرجل من رجولته وماله وتستلب الزوج من زوجته وأولاده . إنها عون الشيطان يريد أن يهدم الدار ويشتت شمل الأسرة .

وهدنى الحزن لما رأيتها — بعد حين — تتنقل بين موائد الشباب والشيوخ على السواء كذبابة خصانة بها نهم فهى تسقط فلا تسقط إلا على القذر والنتن . وأوشك الأسى أن يعصف بى لولا صبابة من رجولة ما تبرح تتأجج بين ضلوعى .

وانطلقت إليها وفى نفسى ثورة مكفوفة ، ورحت أهزها فى عنف وأحدثها فى كمد ثم دفعتها عنى وأنا أناديها وداعاً ... وداعاً ، يا ربة الشاطئ » .

يا ربة الشاطئ ! إن حب الابن فى قلب الرجل فوق حبك ، وإن هوى الزوجة فوق هواك ، وإن راحة الدار فوق رغباتك ! فوداعاً ... وداعاً يا ربة الشاطئ .

كامل محمود حبيب

أبو خليــــل القبانى

باعث نهضتنا الفنية
وأثر رحلته إلى الديار المصرية

للأســتاذ حسنى كنعان

— ٥ —

كان هبوط القبانى مصر فى عهـد ساكنى الجنان المغفور لهم : (الخديو إسماعيل والخديو (توفيق) والخديو (عباس)) وكان هؤلاء يعطفون عليه عطف بعض ولاة الشام ويشجعونه حتى بلغ من شـدة عطف الخديو توفيق عليه أنه طيب الله ثراه ونضر ضريحه كان له فى مسرحه حجرة خاصة يؤمها كلما افست نفسه وتاقت لمشاهدة فن هذا النابغ السورى المظيم .

ومما حببه إليه أن مدة إقامته الطويلة فى مصر صادفت هذا العهد التوفيقى الذى كتب له فيه النجاح والفلاح .

ولقد اشتهر نابغتنافى هذا العهد وفى هذه البلاد التى تعرف قيمة الفن وأربابه نال شهرة فائقة لا تقاس بها شهرته فى وطنه حتى غدا مسرحه فى برهة وجيزة كعبة القصاد وقبلة أنظار عشاقه . وكانت شهرته فى سورية مقتصرة على هذا المحيط الضيق ، أما هنا فلقد طارت شهرته فى كافة أقطار العالم وأصبح بهذا مفناً عالياً عرف له أهل الخبرة من الفنيين المتكسبين من هذه الصناعة والمتلذذين قدره ولزموا مجالسه — وأقبلوا على مسرحه إقبالاً رائماً إن دل على شىء فإنما يدل على مقدار عظمة مصر وتقديرها للنابغين ، فأخذ عنه الـكثيرون منهم وتتلمذوا عليه — وناصروه وآزروه فانتعشت بذلك آماله وتجـددت همته فأرى أبناء الوادى من عظيم فنه وخوارق مواهبه ما صيره موضع الإكرام والإجـلال بينهم ، فنسى بهذا أيامه الـود التى مرت عليه فى الشام مجفواً من السلطان ومنبوذاً من الأهل والخلان) . وكان (عبـده الحمولى) المغنى المعروف والمطربة المبدعة (ألماظ) لا يتورعان عن حضور حفلاته ولا يبخلان على الجماهير بعرض بعض أدوارها وقطماتهما الموسيقية والغنائية فى فترات فصول رواياته ، ولهذا كان مسرحه يحوى العبرة والعظة فى التمثيل والفن والطرب والإبداع فى التغنى والإنشاد ...) وهنا أرانى ملزماً بإثبات بعض ما ورد عنـه فى كتاب الموسيقى الشرقي لأحد تلاميذه المرحوم (كامل الحلمى) من وصـف عام شامل يدرك القارىء منه مقدار المكانة الفنية الرائعة التى كان يتمتع نابغتنا بها فى مصر ومقدار تقدير المعاصرين له . قال بالحرف الواحد ما نصه .

« كان مسرحـه مورداً عذباً يؤمه الـكبراء والأمراء والشـمراء والأدباء لمشاهدة رواياته وجلها من منشآته لما جمعت بين جزالة الألفاظ وعذوبتهـا ورقة المعانى ودقتها — أرهفت نواحيها بالتهذيب ، وطرزت حواشيها بكل غريب — شهد لحسنها الـكثير من أهل البلاغة ومنقبى صناعة الصياغة كما شهد من قبل أكابر الموسيقيين وفطاحل الملحنين — وكان بعد انتهاء كل رواية يلقى من القطع الموسيقية شذوراً تنزو لها الأكباد ، ويتحرك لحسن وقعها الفؤاد ، حتى أحرزت مصرنا من إقامته فيها فنوناً جزيلة وفضائل جليلة يقدرها حق قدرها أولو السجايا الحميدة والعقول الحصيفة — ولا ينكرها إلا ذوو الأغراض السافلة السخيفة اه) .

هذا وقد أفرد له تلميذه بحثاً خاصاً ذاكراً فيه مزاياه الفنية والأدبية والأخلاقية والعلمية يراه القارىء فى تراجم عظماء الموهوبين من رجالات الفن على الصفحة (١٣٧) من هذا الـكتاب التى أشرت إليه آنفاً ونقلت عنه هذه الفقره من الترجمة مدللاً بها على صحة ما أوردته من تقدير هذا النابغ فى مصر العزيزة وهى غيض من فيض ما كتب عنه فى هذا الفصل يراه الباحث المنقب الذى يريد أن يعرف عظمة القبانى يومئذ فى ربوع النيل السعيد ، وقد عرف عن الشيخ سلامة حجازى أنه كان يحضر رواياته وهو فتى حدث لم يبلغ الحلم بعد فلفت نظر القبانى هذا الفتى المداوم على مشاهدة رواياته كل ليلة فسأل عنه فقيل إنه منشد حدث ينشد فى الأزكار والموالد يدعى سلامة حجازى فدعاه لإسماعه فأسمعه إياه فسر به كل السرور وتنبأ له بمستقبل باهر وصيت بعيد . ولقد صدقت نبوءة القبانى فيما بعد وأرتنا الأيام أن الشيخ سلامة أمسى نابغة عصره فى فنه وأن الزمان قل أن يجـود بمثله فى عصر ضن بالأصوات الـكاملة التى تشبه صوته ، ولا بد أن يكون الشيخ سلامة بهذة المداومة على رواياته كل ليلة قد أخذ عنه الـكثير من

أصول التمثيل والفن وتتلمذ عليه لأن هذا الفن كان مجهولاً لدى المصريين كما أن أولاد عكاشه عبد الله وأخويه كانوا من تلاميذه الداومين ، وعبد العزيز خليل وكامل الخلعى كانا من أنبغ تلاميذه المقربين إليه . وأول من ساعده فى عمله من المصريين « أنطون فرح » اشتغل فى جوقته بحديقة الأزبكية . ولما طبقت شهرته الآفاق طلب للذهاب إلى معرض (واشنطون) ليعرض بعض رواياته ، وقطعاته الفنية فيه ، فأبحر مع أفراد فرقته إلى الدنيا الجديدة وكلهم أمل وغبطة لإطلاع زوار المعرض على الذكاء العربى ومقدار ما وصل إليه فنه — بيد أن الدّوار الذى اعتراه فى طريقه جعله يعدل عن السفر فعاد أدراجه من إيطاليا إلى القاهرة وسافر أفراد فرقته وحدهم إلى (واشنطون) وعرضوا على زواره بعض فصول من قطعاته الموسيقية وبعض روايات كانت موضع تقدير القوم وإعجابهم هناك .) رأى نابغتنا بعد عودته من إيطاليا أن ينقل مسرحه من الأزبكية إلى قرب دار (الأبرا) الملكية ففعل . وبعد مدة من الزمن احترق مسرحه وعاد الشؤم والنحس يصحبانه من جديد ، وكان قد انتشر هذا الفن فى ربوع النيل وكشفت غوامضه مما أهاب بصاحبنا أن يهجر القاهرة لتفرق أفراد جوقته وقلة ذات يده ويئوم الأرياف متكسباً مع بعض أفراد جوقته المتخلفين عن السفر إلى (واشنطن) فزاول العمل مدة فى الأرياف ثم قل العمل وتاقت نفسه للعودة إلى بلاده التى دفن فيها أحلامه .)

وحببَّ أوطان الرجال إليهم مآرب قضّاها الشباب هنالكا

وفى نزوة من نزوات النفس الأمّارة وموجةٍ من موجات الشوق المبرح المضنى عاد القبانى إلى دمشق بعد أن نشر رسالة الفن فى القطر الشقيق ، وكانت الحال قد تبدلت فى وطنه ومات من مات من عشاق فنه ورواد مجالسه ، وهلك من هلك من حساده ومناوئيه . وكان المشيب يومئذ قد أشمل رأسه وكلل جبينه بهالة بيضاء من نور الشيخوخة والوقار فلم يجد فى نفسه الهمة الفتيّة والكفاءة للقيام بأى عمل فنى فأقام فى دمشق مدة كان معتزلاً العمل خلالها زاهداً فى بيته منقطعاً إلى صلاته ونسكه حتى أتاه رسول أحمد عزة باشا العابد) يدعوه باسمه للشخوص إلى الآستانة ليمهد له سبل المثول بين يدى الذات الشاهانية ، فتجددت عزائمه بهذا الطلب وعاد الأمل يداعبه من جديد وقد نسي أن لكل زمان دولة ورجالاً ، وقد هتف به هاتف من نفسه أن يعتذر عن هذه السفرة ؛ بيد أن شبح (البوسفور) وآفاته التى تتبلع أشلاء الضحايا مثل أمامه ودفعه إلى إجابة الباشا إلى طلبه ، وفور وصوله الآستانة استقبل من قبل الحاشية استقبالاً فخماً وحل ضيفاً على الوزير النابه صاحب الدعوة ، وكان يتقن اللغتين التركية والفارسية فبقى هناك ضيفاً يتمتع بعطف مضيفه مدة من الزمن حتى احتال الوزير الداهية على المليك بوعد لمقابلة القبانى ، وكان من شروطها الدخول على السلطان وهو محنى الرأس ومطرقاً إجلالاً وإكباراً مقبلاً الأعتاب بين يديه ، وهى مراسيم كانت تطبق على كل من يريد المثول أمام هذا الطاغية الجبار ، ومن يخالفها لا يكتب له الحظوة بهذه المقابلة . وعندما عرضت على صاحبنا القبانى رفضها بشمم وإباء قائلاً : أنا رجل نسيج وحدى لا أحنى رأسى لغير خالقى الذى يميتنى ويحيينى ويطعمنى ويسقينى وبيده ضرى ونفعى؛ فإن شئت يا سيدى الباشا أن تكون مقابلتى لمولاى المعظم كمقابلتى لكل إنسان آخر من الناس فعلت ، وإن أبيت إلا هذه الشروط فاعفنى من هذه الزيارة التى فيها المذلة والمهانة) .

فلم يكد الباشا يسمع من صاحبه هذه العبارات حتى كاد يجن لشدة ما عراه من الغضب والحنق ، فغض الطرف عن هذه الزيارة ثم صدف القبانى عنه قائلاً أرجوك رجاءً حاراً ألا تذكر ما دار بينى وبينك من حوار إلى أى مخلوق لئلا يصل ذلك إلى مسامع السلطان فتكون الطامة الكبرى علينا نحن الإثنين ، كما أنى آمرك أن ترحل من هذه الديار على الفور دون أن يشعر بك إنسان ، وقد خصص له بعد سفره معاشاً من خزينة الدولة يكفيه هو وأفراد أسرته .

بقى القبانى يتقاضى فى دمشق هذا الراتب منحة من الوزير المشجع لكل موهبة حقبة من الزمن كان فيها معتزلا الناس إلى أن اختاره ربه إلى جواره ، فانطفأت بانقضائه تلك الشعلة الفنية التى أضاءت النور للشرق عامة ونفذ إشعاعها إلى ديار الغرب ، وكانت السبب فى انبعاث هذه النهضة الفنية التى قامت فى ربوع الشام والنيل والتى لا يزال أثرها ماثلاً للعيان يذكرها أبناء هذا الجيل والأجيال القادمة كابراً عن كابر) ...

وكانت وفاته فى دمشق سنة ١٣٢٠ هجرية ودفن فى مقبرة الباب الصغير. قضى كما يقضى عظماء الرجال دون أن يترك لأسرته من بعده سبداً ولا لبداً ولم يبق لأسرته سوى بيت للسكن تقطنه الآن ابنتاه السكهلتان . ومما يجدر ذكره هنا فى هذه الترجمة إقراراً بالجميل أن معاشه ظلت ابنتاه تتقاضيانه حتى موت الوزير العابد ولم ينقطع عنهما إلا فى عهـــد زوال الدولة العثمانية وظهور الدولة الكمالية .

هذا ما بدا لى أن أكتبه خدمة للتاريخ والحقيقة عن القبانى الممثل راجياً أن تتاح لى فرصة أخرى وأكتب نبذة عن القبانى الموسيقى الملحن الذى أضاف إلى رقصة السماح نوعاً آخر فى هذه الرقصة وهى الإيقاع بنقـل الأرجل وتقديم الصدر وتأخيره فى جولات الرقص . ولهذا النابغ موشحات وقدود وأما ديح نبوية لا تزال متداولة بين المنشدين فى مسجد بنى أمية ومافتئت مستعملة حتى الآن يتبارى بها أرباب هذه الصناعة فى حفلات الأذكار — وفى المساجد فى ليالى رمضان وغيرها من الأيام المباركة كليلة النصف من شعبان وليلة القدر وغيرها وسنفرد لهـذا البحث صفحة خاصة .

حسنى كنعان

برلمـــان الأقلام

للأستـــاذ عمر عودة الخطيب

بعد أن امتحن العرب تلك المحنة القاسية بفلسطين ، فكانت لهم — وا أسفـاه — نـكبة ومأساة ، شطرت الأمة العربية اشطاراً متناحرة ، ودولاً متناثرة ، وقضت على شعب كريم بالتشريد والفناء ، وألقت به منبوذاً بالعراء ، يقاسى مرارة المهانة وألم الحرمان ، وينتظر رحمة الضمير الأوربى فى مؤتمر (لوزان) ، بعد هذا كله انصرفت الأقلام عن الـكتابة فى موضوع فلسطين ، وآثرت أن تجنح إلى الراحة ، وتثاءبت على أوراق الـكتاب ، أوعاد بعضها سيرته الأولى ، يـكتب مالا غناء فيه ، ولا طائل تحته ، ولا جدوى منه مما لا يمس أدواء الأمة الخطيرة ، أو يصور مآسيها الدامية ، ونـكبتها الماحقة ... وكأن فلسطين — إبان المعارك فيها — كانت لبعض الأقلام الفاترة ، رفداً أنقذها من مسغبة ، وأحياها من موات ، ذلك لأن من خطل الرأى وفساد الذوق — ولا شك — أن تشغل (فلسطين) الدنيا كلها ، والعالم العربى خاصة ، ثم لا تشارك أقلامهم الناس فيما هم فيه ، ولا تبض — على الأقل — ببعض كلمات ، تنير السبيل ، وتبصر الضال ، وتهدى الحائر ... وكأنى بهؤلاء كانوا يضيقون ذرعاً بهذا الموضوع الذى طال الـكلام فيه ، والجدل حوله ، فـكانوا — كما أحسب — يتلمسون منه خلاصاً ، فلا يجدون منه مناصاً ، حتى إذا ما انقطع زئير المدافع ، ودوى النسور ، وأذعن العرب لهذه (الهدنة) المقوتة ، هادنت أقلامهم هذه الموضوعات ورجعت إلى الشواطىء والحانات ، تصـف الأجساد العارية ، والأقداح الدافقة ، والرقص والابتذال ، ومسابقات الجمـال ... ولولا أن (الرسالة) الغراء تنقل إلينا بين فترة وأخرى ، بعض المقالات الرائعة فى هذه الموضوعات الحية ، من كتاب مجيدين ، وأدباء يقظين ، لأوشك القارىء العربى أن تعظم محنته ، وتـكبر بليته ، فيرى اسم (فلسطين) يحتضر — الآن — على أسنة الأقلام ، كما احتضر — من قبل — على أسنة بعض الحـكام .

ذكرت هذا حين قرأت ذلك المقال الرائع (البرلمان الشعوبى العربى والاستعداد للحرب مع اليهود)[1] للأستاذ نقولا الحداد ، عاد بى إلى مقالات مضت ، وأبحاث غبرت ، وكلمات قيمة نشرت ، للأستاذ الفاضل ، ولأستاذنا الجليل (الزيات) ولغيرهما من أعلام البيان ، ورجال الفـكر ... وعلى الرغم منى قارنت بين الأمس واليوم فألفيت بالأمس الغابر شعوراً دافقاً ، وحماساً لاهباً ، أحيا العزائم ، وأيقظ المشاعر ، وكان له — فيما أرى — أثر بالغ فى توجيه الأنظار ، وتنبيه الأفـكار .

أما اليوم فأننا — نحن شعوب العرب — بحاجة إلى أن نضم إلى إعدادنا الحربى والسياسى ، وإعداداً فـكرياً شعورياً آخر ، يصور لنا — بصراحة تامة — عوامل انخذا لنا ، وأسباب انهزامنا ، كما يصف لنا عدونا كما هو بشره المستطير ، وخطره الوبيل ، ومكائده وأحابيله ومطامعه من الفرات إلى النيل ، حتى يدرك كل عربى معركة الغد ، فيأخذ لها أهبتها ، ويعد لها عدتها ،

---

(١) فى العدد ٨٣٦ من الرسالة .

لئلا يقع فى المستقبل ، - كما وقع بالأمس - صريع الغفلة والجهالة ، والضعف والاستسلام .

إذا أبى علينا - فيما مضى - طغيان أعدائنا من أوربيين وأمريكيين ، واستسلام إخواننا وأبناء عمنا من السادة اليعربيين ، أن نمضى فى جهادنا ، ونثابر على نضالنا ، ونتيح للشباب الظامىء المتوثب ، أن يروى ظمأه من دماء اليهود ، وينقع غلته فى الأرض المقدسة ، فلن يصل طغيان أولئك واستسلام هؤلاء ، إلى الأقلام الحرة ، فعليها أن تجدد حملتها ، وتعيد كرتها ، فتوقظ النائمين ، وتفضح الخائنين ، وتحيى فى نفوس الشباب تلك العزيمة التى أوهتها الصدمة ، وتذكى بين جوانحهم تلك الجذوة التى أخمدتها النكبة ، وذلك الحماس الذى أذهله مكر الماكرين وشله بغى الباغين . نعم نريد من هذه الأقلام - وهذه إرادة الشباب - أن ترأب الصدع ، وتجمع الشمل ، وتلم الشعث ، وتدفع فى تيار من الحياة جديد ، ذى قوة ومراس ، ورجولة واحتراس ، هذه القافلة التائهة وهذا الموكب الحائر ... وليس أجدى علينا من أن تكون هذه الأقلام - الأقلام الكبيرة - بريد اليقظة الكاملة ، والنهضة الشاملة ، لهذه الأمة العاثرة .

وأن لنا فى التاريخ ، لأمثلة حية من جهاد الأقلام ، فى أنهاض الأمم ، وإيقاظ الهمم ، وهذه كتب (روسو ومونتسكيو وفولتير) وغيرهم بين أيدينا ، تشهد على ما فعلته فى فرنسا أيام غفلتها ، وأبان رقدتها .

فإذا لم تسبق فكرة (البرلمان الشعوبى العربى) هذه الهزة الفكرية من (برلمان الأقلام) فى مصر وغيرها ، وقادة الرأى وأعلام الفكر فى الأمة العربية كلها ، حتى تتناجى الأرواح ، وتلتقى الأفكار ، وتتحدث المشاعر ، فلن نجد عند المعركة ، الأذن التى تسمع ، والقلب الذى يعى ، والعقل الذى يفكر ، والإرادة التى تعمل ، وإذا خسرنا هذه كلها ، فلن تنفعنا - حين ذاك - هذه (المؤتمرات) ولا تلك (البرلمانات) .

فلعل أدباءنا الأمجاد ، يعرفون هذه الحقيقة ، فيمطوها نصيباً من أقلامهم ، وقليلا من وقتهم ، ويسيراً من تفكيرهم ، وهم - دون شك - يعلمون بأن دولة الأفكار فى حصن مكين ، لا تنالها قوة ، ولا يصل إليها عدوان ... ولنذكر أخيراً كلمة شكسبير الخالدة (تستطيع أن تسلبنى مالى ، وأن تسجننى ، وأن تقبض روحى ، ولكنك عاجز عن قتل فكرة واحدة من أفكارى . إن الأفكار تستمد وجودها من الله .)

(دمشق - المزه) **عمر عودة الخطيب**

وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة - إعلان
لمدارس المعلمين والمعلمات

عن إنشاء قسم فرنسى بمدرسة المعلمات الابتدائية بالقاهرة .

قررت الوزارة إنشاء قسم للغة الفرنسية بمدرسة المعلمات الابتدائية بالقاهرة ابتداء من العام الدراسى ٤٩ ، ٥٠ تلحق به الطالبات اللائى يدرسن اللغة الفرنسية كلغة أصلية من الناجحات فى امتحان النقل من السنة الثانية إلى الثالثة الثانوية أو الثانوية الفنية فعلى راغبات الحاق بالسنة الاعدادية بالمدرسة المذكورة تقديم الطلبات بعنوان مدرسة المعلمات الابتدائية بسراى دو الفقار باشا بجنينة الروضة بالقاهرة ٢٨٥٥

وزارة الحربية والبحرية

تقبل عطاءات بديوان الوزارة لغاية ظهر يوم ١٢ أكتوبر ١٩٤٩ عن توريد البطاريات المطلوبة للصيانة وعربات الجيش الأجهزة اللاسلكية لعام ٤٩/٥٠ وتطلب الشروط على ورقة دمغة فئة ٣٠ مليما من إدارة العقود والمشتريات مقابل مبلغ ٢٥٠ مليما وأجرة البريد ٤٠ مليما . ٢٨١٩

تفتيش مبانى الشرق بالزقازيق

يعلن عن مناقصة إنشاء نقطة بوليس الهجانة بانشاص بجلسة ١٥/١٠/١٩٤٩ بديوان التفتيش بالزقازيق وثمن المستندات ٢٠٠ مليم ١ جنيه للأعمال الاعتيادية ١ جنيه لأعمال التجارة ٨٠٠ مليم للأعمال الصحية ٣٥٠ مليم للأعمال الكهربائية و ٥٠ مليم أجرة البريد وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ٢٪ من قيمته يعتبر لاغياً ولا يلتفت إليه . ٢٨١٤

أوهام في الزيتون

للآنسة الفاضلة فدوى عبد الفتاح طوقان

«فى السفح الغربى من جبل (جرزيم) حيث تملأ مغارس الزيتون القلوب والعيون ، هناك ، ألفت القعود فى أصيل كل يوم عند زيتونة مباركة ، تحنو على نفسى ظلالها ، وتمسح على رأسى عذبات أغصانها ؛ وطالما خيل إلى أنها تبادلنى الألفة والمحبة ، فتحس بإحساسى ، وتشعر بشعورى.

وفى ظلال هذه الزيتونة الشاعرة كم حلمت أحلاماً ووهمت أوهاماً » .

هنا ، هنا ، فى ظل زيتونتى تحطم الروحُ قيودَ الثرى
وتخلد النفس إلى عزلة يختنق فيها الصمت لغوَ الورى

هنا ، هنا ، فى ظل زيتونتى فى عدوة الوادى ، بسفح الجبل
أصغى إلى الكون ولما تزل آياته تروى حديثَ الأزل

هنا يهيم القلب فى عالم تخلقه أحلامىَ المبهمه
لأفقه فى ناظرى روعة وللرؤى فى مسمعى هينمه

عالم أشواق سماوية تطلق روحى فى الرحاب الفساح
خفيفةً ، لا الأرض تثنى لها خطواً، ولا الجسم يهيض الجناح

واهاً ! هنا يهفو على مجلسى من عالم الأشواق روح حبيب
لم تره عيناى ، لكنه فى خاطرى ، يا للبعيد القريب

أكاد بالوهم أراه معي يغمر قلبى بالحنان الدفيق
يمضى به نحو سماء الهوى على جناح من شعاع طليق

زيتونتى ، لله كم هاجس أوحت به أشواقى الحائره ...
وكم خيالات وعى خاطرى تدرى بها أغصانك الشاعره !

نجيتى أنت وقد عزّنى نجىُّ روحى يا عروس الجبل
دعى فؤادى يشتكى بثّه لعل فى النجوى شفاءً ، لعل

يا ليت شعرى إن مضت بى غداً عنك يدُ الموت إلى حفرتى
تراك تنسين مقامى هنا وأنت تحنين على مهجتى ؟

تراك تنسين فؤاداً وعتْ أسراره أغصانك الراحمات
باركها الله ، لكم ناغمت وهدهدت أشواقه الصارخات !

زيتونتى ، بالله إما هفت نحوك بمدى النسمة الهائمه
فاذّكرى كم نفحتنا معاً عطورها الفاترة الفاغمه

وحين يستهويك طيرُ الربى بنغمة ترعش منك الغصون
فاذّكرى ، كم طائر شاعر ألهمه شدوى شجىَّ اللحون !

تذكرينى كلما شمشمت أوراقك الخضراء شمس الأصيل
فكم أصيل فيه شيعتها بمهجة حرّى ، وطرف كليل

إن يزوِها المغربُ عن عرشها فالشرق الزاهى بها يرجع
لكننى ، آهاً ، غداً تنزوى شمس حياتى ثم لا تطلع !

ويحى ، أتطوينى الليالى غداً وتحتوينى داجيات القبور ؟
فأين تمضى خفقاتُ الهوى وأين تمضى خلجات الشعور ؟ !

ونور قلبى ، والرؤى ، والمنى وهذه النار بأعماقيه ...
هل تتلاشى بدداً كلها كأنها ما ألهبت ذاتيه !..

أما لهذا القلب من رجعة للوجد ، للشعر ، لوحى الخيال؟
أيخمد المشبوب من ناره واشقوة القلب بهذا المآل ! .

يا رب إما حان حين الردى وانعتقت روحى من هيكلى
وأعنقت نحوك مشتاقة تهفو إلى ينبوعها الأول ...

وبات هذا الجسم رهن الثرى ملقىً على أيدى البلى الجائره
فلتبعث القدرة من تربتى زيتونة ملهمة ... شاعره ...

جذورها تمتص من هيكلى ولم يزل بعد طرياً رطيب
تمتصُّ من قلبي أنواره ومنه تستلهم سرَّ اللهيب !

حتى إذا يا خالق أفعمت عناصرى أعصابها والجذور
انتفضت تهتز أوراقها من وقدة الحسّ ووهج الشعور

وأفرعت غيناء فينانةً مما تروّت من رحيق الحياه
نشوى بهذا البعث ، ما تأتلى تذكر حلماً قد تلاشت رؤاه

حلم حياة سربت وانطوت طفاحة بالوهم ... بالنشوةِ
لم تك إلا نغماً شاجياً على رباب الشوق والصبوةِ !

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مشكلة الأداء النفسى فى الشعر العربي :

مشكلة الأداء النفسى فى الشعر مشكلة تهم الشعراء المحدثين ، وتهم النقاد المحدثين ، وتهم القراء المحدثين . تهمهم جميعاً لأن نظرة الشاعر إلى النفس والحياة قد تفاوتت بين الأمس واليوم ، وكذلك نظرة الناقد ونظرة القارئ ... ويلاحظ هنا أننى أقصر الحديث على الشعر العربى وحده دون سواه .

إن رأيى فى الشعر العربى القديم هو رأيى فى مشكلة الأداء اللفظى فى هذا الشعر ، وهى مشكلة شغلت الشعراء القدامى فأفرغوا فيها كل طاقتهم الشعرية لا الشعورية ، وشغلت النقاد القدامى فأقاموا موازينهم للألفاظ من حيث الدلالة المادية لا النفسية ، وشغلت القراء القدامي لأن فهمهم للشعر قد استمد أسباب وجوده مما بين أيديهم من نتاج شعرى يسير فى ركابه النقد الموجه لهذا النتاج ... إذا قلت لك إن الشعر العربى القديم كان فى جملته شعر « السطوح الخارجية » للنفس والحياة ، فلا تحمل هذا القول على التعصب للحديث والوقوف إلى جانبه . إن أمامك هذا الشعر ، فراجع فيه نفسك ، واستشر فى حقيقته ذوقك وحسك ، إنه شعر يشعرك بفراغ « الوجود الداخلى » عند قائليه ، لأنهم كانوا يعيشون خارج « الحدود النفسية » فى الكثير الغالب من الأحيان ، فإذا عادوا إلى تلك الحدود فتغلبوا على مشكلة « الصدق الشعورى » قامت فى وجوههم مشكلة أخرى هى مشكلة « الصدق الفنى » ... وهنا مفرق الطريق بين المشكلتين الرئيسيتين : مشكلة « الأداء النفسى » ومشكلة « الأداء اللفظي » ، فى معرض الموازنة بين الشعر العربى الحديث والشعر العربى القديم !

وأحب هنا أن أوضح الفوارق بين هذه القضايا الفنية فى حدود التعبيرات الاصطلاحية والنقدية ... فما هو الصدق الشعورى أولا ، وما هو الصدق الفنى ثانياً ، حتى نستطيع أن نصل إلى الهدف الأخير حول مشكلتى الأداء فى الشعر ؟

الصدق الشعورى هو ذلك التجاوب بين الوجود الخارجى المثير للانفعال ، وبين الوجود الداخلى الذى ينصهر فيه هذا الانفعال . أو هو تلك الشرارة العاطفية التى تندلع من التقاء تيارين : أحدهما نفسى متدفق من أعماق النفس ، والآخر حسى منطلق من آفاق الحياة . أو هو ذلك التوافق بين التجربة الشعورية وبين مصدر الإثارة العقلية فى مجال الرصد الأمين للحركة الجائشة فى ثنايا الفكر والوجدان ... هذا هو الصدق الشعورى وميدانه الإحساس ، أما الصدق الفنى فميدانه التعبير ؛ التعبير عن واقع هذا الإحساس تعبيراً خاصاً يبرزه فى صورته التى تهز منافذ النفس قبل أن تهز منافذ السمع ، وهذه هى التجربة الكبرى التى تختلف حولها القيم الفنية للشعر فى معرض التفرقة بين أداء وأداء !

هناك شاعر يملك الصدق فى الشعور ولا يملك الصدق فى الفن ، لأنه لم يؤت القدرة على أن يلبس مشاعره ذلك الثوب الملائم من التعبير ، أو يسكن أحاسيسه ذلك البناء المناسب من الألفاظ ، ولا مناص عندئذ من الإخفاق فى إظهار الطاقتين معاً : الشعرية والشعورية ... وهنا يأتى دور الأداء النفسى فى الشعر ، وهو الأداء الذى يعتمد على اللفظ والجو الموسيقى : اللفظ ذو الدلالة النفسية لا المادية ، اللفظ ذو الظلال الموحية لا الظلال الجامدة ، اللفظ الذى يتخطى مرحلة إشعاع المعنى الجزئى الواحد إلى مرحلة إشعاع المعانى الكلية المتداخلة !

هذا هو مكان اللفظ من الأداء ، أما الجو فنقصد به ذلك الأفق الشعرى الذى ينقلك بصدقه إلى مكان الفن وزمانه ، ويحقق لك تلك المشاركة الوجدانية بينك وبين الشاعر ، ويحدث لك نفس الهزات الداخلية التى تلقاها وهو فى حالة فناء شعورى كامل مع « الوجود الخارجى » .

ويبقى بعد ذلك عنصر التنغيم فى مشكلة الأداء ، وهو عنصر له خطره البعيد وأثره الملحوظ فى تلوين الانفعالات الذاتية فى التعبير . وهنا يبدو الارتباط كاملا بين العناصر الثلاثة ، لأن « الحقل الشعرى » ممثلا فى عنصرى الألفاظ والأجواء لا غنى له بحال عن عنصر « الوسيقى التصويرية » التى تصاحب « المشهد التعبيرى » فى كل نقلة من نقلات الشعور ، وكل وثبة من وثبات الخيال !

ويظهر أثر الربط بين هذه القيم فى مشكلة الأداء النفسى حين نلتمس ذلك التناسق بين فنون الشعر المختلفة ... إن لكل فن من هذه الفنون طابعه الخاص المتميز فى مجال التصوير الفنى عن طريق اللفظ والجو والموسيقى؛ فن أسباب الإخلال بالأداء النفسى أن نتخير اللفظ الهامس، والجو الهادئ، والموسيقى الحالمة مثلا فى شعر الملاحم، وأن نعكس القضية من وضع إلى وضع فنتخير اللفظ الهادر، والجو الصاخب، والموسيقى العاصفة مثلا فى شعر الغزل والرثاء!

نترك هذا التحديد لكل تلك القضايا الفنية لنقول إن أصحاب الشعر العربى القديم لم يفطنوا إلى قيم الأداء النفسى فى الشعر إلا فى القليل النادر الذى لا يحسب له حساب ... وإذا كانت هناك ومضات من هذا الأداء تطالعك فى هذا الشعر، فهى ومضات متفرقة يصعب أن تجمع بينها لتخرج من هذا الجمع برصيد يمكن أن ينسب إلى شاعر واحد، لتخلق من شخصيته الشعرية قمة من قمم الأداء النفسى! مصدر الداء أنهم نظروا إلى مظهر اللفظ أكثر مما نظروا إلى مخبره، وأنهم شغلوا عن « الذاتية النفسية » بتلك « الذاتية البيانية »، وأنهم عبروا عن الشعور المصنوع أكثر مما عبروا عن الشعور المطبوع!

على هذا الأساس سار الشعر القديم يبارك خطواته النقد القديم؛ ذلك لأن الأجيال قد دأبت على أن تخلق أبناءها فى ميدان الفن من طينة واحدة، وأن تصوغ ملكاتهم من معدن واحد: يقف الشاعر عند « الهياكل المظهرية » للألفاظ ويقف معه الناقد، وغاية الفن عند هذا وذاك أن يطلب الأول إلى صاحبيه أن يقفا لحظات ليبكيا معه، وأن يشير الثانى إلى أنه قد بلغ القمة لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى، أو لأنه مثلا قد وفق إلى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد!

لا أريد أن أذهب فى القول إلى أكثر مما ذهبت فى هذا المجال، لأن مشكلة الأداء اللفظى لا تحتاج إلى أن نستخلص لها الشواهد من الشعر العربى القديم، ولأن تلك الشواهد قد مر بها القراء والأدباء فى مطالعتهم لذلك الشعر، وهى بعد ذلك أوضح فى حساب الكثرة من أن يشار إليها أو تجمع فى حساب التسجيل والإحصاء!

حسبنا أن نقول إن الشعراء المحدثين قد خطوا بفهمهم لأصول الفن الشعرى خطوات جديدة، ووثبوا بالأداء النفسى وثبات أقل ما يقال فيها إنها ردت للألفاظ قيمها التعبيرية حين ردتها إلى محاريبها النفسية فغدت وهى صلوات شعور ووجدان. ويستطيع النقد الحديث أن يقول إنه قد وجد ضالته فى هذا الشعر الذى وجد نفسه ... وإذا قلنا الشعر العربى الحديث، فإنما نعنى ذلك الشعر الذى بدأت مرحلته الأولى بتلك المدرسة من بعض شعراء الشيوخ وعلى رأسهم « شوقى »، وبدأت مرحلته الثانية بتلك المدرسة الأخرى من بعض شعراء الشباب وعلى رأسهم « إيليا أبوماضى »، وفى شعر هذين الشاعرين تبدو ومضات الأداء النفسى أكثر لمعاناً منها فى شعر الآخرين! ..

ولقد قدمت إلى القراء نقداً تحليلياً لمشكلة الأداء النفسى فى الشعر، وبقى أن أقدم إليهم نموذجاً كاملا لهذا الأداء، حتى تتكشف لهم جوانب ذلك النقد على ضوء هذا المثال، وهو قصيدة للشاعر إيليا أبى ماضى، وقعت عليها دون أن أعمد إلى شىء من الاختيار ... عنوان القصيدة « وطنى »، وبناؤها هذه الأبيات:

وطن النجوم ... أنا هنا حدّق ... أتذكر من أنا؟
ألمحت فى الماضى البعيد فتى غريراً أرعنا
جذلان يمرح فى حقولك كالنسيم مدندنا
المقتنى المملوك ملعبه وغير المقتنى
يتسلق الأشجار لا ضجراً يحس ولا ونى
ويعود بالأغصان يبريها سيوفاً أو قنا
ويخوض فى وحل الشتاء مهللا متيمنا
لا يتقى شر العيون ولا يخاف الألسنا
ولكم تشيطن كى يدور القول عنه: تشيطنا!

***

أنا ذلك الولد الذى دنياه كانت هاهنا
أنا فى مياهك قطرة فاضت جداول من سنى
أنا من ترابك ذرة ماجت مواكب من منى
أنا من طيورك بلبل غنى بمجدك فاغتنى
حمل الطلاقة والبشاشة من ربوعك للدنى

***

كم عانقت روحى رباك وصفقت فى المنحنى
للبحر ينشره بنـــوك حضـــارة وتمدنا
لليـــل فيك مصلياً ... للصبح فيــك مؤذنا
للشمس تبطئ فى وداع ذراك كيـــلا تحزنا
للبـــدر فى نيسان يكحل بالضياء الأعينا
فيـذوب فى حدق المهى ســحراً لطيفاً لينا
للحقل يرتجـل الروائع زنبقاً أو ســـوسنا
للعشب أثقله النـــدى ... للغصن أثقله الجنى
عاش الجمـــال مشرداً فى الأرض ينشد مسكنا
حتى انكشفت له فألقى رحـــله وتوطنا
واستعرض الفن الجبال فكنت أنت الأحسنا

هذا هو الأداء النفسى الذى أبحث عنه وأدعو إليه ، الأداء النفسى الذى يستمد صورته التعبيرية من الصدق الفنى والصدق الشعورى ، ويعتمد على العناصر الثلاثة التى حدثتك عن قيمها الفنية ، وهى اللفظ والجو والموسيقى : اللفظ الخاص ، والجو الخاص ، والموسيقى الخاصة ... وتعال نستعرض مواكب الألفاظ أولا فى شعر أبى ماضى :

قف عند البيت الأول لتتفيأ الظلال النفسية فى كلمة «حدّق» . وقف مرة أخرى عند البيت الثانى لتنفذ إلى أعماق الواقعية فى كلمة « أرعن » . وقف مرة ثالثة عند البيت الثالث لتتذوق المعانى الحسية فى كلمة « مدندن » . وطبق هذه اللمحات واللفتات على الأبيات التالية حين تقف عند كلمة « يتسلق » و « يخوض » و « تشيطن » من ناحية الحركة المتدفقة فى ثنايا التعبير . وعندما تبلغ البيت العاشر قف طويلا لتطرق الأبواب الشعورية الضخمة فى كلمة « ولد » ... لو قال أبو ماضى مثلا « أنا ذلك الطفل » بدلا من « أنا ذلك الولد » لغدت اللفظة عادية لا تثير فى النفس شيئاً من المشاعر والأحاسيس . ولو قال مثلا « أنظر » بدلا من « حدق » لبدت اللفظة مغرقة فى المادية فلا إشعاع ولا إيحاء !

إن الألفاظ هنا قد اختيرت لتوضع في مواطنها الأصيلة لتؤدى دورها الأصيل فى إرسال الموجات الصوتية المعبرة عن واقع الهزات النبعثة من الوجود الداخلى ... وانظر إلى كلمتى « فاضت » و « ماجت » فى البيتين الحادى عشر والثانى عشر ، وإلى كلمتى « عانقت » و « صفقت » فى البيت الخامس عشر لترى مبلغ الإثارة الوجدانية فى الصورة الوصفية . وقل مثل ذلك عن البيت الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين عندما تضع فى بوتقة الشعور كلمة « تبطئ » و « يكحل » و « يذوب » ... وأقم الميزان كل الميزان لهـذا الحقل الذى « يرتجل » الروائع من الزنبق والسوسن ، ولهذا الجمال الذى « شرد » فى شعاب الأرض يلتمس المأوى حتى إذا ظفر به « ألقى رحله » واستراح . ولا تنس ذلك الفن الذى « استعرض » الجبال ليختار أحسن الأوطان!

وتعال بعد ذلك أحدثك عن عنصرى « الجو والموسيقى » فى هذا الأداء ؛ الجو الذى قلت لك عنه إنه الأفق الشعرى الذى ينقلنا إلى مكان الفن وزمانه ، ويحقق لنا المشاركة الوجدانية بيننا وبين الشاعر ، ويحدث لنا نفس الهزات الداخلية التى يتلقاها وهو فى حالة فناء شعورى كامل مع الوجود الخارجى ... إن الشاعر هنا يصور ملاعب الطفولة البريئة فى رحاب الوطن الأول ، وهو بعد ذلك يستعيد ذكرى عهود ، عهود مرت بنا ونسيناها ، فإذا هى تعود إلينا من وراء الوعى حية نابضة ، وما هذا النبض وتلك الحياة إلا من أثر القدرة على البعث والإثارة !

إنك لتحس من هذا « الجو» الذى ترسمه ريشة الشاعر على لوحة الشعور أنك قد نقلت نقلا على جناح الخيال إلى هناك ، إلى ذلك الأفق البعيد الموغل فى طوايا الزمن ... وإذا أنت فى كل بيت من أبيات أبى ماضى تكاد تلمح طفلا يتوثب مرحاً ونشاطاً وحيوية ، طفلا يخيل إليك أن كل نقلة من نقلات الإيقاع الموسيقى هى وقع الخطى من قدميه الصغيرتين !

ولعلك تلاحظ أن الإيقاع هنا هو إيقاع الموسيقى الحالمة ، ذلك لأن الجو الشعرى هو جو الأحلام الخالصة ، جو الذكريات التى يهمس بها الماضى الحبيب فى مسارب النفس الخفية ، فيرتد الصدى العميق من تلك الأغوار إلى ثنايا الكلمات ، ممثلا فى تلك الوقدات الملتهبة من جيشان العاطفة . .

وهذا هو دور الموسيقى التصويرية التى قلت لك عنها إنها تصاحب المشهد التعبيرى فى الأداء النفسى ، وتعمل على تلوين الانفعالات المختلفة تلويناً خاصاً يتناسب وطبيعة الألفاظ فى مجال القيم الفنية والنفسية .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تأبين المجمع اللغوي للمازني :

أقام مجمع فؤاد الأول للغة العربية حفل تأبين للمغفورله الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني يوم الإثنين الماضي بدار الجمعية الجغرافية الملكية . وقد اقتصر الحفل على كلمة الأستاذ عباس محمود العقاد التي رؤى الاكتفاء بها تجنباً للتكرار والإملال ، وقد جاءت فعلا وافية بالغرض ، فقد ألم فيها بحياة الفقيد إلماماً إجمالياً حلل في ثناياه أدبه وبعض صفاته الشخصية التي أثرت في هذا الأدب . فأغنت عن كثير من خطب وقصائد مما يلقى في هذه المناسبة .

استهل الأستاذ العقاد حديثه عن صديقه فقيد الأدب الأستاذ المازني بأنه كان « منذوراً » للأدب بكل ما نفهمه اليوم من معنى هذه الكلمة ، وقد كان الأقدمون إذا قيل لهم عن أحد من الناس إنه منذور لهذا المعبد أو لهذا الحرم ، فهموا من ذلك أنه قائم في خدمة معبده طول حياته ، وأنه لا يملك أن ينحرف عن خدمته باختياره . وقد خيل للمازني أن يعطى مطالب المعيشة حقها ، فلم يلبث حتى تبين له أنه للأدب وحده ، وأن الأدب يلاحقه أينما ذهب ، فلا يتركه حتى يعيده إلى جواره .

وبعد أن تحدث عن المرحلة التي لحق فيها المازني بمدرسة المعلمين العليا وتخرج فيها ، قال : لقيت المازني في هذه الفترة ، ولقيت الأستاذ عبد الرحمن شكري بعد ذلك ، فمن عجيب التوفيق أن يكون شكري في الأسكندرية ، وأن يكون المازني في القاهرة ، وأن أكون أنا في أسوان ، ثم نلتقي على قدر وعلى اتفاق فيما قرأناه وفيما نحب أن نقرأه ، مع اختلاف في حواشي الموضوعات من غير اختلاف على جوهرها ، وكان المازني أكثرنا ولعاً بالقصة والمقالة الوصفية ، وكنا نلتقي في ناحية واحدة من نواحي القصة على الخصوص ، وهي القصة الروسية ، وأحسب أن القصة الروسية من أقوى المؤثرات في نزعته التي جنح إليها بقوته كلها بعد ذلك فيما نسميه بفلسفة الحياة .

وتحدث العقاد عن نزعة الاستخفاف عند المازني فقال إنها ترجع إلى جملة أسباب بعضها ما كمن في طبعه وأن بعضها من عراك الحوادث ووحي المطالعة والتفكير . درج صديقنا رحمه الله على حب الدعابة منذ طفولته ، يسرى عن النفس ، ولا يضير أحداً ممن يمسه بتلك الدعابة ... كنا يوماً نركب الترام لأول مرة إلى ظاهر المدينة ، فلما وقف في إحدى محطاته التفت المازني إلى رجل واقف يغرى منظره بالمماكسة — والحق يقال — فحياه وألح في تحيته والترام يتحرك ويبتعد ، والرجل واقف حائر حتى استخار الله وتغلب على شكه ورد التحية ، فما فعلها حتى أومأ إليه صديقنا بلسانه إيماءة ساخرة ولكنها غير جارحة ، وجعل يقول : والله إنه لرجل ظريف ، والله إنه (جنتلمان) .

أما جانب التجربة في نزعة المازني إلى الاستخفاف ، فمنه النفساني الذي خامره من إرساله الشعر خاصة بغير صدى يتلقاه ممن يعنيهم بشعره ، ومنه آلام الصدمات والشدائد التي كان يخفف ثقلها بما استكن في طبيعته من نوازع الاستخفاف .

أما الجانب الذي أوحت به المطالعة فأحسبه راجعاً على الأرجح إلى كتابين من القصص الروسي أحدهما قصة « سانين » لمؤلفها « أرتزيباشف » والآخرقصة الآباء والأبناء لتورجنيف ، وكلتاهما تخلق الاستخفاف على الأقل حين قراءتها لمن لاعهد له بالاستخفاف .

ويجب أن نصف هنا هذا الاستخفاف بأصدق صفاته ، لأن المستخف قد يبدى قلة الاكتراث لسببين نقيضين : قد يبديها لقلة إحساسه ، وقد يبديها لفرط إحساسه . وقد كان فرط الإحساس هو الينبوع الذي يصدر عنه استخفاف المازني .

ثم قال الأستاذ العقاد : ولقد كانت ملكات المازني أول ما تناوله باستخفافه ، وكان الشعر أول ما تناوله من تلك الملكات ، ولكن استخفافه بشعره من قبيل استخفافه بكل شيء : فرط إحساس لا قلة إحساس . وإنه لمن الحظ السيء للشرق العربي أنه لم يأخذ من المازني كل ما كان قادراً على أن يعطيه من صفوة ملكاته ، وليست كلها مقصورة على الشعر ونقده ، فقد امتاز بملكة أخرى هي ملكة الترجمة المطبوعة ، أو ما يصح أن نسميه بعبقرية الترجمة ، فقد كان يترجم الكلام في سليقته شعوراً قبل أن يترجمه لفظاً ومعنى . وختم الأستاذ العقاد كلمته الحافلة بتوجيه الخطاب إلى الفقيد الراحل قائلا : ما أنت ممن يحسن إليه الناس بذكره ، وإنما يحسنون إلى أنفسهم كلما ذكروك .

بين الفتى وأستاذه الشيخ :

قال الفتى لأستاذه الشيخ : سمعت أخيراً من الإذاعة المصرية حديثاً لأستاذ من أساتذة الجامعة عن شاعر عباسى فى سلسلة أعلام الأدب العربى ، ولأن الشاعر معروف ومدروس فى المناهج المدرسية وغيرها توقعت أن حديث الأستاذ عنه لابد أن يتضمن جديداً فى شأنه ، ولكنى وجدت الأمر على خلاف ما توقعت ، فإن الأستاذ تحدث عن الشاعر حديثاً مكرراً مقتضبا وشغل أكثر الوقت بأمثلة من شعره .

قال الأستاذ الشيخ : إننى يا بنى قد بلوت هذه الأحاديث فلم أر فيها غناء ، والإذاعة تختار أولئك الأساتذة لمناصبهم ، وهم يستندون إلى هذه المناصب فلا يشعرون بالحاجة إلى كد أذهانهم المترفة ، لإحداث طريف أو إضافة جديد ، وقد لا يأنون بشىء إن كدوا .

قال الفتى : وماذا ترى لعلاج هذا الأمر ؟

قال الأستاذ الشيخ : العلاج يا بنى يسير جدا ، وهو أن يختار الأشخاص لا المناصب ، ويجب قبل ذلك أن يُختار من يَختار .

كل بيت له راجل :

هذا هو اسم الفلم الذى عرض لأول مرة فى هذا الأسبوع بسينما أوبرا . وتعالج قصة الفلم مشكلة عاطفية عرضت هكذا :

أمينة هانم لا تزال فى شبابها تعيش فى قصر زوجها المتوفى ومعها ابنتها « فاتن » وهى فتاة فى السابعة عشرة من عمرها ، وتبدو الأم فى المنظر الأول حزينة على زوجها الراحل ، فلا تكاد تسمع لحناً معيناً تعزفه ابنتها على البيان حتى تتأثر وتنهاها عنه ، لأنه اللحن الذى كان يعجب به زوجها حين تعزفه ابنته . ولكن رجلا يدخل المنزل فيغير مجرى الحياة فيه وتتحول إليه مشاعر الأم والبنت ، وهو محمود بك راجى الذى ندبته دار الآثار ليفحص مكتبة الزوج المتوفى كى تشتريها الدار أو تشترى بعض محتوياتها . ولم نعرف بناء على أى شىء حضر المندوب لهذه المهمة ويبدو من حديث الأم مع ابنتها عند حضوره أنهما لم تطلبا ذلك من دار الآثار . ولا أدرى لماذا لم يكن محمود بك موفدا من دار الكتب بدلا من دار الآثار !

يتبين محمود بك راجى فى أثناء فحص المكتبة بحضور أمينة هانم وبمساعدتها ، أنها سيدة مثقفة ، كما يتأثر بجمالها وشخصيتها ، فيثنى عليها ويبدى

كشكول الأسبوع

□ يستأنف مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، دورته القادمة فى أوائل أكتوبر المقبل ، ولم يعين بعد موعد الجلسة الأولى ؛ ومن الموضوعات التى يبدأ مجلس المجمع بالنظر فيها ، الإعداد لاستقبال العضوين الجديدين الأستاذين أحمد حسن الزيات وابراهيم مصطفى ، وكذلك النظر فى الترشيح للكراسى التى خلت فى المجمع بوفاة الدكتور شرف بك والأستاذ المازنى والدكتور فيشر .

□ أذاعت وكالة الأنباء العربية من لندن ، أن المجلس البريطانى وجامعة لندن واللجنة الثقافية المصرية هناك ، تستعد لاستقبال الدكتور طه حسين بك عند وصوله إلى لندن . والمفهوم أنه سيلقى سلسلة من المحاضرات فى مدرسة اللغات الشرقية

□ أورد الأستاذ الصاوى فى « ما قل ودل » بالأهرام ، البيتين الآتيين ، وهما لاسماعيل صبرى :

يا رب أين ترى تقام جهنم ... للظالمين غداً وللأشرار
لم يبق عفوك فى السموات العلى ... والأرض شبراً خالياً للنار

وعلق عليهما تعليقاً روحياً لطيفاً ، غير أنه ذهب مذهباً معارضاً للمعنى ، إذ تساءل : هل للشاعر أن يطلب الرحمة لكل إنسان ؟ وما الفرق إذن بين البررة والطغاة ؟ وأقول إنما يقصد الشاعر إلى تصوير عفو الله ورحمته التى وسعت كل شىء . أما ضغط الأستاذ الصاوى على هذا الخاطر فهو من قبيل القسوة على الزهرة بدعكها وتمزيق أوراقها .

□ طلب مدير دار الأوبرا الملكية من وزارة المعارف زيادة الإعانة المقررة للموسم الفنى الأجنبى ألفى جنيه لكى يتسنى الاتفاق مع مغن إيطالى ليغنى بالأوبرا . والمأمول ألا يوافق معالى مرسي بدر بك على ذلك .

□ طلبت هيئة اليونسكو بباريس إلى وزارة المعارف موافاتها بأسماء الكتب التى ترجمت فى مصر من جميع اللغات الحية إلى اللغة العربية وأسماء المؤلفين والمترجين لنشرها ضمن الكتاب الذى تعده اليونسكو عن الحركة الثقافية فى الدول الأعضاء بها .

□ ثبت أن الرقص التوقيعى ضرورى لطلبة معهدى التمثيل والموسيقى وطالباتهما ، ولذلك رؤى ألا يطبق عليهم قرار معالى وزير المعارف الخاص بمنع الرقص التوقيعى فى المدارس .

□ قدم بعض خريجى معهد التمثيل الملحقين بالفرقة المصرية ، استقالاتهم من هذه الفرقة لأنها لا تسند إليهم إلا الأدوار التافهة ، ويعتزم باقى زملائهم أن يستقيلوا أيضاً على أن يؤلفوا فرقة خاصة بهم .

□ أرسل الناقد الأدبى الإيطالى بنيديتو كروتشى إلى مؤتمر نادى القلم الدولى المنعقد فى البندقية ، رسالة قال فيها : إن مصدر الشعر العبقرية والإلهام ، وليس عملية جمع ترص فيها الكلمات جنباً إلى جنب كما تفعل المدارس الحديثة .

□ انتهت جلسات المؤتمر الثقافى المصرى الذى عقد بلندن ، بعد أن اتخذ عدة قرارات تتناول كثيراً من الإصلاحات الجوهرية فى مختلف نواحى الحياة المصرية ، ومنها أنه ينبغى أن يقوم التعليم على أساس أكثر ديمقراطية مما هو الآن بحيث يكون التعليم الأساسى المجانى حقاً لكل فرد

لها إعجابه ويدعوها إلى حضور محاضرة له بمكتبة الأميرة فريال ، فتلبي ، وتعود إلى ابنتها فاتن التي تسألها عنه باهتمام ، ويتحدثان عنه حديثاً يدل على إعجابهما به بل على حب كل منهما له ، فقد شاهدته فاتن خلال حضوره إلى المنزل وعلقت نظراتها به . وتتطور علاقة محمود بك بأمينة هانم حتى يتكاشفا بحبهما ، وتمده بزواجه بعد زواج فاتن . وتسافر فاتن مع صاحبتها ميمى ووجيه بك أخى ميمى الذي عاد من أمريكا بعد أن درس فن الزراعة وإصلاح الأراضى البور — تسافر معهما إلى القرية التى بها أملاك أبيهما ، وفى أثناء ذلك يتودد وجيه بك إلى فاتن ولكنها تقابل تودده بتحفظ يدل على عدم حبها إياه . وتعود فاتن فتشاهد مظاهر الحب بين أمها وبين محمود بك ، فتحزن لذلك . وتتوالى حوادث تتخللها محاولات من جانب فاتن للظفر بحب محمود بك ولكنه يتخلص منها مع التلطف ، ويقبل على أمها كل الإقبال ، حتى يحدث أن تراه البنت يقبل أمها ، فتتأثر من هذا المشهد غاية التأثر ، وتلزم فراشها ؛ وعند حضور أمها إليها تبدى لها استنكارها وتثور عليها ثم يقول لها صوت الضمير الذى ينطق مسموعا : ما هذا يا فاتن ؟ إن أمك لا تزال فى شبابها ونضارتها ومن حقها أن تتمتع بالحياة ، ومحمود بك رجل فى سن والدك وهو يلائم أمك ، فكيف تحبينه أنت وتحرمينه على أمك ؟ وأنت يلائمك شاب صغير ينتظر إشارة منك ... فتعود إلى عقلها وتستصفح أمها . ثم نرى المشهد الأخير وقد تزوج محمود بك بك بأمينة هانم وفاتن تقول له : لقد أخطأت فى تكييف شعورى نحوك فأنا أحبك حقاً ولكنى أحبك كأبى ويظهر الجميع فى منظر يقدم فيه وجيه بك إلى فاتن على أنه عريسها وفجأة ينشأ الحب بينهما ويلتقيان فى ضمة وقبلة .

القصة سليمة فى أولها وتسلسل حوادثها ، وقد عرضت عرضاً طبيعياً جميلا ، وحددت سمات أبطالها وأشخاصها تحديداً دقيقا ، وصورت المشكلة فيها تصويراً واضحاً . ولكن ما كادت الوقائع تتقدم نحو الحل حتى ظهرت اللهوجة فهدمت البناء ، وقصم الحل ظهر القصة .

كيف يمكن القضاء على عاطفة أو تحويلها ، وإنشاء عاطفة أخرى مكانها ، فى لحظة واحدة دون تمهيد طويل أو قصير ؟ هل يكفى صوت ينطق بتلك الجمل لكى تغمض الفتاة عينيها وتفتحها فترى الحبيب أباً والفتى الجامد محبوبا ؟ لقد كان يمكن أن يكون وجيه بك شابا جذابا مغريا بالحب على أن يؤخر اتصاله بفاتن فى الوقت الذى يمهد فيه لتحولها عن حب محمود بك . ولكن الفلم يعرض هذا الشاب فى صورة جامدة كئيبة ثم يفرضه فى النهاية محبوبا لفتاة رائعة تحب أو كانت تحب غيره !

وكان لوحيد بك مشروع لإصلاح الأراضى البور فى القرية ، لم يأخذ حقه فى الإبراز ، فقد قالوا لنا فى الآخر إنه نفذ ونجح ولم نر علامة لذلك غير بضعة أشجار يغنى بينهما عبد العزيز محمود . والحق أنه أجاد فى غنائه وموسيقاه . وفى الفلم ظاهرة تتكرر فى معظم الأفلام المصرية وهى إظهار الفلاحين أذلاء خاضعين لسلطان السيد صاحب الضيعة ، وهى ظاهرة موجودة فى بعض الجهات ولكن تكررها فى الأفلام يدل على أن ذلك هو طابع الحياة فى القرى المصرية ، وليس الأمر كذلك إلا فى القليل .

وقد أخرج الفلم محمد كامل مرسى ووضع قصته مجدى فريد ، وهو فلم نظيف ، ومناظره متسقة ، وحواره جيد ، والقصة لا بأس بها بصرف النظر عن تلك المآخذ ، والتمثيل ممتاز ، فقد أجادت أمينة رزق (أمينة هانم) فى دور المرأة المحترمة المحبة ، وكذلك فاتن حمامة (الآنسة فاتن) وخاصة فى أثناء مصاحبتها لوجيه بك فقد مثلت دور الفتاة (الاسبور) المترفعة المتحفظة أحسن تمثيل ، وكانت ظريفة عند ما كانت تناقش نفسها فى خلوتها : أيهما ، هى أو أمها ، أحق بحب محمود بك . ومثل محمود المليجى دور (محمود بك رامى) وهو شخصية محبوبة فى الرواية ، وكان الشاهدون يتوقعون أن يكون شريراً لكثرة ما شاهدوا المليجى فى تمثيل الأشرار . ولكنه استطاع رغم ذلك — أن يقنع الجمهور بأنه رجل طيب ...

أما الوجه الجديد وجيه عزت الذى قام بدور (وجيه بك) فوضعه فى الفلم اقتضاه أن يظهر فى جد (زيادة على اللزوم) وهو يجيد فى مثل هذا الدور ، على ألا ينتهى بحب فتاة مثل فاتن حمامه .

عباس خضر

رسالة النقد

ديوان الوزير
محمد بن عبد الملك الزيات

نشره وحققه الدكتور جميل سعيد

بقلم الأستاذ بدوى أحمد طبانه

يخيل لكثير من الناس أن إخراج كتاب أو نشره عمل يسير ، يستطيع أن ينهض به كل من يستطيع أن ينسخ ، ثم يستطيع بعد ذلك أن يقدم ما نسخه إلى المطبعة . هكذا يخيل لأكثر الناس ، وكذلك كان يخيل إلىّ أيضاً قبل أن أبتلى بهذا اللون من الجهد العلمى ، حتى إذا كان ذلك تبين لى أن جهداً يبذل فى نشر كتاب وتحقيقه دونه بكثير كل جهد يبذل فى التأليف وإن كان عظيما ؛ لأن المؤلف صاحب الموضوع الذى يؤلفه ، اختمرت فى رأسه فكرته ، وأعد له ما يعينه من المراجع . أما الناشر فما أكثر ما يصادف من عقبات لا يستطيع اجتيازها إلا الكفء الجلد ، وناهيك بعقبات التمزيق والعث وما يقع فيه النساخ من أخطاء التصحيف والتحريف .

وفى المكتبة العربية نفائس لا يحصيها إلا الله ، ولكنها مطمورة فى زوايا النسيان ، لا تصل إليها الأيدى ، ولا ينتفع الناس بما تحوي من علم وفن ، حتى يتاح لهذه النفائس من ذوى الغيرة من يأخذ بيدها فينفض عنها غبار السنين ، ويعم الانتفاع بها .

ونحن فى نهضتنا الحاضرة محتاجون أشد الحاجة إلى بعث هذه الكنوز من مدافنها ؛ فإن فى هذا البعث خدمة قومية إلى ما يؤديه من خدمات علمية أو فنية ، فإحياؤها فرض ليس لقادر عليه أن يكف عنه .

ولهذا لا يسعنا إلا أن نرحب بديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، وإلا أن نشيد بفضل ناشره العالم الأديب الدكتور جميل سعيد أحد أساتذة الأدب فى دار المعلمين العالية فى بغداد ، الذى أضاف إلى الأدب ثروة فنية تعين الباحثين ومؤرخى الأدب بنشره هذا الديوان ، فعامة العلماء والأدباء يعرفون ابن الزيات كاتباً أكثر مما يعرفونه شاعراً ، وهم يعرفون كيف سما الأدب بابن الزيات حتى كان الوزير والمصرّف للأمور فى عصر من أزهى عصور الدولة العباسية ، ولم يكن له من الحسب أو الجاه ما يرشحه لهذا المنصب الخطير ، وهو زيات ابن زيات ، سوى الموهبة الأدبية .

وقد قدّم الدكتور جميل الديوان بترجمة موجزة لحياة الرجل ووصفت النسخة التى نقل عنها ، ثم ذكر فى مقدمته عدة آراء فى ابن الزيات وشاعريته استخلصها من شعره ، وأكثر هذه الآراء وفق فيه توفيقاً عظيما يشهد له بالأصالة والبراعة والحاسة الفنية المرهفة

وكان سر هذا التوفيق أن صاحبه كان صادقاً ، وكان ميزاناً عدلاً لنفسه ، ولصاحب الديوان الذى نشره ، فلم يفرط فى تقريظه والتنويه به ؛ شأن كثير من الذين يعتدون بالموضوع الذى يدرسونه أو الشخصية التى يعالجون تحليلها ...

ومن أمثلة الإنصاف قوله عن الشعر الذى عثر عليه فى ديوان ابن الزيات : إنه (لا يمثل حياة ابن الزيات كاملة . وربما كان له شعر لم يجمعه جامعه[1]) .

ثم تراه يقول : (إن أشعاره التى فى ديوانه هذا لا نراها تضعه فى مصاف الشعراء المطبوعين ، وقد لج الهجاء بينه وبين على ابن جبلة ، والقارئ حين يقرؤه يجد الفرق واضحاً بين ابن الزيات وبين الشاعر المطبوع على بن جبلة[2]) .

ومثل هذه الآراء سديد موفق ، ومبعث السداد والتوفيق — كما قدمنا — أن صاحبها كان صادقاً فى قوله صدقه فى إحساسه الفنى .

ولكننا على الرغم من إعجابنا بهذه الآراء وتقديرنا للجهود الفنية التى بذلت فى نشر الديوان ، لا نتفق مع الأستاذ الناشر فى فهم معنى ما أورده ابن رشيق فى العمدة نقلا عن الجاحظ فى

---

(١) المقدمة « ب »

(٢) « « و »

قوله : « طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينتقي إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات[(١)] » .

فقد فهم الدكتور جيل من هذه العبارة أن الجاحظ يفضل هذين وأضرابهما على سائر الشعراء تفضيلا مطلقاً ، وقد بنى على هذا الفهم مناقشة هذا الرأي في قوله : (وبعد ، أفكان ابن الزيات من المكانة الشعرية بالمحل الذي ذكره به الجاحظ والصاحب وابن رشيق[(٢)] .

إننا لا نستطيع أن نفهم هذا الفهم الذي تبادر إلى ذهن الدكتور جيل من هذه العبارة ، فإن سياق الكلام يدل على أن البحث في فهم الشعر ، وتذوقه ، ونقده ، ومعرفة ما يسمو به وما يتضع .

يريد الجاحظ أن يقول : إنه لا يفهم الأدب — ومنه الشعر — إلا الأدباء ، وأما هؤلاء الأعلام الذين رددوا أسماءهم فهم علماء كل في ناحيته التي يجيدها : فالأصمعي يحذق معرفة الغريب من ألفاظه اللغوية ، والأخفش رجل نحوى لا يعرف إلا الإعراب ، وأبو عبيدة قد تخصص في معرفة السير وأيام العرب وأنسابهم . أما المتذوقون للشعر القادرون على نقده من الناحية الفنية فهم طائفة الأدباء الكتاب .

ودليل آخر يؤيد ما نذهب إليه في فهم هذه العبارة هو قول الجاحظ في أولها : (طلبت علم الشعر ..) والجاحظ عالم أديب يعني ما يقول ، ويستطيع أن يفرق بين الشاعر وبين العالم بالشعر ولو أراد الجاحظ الموازنة بين الشعراء لم يفته ، وهو الخبير ، أن يذكر أسماء فحول الشعراء لا أساطين العلماء .

ودليل ثالث : هو أن الباب الذي عقده ابن رشيق قد جعل له عنواناً (باب في التصرف ونقد الشعر[(٣)]) ونحن مضطرون لأن نورد من هذا الباب ما يؤيد قولنا .

حكى الصاحب بن عباد في صدر رسالة صنعها على أبي الطيب ، قال : حدثني محمد بن يوسف الحمادي ، قال : حضرت بمجلس عبد الله بن طاهر وقد حضره البحتري فقال : يا أبا عبادة أمسلم أشعر أم أبو نواس ، فقال : بل أبو نواس لأنه يتصرف في كل طريق ويبرع في كل مذهب إن شاء جدّ وإن شاء هزل ، ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعداه ، ويتحقق بمذهب لا يتخطاه . فقال له عبيد الله : إن أحمد بن يحيى ثعلباً لا يوافقك على هذا ، فقال : أيها الأمير ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ، فإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه ، فقال : وريت بك زنادى يا أبا عبادة ! إن حكمك في عميك أبي نواس ومسلم ، وافق حكم أبي نواس في عميه : جرير والفرزدق ؛ فإنه سئل عنهما ، ففضل جريراً ، فقيل : إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، فقال ليس هذا من علم أبي عبيدة فإنما يعرفه من دفع إلى مضايق الشعر !

والخلاصة أن الجاحظ والصاحب وابن رشيق لم يفضلوا ابن الزيات وابن وهب وغيرهما من الكتاب على الشعراء في إحكام صنعة الشعر ، وإنما فضلوهم على العلماء في نقد الشعر .

وإن أردت المزيد فاقرأ قول ابن رشيق في باب آخر أسماه : (باب في أشعار الكتاب) قال : « وليس يلزم الكاتب أن يجارى الشاعر في إحكام صنعة الشعر لرغبة الكتاب في حلاوة الألفاظ وطيرانها ، وقلة الكلفة ، والإتيان بما يخف على النفس منها . وأيضاً فإن أكثر أشعارهم إنما يأتي تظرفاً لا عن رغبة ولا رهبة فهم مطلقون مخلون في شهواتهم ، مسامحون في مذهبهم إذ كانوا يصفون الشعر تخيراً واستظرافاً[(١)] » .

ولنا بعد هذه الملاحظة ملاحظة أخرى تلك هي مسألة القوافي وترتيبها في الديوان ، فقد سلك في بعضها مسلكا غير المتفق عليه عند العروضيين وعلماء القافية ، ووضع بعضها في غير موضعه ، وقد يعتذر عنه بأنه نقل ألقاب القوافي وترتيبها كما وردت في الأصل الذي اعتمد عليه ، ونقل عنه .

وهذا الخطأ في أول الديوان وفي أواخره . من ذلك أنه جعل الشعر الذي أوله :

من يكن رام حاجة بعدت عنـ ... ـه وأعيت عليه كل العياء

(١) المقدمة « ا » والعمدة : ج ٢ ص ٨٤ مطبعة السعادة ١٩٠٧

(٢) المقدمة « و »

(٣) العمدة : ج ٢ ص ٨٣

(١) العمدة ج ٢ ص ٨٨

والذى أوله :

جمع الله للخليفة ما كا ن حواه لسائر الخلفاء

من قافية الألف ، وهى ليست كذلك ، وإنما القافية المهمزة والقصائد تنسب إلى الحرف الذى بنيت عليه ، وهو الروى ، فيقال قصيدة دالية أو رائية أو ميمية وهكذا إذا كان الحرف الذى بنيت عليه دالا أو راء ميما ، أما الألف هنا فهي ردف والردف هو حرف مد قبل الرويّ .

ومن هذا أن فى الديوان خلطاً عجيباً فيما سماه قافية الهاء فقد جمل منها كل شعر آخره هاء ، وإن لم تكن الهاء روياً ، ففى :

ما أعجب الحب فى مذاهبه ما ينقضى القول فى عجائبه

القافية الباء لا الهاء ، وقوله :

وعائب عابنى بشيب لم يفد لما ألمّ وقته

قافيتها التاء لا الهاء وفى :

ظالم ما علمته معتد لا عدمته

كتتلك ، وفى :

يا يمن يومى وغده ويمن ما بعد غده

القافية الدال لا الهاء . والقصيدة التى أولها :

يا ذا الذى لا أهجره وعلى القلى لا أغدره

قافيتها الراء لا الهاء ، والتى أولها :

أبكى الفتى بعد الخليط مربعه وكاد وجد القلب منه يصرعه

قافيتها العين ، ومثلها :

قولا لأنف وقزعه أخطا كما وزن سبعه

والقصيدة التى كتبها إلى الحسين بن المرزبان النحاس :

فديتك إن انبساطى إليـ ـك على بأخلاقك الطاهرة

والتى أولها :

ألا من عذير النفس ممن يلومها على حبها جهلا ألا مَن عذيرها

كلتاهما هائية القافية . ومن قافية الفاء قوله :

من العين طرفه ومن الظبى ظرفه

وقوله :

قل لعيسى أنف أنفه أنفه ضعف لأنفه

وقوله :

إن الخلافة أصبحت سراؤها مجلوبة وشرورها مصروفه

ومن قافية اللام :

أخنى علىّ الدهر كلكله وعدا (على) عيشى فبدله

ومن قافية النون :

نزلت بالخائنين سنه سنة للناس محتمنة

وقوله :

ما للغوانى من رأين برأسه يققاً مللن وصاله وشنئنه

ومن قافية الميم :

سقيا لنضر الوجه بسّامه مهذب الوالد قمقامه

ومن قافية الياء :

وللنفوس وإن كانت على وجل من المنية آمال تقويها

وقوله :

ما باله وابنه لم يزوجا عربيه

وقوله :

الآن قام على بغداد ناعيها فليبكها لخراب الدهر باكيها

وقوله :

إنك منى بحيث يطرد النا ظر من تحت ماء دمعتيه

والهاء فى كل أولئك القصائد التى ذكرنا مطالعها إنما هى وصل سمى بذلك لوصله بالروى ، والوصل كما عرفه علماء القافية حرف لين ناشئ من إشباع حركة الروى أو هاء تليه .

وأعتقد أن مثل هذا الأمر لا يخفى على فطنة الأستاذ الصديق الأديب ، وأعتقد أيضاً أن العجلة وحدها هي التى فوتت عليه الإشارة إلى الأخطاء التى وقع فيها جامع الديوان فى الشروح والتعاليق التى ذيل بها على شعر ابن الزيات .

وبعد ، فهذه هنات هينات ، لا تغض بحال من قيمة العمل الأدبى الجليل الذى اضطلع به الأستاذ الأديب .

بروى أحمد طبانه



برلمان الأمم العربية :

يرى الأستاذ السيد على الشوربجى فى العدد الأخير من الرسالة أن فكرة برلمان الأمم العربية خيالية ومستحيلة . أما أنا فلم أخترع الفكرة بل اقتبست نظرية موجودة الآن بالفعل . وما من عملية إلا كانت فى الأصل نظرية .

ففكرة الحكم الجمهورى نشأت من قديم الزمان فى ذهن الإنسان وتصورها أفلاطون وجربها اليونانيون ففشلت ومازالت تجرب حتى تحققت ، وصار الآن معظم أمم العالم جمهوريات ، ولا ينقضى قرن حتى يعم الحكم الجمهورى العالم كله بلا استثناء، وأخيراً يصبح كله جمهورية واحدة لأمم متحدة .

الولايات (المتحدة) الأمريكية لم تكن متحدة تحت الحكم البريطانى ولكن لما تحررت من هذا الحكم اتحدت فى ١٣ ولاية والآن صارت ٥١ ولاية . وقس عليها سويسرا وكندا .

وما قول الأستاذ فى برلمان إحدى عشر دولة أوربية انعقد فى الشهر الماضى؟ — فهل يرى الآن أن ما استحال فى نظره صار ممكناً — وهل يتعذر عليه تصوره كما يتعذر عليه تصور برلمان دولى عربى ؟

أنا لم أقترح اتحاداً تاماً كاتحاد الولايات الأمريكية ، وإنما اقترحت اتحاداً عسكرياً حربياً فقط لا نجاة بدونه للدول العربية من غارات إسرائيل التى يهددنا بها إسرائيل من اليوم . وكل آت قريب . وإذا كنت قد اقترحت أن يتولى هذا البرلمان سياسة الدول العربية الخارجية فلأنى أخاف من تدخل الدول الأجنبية الذى كان ولا يزال سبب هزيمتنا الفاضحة فى حرب فلسطين

فإذا كانت سياساتنا الخارجية يتعذر عليها الخضوع لهذا البرلمان فى بادئ الأمر فلا بأس فى أن تبقى كل دولة مستقلة فيها تحت شرط أن لا تسمح للدول الأجنبية أن تمد أحابيلها إلى هذا البرلمان وتفرقكه .

ثم إن الأستاذ لا يمكنه أن يتصور الدول العربية تنزل من سلطتها الدفاعية لبرلمان الجامعة . وأنا أقول له إن الدول العربية لا تقوم لها قائمة لدى الخطر الصهيونى المقبل إلا إذا تنازلت عن سلطتها الدفاعية لبرلمان يمثلها جميعاً، كما أن الولايات الأمريكية تنازلت عن سلطتها الدفاعية لوزارة الدفاع فى وشنطون . لا تستطيع أن تتصور هذا التنازل لأنك مأخوذ بحكم الحاضر. ولكن حكم المستقبل يسهل لك هذا التصور. وإذا أمكنك أن تتصور الخطر الهائل الذى يهددنا به وزير إسرائيل بن غريون أمكنك أن تتصور ضرورة اتحاد الدول العربية فى برلمان حربى دفاعى وإلا فاليهود ينفذون ما يقولون . ولا يردهم عن التنفيذ إلا قيام هذا البرلمان . وهم يقولون بصراحة إن ما يفعله العرب فى عام نحن نفعله فى يوم . فإذا لم نفعل نحن فى يوم ما يفعله اليهود فى عام تغدونا قبل أن نتعشاهم . فأرجو منك أن توسع دائرة تصورك حتى تشمل هذه الحقائق ولا تكن مثبطاً للعزائم .

ثم إن الأستاذ لا يمكنه أن يتخيل الدول العربية تستطيع أن تدفع من ميزانياتها ذلك المبلغ الضخم الذى لا يقل عن مائتى مليون جنيه (والمقترح هو مائة مليون أولا تزاد سنة بعد سنة حسب اللزوم) . ولكن إذا لم تدفع الدول العربية هذا المبلغ فستدفعه رغم أنوفها وتدفع أضعافه يوم يستوى الأمر فى دولة إسرائيل وتصبح سيدة العرب والمالكة رقابهم وبترولهم ووو الخ

وإذا كانت مصر قد أنفقت فى نصف سنة فى حرب فلسطين أكثر من ستين أو سبعين مليون جنيه أفلا تستطيع الدول العربية كلها أن تجمع مائة مليون للدفاع عن استقلالها واتقاء عبوديتها لإسرائيل ؟

تركيا تعد ١٤ مليوناً من النفوس وميزانية دفاعها تستغرق نصف ميزانيتها لأنها مجندة مليون جندى ولأنها رأت أنها إذا لم تفعل هكذا وقعت بين براثن روسيا وهى على مرمى حجر منها .

يا صاحبى لما وقعت الحرب الكبرى الأخيرة عبأت إنجلترا كل رجل وامرأة للعمل للحرب ورصدت كل إيراد الشعب الإنجليزى للنفقة . ولولا هذا لوقعت تحت سنابك خيل الألمان . فهذا المبلغ المائة مليون أو المائتان الذى اقترحته ليس ضخماً يا عزيزى بل هو قطرة من بحر النفقات الحربية . فكانت إنجلترا تنفق فى الحرب كل يوم ١٤ مليوناً من الجنيهات وأمريكا تنفق أكثر من ستين مليوناً منها .

إنهـا لمبالغ ضخمة حقاً كانت تذهب إلى دولة الشيطان . فلا تتعجب ياعزيزى . ولعلك لم تر بعد عِبر هذا الدهر فلا تستطيع أن تتصور الآنى منها . وماذا تفعل والجنس البشرى قد بطر بل جُن ، فهو من باذخ مدنيته يقذف بنفسه إلى وادى الهـلاك — المدنية تنتحر —

إن ما تراه يا سيدى مستحيلاً يجب أن يكون واقعاً . وإذا بقينا نتخيل الواجبات إلى أمامنا مستحيلات واليهود يتصورونها ممكنات فلا ريب أننا فاقدون استقلالنا وديننا وأخيراً حياتنا .

وأخيراً أقول لك إذا لم تعمل الأمم العربية كلها لهذه الغاية وتنشئ هذا البرلمان وتسلمه كل السلطة الحربية وتزيل من أمامه كل الصعوبات الداخلية والأجنبية فلا حياة لها . فلتؤبن نفسها منذ اليوم وتبكى حظها .

لو ذكرت لى من أسباب استحالة هذا المشروع الخيانات العربية التى شهدناها فى هذه الأيام وما نكبت به الجامعة العربية من خيانات وأشباه خيانات لصدقتك وقلت هذا المشروع مستحيل . نعم بهذه الخيانات يستحيل هذا المشروع . ولكن هل فقد الوجدان العربى قوة التقدير لإمكانيات المستقبل ؟ هذا ما يحيرنى ... والسلام عليك .

٢ ش البورصة الجديدة القاهرة **نقولا الحداد**

ابنة الله وعين الله :

فى البريد الأدبى للعدد ٨٤٣ من « الرسالة » كلمة من الأستاذ دسوق ابراهيم حنفى يسألنى فيها جلاء ما غمض عليه فى العبارتين الواردتين فى مقال لى فى مناجاة الشمس وهما . « يا ابنة الله » و « يا عين الله » .

إن للنجوى لغتها التى تختلف عن لغة الناس ، وشررها الذى يتطاير من الوجد ، وضبابها الذى هو سر قوتها وجمالها ، وليس من السهل أن نهبط بها من سمائها إلى حيث نخضعها للمقاييس والموازين التى نعرفها ونضعها على مائدة التشريح نقطع ونحلل ما شاء التقطيع والتحليل ، فنفقدها الكثير من قوتها ومعناها . إن لها رعشة لها صورها التى قد لا تجد لها إطاراً توحى بها أطياف وأطياف لا نعرف من أمرها إلا أنها مرت بنا وأملت ما شاء لها خيالها أن تملى ...

كنت مأخوذاً بالشمس وسلطانها يوم ناجيتها ، وأصبت بدوار الإعجاب ، وتهافتت علىّ الصور أشكالا وألواناً ، وبينها الصورتان اللتان حملهما إلىّ السائل مستوضحاً ... فماذا أقول له ؟ وكيف أوضح هذا الذى يراه غامضاً ؟ ... كل ما لدىّ الآن للايضاح أن الكائنات — والشمس منها — تنبثق عن الخالق فهى مواليده . ولقد تخيل الله الخليقة قبل خلقها فكانت الشمس واحدة من بنات خياله . أما أن الشمس (عين الله) ، فإن لله عيوناً والشموس منها ترعى الوجود . وهل الرعاية إلا الرفق والرحمة يتجليان فى النور والشعاع . . إن الله هو النور لا يرى غير النور ، فكيف لا تكون الشمس عين الله ؟ !

راجى الراعى

اللغة فى الإذاعة :

إن المذياع مفصاح فضاح يرسل على الأثير الصوت مبيناً نغماته ونبراته فكان لا بد من الاتئاد قبل أن يئود اللسان الثقل وتراوده الخطأة ، فينزلق إلى الجهالة ! ونحن لا نتجنى على أحد حينما نشير إلى عدم العناية بضبط الألفاظ ، فى إفرادها ، وإغفال قواعد الإعراب ، وبخاصة إذا تنكب الجادة فيها « الخاصة » ! وما دامت مصر اللسان الناطق بالعربية الخالصة وجب أن تضرب المثل الأعلى فى المحافظة على حفاظها !

وإنا ليعجبنا صنيع مذيعى الإذاعات العربية فى الأقطار الشقيقة لشدة تمسكهم باللفظ الموغل فى عربيته ، من دون ارتضاخه بعجمة مدخولة ؛ فقد سمعنا مذيعاً يقول : لقد تقدم الجيش فى منطقه كذا بكسر الميم ، بينما يصر المصرى على فتح الميم وكسر الطاء بقدرة قادرة ! ...

ولا يغيب عنا قول أحدهم : نذيع (آذان) الظهر وخطبة الخطبة ؛ فيبدل الأسماع مكان الإسماع ! ويحيل الإعلام إلى المسامع !

أما لغة المحاضرات ؛ فبينها وبين الإبانة السليمة عداء مستحكم ، ما عدا الطبقة الممتازة من أدباء وعلماء العربية ؛ فما مرد هذه الظاهرة الأليمة ؟ لا نعتقد أن المحاضرين على غير علم بالضوابط اللفظية والإعرابية ، فالمفروض فيهم الثقافة التى تخول لهم على أقل تقدير إجادة ما يقرأون ، لكنا نرد هذا التقصير إلى عدم العناية ، أو إغفال الذهن حين القراءة ، أو إغفال أن هناك متسمعين إلى خطايا الأخطاء !

ومن المؤسى تفصح المذيع أو المحاضر إذا أراد التعبير بلغة ذات عجمة ، فإنه يرق الحروف ، ويدققها ، ويخشى أن تفلت من لسانه فلتة تكون سبة ، اعتقاداً منه أن التزامه مخارج الحروف يشير إلى سمة ثقافته !

إن اللغة الإذاعية يجب أن تنأى عن المؤاخذة ، فالأداء الصحيح سبيل الإيضاح ، وليس هناك ما يضير المذيع أو المحاضر فى معاودة قراءة محاضرته أو إذاعته ، وكل من فى الإذاعة مثقف ثقافة عالية ترتفع به عن اللثاثة والركة والأغلوطة ! ...

وبعد ؛ فليس لنا مطمع فى الإذاعة حتى نذيع عنها التقصير ، وإنما نعمل على التنويه فى مقام التنبيه حتى تصل إلى مرتبة الكمال .

(بورسعيد) **أحمد عبد اللطيف بدر**

إلى الدكتور م شهاب (باريس) :

قرأت كتابك يا صديقى رغم مشاغلى المتعددة ، ولكنى أرجأت الكتابة عنه ريثما أعود من سفرى ليتيسر لى الاستيثاق من بعض المراجع التى يتعذر علىّ الحصول عليها هنا .

ولى بعض ملاحظات أرجو أن أرسلها فى خطاب خاص بعد أن توضح لى عنوانك بالكامل .

ولا يفوتنى أن أشكر لكم هذه الأريحية الكريمة التى أبديتموها نحوى ، وقد سرنى أن يكون لمقالاتى فى الرسالة خلال شهر مايو ويونيه من هذا العام عن (قضايا الشباب بين العلم والفلسفة) ، ذلك الأثر الحميد فى نفوس إخواننا الشرقيين . وما ذكرتَ من تغير عقيدة بعضهم وتبدل نظرتهم لتلك الفلسفة المنحرفة المتطرفة ... مما أثار صديقك الفرنسى وزملاءه لدرجة القيام بترجمتها و « العمل على نشرها فى فرنسا كتثال لما يمكن أن تستقبل به الفلسفات (الحديثة) فى الشرق العربى عموماً والإسلام على الخصوص ... » الخ

ولسنا نمانع فى ذلك يا صديقى — بل إنا نرحب به — ما دمت تعرض علينا تلك الترجمات قبل نشرها أولا بأول .

أما سبب ذلك التركيز الذى رأيتم فى مقالاتى تلك فهو ضيق المقام ثم الظروف التى كتبت فيها ذلك البحث ؛ فقد لبيت به دعوة من كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول وجهتها إلى جماعة الأبحاث النفسية بها « لإلقاء محاضرة عن الشك كاحدى المراحل النفسية » وعقب إلقاء المحاضرة فى يوم ٤ مايو الماضى — قام بعض أساتذة كلية الآداب من المتعصبين لسارتر وأثار جدالاً رأينا معه نشر البحث — من غير ما زيادة أو نقصان — لتعم فائدته من جهة وليكون المجال أرحب للأخذ والرد فيه من جهة أخرى ، ولم نر أحق بهذا وأجدر من حبيبتنا (الرسالة) منبر الشرق العالى فآثرناها بتلك المقالات التى انتظمت محاضرتنا المذكورة .

وأظنك معى الآن فى أن المجال لم يكن مجال شرح وتفصيل بقدرما كان مجال إيجاز واستيعاب ، فإن هذا الموضوع من السعة والخطورة بحيث تضيق به المجلدات فضلا عن محاضرة أو بضع مقالات . إلا أنى قد راعيت ذلك وتلافيته فى كتابى (الاتجاهات الدينية فى الفلسفة الحديثة) الذى هيئ الجزء الأول منه للطبع فى أقرب وقت مستطاع .

هذا وأرجو أن يعيننى الله سبحانه على تحقيق رغبتكم وسائر الأصدقاء بمواصلة الكتابة فى (الرسالة) عن هذا الموضوع عقب عودتى إلى مصر إن شاء الله وبقيت فى العمر بقية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فلنسيه — إسبانيا **ابراهيم البطراوى**

دراسة الأدب المعاصر :

هل هناك برنامج محدد الأهداف موفق الخطوات لدراسة الأدب المعاصر؟ سؤال خطير يستأهل النظر والاهتمام . وخطورته تنجم عن المشاكل التى ستثار فى الكليات التى تعنى بدراسة الأدب العربى . فإن تلك الكليات لم تعن بدراسته فى وقت من الأوقات ، وقد مضى زمن كان حرياً بأن نرى الأدب المعاصر قد أخذ حيزه فى مناهج تلك الكليات — ويرى كثير من الأساتذة أن هذه الدراسة لابد منها لأسباب : فأدباؤنا المعاصرون حريون بأن تدرس آثارهم الخالدة ؛ ذلك لأن عصرنا هذا يعتبر من أزهى عصور الأدب العربى ، وهم — بحق — دعامة النهضة الأدبية الحديثة . وأتقدم فى هذا المقام باقتراح وهو أن تنشأ شعبة خاصة لدراسة الأدب المعاصر فى كل كلية من الكليات الثلاث التى تعنى بدراسة الأدب العربى — اللغة العربية — دار العلوم — الآداب — وأرى فوق ذلك أن تكون الدراسة موحدة فى تلك الشعب . وجدير بعمداء تلك الكليات أن يدعوا الأساتذة الأعلام إلى إلقاء المحاضرات ليكون الطلبة على اتصال بالحركة الفكرية المعاصرة .

(دميرة) **على منصور عبد الرازق**

الكتب

يوم وليـــلة

تأليف الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

بقلم الأستاذ صبحى ابراهيم الصالح

ليس الطريف فى هذا الكتاب عنوانه المشوق ، وإنما الطريف فيه حقاً أسلوبه القصصى التاريخى الممتع الذى وصف به مؤلفه الفاضل الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل(*) خلافة ابن المعتز التى ضرب بها المثل فى القصر .

وأحسب أن لو كان مؤلف هذه القصة التاريخية كاتباً معروفاً أو أديباً مشهوراً لأسرع النقاد يمدحونه ويتملقونه لتقترن أسماؤهم باسمه ، أو يلتمسون عثراته ويخالفونه ليشتهروا بذمه ؛ ولكن كتاباً ككتاب (يوم وليلة) وقد وضعه أديب غير مشهور ، لا يحظى من تحليل النقاد بحظ وفير !

على أن دار العلم للملايين فى بيروت كانت أكثر تقديراً للكاتب الفاضل ، إذ تكفلت بكتابه فطبعته آنق طباعة وألطفها ، على أصقل ورق وأنعمه ، كما نشرت له منذ عام بحثاً طريفاً جامعاً حول (النكتة المصرية) كان له صدى فى الأوساط الأدبية اللبنانية . وأريد اليوم لأكون أحد المعترفين بفضل هذا الأستاذ فأظهر الناس على أدبه الرفيع ، وأطلعهم على علمه الغزير ، وإن كنت لم أجلس إليه فى ناد ، ولم أقابله فى زيارة : فإن قلم الكاتب لسان عقله وتفكيره ، ووحى قلبه وشعوره .

***

لا ريب عندى فى أن هذا الكتاب الذى يمكنك أن تقرأه فى جلسة واحدة وأنت مستمتع بجمال عرضه ، وجزالة أسلوبه ، ورصانة تعبيره ، قد كلف الأستاذ عبد العزيز عناء طويلاً وجهداً ثقيلاً ، فلقد حاولت من قبله أن أعلم شيئاً يغنى عن خلافة ابن المعتز ، ففتشت بطون الكتب كما فتش ؛ واستقصيت فى الطلب كما استقصى فلم أجد — كما قال الأستاذ فى مقدمته — « كتاباً واحداً ولا كتابين ولا ثلاثة ولا عشرة تسعدنى بما عنيت » وأدركتنى الملالة فانصرفت عن هذا الموضوع إلى سواه . أما الأستاذ فلم يعرف الضجر ، وإنما زاد فى الاستطلاع وما انفك يزيد حتى أربى على الستين كتاباً ، ثم تتبع الأخبار المبثوثة فى طوايا هذه الكتب فإذا هى متفرقة متمزقة كأنها الأشلاء المبعثرة بأطراف الصحراء !

وإنى لواثق أنه ما كان لقصة ابن المعتز أن تستحكم حلقاتها لولا أن الأستاذ قد غاص فتنقل فعلاً « بين طوائف شتى من كتب التاريخ والطبقات والأدب والفقه والمُلَح والدواوين » فاستطاع بهذا التنقل الفكرى المرهق أن يريح قارىء قصته ، إذ أوضح له خفيات الأمور ، وتطوع بنفض الغبار عن كثير من الحقائق ، حتى ليظن أولئك الذين تعودوا أن يقرأوا غير محتكمين إلى العقل والمنطق أن ليس فى الكتاب عناء البحث ولا وعورة المسلك ، لاتخاذ الكاتب طريق القصص الذى يبدو سهلاً لمن يراه ، ولا يعرف صعوبته إلا من عاناه .

ومن المعروف لدى المشتغلين بأدب القصة ونقدها أن الأسلوب القصصى حين يعتمد على الخيال الخالق وحده فى تأليف الحوادث وربطها ، أو حين يعتمد على التاريخ الصادق وحده فى رواية الأخبار وجمعها ، لا يعترضه من العقبات ما يعترض القصاصى الذى لا غنى له من الجميع فى آن واحد بين ما ارتضاه من خيال وما صدقه من تاريخ . وأكثر ما يكون ذلك فى القصص التاريخية التى تدور حول فتنة حمراء لعب المؤرخون فيها دور الجبناء ، خوفاً من سطوة القادر ونفوذ الحاكم وعنت الجبار .

وخلافة ابن المعتز التى تقرأ وصفها فى كتاب (يوم وليلة) كانت فتنة اندلعت ألسنتها بسرعة وسكت غضبها بسرعة ، لكنها — رغم استحالة جمرها إلى رماد — أخافت كثيرين من التصدى لأخطارها لئلا يحترقوا بنارها ، ولتجدن أكثر الذين عاشوا فى هذه الفتنة وبلوا أخبارها قد أفضوا بذات أنفسهم إلى معاصريهم

(*) المدرس الأول بوزارة المعارف المصرية ، ومندوبها للتدريس بالكلية العاملية فى بيروت

لكنهم أبوا أن يدونوا لمن بعدهم شيئاً مذكوراً يكشفون به مسدل الأستار، ويذيعون به خفي الأسرار؛ ولولا كلمات مبثوثة هنا وهناك على ألسنة الوزراء والندماء والقواد والقضاة والتجار والسوقة لاندثرت معالم هذه القصة ولما استطاع الخيال أن يرتكز في وصف حوادثها إلا على أسطر قليلة لا تغني من الحق شيئاً .

وهنا تظهر مقدرة الكاتب بوضوح ، فلقد عرض القصة عرضاً فنياً ، وسبح في جوها سبحاً طويلاً . وقد خاف أن يأخذ عليه النقاد ابتعاده بالقصة عن وجهها الحقيقي فقيد نفسه بقيود كثيرة ، وألزم قلمه ألا ينطق إلا فيما تدعو إليه حلقات القصة لتكون قوية التماسك وثيقة الإحكام ...

***

وأشهد أن الأستاذ كان موفقاً في ما حبس به نفسه وفي ما أطلقها فيه ؛ بل إن في ما زاده من حوار بين الأشخاص أو تمهيدات بين يدي الأحداث لبراعة نادرة تجعل القارىء يظن نفسه أمام قصة محبوكة الأطراف قد وثق الزمن ذاته عراها ولم يترك للخيال في نسجها يداً .

وإن كاتباً هذه مقدرته في خلق الحوادث خلقاً يوشك أن يكون طبيعياً حرى أن يخرج لنا كتباً كثيرة عن بعض أدبائنا الأقدمين وعلمائنا السالفين الذين لم يسعدنا طول البحث بالتعرف إلى آرائهم وتحليل نفسياتهم . وإن هذه لخدمة جلى يستطيع الكاتب وأمثاله ممن أوتوا موهبته أن يسدوها إلى عشاق العربية من أبناء هذا الجيل .

وما برحت موقناً بأن جمال العرض وقوة الأسلوب عماد عامتنا العمل الفني في حياتنا الأدبية : فبمقدار ما نعنى بهما تعلو قيمة إنتاجنا ، وتستحق من الخلود .

وحين أذكر قوة الأسلوب ههنا لا يسعني إلى أن أهنىء الكاتب من صميم قلبي على تعبيره الرصين ، وألفاظه الجزلة ، وجمله المحكمة ، وطول نفسه للاحتفاظ بوحدة الفكر . وتلك مزايا أدبية لا نكاد نجدها مجتمعة حتى في أساليب بعض المشهورين من كتابنا في مصر والشرق العربي ؛ ومن خيل إليه أن في حكمي هذا شيئاً من المبالغة فليقرأ الكتاب بنفسه وليطالعني برأيه .

ولقد تأخذ على المؤلف بعض مآخذ فنية ، فترى أنه أطال حواراً كان في مكنته اختصاره ، أو أنه أوجز في فصل كان يستحسن فيه الأطناب ، أو أنه اهتم ببعض الشيء بأشخاص ليسوا من أفلاذ الفتنة ، أو بأحداث ليست في صميم القصة ؛ لكن هذه المآخذ — لقلتها وضآلتها — لا تنقص من قيمة هذا الأثر الفني الرائع الذي ما أشك في أن صاحبه أنفق عليه من الليالي الساهرة مثلما كان ينفق الرسام الذي يبني الخلود ، أمام لوحة يريدان يبهر بها الوجود .

وأنك لتستطيع أن تقرأ نظرة الكاتب إلى الحياة من خلال الأحاديث التي أنطق بها أشخاص قصته ، فلقد أشفق على ابن المعتز في ضعفه ، ولقد شمت به في غروره ، ثم عاد يترحم عليه بعد مماته . وحكم الكاتب التي زين بها كتابه بدت طبيعية في أحاديث الأشخاص إلا في مواضع قليلة ظهرت فيها مقحمة كأن صاحبها يتكلف الموعظة ، ويصطنع أداء الحكمة .

***

ولكن ... مهما يكن من شيء فهذا الكتاب الصغير الحجم عظيم الفائدة ، حتى لا أظن متأدباً ولا أديباً يستغني عن اقتنائه إذا كان يريد أن يعلم معظم ما يمكن أن يعلم عن خلافة ابن المعتز .

ولا بد لي — قبل أن أختم مقالي — من الاشارة إلى هفوة نحوية لم أقع على سواها في سائر الكتاب رغم أمعاني في قراءته : فقد قال الأستاذ في ص ٧٩ (وهرب بعضهم إلى دار ابن المعتز لمواصره ، الأمونس الحاجب وخاصة رجاله وغريب خال المقتدر) وواضح أن هذا سهو أو سبق قلم ، وإن الصواب أن يقال : ألا مؤنساً .. وخاصةَ .. وغريباً .. لأن المستثنى بالا يجب نصبه إذا كان ما قبلها تاماً مثبتاً .

واغتنم هذه الفرصة لافتتح — صفحات الرسالة الزهراء — صداقة أدبية خالصة مع الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل مؤلف هذه القصة التاريخية ، مهنئاً وزارة المعارف المصرية بجبموثها الفاضل ، راجياً من حضرته أن يسرع بإتحاف المكتبة العربية بكتابه الجديد (ابن المعتز أدبه وعلمه) الذي وعد بإصداره قريباً وفي انتظار كتابه الموعود لي كبير الأمل في إقبال قراء الرسالة على (يوم وليلة) ليعرفوا الأشخاص بالأدب ، لا الأدب بالأشخاص .

(طرابلس الشام) صبحي ابراهيم الصالح

فن الخطـــابة

تأليف الأستاذ أحمد الحوفى

بقلم الأستاذ ابراهيم الجعفراوى

الأستاذ الحوفى ليس بمجهول لدى قراء الرسالة الغراء ؛ فقد قدمه إليهم الأستاذ محمود الخفيف منذ بضع عشرة سنة — وكان يومئذ طالباً بدار العلوم — منوها بباكورة أبحاثه وحى التسبيب فى شعر شوقى — ثم تخرج الأستاذ ، وتوالت الأيام ، وأخذت الرسالة تنشر له بعض الفصول عن شوقى .

وفن الخطابة الذى نقدمه اليوم ، هو باكورة أيضاً لعمل الأستاذ الجديد فى دار العلوم ، والكتاب ثمرة جهد عظيم بذله الأستاذ رغم عمله الرهق ، واشتغاله ببحث يمده للحصول على درجة جامعية .

وليس أدل على قيمة الكتاب مما سطره القلم البليغ — قلم الدكتور ابرهيم سلامة — فى تقديم الكتاب : ويمكن أن أقول إن الكتاب أول فى نوعه من بين المؤلفات الحديثة التى تعرضت للخطابة.. إلى أن يقول بعد أن تعرض لقارىء الاستفادة ، وقارىء الاستزادة : وما ينتظره كل منهما من المؤلف .

على أن قارىء الاستفادة ، وقارىء الاستزادة أمام كل مؤلف يحسب لقرائه وجودهم ، كلاهما يريد أن يخرج بجديد ، فالمستفيد من القراء يعلم مالا يعلم ، ويضيف جديداً إلى ما يعلم ، ويمحو خطأ مما علم ؛ ليحل الصواب محله بعد القراءة . والمستزيد يعرف فى سهولة ما سبق أن عرفه فى جهد ؛ لأن المؤلف عرض له مايعرف عرضاً فنياً فيه — زيادة — على المعرفة — الايحاء ، باستزادة ، والانتفاع باللذة العلمية ، فلذة المستفيد المعرفة المحضة ، ولذة المستزيد فى أن يلمح إلى جانب المعرفة الحياة ، وحركات الأفكار ؛ لأن للمؤلف فناً فى العرض وفناً فى الأسلوب ، وفناً من دقة البحث ، وفنوناً من الإثارة والإغراء تدفعه إلى أن يقرأ ما يعلم ، ويستلذ ما سبق له أن عرفه .

هذا سر المؤلفين الناجحين ، وهنا سر النجاح فى التأليف لمن يكتبون فى موضوع سبق البحث فيه . والاستاذ أحمد الحوفى قد كشف عن كثير من عناصر هذا السر .

وقارىء الكتاب يدهش لهذه المادة الغزيرة ، والأحاطة بكل أطراف الموضوع ، فهو مقدم بكلمة عن تعريف الخطابة ، يليها فصل عن الخطيب ، تحدث فيه عن الاستعداد الطبيعى . والوقفة والاشارة ، واللسن ، والعلاقة بين الخطيب والشاعر والممثل ، وأتبع ذلك بفصل ضاف عن نشأة الخطابة ورقيها ، وآخر عن نفسية الجماعة وملك الخطيب نحوها ، ثم تعرض لأنواع الخطب ، وناقش التقاسيم المختلفة ، وأسهب فى الكلام عن الخطب السياسية والقضائية والحربية والحفلية ، والدينية . يلى ذلك فصل عن الأسلوب الخطابى وخصائصه ، ا ستهله بالكلام على مذهبى الأسلوب والمعنى . والمقارنة بين أسلوب الخطبة ، وأسلوب المقالة ، ثم أعقب ذلك بفصل عن الارتجال والإعداد ، ومزايا كل وعيوبه ومواضعه .

وختم المؤلف كتابه بفصل عن الخطابة فى تصور الأمم : عند اليونان والرومان والعرب والمحدثين .

هذا عرض سريع لفصول الكتاب القيمة أردت منه أن يتعرف القارىء الكريم على مادة الكتاب ، وكيف يسير المؤلف فى بحثه متعمقاً مستقصياً مما يدل على أنه قد رجع إلى كثير من المراجع .

ولعلى أرجع قريباً إلى هذا الكتاب ، فأتحدث عن بعض فصوله بالتفصيل والنقد .

ابرهيم الجعفراوى

دبلوم معهد التربية العالى

مدرس بمدرسة الجيزة الابتدائية للبنات

مطبعة الرسالة

العدد ٨٤٨ — الاثنين ٣ أكتوبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٢٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

17 eme Année No. 848 — Lundi — 3 — 10 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٤٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ ذو الحجة سنة ١٣٦٨ — ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

من المسؤول عن اللاجئين ؟

للأستاذ نقولا الحداد

قضى مليون لاجئ عربى مشرّدين عن منازلهم وأملاكهم إلى الآن نحو عام وهم يعانون زمهرير الشتاء وقيظ الصيف فضلا عن الأمراض والأوبئة ثم الموت بالجملة ، فهل يقضون أيضاً عاماً آخر ؟ !

واللجان الموفدة من قِبل مجلس الأمن وهيئة الأمم العربية تدرس وتباحث وتناقش ... وإلى الآن لم تصل إلى نتيجة حاسمة ولا نظنها تصل ! !

واليهود يسرهم كل هـذا ... وهم فى بيوت العرب آمنون مستريحون يستغلون أملاك العرب ... وتستمر الحال على هذا المنوال إلى أن يملّ العرب ، وثم لا يبقى أمام اللاجئين إلا أمر واحد ... هو الانتحار ! !

فمن المسؤول عن هذه الكارثة ؟ !

المسئول الأول هو انكلترا ، لأنها هى سبب هذه الكارثة أولا وآخراً ... فهى الملزمة أن تفتح السبيل لعودة العرب الفلسطينيين إلى بيوتهم وأملاكهم وأرزاقهم ، وأن تجعل هـذا السبيل مأموناً من غدر هؤلاء اليهود الجوييم وهمجيتهم ، وحمايتهم مدة إقامتهم فى ديارهم ... وهذا يستلزم أولا أن تجرد اليهود من أسلحتهم تجريداً مطلقاً ولا تعترض على تسلح العرب .

ثم على انكلترا أن تعوّض العرب من خسائرهم الجسيمة التى خسروها فى مدة التشريد ...

ومن يقرأ هذين القولين يقل لك إنك تطلب المستحيل ، لأن انكلترا التى دللت اليهود منذ إعلان وعد بلفور ، وسكتت على تعديات اليهود المتعددة على الإنكليز — كما هو معلوم — لا يمكن أن تتحمل هذه المسؤولية ، وإن كانت حقاً صارخاً ، لأنها ، أى انكلترا ، خاضعة لعون اليهود فى بلادها ، وهناك خمسة فى المئة من أعضاء البرلمان يهود ، وخمسة وزراء يهود ، وهؤلاء راكبون على خناق انكلترا وكاتمو أنفاسها ، لا نعلم بأى سحر تخضع لهم وهم يقهرونها !

هذا هو الواقع !

بقى أننا إلى الآن لم نفهم كيف أن الدولة التى لا تغيب الشمس عن أملاكها (أو كانت هكذا) تخنع هـذا الخنوع لزمرة من صعاليك الأمم !

وعلى أى حال يجب على بريطانيا العظمى أن تمسح هذا العار عن جبينها بأن تدبر أمر اللاجئين تدبيراً يوافق عليه العرب جميعاً ، وإلا فتاريخ انكلترا أسود بالقلم العريض حاضراً ومستقبلا ... !

ولكن ... هل يا ترى يكترث الإنكليز لسمعتهم وتاريخهم؟

هنا نقف ونسأل وننتظر ... وإلى متى ننتظر ؟ !

يلى انكلترا فى المسؤولية أمريكا الانجلوسكسونية . فعليها أكثر من خمسين فى المئة فيها ، ولكن أمريكا لا تتبجح بشرفها ،

ولا تحترم سمعتها ، ولا تكترث لتاريخها ، مادامت تلعب بالدولار . ولعل اليهود هناك يعتقدون أنهم هم الذين سكُّوا الدولار المدنى وطبعوا الدولار الورقي . فهم يوسخون وعلى الشعب الأمريكى أن ينظف !

انكلترا وأمريكا مسؤولتان فى الدرجة الأولى ، ويهود العالم كله مسؤولون فى الدرجة الثانية ، فهم مسؤولون لأن يهود الصهيونية هم الذين نهبوا وفظَّموا وقتلوا وشرَّدوا العرب ، ولأنهم كانوا يموِّنون هؤلاء المجرمين بملايين الدولارات . ولكن من يرغم هؤلاء اليهود على التعويض وعلى العرب وعلى قبولهم رغم أنوفهم فى بلادهم ؟

قالوا : إن مجلس الأمن المسؤول عن الأمن العالمى هو الذى يرغم اليهود على التعويض وعلى القبول — قبول العرب .

ولكن المصيبة الأخيرة جاءت عن يد مجلس الأمن ، فإذا كانت انكلترا — وهي المسلَّحة — تجثو أمام سحر اليهود ، فجلس الأمن — وهو بلا سلاح البتة — لا يستطيع أن يهز رمحاً فى وجه الصهيونيين ، فهو كالدجاجة ، وهى بلا براثن ولا أنياب أمام السباع والذئاب ... فإذاً ، انكلترا أولا ، ثم أمريكا الانجلوسكسونية ثانياً — هؤلاء هم المسؤلون عن نكبة عرب فلسطين أمام الله ، وأمام التاريخ ، وأمام العالم ... ولكن إذا كانوا لا يخافون الله ، ولا يحترمون التاريخ ، والعالم كله مثلهم لا يخاف الله ولا يبالى بالتاريخ ... فلمن نشكو أمرنا ؟ !

لا نشكو أمرنا إلا للعرب أنفسهم ، فإن كانت عندهم بقية من مروءة العرب التى طالما تبجحنا بها فالنجدة يا قوم ... وإلا فليقرأ كل عربى — من الوزير إلى الصغير — ما لقنه أحمد الشقيرى بك مستشار الوفد السورى أمام لجنة التوفيق الدولية بعد عودته من لوزان لمندوب جريدة المصرى فى يوم ١٦ سبتمبر ، لكى يعلم مابيتيه اليهود للعرب جميعاً من الشر . فلعلهم يتحمسون للدفاع عن أنفسهم قبل أن يحدث لهم ما حدث لعرب فلسطين ، ويتشردوا فى الصحارى والبحار فيموتون ظمأً ثم غرقاً ... وكل آت قريب ...

نقولا الحداد

٢ ش البورصة الجديدة بالقاهرة

منارة الماضى :

على طريق الحملات المصرية فى لبنـــان

أيام دولة سلاطين المماليك البحرية

للأستـــاذ أحمد رمزى بك

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

ثلاثة من سلاطين مصر العظام يبدو عملهم خالداً أمام الزمن فى هذه البقعة من الأرض : الملك الظاهر بيبرس صاحب الفتوحات الكبرى ، ثم المنصور قلاوون الذى حاصر مدينة طرابلس ستة وعشرين يوماً ثم فتحها بالسيف ، وأخيراً الأشرف خليل بن قلاوون صاحب الفتح الأشرفى من الممالك الساحلية والجبلية وهو الذى بقى لمدة قرون والناس يُؤرِّخون فى لبنان الحوادث على ذكره وتأتى هذه الحملات فى عهد الناصر محمد تكملة لتلك الفتوحات .

ولكن الباحث فى تاريخها يسير دائماً فى المراجع التى بين أيدينا وهو يتلمس الأسماء والمواقع وسط الصعاب التى يُقيمها المعاصرون والمؤرخون والنساخ . فهناك طائفة من أسماء البلاد والمقاطعات تغيرت مواضعها مع الزَّمن أو تعدَّلت حدودها ، ومع اعتمادى على الخرائط التفصيلية التى وضعتها القيادة الفرنسية مدة عهد الانتداب ، ومع أننى زُرت أغلب المناطق لمدة مرَّات أرانى أحياناً وسط بحر واسع الأطراف فى المسائل التى تحتاج إلى تحقيق ، أرانى أخوض فأوفق فى بعض الشىء ولا أوفق فى البعض الآخر فأتركه ليتمكن غيرى من تحقيقه .

ويحصل الخطأ فى النقل من النسخ التى بين أيدينا ، أو فى عدم اعتناء المؤرخين عند كلامهم على الحوادث فيطلقون أسماء عامة مثل جبال الجرد والكسروان من غير تحديد .

فقد جاء ذكر بعض الحملات فى الجزء الشمالى الجبلى الواقع بين الممالك الساحلية والممالك البعلبكية : والمعروف أن كسروان هو

الاقليم الجبلى الذى تقع فيه مدينة «بسكنتا» وهى التى كانت تسمى قديماً باسم « العاصية » لصعوبة مسالكها والمرور إليها من وادى الجاجم . ومع أنها قسمان فى التقسيم القديم داخلة وخارجة . فالداخلة حدها من نهر الكلب إلى نهر إبراهيم ، والخارجة حدها القديم من نهر الكلب إلى الحد الفاصل بينها وبين مقاطعة المتن: وتمتد الحدود من البحر إلى الجبال : ومع علمنا بهذا التحديد يطلق المؤرخون اسم كسروان تساهلاً منهم على بقاع تقع فى الجزء الشمالى من هذه البقعة بالذات : ويتكرر هذا فى معظم من كتب بعد حوادث الفتوحات التى تمت فى عصر الملوك الثلاثة .

ولكن المدقق يجد أن الحوادث التى كانت مدينتا « أهدن » « وبشرى » مسرحاً لها تقع فى مقاطعة كانت تسمى باسم « جبة بشرى » فى هذا العهد ثم أصبحت « جبة الحدث » فى عهد قايتباى : وفى هذه الناحية بالذات مقاطعة كانت تسمى الضنية وهي ترد فى كتب المؤرخين باسم جبال الظنيين : ولقد اعتمدت فى تحقيق هذا الاسم على مصدرين :

الأول : هو ماورد فى وثيقة الهدنة التى عقدها الملك المنصور قلاوون صاحب مصر مع جماعة الاسبتار وبيت طرابلس (٦٨١هـ ١٢٨٠م [١]) .

الثانى : ما جاء فى كتاب الشيخ طنوس بن يُوسف الشدياق [٢]

جاء فى عقد الهدنة ذكر بلاد السلطان الملك المنصور : « ما هو مجاور لطرابلس ومحادد لها من المملكة البعلبكية جميعها وجبالها وقُراها الرحلية[٣] والجبلية وجبال الضنيين »

وجاء فى المرجع الثانى : « لما قدمت الفرنج من إنطاكية سنة ١٠٩٩ ، وفد إليهم أناس من المردة من جبل سير وصقع الضنية » . فجبال الضنيين هى إقليم أو صقع الضنية الذى أشرنا إليه والواقع فى الجزء الشمالى من إقليم جبة بشرى وهذا الإقليم ينحدر من أرز لبنان إلى سير ثم إلى طرابلس.

ومن هذا نعلم أن ذكر «أهدن» و«بشرى» فى إحدى الحملات لا يجعل لكسروان شأناً وبينها وهذه البلاد مناطق : أو قطاعات كانت تسمى باسم بلاد واقعة على الساحل أو فى الجبال كما يتضح

(١) ملحق ٦ للسلوك طبع الدكتور زيادة :
(٢) طبع المعلم بطرس البستانى .
(٣) قولة ارحلية لايفهم وإنما أرجح الزحلية : أى قرى بلدة زحلة.

ذلك من وثيقة الهدنة نفسها .

فقد جاء فيها عند الكلام على بلاد الفرنجة أى الأبرنس صاحب طرابلس ما يأتى :

طرابلس وما هو داخل بها ومحسوب عليها . أنفة وبلادها . جبيل وبلادها . صنم جبيل وبلادها (وأرجح أم جبيل) . البترون وبلادها (وكلها على الساحل) وضع هذا النص عن قصد — ثم عرقاً وعدتها ٥١ ناحية .

وما هو للفارس روجار دى لالاولاى من قبلى طرابلس .

أقول إننا إذن فى حاجة ماسة إلى جمع نصوص الوثائق المملوكية من عقود الهدنة والصلح الموزعة فى الكتب وتحقيق كلماتها حتى تراجع مراجعة صحيحة لكى نستفيد من محتوياتها : هذا علاوة على المراسيم الخاصة بولاية العهد أو الصادرة بتولية الأمراء أو بالإقطاعات : ومن بعض هذه الوثائق يتضح مدى اتساع الأمبراطورية الإسلامية لمصر فى أزهى عصورها بلا استثناء وقد جاء فى نهاية عقد هدنة المنصور قلاوون « وما سيفتحه الله على يده ويد ولده وعساكرهما وجنودهما من الممالك والحصون » .

وقد تمت الفتوحات جميعاً حتى ذكر ابن الفرات « ولم يتأخر بالبلاد الشامية غير فلاحيها وهم داخلون فى الذمة » .

وأرجح أن الجزء الجنوبى من لبنان حيث كان يسكن أمراء الغرب من آل بحتر التنوخيين لم يتعرض لهذه الحملات ما عدا الجرد الشمالى، إذ المعروف أنهم كانوا حلفاء وأعواناً لملوك مصر[١] ابتداء من الدولة التركية المعز إيبك ، إذ جاء فى كتاب صالح بن يحيي ذكر منشور المعز إيبك للأمير سعد الدين خضر ، وجاء فيه أن الأمير زين الدين بن على وفد على السلطان قطز واشترك محارباً فى معركة عين جالوت لما قهر المصريون التتار ، وجاء فيه ذكر عدة مراسيم أرسلها الظاهر بيبرس إلى الأمراء وقال عنهم « الأمراء الثاغرون على صيدا وبيروت » وكذلك ما صدر من ابنه الملك السعيد بركة خان ، ولم تكن صيداً وبيروت بيد المصريين فى ذلك الوقت . ويبدو مؤرخو الحروب الصليبية فى حيرة من موقف بعض الأمراء .

فالأب لويس شيخو يستخلص من حادثة معينة أن بعض الأمراء كان حليفاً للصليبيين فيقول إن أحد أعداء الأمراء المسمى

(١) هكذا تتكلم الوثائق وإن كان التاريخ يعيد هذه العلائق إلى الأيوبيين وقد تكون من عهد الفاطميين .

تقى الدين نجا بن أبى الجيش سعى بهم زوراً إلى ملك مصر الظاهر بيبرس مدعياً أنهم حالفوا الفرنج وخانوا الدولة .

وأعتقد أن هذه الحادثة بالذات تحتاج إلى عناية المشتغلين بالتاريخ المصرى لأن المكاتبات التى صدرت من جهتهم لبلاط القاهرة وإجابة الملك الظاهر بإقرار أقطاعهم وبلادهم تكشف لنا عن ناحية فذة من عظمة الظاهر وسياسته .

ولا أعتقد بوجود سياسة للأمراء مرسومة للعمل على ناحيتين فى تلك الحقبة بالذات خصوصاً وقد بدأت طلائع الظفر والمجد والقوة تبرز بروزاً فى ناحية الجانب المصرى تحت عبقرية الظاهر ومن جاء بعده من الملوك العظام .

والظاهر أن العلاقات بين أمراء الغرب ومصر أقدم من ابتداء الدولة التركية بل كانت متأثرة دائماً بملك مصر بدليل أنه لما وقعت النفرة بين الملك محمود نور الدين زنكى ملك الشام والملك صلاح الدين يوسف الأيوبى ملك مصر كان هؤلاء الأمراء يوالون صلاح الدين وكانوا يعضدونه على محاربة الافرنج وكان ملك مصر يجعلهم أمام عساكره[1] .

وقد أبلى الأمراء كما رأينا فى حروب قطز وبيبرس ثم فى أيام قلاوون فى معركة حمص حين اشترك من جنودهم تحت قيادة الأمير قرقماز ما مقداره أربعة آلاف مقاتل هذا خلاف ما قاموا به فى صد هجمات التتار أيام الناصر محمد بن قلاوون ولعل هناك فترة غامضة فى تاريخ لبنان هى فترة الخمس سنوات التى أخلى فيها وادى التيم فلم تبق فيه غير حاصبيا مسكونة : ذلك حينما تقدم التتار فى زحفهم أيام الملك الناصر فاضطر الأمراء إلى التراجع أمامهم : لهذا أرجح أن المشاكل التى جاءت بعد حملات الأشرف خليل تحت قيادة بيدار أى حملات الناصر محمد تحت قيادة جمال الدين أقوش الأفرم كانت نتيجة للتقلقل والفوضى التى سادت الجزء الجنوبى من لبنان فى تلك الفترة من الزمن : أى بين ٦٩٨ و ٧٠٥ هجرية .

ويقول المطران الدبس فى الجزء السادس من كتابه « أما من هم الذين سماهم صالح بن يحيى الجرديين وسماهم الدويهى الجبليين فلا شك أنهم غير الكسروانيين ونرى أنهم سكان المحل المسمى إلى الآن الجرد ومن قراه رشميا وشارون وبتاتر وبحمدون وأنهم كانوا دروزا »

ويؤكد خروجهم عن طاعة الأمراء التنوخيين وأنهم كانوا يسطون على بلادهم وإن نذير جمال الدين أقوش أمرهم أن يصلحوا شؤونهم مع الأمراء ومع قلة المصادر أو صمت المراجع فالدلائل المنطقية تجزم بأن هؤلاء هم الذين انتهزوا فرصة إخلاء أراضى التيم من أهلها فاعتدوا على بعض أملاك الأمراء وهم الذين انسحبوا بعد ذلك إلى مقاطعة كسروان ويظهر أن الجرديين كانوا دروزا والكسروانيين كانوا موارنة فتخلفا أمام زحف المصريين : وهرب الدروز بعد أن دارت عليهم الدائرة فى معركة عين صوفر إلى غربى كسروان أى إلى نبيبة وانطلياس التى كانت حينئذ من كسروان وكان نهر الجمانى الفاصل للمقاطعة من الجنوب[1] .

ويعجبنى صاحب البداية والنهاية[2] حينما يتكلم عن شيخ الإسلام ابن تيميه فهو يعرفنا بأن الشيخ خرج ومعه جماعة من أصحابه إلى جبل الجرد والكسروانيين فاستتابوا خلقا منهم وألزموهم بشرائع الإسلام ورجع مؤيداً منصوراً ومنه نعرف أن وسيط أو نذير الأمير جمال الدين أقوش المسمى زين الدين بن عدنان كان يشغل وظيفة نقيب الإشراف بدمشق وحدثت هذه الوساطة فى مستهل ذى الحجة سنة ٧٠٤ .

إذن سبقت الحملات بعثة سياسية دينية ، وفقت فى إقناع البعض ولم توفق فى إقناع البعض الآخر وهؤلاء الآخرين هم الذين أفتى العلماء بقتالهم . لأنه فى ثانى المحرم سنة ٧٠٥ خرج نائب السلطنة الأفرم جمال الدين أقوش وجنوده إلى بلاد الجرد والرفض والتيامنة (أى وادى التيم) السالف الذكر ويقول ابن كثير « فنصرهم الله عليهم وأبادوا خلقاً كثيراً » ثم أردف « وقد حصل بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خير كثير وأبان الشيخ علماً وشجاعة وقد امتلأت قلوب أعدائه حسداً له وغماً » .

وفعلا بدأ أعداؤه حملة الافتراء والأكاذيب والدسائس عليه شأنه شأن كل الرجال النافعين القادرين على العمل بإخلاص وشجاعة فى هذا الشرق .

وأعود إلى ما سموه جبال الجرد : فهذه نهايتها آخر حد ولايات الغرب شمالا وفيها بلدة المديرج الواقعة على طريق الشام .

وفيها نهر الصفا وبها كانت واقعة عين صوفر المشهورة : ويحدثنا صاحب كتاب أخبار الأعيان عن حملة الجرديين (سنة ٧٠٢ هجرية — ١٢٩٣ ميلادية) إنها بدأت بمنشور أرسله الملك محمد الناصر بن قلاوون إلى جمال الدين أقوش الأفرم نائب دمشق وإلى أسندمر نائب طرابلس وإلى سنقر المنصورى وإلى الأمراء

(١) يهمنا العثور على وثائق أيوبية فى هذه الناحية .

(١) نفس المصدر صفحة ٢٧٣ . (٢) جزء ١٤ ص ٣٥ .

التنوخيه يأمرهم بحشد الجيوش لمحاربة كسروان وأهل الجبال جاء فيه « من نهب امرأة كانت له جارية أو صبياً كان له غلاماً ومن أتى منهم برأس مقتول كان له دينار لأن المذكورين كانوا نجدة الأفرنج » .

ويقول المطران الدبس نقلا عن الأسقف جبرائيل ابن القلاعى أن المعركة دارت عند جبيل وأن المقدمين الذين نزلوا من الجبال كانوا ثلاثين مقدماً منهم خالد مقدم مشمش . سنان وسليمان مقدما إيليج . سعادة وسركيس مقدماً لحفد . عنتر مقدم العاقورة . بنيامين مقدم جردين . ويقول إنهم رتبوا ألفين مقاتلا كمنوا على الفيدار وألفين على نهر المدفون .

ومن مراجعة وثيقة هدنة المنصور قلاوون يتبين لنا أن هذه البلاد واقعة خارج الجرد وكسروان بل هى داخل القطاع الواقع بين قطاع البترون وقطاع كسروان أو هى تكون ما أسميه قطاع جبيل الواقع بين موقع فيدار وبلدة البترون وتتوسطه مدينة جبيل ، ويرتفع إلى بلدة العاقورة فى الجبال وبلدة تنورين أمامها وكانت ضمن أملاك صاحب طرابلس ولما زال حكم الصليبيين أصبح فتح هذه البلاد هيناً على المصريين ويقول صاحب تاريخ الأعيان بدون أن يذكر المصدر الذى استقى منه « حينئذ اندفقت سكان الجبال على جيوش الإسلام اندفاق الماء المنهمر » « واقتحم مقدم مشمش على قائد جيش الإسلام واحتز رأسه » « ووقعت الكرة على جيوش الإسلام وتمزقت منهم الكتائب والأعلام » .

ويصف ملاحقة الجبليين أمراء الغرب إلى عقر ديارهم وكيف قتل الأمير محمد وأخوه الأمير أحمد من أبناء محمد بن كرامة التنوخى وكيف أن المنتصرين زحفوا حتى أحرقوا بلاد عين صوفر وشمليخ وعين زوينة وبحطوش من قرى أمراء الغرب التنوخيين فى الجرد الشمالى .

تلك هى رواية المراجع المسيحية عن الحوادث التى تقدمت الحملة التى قادها الأمير جمال أقوش الأفرم سنة ٧٠٥ وانتهت إلى بما جاء فى هذه المراجع بالذات « ثم أحاطت العساكر بتلك الجبال المنيعة وترجلوا عن خيولهم وصعدوا فى تلك الجبال من كل الجهات فأخربوا القرى وقطعوا الكروم وهدموا الكنائس وقتلوا وأسروا جميع من فيها من الدرزية والنصرانية وزلت قلوب أهلها . » « ثم أمر جمال الدين أقوش أن تستقر التركمان فى ساحل كسروان » ونشأت بذلك أمارة آل عساف وسكن التركمان بلدة ذوق ميكايل وحفظوا الدروب والمسالك ، ونظم الأمير جمال الدين الأفرم طريقة الاتصال بالنيران بين الساحل ودمشق : إذ كانت تقام شعلة نارق رأس بيروت ومنها إلى جبل بوارش ومنها إلى بيرس ومنها لجبل بالصالحية ثم إلى قلمة دمشق حتى تصل الأخبار فى وقتها ، وترتب الحمام الزاجل بمحطاته وخيل البريد إلى دمشق عن ثلاث طرق ، وهكذا انقطع اتصال الأفرنج بأهل كسروان انقطاعا تاما ودخل أهل الجبال فى طاعة ملوك مصر فلما قامت الفتنة بين الظاهر برقوق والأميرين الناصرى ومنطاش انضم لمسكر الشام العربان والتركمان وأهل كسروان والجرد من أهل لبنان، ولماعاد برقوق للملكه بعث بجند مصر إلى الساحل فأخضعت البلاد بأكملهاوجاء فى أخبار الأعيان أن الظاهر برقوق توجه بنفسه إلى بلدة بشرى فأقام يعقوب ابن أيوب مقدماً وكتب له صحيفة نحاسية ثم نزل إلى « دير قنوبين » حيث مدافن بطاركة الموارنة فأنعم على الدير المتيق بإعفائه من الأموال الأميرية بموجب صحيفة نحاسية .

وأعود فأقول بأن القطاع الشمالى من لبنان حيث يقع أرز لبنان كان خارجاً عن نطاق الهدنة (بين قلاوون وصاحب طرابلس) كما قلنا ولذلك جاء فى كتاب البطريرك اسطفانوس الدويهى إنه وجد فى أرض الحدث بقرب دير القديس يوحنا كتاباً للصلاة مدونا فيه ما يأتى عن فتح أهدن وبشرى :

إنه فى سنة ١٢٨٣ أى بعد هدنة طرابلس التى تمت فى أيام المنصور قلاوون بعامين « إن العساكر الإسلامية سارت إلى فتح جبة بشرى وصعدت إلى وادى حيرونا وحاصرت قريه أهدن وتم فتحها بعد أربعين يوماً وأخربت القلعة والحصن الذى على رأس الجبل» ولم يكن بوسع الأفرنج فى طرابلس ولاجماعة الاسبتار تقديم المساعدة لأهل أهدن لارتباطهم بنصوص عقد الهدنة ولذلك أتم المصريون فتحها قبل سقوط القطاع — الكسروانى وقطاع جبيل فى أيديهم . وقد رأيت كيف تمكن الظاهر برقوق بلباقته بعد قرن من الزمن أن يجذب قلوب هؤلاء السكان الأشاوس وأن ينقلهم من معسكر أعدائه إلى معسكر الحلفاء الأوفياء : فلله دره .

أما الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب السلطنة فبقى بنيابة الشام حتى دخلت سنة ٧١١ لما نقله الملك الناصر محمد إلى نيابة طرابلس بإشارة الإمام ابن تيمية فبقى بها حتى انضم إلى قراسنقر وذهبا سوياً إلى بلاد التتار بعد أن أديا لمصر أكبر الخدم .

أحمد رمزي

صور من الحياة :

وفـــاء ..!

للأستاذ كامل محمود حبيب

قلت لصاحبي : ما لهذا الرجل يسير الهوينى يتخلع فى مشيته وإن إهابه يكاد ينقد من أثر الخيلاء ، وينفض الشاطىء بالنظر الشزر وإنه ليهتزى ترفعاً وكبرياء ، ويزهى فى تبـّانه وبرنسه وقد ورم أنفه من صلف كأنه رب هذا البحر لايلوى على أحد ولاينزل إلى دنيا الناس ولا تتطامن عظمته ولا تهدأ غطرسته !

فقال صاحبى : آه إن فى الناس رجلاً لو انشقّ عنهم ثوب الإنسان لتراءت من ثناياه صورة خنزير أو حمار . وإن لهذا الرجل حديثاً عجيباً لو اطلعت عليه لألفيته ذئباً لا يترفع عن أن يلغ فى دم الإنسان حتى يرتوى . وإنه ليتصنع ما ترى ليوهم الناس بأنه شئ وما هو بشئ .

قلت لصاحبى : إن له حديثاً ؟ هاته ! فإن فى النفس شوقاً إلى حديثك فأنا أحس فيه طلاوة ورواء وعقلاً .

قال : هذا الرجل ضابط كبير فى الجيش ، والجيش دائماً رمز القوة والفتوة وعلامة الترفع والإباء ، وهو مدرسة تعلم الرجل كيف يصبح قوى القلب فى شجاعة ، ثبت الجنان فى حزم ، رابط الجأش فى عزم ، شديد المراس فى بأس . ليكون — حين يجد الجد — فتى الوطن الأول يذود عن حوضه ويحمى حوزته ، لا يقعد عن أن يغشى غمرات الموت فى غير رهبة ، ولا يفزع عن أن يرد مضلاّت الردى فى غير خوف ، فهو فخر الوطن عند الجلاد وذخره فى ميدان الجهاد . ولكن هذا الرجل تاه فى نزوات نفسه فما لمس فى الجيش معنى واحداً من معانيه السامية .

كان هذا الرجل — منذ سنوات — ضابطاً صغيراً فى مقتبل العمر وزهرة الحيـاة يتوثب قوة ونشاطاً ويتألق فتوة ورواء ، يبسم للأمل ويبسم هو له ، ويسكن إلى أخيـلة المستقبل وهى — فى ناظريه — وضاءة مشرقة . ثم بدت له فى ثنايا حياته فتاة كانت حلم قلبه ونور عينه وسحر فؤاده فما لبث أن انطلق إلى أبيها يخطبها : ورضى الأب الثرى بالضابط الفقير زوجاً لابنته الجميلة الفتانة حين رأى فيه الرجولة والصلاح وحين بدا له أن المستقبل يوشك أن ينفرج أمامه عن منصب فى الجيش ذى شأن ؛ ورضيت الفتاة به حين خلبها شبابه وزيه وحين أسرها جماله وحديثه.

وعاشت الفتاة إلى جانب زوجها تسعد برفقته وتطمئن إلى رأيه ، وترعى شأنه ، وتصبر على شظف العيش وراتبه ضئيل تافه ؛ وأبوها برى ثم لا يقبض يده عنها . وعاش الزوج شقياً بجمالها تأكله الغيرة حين يراها تشع نوراً يخطف البصر ، وتصفعه الأنانية حين يلمس فيها معانى الشـباب تخطف القلب . لطالما حدثته نفسه بأن يضرب بينها وبين العالم بحجاب لا تستطيع أن تظهره . ولـكن أنى له أن يفعل وهو لم ير عليها من سوء ولم يحس فيها من عقوق . وتصرمت الأيام تبذر فيها معانى الإخـلاص والمحبة ، وتورث فيه هو معانى الأنانية والغيرة . والفتاة تسبح فى حمق عميق لا ينفذ بصرها — وهى فى عمايتها — إلى بعض ما يتأجج فى صدر زوجها .

ومضت سبع سنوات جنت الزوجة فى خلالها ثمرتين من ثمار الحياة فيهما سـعادة القلب وراحة البال وفيهما جمال الحياة وفرحة الدار .. ثمرتين هما الابن والابنة . واطمأنت الزوجة إلى حياتها وإلى ولديها ، فهى تقضى يومها بين حاجات الزوج ورغبات الطفلين لا تحس الضيق ولا تجد الملل .

وطمع الزوج الأحمق أن تنحط الأيام على الزوجة المسكينة فتتوزعها بين شغل الدار وشغل الابن وهم الزوج جميعاً فتستلبها من جمالها أو تعبث بسحرها . ولـكن الأيام لم تزد الفتاة إلا إغراء وفتنة ، وغاظ الزوج ما رأى فاندفع يذيقها فنوناً من العنت والإرهاق امل الأمى يمد يده الجاسية إلى مفاتنها فيمسح سمـات الجاذبية والروعة ويمحو آثار الحسن والرواء . غير أن الفتاة العاقلة لم تلق بالاً إلى حماقات يرتـكبها زوجها عن عمد ليثير فى الدار لظى من خلاف يعصف بها وبولديها فى وقت معاً .

وضاق الفتى بصبر زوجته فانطلق ينفّس عن نوازع شيطانية تثور فى نفسه ويكفـكفها على كره منه . انطلق ينفس عن نفسه فتعرّف على فتاة من بنات الهوى ، وسوّلت له نفسه الوضيعة أن يدس لزوجه من يخبرها خبر حبه الجديد . وقالت الزوجة الحصيفة

للرسول « ويل لك ! لا إخال زوجي يرضى بأن ينحط في مهاوى الرذيلة بعد أن جاوز سن العبث ! » قال الرسول « لعلك ترمينني بالكذب ! إنه يلقاها مساء كل يوم في مكان كذا من القاهرة » فقالت الزوجة « وماذا يعنيني ؟ سأدعه يتمتع بأي امرأة شاء ما دمت أرى بين يدى هاتين الزهرتين الجميلتين أجد فيهما اللذة والسلوة » وأحس الرسول بالخيبة والإخفاق فانفلت من لدنها لا يلوى على شيء . وأسرت الزوجة في نفسها أمراً ...

وفي المساء انطلقت الفتاة تسترق الخطى ... انطلقت لترى زوجها بين يدى فتاته التي أحب . وأحست بالدوار يكاد يغلبها على أمرها من عنف الصدمة وشعرت أن قلبها الطاهر يكاد ينشق عن صدع يتوثب من خلاله الضيق والكمد ، وأن عقلها يتضرم ناراً حامية توشك أن تلتهمها هي ، فأسرعت إلى الدار لتضع عنها إصرها في زفرات كاوية يتلظى الغيظ من جوانبها ، ولترسل الأسى من عينيها عبرات متدفقة هتانة ما تستطيع أن تكفكفها إلا حين تسمع وقع أقدام زوجها وهو يرقى درج السلم ، وإلا حين يهفو ولداها نحوها فتضمهما إلى صدرها في شوق وحنان .

يا لقلب الأنثى ! إنك صلب عنيد لا تضرب إلا أن تحس الخيانة من قلب رجل حملت أنت له الإخلاص والوفاء !

يا لقلب الأنثى ! إنك راسخ متين لا يعصف بك إلا أن تستشعر المهانة والاحتقار والإهمال من قلب رجل أحببته ساعة من زمان !

أما أنت أيها الرجل ، فلقد سفلت أسفل سافلين ، حتى بعت زوجك وأولادك بالثمن البخس بفتاة من عرض الشارع تستلبك من رجولتك ومن شهامتك ومن إنسانيتك في وقت معاً !

وانضم قلب الفتاة على أسى فتّاك تخر الجبال من هوله ، فما استطاعت أن تكشف عن حسرتها أمام أبيها ، ولا أن تحدث أمها بحديث كربتها ، فراحت تتلمس السلوة في ولديها وفي كلب صغير كان هملا في الدار من قبل ، فأخذت تدلله في رقة وتحدب عليه في عناية . وأحس الكلب بسليقته الحيوانية أن سيدته تحنو عليه ، فذهب يتمسح بها ويخضع لها ويقع عند قدميها . ورضى الكلب بأن يكون عبد السيدة حين أحس فيها الشفقة والرحمة !

* * *

ومضت الأيام والشهور تبذر في الدار غراس الشقاق والاضطراب ، والزوجة تصبر على ضيق وتنفني على مضض ، وهي تنظر إلى طفليها في عطف وتضمهما في حنان ... ثلاث سنوات عجاف والمسكينة في الميدان تجاهد الرجل وهو غليظ الكبد واهي الرجولة لا يرعوى ولا يرتدع .

يا عجباً ! أفيكون شيطان الكبر قد ركبه لأنه تدرج في مناصب الجيش العليا في سرعة فأخذت نفسه تهوى إلى أسفل كلما سما منصبه إلى أعلى ؟

وضاق صدر الزوجة على رحابته ، ونفذ صبرها على سمته ... فجاء حكم من أهلها وحكم من أهله ، فما استطاعا أن يصلحا ذات البين ، واتفق الزوجان — بعد لأى — على الطلاق !

وخيل للزوجة أنها تهرب من سجن أرغمت على البقاء فيه سنوات ، فهبت تعد حاجاتها في نشاط ، وتلم شعثها في جد ، وإن قلبها ليضطرب اضطراباً شديداً كلما تراءى لها أن ابنيها سيعيشان في كنف هذا الشيطان الفظ ، وإن كلبها ليتبعها في خضوع ويتمسح بها في ذلة ... ثم انطلقت صوب الباب فاندفع الكلب على أثرها ، ولكنها صفقت الباب من دونه لتحول بينها وبين كلب هذا الرجل ... الرجل الجاثم في ركن تجذبه خواطره الأرضية إلى أسفل ، فلا ينبض قلبه بعاطفة ولا تخفق أفكاره بنسمة روحانية .

وأحس الكلب بسليقته الحيوانية أن سيدته قد خرجت من هذه الدار ولن تعود أبداً ، فانطلق إلى الطنف يريد أن يودعها الوداع الأخير . يا لله ! أفأصيب الكلب بمس من الجنون فراح يذرع الطنف في سرعة ، ينظر إلى الشارع من هنا ومن هناك وهو ينبح نباحاً عالياً فيه الشجو والبكاء ؟ ولذّ للسيدة أن تستمتع بقلق الكلب وحيرته ، فوقفت حيناً تشير إليه وتناديه وهي تبتسم ، ثم همت أن تركب سيارة أبيها وهي تنتظرها لدى الباب ، فاراعها إلا الكلب وهو يقذف بنفسه بين يديها .

ووقع الكلب فانكسرت رجله ، ولكنه — برغم ما يقاسى من ألم — اندفع صوب سيدته وهو ينبح نباحاً فيه الشجو والبكاء ، اندفع ليدفن نفسه في حجرها .

وطفرت من عيني السيدة عبرة ... عبرة واحدة .. لأن كلباً حفظ عهد الود ورعى حق الوفاء على حين لم يفعل الرجل .

آه ، يا صاحبي ، إن في الناس رجالاً لو انشق عنهم ثوب الإنسان لتراءت من ثناياه صورة خنزير أو حمار أو ...

كامل محمود حبيب

غـــروب

للأستاذ شكرى فيصل

« منذ عام حطمت أقلامى التى كنت ألقى بها الناس ، وعشت بين أحزانى وأصدقائى ... هذه تعزونى وأولئك يعزوننى ... واليوم أفيق على نحيب الذكرى ولوعة المصاب . وتختلط على الصور والأشياء ... فإلى الروح التى تسبح فى أعلى عليين ... إلى روح خالى الذى علمنى وأدبنى ... هذه النفحات » .

— ١ —

حين جزت ضفة النيل ... من هذه الخضرة الخضراء والبساتين المروحة إلى الضفة الأخرى التى تستريح على ذراعها الرمال الصفراء وتخفق على جنباتها الأمواج الزرق فى « رأس البر » كنت فى مثل ذهول المأخوذ وغيبوبة المنتشى ... كانت الساعة قرابة السادسة ، والشمس تميل عن سمائها التى عاشت فيها ، وتنحدر فى شىء من البطء وفى كثير من الأسى نحو الأفق البعيد الذى يبسط لها جناحان من ضباب ونور .

ولم يكن فى وسع الإنسان ، إذ يتجرد عن كل ما حوله من حركة الناس ، أن يدرك أكانت تلك ساعة من ساعات الصباح الفتى أو لحظة من لحظات المساء المتداعى ... فقد كانت هذه الأستار العريضة التى تلقيها السماء هنا وهناك علامة من علامات الظلمة ، وكانت الشعاعات الرضية التى تند عن الشمس شارة من شارات النور ... كان هناك هذا المزيج الذى يغشى بعضه بعضا من الليل والنهار ، وهذا الخليط المتشابك من الأخلاط والضباب ، وكان فى ذلك كله تناسق أصيل محبب .

— ٢ —

وألقيت أقدامى فى الطريق إلى البحر ... وأدرت ظهرى إلى الشارع الذى يطفح بالناس على ضفة النيل ، ولم أحاول أن أستجيب إلى شىء مما حولى من جلبة الأشياء وحياة الأحياء ، وخلفت من ورائى فى نظرة عابرة كل هذه الحركة التى يتحرك بها هذا الشارع الأنيق وهذه الزينة التى يزدان بها ... ولم يكن من بأس أن أخالف عن عادة الناس ، هنا فى رأس البر ، حين يقسمون وقتهم قسمة مناصفة بين البحر والنهر ... فإذا كان الضحي لجأوا إلى البحر ، وأخلد بعضهم إلى رماله وانتهى بعضهم بصارع أمواجه ... وإذا كان الأصيل لجأوا إلى النهر فانسابوا على شاطئه ، عين إلى صفحته الهادئة ، وعين إلى الصفحات الأسيلة التى لوحتها الشمس فى الصباح وخفقتها الأصباغ فى الأصيل

وجزت طريقاً من هذه الطرق المتعارضة وحدى ... كنت أشبه بالضال أو كذلك خيل إلى ... فقد كانت الأنظار التى تمر بى كأنما تتحدث إلى ، بعضها يتحدث مشفقاً على وبعضها هازئاً منى ... ولكنى كنت أنا مشفقاً عليها دائماً رائياً لها أبداً. وإلا فكيف يخلى هؤلاء الناس بينهم وبين هذه اللحظات التى لا تنسى من عمر الشمس ... كيف يبيحون أن يجلسوا إليها أكثر النهار يستمدون منها القوة ويستجدون العافية ويتقلبون فى مهاد من أشعتها الحلوة ، حتى إذا غلبها على أمرها الفلك الدوار وانحنت تودع هذا الشاطىء انصرفوا عنها ... لم يكن فى وداعها إلا ثلاثة : شاعر حالم ، ومحب مستخف ، وحارس كهل من حراس الشاطىء ينتظر موعد الصلاة ؟ !

ولكن ما ينفع العجب ؟.. وهل هذا إلا صورة من وفاء الناس للناس ، يتجاوز الأحياء إلى الأشياء .

... وانتهيت إلى البحر من أقرب طرقه — وكل الطرق إليه قريب — فأنا مع هذا القرص المتوهج الذى يبقى من الشمس على ميعاد ، فى كل يوم ، لا أخلفه إلا مكرها على إخلافه ، ولا أنصرف عنه إلا أن يحول بينى وبينه ما لا قبل لى بدفعه ، فإن فاتنى أن أراه عشت معه أتخيله ، حتى تطويه لفة الأفق فى لحن سماوى من الألوان ، حزين .

— ٣ —

ورأيتنى أشهد الشمس الهاوية فى استغراق ، وغشى عينى دمع ثر ، كأنما استمار من الموج تدفقه ... ولم أحس لهذه الصورة التى أراها كل يوم مثل الذى أحسسته لها اليوم ... كنت أحس بعض هذا الاستغراق غير أنى لم أكن أضل ذاتى ... كان حاجز رقيق أو صفيق يحول بينى وبين الفناء ويبقى على شيئاً من كيانى، ولكنى فى هذه اللحظات لم أعرف أين أنا ومن أنا فقد اشتملنى جناح رفيق رقيق ، وطار بى فى هذا الأفق الموغل المترامى

ليتركني بين وجيب الشمس المحتضرة وثنايا السحب المنتصرة :

كان من أمامي صراع ... الليل الزاحف كالموت ، والأفق الذي ينبسط في مهوى الشمس المنحدرة كاللحد ، والسحب الكثيفة التي تصرفها الريح فتطغى بهـا على النور كسكرات النزع ... ثم وجدتني في صميم هذا الصراع جزءاً منه ... كان يبدو لعيني من بعيد فآمي له ، أما الآن فأنا في ظلماته الطاغية وأنواره الخافتة أبكي منه ... كان حلماً مزعجاً يثيرني ، ولـكنه اليوم واقع يأسرني ويدميني ... كان مشهداً أستمد منه ألوانه وأنغامه ، أما الساعة فألوانه من دم قلبي وأنغامه من أناتي .

— ٤ —

وفي صميم المعركة لا يملك المجروح أن يعي ما كان ... يفنى فيما حوله وتفنيه الأشياء التي حوله .. يستغرق فيها وتغرقه ... لا يدرك أكان هو الذي استوعبها أم هي التي استوعبته ... ولـكنه حين يفيق ، يفيق على السكون الحزين الذي لا يفسده إلا نض الجرح بالدم ونبض الصدر بالأنين .

... وكأنما استيقظت ، حين نظرت من حولي فلم أجد شيئاً ولم أحس حركة ولم أبصر إنساناً ... لم يبق إلا سكون الموت وأنين الموج ... أما هناك ، في الأفق ، حيث كان الصراع فقد انطوى البحر على الحطام الباقي من الشمس ... لم تبق من الشعاعات الأخيرة إلا ظلالها . . ثم نحلت هذه الظلال فلم يبق إلا انطباعها على بعض السحب ... ثم محت أنفاس الظلمة المنتصرة هذا الانطباع فلم يبق شيء .

— ٥ —

لقد زايلتني كل هذه الصور التي كانت من حولي ، وخفتت كل الأصوات التي كانت في أذني ... هدأ الموج الذي كان يتكسر على الشاطىء ، واختفت الغلالات التي توشي السماء ، وركدت الريح التي كانت تطرز البحر ... لقد طمس الموت الصور فأحالها ظلالا ، وامتص الحركة فأحالها سكوناً وعمقاً ... فلم يبق إلا الذكريات أعيش بها وأعيش عليها ، ومن وراء هذه الذكريات أرى الألوان الزاهية والجوانب المتوردة والصفحات المشرقة ، ومن وراء هذه الذكريات أستمع إلى الأصوات النشيطة والحركة الحية ... السكون والظلام والذكرى كل ما أنا فيه ، وما أقسى ما أنا فيه .

— ٦ —

وارتددت إلى البيت ... كان في طريقي حين استقبلت البحر شعاعات وظلال وأغصان خضر لها براعم توشك إن تتفتح عنها . كان في طريقي ، في هذه المرحلة ، أنوار وآمال ... أما الآن فأنا لن أرى ، حين أستقبل البيت إلا الأشـباح التي تتشح بالسواد ويلي من هذا السواد ... لقد غام النور الذي كان هنا ، ولـكنه ترك هذه الدفقة المتدفقة التي تتوهج في أعماقنا .

* * *

... غروب ومعركة وموت ... لقد غيب الليل كل شيء ، وتركنا للذعة الوحـدة وصهر الآلام ... وما أطول الليل ... أما الشمس التي غابت عن عيوننا فكل عزائنا أنها دائماً في قلوبنا .

(القاهرة) شـكري فيصل

من كتاب قصور العرب :

غُمْدَانُ (١)

للأستاذ كاظم المظفر

يظنُّ الكثيرأن العرب فى الجاهلية كانوابدوا لم تكن لهم حضارة ولم يُؤسسوا الدول والممالك ، ولم يُقيموا الشرائع والأنظمة . ولكنا إذا درسنا تاريخ اليمن فقط ، نجد الأمر بخلاف ذلك ، لأن العرب فى اليمن كانوا أصحاب دول منظمة ، حكومتها بيد ملوك يتمتعون بالسلطة المطلقة . لهم جيوش للتعمير وليست للتخريب. يجمعون الرجال لبناء المدن والقصور، وإنشاء السدود ، وحكومتهم وراثية لها نقود رسمية مزينة بالنقوش والصور كرأس الثور رمز الزراعة أو صورة الهلال أو الصقر ، وعلى نقودهم كتابة عربية بالخط المسند[٢].

واليمن من أقدم الأقطار التى نشأت فيها الحضارة ، فلو قام علماء العاديات بالحفر فى أنحاء اليمن لأطلعوا العلم على آثار تلك الحضارة . وحضارة اليمن العربية القديمة بادية فى بناء أسداد الرى ، وتشييد القصور ، وتأسيس القصبات والمدن ؛ فى اليمن حضارة عربية قديمة ، وخزانة الأقوام العربية المتدفقة[٣].

وكان اليمانيون طبقات ، منهم الجنود والفلاحون والصناع والتجار ؛ غير أن التجارة غلبت على البلاد لوقوعها على الطرق . وقد اشتغلوا بالزراعة لخصب تربة البلاد ؛ واشتهرت اليمن بمعادنها من الذهب والفضة والحجارة الكريمة . وهذا ما زاد فى ثروة البلاد ، فأصبح أهلها أغنياء . بنوا القصور العالية ، وشيدوا المدن الكبيرة ، والقلاع العظيمة[٤]... وأشهر قصورها قصر غُمدان فى مدينة صنعاء . ذكر الهمدانى وياقوت أن بانيه اليشرح يحصب[١] ؛ فإذا صحّ قولهما كان بناؤه فى القرن الأول للميلاد ، وظل باقياً إلى أيام عثمان بن عفان[٢] فى أوائل القرن الأول للهجرة فيكون قد عاش نحو (٦٢٠) سنة[٣].

وقد شاهد الهمدانى بقاياه تلاً عظيماً كالجبل ؛ وقال فى وصفه أنه كان عشرين سقفاً غرفاً بعضها فوق بعض أى عشرين طبقة[٤] مثل أبنية العالم المتمدن وأعلاها . بين كل سقفين عشرة أذرع[٥]

وفى الإكليل[٦] أن محمد بن خالد رفع حديثاً إلى وهب ، فقال : لما بنى غُمدان صاحب غمدان ، وبلغ غرفته العليا أطبق سقفها برخامة واحدة شفافة ، وكان يستلقى على فراشه فى الغرفة فيمر به الطائر فيعرف الغراب من الحدأة وهو تحت الرخام . وكانت حروفه أربعة تماثيل أُسود من نحاس مجوفة ، رجلا الأسد فى الدار ، ورأسه وصدره خارجان من القصر ، وما بين فمه إلى مؤخره حركات مدبرة . فإذا هبت الريح دخلت أجوافها ، فيسمع زئير كزئير الأسد . وكان يُصبح فيها بالقناديل ، فترى من رأس عجيب[٧]. وذلك حين تُسرج المصابيح فى بُيوت الرخام إلى الصبح ؛ فكان القصر يلمع من ظاهره كلمع البرق . فإذا أشرف الإنسان ليلاً قال أرى بصنعاء برقاً شديداً كثيراً ، وهو لا يعلم أن ذلك من ضوء السُرُج[٨]. وكانت غرفة الرأس العليا

---

(١) غمدان : بضم أوله وسكون ثانيه وآخره نون ، وقد صحفه الليث فقال عمدان بالعين المهملة ، ويجوز أن يكون جمع غمد مثل ذئب وذؤبان . وغمد الشيء غشاؤه ولبسه فكان هذا القصر غشاء لما دونه من المقاصير والأبنية (معجم البلدان مادة غمدان ج ٦ ص ٣٠١)

(٢) تاريخ الأمة العربية لدرويش المقدادى ص ٢٣

(٣) جغرافية بلاد العرب للعميد طه الهاشمى ص ١٠١

(٤) تاريخ الأمة العربية ص ٢٤

---

(١) اليشرح . ويروى هذا الاسم بصور مختلفة . قال فى تاج العروس فى مادة غمد فى كلامه عن بانى قصره : بناه يشرخ . هكذا بالشين والخاء المعجمتين . وفى بعض النسخ بالمهملات (كذا والأصح بالمهملتين) وفي بعضها بزيادة اللام على التحتية (أى ليشرخ) . وجاء أيضاً (ذوشرح) كما فى أبيات أبي الصلت التى سيأتى ذكرها . والأكثر أنه اسمه وهو يشرخ بن الحارث بن صيفى بن سبأ أجد بلقيس . والظاهر أن رواية هذا الاسم الفصيحة الصحيحة هى اليشرح أو ليشرح بن يحصب (راجع معجم ياقوت مادة غمدان ج ٦ ص ٣٠١ ، والعرب قبل الإسلام لجرجى زيدان ص ١٤٥)

(٢) مروج الذهب للمسعودى ج ص ٢٦١

(٣) العرب قبل الإسلام ص ١٤٥

(٤) وفى معجم ياقوت مادة غمدان : « وبنى على سبعة سقوف بين كل سقفين منها أربعون ذراعاً » وهذا أقرب إلى العقل من قوله : على عشرين سقفاً .

(٥) العرب قبل الإسلام لجرجى زيدان ص ١٤٥

(٦) ج ١ ص ٢٢ - ٢٣

(٧) عجيب : اسم جبل فى اليمن قريب من صنعاء .

(٨) كتاب البلدان للهمدانى طبعة ليدن ص ٣٥

مجلس الملك اثنى عشر ذراعاً . وكان للغرفة أربعة أبواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب ؛ وعند كل باب منها تمثال من نحاس إذا هبت الريح زأر ؛ وفيها مقيل[١] من الساج والآبنوس وكان فيها ستور لها أجراس إذا ضربت الريح تلك الستور تسمع الأصوات عن بُعد .

وكان غمدان على سبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعاً ، وهذا لا يمكن ؛ لأن أربعين ذراعاً بين كل سقفين كثير ، والثبت ما ذكرناه أنه عشرون سقفاً كل سقف على عشر أذرع ، فذلك مائتا ذراع ، ولن يتعذّر لقدرتهم على كل معجز من البناء[٢] . وأن أبا شرح كان ملك غمدان ، وقد بناه على سبعة أسقف كل سقف منها على أربعين ذراعاً . وكانت له أربعة أوجه فى ترابيعه : وجهٌ مبنى بحجارة بيض ، ووجه بحجارة سود ، ووجه بحجارة خضر ، ووجه بحجارة حُمر . وكان فى أعلاه غُرفة لها لجٌّ وهى الكوى . كل كوّة[٣] منها بنساء رخام فى مقيل من الساج والآبنوس ، وسقف الغرفة رخامة واحدة صفيحة . وقال آخر : كانت الغرفة تحت بيضة رخام من ثمانى قطع مؤلفة ؛ وذلك أحرى لأنهم كانوا يثقبون فيها السرُج فترى من رأس عجيب ، ولا ترى فيها حُمرة النار مع الرّخامة المبسوطة ، ويؤيد ذلك قول علقمة :

مصابيح السليط يلحن فيه إذا يمسى كتوماض البروق[٤]

ويقال : إن غمدان أول قصر بنى باليمن ، ووجد فيه حجر فى بعض زواياه فيه مكتوب بالخط المسند : « بنساء غمدان » . وإنه البناء الذى ذكره الله عز وجل بقوله : (لا يَزالُ بنيانهمُ الذى بنوْا رِيبَةً فى قُلوبهمْ)[٥] . فلما نزلت هذه الآية أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فروة بن مُسيك ليهدمه ، فلما أراد هدمه لم يقدر عليه ، حتى أحرقه بالنار ، ولم يهدم إلاّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عند وفاته . لأنه لم يهدم إلا بعد أن عمل فروة بن مُسيك وقيس بن هُبَيْرة المكشوح فى قتل الأسود بن كعب العنسى الذى ادعى النبوة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وله خبر طويل ؛ وكان فى القصر فقتل فى السنة التى توفى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم[١] وقيل هدم فى أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه[٢] ، فقيل له : إن كهان اليمن يزعمون أن الذى يهدمه يُقتل ؛ فأمر بإعادة بنائه ، فقيل له : لو أنفقت عليه خرج الأرض ما أعدته كما كان فتركه .. وقيل أيضاً وجد على خشبة لما خُرِّب وهُدم مكتوب برصاص مصبوب : « إسلم غمدان ، هادمُكَ مقتول » فهدمه عثمان رضى الله عنه فقتل[٣] . وهناك وجه آخر قال فيه ابن الكلبى : كان على كلّ ركن من أركان غمدان مكتوب « إسلم غمدان ، مماديك مقتول بسيف العدوان »[٤] .

وقد اضطربت آراء المؤرخين فى بانيه ، وتشعبت أقاويلهم فى ذلك ، وذهبوا مذاهب شتى ، نذكر ما استطعنا أن نعثر عليه من أقاويلهم .

١ — سليمان بن داود عليهما السلام[٥] ، وذلك أنه أمر الشياطين أن يبنوا لزوجته بلقيس أربعة قصور : غُمدان ، وصِرْواح ، وبينين ، وسَلحين . وكلها باليمن[٦] . ومال إلى هذا القول كثير من المفسرين[٧] ، ولعلّ سليمان أقدم من نسب إليه بناء غمدان .

٢ — جاء فى الروض الأنف : غمدان حصن كان لهوذة بن على ملك اليمامة[٨] .

٣ — وجاء فيه أيضاً : ذكر ابن هشام أن غمدان أنشأه يعرب بن قحطان ، وأكمله بعده وائل بن سبأ بن يعرب[٩] ، وكان ملكاً مُتوّجاً كأبيه وجدّه وله ذكر فى حديث سيف ابن ذى يزن[١٠] .

(١) المقيل : ما يضجع ويوضع فيه الباب بخشبه أو الكوة بخشبها وهو الذى يسميه المولدون : اللبن وهو الاطار الذى يماس الحائط من جهاته الأربع ويتزل فيه خشب الكوة أو الباب .

(٢) الاكليل ج ٨ ص ٢٣ — ٢٤

(٣) الكوة بالتشديد : فتحة فى الدار

(٤) وينسب هذا البيت الى أبيات أخر الى ذى جدن الهمدانى (العرب وأطوارهم ص ١٠)

(٥) سورة التوبة آية ١١١

(١) الاكليل ج ٨ ص ٢٥

(٢) تاج العروس ج ٢ ص ٤٤٦

(٣) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٠٣

(٤) نهاية الأدب للنويرى ج ١ ص ٣٧١

(٥) تاج العروس ج ٣ ص ٤٤٦

(٦) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٠٢

(٧ ، ٨) تاج العروس ج ٢ ص ٤٤٦

(٩) نهاية الأرب للقزويني ج ١ ص ٣٧١

(١٠) تاج العروس ج ٢ ص ٤٤٦

٤ — سام بن نوح (١)

٥ — بيو راسب وقد بناه على اسم الزُّهرة . وهذا القول ضعيف فلم يورده إلا النويري في نهاية الأرب ج ١ ص ٣٧٠

٦ — ليشرح بن الحرث (أو الحارث) بن صيفي . وقد رجح هذا القول جماعة من المؤرخين واعتمده صاحب القاموس (٢) .

٧ — سيف بن ذي يزن . وقد انفرد بهذا القول الزمخشري (٣) . وقد أخطأ فيه لأنه سبق بناؤه قبل وجوده بقرون عديدة .

وقد ذكر الهمداني أن الذي أسس غمدان وابتدأ بناءه واحتفر بئره التي هي اليوم سقاية المسجد الجامع بصنعاء « سام بن نوح » اجتوى (٤) بعده السكنى في أرض الشمال ، وأقبل طالعاً في الجنوب يرتاد أطيب البلاد . حتى صار إلى الاقليم الأول ؛ فوجد اليمن أطيب مسكناً ، وارتاد اليمن فوجد حقل صنعاء أطيب ماء بعد المدة الطويلة ، فوضع مقرانه (٥) ؛ وهو الخيط الذي يقدر به البنّاء ويبني عليه بناءه إذا مدّه بموضع الأساس في ناحية فج غمدان ، في غربي حقل صنعاء ، فبنى الظّبر ، وهو اليوم معروف بصنعاء ، فلما ارتفع بعث الله طائراً ، واختطف المقرانة ، وطاربها ، فتبعه سام لينظر أين وقع ، فأقام بها إلى جنوب النعيم من سفح نقم (٦) ، فوضع بها ، فلما رهقه (٧) طار بها فطرحها على حرجة (٨) غمدان ، فلما قرّت على حرث (٩) غمدان علم سام أن قد أُمِر بالبناء هناك ؛ فأسس غمدان (١٠) ، واحتفر بئره ، وتسمى كرامة وهي : سفاه إلى اليوم ولكنها أجاج (١١) .

(يتبع) **كاظم المظفر**

---

(١) نهاية الأرب ج ١ ص ٣٧١

(٢) العرب وأطوارهم ج ١ ص ٩ وتاج العروس ج ٢ ص ٤٤٦

(٣) في ص ٨١ من كتابه « الجبال والأمكنة والمياه » ط المطبعة الحيدرية بالنجف .

(٤) اجتوى البلد : كره المقام فيه وإن كان في نعمة .

(٥) ذكر العلامة الأب انستاس ماري الكرملي أن المقران بمعنى المطمار لم أجده في كتاب ، لكن القياس لا يمنعه اسم آلة .

(٦) نقم : جبل مطل على صنعاء اليمن قرب غمدان .

(٧) أي لحقه

(٨) الحرجة : الموضع الذي يلتف شجره .

(٩) سكان هناك ويعرفون ببني حرث أيضاً .

(١٠) وفي معجم ياقوت في مادة غمدان مثل هذه الحكاية .

(١١) الاكليل ج ٨ ص ٦

على ضريح خليل مطران

للأستاذ راجي الراعي

مسح الخـلود جبينه إعظاماً ... فأفاق من بين العظام وقاما

وأزاح عنه ترابه وظلامـه ... وعـلا يصفق بالجناح وحاما

يا من تخيرك البيان لسحره ... لم يرض غيرك سيداً وإماما

كيف استطاع الموت أن يلقي على ... عينيك من ليل التراب ظلاما

ماذا دهاك فلم يحول وجهه ... سحر البيان فنال منك مراما

ما كان يعمى السحر عما تبتغي ... أتراه أغـواه الردى فتعامى

ألقى الحمام وقد مررت بداره ... ما في يديه وصادق الأرحاما

لما أحس بمجد من أودى به ... أخلى القبور من النيام وناما

* * *

هـذا هو الجبار في أحلامه ... تخذ المجرة في السماء مقاما

يستنزل الآيات برسلها على ... مر الدهور أشـمة وسهاما

بخياله ضم العلاء وما حوى ... وبفنه أفني الفنـاء فداما

أنى التفت رأيت من أمجاده ... علماً يتيه ومارداً يتسامى

وكتيبة في الجـو إثر كتيبة ... تملو وتبسط باسمه الأعلاما

سل عنه رب الشعر من أعلى له ... بيت الصلاة وحطم الأصناما

جاءوه بالحجر الكريم المنتقى ... فبنى القباب وشيد الأهراما

وأتته جنات النعيم بحورها ... تشدو وفي أحضانه تترامى

خاض العباب ولم يبلل ثوبه ... وغزا الفضاء ولم يسل حساما

كم من رماد غاب فيه ضرامه ... فاستل من قلب الرماد ضراما

ما كان يحمل غير سيف لهيبه ... سيفاً يفيء محبة وسلاما

يمشي به في موكب من روحه ... ويحيل حقد الحاقدين هياما

لا يستريح وفي المدينة بائس ... يشكو وجرحى للردى ويتامى

يبكي الوفاء به أعـز رفاقه ... حفظ العهود وحقق الأقساما

لو كان يختار الوفاء رسومه ... ما اختار غير (خليله) رساما

* * *

صبت له الدنيا الكؤوس فلم يجد ... في ما سقته من الكؤوس مداما

لم يكشف السر الدفين وعاش في ... أيامـه يستنطق الأياما

ويجاذب الغيب المعمى لثامه ... والغيب يأبى أن يزيح لثاما

واليوم يسقي ما اشتهاه خياله ... في الجنة الخضراء حيث أقاما

راجي الراعي

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

تعقيب على مقال فى (الثقافة) :

كتب الأستاذ أحمد أمين بك فى العدد (٥٦٠) من « الثقافة » مقالا طريفاً تحت عنوان « نظرية طريفة » . وخلاصة المقال ، أو خلاصة النظرية : أن هناك كتاباً للكاتب الصينى « لن يوتانج » يرى فى أحد فصوله : « أن لكل أمة مزاجاً ، وهذا المزاج يتكون من عناصر أربعة : عنصر الواقع ، أو بعبارة أخرى : النظر إلى الوجود كما هو موجود ، وعنصر الحلم أو الخيال أو المثالية ، وعنصر المرح أو روح الفكاهة ، وعنصر الحساسية أو قوة الشعور بالأحداث ... واصطلح الكاتب الصينى على أن يجعل كل عنصر من هذه العناصر الأربعة إذا بلغ درجة (٤) فشاذ ، أعلى مما يلزم ، وإذا بلغ (٣) فرتفع ، وإذا بلغ (٢) فمعتدل ، وإذا بلغ (١) فنخفض ... وكل أمة لديها هذه العناصر الأربعة ولكن بأقدار مختلفة ، وهى تسير فى الحياة وتتصرف فى الأحداث وفق امتزاج هذه العناصر ومقاديرها . وعلل بعض مايبدو فى الأمم من مظاهر بهذا المزاج ؛ فالفرنسيون مثلا يميلون إلى النظريات المجردة وسعة الخيال ، كما يتجلى ذلك فى أدبهم وفنهم وكثرة حركاتهم السياسية ، وذلك ناشئ عن علو درجتهم فى المثالية ، والصينيون أعرق الناس فى الواقعية ، والألمان أحوج الناس إلى روح الفكاهة ، حتى لقد كدت أعطيهم صفراً . وهذا ما أتعبهم فى السياسة فى الماضى والحاضر ، ولو منحوا قدراً كافياً منها لتغير تاريخهم وتغير وجه الحرب ... ثم ذكر أن المثل الأعلى لأمة أن يكون قانونها : واقعية ٣ مثالية ٢ فكاهة ٣ حساسية ٢ ، وأقرب الأمم إلى هذا المثل الإنجليز » .

هذا هو رأى « لن يوتانج » الذى نقله الأستاذ أحمد أمين بك دون تعقيب أو مناقشة ... أما نحن فنقول عن تفسير الكاتب الصينى لإخفاق الألمان فى ميدان الحرب والسياسة بأنه من أثر النقص فى عنصر المرح والفكاهة ، نقول عنه إنه تفسير مضطرب يقوم على أسس تفكيرية منحرفة ؛ فلو اهتدى « لن يوتانج » بمنطق الحوادث ومنطق التاريخ لوضع النقص فى عنصر الواقعية مكان النقص فى عنصر الفكاهة ... ذلك لأن الألمان قد دأبوا على ألا ينظروا إلى الوجود كما هو موجود ، ولو أنهم كانوا واقعيين لما أثاروا حقد العالم فى ميدان السياسة بتلك النزعة العنصرية التى تنشد الغلبة والتفوق فى مجال الفخر والمباهاة ، ولو أنهم كانوا واقعيين لما تحدوا العالم كله فى ميدان الحرب بتلك النزعة البروسية التى تتمثل أمجاد الماضى البعيد فى مجال التطبيق على الحاضر المشهود ! ... ومن العجيب أن « لن يوتانج » قد منح الألمان ثلاث درجات لأنهم واقعيون ، وهى نفس الدرجات التى وضعها فى مواجهة الواقعية البريطانية !

بعد هذا ينتقل الأستاذ أحمد أمين بك إلى تطبيق هذه العناصر على المصريين منتهجاً نفس الخطة التى سار عليها « لن يوتانج » فيقول : « فى نظرى أن المصريين يغالون فى الواقعية ويقصرون فى المثالية ، ومن أجل هذا يغلب عليهم احتذاء التقاليد والأوضاع القديمة ، حتى التى كانت فى عهد قدماء المصريين التزاماً للواقع » .

يؤسفنى أن أعقب على هذا الرأى فأقول : إن نظرة الأستاذ الفاضل إلى الواقعية تتنافى مع الأساس الذى تعارف عليه الناس ومع الأساس الذى وضعه « لن يوتانج » حين فسر الواقعية بأنها النظر إلى الوجود كما هو موجود ، وعلى ضوء هذا التفسير المقبول لا يستقيم التطبيق الذى أورده الأستاذ أحمد أمين بك فيما يختص بالمصريين ، فلو مال المصريون إلى الأخذ بأسباب الواقعية لنبذوا تلك النزعة الخيالية التى تدفع بهم إلى التمسح بأنقاض ماض يفصل بينهم وبينه آلاف السنين ! ترى هل يمكننا أن نفسر احتذاء المصريين للتقاليد والأوضاع القديمة بأنه التزام للواقع كما يقول الأستاذ أحمد أمين بك ؟ أغلب الظن أننا لا نستطيع أن نفسره إلا بأنه التزام للخيال .

ولقد أعجبت بمنطق الأستاذ أحمد أمين بك حين تناول عنصر المثالية فى حياة المصريين بقوله : « .. وحتى الأدب

والفنون عندهم تنقصها الأحلام والخيالات ، وقد لك ضعفت القصة في أدبهم وكثرت الحكم ، لأن الحكم واقعية والقصة خيالية . والأدب المصري يسير سيراً تقليدياً ، إما تقليداً للأدب العربي القديم أو للغربي الحديث ، وقل فيه الابتكار ، لأن الابتكار خلق والخلق يحتاج إلى تصميم والتصميم يحتاج إلى خيال أومثالية. ولعل هذا هو شأن الشرق بأجمعه لا المصريين وحدهم ، فإن صح هذا وجب على المصلحين أن يؤسسوا إصلاحهم وبرامجهم على الإقلال مما يسبب الواقعية والإكثار مما ينمي المثالية ». ويلاحظ هنا أن الأستاذ أحمد أمين بك يدعو إلى الإقلال من الواقعية لأنه كما قلنا ينظر إليها نظرة خاصة تجعل منها أداة تأخر ورجعية ، ولو استخدم الأستاذ منطق « لن يوتانج » لأدرك أن الواقعية هي سر هذا التوفيق الذي لازم الأمة البريطانية في تاريخها الطويل ، ومن هنا استقام منطق الكاتب الصيني حين منح الإنجليز ثلاث درجات في هذا المجال

أما في مجال الفكاهة والحساسية ، فقد بلغ الأستاذ أحمد أمين فيه التوفيق ، وقد وقع في شيء من التناقض حين قال : « أما روح الفكاهة فهي نامية عند المصريين ، وقد خففت عنهم كثيراً من متاعبهم ، بل وقد تكون حفظت عليهم وجودهم ، فما تحملوه من ضغط آلاف السنين كان يكفي للقضاء عليهم لولا روح الفكاهة ، فأنا أقدر روحهم الفكاهية بثلاث درجات على الأقل ... ثم إن المصريين كالفرنسيين ينالون ثلاث درجات في الحساسية ، فهم سريعو الغضب سريعو الانفعال في شدة ، وقد يلاحظ عليهم أنهم ينفعلون لدواعي الحزن أكثر مما ينفعلون لدواعي السرور » ! ... إن التوفيق هنا مرجعه إلى تقرير الواقع في كثير من الدقة بالنسبة إلى أثر الفكاهة في حياة المصريين ، ولكن التناقض يظهر عندما يقال إن المصريين ينفعلون لدواعي الحزن أكثر مما ينفعلون لدواعي السرور . كيف نوفق بين قول يسجل الغلبة لعنصر الفكاهة والمرح وقول يسجل هذه الغلبة نفسها لروح الحزن والاكتئاب ؟

ويمضي « لن يوتانج » في تطبيق نظريته على الكتاب والشعراء ، ثم ينتهي آخر الأمر إلى تقدير بعض الشعراء بهذه المقاييس :

شكسبير : واقعية ٤ مثالية ٤ فكاهة ٣ حساسية ٤

هاينى : واقعية ٣ مثالية ٣ فكاهة ٤ حساسية ٣

شلى : واقعية ١ مثالية ٤ فكاهة ١ حساسية ٤

ويسلك الأستاذ أحمد أمين بك طريق الكاتب الصيني ليصل إلى حقيقة تلك العناصر عند المتنبي وابن الرومي فيمنحهما هذه الدرجات :

المتنبي : واقعية ٣ مثالية ٣ فكاهة ٢ حساسية ٣

ابن الرومي : واقعية ٢ مثالية ٣ فكاهة ٣ حساسية ٤

ونقف قليلا لنعترض على تقدير « لن يوتانج » لعنصر الحساسية عند شلي وهايني وشكسبير ... إن الميزان قد اهتز في يد الكاتب الصيني اهتزازاً شوه معالم الذوق الأدبي السليم وجنى على حقيقة القيم الفنية عند الشعراء الثلاثة ؛ ذلك لأن رهافة الحس أو قوة الشعور عند الشاعرين الإنجليزيين لا يمكن أن ترقى إلى مثيلتها عند الشاعر الألماني ... إن استكناه دخائل النفس واستشفاف حقائق الحياة شيء وتلقي الموجات الشعورية من أعماق هذه وتلك وصبها في انعكاسات تعبيرية شيء آخر ، وهذا هو الخلط الذي يبدو لي أن الكاتب الصيني قد وقع فيه حين نظر إلى عنصر الحساسية عند الشعراء الثلاثة ، وهو نفس الشيء الذي وقع فيه الأستاذ أحمد أمين بك حين نظر إلى ملكة السخرية في شعر ابن الرومي على أنها عنصر الفكاهة الذي يقصد إليه « لن يوتانج » إن هناك فارقاً كبيراً بين الفكاهة والسخرية من ناحية الدلالة اللفظية ، فقد يكون الكاتب أو الشاعر على نصيب وافر من روح المرح في إنتاجه الأدبي ثم لا يستطيع أن يبلغ هذا المدى في مجال السخرية ؛ السخرية التي تهدف أول ما تهدف إلى تناول مظاهر الحياة والأحياء بالتهكم اللاذع والتعريض المقذع والتجريح المرير ، وتستطيع أن تلمس هذا الفارق الكبير بين طابع الفكاهة وطابع السخرية في إنتاج كاتبين كبيرين هما مارك توين وبرناردشو ، ذاك في المجال الأول وهذا في المجال الأخير .

ثم إننا لو منحنا ابن الرومي على عنصر الفكاهة ثلاث درجات لأضفناه إلى قائمة الظرفاء من أمثال أبي دلامة وأبي العيناء ، وهذا هو الأمر الذي لا يستطيع التاريخ الأدبي أن يهضمه حين يضع في بوتقة النقد معادن الشعراء ... وإذا وافقنا على أنه يستحق

على عنصر الحساسية تلك الدرجات الأربع ، فإننا لا نستطيع أن نوافق على أن المتنبي مثلا يستحق على هـذا العنصر تلك الدرجات الثلاث

حرية الرأى العلمى بين طلاب الجامعة :

بالأمس شكا إلى طالب فى كلية الآداب ظلماً وقع عليه ، ظلماً يتمثل فى مظهر من المظاهر التى لا تتفق وطبيعة التعليم الجامعى كما يفهمه الجامعيون ، لقد فقد هذا الطالب الممتاز درجة امتيازه التى حصل عليها بجهده وعلمه لأنه أراد أن يكون جامعياً ، أى أن يكون حر الرأى مستقل النظرة فى بحث المسائل العلمية التى تعرض عليه فى صفحات كتاب وعلى لسان أستاذ ... وتتلخص قضية الطالب المظلوم فى أنه عارض آراء أساتذته فى ورقة الامتحان لأنه يثق بعقله إلى الحد الذى يحول بينه وبين الإيمان بكل مايقال ، وذنبه أنه لا يريد أن يكون ذلك « الإنسان الآلى » الذى يردد بعض الحروف والأرقام دون وعى أو إرادة ، ومن هنا ضاق الأساتذة المصححون بتلك العقلية التى تنشد حرية الفكر واستقلال الرأى فحرم صاحبها درجة الامتياز !

هذه هى القضية ، وهى ليست قضية هذا الطالب وحده فيما أظن ولكنها قضية الألوف من طلاب الجامعة ، أولئك الذين يراد لهم أن يخرجوا إلى الحياة مزودين بأسلحة فكرية مفلولة لا تقرها النظم الجامعية فى العالم ... إن المفروض فى التعليم الجامعى أنه مرحلة ينتقل فيها طالب المدارس الثانوية إلى آفاق علمية جديدة ، جديدة فى مناهج البحث وطرائق التفكير وحرية التناول العقلى لشتى المشكلات العلمية والأدبية والفنية . فإذا ألغينا كل هذه القيم ليكون الطلاب أبواقا للاساتذة فقد قضينا على المثل العليا الفكرية التى ينشدها كل نظام جامعى قويم !

نحن لا ننكر أن بين جدران الجامعة أساتذة ممتازين ، ولا ننكر أيضاً أن بين تلك الجدران أساتذة يعلم الله أين يجب أن يكون مكانهم ... ولقد قلنا من قبل إن العبرة ليست بما يحمل المرء فى يده من شهادات ولكن بما يحمل فى رأسه من ثقافات ! وإذن فمن الظلم أن يحال بين الطالب المجتهد وبين حرية الرأى العلمى إذا أراد أن يجهر به ، وبخاصة إذا كان يتلقى معلوماته من هذا الفريق الأخير . لقد كنا ننتظر أن يظفر مثل هذا الطالب المجتهد بتقدير أساتذته بدلاً من أن يبوء منهم بمثل هذا الخذلان ، ولكن أساتذته غفر الله لهم قد نظروا إلى طبيعة عقليته الجامعية الأصيلة على أنها ضرب من الخروج على كرامة علمهم الغزير ... وفى سبيل هذه الكرامة المزعومة تلغى الكرامة العقلية فى حياة جيل جامعى ومن بعده أجيال .

لتكن الجامعة جامعة وإلا فلنعلن أننا ما زلنا نأخذ بنظام الكتاتيب ... إن وجه الشبه بين طالب الجامعة اليوم وطالب الكتاب بالأمس أن طالب الكتاب كان يئن تحت عصا الأستاذ إذا نسى منطق الترديد أو انحرف لسانه عن طريقة الببغاوات ، وأن طالب الجامعة يقف اليوم نفس الموقف وإن كان بلوغه مبلغ الرجال قد صرف عنه العصا وأحل محلها قلم الأستاذ فى أوراق الامتحان .

بقية الرسائل فى حقيبة البريد :

فى العدد (٨٤٦) من الرسالة كنت قد أشرت إلى أننى سأعرض بالتعقيب لبقية الرسائل التى تلقيتها من القراء فى العدد الذى يليه ، ولكن ضيق النطاق فى العدد الماضى قد حال بينى وبين هذه الأمنية ، وكذلك فى هذا العدد .. فإلى العدد القادم إن شاء الله حيث أعقب أيضاً على بعض الرسائل الجديدة .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تأبين الصحفيين للمازني :

هنا فى هـذه القاعة ، قاعة فاروق الأول بنادى نقابة الصحفيين ، كان المازنى يؤبن الريحانى من نحـو ثلاثة أشهر ، وها قد أصبح هواليوم يؤبن... هذا هو ماجال بخاطرى وأنا آخذ مكانى فى القاعة قبيل ابتداء حفلة التأبين التى أقامتها نقابة الصحفيين يوم الثلاثاء الماضى لتأبين المغفور له ابراهيم عبد القادر المازنى . وقد كانت كلمته — رحمه الله — خير ما قيل فى تأبين الريحانى ، فقد أبرز فيها فن الريحانى ممثلاً فى صوته ، وحلل ذلك تحليلاً دقيقاً كما ذكرت ذلك فى حينه ، واليوم فى هذا الحفل الذى يقام لتأبين المازنى لم نظفر بكلمة دراسية وافية دقيقة لأدب المازنى .

تحدث الأستاذ فكرى أباظه بك نقيب الصحفيين والأستاذ محمد عبد القادر حمزة ، عن الفقيد من حيث مكانته فى الصحافة وزمالته فى النقابة ، وأثنيا على شمائله ، ومما قاله الثانى أنه وقف إلى جانبه فى تحرير « البلاغ » فى وقت لم يكن من الميسور فيه أن تستوفى الجريدة حاجتهـا من المحررين والمترجين والمخبرين ، لأزمة وقعت فيها « البلاغ » إذ ذاك ، فجعل الأستاذ المازنى من نفسه محرراً ومترجماً ومخبراً بالجريدة ، ودلل الأستاذ بذلك على تواضع المازنى ومرونته قائلاً : إن ذلك لم يزده فى نظرنا إلا رفعة قدر ، وإنه على هذا التواضع كان من أحرص الناس على كرامته . وقد نبه فى آخر كلمته على ما يجب على النقابة والحكومة نحـو أسرة الفقيد التى ينبغى أن تشعر بنوع من عرفان الجميل .

وارتجل الدكتور محمد مندور كلمة عن مكانة الفقيد الأدبية ألمع فيها إلى مقال كتبه بجريدة البلاغ فى « سخرية المازنى » وقال إن هذه السخرية لم تكن حلوى تزجى إلى الجماهير إنما كانت عصارة نفسه ، كانت سخرية مرة يسوقها فى أسلوب النكتة ، وكانت مرارتها مما لقيه فى حياته ، فالكاتب فى الشرق يجنى من غرس القمح عشباً . وكان مع استهانته بكل شىء حتى نفسه ، يحرص على القيم الأخلاقية والاجتماعية ، وكان حين يكتب يعرف ما يقول وهو مالك زمام نفسه .

وألقى الأستاذ محمد الحناوى مرثية جيدة ، ولم يكن فى حاجة إلى شاعر ينيبه كما قال :

أيها الراثون ، هل من شـاعر عنى أنيبـه
إننى ممـا دهـانى شـارد اللب سليبه

ثم أجهش الشاعر وهو يقول :

دونـكم دمعى فقد يغـ نى عن القول صبيبه
ليس غير الدمع ما يـ ـلك من مات حبيبه

وألقى الأستاذ صالح جودت قصيدة مؤثرة ، تمتـاز بمعانيها الرقيقة الهادئة وأدائها الطبيعى الصادق .

وفى ختام الحفل وقف الأستاذ أحمد المازنى شقيق الفقيد ، فألقى كلمة شكر فيها الحاضرين والنقابة ، وقال إنه يزجى هذا الشكر على ما جرت به العادة وإن كان فقيدنا هو فقيدكم ، وأنتم كما نحن أسرته .

ولعل من المفارقات أنه فى الوقت الذى يشيد فيـه الخطباء والشعراء بفضيلة التواضع فى المازنى ، نرى أكثرهم يمعدون إلى شىء من إبراز الذات . فقد قال الأستاذ صالح جودت فى قصيدته إنه كان يقصد المازنى ويسمعه شعره فيثنى عليه ويشيد بشاعريته ، وقد يرخص للشاعر فى الفخر ، ولـكن ما أظن ذلك لائقاً فى الرثاء . وقال الدكتور مندور : إن أحد الوزراء أرسل إليه كتاباً أثنى فيه على مقاله عن المازنى ، أو لم يكفه أن نشر هذا الكتاب فى البلاغ ؟ وقال الأستاذ النقيب إنه عرض النقـابة على المازنى فأبى لتواضعه وقال إن غيره أولى منه ... وقال الأستاذ محمد عبد القادر حمزة إن المازنى كان زميلا له . فلماذا يكبر نفسه هكذا ؟ إنما كان المازنى زميلا للمغفور له عبد القادر حمزة باشا .

ولم يعجبنى ما أشار إليه الأستاذ صالح جودت فى قصيدته ، والأستاذ محمد عبد القادر حمزة فى كلمته ، من أن المازنى تقـام له حفلة تأبين وتلقى فى رثائه خطبة وتنشد قصيدة ، ثم ينسى كما نسى غيره — لم يعجبنى هذا وإن كانا يقصدان إلى ما جرت عليه هذه البلاد من إهمال ذكرى أعلامها الراحلين ، فالمازنى لاينسى ، لأنه إن كان قد انتقل جسمه إلى عالم الفناء ، فقد انتقل اسمه إلى الخلود فى تاريخ الأدب ، ولن يستطيع هذا التاريخ أن ينسى واحداً من هؤلاء الأساتذة الذين نقلوا الأدب فى مصر وفى سائرالعالم العربى من حال إلى حال .

غزل البنات :

هو الفـلم الجديد الذى عرض هذا الأسبوع بسينما استديو مصر ، فرأى فيه الناس نجيب الريحانى حياً بعد موته ، بعثه على الشاشة فنه الخالد ، فعاد يضحك الناس ويمتعهم بعد أن خالوا البكاء عليه آخر العهد به .

إن الريحانى هو عصب هذا الفلم « غزل البنات » ولولاه ما كان شيئاً ، فقد اشترك فى التمثيل به ليلى مراد ويوسف وهبي ، وأنور وجدى وسليمان نجيب وغنى عبدالوهاب ولكن هؤلاء قاموا بأدوار قصيرة ، ما عدا ليلى مراد فهى بطلة الفلم أمام الريحانى . وقد أقحم أكثر أولئك الأعلام فى الفلم لاستغلال أسمائهم ، كما سنرى من عرض موضوع الرواية . ويخيل إلى أن انسجام الريحانى فى هذا الفلم من أسبابه أنه وضع له الحوار ، فضمنه فكاهاته الساخرة المعروفة ، وبعث به الحياة فى جسد القصة. ويقلل بعض النقاد من قيمة الحوار فى الأفلام السينمائية ، ذاهبين إلى أنها مناظر وصور أكثر منها كلاماً وحواراً ، وأنا لا أوافقهم على ذلك ، فإن الصور والحركة إذا كانت من أدوات التعبير فالحوار هو الأصل فى ذلك ، وهو ذو أهمية فى السينما كما هو مهم فى المسرح .

ليلى (ليلى مراد) بنت مراد باشا (سليمان نجيب) تلهو بالغناء والرقص وركوب الخيل ، وترسب بالامتحان فى اللغة العربية ، فيحضرون لها معلماً بائساً طرده ناظر المدرسة الأهلية التى كان يدرس بها ، وهو الأستاذ حمام (الريحانى) فيستقبله الباشا وابنته استقبالاً مهيناً فى أول الأمر لبعض الأسباب الناشئة عن الغلط وسوء التفاهم ثم يسترضيانه ويكرمانه ، وما يكاد يبدأ فى التدريس لليلى حتى تبدأ هى فى منازلته وإبداء حبها له وإحاطته بأسباب قوية من الإغراء ، فيستجيب لها فى تردد وتحفظ وإن كان قد أحبها فعلاً ويرى نفسه أخيراً قد وقع فى حرج من هذه العلاقة ، فيعتزم مبارحة الدار ، وكان الباشا قد أمر بإقامته فى القصر ، فتفاجئه ليلى وهو يهم بالرحيل ، وتمنعه وترغمه على مصاحبتها فى السيارة وقد أوهمته أنهما يفران معاً ، وتقف السيارة أمام مرقص تلق فيه ليلى شاباً تحبه (محمود المليجى) وهو يريد الاحتيال عليها ، فيثور الأستاذ حمام محتجاً على هذا اللقـاء ، فيطرد من

كشكول الأسبوع

□ يفتتح مجمع فؤاد الأول للغة العربية دورته المقبلة يوم الاثنين ١٠ أكتوبر الحالى ، وسيحتفل فى جلسة الافتتاح باستقبال العضوين الجديدين الأستاذين أحمد حسن الزيات وابراهيم مصطفى . ويلقى الأستاذ فريد أبو حديد بك كلمة استقبال الأستاذ الزيات ، ويقدم الدكتور أحمد أمين بك الأستاذ ابراهيم مصطفى .

□ كانت وزارة المعارف قد ألفت لجنة تحت إشراف الدكتور طه حسين بك ، لنشر كتاب « الشفاء » لابن سينا ، لمناسبة الاحتفال بذكراه الألفية . وقد تلقت الوزارة أخيراً من الدكتور طه أن المستشرقة دلفارنى أمينة المكتبة الأهلية بباريس ، لديها جزء من كتاب « الشفاء » مترجم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادى ، وأنها تقوم بترجمته من اللاتينية إلى الفرنسية ، وأنها ترغب فى الحضور إلى مصر لتراجع الأصول المخطوطة وتعارض بها المترجم ، على أن تحتمل جمعية المستشرقين نفقات سفرها ، وأن تيسر لها وزارة المعارف الإقامة فى مصر لمدة ثلاثة شهور . واقترح الدكتور طه الموافقة على ذلك بحيث يعتمد لنفقات إقامتها نحو مائتى جنيه ولم تبت الوزارة فى الأمر بعد .

□ سيقضى الدكتور طه حسين فى لندن أسبوعين من ٨ أكتوبر الحالى ، ويلقي فى مدرسة اللغات الشرقية خلال هذه المدة ثلاث محاضرات باللغة الفرنسية : محاضرتين فى الشعر العربي وترجمته ، والثالثة موضوعها الثقافة الغربية فى الأدب العربى الحديث .

□ أبدى الأستاذ فكرى أباظة لمعالى وزير الشؤون الاجتماعية ، رغبته فى أن يتعاون مع المسرح الشعبي ، وذلك بأن يمثل مع الشعبة الرابعة التى تعمل وزارة الشؤون على تكوينها ، فرحب به الوزير وعرض على الأستاذ زكى طليمات أن يشترك فى التمثيل مع الأستاذ فكرى بالشعبة الجديدة .

□ ذكرت « الأهرام » أن المدير العام لتعليم البنات بوزارة المعارف ، يحتفظ بجزء من كتاب « إحياء العلوم » للغزالى ، يحتوى على وصف ما يجب أن تكون عليه ملابس المرأة المسلمة ، وذلك ليطبقه فى تنفيذ أمر معالى مرسى بدر بك وزير المعارف ، الذى يقضى بأن تكون ملابس الناظرات والمعلمات فضفاضة ومحتشمة .

□ ذكر الدكتور زكى مبارك فى « الحديث ذو شجون » أنه تغزل بأبيات فى محامي خصمه بمحكمة أشمون ، وأنه أنشدها القاضى الذى أبدى خشيته أن يصير اسم المحكمة « محكمة أشمون الغرامية » .

□ نشرت الفرقة المصرية إعلانات عن مسرحية « اليوم خمر » وفيها اسم يوسف وهبى بالخط العريض مع أنه لا يشترك فى تمثيلها ولا فى إخراجها ، وكل ما فى الأمر أنه المدير العام للفرقة !

□ حصلت مصر من هيئة اليونسكو على بطاقات لشراء كتب من بلاد العملة الصعبة بمقدار ١٥ ألف دولار ، ولن توزع هذه البطاقات على الأشخاص أو المكتبات التجارية ، بل تستخدم أولا فى تلبية طلبات المعاهد العلمية والجامعات والمكتبات العامة لشراء كتب علمية وفنية وهندسية وطبية وقانونية . وستدفع الحكومة المصرية قيمة تلك البطاقات بالعملة المصرية .

الرقص . ويرى ضابط طيران (أنور وجدى وهو واضع قصة الفلم ومخرجه) داخلاً ، فيكلمه ويعرض عليه أن يدعى أنه ابن عم ليلى لينقذها من الشاب المحتال ، فيدخلان معاً ، وتحدث معركة يتدخل فيها الضابط فيضرب الشاب ويستنقذ ليلى ويركبها السيارة إلى جانبه ويغازلها ، فيحتج الأستاذ حمام الجالس خلفهما ويعمل على وقف السيارة وينزل بليلى هرباً من الضابط الذى أحب ليلى وأحبته . . ويريد الأستاذ حمام أن يضلل الضابط ، فيدعى أن المنزل المجاور هو منزل الباشا والد ليلى ، ويطرق الباب ويتبين أنه منزل الأستاذ يوسف وهبى بك (يوسف وهبى) فيستقبلهما الممثل الكبير ولا يلح فى معرفة السبب الذى من أجله طرقا بيته ليلاً ، بل يغازل الفتاة غير عابىء باحتجاج الأستاذ حمام ويقول لها إن المطرب الكبير محمد عبد الوهاب موجود فى منزله وإنه سيغنى أغنية من قصة يضعها (يوسف وهبى) موضوعها تضحية المحب بحبه لإسعاد حبيبه . ثم يقصدون إلى حيث يغنى عبد الوهاب ، فيسمعون غناءه الذى يجرى فى موضوع التضحية بالحب فى سبيل إسعاد الحبيب ، فيتأثر الأستاذ حمام إذ يجد نفسه ذلك المحب ، فهو رجل كبير لا يُلائم ليلى التى أحبت ضابط الطيران الشاب ، ثم يقبل هذا الضابط ، فنراه يأخذ بيد ليلى وهى تهش له مقبلة عليه ، والأستاذ حمام خلفهما راضياً بالموقف على سبيل التضحية ، ومنظره الحزين هو النهاية .

بدأ الفلم بمناظر ممتعة وظريفة ، تخللها نقد اجتماعى فكاهى ، فهذا الأستاذ حمام يقف فى (الفصل) بين تلميذاته يطالعن موضوعاً عن الأسد ، فتسأله تلميذة : هل يتكلم الأسد ؟ فيقول لها : وزارة المعارف تريده يتكلم ! وهذا هو يدخل منزل الباشا ويحدث مربى كلب الباشا ومعلمه فيعلم أنه يتقاضى ثلاثين جنيهاً ، فيقول : إنه لو كان يعلم الكلاب من زمان لأصبح من الأغنياء . ثم تجرى الحوادث بعد ذلك فى نطاق خاص بين الأستاذ حمام وبين تلميذته ليلى التى صارت حبيبته . وعلى أى أساس قام هذا الحب رغم الفوارق الكبيرة بينهما التى أظهرُها تفاوت السن؟ تقول له إنها استظرفته وهى فى نفس الوقت تحادث الشاب الذى تحبه بالتلفون ، فتنتقل من مغازلة هذا إلى ذاك ، وهى فتاة لاهية عابثة ، تذهب إلى المراقص وتجالس الشبان هناك وتشرب معهم وتراقصهم ، فليس مثلها

بالذى يحب مثل الأستاذ حمام ، ولو لم تكن كذلك لأمكن أن نفهم أنها فتاة عاقلة تلمس فيه صفات إنسانية وتقدر شخصيته .

وظاهر أن المؤلف يرمى إلى فكرة التضحية بالحب من أجل سعادة الحبيب ، وهى التى قال يوسف وهبى إنه يعالجها فى القصص التى يؤلفها ! والتى تضمنتها أغنية عبد الوهاب . ولكن هل تنطبق هذه الفكرة على موقف بطلى الفلم ؟ إن فكرة التضحية يمكن استساغتها إذا كان الحب من طرف واحد ، والطرف الآخر لا يجد هذا الحب ، بل يحب شخصاً آخر . ولكنا هنا إزاء اثنين يتبادلان الحب ، فانحراف أحدهما عن صاحبه بعد طول التهافت عليه ، يعد خيانة لا يستحق من أجلها التضحية المزوجة بالرضى والغبطة لسعادته ...

والفلم ، رغم فخامة مناظره وما حشد فيه من ألوان المتعة ، مملوء بالمآخذ ، فقد ظهر الباشا أول ما ظهر على فرع شجرة ... لأنه يهوى جمع الأزهار ، وليس فى الشجرة أزهار ! ويظهر أنه قصد بهذا التمهيد لمقابلته الأستاذ حمام وهو يحمل سلتين ، فلا يعرف أنه الباشا ، فيحدث سوء التفاهم المضحك ... وليلى فتاة كبيرة ولم يقولوا فى أى مرحلة هى من مراحل التعليم ، ولكن من الدروس التى تتلقاها نفهم أنها لا تزال فى السنة الثالثة الابتدائية !

وحدث أن خرج الأستاذ حمام من غرفته إلى الحديقة ليستمع إلى غناء ليلى ، فينبحه الكلب ، فيتسلق الجدار إلى غرفتها هرباً من الكلب ، ويضطر فى الغرفة إلى تمثيل الكلب بالنباح مثله وهو مختف خلف قطعة من الأثاث ليدفع شك المربية فى وجود أحد ، فلم يكن تسلقه اضطرارياً لأنه كان يستطيع أن ينجو من الكلب الذى يعرفه لأنه مقيم بالقصر . وعند ما تدخل ضابط الطيران فى المرقص لإنقاذ ليلى بدعوى أنه ابن عمها وأنكرته هى ، صفعها وجرها من يدها إلى الخارج ، فركب بها السيارة ، ولم تنزل حتى كانت قد أحبته ، وكنا نسمع عن الحب من أول نظرة ، فهل هذا حب من أول صفعة ...؟ ولا أدرى كيف دخل الضابط منزل يوسف وهبى دون أن يعلم به أحد . والفتيات اللاتى يرافقن ليلى فى ركوب الخيل ، كن يركبن الأفراس بطريقة مضحكة ، وكان يجب تدريبهن واختيارهن بحيث يتحقق المراد من المنظر وهو المظهر الجمالى .



سلف ولا خلف :

كتب الأستاذ الكبير الزيات فى رثاء صديقه المازنى يقول:
« فإذا أضيف إلى ذلك أن المازنى كان أحد الكتاب العشرة الذين يكتبون لغتهم عن علم ، ويفهمون أدبها عن فقه ، ويعالجون بيانها عن طبع ، وأن هؤلاء العشرة البررة متى خلت أمكنتهم فى الأجل القريب أو البعيد ، فلن يخلفهم فى هذا الزمن الثائر الحائر العجلان من يحمل عنهم أمانة البيان ، ويبلغ بعدهم رسالة الأدب ، أدركنا فداحة الخطب الذى نزل بالأمة العربية يوم توفى هذا الكاتب العظيم » .

وهذا كلام سداه ولحمته الحق والأنصاف ، وأن كان يعبر عن خيبة الأمل فى الجيل الناشىء ، ويصور الواقع المؤلم فى هذا الزمن الثائر الحائر العجلان .

مات شوقي ، وتبعه حافظ ، فقال الناس خسرت مصر شاعرين عظيمين ، وليس فيها من يخلفهما ، ولكن هذا القول عز على بعض الشعراء ، وآلمهم . فراح المرحوم أحمد الكاشف يدفعه بقوة ، ويصيح :

قالوا انقضى الشعر بعد الشاعرين ولم ... يعمر بمثلهما ميدانه الخالى
ولست وحدى له فى مصر بعدهما ... فمصر ملأى بأشباهى وأمثالى

ولكنها كانت صيحة مكابر فى الواقع المر ، ولم يجد هذا الشاعر فى مصر كثيراً ولا قليلاً من أشباهه وأمثاله ، فإن مكان الشاعرين فى ميدان الشعر ظل خالياً ، وازداد ميدان الشعر فراغاً بموت الجارم ومطران ، ولم تجد مصر من يشغل هذا الفراغ الهائل من شعرائها ، وكان أكثر هؤلاء الشعراء كالفقاقيع ساعة وجودها هى ساعة عدمها كما يقول الرافعى رحمه الله .

ومات الرافعى فقال المعجبون بفنه وعلمه ونبوغه ، قضى كاتب العربية ، وخلا مكانه فى دولة الأدب ، وهيهات أن يكون منه عوض ، ولكن بعض القائلين رأى فى تلاميذه ما يبشر بخير ، وما يقوى الأمل فى أن يكون من الرافعى عوض ، لكن الزمن أيقظهم من أحلامهم اللذيذة ، وردهم إلى الحقيقة المرة ، ولم تظفر دولة الأدب العربى بخلف للرافعى العظيم .

فى الشباب شعراء كثيرون ، وكتاب أكثر ، ولكن أين النابغة العبقرى الذى تقول أنه سيخلف شوقى أو الرافعى ؟ !

نحن لا ننكر أن فيهم من يؤلف الكتب ، ومن يكتب المقالة ، ومن يقرض الشعر ، ولكن بين هؤلاء وبين شيوخهم فى الأدب مراحل بعيدة الأطراف ، فليس فيهم من يكتب بأسلوب الزيات ، ولا من يؤلف بعقلية أحمد أمين ، ولا من يجود تجويد طه حسين .

على أن الداء الدوى فى هؤلاء الشباب ، الغرور ، والادعاء ، والتنفج ، والتكذب ، وهو — فى رأيى — ما عاقهم ، ويعوقهم ، من بلوغ الغاية ، والوصول إلى الهدف ، فإذا عاش المازنى ومات متواضعاً ، خافض الجناح « وما كنت تراه يوماً ذاهباً بنفسه ، ولا متبجحاً بعلمه ، ولا مباهياً بعمله » كما يقول الزيات ، فإن عندنا من الشباب من هو عند نفسه (شاعر الدنيا) ومن هو (نموذج وحده فى الآداب العربية ، وستطفر به الآداب إلى عليين)

أما يوسف وهبى فقد أقحم فى الفلم إقحاما أو وضعت له فيه قطعة يظهر فيها ، ليقال إنه اشترك فى التمثيل ، وهو يظهر باسمه الحقيق ، فيشبع ميله إلى العظمة الفنية التى تأبى إلا الظهور بمظهر المؤلف الذى يعالج الموضوعات فى رواياته .

والأغنية التى غناها عبد الوهاب كانت فاترة وأحسن ما فيها عادى ، وكذلك موسيقاها ، على خلاف بقية ألحان الفلم وموسيقاه التى وضعها عبد الوهاب نفسه ، فهذه جيدة . وقد أجادت ليلى مراد فى الغناء ، كما أجادت فى التمثيل ، وإن كان أكثر الأغانى غير معبر عن مواقف الفلم ، بل هو يصلح فى أى موقف !

إن الجهد الأكبر المثمر فى هذا الفلم ، لنجيب الريحانى ، فقد قام عبء التمثيل عليه من الأول إلى الآخر ، ونهضت معه بهذا العبء ليلى مراد ، ولعل الريحانى هنا فى خير أدواره على الإطلاق .

عباس خضر

وحسبنا أن ننظر فى ديوان هذا الشاعر الصغير الذى لم يسمع به إلا أصدقاؤه ، فنراه يقول :

قد صغت شعراً لو بعثت بدره للخلد لاستبقت إليه الحور

كم عـز آبده على طلابه وكم ابتغاه متوج وأمير

لم تُنشِ أحرفه اللغاتُ وإنما صنع الجمال حروفه والنور

ولا نعدم فى الكتاب كثيرين من أمثال هؤلاء ، فهذا الكاتب الصغير الذى لم تعرف الصحف اسمه إلا منذ شهور (أرسى قواعد النقد على أسس سليمة) وذاك الخامل المجهول (لا يتطاول النقد إلى آثاره) وهكذا غرور وإدعاء ، ووقاحة ، وتخلف .

وفى الشبان طائفة لا يكتبون ، وإنما هم أصداء لبعض كتاب الغرب ، يفكرون بتفكيرهم ويكتبون بأساليبهم ، وينهجون منهجهم فى كل شىء ، فلا ترى لهم شخصية فيما يطالعونك به وإنما هم عالة على أولئك الكتاب ، ينقلون عنهم ، فيصرحون حيناً ، ويدلسون فى أحيان كثيرة ، ويخدع الناشئون بهم ، ويظنونهم من كبار النقاد ، ومن عباقرة الفن ، وكل مالهم من فضل — إن كان — أنهم يحزقون على الشادين فى الأدب ويوهمونهم أنهم أساتذة الجيل ، وأن الكتاب جميعاً كبيرهم وصغيرهم يعترفون بفضلهم ويخطبون ودهم ، وفى الحق أنهم يفقدون صفة الحياء ، فهم يرفعون أصواتهم عالية بأنهم خلقوا للفن وخُلق الفن لهم ، فإذا ساء حظك وجلست معهم رأيت ما شئت من باب جهل قد فتحوه — كما يقول الجرجانى —

وإن تعجب فعجب أمر هؤلاء الشبان الذين قصرت خطاهم وطالت ألسنتهم ، فهم لا يزالون يدعون أن الطريق مسدود ، وأن هؤلاء الشيوخ هم الذين سدوه عليهم ، وما علموا — أرشدهم الله إلى الصواب — أن الجواد الأصيل يتخطى العقبات الكئاد ، ليصل إلى النهاية ، فإذا غلبته العوائق ، ووقف دون غايته رأى الناس فى وجهه وفى أعضائه وفى شياته ما يدل على أنه أصيل ، أصيل !

على الشبان أن يجاهدوا ، وأن يصبروا على لأواء الجهاد ، وعليهم ألا يتعجلوا الشهرة ، وألا تكون أكبر همهم . ثم عليهم أن يسهروا الليالى الطوال يطالعون ويدرسون ويفهمون ، وعسى أن يكون فيهم بعد ذلك من يؤدى الأمانة ، ولو أيسر أداء ، أما إذا ظلوا على حالهم التى تراهم عليها ، يحاربهم الزمن ، ويعجل فأننا نترحم على دولة الأدب بعد هؤلاء العشرة ، أطال الله فى أعمار من بقى منهم ، وهدى الشباب إلى الجادة .

على العمارى

مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية لتشجيع الانتاج الأدبى سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ :

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع جوائز لتشجيع الانتاج الأدبى على النحو الآتى :

أولا — تخصص مائتا جنيه لكل فرع من الفروع الآتية على أن يكون المتسابق من أدباء وادى النيل وحدهم .

(أ) قصة اجتماعية أوتاريخية ، جيدة الموضوع والأسلوب باللغة العربية الفصحى ، بحيث لا يقل عدد صفحاتها عن مائتى صفحة من القطع المتوسط الذى لا تنقص كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

(ب) إنتاج شعرى باللغة العربية الفصحى لا يقل عن ١٠٠٠ بيت من الشعر فى موضوعات متنوعة : فى الاجتماع أو وصف الطبيعة أو تحليل العواطف أو نحو ذلك .

(ج) بحث مستوفى مبتكر فى موضوع لغوى أو أدبى يسير على المنهج العلمى الحديث وتظهر فيه شخصية الباحث ، ولا يقل عدد صفحاته عن مائتى صفحة من القطع المتوسط الذى لا تنقص كلمات الصفحة فيه عن ١٨ كلمة .

ثانياً : تخصص لأدباء وادى النيل وغيره جائزة قدرها مائتا جنيه لمن يترجم لابن سينا ترجمة وافية دقيقة تصور حياته ونواحيه الفلسفية والعلمية والأدبية فى أسلوب رائق بحيث لا ينقص عدد الصفحات عن مائتى صفحة من القطع المتوسط الذى لا تقل كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

وعلى الراغبين فى الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع أربعة نسخ مطبوعة أو مكتوبة على الآلة الكاتبة كتابة



نظرات فى كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٧ —

٤٦ — ص ٧٦ : « ومن عجيب شأنهم أيضاً شربهم منه الغليظ الكاظ ، القبيح منظراً الردى مخبراً ، الذى نشوته سُدُد ، وعاقبته داء » .

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « السُّدُد : بضمتين العيون المفتحة لا تبصر بصراً قوياً . وهي عين سادة ، أو التى ابيضت ولا يبصر بها ولم تنفق بعد كما فى القاموس » .

والصواب : « الذى نشوته سدَر » والسدر كما فى اللسان : هو ما يُصيب شارب الخمر من الدُّوار وتحـيُّر البصر .

٤٧ — ص ٧٧ : « وقال أعرابى :

صلى فأعجبنى وصام فرابنى نح القلوص عن المصلى الصائم

وقال آخر :

شمر ثيابك واستعد لقـابل واحكك جبينك للقضاء بثوم
وامش الدبيب إذا مشيت لحاجة حتى تصيب وديعـة ليتيم

ورواية البيت الأول فى العقد « صلى فأعجبنى وصام فراعنى » وقد رواه الجاحظ فى البيان والتبيين ٣ / ١١١ كما هنا ولـكنه ذكر سبب قوله وهو : « نظر أعرابى فى سفره إلى شيخ قد صحبه فرآه يُصلى فسكن إليه ، فلما قال : أنا صـائم ارتاب به وأنشأ يقول : صلى .. الخ » .

ولم يسم ابن قتيبة قائل شمر ثيابك ، وهو مساور الوراق كما ذكر الجاحظ فى البيان والتبيين ٣ / ١١٥ ، ورواية البيت الأول عنه « واستعد لقائل » ورواية الشطر الأول من البيت الثـانى

واضحة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة قبل أول أكتوبر سنة ١٩٥٠ .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة ، وعليهم أن يكتبوا عنواناتهم واضحة وأن يوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على إنتاج له فى فرع المسابقة المتقدم إليه ، ولا أن يعاد تقديم أى إنتاج أدبى سبق أن قدم للمجمع أو لأية مباراة عامة فى غير المجمع ، أو لمناقشة عامة للحصول على لقب أو درجة علمية .

ويشترط فى الموضوع المقدم لـكل هذه المسابقات ألا يكون قد طبع قبل سنة ١٤٥ ، وسيحتفظ المجمع بنسخة من كل ما يقدم إليه من الإنتاج الفائز وغيره . وترسل الموضوعات بعنوان لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية شارع قصر العينى ١١٠ القاهرة .

أين مكتبة الأقصر ؟

استفهام انـكارى يجول بخاطرى كلما استعرضت شؤون هذه المدينة العظيمة وبسطت بين يدى صفحاتها المشرقة وتأملت تاريخها الحافل بالمجد وذكرياتها المليئة بالفخار وإنى لأعجب كثيراً كيف تبقى هذه المدينة بلا مكتبة عامة يرتادها محبو العلم ويلجأ إليها الباحثون سواء أكانوا سائحين أم أبناء المدينة وسكانها ؟ وإذا كانت الحـكومة تأخذ بـكل الوسائل الممـكنة لتجميل الأقصر وتحسين مناظرها فلا مندوحة إذا عن إنشاء مكتبة عامة بهـا لأن ذلك من ألزم وسائل تجميلها وهو عنوان على مبلغ حضارتها الحديثة وآية على سـلامة شعور أهلها ومبلغ حسهم بالجمال الروحى ومدى تذوقهم لهذه المعانى السامية ولست أدرى والله لمن أتوجه بالرجاء لتحقيق هذه الرغبة ، وحسبى الرسالة وأثرها فى الرأى العام .

(الأقصر) على ابراهيم القنديلى

هكذا : « وعليك بالفتوى فاجلس عنده » ، وكذلك رواها أبو الفرج فى ترجمة مساور ١٧ / ١٦٨ . قال أبو الفرج :

« مساور بن سوار بن عبد الحميد من آل قيس بن عيلان ابن مُضر ، ويقال : إنه مولى خُوبلد من عذنان ، كوفى قليل الشعر من أصحاب الحديث ورواته ، وقد روى عن صدر من التابعين وروى عنه وجوه أصحاب الحديث ...

وقال لابنه يُوصيه :

شمّر ثيابك واستعد لقائل ... واحكك جبينك للمهود بثوم
إن المهود صفت لكلّ مشمر ... دبر الجبين مُصفر موسوم
أحسن وصاحب كل قار ناسك ... حسن التمهد للصلاة سؤوم
من حزب حماد هناك ومسعر ... وسماك العتكى وابن حكيم
وعليكَ بالفتوى فاجلس عنده ... حتى تُصيب وديعةً لتميم
تغنيك عن طلب البيوع نسيئة ... وتكف عنك لسان كل غريم
وإذا دخلت على الربيع مسلماً ... فاخصص شبابة منكَ بالتسليم

٤٨ — ص ٨٣ « وكان أيوب يلبس قلنسوة أفراب وقال : لأن ألبسها لعيون خير أحب إلىّ من أن أدعها لعيون الناس » .

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « هكذا بدون نقط فى المخطوطتين المصرية والبغدادية » .

ولو علم الأستاذ من هو أيوب لاستطاع أن يهتدى إلى وجه الصواب فى هذه الكلمة . وهو أيوب السختيانى ، راجع ترجمته فى حلية الأولياء ٣ / ٣ — ١٤ ، روى أبو نعيم عن حماد بن زيد قال : قدم أيوب من مكة فخرج إلى الجمة وعليه كمة أفواف فقيل له فيها فقال : قدمت ولم يكن عندى غيرها فلم أر بها بأساً وكرهت أن أدعها لأعين الناس » وفى النهاية : أفواف جمع فوف ، وهو القطن . وعلى ذلك فصواب العبارة « ... قلنسوة أفواف وقال : لأن ألبسها لعيون الناس أحب إلىّ من أن أدعها لعيون الناس » راجع المعارف للمؤلف ص ٢٠٧

٤٩ — ص ٨٤ « قال حفص بن عتاب : كنت عند الأعمش وبين يديه نبيذ ، فاستأذن عليه قوم من طلبة الحديث فسترته ، فقال لى : لم سترته ؟ فكرهت أن أقول لئلا يراه من يدخل ، فقلت كرهت أن يقع فيه ذباب ، فقال لى : هيهات إنه أمنع [من ذلك] جانباً » .

والصواب : « قال حفص بن غياث » قال ابن قتيبة فى كتاب المعارف ص ٢٢٢ « حفص بن غياث طلق . هو من النخع من مذجح ، ويكنى أبا عمر ، وولاه هرون الرشيد القضاء ببغداد بالشرقية ، ثم ولاه الكوفة فمات بها سنة أربع وتسعين ومائة ... » وترجمته فى طبقات ابن سعد ٦ / ٢٧٣ وتاريخ بغداد ٨ / ١٨٨

٥٠ — ٨٤ « وحضر ابن أبى الجوارى بالشام ، وكان معروفا بالرقائق والزهد ، مائدة صالح العباسى مع فقهاء البلد ، فحدثنى من حضر المجلس وهو البحترى بن عبد الله أنه بعث إليه بقدح من نبيذ فشربه ابن أبى الجوارى ... » وابن أبى الجوارى : هو أبو الحسين أحمد بن أبى الجوارى من أهل دمشق توفى سنة ثلاثين ومائتين كما فى رسالة القشيرى ص ١٧ وأما البحترى ابن عبد الله فلم أعرف من هو وقد رجعت إلى العقد فألقيت فيه ص ٤/٣٤٣ « فحدثنى البحترى عن عبادة وكان ممن حضر المجلس » ويخيل إلى أن الاسم محرف فى الكتابين وأن صوابه « البحترى أبو عبادة » وقد كان البحترى معاصراً لابن قتيبة ، وكانت بينهما صلات ومراجمات وقد جاء فى عيون الأخبار ٣ / ١٦١ « وقال بعض الشعراء المحدثين ، وقيل : إنه للبحترى ، فبعثت إليه أسأل عنه ، فأعلمنى أنه ليس له :

فلو كان للشكر شخص يبين ... إذا ما تأمله الناظر
لبيّنته لك حتى تراه ... فتعلم أنى امرؤ شاكر
ولكنه ساكن فى الضمير ... يحركه الكلم السائر

وبمناسبة ذكر « الرقائق والزهد » و « العقد » هاهنا أذكر أنها قد وردت فى الطبعة الجديدة من العقد وشرحت بغير المراد منها . قال ابن عبد ربه ٥ / ٢٨٥ « ومن شعراء الفقهاء المبرزين عبد الله بن المبارك صاحب الرقائق » وعلق عليها الناشرون بقولهم « يريد الرقائق من نسيبه وانظر ما سيأتى من شعره » فإذا نظرنا فى ص ٢٩٠ وجدنا فيها ما يلى : « ومن قول عبد الله بن المبارك ، وكان فقيهاً ناسكاً شاعراً رقيق النسيب معجب التشبيب حيث يقول :

زعموها سألت جارتها ... وتعرت ذات يوم تبترد
أكما ينعتنى تبصرننى ... عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها ... حسن فى كل عين من تود

الموالى في العصر الأموى

تأليف الشيخ محمد الطيب النجار

بقلم الأستـــاذ على العمارى

هذا كتاب ألفه الشيخ محمد الطيب النجار ، وهو رسالة قدمها لينل درجة الأستاذية فى التاريخ الإسلامى .

ونحن يسرنا أن ينشر هؤلاء المتخرجون فى قسم الأستاذية بالأزهر الشريف ، رسائلهم ، ولكن نحب وننصح ألا ينشر منها إلا الصالح للنشر ، وأنا أعرف أن فى هذه الرسائل ما يعد فى مقدمة المؤلفات العصرية ، عمقاً فى البحث ، وسلامة فى الاستنباط ، ونصاعة فى الأسلوب ، ومع الأسف لم تظفر المكتبة العربية بشىء من هذه المؤلفات التى تشرف الأزهر والأزهريين ، وإنما أتيح النشر لبعض رسائل ليست أقوى تلك الرسائل بل ولا من أقواها ، وكنا نتمنى ، ولكن كما يقول البارودى :

يرى بصرى من لا أود لقاءه وتسمع أذنى ماتعاف من اللحن

وقد ترددت طويلا فى نقد هذا الكتاب خوفاً من تقولات إخواننا وأساتذتنا من الأزهريين وسترا لما يبدو من بعض مؤلفينا من نقص فى التفكير ، وضعف فى التأليف ، ولكنى — بعد التردد الطويل — رأيت من الواجب أن أنشر نقداً لهذا الكتاب ، حتى يكون نبراساً لمن يريد أن ينشر مؤلفه ، وحتى نبقى على سمعة الأزهر العلمية ، وحتى لا يقدم كل من تحدثه نفسه ، ويجد فى جيبه الساعدة على النشر أن ينشر ، بل يجب أن يتريث وأن يتريث طويلاً قبل أن يقدم ، فإن الناس لهم عقول ناقدة ، وعيون مبصرة .

وقد رأيت أن أبدأ بنقد شكلى أرفه به عن القراء ، وإن كنت أعتقد أنه ضرورة ، وأنه ربما كان فيه نفع كثير ، وسأبدأ بنقد الكتاب من غلافه ، فإذا انتهيت أخذت فى نقد موضوع الكتاب ، وأرجو أن أهيء ذهن القارىء بهذا النقد الهامشى إلى ما يأتى بعده من نقد جدى فى صميم الموضوع ، فلعل أعون شىء على الجد ما يصحبه من بعض الهزل .

فى أعلى الغلاف كتب المؤلف هذه العبارة (صفحات من تاريخ الصراع بين العصبية والدين) ثم ذكر عنوان الكتاب ، والذى أعرفه أن هذه الكتابات الجانبية إنما هى من (تقليعات) كتاب المقالة ، ونظام الشعر من المحدثين ، أما المؤلفون فإنهم يكتفون بذكر عنوان الكتاب فى وسط الغلاف ، ويرون فى هذا بلاغاً ، على أن هذا التعبير لا ينطبق على حقيقة الكتاب ، فليس

حسداً حملنه من شأنها وقد كان فى الحب الحسد »

ولم يعلق الناشرون على هذا بشىء وكان خليقاً بهم أن يفعلوا فإن هذه الأبيات ليست لابن المبارك وإنما هى لعمر بن أبى ربيعة من قصيدة مشهورة مطلعها :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرّة واحدة إنما العاجز من لا يستبد
ولقد قالت لجارات لها وتعرّت ذات يوم تبترد
أكما ينعتنى تبصرننى عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها حسن فى كل عين من تود
حسد حملنه من أجلها وقديماً كان فى الناس الحسد

وللقصيدة بقية تجدها فى ديوانه ص ١٤٦ وأما شرح الناشرين للرقائق بأنها رقائق النسيب فإنه شرح بعيد عن الصواب ، والرقائق جمع رقيقة وأصلها الأحاديث التى ترقق القلب وقد أفردها البخارى فى صحيحه بكتاب سماه كتاب « الرقائق » قال ابن حجر فى فتح البارى ١١ / ١٨٠ « والرقائق والرقاق : جمع رقيقة ، وسميت هذه الأحاديث بذلك لأن فى كل منهما ما يحدث فى القلب رقة ... » وقال الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٧ « ولابن المبارك كتاب اسمه الزهد والرقائق . قال نعيم بن حماد كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقائق يصير كأنه ثور منخور من البكاء » وقال أيضاً فى ترجمة ابن أبى الدنيا ١٠/٨٩ « صاحب الزهد والرقائق » وقال فى ترجمة ابن الخبازة الشاعر ٥ / ٤٢٥ « وله شعر كثير فى الزهد والرقائق » .

(يتبع) السيد أحمد صقر

موضـوع الموالى من موضوعات الصراع بين العصبية والدين ، وإلا ففى أى نفوس كان هـذا الصراع ، أفى نفوس العرب ؟ فما نعرف أن الذين قسوا على الموالى من الأمويين أو من غيرهم كانوا يجدون فى أنفسهم صراعاً بين الدين والعصبية ، وإنما كانوا يعتقدون أن العرب أفضل من الموالى ديناً ونسباً ، وأن هؤلاء الموالى يحاولون القضاء على الإسلام ، لو مد لهم الحبل ، ووطئت لهم الأكناف ، فمن الإسلام أن يضرب على أيديهم ، وأن يحال بينهم وبين ما يبتغون ، ونمد الشـوط فنقول أن بعض العرب كانوا يقسون على الموالى صادرين عن عصبية عربية ، وهؤلاء فيما نعتقد ونؤكد لم يكونوا يشعرون بسلطان الإسلام على نفوسهم حتى تكون هذه النفوس ميداناً للصراع بين العصبية والدين . أم كان هذا الصراع بين الموالى والعرب وهؤلاء متعصبون وأولئك متدينون ؟ فقـد أخطأ المؤلف التوفيق ، فإن دفاع الموالى عن أنفسهم ، وتحينهم الفرص ، وتربصهم الدوائر بالعرب لم يصدر شىء من ذلك عن تدين فى نفوسهم ، بل كانوا يصرحون بأن أصولهم وأنسابهم وماضيهم لا تتضاءل أمام أصـول العرب وأنسابهم وماضيهم ، وإن كان للعرب ماضٍ يفخرون به ، بل كانوا يرون أنهم أنقى جوهراً ، وأعرق مجداً ، والمؤلف نفسه يصرح بهذا المعنى فى غير موضع من كتابه ، فالصراع إذن إنما كان بين عصبية فارسية ، وعصبية عربية ، حتى الذين تذرعوا بالدين وحاربوا به الأمويين لم يكونوا يحاربون العصبية العربية ، وإنما كانوا يحاربون الأمويين لأنهم اغتصبوا الخلافة من الهاشميين ، وهم أحق بها ، ومعروف أن المظهر الدينى فى محاربة الأمويين إنما كان يخفى وراءه عصبية فارسية قاسية ، وحقداً أعجمياً عنيفاً . وعنوان الـكتاب نفسه أضيق مدلولا ، وأقصر ذيلا عن موضـوع الـكتاب ، فالذى يرى العنوان يظن أن المؤلف قصر بحثـه عن حال الموالى فى عصر الدولة الأموية ، ولكن الذى يجد فى نفسه الرغبة ، فيقرأ الـكتاب يجد المؤلف تحدث عن الموالى منذ قيام الإسـلام وأفاض فى ذلك ، فقد تحدث عنهم فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى حـديثاً مستفيضاً ، بل تعدى ذلك إلى العصر الجاهلى ، وإن كان اختصر فى هذا البحث ، وكان المؤلف — لو نُبـه أو تنبه — أن يجمل عنوان الـكتاب (الموالى فى العصر الإسلامى الأول) أو ما أشبه هذا العنوان مما يكون شاملا لـكل موضوعات الـكتاب ، وإلا فأى مبرر لأن يقصر العنوان على العصر الأموى فى حين أن ما ذكره عن الموالى فى عهد أبى بكر وعمر لا يقل استيعاباً عما ذكره عنهم فى العصر الأموى ؟.

ثم كتب المؤلف تحت العنوان (بقلم محمد النجار الحائز لدرجة الأستاذية فى التاريخ الإسلامى ، وأستاذ التاريخ بالأزهر الشريف) ونحن نحب أن نقف معه قليلا عند (الحائز) ونسأله كيف عداها باللام مع أن الفعـل متعد بنفسه ، فـكان الأحسن أن يقول : الحائز درجة ... ألخ فإذا تسامحنا وقلنا إن اسم الفاعل فرع فى العمل ، وأنه لذلك ضعيف فلا بأس أن نأتى باللام تقوى فعله وتشد أزره ، فـلا نتسامح مع المؤلف فى تركه الأفصح فى عنوان كتابه حتى لا يعطى للقارىء فى بادىء الأمر فـكرة غير جميلة عن إيثاره للضـعيف أو غفلته عن قواعد اللغة . على أن يقينى أن المؤلف لم يدر بخلده أن ذلك جائز . وإنما انساق مع عوام المؤلفين .

(يتبع) على العمارى



العالم الذي نعيش فيه

تأليف جرترود هارتمان

تعريب الأستاذين عثمان نويه ومحمود حامد شوكت

بقلم الأستاذ ثروت أباظه

كتاب يعرض الجهود العبقرية التي بذلها أجدادنا الأولون حتى أهدوا إلينا هذا العالم الذي نمرح بين جنباته اليوم ، لا يقف في سبيلنا وعر أو موج أو ريح . ولا شك أن المترجمين قد أحسنا الاختيار حين وفقا إلى هذا الكتاب . وهما بعد ذلك قد ترجماه في لغة سهلة ميسورة عربية صريحة لا ضعف فيها ولا كلفة . وقد كانا بارعين في هاته الترجمة إلى درجة تحس معها أنهما إنما يؤلفان لا يترجمان . وإن في الكتاب مقياساً عادلاً لحبكة الترجمة فقد لاحظ الأستاذ عثمان نويه أحد المترجمين وكاتب المقدمة ، لاحظ أن الكتاب الإنجليزي لم يلتفت إلى الحضارة الإسلامية وما طلعت به على العالم من تقدم . نعقد لها فصلاً لو لم يعترف الأستاذ عثمان في مقدمته أنه هو الذي أضافه ، لاعتبره القارىء من أحسن فصول الكتاب جميعاً . فإن فيه إجمالاً تاريخياً كاملاً ، وعرضا لما دعمته الحضارة الإسلامية من أسس في حضارة العالم . كل ذلك في صفحات قلائل ، تطالعك فيها المعلومات في حشد هائل ، يقفو بعضه بعضا وهي مع ذلك مبسوطة في يسر ، تفريك بنفسها فتكاد لا تحس بما ينسرب إلى ذهنك من حقائق كانت جافة ، جرى عليها قلم نويه ، فسكب فيها الماء يندبها ويرسلها إلى ذهنك في لطف القصة الشائقة .

والكتاب كله يترقرق بهذه المائية في عرضه . فأنت مرتاح لما تقرأ دائماً ، مقبل عليه في لذة . وتمتاز مؤلفة الكتاب بخاصية عجيبة ، تدرك بها أين يمل القارىء ، فهي منتقلة به إلى الجديد ، فتجدد عنده حب المتابعة . وهكذا تظل به واثبة من عصر إلى عصر ، ومن تقدم إلى تقدم .

وإنك لتلمح في الكتاب ظلاً واسماً لفنانة مخلصة ، تتتبع نشأة الفن تتبعاً دقيقاً ، فتراها تلقي ضوءاً باهراً على أثر الفن في حياة الأجداد ، ثم الأبناء فالأحفاد . كما تبين المصادر الأولى التي انبثق الفن من بينها . فكانت تركن حيناً إلى الحقائق التاريخية ، فإن انتقدتها وفقدتها عمدت إلى خيالها ، وتصورت الأسباب التي نشأ عنها كل فن من الفنون . ولكن يبدو أن الكاتبة ليس لها ولع كبير بالموسيقى ، فقد اكتفت بأن ألمت إليها في عجالة يسيرة . وقد صورت الكاتبة حياة الإنسان الأول ، بل صورت الحياة الأولى كلها ، وكيف كان العالم ، ثم كيف تطاولت فيه الجبال الشم ، وكيف انفرجت الأرضون فيه عن البحار والمحيطات؟ ثم تنتقل بعد ذلك إلى الحيوانات وبدء خلقها ، وكيف تشكلت كل منها لقوائم الحياة التي تعيش فيها ، ثم كيف جاء الإنسان بعد هذا وتسلح بعقله ليقابل الأسلحة التي سبقه بها الحيوان الذي تقدمه في الظهور ، واستطاع أن يشكل نفسه بما يبقي عليه حياته . ولكن الكاتبة تريك أن سلاح الإنسان كان أفتك وأشد قتلا ، وأنه به استطاع أن يعيش ، ويصل إلى ما هو عليه يتتبع الكتاب ما أحدثه هذا السلاح من تغير العالم ، وتظل تتابعه في رشاقة وخفة ، حتى تصل به إلى منتهاه ، فترى الكاتبة وقد هالها ما فعل السلاح من أعمال مجيدة ، ثم هي تقف إليه رانية إلى مستقبله في خشية ؛ فتراها تحذره مغبة التقدم إذا كان إلى شرها وقاء . وترى الكاتبة تتساءل عما سيفعله الإنسان بعد أن هيأ لنفسه هذا الفراغ العريض ، وبعد أن أرسل الآلات تأخذ مكانه في كل عمل يقوم به . تتساءل ترى أيرد الجيل الحاضر جميل الغابر ... يرده بالخير والبركة على الأحفاد ، أم تراه سيتقدم ليقذف كل عود يستوى إلى أتون من الظلم ، فينصهر الشباب ، وتنحطم الآمال ، وتتوا كب الظلمات من عقول آسنة لا هم لها إلا الخراب والتدمير . تخاف الكاتبة ، فتناشد قومها — والعالم كله قومها — أن يملئوا فراغهم بالفن ، فهو سبيلهم إلى التحرر من الحيوانية ، وهو سبيلهم إلى التحرر من الآلية ، وقمة الرقى إذا ارتقاها الإنسان فقد ارتقى .

هكذا تفكر كاتبة الغرب ، فهل قرأ الغرب أفكار ابنته ؟ وإذا كانوا ، أتراهم بها سائرين ؟ إلا فليتقوا الله في إخوانهم من بني الإنسان . وليتقوا الله في آبائهم العباقرة . وليتقوا الله في هذا العالم الذي نعيش فيه .

ثروت أباظه



متى يعـــود بابا ؟ !

للأستاذ شـــاكر خصباك

واخيراً تحققت أمنيتى بالسكنى فى ضاحية «مصر الجديدة». كنت قد زرتها مرة وأعجبت بأبنيتها المتشابهة الطراز والألوان، وسحرت بشوارعها النظيفة الهادئة. وتلك صفات لا تتوفر فى «باب اللوق» الذى أقطن فيه. قصدت إلى «مكتب السماسرة» وعرضت على الموظف المختص شروطى. نقر الموظف على المنضدة متأملاً، ودس قلم الرصاص فى شعره يعبث به مفكراً، ثم رفع رأسه وقال متسائلاً: غرفة هادئة فى «شقة» تسكنها أرملة قبطية توفى زوجها منذ شهر مخلفاً بنتاً فى السابعة من عمرها، والايجار خمسة جنيهات شهرياً ... أتعجبك ؟!

— إتفقنا.

ونقلت متاعى إلى المنزل الجديد. وعلى بابه وقفت امرأة وطفلة. المرأة فى مقتبل العقد الثالث متوسطة القامة على شىء من البدانة. عيناها السوداوان جميلتان، وكذلك أنفها الأقنى الصغير، لكن فمها يميـل إلى الاتساع، والطفلة جميلة مرحة ذات وجه بشوش وهيئة ضاحكة.

— سعيدة.

— سعيدة! أهلاً وسهلاً.

واجتزت الباب يتبعنى الحال. تلفت ورائى فرأيت الطفلة ترسل إلى نظرات فرحة. ابتسمت لهـا فقفزت نحوى وتعلقت بأذيال سترتى. ثم رفعت إلى وجهها الضاحك وهتفت جذلة:

— أنت طويل مثل بابا.

— صحيح ؟!

وامتدت يدى إلى رأسها تلاطف شعرها فى حنان. وفجأة انطلقت كالقذيفة. انحنيت على حقائبى أفرغ محتوياتها فى الصوان والمكتب.

— يا أستاذ ... يا أستاذ ...

سمعت صوت الطفـلة فتحولت بأنظارى إلى الباب أرقبها فى شغف. تقدمت نحوى تتعثر فى مشيتها وذراعاها تنوءان بحملها. «عروسة» عاجية وحصان خشبى وسيارة صغيرة، وضعتها على الأرض فى عناية وشرعت تناولنى واحدة بعد أخرى فى زهو واعتزاز. قلت وأنا أقلـبها بين يدى فى إعجاب:

من أهدى إليك هذه اللعب الجميلة ؟!

فلمعت عيناها ببريق الغبطة وهتفت فى حماس: بابا اشترى لى هذه اللعب كلها ... بابا يحبنى كثيراً.

فربت على خدها فى لطف وقلت: طيب ... غداً سأشترى لك لعبة جميلة.

فتطلق وجهها وبان السرور فى عينيها وهمست فى مـودة: أنت تحبنى كبابا.

ربما! ... وبمضى الأيام اشتدت محبتى لها. ما سبب تلك المحبة ؟! الله أعلم. قد يـكون مبعثها رثاء لطفلة يتيمة الأب. قد يـكون مصدرها إعجاب بروحها الأليفة، روح يفيض حيويته على البيت فيملؤه بهجة وحركة ونشاطاً.

وفى كل مساء كنت أخرج إلى شرفة الدار وأتمدد على مقعد الراحة، «والمترو» يزفر فى الشارع تحتى كأنه يضيق بحمله. وكسارى «الترام» ينفخ فى زمارته بملل، ونفير السيارة يدوى بين حين وآخر، والناس يروحون ويجيئون، وفريدة تقبل على قفزاً بصحبة دُماها لتسألنى مشاركتها فى اللعب كعادتها كلما رأتنى منفرداً فى الشرفة.

— هالو! فيفى.

وكومت لعبها على الأرض وتربعت إزاءها. ثم شرعت تملأ السيارة الصغيرة. وفجأة توقفت يدها عن الحركة وبدت كأن أمراً يشغل بالهـا، ماذا يقلقها ؟! رفعت عينيها إلى وسألتنى فى استعطاف.

— هل تشترك معى فى اللعب عند ما يعود بابا ؟! سنلعب ثلاثتنا معاً.

سرت فى جسدى رعدة خفيفة وأنا أحدق فى وجهها البرىء وأصغى إلى سؤالها الساذج ، ألا تعلم بموت أبيها ؟ ! وسمعت لسانى يهمس فى تردد : حسناً ، سأفعل .

صفقت فرحة وهرعت إلى غرفة أمها وتركت السيارة الصغيرة تدور حول نفسها ، وترامى إلى مسامعى صوتها وهى تسأل الأم فى لهفة : ماما ... متى يعود بابا ؟ !

تأخر صوت الأم فى الرد ثم تنامى إلى يغمغم فى بطء : قريباً إن شاء الله يا فيفى .

وظهرت أمامى ثانية (تتنطط) كالعفريت !

— بابا سيعود قريباً من الأسكندرية وسنلعب ثلاثتنا معاً .

— إن شاء الله .

قضيت تلك الأمسية موزع النفس بين شتيت من العواطف والأحاسيس ؛ ألم وسخط وضيق وحزن . ثم أوت فريدة إلى فراشها فانطلقت إلى الأم .

— ألا تعلم فريدة بموت أبيها المرحوم؟ !

سألت الأم ، فأجابتنى بنغمة كئيبة تفيض بالحزن والألم : كلا . لقد بعثتها إلى بيت عمتها فى «المنصورة» أثناء مرض أبيها ، ولما توفى استدعيتها ثانية وزعمت لهـا أنه سافر إلى الأسكندرية لمهمة تتعلق بعمله .

وقرأت معانى التوسل العميق فى عينيها وهى تضيف قائلة : أرجو أن تساعدنى على إخفاء الحقيقة عنها ، فهى تحب أباها حباً عظيماً ، وأخشى أن تصيبها صدمة نفسية إن اكتشفت الحقيقة .

فى هذه المرة أدركت لماذا تضاعف حبى لها واشتد شغفى بها . وكالنهر حين تزدحم مياهه فتتدفق على جوانبه فاضت عواطفى على فريدة . فيفى ، إحتفظى بعلبة الشيكولاتة لك وحدك ... فيفى ، أعطينى قبـلة فى عينك . . . فيفى ، أتعجبك هذه العروسة الصغيرة ؟ ! فيفى ، هيا نلعب لعبة القط والفار . فيفى ، سأصحبك غداً إلى مدينة الملاهى .

وسارت الحياة ، وانطوى الزمن ، وبدأت الأم تتخلى عن تحفظها شيئاً فشيئاً وتتقرب إلى . إشتركنا أول الأمر فى عاطفة واحدة ؛ حب فريدة . ثم تطور الاشتراك فى العواطف وتمددت جلساتنا وطال انفرادنا . فى الأسبوع الأول راحت تنتهز فرص غيبـة فريدة لتجلس إلى وتحدثنى عن موضوع يتعلق بزوجها مبتدئة بعبارة تقليدية : لقد كان مثال الزوج المخلص رحمه الله . . الحمد لله الذى عوض فريدة بشاب مثلك يعوضها من حنان أبيها ومحبته

وفى الأسبوع الثانى تحررت من قيد البيت فتأبطت ذراعى وهمست فى حياء : هيـا بنا يا سى زكى نقضى الأمسـية فى أحد المقاهى .

وفى الأسبوع الثالث ، فى عصر ذلك اليوم دعتنى إلى السينما قائلة : فى سينما « كايرو بالاس » فلم ممتاز لتيرون باور... فلنشهده هذه الليلة يا زكى .

وعدنا فى السـاعة العاشرة والدار يغمرها الظلام وفريدة والخادمة الصغيرة نائمتان أو المفروض أنهما نائمتان . خلعت بدلة السهرة واستبدلت بها لباس النوم . ودسست جسدى بين طيات الفراش فتنامى إلى صوت فريدة تسأل أمها فى ضيق وقلق : ماما .. متى يعود بابا ؟!

وجمجم صوت الأم فى تردد وبطء : قريباً إن شاء الله يافيفى .

خيّم الصمت لحظة ثم ارتفع صوت فريدة فى لهجة المرتاب : ولـكن متى يعود ؟ ! فى كل مرة تقولين قريباً ، وأنتظره فلا يعود!

— سيعود قريباً يا فيفى وسيجلب لك هدايا كثيرة . والآن يجب أن تنامى وإلا فإنه لن يحبك إذا علم أنك ظللت ساهرة حتى هذا الوقت المتأخر .

حلّ السكون ثانية فأغمضت عينى ومشاعر الألم والسخط والضيق والحزن تمور فى صدرى . إلى متى يستمر جهلها بمصير أبيها ؟ ! إلى متى يدوم تضليلها ؟ ! ما أحوجها إلى محبة تعوضها حنان أبيها وتلق على ذكراه رداء النسيان .

فى اليوم التالى ابتعت لهـا (عروسة) كبيرة ذات عينين تُفتحان وتُغلقان كلما تحرك جسدها .

— فيفى ... تعالى هنا أتيتك بهدية ظريفة .

دقيقة ودقيقتان وثلاث ... لماذا تأخرت ؟ ! ثم ظهرت على عتبة الغرفة تخطو فى تمهل وتردد .

— خذى هذه (العروسة) يا فيفى . . أتعجبك ؟

وحدقت فيها مليًا والتردد يشيع فى صفحة وجهها النقية ، حركت الدمية يميناً وشمالاً فانفتحت عيناها وأغلقتا . وفى لمح البرق اختطفتها من يدى وعدت خارج الغرفة .. ماذا أصابها ؟! خرجت وراءها مذهولاً فماجلنى بكاؤها منبعثاً من غرفة الاستقبال ، مددت رأسى من الباب فرأيتها منبطحة على الأريكة ورأسها مدفون بين الوسائد والدمية مضمومة إلى صدرها ، تهافت على الأريكة بجانبها ومررت بكفّي على شعرها فى حنان وأنا أهمس فى رقة :

— لا تبكى يا فيفى .. ما الذى يضايقك ؟ !

فرفعت إلى عينين مخضلتين بالدموع ودمدت بصوت مخنوق وهى تشهق : ألا يعود بابا ليشترى (عروسة) كهذه ؟

— بالطبع سيعود يا فيفى .. سيعود بعد أيام قليلة .

ولم يعد الأب بعد أيام قليلة ، وأصبحت فى مقامه لدى الأم . اليوم نخرج إلى المنتزة وغداً إلى المقهى وبعد غد إلى السينما ، وفى (كازينو سفير) نالت إعجابنا مائدة منزوية فى الزاوية اليسرى المطلة على شارع عثمان بن عفان ، واعتادت فريدة أن تمر على رصيف هذا الشارع بصحبة الخادمة الصغيرة فى طريقها إلى منزل عمتها فترانا منهمكين فى الحديث أو الضحك . وتتوقف قليلاً وترمقنا بنظرات جامدة وتواصل سيرها مكفهرة الوجه . ثم تلتفت نحونا مرة ومرتين وثلاثاً حتى تختفى عن أنظارنا ! .

وأصبحت فريدة اليوم غيرها بالأمس ! كل شىء تغير فيها . أضحى الصمت طابعها المميز والكآبة سمتها الدائمة ! واختفى الضجيج والمرح من البيت ، وخيم عليه جو من الكآبة الثقيلة . فيفى ، لماذا لا تضحكين ؟! فيفى ، لماذا لا تجرين فى ساحة الدار؟! سلبت البيت بهجته ونشاطه ؟!

وتحمل فريدة لعبها وتتخير ركناً منعزلاً وتنفرد بها وتمضى الوقت معها فى صمت ، وأقبل عليها ضاحكاً وأهتف مرحاً : أتسمحين لى بمشاركتك فى اللعب يا فيفى ؟

وتجمع دماها فى هدوء وتنسل إلى غرفتها فى سكون ... لماذا أضربت عن مشاركتى فى اللعب ؟ ما الذى يبعث فى نفسها الكآبة والصمت ؟ !

وفكرت هنيهة . دمية جميلة تعيد علاقتنا إلى صفائها . واشتريت (عروسة) كبيرة من الجبس تضع على رأسها طرطوراً وتجلس فى هيئة المتأمل؛ الرأس بين الكفين والمرفقان على الركبتين

— فيفى ... اشتريت لك (عروسة) عظيمة ... تفضلى .

— لا أريدها .

ولبثت ترنو إليها فى جمود دون أن تمد إليها يداً .

— كونى عاقلة يا فيفى . خذيها .

— قلت لك لا أريدها .

وانفلتت ذاهبة ، ثم عادت بعد حين . نظرت إليها مشدوهاً وهى تكوّم أمامى اللعب التى أهديتها إليها ووجهها عابس وشفتاها ملتويتان . واستدارت لتعود أدراجها فتشبثت بذراعها .

— ماذا بك يا فيفى ؟ ! لماذا خاصمتنى ؟ !

حاولت أن تتملص من قبضتى تخابت ، وعندئذ انفجرت بالبكاء . وصرخت فى غضب حزين :

— أنت كذاب . أنت لا تحبنى ... وأنا لا أحبك أيضاً . أنا أحب بابا . سيعود بابا وسيضربك أنت وماما .

وتركت قبضتها مذهولاً فرقت من الباب كأنها تفر من سجن : وتحولت إلى كوم الدمى أرقبه فى لوعة وأسف . ما الذى غيرّ قلبها علىّ ؟ ! وما شأنى فى الأمر إن كان غياب أبيها مصدر لوعتها ؟! ولماذا باتت تحس نحوى بهذا النفور الشديد ؟ !

وأصبح مرآى يثير الاشمئزاز والكراهية فى نفسها ، ما تكاد عينها تنالنى حتى تفيض بنظرة مقت . وتتقلص ملامح وجهها ويغمره فيض من عواطف البغض . وبدأت تعيش كالغريبة فى الدار . ما تكاد تعود من مدرستها حتى تلجأ إلى غرفتها لتناجى لعبها فى صمت . ولم تعد تسأل أمها عن أبيها ، وأخذت تمضى معظم ساعات النهار فى بيت عمتها ، فأمسى المنزل كئيباً موحشاً . واقتنعت بتلك اللحظات القصيرة التى تتهيأ لى فيها رؤيتها حين تجلس إلى مائدة الفطور . وفى تلك الدقائق كانت تثبت عينيها المتألقتين ببريق الحقد على وجهى وتتأملنى فى وجوم . حاولت مرة أن أحدق فى عينيها لأستشف من ورائهما ما يدور فى فكرها . ولشد ما دهشت حين قفزت من مقعدها فى صمت وحملت كوب

الشاى وانسلت إلى غرفتها بهدوء . وجرت أمها خلفها لتعيدها إلى مقعدها فواجهتها بالصراخ والنحيب حتى أفلحت فى الذهاب . وصار من المألوف أن تسبقنى إلى الفطور ، فإذا رأتنى مقبلاً على المائدة تركت الفطور واختفت فى غرفتها بسكون .. لماذا تكرهيننى يا فيفى ، لماذا ؟ !

ودب النحول فى جسمها وغمر الشحوب وجهها وانطفأ بريق عينيها سوى بصيص من الحزن والمقت . والأم حزينة لحال ابنتها مسرورة بحبها الجديد . أنا مهموم محزون لا أدرى ماذا أفعل وكيف أستعيد محبة الطفلة ثم حدث أن عدت من (السينما) ذات مساء فى الساعة الثانية عشرة والنصف بصحبة الأم . فتحت الأم الباب فراعنا أن تبصر فريدة منطرحة على أحد مقاعد الصالة فى وضع مهمل ، إتجهت إليها الأم وهزت جسدها فى رفق فهبت من رقادها تصرخ فى جنون . وحملتها الأم بين ذراعيها فى اضطراب ، لكنها انطلقت ترفس الهواء برجليها محاولة التملص منها

— ماذا بك يا فيفى ؟ ... لماذا تبكين يا فيفى ؟ !

لا جواب سوى الصراخ . صراخ يصل عنان السماء . ثم انحلت عقدة لسانها واندفعت صائحة :

أنت تكذبين علىَّ يا ماما . . بابا لن يعود إلاَّ حين يترك مى زكى دارنا ... أنت بعثته إلى الاسكندرية لكى تحضرى مى زكى هنا ... لا أريد أن يمكث معنا . . لا أريد أن يمكث معنا ... لماذا يعيش فى دارنا بدل بابا ؟ . أنا لا أحبه ، لا أحبه .. بابا أحسن منه . بابا أحسن منه يا ماما ..

انسللت إلى غرفتى فى صمت وأنا أشعر بقبضة قوية تعصر قلبى . وتهالكت على المقعد ووضعت رأسى بين كفى وأغمضت عينىَّ مفكراً ، وقبل أن ألجأ إلى الفراش كانت حقائبى معدة للرحيل

وقفت الأم فى الصباح التالى فى ركن من ساحة الدار ترقب الحمال فى وجوم وهو يروح ويغدو حاملاً متاعى . واختفت فريدة وراءها تخلس إلى النظرات فى ابتهاج . وتمَّ كل شىء فأقبلت عليهما مودعاً وابتسامة باهتة ترفرف على ثغرى شددت على يد الأم فى حرارة فاستبقت كفى بين كفيها وحدقت فى وجهى بعينين تحيرت فيهما الدموع . ولم تفه بكلمة واحدة . وقبل أن أستدير موليًا الأدبار رنوت إلى فريدة بنظرات تجمعت فيها عواطف الحب والحزن والأسف ، فابتسمت فى سرور وتشفٍ ، وهبطت السلم متمهلاً ثم توقفت حين سمعت فريدة تسأل أمها فى فرح : ماما .. متى يعود بابا ؟!

وواصلت هبوطى ثانية ولسانى يجمجم فى أسى : قريباً إن شاء الله يا فيفى !

(القاهرة) شاكر خصباك

مطبعة الرسالة

العدد ٨٤٩ — الاثنين ١٠ أكتوبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٢٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 eme Année No. 849

Lundi — 10 — 10 — 1949

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٤٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ذو الحجة سنة ١٣٦٨ — ١٠ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

صور من الحياة :

حكمة القـــدر !

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا لحكمة القدر ! أفتؤمن يا من تسخر من قوانين الحياة وأنت فى عنفوان الصبا ، وتهزأ بتقاليد الأسرة وأنت فى فورة الشباب ، وتعبث بقواعد الأخلاق السامية وأنت فى ريعان العمر ... أفتؤمن يا من تفعل كل ذلك غروراً منك وجهلاً بأن الحياة تمهلك حيناً لتنقضّ عليك كالصاعقة الهوجاء فتستلبك من شبابك وقوتك وتذرك وحيداً فى ركن من الدار تأكلك الحسرة على أن انطوت سنوات عمرك المشرق عجافاً لم تلذن السعادة فى الدار ولا اللذة فى الولد ، ولا الراحة فى الزوجة ؟

لقد ضننت بقلبك ومالك يوم أن كنت فى الشباب النضير ، والقوة العارمة ، فصفرت حياتك — وأنت تحبو نحو الشيخوخة الباردة — من قلب ينبض بحبك ، أو فؤاد يخفق بالعطف عليك !

* * *

نشأ الفتى فى كنف أبيه وهو يدلّله ، ونما واشتد غرسه فى رعاية أمه وهى تحنو عليه ، وعاش بينهما سعيداً ، رضىّ البال ، مطمئن الخاطر ، يبذل جهد الطاقة فى الدرس ، ويستنفد وسع النشاط فى المدرسة ، لا تشغله نوازع الحياة ، ولا تفزعه مسارب الرزق ، وأبوه رجل فيه العطف والحنان ، وفيه الثراء والعقل ...

وأحس الفتى بالعاطفة المشبوبة تتدفق من قلب أبويه فتفعم حياته بالنشوة والسعادة ، فأحب أمه وعلق بأبيه على حين قد حمل لأخيه الأكبر لوماً وعتاباً لأنه طاوع شيطانيته الطائشة ، فنبذ المدرسة ولمّا ينل من العلم إلا قطرات لا تغنى من جهل ولا تدفع من سفه .. نبذ المدرسة ليكون موظفاً صغيراً ينعم بالوظيفة الوضيعة ، ويستمتع بالراتب الضئيل ، ثم دفعه شبابه — بعد أن خلص من المدرسة — إلى أن يحدث أبويه حديث قلبه ، فما تلبث الأب ، ولا تموّقت الأم ، فإذا هو ينتظر الزوجة لتزف إليه ... والزوجة فتاة من بنات الجيل الفائت ، فيها أثر النعمة ، وعليها سمة الجمال ... ورأى الفتى الفتاة وهى تزف إلى أخيه الأكبر ... فاختلج قلبه ، وأخذته روعة المنظر ، وخلبته أنوار الزواج ، فتمنى أن تنطوى السنوات فى سرعة ليصبح هو الآخر زوجاً ورب أسرة . وأحس الأب بما يختلج فى نفس ابنه الأصغر ، فجلس إليه يحدثه بقلب الأب : « متى ... متى يا بنى

أسعد بزواجك أنت ؟ » فقال الفتى : « إن الزواج يا أبت يحول بين المرء وبين الدرس ، فما يستطيع العقل أن يفرغ للدرس والقلب مشغول بالزوجة ، وأنا أطمع أن أكون مهندساً كبيراً » قال الأب : « إن الأيام — يا بنى — تمر فى غير تمهل ، وغداً تنال الشهادة العالية . حينذاك أستطيع أن أحبوك بما لم أبذله فى سبيل أخيك » …

واطمأنت نفس الفتى ، ودفعته عزيمته إلى أن ينكب على الدرس فى غير هوادة ولا لين ليخلص من الدرس إلى الزوجة ، وتأججت الفكرة فى خاطره ، فانطلق على سننه ليبلغ الغاية … فبلغ … ولكنه لم يصل إلى نهاية الشوط … إلى دبلوم الهندسة الملكية … إلا ليرى أباه يلفظ النفس الأخير !

لم يلمس الفتى فرحة النجاح ، ولا نشوة الوظيفة ، وإن قلبه لينتفض من أثر الأسى والضيق لموت أبيه ، وإن أمه إلى جانبه تحس فراغ القلب ، وفراغ الدار ، لأنها فقدت الزوج والعائل !

أما أخوه الأكبر ، فجاء يطلب نصيبه من ميراث أبيه ولما تجف العبرات فى محجرى أمه … جاء يطلب نصيبه ويلح فى الطلب ليستعين به — كزعمه — على حاجات العيش وطلبات الدار … !

وحاول الفتى أن يملأ فراغ الدار ، فلصق بأمه يعينها على أمرها ويهيئ لها رغباتها عسى أن يزيح عن قلبها بعض همه . وعز عليه أن يصر أخوه الأكبر على أن ينزع بعض تركة أبيه من بين يدى أمه ، فاحتقر الزواج احتقاراً انجابت له أخيلته القديمة ، وهى كانت لذيذة جذابة … انجابت حين أحس أن الزواج وحده هو الذى قذف بأخيه إلى أن ينكأ جراح قلب أمه كلما أوشكت أن تندمل !

وأرادت الأم — بعد سنة — أن ترى ابنها الأصغر زوجاً ورب أسرة ، فتحس فيه فرحة قلب صفعه الخوف ، ولكن الألم كان ما يبرح يضرب الفتى ضربات قاسية كلما تراءى له الأخ الأكبر وهو ينتزع بعض ميراث أبيه من بين يدى أمه ، ثم يهجرها لا يعبأ بنزعات قلبها ، ولا يرحم ضعفها . وخشى أن ترغمه الزوجة — يوماً — على أن يفعل ما فعله أخوه فيذر أمه وحيدة تحس فقد الزوج والابن فى وقت معاً !

وعاش الفتى ابن أمه المطيع ، وخادمها الأمين ، والأيام تمر سراعاً ، حتى عصف بها الحزن ، وقصمتها السنون فماتت … ماتت وخلفت له — فيما خلفت — خادماً تقوم على راحته ، وترعى شأنه !

وأحس الفتى بفراغ داره ، وفراغ قلبه ، وفراغ حياته ، وهو يدلف رويداً رويداً إلى الكهولة الفارغة ، وإن الشعرات البيض لتأخذ طريقها إلى فوديه فى غير ريث ولا مهل ، وإن الضعف لينسرب إلى أوصاله فى غير ونًى ولا بطء … فانطوى على نفسه وفيه الخجل والحياء ، وسكن إلى عمله يجد فيه السلوة والهدوء ، والخادم إلى جانبه تدرج إلى الشباب والنضوج ، وهى فتاة من بنات الريف جاءت من القرية لتخدم سيدتها ولتتعلم هنا — فى القاهرة — أموراً لا يرقى إليها عقل ابنة القرية … أموراً فيها اللهو والعبث ، وفيها الشره إلى المال ، والكلب على الزينة ، وفيها المكر والخداع !

وتيقظت الأنثى فى قلب الفتاة ، فانطلقت تتودد إلى سيدها فى لطف ، وتتقرب منه فى رقة ، والدار خواء إلا منهما معاً …

واستشعر هو الدفء يشع من شبابها ومن أنوثتها ، فهبت فى نفسه دواعى الرجولة المكفوفة منذ زمان ، فما ترفع عن أن يمد يده ولسانه على حين أنه يكبرها بسنوات وسنوات …

وابتسمت الفتاة لسيدها فى لين ، ولصقت به فى تكسر ، وعقلها يحدثها بأنها توشك أن تختله عن رجولته وماله ، وأن تسيطر على الدار التى عاشت فيها — زماناً — خادماً لا تظفر إلا بالتافه ، ولا تنال إلا الحقير .. وراحت الفتاة تمكر بسيدها وتخدعه عن نفسه حتى أسهل وانقاد ، وظلت إلى جانبه سنوات تسيطر على خواطره الحائرة وهو يستخذى ، وتملك نوازعه الفاترة وهو يتصاغر ، فتمادت فى غوايتها تذيقه ألواناً من الحرمان ، وفنوناً من الضيق لتدخر ماله لنفسها وتمتقده لحاجتها !

يا عجباً ! لقد أصبح الرجل مهندساً كبيراً فى وزارة الأشغال ،

له من منصبه الجاه والثراء، وله في عملة العزة والسلطان، ولكنه يحس الضياع ويستشعر الضيق لأنه يعيش في داره غريباً وهي خواء إلا من خادم لعوب تسيطر عليه فتسلبه المتعة في ماله وتحرمه السعادة في قلبه.

لقد طوت السنون كل آماله، فمات الحنان في قلب أبويه، وطارعنه العطف في قلب أخيه الأكبر، وذوت أمانية جميعاً فغدا محروماً من أحبائه: الزوجة والولد والدار، لا يجد السبيل إليهم وإن جهد.

وأرادت الأيام أن تسخر من المهندس الكبير مرة أخرى فسولت للخادم اللعوب أن تلصق به - ذات مرة - وتحدثه حديث أملها هي، وتوحي إليه بأمر، قالت. «وأنا أخشى أن تتناولك الألسن، فتصبح مضغة في الأفواه فتنهار كرامتك، وينحط قدرك، فدعني أبحث عن عمل آخر» وأحس المهندس الكبير بالصدمة تكاد تذهله فهو لا يطيق أن يعيش وحده بعد أن حطمته السنون، فقال «وأنا؟... أفأعيش هنا وحيداً؟» قالت «فإن استشعرت الألم لفراق فدعني أتزوج من فلان، وهو خادم في المنزل المجاور، فأكون له زوجة بالليل وأكون لك خادماً بالنهار!» وتهلل وجه الرجل للخاطر، واطمأن قلبه.

وهم الرجل يهيء لزواج الخادمين وينفق من ماله عن سعة ويبذل في سخاء، ثم زفت الزوجة - ذات ليلة - إلى زوجها ...

وفي الصباح بكر المهندس إلى دار الزوجين، وبين يديه هدية ثمينة يطمع أن يخطف بها قلب الزوجة وأن يسترضى الزوج. ولكن لشد ما أصابه الذهول حين رأى الدار خاوية إلا من أشياء تافهة متناثرة هنا وهنالك. لقد طارت الزوجة بين ذراعي زوجها إلى حيث لا يعلم بعد أن سلبته ماله وقوته.

وارتد الرجل إلى داره يجرر أذيال الخيبة والحسرة. ارتد ليرى داره خالية إلا منه وهو يتهالك ضعفاً وفتوراً تأكله الوحدة وتلتهمه الوحشة.

فيا لحكمة القدر... يا لحكمة القدر!

كامل محمود حبيب

صحائف مطوية فى السياسة العربية :

هاشم الأتاسى

فى سنة ١٩٣٩ وفى عام ١٩٤٣

للأستاذ أحمد رمزى بك

إن الانقلاب الذى قام به المندوب السامى الفرنسى المسيو جبريل بيو عند تعيينه مندوباً سامياً لفرنسا فى أوائل سنة ١٩٣٩ كان يرمى إلى إيقاف العمل بالمعاهدتين اللتين عقدتهما بلاده والعودة إلى النظام السابق .

وترتب على هذا إبطال الدستور فى سوريا ولبنان والعودة إلى تأكيد الاستقلال الذاتى أو الادارى الذى كان يتمتع به كل من جبل الدروز وإقليم العلويين .

وبنت فرنسا الأسباب المبررة لاتخاذ هذه الخطوة على تطرق الفساد إلى الأنظمة البرلمانية القائمة وتدهور الحكم الوطنى فى كل من البلدين وما سببه من انتشار الرشوة والتغاضى عن تنفيذ العدالة ، والأسراف فى إنفاق الأموال العامة وإضاعتها على الأقارب والمحاسيب ، ثم فيما أصاب الأقليات من ظلم واضطهاد جعل رجالها يستصرخون بممثلى فرنسا ويطلبون إغاثتهم مما هم فيه . وكانت هذه الحملات المغرضة موجهة بالذات إلى سوريا وإن كان أصاب لبنان رذاذ منها بحكم اشتراكه مع جارته فى إمضاء معاهدة تشبه أو تقارب المعاهدة التى أمضتها فرنسا مع سوريا . ولقد قام الحكم الوطنى فى سوريا على أساس دستورى سليم وخُيل إلى القائمين بالأمر أنه يكفى إمضاء المعاهدة ثم التصديق عليها لكف اليد الفرنسية عن التدخل فى أمرهم والسيطرة على الشئون الداخلية التى أصبحت من اختصاص الحكومة السورية وحدها ولا شأن لفرنسا فيها بعد أن سلمت السلطات إلى الرجال الذين جاءوا إلى الحكم بمقتضى قواعد الدستور الذى وضعته فرنسا أو وافقت عليه

ولم يتبادر إلى ذهن الوطنيين خطر الرجوع فى هذه الاتفاقات بعد إمضائها إذ كانوا على يقين من أن أغلبية الشعب السورى تؤازرهم وإن البلاد تؤيد بإجماع الاستقلال التام وتأكيد الحياة الدستورية .

وكان جيش الدولة المنتدبة يحتل البلاد وتخضع قوات الأمن العام وغيرها من القوات المسلحة لضباط من الفرنسيين ، وكان أعظم ما تظهر قوة العسكريين فى الأماكن المتطرفة على الحدود أو فى المقاطعات التى تتمتع بإدارة ذاتية ، وكان ضباط الارتباط الفرنسيون يمثلون قوة الدولة المنتدبة الحاكمة . ولما كان أغلبهم تأتى به فرنسا من المناطق الخاصة للحكم العرفى من مستعمراتها فى شمال أفريقيا فقد جاءوا ومعهم عقلية وأساليب فرنسا فى مستعمراتها ، فتمادى بعضهم فى الاستهانة بممثلى الحكم الوطنى وظن أن من اختصاصه إقامة العدالة — كما يفهمها — وإيقاف تنفيذ الأحكام وإعفاء المحظوظين من دفع الضرائب .

وهكذا برهنت الحوادث على تعذر قيام السلطتين معاً وأن هذه الحالة لا بد أن تؤول إلى تغلب السلطة الأجنبية المنتدبة التى يدعمها جيش الاحتلال . فهل تعجلت الحكومة الوطنية فى تعيين ممثليها فى أماكن بعيدة اعتادت تجاهل وجود حكومة دمشق منذ قيام الانتداب ؟ وهل أحسنت صنعاً فى تسلم السلطات المباشرة فى المقاطعات التى كانت تتمتع باستقلالها ؟ هذه أسئلة من الصعب الإجابة عنها ، ولكن الذى ظهر من أثر هذه السياسة أن رجال الحكومة المركزية تعرضوا للاهانات فى بعض الجهات خصوصاً بعد حادث اختطاف محافظ الجزيرة الوطنى فى داخل حدود المقاطعة التى جاء ليحكمها وصعب على الحكومة الوطنية حمايتهم

وهكذا ضج السوريون جميعاً من تدخل سلطات الانتداب ومن سكوتها على هذه الأعمال ومن تشجيع بعض ممثليها واشتراكهم فى تدبيرها ، وألقيت فى البرلمان خطب حماسية شديدة اللهجة ولكن صداها لم يتعد الأماكن التى ألقيت فيها ، وكتبت مقالات قوية الحجة ولكن أثرها لم يتعد أعمدة الجرائد التى نشرتها

فى وسط هذه الظروف القائمة والهجمات المتتالية وجد رئيس الجمهورية هاشم بك الأتاسى بين قوتين لا قبل له بأن يوفق بينهما . ولما كانت آمال الشعب السورى وحرياته أمانة فى عنقه وكان يعتقد أن التساهل مع الفرنسيين ولو مرة واحدة سيؤدى إلى سلسلة لا نهاية لها من التفريط فى حقوق الوطن ، فضل الاحتفاظ

بكرامة البلاد واستقلالها كاملين وبادر بتقديم استقالته إلى مجلس النواب الممثل للامة السورية . وسجل فى هذه الاستقالة احتجاجه على فرنسا التى بعد أن قبلت التعاون مع سوريا عادت إلى أساليبها القديمة ورجعت تطبق تجارب جديدة تناقض الاتفاقات التى وقعها ممثلوها وتعهدوا بتنفيذها . وهكذا جاء عمله هذا دليلا على وطنيته وإخلاصه وشجاعته ، وبندران نجد الكثير من أمثال هاشم بك الأتاسى فى تاريخ الأمم الشرقية فى القرن العشرين .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية وجاء الجنرال فيجان وغيره من قواد فرنسا ، وسادت البلاد فترة هدوء وتعرضت سوريا ولبنان كما تعرض غيرهما لما مرّ ببقية بلدان الشرق الأوسط من متاعب حتى عقدت الهدنة فازدادت هذه المتاعب الاقتصادية والتموينية ، ثم اشتبكت قوات الحلفاء مع قوات فيشى وانتهى الأمر بدخول الحلفاء وخروج فرنسا المهزومة ودخول ممثـــل فرنسا الحرة أو المقاتلة .

وقد قضى هاشم الأتاسى هذه المدة بأكلها معتكفاً بمدينة حمص لا يقوم بأى نشاط سياسى ولا يزوره أحد . وأذكر أننى مررتُ مراراً بهذه المدينة ولم أنس أن أترك له بطاقتى فى كل مرة ، إذ لم يكن فى هذا العمل مايمكن المؤاخذة عليه ؛ ولكن موظفى إدارة الأمن العام الفرنسية ومن بينهم بالذات من أصبح موضع ثقة الحكم الوطنى بعد ذلك ، لم يتركوا هذه الفرصة تفلت من أيديهم دون أن يبنوا عليها من خيالهم الكثير من الظنون التى ضمنوها تقاريرهم السرية ، وهى التى طالما ضلّلت السلطات وأفقدتها الكثير من هيبتها فى كثير من بلاد الشرق الأوسط .

لابد أن القارىء يعرف ما حدث بعد دخول الحلفاء سوريا ولبنان، وكيف أعلن استقلال البلاد السورية ، وكيف نودى بالشيخ تاج الدين الحسنى رئيساً للجمهورية ، ثم اعتراف مصر بهذا الاستقلال ،ثم ما أعقب ذلك الاعتراف من اتصالات ومفاوضات كانت ترمى إلى دعم هذا الاستقلال وجعله متمشياً مع الأغراض العالمية الكبرى التى رسمها ميثاق الأطلنطى ونادى بها كل من روزفلت وتشرشل لكسب الحرب . ولو أن الكثير من مذكرات رجال السياسة والحكم قد نشر بمختلف اللغات وأصبح متداولا بين أيدى الجمهور وفيه إشارات مبينة إلى ما تم فى هذه الحقبة الدقيقة من حياة الأمم العربية والشرقية ، إلا أن موقف مصر الحاسم وأثرها الفعال وما قامت به من أعمال وما كان لوجهة نظرها وسياستها من احترام فى المحافل الدولية ، لا تزال حلقة مجهولة غير معروفة للناس ولا للمصريين خاصة. وليس فى نيتى أن أسردها فى هذه العجالة ، وإنما اكتفى بأن أقول إننى وجدت نفسى مجنداً فى هذه الناحية وعرضة لأحاديث ومفاوضات مع أصحاب الشأن من السوريين واللبنانيين ومع ممثلى فرنسا وبريطانيا وأمريكا ثم مع السلطات القائمة حينئذ فى سوريا وفى مقدمتهم المغفور له الشيخ تاج الدين الحسنى وغيره من الوزراء وأهل الرأى .

فى تلك الأثناء دارت مقابلات بمصر حضرها الجنرال كاترو وزعماء من السوريين واللبنانيين وعند نهايتها عدت إلى بيروت وكان من المفروض أن تبقى المباحثات تحت طى الكتمان ؛ ولكنى فوجئت فى يوم من الأيام بزيارة نجل هاشم بك الأتاسى الذى نقل إلى رغبة والده فى مقابلتى مفضلاً أن يتم ذلك فى فندق معين بمدينة بعلبك . وقد قمت بهذه الزيارة فعلاً فى اليوم الذى حدّده الرئيس هاشم بك الأتاسى فجاءت كأنها مقابلة عرضية فى أحد صالونات الفندق المذكور . وفى أثنائها تحادثنا عما تم فى القاهرة من اتفاق على النقط الأساسية التى تمهد الفرنسيون الأحرار بإتمامها والتى ستكلّل بعودة هاشم بك الأتاسى رئيساً للجمهورية السورية ليتولى إجراء الانتخابات الجديدة . وقد أبدى هاشم بك الأتاسى لى ارتياحه لهذه الفكرة ولم يعترض عليها وقتئذ .

وبعد يومين تلقيت دعوة من وزير العراق المفوض تحسين بك قدرى للغداء بفندق صوفر، وهناك وجدت دولة رياض بك الصلح الذى كان مدعواً معى فأخذ دولته أثناء الطعام يتحدث بلباقته المعروفة وذكائه الفائق عن اهتمام الرأى العام الوطنى بالمفاوضات التى تولتها مصر وما يُرجى لها من خير وعند نهاية تناول الطعام أبلغنى أن الكتلة الوطنية بالشام ترتب الآن شئونها وتجمع شملها كحزب منظم، وأنها قررت ألا ترتبط بشىء لا يأتى عن طريق رئيسها فخامة هاشم الأتاسى وطلب إلىّ وإلى وزير العراق المفوض أن يبلغ كل منا حكومته هذا الإجراء الذى يتفق مع مصلحة البلاد القومية والاستقلالية .

ولا أدرى لماذا مرّ بخاطرى فى تلك اللحظة الكثير من الحوادث التى قرأت عنها طويلاً ، إذ عدت بمخيلتى إلى أعوام ١٩١٠ حينما كانت البلاد العربية جزءاً من الامبراطورية العثمانية فى الأعوام التى قام خديو مصر برحلته إلى الأقطار الحجازية وما أحيطت به رحلته فى مختلف البلاد الأوربية من تأويلات ثم مجىء كتشنر إلى القاهرة ووضعه حداً لسياسة الوفاق التى رسمها غورست وما تبع ذلك من مقابلات تمت فى دار العميد البريطانى مع بعض زعماء العرب سنة ١٩١٣، ثم برز أمامى النزاع القائم بين وزارة الخارجية البريطانية وحكومة الهند البريطانية فى قيادة السياسة العربية وما تمخضت عنه سنة ١٩١٦ من قيام الملك حسين بن على وحروب لورنس المعروفة والمناداة بفيصل الأول ملكاً فى دمشق ؛ ثم تمثلت اتفاقات سيكس — بيكو والتفاهم الذى تم على حصص البترول العراقى ومجىء وعد بلفور وإنشاء الوطن القومى الصهيونى ومفاوضات الوسطاء[1] بين فيصل الأول والدكتور وايزمان العميد الصهيونى ، واستجمعت ذكرى الليالى الطويلة التى أمضيتها فى فندق الملك داود بمدينة القدس استمع فيها إلى أحاديث رجال من البريطانيين واليهود وأنصت إلى أنصار الهاشميين وأنصار الحاج أمين الحسينى . لقد أمضيت سنتين بفلسطين تمر أمام ناظرى الحوادث والمقابلات بين مختلف الرجال الذين يضعون الخطط ويجتمعون ثم ينفضون إذ كانت توضع أسس دولة إسرائيل ... على احتمالات الأخطاء التى سوف يرتكبها رجال السياسة من العرب — لقد مر كل هذا أمامى عند تناولى الطعام — ولقد نزلت من صوفر إلى بيروت وأنا غير مرتاح لمقابلتى هذه إذ كنت أشعر بأننا على أبواب مفاجئات جديدة ... وفعلا تحقق هذا الشعور الذى قلما أخطىء فيه ؛ إذ أطل علينا شهر مارس سنة ١٩٤٣ وهو الشهر المملوء بالحوادث التى جاءت متتابعة متلاحقة ، فبدأ الجنرال كاترو يجد فى تنفيذ ما اتفق عليه بالقاهرة فكثرت تنقلاته بين بيروت وحلب وحمص ، وكان يؤكد فى أحاديثه أنه ينفذ قرارات حكومة فرنسا المقاتلة الممثلة فى اللجنة الفرنسية بالجزائر ، وأن التعليمات التى لديه من شرائطها قيام معاهدة بين فرنسا ودولتى سوريا ولبنان . وكان يبدو لى من حديثى من أغلب الزعماء الذين قابلتهم أنهم يرحبون بعودة معاهدة سنة ١٩٣٦ بل قال بعضهم إن هذه المعاهدة أوسع نطاقاً من المعاهدتين اللتين عقدتهما بريطانيا مع مصر والعراق ، وأنه لو كانت بريطانيا فى مكان فرنسا لاستفادت سوريا كثيراً من تطبيق هذه المعاهدة . كنت أقابل هذه التصريحات بالصمت المؤذن بأن صاحبه لا يهتم بهذه الناحية ... ولا يود الخوض فى موضوعها بالذات .

وما دامت مفاوضات القاهرة لم تتعرض لموضوع المعاهدة لم يكن من المصلحة إثارة شىء عن ذلك ، ما بقى اسم مصر بعيداً عن هذه الدعاية القائمة . والحقيقة أن الفرنسيين أثاروا الموضوع حينما وجدوا شبه إجماع على العودة إلى إحياء المعاهدة السورية الفرنسية ، ولم يبدأ الزعماء فى التحرر من أقوالهم إلا عند ما ظهرت فى الأفق اتجاهات سياسية معينة ؛ ولكن الذى أعلمه تماماً أن هاشم بك الأتاسى كان أول من هاجم المعاهدة أمام الجنرال كاترو . وقد أبلغنى الجنرال أن هاشم بك لم يستطع شرح وجهة نظره وتقديم أدلة كافية على اقتناعه شخصياً بهــذه الفكرة ... ونظر إلى مبتسماً .

وقد كنت على حق فى أن موضوع المعاهدة سوف يتخذ دعاية ضد مصر ، مع أن المراجع المصرية لم تتعرض بتاتاً لمسألة عقد معاهدة جديدة بين سوريا وفرنسا أو إعادة المعاهدة السابقة . ولذلك دهشت حين سمعت شكرى بك القوتلى يصرح فى منزله « أن مفاوضات القاهرة لم تمد أساساً يصلح للسير عليه » فهل كان يقصد بذلك عودة هاشم الأتاسى للرئاسة أم موضوع المعاهدة؟ لم يترك لى الحاضرون الوقت الكافى لقراءة ما يجول بخاطره ، فقد تدخل بسرعة سعد الله الجابرى ، فاعتذر شكرى بك بأنه لم يطلع الاطلاع الكافى على تفاصيل هذه المفاوضات وأسرارها .

ولما توجهت بنظرى نحو جميل مردم بك قال إنه سيتولى تفصيلها وشرحها لشكرى بك . أما أنا فانتهزت الفرصة وأكدت أمام الحاضرين أن موضوع المعاهدة لم يكن محل بحث فى القاهرة . ولست مكلفاً بالدخول فى أى شأن يخص العلاقات بين سوريا وفرنسا من هذه الناحية . وقد استشهدت بجميل بك فأقرنى على ذلك

ولما عدت إلى بيروت علمت من المصادر المختصة أن الانجليز المحليين لا يوافقهم إبرام أى معاهدة بين الفرنسيين وسوريا ولبنان ، وأن رأيهم فيما يخص معاهدة ١٩٣٦ هو أنها تؤيد سيطرة فرنسا

(١) هؤلاء الوسطاء أسماؤهم معروفة مشتهرة .

مســــئولية
الاحتلال الانجليزى لمصر

للأستاذ كمال السيد درويش

— ١ —

فى مثل هذا الشهر من عام سنة ١٨٨٢ تمّ الاحتلال الانجليزى لمصر . ذلك الاحتلال الذى لم تستغرق حوادثه — منذ ضرب الاسكندرية فى الحادى عشر من شهر يوليه الى استسلام عرابى بالقاهرة فى الرابع عشر من شهر سبتمبر — سوى شهرين اثنين . ولموقعة التل الكبير أهميتها الخاصة بعد تحصينات كفر الدوار فى حوادث ذلك الاحتلال مع أنها لم تدم سوى عشرين دقيقة فرّ بعدها عرابى إلى القاهرة ليستسلم فى اليوم التالى .

ولقد دعت السهولة التى تمّ بها الاحتلال الانجليزى لمصر إلى الاختلاف حول تحديد المسئولية فى ذلك الاحتلال . أتقع المسئولية على عاتق عُرابى أم على عاتق الدّولة العثمانيــة أم على الإنجليز وجشعهم الاستعمارى ؟

وهكذا تأرجحت آراء الكتاب حول هذا الموضوع بين هذا الرأى أو ذاك .

عرابى هو المسئول الأول والأخير . لقد اعتنق بعض الكتاب هذا الرأى وأيدوه بحجج قوية .

ألم يدفع بسلوكه الخديو إلى الارتماء فى أحضان الإنجليز ؟ ألم يهمل الدفاع عن حدود مصر الشرقية ؟ أما كان من الحكمة أن يلجأ إلى سدّ القناة فيؤخر الزحف الإنجليزى على الأقل إن لم يمنعه ؟ يقول له دلسبس فى تلغرافه : « إن الإنجليز يستحيل أن يدخلوا القناة ، يستحيل » فينخدع بهذا التلغراف وبالتلغراف الذى يليه : « لا تعمل عملاً ما لسد قناتى ، فإنى هنا ولا تخش شيئاً من هذه الناحية ، إذ لا ينزل جندى إنجليزى واحد إلا ويصحبه جندى فرنسى ، وأنا المسئول عن كل ذلك » .

أى قائد هذا الذى يصدق مثل هذا التصريح الأجوف فيركن إليه فى تحصين بلاده ؟ ألم يقل فيه صديقه جون نينيه « إن بساطة

فى البلدين ، أما السفير الأميركى فاكتفى بأن قرأ على مجموعة من برقيات واشنجتون وكلها تشرح وجهة النظر الأميركية التى تتمسك بنصوص نظام ميثاق الأطلنطى وأنه يجبُّ كل ماعداه . ولا لزوم لعقد مثل هذه المعاهدات : ومن هنا فهمت سر التطور الجديد ضد فرنسا .

كثرت مقابلاتى فى شهر مارس سنة ١٩٤٣ مع الجنرال كاترو وتناولت أحاديثى معه عدة مسائل كان بعضها خاصاً بمركز القوات الفرنسية ومعسكراتها فى مصر . وفى إحدى هذه المقابلات أشار إلى المتاعب التى يلقاها لجمع شمل رجال السياسة السوريين وقال إنه دائم الاتصال بهم ويحاول جهده التغلب على المصاعب التى تبرز كل يوم أمامه . وكان مما ذكره أن عودة الدستور والحياة النيابية إلى سوريا ولبنان أمر مفروغ منه ، وهذا تنفيذ لما تم الاتفاق عليه بالقاهرة ، ذلك الاتفاق الذى اعتبره الجنرال خاصاً به ، ولذا فقد بذل الجهود حتى أقنع الجنرال ديجول ولجنة الفرنسيين الأحرار ، حتى وافقوا على تنفيذه ، وأن المشروع الذى أوحت به مصر يعد فى نظره الحل الوحيد المطابق لروح المبادىء الدستورية ، ولذا فهو الذى يسعى أن ينفذه فى كل من سوريا ولبنان على السواء . وعند اقتراب انصرافى أسر إلى بأن مركز فرنسا وديعة فى يده ولذلك فإنه سيحتفظ بالمصالح المشتركة لحين التفاهم على معاهدة التحالف بين البلدين . ولم أعلق على هذا التصريح بشىء علماً منى بأن الظروف قد بدأت تسير فى اتجاه آخر مضاد لفكرته ، وإن أساليب السياسة البريطانية قد بدأت تؤتى أكلها فى كل من سوريا ولبنان وتوجه القادة إلى وجهة نظرها .

وفى ١٣ مارس سنة ١٩٤٣ علمت من عدة مصادر أن الجنرال كاترو لم يعد يتعرض بتاتاً لمعاهدة ١٩٣٦ فى أحاديثه مع الساسة السوريين ، وظهر أن هذا كان نتيجة إبداء البريطانيين امتعاضهم . ولكنى علمت بأن شكرى بك القوتلى مصرّ على رفض رئاسة الوزارة إذا عرضها عليه هاشم بك الأتاسى . ولما أشير إلى خالد بك العظم أجمع الساسة على أن صحته سوف لا تمكنه من مواجهة الحالة القادمة وما تتطلبه من كفاح ومجالدة أمام مجلس النواب . وهنا بدأت المفاجأة الثانية .

(يتبع)

أحمد رمزى

عرابي جملته يرتكب أغلاطاً كبيرة ظهرت عواقبها بعد ، فبمقدار ما بذل من الهمة في الدفاع عن الإسكندرية وتحصين خطوط الدفاع في كفر الدوار بحيث امتنعت على الإنجليز ، قد أظهر منذ ابتداء القتال غفلة بالغة إذا استمع إلى النصائح الكاذبة التي خدعه بها المسيو فرديناند دلسبس حين زعم أن الإنجليز لايمكن أن يتعرضوا للعمل الفرنسي ، فامتنع عرابي عن سد القناة في الوقت المناسب واستمسك برأيه رغم ما كانت تحتمه الخطط الفنية الحربية ، ورغم ما ارتآه زملاؤه وما ارتأيته أنا وكررته عشر مرات تارة بالقول القارس وطوراً بالكتابة في وجوب سد القناة ؛ رغم كل ذلك أصر عرابي على رأيه فمهد للجنرال ولسلي نصراً من أسهل ما عرف في تاريخ المعارك »[1] . ويحذره جون نينيه قائلا: « إن قناة السويس هي خط الدفاع الوحيد الذي لكم في هذه الناحية ، وإذا لم تحتلوه فسيحتله العدو غداً ولن يجد صعوبة في احتلاله »[2] ومع ذلك كله يأبى عرابي إلا أن يصم أذنيه ويقف مكتوف اليدين حتى تساءل كاتب تاريخ الحركة القومية بقوله : « فليت شعري ما الذي جعله يعدل عن هذا الرأي الصواب ويمتنع عن سدها حتى احتلها الإنجليز ؟ »[3] وموقعة التل الكبير !! كيف يخوض تلك الموقعة الفاصلة وهو بعد لم يستكمل وسائل الدفاع ؟ لقد أقيمت خطوط الدفاع على عجل ، ولم تكن هي في ذاتها محكمة الوضع . يقول المستر بلنت في التاريخ السري للاحتلال : إن جيش عرابي بالتل الكبير لم يكن يزيد على عشرة آلاف أو اثني عشر ألف جندي ، والباقون كانوا من المجندين الأحداث الذين لم يسبق لهم إطلاق بندقية واحدة . أضف إلى ذلك أن خيرة الجنود لم يكونوا بالتل الكبير بل كانوا في كفر الدوار أو في دمياط ، وهؤلاء لم يشتركوا قط في المعركة ، وكان من حسن التدبير أن يستدعي عرابي على الأقل الألاي المرابط في دمياط لأنه كان يحتوي على خيرة الجند المدربين ، ولكنه لم يفعل . بل لقد عهد عرابي بالقيادة إلى علي باشا الروبي لحضر قبل الواقعة بيوم واحد وهو وقت لا يكفي لتعرف مواقع القتال ووضع الخطط الصالحة .

وكيف لا يشتم رائحة الخيانة في صفوف أعوانه ؟! أترسم خطة الموقعة ليلا فلا تستقر في نفس الليلة إلا عند الأعداء ؟! ويتحرك الجيش الانجليزي إلى أن يصل إلى ميدان الموقعة مسافة تبلغ نحو خمسة عشر كيلومتراً دون أن تصادفه طلائع المصريين؟ أيوقع الإنجليز بالجند « على حين كان راقداً فدهشت العساكر وتولاها الانذهال حيث رأوا ضرب النار من خلفهم وأمامهم ، فألقوا أسلحتهم وفروا طالبين النجاة » على حد قول عرابي نفسه في روايته عن تلك المعركة .

وأخيراً كيف يرتضي عرابي لنفسه أن يرخي لفرسه العنان ثم يستسلم بعد فراره هذا الاستسلام الذليل ؟ لقد قال الرافعي بك في هذا الموقف الذي ختم به عرابي فصول الثورة : « ولكن عرابي آثر الحياة على الواجب المقدس ففقد روح البطولة والتضحية ، ولم يكن هذا عهده للأمة قبل نشوب الحرب ، فقد كان يقول إنه لا يخشى تهديد إنجلترا ولا أوربا ولا تركيا وإنه مصر على أن يدافع عن مصر حتى آخر رمق من حياته . فليت شعري لم لم يف بعهده فيكون دفاعه على الأقل صفحة بطولة في تاريخه وفي تاريخ مصر ، أما إذا كان معتزماً التسليم لمجرد الهزيمة فكان الأولى به أن لا يغامر بالبلاد في حرب أدت إلى الاحتلال والهوان ، فهزيمة التل الكبير لم تكن هزيمة عرابي وحده أو هزيمة لجيشه بل هي هزيمة لمصر بأسرها إذ كانت نتيجتها الاحتلال البريطاني »[1]

بل لقد ذهب الكاتب إلى أبعد من ذلك في تفسير فرار عرابي فقال إنه لم يفر من الموقعة ليواصل الجهاد ولكن لكي ينجو بنفسه ؛ ولو كان مجاهداً حقاً لظل يجاهد حتى آخر نسمة من حياته .

أفلا يرى القارئ العزيز إلى أي حد يذهب بعض الكتاب في إلقاء مسئولية ذلك الاحتلال المشئوم على عاتق عرابي والعرابيين؟ إن الاتهام تلو الاتهام ينصب في غير رحمة أو هوادة على العرابيين وعلى رأس عرابي بالذات .

ولكن مهلاً أيها القارئ العزيز فسنستعرض بقية الآراء حتى نعثر على الحقيقة في ثنايا ذلك الاستعراض فتكون الحقيقة

(١) الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي . عبد الرحمن الرافعي ص ٤٣٢ نقلاً عن جون نينيه — عرابي باشا ص ١٠٥

(٢) عبد الرحمن الرافعي بك . الثورة العرابية ص ٤٣٣ : نقلاً عن جون نينيه عرابي باشا ص ١٠٥

(٣) عبد الرحمن الرافعي بك . الثورة العرابية ص ٤٣٣

(١) عبد الرحمن الرافعي بك . الثورة العرابية . ص ٤٥٦ ، ٤٥٧

والحقيقة وحدها سبيلنا إلى تحديد المسئولية والمسئولين وحتى نستطيع استخلاص العبرة من تاريخ ذلك الاحتلال .

— ٢ —

لا ، ليس عرابى هو المسئول . ولكن المسئول الأول والأخير هو الدولة العثمانية . تلك الدولة التى دبّ الضعف والانحلال فى جميع أرجائها فاستحقت بذلك لقبها المشهور « الرجل المريض »

ألم تقف الدولة العثمانية عقبة كؤودا فى سبيل نهوض مصر؟ ألم تعمل السياسة العثمانية على إبقاء مصر ضعيفة ظناً منها أن هذا الضعف هو الوسيلة الوحيدة لبقاء مصر داخل نطاقها ؟ ! ثم هذا الموقف المضحك المزرى الذى وقفته إزاء الثورة العرابية ! كيف ترتضى لنفسها الاشتراك فى تمثيلية مؤتمر الآستانة ؟ ! وبأى حق تسمح للدول الأوربية أن تقحم أنوفها فيما لا يعنيها ؟!

وكيف تنخدع هى الأخرى بهذا المؤتمر وبسراب الخطب التى ألقيت فيه ؟ يضع مندوبو الدول فى هذا المؤتمر ما أسموه : « ميثاق النزاهة » وفيه تتعهد الحكومات التى يوقع مندوبوها على هذا القرار بأنها فى كل اتفاق يحصل بشأن المسألة المصرية لا تبحث عن احتلال أى جزء من أراضى مصر ولا الحصول على امتياز خاص بها ولا على نيل امتياز تجارى . . الخ »

أحقاً هذا ؟! أحقاً ينخدع الباب العالى ويؤمن بنزاهة الميثاق وتنجح السياسة الإنجليزية فى اتخاذه مخلب القط أثناء الاحتلال . خطب اللورد دفرين سفير إنجلترا وممثلها فى المؤتمر فعرض لتفاصيل الحالة فى مصر قائلاً : « إن وزارة راغب باشا هى أداة فى أيدى الثائرين ، وأن الخديو لا حول له ولا قوّة . ثمّ أهاب بالدول أن تأخذ الثورة المصرية — على حدّ قوله — بالشدة حتى لا يستفحل نفوذها فلا يعود من السّهل استئصال شأفتها . وقال إن الوسائل الفعالية التى يجب اتخاذها لإعادة حكومة منتظمة إلى مصر يجب أن تصدر عن الحضرة السلطانية .

وهكذا نجحت إنجلترا فى إقرار مبدأ التدخل فى شئون مصر الداخلية . بل إن جمود الدولة العثمانية كان سبباً فى تمكين الإنجليز من التدخل بمفردهم بعد أن خلقوا « الحالة القهرية » التى استدعت فى زعمهم ضرب الإسكندرية .

ألم تكن مهزلة المهازل أن يتم ضرب الاسكندرية واحتلالها ومؤتمر الآستانة مع ذلك موجود ولا يستحى المندوبون فيه من مواصلة عقد الجلسات بعد أن تمّ ذلك العدوان ؟

ألا تكون الدولة العثمانية مسئولة عن هذا الاحتلال وهى التى مكنت — سواء بضعفها أو غفلتها أو جمودها — من التدخل الإنجليزى باسمها وباسم الخديو ؟ !

كيف ترضى الوقوف فى جانب الإنجليز — وهى تعلم سياستهم ونياتهم فتؤيّدهم بنفوذها الروحى والسّياسى و بُجاريها فى ذلك الخديو فيطمن الحركة العرابية فى الصميم بإيقاع الانقسام بين رجالها وبالتالى فى القضاء عليها ؟ كيف ترضى الدولة لنفسها هذا الموقف العجيب فتؤيد دهاقنة الإنجليز ضد عرابى ... عُرابى الذى كانت تعلم حق العلم حقيقة نواياه وأطماعه . أليس من العجيب أن يكون عرابى من الخطورة على الدولة العثمانية وعلى الخديو بحيث يضطرهما إلى الاستعانة بإنجلترا فى القضاء عليه ؟ أما كانت الدّولة العثمانية بتصرفها هذا كالمستجير من الرمضاء بالنار ؟ والله يعلم أن حركة عرابى والعرابيين كانت على الدولة وعلى مصر أبعد شىء عن الرمضاء ، وأن الانجليز كانوا على البلاد وعلى الدولة أشد خطراً من النار .

ألم يكن موقف الخديو من الحركة العرابيـة معولاً قوياً من معاول هدمها ؟ كتب الخديو إلى الأميرال سيمور بعد ضرب الاسكندرية يقول على لسان رئيس وزرائه : « كونوا إذن على علم بأن الجناب الخديو عزم على عزل عرابى من وظيفته ، فهو لذلك وحده المسئول عما يحدث » ويرسل الخديو تلغرافاً إلى عرابى بكفر الدوار يأمره بالكف عن الاستعدادات الحربية ويؤيد بذلك وجهة النظر الإنجليزية فى ضرب الاسكندرية « اعلموا أن ما حصل من ضرب المدافع من الدوننمة الانجليزية على طوابى الاسكندرية إنما كان السبب فيه استمرار الأعمال التى كانت جارية بالطوابى وتركيب المدافع التى كلما يصير الاستفهام عنها كان يصير إخفاؤها وإنكارها » ثم يعزله فى النهاية « لقد عزلنا كم من نظارة الجهادية والبحرية ، وأصدرنا أمرنا هذا لكم بما ذكر ليكون معلوماً » ويكتب الخديو بعد ذلك منشوراً إلى الأمة يحذرها فيه من الانضمام إلى عرابى وإلى مناصرة الجيش الإنجليزى والامتناع عن معاونة العرابيين .

ركن المعتزلة :

علم الله فى مذهب المعتزلة

للدكتور البير نصري نادر

إن نفى المعتزلة لصفات الله لم يمنعها من البحث فى بعض الصفات كصفة العلم والقدرة والإرادة والعدل على زعم أنها اعتبارات ذهنية وملائمة لنا حسب قول أبى الهذيل العلاف الذى يقول : إذا تحدثنا عن علم الله أو عن قدرته مثلا فذلك لأننا ننظر إليه تعالى من أوجه مختلفة فى حين أنه تعالى ذات واحدة وأزلية[1] ونحن مخلوقات مركبة وحادثة ؛ لذلك نلجأ إلى هذه الاعتبارات وخصوصاً إننا عاجزون عن إدراك اللامتناهى .

ويزيد إبراهيم النظام قائلاً : معنى قولى إن الله عالم إثبات ذاته ونفى الجهل عنه . ومعنى قولى قادر إثبات ذاته ونفى العجز عنه . ومعنى قولى حى إثبات ذاته ونفي الموت عنه . وكذلك الأمر فى سائر صفات الذات[2] . فهكذا لا توجد سوى ذات واحدة أزلية

(١) مقالات الإسلاميين للاشعرى ص ٤٨٦ — كتاب الانتصار للخياط ص ٧٥

(٢) مقالات الاسلامين للاشعرى ص ١٦٦ و ص ٤٨٦ .

ننظر نحن إليها نظرة تجزئية فى حين أن هذه الأجزاء أعنى الصفات غـير موجودة البتة فيها ؛ فقط طبيعة عقلنا الناقصة العاجزة تلجئنا إليها . وأول هذه الصفات التى يبحثها المعتزلة هى صفة العلم.

علم الله هو الله :

لما نفى واصل بن عطاء كل صفة عن الله تعالى رد جميع الصفات إلى ذات واحدة . وزاد أبو الهذيل توكيداً فى رد هـذه الصفات إلى الذات قائلا : إن علم الله هو (أى الله) وإن الله يعلم نفسه وإن نفسه ليست بذى غاية ولا نهاية[1] فإذاً علم الله لا متناهى كما أن الذات لا متناهية . ويضيف أبو الهذيل قائلا إن الله يعلم حقيقة ، ليس بعلم أزلى (قديم) مميز عن ذاته كقول النابتة ، وليس بعلم مكتسب محدث كقول الرافضة ، بل إنه عالم بذاته[2] . حتى إن أبا الهذيل والنظام كانا يقولان : معنى قولنا عالم هو إثبات ذاته ونفى الجهل عنه . فالذات هى العلم والعلم هو الذات لا يمكن فصلهما وكذلك الحال فى الصفات الأخرى .

ويذهب معمر[3] وهو من أعظم المعتزلة مرتبة فى تدقيق

(١) الانتصار للخياط ص ٨ ؛ ٧٥ ؛ ١٠٨ ؛ ١٢٣ — مقالات الاسلاميين للاشعرى ص ١٦٥ ؛ ٤٨٤ .

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل على هامش ابن حزم جـ ١ ص ٥٧ .

(٣) معمر بن عباد السلمى من موالى بنى سالم توفى سنة ٢٢٩ كان معاصراً لأبى الهـذيل والنظام . أخذ الاعتزال عن عثمان الطويل صاحب واصل ابن عطاء رأس المعتزلة . ومعمر أستاذ بشر بن المعتمر رأس معتزلة بغداد .

وهكذا نجح الإنجليز فى صبغ تدخلهم بالصبغة الشرعية تلك الصبغة التى أخذت تزداد كلما توالت المنشورات وهى لا تفتأ تردد عصيان عرابى وتتوعده هو ومن ينحاز إليه بالعقاب . وحين فتح الانجليز الجبهة الشرقية كان الخديو فى الوقت الذى يتوعد فيه عرابى يرسل كتب التهنئة إلى أركان حرب الجيش الإنجليزى بما يحرزون من انتصارات ! وهكذا مكن موقف الدولة العثمانية وموقف الخديو قائد الجيش الإنجليزى من أن يعلن المصريين بأن جيشهم إنما هو تجريدة عسكرية إلى القطر المصرى ليست إلا لتأييد سلطة الحضرة الخديوية ؛ وأن قائد الجيوش يُسرُّ جداً من زيارة مشايخ البلاد وغيرهم من الذين يودون المساعدة لردع العصيان الذى هو ضد الحضرة الخديوية الحاكم والوالى الشرعى على القطر المصرى المبين من لدن الذات الشاهانية .

وقد كان محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب نائباً عن الخديو فى مرافقة الجنرال ولسلى فى زحفه على العاصمة ، بل لقد كان الخديو قد أعطى للانجليز ترخيصاً باحتلال القناة .

وجاءت الدولة العثمانية فأعلنت عصيان عرابى والحرب قائمة ونشر ذلك الإعـلان فى جريدة (الجوائب) التى كانت تصدر باللغة العربية بالآستانة ،وقام سلطان باشا بتوزيع نسخ تلك الجريدة بين الأهالى والأعيان بل وبين كبار الضباط .

حقاً لقد كانت الدولة العثمانية بتصرفاتها طابوراً خامسـاً طعن الحركة العرابية طعنة نجلاء ومهد لرسوخ قدم الاحتلال .

ولـكن مهلاً أيها القارىء العزيز حتى نستعرض الرأى الثالث والأخير .

(البقية فى العدد القادم) كمال السيد درويش

القول بنفى الصفات إلى القول بأن الله تعالى محال أن يعلم نفسه لأن من شرط المعلوم عنده أن يكون غير العالم به ، وهكذا يكون العالم متميزاً عن المعلوم . ولـكن معمر رد هذا التمييز بينهما خوفا من أن يؤدى بنا إلى الاعتقاد بأن علم الله مميز حقيقة عن ذاته فرفض القول بأن الله يعلم نفسه وقال بأن العالم والمعلوم واحد أى أن علم الله هو ذاته (أى ذات الله) وعلى ذلك لا يكون العلم منفصلا فى الله ولـكنه دائماً فيه قديم وغير مميز عن ذاته[١] .

لذلك قال جمهور المعتزلة : إطلاق العلم لله عز وجل إنما هو مجاز لاحقيقة ، وإنما معناه أنه تعالى لا يجهل[٢] فتكون المعادلة خالصة كاملة تامة بين ماهية الله وعلمه ، كما أن هذه المعادلة كاملة أيضاً بين الماهية وأى صفة من الصفات الأخرى والتى هى فى نظر المعتزلة اعتبارات ذهنية ليس إلا —

مصدر هذه الفكرة :

يقول أرسطو فى مقالته الثانية عشرة من كتاب ما بعد الطبيعة أن الله علمٌ كله ؛ قدرةٌ كله ؛ حياةٌ كله ؛ سمعٌ كله ؛ بصر كله . وقرأ أبو الهذيل والنظام فى بغداد ترجمة مؤلفات أرسطو وأفلاطون فيكون أبو الهذيل قد أخذ هذا القول عن أرسطو على حسب ما جاء فى مقالات الإسلاميين للاشعرى[٣] وحسّن أبو الهذيل اللفظ من عند نفسه وقال : علمه هو هو ، وقدرته هى هو — ويؤكد الشهرستانى ذلك بقوله إن أبا الهذيل اقتبس هذا الرأى من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه ، وإنما الصفات ليست وراء الذات معانى قائمة بذاته بل هى ذاته[٤] . والمعروف أن هذا هو قول أرسطو .

وهناك سبب آخر جعل أبا الهذيل أولا ثم المعتزلة ثانياً يردون الصفات إلى الذات . يقول أبو الهذيل : هناك فرق بين قول القائل إن الله عالم بذاته لا بعلم ، وبين قول القائل إن الله عالم بعلم هو ذاته ، وهو أن القول الأول نفى الصفة والثانى إثبات ذات هو بعينه صفة أو إثبات صفة هى بعينها ذات ؛ وإذا أثبت أبو الهذيل هذه الصفات (العلم والقدرة والحياة والعدل) وجوهاً للذات فهى بعينها أقانيم النصارى — لذلك نفى القول الثانى القائل بأن الله عالم بعلم هو ذاته حتى يرد الأقانيم عند النصارى .

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٤١ — الشهرستانى : الملل على هامش ابن حزم جـ ١ ص ٧٥ .

(٢) ابن حزم : الفصل جـ ٢ ص ٩٩ .

(٣) مقالات الاسلاميين للاشعرى ص ٤٨٥ .

(٤) الشهرستانى : الملل جـ ١ ص ٥٧ - الأسفرائينى : التبصير فى الدين ص ٤٢ .

قدم علم الله :

لما كان علم الله هو الله ، ولما كانت ذاته تعالى تتصف بالقدم ، فإذاً علمه قديم أيضاً . وهذه نقطة فى غاية الأهمية عند المعتزلة . ولا ينفك أبو الهذيل والنظام يرددان القول بقدم العلم[١] . ويقول هشام الفوطى[٢] إن الله لم يزل عالماً لنفسه لا بعلم سواه قديم ولا بعلم محدث وإن الله لم يزل عالماً بأنه سيخلق الدنيا ثم يفنيها ثم يعيد أهلها (فريق فى الجنة وفريق فى السعير)[٣] .

تضيف المعتزلة على قولها إن الله لم يزل عالماً بنفسه قولها بأنه تعالى عالم لذاته أزلا بما سيكون (والمستقبل لا يوجد إلا بالنسبة لنا وليس له وجود عند الله) . وهناك فارق كبير بين علم الله وعلم الإنسان : فعلمنا بما سيكون هو علم بشىء جائز ، على عكس علمنا بما يكون فإنه علم بشىء متحقق واقعى . ولكن علم الله هو علم بشىء حقيقى لا بشىء جائز ، لأن الجائز يمكن أن لا يتحقق وعلم الله لا يتعلق به[٤] .

اعتراضه على هذا القول : اعتراضه هشام بن الحكم :

بما أن الله لم يزل عالماً بالأشياء حتى قبل وجودها ولم يزل قادراً عليها فهل ما يعلمه الله وما يقدر عليه قديم أيضاً ؟ هذا سؤال وجهه هشام بن الحكم (الرافضى) إلى المعتزلة قائلا لهم : إن كان الله عالماً بدقائق الأمور وجلائلها لنفسه فهو لم يزل يعلم أن الجسم متحرك لنفسه لأنه الآن عالم لذلك وما علمه الآن فهو لم يزل عالماً به . فإن كان هذا هكذا فلم يزل الجسم متحركا لأنه لا يجوز أن يكون الله لم يزل عالماً بأن الجسم متحرك إلا وفى الوجود جسم متحرك على ما وقع به العلم[٥] .

(١) الخياط : الانتصار ص ٨ و٧٥ و١٠٨ و١٢٣ — الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ١٦٥ و ٤٨٤ .

(٢) هو هشام بن عمر الشيبانى الفوطى المتوفى سنة ٣١٨ هـ أصله من البصرة دعاه المأمون إلى مجلسه فى بغداد وكان هشام من أشد المعتزلة تعصبا

(٣) الخياط : الانتصار ص ٦٠ .

(٤) الشهرستانى : نهاية الأقدام ص ٢٢٠ .

(٥) الخياط : الانتصار ص ١٠٨ .

من كتاب قصور العرب :

غُمْـــدان

للأُستاذ كاظم المظفر

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

وقد وصف الشعراء غُمدانا وصفاً يكاد القارىء أن يتوهم لأول وهلة أنه بعيد عن الحقيقة ، أو هو من نسج أخيلة الشعراء ؛ ولكن عند التأمل والإمعان لا يرى فيه غرابة ، ولاسيما وإن كثيراً من المؤرخين الباحثين (المستشرقين) الذين أخذوا على عاتقهم إحياء آثار العرب القديمة ، شاهدوا بعض أنقاض تلك القصور العظيمة ، وتحدثوا عن عظمة الأسلاف ، وما كانوا عليه من قديم العصور من رقى وتقدم فى مضمار الحضارة .

وفى غمدان وملوك اليمن يقول دعبل بن على الخزاعى :(١)

منازل الحى من غمدان فالنضد ... فأرب فظفار الملك فالجَند
أرى التبابع والأقيال من يَمن ... أهل الجياد وأهل البيض والزَّرد
ما دخلوا قرية إلا وقد كتبوا ... بها كتاباً فلم يُدرس ولم يبد
بالقيروان وباب الصين قد زبروا ... وباب مرو وباب الهند والصُّغد

وقال أبو الصلت يمدح ذا يزَن :(١)

أرسلتَ أسداً على بُقع الكلاب فقد ... أضحى شريدُهم فى الأرض فلَّالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... فى رأس غمدان داراً منك محلالا
قصر بناه أبوك القيل ذو شرح ... فهل يُرى أحد نال الذى نالا
منطق بالرخام المستزاد له ... ترى على كل ركن منه تمثالا
تلك المكارم لا قَعبان من لبن ... شِيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

وأنشد لمصابة الجَرْجرَاى :(٢)

الدار داران إيوان وغُمدان ... والملك ملكان ساسان وقحطان

(١) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٠٢

(١) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٠٢ ، ويروى المسعودى فى مروجه ج ١ ص ٢٨٤ أن هذه الأبيات لأبى زمعة جد أمية بن أبى الصلت الثقفى وفى الاكليل ج ٨ ص ١٧ أنها تنسب لأمية بن أبى الصلت ، ويقال إنها مصنوعة ، وأنه لم يقل عنها إلا ثلاثة أبيات أو أربعة .

(٢) كتاب البلدان للهمدانى طبعة ليدن ص ٣٦٥

رد المعتزلة :

يبدو هذا الاعتراض وجيهاً فى أول وهلة . ولكن المعتزلة وجدت فيه نقصاً وضعفاً كبيرين — يوجد أولا نقص منطق فى الاعتراض نفسه لأن الله فى مذهب هشام بن الحكم جاهل بالأمور غير عالم بها وهو يعلمها عند وقوعها . وهذا تشبيه شنيع لله بخلقه يناقض كماله تعالى .

ثم هناك ضعف آخر فى الاعتراض وهو إن كان الله لم يزل عالماً بالأشياء قادراً عليها فهذا لا يعنى أن الأشياء المعلومة والمقدور عليها لم تزل موجودة منذ القدم — لأن الفاعل لابد من أن يكون قبل فعله عالماً بكيف يفعله وإلا لم يجز وقوع الفعل منه ، كما أنه إذا لم يكن قادراً على فعله قبل أن يفعله لم يجز وقوع الفعل منه أبداً . ألا ترى أن من لم يحسن السباحة أو الكتابة لم يجز منه وقوعهما ؛ فإذا تعلمهما وعلم كيف يكتب أو يسبح جاز وقوعُ الكتابة أو السباحة منه . وهذا حكم كل فاعل : لا بد من أن يكون قبل فعله عالماً به وإلا لم يجز وقوعه منه(١) — وبناءً على ذلك تقول المعتزلة إن الله كان ولا شىء معه ، وأنه لم يزل يعلم أنه سيخلق الأجسام وأنها ستتحرك بعد خلقه أياما وتسكن . وإنه لم يزل يعلم أنها متحركة إذا حلتها الحركة وأنها ساكنة إذا حلها السكون ؛ وهو لنفسه لم يزل يعلم أن الجسم قبل حلول الحركة فيه يتحرك ، وأنه فى حال حلول الحركة فيه متحرك — فلا ماض ولا مستقبل فى علمه تعالى لأن علمه هو ذاته وعلمه سابق للمعلومات . فتكون هكذا الأشياء أزلية فى علم الله ، محدثة فى الزمان المعين والمحدثُ لها من الله . وحدوثها فى الزمان لا يضيف ولا يبدل شيئاً فى علم الله لأن هذا العلم سابق لها .

تبقى مسألة جواز وجود ما يعلمه الله أنه لم يوجد ، ومسألة حرية الإنسان فى فعل المعاصى مع معرفة الله الأزلية لما يفعله الإنسان . وهذه المسألة الأخيرة فى غاية الدقة لأن المعتزلة تفخر بأنها ليست « أهل توحيد » فحسب بل أيضاً « أهل عدل » — وسنبحث إن شاء الله فى مقالنا القادم هذه المسألة الخطيرة .

(البقية فى العدد القادم)

ألبير نصرى نادر
دكتور فى الآداب والفلسفة

(١) الخياط : الانتصار ص ١٠٩ .

وقال علقمة بن ذى يزن :(١)

أبعد غُمدان حين أسنى   يسـفى به المور والرّياح
يا عين سلحين فاندبيه   إذ هاض من أهله الجناح

وقال أيضاً :(٢)

لا تهلكن جزعاً فى إثر من ماتا   فإنه لا يردُّ الدّهر ما فاتا
أبعد غمدان لا عين ولا أثر   أم بعد بينون يبنى الناس أبياتا

وقال أيضاً :(٣)

فذاك غُمدان مخزئلاً(٤)   كأنهُ جبلٌ منيفُ
يسكنهُ ماجدٌ أبيٌّ   تُرغمُ قُدّامهُ الأنوفُ

وقال أيضاً :(٥)

هذاك غُمدان مُخزئلاً   بناؤهُ العجبُ العجيب
أعلاهُ مبهمة رخام(٦)   عالٍ وأسفله جروب(٧)

وقال أيضاً :(٨)

وتكوّرت غُمدانُ من صرف الرّدى
من بعد مملكة وبعــد تكبر
القيل من قحطان أبهم صخرها   وعمادها والقطر خير الأقطر

وقال أيضاً :(٩)

قد كان حسان فى ذؤابة غمدان   قريراً يعيش من رغدا

وقال أيضاً :(١٠)

ولم يخلد على الحدثان بان   بنى غمدان تنهمه الهموم

وقال ابن أبى عاصية السّلى :(١١)

فهل ناظر من بطن غمدان مبصر   قفا أُحد رُمت المدى المتراخيا
ولو أن داء اليأس بى فأعاننى   طبيب بأرواح العقيق شفانيا

(١) الاكليل ج ٨ ص ٦٠
(٢) الاكليل ج ٨ ص ٦٨
(٣) نفس المصدر ص ١٩
(٤) من أحزال الجبل : ارتفع فوق السراب .
(٥) الاكليل ج ٨ ص ١٩
(٦) المبهم : المغلق من الأبواب وذلك أننا رأينا فيما مضى أن بانى غمدان أطبق سقف الغرف برخامة واحدة فكأنها أغلقت بهذه الرخامة .
(٧) جمع جربة على غير قياس وهى المزرعة والقراح من الأرض أو المصلحة لزرع أو غرس .
(٨) الاكليل ج ٨ ص ٢٠
(٩) الاكليل ج ٨ ص ٢١
(١٠) كذلك ص ٢٢
(١١) ذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالى ص ١٢٦

وقد ذكر الهمدانى فى بعض مخاطباته لأهل العراق ، وقد كانوا وصفوا بغداد فى مخاطبتهم له ؛ حيث يقول :(١)

أرض تخيرها سام وأوطنها   وأسّ غمدان فيها بعدما احتفرا

وقال الهمدانى أيضاً :(٢)

مازال سام يرود الأرض مطلباً   للطيب غير بقاع الأرض يبنيها
حتى تبوأ غمدانا وشيدها   عشرين سقفاً يناغى النجم عاليها
فإن تكن جنة الفردوس عالية   فوق السماء فغمدان يحاذيها

وقال ذوجدن الهمدانى :(٣)

وهذا المال ينفد كل يوم   لنزل الضيف أوصلة الحقوق
وغمدان الذى حدثت عنه   بناه مشيداً فى رأس نيق
بمرمرة وأعـــلاهُ رخام   تحام لا يغيب بالشقوق
مصابيح السليط يلحن فيه   إذا يمسى كتوماض البروق
فأضحى بعــد جدته رماداً   وغيّر حُسنه لهب الحريق

وقد يقال عن غمدان بمأرب وفيه يقول الهمدانى :(٤)

من بعد غمدان المنيف وأهله   وهو الشفاء لقلب من يتفكر
يسمو إلى كبد السماء مصعّداً   عشرين سقفاً سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصب بعمامة   ومن الرُّخام منطق ومُؤزر
متلاصقاً بالقطر منه صخرة   والجزع بين صروحه والمرمر
وبكل ركن رأس نسر طائر   أو رأس ليث من نحاس يزأر
متضمناً فى صدره قطارة(٥)   لحساب أجزاء النهار تقطر
والطير والفتخة عليه وفودها   ومياهه قنواتهـا تتهدّر
ينبوع عين لا يصردُ شُربها   وبرأسه من فوق ذلك منظر
برخامة مبهومــة فمتى ترد   أربابه مدخــولة لم يعسر

وقال الأعشى :(٦)

وأهل غُمدانُ حيثُ كانوا   أجمع ما يجمع الخيار
فصبحتهم من الدّواهى   نائحة عقبها الدّمار

(١) تاريخ اليمن للواسعى اليمانى طبعة السلفية بالقاهرة ص ١١٠ والاكليل ج ٢ ص ١٢
(٢) الاكليل ج ٨ ص ١٣
(٣) العرب وأطوارهم ج ١ ص ١٠
(٤) الاكليل ج ٨ ص ١٧
(٥) المراد بالقطارة هنا الساعة المائية . وكان هرون الرشيد أهدى إلى شرلمان قطارة بديعة . ولا جرم أن مثالها كان على خلقة هذه القطارة الغمدانية .
(٦) الاكليل ج ٨ ص ١٦

وقال آخر من حمير :(١)

وكان لنا غمدان أرضاً نحلها وقاعاً وفيها ربنا الخير مرثد

وقال ثعلبة بن عمر العبقسي بن سلمة وقيل بل هما لعبد القيس الأزدى : (٢)

ولو كنت فى غمدان تحرس بابه على أراجيل كمىّ وسانف
إذاً لأتتنى حيث كنت منيتى لعبء مخب لا يرى وهو قائف

وقال مالك بن عمرو بن قضاعة :(٣)

وفى الفرع من غمدان لوح عزنا يحى وفيه بالفلاح يصيح

وقال الربيع بن ضبع بن ذبيان :(٤)

أجار بجير النمل من عزّ ملكه
وأنزلَ سيفَ البأس مِن رأس غُمدان

وقال النعمان بن الأسود بن عمرو بن يعفر الحميرى يرثى بلقيس ابنة الهدهاد بن شرحبيل من قصيدة :(٥)

هدهد من طيور أرض بشام فرى فى الهوا على العرش نور
باقتضاء الهدى على ملك بلقيـ س بغمدان إذ أتاها النذير

وأنشد أسعد تبع بن ملكى كرب من قصيدة :(٦)

جدّى المتوّج عبد شمس ذو العلا شيخ الملوك ومحتوى غُمدان

وقال أسعد تبّع أيضاً :(٧)

وغمدان قصر لنا مشرق مآجله حوله نُزهر
وكان معسكرنا دائماً أزال وعسكره عسكر

وذكر ابن عبد ربه فى العقد الفريد(٨) فى باب وفود قريش على سيف بن ذى يزن بعد طرده للحبشة قال : قال ابن عباس : لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة ، وذلك بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وأسد بن عبد العزى وعبد الله بن جدعان ، فقدموا عليه وهو فى قصر له يقال له غُمدان

وقال النورى(١) : ويقال أن آثار غُمدان باقية إلى عصرنا هذا ، وإنه تلٌ عالٍ مطلٌ على صنعاء .

وقال الهمدانى(٢) : وقد بقى من خدّ غمدان القديم قطعة ذات خراب متلاحك عجيب ، فهي قبالة الباب الأول والثانى من أبواب الجامع الشرقية ، وباقى غمدان تلٌ عظيم كالجبل وكثير مما حوله من منازل الصفانيين .

وقال الواسعى اليمانى(٣) عند ذكره لدخول الجيوش التركية لبلاد اليمن : « وقد استولى قسم من الجيش على بقية المعاقل نحو قصر غمدان وأبواب صنعاء وهى عشرة »

وقال الأستاذ أمين الريحانى(٤) : قصر غمدان القديم دُرس والبناء قائم مكانه اليوم يدعى باسمه ، ويختصرونه فى صنعاء فيقولون: القصر ، وفيه معمل الخرطوش ، والسكة ، والسجن .

وقال أيضاً(٥) عند ذكره للامام يحيى ملك اليمن وما لديه من الأخصائيين الذين يستشيرهم فى أعماله ويستعين بهم فى تمشية أموره : « وهذا السيد محمد زبارة أمير القصر ، قصر غمدان ، ومدير السكة والسجن فيه .

ويستنتج من هذا القول الذى ذكره الأستاذ الريحانى أن معالم غمدان لم يبق لها أى مشهد معروف ، وأن آثاره التى قال فيها الهمدانى أنها قطعة خربة بينة الأثر ، والتى قال فيها النورى أنهـا تلٌ عالٍ مطلٌ على صنعاء ؛ لم تـكن كتلك الحال الأول ؛ وإنما جرى عليها الاضمحلال ، وتغيرت رسومها ، واستبدلت مكانها بناية أخرى تابعة لحكومة الإمام يحيى ، إلا أنها لا زالت تحتفظ بذلك الاسم القديم « غمدان » الذى فاخرت الأجيال بعظمة بنائه ، وجمال صنعه .

النجف — العراق

كاظم المظفر

(١) الاكليل ج ٨ ص ١٦
(٢) الاكليل ج ٨ ص ١٩
(٣) الاكليل ج ٨ ص ١٠٢
(٤) كذلك ص ٢٢٩
(٥) كذلك ص ٢٤٥
(٦) كذلك ص ٢٩٣
(٧) كذلك ص ٢٠
(٨) الجزء الأول ص ٢٦٨ مطبعة الاستقامة بمصر .

(١) فى كتابه نهاية الارب ج ١ ص ٣٧١ .
(٢) الاكليل ج ٨ ص ٠٠
(٣) فى كتابه تاريخ اليمن ص ١١٠ طبعة السلفية بالقاهرة
(٤) فى كتابه ملوك العرب ج ١ ص ١٣٧
(٥) ملوك العرب ج ١ ص ١٦١

الشيء الصغير

للأستاذ أنور لوقا

تحت هذا العنوان الساذج الغريب قص الأديب الفرنسي ألفونس دوديه تاريخ حياته في كتاب نشره سنة ١٨٦٨ ، وقد أطلق هذا اللقب على بطل القصة ، دانييل إيسيت ، ذلك الغلام النكرة المهمل الذي لا يعنى به أحد لأنه شيء صغير !

ألا يعبر هذا اللقب عن معنى بعيد عميق في نفس الكاتب ؟ أليست له قيمة رمزية أصيلة ؟ ألا يلخص ويعنون ناحية ممتازة من شخصية دوديه وفنه كما لخص وعنون شطراً من حياته ؟ ...

الشيء الصغير هو ما تراه أمامك ولا تلحظه ، ما قد تصطدم به ولا تلتفت إليه ، هو ما يجاورك ويلازمك في أكثر الأحيان ولكنك لا تعيره اهتمامك ولا تأبه له لأنك اعتدته أو لأنه .. شيء صغير !

وهذا « الشيء الصغير » هو قوام قسط كبير من سحر دوديه . فإن كل صفحة من أدبه عامرة بالتفاصيل الدقيقة المنتقاة ، واللامح الخفية الشاردة ، والكلمات القصيرة العابرة التي تترجم خليقة من خلائق الناس ، أو تبرز وضعاً من أوضاع الأشياء ، وتطبع في ذاكرتك إلى الأبد هذا المشهد أو ذاك مما يصف الكاتب

وليس أدل على ذلك من أن لدوديه « طاحونة » أصبحت علماً من أعلام الأدب الفرنسي منذ أن رسم صورة حية لها لا تفارق مخيلة من قرأ ديوان أقاصيصه الريفية « رسائل من طاحونتي » : فهناك قط ضاوٍ على نافذتها ، وبومة غبراء فوق سطحها المتهدم وشعاع من القمر الساجي يكسوها ليلاً ، ونور غامر يتفجر في أركانها نهاراً ، ونفحة من ريح الشمال تهب عليها ، وغابة من شجر الصنوبر تتدرج أمامها سفح الجبل ...

وقد نشرت « الرسالة » في ٤ / ٤ / ١٩٤٩ ترجمة لتحفة جميلة من أقاصيص ذلك الكتاب عنوانها « الشيخان » ، لا يقرؤها القارئ مرة إلا عاودته مشاهدها مراراً : أولاً مشهد الساعي القروي المجوز الذي يفتتح القصة مزهواً فخوراً إذ يحمل في يده رسالة واردة من باريس ، ثم منظر ميدان إيجوير المقفر في هجير الظهيرة ، ثم بيت صغير يبزغ على الأرض كأنما كان من إشارة عصا سحرية ، ثم صوت نحيل متقطع ينطلق من هذا البيت ، صوت طفلة من تلميذات المدارس تقرأ كلمة كلمة وحرفاً حرفاً في كتاب أكبر منها : « حينئذ .. صاح .. القديس .. إرنيه .. إنني قمح .. المولى .. ويجب .. أن .. أطحن .. بأنياب .. هذه .. الوحوش .. » وإنها لعبارة خليقة بأن تبعث إلى مخيلتك المكان والزمان والوجوه التي طالعتها بل ودرجة الحرارة إذ ذاك ، فهي تمثل لك الشيخين ، والطفلتين ، وقفص العصافير ، والذباب العالق بالسقف ، والساعة المعتمدة على الحائط ، وقد أخذتهم جميعاً سنة من النوم . ما ناسب كلام مقتضى الحال كهذه الجملة الوحشية من تاريخ الشهداء الأوائل الذي يشبه الأساطير ، تلقيها على مسمع شيخ سطا عليه الكرى في مقعده ساعة القيلولة صبية من بنات ملجأ الأيتام لا تكاد تجيد الهجاء . وأكبر الظن أن دوديه لم يبتدع هذه العبارة ابتداعاً ، وإنما اقتنصها أو اقتنص مثيلة لها على شفتي طفل يتعلم القراءة في بعض كتاتيب القرية أو بعض زوايا الريف ... ثم يلي ذلك مشهد الاستجواب الطريف ، والشيخ الذي يوشك أن يهذي وهو يسأل الفتى الزائر عن لون ورق الغرفة التي يسكنها حفيده العزيز ... ثم تلك المأساة الرهيبة التي تجري فصولها أمام الصوان العالي إذ تركب الشيخ نزعة الكرم فيحاول إنزال زجاجة الشراب المعتق من مكانها القصي على حين تقف زوجه مرتاعة تثنيه عن عزمه وهي باسطة ذراعيها المرتعشتين لتسنده إذا هوى ... ثم مشهد خروج الشيخ مع الفتى معتداً بقوته ووقوف الشيخة على باب الدار تشيعهما في مقة ... هذا كله ، لا بد أن الكاتب قد رآه بعينه ذات يوم ثم وشاه بخياله المراح ولدينا خير دليل على هذا الخيال المبدع في الحوار الذي أداره الفتى بين مهدي الشيخين في السحر ، وخير دليل على مزج الواقع بالخيال في ملاحظته أن الشيخين متشابهان غاية التشابه لا يميزهما إلا اختلاف الملابس ، أو مطالعته في ابتسامتيهما الذابلتين صورة باهتة نائية لوجه حفيدهما العزيز ، صديقه موريس .

ولقد طار صيت ألفونس دوديه بأقصوصة « عنزة السيد سيجان » (نشرت « الرسالة » ترجمة لها في العدد التاسع من السنة الأولى ١٥ / ٥ / ١٩٣٣ ، فما من طفل فرنسي لا يعرف

هذه القصة ولا يرويها لك ؛ وإنك لتسمعها منه فى شغف ، ويروقك أن تستعيدها من حين إلى حين . ومع ذلك فليس أيسر من تلخيصها فى سطر واحد : عنيزة كرهت الحظيرة والقيد فانطلقت إلى الجبل حيث أكلها الذئب . ولكنها آية من « السهل الممتنع » لا شك تعجز عن تدبيج مثلها الأقلام المترفة الكبيرة . وإنها لتحقيق طيب لقولة راسين : « ما الفن إلا خلق شيء من لا شيء » .

وإذا ضاق المقام عن استعراض روائع التفاصيل فى كثير من قصص دوديه الممتازة ، فلن نستطيع أن نهمل حديث دوديه نفسه عن « الأشياء الصغيرة » وأسلوبه فى النظر إليها — فهو يقول فى سياق قصة شجية ، خالية تمام الخلو من الأحداث ، جعل عنوانها عبارة صاحبه « بثلاثمائة ألف فرنك وعدنى بها جيراردان ... » :

« هناك آلام غريبة عنا ، لا تربطنا بها وشيجة ، ولا نلمحها إلا مصادفة ، ونحن نعبر مكاناً ما ، فى دقيقة ، أثناء سعينا الحثيث وخلال زحمة الشارع ... تلك أجزاء من أحاديث متقطعة يتبادلها اثنان بين اهتزازات مركبة ؛ هموم عمياء تتكلم وحدها ، وبصوت مرتفع ؛ كتفان مكدودتان ؛ حركات مجنونة ؛ عيون محمومة ؛ وجوه شاحبة منتفخة من الدموع ؛ أو أحزان حديثة العهد لم يحسن أصحابها كفكفتها فى طيات ما يتدثرون به من سواد ... ثم ، أشياء صغيرة ، تفاصيل خاطفة ، ويالها من توافه ! زيق رداء ، أطالت الفرشاة حتّه ، بال ، يلتمس الظل . . صندوق من صناديق الطرب والموسيقى ، تحت باب مسقوف ، تديره يد متسول ولا يُخرج صوتاً .. شريط من المخمل فى عنق حدباء ، مشدود فى قسوة ، محكم العقدة مستقامها بين الكتفين الشائهتين ... وتمر بك جميع هذه المناظر ، مناظر البلايا المغمورة مراً سريعاً ، وتنساها وأنت سائر .. ولكنك فى آخر النهار تشعر بدبيب كل ما فى نفسك من التأثر والرثاء والمضض لأنك دون أن تدرى ، قد علقت ، عند منعرج طريق أو أسكُفة باب بهذا الخيط غير المنظور الذى يربط تلك البلايا معاً ، ويرجها جميعاً إذا اهتز هزة واحدة » .

وكان ألفونس دوديه ممن يشكون قصر البصر . ولعل لهذه العاهة أثراً فى عنايته بكل شيء صغير . فإن الرجل المرهف الحس الذى لا تستطيع عينه أن تلم من بعيد بجميع خطوط المنظورات ، يحرص دائماً على أن يقترب من الأشياء ، ويحدق فى كل شيء من كل ناحية ، وينتهى به الأمر إلى أن يسجل المرئيات صوراً أدق وأصدق وأروع من الصور التى نلتقطها نحن بعيوننا السليمة . أضف إلى ذلك ما رأينا من اندماجه فى زحمة الشارع واعتزاله فى برج الشاعر (راجع عدد ٨٤٦ من « الرسالة ») . ولقد كان أديبنا الساحر ينشد سكون الريف أو الشاطىء أو الصحراء كلما دار رأسه فى باريس ، وكان يعى نعمة العزلة التى فيها تصفو ملكة الناظر وتصفو أحلام الشاعر وتصفوا عبارات الكاتب .

يقول برجسون ، وهو خير من فطن إلى معنى الفن وغايته وعلاقته بالحياة : « لقد انسدل بين الطبيعة وبيننا ، بل بيننا وبين إدراكنا ، حجاب صفيق عند عامة الناس ، رقيق ويكاد أن أن يكون شفافاً عند الفنان والشاعر . فالناس لابد أن يعيشوا ، وأن يكسبوا قوتهم ، والحياة تقتضينا أن نقدر الأشياء تقديراً مبنياً على مدى صلتها بحاجاتنا . فنحن لا نقبل من تأثير الأشياء علينا إلا التأثير النافع لنا ، ثم نلبى هذا التأثير بأعمال هى رد فعل خاص ، أما التأثيرات الأخرى للأشياء فإننا لا نفعل ، ولا بد أنها تظلم وتتم ولا تبلغنا إلا غامضة مبهمة مشوشة .

أنا أنظر وأظن أننى أرى ، وأصغى وأظن أننى أسمع ، وأختبر نفسى وأظن أننى أقرأ ما سطر فى أعماق قلبى ، على حين أن ما أراه وما أسمعه من العالم الخارجى ليس إلا ما تستخلصه حواسي لإرشاد سلوكى ، وعلى حين أن ما أعرفه عن نفسى ليس إلا ما يطفو على سطحها وما يشترك بنصيب فى حياتى العملية ... لقد صنفت الأشياء تصنيفاً غايته مقدار الفائدة الذى أستطيع أن أصيبه منها .. وهذا التصنيف هو الذى أراه أكثر مما أرى ألوان الأشياء وأشكالها .. إن شخصية الأشياء والكائنات تغيب عنا ما دام لا يعود علينا تمييزها بنفع مادى . فإذا لا حظناها فلن تكشف عيننا شخصية الشيء أى هذا الاتساق الخاص من الأشكال والألوان ، هذا الاتساق الأصيل كل الإصالة ، وإنما تكشف واحدة أو اثنتين من الملامح التى تيسر لنا معرفة الشيء عملياً .

جملة القول أننا لا نرى الأشياء نفسها ، وإنما نقتصر فى أكثر

الأحيان على قراءة بطاقات ملصقة عليها . وقد قويت هذه النزعة ، وهي وليدة الحاجة ، تحت تأثير اللغة ... فاللفظ الذى لا يسجل من الشيء إلا وظيفته العامة الشائعة ومظهره الغليظ المبتذل ، يندس بين هذا الشيء وبيننا فيقنع شكله عن عيوننا ، إن لم يكن ذلك الشكل قد احتجب من قبل وراء الحاجات التى خلقت اللفظ نفسه » .

ويخلص برجسون من هذا إلى أن الفنان نفس منقطعة عن الحياة ، لا هذا الانقطاع المقصود المدبر المتعمد ، وإنما هو انقطاع طبيعى راجع إلى خليقة الحس ، يغمر الفنان فى حياة روحية خالصة كالأحلام والرؤى ، وتظهر آثاره مباشرة فى أسلوب البصر والسمع والتفكير بما يزيح الرموز والكنايات والعموميات ذات النفع المادى ويوقفنا وجهاً لوجه أمام الحقيقة ...

ولألفونس دوديه صفحات كثيرة تصل إلى هذه الطبقة ، حسبنا هنا أن نقتبس فقرة قصيرة من حديث الراعى البروفنسى الذى بات يروى أساطير « النجوم » لابنة سادته . إنه يشعر شعوراً ساحراً فوق الجبل ، فهو يعرف ما الذى يجرى فيها أحسن مما يعرفه أهل السهل » . وهو مع ذلك لا يتكلم إلا كلاما ساذجا « لو أتيح لك أن تقضى الليل ساهراً ، لعرفت أن فى الساعة التى نرقد فيها ، يستيقظ عالم سحرى يعمر العزلة والسكون . هناك تغنى الينابيع غناء أصفى وأجهر ، وتوقد الغدران جذوات صغاراً ، وتذهب جميع الأرواح الهائمة فى الجبل وتجيء حسرة طليقة ؛ وإذا أنت تحس فى الهواء خفيفاً وأصواتاً خفيضة لا تكاد تدركها الأذن ، إن النهار دنيا الأحياء ، أما الليل فحياة الأشياء » .

وقد عاش دوديه مع الأشياء الصغيرة ، بل عاش فيها وعاشت فيه ، بالمعنى الحرفى لهذه الكلمات . هو ذا يصف أياما قضاها على شاطىء كورسيكا فيقول : « كنت إذا لم تعصف المسترال أو ريح الشمال آتى فأستلقى بين صخرتين قائمتين فى مستوى سطح الماء ، وسط الحمائم والشحارير والسنونو ، وأكاد أقيم النهار كله على هذه الحال من الشرود والاعتلال اللذيذ الذى يغدقه تأمل البحر . ألا تعرف هذه النشوة المذبة التى تغمر النفس ؟ هناك لا يفكر المرء ، ولا يحلم ، وإنما يشرد كل كيانه ، ويطير ، ويتشتت . فإذا أنت هذا الطائر الذى يغطس فى الماء ، وإذا أنت رذاذ هذا الزبد الذى يطفو فى نور الشمس بين موجتين ، وإذا أنت ذلك الدخان الأبيض الذى يتصاعد من تلك السفينة التى تبتعد ، وإذا أنت هذا الزورق الصغير الأحمر الشراع ، وأنت هذه اللؤلؤة من الماء ، وهذا الغشاء من الضباب ، أنت كل شيء ما عدا نفسك ... »

وقد يكون من العبث الطريف أن نحاول إحصاء كلمة « الصغير » فى كتاب من كتب دوديه . إنها تتردد مراراً فى الصفحة الواحدة ، بل فى الفترة الواحدة ... ولكن الحياة المادية الحديثة التى أصبح المرء لا يبحث فيها إلا عن الكسب ، والمتعة القريبة المباشرة ، قد انتهت بالحس الإنسانى إلى التبلد والمجون ، وصرفت النفوس عن الأشياء البعيدة والأشياء الصغيرة صرفاً يكاد يصل إلى إنكار وجود هذه الأشياء ... على أننا نستطيع أن نستعير من منطق المادية الغليظة دفاعا عن الشيء الصغير : فتلك البذرة الضئيلة التى لم تستوقف عينك لحظة هى التى أنبتت هذه الدوحة العظيمة التى تروعك بجذعها الضخم وأغصانها الملتفة ، وزهرها الوضاح وثمرها الغزير ؛ وبعض الغدد الصغيرة التى كان يجهل الطب القديم مكانها من جسم الإنسان أضحت اليوم فى ضوء الطب الحديث أهم وظيفة وأخطر شأنا من الأعضاء الكبيرة الشهيرة ؛ بل حسبنا أن نذكر أن عصرنا هو عصر « الذرة » ...

يرحم الله جوته فقد قال عن الشاعر إنه « من يستخلص المعنى الرفيع من الشيء الوضيع » ؛ ويرحم الله ألفونس دوديه ، فقد كان يقول لابنه ليون : « إن للأشياء معنى ، مكانا نستطيع أن نمسكها منه » .

أنور لوقا

مدرس منتدب بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تسابيح وابتهالات ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

(صدقت من زعم أنه سلاها وراح يشبب بغيرها ، وعند ما استبد بها الحنين أقبلت عليه ، تعاتبه فما كان منه إلا أن زف لدنياها هذا اللحن الندى المنهاف)

قالت معاتبةً ، وعيناها تُعاتبُ ناظرى
وقد استبدَ بها الحنين إلى الحبيب الهاجر
وتنهدت عن خافق بِأمى الصَّبابة زاخر
أسلوتنى !. أم لا يزال هواك لى يا شاعرى
فأجبتها والشوقُ ملتهبٌ يؤجُ بخاطِرى

لولا عيونك «ياهناء» لما أبحتُ السهد جفنى
ولما تسربلتُ الخيال محلقاً فى كل فن
ولما كرهت جحيمَ أحلامى وأنغامى ودنى
ولكنت أبقى حيث أغلالى وأوهامى وسجنى
كالبلبل المسحور لم تسمع بشجوى أى أذن

قسماً بعينك وهى ينبوع ابتهالات الحياة
قسماً بثغرك حين يتلو تحت ثغرى أغنياتى
قسماً بحبينا . . بتلك الأمسيات الخالدات
ما عشت إلا كى تبارك حبنا الرا كى صلاتى
أنت الهوى والشعر والإلهام لا بل أنت ذاتى

يا فتنتى أنا شاعر أهوى الجمال الشاعريا
كم رحتُ أستوحيه أنغاماً وشعراً عبقريا
وأذيعُه لحناً على العشّاق هفهافاً نديا
يا جنتى يا من رأيت بعينها الأمل الشهيا
لولاك كانت هذه الدنيا جحيماً سرمديا

(بغداد) عبد القادر رشيد الناصرى

مواكب الصحراء ...

للأستاذ ابراهيم الوائلى

أترانى – وقد هجرت غنائى – مزجياً غير أنَّة خرساء ؟
ليس بدعاً إذا تحطم قيثا ري وأمسى مبعثر الأشلاء
واتخذت الحنين فى موكب الليل لحوناً شجية الأصداء
فأنا الطائر الذى فقد العش وولى يهيم فى بيداء
تائه ضلّ فى مسارب ليل مكفهر مطلسم الأرجاء
تترامى عن جانبيه رمال بعثرتها الرياح فى الصحراء
وكهوف تنمَّر الوحش فيها لاهثاً لا يعب غير الدماء
تائه ضل والعواصف هوج يتناوحن فى حشا الظلماء
والتهاويل كل سوداء تلقى ظلها فوق أختها السوداء

يا له من معذب فى الدجى شارد الفكر !
بين حشد من الهواجس مجنونة الصور
وحشة الليل حيث لا النجم يبدو ولا القمر
والخيالات أعين يتقادحن بالشرر
عالم يلتقى به أينما طاف أو عبر

جُنّت البيد فالسكون هباء ذوّبته الرياح بين يديا
كلما قلت : سوف يطلع فجر تخذ الليل قولتى سخريا
كلما قلت : سوف ألمح نجما قالت السحب : لن ترى ثم شيّا
نم على الشوك فى القفار وحيدا وتنسم غبارها وتفيّا
واسمع الريح إن أردت غناء وتجرّع من الجلاميد ريّا
ليس فى القفر غير دنيا من التيه يعيش الطريد فيها ويحيا
أتظن الأشواك مثوى رقيقاً أم تظن الرياح لحناً رخيّا ؟
أم تخال الصخور تندى فتروى ظماً أو تبل قلباً صديّا ؟
عش كما شاءت الحياة غريباً واتخذ وحشة الظلام نجيّا

إيه يا ليل لم تدع غير صمتى ولم تذر !
كل ما فيك مرعب من خيال ومن أثر
صور جهمة الرؤى ملء أذنىّ والبصر
والطريق المخيف يزخر بالشوك والحفر
عالم يلتقى به كل من طاف أو عبر

ابراهيم الوائلى

تعقيبات

الأستاذ أنور المعداوى

قضية الأمانة العلمية بين أستاذين فى الجامعة :

....

هذه قضية يعرضها علينا الدكتور جمال الدين الشيال مدرس التاريخ الإسلامى بجامعة فاروق ، أما موضوعها فيدور حول محور الأمانة العلمية كما يفهمها الجامعيون طلاباً وأساتذة ، وكما يجب أن يفهمها الرأى العام الفنى ممثلا فى طبقات المثقفين ممن يقرأون « الرسالة » ، وهذه هى المحكمة التى نود أن نعرض عليها أدوار القضية ، القضية التى يريد الدكتور الشيال من جهته أن يتقدم بها إلى ساحة القضاء مطالباً بحفظ حقوقه الأدبية والمادية ... ونترك الدكتور الشيال يروى فصول القصة ، ونرجىء التعقيب حتى نهيىء بهذا الإرجاء فرصة الرد للدكتور محمد فؤاد شكرى أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة فؤاد :

« فى إبريل سنة ١٩٤٥ تقدمت إلى جامعة فاروق الأول برسالة عنوانها (تاريخ الترجمة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر) أرخت فيها — ولأول مرة — لحركة النقل عن الغرب فى عهد الحملة الفرنسية وفى عصر محمد على ، وقد نوقشت هذه الرسالة أمام لجنة مكونة من الأساتذة : عبد الحميد العبادى بك ، ومحمد شفيق غربال بك ، والدكتور محمد مصطفى صفوت الذين أجازوها لدرجة الماجستير مع مرتبة الشرف الأولى ... ثم تقدمت بهذه الرساله إلى مسابقة البحث الأدبى لسنة ١٩٤٦ التى عقدها المجمع الملكى للغة العربية ففازت بالجائزة ، وكانت اللجنة التى قرأت الرسالة وأقرت أحقيتها بالجائزة تتكون من الأساتذة : المرحوم أنطون الجميل باشا ، ومحمد فريد أبو حديد بك ، ومحمد أحمد العوامرى بك ، والدكتور ابراهيم بيومى مدكور .

وفى صيف سنة ١٩٤٧ زارنى فى منزلى بالأسكندرية الدكتور محمد فؤاد شكرى أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة فؤاد ، وطلب منى أن أعيره رسالتى ليطلع عليها فبينت لحضرته أننى لا أملك إلا نسختى الأولى المخطوطة بيدى وقدمتها إليه بكل ترحاب ، فأخذها معه ، وأبقاها عنده أكثر من عشرة أيام قرأها كلها فى خلالها ، ثم أعادها إلى فلم يجدنى بالمنزل فسلمها لمن به ومعها بطاقة باسمه — لا زلت أحتفظ بها — قال فيها بالحرف الواحد :

« أهنئك على هذا المجهود العلمى الصادق ، وأرجو أن تتاح لك الفرصة لنشر هذه البحوث القيمة حتى يفيد منها المشتغلون بتاريخ مصر الحديث ، وأشكرك باعطائى هذا البحث الرصين لقراءته والإفادة منه ، وأرجو أن أتمكن من زيارتكم فى فرصة قريبة أخرى لإسداء الشكر الخالص » .

وفى صيف سنة ١٩٤٨ ظهر كتاب جديد فى ٨٤٠ صفحة من تأليف الدكتور شكرى وزميلين له من المدرسين فى المدارس الثانوية ، وعنوان الكتاب : « بناء دولة — مصر محمد على » وقرأت فى الصحف أن الكتاب يتضمن ترجمة كاملة لكثير من تقارير الأوربيين عن حكومة محمد على ، أمثال بورنج وبوالكمت وكامبل ..ولحاجتى الدائمة لهذه التقارير أسرعت فاشتريت نسخة من الكتاب . وتصفحتها فإذا بها تتكون من قسمين : قسم مؤلف فى نحو ٢٠٠ صفحة ، وقسم يحتوى الترجمات السابق ذكرها فى ٦٠٠ صفحة ، وقلبت صفحات القسم المؤلف فإذا بى أجد فصلاً فى ٢٠ صفحة كبيرة عن « الترجمة والطبع والنشر فى عصر محمد على » ، وقرأت هذا الفصل فرأيت ويالهول ما رأيت ، رأيت الصديق والزميل الفاضل أستاذ التاريخ الحديث المساعد قد سطا على رسالتى سطواً تاماً فلخصها فى هذا الفصل تلخيصاً كاملاً !!

حتى المنهج — منهجى فى البحث — قد سطا عليه فقد التزمه عند التلخيص وتتبع أبوابه وفصوله باباً باباً وفصلاً فصلا، لم يحد عنه قيد أنملة : فهو قد بدأ بالكلام عن بواعث حركة الترجمة فى عصر محمد على ، وانتقل منها إلى الحديث عن المترجمين فقسمهم إلى مترجمين من السوريين ، ثم من خريجى المدارس والبعثات ، ثم من خريجى مدرسة الألسن ، ثم من الموظفين ... تماماً كما فعلت .

وترك هذا الفصل إلى الفصل الذى يليه فى رسالتى وموضوعه التحدث عن المحررين والمصححين ، فإذا فرغ منه انتقل إلى الحديث عن القواميس والمعاجم كما انتقلت أنا ، وترك هذا كله فتحدث كما تحدثت عن حركة الطباعة والنشر باعتبارها آخر مرحلة من مراحل حركة الترجمة ... حتى اللاحق — ملاحق الرسالة — لم يتركها لى ، فقد ألحقت بالرسالة مجموعة كبيرة من

الجداول أحصيت فيها بعد جهود شاقة الكتب التى ترجمت فى عصر محمد على ، مع بيانات وافية عن مؤلفيها ومترجميها وأوصافها الخ ، وقد قدمت لهذه الملاحق بالحديث عن المحاولات التى سبقتنى فى هذا الميدان ، ورتبتها ترتيباً تاريخياً مع بيان نواحى القصور فيها لإيضاح قيمة الجديد فى جداولى ، وقد سطا الدكتور شكرى على هذا أيضاً فأثبته تماماً كما أوردته فى رسالتى !

ومن هنا ترى أن الدكتور شكرى قد سطا على الرسالة منهجاً وموضوعاً ، وإذا أنت قارنت بعد ذلك بينها وبين فصله لتبين لك فى وضوح تام أنه لم يسط على النهج والأفكار فقط ، وإنما قد سطا على العبارات والألفاظ كذلك ، فنحو ٨٠ ٪ من عباراته هى عباراتى بألفاظها وحروفها . ومع هذا كله لم يشر حضرته بحرف واحد — لا فى الهامش ولا فى قوائم المراجع على كثرتها البالغة فى نهاية الكتاب — إلىّ أو إلى رسالتى ، لا بشكر ولا بما يفيد رجوعه إليها واعتماده عليها وحدها اعتماداً كاملاً تاماً عند كتابة هذا الفصل ... وهكذا ترى كيف يقيم أساتذة الجامعة لواء الأمانة العلمية !!

سلسلة من الأخطاء : هذه رسالة علمية لم تطبع بعد ، فالنقل عنها والرجوع إليها يستلزم أن يستأذن صاحبها أولا ، والدكتور شكرى لم يستأذنى فى هذا ، مع أن التقاليد الجامعية فى العالم كله تلزم الناس بهذا ، فكل بحث يقدم إلى أى جامعة تودع نسخة منه فى مكتبتها ، ولكن هذه النسخة تظل عشرة سنوات كاملة — ما دامت لم تطبع — ولا يمكن أن تعار لإنسان كائناً من كان إلا بإذن صاحبها الخاص ، وإذا اطلع عليها مطلع وأراد النقل عنها فى مؤلف له سيطبعه فلا بد أن يستأذن صاحب البحث فى هذا ، بل إننى أعرف كتباً استعمل أصحابها صوراً — صوراً شمسية لا أفكاراً — موجودة فى كتب لمؤلفين آخرين ، فاستأذنوا أصحاب هذه الصور ، ونصوا فى كتبهم على هذا مع تقديم الشكر لأصحاب الصورر !

أما الخطأ الثانى فأغرب ، فالمعروف أن المؤلف إذا أفاد من جهود غيره نقل عنها فكرة أو جملة ، أما أن يسطو على مؤلف بحاله فيلخصه تلخيصاً كاملاً ، وينقل معظم عباراته بحروفها فأمر لم أره إلا فى كتاب الزميل الدكتور شكرى ! ... أما الخطأ الثالث فأغرب وأغرب ، فالمعتاد إذا استشهد المؤلف بأقوال غيره أن يضعها بين أقواس وأن يشير إلى المرجع فى الهوامش ، وأن يقدم الشكر لمن ينقل عنه وخاصة إذا كان مرجعه الوحيد فى الموضوع الذى يكتب عنه ، والزميل الفاضل الدكتور شكرى أهمل الإشارة إلى بحثى إهمالاً تاماً ... قد يدعى حضرته بعد هذا أنه نسى أوتناسى ، أما كان يمكن أن يذكر نسيانه بالإشارة السريعة فى آخر صفحة من الكتاب أو فى المقدمة ، وهى آخر شىء ، قدمه إلى المطبعة ، حتى هذا لم يفعله ، ولكنه قال فى مقدمة كتابه :

« وليس من سبيل إلى معالجة هذا الاضطراب إلا بمعاودة النظر فى ذلك التاريخ (تاريخ محمد على) لكشف ما خفى من حقائقه ، وتفصيل ما أجمل من دقائقه فى حدود الأمانة العلمية » ... أجل ، فى حدود الأمانة العلمية كما يقول الدكتور شكرى ، واقرأ معى واضحك ، وشر البليه ما يضحك !!

وأخيراً لعل الشك يساورك فيما أقول ، ولكننى أعلن إليك أننى أحتكم فى هذا الموضوع إلى حضرات الأساتذة الأجلاء الذين ناقشوا الرسالة فى الجامعة ، والذين رشحوها لنيل الجائزة فى المجمع ، فهم جميعاً قد قرأوها قراءة فهم واستيعاب ، وأمامهم كتاب الدكتور شكرى يقرأونه ويقارنون . . وإنى على استعدادلأن أقدم نماذج من المقارنات ، بين نصوص رسالتى الأصلية ونصوص الدكتور شكرى الملخصة لتتبين فى وضوح صدق هذا الذى أقرره ! وقد فكرت جدياً فى رفع الأمر للقضاء محافظة على حقوقى الأدبية والمادية ، ولكننى رفقت أخيراً بسمعة الدكتورشكرى العلمية ، وآثرت أن أكتب إلى عميد كلية الآداب والدكتور شكرى أستاذ من أساتذة الكلية ، وغاية ما أرجو أن يطلب إليه الأستاذ العميد :

١ — أن ينشر تصريحاً موقعاً عليه منه فى الأهرام ومجلة الرسالة ومجلة الكتاب بنص فيه صراحة أنه اعتمد — عند كتابة هذا الفصل من كتابه — على رسالتى اعتماداً كلياً ، ويعتذر عن عدم الإشارة إلى ذلك فى هوامش الكتاب ومراجعه .

٢ — أن يكتب لى كتاباً خاصاً يذكر فيه هذه الحقيقة ويعتذر عما فعل . « دكتور جمال الدين الشيال »

هذه هى القضية كما يعرض أدوارها علينا الدكتور الشيال ، ومن حقه علينا أن نعرضها بدورنا على محكمة الرأى العام الفنى ، كما أن من حق الدكتور شكرى علينا أيضاً ألا نتناوله بكلمة

واحدة فى مجال التعقيب على ما حدث ، حتى نسمع دفاعه ... وهذا هو الانصاف الذى تفرضه علينا « الأمانة القلمية » بالنسبة إلى الأستاذين الفاضلين !

حول الموسيقار الإيطالى الصغير فيروتشو بوركو :

طفل إيطالى لم يتخط الحادية عشرة من عمره ، ومع ذلك فهو يفهم النوتة الموسيقية كما وضعها كبار الأساتذة ، ويؤديها أنغاماً كأدق ما يكون الأداء ، وتمى ذاكرته النادرة وذوقه الموهوب ألحان العباقرة من أمثال بتهوفن وموزار وشوبير وفردى وروسينى وتشايكوفسكى وبرامز وليست ... وهو بعد ذلك يقود فرقة موسيقية مكونة من ستين عازفاً من أشهر عازفى الموسيقى فى العالم . هذا الطفل النابغ هو فيروتشو بوركو الذى أذهل بنبوغه المبكر أقطاب الفن وهواته فى كل من إيطاليا وسويسرا وفرنسا وأمريكا ، والذى حل ضيفاً على مصر منذ أيام تصحبه فرقته الموسيقية الضخمه ليقيم فيها بضع حفلات موسيقية يترقبها الجمهور باهتمام بالغ ! .

ينحدر هذا الموهوب الصغير من صلب أبوين وهبا حياتهما للفن ونذرا له الإبن ؛ فأمه مغنية من مغنيات الأوبرا بذرت فى نفس وليدها بذور الموهبة الفنية عندما كانت تصحبه معها إلى المسارح وعمره سنتان ونصف ، وهناك أخذ الطفل سحر الموسيقى التى استولت أنغامها على مشاعره وهزت كل ذرة فى كيانه ، ولمح المحيطون به بوادر النبوغ ممثلا فى أذنه الموسيقية وإحساسه المرهف ، فأشاروا على أمه المغنية وأبيه المثال أن يدفعا به إلى من يتعهده بالتوجيه والرعاية ، وفى ظل أستاذه درس الطفل أصول الفن الموسيقى حتى أصبح على مر الأيام أعجوبة بهرت الأنظار والأسماع هنا وهناك !

هذا هو الموسيقار الإيطالى الطفل فيروتشو بوركو الذى تنافس شهرته الآن شهرة الموسيقار الإيطالى الشيخ توسكانينى ... وإذا كان لنا من كلمة نعقب بها حول هذا الموسيقار الصغير فهى أنه يقتصر على عزف موسيقى غيره من عباقرة الفن الذين أشرنا إليهم فى بداية هذه الكلمة أى أنه لم يملك القدرة بعد على التأليف الموسيقى الذى يتمثل فى وضع نوتة من صنع موهبته الذاتية ، ولكن ذلك لا يغض من قيمته لأنه لا يزال فى بداية حياته الفنية التى تنتظرها الأيام ويترقبها المستقبل ، ثم إن توسكانينى الشيخ ذا الشهرة الدوية والمكانة الرفيعة لا يفترق عنه فى هذا المجال ، مجال قيادة الأوركسترا وعزف ألحان الغير ! ... وإذا كان بعض النقاد يشيدون بهذه العبقرية المبكرة فى حياة هذا الطفل الفنان ، فماذا يقولون فى سيد العباقرة موزار ، ذلك الفنان الذى وهب القدرة على التأليف الموسيقى وهو فى الرابعة من عمره ، حتى أن بعض ألحانه الخاصة التى تنسب إليه وهو فى تلك السن يعزفها الآن كثير من قادة الفرق الموسيقية وفى جملتهم بوركو وتوسكانينى؟! هنا يقام الميزان الحق للعبقرية المتفردة ! !

بقية الرسائل فى حقيبة البريد :

أقول لصاحب الرسالة الأولى الأديب الفاضل ص . م . ت « عطبرة — سودان » إن الموضوع الذى عرضته على سأكتب عنه فى فرصة مناسبة . وأقول لصاحب الرسالة الثانية الأديب الفاضل عمر عيسى السامرائى « بغداد — العراق » إن تعقيبك على ما رددت به عليك حول ما جاء بكتاب «على هامش السيرة» لا يغير شيئاً من الحقيقة التى أشرت إليها من قبل ، حين نفيت لك ما رميت به صاحب الكتاب من التناقض فى أقواله ، وإذا كنت قد قلت إن ورقة قد قص على نسطاس قصة أخرى فى ص (٥٢) فإنما كنت أعنى أنه قد أفضى إليه بمصدر القصة الأولى الواردة فى ص (٥١) أى أنه سرد له قصة أخرى هى قصة القصة ! وأقول لصاحب الرسالة الثالثة الأديب الفاضل م . س « قنا » إن الإقدام على الأمر الذى حدثتنى عنه خير من الإحجام وأقول لصاحب الرسالة الرابعة بعد شكره على كريم تقديره وهو الأديب الفاضل ابرهيم جوهر « قنا » إنه يؤسفنى ألا تكون « مذكرات إديسون » بين يدى حتى كان يمكننى أن أجيبه عن سؤاله . وأقول لصاحب الرسالة الخامسة الأديب الفاضل محمد المديسى « المديسات » إن مما يحول بينى وبين الكتابة عن الشاعر المصرى الذى أشار إليه هو أنه ليس بين يدى شىء من شعره . وأقول لصاحب الرسالة السادسة بعد شكره على حسن ظنه وهو الشاعر الفاضل محمود البكرى محمد « الكيمان » إن رسالته محل عنايتى . كما أقول ذلك أيضاً لصاحب الرسالة السابعة وهو الشاعر الفاضل محمد مفتاح الفيتورى « الاسكندرية » ... ولهؤلاء الأصدقاء جميعاً خالص التحية .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

اليوم خمر :

افتتحت الفرقة المصرية موسمها الحالي يوم السبت الماضي على مسرح الأوبرا الملكية ، برواية « اليوم خمر » للاستاذ محمود تيمور بك ، وقد أخرجها الأستاذ زكي طليمات المدير الفني للفرقة . وهي مسرحية (كوميديه) تصور حياة الشاعر امرىء القيس شابا لاهياً سادراً في لهوه وعبثه نزاعا إلى حياة الطلاقة والتحرر مما يعرض له من الأمور الجسام ، حتى الحب الذي أثقله في النهاية بثلاث نساء ، لم يستطع أن يواجهه ففر منه ...

وتمازج عرض تلك الشخصية صور إنسانية وقيم أخلاقية واجتماعية وقضايا فكرية ، تتخلل كل ذلك مفارقات وطرائف أضفت على جو المسرحية روحا فكها مرحا ، جعلها ملهاة من الأدب الرفيع .

وقد قرأت هذه المسرحية عند ظهورها مطبوعة منذ شهور ، ثم شاهدتها على المسرح ، فلاحظت أن المخرج الأستاذ زكي طليمات تصرف فيها تصرفا غايته الاختصار لطولها ، وتيسير بعض كلماتها توخيا للملاءمة بينها وبين الجمهور ، فقد وضعها المؤلف لتكون أثراً أدبياً يقرأ قبل أي شيء ، وقد جمل أسلوبها قريباً من عصرها ولم يبعد به عن ذوق عصرنا ، ومع هذا كان لا بد من أن يصنع المخرج ما صنع ، وهو مع ذلك لم يمس الأسلوب المتين والتركيب القوي . وقد بذل الأستاذ زكي طليمات من فن الإخراج في هذه المسرحية ما جعل الفن الرفيع يتعاون مع الأدب الرفيع ، وما أظن هذا القول يتعارض مع ما سأتناوله بعد من الملاحظات والمآخذ .

تتكون المسرحية من خمسة مشاهد ، نرى في الأول امرأ القيس وحاشيته من رفاق وخدم عند غدير دارة جلجل ، يلهون ويقصفون ثم توافيهم هناك الجارية الجميلة « أقحوان » حيث تلتقي بامرىء القيس لأول مرة ، وترقص أقحوان قربانا للصنم « هبل » الذي يتوسط المكان ، ثم تأخذ هي وامرؤ القيس في مداعبة ومغازلة تنتهي بغضب أقحوان من امرىء القيس لانصرافه عن تقبيلها إلى إطراء عينيها ثم التوجه إلى مناجاة القمر في السماء ، وتنصرف بعد أن تقول لرفاقه : إن صاحبكم ليتشدق بالطعن والضرب ، آخذاً للحرب أهبتها في كل وقت ، فإن حانت ساعة العراك تبوأ مقعده يرقب السماء ويحصي نجوم الليل . وهكذا تظهره هراجا نفاجا ليس كمثله هراج ولا نفاج ، كما تقول له .

ثم يقبل سرب من العذارى ، قاصدات غدير دارة جلجل يبتردن ، فيخلون لهن المكان ، ثم يتسلل إليهن امرؤ القيس وحده وقد خلعن ثيابهن — يطفأ نور المسرح في هذه اللحظة — ويجري بينه وبينهن حديث طريف ينتهي بإصراره على ألا يدفع إليهن ثيابهن — وقد استولى عليها — إلا بعد أن يخرجن إليه متجردات .

ثم يقبل الملك حجر وبصحبته فاطمة بنت أخيه ، فيؤنب الوالد ولده على مسالكه وتحاول فاطمة أن تلطف من حدة الموقف وتتبين في أثناء ذلك أن فاطمة فتاة طموح تريد أن تحث امرأ القيس على الأخذ بأسباب المجد ، وهما يتبادلان عبارات الحب والمودة .

وفي المشهد الثاني نرى امرىء القيس في ناحية من سفح جبل دمون باليمن ، يلعب بالشطرنج مع أحد أصحابه ، وبقية رفاقه على مقربة منه يشربون الخمر وأمامهم قينة ترقص . ثم يقبل عامر ابن معاوية عضد الملك حجر ، متجهم الوجه ، وينعى إلى امرىء القيس أباه الملك ، فيستمر امرؤ القيس في اللعب غير عابىء بالنبأ ، حتى يتم الدست ... ثم يعلن أن اليوم خمر وغداً أمر ، وينشد :

خليلي ما في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ ذاك بالكأس نشرب

وتدخل عليه فاطمة وتستحثه على الثأر من بني أسد قتلة أبيه ، فيبدي لها عزمه على المضي في أخذ الثأر . ثم يأخذ في تأمل عينيها وهو ثمل يترنح ، فتصده عنها ، فيبثها حبه ، فتعده بمبادلته الحب بعد أخذ الثأر .

وقبل المشهد الثالث نرى على المسرح منظراً عجيبا : سحبا متكاثفة تسير في جو البادية ، ونسمع خلال سيرها صوت الأستاذ زكي طليمات يحدثنا حديثاً موجزاً عن حروب امرىء القيس مع بني أسد وانتصاره عليهم وإيقاعه بهم ، وعودته إلى الشرب واللهو

بعد ما نال منهم ما عده ثأراً ، وتحريض ابنة عمه فاطمة له على الاستمرار فى حروبهم .

والواقع أن هذا الحديث إجمال لما حدث فى فصل حذف من أصل الرواية ، وكان ذلك ، مع منظر السحب الملائم للحوادث ، تجديداً رائعاً فى المسرح المصرى .

ثم يأتى المشهد الثالث وهو فى كهف بشمال اليمن حيث يجلس امرؤ القيس مهموماً ، ينتظر عامر بن معاوية الذى أرسله إلى رؤساء القبائل يستنجد بهم ، بعد أن خزلته قبيلتا بكر وتغلب ولحقته الهزائم ، وتقبل عليه فاطمة ، فيغلظ لها فى القول ، ولكنها تحزن لمرآه وتتودد إليه وتعبر عن ندمها على تحريضه حتى أوقعته فى هذه الحال ، وتنقلب إزاء تجهمه لها أنثى وديعة محبة مستسلمة ، وما تزال به حتى يلين لها ويعاهدها على الحب . ويقبل عامر وينهى إليه أن أحداً لم يستجب له ، ثم يشير عليه أن يتوجه إلى الحارث الغسانى بالشام ليستعين به ، وهو عدو المنذر الذى أعان بنى أسد وأهدر دم امرىء القيس .

ولكن صديقا لامرىء القيس « صمصام » عاد من رحلته التجارية وأقبل عليه فى هذا الموقف ، فأشار بالتوجه إلى قيصر بالقسطنطينية ، ويقول فيما يقول لامرىء القيس إنها عروس المدائن وتزخر بالحسان والخمر المعتقة ... ويعلن الرحيل إلى القسطنطينية .

والمشهد الرابع فى حانة ميخايلوس بالقسطنطينية حيث نرى أبا زبيبة وحنظلة خادمى امرىء القيس يشربان ويغازلان لاريسكا ابنة ميخايلوس وميتورقا الفتاة الخليمة بالحانة . ويظهر لنا من الحديث أن لاريسكا قد أحبت امرأ القيس ، وأن المدينة تردد نبأ العلاقة الجديدة بين الفتى العربى (قيس) وبين ابنة القيصر التى أحبته . ويقبل امرؤ القيس إلى الحانة . وفيما هو ولاريسكا يتبادلان عبارات الحب يقدم عامر بن معاوية وفاطمة ، فتنصرف لاريسكا وتتسمع حديثهم الذى يتضمن أن كسرى مستعد أن ينصر امرأ القيس الذى يتأبى أن يلجأ إلى عدو قيصر بعد وعده المعونة على أمره .

والمشهد الخامس فى الحانة أيضاً ، وبينا حنظلة يغازل ميتورقا يقبل امرؤ القيس ، ثم تقبل فاطمة وعامر وصمصام ، وتتقدم ابنة القيصر لتلوم امرأ القيس على غشيانه هذه الحانة

كشكول الأسبوع

◻ كان المقرر من قبل أن الدكتور طه حسين بك هو الذى سيستقبل صديقه الأستاذ أحمد حسن الزيات فى حفلة الاستقبال العلنية التى ستقام فى مجمع فؤاد الأول فى الساعة الحادية عشرة من يوم الإثنين المقبل ، ولكن تأخر الدكتور طه فى انجلترا لن يمكنه من حضور الحفلة ، ولذلك سيقوم باستقبال الأستاذ الزيات صديقه الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك .

◻ وافق مجلس الوزراء على إبرام اتفاق ثقافى بين مصر وبلجيكا ، ومن أهم ما يتضمنه هذا الاتفاق أن تبذل كل من الحكومتين قصارى جهدها لكى تلقى فى جامعاتها محاضرات فى لغة البلد الآخر وآدابه وتاريخه وغير ذلك مما يتصل به ، وأن تقوم الحكومتان بتسهيل وسائل البحوث العلمية والثقافية التى تجريها جماعة من البلدين

◻ عرف الدكتور ابراهيم ناجى الأسلوب بأنه أقصر خط بين قلب الكاتب وقلب القارىء .

◻ ينص قانون الإذاعة الجديد على ألا يكون أحد أعضائه عضواً بالبرلمان . ولهذا سقطت عضوية طراف على باشا وزكى على باشا والأستاذ عباس محمود العقاد ، ويعمل ولاة الأمور الآن على تعيين ثلاثة مكانهم .

◻ فاز الأمباشى خليل حسن خليل ، أحد جنود الجيش ، بشهادة (الليسانس) من كلية الحقوق مع درجة جيد ... وهو حدث اجتماعي ثقافي يجب أن يبرز ويأخذ مكانه من الاعتبار والتقدير .

◻ اعتنقت الأديبة الانجليزية فيلبس د . كرامن — الإسلام ، وهى تقول إن الإسلام أضمن طريقة لنشر الأخوة والعدالة الاجتماعية ومنع الحروب فى هذا العالم المضطرب .

◻ استمعت فى « ركن الريف » بالإذاعة ، هذا الأسبوع — إلى تمثيلية عنوانها « صوت الضمير » فعجبت لما تضمنته من الأذان لصلاة العيد ... والفلاحون يعرفون جيداً ما يجهله المؤلف والمخرج من أن صلاة العيد لا يؤذن لها .

◻ كانت الفرقة المصرية أعلنت بعض المسرحيات التى ستقدمها فى هذا الموسم ، ومن بينها « رصاصة فى القلب » فلما عاد مؤلفها الأستاذ توفيق الحكيم من باريس وعلم بذلك ، أبلغ الفرقة أن العقد المبرم بينه وبينها لتمثيل هذه الرواية قد انتهت مدته فى العام الماضى ، وقد كان الاتفاق أن يقوم ببعض الأدوار الهامة ممثلون معينون ، لقاء نسبة مئوية من الأرباح تدفع لهم وللمؤلف ، ولكن ذلك لم يتيسر . وترى الفرقة أن هذا لا يتفق وما تنتظره من معاونة كبار المؤلفين على تأدية رسالتها .

◻ تقدم عدد كبير من الطلبة والطالبات فى هذا العام إلى المعهد العالى لفن التمثيل العربي ، راغبين اللحاق به . ومما يذكر أن ثلاثين فى المائة منهم حاصلون على شهادات عالية .

◻ جاء من روما أن قداسة البابا يدرس الآن اللغة العربية بإشراف ثلاثة من رجال الدين العرب فى الفاتيكان وأن قداسته تقدم فى هذه الدراسة وهو يشعر بلذة فى تعلم العربية .

الوضيمة . ويقف امرؤ القيس بين ثلاث محبات يتنازعنه : فاطمة وابنة القيصر ولاريسكا . وفجأة يدخل صاحب شرطة قيصر يريد القبض على هؤلاء البدو بتهمة التجسس لكسرى . ويتضح أن لاريسكا هى التى أبلغت أمرهم ، لتحول دون رحيل امرىء القيس ويتصدى امرؤ القيس للشرطة ويأبى أن يسلم فاطمة وعامر وصمصاماً ، ويستل سيفه وتدور بينه وبين الشرطة معركة يقضى عليهم فيها ، ويصيح بأهله أن يقفزوا من على سور الحانة إلى البحر ويلحق بهم ، يطلبون فى البحر مهرباً .

الصورة الواضحة لامرىء القيس فى الرواية هى أنه فتى عابث ماجن نفاج لا يعرف الجد ولا يتحمل التبعات ، ولكن امرأ القيس « الشاعر » لا يكاد يوجد فيها . نعم إنه أنشد أخوان بيتين ، وروى خادمه أبو زبيبة الأبيات التى مطلعها :

سموت إليها بعد ما نام أهلها   سمو حباب الماء حالاً على حال

وأنشد بضعة أبيات بالمشهد الثالث . ولكن كان ذلك ضئيلا لا يكون للشاعر صورة ، وقد حذف جزء من الفصل الأول كان فيه ينشد أبياتاً ظريفة لعذارى الغدير . وكان هذا الجزء بسبيل إلى إبراز صفة الشاعرية . ومن تصرفات امرىء القيس القليلة الدالة على رقة الشاعر وإنسانيته ، موقفه أمام الغزال الذى اصطاده وأسفه على أن صرعه وقوله فى ذلك : ألا يستطيع المرء منا أن يأكل دون أن يقتل ؟

ولم يكن تغزله بفاطمة ليلة نعى أبيه وهى مكتئبة حزينة باكية وإلحاحه فى معابثتها ومجاذبتها على هذه الحال ، مما يتفق والإحساس الدقيق النبيل الذى يتميز به الشاعر ، بل كان هذا الموقف أدنى إلى الحيوانية ، ولا يبرره السكر ، فإن الإحساس الأصيل لا يتغلب عليه شىء . والطبع الفنى الرقيق لا يخرجه العبث والمجون عن دائرة مشاعره الإنسانية العالية .

والفصل الثالث الذى اضطر المخرج إلى حذفه ، كان يحتوى أمرين مهمين ، أولهما بيان خلة امرىء القيس فى حرصه على ألا يضيع حظه من اللهو والشراب طويلاً ، فما إن نال من بنى أسد بعض النيل حتى هرع إلى اللهو وإباحة الشراب .

الأمر الثانى تصوير فاطمة وهى تجد فى العمل على مواصلة القتال وتحريض امرىء القيس ، وهذا التصوير ضرورى لكى يدرك المشاهد روعة انقلابها عند ما أعرض عنها امرؤ القيس وأغلظ لها فإن هذا الانقلاب الشعورى لمة فى أثناء الحوادث يدل على حرص الأنثى على الناحية العاطفية مهما اشتدت وتطلعت إلى المجد . ولم يكن الحديث الموجز الذى نطق به الصوت المسموع كافياً لإبراز ذينك الأمرين .

وفى المشهد الثالث عند ما يئس امرؤ القيس من مساعدة من استنجدبهم نراه يستغرق فى تأملاته وتفكيره استغراق المجرب الذى عرك الحياة وعلمته الشدائد ، فيتحدث عن تغير الأصدقاء ، وعن قيمة الحياة وهل هى المتعة بإشباع البطن وقضاء الشهوة يستوى فى ذلك الإنسان وغيره من الحيوان ، أولها أهداف ومقاصد يسمى إليها كل ذى عقل ورشد ، ويتحدث عن القدر وموقف الإنسان منه حتى ينتهى إلى أن القدر لا يستطاع دفعه ولكن للانسان تبعته ونصيبه ، فالأقدار يد تدفع ولكن إرادة الإنسان تغالب .

وقد كان هذا الموقف يثقل على المشاهدين لولا ما تخلله من مفاكهات الخادمين حنظلة وأبي زبيبة ، فالأول يرى أن القدر هو كل شىء فقد رمى الوعل بأسهم عشرات فما أصابت منه مقتلاً ، وشاء القدر أن يرتطم فى حفرة فناله بلا كد ولا عناء . ويرى الثانى أن الإنسان إن لم تكن له إرادة لم يتيسر له مطلب ، كيف استمتاعك بالمرأة إذا لم تسع جاهداً حتى يتبدل عسرها يسراً ويعود جماحها ميلاً وانعطافاً ؟

وهكذا نرى تلك الأفكار تساق فى مساق ظريف يندى جفافها على المشاهدين . ولكن فى بعض الفترات خلا امرؤ القيس إلى نفسه وأطال فى المناجاة حتى أمل ، وحدث ذلك مرتين ، أنهى الأولى دخول حنظلة ، وأنقذ الجمهور فى الثانية قدوم صمصام .

وقد كانت الخاتمة جيدة فى أمر ، ومضحكة فى أمر آخر ، فقد كان رائعاً ألا يتخلى امرؤ القيس عن أهله ويقف بالسيف دونهم على رغم إغراء البيئة التى أغرق فيها . أما القفز إلى البحر والهرب فيه مجاهرة من قيصر وشرطته ، فلا أستطيع أن أتصور عجز الحكومة القيصرية عن اللحاق بأربعة من البدو متهمين بالتجسس للعدو ، يقلعون من شاطىء القسطنطينية أمام الأبصار .

وجهد الأستاذ زكى طليمات فى إخراج الرواية ، بارز عظيم ، وقد جسم الجو البدوى الملائم للحوادث على المسرح ، ووفق فى



الوعي الأدبي في الرسالة !

١ — يعجبني كتاب الرسالة وقراؤها الكرام ، فهم بحق وبلا منازع تلك الفئة المستنيرة التي تتذوق الأدب وتتعشقه ، وتتعرف فنونه وأساليبه ، وتتفانى في خدمته ، فلا عجب إذا رأينا ألا تفلت منهم صادرة أو واردة من القول ، حتى يتعرفوا مصدرها ويسبروا غورها ، فهم تارة يظهرون عوار الكاتب إذا لحن أو زل قلمه فعزا قولا لنفسه ولم يرده إلى قائله ، أو نقل فكرة أو قصة ونسبها إلى قلمه زوراً .

وهاهي أقلام كتابها تتبارى ولا تفتأ تذكر أن تلك الفكرة لفلان ، أو أن هذه القصة من وضع فلان ، أو أن هذا المقال قد نشر في مجلة كذا للمرة الثانية ، حتى أصبحت الرسالة النيرة مضرب المثل في التثبت والتحقيق والتدقيق والأمانة الأدبية الممتازة ، فهي لا تحابي صديقاً أو تغمط عدواً ، لأن مركزها الأدبي يحتم عليها أن تقوم بالقسطاس ، وهو الذي أهلها لتلك المنزلة الرفيعة بين زميلاتها.

أكتب هذه الكلمة البريئة — والأسف يملأ النفس — إذ أنظر إلى مقال قد نشر مرتين في وقت واحد وفي قطر واحد تحت عنوانين مختلفين — وصلب المقال واحد لم يتغير — وذلك المقال قد نشر في مجلة الأزهر الرسمية في الجزء السادس ص ٥٥٥ من المجلد الثامن عشر تحت عنوان « على قيثارة الذكرى » ثم نشر في مجلة الأمانة في العدد السابع ص ٢٦ من المجلد الأول تحت عنوان « ليلة كاملية » . وها قد مضى على نشر هذا المقال بصورتيه مدة طويلة وقراء الأزهر والأمانة في سبات لم يحرك أحدهم ساكناً ، وفات الأستاذ الفاضل أن يشير إلى ذلك — حتى لا يعاتب أو يؤاخذ — على هامش أحد المقالين .

ولا أدري السبب الذي دعا فضيلة الأستاذ وهو عالم ومدرس بالأزهر إلى ذلك ، بل ما سبب تغيير العنوان على هذه الصورة المريبة ؟ نريد جواباً !

وبعد فنحن في عصر كثرت فيه الأقوال بلا ميزان ، وقلت بل عزت الأفعال ، وكثيراً ما تخطر الفكرة ويسطرها القلم ثم تحجم النفس عن إرسالها للنشر ، حتى لا تكون حجة أمام الله سبحانه وتعالى .

على أن العبرة ليست بكثرة الكتابة والتحبير في الجرائد

توزيع الأدوار على قدر الإمكان ...

وقد مثل « امرأ القيس » أحمد علام ، فنهض بالدور وإن لم يكن نجاحه فيه كاملا ، وذلك أنه لم يعبر عن طبيعة امرىء القيس الماجنة ، لا بالصوت ولا بالحركات ، ولم يكن يظهر عليه المرح في وقته كما ينبغي أن يظهر ، ولم يكن ثمة فارق كبير بين أحواله المختلفة في الإلقاء ونبرة الصوت ، وأحمد علام أليق بالأدوار الجدية كدور مجنون ليلى منه بمثل هذا الدور العابث الماجن . وقد تبين كسله في حفظ دوره ، وهذا الكسل وإن كان ملحوظاً لدى أكثر الممثلين والممثلات ، إلا أنه كان ظاهراً في أحمد علام الذي كان يعتمد على الملقن حتى إنه كان ينطق بعض الجملة ويصغي إلى الملقن ليسمعه بقيتها . ويبدو أن الممثلين والممثلات لم يمرنوا التمرين الكافي على سلامة النطق وتصحيح اللغة ، فقد عم التكسير في الكلمات وضبطها ، ولم يكن ذلك منتظراً ولا لائقاً بأستاذ كأحمد علام .

ومثلت « فاطمة » فردوس حسن ، فأجادت التمثيل وأدت دورها أداء باهراً ، ولم ينقصها غير النطق العربي الفصيح ، وهذا غير سلامة الضبط ، إنما هو اللهجة وكيفية إخراج الكلمات ، وأظهر ما في نطقها دغم الكلام وعدم الإبانة . ومن المفارقات أن اللائي مثلن لا ريسكا (إحسان شريف) وميمونة (زوزو حمدي الحكيم) وابنة القيصر (روحية خالد) كن ينطقن نطقاً عربياً — وهن يمثلن أعجميات — أحسن من نطق فردوس وهي تمثل فاطمة العربية .

أما فؤاد شفيق فأنا معجب به لظرفه وقدرته على أداء هذا الظرف باللغة الفصيحة ، وهو روح نابض في الرواية ، وقد مثل « حنظلة » .

وقد وفق سائر الممثلين والممثلات في الاندماج في أدوارهم ، وخاصة فاخر فاخر « صمصام » وكان حسن البارودي في دور « قبيصة بن نعيم » موفقاً في التعبير بصوته وإلقائه إلى حد بعيد ، عندما تكلم عن وفد بني أسد إلى امرىء القيس .

عباس خضر

والمجلات على أية صورة ، وإنما تقاس قيمة الكاتب الناضج بمقدار ماينتج ممايفيدقراءه فى حياتهم العاجلة والآجلة ، وإلا كانت الكتابة من الترهات التى هي وعدمها — فى نظر العقلاء — سواء .

٢ — انقطعت الأخبار من مدة وزاد الحنين إلى الجار العزيز الأستاذ على الطنطاوى فهل نرى قلمه يصف « مأساة فلسطين » نرجو أن يفصح ويجيب مع قبول التحيات .

(شطانوف) محمد منصور خضر

التم وليس البجعة :

يكثر فنانو الغرب من تسمية بعض أعمالهم الفنية باسم الطير المائى المعروف بـ Swan ، واعتبارهم إياه مصدر وحى لهم .

ولعل السبب فى ذلك هو أن لهـذا الطير منظراً جذاباً ، ومنه اســـتوحى تشايكوفسكى رقصة (بحيرة الـ Swan) ومنـه استلهم تشيخوف تمثيليته ذات الفصل الواحد المعروفه بـ (أغنية الـ Swan) .

ومما يثـير الدهشة أن أدباء مصر وفنانيها قد أجمعوا على تعريب كلمة Swan هذه بـ (البجعة) ، وهذا خطأ لغوى وفنى كبير لأن البجعة هى غير الـ Swan .

فالبجعة هى طائر مائى أيضاً لـكنه عريض المنقار طويله ، له حوصلة عظيمة تحت منقاره ، يخزن فيها كية من الأسماك .

وأما التّم فهو طائر مائى له عنق طويل معقوف على شـكل حرف S ، عادى المنقار ، قصير اليدين وتقعان إلى القسم الخلفى من جسمه .

والتم طائر أبيض ، أرستوقراطى الشكل ، كان يعتبر فى كثير من الممالك الأوربية طيراً ملـكياً ، ولا يحق لأحد غير الملك أن يقتنيه إلا بإذن ملـكى خاص .

ومن التم ما يسمى بالمصفّر Whistling Swan ، فهو يصفر صفيراً ملحناً ، ويشدو بأنغام جميلة جداً ، ويشتد غناؤه إذا ماجرح أو وقع فى ضيق .

يروى أهل الغرب أسطورة عن هذا الطير بقولهم أنه يغنى اللحن الأخير قبل موته ، ومن هنا جاء قولهم (أغنية التم) أى آخر عمل يقوم به الفنان وهو مشرف على أبواب الأبدية ، ومن هنا جعل شكسبير أميليا تقول فى (عطيل) « سأمثل دور التم وأموت فى الموسيقى » .

فالبجعة هى طير الـ Pelican والتم هو طير الـ Swan فهل لنا أن نميز بينهما ؟ . .

(ليماسول — قبرص) نجاتى صدقى



انهيار جـــدار

مترجمة عن الانجليزية

بقلم الآنسة سلوى الحومانى

كان ضحى يوم من أيام نوار الضاحكة وقد أشرقت الطبيعة بابتسامة الربيع ، فرفلت الحقول بحلته الزمردية المزركشة ، وعبق الجو بأنفاس الزهور العطرة . وانطلقت الطيور صادحـة تبنى أعشاشهـا على أفنان الشجر وبين العشب النامى فى مرتفعات الأرض التى بدت بانحـداراتها كستائر من السحر أو كلوحات فنية هى أروع ما أبدعت يد عبقرى .

فى ذلك اليوم المشرق ، وفى حقول قرية « هاترتون »، كانت « جيزيا أنوين » القروية الحسناء تنحدر مسرعة إلى تلك القرية وقد حملت سلة بيض توصلها إلى السيدة « برسكاوف » العجوز كهدية من إنتاج طيورها التى تفننت فى تربيتها فى مزرعة أبيها الموسر .

كانت جيزيا تبدو آية من آيات الفن بثوبها الأزرق البديع التصق بقدها السمهرى بزهو وخيلاء ، وقبعتها الباريسية الأنيقة التى علت رأسها الجميل تحاكى زهور الأرض روعة وجمالاً . فكأنما كانت تلك القروية مرآة للربيع الغض الزاخر بالحياة ، فصاغت من ثراء أبيهـا حلل الأناقة والفن يعينها على ذلك ذوقها السليم وجمالها الفتان .

كان جمالها حديث أهل القرية ومطمح عيون الشبان فيها ومعقد آمالهم ، فتسابقوا عليها يطرحون بين يديها قلوبهم ومهجهم . فلم يرض واحـد منهم طموحها ، فضاقت بهم ذرعاً وطغى بها غرورها فراحت تسخر منهم وتهزأ بعواطفهم المحمومة ثم بالغت فى القسوة حتى لم تتورع عن صب وعاء من الماء البارد على راس هائم جاء يشكو إليها لواعج قلبه فلم ترقها لعثمته ولمجته الحمقاء . وبعد أن استرد روعه من تأثير الماء طردته بلطف وهى تربت على كتفه باسمة وتقول بهزء : ظننتك محموماً تهذى يا عزيزى فأسعفتك بالماء البارد .

وكذلك قصتها مع « ريف بارامور » زميلها فى الدراسة ورفيق صباها الذى قطعت معه مرحلة الطفولة العابثة المرحة فلعبا الحلجة وفتشا أعشاش العصافير ركضاً معاً فى حقول القرية يمثلان لعبة « الاستخفاء » حتى إذا داعب الشباب قلبيهما بنسمات الحب ، تطلعت الفتاة حولها حيرى ، وسعى الشاب إليها يطرح بين يديها قلبه وماله ومستقبله. فصدمت بمنظره المتخاذل الذليل ، وكلماته المترددة المتلعثمة ، ولهجته البلهاء المتهالكة ، فطردته شر طردة هازئة ساخرة .

ولكن هذه المعاملة لم تزد الفتى إلا حباً وهياماً . بل أن هذا الحب ظل يضطرم ويشب مع الأيام كلما ازدادت الفتاة حياله بروداً ونفوراً .

ولنعـد الآن إلى جيزيا وهى تقطع تلك الحقول مسرعة إلى قرية هاترتون . ووقفت فى منعطف يؤدى إلى الطريق العام تفكر فى أى الطريقين أقصر إلى القرية . فرأت أنها إذا اتبعت الطريق العام فسيكون عليها أن تقطع مسافة ميلين لتصل إلى بيت السيدة برسكاوف فى تلك القرية . ولكن إذا اختصرت فسلكت هذا الحقل الوعر الذى ستعترضها فيه انحدارات خطرة وكثير من النباتات المتشابكة وصفوف من الحيطان المترنحة الواهية البناء ، بذلك تستطيع أن تصل إلى القرية فى أقل من ربع ساعة .

قالت : هـذه حقول ريف بارامور ، وأعتقد أنه ليس فيها اليوم فسأغامر وأقطعها لأنى متضايقة من الحر فلا أستطيع المشى طويلاً فى الطريق العام .

ووضعت السلة من يدها وجعلت تزحف بين النباتات البرية النامية وخلال الأغصان المتشابكة حتى كانت بعد دقائق على ضفة جدول كبير تجتازها بحذر وتماسك لئلا تزل قدمها وتقع فيه . ووصلت إلى رأس منبعه حيث يتفجر من خلال كومة من حجارة رملية فتسلقتها بخفة وقفزت إلى حقل قمح منبسط انطلقت تمشى فيه براحة واطمئنان يغمرها النبات المتطاول ، حتى رأت أمامها حائطاً عالياً يعترض طريقها .

كان هذا الحائط صعب التسلق لضعف بنائه وتداعى حجارته . ولكن هذا لم يثبط من عزمها ولم يضعف همتها وهى الفتية النشيطة ، فلم تحفل أمامه ولم تحجم عن تسلقه . فوضعت سلة البيض على حجر ثابت فيه ، وبدأت تصعد بخفة ونشاط . ولكن راعها أن رأت خطر الصعود أشد مما كانت تتصور . فكانت نتوء حجارة الكلس تتفتت تحت قدميها حتى كادت تهوى إلى الأرض لولا جهد المستميت .

وكادت أن تصل أعلى الحائط عندما هلع قلبها وهى تراه قد بدأ يميد بها ويهتز تحت ثقلها فما أحست إلا وهى ترمى بنفسها إلى الأرض وقد انهار من ورائها .

ونهضت مذعورة فزعة ، ولكن سرعان ما زال خوفها وانبسطت أساريرها ولمعت عيناها بخبث وهى تنظر إلى الجدار المنهار ثم قالت بحقد وتشف : أنه سيكون شغلاً مناسباً لريف الأبله أن يعيد بناءه ، ولسوف أهدمه ثانية وثالثة ، أيضاً كلما بناه ، فالتعب هو أنجع دواء للحمقى المائعين أمثاله .

ولدى آخر كلمة قالتها إذا بعينيها تتسع ذعراً وتند عنها صيحة مكبوتة عندما حانت منها التفاتة فرأت من ورائها تماماً ريف بارامور .

لقد كان ريف بعينه جالساً إلى جذع شجرة منهمكاً فى صنع أوتاد خشبية . وكان ينظر إليها وعلى فمه ابتسامة الظفر .

فأسرعت جيزيا واختطفت سلة البيض وركضت هاربة . ولكن ريف قفز وراءها يتبعها بخطوات واسعة ويقول : لقد سمعت كل ما قلت يا جيزيا ، ولا أظن أنك بهذا العمل على شيء من النبل أو اللطف ، ولكن على أى حال فأنت تعرفين العادة فى قريتنا التى تحتم على من يهدم جداراً أن يبنيه بنفسه ، لذلك فأنت الآن يجب أن تبنيه كما هدمته .

فوقفت جيزيا تنظر إليه بازدراء وتتحداه قائلة : كلا لا أريد أن أبنيه .

فقال ريف بتهكم : ولكنك ستبنينه لأننى سأجبرك على ذلك .

فغاض لونها وقالت : إن سخرية الاقدار أن تكون أنت أول رجل يجبرنى على عمل لم يخطر لى على بال . تنح جانباً ودعنى أذهب .

قال كلا لن أفعل ، فأنت معتدية ، والمعتدى يجب أن يدان ، وأنا الذى سأدينك بأ كراهك على بناء الحائط بنفسك .

فقالت بصوت مختنق : إذا فعلت هذا فسأملأ الدنيا صراخاً .

فقال بتهكم : إصرخى ما شئت فلن يسمع صراخك فى هذا الحقل النائى أحد غيرى .

فلم تجد جيزيا بداً من التنازل عن كبريائها فقالت بلهجة المتوسل : ليس من النبل والرجولة فى شيء أن تجبر فتاة مثلى على هذا العمل الشاق يا ريف . فأنا لم أخلق لبناء الجدران .

وكأن لهجتها الرقيقة هذه قد حركت أوتار قلب ريف ، فتبدلت ملامح وجهه فجأة وجعل يتفرس فيها برهة ثم قال : إن بناءك للحائط سيكون لك درساً فى إذلال كبريائك كما أذللت كبريائى من قبل بطردى من بيتك ، أتذكرين ..؟ والآن هيا اشرعى فى البناء .

فراعها أن لا تخفف توسلاتها من عناده شيئاً . ولأول مرة فى هذه المناقشة رفعت رأسها إليه تتأمله بإمعان . فتصنع هو الصرامة والعبوس . وتقلصت عضلات وجهها إشمئزازاً من خلقته . يا لله ما أغلظ هذا المخلوق الواقف أمامها بوجهه الكالح المكفهر وقامته المتخاذلة وثيابه المشمئة التى تتصبب عرقاً ! إن ظنها لم يخب فى أنه أبشع رجل فى العالم ، وأقسى رجل أيضاً . ما أقسى هذا الجنس وأظلمه ، لقد اقتنعت الآن فقط أن الرجال أفظع المخلوقات وأنه لا يوجد واحد منهم جدير باسم رجل .

وأحست بأن أعصابها تكاد تنفجر غيظاً فأشاحت بوجهها عنه حانقة ، ولمعت عيناها حقداً ، وارتجفت شفتاها فى ثورة مكبوتة . ودمدمت بحدة قائلة : إننى أمقتك يا هذا ، أنت تريد أن تقضى على بهذا العمل ، فأنا لست رجلاً حتى أستطيع بناء الحائط .

فانفجر ريف ضاحكاً وقال : إنك تجورين على بهذه التهمة يا جيزيا . فما أردت بإجبارك على بناء الحائط إلا تلقينك درساً عملياً فى احترام كبرياء الغير كما أخبرتك الآن . أما وأنت تصرين على الاعتقاد بأن هذا العمل سيقتلك حقاً ، فأنا لا أريد أن أحمل ضميرى وزر قتلك . لذلك فإنى سأساعدك فى بنائه ، سأجنبك المهمة الشاقة فيه فأجمع الحجارة الكبيرة الثقيلة وأنت عليك جمع الصغير منها .

فلم تجب جيزيا بكلمة ، ولكنها جعلت تنزع قفازها الأنيق بألم وقنوط ثم بدأت تشتغل بتثاقل وصمت والدموع تترقرق فى مقلتيها .

وابتسم ريف بخبث وهو يرى عملها البطىء وأحجارها التى

لا يزيد أحدها عن حجم التفاحة .

واستمرا يشتغلان دون أن ينبس أحدهما ببنت شـفة حتى تم بناء صفين من الحجارة وكان الوقت قد صار ظهراً فقال ريف : يظهر أن بناء الحائط سيستغرق معنا يوماً كاملاً ، والآن قد حل وقت الغداء فهيا إلى ظل الشجرة لنتغدى معاً بما كنت أحضرته من خبز وجبن .

فقالت هامسة فى استنكار : أنتغدى معك تحت الشجرة . ؟ ولكن ماذا يقول الناس عنى إذا عرفوا . ؟ بربك أعفنى من هذا . فأجابهـا وقد عاد إلى تقطيبه : بل يجب أن نتغدى معاً فسوف لا أخبر أحداً بذلك .

ورأت جيزيا نفسها مجبرة على طاعته فانقادت له صـاغرة . ولم تستطع ازدراد الطعام لانفعالها ، وأحست به يلتصق بحنجرتها فقامت متظاهرة بالشبع تبغى العودة لعملها .

ولـكن ريف استبقاها إلى جانبه قائلاً : أنا معتاد أن أدخن غليوناً بعد الوجبات . دعينا نستمد ذكريات الطفولة فى هـذه الأثناء . أتذكرين عندما كنت أتسلق أعالى الأشجار لأجلب لك العصافير من أعشاشها ..؟

فنفضته جيزيا بنظرة حانقة لهذا الأسلوب الـكريه الذى يحاول أن يستعيلها به ثم مشت عائدة إلى عملها دون أن تنبس بكلمة .

ولاحظ عليها ريف أنها نشطت فى عملها عما قبل ، فراحت تسرع فى جمع الحجارة قلقة وجلة كلما انحدرت الشمس نحو المغيب. فقابل هو إسراعها ووجلها بالبرود والبطء فى عمله دون رحمـة أو شفقة . حتى إذا ما قارب النهار الزوال ، ورأت الحائط لم يتم منه النصف ، نظرت حولهـا جزعة ، ثم ارتمت على الأرض تبكى بحرارة .

وفوجىء ريف ببكائها الذى لم يكن يتوقعه منها وهى العنيدة الصلبة . فشعر بخطئه فى تلك المعاملة القاسية لها فتألم واضطرب خوفاً من سوء العاقبة . وقال يخاطبها برقة : جيزيا ما بك . ؟ أعتقد أننى أتعبتك كثيراً . فى وسعك أن تذهبى الآن وأبا سأكمل بناء الجدار وحدى .

ولشد ما كانت دهشته عندما رآها تهب واقفة قبل أن يتم كلامه وتمسح دموعها بسرعة وتعود إلى عملها نشيطة فى جمع الأحجار أكثر مما كانت عليه . فردد فى نفسه : يا لهذه الفتاة الصلبة ! إن كبرياءها لم تتحطم بعد ، فهى تأبى مظاهر الضعف والذل فى بكائها الذى استدر عطفى .

وأحس بالشـفقة نحوها ، فراح يساعدها بهمة لا تعرف الـكلل حتى تم بناء الحائط بعد ساعتين .

عندئذ أسرعت جيزيا وقبل أن تلتقط أنفاسها ، إختطفت سلتها بحركة عصبية وراحت مهرولة فى طريقها إلى القرية . كانت صامتة واجمة شاحبة الوجـه تعتسف طريقها الشائك مستجمعة قواها المحطمة .

وشعر ريف بالندم وهو يراها فى هذه الحال المؤلمة ، وأنبه ضميره بشدة وعصر قلبه الألم فأسرع وراءها يصيح معتذراً : جيزيا إننى أسألك المعذرة .

فوقفت جيزيا ووضـعت سلتها على الأرض وبسطت أمامه يديها تقلبهما لتريه أصابعها الدامية وبشرتها التى شوهها العمل وملأها بالخدوش والجروح .

فاغرورقت عينا ريف بالدموع وقال : يا فتاتى المسكينة هلا صفحت عنى ..؟

وكأن لهجته الرقيقة المتوسلة قد لامست أوتار قلبها فمحت منه كل حقد واستياء وتبينت فيه الإعياء الشديد . فنظرت إلى وجهه المـكدود وجسمه المرهق من عناء العمل فشعرت بخطئها فى هدم الحائط وخلق هذه المتاعب لهذا الرجل البرىء . فنظرت إليه بعطف وقالت متلعثمة : وأنت أيضاً تعبت مثلى فى بناء الحائط ياريف ، وأنا كنت السبب ولـكن أعدك بأنى لن أهدم لك حائطك بعد . فاقترب منها ريف وأمسك بذراعها قائلا برقة : ما كنت لأضطرك لبناء الحائط لولا حبى لك يا جيزيا . إنها فرصة خلقتها للتمتع بقربك يا حبيبتى بعد طول نفورك .

وحركت مشاعر جيزيا لهجة ريف العذبة ، واستهوتها غايته تلك . استهواها هذا الحب المحموم وهذه العاطفة الجياشة حيالها . ورأت تلك الشخصية الضـعيفة المتخاذلة وتلك اللهجة المترددة المائعة حين باح لها بحبه أول مرة فاستثار نقمتها حتى طردته ، رأت الآن كل هذا يتوارى خلف هذه اللهجة العذبة ممتزجة بهذه الشخصية القوية الجبارة التى فرضت عليهـا طاعته وأرغمتها على الخضوع لرغبته . رأت كل هـذا فأحست بأن هذه الشخصية القوية الرقيقة ، الناعمة الخشنة ، القاسية اللينة قد ملـكت قلبها . فأغمضت عينيها نشـوى ثم مالت عليه تدفن رأسها فى صـدره هامسة : لقد بدأت أحبك يا ريف .

فطبع ريف على فمها قبلة فاتحة عهد جديد .

سلوى الحوماني

مطبعة الرسالة

العدد ٨٥٠ — الاثنين ١٧ أكتوبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٣١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 850

Lundi — 17 — 10 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد «٨٥٠» القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ذو الحجة سنة ١٣٦٨ — ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

أنطون الجميل باشا :

خطبة الاســــتقبال

فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية

سيدى معالى الرئيس ، إخوانى ، سيداتى ، سادتى :

اسمحوا لى أن أتقدم بأجزل الشكر وأخلصه إلى إخوانى الذين تفضلوا فشرفونى بانتخابهم إياى زميلاً لهم فى هذا المجمع الموقر . وإنى أسأل الله أن يعيننى على استحقاق هـذه الثقة الغالية ، وأن يُقدرنى على تكاليف هـذا الشرف العظيم . ثم أخص بأجزل الحمد وأطيبه صديقى الأستاذ محمد فريد أبوحديد بك على اسـتقباله الذى أشاع فيه من سراوة خلقه وسخى تقديره ما هز من عطفى وبسط من انقباضى . وإنى لأذاكره فى غبطة ولذة ما يحمل كلانا لأخيه من ذكريات عذاب نشأت منذ أكثر من ثلاثين عاماً فى ظلال الشباب وكنف الأخوة ، ولا يزال لها فى النفس إشراق وبالقلب نوطة . وأشهد لقد لابسته تلك السنين الطوال فزاملته فى جهاد العيش ، وآخيته فى نسب القلم : فى المدرسة الأعدادية ، وفى لجنة التأليف ، وفى تحرير (الرسالة) ، فلم أره تخلف يوماً عن مكانه بين أولئـك الذين يعرفون كرامة النفس ، ويحفظون غيب الصديق ، ويقيمون قواعد العمل والمعاملة على آساس العلم والخلق .

ثم أرجو — أيها السادة — أن تشاركونى فى دعاء الله رب جميع الناس أن يتغمد برضـوانه وغفرانه فقيدنا الكريم أنطون الجميل باشا . وإنى لأعترف أن خسارة المجمع فيه لن يعوض منها أن يكون خَلفه مثلى . ولا أقول هذا مجاملة لسان ولا تواضع نفس ؛ فإنى صادقت الرجل خمس عشرة سنة بلوت فيها ما عنده . فأنا من أعرف الناس بفضله ومن أعلمهم بموضعه .

عرفت صديقى أنطون سنة ١٩٣٤ ، وكان لقاؤنا الأول فى دار صديقتنا المرحومة (مى) ، وكانت هى التى دبرت هذا اللقاء ودعت إليه ، فقد سمعتْه مراراً يذكرنى بالخير ويؤثر (الرسالة) بالثناء ، فجمعت بيننا فى مساء أحد من آحاد فبراير من تلك السنة ، وقالت بلهجتها الأنيقة وهى تعقـد بينى وبينه المعرفة : - إن كلا منكما يعرف اسم صاحبه فى الأسمـاء ، ولعله يعرف وجهه فى الوجوه ، ولـكنه لا يعرف أن ذلك الاسم لهذا الوجه . ومن سعادتى أن تـكمل معرفتكما عندى .

فقال الجميـل وهو يبتسم ابتسامته الرقيقة المعبرة : نعم ، إنى أعرفك وإن لم أرك . عرفتك مما قرأت لك وسمعت عنك فوجدت بينى وبينك تشابه فى استعداد الفطرة وأسلوب العيش هي التى حببتك إلىَّ وجذبتنى إليك . فقد بدأتُ حياتى معلماً للأدب كما بدأت .

ثم حررت جريدة (البشير) فى بيروت دينية يشوبها الأدب ، وأصدرت (الزهور) فى القاهرة أدبيـة يهذبها الدين ، وهاتان النزعتان أجدهما مجتمعتين فى (الرسالة) . ثم كرهت التحيز لأى حزب ، والتعصب لأى مذهب ، والإضافة إلى أى شخص ؛ فأنا أنشد الخير فى كل عقيدة ، وأؤيد الحق فى كل هيئة ، وأحب الجمال فى كل إنسان . ولولا أن (الأهرام) أمانة فى عنقى لقطعت ما بينى وبين السياسة . ويظهر لى أنك تنهج فى حياتك هـذا النهج ، وتسلك فى عملك هذا المسلك ...

ثم تشاجن الحديث وأخذ ثلاثتنا بأطرافه ، فعلمت فى هذا المجلس وفى المجالس التى أعقبته ، أن الجميل — فضلاً عن وجوه الشبه التى رآها بينه وبينى — أزهرى مثلى ، يعرف قواعد اللغة كما يعرفها الأزهر ، ويفهم تاريخ الأدب كما تفهمه دار العلوم .

ولست أعنى بأزهرية الجميل ذلك التأثير القوى الذى يؤثره الأزهر فى كل كاتب وفى كل شاعر من طريق مباشر أو غير مباشر ، إنما أعنى بأزهريته ما أعنيه بأزهرية فقيدنا العزيز الآخر على الجارم ، وهو أن كلا الرجلين كان ربيب مدرسة اشتقت من مصدر الأزهر وتفرّعت من أصله . والأمر فى أزهرية الجارم أبين من أن يُبين ، ولـكنه فى أزهرية الجميل يحتاج إلى بسط قليل :

كان الأزهر فى أوائل النصف الأخير من القرن الماضى لا يزال وحده يرسل أشعة الثقافة فى العالم الإسلامى كله . ولـكنه كان فى أثناء الغفوة العامة يحفظ علوم الدين ولا يجتهد ، ويدرس فنون اللغة ولا يطبق . وكانت معاهد العلم فى المغرب والشام والعراق تقلد فى كتبه وتجرى على مناهجه ، حتى وقع فى سورية ومصر أمران خطيران كان لهما الأثر البالغ فى تطور المجتمع وتقدم التعليم ونهوض الأدب : حدوث الفتنة الدامية فى لبنان سنة ١٨٦٠ ، وولاية اسماعيل على مصر بعدها بثلاث سنين .

كان من أثر تلك المذبحة الأهلية أن لجأ اللبنانيون من قراهم إلى بيروت فتجمعت فيها الحركة ، وأن وُضع للبنان نظامه الخاص ففتح بابه للأجانب ، فدخله المستعمرون والمبشرون من فرنسا وأمريكا ، وأنشأوا فى ظل الامتيازات الكلية الأمريكية سنة ١٨٦٦ ، والكلية اليسوعية سنة ١٨٧٤ . وكان اللبنانيون فى عهد بنى عثمان كالموالى فى عهد بنى أمية ، أبعدوا عن مناصب الدولة فاشتغلوا بالعلم ، وحيل بينهم وبين موارد الثقافة فى عاصمة الخلافة فاعتمدوا فى التعليم على أنفسهم . وكانت (المدرسة الوطنية) التى أنشأها المعلم بطرس البستانى سنة ١٨٦٣ أول مدرسة تخرج فيها صفوة من الأدباء كانوا عدة الكليتين الأمريكية واليسوعية فى تعليم اللغة العربية . وكانت كتب التعليم فى هذه المدارس هى كتب الأزهر بعد أن بيّض اللبنانيون أوراقها الصُّفر ، وسهّلوا أساليبها الوعرة ، وقرنوا قواعدها الجافة بالأمثلة الشارحة والتطبيقات المدرّبة ، واحتذوا فى تنسيقها على مثال ما درسوه من كتب التعليم الفرنسية .

ثم كان من أثر جلوس إسماعيل على كرسى الخديوية أن بسط ظلال الأمن على ربوع مصر ، ومهد لرجوع المدنية إلى ضفاف النيـل ، فوفد علينا الأجانب للتبشير والتعليم والعمل والتجارة ، وفيهم جماعتا الفرير والجزويت . ثم فتح ما انغلق من المدارس ، ووصل ما انقطع من البعوث ، وأسس نظارة المعارف ، ووسع دائرة التعليم ، فاقتضى ذلك كله أن ينشئ مدرسة يتخرج فيها المعلمون ، فأنشأ دار العلوم فى سنة ١٨٧١ ليتخصص طلابها فى الآداب العربية ، ويشاركوا فى العلوم الدينية والعقلية ، ويأخذوا بنصيب من الثقافة الأوربية . وكان أساتذتها يومئذ من نابغى شيوخ الأزهر ، وتلاميذها من متقدمى طلابه ، وكتبها من أمهات كتبه . ولـكن اتصال أهلها بالحياة المدنية ، وتأثرهم بالآداب الغربية ، واقتباسهم لطرق التعليم الحديثة ، جعلت لهم فى التفكير والتعبير والسمت طابعاً خاصاً يميزهم من رجال الدين فى الأزهر وتوابعه . فمدرسة دار العلوم كانت فى القاهرة أثراً لسياسة إسماعيل العامة ، كما كانت المدرسة الوطنية فى بيروت أثراً لنظام لبنان الخاص . وكانت هاتان المدرستان — كما قلت — شُعبتين من أرومة الأزهر ، أمدّها بالغذاء والرى ، ووصلهما بالروح والحرارة ؛ ولـكنهما لأسباب متجانسة ، وعوامل متشابهة ، تميزتا منه بالشكل واختلفتا عنه فى الثمر . غير أن الاختلاف فى المدرسة المصرية كان ضعيفاً لقربها من الأزهر فى البيئة والعقيدة والعقلية والتقاليد ؛ فهى فرع طبيعى من أصله ، ونوع ممتاز من جنسه ؛ ولـكنه كان فى المدرسة اللبنانية شديداً لبعدها عن الأزهر فى المكان والدين والتربية والسنن الموروثة

والصلات الأجنبية ، فهى أشبه بالطعمة الغريبة أُدخلت فى جذعه فجاء ثمرها مغايراً للأصل فى طعمه ولونه ، ومختلفاً عنه فى قيمته وجداه .

سارت الدرستان على جانبي الركب الحثيث فى طريق النهضة ، مدرسة مصر يمينية تتأنى وتتزنّن ، ومدرسة لبنان يسارية تتسرع وتخف . وكان الزمام أول الأمر عندنا وعندهم فى أيدى المحافظين كحمزة وحفنى والمهدى والأسكندرى وشاويش ووالى هنا ، وكالبستانيين بطرسَ وسليم وسليمانَ ، واليازجيين خليل وناصيف وابراهيم هناك ، فكان التقليد غالباً ، والتطور بطيئاً ، والفروق بين المدرستين قريبة . فلما أسرع الركب ، واتصل القديم بالحديث ، وامتزج الشرق بالغرب ، انشقت من مدرسة دار العلوم المحافظة مدرسة أخرى تتميز بالإيجاز والطبعية والسهولة والحرية والمنطق ، هى مدرسة لطفى السيد ، ومن رجالها قاسم أمين ، وفتحى زغلول ، وعبد القادر حمزة ، كما انشقت من المدرسة اليازجية المحافظة مدرسة أخرى تتميز بالشاعرية والطرافة والانطلاق والتمرد ، هى مدرسة جبران ، ومن أتباعها ميخائيل نعيمه ، وأمين الريحانى ، ومارى زيادة .

وظلت الدرستان الشقيقتان المصرية واللبنانية تنتجان الأدب فى ضروبه المختلفة بأسلوبين مستقلين ، أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر ، على ما كان بينهما من تفاوت فى الطاقة والمادة والصنعة والتقيد والتحرر ، وبقيت المدرسة الأزهرية الأمّ عاكفة على النظر المجرد والجدل المقيم بين أروقة الأزهر والزيتونة والأموى والنجف ، تنتج الخام ولا تصنع ، وتشحذ السلاح ولا تقطع ، فلم يكن لهـا فى ذلك العهد الغابر أدب غير أدب الشواهد ، ولا أسلوب غير أسلوب الحواشى ، حتى إن شيخاً من كبار شيوخها كان ناظراً بحكم عمله على وقف خيرى ، فاضطر إلى أن يكتب رسالة إلى محافظة القاهرة فى شأن من شؤونه ، فلم يفهموا مما كتب شيئاً . فلما أعادوا الرسالة إليه يستوضحونه المبهم ، ضحك هزؤاً بالجهل ، ومصمص أسفاً على العلم ، ثم كتب على الرسالة حاشية على طريقة : قولى كذا معناه كذا ، وقولى كذا أريد به كذا ، ثم ردها عليهم . ولو أنهم ردوها عليه مرة أخرى لكتب — رحمه الله — تقريراً على الحاشية .

* * *

كان الفرق بين مدرسة القاهرة ومدرسة بيروت كالفرق الذى كان بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة . كان البصريون يقدمون السماع فلا يرون القياس إلا فى حال تضطرهم ، ويتشددون فى الرواية فلا يأخذون إلا عن الفصحاء الخلص من صميم العرب ، لكثرة هؤلاء بالبصرة وقربها من عامر البادية . أما الكوفيون فكانوا لخلاطهم أهل السواد والنبط يعتمدون فى أكثر المسائل على القياس ، ولا يتحرجون فى الأخذ عن أعراب لا يؤمن البصريون بفصاحة لغتهم . فالمصريون لقربهم من الأزهر واعتمادهم على القرآن ، وقلة اختلاطهم بالأجانب ، كانوا أشبه بالبصريين فى تقديمهم السماع ، وتشددهم فى القواعد ، وخضوعهم للمعاجم ، ونفورهم من الدخيل ، وجريهم على أساليب القدامى ، واعتقادهم أن العربية لغة العرب الأولين ، فلا يملك المولدون أن يُنقصوا منها ولا أن يزيدوا فيها . واللبنانيون كانوا لبعدهم عن بيئة القرآن ، وتأثرهم بأسلوب الإنجيل ، وكثرة اختلاطهم بالفرنسيين والأمريكيين ، وشدة احتياجهم فى الترجمة والصحافة إلى تطويع اللغة وتوسيعها لتعبر عن المعانى الحديثة ، كانوا أشبه بالكوفيين فى تقديمهم القياس ، وقبولهم الكلماتِ المولدةَ والنصرانية والدخيلة ، واقتباسهم بعض الأساليب الأوربية ، وتساهلهم فى بعض القواعد النحوية والتراكيب البلاغية ؛ ولذلك رماهم الدّرعميون بضعف الملكة ، وسُقم الأداء ، وقصور الآلة ، فلم يقيموا لإنتاجهم وزناً ، ولم ينيطوا بمعاجمهم ثقة . ولكن الحق أن المدرسة اللبنانية كانت عملية تقدمية حرة ، واكبت الزمن فى السير ، وطلبت العلم للعمل ، وسخّرت الأدب للحياة ، ونظرت إلى اللغة نظر الوارث إلى ما ورث ، يملك عليه بمقتضى الشريعة والطبيعة حق الانتفاع به على الوضع الذى يريد ، وحق التصرف فيه على الوجه الذى يحب . وقد تطوّقت العربية منها أيادى مشكورة بما أمدتها به من مصطلحات الفنون المختلفة ، وأسماء المخترعات الحديثة ، عن طريق الترجمة والتأليف والتمثيل والصحافة والتجارة . ثم كان فى جانبها الزمن وفى مؤازرتها الطبيعة ، ففعلا فعلهما فى تطور المصرية حتى قل بينها وبين أختها الخلاف وكثر التشابه ، وجاء مجمع فؤاد الأول فأخذ بحكم قانونه يوفق غير عامد بين المدرستين ، فتسهّل فى القواعد ، وتجوّز فى الوضع ، وتسمّح فى الدخيل ، وسلّم بالواقع ، وأصغى إلى مذهب الإجماع اللغوى الذى يدعو

إليه الدكتور السنهوري ، وإلى مذهب القياس فى اللغة الذى يقول به الأستاذ أحمد أمين .

والمتتبع لتطور المدرستين أيها السادة يرى أن كلتيهما قد مرت فى أطوار ثلاثة : طور التقيد والمحاكاة ، وطور التحرر والاعتدال ، ثم طور التمرد والانطلاق . ولكن الانتقال من طور إلى طور كان فى مصر متثاقلاً متداخلاً ، يرود قبل النجعة ، ويحوم قبل الوقوع ؛ على حين كان فى لبنان متسرعاً لا يتأنى ، مصمماً لا ينخزل . فبينما نجد مراشا الحلبى فى (مشهد الأحوال) يقلد ابن حبيب الحلبى فى (نسيم الصبا) ، وناصيفاً اليازجى فى (مجمع البحرين) يقلد الحريرى فى المقامات ، وابراهيم اليازجى فى (لغة الجرائد) ينهج نهج الحريرى فى (درة الغـواص) ، إذ نجد آل البستانى وآل الحداد وزيدان ومطران والخورى والجميّل وملاّط يتوخّـون السهولة والابتـكار والطرافة ، والجبرانيين والمهجريين يجنحون إلى الأصالة والإبداع والتطرف ؛ والزمن بين هؤلاء وأولئـك متقارب ، والعوامل المؤثرة فيهم لا تكاد تختلف . وليس بسبيلنا اليوم أن نحلل العوامل فى كل تطور فى كل بلد ، ولا أن نعين الرجال فى كل مدرسة فى كل طور ، ولا أن نورد الأمثلة من أدب كل رجل فى كل فن . إنما سبيلنا أن نقول إن الجميل كان من خير من يمثلون اللبنانية فى طور الاعتدال ، وإن الجارم كان من خير من يمثلون المصرية فى مثل تلك الحال .

* * *

سيداتى وسادتى : ولد أنطون الجميل فى بيروت سنة ١٨٨٧ ، وبيروت حينئذ كانت ملاذ العلماء والأدباء من لبنان وسورية ، ومنتجع المبشرين والمستشرقين من فرنسا وأمريكا ، وكانت النهضة الأدبية فى عاصمة الجبل قد أثمرت بواكيرها ودنا جناها ، فنال الفتى أنطون ما تيسر له منه فى الـكلية اليسوعية . والمارونيون كانوا يفضلون التعليم الفرنسى لصلتهم الدينية القديمة باليسوعيين ، وعلاقتهم السياسية الجديدة بفرنسا . وحذق أنطون على الأخص اللغتين العربية والفرنسية . والنبوغ فيهما كان فاشياً فى شباب لبنان ، لأن تعليمهما كان جارياً على الأسلوب اللاتينى فى تأليف الـكتاب وإعداد المعلم واختيار الطريقة ؛ فالـكتاب متعمق فى القواعد متنوع فى التطبيق ، والمعلم متضلع من العلم متقص فى التحقيق ، والطريقة قائمة على الحفظ معتمدة على التمرين . ذلك إلى أن الغالب على التعليم الفرنسى الأدب ، والغالب على التعليم الأمريكى العلم . واللبنانيون كانوا يومئذ يتهيأون للعمل الحر فى خارج لبنان ؛ لأن النصارى فى سورية كانوا كالشيعة فى العراق لم يكن لهم فى حكومة الترك مكان . والعمل الحر كان فى التعليم ، أو فى الصحافة ، أو فى الترجمة ، أو فى التمثيل ، أو فى التجارة ، وكلها أعمال تقتضى التبريز فى اللغات والتبسط فى الآداب . لذلك لم يكد الجميـل يتخرج فى الـكلية اليسوعية حتى عين معلماً فى مدرسة القديس يوسف ، ولـكن ميله إلى الـكتابة واستعداده للتحرير ، ساعدا على اختياره محرراً لجريدة (البشير) سنة ١٩٠٨ ، وقد كان يصدرها الآباء اليسوعيون فى بيروت ، ويجعلون إدارتها لأب من صالحى الآباء ، وتحريرها لأديب من نوابغ الأدباء . ثم دعاه إلى الهجرة ما دعا أحرار لبنان من ضيق العيش وسعة الأمل وفساد الحـكم ، فهاجر إلى مصر سنة ١٩٠٩ وحرر فى صحيفة الأهرام الفرنسية . ثم أعلنت وزارة المالية المصرية سنة ١٩١٠ عن حاجتها إلى مترجم ، فتقدم إلى المسابقة فى هذه الوظيفة ففاز بها . ولـكنه لم يقطع صلته بالصحافة فأصدر فى تلك السنة نفسها مجلة الزهور أدبية شهرية . واتصلت منذ يومئذ أسبابه بالحـكومة ورجال الحـكم . وكان الجميل على طبيعة قومه عمولاً لا يدخر جهداً ولا يضيع فرصة ولا يستوطىء راحة ، فبان شأوه على أقرانه ، ودل فضله على كفايته ، فترقى فى المناصب حتى عُين سكرتيراً للجنة المالية . ثم اعتزل العمل الحـكومي ليتولى رياسة تحرير الأهرام ، فسطع مجده ، وضخم أمره ، وانبسط نفوذه ، واضطرب فى مجال الحياة المصرية السياسية والاجتماعية والأدبية اضطراباً عجيباً ، ينبه ويوجه ويوفق ويشارك . عمل فى مجلس الشيوخ ، وفى مجمع فؤاد ، وفى جمعيات البر ، وفى جماعات الأدب ، وفى شُعب الثقافة ، وفى لجان الاقتصاد ، فلم تـكن عضويته فيها جميعاً مظهراً من مظاهر الفخر ، ولا مورداً من موارد النفعة ، وإنما كانت هماً من هموم الجد يستفرغ الوسع فيه ، ويتوخى النجاح له ، ويدفع العوائق عنه . وكان الرجل على حظ عظيم من الخلق الـكريم والطبع المهذب والحلم الراجح ، فساعدته هذه المزايا على أن يكون له فى المجتمع هذه المـكانة وفى العمل هذا البروز . كان أديب النفس واللسان والقلم ، فلم تـكن

لنفسه جلافة تنفر ، ولا للسانه بادرة تُخشى ، ولا لقلمه سن يحز . وكان مرهف القلب والعقل والذوق ، فكان يشعر بقوة ، ويفهم بزكانة ، ويذوق بلذة . وكان دقيق العمل والوقت والأسلوب ، فلا يقدِّر بالقياس الجزاف ، ولا يوقت بالزمن المبهم ، ولا يُعبر باللفظ المقارب ؛ إنما كان يتبين الغرض ثم يرميه بالذهن النافذ واللفظ المحكم فلا يُخطئه . ولعل كلماته السياسية فى الأهرام كانت على وجازتها أدل كلامه على خلقه وأدبه . كان يعالج مشكلات السياسة والحكم بأسلوب فيه صراحة الجبليين وكياسة اليسوعيين ونعومة الفرنسيين ، فيكشف عن الخبأ من غير فضيحة ، ويدل على الفساد من غير اتهام ، ويُوجه إلى السداد من غير استطالة . وهذا الأسلوب وما كان يقويه من صدق النظر وصحة الحكم جعله وهو فى مكتب الأهرام وندوته عضو شرف فى كل حزب ، ووزير دولة فى كل حكومة .

أما أسلوبه الأدبى فى الكتابة والخطابة فكان شعرياً فى صوره وأخيلته وألفاظه . كان يغلب عليه سلامة التراكيب ووضوح المعنى وحسن الترسل ، ويكثر فيه تضمين الأبيات واقتباس الحكم وإيراد النوادر . وقد شغلته الجهود الصحفية والاجتماعية عن الفراغ للأدب المحض فما كان يكتبه إلا مدفوعاً إليه بإلحاح الطلب وإكراه الحاجة ، كأن يكتب مقدمة لديوان صديق ، أو بحثاً فى أدب شاعر ، أو محاضرة فى دار نقابة ، أو خطبة فى مجلس الشيوخ . ولقد كان له وهو فى عهد الاستشراف والطموح إنتاج أدبى متصل ، وعته جريدة البشير الدينية ومجلة الزهور الأدبية . ومن آثاره فى ذلك الحين روايتاه : (أبطال الحرية) وموضوعها الانقلاب العثمانى ، وبطلاها القائدان التركيان نيازى وأنور . و (السموأل أو وفاء العرب) وموضوعها وبطلها معروفان . وهاتان المسرحيتان لا تمتازان ببراعة الحوار ولا بقوة البناء ، وإنما تمتازان بفصاحة اللفظ وبلاغة الأداء .

وإذا كان لى أن أضيف إلى ما قلت كلمة فى وفائه لمصر وحبه للمصريين فحسبى أن أقول إنى لم أر فى الأدباء الذين توطنوا هذا البلد كاتباً قبل الجميل ، ولا شاعراً قبل مطران ، نالا الرضى المصرى بكل معانيه ومن جميع نواحيه ، بإخلاص العمل لهذا الوطن ، وإصفاء المودَّة لأهله ، واعتقاد العرفان لجميله .

هذه — أيها السادة — بعض مزايا الرجل الذى كُتب علىَّ أن أودعه بلسانكم فى رحلته الأبدية عن هذا المجمع . وإنى لأشعر وأنا أجلس فى مكانه الخالى أن كرسيه ينكرنى كما ينكر الفرس الجواد الراكب الغر . ولقد حدثتنى نفسى — شهد الله — حين تأدى إلىَّ خبر انتخابى لعضوية المجمع أن أستعفيه من هذا التشريف ، لا زهادة فى الشرف ، ولا رغبة عن العمل ، ولا فراراً من الواجب ، ولكن لعلة نفسية مزمنة كان من أخف أعراضها أنى أحسن العمل منفرداً أكثر مما أحسنه مجتمعاً . وربما جعلتنى — لعنها الله — أعلم الشىء ولا أقوله ، وأسمع الخطأ ولا أصوبه ، وأرى المنكر ولا أغيره . وتلك كانت حالى معها وظل الشباب وارف ، وعود الأمل ريَّان ، وقوة النفس عارمة ؛ فكيف تكون حالى معها اليوم وقد بلغتُ المدى الذى بعده القصور ، والأملُ الذى بعده الذكرى ، والساحل الذى بعده القفر ؟

ولكننى استخرت الله وألقيت بجهدى الضعيف بين جهودكم القوية . والرماد يحمَى إذا مسه من الجمر وهيج ، والجبان يشجع إذا لم يكن من العراك بُد .

أسأل الله أن يهدينا الطريق إلى خير العربية والعروبة ، ويرزقنا التوفيق فى خدمة الإسلام والشرق ، فى رعاية صاحب الجلالة الملك فاروق الأول أعز الله نصره ، وجمَّل بالآداب والعلوم والفنون عصره .

أحمد حسن الزيات

صور من الحياة :

زوج يضـــل !

للأستاذ كامل محمود حبيب

أتذكر – ياصاحبي – يوم أن نلت شهادة الدراسة الثانوية وأنت – إذ ذاك – فتى ريفي في العشرين من عمرك ، سمهري القوام قوي التكوين صلب العود مشرق الوجه بهي الطلعة ، تبسم المستقبل في ثقة وتتنسم ريح الحياة في استبشار؛ يوم أن جئت تزف البشرى لأبيك الشيخ فتلقاك في سرور وربّت على كتفك في فرحة ، ثم حت تدل على رفاقك بالفوز وهو عظيم وتزهو بالتفوق وهو مبين . وسألك أبوك عن هدفك الذي تصبو إليه فقلت له « أريد أن أدرس الطب » فأطرق في صمت وقد علت وجهه قترة ، وإن الأفكار لتصطرع في ذهنـه ، وإن الخواطر لتضطرم في رأسه ، فما له طاقة بما تتطلبه دراسة الطب من جهد ومال ، وهو يحس لذع العوز والضيق ، وأراد أن يصرفك عن بغيتك في لين فأصررت ، وانطلق ينشر على عينيك بعض ما يعانى من فاقة ومتربة ، فما وعى عقلك الغض مما قاله شيئاً لأنك شاب لم تصقلك تجارب الحياة ، ولا عركتك دوافع العيش ، فأصررت . وراح هو يدير الرأى في رأسه علّه يجد منفذاً أو يهتدى إلى حيلة.

ومضت أيام والشيخ يضطرب في لجة من الهم ، فهو لا يستطيع أن يلقى السّلّم إلى نزعاتك ، فيدفع بنفسـه إلى هوّة من الدَّين والإمـلاق ، وما هو بمستطيع أن يحول بينك وبين أمنيتك ، فتستشعر الضعة والصغار بين أترابك .

وعلى حين فجأة انبسطت أساريره وانزاحت عنه غمة الأسي ، فجلس يحدثك « أحقاً يا بنى أنك تطمع في أن تدرس الطب ؟ » قلت « نعم ، يا أبي ، ولا أبتغي به بديلاً » قال « إذن تتزوّج من ابنة خالك وهي فتاة يتيمة ، تجمعكما وشائج القربى وصلات النسب وهي ذات مال يشـد عضدك ويمهد لك السبيل إلى غايتك » . وأزعجتك الفـكرة ، بادى الرأى . فما كان لك أن تفرغ للزوجة والولد وهما مشغلة ، وأنت تهيء نفسك لجهاد عنيف بعيد المدى مجهول العاقبة . ولـكنك ما تلبثت أن أسلست لأنه تراءى لك أن الرفض حماقة تجذ حبل المستقبل ، وهو طيش يطفيء شعلة الأمل الوضاء . أسلست لتكون زوجاً ورب أسرة وأنت ما تبرح طالباً في العشرين من عمرك .

وقال لك أبوك وقد تهيأتما معاً – أنت وزوجك – للسفر « يابنى ، هذه زوجتك تذر دارها لترعى شأنك وإن الدار لتشرق بالنعمة والخفض ، وتنأى عن أهلها لتأنس إلى حماك وإن قلوب ذوى قرابتها لتفهق بالحنان والعطف ، وتفزع إلى رجولتك وإن حواليها ألف رجل ورجل يفتدونها بالروح والمال ، وتنزل لك عن مالها وهو غمر لتهدأ جائشتك وتسمو إلى طلبتك ؛ فكن إلى جانبها رجلاً . والرجل إن ضاق بالمرأة زوجة لم يضق بها رفيقة ، وإن ضجر بها صاحبة لم يفزع عنها ربة دار وأماً . وإن الشهامة في الرجل لتجمله – دائماً – يحس في المرأة العجز والضعف ، وتدفعه – أبداً – إلى أن يجد اللذة والسعادة في أن يحمى ضعفها ويناضل عن عجزها . وهذه الفتاة – زوجك – منك بالمكان الذى تعرف فكن لها عائلاً وأخاً وصاحباً ؛ واستشعر – دائماً – إلى جانبها الرجولة والشهامة والإنسانية »

ودوّت كلمات أبيك الشيخ في مسمعيك فانتفض لها قلبك لأنك لمحت فيها نور السماء يتألق على لسان ملَك .

وجاءت الزوجة الريفية لتعيش هنا في – في القاهرة – سجينة في دارك لا تجد السبيل إلى متعة المدينة ولا إلى نور المدنية وأنت طالب لا تملك فراغاً من الوقت ولا فضلة من المال . وراضت الزوجة نفسها على الصبر فهي تقضى صدر النهار في غمرة من حاجات الدار : تعد لك الطعام وتهيء اللباس وتوطيء الفراش ؛ ثم هي تدعك – صدر الليـل – تفرغ إلى درسك تنتظر أوبة قلبك وفراغ عقلك . وأنى لها ما تريد وأنت تسعى إلى غاية وتهدف إلى غرض ، والطريق وعر والمرتقى صعب .

وعاشت الفتاة إلى جانبك سبعاً شداداً لا تجد السلوة إلا في صلاتها وإنها لمن بيت دين وصلاح فراحت تطوى ساعات الليل في تهجد على غير علم وصلاة على غـير أساس وتلاوة في جهل ، واندفعت في الطريق في غير رفق فأصابتها لوثة دينية صرفتها عن أن تكون أنثى تبهر عين الرجـل بزخرف من القول وبهرج من اللباس وزينة من الطلاء.

وشملتها موجة عارمة من الفرح يوم أن تخرجت فى كلية الطب فأقبلت إليك وإن إهابها ليكاد ينقد من شدة الطرب ... أقبلت تهنئك بالفوز المبين . ودوّت كلمات أبيك الشيخ فى مسمعيك فانتفض قلبك وتيقظت مشاعرك فأقبلت أنت أيضاً تهنئها بنجاحك وبين يديك أولادك الصغار .

وانطوت السنون تدفعك إلى ذروة المجد وترفعك إلى قمة الثراء فما حدثتك نفسك مرة واحدة أن تطب لمرض زوجك ، وهو عته دينى ، وأنت مَنْ بذرت غراسه فى نفسها حين أرهقتها الوحدة وأمضها الخلوة ؛ وأنت فى شغل لا تعبأ بما يعتريها من ضيق وملل ولا تلق بالاً إلى ما يجتاحها من ثورات نفسية ، فانطلقت — وأنت طبيب — تقضى سحابة النهار فى المستشفى ، وتطوى هزيعاً من الليل فى العيادة يخلبك بهرج المال ويجذبك لألاء الغنى . والطبيب ساحر يعصر دماء المرضى فتتدفق فى جيبه سيلاً من الذهب .

ثم حالت حالك ؛ فأنت لا تدخل الدار إلا ثائراً تضطرم ، ولا تحدث أهلك إلا غاضباً تحتدم ، تفزع عن زوجك فى غير رحمة ، وتهر فى أبنائك فى غير شفقة . وتفتحت عيناك على أشياء كنت — من قبل — فى عمى عنها ؛ فأنت لا ترى فى الدار إلا القاذورات تتناثر هنا وهنالك فتبعث فيك الاشمئزاز ، وإلا الرائحة النتن تفوح من نواحيها فتتقزز لها نفسك ، وإلا التشعث يملأ أرجاءها فينفث فيك الثورة والاضطراب ، ثم لا تسد أنت الثغرة فى رفق ولا ترأب الصدع فى لين .

ليت شعرى ، ما ذا دهاك فطمٌ على رجولتك فما عدت تسمع كلمات أبيك الشيخ تدوى فى مسمعيك وإن فيها نور السماء يتألق على لسان ملَك !

لقد عشت زماناً ترى فى عيادتك القد الأهيف والكشح الهضيم والثوب الهفهاف، وتحس الابتسامة الرقراقة والخد الأسيل والشعر السبط ، وتتنشق شذى العطر الجذاب ؛ على حين لا ترى فى دارك سوى زوجة بلهاء فى ثوبها الأبيض الفضفاض تنتحى ناحية من حجرة وتنطوى على أورادها تتلوها فى حركة رتيبة يملها القلب وتضيق بها النفس .

وراح عقلك الكبير يقارن بين الفتاة التى ترى فى الشارع وفى العيادة وبين زوجك الريفية الجاهلة ، فسيطر عليك الأسى واستولى النفور على قلبك ، ونسيت يوم أن كنت فتى فى العشرين من عمرك ... ، فما استطعت أن تكتم نوازع نفسك فجلست إلى صديق لك تبثه لواعج الفؤاد ولوعة النفس فقال لك « لا بأس عليك ! إن فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة » فقلت له « وماذا تعنى ؟ » قال « تتزوج من ابنة فلان باشا ، وهى فتاة فى روعة الجمال وأبهة العظمة وسمو الجاه ومنتهى الثراء ، تتوثب شباباً وظرفاً وتتألق أناقة ورقة ، فيها ثقافة الشرق وتربية الغرب، تتحدث فى طلاقة وتأسر فى لباقة » قلت فى دهشة « وابنة خالى، ابنة خالى ؟ » قال الرجل « ابنة خالك ؟ تذرها فى بيتها بين بنيها وأورادها ... إنها لن تجد فقدك فهى فى شغل عنك وإن لك من تراثك ما يكفل لها عيشة راضية وحياة طيبة » قلت « ولكنها هى ... هى ربة نعمتى ! » قال « هذا حديث لفته السنون فى ملاءة النسيان ! » قلت « وأنا ؟ ... لقد قاربت الأربعين » قال « هذا وهم باطل فأنت ما تزال فى ربيع العمر تفور نضارة وشباباً » .

لشد ما أفزعتك الخاطرة — بادىء ذى بدء — فقضيت ليلتك تتقلب فى فراشك تدبر الرأى علك تهتدى . والشيطان إلى جانبك يزين لك الأمر ويفترك عن زوجك وأولادك الأربعة . وقالت لك نفسك « هناك فى كنف ابنة الباشا تجد السعادة والرفاهية والثراء والجاه جميعاً » .

وانطوت الأيام والشيطان يوسوس لك وصاحبك من ورائه يزخرف القول وينمق الحديث . وعلى حين غفلة ارتفعت صيحات الشيطان فى قلبك فطمت على رجولتك فما عدت تسمع كلمات أبيك الشيخ تدوى فى مسمعيك وإن فيها نور السماء يتألق على لسان ملك .

وفى ذات ليلة ، انطلقت برفقة صاحبك إلى دار الباشا لتصبح زوج اثنتين ، ولتطمن قلب المرأة التى ضحت فى سبيلك بما لها وشبابها لتكون أنت طبيباً عظيماً تستطيع أن تتزوج من ابنة الباشا ، لتطعن قلبها طعنة قاسية تعصف بهدوئها وتهدم سعادتها .

آه ، يا صاحبى ، لو رأيت عبرات بنيك وهى تنهمر مدراراً ليلة عرسك . لقد كانت تساقط على قلبى — قلبى أنا الإنسان — قطرات من نار تتلهب لظى وشواظاً . أما أنت فقد فقدت — حينذاك — رجولتك وإنسانيتك فى وقت معاً

يا صاحبى ، إن الزوجة تلقى بنفسها فى رعاية الزجل لتتشبث منه بخيوط ثلاثة : الرجولة والشهامة والإنسانية .

كامل محمود حبيب

صحائف مطوية في السياسة العربية :

هاشم الأتاسي

في سنة ١٩٣٩ وفي عام ١٩٤٣

للأستاذ أحمد رمزي بك

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

لقد رأيت في العدد الماضي وطنية هاشم الأتاسي تتجلى أمام الفرنسيين حينما اعتزل الحكم بإرادته ، وقد أعجبت بهذا الموقف وقلت إنه ينـدر أن نجد الكثيرين من أمثاله في القرن العشرين وسط المشتغلين بالمسائل العامة في هذا الشرق ، وسأقص عليك في هذه الكلمة شيئاً من تردد السلطات الفرنسية ، وما ذا كان جزاء وطنيته وإخلاصه من بعض أولئك الذين فرض من المبدأ أن يكونوا من معاونيه وأنصاره ، فإذا هم الذين عناهم أبو الطيب بقوله:

كدعواك كل يدعى صحة العقل

ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل

ولقد أشرت في الكلمة السابقة إلى مذكرات رجال السياسة والحكم التي نشرت بمختلف اللغات ، وكيف يحتاج إليها مثلي للوصول إلى ضبط الكثير من الحقائق ، ومن قبيل هذه المذكرات أو أهمها مذكرات الجنرال كاترو ، فقد أبلغني صديق كريم أن الجنرال بدأ بنشرها في جريدة الفيجارو الفرنسية ، وكان بودي أن أطلع عليها قبل كتابة هذه الكلمة ، فلم أستطع الحصول عليها كاملة بمصر ، وعليه قُدِّر عليّ أن أنتظر حتى يتم طبعها كاملة كما قيل لي ، فأبدي رأيي فيها كقارئ ، أو كرجل لمس عن قرب شيئاً من الحوادث التي تتناولها هذه المذكرات .

ولقد أشرت إلى تمدد مقابلاتي مع الجنرال طول شهر مارس ١٩٤٣ وكان أغلبها في دمشق التي كان يفضل الإقامة فيها ، بل وصرح مراراً أنه يعمل على نقل المفوضية العليا الفرنسية من بيروت إليها ، واعتقد أنه لولا ما صادف كاترو من اعتراضات معينة من بعض الفرنسيين الذين يعملون معه ، ولولا تأثير الوسط البيروتي لنجح في قصده هذا مدة وجوده بسوريا ولبنان على الأقل .

واذكر في إحدى هذه المرات التي قابلته فيها بمدينة دمشق وكان قد دعاني إلى قصر المفوضية بالمهاجرين ، فتعمد أن يضع على المدخل مفرزة من حرس الفرقة الجركسية لتحية ضيوفه ، على مثل ما كان يعمل الجنرال فيجان ، ولما قابلته أخذ يطوف بي في أنحاء الدار ويشرح لي محتوياتها ويشير بإعجاب إلى ما بذلته مدام كاترو في تهيئة حجراتها والحصول على الأثاث اللائق بها وكيف وفقت رغم ما يعترضها من صعاب في تنسيق الدار وجعلها صالحة لإقامة مندوب فرنسا الأعلى وقائد جيوشها .

والحقيقة أن الدار ظهر عليها في ردهاتها ومقاعدها وأركانها هذا الذوق الشامل الذي تفرغه يد السيدة إذا تولت بعنايتها تهيئة الدور الرسمية فتجعل منها بيوتاً تصلح للاستقبال .

لقـد كان الجنرال مرحاً في كلامه مع المدعوين ، ولما آن موعد انصرافهم أراد أن يتحدث حـديثاً خاصاً معي فاستبقاني لديه على انفراد ، والجنرال محدث لبق بدأ حـديثه عن القاهرة وعن منزل في لبنـان لشخص معين يسكن بيروت ويريد أن يؤجره للجنرال ومع ذلك يزج بأسماء معينة في مصر وضحك كثيراً من أساليب بعض الناس في حياتهم الخاصة والعامة ، والحقيقة أن ابتداء الحديث السياسي عن صفقة فيها منزل للايجار تحمل في ثناياها نكتة من أبداع النكت ، وفي كلامه عن خلق هذا الوجيه الثري ما يجعل السامع يتجه اتجاهاً معيناً نحو حكمه على كثير من الأمور ، ولولا أن منافسة الجنرال من كبار القوم في بلادنا لما بدا أن لهذا الحديث موضعاً ، ولكن الجمع بين هذا ووضعه في الإطار الذي فتح الجنرال حديثه به يجعلني في حل أن أقول : أن الجنرال أعطى صورة وافية لما كان يدور في تلك الأيام وأراد بظرف ولباقة أن يعرفني بالإشارة كما يقولون ما لم يرد أن يصرح به . ولكنه حينما تحدث عن هاشم بك الأتاسي : أشاد بوطنيته وإخلاصه لبلاده وقال : « أنه على رأيه دائماً في أن قيام الدولة السورية وعلى رأسها هاشم بك أمر يرحب به ويكون من فخره إذا تم » .

إننا معاشر الشرقيين تبدو لنا بعض الأمور وكأنها لا تستحق عنايتنا واهتمامنا : كما تبدو لنا أمور أخرى ذات أهمية خاصة مع أنها قد لا تترك أثراً لدى الغير ، من قبيل هذا اعتزال هاشم بك للحكم فالأثر الذي يتركه في نفس الأوروبيين لا ينسى ، وقد حدثني الجنرال فقال إنه دعى هاشم بك للغداء لديه وعلم إنه نزل في فندق أورينات بالاس ولما انتشر خبر زيارته لدمشق تهافت الناس وذهبوا لرؤيته بالفندق وتحادثوا معه وأعربوا عن آمالهم في عودته ... فهو رجل يتمتع بمنزلة خاصة لدى الشعب .

ذكر لي هذا عند كلامه عما يدور بخلده من ضرورة إبدال

الوضع الذى قام مؤقتاً فى سوريا عقب وفاة المغفور له الشيخ تاج الدين الحسنى . ولكنى لمست هذا الإنصاف لهاشم بك فى صفوف الفرنسيين من أعداء الكتلة الوطنية نفسها...

وفى هذا الاجتماع الأخير لخص الجنرال ما قام به من جهود فى الفترة الأولى لشهر مارس ١٩٤٣ فقال إن دائرة أحاديثه اتسعت رويداً رويداً فشملت عدداً من السياسيين الممثلين لمختلف الأحزاب والدوائر فى سوريا وأبدى رأيه فى كل شخص وفى اتجاهات الأحزاب وتعاونها وتنافسها ، وقد اطلعت بعد أيام على ما نشرته المفوضية على الصحف وقد أشارت إلى أن الجنرال والى استشاراته ويستمع إلى رؤساء الوزارات ورؤساء المجالس النيابية فى الأحداث والأوضاع والحلول المقبلة — وزادت على ما سمعنا رؤساء الهيئات الاقتصادية والمالية وهذا مالم يرد له ذكر فى أحاديثه .

ولم يقتصر اتصاله على دمشق بل سافر إلى حلب وحمص ودعا إليه رؤساء العشائر والمناطق البعيدة وكان طول مدة شهر مارس فى عمل مستمر واتصال دائم وكلما تعجلت السياسة البريطانية أو الأمريكية الأمور كان رد الفرنسيين أننا ندرس ونبحث ونستشير ونحقق حتى يأتى عملنا مطابقاً للمصلحة العامة ولكسب الحرب.

كتبت فى كتاب الاستعمار الفرنسى فى شمال أفريقيا ص١٧ « أن الجنرال كاترو يجمع فى شخصه بين القائد والسياسى معاً وقد برهن على أنه صاحب عزيمة ودهاء ، وفكرة ومقدرة »ص٧٧ وأزيد على هذا أنه محدث من الدرجة الأولى لا تغادر الابتسامة وجهه ، وهو يشعرك من أول مقابلة أنك موضع ثقته وأنه يحدثك بصراحة تامة وهو لن يخفى عنك شيئاً مما يجول بنفسه ولكنه فى الحقيقة إذا تكلم لا يعطيك إلا ما يريد هو إعطاءه .

وإذا عرض لشخصيات معينة أعطاك عن كل واحدة منها صورة حية لا تكرهك فى الشخص المعين ، بل يرسم لك مزاياه فتخرج وتكاد تشعر بأن جميع الناس من أصدقائه وإنه معجب بالنواحى الطيبه التى لمسها فى كل واحد منهم .

ولا أخفى على القارئ أن الجنرال كاترو ترك أثراً عميقاً فى نفوس من اتصلوا به ، فقد جاءنى رجال لم يكونوا فى يوم من الأيام من أصدقاء فرنسا ، وأبدوا لى دهشتهم لهذا التطور الذى بدا من غير تهيئة فى جانب الفرنسيين حتى صرح أحدهم بقول : أنه يكاد يصدق أن هذا الجنرال راغب كل الرغبة فى أن يرى البلاد السورية متمتعة باستقلالها .

وقد ظهر لى جلياً أن الجنرال كاترو كان من بين الفرنسيين القلائل الذين أدركوا قبل الأوان صعوبة مركز فرنسا فى سوريا ولبنان مع وجود الجيوش البريطانية فيها ، وكان هناك فريق منهم يعيش سنوات ١٩٤٣ — ٤٤ — ١٩٤٥ على غرار ١٨ — ٢٠ ١٩٢١ حينما وجدوا البريطانيين قبلهم فى البلاد : وجاء كاترو فكان بين أمرين .

١ — أما التظاهر بالتعاون مع الحليفة إلى نهاية الشوط .

٢ — وأما التصادم من المبدأ معها

وقد فضل أن يجاريها فى سياستها وأساليبها مع احتفاظه بحقوق بلاده ، ولكنه لم يجد إخلاصاً ولا تعاوناً ولا فهماً من معاونيه ، ولذلك لم يلازمه النجاح الذى كان من المرجح أن يلاقيه

كنا ننتظر الوصول إلى نتائج حاسمة فى النصف الأول من شهر ما حينما جاء المولد النبوى الكريم فاضطر الجنرال الفرنسى إلى قطع استشاراته لحضور الاحتفال به فى بيروت ، حيث أقيمت احتفالات رأى فيها المسلمون فرصة للاعراب عن وجودهم ، ورأت فيه فرنسا فرصة لإعلان احترامها للنبى العربى .

ثم حدث تصادم لطائرة فرنسية مات فيها الكولونيل باريل وجرح فيها الجنرال ماسيت ، وقد أقيمت جنازة عسكرية شائقة للفقيد الفرنسى وسارت فيها وحدات الجيوش الفرنسية المختلفة وقد تسلمت الكثير من عتاد الحلفاء وملابسهم وأحذيتهم وألقى الجنرال كاترو قطعة رائعة فى رثاء الكولونيل القتيل كانت خير ما يمكن أن يعبر عن حداد فرنسا المقاتلة ... وآمالها .

لا أدرى إذا كانت بعض المصادفات تؤثر فى اتجاهات معينة وعلى كل فإنه بقدر تحمس الفرنسيين للوصول إلى هاشم بك فى تلك الفترة بقدر ماقامت الصعاب أمامه من ناحيتين : الطريقة التى سيعود بها إلى الرياسة هل تكون بناء على دعوة الجنرال وكيف تصاغ ثم الناحية الثانية : وهى ازدياد شقة الخلاف بينه وبين أنصاره.

ومرت الأيام وكان الجنرال قد ترك دمشق وعاد إلى بيروت تاركاً أمر المشاورات فى سوريا لمعاونيه : ثم عاد فى الفترة الأخيرة من مارس إليها .

وفى يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٤٣ تلقيت منه كتاباً مطولاً يعرب فيه عن أسفه لأنه لم يوفق إلى إقناع هاشم بك الأتاسى بالعودة إلى وزارة الجمهورية مرة أخرى ويبلغنى فيه ما استقر عليه الرأى فى النظام الجديد الذى سيباشر التمهيد للانتخابات .

والحقيقة إننا جميعاً دهشنا لهذا الموقف الأخير ، وقد سافرت

الاتحاد الإسلامي

للدكتور السيد محمد يوسف الهندي

قد كنت ولا أزال من أشد المتحمسين لفكرة إنشاء اتحاد إسلامي عالمي يضم الشعوب المتجانسة والدول المتجاورة الممتدة من الباكستان شرقاً إلى تركيا ومصر غرباً ، وربما يتسع نطاقه فيما بعد في الناحيتين الشرقية والغربية إلى أندونيسيا والمغرب الأقصى . وأزعم بالقول بأن المسلم الهندي أفعم قلبه إيماناً وإخلاصاً لهذه الفكرة التي ازداد طموحه إليها بعد أن نجح في خلق أداة قوية فعالة ، ألا وهي دولة الباكستان المساهمة في إبرازها إلى حيز الوجود .

ولكن نظرة المسلم الهندي إلى العالم الإسلامي إنما كانت إلى وقت غير بعيد نظرة عاطفية خيالية هي أبعد شيء عن الحقيقة والواقع؛ فإنه كلما حول وجهه إلى تلك الرقعة الشاسعة التي يقطنها المسلمون من العرب والعجم والترك رأى دولا قيل إنها مستقلة ، وتيجانا ربما ادعى أنها ترمز إلى مجد الإسلام الغابر ، وشعوبا مسلمة تؤلف الأغلبية الساحقة في حدود بلادها — الصفة التي كانت تنقص المئة مليون من المسلمين في الهند الموحدة والتي كان انعدامها مصدر جميع آلامهم وأخطارهم في المستقبل . فلم يكن المسلم الهندي ليتصور أن يكون هناك أي مانع عند تلك الشعوب المتماسكة والدول المستقلة من الاتجاه إلى التضامن والاتحاد على أساس الدين الذي كان ولا يزال يعتقد — حسب فهمه هو — إنه ملك وسياسة قبل أن يكون صلاة ودعاء . ومما ساعده على هذا الظن — الخاطىء مع الأسف — تلك الألقاب الفخمة المشعرة بحماية الدين ونصرة الإسلام والمسلمين التي يتحلى بها بعض الأمراء والأعيان في الأقطار المختلفة (كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد) ومظاهر أخرى مثل صدور الفتاوى من مشيخة الأزهر « إلى العالم الإسلامي كله » تلك الفتاوى التي عرفت الآن أنها لا تصدر عن شعور داخلي حر بخير « العالم الإسلامي كله » ولا عن دراسة وافية للأحوال والظروف الخاصة بالمسلمين في الأقطار المختلفة . بل إنها ربما تستصدر لمصلحة عاجلة . ويا حبذا لو أن كبار العلماء تنازلوا عن سلطتهم المنتحلة هذه كما فعلت تركيا حينما ألغت الخلافة بعد ما رأت عجزها عن إسداء أي عون مادي أو أدبي إلى ما يسمى بالعالم الإسلامي .

كان من الطبيعي أن تتغير نظرة المسلم الهندي هذه في الأيام الأخيرة على أثر التقارب عن طريق التمثيل الدبلوماسي وتبادل الزيارات . ولعله قد عرف أن المانع الحقيقي من التقدم نحو الاتحاد ليس عاملا خارجياً أجنبياً بل هو داخل نفوس إخوانه المسلمين الذين أصبحوا غير مستعدين لقبول هذه الفكرة . وقد اقتنعت أنا شخصياً بصدق ما صرح به البانديت جواهر لال نهرو ، رئيس وزراء الهند ، عقب زيارته الأخيرة للقاهرة من أن أي اتجاه إلى التكتل على أساس الدين في الشرق الأوسط أمر مستحيل ، فاستعنت باليأس على التغلب على ما غمرني من القلق وبدأت أغتبط بواقعية رجال الحكومة الباكستانية حينما لاحظت فتوراً في تصريحاتهم إزاء أي حلف رسمي ، وظننت أن الفكرة قد وضعت على الرف أو كما يقولون في الثلاجة إلى أن تنبعث من داخل قلوب المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية على السواء حتى يجيء الاتحاد نتيجة لشعور عام صادق متدفق قوي .

ولكن ظهرت في الأسابيع الأخيرة بوادر تنذر بأن يتم على أيد أجنبية خفية مالم يكن ليتحقق بالرغبة الذاتية فأثارت في نفسي خواطر رأيت أن أدمجها حتى يتبين كل منا حقيقة فكرة الاتحاد الإسلامي من أي صورة ممسوخة له ربما تساور بعض الأذهان في الوقت الحاضر .

إن فكرة الاتحاد الإسلامي فكرة دينية بحت ترتكز من حيث المبدأ على الشعور بالأخوة وواجب المساهمة في الآلام نحو كل من يشارك الآمال وأهداف الحياة . ومن الواضح أن هذا الشعور داخلي شخصي اختياري محض ولا يحتاج وجوده إلى أية مبررات من المصالح السياسية أو الاقتصادية مع أن تلك الفوائد لا بد وأن

إلى دمشق أنصت إلى كل ما قيل في هذا الشأن وقيدت الكثير منه : ومع أن الكثيرين يلقون السبب على الفرنسيين فإن هؤلاء يشيرون إلى أعوان هاشم بك وأنصاره ورجال السياسة السوريين ويعدونهم المسئولين عن تردده أمداً أنا فاعتبرتها الفاجأة الثانية .

أحمد رمزي

تنتج منه وترافقه إذا أحكم تدبير الوسائل الفنية اللازمة لها . فالاتحاد الإسلامى بطبيعته يأبى إلا أن يكون اتحاداً بين الشعوب الإسلامية بعد أن تسترد هى الإيمان بالفكرة الدينية فى تنظيم حياتها الداخلية وتدعيم علاقاتها الخارجية والدولية .

فما حال الشعوب الإسلامية فى الآونة الحاضرة ؟ ليس الكلام عن تركيا بصعب ؛ فإنها جريئة صريحة تحدث ما تحدث عن علم . أما الممالك العربية فتكاد تجد لها ممثلين ومراقبين فى جميع المؤتمرات مهما اختلفت أنواعها وتضاربت أهدافها ، وقلما تلاقى خطة واضحة مرسومة بعيدة المدى فى تصريحاتها أو تصرفاتها . وقد خيل إلى فيما يتعلق بالموضوع الذى نحن فيه أنهـا حريصة على الاحتفاظ بالشرف الذى كان لها بحق من حمل لواء الإسلام فى الماضى ولكنها فى الوقت نفسه تتوق وتجتهد وتتكلف ما يسمونه « مسايرة الغرب » باحتضان كل ما جد من النظريات والاتجاهات السياسية كما أن النساء المتجملات يلهجن بكل ما تبتكره باريس من الأزياء — حتى الذيول الطويلة !! — كل صيف وشتاء ؛ أو لا ترى أنها ثارت مطالبة بالاستقلال والوحدة فكان من حظها الاستعمار والفرقة . ولا ضير فى ذلك فإن الأمم كالأفراد كثيراً ما تخطىء حسابها وتفشل فى خطتها ولكنها سرعان ما رضيت بالفرقة وبدأت تمتز وتباهى بالفوارق الوطنية فيما بينها كالأصل الفينيقى والحضارة البابلية والمدنية الفرعونية وما إلى ذلك مما نبشه الباحثون المستشرقون لتلهيتها « عن كل مكرمة » واستمر الحال كذلك طيلة الفترة ما بين الحربين إلى أن تغيرت الأوضاع الدولية وتدهورت الأحوال رأساً على عقب ، فهتف هاتف من الغرب بضرورة الاتحاد فارتجلوا اجتماعاً بين الملوك وإجماعاً بين الحكومات على ميثاق الجامعة العربية . ومنذ ذلك الحين و « العروبة » يخفق لها قلب كل عربى . وكلمة العروبة أو القومية العربية لم تكن واضحة المعالم أبداً وهذه هى نقطة الضعف لاشك فيه ، فإن زعماء الثورة الأولين لم يعنوا حينما نطقوا بها شيئاً يعارض الوحدة الإسلامية . وليس أدل على ذلك من أن طوائف معينة معروفة باعتمادها الاستعمار الأجنبى اعترضت سبيلها ولم تزل تقاومها حتى أرغمت الأكثرية العظمى على تلطيف ، بل تغيير مدلولها تغييراً جوهرياً بحيث أصبحت تعبر عن أهواء الذين يعادون الفكرة الدينية الإسلامية لا لشىء إلا لولائهم لدينهم ؛ كفى بذلك شاهداً ما جاء فى كتاب نبيه أمين فارس المسمى بـ « العرب الأحياء » والمنشورات الأخرى الحديثة عن مقومات العروبة التى لا بأس بأن يدخل فيها كل شىء من عصور ما قبل التاريخ إلى العهد الحاضر ما عدا الدين الذى يراد إبعاده عن حياة الغالبية العظمى من العرب . وأخيراً نصادف أن فقدت هؤلاء الطوائف ربيبة الاستعمار عمادها أو القط الذى كانت هى بمثابة المخلب له وذلك فى وقت نجحت فيه فكرة فصل الدين عن السياسة بين المسلمين نتيجة لضعفهم وخيبة آمالهم ، فليست للحال الجديدة لباسها — لباس الوطنية الصادقة (ولكن مع ضمان وضع خاص فليتأمل !) — حتى جاء الاعتراف باستقلال لبنان الذى لم يرض به كثير من الوطنيين المخلصين إلى آخر لحظة ، رمزاً للتبرؤ من العون الأجنبى من جهة والفكرة الدينية من جهة أخرى . وبعد بضع سنوات أصبح هذا الوضع ، بفضل الجامعة العربية ، من المبادىء الأزلية التى ربما ينطوى الإسهاب فى الكلام عنها على مجازفة خطرة .

قامت الجامعة العربية فابتهج بها المسلم الهندى كما أنه ابتهج بميثاق سعد آباد أو أى مظهر آخر للتقارب بين المسلمين حتى زواج الأميرة فوزية من جلالة شاه إيران ، وربما عبر عن ابتهاجه بما ينبىء عن اعتقاده بأن الكتلة العربية أشد ارتباطاً بالمسلمين فى الأقطار الأخرى من شقيقتها و (بترونها) الكتلة اللاتينية فتحفزت الجامعة مرات عديدة لإنقاذ سمعتها كهيئة إقليمية محضة ونفت اهتمامها بالدين وأهل الدين حتى لا تفسد عليه صفقة الأصوات . وهكذا مضت الجامعة فى تنسيق السياسة الخارجية للدول العربية تتوخى كسب الأصوات وتبادل « المواقف » — الذى يستلزم فى بعض الأحيان التهاون فى الحق — تحاول تهدئة فرنسا فى دورة للأمم المتحدة ومساومة أسبانيا فى دورة أخرى حتى أثبتت حوادث فلسطين أنها لم تكن خلقت لغير هذا العمل ؛ وعلى كل حال فإن الجامعة العربية ، مع أنها لم تكن تصلح من حيث تركيبها لمقاومة الاستعمار إلا إذا كان من نوع معين ، أيقظت شعوراً قوياً بين الشعوب العربية نحو التآلف والتآزر حتى أن هذا الشعور المتدفق ربما سبب متاعب للحكومات المصطنعة الغير الممثلة المتلكئة فى الأمور ، ولكن يجب التصريح بأن هذا الشعور إنما كان مبنياً على أساس العروبة وتناسى الدين أعنى الإسلام .

(البقية فى العدد القادم)

السيد محمد يوسف

ركن المعتزلة :

علم الله فى مذهب المعتزلة

للدكتور ألبير نصري نادر

(بقية ما نشر في العدد الماضى)

إن الكلام فى علم الله يختلف كل الاختلاف عن الكلام فى المعرفة عند الإنسان ؛ لأن علمنا يتكون تدريجياً ونحن نصل إلى المعرفة بفضل مجهود فكرى مستمر نبذله فى فهم الحقائق والوقائع؛ ونمر هكذا بمراحل أدناها مرحلة الجهل وأسماها مرحلة المعرفة ؛ ولكن كم تصادفنا من مراحل نشك فيها ونتردد وننعم التفكير ونجلى الأمور ونتخذ القرارات ثم نغيرها أحياناً ونتمسك بها أحياناً . وهذا التدرج فى تكوين المعرفة برهان قاطع على عجز العقل البشرى وعدم كماله .

وإذا ما تكلمنا عن علم الله فلا يجوز أن نقارنه بعلمنا ولا أن نحاول فهمه بتشبيهه بعلمنا لأنه لا توجد أدنى مشابهة بين المتناهى واللامتناهى ولا بين الكامل والناقص .

لذلك كان الجبائى[1] لا يسمى الله فهيما ولا فقيهاً ولا موقنا ولا مستبصراً ولا مستبيناً لأن الفهم والفقه هو استدراك العلم بالشيء بعد أن لم يكن الإنسان به عالما[2] واليقين هو العلم بالشيء بعد الشك ، وكل هذا يدل على التبدل والتغير فى مراتب العلم ولكن لا يوجد أى تغير فى الله وهو فى حالة ثبات كامل لأن علم الله هو هو أعنى هو ذاته وذاته أزلية كاملة لا تغير فيها ولا تبدل .

ولما كان الله لم يزل عالما بكل الأمور فعلمه منذ الأزل كامل شامل كل شيء حصل وسيحصل . ولكن هناك مسألة بحثها المعتزلة على النظر وجاء البحث مؤيداً لقولهم بثبات علم الله منذ الأزل ، وهذ المسألة هى :

(١) هو أبو علي بن عبد الوهاب بن سلام الجبائى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ولد فى جي فى الجوزستان ثم جاء البصرة وتتلمذ للشحام المعتزلى شيخ المعتزلة حينئذ فى البصرة . ومن تلاميذ الجبائى الأشعرى رأس الأشاعرة . انظر الفهرست لابن النديم ص ٦ وكتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ

(٢) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٢٦ .

هل يجوز كون ما علم الله أنه لا يكون ؟

ترد المعتزلة على هذا السؤال بالنفى طبعاً . ولكن ذلك لا يمنعهم من تحليل السؤال تحليلا دقيقاً ليبينوا استحالته . فنجد مثلا على الأسوارى[1] يشطر السؤال شطرين هما أولا : يجوز كون شيء أعنى أن الله يقدر على الشيء أن يفعله ، وثانياً : الله عالم أن هذا الشيء لا يكون وإنه أخبر أنه لا يكون . ويقول الأسوارى إذا أفرد أحد القولين عن الآخر كان الكلام صحيحاً ؛ أما إذا افترق القولان كان ذلك مستحيلا . وذلك على عكس ما هو عند الإنسان ؛ لأنه ليس من المستحيل أن نلاحظ عند الإنسان فرقاً بين معرفته لعمل واجب أداؤه والامتناع عن أداء هذا العمل ؛ لأن الإنسان قادر على الضدين فى حين أن الله لا يوجد فيه تغير ، وعلمه وإرادته وقدرته تعالى هى ذاته وذاته لا تتغير[2] .

وهناك رد آخر على هذا السؤال . فتقول المعتزلة : إذا علم الله أن حدثاً أو عملا أو شيئاً لن يحدث لعجز أو استحالة فى الحدث أو العمل أو الشيء نفسه (مثل تربيع الدائرة أو إرسال المؤمنين إلى النار) أو لعجز من قبل الله على حدوث هذا العمل أو الشيء إذ أن حدوثه ينافى النظام والقوانين المسنونة للعالم منه تعالى ، فإن هذا الحدث أو العمل أو الشيء لم يحدث أبداً ما دام وجد العجز أو الاستحالة[3] .

فى هذا الرد نجد اعتقادين راسخين عند المعتزلة وهما أن العالم خاضع لنظام كامل تام مطابق لعلم الله ؛ وبما أن علم الله لم يزل ثابتاً فنظام العالم ثابت أيضاً لأنه لو تصادف وأصبح هذا النظام غير مطابق لعلمه تعالى فعلمه لم يعد كاملا . وبما أن علمه هو ذاته فتصبح الذات والحالة هذه غير كاملة أيضاً وهذا تناقض .

وتزيد أكثر المعتزلة على ذلك قائلين : ما علم الله أنه لا يكون لاستحالته أو لعجز عنه يجوز أن يكون على شرطين : أن يرتفع العجز عنه وإن تحدث القوة عليه . ولكن فى هذه الحالة كان الله لم يزل يعلم برفع العجز عن هذا الشيء وبحدوث القوة عليه .

(١) من أصل فارسى تتلمذ لأبى الهذيل العلاف وللنظام . توفى حوالى سنة ٢٠٠ هـ

(٢) الشهرستانى : الملل على هامش ابن حزم جـ ١ ص ٦٠ . الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٥٩ و ٥٦٠ .

(٣) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٦٢ .

وهذا لا يناقض كماله تعالى .

فنلاحظ أنه مهما اختلف وضع المسألة فالحل واحد وهو أن المعتزلة تردد دائماً أن الله لم يزل عالما بالأشياء كلها ولا يجوز حدوث شيء إلا وهو لم يزل يعلمه .

***

لما كان الله لم يزل يعلم كل شيء فكيف يمكن أن نتكلم عن حرية الاختيار عند الإنسان لأعمـاله ؟ أهو حر فعلا أم مجبر ؟ إنها لمسألة فى غاية الدقة والأهمية وهاك رأى المعتزلة فيها .

علم الله ومصير الإنسان فى الآخرة :

يحدثنا ابن حزم عن رأى لهشام القوطى المعتزلى تشاركه فيه جميع المعتزلة لأنه يعبر عن أصل من أصولها فى عـلم الله . يقول هشام : إن من هو الآن مؤمن عابد ولـكن فى علم الله إنه يموت كافراً فإنه الآن عند الله كافر . وإن من كان الآن كافراً مجوسياً أو نصرانياً أو دهرياً أو زنديقاً ولـكن فى علم الله أنه يموت مؤمناً فإنه الآن عند الله مؤمن[1] . فلا غرابة فى هذا القول إذ أن علم الله لا يتغير ؛ فإذا عـلم الله منذ الأزل أن فلانا سيموت كافراً ولو آمن وقتاً من الزمن فإنه عند الله كافر ؛ لأنه تعالى لم يزل يعلم أن بعد إيمان هذا الشخص كفراً . ولا يجوز أن يزيد كفر المؤمن شيئاً فى علم الله — هل يعنى ذلك أن لا قدرة للانسان على أعماله لأن الله لم يزل يعلمها ؟ نحن نعرف أن المعتزلة « أهل عدل » أيضاً أعنى أنهم يقولون إن الإنسان قادر على أعماله محاسب عليها — فـكيف يكون التوفيق بين القولين إن الله لم يزل يعلم كل شيء ، وإن الإنسان قادر على أعماله ؟

هناك حـل دقيق أتى به الجبائى ليوفق بين هذين القولين . فيقول : لنفحص الحالات الثلاث الآتية :

أولاً : يقول الجبائى إذا وُصل مقدور بمقدور كانت النتيجة إيجابية صحيحة ؛ مثلا لو قلنا إذا آمن الكافر (شرط أول) وكان الإيمان خيراً له (شرط ثان) لأدخله الله الجنة (النتيجة الصحيحة لهذين الشرطين) والمقدوران هما : العودة إلى الإيمان بعد الـكفر — الإنسان فى إمكانه أن يعود إلى الإيمان — وإذا لم تخـير الله

(١) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٤٩ .

عما يناقض ذلك فتكون هذه الحالة الأولى صحيحة .

عند تحليل هذه الحالة نجد المعتزلة تعترف بقدرة الإنسان على الـكفر وعلى الإيمان وذلك بمجرد اختياره ؛ ثم إن الله لم يزل يعلم هذا الاختيار . إننا هنا بدون شك بصدد نقطة صعبة وهى شعورنا بمقدورنا على اختيار شيء أو حال دون الآخر ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى علم الله منذ الأزل بما نختاره .

وإذا تمسكت المعتزلة بالقول بقدرة الإنسان على أعمـاله كان تمسكها هذا صوناً لعدالة الله وإلقاء المسئولية على الإنسان وحده عند ما يعاقب أو يثاب . ففى هذه الحالة الأولى التى يعرضها الجبائى برهان كاف على حرية الاختيار عند الإنسان على شرط أن يأتى اختياره على شيء ممكن جائز مقدور .

الحالة الثانية : إذا كان هناك شيئان متناقضان فلا يمكن التـكلم عن حرية الاختيار عند الإنسان واستحالت النتيجة — مثل قولنا أن يكون المرء مؤمناً وكافراً أو متحركا وساكناً أو حياً أو ميتاً فى آن واحد . إن الإنسان لا يقدر على ذلك وحريته مقيدة أمام التناقض . فالحرية لا تعنى إذن القدرة على عمل أى شيء أو ضده — وبما أن الله لم يزل يعلم مجرى الأمور حسب قوانينها فهو يعلم عجز الإنسان أمام التناقض كما أنه تعالى لم يزل يعلم قوانين العالم فكل ما يحدث فيه كان هو لم يزل عالما به .

وفى الحالة الثالثة : يقول الجبائى إذا وصل شيئان أحدهما جائز والآخر مستحيل فتكون النتيجة مستحيلة ؛ مثلا إذا قلنا إن الكافر يؤمن فى حين أن الله يعلم ويخبر أنه لن يؤمن فمن المستحيل أن يؤمن هذا الكافر فتكون إذن حرية المرء مقيدة بعلم الله وإخباره . ولـكنها حالات شاذة تلك التى يخبرنا الله فيها عن علمه[1] .

أثر منطق أرسطو :

إن تحليل الجبائى لمسألة عـلم الله ومصير الإنسان هو تحليل منطقى لا شك أن لمنطق أرسطو أثراً كبيراً فيه . فمقابلته القضايا الإيجابية أولا والقضايا السالبة ثانيا واستنتاجـه النتائج الإيجابية أو السالبة كل ذلك يدل على أن الجبائى كان ملماً[2] بهذا المنطق

(١) أنظر الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٦٠

(٢) تتلمذ الجبائى للشحام الذى ألم بالفلسفة اليونانية عن طريق الترجمة التى قام بها حنين بن اسحق فى بيت الحكمة (أنظر ابن المرتضى المنية والأمل ص ٤٠ والملطى كتاب التنبيه ص ٣٢) .

وحاول أن يستخدمه فى مسألة من أدق المسائل وأعقدها . إنها لمحاولة جريئة وهى ليست الوحيدة من نوعها فى فلسفة المعتزلة .

***

من هذا نستخلص أن جل هم المعتزلة هو رد الصفات ومن ضمنها صفة العلم إلى ذات الله تعالى . وبما أن هـذه الذات قديمة لا متناهية ثابتة فيكون العلم أيضاً قديماً لا متناهياً ثابتاً . ثم إن الله لم يزل يعلم كل الأمور وإذا كان العالم قديماً بالنسبة إلى علمه تعالى فانه يتحقق فى الزمان تبعاً لهذا العلم — أما فيما يختص بمسألة قدرة الإنسان على أعماله فالمعتزلة تحلها بقولها إننا نشعر بحرية الاختيار وإننا نجهل علم الله وإن عدل الله يضطرنا إلى القول بهذه الحرية — وكل المسألة الأخلاقية متوقفة عليها .

ألبير نصرى نادر
دكتور فى الآداب والفلسفة

مسئولية الاحتلال الانجليزى لمصر

للأستاذ كمال السيد درويش

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

— ٣ —

هل تقع مسئولية الاحتلال البريطانى على الإنجليز وجشعهم الاستعمارى ؟

ولم لا ؟

ألم يتعللوا للبقاء فى مصر بشتى المعاذير حتى واتتهم الظروف فكشفوا عن نيتهم الصريحة فى الاحتلال بإعلان الحماية على مصر سنة ١٩١٤ م

ألا يدل على ذلك قصة تلك الوعود الرسمية التى قطعها باسم إنجلترا ممثلوها الرسميون « إن رغبة حكومة جلالة الملكة هى أن تترك المصريين وشأنهم بعد أن تخلص مصر من الطغيان العسكرى »[1] قيل هذا سنة ١٨٨٢ م . وهذا تصريح آخر : « إن الشك الذى يخامر الرأى العام سببه رغبة بعضهم فى احتلال مصر احتلالاً مؤبداً وإدماجها فى هذه الامبراطورية . وتلك غاية نحن مصممون على مدافعتها وعلى ألا نسعى إليها بحال من الأحوال »[2] بل لقد ذهبت إنجلترا إلى أبعد من ذلك فحددت تاريخاً معيناً للجلاء . وأى والله حدث هذا « إن حكومة جلالة الملكة تريد أن يكون سحب الجنود فى أول عام ١٨٨٨ م »[3]

لقد أورد المستر بلنت فى مقدمة كتاب (تاريخ المسألة المصرية) قصة هذه الوعود الرسمية ثم علق عليها بقوله « حقاً إنه ليس فى تاريخ جميع إجراءات إنجلترا الاستعمارية عهود كهذه بذلت ثم نقضت » .

إن قصة ضرب الاسكندرية لا تحمل فى طواياها إلا حجة الذئب حين أراد التهام الحمل . لقد كانت نية الاعتداء المتعمد واضحة منذ البداية . وإلا فلماذا أتى الأسطول إلى ميناء الإسكندرية وبأى حق يقف فى المياه المصرية ؟ وكيف يجرؤ فيتدخل فيما ليس من حقه التدخل فيه حين يطالب بوقف أعمال الترميمات فى الحصون والطوابى ويتخذ بذلك تلك الحجة الواهية لتبرير ذلك الاعتداء الوحشى .

لقد أجمع من كتب فى حوادث ذلك الاحتلال من المعاصرين أو ممن جاءوا فى أعقابه على أن نية الاحتلال كانت مبيتة لدى إنجلترا قبل ضرب الاسكندرية بكثير . وقد شاهد المستر بلنت بنفسه الاستعدادات الحربية تجرى فى إنجلترا منذ شهر يونية سنة ١٨٨٢ م .

إن إلقاء التبعة على إنجلترا مما لا يختلف فيه اثنان وهو ما حققته الحوادث فيما بعد .

ولكن مهلاً أيها القارىء العزيز فإن احتلال مصر جريمة أكبر من أن تقترفها يدٌ واحدة كيد عرابى أو كيد الدولة العثمانية أو الخديو أو حتى يد إنجلترا نفسها .

حقاً لقد أخطأ عرابى ؛ ولكن ، من ذا الذى لا يخطىء ؟ وهل يكون خطأ عرابى سبباً فى إلقاء تبعة الاحتلال بأسره عليه

(١ ، ٢ ، ٣) تاريخ المسألة المصرية — تيودور تشتيد — مقدمة مستر بلنت .

وفى تصويره بتلك الصورة التى لا تليق بهذا الزعيم الوطنى المصرى الصميم ؟ لقد أحس الأستاذ محمود الخفيف أن عرابى مظلوم وأن أعداءه بالغوا فى الكيد له والزراية عليه حتى قال : « والحق أنه قلّ أن نجد فى رجالنا رجلاً ضاعت حسناته فى سيئاته كما ضاعت حسنات عرابى فيما افترى عليه من سيئات . كذلك قلّ أن نجد فى رجالنا رجلاً كرهه أكثر بنى قومه مضللين ، واستنكروا أعماله جاهلين بقدر ما كره هؤلاء عرابياً » [1] .

ونحن نميل إلى هذا الرأى الأخير لا بدافع التعصب أو الرغبة فى إنصاف عرابى ولكن بدافع الرغبة فى إنصاف الحقيقة والتاريخ وكلاهما كما تبين لى ينصفان عرابى . وسأسوق من الأدلة التاريخية ما يقف إلى جانب ما كتبه صاحب كتاب « أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه » عسى أن تتغير نظرة المصريين إلى زعيم المصريين .

ولكن ، ما هى تلك الحقائق التاريخية ؟

الواقع الذى كشف عنه البحث العلمى الحديث أن احتلال مصر كان شيئاً مقرراً ومرسوماً قد اتفقت عليه الدول الأوربية من قبل . لقد تمت حوادث الاحتلال خلال صيف سنة ١٨٨٢ م ولكن .. ولكن الاتفاق على فكرة الاحتلال نفسها كان قد سبق ذلك بكثير .

لقد كانت الوحدة الألمانية وكان ظهور بسمرك عاهل ألمانيا المظيم وأكبر سياسى سيطرت شخصيته على مجرى الحوادث الأوربية فى ذلك الحين . وكانت الحرب السبعينية (١٨٧٠) م فانتصر فون ملتكه ودخل الألمان باريس وخرت فرنسا جاثية على ركبتيها أمام جبروت بسمرك والألمان . ولكن بسمرك كان يجمع إلى القوة الحربية دهاء الساسة وحذقهم . فرأى بثاقب نظره أن حزب الانتقام يتكون فى فرنسا وينادى بأخذ الثأر من ألمانيا فلم يكن منه إلا أن فكر فى شغل أذهان الفرنسيين عن المناداة بالانتقام فوجه أطماعهم خارج القارة الأوربية وأوحى إليهم بتوسيع أمبراطوريتهم الإفريقية . وهكذا أخذ بسمرك يلوّح للفرنسيين بضرورة احتلالهم لتونس ، ولكن احتلال فرنسا لتونس سيترتب عليه اختلال توازن القوى بينها وبين إنجلترا فى البحر الأبيض .

وانتهز ساسة إنجلترا فرصة تساهل بسمرك فرحبوا بفكرة احتلالهم لمصر مقابل السماح لفرنسا باحتلال تونس .

« والواقع أن فكرة احتلال إنجلترا لمصر مقابل احتلال فرنسا لتونس إنما ترجع إلى أوائل عام ١٨٧٦ حين رأى بعض الساسة الإنجليز أن على إنجلترا انتهاز الفرصة واستغلال الفرص الذى قدمه بسمرك باستيلاء إنجلترا على مصر فى مُقابل تمكين فرنسا من احتلال تونس »

وبدأت الفكرة ؛ فكرة احتلال إنجلترا لمصر تتقدم منذ ذلك الحين على يد بسمرك لا لشىء إلا لأنه يريد أن يسكت إنجلترا حين تقوم فرنسا باحتلال تونس .

وفى ابريل سنة ١٨٧٨ نجد « مونستر » السفير الألمانى فى لندن يؤيد فكرة احتلال إنجلترا لمصر ويدعو لها كما يتحمس لها فى ذلك الحين أيضاً « سولسبرى » من الجانب الإنجليزى .

وهكذا تنمو فكرة احتلال إنجلترا لمصر مع فكرة احتلال فرنسا لتونس وتسيران جنباً إلى جنب يؤيدهما ويباركهما بزمارك عاهل ألمانيا برضائه وبتأييده ونفوذه .

لقد كتب مراسل التيمس إلى جريدته فى ٢٠ أبريل سنة ١٨٧٨ م يقول : « لقد روى لى بسمرك بنفسه أنه قال للورد بيكونسفيلد حين شاهده لأول مرة أن من صالح إنجلترا أن تتفاهم مع الروسيا على أن تدعها حرة فى القسطنطينية مقابل إطلاق يد انجلترا فى مصر » .

وهكذا أصبح مفهوماً من ضمن أحاديث الساسة أن الاتفاق قد تم على هذا التقسيم . وحين أراد ساسة فرنسا السير جدياً فى مشروع احتلال تونس سعوا إلى الحصول على تأكيد كتابى من إنجلترا حتى لا تعود فتتنكر لما قطعه ساستها من عهود . وقد حصل الفرنسيون على هذا التأكيد الكتابى فى ٧ أغسطس سنة ١٨٧٨ م . ثم يسعى الإنجليز بعد ذلك بدورهم للحصول على تأكيد رسمى من فرنسا بموافقتها على احتلالهم لمصر فيثيرون المشاكل أمامها فى تونس ويقفون عقبة دون القيام باحتلالها . ويتساءل الفرنسيون : « لماذا تلجأ إنجلترا إلى إقامة العقبات أمامنا فى تونس؟ إن لها فى البحر الأبيض وسوف يكون لها مصالح كثيرة . وسوف نمد إليها يد المساعدة . ولكن هذا التلميح لا يكفى ؛

---

(١) محمود الخفيف . أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه . مطبعة الرسالة القدمة . هـ..

فيضطر وزير الخارجية الفرنسي « سنت هيلير » إلى التصريح « بتفوق المصالح الإنجليزية في نهر النيل وقناة السويس على المصالح الفرنسية » ثم يؤكد في ديسمبر سنة ١٨٨٠ « أنه على استعداد دائم للتصريح بأن المصالح البريطانية في مصر تفوق غيرها من مصالح أي دولة أوربية أخرى » .

وهكذا تقاسمت الدول الأوربية الأمبراطورية العثمانية وهي لا تدري . وبدأ التضامن بينها في التقسيم ينمو منذ عام ١٨٧٦ م وقام بسمرك بدور القاضي يوزع بالعدل والقسطاس المستقيم ؛ يرضى فرنسا حيناً ويرضى إنجلترا حيناً آخر ، ولكن على حساب تلك الأمبراطورية التي كانت تسير بخطى سريعة إلى نهايتها المحتومة . ولقد لاحظنا كيف تبادل المندوبون التصريحات والتأكيدات حتى لا ينتطح فيها عنزان . بل لقد كانت الملكة فيكتوريا نفسها — كما يتبين من خطاباتها — من أكبر مؤيدي مشروع احتلال إنجلترا لمصر وتثبيت أقدامها في وادي النيل .

وبينما كانت الصحافة الإنجليزية تمهد الرأي العام في الداخل لتقبل ذلك الحدث الجديد ؛ كانت السياسة الإنجليزية — وقد نالت تأييد بسمرك وفرنسا — قد انفردت بالتدخل في شئون مصر لا سيما بعد أن تلقى ممثلو فرنسا في مصر من وزير خارجيتها تعليمات سرية تدعوهم إلى الموافقة على ذلك الوضع الجديد .

وهكذا نجد أن وثائق التاريخ الحديثة قد أثبتت أن فكرة احتلال إنجلترا وُجدت منذ أواخر عهد إسمعيل . وأن إنجلترا بدأت تعمل جدياً لتحقيقها منذ سنة ١٨٧٦ ، وأن ما حدث من حوادث قبل الاحتلال لم يكن إلا من قبيل ذر الرماد في العيون فاشتراك الدول في مؤتمر الآستانة لا سيما فرنسا كان تمثيلية رائعة أريد بها التمويه على الدولة العثمانية ؛ وقد نجحت تلك التمثيلية نجاحاً باهراً ، وقل مثل ذلك في انسحاب الأسطول الفرنسي من ميناء الاسكندرية قبل ضربها وترك الأسطول الانجليزي يصول ويجول وحده في الميدان . ولماذا؟! ألم يدع الإنجليز فرنسا قبل ذلك بعام واحد تصول وتجول هي الأخرى بمفردها في ميدان تونس ؟!

لذلك لا نذهب بعيداً إذا قلنا أن الاحتلال الإنجليزي لمصر كان سيتم سواء وُجد عرابي أم لم يوجد ، وسواء قام بحركته أم لم يقم ؛ فما كان من الصعب على إنجلترا أن تخلق سبباً مباشراً لتلك الجريمة التي اشترك في إعدادها ساسة ألمانيا وفرنسا وأخيراً ساسة إنجلترا .

لقد كان الاحتلال الإنجليزي لمصر وليد السياسة الأوربية ولم يكن نتيجة للحركة العرابية .

فكيف يكون عرابي مسئولاً ؟ وكيف نتحامل عليه ؟ لقد بذل عرابي أقصى ما في طاقته ؛ ولو لم يظهر عرابي لظهر مكانه عرابي آخر ، ذلك أن عرابي كان يمثل الشعب المصري وما كانت الحركة التي قام بها حركته هو بل حركة الشعب المصري بحسناته ومساوئه في ذلك الحين .

حقاً ، لقد آن لنا أن ننصف تاريخ عرابي — الزعيم المفترى عليه بحق — وأن ننصف تاريخ الثورة العرابية لا بدافع التعصب لقوميتنا ولكن لوجه الحقيقة والحقيقة وحدها .

إن مسئولية الاحتلال البريطاني لمصر لا تقع إلا على عاتق الدول الأوربية وعلى رأسهم بسمرك .

لقد كانت الدولة العثمانية أشبه بالرجل المريض أو الكهل الهرم . كان الداء قد سرى في جميع أنحائها ؛ وكان الضعف قد دب في جميع أوصالها . واتسع الخرق على الراقع فوقفت مكتوفة اليدين لا تنشد النجاة والخلاص إلا في بقاء النزاع والاختلاف بين أعدائها .

فعلى من تقع مسئولية الاحتلال ؟!

ألست معي أيها القارىء العزيز في أنها تقع على عاتق بسمرك ذلك الرجل الذي وفق بين المتنازعين فقاموا يتقاسمون بيركة نفوذه وسيطرته تركة الرجل المريض ومكن إنجلترا من احتلال مصر فخرجت من عملية البر بأحسن نصيب ؟!

(الاسكندرية) كمال السيد درويش

ليسانسيه الآداب بامتياز ودبلوم معهد التربية العالي
ومدرس بالرمل الثانوية
وعضو الجمعية التاريخية لخريجي جامعة فاروق

اقهر الحيـــاة ...

للشاعر الفرنسى أندريه ريفوار

ترجمة الأستاذ على محمد سرطاوى

انطلق فى الحياة وامش على الشو   ك قويا كالمـــارد الجبار
شامخ الرأس والعزيمة تمضى   فوق نار الأخفاق كالاعصار
فى رحاب الحياة عش شامخ الرو   ح أبيا يدوس وجه النضار
احترق فى الطموح والمثل الأعلى   وما فى العذاب من إسمار
احترق فى الكفاح وافن نضالا   فى صميم الأهـوال والأخطار
هـكذا بغلب الحياة ويحيا   ذو جِنان فى العز والأكبار
يثبت الباســـل المظفر فيها   وعلى ثغره ابتسام احتقار

***

إن تلاشت أحلام قلبك فى يأ   س فعاود ارجاعها من جديد
أو إذا أوهنت عزيمتك الدنيا   فجدد عزيمة كالحـــديد
أو إذا ما طوى أمانيك إخفا   ق فلا تأس وابتهج فى الوجود
خذ جناحاً وطر بمـا فيك من   خيبة سـى إلى طموح بعيد
احترق قوة وضعفاً وعزما   وعذاباً فى النار ذات الوقود
احترق صحـــة وسقما وبؤسا   وتغلب على جميع القيود
احترق فى العذاب فوق أمانيك   وعش فى الحياة عيش الأسود

***

كن صبوراً على المصائب والهو   ل ولا تشك من قراع الخطوب
كن شجاعاً وحازماً واحذر البغى   وفرج ظلامـــة المكروب
كن إلاهاً واذكر بأنك إنسا   ن وإن عشت فى ضمير الغيوب
احترق فى تجارب الدهر واصبح   فيلسوف الأوجاع والتعذيب
احترق فى لظى الإرادة واحمل   ضربات الأسى بقلب طروب

***

ربما دودة وجدت على اللقمة   قد أفسدت مذاق الرغيف
وسموم فى شربة المـاء تبدو   فى ثرى كاسها معانى الحتوف
وفتـاة فى قلبها يذبل الحب   ويذوي الوفاء فى التزييف
انبذ الخبز واسكب الماء واهجر   كل قلب فى الحب غير عفيف
احترق صامتـاً إباء وصبراً   واحتمالاً على اللهيب المخيف
احترق عزة ولا تشك خطباً   وأغلب الدهر فى الصراع العنيف
احترق ظامئاً وعش تتلظى   جائماً فى الحياة غـير ضعيف

***

لن تلاقى الهوان إلا إذا عشت   بغــــير الأناة فى الـكائنات
واحتقار الحياة لن يتراءى   لأبى يعرف ما فى الحيـــاة
سترى الموت إن زحفت على الأرض   تُـلاقى الحيـــاةَ كالحشرات
فأبدِر وجهك الأبى ولا تنظر   لغير الخـلاّق فى الصلوات
وحبيب الفؤاد يصمت أحياناً   ولو مرت فى طريق المات
احترق وحدة على لهب الآمال   واصبر على عذاب الثبات
احترق فى الصعاب صلباً وحلق   بجنـاح الآلام فى النائبـات

***

وإذا ما حنت إليك تناديك   حظوظ من الزمان السعيد
ملؤها العطف والمحبة والإكبار   للبـــاسل الأبى الودود
ومشى فى ركابك المجد والدنيا   تحييك فى خشوع السجود
امش قُدْماً وافتح مغـاليق أسرارك   واحرق ما نلت من تمجيــد
احترق ناظراً إلى الهدف الأسمى   صبوراً على عذاب القيــود
احترق ناظراً إلى مطلع الشمس   صلاة على لســـان الوجود
احترق ساعياً لتبلغ فى الدنيا   كمالا يقول : هل من مزيد

(المنيب — العراق)   على محمد سرطاوى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

حول مشكلة الأداء النفسى فى الشعر العربى :

ما كدت أنتهى من قراءة مقالك الرائع عن الأداء النفسى فى الشعر العربى حتى وجدتنى مدفوعاً إلى الكتابة إليك ، معبراً لك فى حرارة وإخلاص عن إعجابى الشديد بهذا المقال الفريد الذى بلغت فيه الذروة من حيث عمق الفكرة ، ورهافة الإحساس ، ودقة الشعور ، وبراعة الأداء . لقد أديت بمقالك هذا الرائع خدمة عظيمة لمن يريدون أن ينقدوا الشعر والأدب ، فدللتهم على الوجهة المثلى التى يجب أن يتجه إليها كل من شاء أن يتصدى للنقد الفنى المفيد ، وأديت به كذلك خدمة عظيمة لقراء الشعر والأدب ، فعرفتهم كيف يقرأون الشعر قراءة تأمل واستيعاب وتجاوب ، وأديت به فوق ذلك خدمة للشعراء المحدثين حين جعلتهم يدركون أن هناك ناقداً ممتازاً يرصد الطريق ، ليقيم العاثر ، ويوجه المنحرف ، وينبذ المعوق ، ويشجع المستقيم . وإنى لأحمد الله على أن ميدان النقد الأدبى – وهو ميدان خطير الشأن – لم يخل بعد أن انصرف عنه أمثال طه والعقاد والمازنى وهيكل ، من أمثال المعداوى وقطب ومندور ، مع ما امتاز به الأخيرون من التجاوب مع شعراء الشباب فى التفكير والشعور والإحساس .

وقد كنت أحب ألا تجعل كلامك مقصوراً على نموذج واحد لشاعر واحد ، فذلك من شأنه أن يغمط حقوق الآخرين . وكنت أحب كذلك أن تلتفت فى هذا المجال إلى الشعراء الشبان ممن تجد لديهم النماذج المنشودة للأداء النفسى .. كنت أحب أن تلتفت إلى هؤلاء الشعراء ، ليكون هذا الالتفات تحية وتشجيعاً لهم من جهة ، وتوجيهاً وإرشاداً من جهة أخرى ، ولأنهم عدة المستقبل ومعقد الرجاء . أما بعد فقد كنت مشغولاً عن القراءة والكتابة بظروف خاصة تتصل بكائنين عزيزين كل منهما أحب إلى من نفسى ، ولكن مقالك هذا قد استطاع أن يستأثر بى بعض الوقت فقرأته ، ثم استطاع أن يؤثر فى نفسى تأثيراً عميقاً فكتبت إليك

أعذرنى إذا لم أستطع أن أحدثك بكل ما لدى بسبب هذه الظروف الخاصة ، وتقبل أخلص آيات المودة وأعظم دلائل التقدير من المخلص :

ابراهيم محمد نجا

هذه رسالة شاعر يشهد الله أننى أقدره قبل أن ألقاه هذا اللقاء الفكرى الأول ، ويشهد الله أن تقديرى له قبل لقائه كان وليد تلك الومضات النفسية التى طالعتنى من شعره فيما قرأت له على صفحات « الرسالة » و «الكاتب المصرى» .. واليوم يزداد تقديرى له وإعجابى به لأن الشاعر الذى يجيد التعبير عن عالم النفس والحياة ، ثم يجمع إلى هذه الموهبة سلامة النظرة إلى عالم الأدب والنقد ، هذا الشاعر جدير بالتقدير والإعجاب !

هذه كلمات لا أريد بها أن تقوم مقام الشكر على كريم تقديره ، وإنما أريدها تقرير واقع تمثل بالأمس فى تحية من القلب ، حتى إذا دعت إليه المناسبة تمثل اليوم فى تحية من القلم ... لقد جاء ذكره مرة على لسان الدكتور طه حسين فأثنى عليه أمامى وأثنيت ، وجاء ذكره مرة أخرى على لسان الأستاذ الزيات فأثنى عليه أمامى وأثنيت ، وحسب الشاعر الفاضل مثل هذا الذكر الجميل !

بعد هذا أقول للأستاذ نجا إن مقالى عن مشكلة الأداء النفسى فى الشعر قد قصدت به إلى غاية ورميت به إلى هدف ، أما الغاية فهى عرض المشكلة من شتى نواحيها ومختلف زواياها مع الاستشهاد الذى يقرن بين النقد والمثال ، وأما الهدف فهو رسم الطريق لقارىء الشعر وناظمه وناقده على هدى ميزان أثق به وأومن به ، فمن شاء أن يأخذ به من هؤلاء جميعاً فليأخذ ، ومن شاء أن ينصرف عنه فلينصرف .. ولكننى أحمد الله مع الأستاذ الشاعر على أن ميدان الذوق الأدبى – وهو ميدان خطير الشأن – لم يخل من امثال هؤلاء الذين يبعثون إلى برسائلهم الممتازة تعقيباً على ما أكتب ، وحسبى أن يكون من بينهم صاحب هذا الذوق اللمّاح !

هذا هو المجال الذى أردت أن أكتب فيه ، وهو مجال يحدد جوانب المشكلة وما فيها من قيم ، على أن يكون ذلك عن طريق العرض الفنى لتلك الجوانب ، لا عن طريق الاستعراض النقدى للشعراء ممن يمثلون هذه القيم ... وإذا كنت قد استشهدت

بأبيات لإيليا أبي ماضى فليس معنى ذلك أن إيليا يقف وحده فى ميدان الأداء النفسى الذى أدعو إليه ، وإنما جاءت أبياته كنموذج كامل لهـذا الأداء حتى يستطيع القراء والنقاد أن ينظروا إلى كل إنتاج شعرى على ضوء هذا النموذج بالنسبة إلى الشعر العربى قديمه وحديثه . ولعل الأستاذ نجـا قد لاحظ أننى أشرت إلى مدرستين تمثلان هذا الاتجاه فى الشعر المعاصر ، وذلك عند ما قلت إن المدرسة الأولى قد نهض بها بعض شعراء الشيوخ وعلى رأسهم شوقى ، وإن المدرسة الأخرى قد نهض بها بعض شعراء الشباب وعلى رأسهم إيليا أبو ماضى ... ومعنى ذلك أن هناك شعراء يقفون إلى جانب الشاعر الأول ، وأن هناك آخرين يقفون إلى جانب الشاعر الثانى ، سـواء فى مصر أو فى المهجر أو فى غيرهما من الأقطار العربية .

أما قول الأستاذ نجا بأن الاكتفاء بنموذج واحد لشاعر واحد من شأنه أن يبخس حقوق الآخرين فلا أوافقه عليه ... يا أخى ثق أن الرأى العام الفنى بخير ، وأن أصحاب المواهب لابد أن يشقوا طريقهم إلى النفوس والعقول والأذواق ، ولابد أن يصلوا إلى نهاية الطريق وتحت أقدامهم أشلاء الفارغين والمطموسين وكل من تحدثه نفسه باعتراض القافلة ! ومع ذلك فقـد كنت أود أن أحقق هذه الرغبة الكريمة التى عرض لها الشاعر الفاضل فى رسالته ، ولـكن ضيق المجال قد حال بينى وبين هذه الأمنية من جهة ، ولأنى أشعر شعوراً عميقاً من جهة أخرى بأن مشكلة الأداء النفسى فى الشعر أجدر بأن يفرد لها كتاب من أن تفرد لها كلمات فى مقال ، وهذه هى الومضة التى تشع فى خاطرى منذ أمد بعيد ، وتدفعنى إلى التفـكير فى إخراج هذا الـكتاب الذى أرجو أن أتناول فيه بالبحث والتحليل مشـكلة الأداء فى الشعر العربى كله ، منذ أقدم عصوره حتى هـذا العصر الذى نعيش فيه ... وعندئذ يمـكن أن نتحدث عن الأستاذ نجا وأمثاله من الشعراء المطبوعين .

مجلة «الصياد» اللبنانية تعقب على موضوع السرقة الأدبية :

فى العدد (٨٤٤) من الرسـالة كنت قد كتبت كلمة عن السرقة الأدبية التى وقعت بين جدران كلية المقاصد الإسلامية ببيروت ، وموضـوع السرقه أن هناك طالباً من طلاب تلك الـكلية قد سطا على مقال للأستاذ الزيات ، فتقدم به لنيل جائزة مالية فى مسابقة سـنوية تقام بين الطلاب فى ميدان الـكتابة والخطابة . أما الجائزة فيهبها للفائزين أحد رجال الصحافة المعروفين فى لبنان ، وهو الأستاذ محى الدين النصولى ... ولقد حدث أن جازت السرقة على لجنة من المحـكمين وظفر الطـالب بجائزة ، وخرج من المسابقة وهو يحمل وصمتين وينوء بوزرين ، هما السطو على أدب الزيات ثم السطو على مال النصولى !

هذا هو موضوع السرقة الذى عقبت عليه من قبل جريدة « صدى الأحوال » اللبنانية ، معربة عن بالغ دهشتها من ألا يفطن المحـكمون « الجهابذة » إلى أن المقال مكتوب بأسلوب الزيات ويحمل طابعـه فى التفـكير وطريقته فى التعبير ، ناعتة هؤلاء المحـكمين بالقصور وقلة الاطلاع ! ... هذه هى الزاوية التى نظرت منها « صـدى الأحوال » إلى لجنة المحـكمين ، ولـكن مجلة « الصياد » قد نظرت إلى اللجنة من زاوية أخرى أكثر عمقاً وأوفر طرافة ، حين عقبت على الموضوع مستجيبة فى هذا التعقيب لما كتب فى « الرسالة » ، وإليك هذا التعقيب الرائع الذى جاء بالعدد الصادر فى ٢٢ سبتمبر الماضى تحت عنوان « محمد العبود أبلغ من الزيات ! ! » :

« فى منتهى العام الدراسى الماضى ، أقامت كلية المقاصـد الإسـلامية فى بيروت مباراة إنشائية خطابية بين طلاب قسم البكالوريا لنيل جائزة الأسـتاذ محى الدين النصولى السنوية . وقد جرت المباراة بسلام ، ووزعت الجوائز على مستحقيها الثلاثة . وكان الأول السيد محمد العبود والثانى السيد ظافر تميم . ونذكر أن أحد أفراد أسرة « الصيـاد » كان بين الحضور فـكاشف اللجنة التحكيمية بعدم توفيقها فى إصـدار الأحكام ولا سيما فيما يختص بتفضيل السيد العبود على السيد تميم ! وكان الجواب أننا لم نشهد إلا شطراً من المباراة ، وهو الشطر الخطابى وقد وضعت العلامات على القدرة الخطابية وأضيفت إلى العلامات الموضوعة على القدرة على الإنشاء فـكانت النتيجة التى رأينا . ولما سألنا أكانت الموضوعات الإنشائية غير تلك التى ألقاها الطلبة فى الحفلة الخطابية ، كان الجـواب لا . وعندئذ أصررنا على استغرابنا واستنكارنا ... وراحت الأيام تطوى الأيام ، إلى أن

قرأنا حديثاً صباحياً للزميل « شيخ بيروت » يميط فيه اللثام عن جريمة أدبية ... فقد ثبت أن السيد ظافر تميم زور فى المباراة الإنشائية ، وبدلا من أن يكلف نفسه عناء عصر الدماغ وتنميق العبارات والتعرض لأخطار النحو والإملاء ، أغار على المنشىء المصرى المعروف الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة فاختلس منه قطعة عنوانها « وإنما الأمم الأخلاق ... » ، طرز بها ورقة المسابقة وذيلها بإمضائه الكريم . وبوسعنا القول إن صاحبنا الفتى يحسن الاختيار حقاً فى مادة الأخلاق ! !

وبعد أن أماط « شيخ بيروت » اللثام عن هذه السرقة الأدبية — غير المؤدبة طبعاً — نصح للفائز الثانى بإعادة الجائزة المالية التى قبضها لتضاف إلى مبلغ الجائزة الفصولية فى العام المقبل. ولئن انتهت المسألة عند هذا الحد فى نظر « شيخ بيروت » فهى لم تنته عند أحد محررى الصياد ؛ ذلك أن الفضيحة تتناول لجنة التحكيم أيضاً ، وكانت تتألف من الأساتذة حسن فروخ وموسى سليمان والدكتور جميل عانوتى . فإذا غفرنا للجنة تقصيرها فى كشف السرقة حين كانت تحقق وتدقق فى أوراق المسابقة الإنشائية ، فكيف نغفر لها تفضيل إنشاء الطالب محمد العبود على إنشاء الأستاذ الزيات ، وهو علم من أعلام البلاغة والبيان فى العالم العربى » ؟!

هذه « قفشة » بلغت الغاية فى الطرافة ودقة الملاحظة ، وإن كاتبها المحرر الفاضل ليستحق عليها كل تهنئة ، ومهما يكن من شىء فلا عجب أن يكون محررو « الصياد » من هذا الطراز وأستاذهم صديقنا الصحفى النابغ سعيد فريحة !

دراسة الأديب على ضوء حياته الخاصة :

هذه رسالة من « دمشق » يطلب إلى فيها مرسلها الأديب الفاضل عدنان المطيعى أن أكتب بضعة فصول نقدية عن بعض الشخصيات الأدبية فى مصر ، من أمثال الأساتذة العقاد والزيات وطه حسين والحكيم وتيمور وأحمد أمين والمازنى وهيكل ثم يحدد هذه الرغبة بأن تكون الدراسة النقدية غير مقصورة على شخصياتهم الفنية التى تطالعنا من انتاجهم الأدبى ، وإنما تنفذ إلى أعماق شخصياتهم التى تطالعنا من واقع الحياة ، حتى يستطيع القراء أن يربطوا بين الشخصيتين فى سبيل الكشف عن أثر الحياة الخاصة فى توجيه المواهب الذاتية وتلوين الملكات الأدبية عند كل كاتب من هؤلاء الكتاب ... إن ردى على رغبة الأديب الفاضل هو أن هناك عقبات تعترض طريق هذه الدراسة التى يود أن أقوم بها على صفحات « الرسالة » ، منها أن حياة بعض الناس الخاصة لا تخلو من جوانب يفرض علينا الذوق ألا نتعرض لها ما داموا على قيد الحياة ، قد تكون هذه الجوانب ذات أثر كبير فى تلوين المادة الفكرية ، ولكننى أرى — وقد يعترض بعض الناس — أن الكشف عن هذه الجوانب لا يحل لدارس الشخصيات وكاتب التراجم ، إلا بعد أن تنقطع الصلة بين أصحابها وبين الحياة ، ... عندئذ تصبح كل حياتهم حقاً مباحاً للدارسين ، وعندئذ يحل للتاريخ الأدبى أن يقول كلمته ! ومن هذه العقبات أيضاً أننى أعرف بعض هؤلاء الأدباء معرفة كاملة وأعرف بعضهم الآخر معرفة عابرة ، وفيهم من لا أعرفه على الإطلاق ، فأنا مثلاً أعرف من الفريق الأول الزيات وطه حسين وتوفيق الحكيم وأحمد أمين وتيمور ، وأعرف من الفريق الثانى العقاد والمازنى حيث لقيت العقاد أول لقاء وآخر لقاء فى جريدة « الأساس » وكذلك الأمر فيما يختص بالمازنى رحمه الله فى جريدة « أخبار اليوم » ، أما الكاتب الذى يمثل الفريق الثالث فهو الدكتور هيكل ! ... وإذا كنت أعرف بعض الجوانب الخاصة فى حياة هؤلاء الذين لم تهيىء لى الظروف مصاحبتهم ، فهى معرفة عن طريق الغير أى عن طريق النقل والاستماع ، ولعل الأديب الفاضل يوافقنى على أن الأمانة القلمية تفرض علينا ألا نطمئن كثيراً إلى هذا الفريق ، إذا ما أردنا أن نؤرخ الأدب على الأساس الذى أشار إليه !

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

أقول للجندى الفاضل محمد عبد العال « بالقاهرة » إن مأساتك التى قصصتها على ليس مكانها « الرسالة » ولكن مكانها هناك فى « الأهرام » حتى يمكن أن تظفر باهتمام المسئولين ، فاكتب إلى الصديق الأستاذ أحمد الصاوى محمد ولك منى أن أوصيه خيراً بشكواك . وأقول للأديب الفاضل محمود أمين « بأسيوط » إننى فى انتظار مقالاتك . وأقول للأديب الفاضل عبد العظيم الجميلى « بالجيزة » إننى شاكر لك جميل عنايتك وصادق اهتمامك ومقدر لك هذه اللمحات الطيبة التى تبعث بها إلى من حين إلى حين . وأقول للأديب الفاضل حماد محمد أحمد « بفرشوط » إن الجنة التى سألتنى عنها فى رسالتك هى الجنة التى وعد بها المتقون !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

استقبال العضوين الجديدين في مجمع اللغة:

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الإثنين الماضى ، باستقبال حضرتى الأستاذين أحمد حسن الزيات وإبراهيم مصطفى ، اللذين انتخبا وصدر المرسوم الملكي بتعيينهما عضوين عاملين بالمجمع ، مكان المغفور لهما أنطون الجميل باشا وعلى الجارم بك .

بدأ الاحتفال بالقاء الدكتور أحمد أمين بك كلمة استقبال الأستاذ إبراهيم مصطفى ، وقد استهلها بالحديث عن بدء الصلة بينهما حينما كانا طالبين بالأزهر يحفظان المتون ويدرسان الأدب الذى كان يدرس فى الأزهر على هامش العلوم فى ذلك الزمان . وقد اهتم الدكتور أحمد أمين فى هذه الكلمة بالتحدث عن النحو وجوده ، وبناء قواعد اللغة العربية على أساس « العامل » ورأى الأستاذ إبراهيم مصطفى فى « هدم العامل » وعقب على هذا وذاك بأن عيب النحويين جميعاً أنهم يريدون أن يخضعوا اللغة للمنطق ، واللغة من وضع العاقل والأحمق والمتعلم الجاهل ، ثم جاء العلماء واهتموا بها على أساس المنطق فأتعبوا أنفسهم دون طائل . وضعها الصغار وتعب فيها الكبار ...

وبعد أن أفاض الدكتور فى ذلك ، قال إن الأستاذ ابراهيم مصطفى ليس نحوياً فحسب ، وإنما هو قوى الأسلوب والخيال وله قدرة على وضع القصة الصغيرة ، إلا أن السلك الذى يربط بين ذهنه ويده مصاب بعطب ... ولم يبين ما يريد بهذا العطب .

وقد كان حظ النحو وما تبعه من الطرائف فى كلمة الدكتور أحمد أمين أكثر من حظ الأستاذ ابراهيم مصطفى نفسه . فكل ما ذكره عنه حفظه المتون فى الصغر ورأيه فى نظرية العامل ، ثم الوصف الإجمالى الأخير الذى ختمه بتلك الإشارة التى لا ندرى أهي دعابة أم نقد ، حتى النظرية النحوية هدمها !

ثم ألقى الأستاذ ابراهيم مصطفى كلمته ، فشكر الدكتور أحمد أمين وأشار بلباقة واختصار إلى بعض ما ذكره ، ثم تطرق إلى الحديث عن سلفه المرحوم على الجارم بك ، وقد وجه معظم الحديث عنه إلى جهوده فى النحو من حيث تيسيره وتقريبه . وهكذا كان الأمر فيما بين الدكتور أحمد أمين والأستاذ ابراهيم مصطفى أكثره نحو ... على ذلك النحو .

ثم وقف الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك فألقى كلمة استقبال الأستاذ الزيات ، فقال إنه التقى به لأول مرة من نحو أكثر من ثلاثين سنة ، زميلين فى التدريس بمعهد أهلى ، فوجد فيه شاباً أنيقاً فى زيه الشرقى ، حيياً يفيض علماً وأدباً ، وأشار بفضله فى تجديد تعليم اللغة العربية وآدابها ، ومنهجه الجديد فى تاريخ أدب اللغة بكتابه « تاريخ الأدب العربى » وأفاض الأستاذ أبو حديد فى بيان أثر الأستاذ الزيات فى أدب الجيل ، ونوه بترجمته « آلام فرتر » و « رفائيل » قائلاً بأنها الترجمة المنشودة لمشاركة الأدبية العالمية . ثم حلل ناحية فى أسلوب الأستاذ الزيات وهى الخاصة بوضع الكلمة فى موضعها سواء فى الترجمة والإنشاء . واستطرد بعد ذلك إلى بحث مستفيض فى استعمال الكلمات فى المقامات المختلفة ، وأتى بأمثلة من الشعر العربى وحللها مبيناً ما فيها من ظلال التعبير النفسية . وهذا الموضوع : مناسبة التعبير للحال وما يضفيه من ظلال نفسية خاصة ، موضوع قيم ، ولكنه شىء آخر غير الإتيان بالكلمة فى موضعها .

وعلى أثر ذلك نهض الأستاذ الزيات فألقى كلمته ، ويراها القارئ فى صدر هذا العدد من « الرسالة » ولست أقول فيها إلا أنها دلت عليه دلالة واضحة إذ قدم نفسه بها خير تقديم .

بقيت فى النفس ملاحظات عامة ، أردت أن أتغاضى عنها ، ولكنها تلح على ، متذرعة بأن لها هدفاً وأنها ذات موضوع ، على حد التعبير الذى ذاع عن معالى رئيس المجمع ، ذلك أن بعض

الأعضاء الذين تكلموا في الحفل، لم يراعوا الصحة اللغوية في استعمال بعض كلمات وضبط أخرى، ومثل هذا إن أمكن التغاضي عنه في غير مجمع اللغة، فإنه لا يقبل من أعضاء المجمع وهم رجال اللغة. مثال ذلك ما ذكره الأستاذ إبراهيم مصطفى عن جهود الجارم في أعمال المجمع، ومنها « القاموس الوسيط » يقصد « المعجم الوسيط » والفرق بين المعجم والقاموس معروف.

أمينة:

هي امرأة فرنسية، تزوجها الشيخ إبراهيم، وسماها « أمينة » على اسم المرحومة أمه لحبه إياها.

والشيخ إبراهيم رجل من أغنياء إحدى القرية المصرية، يهتم بتربية الخيل، ويقوم عليها عنده ابن خالته الشاب الوسيم « محمد » الذي يفتتن بجمال أمينة وتفتتن هي أيضاً به، فهي فتاة في ميعة الصبا وزوجها شيخ يكبرها بعشرات السنين.

وتعود ابنة الشيخ إبراهيم « عايدة » من القاهرة إلى القرية لقضاء العطلة المدرسية، فلا تستريح أمينة زوج أبيها لقدومها، ويضايقها انصراف زوجها إلى ابنته وعطفه عليها. وينشأ حب صامت بين عايدة وبين محمد، ولكن هذا يستمر في علاقته الآثمة بأمينة.

وتساور الشيخ إبراهيم الشكوك في محمد. وتعمل عايدة على أن تجنب أباها الوقوف على حقيقة الصلة بين أمينة ومحمد، منعاً لحدوث ما يخل بسمعته وشرفه، ويؤدي ذلك إلى أن تظهر في موقف مريب مع محمد فيطردها من المنزل، فيلجآن إلى منزل أخت الشيخ إبراهيم وزوجها الشيخ عبد المحسن، فيتزوجان ويعمل محمد عند طبيب بيطري بالقرية، ويعيش الزوجان في سعادة يظللهما الحب المتبادل ويسخط الشيخ إبراهيم على ابنته لمسلكها وزواجها من محمد السائس، ويقبل على زوجته أمينة ويمعن في تدليلها والإغداق عليها.

وتلتقي أمينة بمحمد فتعمل على إغرائه فيأبى أولا ثم لا يلبث أن يعود معها إلى ما كانا فيه. وفي خلال ذلك يجمح جواد من جياد الشيخ ابراهيم فيجري وراءه بالعربة التي تنقلب به في الترعة في مكان بعيد عن القرية بحيث لم يدر أهله أين مكانه. ويذهب محمد مرة إلى أمينة فيجدها جثة، ويقبض عليه

كشكول الأسبوع

□ يشتغل الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة باشا، بوضع مسرحية شعرية عن « شجرة الدر » وقد أوشك أن يفرغ منها، وسيبعث إلى « الرسالة » بأجزاء منها تنشر تباعاً. وهي فرصة طيبة يستمتع فيها القراء بأدب سعادة الأستاذ.

□ تهتم بذكرى ابن سينا، كل من البلاد العربية وإيران وتركيا، وتنسبه كل منهما إليها. وقد حسمت إحدى الصحف التركية هذه المسألة بقولها: إنه لا يصح أن يعد ابن سينا عربياً أو إيرانياً أو تركياً، وإنما ينبغي اعتباره ثمرة من ثمار المدنية الإسلامية.

□ جاء في نشرة ثقافية لوزارة الخارجية المصرية. أن هيئة اليونسكو قررت ترجمة روائع شكسبير وجوته وباسكال وغيرهم من أعلام الأدب الغربي إلى اللغة العربية، لنشرها في بيئات الشرق الأوسط؛ وذلك كجزء من البرنامج الشامل الذي تعده اليونسكو لنشر الثقافة العالمية.

□ قام الأستاذ آصف علي أصغر الفيظي سفير الهند في مصر، بتحقيق كتاب « دعائم الإسلام » للقاضي أبي حنيفة النعمان المغربي، وسيقدمه قريباً للطبع. والأستاذ الفيظي له نشاط علمي معروف، ومن مؤلفاته كتاب عن الوصية في التشريع الإسلامي. وقد أسس في الهند سنة ١٩٣٣ جمعية للدراسات الإسلامية، أصدرت أخيراً الكتاب التذكاري لمرور خمسة عشر عاماً على تأسيسها، متضمناً أبحاثاً للأستاذ ستروتمان الألماني والأستاذ برنارد لويس الإنجليزي والدكتور محمد كامل حسين الأستاذ بجامعة فؤاد الأول.

□ توفيت أخيراً المستشرقة الإنجليزية ليليان آدم سميث، وهي في الثالثة والثمانين من عمرها.

□ اختار الأستاذ ابراهيم الوائلي موضوع « الشعر السياسي المعاصر بالعراق » لرسالة يتقدم بها للحصول على درجة (الماجستير) من جامعة فؤاد الأول. واختار الأستاذ أحمد هيكل موضوع « الأدب الحديث في السودان » لنيل (الماجستير) أيضاً. ومن هنا وذاك يتبين اتجاه جديد في الجامعة نحو الدراسة الأدبية المعاصرة في الأقطار العربية، وهو اتجاه سديد نرجو لأصحابه التوفيق.

□ يقترح بعض الأدباء اليونانيين بالأسكندرية إنشاء كرسي للأدب اليوناني بجامعة فاروق الأول، على أن تنشىء جامعة أثينا كرسيا للأدب العربي فيها ومما يذكر أن من هؤلاء الأدباء من يكتب وينظم الشعر باللغة العربية الفصحة

□ من مكتبات القاهرة مكتبة كل كتبها من تأليف مؤلف واحد، وهي مكتبة الأطفال للأستاذ كامل كيلاني.

□ يطالب أدباء لبنان بإطلاق اسم الشاعر خليل مطران على أحد شوارع بيروت وإقامة تمثال له في مدينة بعلبك مسقط رأسه.

□ جاء من دمشق أنه قد أقيمت حفلة استقبال بدار الكتب هناك، تكريماً للشاعر المعروف الأستاذ عمر أبو ريشة بمناسبة عودته إلى البرازيل.

ويتهم بقتلها ، كما يتهم أيضاً الخادم (ضبش) الذى كان يحبها وهى تنفر منه . وأخيراً يظهر الشيخ ابراهيم راقداً فى فراش عند أحد معارفه ، ويفضى إلى المحقق الذى ذهب إليه بأنه اختفى على أثر الحادث الذى وقع له ، وجعل يتجسس على زوجته حتى تحقق أنها تخونه فقتلها . وبعد هذا الاعتراف فاضت نفسه .

تلك هى قصة فلم « أمينة » الذى عرض أخيراً فى سينما رويال بالقاهرة ، والذى قالوا عنه إنه التقت فيه مواهب الشرق بمواهب الغرب . فقد أنتجه وأخرجه المخرج الإيطالى جوفريدو إليساندرينى ، ومثلت فيه الممثلة الإيطالية آسيا نوريس (أمينة) ويوسف وهبى (الشيخ ابراهيم) ورشدى أباظه (محمد) وسميحة توفيق (عايدة) وسراج منير (الشيخ عبد المحسن) وحسن البارودى (ضبش) .

والحق أن المخرج نجح فى تنظيم حوادث الفلم ومناظره ، وتحريك الممثلين ، وإبراز مواهب بعضهم وخاصة سميحة توفيق ، فقد ظهرت هذه الفتاة فى بعض أفلام لم يحسن المخرجون فيها تخريجها ، أما فى هذا الفلم ، فقد برزت ملكاتها الفنية بحيث استطاعت أن تقف إلى جانب آسيا نوريس ، لا تقل عنها إن لم تكن فاقتها . وقد أحسن باقى الممثلين تأدية أدوارهم ، وكان يوسف وهبى مندمجاً فى دوره ، هادئاً ، لم يقتل فى الفلم غير واحدة !

ثم ننظر فى قيمة هذا الفلم الذى تضافرت عليه جهود عالية ... لقد تزوج رجل مصرى قروى بفتاة أجنبية ، فلم يستغل هذا الزواج لاتخاذ موضوع منه ، فلم يصور باعتباره زواجاً مخفقاً لاختلاف العادات والطبائع والأمزجة بين الزوجين ، بل جرى الأمر على أن الزوجة تعيش فى كنف زوجها مرتاحة إلى ما يغدقه عليها ، سادرة فى تنفله والارتماء فى أحضان الشاب الذى تبغى فيه عوضاً عما تفقده فى الزوج ، وهذا لا يتوقف على أن تكون الزوجة أجنبية أو غير أجنبية . ويظهر أن المسألة لا تعدو تدبير دور لآسيا نوريس تظهر فيه مع يوسف وهبى . وكذلك لم أجد معنى لأن يحب الخادم (ضبش) الدميم السن ، أمينة الفتاة الرائعة الحسن ، فالإنسان يدرك بغريزته وفطرته ما يلائمه وما لا يلائمه فى مثل هذه الأمور . ولكن ذلك كان افتعالا غير طبيعى قصد به ترتيب الحوادث والتمهيد لأن يقتل الزوج زوجته فى النهاية .

والمخرج نجح حقاً من الناحية الفنية ، وأخرج الفلم نظيفاً من التهريج والإسفاف ، ولكنه أخفق فى تصوير البيئة المصرية ، فهذه القرية التى تجرى فيها حوادث الفلم ، أهلها أشبه بحى من الأحياء البلدية فى القاهرة منهم بالفلاحين فى كل شىء حتى لهجة الحديث ، فلم أسمع أحداً يتكلم باللهجة الريفية غير أخت الشيخ ابراهيم . وقد اهتم المخرج بإبراز مناظر معينة مما يدل على الطابع المحلى ، فجاء بعضها غير صادق مثل منظر الهرمين اللذين يظهران بجانب القرية ، ولا نعلم قرية فى مصر بجانبها هرمان على الهيئة التى ظهرت فى الفلم وجاء بعض تلك المناظر فى غير مناسبة مثل الخيل التى تعدو براكبيها فى مفتتح الفلم واختتامه من غير ارتباط بحوادث البدء والنهاية ، وكل ما فى الأمر أن المخرج يريد إظهار فلاحين مصريين يجرون بالخيل ... ولا ضرر من ذلك غير أنه حشو لا فائدة منه .

ومهما يكن من شىء فإن الفلم أصغر وأتفه من أن يكون ثمرة لالتقاء المواهب العالمية ...

عباس خضر

البريد الأدبي

الأمانة العلمية في الجامعة :

قرأت ما أثاره الزميل الصديق الدكتور جمال الدين الشيال في عدد الرسالة الغراء الصادر في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٤٩ حول الأمانة العلمية في الجامعة ، ولم أعجب لما جاء به الزميل ، فقد عادت بي الذكريات إلى أيام تلمذتي بالجامعة ، فتذكرت ذلك الأستاذ المعمم وقد جاءنا يرفل في جبته وقفطانه ، حتى إذا عدنا من عطلة العيد وجدناه قد ارتدى زي المطربشين ، وإن كانت ملامحه وسحنته تدل على أنه من الشيوخ المعممين ... ذكرت ذلك الشيخ وهو يطلب منا أبحاثاً علمية ليقرأها ويصححها ثم يعيدها إلينا ، وكنا في ذلك الوقت حريصين أشد الحرص على أن نرضى الأساتذة بهذه الأبحاث العلمية ، فكنا نسعى إلى المكتبات ونبحث في أمهات الكتب حتى نفوز برضى الأستاذ عن البحث الذي نقدمه له ، ولكن ذلك الأستاذ — حفظه الله — بخل علينا بأبحاثنا ولم يشأ أن يردها إلينا ، ولم نلبث أن رأينا هذه الأبحاث قد ضمت بعضها إلى بعض وقسمت إلى أبواب وفصول ، وأصبحت كتاباً يحمل اسم الأستاذ العزيز ، وإن كنا نحمد للأستاذ أنه غير أسلوب هذه الأبحاث وجعلها بأسلوب واحد . أما الآراء ، فقد بقيت كما هي آراؤنا والنصوص التي استندنا إليها في أبحاثنا بمراجعها لم يتغير شيء منها ...

وذكرت أيضاً ذلك البحث الذي صدرت به مجلة إحدي الهيئات العلمية ، وكيف قام أحد الطلاب يصيح في وجه أستاذه الذي نشر البحث باسمه قائلا : إني أعطيتك هذا البحث منذ شهر ، فلم يسع الأستاذ إلا أن يعترف أمام الطلاب أنه استفاد من البحث الذي قدم له ، ولكنه أسر الأمر في نفسه ، وانتقم من الطالب في آخر العام فرسب الطالب المسكين !

وهذه زميلة تتقدم برسالة ماجستير وتعطي بحثها لأستاذها المشرف ، ومكث البحث زهاء ستة أشهر عند الأستاذ ، وأخيراً أخذته منه ، فإذا به يفاجئنا بأن آراءها تتفق تمام الاتفاق مع آرائه ، فلما سألته : أين نشرت آراؤه هذه ؟ أجاب باسماً : إن كتابي سيظهر هذا الأسبوع وفيه هذه الآراء ! فأجابته ساخرة : الحمد لله أنك اطلعت على آرائي ولم أطلع على آرائك !

وذكرت ذلك الأستاذ الذي كان عضواً في لجنة امتحان إحدى رسائل الدكتوراه ، فإنه بعد المناقشة احتفظ بنسخة الرسالة لنفسه ، فإذا تقدم طالب آخر يعطف عليه أشد العطف ، أعطاه الرسالة الأولى التي لم تكن طبعت بعد ، فإذا بالطالب يستعين بهذه الرسالة استعانة كلية دون أن يشير إلى ذلك ، وأكبر دليل نلمسه أن الرسالة الأولى كان الاعتماد الأكبر فيها على مخطوطات لم يرها أحد في مصر لأنها في حوزته ، ولم يطلع عليها أحداً ، ولا توجد هذه المخطوطات عند أحد سواه ، فإذا بالرسالة الثانية قد امتلأت بنصوص أخذت من هذه المخطوطات ... ونذكر كيف حضر صاحب الرسالة الأولى مناقشة الرسالة الثانية ، فلما رأى هذا السطو تحدث مع أعضاء لجنة الامتحان في ذلك ، فكانت النتيجة أن هدده الأستاذ قائلا : أتريد أن تعمل على فشل الامتحان ؟ !

ولعله من المؤلم أن تحدث هذه المهزلة أمام اثنين من كبار المستشرقين ، ومن الطريف أن أحد أعضاء لجنة الامتحان استفهم عن هذه المشادة ، ومع ذلك لم يفعل شيئاً !

وأذكر أيضاً أن أستاذاً سافر إلى أحد الأقطار فدعي لإلقاء عدة محاضرات في الإذاعة ، فأرسل برقية إلى أحد المعيدين ليكتب له سلسلة هذه المحاضرات ويرسلها له بالبريد الجوي ، وتقاضى الأستاذ مكافأته من الإذاعة في حين أن المعيد قد لقي بعد عودته جزاء سنمار !

وأذكر هذا الأستاذ المشرف على بعض رسائل الماجستير يصرح في مجلس الكلية أنه لم يقرأ هذه الرسائل ولكنه يوافق عليها ... وأذكر ذلك الأستاذ الذي سطا على أحد أعداد سلسلة « اقرأ » وأخذ يملي منه محاضرات على الطلاب دون أن يشير إلى الكتاب زاعماً أنها له ، ولم يفطن إلى أن الطلبة كانوا أسبق منه إلى قراءة هذا العدد !

ولعل أهم هذه الأحداث التي تتعلق بالأمانة العلمية في الجامعة

أن أحد المدرسين إذ ذاك ألقى محاضرة بدار الجمعية الجغرافية الملكية عن رأى جديد فى النحو ، فإذا بهذا الرأى يظهر فى كتاب لزميل له دون الإشارة إلى صاحبه ، وإذا بهذا الأستاذ النحوى يغضب ويخاصم زميله ويستشهد بالآية القرآنية : « إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة » ... يشير بذلك إلى كثرة كتب زميله ...

ولاينسى الزميل الصديق الدكتور الشيال قصة هذه الكتب التى يوضع عليها اسم أستاذ من الأساتذة ومعه اسم تلميذ من تلاميذه على أنهما اشتركا فى تأليف هذا الكتاب أو ذاك ، فنحن نعلم من الذى ألف الكتاب ومن الذى استفاد منه ...

هذه كلها ذكريات يعرف بعضها الدكتور الشيال ، ويعرف بعضها زملاء الدكتور الشيال ، لعل فيها ما يخفف عنه ثورته للأمانة العلمية فى الجامعة ...

(أبو رشيد)

إلى الأستاذ أنور المعداوى :

نحن نتعقبك فى تعقيباتك الممتعة ، ويعجبنا فيك عاطفة متأججة ، وإيمان بما تكتب ، وصدق فنى فى تعبيرك ، ونكبر فيك صراحة واضحة ، وقلماً قوياً تقذف به فى صدر الزيف والبهرج والباطل ، فنزداد تعلقاً بك ، وحباً لقلمك ونشعر بهزة عنيفة تنفذ إلى مسامع القلب ، ومسارب الروح .

ومقاييس الشعر التى تحدثت عنها ، هى مقاييس صحيحة ، ومعايير صادقة ، ودراسة قصيرة « إيليا أبو ضي » على ضوئها كانت دراسة جيلة ، وأسلوباً فى النقد والتعليق يعد أسلوباً طريفاً لأنه ينصب على القيم والمعانى والأحاسيس والتجارب والظلال ، ولا يحفل بالشعوذة اللفظية ، والبهرج الزائف؛ ولكنى لا أوافقك بل أعتب عليك عتباً كثيراً حينما تصب حكمك القاسى على الشعر العربى القديم جلة واحدة ، هذا التراث الذى نفخر به على الزمن هذا التراث الذى جملته خواء من الروح والعاطفة . إنك بهذا الحكم تهدم حضارة ، وتبعثر أمجاد أمة ، وأنا أعيذك من هذه النظرة ، وأرجو أن تراجع نفسك ، وتستشير ذوقك وحسك مرة أخرى ، وأنا موقن أنك لن ترضى لنفسك ، أن تسم الشعر العربى بهذه السمات « شعر السطوح الخارجية » شعر يشعرك بوجود « الفراغ الداخلى » إن الشعراء كانوا يعيشون خارج « الحدود النفسية » .

لا لا يا أخى . ألم تقرأ شعر المتنبى ؟ اقرأه فى السيفيات والكافوريات فتراه شعراً منبثقاً من أعماق النفس ، هو فى ظاهره مديح ، ولكن وراء هذا معان كلها أثر للاحساس النفسى والانفعالات الحزينة تارة ، المريرة أخرى ، الساخرة كثيراً . واقرأ شعر ابن الرومى فى رثائه ومدحه وهجوه فهو صادر عن نفس حساسة شاعرة ، وألفاظه شفافة موحية . واقرأ فى كل عصر من عصور الأدب ، فستجد شعر النفس ، وصدق الفن فى أكثر ما تقرأ . ولست الآن بسبيل الاستقصاء ، وضرب الأمثال من شعر الشعراء ، وكلام النقاد ؛ فإنما هى كلمة عابرة أكسر عليها قلمى حتى أسمع رأيك مفصلاً واضحاً .

هذا شىء ، وهناك شىء آخر ، لقد جعلت « شوق » زعيم مدرسة فى حسن الأداء النفسى ، لأنه يملك الصدق فى الشعور وفى الفن ، وجعلته قريناً لشاعر آخر .

والمعروف أن المدرستين مختلفتان فى كثير من السمات والوجوه؛ فشوقى فى رأيى يحفل بالصدق الفنى ، ويتأنق فى عرض الصورة البيانية ، فطابع الصدق الفنى أغلب فى شعره من الصدق الشعورى ، وعلى النقيض من ذلك الشاعر « إيليا أبو ماضى » .

والذى يهمنى بعد ، أن توضح لى رأيك فى مكان شوقى بين الشعراء ، ومكانة شعره فى نفسك .

ولصديق الروح تحية ملؤها الحب والإعجاب والتقدير ...

(دمياط) عبد المنعم سليمان مسلم

أليس هذا مصريا ؟

كثيراً ما سمعت هذه الجملة تلوكها ألسنة الشبان وغيرهم عندما يعرض لهم شخصاً تزل قدمه فى الخطأ ، وترى الواحد منهم يرسلها بكل بساطة كأنه يعتبر بذلك المصرى علماً على الأخطاء .

هذا الأمر ليس شيئاً تافها ، إنما هو خطب جلل يأسف له كل وطنى يدرك ما ينطوى عليه من معنى فى نفوس الكثيرين من أبناء هذا الوطن .

إن ذلك معناه الشعور بالنقص بل معناه الإيمان بهذا النقص، معناه فقدان الكرامة الشخصية والإعتزاز القومى وانحطاط النزعة القومية إلى حد تصل معه إلى هذه الدرجة من الضعة .

إننا لو افترضنا جدلاً وجود بعض النقائص فى المصرى فليس لنا مطلقاً أن نتخذها مبعثاً للسخرية والتهكم ؛ لأن ذلك يعنى إيماننا بوجودها ؛ وإن مجرد إيمان كهذا يعتبر أخطر وأنكى من العيب نفسه إن لم يكن هو عين العيب ... إن الوهم فى ذاته من أخطر أسباب المرض ، فالواهم يخلق لنفسه المرض وهو صحيح . وهو بذلك يضاعف من مرضه بالوهم إن كان مريضاً ، ولعل معظم الأمراض العقلية والعصبية ترجع إلى ذلك الوهم الذى لا أساس له فى الواقع ، والمصرى إذ يتوهم فى نفسه النقص والضعة لا شك أنه بذلك سيخلق فى نفسه النقص إن كان منزها عنه وسوف يضاعفه إن كان مشوباً برشاش منه .

إن الفلاسفة الألمان يوم أعلنوا أن « ألمانيا فوق الجميع » وإن الإنجليز يوم اعتبروا عنصرهم أسمى العناصر ، وكمال أتاتورك يوم جعل شعبه يؤمن بأن الترك أطهر الأجناس ، كل أولئك لم يكونوا داعين إلى عصبية قومية عمياء ولم يعتبروا قط أنهم أسمى البشر فعلا ، إنما كانت غايتهم أن يبثوا فى نفوس مواطنيهم الشعور بالكرامة والعزة ليصلوا من ذلك الشعور إلى مراتب الكرامة والعزة الحقيقتين .

وإن الله تعالى حين أعلن فى القرآن الكريم مبدأ « كنتم خير أمة أخرجت للناس » لم يكن — سبحانه وتعالى — بالطبع يدعو إلى عصبية دينية لأن القرآن نفسه قد حوى أسمى مبدأ فى المساواة التامة بين البشر جميعاً ، والقرآن فى ذلك يبتغى أن يجعل المسلم يعتز بنفسه ودينه ويشعر بالكمال والقوة فوق سائر الناس فيدفعه ذلك الشعور إلى العمل الذى يتفق معه ويؤدى إلى جعله حقيقة واقعة .

وهكذا تخلق الأمة القوية من مجرد الشعور القوى بالقوة والأنفة بينما تنحط الأمم مهما كانت قيمتها يوم يستولى عليها الشعور بالنقص ويبتليها الله بانحطاط الروح المنوية وضياع العزة القومية.

أخى المصرى ... إننا لم نصل بعد إلى هذه الدرجة المنحطة من الضعة والتفاهة حتى نوهم أنفسنا بذلك ، ومن الجرم أن يعتقد المصرى فى نفسه ذلك النقص ، فنحن بخير ويحق لنا أن نعتز بقوميتنا ، فإننا مهما بالغنا فى ذلك الاعتزاز فنحن أهل له . نحن شعب ناهض بلا شك ، وإن كان الاحتلال لا زال يعوق نهضتنا فليكن لنا من ثقتنا فى أنفسنا السلاح الذى نحطم به ذلك العائق حتى نحقق ما نراه فى أنفسنا من عزة وكرامة وقوة سجلها لنا تاريخنا الغابر وهى فى سبيل أن يسجلها لنا التاريخ الراهن ، إذا كنت ناقصاً فى بعض الشىء يا أخى فلتعمل لتكمل فى نفسك ذلك النقص ، ولا تستشعر النقص فى نفسك ، فالشعور بالنقص هو النقص عينه ، بل قل « مصرنا فوق الجميع » ولسوف تصبح كذلك إن آجلاً أو عاجلاً فليس سبيل السيادة بمقصور على أمة أو شعب إنما هو مشاع للعاملين .

السيد على الشوربجى
كلية الحقوق



زائرة العـــــرافة

عن الانجليزية

ترجمة الأديب سيد أحمد قناوى

في غرفة قليـلة الضوء تقع على جانب المعرض العام ... أثاثها ينحصر في مائدة ومقعدين وبعض أشياء أخرى إن دلت على شيء فإنما تدل على ما يعانيه سا كنها من بؤس وفقر ... وعلقت في واجهة الغرفة لافتة كتب عليها هذه العبارة « مدام لاسترا قارئة الـكف. استفسارات عن مسائل الحب والزواج والمال على أحدث القواعد العلمية » ... في هذه الغرفة المتواضعة جلست السيدة « لاسترا » تنصت في ضجر وضيق إلى أصوات الضحك والمرح التي كانت تنبعث في أرجاء المعرض خارج غرفتها ... فقد كانت تلك الليلة رأس السنة الجديدة ، فأرسلت أفكارها بعيداً تستعيد ماضي لياليها وتستعرض أيام بهجتها وسرورها ... حتى قادها تفكيرها في النهاية إلى ليلة تماثل هـذه الليلة في البهجة والمتاع واللهو ... كانت هي فيها تختال بين الرجال حتى انتابتها نزوة غرام عارضة أطلقت فيهـا للشيطان العنان ... فكانت ليلة فاصلة بين حياة الزوجيّة السعيدة وحياة الشقاء التي تحياها الآن . فاجنت من وراء تلك النزوة العارضة — وا أسفاه — غير الحسرة والخيبة والمرارة .

لقد كانت السيدة « لاسترا » في أيام سعادتها على جانب كبير من الحسن والبهاء : كان لها شعر أسود وعينان عسليتان حالمتان قبل احتراف هـذه المهنة البغيضة إلى نفسها كما كانت زوجة لأستاذ علم الآثار الشهير « جيمس كارستيرز » تعيش معه في بحبوحة ويسر ، لا تعرف معه للضيق معنى ، ولا تذوق من الفاقة ما تتجرع الآن غصصه ... وعند وقوع حادث الغرام الطائش حُملت على طلب الطلاق من زوجها فكان لها ما أرادت ، وإن هي الآن لا تقاس منه غير العسر ومرارة الذكريات . ولن تنسى ما عاشت قول « جيمس » لها وهو يجيب إلى طلب الطلاق :

« إن بحثت عن أبغض إلى قلبي ، تجدينه الطلاق منك ... ولكن إذا كان في الطلاق جلب لسعادتك وهنائك فواجبي يحتم عليّ أن أضحي بحبي وقلبي بلا تردد » .

وكم تنفجر عواطفها ، وتهتز أعصابها حينما تذكر أنه تزوج بغيرها طلباً للخلف ... فقد تزوج بعد طلاقه منها من فتاة تدعى « أليس دين » وهي فتاة آية في الجمال وقد وصفها الناس بأنها شقراء الشعر نحيفة القد أنيقة الهندام .

جلست مدام « لاسترا » فريسة لهذه الذكريات تنهش قلبها وتستبد بنفسها فما أنقذها منها سوى قدوم زائرة جاءت لاستطلاع حظها ... وسرعان ما اعتدلت العرافة « لاسترا » في مجلسها ، وسوت شالها فوق رأسها وشبكت يديها وأسندت مرفقيها إلى المائدة فقد لاحظت في السيدة الزائرة من الهيبة والوقار ما حملها على الاهتمام بأمرها ، والتطلع إلى مكنون سرها .

ومن عجب أن هذه « الزائرة » لم تدخل كغيرها في اضطراب وعجلة ورغبة ملحة في استطلاع مخبآت الغيب ، بل هي على النقيض من ذلك ، إذ أنها دخلت في تؤدة ووقار وهدوء ، تظلل محياها الشاحب وشعرها الأشقر قبعة عريضة الأطراف ، ولم تلبث أن نزعت قفازها دون أن تنبس بكلمة ، وكان الإطراق رائدها ، ومسحة من الحزن تعلو جبهتها ... فدل مظهرها على ما تحمله من أمر عظيم وهم دفين . وأخيراً قدمت يدها اليسرى فإذا هي تتحلى بخاتم من الفضة مرصع بحجر من الزبرجد ... لم تكد السيدة « لاسترا » تبصر هذا الخاتم حتى خفق قلبها عنيفاً حتى كاد أن ينخلع من صدرها وإن كتمت مع ذلك شعورها حتى لا تثير شك زائرتها .. فإن هذا الخاتم الزبرجدي هو قرين العقد الزبرجدي الذي تحمله هي حول عنقها ، وكلا الخاتم والعقد من مُقتنيات العالم الأثري « جيمس كاستيرز » جلبها من تنقيبه في الآثار المصرية القديمة ، وليس لهما في عالم الحلي نظـير ؛ ولا ريب في أنه أهدى الخاتم إلى زوجته الثانية كما أهدى العقد إلى زوجته الأولى ... بكل هذه

الخواطر رفعت السيدة « لاسترا » عينها إلى وجه الزائرة تلتمس من تقاطيعها ما يؤيد ظنونها ويحقق خواطرها ... فإذا هي تتذكر أوصافها التي سمعت عنها :

شقراء الشعر دقيقة الملامح أنيقة الهندام ؛ في نحو الثامنة والثلاثين من العمر ، وبالإجمال لم يبق عندها من شك في أنها هي « أليس دين » المرأة التي انتزعت منها زوجها بعد طلاقها منه ... وهكذا مضت الزائرة « أليس » في صمتهـا فبادرتها السيدة « لاسترا » بقولها :

— لقد كنت تمثلين على المسرح ... أما الآن فأنت قد اعتزلت التمثيل وأصبحت زوجة !! .. فأومأت الزائرة إيجاباً . فاستطردت السيدة « لاسترا » :

— وقد تزوجت منذ تسع سنوات فأومأت الزائرة مرة أخرى دون أن تبدي أدنى دهشة لما تسمع من دقة التفاصيل وقالت بصوت مشوب بالنحيب :

— إنه تزوجني لكي ينسى امرأة أخرى ، فلم يبق شك في نفس السيدة العرافة ... فهي الآن تواجه خليفتها عند زوجها ، فخارت قواها وتبددت أنفاسها ... واستسلمت للتفكير العميق الذي أبرز الآن صورة « جيمس » في أطواء الماضي ... ولم تلبث حتى قالت لمنافستها :

— لا بد أن تكوني سعيدة مع زوجك .

— إني سعيدة حقاً .

— إنه يحوطك برقة وحنو ندر أن يكون لهما مثيل في هذه الدنيا فيجدر أن تكوني لذلك أهلاً ، ولا تشكي في إخلاصه فهو مثال طيب للرجل الجدير بالحب والاحترام . فقالت الزائرة في صوت أقرب إلى الهمس :

— صدقت فيما تقولين !

— إن حياتك مشوبة ببعض المتاعب والقلاقل ، وإن لزوجك مشاكله الخاصة ، فإن وجدت منه بعض الهفوات أو ساءك منه شيء ، فاذكري أن نوابغ الرجال لا يستطيعون أن يوفقوا بين نبوغهم وبين توافه الأمور ... إنهم ... ولكن السيدة كفت عن الاسترسال في حديثها خشية الإفتضاح بذكر هذه التفصيلات الدقيقة .

فردت « أليس » في حدة :

— لقد وجدت المتاعب التي تشيرين إليها ، ولكنها انتهت ومضت . انحازت العرافة « لاسترا » إلى التفاؤل قياماً بالواجب حيال زائرتها ثم اردفت :

— سيكون الخير .. وستسير الأمور على أحسن ما تكون.. ويومئذ لا تنسي أن تخبريني . وهنا وقفت الفتاة « أليس » بوجه متجهم وقالت :

— كل شيء بخير كما قلت لك .. وهذا هو سبب حضوري إليك ... إنه يريدك إلى جانبه يا « أنا كارستيرز » إنه لم ينقطع لحظة عن التفكير فيك وعن محبته لك .

فهبت السيدة « لاسترا » عند سماعها هذه المفاجأة التي لم تكن في حسبانها .. ووثبت واقفة كالمصعوقة وهتفت :

— كيف عرفت مكاني ؟ . . ولماذا جئت إلي — أيتها الماكرة — أنت من دون الناس جميعاً ؟ .

— لأنه يجب أن تعودي إليه ، فأنت ملاكه وأنت حياته .. ولا أستطيع أنا ولا أية فتاة أخرى أن تسد الفراغ الذي أحدثته في قلبه .

— لا يمكن .. لا يمكن هذا .. وأنت بلا شك تعرفين أن هذا ضرب من المحال !

— إنه الآن في مسيس الحاجة إليك أكثر من أي وقت مضى . فإن عدت له أديت إلى خدمة أذكرك بها على الأرض وفي السماء .

— لكن كيف أعود إليه وقد ربط بينك وبينه حبل الزوجية . محال أن أعود فأفرق بينكما ، وربما أجني بذلك عليك ، وأنا أحب أن أموت مضحية بحبي ، ولا أفرق بين زوجين سعيدين فتراخت الزائرة «لاسترا» وسكبت دموعاً غزيرة وأخذت تنتحب طويلاً ثم رفعت رأسها وغمغمت وكأن صوتها صادر من مكان سحيق ...

— إنه يحبك يجب أن تعودي إليه..ولا أستطيع أن أقف بين قلبين متحابين .

— ولقد تحققت من أن « جيمس » سوف لا يكون سعيداً هانئاً إلا فى ظل رعايتك ... فكونى له على حبه لك معينة ، ولتجملك الأيام عوناً له من بعدى ، فلم يبق لى الآن فى دنيا الناس نصيب .. ثم صمتت قليلاً وحركت لسانها بكل تثاقل وهى تقول : وداعاً يا « جيمس » .. وداعاً يا سيدتى .. ثم خرجت تجر قدميها فى سكون وصمت .

شعرت « لاسترا » العرافة بجو الغرفة بارداً ، فاظلمت الدنيا أمام عينها وسقطت مغشياً عليها ... ولما استفاقت بعد ساعات طويلة أخذ جسمها يرتعد بشدة ... وساورها خوف شديد ... فقد كان صدى كلمات الزائرة « أليس » لا يزال يتجاوب فى أنحاء الغرفة . وخاصة وهى تستحثها على العودة إلى « جيمس » .. وقد كانت ولا تزال هذه العودة أمنية قلبها ورجاءها الوحيد فى الحياة ... ولكن كيف السبيل إلى هذه العودة وقد خالج قلبها هم جديد .. وهو أمر الزائرة « أليس » وفجأة سمعت طرقاً شديداً على باب حجرتها ... فظنته أحد الزوار فقامت متثاقلة وفتحت الباب .. وما أشد دهشتها حينما بدا « جيمس » بمحياه الباسم وبادرها بقوله :

— أهذه أنت يا « لاسترا » ما أسعدنى من رجل ! .

وكان تفكير « لاسترا » لا يزال عالقاً « بأليس » بالرغم من رؤية « جيمس » فسألته قلقة :

— هل رأيت زوجتك « أليس » ؟

— حمقاء « أليس » فقد انتحرت منذ لحظة قصيرة ولست أعرف لذلك من سبب سوى نفور بدا عليها من أيام .

والآن فما أسعدنى إذا قبلتنى مرة أخرى لك زوجاً أعيش بقية أيامى فى سعادة وهناء . ثم قبلها قبلة طويلة كانت فاتحة لحياته الزوجية الجديدة .

(عطبرة — سودان) **سيد أحمد فناوى**

مطبعة الرسالة

العدد ٨٥١ – الاثنين ٢٤ أكتوبر ١٩٤٩ – السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

17 ème Année No. 851

Lundi — 24 — 10 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٨٥١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ محرم سنة ١٣٦٩ — ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

في مجمع فؤاد الأول للغة العربية :

خطبـــة الاســـتقبال

للأستاذ محمد فريد أبو حديد بك

سيدى الرئيس . سادتى .

عندما علمت بأننى سأقوم مقامى هذا أستقبل حضرة الأستاذ أحمد حسن الزيات ، شعرت فى نفسى غبطة وارتياحاً ، لا لأنى سأجد فرصة للتحدث عن زميل كريم وأديب كبير بمناسبة اختياره عضواً فى المجمع فحسب ، بل لأنى ذهبت مع الذكرى إلى ماض بعيد أتأمل فيه صوراً عزيزة لاحت لى مع صورة هذا الصديق الذى عرفته ونحن بعد عند الأفق الشرق من الحياة وما زلت أنعم بصداقته إلى اليوم .

عرفت الأستاذ الزيات منذ خمس وثلاثين سنة ، وكنا عند ذلك زملاء فى التدريس بمعهد أهلى ضم نخبة من صفوة الأصدقاء الفضلاء هم اليوم من أعز من تفخر البلاد بهم .

رأيت منه أول ما رأيت شاباً أنيقاً فى ثيابه الشرقية الجميلة ، وكان وديعاً كما هو اليوم ، نبيلاً فى حديثه ، هادىء الصوت إذا تكلم ، يغضى حياء وهو يفيض جداً وعلماً وأدباً .

ثم زادت معرفتى به فعلمت أن لحياته قصة — قصة شاب اتجه إلى العلم فى الأزهر الشريف وتعلق بالأدب فتلقاه على أعذب موارده ، ثم تعلم الفرنسية ودرسها على أكبر أساتذتها ، وتلقى دراسة الحقوق فى مدرسة الحقوق الفرنسية ، فكان إعجابى به لا يعدله إلا عجبى منه ، إذ كان مثالاً فذاً بين من عرفت من المعلمين . وجمعتنا الصداقة وقربت بين قلوبنا ، فكنا نجد فى عملنا معاً من المتعة ما جعل صورة ذلك المعهد الأهلى عالقة على مر الأيام بقلوبنا .

وأنا إذ أنظر اليوم إلى الوراء عبر هـذه السنوات الطويلة كأننى مسافر وقف حيناً على ربوة يتأمل الفدافد التى قطعها وهى تبدو تحت بصره غامضة يغطيها ستار من الضباب يحجب شعابها الدقيقة ومساربها الصغيرة ولـكنه يجمعها فى لحظة واحـدة فى منظر رائق يحرك القلب رواؤه .

وقد كان الأستاذ الزيات أحد أفراد قلائل خدموا البلاد أكبر خدمة فى التعليم وفى التأليف ، كما أنه واحد ممن أحدثوا فى اللغة العربية مناهجها الجديدة فى التفكير ، وأبدعوا لها أساليبها الطريفة فى الـكتابة والتعبير . ولن نستطيع أن نعرف مقدار ما أدى للبلاد واللغة من الخدمات هو وأمثاله من رواد الأدب والفكر إلا إذا عدنا بالذاكرة إلى أوائل هذا القرن العشرين .

كانت مصر فى أول هذا القرن ما تزال خامدة راكدة من أثر ما أصابها من الصدمات فى القرن الماضى . ثم دب النشاط

فيها شيئاً فتحركت أول حركتها بطيئة ضعيفة وسرى فيها دم الحياة على هينة كما يسرى أول نسيم الفجر بعد ليلة طويلة من ليالى القيظ . وكان من أول مظاهر هذا العهد الجديد إعادة الكرامة إلى اللغة العربية الشريفة : بعد أن قضت رَدَحاً من الزمن غريبة فى ديارها قد غلبتها الأمية على أمرها ونحتها تفاهة الحياة عن عرشها .

وفى هذه الحقبة الخطيرة من حياة اللغة العربية كان الأستاذ الزيات وصحبه يجاهدون لنصرتها فى تلك الدار المتواضعة المطلة على ميدان بيبرس .

وجد أن الأدب يلقن لتلاميذ المدارس على طريقة لا غناء فيها ، إذ كانت الدروس لا تزيد على ذكر أسماء الشعراء والكتاب ، يساق أحدها بعد الآخر سرداً ، ويورد لكل منهم بيت أو بيتان مما قال ، وسطر أو سطران مما أنشأ ، ولعل هذا لا يكون من خير ما قال أو كتب ، ثم يوصف بعبارة مدح عامة تكاد تتكرر بعد كل من تلك الأسماء ، حتى لكأنى بالطلاب يخرجون من دراستهم على أن الشعراء والكتاب صور تعيش فى الوهم فى عالم لا علاقة له بهذه الحياة ، بل لقد حكم عليها بأن تنزوى فى معاهد التعليم ذاتها ، فكانت تدرس كمادة ضئيلة من مواد الدراسة ، على حين كانت اللغة الأجنبية تحتل مكان الصدارة فى سائر الدروس .

وبدأت الأنظار تتجه إلى اللغة الكريمة وارثة التراث العظيم نلتمسُ فيها ومنها غذاء الفكر ورى القلب ، ولكنها كانت فى حاجة إلى من يترجمونها .

كان لا بد للغة العربية عند ذلك من أن تجد من بنيها من يحملونها تستقل بنفسها ، وتضطلع بحملها ، وتؤدى رسالتها .

فكانت أحوج ما تكون اللغة إلى من يطوّعونها لأغراضها ، ويعيدون إليها مرونتها وقوتها . كانوا جميعاً أعظم الكتاب والشعراء شأناً وأعلاهم قدراً ، يغوصون على المعانى فيخرجون منها بالدرر ، ويبدعون فى البلاغة إبداعاً يجب على الطلاب أن يؤمنوا به وإن لم يروا آية تدل عليه . فلم يكن فيما يدرس من آداب اللغة ما يجعل لأحد منهم خصيصة تميزه فى فكره أو فى أسلوبه ، ولا ما يجعل لأحد منهم مسلكاً سلكه رائداً أو سار فيه مقلداً . بل لم يكن الطالب يعرف أى هذه الأسماء جاء أولا ، وأيها جاء أخيراً ، ولا أيها الذى ابتدع فكان له فضل السبق إلى الطريق ، وأيها الذى اتبع وتفنن فكان له فضل التهذيب والإبداع والتمام ؟ !

فكان للزيات فضل السبق إلى تأليف كتاب جديد فى الأدب العربى سار فيه على نهج واضح ، فبين ممنى الأدب ومناهجه ومدارسه وتحدث فيه عن كل كاتب وكل شاعر حديثاً طريفاً يصوره فيه تصوير الأحياء الذين عاشوا على هذه الأرض وأصابوا من ضعف البشر وقوتهم ومن سموهم وإسفافهم .

ولست أنسى ساعة دفعنى إعجابى بذلك الكتاب إلى أن تحدثت عنه فى حماسة الشباب على مسمع من بعض الزملاء ، فحسب أحدهم — عفا الله عنه — أننى أقصد التعريض به وأكيل المدح لصديقى لكى أغيظ به لا لكى أعبر عن رأى خالص ، فهبت على منه عاصفة شديدة من الحنق كانت بمثابة احتفال رائع بميلاد ذلك الكتاب الجديد .

وقد مضى الأستاذ الزيات فى سبيله بعد ذلك يؤلف فى الأدب والنقد ، وكان له أثره المشكور فى توجيه دراسة الأدب ، وفى مقاييس النقد ، ومؤلفاته فى هذا الباب غنية عن أن أعيد ذكرها فى هذا المقام .

ولكن جهاده فى خدمة اللغة العربية من هذا الوجه لم يكن كل جهاده الأدبى ، بل لقد أحسب أنه لم يكن الجانب الأكبر من نشاطه ، فهو مترجم القصتين الخالدتين : « آلام فرتر » و « رفائيل » ، والأولى للأديب الألمانى العظيم جوت ، والثانية للأديب الفرنسى الكبير لامارتين . ثم هو صاحب القلم الدائب الذى يمتاز بالتجويد وحسن البيان يختص به صحيفة « الرسالة » منذ نشأتها سبعة عشر عاماً من عمرها الطويل إن شاء الله .

فإذا كنا اليوم نرى فى بلادنا حركة أدبية نامية ، ومواهب فنية تتطلع إلى الكمال وتسير نحوه قدماً ، فما ذلك إلا من آثار جهاد هذا الجيل العامل — جهاد الأستاذ الزيات وصحبه الذين شقوا سبيلهم مابين الصخور الوعرة والصحارى الجدبة ، وأسالوا عصارة قلوبهم ليحيلوا الوعر الجدب إلى خصوبة وارفة الظلال ، وليهيئوا للمستقبل آفاقاً جديدة أرفق جواً وأعذب مورداً .

وإذا كان بعض شباب الأدباء يندفعون أحياناً مع القلق فى أحاديثهم عن شيوخ الأدب ، فإن عليهم أن يذكروا أن هؤلاء

الشيوخ قد أهدوا إليهم من الثروة الفنية ما لم يسعدهم الحظ بمثله في بدء حياتهم ، وأن على الشبان واجباً لا يستطيعون أن يتخلوا عنه ، وهو أن يبلغوا من الإجادة الفنية أعلى مرتبة ، إذ لا عذر لهم فى التخلف وقد شق الشيوخ طريقهم من قبل ومهدوها لهم وعبدوها .

وقد أضاف الأستاذ الزيات بترجمته لفرتر ورفائيل أثرين عظيمين إلى التراث الفنى للغة العربية . ولا أعدو الحق إذا قلت إنهما قد أصبحا قطعتين من الأدب القومى .

وقد نسأل أنفسنا : أكنا أشد حاجة إلى التأليف أم إلى الترجمة فى مثل حالنا ؟ وقد يقال : إن الترجمة عن اللغات الأخرى تنقل إلينا مشاعر قوم غير قومنا ، وتعبر عن خلجات نفوس غير نفوسنا . وقد يقال : إن الشعوب الناهضة أجدر بأن تصور مشاعرها وتتعمق ضمائرها ، وأن تنشئ أدبها صغيراً حتى ينمو معها ويبلغ مع الأيام مرتبة التمام فى التعبير عن آلامها وآمالها .

ولكن الأدب العالمى تراث مشترك بين الشعوب جميعاً ، والأديب النابغ لا يكتب لأمة من الأمم دون الأخرى ، فهو إنسان يكتب لبنى الإنسان ، ومن حقه وحق الإنسانية عليه ألا يعد فى أمة من الأمم أجنبياً . وقد كانت اللغة العربية فى أمس الحاجة إلى جهاد الأستاذ الزيات فى ترجمته ، بل إنها ما تزال إلى اليوم فى حاجة إلى تأمل هذا المثال الذى ضربه فى الترجمة والحرص على احتذائه عند نقل الآداب الأجنبية . ما زلنا إلى اليوم ننقل من تلك الآداب ولن نستغنى عنها فى يوم من الأيام ، بل إن حاجتنا إلى الترجمة تزداد كلما زادت ثروتنا الأدبية اتساعاً وغزارة ، وكلما زاد اتصالنا بالفكر الإنسانى فى أنحاء الأرض قوة ولكن هذا النقل لا يضيف شيئاً إلى ثروتنا الفنية إلا إذا توفر عليه من كان له أهلاً من خاصة الأدباء الذين يملكون ناصية البيان .

قال الدكتور طه حسين بك فى مقدمته لترجمة آلام فرتر « والترجمة فى الفن والأدب ليست وضع لفظ عربى موضع لفظ أجنبى ، إذ الألفاظ شديدة القصور عن وصف الشعور فى اللغة الطبيعية فكيف بها فى لغة أخرى . إنما الترجمة الفنية والأدبية عبارة عن عملين مختلفين كلاهما صعب عسير : الأول أن يشعر المترجم بما شعر به المؤلف وأن تأخذ حواسه وملكاته من التأثر والانفعال نفس الصورة التى أخذتها حواس المؤلف وملكاته إن صح هذا التعبير . والثانى يحاول المترجم الإعراب عن هذه الصورة والإفصاح عن دقائقها وخفاياها بأشد الألفاظ تمثيلا لها وأوضحها دلالة عليها.

وخلاصة القول أن المترجم يجب أن يجتهد ما استطاع لا أن ينقل إلينا معنى الألفاظ التى خطتها يد المؤلف بل فى أن ينقل إلينا نفس المؤلف جلية واضحة تتبين فيها من غير مشقة ولا عناء ما أثر فيها من ضروب الإحساس والشعور » .

وقد وفى الأستاذ الزيات حق الترجمة بما لا مطمع بعده لمستزيد ؛ فكانت عنايته باللفظ ودقة أدائه ، لا يعدلها إلا عنايته بالتركيب وبلاغة تعبيره .

وهو ممن يعرفون للألفاظ حقها . وقد بين رأيه فى هذا الأمر بياناً وافياً فى كتابه (دفاع عن البلاغة) إذ قال :

« وفى اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع وخلق ؛ لأن الكلمة ميتة ما دامت فى المعجم ، فإذا وصلها الفنان الخالق بأخواتها فى التركيب ، ووضعها فى موضعها الطبيعى من الجملة ، دبت فيها الحياة ، وسرت فيها الحرارة ، وظهر عليها اللون ، وتهيأ لها البروز . والكلمة فى الجملة كالقطعة فى الآلة إذا وضعت فى موضعها على الصورة اللازمة والنظام المطلوب تحركت الآلة وإلا ظلت جامدة .

وللكلمات أرواح كما قال موباسان وأ كثر القراء ، وإن شئت فقل أكثر الكتاب ، لا يطلبون منها غير المعانى . فإذا استطعت أن تجد الكلمة التى لا غنى عنها ولا عوض منها ، ثم وضعتها فى الموضع الذى أعد لها وهندس عليها ، ونفخت فيها الروح التى تعيد إليها الحياة وترسل عليها الضوء ، ضمنت الدقة والقوة والصدق والطبيعية والوضوح ، وأمنت الترادف والتقريب والاعتساف ووضع الجملة فى موضع الكلمة ؛ وذلك فى الجهاد الفنى غير قليل » .

ولا شك فى أن الأستاذ قد أصاب فى هذا القول لب الحقيقة ووضع به أول حد للبلاغة .

وإذا كنت أحب أن أضيف إلى هذا القول شيئاً فذلك أن أخلص منه إلى نتيجة . فاللفظ كما قال لا يزيد على أن يكون جاداً ما بقى فى المعجم ، ولن تدب فيه الحياة إلا إذا وضع فى موضعه من العبارة فأدى المعنى الذى يقصده الكاتب منه . ولن يستطيع كاتب أن يقحم لفظاً على غير المعنى الذى تعود أن يمثله .

بل إنه لن يستطيع أن يعيد الحياة إلى لفظ إلا إذا كان قد اتخذ من قبل صورة بعد صورة جملته أهلا لأن يعبر عن المعنى الذى يريده الكاتب . فالاستعمال يخلع على الألفاظ هالة من المعانى التى لا تستطيع المعاجم أن تصورها ، وبراعة الكاتب إنما تظهر فى ترويض اللفظ حتى يلقى على العبارة كل ظلال معناه فيمكنه من إثارة الشعور الذى يريد إثارته فى نفوس القراء إذا ما أدركته الأبصار ووعته الأسماع .

ومن الألفاظ طائفة تقبع جامدة بين صفحات المعاجم قد حاول اللغويون أن يحددوا المعانى التى فهموها منها إذ كانت حية تؤدى واجبها فى التعبير والبيان . ولكنها بقيت هناك دفينة مدة عصور طويلة لم تنبعث فيها الحياة فى كتاب ولم يستخدمها أحد فى بيان معنى من معانى الحياة . فمن عمد إلى إعادة الحياة إلى هذه الألفاظ لم يأمن أن يقحمها فى غير مادتها فتبقى جامدة ميتة لا تبعث فى أحد معنى ولا شعوراً .

فأجدر الألفاظ بالتعبير الصحيح الفنى هى أقربها إلى الحياة فى استعمال أهل هذه الحياة .

ومن الكتاب من يذهب إلى أن من الألفاظ ما هو شريف ومنها ما هو مبتذل .

ولا شك فى أن هذا صحيح من وجه واحد ، فالسر فى شرف الألفاظ أو ابتذالها ما هو إلا تاريخ حياتها السابقة وما خلعه عليها الاستعمال من ظلال المعانى فى التراكيب التى استخدمت فيها والصور التى اختصت بادائها .

ولكن الشرف لا يقوم باللفظ من أجل غرابته أو ضخامة جرسه ؛ فاذلك سوى شرف زائف يشبه شرف السوقى الذى يعمد إلى غرائب الثياب ليخلع على صورته ما يجذب إليه الأنظار . فمن الألفاظ ما يعده بعض الكتاب كريما فاذا عمدوا إلى استخدامه فى بيانهم بقى فى عزلة لا يؤدى المعنى المقصود منه أو يبقى نافراً شامساً يضيع جهد الكاتب هباء .

والأديب إذا كان صادق الحس ممتلئ القلب من المعنى الذى يريد أن يعبر عنه لا يستخدم فى عبارته لفظاً إلا وهو يقصد من ورائه صورة . وليس من السهل على المقلد أن يخلع على أسلوبه الجلال بأن يستعير ذلك اللفظ فى عبارته ، بل أن ذلك يعرضه لأن يخطىء البيان إذا لم يكن فى اختياره للفظ منبعثاً عن إحساس صادق يهديه سبيله . فى هذا الإحساس وصدق التعبير عنه يكمن الإعجاز فى الأداء الفنى . هذا الاحساس الصادق هو الذى هدى شوقى إلى تعبيره الرائع إذ قال :

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

فهذا البيت وإن كان يفيد فى جملته أن الحياة الإنسانية زائلة فانية يحمل فوق ذلك فيضاً من الأحاسيس الدقيقة التى تدرك من ظلال المعنى . فدقات قلب المرء لا تكون إلا مع العاطفة المشبوبة والأشجان الثائرة . ووحى الشاعر يحمله فى سرعة البرق إلى تأمل بطلان الحزن وإلى أن كل شىء زائل حتى هذه الآلام الشديدة التى تنزلها الكوارث الفادحة ، والحزن وإن كان شديداً عند فقد الأحبة يحمل معه خاطرة أخرى أكثر تحريكا للقلب من الحزن نفسه ، وذلك أن كل شىء فان ، وأن الوجود دائب على تقريب الإنسان من الفناء لحظة بعد لحظة فى غير توقف ولا هوادة .

وقال شاعر آخر :

وإنى لأستغشى وما بى نعسة لعل خيالاً منك يلقى خياليا
وأخرج من بين الجلوس لعلنى أحدث عنك النفس بالليل خاليا

فما بين هذه الألفاظ هالات مختلفة من المعانى وهى سر ما تحدثه من الأثر فى النفوس . فهذا المحب يستغشى وليس به نوم ؛ وهو يخرج من بين الجلوس فجاءة كما يفعل من كان مضطرب الخاطر لا يأنس إلى المجامع الصاخبة ؛ وهو يطلب خيال الحبيبة ليلاقى خياله ؛ وهو يحدث نفسه إذا ما خلا إليها — أليست هذه صورة رجل قد سلب لبه واختبل عقله ونسى كل شىء فى الحياة إلا صورة الحبيبة التى استولت على فؤاده ؟ فهو لا يخبر الناس بحقيقة يريد أن يطلعهم عليها ، بل يرسم صورة لما أصابه من الاضطراب والقلق والخبل .

ولأضرب مثلاً قصيراً آخر للدلالة على أن شرف الألفاظ كامن فى ظلال معانيها ، وأن هذه الظلال لا يستطاع نقلها فى تعسف من عبارة إلى أخرى .

قال الأبيرد اليربوعى فى رثاه صديق اسمه (بُريد) :

أحقاً عباد الله أن لست لاقياً بريداً طوال الدهر ما لألأ العفر

فهو يسأل فى لهفة أحقاً لن يرى صديقه مرة أخرى وأنه سوف

يقضى سائر أيامه وحيداً محروماً من صحبته وإيناسه . ولكنه لا يقول فى ذلك أنه لن يراه ما طلعت الشمس ولا ما هبت الريح ولا ما انعقد السامر فى الحى ، بل يقول إنه لن يراه طوال الدهر ما لألأت الظباء العفر بأذنابها . فأين وجه البلاغة هناك ؟ أليس ذلك أنه كلما تذكر صديقه عادت إليه ذكرى ساعات المتعة الصريحة القوية التى كان يحسها فى صحبته إذ يخرجان معاً إلى الصيد ، حتى إذا ما لاحت لهما الظباء العفر تحرك أذنابها وتب قلباهما طرباً وسددا إليها السهام حتى يظفرا بصيد منها ثم يجلسان معاً يطربان سائر يومهما بما أصابا من لذة الصيد والفتوة ؟ فلو أراد كاتب آخر أن يستعير ذلك اللفظ فى تعبيره عن الألم لفقد صديق حميم لم يكن يخرج معه إلى صيد الظباء فى الأيام الصافية لكان جديراً بأن يخطئه التوفيق . فليس هذه الألفاظ بعينها التى تخلع البلاغة على عباراتها وإنما هى ظلال المعانى الخفية التى جملت لتلك الألفاظ دلالة وأكسبتها شرفاً . ومن الألفاظ الأخرى ما لا يقل فى الأداء روعة عنها إذا لم يزد عليها فى التعبير عن الحسرة المتمة المفقودة فى مواطن أخرى . فالصديق الذى كان يحس المتعة فى صحبة صديقه إذ يمرحان على شاطىء البحر مثلاً لا يزيد على أن يكون سخيفاً إذا رثى صديقه قائلاً « أحقاً أنى لن أراك طوال الدهر ما لألأ العفر » وإنما البلاغة فى أن يقول مثلاً « ما لمعت أمواج البحر الفاترةُ فى أيام الصيف الوديمة » فإذا كان الصديقان ممن يرتادون مجاهل الصحراء معاً أو يجولون بين الغابات العاتية ، كان الأجدر بمن يريد أن يعبر عن حزنه لفقد صاحبه أن يقول « أحقاً لن أرى صديقى ما هبت الرياح بين الأغصان ، أو ما غابت الشمس وراء الكثبان .

ويمكن أن نخلص من هذا إلى أن خير الألفاظ وأشرفها ما كان جديراً بتأدية المعنى واضحاً فى غير عسر ، وما كان فيه ظلال من المعانى توحى بالأثر النفسى الذى يريد الكاتب أن يبعثه فى نفس قارئه . وذلك لا يتأتى إلا إذا كان اللفظ حياً تحيط به هالة من المعانى يستمدها من الاستعمال فى الحياة . وإذا كانت الكلمات غريبة بعيدة عن الاستعمال كانت أحرى بالتقصير عن تأدية حق البلاغة فى التعبير .

وقد سار الأستاذ الزيات على هذه السنة فى أسلوبه سواء أكان ذلك فى ترجمته أم فى إنشائه . غير أننى أقول فى شىء من التردد أنه يحاذر أن يستخدم لفظاً يظنه سوقياً أو يظن أن القارىء يراه سوقياً. فهو إذا تحدث عن الماء البارد قال الماء الخِصر ، وإذا ذكر عبوس الوجه قال ابتساره وهو يقول : لو عَرَفَت لهذا الخطب لتبدد بأسها ، يقصد أن يقول لو صبرتَ للخطب وتجلدت ويقول : اليوم وجدت بى إقهاء عن الطمام ؛ وانماث قلبى كما ينماث الثلج ؛ وفرقتهم عُدواء الدار . وإنى أرى للوزير صَوْرة إلى منذ زمن طويل . وما أظنه يعمد إلى هذا إلا لغاية مضمرة فى نفسه ؛ فقد رأى بعض الكتاب إذا ترجموا قطعة من آيات الفن أسفّوا فى اختيار ألفاظهم بدعوى التسهل ، وما هم من السهولة فى شىء سوى التقصير عن شأو البلغاء ؛ فإنهم لا يختارون السهل الفصيح ولا يجعلون اللفظ فى موضعه الذى خلقه الله له ، بل يقحمون الألفاظ فى غير مواضعها فتنفر منهم ولا تجود لهم إلا بصور تافهة تضيع لب المعنى وتشوه المشاعر العالية التى يدعون أنهم ينقلونها. فهذا التحرى الذى يتحراه الأستاذ فى اختيار ألفاظه ليس سوى احتجاج على من يقحمون أنفسهم فيما لم يكونوا له أهلا . على أن أسلوب الأستاذ الزيات مع هذا التخير لألفاظه سهل واضح عذب فى الإيماء دقيق الدلالة على معناه .

والآن أختم كلمتى كما بدأتها بالترحيب بالأستاذ الجليل والابتهاج بالعودة إلى مزاملته فى هذا المجمع الموقر . وأسأل الله تعالى أن يسدد خطاه وخطانا فى خدمة لغتنا العربية الشريفة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد فريد أبو حديد

صرخـــة العبقرية!

للاستاذ راجى الراعى

هزّنى أمس وأنا أتنقل فى دنيا الجبابرة صراخ هائل عنيف كاد يمزق الأثير ويهتك حجاب الأفق فأسرعت إليه فإذا هناك ستة عباقرة يستجيرون بالسماء والأرض ، وكأنهم مجموعة آفاق ماطرة وبراكين ثائرة تختلط فيها الحمم المشتعلة بالسيول الهتانة فسألت : ما بكم أيها المنتحبون الثائرون ومن أنتم؟ فكشفوا لى صدورهم فإذا هى تحمل هذه الفظائع :

— أنا جائع واسمى (هوميروس) !

— أنا ظمآن واسمى (فرجيل) !

— أنا عريان واسمى (ديوجينس) !

— أنا أعمى سجين واسمى (المعرى) !

— أنا مهشم الجسم واسمى (غاليله) !

— أنا يا عباد الله فى الشارع وقد طردنى المالك ولا بيت لى آوى إليه واسمى (سبينوزا) !

ففار دمى وأطلقت من أعماق الروح صرخة حمراء مخيفة اهتز لها ضمير الزمان ، وهجمت وفى جبينى حمى الانتقام على الخبازين ، وجمعت ما لديهم من الخبز وطرحته أمام (هوميروس) صائحاً : كل أيها الجائع ، إن خبز الخبازين هو لك لأنك تُغذّى الخلائق .

وهرعت إلى الجبال وأطلقت الينابيع أمام (فرجيل) صائحاً: اشرب أيها الظمآن فهذه الينابيع هى بعض ما تدفق بها وحيك وإلهامك . .

وتصديت للبلهاء المرتدين أفخر الحلل ونزعتها عنهم صارخاً : إن (ديوجينس) الفيلسوف عريان فتخلوا له عن حللكم أيها البله المتعصبون . .

ووثبت إلى الشمس وانتزعت منها ألف شعاع وأسرعت بها إلى (المعرى) ليستعين بهـا ، ويرى بعينه الشمس التى تضطرم فى عبقريته . .

ورجوت من الخالق أن يوقف دورة الأرض احتجاجاً على تعذيب (غاليله) الذى قال بها ولم يؤمنوا به . .

وشهرت سيفى على الملاّكين وحلقت مُزمجراً : افتحوا أبوابكم (لسبينوزا) ، إنه أحق منكم ببيوتكم فهو المالك الحقيق ، المالك الأكبر ، مالك العقول والقلوب . .

وتنفس أبطالى الصعداء وراحوا يقبلوننى قبلة العبقرية والوفاء

أيها الناس ، أيها الناس ! إن أبطالكم يموتون من الجوع والظمأ والعرى والظلم وهم مفاخر تاريخكم وعناوين أمجادكم . . .

إن الأمة التى تقتل نابغها جوعاً لا يجوز أن ينبت الزرع فى أرضها . .

إن الأمة التى يموت فيها الفن والفنان ظمأً لا حق لها فى الماء

إن الأمة التى تبقى فيلسوفها عرياناً يمزق ثوبها التاريخ . .

أيها الناس إن الإنسانية التى تفخرون بها قامت على سواعد الكتاب والشعراء والفلاسفة والفنانين والمفكرين الذين تشق سيوفهم كثافة الدهور وتترنح بذكرهم الأجيال . .

أيها الناس ، أيها الناس ! اعترفوا بالجميل وكونوا إنسانيين عادلين . .

راجى الراعى

صور من الحياة :

زوجة تنهار !

للأستاذ كامل محمود حبيب

هب الفتى من فراشه – لدى مطلع الفجر – يستقبل هبات النسيم اللينة الرقيقة ويستمتع بأنفاس الصبح الندية وهى تطارد فلول جيش الليل المتدافعة نحو الغرب فى رهبة وفزع . ووقف يتأمل ماء النيل وهو ينسرب متدفقاً إلى غير غاية ، ويرنو إلى الأشجار الباسقة على الضفة الأخرى وإن أغصانها المتعانقة لتترنح فى فتور وتراخ كأنما تجاهد لتنفض عن نفسها لباس النوم الكثيف . وأحس الفتى – وهو فى مكانه – بالقوة تتدفق فى أعصابه وبالنشاط يمرح فى إهابه وبالنشوة تسرى فى دمه ، ونسى يوم أن كان طفلاً رطيب العود لين العظم مسلوب القوة واهى الإرادة وقد أصابه اليتم والفقر فى وقت معاً ، ففقد أباه صغيراً ليعيش إلى جانب أمه وحيدين فى ركن من دار ، ونسى يوم أن كان صبياً تضنيه المسكنة وتفريه الذلة ، يحس وطأة الشظف ولأواء الضيق ، يتوارى – أبداً – عن أترابه خشية أن تقتحمه عين وهو فى أسمال بالية وضيعة ، وخيفة أن يناله لسان سليط وهو يقضم كسرة خشنة تافهة . ونسى يوم أن صار شاباً ينطوى على نفسه فى تخاذل وهوان لأنه لا يستطيع أن يتطاول إلى مكانة رفاقه وهو خاوى الوفاض صفر اليدين . لقد كانت أمه تستفرغ وسع الطاقة لتدفع ثمن مكانه فى المدرسة ثم يصيبها البهر والإعياء فلا تستطيع أن تحبوه بالجديد من اللباس ولا اللين من العيش ... فعاشت إلى جانبه تدفعه إلى الغاية التى تصبو إليها نفسها وتصبر هى على الجوع والعرى فى رضى وإيمان .

أما الآن فقد تخرج فى مدرسة المعلمين العليا وعين مدرساً فى مدرسة (كذا) الإبتدائية ، فهو يستطيع أن يحبو نفسه بالكريم من الطعام والشريف من اللباس فى غير عنت ولا إرهاق ، والدنيا رخاء . فراح يتأنق فى مأكله وملبسه ومسكنه ويغدق على نفسه من أفانين النعمة ما أعجزه أن يناله فى عمر الفاقة والمتربة . وأحس اللذة والسعادة فى حياته الجديدة لا يشوبهما إلا أنه فقد أمه ... القلب الوحيد الذى يتوثب حناناً وعطفاً ويفيض شفقة ورحمة . فعاش من بعدها وحيداً ، لا يصحبه فى موكب الحياة إلا خادمه وهو فتى ريفى هرب من جفوة الحقل ليسكن إلى رخاوة المدينة ، وإلا بعض زملائه فى المدرسة .

واستشعر الفتى الوحدة توشك أن تقض مضجعه وتعكر صفو أحلامه وتقذف به فى بيداء من الخواطر المضطربة ، فهو لا يحس عطف الأب وقد ضمه القبر منذ عمر طويل ، ولا حنان الأم وقد ودعته الوداع الأخير منذ سنوات خمس ، ولا رقة الأخ وهو وحيد أبويه . أما أهله فقد تنكروا له يوم أن كان فى شظف العيش ورقة الحال ، فآلى على نفسه ألا يزور ديارهم أبداً وألا يعطف على فقير فيهم وألا يستعين بذى جاه منهم أو يلجأ إلى ذى مال . ومضت الأيام على نسق واحد وقد أقفرت من قلب ينبض بحبه أو نفس تضطرب بالعطف عليه فذاق لذع الوحدة ومرارة العزلة .

وجلس الفتى – ذات يوم – إلى زميل له يحدثه حديثه وإن نبرات صوته لتكشف عن أسى دفين عاش فى قلبه منذ أن كان طفلاً ، ونما على السنين وربا واشتد غرسه ، وإن عبراته المترقرقة لتنبئ عن شجو يقطع نياط القلب ويقد أوتار الفؤاد . ورق صاحب لصاحبه فقال الزميل « أرأيت – يا صاحبى – مرض نفسك وعلة قلبك ؟ إن لكل داء دواء يستطب به ! » قال فى لهفة ، « وما دواء دائى ، وقد استعصى على أن أطب له ؟ » قال « لا ضير عليك ، إن الزوجة والولد هما دواء قلبك وشفاء نفسك ، إنهما ولا ريب يمسحان على آثار الضيق ، ويمحوان علامات الضنا ، وينفثان فى الدار البهجة والنور ، ويبعثان فى القلب السرور والنشوة » فقال الفتى « لا عجب ، ولكن أنى لى أن أجد الزوجة وأنا أمقت أهلى وأبغض عشيرتى وأفزع عن ذوى قرابتى » قال « أتحب أن تتزوج من أهلك وفى الدنيا مراد وسعة » قال « أما أنا فلا أعرف داراً أجد فيها شفاء علتى » قال « ماذا ترى فى ابنة الأستاذ فلان ؟ » قال « هى فتاة لا أستطيع أن أسكن إليها : فأنا أرى فى أبيها الرجعية والتزمت وضيق العقل وسفاهة الحلم ، والفتاة فى كنف مثل هذا الأب تستشعر السجن والغل معاً ، فإذا انفلتت من سجنها انفلتت من قيود الشرف والكرامة »

قال « هذا وهم باطل ، ولـكن نفس العزب تصور له خواطر تافهة مضطربة لتقعد به أن يكبل نفسه بالزواج » قال الفتى « لطالما طافت الفـكرة بذهنى فما دفعنى عنها إلا أننى لا أجد من يتحدث بلسانى ويكشف عن ذات نفسى » فقال الزميل « لا عليك ، فأنا – منذ الآن – رسولك ! »

وانطلق الرجل يمهد السبيل لصديقه الفتى ، فما لبث الأب أن اطمأن إلى الرأى وأسلس للخاطرة فسميت الفتاة على فتاها .

* * *

وذاق الفتى – لأول مرة فى حياته – لذة الحياة وهدوء النفس وراحة الضمير وسعادة العيش ، فزوجته فتاة فى ربيع العمر ورونق الجمال ، تتألق شباباً وبهاء ، وتشع نوراً وضياء ، وهى زوجة من طراز ممتاز ، ترعى شأن الزوج وتحفظ ودّه وتقوم على حقه ، فيها اليقظة والنشاط وفيها والرقة واللطف . فهى تبذل جهد الطاقة لتهيىء داراً أنيقة فيها النظافة والنظام وفيها الهدوء والراحة وفيها السعادة والطمأنينة . وعاش الفتى إلى جانب زوجته يسعد بها ويرتاح إلى لقياها . ثم أقبل الطفل الأول يملأ الدار بهجة ورواء ، ويشد قلباً إلى قلب ويضم فؤاداً إلى فؤاد ، وانطوت الأيام

وجاءت الحرب تنذر بخطر عظيم ، وجاء الغلاء يريد أن يحطم سعادة قلبين ، فملت وجه الفتى غبرة قاتمة حين رأى راتبه الضئيل يتداعى أمام صفعات الغلاء وهى قاسية عنيفة ويتهاوى أمام حاجات العيش وهى كثيرة ملحة . والحكومة تنـظر ولا ترى ، وتتحدث ولا تفعل .

وأفزع الفتى أن يرى سعادته توشك أن تنهار لضيق ذات يده فانطلق إلى المدير يكشف له عن خلجات ضميره ويكشف أمامه عن حاجات نفسه ثم راح يستجدى عطفه ويسأله أن ينتدبه مدرساً فى السودان ليجد الحياة الطيبة والنعمة الوارفة . ورق قلب المدير للفتى الصريح فأجاب طلبته .

وعجل الفتى إلى زوجته يزف إليها البشرى ... بشرى راتبه الذى زاد ضعفين فى لمحة عين . وعجبت الفتاة أن يضاعف راتب زوجها مرة واحـدة فسألته فى لهفة « وكيف ؟ » قال « لقد انتدبت مدرساً فى السودان » وابتسمت الزوجة فقال لها « أو يزعجك أن أفعل ؟ » قالت « حسبى أن أجد لذة الحياة إلى جانبك وأن أسعد بخفض العيش فى جوارك ، ومالى هنا مأرب ولا حاجة » واطمأنت نفس الفتى حين وجد الخلاص ، وحين فر – هو وزجه وأولاده – من بين فـكى الفاقة والغلاء والضيق قبل أن تمصره عصراً يهد من كيانه ويزعزع من سعادته .

يا لرجولتك أيها الفتى ! لقد فزعت عن دارك ووطنك لتكون أباً وزوجاً تستعذب الغربة وتستمرىء الضنا وتصبر على رمضاء الحر ولفحة الهاجرة ، لتهيىء لزوجك وبنيك حياة طيبة فيها الرفاهية والخفض .

وخرّ الفتى – بعد عامين – مريضاً تتناهبه الأسقام من وقدة القيظ وتتوزعه الأوجاع من لظى الحر ، فارتد إلى القاهرة يتلمس الشفاء من علته ويطلب البرء من سقمه وإلى جانبه زوجته ترف حواليـه رفيفاً حلواً يخفف من ضنى نفسه ويمسح على آلام جسمه .

وطال به المرض والفتـاة إلى جانبه يتقاسمها الفتور والملل ويفزعها السجن والمرض ، وإن فيها شـباباً يصبو إلى الشارع ويهفو إلى السينما وينزع إلى المتعة فما تجد السبيل ، غير أنها لم تعدم تعلة تتملل بها لتفر من الدار ساعة أو بعض ساعة . وبدا عليها الضيق على حين تتصنع بالوفاء ، وأصابها الخور وهى تتخاذل بالنشاط . وللمريض عين نفاذة وأذن واعية وإحساس مرهف ، فأرخى الفتى لزوجته العنان علها تجد السلوة والمتاع .

واندفعت الفتاة إلى الشارع وإلى السينما ، لا تعبأ بالمريض ولا تعنى بشأنه ، وخلفته بين يدى الخادم تعبث به وتهمل أمره .

وضاق الفتى بحماقة الزوجـة الشابة حين رآها تسرف فى الزينة وتغرق فى التطرية وتفرّط فى أمر الدار والزوج والولد ، فراح يحدثها حديث خواطره فى لباقة ولين . ولـكن الزوجة كانت قد علقت شاباً آخر ذاقت إلى جواره حلاوة الهوى ورشفت رضاب المتعة ونقمت غلة الحرمان .

وعند الصباح انطلقت الخادم لتوقظ الزوجة فألفت فراشها خالياً ... لقد طارت الزوجة الخائنة مع شيطان من الناس ... طارت لتذر زوجها وحيـداً على فراش المرض يقاسى ألم المرض ويعانى هم الزوجة .

ونظر الزوج إلى بنيه وهم يتدافعون إلى حجرة أمهم وينادون

المـــــازنى فى عهدين

بين ابراهيم الكاتب وابراهيم الثانى

للأستاذ غائب طعمة فرمان

وصف المازنى ابراهيم الكاتب بقوله :

« إن أبرزمزاياه كانت أن أسلوبه صورة لنفسه الحية الحساسة المتوقدة ... وكان دأبه أن يدور بعينه فى نفسه ليطلع على كل ما فيها ، وأن يجيلها فيما هو خارج عنها ليحيط بكل ما وراءها ... ولكن قلما رأى شيئاً خارجها إلا من خلالها ... »

... ومن خلال هذا الوصف أعطانا المازنى صورة واضحة المعالم دقيقة السمات لنفسه ... تلك التى ترى الأشياء من مرآتها الخاصة وتبث من خلجاتها حياة فيها ...

والمازنى لا يفتأ يتحدث عن نفسه ، وينفذ إلى أعمق أعماقها ، ويسبر أغور أغوارها ، ويطلع على أخفى خفاياها ... ثم يرى العالم من خلالها ليتعرف على أسرارها !

فإذا بتلك السلسلة المتصلة الحلقات من التجارب الإنسانية تصبح مادة أدبه ، وإذا بذلك النهر المتجمع من قطرات أيامه وسنيه يمد المازنى بمعين لا ينضب من الأدب الرفيع .

وتحت معاول الهزات النفسية ، والجنبة فى رحلاته الطويلة فى عالم الفكر والشعور تربت نفسه ، وتهذبت ، وامحى بريقها الكاذب وبدت خالصة من الشوائب ، ناصعة الجوهر ... فإذا هو يعتز بها ، ويحيا لها ، وفى سبيلها يسمى ، وبها وحدها يعنى .

فإذا أسلمنا بهذا حملنا إلى الشك فى قول المازنى بأنه « ليس ابراهيم الكاتب الذى تصفه الرواية ؛ وإن هذا المخلوق ما كان قط ، ولا فتح عينيه على الحياة إلا فى روايته » فتلك مغالطة أعظم بها من مغالطة ، وتنكب عن واقع الحياة ، وهروب عن لذعات السنين الماضية ، وذكرياتها المريرة التى قد تكون شديدة الوطأ على نفسه ، قاسية الوقع على شعوره ... وما تلك الفروق بين ابراهيم المازنى وابراهيم الكاتب إلا ضرب من المخادعة واللف يلجأ إليه المازنى فى كثير من الأحايين .

وقد تغير المازنى السنون فيبدو لعينيه ابراهيم الكاتب - وهو يمثل طوراً من أطوار حياته — رجلاً غريباً « لا تعجبه سيرته ولا مزاجه ولا التفاتات ذهنه » . فينفر منه ، ويجفوه لاختلافه فى الاحتفال بالحياة والأعراض عن الدنيا ، والوعورة فى الأخلاق والنفور من الناس ، والمرارة من الواقع الأليم ، والرضى بما هو كائن ...

فالمازنى الشاب بنزوات قلبه ، وخفقات روحه ، وتسابيح خياله ، وإنسراح عواطفه قد مضى .. وخلف ذكريات مرة مسجلة على صفحات « ابراهيم الكاتب » .

ولست أدرى كيف استساغ المازنى أن ينفى كونه ابراهيم الكاتب بعد أن قال فى الصفحة الأولى من المقدمة :

بدأت هذه الرواية فى سنة ١٩٢٥ ثم عدلت عن إتمامها ، والمضى فيها وبها إلى غايتها ونسيتها إلى شتاء ١٩٢٦ فاتفق فى ذلك الوقت أن عرفت سيدة نمسوية تزاول الصحافة والتعليم فى آن معاً ، وتوثقت بيننا الصداقة على الأيام — فقد طال مقامها هنا — فأطلعتنى على صفحة من حياتها حافلة بالكروب والمتاعب ، ولما كنت لا أعرف لى ، مع الأسف ، تاريخاً يستحق الذكر ، أو حياة جديرة بأن يصغى إليها ، أو يطلع عليها السامع أو القارىء ، ولما كنت معها فى موقف يتقاضانى أن أجازيها بثاً بيث ، وأن أقول لها بشجوى ، كما قالت لى بشجوها ، فقد ركبنى عفريتى الذى استراح إلى كتفى ، واطمأن إلى استسلامى لقضاء الله فى ؛ معه فقصصت عليها حكاية الرواية — كما كنت أنوى أن أكتبها — وزعمت أن هــذه قصة حياتى !!! ولما كانت حياتى مستمرة فقد إحتجت وأنا أسرد عليها هذا التاريخ المبتدع أن أجعل الختام باباً مفتوحاً »

« أمى ... أمى ! » فطفرت من عينه عبرة حرّى لأنه أحس — فى يوم ما — أن فقد الأم يحز القلب وخزات جاسية غليظة ، ولأنه استشعر لذع الخيانة يسم حياته بسمات الخزى والمهانة ، ويسربل أولاده بلباس السبة والعار .

آه ، يا لقلبى ! إن الزوجة حين ترتدغ فى حمأة الخيانة تعلن عن أن دمها لم يشعر يوماً بالمعانى السامية والشرف والكرامة .

كامل محمود حبيب

... ثم وصف المازنى لابراهيم الكاتب وصفاً لا أظن الذين رأوا المازنى رأى العين يفوتهم هذا التشابه الجسمى بين ابراهيم الكاتب وابراهيم المازنى ...

كل هذا يدفعنا إلى أن نقر بأن المازنى قد سجل فى ابراهيم الكاتب عهداً من عهود حياته ، عهداً مليئاً بالهزات النفسية ، عهداً بذر بذور التشاؤم فى نفسه ، وأسلمه إلى شيء يشبه القنوط ، عهداً لم يخل من أخطاء ونزوات وزلات وهفوات ، حتى اضطره آخر الأمر إلى أن ينكر ذلك الرجل الذى يهرب من العقل ، ويغور فى كهوف العاطفة ، ويهوم فى مساربها العميقة ..

و « ابراهيم الكاتب » قصة رحلة ، تبدأ بإخفاق ، وتنتهى بإخفاق .. ويظل القلب الذى شهد فصولها يتألم من الحاضر ، ويتعذب بالماضى الدفين .

وتبدأ هذه الرحلة حين يذهب ابراهيم إلى الريف ، بعد موت زوجته ، وخروجه من المستشفى وهو مجروح القلب ، يعذبه حب مارى ... يذهب إلى الريف ليسلو ، وليقضى وقتاً فى أحضان السكون ، ومراتع الطبيعة الريفية الهادئة ، بعيداً عن ضوضاء المدينة ووساوس الحب وآلامه .. ولكنه لم يدر أن القدر يترصده ؛ فيقع فى حب ثان أعنف وأشد ... هو حب شوشو بنت خالته ، تلك الفتاة الغريرة بنت السابعة عشرة ، وذات العينين العميقتين السوداوين المعبرتين عن طبيعة صاحبتها ، والمفصحتين عن حقيقة جمالها ، الحلوة النفس ، الخفيفة الروح ، الظمأى إلى المجهول .

ولكن المرارة دائماً تفعم قلب المازنى ، واليأس يصحبه ، والإخفاق يطارده ؛ فالحب الذى اضطرمت ناره فى صدر العاشقين ، وجريا معه فى مجاريه يتحطم على أعتاب تلك القوة الغاشمة ... قوة التقاليد ... فيسافر ابراهيم إلى الأقصر ليدفن هواه الجريح ، ويواسى قلبه المضطرب ، وليتسلى عما أصابه من إخفاق .

وكأن القدر يلذ له أن يحرك الأثار المرهقة من قلب ابراهيم ، فهناك يلاقي فتاة مصرية تدعى (ليلى) .. وسرعان ما يختلج فى فؤاده لهيب العاطفة التى تعذب بها ، وصلى نارها ، فينجرف فى تيارها إلى الشاطىء ذى الأشواك .. شاطىء الحب الصارم ، فيوغل فى حب ليلى ، ويندفع معها إلى جنائن الفاكهة المحرمة ! ..

ولكن ذلك الشيطان الظالم ... الإخفاق ... دائماً يظلله بأجنحته السوداء ، فيصاب بالمرض ، أغلب الظن أنه أورثه تلف الأعصاب ، وخلق منه ابراهيم الكاتب .

وبعد تلك الرحلة الفنية يسلم نفسه إلى كآبة عميقة ، ويأس مرير ... وفى خلال صفحات الكتاب نرى نفسه الحساسة المرهفة كيف تتعذب ، وكيف تشقى بإحساسها ... فالحياة لم تنر لها الطريق ، ولم تهدها إلى نعيم الاستقرار ، فظلت هائمة لا يثوب إليها الاستقرار ، ولا تركن بزورقها الحائر إلى شاطىء الهدوء .

فلا غرابة — إن اتجه ابراهيم الكاتب إلى التشاؤم بعد هول العاصفة ، يلوذ بكهوفه ، يرضى فيه نفسه الجريحة ، ويحاول أن يحسب الألم عنصراً من عناصر الحياة :

« اسمعى يانونو ... لقد أهاب بنا نتشه أن نحيا حياة خطرة ... ولكنى أقول إنه ينبغى أن نحيا حياة مؤلمة ! . إن الألم لا سخيف ولا بشع ... انظرى هذه الشمس التى تنحدر للمغيب ... إن للشمس بقعها ، والشمس على رغم من بقعها هى حياة الأرض ... هى وحدها الحياة ... والسعادة أيضاً لها بقعها ... ولك أن تسميها آلاماً ... ولكن هذه الآلام هى التى تجعلنا نقدر السعادة التى نفوز بها ، والحياة بالقلب هى الحياة الثامنة ، أما من يبلد قلبه ؛ من يخنقه فهذا إنما يحيا حياة هندسية فى ناحية واحدة » .

هذا الشاب المتوقد كم عذبه إحساسه ، وشقى بعاطفته ؛ فكان يحس فى قرارة نفسه بعد أن أنهى آماله ، وتحطمت أحلامه — أنه يحسن به أن يستقر ، ويهدأ ويلقى جسمه المنكود المتعب ، ونفسه المنهوكة المثقلة بأعباء الحياة فى ركن يستكن به .. فى بيت يربطه الرباط المقدس ، وتظلله ظلال وارفة من التآلف والحنان .. ولكن أنى له ذلك ؟! ألم يحاول أن يتزوج من ميمى الفتاة التى أحبها ، وأحبته واستغرق الإثنان فى حبهما ، حتى إذا أشرف على الزواج وقف ذلك الجدار المرتفع من التقاليد . حائلاً دونه ودون ما يصبو إليه .

وليلى ؟ . . الفتاة الظريفة الحركة الحلوة التعبير ، الناضجة الجسم ، السمراء اللون ، الدائمة التفكير ... لقد هام بها ، فجاء إليها مرة قائلاً « .. إن هذه اللحظة رهيبة فى حياتى فهل توافقين على الزواج منى ؟ .. » فتجيبه « يا حبيبى المسكين أجننت ؟! » .

وفى هذه اللحظة الرهيبة تتبين له حقيقة ليلى ، وتتكشف له

سطوراً من صفحات ماضيها القاتم ، وتزرع فى قلبه المفتون أشواكاً ، وتذر فى عينيه حفنة من رماد !

ويتحطم كل أمل له فى البيت المنشود ، ويظل الاستقرار بعيداً عنه ، نفوراً منه ، ويظل قلبه المرهف يتجرع الصاب فى صمت !.

وينظر إلى سجل أيامه الماضية من بعيد وهى متوارية خلف آفاق الماضى ، والدموع تملأ قلبه ، والغصة فى حلقه .

وذات مرة تسأله أمه :

— يا بنى ألم تفكر فى الاستقرار ؟

— الاستقرار ؟ ! . . إن البيوت الثابتة إنما اخترعت لأن الإنسان اشتهى السلامة وطلب الأمن ، وأراد أن يكون مطمئناً إلى ما يتوقع .. فإن الخيال لمنة .. والحياة تظل تجربة حتى يكون للانسان بيت ويشعر بأنه له ، ويصبح هو ملكاً لهذا البيت ، مشدوداً إليه ، مقيداً به ، والناس فى العادة يرتاحون إلى هذا الشعور ، ويحبون أن يكونوا على يقين من أن هناك وسادة يضعون عليها رؤوسهم كل ليلة ، وأن هناك إمرأة يسمونها الزوجة ترقد إلى جانبهم .. نعم فإن الإنسان إنما يطلب البيت لأنه يطلب الزوجة ، وهو يطلب الزوجة لأنه يريد أن يريح نفسه من متاعب الإحساس الجنسى ! ! كأنما هو يريد أن يفرغ من الأمر مرة واحدة وفى لحظة واحدة .. هذا هو الاستقرار .. وليس فيه ما يخدم الآداب والفنون أو يساعد على التقدم .

وهكذا يخلص ابراهيم الكاتب إلى هذه الفلسفة يحاول فيها أن يقنع نفسه ويرضيها بالتعلات ، ويسوغ إخفاقه بأشياء لا يرضاها إلا القلب الكسير !

فلا جناح أن يتجه المازنى فى ذلك الدور المضطرب ، إلى الكآبة يغرق فى لججها ، وإلى التشاؤم يتسلى فى قناعته ، وإلى الألم يستسيغه ، ويستمرى مره ، وإلى اليأس من كل شىء .

وخيل إليه « أن المرء لا يستطيع أن ينظر إلى الحياة بإخلاص إلا بعين يمتزج بها التشاؤم والتسامح ، وأن الدنيا حافلة بالسوء والقبائح ، وأن الحياة فنها — أقوى فنونها — التثبيط ، وأن الإنسان يعيش سنين وسنين ويتصل بمن لا يحصى عددهم من الناس ، ولكن ما أقل الوافق منهم ! . . وأن خاتمة كل حياة الأسف والندم .. وهما جيل ينمو معنا طالعاً من أقدامنا ، وقلما نعرف اسمه فى صبانا ، وما أكثر ما نتوهمه جبلاً رائعاً جليلاً .. وإنه لرائع وجليل .. ولكنه مخيب للأمل .. ويعلو الجبل أمامنا ويتضخم ونحن نصعد فرحين بالحياة ، مغتبطين بالعيش ، ثم لا نلبث على الأيام أن نتمهل وندير عيوننا ، ونرجع البصر فيما خلفنا ووراءنا ، فتأخذ عيوننا شقوق الفضائح وفدافد اليأس ، وأودية السقوط . . ومع ذلك نظل نصعد فى جبل الندامة ، وماذا عسانا نصنع غير ذلك ؟. ويجىء يوم نهرم فيه ، وتكل أرجلنا ، وتجف أنسجتنا ، ونعيا بالاصعاد ، فنقعد على قنة مريحة ، وننظر إلى جداول الحياة المنحدرة . . الحياة التى تظل تترقرق ، ويظل واديها خصيباً ، وإن أخفقنا نحن ، ونشفنا واحداً بعد واحد فنتعلل بذكرياتنا ، وتبدو لنا هذه الذكريات أجمل وأسبى من الحوادث التى ولدتها ! » .

هذه الصورة الرمزية القاتمة الدقيقة التى رسمها المازنى ليمثل فيها أدوار الحياة الإنسانية تمثيلاً يحمل إلى النفس كثيراً من الأسى والحسرة . . هى خلاصة فلسفة ابراهيم الكاتب بعد أن ألقى رحاله فى أحضان اليأس ، والإخفاق ، يحسب أنه معذور إذا بكى إساره ، وحاول أن يتباهى بسجنه .. وبدت له الصور القاتمة فى مخيلته ، صور الذكريات الحلوة المرة ، الباسمة القاتمة « أجمل وأسبى من الحوادث التى ولدتها » فى نظر اليائس على الأقل !

وإلا فماذا كسب من الذكرى ؟

أحب مارى ثم أراد القدر أن يسخر بمنطق الحب ، فافترق عنها . . ولكن ذكرياته معها ظلت حية تعمر مخيلته ، وصحبته إلى الريف موطن العزاء والسلوان . . حتى إذا أحب توتو بقيت ذكرياته تملأ قلبه مرارة . . ثم تحول حبه إلى توتو قبضة من إخفاق . . وبعضاً من ذكريات كانت تعذبه وهو غارق إلى أذنيه فى حب ليلى ! .

ومع ذلك فهو يحسب الذكريات « أجمل وأسبى من الحوادث التى ولدتها » .

(البقية فى العدد القادم)

غائب طعمة فرمان

ماذا علمتنى الحياة ؟ (*)

تأليف الأسقف و . ر . أنبج

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

تقديم الكاتب :

(ولد عام ١٨٦٠ فى مقاطعة يورك شير . اشتغل محاضراً من ١٨٨٩ — ١٨٠٤ فى جامعة اكسفورد (كلية هـ تفورد) . ثم كان قسيساً لإحدى كنائس لندن بضع سنوات ، ثم أستاذاً للاهوت فى كلية ماجد ولين كمبردج وعين عام ١٩١١ أسقفا لكنيسة (سنت بول) . ثم ترك الخدمة العامة ١٩٣٤ . ألف ونشر مايزيد على أربعين كتابا ومن بينها كتب قيمة عن الصوفية والمتصوفين) .

ماذا علمتنى الحياة ؟ إن سبعة وثمانين عاماً يعيشها المرء كافية لتعليمه شيئاً .

كان ماركوس أوريليوس يقول : إن رجلا حصيفاً فى الأربعين من عمره يرى من الحياة ما يكفى لتعليمه الدور الذى سيمثله على مسرحها . ولعله مصيب فى قوله . إن العقل والضمير قد بدآ — إلى حد بعيد — يستيقظان فى القرون الوسطى . أحسب أن هذه المقالات لن تكون إلا يوميات مركزة على طراز أميل ، غير أننى ذكرت كل مايمكن قوله عن حياتى فى كتابى المسمى (وداعاً أيها الوادى) الذى كتبته للسادة لونجمان عام ١٩٣٤ وذلك حين تخليت عن كرسى المسؤولية فى التوجيه الروحى ، وأحسب أن طبعة ذلك الكتاب قد نفدت الآن ، لأن قاذفات الألمان قد دمرت مستودعات الناشرين . وأمل الأمل غير بعيد فى إعادة طبع ذلك الكتاب إذا كانت هنالك رغبة فى تسجيل حياتى المتواضعة إذ لم يبق شىء يتصل بها غير ما هو محفوظ فى سجلات الأكاديمية البريطانية عن تاريخ حياة الأعضاء والذى قد ينشر بناء على رغبتى . لذلك لا أجنِد مناصاً من المرور من الكرام بما نشر سابقاً عن حياتى وأنا أكتب هذا المقال .

لقد تعلمت شيئاً واحداً بصورة لا تقبل الشك ، ألا أحسن الظن بنفسى كثيراً . وكلما أويت إلى فراشى تمر الحماقات وأعمال الطيش التى تتصل بالنصف الأول من حياتى ، كحلقات متصل الحلقات ، أمام عينى تحملق فى مكشرة عن أنيابها . يقول الكونت كسرلنج : علينا أن لا نزعج أنفسنا بأمور حدثت قبل خمس عشرة سنة ، غير أننى لا ألقى اللوم عن نفسى . حينما أفكر فى الحنان الذى كان يتدفق على أبواى وأهلى ، وبعواطف الصداقة الخالصة التى كان يغمرنى بها الأصدقاء ، لا أجد مناصاً من اتهام نفسى بعدم المبالاة ونكران الجميل ، وهو خطأ فى حد ذاته جد خطير .

والذى يبدو لى أننا لا نتذكر من مثالبنا غير التى لا وجود لها فى أخلاقنا الآن . إن ذاكرتى تكاد تفيض بالحماقات التى لم أسجلها عن نفسى . وهنالك أسرار يحملها الموت منى إلى القبر وهى مزيج من القسوة والأخطاء والطيش .

هل نحن ملزمون أن نطبق على أعمالنا مبدأ (لا تحكم على نفسك) . قال سنت بول : (لا أستطيع الحكم على نفسى) . وقالت بورشيا : (نحن نطلب الرحمة من الله) . إن الله يغفر لنا الذنوب التى نتوب عنها توبة صادقة وإن كنا لا نغفر لأنفسنا بعض ما اقترفنا من ذنوب .

أترانى أستطيع تذكر المباهج الكثيرة التى مرت بحياة كان التوفيق الظاهرى حليفها فى الدنيا ؟ كلا . لقد كان نصيبى من أوجاع الحياة أكثر من مباهجها . لقد كان بيت القسيس فى القرن التاسع عشر — كبيت القسيس الاسكتلندى — المكان الذى تترنى فيه المثل العليا للخلق والذوق : حياة رتيبة بسيطة تعنى بالعقل كثيراً ؛ لا فقر ولا غناء ؛ صحة وعمل مثمر ، وهى أمور لم يكن لها وجود إلا فى بيئة من هذا النوع فى ذلك الزمان .

(*) أصدرت مطابع السادة ادهام فى لندن عام ١٩٤٨ كتاباً قيما عنوانه (What Life Has taught me) تحدث فيه عشرون من الرجال والنساء ، وهم الصفوة الممتازة من أساطين الفكر فى بلاد الانجليز فى الوقت الحاضر ، عما تعلموه من الحياة ، وقد ترجمنا لقراء الرسالة المقال الأول فى ذلك الكتاب وهو بقلم الأسقف و . ر . أنبج

(المترجم)

كان أبى لاعباً مبرزاً فى « الـكركيت » ، ومميداً في الـكلية التى تخرج منها فى أكسفورد ، وأبعد الناس عن الطموح . لقد اكتفى من دنياه أن يكون قسيساً مساعداً لجدى شورتون رئيس الشمامسة حتى بلغ الخامسة والأربعين من عمره . حتى لقد رفض أن يكون مطراناً لأبرشية سلسبورى ذات المكانة الممتازة عن طريق التواضع الرخيص والخمول النفسى . وكانت والدتى امرأة عالية الثقافة تملمت فى ظلها تعليما مكننى من اجتياز الفحص لدخول كلية ايتون ، بعد دراسة فصل واحد فى مدرسة خصوصية ، وكان ترتيبى فى ذلك الفحص الثانى . لقد ابتسم الحظ لى فى ايتون وتتلمذت على أمهر أستاذ فى الآداب الـكلاسيكية وهو فرانيس سنت جون تاكارى ابن عم الروائى المظيم .

كانت تلك الفترة هي عصر الدراسات الـكلاسيكية الذهبى فى ايتون . لقد ارتفعت دراساتنا فى تلك الآداب إلى مستوى لم تعرفه جامعة كمبردج فى تاريخها الحافل المجيد ، فحزنا درجات الشرف ، ولـكن الحظ لم يداوم ابتسامه فعبس فى وجوهنا ونقل أستاذنا المظيم إلى أكسفورد .

لم يكن هنالك مكان لمحاضراتى فى كلية (كنبج) ولذلك رحت أعلم اليونانية واللاتينية لطلاب ايتون الصغار — ذلك الأمر الذى لم يكن من واجبى . وبعد أربع سنوات مضنية مع أولئك الصغار ، نقلت إلى جامعة أكسفورد محاضراً فبقيت بها خمس عشرة سنة والسيادة ترفرف على رأسى . وحينما أخذ السأم يدب إلى نفسى من حياة الجامعة ، قدم لى صديقى القسيس هنسون منزلاً يقع فى (وست أند) ، وقد صادف التغير الجديد أسعد حادث فى حياتى وهو الزواج .

لست أدرى هل من حسن الذوق أن أقول ذلك ؟ لقد طلب منى أن أذكر ما علمتنى الحياة ، وهـذا الشيء هو أثمن وأروع دروسها . ليس الزواج السعيد هو أحسن ما فى حياة البشر ، إنما تملمت إلى جانب ذلك أن الحب لا يختلف فى مقداره وإنما فى نوعه بالنسبة لنعم الله علينا . حينما قال سنت جونس : (إن الذى لا يحب لا يعرف الله لأن الله هو المحبة) ، كان يعبر بأبسط الـكلمات عن الحقيقة المليا ، وهى أن الحب يقودنا إلى عالم الحقيقة عن أقصر طريق لا يعرفه إلا الذين يحبون .

هنالك يبدو الخالق مجسما فى الخير المطلق والصدق والجمال . إن هذه فى حد ذاتها ليست فى واقع الحياة غير مثل أفلاطونية إنها تخص عالم الروح ولا تصل إليها إلا عن طريق الإيمان ، كما تتراءى لنا الصورة فى المرآة على حد تعبير سنت بول . إن الحب هو الجناح القوى الذى يحمل أرواحنا محلقة إلى ملـكوت الله . لقد أوضح تلك الحقيقة سنت برنارد كلارفو فيما يتعلق بحب الله ، لـكن سنت جونس قال لنا إن الذى لا يحب أخاه وهو يراه لا يستطيع أن يحب الله وهو لا يراه .

كثيراً ما رددت وأنا أبارك زواج فتى وفتاة من على مذبح الـكنيسة البيت الثانى من شعر شكسبير : « لا قيمة للروابط الظاهرية فى تمـكن العلائق الروحية بين زوجين كريمين » . وهو من أروع ما قيل من الشعر .

لست أرى مانعاً من الخوض فى هذا الموضوع . ليس الضرر الاجتماعى فى انتشار الدعارة بأكثر من التساهل فى شأنها التساهل المعيب فى طبقات المجتمع العالية التى يُفرض أن تـكون نموذجاً للفضيلة فى الحياة . لقد تدهور الخلق فى الخمسين سنة المنصرمة تدهوراً معيباً يدعو إلى الأسف الشديد .

إن السعادة الثانية لزواج سعيد أساسه الحب هى الأبناء . لقد كان أولادنا الخمسة مصدر سـعادة خالصة لنا . مات اثنان من أولادى وهما صغيران ، وتبعتهما ابنتى بعد مرض طويل ، وقد مزق قلبى صوتها فرثيتها بأبيات أعتقد أنها كانت مصدر عزاء وسلوى لقلوب محزونة كثيرة . وتعلم ابنى الأصغر فى ايتون وفى كلية ماجد ولين من جامعة كمبردج ، وانتظم فى سلك الـكهنوت وأحبه الناس كثيراً فى بوركشير . وكان ينتظره مسـتقبل باهر فى خدمة الـكنيسة . كثيراً ما كنت أردد قول هكتور فى الياذة هوميروس حينما حمل طفله استيانكس بين ذراعيه وهو يقول : « سيقول الناس عنه إنه كان أحسن من أبيه » . لـكن الحياة لم تمهله . لقد دفعه الواجب إلى التطوع فى قوة الطيران الملـكية إبان الحرب العالمية الأخيرة ، وعين مدرباً ، وكان عمله يستوجب أن يطير مع المتمرنين ، وقد اضطرت الطائرة مرة إلى الهبوط ، وتخلص ابنى ريشارد منها ، ولـكنه حينما حاول إنقاذ رفيقه وتلميذه من الطائرة المحترقة اختنقوا وماتا معاً .

علينا أن نحذر من الآمال الكثيرة فى الحياة الأخرى . إننا لا نستطيع تصورها إلا فى حدود الزمان والمكان ، ولكن إذا كنا من الذين يؤمنون بأن منقذنا المسيح قد ضمن لنا الحياة الخالدة فإن ذلك كاف لأن ننظر إلى الموت بغير ما يتراءى لنا . ولعلنا نوافق وليم بن على قوله : (إن الذين يحبون ما وراء الحياة ، لا تستيع الحياة فصلهم عما يحبون ، وليس فى مقدور الموت أن يقتل ما لا يمكن أن يموت ، ولا أن يفرق بين الأرواح التى جمعها الحب فى الحياة والتى سيجمعها ملكوت الله فترى نفسها فى المرآة الإلهية وتتحدث بأسلوب طليق ...)

لقد عينت عام ١٩٠٧ أستاذاً لكرسى اللاهوت فى كمبردج بعد إقامة تقرب من السنوات الثلاث فى لندن . كانت حياتى فى عملى الجديد رتيبة ، هادئة ، رضية ، وكنت أتمنى أن تستديم حتى نهاية عملى فى الخدمة العامة . ولكن التاج بوساطة المستر اسكويث عام ١٩١١ عرض على منصب مطران كنيسة سنث بول ، وقد رأيت أن اللباقة تقضى على أن أقبل مسؤولية هذا المنصب الخطير .

لن أذكر هنا كثيراً عن الثلاث والعشرين سنة التى قضيتها فى هذا المنصب ، لأن ذلك قد استغرق القسم الأعظم من كتابى المشار إليه عن تلك الذكريات . إننى مدين للصحافة بقسم كبير من التوفيق لعظيم ما تلقتنى به من الترحيب والتشجيع ... لقد لقيت كتبى رواجاعظيما ، ودعيت لألقاء محاضرات لا يبلغها الحصر . قال لى رئيس الوزراء حينما سلمنى براءة التعيين : إنه يأمل أن أحيي تقاليد ذلك المنصب الروحى الخطير فى كنيسة انجلترا . لقد كانت تمر بخياله ذكريات رواد الكنيسة وبناة مجدها الأولين من طراز كولت ، ودون ، وتلستون ، وملمان ، ومانسل ، وشرك ، وأحسب أننى قد مررت على آثارهم كأحسن ما يكون ، ولكن ليس من حق أن أحكم على أعمال نفسى . ولا أرى أيضاً ضرورة لذكر الثلاث عشرة سنة التى قضيتها فى ريف بوركشير بعد اعتزال الخدمة . إن بلوغ الإنسان أرذل العمر تجربة خطيرة من تجارب الحياة . إننى لا أكاد الآن أشعر بأثر أى شيء فى عواطفى . تجرى الأيام والشهور والسنون وأنا أحسبنى فى حلم طويل . لم أجد شيئاً فى الحياة يستحق أن يتهالك الناس عليه ، لأن الدنيا بكل ما فيها من متاع وسرور ، ليست إلا خيالا يمر مرور سحابة صيف ، وليس فى حياة فانية شيء يستحق أن يرجى ويؤسف عليه . إلا أن فى رحمة الله ما يسع بلادى البائسة وأبناء وطنى المتعبين . إن تراخى رباط الحياة التدريجى من جسدى لا يخيفنى كثيراً ، ولن أبكى كما بكى شاعر الحب الأغريقى ممنرامس وتمنى أن يموت فى الستين من عمره ؛ وليس كما فعل هو راس الذى كبر فى غير أوانه ، وأصبح يحس بفقد مباهج الحياة واحدة بعد الأخرى . لا أريد أن أردد قول تنسون المرير : (إن السنين التى تجعل من الطيش اتزاناً فى الإنسان ، هى التى تأخذ ما تعطى وتترك الظلام فى البصيرة والعينين) ...

لعل فى استطاعتنا تجنب الإحساس بحالة من هذا النوع فى الشيخوخة ، وإن كنا لا نرى رأى السير توماس افربرى الذى يريد أن نشعر بشيخوختنا إحساساً تُنسى فيه أرواحنا بدلا من الإحساس بضعف أجسادنا ... أستطيع أن أقول إننى لست تعساً ... إن الراحة بعد النصب المرهق أمنية جميلة ، وإذا كنا نؤمن بصدق الديانة المسيحية فعلينا أن نؤمن بقول لويس نتلشب : (ليس للموت وجود) . إن المسيح يقول فى الإنجيل الرابع : « إن الذى يعيش ويتبعنى فلن يموت أبداً)

(البقية فى العدد القادم) **على محمد سرطاوى**

الفلســـــفة الوجودية

للأستاذ عبد الفتاح الديدى

لم يصل المستوى الثقافى فى مصر إلى الحد الذى نستطيع معه أن نقول عن حركة فكرية بالذات أو نوع من الفلسفة بأنه قد شاع بين أبنائها وطبقات المتعلمين فيها ، ولكننا نستطيع مع ذلك أن نقول عن الفلسفة الوجودية إنها قد شغلت الأذهان وجرى اسمها على الأقلام والألسن واختلف الناس فى أمرها اختلافاً كبيراً بين محبذ لها ومندد بها . وهؤلاء يتلقفون أخبارها وينتظرون الأنباء عنها بفارغ الصبر . فيجدون يوماً من يذهب إلى باريس ليعود بعد ذلك فيقول عن مشايعيها إنهم فلاسفة الأندية والمقاهى (والواصلات) . وينظرون فإذا بأديب كبير من أدبائنا المعدودين يحمل نبأ خطيراً مؤداه أن الأستاذ الجليل أندريه لالند قد حكم عليها أمامه بأنها فلسفة العدم . فضلا عن أن الجرائد المصرية والأجنبية قد أخذت تنشر عنها أخباراً متصلة الحلقات : فمرة تقول إن الشيوعيين قد صادروا كتاباً من كتب جان بول سارتر — الفيلسوف الوجودى المعروف — فى معظم المناطق الأوربية الخاضعة لحكمهم . ومرة يأتى خبر بأن البابا قد أصدر قراراً بتحريم كتب سارتر لخروجها عما توحى به الشرائع وما تنص عليه الكتب المقدسة . وفى مرة ثالثة يأتى خبر من أسبانيا يصف البوليس هنا لك وهو يطارد الوجوديين كما يطارد المهربين والخارجين على القانون . فهذه الأنباء المتواترة من شأنها أن تزعج القائمين بشئون الثقافة والأدب فى مصر وأن تدفعهم إلى إثارة موضوعها من حين إلى حين .

ولكن أحداً عندنا لم يناقش هذه الفلسفة مناقشة عادلة صريحة ، أوقل إن أحداً عندنا لم يحاول أن يفهم المسألة فهما يؤهله لأن يقف منها موقف المؤيد أو المعارض . فما زالت الوجودية حديثة عهد بالنسبة إلى كثير من الذين يفكرون عندنا ولم تزل موضوعاتها غريبة عن عقولنا ولم تزل روحها غريبة عن مشاعرنا. ويمكن أن نذهب إلى حد القول بأن هذه الفلسفة ، وقد جاءت نتيجة لروح عامة أو لحركة معينة فى الفكر الأوربى لم تجد كثيراً من القبول لدى أدبائنا ومفكرينا ممن لا يستطيعون الخروج عن نطاق الذوق المصرى المتأثر بظروفنا الخاصة كشعب أولاً وكطبقة متعلمة ثانياً. والحق أنها لم تصادف هذا الموقف لدينا فحسب ، وإنما وجدت كثيراً من المعارضة ومن النقد فى معظم المجلات والصحف الانجليزية والأمريكية . وأغرب من هذا كله وأدعى منه إلى الدهشة والتعجب أن أنصارها أنفسهم والمشايعين لها بأفكارهم وكتبهم ليسوا راضين عنها كل الرضا وأنهم لا يوافقون على نسبتها إليهم .

وأصل الإشكال فى هذه الفلسفة هو أنها تتطلب روحاً معينة لدى من يؤمن بها ويتعصب لها ، وتقتضى أن يكون فى نفس الإنسان صفات خاصة من أجل أن يصير واحداً من المعجبين بها. فليس كل إنسان بقادر على أن يجد فلسفة الوجود عنده موافقة ورضا وأن يقدم على قراءتها بنفس مطاوعة ، فإن الكثير من النزعات الاجتماعية والتربوية والدينية — وهى الأكبر تأثيراً فى نفوس الناس — لا تتلاءم مع الوجودية فى أفكارها وميولها ؛ كذلك يلاحظ أن الفلسفة الوجودية أميل إلى الأدب والفن منها إلى العلم والحقائق المقررة ؛ ومن هنا كانت تعول دائماً على الذوق وعلى الإحساس أكثر مما تعول على المعرفة الأصولية المستندة إلى خبرة عملية واتجاه نامى .

وهناك أسباب موضوعية خالصة تدفع بالناس إلى كراهة هذا النوع الجديد من التفكير : فقد اتجه فلاسفة الوجود إلى العناية بظاهرة الموت مثلا وتفسيرها ، والكلام عن الشعور بالقرف ، والاهتمام بمسألة العدم وتقديمها على ماعداها وتحليل المواقف المعينة التى يوجدفيها المرء ويحتاج من أجل المرور بها إلى تجربة وجدانية من طراز فريد . فمن ناحية الموضوعات التى تدرسها الفلسفة الوجوديه نجد أنفسنا بإزاء جملة من الأفكار الغريبة التى إن لم تكن جديدة بالمرة ففى بعض التحليلات والتفصيلات ما يشعرك بأنك تجاه شىء لم يقع من قبـــل فى دائرة البحث أو فى مجال التفسير والتعليل .

والوجودية بعد هذا كله ليست الحادية على طول الخط ، وإنما فيها فريق مؤمن يستهوى بكتاباته كثيرين ممن يريدون إشباع نزعتهم الصوفية بتحليل المشاعر الدينية والسلوك فى طريق

الروح . فكير كجورد وبردياف ومارسل يأخذون جانباً معيناً فى التفكير الوجودى ويسيرون على نمط خاص يجعلنا نطلق عليهم اسم الشق الإيمانى ونفردهم قسماً واحداً . وقد كان من الممكن بالنسبة إلى هؤلاء أن يبعثوا الشوق فى نفوس قراء الأدب والفلسفة من المتدينين وأن يحببوا المذهب الوجودى إلى قلوب الناس؛ بيد أن تحليلاتهم الطويلة ، وأسلوبهم فى معالجة المسائل ، وتطرفهم فى ناحية الإحساس المرهف ، وتفصيلهم الدقيق عند شرح الحالات الوجدانية زهَّد الكثيرين فيهم وجعلهم يحسون بالملل والضيق عند قراءة صنوف نتاجهم .

فهذه كلها من المسائل التى توضح لنا السبب المباشر فى أن الكثيرين من الأدباء والمفكرين لم تعجبهم فلسفة الوجود ، وتوقفنا على أصل الداء فى كراهية الناس لهذا النوع من التحليل العقلى ولكنها بغير شك لا تقنع الباحث ، ولا تصده عن مراجعة هذه الأفكار مراجعة الإنسان المسئول عن رأيه ، ولا توقفه عن قراءة ماينتجه فلاسفتهم من الكتب والمقالات والبحوث . وأغلب ظنى أن الإنسان الذى يحول بين عقله وبين هذا الزاد الفكرى الجديد سيخسر كثيراً من كونه قد حرَّم على نفسه ضرباً من ضروب الإحساس بالحياة على نحو غير مألوف وأساء إلى فكره بأن أبقاه فى دائرة مقفلة من المذاهب التقليدية المتيقة .

فالفلسفة الوجودية إنما جاءت كرد فعل لطغيان التفكير المذهبى على عقول الناس وأرادت أن ترفع عن كاهل الفكر البشرى هذه الأثقال التى تركتها أحقاب من الفلسفة التجريدية الجوفاء . وبالإضافة إلى هذا كله غيرت من اتجاه التفكير واستبدلت بالموضوعات القديمة غيرها مما يُعدُّ داخلاً فى نطاق التحليل العادى وبطبيعة الحال أسقطت من حسابها فى هذه العملية مجموعة من الأفكار البالية التى كان سيستحيل على الإنسان أن يجد لها تفسيراً معقولاً وإن ظل يتأملها أجيالا بعد أجيال . وذلك كله بحكم خروجها عن نطاق البحث الفلسفى ، ومن باب أولى عن نطاق البحث العلمى . فهى مسائل معلقة ليس يتأتى الفصل فيها لطائفة من البراهين دون غيرها ويستحيل أن تخضع لمناقشة سليمة معقولة . ولذلك صار الموضوع الأساسى بالنسبة إليها هو الإنسان ؛ وعدنا من جديد نحس أمام مفكريها بأن الوجود فى حد ذاته مشكلة على نحو ما أعلنها شكسبير على لسان هاملت فى يوم مضى

وفى الفلسفة الوجودية نزعة متافيزيقية واضحة ؛ ولكن لابد من أن نراعى دائماً فيما يتعلق بهذه المتافيزيقا أنها ليست مثل غيرها ، وأنها تنفرد بصفات خاصة ومعالم ذاتية هى وليدة التيار الفكرى السائد بعد الانحلال الحضارى الأخير فى الغرب ، وتتبدى مظاهر الانحلال فى تلك الحيـــاة الكسيحة التى انتهت إليها أوربا ، والانهزامات المتوالية على فرنسا وألمانيا والدويلات المجاورة لهما بالذات ، فضلاً عن المجاعات الحاصلة من يوم إلى يوم ومعاناة الجيل الجديد من الشباب الأوربى لألوان من العيش ولضروب من الحياة لم يألفوها من قبل . فالمراحل الفكرية القلقة التى مرَّت بهم ، والحالات النفسية الشاذة التى خضعت لها شعوب الغرب المثقفة الحية كان لها أكبر الأثر فى مشاعر الشبان وآرائهم ، وكانت النتيجة أن آمنوا بالمذاهب ذات الصبغة الزاهية ، وذات الطابع الحاد ، وذات الميل المتطرف . وبعد هذا كله — أو قبل هذا كله — أبعدتهم كل البعد عن فلسفات الخيال والوهم ، والأفكار التى لها طابع روحانى زائف أوخصائص دينية كاذبة .

ومن هنا كانت المتافيزيقا عندهم غير متعلقة بشىء خارج الوجود ، ولا باحثة فى أمور تتعدى نطاق المحسوس . وبطبيعة الحال أنا لا أعنى الطائفة المسيحية من الوجوديين ، فهؤلاء لهم حكمهم الخاص . إذ أن فلسفة الوجود — كما قلنا — فيها شق مؤمن يدخل تحت لوائه من سبق أن ذكرناهم بالإضافة إلى مارتن بوبر وكارل بارث . أما الشق الآخر فإلحادى متطرف مثل هيدجر وسارتر وسيمون دى بوڤوار ومارلو بونتى . وهؤلاء الأخيرون هم الذين نعنيهم كلما تحدثنا عن متافيزيقا الوجود . وهى متافيزيقا تخضع للتجارب الحية داخل الوجود ، وموضوعها الوجود فى العالم كما يقول هيدجر . ونجد التعبير عنها كاملاً فى كلمة سيمون دى بوڤوار إذ تقول : « فى الحق إنه لا يوجد أحد خارج الوجود . » وبهذا التصريح منها اعتقدت فى أنها قدحدت من الحلم الذى طالما خطر على أذهان البشر بوجود موضوعية غير إنسانية ، وأنها قد أثقلت الخيال بقيود وروابط تجعل من المستحيل بالنسبة إليه فيما بعد أن يخرج على ما هو ماثل أمامه وقائم من حوله . ويؤيدها سارتر فى هذا المعنى بقوله :

« ليس هناك أكوان أخرى غير كون إنسانى واحد هو الـكون المنسوب إلى الذاتية الإنسانية » . ويعنى سارتر خصوصاً بأن يقدّم لنسا تفرقة هامة حينما يتكلم عن الميتافيزيقا وهو يقدم عليها علم الوجود (ontobogie) بوصف هذا العلم تمهيداً للمتافيزيقا التى يأتى على عرضها فى كتبه . وينظر إلى هـذا العلم كما لو كان بحثاً فى الحالة الراهنة للوجود ، والأقسام التى يمكن أن يرد إليها (كالوجود فى ذاته والوجود لذاته) . أما المتافيزيقا عنده فهى التى تضع المشكلة النهائية الخاصة بإمكانيات هذا الموجود على النحو الذى يوحى به علم الوجود .

فالمتافيزيقا الوجودية عند سارتر وأضرابه ليست بحثاً فى المجهولات ، ولا تخمينا فى مسائل الروح والعالم الآخر ، ولا هى عود إلى النظر فى مراتب الوجود وعالم الأفلاك ... ومن هنا حاول البعض فى انتقاده له أن يتهمه بأنه مادى (matériabiste) كما فعل روجيه ترواڤونتين (Troiafontaines) فى كتابه عن الاختيار لدى جان بول سارتر . وبذلك نلاحظ دائماً عند الـكلام فى تاريخ المتافيزيقا ذلك التحول الذى أحدثه فلاسفة الوجود . وليست هذه المتافيزيقا — كما هو واضح — جديدة كل الجدة ولا غريبة كل الغرابة عن الفـكر الفلسفى ؛ فلها إرهاصات من الفلسفات الباحثة فيما يدخل ضمن حدود الموجودات على الرغم من خروجه عن نطاق التجربة .

وإذا حاولنا أن نعود بأذهاننا إلى الوراء من أجل النظر فى الأصول التى نبعت منها فلسفة الوجود اصطدمنا بمشكلة أخرى لا تقل إعساراً عن أى مشكلة تصدت لها هذه الفلسفة . فالواقع أنه من الصعب جداً أن نعثر على خط واحد مرت به هذه التيارات المتلاحقة فى إبانة وانـكشاف . بل يصعب فى الغالب أن نجد نقطة بدء واحدة لدى جميع الذين كتبوا فى هذا الموضوع . فبعضهم ردها إلى شخصية سقراط واعترافات القديس أوغسطين . وضد هؤلاء مباشرة من يزعم أن أصلها موجود فى فلسفة الحياة عند نيتشه وإلى شعر الحياة فى الحركة الرومانتيكية . ومعظم الذين كتبوا فى تاريخها يقررون بزوغها من محاولة كيركجورد الفلسفية عندما عارض هيجل فى إيمانه بالمطلق وبالروح الـكلية . ولـكن هذا لم يمنع الـكثيرين من أن يجدوا لها مشابهات ومقابلات فى كتابات باسكال وقصص إبسن ودستويفسكى وفى أشعار بودلير وأرتور رامبو

أما عن سارتر نفسه فقد رجع بتفكيره إلى كل من هُسِرْل وهيدجر . وهذا واضح وطبيعى ؛ فعلى الرغم من أنه يصعب حتى الآن تحديد الموضوعات التى بحثها سارتر تحديداً ختامياً فمن الممـكن أن نجد لديه نوعين من التفـكير أحدهما نفسى والآخر متافيزيقى . وكلاهما راجـع إلى الأبواب التى تفتحت على أيدى هذين الفيلسوفين لأول مرة فى تاريخ الفـكر .

فلم يعد من الطبيعى بعد هذا كله أن نظل فى موقف سلبى بإزاء هذه الفلسفة التى شغلت أذهان الناس وقتاً طويلاً والتى لها من تاريخها ما يؤهلها لأن تعبر عن اتجاه معين فى المراحل الحاضرة من حيـاة الأفراد والجماعات . ولا بد من أن نحاول شيئاً بإزاء هذه الحركة الضخمة ؛ فإن لم يـكن بد من شىء فلا أقل من أن نتأثر بها تأثرنا بالسحابة الماضية فى يوم صائف .

عبد الفتاح الديدى

من شجرة الدر

لحضرة صاحب السعادة عزيز أباظه باشا

فرغ الشاعر الكبير عزيز أباظه باشا من مسرحيته الرابعة (شجرة الدر) فقدم بها إلى الشعر التمثيلي العربي الناشئ قطعة رائعة تزيد في ثروته وتدنيه من كماله. وقد تفضل فآثر (الرسالة) ببعض مشاهد هذه المسرحية ننشر اليوم مشهداً منها شاكرين.

الفصل الأول — المشهد السادس

شجرة الدر : الملكة.

عز الدين أيبك : قائد الجند.

أقطاى }
بيبرس } من أمراء الجيش.
قلاوون }

(يدخل بيبرس وقلاوون على الملكة شجرة الدر وكانت قد أرسلتهما في مهمة سياسية إلى أمراء الشام، وكان في حضرتها عز الدين أيبك وأقطاى)

شجرة الدر : يا صاحبيَّ فنبئآني ما الذي
خلَّفتما في تلكم الأمصارِ

بيبرس : يا مَلْكة الوادى سلمتِ تقيكِه
وتقينَ شعبك عادىَ الأخطار
إن ندَّ والٍ، أو تخلَّف حاكم
فيكلى الأمورَ لعقلك الجبار
فإذا همو انتقضوا وثاروا فاقذفى
بالنار فوق مناكب الثوَّار
ودعى حسابهمو المسيرَ لجيشك الـ
جرار يوفض بالقنا الخطار

شجرة الدر : أحسنت بيبرسُ العزيز ففى الذى
لمَّحت لى عنه الجواب الشافى
فضلُ السفير أداؤه فى رقةٍ
ما ساء من نبأ وفى إلطاف
ابداً بأسوإِ ما حملتَ ففى يدى
حسمٌ لكل ملمةٍ وتلافى

بيبرس : مولاتى الأحداث حولك أوشكت
تنقض بين صبيحةٍ ومساء
جيرانك الأدنون ضمُّوا شملَهم
وتجمعوا لخيانةٍ نكراء
حسدوك فانتقضوا عليك... فهذه
حلبٌ تهم بغدرةٍ شنعاء
والموصل استشرى عليك عداوة
والحقد ملء جوانب الفيحاء

شجرة الدر : بيبرس فى هذا الحماس يؤودنى
تمحيص ما تلقى من الأنباء
هلا هدأت ؟

بيبرس : سلى أجبك فإننى
قد طال فى تلك الديار عنائى

شجرة الدر : ما يفعل «الملك الرحيم»[1] ؟

بيبرس : تركته
متحاملاً ومجاهراً بعداء

شجرة الدر : وحليفهُ «الملك المظفر»[2]

بيبرس : مثله
يطوى أضالعه على بغضاء

شجرة الدر : والناصر[3] الملك الذى أصفى له
ودى ؟

قلاوون : كبير العصبة الحمقاء
جمعوا على جُبْنِ النفوس صفوفَهم
أفتحفلين بعُصبة الجبناء

أيبك : أسألتهم ما الذى قد أنكروا
منها الفداة

قلاوون : أجل

أيبك : فما ذا قالوا ؟

قلاوون : لغو من القول السقيم وحجة
صالوا لتثبت فى المقول وجالوا

أيبك : فاعرض لحججهم وسُقها

قلاوون : أعفنى
فلكل قول موقعٌ ومجال

أيبك : يا ملْكة الوادى مُرِى تتشبق

---

(١) الملك الرحيم : هو بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل.

(٢) الملك المظفر : هو المنصور المظفر الأيوبى صاحب حماة.

(٣) الملك الناصر : صلاح الدين صاحب حلب.

شجرة الدر : لم تخفَ عنى هذه الأقوال

قالوا : فما حكم النســـاء بجائزٍ

شرعاً وقوّام النســـاء رجال

بيبرس : هذا الذى زعموه

أيبك : وهمٌ باطل

ما كان جنس المرء خالق فضـله

ایٌ من الجنسين بالغ شأوه

— لا فرق بينهما — ببالغ عقله

لو قد رقيتِ الملك وارثة له

قلنـا اعتراضٌ فى صميم محـله

لـكننا اخترناك رأياً واحـــداً

فنزلت أنت على مشيئة أهــله

إجمـــاعُ شعبٍ راشدٍ لم يجتمع

متضافراً من بعده أو قبله

شجرة الدر : دع ذاك أيبك ولنعد لحديثنا الـ

مأثور عن أمرائنا الأعلام

هل أنـكروا أسلوبنا فى الحكم

بيبرس : لم

يتحـــدثوا فى ذاك قط أمامى

شجرة الدر : أفناقمون علىَّ أنى قبلتى الـ

شورى وأحـكامُ الـكتاب إمامى

أم غاضبون لأننى نكلت بالـ

غازى وصنت كنانة الإســلام

صـــبراً بنى أيوب لا تتعجلوا

كالنافلين مصـــائرَ الأيام

أنا زوج عمـكمو أسرَّ إلىَّ بالـ

نجوى فقلت : اهدأ ونم بسلام

إنى لحـــافظةُ التراثِ لآله

عهدى إليه على المـدَى وزمامى

(ثم تلتفت لبيبرس)

اكمل حديثك

بيبرس (لقلاوون): هل لدينا غير ما

قلنـــا ؟

قلاوون : أجل فلهم لديك رجاء

شجرة الدر (فى استهزاء) :

بل قل لهم أمرٌ

قلاوون : أتآمرٌ سُدةٌ

عزت كما عزَّ السنا الوضـاء

قالوا إذا أسرى الفرنجة[1] أطلقوا

وهمُـو الملوكُ الصِّيدُ والأمراء

فالمسلمون ممالـكا وجحافلا

ضُربت عليهم ذلةٌ وعفـــاء

شجرة الدر (فى بسمة ساخرة) :

أكذاك قالوا؟ لن يكونَ على المدى

ما يبتغيه أولئـك الســـفهاء

(ثم تقول كمن تستأنس بالرأى) :

فإذا رأيتُ من السياسة والحجى

أن يطلقوا

أقطاى (فى دهشة) : أترينَ ذلك؟

شجرة الدر : ربمـــا

أقطاى (فى إصرار) :

أخشى إذا همُ أُطلقوا أن يشهروا

شعواء تمطرنا الحديدَ المرزما

درج الصليبيون ألا يحفظوا

عهــــداً

شجرة الدر : أعيذك أن تزِل وتظلما

قد ينقضون ، وقد نقضنا مثلهم

لـكننا كنا أعفَّ وأكرما

لا تخش ، ربَّ ذرائعٍ أحكمتُها

مهدن للوطن الطريق الأقوما

أقطاى : مولاتنا فالجيش لم يُعلم بما

يجـــرى

شجرة الدر : وهل من حقه أن يعلما

أقطاى : هو حامل الأعباء غير مؤازرٍ

عن مصر إن خاضته يوماً أيوما

شجرة الدر : أدرِى ولـكن السياسة مهنةٌ

إن راضها جيش هوى وتحطما

أقطاى دع ما لست تحسنه لمن

عرك الأمور وســـاسها فتعلما

عزيز أباظة

---

(1) إشارة إلى الملك لويس التاسع وقد كان ورهطه أسراء بالمنصورة فى ذلك الحين .

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

حول مشكلة الأداء النفسى مرة أخرى :

فى بريد العدد الماضى من الرسالة ، طالعت كلمة وجهها إلىّ الأديب الفاضل عبدالمنعم سلمان مسلم حول مشكلة الأداء النفسى فى الشعر العربى ، ولا يسعنى قبل الرد عليه إلا أن أبادر بشكره على تلك التحية الكريمة التى شاء ذوقه ولطف مودته أن يخصّ بها هذا القلم !

يقول الأديب الفاضل بعد تحيته : « ولكننى لا أوافقك ، بل أعتب عليك عتباً كبيراً حينما تصب حكمك القاسى على الشعر العربى القديم جملة واحدة ، هذا التراث الذى نفخر به على مرّ الزمن ، هذا التراث الذى جملته خواء من الروح والعاطفة . إنك بهذا الحكم تهدم حضارة ، وتبعثر أمجاد أمة ، وأنا أعيذك من هذه النظرة ، وأرجو أن تراجع نفسك ، وتستشير ذوقك وحسك ، وأنا موقن أنك لن ترضى لنفسك أن تسم الشعر العربى بهذه السمات : « شعر السطوح الخارجية » ، شعر يشعرك بفراغ « الوجود الداخلى » عند قائليه ، لأنهم كانوا يعيشون خارج « الحدود النفسية » ...

ثم يقول الأديب الفاضل بعد ذلك : « ألم تقرأ شعر المتنبى ؟ اقرأه فى السيفيات والكافوريات ، فتراه شعراً مُنبثقاً من أعماق النفس ، هو فى ظاهره مديح ، ولكن وراء هذا معان كلها أثر للاحساس النفسى والانفعالات الحزينة تارة ، المريرة أخرى ، الساخرة كثيراً . واقرأ شعر ابن الرومى فى رثائه ومدحه وهجوه ، فهو صادر عن نفس حساسة شاعرة ، وألفاظه شفافة موحية . واقرأ فى كل عصر من عصور الأدب ، فستجد شعر النفس ، وصدق الفن فى أكثر ما تقرأ » ...

هذه هى الكلمات واللفتات التى تحفل بصدق الغيرة على تراثنا العربى القديم ممثلاً فى الشعر ، وهى غيرة من حقّ صاحبها علىّ أن أحمدها له ، مهما بعدت الشقة بينى وبينه ، واختلفت وجهات النظر ... أما عن حُكمى على الشعر العربى ، فأنا لا أصدر حُكماً إلا وأنا مؤمن به ، ولا أسوق رأياً إلا وأنا مُطمئن إليه ؛ ذلك لأننى ما نظرت فى فن من فنون الأدب إلا وأنا أنشد الدراسة بغية التقويم ، وإطالة التأمل رغبة فى النقد ، وإنعام الفكر سعياً إلى كشف غامض أو جرياً وراء تقرير مذهب ؛ تلك هى عادتى كلما تناولت أثراً من آثار الفن وكلما لقيت رجلا من رجاله ، سواء أكانت اللقيا فى عالم الأحياء أم فى عالم الشعور والسطور ... من هنا أود أن أقول للأديب الفاضل إننى ما وسمت الشعر العربى القديم بتلك السمات ، إلا بعد أن صاحبته مُصاحبة كانت فى حساب الزمن خمسة عشر عاماً ، وكانت فى حساب الدراسة النقدية خمس عشرة مرحلة ، فى كل مرحلة منها ما شاء من إعادة النظر ، وما شاء من تقليب الرأى ، وما شاء من مراجعة النفس ، وما شاء من استشارة الذوق والحس والوجدان !

أنا يا صديقى لا أنكر أن فى الشعر العربى القديم لوامع رائعة من الأداء النفسى ، ولكنها كما قلت لوامع تطغى عليها تيارات الأداء اللفظى ، ذلك الأداء الذى يعنى بمادية التعبير أكثر مما يعنى بظلاله النفسية ... إن الأداء النفسى موجود فى شعر المتنبى كما هو موجود فى شعر ابن الرومى والبحترى وأبى تمام وما شئت من كبار الشعراء ، ولكن أى وجود ؟ إنه وجود لا يملأ سمع المتذوق لهذا اللون من الأداء ، ولا يحيط بمنطقة الشعور تلك الإحاطة الكاملة التى نلتمسها فى الإثارة الوجدانية .. عندهم إثارة ، نعم . ولكنها الإثارة التى تنبثق من ثنايا الذهن لا من شغاف القلب ، وتنطلق من وراء اللسان لا من حنايا العاطفة ؛ وتلك هى الإثارة العقلية التى دفعت بهم إلى خارج « الحدود النفسية » كما قلت ، وبعدت بهم عن أن يكونوا قمماً من قمم الأداء النفسى الذى أشرت إليه !

لقد كان الشاعر القديم لا يخلو إلى نفسه إلا فى القليل النادر ولقد كان مشغولا عنها بأغراض الحياة ومطالب العيش ومظاهر الغلبة على الأقران والتشوف إلى الوقوف بباب السلطان ، ولذلك ضرب بجناحيه فى كل أفق وبقى أفق واحد عزّ عليه أن يحلق فيه ، وهو أفق الخلوة إلى النفس والتحدث إليها والتعبير عما يجيش بداخلها من شتى الانفعالات والخلجات ... لو خلص الشعراء القدامى لأنفسهم وخلصت لهم ، وتفرغوا للتأملات الذاتية فى شئ من الاستجابة الصادقة لدعاء الشعور الصادق ، لبدوا عمالقة فى

ميدان لم يطرقوه مرة إلا ارتدوا عنه مرات ، ولا غترفوا من نبع لم يحوموا حوله لحظة إلا وضلوا عن طريقه لحظات ، جرياً وراء السراب ؛ سراب الصنعة اللفظية والذاتية البيانية !

ومع ذلك يذهب الأديب الفاضل إلى أن المتنبي وابن الرومي ينفذان من نطاق النقد الذي أقمته حول بناء الشعر العربي القديم ، فهل يتفضل بتقديم قصيدة لهذا وأخرى لذاك يتخيرهما من روائع الشاعرين ، لنستطيع أن نضعهما فوق مشرحة الدراسة النقدية ، مستخدمين مبضع التحليل على ضوء الأصول الفنية التي عرضت لها في مشكلة الأداء النفسي في الشعر ؟ إنني على استعداد لتشريح أية قصيدة تقدم إليّ من الشعر العربي القديم ، وعلى استعداد لأن أثبت لمقدمها في غير تجن ولا مغالاة ، أن أية ومضة نفسية يمكن أن تشم في بيت من الشعر هنا ، ستقابلها عشرات الومضات اللفظية في كثير من الأبيات هناك ... وهـذا هو الحد الفاصل بيني وبين من يختلفون معي في الرأي حول الشعر العربي القديم !

نترك هذا كله لنرد على اللفتة الأخيرة في كلمة الأديب الفاضل حين يقول : « لقد جعلت « شـوقى » زعيم مدرسة في حسن الأداء النفسي ، لأنه يملك الصدق في الشعور والصدق في الفن ، وجعلته قريناً لشاعر آخر ... والمعروف أن المدرستين مختلفتان في كثير من السمات والوجوه ؛ فشوقى في رأيي يحفل بالصدق الفني ، ويتأنق في عرض الصورة البيانية ، فطابع الصدق الفني أغلب في شعره من الصدق الشعوري ، وعلى النقيض من ذلك الشاعر « إيليا أبو ماضي » . والذي يهمني بعد ، أن توضح لي رأيك في مكان شوقى بين الشعراء ، ومكانة شعره في نفسك » .

إن القول بأن المدرستين مختلفتان في كثير من السمات والوجوه غير صحيح في جملته ، ذلك لأنهما تختلفان في المظهر وتتفقان في الجوهر ، ونعني بالمظهر هنا ذلك الإخراج الفني للصورة البيانية ، أما الجوهر فنعني به ذلك العرض الصادق للصورة النفسية ؛ وهنا تتمثل نقطة الارتكاز في الأداء النفسي حيث تلتقي المدرستان ... فاللفظ عند شوقى هو لفظ الدلالة الموحية ، الدلالة على الموجات الشعورية التي يندفع رشاشها من الداخل ليرطب مسالك التعبير ، وهو كذلك أيضاً عند إيليا أبي ماضي . الأداء نفسي هنا ونفسي هناك ، أما الاختلاف فهو في تلك المعالم الخارجية للهياكل اللفظية ، ولا بأس من توضيح هذا الاختلاف الذي يبدو في المظهر لا في الجوهر بأن نقول : إن شعر المدرستين أشبه بثوبين أخرجهما مصنع واحد من نسيج واحد ، ولـكن العامل الذي ابتكر تلوين هذا الثوب غير العامل الذي ابتكر تلوين ذاك ...

ولقد سبق أن قلت : إن الأداء النفسي في الشعر ، لا بد أن يقوم على دعامتين لا غِنى لإحداهما عن الأخرى : دعامة الصدق الفني ودعامة الصدق الشعوري ، ومعنى هذا أننا إذا قلنا إن شعر شوقى يغلب فيه طابع الصدق الفني ، فقد أخرجناه بمض الإخراج من دائرة الأداء النفسي ، وكذلك ينطبق القول على أبي ماضي إذا ما حكمنا بالغلبة لطابع الصدق الشعوري في شعره ... إذ لا بد من المساواة بين الصدقين لتتكامل العناصر الفنية المتفاعلة لتكوين المزيج الأخير ، ونعني به مزيج الأداء النفسي في شعر الشاعرين أو شعر المدرستين !

أما عن رأيي في مكان شوقى بين الشعراء ومكانة شعره في نفسي ، فقد أبديت هذا الرأي من قبل ، هناك في « تعقيبات » العدد (٨١٥) من الرسالة ، تحت عنوان « لحظات مع أمير الشعراء » ، ومهما يكن من شيء ، فإن رأيي في شعر الرجل ، هو رأيي في شعر الأداء النفسي ، ولعلي قد أشرت إلى مكانة شعره حين أفضت في الحديث عن مكانة ذلك الأداء في موازين النقد ... وللأديب الفاضل خالص الشكر وعاطر التحية .

الى الصديق الفاضل صاحب « بيروت المساء » :

قرأت في آخر عدد تلقيته من جريدتـكم منذ أيام ، مقـالاً ثائراً تحت عنوان ضخم : « المداوي يتهجم على أدباء لبنان » ... وكان مصدر الثورة أنني قلت للأستاذ سهيل إدريس على صفحات « الرسالة » وأنا أتحدث عن قصـته « سراب » ، مُشيراً إلى حملات خصومه من كتاب لبنان على إنتاجه القصصي : « ... فلم لا ترفع معول الهدم لتهوى به على الأصنام ، ولم لا تشق طريقك على أشلاء الجثث المحنطة في توابيت الأدب » ؟ !

قلت هـذا للأستاذ إدريس بالأمس ، فإذا أحد كتَّابكم يُهاجمني اليوم على صفحات « بيروت المساء » مؤكداً أنني قد

تهجمت على أدباء لبنان ... معذرة إذا قلت لك إن هذا القول تنقصه الدقة فى التعبير ، وتعوزه الأمانة فى تصوير الواقع . الحق أننى لم أتهجم على « أدباء » لبنان ، ولكننى تهجمت على « أنصاف الأدباء » فى لبنان ، ولهذا لم تثر كلتى سخط الفريق الأول ، ولكنها أثارت سخط الفريق الأخير !! ...

ومعذرة مرة أخرى إذا وجهت إليك الحديث وأهملت ذلك الكاتب الذى كان يعنينى بكلماته ... إننى ما تعودتُ قط أن أخاطب المجهولين ! ولقد قلت لنفسى بعد أن فرغتُ من قراءة كلته : كيف لم أسمع باسمه إلا اليوم ، أنا الذى تمر ذا كرتى المتواضعة أسماء رجال الأدب فى لبنان ، منذ أن وُجد فى لبنان أدب وأدباء ؟! ... اسم الكاتب الفاضل « على شرف » ، هل تسمح بأن تمدنى ببعض ما تعرف عن مؤهلات الكاتب الفاضل؟ لستُ أعنى مؤهلاته الدراسية ، وإنما أعنى مُؤهلاته الثقافية ، أتدرى لماذا ؟ لأننى حاولت أكثر من مرة — وذلك على ضوء كلماته — حاولت أن أنصف ثقافته حيث لم تنصف الأيام اسمه ... ولكننى لم أستطع !!

كل ما خرجت به من مقال الكاتب الفاضل ، هو أنه أراد أن يلقى علىّ دروسه القيمة فى أصول النقد الأدبى ...

أرجو أن تنقل إليه هاتين الكلمتين : لقد هزلت ! ذلك لأننى — والحق يقال — قد تعلمت أصول النقد الأدبى قبل أن يتعلم الكاتب الفاضل حروف الهجاء العربية ... إن من المضحك حقاً أن يتوهم الكاتب الفاضل أننى قد تهجمت على « أدباء » لبنان ، وأشدّ من ذلك إضحاكاً أن يغضب علىّ تلك الغضبة المضرية متوهماً مرة أخرى أنه من أدباء لبنان ، وقاتل الله مركب النقص حين يحلق بأصحابه على أجنحة الوهم فى كل أفق تهبط عليهم فيه عرائس الخيال !! ... إنه يسألنى أن أشرح له ماذا أعنى « بطبقات القصة » تلك التى « حددتها المقاييس » ، ويسألنى عن « اكتمال التصميم الفنى » وأهميته قبل الشروع فى البناء ، ويسألنى ويسألنى ؛ وقاتل الله الفراغ ... وبعد ذلك يفغر فاه من الدهشة ويخبط كفاً بكف من شدة العجب : كيف واتتنى الجرأة على القول بأن فى لبنان بعض الجثث المحنطة فى توابيت الأدب ؟ !

إن فى لبنان « أدباء » أقدّرهم وأعتز بهم ، وكثيرون منهم يعطرون صفحات « بيروت المساء » بإنتاجهم الأدبى الممتاز ...

الكرامة العقلية فى حفلة تكريم أم كلثوم :

تهافت كثير من كتابنا وشعرائنا على حفلة تكريم الآنسة أم كلثوم تهافتاً يدل على أن « الوفاء » و « عرفان الجميل » فى مصر بخير ، وأشاد بعضهم « بوطنية » الآنسة أم كلثوم و«فضلها» على أبناء الوطن إشادة تبشر أيضاً بأن موازين أصحاب القلم فى مصر بخير ، أما حفلة التكريم فقد أقيمت رغبة فى تسجيل كل هذه « القيم » بمناسبة عودة المطربة الكبيرة من البلاد الأوربية ... ولكننى أعلم مثلا أن الدكتور طه حسين قد سافر إلى الخارج وعاد إلى وطنه أكثر من مرة ، وكذلك عاد الأستاذ توفيق الحكيم من فرنسا منذ أيام ، ومع ذلك فلم يفكر أحد من هؤلاء السادة فى تكريم الرجلين . وأعلم أيضاً أن مطران قدمات وأن المازنى قدمات ، ومع ذلك فلم يتهافت أحد من هؤلاء السادة بمعض هذا التهافت على تأبين الراحلين ... بل إن صوتاً واحداً من أصوات هؤلاء السادة لم يرتفع منادياً بمنح أولاد المازنى مجانية تعينهم على مواصلة التعليم ، بعد أن طرقوا كل باب وما من سميع ولا من مجيب ! !

معنى هذا أن رجلا كطه أو الحكيم أو المازنى أو مطران ، هؤلاء جميعاً فى ميزان كتابنا وشعرائنا ليس لهم من الفضل فى توجيه الجيل بعض ما للآنسة أم كلثوم ... بل إن صحافتنا الموقرة لم تكتب مثلا عن حفلة استقبال الأستاذ الزيات وزميله فى مجمع اللغة إلا سطوراً فى حين أنها خصصت من صفحاتها أعمدة كاملة لحفلة استقبال المطربة الكبيرة !

أيها الأدباء ، أيها الشعراء ، أيها الصحفيون .. شيئاً من الكرامة العقلية ! !

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تكريم أم كلثوم :

في يوم الأربعاء الماضي احتفلت الهيئات الموسيقية في مصر بتكريم كوكب الشرق الآنسة أم كلثوم بدار معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية ، لمناسبة عودتها من أوربا ، تعبيراً عن السرور بشفاء عينيها واطمئناناً على صحتهما بعد أن قلقت عليهما وامتنعت عن الغناء فشاركها الناس الأسف واكتأبوا لما نالها من الهم . فلما عادت سالمة قريرة إلى الوادي لتشدو في مغانيه ، انبعثت النشوة في جوانبه وسرت الفرحة في أرجائه ، ثم تبلورت بعض الشاعر في هذا الحفل .

ولئن اجتمعت الهيئات الموسيقية على تكريم أم كلثوم ، لقد كرمت هي الموسيقى والغناء ، ورفعت شأن الفن وأهله في هذا المصر بفنها العالي وشخصيتها المترفعة . ولم يكن تكريم أم كلثوم قاصراً على الهيئات الموسيقية التي نظمت الحفل ودعت إليه ، وإنما كان تكريم مصر كلها لمهدية السرور إلى قلوب أبنائها ، تكلم بلسانها أعلامها من شعراء وخطباء ، وإن أم كلثوم لأهل لكل تكريم ، فهي ثروة فنية طائلة ، وإن اهتم الناس في مصر بتكريمها وتقاعدوا عن تقدير غيرها من الأدباء والفنانين ، فقد أدوا واجبهم نحوها وقصروا في حق من أهملوه .

ألقيت في الحفل كلمات مناسبة للمقام من ممثلي الهيئات الموسيقية ، وخطب الأستاذ توفيق دياب بك ؛ وألقيت قصائد للأستاذ عباس محمود العقاد والأستاذ عزيز أباظه باشا والدكتور ابراهيم ناجي والأستاذ كامل الشناوي ، وأزجال للأستاذ بديع خيري والأستاذ بيرم التونسي والدكتور سعيد عبده ، وختم الحفل بكلمة الشكر من المحتفل بتكريمها ، وما أبلغها كلمة ! غنت لكرمها رداً للتحية ، فأعطت أكثر مما أخذت .

وتخلل ذلك غناء موسيقى ، وقد قدم الموسيقيون ألواناً من عزفهم وفنوناً من ألحانهم ، فردوا اعتبار الفن إليه بعد طول ما أساءت إليه الإذاعة بما تقدم من الغث المجحوج والمعاد المملول . ومما يذكر بالإعجاب قدرة الموسيقيين المصريين على عزف بعض القطع الرائعة من الموسيقى العالمية ، ولاسيما الذي عزف موسيقى الباليه . وقد أبدع « خماسي مجلس الإدارة » الذي يتكون أصحابه من خمسة أعضاء بمجلس إدارة نقابة الموسيقيين المحترفين ، وكانت موسيقى على فراج بارعة ، وقد نبغ هذا الفنان في الموسيقى التصويرية التي قدم منها قطعة « فرح القرية » فأجاد .

وننتقل بعد ذلك — أيها السادة — نظرات إلى القصائد التي ألقيت في الحفلة . كانت قصيدة الأستاذ العقاد جيدة ، كان فيها شاعراً بخواطره ، وكاتباً بطبيعية السياق وسهولة الأداء واتساق الأفكار . قال في مطلعها :

هلل الشرق بالدعاء كوكب الشرق في السماء

ثم قال يخاطب أم كلثوم :

أنظري في وجوههم تعرفي نضرة الوفاء
كلهم ود لو يغني من البشر والصفاء
لو بقدر السرور نشدو غلبنـــاك بالغناء !

ثم يصف صوتها بقوله :

فيه أنس لمن يشا ء وسلوى لمن يشاء
فيه للمرتجي ســـلا م وللمشتكي عزاء
فيه حرز من الهمو م وعون على القضاء
أي نفس إذا ترنـ ـت لا تهزم الشقاء

وابتدأ الأستاذ عزيز أباظه باشا قصيدته بقوله :

سعيت في زحمة الأعـــلام أسكب من
قلبي الولاء ، ومن عليـــا سرائره
في مهرجان حباه الفن روعته وزانه بالأوالي من عشائره
وقلت أدلف للتاريخ تفرضني على مشارفه كبرى مناثره

وباقي القصيدة على هذا النحو من قوة التعبير ، وقد أخذ يفتن في معانيه وخواطره حتى قال :

ما أنت إلا اعتذار الدهر قربه لـكل عان ومظلوم ومكلوم

ما أنت إلا ابتسام الله جادبه
ورحمة الله عمت كل محروم

وهى خواطر يفوح منها عبير الشعر .

وقد قال :

يا أم كلثوم بعض الشر ما برحت
آثاره تتجلى فى مآثره

ثم أعقب هذا بأبيات تحدث فيها عن اعتلال أم كلثوم والأسى له ، وحمد الله على أنه عاد للروض بهجته ثم قال :

ألم أقل لك إن الشر ما برحت
آثاره تتجلى فى مآثره

ولم أفهم آثار الشر ومآثره ولا موقعهما بين البيتين ، ولعله يريد بمآثر الشر فرصة التكريم التى كان أول سببها محنة المرض ، ولكن كيف تتجلى فيها آثاره ؟

أما الدكتور ابراهيم ناجى فيظهر أنه كد شاعريته فى هذه القصيدة حتى أتعبها تحرص على أن يحلق ، فحلق ، ولكن جناحيه لم يقويا كثيراً على التحليق ، فجاءت القصيدة أقل من مستوى شعره . ومن تحليقه قوله :

تسمى ، فى العلى همس وأغنية
أذاك صوتك أم فى الخلد تنزيل

على الثرى لك أكباد مصفقة
وفى السموات إكبار وتهليل

وقوله محدثاً عن الفن :

وحسبه وقطوف منك دانية
بأنه فى وجوه العيش تجميل

فما أبدع صورة الحياة مجملا وجهها بآيات الفن !

وقد قال عن النيل يرنو نحو أم كلثوم :

جرى النسيم على وجه الغدير به
كأنه فى شفاه الفن تقبيل

وأدع لفظ « الغدير » قلقاً فى موضعه هنا ، وأنظر فى جرى النسيم على صفحة الماء ، هل يصلح تقبيلاً فى شفاه الفن ؟ وما جدوى تمثيل الفن شخصاً له شفاه فيها تقبيل يشبهها النسيم ؟ لا أستطيع أن أخرج من ذلك بشىء .

وألقى الأستاذ كامل الشناوى قصيدة حاول فيها أن يخدع برنات كلماتها وقوافيها ، وهذا مطلعها :

فديتها منحة ، السحر أعطاها
والسحر والشعر شىء من عطاياها

وفيه ترى السحر من عطاياها وهى من عطايا السحر ... أى أنهما يتعاطيان ! وقد جانبه التوفيق « الذوق » فى مقارنته بين أم كلثوم وانقسام الذرة ... لأنهما يتنافسان على المجد فى هذا الأوان ! ويتساءل أيهما أولى بالمباهاة ، ويجيب :

الفن أولى ففيه رحمة وهدى
الفن قنبلة تأسو شظاياها

كشكول الأسبوع

□ وافق يوم الجمعة الماضى (١٤ أكتوبر) الذكرى السابعة عشرة لأمير الشعراء أحمد شوقى بك والغريب أنى لم أر فى صحيفة من الصحف كلمة عن هذه الذكرى فى هذا العام ، أفلا يجدر بنا أن نسمى ذلك اليوم « يوم نسيان شوقى » .

□ هذا وقد أذاعت وزارة الخارجية أنه سيقام مهرجان للاحتفال بمرور مائة عام على وفاة الموسيقار شوبان فى شهر ديسبر القادم ، وأنه ستقام مسابقة لمن يرغب من المصريين فى العزف على البيان ، يمنح المتفوقون فيها جوائز .

□ قرر مجلس المجمع اللغوى فى الجلسة الماضية فتح باب الترشيح لملء الكرسى الذى خلا بوفاة المازنى على أن يقفل بعد شهر هو والترشيح لملء الكرسيين الخاليين من قبل بوفاة الدكتور شرف بك والمستشرق فيشر . وقد رشح إلى الآن اثنان هما واصف غالى باشا والدكتور أحمد عمار .

□ أذاعت وكالة الأنباء العربية من لندن ، أن الدكتور طه حسين بك ألقى محاضراته الثلاث فى معهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن ، وقد أعرب فى مستهل المحاضرة الأولى عن تقدير الأوساط الثقافية المصرية للجامعات البريطانية . وقال إنها تلقن الناس حرية القول . ويقول النبأ إنهم يطلقون هناك على الدكتور طه « برناردشو الشرق » .

□ رشح الدكتور طه حسين بك للحصول على جائزة نوبل للآداب فى هذا العام ، وقد أيد ترشيحه الكاتب الفرنسى أندريه جيد الذى نال الجائزة فى العام الماضى ، وانضم إليه فى تأييد هذا الترشيح المسيو أدوار هريو والمستشرق ماسينيون

□ قال الأستاذ كامل كيلانى – ليلة الاحتفال بإلغاء المحاكم المختلطة : يقال اختلط الرجل أى جن وذهب عقله ، فهل كانت تلك المحاكم مجنونة ؟

□ وقال الأستاذ سامى العظم بك إنه لما كان وكيلا لوزارة العدل السورية ، لاحظ من الإحصاء أن كل القضايا التى تقدم بها الأجانب فى سوريا حكم لهم فيها ضد السوريين . فذكر ذلك أمام المعتمد الفرنسى وقال له : إنه لا داعى إلى وجود محاكم الأجانب فى سوريا ، ويمكن أن تحتمل وزارة المالية المبلغ الذى يطلبه الأجنبى من المواطن ، ولن يبلغ مجموع ذلك ما تنفقه خزانة الدولة على محاكم الأجانب فى سوريا .

□ أقام نادى الخريجين المصرى يوم الجمعة الماضى ، حفلة استقبال جمع فيها بين نخبة من سفارة الباكستان ولفيف من الأدباء والمفكرين المصريين . وقد تكلم الدكتور حسين الهمدانى الملحق الصحفى بسفارة الباكستان ، فعبر عن سروره بالفرصة التى تهيأ فيها هذا الاجتماع الثقافى ، وأشاد بالصلات الروحية التى تربط بين مصر والباكستان .

□ قال الدكتور أحمد أمين بك فى كلمته الأخيرة بالمجمع اللغوى : إن اللغة العامية لا تعترف بالفعل المبنى للمجهول ، إلا فى قولهم « بتاع النيل يوكل » .

ولست أدرى كيف يكون الفن رحمة وهدى وقنبلة ذات شظايا .. ولا إخال الأستاذ إلا ممتزاً بأن جمل شظايا القنبلة تأسو ولكنا لا نأمنها ، وما انفجار الذخيرة فى جبل المقطم ببعيد .

وفى القصيدة أبيات لا بأس بها منها :

الصوت بعض هداياها وقد فتنت به الخلود فأمسى من هداياها

السندباد البحرى :

عرض أخيراً بسينما (ديانا) فلم « السندباد البحرى » وهو معرب بأصوات ممثلين وممثلات مصريين ، والفلم يقوم على أسطورة من أساطير « ألف ليلة وليلة » فيعرض مغامرات السندباد البحرى العجيبة ، وما تعرض له خلالها من أهوال ، وما بذله من جهود خارقة فى التغلب عليها ، فقد أغرق « الأمير أحمد » وأخذ (مداليته) السحرية التى مكنته من قهر خصومه وخاصة الأمير الهندى الذى ينافسه فى حب الأميرة الجميلة ، وأخيراً يدعى أنه الأمير أحمد ويذهب إلى أبيه — أبى الأمير — « اسكندر » كاتم سر « الكنز » الذى يبوح بالسر له وللأمير الهندى ورجل آخر يدعى « عبد الملك الحلاق » فيفرح هذان بمحتويات الكنز ولكنهما يموتان دون الانتفاع بشىء منها ، أما السندباد البطل المغوار فيفوز بالأميرة الفاتنة ولا يلقى بالا إلى المال .

ويقال فى تقديم هذا الفلم إنه يمثل سحر الشرق وعظمة الشرق ، وأنا — والله — لم أجد فيه للشرق رائحة ، فضلا عن السحر والعظمة ... ولكن أقول إنه يمثل الشرق الذى يتصوره أولئك الغربيون أو يحلو لهم أن يتصوروه ، لا فى هذا الفلم فقط بل فى أشباهه « كلص بغداد » و « ألف ليلة وليلة » من تلك الخرافات التى يحب الغربيون أن يتخذوا منها صوراً لحياة البلاد الشرقية فى العصور الماضية ، وكأنهم يهربون مع خيـــال هذه الأساطير من واقع الشرق نفسه فى تلك العصور ، كما يهرب من يزور مصر منهم من حاضرها وحياتها المعاصرة إلى الأهرام وأبى الهول

وليتهم يوفقون فى تصوير الروح الشرقية والجو الشرقى فى تلك الأفلام التى ترى فيها أشخاصاً وأشياء لا هى شرقية ولا غربية فهم يمسخونها كما يمسخ بعض المؤلفين والمخرجين عندنا الأفلام الغربية ويدعون أنها مصرية مؤلفة ، هؤلاء كأولئك ، حذو الفلم بالفلم .

وفلم « السندباد البحرى » يعرض بالألوان الطبيعية ، وهم يختارون أجمل الممثلات فى مثل هذا الفلم ، وأعترف بعبقرية المخرج إذ قدم لنا « الأميرة الفاتنة » كأى فتاة عصرية فى كل شىء ، تلبس الثياب (على آخر مودة) ! والممثلون يلبسون (البنطلونات) وأجسامهم الحمراء تنطق بـ (السكسونية) الصارخة ، يختلط كل ذلك بمناظر التعذيب المفزعة إذ تهوى السياط على الأبدان فتمزقها كما كان يصنع الشرقيون فى غابر الأزمان وسالف العصر والأوان!

ويظهر أن المشاهدين يصبرون على متابعة الفلم ، مستمدين الجلد عليها من القوة السحرية الخارقة التى يتمتع بهـا السندباد البحرى ، على الرغم مما يلاقونه من أهوال فى تلك المشاهدة ، كأهوال السندباد . ولكنه يخرج من أهواله بالأميرة الحسناء ، أما نحن — المساكين — فنخرج مصدعى الرءوس ، وقد يذهل الفتى عن فتاته التى دخلت معه متعلقة بذراعه .

حقاً إن السندباد خطب فى آخر الفلم ، مبيناً أن المال لا قيمة له فى سعادة الإنسان ، وإنما السعادة الحقيقية هى سعادة القلب والفكر ومن أجل ذلك داس جواهر الكنز ولم يعبأ بها مكتفياً بفاتنته الأميرة ، ولكن الفلم لم يعرض لنا ذلك عرضاً عملياً يجعلنا نستخلص العبر من الحوادث ولم يضعنا فى جو طبيعى ندرك منه ذلك ؛ وقد يقال إن القصة خرافة ، ولكن ما هدف هذه الخرافة غير قلب الدماغ بتلك الحوادث التى لا تحمل متعة فنية لذوق سليم ، وغير وقع القلب بالوعظ فى آخر الأمر ؟

والذى يؤسف له أن يكون ذلك هو ثمرة تعريب الأفلام (دبلجتها) وقد كتبت فى هذا الموضوع عند ما هب السينمائيون المصريون يعارضون تعريب الأفلام فى العام الماضى ، وبينت أن هذه المعارضة حركة تجارية ، وأن الفائدة التى نجنيها من تعريب الأفلام الجيدة محققة . وإذا كنا نعرب الكتب مقتنعين بفائدتها فلم تمنع تعريب الأفلام ؟ ولكن أى الأفلام نعرب ؟ هذه هى المسألة التى نراها تواجهنا الآن ، وكل ما يجب هو حسن الاختيار .

عباس خضر



حيـــــوان أليف

للكاتب اليابانى شمازاكى توسون

بقلم الأستاذ محمد فتحى عبد الوهاب

لازمها سوء حظها منذ ولادتها . لقد أقبلت إلى العالم بشعر قصير أشهب ، وأذنين واقفتين ، وعينين تشبهان عينى الثعلب . إن كل ما يدعى حيواناً أليفاً يتحلى بصفات تجذب شعور الصداقة بينه وبين الناس . بيد أنها لم تكن حائزة أية صفة منها . ولم يكن يبـدو على ملامحها ما يحببها إلى البشر . كانت تعوزها خواص الحيوان الأليف . وبطبيعة الحال ، أهملوا أمرها .

ومع ذلك ، كانت كلبة : حيواناً لا يستطيع أن يعيش منفرداً . وكان من المستحيل عليها أن تنبـذ عادتها الموروثة فى أن يجود عليها الناس بالطعام . ولذلك أخذت تبحث عن دار تلائمها .

وهام ذلك الكائن المجهد فى ضيعة كن سان المزارع ، وكان قد انتهى من إنشاء الدار الجديدة ذات السقف الخشبى ، المقامة بجوار طريق قرية إكوبو بحيث يستطيع أى إنسان أن يقصد الطريق الرئيسى من خلال فنائها الخلفى . وكانت أرضيتها مرتفعة وتربتها جافة ، فضلا عن أنه كان بها فناء ضيق حالك ذو فرجة بين مدخله والحاجز القائم بين هذه الدار وتلك التى تليها ، تستطيع فيها أن تخفى نفسها فى الحال عندما يقضى الأمر ذلك . ولم تتوان لحظة فى احتلال هذا المخبأ الـكائن تحت الأرض .

ثم دعتها الحاجة الملحة إلى الحصول على الطعام . وأرشدها أنفها الحساس إلى الطريق صوب المطبخ . ولم يـكن لديها وقت للاختيار ، فقد كانت جائعة . فأخذت تأكل ما يصادفها : قشور الفاكهة ، وحساء بارد نتن الرائحة ، وأوعية من الطعام الفاسد . فإذا لم يكفها كل هـذا ، قامت تتشمم ما حولها ، حتى كومة الغبار ، وتصيد أقصى ما تستطيع تصيده . ووجدت هناك جوارب قذرة مشربة بماء الغسيل بجوار الحائط ، فجعلت تشرب الماء المتساقط منها فى سرور .

كانت هناك فى الحديقة شجرة قديمة ، فعزمت على أن تجعل من ظلالها موضعاً لراحتها ، فتمدد أقدامها الأربع على الأرض الدافئة من حرارة الشمس الساطعة خلال الأفنان . وتتثاءب أو تحك مواضع فى جسمها . وعندما يأتى المساء تدلف إلى ملجأها تحت الأرض وترقد على أجولة الفحم . وهكذا بدأت حياتها .

كانت عائلة كن سان تحتفظ فى ذلك الوقت بكلب أسمر اللون يدعى بوتشى . وكان الحيوان الوحيد الذى يقابل بالترحاب . وكان يبدو أنه ذو طبيعة اجتماعية ، فقد كان يتقرب إليها فى أدب وهو يحفر الأرض ، فترد عليه تحيته بهز ذنبها القذر .

بيد أن كن سان وغيره من أولئك الذين يعيشون فى ضيعته ، لم يرحبوا بها كما رحبوا ببوتشى . وصاح أحـدهم « أليس من الخسارة الـكبرى أن يكون الفرد قبيحاً حتى بين الحيوانات ؟ » فيرد آخر « لو كانت ذات مسحة من الجمال لاحتفظت بها ! » بيد أن كل هذا لم يكن له معنى عندها .

ودعاها هؤلاء الناس « بب » . وكانت لـكل دار « عمة » : لقب يضفى على ربة الدار . وكانت العمات والأولاد يشتركن فى كراهيتهم لها ويصرخون فيها . أما الأعمام فقد كانوا فظعاء . إن أقل إهمال أو انتباه تجعلها طريدتهم . وكثيراً ما ألقوا عليها الأحجار وكرات الطين وأسياخ المدفأة . وفى ذات مرة أصابها مقبض باب ، فسبب لها جرحاً فى إحدى مؤخرتيها .

وشيئاً فشيئاً ، أخذت تفهم العقلية البشرية : معنى زم الفم ، والقيام بالتقاط شىء ، وهز الأكتاف ، وعض الشفاه . كانت كل هذه الانفعالات الثائرة ضدها ، قد بينت لها مدى كراهية مطارديها . وكادت فى ذات يوم أن تساق لتغرق فى الخليج . ولا يستطيع أحد أن يعرف كيف وجدت سبيلها إلى الهرب ! كان الناس يصيحون « استحضروا الحبل . الحبل ! » وكانت يائسة ، فجعلت تعدو خلال الحديقة ، بين الشجيرات . وذهبت صوب الفرن ثم استدارت حول مخزن الغلال ، وأخيراً فرت إلى الحقول حيث تنمو الزهور التى تباع فى الأعياد .

وصاح أحد الأعمام: « لقد فرّت أخيراً ! » فرد كن سان وهو يضحك ضحكة رجل طيب « أليست شيئاً متعباً ؟ »

وتكررت مثل هذه التجربة القاسية. ولكنها لم تكن بالتي تقهر من مثل هذه الأعمال. ينبغي لها أن تبحث عن طعامها في هدوء وفي مظهر من يقول « إن هذه أرضي ». وكانت تتقدم إلى المطبخ الجديد في شجاعة، أو تذهب إلى الشرفة بأقدامها القذرة، فتمزق الستائر، وتلهو بما تغسله العمات من ملبوسات وتلطخها بالطمي والغبار ولم يكن لها اعتبار عند الأطفال. كان لهذه العائلة فتاة تدعى شوكان. وكانت تميل إلى اللعب في الفناء، فكانت الكلبة تطاردها مداعبة. وكانت الفتاة أحياناً ما تستحضر معها قطعة من الكعك، وتظهرها لها قائلة: « انظرى ! انظرى يا بب ! »

وسرعان ما تقفز على كوشان، فيتعالى صراخ الفتاة « أوه، ماماه، إن بب شريرة ! » وكانت هذه دائماً صرخة كوشان في طلب المعونة. فتقبل عندئذ العمات مسرعات وينادين كوشان: « اهربى يا كوشان ! في سرعة ! » فتفر الفتاة باكية ولم يبق معها شيء من الكعك. لقد أخذته الكلبة منها، وبذلك حصلت على الحلوى التي تأكلها الناس، وبعد ما تنتهي من أكلها، تلعق طرف أنفها بلسانها الأحمر

ومهما يكن من الأمر، فقد كانت لا تتعمد ما تقوم به من حركات، طيبة كانت أو شريرة. وكانت هذه الكلمات التي تسمعها من أفواه الأعمام والعمات لا تفهم لها معنى. فلم يكن لها طبيعة فهم تقاليد الناس المتمدينين وأحوالهم، لم تكن سوى كلبة سواء أكانت أفعالها مؤدبة أو خالية من الأدب. إنها حيوان مسكين يعمل كما توحى إليه طبيعته

ومر الشتاء القارس البائس، ولم تزل تتألم من هذه المعاملة، معاملة طردها، وكان من العجيب ألا تموت جوعاً في ذلك الشتاء لقد كانت المخلوقات البشرية في حالة محزنة، فكيف إذاً يستغنون عن حفنات من أرزهم البارد لهذا الحيوان الجاهل، تلك الكلبة المتعبة التي لا تنفع في شيء ؟ وكانت تهيم في الأماكن النائية، فتتبلغ بما تجده من أشياء، حتى قشور البرتقال

ثم أقبل الربيع، وأخذ الجليد في الذوبان، وبدت الكلبة كأنما نما عودها، وكانت كل الكلاب تتجمع حولها: بوتشى الذي يقطن دار كن سو، وكورو الذي يعيش بدار الاستحمام، وآكا الذي يحرس مسكن تاجر الخشب، وذلك الكلب الضخم الذي يخص الجيران. وكان يتبعها ثلاثة أو أربعة منها أينما ذهبت وكان الوضع المريح في ظلال الشجرة الكائنة بالفناء مرتعاً لصدى هريرها وكأنها تود أن تهمس إليها بكلمات الغزل

ولاحظت ذلك المشهد عمة مقبلة نحو البئر الجانبية، وقد حملت معها دلواً، فقالت: « يا إلهى إن بب كلبة أنثى ! إنى لم ألاحظ ذلك من قبل !

فردّت عمة من الدّار الجديدة شاهدت أيضاً ما يحدث « ولا أنا »

وضحكت العمتان وجعلتا تنظران إلى ذلك المشهد في اهتمام

« يجب أن تنفى ». كان هذا منشأ الجدال الذي استمر في ضيعة كن سان بين أعضاء عائلتين من العائلات الأربع. ثم انقسموا إلى حزبين: حزب الأعمام، وحزب العمات. كانت العمات يصرحن أن الأمر قد أصبح مختلفاً. أن حالتها الآن مغايرة لما كانت عليه في الماضي. وكن في جدلهن كأنما يقارن أنفسهن بها (وقد يكون هناك وجه للمقارنة). وكان الأعمام يعارضون في إنجابها ذرية. إنه من الفظاعة أن تلد أولاداً على شاكلتها. وفي الحق، لم يكن هناك من يهتم بمستقبلها. ولم تكن الكلبة تعرف شيئاً عن كل ذلك.

وما إن مر يوم حتى وقفت مركبة بجوار دار كن سان، يعلوها صندوق بلا غطاء، مغطى بقطعة قذرة من الحصير. وتشمم أنفها في سرعة ما الذي في المركبة.

وأقبل شرطى يتبعه رجل ذو نظرات مريبة. ودلفا إلى الدار. بيد أنها لم تكن تحوم في مثل هذه الأماكن الخطرة. وأخذ بوتشى وكورو وغيرهما من الكلاب في النباح. وأقبل الأعمام والعمات وكل سكان القرية. وصاحت كوشان « صياد الكلاب يا ماما ! » ثم اختبأت خلف والدتها.

وجرى الناس حول الحديقة. وشاركهم في العدو صبى من مدرسة متوسطة كان يرسم صورة بالألوان المائية، وقد أمسك بحامل الرسم، وابنة كن سان وكانت تقوم برى الزهور.

« لقد هربت من هنا ! لقد ولت من هناك ! » .

وارتبك القوم فى عجب . ثم قالت كوشان وهى ترجف « من المؤكد أن بب قد قتلت » .

وأخيراً استطاعت الهرب . وهز رجل ممسك فى يده هراوة غليظة فى غيظ . وقال الشرطى « لا فائدة ، لا فائدة » وضحك وهو يسير صوب الباب . ثم انسحب هو ورفيقه إلى المركبة الفارغة يجران وراءهما ديول الخيبة .

لقد هربت على أية حال ، ونجت بجلدها . ومرت الأيام وتضخمت بطنها ، وأخذت عيناها تتلونان بلون غير ثابت من القلق . إنها لن تحافظ الآن على نفسها فحسب ، بل يجب عليها أيضاً أن تحمى أولادها فى بطنها . إن ظلال الشجرة لم تعد مأمونة ، وحتى عندما كانت ترقد على الأرض الندية ، وهى تلهث مما اعتراها من ألم . سرعان ما كانت تهب واقفة عندما تشاهد خيال إنسان ما ، يجب ألا تتهاون ولو لحظة واحدة ، وكان يلوح فى عينيها أنه ليس هناك من أشد قسوة وأقل رحمة من الكائن البشرى .

بيد أنه على الرغم من خوفها ، كانت لا تستطيع الابتعاد عن الدار . وقد يبدو فى عين الرائى ، أنها قد تسكون فى راحة تامة ، كغيرها من الحيوانات ، لو ذهبت إلى الغابة النائية ، ورقدت هناك بين الأشجار والحشائش ! ولكن ذلك لم يبد فى عينيها ، إنها لا تستطيع أن تغير من طبيعتها الوروثة

وفى أوائل شهر يونيو ، انتهت من القيام بواجبات الأمومة وظهرت أربعة جراء فى فرن كن سان ، اثنان منها جيلان يشبهان بوتشى فى لونه ، وواحد أسود فاحم ، والرابع يشبهها كثيراً .

وفى صباح يوم ولادتها ، تراءت لها للمرة الأولى ابتسامة البشر تهش بها ، وفى ذلك الصباح أيضاً قدموا إليها لأول مرة الطعام

وأخذت عمة كن سان تناديها « بب ، تعالى ، تعالى » ثم أصبحت تناديها دائماً منذ ذلك اليوم ...

محمد فتحى عبد الوهاب

إعـــــــلان

عن مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية

لتشجيع الانتاج الأدبي سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع جوائز لتشجيع الإنتاج الأدبي على النحو الآتي :

أولا : تخصص مائة جنيه لكل فرع من الفروع الآتية على أن يكون المتسابق من أدباء وادي النيل وحدهم .

(ا) قصة اجتماعية أو تاريخية ، جيدة الموضوع والأسلوب باللغة العربية الفصحى بحيث لا يقل عدد صفحاتها عن مائتي صفحة من القطع المتوسط الذي لا تنقص كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

(ب) إنتاج شعري باللغة العربية الفصحى لا يقل عن ١٠٠٠ بيت من الشعر في موضوعات متنوعة : في الاجتماع أو وصف الطبيعة أو تحليل العواطف أو نحو ذلك .

(ج) بحث مستوفى مبتكر في موضوع لغوي أو أدبي يسير على المنهج العلمي الحديث وتظهر فيه شخصية الباحث ، ولا يقل عدد صفحاته عن مائتي صفحة من القطع المتوسط الذي لا تنقص كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة .

ثانياً : تخصص لأدباء وادي النيل وغيره جائزة قدرها مائتا جنيه لمن يترجم لابن سينا ترجمة وافية دقيقة تصور حياته ونواحيه الفلسفية والعلمية والأدبية في أسلوب رائق بحيث لا ينقص عدد الصفحات عن مائتي صفحة من القطع المتوسط الذي لا تقل كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

وعلى الراغبين في الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع أربع نسخ مطبوعة أو مكتوبة على الآلة الكاتبة كتابة واضحة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة قبل أول أكتوبر سنة ١٩٥٠

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة ، وعليهم أن يكتبوا عنواناتهم واضحة وأن يوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على إنتاج له في فرع المسابقة المتقدم إليه ، ولا أن يعاد تقديم أي إنتاج أدبي سبق أن قدم للمجمع أو لأية مباراة عامة في غير المجمع ، أو لمناقشة عامة للحصول على لقب أو درجة علمية .

ويشترط في الموضوع المقدم لكل هذه المسابقات ألا يكون قد طبع قبل سنة ١٩٤٥ ، وسيحتفظ المجمع بنسخة من كل ما يقدم إليه من الإنتاج الفائز وغيره وترسل الموضوعات بعنوان لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية شارع قصر العيني ١١٠ القاهرة .

٣٠٧٩

سكك حـــــديد الحــــكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلى بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى الفنادق

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلى والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم للدرجة الأولى فقط والإقامة فى الفنادق .

وتشمل هذه التذاكر الإقامة فى الفنادق المبينة بعد :

اسم الفنـــــدق	درجـــة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و ٤ ليال من القاهرة (جنيه مليم)
فندق ونتر بالاس بالأقصر	درجـــة أولى ممتـــازة	١٦ ر ٩٣٠
فندق كاتاركت بأســوان	» » »	١٩ ر ١٢٠
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	١٥ ر ٠٨٠
	» » » » الثالثة	٩ ر ٢٢٥
فندق جراند أوتيل بأسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	١٧ ر ٢٧٠
	» » » » الثانية	١٠ ر ٠٩
فندق ســافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	١٤ ر ٢٠٠
	» » » » » الثانية	٨ ر ٤٤٥
فندق العائلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١٢ ر ١١٠
	» » » » الثانية	٦ ر ٣٥٥
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١٢ ر ١١٠
	» » » » الثانية	٦ ر ٣٥٥

مطبعة الرسالة

العدد ٨٥٢ — الاثنين ١٣١ كتوبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٣٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

17 e Année No. 852 — Lundi 31 - 10 - 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ من شهر محرم سنة ١٣٦٩ — ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

من وحي الهجـــرة (*)

بعث الله النبي الكريم على فترة من الرسل ، في عصر غير ذي دين ، وجيل غير ذي خلق ، وبلد غير ذي زرع . فلقي صلوات الله عليه من سفه الجاهلية وكَلَب المادية وكيد العصبية وحرمان الفقر وخذلان القلة ما لا يسعه طوق بشر إلا بروح من الله وسند من الإيمان وعون من الخلق .

حمل محمد رسالة الله وهو فقير ضعيف ، وحمل أبو جهل رسالة الشيطان وهو غني مسلَّط ، فحوّل مكة المشركة جبلا من السعير سدّ على الرسول طريق الدعوة ، فكان يخطو في طرقها وشعابها على أرض تمور بالفتون وتفور بالعذاب . وتفجرت عليه من كل مكان سفاهة أبي لهب بالأذى والهون والمعاياة والمعارضة . وكل قرشي كان يومئذ أبا جهل أو أبا لهب إلا من حفظ الله . وافتن كفار مكة ومشركو الطائف في أذى الرسول ، فعذبوه في نفسه وفي أهله وفي صحبه ليحملوه على ترك هذا الأمر فما استكان ولا لان ولا تردد . وحينئذ تدخل الشيطان بنفسه في (دار الندوة) فقرّر القتل ، وتدخل الله بروحه في (غار ثور) فقدّر النجاة . وانطلق محمد هو وصاحبه ودليله وخادمه على عيون المؤتمرين في الطريق الموحش الوعر حتى بلغوا طيبة . وهنالك بالصبر والصدق والإيمان والرجولة أثمر غرس الدعوة وتم نور الله .

كان يوم الهجرة الذي جعله عمر الحكيم العظيم تاريخاً للمسلمين يحسبون منه أيامهم ، ويؤرخون به أحداثهم ، خاتمة وفاتحة: كان خاتمة لثلاثة عشر عاماً من المحن الشداد والآلام القواتل تظاهرت على الإيمان والصبر حتى قال الرسول وهو يلوذ بحائط من حوائط ثقيف : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ؛ وكان فاتحة لثلاثة عشر قرناً من النصر المؤزر والفتح المبين ، أعلن العرب فيها كلمة الله ، وبلغوا رسالة الحق ، وحملوا أمانة العلم ، وأرشدوا الضال فاهتدى ، وحموا الذليل فعز ، وعلموا الجاهل فتعلم ، ومكنوا في أرضهم الفسيحة ودنياهم العريضة لعناصر الجمال والخير فقويت في كل نفس ، وازدهرت في كل جنس ، وانبعثت في كل مذهب ، وانتشرت في كل أفق؛ وحققوا لهذا الإنسان طريد العدوان وعبد الطغيان أحاديث أحلامه وهواجس أمانيه ، من الأخوّة التي يعم بها النعيم ، والمساواة التي يقوم عليها العدل ، والحرية التي تخصب بها المدارك ؛ لأن رسالة محمد لم يوحها الجوع ولا الطمع ، وإنما أوحاها الذي خلق الموت والحياة ، وجعل الظلام والنور ، وأوجد الفساد والصلاح ، ليدرأ قوة بقوة ، وينقذ إنساناً بإنسان .

كان يوم الهجرة إلى المدينة وما قبله تشريعاً من الله في حياة الرسول للفرد المستضعف إذا بغي على حقه الباطل ، وطغى على دينه الكفر ، ليعرف كيف يصبر ويصابر ، وكيف يجاهد ويهاجر ، حتى يبلغ بحقه ودينه دار الأمان فيقوى ويعز .

وكان يوم العودة إلى مكة وما بعده تشريعاً من الله على لسان

(١) أذيعت في مساء الأحد أول المحرم من دار الإذاعة اللاسلكية بالقاهرة

الرسول ويده للأمة إذا اتسمت رقعتها ، واتحدت كلمتها ، واستحصدت قواها ، لتعلم كيف تنسى الضغائن إذا ظفرت ، وتحتقر الصغائر إذا كبرت ، ثم لا تحارب إلا فى الله ، ولا تسالم إلا فى الحق .

كانت المدينة وحدها بعد يوم الهجرة مجالا لسياسة الرسول يضم شتات الجماعة ، ويوثق عقدة الأمة ، ويجمع أهبة الحرب ، فألف بين الأوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وعاهد بين المسلمين واليهود ، حتى تكتّب فى يثرب جيش الله الذى فتح الدنيا بفتح مكة .

ثم كان العالم كله بعد يوم الفتح مشرقاً لوحى الله وهدى الرسول ، فطهره الإسلام من الأرستقراطية بالمساواة ، ومن الرأسمالية بالزكاة . ثم علم الناس حكم الشورى ، وألزمهم قضاء العدل ، حتى أخرجهم من الوطنية المحدودة إلى الإنسانية المطلقة .

إن هجرة الرسول ملحمة من ملاحم البطولة القدسية لا يفتر عن إنشادها الدهر ! استمدت إلهامها من وحى الله ، وروحها من خلق الرسول ، وعملها من صدق العرب ، واستقرت فى مسامع الأجيال والقرون مثلا مضروباً لقواد الإنسانية ، يعلمهم الصبر على مكاره الرأى ، والاستمساك فى مزالق الفتنة ، والاستبسال فى مواقف المحنة ، والاستشهاد فى سبيل المبدأ .

فاذكروا يا ساسة العرب وأنتم مجتمعون اليوم لتوثقوا روابط الجامعة العربية أن الرسالة المحمدية التى هاجرت مغلوبة من مكة إلى المدينة ، سافرت غالبة من الشرق إلى الغرب ، بفضل مبدئها الإلهى الذى قامت عليه ودعت إليه وفازت به ، وهو توحيد الله ، وتوحيد الكلمة ، وتوحيد الخطة ، وتوحيد الغاية .

اذكروا لماذا نذكر صاحب الهجرة فى كل أذان وفى كل صلاة من كل يوم . هل نذكر اسمه مع اسم الله تعبداً به ؟ معاذ الله فما يكون الشرك غير هذا . إنما نذكر الله ونذكر بعده محمداً كما نذكر القاعدة ومعها المثل ، أو النظرية وبعدها العمل ؛ لأن الله يوحى والرسول يبلغ ، ويأمر وهو ينفذ ، ويشرع وهو يطبق ؛ فذكر الله استحضار لأوامره ونواهيه وتلك هى القدرة ، وذكر الرسول استحضار لأفعاله وأقواله وتلك هى القدوة .

اذكروا ذلك وقولوا للموقين منكم إن العصبية التى توسوس فى بعض الصدور بالرياسة والسيادة ، إنما كانت فى تاريخنا الحافل بالأحداث والعبر علة العلل فى انشقاق العصا ، وانقسام الرأى ، وانتشار الأمر ، وتمدد الدول ، حتى كان لنا فى الأرض ثلاثة خلفاء فى وقت واحد : عباسى على عرش بغداد ، وأموى على عرش قرطبة ، وفاطمى على عرش القاهرة ، ولكل خليفة منهم شأن يغنيه ، وعدوان مع الباغين على أخيه .

اذكروا ذلك يا ساسة العرب واستناروا بسيرة نبيكم فى السياسة ، واستنوا بسنته فى الحكم ، فإن محمد بن عبد الله الذى آثر أن يكون نبياً عبداً على أن يكون نبياً ملكاً ، قد ساس الناس فى عهده سياسة دينية لا وطنية ولا قومية ؛ لأن الوطن محدود والدين لا حد له ، ولأن القوم جماعة متميزة والدين إنسانية شاملة . أما وقد استشرت العصبية ففرقت شعبنا فرقاً لكل فرقة طُرُزٌ ورسوم ، ومزقت وطننا مزَقاً تفصل بينها مكوس وتخوم ، فإنا أحرياء بأن نصلح الأمر بما صلح عليه أوله : نحفت فى نفوسنا صوت الأثرة ، ونسكن فى رءوسنا عصف الهوى ، ونجدد فى أذهاننا ما انطمس من معانى الإيثار والأخاء والفداء والمروءة ، ونوضح فى أفهامنا ما انبهم من هذه المبادئ الإسلامية الصريحة : إنما المؤمنون إخوة . وأمرهم شورى بينهم . وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ... وتلك هى المثل العليا للسلام والنظام والحكم ، تطلبها الشعوب المكروبة المسخَّرة بالثورة بعد الثورة ، وبالحرب بعد الحرب ، فيحول بينها وبينها تصادم القوى وتعارض المنافع .

لا نطمع فى أن نجعل من الوطن العربى الذى قطَّعه الغاصبون دويلات ليسهل ازدرادها ، وحدة كاملة . ذلك فوق الطاقة الآن ، لأنه عمل لم يقو عليه من قبل غير محمد ، ولن يقوى عليه من بعد غير رجل من رجال محمد ، هو الرجل الذى ينتظره العرب انتظار الأرض رجعة الربيع . وبحسبنا أن نمهد أمامه الطريق بهذه الجامعة العربية التى توافدتم اليوم إلى توكيد ميثاقها وتثبيت أركانها فى القاهرة . فإذا أقمتموها ياساسة العرب على الإيمان الصادق والنية الخالصة ، كانت إرهاصاً لظهور ذلك الزعيم المنتظر الذى يجمع الله لكم فيه الراعى الذى يطرد الذئب ، والخيط الذى يجمع الحب ، والدليل الذى يحمل المصباح ، والقائد الذى يرفع العلم ، والأستاذ الذى يعلمكم أن تصنعوا الإبرة والمدفع ، وتشقوا المنجم والحقل ، وتوفقوا بين الدين والدنيا ، وتلاءموا بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة . ويومئذ تعودون إلى منزلتكم من صدر الحياة ، ومكانتكم من قيادة الناس .

احمد حسن الزيات

صور من الحياة :

٢ - زوجة تهار!

للأستاذ كامل محمود حبيب

قال لى صاحبى : « مالك تغلو فى رسم صورة (زوجة تهار) فتزعم أن المرأة تفر من دار زوجها وتذر أولادها ، وهم حبة القلب ، ونور العين ، وفرحة العمر ، وبهجة الحياة ... تذرهم لتعيش إلى جانب عشيق كائن من كان ؛ على حين نرى الحيوان الوديع يتنمر إن أحس بسوء يوشك أن يصيب صغاره ... فما بال الإنسان ؟ »

قلت : « أما هـذه القصة ، فهى من صميم الحياة ، قصها صاحبها على وعلى رهط من صحابه ... وقصها أيضاً على الأستاذ سعيد العريان ، وهو رجل ذو مروءة وإنسانية ، وذو مكانة وشأن ... فناله — مما سمع — الضيق والعطف ، فقدم لصاحب القصة من إنسانيته ورجولته ما خفف عنه لأواء المصيبة ، وأزاح عنه بعض وطأة البلوى ... »

(كامل)

آه ... يا لقلبى ! إن الزوجة حين ترتدع فى حمأة الخيانة تعلن عن أن دمها الملوث لم يشعر يوماً بصفاء المعانى السامية فى الشرف والكرامة !

والزوجة الساقطة امرأة انتكست إنسانيتها ، واتضعت كرامتها ، ومات ضميرها ... امرأة برمت بهـا روحانية السماء فلفظتها لجذبتها ظلمات الأرض لتسفل إلى هوة الخسة والرذيلة ... وهى فى عين زوجها وباء ، وفى رأى أهلها داء ، وفى موكب الحياة عار وسبة ، وفى عمر الرجل ساعة لهو رخيص ، يستمتع بها حيناً ، ثم يطرحها إلى عرض الشارع ... وهى — دائماً — تتوارى عن الأعين المتلفتة لأنها خلعت ثوب العفة ، وتفزع عن الألسنة المتلطفة لأنها نزعت رداء الشرف !

يا فتاة الشارع : أرأيت الدار الخربة وقد انقض جدارها ، وانفتح بابها ، فأصبحت مثابة للص والشحاذ وابن السبيل ؟ !

أرأيت المرعى الخصيب وقد نام عنه المدافع وانصرف الحامى فأضحى مستباحاً ترده كل سائمة فلا تجد هناك إلا الأمان والخفض وإلا الرى والشبع ؟

أرأيت الجيفة — وهى ملقاة على الثرى — لا تملك أن تدفع عن نفسها ، ومن حوالها الـكلاب تتدافع فى نهم ، وتتهارش فى شره ، لينال كل واحد منها أوفى نصيب ، فلا تستطيع هى أن تمتنع على مَن يلغ أو يطعم أو يعبث ؟

ما أعجب ما أرى ! هـذا القانون الأرضى يكبل السارق بقيد من حديد إن سرق دريهمات لا تغنى من فقر ، ولا تسمن من فاقة ، ولـكنه يذر اللص يستلب الشرف ، ويسطو على العرض ، فلا يغلّه بأصفاد من الرجولة والإنسانية ...

هـذا هو القانون الأرضى حين يتشبث بالتراب ويرسف فى الوحل ! ...

***

لقد طارت الزوجة الخائنة مع شيطان من الناس ... طارت لتذر زوجها على فراش المرض يقاسى ألم الداء ويعانى هم الزوجة ويحمل — وحده — عبء الأولاد . طارت حين زين لها الشيطان بأساليبه السفلية أن تنفلت من دارها فى هدأة الليل وسكونه ، فتخلف وراءها راحة الضمير فى الدار ، ولذة العيش فى ظل الزوج وسعادة الحياة بين مرح الأولاد .

وزعمت الزوجة الآبقة أنها ضاقت بهموم الدار ، وما فيها سوى زوج مريض مقدم ينفق من صبابة تـكاد تنضب وهى إلى جانبه يضنيها التعب — كزعمها — ويؤذيها السجن ؛ وسوى صبية صغار يلحون فى طلب الطعام واللباس ، والمدرسة من ورائهم تصر على أن يدفعوا ثمن العلم . ونسيت أن المرأة التى تفر من دار زوجها هى عاهر القلب فاسقة العقل فاجرة الضمير ، وأن المرأة التى تهرب من أولادها ، وهم ملء العين والقلب والفؤاد ، قد انحطت فأصبحت حيوانية النوازع أرضية المشارب .

لقد فزعت الزوجة عن دارها لتحتفظ لنفسها ببهجة الجمال ورواء الشباب ونضرة النعيم ، ولتستمتع بلذة الحياة فى كنف شاب وضيع وسوس لها فأغترها عن عزة النفس وشرف الترفع وسمو الإنسانية . وأرادت أن تسعد بالشهوة الرخيصة إلى جانب شيطانها فخسرت لذائذ الدنيا السامية فى الدار والزوج والولد .

وانطلق الفتى إلى جانبها ، وعيناه تشـعان فنوناً من الختل والخداع ، وحديثه يفيض ألواناً من المكر والمواربة ، وقلبه ينبض

بصنوف من الاحتقار والزراية ، وعقله يضطرم بضروب من الكراهية والمقت . لقد غطى الشيطان على عيني الفتى — حيناً — فاندفع بزخرف الحديث للزوجة ويختلبها بالمظهر البراق ، يوهمها أنه شيء وما هو بشيء ، وفي طبيعة المرأة ضعف وفي جبلتها خور فأسلست له وانقادت فهوت . ولكن عقل الفتى كان يخزه — بين الحين والحين — وخزات عنيفة توقظ في نفسه الندم أن اقترف الجريمة الشنعاء في ساعة من ساعات الطيش الجامح ، غير أنه يرى الزوجة الخائنة إلى جانبه تبسم له في رقة وتحنو عليه في عطف ، فيرق لها قلبه وتتحرك في فؤاده نوازع الرحمة يشوبها الاحتقار ، وتضطرب في نفسه دوافع الشفقة ممزوجة بالبغض .

أما هي فكانت تتملقه وهي ترى ثوب الرياء الذي تسربله حيناً من الزمن يتكشف أمام ناظريها عن ألوان من الضعة والسفالة والفقر ... ولكنها كانت تتملقه وهي تحس في نفسها ألماً يتصدع له قلبها وينقد فؤادها ... تتملقه لأنها لم تعد شيئاً سوى جيفة نتنة ملقاة على الثرى ، وهي تخشى أن يقذف بها صاحبها إلى عرض الشارع .

لا عجب ، فقد كان الشاب — في يوم ما — يحب الزوجة حباً براه فالقاً كبده ، ولكنه كان حب الحيوان يرنو إلى الأنثى ليقضي منها وطراً . فلما ظفر بمآربه بدأ الملل ينسرب إلى قلبه وضاق هو بحاجات المرأة ورانبه ضئيل تافه . وخانته شجاعته فلم يقو على أن يكشف لها عن خواطر عقله ، فعاشا معاً زماناً .

وانطوت الأيام تمسح بيدها الرفيقة على قلب الزوج عسى أن تلتئم جراحه أو تسرى عنه بعض همه ، وترفقت به العناية الإلهية فتدفقت في مفاصله روح الصحة والعافية ، فإذا هو — بعد أيام — في مكانه في المدرسة يجد السلوة في عمله بين كراساته ودفاتره وتلامذته . ولكن ستراً كثيفاً من الأسى ما زال ينسدل على جبينه فيبدو كئيباً ضيق النفس لا تنفرج شفتاه — أبداً — عن ابتسامة .

وسأله صاحب له — ذات مرة — عن ما أصابه فقال : « لقد ماتت زوجتي وخلفت لي صغاراً لا أجد من يكفلهم في غيبتي وإن عملي ليرغمني على أن أقضي ساعات النهار كلها في المدرسة » فقال له صاحبه « أحقاً ما تقول ؟ » قال « نعم ، لقد ماتت من تاريخي أنا فقط » وتراءى للصديق أن حادثة اجتاحت الزوجة وطمّت على بشاشة الزوج في وقت معاً ، فقال له في لهفة وشفقة « وكيف ؟ »

فجلس إليه يقص القصة كلها وإن عبراته لتتدفق هتانة ثم قال : « وأنا الآن أضيق بالحياة فما أصبر على الوحدة ولا أستطيع أن أتزوج فأضرب أولادي باليتم والضياع . فلا معدى لي عن أحد أمرين : إما أن ألقي بنفسي في اليم فأخلص من عذابي بين أمواجه وإما أن أذهب إلى السودان مرة أخرى فأفقد روحي بين لظى الحر وقيظ الهاجرة » فقال له صاحبه في فزع : « وأولادك ؟ ... أولادك يا أحمق ؟ » واضطرب قلب الرجل فآثر أن يبقى بين أولاده يرعى شأنهم ، وهو يتشبث بالصبر والسلوان . وكان صاحبه ذا شأن ومكانة فجذبه من مشغلة التدريس إلى فراغ الديوان ليجد من وقته فراغاً للدار ومن قلبه سعة للولد .

وقضى الزوج سنة ذاق فيها غصة الحياة ومرارة الوحدة ، وأحس — هو وصغاره — حرقة اليتم ولذع الضياع ، واستشعر — وحده — قسوة القدر وغلظة الأيام . على حين كانت الزوجة الخائنة تعيش بين ذراعي فتى يصغرها بسنوات ويضيق بعشرتها ، ويرى فيها فنوناً من الضعة والصغار ، ويخشى أن تعبث به كما عبثت بزوجها من قبل ؛ وما حاله بأحسن من حال زوجها يوم أن كان ، ولا هو أعز عليها من أولادها ... ثم ثارت به الشكوك وساورته الريبة !

وجلست الساقطة — ذات ليلة — إلى فتاها تطلب إليه أن يرتبطا معاً بالرباط المقدس ... الزواج ، وتلح في الطلب . ولكنه امتنع عليها وأعرض عنها !

يا لجهل الحمقاء ! لقد عزب عن عقلها الفج أن المرأة المهينة هي لعبة تافهة بين يدي الرجل يلهو بها ساعة ، ثم يحطمها وينبذها بالعراء ؛ لا يحمل لها في نفسه إلا المهانة والاحتقار ، وأن المرأة الصعبة هي في ناظريه كالطود الأشم ينحسر عنها البصر كلما اقترب منها لأنها تتراءى أمامه شامخة باسقة .

وألحت الحمقاء في الطلب فثار صاحبها ثورة قذفت بها إلى عرض الشارع وهو يقول « أفأتزوّج هذه العاهر .. هذه الفاسقة ؟ »

وخرجت الخائنة إلى الشارع في ليلة ممطرة وإن أسنانها لتصطك من شدة البرد وإن جسمها لينتفض من زمهرير الشتاء وإن عبراتها لتنهمر من خيبة الرجاء وضيعة الأمل .

واقتص القدر من الزوجة الخائنة حين قذف بها إلى الشارع لا تجد العون ولا المأوى ، فيا للقصاص العادل ... يا للقصاص !

كامل محمود حبيب

هل تستطيع روسيا غزو العالم؟

للأستاذ فؤاد طرزى المحامى

عندما أعلن كارل ماركس نبوءته بشر بثورة العمال الكبرى التى ستنهى المرحلة الرأسمالية وتقيم على أنقاض عالمها نظاماً شيوعياً ، وقال إن الفقرسيكون الدافع الذى يعجل بهذا الانهيار . وقد حصلت الثورة فى روسيا وقام أبطالها بتطبيق نظريات كارل ماركس تمهيداً لإنشاء المجتمع الشيوعى الموعود . واليوم ، وبعد أن مر أكثر من ثلث قرن على هذه الثورة ، نسمع أن الجيش الأحمر حل محل ثورة العمال ، وأن زعامة ستالين خلفت الفقر فى تولى قيادة التاريخ . وبهذا تعلق مصير الشيوعية بهذا الجيش وبهذه الزعامة ولم تعد تعنى تطوراً اجتماعياً محتماً لابد منه . وبناء على هذا التحول نتساءل الآن عما إذا كان فى إمكان الجيش الأحمر ومن وراء قوته روسيا غزو العالم وإقامة النظام الشيوعى ؟

* * *

لقد اتضح بسرعة بعد الثورة الروسية أن هؤلاء الاشتراكيين البلشفيين أناس يختلفون فى نزعتهم عن أولئك البلشار الدستوريين والثوريين من اتباع كرينسكى . لقد كانوا من الشيوعيين المتعصبين ، وكانوا يعتقدون أن تسلمهم للسلطة فى روسيا ليس إلا بداية للثورة الاجتماعية ، فعملوا على تغيير النظام الاجتماعى والاقتصادى وإقامة نظام جديد بمقول لم تنضجها التجارب . وإن كانت الحكومة البلشفية قد نجحت فى كفاحها ضد التدخلات الخارجية والثورات الداخلية ، إلا أن نجاحها كان أقل فى محاولاتها لإقامة نظام اجتماعى جديد يرتكز على المبادىء الشيوعية. فقد كان الفلاح الروسى ، ذلك الفلاح الجائع صاحب الأرض الصغيرة ، بعيداً عن الشيوعية فى آرائه وطرائقه فى الحياة بعد الحوت عن الطيران كما يقول ويلز . إن الثورة منحته أرضاً من تلك الأراضى التى كان يملكها الملاك الكبار ، ولكنها لم تيسر له إنتاج غذائه لتغير معاملات التبادل النقدية ، بل إن الثورة دمرت من بين ما دمرت قيمة النقد ذاتها . يضاف إلى ذلك أن الفوضى كان قد سبق لها أن شملت الإنتاج الزراعى من جراء انهيار طرق السكك الحديدية أثناء المجهود الحربى فتقلص هذا الإنتاج تقلصاً انتهى به إلى أن غدا مجرد إنتاج للطعام يتعهده الفلاحون لاستهلاكهم الخاص . وجاعت المدن وفشلت فشلاً تاماً كل المحاولات الارتجالية الداعية لتحويل الإنتاج الصناعى وفقاً للمبادىء الشيوعية . وما إن حل عام ١٩٢٠ حتى كانت روسيا قد عرضت أول اتجاه من نوعه فى المدينة الحديثة إلى الانهيار التام . وأعقب ذلك انهيار خطوط السكك الحديدية وخراب المدن وسريان الدمار إلى كل مكان . وفى عام ١٩٢١ حل جدب عام وسرت بين الفلاحين المنتجين مجاعة كبرى دمرت المناطق الجنوبية وأجاعت الملايين من الناس .

ووسط هذه الظروف المؤلمة وضعت التصاميم لتنفيذ عملية الإعمار ، ووضعت سياسة اقتصادية جديدة . وبمقتضى هذه التدابير منحت حرية لا بأس بها للمالك الفردى ولصاحب المشروع الخاص على عكس ما يتطلبه المنطق الماركسى . ولهذا لاح أن روسيا قد تخلت عن الاشتراكية وأنها أصبحت تعيش فى ظروف تشبه نوعاً ما تلك الظروف التى كانت عليها الولايات المتحدة فى المئات الأولى من سنى تاريخها . فقد ظهرت طبقة الفلاحين المرفهين من الكولاك الذين يشبهون الفلاحين الأمريكيين الصغار وتضاعف عدد التجار المستقلين . ولكن الحزب الشيوعى لم يكن بميل إلى ترك وسائله الخاصة فى سبيل السماح لروسيا أن تسير على النمط الذى سارت عليه اليقظة الأمريكية منذ مئات السنين .

وفى عام ١٩٢٨ بدأ مجهود ضخم جبار لإعادة البلاد إلى الطريق الشيوعى فى التطور الاجتماعى . فوضع مشروع الخمس سنوات وفق تصميم يروم دفع البلاد إلى الأمام لتحقيق توسع سريع فى ميدان التصنيع ، وعلى الأخص ، وبصورة كبيرة ، فى مجال المصنوعات الثقيلة وإعادة تنظيم الإنتاج الزراعى حسب أسلوب الإنتاج الكبير الذى تتعهده المزارع التعاونية . وفى شهر يناير من عام ١٩٢٤ خسرت روسيا قيادة لينين البارعة ، وكان خلفه ستالين صاحب يد قوية قاسية فعمل على تصنيع البلاد بالعنف ولكنه لم يصب أى تقدم رغم كل المحاولات . وما إن حل شتاء عام ١٩٣٣ ١٩٣٤ حتى وجدت روسيا نفسها دفعة واحدة تواجه نقصاً كبيراً

فى الطعام . وخلال كل هذه المراحل كانت بقية الدول فى العالم مشغولة فى اجتناء نظام الفائدة الخاصة ، مراقبة التجربة الروسية مراقبة يمتزج فيها الفضول بعدم الثقة والتهيب . ولكن هذه التجربة كانت تتحول من حال إلى حال ومن شكل إلى شكل . فإن الضغط العنيف على المعارضة قد استمر على قوته مما اضطر كل أسلوب من أساليب المقاومة أن يعمل فى الخفاء والسر ، وبذلك كان الأمر ينتهى بالمعارضة المضغوط عليها إلى أن تصبح معارضة دموية . وأخذت دواعى الانفصال تأكل فى قلب النظام الجديد ، وأعقب وفاة لينين صراع طاحن من أجل السلطة ، بين تروتسكى الذى يعزى إلى قيادته العسكرية اللامعة النجاح الذى أحرزته الجمهورية فى المعارك الدفاعية التى خاضتها عام ١٩١٩ — ١٩٢٠ وبين ستالين سكرتير الحزب الشيوعى سابقاً . إن التفاصيل الكاملة لهذا الصراع المعقد لا تزال غامضة لم يزح عنها النقاب ؛ فقد كان تروتسكى موهوباً ولكنه كان مغروراً ، أما ستالين فكان صلباً مستبداً برأيه . وأدى الصراع بينهما إلى تقسيم القوة الماركسية اليسارية فى جميع العالم إلى جبهتين متخاصمتين .

وشوهد فى روسيا نفسها الكفاح السرى الذى يوجهه المعارضون من الموظفين والمستخدمين ضد ستالين فى إدارته ، ولكن أكثر قوى هذا الكفاح قد ضاع فى وسط شديد الغموض وفشت بين الجبهات المعارضة بكل تأكيد بعض الخيانات والانشقاقات ، إلا أن هناك احتمالاً يقرب من اليقين يؤيد بأن المعارضة كانت موجودة فى زمان لينين ؛ وأنها ازدادت نشاطاً وترابطاً بعد وفاته . وسلكت الحكومة الستالينية فى بادىء الأمر سياسة معتدلة مع هؤلاء المعارضين لفترة من الزمن . وقد سيق إلى المحاكمة عدد من الموظفين المسئولين ومعهم عدد من الفنيين البريطانيين متهمين بأنهم يعوقون عن عمد المحاولات الجارية لتصنيع روسيا . وانكشف الستار بعد عدة محاكمات متتالية عن عناصر سياسية متآمرة . ولكن حتى مقتل واحد من أقرب المقربين إلى ستالين وهو وزيره (كيرون) الذى قتل أثناء قيامه بواجبه فى الكرملين فى أول ديسمبر ١٩٣٤ ، وإلى حد هذا التاريخ كان المتهمون يساقون إلى السجن أو إلى المنفى ؛ إلا أن الأمور بعد هذه الحادثة أخذت تتجهم وتزداد حلوكة . ففى ربيع ١٩٣٤ فقد ستالين زوجته فى ظروف لا تزال إلى الآن غير معروفة بل وأن هناك من يظن أنها انتحرت بسبب الآلام التى قاساها الفلاحون عند تطبيق مشروع السنوات الخمس . وبعد أن نفض ستالين يديه من جميع معارضيه قتلاً وتشريداً وحبساً وجد نفسه بلا صديق حميم فراحت المحاكمات السياسية تتبع الواحدة الأخرى ، وأصبح الموت هو الشيء الوحيد الذى يتبع مجرد الاتهام ، وقتل القادة البولشفيك الواحد بعد الآخر ، ولم يبق منهم غير اثنين أو ثلاثة . وغدا ستالين طاغية لا يعرف معنى التسامح ولا أسلوب التسويات بل كان همه مكافحة المتآمرين على حياته ومصلحته .

هذه هى الحالة التى كانت عليها روسيا عام ١٩٣٨ ؛ فالحياة المادية فيها — كما يقول ويلز فى كتابه تاريخ العالم — كانت تعانى الإجهاد يصاحبها نقصان تدريجى فى الإنتاجين الزراعى والصناعى . وقد كان فى وسع الجيش الهتلرى لو وجه كل قواه منذ أول الحرب لغزو روسيا أن ينجح أكثر من نجاحه الذى حققه فى الغزو الذى شنه بعد أن استنزفت القوى الألمانية وبعد أن استطاع الإنجليز والأمريكيون أن يزيدوا مواردهم ويضاعفوا إنتاجهم .

ومع أن قوات الروس والحلفاء ظلت متعاونة قرابة أربع سنين إلا أن الهوة التى تفصل بين الأهداف الروسية والأهداف الأمريكية سرعان ما فصلت بين الحلفاء الغربيين وبين روسيا بمجرد انتهاء الحرب ، وعاد العالم — كما حدث فى كل مراحل التاريخ — لينقسم إلى معسكرين متعاديين متعارضين ، وأخذت تتردد أحاديث الحرب الجديدة على الشفاه ، فيكتب عن هولها الملقون ، ويتنبأ بنتائجها الباحثون والكاتبون . ولا يمكن حتى لأشد الناس تفاؤلا أن يكتم يقينه بوقوع الواقعة يوماً ما ، لأن ستالين قد أعد جيشه الأحمر ليكون رسولا لمبادىء كارل ماركس ، كما سبق لهتلر أن أعد جيش الرايخ ليقيم النظام الجديد . فما هى الموارد التى تمون هذا الجيش الذى أضحى بديلاً من الثورة العمالية الكبرى ؟ أو بمعنى أصح ، هل روسيا قادرة على تحقيق حلم ستالين بإقامة قيصرية روسية كبرى مركزها الكرملين ؟

* * *

هل تستطيع روسيا أن تثير حرباً ؟ هذا هو السؤال الذى

المـــــازنى فى عهدين

بين ابراهيم الكاتب وابراهيم الثانى

للأستاذ غائب طعمة فرمان

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

فى نهاية رحلته ... يدلف إبراهيم الكاتب إلى المقبرة ... العالم الملىء بالذكريات ... لتذكره بالموت ... ويملأ عينيه بالرفات الباقى من حيوات كثيرة ... وما أشبه الرفات بالذكريات !.. أليست هى بمثابة رفات لحبه الماضى ؟!.

وهناك فى ذلك الجو الساكن الرهيب يفكر فى أمر هـذه الحياة العجيبة الغامضة الغريبة التى يمتزج فيها الصراخ بالغناء، ويختلط بها الألم بالطرب ... وهو يردد « لا شك فى أن الحياة عمياء صماء ... فليتها توهب البصر هنيهة لترى هذا الخليط من الحسن والقبيح ، والخير والشر ! ويا ليت ! من يدرى ماذا تصنع إذن ؟.. أترى يثور الخجل بهـا ، فتعصف بكل شىء وتمحوه ، أم تأخذ فى إصلاحه وعلاجه فى صبر وأناة . » ... أما لو كنت أنا الحياة لتناولت ما أخرجت كفاى من طينة الأرض المحدودة ، ودككته وحطمته ، ثم ذررته لهذه الرياح .

وتلك فلسفة ابراهيم الكاتب التشاؤمية ... تلك الفلسفة القاتمة التى تعتبر الحيـاة « قبضة ريح » و « حصاد الهشيم » و « باطل الأباطيل » وهى فلسفة الكتاب المقدس الذى أشربت نفسه حكمته — كما يقول الدكتور محمد مندور .

ويدركه الأعياء فيقول لنفسه :

« الموت على الأقل راحـة ... فليت الحادى يعجل بنا ، فقد سئمت الحياة ، ومللت النظر فى وجهها الملطخ ، وثوبها المرقع، واشتقت أن أرقد هنا إلى جانب ... » .

ولـكن صوتاً قوياً يصرخ من جانب القبر ... « لا ... » .

ويظل القول يعاتبه فيقتنع ابراهيم بذلك ويقول :

« حسن ... سأحيا من أجلك ، وأتقى المهالك إكراماً لك ، وظناً بك أن تلحق بالأموات جداً . »

يجابهنا اليوم ، وفى الإجابة عنه نقول إن خطط روسيا الحربية يجب أن تبنى على اقتصادها الصناعى فى حين أن المعلومات عن هذا الاقتصاد غير متوفرة تمام التوفر . ومع ذلك فهناك عدد من الحقائق الأساسية يمكن التكهن بواسطتها . ولنبدأ أول ما نبدأ بالسكان ثم ندرس بعد ذلك مساحة البلاد نفسها . وفى هذا المجال من الخطأ الظن بأن روسيا إقليم ضخم ذو ثروة وإمكانيات غير محدودة . فمساحة روسيا تبلغ ما مقداره (٤٥) مرة بقدر مساحة ألمانيا ؛ إلا أن أكثر من نصف مساحتها غابات ، وما يقارب خمسها صحراء أوشبه صحراء ، ولا تتجاوز المنطقة الخصبة ثمن المساحة الحقيقية . وهذا يعنى أن قابلية روسـيا لإعاشة (١٨٢) مليون نفس لا تتجـاوز قابلية أمريكا لإعاشة (١٤٣) نفس ، ويعنى أيضاً بأن الروس سيعانون دوما نقصاً فى غذائهم وستبقى روسيا مدة طويلة من البلدان التى تدركها المجاعات .

ويوجد حوالى خمسة ملايين من الروس مشتتين فى منـاطق بعيدة تشتتاً أضاعهم فى الغابات والمجاهل الواسعة ، وكذلك فإن عدد السكان الروس العاملين لا يتجاوز عدد السكان الأمريكيين العاملين . وإذا أضفنا إلى ذلك أن أغلب المصانع الروسية متركزة فى المثلث الذى يمتد من « لينينغراد » و « أكرانيا » غرباً إلى المناطق الصناعية الجديدة فى وسط سيبريا وهى المنطقة الروسية المنتجة الوحيدة ، وأن هذا المصدر الرئيسى المتركز داخل المثلث مكشوف تماماً ، عرفنا مقدار انحطاط القابلية الصناعيه فى روسيا ومقدار تعرضها للخطر فى حالة نشوب حرب حديثة .

ويبلغ الإنتاج الروسى اليوم إنتاج الولايات المتحدة قبل ٤٨ سنة . ونحن نعرف أن الحرب قد أتلفت الكثير فى ألمانيا وإيطاليا واليابان وإنجلترا إلا أن التلف الذى حصل فى روسيا يفوق كل تلف سواه ، فقد خسرت روسيا ٥٨ بالمائة من طرقها الحديدية و ٤٤ بالمائة من قوتها الـكهربائية و ٤٥ بالمائة من إنتاجها من الحديد و ٥٥ بالمائة من إنتاجها من المواد الغذائية ، كما خسرت الملايين من البيوت والبنايات والجسور .

(البقية فى العدد القادم)

فؤاد طرزى المحامى

ولكن ... من أجل مَنْ ؟.

« من أجل التي لها يحيا ، وفى سبيلها يسمى ، وبها وحدها يمنى طائعاً أو كارهاً ... من أجل نفسه ! » .

* * *

ويمر ذلك المهد ... عن العاطفة الصارمة ، والحب الجارف ، والاندفاع وراء القلب المرهف ... عهد كان أخوف مايخافه ويضجر من شقائه هو العقل ... العقل الذى لا يستسيغ تصرفات قلبه الجامح ، ولا يطمئن إلى عاطفته الحارة ... فكان ابراهيم الكاتب يقول:

« أوه ... العقل !. العقل !. ليت المقادير حرمتنا هذه النممة التى لم نفن بها » ثم ينقضى عهد العواصف واليأس والقنوط .

وتنقلب صفحة مليئة بالأشجان ... لتطلع علينا صفحة ثانية تقص علينا قصة حيـــاة أكثر اطمئناناً ، ورضى بنصيبها ، وفهماً لدينها ... قصة تزول عنها حمى العاطفة ونزواتها وطيشها ، وتنقلب إلى حكمة ودراية واتزان .

تلك هى حياة ابراهيم الثانى .. أو إذا أردنا الدقة ... حياة ابراهيم الكاتب بعد أن تغير تغيراً كبيراً ، أو كما عبر المازنى نفسه « ولو أمكن أن يلتقى الابراهيمان — ابراهيم الكاتب وابراهيم الثانى — لاحتاجا إلى من يقوم بينهما بواجب التعريف »

فابراهيم الثانى اليوم فى العقد الخامس من عمره ... أورثته حياته المرهقة ، وإحساسه العميق ، وذكرياته الطويلة ، وسواساً قوياً يخيفه ، ويأخذ بمجامع قلبه ، وقلقاً صارماً يستحوذ على فكره ... « فقد كان أخوف ما يخافه أن يكون قد شيخ ، أو أشفى على الشيخوخة » فهذا الهاجس يعذبه دائماً ، ويحيل حياته إلى عذاب نفسى أليم ... وينغص عليه عيشه ... وكأنه يلمح على عتبة الحياة شبحاً مديراً هو شبح شبابه حاملاً معه كل حلم من أحلامه ، وكل زهرة من زهرات ربيعه .

ويزداد هذا الوسواس بعد موت أمه ، وقام فى خلده أنه شب عن الطوق جداً جداً ! ، ودخل مداخل الرجال الذين لا يحتاجون إلى تعهد ورعاية ... فهو يدلف إلى الشيخوخة بقوة لا يستطيع لها دفعاً ، ويخلص من نعيم الشباب وهو ممتلج القلب بالعواطف.

ولكن ... مهلا ما الشباب ... أليس هو إيحاء وشعور يستوليان على النفس ... وهل خلى ابراهيم من إيحاء الشباب والشعورية ؟!

ولكن اليأس الملفى يدركه حين تصور له أوهامه ، وتلف أعصابه أنه موشك على الموت ، ذلك العالم المجهول لشد ما يخيفه ، ويفزعه ، وذكراه وحدها كفيلة بأن تقلقه ... « يا ويحه إذا رأى جنازة أو فاجأه عويل نسوة على ميت ... » .

غير أن شيئاً من الاطمئنان يسرى فى نفسه حين يتزوج ، ويرى من زوجته امرأة عظيمة الإخلاص ، حنوناً تترفق به ، وتحبه ، وتسهر على مرضاته ، وتقوم مقام الأم الرؤوم ، والصديقة الوفية ، والزوجة المخلصة .

ولكن الإحساس بالشيخوخة والمرض لا يلبث يطارده ، فتنقلب عاطفة ابراهيم الكاتب إلى برود ، وينسخ العقل والتفكير أحكام العاطفة ، وتتحول النار المضطرمة إلى رماد ! .

وتخلو حياته من العواصف ... فالاتزان عماد حياته ، فلا الحب يهزه — كما كان يهز خلفه — ولا الحزن يأخذ بأفكار نفسه ... فإذا قام الحب بينه وبين امرأة على رغمه ، وتصارحه امرأة بما فى صدرها من كامن الحب يقف كالشيخ الجليل أمام النار المتوقدة التى تطلب الوقود ... ويحاول أن يخمدها بحكمته .

دعنى أنقل لك موقفاً من مواقف حكمته لترى مقدار التغير الذى أصاب ابراهيم الكاتب .

« عايدة » فتاة عزيزة تمانى الكبت الشديد ، والحرمان من كل ما عسى أن يكون فيه إرضاء للأنوثة ، وتلطيف من حدة ثورتها الطبيعية ، وقلة الثقة بنفسها ، كثيرة الوسواس ، تنتابها الأزمات العصبية وتتركها مهدمة محطمة ... وهى مع ذلك ذات جمال وفتنة وقوام رشيق ... تتعرف إلى ابراهيم ، فترى فيه رجلا يملأ عينيها ، وترتاح إليه ، وتهرب إلى كنفه من رمضاء الحياة . وتجد فى صحبته ملاذاً من وساوسها وأوهامها ، وكهفاً تستكن إليه حين تعصف العواصف فى سماء نفسهـا القلقة الهشة ... وعلى مر الأيام يتسلل عطر الحب إلى صدرها ، حتى يضيق به ، فتصارحه بذلك :

- « أنت حبيبى ... نعم ... لا تفتح فمك هكذا كأنى

رميتك بحجر ... ما حيلتى ؟. كن منصفاً ... ألقاك كل يوم وأسمع حديثك ، وأشعر بقربك ، ولا أرى أو أسمع سواك ، وأحس عطفك ... لقد علمتنى أشياء ... وإنك لمسئول عني ... ولا أمل لى فى الحياة ... وليس لى غيرك ... أنت عزائى فيها . »

نعم ... تلقاه كل يوم . . وتتحدث معه ، وتشعر بقربه . ولكن قلبه لا يتحرك لها ، ولا يستجيب لنداء فؤادها ... ما خطبه ؟. لقد خمدت فى جوفه النيران !!. فيجيبها جواباً أشار به عقله ، ولم يستشر هواه :

— « اسمعى يا عايدة ... إنك عزيزة علىّ ، أثيرة عندى ... ولكن الحب شىء آخر !. لا ينبغى أن يكون بيننا هذا ... إنه يفسد كل شىء علىّ وعليك !!. أنت فتاة صغيرة عزيزة ومستقبلك كله أمامك ... وأنا رجل كهل قد خلفت صباى ورائى . ثم إنلى زوجة تحبك وتأمنك . إسمحى لى أن أقول إنى لا أصدق أن فتاة مثلك يمكن أن تحب رجلا مثلى ... كلا ... ليس هذا حباً وإنما هو فورة إحساس ... إنها حركة نفس مكبوتة ليس إلا ... نشوة عارضة تحسبينها ، وتغلطين وتتوهمينها حباً . . »

إنه صوت العقل ... العقل الذى ركن إلى الاتزان ، وابتعد عن صحراء الحب وعطشه ... وقد فطنت الصغيرة عايدة لذلك فصرخت فى وجهه قائلة : « إنك آلة مفكرة لا إنسان من لحم ودم ! »

وقد صدقت عايدة ... تلك التى ماتت وهى تعانى آلام الحبْ المجروح الذى وقف متضرعاً أمام هيكل العقل المكين ... وابراهيم الثانى يعرف مبلغ تحكم العقل فيه فقال يصف نفسه « ويعرف من يعرفونه أنه رجل عاطفة ووجدان ، وإحساس مرهف وأعصاب كالأوتار المشدودة ... ولكنهم كثيراً ما كان يخفى عليهم أن عقله مسيطر على عاطفته ، وأن زمام نفسه لا يفلت من إرادته ، وأن العواطف عنده تتحول إلى فكرة ... فهى غذاء لعقله ، كما يتحول الطعام قوة فى بدنه ... »

وأين هذه القمة الباردة من لهيب العاطفة ، وحرارتها فى ابراهيم الكاتب ؟. ابراهيم المندفع وراء قلبه ... إذا استقر الحب فى سره مدة عذبه ، وانقلب حسكا لا يجد الإرادة القوية التى تقف دون إفشائه .

ويلذ لابراهيم الثانى أن يكون طبيباً نفسانياً يدرس مرضاه ، ويسدى لهم النصح ويهديهم سواء السبيل ، ويقف أمام « المشرحة » وأمامه نفس تتعذب وتتلوى من الألم ... وفى صدره إرادة لا يقهرها أى قاهر .

وينفرط عقد القصة ، وتبدو الحوادث مفككة الأجزاء حتى ليخيل إليك أنك أمام مذكرات لطبيب نفسانى يسرد أعماله النفسية فحسب .

وتنطوى مع صفحة الشباب المندفع صفحة أخرى هى صفحة تشاؤمه وحزنه ويأسه وما يخيم فى سماء حياته من غيوم .

واستسلم القلب المنكوذ إلى القناعة ، والعقل المفكر إلى أحضان الواقع :

« إن الدنيا ليست بالجنة ، ولم تخلق على هوانا ، ولا كان لنا رأى فى خلقنا نحن ... وإنما جئنا لأن نواميس الحياة اقتضت أن نجىء ، فغير عجيب أن يكون ثم ما يسخطنا ولا يرضينا ، ولو ذهبنا نتسخط كل مالا يرضينا لما عادت الحياة محتملة ، فالصبر والحكم وتناول الأمور برفق وتسهل ، أوجب ما يجب ، وأدل شىء على حسن الفهم وصحة الإدراك ، وليس هذا من قبيل قولهم ليس فى الأمكان أبدع مما كان ... فإن كل ما فى الدنيا قابل لتحسين وإصلاح وتهذيب ... وإن لم يكن فى ذاته غاية فى السوء والفساد ...

... وأهرق كأس الحزن على أطلال الماضى ، ولم تشغله أشباح الزوال ، ولم تعمر فكره الرؤى القاتمة ، وتساوى عنده قصر العمر وطوله فى مقياس الفكر والإحساس ، والشعور والإدراك :

« إننا أعطينا الحياة ولم نعطها بشرط ، وقد أعطيناها لنحياها لا لنقطع نفوسنا حسرات على أنها لا محالة زائلة ... ولا قيمة لطول العمر أو قصره فإن العمر لا يقاس بعد السنين بل بمبلغ ما يعمره من الإحساس والفكر » .

وكفرحة الراهب برجوع الصابىء إلى ديره يفرح ابراهيم حين يرجع أحد مرضاه — أحد أشخاص روايته — إلى الطريق السوى ... فاليوم يعيش فى فكره ... أما قلبه فقد دفنه فى الماضى البعيد .

(بغداد) غائب طعمة فرمان

ركن المعتزلة :

قدرة الله في مذهب المعتزلة

للدكتور ألبير نصري نادر

ردّت المعتزلة جميع صفات الله إلى ذاته . فإذا تحدثوا عن قدرته تعالى ، فهم ينظرون إليها كأنها وجه آخر من أوجه الذات يبحثونها على زعم أنها اعتبار ذهني ليس إلا وغير موجودة حقيقة في الذات .

ما يقدر الله عليه :

كما أن علم الله يشمل كل شيء ، كذلك قدرته تعالى منبسطة على كل شيء — وتميز المعتزلة بين قدرة الله وما يقدر الله عليه ؛ ويقول أبو الهذيل في هذا الصدد : إن لما يقدر الله عليه غاية ونهاية في العلم به والقدرة عليه والإحصاء له ، ليس يخفى على الله منه شيء ، ولا يعجزه شيء منه[1] . ومن أدلته على ذلك قوله تعالى : (إنّ الله على كلّ شيء قدير)[2] . (وبكلّ شيء عليم)[3] . (وأحصى كلّ شيء عدداً)[4] .

كما أنه لا شيء يغيب عن علمه تعالى كذلك لا شيء يخرج عن قدرته تعالى ؛ ولولم يكن الأمر كذلك لكانت قدرة الله عاجزة ضعيفة ، وعليه تكون ذاته ناقصة ؛ وفي هذا تناقض لأن علمه وقدرته تعالى هما ذاته .

وحين يقول أبو الهذيل ومعه المعتزلة أجمع : إن الله على كل شيء قدير ، هل يعني هذا القول أن قدرته تعالى لا يمكنها أن تتعدّى حدود ما قدر عليه وأنها تحققت كلها فيما قدرت عليه كما أن علمه شمل كل المعلوم ولا يمكنه أن يتعداه ؟ وبمعنى آخر هل لقدرة الله حدّ هو هذا العالم المخلوق ؟ ولو انبسطت على ما ليس متحققاً أو ممكناً لكانت قدرة بدون مقدور ؟

(١) الخياط : كتاب الانتصار ص ٩

(٢) النحل ١٦ — ٧٦ ، والبقرة ٢ — ٢٠

(٣) البقرة ٢ — ٢٨

(٤) الجن ٧٢ — ٢٨

يحكي ابن حزم عن أبي الهذيل بهذا الخصوص قائلاً : وقال أبو الهذيل بن مكحول العلاف إن لما يقدر الله عليه آخر ولقدرته نهاية لو خرج إلى الفعل لم يقدر الله تعالى بعد ذلك على شيء أصلاً ولا على خلق ذرة فما فوقها ولا إحياء بعوضة ميتة ولا على تحريك ورقة فما فوقها ولا على أن يفعل شيئاً أصلاً[1] .

ويقول ابن حزم في مكان آخر : وكان علي الأسواري البصري أحد شيوخ المعتزلة يقول إن الله عز وجل لا يقدر على غير ما فعل[2]

إن هذين القولين اللذين يذكرها ابن حزم لا يعطيان فكرة صحيحة عن قول أبي الهذيل والأسواري ولا عن قول المعتزلة فيما يختص بقدرة الله . ويكفينا أن نرجع إلى تعريف المعتزلة لقدرة الله لندرك أن في مذهبهم القدرة هي الذات وأنها غير متناهية . وإذا بدت لنا هذه القدرة بواسطة بعض الأشياء المتحققة فالمعتزلة لا يستنتجون من ذلك أن قدرته تعالى محدودة بهذه الأشياء لأنه زيادة على ما تحقق من الأشياء توجد أشياء ممكنة وغير متناهية في العدد تتحقق في الزمان أو خارجا عنه ، ولكنها لا تخرج عن قدرته تعالى لأن هذه القدرة لا متناهية كالذات . فعلى ذلك إذا كان ما تحقق وما يتحقق من الأشياء محدوداً في العدد والكم والإيماض فإن هذا شيء لا يعني أن قدرة الله تقف وتنتهي عند هذا الحد لأنها غير متناهية .

تجنب المعتزلة للمذهب الحلولي Pantheisme :

كما أنه لا يوجد عالِم بدون معلوم ولا قادر بدون مقدور عليه ، كذلك توجد موازاة بين الله والعالم . فمن جهة نرى علماً وقدرة غير متناهيين ولهما موضوع ؛ ومن جهة أخرى نرى موضوعاً لامتناهيا وأزليا نوعاً ما ، لأنه يقابل فاعلاً متحلياً بهاتين الصفتين : صفة العلم وصفة القدرة الغير متناهيتين ؛ ألا وهو الله الذي هو في مذهب المعتزلة كله علم وقدرة .

فيكفينا أن ندمج فكرة الله هذه (وهو الفاعل) في العالم (وهو الموضوع أعني موضوع العلم والقدرة) حتى ننتهي إلى المذهب الحلولي وهو خلط الله وإدماجه في العالم . ولكن المعتزلة تميز دائماً بين ماهية الفاعل وماهية الموضوع ، وهذا ما أدّى بهم

(١) ابن حزم : الفصل ج ٤ ص ١٤٦

(٢) المصدر نفسه ص ١٥٠

إلى التكلم فى العدم واعتباره شيئاً متميزاً تماماً عن ماهية الله . والعدم فى مذهبهم هو مادة العالم التى ينقصها الوجود والله يمنح هذه المادة الوجود ليكوّن العالم المخلوق .

العلاقة بين علم الله وقدرته تعالى :

قالت المعتزلة إن علم الله هو هو ، وإن قدرته هي هو ؛ فعلى ذلك تكون الذات هى العلم والقدرة . فإذاً علمه وقدرته تعالى يختلفان تمام الاختلاف عن العلم والقدرة عندنا لأنه كثيراً ما يقوم الخلاف بين العقل وهو عندنا ملكة المعرفة ، وبين الإرادة وهى عندنا ملكة التنفيذ والعمل . وكم من الأحيان ندرك الشىء الحسن ونميزه ولكننا بالرغم من ذلك نفعل العمل السىء — لكن فى الله العلم هو القدرة والقدرة هى العلم ؛ لذلك نجد علياً الأسوارى المعتزلى يشدد بحق على العلاقة بين علم الله وقدرته إذ يقول : إن من علم الله أنه سيموت ابن آدم ابن ثمانين سنة ، فإن الله لا يقدر على أن يميته قبل ذلك ، ولا أن يبقيه طرفة عين بعد ذلك . وإن من علم الله من مرضه يوم الخميس مع الزوال مثلا فإن الله تعالى لا يقدر على أن يبرئه قبل ذلك لا بما قرب ولا بما بعُد ، ولا على أن يزيد فى مرضه طرفة عين فما فوقها[1] .

يدهش ابن حزم كل الدهشة من هذا القول فى حين أن المعتزلة تجده قولاً صحيحاً معقولا منطقيا لأنهم يردون جميع الصفات إلى الذات : فعلم الله هو ذاته كما أن قدرته هى ذاته ، فما يعلمه الله فهو قادر عليه ولا يجوز خلاف ذلك ، وما يقدر عليه فهو يعلمه ، ولا يجوز خلاف ذلك فى مذهبهم — فهم لا ينظرون إليه تعالى كما نحن ننظر إلى الإنسان الذى يفكر ويعلم ويقرر ثم لا ينفذ أو ينفذ خلاف ما قرر . لا . لأن علم الله هو قدرته . وليس هناك أى مشابهة بين الله تعالى والإنسان . لذلك نجد أكثر مؤرخى الملل يدهشون لأقوال المعتزلة التى تبدو لهم غريبة ؛ ولكن عند ما ندرك أصل مذهبهم وهو رد جميع الصفات إلى الذات نفهم بسهولة هذه الأقوال ونجدها نتيجة منطقية للأصل الذى بنوا عليه مذهبهم .

(١) ابن حزم : الفصل ج ٤ ص ١٥٠

هل الله مكلف بفعل الأصلح ؟

تقول المعتزلة : أن الله مكلف بفعل الأصلح . وهذا القول نتيجة منطقية لرأيهم فى ماهية الله اللامتناهية والكاملة إذ أنهم يردون إليها العلم والقدرة . ولما كان الله كاملاً فلا يمكنه أن يقف عند ما هو غير كامل وإلا أصبح هو تعالى أيضاً غير كامل . وعلى هذا القول بنت المعتزلة رأيها فى التفاؤل . ويقول النظام والجاحظ والأسوارى والكعبى إن الله لا يوصف بالقدرة على ترك الأصلح من الأفعال إلى ما ليس بأصلح[1] . ونحن لا نعجب من رأى المعتزلة هذا لأن الله وهو كل الكمال لا يعزم على خير ثم يميل إلى خير آخر أسمى من الأول كأنه تعالى يتدرج فى مراتب الكمال . فإذا كان الأمر كذلك لم يعد الله كلى الكمال؛ إذ أن فى هذا الخير الأسمى الذى مال إليه الله تعالى بعد تركه الخير الأول يوجد كمال كان ينقص الأول وهذا الكمال كان سبباً فى تحرك الله من درجة فى الكمال إلى أخرى أسمى منها . وهذا التحرك دليل على النقص والنقص برهان على عدم الكمال . وبناء على ذلك يمكننا أن ندرك بسهولة لماذا كان أبو القاسم الكعبى المعتزلى يقول بإيجاب الأصلح للعبد وأن الإيجاب على الله تعالى محال لاستحالة موجب فوقه يوجب عليه شيئاً[2] .

التفاؤل عند المعتزلة Optimisme :

ينوه ابن حزم بهذا التفاؤل عند المعتزلة حين يقول : وقالت المعتزلة كلها إن الله عز وجل ليس فى قوته أحسن مما فعل بنا وأن هذا الذى فعل هو منتهى طاقته وآخر قدرته التى لا يمكنه ولا يقدر على أكثر[3] . ويدافع النظام عن هذه العقيدة الراسخة عند المعتزلة دفاعاً قوياً حيث يقول : إن الله لا يقدر أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم ، ولا يقدر على أن ينقص من نعيم أهل الجنة ذرة لأن نعيمهم صلاح لهم والنقصان مما فيه صلاح ظلم ؛ ولا يقدر أن يزيد فى عذاب أهل النار ذرة ولا على أن ينقص من

(١) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٥٥
البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٦٧
(٢) الاسفرائينى : التبصير فى الدين ص ٥٢
(٣) ابن حزم : الفصل ج ٤ ص ١٤٦

عذابهم شيئاً[1] . ثم زاد على هذا بأن قال إن الله لا يقدر أن يعمى بصيراً أو يزمن صحيحاً أو يفقر غنياً إذا علم أن البصر والصحة والغنى أصلح لهم ، ولذلك لا يقدر أن يغنى فقيراً أو يصحح زمناً إذا علم أن المرض والزمانة والفقر أصلح لهم[2] .

فإذاً كل ما يحصل فى الدنيا وفى الآخرة هو أصلح ما يمكن للعباد . وهذه نتيجة منطقية لنفى جميع الصفات عن الله وردها إلى الذات . والذات غاية الكمال لا يعترضها أى عجز أو نقص ؛ لذلك يلزم أن يكون ما تعمله كاملا .

لكن الإنسان وهو محدود فى عقله يتساءل أحياناً أى خير يوجد فى بعض الأمور والحوادث التى لا يرى فيها سوى النقص والعجز والآفات . إن المعتزلة لا تحكم على الأشياء بجزئياتها ، وإنما تنظر إلى العالم بأسره وتبدى حكمها عليه بأكمله . ويذهبون إلى القول بأن الصنيعة كاملة لأن الصانع كامل . فما يبدو لنا كأنه عجز أو نقص أو آفة ، فكل ذلك يساهم فى خير الدنيا العام ، ويصبح خيراً وصلاحاً .

هل يعنى هذا القول أن المعتزلة كانت تميل إلى صبر رواقى على الآلام والشدائد أم إلى صبر كصبر المسيحيين الذين يرون فى الألم طريقاً لكسب خير أعظم ؟ . لا يمكن الرد على هذا السؤال إلا بعد البحث فى مصدر فكرة التفاؤل عند المعتزلة .

مصدر فكرة التفاؤل :

بالرغم من أن النظام هو أول معتزلى تكلم بوضوح فى التفاؤل يقول الشهرستانى إن النظّام أخذ هذه المقالة من قدماء الفلاسفة حيث قضوا بأن الجوّاد لا يجوز أن يدخر شيئاً لا يفعله فما أبدعه وأوجده هو المقدور ، ولو كان فى علمه ومقدوره ما هو أحسن وأكمل مما أبدعه نظاماً وترتيباً وصلاحاً لفعل[3] . ويرى هوروفتز أن النظام قد تأثر بفلسفة الرواقيين القائلين بأن الشرّ والخير يتبعهما حتماً عقاب أو جزاء ، وذلك حسب قوانين ثابتة لا يمكن تغييرها أو تحريفها . فعلى الإنسان يتحمل بصبر وسكوت المصائب والشدائد والآلام إذ لا يمكنه أن يغير مجرى الأمور وسننها . ولكن شتان ما بين رأى الرواقيين ورأى المعتزلة من فرق فى التفاؤل . إن هؤلاء يرون فيما ندعيه شراً سبيلا لخير أكبر وأعم . فلا يمكننا أن نشاطر المستشرق هوروفتز رأيه هذا القائل أن المعتزلة قد تأثرت بالرواقيين ، لأن المعتزلة لا تنظر إلى الألم فى حد ذاته ، بل ترى فيه سبيلا للخير .

ويقول البغدادى من جانبه إن النظام تأثر بالمثانية القائلين إن الله إله الخير لا يمكنه أن يفعل إلا الخير ولا يمكنه أن يفعل الشر ، لأن الشرّ لا يصدر إلا عن إله الشر . ولكن النظام ردّ على المثانية قولها بالاثنين (إله الخير وإله الشر)[1] .

فتكون المعتزلة قد بحثت أقوال قدماء الفلاسفة وأقوال المثانية واستخلصت منها قولا يتفق وكمال الله تعالى . وجاء قولها متفقاً أيضاً وفكرة المسيحيين فى الألم كطريق لخير أعظم .

البير نصرى نادر
دكتور فى الآداب والفلسفة

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١١٥
الخياط : كتاب الانتصار ص ١٧ و ٢٣
الشهرستانى : الملل ج ١ ص ٦١
(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١١٥
(٣) الشهرستانى : الملل على هامش ابن حزم ج ١ ص ٦١

(١) الخياط : كتاب الانتصار ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٥ و ٤٨ ، ٤٩

ماذا علمتني الحياة؟

تأليف الأسقف و . ر إنج

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوي

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

أرى من واجبى أن أذكر شيئاً عن آرائى فى الدين ، لأن دين الإنسان الصحيح هو ما يتعلمه فى مدرسة الحياة ، وكثيراً ما يختلف عن المعتقد الذى يعتقده وهوصغير . لقد نشأ والداى فى مكان ناء عن المدن فى الريف ، وكانا من المشايعين والمتعصبين لعقيدة التركتاريين القدامى من اتباع بوسى و كبل (Pusey—Keble) وهم فئة لا وجود لها اليوم ، يتركز معتقدها فى الصلاة وعدم الإيمان بطقوس الكنيسة . وهم يؤمنون إيماناً حرفياً بما فى الكتاب المقدس ، وبصورة خاصة بما نشره الحواريون من تعاليم لم تثبت تاريخياً . ولقد كانوا متقشفين على الطريقة البيوريتانية من حرمان النفس والبذل للمحتاجين . كان يوم الأحد مقدساً جداً ؛ لا ألعاب فيه ، ولا قراءة فى كتب دنيوية . ولسبب لا نعرفه كانت تحرم علينا قراءة الروايات ذات (الغلاف الأصفر) [1] حتى روايات ثا كارى وديكنز كانت تحرم علينا .

أما قصص شكسبير وولترسكوت فكانت تقرأ علينا بصوت جهورى ، لقد كانت ثقافة جيدة على عيوب الرقابة التى فيها .

لكننى سرعان ما تمردت على ذلك ، وأحسب أن أمى لم تغتفرلى تمردى طيلة حياتها ، ولم يسرها مطلقاً تقدمى المطرد فى سلك الكهنوت لأن الرأى السائد فى ذلك الزمن كان يتلخص فى أن الرجل المفكر لا يصلح لخدمة الكنيسة . إننى لم أفكر مطلقاً فى المعتقدات الدينية إلا عندما صرت محاضراً فى جامعة اكسفورد . لم يكن يسمح لنا فى إيتون بالتفكير فى مشاكل الحياة ، وحينما كنت طالباً فى الجامعة لم يكن لنا هم غير التنقيب عما تطلبه لجان الامتحانات . أما فى اكسفورد فإن أقل محاضر يجب أن يكون فيلسوفاً .

(١) قصص رخيصة داعرة ، تطبع على ورق أصفر وغلافها كذلك ، كانت شائعة فى منتصف القرن التاسع عشر . (المترجم)

لقد كان الصراع بين الدين والعلم — ذلك الصراع الذى أثار ضجة كبيرة فى القرن الماضى — يبحث من جميع وجوهه بحثاً مستفيضاً يبدو لنا الآن سخافة مضحكة . أن المعتقد الأرثوذكسى يعتمد فى أصوله على النبوءات والمعجزات المتواترة . ليس هنالك سبب يحملنا على الاعتقاد بأن فى مقدور البشر معرفة الغيب . إن المسيح نفسه قد اعترف بعجزه عن معرفة زمان يوم القيامة . والبحث فى صحة تحقيق النبوءات المزعومة يقودنا إلى سبل ثلاث : أما أن تكون النبوءة قد قيلت بعد وقوع الحادثة ، أو أنها حرفت لتوافق الحادثة فى سياق لا علاقة لها به أبداً ، أو أن الحادثة اخترعت لتوافق النبوءة . إن الافتراض الثالث يبدو واضحاً جلياً فى الانجيل ، والأمثلة على ذلك تتراءى لنا فى أسطورة الميلاد فى بيت لحم ، وفى أسطورة مذابح الأبرياء ، وفى الهرب إلى مصر .

أما مايتصل بحدوث المعجزات طبقاً لإرادة الله ، فأمر يرجع الإصرار عليه إلى ما تواتر فى الماضى من رغبة اقتران وقوع المعجزات مع أحداث خاصة ، وهو فى ذاته لا يعود على الدين بربح جزيل . لم يكن قول جوته : (إن المعجزة ابنة الإيمان العزيزة) إلا تفسيراً لمحاولة الناس ربط قوانين الطبيعة الباردة بتيار من حرارة الروح ، والتهرب من الواقع الجامد إلى الخيال الجميل .

إن الاستناد إلى رحمة الله ، وأنه يستجيب الدعوات وهو المعتقد الأساسى لكثير من الناس قد يكون فى الاستطاعة من جهة أخرى ، كما اقترح ، اختبار أثر دعاء المخلوق إلى الخالق ، بطريقة عملية ، كما اختبرت (التلبانى) وهى نقل الأفكار من شخص إلى آخر — وكما ثبتت فى الولايات المتحدة ، وفى هذه البلاد ، على رأى بعض الناس . والسخط البالغ الذى تقابل له تجربة من هذا النوع ، يخفى وراءه الحقيقة المريرة وهى الفشل التام للتجربة . أن الإله الذى لا يعمل — كما يخيل لناس — أما أن يكون لا ظل له فى الوجود ، وإما أنه قانون مجسم من قوانين الطبيعة .

أما ما يتعلق بالعلم فقد كان الجدل فيه عقيماً . لقد أنكر علماء العصر الفكتورى « المادة » ، وفسروا العالم بأنه أنواع من (الكم) الميكانيكى ، ضاربين صفحاً عما سماه بسمارك « الأجسام التى لا ثقل لها » ، ووصلوا عن طريق ذلك إلى ما سموه « بالنظام

التماسك المتلاق » . وما دعوه خطأ قانون النسبة لم يكن غير قانون الاستمرار الدائم .

أما العلم الصحيح فلم يكن غير الرياضيات . ليس بالصحيح القول أنها تبصرنا بحقائق لا قيمة لها ؛ لأن الحقيقة فى حد ذاتها قيمة مطلقة . إن الرياضيات تضرب صفحاً عن القيم النهائية ولا تؤمن بها ، وتغض الطرف عن قانون الحرارة والعمل الميكانيكى الثانى (ترموديناميك) والذى بموجبه تتحرك الدنيا فى اتجاه عقرب الساعة .

أما الدين ، والمثل العليا فقد أضاف هربرت سبنسر كل ما يدرك إلى العلم ؛ ومالا يدرك إلى الدين ، وخطا ليزلى ستيفن خطوة أكثر فتحدث عن الحقائق الثابتة والأحلام . لقد طفت (دنيا القيم) كالضباب على وجه العالم الملموس فى النجوم والذرات ، غير أنها احتفظت ببعض عتوها فيما يتصل بالأمور الخارقة للمادة والتى سميت بالمعجزات والتى لم يأبه بها العلم كثيراً . وعلى كل حال سواء كان سبب انتشار مرض الكوليرا الماء الملوث بالجراثيم كما هو الواقع ، أم إلحاد رئيس البلدة التى ينتشر فيها ذلك الوباء ، كما كان اعتقاد كثير من الناس آن ذاك ، فقد انتهت تلك الفصول الهزلية من مسرح الحياة .

عندما أفكر فيما كان يسميه وليام جيمز « التجربة الدينية » وما كان النوس يدعونه بالنور الداخلى أو الإيمان بالروح القدسى ، يروق لى أن أكرس كثيراً من وقتى لدراسة الصوفية والأفلاطونية ، شأن الكثيرين الذين كان يضطرم فى نفوسهم مثل هذا الاحساس أن الإيمان بالقديسين يكاد يكون أمراً مفروغاً منه ومجمعاً عليه ، وأولئك الذين أعطوا كل ما يملكون ليجدوا الجوهرة الثمينة ، لم يرجعوا صفر اليد ولم يكونوا جميعاً من المسيحيين . لقد كان بلوتونيوس أعظم فلاسفة التصوف فى القرن الثالث الميلادى وثنياً . وقد ابتدأنا ندرك الآن أن أشياء كثيرة نستطيع تعلمها من الهنود . وليس أصدق من القول الذى يزعم أن الديانة المسيحية والبوذية قد خسرنا بتدابرهما فى طرق الحياة . إن خيال التصوف يبدو لى غامضاً لأننى لم أحصل على معرفة كافية ، ولكننى من ذلك النوع من الرجال الذين لو حدثهم من يثقون به عن وصوله أعلى قمة من جبال العالم ، لاعتقدت إمكان الوصول إلى تلك القمة على رغم عجزى عن الوصول إليها . إن الديانة المسيحية كما يصفها سنت أغسطين ليست إلا الأفلاطونية ممزوجة بعقيدة حلول الروح القدسى فى المسيح . تكاد معظم الفلسفات تجمع على جعل الإنسان مندمجاً فى المثل التى تفهمها الحياة . لكن الديانة المسيحية لا تفصل مثل ذلك . الله هو المحبة . وكثيراً ما تورد المحبة صاحبها موارد الهلكة ، وحب الله العظيم للناس جمله يضحى بابنته فى سبيل إنقاذهم . إن التضحية هى قانون أولئك الذين يتبعون الله ويؤمنون به ويضحون فى سبيل الآخرين ويتحملون الآلام ، وكما عبر عن ذلك وليم بن بقوله (لأجزاء بلا تضحية) وكثيراً ما خيل إلى أن جماعة «الكويكارز» قد تأثروا بهذا الرأى كثيراً .

لم تتغير آرائى فى شخص المسيح إلا قليلاً . لقد تأثرت فى صدر حياتى بما كتبه عن المسيحيه شيلى وهارنك والبروتستنتيون من الألمان . لقد وجهت نقداً لاذعاً فى محاضراتى فى الجامعة لقول ليوزى (أن المسيح ليس إلا فلاحاً من منطقة الجليل فى الأرض المقدسة محدود الذكاء) . اعتقد أن استمرار إيمان الحواريين بالمسيح بعد صلبه لم يكن إلا انعكاساً من أنفسهم لما تأثروا به وهو بينهم . ومن غير المعقول أن تؤمن بما قاله ليوزى ونحن نرى الأثر الذى تركته حياة المسيح فى حياة الناس مدى الأجيال البعيدة . والاعتقاد بعودة المسيح ليس فى رأيى غير انعكاس عميق لحماس روحى لم يستطع الناس تفسيره بغير الأمل العظيم فى مستقبل قريب . ألم نجرب ذلك فى نفوسنا ونحن نعلق الآمال على وقت سعيد مقبل ، فهل يتغير ذلك الاعتقاد إذا ما أناخ بكلكله علينا وقت سىء مفعم بالآلام ؟

أرى لزاماً على أن أبين الخطر الذى يكمن وراء ما يسمونه (عبادة المسيح) لقد أساء مارتن لوثر فهم معتقد سنت بول ، ذلك المعتقد الذى كان لا يعنى غير صوفية عميقة فى المسيح . إن المسيح الذى تعبده الديانة المسيحية هو الذى كان حياً ومات ، والذى لا يفنى أبداً . لقد آمنت بأن الأقسام الثلاثة التى قسم سنت بول بموجبها الطبيعة الإنسانية : الجسد والروح والنفس ، صحيحة من وجهة سيكولوجية . إننا نعيش فى عالم المادة ، والروح طليقة تعيش فى المادة وما وراءها ، فينبغى أن تكون حياتنا الداخلية تحولاً مستمراً من المادة إلى الروح . إننا نكاد لا نؤمن بإمكان تحويل الشخصية

المادية إلى شخصية غير مادية مطلقة . هذا هو الشرح لضرورة وجود الرمزية فى الدين . أما فى الحياة المادية فأننا نستطيع أن نرى — كما فى المرآة — عن طريق الرمزية . وحينما تمر كل يوم من المنظور إلى غير المنظور ، ومن الحقيقة إلى الخيال ، تكاد تتملكنا رغبة تدفعنا إلى محاولة رؤية المجهول فى عالم الزمان والمكان الذى نعيش فيه . لقد قلت فى إحدى مواعظى أن من أبسط واجباتنا نحن رجال الدين أن نساعد الذين فى بصيرتهم ضعف على رؤية ما لا يدرك بالحواس ، وهو عمل محفوف بالمصاعب . وإذا كان قولى صحيحاً ، كان التقليل من الغموض فى الدين أدعى إلى إنارة أذهان الناس وأدعى إلى بلوغ ذلك الهدف عن أقرب طريق . لست أريد أن أتجاوز أكثر من هذا فى حديثى لأننا كثيراً ما نسمح لأنفسنا بحرية أوسع فى التفكير والخيال .

لقد كان اهتمامى بالغاً بالفلسفة والدين ، وقد ملكا على جميع أوقات فراغى . ولم يمنع هذا الاهتمام أن تكون نواح أخرى صرفت لها بعض وقتى ورغبتى . إن من حق الفرد فى الحكومات الديمقراطية أن يعبر عن أفكاره تعبيراً صحيحاً ، ويقنع من حوله بما يدور فى رأسه من مثل وآراء . وهذا يصدق على رجال الدين أيضاً ؛ غير أنه لا يجوز لرجل الدين وهو يحتل منصباً رسميا فى الكنيسة أن يجاهر بآراء خاصة قد لا يؤمن بها غيره من المسيحيين التابعين للكنيسة . لقد ظهرت محاولات عديدة ليكون للكنيسة صوت فى الحياة السياسية ؛ ولكن الكنيسة تجنبت ذلك تمشياً مع قول اللورد أكتون الذى يقول : (إن كل قوة مصيرها إلى الفساد) . ولذلك احتفظت الكنيسة بحيادها ولزمت الجانب الروحي من حياة الناس .

كان أبواى من المحافظين ، وقد ابتدأت علاقة أتباع الكنيسة العليا بالاشتراكية عن طريق جور وسكوت وهولاند ، وكانوا يأسفون أن يكون المستر جلادستون خيراً من دزرائيلى من جهة الدين .

أما ما يتعلق بى ، فإنه ليضحكنى أن أذكر — حتى زمن حرب البوير — أننى كنت محافظاً متعصباً على طريقة رديارد كبلنج ، وقد أثرت تلك الآراء فى وفى الكثير من أمثالى ، ورأى القرن الجديد انكماش الأمبراطورية البريطانية وتقلصها ، وأصبح لزاماً على الانجليز أن تكون لهم آراء تتمشى مع التطور الجديد . لقد بلغت الذروة جميع الشعوب التى تقع على شواطىء الأطلسى ، وأصبح اتجاه التوسع الامبراطورى إلى الشرق ، وانتهى من ناحية الغرب . إننى لا أنسى قول اللورد هلدان فى مطلع الحرب العالمية الأولى : (لو ركن الألمان إلى السلم لنالوا كل ما يريدون) . لقد ألقوا بالجائزة مرتين من أيديهم . وقد أخذ عصر الاسترقاق يطل برأسه على الدنيا . إن المستقبل للشعوب التى لديها أرض واسعة ، ومستوى منخفض فى المعيشة ، واستعداد للعمل المرهق ، ونحن والفرنسيون لا ندخل فى نطاق هذه الشعوب .

كثيراً ما يتراءى لنا أن ثلاثة أخطار تهددنا : أولها حق التصويت العام . من المؤكد أن السياسة ستنحط إلى نوع من المزاد العلنى تباع وتشترى فيه أصوات الأغلبيات غير الممثلة . أقول غير الممثلة لأن المفروض أن أصحاب الحرف التجارية والمهن قد مثلتهم فى المجلس مائة مقعد ، إلا أن الواقع يظهر أن كثيراً من المناطق لا يمثلها أحد غير مدينة لندن والجامعات القديمة . لقد تدهورت معنويات العامل الانجليزى تدهوراً جعله غير مرغوب فيه عند الشعوب الأخرى .

والخطر الثانى : نمو سلطان الحكومة المركزى من أثر الحربين الأخيرتين ، وفى سبيل القضاء على الطغيان الفاشى ، قد جعلنا أنفسنا فاشيين : إن عبادة الدولة شر أنواع الوثنية . والشعب الانجليزى يضع قوته فى المجتمع لا فى الدولة . لكن الدولة الآن تصول وتجول وتتجاوز كل حق موضوع .

والخطر الثالث هو اكتشاف قنابل الذرة ، ذلك الاكتشاف الذى وضع سلاحاً رهيباً فى يد الدولة وقوى سلطانها . ليس هنالك ما يدعو إلى الخوف من القنبلة الذرية الآن . ولقد بدا ذلك واضحاً فى روسيا وألمانيا حيث عوملت الجماهير بأشد ما فى الظلم والهمجية من معان . نقول لأنفسنا أحياناً : « إن أعمالاً من هذا النوع لا تحدث عندنا » ، ربما كان ذلك صحيحاً .

لكن الخطر لا يزال موجوداً . إن الطبقات المتوسطة التى تحمى الحرية الشخصية آخذة فى الفناء ، والأحرار الذين كانوا فى زمن سابق يحمون هذه الحرية أصبحوا فى موقف سىء لا يحسدون عليه . حينما كنت طفلاً كان الأحرار يعيرون المحافظين بأنهم حزب بليد . لقد جنوا على أنفسهم وهم يفسحون المجال للامتيازات

مع شاعرة «من الأعماق»

للاستاذ عبد المحسن الحكيم

الشعر الآن غيره قبل حين ... حيث كان لا يطلب منه إلا أن يسمو فى اللفظ أو فى المعنى على اختلاف فى فهم الشعر ووظيفته. أما الآن فإن أهم وظائفه أن يصدق فى نقل أحاسيس الشاعر وتأثره بالتجارب الشعورية التى تفيض بها الحياة ... وأحسب أن الشعر بلغ منتهاه من التطور ... حين تحرر من سلطان اللفظ وسلطان المعنى الذى لم يكن للشاعر به عهد ... وإنما هو تخيره من بين المعانى لأن غيره من قراء الشعر يعجب به ويدهش له ، وحين قدرله أن يكون وقفاً على صاحبه ... يعرض دقات قلبه لوجه جميـل ، وحركات شعوره لمنظر جميل أو منظر قاتم ... تمثله الحيوات التى يحياها مواطنوه.

وجميل أن يطلب[1] من الشعر أن يكون نتيجة إحساس .. قبل أن يكون نتيجة فـكرة .. تعرض على أنها حكمة خالدة أبدية .. فهو إذ ذاك يكون شعراً .. وشعراً فقط ... لا منبراً لوعظ وإرشاد وتنبيه إلى الحقائق.

(١) الطلب فيما أذكر للاستاذ سيد قطب

وإن هذا الذى قرأته فى عدد سالف من الرسالة ، للآنسة الفاضلة والمطوقة ، لهو شعر حقاً .. ينتح من الإحساس ويصدر عنه ... كما لو لم يكن غيره مصدراً لشعر فى القديم والحديث.

وليس أصـدق فى نقل الأحاسيس إلى لغة الشعر من قول الآنسة الفاضلة تعلن وحدتها ... وهى إذ ذاك تقطع مفاوز الحياة .. دون أن تلق بين يديها من يؤنس وحشتها ويشعرها أن الحياة غير الملل والصمت والظلام ... لم تلف بين يديها هـذا الإنسان ... وإذا الحياة عندها .. تيه معمى .. ليس فيه غير ظلام مطبق وملل وسأم ووحشة فهى تقول :

سرت وحدى فى غربة العمر ؛ فى التيه المعمى، تيه الحياة السحيق
لا أرى غاية لسيرى ولا أبصر قصداً يوفى إليه ... طريق
ملل فى صميم روحى منســاب ، وفيض من الظلام الدفوق
وأنا فى توحشى تنفض الحيرة حولى أشـباح رعب محيق

سرت وحدى فى التيه ، لا قلب يهتز صدى خفقة لقلبى الوحيد
سرت وحدى لا وقع خطو سوى خطوى على المجهول المخوف البعيد
لا رفيق ، لا صاحب ، لا دليل غير يأسى ووحدتى وشرودى
وجود الحياة يضفى على عمرى ظـل العناء ... ظل الهمود

والإحساس الـكبير هنا تتوزعه جميع هـذه الأبيات .. ولـكنه يظهر فى بعضها بصورة أكبر .. تكاد لا تملك نفسك من الإعجاب بها ... وقد لا تظفر منى أكبر قطعة موسيقية أو أبلغ

والآراء الحديثة . ويذكرنا ذلك بقول جلادستون (لن يمكن للشيوعية الاشتراكية إذا قدر لها أن تكون فى هـذه البلاد غير حزب الأحرار) . وهربرت سبنسر كان يرى أن الاشتراكية ربيبة الأحرار أيضاً.

إننى أرجو أن يكون فى إنزال إله المال عن عرشه ، بعد أن أصبح صفر اليدين ، بعض النفع للطبقات التى هى خليمة بذلك وكانت وكانت محرومة . إن كل مايطلب هو إزالة ويلات الحرب ، وليس ذلك — فى اعتقادى — بعزيز . ومن يدرى فلعلنا فى مطلع عصر مظلم رهيب . حينما يوجد الأمل توجد الحياة . والغرب لم يفقد آماله . إننا نجتاز أعظم كارثة حلت بالبشرية ، ولـكن كل تحد — مالم يكن مدمراً — يترك رد فعل . وقد برهنا على أن فى استطاعتنا احتمال الآلام دون مضض أو تذمر أو تراجع.

ليـكن هذا كل ما أريد قوله . لقد علمتنى الحياة ما كنت خليقاً بتعلمه منها . لقد كنت طموحاً ، ولا أذكر أننى قلت أو كتبت أى شىء لا يرضى عنه ضميرى ، فى سبيل إرضاء الآخرين.

يقول الناس عنى إننى كنت كثير الحركة ، وكثير الحركة تتوارى وراءه روحه الثورة . إن الناجح فى الحياة هو ذلك الذى يطفو على ماء نهر الوجود كالـكلب الميت؛ يتملق صاحبه وكأنه ينبض بالحياة . إن الصرخات التى لا معنى لها اليوم ليست إلا صدى أحلام الأمس غير البعيد.

آمل أن يكون جزائى ما كنت أحمله فى عواطفى من الصدق، ذلك الصدق الذى لم أستطع خدمة بلادى به إلا قليلا.

(بغداد) علي محمد سرطاوى

(الرسالة) تلك تجارب رجل من رجال الدين المسيحى ؛ فنى يكون للاسلام رجال كهذا الرجل فى سعة اطلاعه وطول باعه وحرية رأيه ؟

لوجة وجدانية من الإعجاب ما ظفرت به بعض التعابير هنا ... في هذه الأبيات ... من ذلك مثلاً . «غربة العمر» «التيه المعمى» «جمود الحياة» . فإن الإحساس الكبير في مثل موقف الشاعرة لا بد أن يعبر عن نفسه بمثل هذه التعابير .. لأنه صادق ولأنه بعد ذلك عميق فائض نفاذ .

وموقف آخر ... هو أيضاً جميل ، يشيع فيه الإحساس باللحظة الكبيرة ... التي تغمر الشاعرة ... ولكنه لا يظهر بالتعبير عن نفسه وإنما بالعجز عن ذلك. وهو ما أسميه بـ «عي الإحساس» وعندي أن العي ليس وقفاً على اللسان فهو كذلك يصيب الإحساس كما يصيب اللسان على السواء ... وذلك في المواقف الكبيرة التي تضيق بها التعابير ويضيق بها الإحساس نفسه ... والشاعرة المجيدة حين تقول :

والتقينا ... لم أدر أي قوى سا قتك حتى عبرت درب حياتي
كيف كان اللقاء؟ من ذا هدى خطوك ؟ كيف انبعثت في طرقاتي ؟
لست أدري، لكن رأيتك روحاً يوقظ الشوق في مسارب ذاتي
ويذرّي الرماد عن روحي الخابي ، ويذكي ناري ، ويحيي مواتي

وحين تشيع الاستفهامات ... لأن اللحظة كبيرة غمرت الإحساس بفيضها ، وعب هو منها حتى ارتوى ، وزاد بعد ذلك من اللحظة كثيراً ... لم يحتوه الإحساس ولم يغمر ... فضاق وعجز ... وعبر عن هذا الضيق والعجز بهذه الاستفهامات الكثيرة في الأبيات القليلة ... وما ذاك إلا لأن الموقف كبير ... وكبير جداً ... فلنتصور فتاة هائمة ... قد أعياها البحث عن الشريك الذي يزيل لهفتها ، ويريها الحياة كما هي لا من وراء الوحشة والوحدة ... لعبور هذه الفتاة الهائمة تعبر الدروب وتجتاز المفاوز حائرة بائسة ... وإذا هناك في بعض الدروب ألفته ... أجل ألفته ... عن غير قصد ولا سابق وعد أو انتظار ... فسوف تدرك سر الاستفهام وجلاله وروعته ... وسوف تدرك أن الشاعرة كانت تحوم حينذاك في السماوات ... تبحث فيها عن الصورة التي تمثل هذا المشهد المفاجيء تمام التمثيل .. بعد أن فتشت عنه في الأرض ... وحين لم تلقه هناك ... ألقت حيرتها في الاستفهام وهي تدري أن قصاراها في هذا الموقف هو الاستفهام الذي يبدي عجزها ، في الموقف وبعده .

ولا يفوتني أن أدل على تعبير جميل تريد به الشاعرة الفاضلة مفاجأة اللقاء ... هو « كيف انبعثت في طرقاتي » ... أرأيت المشاهد كيف تنثال عليك ؟ ... مشهد الفتاة الهائمة في الطرقات ... ومشهد الطرقات وهي قفراء من الحبيب ، ثم مشهد الحبيب وقد نبض على غرة من الهائمة ... ومشهدها هي وقد فاجأها اللقاء ... هـذه المشاهد التي توحيها كلمات « كيف انبعثت في طرقاتي » مصدرها قسوة تـكمن في قلب الشاعرة النابض ... ومصدرها كذلك حاسة فنية عميقة .

ولأعبر ثلاثة أدوار من قصيدة « من الأعماق » لأقف قليلاً عند قولها البليغ :

ومضت بي الأيام ، لا أنا صرحت ، ولا لهفـــتي الحبيبة تبدو
كم وكم راح يحتوينـا مكان وأنا صبوة توارت ... ووجد
كم حديث حدثتني ! كم قصيد هز روحي وأنت تروي وتشدو
ولقلبي السعيد شيء كعنف الموج ، بطني تيـــاره ... ويعد

والبلاغة هنا تعني مطابقة الإحساس .. يضاف إليها الحاسة الفنية التي لا تـكاد تلتق بلحظة حياة .. حتى تحياها إلى حيـاة بعيدة المدى شديدة الإيحاء .. وأحب للقارئ أن يقف على هذا البيت بصورة خاصة :

كم وكم راح يحتوينا مكان وأنا صبوة توارت .. ووجد

ثم يلمس بنفسه جمـال الصورة التي توحيها هذه الألفاظ .. وليتذكر القارئ أبداً أنه أمام ألفـاظ لا قطعة موسيقية ولا تمثال جميل .

وهـكذا تسير قصيدة « من الأعماق » .. إحساس شديد صادق .. وحاسة فنية قوية .. وتعبير جميل موح .. وروح بعد ذلك كله شاعرة طليقـة .. وإن بدت أنها مقيدة إلى الأرض بأ كثر من قيد .

وإني لأشبه الآنسـة المطوقة .. بالشاعرة العراقية المجيدة « نازك الملائـكة » .. فقد كانت الشاعرة العراقية دائمة الشكوى من الحياة شديدة التذمر من أسبابها .. أما الآن فقد عطفها إلى الحياة طبيعة عريقة لا يمكن أن تفلت منها مهما حاولت ذلك .. وعلى أي حال .. فإني أريد قبل أن أفارق القـارئ أن أتلو معه خاتمة

إلى جـــوته ...

للأستاذ نصرى عطا الله

احتفلت الدنيا بمرور مائتى عام على مولدك ، ومنذ أعوام قلائل احتفلت بمرور مائة عام على رحيلك عنها ... فهل رحلت حقاً وانتهت حياتك يوم غيبوك فى التراب كما يرحل عشرات الألوف من أبناء الفناء كل يوم ، أولئك الذين يفدون إلى هذا العالم ويتنفسون هواءه حقبة من الزمن ثم يرحلون عنه دون أن يكون لحياتهم هدف أو معنى أو مبررات ، أولئك الذين ينسون أنفسهم فى حياتهم فتنساهم الدنيا ويموتون قبل أن تفارق الروح منهم الجسد ... هل مت حقاً مثلهم ؟

لا ، إنك لست منهم ، إن الدنيا ستظل تعتز بك وتتمسك بوجودك وتصر على بقائك فى الأحياء ، لأنك من بين أبنائها التلائل الذين تفخر بهم وتحس فى وجودهم كبرياءها وعظمتها ونفاستها . إننا — ومن بعدنا الأجيال — نحبك ونجلك ، ونحن نحبك لنفسك ولكننا نحبك أكثر من أجل معجزة الإله فيك، فكم من أبواب الحيـاة ظل مغلقاً ، وكم من طرقاتها ظل مظلماً مجهولا حتى أتيت أنت فإذا بيدك المباركة تفتح الأبواب الموحدة ، وإذا بنور عبقريتك يبدد الظلام ، وإذا بالحياة متسمة الرحاب بعيدة الآفاق . لقد كانت الحياة بدونك فرضاً أو عبثاً أو واجباً فإذا هى بك فرحة ونضرة وتحمس لغاية وغايات .

لقد علمتنا أن نضع أنفسنا فوق الصغائر : فوق الحقد والحسد والغيرة والعناد وأن نطهر قلوبنا ونفسح فيها المجال لتاقى رسالات الخير والحق والجمال . أجـل ، فى صحبتك يخجل الإنسان من الصغائر والصغار ويتطلع إلى الأعالى ، ينقى نفسه من أدرانها

« من الأعماق » لتكون خاتمة هذا الحديث :

وافترقنا ، وبين كفى رسم	لم يزل كل زاد روحى المتيم
كم تلمست عمق عينيك فيه	وبعينىّ أدمع تتضرم
يا لقلبى « كم راج بين يديه	يهتك الحجب عن هواه المكتم »
اصغ تسمع عبر الصحارى صداه	يترامى إليك شعراً مرنم

« العراق — النجف » عبد الحسين الحكيم

ويصلى لله بحرارة أن يهبه القدرة على السمو بحياته وتنمية مواهبه الخفية واستغلال قواه الكامنة حتى يصبح جديراً بصحبتك وبإنسانيتك الكاملة الناضجة .

إنك تستنهض ذاتنا العليا — وما ذاتنا العليا إلا روح الله فى هيكلنا البشرى ، وتخلق لنا أجنحة نحلق بها فوق هذه الحياة ، فما نلبث أن نخجل من ذاتنا الصغرى ومن تصرفاتنا الأرضية وتفاهاتنا وحماقاتنا التى ، تمليها علينا فى هـذه الأرض الشقية ما نسميه بالحكمة العملية ، أو يفرضها علينا ضعفنا البشرى .

أيها الحبيب . إن النور الذى تشـمه عظمتك يهدينا إليك ويقربنا منك ويملأ قلوبنا فرحة بك وحباً وإجلالاً لك .

وإذا بالقلب وقد امتلأ حباً لك يشعر أنه لا يستطيع وحده أن يسع عظمتك كلها فيهيب بالعقل والروح والخيال أن يشاركوه العبء العظيم أو النعمة الكبرى .

وكم يسعد العقل إذ يجاهد فى توسيع دائرة أفقه ، وكم تنعم الروح وهى ترقى معك إلى أعلى الذرى ، وكم يبتهج الخيال وهو ينشر أجنحته ويظل يصعد فى الأجواء البعيدة حتى يصل إليك ويحوم حولك .

كل قوى الإنسان وملكاته تلبى نداء القلب وتؤازره فى محاولة تفهمك وارتياد تلك المساحات الشاسعة من العالم النفسى ، التى سبق أن جبتها أنت ، رائداً ، ودليلاً ، وهادياً ، ومنشداً ، ومغنياً ! هكذا تهدينا إلى كنوز النفس الإنسانية وعواملها الواسعة الشاسعة التى تظل مجهولة أو كالمجهولة تحت ستار من غبار معركة الحياة بما فيها من خير وشر ، وسمو وإسفاف ، ونور وظلام ، وهدى وضلال .

إننا نتذكرك ونباركك ، لأنك تمنحنا من ذات نفسك ، عن طريق إحياء ما فى نفوسنا ما يبارك أيامنا وليالينا ، ويضاعف ويخصب معنى الحياة فى قلوبنا ، فكأنك تمنح عمرك مجدداً على مدى الأزمان كل من طرق بابك ورام صحبتك ونشد زمالتك . وعمرك — أيها العظيم — هو خلاصـة حكمة الدنيا وفلسفتها وشعرها وما تنطوى عليه من حق وخير وجمال .

لذلك ستظل الدنيا تعتز بك وتتمسك بوجودك وتصر على وجودك فى الأحياء .

نصرى عطا الله

الوتر الهامـــد

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

إن رأيتِ العود فى كفىّ مشلول النشيدِ ؟
كافر الأوتار مصلوب الصدى فوق وُجودى
لاهثاً يستنزفُ النغمة من جُرحٍ بعيد
ضارعاً للوهم إن مرّ ، وللحُــلم الشريد
بيدىْ عبدٍ شقىٍّ راســفٍ بين القيود
تتلوى ناره بين لهيب وهمــود
ورماد مستجير من أباطيـــل الوعود
ورؤى حمقاء لا تعرف أطـــلال العهود
لا ، ولا تحملُ عن أكفانهـــا زُور الخلود
وحكايات الهوى والوجد والنوح السعيد
والأغانى السارقات النبضَ من طير النهود ...
فاصمتى ، وامضى .. فنارى ضيعت كل الوقود
واتركينى واسخرى ما شئتِ من أنات عودى !

وإذا أبصرت للكون ظلالاً فى عيونى
ورأيت الفنّ طيراً هائماً حول جُفونى
كلما دفّ سقانى الريحَ من غاب الجنون ...
ورأيت الحيرة الرّمضاء تشوى فى يقينى
ورياح الشكّ يرتابُ صداها من أنينى
فتسوقُ الخطو للأعماق ، للسرّ الدّفين
تُنشب الأنياب فى بُقيا رمادٍ من حنينى ...
فاعـــذرى هُلكى ، ويأسى وارحمينى
نزحتْ مسرىَ أهوالُ الليالى والسنين
وانتهى دربى إلى ليـــل بنجواه ضنين
فتكتْ ظُلمته حتى بوهمى وظنونى ...
أنا من طـــير إلى القضبان مشدودٍ سجين
فى فلاةٍ تفزع الأوهامُ فيها من ســـكونى

محمود حسن اسماعيل

أين الســـعادة ؟!

للآنسة (ن . ط . ع)

قالوا الســـعادة والهنا ءة بين جدران القصورْ
حيث الحياة يسيرةٌ لا مطلبٌ فيها عسير
فإذا القصور تكشفتْ عن كل محزون كسير

قالوا السعادة للفتـــا ليين عشّاق الكمال
ومكارم الأخلاق وال إخلاص فى كلّ الفعال
سحر المعـــانى غرّنى فشددتْ من فورى الرحال

فإذا المثالىّ الكريـــم يضيع فى هـذى الحياهْ
وتظلُّ تلطمه الحقــا ئق أينما ألقى عصاه
وإذا الدناءة أهلهـــا بالأرض مرفوعو الجباه

قالوا السعادة بين أحضـــان الطبيعة والزهورْ
حيث الجمال العبقرى وذلك العيش النضير
فإذا بأهل الريف قد حُرموا السعادة والسرور

قالوا السعادة حيث تجـ ـتنبُ المدواة والشقاقْ
حيث العـــدالة والأما نة والتآخى والوفاق
فإذا كبـــار الأرض لم يرفعهمُ غير النفاق

ربى تُرى أين السعا دة لم نجدها فى القصورْ
وبحثتُ فى الأكواخ لم أجد السعيد ولا القرير
ولــكم تصفحت الوجو ه وما تضنُّ به الصدور

وعرفت أسرار الخلا ئق من عظيم أو شريدْ
وارتدتُ أحضان الطبيـ ـعة علنى أجد السعيد
فإذا بكل الناس دأ بهمُ التمرُّدُ والجحود

ن . ط . ع

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

خطبة الأستاذ الزيات فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية :

قال لى بعض الأصدقاء متسائلين : لماذا لم تعقب على خطبة الزيات فى مجمع فؤاد الأول وقد كانت حديث الناس فى المجمع وخارج المجمع ؟ وقلت للأصدقاء رداً على التساؤل الذى يتطلب شيئاً من الإيضاح : أما التعقيب فقد أرجأته حتى يقرأ الخطبة هنا من لم يستمع لها هناك ، وكذلك الخطبة التى سبقتها فى الإلقاء وأعقبتها فى النشر .

والآن ، وبعد أن طالع الناس الخطبتين على صفحات الرسالة أود أن أقول كلمة عن الزيات الصديق ، والزيات الأديب ، والزيات الإنسان ... كلمة تتناول هذه النواحى الثلاث جميعاً ، ورائدها الضمير الذى يتفيأ ظلال الصدق ولا تلفحه حرارة الصداقة، ويستروح أنسام الحق ولا تعصف به رياح المجاملة !

أما الزيات الصديق ، فقد قدمته إليك نفحات من الوفاء تجلت فى عباراته ، وما أكثر ما تطمس يد الزمن سطور الوفاء من صفحة القلب نحو من تطول غيبته ، ثم لا ترجى بعد ذلك أوبته ... ولكن الزيات فى موطن الذكرى الباقية نحو أنطون الجميل ، كان مثال الصديق الذى يعدد المآثر فى حساب الشعور لا فى حسابِ السنين والأيام . وتلك هى غاية الوفاء ؛ فمآثر أنطون الجميل فى حساب الزيات أو فى حساب شعوره ، تدفعه إلى القول بأن كرسى الرجل ينكره كما ينكر الفرس الجواد راكبه الغر ، أما حساب السنين والأيام ، فهو حساب تاريخ الأدب يوم أن يؤرخ الأدب ، يوم يكون للزيات فيه صفحات تنكر قوله بأن كرسى الجميل ينكره !

ما أكثر ما يظلم هذا الرجل نفسه إذا ما تحدث عن نفسه ! ولكن الذين يعرفون الزيات كما أعرفه ، يعرفون فيه صفتين قل أن تجتمعا لرجل فى هذا العصر الذى نعيش فيه : الحياء ، والوفاء ... ومن هاتين الكلمتين يمكنك أن تخرج بأصدق عنوان لكتاب حياته ! ولا تعجب إذا قلت لك إننى كثيراً ما ضقت بحيائه ، وثرت على وفائه ؛ ذلك لأن وفرة الحياء قد تحول بين صاحبها وبين كثير مما يتطلع إليه أصحاب الطموح ، وقد تدفعه إلى الرضا عن الشئ وهو ضائق به ، وإلى السكوت عن الأمر وهو قادر عليه ، وفى ذلك يقول الزيات فى كلمته : « ولقد حدثتنى نفسى — شهد الله — حين نادى إلىّ خبر انتخابى لعضوية المجمع أن أستعفيه من هذا التشريف ، لا زهادة فى الشرف ، ولا رغبة عن العمل ، ولا فراراً من الواجب ، ولكن لعلة نفسية مزمنة كان من أخف أعراضها أنى أحسن العمل منفرداً أكثر مما أحسنه مجتمعاً ، وربما جعلتنى — لعنها الله — أعلم الشئ ولا أقوله وأسمع الخطأ ولا أصوبه ، وارى المنكر ولا أغيره ! »

هذا عن الحياء وهو عجيب ، وما أعجب الرجل بعد ذلك فى مجال الوفاء ... أعرف أناساً فتح لهم الزيات قلبه ، وسقاهم من نبع حبه ، ومنحهم من فيض ثقته ، وأخلص لهم فى السر والعلانية . ودار الزمن دورته فتنكر هؤلاء جميعاً لصداقته ، وتجاهلوا ما كان من مودته ، وقطعت أحقاد النفوس كل ما كان بينهم وبينه من صلات . ومع ذلك فقد نسى الرجل الإساءة وصفح عن حاضرهم وحاضره ، وعاش بفكره وشعوره فى ماضيهم وماضيه ؛ ذلك لأنه لا يستطيب العيش إلا فى ظلال الوفاء ، ولو كان الوفاء وهماً يحلق على أجنحة الماضى البعيد فوق ركام الذكريات ... وأجادله فى موقفه من هؤلاء الناس فيبتسم ، وأدفعه إلى لقائهم بمثل ما يلقونه به فيعتذر ، وأنور على هذا كله فيلوذ بالصمت !

وحين أخلو إلى نفسى وأذكر ما كان منه وما كان منى ، لا أملك إلا أن أخفض قلمى تحية لحيائه ، وأحد من ثورتى إجلالاً لوفائه ؛ ذلك لأن الإفراط فى الحياء ولو جنى على القيم ، والإغراق فى الوفاء ولو كان لغير أهله ، صفتان أقل مايقال فيهما إنهما ترفعان الغطاء عن حقيقة إنسان !

أما الزيات الأديب ، فيحدثك عنه اسمه اللامع وماضيه الطويل ، وإنما أريد أن أحدثك عنه اليوم على ضوء كلمته التى سمعها البعض فى المجمع ، وقرأها البعض فى « الرسالة » ... أدب وتاريخ أدب ونقد : فى الأول أسلوب وعرض ، وفى الثانى إحاطة وصدق ، وفى الثالث ذوق وميزان . وأبلغ الدلالة على هذا كله أن يقول

الزيات فى معرض الموازنة بين المدرستين المصرية واللبنانية : «وظلت المدرستان الشقيقتان تنتجان الأدب فى ضروبه المختلفة بأسلوبين مستقلين ، أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر ، على ما كان بينهما من تفاوت فى الطاقة والمادّة والصنعة والتقيُّد والتحرر ، وبقيت المدرسة الأزهرية الأم عاكفة على النظر المجرد والجدل العقيم بين أروقة الأزهر والزيتونة والأموى والنجف، تنتج الخام ولا تصنع، وتشحذ السلاح ولا تقطع ، فلم يكن لها فى ذلك العهد الغابر أدب غير أدب الشواهد ، ولا أسلوب غير أسلوب الحواشى ... ولكن الحق أن المدرسة اللبنـانية كانت عملية تقدمية حرة ، واكبت الزمن فى السير ، وطلبت العلم للعمل ، وسخرت الأدب للحياة ، ونظرت إلى اللغة نظر الوارث إلى ما ورث ، يملك عليه بمقتضى الشريعة والطبيعة حق الانتفاع به على الوضع الذى يريد ، وحق التصرف فيه على الوجه الذى يحب ... والمتتبع لتطور المدرستين يرى أن كلتيهما قد مرت فى أطوار ثلاثة : طور التقيد والمحاكاة ، وطور التحرُّر والاعتدال ، ثم طور التمرُّد والانطلاق . ولـكن الانتقال من طور إلى طور كان فى مصر متثاقلاً متداخلاً ، يرود قبل النجعة ، ويحوم قبل الوقوع ، على حين كان فى لبنان متسرعاً لا يتأنى ، مصمماً لا ينخزل . فبينما نجد مراشا الحلبى فى (مشهد الأحوال) يقلد ابن حبيب الحلبى فى (نسيم الصـبا) وناصيفاً اليازجى فى (مجمع البحرين) يُقلد الحريرى فى (المقـامات) ، وإبراهيم اليازجى فى (لغة الجرائد) ينهج نهج الحريرى فى (درة الغواص) إذ نجد آل البستانى وآل الحداد وزيدان ومطران والخورى والجميل وملاط يتوخون السهولة والابتكار والطرافة ، والجبرانيين والمهجريين يجنحون إلى الأصالة والإبداع والتطرف ، والزمن بين هؤلاء وأولئك متقارب ، والعوامل المؤثرة فيهم لا تـكاد تختلف » ...

هذه فقرات يضيق المقام عن أن أنقل إليك من نظائرها الـكثير، ولـكنها تغنى عن هذا الـكثير لأنها تقدم إليك مفتاح الشخصية الأدبية فى كلمات ، ورب لمحة تغنى فى مجال التقديم عن لمحات ... أما فضل الرجل على اللغة والأدب وأثره فى توجيه الجيل ، فقد كشف عن هاتين الناحيتين الأستاذ فريد أبو حديد بك فى كلمته القيمة الصادقة التى ألقاها فى المجمع ونشرتها الرسالة ! بقى أن أقول كلمة عن ناحية أخرى من نواحى الزيات الأدبيـة ، وهى ناحية عرض لها الأستاذ فريد أبو حديد بك فى خطبته حين تحدث عن قصتى جوته ولامرتين ... كلمة عن قلم الزيات حين يترجم آثار الفن من لغة إلى لغة ، ومن ذوق إلى ذوق ، ومن أدب إلى أدب ؛ هناك فى « آلام فرتر » « ورفائيل » و « من الأدب الفرنسى » ثلاثة كتب لو قرأتها دون أن ترجع إلى أصولها الفرنسية لتبادر إلى ذهنك ووقع فى ظنك أن الزيات يضحى بأمانة النقـل فى سبيل رشاقة اللفظ وموسيقى العبارة . أشهد لقد خطر لى هذا وأنا أقرأ ترجمته لقصة قصيرة من قصص موباسان هى « الحلية La Parure » ، وأشهد لقد رجعت إلى النص الفرنسى لأراجع عليه الترجمة العربيـة فما رأيت عبارة قلقة فى ثنايا التعبير ، وما شهدت لفظاً فى غير موضـعه من الأداء ، وما لمست أثراً للتضحية بدقة المقابلة فى سبيل المحافظة على جمال التعبير ... ولقد ذكرت هذه الظاهرة الفريدة ذات يوم للدكتور طه حسين فكان جوابه أن ما خطر لى قد خطر يوماً له ، وأن ما وقع فى ظنى قد وقع يوماً فى ظنه ، وكان ذلك حين قرأ « آلام فرتر » للزيات، ولـكنه حين رجع إلى القصـة فى أصلها الفرنسى لم يملك أمام حرفية الترجمة وبلاغة الأداء ، إلا أن يكتب مقدمتها الرائعة تحية إعجاب وتقدير !

•

قصة طريفة :

منذ عشرة أشهر على التحديد ، وفى إحدى المناسبات وأنا أنقد كتاباً فى مكان آخر غير الرسالة ، قلت عن الدكتور الشاعر ابراهيم ناجى: «...هذا شاعر رقيق مجدد ، ولـكنه شاعر فى حدود القصيدة التى لا تتعدى فى طولها عشرة أبيات من الشعر ، لأنه ضيق الأفق ، محـدود الطاقة ، لا يعينه جناحاه على التحليق فى الأجواء العالية ؛ الأجواء التى تتطلب جناحى نسر لا جناحى فراشة » !

قلت هذا عن الدكتور ناجى ومضت بعد ذلك أيام ، ثم حدث أن

لقيت شاعراً من شعرائنا الشبان يربطه بالدكتور سبب من صلات الود والصداقة ، وأبدى الشاعر الشاب رغبته فى أن يجمع بينى وبين الدكتور ناجى ، لأننى فى رأيه قد ظلمت شاعريته حين وصفتها بهذه الكلمات التى انتهت بجناح الفراشة ... وكان ردى على الشاعر الشاب أننى لم أر صديقه فى يوم من الأيام ، وليس بينى وبينه ما يدفع الناس إلى شىء من سوء الظن إذا ما أشدت بحسناته أو أشرت إلى سيئاته ، ومهما يكن من شىء فليس هناك مايحول بينى وبين لقائه !

وحدث مرة أخرى أن كنا فى ندوة الرسالة فجاء ذكر الدكتور ناجى على لسان أديب شاب ، مالبث أن وجه إلى الحديث مذكراً بتلك الكلمات التى كتبتها عنه ، خاتماً هذا الحديث بقوله : إن ناجى سيقدم فى القريب دليلا فنياً يرد به على نقدى ...

أما هذا الدليل الفنى فهو ملحمة تحت الطبع بلغت فيها الطاقة الشعرية ثلاثمائة بيت من الشعر . وكان ردى على الأديب الشاب أننى على استعداد لتقديم هذه الملحمة إلى القراء تقديماً يبرز مافيها من قيم ، على شرط أن يمينى الطبيب الشاعر على تحقيق هذه الأمنية !

وحدث مرة ثالثة — وكان ذلك منذ أيام — أن دق جرس التليفون فى مكتبى بوزارة المعارف ، وكان المتحدث ذلك الشاعر الشاب الذى طالما أبدى رغبته فى أن يجمع بينى وبين صديقه ، وبعد دقائق من بدء الحديث أفهمنى أن الدكتور ناجى إلى جانبه وأنه يريد أن يتحدث إلىّ ... وتكلم الدكتور وتكلمت ، وكانت كلمات فيها كثير من الترحيب بلقائه ، انتهت بالتواعد على اللقاء فى حفلة التأبين التى أقيمت لفقيد السينما أحمد سالم بدار نقابة الصحفيين ، ولقد اختار ناجى هذا المكان بالذات لأستمع إلى قصيدته التى ألقاها فى الحفلة ، عسى أن أغير رأيى فى جناح الفراشة .

إلى هنا وأشهد الله أننى توجهت إلى نقابة الصحفيين رغبة فى الإستماع لقصيدة الطبيب الشاعر ، وأملا فى إنصافه وتحقيقاً لتسجيل هذا الإنصاف على صفحات الرسالة ... وجاء دور ناجى فى الإلقاء فددت عينىّ ، وأرهفت أذنىّ ، وحشدت الذوق كله والشعور كله لتلك الأبيات التى بدأها بمطلع لا يبشر بالخير ! ومضى الطبيب الشاعر فى إنشاده حتى فرغ من إلقاء قصيدته ، وقلت لنفسى ترى هل من الذوق أن أصارحه أم حسبه أن أصافحه ؟ وبعد حساب طويل بينى وبين نفسى صافحته وانصرفت .

ومع ذلك فأنا فى انتظار الملحمة الكبرى ، وأرجو الله أن يهب الطبيب الشاعر من التوفيق مايمينى على إنصافه ...

تقدير الأدب والأدباء عندنا وعندهم :

إياك أن تعجب إذا قلت لك إن الذين شيعوا الكاتبة الأمريكية مرجريت ميتشل إلى مقرها الأخير بلغوا مائة ألف ... مائة ألف ذرفوا عليها من الدموع مايرطب ثراها إلى الأبد ! ولا تعجب إذا قلت لك أيضاً إن السائق الأرعن الذى دهمها بسيارته فقضى على الفن والنبوغ فى لحظات ، هذا السائق قد جن جنونه ولطم خديه حين علم أن تلك التى قضى عليها لم تكن سوى صاحبة الذهن المبدع الذى أخرج الملايين قصته الخالدة « ذهب مع الريح » ! ولا تعجب مرة ثالثة إذا قلت لك إن الصحافة الأمريكية قد طالبت باعدام المجرم لأنه لم يقتل عابرة طريق ، وإنما قتل مرجريت ميتشل ... ولا تعجب مرة رابعة إذا قلت لك إن سكان الولاية التى أنجبت الكاتبة الأمريكية قد عهدوا إلى أحد نوابغ المثالين أن يصنع تمثالا ضخما للفقيدة العظيمة ، ليقام فى القريب العاجل فى أكبر ميدان من ميادين العاصمة !!

هذا فى الولايات المتحدة التى يقال عنها إن دوىّ الآلات فيها قد طغى على صوت الفن ، وإن ضجيج المادة قد أخمد سبحات الروح ... وليس هذا فى الولايات المتحدة وحدها ولكنه فى فرنسا وغيرها من البلاد الأوربية ، أهل الأدب والفن لهم مكان الصدارة فى مواطن التكريم والتعظيم ، سواء أكانوا فى عداد الموتى أم فى عالم الحياة والأحياء ، وحسبك أن تعلم أن جنازة الشاعر بول فاليرى كانت أعظم وأروع من جنازة أى رئيس من رؤساء الجهورية الفرنسية ، وحسبك أن تعلم أيضاً أنه مامن أديب فرنسى كبير إلا وله تمثال يذكرك به فى ميدان من الميادين ، أو شارع قد أطلق عليه اسمه ، أو دار قد حولت إلى متحف ينتسب إليه . هذا عدا وسائل التخليد الأخرى التى تقوم بها الهيئات والحكومات !

عندهم هذا كله .. وعندنا الأدباء والفنانون يتضورون من الجوع ، ويضجون من الغبن ، ويصرخون من الإهمال . وعندما يموت أحدهم تقام له حفلة تأبين فى نقابة الصحفيين ، لايتهافت عليها كرام القوم بعض تهافتهم على تكريم مطربة من صواحب الصوت الجميل ! !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

طه حسين سفير مصر الأدبي في أوربا :

جاء من باريس أن الدكتور طه حسين بك غادرها عائداً إلى مصر ، وقد عرف الناس من أنباء رحلته فى أوربا هذا الصيف ، أنه توجه إلى انجلترا تلبية لدعوة جامعة لندن إلى إلقاء محاضرات هناك ، وقد ألقى هذه المحاضرات التى دارت موضوعاتها على الأدب العربى ، وقرأ الناس أيضاً من أنباء هذه الرحلة ما قوبل به فى تلك البلاد من الحفاوة والترحيب ، لا من المصريين هناك فحسب ، بل من الهيئات العالمية أيضاً ، كنادى القلم الدولى فى لندن . وقد بهر أديبنا العظيم من لقيه هناك واستمع إليه ، حتى أطلق عليه بعضهم «برنارد شو الشرق» وما نعد نحن هذا التشبيه زيادة فى قدره ، وإنما الدلالة الملحوظة أن ينزل هو من تقديرهم مثل منزلة أديبهم الكبير .

وفى العام الماضى دعى طه حسين إلى إسبانيا لإلقاء محاضرات فى جامعتها ، فلبي الدعوة وقضى هناك أشهراً تحدث فيها إلى الإسبانيين عن الأدب المصرى الحديث فيما تحدث . وكان من ثمرات تلك الرحلة فكرة إنشاء معهد مصرى فى إسبانيا ، التى اقترحها على وزارة المعارف ، والتى ترمى إلى دراسة الآثار العربية الفنية والفكرية فى البلاد التى كانت تسمى بالأندلس فى عهدها العربى ، دراسة تصلنا مباشرة بتلك الآثار التى لا نعرف عنها إلا ما نلقفه من المستشرقين .

وأعود إلى طه حسين وهو يضطرب فى فرنسا متنقلا بين عاصمتها ومصايفها ، يخالط الأدباء الكبار ويدارسهم ، يستمع إليهم ويستمعون إليه . وأكبر الظن أنه لا بد أن يرد فى الحديث ذكر الأدب فى مصر وأخواتها العربية ، وأقل ما يشعر به أولئك الأعلام العالميون أن بينهم أديباً عربياً يمثل الثقافة العربية الحديثة ، فيملى ذلك من شأن هذه الثقافة فى نظرهم . وليس قدر طه حسين بين كبار الأدباء فى فرنسا بالذى يحتاج إلى تبيين ، وقد رشحه أندريه جيد وماسنيون وأدوار هريو لنيل جائزة نوبل للآداب فى هذا العام ، كما أشرت إلى ذلك فى الأسبوع الماضى .

تلك هى السفارة الأدبية التى يقوم بها لمصر طه حسين ، وهى سفارة — كما ترى — ذات شأن وأثر كبيرين ، ففيها دعاية لبلادنا وفيها تعريف بأدبنا وثقافتنا ، إلى ما يستمده أديبنا الكبير نفسه من ثمرات الأفكار وما يستلهمه من صور الحياة ثم يفيضه علينا فى أدبه المصفى .

وذلك هو طه حسين « مالىء الدنيا وشاغل الناس » . إنه يعود إلى مصر ، فليت شعرى ، كيف تلقاه مصر ؟ هل يتوجه إلى داره ويذهب للتسليم عليه جماعة من الناس ، يحمدون الله على سلامته ، كأى واحد من آلاف الناس الذين يسافرون ويؤوبون ، فى تجارة أو لهو ؟

قرأت فى الصحف أن رجال التعليم الحر سيقيمون له حفلة استقبال ، هذا حسن ، وهؤلاء قوم يعرفون الواجب . ولكن الأدباء أين هم ؟ لا أريد أن أسبق باللوم ، فعسى أن يخطر الأمر على بالهم ، وليت « عسى » تنفع شيئاً !

ولكن أقول : إن الخطباء والشعراء يسارعون إلى المشاركة فى الحفلات التى تقام لرجال السياسة وغيرهم ، وأراهم يتقاعس بعضهم عن بعض ، لا يكرمون أحداً منهم ولا يحيون ذكر موتاهم ، مع أن هذا هو الأكرم لهم والأجدر بهم ، ولكن قاتل الله التطلع والأثرة والمنافسة ...

ولست أدعو إلى تكريم طه حسين لذاته ، فالرجل غنى بأدبه وصيته عن كل تكريم ، وإنما فى ذلك معان منها إكرام النفس بعرفان الفضل ، وفى ذلك أيضاً مجال للأذهان والقرائح ، وتنشيط للحركة الأدبية ، وعرس للأدب والفن .

وتحيتى إلى الرجل العظيم الذى بذكر اسمه مجرداً ، فيغنى عن كل ما تحلى به الأسماء ، وهو طه حسين .

من طرف المجالس :

كم فى مصر من العبقريات ! هذه عبقرية من نوع آخر .. التقينا بصاحبها بفندق الكونتننتال فى إحدى أمسيات هذا

الأسبوع وعبقرينا هذا هو الفيلسوف الأقتصادى ، أو قل زعيم الفلاسـفة والاقتصاديين جميعاً غير منازع ، محمد مختار .. وبجريد اسمه من الألقاب لعظمة الاستحقاق ... كما أن تجريد اسم «طه حسين» للاستغناء .. وهـكذا تتنوع الأسـباب والتجريد واحد ..

قدم لنا الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ذلك العبقرى، وعرفنا به ولم يكن فى حاجة إلى تعريف ، فقد كانت « عظمته » بادية فى سمته ، كما هى كامنة فى اعتقاده .. وشاء ظرف معالى حلمى عيسى باشا أن يشير إلى ناحية من نواحى هذه العبقرية التى قلما يجود بمثلها الزمان .. تلك الناحية هى تجديد عبقرينا فى النحو ، بجر الاسم الذى يقع عليه الفعل وهو لا يعترف بالنصب إلا فى حالة واحدة ، عند ما يدخل على الاسم حرف جر ، فإنه يقف فى وجه هذا الحرف ليمنعه أن يؤثر شيئاً فى الاسم ، أو يحمله على نصبه محلا ! قال معالى حلمى باشا : كيف يقول الدكتور أحمد أمين فى خطبته بالمجمع اللغوى : إن النحو ظل جامداً لم يتطور ! ولكن له عذره لأنه لم يسمع مختار بك ، ولو سمعه يدحض مذاهب النحويين بالقراءة على غير مقتضاها لغير رأيه ..

ولكن الفيلسوف الاقتصادى الـكبير لا يأبه بالاً إلى النحو ، فهو يتكلم بالسليقة ، وهو يوجه همه إلى الفلسفة والاقتصاد .

وقد أجمع أهل المجلس على الرغبة فى سماع شىء من إنتاج عبقريته ، فأخرج من جيبه مقالا عنوانه « فلسفة الحيـاة » وهو مقال صغير فى مبناه كبير فى معناه ... تتجلى روحه الفلسفية فى مستهله إذ يقول : « الله سبحانه جلت قدرته خلق الإنسان مكوناً من مادتى الجسد والروح » وتصل الفلسفة إلى قمتها عند ما يقول « إذا فقد شـخص ما مكانته الاجتماعية إذ كان موظفاً وأحيل على المعاش شعر بنقص كبير فى شخصية مكانته الاجتماعية فيسعى لإظهارها بأن يعمل عضواً برلمانيا أو تجاريا أو محامياً » أرأيت مثل هـذه الفلسفة فى « الحث على العمل » ؟

وقد أراد الأستاذ الزيات أن تتحلى الصفحة الأولى من « الأهرام » بذلك المقال . ولكنى ضننت به على الأهرام ، وأخذته لتحليله وعرض فكرته الماثلة فى « الرسالة » ولا يسعنى بعد ذلك إلا أن أنبه على وجوب اختيار هذا العبقرى الفيلسوف وزيراً لأى وزارة .. تحقيقاً لرغبة أصحابه ومجـالسيه فى الـكونتننتال ، وتحقيقاً لرغبته هو أيضاً فالتواضع لا يحسن فى كل حال .

كشكول الأسبوع

□ وافق معالى وزير المعارف على منح المستشرقة الفرنسية دلفارنى مائتى جنيه كنفقة لإقامتها بالقاهرة فى خلال المـدة التى تقوم فيها بتحقيق الجزء الذى لديها من كتاب « الشفاء » لابن سينا ، طبقاً لما ذكرنا فى العدد (٨٤٨) وذلك على أن يطبع الـكتاب لحساب الوزارة ، ويعتبر ذلك المبلغ أجراً على جهدها .

□ قررت وزارة المعارف تأليف لجنة لإخراج ديوان ابن الرومى ، من الأسـاتذة محمد خلف الله أحمد وطه الحاجرى ومحمد عبده حسن الزيات وعبد السلام هرون ، ومقر اللجنة بجامعة فاروق بالأسكندرية

□ نشرت « المصرى » أن الدكتور طه حسين بك استقبل فى فندقه بلندن ، مندوباً عن الحـكومة العالمية التى يسعى إلى إقامتها فريق من المفـكرين ، وعرض عليه أن يكون ممثل هذه الحـكومة فى مصر ، فقبل قائلا : إنه لا يستطيع أن يمتنع عن المساهمة فى أية حركة من شأنها إزالة الخلافات بين البشر .

□ أخرج الأستاذ أحمد الصاوى محمد طبعة جديدة أنيقـة من كتابه « التلميذة الخالدة » وهو قصة حياة العالمة الخالدة الذكر مارى كورى مستـكشفة « الراديوم » التى بلغت أوج الشهرة والمجد وظلت نفسيتها كما كانت فى أول حياتها تلميذة فقيرة ، يطالعك من خلالها روح الإنسانة التى جاهدت لخير الإنسانية جهاداً خالصاً نافعاً خالداً .

□ كتب الأستاذ الصاوى فى الأهرام عن الخمر وأثرها فى إفساد الحياة ، واستشهد بقصة سـكر وعربدة وقعت للشاعر العباسى ابراهيم بن هرمة .

ويقال فى العامية للماكر الخبيث (ابن هرمة) فهل هذا منحدر من ذلك على التشبيه مع التحريف فى الضبط ؟

□ شرعت دار الـكتب المصرية فى طبع ديوان الأمير تميم الفاطمى ابن المعز لدين الله ، وقد قدمه إليها الأستاذ محمد حسن الأعظمى عميد كلية اللغة العربية بالباكستان ، وكان قد عثر فى إحدى المكتبات الهندية على نسخ مخطوطة لهذا الديوان ، فحققه بمقارنتها ، وشرحه ، وقدم له بدراسة مسهبة تضمنت نظرات فى أدب الفاطميين .

□ تعود مجلة « الميزان » إلى الظهور فى أوائل نوفمبر القادم ، وهى مجلة شهرية يحررها نخبة من الشبان الأدباء ، وتعنى بشؤون المسرح والسينما والأدب .

□ شـكت مجلة « الاستديو » إلى (البوليس) والقضاء ، أنور وجدى مخرج فلم « غزل البنات » لأنه صفع محررها وحطم نظارته ، على أثر قراءته نقد المجلة للفلم .

□ نشرت الصحف السودانية أنباء تلقتها من جنوب السودان تتضمن أن الإرساليات الأوربية هناك قد نظمت حملة لمقاومة مشروع نشر اللغة العربية الذى تقوم به وزارة المعارف السودانية .

عقبال البكارى :

كان مخرجو الأفلام المصرية يعمدون إلى خلق المناسبات وأدنى الملابسات ليظهروا فى مناظرها الراقصات والمغنين والمغنيات والمضحكين والمضحكات ، ويُعد من الأفلام الجيدة ما تقدم هذه العنـاصر والمظاهر مع موضوعه الهزيل كى تستر نقصه وتغطى هزاله ... ولـكن فلم « عقبال البـكارى » حدث جديد فى هذا الميدان لم يسبق له مثيل . ذلك أنه لا ينتهز الفرص لتقديم الرقص وغيره ، وإنما هو يحاول أن ينتهز الفرص فى خلال الرقص لعرض قصـة .. والمرة الأولى نرى القصة خرجت عن (السيناريو) وصارت شيئاً آخر إضافياً ، وأصبح « التقطيع » ينصبُّ على الرقص وما إليه ...

ولم لا ؟ أليست بطلة الفـلم هى تحية كاريوكا ؟ وها هى ذى تظهر — واسمها فى الفلم تحية أيضاً — فى أول منظر أمام الرسام حمدى باعتبارها « مثـالاً » للرسم ، وبينا هو يعمل فى رسمها ويسمع قطعة موسيقية من الحاكى إذا هى تتحرك على الموسيقى وتروح ترقص وترقص ... ولا بد من ذلك ليبدأ الفلم أو — على الحقيقة — ليرقص .. وتُنتهز فرصة فراغ تحية من الرقص لعرض منـاظر يفهم منها أن حمدى الرسام تعلق قلبه بتحية الراقصة ، فذهب إليها فى (الصـالة) التى تعمل بها ، وهنا يستأنف الفلم مجراه الطبيعى ، فيقدم ما تشتهى الأنظار من ألوان الرقص والغناء وفى حجرة تحية الخاصة نراها تستقبل حمدى ضمن زوار آخرين استقبال مجهول وتسـأله عن اسمه .. فهل نسيت أو نسى المخرج أنها كانت عند حمدى فى مرسمه ، يرسمها وترقص ؟ ولندع هذا فما هى إلا برهة وجيزة حتى نرى تحية وحمدى وآخرين معهما يتمشون فى (كازينو نجمة الصبح) والحقيقة أن كلمة « المشاء » نسمعها من ألسنتهم فقط ، فلم نر عشاء على المـائدة التى جلسوا إليها قليلا ثم نهضوا للرقص ..

ونرى بعد ذلك حمدى يصـارح تحية بحبه إياها وهى تبادله الحب ، ويتفقان على الزواج ، بعد أن يقول لها إنه فقير ، وتقول له إنها ترضى به ، لأنها تحبه وقد كرهت هذا النمط من الحياة الذى تجرى عليه . ويبدأ فى البحث عن شقة يسـكنانها ، هو وصديقه جميل ، ويعنى المخرج بإبراز هذا البحث ليشير إلى أزمة المساكن ، ولـكنه لا يوفق فى ذلك إذ أنه جعل من العسير عليهما أن يجدا أى شـقة ، مع أن الشقق الآن موجودة فى كل مكان ولـكن الأزمة فى ارتفاع أجورها ، اللهم إلا أن يكون الفلم أعد منذ سنوات وعرض الآن فقط .

وأخيراً يجد حمدى إعلاناً عن شقة خالية فى منزل المعلم عاشور الجزار ، ويذهب حمدى وصاحبه جميل إلى هذا المنزل ، فيحدث اشتباه مفتعل ظريف ، إذ يظن الجزار أن حمـدى يخطب أخته العانس فيرحب به ، ويجرى الحوار بينهما مشبهاً ، يفهمه حمدى على الشـقة ، ويأخذه الجزار على أنه فى الرغبة من زواج أخته ، ويضرب الموعد لـكتابة « العقـد » ... وأى عقد ؟ أهو عقد الإيجار ، أم عقد الزواج ؟ كل يفهم ما يريد ... ويعـد الجزار لعرس أخته ، ويقبل حمدى ليؤجر الشقة ... ثم يرغم على الزواج ، إذ يهـدد بالسكاكين إن لم يقبل ، حتى لا تتعرض سمعة العائلة للقيل والقال .

ويجرى كل ذلك سريعاً سريعاً ، ويدور الرقص فى الفرح ، وتعلم تحية فتعود إلى (الصالة) بعد أن تركتها وتستأنف الرقص . ثم يهرب حمدى من العروس التى أكره عليها ، ويحصل الجزار من (قسم البوليس) على أمر بالقبض على العريس أينما وجـد . ولأول مرة — فـكل ما فى الفلم أول — نرى أمر القبض على زوج هارب من زوجته ، والأمر من (عسكرى البوليس) لا من وكيل النيابة ! ولم هذا الأمر يا ترى ؟ ليذهب به الجزار إلى ميدان سباق الخيل بالأسكندرية حيث ذهب إلى هناك حمدى وتحية ومن معهما ليشاهدوا الحصان « سـعد السعود » الذى خرجت باسمه ورقة النصيب التى معه ، فيطالبه بمؤخر الصداق وهو ألفا جنيه ، ويهدده بأمر القبض عليه ... وبعد أخذ ورد يتفقان على أن يتنازل الجزار عن ألفى الجنيه ويدفع خمسة آلاف أخرى لقاء ورقة النصيب التى أيقن أن حصانها سيسبق ويربح عشرة آلاف جنيه ، ثم يخفق الحصان . وينتهى الفلم بمنظر حمدى وتحية مسرورين بخمسة الآلاف

ويلاحظ أن الجزار يطالب بمؤخر صـداق أخته ، ويساومه زوجها حمدى ، وهـذا أيضاً تجديد توجه إليه الأنظار ، فالمتبع ألا يطالب بمؤخر الصداق إلا عند الطلاق ، ولـكن هنا لا يجرى للطلاق أى ذكر ، ومع ذلك يتساوم الطرفان على مؤخر الصداق ،

والسؤال الحائر هو : لماذا لم يطلق حمدى أخت الجزار ؟ وهل يكفي أن يوقع له أخوها بأنه تسلم مؤخر المهر لتكون هى طالقاً ؟

ومن العبث أن يتحدث الناقد فى مثل هذا الفلم عن رسم الشخصيات ، فليس فيه شخصية مرسومة ، حتى الرسام الذى لم نجد فى مرسمه شيئاً من روائع فنه !

وقد عرض الفلم – لأول مرة – فى هذا الأسبوع بسينما الكورسال بالقاهرة ، وهو من تأليف أبو السعود الابيارى وإخراج ابراهيم عمارة . ومثل « حمدى » محمود المليجى ، وهو ممثل عرف بالإجادة فى أدوار الشر ، وكان بهذا الفلم فى دور البطل المحبوب ، وقد وفق فى القيام به ، غير أنه لا تزال تلازمه بعض الظلال والخلال التى كان يظهر بها فى الأدوار الشريرة . ومثل « جميل » إسماعيل يسن وهو فى دور إضافى يمكن الاستغناء عنه ، وإنما يقصد به الإضحاك ، وكذلك حسن كامل الذى مثل عم تحية ، وقد كانا فعلاً ركنى الفكاهة فى الفلم ، على أنه يمكن أن يقال إن كل من فى الفلم يمكن الاستغناء عنهم ... ما عدا تحية ...

عباس خضر



المازنى فى يافا :

كانت يافا العربية وقتئذ مركزاً هاماً للنشاط الأدبى والفكرى فى فلسطين ، ففيها الصحافة ، وفيها الأندية ، وفيها محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية .

وفى سنة ١٩٤٥ دعت محطة الإذاعة الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى تغمده الله برحمته ليحل ضيفاً عليها لمدة أسبوعين يبث فى أثنائها وجهات نظره إلى المذياع .

فحدثنا – رحمه الله – فى مواضيع شتى أذكر منها (رسالة الشباب) و (فن الترجمة) و (هل للأدب رسالة اجتماعية) و (التعاون الفكرى بين البلاد العربية) .

ورحبت بمقدمه أندية يافا مثل النادى العربى ، والنادى الأرثوذكسى ، والنادى الرياضى الإسلامى ، والمعهد البريطانى ، وألقى فيها محاضرات قيمة فى الأدب والاجتماع .

وأذكر أن حدث للأستاذ المازنى فى يافا حادث عجيب ، فقد جاءه بعد ظهر يوم وفد يمثل نادى الشبيبة الإسلامية ، وكان الأديب الكبير ينزل فى (كايف أوتيل) وطلب مقابلته ، فأخبره صاحب النزل بأن الأستاذ يتناول دواء بعد كل غداء وينام مدة ساعتين على وجه التقريب ، وقد منع كل مقابلة له فى هذه الأثناء ، فأصر الوفد على مقابلته ، وعلا الهرج والمرج فى القاعة ، فاخترقت الأصوات باب حجرة الأستاذ وبلغت مسمعيه مصحوبة بترديد اسمه

فنهض متدثراً فى قميص النوم ، وفتح الباب مستوضحاً الخبر ، فقال له رئيس الوفد : يؤسفنا جداً أن نزعجكم فى مثل هذا الوقت ، فأعضاء نادى الشبيبة الإسلامية مجتمعون فى ناديهم للاحتفاء بكم ، ويسرهم أن تقوم فيهم خطيباً .

فقال : إننى لم أعتد الخطابة بعد الظهر ، وهو وقت راحتى واستجمامى ... لكننى لن أرد لكم طلباً ، فأذنوا لى بدقائق معدودات لأغير لباسى .

واستقل الأستاذ المازنى والوفد سيارة إلى النادى .

لقد توقع الضيف الكريم أن يرى وفداً آخر عند مدخل النادى ، ومرحبين يبتدئ طرفهم بأول درجة من درجاته وينتهى الطرف الآخر بالحفل ... ولكنه لم يلتق بأحد ، فامتقع وجهه قليلا ، وتبلبل الوفد المرافق .

وولج الأستاذ المازنى القاعة ، وكان هواء البحر يداعب ستائرها ، فوجدها خالية إلا من قيم مكتبة النادى الذى دهش لمرأى الأستاذ المازنى فى الثالثة بعد الظهر فهرع إليه يقول : أستاذنا الكبير ... أهلا بأديب العربية ... ما هذه المفاجأة السارة ؟ ... لقد كنا نود أن تشرفونا بزيارتكم فى وقت غير هذا الوقت ... فالأعضاء متغيبون ، ومع ذلك فأهلا بكم !

فوقف الأستاذ المازنى حائراً ، ووقف الوفد مشدوهاً .

وبدأت الاعتذارات ممتزجة بتصبب العرق وفرك اليدين ، وساد النادى صمت رهيب ، ولم ينقذ الموقف إلا فرقة من الكشافة قد عرجت على النادى مصادفة لتستريح قليلاً من عناء رحلة شاقة فعلمت بوجود الأستاذ المازنى فى النادى وراحت تشق عنان السماء بالهتاف : يعيش المازنى . يا .. يايعيش ! .. نريد كلمة من المازنى !

ووقفت الكشافة فى صفين متقابلين ، فاستعرضهم الأستاذ المازنى ، وألهب نفوسهم بخطاب وطنى جارف .. وترك النادى بين هتافاتهم وتصفيقهم الحاد .

فلما روى لى رحمه الله هذا الحادث العجيب ، سألته مداعباً : أترون فى الأمر سوء تفاهم أم (مقلباً) ؟ ..

فأجاب وهو يضحك : والله لا أدرى .. ولكنه حادث طريف يصلح للكتابة !..

ليماسول (قبرص) **نجاتى صدقى**

مازا ؟

فى البريد الأدبى فى العدد ٨٤٧ من الرسالة قرأت من الأستاذ راجى الراعى رداً على سؤال وجه إليه ... كان السؤال معقولاً ولكن الرد كان عجيباً .. لم يفهم الأستاذ دسوق حنفى معنى لنداء بعثه الأستاذ الراعى إلى الشمس فقال لها «يا ابنة الله» ثم « يا عين الله » وأراد الأستاذ الراعى أن يجيب ولم يكن ثمة داع للاجابة .. فلم شطط فى التعبير وكان الله غفوراً رحيما . ولكنه قال لنا إنها لغة غير لغة الناس ... إذن فقد كنت فى السماء مع الشمس ... أوَ هكذا يقولون هناك ! غير لغة الناس يا سيدى . فأى لغة هى ؟ حسبنا الله الواحد الأحد لم يولد ولم يلد ... هكذا نقول نحن الناس ... فهو إذن والد فى لغة غير لغتنا ... أستغفره لهذه اللغة وأسأله لها الرحمة والتوبة والهداية .

أما أن الشمس عين الله فهذا ما أراد أستاذنا الراعى أن يدلل عليه فقال إنها النور وإنها إحدى عيون الله التى ترعى الخلق . خسئت الشمس عيناً له جل جلاله ... أتبلغ عين الله من الضعف والهوان هذا الدرك ... أى عين الله تلك التى أذودها عنى بستاره أسدلها أو خشب نافذة أقفله ... إن عيون الله يا سيدى ... أى عين له لهى أحد من ذلك وأقوى ... رحماك يا أستاذنا الراعى اعتذر فقد أخطأ من قبلك كل جليل وإن الحق قديم ... هكذا يقول الناس .

ثروت أباظة



الصـــــورة ...

للكاتب الفرنسي جي دي مو باسان

بقلم الأديب يوسف يعقوب حداد

سمعت من يقول لصديقه ، وهما على مقربة من مجلسى ... أنظر ... ها هو ذا ميليال !

واتجهت إلى هذا الذى يشيرون إليه بإعجاب ودهشة ؛ إذ أننى كنت فى شوق للتعرف على هذا الرجل الذى تعبده النساء ... هذا الرجل الغريب ، الذى تتهالك عليه بنات حواء !

كان قد تجاوز سن الشباب بقليل ، يبدو للعين فى هيئة غريبة ، غير مألوفة ، فشعره غزير ، ينسدل حتى كتفيه ، ويغطى رأسه حتى ليبدو وكأنه قبعة جلدية كتلك القبعات التى يلبسها أهل الشمال ! ولحيته ناعمة ، طويلة ،تداعب صدره ، وكأنها قطعة منتزعة من فرو معطف نسائى جميل !

رأيته يتحدث لامرأة ، وفى حديثه كثير من اللطف والرقة ، قد أحنى جذعه فى احترام ، وهو يوجه إليها نظرات لطيفة إذا استطعت أن تدرك منها شيئاً ، فإنما أنت تدرك ، عاطفة فيها مزيج من الحنان والعطف والاحترام !

كنت قد سمعت طرفاً من حياة هذا الرجل ... وعرفت أن بضع نساء قد أحببنه حتى العبادة ، وتفانين فى حبه إلى حد لا يتصوره العقل ، وسمعت اسمه يتردد فى كثير من قصص الحب ، فكنت إذا ما سألت أولئك النسوة اللوائى كن يطنبن فى مدحه ، ويندفعن فى التحدث عن سجاياه ، وعن سر سحره الذى يسحرهن وجاذبيته التى تجذبهن ، كن يجبننى بعد تفكير عميق ، وتأمل طويل ، بأنهن لا يعرفن هذا السحر . ولا يدركن لهذه الجاذبية سراً .. كل ما يعرفن ، أنهن ينجذبن له لأول نظرة ، وينسحرن بسحره لأول لقاء !

وأستطيع الآن ، وبعد أن رأيته ، أن أؤكد أنه لم يكن جميلاً ، كما أننى أستطيع أن أقول ، وأنا لا أتجنى عليه ، أننى لم أجد فيه شيئاً من تلك الخصال التى يتصف بها عادة أولئك الرجال الذين يجتذبون إليهم قلوب النساء ، لذلك رحت أتساءل فى دهشة عن سر هذه الجاذبية . أهو كامن فى ذكاء الرجل ؟ ... ولكنى لم أسمع من يمتدح فيه الذكاء ! ... أهو مختف فى مظهره ؟ ... ربما ! ... ألا يمكن أن يكون مكمن السر فى صوته ؟ ... وإنما هنا لك غيره من يمتلك مثل هذا الصوت المشحون بالرقة ، والحنان ، والعذوبة !

ومر أحد معارفى ، فاستوقفته ، وسألته — أتعرف السيد ميليال ؟

قال فى دهشة — نعم !

قلت فى رغبة واندفاع — أرجوك ... قدمنى إليه .

وبعد دقيقة ... دقيقة واحدة فقط ، كنا نتصافح ، ونتجاذب أطراف الحديث !

كان حديثه مرحاً ، هادئاً ، متزناً . وكان صوته جميلاً ، رقيقاً ناعماً . إلا أننى سمعت من قبل أصواتاً أكثر تأثيراً فى أذن السامع ، وأشد وقعاً فى نفسه ... سمعت أصواتاً تبعث السرور ، وتنشر فى النفس الحبور ... سمعت أصواتاً لا تجهد فى تتبع معانيها ، تنساب من الشفاه سهلة ، لينة ، غير معقدة ولا متشابكة .

وبدا لى حديثه طبيعياً . لا ينبه الشعور بالملل . والمتحدث إليه يشعر بأنه يبادله الحديث فى سهولة وبساطة . وأن الألفاظ تنساب من فمه بسهولة ، ومن غير تفكير أو عناء !

ومع أن المدة التى مضت لتعرفى عليه لم تزد على الربع ساعة ، إلا أننى وجدت نفسى ، وكأننى أعرفه منذ ربع قرن ! ... شعرت نحوه كما أشعر نحو صديق قديم . أفكاره ، وحركاته ونزعاته ، لم تكن غريبة عنى . فى هذه الفترة القصيرة من الزمن ، شعرت وكأن كل ذلك التكلف والتحفظ ، وكل تلك الحواجز والعادات التى تقف عادة بين الناس ، قد انهارت كلها مرة واحدة ، وتداعت من أساسها ! ... والمعروف أن تلك الحواجز والعادات ، وذلك التكلف والتحفظ لا تسقط بين الناس مرة واحدة ، وإنما تسقط تدريجياً الواحدة بعد الأخرى . تسقط مع مرور الزمن . وتوطد أركان المعرفة ، وتوثق عرى الصداقة .

وافترقنا بعد أن أعطاني عنوان بيته ، ودعاني لتناول الغداء عنده في اليوم التالي . إلا أنني نسيت الموعد بالضبط حين ذهبت إليه في اليوم التالي ، ووصلت قبل الموعد فلم أجده هنالك . فاستقبلني خادم صموت ، قادني إلى غرفة الاستقبال ، حيث جلست على مقعد وثير وكأنني في بيتي !

إن مشاعر المرء لتختلف بالنسبة للغرف التي يدخلها ... بعضها يشعرك بالضيق . وبعضها يشعرك بالكآبة ، والبعض الآخر منها يشعرك بالبلادة ! ... أن عيوننا كقلوبنا ترتاح لأشياء وتشمئز من أشياء أخرى !

وأخذت أنظر إلى مايحيطني . وأتأمل فيما يدور حولي . فلم أجد ثمة شيئاً غير مألوف ، فالأثاث بسيط يغلب عليه القدم . والستائر من حرير شرقي ناعم . وفي صدر الغرفة ، في مواجهتي صورة لامرأة متوسطة الحجم ، يظهر منها الرأس والقسم الأعلى من الجسد ... وبيدها كتاب .

كانت المرأة في مقتبل العمر حاسرة الرأس . وكان شعرها الناعم مرتباً في بساطة ، يبدو على شفتيها طيف ابتسامة حزينة كئيبة . والصورة طبيعية لاأثر للتكلف والتصنع فيها .

إن مارأيته من صور قبل الآن ، كانت البهرجة تغلب عليها بوضوح ، حلي ، وجواهر ، ولباس أنيق ، وشعر مضفور في عناية . فكانت تلك الصور تشعرني لأول وهلة ، أن صاحب الصورة قد تصنع كل ذلك التصنع لأنه كان يعلم سلفاً بأنه جالس أمام المصور ... وإنه يريد أن يرضي أحبابه وأصدقاءه الذين سيرون صورته . لذلك كرهت تلك الصور البعيدة عن الواقع ، الشديدة التكلف والتصنع ... أما هذه الصورة ، فأنا أعجز عن وصفها . ولا أحس بالخجل إذا قلت بأنني أعجز عن التعبير عن شعوري تجاهها .

كانت مثبتة في مكان بارز ، منعزلة ، تبتسم ابتسامة باهتة يشوبها الحزن ، ويخالطها الأسى . تماماً كما يبتسم بعض الناس حين يختلون بأنفسهم ، ويتذكرون مامضى من حياتهم . فيبتسمون ، يبتسمون لأنفسهم حتى إذا كانت تلك الذكريات مرة وحزينة !

كانت منفردة في مكانها ، غير شاعرة بهذه الأشياء التي تحيط بها . وهذه الصورة قد خلقت في الغرفة جواً ساكناً ، يشيع فيه الهدوء ... هذه الصورة هي الشيء الوحيد الذي يبعث الحياة في هذه الغرفة !

من الممكن أن يقتحم هذه الغرفة جمع غفير من الناس يضحكون فيها ويعبثون ، يشربون ويغنون ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يبعثوا هذه الحياة التي بعثتها الصورة نفسها !

وبدت لي نظراتها غريبة ... بدت لي مصوبة نحوي . إن كل الصور تقابلك بنظراتها ، أما هذه الصورة فإنها لاتراني وإن كانت مصوبة نحوي بالضبط كما أنها لاتستطيع أن ترى شيئاً آخر أبداً . هي نظرات شاردة ، تنظر ولا ترى ، مما ذكرني بقول الشاعر يودكيرز « آه من نظراتك ... إنهن يجذبنني كما تجذبني نظرات الصور ! » .

نعم ... إن هذه الأعين المرسومة بالدهان على الورق الجامد لتبدو لي ، وكأنها حية ، وإنها ستحيا إلى الأبد .

آه ... ياله من سحر ، يخدر الأعصاب ، ناعم كرور النسيم كصوت القبلات ، محرك للعواطف كلون السماء عند الغروب ... آه ... إن هاتين العينين لتشبهان الليل الذي يعقب الغروب ... وما أجمل الليل ، وما أجمل الغروب !

من هذا الإطار العابس ، تنظر إليك هذه العيون في رقة وحنان ... نعم ، إن هذه العيون التي أبدعتها يد الفنان على الورق بعدة حركات من ريشته ، لتبدو لي هي الأخرى ، مفعمة بالأسرار ... أسرار المرأة ، الكامنة أو الظاهرة . إن هذه العيون لتحمل كل ماتستطيع المرأة التعبير عنه بنظراتها . هذه النظرات التي تنبه في قلوبنا الإحساس الأول للحب !

وأخيراً ، انفتح الباب ، ودخل منه السيد ميليال ، فاعتذر لي عن تأخره ، فصافحته وأنا أعتذر إليه بدوري عن تبكيري في الحضور . ثم سألته أن يغفر لي تطفلي ، ويجيبني عن سؤالي عن صاحبة الصورة ، ومن عساها تكون ، فقال « إنها والدتي ... ماتت في ريعان الصبا وميعة الشباب ! » .

وعندئذ ... عندئذ فقط انكشفت لي كل الأقنعة عن سر جاذبية هذا الرجل ، وتأثيره على النساء !

يوسف يعقوب حداد

(البصرة : عراق) ص . ب . رقم ١٥

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى الفنادق

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلي والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم للدرجة الأولى فقط والإقامة فى الفنادق .

وتشمل هذه التذاكر الإقامة فى الفنادق المبينة بعد :

اسم الفندق	درجة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و ٤ ليال من القاهرة مليم جنيه
فندق ونتر بالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	٩٣٠ ر ١٦
فندق كاتارکت بأسوان	» » »	١٢٠ ر ١٩
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٠٨٠ ر ١٥
	» » » » الثانية	٣٢٥ ر ٩
فندق جراند أوتيل بأسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٢٧٠ ر ١٧
	» » » » الثانية	٠٩٠ ر ١٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	٢٠٠ ر ١٤
	» » » » » الثانية	٤٤٥ ر ٨
فندق العائلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠ ر ١٢
	» » » » الثانية	٣٥٥ ر ٦
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠ ر ١٢
	» » » » الثانية	٣٥٥ ر ٦

مطبعة الرسالة

العدد ٨٥٣ — الاثنين ٧ نوفمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٥٣٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

Lundi — 7 — 11 — 1949

17 em Année No. 853

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ من شهر محرم سنة ١٣٦٩ — ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٩ السنة السابعة عشرة »

تحية القـــائد المغربى (*)

الامير عبد الكريم الخطابى

للأستاذ أحمد رمزى بك

وقد تجمت تلك الخطوب قناته … فزاد على عجم الخطوب اعتدالها
وما كان محروماً من النصر فى الوغى … ولكنها الحرب اعتدت وسجالها
ولو شاء إذ ترك المشيئة سودد … لأشوته يوم الهندوان نبالها
غـداة يجاريه التقدم فى الوغى … أبو غالب والخيـل تترى رعالها
كأنهمـا من نصرة وترافـد … يمينك أعطتها الوفاء شمالها

(البحترى)

بين مدينتى تور وبواتييه[1] حيث المروج الخضراء وفى قلب فرنسا شن الغرب علينا هجومه المضاد سنة ٧٣٢ هجرية، ومنذ ألف ومائتين وخمسين سنة ، والقتـال دائم بيننا ، لا هوادة فيه ولا حماية ولا تسليم ولا رحمة ...

ولكنك يوم دخلت مصر آمنـاً مطمئناً ، وعبرت مجمع البحرين[2] : هـللت العروبة فى أفريقيا وآسيا لمقدمك ، وقالت اليوم انتهى هجوم شارل مارتل ، وانتقلت أمم المغرب والمشرق من خطط المدافعة إلى الهجوم ، نعم فى الساعة التى نزلت فيها إلى أرض مصر العربية فى تلك اللحظة أيها المجاهد المقاتل ، تراجعت القرون وانحنت أمام إرادة صامتة وقوة لا تقهر ، وبدأنا مرحلة جديدة من الكفاح فى سبيل تحرير المغرب ونصرته وعودته إلى حظيرة الوطن الأكبر . فاذ كرذلك اليوم . لأن وراءنا الأزمات تتحدث والنـكبات تتوالى ، وملاحقة الشعوب الحرة فى عقر ديارها فى الجزائر وتونس وطرابلس ومصر ، لقد انتهى كل هذا بمقدمك ، وبدأنا صراعاً آخر نحو الحرية والمجد ، لا تراجع فيه ولا يأس وإنمـا هو دفعة تتبعها وثبة ، ووثبة لا يقف أمامها فى المعترك حائل . لقـد نظرت إلى الشاطىء الأفريقى وقلت من ضفاف قناة السويس من هنا يبدأ يوم الفصل : نعم يبدأ [1] هجومنا نحن ، هجوم البطولة والجهاد تحت أعلام الحرية والعروبة والإسلام .

ويوم دخلت القاهرة ، قاهرة المعز لدين الله ، بلد صلاح الدين وبيبرس ، ضحكت واستبشرت ، وأتتك الجموع تترى إليك ، أتدرى لماذا أيها القائد المظيم ؟

لأنها رأت فى وجهك بقية من عبد الرحمن الناصر والمنصور ويوسف بن تاشفين وتطلعت لجبينك فتعرفت على وجوه المرابطين والموحدين ، وسرت بيننا فإذا بكل منا يحس بنفحة من نفحات

(*) كتبت يوم مقدمه ولم تنشر .

(١) مدينتان أوقف عندهما زحف العرب فى فرنسا .

(٢) أقصد قناة السويس .

(١) يتصور الكاتب أن المعركة منذ ارتد العرب لا تزال قائمة وإن مراحل التراجع دامت قرونا حتى نزل الأمير عبد الكريم فانتقل العرب من موقف الدفاع إلى الهجوم مرة أخرى .

الأندلس وأرض الجزيرة الخضراء تغمر نفســه ، وخرجت إلينا فإذا بنا نتصور على جنبيك سيوف المجاهدين وارك السجود من أهل المغرب فـكأنك واقف ومئات السنين تنحنى أمام قوتك ونظارتك ، وكأنك تمثل شهداء معاركنا الخالدة فى ألف سنة مضت

عجبا أكلما مددت اليد إليك تمثلتك قائداً فى رداء الماضى ؟ رأيتك فى رداء أهل المغرب الذين انتصروا فى يوم الجمعة لثانى عشر خلت من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، رأيت أعلام النصر فى الزلاقة[1] وكأنها ترفرف على رأسك : يوم صلى قائدنا ابن تاشفين صلاة الصبح فى ذلك السهل الذى شهد آيات البطولة والقوة والبطش فى قلب أسبانيا .

ورأيتك يوماً فى لباس الموحدين من أهل المغرب ، وهم الذين أسسوا الملك وقادوا الجحافل ودانت لهم الدنيا ، مررت أمام ناظرى وكأن الأعلام التى طويت يوم تور وبواتييه ، قد اخترقت ما وراء عالم الغيب والشهادة ، فإذا بها تنشر من جديد وعلى رأسك ترفع ، وكأن أصوات التكبير والتهليل التى ملأت جبال البرانس وصاحبت المسلمين فى معاركهم وملاحمهم بالأندلس ، قد تجمعت بقدرة القادر جل وعلا ، وعاد صداها يرن فى أذنى وبعيد على أرض مصر ذكرى تلك الأيام الخالدة .

لقد أمضينا بأرض الأندلس ثمانية قرون من الزمن ، كانت الحرب سجالا والدنيا قائمة علينا ، تلك عوائدها فهل عرفناها يوماً من الأيام على غير عادتها ، لا لم نعرف للراحة ولا للاطمئنان طعماً ، بل عشناها قروناً والسهام على الأقواس مسددة ، والدماء جارية ، والصدور تتاق الطعنات ، والنصال تتكسر على النصال .

وتمثلتك يوماً فى موقف عبد القادر وهو يدفع المغتصب عن أرض الجزائر ، فقمت أحيى بطولته فى شخصك ، وأتمنى لو كنت جندياً أتلقى الأوامر منه .

وأعرض صدرى لرصاص الخصم العاتى ، فى سبيل هذا الركن الخالد من أرض العروبة ، تُرى أكنت تدعونى لحمل السلاح كجندى من جنود المغرب ، فانضم لصفوف كتائبك على بطاح الريف ؟

إذن لوقفت على ربوة عالية أتحدى الأخطار والمهالك والحياة والموت ، لأحيى فيك البطل العظيم والقائد المنتصر رغم أنف المستعمر ... ستذكر القاهرة يوم قدمت إليها وحللت ضيفاً معززاً مكرماً فيها ، كيوم من أيامها التى لا تنساها .

والقاهرة لا تنسى من أحبها ، لأن العواطف المتدفقة فى قلوب أهلها ثابتة راسخة منذ أيام الفتح الإسلامى الأول ، منذ دخلها عمرو بن العاص . فهى حريصة على صداقتها ومعزتها ، بقدر ما هى قوية فى البأساء والضراء والشدائد ...

ولذلك سميت القاهرة : لأنهـا قهرت الحوادث والزمن ، وخرجت ظافرة من المعارك والمواقع الفاصلة ، منصورة فى المنصورة وحطين وعين جالوت ... ولذا تعرفت من أول يوم عليك ، وقرأت نفحاتها وروحها تسمة على جبينك وأصبح سكانها أهلك وعشيرتك

فإذا خطرت ببالك سنوات الغربة فى جزائر المحيط ، تخفف عنك هذا ، وذكر الخصوم أن أبناء القاهرة أسروا لهم ملكا يوم المنصورة . بالله مر فى قاهرة المعز ، وارفع ناظريك إلى قلعة الجبل ، وتأمل حجارتها : تحدثك أن اثنا عشر ألفاً من أسرى العدو فى المعارك والحروب التى انتصر فيها جند مصر الإسلامية ، قطعوا هذه الصخور ورفعوا هـذه الحجارة . كانت مواكبهم تمر تحت بابى النصر والفتوح ، وأعلامهم منكسة وأيديهم فى السلاسل وأعناقهم فى الأغلال . أما أنت فقد جعلت لموطنك مراكش حديثاً له دوى فى القرن العشرين اهتزت له الدنيا ، فقد هزمت دولتين وحاربت على جبهتين ، وكنت موفقاً فى الهجوم والدفاع وبرهنت على أن قلوب أهل الريف أقوى وأثبت فى مقاعد القتال من قلوب أعداء الريف .

بل أشهدت العالم أجمع أنهم بحق سلالة المرابطين والموحدين وأبناء أولئك الذين كتب أجدادهم ملاحم الأندلس وأيامها .

أيها الأمير القائد !

من يحلق مثلك فوق شوامخ الجبال وقممها العالية تصغر الدنيا أمام عينيه فتتضاءل الصعاب ، ويبدو الجهاد أمراً سهلاً لأنك بطل من أبطال العروبة والإسلام ونفحة من نفحات بدر .

أحمد رمزى

---

(١) معركة مشهورة انتصر فيها المسلمون بالأندلس .

أزواج وزوجـــات

للكاتب الإنجليزي يوسف أديسون

للسيدة الفاضلة ماهرة النقشبندي

أخبرني صديقي ويل هوني كومب منذ أكثر من نصف سنة أن في نيته أن يجرب الكتابة في جريدة السبكتاتور، وأنه يرغب أن تكون كتابته عن طريقي إلى القراء. وفي هذا الصباح تسلمت منه الرسالة التالية. وبعد أن صححت بعض الأخطاء الإملائية فيها، أقدمها إلى القراء.

عزيزي محرر السبكتاتور:

قبل ليلتين كنت في جماعة لطيفة من شباب الجنسين، وكنا نتحدث عن بعض مقالاتك التي كتبتها في موضوع الحب الزوجي، فنشب بيننا نزاع حاد حول عدم وفاء الأزواج في الحياة بالنسبة إلى الزوجات، وقد انبرى أحد المدافعين عن المرأة وقص علينا قصة حصار مشهور في ألمانيا، وقد وجدت إنني ذكرتها في معجمي التاريخي كما يلي:

عندما حاصر الامبراطور كونراد الثالث جولفيوس، دوق باڤاريا في مدينة هنسبورغ، واتضح للسيدات أن المدينة لن تثبت طويلا، التمسن من الامبراطور أن يسمح لهن بالخروج منها حاملات ما يستطعن حمله. ولما كان الامبراطور واثقاً من أنهن لا يستطعن حمل كثير من الأشياء، فقد أجاز لهن ما التمسن. ودهش الامبراطور من رؤية النسوة وهن خارجات يحملن أزواجهن على أكتافهن! فتأثر من هـذا المنظر حتى طفرت الدموع من عينيه، وبعد أن أشاد بحبهن الزوجي، وهب لهن أزواجهن وعفا عن الدوق.

ولكن السيدات لم يطربن لهذه القصة وسألننا في نفس الوقت، إن كنا نعتقد في قرارة أنفسنا أن رجال أية مدينة في بريطانيا العظمى، لو كانوا في نفس الأزمة، ومنحوا نفس المنحة، هل كانوا يحملون نساءهم أو كانوا يسرون من هذه الفرصة التي أتيحت لهم للتخلص منهن؟ وقد أجاب صاحبي توم وابروت الذي جعل من نفسه محاميا عن جنسنا قائلا: إنهم إن لم يفعلوا ما فعلت السيدات فسيستحقون أعنف اللوم مع اعتبار أنهم أقوى منهن وأحمالهم ستكون أخف كثيراً.

وبينما كنا نخوض في أحاديث من هذا النوع تسلية لنفوسنا وقتلا للوقت الذي أصبح مملاً قادنا الحديث، والحديث ذو شجون، إلى أن يتولى كل بدوره توجيه أسئلة يجب على الآخرين الإجابة عنها. ولما حان دوري أمرت كل السيدات حسب السلطة المخولة لي أن يخبرن الجماعة بصراحة تامة عن الشيء الذي يفعلنه لو أنهن كن في هذا الحصار المذكور وأجيز لهن ما أجيز لتلك السيدات، فما الذي تأخذه كل منهن على اعتبار أنه جدير بالإنقاذ؟ وقد أجبن إجابات طريفة عن سؤالي أبهجتنا حتى وقت النوم. وقد ملأت هذه الإجابات رأسي بالأفكار المشوشة فحلمت بعد أن نمت الحلم التالي.

رأيت مدينة في هذه الجزيرة — ليس لها اسم — محاصرة من كل الجهات وقد أجبر ساكنوها وضويقوا حتى ضجوا يطلبون لهم ملجأ يحميهم. وقد رفض القائد أي حل سوى تلك المنحة التي ذكرناها في حكاية هنسبورغ أي أن كل سيدة لها الحق أن تخرج آخذة معها ما تراه يستحق الإنقاذ.

وعلى حين غرة فتح الباب فظهر صف طويل من السيدات تتبع إحداهن الأخرى يتمايلن تحت أحمالهن. وقد أخذت مكاني على مرتفع في مخيم العدو في المكان الذي عينه القائد لمقابلة النسوة للنظر فيما يحملن. وكنت شديد الرغبة في رؤية هذه الأحمال.

كانت أولاهن تحمل كيساً على كتفيها، فقد جلست لفتحه بكل عناية، وبينما كنت أنتظر أن أرى زوجها خارجاً منه، وجدته مملوءاً بالأواني الصينية. وبدت الأخرى بقوامها تحمل شاباً جميلاً على ظهرها وقد أكبرت هذه الصبية لحبها زوجها، ولكن دهشتي كانت بالغة أقصاها عندما اتضح أنها تركت زوجها المسكين في البيت وحملت صاحبها. وأقبلت الثالثة من بعد بوجهها الجاف، فنظرت إلى حملها الذي لم أشك في أنه زوجها، ولكن بعد أن أزلته عن كتفيها سمعتها تناديه بعزيزي بك فإذا به كلبها المدلل، إذ يبدو أن زوجها كان في غاية الضخامة فرأت في جلب هذا الكيوبيد الصغير تجنباً لكثير من المزعجات. وكانت التالية زوجة رجل فاحش الغنى، وقد حملت معها حقيبة مملوءة بالذهب،

ثورة الطبيعة وثورة المجتمع

للدكتور محمد يحيى الهاشمي

كم من تشابه بين حوادث الطبيعة وحوادث المجتمع ! وهل المجتمع إلا جزء من عالم الطبيعة وخلية من الخليات المتعددة التي تشكل هـــذا العالم الـكبير الواضح بمظاهره والخفي بأسراره ومعمياته ؟ وكما يســود التطور في نظام الطبيعة على اختلاف أشكالها وتباين أنواعها ، يسود في نظام المجتمع والهيئات البشرية هـذا القانون . هكذا نجد انتقالا وتصعداً في سلم الرقي خطوة فخطوة ودرجة فدرجة . أما الطريق ففي العالمين بعيد ، وليس من هدف ولا غاية ، وما المكان الذي نظنه بنهاية المطاف ماهو في الحقيقة إلا مرحلة انتقالية إلى مرحلة أخرى . الطبيعـة تمشي والمجتمع يسير ، لا يعرفان الوقوف ولا السكون ولا الراحة ولا الاستقرار ، وما الاستقرار الظاهري إلا دور يهيئ إلى دور آخر ؛ فكل ما يقع عليه بصرنا أو تدركه بصيرتنا ، يسطو عليه دوما ناموس الجريان والتغير الدائم .

إن هذه التغيرات لبطيئة جداً تدق حتى عن فهم الذكي ، ولـكن لدى النظرة العميقة وتتبع الحوادث الطويلة نجد كل ما على سطح الأرض تابعاً للتغير والتبدل ، فلا شيء يبقى على حاله الأصلي فالجبال التي يضرب بها المثل في الثبوت لا تبقى مكانها ، بل بتعاقب الأحقاب الطويلة تتزلزل وتصبح سهولا وترتفع السهول فتصير وهاداً فنجاداً فهضاباً إلى أن تكون جبالا شاهقة تتخللها الوديان السحيقة ، وكثيراً ما تجف بعض المناطق البحرية ، فتصبح براً والبر يتحول إلى بحر ، وهكذا فإن التبدلات الجزئية التي تظهر للناظر السطحي كشيء تافه لا قيمة له ، تـكون بتعاقب ملايين السنين انقلاباً خطيراً يدهش الأنظار ، ويكاد لا يصدق الانسان ما كانت عليه بعض المرتفعات الشاهقة في الماضي لولا الحيوانات البحرية التي بادت وتركت معالمها بين طيات الأحجار .

قياسا على ماييننا فإن الأمم تتغير وتتبدل ، وبتأثير الأفـكار الهادئة الرزينة تنتقـل من طور إلى طور وذلك بتعاقب الأجيال

وأخبرتنا أن زوجهـا قد بلغ من العمر أرذله ، وبحسب قانون الطبيعة لن يعيش طويلاً ، ولتربه عظم حبها له أنفقت ما يحبه المسكين أكثر من حياته . وكانت الأخرى تحمل ابنها على ظهرها، وقيل لنا إنه من أعظم الفجار الأشرار في المدينة ، ولـكن على مثل هذا الحنان جبلت الأمهات الرقيقات ، فقد تركت خلفها أسرة عامرة بالأمل ومؤلفة من زوج وبنين وبنات لأجل هذا المخلوق الشرير .

ولو تركت لقلمي العنان أن يسجل ما رأيت في هـذا الحلم الغريب لما انتهيت من السرد والوصف ، فقد امتلأ المكان حولي برزم مربوطـة وحرائر مشجرة ومطرزات وعشرة آلاف من مواد أخرى كافية لأن تملأ شارعاً بمخازن مملوءة بالدمى . وأقبلت إحدى السيدات تحمل زوجها الذي لم يكن ثقيلا وتحمل في الوقت نفسه علاوة على ذلك ربطة كبيرة من الأشرطة الحريرية الهولندية ، وعندما ضاقت بحملها ووجـدت أنها لا تستطيع الاحتفاظ بكليهما أسقطت بعلها الصالح وحملت الأشرطة وتابعت سيرها . وبالاختصار لم أجد سوى زوج واحد مع هذه الأمتعة وكان إسكافياً نشيطاً . لقد كان يرفس ويهمز رجليه وهو محمول على أكتاف زوجته ، وقيل لي بعدئذ إن يوماً من أيام حياتها لم يمر دون أن يعاقبها بالضرب الشديد .

ولن أستطيع إتمام هذه الرسالة يا صديقي المحرر من غير أن أخبرك عن خاطر عجيب مربي في رؤياي . فقد رأيت كما خيل إلي عشرات النساء متهمكات في سحب رجـل واحد لم أتبينه أول وهلة حتى اقترب مني وبانت ملامحه فإذا به أنت . وقد صرحن أن ذلك لأجل انتاجك الأدبي ، وليس لشخصك ، على شرط أن تستمر في تحرير السبكتاتور . فإذا وجدت في هذا الحلم ما يلائمك فهو تحت تصرفك يا عزيزي المحرر ، وأنا صديقك في النوم واليقظة .

ويل هوني كومب

سيري السيدات كما خبرتهن كثيراً ، أن (ويل) رجل من الطراز القديم في التهكم والمجون في المدينة ، وهو هنا يظهر مواهبه بالتهكم على الزواج كرجل جرب حظه مراراً عديدة في هذا المضمار وخاب . وعلى كل حال لم أستطع إهمال رسالته لأن القصة الحقيقية التي بنى عليها رسالته مما يرفع رأس المرأة عالياً ، وأنه في سبيل إيذائهن قد جنح به المنطق إلى الرؤى والخيال .

(بغداد) **ماهرة النقشبندي**

والعصور ، ولولا مادونه لنا التاريخ فى قرون مضت ، أو بعض الآثار الباقية عن الأمم الخالية ، لما عرفنا ما كانت عليه الشعوب والحضارات الماضية .

نعم إن بعض الأمم قد تدنت عما كانت عليه من قبل ، كاليونان الذين كانوا يحملون مشعل العلم والفن ، أو كالرومان الذين شيدوا الممالك وأوجدوا التشاريع ، أو كالأمة العربية التى أخذت عن الأمم السالفة ما أخذت وأبدعت من ذاتها ما أبدعت وساهمت فى تشييد صرح المدنية الحاضرة ، ولكننا إذا اعتبرنا البشرية بأجمعها أسرة واحدة ورثت كل أمة عن الأخرى ماورثت فعند ذلك نميل إلى الإعتقاد بالتقدم الدائم والتطور المستمر .

هذا التطور البطئ هو من سنة الكون ، ولكن بجانب ذلك نشاهد فى عالم الطبيعة وعالم المجتمع من انقلاب فجائى واندفاع آنى يدك الأرض دكا ويغير معالمها . إن هذه الغضبة تغضبها الطبيعة فى انفجار البركان وفى الزلزال الأرضى يذهب ضحيتها فى كثير من الأحيان كثير من الكائنات الحية . وفى عالم الاجتماع نشاهدذلك أيضاً فى الانقلابات الاجتماعية التى تكون عندالاختراعات العظيمة أو عند اليقظة الفكرية . ولعل حاجتنا فى هذا العصر الذى قطعت فيه أوروبا فى سبيل الرقى والتقدم ما قطعت من الخطوات الواسعة ، إلى انقلاب فى جميع طرز حياتنا لأعظم من أى عصر ، لأن بلاد الغرب قطعت تلك المراحل فى قرون عديدة .

أما نحن ، فان حاجتنا أن نأخذ النتائج كما هى ، ومن بعد ذلك نسمى فى الإبداع وإظهار قابليتنا . فإذا أردنا أن ننتظر الزمن وتبدلاته البطيئة فلن نلحق بركاب الغرب . عند ذلك نبقى متأخرين عن الأمم الراقية أبد الآبدين . فالأرض تثور لتخرج ما فى جوفها من لظى مستعر ، والمجتمع يثور ليطلق ما فى قلبه من نار متأججة مبدلا بها معالم حياته . وكم من تشابه بين الطبيعة والمجتمع . تندفع المياه إلى النيران المستعرة فى جوف الأرض فتتشكل الأبخرة وتتراكم إلى أن تنطلق بقوة وعنف ، وكذلك تتجمع الأفكار فى الأدمغة إلى أن تنطلق بقوة فعالة فتدك المعالم القديمة لتبنى فوق أنقاضها عالما جديداً على أساس عميق . وما أعمق غور الإنسان ، وما أشد حاجته إلى أن يبنى بناء المجد الشامخ على أساس ثابت ! وكلما سمت الشجرة فى السماء تحتاج إلى جذر عميق فى الأرض، منبعث عن توق للتجدد واشتياق كامن فى النفوس إلى الحياة . ولا يعد من أبنائها إلا من تاق لها وقدرقيمها . أما من لم يتق إلا للفناء ففى قرارة نفسه على رأى بعض الأدباء المعاصرين فراغ رهيب وصدى فناء صارخ بصوت القبور ، ونشاط أجوف يبتلع القيم ، ناقم على الوجود . ويقاس الناس فى عمل كل إصلاح بالنسبة إلى إيجابيتهم وأهليتهم للبناء ومساهمتهم فى الفوضى . المدمرون كثيرون وأما البناؤون فقلائل . ودعاة الفوضى لا يحصى لهم عدد ؛ أما الإيجابى فطريقه طريق الحياة ولو جاءت الحياة من طريق التدمير .

فى النهضة المنبعثة عن الحياة النابضة انطلاق وثاب ونفس ضاقت بما فيها فانفجرت فى قوة مكتسحة بناءة تتجه نحو الخير والجمال ، وتدوس فى سبيل بلوغها بقايا الفساد القائمة . شتان بين من يهدم ليهدم وبين من يهدم ليبنى ، ففى أحشاء الأول فناء وفى أحشاء الثانى حياة وارتقاء . يثور الأول ليحطم ، فلن يلبث أن يبتلع نفسه . أما الساعى للبناء ففى أحشائه امتلاء دفاق ، فيعطى عطاء سخياً ، ولا تكون الحياة إلا حيث يكون العطاء .

فى انطلاق البراكين مواد هامة لبناء القشرة الأرضية ، حتى أن دورة الماء لا تقف عند سطح الأرض ، بل ثبت أن الحياة الإندفاعية الباطنية لتشترك فى الدورة المائية ، وفى الأحقاب التى كان فيها اندفاع البراكين على أشده كانت المياه أشد غزارة . فى اندفاع الينابيع الفوارة إرتواء للأرض وللكائنات الحية على سطحها ، وفى الفيضانات الطاغية سماد لها لتزداد قوة الانبات فيها ، رغم ماتجره تلك السيول الطاغية على الحقول والبساتين والمنازل من الأضرار والتخريب . حتى أن فى الزلازل المخيفة فائدة فى تكييف شكل الأرض .

إن فى النهضات الإجتماعية أيضاً والثورات الفكرية أضراراً جزئية لا يخلو منها انقلاب من الانقلابات ، ولكن الحوادث تتراءى لنا عكرة إذا نظرنا إليها بمنظار أنانيتنا ، أما إذا نظرنا إليها بمنظار المصلحة العامة والخير الشامل ، عند ذلك يتلاشى من نفوسنا حب الذات والأثرة وندرك أموراً خافية عنا .

قد يكون فى النور الشديد الظل المديد ، وجذر الانقلاب العميق هو فى النفس ، وإن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ماباًنفسهم .

(بغداد) محمد يحيى الهاشمى

شياطين الشـــعراء (*)

للأستاذ أحمد محمد الحوفي

عبقر — شيطانا الشعر — شياطين بعض الشعراء — شياطين شعراء الإفرنج — العقل الباطن .

— ١ —

الشعر وحى وفيض وإلهام ، وهو إذا ما صدر عن عاطفة مشبوبة صادقة ، فنلا أثر للارادة فيه ، أو أثرها فيه أضعف من تأثير التلق والطواعية والاستمداد من أغوار النفس واللاشعور .

وقد نسب العرب كل أمر عجيب إلى الجن ، وتخيلوا أن عبقر واديهم ومقامهم ، وقالوا فى الأمر العظيم عبقرى ، فلا عجب أن يصلوا الشعر بالجن ، ولا عجب أن يتخيلوا أن لكل شاعر شيطاناً يلهمه القريض . ولكن للشعر شيطانين : أحدهما مجيد واسمه الهوبر ، والآخر مفسد واسمه الهوجل ، وكانت عقيدتهم هذه معلومة فى العصر الإسلامى ، فقد روى أن رجلاً من تميم أتى الفرزدق وقال له : إنى قد قلت شعراً فاسمعه قال : أنشدنى فقال:

ومنهم عمر المحمود نائله   كأنما رأسه طين الخواتيم

فضحك الفرزدق ، ثم قال : يا ابن أخى إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل ، فمن انفرد به الهوبر فسد شعره ، وقد اجتمعا لك فى هذا البيت ، فكان معك الهوبر فى أوله فأجدت ، وخالطك الهوجل فى آخره فأفسدت [1] .

وقد سموا الشعر رقى الشياطين ، قال جرير :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه   وقد كان شيطانى من الجن راقياً

وقال آخر :

ماذا يُظن بسلمى إذ يُلمُّ بها   مُرَجَّل الرأس ذو بُرْدَين وضَّاح

خزٌ عمامته حلوٌ فكاهته   فى كفه من رقى الشيطان مفتاح

وصرح كثير منهم فى العصر الجاهلى وفيما بعده بأن شياطينهم تلهمهم أفانين القول ، قال الراجز :

إنى وإن كنت صغير السن   وكان فى العين نبوٌّ عنى

فإن شيطانى أمير الجن   يذهب بى فى الشعر كل فن [1]

وقال حسان فى جاهليته يعزو إلى شيطانه أنه قائل بعض شعره:

إذا ما ترعرع فينا الغلام   فما إن يُقال له : من هوه ؟

إذا لم يسد قبل شد الإزار   فذلك فينا الذى لا هوه

ولى صاحب من بنى الشيصبان   فطوْراً أقول ، وطوراً هوه

وقال جرير :

إنى ليُلْقى علىَّ الشعر مكتهل من الشياطين

— ٢ —

ولم يكتفوا بنسبة شعرهم إلى الشياطين ، بل سموْها ، فكان لكل شاعر شيطانه المسمى . فشيطان الأعشى مسحل ، وشيطان فرو بن قطن جهنام ، قال الأعشى :

دعوت خليلى مسحلاً ودعوا له   جهنام . بعداً للغوى المذمم [2]

وشيطان المخبل السعدى عمرو ، قال الشاعر الإسلامى :

لقد كان جنىُّ الفرزدق قدوة   ولا كان فينا مثل فحل المخبل

ولا فى القوافى مثل عمرو وشيخه   ولا بعد عمرو شاعرٌ مثل مسحل

وشيطان عبيد بن الأبرص هبيد ، وهو نفسه شيطان بشر بن أبى خازم وينسبون إليه :

أنا ابن الصلادم أدعى الهبيد   حبوت القوافى قَرْمى أسد

عبيداً حبوت بمأثورة   وأنطقت بشرا على غير كد

ولاقى بمدرك رهط الكميت   ملاذا عزيزاً ومجداً وجد

منحناهم الشعر عن قدرة   فهل تشكر اليوم هذا معد ؟ [3]

وسأله الراوى : أما عن نفسك فقد أخبرتنى ، فأخبرنى عن مدرك ، فقال : هو مدرك بن واغم صاحب الكميت ، وهو ابن عمى .

وقالوا إن شيطان امرىء القيس لافظ بن لاحظ ، وشيطان زياد الذبيانى هاذر [4] ونسبوا إلى أبى نواس أنه كان يستعين بإبليس فى نظم الشعر ، ورووا له أبياتاً منها :

دعوت إبليس ثم قلت له   فى خلوة والدموع تنحدر :

(*) من كتاب « الحياة العربية من الشعر الجاهلى » الذى يظهر فى هذا الأسبوع .

(١) جمهرة أشعار العرب ٣٠

(١) رسائل أبى العلاء ١٠٥ (٢) رسائل أبى العلاء — ١٠٥

(٣) جمهرة أشعار العرب ٢٣ . (٤) الجمهرة ٢٣ .

أما ترى كيف قد بليت ، وقد قرح جفنى البكاء والسهر ؟
إن أنت لم تلق لى المودة فى صدر حبيبى وأنت مقتدر
لا قلت شعراً ولا سمعت غنا ولا جرى فى مفاصلى السكر
فما مضت بعد ذاك ثالثة حتى أتانى الحبيب يعتذر[(١)]

ولم يقتصروا على نسبة الشعر للشياطين ، بل نسبوا إليهم الغناء أيضاً فى العصر الإسلامى ، وقالوا إن الغريض كان يتلقى غناءه عن الجن ، وأن سماره سمعوا وهو يغنيهم ذات ليلة عزيفاً عجيباً ، وأصواتاً مختلفة أفزعتهم ، فقال لهم . إن فيها صوتاً إذا نام سمعه ، ويصيح فيبنى عليه غناءه ، فأصغوا إليه فإذا نغمته نغمة الغريض فصدقوه[(٢)] .

ولم يقنع أبو النجم أن يكون شيطانه كشياطين الشعراء ، فادعى أن شيطانه ذكر وشياطينهم إناث ؛ لأن الذكور أقوى من الإناث وأقدر :

وإنى — وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى — وشيطانى ذكر

وروى بعضهم بيت عمرو بن كلثوم فى معلقته هكذا :

وقد هرت كلاب الجن منا وشذبنا قتادة من يلينا[(٣)]

وقال إن الشعراء كانوا يسمون كلاب الجن ، فالمعنى أننا لبسنا الأسلحة فشرع الشعراء يذكروننا .

— ٣ —

ولهم مع شياطين الشعراء أقاصيص ومساجلات ؛ ومحاكات منثورة فى كتب الأدب ، نذكر بعضها للتمثيل :

قال جرير بن عبد الله البجلى[(٤)] : « سافرت فى الجاهلية فأقبلت على بعيرى ليلة أريد أن أسقيه ، فأبى أن يتقدم ، فدنوت من الماء وعقلته ، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوهون عنده ، فقعدت ثم أتاهم رجل أشد تشويهاً منهم ، فقالوا هذا شاعرهم ، وطلبوا منه أن ينشدنى ، فأنشد :

« ودع هريرة إن الركب مرتحل » البيت

فلا والله ما خرم منها بيتاً واحداً ، حتى انتهى إلى هذا البيت :

تسمع للحَلى وسواساً إذا انصرفت
كما استعان بريح عشرقٌ زجل[(١)]

فأعجبه ، فقلت له : من يقول هذه القصيدة ؟ قال: أنا ، قلت : لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بنى ثعلبة أنشدنيها عاما أول بنجران. قال : فإنك صادق ، أنا الذى ألقيتها على لسانه ، وأنا مسحل صاحبه ، ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون بن قيس »

وقد لاقى الأعشى هاجسه مسحلا وسمع منه[(٢)] ، وقد اعترف فى شعره أن مِسحلا يوحى إليه ، بل إنه مصدر وحيه ولولاه ماشعر:

وما كنت شاحوذاً ولكن حسبتنى
إذا مسحل يسدى لى القول أعلق

شريكان فيما بيننا من هوادة صفيان : إنسىٌ وجنٌ مُوفق
يقول فلا أعيا بقول يقوله كفانى لا عَىّ ولا هو أخرق[(٣)]

وحاور عبيد بن الُحارس جِنّيًا[(٤)] بالشعر .

وذكر أبو العلاء أن أبا بكر بن دريد قص على أصحابه أنه رأى فيما يرى النائم أن قائلا يقول : لم لا تقول فى الخمر شيئاً ؟ فقال : وهل ترك أبو نواس مقالاً ؟ فقال له : أنت أشعر منه حيث تقول :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا
عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

فقال له أبو بكر : من أنت؟ فقال : أنا شيطانك ، وسأله عن اسمه فقال : أبو زاجية ، وخبره أنه يسكن بالموصل[(٥)] .

— ٤ —

وإذا كان العرب قد عزوا شعرهم إلى الجن وتخيلوا أنها تلهمهم ونسبوا كل أمر عظيم إلى عبقر فإن الفرنجة يشبهونهم فى كثير من تخيلهم .

يعبر الإنجليز عن العبقرية بكلمة genius ومصدرها الذى

---

(١) عصر المأمون ٣ — ٢٣٣ .
(٢) الأغانى ٢ — ٣٧٣ الدار .
(٣) آكام المرجان .
(٤) الأغانى ٩ — ١٥٦

(١) العشرق : شجيرة فى أكمامها حب صغير إذا جفت فرت بها الموج سمعت لحبها خشخشة .
(٢) خزانة الأدب ٣ — ٥٤٩
(٣) جمهرة أشعار العرب ٣٠
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٤ — ٤٤٨
(٥) رسائل أبى العلاء ١٠٦

اشتقت منه كلمة genii ومعناها جن ، فبين العبقرية والجن علاقة فى اللغة الإنجليزية كالعلاقة التى بين عبقر والعبقرية فى اللغة العربية ، وقيل إن أصل الكلمة لاتينى يدل على معنيين متقابلين : ملك رجيم وشيطان رجيم ، يولد الواحد منهما أو يولدان معاً بمولد الشاعر ، ويقصون عن بعض شعرائهم قصصاً تشبه شبهاً قوياً ما روى عن شياطين شعراء العرب ، فمثلاً بدا الشاعر « كولردج » قصيدته « كوبلاخان » وأتمها لما جنى والشاعر نائم ، واستيقظ الشاعر « ماسفيلد » من نومه لينقل عن جنى قصيدته « المرأة تتكلم » وأغرب من هذين ما يرويه « وليم بلاك » عن نفسه إذ يزعم أنه مسكون ، وأن ساكنيه ملائكة وشياطين تطارده نهاراً ، وتوقظه ليلا ، لتوحى إليه بما ينظم وحياً لا يستطيع أن يصده ، ولا قدرة له على تنضج ماتوحى به

ويقول « ريلكة » إنه ظل أسير الأرواح ثلاثة أيام لم ينقطع فيها نظمه ، وأخرج ديواناً من دواوينه الروائع ، وأعجبه ، وألح الجن أن ينشره ، فرضى على شريطة أن يكون النشر بعد وفاته حتى لا يتحمل تبعة شعر أملاه عليه جنى جالس قبالته[1] .

— ٥ —

ولكن علم النفس يعزو هذا كله إلى العقل الباطن ، وقد كشفت الدراسات التى قام بها علماء التحليل النفسى عن كثير من عمل العقل عند الفنان ، وانتهوا إلى أن الانتاج الفنى يصدر غالباً عن العقل الباطن كأنه حلم يقظة .

ويروى استيفنسن ، كيف بدأ هو نفسه يكتب قصته الفنية البديعة (دكتور جيكل ومستر هيد) فيقول : « إن العمل الحقيقى يقوم به مساعد غير منظور ، أبقيه أنا داخل حجرة عليا مغلقة ... يقوم به أولئك الناس الصغار — فى الدماغ — الذين ينجزون لى نصف عملى وأنا مستغرق فى نومى وربما أنجزوا النصف الباقى وأنا مستيقظ تمام اليقظة حيث أظن أنى أنا القائم بالعمل ، وكثيراً ما يعلن لى أن أعتبر نفسى غير فنان ، بل مخلوقاً شأنه شأن بائع الجبن أو الجبن نفسه »

وهذا التصور المستملح تؤيده إشارات من كتاب آخرين ، فهذا فولتير — وقد جلس مرة فى إحدى مقاصير المسرح يشهد تمثيل رواية من رواياته — يصيح متعجباً . أحقاً أنا الذى كتب ذلك ؟

وجورج إليوت — ولم تكن تعتقد فى قوى نفسية غير طبيعية — تصرح أنها قد خيل إليها وهى تكتب Abenapede أن عقلا آخر قد استحوذ على قلمها وسيّره ، ويقول جوته إنه كتب أحسن رواية له وهو فى غيبوبة حالة يشبهها بحالة النائم الماشى . وكثير من الأدباء الأحياء صرحوا بهذا ، فمثلا بروفسور هوسمان يقول فى طريقة إنتاج قصائده : أنا أظن أن إنتاج الشعر ليس عملية فاعلة actiue قدر ما هى قابلة hosriue وغير اختيارية

— ٦ —

التحليل النفسى يعزو إلى العقل الباطن الإنتاج الأدبى الرفيع وقد عبر الشعراء من العرب والإفرنج عن هذا العقل بأنه قوى خفية تلهم ، وسموها شياطين .

وإذا كان الشعر يحلق بجناحين من الخيال فقد حق للشعراء أن ينطلقوا مع خيالهم فينسبوا شعرهم إلى قوى وراء حسهم ، وتصورهم هذه القوى شياطين ألصق بالخيال وأدنى إلى الشعر من التحليل النفسى الذى يرجع الإنتاج الأدبى إلى العقل الباطن للشاعر ، أى إلى الشاعر نفسه .

لست بهذا أهيم مع الشعراء وأجحد حقائق العلم ، وإنما أقرر أن الشعراء كانوا موفقين فى تخيلهم وفى دعواهم أن شياطينهم تلهمهم أو تملى عليهم ...

أحمد محمد الحوفى

المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

(١) الأدب المقارن لنجيب العقيقى ص ٤٠

رائيـــة أبي فراس
في الشعر المعاصر

للأستـاذ أحمد أحمد بدوي

لم تظفر قصيدة فى شعر أبى فراس من الشهرة بما ظفرت به قصيدته الرائية التى بدأها بقوله :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر

فهي أكثر قصائده دوراناً على الألسنة ، وقد أغرت بعض الأدباء بتشطيرها حيناً ، وتخميسها حيناً آخر ، ومعارضتها مرة أخرى .

وممن شطر هذه القصيدة الأستاذ الكنانى الأبيارى (سنة ٩٨٦هـ) ، وليس فى تشطيره من جديد سوى زيادة عدد الأبيات ، وكان عمل المشطر أن كرر المعنى ، أو فصله بعض التفصيل ، وهاك نموذجاً لما فعل :

قال أبو فراس :

ولا خير فى دفع الردى بمذلة كما ردها يوماً بسوأته عمرو

فشطره الكنانى بقوله :

ولا خير فى دفع الردى بمذلة إذا لم يكن عز فإن الردى خير
ومن يرتضى رد الردى بمرة كما ردها يوماً بسوأته عمرو

وعلى هذا النسق يسير ، لا يأتى بمعنى جديد ، ولا يكمل معنى جاء به الشاعر الأول . ولا ريب أن ما جاء به الكنانى شديد الضعف بموازنته بما جاء به أبو فراس . ثم عاد الكنانى ، فشرح الأصل والتشطير ، يشرح الكلمات اللغوية أولاً ، ثم يعود إلى الشرح الإجمالى ، وسمى عمله « إيناس الجلاس ، بتشطير وشرح قصيدة أبى فراس » .

وخمس هذه الرائية الجنبيهى ، المعاصر للكنانى ، وهذا التخميس أقل قوة من تشطير معاصره ، وقد أضعف القصيدة ، وأنهك معناها ، وكثيراً ما كان يتلمس الوصول إلى البيت بمعان ليست فى الصميم ، كما ترى فى تخميس بيتى أبى فراس :

وإنى لنزال بكل مخوفـــة كثير إلى نزالها النظر الشزر
وإنى لجرار لكل كتيبـة معودة ألا يخل بهـا النصر

خمسهما الجنبيهى بقوله :

وليس لها ما بين لين وعطفة وبين الجفا والصد أدنى مسافة
لذا صرت منها فى ارتعاد ورجفة وإنى لنزال بكل مخوفـــة
كثير إلى نزالهـــا النظر الشزر
فيا سعد مهلاً ، ليس نأبى لوحشة من الأهل ، لا بل مزعجات محبة
وإنى من قوم كرام أعزة وإنى لجرار لكل كتيبـة
معـودة ألا يخل بهـــا النصر

فأنت ترى ضعف التأليف ، وكيف كان الشاعر يلتمس المعانى التى تصل به إلى البيت لأدنى ملابسة ، وكيف إن الجمع بين الغزل والفخر أضعف كليهما ، ولكنك تحس بقوة القصيدة منفردة عن التشطير والتخميس .

وعارض البارودى وهو فى المنفى ، تلك القصيدة الرائية التى أنشأها أبو فراس وهو فى الأسر ، وافتخر الشاعران فى القصيدتين ، وبدآهما بالغزل .

كانت طبيعة الغزل فى القصيدتين مستمدة من موقف الشاعرين ، فاقتبس الحديث عن الحب من ذلك الموقف مشاعره وإحساساته . أما أبو فراس فقد أنشأ قصيدته فى أيام أسره الأولى ، عندما كان الأمل يملأ قلبه فى أن ابن عمه سيسرع إلى فدائه ، وهو من أجل ذلك يبدى الجلد والصبر ، وإن كان لا يستطيع بينه وبين نفسه أن يخفى اللوعة والأسى ، فهو أمام الناس جلد صبور ، حتى إذا جن الليل وانفرد ، بكى ما شاء له البكاء .

هذا الخاطر الذى كان يملأ نفسه ، هو الذى أوحى إليه بهذا الشعور عندما تحدث عن الحب فقال :

أراك عصى الدمع ، شيمتك الصـبر
أما للهوى نهى عليــك ولا أمر
بلى ، أنا مشتاق ، وعندى لوعة ولكن مثلى لا يذاع له سر
إذا الليـل أضوانى بسطت يد الهوى
وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر
تكاد تضئ النار بين جوانحى إذا هى أذكتها الصبابة والفكر

وتستطيع أن ترى أثر موقفه فى مبدأ الأمر جلياً فى غزل هذه القصيدة ، وأكاد ألمس فيها نوعاً من الرمز والإيماء ، وبهذا

نستطيع أن نفهم كيف إنها علّلته بالوصل حيناً إذ يقول :

معلّلتي بالوصل ، والموت دونه — إذا مت ظمآناً ، فلا نزل القطر

وكيف إنها تجاهلته حيناً آخر :

تسائلني من أنت ؟ وهي عليمة — وهل بفتى مثلي على حاله نكر

فقلت، كما شاءت وشاء لها الهوى — قتيلك، قالت أيهم ؟ فهمو كثر

فقلت لها : لو شئت لم تتعنّتي — ولم تسألي عني ، وعندك بي خبر

فقالت : لقد أزرى بك الدهر بعدنا — فقلت : معاذ الله ، بل أنت لا الدهر

وما كان للأحزان لولاك مسلك — إلى القلب،لكن الهوى للبلا جسر

وينتقل أبو فراس بعدئذ انتقالاً طبيعياً إلى الفخر بنفسه إذ يقول :

فلا تنكريني يا ابنة العم ، إنه — ليعرف من أنكرته البدو والحضر

ولا تنكريني ، إنني غير منكر — إذا زلت الأقدام واستنزل النصر

وهنا وجد المجال فسيحاً للحديث عن خصاله الحربية ، ومزاياه ؛ فتحدث عن أنه ميمون الطالع ، قائد مظفر ، لا يخشى المعارك المخوفة ، بل يخوض غمارها ، حتى ترتوي البيض ، وتشبع الذئاب والنسور ، لا يغتال عدوه ، ولا يفجؤه ، بل يرسل إليه النذر تخيفه وتحذره ، ثم يصور لك إقدامه في صورة بارعة إذ يقول :

ويا رب دار لم تخفني منيعة — طلعت عليها بالردى أنا والفجر

فهذا حصن منيع قد وثق بنفسه ، ولكن لم يلبث الفجر أن قاد إليه الهلاك عندما صمد إليه أبو فراس يحمل له الردى . وتحدث الشاعر عن احترامه المرأة ، حتى لا تستطيع شجاعته إلا أن تلق بسلاحها أمامها ، فيعفو عن قومها ويرد إليهم أسلابهم . ثم هو رجل لا يطغيه الغنى ، ولا يثنيه الفقر عن الكرم ، وهو في كل هذا الحديث قوي يشيع في أبياته روح الأمل .

وانتقل بعدئذ إلى حديث أسره ، فلم ينسبه إلى ضعف بدر منه ، بل قضاء غلاب ، لا يستطيع امرؤ أن يفلت منه :

أسرت ، وما صحبي بعزل لدى الوغى — ولا فرسي مهر ، ولا ربه غمر

ولكن إذا حم القضاء على امرىء — فليس له برّ يقيه ولا بحر

وقال أصيحابي : « الفرار أو الردى » — فقلت : هما أمران ، أحلاهما مر

ولكنني أمضي لما لا يعيبني — وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

ولعل أبا فراس صغّر الأصحاب هنا تقليلاً لعددهم ، وتحقيراً لشأنهم .

كان الأمل يملأ شعره في هذه القصيدة ، ولهذا رأيناه يستقبل الأسر بصدر رحب ، لإيمانه بأن قومه لابد ذاكروه وفادوه ، فليس عندهم من يملأ مكانه إذا غاب :

سيذكرني قومي إذا جدّ جدهم — [وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر]

ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به — وما كان يغلو التبر لو نفق الصفر

ويختم أبو فراس قصيدته مفتخراً بقومه الذين يحتلون في قومهم مركز الصدارة ، ولا يقبلون دونه مكاناً ، في سبيلة تهون نفوسهم ، ويشتد شعور أبي فراس بهم وبعزتهم فيقول :

أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلا — وأكرم من فوق التراب ولا فخر

أما البارودي فقد كان غزله كذلك مستمداً من موقفه ، فإذا كان أبو فراس مؤملا يخفي آلامه ، فإن البارودي — وقد جفت آماله — لا يجد بداً من أن يتحدث ببعض ما يشعر به من أسى وحزن ، وإن كان يخفي في قلبه من اللوعة أكثر مما يبين ، فتلون غزله بهذا اللون ، فرأيناه يبوح بالحب لا ينهاه عن ذلك زجر ولا عتاب ، وهو يرى الحب ، وربما كان يرمز به إلى مصيره — أمراً مقدوراً ، ليس لامرىء فيه من نهي ولا أمر ، وإنه ليقاسي من هذا الحب أعنف ما يقاسيه إنسان ، ومع هذا لا يبدي كل ما يحمله صدره من الوجد ، ولا يترك دموعه تهمي ، لاصبراً في انتظار تحقيق أمل ، ولكن حياء وكبراً ، واستمع إليه يقول :

طربت وعادتني المخيلة والسكر — وأصبحت لا يلوي بشيمتي الزجر

كأني مخمور سرت بلسانه — معتقة ، مما يضن بها التجر

سريع هوى يلوي بي الشوق كلما — تلألأ برق أو سرت ديم غزر

إذا مال ميزان النهار رأيتني — على حسرات ، لا يقاومها صبر

يقول أناس : إنه السحر ضلة — وما هي إلا نظرة دونها السحر

فكيف يعيب الناس أمري ، وليس لي — ولا لامرىء في الحب نهي ولا أمر

ولو كان مما يستطاع دفاعه — لألوت به البيض المباتير والسمر

ولكنه الحب الذي لو تعلقت — شرارته بالجمر لاحترق الجمر

على أننى كانت صدرى حرقة   من الوجد لا يقوى على حملها صدر
وكفكفت دمعـــا لو أسلت شئونه
على الأرض ما شك امرؤ أنه البحر
حياء وكبراً أن يقال: ترجحت   به صبوة أوفل من غربه الهجر

فأنت ترى الغزل مستمداً من حاله ، ولو أنك جعلت ما يهواه وطنه ، وأدرت عليه الحديث لم تبعد .

لم يطل البارودى بعدئذ فى الحديث عن نفسه كما فعل أبو فراس، بل اكتفى ببيت واحد يحمل خيبة الآمال ، إذ قال :

وإنى امرؤ لولا العوائق أذعنت   لسلطانه البدو المغيرة والحضر

وكان المجال أمامه فسيحاً لتمداد مواقفه فى الحرب والسياسة ، ولكن يبدو أن يأسه ساعتئذ قد تغلب عليه ، فصرفه عن الحديث ماض لا سبيل إلى استئنافه ، على عكس أبى فراس ، القوى الأمل فى أن يعود — كما كان — البطل المفدى . وكان المجال فسيحاً كذلك أمام البارودى للحديث عن نفيه ، والدفاع عن نفسه ، كما تحدث أبو فراس عن أسره ، ولكنه لم يفعل ، ولعله اكتفى فى ذلك بما تحدث به فى قصائد أخرى كثيرة .

أما الذى أطال الحديث فيه حتى استغرق معظم قصيدته على عكس أبى فراس ، فحديثه عن آبائه . وقد ذكروا أنه ينحدر من المماليك الشركية ، فاتخذ من ذكراهم وسيلة يشبع بها عاطفته فى الفخر ، ويسلى نفسه بمصايرهم ، وسجل لهؤلاء الأسلاف شجاعتهم وكرمهم ، وهنا يستعير خيالاً بدوياً إذ يقول :

لهم عمد مرفوعة ، ومعاقل   وألوية حمر ، وأفنيـة خضر
ونار لها فى كل شرق ومغرب   لمدرع الظلماء ألســـنة حمر
تمـــديداً نحو السماء خضيبة   تصافحها الشعرى ويلثمها الغفر

وختم قصيدته ختاماً يائساً حزيناً ، رثى فيه قومه وقد مضوا ، وسوف يمضى على أثرهم :

لعمرك ما حى وإن طال سيره   يعد طليقـــاً والمنون له أسر
وما هـــذه الأيام إلا منازل   يحل بها سفر ، ويتركها سفر
فلا تحســبن المرء فيهـا بخالد   ولـكنه يسـعى ، وغايته العمر

أما أبو فراس فقد ختم قصيدته مالئاً شدقيه من الفخر بقومه الذين كانوا يومئذ قابضين على الملك والسلطان .

هذا ، وقد ظفرت قصيدة أبى فراس بشهرة فى العالم العربى الحديث ، كما رأينا ، وغنت أم كلثوم بعض غزلها ، وسارت على الألسنة بعض أبياتها كقوله :

ولكن إذا حم القضاء على امرئ   فليس له بر يقيه ولا بحر

وقوله :

سيذكرنى قومى إذا جد جدهم   وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

وقوله :

ونحن أناس لا توسط بيننـــا   لنا الصدر دون العالمين أو القبر

وقوله : « ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر » .

وأما قصيدة البارودى فلم تظفر من الشهرة بنصيب .

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم

---

٢ – من شجرة الدر

لحضرة صاحب السعادة عزيز أباظة باشا

المشهد السابع :

الملكة ، أيبك ، أقطاى ، بيبرس ، قلاوون . يدخل سنجر .

سنجر : هذا ابن مطروح

الملكة : أجاء ؟

سنجر : أجل

الملكة : فأد

خله ورحب بالوزير الشاعر

قد عاد آخر رسْلنا ولعلنا

نُهدَى بأنباء الرسول الآخر

(يدخل جمال الدين بن مطروح)

الملكة مستمرة:

خيراً جمال الدين

ابن مطروح : خيرٌ لم يزل

يندى على الستر الرفيع(١) الطاهر

الملكة : ماذا وراكَ ؟

ابن مطروح : تركت الأمَ عصبة(٢)

فكأنما خُلقوا بغير ضمائر

الملكة : صف ما رأيت وقائماً ومشاهداً

وانقل لنا – لا تقتضب – ما قيلا

ابن مطروح : أبلغت أنباء التمرد

الملكة : ساقها

أخواك قبلك

ابن مطروح : فاسمعى التفصيلا

لم يكفهم عصيانهم ومروقهم

بل أوسعوا أنصارنا تقتيلا

(١) لقب من ألقاب شجرة الدر .

(٢) إشارة إلى أمراء الشام .

(الملكة فى غضب)

أنمرضوا للصالحية(١) ؟

ابن مطروح : من نجوا

منهم تواروا فى البلاد فلولا

أخذوهمو والليل ضارب ستره

فى غِرة أخذاً هناك وبيلا

الملكة : شرفاً شيوخ الصالحية مصر لن

تنسى لكم ذاك الدم المطلولا

من مات فى شرف الجهاد فإنهُ

حىٌ ، وأودى من يعيش ذليلا

(أقطاى فى تحمس)

يامِلْكة الوادى جيوشك دوّخت

تلك البلاد وأهلها فتكلمى

فى كلِّ موضع حافرٍ من أرضهم

أثرٌ لخيلك بالفوارس ترتمى

الملكة : صبراً أمير الجند ، إن لم تحسم الـ

أحداثُ بالحسنى إذن فتقدمِ

إيه جمالَ الدين فارجع للذى

تروى

ابن مطروح : نقضتُ لك الخطير

الملكة : فأنتم

ابن مطروح : خلفتهم عزموا على الُجلى

الملكة : فها

ت الرأى

أقطاى : استبق الحوادث واعزمى

ابن مطروح : وتركتهم قد أجمعوا أن يبعثوا

وفداً بشكواهم إلى المستعصم(٢)

الملكة : ألِى الخليفة يُهرعون ؟!

ابن مطروح : أجل

أيبك : فما

يبغون ؟

(١) الصالحية : فريق نسب للملك الصالح من الموالين لشجرة الدر .

(٢) الخليفة ببغداد .

الملـكة : يبغون اعترالىَ فاعلم

أيبك : كيف السبيل ! ومصر حولك تفتدى

وتذود عن أستار عرشك بالدم

هذى بلادٌ نحن سادتها

الملـكة : اصطنع

صبراً ولا يعجل لسانك تندم

(تبدو الملكة وكأنها عادت فتمالكت جأشها)

لو أنهم قصدوا الخليفة وحده

قلنا — وإن لم ينصفوا — لم يسرفوا

لكنهم ركنوا إلى أعدائنا

مستنصرين بهـــم ولم يتعففوا

(دهشة وتهامس من الجميع)

بيبرس : مولاتنا !

أيبك : إنعى الذى قلت

الملـكة : اهدأوا

هذا اليسير النزر مما نعرفُ

أيبك : هل حالفوا أعداءنا ؟

الملـكة : بل أوفدوا

شعراءهم فتوددوا وتلطفوا

أيبك : مولاتنا ، إن صح ذاك فإنه

عارٌ بجللهم فلا يتحرَّفُ

الملـكة : إن كنت فى شك فهذى كتْبهم

بالمخزيات وبالخيانة ترعفُ

وعدوا الفرنجة بعضَ مصر فقل لهم

الله مانع مصر مهما ترجفوا

(تخرج مكتوبين من صدرها وتطلع عليهما رجالها)

أيبك : أفتأذنين ؟

الملـكة : أجل

أيبك : فكيف اسطعت أن

تصلى لهذى الكتْب؟ هل نبأتنى؟

(الملكة بعد فترة صمت)

أفضت إلينا صرغريت مليكة الـ

أفرنج بالأنباء ، قلت فبرهنى

لم يُرضها أنى شككت فأسرعت

وسمت إلينا بالدليل البين

فإذا بكتبهمو وتوقيعاتِهم

أيبك : يا للخيانة والصَّغار الممن !

الملـكة : لم تسألونى لم خُصِصتُ بذلك السر الخطير

أمراؤهم كتبوا لإخوة زوجها الملك الأسير

قالوا لهم حتّام صبركمو على ذلّ الدهور

لن تنقذوا الشرف الرفيع بغير جيشكمو المغير

فثبوا على مصر تهن، وتذلّ فى الأمد القصير

قالوا وهل تقوى النساء على مصاولة الذكورِ

أيبك : أكذا ؟

الملـكة : أجل فاسمع فلم تعلم سوى النزر اليسير

وعدوّهمو جنداً يؤازرهم مؤازرةَ الظهير

من أجل ذاك رأيت يا أقطاى إطلاق الأسير

سيرون بأس الغانيات وبأس ربات الخدور

ابن مطروح : أعداؤنا كثرٌ

أيبك : أمنا مكرهم

إن لم نبت بضغائنٍ وحقود

لو قد بقينا جبهة مصرية

لم نخش عادية الخطوب السود

أقسمتُ « بالمنصورة » العظمى التى

شهدت مجالى نصرك المشهود

وبكل شبر من ثراها خالد

بدماء علجٍ أو دماء شهيد

أقسمتُ لن تجتاح مصرُ وأنت مِن

أبطالها فى شكة وجنود

(الملكة مخاطبة الموجودين)

سيجيئكم أمرى

بيبرس : أتأذن ربة الـ

تاج السنىّ

الملـكة : أذنت

بيبرس : هز مكانها

الملـكة : يا قوم ضبط النفس أكرم خلة

ونجاح كل سياسة كتمانها

عزيز أباظة

هل تستطيع روسيا غزو العالم؟

للأستاذ فؤاد طرزى المحامى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

عند نهاية الحرب انخفض الإنتاج الاقتصادى فى الاتحاد السوفياتى من ٤٢ فى المائة بالقياس إلى الإنتاج الأمريكى إلى ٢٥ فى المائة بالنسبة لهذا القياس . وإذا ما سار كل شىء سيره الطبيعى فى روسيا فإن الكفاءة الصناعية فيها ستبلغ فى عام ١٩٥١ نفس الكفاءة التى كانت تتمتع بها أميركا عام ١٩٠٤ أى قبل ٤٤ سنة وفى عام ١٩٦٠! سيبلغ الإنتاج الروسى إنتاج أميركا عام ١٩١٨ .

وحين قدم ستالين مشروع السنوات الخمس الرابع فى ٩ شباط عام ١٩٤٧ قال : « إن المهمة الأساسية تتركز فى استعادة مستوى ما قبل الحرب فى الصناعة والزراعة ثم بعد ذلك نزيد هذا المستوى بنسب متفاوتة معقولة . وربما تطلبت الزيادة ثلاثة مشاريع جديدة من مشاريع الخمس سنوات ، ولكننا يجب أن ننجز ذلك » .

ويستطيع المتتبع أن يتأمل فى هذا المشروع جيداً ، محللا أهداف ستالين ، مقدراً الكفاءة الشيوعية تقديراً مسرفاً فى المبالغة ، ومع ذلك فإن روسيا إلى الآن لم تنفذ مشروعاً واحداً من مشاريع السنوات الخمس المتعددة .

وقد أعلن ستالين بأن هدفه فيما يتعلق بإنتاج النفط أن يبلغ هذا الإنتاج (٦٠) مليون طن سنوياً عام ١٩٥١ ، بينما تعدت أميركا هذا الرقم منذ (٢٨) سنة مضت وأنتجت فى عام ١٩٤٧ وحده (٢٧٠) مليون طن . وإذا رجعنا إلى الحقائق وتركنا الآمال وجدنا أن إنتاج روسيا من النفط بلغ درجة من القلة اضطرها إلى استعمال الفحم وغيره من الوقود القليل الاحتراق عند عدم توفره .

ووجد المهندسون السويديون العاملون فى روسيا اليوم أن (٣٠) بالمائة من إنتاج الفحم قد استهلكته القاطرات . بينما استعملت كميات أخرى تقدر بـ (٣٠) بالمائة أيضاً من هذا الإنتاج فى إنتاج القوة الكهربائية ، ولذلك فلم يبق سوى (٤٠) بالمائة من إنتاج الفحم يجب أن يستعمل فى كافة المصانع الروسية يشمل ذلك فحم الكوك المستعمل فى إنتاج الفولاذ .

ويريد ستالين من مشروع السنوات الخمس الحالى أن يوصل إنتاج الفحم إلى (٥٠٠) مليون طن سنوياً عام ١٩٥١ ، بينما تجاوزت أوربا والولايات المتحدة هذا الرقم منذ (٣٠) سنة مضت .

وطلب ستالين أن يصل إنتاج الفولاذ إلى (٦٠) مليون طن عند نهاية مشروع السنوات الخمس الجديد ، أو خلال المشروع الذى يليه ، بينما بلغ إنتاج القارة الأوربية وحدها ما مقداره (٥٠) بالمائة أكثر من هذه الكمية فى نهاية الحرب الأخيرة .

وينقص روسيا بعض المواد الصناعية المهمة فى الاستعداد الحربى منها « التانكستن » والمليدنوم والقصدير والأمونيا ، وينقصها أيضاً ما هو أهم من هذه المواد وهو المطاط ، إذ أنها لا تملك خطوط مواصلات إلى ما وراء البحار تجلب عن طريقها المطاط الطبيعى ، كذلك ليست لها الإمكانيات اللازمة لبناء المصانع المعقدة التى لا بد منها لإنتاج المطاط الصناعى .

ويشكو الاتحاد السوفياتى شكوى واضحة من قلة طرق المواصلات ، ولكن فيما يتعلق بعدد البواخر الموجودة الآن لديه فهو فى وضع لا بأس به ، إذ أن بواخره التجارية التى كان يقدر عددها قبل الحرب بمقدار عدد بواخر السويد قد ضوعفت بما قدمته أمريكا للاتحاد السوفياتى من هدايا ومما حصل عليه من ألمانيا كتعويضات . ومع ذلك فإن سعة مساحة الاتحاد السوفياتى ترهق مواصلاته الداخلية المحدودة . فالطرق قليلة رخوة ، والطريق الوحيد هو الطريق الذى يبدأ من موسكو إلى لننغراد شمالا وإلى « منسك » غرباً ونحو « كييف » و « خاركوف » جنوباً ، بينما تستعمل العربات فى المدن استعمالا رئيسياً . ولهذا فإن روسيا تحتاج احتياجاً كبيراً إلى قنوات منظمة كالقنوات التى تقوم بالقسط الأكبر من أمور النقل فى أوربا الغربية . كما أنها لا تملك طرقاً مائية ما خلا عدة أنهار كبيرة تتجمد مياهها أغلب أيام السنة . ولذلك فإن أكثر من (٨٣) بالمائة من الشحنات الداخلية يجب أن تنقل بالسكك الحديدية ، وأن روسيا حتى داخل مثلثها الصناعى لا تملك وسائل المواصلات الكافية ، وكل مايبلغه طول طرق سككها الحديدية طول الطرق التى كانت فى الولايات

المتحدة منذ مائة سنة مضت ، أى فى عام ١٨٤٦ ، إذ يبلغ مجموع طول طرق السكك الحديدية فى روسيا (٥٧) ألف ميل يقابل ذلك (٢٢٦) ألف ميل فى الولايات المتحدة الآن .

وهكذا فإن نقص طرق المواصلات الحديدية يشكل أعظم ثغرة فى الاقتصاد الروسى ، وهو نقص سيحد من طاقة روسيا سنين عديدة مقبلة ، وحتى وفق مشروع السنوات الخمس الجديد ستبنى روسيا (٤٥٠٠) ميل من خطوط السكك الحديدية الجديدة متركزة فى الجبهة الغربية من البلاد وهى الجبهة التى سيطر عليها النازيون مدة من الزمن . وروسيا مضطرة إلى تبديل مهمات السكك الحديدية فى حين أن هذا التبديل لا يمكن أن يتم عن طريق الإنتاج الروسى ، ولذلك فإن السوفيات يستعملون الآن عربات قديمة ويجلبون التجهيزات أحياناً من ألمانيا والأقطار التابعة لها . ويعمل الاختصاصيون الروس والمهندسون السويديون الآن على تقليد العربات الأميركية وإنتاج أنواع منها .

إننا نستطيع أن نعرف الشيء الكثير عن روسيا من دراسة الصناعة الآلية السوفياتية . فالمصانع الروسية لا تنتج أى مبتكر خاص بها من تصاميم السيارات بل هى تنتج على منوال التصاميم الأميركية والبريطانية مع أحداث بعض التغييرات الطفيفة . ومع ذلك فإن المنتجات الروسية من السيارات لا تزال غير قوية جداً . ولا يزيد مجموع طرق السيارات المعبدة فى روسيا على ثمانية آلاف ميل .

كما أن الكلام عن استخدام الأيدى العاملة فى الاتحاد السوفياتى يقفنا بدوره على قدرة روسيا الحربية . فقد جاء فى مجلة « المشاكل الاقتصادية » الروسية أن قوة الكهرباء المستعملة فى إدارة المحطة الأمريكية فى ماهوس (نيوجرسى) تعادل القوة الكهربائية المستعملة فى محطة كيمرفو الروسية . وعلى الرغم من أن المحطتين تنتجان إنتاجاً متساوياً ، فإن المصنع الأميركى فى المحطة الأولى يستخدم (١٥١) عاملاً ، بينما تستخدم المحطة الروسية (٤٨٠) عاملا . ويستخدم المصنع الأميركى فى نفس المحطة (١٧) موظفاً لإنتاج الورق بينما يستخدم المصنع الروسى فى المحطة الروسية (٦١) موظفاً . وبصورة عامة يمكن القول بأنه يجب استخدام (١١) شخصاً لإنتاج ألف فولت من الكهرباء فى ظل النظام الروسى الاقتصادى بينما تحتاج الكفاءة الصناعية فى الولايات المتحدة شخصين فقط لإنتاج نفس القوة .

وإذا رجعنا إلى موضوع حقول النفط فى روسيا وجدنا أن وضع هذه الحقول ليس جيداً أيضاً . ففى الولايات المتحدة يستخرج أكثر من (٩٠) بالمائة من الفحم على شكل قطع ، ثم ينقل ميكانيكياً ، ولا يستخرج بالمسحاة والفاس غير مقدار قليل لا يتجاوز الأربعة بالمائة من مجموع الإنتاج . بينما تستخرج أكثر كميات الفحم فى روسيا باليد . وتشكو مناجم الفحم ، ككل الصناعات الروسية من قلة الأيدى العاملة المنتجة . فقد وجد أحد مهندسى المناجم وهو سويدى زار منطقة الفحم فى روسيا مهندساً روسياً واحداً لا يزال على قيد الحياة وميكانيكياً وقوميسيراً سياسياً واحداً ومجموعات من العمال يحرس كل أربعة منهم جندى مسلح . فإن عدد العمال الذين يخضعون لنظام العمل الإجبارى فى روسيا يفوق أى عدد آخر من عمال المصانع الأحرار المستخدمين فى المصانع الروسية ، إلا أن العامل المستعبد فى ظل النظام الروسى الاقتصادى لا ينتج بنفس الكفاءة التى ينتج بها العامل الحر فى ظل الأنظمة الاقتصادية . ولقد بذلت المحاولات فى مشاريع السنوات الخمس الأولى لتدريب العمال المهرة بواسطة المدارس الفنية الخاضعة للدولة ، ولكن رغم ذلك عندما جاء عام ١٩٣٦ لم تجهز هذه المؤسسات غير حوالى مليون عامل وظل التقدم فى هذا الاتجاه بطيئاً . ويهدف مشروع ستالين الحالى تجهيز الصناعات الروسية بستة ملايين عامل مدرب ، وعندما يتحقق هذا الهدف الذى يعتبر غاية آمال الروس يكون الاتحاد السوفياتى قد حصل على عدد من العمال يساوى عدد العمال الذين يشتغلون فى إنتاج السيارات فقط فى الولايات المتحدة .

والآن نتساءل عن القنبلة الذرية وعن الوعد الذى تستطيع فيه روسيا أن تصنع القنبلة بكميات كبيرة :

إن العلماء الأمريكيين والإنجليز مقتنعون بأن العلماء الروس يعرفون الطرق العامة لصنع القنبلة ولو أنهم لا يعرفون الخطوات الحقيقية التى « تفجر فيها القنبلة وترمى » . إلا أن أغلب المشاكل الصعبة بالنسبة للروس هى بناء المصانع المعقدة التى لا بد منها

لإنتاج القنبلة الذرية ، لأن إنتاجها يحتاج إلى مقدرة تفوق حد الوصف . فالبراميد يحتاج إلى عمليات معقدة والإشعاع الراديومى مثلا يحتاج إلى سيطرة آلية هائلة إذ أن إقامة مصنع للقنابل الذرية يجب أن يوضع وفق تصميم يستطيع أن يعمل بموجبه المعمل وحده بلا إشراف العمال عليه . وبالقياس إلى هذا المستوى العلمى الفائق فى القابلية العملية تعتبر روسيا متأخرة . فن حيث الكفاءة الإنتاجية التى تعتبر مفتاح صنع القنبلة الذرية تتأخر روسيا عن الولايات المتحدة والدول الغربية بمعدل (٢٢) سنة إلى الوراء .

والخلاصة ، أن تهديد روسيا للعالم تهديد حقيق لا شك فيه ، ولكن روسيا بدرجة من الضعف تستطيع معه القيام بحرب دفاعية بالقرب من بلادها ، ولكنها أضعف من أن تشن حرباً هجومية كالحرب التى شنتها دول المحور عام ١٩٣٩ .

فؤاد طرزى المحامى

مصادر البحث :

١ — تاريخ العالم : هـ : ج ويلز

٢ — الاتجاه نحو نظام جديد : هـ . ج . ويلز .

٣ — تقرير المستر تايلور : الريدرز وايجست .

٤ — مجلدات مجلة الإيكونمست عام ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ .

٥ — ولادة عالم جديد : المستر بتلر فى مجلة الشؤون الخارجية عدد تموز عام ١٩٤٨ .

الجنـــاح المهيض

للأستاذ إبراهيم الوائلى

دعينى وتهويمة الشاعرين ونجوى الطبيعة فى معزل

فإنى — متى هجع السامرون — بغير الهواجس لم أحفل

أراك ووحشة هذا الظلام تزيدين من همى المثقل

فهل تعلمين بأنى شربت أمر من الصاب والحنظل ؟

وأنى أذبت بقـايا الفؤاد ترانيم تصخب كالمرجل

سلى الشهب عن سهرى فى الدجى تجبك متى شئت أن تسألى

خطوب يعج بها حاضرى وأخرى تهدد مستقبلى

وفى كل يوم أرى نبوة من الزمن القلب الحول

أنا اليوم لست كما تعهدين وكاليوم شأن غدى المقبل

وما بات يخفق فى أضلعى حنين إلى عهدى الأول

دفنت الشباب وأحلامه وما فيه من متع حفل

وودعت أمسى بين الصخور فذاب على الشوك والجندل

وماتت بقلبي تلك الرغاب كما يحصد الزهر بالمنجل

دعينى وألحانى المولات تنوح على الأرغن المولِ

تريدين منى زفيف الطيور وأين الزفيف من الأعزل ؟

فلا زغب فى الجناح المهيض أهوّم فيه على منهل

تفيض الينابيع عن جانبى وأحرم من مائها السلسل

وأدرك فى الروض معنى الجمال وأمنع من نظرة المجتلى

وأشتاق أن أرد الضفتين فتحجبُ عنى رؤى الجدول

وأهوى سنا الفجر خلف الغيوم فأقبع فى ليلىَ الأليل

وأهتاج أنسـامه الحالمات فيرتد عنى سُرى الشمأل

وأصغى لهـل طيور الفضاء تطارح أنشـودة البلبل

فأمضى ولا صوت فى مسمعي رن سوى خفقة الأجدل

تريدين منى غنـاء الطيور وليس سوى القفر من موئل ؟

حشدت الصخور إلى جانبى وشـوك الطبيعة فى محفلى

وصوّبتُ فى جنبات السهول وصـعدتُ فى قمم الأجبُل

وهمهمت للوحش فى غابه وغمغمتُ للنمم الجفل

وعدت ولا شيء غير الرياح متى أرها فى الدجى تعول

ضللت الطريق ... وكم تائه أراح على جـذوة المصطلى

وأبصر فى خلجات السماء نجوماً تُغـوّر أو تعتلى

ولكننى لم أزل حائراً أجوب الرمال على الأرجل

تواكبنى خطرات الدجى ثقـالاً ينوء بها محملى

فمن هيكل سابح فى الطريق يلوح أمامى إلى هيكل

ومن شبح مدبر يستفز خيـالى إلى شبح مقبل

تريدين منى انطلاق النسيم على الروض فى ثوبه المخمل ؟

وإشراقة الفجر بين الحقول وفوق أغانيها الذيـل

وما أنا ... يا هذه ... إننى برمت بمسالك الأمثـل

دعينى ومابى ... فلولا الشجون تثير الحمـائم لم تهدل

(القاهرة) **ابراهيم الوائلى**

انتظار...

للأستاذ عمر النص

أقبلى ... أقبلى ... فقد عسعس الليـ   ـلُ وغام الفضاءُ فى ناظريَّا

السماء الأكناء ترهق أنفا   سى وتلقى النذير فى أذنيا

أقبلى ... فالظلام يوقر نفسى   نزوات ... ويوقظ الشجو فيا

والرياح الغضاب تلطم شبا   كى وتدوى خلف الزجاج دويا

والحيا دافق ... يطير مع الريـ   ـح وتجرى به سخياً سخيا !

ونبـاح الكلاب يخنقه القـ   ـر وتمضى به الرياح قصيا ...

أقبلى ... فالظنون يا ليل تأبى   أن أحس النعاس فى جفنيا

وأنا فى ترقبى ... أفتح البا   ب وأرنو ... علّى أطالع شيا

أسأل الليل : ما وراءك يا ليـ   ـل ... وأصغى إلى الرياح حفيا

أنا فى موقفى .. تحدق عينا   ى ... ويسمى بى الخيال مليا

كلما مر فى الدجى ذو جناح   كدت أنى أضمه بيـديا

وكأنى أراه يُشـفق منى   فيكاد الفؤاد يصرخ : هيا !

... أى شىء تُرى أعاقك عنى   بعد ما أرهف الصدى أذنيا

أى درب سلكته فأضلت   فيه أقدامك الطريق إليا ؟ !

طال لبثى ... ولم أزل أفتح الصد   ر وأستقبل الظلام العتيا

كلما صحتُ فى القتام لسارٍ   ضاع صوتى ... ومات فى شفتيا!

ليت شعرى ألم يحن لفؤادى   أن يرى فى الحياة شيئاً رضيا

مزقتـه يد الفراق ومرت   وهو ما زال بالفراق شقيا !

إيه ليلاى ... لم أعد أرقب الأفـ   ـق ... وإن كنت قد مددت يديا

أنا باق هنا أجاهـد إخفا   قى وأخنق المياه فى نظريا

طاش حلمى ... وكدت أفقـد صبرى

وتجـلى الشحوب فى وجنتيا ...

أنا باق هنا ... وقد نصل الليـل ... فردى لى الخيال النويا

ودعينى لوحدتى ... أغلق البا   ب وأبكى ... فلست آمل شيا !!

(دمشق) **عمر النص**

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

قصة الدموع التى شابت :

جاء إلى الحياة والدمع فى عينيه ، ورحل عنها والدمع فى عينيه ... وتلك هى قصته : قصة الدمع الذى شاب والشعر فى سواد الليل ، والروح الذى اكتهل والعمر فى ربيع الأمل ، والزهر الذى صوّح والعطر فى رياض الشباب !

من هو؟ لا أحد يعرفه ... لقد عاش غريباً فى دنياه : همسة تنطلق من لجاج الصمت لتتلاشى فى سكون العدم ، وومضة تشع من وراء الأبد لتخبو فى ظلام اليأس ، ولحن ينساب من أوتار الزمن ليشجى كل عابر سبيل !

يخيل إلىّ أنه لم يكن بشراً من البشر ... لقد كان روحاً : روحاً شرب من خمرة الأسى المعتقة فى دنان الشجن حتى ثمل ، وكأن الأيام حين طافت عليه بكئوسها قد ثملت معه فنسيت غيره من الشاربين . وكان طيفاً : طيفاً شفه الحزن حتى لكأن الوجود مأتم كبير ، ترملت فيه أحلامه ومنيت بالثكل أمانيه ، فكل تعزية فى حساب الشعور وهم لا يجدى وسلوة لا تحين !

تسألنى عنه ؟ ... لقد كان « قارئاً » من قراء « الرسالة » ، حدثنى عن نفسه يوماً فكتبت إليـه ، وشكا إلى الحياة فأشفقت عليه ، ثم لم نلتق بعد ذلك إلا فى عالم الرؤى والطيوف ! كل ما بقى منه سطور رأيته من خلالها رأى الفكر ، وصورة رأيته من ظلالها رأى العين ... وما تستطيع يدى بعد اليوم أن تمتـد إلى رسائله ... وما تستطيع عينى بعد اليوم أن تنظر إلى صورته . رباه إنى لا أخشى أن تحرقنى ناره إذا ما قرأت ، ولكننى أهاب نبش القبور إذا رقدت فيها الذكريات ... ولا أن يلوعنى وهج نوره إذا ما نظرت ، ولكننى أفزع من رؤية الشموس إذا احتضرت على فراش الغروب !

لقد كانت كل رسالة من رسائله تحمل إلى معنى من معانى القبر

فى كلماتها كم شهدت مصرع الفكر ، وفى زفراتها كم شممت رائحة الموت ، وفى أناتها كم سمعت صوت النعاة . وكم أشفقت أن يصبح الظن حقيقة ... وأن أصحو يوماً على وقع أقدام المشيعين

ألا ما أعجب القدر حين يفرق بين الناس ويدفع بكل حى إلى طريق ... بسمة ترف على الشفاه هنا ودمعة تقرح الجفون هناك وحياة فى موكب الصفو تمضى وحياة فى موكب الشجو تقيم ، وكأس مزاجها الشهد للسكارى وليس فيها للحيارى نصيب ، وليل يقصر وليل يطول ... وندامى ... ويتامى ... وفرحة يهتز منها شعور وحرقة تلتهب منها صدور ، وياجرعة الصبر فى قلوب الصابرين ما أعمق مرارتك ، حين يصور لك الوهم أن فى التراب أكواباً من العزاء !

من حمرة الشفق حيث طويت الشمس الغاربة ، يصطبغ اليوم وجدانى وأنا أستعيد ذكرى حياة ... حياة أشبه بحيرة الغريب دفعت به المقادير إلى دار غير داره ، فكل مافيها خواء يبعث على الشكوى ويغرى بالرحيل ! ... ولكم وقفت منه موقف الطبيب من مريض تبخرت قطرات الأمل فى شفائه : مبضعى الذى يفتش عن مكامن الداء قلم ، ودوائى الذى يأسو جراح الزمن كلمات . وكان هذا هو كل ما أملكه ... أعالج بالقلم ودماء القلب تنزف ، وأسباب الرجاء تخيب ، وزورق العمر يمخر العباب والضباب إلى شواطئ الفناء !

رباه ، لقد كنت رحيما به حين أخذته ... لقد تحملت سنواته السبع والعشرون فوق مايحمل طوق الأحياء من عبادك !!

جيته بعد قرنين من ميلاده :

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عباس محمود العقاد مقالا فى عدد أكتوبر من مجلة « الكتاب » جاء فيه : « كارل ياسبر هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين ، وهو إمام الوجودية الألمانية غير مدافع ، وله آراء فى علم النفس وأدب السلوك تعد من مبتدعات المذاهب الأخلاقية فى القرن العشرين ، ومن أجل هذه الآراء يعول على تقديره لشاعر الألمان الأكبر جيته فى ذكرى ميلاده ، بعد انقضاء مائتى عام على ذلك الميلاد ... قال ياسبر عن منزلة جيته الأدبية : إنه وإن يكن أعظم الشعراء الغنائيين فى الألمان ، وعلى الرغم من التقدير العالمى العظيم الذى نالته روايته (فاوست) ، لا يقف فى عالم الأدب موقف الند من هومير أو دانتى أو شكسبير على أساس عمل خاص من أعماله . ولكنه منقطع النظير حين نقيسه بمجموعة أعماله وجوانب شخصيته ، وهى تلك الشخصية التى كان الشعر والبحث العلمى والجهود العملية من عناصرها الأولية !

وتقدير ياسبر هذا يطابق تقديرنا للنابغة الألمانى العظيم فيما كتبناه قبل سبع عشرة سنة ، لمناسبة الاحتفال بانقضاء مائة سنة على وفاته ، فقد قلنا عنه فى رسالة صغيرة : إن جيته من المبقريين الذين لاينبئ قليلهم عن كثيرهم لأنه لم يجمع نفسه فى قطعة واحدة ولا موضوع واحد . فهو كثير الجوانب كثير التجزئة : الموضوع الواحد عنده لايدل على كل موضوعاته ، والجزء الصغير لايدل على جملة الموضوع ، فكل فكرة له هى أصغر من الرجل فى جميع أفكاره » !

أود أن أقف قليلا لأناقش هذه الآراء ، وأول شئ يستوجب الوقوف ويدعو إلى التعقيب قول الأستاذ العقاد إن كارل ياسبر هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين وإمام الوجودية الألمانية غير مدافع . وأظن أن تاريخ الفلسفة المعاصرة سيقرر أن الفيلسوف الألمانى هيدجر لا « ياسبر » هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين وإمام الوجودية الألمانية غير مدافع ... وحسبنا فى مجال التدليل على صحة هذا الرأى أن نقول إن الوجودية الفرنسية عند « سارتر » قد اتجهت فى تقرير مذاهبها إلى الوجودية الألمانية عند « هيدجر » ، وأن فلسفة هذا الأخير كانت المنبع الأصيل الذى تدفقت منه القطرات الأولى فى الوجودية السارترية ، أو الحقل الأول الذى استمد منه الفيلسوف الفرنسى بذوره الفكرية الضخمة ، تلك التى أينعت وأثمرت فى الوجود والعدم « L' être et Le nèant » ...

أما عن رأى ياسبر فى منزلة جيته الأدبية فهو رأى عجيب ، ومصدر العجب فيه تلك الموازنة بين أديب وأديب على أساس عمل خاص من أعماله الفنية ... إن الموازنة على هذا الأساس باطلة ، لأن الميزان الحق لأقدار الأدباء لايقام على أساس فكرة واحدة أو رأى واحد أو كتاب واحد يضم بين دفتيه عدداً من الآراء والأفكار ، وإنما يقام الميزان الحق فى مجال الموازنة بين

أديب وأديب بأن يوضع إنتاج هذا كله فى كفة ، وأن يوضع فى الكفة الأخرى إنتاج ذاك … عندئذ يصح الحكم ويستقيم التقدير لأننا نضع عالماً من الفكر أمام عالم ، ونقابل فى ميدان الذهنية المبدعة بين حياة وحياة . إننا إذا وازنا مثلا بين فاوست والإلياذة ، أو بين فاوست والكوميديا الإلهية ، أو بين فاوست وهملت ، لنخرج من هذه الموازنة بأن جيته على أساس هذا العمل الخاص من أعماله لا يقف موقف الند من هومير أو دانتى أو شكسبير ، كنا كمثل من يوازن بين شارع فى برلين وثلاثة شوارع أخرى فى أثينا وروما ولندن ، لندلل على أن المدينة الأولى لا تقف فى مجال الضخامة أو الجمال أو النظافة موقف الند من المدن الثلاث الأخريات … تلك ولا شك موازنة لا تليق ومنطق لا يروق !

ورب قارئ يعترض على نقدنا لهذا الشق الأول من رأى ياسبر بأن الشق الأخير يتفق وهذا التصحيح ، وهو الشق الذى ينادى فيه الفيلسوف الألمانى بأن جيته منقطع النظير حين نقيسه بمجموعة أعماله وجوانب شخصيته … إن ردنا عليه هو أن جيته ليس منقطع النظير فى رأى ياسبر بمجموعة أعماله الأدبية وحدها ولكنه منقطع النظير بشخصيته المتعددة الجوانب والمواهب والملكات ، ويدخل فى ذلك أدبه وبحوثه العلمية وجهوده العملية !

وأعجب العجب بعد هذا كله أن ينظر الفيلسوف الألمانى ياسبر إلى الشاعر الألمانى جيته نظرة قوامها أنه لا يقف فى ميدان الأدب موقف الند من شكسبير ، وأن ينظر الكاتب الإنجليزى كارليل إلى الشاعر الإنجليزى شكسبير نظرة قوامها أنه لا يقف فى ميدان الأدب موقف الند من جيته … ذلك لأن لكارليل فى شاعر الألمان الأكبر رأياً معروفاً سجلته من قبل على صفحات الرسالة ، وهو أن جيته أعظم أدباء العالم بلا استثناء !!

حديث لم يخطر لى على بال :

فى العدد (٢٢٥) من مجلة المسامرات ، وفى الصفحة الثامنة والعشرين يمكنك أن تقرأ مقالاً هذا عنوانه : « بين الشيوخ والشباب ما صنع الحداد » … مقالا مهدت له المجلة بهذه الكلمات « هى معركة لم تنته بعد ، بين الشيوخ والشباب … فأولئك يتهمون الجيل الجديد بالسرعة وعدم الاستقرار ، وهؤلاء يتهمون السالفين بالجمود والرجعية . وفيما يلى تعرض « المسامرات » مجموعة إجابات من الجيلين » .

وبعد أن سجلت المجلة عدداً من الآراء لفريق من شيوخ الأدب وفريق من شبابه ، بعد هذا جاء دور أنور المعداوى فقال : « إننا نقدر الشيوخ لأنهم فتحوا أعيننا على الكثير ، وهذا التقدير يقف حائلاً بيننا وبين إعلان سخطنا عن التواء بعضهم … إن الكاتب ينبغى أن يكون إنساناً قبل كل شىء . وحينما يكون إنساناً تسقط عنه العصبية السخيفة ، فلا نجد فارقاً بين كاتب وكاتب … وما أقل الكاتب الإنسان عندنا » !

أشهد أن حديثاً كهذا لم يخطر لى على بال ، وأشهد أن مجلة المسامرات لم تسألنى فى أى يوم من الأيام عن رأيى فى أى موضوع عرضت له ، ولو سألتنى لما أجبت … لأن فى مثل هذه الأحاديث سخفاً لا أحب أن أشارك فيه ، ولكنها الصحافة المصرية تنطق الناس بما تشاء لا بما يشاءون ! صدقنى لو أنطقتنى « المسامرات » بما يمكن أن أنطق به لسان الأمر ولكنها — عفا الله عنها — قد جعلت الشيوخ — مع احترامى لهم — يفتحون عينى على الكثير ، وجعلتنى — سامحها الله — إنساناً بلغت به الإنسانية ذلك الحد من التسامح الذى لا أفرق عنده بين كاتب وكاتب ! .. إن مجلة « المسامرات » تذكرنى ببعض كتاب القصة والمسرحية فى مصر ، أولئك الذين ينطقون أبطال خيالهم بما لا يمكن أن تنطقهم به الحياة ! !

حول الأمانة العلمية فى الجامعة :

يذكر القراء تلك القضية التى عرضتها على محكمة الرأى العام الفنى فى عدد مضى من « الرسالة » ، وأعنى بها قضية الأمانة العلمية بين أستاذين فى الجامعة ، هما الدكتور محمد فؤاد شكرى والدكتور جمال الدين الشيال . ولقد سألنى الكثيرون لماذا لم يرد الدكتور شكرى على ما اتهم به من السطو على رسالة زميله وقد انقضت على ذلك أيام وأيام ؟ … أما أنا فقد كنت على وشك أن أعقب على موضوع الأمانة العلمية ظناً منى أن الدكتور شكرى قد آثر السلامة فلاذ بالصمت ، ولكن أحد زملائه فى الجامعة قد أنبأنى بأنه متغيب عن وطنه منذ بعيد فى مهمة سياسية ، ولهذا أرجىء التعقيب مرة أخرى حتى يعود ونسمع دفاعه .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ابن الحسب والنسب :

هذا هو اسم المسرحية التي قدمتها أخيراً الفرقة المصرية على مسرح الأوبرا الملكية ، وهي للكاتبين الفرنسيين إميل أوجييه وجورج صاندو ، وقد ترجمها محمد عبد المنعم سعيد بك ، وأخرجها الأستاذ فتوح نشاطي المخرج بالفرقة . وتجرى وقائع هـذه المسرحية في القرن التاسع عشر بفرنسا ، وهي تعرض ناحية من الصراع الاجتماعي بين طبقة الأشراف التي كان قد تضاءل نفوذها وانحسرت سيادتها عن المجتمع ، وبين الطبقة الوسطى التي يمثلها رجال الأعمال الذين وصلوا إلى الغنى بكدهم وارتقت بفضلهم التجارة والصناعة ، ويتجه سير المسرحية إلى السخرية من طبقة الأشراف وانتصار طبقة العاملين عليهم ، فكان الغرض واضحاً ، كما أن النهج طبيعي والعرض طلي ، بحيث يشعر المشاهد أنه يواجه موضوعاً مهماً ، وفي نفس الوقت يحس بالطرافة والمتعة الفنية . وقد استطاع المترجم أن ينقل تلك المقاصد حية نابضة ، بأسلوب لا بأس به ، غير أنه لم يراع السلامة اللغوية في بعض العبارات ، ولا تزال تطن في أذني كلمة «المالية» التي رددها أبطال المسرحية في قولهم « القرض بفائدة ستة في المالية » بفتح الميم المدودة . .

وتتلخص المسرحية في أن « المركيز دي بريل » تزوج من « أنطوانيت » ابنة « المسيو بواربيه » التاجر الغني ، ويبدو هذا الزواج في المشهد الأول على أنه صفقة رضي بهـا المركيز المفلس ليستمتع بثروة صهره ويحيا حياة الترف والتبطل التي اعتادها ، كما اغتبط بها المسيو بواربيه ليستفيد من لقب المركيز وهو يطمع في أن يصل بهذه المصاهرة إلى عضوية الشيوخ ، وقد أنس من ابنته حبها للمركيز . ونعلم بغرض المركيز من هـذه المصاهرة ، من حديث يجرى بينه وبين صديقه « الدوق دي موغران » الذي يعمل كجندي في الجيش بأفريقية ، وقد قدم في إجازة ؛ أما المسيو بواربيه فهو يعرب عن آماله لصديقه وشريكه « فردليه » وهو « عراب » أنطوانيت ، ويخيل إلي أن الجمهور لم يدرك معنى كلمة « عراب » والمقصود بهـا مايسمى في العرف الكنسي بمصر « الشبين » الذي يكفل الطفل من وقت « تمميده » أي يرعاه ويعطف عليه . والكلمة « عراب » لا تستقيم عربية ، ولعلها سريانية .

يلاحظ فردليه أن صديقه يغدق على المركيز المفلس المسرف المتبطل ، وأن المركيز يستهين بزوجته أنطوانيت ، فيحرض المسيو بواربيه على أن يضع حداً لهذه الحال فيطلب من المركيز أن يبحث له عن عمل . وما إن يفاتح المركيز في ذلك حتى يأبى في تشمخ واشمئزاز ، وتسوء العلاقة بين الصهرين ، ويشعر المسيو بواربيه أن زوج ابنته يحقره ، فيقابله بالمثل ويعنف به ، ويرتب الأمور على أن يطرده من القصر . ومرة يلين المركيز في مناقشة صهره حتى يستدرجه إلى البوح له بأنه يطمع أن ينال بجاهه عضوية الشيوخ فيهزأ به وتزداد الحال بينهما سوءاً .

وفي خلال تلك الحوادث نرى الفتاة الوديعة أنطوانيت تتودد إلى زوجها الذي يستخف بها أولا ثم لا يلبث أن يشعر نحوها بشيء من الحب .

ثم يتحرج موقف المركيز عندما يكشف الجميع عن علاقتـه بمدام « دي مونجيه » بوساطة رسالة منها إلى المركيز تقع في يد المسيو بواربيه فيفضها ويطلع أنطوانيت عليها فتكاد تصعق منها . ويهدد الرجل صهره برفع الأمر إلى القضاء ليفصل بينه وبين ابنته التي تحطمت سعادتها . فيغضب المركيز خوفاً على سمعة خليلته ، ولكنه يخضع لصهره فيرجوه ألا يفعل ويعده بأن يقطع علاقته بها وأن ينزل عند رغبتـه في مزاولة عمل ، وتدخل أنطوانيت وتخطف الرسالة من أبيها معلنة أنها صاحبة الحق وأنها هي التي ستقاضي زوجها . ويفاجأ المركيز بما يدهشه من نبل زوجته ، إذ تمزق الرسالة وتلقي بها . . ويتقدم إليهـا في احترام ، ولكنها تصده وتعلن أنها أرملة منذ اليوم .. ويحاول المركيز أن يستغفر زوجته . ويقبل عليها أخيراً وقد اعتزم مبارزة منافس له في « مدام دي مونجيه » فتمنعه أنطوانيت فيأبى التخلف عن المبارزة

ولـكنها تقول له إنها تعتــبر عدوله عن المبارزة دليلا على حبه إياها ، فيعدل ، فتطلب منه أن يذهب إلى المبارزة محافظة على كرامته وشرفه ، فيهم بالذهاب فترد إليـه رسالة من منافسه بعدوله عن المبارزة .

وفى هذا الجو الصافى يعبر المركيز عن اقتناعه بضرورة أن يعمل عملا يعيش منه ، فيتقدم « فردليه » ويهدى إلى المركيز وزوجته قصر أجداد المركيز الذى كان قد اشتراه وما يحيط به من المزارع ليعمل المركيز فى استغلالهـا ، وبذلك تنتهى المشاكل كلها حتى تطلع المسيو بواربيه إلى عضوية الشيوخ .

وكنت أفضـل أن يظل المسيو بواربيه طامعاً فى عضوية الشيوخ ، فإن المركيز لم يقدم شيئاً ، بل هم الذين كانوا له وصفحوا عنه وإن كانوا قد أذلوا كبرياءه ، ولـكن لا يوجـد ما يحمل الرجل يتنازل عمـا يطمح إليه .

وأبطال القصة سماتهم واضحة ما عدا اثنين : صديق المركيز ، وصديق المسيو بواربيه ، وقد مثـل المركيز « فاخر فاخر » ومثل المسيو بواربيه « حسين رياض » وقد اندمج كل منهما فى دوره اندماجاً كليا حتى نقلانا إلى فرنسا فى القرن التاسع عشر

وكان حسين رياض يعبر بكل لفظة وكل حركة ، حتى حركة قدمه التى كان يرفعها فى وجه المركيز احتقاراً له .

ومثلت أنطوانيت « أمينة رزق » فأجادت تمثيـل الفتاة الرقيقة المتلطفة لزوجها ، ثم الفتاة الشموس التى تغضب لـكرامتها وتمزج هذا الغضب بالنبل الذى يصفع نبــل « الأشراف » ولـكنها أسرفت فى مظاهر الغيرة بالبكاء والنحيب كدأبها ... ولست أدرى أهذه الغيرة الشديدة من امرأة فرنسية فى أصل المسرحية أم حدث تعديل يمكن لأمينة رزق من هذا الذى عرفت به ...

وأجاد فؤاد فهيم فى تمثيل الطاهى الذى يزدهى ببراقته فى فى فن الطهى ، وكان هـذا الدور من عام السخرية من الأرستقراطية إذ ينتسب إليهـا الطاهى ويفخر بأجداده وماضيهم فى المطابخ !

ومثل صديق المركيز « كمال حسين » ومثل فردليه « محمود رضا » والشخصية الأولى مائعة فلم تدل صفاتها وتصرفاتها على طبقة من الطبقتين ، والشخصية الثانية تافهة غير جديدة بما نسب إليها من التأثير فى أنطوانيت ولعل ضعف تمثيل الشخصيتين أتى من ذلك ...

كشكول الأسبوع

□ استأنف لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية عملها فى نقل هذه الدائرة القيمة النافعة إلى العربية ، وهى تصدر فى لبدن بالانجليزية والفرنسية والألمانية . وكانت اللجنة قد انقطعت عن هـذا العمل الجليل بعد أن ترجمت ثمانية مجلدات بها أكثر من ثلاثة آلاف مادة فى شتى الموضوعات الإسلامية ، وقد بدأت نشاطها أخيراً بإصدار ستة أعداد من الدائرة .

□ يشتغل الأستاذ محمود تيمور بك الآن بوضع مسرحية عنوانها « أنا ابن جلا » تدور حوادثها حول شخصية الحجاج بن يوسف الثقفى

□ تعتزم وزارة المعارف إنشاء ناد مصرى فى باريس والحاق مركز ثقافى به ، على غرار النادى والمركز اللذين فى لندن . وستقوم وزارتا المعارف والخارجية بتزويد هـذا المركز الثقافى بالمؤلفات والإحصاءات والرسوم البيانية التى تحقق أغراضه وأهمها تعريف العالم الأجنبى ببلادنا .

□ أبدت هيئة اليونسكو رغبتها فى أن يقام بدارها فى باريس ، معرض الفن الشعبى المصرى الذى تنظمه وزارة المعارف المصرية ، وأن ترعى هذا المعرض وتدعو إليه ، وقد وافقت وزارة المعارف على ذلك .

□ قال الدكتور يحيي الخشاب مدير المطبوعات فى حديث صحفى : يجب أن يتجه أصحاب الأفلام إلى الأدباء الممتازين ، لكتابة القصة ونظم الأغانى ، فإن ذلك يرفع مستوى الفلم المصرى .

□ من التصرفات العجيبة لبعض زملائنا الصحفيين ، أن أديباً كتب بإحدى الصحف مقالاً جاء فيه ذكر كتاب « صور من المشق » فحذف سكرتير التحرير اسم الكتاب من المقال ، فلما سأله الكاتب عن ذلك أجاب بأنه لا يتفق مع سياسة (الجورنال) فقال له الأديب ساخراً : ألا يكتب (الجورنال) شيئاً عن « محب باشا » ؟!

□ عهد إلى قسم خاص بكلية الطب فى إعداد بحث واف عن طب ابن سينا وما جاء به زيادة على طب اليونان ، وذلك لمناسبة قرب الاحتفال بالذكرى الألفية لابن سينا

□ يشتغل الدكتور محمد هاشم وزير الدولة بوضع مشروع هام لإصلاح الإذاعة وبرامجها .

□ وضع الكاتب الفرنسى أندريه جيد مؤلفـاً باسم كاتب من الكتاب المجهولين ، ليرى رأى النقاد والقراء فيه غير متأثرين باسم المؤلف ، فـكانت نتيجة التجربة أن أخفق الـكتاب وأهمله النقاد واكتفى بعض الصحف بمجرد الإشارة إلى ظهوره .

□ وضع الأستاذ كامل عجلان مسرحية باسم « سلطان العلماء » تدور حوادثها حول « العز بن عبد السلام » شيخ الإسلام فى مصر لأول عهد المماليك . وسيمثلها فريق الأزهر للتمثيل قريباً .

□ فى صباح يوم من الأيام التقى أحد « أولاد البلد » بالأستاذ شوقى أمين سكرتير معالى رئيس المجمع اللغوى ، فقال الأول : « صباح الفل يا ميت نرجس » قال الأستاذ اللغوى رداً على التحية : « صباح الإذخر يا مائة عرار ! » .

العربية بين الباكستان والبلاد العربية :

قدم إلى مصر فى الأسبوع الماضى السيد شودرى خليق الزمان (لا خالق الزمان كما ذكرت بعض الصحف) رئيس الرابطة الإسلامية بالباكستان . وزيارته لمصر جزء من برنامج رحلته فى البلاد العربية التى يقوم بها لبث الدعوة إلى اتحاد إسلامى عام تتكتل فيه جميع البلاد الإسلامية .

وقد دعت الجالية الباكستانية فى القاهرة يوم الأربعاء الماضى ، طائفة كبيرة من رجال الفكر والصحافة وعلماء الدين ، إلى الاجتماع بدارها حيث تحدث إليهم السيد خليق الزمان ، وقد بين فى حديثه ضرورة تكتل المسلمين وتعاونهم على الأخذ بوسائل التقدم وأسباب القوة ، وأبرز فكرة « الجنسية الإسلامية » التى تقوم على الترابط والتواد بين كافة المسلمين فى مختلف ديارهم ، ومما قاله أن بعض المفكرين يدعون إلى الاقتداء بالغرب ، وبعضهم يقول بالنظر إلى الشرق ، ولكنى أقول : يجب أن ننظر إلى ذاتنا وإلى إلهنا .

وكان الزعيم الباكستانى يتحدث باللغة الأردية ، وهى لغة التخاطب السائدة فى الهند والباكستان ، وترجم عنه إلى العربية الأستاذ الأعظمى عميد كلية اللغة العربية فى كراتشى . وقد شعر الجميع بالتقارب الفكرى والوجدانى بينهم وبين الضيف الكبير الكريم ، على رغم الاختلاف فى اللغة ، ولا شك أن لاتحاد اللغة شأناً كبيراً فى جمع المتكلمين بها على المودة والأخوة ، وأنا أعتقد أن الباكستان تدنو من أخواتها الإسلامية التى تتكلم العربية ، وتحقق هدف الاتحاد المنشود ، باتخاذها العربية لغة لها . ولا يقل هذا شأناً — إن لم يزد — عن الوسائل الأخرى من الدعوة المباشرة وغيرها .

ولا أريد أن أثقل على إخواننا الباكستانيين بتكرار ذلك الذى قلته فى مناسبة سابقة ، وإنما أستبشر بما تنقله إلينا الأنباء عن حركة تعلم العربية فى الباكستان ، وما تبذله الدولة فى هذا السبيل ، وهى لاتزال فى أوائل سنتها الثالثة ، وأستشرف إلى المستقبل القريب الذى نرى فيه الباكستان أمة مسلمة متعربة .

وقد لاحظت كثيراً من الكلمات العربية فى خلال حديث السيد خليق الزمان ، ويقال إن اللغة الأردية تحتوى من الكلمات العربية ما يقدر بنحو خمسة وستين فى المائة من مجموع ألفاظها ، ولذلك لم يجد الباكستانيون الذين أقبلوا على تعلم العربية صعوبة فيها ، وقد تقرر تعليم اللغة العربية فى مراحل التعليم ابتداء من السنة الأولى الثانوية . وهناك « الجمعية العربية العامة » التى يرعاها وزير المعارف ويرأسها شيخ الإسلام ، ولهذه الجمعية سنة طريفة فى الحث على التخاطب باللغة العربية ، فهى تفرض على من يتحدث فى دارها أن يدفع عن كل لفظة غير عربية ما يعادل خمسة مليمات مصرية . .

وقد جرى حديث بينى وبين باكستانى كبير فى موضوع نشر اللغة العربية فى الباكستان ، قلت له : لماذا لاتكثرون من بعثات الطلاب إلى مصر ، ليتعلموا فى معاهدها باللغة العربية ، ويكتسبون القدرة على هذه اللغة من البيئة المصرية ؟ وجهت هذا السؤال وأنا غافل عن خرق واسع فيه . . قال : إن طلابنا الموجودين فى مصر يشكون من اللغة العامية التى تتحدثون بها لا فى الأسواق فحسب ، بل كذلك فى دور التعليم ومجالس المتعلمين فكيف يكتسبون القدرة على الحديث بالعربية من هذه البيئة ؟

سمعت ذلك فلم أستطع إلا أن أهز رأسى آسفاً على هذه الحال وذكرت ما وقع لأحد المستشرقين ، وقد جاء إلى مصر لأول مرة بعد أن درس اللغة العربية فى بلده هو وزوجته حتى أصبحا يتخاطبان بها ، فلما نزل بأحد الفنادق بالقاهرة وجاءه الخادم ، قال له : أريد طعاماً . فانصرف الخادم ثم عاد يحمل إليه (طعمية) فقال له : ماهذا ..؟ أريد شواء . قال خادم الفندق : (مش قلت إنك عاوز طعمية !) فبهت الرجل .. وكتب إلى زوجته يقول : لقد نزلت بالقاهرة زعيمة العواصم العربية ، فلم أجد بها من يتحدث باللغة العربية غير زوجك العزيز !

والعجيب أو المخجل أن كثيراً من « المثقفين » المصريين الذين يجتمعون بهؤلاء الأجانب المتعربين ، لايبادلونهم الخطاب بالعربية ، بل يحدثونهم بالعامية فلا يكادون يفهمون منهم شيئاً ، ويتضايقون من المجالس ، مجالس المتعلمين ، التى يدور فيها الحديث بالعامية .

وأعود إلى الموضوع ، فأقول مع ذلك : إن تفشى عاميتنا فى



بواسل من لحن القول :

١ — حمل إلينا بريد الرسالة الأدبي فى العدد (٨٤٥) كلاماً للأستاذ الفاضل السيد أحمد صقر فيه سب وسخط على المقبين اللغويين ، ورد ما كتبناه فى العدد (٨٤٣) نخطىء فيه استعمالهم بواسل صفة لجمع مذكر عاقل ، وتوًا بمعنى الساعة أو حالاً ، وذكر أن بواسل مسموعة عن العرب الخلص منذ الجاهلية الأولى ، وأورد شاهدين لذلك ، الأول ؛ قول باعث بن صريم اليشكرى من شعراء الحماسة يذكر يوم الحاجر :

وكتيبة سُفع الوجوه (بواسل) كالأسد حين تذب عن أشبالها

والثانى قوله :

فلا توعـــدونا بالحروب فإننـــا
لدى الحرب أسد خادرات (بواسل)

وذلك فيه وهم كبير ، إذ المعروف عند النحويين أن فواعل جمع لفاعلة — غير شواذ معدودة — فبواسل جمع لباسلة فى هذين الشاهدين ، فى الأول يصف الشاعر كتيبة وفى الثانى يصف أسداً خادرات ، فماذا بقى إذن فى شاهدى الأستاذ ؟ ونحن قد قلنا إن بواسل خطأ حينما تكون وصفاً لجمع مذكر عاقل .

التو بمعنى الساعة خطأ :

٢ — وأما تصويبه قولهم ذهب توا ، وإيراده نصين من الفائق والقاموس ، فقد عجبت له لأنى قد خصلت ما أورده فى كلمتى القصيرة «التو بمعنى الفرد ، فذهب توًا أى فرداً أولم يلوه شىء والصواب توه» هذا هوما فى المعاجم بمعناه لا بلفظه ، فإن المعاجم كلها ذكرت مكان لم يلوه ، لم يعرجه ، وفى المعاجم كلها أن التو بهاء الساعة — وقد أورد الأستاذ ذلك وغفل عنه — وكنا قد قصرنا الخطأ على التو بمعنى الساعة ، ومما يزيد هـذا الخطأ إيضاحاً قولهم أيضاً ذهب فى التو واللحظه فيجعلون التو مرادفا للساعة وذلك خطأ أجمت عليه كتب اللغة .

(المنصورة) عبد الجليل السيد حسه

خطيئة داود :

طالعت فى كتاب (صور من العشق) للأستاذ كمال منصور قصة «خطيئة داود» فطالعت فرية على نبى من الأنبياء وهو داود عليه السلام فقد اختلف العلماء والمفسرون فى قصته التى ترتب عليها ما ترتب فقيل إنه عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له أوريا من مؤمنى قومه — وفى بعض الآثار أنه وزيره — فمال قلبه إليها فسأله أن يطلقها فاستحى أن يرده ففعل وتزوجها وهى أم سليمان وكان ذلك جائزاً فى شريعته مألوفاً فيما بين أمته إذ كان يسأل أحدهم الآخر أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها وقد كان الرجل من الأنصار فى صدر الإسلام إذا كانت له زوجتان نزل عن إحداهما لمن اتخذه أخاً له من المهاجرين لكنه عليه السلام لعظم منزلته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغى له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه ، بل كان يجب عليه أن يغالب ميله الطبيعى ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به .

هذا ما ذكر عن قصته فى أضعف وجوهها وهى القصة التى

الحديث العادى لا ينبغى أن يحول دون الإكثار من البعثات الباكستانية ، فنحن نعمل على التقريب بين العامية والفصحى بالتعليم ووسائل النشر المختلفة ، وليس من بأس ولا كبير عناء فى أن يأخذوا بالضرورى من العامية ، وهى قريبة من الفصحى كما أنها تتشابه فى البلاد العربية المختلفة التى تتجه الباكستان نحو مودتها ، وهم مع ذلك لن يعدموا مواطن الفصحى وأدواتها فى مصر .

عباس خضر

أخذها الأستاذ كال منصور فى كتابه . غير أنه جمل النبى داود زنى وتحمل هذه المرأة من سفاح ويقتل زوجها و .. و .. مما لا يليق ببشر عادى ؛ ألأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم فى شىء منها ضرورة إنا لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك بطلت الشرائع ولم يوثق بشىء مما يذكرون .

عزت حماد منصور

دم الكبش ودواء الكلب :

قرأت لأديب — فاتنى اسمه — كلة يقول فيها « .. وكان المرضى فى الجاهلية الأولى يتداوون بدم « الكبش » فى شفائهم من داء « الكلب » ... الخ » !

قلت : الأديب — وعله من طلاب الطب البيطرى — اختلط عليه الطريق ، وفهم ما قرأ على لفظه الوارد دون المقصود منه .

و « الكبش » فى لغة العرب بمعنى « السيد أو الرئيس » وفلان « كبش القوم » أى « سيدهم ورئيسهم » المطاع ... وسيد القوم خادمهم [1] . قال عمرو بن معد يكرب :

نازلت « كبشهم » [2] ولم أر من نزال الكبش بدا

وبعض الأعراب فى الجاهلية الأولى كانوا يعتقدون بدم الرئيس (الكبش) لمكانه منهم ، وإمرته عليهم ، وإنه يشفى من داء « الكلب » . وفى ذلك يقول شاعرهم :

بناة مكارم وأساة جرح   دماؤهم من الكلب الشفاء

ويقول غيره :

أحلامكم لسقام الجهل شافية   كما دماؤكم تشفى من الكلب!

ولست أدرى — والحق يقال — فضل دم الرئيس على دم المرؤوس فى شفاء « الكلب » إن كان ثمّ شفاء !

وإذا كان الشئ بالشئ يذكر ، فإنى لأذكر أن العرب كان من عاداتهم الفاشية إلى يومنا هذا أنهم إذا رحل عنهم الضيف واستكرهوا رجعته كسروا فى إثره شيئاً من الأوانى والقدور .

وفى ذلك يقول قائلهم :

كسرنا القدر بعد أبى سواح   فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا !

ويقول غيره :

ولا نكسر الكيزان فى إثر ضيفنا   ولكننا نكفيه زاداً ليرجعا

وبعد : فمعتقدات القوم فى الجاهلية الأولى جلها أباطيل ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

(الزيتون)   عدنان

١ — إلى الأستاذ أنور المعداوى :

أقدم تحيتى وأرجىء الإفصاح عن إعجابى وبعد ، أردت النظر فى ميثاق جامعة الأمم العربية وفى ميثاق هيئة الأمم ، وقراءة بعض ما كتب من تعليق عليهما فتوجهت بطبيعة الحال إلى مكتبة الأسكندرية .

فهل وجدت من ذلك شيئاً ؟! كلا !!

بل خرجت منها وأنا أتساءل فيما بينى وبين نفسى : أيتجشم الإنسان مشقة الانتقال وضياع الوقت فى الذهاب إلى المكتبة العامة ليقرأ رواية « اللص الظريف » أو « المرأة النادرة » ؟ وأين إذن أستطيع قراءة الوثائق والكتب العلمية إن لم أجدها فى المكتبة العامة ؟ ولم أطلب شيئاً عسيراً بل شيئاً مشهوراً لا تخلو من الحديث عنه صفحات الجرائد كل يوم .

ثم دعانى داعى الإنصاف إلى الاعتذار عن المكتبة بعدم ظهور كتب تتناول نشر الميثاقين أو الحديث عن الهيئتين . وأردت التأكد بنفسى فما هى إلا جولة حتى خرجت من عند بائع الكتب وأنا أتأبط كتابين ولشدة حاجتى للالمام بالموضوع دفعت فيهما ما يقرب من جنيهين .

وتساءلت مرة أخرى : ألا يتمكن الفرد من معرفة ما يعرض له أثناء البحث — على كثرة ما يعرض له — إلا إذا كان يملك

---

(١) قال حاتم :

إذا مات منهم « سيد » قام بعده   نظير له يغنى غناه ويخلف

(٢) أى سيدهم ورئيسهم

الوسيلة إلى الشراء ! وإذا كان الأمر كذلك فإلى أى حد تتحمل مالية الإنسان مهما عظمت تكاليف الكتب مع تمددها وارتفاع أسعارها ؟!

لقد كانت مكتبة الأسكندرية — يرحمها الله — موجودة حقاً منذ ألفى عام حين كانت تقدم الزاد الدسم فيعجز عن هضمه العلماء الكبار ؛ أما الآن فقد أصبح كل ما فيها من زاد لا يكاد يقيم أود الصغار .

وذكرنى ذلك بالموقف الذى قاساه من قبل الأستاذ عباس خضر « فى قاعة المطالعة بدار الكتب (١) » وعدت لأقرأ من جديد ما كتب ولأجد فيه بعض العزاء .

والآن يطيب لى أن يثار هذا الموضوع مرة أخرى . إن عشرات الكتب العلمية تغمر السوق كل يوم ، وكلها مما يحتاج الباحث إلى الإلمام بها أو ببعضها .

وإذا كانت وزارة المعارف — سامحها الله — قد ألجأتنا بإفقار مكتباتها المدرسية — إلى المكاتب العامة فلا أقل من أن نجد لدى الأخيرة بغيتنا ، وإلا فنحن نزود الراسخين عن الإطلاع ونزود المبتدئين بالحجة التى تدفع عنهم لوم اللائمين ثم لتسلكهم بعد حين فى عداد الجاهلين .

حقاً إنه لموضـوع يستحق من قلم صاحب التعقيب تعقيباً يكون له عند المسئولين صداه . وعسى أن تستأنف المكاتب العامة سيرها فى ركب الحياة .

(١) الرسالة : العدد ٨٣٦ السنة السابعة عشرة ص ٢٠٠٢ .

٢ — حول مسئولية الاحتلال :

« سألنى بعض حضرات القراء عن المرجع الذى اقتبست منه بعض الفقرات التى استشهدت بها لتأييد الرأى الذى ذهبت إليه فى تحديد مسئولية الاحتلال الانجليزى لمصر بالمقال المنشور بالرسالة عدد ٨٥٠ .

ويسرنى أن أشير إلى أنه كتاب المسألة التونسية وموقف الدول العظمى منها للدكتور محمد مصطفى صفوت أستاذ التاريخ الحديث بجامعة فاروق الأول . وأن التنويه بذكره قد سقط أثناء الطباعة سهواً » .

كمال السيد درويش
مدرس بالرمل الثانوية

الكتب

أبو العتـــاهية

تأليف الأستاذ محمد أحمد برانق

للأستاذ كامل محمود حبيب

المدرس رجل نال حظاً كبيراً من الأدب والعلم ، وأصاب قسطاً وافراً من أصالة الرأى وصفاء الذهن ، وجمع بين الثقافة العالية والتفكير الرصين ؛ فهو أجدر الناس بأن يخوض معمعة النشاط الأدبى والعلمى ، فعنده الاستعداد وبين يديه الأداة . ولكن الإنسان ليعجب أشد العجب أن يرى المدرس أقل الناس إنتاجاً وأبعدهم عن معترك التأليف وأقصاهم عن مجال البحث . فماذا ، يا ترى ، زهده فى هذه اللذة الفكرية وإن فيها الحياة للقلب وشحذاً للذهن وصقلاً للعقل ؟ أما أنا فلا أرى ما يدفعه عن ميدان الفكر إلا ما يعانى من عنت شديد فى العمل وما يقاسى من إرهاق عنيف فى المدرسة ، فهو لا يكاد يخلص من الدرس إلا ليندسّ بين أكوام من الكراسات تستحثه وترهقه وتشغل باله وتقتل وقته . وهكذا يبدد عمره فى إعداد الدرس ويفنى عقله فى تصحيح الكراسات ، ثم لا ينفلت من هذا كله إلا ليلقى بنفسه فى خضم الدروس الخاصة وما به لهفة إليها ، أو إلى مضطرب التأليف المدرسى وما به رغبة إليه . ولكنها حاجات العيش ودوافع الحياة وطلبات الدار والولد تقذف به فى غير هوادة ولا لين إلى إلى هذا السبيل علّه يجد القوت الكريم واللباس الشريف والمسكن اللائق . ولشد ما يدهش المرء حين يرى جيشاً لجباً من المدرسين المثقفين — يربو على سبعة آلاف — فلا يرى فيهم من يحن إلى البحث العلمى أو من يصبو إلى التأليف الأدبى ، اللهم إلا فئة قليلة لا تتجاوز العشرة ! فالمدرس — إذن — رجل يموج بين الإرهاق والإملاق ، فإن عكف على الحياة العقلية أو حمل نفسه على الناحية الأدبية أخرج للناس شيئاً فيه روح نفسه المضطربة وفيه سمات حياته المزعزعة .

وأشهد أن صاحب كتاب « أبو العتاهية » رجل من الفئة القليلة ، صبر على الجهد ورضى بالمشقة ليخرج بحثاً أدبياً فيه الاستقصاء والجهد والاستقصاء .

لم يكن أبو العتاهية شاعراً يتحدث عن خلجات قلبه ولا مفكراً ينطق بعقله ، وأنى له أن يفعل وهو « رجل فقير نشأ فى بيت متواضع وصنع الجرار مع أبيه ، فإذا نضجت الجرار حملها أبو العتاهية ، أو حملها أكّار معه على ظهره ، وسار بين الحوارى والأزقة فى مدينة الكوفة يبيع جراره ويساوم فى ثمنها ، فإذا ألهبت الشمس قفاه ومسّ حر التراب أخمص قدميه وبلغ منه التعب مبلغه — أجاءه ما به إلى ظل حائط ، فيحط حمله ، ويجلس مسنداً إلى الحائط ظهره ، برماً بالدنيا متسخطاً عليها فيلتف حوله الصبيان يعبثون به ويعبث بهم ويتبسط معهم فى الحديث ... »

فهو لم يكن ذا علم وثقافة ، ولم يكن ذا عقل وحصافة ، فعاش حتى آخر أيامه فجاً لم تستكمل أداته ولا بلغ ذروة الشعر ولا جارى شعراء عصره — عصر الإبداع والازدهار — فتخلف عن الركب وانبهرت أنفاسه ولكنه اتخذ إلى الشهرة سبيلا هيناً سهلا ، فانحط على كبير من بنى معن يقذع له فى القول ويفحش فى الهجاء ، فى غير ذنب ولا جريرة ولكن الشاعر — فى رأيى — كان يحس فى قرارة نفسه ضعة الشأن وحقارة المنبت وصعوبة المرتقى فتأرث قلبه غيظاً وحقداً ، فوجد فى الهجاء متنفساً يطفئ شرّة غيظه ، ووجد فى هجاء عبد الله بن معن — وهو رجل عظيم من بيت كبير — طريقاً يعلو به إلى سماء الشهرة فى سهولة ويسر . والهجاء فن من الشعر لا يحتاج إلى كياسة ولا يتطلب لباقة . وهكذا طار صيت الشاعر فى الكوفة — أول الأمر — وامتد أفقه حين ضرب به عبدالله بن معن مائة سوط جزاء ما أفحش فى القول .

وفى رأى العقل أن شاعرنا كان يتصنع فى كل شىء : فى الهجاء وفى الغزل وفى التصوف جميعاً . يتصنع الهجاء وما به مقت ويتصنع الغزل وما به هوى ويتصنع التصوف وما به زهد .

فهو حين شبب بجارية المهدى (عتبة) كان — فى رأيى — لا يبتغى من ورائها إلا أن تكون وسيلة إلى بيت الخلافة ، يرتفع بها شأنه ويزكو مكانه ، على حين لم تكن به لوعة ولا كان به شوق . وإن القارىء ليعجب حين يعجزه أن يجد فى نسيبه بيتاً واحداً

ينبض بعاطفة جياشة أو سطراً يخفق بحب عميق . وليس أدل على ما أزعم من قوله فى عتبه وهى من أحب وتدله فى حبها واصطفاها بشمره وخصها — وحدها — بقلبه .

وقد أنصب الله نفسى بهــا وأنصب باللوم عـــذالها

فتعبير الشاعر عن نوازع قلبه بكلمة (أنصب) تعبير تافه لا ينطوى على شاعرية ولا سمو . فالـكلمة مضطربة قلقة ، ثقيلة النطق وضيعة المعنى لا تتحدث عن صبابة وهوى ولا تكشف عن لوعة الحنين ولا تهتز بلذعة الشوق . وفيها — فوق ذلك — معانى الضيق والملل .

ومما يدل على أنه كان فى غزله عابثاً لا يعبأ بمن أحب ما جاء فى ص ٩٣ من الـكتاب حين أنساه كلبه للمال ذكر عتبة فتقول « لو كان عاشـقاً — كما يزعم — لم يكن يختلف منذ حول فى التمييز بين الدراهم والدنانير وقد عرض عن ذكرى صفحاً » .

لقد اشتهر أبو العتاهية بين العامة بالزهد والتقشف ، أما أنا فحين أتحدث عن زهده فلا معدى لى عن أن أستنير برأى الحديث الشريف الذى يقول « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى رجـل مسلم أبداً ، ولا يجتمع شح وإيمان فى قلب رجل مسلم أبداً » .

وينقل المؤلف فى ص ٥١ سطر ١٣ خـبراً يدل على أن أبا نواس كان يجل أبا العتاهية ويعظمه لزهده وتقشفه ، فلما سأله سائل « لم أجللته هذا الإجلال ؟ » قال « ويحك ! لا تغفل ، فو الله ما رأيته قط إلا توهمت أنه سماوى وأنا أرضى » . وهـذا كلام عجيب إخاله لا يصدر عن شاعر عبقرى فذ مثل أبى نواس تتألق روحه بومضات سماوية تزرى بكل ما نظم أبو العتاهية فى الزهد . ثم يحس المؤلف كذب الحديث فيقول فى ص٥٢ سطر٤ « وأنا من الذين يرجحون أن زهـد أبى العتاهية زهد مفتعل لا يعبر عما فى نفسه ولا يصور دخيلتها ولم يطرق فيه إلا المعانى العامة التى يتحدث الناس بهـا ، وإلا فما بال رجل هذا شعره يحرص على المال كل الحرص ويسلك مختلف المسالك لجمعه . »

هـذا ولقد رأيت فى الـكتاب أثر الجهد والصبر وطول البحث والاستقراء مما يدفعنى إلى أن أقدر مجهود الأستاذ المؤلف حق قدره وأشكره على أن أخرج لنا صورة حية ناطقة من شاعر لا يعرف أكثر الناس عنه إلا شذرات لا تغنى ولا تسمن .

كامل محمود حبيب

أعلام من الشرق والغرب

تأليف الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

بقلم الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

من واجب كل أمة تريد أن تستكمل نهضتها ، وترفع من شأنها ، أن تعرف ماضيها حق المعرفة . فليست القومية الوطنية إلا التاريخ المتجدد مع الزمان . ولست أدرى كيف نريد أن نمتز بمصريتنا دون أن نعرف دقائق تاريخنا . وقد شـاءت إرادة المستعمر أن يسدل بيننا وبين تاريخنا ستاراً كثيفاً من النسيان يحجبنا عنه حتى لا نتعلق بأذيال الوطنية ولا نطالب بالتخلص من نير الاستعمار فلم يكن يسمح بدراسة التاريخ القوى إلا بمقدار. حتى إذا قامت مصر قومتها ظهر كثير من المفـكرين والـكتاب يحاولون تدوين ذلك التاريخ القومى الذى يصل بيننا وبين ماضينا سـواء فى ذلك الماضى البعيد أو القريب . وأرخ لهذا الماضى القريب الراقص فى الحركة القومية ولـكنه عنى قبل كل شىء بالجانب السياسى ولو أنه لم يغفل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية حتى لقد أفرد فى كتابه فصولاً قصاراً ترجم فيها لبعض أعلام مصر الحديثة مثل رفاعة رافع الطهطاوى من البارزين فى سماء النهضة المصرية .

ويحتاج التحقيق التام للحركة الأدبية فى القرن التاسع عشر إلى مجهودات كثيرة ينقطع فيهـا الباحثون إلى التاريخ لرجال الفـكر والأدب فى القرن الماضى .

وقد دفعت وطنية صديقنا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن الشاعر الأديب إلى رسم صور محققة عن بعض أعلامنا يجد الباحث عنهم العناء الشديد فى التعرف إليهم . فنفض عنهم غبار النسيان وجلا للقراء صفحة مطوية من تاريخ مصر الحديث .

فهو يحدثنا عن مصطفى مختار بك أول وزير للمعارف المصرية الذى أرسله محمد على باشا مع البعثة المصرية إلى فرنسا ، وهى تلك البعثة التى كان رفاعة الطهطاوى إماماً لها .

ويحدثنا بعد ذلك عن شـاعر الخديو الأول الشيخ محمـد

شهاب الدين وهو كما يحدثنا صاحب هذا الكتاب « الشاعر الرسمى لمصر الحديثة . ولم يكن هذا الشيخ ربيب الأزهر وإنما كان وزاناً صغيراً فى أسواق البيع والشراء . وكأن الوزن المادى فى الأسواق النافقة والكاسدة كان تمهيداً للوزن المعنوى فى سوق القريض والقصيد فقد أصبح هذا الوزان شاعراً رسمياً للخديوى يزن القصيد ويتغنى الناس بشعره .

على أن شعر الشيخ لم يكن جيداً وقد قدم الكاتب نموذجاً لشعره وحلله إلى أن انتهى بهذا الحكم الصادق وهو « أننا نكلف رجال ذلك العصر شططا إذا طلبنا منهم أن يكونوا أجود مما وصلوا إلينا فقد كونتهم بيئتهم ثم مهدوا السبيل بعد ذلك للبارودى الذى اجتمعت له ولمصره أسباب الأحياء فى الشعر العربى » .

ويحدثنا بعد ذلك عن عالم طريف مغمور هو الشيخ محمد عياد الطنطاوى الذى سافر من مصر إلى بتروجراد عاصمة روسيا يعلم اللغة العربية فى مدرسة اللغات الشرقية فكان له أثر كبير فى المستشرقين من الروس . ولقد لقى الكاتب عناء شديداً فى الترجمة لهذا الشيخ فأخذ يجمع سطراً من هنا وإشارة من هناك ويتصل اتصالاً شخصياً بمن يظن فيه شبهة معرفة بتاريخ ذلك الرجل حتى أخبره البروفسور بولوتسكى بالجامعة العبرية أن للشيخ مؤلفاً بعنوان تحفة الأذكيا بأخبار بلاد روسيا ، وأن الكتاب مخطوط يوجد منه نسخة فى اسطنبول . ولا ريب فى أن مثل هذا الكتاب طريف فريد فى بابه فضلا عن قيمته التاريخية الكبيرة ، فهو يصور الحياة فى روسيا فى منتصف القرن التاسع عشر بقلم مصرى أزهرى ، فهل نطمع فى قيام أحد علمائنا باجتلاب هذا المخطوط وطبعه ؟

وينتقل بنا الأستاذ عبد الغنى بعد ذلك إلى الحديث عن شاعر مصرى ، وقف شعره على أشراف الحجاز يسمى محمود صفوت الساعاتى ، سافر للحج فاتصل بالشريف محمد بن عون أمير مكة فقربه إليه وصحبه فى حروبه مع أمراء نجد ، فصور الساعاتى هذه الحروب شعراً يذكرنا كما يقول عبد الغنى بشعر المعارك عند المتنبى فى القديم وعند البارودى فى الحديث . وذلك مثل قوله فى مدح الشريف ابن عون :

إذا تألق برق السيف فى يده
أبصرت غيث دم الأبطال منسفحاً
مقوم كل معوج بصارمه
فكل خصم لهذا صار منطرحاً

وقد طاف الساعاتى بكثير من أغراض الشعر فدح وطلب وعتب ورثى ، فلم يخرج فى ذلك عن مألوف القدماء .

وكنا نود أن يحدثنا الأستاذ عبد الغنى عن الشاعر السيد على الدرويش بعد أن حدثنا عن شهاب الدين مباشرة لأنهما من الذين اختصهما عباس الأول بمجلسه حتى كان كل منهما يلقب بشاعر عباس الأول . وقد ترجم له ترجمة جيدة درس فيها شعره محللا أغراضه وبين الخصومة التى كان لابد أن تقع بينه وبين شهاب الدين حتى بلغ من هجاء الدرويش لخصمه أن يقول له فى قصيدة يهجوه فيها :

عاش دهراً وجهله فى ازدياد
ليته بعد لم يكن ليعيشا .

وينقلنا المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن علم من أعلام الأدب فى مصر الحديثة كان له أثر عظيم وفضل كبير على نهضة الأدب فى مصر هو الشيخ حسين المرصفى الذى ظل يدرس فى الأزهر إلى أن كانت نظارة على مبارك فعهد إليه بالتدريس فى دار العلوم وكان يحضر عليه كثير من أعلام العصر منهم على مبارك نفسه . وقد اختط فى تدريس الأدب العربى والبلاغة منهجاً جديداً ظهر فى كتابه المسمى بالوسيلة الأدبية قد وصفه على مبارك برقة المزاج وحدة الذهن وشدة الحذق .

ونجد علماً آخر مجهولاً ولكنه أثر فى الحياة الأدبية عن طريق الصحافة هو حسن حسنى الطورانى باشا والذى دعا المؤلف أن يترجم له هو سؤال سائل فى مجلة الرسالة أن يتفضل أحد الأدباء برواية قصة الشاعر المغمور . فافتتح الأستاذ عبد الغنى ترجمته بعجبه أن ينسى أديب عربى مشهور وصحافى ذائع الصيت ، وشاعر قوى العبارة ، ولما يمض على وفاته نصف قرن كامل ؛ فكيف إذا خب المطى به عشرات القرون ؟

ولد الطورانى فى مصر ولكنه تركى تنقل من بلد إلى بلد حتى قال عن نفسه :

شرق النسر وغرب وتترك وتعرب
ولئن أطرى وأطرب فهو نصاح مجرب
وهو إن أعرب أغرب وهو إن أعجم أعرب

وحرر فى صحف تركية وأخرى عربية كانت تصدر فى القسطنطينية وكانت تغلب عليه الروح الإسلامية ونزعة الإصلاح وله ديوان شعر ولكنه غير جيد . وقد درسه المؤلف دراسة مستفيضة فتكلم

عن أغراضه وعن أسلوبه وعن مآخذ عابها في شعره .

ثم نجد فصلاً طريفاً يحدثنا فيه عبد الغني عن شوقي وحافظ بين الكتب وهو فصل طريف لأننا على وثوق معرفتنا بشوقي وقراءتنا لديوانه وتمثيلياته وقصصه نجهل عنه بعض تآليفه مما أخرجه في صدر شبابه ؛ فأسدل عليه ستار النسيان فقد كتب شوقي رواية ظهرت في ١٨٩٧ تسمى عذراء الهند ترجع حوادثها إلى زمن رمسيس الثاني وهي أول محاولة لشوقي في معالجة الفن السرواني ولكنها لم تنجح . وظهرت له بعد عامين رواية نشرتها مجلة الموسوعات تسمى لادياس قصد منها شوقي أن يصور حالة مصر بعد عهد ابسمانيك الثاني ، وقد كتبها نثراً ولكنه نثر مطبوع بطابع العصر يمتاز بتكلف السجع وفيها يقول : « وكانت لادياس فتنة الناس ، بالبدر الطالع في الغصن المياس ... » ولقد تحرر شوقي من السجع بعد ذلك كما نرى في رواية أميرة الأندلس .

ولشوقي رواية ثالثة هي ورقة الآس .

ولا أحب أن أمضي في هذا التلخيص إلى نهاية الكتاب خشية الإطالة ، فنحن نجد بعد ذلك ترجمة دقيقة للشيخ محمد شاكر الذي كان وكيلاً للأزهر في مطلع القرن العشرين وهو والد صديقنا الشيخ أحمد شاكر الذي ينشر الآن مسند الإمام أحمد بن حنبل .

ويحدثنا عن أدباء عرفناهم واتصلنا بهم مثل اسماعيل أدهم ونخرى أبو السعود ، وإسعاف النشاشيبي ، وأنطون الجميل .

فأنت ترى أن الكتاب قد جمع أعلاماً مختلفين اختلافاً شديداً ولكن تربطهم رابطة قوية هي رابطة الأدب في مصر الحديثة .

ويبدو أن نصيب الشعراء أوفر ولا غرو فصاحب الكتاب شاعر تستجيب نفسه إلى الشعراء فتجمعه وأياهم صلة الصناعة ، ولذلك كانت دراسته لهؤلاء الشعراء دراسة الحاذق البصير والناقد القدير .

وقد لفتني ما ذكره عن شوقي من أن نثره يكاد يكون شعراً ففيها هذه الموسيقى التي تطرب لها الآذان ولذلك حاول أن يرد بعض نثره إلى الأوزان الشعرية مثل قوله في الوطن .

ومراد الرزق ومطلبه وطريق الجد ومركبه

فهو بيت من بحر المتدارك فقلت في بالي : وأنا أقرأ أسلوب عبد الغني وأحسن فيه بهذه الموسيقى التي ترتاح إليها النفس أن ذلك أثر من آثار صناعة الشعر وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده .

أحمد فؤاد الأهواني

مطبعة الرسالة

العدد ٨٥٤ — الاثنين ١٤ نوفمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 854 — Lundi — 14 — 11 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ من شهر المحرم سنة ١٣٦٩ — ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٩ السنة السابعة عشرة »

« يظهر أن الانتخاب قريب ! »

كذلك قال الحاج على وشفتاه الغليظتان تنفرجان عن ابتسامة لا يتم بدونها معنى الجملة ، وعيناه الحادتان تتبعان مركبة كانت تدرج فى طريقها إلى القرية . فقال له المأذون وهو يربت على كتفه : صح نومك ! لقد أذاع الراديو وأعلنت الصحف حل مجلس النواب وتحديد يوم الإنتخاب ؛ فالحكومة تتجهز ، والأحزاب تتحفز، والمستنابون يغدون ويروحون ، من الدائرة إلى الحزب ، ومن الحزب إلى الدائرة ، والعرق يتصبب من الجباه ، والوعود تتناثر من الشفاه ، والنقود تشرئب من المحافظ ، و ...

فقاطعه الحاج على بقوله : حسبك ياشيخ ابراهيم ! إنك لتعلم أنى لا أسمع الإذاعة ولا أقرأ الصحف ولا أغشى المجالس ، ولولا مقدم الأستاذ لما تركت حقلى . إنما أعرف اقتراب يوم الانتخاب بظهور هذه المركبة . إن قدومها على القرية أشبه بقدوم بغلة المشر على الموعود . إنها تحمل إلينا مع الباشا التساهل فى الحساب ، والتسامح فى المتأخر، والاستماع إلى كل شكوى ، والاستجابة لكل طلب ، والمجاملة فى كل حادث ، والمواساة فى كل خطب ؛ حتى إذا انقضى يوم الإنتخاب ، ودخل الباشا مجلس النواب ، أشاح بوجهه ونأى بجانبه ، وسلط على وعوده الحلوة مطال (ناظره) وضلال (كاتبه) . فإذا لقيناه عبس وبَسر ، وإذا سألناه دعّ وزجر ، وإذا استرحمناه (شخط ونطر) ؛ ثم لا نسمع بعد ذلك أنه قال كلمة فى المجلس ، أو أبدى رغبة إلى الحكومة ، أو أدى خدمة إلى الفلاح ، أوأسدى منة إلى الوطن ! لحل المجلس أنفع لنا من عقده ، وترشيح النائب أجدى علينا من نيابته .

فقلت له : وما الذى يحملكم على انتخابه وقد علمتم بالتجربة أنه يرضيكم شهراً ويغضبكم دهراً ؟ فقال : يحملنا على انتخابه أنه مالك ونحن مستأجرون ، وليس بين المالك والمستأجر قانون غير العقد ؛ والعقد نختمه على بياض وهوالذى يكتبه ويحتفظ به . فاذا غلَّبنا إرادتنا على إرادته ، وآثرنا مصلحة البلد على مصلحته ، اشتط فى أجرة الأرض ، وتعسف فى تسوية الحساب ، وتحكم فى اقتضاء الدين ، فلا يكون لنا غير الاحتكام ، ولكن إلى من؟ أو المهاجرة ، ولكن إلى أين ؟

فقلت له : ذلك أدعى إلى أن تنتخبوا غيره ممن يعلمون أموركم ، ويشعرون شعوركم ؛ حتى إذا تقدمت الحكومة باقتراح قانون بخفض الإيجار ، أو برفع الأجر ، أو بحدد الملكية ، أو بزيد الضريبة ، كان مع الإقتراح لا عليه . ومتى سنت هذه القوانين ضمنت الحماية للمستأجر فلا يُظلم ، وكفلت الرعاية للأجير فلا يُستغل . أما أن تعرفوا نائبكم هذه المعرفة ، ثم تنتخبوه على هذه الصفة ، فذلك مالا يسيغه عقل ولا تسوغه مصلحة .

فقال الحاج : الحق أننا لا نعرف ما هو البرلمان ولا ماذا يصنع النواب فيه . كل ما نعلمه أنها رجة تعتاد البلاد من حين

صور من الحياة :

كبريـــاء . . . !

للأستاذ كامل محمود حبيب

وقف الفتى أمام أبيه المسجى فى كفن ينظر وإن نفسه لتضطرم بعوامل الأسى على أن فقد أباه أحوج ما يكون إليه ، فهو مازال طالباً فى المدرسة الثانوية لم ينهل من العلم إلا صبابة لا تغنى من جهل ولا تعصم من طيش . وإن قلبه ليضطرب بخلجات الفرح ، فهو أصبح – فى رأى نفسه – ثرياً يملك آلاف الجنيهات وعشرات الأفدنة وقصراً مشيداً وسط حديقة وارفة الظلال دانية القطوف ، فغداً ينعم بالمال ويسعد بالراحة ويلذ بالحرية . وثارت فيه نوازع الأسى والراحة فى وقت معاً ، فانهمرت عبرات عينيه على حين كان ينضم قلبه على نشوة جارفة من الفرح ، فلطالما عانى الضيق والحاجة ولطالما أمسك أبوه عنه المال شحاً منه وكزازة . ثم سكنت خواطره حين بهره بريق الذهب وهو يتألق بين يديه فيجذب روحه ويصرفه عن أن يلقى بالاً إلى مَن ناح أو ندب .

وخلص الفتى من عسر الدرس إلى يسر الحقل ، ومن ضيق المدرسة إلى سعة الحياة ، ومن ذل الاستذكار إلى خفض العيش . وأحس – على حين فجاة – بأنه انفلت من قيود أبيه الثقال فأصبح رب نفسه يطير ويقع فلا يقع إلاَّ على لذة أو متعة ، وأخوه الأكبر يرى بعين الرجل دفعات العبث توشك أن تعصف بأخيه فتستلبه من صحته وماله فى وقت معاً . وآذاه أن يقع الفتى بين مخالب رفاق السوء يبعثرون ماله وشبابه ، فأراده على أن يتزوج من ابنة خاله عسى أن ينزع عنه طيش نفسه أو أن يفزعه عن صحاب السوء ومضت السنون فإذا الفتى زوج وأب ، غير أنه لم يرتدع عن غى ولا أقلع عن سفاهة . وأنى له أن يفعل وإن الحنين إلى اللهو الوضيع ليعاوده – بين الفينة والفينة – فيطلق لنفسه العنان فيندفع – فى غير وعى – إلى الخمر والقمار والنساء جميعاً ، ومن حواليه شرذمة من السفلة يزينون له حياة الفسق والفجور ، فيلقى إليهم السلم فى غير عقل ولا تفكير .

وطمَّت لذاذات الطيش على عقل الفتى فما أفاق من نشوته إلا ليرى يده صفراً من الذهب والفضة معاً . لقد ابتلعت أسباب العبث والطيش كل ماورثه من مال إلا الأفدنة وقد أهملتها يد الفلاح فأصابها التلف والبوار ، وإلا القصر وقد ضاقت جنباته بالفحش والمجون ... القصر الذى يمرح فيه صغاره وهم ملائكة الأرض ينثرون عليها روح الجنة وطهارة السماء . ووقف الأب – ذات مرة – ينظر إلى بنيه وهم يتدافعون تحت ظلال شجرة فى مرح لم ترهقه نوازع العيش ولا دنسته شواغل الحياة ، فأصابه الضيق والأسى لأنه يوشك أن يلقى بهم – بحماقته وجهله – إلى هوة من الشقاء والذل .

ووجد الفتى مسَّ الحاجة فانطلق إلى أخيه الأكبر يستعينه على أمره ريثما يجمع غلات أرضه . وضحك الأخ الأكبر فى شماتة حين وجد الفرصة سانحة فانحط على أخيه يقذع له فى القول ويقسو عليه فى اللوم ويعنف فى الحديث ، ثم قال « ورفاقك ... رفاق السوء ؟ ألا تنظر أيهم يستطيع أن يسد الثغرة فى الشدة ، أو يرأب الصدع عند اليأس ، بعد إذ استنزفوا كل وفرك فى التافه الوضيع ؟ أما أنا فلا أستطيع لأن لى أولاداً هم أحق منك بمالى وجهدى » فانفلت الفتى من لدن أخيه وهو يتعثر فى الضيق ويجرر أذيال الخيبة . وغاظه أن يلقى من أخيه الأكبر الاحتقار والمهانة ، وأن يحس فيه القسوة والعنف ، وأن يخرج من داره تصفعه لذعات الإخفاق والحرمان ، فانطوى على أشجانه يدير الرأى ويقلب الفكرة : لقد أفاق من سكرات اللذة فما وجد صحابه ، وصحا من غفوة النشوة فما وجد ماله . ونازعته نفسه إلى أن يستعين ببعض أهله ليصلح من شأنه أو يقيم من عوجه ، ولكن كلمات أخيه كانت ماتبرح ترن فى مسمعيه فتدفعه عن أن ينشر ضعفه على عينى واحد من الناس خشية أن يناله الأذى أو أن تصيبه المهانة فأمسك على مضض وهم . وغبر ساعات يضطرب فى لجة من الهواجس لايهدأ ولا يستقر ولا يهتدى إلى حيلة . ثم انفرجت ظلمات الحيرة عن قبس من هدى فعقد العزم على رأى .

إلى حين ، فينشط مأذونو القرى ومعلموها فى الدعوة إلى فلان أو فلان ، ثم تقوم المآدب والخطب هنا ، وتنشب المعارك والشتائم هناك ؛ ثم لا يكون الانتخاب آخر الأمر إلا بإرشاد المأمور ، أو إكراه المالك ، أو إيحاء العمدة ، أو إغراء الجنيه !

فقلت فى نفسى : ذلك هو الواقع . ومتى عرفت الأمة أن لها السلطان ، وأن سلطانها معناه البرلمان ، علمت الناخب كيف ينتخب ، وأرشدت النائب كيف ينوب !

ابن عبد الملك

وعلى حين غفلة من أهله انطلق إلى الإسكندرية .

وألقى الفتى بنفسه وأفدنته فى خضم المضاربات المالية وهو يرى الهاوية أمامه تكاد تبتلعه فيقبل عليها فى غير فزع ولا تردد . لقد سلبه اليأس الأناة والصبر يوم أن تراءت له فرجات الحياة تنسد أمام ناظريه ، يوم أن لمس الجفوة والغلظة فى حديث أخيه الأكبر وقد كان يطمع أن يجد فيه العون والساعد ، فعزم على أن يختار لنفسه ، وما فى المضاربات المالية إلا الثراء العريض أو المتربة القاسية .

وهناك فى الاسكندرية ، ابتسمت الحياة للفتى وتألق نجمه وسما حظه ، فأصاب من الثراء والغنى فى سنة واحدة ما يعجز غيره عن أن يناله فى سنوات ، فطابت نفسه وهدأت جائشته . ثم أخذ الحنين يعاوده إلى القرية ، إلى الأهل ، إلى الرفاق ؛ فطار إلى القرية ليعيش على نمط الصالحين يسكن إلى الراحة ويطمئن إلى الهدوء وينعم بالسعادة فى الأسرة بين الزوجة والولد والأهل ، لا تحدثه نفسه بنزوات العبث وقد قاسى مغبته ، ولا يدفعه قلبه إلى الطيش وقد ذاق مرارته .

وتلقاه أخوه الأكبر — أول ماجاء إلى القرية — فى بشر وسرور ؛ يعانقه فى شوق ، ويقبله فى حرارة ، ويحدثه فى شغف ، ويستغفره عن زلته بقوله « لاتؤاخذنى — يا أخى — بما فعلت ولا ترهقنى من أمرى عسراً ، فما كان يخيل إلى أن كلماتى وهى هينة لينة ستفزعك عن دارك وأهلك ووطنك ، وما كنت أطمع بحديثى إلا أن أردك عن هاوية توشك أن تتردى فى قرارها بين رفاق لا كرم فيهم ولا شهامة » وأغضى الفتى عن حديث أخيه الأكبر فماشا معاً فى رضى وطمأنينة .

ترى ماذا دهى الرجل الذى طرد أخاه الأصغر من داره أحوج ما يكون إليه فهو يقبل عليه فى حب وشغف ؟ هل استحالت حاله وانقلبت خواطره فندم على زلته فجاء يستغفر أخاه الأصغر وقد فات الأوان ؟ أم هو قد أكبر فيه الهمة والنشاط حين عاد منصوراً مظفراً ؟ أم هو المال يبهر العقول الضعيفة ويستلب الأحلام الوضيعة فتجله وتحترمه لأنه هو ... هو المال ؟

وانطوت السنون ، فإذا الفتى الطائش رجل فيه الرجولة والإنسانية ، وفيه الكرم والشهامة ، وفيه المروءة والسخاء . وإذا صغاره فتيان ملء البصر والسمع والقلب جميعاً تتوثب فيهم فورة الحياة والقوة وتتألق فيهم لمات الذكاء والعقل ، وإذا ماله يربو ويزداد فيكفل لهم جميعاً الجاه والسلطان ويحبوهم بالرفاهية والخفض .

ودأب الرجل على أن يختلس فى كل سنة شهراً يقضيه فى الإسكندرية ، يفر — كزعمه — من مضطرب الحياة وشواغلها إلى هدوء الوحدة وراحتها . ولكنه — فى الحق — كان يهرع إلى البورصة ليشبع رغبة نفسه فى المضاربات المالية ، ما يستطيع أن يصرف نفسه عنها بعد أن ذاق حلاوة الكسب ولذة الثراء . وهو يرجع إلى أهله فى القرية — كل مرة — طلق المحيا بادى البشر ، تكسوه ثياب الصحة والعافية ، وترتسم عليه علامات النشاط والقوة ؛ لا يشغله الربح ولا تؤرقه الخسارة .

مالهذا الرجل يفزع من الإسكندرية — فى هذه السنة — بعد أيام قلائل ليرجع إلى القرية مشتت الذهن مقطب الجبين ، ينطوى على نفسه فى صمت وسكون ، لايطمئن إلى رفيق ولا يهدأ إلى صاحب ولا يتحدث إلى صديق ؟ وتلقفته الألسن والأبصار ، وحامت حوله الشائعات : ماذا كان هناك فى الإسكندرية ؟ لعل حادثة عصفت بآثار المرح فى نفسه ، أو لعل نكبة نزلت فأطاحت بالبشر فى قلبه ! وحار الناس فى أمره وهو فى صمت ، ومن حوله رجال لا يجد واحد الجرأة على أن ينزع الستار عن خبيئة نفسه .

الآن برح الخفاء ، فهذا هو المحضر جاء ليوقع الحجز على كل ما يملك الرجل إلا صبابة لاتشفى غلة ولا تنقع صدى ، حتى القصر الذى يمتز به ويوليه كل عنايته واهتمامه . وارتسمت على الشفاه ابتسامة التشفى والشماتة ، ولاكت الألسن كلمات السخرية والاستهزاء ، وقال واحد من الناس « من عسى أن يكون المحظوظ الذى يشترى أملاك الرجل الثرى؟ » وانبرى الأخ الأكبر يساوم الرجل لينقذه من براثن الدين ويستولى هو على أطيانه وقصره فلم يجد الرجل بداً من أن يلقى السلم فباع كل أملاكه بالثمن البخس .

وأرغمت الفاقة ربيب العز والثراء أن يسكن داراً وضيعة فى ناحية قذرة من القرية ، وأن يعمل طول يومه ليكسب قوته وقوت عياله على حين أغلق الأخ الأكبر من دونه باب داره ، وأن ينزع أبناءه من المدرسة ليجد فيهم من يشد أزره ويعينه على لأواء الحياة وشظف العيش . ولكن الابن الأكبر أبى أن يخضع لنزوة أبيه فراح يناقشه فى حدة ، وأراد أن ينطلق إلى عمه يرجوه أن

يمينه على إتمام دراسته لقاء دين يسدده بعد أن يتخرج فى الجامعة . ورفض الأب أن يستسلم لرأى ابنه الشاب ... رفض أن يستخذى فى إصرار وعناد . واحتدم النقاش بين الأب وابنه فثارت ثائرة الأب فلطم ابنه لطمة طار لها صواب الشاب فما شعر إلا وهو يهوى على خد أبيه بلطمة قاسية ثم يطير إلى عمه يستجديه .

وطفرت من عين الأب المنكود عبرة حرّى تحمل كل معانى الذل والشقاء .

وفى الصباح فزع الناس إلى الدار الوضيعة ... دار ربيب العز والثراء ليروا الرجل ملقى فى ناحية ينزف دمه آخر قطرة من الترفع ، تنهمر من شريان فى يده مزقته كبرياء لم تتصاغر من ذل الفاقة ، ولا تطامنت أمام ذل اللطمة من ابن عاق ...

كامل محمود حبيب

عالمية الأدب العربى

للأستاذ محمد وهبى

لئن كنا نفهم الأدب على أنه التعبير الصادق للنفس البشرية ، وتصوير الحياة من جميع وجوهها النفسية والفكرية والاجتماعية بواسطة الألفاظ ، فإننا نستطيع أن نجد بذلك التفسير العميق لخلود الآداب على وجه العموم . فما دامت النفس الإنسانية هى هى فى جوهرها على مر الأزمنة والعصور ، فإنها تدأب على تمجيد صورها الفنية الرائعة التى رسمتها ريشة الأدباء والشعراء على اختلاف نحلهم وأوطانهم . وهى تمجد هذه الصور لأنها تظل تفهمها مهما تقدم بها الزمن .

على أن الخلود ليس الصفة الوحيدة التى تتمتع بها الآداب ؛ فهناك صفة العالمية ، أو قل طابع الشمول الإنسانى الذى لم نجده فى جميع الآداب ، وإنما امتاز به بعضها فقط .

لقد يخلد أدب فى أبناء القوم الذين أنتجوه ، لأنه يحمل بين طياته صورة لحياتهم الخاصة ، وغذاء معيناً لذوقهم المحلى ، ولكنه لا يستطيع أن يمتد إلى ذوق سواهم من البشر ، ولا أن يصل بكامل روحه إلى أفهام غيرهم من سكان المعمورة إذا ترجم لهؤلاء لأنهم لا يجدون فيه ما يتجاوب مع نفسياتهم ، ولا ما يعبر عن أحوالهم وأفكارهم التى قد يشاركهم فيها جميع البشر . إنه أدب محلى شخصى ، ينطوى على فردية متقلصة ضيقة فقيرة ، يجهل صفة الإنسانية العامة ، الغنية بمعانيها الحية . ولهذا نجد آداباً كثيرة جمدت ضمن البيئات التى نشأت فيها لاحتفاظها بصفة الفردية الضيقة ، ثم اندثرت مع الحضارات التى رافقتها ، حتى أصبحت لا تذكر إلا على سبيل التأريخ لحياة الأمم التى أنتجتها ؛ بينما نرى آداباً خلدت وانتشرت فى أكثر اللغات ، وظلت حية ممجدة فى كل صقع وكل قطر ، لأنها تتمتع بصفة العالمية الواسعة ...

والأدب العربى من زمرة الآداب العالمية التى لها صفة الشمول الإنسانى ... نقول هذا ونؤكده ، ونحن نعلم تمام العلم أن من المستشرقين من أنكروه قطعاً ، وحجتهم خلو هذا الأدب من المسرحيات التمثيلية والملاحم الضخمة ، واقتصاره على وصف الأحوال والبيئات الخاصة لأعلامه . ولا يجد الواحد منا كبير عناء فى الرد على مثل هذا الادعاء المنهار الأساس . فالأدب العربى يحتوى على عناصر إنسانية عدة ، تنوب عن الفن المسرحى ، وتكاد تفوقه فى الأهمية كما سنرى . وقبل أن ننفذ إلى بحث فنون هذا الأدب ، أو قل عناصره التى تجلى بها ، لنأخذ لغته التى تشكل قاعدته الأولى ، وعصبه الأساسى .

اللغة العربية لغة حية ما فى ذلك إشكال ، وهى إلى هذا غزيرة مرنة قد برهنت خلال العصور على قدرتها على التسرب إلى مختلف الشعوب ، والتأثير فى كثير من اللغات . والأدلة على هذا كثيرة : فمع أن الفاتحين الذين ظهروا فى الشرق قبل العرب لم يستطيعوا أن يفرضوا على الأمم المغلوبة لغاتهم ، فقد تمكن العرب من فرض لغتهم عليهم . ولما صارت اللغة العربية عامة فى جميع البلاد التى استولوا عليها ، حلت محل ما كان فيها من اللغات : كالسريانية واليونانية والقبطية والبربرية وغيرها . وقد كان للغة العرب مثل ذلك الحظ حتى فى بلاد فارس على الرغم من يقظة الفرس ، بل لقد ظلت اللغة العربية فى تلك البلاد لغة أهل العلم والأدب ، وظل الفرس يكتبون لغتهم بالحروف العربية ولم تؤلف كتب الكلام والعلوم الأخرى فى بلاد فارس بغير لغة العرب ، وإلى اليوم لا يزال أمر اللغة العربية فى ذلك الجزء من آسيا كالذى كان للغة اللاتينية فى القرون الوسطى بأوربا .

وقد كان للغة العربية فوق هذا أثر عميق فى اللغات اللاتينية ذاتها ، حتى أن المستشرقين « دوزى » و « أنجلمن » وضعا معجما فى الكلمات الأسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية . وحتى اللغة الفرنسية أيضاً لم تنج من تأثير اللغة العربية التى أعطتها مثلما أعطت الطليان اصطلاحات كثيرة ، وخصوصاً الاصطلاحات البحرية . ويذهب الدكتور « غوستاف لوبون » فى كتابه « حضارة العرب » إلى القول بأن الأوربيين اقتبسوا فن القافية فى الشعر من العرب ، وأن الشعر الأسبانى والشعر البروفنسى مدينان فى ظهورهما لشعراء عرب الأندلس ، ويؤيده فى هذا عدة مستشرقين .

لسنا فى حاجة إلى الاسترسال فى التدليل على خاصة المرونة فى اللغة العربية ، تلك الخاصة التى جعلت منها لغة عالية عظيمة الانتشار ، فكان لها الأثر الأكبر فى نقل الأدب العربى إلى أقطار كثيرة ، وتزويد روحه بعناصر شتى ومواد غزيرة فى بلاد متنوعة ، مما جعله بالتالى أدباً عالياً قريباً إلى نفس الإنسان فى أى مكان . ولا أدل على ما نذهب إليه من كثرة الترجمات الأدبية من اللغة العربية إلى اللغة الأجنبية ، ورواج هذه الترجمات وتعدد طبعاتها ...

وإذا ما نظرنا فى الأدب العربى ، فأول ما يسترعى انتباهنا فى روحه ذلك الاتصال المباشر الدقيق بأعماق النفس الإنسانية على وجه العموم ، بحيث أنه وصفها وحللها وتواجد معها ، ونبض بمعانيها على اختلافها وتنوعها من سمو وضعة ، ومن قوة وضعف . ويبرز أمامنا فى هذا المعنى شعر عمر بن أبى ربيعة الذى عبر أصدق تعبير عن نفسية الإنسان فى غرامه وفى فهمه لعقلية النساء . وإن أنس لا أنس داليته المشهورة التى قالها فى محبوبته « هند » ، حيث يصور لنا مشهداً فريداً فى نوعه ، ويعطينا وصفاً طريفاً لأحاديث النساء فيما بينهن ، بحيث يخلص منه إلى إبراز الغيرة التى تخالج نفس المرأة أياً كان لونها أو زمنها ، لنصغ إليه إذ يقول:

زعموها سألت جاراتها ... وتعرت ذات يوم تبترد :
أكما ينعتنـــى تبصرننى ... عمركن الله أم لا يقتصد ؟
فتضاحكن وقد قلن لها : ... حسن فى كل عين من تود
حسداً حملنه من أجلها ... وقديماً كان فى الناس الحسد

ونستطيع أن نتبين أوجه الشبه القوى فى هذه الخاصة بين ابن أبى ربيعة «وراسين» فى الأدب الفرنسى، أو« ألفرد دو موسيه» كذلك ، بل إن ابن أبى ربيعة بلغ من إتقانه تصوير النفس البشرية حداً جعله يستعمل أبسط الألفاظ وأقربها إلى العامية أحياناً لأجل تأدية المعانى الدقيقة .

ويشارك ابن أبى ربيعة فى هذه الميزة أبو نواس ، ذلك الشاعر العالمى النادر المثال الذى لم يدع حالة من أحوال اللهو والمجون إلا وصفها وصفاً صريحاً كشف عن أدق النزعات والنزوات التى تخامر نفس الإنسان ويكبتها أو يحجبها عن المجتمع .

وخاصة ثانية ارتقى بفضلها الشعراء العرب إلى مرتبة الشعراء العالميين ، تلك هى إحساس الطبيعة ، أو قل تمشق الطبيعة ، والتواجد معها ، وتقديس جمالها والافتتان بتصويره . فابن الرومى، ذلك الفنان المتيم بالألوان ، والبحترى يستويان فى هذا الباب فى مرتبة « لامرتين » و « شاتوبريان » و « فيكتور هوجو » . وأما شعراء الأندلس ، فلا تسل عن الشأو الرفيع الذى بلغوه فى هذا التواجد الإنسانى ، الذى يتجلى فى قول ابن خفاجة حين يصف روضة عند الصباح :

والنّور طرفٌ قد تنبه دامعٌ ... والماء مبتسمٌ يروقُ صقيلُ
فالروض مهتز المعاطف نعمة ... نشوان يعطفه الصبا فيميلُ
ريان فضضه الندى ثم انجلى ... عنه فذهّب صفحتيه أصيـل
وارتد ينظر فى نقاب غمامة ... طرفٌ يمرضه النعاس كليل
ساج كما يرنو إلى عواده ... شاك ويلتمح العزيز ذليل ...

وبين أعلام الأدب العربى شعراء نستطيع تسميتهم شعراء المبدأ أو شعراء الفكرة إن صح هذا التعبير ، يرتقون إلى درجة العالمية بجدارة صريحة ، بفضل المبادىء أو المذاهب الإنسانية التى اعتمدوها فى إنتاجهم الفكرى . ففلسفة التشاؤم وحرية الفكرة تشكلان المحور الأساسى لشعر أبى العلاء المعرى ؛ وهو يلتقى من ناحية التشاؤم بالفيلسوف الألمانى « شوبنهور » ، وفى ناحية حرية الفكر بالكاتب العالمى المعاصر « برناردشو » .

أما المتنبى فقد تجلت فى شعره فكرة إنسانية خطيرة ، كان من شأنها أن تطورت وتبلورت من بعده فى مبدأ فلسفى هام عند الفيلسوف الألمانى نيتشه : ألا وهى فكرةُ « الاستعلاء » ؛ وقد جسمها «نيتشه» فى شخصية « الإنسان الأعلى » أو «السوپرمن» على حد تعبيره . وحسبنا من شعر المتنبى المفعم بهذه الفكرة قوله :

وإنى لمن قوم كأن نفوسهم ... بها أنف أن تسكن اللحم والعظما!

وقوله :

الوليد بن عقبة فى كتاب عثمان

للأستاذ محمود أبو رية

مما لا يكاد يخفى على الباحث المحقق أن أدق فترة فى التاريخ الإسلامى هى التى بدأت باغتيال الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتولى عثمان أمر الخلافة بعده . ذلك أن تيار الإسلام الزاخر قد أخذ بعد مقتل عمر يتحول عن مجراه الذى كان يتدفع فيه بالخير والهدى والسلام على عهد الرسول صلوات الله عليه وصاحبيه إلى اتجاه آخر . وكأن الإسلام الذى اعتز بإسلام عمر وتهدّى فى سيره قد انقلب يتسف الطريق بعد أن انقلب هذا الخليفة العظيم إلى ربه وعلى أن هذه الفترة على ما وصفنا ، فإنها لم تؤرخ على ما يجب أن يكون عليه التاريخ الصحيح ، وذلك أن كل مؤرخ قد كبّل فكره بما وضعه السلف من قيود ، ووقف عند ما خطوه من حدود فلا يبحث بعلم ولا يفكر بعقل . وكان أثقل تلك القيود هو ما قرروه من عدالة الصحابة جميعاً ، حتى جعلوا الطلقاء فى مرتبة المهاجرين ، والمؤلفة قلوبهم فى منزلة الأنصار المخلصين ، والمنافقين فى مقام الأتقياء الصالحين .

وعلى ذلك جرى الخلف وراء السلف يتبع بعضهم بعضاً بلا بصر ولا بصيرة معتمدين على مجرد النقل عنهم ، منصرفين عما يقضى به العقل والمنطق فى نقد ما وصل إلينا منهم .

إنه لا يمكن للمؤلف المحقق أن يؤرخ هذه الفترة الدقيقة إلا إذا تزوّد بزاد كبير من مواد التاريخ ، وحرر عقله من رقّ التقليد ، واستعان فى النقد والتحليل بنظر بعيد وأن يسبر الوقائع كما يقول ابن خلدون « بمعيار الحكمة وأن يقف على طبائع الكائنات ويحكم النظر والبصيرة فى الأخبار » .

ومما يجب على من يؤرخ هذه الفترة أن يقف على طبائع الجاهلية عامة وما كان من نزاع وتخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم خاصة ، وأن يدرك أن ما كان بينهما فى الجاهلية لم يطفئ الاسلام جذوته ، ولم يخفف الهدى المحمدى حدته ، وأن يميز بين الذين آمنوا إيماناً صادقاً من الذين أسلموا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم .

هذا ما يجب على كل من يريد أن يؤرخ هذه الفترة الدقيقة تأريخاً صادقاً ، ومن يفته شئ من ذلك فإن عمله يخرج ناقصاً

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيداً ، وما قولى كذا ومعى الصبر !

ومن فنون الأدب فن عالى قيم اشتهر به كتاب عالميون وكان لأدباء العرب فيه نصيب كبير ، وهو فن « الظرف » أو قل باب الفكاهة والمرح الفكرى . وقد امتاز بهذا الفن بين الانكليز « تشارلز ديكنز » و « برنارد شو » ، وبين الفرنسيين « أناتول فرانس » ؛ ويقابل هؤلاء من بين الأدباء العرب الجاحظ ، بحيث يضاهيهم بالفعل ، وذلك بما فى كتاباته من رقة ومرح ، وبما فى فكاهاته من لذع خفى ، وظرف محكم ، لحمتهما وسداهما الفكرة المعمقة .

وهنالك لونان عاليان من ألوان الأدب ، طرقهما الأدباء العرب فأبدعوا ، وكان لهم بذلك تأثير كبير فى الآداب الأجنبية .

فأحدهما « الأدب الصوفى » ، وقد برز فيه ابن الفارض ، وحوله زمرة لا يستهان بها من المتصوفين الذين يعدون عالميين فى أدبهم الصوفى ؛ والآخر فن تأدية الحكمة على لسان الحيوان ، وقد تجلى هذا الفن فى أدب ابن المقفع ، وانتقل تأثيره إلى الشاعر الفرنسى « لافونتين » .

بإمكاننا أن نلمس من هذا العرض السريع ، مدى أهمية الأدب العربى بالنسبة إلى الآداب العالمية ، تلك الآداب التى عالجت قضايا الإنسان ، ووصفت نفسية الإنسان ، فكانت لغته الحية الناطقة فى كل مكان وكل زمان .

ولئن لجأ بعض الأدباء العالميين لتحقيق هذه الغاية ، إلى وضع المسرحيات ، فما ذلك إلا لأن بيئاتهم الخاصة حدت بهم إلى هذه الوسيلة ، ويسرت لهم تحقيقها ؛ أما أدباء العرب فقد عوضوا عن هذا النقص الطفيف بلجوئهم إلى وسائل أخرى لا تقل عنها أهمية أو قيمة ، مما أتينا على ذكره ، فأنتجوا بذلك أدباً عامراً بالمعانى والعناصر الإنسانية التى بإمكانها أن تتجاوب مع نفس كل إنسان . بل لقد رأينا كيف أنه عندما سمحت البيئة الاجتماعية بطرق فن الأدب التمثيلى عند العرب ، برز شوقى بمسرحياته الخالدة ، فسد ذلك الفراغ العارض بكل جدارة .

وحسب الأدب العربى أعلامه الخالدون عمر بن أبى ربيعة وأبو نواس والمتنبى وأبو العلاء وابن الرومى وشوقى ، حتى يستوى فى مرتبة الآداب العالمية الخالدة .

(بيروت) **محمد وهبى**

وتاريخه يظهر عقيما وإن سمى بين العامة تاريخا ! !

نوطئ بهذا النبذ من القول أن نرسل كلمة صغيرة عن كتاب (عثمان) أحد أجزاء الفتنة الكبرى الذى يتوفر على إخراجها الدكتور طه حسين بك .

تناولت هذا الكتاب بعد أن فرغ الناس من الكتابة عنه والبحث فيه فإذا بى تلقاء نمط جديد فى دراسة التاريخ لم أعهد مثله فيما كتب عن تاريخ صدر الإسلام بحثاً وتحليلا اللهم إلا كتاب (فجر الإسلام) للأستاذ أحمد أمين بك ، فهو صنوه فى البحث ، وقرينه فى التحقيق، هذا فى تاريخ الحياة العقلية ، وذاك فى تاريخ الحياة السياسية .

وهذا الكتاب لا يفهمه حق الفهم إلا من حرر عقله وآثر الحق على هواه . وإذا كان الكلام عن هذا الكتاب النفيس قد يعد الآن من التكرار بعد أن تولاه الكتاب من قبل بالتقريظ والثناء الطيب فانى أتحدث اليوم عن أمر وجدته فيه ولم أر بدا من الكلام عنه .

ذلك أن الدكتور طه حسين بك قد استراب فيما حملته الرواية من أن الوليد بن عقبة قد صلى بالناس فريضة الصبح وهو ثمل ثم التفت إلى من معه وقال : أزيدكم ؟ فقال إن هذه القصة مخترعة من أصلها فيما أعتقد[1] .

ولكن هذا الخبر أثبته كبار المؤرخين وبخاصة من كان منهم من ثقات المحدثين كالبخارى وابن عبد البر والذهبى وابن كثير ، وآخر من أيد هذا الخبر مجتهد اليمن بن الوزير فى كتابه (الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم) فانه على ما أطال فى الدفاع عن رجال الحديث الذين لا يجوزون الكبائر على الصحابة ، وما بالغ من ذلك فانه لم يستطع أن ينكر ما نسب إلى الوليد من أنه صلى الصبح وهو سكران ومما جاء فى كتابه هذا[2] :

« قال إمام أهل الحديث أبو عمر بن عبد البر فى كتابه (الاستيعاب) فى معرفة الصحابة عن الوليد :

« له أخبار فيها نكارة وشناعة تدل بقطع على سوء حاله » وبعد أن بيّن ابن عبد البر : أن أخباره فى شرب الخمر ومنادمته لأهلها كثيرة ، ذكر أنه صلى الفجر بأهل الكوفة ثم قال أزيدكم

وإذا كان الدكتور قد قرر بحق أن إسلام الوليد كان رقيقاً وأنه غش النبى ، فان وقوع مثل هذا الأمر ليس بغريب منه

(١) ص ٩٦ من كتاب عثمان (٢) ص ١٢٦ ج ١

على أن مافعله الوليد من شربه الخمر وصلاته وهو سكران قد استفاض بين الناس حتى أكثروا من القول فيه ويبدو أن عثمان قد تباطأ فى إقامة الحد عليه فقد روى البخارى عن عروة بن الزبير أن عبيد الله بن عدى أخبره أن المسور بن مخرم وعبد الرحمن بن الأسود قالا ما يمنعك أن تكلم خالك عثمان فى أخيه الوليد بن عقبة[1] فقد أكثر الناس (أى من تركه إقامة الحد عليه) فانتصبت لعثمان حين خرج إلى الصلاة فقلت له : إن لى إليك حاجة وهى نصيحة ، فقال : أيها المرء ، أعوذ بالله منك ، فانصرفت فلما قضيت الصلاة جلست إلى المسور وإلى عبد يغوث فحدثتهما بالذى قلت لعثمان ، فقالا : قد قضيت الذى كان عليك ! فبينما أنا جالس معهما إذ جاء رسول عثمان ، فقالا : قد ابتلاك الله ! فأتيته ، فقال : مانصيحتك ! فقلت : إن الله بعث محمداً وأنزل عليه الكتاب ، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله (ص) وهاجرت الهجرتين وصحبت رسول الله (ص) ورأيت هديه . وقد أكثر الناس فى شأن الوليد فحق عليك أن تقيم عليه الحد . وبعد أن أجاب عثمان بقول يذكر فيه إسلامه وموقفه من النبى (ص) وصاحبيه ، قال : ما هذه الأحاديث التى تبلغنى عنكم ؟ فأما ما ذكرت من شأن الوليد بن عقبة فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله . ثم أمر بجلد الوليد فجلد أربعين جلدة فى أصح الروايات ؛ فقد خرج مسلم من طريق أبى ساسان قال : « شهدت عثمان أتى بالوليد وقد صلى الصبح ركعتين ثم قال : أزيدكم ؟ فشهد عليه رجلان أنه قد شرب الخمر والذى تولى جلده عبد الله بن جعفر .

وتبين من سياق الأحداث واستقراء الأخبار أن عثمان رضى الله عنه لم يقم الحد على أخيه إلا لأنه صلى بالناس وهو سكران ، لا لأنه شرب الخمر فحسب ! إذ لو أقيم عليه حد الخمر فقط لوقع ذلك فى كل يوم لأنه كان مدمن خمر !

هذا ما نرى بيانه ، ونرجو أن يوفق الدكتور فى إتمام سائر الأجزاء التى رأى أن يكسرها على تاريخ الفتنة الكبرى ، وأن يخرج مابقى من عمله على غرار هذا الجزء الذى بين أيدينا .

ولعله بعد ذلك يتخذ سبيله إلى تاريخ الأدب العربى تاريخاً مستفيضاً مفصلا حتى يؤدى ماعليه من دين للغة العربية وآدابها .

المنصورة **محمود أبو رية**

(١) وعقبة هو ابن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس وكان أخا عثمان لأمه ، وكان عثمان ولاه الكوفة بعد عزل سعد بن أبى وقاص سنة ٢٥ هـ .

صـــدى مقتل الحسين

في التاريخ الإسلامي والأدب العربي

للأستــــاذ ضياء الدخيلي

في محرم الحرام تفشى الكآبة والحزن الأقطار التي يتغلب فيها التشيع لآل البيت عليهم السلام كما في العراق وإيران والهند وأقسام في الأفغان والتبت في الصين وجبل عامل في لبنان ومحلة الأمن في دمشق ومحلات المتاولة (أي المتولين لأهـل البيت) في بيروت، وبعض عشائر الحجاز حوالى المدينة وفي البحرين الكويت وتركستان والقفقاز في روسيا ومحلات أخرى أجهلها. في الأصقاع الشيعية تجد المساجد والجوامع تجلل في محرم من كل عام بالسواد القاتم حزناً على شهيد كربلاء وتخرج المواكب باكية معولة تندب ابن بنت رسول الله (ص) الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) الذي قتله جند عبيد الله بن زياد بأمر من يزيد بن معاوية وذلك عام ٦١ هـ (٦٨٠ م) — قتلوه هو وصحبه الكرام وأهل بيته حتى طفله الرضيع ومثلوا بأجسادهم الطاهرة وأحرقوا خيامهم وسبوا نساءهم وذلك في كربلاء على مسافة من الكوفة عاصمة أبيه الأمام (ع) وقد بالغوا في القسوة وفظاعة التمثيل وحرموه هو وأطفاله الماء حتى مات عطشان؛ كل ذلك لأخافة شيعة أبيه في العراق وقصد إخماد كل ثورة يحتمل أن يقوم بها الشيعة في العراق للانفصال من الحكم الأموي؛ ولكنهم اقترفوا من الفظائع ما أثار حفيظة العالم الإسلامي وأغضب كل من وقف على الواقعة من الناس حتى المستشرقين، فاقرأ ما كتبه المستشرق الفرنسي سيديو في كتابه (تاريخ العرب العام) والمستشرق الإنجليزي ميور في كتابه (الخلافة نزوعها وانحدارها وسقوطها) — إنك لتجد أقلام هؤلاء على نصرانيتهم — تسيل سخطاً على الجيش الأموي وما قام به في كربلاء من ظلم وعدوان.

لذلك صار اسم محرم رمز الحزن والكآبة في العالم الإسلامي وكان شهر النوح والبكاء عند الشيعة على الأخص. فقد حدث المؤرخون أن الشيعة في العهد الأموي كانوا يعقدون المواكب والاحتفالات الصاخبة، وقد اتخذوا يوم كربلاء يوم حزن ورثاء، وكانوا يولونه كثيراً من عنايتهم فيجتمعون في الأسواق ويسيرون المواكب ويلزمون أنفسهم الإمتناع عن تناول أطايب الطعوم ولذيذ المشروب ويتناشدون الأشعار بالنوح على الحسين (ع) والطعن في قاتليه؛ وظل الحال على ذلك في العراق إلى أن تولى الحجاج بن يوسف الثقفي العراقين في عهد عبد الملك بن مروان فقابل الشيعة بالضد وحمل الناس على اتخاذ هذا اليوم عيداً وألزمهم لباس الثياب الفاخرة وتناول الأطعمة الشهية واتخاذ صنوف الحلوى والأفتنان فيها ومنها الحبوب المطبوخة باللبن والسكر وكان من نتيجة ذلك أن وقعت مصادمات دامية بين الشيعة والسنة وحدثت مجازر مؤلمة بين المسلمين وقانا الله شرها.

حتى إذا قامت الدولة البويهية في العراق جعلت الاحتفال بذكرى مصرع الحسين أمراً رسمياً تلتزم القيام به الدولة المستولية على أزمة الحكم. قال السيوطي في (تاريخ الخلفاء)، وفي سنة ٣٥٢ هـ يوم عاشوراء ألزم معز الدولة (البويهي) الناس بغلق الأسواق ومنع الطباخين من الطبيخ ونصبوا القباب في الأسواق وعلقوا عليها المسوح (والمسوح جمع المسح وهو الكساء من شعر، وما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للجسد) قال السيوطي وأخرجوا نساء منشرات الشعور يلطمن في الشوارع ويقمن المآتم على الحسين؛ وهذا أول يوم نيح عليه ببغداد. واستمرت هذه البدعه سنين: وفي ١٨ ذي الحجة منها عُمل عيد غدير خم وضربت الدبادب (والدبادب جمع الدبداب وهو الطبل سمي بذلك حكاية لصوته).

وقال ابن الأثير في أخبار سنة ٣٥٢ هـ وفي هذه السنة عاشر محرم أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء وأن يظهروا النياحة ويلبسوا قباباً عملوها

بالمسوح ، وأن يخرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن فى البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن على (ع) ففعل الناس ذلك . ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم . وفى ١٨ ذى الحجة أمر معز الدولة بإظهار الزينة فى البلد وأشعلت النيران بمجلس الشرطة وأظهر الفرح وفتحت الأسواق بالليل كما يفعل ليالى الأعياد ، فعل ذلك فرحاً بعيد غدير (وضربت الدبادب والبوقات وكان يوماً مشهوداً) وقال أبو المحاسن فى (النجوم الزاهرة) فى حوادث سنة ٣٦٣ وفيها أعاد عز الدولة بختيار النوح فى يوم عاشوراء إلى ما كان عليه

وقال ابن الجوزى فى المنتظم فى أخبار سنة ٣٥٢ فمن الحوادث فيها أنه فى اليوم العاشر من المحرم غلقت الأسواق ببغداد وعطل البيع ولم يذبح القصابون ولا طبخ الهراسون ولا ترك الناس أن يستقوا الماء ونصبت القباب فى الأسواق وأقيمت النائحة على الحسين (ع)] .

والظاهر أن ما سنه معز الدولة البويهى استمر فى بغداد والعراق وتمسك به شيعة بغداد والتزموا القيام به فى كل عام ؛ حتى اليوم تجد تلك المواكب الحزينة الباكية تقام فى العراق ومنه أخذها العالم الإسلامى الشيعى . وقد جر إصرار الشيعة على إقامة تلك التقاليد المذهبية أن حدثت عدة اصطدامات بينهم وبين إخوانهم الأعزاء من أبناء السنة ؛ ففى الأيام الأخيرة عندما حاول ياسين باشا الهاشمى منعها قامت ثورات دامية فى الفرات فى لواء الديوانية وفى لواء الناصرية .

أما فى العصر العباسى الأخير فقد كانت الفتن المذهبية قائمة على قدم وساق بين الشيعة والسنة من أجل إصرار الشيعة على إحياء المواكب العزائية فى كل عام وقت محرم كما سنها معز الدولة البويهى ومن سبقه فى العصر الأموى قبل أن يجعل الحجاج يوم عاشوراء عيداً نكاية بشيعة العلويين .

قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٤١ هـ وفيها منع أهل الكرخ من النوح (على الحسين) وفعل ما جرت عادتهم بفعله يوم عاشوراء فلم يقبلوا وفعلوا ذلك فجرى بينهم وبين السنية فتنة عظيمة قتل فيها وجرح كثير من الناس ولم ينفصل الشر بينهم حتى عبر الأتراك وضربوا خيامهم عندهم فكفوا حينئذ ، ثم شرع أهل الكرخ فى بناء سور على الكرخ ، فلما رآهم السنية من القلائين ومن يجرى مجراهم شرعوا فى بناء سور على سوق القلائين . وأخرج الطائفتان فى العمارة مالا جزيلا وجرت بينهما فتن كثيرة وبطلت الأسواق وزاد الشر حتى انتقل كثير من الجانب الغربى إلى الجانب الشرقى فأقاموا به . وتقدم الخليفة إلى أبى محمد بن النسوى بالعبور وإصلاح الحال وكف الشر فسمع أهل الجانب الغربى ذلك فاجتمع السنية والشيعة على المنع منه وأصلحوا أمرهم بأنفسهم ، وأذنوا فى القلائين وغيرها بحى على خير العمل (وهذا النداء ينفرد به الشيعة فى أذانهم) وأذنوا فى الكرخ : الصلاة خير من النوم (وهذا نداء ينفرد به أذان السنية وقت الفجر) وأظهروا الترحم على الصحابة فبطل عبور النسوى) هذا ما قاله ابن الأثير وفيه ترى التشاحن بين أهالى بغداد لم يكن منبعثاً بدوافع مذهبية فحسب ، بل أنه دخلت فى تكوينه أسباب أخرى جاهلية هو ما كان بين المحلات من تفاخر ، وهذا مظهر لانحطاط عقلية العامة من الناس فى تلك العهود وانتشار الجهل بين الطبقات الاجتماعية الدنيا الذى أدى إلى توسيع شقة الخلاف.

قال ابن الأثير ثم تجددت الفتنة سنة ٤٤٣ هـ فى صفر وعظمت أضعاف ما كانت قديماً فكان الاتفاق المتقدم غير مأمون الانتقاض لما فى الصدور من الأحن . ووصف ابن الأثير فى الجزء الثامن ص ٢٠٩ قيام بعض رجال الدولة العباسية من أهل السنة بالانتقام من شيعة الكرخ بإحراق أسواقهم ودورهم بوضع النار فى عدة مواضع منها مما أدى إلى احتراق سبعة عشر ألف إنسان وخسارة عظمى فى الأموال وهذا من أفظع صور المعارك الطائفية فى العصر العباسى الأخير مما مهد إلى انقراض الدولة الإسلامية وذهاب ريحها .

قال ابن الأثير وفى سنة ٥٠٢ هـ وقع الصلح ببغداد بين السنية والشيعة بعد فتن تكررت بينهم سنين عديدة ، ولم يستطع خليفة ولا سلطان أن يصلح بينهم ، (بل الصحيح أن الملوك لم يكونوا يريدون الإصلاح ، بل كانوا يزيدون النار حطباً

على أساس القاعدة : فرق تسد) فنرى مما تقدم ما تركه مصرع سيدنا الحسين (ع) من أثر سيء ظل يدوى صداه فى الأعصار الإسلامية ؛ وقد سبب مجازر طائفية دامية أضاعت شوكة الإسلام وشغلت المسلمين بأنفسهم وألقت بأسهم فيما بينهم وأعداؤهم يتربصون بهم الدوائر ، ويتحينون الفرص للانقضاض عليهم وتدمير معالم حضارتهم وإلقاء نير العبودية فى رقابهم وقد سنحت لهم الفرصة فى عهد المستعصم الذى قام جيشه بأفظع مجزرة طائفية فى الكرخ إذ قتل ونهب وسبى العلويات بقيادة (أمير الجيوش) وأبى بكر ابن المستعصم كما وصف الحادثة ابن الفوطى من أبناء ذلك العصر فى كتابه (الحوادث الجامعة والعبر النافعة فى المائة السابعة) .

وأما فى مصر فقد قال المقريزى فى (خططه) ج ٢ ص ٣٨٥ عن عاشوراء كان الفاطميون يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الأسواق ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسينى فأنظره ، وكان يصل إلى الناس منه شيء كثير . فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بنى أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسمون فيه على عيالهم ويتبسطون فى المطاعم ويصنع الحلاوات ويتخذون الأوانى الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جريا على عادة أهل الشام التى سنها لهم الحجاج فى أيام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة على بن أبى طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن على لأنه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكلا الفعلين غير جيد والصواب ترك ذلك والاقتداء بفعل السلف فقط .

وكان الفاطميون ينحرون يوم عاشوراء عند القبر (أى قبر رأس الحسين (ع) الذى نقله الأفضل بن أمير الجيوش من عسقلان فى فلسطين إلى مصر) — الأبل والبقر والغنم ويكثرون النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين (ع) ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم .

قال ابن زولاق فى كتاب (سيرة المعز لدين الله) : فى يوم عاشوراء من سنة ٣٥٣ هـ انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم إلى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة (يقول المقريزى إن السيدة كلثوم هى بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق (ع) والسيدة نفيسة هى بنت الحسن بن زين العابدين بن الإمام الحسن بن على أبى طالب (ع) وقد توفيتا بمصر ودفنتا هناك) ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين (ع) وكسروا أوانى السقائين فى الأسواق وشققوا الروايا وسبوا من ينفق فى هذا اليوم ونزلوا حتى بلغوا مسجد الريح وثارت عليهم جماعة من رعية أسفل فخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن هناك فى دار محمد بن أبى بكر وأغلق الدرب ومنع الفريقين ورجع الجميع فحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لأن الناس قد أغلقوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الأسواق وإنما قويت أنفس الشيعة بكون المعز (الفاطمى) بمصر . وقد كانت مصر لا تخلو منهم فى أيام الأخشيدية والكافورية وكانوا يجتمعون فى يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة . وكان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة وتعلق السودان فى الطرقات بالناس ويقولون للرجل من خالك ؟ فإن قال معاوية أكرموه ، وإن سكت لقى المكروه ، وأخذت ثيابه وما معه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج .

وقال المسبحى (قال لى الدكتور مصطفى جواد هو عز الدين المسبحى له كتاب مفقود فى تاريخ الدولة الفاطمية ومسبح هنا اسم مفعول من سبح بالتشديد) — وفى يوم عاشوراء من سنة ٣٩٦ هـ جرى الأمر فيه على ما يجرى كل سنة من تعطيل الأسواق وخروج المنشدين إلى جامع القاهرة ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد ؛ ثم جمع بعد هذا اليوم قاضى القضاة عبد العزيز ابن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقال لهم لا تلزموا الناس أخذ شيء منهم إذا وقفتم على حوانيتهم ولا تؤذوهم ولا تتكسبوا بالنوح والنشيد ، ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء . ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة فى الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا على الشارع بجمعهم وسبوا

السلف فقبضوا على رجل ونودى عليه هذا جزاء من سب عائشة وزوجها (ض) وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه .

وقال ابن المأمون وفى يوم عاشوراء بعتىسنة ٥١٥ هـ (وذلك فى عهد الآمر بأحكام الله سنة ١١٢١ م) عبىء السماط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر التى كان يسكنها الأفضل ابن أمير الجيوش وهو السماط المخصص بعاشوراء وكان يعبأ فى غير المكان الجارى به العادة فى الأعياد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من أدم والسماط يعلوها من غير مرافع نحاس وجميع الزبادى أجبان وسلائط ومخللات ، وجميع الخبز من شعير وخرج الأفضل من باب (فرد الكم) وجلس على بساط صوف من غير مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الأشراف على طبقاتهم وحمل السماط لهم وقد عمل فى الصحن الأول الذى بين يدى الأفضل إلى آخر السماط عدس أسود ثم بعده عدس مصفى إلى السماط ثم رفع وقربت صحون جميعها عسل نحل .

ضياء الدخيلي

ركن المعتزلة :

قدرة الله فى مذهب المعتزلة

الدكتور ألبير نصرى نادر

— ٢ —

تقول المعتزلة إن الله لا يفعل إلا الأصلح وأن قدرته لا تأتى إلا بما هو كمال ؛ فقط هناك نقطتان ذواتا أهمية كبرى وهما التوفيق بين قدرة الله تعالى وحرية الأختيار عند الانسان من جهة ومن جهة أخرى مسألة الظلم : هل يمكن أن يفعله أم لا يمكن .

قدرة الله وقدرة الإنسان على أعماله :

لما كان الله قادراً على كل شيء ، ولما كانت قدرته لا متناهية كذاته ومتجهة دائماً نحو الكمال ، فمن أين إذن الشر والمعصية وما يترتب عليهما من عقاب وألم ؟ إنهما لايقعان إلا عن كائن حر الاختيار فى نياته وأعماله ، يتردد ثم يختار ويعزم . وفى تردده هذا دليل على عجزه وعدم كماله . ويترتب على اختياره نتائج ملائمة لما اختاره من عمل حسن أو سيء . فأين قدرة الله من عمل الانسان هذا ؟ إن قدرته تعالى تحدها حرية الأنسان . والمعتزلة يتمسكون بشدة بهذا المبدأ ويبنون عليه المسألة الأخلاقية بكاملها .

وبما أن الثواب أو العقاب هو نتيجة لما اختاره الانسان بمجرد حريته فلا يمكن الله أن يغير أو يبدل فى هذا الثواب أو العقاب . ويقول النظام بهذا الصدد : إن الله لايقدر على أن يخرج أحداً من أهل الجنة منها ولا يقدر على أن يلقى فى النار من ليس من أهل النار . ويقول أيضاً : لو وقف طفل على شفير جهنم لم يكن الله قادراً على إلقائه فيها وقدر الطفل على إلقاء نفسه فيها[1] . إننا لا نعجب من قول المعتزلة هذا لأنهم أثبتوا من جهة قدرة الله لامتناهية ؛ وهى فى مذهبهم ليست سوى الذات ؛ وأثبتوا من جهة أخرى قدرة الإنسان على أنه حر فى اختيارها . وبعد ذلك وجدوا أنفسهم أمام مشكلة عويصة وهى هل الله قادر على كل شيء : على الظلم والجور كما هو قادر على العدل ؟ وبمعنى أوضح هل يقدر الله تعالى أن يثيب من استحق العقاب وأن يعاقب من استحق الثواب ؟ بحثت المعتزلة هذه المسألة على ضوء العدل وسنبين فيما بعد الحل الذى أتوا به وقبل أن نعرض لهذا الحل نذكر هنا عقيدة راسخة عند المعتزلة استنتجوها من قولهم بعدل الله وقدرة الإنسان على أعماله ، وهى أن الله تعالى يعمل لما فيه صالح الخلق ولكنه يترك الإنسان حراً فى اختياره . ولما كان الله تعالى لم يزل يعلم ما يختاره الإنسان من أعمال فإنه يأتى أحياناً بلطف من عنده لمساعدة ذوى الإرادة الحسنة . لذلك يقول بشر ابن المعتمر[2] إن الله لو علم من عبد أنه لو أبقاه لآمن كان إبقاؤه إياه أصلح له من أن يميته كافراً[3] فنلمس هنا مسألة اللطف الذى

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١١٥ — الشهرستانى : الملل والنحل (على هامش بن حزم ط ص ٦١) .

(٢) هو أبو سهل الهلالى بشر بن المعتمر المتوفى حوالى ٢١٠هـ أو ٢١٦ هـ وهو مؤسس فرع بغداد . تتلمذ لأبى عثمان الزعفرانى ولبشر بن سعيد صاحبي واصل بن عطاء رأس المعتزلة .

(٣) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٤١ .

يتدارك به الله العاصى . ولكن المعتزلة تقول إن هذا اللطف لا يمنح إلا فى حالات شاذة نادرة . وخلاص نفوسنا أو هلاكها عائد إلينا ، وذلك بفضل حرية اختيارنا لذلك يقول بشر بن المعتمر ومعه جميع المعتزلة إن الله لا يكون مواليا للمطيع فى حال وجود طاعته ، ولا معاديا للكافر فى حال وجود كفره ؛ وإنما يوالى المطيع فى الحالة الثانية من وجود طاعته ، ويعادى الكافر فى الحالة الثانية من وجود كفره[1] .

هذا قول واضح بأن الإنسان بمحض إرادته يصبح مطيعاً أو كافراً ولا قدرة لله فى ذلك . وبعدما يصبح الإنسان مطيعاً (وهى الحالة الثانية التى يتحدث عنها المعتزلة) حينئذ يكون الله موالياً له ؛ وبعدما يصبح كافراً (وهى الحالة الثانية فى الكفر) حينئذ يكون الله معادياً له . ويستدل المعتزلة على ذلك بقولهم إنه لو جاز أن يساعد الله الإنسان فى حال وجود الطاعة فيه لجاز أن يساعده فى حال وجود الكفر فيه . وهذا محال فى مذهبهم لأن الله لا يفعل الشر ؛ والشر فى الحقيقة هو المعاصى الموصلة إلى عذاب الله ، على حسب قول قاسم الدمشقى[2] .

الحكمة فى أعمال الله :

تقول المعتزلة إن الله غاية فى الحكمة ولا يفعل إلا الأصلح فهو تعالى لا يعمل شيئاً اتفاقاً أو جزافاً . فعليه توجد قوانين ثابتة ومحددة من لدن حكمته تعالى تسوس جميع الأمور فى هذا العالم ؛ وهذه القوانين خاضعة لحكمة الله الكاملة . فيجب أن ننظر إلى كل ما يحدث فى الدنيا كأنه تعبير لهذه الحكمة . وعقل الإنسان ، فى رأيهم ، يمكنه أن يدرك هذا النظام الكامل فى العالم والذى يدل على وجود خالق أزلى حكيم كامل عادل .

هل يقدر الله على أن يظلم ؟

يبدو هذا السؤال غريباً فى مذهب المعتزلة القائلين بأن الله كلى الكمال ؛ ولكنهم بالرغم من ذلك لخصوا هذا السؤال حتى يوضحوا فكرتهم عن الله ويجلوها .

من الجلى أنهم جميعاً يردون أى فكرة تؤدى إلى الإعتقاد

(١) نفس المصدر .

(٢) الخياط : كتاب الأنتصار ص ٨٥ .

بأن هناك ظلماً فى عمله تعالى وهم يرددون دائماً بأن الله يفعل ما فيه صالح الخلق . فإذا بحثت المعتزلة هذا الموضوع فيكون ذلك من جهة القدرة فقط ، وليس من جهة عمل الظلم فعلا من لدنه تعالى . فيكون الموضوع مجرد بحث نظرى . وعلى هذا الشكل نجد حلين مختلفين لهذا السؤال عند المعتزلة .

الحل الأول : القول بالقدرة :

القائلون بها من المعتزلة هم أبو الهذيل العلاف وأبو موسى المردار وجعفر بن حرب وبشر بن المعتمر . وقولهم مقتضى أن الله يمكنه أن يفعل الظلم ولكنه لا يفعله أبداً وأوضح المردار حججهم فى ذلك بقوله : إن الله يوصف بالقدرة على العدل وعلى خلافه وعلى الصدق وعلى خلافه ، لأن هذه هى حقيقة الفاعل المختار أن يكون إذا قدر على فعل شىء قدر على ضده وتركه[1] ولكن يضيف المردار إلى هذا قوله : ولو فعل تعالى مقدوره من الظلم والكذب لكان إلهاً ظالماً كاذباً[2] وهذا ما يناقض فكرة الله عند المعتزلة وتعريفهم له تعالى إذ يقولون إن ذات الله هى الكمال والظلم لا يقع إلا عن كائن غير كامل . فإذن يستند أصحاب هذا الرأى على فكرة الاختيار عند الله ليقرروا أنه تعالى قادر على الظلم ؛ ولكنهم يعودون ويقولون أن الله لا يفعله . ويقول أبو الهذيل فى هذا الصدد: إن الله يقدر على الظلم والكذب ولكنه لا يفعلهما لقبحهما وهو تعالى كامل لا يفعل القبيح[3] . ويضيف جعفر بن حرب قوله : ان يسأل هؤلاء المعتزلة : أفمعكم أمان من أن الله لا يفعل الظلم وهو قادر عليه ؟

(ا) قلنا : نعم هو ما أظهر من حكمته وأدلته على نفى الظلم والجور والكذب .

(ب) فيستنتج من ذلك أن المعتزلة القائلين بقدرة الله على الظلم لأنه مختار لأفعاله يذهبون فى آخر الأمر إلى القول بأنه لا يفعل الظلم لأنه تعالى كامل ولأن الظلم قبيح فى ذاته . ولهذين السببين يقولون إن الله مع قدرته على الظلم لا يفعله .

(١) الخياط : الأنتصار ص ٦٦ .

(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٥١ .

(٣) الشهرستانى : الملل على هامش ابن حزم حـ ١ ص ٦١ . الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٢٠٠ و ٥٥٥ ابن حزم : الفصل حـ ٤ ص ١٤٧ .

الحل الثاني : القول بعدم القدرة :

يقول النظام وعلى الأسوارى والجاحظ والإسكافى إن الله لايوصف بالقدرة على الظلم والكذب وعلى ترك الأصلح من الأفعال إلى ما ليس بأصلح وأحالوا أن يوصف الله بالقدرة على عذاب المؤمنين والأطفال وإلقائهم فى جهنم[١] لأن المخلوق العاقل فى رأيهم يقدر أن يفعل الشر كما يقدر أن يفعل الخير لأن إرادة الإنسان الحرة يمكنها أن تختار بين الخير والشر وهى تثاب أو تعاقب حسب ما اختارته من أعمال . ولكن لايوجد هذا الاختيار فى قدرة الله ، لأن قدرته تعالى على قول هؤلاء المعتزلة لم تزل متجهة فقط نحو الخير المطلق . وللنظام حجته فى ذلك . فهو يقول : إن القبح إذا كان صفة ذاتية للقبيح وهو المانع من الاضافة إليه فعلا ففى تجويز وقوع القبيح من الله تعالى قبح أيضاً ؛ فيجب أن يكون مانعاً . ففاعل العدل لايوصف بالقدرة على الظلم ، لأنه لو وصف بالقدرة عليه لكان عنده ميل إلى الظلم . وهذا الميل نقص وضعف مما يناقض ماهيته تعالى الكاملة . وخلافاً لمن زعم من المعتزلة أن الله يقدر على أن يظلم ، يقول النظام إننا لا يمكننا أن نصف الله بهذه القدرة لأن ذاته تعالى لم تزل ثابتة وليس فيها أى ضعف أو عجز . لذلك يقول النظام إن الله لايقدر على أن يفعل لعباده فى الدنيا ما ليس فيه صلاحهم ، كما أنه لايوصف بالقدرة على أن يزيد فى عذاب أهل النار شيئاً ، ولا على أن ينقص من نعيم أهل الجنة ، ولا أن يخرج أحداً من أهل الجنة . وليس ذلك مقدوراً له[٢] لأن الظلم والكذب لا يقعان إلا من جسم ذى آفة . فالواصف لله بالقدرة عليهما قد وصفه بأنه جسم ذو آفة[٣] . ثم هناك قول آخر شديد لأبى جعفر الإسكافى فى هذا الصدد إذ يقول أن الأجسام تدل بما فيها من العقول والنعم التى أنعم الله بها عليها على أن الله ليس بظالم لها . والعقول تدل بأنفسها على أن الله ليس بظالم . فليس يجوز أن يجامع دفوع الظلم منه مادل لنفسه على أن الظلم ليس يقع منه[٤]

* * *

هذان القولان : القول بقدرة الله على الظلم والقول بعدم قدرته تعالى عليه ، ولو أنهما يختلفان إلا أن النتيجة التى يصلان إليها واحدة وهي أن الله لا يظلم أبداً حتى ولو قدر على الظلم . إلا أن أصحاب القول الأول بنوا رأيهم على فكرة وجود الاختيار عند الله فى حين أن أصحاب القول الثانى لايقولون بهذا الاختيار لأن الله فى زعمهم غير مختار وهو الكمال المطلق ، والاختيار تفضيل أمر على أمر وهذا ليس من خصائص الله تعالى . والذى جعل أصحاب القول الأول يتراجعون ويقولون إنه تعالى لايأتى الظلم هو أن الظلم قبيح فى ذاته وأن الله كمال مطلق . فالفارق بين هؤلاء وهؤلاء فارق نظرى بحت .

ألبير نصرى نادر
دكتور فى الآداب والفلسفة

(١) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥٥٥ .
(٢) الشهر ستانى الملل على هامش ابن حزم ج ١ ص ٦١
(٣) الخياط : الانتصار ص ٢٧ .
(٤) نفس المصدر ص ٩٠ .

اذكريني

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

اذكريني إذا استفاض الضياء   فاستقرت في خدرها الظلماء
وبدا الفجر شادياً بالأغانى   فإذا الكون فرحة وغناء
هو طفـــل على الروابى غرير   راقص الخطو، باسم، وضاء
تخشع الأرض حين يمشى عليها   وتناجيـــه بالأغانى السماء
ولدته الظلماء معشوقة الليـ   ـل، والليـــل شهوة حمراء
أطلقتـه إلى الوجود وجوداً   ملؤه الحب، والمنى، والرجاء
فيه منهـا صبابة وحنين   وبه من عشيقها أهواء
أنت فجر الحياة فى قلبى البا   كى، وأنت الطبيعه العذراء

واذكريني إذا تراءى الصباحُ   فتهادت فى نوره الأرواحُ
ورأيت الطيـور تبعث فى الأفـ   ـق أغاريد كلهـا أفراح
ورأيت الزهور يخفق فيها الطـ   ـل، والظل، والسنا اللماح
عطرها خمرة القلوب، وإن كا   ن طليقاً لم تحوه الأقـداح
أنت قيثارتى وألحان قلبى   ونشيـدى المطر المراح
جنة أنت فى صحارى حياتى   وأنا فيك بلبـل صداح
فى دمى لحنك الشجى، وفى قلـ   ـبى المعنّى عبيرك الفواح
فاذكريني ماهام فى الجو عطر   وتسامى على الرياح جناح

واذكريني إذا الأصيـل تجلى   شاحب النور، واهنا، مضمحلاً
أبصر الليـل مسرعا، فاعترته   رهبة أرعشته نوراً وظلا
كل شيء فيه أراه بقلبى   أملاً راحلا، وعمراً تولّى
أنا مثـل الأصيل تذبل فى قلـ   ـبى الأمانى كأننى صرت كهلا
لم أمت غير أننى أدرك الو   ت بروحى، كأننى مت قبلا
طالما رن صوته فى حياتى   وبدا طيفه عليهـا مطلا ..
بليت جِدَّةُ الشباب كما تبـ   ـلى الليالى، وكل شيء سيبلى
فاذكريني عند الأصيل؛ ففيه   من حيـاتى مشابهٌ تتجلى

واذكريني إذا رأيت الغروبا   والسنا راحـل يؤم الغيوبا
ورأيت السماء قلباً حزيناً   موشكا من صبابة أن يذوبا
فقد الشمس، وهى إلف عزيز   فبـكى إلفه العزيز الحبيبا
وانحنى ضارعاً يطل عليهـا   وينـادى لعلها أن تجيبا
آه من لوعة الغروب التى ءٍ   لأ قلـبى صبابة ونحيبا
آه من روعة الغروب التى تلـ   ـهم نفسى فناً جميـلا عجيبا
إن نفسى من الغروب. أراها   وأراه فراشة ولهيبـا
فاذكريني عند الغروب غروباً   قد أطل الدجى عليه رهيبا

واذكريني إذا المساء طوانى   قلق النفس، حائر الوجدان
فإذا بى أرى أمانىّ تمضى   فى فضاء تضل فيـه الأمانى
وأحس الظلام ينساب فى أعـ   ـوار نفسى، وفى صميم كيانى
وأرى الروح، وهى تمضى بعيداً   عن قيود المكان خلف الزمان
أطلقتهـا يد المساء، وقد كا   نت تعانى فى سجنها ما تعانى
فاستقرت فى عالم خلقتــه   قبـل أن تلبس الوجود الثانى
إن هـذا المساء يسمو بروحى   وبنفسى عن عالم الإنسان
فاذكريني عند المساء، ففيـه   تخلص النفس من قيود المكان

واذكريني فى الليـلة القمراء   والدجى غارق بنهر الضياء
والسماء الضحوك تنساب بالنو   ر، وتزهى ببدرها الوضاء
والضياء الشفيف لحن شجى   عزفتــه ملائك فى السماء
والنسيم اللطيف أرواح عشا   ق تغــنى بحبها فى الفضاء
آه من روعة الضياء، وما تبـ   ـعث فى النفس من أمان وِضاء
ليتـنى كنت ذرة من ضياء   فى جواء طليقــة الأرجاء
ليتنا نعــبر الفناء بروحيـ   ـنا إلى عالم وراء الفناء
حيث نحيـا فى عالم الخلد والمجـ   ـهول، والسحر، والرؤى، والخفاء

وإذا ضمك السكون الحبيبُ   فى مساء تحن فيـه القلوبُ
فاذكرى أننى أناديك بالرو   ح، ومالى إلا صداها مجيب
وأقول الأشعار فيك، وفيها   مهجة فى لظى الجراح تذوب
نحن روحان عاشقان، ولكن   بيننا فى اللقـاء شيء رهيب
أنت فى الشام ياشقيقـة نفسى   وأنا ها هنـا بمصرٍ غريب!
عذبتنى الحياة حتى لقد صر   ت كأنى فى نارها مصلوب
كم تمنيت أن أقيم بأرض   أى أرض وأنت منى قريب

غير أن الزمان يسرع بالأيام ، والشمس ... شمس عمرى تغيب

وإذا قلت شعرك الولهانا ... فاملئيــه ضراعة وحنانا
واذكرى أننى أذوّب قلبى ... فى قصيدى ، وأسكب الوجدانا
أنت قربتنى ففجرت فى قلـ ... ـبى وروحى الفناء والألحانا
ثم أقصيتنى فصارت حياتى ... تستثير الأنين والأشجانا
يامنى الروح كيف هان على قلـ ... ـبك قلبى ؟ تكلمى ! كيف هانا ؟
رسمك المفتــدى يثير حنينى ... حين آتيـه أنشد السلوانا !
ورسالاتك الرقيقــة أتلو ... هـا ، فأنسى نفسى ، وأنسى الزمانا
فاذكرينى ، فلم يعد لى سوى الذكـ ... ـرى عزاء عما انطوى من هوانا

واذكرينى إذا طوانى الفناء ... كشعاع تضمه الظلماء
فرأيت الحياة تنسلّ من جسـ ... ـمى ، كأفق ينسل منه الضياء
ورأيت السكون يرسب فى رو ... حى ، فلا نأمة ، ولا أصداء
وتذكرت ما مضى من حياتى ... وحياتى مدامع ودماء !
فبكت روحى الحزينة ، والدمـ ... ـع من الحزن سلوة وشفاء
هذه سنة الحياة : بكاء ... حين نأتى ! وحين نمضى بكاء !
آه من رهبة الفناء ، وإن كا ... ن حبيباً إلىّ هذا الفناء ؟
فاذكرينى إذا مضيت عن الدنـ ... ـيا وحيداً حتى يحين اللقاء

وإذا جئت ياهوى أيامى ... من بلاد عطرية الأنسام
فاذهبى مرة إلى قبرى النا ... ئى بعيداً فى المنزل المترامى
والمسيه فى رقة وحنان ... إن فيـه قلبى ، وفيـه حطامى
وضعى زهرة عليه ، وفيها ... ألق من جبينك البسام
واسكبى دمعة عليه ، وفيها ... سر ما تكتمين من آلام
واقرئى شعرك الرقيق على قبـ ... ـرى ، فيهفو من الحنين عظامى
واسمعى شعرى المولّه تبكى ... فيـه أشواق روحى المستهام
واعلمى أننى مضيت عن الدنـ ... ـيا ، وما نلت غايتى ومرامى
لم أنل منك ما يخدّر إحسا ... سى ، وما ذقت ما يبل أوامى
فقضيت الحياة أمعن فى الأحـ ... ـلام حتى فنيت فى الأحلام
وأغـــذى الأيام بالوهم حتى ... صار عمرى وهما من الأوهام
فاذكرينى مدى الحياة محباً ... صادق الحب ، واذكرى أيامى

ابراهيم محمد نجا

٤٠ ٥ ٣٣

حـــرمان ..

للأستاذ عمر النص

أتكفر بى ياشباب المنى ... وقد وهبتك يداى الشباب ؟
طغت كبرياؤك حتى سدلت ... على ناظرىّ نقاب العذاب
تركت لك الزهو .. زهو الصبا ... وودعت تلك الأمانى الكذاب
على مقلتىّ يلوح العيــاء ... وتخنى على كتفى الصعاب
وأخرست فى شفتى اللحون ... وأطبقت كفى فوق الرباب
وأقبلت أنثر بين يدى ... ثمار الغدو ومحْل الإياب ..!
وألفيتنى فى عباب الذهول ... أقلب طرفى خلال السحاب
أحدق على أمسّ النيوب ... وأبصر ماذا وراء الحجاب . ؟!
وأهفو إلى حلم لا أراه ... ولكن ألامحه فى الضباب
يطوح بى فى شعاب الظنون ... وتقذف بى فى خضم العتاب
أفر له من لهاث الحنين ... وأهرب من وسوسات العقاب
نفرت إليـه أربع الحشا ... فبعثرت فيــه المنى والرغاب
فضاء نفضت عليه اليقـين ... وضيعت فيه الظنون العذاب
طفقت أؤمل فيه الحياة ... فلم ألف غير البلى والخراب
وعدت إلى الوهم أسقى الخيال ... فغص الخيال وجف الشراب
وكنت ازدريت السراب النوى ... فمن ذا يعيد إلىّ السراب ..؟!
تلاشى الشباب .. ولما يكن ... سوى ورقة فى الرياح الغضاب
عشى به اليبس قبل الينوع ... وألقت به الريح فوق التراب !

مشكلات الفلسفة :

فى الحـــرية

للأستاذ عبد الفتاح الديدى

تأخذ الحرية لدى الشبان معنى لا يمكن أن تعرفه ولا أن تتوصل إليه أذهان الشيوخ ، ويكون لهذه الكلمة من الوقع فى نفوس المقبلين على ميادين الحياة البكر أكثر مما يكون لها عند الذين أشرفت عهودهم على النهاية واقتربت أعمارهم من الختام . فالحرية لا يمكن أن تكون موضوع بحث أو مثار نزاع إلا فى الأطوار الأولى من حياة الأفراد ، حيث تسبغ البكارة غموضها على كل شىء ، وتبعث الطفولة أحلامها فى كل معنى ، وتقحم المثل الإنسانية تصاويرها من كل جانب . وإذا صح هذا كنا بإزاء نتيجتين : إحداهما أن الحرية تقترن بالجهل دائماً ، وثانيهما أن العادة هى العدو الأكبر لما تؤدى إليه الحرية من صنوف العمل وضروب الإنتاج .

ولتوضيح هاتين النظريتين ينبغي أن نبدأ فنؤكد تلك الصلة الوثيقة بين الجهل والحرية عن طريق ما يسمونه فى الفلسفة بالممكنات . أليست الممكنات أشياء مجهولة عند من يريد أن يضعها موضع البحث والتأمل ؟

نعم ، هى كذلك بلا مراء ما دمنا بعيدين عن دائرة الوجود الحقيقى ، وما دمنا مقتصرين على تدبر الاحتمالات النظرية بخصوص شأن من الشئون . وكان أرسطو فى الفلسفة القديمة يفرق بين الوجود بالقوة والوجود بالفعل على أساس أن الأول هو الشىء الذى لا يزال فى حكم العدم ، وإن راودنا الأمل فى وجوده بعد حين . أما الأشياء الموجودة بالفعل ، فهى تلك التى تقوم من حولنا والتى تظللنا بظلها وتثقل علينا بوطأتها وتعيش فى العالم الظاهر المحسوس . وهناك اختلاف كبير ينبغي أن نلاحظه بين العدم الخالص وبين الوجود بالقوة ؛ فهذا على الرغم من أنه غير موجود ، يقع فى دائرة الإمكان وينظر الإنسان إليه نظرته إلى شىء سيأتى به المستقبل على وجه من الوجوه .

أما العدم ، فهو حقيقة خالية من أى مضمون ، ويستحيل أن يكون فى المستقبل بحال من الأحوال ، ولا يملك فى ذاته ما يعينه على أن يتحقق ، أى أن يكون شيئاً ما . وعين هذه التفرقة التى وضعها أرسطو هى التى ترددها اليوم فلسفة الوجود على وجه يختلف قليلاً من ناحية الاصطلاح اللفظى ولا يختلف كثيراً من ناحية المضمون المعنوى .

فالفلسفة الوجودية والفلسفات الحديثة عموماً تضع كلمة الممكن فى مقابل الاصطلاح الأرسطى (الوجود بالقوة) ، وتضع كلمة الوجود للتعبير عما هو قائم فى حدود الأشياء الماثلة أو داخل ضمن الكائنات الحية وكل امتياز للممكن على العدم يتلخص فى قدرته على أن يكون ، وفى احتوائه على ما يمكن أن يهيئ له الحياة ، وفى شموله على المعبر الذى يمكن أن ينقله إلى دائرة الوجود . ولما كان الأمر كذلك بالقياس إليه ، فقد صاحب الإنسان عند مواجهته شعور بالإبهام لا يستطيع أن يفسره إلا على أساس من جهله بهذا الشىء — أستغفر الله — بل بهذا اللاشىء . وكلما كان الإنسان فى عهد مبكر ، وكلما قلت تجاربه وضعفت خبرته كان أقرب إلى هذا الشعور بالجهل . فالوقوف بإزاء المجهول من شأنه أن يولد فى النفس إحساساً غريباً بتعدد الوجوه التى يمكن أن تتصور فيها الأشياء ، وبكثرة الخطط التى يمكن أن تؤدى إليها المسالك ، وبقوة الاحتمال فيما هو ممكن غامض . وإذا زاد الجهل بالإمكانيات إلى هذا الحد استشعر الإنسان بالحرية على نحو لا يمكن أن يخايل صاحب المبدأ فى المشاكل التى تعرض له ، أو صاحب المنهج فى المباحث التى يوقف نفسه عليها . فالمبادئ والمناهج لا تأتى إلا من كثرة التجارب ومن اعتياد المضى بالأمور على أنحاء محدودة . أما الجهل بما يترتب على فعل من الأفعال وعدم انتظار نوع بالذات من أنواع الموجودات عقب إتيان أمر من الأمور ، فمن شأنه أن يولد فى صدر الإنسان ضرباً من الحرية ، وطرازاً فى الاختيار يندر وقوعه فى غير هذه الظروف . فالجهل حليف من حلفاء الحرية لا يمكن إنكار أثره أو إهمال مفعوله عندما نحاول أن نقيم نظرية فى الاختيار على أساس نظرية فى الوجود

ونستطيع أن نثبت هذا الشعور بالحرية لدى الجاهل عن طريق الأمثلة : فالأديب الذى يجهل المراجع الهامة فى بحثه يكون

عادة أكثر حرية فى الكلام من الأديب الذى يستوعب كل ما يكون قد قيل أو كتب حول الموضوع الذى يختص به ؛ والسياسى المبتدئ يشعر للحرية برنين لا يمكن أن يطن فى أذن السياسى المحنك … وقس على هذا المنوال بالنسبة إلى أى شخص فى موقف من هذا القبيل ، أو عند ما يواجه أمراً من الأمور لأول مرة . وليس عبثاً ما كان قد جاء على لسان اسبنوزا فى موضوع الحرية من أن الإنسان كلما ازداد علماً ازداد معرفة بالضرورة الحاصلة فى الوجود وبالحتمية الضاربة فى أنحاء الكون . وتقتصر الفائدة المرجوة من وراء الفلسفة والمعرفة الصحيحة فى أنها توقفه على قوانين الأشياء وتجعله قادراً بالتالى على متابعتها ومسايرتها .

وإذا كان من نعمة الجهل علينا أنه يجعلنا ننخدع عن أنفسنا ونحسب أن الحرية ملك أيدينا ، وأننا نفعل ما نشاء أن نفعله من غير أن تتدخل قوة فى الأرض أو فى السماء ، فمن بلوائه — فى مقابل هذا — أنه يملأ قلوبنا بالخوف ، وينشئ فى نفوسنا ضروباً من القلق ، ويبعث فى نفوسنا ألواناً من الجزع والهم . وذلك طبيعى ومعقول جداً إذا أنعمنا النظر فى الحقيقة الماثلة أمامنا وتبينا فيها ملامح الغموض والإبهام وعدم التعين . فالإنسان فى أمثال هذه المواقف يحس بالجزع حينما يواجه عالماً مستتراً غير معلوم لديه وليس داخلاً فى نطاق تجاربه الذاتية . ويمكن أن نشبه هذه الحالة بموقف رجل للمرة الأولى أمام الميزان الذى لا يعمل إلا بعد وضع قرش مثقوب فيه . إنه لا شك سيحس بنوع من الخوف على القرش طيلة الأمد الذى يسبق خروج التذكرة المكتوبة . أما الرجل المتحضر المجرب لمثل هذه الآلة مرات ومرات فلا دخل للجزع فى عمله هذا على الإطلاق ، ولا يكاد يحس بأى إشفاق على القرش وهو يلقى به من داخل الثقب .

كذلك الأمر بالنسبة إلى الفتى الذى يصوب عينيه نحو الزمن ، هو ينفض بالممكنات عن طريق المستقبل الغامض المجهول . يمتلكه الذعر ويهزه الخوف على ذلك الشيء الخفى وهو قاب قوسين أو أدنى من العدم . إنه يشرف على حقيقة الوجود وهى فى طريقها أن تكون على نحو من الأنحاء لا يعلم مداه ولا يدرك منتهاه . حتى العلم الطبيعى الذى كان مجالا من مجالات الثبات واليقين قد فقد كل الصفات الحتمية والاطراد . فأصبح العالم غير متأكد من خلوص التجارب إلى نفس ما خلصت إليه فى الماضى على الرغم من توافر كل ما من شأنه أن يكفيها ويهيئها للحدوث على وجه واحد بالذات . فالإنسان عند ما يواجه تجربة من أى نوع لأول مرة يكون فى خوف من ألا تكون ؛ أو أن تكون ولكن على نحو غير الذى يؤمل فيه ويطمح إليه . وقد تتغلب المعرفة أو التجارب الكثيرة على هذا الشعور بالخوف ولكنها لا تقضى عليه قضاء تاماً إلا بعد أن تتدخل العادة . وهى كما قلنا فى صدر هذا المقال عدو الحرية الأكبر .

فالعادة من شأنها أن تفسد دلالة الحرية من جانبين : جانب الآلية فى إتيان الأعمال وإصدار الحركات ، وجانب الشعور بالاطمئنان عند مواجهة المكنونات المستترة فى ضمير الغيب . ويقول رافيسون فى كتابه عن العادة إنها توحى — كما توحى الأفعال الغريزية — بالجنوح إلى هدف مقصود من غير ما إرادة أو شعور . وهذا صحيح من ناحية كونه دليلا على خلو العادة من الإحساس أو من البطانة الوجدانية كما يقول علماء النفس . فيصعب أن تقول بوجود أى نوع من أنواع المخاوف وأى ضرب من ضروب التنازع عند أداء الأفعال التعودية . وبناء على ذلك تمحى كل حرية وتزول كل إرادة وتختفى مشابه الاختيار الذاتى ، فهذه كلها لا تتوفر إلا حينما كان الإنسان قادراً على الانفعال لها والاهتمام بشأنها والتوتر من أجلها .

والحرية من شأنها أن تبعث فى الإنسان ألواناً من الخوف والفزع ، لسبب بسيط وهو أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوجوده ومعاشه . فيكفى أن تتصور أنك أنت صاحب الأمر والنهى فى إعداد حياتك وفى تقرير مصيرك وفى تكييف أقدارك حتى تنفجر فى رأسك عيون الخوف ، وحتى تثور فى صدرك عوامل الرعب ، وحتى تنتاب جسمك عوارض الحمى … فأنا مثلاً أقرر مصيرى — ككاتب — على هذه الورقة البسيطة البيضاء تحت عينى وأضع لنفسى قيوداً من الرأى لا أستطيع الفكاك منها حين يأتى المستقبل . وانظر على هذا النحو فى حياة الناس وتأمل

أفعالهم على ضوء كل من المادة والحرية فنجد أن الأفعال الحرة وحدها هي التي يوازيها على طول الامتداد شعور بالقلق ويحس صاحبها بأنه يأتيها لأول مرة . وذلك لأنها مشدودة إلى كيانه شداً بحيث لا يملك في النهاية إلا أن يخضع لها وأن يكون مأسوراً بها .

والحق أن الأفعال الحرة الواعية لا يزاملها الشعور بالقلق وحده ، وإنما يرافقها أيضاً — إلى جانب هذا — إحساس خفي بالهم . ولنضرب لهذا مثلاً بواحد من الناس الذين يملكون الوقت من أجل الذهاب إلى المسرح أو التنزه في الخلاء أو البقاء في البيت أو القيام بزيارة صديق . ولنفرض مقدماً أن هذا الشخص هو بعض الذين يهمهم الوقت ويحسون بعامل الزمن إحساساً قوياً في معاشهم بحيث يضطربون لإنقضائه حينما يمضي هباء . سيضطر أولاً إلى عملية الاختيار ، وهي عملية قد تكون سهلة عند الإنسان العادي بحكم انصرافه عن التفكير أو بحكم تركه للأمور في أيدي المقادير . أما الشخص الحر الواعي فسيضع أساساً للاختيار وسيعرف في قرارة نفسه بأن ثلاث ساعات متصلة ستضيع من عمره ومن حياته في هذا الفعل البسيط وأنه أقمن به أن يستفيد من بقائه على الأرض على أفضل وجه ممكن . ولا شك أن وجوده بأكمله ينقسم إلى جزئيات من هذا القبيل فعنايته بساعة من عمره تضارع عنايته بكل هذه الساعات التي يقضيها على وجه البسيطة . والعالم الخارجي من شأنه أن يقدم إليه الإمكانيات حتى يبذل من لدنه ما يحيلها إلى وجود ، ويصرف من طاقته الخاصة ما يمنها من جودها ويبث فيها الحياة ... قد تكون المجالات محدودة أمامه ، وقد تكون الإمكانيات معدودة عليه ؛ ولكنها مع هذا كله تدع له فرصة للاختيار ؛ وفي الاختيار وحده ينحصر وجوده ويتحدد معاشه .

فهناك أنواع كثيرة من الوسائل التي تقدم للانسان متعاً تلذه ومباهج تريحه وأدوات لتثقيف الذوق وتهذيب الروح . قد تكون هذه الوسائل محدودة في المجتمع الذي نعيش فيه ، ولكننا مع ذلك نحكم رأينا ونملي فرديتنا عليها بعملية من الاختيار الواعي؛ وكلما زدنا جهلاً بالمجالات التي يتيحها لنا المجتمع ارتفعت قيمة الحرية وازداد قدرها . فلو أنني مثلاً لا أعرف غير أربعة وسائل من وسائل التسلية ومن أنواع الملاهي في القاهرة لكان اختياري بنسبة (١ : ٤) أي أن حريتي حينئذ تساوي الربع . أما إذ كنت أعرف اثنتين فحسب كانت النسبة (١ : ٢) أي أن حريتي آنئذ تساوي النصف .

وهكذا يحدث عندي الشعور بالقلق من ناحية الاختيار ، أما الهم فيتولد عندي إحساس به وأشعر كأنما يثقل على صدري من جراء الأسف على ضياع الإمكانيات الأخرى عندما أحدد رغبتي وأثبت إرادتي على شيء بالذات . فأنا مثلاً عندما أذهب إلى المسرح أحس بالهم من جراء طمعي في أن أحصل على أقصى ما يمكن أن تهبني إياه الحياة . ونتيجة لشهوتي في إحتلاب كل ثانية تمر بي واعتصار كل لحظة تمضي علي وأنا حي أرزق . ولذلك تراني في المسرح مهموماً من أجل تلك الإمكانيات الأخرى (التنزه في الخلاء — البقاء في البيت — زيارة الصديق) التي قتلتها بيدي وأعد منها بمحض إرادتي مع أنها قد تكون أعود علي بالخير من كل ما أنا فيه من استمتاع أو حبور ... ولكن يكفي بعد هذا أن أحس بأنني قد اخترت وأنا حر من كل قيد ، وأن مسئولية هذا الاختيار تقع على عاتقي وأن كل شر يأتي عن إرادة أفضل بمئات المرات من أسعد الأوقات التي يمضيها الإنسان عن غير رغبة : أقول يكفي هذا كيما أطامن في نفسي من شدة الشعور بالحسرة وأواجه الحياة بقوة وجلد .

وهكذا تقترن الحرية بنوع من المثالية الخالصة ومن الفدائية الصماء فتكسب وجودنا ألواناً من البهجة الخالية من الزيف والبريق ، وتسبغ على حياتنا غير قليل من الصراحة وتشعرنا في قرارة أنفسنا أننا في بؤس ولكن عن إرادة ، وفي حزن ولكن عن إرادة ، وفي هم ولكن باختيارنا ، وفي حزن ولكن برغبتنا . وهكذا نحن نحمي أنفسنا من مرارة الحياة ونرضي غرور الإنسان القوي منا والضعيف .

عبد الفتاح الديدي

سيكولوجية الجنس (*)

للأستاذ محمد محمد على

السيكولوجيا أو علم النفس هو العلم الذى يدرس سلوك العقل أو الشعور . وبالطبع ليس للجنس sex عقل ولا شعور ولكن عندما نتكلم عن سيكولوجية الجنس إنما نعنى دراسة ذلك الجزء من العقل الذى يتأثر بالحياة الجنسية . وفى أواخر القرن الماضى ظهر فرويد بنظرياته — التى أذهلت العالم ، والتى ترى معظمها أن العقل ليس هو الشعور ، ولكنه خليط أو جمع بين الشعور واللاشعور . ومنذ ذلك الحين ، حاول المربون وعلماء النفس ، الكشف عن المكان الحقيقى للجنس فى ذلك الخليط . وكلنا سيكولوجيون ؛ على الأقل على طريقة الرجل الذى يتكلم النثر طول حياته من غير أن يعرفه ! فإذا قلنا لأحد شيئاً ، فإننا نعرف ماذا يجيب ، وذلك باستخدام معلوماتنا عن علم النفس فمثلا إذا سألنا أحداً فى يوم مطير : « جو مخيف ! أليس كذلك ؟ نعرف أن الإجابة غالباً ماتتفق وسؤالنا .

وقد تساءل علماء النفس عن مكانة الجنس فى النمو العقلى . وليس هناك من يجيب إجابة صحيحة . فقد ذهب بعض أتباع فرويد ، وقرروا أن الحياة الجنسية تتحكم فى نمو الفرد العقلى .

إن الغريزة الجنسية ترمى إلى استمرار النوع ، فهى تأتى بعد المحافظة على النفس التى تضم كل الغرائز . وفى ظل المدنية لا بد من السيطرة على الغرائز . وبسبب هذه السيطرة ، نسمو بالغريزة الجنسية ، فنقول مثلا فى المناسبات : السيدات والأطفال أولا . وبسببها أيضاً أمسك الناس عن ذكر المسائل الجنسية إلا فى غرفة النوم . وظهر الخجل عند تعليمها . وهذه السيطرة هى مايسميها علماء النفس : كبت الغرائز . ويرجع كثير من الناس بالجنس إلى وراء ، فيتجنبون ما يشغل جزءاً كبيراً من حياتهم . يحاولون أن ينسوه . وإذا رزقوا أطفالاً لم يعلموهم شيئاً عن الأمور الجنسية ، فلو سألهم أطفالهم مايسمى بالأسئلة المخجلة — وهى الأسئلة التى يوجهها الأطفال عادة إلى آبائهم — فإن الآباء يحاولون إسكاتهم ويخبرونهم كذبا !

إن الكبت الشديد يجلب التأخر والهبوط ، وهو مرض خطير ، يختلف عن ضبط النفس الذى هو مواجهة شريفة شعورية للواقع ، وليس هذا بالأمر السهل ، إنما يخلو من الصراع بين الدوافع البيولوجية والعقلية . وضبط النسل كبت للغريزة الجنسية الطبيعية ، لأن له نفس الأثر فى تحديد السكان ، كطريقة الحيوان فى بقاء الأصلح . وفى الحق إن ضبط النسل الحديث ليس فيه شىء من « بقاء الأصلح » إنما يضمن حياة الأسر المحدودة ؛ فكل أعضاء الأسر الصغيرة لديهم الفرصة ليكونوا « صالحين » لأنهم ينالون نفس العناية والغذاء كما لو كانوا موزعين فى أسر أكبر .

قلنا إن الغريزة الجنسية تتلو غريزة المحافظة على النوع . فالشعور بالجوع ، دافع قوى غريزى للمحافظة على النفس ، ولكن الغرائز فى حاجة إلى كبت — إلى حد مخصوص — ، وإلا فإن الفرد يصبح نهماً أو مجنوناً جنسياً ، مما يؤدى به إلى مخفر الشرطة أو مستشفى الأمراض العقلية .

إن مشكلة الحب قد راقت كثيرين من علماء النفس . فقد كان معتقداً أن الحب والكراهية ضدان . ولكن تعاليم فرويد دلت على أن لاتعارض بينهما . وما الكراهية إلا جزء من الحب . وليس هناك حب خال من شىء من الكراهية وشىء من العواطف الأخرى ، التى تكون فى مجموعها الحب .

ومن الثابت أن الشعور الجنسى فينا جميعاً يختلف تبعاً للوقت . ولكنه لم يثبت كيف يختلف التأثير الجنسى فى حياة الفرد اليومية . فليست غريزتنا الجنسية وغرائز جيراننا ، هى التى تؤثر فينا فحسب ، بل إن أولئك الذين لم نرهم يمكن أن يغيروا حياتنا . فالشذوذ الجنسى — فى رجل مثل هتلر — قد أثر فى حياته ، وبالتالى فى العالم أجمع .

ولما درس علم النفس كعلم ، بدأ الناس يعرفون الدور الحيوى الذى يقوم به الجنس فى حياة الفرد اليومية ، وتنبه الباحثون إلى مسألة لها من الأهمية مثلما لدور الجنس فى الحياة ؛ وهى كيف تؤثر ظروف الحياة فى الغريزة الجنسية ؟ نحن نعلم أن الشخص

(*) تلخيص من كتابى : Sex problems and youth, &The technique of sex

الجائع — بصرف النظر عن حاجته للاشباع الجنسى — يهتم بمعدته أولا . ولكن ماذا عن الأم ؟ لئن كانت الأم جائعة ، فان شعورها وغريزتها تدفعانها إلى إطعام أطفالها قبل نفسها .

ولقد قيل إن غريزة الأمومة جزء من الغريزة الجنسية . وإذا جمع الحب الخالص بين شخصين فإن شعورهما نحو بعضهما يمكن أن يظل ثابتاً أمام تيار الحظ السيء . كمثل الزوجين ، يتحمل كل منهما صاحبه فى السراء والضراء . ولكن حيثما كان النمو الجنسى لأحد الطرفين أو كليهما ليس من هذا القبيل ، فان تغييراً طفيفاً فى الحظوظ ، كفيل بانفصال الشريكين .

وإذا تحاب اثنان فانهما يتصوران أن لا شيء يشغل بالهما سوى الأفكار الجنسية . كم مليون من الرجال يرتكبون خطايا طيلة يومهم ، ثم ينسونها وهم فى صحبة امرأة فى المساء ! إن كل شيء ينسى فى نشوة اللذة الجنسية . يحسب الرفيقان أن الناس قد غفلوا عنهما ولكن نقر الباب أو صوت التليفون قمين بأن يرجع بهما سريعاً إلى تعقل ماحولهما ومعرفته ! ويتساءل بعض الناس : لئن كانت الحياة الجنسية عاملا فعالا فى النمو العقلى ، فلماذا يجتاحنا النشاط الجنسى بقوة عارمة فى غالب الأحيان ؟ الجواب هو أن هذا الاجتياح ضرورى لإزالة العقبات التى تقف فى سبيل هذا النشاط ، كالخطايا اليومية .

ويحلو للكثيرين أن يقرروا أن ذوى الاسترخاء الجنسى impotents بمولدهم فى حل من الوقوع تحت السيطرة الجنسية . ولكن هذا لايحدث فهم قد ولدوا نتيجة للجنس ، ثم إن علاقتهم بالآخرين تتحكم فيها عقول هؤلاء . فبطريق غير مباشر يتأثرون بالحياة الجنسية .

يختلف الناس فى تأثرهم بالغريزة الجنسية ، فمنهم العاطفى ومنهم من يقال عنه إنه : بارد . وبعضهم ذو مثلية[1] جنسية ، والبعض الآخر يكره المرأة misogynist وقد جادت قريحة أحد العلماء بنظرية خطيرة ، هى نظرية الثنائية الجنسية bisexuality ، التى تقرر أن الإنسان يولد وفيه شعور أو ميل جنسى نحو الجنسين .

وفى الفرد العادى يكون الشعور نحو الجنس الآخر متغلباً ، إنما لا يختفى الشعور الجنسى نحو نفس الجنس ! ومن السهل أن نتصور بالعقل تلك الحقيقة الواقعة فى الجسم . فلكل رجل ثديان ، وهما — قبل كل شيء — أعضاء تناسلية ثانوية للأنثى والأفراد العاديون هم الذين لهم أصدقاء من كلا الجنسين . أما عند غير العاديين ، فان التوازن يختل ، إما لأنهم ولدوا كذلك ، أو لأن ظروفاً خارجية أوجدتهم فى حالتهم هذه .

إن الوضع الاقتصادى — وهو جزء من مدنيتنا — منظم ليجعل الظروف المحيطة بجماعة ، تختلف عن الظروف المحيطة بجماعة أخرى . وتأثير الوضع الاقتصادى على الحياة الجنسية لبعض الفتيات ، يظهر بوضوح فى عقول المومسات اللائى جعلن الغريزة الجنسية تساعد غريزة المحافظة على النفس ، وتصبح تحت سيطرتها . عندهن أن البغاء هو الطريق الوحيد للارتزاق . على أنه يمكن أن نميز بينهن متزوجات !

وبوجود الصراع المستمر فى عقولنا ، يصعب علينا أن ندخل السرور إلى نفوسنا . ومثل هذا الصراع يوجد فى عقول الذين هم فى حاجة إلى الإشباع الجنسى ، أو الذين يجهدون أنفسهم جنسياً أكثر مما يتحملون . ويلاحظ بوجه عام الذين يعيشون عيشة رغدة ناجحة ، تكون حياتهم التناسلية لا غبار عليها ، ومن تكون حياتهم التناسلية طبيعية ، ينجحون فى حياتهم الاجتماعية .

إن علم النفس لا يزال فى المهد ، وقد علمنا الشيء الكثير عن خطايا الناس وأثرها فى حياتهم . كما عمل ولا يزال يعمل — على إدخال السرور فى قلوب الناس . إنه يحررنا من كثير من أنواع الكبت التى كنا نراها ضرورية ، ثم يتبين لنا اليوم أنها تضايقنا . وأخيراً هو المسئول عن حركة التثقيف الجنسى .

محمد محمد على

(١) Homosexuality أى العلاقة الجنسية بين فردين من جنس واحد ، بين ذكرين أو أنثيين : وهى جزء من الشذوذ الجنسى الذى هو أعم : sexual abnormality.

باحثة البادية

لمناسبة ذكراها الثانية والثلاثين

للأستاذ عبد الجواد سليمان

أول ما توحي به إلينا ذكرى باحثة البادية (ملك حفني ناصف) من معان وعبر، إنما هو النهضة النسائية في مصر في معناها الوطني الصادق.

فلقد كانت رحمها الله، أول فتاة مصرية حصلت على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٠ وعمرها إذ ذاك لا يتجاوز الثالثة عشرة، ثم انتقلت إلى القسم العالي بالمدرسة السنية، وحصلت على شهادته العالية، وعملت مدرسة بالمدارس الأميرية.

لقد كانت باحثة البادية مثالاً صادقاً ونموذجاً كاملاً للفتاة المصرية في طباعها ووطنيتها؛ فالظرف المصري أصيل في طبعها، إذ كان يتمثل في كتابتها وفي نكتها اللاذعة التي تسعفها بها بديهتها الحاضرة وسرعة خاطرها، والتي يزينها تهكم لا مرارة فيه في مثل قولها «فما أقدر زوج الضرتين على التفنن، ولو أنصفوا لعينوا زوج كل اثنتين سياسياً أو ناظراً للمستعمرات؛ ولكن الذي يؤسف له أنا ليس لنا مستعمرات» وفي مثل قولها (يقول لنا الرجال ويجزمون: إنكن خلقتن للبيت، ونحن خلقنا لجلب المعاش، فليت شعري أي فرمان صدر بذلك من عند الله؟ إنهم لو أنصفوا ولم يتحزبوا، لما عيرونا بأنا قليلات النبوغ، وأنه لم يسمع بأن إحدانا غيرت قاعدة في الحساب والهندسة مثلاً، وليتفضل أحدهم بإخبارنا عما استنبطه من تلك القواعد، فنحن نعترف لرجال الاختراع والاكتشاف بعظيم أعمالهم، ولكني لو كنت ركبت المركب مع (خريستوف كلومب) لما تعذر علي أنا أيضاً أن أكتشف أمريكا.

أما وطنيتها فتتمثل في حبها لكل ما هو مصري ورفضها أن تأخذ من مدنية الغرب إلا ما هو ضروري، وبشرط أن يصبغ بالصبغة المصرية ويطبع بطابعها. كقولها: «ما أحلى السمرة الجاذبة، لو فهمنا معناها، إنها جميلة لأنها مصرية، ولو لم يكن فيها غير المصرية والطبيعة لكفى».

وكقولها: «إذا أردنا أن نكون أمة بالمعنى الصحيح تحتم علينا ألا نقتبس من المدنية الأوربية إلا الضروري النافع بعد تمصيره حتى يكون ملائماً لعاداتنا وطبيعة بلادنا، نقتبس منها العلم والنشاط والثبات وحب العمل، نقتبس منها أساليب التعليم والتربية .. وإنما لا يجوز في عرف الشرف والاستقلال أن نندمج في الغرب فنقضي على ما بقي لنا من القوة الضعيفة أمام قوته المكتسحة الهائلة».

لقد تأثرت باحثة البادية ببيئتها تأثراً بعيداً فتخرجت كاتبة وشاعرة وناقدة وخطيبة ومصلحة؛ فأبوها المرحوم (حفني بك ناصف) العالم اللغوي والكاتب الضليع والشاعر الفكه كبير مفتشي اللغة العربية بمصر، وزوجها العربي الصميم المرحوم (عبد الستار بك الباسل) من بيت مجد أثيل وحسب عربي عريق وهو من وجهاء قبيلة الرماح بالفيوم.

وقد دبجت براعتها كثيراً من المقالات البليغة والبحوث العميقة والرسائل الممتعة التي امتازت بالسلاسة والوضوح والتي خصت بها صحيفتي: (المؤيد) و(المحروسة)، وحسبها دليلاً على بلاغتها، أن يشهد لها أمراء البيان في مصر، من هؤلاء أحمد لطفي السيد باشا بقوله فيها (أما انتقاد رسائلها من جهة صناعة الكتابة فحسبي أن أقرر من غير محاباة أنها أكتب سيدة قرأنا كتاباتها في عصرنا الحاضر).

والشيخ عبد الكريم سلمان بقوله (إني رأيت في كتابة هذه السيدة حدة في بعض الموضوعات، وكأنها معذورة في حدتها لامتلاك الموضوع نفسها وحواسها» وأحمد زكي باشا بقوله (إنها أعادت لنا ذلك العصر الذهبي الذي كانت فيه ذوات العصائب يناضلن أرباب العمائم في ميداني الكتابة والخطابة).

وحافظ بك إبراهيم بقوله:

لله درك إن نثرت ودر حفني إن نثر

ولقد توفرت لها شروط النقد من سلامة الفطرة وقوة الملاحظة وسعة الاطلاع، فكان نقدها ينصب على المجتمع المصري الذي ظلم المرأة وسلبها حقوقها من قولها في ذلك (المرأة المصرية مسلوبة الحق مظلومة في كل أدوار حياتها، تراها يتشاءم منها

حتى وهى جنين ، فإذا ظهرت مولودة تستقبلها الجباه مقطبة والصدور منقبضة والثغور صامتة) .

وقولها فى استبداد الرجال بالنساء : (بعض النساء يهددن بالفراق إذا لم يطعن أزواجهن ما يطلبون ، ويذكر لهن الزواج إرهاباً ، فأى الأمرين تختار الزوجة البائسة ؟ المرأة مظلومة دائماً ، إذا كانت فقيرة لا يرغب فيها ، وإن كانت وارثة يطمع فى مالها ، والوارثة مظلومة أيضاً ، فإما ألا تتزوج لتأمن الطمع والطامعين ، وإما أن تتزوج على غير بصيرة كعادتنا) .

وقولها ساخطة على سياسة بعض الآباء (لا أحب الرجل يتكبر على أهله وأولاده فيظهر لهم بمظهر الجبار العنيف ويظن أن ذلك استجلاب للهيبة وهو لا يعلم بما يشعرون ، وهذا التجبر من جانب الأب يضعف الأخلاق فى الطفل ويفسدها إذ يربى فيه الجبن والذل ثم الاستبداد متى كبر) .

والإصلاح عادة وليد النقد ، وباحثة البادية قد حاولت الاصلاح عن طريق النقد ، فرأيناها تنادى بالمساواة بين الرجل والمرأة بقلبها ولسانها ؛ فمن خطبها فى نادى حزب الأمة (والأوفق أن نسعى للوفاق جهدنا ونزيل سوء التفاهم والتحزب لنحل بدلها الثقة والإنصاف ولنبحث أولاً فى نقط الخلاف) .

أما شعرها فهو عصارة روحها وذوب نفسها ، إذ تغلب عليه خفة الروح تارة والتهكم الشديد تارة أخرى ؛ هذا إلى بعده عن التعقيد وذخره بالمعانى ودلالته على نضوج الفكر ، ومنه فى رثاء عائشة التيمورية :

ألا يا موت ويحك لم تراع حقوقاً للطروس ولا اليراع
تركت الكتب باكية بكاء يشيب الطفل فى عهد الرضاع
فذب يا قلب لا تك فى جمود وزد يا دمع لا تك فى امتناع
سنبقى بعد عائشة حيارى كسرب فى الفلاة بغير راع

ومنه فى الفتاة :

إن الفتاة حديقة وحياؤها كالماء موقوفاً عليه بقاؤها
بفروعها تجرى الحياة فتكتسى حللا يروق الناظرين رواؤها
لا خير فى حسن الفتاة وعلمها إن كان فى غير الصلاح رضاؤها
فجمالها وقف عليها إنما للناس فيها دينها ووفاؤها

وفى الفتاة تقول :

مجد الفتاة مقامها فى البيت لا فى المعمل
والمرء يعمل فى الحقو ل وعرسه فى المنزل

ومن قولها فى السفور والحجاب ترد على شوقى بك :

أما السفور فحكمه فى الشرع ليس بمعضل
ذهب الأئمة فيه بين محرم ومحلل
ويجوز بالإجماع منهم عند قصد تأهل
ليس النقاب هو الحجا ب فقصرى أو طولى
فإذا جهلت الفرق بينهما فدونك فاسألى
لا أبتغى غير الفضيلة للنساء فأجملى

التحقت باحثة البادية بالرفيق الأعلى ليلة الخميس الموافق ١٧ من أكتوبر سنة ١٩١٨ بعد أن أدت رسالتها أحسن الأداء ، وقدمت للمرأة المصرية أجل الخدمات ، ومهدت السبيل لمن أتين بعدها فسرن فى طريق معبدة ، ونلن بعض ما لهن من حقوق فى الحياة الاجتماعية ، فمن حقها عليهن أن يخلدن ذكراها ولو بالاكتتاب فى مشروع نسوى نافع باسمها أو إحياء آثارها الأدبية ...

عبد الجواد سليمان
المدرس بمصلحات سوهاج

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الوساطة في التعليم :

لا شك أن الأزمة القائمة في قبول الطلاب بالمدارس ومعاهد التعليم المختلفة ، يعانى كثير من الناس شرها ، ويلاقون فيها الضيق والعنت ، ولا تقتصر الآفة على مظاهرها القريبة البادية ، فإن لها آثاراً بعيدة غير هذه المظاهر . إن الوالد اللهيف الحريص تعليم ولده لايدخر وسعاً فى رجاء أصدقائه ومن يلوذ بهم من ذوى النفوذ فى القبول بالمدارس ، من كبير فى الوزارة أو ناظر أو ناظرة أو مدرس أو مدرسة ، أو من يتـذرع بهم إلى هؤلاء — هذا الوالد ، وهو مثل من كثير ، يعدُّ الأزمة منتهية بقبول ولده فى المدرسة أو الكلية ، ولـكن هناك أثراً بعيداً غائراً فى نفس الولد ، فقد قر عنده أن « كل شىء بالواسطة » حتى دخول المدارس . سينسى متاعب أبيه فى سبيل إدخاله المدرسة ، ومابذله فى هذا السبيل من وقت وجهد كان عمله فى حاجة إليهما ، وما عساه أن يكون قد شعر به من الحرج فى رجاء النـاس ؛ ولـكنه لن ينسى أن « الواسطة » مفتاح الباب المغلق ولو كان باب العلم .

ويا لحسرة الواقفين وراء الأسوار والأبواب .. إنهم هم أيضاً تتفتح أعينهم على أن « كل شىء بالواسطة » فهم يندبون حظهم لأنهم لاو-يط لهم .. حتى من لاتنفع فى حالته الوساطة لو تيسرت كمن كبرت سنه وكثر رسوبه ، إن هذا أيضاً يدعى أنه محروم لفقدان الوسيط . .

وما بال هذا الذى تتحقق فى ولده شروط القبول وتتوافر له أسباب الأولوية ، من ملاءمة السن وتقدم فى النجاح ونحو ذلك ، ما باله يهرع إلى من يوصى بولده ؟ إنه يعيش فى الجو ... ويخيل إليه أن الوساطة أول الشروط ! وهناك كثير من الناس يرون فى اتخاذ الوساطة مظهراً للوجاهة ودلالة على علو المـكانة ، فالقصد عندهم هين فى ذاته جليل بجلالة الوسيط ...

وهكذا يتفتح الجيل الناشىء الغض على منظر هذا الداء ، فيألفه ويتصوره أمراً عادياً ليس فيه من عوج ولا أمت . وقد تلق عليهم فى بعض الدروس أشياء عن الحقوق والواجبات والعدالة والمساواة وما إلى ذلك ، فيأخذونه على أنه كلام ينفع فى الامتحان أما الحياة الواقعة فقد رأوا فيها بأعينهم « تطبيقات » على غير ذلك

وبعد فذلك وجه من وجوه أزمة القبول فى دور العلم ، وهو من أوجهها الخفية البعيدة ، وما أرى للداء دواء غير أن يقتلع من جذوره بتيسير العلم لطلابه وتعليم الراغبين فى التعليم ؛ وإنه لمن تضييع الفوائد أن يهمل هذا الإقبال الشديد الدال على شدة الرغبة والتعطش دون انتهازه للقضاء على الجهل والأمية ، ومن الحق أن نصد الصغار عن التعليم لنكافح الجهل والأمية فيهم كباراً .

إلى معالى وزير المعارف :

كتب إلىّ أحد إخواننا المدرسين يقول إنه حرر (الاستمارة) التى اعتاد أن يكتبها فى أول كل عام دراسى ، لطلب تعليم أولاده بمصروفات مخفضة ، وله ثلاثة أولاد فى روضة الأطفال ، فردت منطقة القاهرة الشمالية (الاستمارة) بعد أن كتبت عليها : « معاد إلى حضرة الأستاذ ... للعلم بأن قرار مجلس الوزراء بتاريخ ٢٣ / ١ / ٤٩ لا يعطى الحق فى التماسه هذا إذ أن الإعفاء من المصروفات للمدرسين لاينصب إلا على التلاميذ المقيدين بالمدارس الثانوية وما فى حكمها . مع قبول الاحترام »

ومعنى ذلك حرمان المدرس المنحـة التى كانت تجرى عليها الوزارة فى معاملة أولاد المدرسين برياض الأطفال ، والتى تقضى بأن يكون الولد الأول بمصروفات كاملة وأن يعفى الأربعة الذين يلونه من نصف المصروفات ثم يعفى من يلى هؤلاء إعفاء كاملاً . فـكيف أقدمت وزارة المعارف على ذلك وهى التى تعمـل على التخفيف عن المدرسين فى نفقات أولادهم المدرسية ؟

علمت أن الوزارة أصدرت منشـوراً يتضمن الأمر بإبطال العمل السابق ، والاكتفاء بتطبيق قرار مجلس الوزراء الصادر فى ٢٣ /١ /٤٩ وهو يقضى بإعفاء أولاد المدرسين من مصروفات التعليم الثانوى وما فى مستواه لمن يثبت منهم أنه يدفع مصروفات

مدرسية لطالب واحد في مرحلة تعليمية غير المرحلة الأولى.

والذي يستوقف النظر أن هذا « المنشور » بنى على أساس أن القرار الأخير أعم وأوسع في مزاياه من القرار الأول وأكثر منه تيسيراً وتمكيناً لرجال التعليم من تعليم أبنائهم دون إرهاق !! فكيف يصدق هذا بالنسبة إلى ذوى الأطفال الذين يتعلمون في الرياض ! لقد سلبوا ما كانوا يتمتعون به فيما مضى ، ولم يخدمهم القرار الأخير شيئاً !

وبعد فإلى معالى وزير المعارف الجديد محمد حسن العشماوى باشا يساق الحديث ، وهو زعيم الإصلاح الاجتماعى ورجل قضاء وعدل ، ولا أشك في أنه سيمير الأمر ما هو جدير به من عناية المصلح العادل واهتمامه ، تقديراً لما يقوم به المعلمون من جهود في أداء الرسالة التعليمية .

أعظم ما كتب يوسف وهبي :

افتتحت الفرقة المصرية موسمها الحالي في الأوبرا الملكية برواية « اليوم خمر » ثم مثلت بعدها رواية « ابن الحسب والنسب » فكان ابتداء حسناً يلائم رسالة الفرقة في ترقية التمثيل العربي .

ثم قدمت الفرقة أخيراً رواية « الصحراء » وقالوا في الإعلان عنها إنها « أعظم ما كتب يوسف وهبي » وهي من روايات مسرح رمسيس القديمة التي ألفها يوسف وهبي ، أو هي أعظمها كما قالوا . وتقع حوادثها في طرابلس الغرب حيث يجرى الكفاح بين الإيطاليين وعرب المغرب ، وقد وضعت الرواية ومثلت بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ، فكان زمنها بطبيعة الحال إبان الحرب الأولى ، ولكنا شاهدناها تمثل الآن على أن زمنها في الحرب الثانية ، فقد سمعنا أبطالها يرددون كلمات « الدوتشى وموسيلينى وروميل » ولكن العجيب أنهم يتناقلون ما وقع لعمر المختار على أنه حاصل في وقت وقوع هذه الحوادث أى في الحرب العالمية الثانية ، فهذا خلط تاريخى كان الالتفات إليه وعدم الوقوع فيه من أيسر الأشياء ثم إن الحروب بين الإيطاليين وعرب المغرب إنما كانت ملابسة للحرب الأولى وبعدها ، فكانت فظائع المستعمرين واستبسال المغاربة في مقاومتهم حديث الناس أيام مثلت هذه الرواية بمسرح رمسيس ، أما في الحرب الثانية وبعدها فلم يكن شيء من ذلك .

كشكول الأسبوع

◻ وصل إلى الأسكندرية يوم السبت الماضى عميد الأدباء الدكتور طه حسين بك عائداً من أوربا ، وقد كتب إلى « الأهرام » عقب وصوله ما يلى : « لم أكد أصل إلى الأسكندرية حتى أنبئت أن مجلة « القصة » التي تصدر عن دار النداء تنشر لى مقالات وتتخذ اسمى وسيلة إلى الإعلان : فآسف أشد الأسف لأنى لم أستأذن في شيء من ذلك ولم آذن به ، وسأتخذ ما يقتضيه ذلك من إجراء » ورد رئيس تحرير المجلة بأن دار النداء دفعت ثمن القصص التي نشرت . وقد علمت أن هذا الثمن دفع لقاء نشر القصص بالنداء ، أما تكرار نشرها بمجلة القصة فشيء آخر .

◻ تلقى « صاحب الكشكول » من الأستاذ عبده حسن الزيات المحامى رسالة يقول فيها إنه قرأ في الكشكول اسم « محمد عبده حسن الزيات » ضمن الأساتذة الذين تألفت منهم لجنة ديوان ابن الرومى ، وشاء تواضع الأستاذ الكبير وظرفه أن يدفع مظنة كونه المقصود كى لا يوجه نقد إلى وزارة المعارف ... والواقع أن المقصود في عضوية اللجنة هو الدكتور محمد حسن الزيات المدرس في كلية الآداب بجامعة فاروق ، وهو شقيق الأستاذ العلم عبده حسن الزيات .

◻ أعلنت الأكاديمية السويدية أن جائزة نوبل للأدب لن تمنح هذا العام لأحد ، إذ لم يحصل أى واحد من المرشحين على أكثرية الأصوات اللازمة لنيل الجائزة

◻ رقى إلى الدرجة الرابعة الأستاذ كامل محمود حبيب « مصور الحياة » في الرسالة . وهو وكيل إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف . ولا شك أنه جدير بتهنئة قرائه ، أما نحن فنهنئ أنفسنا

◻ نعى الأستاذ التابعى في « آخر ساعة » على أدبائنا الذين يتسابقون إلى الكتابة في ذكريات أدباء الغرب وفنانيه دون أن يهتموا بذكرى أديب أو موسيقى عربى ، قديم أو حديث . وعزا الأستاذ ذلك إلى مركب النقص الذى يحمل هؤلاء على التظاهر والادعاء بأنهم ضلعاء في أدب الغرب .

◻ كتبت مجلة الإذاعة المصرية في عددها الأخير ما يلى : « قدم حضرة صاحب العزة الدكتور محمد صلاح الدين بك عرضاً وتحليلا لقصة (الحسب والنسب) التي ألفها الكاتب الروائى محمود بك تيمور ! » وهى تقصد مسرحية « ابن الحسب والنسب » المترجمة عن الفرنسية التي مثلتها الفرقة المصرية أخيراً ... فكيف ألفها تيمور بك يا جهابذة الإذاعة ... ؟

◻ تم يوم الخميس الماضى عقد الاتفاقية الثقافية بين مصر والولايات المتحدة ، وهى تقضى بأن تنشىء الولايات المتحدة في مصر إدارة ثقافية لتنظيم البرنامج الثقافى بين البلدين

◻ اعتزمت الفرقة المصرية أن تقوم برحلة تمثيلية ، بعد انتهاء مدتها بالأوبرا ، في يناير القادم إلى تونس والجزائر ومراكش ، وتستغرق هذه الرحلة شهرين ، وتقدم في خلالها روايات ذات طابع عربى كالناصر وحواء الخالدة وسر الحاكم بأمر الله .

وتجرى الحوادث حول شخصية الأمير عمـاد بن سعد (يوسف وهبى) وهو قائد طرابلسى يقاتل الإيطاليين ، وله زوجتان: زوجة عربية وهى أمينـة (نجمة ابراهيم) وأخرى إيطالية وهى لينا (سامية فهمى) وله ولدان من كل منهما : شهاب (فاخر فاخر) من العربية وحسن (عمر الحريرى) من الإيطالية . تفر الإيطالية بابنهـا مع جنود إيطاليين يفقؤون عينى الأمير عماد ، وينتهى بذلك المشهد الأول . وفى المشهد الثانى نرى كهفاً يعيش به الأمير الضرير وزوجته العربية التى أصيبت فى غارة جوية بساقيها فأصبحت مقعدة وابنهما شهاب وابنة عمه عائشة (أمينة رزق) التى يحبها وتحبه ، وقد أزمع شهاب اللحاق بفرقة من المدافعين عن الوطن ، فتودعه أمه وتموت بين يديه ، وينتهى المشهد بذهابه مع الفرقة ، والمشهد الثالث فى الكهف أيضاً حيث يعيش الأمير وابنة أخيه عائشة ، يطرقهما جندى إيطالى جريح ، فيؤويانه على مقتضى المروءة العربية ، وبعد ذلك يتبين أنه حسن ابن الأمير من الإيطالية . وفى المشهد الرابع نرى حسناً يحاول أن يكسب مودة عائشة التى حزنت على خطيبها شهاب ، وبعد حوار بينهما تبدى له أنها تجيبه إلى رغبته فى الزواج منها إذا قاتل الأعداء وثأر لأخيه وعاد منتصراً ، ولكن حسناً يحار فى أمره لأنه لايزال يعد نفسه إيطالياً تبعاً لأمه ، ثم يلتقى بجاسوس إيطالى فيتفق معه على نقل أخبار العرب إلى الجيش الإيطالى ، ويسمع الأمير عماد الجاسوس وينقل أسرار الجيش العربى باللاسلكى ، فيتحسس ناحيته حتى يمسك به ويستغيث ، ولكن الجاسوس يفلت منه ويسدد إليه المسدس فيلتصق حسن بأبيه فيصيبه رصاص الجاسوس فيرديه . وهنا تستعصى الرواية على يوسف وهبى المؤلف إذ تأبى أن تختتم ... فيزعق يوسف وهبى الممثل زعقة هائلة تجمل ولده شهاباً يبرز من تحت الأرض وكان قد بلغه أنه قتل فيظهر أنه كان جريحاً فقط ، فيتلقاه فى أحضانه ، على حين تجرى أمينـة رزق (عائشة) بالبندقية متحمسة مع المتحمسين لقتال الأعداء . وتلتق فلقتا الستار ...

كان المشهد الثالث أحسن المشاهد كلها ، فقد كان هادئاً تجلت فيـه الإنسانية والمروءة فى إيواء العدو الجريح والعطف عليه . وقد اعتُمد فى أ كثر أجزاء القصة على « الرواية » أى أن اثنين من أبطالها يتحادثان طويلاً ليخبرانا بما حدث من كذا وكذا ، وكان حديث الشخص الواحد يطول حتى يكاد يتحول إلى خطيب ، ومن ذلك الحديث الذى دار فى أول مشهد بين الشيخ صالح والشيخ حسان عن المستعمرين ومماليئهم من الخونة ، فكان الثانى يلقى كأنه على منبر يوم جمعة ... وفى أثناء الحديث بدا المسرح فى منظر غريب ، جملان يسيران الهوينى ونساء يحملن الجرار فارغات — إذ يحملنها وجوانبها على رؤوسهن — فى الذهاب وفى الإياب ! ورجال كثير يروحون ويجيئون ، والجميع صامتون كأنهم قبيلة من الخرس ! وكل ذلك حتى يفرغ المتحدثان ، وبعد ذلك يأخذ الرجال فى صلاة المغرب ، فيطيلون الركوع والسجود ويعدون التكبير والحمد والتسبيح ، ويختمون الصلاة بالأدعية ، وكل ذلك أيضاً لكى تتمكن امرأتان من حديثهما المقصود منه « رواية » بعض الحوادث البعيدة عن المسرح ! ولذلك وأمثاله كانت الحركة بطيئة مملة والتسلسل الشوق معدوماً ، ولم يكن يمنع الجمهور من النوم غير انفجارات البنادق والغارة الجوية ... وانفجار بعض (الأكلشيهات) الوطنية التى تستجلب التصفيق ... ولست أدرى ولا المؤلف (وهو المخرج أيضاً) يدرى كيف يهجم جنود الأعداء على مكان القبيلة وطائراتهم تحلق فوقه وتقذفهم بالقنابل!

وموضوع الرواية ، أو المدعى أنه موضوعها ، هو الإشادة بالبطولة العربية فى المغرب ، ولكن أين ذلك على المسرح ؟ أفى عرض جماعة من حملة السيوف يشرعونها نحو الطائرات التى تقذفهم بالقنابل ... وكيف تقاتل الدبابات والمدمرات بالسيوف ؟ ! وقد كان فى الإمكان الذى يتفق مع الواقع أن يكون فى أيدى الأبطال بنادق بدلا من السيوف .

أم فى ذلك المشهد العجيب الذى شغل ببكاء الأم ونشيج الحبيبة قبيل رحيل الشاب إلى الحرب ؟ كان الأوفق أن تتجملا بالصبر والجلد أمامه ، ولا بأس بقليل من العواطف يبدو فى أثناء التجلد ، وقد كان هذا المشهد « فاصلة » مملة من العويل والبكاء تجلت فيه أمينة رزق !

هذا وذاك إلى الروح الفاتر الذى ران على كل الأبطال ... ولم تقدم لنا المسرحية بطلا واحداً تملأ العين شجاعته ، ومن هنا انعدام رسم الشخصيات ، حتى الأمير عماد ، والمفروض أنه قائد مغوار ، فقد رأيناه أولا منهوكا لا يستطيع الوقوف ، وبعد ذلك صار شيخاً ضريراً لاحول له ولاطول ، حتى زعق زعقته الأخيرة التى كانت هول الختام ...

عباس خضر



كتاب النفس لأرسطوطاليس (*) :

أنت فى غير مرية على بصيرة بأرسطو ، تعرفه فيلسوفاً ذا باع طويل ، له المؤلفات المأخوذ عنها ، والأقوال السائرة ، والآراء المعمول عليها إلى اليوم . .

وقد ظفرت المكتبة العربية من قبل بكتبه التى عنى نفسه بها معالى « أحمد لطفى السيد باشا » محموداً مشكوراً ، فأخرج للناس كتاب الطبيعة ، والكون ، والفساد ، والأخلاق ، والسياسة .

واليوم تظفر المكتبة العربية بجديد لأرسطو ، هو هذا الكتاب الذى أنا شاغلك بالحديث عنه ، والذى فرغ له زميلان كريمان ، جهد أولهما فى تحويره عربياً ، وأعان ثانيهما فى مقابلة المنقول ومعارضته على اليونانية . فكمل جهد جهداً ، وصدّق الخُبر الخَبر .

والكتاب كما ينبئك عنوانه حديث عن النفس . وفى غير هذا الكتاب لأرسطو فى النفس آراء ولكنه هنا جمع شتات ما تفرق وزاد واستطرد فعرض لمذاهب القدماء الرئيسة فى النفس ثم ساق رأيه هو مع أدلته التى تنهضه وأفاض فى القوى الحاسة ؛ ثم ختم الحديث بالكلام عن الحس المشترك والتخيل والتفكير والنزوع .

ويشوقك أن نطالعك بالقليل من الكتاب لتفيد علماً بالمؤلف ونهجه ، وتقدر الزميلين قدرهما على ما أحسنا فيه .

يقول أرسطو على لسان الزميلين : « فإذا صح أن النفس تتفشى فى جميع الجسم الحاس ، فبالضرورة يشغل جسمان نفس المكان ، مادامت النفس جسما . وأولئك الذين يزعمون أن النفس عدد ، يجب أن يسلموا بوجود نقط كثيرة فى النقطة الواحدة ، أو أن لكل جسم نفساً . إلا إذا كان العدد الذى يوجد فى الجسم هو عدد يختلف اختلافاً تاماً عن مجموع النقط الموجودة من قبل الجسم ...

ويعقب الدكتور الأهوانى على هذه الجملة بقوله « ترجمة الجملة عن « هكس » لوضوحها . وهذا يذكرنا بقوله فى مقدمته « ثم جعلت ترجمة « تريكو » الفرنسية الأساس الذى اعتمدت عليه ونظرت إلى جانبها فى ترجمة « هكس » وعدلت عن سائر التراجم وقد أخذت بترجمة « هكس » كلما وجدت النص عند « تريكو » غامضاً » .

فأنت ترى أن الكتاب لم يكن على يسر ، عانى فيه « تريكو » و « هكس » ثم عانى فيه الدكتور الأهوانى ، بين « تريكو » و « هكس » .

وليس الأمر أمر ترجمة بل يسبق ذلك فهم وتذوق للعلم ، هما عدة المترجم وسلاحه قبل حذقه اللغة وبصره بها .

ثم تجده بعد ذلك فى شك الأمين غير راض عن جهده فيخف إلى الأب « قنواتى » ويكشف له هذا عن الصحف اليونانية فيجد فيها ما يصوب الكثير من هنات « تريكو » و « هكس » .

ويثنينى هذا العناء الذى ألمسه عن أن ألتفت إلى القول فى عبارات كنت أحبها أكثر صقلاً .

وأعود فأهنئ الزميلين بهذا الجهد الموفق ، راجياً أن أرى لهما متعاونين غيره . فما أحوجنا إلى النقل عن اللغات المختلفة .

ابراهيم الابيارى

(*) نقله إلى العربية الدكتور أحمد الأهوانى ، وراجعه على اليونانية الأب جورج شحاتة قنواتى .

مع الأستاذ :

ياساسة العرب : « إن محمد بن عبد الله الذى آثر أن يكون نبياً عبداً على أن يكون نبياً ملكا قد ساس الناس فى عهده سياسة دينية لا وطنية ولا قومية ، لأن الوطن محدود والدين لاحد له . ولأن القوم جماعة متميزة والدين إنسانية شاملة » .

بهذا النداء القوى الحار انساب صوت الزيات العظيم مع « الأثير » فى هدوء رزين ، فكأنه كان « جبريل » نزل من علاه إلى أرض الناس يصب فى الآذان الوحى من جديد فيلف القلوب



الوفـــاء المذبوح . . !

للأديب أحمـــد شفيق حلمي

« كيف السبيل إلى البقاء على العهد ، وهو على قيد الحياة ، وحبيبته رهينة القبور ؟ ألا يجب أن يلحق بها ، أن يموت لكي يتم اللقاء الذى لا فراق بعده ؟ نعم يجب أن يلحق بها . فهناك السعادة الأبدية إنه طاهر نق ، وهى طاهرة نقية ، إنها تنتظره وتدعوه إليها » .

إيفان تورجنيف

— ١ —

مالى أراك يا وحيد ساهماً ، وقد علت وجهك الغيوم ... غيوم نفسك الحائرة فى الحياة ... وقد سرحت الطرف ، ترقب الشمس الغاربة ، تتهادى على صفحة الأمواه ، ناشرة غلالتها القرمزية على صفحة البحر الخضم ، تودع الحياة ... فتنحدر وجلة نحو المجهول ، حتى احتضنتها الأمواج ، فطوتها مع أشلائها المتناثرة ثم ولت نحو المغيب ...

هل لفظتك الدنيا ، وسئمتك الحياة ، ففررت إلى تلك البقعة الجرداء ، تنعى الأمل وتبكى الحياة ، أم تخاطب النجوم المبعثرة فى القبة الزرقاء ؟ !

هل جلست هنا ، أم منبسط المياه ... تستمع لحشرجة الريح ؟ أم تعاتب القدر لقسوته عليك ! ؟

ألف سؤال احتوشتنى من كل جانب ، وعندما قادتنى قدماى إلى تلك البقعة الجرداء ... فوجدته هناك شارداً عليه وجوم ، وراحتاه تحملان رأسه الثقيل بالأتراح ... يجوب بنظرته التائهة عبر البحر ، يناشد الأمواج العزاء والسلوى ، ويقاسم الريح عويلها الحزين ! .

— ٢ —

وألفيتنى أحدق فى السكون السارى ، والبحر من تحت قدمى ، أمواجه تتلاعب ، وتندفع إلى بعيد ... فى الصفحة الفسيحة .

وفجأة لمحت أشباحاً انشق عنها البحر ، ونفضت عنها ثوبها الأسود الكالح ... فبدت طيوفاً بيضاء زاهية ، حملتنى إلى الماضى القريب ، وقد خلته بعيداً ، لما ناءت به مخيلتى من الخواطر والأفكار ...

عرفتك يا وحيد أول مرة ، طفلاً ساذجاً حلو الشمائل ، وهب الله أباك نعمة واسعة ، وخيراً عميماً ... فى القصور بين حدب الأب ، وحنان الأم كنت تعيش ، فكانت حياتك

بالشجن ، وينِدى العيون بالدمع ، ويثير العواطف بالتذكير .

لم يأت أستاذنا بجديد — فالجديد يبلى — ولكنه أتى بقديم قدم الأزل ، فساقه موقعاً بأنغام موسيقاه التى تأسر النفس بخدر لذيذ ، وسحر حلال .

أجل : فقد قال ما عناه الله المتعال حين قال :

« وما محمد إلا رسول » ؛ وحين قال : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم » .

قلم الزيات العظيم من مولده رائع قوى ، ولكن بيانه المؤثر مع صوته الوقور مزيج عبقرى يهز النفس بما يواجبها فى إحساسها .

تلك تحية مستمع من جمهور الرسالة الكريم .

طنطا — عبد الفتاح على بركات

الى الاستاذ كامل محمود حبيب :

قرأت ما كتبته بعنوان : « زوجة تنهار » ، فأكبرت بلاغة أسلوبك ، وسحر بيانك ، وعذوبة ألفاظك ، وتأثرت بانفعالات نفسك ، تأثراً كبيراً ، حتى انتهيت من القراءة إلى كلمة : «ياللقصاص » . فلم تعجبنى خاتمة كلمتك ، لأن القارئ يود أن تكون نهاية الخائنة أشد وأنكى من أن تطرد إلى الشارع .

كيف واجهت الشارع ؟ أجرى الذئاب وراءها ؟ أما زالت حية تتمرغ فى الأوحال ؟ أم كفرت عن ذنبها فألقت بروحها فى أعماق البحر ؟ أم أرجعها زوجها إليه ، وغفر لها إساءتها ، ومسح عنها عارها شفقة ورأفة بأولاده الصغار الأبرياء ؟ أم ماذا صنعت ، وصنع ؟ إن لم يكن حقيقة فخيالاً لتكون عبرة وعظة .

(دمياط) — عطية فنونه

كالجدول المذب ، يلعب بأنامله السحرية فى الفلاة الصـادية ، فيحيلها مروجاً سندسية نضيرة ... ويتسرب بين السهول والوديان ، عازفاً ألحان المرح ، وتراتيل السرور !

وكذلك أنت يا وحيد ... كانت حياتك تسير فى موا كب الأفراح ترقص وتغنى ! وكلما أغدقت من ثروتك الطائلة فى سبيل الخير ... زادت ، واتسعت ، والتف حيالك الناس ! ؟

ومضى بك الزمن هادئاً ناعماً إلى مطالع الشباب ، فحلقت روحك بعيداً بعيداً أنت وحدك تدرى إلى أين ! ! ثم هامت فى اللانهاية ... تجوب عالم الخيال ، تمنى نفسك العطش بنعيم الحياة ، فما فتئت ترتوى من مختلف ينابيعها ، وتمطف القبل من ثغرها البسام ، إلى أن صبت نفسك إلى الراحة ، وهفا قلبك للسكون ، وتاقت روحك الهائمة ... إلى بيت الزوجية الهانىء ، فنفضت غبار الماضى ، لتستقبل من اصطفتها توأماً لنفسك ، وشريكة فى الحياة

— ٣ —

وغمرتنى النشوة ، والطيوف تداعب خيالى ، والرؤى تتماوج فى شتيت الذكريات . وأحسست بالراحة رانت على روحى ... عندما تشابكت خيوط الماضى ، كأنما لعبت بها أنامل بارعة ، سرعان ما أحالتها إلى وجه صبوح عليه إشراقة عذبة ساحرة ... فانطبعت فى خاطرى صورة عروسك الحبيب « مهام » . ما كان أنضرها ! عيناها كسندس تكتسى به الحقول ، وشعرها المتهدل على جبينها الوضاح كبدر بين حفيف السحاب . أما صدرها الناهد وجيدها الريان ، فملوءان بسحر مجنون !!

ما كان أروعها ليلة الزفاف ، وهى تخطر إلى جوارك ، بين هالة من الفتيات يحملن الشموع والزهور ... تفتر شفتاها من بسمة حلوة ، يرف فيها ما تحس من سعادة وهناء ... وتلمح فى عينيها تأملات حالمة ، تحملها سراعاً إلى عشها الجميل ، وأملها المنتظر ، وربيعها الدائم ، وقد نبتت فيه أزاهير من حب ووفاء .

وهنالك بين أكاليل الزهور ... جلست وعلى رأسها تاج من زهور الأقحوان ، محلي بالجيرانيوم ومرصع بالفيولد ... كانت فى نبل الملائكة ، تحوطها هالة من نور ... نور يخطف الأبصار ... قد تسربلت خيوطه البهية من بين أهدابها الحالمة !

وكانت الليلة حلماً رائعاً ، رقصت فيه الملائكة على أنغام الجازبند فتمايلت نشوانة فرحى ... ترف حولها فى المكان ... آهات حرى أرسلها صدرك يا صاحبي — علها تريد أن ترقص أيضاً ! ! — يحملها الأثير الهادىء اللين إلى ابتسامة الأمل ، ونفحة الله ... مهام .

وعلى دعاء الفجر لإله الوجود ، حملتك وعروسك نسائم الصباح الندية ، إلى عشكما الآمن ، تشيعكما قلوب المذارى ، وقد غبن فى حلم جميل يتمنين أن تدب فيه الحياة !

— ٤ —

ها هو الليل قد أوشك على الرحيل ، وها هو — أنا — أجلس إليك بعد ذلك الحلم الطويل ... فهلا فككت كربتى يا وحيد ، فتبسط على نفسك الحزينة الغارقة فى الأتراح ... وتقص على ما وراء تلك الشعرات البيض من أحداث ! إنها تتسلل فى شعرك الفاحم كنور الصبح يتلاشى أمامه الظلام !

— أواه يا خليل ... إن جراحات قلبى لم تندمل ، وروحى الشريد ... لم يستقر بعد ! ...

أنت تذكر ليلة العرس يا خليل ، وقد حملتنى وعروسى عربة انطلقت إلى النُزُل الفخم ، الذى اخترته للاقامة ... ؟

وصلنا هناك ، وإلى غرفة تشمرك بالبهجة ، تطل على مروج خضراء ، ومياه جارية فى سهل فسيح ... حملنا أمتعتنا .

إنى أذكر ساعة الوصول ، ومدير الفندق يقودنا إلى الغرفة البهيجة ، ثم يصفق خلفه الباب ، وهو يتمنى لنا إقامة هانئة ...

قلت لزوجتى وأنا أجوب الغرفة فرحاً : « ما أجملها غرفة يا مهام » ؟ فقالت بصوت حنون : « إنها بديعة يا حبيبى » !

وتطلعت إليها فتلاقت العيون ، وتلمست أصابعى كتفيها المرمريتين بخفة ورشاقة ، وقبلتها بحنان ، ثم دفعتها برفق إلى الفراش ، فاتكأت على حافته بحياء وخفر ، وعلق بصرى بعقارب الساعة تترى بسرعة ... وسدتها ذراعى ، وهصرتها بين أحضانى ، ثم تلاقت الشفتان فى قبلة محمومة ولهى ، فرشفت من الكأس حتى الثمالة ...

وتراقصت الظلال فى جلال وروعة .. داعب النسيم البليل خصلات شعرها بمرح ، فتهدل على صدرها العارى ، وهو يعلو ويهبط بسرعة ، وانعكست على صفحة وجهها خبايا هواها ، وتألق فى عينيها بريق عجيب ، فيه لهفة عميقة !

وفجأة ... وفجأة يا خليل لمحت وجهها الوردى الفاتن يصير إلى

اصفرار رويداً ، وعيناها أخذتا تحدقان فى شىء مجهول ، تبــكى فى صمت وتتوسل فى ذهول ... كأن قوة جبــارة أمســكتها بيد من حديد .

تحسست جسدها ، وأنا من الهول لا أعى ، فــكان فى برودة الثلج ، فصرخت والدموع فى عينى : « مالك يا سهام ؟ ... ماذا تحسين ؟ ... إلى بطبيب ! إلى بطبيب ! »

وتداعى ذراعاى من حولها ، فسقطت على الملاءات البيضاء ، فقلت يائساً : « إليك روحى يا حياتى ، خذيها وعودى إلى ! ... هل تذبل الورود وهى تختال فى المروج ؟ تــكلمى ... ردى على ردى على ... لماذا لا أسمع صوتك الحنون ؟ وا حر قلباه ، يا ضيعة العمر وأنا من غيرك يا سهام » !

... وامتلأت الغرفة بالظلال الداكنة ... تهتز فى صمت ثقيل ... وحفل الفراغ بالأشباح ... تتراقص فى عربدة مجنونة ... تجثم على صــدرى صرخاتها المنكرة ... فهرعت إلى الأسجاف أرفعها ، وفتحت النافذة ، فاندفع الهواء من السهل القريب ، حيات تسعى ... تلتف حول عنقى ، فخارت قواى ودارت الجدران ... ومادت الأرض ... حتى غدوت فى النهاية ، غريقاً فى صخب هائل مفزع ... وتوهج المصباح ، ثم خبا فتشتت الضوء ، وأحسست بالبرودة تسرى فى أطرافى ، ثم غبت عن الوعى .

— ٥ —

... وعادت الغرفة تلوح من بين أهدابى المغلقة ، فلمحت خيالات كثيرة تروح وتجىء ، وسمعت أحدهم يقول لخيال : « إنه فى طريقه إلى الوعى » ...

تحاملت على نفسى ، وحدقت فى الجدران التى تدور ... وصرخت ملتاعاً « أين سهام ؟ أين سهام ؟ ... فخرج فى مسمعى صوت رهيب « ذهبت ... ذهبت يا وحيد ولن تعود » !

وانهمر على وجنتيــه دمع حبيس ، فقلت له وأنا من أجله ملتاع ، أطالع صــفحته الحزينــة ... فيثب إلى خاطرى الوفاء المُــعَــذَّبُ ، والدنيا والأحلام ، وقد لُفَّت فى أكفان الأبد ، قلت له : « وبعد يا رجل ، هل تود أن تموت ؟ هيا يا صديق إلى الحياة ، ترى فيها السلوى والعزاء .

— أنا ؟ ؟ أنا أهبط إلى الحياة من جديد ! ؟ لقد سحقت قلبى أناشيد الحرمان ، وذريت روحى فى مهمة الظلمات ، فهل أهبط إليها من غير قلب وروح ! ؟

— جرب هل الريح تأتى وفاء !

— دعنى يا صاحبى فى أحزانى وآلامى ، علنى ألحق بها ، بعد أن خلفتنى وحيداً فى عالم الأحزان !

— لك الله يا وحيد ، ولــكن رفقاً بنفسك يا صديق ، ولم لوفاء ميت ! ؟ .

— ويلك ، ماذا تقول ؟ وهل الحياة غير الوفاء لحبيب ؟ !

مضيت فى طريقى ، وتركته وحيداً ، وهو فى غمرة الأسى ، ولوعة الشجن ، يذوب ويذوب ، وهو يتطلع بشوق لهيف ، هناك ... إلى السماء ... عل ملك الموت الرحيم ! يختطفه إليها ، فيجمعه بها فى الفردوس ... عند الله .

أحمد شفيق حلمى

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحـــكومة المصرية

النشر في محطـــات ومطبوعات المصلحة

لقد نجحت المصلحة فى ابتكار أحـدث الوسائل وانتقاء أبرز الأماكن المعدة للنشر فأولت اهتماماً خاصاً بمحطاتها فنسقتها وغرست حولها الحدائق فزادت من حسن منظرها وبديع رونقها حتى أصبحت تضارع أعظم محطات العالم مما حدا إلى إقبال الجمهور والشركات على اختلاف أنواعها وأصحاب البيوتات التجارية إلى الإعلان فيها بأسعار غاية فى الاعتدال .

هذا فضلا عن المطبوعات والنشرات المختلفه التى تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزعها داخل وخارج القطر ولا يخفى أن الإعلان فى تلك المطبوعات لا يقدر بثمن لأهميته وجليل فائدته .

ولزيادة الاستعلام خابروا قسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة – بمحطة مصر

العدد ٨٥٥ — الاثنين ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 855

Lundi — 21 — 11 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٥ « القاهرة في يوم الاثنين ٣٠ من شهر المحرم سنة ١٣٦٩ — ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ السنة السابعة عشرة »

محمد على الكبير

بمناسبة الذكرى المئوية لوفاته

كلما قلبت تاريخ هـذا الرجل العظيم ثم أرسلت فكري وراء أخباره وآثاره ، بدا لى الرجـل عالما من المزايا التى لا تخص بها الطبيعة غير الأفذاذ من الرجال ؛ ذلك لأن محمد على لم يكن فرداً عاديا من هؤلاء الذين تخلقهم الظـروف والمناسبات ، وتحل الحظوظ الطارئة فى حياتهم محل المواهب النادرة والطموح الذى لا يحد ... كلا ، لم يكن محمد على واحداً من هؤلاء ، ولـكنه كان واحداً من أولئك الذين يفرضون أنفسهم على الظروف والمناسبات ثم لا يقيمون للحظوظ وزناً ما دام الوزن فى حياتهم للبصيرة النافذة وللعزم القادر وللذكاء الوثاب لهذا كله سـواء أسعف الحظ أم تخلف ، أقبلت الدنيا أم أدبرت ، ابتسمت الأيام أم لقيت جهادهم بالعبوس ! وهكذا مجد العظيم كلما بحثت عن أسباب العظمة فى كل ميدان تقام فيـه صروح الهمم وتشيد معاقل الـكفاح ؛ شعلة من الإيمان بالنفس وشعلة من الإيمان بالوطن ... ومن وهج الشعلة الأولى تكونت شخصية محمد على وغمر ضوؤها كل نفس ، ومن وهج الشعلة الثانية تكونت شخصية مصر الحديثـة وامتد سلطانها إلى كل أرض ، وعلى مدار الشخصيتين العظيمتين اقترنت حياة رجل فى حساب التاريخ بحياة أمة !

حين وفد محمد على إلى مصر كانت مصر مرتعاً خصيباً للفوضى التى لا يرجى معها نظام ، وكانت ملجأ رحيباً للغاصب الذى لا ينتظر من جوره إصلاح ، وكانت حلماً جميلا للطامع الذى لا يؤمن لجشمه مغبة ، وكانت نهباً مباحا للجهل الجاثم على العقول وللتأخر المتخلف عن ركب الحضارة ... ونظر الرجل العظيم إلى الماضى البعيد بفـكره فاستعبر ، وإلى الحاضر المشهود بعينه فأنكر ، ثم تطلع بطموحه إلى المستقبل المرتقب فامتلأت نفسه بالأمل والثقة والرجاء ! ماذا ينقص الأمم من وسائل الرقى لتأخذ مكانها فى الطليعة ؟ وماذا يعوز الشعوب من أسباب التقدم لتشق طريقها إلى الأمام ؟. رسم القائد العظيم خطته قبل أن يخوض أعظم معركة فى ساحات المجد ؛ رسمها فى صبر لا ينفد وأناة لا تيأس وجلد لا يلين . وكانت أعظم معركة وأشرف معركة .. مصـدر العظمة فيها أنها انتزعت أمة من مهاوى العدم ، ومنبع الشرف فيها أنها انتشلت شعباً من ظلمات الجهل ، وانتصر الرجل فى المعركة الخالدة بسلاحين : سلاح العلم والمعرفة هنا وسلاح الجيش والأسطول هناك . وفى كل خطوة من خطواته فتوح تترى وغزوات !

لست فى مجال الإحصاء للمفاخر والمآثر فتلك أمور يسأل عنها كتاب التراجم و كتاب التاريخ ، ولـكننى فى مجال التحية القلمية للعاهل العظيم بمناسبة انقضاء مائة عام على وفاته ، وإنها لذكرى تستحق البقاء فى كل نفس من نفوس هـذا الشعب الذى كافح محمد على من أجل بقائه ، وكافح من بعده أبناؤه وأحفاده من أجل

صور من الحياة :

ركن يتداعى

للأستاذ كامل محمود حبيب

لست أنسى — ياصاحبي — أنك كنت لى فى ميعة الصبا رفيق الروح فى وحدة الحياة ، وأنيس القلب فى وحشة العمر ، ونور النفس فى ظلام العيش !

لقد كنت إذ ذاك فتى مدنىّ النشأة والمزنى ، تختال فى الصحة وترفل فى العافية ، وتتألق على وجهك سمات النعمة وتبدو على جبينك علامات السعة ؛ لا تعوزك المتعة الرخيصة ولا تفتقر إلى اللذة التافهة. وأبوك صائغ ماهر يصوغ من الذهب الدور والأطيان. والصائغ ساحر ينفث فى العقد ليخلق لنفسه الثراء والغنى ؛ غير أنه مبتلى بالشح ، مرزأ بالكزازة ، يعروه الجزع من الإنفاق ، ويدهمه الخوف من البذل : طبيعة ركبت فيه لأنه يرى الكنز بين يديه وهو يتلألأ بريقاً يخطف البصر والقلب ، فيشفق أن تبدده لوثة الكرم أو أن يتلمه داء السخاء . وهكذا كان أبوك — يا صاحبي — صائغاً يصوغ الثروة ويضن بها على نفسه وعلى أولاده ، فما تبضّ يده بالقرش ولا ينبض قلبه بالشفقة . فأصابك بعض قسوته وبخله . وأحسست أنت بغلظة أبيك دون شحه ، لأن أمك كانت إلى جانبك ، فاعتراك تكسر وفتور من طول ما دعّك عن نفسه وعن مجلسه فنفرت من دارك وأهلك .

أما أنا فكنت فتى ريفى الطبع قروى المزاج ، أسترسل فى سذاجة وآخذ فى قوة وأدفع فى عنف ، وأنا إذ ذاك قريب عهد بالمدينة ، لم تمسنى زخارة المدنية ولا شملتنى طراوة الحضارة . أعيش وحيداً فى حجرة وضيمة ، أحس الشظف والضياع ، لا أجد الرفيق ولا ألمس الراحة ، أتقلّب بين عناء الدرس وعنت الحياة فلا أتململ ولا أضيق ، وأتنسم ريح القرية — بين الحين والحين — علّى أجد فيها بلاغاً ، وأنتظر هبّات عطف أبى — بين الفينة والفينة — عسى أن أنشق فيها عطر الشفقة . فتعلمت فى وحدتى أول مبادئ الصبر والأنفة ، وتلقفت من فاقتى أول تعاليم الترفع والكبرياء .

واطمأن قلب إلى قلب ، وسكنت نفس إلى نفس ، فانطلقنا معاً — جنباً إلى جنب — نجتاز مراحل الدراسة فى غير وناء ولا بطء ، صديقين عاشا فى صفاء لم يعكره خصام ولا شابه تدابر ، وانطوت الأيام .

***

وتخرجت — يا صاحبى — فى مدرستك لتصير موظفاً فى وزارة الأشغال ، وانفلت من شح أبيك وقسوته لتنشق — لأول مرة — عبير الحرية والخلاص ، ثم اخترت لحياتك فأصبحت — بعد سنوات — زوجاً وأباً وربّ أسرة. أما أنا فقد طوحت بى الحياة فى مطارحها ، لا أستقر فى مكان إلا لأفزع عنه ، ولا أهدأ فى بلد إلا لأطير عنه . فصرفتنى شواغل العيش عن أن أراك وأنا لا أنسى أنك كنت لى فى ميعة الصبا رفيق الروح فى وحدة الحياة ، وأنيس القلب فى وحشة العمر ، ونور النفس فى ظلام العيش .

ثم هفت نفس إليك — بعد عمر من عمرى — فانطلقت ، فرأيتك رجلاً تتوثب قوة فقوة ، وتفيض بشراً وسروراً ، يلمع الأمل فى ناظريك ويبسم الرضا من نضارتك ، وبين يديك صغار يرفون حواليك كالأقمار رونقاً وبهاء ، يملأون الدار جمالاً وسعادة ، ويفعمون قلبك بالغبطة والبهجة . أما زوجك فكانت روح الدار وريحانها .

خيره وسمعته وسيادته ... اليوم ، وبعد تلك الأعوام المائة ننظر إلى البناء الذى أقمناه بجهادنا على أرض القومية المصرية ، فلا نملك إلا أن نذكر واضع الأساس الأول فى هذا البناء ، وغداً حين نواصل السير فى الطريق الذى نتشوف إلى بلوغ منتهاه ، سنرتد بأفكارنا إلى الوراء نلتمس الهدى من تاريخ رجل هو قدوة السائرين فى كل طريق .

لقد كان محمد على مصريا بالطبع والسليقة وإن لم يكن مصريا بالمولد والنشأة. وأعظم بهذا المصرى الذى شغلته مصر عن وطنه الأول وعن كل ما عداه من أوطان ، وأعظم بهذه المصرية التى لقى صاحبها العظيم فى سبيلها من المحن مالم يلقه إنسان !.

(أ . م)

وحين دخلت دارك ، أحسست أنك تسعد هناك بروح الجنة على ثرى الأرض ، وأنك تنعم بلذة الخلد فى فناء الحياة ، وشعرت أنا بأن العزب رجل تافه خسر بهاء الدنيا ورونق الأسرة .

ثم ضربت الأيام بيني وبينك — مرة ثانيــة — فوجدت فقدك فى قرارة نفسى ولـكن قلبي كان ينبض بالرضا والطمأنينة لأنه رأى دارك تفهق بالسعادة والرفاهية .

وتناهى لى — بعد سنة واحدة — أنك تطب لمرض ألمّ بك فتاقت روحى إليـك ، لعلى أستطيع أن أرفه عنك بلاء الداء . أو أزيح سفمات الألم . وحين وجـدت السبيل إليك ، اندفعت أنت تحدثنى حديثك ، فقلت : « . . . وذهبت أفتش عن دواء لدواء عينى عند طبيب من ذوى الرأى والتجربة . ووجد الطبيب فىّ ضعفاً فاستغله فتهدّم علىّ يستنفد وفرى ويبتلع مالى . وطالت بى مدة العلاج ، وللطبيب أسلوب فيه الخديعة والأمل ، يستر من ورائه أفانين من الجهل والجشع ، وأنا لا أجـد معدى عن أن أستسلم فى خضوع وأن أستخذى فى ضعف . ثم ارتفعت عن عينىّ يد الطبيب ففزعت إذ أحسست بأن نور عينى يوشـك أن ينطفىء فتظلم الحياة فى ناظرىّ إلى الأبد ؛ ولـكن الأمل كان يعاودنى آناً فآناً ، لأننى كنت أرى بصيصاً من نور يكشف لى الطريق ، فطرت — بعد لأى . إلى الطبيب أستجديه وأستميته فوضع يده — مرة ثانية — ثم رفعها فإذا أنا أعمى قد كف بصرى

« آه ، ياصاحبى ! لقد انهار كيانى وانهد عزمى وتداعى ركنى وأصابتنى البـلوى فى الصميم من قلبى ، وفى العزيز من روحى ، واعتورنى اليأس والأسى ، وآذانى ما انتهيت إليه . فكنت أنطلق إلى حجرتى وحيـداً أنخرط فى بكاء مر طويل ، وأنا أشفق على أولادى أن تصفعهم النكبة فتخبوا فيهم جذوة الحياة ، وتخمد روح السعادة فى الدار ، ويعصف بنا الذل ويقتلنا الضنى وتذهب بريحنا الفاقة ، فكتمت الأمر فى قلبى وفى قلب زوجى .

« وثارت ثائرتى — ذات مرة — فانطلقت إلى الطبيب ، برفقة زوجى ، أريد أن أثأر لنفسى . وحين اندفعت إليه أحاول أن أنشب أظافرى فى عنقه انفلت من بين يدى فارتطمت بالجـدار فسقطت وأنا أصرخ فى غيظ وكمد لأننى لم أشف غلة نفسى .

وانطوت الأيام وأنا أعالج لوعة نفسى بالصبر ، وآسو جراح قلبى بالتآسى ، غير أننى كنت أفزع لـكل نأمة وأجزع من كل صوت وأهرب من كل صديق . ورقت مشاعرى فلازمنى الصمت والبـكاء … ثم عافت نفسى أن تنزل عن كبريائها ، وأنا من بيت دين وورع ، يترفع عن الاستخذاء فى البلوى ويسمو على الضعف فى الرزء ، فأمسكت على مضض وابتسمت على لوعة وأسلمتُ على بثّ .

« ثم وقعت بين فـكين من الحياة فيهما الغلظة والجفوة ، فأنـكرنى رفاق فى غير رحمة ، وفزع عنى ذوو قرابتى فى غير شفقة أما الحـكومة فكانت الداء العياء والـبلاء الأكبر ، فلقـد طردتنى من عمـل لا أمل فيه ودّعتنى عن مكان لا أصبو إليه ، لم ترحم صبيتى ولا أشفقت على ضعفى ، فسلبتنى راتبى ومنعتنى حق ونبذتنى إلى الشارع .

« وفى ذات مساء جاء ساعى المدير يعتذر بلسان سيده البك عن بعض ما سطرته يد السيد فى خطاب الرفت .. ورآنى الساعى فى محنتى فانكبّ على يدى يقبلهما فى عطف ، ويبللهما بدموع المحبة والإخلاص … دموع الرقة والإنسانية ، فانهمرت عبراتى ، انهمرت لأننى ألفيت فى الساعى كرما وشهامة على حين انطوى قلب سيده البك على ضعة وسفالة » .

وثارت شجون صاحبى فماتت الـكلمات على لسانه … سكت وجبينه يرفض عرقاً لأنه يحاول أن يكتم نوازع نفسه عنى وهى تضطرم فى عنف وشدة … على حين أنى لم أنس أنه كان لى فى ميعة الصبا رفيق الروح فى وحدة الحياة ، وأنيس القلب فى وحشة العمر ، ونور النفس فى ظلام العيش .

وانتفض قلبى فى حرقة وأسى … انتفض لأننى رأيت صغاراً يرفون خوالينـا كالأقمار رونقاً وبهاء ، فماذا … ماذا تخبئ لهم الأقدار ، يا قلبى ؟

كامل محمود حبيب

أهل العلم والحكم

في ريف فلسطين

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

يرى المتتبع لتاريخ فلسطين ، أن الريف كان شاهداً لكثير من المعارك والحوادث الجسام . وقد ضمت تربته المقدسة رفات الكثيرين من الصحابة والتابعين الأكرمين .

وقد رأينا أن نسجل على صفحات مجلة الرسالة الغراء ما عثرنا عليه فى المصادر العربية ، مما يجهله الكثيرون .

ونرجو أن يتسع المجال لنشر ما توصلنا إليه . فيرى القراء الكرام ، ما أخرجه هذا الريف من رجال العلم والحكم فى مختلف العصور ، وما تغنى به فحول الشعراء منذ القرن الهجرى الأول حتى زوال الدولة العثمانية .

وقد شهد هذا الريف (أجنادين) و (طاعون عمواس) و (ومقتلة الايوبيين) عند نهر أبى فطرس (العوجا) و (حطين) التى هزم فيها الأفرنج ، (وعين جالوت) التى قضى فيها على التتار ، إلى غير ذلك من الحوادث والمعارك الفاصلة فى التاريخ العربى على أن الريف قد حرك خيال الشعراء ، فكان لشعر جرير والمتنبى ، وليلى الأخيلية ، وجميل ، منه نصيب أى نصيب .

ونحن نعلم ونحن نكتب هذه السطور أن بعض الجهلة والمغرضين من الكتاب ، والخصوم ، قد شوهوا جمال هذا الريف ، وقللوا من شأنه ، كما نعلم أن أهله قد نسوه ونبذوه وأهملوه فأصبحت كلمة (فلاح) أو (قروى) مرادفة لكلمة جاهل أو محتقر ، حتى صار أبناء الريف أنفسهم يشعرون أنهم من طينة غير طينة أبناء المدن المترفين . ومشى مع هذا شعور بالضعة والمذلة ملك النشء القروى وطغى عليه ، فصار إذا ما رأى طالباً نال شهادة الاجتياز إلى التعليم العالى رأى فى ذلك أمراً عجباً ؛ وإذا ما سمع باسم عالم ريفى يشغل مركزاً فى القضاء أو الحكم استغرب وتعجب ، كأنما العلم وقف على المدن والحواضر دون الريف ، فكان من جراء هذا الشعور المغلوط أن تشبع أبناء المدن بشعور مبالغ فيه فى تقدير قيمة المدن إذا قيست بالقرى ؛ فكأنما العلم منشؤه المدن ، وكأن الفلاح إنما هو أداة حراثة وحصاد يجد ويشقى لينعم بآثار جهده أبناء المدن وهم قابعون .

على أن الذى ينعم النظر يرى أنه كان لأبناء الريف فى فلسطين القدح المعلى فى شتى ميادين العلم والإدارة والقضاء فى مختلف العصور . إذ كانوا منذ القرون الأولى ما يزالون حملة العلم لا فى فلسطين فحسب بل نقلوا مشاعلهم معهم إلى ديار الشام ومصر وسائر البلدان العربية .

ونكتفى الآن أن نسجل بعض أسماء من أبناء الريف الفلسطينى فنذكر الحسن اليازورى رئيس وزراء الدولة الفاطمية (القرن الخامس) وقاضى قضاتها وداعى دعاتها وهو من أبناء يازور ، قرية على طريق يافا .

بل لنعد قليلا إلى القرنين الأول والثانى الهجريين ، فنذكر موسى بن نصير فاتح قبرص وقائد معاوية ، وفاتح الأندلس فقد سبى والده من جبل الخليل وهو اللخمى الفلسطينى الريفى ، ثم الربيع بن يونس أبو فروة حاجب المنصور العباسى بانى بغداد ووزيره فهو من جبل الخليل أيضاً . وتعال إلى عالم الأدب فلا تنسى أن تذكر عبد الحميد الكاتب القيسرانى ، نسبة إلى قيسارية ، وقد اعتبرها ياقوت قرية الوزير الأموى ، الكاتب المنشئ ، كما تذكر القاضى الفاضل البيسانى نسبة إلى بيسان ، المدينة الريفية الفلسطينية مستشار صلاح الدين ، المؤرخ المنشئ البليغ والمصلح العمرانى المجاهد الذى قال صلاح الدين عنه إنه لم يفتح البلاد إلا بقلمه .

بل لقد أخرج الريف الفلسطينى عدداً من الأسر العلمية التى ساهمت أكبر مساهمة فى الحركة الفكرية فى القرون الوسطى فى فلسطين والشام ومصر ، فمنهم بنو كنانة العسقلانيون ، وقد تفرقوا بعد خراب عسقلان بعد القرن السادس فكان لهم فضل عظيم فى نشر العلم والفقه واللغة . ومنهم بنو غانم القدسيون (من بورين) فى جبل نابلس الذين أسلمهم صلاح الدين خانقاه فى القدس فظل نجمهم يسطع حتى القرن العاشر . ومنهم بنو قدامة الجماعيليون ، من جماعيل جبل نابلس ، الذين نزحوا إلى دمشق فى القرن السادس فأسسوا فيها الصالحية ومدرسة أبى عمر . فكانت

مركزاً هاماً لتدريس الفقه الحنبلي خاصة مما كان له أبلغ الأثر في دمشق والشام والعالم الإسلامي عامة .

بل ماذا نقول فيما أخرجته (رامين) في جبل نابلس مما سيطلع عليه القارىء فيما بعد ، أو ما ساهمت به (مردا) من العلماء والعالمات حتى كادوا يحتكرون العلم في تلك العصور الغابرة ويحملون مشعله دون سواهم .

هذا وقد أخرج الريف الفلسطيني عشرات بل مئات من المؤلفين والأدباء ، فهذا الجمال البشيتي (نسبة إلى بشيت من أعمال الرملة) يكتب في الألفاظ المعربة ، وهذا المحبّي صاحب سلك الدرر يقتبس من الحسن البوريني (نسبة إلى بورين جبل نابلس ، ويعتبره مرجعه ، ويعترف له بذلك في مقدمة كتابه النفيس وهو أعظم مراجعنا عن الحركة الفكرية في القرن الحادي عشر في هذه الديار .

ففي علوم القرآن ، والفقه ، ورواية الحديث ، وفي التصوّف والأصول والفرائض ، وعلم الكلام والمذاهب الأربعة ، وفي علوم اللغة ، من قواعد ونثر ونظم ، وفي إنشاء الرسائل ، وفي التاريخ والطبقات والرحلات بل وفي علوم النجوم والرمل والزايرجا ، في جميع هذه العلوم التي تؤلف مادة العلوم الإسلامية منذ القرون الأولى ساهم أهل الريف في فلسطين مساهمة تضعهم في الصف الأول من خدمة الثقافة والعلوم في هذه الديار .

وقد استثنينا من بحثنا المدن الفلسطينية الكبرى كالقدس ، والرملة ، وغزة والخليل ، ونابلس ويافا وعكا وصفد ، واعتبرنا أرسوف وقيسارية وعسقلان(1) من بلدان الريف لا المدن .

ولم نستثن الناصرة على اعتبار أنها كانت قرية من أعمال صفد ، وحيفا لأنها كانت بليدة ، وبيسان وهي أقرب إلى المدن الريفية منها إلى المدن والقصبات .

وقد رتبنا قرى الريف ، على الحروف الأبجدية ليسهل الرجوع إليها ، واعتمدنا معجم ياقوت كأساس للقرى العربية ، كما أثبتنا غير ذلك من القرى مما ورد ذكره في المصادر العربية الأخرى .

(1) في السبكي ج ٢ — ص ٣ . سمع البخاري في قيسارية وعسقلان في أوائل القرن الثالث .

مشاهر فلسطين ، وبقاعها ، وأنهارها ، وجبالها في المصادر العربية :

أجناد الشام(1) : لما فتح العرب الشام قسّموها إلى خمسة أجناد وهي جمع جُند ومنها جند فلسطين وجند الأردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين . قال ابن جابر اختلفوا في الأخبار فقيل سمّى المسلمون فلسطين جنداً لأنه جمع كوراً، والتجند التجمع ، وجندت جنداً أي جمعت جمعاً ، وكذلك بقية الأجناد. وقيل سميت كل ناحية بجند لأنهم كانوا يقبضون أعطياتهم فيه . قال الفرزدق :

فقلت ماهو إلا الشام تركبُهُ   كأنما الموت في أجناده البغرُ

وجاء في معجم ياقوت ح ٦ — ٣٩٧ عن فلسطين ما يأتي :

«العرب في إعرابها على مذهبين : منهم من يقول فلسطين ويجعلها بمنزلة مالا ينصرف ويلزمها الياء في كل حال فيقول هذه فلسطينُ ورأيت فلسطينَ ومررت بفلسطين . ومنهم من يجعلها بمنزلة الجمع ويجعل إعرابها بالحرف الذي قبل النون فيقول هذه فلسطون ورأيت فلسطين ومررت بفلسطينَ . كذا ضبطه الأزهري والنسبة إليه فلسطيّ . قال الأعشى :

ومثلك خَوْدٌ بادن قد طلبتها   وساعيت معصياً لدنيا وُشاتها
متى تُسق من أنيابها بعد هجمة   من الليل شرباً حين مالت طلاتها
تخله فلسطياً إذا ذقت طعمه   على ربذات النيّ حمسٌ لثاتها

وهي آخر كور الشام من ناحية مصر قصبتها بيت المقدس . ومن مشهور مدنها عسقلان والرملة وغزة وأرسوف وقيسارية ونابلس وأريحا وعمان ويافة وبيت جبرين(2) أولها رفح من ناحية مصر وآخرها اللجون (مجرو — أو تل المتسلم) من ناحية الغور عرضها من يافا(3) إلى أريحا نحو ثلاثة أيام ، وزغر (بحيرة لوط

(1) معجم البلدان ج ١ — ١٢٥ .
(2) عاد ياقوت فاعتبر بيت جبرين (بلداً بين بيت المقدس وغزة) كما قال عن قيسارية (أنها في زمانه أشبه بالقرى منها بالمدن) وأما عن أريحا فقال تحت كلمة الغور ، (ومن قراه أريحا .)
(3) يكتبها ياقوت أحياناً بالهاء (يافه) .

بين ابن خلدون ومنتسكيو :

القوانين والمجتمع

للأستاذ محمد محمود زيتون

عاش ابن خلدون المغربي المسلم في القرن الرابع عشر ، وتأمل التاريخ فوضع موسوعته الخالدة «المقدمة» ، وهي أول بحث علمي منظم في الاجتماع ، وبعده بأربعة قرون جاء منتسكيو الفرنسي المسيحي بكتابه «روح القوانين» Esprit des lois استغرق في وضعه عشرين عاما قضاها في دراسات واسعة في المجتمعات وظروفها السياسية والاجتماعية والدينية التي تحدد قوانينها .

عني ابن خلدون بالاجتماع الانساني وما يلحقه من العوارض والأحوال كما اهتم منتسكيو بالمناخ والدين والقوانين والنظم الحكومية والتقاليد والعادات وأحوال المعيشة ، وكلها أمور تتحكم في المجتمع وتؤلف «الروح العامة» Esprit général وهي ما يحدد خصائص الأمة ، ويميز شخصيتها عن سائر الأمم . وبمقتضى هذه الروح العامة يجب أن تسن القوانين «ويجب أن تكون القوانين ملائمة للشعب الذي من أجله سُنَّت بحيث إذا لاءمت شعبا آخر غيره كان ارتباك عظيم . . . ويجب أن تكون متمشية مع طبيعة البلد ومناخه . . . ومع طبيعة أرضه وموقعه واتساعه ، ومع نوع المعيشة التي يعيشها الشعب من زراعة أو صيد أو رعي ، ويجب أن تتفق أيضا مع مقدار الحرية التي كفلها الدستور ، ومع ديانة السكان وميولهم وثروتهم وتعدادهم وتجارتهم وعاداتهم وأحوالهم العامة . . . في كل هذه النواحي يجب أن نعالج القوانين» .

وينشأ الاجتماع الانساني — في رأي ابن خلدون — عن الأجماس بالضعف من جانب الفرد في الحصول على الغذاء والسلاح ، وعن الظلم والعدوان مما لا يزال عالقا بالنوع الإنساني . أما منتسكيو فيرى أن ما يقرب بين الحيوان وأفراد جنسه إنما هي بوادر الخوف المشترك ، وكذلك الإنسان .

ولقد أراد «دور كيم» زعيم المدرسة الاجتماعية الفرنسية

أو البحر الميت) ديار لوط وجبال الشراة إلى آيلة (العقبة) كله مضموم إلى جند فلسطين ، وغير ذلك وأكثرها جبال والسهل فيها قليل (١) .

ولو أن طيراً كلفت مثل سيره ... إلى واسط من إيلياء (٢) لكلت
سما بالمهارى من فلسطين بعد ما ... دنا الشمس من فيء إليها فوات

قال البستي ، وكان ورد بغداد رسولاً من غزنة يذكر فلسطين والتزم ما لا يلزمه من الطاء والياء والنون يمدح عميد الرؤساء أبا طاهر محمد بن أيوب وزير القادر بالله ثم القائم :

العبـــد خادم مولانا وكاتبه ... ملك الملوك وسلطان السلاطين
قد قال فيك وزير الملك قافية ... تطوى البلاد إلى أقصى فلسطين
كالسحر يخلب من يرعيه مسمعه ... لكنه ليس من سحر الشياطين

فأرعه سمعك الميمون طائره ... لا زال حليك حلي الكتب والطين
وعشت أطول ما تختار من أمد ... في ظل عز وتوطيد وتوطين

وقال ابن عرمة :

كأن فاها لمن تؤنســـه ... بعد عبوب الرقاد والعلا
كأس فلسطية معتقـــة ... شيبت بماء من مزنة النسل

قال ابن الكلبي في قوله تعالى (ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) هي أرض فلسطين . وفي قوله تعالى . (الأرض التي باركنا فيها للعالمين) قال هي فلسطين .

قال عدى بن الرقاع :

فكأني من ذكركم خالطتني ... من فلسطين جلس خمر عقار
عتقت في الدنان من بيت رأس (١) ... سنوات وما سبقها التجار
فهي صهباء تترك المرء أغشى ... في بياض العينين منها احمرار

(١) يلاحظ أن جند فلسطين كان يحدها من الشمال اللجون ومرج بني عامر ، ويدخل فيه وادي العربة وجبال الشراة في شرق الأردن الآن والبلقاء . أما الغور والقسم الشمالي من فلسطين الآن بما في ذلك حيفا وعكا وصور فقد كانت تابعة لجند الأردن .

(٢) الإسم الذي أطلقه الرومان على القدس وهو إيليا كابيتولينا .

(١) هي إحدى المدن العشرة الاغريقية المعدومة بالديكابولس Decapolis

أحمد سالم الخالدي

للكلام بقية

الحديثة أن يصبغ جهوده فى الاجتماع بالصبغة العلمية تميز فى هذا العلم ناحيتيه « الاستقرارية Statipue والانتقالية Dynamique كما هو معروف فى العلوم البحتة كالميكانيكا والكهربائيه وغيرها » .

فطن ابن خلدون إلى هذا قبل «دوركيم» إذ يرى أن المجتمع ينتقل من البداوة إلى الحضارة ، وهما حالتان طبيعيتان تعرضان له حتى توفرت الظروف . ويحدث هـذا التطور تبعا لنوع المعاش وانتقاله ومن البسيط إلى المركب ، من الضرورى إلى الكمالى ، ومن البداوة إلى الحضارة : فأهل البدو على الفطرة الأولى ، وهم أقرب إلى الخير من أهل الحضر ، ونظرا « لتفردهم عن المجتمع ، وتوحشهم فى الضواحى ، وبعدهم عن الحامية ، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب ، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيهـا بغيرهم » فهم لذلك أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر .

ومن مظاهر البداوة : « العصبية » التى تكون بالالتحام بالنسب بين القبائل و « سكنى البدو لا يكون إلا للقبائل أهل العصبية » التى بها « تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم » وتكون الرياسة لمن كان « أعرق فى البـداوة وأكثر توحشاً » والرياسة فى نظر ابن خلدون سؤدد ، وإذا انقلب السؤدد إلى الحكم بالقهر والغلبة انتقلت الرياسة إلى الملك وطرأت على المجتمع عوارض الترف والنعيم والانقياد ، ويعرض له التنافس فى معالى الأمور كما تعتوره الوحشية وبكل ذلك يكون المجتمع فى صميم طور الحضارة لأن المعاش كان ضرورياً فصار كمالياً ، ولأن « الحضارة إنما هى تفنن فى الترف وإحكام الصنائع » . والملك يتسع إذا كان أساسه الدين أولا .

هذا هو المجتمع الدنياميكى عند ابن خلدون . أما منتسكيو فيستنتج قوانين طبيعية أولى هى أسباب التطور فى المجتمع ، منها السلم الناشئ عن شعور الفرد بضعفه إزاء المتوحشين فيشعر « بالدونية » ولا يشعر بالمساواة ، ولا يرغب فى المهاجمة فيسالم ، ويتلو الشعور بالسلم الشعور بالحاجة ثم الشعور بالفرحة المشتركة .

ومن أهم العوامل الفعّـالة فى المجتمع الإنسانى « الدين » لما له من أثر فى الأخلاق والتربية ، وكذلك فى السياسة والملك . ويفضل ابن خلدون الأحكام الشرعية على الأحكام التعليمية لأن الأولى يكون الوازع فيها هو الضمير لا المخافة والانقياد كما هو الشأن فى الأخرى . لهذا يعتبر التعاليم الشرعية هى أصول التربية والأخلاق ، وكل ما عداها مفسد ضار ، « فقد تبين أن الأحكام السلطانيـة والتعليمية مفسدة للبأس ، لأن الوازع فيها أجنبى ، وأما الشرعية فغير مفسدة لأن الوازع فيها ذاتى » .

وللدين الأثر القوى فى الدول العـامة الاستيلاء ، العظيمة الملك ، « لأن الملك إنما يحصل بالتغلب ، والتغلب إنما يكون بالعصبية ، واتفاق الأهواء على المطالبة ، وجمع القلوب ، وتأليفها ، إنما يكون بمعونة من الله فى إقامة دينه ... وسرُّه أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل ، حصل التنافس ، وفشا الخلاف ، وإذا انصرفت إلى الحـق ، اتحدت وجهتها فذهب التنافس ، وقل الخلاف ، وحسن التعاون ، والتعاضد ، واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة » . والدعوة الدينية فى نظره تزيد الدولة فى أصلها قوة على قوة العصبية ، والإمام خليفة عن صاحب الشرع .

أما منتسكيو — مع سعة إحاطته بالدين المقارن — فإنه ينظر إلى الدين من حيث صلاحيته للدولة « فسوف لا أعالج مختلف أديان العالم إلا من حيث علاقتها بالخير الذى تحققه للدولة » . ويقول « إن الأمير الذى يحب الدين ويخشاه إنما هو أسد يذعن لليد التى تدلله ، أو الصوت الذى يناغيه ، والأمير الذى يخشى الدين ويبغضه إنما هو الوحش الضارى الذى يعض السلسلة التى تمنعه من التهجم على المارة ، وأما ذلك الذى لا دين له أصلا فهو ذلك الحيوان المرعب الذى لا يشعر بحريته إلا عند ما يتهجم ويفترس » .

لهذا أخـذ منتسكيو يعرض على كل حكومة ما يناسبها من الأديان والمذاهب حسب اعتدال هـذه الحكومة أو استبدادها « لأن الدين يتبع عادة لون الحكومة » ولأن الدين خير ضامن للناس إخلاص الناس ، فإذا وجب ألا يتعارض الدين مع القوانين فقد وجب كذلك ألا يتعارض مع الأخلاق .

يفترض ابن خلدون الفوضى قبـل الملك وبعده مما يوجب السياسة الدينية التى يقـررها الشرع ، أما السياسة العقلية التى يفوضها العقلاء فإنها لا ترقى إلى غاية الأحكام الشرعية . « فالسياسة والملك هى كفالة للخلق ، وخلافة لله فى العباد لتنفيذ أحكامه

فيهم ، وأحكام الله فى خلقه وعباده إنما هى بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع ، وأحكام البشر إنما هى من الجهل والشيطان» .

وأنواع الملك ثلاثة : الملك الطبيعى ، والملك السياسى ، والخلافة . فالأول حمل الكافة على الغرض والشهوة ، والثانى حملهم على العقل فى جلب النفع الدنيوى ، ودفع الضرر ، والأخير هو حملهم على الشرع دنيا وأخرى ، وهى خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا .

وإذ تتكون الدولة على هذا النحو ، يستقصى ابن خلدون أطوارها الخمسة فيما يلى : — الظفر والاستبداد والترف والمسالمة والإسراف : ويرى أيضا أن المال والجند هما العاملان الرئيسيان فى إقامة دعائم الملك إذا وجدا ، وتقويضها إذا فقدا .

ويستطرد من البحث فى الخلافة التى هى الملك الصحيح أو الدولة المثالية إلى البحث في ماهيتها وشروطها وخططها التى فى مقدمتها الصلاة ، ثم تطورها وانتقالها إلى الملك ، ولا ينسى الحروب وأسبابها التى لا تعدو أن تكون من هذه الأربعة : — غيرة ومنافسة ، عدوان ، غضب لله ولدينه ، غضب للملك . والنوعان الأولان حروب بغى وفتنة ، والآخران حروب جهاد وعدل .

والعادات تتأثر بالسياسة ، فالناس على دين الملك ، وعوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه ، والمغلوب يقلد الغالب ، وتعاقب الأمم والأجيال فى الملك يؤدى إلى المخالفة فى العادات باطراد . والفضيلة دعامة قوية لقيام الدولة ، والعدل أساس الملك ، والظلم فساد للدولة وإفساد للرعية .

وعند منتسكيو أن القوانين علاقات rapports ضرورية تنجم عن طبائع الأشياء ، والوضعية منها أو السياسية التى تواضع عليها العقل الآنسانى ماهى إلا حالات يتجلى فيها العقل ، وهذه القوانين دولية وتشريعية ومدنية : الأولى تتعلق بما بين الدول من علاقات ، فهى القانون الدولى العام ، والثانية تتعلق بما بين السلطات التى تنظم الدولة من جهة ، وبما بينها وبين الدولة من جهة أخرى ، والأخيرة تتعلق بتنظيم العلاقات بين الأفراد . ثم يتحدث عن العلاقة بين القوانين الوضعية وبين شكل الحكومة ، والأسس التى يقوم عليها الحكم والبيئة الجغرافية والاقتصاد وكل هاتيك العناصر التى تسمى « الروح العامة » .

والحكومات عنده أربع : الجمهورية وهى إما ديمقراطية أو ارستقراطية ، والملكية ، والمستبدة ، ولكل حكومة فضيلة تخصها ، فالديمقراطية فضيلتها حب الوطن أو حب المساواة ، والأرستقراطية فضيلتها الاعتدال ، والملكية فضيلتها الشرف ، والاستبدادية صفتها السياسية الخوف ، فهى إذن فضائل سياسية لا تمت بصلة إلى الدين أو الأخلاق .

ويقول ابن خلدون «إن الملك إذا كان قاهراً باطشاً بالعقوبات منقباً عن عورات الناس ، وتعديد ذنوبهم ، شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالخديعة والمكر والكذب ، فتخلقوا بها وفسدت بصائرهم وأخلاقهم ، وربما خذلوه فى مواطن الحرب ... »

وللاصلاح الاجتماعى حدود فى منتسيكو إذ يقول » إذا أراد أمير أن يغير من أحوال شعبه فعليه أن يصلح بالقوانين ماهو مؤسس بالقوانين ، وأن يغير بالعادات ماهو مؤسس بالعادات ، وأنها لسياسة عمياء أن يغير بالقوانين ما يجب تغييره بالعادات» .

أما ابن خلدون فإنه ينشد الأصلاح الاجتماعى الذى غايته الاقتداء « إذ هو — أى التاريخ — يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم فى أخلاقهم ، والأنبياء فى سيرهم ، والملوك فى دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا » .

فالظواهر الاجتماعية والعوامل الطبيعية ذات علائق بالقوانين المشتقة من الروح العامة التى تنتج عن تفاعل هذه العوامل ، وتلك الظواهر فى كل مجتمع على حدة .

ومن هذا العرض الموجز يرى القارىء مدى الائتلاف والاختلاف بين ابن خلدون رائد التاريخ ، وبين منتسكيو رائد السياسة وكيف التقيا فى ميدان الاجتماع .

محمود محمود زيتونه

صدى مقتل الحسين

في التاريخ الاسلامي والأدب العربي

للأستـــاذ ضياء الدخيلي

(بقية مانشر في العدد الماضي)

ولما كان يوم عاشوراء من سنة ٥١٦ هـ جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على باب (الباذهنج) في القصر وكان ذلك بعد قتل الأفضل وعود الأسمطة إلى القصر — على كرسي جريد بغير مخدة متلثما هو وجميع حاشيته ، فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الأمراء الكبار والصغار بالقراميز (ويقول البعض هي على ما يظهر ثياب خاصة ملونة بالقرمز) وإذن للقاضي والداعي والإشراف والأمراء بالسلام عليه وهم بغير مناديل ملثمون حفاة ، وعبيء السماط في غير موضعه المعتاد وجميع ماعليه خبز الشعير والحواضر على ما كان في الأيام الأفضلية وتقدم إلى والى مصر والقاهرة بأن لا يمكنا أحداً من جمع ولا قراءة مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمتصدرين والقراء والوعاظ والشعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم .

قال وفي ليلة عاشوراء من سـنة ٥٢٧ اعتمد الأجل الوزير المأمون على السنة الأفضلية من المضي إلى تربة (قبر) أمير الجيوش وحضور جميع المتصدرين والوعاظ وقراء القرآن والمكث إلى آخر الليل والعودة إلى داره ، واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الأرض متلثما يرى به الحزن وحضر في شرف بالسلام عليه والجلوس على السماط بما جرت به العادة .

هذا ما كان يحدث من احتفالات في ذكرى مصرع سيدنا الحسين (ع) قبل أن يشاد الضريح الحسيني حيث دفن فيه رأس الإمام الشهيد منقولا من عسقلان . أما بعد ذلك فقد تحدث ابن الطوير عما كان يصنع في عاشوراء فقال : إذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس ، فاذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم ليكونوا كما هم عليه اليوم (في عهد الناقل ابن الطوير) ثم صاروا إلى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الأزهر ، فاذا جلسوا فيه ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدراً والقاضي والداعي على جانبيـه والقراء يقرءون نوبة بنوبة وينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفـة شعراً يرثون به أهل البيت عليهم السـلام ؛ فان كان الوزير رافضاً تغالوا ، وإن كان سنياً اقتصدوا . ولا يزالون كذلك إلى أن تمضي ثلاث ساعات فيستدعون إلى القصر بنقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بمنديل صغير إلى داره ويدخل قاضي القضاة والداعي ومن معهما إلى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحصر بدل البسط وينصب في الأماكن الخالية من المصاطب دكك لتلحق بالمصاطب لتفرش ، ويجدون صاحب البـاب جالساً هناك فيجلس القاضي والداعي إلى جانبـه والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضاً ثم يفرش عليها سماط الحزن وفيه مقـدار ألف زبدية من العدس والملوحات والمخللات والأجبان والألبـان الساذجة وأعسال النحل والفطير المغـير لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل الناس للاكل منه فيدخل القاضي والداعي ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمذكوران إلى جانبه وفي الناس من لا يدخل ولا يلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا إلى أماكنهم ركباناً بذلك الزي الذي ظهروا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليـوم وأغلق البياعون حوانيتهم إلى جواز العصر فيفتح الناس بعـد ذلك ويتصرفون .

أما الدولة الأيوبية فقد اتخذت يوم عاشوراء عيداً ومن أيام الأفراح لإرغام آناف الشيعة وإيذائهم .

هذا هو أثر فاجعة كربلاء في التاريخ الإسلامي .

أما في الأدب العربي فقد أوجدت فيه ناحية قائمة يعلو فيها الصراخ والعويل وتتردد في جوانبهـا الثورة على الظلم القبيح وامتداح الإباء وشرف النفس والتمنع عن دنايا الأمور . كان هذا القسم من الأدب العربي طافحاً بتصوير مآسي كربلاء بخطوط واضحة سوداء واجتهد في أن يبرز كل جانب من جوانبها مؤلماً يهطل بالدموع ويثير الآهات والحسرات خاصة بعد أن كان ترديد فاجعة كربلاء على الجماهير مهنـة تدر الربح الوفير كما كان حال النواح والمنشدين في العصر الفاطمي بمصر كما تقدم على ما نقـل المقريزي في الخطط وكما هو الشأن اليوم في العراق وإيران والهند وجبل عامل وغيرها من الأصقاع الشيعية ، ويدعى هؤلاء (خطباء المنبر الحسيني) ويسمون في اللغـة الفارسية (روزه خون) وهي تحريف (روضه خون) أي قارئ الروضه أي روضة الإمام الشهيد يعني قبره الـكريم .

سلطان المماليك

في العهد العثماني

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

كثيراً ما يتساءل المؤرخون والباحثون : لماذا لم يتخلص السلطان سليم العثماني من البقية الباقية من المماليك بعد أن تم له فتح مصر في سنة ١٥١٧ م ؟ ولماذا لم يقض عليهم قضاء نهائياً حتى يستريح منهم ومن أحقادهم .. ويخلص البلاد من شرورهم وآثامهم ؟

أكان ذلك ناتجا عن ضعف الدولة العثمانية .. وعجزها عن القضاء عليهم .. أم كان ذلك .. وفقا لخطة موضوعة .. وسياسة مرسومة ؟

الواقع أن السلطان سليما ، كان رجلا حربيا وإداريا من الطراز الممتاز .. بحيث أننا لا نستطيع أن نقول إنه أخطأ في عمله هذا .. خصوصاً وأنه لم يرتجل سياسته التي سار عليها في حكم البلاد .. بل أنه فكر فيها كثيراً قبل أن يضعها .. وبقي في مصر .. فترة من الزمن بعد انتصاره على قوات المماليك ، للتعرف على نظم الحكم فيها ، ولوضع سياسة ثابتة ، تضمن بقاء مصر تابعة له وللدولة العثمانية .. ولو كان السلطان يرى في وجود المماليك بمصر خطراً يهدده . لتخلص منهم ولأفناهم عن آخرهم ..

لقد رأى السلطان ببعد نظره وثاقب فكره أن بُعد مصر عن مقر الحكم في الآستانة .. قد يساعد حكامها وولاتها على الاستقلال عن الباب العالي ، فقضى بتوزيع السلطة بين عدة عناصر : فالباشا ومعاونوه يمثلون السلطان العثماني ويحكمون الولاية ويشرفون على إدارتها .. والديوان يعاون الباشا في الحكم ، وله حق عزله والاتصال رأساً بالباب العالي .. والحامية العثمانية تشترك في الحكم والإدارة أيضا .. إلى جانب مهمتها الحربيـة .. ثم هناك إلى جانب هذه الهيئات الثلاث هيئة أمراء المماليك من رجال العسكرية .. يشتركون في الحكم والإدارة وفي

وقد ألفت كتب في هذا الموضوع استعرضت تاريخ الفاجعة بصورة مسهبة ضفاضة وشحنت بالقصائد المدولة باللغة الفصحى والعامية كما أنه نشأ في الأدب الفارسي والأدب الهندي والتركي أيضاً قصائد طويلة تردد مأساة كربلاء ونرى أبناء هـذه الأمم ينشدونها عندما يقدمون العراق لزيارة قبر الإمام الشهيد في كربلاء أو أبيه في النجف الأشرف . وأن أبرز رثاة الحسين (ع) في الأدب العربي هو السيد حيدر الحلي وقد عرفنا به كتاب (العراقيات) بأنه كان رحمه الله شاعر العراق على الإطلاق حلّي البلاد (نسبة إلى مدينة الحلة على الفرات قرب أطلال بابل التاريخية) هاشمي النسب ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) وقد ولد في شعبان في سنة ١٢٤٦ وتوفي في ربيع الآخر من سنة ١٣٠٤ هـ وعرف بشاعر أهل البيت حيث انتحى في أكثر شعره مدحهم ورثاهم ؛ وقد بلغ من رثائهم درجة سامية لم يدع فيها سبقاً لمستبق من مقدمي الشعراء ومتأخريهم . على أنه لم يقصر في النسيب والفخر والمدح عن غيره من فطاحل شعراء العراق قال في رثاء سيدنا الحسين

قد عهدنا الربوع وهي ربيع أين ..؟ لا أين انسها المجموع
درج الحي أم تتبع عنهـا نجع الغيث أم بدهياء ريعوا
لا تقل شملها النوى صدعتـه إنما شمـل صدري المصدوع
كيف أعدت بلمة الهم قلبي وثراها يرق به الملسوع
سبق الدمع حين قلت سقتهـا فتركت السما وقلت الدموع
فكأني في صحنها وهو قعب(1) أحلب الزن والجفون ضروع
بت ليـل التمام أنشد فيهـا هل لماض من الزمان رجوع
شاطرتني بزعمها الداء حزنا حين أنت وقلبي الموجوع
ياطروب العشي خلفك عني ما حنينـي صبابة وولوع
لم يرعني نوى الخليط ولـكن من جوى الطف راعني مايروع
قد عذلت الجزوع وهو صبور وعذرت الصبور وهو جزوع
عجباً للعيون لم تغـد بيضا لمصاب تحمر فيـه الدموع
وأسى شابت الليـالي عليه وهو للحشر في القلوب رضيع
أي يوم بشفرة البغي فيـه عاد أنف الاسلام وهو جديع
ما لشمس النهار فيـه طلوع ولشمس الحديد فيـه طلوع
أينما طارت النفوس شعاعاً فلطير الردى عليها وقوع
قد تواصت بالصبر فيـه رجال في حشى الموت من لقاها صدوع

الخ

ضياء الدخيلي

---

(1) القعب هو القدح الضخم .

الدفاع عن حدود البلاد وقد كان فى مقدور السلطان وفى استطاعته أن يقضى على قوات المماليك .. خصوصاً وأن الدولة العثمانية كانت فى ذلك الوقت فى أوج قوتها ومجدها .. وكانت لها ممتلكات واسعة فى البلقان والأناضول والشام وأرض الجزيرة والفرات، وكانت تتمتع بسيادة كبيرة على شبه جزيرة العرب .. فكان فى إمكانه أن يشتت شمل هؤلاء المماليك ويفرق جموعهم .. ويقضى عليهم قضاء مبرما ، حتى لا تقوم لهم بعد ذلك قائمة .. ولكن السلطان سليم أبقاهم فى البلاد ، لأنه كان فى أشد الحاجة إليهم وإلى جهودهم .. كما أن بقاءهم فى مصر كان متمشيا مع سياسة الدولة العثمانية فى حكم الشعوب الخاضعة لها .. فالدولة العثمانية لم تغير كثيراً من نظم البلاد المفتوحة ولا سيما أن أمراء المماليك عاشوا فى مصر مدة طويلة .. وعرفوا أحوالها ، وخبروا عادات أهلها ونظم الحكم فيها .. فكان من السهل عليهم أن يدبروا دفة الحكم فى البلاد ، بخلاف العثمانيين الذين لم تكن لهم سابقة عهد بمصر ولا بالمصريين . . ومن ناحية أخرى رأى السلطان سليم أن يترك أمراء المماليك يشتركون فى حكم البلاد ، ليحفظوا التوازن بين الوالى ورجال الحامية العثمانية وحتى لا يفكر أحد فى الاستقلال بحكم البلاد والخروج عليه فى يوم من الأيام . يقول على باشا مبارك فى خططه التوفيقية .. الجزء السابع (لما أخذ السلطان سليم مصر . . ورأى غالب حكامها من المماليك الذين ورثوها عن ساداتهم ، رأى أن بعد الولاية عن مركز الدولة .. ربما أوجب خروج حاكمها عن الطاعة .. وتطلعه للاستقلال .. فجعل حكومة مصر منقسمة إلى ثلاثة أقسام .. كل قسم منها يشرف على القسمين الآخرين) ..

من هذا يتبين أن إبقاء المماليك فى البلاد ، وإشراكهم فى الحكم ، كان الغرض منه إيجاد التوازن بين الهيئات الحاكمة ، والاستفادة بهم فى حكم مصر ..

ظلت سياسة السلطان سليم معمولا بها طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر .. واستمر هذا النظام نافذاً طوال هذه المدة . . كانت فيه الدولة العثمانية حافظة لمركزها وسمعتها الحربية ؛ فلما ظهر ضعف تركيا الحربى وانتشر الفساد والاضطراب داخل البلاد لم يعد هذا النظام نافذاً .. وأخذت قوة المماليك تزداد شيئاً فشيئاً حتى أصبحت لهم السلطة الفعلية فى البلاد . .

والسبب فى ذلك أن المماليك كانوا يشترون الرقيق من جورجيا والقوقاز وبلاد الجركس وكانوا يأتون بهم إلى مصر .. ويدربونهم فى سن مبكرة على أعمال الحرب والفروسية .. ويعلمونهم الكتابة والقراءة ويحفظونهم القرآن .. حتى إذا بلغوا الثامنة عشرة ، رقوهم إلى رتبة البكوية وحردوهم ومنحوهم مالا وأرضا وجوارى وهؤلاء يتزوجون بدورهم ... ويملأون بيوتهم بالرقيق كما فعل أسيادهم من قبل ... وهذا كان سببا فى كثرة عددهم فى البلاد ... (١) حتى إن عدد المماليك الكبار فى أواخر القرن الثامن عشر عند زيارة (فولنى) لمصر بلغ نحو (٨٥٠٠ مملوك) ينفق الواحد منهم على سلاحه وملبسه وزوجاته وسراريه نحو (٢٥٠٠ جنيه) فى العام على تقدير فولنى . يقول على باشا مبارك (وأخذت البكوات تكثر من المماليك وتتقوى بها حتى فاقت بقوتها الدولة العثمانية فى الديار المصرية ، وآل الأمر والنهى لهم فى الحكومة ... وصارت سلطة الدولة العثمانية فى الديار المصرية غير حقيقية . ولو كانت الدولة العثمانية تنبهت لهذا الأمر ومنعت بيع الرقيق لكانت الأمور باقية على ماوضعها السلطان) ...

كان نتيجة لهذه السياسة ... أن قوى نفوذ المماليك لدرجة كبيرة جداً ... حتى إنهم كانوا يعزلون الولاة حينما يشاءون . زد على ذلك أن ضباط الجيش وفرقه وهم أعضاء الديوان قد تدهورت حالتهم الأدبية ، وأفقدتهم عيشة الخمول والكسل صفاتهم الحربية الأولى ... فتقربوا من بكوات المماليك الذين استأثروا بالسلطة وأصبح بيدهم الأمر والنهى فى البلاد « حتى إن أحد بكواتهم وهو على بك الكبير » استطاع ان يعلن استقلال مصر فى ١٧٦٩ .. كما أن المماليك كانوا كثيراً مايماطلون الدولة فى إرسال الخراج . . « ولرغبة[٢] الدولة فى استرضائهم لكيلا يمنعوا الخراج عنها ... كانت لا تكاد تبعث بوال من قبلها ، حتى تعزله وتعين بدله ... حتى لقد بلغ عدد ولاتها منذ الفتح العثمانى إلى الاحتلال الفرنسى ... أى من سنة ١٥١٧ م — ١٧٩٨ نحو ٢٨٠ سنة أكثر من مائة وال قل من أقام منهم

(١) فتح مصر الحديث أو نابليون .. للأستاذ حافظ عوض .. عن كتاب ..

Voyage en Egypte et eu Syrie pendant les années 1783 — 84 — 85 .. C. F. Volney.

(٢) فتح مصر الحديث أو نابليون .. للأستاذ أحمد حافظ عوض ص ١٦

أ كثر من عامين ... وكثير من بدل كل عام »

بهـذا نكون قد بينا الأسباب التي دعت السلطان سليم إلى ترك المماليك في مصر ... وإشراكهم في الحكم . ونكون أيضاً قد استعرضنا حالتهم من وقت الفتح العثماني ... وبينا العوامل التي أدت إلى زيادة نفوذهم في البلاد ... وهناك ناحية أخرى يجب ألا نغفلها ... وهي حالة الشعب المصري تحت حكم هؤلاء المماليك .

قبـل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، كانت التجارة تمر عن طريق مصر ... فكان المماليك يأخذون منها ما يشاءون من ضرائب وهدايا ورشا ... هـذا غير السلب والنهب ... وكانوا قانعين بما يفرضونه من الضرائب على المتاجر الأجنبية ... وما يدخـل في خزائنهم من المال ... بحيث لم يروا ضرورة لظلم الفلاح ... وأخذوا يعيشون عيشة بذخ وترف ... فيرتدون أحسن المنسوجات ... ويسكنون أفخم القصـور ... ولـكن الحالة لم تدم على ذلك ... فعنـدما تغير طريق التجارة إلى رأس الرجاء الصالح ... قلت الأموال التي كانت تتدفق على مصر ... فلم يجد المماليك بداً من فرض ضرائب باهظة على الأهالي ... ولم يكن شرههم إلى المال قاصراً على حاجتهم إليه ... فلو كان الأمر كذلك لهان الأمر ... ولـكن نظامهم قضى بألا يقوم لواحد منهم شأن إلا بالإكثار من المال وذلك لشراء المماليك ... والإغداق عليهم من أمواله وجاهه حتى يظلوا على ولائهم ... لهذا أخذوا يمتصون دماء الشعب ، ويحملونه مالا طاقة له به[1] . حتى وصل الحـال بالفلاح المصري إلى أنه لم يجد سكناً يقيم فيه . فـكان يلتحف العراء ، وذو اليسار منهم يعيش في أكواخ من الطين ، ولا يجد الواحد منهم ما يأكله سوى الخبز الأسود المصنوع من الذرة والحلبـة ... يتناوله بالبصل النيء أو الأعشاب التي يجمعها من حروف الترع والمجاري ، ويطبخها بغير إدام ، وكان رداؤه قطعة من القماش المصبوغ بالنيلة وهي ميراث الفلاحين وإليها ينسبون (أصحاب الجلابيب الزرقاء) ... وأما الغنى والرفاهية ، والبـذخ ، والذهب ، والفضة ... فقـد كانت للمماليك ... ذكر فولني في كتابه (رحلة إلى مصر وسوريا) أن علي بك الـكبير ابتاع خنجراً مرصعاً بالجواهر الـكريمة بمبلغ ٢٢٥ ألف جنيه ، وأنه حينما خذله أنصاره ، التجأ إلى صديقه الشيخ ظاهر في عكا ، وكان مقـدار ما أخذه معه من الأموال (حوالي أربعة وعشرين ألف جنيه) ، يحملها على ٢٥ جملاً ، وكان معـه من المصاغ والحلي ما يساوي أربعة أضعاف ذلك . ويذكر أحـد المؤرخين الذين زاروا مصر بعـد سقوط القاهرة في أيدي الفرنسيين أن الجنود الفرنسيين كانوا يجدون في ملابس كل واحد من المماليك الصرعى في ميدان القتال في واقعـة امبابة مالا يقل عن مائتين أو مائتين وخمسين قطعة من الذهب عدا ما تقـدر به ملابس الواحد منهم وطيلسانه وسلاحه وسراج جواده من المبالغ الطائلة ، هذا في الوقت الذي لم يكن أهل مصر يجدون فيه ما يأكلون !

وكان المماليك كثيراً ما يتنازعون فيما بينهم للوصـول إلى الحـكم ، ووجدت بينهم فتن وقلاقل وحروب داخليـة عنيفة كانت توقع الفوضى بالبـلاد ، وكانت الدولة العثمانية تعمل على بقاء هذه المنازعات بينهم ... بل إنها كانت تعمل على التفرقة بينهم وغرس بذور الأحقاد في صدورهم . حتى لا يستبدوا بالسلطة . فلم يكن من المعقول — والحال كذلك — أن تصلح حال الشعب المصري ، وحكامه المتصرفون في أمره ... منقسمون على أنفسهم ، لاهم لهم إلا جمع الأموال ... ولا غرض لهم ولا مأرب إلا الوصول إلى الحـكم والسيطرة على مقاليد الأمور في البلاد .

كما أن المماليك كانوا كثيراً ما يعزلون الولاة . فلم تتح لهؤلاء الفرصة للاصلاح ... ولقـد كان بعض أولئك الولاة كما أثبت المؤرخون ، من أهل الـكفاية والإخلاص ، وذوي الرغبـة في إصلاح ما اختل وفسد من شئون هـذه البلاد ... فلا يكاد يشعر المماليك برغبته في الضرب على أيديهم ... وكف مظالمهم ... حتى يقرروا عزله ، وكانت الدولة العثمانية تساعدهم على ذلك وتسترضيهم حتى لا يمنعوا عنها الخراج .

لقد أخطأت الدولة العثمانية في سياستها مع المماليك ... كما أخطأ المماليك في إدارة حكم البلاد ، وسواء أكان الخطأ يقع على كاهل المماليك أم على كاهل العثمانيين ... فإن هذه السياسة الخرقاء التي اتبعها كلا الفريقين . كانت من أكبر الأسباب التي أدت إلى وقوع الفوضى والاضطراب في مصر ، وبالتالي إلى دخول الفرنسيين في سنة ١٧٩٨ م .

عبد الباسط محمد حسن
ليسانس آداب
(الإسكندرية)

(١) نفس المصدر .

الباكستان (١)

وعلاقتها بالعالم العربي والاسلامي

للدكتور حسين الهمداني

شاهد العالم خلال الأحقاب الطويلة البعيدة عدة حضارات ازدهرت في كثير من أرجاء العالم منها الحضارة التي قامت حول البحر الأبيض المتوسط . وقد قسم المؤرخون هذه الحضارات إلى قسمين : قسم يشمل بلاد الشرق من هذا البحر ، وقسم يشمل بلاد الغرب منه . والحضارة التي تهمنا اليوم هي حضارة هذا القسم الشرقي الذي يمتد من شمال أفريقيا شرقا حتى يقف عند نهاية الباكستان . وقد ظلت حضارة الجناح الأيمن هذا تشع على العالم أجمع نوراً من العلم والمعرفة والثقافة ، كان يسري بين خيوطه إشعاعات علم الأقدمين كاليونان والرومان .

وكانت هذه الحضارة متفقة مع الحضارة الغربية في كثير من الأسس فقد كانت الحضارتان قائمتين على أساس ديانتين عظيمتين كما كانتا تأخذان من تلك الحضارات القديمة كثيراً من مقوماتها ؛ وهكذا اتحدت الحضارتان في الأسس والدعائم .

وقد كانت الباكستان ، ولو أنها كانت جزءا من الهند ، على وثيق بالشرق الأوسط ، وكانت ، تأخذ من حضارة الجناح الأيمن الشرقي ، لأنها كانت تدين بدينه وتتعلق بآرائه وتأخذ من ثمرات مجهودات مفكريه الذين اقتبسوا كثيرا من عصارة ذهن اليونان والرومان والفرس ، وكانت شديدة الصلة بالكلدانيين الذين استوطنوا العراق قبل ٧ آلاف سنة ، كما اتصلت بالبابليين وكما وربطت بينها وبين دولة الفرس روابط تجارية ثقافية .

ولدخول الإسلام في الهند قصة ... إذ قام العرب بعد موت النبي صلوات الله عليه بخمس وعشرين سنة بغزو إيران وسوريا وأرمينيا وقسم من وسط آسيا ومصر . وسار المسلمون في فتوحاتهم نحو الشرق صوب حيوات وكابول وبلخ ، حتى بلغوا نهر الأندس والسند ؛ وهنا تمكنت العلائق بين العرب وأهل السند وهم الذين يكونون اليوم غرب الباكستان ، وبقيت متينة خصوصاً مع الحكام الهنود في الجنوب مما نتج عنه توطن الشاطئ الغربي بواسطة كثير منهم ، حيث بنوا المساجد ... ...

ومع أن مسلمي الهند كانوا يعيشون مع غير المسلمين هناك عيشة قريبة ممتزجة يفرضها الوضع الجغرافي إلا أنهم كانوا شديدي البعد عنهم فيما يتصل بعباداتهم وتقاليدهم وثقافتهم ورغباتهم . وعلى رغم هذا الوضع الذي كان يقرب بينهم كان المسلمون يتجهون بكل نفوسهم إلى العرب ومسلمي الشرق الأوسط وكانوا يتخذون اللغة العربية لغة للعلم والدرس يؤلفون بها ويؤسسون لها المدارس . والمعاهد والجامعات في جميع بلدان شبه القارة .

ولم تقتصر هذه الرابطة على تبادل التجارة أو بعض الأفكار الثقافية بل امتدت الرابطة إلى ما هو أبعد من هذا ، امتدت إلى أن خضع المسلمون هناك لطاعة الخليفة ، كما دانوا له بالولاء . وفي فتح البلدان يقول البلاذري : إن حكام السند العرب كانوا يلقون خطبة الجمعة متوجة باسم الخليفة ، كما ضربوا العملة باسمه : وظل الحال على هذا من هذه الفترة إلى أن تقوضت الخلافة الإسلامية بتركيا .

وظلت العلاقات قائمة بين المسلمين هناك وبين الشرق الأوسط إلى عصرنا الحديث ... ... ولم يكن المسلمون ليتوانوا لحظة في خلال كل هذه السنين عن الشعور بنفس الشعور الذي يساور أهل الشرق فقد كانوا يفرحون لفرحه ، ويتألمون لألمه . وكانوا يعتقدون أن هذا الشرق ما هو إلا جسم واحد إذا اشتكى منه عضو تألم له بقية الأعضاء ، وإذا أصاب طرفا منه ضر أو شر فإنه سرعان ما يصيب كل البلاد قاصيها ودانيها .

ولم يكن مسلمو الهند في جهادهم بمنأى عن هذا الشرق ، لأنهم كانوا على اتصال وثيق به ، يربطهم به رابطة الدين ورابطة الألم ورابطة الظلم الذي يحل به ، ورابطة القسوة التي يجابههم بها الأقوياء ، ورابطة الحذر مما يبيت المسلمين قاطبة من كيد ومن غدر ؛ فقاموا من ساعتهم ، في الحدود التي حاولوا فيها أن يصلوا إلى أقصى ما يستطيعون رغم الاستعمار الأجنبي ، يريدون الوقوف إلى جانب إخوانهم المسلمين في كثير من العطف وفي كثير من الحزن ؛ فهم حزنوا لتفكك الخلافة ولانهيار الإمبراطورية العثمانية ، لأنها كانت تمثل في نظرهم قلعة الإسلام . وقاموا يحتجون لدى انجلترا على المعاملة التعسفية التي عاملوا بها مصر عام ١٩٢٤ حينما قتل السردار لي ستاك باشا ، واحتجوا لديها كذلك ولدى عصبة

(١) الكلمة التي ألقيت يوم ١٤ أكتوبر بنادي خريجي الجامعة من غير المقدمة

تاريخ استخدام الدبابات

في جيش المسلمين

للأديب عطا الله ترزي باشي

رجع تاريخ استخدام الدبابات في الحروب إلى وقت نشوء المجلات الحربيـة . وقد وجد في العراق كثير من التصاوير التي تكشف لنا عن وجود العجلات غير الحربية منذ سنة (٢٠٠٠) قبل الميلاد ، أما الحربية منها فوجدت في الصين سنة (١٤٥٠) ق. م. وظهر بنتيجة البحث والتدقيق أن استخدام الدبابات لأول مرة في التاريخ كان في إحدى الحروب الدائرة بين المصريين والميتانيين (الانسيكلوبيديا التركية «اينونو» ، ج٣ ، ص ١٩٥ ، سنة ١٩٤٩) .

وفي الواقع كان المصريون القدماء أول من استخدموا الدبابات في الحروب ، ومن بعدهم الآتوريون فاليونانيون القدماء ومن بعدهم العرب (تاريخ التمدن الإسلامي ، جرجي زيدان ، ج١ ، ص ١٦٠).

وكان المسلمون يتخذون الدبابات لتسلق أسوار العدو ، وهي آلات من الخشب الصفيق ، وقد تكون طباقاً ، وتغلف بالجلود المنقوعة في الخل لدفع النار . وتركب على عجل مستدير يدفعها الرجال ويصعد الجند في أعلاها ويستعلون على السور . وقد يستخدمون الدبابات لهدم الأسـوار فيسيرونها ويحتمون بجدرانها ويجعلون رأسها محدداً يصدمون بها الأسوار حتى تهدم (المرجع السابق) .

وقد استخـدم المسلمون الدبابات لأول مرة في السنة الثامنة من الهجرة أثناء غزوة الطائف (أحمد رفيق ، الغزوات النبوية ، حاشية ص ٤٥) .

وكذلك جاء ذكر هذه الآلة في كتاب آخر للأستاذ نفسه (باللغة التركية) وهو كتاب (تاريخ الانتصارات العثمانية) نقلا

الأمم عندما امتد الانتداب البريطاني على العراق لخمس وعشرين سنة تالية ، واشتركوا في مؤتمر الخلافة سنة ١٩٢٥ واحتجوا لدى الفرنسيين يوم أن ضربوا دمشق بالمدافع ... وكانوا ولا يزالون يتألمون لما يصيب إخوانهم عرب مراكش وتونس والجزائر من ذل يفرضه عليهم المستعمر الغاشم .

وأني لأؤكد أن الباكستان في قومتها دولة إسلامية لم تقم لخدمة بنيها فقط ، وإنما قامت لخدمة الإسلام أنى وجد ، فكثيراً ما كانت تناهض انجلترا لإصدارها وعد بلفور بصدد فلسطين . وكثيراً ما حاولت انقاذ هذه البلاد من مخالب الصهيونيين لأنها تؤمن بأنها بلاد تهم المسلمين أجمعين . ولا أظنني أخالف الواقع إن قلت إن زعيمنا الخالد الذكر محمد على جناح كان ينـذر العالم الإسلامي منـذ قديم الزمان باحتمال قيام الخطر الصهيوني ، وها قد تحققت مخاوفه ، وأصبحنا نرى نذر الخطـر تبني الانقضاض علينا . الحق يحضنا على ذلك فقد ورد في القرآن الشريف « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » وليس هناك إلا تقوية الجيوش وحشد القوات ، لأن هذه هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العالم اليوم وليس هناك إلا إنشاء المصانع وعمل الذخائر ، فنحن اليوم في عالم خـلا من وازع الضمير ، وضاع فيه معنى الحق ومرمى الشرف واصبحت الكلمة للمدافع والهيبة للقوى ؟ فماذا يمنعنا والحالة هذه أن نعمل لهـذه القوة وما الذي يحول دون بلوغنا هذه الغاية ؟

لقد آمنت الباكستان بكل هـذا وراحت تقوى جيوشها وأسطولها ، وليس معنى هـذا أنها تطلب سيادة أو تريد إيقاع العدوان على أحد ، بل هي تريد أن تبقى محترمة مرهوبة الجانب لما قد يهددها ، وتضرب من يهاجمها ... ...

توخيت في هذه العجالة أن أبين مدى ارتباط الباكستان بالشرق ، وكيف نريد ونأمل أن يكون عليه هذا الأخير من قوة ومنعة ، لأننا نريد للاسلام رفعة الشأن وقوة الجانب ، وليس هناك للاسلام موطن ، وليس له حدود ... ...

واجب أن انوه بأن كلامي هذا لا يشتم منه رائحة العنصرية ولا المذهبية ، وأريد أن أزيد بأنني لست متعصبا ضد أية ديانة أو مذهب ، وإنما أنا متعصب لديني ، ومتعصب لبلادي أريد لها ولمن يشترك معها أن يترسموا الطريق نحو العزة والسؤدد وأن يصلوا إلى المكانة العليا التي يهيؤها لهم إيمانهم ودينهم وتسامحهم ... ... و « ويرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات » .

حسين الهمداني

عن كتاب (كوكب المسعود فى كوكبة الجنود لابن إسحاق. ص ٧٧) . إنه فى غزوة الطائف استخدم المسلمون الدبابات المصنوعة من جلود الأبقار التى لا تتأثر كثيراً بمقذوفات العدو ، وتقدموا بها نحو السور لإحراق الأمكنة المجاورة له . غير أن أفراد قبيلة ثقيف المحصورين فى البلدة بدأوا يرمونها بقطع من الحديد المحماة بالنار ... (حاشية ص ٢٥٠ ، ٢٥١ من المرجع السابق) .

ويبحث الأستاذ محمد حسين هيكل فى كتابه « حياة محمد » عن استخدام المسلمين الدبابات فى غزوة الطائف بشىء من التفصيل، فيقول :

إنه لم يكن من اليسير أن يقتحم المسلمون هذه الحصون المنيعة إلا أن يلجؤا إلى وسائل غير التى ألفوا حتى اليوم حين حاصروا قريظه وخيبر ... فما عسى أن تكون هذه الوسائل الجديدة التى يهاجمونها بها ؟ ...

وكان لبنى دوس (إحدى القبائل المقيمة بأسفل مكة) علم بالرماية بالمنجنيق ومهاجمة الحصون فى حماية الدبابات . وكان أحد رؤسائها الطفيل قد صحب محمداً منذ غزا خيبر ؛ وكان معه عند حصار الطائف ؛ فأوفده النبى إلى قومه يستنصرهم ؛ فجاء بطائفة منهم ومعهم أدواتهم ؛ فبلغوا الطائف بعد أربعة أيام من حصار المسلمين إياها . ورمى المسلمون الطائف بالمنجنيق وبعثوا إليها بالدبابات دخل تحتها نفر منهم ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، ولكن رجال الطائف كانوا من المهارة بحيث أكرهوا هؤلاء على أن يلوذوا بالفرار . فقد أحموا قطعاً من الحديد بالنار ، حتى إذا انصهرت ألقوها على الدبابات فحرقتها ، ففر جنود المسلمين من تحتها خيفة أن يحترقوا . (حسين هيكل ، حياة محمد ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١) .

ويظهر أن الدبابات فى السابق وإن كانت لها قيمة كبرى فى الحروب لإخافة العدو وإثارة ضجيجهم ، فإنها لم تنل حظاً فى إحراز النصر حيث كانت عرضة للاحتراق ، فإن موادها المركبة من الجلود والأخشاب كانت سريعة التأثر بالنار . وقد حاول المهندسون المسلمون عبثاً إيجاد بعض الوسائل لتقيها من الأخطار المعهودة . فاستعملوا الجلود المبلولة بالماء والمسقاة بالخل ولكنهم لم يفلحوا .

ويحدثنا الأستاذ أحمد بدوى فى مقال له تحت عنوان « القوة الحربية فى مصر والشام » كتبه فى مجلة الرسالة عدد ٨٠٩ وتاريخ ١٤ — مارت — ٩٤٩ نقلا عن (النوادر لابن شداد ، ص ١٠٣) عن عظمة الدبابات التى استخدمها العدو فى حصار عكا ، بما يلى :

« صنع العدو ثلاثة أبراج من خشب وحديد وألبسها الجلود المسقاة بالخل بحيث لا تنفذ فيها النيران ؛ وكانت هذه الأبراج كأنها الجبال عالية على سور البلد ، ومركبة على عجل يسع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر ، ويتسع سطحها لأن ينصب عليه منجنيق ، وقد ملأ ذلك نفوس المسلمين خوفاً ورعباً ، ويئس المحاصرون فى المدينة ، ورأوها وقد تم عملها ولم يبق إلا جرها قرب السور . وأعمل صلاح الدين فكره فى إحراقها ووعدهم على ذلك بالأموال الطائلة والعطايا الجزيلة ، ولكن ضاقت حيلهم عن ذلك . وكان من جملة من حضر شاب نحاس دمشقى ذكر بين يديه إن له صناعة فى أحراقها وأنه إن مكن من الدخول إلى عكا وحصلت الأدوية التى يعرفها أحرقها ، فحصل له جميع ما طلبه ، ودخل إلى عكا وطبخ الأدوية مع النفط فى قدور نحاس حتى صار الجميع كأنه جمرة نار ، ثم ضرب واحداً بقدر فلم يكن إلا أن وقعت فيه ، فاشتعل من ساعته ووقته ، وصار كالجبل العظيم من النار طالعة ذؤابته نحو السماء واستغاث المسلمون بالتهليل ، وعلاهم الفرح حتى كادت عقولهم تذهب . وبينما الناس ينظرون ويتعجبون إذ رمى البرج الثانى بالقدر الثانية فما كان إلا أن وصلت إليه واشتعل كالذى قبله فاشتد ضجيج الفئتين ، وما كان إلا ساعة حتى ضرب الثالث فالتهب وغشى الناس من الفرح والسرور ما حرك ذوى الأحلام » .

وحسب ما نعلم كانت هذه المواد هى زيت النفط والكبريت والجير والقار فتتكون من خلطها النار اليونانية . وقد أشار إلى استعمال المسلمين هذه النار فى الحروب الصليبية الأستاذ كوستاف لوبون فى كتابه (المدنية العربية ، ص ٥١٤ ، ٥١٥) .

ويروى الأستاذ أحمد بدوى فى المقال السابق الذكر نقلا عن (خطط المقريزى ، ج ١ ص ٣٤٧) أن الفرنج هاجموا دمياط سنة ٦١٥ فى آخر أيام العادل وعملوا آلات ومرمات وأبراجاً متحركة

« الدبابات » يزحفون بها إلى برج « السلسلة » ليملكوه حتى يتمكنوا من المدينة .

وتبحث بعض المصادر التاريخية عن أهميـة الدبابات التى استخدمها السلطان محمد الفاتح أثناء محاصرة القسطنطينية ، فيقول المؤرخ التركى الشهير أحمد رفيق :

إن السلطان قد أمر بإنشاء أبراج تسير بوساطة عجلات لتستخـدم فى خرق السور فصنعوا برجاً خشبياً سياراً يسمى بـ « كشور كشا » أى « فاتح البلاد » وهو مغلف من الخارج ومبطن من الداخل بالجلود المبلولة بالماء لدفع النار . وكان الجنود يتحصنون فى داخله ، وإذا ماأرادوا الخروج فتحوا الأبواب الثلاثة باتجاه المدينة من القسم الأسفل منه فكانوا بذلك فى مأمن من مقذوفات العدو أثناء النزول والركوب . وقد جمعت فيه أكوام من الحطب والأخشاب لإملاء الخنادق وتسهيل الهجوم ، هـذا ويحمل البرج مائة جنـدى انكشارى « ينيچرى » مع كامل أسلحتهم ومعداتهم .

وفى ذات ليلة جاءوا بهذا البرج إلى الموضع الذى عينه السلطان لازحف إلى ميدان القتال . غير أن العدو تمكنوا من إحراقه بقذفهم النار اليونانية[١] إياها طيلة الليل (١٨/نيسان/١٤٥٣)[٢] (راجع تاريخ الانتصارات العثمانية ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١) .

وقد عقد الأستاذ كوستاف شلومبرجيه فصـلاً مفصلاً فى كتابه « فتح القسطنطينية » باللغة الفرنسية — نقلاً عن بعض المؤرخين الذين حضروا المعركة أمثال باربارو وتتالدى وفرانچس وبيه رس — وصف فيه الدبابة الضخمة التى استخدمها الجيش العثمانى أثناء محاصرتهم للقسطنطينية وصفاً دقيقاً جاء فيه :

إنه فى صباح ١٨ مايو ذُعِر المحصورون فى المدينة وأخـذهم فزع شديد إذا رأوا بغتة البرج الخشبى السيار كالجبل عالياً فوق السور ، فملأ ذلك قلوبهم خوفاً ورعباً ، وفقدوا صوابهم فتحيروا فى أمرهم ولم يدروا ماذا يصنعون ؟ ! ... وقد حضر الإمبراطور قسطنطين — حين بلغه الخبر — مع أركان جيشه لمشاهدة هذا البرج العجيب المسمى بالقلمة الخشبية « أو الدبابة » .

لقد قام المهندسون الأتراك بصنع هذه الآلة قرب السور أثناء الليـل بصورة خفية وسريعة جـداً لم تستغرق أربع ساعات بدرجـة ينبغى أن نقول بأن أهل القسطنطينية جماء لم يكونوا ليصنعوا مثل هذا البرج فى شهر كامل وإن ساعد بعضهم بعضاً .

كانت هذه القلمة الخشبية مصنوعة من أخشاب قوية مربوط بعضها ببعض ربطاً محـكماً وهى مغلفة من الجهة العليا بطبقتين من جلد الإبل . وقد غطيت من جميع أطرافها بالطين حفظاً من التأثيرات الخارجية : وكانت تسير على عجلات متحركة ومغلفة بجلود البقر والجاموس . وهناك يوجد فى داخلها الدرج (السلم) للصعود إلى الطابق الفوقانى منها . وفيها أنواع العتاد والأسلحة ، كما كان فيها أيضاً كثير من السلالم الخشبية بغية استعمالها فى التسلق على الأسوار . كانت لها ثلاث نوافذ متجهة نحو السور يرمون من خلالها العدو بالسهام ...

تحركت هـذه القلمة وبدأ الجنود يرمون التراب والأخشاب فى الخنادق لتسهيل السير حتى بلغوا السور وتمكنوا من فتح ثغرة فيـه وبدأوا يثبتون السلالم ويستعلون بها على السور ، ولم يتأثروا كثيراً بالمقذوفات التى كانت تلقى عليهم حتى تمكن العدو من إحراق هـذه القلمة باستعمال النار اليونانية ، واستشهد بعض من فيها من جنود الانكشارية .

ويصف (فرانچس) هـذه القلمة التى يشاهدها عن كثب وهى تلتهب وصفاً جميـلا فيقول إن السلطان كان يصيح بصوته العالى : إننى لم أكن لأعتقد أن باستطاعة العدو إحراق هـذا البرج فى ليلة واحدة وإن صدق ذلك سبع وثلاثون ألف نبى .

(وللتفصيل راجع الفصل السادس من كتاب فتح القسطنطينية لـكوستاف شلومبرجيه)

(بغداد) **عطا الله ترزى باشى**

كلية الحقوق

(١) وقد استعمل سكان القسطنطينية المحاربون هذه النار عند محاولة العرب الاستيلاء على المدينة ، وأخيراً تمكنوا من اكتشاف تركيبها الـكيمياوى فاستعملوها فى كثير من الحروب .

(٢) ولعل الصواب هو ١٨ مايو .

٣ ـ من شـــجرة الدر

لحضرة صاحب السعادة عزيز أباظة باشا

عز الدين أيبك — شجرة الدر

أيبـك : قد كنتِ رائعة الآراء بارعة الـ
ـتدبير ملهمةً للحزم والرشدِ

شجرة الدر : بالغتَ أيبكُ

أيبـك : بل قصرتُ مالكتى

شجرة الدر : فتلك عين الرضا يا صاح فاقتصد

أيبـك : أسرفتُ يا ملكة الوادى ؟! أما رأمتْ
يداك مصر فعاشت عيشة الرغـد
دفعت عنها عِداها واعتليت بهـا
مقادم المجـد فى أيامك الجـــدُدُ
وقدتِها للمعالى واحتشدت لهـا
فأصبحت غرضاً للحقد والحسـد
يا ربة التـاج

شجرة الدر : هذا التاج ضقت به
ذرعاً

أيبـك : وكيف ؟

شجرة الدر : أما أبصرتَ ما يقـــع ؟
وزادنى فيه كرهاً أن نُسبت له
وكنت باسمىَ تدعونى فأستمع

أيبـك : جلالة الملك أقصت عنك لى أملاً
(فى مرارة) ما زال يهفو له قلبى ويندفع
ولمعة التـاج لم تطفىء بروتقها
سوى رجائى وكان الدهرَ يلتمع
يا عصمة الدين[1]

الملـكة : عز الدين قلت فلم
تنصف وأنت على نجواى مطلع
أنت الذى مسَّ قلبى فاستجاب له
وعاد يرتاح للدنيـــا ويتســـع
رحمتــه وهو تاو فى أضالعـــه
أنحى عليـه الضنى والوجد والجزع

أيبـك : لما وليت أمور الملك قلتُ مضى
عهد الهوى وانقضت فى إثره المُتع
وقلت للنفس : تلك الشمس كيف لها
ترق وأنت المنىُّ العاجز الضرِعُ
طويت روحى على يأس وهِبت بها :
قرّى بيأسك ، لا يجنح بك الطمع

شجرة الدر : فدتك نفسىَ عزَّ الدين . أى أسى
يهتاج فى عتبك الباكى وينـــدلع
لا شىء كالحبِّ … لا ملكٌ، ولا ولدٌ
ولا شباب ، ولا الدنيا بمـــا تسع
والحب إن كَرُمت أعراقُه وصفَت
يسمو على قِيَم الدنيـــا ويرتفعُ
ما أضيع العمر إن لم تحترق كبدٌ
وتحتدمْ لوعةٌ فى القلب تصطرع

أيبـك : يا عصمة الدين هذى ليـلة كرُمت
كأنها من ليالى الخلد تنتزع
بعثتنى حين لم أجرؤ على أمـل
وحين كل رجاء فيـــك منقطع
وحين نفسى — رعاك الله — تالفة
وحين قلبى — وقاك الله — منصدع
أهواك … أهواك ألواناً فأيسرها
مُدى تَوارَ فى صـدرى فتقتطع
ما زلت والسن تعلو بى أذوب جوى
إذا همست واستغشى وأمتـــقع

شجرة الدر : (وهى تسترد جأشها)
لا بل تحب كاقيـــال الرجال إذا
هاموا فلا الضعف يعروهم ولا الجزع

(١) أحد أسماء شجرة الدر .

ما كنت والتاج يُزهى بى سوى امرأة
تأوى إلى الرجل الحامى فتمتنع

أيبك : نفسى فداؤك قد مزقتها قطعاً
وسمتها الألم القدسى والسقما

شجرة الدر : وكيف ؟

أيبك : من غيرة كالنار حاطمة
والموج مصطخباً ، والسيل محتدماً
تظل تعصف بى عصفاً

شجرة الدر : سلمت ولم
هذى الشكاية ؟

أيبك : غيرى فيك من سلما
كم بت غيران ممن قد أنست به
ومن همست له فارتاح وابتسما
ما إن تحدثت فى لين إلى رجل
إلا أثرت بقلبى فتنة عمما
وما هششت لبعض الناس عن عرض
إلا نزا الهمُّ فى جنبىَّ واضطرما
الغيرة الحبُّ ما شبت ... فإن خمدت
فقل مضى الحبُّ فى أذيالها قدُما

شجرة الدر : ممن تغار وقلبى أنت مالكه
ربا هواك وأرسى فيه فاحتكما

أيبك : إنى فريس جوى ما إن خلوت له
إلا انتهى لشغاف القلب فاصطلما
(ثائراً) إنى أغار من الماضى

شجرة الدر : أأعقل ما
تلق !

أيبك : أغار من الماضى الذى انحسما
أغار من كلٍّ من قد ظنَّ أن مُلئت
يداه منك فرد النفس واعتصما
أغار من كلٍّ من أفضى إليك ومن
أثنى عليك ... وإن قال الذى علما
أغار من كل ذى شأن بذلت له
عطفاً فقبَّل منه الراح والقدما
وددت لو كنت لى لم تعرفى أحداً
ولا بنى بك زوج ... هان أو عظما
عيناك مشرع ما ألقاه من قلق
الله بالسحر والإغراء علهما
فما تحركتا إلا وأيقظتا
فى الغافلين الهوى والشوق والنهما
يا أطهر الناس عرضاً ما نجوت من الـ
باغى الذى يثلم الأعراض والحرما
أمضهم أنك استعذبت فريتهم
وإن رضيت على علاتها التُّهما

عزيز أباظة

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

من صدى الدموع التى شابت :

لله هذا القلم الذى تقلبه بين أناملك فيسطر كلمات هى فى أغوار القلب أنغام وألحان ... فيها الشجن العارم والحزن المقيم ، وفيها الحنان الشفيف والأخوة المتسامية ، وفيها الإنسانية تحلق فى جواء مترعة من الأفكار وعالم حالم من الصور ؛ هنالك حيث يلتقى الناس إخوة ... وتتناجى الأرواح فى همس .

كم حلقت بى كلماتك النابضة التى تتنفس على صفحات الرسالة والتى قرأتها اليوم ... تلك القصة الرائعة التى سجلها قلمك الحى والتى أعجب أنك إنما صغتها من كلمات وكلمات فقط . نعرفها جميعاً ونقرؤها كثيراً ، ولكنها تتجمع هنا وتتآلف لتكون لحناً وتصوغ سمفونية خالدة !

قصة الدموع التى شابت ؟! كم حركت الشجن فى صدرى ، وكم أثارت كوامن الحزن فى نفسى ... نفسى التى عرفت الحزن وألفته وهامت به ، الحزن الذى يصقل النفس ، ويبلور العواطف ، ويجنح بالفكر إلى العلو ..

هذا الصديق الذى كان لحناً توارى بين فجاج الصمت ، وكان حلماً تبدد على صيحة مفزعة لملك الموت ... هذا الإنسان الذى عاش فى حساب الزمن سنوات قلائل ، وعاش دهراً فى حساب التجارب والمحن .. هذا الإنسان الصديق ، الذى لم أره من قبل أريد ياسيدى الكاتب أن أعرفه .

أكتب لنا قصته فهو أولى الناس بأن تكتب عنه . لا تهب ياسيدى نبش القبور ، ولا تتردد فى تقليب الذكريات ومبعثها من مثواها الأخير ، الغائر فى أعماق الصمت . . فقد مات الإنسان ولا أحد يعرفه ، عاش مغموراً ومات كذلك . . ذهبت الأنات لم تصل إلى أذن ، وتبددت الزفرات لم يشعر بها إنسان إلا أنت . . لقد ثوى الجسد فى القبر وأصبحت الذكريات ملكا للإنسانية الهائمة على مسرح الأرض . ونحن بغير تجاربنا ندور حول أنفسنا .

نبدأ ثم نعيد ، مغمضى الأعين ، مغلق السمع ، مطموسى الحس .. فاكتب عنه ياسيدى على ضوء تلك الرسائل التى بعث بها إليك ، فإنك إذ تفعل إنما تضيف إلى تجارب الإنسانية تجارب . وإلى روضة الفن باقة غالية !

إفعل ذلك بحق الفن . . وفى الانتظار ، تقبل تحيات المخلص المعجب :

سعيد كامل

كلية الآداب — قسم الفلسفة

هذه رسالة من بضع رسائل تلقيتها حول قصة الدموع التى شابت . إنها تعبر عن رجع الصدى العميق الذى هز قلوبا ومشاعر وتنوب عن بقية الرسائل فى إظهار المحور النبيل الذى تدور حوله رغبة ورجاء .

ياصديقى الذى كتبت إلى .. لقد كنت أود أن أقص عليك وعلى الناس قصة ذلك الإنسان البائس ، ولكن هناك أحياء سينفجر مداد القلم دماء جراحهم إذا ما كتبت !. إن وراء السطور مأساة نسج خيوطها القدر ، وقام بإخراجها الزمن ، واشترك فى تمثيلها بعض الناس . . فيهم الشيطان الغادر ؛ وفيهم الملاك الطاهر ، وفيهم الإنسان الشهيد ! أما المسرح فقد كان هناك . . فى الإسكندرية ، وأما النظارة فقد كانوا هنا ... فى القاهرة ، كانوا فرداً واحداً يستمع إلى القصة تنقل إليه على أمواج الأثير فى كلمات ، ولكم تناول هذا الفرد الواحد قلمه ليجفف الدموع التى فاضت ... ولكنها شابت ! !

وهاهو ذا يحاول اليوم أن يكتب القصة ، ولكنه يقف حائراً بين أمرين : رغبة القراء ... ولوعة الأحياء ! ترى هل يرضى الفن فيستجيب لدعائه ، أم يخضع لصوت الضمير فيقبض قلمه إلى حين ... إلى أن تهدأ الرياح ، وتلتئم الجراح ، وتتكسر أمواج المحنة على شواطئ النسيان ! ؟

إننى فى انتظار الرأى من كل صاحب رأى ... وعلى الذين ينشدون عرض المأساة على صفحات الرسالة أن يقدروا هذه الحقيقة وهى أن هناك أموراً على جانب من الخطورة ستذكر ، ولا آمن إذا ما اطلع عليها أصحابها أن يتهدم بيت وتتحطم أسرة ! !

أدبنا بين المحلية والعالمية :

أسمع صيحة تتردد على الشفاه أحياناً ، ثم تنتقل من الشفاه إلى الورق أحياناً أخرى ؛ أعنى أنها تنتقل من ميدان الحديث

المسموع إلى ميدان الرأى المكتوب ... وجوهر الصيحة أو خلاصتها هو أن أدبنا لا يمثلنا ، وهدفها أو غايتها هو أننا نريد أدبا مصريا ؛ أدبا ينبئ عن الشخصية المصرية ، ويومئ إلى الطابع المصرى ، ويقبس من بيئتنا صوره وألفاظه ومعانيه !

صيحة يطلقها بعض المتعصبين عن جهل ، ورأى يجهر به بعض المتعالمين بغير علم ، و « وطنية أدبية » ينادى بها بعض « القوميين » على غير هدى وبصيرة ... يريدون أدبا مصريا ، ماذا يقصدون بالأدب المصرى ؟ هل يقصدون أن يهمل الكتاب والشعراء والقصاصون كل ما يتصل بالتجربة الشعورية الخاصة ، وبالنفس الإنسانية العامة ، وبالحياة فى كل أفق من آفاقها الرحيبة ، ليفرغوا لكل مشكلة يومية تعترض طريق الكادحين من أبناء الشعب ، وكل ظاهرة اجتماعية تهم المسئولين عن مصالح الناس ، وكل مشهد تقع عليه العين ويلتقطه الخاطر فى نطاق المجتمع الذين يعيشون فيه ؟! . أغلب الظن أنهم يرمون من وراء صيحتهم إلى هذا كله ؛ وإلى ما هو أبعد من هذا كله ؛ فإذا رحل الشاعر المصرى مثلا إلى ربوع سويسرا وجادت مخيلته برائعة شعرية حول بحيرة ليمان قالت له ألف صيحة وصيحة : هذا أدب سويسرى هذه بضاعة أجنبية ، نريد أدبا مصريا نريد بضاعة وطنية ... عندك يا أخى بحيرة البرلس وبحيرة أدكو وبحيرة المنزلة ، ألا ترى أننا فى غنى عن أن نستورد من الخارج ؟ ! وإذا تنقل القصاص المصرى مثلا بين أحياء باريس ثم عكست ريشته بعض صور الحياة فى مونبارناس قالت له ألف صيحة وصيحة : هذا أدب فرنسى هذه آفاق غربية ، نريد أدبا مصريا نريد آفاقا شرقية ... عندك يا أخى حى السيدة والحسين وخان الخليلى ، ألا ترى أننا فى غنى عن أن نستورد من الخارج ؟! وإذا طاف الكاتب المصرى مثلا بأى بلد أوربى فاستمع إلى أدبائه ونقل ما سمع إلى مواطنيه ، أو قضى ساعات بين كتب الغرب ثم تحدث عن رحلته الفكرية إلى قارئيه قالت له ألف صيحة وصيحة : هذا أدب البرنطين هذه أفكار أعجمية ، نريد أدب المطربشين نريد أفكاراً عربية .. يا أخى عندنا فلان وفلان وإنهم لمن سلالة الجاحظ وأبى حيان وابن المقفع وابن العميد فمالنا ولجان سارتر وجورج ديهامل وبول كلودل وأندريه جيد ؟ ألا ترى أننا فى غنى عن أن نستورد من الخارج ؟!

هذا هو جوهر الصيحة أو خلاصتها أو هذا هو الهدف الذى تلوذ به وتسعى إليه ، ولك أن ترد الجوهر والهدف معا إلى تلك الدوافع التى حدثتك عنها من قبل ، ولك أن ترد تلك الدوافع إلى مصدر واحد هو مركب النقص ... يريدون أن يحصروا الأدب المصرى فى بيئتهم لأنهم لا يعرفون غير هذه البيئة ، ويريدون أن يفرضوا على الأدب المصرى ألا يتحدث بغير لغتهم لأنهم لا يفهمون غير هذه اللغة ، ويريدون أن يقصوا أجنحة الأدب المصرى إذا حلق فى غير أفقهم لأنهم لا يطيقون غير هذا الأفق ، ويريدون أن يكتموا أنفاس الأدب المصرى إذا عب من هواء الحرية فى غير جوهم لأنهم لا يستطيبون غير هذا الجو بما فيه من هواء ... ولا بأس من الجمود والركود ، ولا بأس من الخمول والرجعية ، ولا بأس من البقاء فى المعاقل دون التطلع إلى ما وراء الأسوار . لا بأس من هذا كله ما دمنا نريد أدبا مصريا ، أدبا يمثلنا ، أدبا لا يصح أبداً أن يتخطى حدود الزمان والمكان ! !

أدب محلى هذا الذى يريدون ، لأنهم لا يدركون أثر العالمية فى الأدب ولا قيمتها فى حساب الخلود ... كلا يا أصحاب الصيحة السافرة والغيرة الصاخبة ، إننا نريد أدبا إنسانيا لا مصريا ، أدبا يقرؤه الذين هنا والذين هناك ، أدبا يفتش عن مصادر الإلهام ومنابع الوحى فى كل قطر من الأقطار وكل بقعة من البقاع ، أدبا يخاطب الوجدان فى كل نفس بشرية ويستنطق الحياة أينما طافت عدسته بمواكب الأحياء ، أدبا يطالعه القارئ من كل جنس ولون فيحس أنه قد كتب له ، أدبا يصور الخلجة كما تضطرب فى أعماق الصدر ، والخفقة كما تهدر من أغوار القلب ، والنزعة كما تنحدر من أوكار النفس ، والنزوة كما تنتزى بين قيود الطبع ... وهذه هى المرآة الصافية المصقولة التى تلتقى على صفحتها كل الوجوه ، وتأتلف كل المشاعر ، وتتعانق كل الأرواح . هنا وفى كل أرض يرتفع فوق ثراها صوت الفن ، وترفرف فى سمائها راية الفكر ، وتتجاوب فى أرجائها صيحات الباحثين عن أنفسهم فى زحمة هذا الوجود !!

إنك لن تجد فى فرنسا من يقول نريد أدبا فرنسيا ، ولن تجد فى روسيا من يقول نريد أدبا روسيا ، ولن تجد فى ألمانيا من يقول نريد أدبا ألمانيا ، ولن تجد فى إنجلترا من يقول نريد أدبا

انجلترا ... ذلك لأن الأدباء فى كل بلد من تلك البلاد قد فهموا رسالة الفن كما يجب أن تفهم ، على أنها مادة فكرية تحطم حواجز المحلية المقيدة لتنفذ إلى مسالك العالمية الطليقة ، وبمثل هذا الفن الإنسانى تمكنت هذه الآداب جميعاً من أن تحتل مكانها فى كل وطن ، وكل بيئة ، وكل لغة ... وهذ هو الطريق !

جان بول سارتر والشعر :

للفيلسوف الفرنسى الكبير جان بول سارتر مجلة أدبية فلسفية هى « العصور الحديثة أو Les Temps Modernes » ... ولا أريد أن أحدثك هنا عما ينشر فيها من بحوث ، ولا عن مكانة صاحبها من الفكر الفرنسى المعاصر ، وإن كنت قد حدثتك عن مكانة سارتر فى عدد مضى من الرسالة . وإنما أريد أن أنقل إليك قصة طريفة تتعلق بالفيلسوف الفرنسى الكبير وبمجلته الرفيعة ؛ وهى أن شاعراً من الشعراء الفرنسيين قد بعث إليه بقصيدة من « روائع شعره » لتزدان بها صفحات « العصور الحديثة » ... ومضى شهر وشهران وثلاثة والشاعر ينتظر ، ينتظر نشر القصيدة التى ألقى بها سارتر إلى سلة المهملات !

وحين يئس الشاعر من عطف الفيلسوف ، أطلق لغضبه العنان فكتب مقالا ثائراً فى « الفيجارو » يتهم فيه سارتر بأنه رجل لا يحترم الشعر لأنه لا يفهمه ، والدليل على ذلك أنه لم يستطع أن يتذوق قصيدته « الفريدة » التى رحبت بنشرها الفيجارو فى صفحتها الأدبية !.. وتناول الفيلسوف قلمه ليبعث إلى الصحيفة الفرنسية بهذه الكلمات : « عزيزى رئيس تحرير (الفيجارو) .. أؤكد لك أننى أفهم الشعر ، وأؤكد لك أننى أحترمه أكثر مما أحترم الفلسفة ، والدليل على مدى احترامى للشعر هو أننى أخرجت كتاباً عن « بودلير » الشاعر فى حين أننى لم أكتب شيئاً عن « ديكارت » الفيلسوف ... أما الدليل الأخير فهو أننى قد ألقيت بقصيدة الشاعر الذى هاجمنى إلى سلة المهملات » ! !

قصة طريفة أهديها إلى الشاعر المصرى « الكبير » الذى بعث إلىّ برسالة يتهمنى فيها بأننى لا أحترم شعره لأننى لا أفهم الشعر ، وكان قد أهدى إلىّ إحدى قصائده لأقدمها إلى القراء على أنها من فرائد « الأداء النفسى » ، ذلك الأداء الذى سبق أن بحثت مشكلته على صفحات « الرسالة » ... وأكتفى بهذا وأصفح عما جاء برسالته من عبارات مهذبة ، وعليه أن يشكرنى فى رسالة أخرى لأننى استشرت الذوق فلم أذكر إسمه ، وإذا لم يفعل فسأعمد إلى التصريح بعد التلميح !

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

هذه رسالة من الشاعر العراقى الفاضل الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى أقول رداً عليها بعد شكره على كريم تقديره ، هل تود أن أجيبك عما سألتنى عنه هنا أم تود أن يكون الجواب فى رسالة خاصة ؟ إننى فى انتظار رأيك . وهذه رسالة أخرى من العراق أقول لمرسلها الأديب الفاضل محمد سعيد « مسيب » ، إننى أرحب بعضويتك فى محكمة الأمانة العلمية وأشكر لك حسن ظنك بصاحب « التعقيبات » ، وأعتذر من نشر حكمك القاسى على الدكتور شكرى لأننا لم نسمع بعد كلمته فى الموضوع ، أما الرسالة الثالثة فهى من الأستاذ الفاضل فؤاد الونداوى « بغداد » وبها سؤال عن « القيود فى الفن » سأعرض له بالتعقيب فى العدد المقبل من « الرسالة » ، ومن العراق أيضاً هذه الرسالة الرابعة وهى من الأديب الفاضل عبد الله نيازى « بغداد » ياصديقى لك خالص امتنانى لتفضلك بإهدائى « نهاية حب » ، قصتك الطويلة التى تلقيتها منذ أيام ، وانتقل إلى الرسالة الخامسة وهى من الأديب الفاضل عبد الله النافع « عطبرة — سودان » وفيها يرمى زميله الأديب السودانى سيد أحمد قناوى بأنه يبعث إلى « الرساله » بأقاصيص منسوبة إلى الإنجليزية حيناً وإلى الفرنسية حيناً آخر مع أنه لا يجيد هذه ولا تلك ، إن ردى على هذا الاتهام هو أن يدفع الأديب المتهم عن نفسه ما رمى به ، وذلك بأن يذكر فى أقاصيصه المقبلة أسماء من ينقل عنهم ويترجم لهم ! أما الرسالة السادسة فمن أديب فاضل من « الاسكندرية » رمز لنفسه بهذين الحرفين (م . خ) وبها سؤال عن بعض ما جاء بكتاب « الحب الضائع » للدكتور طه حسين ، ياصديق المجهول لك خالص شكرى على جميل رأيك فى صاحب هذا القلم ، وإلى العدد المقبل حيث أتناول بالنقد تلك الفقرات التى نقلتها إلىّ ... ويضيق النطاق اليوم عن بقية الرسائل فى حقيبة البريد .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تكريم الدكتور طه حسين :

أقام اتحاد التعليم الحر يوم الخميس الماضي ، حفلة تكريم للدكتور طه حسين بك في دار الاتحاد النسائي لمناسبة عودته من أوربا . وقد بدأت الحفلة بكتاب من معالي الأستاذ محمد العشماوي باشا وزير المعارف ألقاه الأستاذ محمد سعيد العريان ، وقد تضمن هذا الكتاب الكريم تقدير معالي الوزير للدكتور طه ، إذ قال فيه بعد التعبير عن الأسف لعدم المشاركة في الاحتفال : إنه كان يود الحضور للتنويه بفضل أديب العربية الأول والاعتراف بما أسداه للأدب والفن ، وما أداه لقضية التعليم ، وما أفادت الأمة العربية من آثار سفارته العلمية الموفقة في بلاد العلم والحضارة ، بما نشر في المجامع العلمية من مباحث ، وما أذاع من محاضرات ، وما ترجم له من آثار ، وما أثر عنه من أحاديث .

وقد أجمل معالي وزير المعارف بتلك الكلمات ، الأسباب الداعية إلى تكريم الدكتور طه بك . وقد دعوت الأدباء في كلمة سابقة إلى الاحتفاء بعميد الأدباء بعد أن بسطت القول في دواعي هذا الاحتفال ، والواقع أن الرجل لا يوفى حقه أي تكريم ، لأنه لا يعطى نفسه قدر ما يعطى هذه البلاد ، فهو في الداخل محاميها المدافع عن حق أبنائها في التعليم ، وهو في الخارج سفير بلا مرتب وداعية ينفق من ماله ، على حين نرى عشرات المندوبين توفدهم الدولة إلى المؤتمرات العالمية ، وتكلف خزانتها نفقاتهم ، ثم لا نحس أثرا لهذه الرحلات والنزهات في غير الصحة الجيدة التي يتمتع بها العضو الكريم ...

حقا إن الرجل لا يفي بحقه أي تكريم ، ولكني لا إخال حفلا يقيمه الأدباء إلا نافعا من حيث ما يتوقع أن يقدم فيه من دراسات وألوان رائقة حية من الأدب والفن . وقد رأينا المشاعر المتدفقة وفاء في حفلة رجال التعليم الحر ، رأيناها في الجهد على قدر المستطاع ، وهو جهد يدل على الصدق في النية أكثر مما يدل على شيء آخر. ولا أستطيع أن أغفل الحديث عن القصيدة الممتعة التي ألقاها الشاعر الاسكندري الأستاذ محمد فضل اسماعيل ، فقد خرج فيها عن قوالب المدح المعادة إلى حديث الأديب إلى الأديب ، والتعبير الظريف عن الخواطر السرية .

واختتم الحفل بكلمة فياضة من المحتفى به ، دارت حول حق المعلم في رعاية الدولة ، وحق الأمة في تعليم أبنائها بالمجان في جميع مراحل التعليم ؛ وقد دعا إلى «تأميم التعليم» بأن تدير الدولة كل معاهده ، وتيسره لكل راغب ، وتأتي بالمعلمين من كل قادر على أن يعلم شيئا ؛ فلا تقتصر على خريجي الكليات ومعاهد التربية وحاملي الشهادات ، وقد سخر من « البيداجوجيا » ذاهبا إلى أنه لا ينبغي لها أن تقف في سبيل نشر التعليم ، وأنه لا ينبغي أن ننتظر حتى نتمكنَ من بناء المدارس الفخمة وتأثيثها بفاخر الأثاث ، بل يجب أن نتعلم في أي مكان وعلى أية حال ، حتى يتاح لنا أن نأخذ بأسباب الكمال ، وضرب أمثالا لذلك منها أن المصريين في القرى لا يستطيعون أن يمسكوا عن شرب الماء حتى يصفى لهم .

ذلك ، وقد لوحظ أن خطباء الحفل وشعراءه أجمعوا على إبراز شيء كان يجب — إن لم يكن منه بد — أن يكون « مضمراً » فلم تخل خطبة أو قصيدة من الآمال والمطالب ، حتى ليمكن أن يقال إن نصيب أصحاب الحفلة من أنفسهم كان أكثر من نصيب المحتفل بتكريمه . ويمكن أيضا أن يقال إن تكريم المعلمين لآمالهم كان أكثر من تكريمهم للرجل الذي احتشدوا لتكريمه ... وقد جعل الخطباء والشعراء يجاذبون هذا المعنى ، حتى جاء الخطيب الأخير ، فرقَّم المطالب بأول وثان وثالث ... فهذا «الجدول» المرهق للمعلم المسن في المدارس الحرة ، وغيره مما لا أطيل بذكره . ولست أدري كيف غاب عن المعلمين أن الدكتور طه حسين بك ليس الآن في منصب بحيث يقال له ذلك ، والقوم جديرون بالإنصاف والتقدير ، والرجل أهل لصنع المكرمات ، ولكن لكل شيء وقته ولكل مقام مقال.

وقد كثر الخطباء والشعراء ، وأطالوا ، حتى كاد ينقلب التكريم إلى ضده . ويبدو مع ذلك أنه كان هناك آخرون يبغون القول ، غير من قالوا ، وقد أفلت شاعر من الذمام ووقف يلقي

قصيدته دون أن يُقدّم غيرعابئ بغيظ المنظمين .. وكلما قوطع قال : لم يبق إلا بيتان !

وقد شاهدت بعض «المضطهدين» فى وزارة المعارف ولسان حالهم يبغى اللياذ .. كما رأيت بعض كبار الموظفين فى الوزارة يحيطون بالدكتور طه حسين ، وقد سألت نفسى : هل كان هؤلاء يُلحون بهذا المقام فى غير هذا الظرف ؟ ما أحسب الدكتور طه إلا يتعب كثيراً ، كان الله له .

كرامة الأدباء :

كتب « أديب ناشىء » فى جريدة الزمان يوم الخميس الماضى يقول إنه حضر مجلساً فى ندوة الأستاذ كامل كيلانى أتى فيه ذكر الأستاذ العقاد من حيث ترفعه وكبرياؤه ، فقال الأستاذ الكيلانى : إن احتفاظ العقاد بكرامته جعل كثيراً من (الباشوات) يقدرون الأدباء حق قدرهم ، وهو فى احتفاظه بكرامته كما يقول على بن الجهم عن العلم :

أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما

والأديب الناشىء يحكى عن الأستاذ كامل كيلانى نسبة البيت إلى على بن الجهم ، وإنما هو لعلى ابن عبد العزيز الجرجانى صاحب الوساطة بين المتنبى وخصومه ، وقبل هذا البيت قوله :

ولم أقض حق العلم إن كنت كلما بدا مطمع صيرته لى سلما

ولا أشك فى أن الأديب غاب عن ذكرانه ماسمعه من الأستاذ الكيلانى ، فقد سمعت البيت من الأستاذ غير مرة منسوبا إلى صاحبه، وقد أورده صحيح النسب فى بعض مؤلفاته ، ويرجع ترديده البيت إلى اعتزازه بهذا المعنى .

وحق ما قال كامل كيلانى فى العقاد ، كما أنه مما يجب أن يذكر فى هذا الصدد أن جيل الأدباء الحالى رفع شأن أشخاصه بتوجيه همهم إلى القراء عن طريق الإنتاج ، وإعراضهم عن التلصق بالكبراء ، فالأديب يرتفع قدره أولا عند الجمهور ، ثم يطلب (الباشوات) مودته، وهؤلاء منهم الأديب ، أو المثقف ، القدر حقيقة ، ومنهم من يبهره الصدى المردد . على أن الزمن قد تطور ، فقد أصبح بعض الأدباء من الباشوات ومنهم من لا تقل مكانته ولا ينقص قدره فى المجتمع ، بل يزيد ، عن حملة هذه الألقاب .

كشكول الأسبوع

□ لعل كثيرين لا يعرفون أن معالى عبد العزيز فهمى باشا شاعر ممتاز . وقد كان صاحب « الكشكول » ممن يجهلون ذلك ، ولكنه قضى ساعة مع الأستاذ عبد الفتاح الشناوى (راوية عبد العزيز باشا) أسمعه فيها شعراً طرب منه ، ومن ذلك ما طارح به أخيراً معالى المفتى الجزايرلى باشا وزير الأوقاف ، وهى مطارحة طريفة نرجو أن يسمح الباشا بنشرها فى « الرسالة » قريباً .

ومما أنشده الشناوى الراوية قول الباشا وقد توفيت حرمه على أثر إنجاب ولده محمد :

يا وردة عاشت حياة الورد عمراً سريعاً وهوت للحد

لولا رىء غافل فى المهد يرضيك أن أحيا ليحيا بعدى

لعجلت بى زفرات الوجد

□ تقرر انعقاد مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، ابتداء من ١٩ ديسمبر القادم ، ومؤتمر المجمع هو الذى يحضره الأعضاء الأجانب من شرقيين وغربيين مع زملائهم المصريين .

□ يعمل المجمع الآن على جمع مواد « المعجم الوسيط » تمهيداً لتقديمه للطبع ، وقد رؤى أن يطبع على الصورة التى تم بها الآن رغبة فى تلبية طلبات إنجازه ، وإرجاء ما يراد استكماله به إلى فرصة أخرى .

□ صدر أخيراً الجزء الأول من كتاب « الوصف فى الشعر العربى » وهذا الجزء خاص بالوصف فى العصر الجاهلى ، والكتاب من تأليف الأستاذ عبد العظيم على قناوى ، وهو من المدرسين الأقلاء الذين يشتغلون بالإنتاج الأدبى العام ، وقد نهج فى كتابه هذا منهجاً جديداً موفقاً فى اختيار النماذج وتحليلها ونقدها ، يتجلى فيه ذوق الأديب المطبوع وقدرة الكاتب المطلع .

□ يعمل الآن الأستاذ محمود الخفيف فى دراسة « جوته » على الطريقة التى اتبعها فى دراسته القيمة عن « تولستوى » ويوشك أن يفرغ من هذا العمل الأدبى الذى حببه إليه الأستاذ الزيات مترجم « آلام فرتر » وهو لهذا سيهدى إليه الكتاب .

□ كتب الأستاذ محمد حسن الأعظمى عميد الكلية العربية بالباكستان ونزيل القاهرة الآن ، إلى معالى وزير المعارف ، يقول إنه اطلع على ما انتوته الوزارة من تشكيل لجنة لترجمة المؤلفات من لغات غربية وشرقية إلى العربية ، ولم يجد بينها اللغة الأردية مع غناها بالمؤلفات العلمية والأدبية القيمة ، مما يجعلها جديرة باعتبارها ضمن اللغات التى يهتم بها كمصدر من مصادر الترجمة المفيدة .

□ يشتغل الأستاذ محمود بك حسيب بدراسة بعض الكلمات العامية للبحث عن أصولها ، ومما حققه قولهم : بحثت عنه فى (سلقط وملقط) فالكلمة الأولى أصلها « سقلط » وهى مدينة رومية كانت مشهورة بالثياب ، والكلمة الثانية إتباع لها . والمحقق أنه لم يبحث عن ذلك فى (سلقط وملقط) لأنه وجد ما يريد .

وحسيب بك مولع بجمع طرائف البطاقات ، ومن هذه الطرائف ما كتب على بطاقة : « عمر كليشع عمدة كفر داود سابقا والآن العمدة نجله » .

فلم الأسبوع :

حسونة الطرابيشي يحب بِـليه أخت عزوز الحذاء ، وقد خطبها من أخيها ، ولكن هذا لا يريد أن يزوج أخته إلا بعد أن يتزوج هو ، ويلتقى عزوز بعزيزة فيحبها ويخطبها من أمها فترحب به ؛ ولكن نعيم الحلاق الطامع فى الزواج من عزيزة يقول لعزوز إن خطيبته تعمل راقصة باسم « قطر الندى » فيذهب عزوز إلى المرقص هو وأصحابه وأخته ، فيشاهدون الراقصة قطر الندى فيعتقدون أنها عزيزة ، والحقيقة أنها غيرها ، ولكنهما تتشابهان . وتعرف الراقصة من كلامهم أن لها شبيهة ، وتعرف عنوانها ؛ فتحاول أن تستغل هذا التشابه فى تدبير أمر . تذهب إلى منزل عزيزة وتعرض عليها أن تحل محلها ليلة واحدة لتذهب إلى والدها المريض ، مقابل مائة وخمسين جنيها ، فتقبل عزيزة وتذهب إلى المرقص وترقص . أما قطر الندى فإنها تذهب إلى جوهرى علمت أن لديه جوهرة ثمينة ينوى صديقها الغنى أن يشتريها وتخشى أن يهديها إلى غيرها ، وتحتال الراقصة على الجوهرى حتى يريها الجوهرة ، فتضربه على رأسه ليفقد الوعى وتأخذ الجوهرة وتتركه صريعا ، ثم يفيق بعد ذلك ويبلغ (البوليس) وتحدث عدة حوادث تتردد الشبهة فى أثنائها بين قطر الندى وعزيزة . وتستطيع عزيزة أن تبرهن لوكيل النيابة على أنها بريئة وأن الجانية السارقة هى قطر الندى ، فيقبض على قطر الندى ويطلق سراح عزيزة ومن اتجهت الشبهة إلى اشتراكهم معها ، وهم عزوز وحسونة وبلية والمعلم كودك المصور الذى كان يصورهم وكانت صوره تلعب دورا هاما فى وقوع هذه الأحداث ويتزوج كل صاحبته ، حتى المعلم كودك ، إذ يتزوج أم عزيزة .

هذه هى قصة فلم « منديل الحلو » الذى عرض أخيراً بسينما « نحاس فلم » وقد ألف القصة وأخرج الفلم عباس كامل . رأينا الفلم يسير فى جو طبيعى مشوق حتى بدأت دسيسة الحلاق لصرف الخاطب عن مخطوبته ، فقد ابتدأت سلسلة من الحوادث المبهمة ذات جو بارد ممل رغم ما تخللها من رقص وغناء ، ويرجع ذلك إلى التكلف والافتعال فى محاولة حبك القصة ، فمثلا أية ضرورة تحمل الراقصة على أن تحل محلها واحدة تشبهها ؟ وماذا فى أن تتخلف عن العمل ليلة لعذر ؟ وما أدراها أن عزيزة تجيد الرقص مثلها ؟ والعجيب أنها اكتفت بقول عزيزة لها إنها تعرف الرقص دون أن تحقق من هذا ... وهكذا لو تتبعنا وقائع الفلم وجدناها تسير وفق رغبة المؤلف والمخرج فى أن يهيئ مواقف معينة ولو أخرج طبائع الأشياء عن حقيقتها وأجرى الأمور فى غير مجاريها . وهناك الزحمة التى تربك المشاهد والجلبة التى تصدع الرؤوس وتضيع فى غبارها عناصر الفكاهة والغناء والرقص . ولست فى حاجة إلى أن أشير إلى ما امتلأ به الفلم من الرقص ، ولا سيما أن بطلته تحية كاريوكا (عزيزة) وقد تعجلها المخرج فلم يصبر عليها حتى تصل الحوادث إلى المرقص ، بل جعلها ترقص لخاطبها عزوز بدكانه بين الأحذية فى أول مرة يلتقيان فيها ... وهو (عبد العزيز محمود) يغنى لها ولمنديلها « الحلو » حتى استحال الدكان إلى (كباريه) !

ومن العبث أن تسأل عن القصة : ماهى ؟ ولم هى ؟ فالمقصود هو « الفرقة » أو « الجوقة » أو « التخت » الذى يتكون من تحية ومارى منيب وإسماعيل يس وحسن فايق وحسن كامل وسماد مكاوى وغيرهم ، فالغرض الأساسى إظهار هؤلاء فى الأوضاع التى عرفوا بها ، لترقص الراقصة ويغنى المغنى ويضحك المضحك . وهكذا نرى أن فكرة « التخت » القديمة لا تزال كما هى فى جوهرها وإن اختلفت بحكم الزمن والاختراع ، فكلما كان التخت يدعى إلى الأفراح والليالى الملاح ، يدعى الآن إلى (الاستديو) للتصوير والإنتاج ، أما أغراض فن القصة من عرض وتحليل وغيرهما فلا بأس أن تتحقق فى عرض الأجسام تحليل قدرة الممثلين على إرضاء طبقة الفارغين من الناس ...

والتسلية فى الفلم من النوع المبتذل الرخيص ، ومن المؤسف أن الممثلين والممثلات — وهم مجموعة من أشهر النجوم والكواكب — لم يستغلوا استغلالا مفيدا ، لتفاهة التأليف وركاكة الحوار وضعف الإخراج ، ووجه الأسف أن تكون لدينا كفايات تمثيلية يمكن أن توضع فى القوالب الفنية الراقية ، ولكنها تحول إلى الابتذال والتهريج ، حتى لا يجد صاحب الذوق السليم ، ولا أقول المثقف — فى هذا الإنتاج ما يمتعه ويبهج نفسه .

والفلم مقتر عليه فى الإنفاق ، وقد ظهر التكلف فى انتقال أبطاله إلى الإسكندرية دون حاجة إلى هذا الانتقال ، ليظهر منظر البحر والشاطئ والقطار ، وهى مناظر متكورة معدة من قبل ، وقد قصد بذلك تغطية فقر الفلم فى المناظر الجميلة ، ومنظر الشارع الذى تقع فيه أهم حوادث الفلم لا ينطبق على واقع وليس له أية سمة أو معالم واضحة .

عباس خضر



تعبير جزل وليس فيه مجانبة :

« يا ابنة الله » ويا عين الله » تعبيران وردا فى مناجاة الأستاذ الراعى للشمس فى العدد ٨٤٠ من الرسالة … وإذا كان لى أن أعقب بكلمة لذينك التعبيرين الرائعين فإنما الدافع لذلك كلمتان للأستاذين الفاضلين دسوقى حنفى وثروت أباظة . . فى الأولى سؤال للتبيين . فصاحبها يطلب ما غمض عليه وأعجم من التعبير خدمة للحقيقة والأدب كما يقول . وفى الثانية استنكار لهذا التبيين « بعد أن أوضحه الأستاذ الراعى فى العدد ٨٤٧ من الرسالة » فصاحبها وهو الأستاذ ثروت يقول : قلم شط فى التعبير وكان الله غفوراً رحيما … ويسترسل فى استنكاره مستغفراً ربه لهذه الأمة طالباً منه الهداية والتوبة والرحمة … ويبدو لى من ثنايا كلمته أنه أراد أن يتوكأ على هيكل التفسير للأستاذ الراعى ليتسنى له هدم الأصل المثل فى التعبيرين السالفين . ومهما يكن الأمر غير ذلك فقد يكون الأستاذ ثروت محقاً فيما يذهب إليه ويستنكره إلى حدما إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية واحدة ونعنى بها المنطقية فى متناولها السهل القريب التى تعتمد فيها على المألوف وحده . . ولو حومنا طويلا وبذلنا المجهود فى التعليل وأعملنا الفكر والخيال إن أردنا التحليق فى أفق المعنى البعيد فيستبان مالم يكن ليدركه العقل إذا اقتصر على أفقه المحدود للحكم الأول على الأشياء لما همّ بنا العجب إذا تأدّت لنا « يا ابنة الله » — وهى موضع الخلاف مع زميلتها الأخرى — أو بمعنى يانفحة من الله ويا شعاعا من عظمته وآية من قدرته وعملا من معجزاته واستخراج ذهن إلـهى جبار … ألسنا نعبر عن إنتاج الأديب والفنان بقولنا «هذا من بنات أفكاره ؟ » فلا نعنى سوى المبتكر المستخرج من مصنع الفكر ومستودع الذهن ومنبع الإلهام .. فما أقمن الشمس أن تكون من بنات الله المصنوعة المخلوقة من قدرته وإرادته . جل شأنه فى الخلق والإبداع والتكوين .. فنى هذا المجال المرع الفسيح يسهل التعليل ويلين التبيين وينطق المستغلق … وإذا قلنا إن الله واحد لم يلد ولم يولد كما عبر الأستاذ ثروت فالمعنى بعيد عما نحن بسبيله . ويكفى أن تفهم ما يعنيه الكاتب ويهدف إليه وإذ ذاك يبطل العجب . أما أن الشمس عين الله فى المعنى الآخر فلست أقول فى مجال التمليل واستنهاض المجاز إلا أنها عين الحقيقة . والحقيقة هى الله . وكذا يقولون ولك ما تشاء بعد ذلك من تمحيص وتحليل واستقصاء للمعنى السامق الجليل .

(السويس) **محمد عبد الرحمن**

حضرة صاحب التعليقات :

قرأت فى العدد ٨٤٤ من مجلة الرسالة بحثاً للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى بعنوان الفلسفة الصامتة ، وقد أثار انتباهى قوله : بعد أن أنهى كلامه عن بوذا وفلسفته التى استوحاها من تلك القصة التى عبرت : إن الحياة أعظم الشرور وأن الخير يقضى بالتحرر منها ، كما أنه قال إن هذه القصة ترمز إلى فلسفة الهند الزاهرة فى الحياة المتعلقة بالروحانية : هى عين الفلسفة التى يعبر عنها سليمان الحكيم فى الكتاب المقدس . وهنا أتساءل كيف قال الاستاذ المليجى إن فلسفة بوذا هى التى عبر عنها سليمان الحكيم . وكيف يكون هذا مادام بوذا يدعو إلى التخلص من هذه الحياة التى قال عنها إنها أعظم الشرور ، وهل يدعو إنسان عاقل إلى التخلص من شر إذا علم أنه سيعود إليه فيما بعد ؟

ومن خلال دعوته تظهر اللهفة على التخلص من هذه الحياة كما أنها تظهر من خلال كلماته أن الحياة أعظم الشرور . ومن هذه اللهفة يفهم المرء أن لا عودة إلى هذه الحياة إن خلص منها ، وبما أنه لا عودة إليها تنتهى فلسفته إلى الجود .

وأن سليمان الحكيم يقول فى الكتاب المقدس : إن ما كان سوف يكون وما حدث سوف يحدث ، وليس تحت الشمس من جديد . هل هناك شئ نستطيع أن نقول عنه ، أنظر هـــذا جديد ؟ كلا !

إذن . سليمان يقول إن الحياة تعيد دورها والتاريخ يعيد سيرته من ماض إلى حاضر ، ومن حاضر إلى ماض . فكل ما يراه الناس جديد يستمد حياته من الفناء كطبيعة الكون فى الفصول الأربعة تنتقل من فصل إلى فصل .

مادام بوذا يقف بفلسفته عند الروحانية وهى الرتبة العليا لأبناء الدنيا ، وسليمان لا يقف عند حد ، بل الحياة مستمرة فى دورانها تعيد الماضى إلى الحاضر وبالعكس ، فلا يمكن أن يقال إن فلسفة بوذا هي نفس الفلسفة التى عبر عنها سليمان الحكيم فى الكتاب المقدس .

وإن كلمة (عين الفلسفة) هى التى جعلتنى أكتب إلى صاحب التعقيبات مستفهما عن هذه النقطة آملا أن يغنينى عن السؤال عنها ثانيا ، وله الشكر سلفاً .

اللاذقية — سوريا **محمد بدر**

الى وزارة المعارف

فى كتاب « المطالعة العربية » ص ٤ المقرر هذا العام على طلبة السنة الرابعة الابتدائية ترجمة للامام الشافعى ، وقد جاء فيها مانصه :

« وفى سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة سافر إلى بغداد أيام الرشيد فرحب به علماؤها » (ص ٣٥ مطبعة بولاق سنة ١٩٤٩)

ولقد أجمعت كتب التاريخ على أن الرشيد توفى سنة ثلاث وتسعين ومائة من الهجرة ، فكيف تكون سنة ١٩٥ هـ فى أيام الرشيد ؟

هذا وقد ألف الكتاب لوزارة المعارف ليدرس فى مدارسها رسمياً — الأساتذة ابراهيم مصطفى بك ، ومحمد عطية الابراشى ، وعبد المجيد الشافعى ، والدكتور عبد الوهاب عزام بك ، وحامد عبد القادر ، وراجعه الأساتذة الدكتور طه حسين بك ، والدكتور أحمد أمين بك ، ومحمد أحمد جاد المولى بك .

فهلا غيرت وزارة المعارف هذه العبارة مصححة إياها بما يتفق وحقائق التاريخ المجمع عليها ؟ أو تبين لنا المصدر التاريخى الذى اعتمد عليه أساتذتها المؤلفون والمراجعون فيما تضمنته العبارة المنقولة ؟

محمد خليفة التونسى

الى الأستاذ أحمد شفيق حلمى :

قرأت ما كتبته فى (الرسالة) العدد ٨٥٤ تحت عنوان (الوفاء المذبوح) فأكبرت قوة الأسلوب ومتانة العبارة ورقة المعنى ودقة المبنى ولطافة الجوهر وحسن الحبكة ؛ وما إن بلغت قولك فى الفصل الرابع عندما سقطت سهام على الملاءات البيضاء : « هل تذبل الورود وهى تختال بين المروج » لم أستسغ هذا التعبير — لأن الموقف حينئذ يرين عليه الحزن والكدر ، ويخيم عليه الانزعاج والكآبة والدهش من هول ما حدث ؛ ففى هذا الموقف ، موقف المرء وهو يرى ميتاً يحتضر أمامه — بل بين ذراعيه — فى هذا الموقف يفزع الإنسان إلى ربه أن يسلط عليه نوراً يبدد حيرته ، ويسكب فى قلبه ضياء يوقظه من غمرته ! لا ليقول عبارة هى إلى الغزل أقرب من تعزية النفس وحيرتها ؟!

وكيف يكون « وحيد » مجنوناً يحب عروسه وشريكته ، ثم يفقدها فى غمضة عين بين ذراعيه ليلة العرس ؛ إنه يصرخ كالأطفال ، ويولول كالنائحات — إلا ليظهر مكنون قلبه — وفقكم الله .

الزقازيق **سعيد عبد الراضى حجازى**



ليلة فى الصرب

قصة للكاتب الأسبانى بلاسكو أبانيز

ترجمة الأستاذ محمد فتحى عبد الوهاب

السـاعة الحادية عشرة ليلا ، تلك الساعة التى يغلق فيها مسرح باريس أبوابه . وقد أخليت المقاهى والمطاعم من روادها قبل ذلك بنصف ساعة .

وعلى أفريز الشارع ، وقفنا زمرة حائرين . كانت جموع الناس تخرج من أماكن اللهو فتختنق فى ظلمات الشارع ، والمصابيح ترسل ضوءا خافتا سرعان ما يمتصه الظلام ، والسماء الحالكة تجذب إليها الأنظار بتلألؤ أضوائها ، فيتطلع إليها الناس فى نظرات من القلق . فقد كان ذلك الامتداد الفجائى للنور الكاشف أحيانا ما يكشف عن منطاد ، تغمره الأشعة فيبدو كالسيجار المتوهج .

وشعرنا بالرغبة فى الاسترسال فى سهرتنا . ترى أين نذهب وقد أغلقت باريس المكتئبة كل أبوابها ؟ ... وحدثنا أحد الصربيين عن مطعم لفندق ممين ، مفتوح الأبواب طول الليل ، يستقبل رواده من الضباط ، فيدلفون إليه خلسة وكأنهم من أصحابه . وكان يتردد عليه سرا إخوان فى السلاح من مختلف الأمم ، قد قدموا إلى باريس لقضاء بضعة أيام فيها . وقصدناه ، ودلفنا إلى قاعة استقباله فى احتراس ، فشعرنا بالفارق الهائل بين أنواره الباهرة وظلام الليل المدلهم . كانت القاعة أشبه ما تكون بمدخل منار كبير ، وقد انعكست من مراياها عناقيد الثريات الكهربائية ، فخيل إلينا أننا ارتددنا بأعمارنا عدة سنوات . النساء بزيناتهن ، والشمبانيا ، وتنهدات القيثارة ، وزنجى يرقص وقد ارتعشت أجزاء جسمه فى حرارة — كان كل ذلك من مشاهد عهد ما قبل الحرب . بيد أنه لم يكن هناك من الرجال من يرتدى لباس السهرة .

وكان الجميع من فرنسيين وبلجيكيين وانجليز وروسيين وصربيين — مرتدين حللهم الرسمية الرثة ، وقد علاها الغبار . وكان بعض الجنود الإنجليز يعزفون على القيثارة ، فيصفق لهم القوم فى ابتسامات باردة كالرخام ، وقد جلسوا مكان فرقة الفجر الموسيقية . وأومأت السيدات إلى جندى منهم يهمس باسم والده اللورد — صاحب الملايين الشهير ، وهو ينشد قائلا « دعونا نبتهج أيها الأخوان ، فغدا نموت » .

كان كل هؤلاء الرجال الذين قربوا حياتهم لمذبح آلهة الحرب ، يشربون العرق فى جرعات كبيرة ، ويضحكون ، وينشدون ، ويلقون بتحياتهم فى حماس إلى أولئك الملاحين المغامرين الذين كانوا يقضون الليل على الشاطئ ، ثم يعودون فى صباح اليوم التالى لمجابهة العاصفة فى شجاعة .

ولاح على الضابطين الصربيين المرافقين لنا ، دلائل الرضا . فقد زج بهما وطنهما إلى باريس ، مدينة الأحلام ، تلك التى ظالما ملأت أفكارهما أثناء إقامتهما المملة بمعسكر فى بلدة ريفية . وكان كل منهما يعرف كيف يسرد قصته . موهبة عادية فى بلد يكاد يكون كل من فيه شاعرا . فمندما مر لامرتين بالمقاطعة التركية بالصرب وقتئذ منذ حوالى قرن ، عجب لما للشعر من أهمية فى تلك المقاطعة : مقاطعة الرعاة والمحاربين . وكانت الأفكار والذكريات تنظم شعرا فى أرض قل أن تجد فيها من يقرأ ويكتب . لقد مد المؤرخون الوطنيون من أجل الألياذة الصربية ، بما نظم من أناشيد جديدة .

وتذكر الضابطان وهما يحتسيان الشمبانيا ، بؤس أيام تراجعهما منذ أشهر مضت : الكفاح ضد الجوع والبرد ، والمعارك التى دارت على الجليد ، واحد ضد عشرة ، وفرار الناس والحيوان فى ارتباك مفزع ، والمدافع الرشاشة والبنادق تنطلق دون انقطاع على مؤخرة الطابور ، والقرى المحترقة ، والجرحى ، والمشردون يئنون وسط اللهيب ، والنساء المشوهات وقد حامت حولهن الغربان ، وفرار الملك بطرس العجوز ، الكسيح من مرض الروماتزم ، دون أن يكون له معين سوى عصاه الخشبية ، وقد أخذ هو ومن معه من حاشيته يتسلقون الجبال ، محنى القامة ، صامتا ، يتحدى القدر وكأنه أحد ملوك شاكسبير .

وراقبت الضابطين الصربيين وهما يتحدثان . كان كلاهما فى غضارة الصبا ، قويا ، ممشوق القامة ، ذا أنف أقنى كأنه منقار النسر ، وشارب مدبب الطرف ، وقد انفلتت خصلات الشعر من تحت قبعتيهما الصغيرتين . وارتدى كلاهما حلة فى لون الخردل ، ولاح عليهما الهدوء الذى يضفى على الشجعان الدائبين على نفض الموت من فوق أكتافهم .

واسترسلا فى الحديث : تكلما عما حدث منذ شهور قلائل ، وكأنهما يتحدثان عن مغامرات ماركو كرايلوفتش « السيد » الصربى الذى تسلح بأفعى كأنها الحربة ، ليحارب بها شاربى الدماء بالغابات ، ومال بهما الحديث إلى ذكريات طفولتهما القاسية

ثم قام صديقنا الفرنسى ، واستأذن ورحل ، وكان أحد الضابطين يقطع استماعه إلى الحديث بالتطلع إلى مائدة جانبيـة . كانت ترنو إليه عينان حالكتان ، تعلوهما قبعة من الريش الحريرى الأبيض ، ولاشك أنهما استرعتا ناظريه ، فقد هب واقفا كأنما انجذب بدافع لا يقاوم ، وسار صوب تلك المائدة ، وإن هى إلا لحظات حتى اختفى ، واختفت معه القبعة الحريرية .

وتركت وحيداً مع الضابط الآخر ، وكان أصغر من رفيقه سناً وأقل منه حديثاً . وارتشف رشفة من قدحه وهو يتطلع إلى الساعة الموضوعة على المقصف . ثم ارتشف رشفة أخرى ؛ وأخـيراً نظر إلىّ تلك النظرة التى تسبق دائماً الإفضاء بسر خطير . وأدركت حاجتـه إلى الإدلاء إلى بحادث مؤلم يعذب ذاكرته . ونظر إلى الساعة مرة أخرى : كانت الواحدة صباحا .

وعلى حين غرة ، أخذ يصيغ حديثه الصامت فى كلمات ، قال — حدث ذلك فى هذا الوقت ، منذ أربعة أشهر ...

وأخذ يتابع حديثه ، وأنا أتخيل معه الليل الحالك ، والجليد الذى يغمر الوادى ، والجبـال الناصعة البياض المغطاة بأشجار الزان والصنوبر ، وقد هزت الريح أفنانها فتساقطت منها ذرات البرد الأبيض . ورأيت أطلال قرية ، ترابط فيها فرقة صربيـة ، آخذة فى التراجع صوب البحر الأدرياتيكى .

كان صديقى يقود مؤخرة هـذا الحرس ، كتلة من الرجال ، عملة أصبحت الآن قطيعاً من الرعاع . يرافقهم أهل القرى فى ذهول من الألم والخوف ، فيتحركون بلا إرادة كالآلات ، وينساقون إلى الأمام كالحيوانات ، وكانت النساء ، الداكنات ، الممشوقات ، القويات ، يسرن فى صمت فاجع ، وينحنين على الأموات أثناء مرورهن فينزعن منهم بنادقهم وذخيرتهم .

وبدا الظلام متوهجاً بضوء أحمر متلألئ من القنابل المتطايرة بين الأطلال . فاستجاب إليها أعماق الليل وأقبلت معه التوهجات القاتلة ، وأز فى الظلام الدامس الرصاص : حيوانات الليل الخفية

كان كلما أتى الصباح ، يبدأ الهجوم ، وكانوا يجهلون عدد من هناك ، أولئك الذين يصطفون ضـدهم فى الظلام . أهم ألمان ؟ نمسويون ؟ بلغاريون ؟ أم أتراك ؟ . لقد فرض عليهم أن يجابهوا الـكثيرين منهم .

واسترسل الصربى فى الحديث قال : « كان لا مناص لنا من التراجع ، مخلفين وراءنا أولئك الذين يعوقون تقهقرنا . وكان لزاما علينا أن نصل إلى الجبال قبل أن يتنفس الصبح »

وكان الطابور الطويل من النساء والأطفال والـكهول وما اختلط بهم من قطيع الحيوانات قد ابتلعهم الليل ، ولم يبق فى القرية سوى الرجال القادرين ، يحاربون من مخابئهم بين الأطلال وقد أخذ جزء منهم فعلا فى التقهقر .

وبغتة ، انتابت الضابط ذكرى قاسية .

الجرحى ما الذى نفعله بهم ؟ كان أكثر من خمسين رجلا ممددين على القش فى حظيرة مزقت القنابل سقفها . رجال يعانون آلاما مبرحـة ، رجال مذهولون ، يتململون فى نومهم ويئنون ، جنود أصيبوا بجراحهم منـذ أيام مضت ، واستطاعوا أن يجروا أنفسهم جراً إلينا ، وجنود أصيبوا فى ذات الليلة يتبعهم سيل من الدم الجديد ، وقد ضمدت جراحهم بضمادات مستعملة ، ونساء أصبن بشظايا القنابل » ..

ودلف القائد إلى ذلك الملجأ الذى تفوح منه خبيث الروائح من الأجسام المتداعية ، والدم الجاف ، والملابس القذرة ، والأنفاس المتصاعدة ، وعندما نفوه بأول كلماته ، تحرك أولئك الذين لا تزال لديهم بقية من القوة ، فى تململ ومشقة تحت ضوء المصباح الوحيد المتعالى دخانه ، وصمتت الأنات ، صمتة الدهشة والرعب ، كما لو أن هؤلاء الرجال المحتضرين يخشون شيئاً أكثر رهبة من الموت .

ولما سمعوا أنه لا مناص من تركهم تحت رحمة العدو ، حاولوا النهوض جميعاً ، ولكن تهالك معظمهم فى أعياء . وارتفع نشيد من التوسلات اليائسة ، والصلوات الحارة ، صوب القائد وجنوده الذين كانوا بصحبته : « أيها الأخوان ، لا تهجرونا ، أيها الأخوان ، بحق المسيح ... »

وعندما وعت عقولهم فى بطء أنه لا مفر من تركهم ، رضوا بمصيرهم فى خضوع . ولكن . . . وقوعهم فى أيدى الأعداء ! وبقاؤهم تحت رحمة البلغاريين والأتراك ، أعدائهم منذ قرون بعيدة ! وأفصحت أعينهم بما لم تجرأ شفاههم على الإفصاح . أنه من اللمنة أن يؤخذ الصربى أسيراً . وارتجف الكثيرون ممن شرفوا على الموت ، عندما أدركوا أنهم على وشك فقد حريتهم . إن انتقام البلغاريين لأكثر خوفاً من الموت .

« أيها الأخوان ، أيها الاخوان ... » .

وأدرك القائد رغباتهم المختفية فى صيحاتهم ، فنحى عينيه عنهم . وسألهم العديد من المرات « أتطلبون منى أن ..؟ ؟ » .

وحرك الكل رؤوسهم بالإيجاب . إنه إذا كان لا مفر من تركهم ، فلا يليق به أن يغادر خلفه صربياً حياً . ألا يطلب هو نفس الطلب لو كان فى مكانهم ؟

وكانت قلة الذخيرة بسبب التقهقر قد جعلت الجنود يحتفظون برصاصهم فى غيرة . وسل القائد حسامه . كان بعض الجنود قد بدأ فى القيام بمهمته وقد استعمل سلاح البندقية فى تردد وبلا دقة . طعنات طائشة بلا هدف ، ودافق فياض من الدم . وجر كل الجرحى أنفسهم صوب القائد لينالوا شرف الموت من يديه ، وقد جذبتهم رتبته ومهارته فى الضرب .

وجعل يدفع نصل حسامه المشوق فى رقابهم ، جاهداً أن يقطع شريان الحياة فى ضربة واحدة .

وهكذا جعل القائد يصف المشهد الهول وكأنه ماثل أمام عينى .

وأقبلوا زاحفين على أربع ، وتجمعوا حول قدميه . وحاول فى بادىء الأمر أن ينحى برأسه بعيداً حتى لا يرى ما الذى يفعله ، وقد امتلأت عيناه . ولكن كان من جراء ذلك الضعف الذى انتابه أن صار يطعن بلا دقة ، مما اضطره إلى إعادة الطعنات وإطالة الآلام . فليهدأ إذاً ! بيد ثابتة ، وقلب جامد !

« أيها الأخ خذنى !.. خذنى ! » .

وتجادلوا حول أسبقيتهم فى الموت ، كما لو كانوا يخشون الوقوع بين أيدى أعدائهم قبل أن تتم التضحية الأخوية . وتعلموا بالغريزة كيف يضمون أعناقهم الوضع المناسب . فكان كل واحد منهم يضع رأسه ويميل به على جانب واحد ، حتى يكون العنق مشدوداً ، والشريان متصلباً مهيئاً للطعنة القاتلة .

« أيها الأخ ، خذنى ! » .

وانبثق دافق من الدم . وكان كل منهم يسقط فوق الجثث الأخرى ، تلك التى (نضب) منها الدم وكأنه زق من النبيذ القانى .

* * *

وأخذ المطعم يخلو من رواده . ومرت السيدات متكئات على الحلل الرسمية ، وقد تضوع من ملابسهن عبير خفيف . وتنهدت قيثاره الإنجليزى آخر تنهداتها وسط عاصفة من الضحكات .

وكان الصربى قد أمسك سكيناً صغيراً ، وجعل يطعن المائدة فى حركة آلية ... حركة رجل لم ينس . ولن ينسى . . طعنات متتالية متواصلة . . .

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٨٥٦ — الاثنين ٢٨ نوفمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 856

Lundi — 28 — 11 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ من شهر صفر سنة ١٣٦٩ — ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة »

أحقا مات علي محمود طه ؟!

أحقا رفاقَ على لن تروه بعد اليوم يحيى المجالس بروحه اللطيف ، ويؤنس الجلاس بوجهه المتهلل ، ويدير على السمّار أكؤساً من سلاف الأحاديث تبعث المسرة فى النفوس ، وتحدث النشوة فى المشاعر ؟

أحقا عشاق على لن تسمعوه بعد اليوم ينشد القصائد الرقيقة ، ويخرج الدواوين الأنيقة ، ويصور الحياة بألوان من الشعر والسحر والفتون ، فى إطار من الجمال والحب واللذة ؟

أحقا أصدقاء على لن تجدوه بعد اليوم يبذل من سعيه ليواسى ، وينيل من جاهه ليعين ، ويجعل بيته سكناً لكل نفس لا تجد الدعة ولا الأنس ، ومثابة لكل طائر لا يجد الروضة ولا العش ؟

أحقا عباد الله سكت البلبل ، وتحطم الجام ، وتقوض المجلس ، وانفض السامر ، وتفرق الشمل ، وأقفر الرَّبع ، وأصبح على طه الشاعر العامل الآمل أثراً وخبراً وذكرى ؟

لقد حدثنى ربع ساعة فى تليفون المستشفى يوم الأربعاء ، فبشرنى أن قلبه انتظم وجسمه صحّ ووجهه شبا ، وأن الأطباء سمحوا له بالرجوع إلى بيته ، وأن استقباله فى الدار سيعود ، وأن



مجلسه فى (الاميريكين) سينعقد ، وأنه سينتظرنى يوم الجمعة فى مكتبه ليقرأ علىّ النشيد الأول من ملحمة (اليرموك) التى اقترحتها عليه ، وربما خرج معى بعد القراءة إلى نزهة هادئة فى طريق الأهرام ؛ ثم ختم علىّ حديثه الطويل بضحكة حلوة فيها أمل ، وعبارة فكهة فيها تفاؤل ! ولكنما كان بين يوم الأربعاء الذى حدثنى فيه هذا الحديث ، ويوم الجمعة الذى ضرب لى فيه هذا الوعد ، يومُ الخميس الذى سكن فيه قلبه الطيب فما ينبض بحياة ولا حب ، وسكت لسانه الحلو فما ينطق بنثر ولا شعر : طلع صباحه الأسود المشئوم على غرفة على وهو يلبس ثيابه ويداعب أصحابه ، وينظر فى الداخل

فيرى طاقات الزهر تزين المنضدة ، وفى الخارج فيرى ممرضات المستشفى يجملن المشى ، فيهفو الشاعر المحموم إلى أزاهره التى تنفح قلبه بالعطور ، وإلى عرائسه التى تغمر شعره بالشعور ، فيخرج ليؤدى ما عليه من المال للمصحة ، ومن الشكر للأطباء ؛ حتى إذا أبرأ ذمته من حقوق الناس أدار فيمن حوله من أصدقائه وذوى قرباه نظرة فاترة حائرة ، ثم أسبل عينيه ، وخر مغشيا عليه ! نخف إليه أساته الذين بشروه العافية ووعدوه السلامة ، وأخذوا يقلبونه ويفحصونه فإذا الجسد الجياش بالشباب والقوة هامد لا حراك به ولا حس فيه ! وهكذا فى مثل ارتداد الطرف ذهب من أرض الآدميين إنسان ، وغاب من سماء العبقريين فنان !

والهف نفسى على أحبائه وقد مسهم ما مسنى من غصة الريق وحرقة الجوى حين نعاه إليهم الناعى ! لقد كان كل معنى أقرب إلى على فى أذهانهم الا معنى الموت . لذلك ظلوا متبلدين ساهمين ، يقلبون الأكف أسى وحسرة ، ويحركون الألسن إنكاراً ودهشة !

لا يا بديع الزمان ! ليس الموت كما زعمت خطبا صعب حتى هان ، ولا ثوبا خشن حتى لان ! إنما الموت نقيض الحياة وبغيضها من أزل الدهر إلى أبده ؛ لاتقترب من مظنته ، ولا تأنس بناحيته ، ولا تسكن إلى ريحه ، حتى يفجأها كالقضاء ، ويدهمها كالوحش ، ويختلها كالصائد ، ويختلسها كاللص ! وهل الدنيا كلها بمن فيها وما فيها إلا معركة لا تفتر بين البقاء والفناء والجدة والبلى ؟ أرحام تدفع ، وأجداث تبلع ، وهجوم فيه المرض والشهوة والأثرة ، ودفاع فيه الطب والسياسة والخديعة ، وصرعى هذه المعركة الضروس لا ينفكون يتناثرون من بين شقى الرحا الهائلة أشلاء لا تشبع جوف الأرض ، ودماء لا تنقع غليل الثرى !

عرفت عليا منذ سبع وعشرين سنة على الضفاف الخضر من مدينة المنصورة . وكان حين عرفته شابا منضور الطلعة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لا يبصر غير الجمال ، ولا ينشد غير الحب ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوى ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك !

كان كالفراشة الجميلة الهائمة فى الحقول تحوم على الزهر ، وترف على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على النور ، لا تكاد تعرف لها بغية غير السبوح ، ولا لذة إلا التنقل . ثم تتبعته بعد ذلك فى أطواره وآثاره ، فإذا الفراشة الهائمة على أرباض المنصورة تصبح (الملاح التائه) فى خضم الحياة ، (والأرواح الشاردة) فى آفاق الوجود ، (والأرواح والأشباح) فى أطباق اللانهاية ؛ وإذا الشاعر الناشىء يغدو الشاعر المحلق تارة بجناح الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ، ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس !

كان على — وا حسرتا عليه — من أصدق الأمثلة للشاعر الذى خلقته الطبيعة . والشاعر الذى تخلقه الطبيعة يكون فى ذاته وفى معناه نشيداً من أناشيد الجمال ، ولحناً من ألحان الحب ؛ فيكون شاعراً فى أخلاقه ومثله وأحلامه وهندامه وسلوكه ، وفى نمط حياته وأسلوب تفكيره وطريقة عمله وطبيعة صداقته . وأشهد لقد كان على برد الله ثراه نسقاً فريداً فى الصفاء والوفاء والمروءة والمودة . كان لا يطوى صدره على ضغينة ، ولا يحرك لسانه بنقيصة ، ولا يقبض يده عن معروف ، ولا يعقد ضميره على غدر ؛ فلم تدع له هذه الصفات الشاعرة النادرة عدوا ، لا فى نفسه ولا فى الناس ، فعاش ما عاش وادع البال فى سلام الحب وأمان الصداقة .

قضى على عمره بالعرض لا بالطول ، وقدر عيشه بالكيف لا بالكم ، وجعل همه فى الحاضر لا فى المستقبل ، ونظر إلى الشعر نظر البلبل إلى الشدو ، فكان يصدر عنه بالطبيعة إعلاناً لوجود ، وإبرازاً لنفس ، وكمالا لصورة ، وجمالا لحياة ؛ لذلك كان شعره تعبيراً صادقاً عن شعوره ، وتصويراً ناطقاً لهواه ، ونظاماً متسقاً مع خلقه وطبعه فى الحرية والأصالة والوضوح والأناقة والسهولة والسلامة .

إن حياة على طه كانت أشبه بالطيف خفق خفوق الملك على حواشى الروض ثم عبر ، أو الحلم نعم به رائيه فى إغفاءة الفجر ، ثم زال أو حبات الندى تلألأت فى وجه الصباح ثم ذهبت فى متوع الضحى ، أو قطرات العطر سطعت فى نفح النسيم ثم تبددت فى عصف الريح . فالحزن على وفاته حزن على حبيب قضى ، وخير مضى ، وجمال ذوى ، وشباب تولى ، ووفاء غاض ، وفن ذهب . فإذا بكينا فإنما نبكى علينا لا عليه ، وإذا سألنا الله العوض منه فإنما نسأله لنا لا له . وكل ما علينا للفقيد العزيز أن ندعو الله أن يتغمده برحمته ، وأن ينزله منزلة الأبرار فى نعيم جنته .

احمد حسن الزيات

الصــــديق الراحل (*)

اليوم هادنت الحوادث ، فاطرح ... عبء السنين ، وألق عبء الداء
خلفت فى الدنيا بياناً خالداً ... وتركت أجيالا من الأبناء
وغداً سيذكرك الزمان، ولم يزل ... للدهر إنصاف وحسن جزاء

« شوقى »

للأستاذ كامل محمود حبيب

من ضنى قلبى أذرف عبرات الحنين على قبر ثوى فيه حبيب ، ومن لوعة الفؤاد أرسل زفرات الأسى لفراقك أنت ، أيها الرجل ... أيها الإنسان . ومن لهفة الروح أعانى البثّ وهو يتدفق فى أعماق دى لأننى وجدت فقدك فى قرارة نفسى ، أيها الصديق .

فلقد كنت — يا صاحبى — غصناً رطيباً سما ثم ذوى وصوّحت أوراقه .

وكنت روحاً تتوهج نبوغاً أشرق وتألق ثم خبا وانطفأ .

وكنت جذوة من عبقريات سطعت فى سماء الشعر ثم همدت وجفّت ذبالتها .

وكنت فى قيثارة الحياة وتراً حساساً داعبته أنّات الشجون فاهتز يشدو بأنغام السماء .

كنت فى قيثارة الحياة وتراً كلما أرسل لحناً هاج للحن فؤاد شجٍ أو حنّ قلب طروب .

كنت فى الدنيا لمة الفن ونور العبقرية . فكان الربيع الغض من صوغ بنانك ، وشذى عطر أفواه الرياحين من فيض جنانك ، وبسمة الأمل الحلو من لحن قيثارك ، والبهجة والشجو من سحر يراعك .

وكنت شباباً عارماً فاض بالبشر فغنى فطرب ، وشدا بالسحر فألقى الدهر للألحان سمعه ، وتغنى فهفا الطير إلى أنغام عوده .

فيا للفجيعة فيك — يا صاحبى — وأنت كنت غصناً رطيباً سما ثم ذوى وصوّحت أوراقه .

* * *

(*) هو الشاعر العبقرى الحبيب المرحوم على محمود طه الذى هصرت غصنه يد المنون وهو ما يزال فى زهرة العمر وشباب القلب .

صاحب الزورق جذلان استخفّه الطرب ؟ هزأ نوح نايك فانتشى فتهادى يضرب الموج بكفى رقة وحنان .

تائهاً فى لجة الدنيا يرنو إلى شطئانها فى قلق الحائر .

صاحب الزورق قم وانظر هل بلغت الشاطىء الأمين بمدنيه العمر فى بيداء السنين ، أم أخرس الردى نغم نايك الحبيب ، وقدّ وتر قيثارك الرفيق .

أم غمرت — الآن — أشجان نفسك وأفراح قلبك فى كأس مترعة من دم القلوب ... القلوب التى هدّها الحزن لفراقك .

قم تر مأتم الشعر يندب ربّه ، مأتم الفن والهوى والشباب ينادى سيده والفجيعة تفعم نواحيه .

قم تر الدنيا — بعدك — خواء من مزامير الخلد ونجوى العاشقين .

قم فلقد كنت — يا صاحبى — شباباً عارماً فاض بالبشرى فغنى فطرب .

* * *

لدى مشرق الحياة تلاقينا ، والدنيا رخاء ودعة . فكنت أنت ريحانة الجمع وروح المجلس وبهجة الحديث ثم مرت الأيام والعيش تلاق وافتراق .

ومنذ أيام تلاقينا وأنت على فراش المرض ، فانصدع قلبى ؛ غير أنك كنت شجاع القلب جرىء النفس ثابت الجنان .

ثم جاء النعىّ ... فدعنى أنشر ضعف نفسى على أيدى رفاق ، فمابى قوة لأكتم ضنى قلبى ، أو أستر لوعة فؤادى ، أو أدارى لهفة روحى .

دعنى أذرف عبرات الحنين على قبر ثوى فيه حبيب . دعنى أرسل زفرات الأسى لفراقك أنت أيها الرجل ، أيها الإنسان . دعنى أعانى البث وهو يتدفق فى أعماق دي لأننى وجدت فقدك أيها الصديق ...

دعنى أرق آلام نفسى بين يدى قبرك العزيز قبل أن يجرفنى تيار الحياة القاسى ...

دعنى ... دعنى أشيعك بنظرات الأسى ونبضات الهمّ ، ثم أناديك — وأنت فى طريق الأبدية — وداعاً ... وداعاً ، أيها الحبيب ...

كامل محمود حبيب

سيف بن عمر

للدكتور جواد على

ذلك سيف بن عمر ، مؤرخ نشيط من مؤرخى القرن الثانى للهجرة . كان مثل زملائه نهماً فى التفتيش عن أخبار الماضين ، وتتبع أمورهم ، والكتابة عن الأموات مثل جماعتنا أصحاب التأريخ لم يترك التاريخ حتى أحبه واصطفاه من بين الناس فمات سنة ١٨٠ للهجرة فكتب عنه من كان على شاكلته ، من أصحاب التأريخ . من هؤلاء المفتونين بنبش الماضى ، والبحث عن الحسنات والسيئات . وهى لا تقدم المؤرخ المسكين ولا تؤخره ، ولا تقدم العالم ولا تؤخره ، ولكنها الدنيا ، والدنيا عالم الجنون فيه فنون . وأنا مع الأسف الشديد من صرعى هذا الجنون . ولكن ولله الحمد الذى لا يحمد على محبوب أو مكروه سواه ، لولا هذا الجنون لما حدث عمران ولا ظهر اختراع ولا حدثت هذه الطفرات التى هى من عمل « المجانين » الذين يمتازون عن الأسوياء بحالات سمّها يا أخى ما شئت ...

ثم سيف بن عمر الذى أقدمه للقراء كوفى من مدينة « الكوفة » المدينة العلوية الخارجية العثمانية السفيانية الروانية العباسية ، حرباء المدن ، و « منجستر » زمانها ، صاحبة المعامل الضخمة ، والشركات الكبرى لصنع الأخبار ، ورواية الأحاديث ووضع القصص ، المدينة التى نفقت سوقها فى الأخبار ، واشتغلت معاملها ليل نهار فى صنع الشعر والنثر فأخرجت بضاعة مزجاة ، على درجات متباينات ، بينها الصحيح السليم الأصيل الذى يمثل أعلى درجات الرواية ، وبينها الموضوع المنحول الفاسد ، الذى له أصحاب واتباع وسوق على كل حال ، يعيش عليه عدد من أصحاب الفطنة والذكاء والمكر والقصد ، وأصحاب العقائد أيضاً الذين يرون فى الوضع نصراً للعقيدة والمذهب ، وقربى إلى الله ، وراحة للضمير .

ولم يرد فى الكتب أن صاحبنا كان واحداً من أولئك الذين عرفوا بالعبث والمجون وبفساد الأخلاق كوالبة بن الحباب ، أو مطيع بن أياس ، أو حماد عجرد ، أو حماد بن الزبرقان ، أو حماد الراوية ، أو أمثالهم ممن اختلط حديثهم بالمجون ، وكان أدبهم لوناً ، وإن كان أبعد ما يكون عن الشهامة والآداب ، وحياة الرزانة والجد ، وأقرب ما يكون إلى العبث وتمضية الوقت ، إلا أنه لون ظريف على كل حال من ألوان الأدب . والأدب فى عرف الادباء أشكال وألوان . ولم يعرف عنه شعر من ذلك النوع الذى كان يقوله الشعراء فى دار « ابن رامين » قبلة الشعراء المجان الذين يبحثون عن الخمر والجمال فى هذه الدار . ولم يعرف عنه أمر آخر من تلك الأمور التى تعد منقصة فى الرجال ، ومع ذلك فقد اتهم بالزندقة والوضع ، والكذب فى الحديث .

أما الزندقة فلا أستطيع أن أثبتها ولا أن أنفيها ، فلم تذكر الكتب التى اتهمته بهذه التهمة الأسباب الداعية إلى هذا الاتهام . وأما الوضع والدس والكذب فى الحديث فلها شأن ستراه فيما بعد .

وعرف سيف بتخصصه بلون واحد من الأخبار ، هى أخبار « الفتوح والردة » وكلها حروب وعراك : حروب لنصر كلمة الله وإعلان شأنه ، وعراك لإخماد كلمة من أراد إخماد كلمة الله وإطفاء نوره . ولذلك قيل له صاحب « كتاب الردة والفتوح »[1] وعرف بهذا الكتاب الذى لم يصل إلينا كاملا مع الأسف ، ولعله لم يصل إلى الناس منذ أمد بعيد . وتدل وقائع الأحوال على أنه كان صاحب كتب أخرى فى التاريخ .

وقد اعتمد على هذا الكتاب مؤرخ حصيف شهير هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبرى التوفى سنة (٣١٠) للهجرة ، وإلى هذا المؤرخ يعود الفضل فى إطلاعنا على نماذج من ذلك الكتاب ، وعلى فصول منه . وقد ألف عدد من كبار المؤرخين فى « الردة » ومع ذلك فقد رجح الطبرى سيف على سواه ؛ رجحه حتى على « كتاب الردة والدار » لأبى عبد الله محمد بن عمر الواقدى[2] . وعلى كتاب الردة » لأبى الحسن على بن محمد المدائنى[3] . وعلى كتب أخرى لمؤرخين شهيرين فى هذا الموضوع كانوا فى الطليعة وفى مقدمة أصحاب الأخبار . ويستمر صوت « سيف » عالياً فى تأريخ الطبرى ، حيث تجد له

---

(١) الفهرس ص ٣٨ : (الطبعة المصرية) .
(٢) الفهرست ص ١٤٤
(٣) الفهرست ص ١٤٩

مكانة ظاهرة فى الكتاب ، إلى انتهاء حوادث معركة « الجمل » فينخفض هذا الصوت ثم ينقطع تماما ، ليرتفع صوت آخر ، صوت قوي رنان ، هو صوت أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي[1] الذي يتسلم دوره ، ويصبح بطل الكتاب من معركة « صفين » فيما بعد يساعده المدائني وعوانة والواقدى وعمر بن شبة وابن الكلبي وأمثالهم .

وكان سيف كأكثر أصحاب الأخبار عاطفى المزاج ، متعصباً لقبيلته ، يرفع من شأنها ، ويضيف إليها ، ويجعلها بطلة فى كل الحوادث ، مثله فى ذلك مثل أكثر مؤرخى زمانه ، الذين أضافوا إلى قبائلهم مالا يدخل فى حسابها ، فخلقوا لها شعراً ونثراً ليجعلوا لها شأناً يفوق شأن القبائل الأخرى . وما الذى يهم ابن القبيلة غير قبيلته التى ينتمى إليها ، والتى تدافع عنه ، والتى تكون قوميته ، أما القبائل الأخرى فأمرها إلى الله .

وأنا لا أريد أن ألوم صاحبنا على عاطفته الجامحة هذه ، فقد كان عصره عصر قبائل ، وقد كان النظام السياسى القائم نظاماً قبلياً ، يستند على العصبية القبلية . لا حقوق للمواطن فيه إلا إذا كان ينتمى إلى قبيلة تحميه ، أو إلى عشيرة تدافع عنه ، فطبيعى إذاً أن يكون على المؤرخ فى ذلك الوقت واجب شاق ، ودين فى عنقه للقبيلة ، فهو مضطر إذا بحكم الوقت إلى التعصب لعشيرته ، وإضافة المفاخر إليها ، فلا نلوم صاحبنا إذاً إذا ما أضاف إلى « تميم » ونسب إليها فى الفتوحات والردة ما كان يجب أن ينسب لقبيلة أخرى . فالعصر عصر قبائل . وقد نسب محمد بن السائب بن بشر الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ وابنه ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة وغيرهما ممن هو أقدم أو أحدث عهداً منهما ، أشياء كثيرة إلى قبائلهم لم يكن لها أصل ولا نسب فى الأخبار .

ثم لا تعجب من فعل أولئك الناس ؛ فقد أضاف القرن العشرون بآلاته واختراعاته وتقدم العقل فيه أضعاف الذى أضافه أولئك الذين نتحدث عنهم ، كما حذف القرن العشرون بكبريائه واعتداده بما يملكه من وسائل النقد والتدقيق ، والتمحيص، شيئاً كثيراً من الحقائق والوقائع التى يعرفها الناس فى كل مكان

(١) الفهرست ص ١٣٦ J. wellhausen Oas Arabische Reich und slin Sttrm P. V.

فلا عجب إذاً إذا ظهر من قال : كذب والله أصحاب التاريخ . وويل للعالم من شر المؤرخين . وأنا واحد منهم على كل حال .

درس سيف بن عمر على جماعة من المؤرخين والمحدثين والأخباريين أمثال هشام بن عروة المتوفى سنة ١٤٦ أو ١٤٧ للهجرة وهو من ممثلى مدرسة الحديث فى المدينة ومن كبار المحدثين بها ، وناشر طريقة أهل المدينة فى العراق[1] ، ومن المحدثين بحديث أهل العراق ، والذى عده أهل المدينة فيمن أسف فى أواخر عهده فى الحديث ، وانحرف عن الجادة ، جادة أهل المدينة المعروفة فى كيفية رواية السند ، وفى الجرح والتعديل ، فتركه المشائخ مشائخ المدينة الذين حافظوا على الطريقة التى ورثوها وهى طريقة محافظة بالنظر لأهل الحديث فى العراق .

ودرس على محدث آخر يرجع أصله إلى البيزنطيين هو إبن جريج ، أبو الوليد أو أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز الرومى المتوفى سنة « ١٥٠ » من أوائل المؤلفين فى الإسلام . وكانت له كتب تتداولها الأيدى عرفت عند أصحابه بكتب الأمانة[2] . يظهر أنها كانت مبوبة ومرتبة على فصول . وهو من المشتغلين بالسيرة والمغازى بالإضافة إلى الفقه والحديث . وأخذ عن أستاذ آخر هو موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدى مولى آل الزبير المتوفى سنة ١٤١ للهجرة من محدثى المدينة ومن قدماء المشتغلين بالسيرة والمغازى[3] . وهو ثقة أهل المدينة فى السيرة ، قال عنه الإمام مالك : عليكم بمغازى موسى بن عقبة فإنه ثقة ؛ أو عليكم بمغازى الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازى . وهى شهادة ذات قيمة ، فقد كان الإمام صعب الإرضاء ، لا يعطى مثل هذه الشهادة إلا بعد امتحان .

وقد نقل من مغازيه عدد من العلماء مثل ابن جريج والواقدى وابن عيينة ، وعرف مؤلفه عند المشائخ بمغازى موسى بن عقبة . وقد عثرت على قطعة منه حفظت فى خزانة كتب برلين[4] .

وكان من مشائخ سيف ، رجال معروفون فى عالم التاريخ ، لهم

(١) تذكرة الحفاظ ح ١ ص ١٣٦ ، تهذيب التهذيب ح ١١ ص ٤٨
(٢) تهذيب التهذيب ح ٦ ص ٤٠٤ ، وتوفى سنة ١٤٩ على رواية أخرى . تذكرة الحفاظ ح ١ ص ١٦٠ – ١٦١
(٣) تهذيب التهذيب ح ١٠ ص ٣٦٠ ، تذكرة الحفاظ ح ١ ص ١٣٩ .
(٤) تذكرة الحفاظ ح ١ ص ١٤٠ .

أسماء بارزة ترد فى أكثر الكتب التى تبحث عن صدر الإسلام أمثال محمد بن السائب الكلبى عالم الكوفة ومرجع أهل الأخبار والأنساب المتوفى سنة « ١٤٦ هـ »[١] ومن المؤلفين ، وأمثال محمد بن إسحاق صاحب السيرة المعروف ، وحامل طريقة أهل المدينة فى كتابة السيرة إلى أهل العراق . وأمثال هؤلاء ممن قد يخرجنا البحث عنهم عن الاستمرار فى وحدة الموضوع .

واقتبس من كتب « سيف » عدد من المؤرخين ، منهم ، نصر بن مزاحم المنقرى المتوفى سنة (٢١٢) للهجرة ، صاحب كتاب « وقعة صفين »[٢] والطبرى أبو جعفر محمد بن جرير ، فى « أخبار الردة » والظاهر أنه استعان بكتاب «سيف» بالذات كالذى يفهم من قول الطبرى « حكى الطبرى عن سيف فى كتابه عن أبى عثمان . . . . »[٣] . أو « ذكر سيف عن أبى الزهراء القشيرى عن رجل من بنى قشير . . . »[٤] ومن عادة الطبرى استعمال مثل هذه العبارات عند النقل من الكتب ، وإلا فيذكر السند ، إلا فى الحوادث التى وقعت فى أيامه أو فى أيام ليست بعيدة عنه . واستعان الطبرى بكتاب آخر من كتب سيف هو « كتاب الجمل ومسير عائشة وعلى »[٥] وقد أخذ سيف أقواله من مظانها الأصلية ، ومثل شهود عيان شهدوا المعارك ، أو ثقاة سمعوا من الشهود الثقات ، وقد ذكرت أسماء قسم منهم فى موضعه من تاريخ الطبرى ، فى القطع التى انتزعها من ذلك الكتاب . فحفظ لنا « ابن جرير » بذلك نماذج من هذا المرجع القيم المفقود . ولعل له كتابا فى معركة « صفين » هو الكتاب الذى نقل منه « نصر بن مزاحم » فى بعض الأماكن من كتابه «وقعة صفين»

وورد إسم « سيف بن عمر » فى أكثر من « ٣٠٠ » موضع من تاريخ الطبرى ، وورد لأول مرة فى حوادث سنة « ١٠ » للهجرة[٦] وهى السنة التى بدأ مسيلمة فيها بادعاء النبوة فى حياة الرسول[٧] . وورد إسمه لآخر مرة فى حوادث سنة « ٣٦ » للهجرة وفى ابتداء على بن أبى طالب بالخروج إلى صفين . ثم تنتهى أخبار سيف عند هذا الحد وتنقطع . فهل يعنى هذا أن صاحبنا لم يشتغل إلا فى الردة ومعركة الجمل ؟

يحدثنا ابن النديم عن سيف فيقول : أحد أصحاب السير والأحداث وله من الكتب ، كتاب الفتوح الكبير والردة ، كتاب الجمل ومسير عائشة وعلى ، وروى سيف عن شعيب ابن ابراهيم . »[١] فيظهر من كلام ابن النديم أنه كان صاحب مؤلف كبير فى الفتوح . يظهر أنه فقد مع الأسف ، ولعل له عددا من المؤلفات الأخرى لم يصل خبرها إلى مسامع ابن النديم .

وأخذ الطبرى أخبار « سيف » عن طريق آخر هو طريق شيخه « السرى » الذى ورد اسمه فى « ٢٤١ » موضعاً من تاريخ الطبرى . ورد لأول مرة فى أخبار الردة[٢] ، وورد لآخر مرة فى حوادث سنة ١٤٥ للهجرة ، فى معرض الكلام عن تأسيس مدينة بغداد[٣] . والسرى الذى يقصده الطبرى هو : السرى بن يحى[٤] من رواة شعيب بن ابراهيم الكوفى راوية كتب سيف بن عمر . وقد قال ابن حجر العسقلانى عن شعيب ابن ابراهيم فيه جهالة ، ليس بالمعروف وله أحاديث وأخبار وفيه بعض النكرة[٥] ولا نعرف من أمرهما مع الأسف شيئاً مع كثرة ورود اسميهما فى تاريخ الطبرى .

لم يكن سيف بن عمر راوية شعيب بن ابراهيم كما ورد ذلك فى كتاب الفهرست لابن النديم[٦] وفى كتاب «ميزان الاعتدا» للذهبى[٧] المتوفى سنة ٧٤٨ للهجرة . والصحيح هو العكس . فقد كان شعيب بن ابراهيم راوية كتب سيف ، وقد صرح بذلك ابن حجر العسقلانى فى كتابه « لسان الميزان »[٨] . كما أن الطبرى نفسه يفند رأى الفهرست وميزان الاعتدال فى جميع المواضع التى وردت فيها أخبار سيف حيث يقول مثلاً « وحدثنى

(١) تهذيب التهذيب ح ٩ ص ١٨٠
(٢) ص ٨ ، ٩ ، ١٢ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .
(٣) الطبرى ح ٤ ص ١٥٣ (الطبعة المصرية) .
(٤) الطبرى ح ٤ ص ١٥٥ .
(٥) الفهرست لابن النديم ص ١٣٧ (الطبعة المصرية) ص ٩٤ طبعة أوربا .
(٦) طبرى دورة أولى ص ١٧٤٩ (طبعة دى غوية) .
(٧) طبرى دورة أولى ص ٣٢٥٥ .

(١) الفهرست ص ١٣٧ .
(٢) طبرى دورة أولى ص ١٧٤٩ .
(٣) ص ٣٢٥٥ .
(٤) طبرى طبعة مصر ج ٤ ص ١٢٤ ، طبعة لايدن دورة أولى ص ١١٩٧ ،
(٥) لسان الميزان ج ٣ ص ١٤٥ ، ميزان الأعتدال ج ١ ص ٤٤٧
(٦) الفهرست ص ١٣٨ .
(٧) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٤٧ .
(٨) لسان الميزان ج ٣ ص ١٤٥ .

بهـذا الحديث السرى عن شعيب بن ابراهيم عن سيف »[١] . أو « حدثنا السرى قال أخبرنا شعيب قال حدثنا سيف »[٢] أو « كتب إلى السرى بن يحيى عن شعيب عن سيف »[٣] أو « قال أبو جعفر[٤] فيما كتب به إلى السرى بن يحيى يذكر عن شعيب بن ابراهيم أنه حدثه عن سيف بن عمر »[٥] . فكان شعيب بن ابراهيم إذاً من تلامذة سيف بن عمر ورواته وحامل كتبه والمقربين لديه .

وشعيب بن ابراهيم مثـل شيخه لا نعرف من أمره مع الأسف شيئاً ، وقدطمن أصحاب علم الرجال فيه ، وقالوا إن فيه جهالة وفيه بعض النكرة[٦] . وهى أقوال قيلت فى أكثر الرجال الذين مالوا إلى الأخبار ، وقيلت أقوال أخرى أشـد من هذه فى أناس أعرف عندنا من سيف ، ومن شعيب ، ومن السرى بن يحيى ، مثل ابن إسحاق صاحب السيرة الشهير[٧] ، والواقدى محمد بن عمر المتوفى سـنة ٢٠٧ للهجرة[٨] . وابن الـكلبى ، وفى أناس أرفع من هؤلاء فى نظر أهل الحـديث مثـل عبد الملك بن جريج[٩] . فلا غرابة إذا رأينا كتب الرجال وهى تجرح هؤلاء : السرى بن يحيى وشعيب بن ابراهيم وشيخه سيف بن عمر . وسبب ذلك على ما يظهر انشغالهم برواية الأخبار . وقد كان الاشتغال بهـذا الفرع فى القرنين الأولين من الأمور التى لا ترفع من شأن الرجل فى نظر المحدثين .

وتتصل رواية الطبرى عن سيف بن عمر بطريق آخر : طريق عبيد الله بن سعيد الزهرى المتوفى سنة ٢٦٠ للهجرة[١٠] . وقد ورد اسمه فى « ٤٠٠ » موضع من تاريخ الطبرى[١١] . وقد نقل روايات « سيف » عن عمه يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهرى نزيل بغداد المتوفى سنة ٢٠٨ للهجرة[١] وكان من رواة « سيف » وكان من رجال الحديث ، كما كان من رجال التاريخ والأدب . وقد ورد اسمه فى « ٣٩ » موضعاً من تاريخ الطبرى ورد لأول مرة فى حوادث سـنة « ١٠ » للهجرة فى خبر حجة الوداع ومرض الرسول[٢] . وقد نقل خبره عن سيف . ويظهر من هذا الموضع ومن مواضع أخرى أنه كان لسيف كتب أخرى فى السيرة وفى الأحداث الأخرى . ربما لم تلق رواجاً ، أو حدث لها ما سبب فقدانها فلم يصل خبرها إلى ابن النديم وغير ابن النديم .

واعتمد الطبرى فى فصل الفتوح على كتاب سيف كذلك ، وقد أخـذ المتن من « السرى بن يحيى » فى الغالب ، واعتمد عليه فى أخبار الفتن التى قامت على عثمان مثـل فتنة « عبد الله بن سبأ » التى أظهرها فى البصرة عام « ٣٣ » للهجرة . وقد نقل سيف روايته عن « عطية بن الحارث أبو روق الهمدانى من كبار رواة الأخبـار فى الـكوفة ومن مشاهير المفسرين . وهو من رواة عكرمة والضحاك بن مزاحم[٣] . وقد ورد اسمه فى « ٤٦ » موضعاً من تاريخ الطبرى[٤] وقد أخـذ أبو روق أخباره عن عبد الله بن سبأ وخبره مع أبى ذر الغفارى ، ومراسلات ابن سبأ مع زعماء الفتنة من شخص آخر هو يزيد بن الفقعسى ، وورد اسمه « يزيد » فى « ٥ » مواضع من تاريخ الطبرى كلها فى حوادث أيام عثمان وعلى[٥] . ومن هـذا المصدر أخذ أكثر أهل الأخبار رواياتهم عن عبد الله بن سبأ وفتنته فى أيام عثمان وعلى . ولذلك يجب الانتباه إلى ذلك عند تدوين هذا الحادث والتعمق فى البحث

وقد ذكر الطبرى أسماء مشايخ « سيف بن عمر » فى المواضع التى أورد فيها قطعاً من كتب (سيف) أو رواياته ، وهى تفيدنا بالطبع فى معرفة أساتذة هذا الراوية من جهة ، وفى معرفة الرواة الذين كانوا يتعاطون رواية الأخبار فى ذلك الوقت من جهة أخرى ؛ وبينهم عدد يظهر أنهم كانوا من أنشط الأخباريين فى ذلك العهد ربما نتحدث عنهم فى فرصة أخرى إذا طال بنا العمر .

الدكتور جواد على

---

(١) الطبرى ج ٣ ص ٢١٤ (المطبعة الحسينية) ومواضع متعددة .
(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢١٥ ومواضع أخرى .
(٣) الطبرى ج ٣ ص ٢٤١ .
(٤) يعنى الطبرى نفسه .
(٥) الطبرى ج ٣ ص ٢٤١ .
(٦) لسان الميزان ج ٣ ص ١٤٥ .
(٧) راجع رأى الإمام مالك فيه تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤١ ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٤ ، الفهرست ص ١٣٦ .
(٨) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٦٤ . تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣١٨
(٩) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦١ ، تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٠٤
(١٠) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٥ « عبيد الله بن سعد بن ابراهيم بن سعد الزهرى » فى طبعة لايدن وفى الطبعة المصرية « سعيد » .
(١١) راجع فهرست الطبرى ص ٣٦٧ (طبعة لايدن) .

---

(١) تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣٨٠ .
(٢) طبرى دورة أولى ص ١٧٤٩ ، ١٧٩٤ ، ٢٨٢٤ ، ١٨٢٥ ومواضع أخرى .
(٣) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٢٤ .
(٤) فهرست الطبرى ص ١٩٨ .
(٥) طبرى دورة أولى ص ٢٨٤٩ ، ٨٥٨ ، ٢٩٢٢ ، ٢٩٤٢ .

مكانة الدين فى التعليم

للدكتور السيد محمد يوسف الهندى

بمناسبة ما كتبه أخيراً الأستاذ عباس خضر عن مكانة الدين فى التعليم ألفت نظر القراء إلى ملاحظات الكاتب الإنجليزى كنث رشمند Kenneth Richmond فإنه يقول فى معرض الكلام عن الاتجاهات الجديدة (وهى ضد ذلك النوع من « التقدم » الذى يحاول أمثال سلامة موسى أن ينتحلوه لأنفسهم عفواً بلا كد ولا تعب) فى ميدان التعليم بانجلترا ما يلخص بأن ظروف الحرب العالمية الأخيرة — مثل إختفاء الفوارق بين الطبقات فى المخابئ والمساهمة فى التضحيات على السواء ، والإقبال على الخدمات الاجتماعية ، وضرورة الارتجال فى كثير من الأمور — أثارت فى الشعب شعوراً قويا يجعل التعليم جماعيا بعد ما كان إلى ما قبل الحرب فرديا . ومعنى ذلك أن الفرد سيربى تربية تبعثه على الاهتمام بمصالح الشعب كله بعد ما كان يعود قصر ذلك الاهتمام على مصلحة ذاته ، وبعبارة أخرى ستبذل من الآن محاولة للابقاء على عواطف الأفراد ومشاعرهم نحو الجماعة أو الشعب فى حالة السلم على ما كانت هى عليه إبان الحرب وأمام خطر الفناء المشترك . ولنضرب لذلك مثلا ، فإن الفرق دقيق ويتعلق بالروح أكثر مما يتعلق بالشكل : من المعروف أن كليات العلوم والهندسة فى انجلترا كانت قد تحولت أيام الحرب إلى مصانع للقنابل والعتاد الحربى ، كما أن المصانع كانت قد أنشأت فصولا لتدريب فئات مختلفة من الشبان الجدد فى الصناعات المختلفة ، وكان المنخرطون فى هذه الصفوف طلابا ناشئين للعلم ؛ وكانوا فى الوقت نفسه يقومون مقام العمال المنتجين يدفع لهم بعض الأجر ، ولكن الطالب كان يشتغل لا ليكتسب لنفسه ويهيىء سبيل العيش لذاته ، بل إنما كان ذلك مساهمة منه فى الجهود القومى للدفاع عن الشعب بأسره . وكان يكتنف العمل من أوله إلى آخره جو من الحقيقة والواقعية والحماس وإخلاص النية جعل التعليم أسرع وأنفذ وأنجع بكثير من القاء المحاضرات وتجريع الدروس فى المعامل التجريبية .

كان من الطبيعي إذاً أن يتجه المسئولون عن سياسة التعليم ، غير المصابين بمركب النقص الذى يحدو المرء إلى محاكاة التقدم الزائف ، إلى التساؤل : هل يمكن أن تستمر هذه الروح الجماعية السليمة القوية تسود معاهد التعليم بعد أن انتهت الحرب وزال الخطر ؟ وكان الجواب : نعم بشرط أن يكون هناك مقصد عال ومرمى واضح يوضع موضع الانتصار على هتلر وأعوانه . وهل يتصور أن يتألف هذا المقصد السلمى الدائم إلا من قيم روحية وأخلاقية إنسانية ذات منفعة عالمية يجد الفرد فى تنميتها وتشييدها ما كان يجد فى إمداد القوى المحاربة وتعزيز الدفاع ضد العدو ؟ ثم هناك مسألة أخرى وهى : هل يمكن أن توجد وتقوى وتزدهر القيم الروحية والأخلاقية مجردة عن نظام دينى ؟ مهما يقل القائلون فى هذا الصدد فإنه يكفينا فى هذا المقام أن المفكرين فى انجلترا رأوا أن لا معدى لهم عن الارتكاز على الدين (لا استغلاله كما نفعل نحن فى بعض المناسبات) ولذلك رسموا للدين مكانا محترما ممتازاً فى مشروع قانون التعليم لسنة ١٩٤٤ م . ولكن هناك بعض الناس يخيل إليهم أن القيم الإنسانية إذا اقترنت بالإسلام فهى لابد أن تتحول «طائفية» أرى أن الانصراف . عن إقناع هؤلاء الناس أولى من الرد عليهم .

وهكذا مر التعليم بأربعة أدوار مختلفة ؛ فإنه كان فى الأول يقتصر على نقل بعض المعلومات إلى ذهن الطالب . ثم اتسع نطاقه حتى شمل الجسم السليم مع العقل السليم ؛ وبعد ذلك أشاروا بإبراز شخصية الطالب وتنمية قواه الكامنة فحسب ، حتى انتهى بهم المطاف فى الوقت الحاضر إلى إدماج تلك الشخصية فى المجتمع وضرورة توجيه عواطف وتركيز إهتمامه فى المصالح الجماعية .

وللكاتب الإنجليزى المذكور إستطرادات طريفة ، منها أن الولاء للقدور السامية والقيم الأخلاقية من أقوى الضمانات للاقلال من أوقات الفراغ والقضاء على الكسل والبطالة والحد من المرح والهزل ؛ وفوق ذلك كله هو الدواء الوحيد لتجنيب الإنسانية ويلات تقدم العلوم والحضارة الآلية التى تؤدى إلى فناء المواساة وعدم المروءة . ولعل من أهم ما استطرد إليه الكاتب مصارحته القول بأن الديمقراطية الحقة لا يمكن أن توجد إلا بالاستناد إلى الدين ؛ وذلك لأن المساواة بين الناس شىء لا وجود له

غزل أبي فراس *

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

غزل أبي فراس قصير النفس ، لا يكاد يتجاوز ما أنشأه للغزل قصدا البيتين والثلاثة غالبا ، مكتفيا بذلك فى التعبير عما ألم به ، من انفعال سريع .

أعرف شاعرنا الحب ؟ أم أن غزله تقليدى لا ينبعث عن حب ولا عاطفة ؟

أرجح أن الشاعر عرف الحب وتأثر به ، بدليل هذه القطع التى نظمها خاصة فى النسيب ، ولم يقف عند حد المقدمات التى يفتتح بها بعض قصائده . ولم يكن أبو فراس ممن ينشىء الشعر إلا ترجمة لعاطفته ، وتعبيراً عما فى نفسه ، ولكننا نكاد نلمس أن هذا الحب ، ما كان يشغل من هذه النفسية الشاعرة إلا حيزاً محدوداً صغيراً ، لأن هذا القلب الكبير كان في شغل بكبار الأمانى وسامى الآمال ، ولم يدع ذلك منه إلا فراغا يسيرا تشغله هذه العاطفة القوية .

عرف شاعرنا الحب ، ولعل من بادلها تلك العاطفة كانت قريبة له ، وربما كانت جميلة بنت ناصر الدولة ، فإنه أنشأ قصيدة يودع بها بعض أهله ، وقد خرجت تسعى إلى الحج ، وهذه القصيدة تفيض بعواطف حارة متدفقة ، ينم عنها بكاؤه ، ويذكيها فى صدره ما امتازت به تلك الفاتنة من غرام بالصون ، وحب للحجاب حتى ليكاد وجهها تخفى معالمه على خدرها ، وها هو ذا يقص علينا حديثه يوم سافرت تلك الحبيبة المصونة ولعلها جميلة :

أشيعه ، والدمع من شدة الأسى   على خده نظم ، وفى نحره نثر

رجعت ، وقلبى فى سجاف غبيطه   ولى لفتات نحو هودجه كثر

وفيمن حوى ذاك الحجيج خريدة   لها دون عطف الستر من صونها ستر

وفي الكم كف لا يراها عديلها   وفى الخدر وجه ، ليس يعرفه الخدر

وقد سجل فى هذه القصيدة شعورا صادقا حيا . وإن شدة شعوره بحيوية تلك الحبيبة ، جعلته يحس كأنها تبعث الحياة فيما يحيط بها ، حتى فى النبات والجماد ، فيقول :

فهل عرفت عارفات بزورها   وهل شعرت تلك المشاعر والحجر

أما اخضر من ريحان مكة ماذوى   أما أعشب الوادى ؟ أما أنبت الصخر

وقد أنشأ هذه القصيدة فى الغزل خاصة ؛ وهى أطول شعره فيه ، وربما ذاق من هذا الحب ، ماشجاه حينا وأضناه ، حتى صح له أن يقول :

أممنية بالعذل ، رفقا بقلبه   أيحمل ذا قلب ، ولو أنه صخر ؟

عذيرى من اللائى يلمن على الهوى   أما في الهوى لوذقن طعم الهوى عذر

ومنكرة ما عاينت من شحوبه   ولا عجب ما عاينته ، ولا نكر

وقائلة : ماذا دهاك تعجبا ؟   فقلت لها : ياهذه ، أنت والدهر

أبالبين ، أم بالهجر ، أم بكليهما   تشارك فيما ساءنى البين ، والهجر

كان صدق إحساس أبي فراس بالحب ينبوعا لتعبيرات صادقة عن عواطف صادقة ، فهو يخشى على حبيبه أن تمسه العيون بأذاها فيستحلفه أن يرد عليه لثامه :

أيا سافرا ، ورداء الخجل   مقيم بوجنته ، لم يزل

بعيشك ، رد عليك اللثام   أخاف عليك جراح المقل

فما حق حسنك أن يجتلى   ولا حق وجهك أن يبتذل

ويتقبل ظلم حبيبه ، بنفس راضية ، بل متلذذة بهذا الظلم :

وبعض الظالمين وإن تناهى   شهى الظلم مغفور الذنوب

(*) من كتاب « شاعر بنى حمدان » الذى يظهر فى هذا الأسبوع

فى العالم الخارجي المحسوس ولا يقره العقل . أو ليست الحقيقة البسيطة الملموسة التى تؤكد نفسها علينا كل لحظة هى استحالة وجود رجلين متساويين فى الخلق والمواهب والقدرة ؟ أولا ترون أن الفيلسوف هكسلي لم يكن عنده رادع من أن يهزأ علنا من تصور "Comman man" وحقوق الإنسان الطبيعية ؟ فهل نقنع بوجوب إستبدال أرستقراطية العقل والدهاء بأرستقراطية الحسب والمال ؟ حقا ! لا ينشأ تصور المساواة بين الناس إلا بالنظر إلى علاقتهم جميعا مع خالق الزمان والمكان ومصرف الكون والفساد .

السيد محمد يوسف

ويقر أنه مذنب ، وإن لم يجن ذنبا ، ويتوب عن إثم لم يقترفه

أقر له بالذنب، والذنب ذنبه وبزعم أنى ظالم فأتوب
ويقصدنى بالهجر علما بأنه إلى، على ما كان منه، حبيب

ويجد فى الهجر القصير الأجل لذة تجدد الحب :

إنما يحسن التهاجر يوما فإذا كان دائما فقبيح
كل هجر يدوم يوما إلى الليل ، ويفنى ، فذاك هجر مليح

ويتخيل حبيبه وقد غاب عنه، فيصوره فى شعره ، ويتساءل: أينساه وقد غاب عنه :

وبالدارين إنسان له فى القلب داران
إذا ماماس فى القر طق، يسمى بين أخدان
رأيت البدر فدبا ن، على غصن من البان
وخدا يجتنى الور د ، به ، فى كل إبان
ألا ياصاحبى رحـلى ، بالله أجيبانى
ترى من لست أنساه على الحالات ينسانى

ويتحمل إدلاله ويحفظ عهده ، لأنه ليس له عنه معدى ولا متحول :

نبوة الإدلال ليست عندنا ذنبا يعـد
قل لمن ليس له عهـد: لنا عهد ، وعقـد
جملة تغنى عن التفصيل : مالى عنك بد
إن تغـيرت فما غـير منا لك عهد

ويقبل ذلة الحب برغم أنه أمير من بيت الملك :

وباخلة أنالتنى قليـلا وقد يرضى القليل من البخيل
قنعت به، وكنت أظن أنى عزوف النفس عن نيل قليل
ولكنى وجدت الحب يكسو عزيز القوم أثواب الذليل

وما كان يرى ذل الحب إلا عزاً :

بنفسى التى أخفت مخافة أهلها ودادى، وأبدت حين أبدت لنا رمزا
فلم أر مقتولين : مثلى ومثلها أذلا ، وإن كانا لعمر الهوى عزا

ويستسلم للحب وإن قوبل بالجفاء :

وكنى الرسول عن الجواب تظرفا ولئن كنى ، فلقد علمنا ما عنى
قل يارسول ، ولا تحاش ، فإنه لابد منه ، أساء بى ، أم أحسنا
الذنب لى فيما جناه ، لأننى مكنته من مهجتى ، فتمكنـا

ولـكنه يثور على الحب إذا كان فيه غدر وخيانة :

الآن حين عرفت رشدى ، واقتديت على حذر
ونهيت نفسى فانتهت ، وزجرت قلبى فانزجر
ولقد أقام على الضلالة ، ثم أذعن واستقر
الحب فيـه مذلة ، إلا على الرجل الذكر
هيهات ، لست أبا فراس ، إن وفيت لمن غدر

وتلك ثورة نفسية ، تدرك المحب إذا رأى الغدر ممن يحب . هذا ، وأرجح أن الحب الذى كان بينه وبين قريبته كان حبا طاهراً عفيفاً ، تحوطه شدة الصيانة من جانب الحبيبة . وأغلب الظن أن هذه الليالى التى غلب الخمر فيها عقل من يهوى ، والتى يصف واحدة منها بقوله :

وزيارة من غير وعد فى ليـلة طرقت بسعد
بات الحبيب إلى الصباح معانق ، خـدا لخـد
يمتـار فى وناظرى ماشئت من خمر وورد
قد كان مولاى الأجل فصـيرته الراح عبـدى
ليست بأول منة مشكورة للراح عندى

لم تكن مع هذه القريبة المحتشمة .

وقد ذكرنا أن أبا فراس قد أخذ بنصيب من اللهو ، ولعله كان يرى أن الحب لا يحول بينه وبين المتعة ، إذا ظفر بها .

ومن مجموعة شعر أبى فراس نستطيع أن نرسم صورة المرأة المثالية عنده ، فهى البيضاء ، المتوردة الخد ، الفاترة الجفن ، ذات الشعر الفاحم ، المشوقة القد ، الناهدة الصدر ، الهيفاء الخصر ، فى غير هزال .

وتغزل أبو فراس بالغلمان كذلك ؛ وإن هذا الداء الوبيل قد وجد سبيله إلى قلب شاعرنا ؛ وكانت البيئة التى عاش فيها تساعد عليه ؛ فقد كان أميره ومثله الأعلى سيف الدولة يعشق غلاما تركيا اسمه يماك .

تغزل أبو فراس فى غلمانه ، وترك من هذا الغزل مقطوعات قصيرة كذلك ، وبعضها يفيض بالرقة والحنان ، يقول :

الورد فى وجنتيه والسحر فى مقلتيه
وإن عصانى لسانى فالقلب طوع يديه
يا ظالما ، لست أدرى أدعو له ، أم عليه

واسم هذا الغلام منصور ، وله غلمان أخر ، وإن كان لمنصور الغلب على قلب الشاعر . ولسنا ندرى جنسيته على وجه التحقيق ، ولا إن كان هو المقصود بتلك الأبيات التى يتغزل فيها بمملوك فارسى ، وقد استغل الشاعر فيها معركة ذى قار ، التى كانت لقبائل

العرب زمن بينها تغلب قبيلة الشاعر على الفرس ، وقد أحسن هذا الاستغلال حين قال :

بأبى شادن ، بديع الجمال … أعجمى الهوى ، فصيح الدلال
سل سيف الهوى على ، ونادى … يالثأر الأعمام والأخوال
كيف أرجو ممن يرى الثأر عندى … خلفا من تعطف ووصال
مادرت أسرتى بذى قار أنى … بعض من جندلوا من الأبطال
أيها اللازمى جرائر قومى … بعد ما قد مضت عليها الليالى
« لم أكن من جناتها علم الله ، … وإنى بحرها اليوم صالى »

ولأبى فراس ، غير هذا الغزل الحقيقى ، غزل تقليدى يفتتح به قصائده ، ولا يريد به غالباً التعبير عن عواطف تجيش فى نفسه . وهو فى هـذا الغزل يتشبه بالأقدمين فى وقوفهم على الديار ، وسؤالهم الأطلال :

على لربع العامرية وقفة … تملى على الشوق والدمع كاتب
فلا ، وأبى المشاق ، ماأنا عاشق … إذا هى لم تلعب بصبرى الملاعب
ومن مذهبى حب الديار لأهلها … وللناس فيما يعشقون مذاهب

وفى هذا الغزل التقليدى يبدو الضعف ، والمغالاة والصناعة اللفظية ، وتكرير المعانى المألوفة ، ولا تحس بروح الغزل القوية المتدفقة ، وأى قوة فى قوله :

قلوب فيك دامية الجراح … وأكباد مكلمة النواحى
وحزن لا نفاد له ، ودمع … يلاحى فى الصبابة كل لاح
أتدرى ما أروح به ، وأغدو … فتاة الحى : حى بنى رياح
ألا يا هذه ، هل من مقيل … لضيفان الصبابة أو مراح

وترى التشبيهات المتداولة بالشمس والغزالة والأقحوان ، كما تلحظ فى هذا الغزل أيضاً التناقض ، وعدم الوقوف عند المعقول . نجد هذا التناقض فى قوله :

إن الحبيب الذى هام الفؤاد به … ينام عن طول ليل ، أنت ساهره
ما أنس لا أنس يوم البين موقفنا … والشوق ينهى البكا عنى ، ويأمره
وقولها ، ودموع العين واكفة … «هذا الفراق الذى كنا نحاذره»

فحبيب تكف دموعه ويحذر الفراق ، لا ينام عن طول ليل يسهره صاحبه . ويبدو البعد عن حدود المعقول فى قوله :

تسائلنى من أنت ؟ وهى عليمة … وهل بفتى مثلى على حاله نكر
فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى … قتيلك ، قالت : أيهم فهم كثر

ووجه الغرابة فى هذا أن الشاعر قد أخبرنا فى هذه القصيدة عينها أنها قد وعدته بالوصل ، وأنه أحب البدو من أجل حبها ، وحارب قومه فى سبيل هواها ، ولا يعقل بعد ذلك أن تجهله الحبيبة ولا تدرى من هو ؟ وهى التى يقول فيها :

معللتى بالوصل ، والموت دونه … إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر
بدوت ، وأهلى حاضرون ، لأننى … أرى أن دارا لست من أهلها قفر
وحاربت قومى فى هواك ، وإنهم … وإياى - لولا حبك - الماء والخمر

نلحظ فى غزل أبى فراس ، سواء الحقيقى منه والتقليدى ، أنه غزل فارس ، تلمس فيه روح الفتوة ، وتجد منثوراً بين أبياته لغة الفرسان المحاربين ، ويأخذ من هذه اللغة تشبيهاته واستعاراته ، فتسمعه يقول :

أغرن على قلبى بخيل من الهوى … فطارد عنهن الغزال المغازل
بأسهم لفظ لم تركب نصالها … وأسياف لحظ ، ماجلتها الصياقل
وقائع قتلى الحب فيها كثيرة … ولم يشتهر سيف ، ولا هز ذابل
أراميتى ، كل السهام مصيبة … وأنت لى الرامى ، فكلى مقاتل

ويقول متعجباً كيف يعد حبيبه جيش سقامه بالهجر ، فينصره:

بالله ربك ، لم فتنت بصبره … ونصرت بالهجران جيش سقامه

وفى سبيل طاعة الحب ، قد استشهد الصبر والسلو :

مالى بكتمان هوى شادن … عينى له عين على القلب
عرضت صبرى وسلوى له … فاستشهدا فى طاعة الحب

ويشبه طرة من يحب بالزرد المضاعف :

ومرتد بطرة … مسدولة الرفارف
كأنها مسبلة … من زرد مضاعف

أبو فراس حين يجعل الغزل مقدمة لأغراض أخرى ، يجتهد غالباً فى أن يجعل روح الغزل مناسبة لروح الموضوع الذى يقصد إليه ، وهل أنسب من هذا الغزل العاتب يبدأ به عتابه لسيف الدولة :

أما لجميل عندكن ثواب … ولا لمسىء عندكن متاب

أو أنسب من البدء بإهداء التحية لمن يحبها ، فى قصيدة يحيى بها إخوانه فى الموصل ، إذ يقول :

سلام ، رائح ، غادى … على ساكنة الوادى

أو من البدء بهذا الغزل الحزين ، الذى يشكو الفراق فى قصيدة أرسلها إلى أخيه ، وهو أسير :

فديتك إنى للصبابة صاحب … وللنوم مذ زال الخليط مجانب
وما أدعى أن الخطوب تخيفنى … لقد خبرتنى بالفراق النواعب

ولكن الشاعر فى أغلب الأحيان ، ما كان يحسن التخلص من الغزل إلى الغرض المقصود ، بل كان انتقاله فجائياً ، وهو

فى ذلك يشبه البحترى زعيم شعراء الشام : فها هو ذا — مثلا — يتغزل ، ويختم غزله بقوله :

وقد عاديت ضوء الصبح حتى لطرفى عن مطالعه ازورار

ثم ينتقل إلى الفخر قائلا من غير أن يحسن التخلص :

ومضطغن يراود فى عيبا سيلقاه إذا سكنت وبار

وفى بعض الأحيان يحسن التخلص ، كما فى تلك القصيدة التى بعث بها إلى ابن عمه أبى زهير ، وفيها يقول :

يا أخى يا أبا زهير ، ألى عندك عون على الغزال الغرير — ؟ !

لم تزل مشتكاى فى كل أمر ومغيثى ، وعمدتى ، ومشيرى

وهكذا يمضى فى حديث ابن عمه

وقبل أن أختم الحديث عن غزله ، أشير إلى ما يبدو فى هذا الغزل حيناً ، من شعور أبى فراس بنفسه محبوبا ، وأنه ليس شخصاً عاديا ، ولكنه محب جدير أن يقابل بغبطة من يحبه ، وأن يضن عليه بالنواجذ ، فتسمعه يقول .

أجملى يا أم عمرو زادك الله جمالا

لا تبيعينى برخص إن فى مثلى يغالى

بل لقد تدلل مرة على من يحب ، حتى شكته إلى إحدى جاراتها :

قامت إلى جارتها تشكو بذل وشجا :

أما ترين ذا الفتى مر بنا ما عرجا

إن كان ما ذاق الهوى فلا نجوت إن نجا

وليس ببعيد أن تعجب بأمير وسيم مثله ، بعض أولئك الجميلات اللاتى كن يرينه فى غدواته وروحاته .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم

الخطر اليهودي

بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء

[إلى أستاذى الجليلين العقاد والزيات والأستاذ الفاضل نقولا الحداد أهدى هذه الصفحات] .

م . خ . التونسى

أما قبل ، فمنذ لاحت فى أفق السياسة الدولية نذر اعتزام اليهود إنفاذ خططهم التى دبروها لتأسيس دولتهم فى فلسطين — عمدت أكثر الصحف العربية إلى نشر مقالات و نبذ تفضح فيها نيات اليهود ومؤامراتهم وأغراضهم القريبة والبعيدة من إنشاء دولتهم ، وتفند حججهم فى استحقاقهم تأسيسها فى فلسطين .

وخير ما كتب فى هذا المجال وبعد دراسات علمية صحيحة المقالات التى كتبها الأستاذان الكبيران عباس محمود العقاد ونقولا الحداد ، وقد نهضت بالعبء الأكبر فى ذلك « الرسالة » مجلة العروبة القائمة على نشر ثمرات عقولها ، الموثقة بين شعوبها ، الزائدة عن كيانها وكرامتها ، وقد كانت من الصحف الذى عجز اليهود عن استصناعها أو إسكاتها كطريقتهم مع الصحف وأصحابها وكتابها مما يعلمه قليل ويجهله كثير .

فأما الأستاذ العقاد فقد عقد على صفحات « الرسالة » وصفحات « الأساس » فصولا للكشف عن العقلية اليهودية والخلق اليهودى منذ موسى حتى الآن مستشهداً بأقوال العهد القديم وأحداثه وماتلاه من حوادثهم ، وبين الصلة بين الصهيونية والشيوعية ، وبينهما وبين اليهود وبعض التيارات الحاضرة التى تسعى إلى تخريب العالم وتسلط اليهود على البشرية .

وأما الأستاذ نقولا الحداد فقد قام بمثل ذلك وأفاض فيه كما أفاض فى بيان الصلة بين اليهود والماسونية والشيوعية ، واستشهد لذلك بنصوص العهد القديم والتلمود وكتاب ثالث لم يشر إليه غيره مع خطره البالغ فى التعريف بهم وبمؤامراتهم وسياستهم إزاء العالم أجمع ولاسيما الأمم المسيحية ، لأن الشعوب التى تعتنقها هى الشعوب التى فى أيديها مقاليد حكم البشر ، وهذا الكتاب الثالث هو : « برتوكلات شيوخ صهيون العلماء » Protocols of the Learned Elders of Zion. وهو كتاب يفضح مالا يفضحه كتاب آخر من سوء نياتهم وفظاعة خططهم لتخريب العالم وإفساد نظمه وآدابه وقيمه توصلا إلى إقامة مملكة يهودية أو تقراطية لحكم العالم جميعاً يجلس على عرشها ملك من نسل داود .

وكانت النصوص التى نقلها الأستاذ الحداد خلال مقالاته كثيرة ، وكانت تمهيداته لها وتعليقاته عليها كثيرة أيضاً جليلة المنفعة ، عظيمة الطرافة لدى قراء العربية .

وقد كانت أحد الأسباب المباشرة التى حملتنى على ترجمة الكتاب كله إلى العربية تمدها أسباب كثيرة مباشرة وغير مباشرة حفزتنى على ترجمته ، فلما أطلعت أستاذى الكبير الزيات على رغبتى فى نشر الترجمة تحقيقاً للغرض الذى أنشده وهو تعريف قومى بما يدبر اليهود من مؤامرات لتخريب العالم وبخاصة بعد أن صاروا إلى جوارنا يتهددوننا بطرق مباشرة وغير مباشرة — لما أطلعته على ذلك قبل مشكوراً نشر ما تيسر منها على صفحات مجلته الزاهرة .

وأما بعد فهذه البروتوكولات منشورة أمام القراء وإنى لأرجو أن يتبينوا آثار خططها فى سياسات العالم جميعاً ، وأن يميزوا شواهدها فيما مر ، وما يمر ، عليهم من أحداث ، وفيمن يصادفهم من صنائعها ، وكثير ما هم بين الرجال والنساء .

وألفت النظر إلى أن كل محاولة لتلخيص البروتوكولات محاولة بتراء تضل أكثر مما تهدى ، وإنه لمن الخير أن نقرأها جميعاً ، فكل فقرة بل فصل فيها لا يدل على أكثر مما فيه لا على مافى الوثائق كلها ، ولا على خلاصتها ، وهى أحوج ما تكون إلى درسها وتوضيح شواهدها فيمن يمرون علينا وما يمر علينا ، وتعرف اتجاهاتها بدقة وسداد . وهى تدل على خطة واسعة شاملة تتضمن آلاف الخطط فى كل نشاط بشرى لتخريب العالم .

وهى تدل على معرفة صحيحة بالمجتمع البشرى وما فيه من ضعف ، ووسائل استغلال كل قوة وضعف فيه ، ولا تنحرف إلا عندما يعميها الغرض فتفوتها أشياء تجرى تحت عينيها ، ولولا إغراضها لما خفيت على ذكائها النفاذ وملاحظتها الدقيقة ، وهى من أجل ذلك تدرك من المعرفة شيئاً صحيحاً وتفوتها أشياء ، ويصدق عليها قول أبى نواس الشاعر فى النظام الفيلسوف المتكلم .

« فقل لمن يدعى فى العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء »

وهى تعنى أكثر ما تعنى بتبين نواحى الضعف البشرى ، وتعمل على استغلاله إلى أقصى الحدود ، متجاهلة ، أو جاهلة ، نواحى القوة البشرية ، فترسم الخطة وكأن كل النواميس البشرية عدا النواميس المتمشية مع أهدافها — قد تعطلت بفعل ساحر ، ومن أجل ذلك كثر إيغالها فى الأحلام التى تدل على المقت الذى ينوء باحتماله أى قلب من لحم ودم ولو كان قلب وحش كاسر ، ولكن تلك الأحلام لا تدل من أى وجه على إمكان تحقيق شىء جدى منها . ولذلك ألفت النظر إلى أن فيها كثيراً من المبالغات الدجلية الخادعة التى لا يمكن تحقق شىء منها ، وخير ما نقابل به تلك المبالغات هو معرفة زيفها والثبات أمامها ، إذ ما من خطر حقيق لها إلا التهويل الكاذب لإضعاف العزائم ، ونشر الفزع والرعب لتهويش المجتمع ، كى يتوهم لليهود ما ليس لهم من القوة والنفوذ ، أو يغفل عما لهم من القوة والنفوذ فى الحقيقة .

* * *

ولقد كانت هذه البروتوكولات من أسرار اليهود التى يحرصون على إخفائها أشد الحرص ، ثم افتضح أمرها منذ نصف قرن تقريبا إذ وصل خبرها إلى أحد وجوه الروس فى عهد القيصرية وهو سرجى نيلوس Sergyei Nilus وهى مكتوبة بالروسية ، فقام بطبعها فى سنة ١٩٠٥ وكتب لها مقدمة وتعقيبا لابد من قراءتهما لما فيهما من فوائد جليلة ، ويحملنا ضيق المقام هنا على القناعة بمقتبسات ملخصة من المقدمة نعرف منها كيف تأدت إليه وماذا صنع بها . فقد ذكر أن صديقا دفعها إليه قبل وفاته سنة ١٩٠١ ، وأكد له أنها ترجمة صحيحة لأوراق مخطوطة سرقتها سيدة من أحد رءوس الماسونيين الأحرار فى نهاية اجتماع ماسونى عقد فى باريس ، وقد تمت السرقة فى فرنسا فى خلية من خلايا الماسونية اليهودية (الخاصة باليهود) .

وقد نشر الأستاذ نيلوس هذه الوثائق الخطية فى سنة ١٩٠٥ مطبوعة بعنوان « بروتوكولات شيوخ صهيون » وأشار إلى أنها ليست بالدقة نصوص محاضر الاجتماعات السرية التى عقدها هؤلاء الشيوخ ، بل إنها تقرير وضعه شخص قوى وقسمه أقساما لا تطرد منطقيا على الدوام ، وهى بذلك تبعث على الظن بأنها جزء منتزع من وثيقة أهم قد ضاعت بعض فقره ، بيد أن أصل الوثيقة يتكلم عن نفسه فى هذا الجزء .

ويسلم الأستاذ نيلوس بالعجز عن الحصول على دليل كتابى أو شفوى على صحة هذه المؤامرة أو على شىء يكشف زعماءها متلبسين بإمساك خيوطها الدموية ، ويكتفى بشواهد الملابسات والقرائن القوية التى تكفى لإقناع « من لهم آذان للسمع » وهى تلتمس من الظروف الجارية فى العالم ؛ وفيها مقنع لكل باحث محترم .

وبعد عام من طبع البروتوكولات بالروسية (١٩٠٥) وصلت نسخة مطبوعة إلى المتحف البريطانى فكتب عليها قيد تسلمها وتاريخه وهو ١٠ أغسطس سنة ١٩٠٦ . وبقيت هذه النسخة فى المتحف دون أن يتنبه أحد إليها أو يعرف خطرها حتى عثر عليها الأستاذ فكتور مارسدن مراسل جريدة « المورننج پوست » فى روسيا خلال الحرب العالمية الأولى التى وقع خلالها الانقلاب الروسى الذى مكن للشيوعيين من السيطرة على روسيا ، وكان لليهود نصيب عظيم فى تدبير هذا الانقلاب وهم الذين استطاعوا أن يستغلوه لمصلحتهم قبل غيرها من وراء ستار حينا وجهارا حينا ، وحاولوا هناك تطبيق مذهب أخيهم كارل ماركس بالنار والدم ، ونجحوا فى بسط سلطانهم هناك حتى اليوم ، ومن العجيب أن الأستاذ نيلوس تنبأ بهذه المؤامرة اليهودية ضد روسيا — وطنه — فى سنة ١٩٠٥ كما أشار إلى ذلك فى المقدمة ، ومن العجيب أن تشير « البروتوكولات » نفسها إلى محاولة اليهود نشر مذهب ماركس اليهودى المتنصر (انظر الميثاق الثانى) .

وكان الأستاذ فكتور مراسل « المورننج پوست » يعرف الروسية ، فأكب على ترجمة الكتاب من الروسية إلى الإنجليزية فى المتحف نفسه ، ثم نشرت جمعية الطباعة البريطانية الترجمة الإنجليزية ، وأعادت بعد ذلك طبعها مرات ، وهذا الكتاب مجهول حتى بين علية المثقفين .

والكلام المفصل فى الشواهد التى تدل على صحة المواثيق وأنها من عمل اليهود — يستغرق عشرات الصفحات ، وخير ما كتب باللغة العربية فى هذا الصدد مقالات الأستاذ الحداد فى الرسالة ، وفيها بلاغ (راجع العدد ٧٧١ وما تلاه) ولنا إلى هذا الموضوع عود إن شاء الله بعد أن نصير النصوص فى المتناول لتسهل المقارنة والاستنباط . فإلى المواثيق لفهمها وتدبرها ، ولكل نبأ مستقر .

محمد خليفة التونسى

(البروتوكولات من العدد القادم)

أهل العلم والحكم

في ريف فلسطين

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

— ٢ —

أنهارها وبحيراتها

ويصف لنا ياقوت أهم أنهارها وبحيراتها وقد زار بحيرة طبرية مراراً ويكشف لنا عن مشروع رى عظيم يجمع بين نهرى الأردن واليرموك فتسق مياهها ضياع الغور والبثنية (وهى الناحية الواقفة على الضفة اليسرى من الأردن بمدجريانه من بحيرة طبرية) كما يذكر لنا زراعة قصب السكر فى هذه المنطقة وتصدير السكر إلى سائر بلاد الشرق ، ويروى لنا بعض ما قاله الشعراء فى هذه الأماكن .

فيقول عن الأردن فى (ج ١ — ص ١٨٦) وطبرية على طرف جبل يشرف على هــذه البحيرة ، فهذا النهر أعنى الأردن الكبير بينه وبين طبرية البحيرة . وأما الأردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيره طبرية ويمر نحو الجنوب فى وسط الغور فيسقى ضياع الغور . وأكثر مستغلهم السكر ، ومنها يحمل إلى سائر بلاد الشرق وعليه قرى كثيرة منها بَيْسا ، وقراوا ، وأريحا والموجاء وغير ذلك .

« وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين،ويجتمع هذا النهرونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً فيسقى ضياع الغور وضياع البثنية ثم يمر حتى يصب فى البحيرة النتنة (البحر الميت) فى طرف الغور الغربى (كذا) (الجنوبى) .

وقال أبو دهلب أحد بنى ربيعة بن قريع ... بن تميم :

حنَّت قلوصى أمس بالأُردُن حنى فما ظَلَمتِ أن تحنّى

حنَّت بأعلى صوتها المرُنّ فى خَرعبٍ أجشَّ مستجنِ

فيه كَهزيم نواحى الشنّ

وقال عدى بن الرقاع العاملى :

لولا الإله وأهل الأردن اقتسمت نار الجماعة يوم المرج نيرانا

قالوا والأردن فى لغة العرب النعاس . قال أبان الزبيرى :

وقد علتنى نعسة الأردن وَموهبٌ مُبر بها مُصِن

والظاهر أن الأردن الشدة والغلبة ، فإنه لا معنى لقوله (وقد علتنى نعسة الأردن) .

وقال المتنبى يمدح بدر بن عمار وكان قد ولى ثغور الأردن والساحل من قبل أبى بكر محمد بن رائق :

تهنا بصور[1] أم نهنئها بكا وقل الذى صور وأنت له لكا

وما صغر الأردن والساحل الذى حبيت به إلا إلى جنب قد ركا

تحاسدت البلدان حتى لو آنها نفوس لسار الشرق والغرب نحوكا

وأصبح مصر لا تكون أميره ولو أنه ذو مقلة وفم بكا

وحدث اليزيدى قال خرجنا مع المأمون فى خرجته إلى بلاد الروم فرأيت جارية عربية فى هودج ، فلما رأتنى قالت يا يزيدى أنشدنى شعراً قلته حتى أصنع فيه لحناً فانشدت :

ما ذا بقلبى من دوام الخفق إذا رأيت لمعان البرق

من أقبل الأردن أو دمشق لأن من أهوى بذاك الأفق

ذاك الذى يملك منى رقّ ولست أبغى ما حييت عتق

قال فتنفست تنفساً ظننت أن ضلوعها قد تقصفت منه ، فقلت هذا والله تنفس ماشق . فقالت اسكت ويلك أنا أعشق والله ، لقد نظرت نظرة مريبة فادعاها من أهل المجلس عشرون رأساً ظريفاً (معجم ياقوت[2] ج ١ — ١٨٥) .

وجاء فى شذرات الذهب (ج ٦ — ٢٧٣) فى حوادث سنة ٧٨٢ هـ أن برقوق أمر ببناء جسر الشريعة (الأردن) بطريق الشام وجاء طوله مئة وعشرين ذراعاً وانتفع الناس به . وفى الشذرات أيضاً (٧ — ص ٧) لما بنى الجسر قال فيه شمس الدين محمد المزين .

بنى سلطاننا للناس جسراً بأمر والوجـوه له مطيعه

مجازاً فى الحقيقة للبرايا وأمراً بالسلوك على الشريعة

وفى رواية أخرى بنى سلطاننا برقوق ، والأنام بدل الوجوه

(١) كانت صور إحدى ثغور جند الأردن .

(٢) توفى ياقوت (٦٢٦ هـ) .

والمرور بدل السلوك .

وعلى الأردن خمسة جسور هي من الشمال إلى الجنوب : جسر بنات يعقوب ، وجسر المجامع ، وجسر الشيخ حسين ، وجسر اللنبي ، وهو الذي يوصل طريق القدس بعمان ، وله أكثر من مخاضة يسلكها العرب في غدواتهم .

***

أما بحيراتها ، فقد جاء ذكر الحولة ، بأنها كورة بين بانياس وصور وأنها أي ناحية الحولة ذات قرى كثيرة من إحداها كان الحارث الكذاب الذي ادعى النبوة أيام عبد الملك بن مروان وكان هذا من أهل دمشق وكان له أب بالحوله[1] (معجم البلدان ٣ — ٣٦٨) .

ويقول عن بحيرة طبرية أنه رآها مراراً وهي كالبركة يحيط بها الجبل ويصب فيها فضلات أنهر كثيرة تجيء من جهة بانياس وينفصل فيها نهر عظيم فيسقى أرض الأردن الأصغر وهو بلاد الغور ويصب في البحيرة المنتنة (البحر الميت) قرب أريحا . ومدينة طبرية في لحف الجبل مشرفة على البحيرة ماؤها عذب شروب ليس بصادق الحلاوة ثقيل، وإياها أراد المتنبي يصف الأسد

أممفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت على الأردن منه بلية نضدت لها هام الرفاق تلولا
وَرْدٌ إذا ورد البحيرة شاربا ورد الفرات زئيره والنيلا

(راجع معجم ياقوت ج ٢ — ٨٠) .

أما عن البحر الميت ، أو بحر لوط ، أو زُغر[2] كما يسميها فيقول أن زغر اسم بنت لوط ، نزلت بهذه القرية فسميت بها . قال حاتم الطائي :

سقى الله رب الناس سحاً وديمة جنوب السراة من مآب إلى زُغر
بلاد امرىء لا يعرف الذم بيته له المشرب الصافي ولا يطعم الكدر

وقد جاء ذكرها في حديث الجساسة ، وهذه في واد وخم ردىء في أشام بقمة، إنما يسكنه أهله لأجل الوطن وقد يهيج فيهم في بعض الأعوام مرض فيفنى كل من فيه أو أكثرهم . (معجم البلدان ٤ — ٣٩٣) والأرجح أن المرض الذي يشير إليه ياقوت إنما هو الملاريا .

(١) اسم البحيرة واسم الناحية .

(٢) وقد ذكرها باسم البحيرة المنتنة وقال أن رائحتها في غاية النتن لا ينتفع بها في شيء .

أما عن الأنهر الصغيرة فيذكر نهر أبي فطرس أو نهر فطرس (العوجا ، وهو تحريف كلمة انتيباترس Antipatuis وهي المدينة التي ينبع هذا النهر بالقرب منها .) فيقول ياقوت ، موضع قرب الرملة من أرض فلسطين مخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس ويصب في البحر الملح (البحر المتوسط) بين يدي مدينتي أرسوف ويافا وبه كانت وقعة عبد الله بن العباس مع بني أمية فقتلهم في سنة ١٣٢ هـ ، وهي السنة التي زال فيها ملك الأمويين وقامت فيه دولة بني العباس .

قال ابراهيم مولى قائد العبلي يرثيهم .

أفاض المدامع فتكى كدا وقتلى بكثوة لم تُرمَس
وقتلى بوج وباللابتين بيثرب هم خيرُ ما أنفس
وبالذابيين نفوس ثوت وأخرى بنهر أبي فطرس
أولئك قوم أناخت بهم نوائب من زمن متعس
إذا ركبوا زينوا المركبين وإن جلسوا زينة المجلس
هم اضرعوني لريب الزمان وهم ألصقوا الرغم بالمعطس
فما أنس لا أنس قتلاهم ولا عاش بعدهم من نسي

قال المهلبي وعلى نهر أبي فطرس أوقع أحمد بن طولون بالمعتضد فهزمه . قلت إنما كانت الوقعة بموضع يقال له الطواحين بين المعتضد وخماروبه بن أحمد بن طولون قال وعليه أخذ العزيز هفتكين التركي . وفلت عساكر الشام عليه . وبالقرب منه أوقع القائد فضل بن صالح بأبي تغلب بن حمدان فقتله ويقال إنه ما التقى عليه عسكران إلا هزم الغربي منها .

وقد ذكر أبو نواس في قصيدته في الخصيب نهر فطرس ولم يضفه إلى كبية فقال .

وأصبحن قد فوّزن عن نهر فطرس وهنّ من البيت المقدس زور
طوالب بالركبان غزّة هاشم وبالفرما من حاجهن شموز

وقال العبلي :

ابكي على فتية رزئتهم ما إن لهم في الرجال من خلف
نهر أبي فطرس محلهم وصحبوا الزابيين فالكتف
اشكو من الله ما بليت به من فقد تلك الوجوه والشرف

راجع معجم البلدان (٨ ج — ٤٣٣) .

وقد ذكر ياقوت اليرموك مع الوديان، فقال أنه واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن. كانت به حرب بين المسلمين والروم أيام أبي بكر الصديق، وقدم خالد الشام مدداً لهم. قال القعقاع بن عمرو يذكر مسير خالد من العراق إلى الشام:

بدأنا بجمع الصفَّرين فلم يدع	لغسان أنفاً فوق تلك المناصر
صبيحة صاح الحارثان ومن به	سوى نفر نجتذهم بالبواتر
وجئنا إلى بصرى وبصرى مقيمة	فألقت إلينا بالحشا والمعاذر
فضضنا بها أبوابها ثم قابلت	بنا العيش في اليرموك جمع العشائر

ذكر الجبال والواربات والحصون والمواقع:

(أنظر معجم البلدان ٨ ج — ٥٠٤):

ذكر ياقوت من الجبال، جبل الجليل في ساحل الشام ممتد إلى قرب حمص. كان معاوية يحبس في موضع منه من يظفر به ممن ينبز في قتل عثمان. وجبل الجليل بالقرب من دمشق وهو يقبل من الحجاز فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحمل، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل، وهو بدمشق لبنان وبحمص سنير(١) قال أبو القسيس بن الأسلت.

فلولا ربنا كنا يهوداً	وما دين اليهود بذى شكول
ولولا ربنا كنا نصارى	مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنا خلقنا إذ خلقنا	حنيف ديننا عن كل جيل

قال الحافظ الدمشقي واصل بن جبل أبو بكر السلاماني من بني سلامان الجليلي من جبل الجليل من أعمال صيدا، وبيروت، من ساحل دمشق، حدث عن مجاهد ومكحول وعطاء وطاووس والحسن البصري وروى عنه الأوزاعي. قال يحيى بن معين، واصل بن جبيل مستقيم الحديث، ولما هرب الأوزاعي من عبدالله بن علي بن عبد الله بن العباس اختبأ عنده وكان الأوزاعي يحمد ضيافته ويقول ما تهنأت بضيافة أحد مثل ما تهنأت بضيافتي عنده، وكان خبائي في هرى العدس، فإذا كان العشاء جاءت الجارية فأخذت من العدس فطبخت ثم جاءتني به فكان لا يتكلف فتهنأت بضيافته. (معجم البلدان ٣ — ١٣١).

ويصف لنا جبل الطور (طابور) وديره فيقول الطور هو الجبل المشرف، أما هذا فمستدير واسع الأسفل، مستدير الرأس لا يتعلق به الجبال، وليس له إلا طريق واحد وهو ما بين طبرية واللجون مشرف على الغور ومرج اللجون (مرج بني عامر) وفيه عين تنبع بماء غزير وكثير، والدير في نفس القبلة مبني بالحجر وحوله الكروم يعتصرونها فالشراب عندهم كثير. ويعرف أيضاً بدير التجلي، والناس يقصدونه من كل موضع فيقيمون به ويشربون فيه. موضعه حسن يشرف على طبرية البحيرة وما والاها على اللجون وفيه يقول مهلهل بن غريب المزرع.

نهضت إلى الطور في فتية	سراع النهوض إلى ما أحب
كرام الجدود حسان الوجوه	كهول العقول شباب اللعب
أنخت الركاب على ديره	وقضيت من حقه ما يجب

(معجم البلدان ٤ — ٢١٢):

أحمد سالم الخالدي

للكلام بقية

(١) هي القسم الشمالي من جبال لبنان النصيرية.

الملاح التائه !!

أسلمت بعدك للأسى خلجاتى ... ياشاعر الأحلام والصبوات
حمل السماء إلى أىّ نجيمة ... ـ المانويت ـ وأى خطب عات
يادولة الشعر الرصين .. ترحلت ... أمجاد عرشك فى ركاب رفات
هجر الجميلَ اليوم آخر بلبل ... هو أول بحسانه الألقات
وأرق من حمل القيثار شادياً ... بالحب والأوطان والغزوات
أودى «خليل» الشعر مثل «عليه ... «الجارم» المفتن فى الصدحات
وثوى الفداة سميه وضريبه ... فى مثل خفق اللمحة المزجاة
من للقريض العبقرى وقدهوت ... تلك النجوم الثرة الومضات

ياملهمى الأشعار ، كيف أصوغها ... والحزن موف والنشيج موات؟!
غشى الذهول النفس من أقطارها ... فزعاً .. وبث النار فى طرقاتى
هى زورة لك يا «على» يتيمة ... أذكت لهيب الشوق بعد شتات
لم أنس حين لقيتنى متلطفاً ... وهتفت بى: هات الملاحن هات
وذهبت أستدنى الخيال .. فأجفلت
منك المشاعر .. واستحت خطراتى
وعرضت آلهة الخلود فلم أجد ... إلا نشيدك فى فم الربات
فمضيت أتلوها عليك عرائساً ... لك يا «على» وضيئة القسمات
وسمعت شعرك من فى فضممتنى ... ضم الحفىّ بهذه اللفتات
.. هى زورة فى العمر . كانت . مالها
— واحسرة الآمال — من أخوات
لو كنت أشتف المقادر بعدها ... أسرفت فى الروحات والغدوات

جزت الحياة على شراعك ضاربا ... فى المجهل النائى .. وفى الغمرات
ترتاد آفاق البحار ... مرنما ... بخوارق الأنغام والنفثات
تلقى شباك الفكر تحت عبابها ... فتصيد كل عصية السمكات
يا أيها الملاح ... كيف عبرتها ... قبل الأوان . لآخر الضفات ؟!
ماكان هذا اليوم موعدك الذى ... تلقى الشراع به إلى مرساة
يا ليته قضى الليالى تائهاً ... عن هذه الشطئان والربوات
لولم تفض تلك البحار بمائها ... لغدت تفيض اليوم بالعبرات
قم حدث الأجيال عنك . وصف لها
يوم الرحيل . . . نهاية الرحلات
نجيمة الوادى عليك ورزءه ... ومناحة الأطيار والزهرات
وصف الردى الملتاع .. نازعنا الهوى
فى الهيكل المحمول ... لا النفحات
صف راحلا .. أطربت فى «ميلاده»
سمع الوجود بأعذب النغمات
أولا . فما أعيى النهى . ولو أنها ... كانت نهاك عتيّة الطاقات
أنت الذى أخضعت كل مُدلّة ... وحبيتَ سحر نتائج الملكات
لوقد بُعثت إلى الدنى .. غب النوى
وشهدت وقع نواك فى المهجات
أشفقت من هول الذى شاهدته ... وقفات مشدوها إلى الغرفات
أنعاك للدنيا .. غداة هجرتها ... حسدت عليك شواطئ الجنات

عبد الرحيم عثمان صاروا

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

على محمود طه الصديق والإنسان :

فى صباح يوم الجمعة الماضى أمسكت يدان صغيرتان بجريدة الأهرام ، واندفع صاحب اليدين الصغيرتين نحوى وهو يهتف فى دهشة : أبى ... أنظر يا أبى ... أليس هذا هو على طه ؟ هل مات حقا يا أبى ؟! وراحت عينا الصغير تحدقان فى الصورة المجللة بالسواد ثم ترتدان إلىّ فى لهفة المنتظر الذى يريد من فمى جوابا ... يكذب ما رأته عيناه ! ونظرت إلى الفتى الصغير الذى يحتلنى من نفسه محل أبيه وأجبت : نعم يابنى ... لقد مات ... ترى ألا تزال تذكره ياصغيرى ؟ وقال الصغير وقد غلبه الأسى على أمره : كيف لا أذكره يا أبى ؟ ألم أذهب معكما ذات مساء إلى «الأهرام» ، أنت وتوفيق الحكيم ، وهناك فى مكتب الصاوى رأيناه ؟ أليس هو الذى ضمنى إلى صدره ، وقبلنى ، وقال لى : إذا كبرت يابنى فكن أديبا من طراز عمك ؟ أليس هو يا أبى ... صاحب هذه الصورة ؟! وقلت للصغير دون أن أنظر إليه حتى لا تقع عيناى على الصورة التى بين يديه : بلى يابنى إنه هو ... ذلك الإنسان !

ومضيت أرتدى ملابسى . إلى أين يا أبى ؟ إلى هناك يابنى ... إلى حيث أودع الصديق الحبيب الذى ضمك يوما إلى صدره ، وقبلك ، وأوصاك أن تكون أديبا ... ألا تأخذنى معك يا أبى ؟ يعز علىّ ألا آخذك يابنى ، أبق هنا حتى أعود إليك ... بدموعى !

وبعد دقائق كنت هناك ... كنت فى ذلك المكان الذى قدر لى فيه أن أرى على طه محمولا على الأعناق ! وسرت وراء نعشه ، سرت فى زحمة المشيعين بجسمى ، أما فكرى ... فقد كان مع الماضى القريب ، كان ينتزع الذكريات الغالية من قبضة الزمن !

فى أول عدد من الرسالة كتبت فيه « التعقيبات » حملت سلاحى ، وهو قلمى ، ودافعت عن الشاعر الذى لا أعرفه : على محمود طه ... وفى هذا العدد من الرسالة ألقى سلاحى ، وهو قلمى ، لأننى لا أستطيع أن أدافع عن الشاعر الذى عرفته : على محمود طه ... لقد كنت بالأمس قادراً على أن أدفع عنه هجوم الناس ، أما اليوم فليس بوسعى أن أدفع عنه هجوم القدر ، ولا أن أرد عوادى القضاء !

كان اللقاء الأول بينى وبينه فى صحبة الأستاذ صاحب الرسالة ، كان هو الذى جمع بيننا فالتقينا ... كأكرم ما يلتقى الصديق بالصديق . وتكرر بعد ذلك لقاؤنا وعلى مر الأيام ... ربط الحب بين قلبينا بأقوى رباط . وفارق على طه الدنيا وهو قطعة من نفسى ... نفسى التى وهبتها قطعا لأصحاب الوفاء !

أشهد لقد كان على طه مثالا فريدا فى صداقته وإنسانيته . وأشهد ما رأيت إنسانا يفتح قلبه لأحبابه من أول لقاء كما رأيت هذا الإنسان ... لقد كان على طه يقف أبدا وراء قلبه ، أشبه بالرجل الكريم الذى يقف وراء بابه فى انتظار الطارقين ! وما كان أعذب حديثه إذا تحدث . ما كان أروعه وأمتعه ! لا أذكر مرة أننى جلست إليه دون أن يلذ لى الصمت الطويل ليفرغ هو للحديث الطويل ... إننى أحب دائما أن أستمع إلى صوت فنان ، ينطلق من بين شفتين تنتسبان إلى إنسان ! مرة واحدة هى التى ضقت فيها بحديثه ، وأوشكت أن أضع يدى على شفتيه . كان ذلك ونحن نزوره فى مرضه الأخير الذى لقى فيه ربه ... لقد كان الصمت المفروض عليه هو الطريق الوحيد إلى الحياة ، ومع ذلك فقد آثر أن يضحى بحياته ليتحدث إلى أحبابه ... هو الذى كان يعلم أن كل كلمة ينطق بها لسانه تحمل الفناء لكل نبضة من نبضات قلبه ! يارحمة الله له ، لقد كان فى ذلك اليوم أشبه بزهرة ذابلة ... هو الذى كم أفاض علينا من عطره وشذاه !

ما سمعت على طه مرة يذكر إنسانا بسوء ، أو يتناول شاعرا بذم . وكان إذا تحدث عن نفسه فهو الحديث الطلىّ الذى يخرج من أعماقه وهو قريب من فكرك حبيب إلى قلبك ، فلا زهو ولا صلف ولا غرور ولا ادعاء ... ما أثقل الحديث تسمعه من بعض الناس إذا دار حول النفس أو طاف حول معالم الذات ! ما أثقله من كل متحدث عن نفسه ، وما أخف وقعه على الشعور وأبعد نفاذه إلى المقول إذا كان المتحدث على طه ... كان إذا تحدث عن نفسه فليرسم صورته الإنسانية كما فطره عليها الله . وكان إذا تحدث عن شعره فليحدد طاقته الفنية كما تعارف عليها الناس ... إيمان عميق بالنفس وإحساس صادق بالقيم . ورحم الله

أولئك المؤمنين بأنفسهم ، يضعونها الموضع اللائق الكريم ، دون جور على الحق إذا كان لهم في رحابه نصيب أى نصيب !

رحم الله على طه ، لقد كان واحداً من أولئك ... كان يعرف لنفسه قدرها ويعرف لشعره مكانه ... لم يهبط به أبوها إلى ذلك الدرك السحيق الذي يهبط إليه غيره من الشعراء ؛ أولئك الذين يضحون بكراماتهم العقلية في سبيل اللقمة الزائلة والشهرة الزائفة ... ويدفعون بها إلى الحضيض لقاء كل زهيد من الأجر وكل تافه من الجزاء ! كان شعلة متوقدة من الإحساس بالجمال ؛ الجمال فى شتى صوره وألوانه ومعانيه : جمال الصداقة ، وجمال الكرامة ، وجمال الحياة ... أخلص للجمال الأول فاعترف الأحباب من نبع وفائه ، وآمن بالجمال الثاني فقبس الكرام من وهج إبائه ... وهام بالجمال الأخير فقصر الشعراء عن بلوغ مداه !

كان على طه أشبه بالبلبل فى حياته ... إذا حلق فلا يحلق إلا فى أفق يهيء له وسائل التغريد ، وإذا وقع فلا يقع إلا على غصن يشد له أوتار الغناء ! وكان إذا طوّف تخير البقعة التى تثير خيال الشاعر ، وإذا شدّ الرحال فإلى الأرض التى تفجر عواطف الفنان . لقد قضى حياته يفتش عن مواطن الإثارة فى كل مشهد من مشاهد الكون وكل مجلى من مجالى الطبيعة ، فإذا جلس يوما إلى مائدة الحياة ... عب من رحيقها المصفى وصب من عصارة الروح فى أشهى الدنان ...

وكان صاحب ذوق نادر ، ذوق كنت أرقبه فيملأ جوانب نفسى تقديراً له وإعجابا به .. كنت أرقبه إذا ما تحدث عن لوحة فنية راعته ، عن قطعة موسيقية هزته ، عن أثر أدبى ترك ظلاله فى نفسه ، عن منظر طبيعى فجر الشعر فى أعماقه ... عن أى شيء وقعت عليه عينه والتقطه حسه وعاش فى طوايا الوجدان ! كان مسكنه آية على ذوقه ... إذا دخلته حكمت على صاحبه من أول نظرة بأنه فنان ... أنظر إلى هـذه اللوحة الرائعة التى تغطى جداراً بأكمله ، وإلى تلك التى تغطى الجدار الذى يواجهه . وإلى اللوحات الأخرى الصغيرة التى انتثرت هنا وهناك ... وتأمل هذا التمثال ، وأدر هذه الأسطوانة ، وطف ما شئت بأجواء الشرق والغرب ، وهيء شعورك لوقع الفجيعة وأطرق لحظة من زمان ... إن البلبل الذى كان يصدح هنا قد طوت الريح جناحيه ، وهوى من سماء الفن إلى أرض السكون والعدم ... ولا رجعة له بعد ذلك ولا إياب !

أذكر أننا تواعدنا على اللقاء ذات مساء فى « الأهرام » ، ثم خرجنا معا نقصد إلى ضفاف النيل والليل ساج والسكون غارق فى ضياء القمر .. وراح على طه يتحدث عن الحياة ، وينشد من أشعاره ، ويروى من أخباره ، ويحلق ما شاء له التحليق على جناح الذكريات ... وحين يفرغ من هـذا كله يمد عينيه إلى الضفة المقابلة ثم يهتف بصوته الحالم : أنظر إلى هذا البيت الجميل الذى ينام فى أحضان الزهر . وإلى ذلك البيت الأنيق الذى يستحم فى مياه النهر ... هـذه يا صديقى هي الأبيات ... الأبيات التى أقامها السعداء على دعائم الواقع . أما أبياتنا نحن الشعراء فقد أقمناها على دعائم الخيال !

وأجيبه فى صوت يمتزج فيه الإنكار بالعزاء : بالله حسبك . إنها أبيات من حجارة وطين ، سعيش أصحابها نكرات ويموتون كذلك ... وستمتد إليها يوما يد البلى فلا يبقى منها حجر ولا أثر أما أبياتك وأبيات الموهوبين من أمثالك فهى من نفس وروح ... لن تبلى لأنها ستعيش فى الضمائر والقلوب ، وسيعيش أصحابها ما نطق لسان وما كتب قلم ... إنك ياصديقى تعكس القضية ، إن أصحاب الفن هم أصحاب الواقع ... لأنهم أصحاب الخلود !

ويعترض على طه فى لطف ثم يقول : أصحاب الفن هم أصحاب الخلود ؟ هـذا حق جميل ، ولكن الحق المر أنهم ليسوا كذلك هنا ... فى هذا الشرق يا صديقى ! .. الشرق الذى قال عنه الزيات كلمة ستظل إلى الأبد شعاراً له ... ترى أتذكر قوله : « ... إن النابغ فى أمم الشرق يعيش وكأنه لم يولد ، ثم يموت وكأنه لم يعش ؛ ذلك لأن الحياة فيها لا تزال نوعا من السكر الغليظ يذهل الناس عن الوجود أكثر العمر ، فإذا أفاقوا — وقليلا ما يفيقون — عربد بعضهم على بعض ! ! »

وأقول ردا على اعتراضه : إن هذه الكلمة قد تعبر عن الشرق فى هـذا الجيل ، ولكنها لن تعبر عنه إلى الأبد كما تظن ... إن أبناء هذا الجيل لن يؤرخوا الأدب وحدهم وكذلك لم يؤرخه أبناء الأجيال الماضية ... إن هناك أجيالا آتيـة ستكون أوسع أفقا وأكثر ذوقا وأوفر فهما وأعمق ثقافة ، فليطمئن كل صاحب حق إلى أنه سيظفر بحقه ... إن لم يكن اليوم فغدا ، وإن لم يكن فى الغد

القريب فى الغد البعيد على كل حال .. يا أخى ما أكثر طمعك! ألا يكفيك أنك ملء السمع والبصر فى كل مكان ؟!

ويتوقف على طه عن المسير ثم يقول : كلمات يسمعها الشاعر من الناقد ما دام على قيد الحياة ... فإذا مات ... قبض الناقد قلمه عن تقويم شعره واكتفى بكلمة رثاء !

وأهمس فى أذنه ضاحكا : إذا مت قبلى فلا تخف ... سأكتب عنك مقالا ! ويغرق على طه فى الضحك ثم يقول : وأنت أيضاً لا تخف ... سأرثيك ببيت من الشعر ! إن مقالا واحداً من الكاتب لا يستحق غير بيت واحد من الشاعر ... ويعود على طه فيتحدث عن الحياة ، وينشد من أشعاره ، ويروى من أخباره ، ويحلق ما شاء له التحليق على جناح الذكريات !

يا أخى ... يا صديق ... يا أيها الطيف الذى مر بدنياى مرور الطائر الغريب رفرف فى سماء الله ... يا أيها الحلم الذى أيقظ الدجى فى خيالى ثم أغفى على جبين الصباح ... يا أيها الأمل الذى عانق قلبى عناق النسمة العابرة لضفاف جدول ظمآن ... يا أيها الشعاع الذى رقرق النور فى حسى ثم أفرغ فى كأسى مرارة الظلام ... يا أيها الشراع الذى هز بالشدو شاطئى وقبّل أمواجى ورحل قبلى إلى الشاطىء المجهول ... تعال نذكر أيامنا التى مضت ، ولياليّنا التى انطوت ... وأشواقنا التى استحالت فى معبد الحب دعاء وصلاة ! !

يا أخى ... يا صديق ... إن وفاءك يطوق عنقى .. إن دينك يثقل كاهلى ... لقد تحدثت فى هذا العدد عن على طه الصديق، والإنسان أما فى الأعداد المقبلة ... فسيكون الحديث عن على طه الشاعر والفنان .

دمعة وفاء من حقيبة البريد :

صورة يتيمها نعى ... لمن الصورة ... ولمن كان هذا النعى الطويل يا على ؟.. أحقاً أنك أنت يا شاعر ؟.. أحقاً أنك تتوارى عن الحياة التى ملأتها نغماً ؟.. أحقاً أنك أنت يا شاعر ؟!

جمعتنى به الحياة على شطها الفانى قبيل مرضه بقليل ... وطال بيننا الحديث ... وحديثه حلو طويل ... يسمعه السامع فلا يمل ... ويستزيد !.. قال لى فى ختام حديثه : من ينعينى بعد موتى ... إننى أحس المنية تقربنى ... أتنعينني يا فتاة ؟!. ما كنت أعلم حين سألتك عما أقول فى نعيك بعد موتك ... وحين قلت لك مازحة أأقول فيك :

يا راحلاً عن فتنة الدنيـا التى ملئت من الأكدار والأحزان

ما كنت أعلم حين أجبتنى : لا ... دعى ذلك لأهل الزهد ، وقولى فى : « مات شاعر الفيـد الحسان ... مات عابد الحسن والجمال » . إن هذا يكفينى أن يكون من إحداهن !

قلت يا ويلتا ... يرى الجيلُ الدميمَ جميلا !

والآن ... وقد حلت الفجيعة ووقع الخطب ... ما حيلتى فى نعيك يا على ولست من أهل البيان ؟!

أحقا أنك أنت يا شاعر ؟؟

هذه الدمعة الصادقة ، تلقيتها من الأديبة الفاضلة (ل م). وقد رأيت أن أسجلها هنا وفاء للوفاء ... ووفاء الفقيد .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

فقيدنا الشاعر على محمود طه :

ما كدنا نستبشر بإبلال صديقنا الشاعر الكبير على محمود طه حتى فوجئنا وفجعنا بفقده . حسبنا أن الأقدار قد خففت عنا ما أصابنا من الهم لمرضه ، وأنا سنسعد بسلامته واستئناف صحبته ، فإذا هى تصب علينا نعيه فتغرقنا فى الهم والأسى ، وإذا نحن نلقاه مسجى فى نعشه ، فى اليوم الذى قدرناه للفرح برؤيته بعد مبارحة المستشفى ، فياله من لقاء !

قضينا هذه الأيام ، وما نزال ، فى غمرة الأسى ، لا نستطيع غير الوجوم الحزين ، فما لقيت أحداً من إخواننا الأدباء حتى ذكرنا الفقيد العزيز وتبادلنا النظرات المفصحة عما يعلو الوجوه من الكآبة ، نلوذ بالصمت خشية التهدج ، ونختلس مسح العبرة ، لإظهار التجلد ، وإيثار التجمل .

كان لعلى محمود طه شخصية واضحة جذابة ، وكان وضوحها ينم على ما فيها من طيب وصفاء . ويخيل إلى أنه ترك كل من عرفهم أصدقاء ، فلا يملك من يعرفه إلا أن يحبه ، فقد كان إنسانا نقيا مما يشوب الإنسانية الصافية ؛ كان مرحا طروبا ، أقبل على الحياة بنفس مبسوطة لا تعقيد فيها ، فراح يستشمر ما فيها من جمال ، بحس الشاعر المرهف ، يعب من مواردها ما يحيله إلى فن جميل ، ويرتاد آفاق الحسن فى الشرق والغرب ، ثم يصوغه شعراً خالداً ولحنا يتغنى به الزمان . لم ينغصه غير العلة التى عصفت به وهو يفرد على أفنان هذه الحياة ليجعلها متاعا وبهجة لمن يصغى إليه ، ولكن طبيعتها القاسية غلبته على أمره ، فصار الأمر من بعده لوعة وحسرة بعد المتاع والبهجة .

كان على محمود طه حلقة فى سلسلة تطور الشعر العربى الحديث ، تتميز بالأصالة المبينة ، وأعنى بكل كلمة من هاتين الكلمتين معناها الواسع ؛ فقد كان أصيل الشاعرية ، لوى شعره عن التقليد والترديد ، وقصد إلى مشاعره وخواطره لا يحرص على شىء قدر ما يحرص على أدائها وإبرازها ؛ وكانت إبانته تتمثل فى حسن تأتيه وبعده عن الخيال المجدب وعن الإيغال فى الأجواء التى لا يأتى منها الموغل فيها بشىء ، فكان حذواً بين المدرسة القديمة الجامدة والمدرسة الحديثة المضطربة ، أو قل إنه كان يمثل المدرسة الحديثة كما ينبغى أن تكون .

وكان بيانه وأصالته يرتكزان على ثقافة واسعة منوعة ، هضمتها طبيعته الفنية وتمثلتها ، فقد اغترف من الآداب المختلفة واستوحى البيئات المتباينة ، وسيطر على كل ذلك بقوة هضمه ، وضبط مقاييسه بفنه الهندسى ، فأخرج بذلك فنا من الشعر سريا متناسق الألوان .

كان الفقيد الكريم طوال الصيف الماضى يعانى مرضاً شديداً ، خف عنه أولا ، ثم انتكس فعاودت قلبه العلة ، وكان يعالج أخيراً فى المستشفى الإيطالى ، وقد تماثل وتقدم نحو الشفاء ، حتى عين يوم الخميس الماضى (١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٩) لخروجه ، وفى هذا اليوم المعين لبس ثيابه وتأهب لمغادرة المستشفى ، وإذا هو يسقط صريعاً بين أيدى من أتوا لمرافقته إلى منزله .

وتوفى الفقيد وهو فى السابعة والأربعين من عمره ، وقد قضى أكثر حياته العملية موظفا فى الحكومة ، بعد أن تخرج فى مدرسة الهندسة التطبيقية ، وتنقل فى الوظائف حتى كان مديراً لمكتب رئيس مجلس النواب ، وفى سنة ١٩٤٥ استقال من هذا المنصب ، إذ آثر أن يغرد طليقا بعيدا عن وظائف الحكومة ، وظل كذلك حتى عين فى هذا العام وكيلا لدار الكتب المصرية .

أخرج الفقيد عدة دواوين ، هى « الملاح التائه » و « ليالى الملاح التائه » و « أرواح وأشباح » و « الشوق العائد » و « زهر وخمر » و « شرق وغرب » وله مسرحية شعرية هى « أغنية الرياح الأربع » وله أيضاً كتاب « أرواح شاردة » وهو يحتوى على نثر وشعر .

إن يكن على طه خلَّى مكانه بين الأحياء الفانين ، فستظل آثاره باقية فى سجل الخلود ، وتبقى شمائله حية ماثلة فى نفوسنا ما بقينا .

تكريم دسوقي أباظة باشا

احتفلت جامعة أدباء العروبة يوم الأربعاء الماضي في فندق الـكنتتال(١) ، بتكريم رئيسها معالي الأستاذ دسوقي أباظة باشا ، وقد تساءل معاليه في كلمته بختام الحفلة عن مناسبة هـذا التكريم ، فقال هيكل باشا : مناسبتها أنك عدت إليهم بعد طول غياب ، فـكثرة اشتغالك بالمسائل العامة حالت بينك وبينهم مدة طويلة . وقال دسوقي باشا : جرت العادة أن يكرم الوزراء المعينون لا الوزراء السابقون ، فهذا تقليد جديد نبيل ولعله يغرى الوزراء الحاليين بالخلاف .. وقد أبدى حفني محمود باشا تخوفه من أن تكون هـذه مؤامرة لأخذ دسوقي باشا إلى جانب الأدب وترك زملائه السياسيين وحدهم في الميدان ، ولـكنه عقب بأنه يقول الحق إذ يصرح بأن مجتمع الأدباء بما فيه من سمو العاطفة وجمال الحب الصادق يفضل ألف مرة مجتمع السياسة بما فيه من عداء ونفاق .

وكان طبيعياً أن يتتابع الشعراء والخطباء مكثرين من الشعر والنثر في تكريم دسوقي باشا ، فالمجال مجالهم والقوم كلهم شعراء وخطباء ، والرجل حقيق بالتكريم والتقدير ، لأدبه ونبله وحسن رعايتـه ، وقد جاذبته السياسة ، فلم تأخذه من الأدب بل كان هو يؤديها .. ودسوقي باشا يحب أعضاء جامعـة أدباء العروبة كما قال في كلمته إذ وصف الحفلة بأنها « تلبس » في حالة حب متبادل بينـه وبينهم . ولـكنه لا يقصر عليهم حبه ، فهو يميل إلى الأدباء عامة ويعجب بكل مجيد منهم ، ولا عجب في ذلك فهو أحد هؤلاء الأدباء ، وقد ظفر عالم الأدب منه أخيراً بكتابه القيم « وميض الأدب في غيوم السياسة » على رغم اضطلاعه بأعباء الوزارة كما يدل على ذلك عنوان الـكتاب .

ألقى في الحفـل شعر ونثر كثير ، وكنت أود أن يخرج القائلون بعض الخروج عن حدود القوالب المألوفة في المـديح إلى شيء من الموضوعية ، أعني أن يكون للـكلمة أو القصيدة موضوع غير مجرد المدح ، وقد كان ذلك في بعض ما قيـل ولـكنه قليل . وكنا ننتقل من سماع الجيد إلى العادى أو المعدوم القيمة ، والعكس ، حتى رأيناهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً ، ويبـدو أنهم قدموا « أعضاء

(١) هكذا ينطق العامة كلمة « الـكونتننتال » وهو تعريب سليق مقبول .

كشكول الأسبوع

▫ احتفلت وزارة المعارف بتكريم حسن فائق باشا وكيل الوزارة السابق لمناسبة الإنعام على سعادته بنشان النيل تقديراً لجهوده في خدمة التعليم ، فأضاف معالي العشماوى باشا بذلك إلى المعنى السامى الـكريم معنى الوفاء لرجل خدم التعليم أربعين عاماً .

▫ أصدر معالي وزير المعارف قراراً بتأليف لجنة برياسة خيرى بك وكيل الوزارة المساعد ، لدراسة مسائل الـكتب الدراسية المقررة لمواد الدراسة وللمكتبات ، بغية وضع نظام يحقق المصلحة العامة مع الحرص على كرامة المؤلفين وعدم الإضرار بدور النشر الحرة .

▫ يعمل مكتب صحافة الباكستان بالقاهرة في إعـداد مجلة باسم « رسالة الباكستان » تعنى بالنواحي الفكرية والثقافيـة وخاصة ما يتصل بالعالم الإسلامي . ويصدر العدد الأول في مستهل ديسمبر القادم ، وستكون نصف شهرية .

▫ قالت « الأهرام » إن الرأى استقر على أن تصدر اليونسكو مجلة موحدة بالإنجليزية والفرنسية ، لمقاومة الأوبئة وتعليم الكبار ، وإن الرأى استقر أيضاً على إصدار نسخة منها بالعربية على أن تقوم حكومة عربية أو أكثر بإعداد الترجمة الفنية للأصول الإفرنجية .

▫ مما يذكر لمناسبة عقد المعاهدات الثقافية ، أن الخليفـة المأمون حينما عقد معاهدة سلم مع عاهل القسطنطينية ، بعد انتصاره على الجيوش البيزنطية ، اشترط عليه في المعاهدة المذكورة أن يرسل له مجموعة من الـكتب العلمية والفلسفية اليونانية .

▫ جاء في كتيب أصدره « مكتب العـلاقات العامة لحكومة السودان » أن السودانيين ليسوا مصريين لا من ناحيـة الجنس ولا من ناحيـة الثقافة . . لماذا ؟ لأن سكان السودان سود اللون مسلمون يتكلمون العربية ...

أما السـواد فيشترك معهم فيه سكان مصر العليا ، ولا يبقى غير فارق واحد ، هو أن السودانيين مسلمون يتكلمون العربية والمصريين مسلمون يتكلمون العربية أيضاً !

▫ كتبت السيدة بنت الشاطئ في « الأهرام » تستنكر ما ردده بعض الـكتاب والشعراء من استعطاف أولياء الأمور على أسرة المازني وما قالوه من أن ما يمنح لأبنائه أجدى من تأبينـه بالشعر والنثر . وقد ذهبت الـكاتبة الفاضلة إلى أن ذلك يؤذى كرامة أديب إنسان ويهدر المعنى الذى كافح من أجله ، وأن المعاني الأدبية خير وأبقى .

▫ كتب الأستاذ يوسف وهبي بك كلمة في « المصري » عن قرار الحكومة رفع الإعانة السنوية للفرق الأجنبية إلى ١٦ ألف جنيه لمناسبة حضور مغن إيطالي لا يفترق غناؤه في الأذن المصرية عن (الصوات) وصياح النسوة في الجنازات . وقال يوسف بك : لقد فرحنا بزوال وصمة المحاكم المختلطة فمتى تزول عنا وصمة الفرق الأجنبية التي تحتل دار الأوبرا في أحسن شهور السنة ؟

▫ قال أحد القصاص : كان اسم الذئب الذى أكل يوسف كذا : قالوا : إن يوسف لم يأكله الذئب . قال : فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف !

مكتب الجامعة » على غيرهم دون مراعاة الأجدر بالتقديم من هؤلاء وهؤلاء .

وممن أجادوا الأستاذ محمود غنيم وقد ألقى أبياتا أولها :

حكم تقلص عنه ظلا لك ما تقلص عنك ظله

وكانت كلمة الدكتور حسين الهمدانى الملحق الصحفى بسفارة الباكستان — ذات موضوع ، فكانت كلمة الباكستان حقا فى تكريم دسوقى باشا ، وقد تحدث فيها عن مكانه فى الأدب وفى السياسة وقال إنه كان فى سياسته عربيا مسلما قبل أن يكون مصريا قوميا ، فقد شغل نفسه بالمسائل الشرقية العامة حتى كان يتخيله وزيراً باكستانياً فى مجلس وزراء مصر عند ما كان يستمع إليه فى مناسبة تخص الباكستان . ودعا الدكتور الهمدانى إلى إقامة مؤتمرات أدبية ومهرجانات عربية تغذى الأرواح وتشيد بمفاخر البلاد .

ومن القصائد الجيدة قصيدة الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى ومطلعها :

عد للخميلة كالربيع الناضر يانفحة الشادى وأنس السامر

وكانت قصيدة الأستاذ أحمد مخيمر أدنى إلى التحليل ، ومن قوله بعد أن تحدث عن السياسة وتلونها :

واليوم نأنس للنور الذى فقدوا واليوم نفرح بالمجد الذى خسروا

وقد ألقاها الأستاذ عبد الفتاح الشناوى إلقاء جيداً .

أما الأستاذ العوضى الوكيل فقد دفع بقصيدته إلى من يلقيها ، فانتهز الفرصة وجمل يخطب قبل أن يلقى . وقد أساء إلى النحو واللغة فى الخطابة والإلقاء ، عوض الله العوضى خيراً ...

شؤم ابن الرومى :

كتب أحد الأدباء بتوقيع « م . ف . ع » بجريدة المصرى ، مقالا عنوانه « ابن الرومى الشاعر المشئوم الذى حلت لعنته على وزارة المعارف » أراد فيه أن يسوق طرائف يمتع بها القارئ ، واندفع مع الرغبة فى الحبك الصحفى إلى » تأليف « وقائع تتعلق بشؤم ابن الرومى ، فقال إن وزارة المعارف ألفت لجنة سنة ١٩٤٥ لإخراج ديوان ابن الرومى ، وفى اليوم الذى وقع فيه السنهورى باشا وزير المعارف بوماذاك القرار بتأليف هذه اللجنة استقالت الوزارة ، ولما تولى الأستاذ على أيوب بك وزارة المعارف أعاد تأليف اللجنة ، وفى اليوم الذى أصدر فيه القرار استقالت الوزارة ، ثم جاء الأستاذ مرسى بدر بك إلى وزارة المعارف وعرضت عليه إجراءات الشروع فى طبع الديوان ، فلما وافق عليها استقالت الوزارة .

ولا أريد أن أقف عند ذلك كثيراً ، مكتفياً بالإشارة إلى أن اللجنة الأولى التى ألفت فى عهد السنهورى باشا مضى على تأليفها عدة أشهر وهو وزير المعارف ، وقد يكون باقى ما ذكره أو بعضه من هذا القبيل . وإنما أريد أن أعرض لقول الكاتب الأديب فى آخر المقال : « ويظهر أن القدماء قد أفزعتهم هذه الروح المشئومة التى وضحت فى تصرفات هذا الشاعر فأغفلوه وأهملوا شعره ودأبه مع تقديرهم لعبقريته الشاعرية ، فلم يترجم له صاحب الأغانى ولم يقدم أحد على الاهتمام بديوانه ، فظل ديوانه — وهو ضخم فخم — مطويا إلى اليوم فى مطاوى النسيان » .

فهل من الحق أن صاحب الأغانى وغيره من القدماء أغفلوا ذكر ابن الرومى لفزعهم من شؤمه ؟ أقول قبل كل شىء إننا رأينا المؤلفين يتحدثون عن تشاؤم ابن الرومى بغيره من الناس والأشياء ، أما تشاؤم الناس به وفيهم المؤلفون ومنهم صاحب الأغانى فلم نره عند المتقدمين . على أن صاحب الأغانى لم يغفل ذكر ابن الرومى إطلاقا ، فقد ذكره مرتين : مرة نسب إليه انتحال بيت من الشعر لإبراهيم بن العباس ، ومرة أظهره بمظهر الشامت فى نكبة سليمان بن وهب ، فلو أنه كان يفزع من شؤمه لما أتى بذكره . إذن لماذا أهمل صاحب الأغانى الإشادة بابن الرومى وشعره ؟ حقق الأستاذ كامل كيلانى هذا الموضوع فى كتابه « صور جديدة من الأدب العربى » فأرجع ذلك إلى أن ابن الرومى كان مكروها من الناس لإفحاشه فى الهجاء ، وكان فيمن هجاهم البحترى وكانت له مكانة بين أعيان الدولة وكبار رجالها ، وكان أبو الفرج يحبه ويشيد بذكره ويمنى بآثاره ، ومنهم الأخفش أستاذ أبى الفرج « فلا غرو أن يغرس الأستاذ فى نفس تلميذه بذور الكراهية والبغض لابن الرومى منذ الصغر ، أو يغضب التلميذ لأستاذه فتعمد إغفال من جعل همه الأول شتم أستاذه والتشهير به »(1)

ومهما كان السبب فى إهمال صاحب الأغانى الترجمة لابن الرومى والتنويه بشعره ، فليس من المعقول أن يكون ذلك لتشاؤمه به وخوفه من أن يقع له شر ، كما وقع للمازنى والعقاد وكامل كيلانى حين تعرضوا لشعره ودراسته ، فقد كسرت رجل الأول وسجن الثانى ومات ولد الثالث ، وهى اتفاقات لا تذكر إلا فى مجال التلهى والتندر .

عباس خضر

(1) ص ٢١٥ من كتاب « صور جديدة من الأدب العربى »



لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها :

هل تأذن أيها الأستاذ الجليل أن يكتب إليك قروى نشأ فى قرية من قرى السودان الذى صور الحال فيه شاعر من شعرائه مخاطبا قصبته الخرطوم ، بقوله :

يا ملتقى النيلين أنت جميلة — بهما فتيهى والخرى واختالى
كم فى مغانيك الحبيبة من فتى — ضاعت مواهبه لفقد المال
ولكم بها من عبقرى بائس — يمسى ويضحى بالى الأسمال
ليت الذى منح المواهب أهلها — لو كان زودهم بحظ عال

فإذا كانت هذه حال عاصمته فما بالك بقرية من قراه النائية ؟ حالت الظروف المادية بين كاتب هذه السطور وبين مغادرة قريته ليتعلم علماً أو ليكتسب أدباً فقنع بما تلقاه عن الوافدين على قريته من علماء الدين وطلاب الأدب .

ولكن الرسالة الغراء مد الله فى حياتها وكثر عدد صفحاتها وأمتع بما يدبجه قلم الأستاذ الزيات من مقالات عقول قارئيها وقارئاتها ؛ هذه الرسالة قد تخطت الحدود والقيود وتسللت خيطاً من النور إلى ظلام هذه القرية فتعلق بها هذا القروى ورأى فيها متعة العقل والروح ، وسلوى القلب والنفس ، وقد كثر تعلقه بها حتى خال نفسه تلميذاً مخلصاً لصاحب الرسالة .

قرأت فى عدد الرسالة (٨٣٢) فى باب الكتب تحت عنوان على هامش كتابين للأستاذ كامل محمود حبيب نافدا للكتاب (مع الناس) للأستاذ الحومانى فجاء فى نقد الأستاذ حبيب يصف مؤلف الكتاب بقوله : وللمؤلف فكرة واحدة هى إيمانه بقول سيد العرب صلى الله عليه وسلم (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) الخ وأقول إن هذه الحكمة قد ذكر مؤرخو حياة الإمام مالك بن أنس أنها من كلامه ، وعلى هذا فهى ليست من حديث سيد الخلق صلوات الله عليه وبالمناسبة أذكر أنى قرأت منذ سنوات حديثاً للأستاذ حافظ وهبه تحدثه من إذاعة لندن ونشرته مجلة المستمع العربى ، آنذاك قال فيه يتحدث عن مليكه جلالة الملك بن السعود أنه كثيراً ما يردد فى مجالسه هذه الحكمة التى رويت عن الإمام مالك (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح

واذكر أنى وقفت طويلا فى فهم هذا الإصلاح ونوعه لقد كان أشياخنا فى دروس الفقه عندما يمرون بهذه الحكمة التى قالها أمامهم مالك يفسرونها بأن المسلمين الأولين انتصروا على أعدائهم بالسيف ، فإذا لم ينتض المسلمون السيف مرة أخرى لا يمكن أن يكونوا أنفسهم ويصلحوا شأنهم . وإنى مع اعتقادى الجازم بأن السيف أصدق أنباء من الكتب لا أوافق هؤلاء الأشياخ عفا الله عنهم الذين لم يكونوا واسعى الأفق على تفسيرهم خصوصاً بعد أن علمت أن مسألة انتصار الإسلام بالسيف حاول خصوم الإسلام من الغربيين أن يجعلوا منها ثغرة ينفذون بها إلى الطعن فى تعاليم الإسلام . وقد رد عليهم مفكرو المسلمين المتأخرون بما يبدد شبههم وينفى قولهم : إذن ماذا يعنى مالك الذى هو من رجال الإصلاح فى وقته ؟ وماذا يعنى الملك ابن السعود الذى يعتقد كثير من العرب والمسلمين أنه من قادة الإصلاح ؟ ماذا يعنيان بهذا الإصلاح الذى صلح به المسلمون فى عصرهم الأول ولا يمكن أن يصلحوا إلا به فى كل عصورهم المتأخرة هذا ، وقف عنده تفكيرى مدة طويلة ثم هدانى فهمى القاصر إلى رأى لا أرى بأساً من عرضه على أستاذى الكبير الزيات .

إنى أرى أن المناسبة التى دعت الإمام مالك أن يقول كلمته هذه هى نفس المناسبة التى دعت ابن السعود أن يرددها فى مجالسه إذ أن بين المناسبتين تشابها كبيرا على أقل تقدير .

لقد عاش الإمام مالك فى العصر العباسى ذلك العصر الذى ترجمت فيه فلسفة اليونان وانتشرت فيه ثقافة الفرس وترفهم بين الطبقات العليا المتوسطة من الأمة الإسلامية خصوصاً فى العواصم الكبرى وحصل على أثر ذلك بعض الانحلال فى المعتقدات والتدهور فى الأخلاق . ولعل بعض من يهمهم إصلاح المسلمين قد فكر فى طريقة للاصلاح تكون متمشية على أسس الفلسفة والسياسة العباسية وغيرها من سياسات الأمم التى سبقت العرب إلى الحضارة والمدنية . فلما سمع الإمام هذا الرأى قال . (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما يصلح به أولها) كذلك الملك ابن السعود لما رأى ثقافة الغرب وترفه يغزوان الأمم الإسلامية فينشران الإلحاد فى الدين والانحلال فى الأخلاق ، وسمع أن بعض القادة يرون أن المسلمين لا يمكن إصلاحهم إلا إذا اتبعوا العرب فى

خطواته ولو دخل حجر ضب خرب . كما سمع بهذا الإصلاح ردد تلك الحكمة التي سبقه إليها الإمام مالك (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) حقاً لقد صلح أول هذه الأمة بل لقد صارت هذه الأمة أمة بعد أن اهتدت بهدى هـذا الوحي الألهي السامى واسترشدت بأخلاق محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه . فهل ترجع هـذه الأمم إلى هذين الأصلين تستوحى منهما الإصلاح أم تظل تجرى وراء مبادئ الغرب من شيوعية وديمقراطية تلك المبادئ التي هي كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاء لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ؟

هذا رأى في هذه الحكمة أعرضه على القراء وأعنى أن يجعلوها عنوانا لمقال أو مقالات تنشر في الرسالة لنستشف منها الهدى ونجد منها الإرشاد .

محمد عبد الله الوالي

قداس . السودان

نهاية نقاش

شاء الأستاذ محمد عبد الرحمن أن يردنى مرة أخرى إلى ما كنت قد أزمعت منه انتهاء . . فأنا أشكره أن أتاح لى الفرصة لأقدم إلى الأستاذ الراعى كل اعتذارى مما أخشى أن يكون قد فهمه من تعقيبى .. وغاية الأمر أننى بسليقتى غير مهيأ لأن أستقبل من الكلام ما يند عن المألوف فى العلاقة بيننا وبين الخالق .

أما الأستاذ محمد عبد الرحمن فقد شاء — مشكوراً أيضاً — أن يطالبنى النظر إلى التعبيرين من الناحية الخيالية والمجازية منحرفاً عن هذه الزاوية التى نظرت من خلالها ، وساق مثلا من قولهم « بنات الأفكار » ... الأفكار إذن فى رأى الأستاذ محمد هى والله سواء ... لا ياسيدى كان الأولى بك أن تستشهد بقوله عز وعلا « يد الله مع الجماعة » فإن هذا أقرب لما نحن فيه وردى عليه أن يد الله كلمة معنوية لا نتخذ تجسيما لها فى شمس أو غير ذلك من المخلوقات .

أما التخريج العجيب الذى رضى به عن عين الله فإننى ألمح من كلام الأستاذ محمد نفسه أنه غير راض عنه . الحقيقة والحقيقة هى الله والشمس عين الحقيقة ... أهكذا تظن .

وبعد ياسيدى فإننى مازلت أنوكأ على شرح الأستاذ الراعى فليست هناك لغة غير لغة الناس ... ليست هناك غير هذه اللغة مهما دافعت . وإننى مازلت أعتذر إلى الأستاذ الراعى عن الأسلوب الذى صفت به الكلمة معجباً به .

ثروت أباظة



بيت الذكريات

للأستاذ غائب طعمة فرمان

خمس عشرة سنة مضت وهو بعيد عن وطنه ؛ يعانى آلام الغربة ، ويكافح أعباء الحياة ، ويتلمس الطريق إلى مستقبل جميل .

خمس عشرة سنة لقى فيها أشد العناء ، وقاسى ضروباً من الفاقة والعسر وثقلت على عاتقه تكاليف العيش ... واليوم يرجع إلى وطنه بعد الكفاح المضنى ، والفراق الطويل ، وقد أمحى من عينيه إئتلاق الشباب ، وتحولت صباحة وجهه إلى جهامة منكرة وذبول حزين ... فقد حطم خمساً وثلاثين سلسلة من السلاسل التى تربطه بالوجود ، وأخذ يترقب الانحدار إلى الجانب الثانى من تل الحياة ليستقبل السلام الأبدى فى قرارة الوادى السحيق ! فلاح الإجهاد على محياه ، وغشيه موج من الحزن عميق

الآن يرجع إلى وطنه ، ويستقبل هذا الشارع الضيق الذى يعرفه حق المعرفة ، وتصدمه رائحة العفونة المنبعثة من أكوام الأقذار ، وتملأ عيناه بمنظر الأحجار التى ما زالت قائمة بها يد الإنسان ، ولم تنل منها صروف خمس عشرة سنة ! .

يا للعجب ! . . ويا لمرارة الذكرى ! . . خمس عشرة سنة ما أحفلها بالأحداث والغير ، وما أترعها بالشجون والغصص ، وما أكثر ما غيرت منه ، وما جارت على بنيانه الأنسانى ! ونقلته من حال إلى حال . ولكن الشارع ما زال كما عهده لم يتغير منه أى شىء ! . إنه ليتذكر كل شىء فيه كأنما غادره أمس . . رحل عند إغفاءة النهار فى أحضان الليل ، ورجع فى يقظة الليل على ترانيم الفجر ! . فإن صور الليلة التى غادر فيها موطنه ما زالت مرتسمة فى صفحة مخيلته ، وما زالت ظلالها الحية عالقة فى ذهنه . وإنه ليتذكر أمه وهى تتشنج لتعبر عن عاطفتها الحبيسة ، وتضطرب شفتاها كورقتين ذابلتين ، وتشرق عيناها بالدموع وهو بين ذراعيها مخنوق العبرة ، ذاهل الفكر ، مسلوب الإرادة .

وكان الطريق — إذ ذاك — متوشحاً رداء الغروب كأنه يحس بلوعة القلوب الواجفة ! ...

واليوم يرجع إلى أهله ، ونفسه مفعمة بالحزن الكظيم ، وبمشاعر لا يتبينها فى منظار ضميره ، وفى عين وجدانه . ولكنه يضرب برجليه فى تراب الطريق الحائل اللون ، ويتعثر بحجارته الصغيرة السوداء ، وعيناه تحدقان بالبيوت القائمة على الجانبين كأنها تنتظره ! . .

وامتلأت خياشيمه برائحة كان ينفر منها أشد النفور ، ويضيق بها أعظم الضيق ، ومع ذلك فقد كان يلقاها مكرها حين يخرج من بيته ، ويمر بها — مسوقاً إليها — حين يعود إليه . ولكنه اليوم يحس إحساساً قوياً عنيفاً بأنها تعطر نفسه التى أفسدتها الغربة ، ودمرها الجفاف !

ما أجمل هذا الطريق ! وما أبدع ما سطر من ذكريات فى سفر السنين ، قليلها حلو سائغ ، وسائرها مر مغرق فى المرارة ! فهو لا يكاد يذكر أنه قطعه مرة وهو خالى النفس من الألم ، صافى الفكر من الهواجس والظنون ، فكثيراً ما كانت تمتلئ نفسه بالألم ويحس بالضيق يدب فى مفاصله ، فيهرع إلى بيته يلوذ به من الهجير ويتقى تحت سقفه لوافح الألم وسموم الهواجس والظنون .

وقطع بعضاً من الطريق وهو يتلفت . كل شىء كما خلفه قبل خمسة عشر عاماً كأنما السنون تمر على جوانبه مر النسيم ! . وتمنى لو يدلف إلى بعض البيوت ليرى سكانها أتغيروا مثلما تغير وعضهم الدهر بنا جذيه كما عضه هو ؟ . ولا شك فى أنهم سينكرونه أشد الإنكار لما أصابه من شحوب مخيف ، وكبر بالغ ، حتى كأنه قطع خمسين حجة ، وأفضت به السن إلى كهولة واهية ! . فالشيب تسلل إلى شعره كما تتسلل الخيوط البيض من الفجر فى لمة الليل الفاحم والسنون اللافحة بسمومها أذوت نضارته ، وسيلته المرح ، وأهدته كآبة لاذعة ، ووجوماً ثقيلا .

ووصل إلى بيته ، وأطل على باحته من العتبة العالية ، وألقى نظرة واجفة على الداخل . على الجدران المسودة من لفح الدخان ، والأرض المهشمة البلاط ، وأبواب الغرف الضيقة المظلمة الأغوار ؛ ولمح فى تطواف عينيه كتلة بشرية جالسة القرفصاء ، ساندة رأسها على ذراعيها المتشابكتين .

وعرفها فتحركت فى أرجاء نفسه اللواذع . وجاشت لواعج وجدانه فناداها : — أماه ! ... أماه !

فارتفع رأس المرأة فجاءة ، ونظرت عينان صغيرتان حائرتان ، وارتجفت شفتان ذابلتان ، واختلجت أسارير وجه ممروق .

أماه ! لفظ جميل سرى فى جسدها كالتيار الكهربائى . . لقد أطال عهد سماعها به ، فلما سمعته ترددت فى أعماق نفسها أصداء بعيدة ، صادرة من ماض سحيق ، واعترتها رعشة . ودار فى خلدها أنها تعرف صاحب الصوت .

وتقدم المغترب خطوات ثقالا ، فلمحت الأم شبحاً يقبل عليها فنظرت بجهد إلى وجهه ، فلاح لها من بين أهداب عينها وجه شاحب هزيل . فتمتمت قائلة وهى لا تصدق ما رأت عيناها .

— عبد الرحمن ! ؟

وألقى الرجل جسمه فى أحضان أمه كالطفل الخائف من الأشباح ! ، وخضات الدموع الشفاه المحمومة التى طفقت تعبر عن حنانها بالقبل النهمة ، وتفصح عن شوقها بالهمهمات .

وأرادت الأم أن تقول ولكن لسانها خانها ، فتلجلجت ، وتعثرت الألفاظ على شفتيها المرتجفتين ، فأمسكت رأس الرجل بيديها ، ونظرت فى عينه كأنها تريد أن تستنطقها ، ولثمتها لثمات حرار وهى تبكى بصوت خافت .

ولم يستطع الرجل من جانبه أيضاً أن يعبر عن إحساسه إلا بشىء واحد وهو : أماه ... أماه ... بينما ظلت الأم تحت اللفظة السحرية تسكر وتحس نشوة من عبيرها الذاكى . ولكنها لا تملك إلا اللثمات !

وأخيراً نطقت بصوت تترقرق فيه العبرة :

— أحق أن حلمى قد تحقق ، وأنك رجعت إلى بيتى بعد غياب طويل ! ؟

ومسدت بيديها شعره ، والتهمته بنظراتها وهو صامت بين يديها كالتمثال ...

قالت والعبرة لا تزال تقطر من ألفاظها :

— لقد عذبنى غيابك ، وفرى صبرى . لقد كنت أشفق عليك من أغوال الغربة ، وأخشى عليك انقطاع الأسباب بك . وبئس أهلك منك إلا أنا فقد كنت موقنة أعظم اليقين أنك سوف ترجع إلى يوما ما .

وضمته إلى صدرها كأنها تريد أن تطرد الوساوس التى تتناهبها . ثم قالت : — والآن رجعت . واستجاب الله دعائى وصلواتى . فقد كانت نفسى ممتلئة بك ، منتظرة إيابك ، تترقبه فى كل لحظة ، وتتعزى بالأمل عن نكد الدنيا وغصص العيش .

وخنقتها العبرة كالكابوس ، وتفرست فى وجهه الشاحب القطب المهيمن عليه الحزن والجمود ، وتطلعت إلى الجهامة المرتسمة على صفحاته . فأغمض الرجل عينيه واستسلم إلى ارتياح جميل !

وجاء أهله باشين به متهللين . يا عجباً ! كأنه لم يعرفهم . . إن خمسة عشر عاماً كفيلة بأن تخلق جيلاً جديداً ، وتباعد بين المقترب وأهله . وتخلق برزخاً واسعاً بينه وبينهم !

وطوف ببصره فى أرجاء المنزل ، منزل الذكريات . . يالله . ما أصلب هذا الحجر ، وما أعظم جبروته ! إن الكائن الإنسانى تهدمه معاول الدهر ، وتزعزعه نكبات الأيام ؛ أم الجامدفإن الدهر يترقرق من جوانبه كما يترقرق الماء الزلال من صخرة جلمود !

ووقع بصره على غرفته الخاصة فرأى بابها موصداً ، ورأته أمه يحدق فيها فقالت :

— إنها كما تركتها ؛ لم تطأ عتبتها قدم ، ولم تجل فى أرجائها عين . فقد كانت تذكرنا بك ، وتجعلك حاضراً معنا ، شاهداً على ما تلقاه من جراء غيابك . لقد أوصدت بابها فى اليوم الذى سافرت فيه ، وظللت كلما تقع عينى على بابها المغلق أتذكرك . ويخيل إلى أنك ما زلت فيها ، فتلفنى الذكرى ، وتتحير فى عينى الدموع ...

وجالت فى خاطره فكر ، ومرت فى مخيلته صور وأشباح . ونهض متثاقلاً كأنه يحمل على عاتقه خمسة عشر جيلاً من الهموم والأحزان ؛ ودفع باب غرفته فسمع لها ضريراً أقشعر له بدنه . وخيل إليه أنه يدلف إلى مقبرة ! . وطوف ببصره فى أرجاء الغرفة المعرشة بخيوط العنكبوت ، المغبرة من تراب السنين . وجلس على كرسيه المغطى بطبقة سميكة من التراب ، وأسند كوعه على المكتب أمامه ، وظل يحدق فى سقف الغرفة المختفى وراء طبقة من الظلام ، وأخرى من نسيج القدم !

وتدفقت عليه سيول من الأفكار كما تتدفق الأنوار على كهف مظلم مهجور ! .

ورأى نفسه يلقى على عاتقه خمس عشرة سنة من الزمن ،

وأكثر منها فى عمر العاطفة والشعور . وقال فى نفسه :

— هنا .. وقبل خمس عشرة سنة كان يعيش شاب .. ابتلى بحمى العاطفة !

وارتسمت على فمه ابتسامة باهتـة ساخرة .. كأنه يسخر من ذلك الشاب الثمـل من الأشواق ! . . وراح يستطلع ما خبأه فى كوة الماضى البعيد ...

إنه ليتذكر الماضى على أحسن صورة . . كأنما الأشياء كلها وقعت بالأمس ... يتذكر ذلك الشاب النزق البعيـد الآمال ، المجنون بحب المستحيل ، السارى فى دياجى الأحلام ، العبد الذليل لعواطفه ! ويتذكر كيف أنه كان يضيق بالحياة ، وتمتلئ جوانب نفسه بالثورة على كل شئ ، ولأى شئ ... وإنه ليتذكر ليلة كان القـدر يخط سطراً كبيراً فى صفحة وجوده . . سطراً يحسبه كالعنوان لقصة حياته المملة التى فقدت عنصر التشويق . . تلك الليلة التى لقيها فيها . . إنه ليتذكرها .. فتاة السابعة عشرة غضة لينة ، تنطق قسمات وجهها بما يبعث فى نفسه الحائرة برد الاطمئنان وقد سحرته عيناها البراقتان ، وبثتا سحرهما فى قلبـه الضعيف الأسوار !.. وألهبتا وجدانه ، فكان يهرب إليها من جحيم واقعه لينظر إلى سواد عينيها . إلى تلك البحيرة التى تعكس أنوار مستقبله

كانت « سناء » جارة الجنب يراها كل يوم ... زهرة ندية فياضة بالعطر والندى .. فيتطلع إليها ، وتصده نظرات من عينيها ذوات معان لم يعرفها وهو ابن العشرين ... ولـكنه كان يحس فى قرارة نفسه بأن النظر إليها شئ جميل جداً ورائع جداً . . وكان سحر العيون أشد من كل سحر قلبه ، لا يستطيع أن يرده بإرادة ولا أن يخمده ببرود . . وكانت عيناها البراقتان كفيلتين بإذكاء النار الخالدة فى قلبه ! ... وأى شئ كان أضعف من قلبه ؟!

وشعر بأنها هى الأخرى تحبـه ، فقد انبجس له من افترار شفتيها ، وانطلاق روحها ، وانبساط محياها أمل حلو فى أنهـا تحبه ، وتبادله عاطفة بعاطفة مثلها . . وإنه لن ينسى تلك الليـلة الحلوة الممتعة عندما رجع إلى البيت فرآها تنتظره بقوامها الرشيق ، وتحرك أوتار قلبه بابتسامتها ، وتحدثه بعينيها الحسنتى التعبير .. وعندما اقترب منها عبق فى وجهه عطر خدّر أوصاله !.. وعندما دلف إلى بيتـه كانت شفتاه نديتين ! . . وكان حبه قد أينع عن ثمر حلو المساغ !

وأطلت من شفتى عبد الرحمن ابتسامة وقد وصل إلى هـذا الموضع وقال فى نفسه :

— هذه القمة السامقة من كل حب . ولـكن لابد للإنسان من الإنحدار حين يصل إليها

— لقد صدق الفرنسيون حين قالوا : « الحب يولد بالنظر ، وينمو بالقبل ، ويموت بالدموع » !.. فلابد من الدموع

وكأنه أحس بمرارة الدموع . . فقـد كانت القبل تسكره ، وتذهب باتزانه .. فهام مع أحلامها فى واد محرم . . وظل يهـوم فيه حتى استفاق على صوت أبيها يزمجر ويقطع كل سبب من أسباب حبه .

هناك أدركه الإعياء ، وخارت قواه . . ولاحت له الدنيا مغارة مخيفة !.

وتذكر ليلة الوداع . . حين جاءت إليـه تودعه ، وتلقى فى مسامعه كلمات تزيده لوعة وهى المرأة الضعيفة ... وقالت له :

— إنها ستحيا من أجله . ومن أجل شيء أعز عليها من نفسها.

واختلجت فى صدر عبد الرحمن لواعج وأشجان وهو يسترجع موقفه معها ، ويرى فى عينيها قصة آمال محطمة ، وخيبة مريرة فيقول فى سره :

— الحياة رحلة مضنية ! أدنى ما ينال المسافر منهـا التعب ، وأقرب ما يطـرق باب نفسه فيها الإجهاد والضيق . . ثم السأم المطبق .

وأحس بأن غرفته أصبحت سجناً مظلماً ، وذكرياته أشباحا مريعة . فضاق صدره وطلع منها لعل الفضاء والنـور والهواء النقى يطرد أشباح الماضى وأطيافه المقيتة !

واستقبله شاب فى الخامسة عشرة ، منطلق الأسارير ، براق العينين ، مؤتلق الشباب . فنظر إليه طويلاً كأنه يعرفه . فقالت له أمه:

— هذا جميل .. ابن سناء . .

وارتجفت شفتاه وهو ينظر إلى وجـه الشاب المتسائل وفى أرجاء نفسه سمع صوتاً ينادى :

— ولدى !..

غائب طعمة فرمان

زوروا :

متحف فؤاد الأول

(أمام مخزن بضائع محطة مصر)

السكك حديد تلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية فى مختلف الأزمان ولتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل فى مصر والخارج

المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الإثنين والعطلات الرسمية كما يأتى :

فصل الشتاء — من أول نوفمبر إلى آخر أبريل
من الساعة ٣٠ ٨ إلى الساعة ٠٠ ١٤

فصل الصيف — من أول مايو إلى آخر أكتوبر
من الساعة ٠٠ ٨ إلى الساعة ٣٠ ١٣

خلال شهر رمضان { صيفاً : « ٠٠ ١٠ « ٣٠ ١٣
شتاء : من الساعة ٠٠ ١٠ إلى الساعة ٠٠ ١٤ }

رسم الدخول ٢٠ مليماً

تليفون رقم ٤١٩٦٤

إدارة البلديات العامة

تقبل العطاءات بإدارة البلديات العامة (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ١٩٤٩/١٢/١٩ عن عملية بياض وترميم أحواض الترسيب بمصلحة المجارى بالسويس . وتطلب الشروط والمواصفات من الإدارة على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ٢٠٠ مليم خلاف أجرة البريد. وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ لا يلتفت إليه .

٣٤٨٩

وزارة الأشغال العمومية

مصلحة الميكانيكا والكهرباء

مطلوب تقديم عطاء لغاية ظهر يوم ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٩ عن توريد وتركيب الكابل الكهربائى الخاص بإنارة مستشفى الحميات بكفر الدوار . ويمكن الحصول على دفتر الشرط مقابل جنيه مصرى للنسخة الواحدة بخلاف ٦٠ مليما أجرة بريد ويقدم تأمين ابتدائى بواقع ٢ ٪ مع العطاء وإلا فلا يلتفت إليه .

٣٥١٣

العدد ٨٥٧ — الاثنين ٥ ديسمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٤٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 em Année No. 857

Lundi — 5 — 12 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مص

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٨٥٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ من شهر صفر سنة ١٣٦٩ — ٥ ديسمبر سنة ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة »

على محمود طه

شاعر الأداء النفسى

للأستاذ أنور المعداوى

الشاعر الذى أقدمه إليك فى هذه الصفحات ، كان أشبه بكتاب مفتوح . أستطيع أن أقول لك وأنا مطمئن ، إننى قد قرأته كله ... شعره على ضوء حياته ، وحياته على ضوء شعره ، ناحيتان تؤلفان هذا الكتاب الذى قرأته ، وعشت بين سطوره ، وخرجت من هذه السطور بآراء عرضتها على الذاكرة فما اعترضت وعلى الضمير فما أنكر ، وعلى موازين النقد فما اختلفت مع أصوله كما أفهمها ومناهجه .

درست حياة على طه النفسية ، ودرست آثاره الفنية ... درستهما على طريقتى التى أومن بها وأدعو إليها كلما حاولت أن أكتب عن أصحاب المواهب أو كلما حاول غيرى أن يكتب عنهم : مفتاح الشخصية الإنسانية أولاً ، ومفتاح الشخصية الأدبية ثانياً والربط بعد ذلك بين الشخصيتين لننفذ إلى أعماق الحقيقة فى الحياة والفن ومدى التجاوب بينهما منعكساً على صفحة الشعور المعبر عنه فى كلمات .

يستطيع الذين لم يعرفوا على طه ولم يطلعوا على دخائل نفسه وآفاق حياته ، يستطيع هؤلاء إذا لم ينزعوا عن الألفاظ أثوابها النفسية ، أو يجردوا الأخيلة من ظلالها المعنوية ، أو يفرقوا بين الصور وبين وشائج اللحم والدم ... يستطيعون إذا لم يلجأوا إلى شئ من هذا كله أن يعرفوه حق المعرفة من خلال شعره ! لقد كان شعره مرآة صادقة لهذا الوجود الذى أحاط به ، لأنه كان إنساناً صادقاً فى صحبته لتلك المرآة ... لم يحاول يوماً أن يقف أمامها بوجه غير وجهه ، ولم يحاول يوماً أن يلقاها بملامح لونتها المساحيق أو اختفت حقيقتها وراء الأقنعة ! ما أكثر الذين تخدعك مراياهم من أصحاب الفن حين تفتش فيها عن وجوههم ... هؤلاء لو قدر مالى يوماً أن أكتب عنهم لكشفت عن أثر المساحيق فى تشويه معانى الحق والخير والجمال ، وفى خداع الذين يريدون أن يستخلصوا من السطور وحدها رأياً وعقيدة ! هنا أستطيع أن أقول لهم مثلاً إن فلاناً الكاتب أو الشاعر أو القصاص ، قد قدم إليكم صورته من خلال فنه كما تريد المثالية فى عالمكم لا كما تريد الواقعية فى عالمه ... إياكم أن تدرسوه من صورته المقروءة ، بل ادرسوه بين صورته المنظورة ، ثم قارنوا بينهما لتضعوا أيديكم على مدى التفاوت أو التوافق بين الصورتين ! تلك هى الأمانة العلمية فى الدراسة النقدية ، كما حاول كاتب التراجم أو دارس الشخصيات أن يسلط أضواءه على الأثر الفنى مرتبطاً بحياة صاحبه !

على طه لم يكن واحداً من أصحاب المساحيق ، ولكنه كان شاعراً يريد أن يجد نفسه وأن يجده الناس ؛ ومن هنا لم يكذب أبداً على المرآة ... مرآته الصافية التي تعرضه أمام ناظريك بسماته

التى لا تكلف فيها ولا رياء ! إنه يمثل الوضوح فى الفن ، وقيمة الوضوح فى الفن هو أنه ... هو أنه يتيح للدارسين أن يطمئنوا إلى مواقع أقلامهم كلما قطعوا مرحلة من مراحل الطريق ... لا غموض فى المقدمات يدعو إلى الشك فى النتائج ، ولا ضباب على سطح المنظار يحول دون الرؤية إذا التمستها العيون وليس معنى هذا أن شعر على طه يريح دارسيه ومقوميه ، كلا ، فما كانت هذه الحياة العريضة ولا أقول الطويلة ، ما كانت هذه الحياة فى ألوانها المختلفة وطعومها المتباينة ، إلا ميدانا رحيب الجنبات لفن يرهق أنفاس السائرين فى فجاجه ودروبه ... إن على طه لم يكن طاقة محدودة تسبر غورها فى بضع لمسات أو لمحات ولكنه كان طاقة تشمر بينك وبين نفسك بمداها الذى تتعدد فيه الزوايا وتكثر الأبعاد ! .

هذه حياته قد خبرتها ، وهذه دواوينه قد قرأتها ، فهل تحسب أن هناك شيئاً من الإجهاد للملكة الناقدة إذا ما وضعت صوره الفنية فى أماكنها الدقيقة التى تتسع لها ولا تزيد ؟ كلا ... لأنها كما قلت لك واضحة فى منظارى كل الوضوح ، ثابتة فى مقاييسى كل الثبات . ولكن الإجهاد كل الإجهاد فى الإحاطة الكاملة بهذا الأفق الممتد إلى أبعد حدود النظر ... إن الظلال والأضواء على وضوحها تتشابك لكثرتها وتتداخل ، ولابد من الاحتشاد كل الاحتشاد لتفرق بين ظل وظل وتوفق بين ضوء وضوء ، وتجمع بين المؤتلف منها فى مكان وبين المختلف منها فى مكان آخر ! . .

لقد كان على طه موزع الطاقة بين فنون شعره كما كان موزع القلب والفكر بين فنون حياته ؛ فالصورة الوصفية فى إطارها الحسى ، والصورة الوصفية فى إطارها النفسى ، تلتقيان وتمتزجان فى شعر المرأة وشعر الغزل والطبيعة والرثاء والقومية والمناسبة ، حتى يصعب عليك أن تستخلص كل لون من ألوان هاتين الصورتين ، لتضمه فى خانته المحدّدة التى تقدمه إليك من وراء عنوان !

ولعل القارئ يلاحظ أننى قد فرقت بين شعر المرأة وشعر الغزل ، وجعلت لكل منهما سمته الخاصة وطابعه المتميز ... ذلك لأن هناك لونين من الشعر يجب التفرقة بينهما فى هذا المجال : لون يعبر عن مكان المرأة من الشعور الإنسانى عند الرجل حين يصور المشاركة الوجدانية بين عاطفتين : وهو ما أسميه بشعر الغزل . ولون يعبر عن مكان المرأة من الغريزة الإنسانية عند الرجل حين يعرض لنزوات الجسد بين طبيعتين : وهو ما أدعوه بشعر المرأة .

ولكل من اللونين فى شعر على طه نصيب أى نصيب !

على مدار الأداء النفسى سأدرس هذا الشعر ، وعلى أساس هذا الأداء يجب أن يدرس كل شعر عند القدامى والمحدثين . إنه فى رأيى المحك الذى يظهر لك الشخصية الشعرية فى ثوبها الطبيعى ويكشف لك عن الفن الشعرى فى معدنه الأصيل ... ودعك من الساجدين فى محراب الأداء اللفظى ؛ أولئك الذين يزنون الألفاظ بضخامة هياكلها الخارجية : إنهم يذكروننى بذلك الصنف من الناس يحترم الرجل لضخامة مظهره ... غير ملتفت إلى ضآلة مخبره !

ولقد حدثتك فى عدد مضى من « الرسالة » عن دعائم الأداء النفسى فى الشعر ... وقلت لك عنها فيما قلت : إنها تتمثل فى الصدق الشعورى أولاً ، وفى الصدق الفنى ثانياً ، وأخيراً فى روافد هذين النهرين الرئيسين ، ونعنى بهما اللفظ والجو والموسيق . ولا بد من رجعة إلى بعض الذى قلت بالأمس ، حتى تستطيع أن تجمع بين خطوط المشكلة الكبرى وبين التطبيق عليها عن طريق الصورة أو عن طريق المثال ...

« الصدق الشعورى » هو ذلك التجاوب بين « الوجود الخارجى » المثير للانفعال ، وبين « الوجود الداخلى » الذى ينصهر فيه هذا الانفعال ، أو هو تلك الشرارة العاطفية التى تندلع من التقاء تيارين . أحدهما نفسى متدفق من أعماق النفس ، والآخر حسى منطلق من آفاق الحياة . أو هو ذلك التوافق بين التجربة الشعورية وبين مصدر الإثارة العقلية فى مجال الرصد الأمين للحركة الجائشة فى ثنايا الفكر والوجدان ... هذا هو الصدق الشعورى وميدانه الإحساس ، أما « الصدق الفنى » فميدانه التعبير ؛ التعبير عن دوافع هذا الإحساس تعبيراً خاصاً يبرزه فى صورته التى تهز منافذ النفس قبل أن تهز منافذ السمع ، وهذه هى التجربة الكبرى التى تختلف حولها القيم الفنية للشعر فى معرض التفرقة بين أداء وأداء !

هناك شاعر يملك الصدق فى الشعور ولا يملك الصدق فى الفن لأنه لم يؤت القدرة على أن يلبس مشاعره ذلك الثوب الملائم من التعبير ، أو يسكن أحاسيسه ذلك البناء المناسب من الألفاظ ، ولا مناص عندئذ من الإخفاق فى إظهار الطاقتين معاً : الشعرية والشعورية ... وهنا يأتى الدور الأخير من الأداء النفسى فى الشعر ،

وهو الدور الذى يعتمد على اللفظ والجو والموسيقى : اللفظ ذو الدلالة النفسية لا المادية ، اللفظ ذو الظلال الموحية لا الظلال الجامدة ، اللفظ الذى يتخطى مرحلة إشباع المعنى الجزئى الواحد إلى مرحلة إشباع المعانى السكلية المتداخلة !

هذا هو مكان اللفظ من الأداء ؛ أما الجو فنقصد به ذلك الأفق الشعرى الذى ينقلك بصدقه إلى مكان الفن وزمانه ، ويحقق لك تلك المشاركة الروحية بينك وبين الشاعر ، ويحدث لك نفس الهزات الداخلية التى تلقاها وهو فى حالة فناء شعورى كامل مع « الوجود الخارجى » ...

ويبقى بعد ذلك عنصر التنغيم فى مشكلة الأداء ، وهو عنصر له خطره البعيد وأثره الملحوظ فى تلوين الانفعالات الذاتية فى التعبير . وهنا يبدو الارتباط كاملا بين العناصر الثلاثة ، لأن « الحقل الشعرى » ممثلا فى عنصرى الأجواء والألفاظ لا غنى له بحال عن عنصر « الموسيقى التصويرية » التى تصاحب « المشهد التعبيرى » فى كل نقلة من نقلات الشعور ، وكل وثبة من وثبات الخيال !

ويظهر أثر الربط بين هذه القيم فى مشكلة الأداء النفسى حين نلتمس ذلك التناسق بين فنون الشعر المختلفة . . . إن لـكل فن من هذه الفنون طابعه الخاص المتميز فى مجال التصوير الفنى عن طريق اللفظ والجو والموسيقى ؛ فمن أسباب الاخلال بالأداء النفسى أن نتخير اللفظ الهامس ، والجو الهادىء ، والموسيقى الحالمة مثلا فى شعر الملاحم ، وأن نعكس القضية من وضع إلى وضع فنتخير اللفظ الهادر ، والجو الصاخب ، والموسيقى العاصفة مثلا فى شعر الغزل والرثاء

قلت هذا عن دعائم الأداء النفسى ثم زدت عليه هذه الفقرات : حسبنا أن نقول إن الشعراء المحدثين قد خطوا بفهمهم لأصول الفن الشعرى خطوات جديدة ، ووثبوا بالأداء النفسى وثبـات أقل ما يقال فيها إنها ردت للألفاظ قيمها التعبيرية حين ردتهـا إلى محاربها النفسية فغدت وهى صلوات شعور ووجدان . ويستطيع النقد الحديث أن يقول إنه قد وجد ضـالته فى هـذا الشعر الذى وجد نفسه ... وإذا قلنا الشعر العربى الحديث ، فإنما نعنى ذلك الشعر الذى بدأت مرحلته الأولى بتلك المدرسة من بعض شعراء الشيوخ وعلى رأسهم شوقى ، وبدأت مرحلته الثانية بتلك المدرسة الأخرى من بعض شعراء الشباب وعلى رأسهم إيليا أبوماضى ، وفى شعر هذين الشاعرين تبـدو ومضات الأداء النفسى أكثر لمانا منها فى شعر الآخرين !

من هذه الفقرات يتضح لك أننى قد جعلت أبا ماضى على رأس مدرسة الأداء النفسى عند شعراء الشباب ... ولقد أصدرت هذا الرأى بالأمس وما زلت أؤيده حتى اليوم ، حتى هذه اللحظة التى أدرس فيها شاعراً ممتازاً من شعراء هذه المدرسة النفسية هو على طه. ولـكن بقيت من وراء هذا كله حقيقة ، وهي أن أبا ماضى يقف فى الطليعة على أساس هذا الأداء فى مجموعه ... أريد أن اقول لك إن هناك صوراً من صور هذا الأداء فى شعر على طه تعلو فوق مستوى نظائرها فى شعر أبى ماضى ، سواء أكانت تلك الصور وصفية فى إطارها النفسى أم كانت وصفية فى إطارها الحسى . ولك أن تقول والدليل بين يديك من شعر الشاعرين إن فرائد على طه خير من فرائد أبى ماضى ، ولـكن النتيجة الأخيرة هى أن أبا ماضى فى مجموعه خير من على طه فى مجموعه ، على أساس النسبة العددية التى كلما قدمت لك عشر قصائد من شعر الأداء النفسى عند أبى ماضى ، قدمت إليك فى مقابلها سبعاً من شعر هذا الأداء عند على طه ... فإذا قلنا بعد ذلك إن ومضات الأداء النفسى أكثر لمانا فى شعر إيليا منها فى شعر الآخرين ، فيجب أن يفهم أن المقصود بكثرة اللمان هنا — فى هذا التعبير — هو تلك السكثرة التى أشرت إليها فى مجال النسبة العددية ، وفى النماذج التى سأقدمها من شعر على طه فى هذه الدراسة المطولة ما شئت من إقامة الدليل !

وأمضى فى هذه الدراسة محدداً جوانبها مقسما مراحلها ، إذ لا بد لكل دراسة كاملة من جوانب محدد ومراحل تقسم ... لا بد من تصميم فنى كـكل تصميم يوضع عند رسم الخطوط الرئيسية فى أى عمل من الأعمال الأدبية .

هناك مرحلة أولى سأتناول فيها بالنقد والتحليل أول صورة من صور الأداء النفسى فى شعر على طه ، وأعنى بها الصورة الوصفية فى إطارها النفسى ... وهى تمثل الشعر الذى تلمع فيـه الومضة الفـكرية مغمورة بأضواء الذاتية الوجدانية ؛ هناك حيث يتنزى الفـكر الإنسانى بين جدران النزوة والنزعة والغريزة والعاطفة .

وهناك مرحلة ثانية سأتناول فيها الصورة الأخرى من صور هذا الأداء ، وأعنى بها الصورة الوصفية فى إطارها الحسى ... وهى

صور من الحياة :

ركن يتداعى

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٢ —

لما كتبت القسم الأول من هذه الصورة أسرع إلىَّ صديق من ذوى الجاه والشأن فى وزارة الأوقاف ، وحدثنى حديثاً فيه الشفقة والعطف ، وفيه الرجولة والإنسانية ، وطلب إلى مشكوراً أن يعين صاحب هذه الصورة على بلواه بطريقة لا يحس الرجل فيها غضاضة الحاجة ولا ذل السؤال .

آه ، ما أسمى رجولتك يا من تهزك الأريحية الجياشة فتمد يدك الرابقة لتمسح على أتراح رجل ضعضعته نكبات الزمن ، ولتخفف من آلام إنسان لجعته الأيام فى خفضه وسعادته ! إنك — ولا ريب — روح السماء ونسيم الجنة ، فدعنى أشكر عطفك ورقتك بلسان صديق الذى دهمته القارعة فاجتاحت قوته وحيلته ورزقه .

« كامل »

نَدَّ عنى صوابى يوم أن رأيتك — يا صاحبى — أول مرة ، تطحنك مرارة الفجيعة فى نور عينيك ، وطار عنى الحجا يوم أن لمست الأسى يتغلغل فى أغوار قلبك فيخترم شبابك ونشاطك من أثر الصدمة القاسية ، وماتت كلمات العزاء على شفتىّ يوم أن شهدت الصبية يرفون حواليك كالأقمار رونقاً وبهاء وينادونك : « انظر ... انظر ، يا أبى » ، وهم يتوثبون بهجة وسروراً لأنهم لا يحسون ما أصابك من لوعة وضيق .

وصرفتنى عنك شواغل الحياة حيناً ، فحز فى نفسى أن لا أجد السبيل إليك وأنت تعانى حر المصيبة ووهج البلوى . على حين أنى لم أنس — أبداً — أنك كنت لى فى ميعة الصبا رفيق الروح فى وحدة الحياة ، وأنيس القلب فى وحشة العمر ، ونور النفس فى ظلام العيش . وأمضّ قلبى أن أرى حالك تحول فتغيض بشاشتك وتذوى سعادتك وتجدب حياتك ويتداعى ركنك ، ولكن روحى كانت — دائماً — تهفو إليك فتفيض لك نفسى بالهوى والود ، ويطفح قلبى بالشفقة والحنان ، فأنا ما زلت أذكر حديثك يوم أن قلت لى : « الآن — بعد أن نزلت بى هذه الداهية الهوجاء — أجدبت حياتى وأقفرت دنياى وانسدت فى وجهى سبل العيش ، فما عدت ألمس روح الخصب إلا فى لقياك ، ولا أنشق شذا الانسانية

تمثل الشعر الذى ينتقل بالماديات إلى نطاق المعنويات ؛ هناك حيث تستحيل الحركة الحسية فى بوتقة اللفظ إلى موجة صوتية معبرة عن الوجود الداخلى . ومن ألوان الصورة الأولى عالم الطبيعة الإنسانية الخاصة ، وعالم النموذج النفسى العام ، وعالم النظرة الكونية فى محيط الفكرة السابحة فى أجواء المجهول . ومن ألوان الصورة الثانية عالم الطبيعة المادية الخاصة ، وعالم النموذج البشرى العام ، وعالم النظرة الواقعية فى محيط الرؤية الشعرية .

بعد هذا سأنتقل إلى المرحلة الثالثة من مراحل هذه الدراسة وهى مرحلة تطبيق هذه الألوان من الأداء النفسى على حياة على طه الشخصية . سأحاول أن أرد كل ظاهرة فكرية أو نفسية أو خلقية إلى مصادرها من الجو الطبيعى الذى تنفس فيه ... أعنى أننى سأنتقل من مرحلة الأداء النفسى بمعناه الإصطلاحى فى أصول النقد ، إلى مرحلة الأداء النفسى بمعناه الوجودى فى واقع الحياة ، وهو المعنى الذى أشرت إليه من قبل حين قلت إن شعر على طه كان مرآة صادقة لجوانب حياته .

أما المرحلة الرابعة فستخصص للحديث عن المرأة فى شعر على طه ... هل فهمها كما يجب أن تفهم ؟ هل نظر إليها كما يجب أن ينظر ؟ هل شرح الطبيعة الأنثوية كما يجب أن تشرح ؟ هل التقى مع شعراء المرأة هنا وهناك ، فى حدود الجسد حين يتخذ معبراً إلى الغريزة أو حين يتخذ معبراً إلى الإحساس بالجمال ؟ ... هذا فصل خاص سأحاول فيه أن أنتزع الحقيقة الفنية من أغوار الحقيقة الوجودية .

وإذا ما انتهيت من هذه المرحلة الرابعة مضيت إلى المرحلة الخامسة ، وهى أثر الثقافة الغربية فى شعر على طه ... أثرها فى الأخيلة التى تغلب عليها الواقعية حيناً ، والرمزية حيناً آخر ، والرومانتيكية فى كثير من الأحيان . ثم أثر الآفاق الغربية فى إمداد ملكته الشاعرة بتلك الخامات من المشاهد والخواطر والأحاسيس . .

يتبع

أنور المعداوى

إلا فى مجالسك ، ولا أحس نسيم العزاء إلا فى حديثك أنت ... أنت أيها الرجل والصديق والأخ » .

* * *

قال لى صاحبى : « وأخذت أروّض نفسى على حياة الظلام الدامس والوحدة الممضة والشظف العاتى ، فرقت مشاعرى وأرهفت حواسى ، ولبست المنظار الأسود أبغض ما يكون إلى لأدارى خلفه لوعة قلبى وضعف نفسى ، وليكون حجاباً على أعين أولادى فلا تنفذ أبصارهم إلى علتى . وأحسست — بعد حين — أن الطبيعة تحبونى بعطف من لدنها علّها تعوضنى بعض ماسلبتنى فأصبحت شديد الوعى أحفظ مايلقى علىّ لأول مرة ؛ حديد السمع والشم أسمع النأمة الخافتة تصدر من مكان قصى ، وأعرف القادم من وقع قدميه ، وأنشق ريح الرجل فأتبينه مقبلاً أو مدبراً ؛ دقيق الحس لا يخطىء حدسى مكان الجدار وهو على خطوات منى ، ولا يكذب ظنى موضع المنعطف ولما أبلغه بعد ؛ نافذ البصيرة أستشف طوايا النفوس وهى تختلج بين الضلوع ، وأحس نوازع القلب وهى تخفق بين الحنايا ... فهدأت ثورتى وسكنت جائشتى .

« وجاء صغارى — ذات يوم — يتدافعون ويسألون : أحقاً ما نسمع ، يا أبى ، هل فقدت بصرك ووظيفتك ؟ وأنا رجل أقدس المبدأ والعقيدة ، وأو من بأن الطفل برىء بطبعه نقى بسليقته ، فهو لا يتعلم الكذب والخداع إلا فى داره ، ولا يتلقن اللؤم والمكر إلا من أبويه ، ولا يسلك سبيل الضعة والخساسة إلا بقدر مايجدها فى بيئته . ولقد أخذت نفسى — منذ أن صرت أباً — بألا أحدث أولادى حديث الكذب والخداع أبداً . فقلت : « نعم ، يا أبنائى ! » وشعرت — إذ ذاك — بقسوة الصراحة ، فلقد خُيِّل إلىّ أن كلماتى تهبط على هذه الأرواح الصغيرة المرحة مثلما تهبط الصاعقة الجاسية على شىء تافه ضئيل . واستشعروا الصدمة العنيفة فاستخر طوا فى بكاء مر طويل فيه الحرارة واللوعة ، وفيه الشفقة والحنان ... استخرطوا فى بكاء مر طويل وأنا بينهم فى حيرة وذهول أهدئ الروع فلا يهدأ ، وأسكن الثورة فلا تسكن . وجاءت كبرى بناتى وهى صبية جميلة القسمات خلابة السمات رائعة الحسن طيبة القلب رقيقة المزاج مرهفة الحواس ، جاءت لتضمنى إلى صدرها وهى تذرف عبرات حرى تتدفق مدراراً على وجهى ، وتصرخ فى غير وعى صرخات مفزعة : « أبى ... أبى ! » واندفعت تصرخ فى لوثة وجنون ، وحار قلبى لما رأيت ، وتراءى لى أننى أشهد مأتماً هو مأتمى ، وهؤلاء الصبية يشيعون أباهم إلى رمسه ، فنازعتنى نفسى إلى أن أستسلم لضعفى فأشاطرهم البكاء وأشاركهم النواح عسى أن أسرى عن نفسى أو أخفف من شجو أولادى .

« آه ، ياصاحبى ، لقد كان مشهداً رهيباً صعباً ، كاد يعصف بصبرى وإيمانى ، فسولت لى خواطرى أن أفر من دارى لأقذف بنفسى فى اليم ، أو أقدّ قلبى بسكين ، أو ألقى بروحى فى هاوية مالها من قرار . ولكنى خشيت أن أفجع أولادى مرتين ، وفى القلب إيمان وأمل ؛ فسكت على أسى يتأجج ، وكتمت شجونى على حزن يتوهج ، وأطرقت وأنا أربت على كتف هذا ، وأضم ذاك إلى صدرى ، وأقبل تلك فى شوق وحنان .

« وعجب الصغار من صمتى وأخذتهم روعة عطفى فهدأت الثورة ، وفى النظرات ذهول وحنان . وانطلقنا جميعاً فى موكب الحياة ؛ ولزوجتى فى القرية خمسة أفدنة . أما أنا فما ظفرت من ميراث أبى بشىء لأن أخى الأكبر كان قد عبث بتجارة أبى وعاث فى حساباته فبعثر المال كله بطريقة شيطانية وضيعة .

« انطلقنا جميعاً فى موكب الحياة ولزوجتى فى القرية خمسة أفدنة هى الأمل الباسم فى ظلمة الحياة ، هى الشعاع الدقيق ينفث فى القلب الراحة ويبعث فى النفس الطمأنينة . وحدثتنى نفسى بأن أهجر المدينة إلى القرية خشية أن تعصف بنا طلبات المدنية أو أن ترهقنا حاجات الحضارة . ووجدت فى الخاطرة منفذاً ففزعنا إلى هناك عند أول زفرات الهاجرة .

« وفى القرية وجدت الراحة التى تعصف بالنشاط ، والخمول الذى يقتل الفكر ، والوحدة التى تورث الفناء ، والهدوء الذى يثير الأعصاب ، والفراغ الذى يشغل البال ، والجهل الذى يسخر من الثقافة . فكنت أقضى يومى وحيداً على مصطبة إلى جانب الباب فى فىء شجرة ، أفتقد الصاحب وأفتقر إلى السمير ، فطالت أيامى وقد أفعمها الملل والضيق ، ومن حولى أولادى تصرفهم المتعة وتشغلهم الخضرة وتسعدهم الحرية .

« ثم هبت أول نسمات الخريف تحمل معها المشكلة الكبرى . . . مشكلة الصبية تناديهم المدرسة . وأقبلت زوجتى تحدثنى حديثهم فى رفق ولين ، فألقيت السمع إلى كلامها غير أنى لم أجد الرأى : ترى هل يعيش الصغار وحدهم فى المدينة يقاسون

الشعر المصرى فى مائة عام

الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية

للأستاذ محمد سيد كيلانى

— ١ —

١٨٥٠ — ١٨٨٢

كان حكم محمد على بداية تحول فى تاريخ مصر الحديث . فى عهده شرعت البلاد تأخذ بأسباب النهضة والتقدم ، واتصلت بأوربا وطفقت تستفيد من علومها وثقافتها .

ثم مات محمد على وخلفه عباس الأول (١٨٤٨ — ١٨٥٤) وفى عهده كادت تتلاشى بوادر النهضة التى خلقها جده الـكبير .

ثم جاء سعيد (١٨٥٤ — ١٨٦٨) وكان يمتاز بحبه للمصريين وعطفه عليهم فأدخل بعض الاصلاحات الزراعية فلهجت الألسن بالثناء عليه ، ووجه عناية خاصة بالجيش فرفع مستواه ، وفرض التجنيد الاجبارى على جميع أفراد الشعب ، وفتح باب الترقى أمام أبناء الفلاحين ، واهتم بتزويد الجند بأحدث أنواع الأسلحة التى عرفت فى عصره ، وشيد القلاع والحصون . وقد ظهر أثر ذلك فى الشعر فأخذ الشعراء يمدحون سعيدا وينوهون بشجاعته وإقدامه ، ويشيدون بجيوشـه وأسلحته وبقلاعه وحصونه . فمن ذلك قول السيد على أبى النصر :

هم جنود بل أسود بأسهم ... يتقيه كل جبـــار عنيد

أقسمت أسيافهم لو جردت ... يوم حرب لم تدع شخصاً يحيد

والرماح اللدن أو مت بالظبا ... نافذات فى التراقى والوريد

كم لهم من بندق أبدى لنا ... معجزات إذ له لان الحديد

كم لهم من مدفع آياته ... بينات لفظها لفظ مفيد

كم توالوا فوق خيـل ضمر ... سـابقات للفضا فيما يريد

لو أتت يوما على رغم العدى ... مرسلات غادرته كالحصيد

إذ عليها كل ليث ضيغم ... فى ملاقاة العدى برج مشيد

وقال السيد صالح مجدى مؤرخا بناء القلاع السعيدية بجوار القناطر الخيرية :

فأسس بالتقوى حصونا عديدة ... بثانى جمادى بعد إبداء دعوة

ففى جانب الـكُبرى لاحت بروجها ... عليها مدار الأمن فى كل لحظة

ولـما علت أركانها وتجهزت ... بما يدفع الأعداء عنهـا بهمة

الوحدة والضياع ، وأظل أنا هنا أحمل هم نفسى وهم أولادى ، أم أنطلق معهم فأذر الأفدنة ، وهى عدتى على الزمن القاسى ودريئتى من الفاقة العاتية ... أذرها يتناهبها الفلاحون وما فيهم إيمان ولا أمانة ؟ ثم قر قرارى فتركت الصبية يسافرون إلى القاهرة ... تركتهم بين يدى القدر .

« وجاءتنى رسالاتهم تترى فأحسست كأن كل رسالة تحمل فى طياتها أذى نفسى وضنى قلبى ، ثم جاءت رسالة تقول : « وقضينا الليلة الماضية فى حال من الفزع يفرق له الشجاع ، وفى رهبة من الرعب يخشع لها الأيّد ، وفى رعدة من الذعر يرتاع لها الجليد . فلقد أحسسنا باللص يتسلق أنابيب المياه حتى أوشك أن ينقضّ علينا لولا أن ندّت من أختى صيحة مضطربة طار من هولها اللص ، وتبدد من شدتها الأمان من قلوبنا ، وكانت لفحات القر القاسية تلفحنا فتكاد أطرافنا تتجمد من زمهريرها ، والريح زفزافة تئن أنيناً تنخلع له أفئدتنا ، فلصق بعضنا ببعض مثلما يلصق أجراء بأمها فى ليلة قرة تلتمس الدفء والأمان . وعصف بنا الخوف فما غمضت أجفاننا حتى انطوى الليل وبزغت الشمس ...

« لشد ماأصابنى الجزع والذهول مما سمعت من كلام صغارى وهو يحز قلبى وخـزات قاسية عنيفة تقض مضجعى وتفزعنى عن القرار ! .

« وعنـد الصباح ودعت القرية لألحق بصغارى ، ورضيت بالشظف لأكفل لأفراخى الأمان والهدوء .

« وها أنا الآن كما ترى — ياصاحبى — أعانى عنت الحياة وضيق العيش وغلاظة الأيام ، أتعثر فى مهاوى الضياع ، تتعاورنى نوبات من الألم النفسانى فما يمسكنى إلاّ حب الولد ... الولد الذى أطمع أن أراه رجلاً يمسح على أتراحى بيـده الحبيبة ويزيح عنى أشجانى بكلماته الرفيقة ...

وسكت صاحبى ، وسكتُّ . وتلاقت خواطرنا وعبراتنا على حرقة وأسى ...

كامل محمود حبيب

وحصنت الأبراج منها مدافع   تسوق إلى المغرور أثقل كلة
تكفل من أبطال مصر بحفظها   رجال لهم بطاش وأعظم سطوة

هكذا مدح الشعراء سعيدا . وأنت ترى أن مدح سعيد كان يقرن دائما بذكر عساكره وجنوده ؛ ومدافعه وبنادقه ، ومناعة استحكاماته ومتانة قلاعه وحصونه ، مع أن البلاد لم تستفد شيئا من هذه القلاع ولا من تلك الحصون ، بل تكبدت خسائر مالية فادحة دون مقابل . ولو أن سعيدا شيد معاهد للعلم بدل تلك القلاع لأفاد البلاد فائدة محسوسة ، ولكنه أهمل نشر العلوم والمعارف ولم تفتتح فى عهده مدرسة واحدة . لذلك أمسك الشعراء عن الخوض فى هذا الباب ، ولم يقرن اسم سعيد بنشر العلم والعرفان ، ولم يعن الرجل بتشييد المصانع لتزويد الجيش بما يلزمه من ملابس وسلاح ، بل كان يستورد من أوروبا كل ما يحتاج إليه ، فترتب على ذلك أن أموال البلاد أخذت تتسرب إلى الخارج ووفد على مصر كثير من الأوربيين الطامعين فى الثراء وأضحى نفوذهم يزداد يوما بعد يوم .

وفى عصر سعيد انتهت حرب القرم التى نشبت بين الدولة العلية وروسيا . وكانت مصر قد اشتركت فى هذه الحرب وأبلى الجنود المصريون بلاء حسناً فى ميدان القتال . وقد تغنى الشعراء المصريون بهذا النصر . فمن ذلك قول عبد الله فكرى :

لقد جاء نصر الله وانشرح القلب   لأن بفتح القرم هان لنا الصعب
وقد ذلت الأعداء فى كل جانب   وضاق عليهم من فسيح الفضا رحب
بحرب تشيب الطفل من فرط هولها   يكاد يذوب الصخر والصارم العضب
إذا رعدت فيها المدافع أمطرت   كؤوس منون قصرت دونها السحب

وقال الساعاتى :

أسياف سطاه كم فعلت   وأرادت أن تعلو فعلت
والروس لها ذات وعنت   فى مشهد حرب « سوستبل »

* * *

ثم قام سعيد برحلة إلى بلاد الحجاز . وكانت هذه الرحلة أشبه بحملة عسكرية إذ صحبه من الجند والحاشية نحو ألفى رجل من مشاة وفرسان ومدفعية وأتباع . وفى ذلك يقول الساعاتى مخاطباً سعيدا :

ملأت قلوب العرب رعباً فادروا   بعثت لهم بالكتب أم بالكتائب
تركتهم فى أمرهم بين صادق   وآخر فى تيه من الظن كاذب
تسير لهم فى بحر جيش عرمرم   يفيض بموج الحتف من كل جانب
إذا هتفوا باسم العزيز تزلزلت   جبال عليها الذل ضربة لازب
فكيف إذا يممت بالشهب أرضهم   وزاحمت ما فى أفقهم بالنجائب
وجرد عليها الأسد فى قصب القنا   ترى الأسد فى الآجام مثل الثعالب

فعصر سعيد قد امتاز فى بعض فتراته بظهور الروح العسكرى الوطنى . وقد أثر هذا فى الشعر على نحو ما بينا . وأقبل الشعراء فى ذلك العصر على نظم الأناشيد العسكرية الحماسية ، فنظم رفاعة رافع الطهطاوى جملة أناشيد وطنية تذكر ما جاء فى أحدها وهو :

يا جند مصر لكم فخار   بين الورى عالى المنار
كالشمس فى وسط النهار   صيت لكم فى الكون سار
حادى السعود به حدا   والطير صاح وغردا
بشرى لمصر قد بدا   فيها الفخار مؤبدا
بأميرها بحر الندا   أعنى السعيد محمداً

وحذا حذوه السيد صالح مجدى فأنشأ « القصائد الوطنيات » وكذلك فعل مصطفى سلامه النجارى شاعر سعيد الخاص ، ومحمود صفوت الساعاتى .

وفى عصر سعيد ظهرت فى مصر بعض المخترعات الحديثة كالسفن البخارية والآلات الزراعية التى تدور بالبخار وآلات رفع الماء كما أن السكك الحديدية قد أخذت تحل شيئا فشيئا محل وسائل النقل القديمة . وكذلك انتشرت الأسلاك البرقية . فتغنى الشعراء بهذه المخترعات . قال السيد صالح مجدى يصف « وابور » سعيد :

أمدينة من فوق لج الماء   تجرى بأبهج منظر وبهاء

أم هذه إرم بدت وعمادها ... مسبوكة من فضة بيضاء
أم ذاك وابور المسرة مده ... صدر البرية أسعد السعداء
وحبا به النيل المبارك فازدهى ... ببديع بهجة شكله الحسناء
فكأن هذا الفلك في تنظيمه ... فلك به تسرى نجوم سماء
وكأنه في النهر عند مسيره ... برق يقصر عنه طرف الرائي
أو أنه ملك خطير جنده ... ملأ من الأمواج والأهواء
فعساكر الأمواج يرسلها على ... سفن البخار طليعة الأعداء

وهكذا استمر الشاعر يصف هذه السفينة ويشبهها تارة بالمدينة وتارة بالفلك، وحيناً بالبرق وحيناً آخر بالملك.

وقال يذكر قنطرة بناها سعيد:

لله ما أبهى وأبهج قنطره ... سمح السعيد بها فزانت كوثره
وبصنعها سكك الحديد مذ يدها ... أضحى لوافر نفعها ما أقصره
وكأنها والموج تحت رصيفها ... ملك ينظم بالشهامة عسكره
وكتائب العربات تلثم أرضها ... وتجوز وهي بأمنها مستبشره

* * *

ثم جاء الخديو اسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩) وكان عهده حافلا بجلائل الأعمال، فوجد الشعراء أمامهم مجال القول ذا سعة فقالوا. فلما حصل الخديو اسماعيل على نظام الوراثة الذي يقضي بحصر العرش في أكبر أبنائه (١٨٦٦) تسابق الشعراء إلى مدحه وتهنئته. وكان عباس الأول قد سعى من قبل في سبيل الحصول على هذا الحق ففشل. وفي ذلك يقول عبد الله فكري:

ومهدت مد الله عمرك إرثه ... لأبنائك الطهر الجحاجحة الغر
وقبلك كم مدت لما نلت شأوه ... يد ثم ردت غير ظافر الظفرة
وما كل من يسمو لأمر يبالغ ... مداه ولا كل الجوارح كالصقر

وقال صالح مجدي:

وشيد أركان الوراثة فازدهت ... بذلك أوطان وسرت أناسم

وقال من قصيدة أخرى:

وفي آلك الصيد الكماة تقررت ... وراثة تخليد رفعت لها ذكراً

وما تكاد تشيد مدرسة أو يبنى معهد أو يقام مصنع حتى يبادر الشعراء في تأريخ هذا شعراً. ومثال ذلك قول السيد صالح مجدي في أحد مصانع السكر التي أقامها اسماعيل:

وشاد بها فوريكة السكر التي ... بها الصدر اسماعيل ذو الدولة اعتنى
سمت روضة الأنس الجالية التي ... غدا ثغرها بالسوق للناس محسناً
فيا سكر الأحواز ما زلت سامياً ... إلى أن تسامى عنك سكر مصرنا

واهتم اسماعيل بتحسين مدينة القاهرة فشيد كثيراً من القصور الفخمة، وغرس الحدائق والبساتين، ومهد الشوارع والميادين.

قال السيد صالح مجدي: «انتهزت فرصة عرضت لي في يوم من أيام المواسم الوقتية، للتنزه بالمدينة المحروسة المعزية، بقصد رياضة ذهن أعيته كثرة الأشغال، وفهم أسقمه تراكم الأعمال، فرأيت عن يميني وشمالي وخلفي وأمامي، في جميع البقاع التي سعيت إليها بأقدامي، من التحسينات الفائقة المصرية والتنظيمات الرائقة المصرية، ما توهمت به مع يقظتي أني في منام، وأن ما يبدو لناظري إنما هو من قبيل الأحلام. ومكثت على هذه الوتيرة، برهة من الزمن يسيرة، أتقلب من الدهشة في كل واد، وأرمق تلك التحسينات بعين الفؤاد. فلما أفقت مما أنا فيه بعد إمكان النظر، ووقفت عقب ذلك على جلية الخبر، نطق لساني بالثناء الجميل، على ولي النعم عزيز مصر اسماعيل، وقلت مصرحا بوصف بعض مخترعاته العجيبة.

ثغور التهاني للعزيز بواسم ... وأيامه بيض الليالي مواسم
وأفنان أدواح التمدن غردت ... بعصر عليها للأنام حمائم
فأما المباني فهي في حسن نظمها ... بروج لأفلاك السماء تزاحم
وفي الأرض للابصار تبدو كواكب ... من الغاز للبدر المنير تنادم
وأما تقاسيم المياه فنفعها ... عميم وفيها للعباد مراحم
ومنها بساتين القصور تفتحت ... من الورد بعد الري فيها كمائم
وأما الميادين التي قد تجددت ... ولاحت عليها للفخار علائم
فأشرفها السامي يذكر (محمد ... علي) الذي هابت لقاه الضراغم
ومنها الذي في عابدين قصوره ... لها السعد طول الدهر في مصر خادم
ومنها الذي في الأزبكية زانه ... بهاء وحلى ما حواه مناظم
وكيف وللتفريج فيه ملاعب ... بهن سرور للبرية دائم
وقصر ولي العهد فيه كأنه ... بما حوله فوق المجرة قائم
وفيه سرايات وفيه حدائق ... وفيه لإحياء الفنون معالم

وهكذا استمر الشاعر يذكر القصور والبساتين، والشوارع والطرقات والحدائق والمتنزهات، وكل ما ظهر من معالم الحضارة وآثار العمران كالسكك الحديدية والترع والقناطر والكباري قال:

وأما أخاديد الحديد فإنها ... قد انتشرت في القطر منها مناسم
وراجت بها بعد الكساد تجارة ... لها اليمن في ظل الأمان مسالم
وقد غرست في جانبيها بحكمة ... لتوصيل أخبار البرايا قوائم

ثم انتقل من ذلك إلى ذكر دواوين الحكومة ومصالحها ومجلس الأحكام والمجلس المخصوص والمطبعة الأميرية ومصلحة التفتيش والدائرة السنية ودائرة الأنجال ومجلس النواب ، قال :

وعن مجلس النواب حدث فإنه   منوط بما فيه لمصر الغنائم

وذكر القانون القاضى بإلغاء السخرة فقال :

ولم يبق للتسخير فى بر مصره   وجود وزالت قبل ذاك مغارم

***

ولما ارتبكت الأحوال المالية فى مصر أخذ الشعراء يتناولون الحالة السياسية بالنقـد والتجريح . ومن هنا بدأ الشعر السياسى فى الظهور . قال صالح مجدى معرضاً بالخديو :

رمى بلادكم فى قعر هاوية   من الديون على مرغوب جوسيار
وأنفق المال لا مناً ولا كرما   على بغى وقواد وأشرار
والمرء يقنع فى الدنيا بواحـدة   من النسا وهو لم يقنع بمليار
ويكتفى ببناء واحـــد وله   تسعون قصراً بأخشاب وأحجار
فاستيقظوا لا أقال الله عثرتكم   من غفلة ألبستكم ملبس العار

ولا شك فى أن الشاعر قد تحامل كثيراً وبعد عن الصواب . فبعد أن أشاد بالأعمال الجليلة التى قامت فى عصر اسماعيل ، وبعد أن تغنى بمظاهر الحضارة والعمران التى ازدانت بها مصر فى أيام ذلك العاهل العظيم ، رجع يردد بعض التهم التى اخترعها نفر من الأوربيين الذين قاوم إسماعيل نفوذهم الذى أرادوا فرضـه على البلاد . ولسنا هنا بصدد مناقشة ما ورد فى هذا الشعر وإظهار مافيه من رأى فاسد فقد أغنتنا كتب التاريخ عن ذلك .

***

وقد ترتب على ارتباك الأحوال الماليـة فساد كبير فى الأداة الحكومية فانتشرت الرشوة وعمت الفوضى .

وقد ظهر أثر ذلك فى الشعر ، فنظم محمود سامى البـارودى قصيدة رائعة فى ذم الحكام وحض الناس على طلب العـدل فى الأحكام . ومما جاء فيها قوله :

لكننا غرض للشر فى زمن   أهل العقول به فى طاعة الخمل
قامت به من رجال السوء طائفة   أدهى على النفس من بؤس على ثكل
من كل وغد يكاد الدست يدفعه   بغضاً ويلفظه الديوان من ملل
ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت
قواعد الملك حتى ظـــل فى خلل

ومنها يخاطب المصريين ويحضهم على الثورة فى وجـه الظلم والاستبداد . قال :

فمالكم لا تعاف الضيم أنفسكم   ولا تزول غواشيكم من الكسل

ومنها :

فأى عار جلبتم بالخمول على   ماشاده السيف من فخر على زحل

ومنها :

فبادروا الأمر قبل الفوت وانتزعوا
شكالة الريث فالدنيـا مع العجل
وقلدوا أمركم شهما أخا ثقة   يكون رداً لكم فى الحادث الجلل

ومنها :

وطالبوا بحقوق أصبحت غرضاً   لكل منتزع سهماً ومختتل
ولا تخافوا نكالا فيه منشأكم   فالحوت فى اليم لايخشى من البلل

وقد حذا حذو البارودى كثير من شعراء ذلك العصر الذين كانوا من غير شك ينطقون بلسان الأمة ويعبرون عما يجول فى فى خواطر أفراد الشعب .

« يتبع »

محمد سيد كيلانى

مشكلات الفلسفة :

فــكـــرة الله

للأستاذ عبد الفتاح الديدى

« ليس كمثله شيء »
قرآن مجيد

كتب الكثيرون فى هذا الموضوع ، وتناولوه من نواحيه المتعددة بحيث لم تبق لنا بقية نحكيها ولا فضلة نذكرها . وإذا كنت أمسك بالقلم الآن لأخط هذه الكلمات فليس ذلك عن تحد لهؤلاء الذين تعرضوا لفكرة الله قبل الآن ، بالبحث والدرس ، وإنما أفعل هذا عن إيمان بأننى سوف أنظر إلى الموضوع نظرة عكسية ، وأننى سأنصرف إلى جانب آخر غير الذى اهتموا به ، وبذلوا عنايتهم من أجله . وأحب أن أرفع الخوف عن القارئ من إثارة هذا الموضوع مرة أخرى ، وأود أن أزيل عن نفسه كل حرج أو إشفاق من مواجهة مسألة الألوهية مواجهة صريحة فأنبئه مسرعا بأننى سأبحث الآن مشكلة الإنسان ذاته . وستجد نفسك قادراً — بعد توضيح بسيط — على أن ترفع هذا العنوان لتضع بدلا منه عنواناً آخر يتصل بالإنسان ومشاعره فوق الأرض وبإحساساته فى الحياة . إذ أننى أومن تماما بأن فكرة الله ، كما حملها إلينا تاريخ الفلسفة ، لا تصور الله ولا تقرب مفهومه من أذهاننا ، وإنما تعطينا فكرة صحيحة عن الإنسان نفسه من حيث مطامعه وشهواته وخواطره وآرائه ومخاوفه وملاذه .

فكرة الله عند الفلاسفة والمفكرين هى كتاب حافل بأحاسيس البشر وتاريخ ثابت لانفعالات الناس ومجلد مشحون بالعواطف والمشاعر عند ما تطورت على مر العصور . والحقيقة الإنسانية تتكشف ، أكثر ماتتكشف ، من مراجعة هذا السجل الحاشد ومن تأمل هذه الخطرات الوافرة . فليس يفيدك تأمل الأفعال العادية التى تأتيها الجماعات أو النظر فى أمور معاشهم والمخالطة لهم فى الحياة العامة بقدر مايفيدك التفكير فى هذه الصور التى يعرضها عليك المفكرون عند تدبرهم لصفات الله وتحقيقهم لمشكلة وجوده .

وقديما تنبه إكسانوفان لهذه الحقيقة على نحو بسيط عند ما قال إن الإنسان يصور نفسه فى آلهته ، وإن هذه الأرباب من صنع الناس وابتكارهم . ولم يكن أمام إكسانوفان — الفيلسوف اليونانى — عندئذ غير هذه الآلهة التى صورها الشعراء السابقون على عصره كأمثلة يقدمها لنا تدليلا على هذه الحقيقة . أما نحن فنستطيع أن نجد كثيراً من البراهين ، على ما نذهب إليه ، من آراء الفلاسفة واعتقاداتهم فى الله منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا .

فإذا ما أخذنا إله أرسطو — على سبيل المثال — وجدنا أنفسنا بإزاء كائن أبدى يوصف بأنه جوهر وأنه فعل محض وأنه يحرك ولا يتحرك . وهذه الصفات هى الوجه الآخر لما نلاحظه فى حياتنا الأرضية من سمات الأشياء وخصائصها . فأبدية الله إنما تنشأ عن رغبتنا نحن البشر فى تصور موضوع ، وتتيجة لأطماعنا التى لاحد لها فى معاش يستمر بنا إلى مالا نهاية . إذ أننا نحس فى قرارة أنفسنا بأننا عاجزون أمام مظاهر الطبيعة وعوامل الفناء التى تعمل بكل قوتها على إنهاء الحياة المتمثلة فى الأفراد ، وعلى إبطال مايبدو أننا نستمتع به من مناعم الوجود ولابد — والأمر كذلك — من تصور موضوعية أخرى غير إنسانية توصف بهذا الوصف الذى حرمتنا إياه الحياة وتتعلق بها تلك الكيفيات التى نحلم بتطبيقها على شئوننا الخاصة . فالوجود الأبدى الخالد هو الوجه الآخر لهذه الحياة التى نستشعر بأنها قد وُجدت منذ زمن قريب ولا نعرف مبدأها على وجه ثابت ، وهو الوضع المقابل لهذه المظاهر المتغيرة والأعراض الزائلة والحركة الدائمة .

ولا نستطيع أن نفسر صفات الله عند أرسطو إلا على ضوء هذه الحقيقة التى نعلنها إعلاناً صريحاً ونؤكدها توكيدا قاطعا هنا . فالإله — كما نعلم — عبارة عن فكر خالص يتأمل ذاته ولا يمكن أن يكون هناك شيء آخر سوى ذاته كموضوع لتأمله مادام شرف التفكير متوقفا على شرف المادة ، وما دام من الصعب أن نُقر رفعة العمليات العقلية من غير الوثوق برفعة الأشياء التى تكون محل اهتمامه . بل إن لذته القصوى إنما تكمن فى هذه الحالة التى يستطيع بها أن يدور حول نفسه وأن يكون هو ذاته لذاته موضوعا لايفرغ من تأمله ولاينى عن التفكير فيه . وهو لهذا السبب مشغول عن الحياة ، لاه عما يجرى فوق الأرض ، مهمل لأحداث الكون .

فهذا الإله ، إن صح أنه إله ، وليد اختراع عبقرى ولا يمكن أن يصدر عن تصور آخر غير تصور الإنسان الذى يكلف بالبحث ويولع بالنظر العقلى الخالص . لقد كانت الحياة بمتاعبها ومضايقاتها تثير جانب الخيال — قبل كل شىء — فى عقل أرسطو وتدفعه دفعاً إلى افتراض وجود كائن يخلو من هذه الشواغل الوقتية وينصرف عن الحياة المادية إلى العمل الفكرى المجرد . أو يمكن أن نقول إن الحياة الفكرية بما كان لها من مقام فى نفس الشعب اليونانى القديم استطاعت أن تدفع بأرسطو دفعاً إلى مذهبه الغريب وتصوره الشاذ . ومن ناحية ثالثة نلاحظ أنه من السهل جداً تصور إله على هـذا النحو إذ تكرر وقوعنا فى الأزمات وتعددت فى سبيلنا العقبات دون أن ينقذنا منقذ وبغير أن يمدنا ممين ، مهما رجوناه والتجأنا إليه ودعوناه مخلصين . فالإنسان يتصور الإله محبا للخير عادة ويفترض أنه يعمل جاهداً فى سبيل السعادة والهناء . ولا شىء غير ذلك . فإذا حصل أن اتجه الإنسان اتجاهاً سليما ، وأن سعى مسعى كريما ، ثم ناله من وراء ذلك سوء وأصابه من جرائه نكر ارتد إلى رشـده وعاود تفكيره وجعل ينظر مرة أخرى فى شأن الإله العلى القدير . وهو فى تلك الحالة إما ان ينكر وجود الإله ، وإما أن يؤمن بأنه موجود ولـكن لا تربطه صلة بالعالم الأرضى ولا يشغل باله من أمره شىء ولا يحتل فى ذهنه أية مكانة . وهذا الموقف الأخير هو الذى ركن إليه ارسطو كما شاهدناه فى كلامه عن صفات الإله .

ولو قمنا باستعراض هـذه الفـكرة — فـكرة الإله — لدى الفلاسفة جميعا لانتهينا إلى النتيجة التى أعلناها من قبل والتى قلنا فيها إن الإنسان قد عكس خيالاته وأسقط أحلامه وأمانيه على النحو الذى اعتقدناه حسب ميولنا الفلسفية واتجاهاتنا الدينية . والإنسان معذور بطبيعة الحال عنـدما يفعل ذلك ويقدم على عمله بالشكل الذى وصفناه . ويمكن أن نضع سببين معقولين لحدوث هذه الظاهرة فى تاريخ الفكر .

أعتقد بأنه لاحيلة للانسان — أولا — بإزاء الصفات التى ينسبها إلى الإله مادام لايملك غير هذه الصفات التى توجد بين يديه وتتوفر لديه . إن الصفات والـكيفيات التى يدركها العقل الآدمى معروفة ومنتهية ولا يمكن الخروج عن نطاقها وابتكار سـواها مما لا تعرفه الحواس ولا تتصـوره العقول . إذا شرعت مثلا فى عد ألوان الأشياء وأحجامها وهيئاتها فلن تستمر طويلا بل سرعان ما سوف تحس بأنك قد انتهيت من الحسابات والتقدير . وإذا أردت أن تعمل عقلك فى مسألة ما أو شئت أن تخضع لتفكيرك أمراً من الأمور فلن تزيد — إذا اهتممت بوصفه — حرفا واحدا على هذه الـكيفيات والنسب .

أما السبب الثانى فى حدوث هذه الظاهرة فأحسبه ناشئاً عن طبيعتنا نحن البشر فى صبغ كل شىء بميولنا ، وعجزنا عن التخلص من أهوائنا ، وعدم قدرتنا على التفـكير تفكيراً بريئاً من دوافعنا الباطنية مستقلا عن شخصياتنا . إن الأشياء فى ذواتها لا وجود لها قط فى حياة الإنسان ، والمعرفة الموضوعية التى تتعلق بالأشياء الخارجية لم تعرف الحياة يوما من الأيام ، ومهما تحدث العلماء عن علم نقى خال من آثار الإنسان وأهواء البشر فلن يجدى شىء من هذا الادعاء فى تخفيف أومحو ماتلقيه الذاتية من ظلال على معامل التجربة ، وسوف تبقى نتائج الطبيعة خاضعة للمزاج والإرادة إلى أقصى درجة .

فهناك حدث لا شك فيـه وهو أننا نعتمد على أنفسنا اعتماداً كبيراً فى استقائنا المعلومات عن العالم الخارجى وتصورنا للأشياء التى لا تدخـل فى نطاق التجارب المادية بالنسبة إلى الإنسان . ومن ثم وجب أن نصطبغ كل مادة لتفـكيرنا ، وكل موضوع لأعمالنا ، بقوانا الذهنية فى التخيل والإدراك وبنوازعنا النفسية فى الهوى والجنوح . أوقل أنه مامن شىء من الأشياء يستطيع أن يتقرر فى الذهن وأن يتحقق فى دائرة معارف الإنسان من غير أن يمر بالنفس التى تمده الإعداد الـكافى وتنقحه التنقيح الواجب . ولا تغرنك ادعاءات الرجال الذين يشتغلون بالعلم فى هـذا الباب لأن أقوالهم لا تصدق ولا تستحق الاحترام إلا من جهة واحدة حينما ننظر إليها على أنها ضرب من الحلم أو التمنى البرىء .

وكذلك الأمر فى مسألة الإله ؛ فنحن حيارى وسط مظاهر الحياة وبين جدوان الطبيعة التى تظلنا من كل جانب ، ونبدو أمام أنفسنا كالتائهين الذين يتطلعون إلى السحب القاتمة عسى أن تبرق، وإلى الآفاق المدلهمة عسى أن تضىء . ومهما تبدت لنـا دلائل الإعجاز من حولنا أو تكشفت لأعيننا حقائق الباطن المستور فإننا لا نكاد نخلص من الحيرة ولاننتهى من الشك ولا نقف عند حد

من حدود الإرجاف والتخمين . وذلك لرغبتنا فى برهان من الواقع المحسوس وميلنا إلى الوقوف على كل ما يمكن أن يكون هنالك سافراً مفضوحا . ولكن الحقيقة لا تتكشف والباطن لا يبين والقلق لا ينتهى ... فلنفكر إذاً ولنُعمِل عقولنا ولنوجد نحن المشكلة ولنضمها فى الصحائف والكتب على النحو الذى نريد .

وهكذا انتهينا إلى تصور الله وتخيله ، وشبهناه وقربناه ، فكانت آراؤنا من قبيل الأمنية ، وكانت أفكارنا ضربا من الأحلام ، ولا يستطيع واحد من الناس أن يزعم أن الإله الذى قدره هو نفسه الإله المشرف على نظام الكون والمدبر لأمور الناس . ولا يملك واحد من الناس القدرة على إثبات التطابق بين الإله الذى وصفه والإله الموجود وجوداً فعلياً . فالله هو الله ؛ أما آلهتنا التى نصفها فهى من قبيل المحاولات التى يجوز أن تتجه اتجاها صحيحاً ، ويجوز فى الوقت نفسه ألا يكون لها أى سند من الواقع أو أى تقريب معقول .

فالآلهة التى نتحدث عنها والتى نصف أفعالها إنما هى صدى لحياتنا العملية بما فيها من نقص واضطراب . فالله يشفى المرض لأننا نمرض ، ولولم يكن المرض من لوازم حياتنا المعيشية لما تصورنا الله قادراً على شفاء الناس من الأمراض . والله هو السبب فى المكاسب والخيرات ، وهو الذى يهدى الناس إلى سبيلهم ويطعمهم ويسقيهم . وبعبارة موجزة : يأتى الله كل الأعمال الوظيفية التى لا تعدو أن تكون ضمن المطالب العادية . وكلما فكرنا فى الله وصفاته لم نستطع أن نخرج به عن هذا الحيز الضيق وعن هذا النطاق المحصور ، لماذا ؟ لأن الأرض مسرح لها ولأن حياة الناس ملأى بهذه الأشياء التى ترضيهم أحياناً وتسوءهم أكثر الإحيان .

فالله الذى نعترف به ونقر بوجوده ونسلم بسلطانه أسير حياتنا الدنيوية ويمكن وصفه بأنه إله إنسانى — إن صح هذا التعبير — مرّ بالعقول قبل أن تؤمن به الصدور ، وامتحنه الخيال قبل أن تسلم به الروح ، واستأثرت به المصلحة قبل أن ينفذ إلى عالم الضمائر . ولذلك نستطيع أن نجد فيه مشكلتنا نحن أنفسنا لا مشكلة الله ، ونستطيع أن نلمس فيه ضعفنا بارزاً وأن نجد عنده آلامنا واضحة وأن نصادف على وجهه مسحة الهم البشرى .

قال سارتر عندما كتب عن قصة ضياء أغسطس لفولكنيه : « تصير القصص الجيدة — من بُعيد قليل — شبيهة تماما بالظاهرات الطبيعية . إننا ننسى أن لها مؤلفاً وننظر إليها نظرتنا إلى الأحجار والأشجار لأنها هنالك ، ولأنها موجودة . »

ونستطيع أن نقول عن الذين يتحدثون عن صفات الله إن كلامهم يصير بمضى الزمن حقيقة راسخة فى نفوسنا وننظر إلى أحكامهم على أنها أمور مقطوع بها وننسى غالباً هؤلاء الذين صدرت عنهم وبدرت منهم فى ظرف من الظروف . والغريب فى هذه المسألة هو أننا نأخذ كلامهم مأخذ الجد ونخضع أنظارهم للبحث والنقد ونجعل منها بعد حين موضوعا للجدل والنقاش . هذا مع أننا نستطيع من أول الأمر أن نريح أنفسنا بأن نفرق بين أهوائنا وبين الوقائع الصحيحة ، وبين ما نريده نحن وبين ما هو حاصل بالفعل .

فالإنسان لا يملك إلا أن يفكر وأن يقدح ذهنه فى مسائل الكون التى تشغل باله وتقلل من راحته وهدوئه . وهذا طبيعى ومقبول منه إذا لم يأت بعد ذلك ليصف لنا أشياء ، لم يطلع عليها ولم تتكشف له ، وصف الشاهد الخبير . وحتى هذا العمل الوصفى معقول ومقبول ، على ألا يأتى بعد ذلك إنسان فيتحدث عنها كما لو كان يتحدث عن الحقائق المقررة .

ونعود ثانية لنقول إن الله أرفع شأناً وأسمى مقاما من أن نخضعه لأحكامنا ومن أن يتحدد بأهوائنا ويتوقف شكله على أمورنا المعيشية . وأى وصف نلصقه به وأية كيفية نلحقها بذاته لا تخرج عن كونها تخميناً لا يرتفع إلى درجة اليقين ولا يوثق به الوثوق الكامل . أما إذا أخذنا مسألة الصفات على حقيقتها ونظرنا فيها على أنها مشكلتنا نحن البشر فأغلب الظن أننا سنبلغ أمراً على قدر كبير من الأهمية من ناحية التحليل الخاص بالعواطف الإنسانية والتسجيل الدقيق لخواطر الناس والإحساسات التى تعم بنى آدم فوق الأرض . وذلك لأننا أقرب إلى أنفسنا عندما نتحدث عن الله منا إلى الله ، وأشد ارتباطا بقلوبنا وأوضاعنا فى تلك الآونة منا إلى ملكوت السماء ، وأكثر حباً لمصالحنا وأهوائنا منا لهدى الله ورضوانه .

أيها الإنسان ! ثب لرشدك وعد إلى نفسك وانفض غبار النفاق عن جبينك لتعلم أن الرب أعظم من أن يلحقه وصف ، وأرفع من أن تبلغه كيفية ، وأسمى من أن يلابس المقادير وماجريات الأمور على أرض دنستها برياءك ، ووسدتها بلحم آبائك .

عبد الفتاح الديدى

أهل العلم والحكم

في ريف فلسطين

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

(تتمة)

وقد بنى على هذا الدير الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الايدى قلعة حصينة وأنفق عليها الأموال الجمة وأحكمها غاية الأحكام . فلما كان فى سنة ٦١٥ هـ وخرج الإفرنج من وراء البحر طالبين للبيت المقدس أمر بخرابها حتى تركها كأمس الدابر والتحق (سور) البيت المقدس بها فى الخراب فهما إلى هذه الغاية خراب (القرن السابع) . معجم البلدان (ج ٦ — ٦٧) .

وهناك طوران آخران أولهما الجبل المشرف على نابلس ولهذا يحجه السامرة . والثانى طور زيتا أو « جبل الزيتون » وهو مشرف على المسجد الأقصى ، وبينهما وادى جهنم ، وفيه صلى عمر بن الخطاب . وفى الأنس الجليل ج ١ — ٢٥٨ أن أم الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية[1] الصالحة المشهورة (من أعيان عصرها فى القرن الثانى) وقبرها على رأس جبل طور زيتا شرقي البيت المقدس ، بجوار مصعد موسى عليه السلام ، وهو فى زاوية ينزل إليها من درج .

ويقول فى ج ٢ — ٤١٠ عن أبى هريرة : أقسم ربنا بالتين والزيتون ، والزيتون طور زيتا . والتين مسجد دمشق . وعن صفية زوج الرسول أنها قدمت القدس فصلت به ، وصعدت إلى طور زيتا وصلت وقامت على طرف الجبل وقالت « من ها هنا يتفرق الناس يوم القيامة إلى الجنة وإلى النار » ومن هذا الجبل صعد عيسى عليه السلام ، وعلى رأسه كنيسة من بناء هيلانة فى وسطها قبة . ولما فتح صلاح الدين القدس سنة (٥٨٣ هـ) وقف أرض طور زيتا على الوالى الصالح ولى الدين أبى العباس أحمد الهكارى ، وعلى الإمام الزاهد أبى الحسن الهكارى ، سوية بينهما وعلى ذريتهما ، وقبر مريم عليها السلام فى كنيسة فى داخل جبل الطور تسمى الجيسمانية وهو مكان مشهور مقصود للزيارة من المسلمين والنصارى والكنيسة من بناء هيلانة أم قسطنطين .

أما الوديان والعيون فيذكر منها وادى النمل بين بيت جبرين وعسقلان ، ولا يذكر وادى النسور وهو بظاهر القدس من جهة الغرب يسير فيه الآن القطار الصاعد من الرملة إلى القدس وقد دفن فيه القطب الكبير بدر الدين ابن محمد من أولاد سيدنا على ابن أبى طالب توفى (٦٠٥ م) وأولاده (بشرفات) وكانت تعرف « بشفرات » فلما انتقل إليها الأشراف أولاد أبى الوفا غيروا اسمها .

وقد ذكر من العيون ، عين البقر وهى قرب عكا ، يزورها المسلمون والنصارى واليهود ، وعليها مشهد ينسب إلى على ابن أبى طالب (معجم البلدان ٦ — ٢٥٣) .

وعين الجالوت ، وهى بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس استولى عليها الصليبيون ، واستنقذها منهم صلاح الدين سنة (٥٧٩ هـ) معجم ٦ — ٢٦٤ . ولم يذكر ياقوت أن التتار هزموا بها ، لأن الموقعة كانت بعد وفاته . أما عين سلوان فهى فى ربض بيت المقدس تحتها عين عذبة تسقى جناناً عظيمة وقفها عثمان بن عفان على ضعفاء البلد (المجذومين) .

(ولا يزال منهم نفر بها) .

أما الحصون والقلاع فيذكر منها « الجيب » ويقول هى حصنان يقال لهما الجيب الفوقانى والجيب التحتانى بين بيت المقدس ونابلس وهما متقاربان (معجم البلدان ٣ — ١٨٦) وتقع الجيب إلى عين السالك من رام الله إلى القدس .

ومنها حصن العنب ، وهو من أرض بيت المقدس واسمه الآن قرية « العنب » أو « أبو غوش » وأبو غوش هى عائلة إقطاعية تسكن هذه القرية ، وكانت فى العهد العثمانى تجبى من زوار بيت المقدس جعلا مقابل خفر الطريق ، وفيها عين ماء ذكرها الرحالة ناصر خسروى الذى زار بيت المقدس فى سنة (٤٣٨ هـ) وفيها أكثر من دير .

ويذكر حيفا فيقول إنها حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا ، لم يزل بأيدى المسلمين إلى أن تغلب عليه كندفرى الذى ملك بيت المقدس سنة (٤٩٤ هـ) وبقى فى أيديهم إلى أن فتحه

(١) وفى قول أنها دفنت بالبصرة

صلاح الدين سنة (٥٧٣ هـ) وخربه .

وفي تاريخ دمشق ذكر لإبرهيم بن محمد بن عبد الرازق أبو طاهر الحافظ الحيفى من أهل قصر (حيفة) سمع بأطرابلس (طرابلس) وحدث بصور سنة (٤٨٦ هـ) . (معجم البلدان ج ٣ — ص ٣٨٢) . ثم يقول تحت اسم «قصر حيفا» موضع بين حيفا وقيسارية ينسب إليه أبو محمد عبد الله القيسرانى القصرى سكن حلب وكان مفتيها . تفقه بالعراق بالمدرسة النظامية (أسسها نظام الملك سنة ٥٩٠ هـ) على أبي الحسن الهراس ، وأبي بكر الشباشي الخ وارتحل إلى دمشق وعمل بها حلقة المناظرة وانتقل إلى حلب فبنى له ابن العجمى بها مدرسة درس بها إلى أن مات سنة (٥٤٤ هـ ؟) . (معجم البلدان ٧ — ١٠٠) .

ويعلق ياقوت على «قصر حيفه» بالهاء ، وأنا أحسبه المذكور قبله أى حيفا فيعتبرهما مكاناً واحداً .

ومن الحصون الأخرى الخروبة وهو بسواحل بحر الشام مشرف على عكا ، وقد جاء ذكره أكثر من مرة فى حروب صلاح الدين للصليبيين حول عكا . ومنها الداروم ، قال ابن الكلبى قال الشرقى نزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور ويقال لتلك الناحية الداروم ، فجعل الله فيهم السواد والأدمة ، وأعمر بلادهم وسماءهم وجرت الشمس والنجوم من فوقهم ورفع عنهم الطاعون ، والداروم قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر والواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ وقد خربها صلاح الدين لما ملك الساحل سنة ٥٨٤ هـ وينسب إليها الخمر . قال اسماعيل بن يسار :

يا ربع رامة بالعلياء من ريم هل ترجعنّ إذا حييت تسليمى
مابال حى غدت بزل المطى بهم تخدى لفرقتهم سيراً بتقحيم
كأننى يوم ساروا شارب ثملت فؤاده قهوة من خمر داروم
إنّى وجدّك ما عودي بذى خَوَر
عند الحفاظ ولا حوضى بمهدوم

وغزاها المسلمون فى سنة ثلاث عشرة وملكوها فقال زياد بن حنظلة .

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها شد الخيول على جموع الروم
يضربن سيدهم ولم يمهلهم وقتلن فلهم إلى داروم

ويقال لها الدارون أيضاً ، وينسب إليها على هذا اللفظ ابو بكر الدارونى روى عن عبد العزيز العطار عن شقيق البلخى روى عنه أبو بكر الدينورى بالبيت المقدس سنة (٣٠٨ هـ) . (معجم البلدان ٤ — ١٣) .

ومن الحصون السحيلة وهو اسم قلعة حصينة قبلى بيت المقدس والطرون (اللطرون) وهو حصن بين بيت المقدس والرملة ، فتحه صلاح الدين سنة (٥٨٣ هـ) ، وفيه عين ماء ، وهو قرب باب الواد ويعتبر من الحصون المسيطرة على طريق يافا ببيت المقدس . ومن الحصون الشهيرة عثليت «عتليث» وهو فى سواحل الشام (جنوبى حيفا) ويعرف بالحصن الأحمر ، فتحه صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ (معجم البلدان ٦ — ١٢٢) .

ومنها أيضاً عفراء ، وهوحصن قرب بيت المقدس ويعتبر ياقوت «العفولة» بلده ويقول أنها بفلسطين من نواحى فلسطين (معجم البلدان ٦ — ٤٠٥) أما الأنس الجليل فيقول أنها كانت من أحسن الحصون ، وفيها من العدد والأموال الشئ الكثير ، وأن الأفرنج كانوا يتجمعون بها . وفتحها صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ (الأنس الجليل ج ١ — ٢٨٨)

ومن الحصون فى الساحل بين حيفا ويافا ، «قاقون» . ويقول عنه ياقوت أنه قرب الرملة ، وقيل أنه من عمل قيسارية ، ومنها أبو القاسم القاقونى أمام مسجد الجامع بقيسارية روى عنه سلامة الجدلى ، ومنها شبل أبو القاسم الصوينى القاقونى سمع بدمشق وروى عنه أبو الفتيان الدهشانى . (معجم البلدان ٧ — ٤١٦)

وكانت قاقون على طريق القوافل الواردة من الجنوب مارة بالرملة ، فجلجولية ، فقلنسوة فقاقون ، فاللجون فرج بنى عامر فبيسان فدمشق ، أو من اللجون جنوبا . وقد جاء ذكرها فى حملة نابليون فى أواخر القرن الثامن عشر .

وإلى الجنوب من قاقون (قلنسوة) وقد ذكرها ياقوت وقال عنها أنها حصن قرب الرملة وقد قتل بها عاصم بن أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان ، وعمر بن أبى بكر وعبد الملك وأبان ومسلمة بنو عاصم وعمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان ويزيد ومروان وأبان وعبد العزيز والأصبع بنو عمرو بن سهيل بن عبد العزيز ، حملوا من مصر إلى هذا الموضع وقتلوا فيه مع غيرهم من بنى أمية

(معجم البلدان ٧ — ١٥٢) .

ومن الحصون ، (كِرمل) ، وهو حصن على الجبل المشرف على حيفا ، وكان قديماً فى الإسلام يعرف بمسجد سعد الدولة . وكِرْمل قرية فى آخر حدود الجليل من ناحية فلسطين (معجم البلدان ج ٧ — ٢٤٤) والكرمل هو اسم الجبل الذى بنى عليه الحصن .

ومن القلاع التى اشتهرت فى الحروب الصليبية قلعة «كوكب» وهى على الجبل المطل على مدينة طبرية . ويقول ياقوت أنها حصينة رصينة تشرف على الأردن افتتحها صلاح الدين فيما افتتحه من البلاد ثم خربت بعد ذلك .

وقد جاء ذكرها فى الأنس الجليل (١ — ٣١٦) وقال إن السلطان صلاح الدين حاصرها سنة ٥٨٤ وقاتل أهلها أشد حصار وهدم غالب بنائها وملكها وعرض القلعة على جماعته فلم يقبلوها فولاها قايماز النجمى على كره منه ..

* * *

أما المواقع فأشهرها أجنادين[1] وحطين، وقد ذكرهما ياقوت فقال عن الأولى (أجنادَين) وقد تكسر الدال وتفتح النون بلفظ الجمع ، وأكثر أصحاب الحديث يقولون أنه بلفظ التثنية ، ومن المحصلين من يقوله بلفظ الجمع ، وهو موضع معروف بالشام من نواحى فلسطين . وفى كتاب أبى حذيفة العبدرى أن أجنادين من الرملة من كورة بيت جبرين كانت به وقعة بين المسلمين والروم مشهورة ... وقالت العلماء بأخبار الفتوح شهد يوم أجنادين مائة ألف من الروم سرب هرقل أكثرهم وتجمع الباقى من النواحى وهرقل يومئذ بحمص فقاتلوا المسلمين قتالا شديداً

(١) هى الآن خربتان بالقرب من الرملة تعرفان بخربة الجنابة الفوقا والتحتا وقد يثنيهما الفلاحون فيقولون «الجنابتين» وهما بين زكريا وبيت جبرين .

ومن المواقع الحربية الأخرى موقعة (عربة) أوقع بها أبو أمامة الباهلى بالروم وكانت به وقعة للمسلمين مع الروم أول الفتح) :

— قال أبو سفيان الأكلبى

أبونا رسول الله وابن خليله ... بعربه بوانا فنعم المركب
أبونا الذى لم نركب الخيل قبله ... ولم يدر شيخ قبله كيف يركب

وقال أسد بن الجاحل :

وعربة أرض جد فى الشر أهلها ... كما جد فى شرب النقاخ ظماء

(ياقوت ٦ — ١٣٨) . ووقعة الطواجين بين خارويه بن والمعتضد سنة ٧٢١ هـ . وهى قرب الرملة .

ثم هزموا وتفرقوا وقتل المسلمين منها خلقاً واستشهد من المسلمين عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وعكرمة ابن أبى جهل والحارث بن هشام[1] . وأبلى خالد بن الوليد يومئذ بلاء مشهوراً وانتهى خبر الواقعة إلى هرقل فهرب من حمص إلى إنطاكية وكانت سنة ثلاث عشرة قبل وفاة أبى بكر بنحو شهر فقال زياد بن حنظلة :

ونحن تركنا أرطبون مطرداً ... إلى المسجد الأقصى وفيه حسور
عشية أجنادين لما تتابعوا ... وقامت عليهم بالعراء نسور
عطفنا له تحت العجاج بطمنة ... لها نشج نائى الشهيق غزير
فطمنا به الروم العريضة بعده ... عن الشام أدنى ما هناك شطير
فولت جموع الروم تتبع إثره ... تكاد من الذعر الشديد تطير
رغودرصرعى فى المكر كثيرة ... وعاد إليه الفل وهو حسير

وقال كثير بن عبد الرحمن :

إلى خير أحياء البرية كلها ... لذى رُحُم أو خلة متأسن
له عهد ود لم يكدر بريبة ... وقوال معروف حديث ومزمن
وليس أمرؤ من لم ينل ذاك كامرئ ... بدا نصحه فاستوحب الرفد محسن
فإن لم تكن بالشام دارى مقيمة ... فإن بأجنادين كنى ومسكنى
منازل صدق لم تغير رسومها ... وأخرى بمياقارقين فوزن

(معجم البلدان ج ١ — ١٢٦) .

وأما «حطين» فكانت فيها الوقعة الفاصلة بين صلاح الدين والأفرنج سنة (٥٨٣ هـ) وهى قرية بين طبرية وعكا ، بالقرب منها قرية يقال خيارة ، وذكر الحافظان أن حطين بين أرسوف وقيسارية ، وهو غير الذى عند طبرية وإلا فهو غلط منهما .

ونسب الحافظان إليها أبا محمد هياج الحطينى الزاهد نزيل مكة سمع من كثيرين منهم أبا أحمد القيسرانى . وسمع منه جماعة من الحفاظ منهم محمد بن طاهر المقدس وأبو القاسم هبة الله الشيرازى

(١) فى مثير الغرام أن الصحابة الذين استشهدوا بأجنادين منهم ، أبان بن سعيد بن العاص ، والحجاج بن الجارث ، وخالد بن سعيد بن العاص وحصين بن عمر التميمى ، ونعيم بن عبد الله النجام ، وهبار بن سفيان المخزوى ، وسلمة بن هشام المخزوى ، وطليب بن عمير ، وعبد الله بن العدوى ، وعبد الله بن الأقر ، وعبد الله بن عمرو الدوسى ، وغبيد الله ابن سفيان ، وأبو عبيدة بن عمارة المخزوى وهشام بن العاص .

كما نسب إليها جعفر محمد بن أبي على الحطيني وغيرهم وكان زاهداً فقيهاً مدرساً يفطر كل ثلاثة أيام ويعتمر كل يوم ثلاث عُمر ، ويلقى على المستفيدين عدة دروس ، ولم يدخر شيئاً . وكان يزور رسول الله كل سنة حافياً ، ويزور ابن عباس بالطائف ، واستشهد في مكة في وقعة وقعت بين أهل السنة والشيعة ، فحمله أميرها محمد بن أبي هاشم فضربه ضربا شديداً على كبر السن ثم حمل إلى منزله فعاش بعد الضرب أياماً ثم مات سنة (٤٧٢ هـ) (معجم البلدان ٣ — ٢٩٨) . (وشذرات الذهب ٣ — ٣٤٢)

وقد وصف لنا ياقوت بعض مواقع في فلسطين منها النواقير ، والغور ، والجمارة . أما النواقير وهي معروفة الآن بالناقورة[1] ففرجة في جبل بين عكة وصور على ساحل بحر الشام . قيل إن الإسكندر أراد السير على طريق الساحل إلى مصر ومنها إلى العراق فقيل له إن هـذا الجبل يحول بينك وبين الساحل فنقر ذلك الجبل وأصلح الطريق فيه فلذلك سمي بالنواقير . (معجم البلدان ٨ — ٤٢٠)

وقال عن الغور إنه منخفض عن أرض دمشق والبيت المقدس وفيه نهر الأردن وبلاد وقرى كثيرة وعلى طرفه طبرية وبحيرتها ومنها مأخذ مياهها . وأشهر بلاده بيسان بعد طبرية وهو وخيم شديد الحر ، غير طيب الماء ، وأكثر ما يزرع فيه قصب السكر . ومن قراه أريحا ، وفي طرفه الغربي « الجنوبي » البحيرة المنتنة وفي طرفه الشرقي « الشمالي » بحيرة طبرية (معجم البـلدان ٦ — ٣١٢) .

ويصف لنا ياقوت الريف الفلسطيني بين رفح وغزة فيقول إن بينهما ثمانية عشر ميلا . وعلى ثلاثة من رفح من جنب غزة شجر جميز مصطف من جانبي الطريق عن اليمين والشمال نحو ألف شجرة متصلة أغصان بعضها ببعض مسيرة نحو ميلين ، وهناك منقطع رمل الجفار ويقع المسافرون في الجلَد . وما زال المسافر بين غزة وخان يونس يرى أشجار الجميز الباسقة هذه .

أما الجفار وهي ما يعرف بالنجب الآن (أو قضاء بئر السبع بالاصطلاح الإداري) فهي بين فلسطين ومصر أولها رفح من جهة الشام وآخرها الخشبي متصلة برمال تيه بني إسرائيل وكلها رمال سائلة بيض في غربيها منعطف نحو الشمال بحر الشام وفي شرقيها منعطف نحو الجنوب بحر القلزم (البحر الأحمر) وسميت الجفار لكثرة الجفار بأرضها ولا شرب لسكانها إلا منها رأيتها مراراً . ويزعمون أنها كانت كورة جليلة في أيام الفراعنة إلى المئة الرابعة من الهجرة ، فيها قرى ومزارع ، أما الآن ففيها نخل كثير ورطب طيب جيـد وهو ملاك لقوم متفرقين في قرى مصر يأتونه في أيام لقاحه فيلقحونه ، وأيام أدراكه فيجتنونه ، وينزلون بينه بأهليهم في بيوت من سعف النخل والحلفاء . وفي الجادة السابلة إلى مصر عدة مواضع عامرة يسكنها قوم من السوقة للمعيشة على القوافل وهي « رفح والقس والزعقا والعريش والورادة وقطية » في كل موضع من هـذه المواضع عدة دكاكين يشترى منها كل ما يحتاج المسافر إليه ...

قال أبو الحسن المهلبي في كتابه الذي ألفه للعزيز وكان موته سنة (٣٨٦ هـ) « وأعيان مدن الجفار العريش ورفح والورادة ، والنخل في جميع الجفار كثير وكذلك الـكروم وشجر الرمان ، وأهلها بادية متحضرون ولجميعهم في ظواهر مدنهم أجنة وأملاك وأخصاص فيها كثير منهم ، يزرعون في الرمل زرعاً ضعيفاً يؤدون فيه العشر ، وكذلك يؤخذ من ثمارهم .

ويقطع في وقت من الســنة إلى بلادهم من بحر الروم طير من السلوى يسمونه المُرع « الفر » يصيدون منه ماشاء الله يأكلونه طريا ويقتنونه مملوحا . ويقطع أيضاً إليهم من بلد الروم على البحر في وقت من السنة جارح كثير فيصيدون منه الشواهين والصقور والبواشق ، وقلما يقدرون على البازي . وليس لصقورهم وشواهينهم من الفراهة ما لبواشقهم ...

وليس يحتاجون لكثرة أجنتهم إلى الحراس لأنه لا يقـدر أحد منهم أن يعدو على أحـد ، لأن الرجل منهم إذا أنكر شيئاً من حال جنانه نظر إلى الوطء في الرمل ، ثم قفا ذلك إلى مسيرة يوم ويومين حتى يلحق من سرقه . وذكر بعضهم أنهم يعرفون أثر وطء الشباب من الشيخ والأبيض من الأسود والمرأة من الرجل والعاتق من الثيب ؛ فإن كان هذا حقاً فهو من أعجب العجائب . (معجم البلدان ٣ — ١١٣) .

أحمد سامح الخالدي

---

(١) هي جبل رجال طبشيري جيري ، مشرف على البحر ، كانت تجتازه الدواب بكل مشقة ، إلى أن فتحت جيوش الحلفاء طريقاً معبداً فيه في الحرب الأولى . وأصبحت النواقير فيما بعد الحد الفاصل بين لبنان وفلسطين

من فلسفة الحياة:

«لذة» الألم !..

قليلون جداً أولئك الذين يجدون فى الألم لذة وفى الشقاء متعة ... لأن الناس اعتادوا أن يملأوا قلوبهم سروراً ونفوسهم مرحاً بما راق لهم من وسائل اللهو والعبث أو المال والبنين ! !

أما أن يكون فى الألم « متعة » وفى الشقاء « لذة » ... فذلك مالم يعهدوه ، وذلك مالم تدركه أو يبلغه تفكيرهم

كنت أرى جمال العالم وأحس بروعة الوجود وإبداع الخالق خلال القطرات التى تذرفها عيناى ... وكنت أجد نفسى فى أمتع ساعاتها وأروع لحظاتها يوم يفعم قلبى ألماً وتملأ نفسى تعاسة ، فينطلق لسانى من معقله ويفك قلمى من قيوده ، ويبدآن يتعاونان : قلم ولسان .. ولسان وقلم .. فأصنع فى ساعة الألم أضعاف ما أصنع فى أجمل ساعات السرور !

كنت أبحث عن الألم فى كل مكان ... وهو منى جد قريب ، فى نفسى ، فى مأكلى ومشربى ، فى ملبسى ومسكنى ، فى فؤادى وأحاسيسى ومشاعرى ... ولكنى كنت لا أكتفى بذلك وإنما أطمع دوماً فى مزيد ... فأروح أبحث عنه فى كل زاوية .. وفى كل ركن ... وفى كل مكان !

حقاً لقد كان الألم ضالتى المنشودة .. وكانت الدموع مناى ، فلم أكن أطيق عنهما صبراً حتى أصبحا زميلين لى رفيقين لأحاسيسى ومشاعرى !

كنت إذا ما رأيت « مشهداً » يبعث على الألم والحسرة نقمت على « البشرية » الجشعة المتغطرسة المتمثلة فى هؤلاء « السادة » الذين يمتصون الدماء ويحيلون عرق الكادحين إلى ذهب يعبثون به على « الموائد الخضر » والليالى الحمر ... وابتناء مابدا لهم من الحدائق والقصور ... ثم أرثى لحال « البشرية » — البشرية التعسة المعذبة المتمثلة فى هؤلاء الأبرياء الذين يفنون أنفسهم فى سبيل المجتمع ويحيلون دماءهم حجارة يؤسسون بها صرح الأمة ثم لا ينالون أخيراً ... بعض ما يستحقون !

أحب الألم يا صاحبى ... حب الجبان للحياة ... والأنانى لنفسه ... ولكنك لن ترانى يوماً أتألم ، فذلك سر خفى بينى وبين نفسى ... وإنما ستراني دائماً وأبداً ضاحكا مسروراً ، مرحاً مبتهجاً بالحياة ... لا تفارق الابتسامة شفتى ... وإنما ستردد حنجرتى ضحكاتى الرنانة المعهودة !

ما أعظم الألم ... وأمتعه !

وما أقل من يدرك قيمته — قيمته الحقة التى تزكى النفس وتطهر الروح من أدران الإثم والأنانية والجشع والأطماع ثم تضفى على الباحث عنه — عن الألم — ثوب ملاك طاهر ومسوح نبى كريم !

ليتنى أتألم دائماً ... ليرتبط قلبى بالمجموع ... ويتصل بالوجود بأواصر الرحمة القوية ورباط الحنان المتين ...

بذلك أكون على اتصال دائم بالإنسانية المعذبة وأبنائها الأشقياء ... وبذلك نكون شركاء فى السراء والضراء .. حتى يحب أحدنا لأخيه ما يحب لنفسه ...

ابن الشمراء

نهاية شاعر

للأستاذ إبراهيم الوائلى

سل الشاطىء الوسنان والطير والزهرا
أحقاً فقدت اللحن والعطر والخمرا ؟

أحقاً ثوى فى نشوة الحلم شاعر ... على النيل كم غنى وكم رتل الشعرا ؟
أحقاً هوى من ذروة الأيك صادح ... وكانت به الأفنان حالمة سكرى ؟

سل الشاطىء الوسنان والموج ضاحك
تداعبه الأنسام ناعمة المسرى

وليل الندامى والكؤوس وكرمة ... معرشة الأطراف والواحة الخضرا
وعرساً جلته الفاتنات وزوقت ... مواكبه الدنيا فتاهت به كبرا
وشهباً أطلت تسكب النور فوقه ... وتنثر من أكمامها الماس والدرا
وطيراً كأحلام العذارى تلافظت ... وما اتخذت إلا برفرفه وكرا
وغيداً ثقال الخطو زهواً وفتنة ... ودنيا من الآمال تستقبل البشرى:
أحقاً تثور العاصفات فتنطفى ... شموع ولم تبلغ طلائعها الفجرا ؟
فيا لك عرساً مر كالطيف مسرعاً ... وغاب عن الآفاق إلا رؤى الذكرى
طوته أعاصير الخطوب وأصحرت ... به وهو لما يمسح الطل والعطرا
سل الشاطىء الوسنان أولا نخله ... وأحلامه والذكريات وما مرا
فقد يرجع الملاح نشوان باسماً ... وقد ودع الأمواج والتيه والبحرا
مُنَى ... يا لها نكباء جن جنونها ... فهبت على النوتى محمومة كدرا
وأهوت على القلع المهوم فانطوى ... من الأفق والمجداف قد شارف الدبرا
ولم تدر أن الزورق السمح مثقل ... بآمال قلب جازت المد والجزرا !

* * *

عروش القوافى غام ليلك وامحت ... مساحب أذيال وريع الهوى ذعرا
وقد أصبح الريحان حولك ذاوياً ... ينوح أخاه الآس والزنبق النضرا
وغاب « على » والنشيد وشملة ... من الفكر فى ظلماء قد سميت قبرا
وعاد الخيال العبقرى قصيدة ... من الصمت تستوحى المجاهل والقفرا
كأن لم يكن بالأمس ترجيع مطرب ... ونغمة عود يسحر اللب والفكرا

* * *

على . ودنيا الشعر بعدك راعها
من الهول أن تستنطق الشوك والصخرا

دعتك لليل الحائرين ويأسهم ... وللأمل المكلوم والمقلة الحسرى
وللعاشق اللهفان والشوق عارم ... وللقلب يصلى من تباريحه جمرا
وللأرغن النشوان يستشرف الربى ... ويسكب فى أفيائها اللحن والسحرا
وللشرق تدعوه لكل جديدة ... وللغرب توليه المجنحة الغرا

شدوت على النيل الخصيب محلقاً
ولحت على باريس تصطحب « النسرا »

وطوفت فى الغرب البعيد فلم تدع ... هنالك مهلاً يستجيب ولا وعرا

ورافقت عيد « الكرنفال » مهوماً
مع الليل و « الجندول » قد واكب النهرا

وسامرت « لوجانو » تداعب غيدها
وغنيت « فينسيا » وشطآنها الخضرا

وناجيت « كومو » والعرائس تلتقى
عليها تذيع الحب والوصل والهجرا

وودعتها صديان إلا تعلة ... تسرى بها عن نفسك الألم المرا
ترانيم توحى الذكريات نشيدها ... وتمرح كالأنسام عابقة نشرا
فقالوا: أديب هام بالغرب واجتوى ... ربوعاً غذته الروح والدم والنجرا
وأغرته آفاق وغيد ونهزة ... من العمر لم يبرح بها واجداً مغرى!
وما علموا أن الخيال متى سما ... طوى بجناحيه العوالم والدهرا

* * *

على . وهذا الشعر نجوى تبثها ... نفاثات قلب عز أن يجد الصبرا
وجدتك حيناً تبعث اللحن راضياً ... فينساب عن ثغر تبسم وافترا
وآونة تزجيه حسران غاضباً ... وتنفث من أحشائك القطع الحمرا
فهل كنت فى الأولى من الدهر بالغاً ... مسارب عيش سمحة النبع والمجرى ؟

وهل كنت فى الأخرى على شر مورد
فأوسعت هذا العالم النظر الشزرا ؟

تمرست بالضدين حب ونقمة ... وأى امرىء لا يجمع الخير والشرا ؟
عذرتك إذ تشكو الحياة ضنينة ... وتعرض عنها حين تعرض مزورا
وتنسى من التاريخ أحلام شاعر ... وتدفن فى الأوهام عيشك والعمرا
وتستقبل الأيام لا برماً بها ... فإن ضقت تلقاها بما يلهب الصدرا
فما أنت إلا الشاعر الحر قد أبى ... من الدهر ما لا يقنع الشاعر الحرا

* * *

على . وما أنسى من العمر ليلة(١) ... صحبتك فيها باسماً - كالندى - ثغرا

---

(١) تفضل الأستاذ الجليل الزيات فعرف أحد الشاعرين بالآخر فى ندوة الرسالة .

عودة الملاح التائه

بدنيا الفن ما للحزن شاعا   وما للشعر ينفطر التياعا

وما لبحوره غاضت وكانت   تذوب عذوبة وتشفُّ قاعا

وما لليأس يعصف بالقوافى   وما للوحى يرتجف ارتياعا

كشكلى روّعت بفراق ابن   عليها أوقف العمر المُضاعا

وفىٍّ للأمومة لا يبالى   أخسراناً جزته أم انتفاعا

مآتم فى مغانى الشعر أو يحى   وأى أسى عرا الوادى وذاعا

سألت فقيل «ملاح الليالى»   تعجل عمره وطوى الشراعا

وعاد لداره تحنو عليـــه   وتمحو الحزن والملل الوجاعا

إذا عزّ الوفاء فلا دواء   يجنبنا المكائد والنزاعا

سوى الأرض الحنون فكل عان   سينعم حين تأويه اضطجاعا

لقد عرك الحياة بجانبيها   ومارسها انحداراً وارتفاعا

يصيبه الاضطهاد فلا يبالى   ولا يرضى الخنوع أو الخداعا

إذا اعتنق المبادىء لم يخنها   ليمتلك القصور أو الضياعا

توغل فى النفوس فصاغ دراً   وأبدع فى نفائسه ابتداعا

وليس الشعر أوزاناً ولكن   سمواً فى المعانى واختراعا

تسرب فى شعاب الوهم عمراً   وكم من حالم فى الوهم ضاعا

وويح المرء من عبث الأمانى   إذا تبع المعانى واليراعا

آنسة

ن . ط . ع

وسامرت فيك الأريحى خلائقا   وصافيتنى الطبع المهذب والبشرا

وودعت – إذ ودعتك – القلب لم يجد

على أحد أو يعرف اللؤم والغدرا

فيا لضريح ضم منك عوالما   ودنيا وآمالا وماجل أن يُطرى

فقدناك لولا الخالدات ولم تكن

سوى روحك الخفاق يسترجع الذكرى

* * *

إليك رياض النيل – والنيل مخصب   يفيض على الشرق اللآلىء والتبرا –

عزاء القــوافى الثاكلات وأنها

دموع الفرات الحر قد شاطرت مصرا

القاهرة   ابراهيم الوائلى

مرسى الملاح

زورق حالم أغــر   نوره يخطف البصر

بدد العمر فى سفر   تائهــاً ما له مقر

فى عباب بغير حد

أسكر البحر والعراء   بالأغانى وبالحــداء

واحتوى الظل فى المساء   والشعاعات فى السماء

بجناحين من خيال

ساحر مشرق الصور   إن تغنى وإن شعر

يترك الماء حيث مر   جنــة غضة الزهر

لم يطوف بها أحد

ســـاهم كله رجاء   يتبع الموج حيث شاء

لا لغـوب ولا عناء   إن تبدت على الفضاء

بارقات من الجمال

ما شجى ربة البحَر   فى الزمان الذى غبر

مثــله حينما عبر   مانحاً هائج الذكر

يقـذف الأفق بالزبد

طاف بالقطب ثم جاء   فى زماع بلا انتهـاء

وقدة القيظ والشتاء   حـول مجدافه دعاء

يجنح النجم حيث مال

كان لا يرهب الخطر   أو يبالى بمــا بدر

عنـدما تسبح الفكر   عنـدما يرقص الوتر

كل أيامـــه بدد

أذعن اليـوم للعناء   واهتـدى ركبه وفاء

عجبـــاً إنه مراء   قاهر البحر والفناء

يسـلم الأمر للكلال

آه من صـولة القدر   آه من حسرة البشر

النبى الذى ظهـــر   فجـر آياته الكبر

لم يمتع بمـــا وجد

آه من خيبة الرجاء   كل آمالنا هباء

مزهر خالد الغناء   دون أحلامه الوضاء

ترتمى قبضة الزوال

أين يا ربة البحَر   أين ملاحك الأغر

أين من سحره بهر   أين أمسى وأين قر

بات فى شاطىء الأبد

محمد محمد على السودانى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ضريبة الكفاية :

تحدث رئيس الوزراء إلى مندوب الأهرام فى مسألة شغل المناصب الكبرى الخالية فكان مما أفضى به قوله : إن ملء منصب مدير الجامعة الذى خلا بتعيين الدكتور شوقى بك وزيراً للصحة يقلق بالى ... إن الكفايات فى البلاد تبدو قليلة بل نادرة ... وربما كانت الأنظمة القائمة فى الدولة لها نصيب من المسئولية عن هذه الحال ، فالمرتبات المقررة للمناصب الرئيسية المماثلة لمنصب مدير الجامعة لا تغرى الكفايات بقبول شغلها ولا بالبقاء إلى النهاية فيها .

أثار انتباهى فى حديث رفعة الرئيس صراحته فى تقصير الدولة نحو ذوى الكفايات من حيث المكافأة المادية التى يستحقونها ، وذكرت بذلك أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية .

يظن كثير من الناس أن هؤلاء الأعضاء يتناولون مرتبات كبيرة تناسب فخامة هذه العضوية ومكانتهم فى عالم الأدب والثقافة ولا شك أنهم يدهشون إذا علموا أن عضو المجمع يأخذ مكافأة شهرية قدرها تسعة جنيهات وقروش ... يضاف إليها جنيهات يشترط ألا تزيد على خمسة إذا عمل العضو فى اللجان المختلفة فوق جلسة المجمع العادية ، واللجان ومكافآتها تكون فى أثناء الدورة فقط ... ويعامل نفس المعاملة أستاذ الجيل معالى رئيس المجمع !

ومعاملة أعضاء مجمع فؤاد الأول على ذلك النحو لا نظير لها فيما تنطوى عليه من غبن . ولسنا بحاجة إلى ذكر مرتبات أعضاء البرلمان فهى معروفة ، ولندع البرلمان وننظر إلى هيئة علمية كجماعة كبار العلماء ، فإن أعضاءها يتناول كل منهم ستين جنيها فى الشهر والدولة لا تقصر فى إثابة كبار موظفيها على جلسات اللجان المختلفة فهل ذنب أعضاء المجمع أنهم ذوو حياء .. ؟ وهل تنتظر الدولة حتى يؤلفوا من بينهم « رابطة » تقدم مطالبهم وتدافع عن حقوقهم ؟

إنه يطلب من المجمع أن ينجز كثيراً مما بين يديه من المهام ، ولكن لا يبذل للأعضاء الجزاء المادى الذى يوازى هذه المهام ، فكيف ينتجون بالمجان ؟

إن أعضاء مجمع فؤاد الأول اختيروا من ذوى الكفايات فى الآداب والعلوم والفنون ، ولكى تجنى البلاد ثمرات الكفاية يجب أن تؤدى الدولة ضريبتها .

المرشحون المستقلون ومناهج التعليم :

نشرت جريدة الأهرام أن المرشحين لانتخاب مجلس النواب المستقلين اجتمعوا برياسة الأستاذ عبد الحميد عبد الحق باشا ، ورأوا أن يضعوا لهم برنامجاً كبرامج الأحزاب . وعرض عليهم عبد الحميد باشا البرنامج الذى أعده ليكون عهداً على كل مرشح مستقل إذا ما نجح فى الانتخاب ، فوافق الجميع عليه ، والذى يهمنا من هذا البرنامج هو المادة الثانية منه ، ونصها : « جعل التعليم فى جميع درجاته بالمجان مع تعديل البرامج تعديلا يكفى لتخريج شبان مسلحين بالمعرفة الضرورية لاقتحام الحياة الحرة » هذا كلام طيب ، فقد أصبحت مجانية التعليم من أمانى البلاد فى الإصلاح الداخلى ، ولا ينبغى أن يشترى التعليم كما يشترى الكراث والبصل ، كما قال الدكتور طه حسين . وحسن أيضاً أن تعدل البرامج التعديل المنشود ، ولكن للمادة السابقة من برامج المرشحين المستقلين بقية هى : « وأن يضع هذا البرنامج رجال الأعمال لا موظفو وزارة المعارف » .

ومعنى ذلك أن تلغى وزارة المعارف مراقباتها الفنية وتسرح رجالها ، لتفسح المجال لرجال الأعمال من مديرى المصانع ورؤساء (الورش) وغيرهم ، كى يضعوا خطة التعليم ، فننشئ بديوانها «ورشة لتعليم اللغة العربية» ، و « معملا لاستخراج المواد الاجتماعية » و « شركة تدير العلوم الطبيعية » وهكذا .

ولم لا وقد أخفق موظفو المعارف فى وضع البرامج الكفيلة بتخريج شبان مسلحين بالمعرفة .. الخ ؟

ولماذا ننتظر حتى يفرغوا من تجاربهم وحتى تتطور إلى أحسن منها ؟ وعلى ذلك يجب إجلاؤهم عن شؤون التعليم دون مفاوضة .

ولست أدرى لم سكت برنامج المرشحين المستقلين عن الناحية الصحية مثلا . أليست الصحة العامة على غير ما يرام ؟ وكلنا يعلم حال المستشفيات وعدم العناية بالمرضى فيهـا ، فلم إذن لا يتولى رجال الأعمـال هذه الشئون بدلا من الأطباء ؟ !

لا شك فى أنهم يقصدون تغليب الناحية العملية فى التعليم والاستئناس بآراء من مارسوا الأعمال الاقتصادية ، ولكن ليس معنى هذا أن التعليم كله اقتصاديات وصناعات ، وأن يتولى الأمر غير ذويه . ثم أريد أنا أيضاً أن أتدخـل فيما لست من أهله ، فأسأل — وما أنا من المشتغلين بالسياسة — كيف يكون المستقلون مستقلين وهم يتجمعون هيئة لها لجنة تنفيذية وبرنامج ؟ أليس هـذا شأن الأحزاب ؟ وعلى ذلك نرى حزبا جديداً هو « حزب المستقلين » !

ليلة من ألف ليلة :

يعمل الآن الأستاذ زكى طليمات فى إخراج مسرحيـة « ليلة من ألف ليـلة » لتمثلها الفـرقة المصرية على مسرح الأوبرا الملكية ابتداء من أول ديسمبر الحالى . وهى مسرحية زجلية يتخللها غناء ، فهى من نوع الأوبريت ، كتب حوارها الأستاذ بيرم التونسى . ويرجع أصل هـذه الرواية إلى رواية « قسمة » الإنجليزية التى ألفها المستر ادوارد كنبلوش ومثلت فى لندن سنة ١٩١٤ . وترجمت بعد ذلك إلى الفرنسية ، ثم ترجمها عن الفرنسية إلى العربية المرحوم خليـل مطران باسم « القضاء والقدر » ومثلتها فرقة عكاشة فى مسرح حديقـة الأزبكية سـنة ١٩٢٠ ، وقام بالدور الأول فيها وهو دور « حسن الشحات » المرحوم محمد بهجت ثم أخرجتها الفرقة المصرية بعد ذلك باسم « حسن الشحات » وقام بالدور الأول حسين رياض .

أما الرواية الزجلية فقد أجرى لها بيرم التونسى اقتباساً جديداً وكتبها بالزجل وأخرجها عزيز عيد ومثل فيها دور حسن الشحات . وأخيراً تناولهـا الأستاذ زكى طليمات فأضاف إليها قطعاً غنائية مندمجة فى مواقفها وبهذا حولت إلى (أوبريت) وقد وضع ألحانها أحمد صدقى ، وتغنى فيها المطربة شهر زاد (فى دور حسن الشحات) ويغنى كذلك كارم محمود فى أحد الأدوار . أما دور « حسن الشحات » فله قصة من مفاجآتها أن أعلن أن يوسف وهبى سيغنى فيها . فقد عرض عليه أولا أن يقـوم بدور حسن الشحات

كشكول الأسبوع

□ انتهت يوم الإثنين الماضى مدة الترشيح لملء الثلاثة الكراسى الخالية بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، والذين رشحوا هم : واصف غالى باشا ومحمـد توفيق دياب بك ومحمود تيمور بك وعبـد الحميد العبادى بك وعبـد السلام الكردانى بك والدكاترة محمد خليـل عبد الخالق بك وأحمد عمار بك وكامل حسين . وقد حددت جلسة ٥ ديسمبر الحالى لانتخاب ثلاثة أعضاء من المرشحين :

□ قررت وزارة المعارف إنشاء مراقبة عامة لشؤون اللغة العربية تختص بكل ما يتصل بدراسة اللغة العربية فى معاهد التعليم المختلفة . ويتضمن هذا القرار النص على إلغاء « اللجنة الدائمة لترقيـة اللغة العربية » التى كان من اختصاصها تقرير الكتب الأدبية للمطالعة الحرة بالمدارس ، إذ أصبح هذا من عمل المراقبة الجديدة .

□ كتب الدكتور طه حسين بك مقالا فى الأهرام عن المرحوم المازنى اقترح فيـه على وزير المعارف أن يطلب من مجلس الوزراء تقرير معاش لأسرة الفقيد وتعليم أولاده بالمجان . وقال عميد الأدباء فى ختام مقاله : إذا لم يفعل هذا وزير المعارف فإنى أرفع القصة كلها إلى جلالة الملك عائذاً به من أن يتعـرض أبناء الأدباء الذين أنفقوا حياتهم فى خدمة الثقافة للفقر والجهل والمرض .

□ استأنف الأسـتاذ زكى طليمات سعيه فى إنشاء فرقة نموذجية من خريجى معهد التمثيل العالى ، وهو كبير الأمل فى نجاح المشروع على يد معالى العشماوى باشا وزير المعارف ونصير الفن ، وقد طلب إلى معاليه اعتماد عشرة آلاف جنيه لإنشاء الفرقة .

□ قال لى الأمير على بن عبد الكريم شقيق سلطان لحج : إن نسبة الأميين فى لحج لا تزيد على ٣٥ ٪ والأمير نفسـه شاب ذو ثقافة ممتازة .

□ يقولون فى الدفاع عن اسـتدعاء المغنى الإيطالى لموسم التمثيل الأجنبي في مصر وزيادة الإعانة من أجله ألفي جنيه . إنه مغن عالمى تتهافت الدول الكبرى على الاتفاق معه للغناء والتمثيل على مسارحها ولـكن فات هؤلاء أن تلك الدول تطرب شعوبها لمثل هذا الغناء على خلاف شعبنا فى ذلك .

□ أعلن يوسف وهبى أنه يعطى ٥٠٠ جنيه لمن يشاهد مسرحيته « بيت الطاعة » ولا يضحك . فهل اتجهت الفرقة إلى منافسة شكوكو؟

□ كان قد حدث خلاف بين أحد مخرجى الأفلام وبين رئيس تحرير مجلة فنيه ، فنشأ من ذلك اشـتداد النقد والحملة على المخرج وأفلامه . ثم حدث بعـد ذلك أن أصلح بين الطرفين باسم الأخوة الماسونية ، فتعطل « النقد الحر » عن العمـل … وأعلن ذلك فى المجلة !

□ أصدر وزير الأشغال قراراً بأن يطلق على طائفة من شوارع القاهرة أسماء أعلام عربية قديمة ومصرية حديثـة ، ومن الأخيرة الشيخ مصطفى عبد الرازق وعلى الجارم .

□ وافق مجلس الوزراء على عقد الدورة الثانية لحلقة الدراسات الاجتماعية للأمم العربيـة فى القاهرة خلال شهر ديسمبر القادم . وستخصص هذه الدورة لدراسة وسائل تنظيم الخدمات الاجتماعية .

ووافق عليه ، ولـكنه رأى أن الدور يحتاج إلى جهد كبير وخاصة حفظ الزجل ، وهو لا يريد أن يتعب نفسه فى أدوار جديدة ، فحسبه رواياته التى مثلها قديما والتى لا تكلفه غير الاستذكار اليسير ، وهو يقتصر على هـذا الاجترار فى النهوض بالمسرح المصرى فى هذا الوقت ! وجمل يوسف وهبى يماطل ويتخلف عن حضـور التجارب ، حتى أدى ذلك إلى أزمة فى الفرقة ، وقدم زكى طليمات استقالته ثم عدل عنها بعـد أن تم الاتفاق على أن يقوم بالدور فؤاد شفيق . وعلى ذلك صار يوسف وهبى لاعلاقة له بهذه الرواية إلا أنه المدير العام للفرقة التى ستمثلها ، وبهذا الوصف وحده ينشر الإعلانات بأنه يقدم « ليلة من ألف ليلة » ! وأرجو أن أتمكن من مشاهدة المسرحية والكتابة عنها فى الأسبوع القادم

فلم الأسبوع :

هو فلم « أوعى المحفظة » الذى عرض أخيراً بسينما الـكورسال وهو تأليف وإخراج وتمثيل محمود اسماعيل . . واشترك معـه فى التمثيل شكوكو وتحية كاريوكا وحسن فائق ولولا صدقى وآخرون .

وتقع حوادث الفلم فى مكان واحد هو فندق « إيزيس » فبعد أن رأينا سفرت (شكوكو) يبيع دكانه بخمسمائة جنيه ، إذ أغراه بذلك عبده الإوز (محمود اسماعيل) ليشترك معـه فى مغامرات السرقة والاحتيال ، بعد أن رأينا ذلك سريعاً فى إحدى (الحوارى) انتقل العمل بالفندق حيث نزل الإثنان وقد اتخذ عبده الإوز اسم صادق بك الواردى من رجال الأعمال ، وظل الثانى على اسمه (سفرت) على أن يكون تابعاً له . ويلتقيان بالفنـدق بفتاة تتظاهر بالغنى والحسب ، ثم يتبين أنها زميـلة محتالة واسمها شناكل (تحية) وتنضم إليهما فى العمل ، ويتفق الثلاثة على سرقة ماسة ثمينة من أمير هندى نازل بالفندق ، بوساطة شناكل التى اتصلت به . ثم يسيرون فى الخطة الموضوعة حتى ينكشف أمرهم ، وينكشف الأمير الهندى أيضاً عن زميل لهم محتال ، وما الماسة إلا شىء مزيف .

ويريد المؤلف المخرج أن يخرج بالحوادث قليلا عن الفندق ، فماذا يصـنع ؟ ينصب فى البهو مائدة القمار ويظهر عليها فتاة أنيقة (لولا صدقى) ، ويستمر المؤلف المخرج فى سيره فيجعل الفتاة الأنيقة (بنت الذوات) تتعلق بسفرت (البلدى) الأمى الذى يهجم على المائدة ليلعب بنصف ريال فيسخر منه الجميع ويهم صاحب الفندق بطرده . وللمخرج المؤلف فى عقد هذه المحبة حكمة ، يريد كما قلت أن يخرج الحوادث من الفندق قليلا ، وهو يشعر أيضا أن الفلم اقترب من النهاية ولم يسمع المشاهدون غناء ولم يروا رقصاً ؛ ولذلك كله عقد تلك الصلة ليخرج شكوكو مع الفتاة فى سيارتها حتى يصلا إلى مكان قبيلة من الأعراب حيث ترقص هناك نبوية مصطفى وتغنى سعاد مكاوى ، ويشاركهما شكوكو .

وقد ظهر صادق بك الواردى يحـاول التقرب من الفتاة المتظاهرة بالغنى ، وهى كذلك ، وانتهت المحـــاولة إلى المحادثة والمغازلة ، وطال ذلك ، ثم إذا هما يظهران التعارف الفجائى ، فيعرف كل منهما الآخر على أنه زميل قديم ، فملام كان كل ذلك العناء إذن ؟ ولماذا لم يتعاوفا من أول الأمر ؟

وفى المنظر الأخير قبض على جميع المحتالين وسيقوا إلى السجن ماعدا سفرت مع أنه شارك فى حوادث السرقة .. وللمؤلف المخرج فى هـذا أيضاً حكمة ، وهى أن يظهر سفرت فى مظهر البطل المحبوب الظافر بحب الفتاة الأنيقة بحيث يكون هذا حسن الختام !

ولا شك أن القصة لا تشويق فيها ولا غاية لها ، بل إن الفلم يعرض السرقة والقمار عرضاً إن لم يكن محببا فيهما فهو غير منفر منهما . فلم إذن هى ؟ المعتاد فى أمثالها أن تحشى بما يسترها من نحو غناء أو رقص ، ولـكننا هنا لم نر إلا منظراً قصيراً جداً فيه رقصة بدوية تافهة وغناء غير مطرب ، على أن هـذا المنظر كان بمثابة رقعة فى الفلم بولست بحاجة للاشارة إلى فقر الفلم فى المناظر فكل شئ يجرى فى الفندق حتى مله النظر ، وانعدم الجمال حتى فى الممثلات ، فالفتاة التى قدمت على أنها أنيقة حسناء لا حسن فيها وفمها لا يفضل فم إسماعيل يس ... وتحية كاريوكا لم ترقص !

الواقع أن الفلم قصد به عرض شكوكو . وشكوكو يكرر حركاته وكلماته المألوفة مثل (وحشة دى !) و (يا خرابى !) وقد أكثر من الـكلمة الأخيرة إلى درجة أنها كانت تصلح اسما للفلم بدل (أوعى المحفظة) إلا أن يكون المراد التحذير من أن ينفق شىء من المحفظة فى مشاهدة الفلم .

وليس هناك شىء ظريف غير حسن فائق الذى كان يمثل دور المخبر السرى للفندق ، وهذا الممثل يكون ظريفا فى الأدوار التى تلائم شخصيته وكان كذلك فى هذا الدور ، وإن كان الدور نفسه رقعة أخرى فى الفلم .

ومحمود إسماعيل ممثل قدير فى أدوار الشر . ولـكنه أحد الذين يأبون أن يقتصروا على ما يحسنون ، فيعمدون إلى التأليف والإخراج ليجمعوا الفن من أطرافه !

عباس خضر



يسطون على أدب الزيات ثم لا يخجلون !

بالأمس سطا الساطون على أدب الزيات فى لبنان ، واليوم يسطون على هـذا الأدب مرة أخرى فى العراق . ولـكن اللص العراقي الفاضل لم يكن فى سطوه من اللصوص الشرفاء . ولو كان منهم لتناول قلمه وراجع ضميره وكتب كلمة يرد بها على ذلك المقال الذى زف إليـه مجداً أدبياً هو برىء منه ، لأنه مجد أدبى زائف ، نرفع عن زيفه الغطاء ! أما ذلك المقال فقد نشرته جريدة « النهضة » العراقية بعددها الصادر فى ١٦ تشرين الثانى سنة ١٩٤٩ بقلم أديب حرم نعمة الاطلاع فاندفع قلمـه بغير زمام ... هـذا الأديب هو السيد خالد ياسين الهاشمى الذى راح يؤكد لقراء « النهضة » أن هناك مقالا نشر فى غضون عام ١٩٤٨ لأديب عراقى اسمه عبد الخالق عبد الرحمن تحت عنوان « يوم الهجرة » فى جريدة « النـداء » العراقية ، وأن هناك فقرات قد نقلت بنصها وفصها من هذا المقال إلى مقال آخر كتبه الأستاذ الزيات فى العـدد (٧٥٢) من « الرسالة » تحت عنوان « من وحى الهجرة » وهو العـدد الصادر فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٩ ....

أما هذه الفقرات فهى : « كان يوم الهجرة تشريعاً من الله فى حياة الرسول للفرد المستضعف إذا بغى على حقه الباطل ، وطغى على دينه الـكفر ، ليعرف كيف يصبر ويصابر ، وكيف يجاهد ويهاجر ، حتى يبلغ بحقه ودينه دار الأمان فيقوى ويعز » و ... « حمل محمد رسالة الله وهو فقير ضعيف ، وحمـل أبو جهل رسالة الشيطان وهو غنى مسلط ، فحول مـكة المشركة جبلا من السعير سد على الرسول طريق الدعوة فكان يخطو على أرض تمور بالفتون وتفور بالعذاب وتفجرت عليـه من كل مكان سفاهة أبى لهب بالأذى والهون والمعاباة والمعارضة ، وكل قرشى كان يومئذ أباجهل أو أبا لهب لا من حفظه الله . وافتن كفار مكة ومشركوا الطائف فى أذى الرسول فعذبوه فى نفسه وفى أهله وفى صحبه ليحملوه على ترك هـذا الأمر فما استكان ولالان ولا تردد ، وحينئذ تدخل الشيطان بنفسه فى دار الندوة فقرر القتل ، وتدخل الله بروحه فى (غار ثور) فقدر النجاة » .

بعد هذا قال حضرة المطلع الـكبير السيد خالد الهاشمى :

أن هـذه الفقرات وردت فى مقال عبد الخالق عبد الرحمن فى العام الماضى ، ثم وردت بنصها وفصها فى مقال الأستاذ الـكبير الزيات فى هذا العام .. ثم عقب على هذا الاكتشاف الخطير بقوله :

« ولو كان حديث الأستاذ الـكبير الزيات قديم عهد بالنشر لجاز لنا اتهام الأستاذ عبد الخالق عبد الرحمن بالسطو والسرقة ، ولـكن هـل سطا الأستاذ الزيات على مقال عبد الخالق ، أم ان ذلك من توارد الخواطر » ؟

ونحن نقول لحضرة المطلع الـكبير إن حديث الأستاذ الزيات قديم عهد بالنشر ، فقد ظهر فى « الرسالة » منذ أعوام ... ولو كان حضرته من الذين يقرأون لعلم أنه قد كتب فى عدد الرسالة الممتاز الصادر فى ٣ مارس سنة ١٩٤١ تحت عنوان « يومان من أيام الرسول » ، وقد اقتبس الأستاذ الزيات هذه الفقرات من مقاله القديم ثم ألحقها بمقاله الجديد . أما المقال القديم فيستطيع من لا يملك العدد الذى ظهر فيه أن يطلع عليه فى المجلد الثانى من كتاب « وحى الرسالة » ص ٢٦٢

ومعنى هذا يا حضرة المطلع الـكبير أن السيد عبد الخالق عبد الرحمن لص ، ولـكنه ليس من اللصوص الشرفاء على كل حال ، فلو كان منهم لـكشف عن وجه الحق حين قرأ مقالك العظيم ، ولـكنه ـ سامحه الله ـ آثر أن يرتدى أثواب مجد أدبى زائف فى طوايا الظلام !

إننى أرد بهذه الـكلمة على حضرة المطلع الـكبير لأنه خصنى بالحديث فى بداية مقاله ، بمناسبة تعرضى لمن سطا على أدب الأستاذ الزيات فى لبنان ... وإذا كان لى من نصيحة أوجهها إليـه فهى أن يتعلم ... قبل أن يتهجم ! !

وللأديب العراقي الفاضـل السيد توفيق نعوم الذى بعث إلى بمقال حضرة المطلع الـكبير طالباً إلىّ أن أعقب عليـه ، خالص الشكر وعاطر التحية .

أنور المعداوى

أخى الإبيارى :

عرفتك نافذ البصيرة لا مع البصر ، فلا غرابة أن تقرأ ترجمة كتاب النفس لأرسطو ثم تكتب عنه كتابة العارف ، وقد امتلأت بداه من الموضوع ، فحرك القلم ، وجرى بالفـكر على صفحات الورق . كأنك قد ملـكت العنان ، حتى خيل إليك أن جمهور القراء قد عرف ما عرفت ، وملك ما ملـكت .

وتوقعت كما توقع الناس معى أنك سوف تكتب عن الكتاب كما رثيت الشاعر ، ولكنك آثرت التبيين ، فحمدت وحمد الناس لك هذا البيان .

وقد اختلفت مذاهب القوم فى النقل ، أيكون ذلك عن القديم الخالد أم الجديد الحى النابض ، فنقلوا عن سوفو كليس كما نقلوا عن جيته ، وليس بين القوم خلاف لأن القديم والجديد متعلقان بما يكون ويفسد ، ويولد ويموت ، ويظهر ويزول ؛ أما روائع الفكر فإنها تخرج عن دائرة الزمان وتتصف بالخلود . وكتب أرسطو خالدة على الزمان ، وكتابه فى النفس من أخلد آثاره وأشدها تجدداً مع تجدد الأيام .

قال فى النفس كلمته ، وزعم أن النفس صورة الجسم ، وتناقل الشراح كلامه وزادوه تفسيراً ، وتعددت المذاهب من لدن أفلاطون والمشائين إلى وليم جيمس وبرجسون ، فهل حل القدماء مشكلة النفس أو كشف المحدثون عن أسرارها ؟

لقد خيل إلىّ وأنا أقرأ كلمتك أنك مطمئن إلى رأى المعلم الأول : ولا عجب فهو صاحب المنطق ومبدع القياس ورب الجدل . ثم قلت لنفسى : كيف استطاع اللغوى أن ينفذ إلى أسرار النفس ، وكيف عرف الأديب حقيقة أمرها ، وقد خفيت عن مؤثر الحكمة وطالب المعرفة .

الآن عرفت السر . فأنت صاحب بيان ، كهذه الطائفة التى ظهرت فى بلاد اليونان تعلم هذا الفن للناس يؤثرون به فى العقول ويخلبون الألباب . والبيان سر يخفى على الشرح والبيان . وقد قيل بحق « إن من البيان لسحراً » . وقالت العرب تصف الأديب إذا نثر فسحر ، والشاعر إذا نظم الدرر : إنه حلو النفس . وقالوا أيضاً . طويل النفس وقصيره ، كما قالوا : هذا شاعر عنبرى الأنفاس .

وهل الكلام من جنس الطعوم والمشمومات حتى يوصف بهذه الأوصاف ويحمل على محمل المحسوسات ؟

وأنت تعلم أن الأدب من باب المعانى وعالم الروح ، فكيف يقال نفَس الأديب . أم تُراهم حين عجزوا عن التعبير نزلوا إلى التشبيه ، وانصرفوا عن التنزيه ؟

أم النفْس بالسكون من النفَس بالفتح ، فانتهت الحركة إلى السكون ؟ ...

ومن غرائب اللغات وأسرارها توافق معنى النفس فى اليونانية والعربية . فأصلهما فى اللسانين مادى ثم أصبح من المنقول . ولكننا نعرف النفس لأننا نشم عبيره ، فكيف السبيل إلى إدراك النفس ، وما معنى نفَس الأديب ؟

أحمد فؤاد الأهوانى

إلى الأستاذ الدبرى

قرأت مقالك عن الحرية وأعجبت به لما صادف فى نفسى من المجاوبة والاتفاق فى الرأى . وكنت قد قرأت لك قبل ذلك مقالا آخر عن الفلسفة الوجودية . وأحسن أن يكون من المفيد لى ولقراء الرسالة الغراء أن تعرض لموضوع الحرية مرة أخرى من وجهة نظر المذهب الوجودى أولا ، وأن تكشف بوضوح عن الرابطة التى تصل بين الحرية والجهل ثانياً حتى تتأيد نظريتك بالتحليل والتعليل الكافيين . وتفضل بتحية المعجب

(كلية البوليس الملكية) **طاهر الكرانى**

ليست آخر ما نظم :

نشرت جريدة « الأهرام » الغراء فى عددها الصادر صبيحة الأحد ٢٧ / ١١ / ١٩٤٩ قصيدة عصماء من درر فقيد الشعر المغفور له « على محمود طه » عن محمد على الكبير مطلعها :

من هذه الروح وهذا الجبين يضئ فى مصر منار السنين

وقد قدمت صحيفتنا الكبيرة هذه القصيدة بهذه المقدمة :

« نظم الشاعر الكبير على محمود طه هذه القصيدة وهو فى فراش مرضه ، وقد أتمها قبل موته بيوم واحد (كذا) وكان قد أعدها ليساهم مع البلاد فى الاحتفال بالذكرى المئوية لوفاة منشئ مصر الحديثة ساكن الجنان : محمد على الكبير » .

غير أن الذى أعرفه وكان يجب أن تعرفه الصحيفة الكبيرة على وجه التخصيص أن هذه القصيدة ليست آخر ما نظم الفقيد الكبير (بيوم واحد) . ولكنها قصيدة قديمة فى حساب السنين تبلغ من الزمن عمر ديوانه الثالث « زهر وخمر » الصادر فى عام ١٩٤٣

« صارو »



الأغـــلال

أقصوصة عراقية

للأستاذ شاكر خصباك

— أنظرى إلى ذلك الحمال ياسماد ... إنه يتعقبنا على دراجته شأنه كل يوم .

قالت رفيقتى إحسان هذا وهى تشير إلى الحمال الذى اعتاد أن يستقبل أفواجنا كلما غادرنا المدرسة . فقلت فى عدم اكتراث دون أن أحول إليه أنظارى : مالنا وله ؟!

فنظرت إلى من زاوية عينيها وانفرجت شفتاها عن ابتسامة ماكرة . وفجأة اشتد ضجيج جرس دراجة وراءنا ، فالتفتت إحسان خلفها فى حركة سريعة ، ولكننى لبثت متجهة بأنظارى متجهة إلى الأمام دون أن تطرف عيناى . ومرت لحظة خيل إلى أنها قاربت الساعة والجرس يواصل صخبه ، ثم رأيت الحمال ينطلق بعجلته أمامنا فتبعته عيناى فى حنق وغيظ ، وتناهى إلى فى حنق وغيظ ، وتناهى إلى صوت إحسان كريهاً ثقيلاً وهى تسألنى متخابثة : ألم تلاحظى شيئاً على هذا الحمال ياسماد ؟!

فأجبتها فى صوت حاولت أن يكون هادئاً : كلا مالى وله ؟! لماذا يجب أن ألاحظ أمثاله ؟

فندت عنها ضحكة مثيرة وأجابت بلهجة خبيثة : من القريب أن يخفى عليك غرض تلكؤه المريب .

فهتفت فى خشونة : ما هذا الكلام السخيف ؟! أمكلفة أنا برصد حركات كل من يمر بى فى الطريق ؟! هذا شأنك دائماً ... تشغلين نفسك بالتوافه .

فالتفتت إلى فى استياء وهتفت فى تحد : بل إنك لتتظاهرين بعدم الفهم . إن ذلك الحمال يحبك مافى ذلك ، وما حضوره ساعة انصرافنا من المدرسة إلا ليراك . .

وصمتت لحظة ثم واصلت القول وهى تضحك فى سخرية :

إلا ليراك من دون الطالبات جميعاً !

فصحت فى وجهها بلهجة ثائرة : هكذا أنت دائماً .. تحسدين غيرك من الفتيات . حسناً ، إننى جميلة محبوبة وكثير من الفتيان الممتازين يعجبون بى أراقك ذلك أم لم يرقك ، ولن تجديك هذه السخرية السخيفة نفعاً .

ثم ألقيت عليها تحية الانصراف فى غضب وابتعدت عنها موسعة الخطى . وحين بلغت الدار وصفقت الباب ورائى تنفست الصعداء كأننى ألقيت عبئاً ثقيلا عن كاهلى . وتناولت طعام العشاء بدون شهية وذهني مشتت تائه ، ولما أويت إلى الفراش واستعرضت حوادث النهار غمرتنى آلام عنيفة حادة . وأغمضت عينى محاولة إبعاد صورة الحمال عن مخيلتى ، لكنها ظلت تتراءى لى فى بشاعة ، بدوى جرس دراجته كأننى فى سوق للحدادين .

استيقظت فى الصباح منقبضة الصدر واهنة القوى ، وتبدت لى المدرسة شبحاً مفزعا مخيفاً . ولم أستطع طوال ساعات الدروس أن أرفع أنظارى إلى إحسان شأن من ارتكب فعلة منكرة توردة موارد الخجل . وما أن أعلن الجرس انتهاء الدروس حتى اجتاحنى شعور بالضعة والهوان . وتمنيت من صميم قلبى لو أن « الفراش » سها عن دق الجرس ودعا الدرس الأخير يمتد بنا ساعات أخر . كنت أود أن أتجنب رؤية الحمال بأى ثمن كان ، فقد كان يتمثل فى ذهنى فأحس بالاشمئزاز وتتملكنى رغبة فى الفرار والاختباء عن الأنظار .

حاولت أن أختفى عن عيون رفيقاتى حالما اجتزت باب المدرسة فأسرعت الخطو وأنا أتلفت حولى فى خجل وحدة وعذاب . وكان الحمال يتعقبنى بدراجته تارة يدنو منى وأخرى يبتعد عنى . ولمحت عاصم يمشى فى موكب من زملائه الطلاب بطلعته البهية ولباسه الأنيق ، فهممت أن أجرى إليه وأحتمى به ، ولكن سرعان ماتذكرت أننى لست سوى معجبة خجولة لا يعرف عنها أى شئ . فعضضت على شفتى فى خيبة يمازجها الغيظ ، وتابعت سيرى فى عجلة وارتباك وأنا أغمغم فى حسرة : يا للحظ العاثر !

* * *

ذاعت قصة غرام الحمال بى وتلقفتها ألسنة زميلاتى بالتهليل والترحيب ، فلابد لألسنتهن أن تثرثر فى موضوع ما . ولا يداخلنى شك أن إحسان قامت بالنصيب الأوفر فى نشر القصة ، لا سيما

وأن علاقتنا انفصمت عراها إثر ذلك اليوم . ولم يكن بوسعى أن أحتمل البسمات الغامضة التى أخذت ألمحها على شفاه زميلاتى ، أو أن أطيق النظرات الساخرة التى بدأت أقرأها فى عيونهن ، وكم تمنيت لو تنشق بى الأرض وتبتلعنى حين يعلن الجرس أوان الانصراف وتنطلق أفواجنا إلى الشارع ، فتتأهب زميلاتى للتمتع بمنظر الحمال العاشق . كنت أحس أننى أوشك أن أذوب خجلا وذلة ومهانة . وكنت أضرع إلى الله أن يقع له حادث ... حادث يعوقه عن الحضور . لكنه ظل يواظب على الحضور فى الموعد المعين كل يوم كأنه المتدين يؤدى الصلاة فى ميقاتها ! ولم يكن باستطاعتى أن أتخذ أى إجراء ضده لأنه لم يتحرش بى أبداً . لكن أعصابى بلغت من التوتر ذات يوم حداً عنيفاً ، فلم أشعر إلا وأنا أنفجر صائحة فى وجهه حين اقترب منى بدراجته : « ألا تكف عن ملاحقتى وتنقذنى من شكلك القذر ودراجتك الكريهة ؟ ! » فاصفر لونه واحمر ، وانسل بعجلته فى هدوء دون أن يتفوه بلفظ واحد ! وكانت عيناه تلمعان ببريق كئيب وشفتاه ترتجفان فى انفعال شديد ! ...

وأقبل اليوم التالى وإذا بالمشهد اليومى يفقد إحدى عناصره ولأول مرة ، وهو دراجة الحمال ! وشعرت بسرور وارتياح مشوبين بقلق خفى . وخيل إلى أننى تخلصت من مرآه نهائياً ، ولكن سرعان ما تبدد ظنى ، إذ لمحته منزويا وراء إحدى أعمدة الشارع فأحسست بقليل من الكدر . وكان على غير عهده ، يرتدى جلبابا نظيفاً وسترة جديدة ، وينتعل حذاء لماعا ، ويضع فوق رأسه طاقية مزركشة وكان وجهه نظيفاً كمن اغتسل منذ برهة وجيزة وما كاد نظره ينالنى حتى انطلق يحدق فى كالمأخوذ . ولم أستشعر لنظراته وقعاً شيئاً كالذى كنت أحسه من قبل ، بل خالجنى شعور من يقع بصره على مشهد يبعث على الشفقة والرثاء . لكن هذا الشعور لم يدم طويلا ، فقد عاودنى فى الأيام التالية الإحساس بالغيظ والحنق كلما مررت به فى ركنه المعهود ، ولمحته منزويا فى ترقب وشوق . وكنت أصمم كل يوم على الامتناع عن ملاحظته حين مرورى بموضع انتظاره ، ولكن عينى كانت تنجذب إلى إلى تلك الزاوية بالرغم منى . واستفزنى هذا الحال أشد الاستفزاز فعقدت العزم على ارتداء النقاب . ومع أن فضول زميلاتى فى مراقبته كان قد فتر غاية الفتور حتى لم يعدن يأبهن لأمره ، لكن رغبة شديدة ألحت على بإخفاء وجهى ! ولا أدرى كيف فشلت فى قهر تلك الرغبة مع أننى كنت على رأس الطالبات الثائرات على الحجاب ، بل الداعيات إلى نبذ العباءة لا البرقع فقط . وقلت لنفسى فى شئ من العناد والتشفى وأنا أبارح المدرسة والبرقع يحجب وجهى لأول مرة : « لن يستطيع أن يرانى بعد الآن » . وصح ما توقعته ، فقد مررت به وهو منزو بركنه المعهود فلم يعرنى التفاتا، ولبث يبحث عنى بين الطالبات بعينين مشوقتين .

ويبدو أننى أثرت قلقه بتصرفى الجديد . إذ برز فى اليوم التالى من ركنه المعهود وظهر على الرصيف وهو مسند الظهر إلى العمود الضخم . وكان يفحص أسراب الطالبات بوجه متقلص العضلات وعينين مضطربتى النظرات . وأحسست بالسرور والارتياح حين مررت به ورأيته جاداً فى البحث عنى بين فئات التلميذات دون أن يعثر لى على أثر .

مرت أيام ثلاثة على ارتدائى النقاب والحمال ملازم لموضعه على الرصيف يتفحص وجوه الطالبات فى قلق ولهفة وكنت قد اعتدت على النقاب بعض الشيء خلال تلك الأيام بعد أن كابدت فى اليوم الأول من تطفله علي وجهى أشد الضيق وأحسست أن أنفاسى تكاد تختنق . وفى ظهيرة اليوم الرابع حدث ما لم أكن أتوقعه ، فما كدنا نتدفق من باب المدرسة كالسيل حتى فوجئت به فوق عجلته وقد عاد إلى زيه القديم ؛ فبدى قذر الملابس عارى الرأس حافى القدمين ! ومضى يخترق أفواجنا فى تئن وهو يتمعن فى وجوه الطالبات فى إهتمام . وكان يصل إلى رأس الشارع فيقفل راجعاً إلى باب المدرسة ، ثم يعاود السير إلى رأس الشارع ثم يعود من حيث بدأ ، إلى أن احتجب عن بصرى . وغمرتنى فورة من العواطف المتضاربة ، وأنا أرقبه يروح ويجيء فوق عجلته والمرارة تفيض من قسماته . وأحسست بلذة يشوبها كدر وارتياح يعكره قلق مبهم .

ورأيته ساعة العصر وهو يتجول بين جموعنا فى خيبة وقنوط والكآبة تغلف ملامحه بغشاء كالح . وكنت متجهة إلى الدار وأنا خالية الذهن من أية فكرة معينة . لكننى أحسست بغتة برغبة قوية فى إقتفاء أثره . ولم أتردد فى تحقيق تلك الرغبة طويلاً ، إذ شرعت أتلكأ فى السير حتى أصبحت فى أعقاب الطالبات . وتسنى لى بذلك أن أرصد حركاته فى حذر واحتراس . فما أن أيقن من خلو المدرسة من التلميذات حتى عاد أدراجه يسوق عجلته فى يأس

وخذلان . وبلغ دكان لكراء الدراجات فترجل عن عجلته وسلمها لصاحب الدكان بعد أن نقده مقداراً من المال . وسلك الشارع المؤدى إلى «ميدان الشرطة» فتبعته عن قرب والخوف والوجل يشدانى إلى الوراء فى حين تدفعنى رغبة عارضة إلى الأمام . انتهى به المسير إلى الفسحة الممتدة أمام سوق البقالين فعرج على ناصية الشارع المجاورة لمركز الشرطة وجلس إلى نفر من الحالين الذين اعتادوا أن يتخذوا تلك الناحية مركزاً . وتوقفت بالقرب من دكان بقال بجانب الناصية متظاهرة بالرغبة فى الشراء بينما انطلقت عيناى تدوران فى المكان . وناوله أحد الجالسين عدة العمل وسأله : « ألم ترها ! ؟»

فهز رأسه فى خيبة ومرارة دون أن ينطق حرفاً . فاندفع آخر ذو أنف معقوف كمنقار البومة وبنيان متين كالفيل يقهقه فى سخرية لاذعة ، فسأله فى خشونة وهو مقطب الجبين : علام تضحك ؟ !

فأجابه ذو الأنف المعقوف فى استخفاف : على جنونك ياحسن. ألا يدعو حالك إلى الضحك ؟! أية ساعة نلقاك نجدك عابس الوجه مكتئب القسمات برم بالحياة ، لماذا ؟ ! لأنك تحب تلك الفتاة .. !

فسأله بصوت أجش : وماذا فى ذلك ؟ ! أليس من حق أن أحب ؟ ! ألم يخلقنى الله كما خلق أولئك الشبان المتأنقين الذين يحل لهم الحب ؟ ! كلا هنالك من فرق بيننا أن الله رمانى فى أحضان أب معدم فاضطررت أن أشتغل حمالا لأكسب لقمة العيش ، بينما خص أولئك الشبان بآباء أثرياء يرسلونهم إلى المدارس ويكسونهم بالحلل الغالية .. وإن لله حكمة فى خلقه !

فهتف ذو الأنف المعقوف بلهجة ساخرة : كفى تفلسفاً وكفرا فنحن نعترف أن من حقك أن تحب ، بل وتحب تلميذة جميلة من بنات الأثرياء ! ولكن ، أفتظن يا قيس أن ليلاك ستتنازل يوماً وتجود عليك بنظرة أو ابتسامة ؟ !

فقاطعه فى انفعال : إسمع يا جاسم . لا تتدخل فى شئونى . أنا أدرى منك بما أفعله .

فاستطرد ذو الأنف المعقوف يقول فى تهكم : طبعاً أنت أدرى بشئونك ... لذلك أحببت تلك الفتاة ! ... حمال يحب فتاة مثقفة غنية ... !

وسكت برهة ثم صاح فى هزء كمن تذكر أمراً : اسمع ياقيس. إننى مستعد لمراهنتك على أن ليلاك قد اختارت لها صديقاً من طلاب المدارس كما هو شأن معظم التلميذات .

وكنت أرقب النقاش بنفسى متوثبة وقلب سريع الخفقان ، فتملكنى الغيظ حين نطق ذو الأنف المعقوف بعبارته الأخيرة ، ولكن سرعان ما اهتزت جوانب نفسى بسرور عظيم عندما شاهدت حسن يقفز إليه فى جنون ويمسك بخناقه وهو يصرخ هائجا : لا تدنس اسم هذه الفتاة بلسانك القذر ... لا تدنسه .. لا تدنسه ...

فسدد إليه ذو الآنف المعقوف لكمة ألقته على الأرض ، واشتبك الإثنان فى معركة حامية فى حين بدأ الناس يتجمعون حولهما وهم يحاولون فض المعركة ، فانسللت فى طريقى ونفسى نهب لعواطف الخوف والألم والإشفاق .

* * *

أقبل الليل ..

وجلست إلى كتبى لمذاكرة دروسى . محال أن أفهم شيئاً وذهنى يعج بهذه الصور . دراجته الحزينة تخترق صفوفنا فى ملل .. عيناه المتفجرتان أسى تتصفحان وجوه الطالبات فى لهفة وإعياء .. ذو الأنف المعقوف وضحكاته الساخرة الكريهة .. المعركة المنيفة التى اشتبك فيها الإثنان ! ويئست من استيعاب صفحة مما أقرأه فأطبقت الكتاب فى ضيق وقمت إلى سريرى .

اضطرب نومى بأحلام صاخبة اتصلت بين اليقظة والرقاد . وكان حسن محور تلك الأحلام تارة أراه فى صورة كريهة تثير فى قلبى الحنق والاشمئزاز ، ويهم بالقبض على ذراعى فأنفلت من يديه مذعورة ، وأركض أمامه خائفة وجلة وهو يعدو ورائى وزميلاتى يقفن على طول الطريق وهن يرمقننى بنظرات ساخرة ويقهقهن هازئات . وطوراً يتمثل لى شابا أنيقاً يرتدى السترة والبنطلون ، ويغادر مدرسة البنين الثانوية المجاورة لمدرستنا فى موكب من رفاقه المتأنقين ، وهو يسير بينهم رافع الرأس شامخ الأنف ، ومر بالقرب منه أنا وزميلتى إحسان ، فيلتفت إلى فى اهتمام ويستقبلنى بنظرات تفيض بالهيام . فتثير تلك النظرات فى قلبى أعذب المشاعر وأحلى الأحاسيس . وحيناً أرانى واقفة فى أرض خضراء واسعة أتطلع إلى الأفق البعيد ، وفجأة يبرز لى وهو يمتطى صهوة جواد جميل ، فينتشلنى من الأرض ويردفنى وراءه ، ثم ينطلق بنا الجواد خبباً ونفسى تهتز نشوة وطربا .

واستيقظت فى الصباح متأخرة عن ميقات يقظتى اليومى . الصداع يلهب رأسى والضيق يكاد يكتم أنفاسى . وتناولت فطورى فى غير شهية ، وقصدت المدرسة وأنا منقبضة النفس حزينة المشاعر. تلقيت الدروس ضجرة متبرمة ، ولما دق جرس الدرس الأخير زايلنى بعض ما أحسه من ضيق وانقباض ، وبادرت إلى الخروج وأنا أتوقع أن أرى حسن فوق دراجته يخترق الصفوف ، ولم يكن ليزعجنى التوقع تلك اللحظة ، بل أحسست نحوه بشىء من الرضا والاطمئنان . ولشد ما ذهلت حين قطعت معظم الشارع دون أن يبدو له أثر . واستولى على استغراب شديد مازجه شعور بالاستياء والقلق ، وظللت سائرة فى خطى مضطربة وأنا أتلفت حولى طول الطريق ، متوهمة فى كل صوت عجلة تدرج ورائى . واكتسبت أذناى فى تلك الدقائق قوة مدهشة ،فكنت أنتبه إلى أدق صوت ، بل لعلنى كنت أتخيل سماع بعض أصوات وهمية . ومع ذلك فقد بلغت الدار دون أن يلوح لدراجته ظل … !

انتظرت فترة العصر فى لهفة لانطلاق . وكنت خلال ساعات الدرس أحدق فى ساعة معصمى بين لحظة وأخرى متأففة متململة كأننى أستحث عقاربها على الإسراع . وما أن طرق سمعى رنين الجرس حتى قفزت نحو باب الصف فى رعونة أثارت استغراب معلمة التاريخ التى تمهد فى الرزانة والتعقل ، لكننى لم أعبأ بدهشتها ، وهرعت إلى الشارع وعيناى تكادان تسبقان جسمى إليه . وسرعان ما اجتاحتنى موجة عارمة من المشاعر زاخرة بالمرارة والامتعاض والخذلان حينما ألفيت الشارع خالياً من دراجته ، وصاحبتنى تلك المشاعر الخانقة طيلة اليوم .

* * *

مضى أسبوع دون أن يبدو لحسن أثر : وكنت أثناء أيام الأسبوع أتوقع رؤيتـه فى شغف كلما غادرت المدرسة فى فرصة الصباح والمساء ، وما أن يخيب ظنى حتى يمتلئ كيانى بأحاسيس يمتزج فيها الضيق بالأسى والثورة بالحنق . وتصارعت الأفكار والهواجس فى رأسى كل منها يعزو غيابه إلى سبب . وكنت أجزم أحيانا بأنه فى السجن يتحمل عقوبة المعركة . ثم أعود حيناً آخر فأعتقد أنه فى المستشفى يداوى الجراح التى ألحقتها به المعركة . وحيناً ثالثاً أنقض ذينك الخاطرين ويعجزنى ارتباك الخيال عن افتراض سبب معين !

وفى الليالى الثلاث الأخيرة من الأسبوع لفت نظرى ظاهرة جديدة تحت نافذتى . فمن عادتى أن أفتح نافذة غرفتى المطلة على شارع عرضى وأمدّ رأسى فى الفضاء بضع دقائق لأملأ رئتىّ من هواء الليل العذب قبل أن أتهيأ للرقاد وبعد أن أفرغ من استذكار دروسى . فكان نظرى يقع على شبح شخص يتحرك تحت النافذة فى تسكع . وبما أن مصباح الشارع الكهربائى بعيد عن دارنا فإن الظلام يغمر هذه البقعة فلا يسمنى أن أميز شكل من يدخلى فى نطاقها . وخمنت للمرة الأولى والثانية والثالثة أن هذا الشخص عابر سبيل . لكننى ما عتمت أن أيقنت أن تسكعه تحت نافذتى عن قصد وتعمد . وما أن رسخ فى ذهنى هذا الاعتقاد حتى أصبت بنوع من الهوس ، فكنت أطل على الطريق فى الليالى الأخيرة بين ساعة وأخرى فألحظه يتحرك تحت النافذة فى نفس الموضع . وكان يتوارى عن أنظارى كلما أبرزت رأسى . وعجبت لحاله … من يكون ؟ ! وماذا يعنى سهره تحت النافذة ؟ ! ولماذا يحاول الاختفاء عن عينى ؟ !

ولطالما ارتددت عن النافذة وتحولت إلى المرآة أتملّى فيها مفاتنى … لاشك أننى رائعة الجمال … عينان سوداوان واسعتان . أنف صغير جميل . شعر أسود وحف ينسدل على كتفى كالحرير . قامة شامخة مغرية بخصرها الدقيق وصدرها الناهد . ثم هذه النقرة اللطيفة التى تبدو فى وجنتى كلما افترت شفتاى عن ابتسامة صغيرة وصحيح أننى سمراء ، لكن لونى خمرى كما يقول الشعراء .

وكانت تلك الأفكار تبعث فى قلبى نشوة هادئة ، لكنها لم تكن لتصرفنى عن أمر هذا العاشق الجديد . فكنت أنفق الساعات وأنا أنقد تصرفاته . وكنت أحدس أحيانا كثيرة أنه حسن نفسه . لكن ميلى إلى الاعتقاد أنه إما أن يكون طريح المستشفى أو يكون السجن كان يضعف هذا الحدس .

مرت أيام ستة على العاشق الجديد وهو مقيم على عهده ، يروح ويجىء تحت نافذتى كل مساء . وبينما كنت عائدة من المدرسة عصر اليوم السابع انحرف نظرى — على سبيل المصادفة — إلى

عطفة مهملة بالقرب من المنزل كنت أرفع البرقع فى العادة حين أتجاوزها ، وإذا بى ألمح حسن قابعاً فيها . وخفق قلبى فى شدة وعنف ، وساد الارتباك مشاعرى واضطربت حركاتى ، فحولت عنه عينى سريعاً ، وأوسعت خطواتى حتى كدت أهرول . ولما بلغت الدار ارتقيت السلالم وثباً واتجهت إلى مخدعى من فورى واستلقيت على الفراش وأحاسيس النشوة والفرح تجيش فى صدرى.

وتمثل لى شبح العاشق الجديد وهو يخطو تحت النافذة فى تلكؤ ، فوجدتنى أجزم بأنه حسن نفسه ... حسن نفسه بقامته الفارعة وكتفيه العريضين وملامحه القوية الصارمة ، وإن له قامة حسن الطويلة العبلة وإن لم تبن قسمات وجهه .

وما أن أسدل الظلام أستاره حتى هرعت إلى النافذة فرأيت الشبح يتحرك بعيداً مختفياً عن أنظارى ، فارتددت عن النافذة .

وتهافتُّ على المقعد صامتة . لكننى ما عتمت أن قفزت على قدمى وأنا أحس كأننى حبيسة وراء جدران ضخمة . وانطلقت أذرع أرض الغرفة بخطوات سريعة مضطربة وأنا أرزح تحت وطأة رغبة جارفة فى الخروج إلى الشارع . وضجت بتلك الرغبة مشاعرى واختنق صدرى بصراخها فأدركت أننى أقاومها عبثاً .

وارتديت ملابسى على عجل . واستأذنت أمى فى زيارة زميلة لغرض يتعلق بالواجب المدرسى . رددت باب الدار خلفى وقلبى يسرع فى دقاته وأعصابى ثائرة ونفسى متوثبة ، وانعطفت وراء المنزل وسلكت رأس الشارع الثانى ، ثم ظهرت أمام العاشق الجديد فجأة بحركة مباغتة . كان حسن نفسه بلحمه ودمه وهو منكمش تحت النافذة . ورفعت البرقع عن وجهى وأنا مفترة الثغر عن بسمة رقيقة ، ولبثت بضع لحظات أحدق فى وجهه بنظرات تنبض باللطف والإغراء وانتابته حالة من الذهول الشديد ، فجمد فى موضعه وهو متسع العينين دهشة ، فاغر الفم فى بلاهة وتبلد كمن لا يفهم لما رآه معنى . ثم واصلت سيرى بخطوات متمهلة وأنا أتلفت ورائى بين لحظة وأخرى كأننى أدعوه إلى تعقبى . وابتعدت عنه وهو ثابت فى وقفته كالتمثال ، وكدت أيأس من استجابته للفتاتى ثم رأيته يتحرك فجأة فى ذهول كأنه واقع تحت سلطان قوة خفية . وغاب دارنا عن أنظارى بين المنعطفات التى اجتزتها ، ودخلت دربا يكاد يكون مقفراً من السابلة ، وحسن لا يزال يتبعنى بخطوات بطيئة مترددة ، وكلما ازداد اقترابه منى اشتدت ضربات قلبى واندفع الدم فى شرايينى حاراً لاهباً وتضرمت فى أعماقى لذة مبهمة.

ودنوت من منعطف يؤدى إلى شارع عام فتوقفت عن السير ، ودرت على أعقابى بحركة بطيئة وانتصبت أمامه وجها لوجه وعلى ثغرى ابتسامة رقيقة . كنت أشعر تلك اللحظة أن رأسى قد التهب وجسمى قد تخدر وأخذ يرتعش تحت وطأة تيارات غريبة تمسنى مس الكهرباء . أما هو فوقف صامتاً وكل جزء من أجزاء وجهه يعكس عواطف قلبه المصطخبة . ومرت لحظة صمت ، ثم همهم بصوت مرتعش وشفتين مرتجفتين : « أنا عبدُك » .

لا أدرى ماذا حدث لى تلك اللحظة ، ولكننى أذكر أننى لمحت عامر ينعطف من الشارع ويدخل الطريق ، فاندفعت أصيح بحركة لا إرادية : « أنقذونى .. أنقذونى » . فهرع إلى وهو يردد باهتمام : « ماذابك يا آنسة !! ... ماذا بك يا آنسة ؟ ! »

فأجبته بلسان متلعثم وأنا أشير إلى حسن : «إنه حاول تقبيلى» . فتحول إليه مزمجراً ، وراح يهدده بالويل إن لم يدعنى وشأنى .

ولن تمحى صورة حسن الذاهلة من ذاكرتى أبداً . فقد تحجر فى موضعه ، وراح ينقل أنظاره بينى وبين عامر فى فزع كأنه تحت رحمة كابوس مخيف . ولم ينطق كلمة واحدة ، بل ألقى على نظرة تتدفق ألماً ومرارة وتعاسة ، ثم دلف يخطو فى تخاذل كأنه يرزح تحت حمل ثقيل ، والتفت إلى عامر وقال بأدب : « لا أظنه سيضايقك مرة أخرى أيها الآنسة .. ليلتك سعيدة » . ووقف ينظر إلى برهة كأنه ينتظر أن أقدم له شكرى ، لكن لسانى انعقد عن الكلام وخوى رأسى من الأفكار . فهز كتفيه وسار فى طريقه . وأردت أن أستوقفه لأقول له شيئا ، لكن قوة طاغية جذبت رأسى إلى الجهة التى سلكها حسن ، فانبعه بأنظارى وأنا أحسّ أننى سأنفجر من شدة الغم والألم والضيق . ثم ارتد إلى طرفى مبللا بالدمع حينما تلاشى شبحه فى النور الخافت .

القاهرة

شاكر خصباك

مطبعة الرسالة

العدد ٨٥٨ — الاثنين ١٢ ديسمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٥٤٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

يصدر بعون الله تعالى :

في اليوم الثاني من شهر يناير سنة ١٩٥٠

عدد الرسالة الممتاز

حافلا كعادته بأروع ما يكتب

في موضوعه لصفوة

من أقطاب البيان

في مصر والعالم العربي

17 em Année No. 858 — Lundi — 12 — 12 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ من شهر صفر سنة ١٣٦٩ — ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة »

على محمود طه

شاعر الأداء النفسى

للأستاذ أنور المعداوى

— ٢ —

وتبقى بعد ذلك المرحلة السادسة من هذه الدراسة ، وسيكون الحديث فيها مقصوراً على شعر القوميـة المصرية والمناسبة النفسية عند على طه ؛ وأقول المناسبة النفسية لأن على طه كان من الشعراء الذين يستجيبون لدعاء النفس وحده فى شعر المناسبات ... صوت الشعور أولاً يتلوه صوت الفن ، وهذان هما الصوتان الصادقان اللذان لا تضيق برنينهما الأذن فى هذا اللون من الشعر ، لأنه رنين يطلقه قلب من القلوب لا بوق من الأبواق ...

ثم المرحلة السابعة والأخيرة ، وهى المرحلة التى سيحدد فيها مكان على طه بين شعراء عصره .. ولن تخلو بعد هـذا التحديد من عرض ونقـد لبعض الآراء الفنية التى أطلقها بعض النقاد المعاصرين حين حاولوا أن يضعوا الشاعر وشعره فى الميزان .

وأترك هـذا التبويب الفنى لأطوف معك بجوانب الصورة الأولى من صـور الأداء النفسى فى هـذا الشعر ، وهى الصورة الوصفية فى إطارها النفسى .. « الموسيقية العمياء » قصيدة تطالعها فى الصفحة الثامنة بعد المائة من « ليالى الملاح التائه » ، وقد مهد لها الشاعر بهذه الكلمة التى تنقلك إلى مكان الفن وزمانه :

كان الشاعر يتردد على « ألفتيا » أحد مطاعم القاهرة الشهيرة بموسيقاها . شتاء عام ١٩٣٥ ، وكانت تترأس الفرقة الموسيقية . به حسناء دلماتية ، تعزف على القيثار ، وكانت على جانب من الرقة والجمال ، فلا يخيل لمن يراها أن القدر قد أصابها فى عينيها ، فحرمها نعمة الإبصار ، فلما وقف الشاعر على حقيقة حالها ، أوحى إليـه جمالها الجريح بالقصيدة الآتية :

إذا ما طاف بالأرض ... شعاع الكوكب الفضى
إذا ما أنت الـريح ... وجاش البرق بالومض
إذا ما فتـح الفجر ... عيـون النرجس الغض
بكيت لزهرة تبـكى ... بدمع غـير مرفض

* * *

زواها الدهر لم تسعد ... من الإشراق باللمح
عـلى جفنين ظمآنين ... للأنداء والصـبح
أمهد النور : ما لليل قد ... لفـك فى جنح ؟
أضىء فى خاطر الدنيا ... ووارسناك فى جرحى

* * *

أرى الأقـدار يا حسـناء مثوى جرحك الدامى
أريها موضـع السهـم الذى سـدده الرامى
أنبلى مشرق الإصـباح هذا الكوكب الظامى
دعيـه يرشـف الأنـوار من ينبوعها السامى

* * *

وخـلى أدمـع الفجر تقبّـل مغرب الشمس
ولا تبكى على يومك أو تأسى على الأمس
إليك الكون فاشتقى جمـال الكون بالهمس
خذى الأزهار فى كفيك فالأشـواك فى نفسى

* * *

إذا ما أقبل الليـــل وشاع الصمت فى الوادى
خذى القيثار واستوحى شجون سحابه الغادى
وهـزى النجم إشفاقا لنجم غـــير وقاد !
لعـل اللحن يستدنى شـعاع الرحمة الهـادى

* * *

إذا ما شـقشـق العصـــفور فى أعشاشه الفنّ
وشـق الروض بالألحـــان من غصن إلى غصن
أتتك خواطرى الصّـدا حة الرفافة اللحن
تغنيك بأشــعارى وترعى عالم الحسن

* * *

إذا ما ذابت الأنــــداء فوق الورق النضر
وصب المطر فى الأكـــام إبريق من التبر
دعـوت عرائس الأحـــلام من عالمها السحرى
تذيب اللحن فى جفنيـــك والأشجان فى صدرى

* * *

عـرفت الحب يا حـوا ء أم ما زالا مجهـولا ؟
ألمـا تحمـــلى قلبـاً على الأشواق مجبـولا ؟
صـفيه ، صـفيه ، فرحــانا ، ومحزوناً ، ومخبولا !
وكيف أحـس باللوعـــة عنـد النظرة الأولى !

* * *

ومن آدمك المحبوب ؟ أو ما صـورة الصبّ !
لقـــد ألهمت والإلهــام يا حـواء بالقلب !
هو القلب ، هو الحب ، و ما الدنيـا لدى الحب
سـوى المكشوفة الأســرار والمهتوكة الحجب !

* * *

ســلى القيثار يبـــن يديك أى ملاحن غنى
وأى صبابة ســـالت على أوتاره لحنـــا
حـــوى الآمال والآ لام والفرحـــة والحزنا
حـوى الآباد والأكـــوان فى لفظ وفى معنى

* * *

تعالى الحسن يا حســـناء عن أطراق محسور !
أيشكو الليـل فى كون من الأنوار مغمور ؟
وما جلاه من سواه إلا توأم النــور !
وما سمـــاه إذ ناداه غير الأعين الحور !

وقفة عند المقطوعة الأولى ... فى البيت الأول والثانى ذكر للشعاع ، وفى البيت الثالث والرابع ذكر للعيون . الصلة هنا وثيقة بين الوجود الداخلى وبين الوجود الخارجى ؛ بين الصورة التى فى النفس والصورة التى فى الحياة . والألفاظ هنا قد استحالت أداة ربط واتصال بين عالمين : عالم المشاهد الخفية وعالم المشاهد المرئية ... إن الشاعر هنا أمام عيون تعيش فى الظلام ، ثم هى بعد ذلك قد أطبقت منها الجفون ، وفى هذا المشهد يتركز مصدر الإثارة ، ولا بد للأداء النفسى من أن تتفق ألوان الإثارة مع مصدرها الأصيل ؛ عيون مظلمة يجب أن تثير فى الخيال الشاعر معانى الضياء : فى وميض البرق أو فى شعاع القمر . وجفون مطبقة يجب أن تبعث فى الشعور النابض ذكرى التفتح : فى أكمام النرجس التى تبدو من وراء الحس « عيونا » ... فتحها الفجر !

ووقفة عند المقطوعة الثانية والثالثة ... هنا نقلة أخرى لا تبعد بنا كثيراً عن نقطة البدء الشعورية . تختلف الأدوات بعض الاختلاف وتتغير بعض التغير ، ولكننا لا نزال نستروح الأنسام الأولى تهب علينا من نفس الأفق ... وسترى أن الوحدة الفنية هى التى فرضت على الشاعر أن ينحرف بخط الاتجاه النفسى هذا الانحراف الذى مهد لما بعده ، تبعا لهذه التعريجة الجديدة فى منعطف الطريق إلى المقطوعة الرابعة . وإنك لتلمس بوادر هـذا الانحراف فى البيت الثالث من المقطوعة الثانية ، ذلك البيت الذى يبدؤه الشاعر بمناجاة العيون المطفأة فى وثبة ممتازة من وثبات الأداء النفسى عندما يقول : « أهيد النور » ... وما تلك البوادر إلا نفحات من العزاء ، العزاء المتمثل فى المشاركة الوجدانية بين طبيعتين ، هناك حيث تمتزج اللوعة فى النفس الإنسانية

بشيء من الاعتراض المهذب على حكمة القدر ... وأى عزاء هو ؟ إنه عزاء فى منطق الشاعر أو فى منطق الشعور وبهذا المنطق أيضا تواجه الإنسانية قضاء السماء ! إذا كان واقع الدنيا قد ضاق بالعيون المطفأة ففى خاطر الدنيا وخواطر الأحياء متسع للضياء ولا بأس من أن يتوارى السنا اللماح فى أعماق الجراح ، جراح القلب الإنسانى حين تدميه مخالب الأيام ! ترى كم يلفح شعورك هذا الهتاف تلفه الثورة المذبة فى قوله : « أرى الأقدار ياحسناء . . . أربها موضع السهم » ؟ إن الأقدار قدرأت من غيرشك ، ولكنه الأداء النفسى الذى يتخير اللفظ فى صيغة الأمر ... لأمر لا يخفى على البصراء !

وفى المقطوعة الرابعة تستقر نقطة الارتكاز فى الوحدة الفنية ، حين ينتهى خط الاتجاه النفسى بعد تلك التعريجة فى منعطف الطريق ... ونقطة الارتكاز هنا محورها الاستعانة بالمعنى الحسى الذى تصب فى قالبة الحركة النفسية . وأين هو المعنى الحسى هنا ؟ هو فى الإيحاء المعبر عنه باشتفاف جمال الكون عن طريق اللمس ، وفى الإشعاع الذى يحمله البيت السابق حين يعرض للحاضر المبلل بدموع اليوم والماضى المجلل بسواد الأمس ! ... ولا تظن أن الشاعر يقصد المعنى المادى كما يفهمه شعراء الأداء اللفظى ، كلا . فما يشتف جمال الكون عن طريق اللمس بالأصابع ، وإنما يشتف عن طريق اللمس بالأوتار ، وهذه هى الحركة النفسية التى تفرق فى الشعر بين أداء وأداء !

على طه فى المقطوعة الخامسة يطرق أبواب هذا المعنى الذى أشرت إليه ؛ يطرقها الطرقة الأولى التى تعقبها بعد ذلك طرقات . وتستطيع أن تسمع صوت هذه الطرقة فى البيت الثانى من هذه المقطوعة عندما يقول : « خذى القيثار » ... إن القيثار هنا هو السلم الطبيعي الذى ترتقيه الموسيقية العمياء إلى هذا الكون ، لتستطيع أن تلمس عن طريق الأوتار جماله المفقود وستسمع بقية الطرقات عندما تصل إلى المقطوعة العاشرة ، هناك حيث يكون القيثار معبرها إلى شتى العوالم والأكوان :

حوى الآمال والآلام والفرحــة والحزنا

حوى الآباد والأكوان فى لفظ وفى معنى !

شاعر الأداء اللفظى هو من يقف بك عند المعانى الجامدة ، المعانى التى تختنق بين قبضة الألفاظ الغارقة فى لجج المادية البغيضة ، ولكن شاعر الأداء النفسى هو من ينتزع من رأسك كل تهويمة ذهنية ليردها إلى شعورك تهويمة روحية ، وهنا تجد على طه ... لم يقف بك عند معنى « اللمس » كما يوحى به البيت الذى ورد فيه ، ولكنه انتقل بك على الفور إلى مكانه المنشود من الأداء الذى يتطلع إليه النقد ولا يتطلع إلى أداء سواه . لو وقف عند المعنى المادى كما ينبئ عنه ظاهر اللفظ لبدا الأداء سخيفاً فى رأى الفن ، وبدا العزاء تافهاً فى رأى كل ضرير تطلب إليه أن يستعيض عن الضياء المفقود باللمس المعهود !

وفى البيت الثالث من هذه المقطوعة لون من ألوان المقابلة ، ولكن أى لون هو ؟ أهو لون المقابلة بين لفظ ولفظ على أساس تلك الذاتية البيانية التى يلجأ إليها عشاق الطلاء من الشعراء ؟ إن المقابلة فى الشعر يجب أن تكون لقاء بين موجتين صوتيتين : تندفع إحداهما من سطح الحياة الأعلى وتندفع الأخرى من قرار الشعور العميق ، وعند نقطة الالتقاء بين الموجتين تستطيع أذن القارئ أن تتلقى صوت الشاعر ممتزجاً بصوت الحياة ... فى هذا المعرض النفسى للوحات الشعر التصويرية تطالعنا هذه اللوحة :

وهزى النجم إشفاقاً لنجم غير وقاد !

ولا حاجة بى إلى أن أقف بك عند المشاهد التعبيرية فى المقطوعتين التاليتين ، لأنهما تتفقان فى النسق والتصوير مع المقطوعات السابقة . ولك أنت أن تطبق عليهما تلك المقاييس الفنية التى قدمتها إليك .

ولكن الوقفة التى يجب أن تطول فهى عند المقطوعة الثامنة والتاسعة والعاشرة ... هنا مجال « الرؤية الشعرية » التى يقسمها النقد الحديث إلى قسمين : قسم يتصل بالطبيعة النفسية وقسم يتصل بالطبيعة المادية . والرؤية الشعرية بكلا قسميها ترمز إلى مقدرة الشعر على الاستشفاف الدقيق للحقائق سواء أ كانت فى حدود المنظور أو خلف حدود المنظور ، فى محيط الوعى أوفيما وراء الوعى فى نطاق الاستبطان النفسى أو فى نطاق التناول الحسى . فالشاعر الذى يرسم خطوط الصورة الفنية فى أى ميدان من هذه الميادين ، ثم نلمس فى تلك الخطوط شيئاً من الاهتزاز يخرج بها عن قانون النسب والأبعاد ، مثل هذا الشاعر تحكم عليه بضعف الرؤية الشعرية ! والشاعر الذى يتناول مفتاح الشخصية الإنسانية ليعالج

به فتح المنافذ المؤدية إلى غايتـه من كشف مغاليق النفس ، ثم ندرك أنه قد عالج المنافذ الجانبية وغفـل عن المنفذ الرئيسى الذى يتدفق منـه الضوء إلى كل حنية وكل ركن ، مثل هذا الشاعر نحكم عليه بضعف الرؤية الشعورية !

هذه الرؤية الشعرية تجدها على خير حالاتها من القوة والنفاذ فى هذه المقطوعات الثلاث التى يجب أن تطيل عندها الوقوف ... إن الجناح هنا قد اختار أفقـه النفسى الذى يكون للتحليق فيه أثره وصداه . وما هو هـذا الأفق النفسى الذى نعنيه ؟ هو ذلك المنفذ الرئيسى الذى عالجه الشاعر بمفتاح الخبرة العميقـة بمسارب الطبيعة الأنثوية ... لم يقل يا حسناء ، ولـكنه قال يا حواء ! قالها لأنه فى مجال السؤال عن أثر الحب فى حياة الأنثى الخالدة ، وقالها لأنه فى مجال الرصدُ لهزات القلب من جنبي الأنثى الخالدة ، وهذا هو الأداء النفسى بالنسبة إلى اللفظ الشـعرى ، أما هذا الأداء بالنسبة إلى الجو الشعرى فهو فى تلك الطرقة الرائعة للباب الكبير عن أى شىء تسـأل المرأة وقد فقدت البصر وحرمت إلى الأبد نعمة الضياء ؟ عن العاطفة الخالدة فى كيانها خلود الطبع .. عن الحب ! وهل هناك من أمل يبقى للعمياء غير هذا الأمل ؟ إنه الضوء الوحيد الذى يمكن أن يبدد ظلام الحياة ... والسؤال هنا ليس سؤالا عن الحب وكفى ، كلا . ولـكنه السؤال الذى يعرف طريقه :

عرفت الحب يا حواء أم مازال مجهولا ؟

وافترض الشاعر أنها قد عرفته ... وتبعاً لهـذا الافتراض مستنداً إلى البيت الذى يليه هتف من أعماقه :

صفيه ، صفيه ، فرحاناً ، ومحزوناً ، ومخبـولا !

هذا التكرار فى اللفظ الآمر ينبىء عن حرارة اللهفة وحرارة الانفعال ، وتنبىء عنهما هذه التقطيعات الصوتية التى تكشف لك عن لهاث القلب فى هذه الضربات السريعة المتتابعة المنعكسة على صفحة الألفاظ ... هنا ثلاثة ألوان للوصف المنشود ، أو قل إنها ثلاث نقلات نفسية تمثل مراحل الحب الثلاث فى حياة امرأة عمياء : مرحلة الفرح ، ومرحلة الحزن ، ومرحلة الخبل العاصف بذرات الأمل ... مرحلة الفرح يوم أن كان الضياء يجذب كل فراشة هائمة ، ومرحلة الحزن بعد أن خبا الضياء وأبتعدت عن المصباح كل فراشة حائمة ، ومرحلة الخبل فى رحاب الظلام المقيم حين لم يبق من الفراشات غير رؤى حالمة وذكريات !

وتبلغ الرؤية الشعرية منتهاها عندما يعرج الشاعر على الجانب الآخر من الصورة المتخيلة ، هناك حيث يخطر فى البال أنها لم تروجه الحبيب ولـكنها تفكر فيه ، ومادامت تفكر فيه عن طريق الخيال لا عن طريق البصر ، فسلامة الرؤية الشعرية تدفع الشاعر إلى أن يسألها عن صورته التى فى الخيال ، والتى ينسق ظلالها وألوانها إلهام القلب :

ومن آدمك المحبوب ؟ أو ما صورة الصب ؟

لقد ألهمت والإلهام ياحـــواء بالقلب !

إنه يسأل هنا عن « آدم » ، وإنه ليتخير اللفظ ويعنيه ... لأنه يسأل عن الرجل الخالد المستقر فى أعماق الأنثى الخالدة أو فى أعماق « حواء » ! وما الدنيا فى منظار القلب وما الدنيا فى منظار الحب :

سوى المكشوفة الأسرار والمهتوكة الحجب !!

أداء نفسى ... أداء إن غفل عنه الشعر أغفلته موازين النقد ! ومن هذا الأداء تلك الصبابة المستعرة بين الجوانح وقد « سالت » ألحانا على الأوتار ، وتلك الأوتار التى حوت الآباد والأكوان .. فى « لفظ وفى معنى » ! الصورة الشعرية هنا ليست من صنع تهاويل الخيال ، ولـكنها الصورة التى يرسمها واقع الشعور عند من يدركون أثر الموسيقى الرفيعة فى خلق تلك العوالم غـير المنظورة ، العوالم التى ترق إليها الأرواح فى جولة تفارق فيهـا الأجسام .. ومرة أخرى تهزك سلامة الرؤية الشعرية !

وعندما يهتف الشاعر فى المقطوعة الأخيرة : « تعالى الحسن يا حسناء » فثق أنه منطق الأداء النفسى ولا منطق سواه ... وهو هو المنطق نفسه حين ينعت هـذا الحسن بأنه « توأم » النور ، وبأنه إذا انتسب فإنما ينتسب إلى تلك العيون التى فقدت حورها عند الوسيقية العمياء وعند كل أنثى حرمت نعمة الضياء ! وليس من شك فى أن هناك رنينا يرتاح إليه السمع فى مثل قوله : وما جلاه من سواه ، وما سماه إذ ناداه ... تلك هى « الذاتية الغنائية » التى سيكون لها فى فصل من فصـول هذه الدراسة ميزان يقام .

« يتبع »

أنور المعداوى

صور من الحياة :

حمـــاقة أب

للأستاذ كامل محمود حبيب

أتذكر – ياصاحبي – يوم أن جذبك أبوك من خضم الأزهر وأنت فتى في ريق الشباب فارع القوام قوي البنية وثيق الأركان، جذبك بعد أن عشت في رحابه سنوات تضطرب في متاهات العلم فلا تستقر، وتضل في مضلات المدنية فلا تهتدي، وتخضع لقسوة الشيخ فلا تشمخ، وتفزع عن حلقة الدرس فلا تطمئن. لقد كان يعتز بك لأنك ابنه الأصغر فأرسلك إلى الأزهر عسى أن يراك – بعد حين – شيخاً، كعمك، تتألق في الجبة والقفطان وتزهو في العمة واللحية، فتكون قبساً من نور العلم في القرية، ونفحة من ضياء الهدى في المجلس، وموعظة طيبة في ضلال الجهل. ولكن بدا له أن يجذبك من الأزهر قبل أن تبلغ الغاية؛ لتتزوج من فتاة في مثل سنك فيها الثراء والجمال، وفي أهلها الجاه والسلطان وفي ذويها العزة والمنعة. فصحبته إلى القرية والخيال الحلو يتوثب في رأسك، وإن إهابك ليكاد ينشق من شدة الفرح وهو يتألق على جبينك، وإن خواطرك لتتنزى مرحاً جامحاً ترتسم سماته على قسمات وجهك، وإن ذهنك ليضطرب في آفاق جميلة من النشوة واللذة. وأحسست في أعماق نفسك – وأنت في طريقك إلى القرية – أنك اليوم تفر من قسوة الشيخ وعنت الدرس، وتنأى عن خشونة العيش وجفوة الغربة، لتعيش إلى جانب أمك تستشعر العطف والحنان؛ وأنك ستفر – غداً – من سطوة أبيك وهو غليظ الكبد جافي الطبع جامد الكف، لتصير رجلاً...

وجاءت الزوجة تحمل إليك متعة القلب ولذة النفس، وتزف إليك سمة العيش وسعادة الحياة، وتنزع عنك ذل الحاجة لأبيك، وتلبسك ثوب الرجولة الباكرة، وتحطم أغلالاً من الإسار كبلك بها أبوك زماناً، فأصبحت حر اليد واللسان، طليق الأخذ والعطاء، لا يقيدك غل من سلطان أبيك، ولا تمسكك ربقة من جفوته، فاطمأنت نفسك وهدأت نوازعك. ومرت السنون.

وانطلقت في فورة الشباب إلى الغيط تجد المتعة في العمل وتحس السعادة في الجهد، لا تشغلك اللذة الوضيعة ولا يصرفك اللهو الرخيص، وأنت من بيت فيه الصلاح والدين وفيه الترفع والكبرياء؛ ففاض جيبك بالمال وفهقت دارك بالنعمة وطفح قلبك بالرضا. وجذبك سعار المال عن أن تلتفت إلى وراء، ساعة من زمان، لترى أخوتك يتقسمون تراث أبيك وهو ضئيل لا يسمن من جوع ولا يغني من عرى. وجمدت مشاعرك فما بضّت كفك لواحد منهم بقرش ولا حنّ قلبك على طفل من أبنائهم، فعشت عمراً من عمرك منطوياً على نفسك لا تزيح عن أهلك غمة ولا تفرج كربة ولا تمسح لوعة، على حين أنك تنعم بوفرة الثراء وتسعد بكثرة المال. وهم يجدون ضيق اليد وكثرة العيال.

وابتسمت لك الحياة مرة أخرى فإذا أنت أب؛ فأشرق النور في قلبك لدى مطلع الصبي، وانفرجت أساريرك، فأخذت تربيه على نسق من الفساد يطمّ على العقل دلالاً منك، وتنشئه على نهج من الضلال يعبث بالرأي رحمة به، وتصوغه في قالب من الغنى يعصف بالأدب عطفاً عليه؛ وإلى جانبك زوجك تدلل الصبي وتغريه وتدفعه إلى أن يتردى في الجهل ويلجّ في المهانة، فانطلق على سننه يقتحم في لجة من الحمق والسفاهة. وأنت – ياصاحبي – تنظر فلا تردعه عن غواية ولا ترده عن نبوة.

وتراءى لك أن الصبي يخطو إلى الشباب في غير ريث، ويسير إلى الفتوة في غير مهل، فأشفقت عليه من عصا المعلم أن تقضقض عظمه، وضننت به على ظلام المدرسة أن تهد من قوته، فأمسكته إلى جانبك يرتشف من غفلتك ويتفيأ من حمقك، فسقط في مهاوي الجهل يعاشر البهيمة في الغيط ويهفو إلى رفاق السوء في القرية. فأخذ بأسباب اللهو الوضيع وارتدع في حمأة الرذيلة، وأنت في عمى عنه، والناس من حواليك يتهامسون بحديث ابنك الوحيد وهو ينفق عن سعة ويبذل في سخاء، يسف في طيش ويسفل في رعونة. يتهامسون ولا يجرؤ واحد على أن ينفض أمامك جلة حاله خشية أن ينالك عنت الحديث أو تؤذيك قسوة الخبر، فانضمت الشفاه على

عبارات السخط والكراهية وسكتت الألسن عن كلمات المقت والازدراء .

وذهبت أنت تصحب وحيدك — بين الفينة والفينة — إلى الحقل تبصره بالعمل وتثقفه بالفلاحة وتعلمه حاجات الغيط وتزوده بالنصيحة . علك تجد فيه العون والساعد إن وهى جلدك أو انحطت قوتك ، فكان يلقى السمع إلى حديثك وذهنه هناك ... هناك يتلمس اللذة الجارفة من لذاذات الشباب ، ويفتش عن سلوة عارمة من أسباب الطيش ، فخيل إليك أن الشاب أصبح رجلا يستطيع أن ينهض بالعمل وأن يصرف الأمر ، فألقيت إليه بزمامك ، ودفعته فاندفع ... اندفع إلى الهاوية .

واطمأنت نفسك حين جاء الشاب يقص عليك — أول مرة قصة الغيط وما فيه ، وينشر أمامك نواحي العمل ، ويبحث معك فنون الزراعة ، فتسهلت له في السؤال وتيسرت له في القول ، وأحس هو منك الغفلة والضعف ، فانطلق في سبيله يبعثر مالك في غير رفق ولا هوادة ، وركنت أنت إلى الراحة . وسكنت إلى العبادة لا يحزبك أمر ولا يرهقك طلب .

ووسوست لك زوجك ، وللمرأة لسان ناعم أملس كجلد الأفعى ، ولها حديث طلي يتسرب في مسالك القلب مثلما يسري سم الثعبان . فما لبثت أن نزلت عن كل مالك ومالها لوحيدك الطائش . وغاب عنك أنك تدفع بمالك بين يدي لوثة الشباب وتقذف بمال زوجك إلى هوة الضياع .

وأحس الفتى أنه أصبح رب هذا البيت ، فأراد أن يعكر بك فيحول بينك وبين خلجات الريبة في قلبك ونزوات الظُّنة في نفسك ، فحباك بالمال — بادئ ذي بدء — وأسبغ عليك من فيض غلاتك وخصك بالطيب من الطعام وبالغالي من اللباس ، وأنت في مكانك لا تريم . فشكرت له عقله الراجح ، وحمدت له عطفه الوثاب ، وسعدت ببره السابغ .

ليتك — يا صاحبي — نظرت بعين الرجل العاقل المجرب إلى زلات ابنك الفتى وهو ينحط إلى الدرك الأسفل من الرذيلة في غير وعي ولا عقل . إنه الآن يتملقك ليسدل على عينيك ستاراً كثيفاً من الخديعة لا تستشف من ورائه ما يخبئ لك القدر من ضيق وعنت .

ومرت الأيام تصفعك بالشيخوخة الباكرة من طول ما ركنت إلى الراحة ، وتقذفك بالزَّمانة من طول ما خاصمت الحركة ، فذوى عودك وانطوى بشرك ورانت عليك سحابة من الكآبة والحزن .

يا لقلبي ، لقد اغترك الثراء عن أن تكسب العيش بالكد ، وصرفك الولد عن أن تقوم على شأنك بالجهد ، فقضيت سنوات من عمري على كرسي وثير في ناحية من دارك الأنيقة بين رفاق الود وإخوان الصفاء ، فسرى الداء في مفاصلك يطحنك في غلظة ويقعدك في عجز . ونظرت حواليك فإذا أخوك الأكبر — وهو يكبرك بسنوات وسنوات — يسير على قدميه المسافات الطوال في قوة ونشاط لا يصيبه النصب ولا الإرهاق ، لأنه عاش عمره يصارع أمواج الحياة ويكافح شدائد الدنيا ، ليظفر بقوته وقوت عياله . فتمنيت لو أنك عشت مثله فقيراً لا تجد القوت إلا بالثمن الغالي ... بعرق الجبين .

ويل لك — يا صاحبي — لقد كفرت خواطرك بالنعمة التي سعدت بها زماناً . والتي رفعتك فوق أقرانك وسمت بك على أترابك ! فماذا يخبئ لك القدر جزاء ما كفرت ؟

وجاءك — بعد أيام — الخبر الأسود يقصم ظهرك ويهد ركنك ويعصف بصبابة من الأمل كنت ترجاها . جاءك الخبر الأسود يقول : إن البنك العقاري قد استولى على كل ما تملك أنت وزوجك وفاء دين ابنك الداعر الغوي . وإن ابنك قد فر من القرية خشية أن يصمه عار الفقر وذل السؤال !

الآن ، فقدت المال والابن معاً ، أحوج ما تكون إليهما . فأصابك الندم على أن ألقيت بابنك في لجة من الجهل يجرفه في غير هوادة ولا رفق ، وعلى أن ألقيت بثروتك بين يدي غر أهوج يبددها في سنوات ، ثم يطير عنك ...

والآن ، ماذا يختلج في فؤادك — يا صاحبي — وأنت لقى في ناحية من الدار ، تتعاورك الهموم وتتناهبك الأسقام ، وتنوء تحت أثقال ثلاثة من الفاقة والشيخوخة والوحدة ...

كامل محمود حبيب

من المفسرين فى عصر الحروب الصليبية :

القــــرطبى *

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح ، من أشهر مفسرى ذلك العصر ، وقد بقى لنا تفسيره كاملا .

ولد بقرطبة من بلاد الأندلس ، وتلقى بها ثقافة واسعة فى الفقه والنحو والقراءات ، وسمع من أبى العباس أحمد بن عمر القرطبى بعض كتابه : المفهم فى شرح مسلم ، ودرس البلاغة وعلوم القرآن واللغة ، ثم وفد إلى مصر ، كما وفد غيره من علماء الأندلس ، وكانت بلادهم فى ذلك الحين تتخطفها الفرنجة ، ولست أدرى متى قدم إلى مصر . واستقر فى الصعيد ، بمنية ابن خصيب (المنيا) ، يقضى وقته بين العبادة والتأليف . ويقول مؤرخوه عنه : إنه كان من عباد الله الصالحين ، والعلماء الورعين الزاهدين . قال عنه الذهبى : إمام متفنن ، متجر فى العلم ، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة إطلاعه . وفور فضله وقال عنه صاحب شذرات الذهب : كان إماما علما من الغواصين على معانى الحديث ، حسن التصنيف ، جيد النقل .

وترك القرطبى مؤلفات شتى ، أهمها كتابه فى التفسير الذى سماه (جامع أحكام القرآن ، والمبين لما تضمن من السنّة وآى الفرقان) وتقوم دار الكتب بطبعه ، وتقدر أنها ستتمه فى عشرين جزءاً .

وهو لا يقف فى تفسير القرآن عند حد ماروى من ذلك عن الرسول والسلف الصالح ، بل يتخذ ما أوتيه من أدوات العلم وسيلة يستعين بها على فهمه ، وإن كان يعد معرفة ما أثر من ذلك ضروريا لفهم كتاب الله . وهنا يحسن بنا أن نوضح الرأى الذى أختاره لنفسه فى كتابه ؛ فقد عقد بابا لما جاء من الوعيد فى تفسير القرآن بالرأى ، والجرأة على ذلك (ج١ ص٢٧ طبع دار الكتب)

(*) مراجعه : طبقات المفسرين للسيوطى ، الديباج المذهب ص٢٧٩ مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٤ ، شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٥ ، نفح الطيب ج ١ ص ٤٢٨ ، كتب المؤلف ، شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية ص ١٩٧ .

وفى هذا الباب أورد ماروى عن عائشة أنها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله إلا آيا بعدد ، علمه إياهن جبريل . وقد رأى فى ذلك ما رآه ابن عطية ، من أن معنى الحديث فى مغيبات القرآن وتفسير مجمله ، ونحو هذا مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله تعالى . ومن جملة مغيباته مالم يعلمه الله به ، كوقت قيام الساعة ونحوها . ثم نقل مارواه الترمذى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم من أنه قال : اتقوا الحديث علىّ إلا ما علمتم ، فمن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . ومن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار . وروى أيضاً عن جندب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ . وفى تفسير هذين الحديثين نقل عن ابن الأنبارى أن حديث ابن عباس فسر تفسيرين : أحدهما : من قال فى مشكل القرآن بما لا يعرف من مذاهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله . والتفسير الآخر ، وهو أثبت القولين وأصحهما معنى : من قال فى القرآن قولا يعلم أن الحق غيره ، فليتبوأ مقعده من النار ، أما حديث جندب ، فقد حمله بعضهم على أن الرأى معنى به الهوى ، فالمعنى من قال فى القرآن قولا يوافق هواه ، ولم يأخذه عن أئمة السلف فأصاب ، فقد أخطأ ؛ لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه . ونقل عن ابن عطية أن معناه أن يسأل الرجل عن معنى من كتاب الله ، فيتسور (أى يتهجم) عليه برأيه ، دون نظر فيما قال العلماء ، أو اقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول ؛ وليس يدخل فى هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته ، والنحويون نحوه والفقهاء معانيه ، ويقول كل واحد باجتهاده المبنى على قوانين علم ونظر ، فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلا لمجرد رأيه . قال القرطبى : هذا صحيح ، وهو الذى اختاره غير واحد من العلماء ، فإن من قال فيه بما صح فى وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ ، وإن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح .

قال القرطبى : وقال بعض العلماء : « إن التفسير موقوف على السماع » . وهذا فاسد ... لأن النهى عن تفسير القرآن لا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع ،

وترك الاستنباط ، أو المراد به أمر آخر ، وباطل أن يكون المراد ألا يتكلم أحد فى القرآن إلا بما سمعه ، فإن الصحابة قد قرأوا القرآن ، واختلفوا فى تفسيره على وجوه ، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما النهى يحمل على أحد وجهين ، أحدهما أن يكون له فى الشىء رأى ، وإليه ميل من طبعه وهواه ، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ، ليحتج على تصحيح غرضه . وقد تستعمله الباطنية فى المقاصد الفاسدة ، لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة ، فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم ، فى أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة .

الوجه الثانى أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن ، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير . فمن لم يحكم ظاهر التفسير ، وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ، ودخل فى زمرة من فسر القرآن بالرأى ، والنقل والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير أولا ، ليتقى به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والإستنباط . والغرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ، ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ؛ ألا ترى أن قوله تعالى : « وآتينا ثمود الناقة مبصرة ، فظلموا بها » ، معناه آية مبصرة ، فظلموا انفسهم بقتلها . فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ، ولا يدرى بماذا ظلموا .. فهذا من الحذف والإضمار . وأمثال هذا فى القرآن كثير ؛ وماعدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهى إليه .

وترى من هذا نموذجا لمناقشاته من ناحية ، وأنه ليس من هؤلاء الذين يقفون عند حد النقل عن السالفين ، يعمل فكره فى الاستدلال والاستنباط ، لا لمجرد الهوى ، ولكن اعتماداً على قوانين العلوم ، ووقوفا عند حدودها ، وأخذاً عن السلف ما يرى ضرورة الأخذبه . من تفسير المجمل وحل المشكل .

وبدأ القرطبى تفسيره بعدة أبواب رآها ضرورية قبل الدخول فى التفسير ، وأوضح لنا الخطة التى انتهجها فى كتابه بقوله : « وبعد ، فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع الذى استقل بالسنة والفرض ، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض ، رأيت أن أشتغل به مدى عمرى ، وأستفرغ فيه منتى بأن أكتب فيه تعليقا وجيزاً ، يتضمن نكتا من التفسير واللغات ، والإعراب والقراءات ، والرد على أهل الزيغ والضلالات ، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات ، جامعاً بين معانيها ، ومبينا ما أشكل منها بأقاويل السلف ، ومن تبعهم من الخلف ...

وشرطى فى هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها ، والأحاديث إلى مصنفيها ، فإنه يقال : « من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله » ... وأضربت عن كثير من قصص المفسرين ، وأخبار المؤرخين ، إلا ما لا بد منه ، ولا غناء عنه للتبيين ، واعتضت من ذلك بتبيين آى الأحكام بمسائل تسفر عن معناها ، وترشد الطالب إلى مقتضاها ، فضمنت كل آية تتضمن حكما أو حكمين فما زاد ، مسائل نبين فيها ما تحتوى عليه من أسباب النزول والتفسير والغريب والحكم ، فإن لم تتضمن حكما ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل ، وهكذا إلى آخر الكتاب .

وصدر المؤلف كتابه بعدة أبواب : منها واحد ذكر فيه جملا من فضائل القرآن ، والترغيب فيه ، وفضل طالبه وقارئه ومستمعه والعامل به ، وباب الكيفية التلاوة ، وما يكره منها وما يحرم ، وآخر فى فضل تفسير القرآن وأهله ، وباب شرح فيه معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه . وعرض أقوال العلماء فى ذلك ، وصلته بالقرءات ، وعقد بابا لجمع القرآن ، وسبب كتابة عثمان للمصاحف ، وترتيب سور القرآن وآياته ، وشكله ، ولفظه ، وتحزيبه وعدد حروفه ، وكلماته ، وآيه ، ثم عرض لمعنى السورة والآية ، والحرف ، وهل ورد فى القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب أولا ، ثم ذكر بابا فى إعجاز القرآن ، ووجه هذا الإعجاز .

وينقل القرطبى كثيراً عن ابن عطية الذى لخص تفاسير من سبقه ، ممن يرون ضرورة معرفة آراء السلف ، واقتدى به فى ذلك القرطبى .

ولم يكتف المفسر بالفصل الذى عقده فى تفسير الجامع — لبيان فضائل القرآن وفضل قارئه ومستمعه ، بل ألف فى ذلك كتابا خاصاً ، دعاه التذكار فى أفضل الأذكار[1] ، وقد رأى أن يجمع فى هذا الكتاب أربعين حديثا ترتبط بهذا الموضوع ، وقد

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ب ٢٣٠٤٦

الخطـــر اليهودي

بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء[1]

البروتوكولات الأول :

(١) سنكون صرحاء ، ونناقش دلالة كل تأمل ، ونصل إلى شروح وافية بالمقارنة والاستنباط . وعلى هذا النهج سأعرض فكرة سياستنا وسياسة الجوييم Goys (وهـذا هو التعريف اليهودي لكل الأجانب Gentiles)[2] .

(٢) يجب أن يلاحظ أن ذوي الجِبِـلات[3] الفاسدة من الناس أكثر عدداً من ذوي الجبلات النبيلة . وإذن تخير النتائج في حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهاب لا بالمناقشات الأكاديمية academic . كل إنسان يسعى إلى القوة . وكل يود أن يصير دكتاتورا على أن يكون ذلك في استطاعته . وما أندر من لا ينزعون إلى إهدار مصالح غيرهم توصلا إلى أغراضهم الشخصية[4] .

(٣) ماذا كبح الوحوش المفترسة التي نسميها الناس عن الافتراس ؟ وماذا حكمها حتى الآن ؟ لقد خضعوا في الطور الأول من الحياة الاجتماعية للقوة الوحشية العمياء ، ثم خضعوا للقانون ، وما القانون في الحقيقة إلا هذه القوة ذاتها مقنعة فحسب . وهذا يتأدى بي إلى تقرير أن قانون الطبيعة هو : الحق يكمن في القوة .

(٤) إن الحرية السياسية ليست حقيقة بل فكرة . ويجب أن يعرف الإنسان كيف يسخر هذه الفكرة عند ما تكون ضرورية ، فيتخذها طعما لجذب العامة إلى صفه ، إذا كان قد قرر أن ينتزع سلطة منافس له . وتكون المشكلة يسيرة إذا كان هـذا المنافس موبوءاً بأفـكار الحرية freedom التي تسمى مـذهب التحررية liberalism ، ومن أجل هذه الفـكرة يتخلى عن بعض سلطته .

(٥) وبهـذا سيصير انتصار فـكرتنا واضحاً ؛ فإن أزمَّـة الحـكومة المتروكة خضوعاً لقانون الحياة ستقبض عليها يد جديدة ، وما على الحـكومة الجديدة إلا أن تحل محـل القديمة التي أضعفتها التحررية liberalism ؛ لأن قوة الجمهور العمياء لا تستطيع البقاء يوماً بلا قائد .

(٦) لقد طغت سلطة الذهب على الحكام المتحررين . ولقد مضى زمن كانت الديانة هي الحاكمة . وإن فـكرة الحرية لا يمكن أن تتحقق ؛ إذ ما من أحد يستطيع استعمالها استعمالا سديدا .

(٧) يكفي أن يعطى الشعب الحـكم الذاتيّ فترة وجيزة ، لـكي يصير هـذا الشعب رعاعاً بلا تمييز . ومنذ تلك اللحظة تبدأ

(١) أنظر المقدمة في العدد السابق .

(٢) المراد بالأجانب من عدا اليهود ومعنى الكلمة عندهم البهائم والأنجاس والـكفرة والوثنيون ، وفي هنا ما يدل على أن اليهود ينظرون إلى من عداهم نظرات الحقد والاحتقار والمقت والاشمئزاز ، وقد استعملت كلمة الأممي والأمميين والأممية علما للدلالة على غير اليهود مقابلا كلمة Gentiles

(٣) جمع جبلة وهي الفطرة الغريزة والخليقة .

(٤) سبق المتنبي شيوخ صهيون إلى هذا المعنى فقال :

« والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفـة فلعلة لا يظـلم »

وضعه القرطبي على طريقة كتاب التبيان في آداب حملة القرآن للنوزي ، ولـكن التذكار أتم منه وأكثر علما .

وللقرطبي مؤلفات أخرى ، منها كتاب التذكره[1] بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، وهو كتاب ضخم ، قال مؤلفه في مقدمته وبعد فإني رأيت أن أكتب كتابا وجيزا ، يكون تذكرة لنفسي ، وعملا صالحا بعد موتي ، في ذكر الآخرة وأحوال الموتى ، وذكر النشر والحشر ، والجنة والنار ، والفتن والأشراط ، نقلته من كتب الأئمة ، وثقات أعلام هذه الأمة ، حسب ما رويته أو رأيته ... وبوبته بابا ، بابا ، وجعلت عقب كل باب فصـلا أو فصولا يذكر فيها ما يحتاج إليه من بيان غريب أوفقه في حديث أو إيضاح مشكل ، لتكمل فائدته وتعظم منفعته .

وله غير ذلك كتاب شرح أسماء الله الحسنى وكتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة ، ورد ذل السؤال بالـكتب والشفاعة ، قال عنه ابن فرحون في الديباج المذهب : لم أقف على تأليف أحسن منه في بابه . وله أرجوزة جمع فيها أسماء النبي ، وله تآليف وتعاليق غير هذه .

وكانت وفاته بالمنيا سنة ٦٧١ ، وترك ولده شهاب الدين أحمد الذي روى عن والده بالإجازة .

أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم

(١) مخطوط بدار الـكتب رقم ٨٨٣ تصرف

المنازعات والاختلافات التي سرعان ما تتفاقم فتصير معارك اجتماعية ، وتندلع النيران في الدول ، ويزول أثرها كل الزوال .

(٨) وسـواء أنهكت الدولة الهزاهز الداخليـة أم أسلمتها الحروب الأهلية إلى عدو خارجي ، فإنها في كلتا الحالين تعتبر قد خربت نهائياً كل الخراب — وستقع في قبضتنا . وسيمد الاستبداد المـالى — والمال كله في أيدينا — إلى الدولة عوداً لا مفر لها من التعلق به ، لأنها — إذا لم تفعل ذلك — ستغرق في اللجـّة لا محالة .

(٩) ومن تخالجه — تأثراً ببواعث التحررية — الإشارة إلى أن بحوثنا من هذا النمط منافية للأخلاق — فسأسأله هذا السؤال : لماذا لا يكون منافياً للأخلاق لدى دولة يتهددها عدوان : أحدهما خارجي والآخر داخلي — أن تستخدم وسائل دفاعية ضد الأول تختلف عن وسائلها ضـد الآخر ، وأن تضع خطط دفاع سرية ، وأن تهاجمه في الليل أو بقوات أعظم ؟ ولما يكون منافياً للأخلاق لدى الدولة أن تستخدم هذه الوسائل ضد من يحطم أسس حياتها وسعادتها ؟

(١٠) هـل يستطيع عقل منطقي سليم أن يأمل في أن يحكم الغوغاء حـكما ناجحاً باستعمال المناقشات والمجادلة ، مع أنه يمكن مناقضة مثل هذه المناقشات والمجادلات بمناقشات أخرى ، وربما تكون المناقشات الأخرى مضحكة غير أنها تعرض في صورة تجعلها أكثر إغراء لتلك الفئـة العاجزة من الجمهور عن التفكير العميق ، والهائمة وراء عواطفها التافهة وعاداتها وعرفها ونظرياتها العاطفية .

(١١) إن الجمهور الغـر الغبي ، ومن ارتفعوا من بينه — لينغمسون في خلافات حزبيـة تعوق كل إمكان للاتفاق ولو على المناقشات الصحيحة ؛ وإن كل قرار للجمهور يتوقف على مجرد فرصة ، أو أغلبية ملفقة تجيز لجهلها بالأسرار السياسية حـلولا سخيفة ، فتبذر بذور الفوضى في الحـكومة .

(١٢) إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء . والحاكم المقيد بالأخـلاق ليس بسياسي بارع ، وهو لذلك غير راسخ على عرشه .

(١٣) لا بد لطالب الحـكم من الالتجاء إلى المكر والرياء ؛ فإن الشمائل الإنسانية العظيمة من الإخلاص والأمانة تصير رذائل في السياسة . إنها لتبلغ في زعزعة العرش أعظم ممـا يبلغه ألدُّ الخصوم . هـذه الصفات لا بد أن تكون خصال البـلاد الأممية (غير اليهودية) ، ولـكنا غير مضطرين إلى أن نقتدي بهم الدوام .

(١٤) إن حقنا يكمن في القوة . وكلـمة « الحق » فـكرة مجردة قائمة على غير أساس ، فهي كلمـة لا تدل على أكثر من «أعطني ما أريد لتمكنني من أن أبرهن لك بهذا على أني أقوى منك» .

(١٥) أين يبـدأ الحق وأين ينتهي ؟ أيما دولة يساء تنظيم قوتها ، وترتد فيها هيبة القانون وشخصية الحاكم بتراء من جراء الاعتداءات التحررية المستمرة ، فإني أتخذ لنفسي فيها خطا جديداً للهجوم مستفيداً بحق القوة لتحطيم كيان القواعد والنظم القائمة ، والإمساك بالقوانين ، وإعادة تنظيم الهيئات جميعاً ، وبذلك أصير دكتاتوراً على أولئك الذين تخـلوا بمحض رغبتهم عن قوتهم ، وأنعموا بها علينا .

(١٦) وفي هذه الأحوال الحاضرة المضطربة لقوى المجتمع ، ستكون قوتنا أشد من أي قوة أخرى ، لأنها ستكون خافية حتى اللحظة التي تبلغ فيها مبلغاً لا تستطيع معـه أن تنسفها أي خطة ماكرة .

(١٧) ومن خلال الفساد الحالي الذي نلجأ إليه مكرهين ، ستظهر فائدة حكم حازم يعيد إلى بناء الحياة الطبيعية نظامه الذي حطمته نزعة التحررية .

(١٨) إن الغاية تزكي الوسيلة ، وعلينا — ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خـيِّر وأخلاقي بقـدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد .

(٩) إن بين أيدينا خطة موضحا عليها خـط إستراتيجي . وما كنا لننحرف عن هذا الخط إلا كنا ماضين في تحطيم عمل قرون .

(٢٠) إن من يريد إنفاذ خطة عمل تناسبه يجب أن يستحضر في ذهنه حقارة الجمهور ، وتقلبه ، وحاجته إلى الاستقرار ، وعجزه عن أن يفهم ويقدر ظروف عيشته وسعادته . وعليه أن يفهم أن قوة الجمهور عمياء هوجاء من العقل المميز ، وأنها تعير سمعها ذات اليمين وذات الشمال . إذا قاد الأعمى أعمى مثله فـكلاهما سيسقطان معاً في الهاوية . وأفراد الجمهور الذين امتازوا من بين الهيئات — ولو كانوا عباقرة — لا يستطيعون أن يتقدموا هيئاتهم كزعماء دون أن يحطموا الأمة .

(٢١) ما من أحد يستطيع أن يقرأ الكلمات المركبة من الحروف السياسية إلا من نشىء للسلطة الأتوقراطية . إن الشعب المتروك لنفسه ، أى للممتازين من الهيئات ، لتحطمه الخلافات الحزبية التى تنجم من الشره على القوة والأمجاد ، وتخلق المزاهز والاضطراب .

(٢٢) أفى مقدور الجمهور أن يميز بهدوء ودون ماتحاسد ؛ كى يدير أمور الدولة التى يجب ألا تقحم معها الأهواء الشخصية ؟ أو يستطيع أن يكون وقاية ضد عدو أجنبى ؟ هذا محال . إن خطة مجزأة أجزاء كثيرة بعدد ما فى أفراد الجمهور من عقول — خطة ضائعة القيمة ؛ فهي لذلك غير معقولة ولا قابلة للتنفيذ . الأتوقراطى وحده هو الذى يستطيع أن يرسم بوضوح خططا واسعة ، وأن يعهد بجزء معين منها لكل عضو فى بنية الآلة الحكومية . ومن ثم نستنتج أن ما يحقق سعادة البلاد أن تكون حكومتها فى قبضة شخص واحد مسئول . وبغير الاستبداد المطلق لا يمكن أن توجد حضارة، لأن الحضارة لا يمكن أن تكون رائجة إلا تحت حماية الحاكم كائنا من كان ، لا بين أيدى الجماهير .

(٢٣) إن الجمهور بربرى ، وتصرفاته فى كل مناسبة على هذا النحو، فما إن يضمن الرعاع الحرية حتى يحولوها سريعاً إلى فوضى ، والفوضى فى ذاتها قمة البربرية .

(٢٤) وحسبكم فانظروا إلى هذه الحيوانات المخمورة التى بلدها الشراب ، وإن كان لينتظر لها من وراء الحرية منافع لاحصر لها ! أفنسمح لأنفسنا وأبناء جنسنا بمثل ما يفعلون ؟

ومن المسيحيين أناس قد أضلتهم الخمر ، وانقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكيات ، والمجون المبكر الذى أغراهم به وكلاؤنا ، ومعلمونا ، وخدمنا وقهر ما ناتنا فى البيوتات الغنية ، وكتبتنا ، ومن إليهم ، ونساؤنا فى أماكن لهوهم — وإليهن أضيف من يسمين «نساء المجتمع» — والراغبات من زميلاتهن فى الفساد والترف .

يجب أن يكون شعارنا « كل وسائل القوة والخديعة »

(٢٥) إن القوة الخالصة وحدها هي المنتصرة فى السياسة ، وبخاصة إذا كانت محجبة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة .

(٢٦) يجب أن يكون العنف هو الأساس . ويتحتم أن يكون ما كراً خدناعاً حكم تلك الحكومات التى تأبى أن توطأ تيجانها تحت أقدام وكلاء قوة جديدة . إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير . ومن أجل ذلك يتحتم ألا نتردد لحظة فى إعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا ما كانت تخدمنا فى تحقيق غايتنا .

(٢٧) وفى السياسة يجب أن نعلم كيف نصادر الأملاك بلا أدنى تردد إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة . إن دولتنا — متبعة طريق الفتوح السلمية — لها الحق فى أن تستبدل بأهوال الحرب أحكام الإعدام ، وهى أقل ظهوراً وأكثر تأثيراً ، وإنها لضرورية لتعزيز الفزع الذى يولد الطاعة العمياء . إن العنف الحقود وحده هو العامل الرئيس فى قوة الدولة . فيجب أن نتمسك بخطة العنف والخديعة لا من أجل المنفعة فحسب بل من أجل الواجب والنصر أيضاً .

(٢٨) إن مبادئنا فى مثل قوة وسائلنا التى نعدها لتنفيذها ، وسوف ننتصر ، ونستعبد الحكومات جميعا تحت حكومتنا العليا لا بهذه الوسائل وحدها بل بصرامة عقائدنا أيضاً ، وحسبنا أن يعرف عنا أننا صارمون فى كبح كل تمرد .

(٢٩) وكذلك كنا قديما أول من صاح فى الناس « الحرية والمساواة والإخاء » . كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة مما من كل مكان حول هذه الشعائر ، وقد حرمت بترددها العالم من نجاحه ، والفرد من حريته الشخصية الحقيقية التى كانت قبل فى حمى يحفظها من أن تخنقها السفلة .

(٣٠) إن أدعياء الحكمة والذكاء من الأمميين لم يتبينوا كيف كانت عواقب الكلمات التى يلوكونها ، ولم يلاحظوا كيف يقل الاتفاق بين بعضها وبعض ، وقد يناقض بعضها بعضاً .

(٣١) إنهم لم يروا أنه لا مساواة فى الطبيعة ، وأن الطبيعة نفسها قد خلقت أنماطاً مختلفة غير متساوية فى العقل والشخصية والطاقة . وكذلك فى الخضوع لقوانين الطبيعة .

(٣٢) أدعياء الحكمة هؤلاء لم يكهنوا أن الرعاع قوة عمياء ، وأن المتميزين المختارين من وسطهم حكاماً — عميان مثلهم فى السياسة ، فإن المرء المقدور له أن يكون حاكما — ولو كان أحمق — يستطيع أن يحكم ، ولكن المرء غير المقدور له ذلك — ولو كان عبقريا — لن يفهم شيئا فى السياسة . وكل هذا كان بعيداً عن نظر الأمميين (غير اليهود)، مع أن الحكم الوراثى قائم على هذا الأساس . فقد اعتاد الأب يفقه الابن فى معنى التطورات السياسية وفى مجراها بأسلوب

الشعر المصرى فى مائة عام

الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية

للأستاذ محمد سيد كيلانى

— ٢ —

١٨٥٠ — ١٨٨٢

وقد طغى نفوذ الأجانب فى عصر اسماعيل طغيانا كبيراً ، واشتدت شوكتهم إلى حد لم يسبق له مثيل فى تاريخ البلاد . وقد آلم هذا المصريين وأحزنهم . لقد أضحى الأجانب متمتعين بكل شئ ، والمصريون محرومون من كل شئ . فلا عجب أن شعر المصرى بأنه غريب فى بلده ، ذليل فى وطنه . قال السيد على أبو النصر ...

أكرمتم الغرباء النازلين بكم لكن فلاحكم ضاقت مزارعه

وللسيد صالح مجدى قصيدة مؤثرة صور فيها طغيان نفوذ الأجانب على المصريين . ومما جاء فيها قوله :

ومن عجب فى السلم أنى بموطنى أكون أسيراً فى وثاق الأجانب
وأن زعيم القوم يحسب أننى إذا أمكنتنى فرصة لم أحارب
وأنى أغضى عن مساو عديدة له بعضها يقضى بخلع المناكب
وأضرب صفحاً عن مخاز أقلها لدى العد لا تحصى بدفتر كاتب
أأتركها من غير نشر فينطوى بأوطاننا فيها لواء المحارب
وهل يجعل الأعمى رئيساً وناظراً على كل حربى له لنا فى المكاتب
ومن أرضه يأتى بكل ملوث جهول بتلقين الدروس لطالب
فيمكث فى مهد المعارف برهة من الدهر مغمورا ببحر المواهب
ويغتنم الأموال لا لمنـافع تعود على أبنائنا والأقارب
ولا ينثنى عن مصر فى أى حالة إلى أهله إلا بملء الحقائب

وهى قصيدة رائعة حقاً صور فيها الشاعر أحوال هؤلاء الأوربيين الذين كانوا يفدون إلى مصر فى حالة بؤس وجوع ثم يغتنون فى مدة وجيزة مع أنهم مجردون من العلم والذمة والضمير . وإنما همهم النهب والسلب والحصول على المال بكل وسيلة .

***

ليس لأحد غير أعضاء الأسرة المالكة أن يعرفه ، وما استطاع أحد أن يُفشى الأسرار للشعب المحكوم . وفى وقت كان معنى التعليمات السياسية الحقة — كما توورثت فى الأسر المالكية من جيل إلى جيل — مفقوداً ، قد أعان هذا الفقد على نجاح غرضنا .

(٣٣) إن صيحتنا « الحرية والمساواة والإخاء » قد جلبت إلى صفوفنا فرقا كاملة من زوايا العالم الأربع عن طريق وكلائنا المغفلين ، وقد حملت هذه الفرق ألويتنا فى نشوة ، بينما كانت هذه الكلمات — مثل كثير من الديدان — تلتهم سعادة المسيحيين ، وتحطم سلامهم وثباتهم ووحدتهم ، مدمرة بذلك أسس الدول . وقد جلب هذا العمل النصر لنا كما سنرى بعد . إنه مكننا بين أشياء أخرى — من لعب دور الآس فى أوراق اللعب الغالبة ، أى محق الامتيازات ، وبتعبير آخر محق كيان الارستقراطية الأممية التى كانت الحماية الوحيدة للأمم والبلاد ضدنا .

(٣٤) ولقد أقمنا على أطلال الأرستقراطية الطبيعية والوراثية أرستقراطية من لَدُنّا على أساس بلوتقراطى (حكم الأغنياء). أقمنا الأستقراطية الجديدة على الثروة التى نتسلط عليها ، وعلى العلم الذى يروجه علماؤنا . ولقد عاد انتصارنا أيسر فى الواقع ، فإننا من خلال صلاتنا بالناس الذين لا غنى لنا عنهم — كنا دائما نحرك أشد أجزاء العقل الإنسانى إحساساً ، أى نستثير مرض فرائسنا من أجل المنافع ، وشرههم ونهمهم والحاجات المادية للإنسان ، وكل واحد من هذه الأمراض يستطيع مستقلا بنفسه أن يحطم الطليعة ، وبذلك يضع قوة إرادة الشعب تحت رحمة أولئك الذين سيجردونه من كل قوة طليعته .

(٣٥) إن تجرد كلمة « الحرية » جعلها قادرة على إقناع الرعاع بأن الحكومة ليست شيئا آخر غير مدير ينوب عن المالك الذى هو الأمة ، وفى المستطاع خلعها كقفازين باليين . وإن حقيقة أن ممثلى الأمة يمكن عزلهم قد أسلمت ممثليهم لسلطاننا ، ووضعت تعيينهم عمليا فى أيدينا .

محمد خليفة التونسى

(يتبع)

وكان الخديو اسماعيل عظيم العناية بإقامة الحفلات المدرسية التي تختم بها الامتحانات العامة في المدارس على اختلاف درجاتها وكان يحضر هذه الحفلات كبار رجال الدولة وتوزع فيها الجوائز على المتقدمين من الناجحين ، ويلقي فيها الأساتذة ونوابغ الطلبة الخطب والقصائد . وكانت الوقائع المصرية وهي الصحيفة الرسمية للحكومة تهتم بنشر أنباء هذه الحفلات وما يلقى فيها من نثر ونظم فكان هذا من أكبر العوامل التي ساعدت على رواج سوق الشعر في ذلك العصر . وأقبل الشعراء على نظم الأناشيد التي ينشدها الطلبة في هذه الاحتفالات . ومثال ذلك قول عبد الله فكري :

العلم تشريف وشان   لأهله في كل آن
والفخر يوم الامتحان   يبقى على طول الزمن

العلم أسنى مايرام   ويبتغى منه المرام
ويقتفى نهج الكرام   فيه على أسنى

وظهرت في عصر اسماعيل حركة إحياء الكتب القديمة ، ومال الناس إلى قراءة دواوين فحول الشعراء الذين نشأوا في أزهى عصور الأدب . وقد أثر هذا في الشعر تأثيراً بيناً . فطفق بعض الشعراء يقلد المتنبي والبحتري والمعري وأبا تمام وأبا نواس وغيرهم من الأعلام . فلا عجب أن أخذت أساليب الشعر تميل نحو الارتقاء وتنفض عن كاهلها ما أصابها من الركة والضعف طوال العصر التركي

وقد أقام الخديو اسماعيل بمناسبة زواج أبنائه حفلات رائعة لم ير المصريون لها مثيلا . وكانت أفراح الأنجال هذه موضوعا للشعراء فنظموا في ذلك القصائد والمقطوعات ووصفوا ما أقيم من الملاهي والملاعب وحفلات الرقص والغناء . قال رفاعة رافع الطهطاوي :

كواكب أفراح العزيز بأفقها   كصبح يقين قد جلا ظلمة الشك
ورنات أنغام المعازف أطربت   كأن قيام الجن تبعث بالجنك
وملعب (بال) بالحسان منعم   عيون غوانيه تغازل بالفتك
رياضة رقص في كمال منزه   عن الريب موزون على النم والتك
وكم من فتاة فيه سكرى بلاطلا   يراقصها السنيور لطفا مع السبك
وفيه صفي البال بالرقص مغرم   يقول لذات الخال لابد لي منك
تميس كغصن البان عطفاً وتنثني   وتفتر عن برق تألق بالضحك
ولولا الحيا والدين والعلم والتقى
لقال حليف الزهد قد طاب لي هتكي
ومجلس أنس قد تعطر روضه   وأرجاؤه فاحت بها نفحة المسك
وفي الجو تقاليد النجوم منيرة   صواريخ أنواع الشهب السما تحكي
تلون كالحرباء بل ربما حكت   يواقيت قد مرت على حجر الحك
وحلبة سبق بالجياد يزينها   (رماح أعدت للطعان بلاشك)
بتنظيم أوربا تسامى ابتهاجه   ومافاته في الحسن طنطنة الترك

وهكذا صور الشعراء تلك الأفراح وما أعد فيها من ضروب اللهو وأنواع التسلية وألوان البهجة والسرور .

ومال الناس في عصر اسماعيل إلى التنزه في الحدائق والبساتين فكانوا يخرجون إلى شواطئ النيل ويقضون أوقات الأصيل بين الروضة والجزيرة والجيزة . وساعد على ذلك إنشاء جسر قصر النيل والجسر المواجه الذي يطلق عليه الآن كوبري «الجلاء» . وقد تغنى الشعراء بهذه الأماكن ولا سيما محمود سامي البارودي الذي أكثر من ذكر «روضة المقياس» و «أرض الجزيرة» ...

وظهرت في ذلك العصر حياة اللهو والمرح وأقبل الناس على المسارح والملاهي وصالات الرقص ومحال الغناء . وارتقى الذوق الموسيقي وتقدم فن الغناء وعظمت مكانة المغنين . وقد أقبل بعض الشعراء على نظم الأدوار الغنائية والمقطوعات التي تلقى في حفلات التمثيل . وكثرت الأزجال والمواويل والموشحات وذلك لقربها من أفهام الناس . وظهر شعر عليه مسحة من الخلاعة والمجون . ومثال ذلك قول عبد الله فكري :

وهيفاء من آل الفرنج حجابها   على طالبي معروفها في الهوى سهل
تعلقتها لا في هواها مراقب   يخاف ولا فيها على عاشق بخل
إذا أبصرت من ضرب باريز قطعة
من الأصفر الإبريز زلت بها النعل
هنالك لا هجر يخاف ولا جفا   لديها ولا خلف لوعد ولا مطل
أتيت كما شاء التصابي رحابها   وما كان لي عهد بأمثالها قبل
فلما تعارضنا الحديث تعرضت   لوصل ومن أمثالها يطلب الوصل
فرحت بها في حيث لا عين عائن   ترانا ولا بعل هناك ولا أهل
وبت ولي سكران من خمر لحظها   وراح ثناياها ومن خدها نقل

وقت ولم أعلم بما تحت ذيلها وإن كان شيطانى له بيننا دخل

وقد استخدمت فى عصر اسماعيل السنة الميلادية بدلا من السنة الهجرية . والظاهر أن الناس قد تعذر عليهم حفظ شهور هذه السنة فأخذ بعض الشعراء ينظمون هذه الشهور فى شعر حتى يسهل على الناس حفظها .. ومن ذلك قول عبدالله فكرى .

شهور الافرنج خذوا ترتيبها قد جاء فى النظم على مأموليه
ينار فبراير ومارث إبريل مايه يونيه ويوليه
أغسطس سبتمبر أكطوبر نوفبر ديسمبر فادعوا ليه

ولم يكتف بهذا بل نظمها فى مواليا لأنه كما قال أنسب لكونها أعجمية لا يحسن انسجامها فى الشعر العربى . وقد وضع مواليا يبين فيها عدد أيام كل شهر من هذه الشهور قال :

فبراير النقص فيه يومين وتاره يوم
وشهور سبعة تزيد يوم تملى يوم
تزيد ينار ومارث ومايه مافيه لوم
يوليه وأغسطس وإ كتوبر وديسمبر
وبقية الأشهر ثلاثين فى حساب القوم

***

ولما ازدادت الأحوال المالية سوءاً فى أواخر عصر اسماعيل واشتدت المظالم سئم الناس حكم الخديو وتمنوا زواله . فلما خلع فرحوا وابتهجوا . وقد عبر الشعراء عن إحساس مواطنيهم فى شعر كثير . فمن ذلك قول عبد الله فكرى من قصيدة بعث بها إلى الشيخ على الليثى .

واقرأ على الشيخ الجليل تحية مقرونة بالشوق والتبجيل
وقل البشارة ، مصر ولى أمرها توفيقها من بعد إسماعيل
جاء القناصل باتفاق مبرم فدعوها لتنازل وقبول
فارتاب إسماعيل واضطربت به أحواله والخطب أى مهول
وأقام يبرم أمره ويحله متعللا بالقال بعد القيل
حتى أتى أمر الخلافة معلنا مضمونه بالمنع والتنويل
فقضى الخديوى بالحكومة لابنه ومضى يهيئ نفسه لرحيل

ويلاحظ أن الروح العسكرى الذى ظهر فى عهد سعيد قد اختفى اختفاء تاما فى عصر اسماعيل ولا سيما بعد هزيمة الجيش المصرى فى الحبشة هزيمة ساحقة ، وبعد إغلاق المدارس الحربية التى فتحت فى أوائل عصره ، وبعد تغلغل النفوذ الأوربى فى المصالح والدواوين وزوال هيبة الحاكم المصرى . لذلك لم يتغن الشعراء بالجيوش المصرية ولا بعددها وأسلحتها ، ولا بأقدامها وبسالتها ، كما فعلوا فى عهد سعيد ؛ بل خرست ألسنتهم وأمسكوا عن الخوض فى هذا الموضوع .

***

انتهى عصر اسماعيل وجاء عصر توفيق (١٨٧٩ - ١٨٩٢م) فوجد أمامه مهمة شاقة فكان الشعب يئن من المظالم والكوارث التى حلت به إبان حكم الخديو السابق ، ويرزح تحت أعباء الضرائب الباهظة التى أثقلت كاهله ، فلا عجب إذا تطلع الناس إلى حكم جديد ينشر العدل ويقضى على الظلم . وقد عبر الشعراء عن ذلك فيما نظموا من مدائح فى الخديو الجديد .

قال السيد على أبو النصر يخاطب توفيقا .

نرجوه إنجاز إصلاح الشؤون عسى يصفو به الملك دانيه وشاسعه
فإن آمالنا أمّته جازمة بأنها لا ترى شهما يضارعه
فكن مجيباً أبا العباس دعوتها فباب عطفك يلقى البشر قارعه
ووال فضلك ياخير الولاة لمن والى لأمرك يشقى من يراجعه
واستنتج الرأى إصلاحا فقد حجبت شمس الهدى بسحاب فاض هامعه
وطهر الملك من عات ومتهم تقوده للقضا جهلا مطامعه

إلى أن قال :

فإن رعيت وراعيت الحقوق فما أولاك بالمدح يتلو الحمد بارعه

وقال السيد صالح مجدى من قصيدة يخاطب بها الخديو توفيق :

وتمعن فى رد المظالم فكرة بنور الهدى طول المدى تتوقد
وتطوى بلا ريب سجل مطامع لها كان قبل الآن غيرك يفرد
وتصرف فى نشر القناعة ما به بحار الملاهى والشراهة تنفد
وتنسخ أحكاما قضت بابتداعها أمور نهى عنها النبى محمد

فنرى من هذا الشعر أن الأمة كانت تريد القضاء على المظالم وتطلب صلاحاً شاملاً للأداة الحكومية . وهذه الرغبات التى رددتها الشعراء تعتبر مقدمة للحركة العرابية التى ظهرت فيما بعد.

بدأت الحركة العرابية فى فبراير ١٨٨١ م وبلغت أوجها فى سبتمبر من هذا العام . وكان الليثى هو الشاعر الوحيد الذى

انبرى للدفاع عن العرابيين فى حادثة قصر النيل المشهورة . فقال من قصيدة .

لما رأى جنده من شبهة عرضت … قد عارضوا وانقوا بالجزم واحتزموا

يوم العروبة إذ شوال منتصف … راموا انتصافا وكاد السلم ينحسم

أجاب سؤلهم وهو الجدير به … فقابلوه بحسن الحمد واحترموا

ومنها :

وهب لجندك ماقدكان وارعهم … بعين أروع سيما طبعه الكرم

هب أنهم أخطأوا لم يستخف بهم … خوف به ثورة الأحشاء تضطرم

فكان ماكان من أمر مغبته … والحمد لله لم يلمم بهـا ألم

أما الذى يحرك المذب الخضم لهم … ما يثلج الصدر يطريه صدورهم

ألست أول ذى حلم محامده … سارت مسير الصبا والناس قد علموا

رفقاً وعطفاً وبالصفح الجميل أعد … عادات بر لهم فى عودها عشم

فهم للملك أنصار وهم عدد … عند الوغى ومثار النقع مرتكم

وهم سيوفك فى يوم يضربه … قلب الجبان وموج الحرب يلتطم

وهم دروع رعاياك الذين لهم … فى وصف ممناك ما تمنوله الأمم

حاشاك مولاى أن تصغى لذى غرض … لديه سيان من يحيا وينعدم

وكان من مطالب العرابيين إنشاء مجلس نيابى . وقد أجيب هـذا الطلب وافتتح الخديو توفيق مجلس النواب الجديد فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ م وكان يوما مشهوداً ، وصدر دستور ١٨٨٢ م فقوبل بالابتهاج العام وأقيمت حفلات كثيرة بهذه المناسبة ألقيت فيها الخطب والقصائد . ومدح البارودى الخديو توفيق بقصيدة جاء فيها :

سن المشورة وهى أكرم خطة … يجرى عليها كل راع مرشد

هى عصمة الدين التى أوحى بها … رب العبـاد إلى النبى محمد

فمن استعان بها تأيد ملكه … ومن استهان بأمرها لم يرشد

ولكن الحركة العرابيـة ما لبثت أن انحرفت عن الطريق المستقيم وساعد على ذلك دسائس الدول الأوربيـة واضطهد العرابيون كل من خالفهم . وازدادت الحالة سوءاً يوما بعد يوم ، وانتشر الرعب وعم الفزع واختل الأمن وأصبح الناس عرضة للسلب والنهب والقتل . وانزوى الأتراك والجراكسة بعيداً عن الأنظار وأضحوا فى وجل شديد وخوف عظيم . وقد صور لنا هذه الحالة أصدق تصوير حسن حسنى الطويرانى التركى الأصل المصرى المولد والنشأة ، فقال :

فكم ليال أجنتنا غياهبها … والحزم أعينه فى غمض ترنيق

وكم صباح نرى حر الهجير به … ومالنا من ضياه بعض تأليق

نمسى حيارى وتمسى الأرض واجفة … ونصبح الصبح فى رجف وتخفيق

يعالج الحر ذوق المر يجرعه … عبا ورشفاً إلى أن مل من ريق

يمشى العزيز ذليلا فى مناكبها … والهام خافضة فى رفعة السوق

أيام ما يعرف الإنسان ينكر … من الدنا بين مكروه وممشوق

حيث اكفهر ظلام الظلم تتبعه … سحب المنا بين تفتيق وترنيق

حيث الوجود تشهى أهله عدما … وود لو كان فيه غير مخلوق

يابئسها فئـة بالغى طاغية … بطيشها بضلال غير مسبوق

أذاقت الأرض بؤساً والسماء أسى … وكدرت صفو ذى قيـد ومطلوق

وعممت ويلها الأوطان إذ فجرت … وخصصت أهلها للجور والضيق

لم تبق عينا بلا سهد ولا تركت … قلباً بسهم جفاها غير مرشوق

تجمهرت وجرت فى غيها وبغت … ودمرت بين تفريق وتحريق

جارت بما ارتكبت جالت لما ركبت … تاهت بما انتهبت أغرت بتلفيق

لم يحفظوا حرما لم يرعوا أمما … لم يشكروا نعما شكران مرزوق

تجردوا السيف قهراً أى منصلت … وفوقوا الغدر سهما أى تفويق

جابوا البلاد كما خانوا العباد وهم … يستطلعون طريقا غير مطروق

فكل باب ذمار غير مفتتح … وكل باب دمار غير مغلوق

كم حرموا من مباح القول واحتجروا … كم حللوا من دم بالظلم مهروق

ولا ريب فى أن الطويرانى لم يعبر عن شعور الأمة ولم ينطلق بلسانها . فالمصريون من غير شك كانوا فى جانب عرابى . أما الأتراك والجراكسة فكانوا من أعداء العرابيين . وقد عملوا ما استطاعوا على هزيمة الجيش المصرى وتمهيد البلاد للاحتلال البريطانى . وهم فى هذا مدفوعون بمصالح أنفسهم حريصون على

جاههم وسلطانهم الذى يتعرض للضياع والزوال إذا انتصر العرابيون . فلا عجب إذا أظهروا الفرح والسرور حينما انهزم المصريون أمام الجيوش البريطانية ، وراحوا يلقبون عرابى وأصحابه بالفئة الباغية ، والفرقة العاصية ، والبغاة الجهال ، والأشقياء الملحدين ، والأغبياء المتمردين ، وغير ذلك مما جادت به قرائحهم السقيمة

وانتهى الأمر بضرب مدينة الإسكندرية ضربا مروعا فحل بها الخراب والدمار ، واشتعلت الحرائق وانتشر السلب والنهب وفى ضرب الإسكندرية يقول عبد الله فكرى :

بوارج أمثال البروج تقاذفت ... بحمد كأمثال الصواعق رجم
بواخر ترمى الشاهقات بمثلها ... سراعا كأسراب الحمام الحوم
دوارع يلقين المخاوف آمناً ... بها سربها من كل حول ومرغم
من اللاء لايتركن حصناً محصناً ... ولا أنف برج شامخ غير مرغم
يطارحن أسراب المدافع فى الوغى ... بكل رجيج وزنه غير أخرم
وسالت شعاب الأرض بالجنـد زاحفاً ... بكل سبوح من كميت وأدهم
يموج به الماذى فى كل مأزق ... كما زخرت أمواج يم ميمم
وغشى ضياء الشمس أسود حالك ... من النقع معقود بأقتم أسحم
تغيم منه الأفق والصحو سافر ... لثاما ووجـه الجو غير مغيم
وأرعدت الأرض السماء وأبرقت ... بصيب ودق للمنيـة يهمى
وجاوب أصداء البنادق مثلها ... نداء فما يبقـين غير مكلم
ونازع فيها ابن الكروب نديده ... رسائل ليست للتـودد تنتمى

ولما انهزم العرابيون وأقبـل الخديو إلى مدينة القاهرة أخذ الشعراء ينظمون القصائد فى مدح توفيق والتعريض بالعرابيين ، وكان من هؤلاء الشعراء من انضم إلى الحركة العرابية وناصرها . فلما منيت هذه الحركة بالفشل والهزيمة ، شرعوا ينظمون القصائد الطوال فى التبرؤ منها والاعتـذار عما فرط منهم ، أو نفى تهمة الاشتراك مع العرابيين . وممن فعلوا ذلك عبد الله فكرى والليثى الذى عفا عنه الخديو وقربه إليه . وكان من الشعراء من هو من أصل غير مصرى . وقد وقف هؤلاء من بدء الحركة فى جانب الخديو ، فشرعوا بعـد هزيمة عرابى ينظمون القصائد فى هجوه وسلبه والتشهير به والطعن فيـه . وكان الطورانى الذى سبقت الإشارة إليه أكثر هؤلاء الشعراء هجاء لعرابى وأصحابه . وقصائده التى نظمها فى هـذا الموضوع من أمتن شعره وأجوده وأصدقه من حيث التعبير عن شعور البغض والـكره للعرابيين وللحركة العرابية . ولم يتورع بعض هؤلاء الشعراء من الكذب والافتراء على الناس وعلى التاريخ . أنظر إلى مصطفى صبحى باشا حين يقول من قصيدة طويلة دعاها « صدق المقال فى مثالب البغاة الجهال »

ولما أتى الأسطول مصر مسالما ... أثرتم بريح البغى نار التعنـد
ومناكم بالمستحيل خطيبـكم ... رأدمج غشاً فى حماس مقـلد
وأوهم زوراً أن فيكم بسالة ... فحاولتم بالجهل خطة أصيـد
وهيأتم بعض الطوابى تنمراً ... وهددتم سيمور كل التهـدد
فسببتم إحراقها وخرابهـا ... وكانت حصانا بالبناء المشـيد

فهو يقول إن الأسطول البريطانى جاء مسالماً وأن عرابى هو الذى هدده . وهذه دعوى باطلة فندها بعض مؤرخى الإنجليز أنفسهم . ولكن هذا الرجل لم يتورع عن اتهام العرابيين بما برأهم منه أعداؤهم من البريطانيين .

قلنا إن الروح العسكرى المصرى الذى ظهر فى عهد سعيد قد اختفى اختفاء تاما فى عصر اسماعيل . ثم جاء الاحتلال البريطانى وسرح الجيش المصرى ثم كون جيش جديد صغير تحت إشراف البريطانيين . لذلك لم يكن من المعقول أن يمدح الشعراء توفيقاً بالشجاعة والإقدام ، والجرأة والبسالة ، وغير ذلك من ألقاب البطولة التى مدحوا بها سعيداً . فأخذوا يبحثون عن صفات أخرى تصلح لهذا الخديو . وكان توفيق أول حاكم فى العصر الحديث يكثر من غشيان الأضرحة والمساجد . فانتفع الشعراء بهـذا المظهر الدينى وأخذوا يمدحونه بالتقوى والورع : ثم خلعوا عليه الصفات التى اعتادوا خلعها على كل من يمدحونه كالجود والحلم والذكاء والعدل . وقد أكثروا من مدحه بالحلم وذلك لعفوه عن كثير ممن اشتركوا فى الحركة العرابية . ومدحوه بجودة الرأى وسداد التفكير . ومثال ذلك قول الساعاتى :

مليك بحسن الرأى دبر ملـكه ... وقد يبلغ المأمول شهم تدبرا
أذل له التـدبير عزة من طغى ... وحاول أن يسمو العلا فتحدرا

فالتدبير هو الذى أذل عزة الطغاة ولم يكن السيف والمدفع .

وقال :

ملك الوجود بجودة الرأى الذى ... قد كاد أن يحيا بها الاسكندر

بمثل هذا مدح توفيق . ولن تجد فى هذه المدائح على كثرتها إشارة إلى قوة حربية أو ذكراً لجيش أو سلاح .

(يتبع) **محمد سيد كيلانى**

لغـــة المسلمين؟

للأستاذ محمد حسن الأعظمى

جهاد عشرين عاما متواصلة لا أفاخر به ولـكننى أحمد الله عليه وأستزيده التوفيق منه .

قال مستر غاندى يوما : «إن من الخير لسكان الهند ألا يلجأوا إلى اللغة الأردية لأنها تـكتب بأحرف القرآن ، وهو كتاب المسلمين وحدهم . وعلينا أن نختار اللغة المحفوظة عن الأمهات فقط وهى اللغة السنسكريتية ، وما كدت أطلع على هذا فى صحف الهند العامة حتى أسرعت فى اليوم التالى إلى الإجابة ، وقلت لمستر غاندى : « إن المسلمين ليس لهم أمهات سوى أزواج نبيهم عليه أفضـل صلاة وسلام ، وهن أمهات المؤمنين ؛ ولغة أولئك الأمهات هى اللسان العربى المبين » ولـما أذاع المستر غاندى مرة أخرى نداء يدعو فيه إلى توحيـد اللغة بين المسلمين والهنود أجبته بأن ذلك لا يمكن إلا بأن نتعلم لغتكم السنسكريتية مع لغتنا العربية . وعليكم أن تسلكوا إلى الوحـدة هذه السبل نفسها ثم تـكون النتيجة الحتمية لهذا . هى العودة إلى الأردية مرة أخرى ، فهى مزيج من اللغتين معاً إلا قليلاً من الفارسية والتركية . وإذا لم تصنعوا ذلك ولن تصنعوا فاذا أنتم فاعلون إذا اصطدمتم بلغات تربوا على المائتين بين العشائر الهندوكية المتناثرة فى أقطار الهند ؟ النتيجة الحتمية لهذا التعصب ضد العربية والأردية هى الاعتماد على اللغة الانكليزية — لغـة أعدائكم — فى التفاهم والمكاتبات . وهـذا هو الذى حدث فعلا . فقد تخلص هؤلاء من الاستعمار العسكرى ليقعوا تحت سيطرة روحية من نسيج هـذه اللغة الأجنبية عنهم . فإن كنت فى ريب من هـذا أيها القارئ . فادخل إحدى السفارات الهندية لدى أى الحكومات إن شئت ، فأنت واجد فيها بين أفرادها سلطان اللغة الإنكليزية حاكما على قلوب الموظفين نافذ الكلمات فى أذواقهم وحـديثهم ومخاطباتهم ؛ وإنها لهى عبـودية الروح فى غشاء رقيق من حرية الجسد .

أما أنا فقد رأيت أن أمشى على سنن الطريق مسترشداً بيقينى وإيمانى واثقاً من أننى فيما أدعو إليه سألاقى النصر والفوز . تركت الجدل الـكلامى وأخذت أنشىء الجمعية العربية العامة فى الهند ، وأتبعتها بإنشاء مدارس ليلية شبيهة بالمدارس والوحدات الليليـة التى يعرف الجميع نشاطها بمصر . وكنت ومن معى من المؤمنين بفـكرتى مثالا من النشاط الذى لم تـكن فيـه أقل من الغيورين على محاربة اللغة العربية واستبدال حروفها وإخراج ألفاظها .

ولـكى نستبعد فـكرة التعصب القبلى دعونا إليها كلغة القرآن والإسلام . أما الآثار الأدبية لهذه الحركة المباركة فقد كان منها كتاب المعجم الأعظم الجامع بين اللغتين العربية والأردية إلى جانب عشرات من الـكتب المدرسية . وكانت حيدر أباد الدكن مركزاً هاماً إلى ذلك الحين لنشر العربية ، إذا كان بحيدر آباد مائة ألف أو يزيدون من العرب أو من أصول عربية ، فلقيت الدعوة تشجيعاً وإقبالاً رائعاً . وقام على رياسة هذا النشاط أحد سلاطين المكلا العرب ، وما كدنا نقطع من مراحل الزمن سنة حتى انتشرت المدارس الليلية فى جميع مناطق المدينة وشكلت الفروع المختلفة فى الضواحى والأقاليم المتاخمة . وانشئت كلية للغة العربية فى العاصمة لتقوم بالتعليم على أسس دراسية قيمة . ولـكى يقطع هذا النشاط مدى بعيداً قررنا إلقاء محاضرات أسبوعية فى حفلات متنقلة بين أحياء المدينة ، وكنا نرى إقبال الجمهور المتزايد يجعل الأمكنة تضيق بزوارها . وكانت تلك الحفلات أدبيـة مشجعة على مواصلة الـكفاح العلمى والأدبى . ثم رأينا أن نجرى مسابقات دورية تمنح فيها المـكافآت والجوائز . ومما يثير العجب أن عدد الفائزين فى آخر مسابقة بلغوا مائة من بينهم خمس وسبعون من الفتيات . وقد جرت المسابقة فى الـكتابة الإنشائية وفن الخطابة والإلقاء . وحاولت أيضاً فى سبيل تيسير هذا التعليم أن أدعو إلى استبدال خط النسخ العربى بالخط الفارسى فى الأردية .

أما حيدر آباد ومراكز الهند الأخرى بعد التقسيم فهى فى ستار مغلق دونى الآن — فقد وليت وجهى شطر الوطن الإسلامى الباكستانى — ولقيت فيها الدعوة مكانا خصباً . فلعلى أستمد هذه الروح نحو تعليم العربية من أيمان شعب الباكستان الذى تشرف فيه الحكومة نفسها على الجمعية العامة للغة العربية . وأصبح خط النسخ العربى خطاً رسمياً فى مكاتبات الدولة وأعمالها العامة .

ركن المعتزلة :

أرادة الله فى مذهب المعتزلة

للدكتور البير نصرى نادر

الفعل الأرادى عند الإنسان يشتمل على إدراك غاية يصل إليها وعلى مشاورة ، حيث أن بواعث كثيرة تبدو أمام الإنسان ، وعلى عزم ؛ أعنى اختيار باعث من ضمن هذه البواعث ؛ وهذا الاختيار يضع حداً المشاورة ؛ وأخيراً على تنفيذ أو عمل — لكن الله الكلى الكمال لا يعرف المشاورة لأنها دليل على الضعف إذ أنها تشمل التردد . كانت لذلك إرادته تعالى تختلف كل الاختلاف عن إرادتنا .

تعريف المعتزلة لأرادة الله :

إرادة الله فى مذهب المعتزلة من الاعتبارات الذهنية التى يقولون بها مثل العلم والقدرة ، والتى لا يوجد حقيقة لأن ماهية الله بسيطة وكاملة . وبناء على ذلك تكون الأرادة هى ذات الماهية أعنى أنها قديمة لا متناهية وكاملة - لذلك يقول النظام والكعبى أن الله غير موصوف بالأرادة على الحقيقة وإن ورد الشرع بذلك. فالمراد بكونه تعالى مريداً لأفعاله أنه خالقها ومنشئها ، وإن وصف بكونه مريداً لأفعال العباد ؛ فالمراد بذلك أنه أمر بها ؛ وإن وصف بكونه مريداً فى الأزل فالمراد بذلك أنه عالم فقط[1] — وهكذا ترد المعتزلة إرادة الله إلى علمه أعنى إلى ماهيته . وإذا قال النجار « يعنى كونه تعالى مريداً أنه غير مغلوب ولا مستكره »[2] فإنه يكرر قول النظام على شكل آخر ، لأنه لا يوجد فى الله ولا خارجا عنه تعالى أى مؤثر يرغمه على العمل ، إذ أن علمه تعالى هو أيضاً قدرته وإرادته -- ويوضح الجاحظ خصائص الفعل الأرادى بقوله : مهما انتفى السهو عن الفاعل وكان عالما بما يفعله فهو مريد ؛ وإذا مالت نفسه إلى فعل الغير سمي ذلك ميلان أرادة[3] ولكن

(١) الشهرستانى : نهاية الأقدام ص ٢٣٨ — الملل والنحل جـ١ ص ٦٢ — البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٦٦

(٢) الشهرستانى الأقدام ص ٢٣٨

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٩

واللغة العربية مادة إجبارية فى مواد التعليم الثانوى . كما خصص ركن من الإذاعة للغة العربية أيضاً . وحضرات أصحاب المعالى الوزراء فى الباكستان وفى مقدمتهم صاحب المعالى وزير المعارف العمومية فضل الرحمن مقبلون بأنفسهم على تعلم هذه اللغة .

ولعل بعض القراء يذكر أن فخامة حاكم البنجاب السردار عبد الرب نشتر — هو الذى يرأس أكثر الحفلات العربية ويلقى فيها خطبه المرتجلة فى عبارات سليمة واضحة .

وليس هذا كل شيء ، فإن الخطوة المباركة الحقيقية هى وصولنا إلى ذلك القرار الحكيم الذى وافق عليه مؤتمر العالم الإسلامى الدائم وهو اعتبار لغة القرآن لغة عامة للمسلمين جميع ، وكتابة لغات العالم الإسلامى بخط النسخ العربى . كما ألقيت أكثر خطب المؤتمر فى كراتشى باللغة العربية . وإذا كنا نحن الباكستانيين قد بذلنا هذا الجهد المتواضع لتعميم العربية الفصحى وإحياء تراثها المجيد ، فإنى أهيب بالناطقين بالضاد فى الممالك العربيــة أن يجعلوا واجبهم الأول تعميم اللغة العربية الفصحى وإحياء تراثهــا المجيد ، وأن لا يقصروها على مكاتباتهم فى دواوين الحكومة . وعلى أعمدة الصحف . فعلى كل من يجيد العربية أن يخاطب بها غيره فى المكتب والطريق وفى الأندية والأسواق وفى التعامل التجارى والتبادل الثقافى .

وسيقول قائل إن الطريق شاق والمطلب عسير ، فأقول لهؤلاء ليس بين العامية الدارجة والعربية الفصحى سوى تصحيح كلمات وإعراب جمل وصدق فى التوجيه قبل كل شيء . وما هو إلا قليل من التدريب يتلوه النصر القريب .

كثيراً ما رأيت طلاب البعثات الوافدة إلى مصر والأزهر يعودون مزودين باللغة العامية ، وما هجروا أوطانهم إلا للغة العربية السليمة الفصحى !

وقد بدأنا نحصل الغرامة المفروضة من أعضاء المؤتمر الاسلامى على كل من يلجأ إلى غير العربية الفصحى أثناء كلامه .

ويتجه نظرى الآن إلى الكعبة العلمية الاسلامية أعنى (الأزهر الشريف) ليبدأ هذه الخطوة من جانبه بين أساتذة المعاهد وطلابها ، فهل يتحقق أملى ؟

محمد حسن الأعظمى
عميد كلية اللغة العربية فى الباكستان

فى الله لا يوجد مثل هذا الميلان ، لأن علمه لا متناهى وكامل ، فلا يمكننا إذن التكلم عن إرادة الإلهية مثل إرادتنا — إن الله مريد بالمعنى الذى يعطيه الجاحظ لهذا اللفظ أى أنه يحقق علمه — ويزيد الكعبى على كل ذلك بقوله إنما دل على الاختصاص على الأرادة فى الشاهد لأن الفاعل لا يحيط علما بكل الوجوه فى الفعل ولا بالمغيب عنه ولا بالوقت والمقدار، فاحتاج إلى قصد وعزم وإلى تخصيص وقت دون وقت ، ومقدار دون مقدار . والبارى تعالى عالم بالغيب مطلع على سرائره وأحكامه فكان علمه بها مع القدرة عليها كافيا عن الأرادة والقصد إلى التخصص ، وأنه لما علم أنه يختص كل حادث بوقت وشكل وقدرة فلا يكون إلا ماعلم ، فأى حاجة له إلى القصد والأرادة ؟[1] وننتهى من هذا كله إلى إن أرادة الله هى علمه أعنى ذاته .

أرادة الله وخلق العالم :

تقول المعتزلة إن خلق العالم متعلق بأرادة الله ، وهذه الأرادة هى من صفات الأعمال . لكن بعض معتزلة فرع البصرة مثل بشر ابن المعتمر ومعمر كانوا يقولون إن هذه الصفة حادثة لأن موضوعها — وهو العالم المخلوق — حادث . بينما البعض الآخر كان يقول إن هذه الصفة أزلية .

حيث أنها تتعلق بما هية الله وهذه أزلية — ولكن جميع المعتزلة متفقون على أن هذه الأرادة — أزلية كانت أم حادثة — سابقة على خلق العالم . فعليه يكون العالم إما أزليا وأما حادثا —

لنتعقب أقوال المعتزلة فى هذا الموضوع الدقيق . يقول أبو الهذيل إن خلق الشيء الذى هو تكوينه بعد أن لم يكن هو غيره وهو إرادته تعالى له وقوله : كن — والخلق مع المخلوق فى حاله وليس بجائز أن يخلق الله شيئاً لا يريد ولا يقول له : كن . ويضيف أبو الهذيل على ذلك قائلا بأن خلق العرض وخلق الجوهر هو غيرهما . ويقول أخيراً إن الخلق الذى هو إرادة وقول لا فى مكان[2] من هذا القول يتضح أن الخلق هو بداية الوجود الذى يمنحه الله لشيء كان غير موجود . ثم أن هذا الخلق يتميز تماماً من الشيء الذى كان فى حالة العدم قبل خلقه — فيكون الخلق متعلقا بأرادة الله التى تتحقق فى وقت ما ويصبح هذا الوقت بداية الوجود — من الضرورى أن نبين أن أبا الهذيل كان يؤكد الفرق الموجود بين أرادة الله لخلق الشيء وبين هذا الشيء المخلوق الذى هو موضوع الأرادة . إن هذه الإرادة فى زعمه (وهى منبع الخليقة) لا توجد فى محل . وسبب ذلك أن الله لا يشغل محلا لأنه غير مادى ، فعليه لا يمكن أن تكون أرادته فى مكان لأن المادة فقط تشغل حيزاً . ولكن موضوع هذه الأرادة مادى وهو الخليقة . فهى تشغل مكانا معينا . ومن هنا قامت المشكلة المويصة المتعلقة بطبيعة العالم المخلوق وطبيعة الله : إنهما لطبيعتان تختلفان كل الاختلاف ومتميزتان تمام التمييز : الواحدة منهما وهى الطبيعة الآلهية تمنح الوجود فقط للآخرى التى هى الطبيعة المادية — وماهية العالم المخلوق خلاف ماهية الله .

ويقول النظام من جانبه أن الخلق متعلق بأرادة الله ، والخلق هو منح الوجود اعنى تكوين[1] — وهكذا يميز النظام إرادة الله عن موضوع هذه الأرادة وهو العالم المخلوق . ولكن النظام لايقول أن هذه الأرادة متميزة عن ماهية الله . وبناء على ذلك تكون هذه الأرادة قائمة منذ الأزل . فسألة خلق العالم مرتبطة ارتباطا وثيقا بمسألة أرادة الله .

المعتزلة والمذهب الحلولى :

إن المعتزلة مجمعة على تمييز أرادة الله عن موضوع هذه الأرادة . وهكذا يقررون موقفهم ضد المذهب الحلولى . والأشعرى يؤكد موقف المعتزلة هذا كلما ذكر أحد رؤسائهم مثل معمر وبشر ابن المعتمر والردار والجبائى[2] . فنجد مثلا فى مقالاته هذا القول: يزعم معمر أن خلق الشيء غيره . وكان بشر بن المعتمر يزعم أن خلق الشيء غيره ، وأن الخلق قبل المخلوق وهو الأرادة من الله للشيء — وكذلك كان يزعم الردار . وهذه كلها أقوال واضحة تنفى المعتزلة بمقتضاها كل مذهب حلولى أو كل ما يؤدى إلى الاعتقاد بوحدة الوجود .

أرادة الله والشرع :

كما أن المعتزلة تقول أن الخلق متعلق بأرادة الله كذلك يقولون أن الشرع (القانون الخلقى) متعلق بهذه الأرادة أيضاً . إذا هم قالوا

(١) المصدر نفسه ص ٢٤٠
(٢) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ص ٣٦٣

(١) المصدر نفسه ص ٣٦٥
(٢) المصدر نفسه ص ٣٦٤ — ٣٦٦

إن الأرادة توافق الأمر (1) فأنهم يميزون أيضاً هذه الأرادة عن الشريعة التي تأمر بها . ويقول أبو الهذيل بهذا الصدد إن أرادة الله للأيمان هي غيره وغير الأمر به (2) فعليه إذا قلنا الله يريد شيئاً وجب علينا أن نميز بين أرادته تعالى وموضوع هذه الأرادة . ولأرادة الله موضوع حتماً ، لذلك قالت المعتزلة إن الله يريد الشريعة .

لكن هل الشريعة تكتسب قيمتها الخلقية من أرادة الله أم هذه القيمة موجودة ضمناً في الشريعة نفسها ؟ نكتفي هنا بقولنا إن المعتزلة كانت تزعم أن الخير خير في ذاته وأن الشر شر في ذاته وليس بموجب أرادة الله . والله يريد الخير ويأمر به لأنه خير في ذاته ، وينهى عن الشر لأنه شر في ذاته . فالله لا يختار جزافاً أموراً ويقول عنها أنها خير أو شر ، لا بل هذه الأرادة الكلية الكمال تميل طبعاً نحو الخير وتنفر طبعاً من الشر .

وهكذا يكون خلق العالم متعلقاً بأرادة الله ، والشريعة أيضاً متعلقة بهذه الأرادة . ولكن هذه الأرادة وأن مالت طبعاً نحو الخير لا تختار جزافاً ما هو خير وتأمر به ، بل أنها تأمر بما هو خير في ذاته .

أرادة الله وحرية الإنسان :

يريد الله الخير لذاته ويأمر به ولا يمكنه أن ينتج الشر ، بل إن الله ترك الإنسان حراً أن يخضع أو لا يخضع لأرادته تعالى وهي أرادة الخير . فالشر إذن يأتي من كائن حر الأرادة يمكنه أن يختار الخير أو الشر بينما الله تعالى الكلي الكمال لا يمكنه أن يريد أو يختار ما هو نقص وعدم كمال مطلق لأن أرادته هي علمه وعلمه هو ذاته وذاته كاملة . هكذا تميز المعتزلة أرادة الله عن أرادة الإنسان .

فرد جميع صفات الله إلى ذاته تعالى جعل المعتزلة تنظر إلى العلم والقدرة والأرادة نظرة تختلف كل الاختلاف عن هذه الصفات في الإنسان . وهذا أمر طبيعي ومنطقي يتفق تماماً وتعريفهم لله تعالى إذ يقولون أنه كمال لا متناهي وكل صفة فيه مجرد زعم ومجرد اعتبار ذهني ليس إلا .

البير نصري نادر
دكتور في الآداب والفلسفة

(1) اليافعي : مرهم العلل المعضلة ص ١٠٠
(2) الأشعري : مقالات الأسلاميين ص ٥١٠ .

أيها الملاح استرح

آن لك أيها الملاح التائه أن تهتدي ...
فها هو الشاطىء الذي كنت تريده وتبغيه
رحلت أيها الصديق إلى الأبدية !
ولا زال لحنك يرن في أذن الوجود والأجيال .
كنت تريد أن تستشف الحجب لترى اللانهاية .
فها أنت فيها . فحدثنا وستسمعك القلوب النقية .
لأن آذان البشرية أصمها صراخ ذبائح الفضيلة .
أيها الملاح لقد وصلت واسترحت. وتركت لنا الحيرة والعذاب !
بالأمس وعلى صفحات (الرسالة) كتبت لك .
« أيها الملاح التائه يحبك قلبي .
لأنك مثله ولأنك ملؤه .
واليوم أكتب لك على صفحات رسالتك .
أيها الملاح استرح .
فقد طالت حيرتك وكثر تعبك .
وهنيئاً لك ... فاطو شراعك .
فقد آن لك أن تصل وعليك السلام .

عزت حماد منصور
مؤلف
عبقرية علي طه

بين الأمير شكيب وعزت باشا

كان المغفور له الأمير شكيب أرسلان صديقاً حميا لصاحب المقام الرفيع عبد العزيز عزت باشا . وقد أقاما بسويسره سنين متقاربين متقابلين وكان يتحف صديقه من وقت لآخر بفكاهة أو نكتة مليحة تسلية له وللأصدقاء .

وحصل أن مرض الأمير شكيب وقام بعلاجه طبيبه الدكتور بيكل أحد مشاهير الأطباء فى جنيف ، وصارت بينهما وبين هـذا الطبيب مودة ، فنظم الأمير بعد شفائه قصيدة ثناء على الدكتور لاهتمامه به ونجاحه ، وقد ضمنها أشياء أخرى من باب التسلية دفعها لصديقه رفعة الباشا ليترجم للدكتور مضمونها . وقد فعل .

ولقد ضمنى ورفعة الباشا مجلس قص علينا فيه ما كان للأمير شكيب من حسن المحاضرة وجميل المعاشرة ؛ ومن بين ما عرضه علينا من آثار تلك القصيدة التى حوت مع الفكاهة على حد قوله تحميداً وتوحيداً ، فرأيت تسلية قراء الرسالة بها إذا راقت لصاحبها الأستاذ الجليل والسلام .

أحمد نجيب برادة

قصيدة الأمير شكيب أرسلان

سيدى لا عدمته

أريدأن أسليك وأن أفكهك من وقت إلى آخر ، فإن اللذات العقلية لها دور لاينكر . فهذه أبيات نظمتها لتطربك ، فيها نكات وملح ، وفيها مواعظ وحكم ، وفيها تحميدوتوحيد ، والله المستعان .

أقول لبيكل مـذ قد غدا   يساوره دائى المعضـــل

قضى بك ربى شفاء لسقمى   وربى لمـــا شاءه يفعل

تفردت فى حكماء الزمان   فأنت بحـــق لهم أول

وأحسنت ترقيع شيخوختى   فلله درك يا بيـــكل

وكنت قليل الرجا فى الحياة   فعادت حياتى كما أومـل

وذقت لعمرى لذيذ الرقاد   وهل للكرى مثل يعدل

وزاد اشتهائى لقضم الطعام   فقد صلح النوم والمأكل

وقد كان لى نفس ضيق   إذا بات يصـعد أو يسفل

فقـد رجعت رئتى حرة   يجول بها النفس الأطول

وقد كنت أمشى ببطء عظيم   كمن قد غدا جبلاً يحمل

وما كان خطوى خطوا ولكن   خطى سحبتنى بها الأرجل

فها أنذا صرت أمشى سريعاً   على قدر ما شئت أستعجل

وقد كنت أرجف برداً وإن   تك النهار فى جانبى تشعل

فقد صرت مستغنياً عن صلاها   وأخرج ليـلاً ولا أسأل

نعم قد أتانى أخـيراً زكام   وهـذا بكل الورى ينزل

وكان سعال ومن ذا الذى   يمر الشتاء ولا يسـعل

على أنه قد مضى كلــه   وعاد إلى صـــفوه المنهل

ومهما يك المرء مستقصيا   فلا بد من أنه يغفل

وينسى ولا سيما إن غدت   هناك الخطوب التى تذهل

فأستغفر الله إنى نسيت   فللثوم فى صحتى مدخـل

وما فى النبات لعمرى نبات   أجل من الثوم أو أمثل

كريه الروائح لكنما   ثناه هو المسك والمنـدل

وأن الشرايين عند الشيوخ   لتيبس من فرط ما تذبل

فبالثـوم يمكن تليينها   ومجرى الدماء بهـا يسهل

فحييت يا ثوم من بقلة   خيوط الحياة بها توصـل

معيد الشباب وفى أكله   يطول الشباب ولا يأفل

وبيكل للثـوم مستحسن   ومن ذا الذى فضله يجهل

فحمدا لربى على صحـــتى   ألا إنه وحــــده الموئل

عليه توكلت وهو اللطيف   الذى من رجيه لا يخذل

ولا بد لى من معاد ولـكن   معاد إلى الحـق لا يثقل

ومن حل يوماً بدار الكريم   فيا ليت شعرى هل يهمل

نحب الحياة ولسنا لندرى   لعـل الذى بعدها أفضل

ولـكن عمراً طـويلاً يلذ   ويحلو لـكل امرئ بعقل

وإنا برغم كروب الحياة   لنرغب فى أنها تمهـــل

وإن حيـاة الرجال العظام   حياة لغــيرهم تشمل

وإن حياة الرجال الكرام   دوام الدعاء لها يجمل

فأبقاك ربى يا ســـيدى   بثوب الهنـا دائماً ترفل

وأبق ذويك جميعاً بخـير   سحائبه أبداً تهطـــل

عممت من الخير شيئاً كثيراً   فأنعم فذا خـير ما يعمل

الداعى

شـكيب أرسلان

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

محنة وتضامن

أشرت في الأسبوع الماضي إلى مقال الدكتور طه حسين بك عن المازني في الأهرام ، واقتراحه فيه على وزير المعارف أن يكتب إلى رئيس الوزراء طالباً تقرير معاش لأسرة المازني . وقد عاود الدكتور طه الكتابة في هذا الموضوع بمقال عنوانه « تضامن » دعا فيه — بعد أن أبدى يأسه من استجابة الحكومة — إلى أن يتضامن الأدباء « ويجمعوا أمرهم على أن ينفضوا على رئيس الوزراء ووزير المعارف أمرهما كله ، وأن يؤرقوا ليلهما ويجعلوا يومهما عسيراً ، حتى يفرغا من هذه القصة ، ويفرغا منها على النحو الذي نريده لا على غيره من الأنحاء »

وقد بدا شعور الدكتور طه في ذينك المقالين صادقا نبيلاً ، وقد بدا هو في كتابته إنسانا همّاماً ، وأريد أن أستطرق إلى ما أريد أن أقول بأنه واجه الأمر مواجهة عملية على ما يقتضيه واقعنا وما يجرى به الأمور في حياتنا الراهنة ، فقد رأى أن أسرة المازني طال بها الانتظار أكثر مما ينبغي دون أن يعمل لها شيء يكفل لها الحياة الكريمة اللائقة بها ، فلم يكن بد من أن يتناول الأمر على ذلك النحو ، ولكني لا أستطيع أن أكتم إحساساً دقيقاً يضطرب في نفسي ، وهو أن عرض هذه المسألة على الصحف يمس كرامة الأسرة ، وكان ينبغي أن يوجد الباعث على التدبير المنشود لها دون إثارة علنية ، فإن لم يوجد هذا الباعث لدى ولاة الأمور أو شغلتهم عنه الشواغل ، نبهوا عليه ، وكان ينبغي أن يكون هذا التنبيه نهاية الإعذار . ولكن ما تجرى به الأمور في حياتنا الراهنة غير ذلك ، فقد تجاوز الكاتبون نهاية الإعذار ، وجاء الدكتور طه فحمل حملته الصادقة ، ومع ذلك لا تزال « الرسميات » نائمة كأن أحداً لم يوقظها ... ولو استقامت الأمور لما اضطر أحد أن يكتب في ذلك ، بل كان يتم كل شيء على ما يرام دون أن يعلم الناس بشيء ، فجناية الدولة مركبة من الإهمال أولا ، ثم من اضطرار الكتاب إلى المجاهرة .

والرسميات التي تصم أذنيها إزاء الأدباء ، ذات حساسية شديدة في مواطن أخرى .. وليس أبناء الأدباء بأقل استحقاقا للرعاية — لو استقامت الأمور — من أبناء « الباشوات » فليس آباء أولئك أقل خدمة وأثراً في مصلحة البلاد ورقيها من آباء الآخرين .

وأريد لهذه المناسبة أن أشير إلى شيء ينفع في هذا الصدد ، فقد كان في وزارة المعارف لجنة تقرر الكتب للمطالعة الحرة في المدارس الثانوية ، وقد اختارت في العام الماضي كتباً كثيرة يستفيد منها مؤلفوها آلاف الجنيهات ، وللأسف البالغ مداه أن المازني لم يقرر له فيها كتاب . ولندع ما فات ، فوزارة المعارف تستطيع الآن أن تقرر بعض كتب المازني ، فتحقق بذلك أمرين جليلين ، أولهما النفع المادي للأسرة ، والثاني انتفاع الطلاب بمؤلفات الأديب الكبير ، ولا شك أن هذه المؤلفات تنال إقبال الطلاب عليها ، كما أن فائدتهم من قراءتها محققة ، لما فيها من السهولة والطلاوة إلى جانب القوة والغزارة . وهي على أي حال ليست أقل مما قرر مهما تواضعت !

تلك هي المحنة ، وما هي محنة المازني وأسرته فقط ، وإنما هي محنة سائر الأدباء في مصر — وجلهم من هذا القبيل — وما ينتظر أسرهم من بعد العمر الطويل . أما التضامن فهو ما دعا إليه الدكتور طه إذ قال : « أما بعد فقد آن للأدباء فيما أعتقد أن ينظموا أمرهم ، ويجمعوا كلمتهم ، ويؤلفوا جماعتهم ، ويضمنوا لأنفسهم إسماع الحكام وغير الحكام ما ينبغي أن يسمعوه » فهل نجد هذه الدعوة صدى عند الأدباء وخاصة كبارهم ؟ لقد صار لكل طائفة في مصر هيئة تنظم أمورها إلا الأدباء ، وصار المحامين نقابة ، وكذلك المهندسين والأطباء والممثلين والموسيقيين وغيرهم ، أما الأدباء فهم يعيشون عيشة فردية بحتة ، مع أنهم من أحوج الناس إلى النظام الجماعي لرعاية حقوقهم وتنظيم شؤونهم الأدبية والمادية ؛ ولا شك أن الجماعة المنشودة يجب أن يقودها الكبار ، وها نحن قد سمعنا صوت الدكتور طه حسين ، وبودنا أن نسمع غيره .

مسرحية « ليلة من ألف ليلة » :

قدمت الفرقة المصرية هذه المسرحية على مسرح الأوبرا الملكية ابتداء من يوم الخميس الماضي ، وهي مسرحية غنائية من نوع (الأوبريت) وقد سدت بها الفرقة نقصاً كان ملحوظاً في إنتاجها في السنوات الأخيرة ، وقد جاءت الرواية حقاً ليلة حالمة

من ليالى ألف ليلة ، أحيتهـا الموسيق وشاعت فيها الأنغام والألحان .

وتقع حوادثها ببغـداد فى عصر خليفة من العباسيين غير معين ، فليس المقصود أن تكون رواية تاريخية ، وإنما هى أقباس من تلك العهود تتسم بسمات العاصمة العباسية ، أخرج منها عمل فنى للامتاع وتغذية المشاعر

تدور الحـوادث حول شخصية شحاذ (شحاتة) بتزعم أهل الحرفة ببغداد ، ويكسب من الشحاذة مايكفل له أكثر من الكفاف ، ويعيش مع ابنته (نجف) ومربيتها ، أما زوجته أم نجف فقد اختطفها (جوان) قاطع الطريق الذى يلقاه مصادفة فيشتبكان فى مشادة تنتهى بتهديد الأول للثانى ، ويعلن شحاتة اعتزال الشحاذة وأنه لابد منتقم من خاطف زوجته ، ونعلم مما يدور بينهما أن لجوان ولداً اختطف منه وهو صبى . ويظهر موكب الخليفة فى أحد الأسواق فنراه شابا صالحاً محبوبا من الرعية وله وزيران حفصويه والمتصر . تظهر بعد ذلك نجف فى منزل والدها ويهبط عليها شاب فى زى بستانى ، وينعقد بينهما الحب والعهد على الزواج أما شحاته فإنه يرتكب سرقة ويساق إلى الوزير المتصر الساخط على الخليفة ، وهو وزير فاسد يعكف على الخمر والنساء ، فيرى فى شحاته رجلا جريئاً فيعفو عن جريمته ويصطنعه لاغتيال الخليفة ثم يضبط شحاته وهو يحاول قتل الخليفة فيساق إلى السجن ويلتقى فيه بغريمه جوان الذى سجن لأن شحاته دل الوزير عليـه باعتباره قاطع طريق .

ويقتل شحاته جوان فى السجن ويهرب منـه بحيلة . ويقابل المتمصر ويعـرف من بعض الدلائل أنه ابن جوان الذى فقده صغيراً ، فيقتـله أيضاً . ويقبل الخليفة بحاشيته وحراسه فيسر لقتـل الوزير ، ويعلم من حديث شحاته أن له بنتاً اسمها نجف وهى التى هبط عليهـا متخفياً فى زى بستانى ، فيأمر باحضارها ، كما يأمر بنفى أبيها من بغداد حتى لا يرى الناس الشحاذ صهراً للخليفة . وتحضر نجف وتفاجأ بأن حبيبها البستانى ماهو إلا الخليفة بعينه وينتهى المنظر الأخـير بالخليفة ونجف حبيبين على أهبة الزواج .

وحوار الرواية من زجـل الأستاذ بيرم التونسى ، وهو ينساب على الألسنة طبيعياً ، وفيه إشراق وقوة وموسيق ، ولم أجد فيه غير لفظة واحدة قلقة استدعتها قافية الزجل فى غير موضعها ، وذلك حين أراد الوزير المتصر أن يتنصل من تهمة التدبير لقتـل الخليفة فوصف شحاتة بأنه رجل «قبيح» وهو يقصد أنه كاذب . ويتجه سير المسرحية مع تحريك الأقدار حتى ينال كل

كشكول الأسبوع

□ كان يوم الاثنين الماضى موعد انتخاب ثلاثة أعضاء بمجمع فؤاد الأول للغة العربية . وقد أجريت عمليات انتخابية أسفرت عن فوز الأستاذ محمود تيمور بك . وأجل انتخاب العضوين الباقيين الى ما بعد مؤتمر المجمع الذى يبـدأ يوم ١٠ ديسمبر الحالى ويستمر نحو شهر .

□ على أثر قرار وزارة المعارف القاضي بإلغاء اللجنـة الدائمة لترقية اللغة العربية كتب الدكتور أحمد أمين بك رئيس اللجنة كتابا إلى معالى وزير المعارف قال فيـه إن هذا القرار ماس بكرامته وكرامة أعضاء اللجنة ، فأجابه معالى الوزير بكتاب قال فيه : إننى ألغيت اللجنـة لاعتبارات متصلة بنظام العمل بالوزارة إذ لم أستطع أن أتبين معنى وجود لجنـة دائمة تؤدى هذه المهمة التى هى من اختصاص المراقبة العامة للغة العربية ، ولم يخطر ببالى قط أن هـذا التصرف يمس كرامة أعضاء اللجنة .

□ أصدر معالى وزير المعارف قراراً بتعيين الأستاذ محمد سعيد العريان مراقباً مساعداً للتعليم الابتـدائى وندبه مديراً فنياً لمـكتب معاليه . والأستاذ العريان أديب ألمعى كبير كما يعرفه قراء العربية ، والذى أذكره الآن أن مشاكل التعليم ومسائل الثقافة تظفر الآن من تلك الألمعية بنصيب كبير .

□ وقرر معالى الوزير إلغاء النظم التى كانت متبعة فى اختيار الـكتب المدرسية ، وتأليف لجنة لدراسـة النظم المختلفة لتقرير الـكتب المقررة لمواد الدراسة وكتب المطالعة الإضافية وكتب المـكتبات . واللجنة برياسة خيرى بك وكيل الوزارة المساعد وعضوية السكرتير العام للوزارة والأستاذ محمد سعيد العريان وآخرين من رجال الوزارة .

□ وقع الاختيار على الدكتور محمد كامل حسين الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد ، ليكون أسـتاذاً للدراسات العربية الإسلامية بجامعة سنغافورة . والأستاذ معروف بنشاطه العلمى وبحوثه الأدبية القيمة .

□ جاء فى رسالة خاصة من الأستاذ محمد على الحومانى بأمريكا — حيث هو الآن فى إحدى جولاته — ما يلى : والذى حال بينى وبين سرعة الكتابة إليكم هو هذه الموجة الصاخبة التى تجتاح المهاجرين على أثر الإخفاق الذى منيت به الأمة فى فلسطين ، إنها موجة كدنا نغرق فيها ، فقد أصبح كل من يرد أمريكا من الأدباء أو الزعماء لدى المهاجرين العرب مرذولا لا تقدير له ولا احترام .

□ تم توقيع الاتفاق الثقافى بين مصر وبلجيكا ، وهو يتلخص فى أن تعمل حكومتا البلدين على تبادل أعضاء بعثات التـدريس من الجامعيين وغيرهم من رجال المعاهد العلمية ، وتنظيم محاضرات فى كل من البلدين للتعريف بتاريخ البلد الآخر وعلومه وآدابه وفنونه

□ صدر أمر بوقف تمثيل رواية « بيت الطاعة » التى قدمها يوسف وهبي أخيراً على مسرح الأوبرا ، وذلك لأنها تضمنت تعريضا بالمحامين الشرعيين ، وقد جاء الأمر بعد انتهاء الأيام المقررة لعرضها

□ من عجائب البطاقات التى يجمعها محمود بك حسيب ما كتب على إحداها : «رضوان بحيرى معتقل سياسى بمصر والإسكندرية»

فاعل للشر جزاءه ، ويسعد فى النهاية الخليفة الصالح والفتاة البريئة . وفيها نماذج بشرية يتضمن عرضها معانى إنسانية والتفاتات شعورية ، وقد تجلى ذلك فى شعور الأب (شحاتة) نحو ابنته (نجف) فقد تحكم حبه إياها وحرصه على سعادتها فى سير الحوادث إذ اضطر بهذا الدافع إلى المطاوعة فى التدبير لاغتيال الخليفة ، وغير ذلك من المواقف الرائعة .

وفى الرواية مالا يثبت أمام منطق الواقع ، من ذلك منظر نجف حين هبط عليها البستانى ؛ فقد استقبلته كأنهما على ميعاد ، مع أنه أول لقاء بينهما ، ودار بينهما الحوار الغنائى غرامياً حاراً من أول وهلة ... وليس نفى الخليفة لصهره من المدينة بالذى يمنع أن يقال إنه تزوج بنت شحاذ . ولعل من القسوة على الرواية أن تؤخذ بذلك ، لطبيعتها إذ لا يقصد بها الواقعية ، وهى إلى هذا (أوبريت) يمكن أن يتجاوز فيها عن مثل ذلك .

والجهد الكبير الذى أكسب الرواية حياة جديدة ، هو فى الإخراج ، فقد بذل فيها الأستاذ زكى طليمات كثيراً من جهده وفنه ، ويبدو ذلك فى ناحيتين ، الأولى ناحية المناظر الستة التى تسلسلت فيها الوقائع ، المسجد ، والسوق ، ومنزل شحاته ، والسجن ، وقصر الخليفة ، وبيت الوزير . كل ذلك مطبوع بطابع الزمان والمكان ، تتوزع الأضواء مع كل منظر وعلى كل شخص كأنها تحليل نفسى . وقد كان منظر الجو المحيط بنجف فى منزلها وهى تحدث مربيتها عن الشمس الساطعة يمثل النهار فى رابعته ونحن فى الليل ... الناحية الثانية هى ترتيب مواقف الممثلين وتحريكهم فقد وفق فى ذلك غير أنه يخيل إلى أن (الكورس) استعصى عليه فى بعض المواطن لأنه خليط من غير المدربين الأكفاء . والجمال معدوم فى (بنات الكورس) بدرجة مخيفة . وقد بدا « فقر الجمال » جلياً فى اللائى رقصن . وقد كان الشحاذون أمام المسجد كثيرين جداً فكان هذا المنظر مبالغة لا داعى لها ، على حين كان السوق غير عامر بالناس كما ينبغى ، والدكانان اللذان به لا تظهر عليهما سمة الدكاكين . وكان منظر (بائع الزردة) فى السوق ظريفاً وقد أضفى على المنظر روح السوق وحركته . ومما أعده من قبيل التحليل النفسى فى الإخراج ما صنعه الأستاذ زكى طليمات إذ أظهر صدى الوقائع الرئيسية على حركات الجمع المحتشد فى كل المواضع التى تطلبت ذلك فقد جعل بعض المتجمعين من الصبية وغيرهم يندمجون فيما يقع وتصدر منهم تصرفات مماثلة له ، كأنهم ظلال أو خيالات فى مرآة . وقد أظهر موكب الخليفة ماراً بالسوق على طريق مرتفع عبر عليها الجياد وتحمل الخليفة وحاشيته فكان منظراً جليلا وجميلا ، ولا شك أنه كان من الضرورة المسرحية أن يقود الخيل سائسوها لينتظم سيرها على المسرح .

وقد مثل (شحاته) فؤاد شفيق فأنقذ الدور من المصير الذى كان ينتظره لو مثله يوسف وهبى . وقد تقلبت به صروف الأحداث من شحاذ إلى مستثمر للنعمة وراغب فى الترف ، وواقع فى الشدائد فأدى ذلك كله أحسن أداء وبلغ الغاية فى تمثيل الأب الحانى على ابنته الوحيدة ، وقام عليه عنصر الفكاهة فكان ظريفاً فى حركاته وجرس كلامه . والذى يأتى بعده فى الترتيب أحمد علام ، وكان الدور ملائماً له وقد اندمج فيه ، واستطاع أن يمثل دور المرح والمجون كما ينبغى على خلاف ما كان فى دور امرىء القيس برواية « اليوم خمر » فقد حقق هنا ما كان ينقصه هناك .

ومثلت فردوس حسن دور زوجة الوزير المتمصر التى يهملها الزوج فيسعى إلى الانتقام منه عن طريق الاتصال بغيره ، وقد أجادت فى تمثيل الإغراء ، وأدت دورها فى الحدود التى وضعت له وكان فى هذا الدور مبالغة فى التهافت على رجل غير أهل لذلك ، وظاهر أنه قصد بهذا الإغراق فى الفكاهة وتجديد نشاط النفوس باستمرار التشويق .

وقامت المطربة شهر زاد بدور نجف ، والدور لم يتطلب منها كبير عناء فى التمثيل ، بل كان جهدها منصباً على التعبير بالغناء ، فكان غناؤها معبراً وظلها خفيفاً ، وكانت تساير طبيعة المواقف المختلفة ، فتهتم فى بعضها بالتعبير والتصوير بالنغم ، ولم يكن بأس من التطريب فى موقعه . وقد حرصت شهر زاد على زينتها حتى فى المواقف التى لم تكن الزينة مناسبة لها ، كما ظهرت عند باب المسجد مع أبيها الشحاذ .

أما كارم محمود فقد مثل الخليفة فلم ينطبق عليه الدور ، لأنه كان ضعيف الشخصية فكان منظره مثلاً على الجواد كمنظر الصبى الذى يحتفل بختانه ... وكارم مغن مجيد فى التمثيل المسرحى ، وليته أمكن أن يكون فى غير دور الخليفة .

وكانت الموسيقى جيدة متمشية مع الإلقاء والغناء فى انسجام ممتع مصورة لجو الرواية فى مواقفها المختلفة ، وقد وضعها أحمد صدقى فكانت ألحانه عنصراً من عناصر النجاح فى هذه (الأوبريت) .

عباس خضر



أخى الأهوانى

أسنى ثناء، وأوفى وفاء. وبعد.

فما الإغراب على بابى ولا من زادى. وغيرك ناسياً ذكرت، فأنا وإياك لعلى مائة بارث من العربية، ما أكثر دقيقاته، وأدق خفيانه. ورأيت الناشئة على اللين المهين تراد، ومن الجزل الرصين تنفر. وأحسست البائنة بين موروث ووارث، وخفت الضيمة له ولنا. فرغبت فى الذى أشرتَ غير مكثر، أخص فئة واعية واقية، تحمل الأمانة مؤداة، حتى لا تنفصم عروة، أو تنحل عقدة، فنصل ماضينا بما أنتج.

وقولتك فى النقل مغناى عن إسهاب، فما ظنك بمن همّ همك، ومد إلى القديم يداً فارغة إلا مما خف، واتجه إليه بعقل لا يسيغ المشكل، ولا يقوى للمعمى. أتراه قادراً قدرتك ومالكا ملكك.

أخوف ما أخاف أن تفجأ غداً بجيل يلزم أحدهم بتحرير نقل قديم فيعيا به، وأن تنظر إلى هذا التراث مركوما فى عيبات لا يحل لها وكاء، ولا يكشف عنها غطاء.

فتراني لهذا أقدر القديم قدره، وأحبّب إليه، فهو دون الجديد بمظنة نسيان، وعلى حافة ترك. وما أنا عن الجديد بمرغّب، فالحضارات من هذا وذاك.

وما لك حيناً ترى التحول فناء، والتغير بلى. وعلى أى رأى كنت، فما الجديد إلا تحول من القديم، أو امتداد له، وما مضمومات ذاك الأمور من مضمومات هذا. والرأى من الرأى، والشيء للشيء تبع.

وتجرنى إلى حديث أطول من ليل العليل، وأعقد من ذنب ضب. فعن أى نفس أنت مدير الحديث؟ أهذه النباتية ذات التولد، أم تلك الحيوانية ذات الحركة الإرادية، أم الإنسانية ذات الأفعال الفكرية، أو أنت عند النفس مع قول الجنيد أنها من مستأثر الله تعالى، أو مع المتكلمين فى القول باشتباكها بالبدن اشتباك الماء بالعود، أو مع الفلاسفة فى أنها لا جسم ولا عرض متعلقة بالبدن تعلق تدبير وتحريك.

ودعاك التشابهان بنية، المختلفان حركة، إلى إعمال فكرة. وإليك يساق الحديث. فالنون والفاء والسين — كما يقول ابن فارس: أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان من ريح أو غيرها.

وقول القائل « نفس الله كربته » من ذاك، لأن فى خروج النسيم روحا وراحة. وإذا قيل للماء نفَس، فذلك لأن قوام النفس به وقولهم « شىء نفيس » أرادوا أنه ذو نفس، بالتحريك.

ثم جاءت « النفس » بالإسكان فى شتى معانيها. وإخال أسبقها الروح، وهل هى إلا أنفاس؟

وإذا كان « النفس » بالتحريك، ما تعلم، فهو بالمشمومات ألصق، والعنبر أو المسك أزكى محمول عليه وأطيبه. وما أنت بمنكر بعدها حمل « النفس » محمولا، على العنبر أو المسك، محمولا عليه.

كما لست بمغيِّب عليك أن يصف واصف المتصل الجرية بطول النفَس والمنقطعها بانقطاعها.

قدم معاوية من الشام فدخل على أبيه أبى سفيان، فقال له: يا بنى، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم. فرفعهم سبقهم وقصر بنا تأخرنا، فصرنا أتباعا وصاروا قادة. وقد قلدوك جسيما من أمرهم، فلا تخالفن أمرهم، فإنك تجرى إلى أمد لم تبلغه، ولو قد بلغته لتنفست فيه — يريد الاستراحة بعد بلوغ الغاية.

وبعد، فاحذر حذرك، وفهِّم غير فاهم، من قول القائل:

أخا النفس نفِّسْنا وللنفس نفسها
ونفسك فاشحذها أو النفس فاسفك

ابراهيم الابيارى

إلى الأستاذ أنور المعداوى

جاء فى عدد الرسالة رقم ٨٥٥ فى تعقيباتكم بأنكم تسلمتم رسالة من الأديب عبد الله نافع (عطبره سودان) وفيها يرمى زميله الأديب السودانى سيد احمد قناوى بأنه يبعث إلى «الرسالة» بأقاصيص منسوبة إلى الانجليزية حينا وإلى الفرنسية حينا آخر، مع أنه لا يجيد هذه ولا تلك، فهذا حق؛ إذ أن تلك الأقاصيص التى

تصلكم للنشر ليست من ترجمته ولا من أسلوبه . وأنا أزيح الستار عن الحقيقة فأذكر لكم أنني عثرت يوما على مجلة (قصص الشهر) الصادرة في سبتمبر سنة ١٩٤٥ فرأيت فيها قصتين إحداهما للقصصي الانجليزي فيرنيك مولنار وهي قصة (اكسير الحب) ويؤلمني أن أذكر أن هذه القصة نشرت بمجلة الرسالة بالعدد نمرة ٧٦٠ بتاريخ ٢٦ يناير سنة ١٩٤٨ بإمضاء الأديب الفاضل ، والأخرى للكاتب الانجليزي هانسفورد جونسون وهي قصة (الوحدة) وهذه بدورها نشرت بمجلة « الرسالة » عدد ٧٦٦ الصادر بتاريخ ٨ مارس سنة ١٩٤٨

والعجيب أن الأديب قناوي لم يكلف نفسه أي مشقة ولم يحدث أي تغيير في الفكرة أو في الأسلوب بل كل ما فعله هو تغيير العنوان فبدل « الاعتزال » (الوحدة) وبدل « أكسير الحب » « قوة الحب » فأيقنت عند ذلك أن كل قصصه الباقية لم يترجمها إلا على هذا الأساس ، وهو يظن بأن أمره سيظل مكتوما .

ولكن رسالة الاستاذ عبد الله نافع دفعتني إلى جلاء هذه الحقيقة فانني أنتهز هذه الفرصة لأقدم جزيل شكري له لأن الفضل راجع إليه

ص . م . ت

عطبرة سودان

رسائل كبار العلماء :

بين شيوخ الأزهر الأجلاء طائفة ممتازة يطلق عليها — هيئة كبار العلماء — وقد اشترط القانون لنيل عضوية هذه الهيئة الموقرة شروطاً منها بل من أهمها أن يكون الراغب فيها ذا مكانة علمية سامية ، ثم يتقدم بين يدي رجالها الأماثل بكتاب مستقل أو بحث خاص من تأليفه ؛ فإن حاز الرضا قبل صاحبه عضواً بها وأنزل منزلة رجالها الأدبية ومنح رواتبهم المادية . وهذا نهج لا عوج فيه ولا غبار عليه ؛ لأن العلم يجب أن يكرم بتكريم أهله وإنزالهم المنازل اللائقة بهم . وإذا كان يجب تكريم هؤلاء العلماء الأفاضل فإن عليهم واجبات يؤدونها للعلم وأهمها نشر مؤلفاتهم القيمة ورسائلهم الفذة التي أهلتهم لنيل الشرف بانتمائهم لهيئة كبار العلماء .

إن تقديرهم الحق لا يكون إلا عن هذا الطريق . ومما يكبرهم لدى الخاصة ويعلي أقدارهم لدى المثقفين أن يرى هؤلاء وأولئك آثارهم العلمية مزدانة بها المكاتب تردد الألسن الإشادة بها والثناء عليها لما تحويه من دقائق البحث وطرائف الفكر وسعة الإدراك للموضوع ولما يشع في جنباتها وتنطق به صفحاتها من نور الحق وضياء اليقين وإنه لمؤلم ألا تجد هذه الرسائل طريقها إلى الحياة ، ومؤلم كذلك أن تموت في مهدها وتلف في أقماطها لفة البلى والفناء .

(الأقصر) علي ابراهيم القنديلي



معنى النكبة

للاستاذ قسطنطين زريق

الأستاذ قسطنطين زريق عميد الجامعة السورية رجل من الرجال المشهود لهم بالمقدرة والكفاية فى المؤلفات الوطنية والقومية ، وقد كان كتابه الأول « الوعى القومى » من الكتب القيمة التى تفخر بها المكتبة العربية . ولا ريب أننا بحاجة ماسة إلى مثل هذه الكتب . أما كتابه «معنى النكبة» فيعالج نكبة فلسطين وما انطوت عليه من دروس وعبر ؛ وهو يدعو كل فرد من أفراد الأمة أن يؤدى واجبه لا أن يلقى التبعة على غيره فيقول : « لست أدعى أننى فى هذه الدراسة المقتضبة لمحنة العرب فى فلسطين قد اخترعت البارود أو بلغة هذا العصر القنبلة الذرية ، أو أنى اكتشفت الدواء الشافى لعلاتنا جميعا ، وإنما هى محاولة لتصفية تفكيرى فى هذه الأزمة الخانقة التى يترتب فيها على كل فرد من أفراد الأمة قسطه من الواجب ونصيبه من التبعة . ولا شك فى أن أول شرط لحسن القيام بهذا الواجب ، صحة الفكر واستواء الخطة» ويحتوى الكتاب على ثمانية أبواب هى (فداحة النكبة) ، وفيها يبين لنا فداحة النكبة التى أصابت العرب فى مأساة فلسطين ؛ فهى نكبة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، ومحنة من أشد المحن التى ابتلى بها العرب فى تاريخها الطويل على ما فيه من محن ومآسى . سبع دول تعلن الحرب على الصهيونية فى فلسطين فتقف أمامها عاجزة ثم تنكص على أعقابها، ثم يجد الجد فإذا النار خافتة باهتة، وإذ القنابل جوفاء فارغة لا تحدث أذى ولا تصيب مقتلا. ويمضى أستاذنا على هذا النحو فيشرح فى الفصل الثانى (واجب المفكر) وما هى رسالته فيقول . « هى أن يأخذ على عاتقه قيادة الرأى وسط الاضطراب والحيرة . هى أن يلقى ضوءا على الوضع المتخبط فيظهره على حقيقته ويميز بين مختلف عناصره ووجوهه . وظيفته أن يفرق بين الأسباب والنتائج فلا يقدم الثانية على الأولى ، وأن يفصل بين الأسباب البعيدة والقريبة ، وبين الأصول والفروع ، فيعطى لكل شىء أهميته ويقدره قدره فى العملية المعقدة المتشابكة» ويتناول فى الفصل الثالث (المعالجة القريبة) وأركانها خمسة فى نظره وهى ... تقوية الإحساس بالخطر ، إرادة الكفاح ، التعبئة العامة ، التوحيد بين جهود الدول العربية وإشراك القوى الشعبية والمساومة الدولية الواعية وهى شروط أساسية للنجاح فى رد الخطر الصهيونى وحفظ كيان العرب. أما الفصل الرابع وعنوانه الحل الأساسى فيتناول فيه رأيه فى الحل الأساسى فيقول «إن ما أحرزه الصهيونيون من نصر ليس مرده تفوق قوم على قوم ، بل تميز نظام على نظام ، سببه أنهم يعيشون فى الحاضر والمستقبل فى حين أننا لا نزال نحلم أحلام الماضى ونخدر أنفسنا بمجده الغابر . الخطر الصهيونى ، بل كل خطر اعتدائى علينا لا يرده إلا كيان عربى متحد تقدمى . وصفات هذا الكيان العربى المنشود هى الاتحاد الفعلى فى السياسة الخارجية والاقتصادية والدفاعية ، وتدريب العقل وتنظيمه بالإقبال على العلوم الوضعية والتجريبية، وتوجيه الجهد الثقافى فى الأمة إلى تحقيق أكبر قدر من هذا الانتظام العملى ، وفتح الصدر واسعاً لاكتساب خير ما حققته الإنسانية من قيم عقلية وروحية » ثم يشرح بعد ذلك معنى النكبة وما أفادتنا من دروس وعبر فيقول: «إن المصاعب والشدائد حتى النكبات حافز للأفراد والجماعات، وعلة من علل تنبهها ، ونهضتها ولكنها ليست كذلك فى جميع الأحوال؛ ففى بعضها تكون سبباً للتقدم ، وفى البعض الآخر تكون سبباً للانهيار والتبديد والزوال؛ وهى محك لوضعنا الداخلى الحاضر. فإذا كانت عوامل الرجعية والانحلال هى المسيطرة علينا فإن هذه النكبة ستزيدنا ضعفاً وانحلالا . أما إذا كان لعوامل التقدم والنمو بعض القوة فإن الصدمة العنيفة التى تلقيناها خليقة بأن تعزز من قوتنا ونمشى بها قدما إلى الأمام . وعلى كل عربى أن يتفحص حاله ويتبين قدره وليمتحن نفسه ومقدرته على الصمود فى وجه التعسف والإغراء ،وليختبر عقيدته إزاء المحن والخطوب ليتفحص تقدميته أمام الرجعية وحملاتها . عندها وعندها فقط يكون للنكبة معنى إيجابى بنائى .

وأخيراً يختتم الأستاذ قسطنطين زريق كتابه بمقالين نشر أحدهما فى جريدة العمل البيروتية بعنوان (صراع بين المبدأ والقوة) والثانى إذاعه من محطة الاذاعة اللبنانية (لماذا نجاهد فى فلسطين) والكتاب يقع فى ٨٨ صفحة وهو من الكتب التى تفخر بها المكتبة العربية ويجدر بكل مثقف أن يقتنيه .

جمال الدين الحجازى

الحياة العربية من الشعر الجاهلي

للأستاذ أحمد الحوفي

للأستاذ الحوفي دراسات فنية ، في ميدان الأدب العربي ، تحمل في وثباتها التأمل الحي ، والتفكير الفني ، وروعة العرض .

وهذا الكتاب ثمرة من ثمراته الأدبية . يعتبر بحق موسوعة كبرى لهذا العصر العربي البعيد . تعين من أراد أن يدرس هذا العصر على ضوء ديوان العرب ومعجم أخبارهم — الشعر .

تقرأ الباب الأول منه ، فتطالعك تلك البحوث التمهيدية التي تبسط لك معنى كلة الأدب ، واشتقاقها ، ودلالتها الخلقية ، وما قيل فيها من آراء ومناقشة هذه الآراء مناقشة عقلية ، منطقها متأدب ، فيه نبل خلق ، وفن أدبي ، وهو مع ذلك يختم هذه المناقشة برأى من عنده .

ثم تطور هذا المعنى مع تطور الزمن . وعصور الأدب .

ثم تاريخ الأدب ، واللغة العربية ، ولهجات العرب ، وتسجيل الشعر العربي لتلك اللهجات .

ثم تراه يبسط لك موضوعاً من أجل الموضوعات فائدة وهو : اتصال العرب بغيرهم ، فيوضح أسباب هذا الاتصال بالعالم القديم ، ويبين آثاره بطريقة جديدة لم يسبق إليها ، وقد نوه بصلة العرب بالأحباش ، وتأثير الأحباش ، باللغة والأدب ، وهو رأى طريف غير مسبوق .

ثم من بعد ترى الأستاذ يحدثك عن شاعرية العرب ، فيعرض لنا تلك العوامل الطبيعية والخلقية التي أذكت مشاعرهم الشاعرة ، فراحوا يسوقون أهزوجة المنتصر ، وأغرودة العاشق ، وسلوى المكروب والمحروب ، بمتنفس العواطف ومجتلى القرائح .

ثم أولية الشعر ونشأة الوزن والقافية في الشعر العربي : اقرأ : « فالوزن ظاهرة طبيعية للعبارة مادامت تؤدى معنى انفعاليا : وعلم النفس يقرر أن الإنسان المنفعل تبدو عليه ظاهرات جثمانية عملية ، كاضطراب النبض وضعف الحركة أو قوتها ، وسرعة التنفس أو بطئه ، وحركة الأيدى قبضا وبسطا ، وهـذه نفسها دليل على ما في النفس من قوة طارئة » فاللغة التي تصور هذا الانفعال لا بد أن تكون موزونة ذات مظاهر لفظية متباينة لتلائم معناها وتكون صداه الصحيح » .

وفي هذا البحث ترى الرأى في طبيعته الفطرية حراً لا تقيده صنعة ، فهو لحن الفؤاد الشادي ، تقف نبرته مع نهاية الانفعالة النفسية .

ثم من بعد ترى بحثا مستفيضا في المعلقات ، وهنا تظهر المناقشة الجريئة قارعة الحجة بالحجة والدليل بمثله .

أما الباب الثاني : فبحث شامل للحياة الاجتماعية من الشعر من حيث :

الصلات الأسريه ، والصلات القبلية .

ففي الصلات الأسرية . مكانة المرأة في الأسرة والمجتمع ، والزواج . والطلاق وتعدد الزوجات والأولاد .

وفي الصلات القبلية ، الحرب وبواعثها ومظاهرها وطريقة المقاتلة وزمن القتال وأدوات الحرب والأسرى والسبايا والصلح .

وفي الباب الثالث : إدراك واسع وإحاطة فنية بالحياة الخلقية من الشعر من حيث : الكرم وعناصره ، والبخل ونوادره ، والشجاعة وبواعثها ومظاهرها ، والجبن والطيش وسرعة الانفعال ، والحلم والحرية والإباء والوفاء والعفة والغيرة .

وفي الباب الرابع : تحقيق فني للحياة الدينية من الشعر من حيث :

عقائدهم ، وتصوير الشعر لهم ، وفي هذا الباب يناقش رأى الدكتور طه حسين بك في أدبه الجاهلي مناقشة الناقد ، ثم يعدد لنا معبودات العرب : الأصنام ونشأتها وما رمز إليه ، والتوحيد ، والكواكب ، والنار والملائكة والجن والشجر والدهرية .

وفي الباب الخامس : تظهر خاتمة المطاف حول عادات العرب والمعتقدات من الشعر من حيث : الخمر والميسر والجن وشياطين الشعر ، والزجر والعيافة الخ .

في هـذه الأبواب الأربعة : قافية واحدة هي قافية الشعر العربي ، فلقد جمل الأستاذ الشعر قاموس تأليفه وديوان إنشائه .

مبادئ علم النفس التعليمى (1)

تأليف الأستاذ أحمد زكى محمد

على الرغم من أن علم النفس من العلوم الحديثة ، إلا أن البحوث النفسية فى مصر قد خطت خطوات واسعة فى الأعوام الأخيرة . ولعل من أهم عوامل ازدهار هـذه البحوث قيام الجمعيات العلمية التى ينضوى تحت لوائها المشتغلون بعلم النفس الذين أخذوا على عاتقهم النهوض بالدراسات النفسية ، وتطبيقها فى مختلف الميادين ، ومن هـذه الجمعيات : جماعة علم النفس التكاملى التى تصدر مجلة علم النفس وتعمل على نشر الـكتب المفيدة . والجمعية المصرية للدراسات النفسية التى يرأسها الدكتور عبد العزيز القوصى عميد معهد التربية للمعلمين ووكيلها الأستاذ أحمد زكى مؤلف كتاب : مبادئ علم النفس التعليمى الذى نقدمه اليوم لقراء الرسالة . والمؤلف أستاذ علم النفس بمعهد التربية بالزمالك ، وكتابه هذا خلاصة تجارب وخبرات طيلة خمسة عشر عاماً ، فلا عجب أن يكون الـكتاب تحفة علمية تحبب علم النفس لـكل قارئ .

وتأتى أهمية هذا الـكتاب من أنه تطبيق لعلم النفس فى ميدان التربية . وهذا هو أهم فروع علم النفس . ويشتمل الـكتاب على القسم الأول من هذا الفرع وهو دراسة الطبيعة البشرية . بدأه المؤلف بالـكلام عن صلة علم النفس بالتربية ، ثم لمحة عن تطور علم النفس . وقد « شرح » الطبيعة الفطرية البشرية تشريحا يبسط دراستها فحسب إذ أنها وحدة متـكاملة . فتحدث عن الغرائز وأسهب فى الاستعدادات الفطرية الاجتماعية ، وفصل الـكلام عن النشاط العقلى والوظائف العقلية المختلفة : طبيعتها واتجاهاتها . وقد أكثر الأستاذ المؤلف من إيراد الأمثلة التى استقاها من الحياة الاجتماعية حتى يقرب النظريات إلى الأذهان . وختم الـكتاب الحديث عن الذكاء ومقاييسه . وهـذا الموضوع هو عنوان أول منشورات الجمعية المصرية للدراسات النفسية لركس نايت (ترجمة الأستاذ عطية محمود هنا) .

وليس من شك فى أن المـكتبة العربية فى حاجة إلى مجهودات أمثال الأستاذ أحمـد زكى . وإنا نأمل أن يتحفنا قريبا بالجزء الثانى الذى يبحث فى التشـكيل الملائم للطبيعة البشرية حتى تكمل الفائدة ويعم النفع؛ فإن بحوثه فى مجلة علم النفس قد شغفتنا به حبا ، فزاد شوقنا إلى كتبه .

محمد محمد على

ليسانس فى الآداب

(1) فى 220 صفحة نشرته مكتبة النهضة المصرية 1949 .

ولا يرجع المؤلف من معجمه إلا بعد تذوق المنى المراد .. لذلك نرى أن الأستاذ قام برحلات واسعة فى رياض الشعر العربى ، حيث عصر لنا هذا الرحيق العتيق فكان مؤلفه يقظة قوية ، ودستوراً مفصلاً ، وشريعة للأدب الجاهلى ، وإيحاء جديداً ، وأفكاراً منظمة فيها : الأدب والعلم والتاريخ ، وفيها الدراية الواسعة والحنـكة المهذبة .

ولقد خرج هذا الـكتاب فى نيف وأربعمائة صفحة ، فى طبع مقمد على قواعد الطبع الحديث .. ويطلب من مكتبة نهضة مصر بالفجالة .

الهوارى عبد الفتاح

كلية دار العلوم

سكك حديد الحكومة المصرية

عرض الاعلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فأقامت بها لوحات خشبية خصصتها لعرض الإعلانات فضلا عن أنها تبذل مجهوداً صادقا من وقت لآخر فى تجميل تلك المحطات حتى أصبح الإعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية .

وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن المتر المربع فى السنة وهى قيمة زهيدة تكاد لا تذكر بجانب أهمية الإعلان الذى يتصفحه آلاف المسافرين فى اليوم الواحد .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا : —

قسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

إعلان بيع

انه فى يوم الإثنين ٩ يناير سنه ١٩٥٠ الساعة ٨ أفرنكى صباحا بزمام نجع البحاروة تبع بنى هلال وبزمام بنى هلال مركز المراغة . والأيام التالية إذا لزم الحال .

سيباع بطريق المزاد العمومى محصولات الزراعة المبينة بمحضر الحجز التحفظى المؤرخ ١٩ / ٤ / ١٩٤٦ ومحضر الحجز المؤرخ ٨ / ٨ / ١٩٤٩ ملك فارس سلمان محمد حسن ومحمد حافظ من نجع البحاروة تبع بنى هلال مركز المراغة نفاذاً للحكم الصادر من محكمة سوهاج الكلية فى القضية المدنية رقم ٣٢١ سنة ١٩٤٩ كلى سوهاج وفاء لمبلغ ٢٥٣ جنيه ٤٥٥ مليم بخلاف أجرة النشر وهذا البيع كان محدداً له يوم الإثنين ٢٦ / ٩ / ١٩٤٩ وأوقف لعدم إمكان الوصول .

وهذا البيع كطلب الحاج راغب مصطفى درويش النحاس من أبو تيج ويقيم بالمراغة مركزها ومحله المختار مكتب حضرة الأستاذ كامل افندى حكيم المحامى بسوهاج .

فعلى راغب الشراء الحضور

إعلان بيع

إنه فى يوم الإثنين ٩ يناير سنة ١٩٥٠ الساعة ٨ أفرنكى صباحا بزمام نجع الجمران تبع بنى هلال مركز المراغة وإذا لم يتم يكون فى اليوم التالى بسوق المراغة .

سيباع بطريق المزاد العمومى محصولات الزراعة المبينة بمحضر الحجز التحفظى المؤرخ ٢١ / ٤ / ١٩٤٩ ومحضر الحجز التنفيذى المؤرخ ٨ / ٨ / ١٩٤٩ ملك بجوح عثمان محمد مسعود من نجع الجمران تبع بنى هلال مركز المراغة نفاذاً للحكم الصادر من محكمة سوهاج الكلية فى القضية المدنية رقم ٢٦٤ سنة ١٩٤٩ كلى وفاء لمبلغ ٢٦٣ جنيها ١٠٥ مليم بخلاف أجرة هذا النشر وهذا البيع كان محدداً له يوم الإثنين ٢٦ / ٩ / ١٩٤٩ وأوقف لعدم إمكان الوصول .

وهذا البيع كطلب الحاج راغب مصطفى درويش النحاس من أبو تيج ومقيم بالمراغة ومحله المختار مكتب الأستاذ كامل افندى حكيم المحامى بسوهاج .

فكل من له رغبة فى المشترى عليه الحضور للمزايدة

العدد ٨٥٩ — الاثنين ١٩ ديسمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

٤٩ ٥ ٣٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

يصدر بعون الله تعالى :

في اليوم الثاني من شهر يناير سنة ١٩٥٠

عـــدد الرســـالة الممتاز

حافلا كعادته بأروع ما يكتب

في موضـــوعه لصفوة

من أقطاب البيان

في مصر والعالم العربي

17e Année No. 859 — Lundi — 12 — 16 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ من شهر صفر سنة ١٣٦٩ — ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة »

على محمـــود طه

شاعر الأداء النفسى

للأستاذ أنور المعداوى

— ٣ —

استمعت إلى الشاعر وهو يخاطب « الموسيقية العمياء » ، واستمع إليه مرة أخرى وهو يقدم إلينا الصورة النفسية الثانية ، مخاطبا فيها ذات الغلالة الرقيقة النائمة تحت نافذتها المفتوحة فى ليالى الصيف المقمرة ... هناك فى قصيدة « القمر العاشق » فى الصفحة العاشرة من « ليالى الملاح التائه » :

إذا ما طاف بالشرفة ضـــوء القمر المضنى
ورفّ عليك مثـــل الحلم أو إشراقة المنى
وأنت على فراش الطهـــر كالزنبقة الوسنى
فضمى جسمك العارى وصونى ذلك الحسنا

أغار عليك من سابر كأن لضوئه لحنـــا
تدق له قلوب الحور أشـــواقا إذا غـنى
رقيـق اللمس عربيـدٌ بكل مليحة يعنى
جرىء إن دعاه الشوق أن يقتحم الحصنا !

تحـدَّر من وراء الغيم حـــين رآك واستأنى
ومسَّ الأرض فى رفق يشق رياضها الغنَّـا
عجبت له ، وما أعجب كيف استلم الركنا ؟
وكيف تسوَّر الشوك وكيف تسلَّق الغصنا ؟

على خديك خمـــر صبابة أفرغها دنَّـا
رحيق من جنى الفتنة لا ينضب أو يفنى
وفى نهـديك طلَّسمان فى حلِّهما افتنَّـا
إلى كنزهما المعبود باث يعـــالج الرَّدنا !

أغار ؛ أغار إن قبَّـل هـــذا الثغر أو ثـنّى
ولفَّ النهـد فى لين وضم الجسد اللـــدنا
فإن لضوئه قلباً وإن لسحره جفنـا
يصيد الموجة الغـدرا ء من أغوارها وهنا !

وكم من ليـــلة لمَّـا دعاه الشوق واستدنى
جثا الجبار بين يديك طفـــلا يشتكى الغبنا
أراد فلم ينل ثغـــرا ورام فـلم يصب حضنا
مونك ذراعه رسمـا وأنت حويته فنـــا !

عصيت هواه فاستضرى كأن بصدره جِنَّـا
مضى بالنظرة الرعنـــاء يطوى السهل والحزْنا
يثير الليــــل أحقادا وصـدر سحابه ضغنا
وعاد الطفل جبـارا يهز صراعه الكونا !

فردى الشرفة الحمرا ء دون الخدع الأسنى
وصونى الحسن من ثورة هـذا العاشق المضنى
مخافة أن يظن النــاس فى مخدعك الظنا
فـكم أقلقت من ليـل وكم من قمر جُنَّـا !

أحدثك فى هذه القصيدة أول ما أحدثك عن الموســيقى ؛ الموسيقى التصويرية التى تصاحب المشهد التعبيرى . ويجب أن نفرق بين لونين من الموسيقى : هما موسيقى اللفظ و موسيقى النفس ... نفرق بينهما مادمنا ندرس الشعر هذه الدراسة الجديدة ، ونفهمه هذا الفهم الجديد ، ونقومه بتقويم الأداء النفسى الذى قدمت إليك صورة وألوانه ومراميه .

شاعر الأداء اللفظى هو من يعنى بالموسيقى الخارجية ليجذب سمعك ، وشاعر الأداء النفسى هو من يعنى بالموسيقى الداخلية ليجذب قلبك ... وهنا مفرق الطريق بين موسيقى تستمد رنينها من اللفظ وحدة لتهز منافذ الأذن ومن موسيقى تستمد رنينها من النفس لتهز مسارب العاطفة ! نريد فى الأداء النفسى تلك الموسيقى الداخلية ، الموسيقى المعبرة تمام التعبير عن حالة شعورية خاصة ، طبعت أداء الشاعر بطابع صوتى خاص ، تلمسه فى انسياب النفس الشعرى أو تهدجه ، فى إسراعه أو إبطائه ... فى اندفاع النغم الشعرى أو تموجه ، فى ارتفاعه أو انخفاضه . مثل هذه الموسيقى الداخلية تنقل إليك نقلا أمينا كل شحنة من تلك الشحنات الانفعالية المصبوبة فى حقول التجربة ، حتى لتستطيع أن تميز كل لحظة زمنية عاشها الشاعر وتركت ظلها فى نفسه وحسه فلحظة الغضب مثلا لها جوها الموسيقى الخاص ، وكذلك لحظة الألم واللذة ، ولحظة الدهشة واللهفة ، ولحظة الأسى والحنين ... هذا الشاعر الغاضب فى موقف من مواقف الضيق والثورة ، تجده هناك : فى تلك الموسيقى الصاخبة النغم ، ذات الرنين العاصف ، ذات المسافات الصوتية الطويلة . وهذا الشاعر النشوان فى موقف من مواقف الفرح والبهجة ، تجده هناك فى تلك الموسيقى الراقصة النغم ، ذات الرنين الحالم ، ذات المسافات الصوتية القصيرة . وهذا الشاعر الملتاع فى موقف من مواقف الألم والحسرة ، تجده هناك : فى تلك الموسيقى الهادئة النغم ، ذات الرنين الخافت ذات المسافات الصوتية المترجحة بين الطول والقصر ... الطول حين يتشح التعبير بوشاح الحزن المستكن فى أغوار النفس تطلقه لحظة من لحظات البث والشكاة ، والقصر حين يصطبغ التعبير بصبغة اللهفة العابرة اللوعة التى تلهب الشعور ولا تقيم . وهكذا تجد الموسيقى والتصويرية الصادقة فى شعر الأداء النفسى ، وهكذا تجد على طه ... لقد كان ذلك الشاعر الذى يمثل النموذج الموسيقى الثالث بمسافاته الصوتية القصيرة فى « الموسيقية العمياء » ، وهو ذلك الشاعر الآخر الذى يمثل النموذج الموسيقى الثانى فى « القمر العاشق » ... هو هناك الشاعر الملتاع ، وهو هنا الشاعر النشوان !

ونعود إلى موسيقى اللفظ وموسيقى النفس لنقول إننا لا تنكر أثر الموسيقى الأولى فى الصياغة الشعرية ، ولكن الذى ننكره هو أن يقتصر عليها الشاعر ويوجه إليها كل عنايته ؛ ذلك لأن الموسيقى الخارجية من شأنها أن تخاطب السمع وحده دون أن تتسلل إلى تلك الكوى الخفية المتناثرة فى آفاق الشعور ، وإذا كان هذا الأثر يبدو ضئيلا إذا وقف وحده فى الميدان ، فإنه يحتل مكانه من غير شك إذا استند إلى الموسيقى الداخلية واعتمد على قيمها الصوتية فى النهوض بالأداء ... إن موقف الشاعر بين الموسيقى النفسية والموسيقى اللفظية ، أشبه بموقف المايسترو بين النوتة التى يضع أصولها بنفسه وبين فرقة كاملة من العازفين : هذه الألفاظ التى تنقل النغم إلى قارىء الشعر تقوم مقام العازفين الذين ينقلون النغم إلى سامع الموسيقى ، كل قيمتهم تتمثل فى أنهم أدوات ناقلة ، النوتة هى التى تمدهم بأصول الأداء الموسيقى كما يجب أن يكون ، ومن وراء النوتة يقف المايسترو ليشرف على هذا الأداء ... إن المايسترو هنا يمثل الشاعر هناك ، والنوتة الفنية تمثل الموسيقى الداخلية ، ومجموعة العازفين تمثل مجموعة الألفاظ : الفضل كل الفضل للنوتة الموجهة وللقائد المشرف ، وبغير هذا وتلك تبدو لك ضآلة الأدوات الناقلة إذا وقفت وحدها فى الميدان ... والأدوات الناقلة التى أعنيها بهذا التعبير هى مجموعة العازفين فى الفرقة الموسيقية ومجموعة الألفاظ فى الصياغة الشعرية ! ولعل هذا التفسير المادى يوضح لك الفارق البعيد بين موسيقى اللفظ وموسيقى النفس ، ومدى التفاوت العميق بين أثريهما كعنصرى تنغيم فى تلوين الانفعالات الذاتية فى التعبير .

بعد هذا ننتقل بمجهر التحليل إلى زاوية أخرى من زوايا الأداء النفسى ، ونعنى بها زاوية « الملكة التخيلية » فى شعر على طه ... إن أول مزية من مزايا هـذه الملكة هى « التجسيم » ؛ التجسيم الذى يجعل من الحركة الجامدة حركة حية ، ومن الكون المادى الصامت كونا يموج بالمشاعر والأحاسيس ، ومن الصورة التى تعز على اللمس صورة تدركها الحواس ، حتى لتوشك أن تنالها الأيدى وأن تراها العيون ... هـذه القيم الشعرية النادرة تحتشد احتشاداً كاملا فى قصيدة « القمر العاشق » .

هذا القمر الذى أضفى عليه الشاعر من الصفات ما يسلكه فى عداد الأحياء ، هو النموذج التجسيمى للحركة الجامدة حين تنفث فيها الملكة التخيلية كل معانى الحركة المتوثبة ... وهى حركة مادية فى المقطوعة الأولى تتلوها حركة نفسية ، وتتجاوب الحركتان على التعاقب فيما يرد بعد ذلك من مقطوعات . وما قيمة الأداء الذى ننشده إلا فى هذا التتبع النفسى الدقيق لكل مشهد تلتقطه العين ويتملاه الخيال ، هناك حيث تكون النفس الإنسانية أشبه بمرصد يسجل كل هزة من هزات الوجود الخارجى ، ويحدد مكانها من دائرة الشعور والوجدان !

هذه القصيدة تروى لنا قصة ، هى قصة القمر العاشق أو قصة الخيال الفريد ؛ الخيال الذى ينقلنا على جناحه إلى تلك الشرفة التى تمدد فيها جسد بهز « قلب الجماد » ... وتلك هى اللفتة الفنية الاولى التى تخرج بها من الفكرة الشعرية التى طافت برأس الشاعر : إنه يريد أن يرتفع بتصوير الفتنة الطاغية إلى أفق يعلو فوق مستوى الآفاق المألوفة فى خيال الشعراء . إنه يريد أن يظهر سطوة الجمال الآسر فى ثوب لا يكتفى بإثارة الأرض لأنه أحرى بإثارة السماء ... وحسبه فى تصوير تلك الفتنة أن يتخيل المحب الثائر كوكبا من الكواكب لا بشراً من البشر !

فى المقطوعة الأولى تبدأ الحركة المادية حين يرسل المحب المفتون ضوءه إلى الشرفة ، وينطلق الأداء النفسى فى أثره ليسجل أول ومضة من ومضاته أو أول حركة من حركاته ... إن العاشق هنا « مضنى » يرف ضوؤه رفيف « الحلم » ويشرق « إشراقة المنى » ! فى كل لفظ من هذه الألفاظ سيل لا ينتهى من الإيحاءات ، مصدره قطرة تنبثق من هنا وقطرة تنبثق من هناك ، من تلك الينابيع النفسية التى تطفىء ظمأ التعبير وترطب مسالك الكلمات ... وفى المقطوعة الثانية تسمع رجع الصدى العميق منعكسا على الصرخة التى يضعها الأداء النفسى فى موضعها الطبيعى من الشعر ؛ هذه الصرخة يمثلها قوله : « أغار عليك » ، وهى رجع الصدى من قوله : « فضمى جسمك العارى » يتبعها قوله : « وصونى ذلك الحسن » ... هذه هى الملائمة النفسية التى تربط بين الألفاظ برباط لا ينفصم ، وتنظمها ذلك التنظيم الذى يحدد لكل لفظ مكانه . سمها إن شئت هندسة ألفاظ ومناظر ، ولكن لا تنس أنها قبل ذلك هندسة خواطر ومشاعر ! ... ثم ما هذا العاشق الذى « كأن لضوئه لحنا تدق له قلوب الحور » ؟ أرأيت إلى أثر التجسيم فى الشعر ؟ إن التجسيم فى الشعر أساسه « التضخم » فى الطاقة الشعورية ، وفرق بين التجسيم الشعرى الذى يبرز خطوط الصورة وبين التهويل الشعرى الذى يطمس خطوط الصورة ، وإنه لذلك الفرق الذى يكون بين قوة الملكة التخيلية وبين ضعف الرؤية الشعرية ! وتطالعك هذه الملائمة النفسية بين الألفاظ مرة أخرى فى البيت الثالث والرابع من نفس المقطوعة ... هذا العاشق العربيد « رقيق اللمس » حين تصغى كل مليحة لندائه وتستجيب لدعائه ، ولا يعترض طريقه معترض إذا ما قر رأيه على قرار ، ولكنه « جرىء » فى مواقف التمنع يقدم غير وجل ولا هياب ، ويقتحم الحصون على من فيها إن دعاه الشوق ويتسلق الأسوار !

هذه « الرقة » التى يحويها أول فصل من قصة الحب الصادق يعرضها على طه أروع عرض نفسى فى البيت الأول والثانى من المقطوعة الثالثة : « تحدر من وراء الغيم ... ومس الأرض فى رفق » ، هل تستطيع أن تتفيأ تلك الظلال الممتدة على حواشى الألفاظ ؟ ألا تحس معى فى كلمة « تحدر » ومن بعدها « استأنى » ذلك المعنى الذى يحس فى خطوات المحب الحاذر الذى يتمهل فى سيره ويترفق ، خشية أن يحدث صوتا تستيقظ على أثره المحبوبة النائمة ؟ ألا تشعر أن الكلمتين تنقلان إليك شبح عاشق يتسلل إلى مخدع حسناء فى هدأة الليل ثم يرهب الضوء الذى يمزق حجب الظلام ، ضوءه النامى الذى يدفعه دفعاً إلى أن « يمس » الأرض فى رفق وحذر ؟! لقد طاف أولا بالشرفة ، حتى إذا رآها نائمة (مس الأرض فى رفق) ، وتسور الشوك ، وتسلق الغصن ، واستلم الركن ... أرأيت إلى هذه الوحدة النفسية فى تسلسل الخواطر وإلى هذه الوحدة الفنية فى تسلسل الألفاظ ؟ إنها الهندسة المطلوبة فى مثل هذا الأداء !

وتمضى القصة فى طريقها إلى فصل آخر أو إلى مرحلة أخرى من مراحل التجسيم الشعرى ... هنا فى المقطوعة الرابعة يقدم الشاعر

هذا المشهد الجديد الذى مهد له بالمشهد السابق فى المقطوعة الثالثة لقد أفلح العاشق المضنى فى الوصول إلى المخدع الموموق ، وأصبح الجسد الفاتن أمام عينيه يثير مكامن الغريزة من مرقدها ويدفع بها محرقة فى يديه ... وبدأ المحب المريد يفتن فى حل طلاسم النهود ، وراحت أصابعه المحمومة تعالج الردن بغية الظافر بالكنز المعبود ! إنها لحظة سكر من لحظات الهوى الغلاب ، لحظة يعرفها كل عاشق مفتون كهذا العاشق ، حين يصبّ من خمر الصبابة دنانا على خدود الحسان !

وفى نهـديك طلسمان فى حلهما فتنا
إلى كنزهما المعبود بات يعالج الردنا

وتمهل إذا بلغت المقطوعة الخامسة ، تمهل لأن هنا مركزاً من مراكز التحول فى خطوات الأداء النفسى ؛ هذا التحول الذى يفرضه على الشاعر انتقال العدسة من وضع إلى وضع ، لتلتقط الصورة من زاوية رئيسية يندفع فيها الضوء من الأمام إلى الخلف حتى يتكشف ما وراء المشهد من آفاق ... وستتكشف لك تلك الآفاق فى المقطوعة السادسة والسابعة على التحديد ، أين هو مركز التحول فى هذه المقطوعة ؟ هو فى تلك اللقطة الموحية بأن العاشق المضنى قد حاول أن يقبل الثغر ، وأن يلف النهد ، وأن يضم الجسد ... وأنه قد منى فى محاولته تلك بالخيبة وباء بالخذلان ، هناك فى المقطوعة السادسة حيث تروعك وثبة الأداء فى هذين البيتين :

أراد ، فلم ينل ثغرا ورام ، فلم يصب حضنا
حوتك ذراعه رسما وأنت حويته فنا !

ولعلك قد لاحظت أن تلك الصرخة فى قوله « أغار عليك » عندما بدأ المقطوعة الثانية ، قد تكررت فى قوله « أغار ، أغار » عندما بدأ المقطوعة الخامسة ... تكررت لأن الحركة المادية (وأرجو أن تفرق بين الحركة المادية للفظ وبين المعنى المادى للفظ) كانت هناك حركة واحدة فغدت هنا وهى أكثر من حركة واحدة ، ولا بد فى شعر الأداء النفسى من أن تستجيب الهزة الداخلية للهزة الخارجية ، على مدار النسبة العددية التى تحدث شيئا من التوازن بين عالمين ... ولهذا ترى الهزة النفسية الممثلة فى تكرار التعبير عن الغيرة قد وزعت على بضع حركات مادية ؛ هى الإقدام على التقبيل ، والإقدام على الضم ، والإقدام على قطف الثمار الناضجة فى روض النحور ! ولقد كان لضوء القمر فى المقطوعة الثانية لحن فأصبح لضوئه فى المقطوعة الخامسة قلب ، وهو لون آخر من ألوان التجسيم يدعو إليه هذا الجو الشعرى الجديد ، كما يدعو إليه فى أن يكون لسحره ذلك الجفن الذى عناه بقوله :

بصيد الموجة العذراء من أغوارها وهنا !

وفى المقطوعة السادسة تبلغ اللفتة النفسية أوجها عند ما يقول : « وكم من ليلة لما دعاه الشوق » ... إن قيمة اللفتة فى أنها إشارة إلى كثرة طواف القمر العاشق بشرفة هواه ، هذا الطواف الذى أورثه المضنى المعبر عنه فى أول بيت من أبيات القصيدة :

إذا ما طاف بالشرفة ضوء القمر المضنى !

وتأمل رهافة المبضع حين يشرح العاطفة المشبوبة فى لحظات الضعف والهوان ، إن كل محب جبار يغدو فى مثل تلك اللحظات طفلا جاثيا بين يدى من يحب ، « طفلا يشتكى الغبن » ... فإذا ما حيل بين الطفل وبين الدمية الحبيبة عاد جبارا من جديد « يهز صراخه الكون » ! وأى صراع هو ؟ إنه الصراع الذى لا يبقى ولا يذر :

مضى بالنظرة ارعناء يطوى السهل والحزنا
يثير الليل أحقادا وصدر سحابه ضغنا !

واستعرض مواكب الألفاظ فى هـذا الأداء النفسى ... استعرضها فى « النظرة الرعناء » ، وفى الليل الذى «أثير أحقادا» وفى السحاب الذى ألهب « صدره » ضغنا وعداء ... واستعرضها فى المقطوعة الثامنة ، فى « ردى الشرفة الحمراء » ، و « صونى الحسن من الثورة » ، و « مخافة أن يظن الناس » ! وكما طالعتك الملكة التخيلية فى مطلع القصيدة فهى تطالعك فى هـذا الختام :

فكم أقلقت من ليل وكم من قمر جُنّا !

ولا تتهم الشاعر بضعف الرؤية الشعرية عندما يقول : « وكم من قمر » ... أنا معك فى أن السماء لا تحوى غير قمر واحد ، ولكن لا تنس أن فى الأرض أقماراً أخرى من المحبين ، أقمارا أرضية يصيبها الوجد اللافح بألوان من الجنون !!

(يتبع) **أنور المعداوى**

صور من الحياة

قســـوة !

للأستاذ كامل محمود حبيب

طلع إلى الحياة طفلا ضئيلا يعانى الضوى من سغب، ويشكو الهزال من شظف، ويقاسى الهم من ضياع؛ يقيم على الطوى، وينفض بالضنى، ويشرق بالضيق. وتعلم من أبيه — أول ماتعلم أن المال هو الغاية العظمى، وأنه هو الهدف الأسمى. ورأى أباه، وهو رجل ريفى فظ الطبع غليظ القلب شحيح النفس، ينهره فى جفوة إن طوعت له نفسه أن يسأله قرشاً، ويرده فى غيظ إن طلب إليه حاجة. ثم شعر بأبيه وهو يقذفه إلى المدرسة هناك فى المدينة ثم ينطوى عنه كأنما نسى أن له فى المدينة ابناً ينظر حواليه فى حيرة وقلق فيرى أبناء الناس يعيشون فى دنيا غير دنياه، ويرفلون فى طفولة غير طفولته، وينعمون بعيش غير عيشه، فانضم على شجن انهمر فى قلبه الغض وهو مايزال لدى الأفق المشرق من الحياة؛ انضم على شجن عارم فوار لأنه لايجد القرش؛ وهو نعيم الحياة ولين العيش ونور العين وبهجة القلب ومرور النفس. وأحس فى حاجته إلى المال خسة أورثته الاستخذاء، وضعة علمته الذل، وصغاراً وسمه بالهوان، فأخذ حب المال يتدفق فى قلبه جارفا يصرفه عن انسانيته ورجولته وكرامته جميعا؛ والسنون تطوى، حتى تخرج من مدرسة التجارة المتوسطة، وعين موظفا ببنك مصر.

وظن رفاقه أن راتبه كفيل بأن يهيىء له حياة كريمة طيبة تخلع عنه ثيابا رثة زرية، وتنفض عنه عفر الحاجة وغبار المسكنة وتنسق ماتشعث من حاجاته ومن خواطره، ولكن الأيام راحت تنطوى فى غير ريث ولامهل، وهو فى زيه القديم البالى لم يبد عليه أثر النعمة ولاسمات الخفض لأنه لايهدف إلى غاية سوى أن يجمع المال ويكدسه ويحرص عليه فلا ينفقه ولايبدده. وتقزز زملاؤه فى البنك من هذا المظهر الوضيع ومن اللباس القذر ومن الوجه الأغبر ومن الشعر المشعث، وأنفوا أن يندس فى زمرتهم فتى تشغله الكزازة عن الكرامة ويصرفه الشح عن الترفع فأجمعوا أمرهم على أن ينشروا الخبر على عينى المدير؛ وثار المدير لما سمع فما تلبث أن جذبه من البنك ليقذف به فى مخزن المحبوب ليتوارى هناك خلف سحابة كثيفة من الغبار الثائر، وليتيه فى ضجة العمل الصاخب بين الحمال والعامل. وانطلق الفتى إلى عمله الجديد هادئا لايستشعر الحيف ولايحس الجور.

* * *

وجاءه أبوه — ذات مرة — يحدثه حديث الزواج، فدفعه عنه فى رفق ودعه فى هوادة، وهو يقول «دع عنك، يا أبى، هذا الحديث. فإن تكاليف العروس وحاجات الزوجة ورغبات الولد أشياء تبهظ الغنى وتثقل كاهل الثرى. فما بالى وأنا — كما تعلم — موظف صغير أحس الارهاق والضيق وأشعر براتبى ينوء بأعبائى وأنا عزب ...» فقال الأب فى هدوء «لا بأس عليك إن تململت بالضيق أوتذرعت بالحاجة ولكن الزوجة المنتظرة فتاة من ذوى قرابتك، ريفية المنشأ والمربى، تقنع بالضئيل وترضى بالتافه، لم يبهرها زخرف الحياة ولاخطفها ألق الحضارة. ثم هى يتيمة، مات أبوها منذ سنة واحدة فورثت عنه كذا وكذا من الأفدنة ...» فهمس الفتى كأنما يتحدث إلى نفسه وقد بدا فى نبرات صوته أن أسهل وانقاد «إنها ثروة... ثروة طائلة، تكفل لى حياة ناعمة» وأجاب الأب «إنك — ولاريب — ستجد إلى جانبها راحة القلب وهدوء النفس ورغد العيش. فقال الفتى «ولكنى أعجز عن أن أدفع المهر» فقال له أبوه «أما المهر فسأحمل عنك بعضه ليكون دينا عليك تسدده بعد سنة من زواجك، أى بعد سنة من استيلائك على ثروة الزوجة المنتظرة» وانفرجت أسارير الفتى وتبسط فى الحديث، وأقبل على أبيه يسأله «أو أستطيع أن أنزع ثروة زوجى من بين يدى أخيها الأكبر؟» فأجابه الأب فى ثقة واطمئنان «ومن ذاعساه يمنعك من أن تقوم على شأن زوجك؟»

وفى ضحى اليوم التالى انطلق الفتى وأبوه معا إلى القرية ... إلى دار العروس. وتحدثا إلى أخيها الأكبر، وهو — إذ ذاك — الوصى على مالها، فما تعسر عليها ولاتمنع، فمالبثت الفتاة أن سميت على الفتى، وخرج الفتى من دار الفتاة وهو يتوثب فرحا وسروراً ويتألق بهجة وأملا.

ورأى الوصى الفتى يسر إلى أبيه بأمر فأحس بما يحس به الثرى يفهق جيبه بالمال حين يسمع همسات اللص تطوف

حواليه فتنزعه عن الأمان والقرار . ولكنه رجل ذو حيلة وخداع وذومكر ودهاء ، فأسر في نفسه أمراً .

وراح الوصى بعد الجهاز ، ينفق عن سعة ويبذل في سخاء ، يستفرغ الجهد ويستنفد الوسع ، والفتى يرى ويبسم لأنه يستشف آثار البذخ والإسراف فيخيل إليه أن الرجل يكلف نفسه فوق طاقتها ليرضى هو ولترضى الزوجة ، فاطمأنت نفسه وسكنت نوازعه ، ثم انطلق يهيئ لنفسه حاجاتها وبعد للعرس طلباته ، يغرق في الانفاق ويفرط في العطاء حتى كاد أن ينفد وفره ، وفي رأيه أنه يوشك أن يعوض مافقد وأن يسترد ما أنفق .

وانطوى شهر العسل ، والفتى يرح في بحبوحة من النعيم فيها الصفاء والدعة ، ويرشف رضاب حياة سعيدة طيبة فيها الهدوء والطمأنينة . انطوى شهر العسل ، ثم أفاق الفتى فإذا يده صفر إلا من راتبه ، وإذ مال زوجته بين يدى أخيها الأكبر لم ينزل له عن شبر واحد . وأحس الفتى بالألم يحز قلبه وخزات عنيفة قاسية لأنه أضاع ما ادخر في سنوات ، ولكن صبابة من الأمل كانت تعاوده - بين الفينة والفينة - فيطمئن لها قلبه وتسكن ثائرته

وحين أحس الفتى الضيق والعنت ، انطلق إلى شقيق زوجته يطلب إليه أن ينزل له عن مال زوجته . غير أن الرجل ربت على كتف الفتى في هدوء وهو يقول « إنك فتى صغير السن ، لا تستطيع أن تشرف على أطيان زوجك » وأحس الفتى أن الرجل يسخر من غفلته في غير رفق ويهزأ من طوبته في غير لين ، فهم يريد أن يثور في وجهه ولكن الرجل عاجله بقوله « أتذكر ، ياأخي ، أن جهاز العروس قد كلفها نيفاً وألف جنيه ، وهذا دين على زوجتك أنتظر وفاءه ؟ فأطيانها بين يدى رهينة حتى تفى أنت بدينها أو تفى هي ... » وهبطت كلمات الرجل على قلب الفتى صفعات شديدة تهد من قوته وتعصف بكيانها ، ولكن لم يستطع أن يفعل شيئاً ، فانفلت من لدن الرجل وقد ارتاع واستطار لبه .

وبدا للفتى أنه خسر في شهر واحد كد سنوات طواها يستمرئ ضنك العيش ويستعذب جدب الحياة ويتلذذ بالحرمان ، ليكون بعد سنوات - رجلا فيه الثراء والغنى ... بداله أنه أضاع ماله فاستشاط غيظاً واحتدمت الثورة في قلبه ، ولكن .

وانطوت الأيام فإذا الفتى قد انتكس إلى حاله الأولى ، يستمرئ ضنك العيش ويستعذب جدب الحياة ويتلذذ بالحرمان ثم راح يضرب زوجته بالجوع والعرى في خشونة وعنف ، لا تأخذه شفقة ولا ينبض قلبه برحمة . والفتاة صابرة لا تتحدث بما تعانى ترفعاً منها وكبرياء ، ولا تشكو قسوة الزوج أنفة منها وسمواً . وانضمت - حيناً - على هم يضطرم في قلبها عسى أن تجد الرقة في زوجها أو تحس الرأفة في أخيها ، والأيام تمر .

وضاقت نفس الزوجة بما تقاسى ونفد صبرها ، فانطلقت إلى أخيها تبثه شكواها وتسر إليها بكربة نفسها ، فما ألقى إليها السمع إلا ريثما يقول لها في فتور « وماذا أعجبك من هذا الفتى الوضيع القذر ؟ لو شئت وجدت عندى الرحب والسعة » .

وخرجت الفتاة من لدن أخيها الأكبر وقد حطمها الأسى وأرمضها الغم ، لأنها فقدت العطف في قلب زوجها ، وفقدت الحنان في قلب أخيها .

وخشيت أن يجرفها تيار الحاجة إلى الهاوية فآثرت أن تستقر في دار أخيها علها تدرأ هنالك غائلة السقوط والانهيار وهى تشعر بالشيطان يوسوس لها بأمر ؛ وعلها تسترد ما انطبعت عليها من أنفة وإباء . فهل وجدت في دار أخيها غناء عن الزوج والابن ، وهما روح الحياة وبهجة العمر وسعادة القلب ؟

ياعجبا للنفس الإنسانية حين يطغى عليها حب الذات ، ويعميها شره المال ، فتنزل عن الشرف والكرامة والإنسانية جميعاً .

كامل محمود حبيب

اللغـــة الفلسفية

عند ابن سينا

للأستاذ محمد محمود زيتون

« هذه إشارات إلى أصول وتنبيهات على جمل يستبصر بها من تيسر له ، ولا ينتفع بالأصرح منها من تعسر عليه . »

بهذه العبارة يفتتح ابن سينا كتابه « الإشارات » ، ونريد بهذا المقال أن نتعرف على أى نحو وإلى أى غرض أشار ابن سينا ونبه فى إشاراته وتنبيهاته .

وكتاب « الإشارات » يحتوى على ثلاثة فنون : المنطق والطبيعيات والإلهيات ، وكما يختلف الواحد منها عن الآخرين فى موضوعه وغرضه ، تختلف كذلك فى طريقته الوصول إلى هـذا الغرض .

ولقد خلف فليسوف الإسلام تراثاً جليلا شغل الفكر الإنسانى فى كل جيل ، وتدارسه العلماء والفلاسفة من بعده فى الجامعات ، وليس أدل على المكانة التى تبوأها من قول ابن خلدون : « وترى الماهر منهم — العلماء — عاكفاً على كتاب الشفاء والإشارات والنجاة » ، وحلت كتب ابن سينا الفلسفية محل كتب أرسطو عند فلاسفة الأجيال المتلاحقة ، وأفردوا له البحوث الطوال .

ولا عجب إذا كتب (ماكـدونالد) فى الانجليزية كتابا عن « معانى الوهم فى التفكير الإسلامى » كان لابن سينا فيه مكان مرموق . وكتبت الآنسة (جواشون) فى الفرنسية كتابها « ثبت باللغـة الفلسفية عند ابن سينا » إلى غير ذلك مما كتبه الطليان عن احتمال اطلاع (ديكارت) على آراء ابن سينا كما ذهب إلى ذلك فورلانى Fourlani وفاليوس Valios بسبب نصوص الإشارات التى نقلها « غليوم أو فرنى » عن ابن سينا إلى اللاتينية .

وأسلوب ابن سينا الفلسفى فى جل كتبه — إن لم يكن فى كلها — طريف فازت « الإشارات » من طرافته بأوفر نصيب ، تلك الطـرافة التى تتجلى فى عرض المسائل عرضاً علمياً دقيقاً ، ونقدها فى تؤدة العلماء ، وأناة الفلاسفة ، مما نرى شبها له فى طريقة « هيجل » .

والـكشف عن طريقته هذه فى الإشارات يستلزم النظر فى ثلاث :

أولا : معانى المفردات التى أشار ونبه بها لغة واصطلاحا .

ثانيا : تقدير مدى إبداع ابن سينا فى هذه المفردات .

ثالثا : تحديد الظلال السيكولوجية التى تلقيها معانى هذه المفردات .

ففى البحث عن اللغة الفلسفية عند ابن سينا مزاج طريف من اللغة والفلسفة والنفس ، وفى كل ميدان صاول ابن سينا وطاول ، وكان له القدح المعلى . ولما كان المنطق دهليزاً إلى سائر العلوم كانت أبوابه أنهاجا ، والنهج طريق بين واضح سالك مستقيم ، وهو منهاج ومنهج وجمعه أنهاج ونهوج ونهجات ، قال تعالى « لـكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ، وقال العباس « لم يمت رسـول الله حتى تركـكم على طريق ناهجة »

والطبيعيات والإلهيات غير المنطق فى كونه يتوصـل منه إلى سائر العلوم . وهى إنما تقصد بذاتها ، لهذا كانت أبوابها أنماطاً ، والنمط فى الأصل نوع من الثياب المصبغة ، ولا يقال للأبيض نمط . والنمط أيضاً ضرب من البسط . والعرب يشبهون الطرق بخطوط الثياب . قال طرفة يصف الطريق الذى سارت به فيه ناقته : « على لاحب كأنه ظهر برجد . » والبرجد هو الثوب المخطط خطوطاً ظاهرة . وجمع النمط : أنماط ونماط . قال المتنخل : علامات كتحبير النماط . ويستعمل النمط فى المتاع والعلم ، فيقال نمط للضرب من الضروب والنوع من الأنواع ، والمذهب والفن والطريق والطريقة .

وإذن فقد انتقل المعنى عن الحسى إلى المعنوى (١) من الثوب إلى الطريق إلى الطريقـة ، كما انتقـل معنى (الأسلوب) من صف النخيـل إلى الطريق إلى الطريقة . والنويرى فى (نهاية الأرب) يقسم الباب الخاص بكيفية العلم والعمل بأسماء الله تعالى إلى عشرة أنماط فى السفر .

وهكذا دل ابن سينا بالأنماط على أبواب الطبيعيات والإلهيات كما دل بالأنهاج على أبواب المنطق .

وليس الناس سواء فى سيرهم وهذه الأنهاج وتلك الأنماط ، لهذا نصب الشيخ الرئيس من نفسه هاديا ومرشدا للضالين التائهين

---

(١) لسان العرب .

الواهمين، فمنهم من تكفيه الإشارة ، ومنهم من تاه فى بيداء الوهم ممن يعوزه التنبيه أو زيادة التنبيه ، ومنهم من استغرقته الجهالة فكان له من ابن سينا تبصرة أو زيادة تبصرة ، ومنهم من ضل ضلالا بعيداً فكان له منه حسن الهداية ؛ ومنهم من أخطأه التوفيق فكان له منه فائدة ، وقد يتفق معه ابن سينا ثم يفترق عنه إلى موعد أو إلى موعد وتنبيه ، إلى غير ذلك من تذكيرله أو تذكرة ثم تذنيب على إشارة ، أو تحصيل أو زيادة تحصيل . وبعد هذا كله لا تفوته النكتة .

نظرة فى هذه المفردات تقفنا على الصلة الوثيقة بين دلالاتها وبين علم النفس . إذ يقول مثلا فى مطلع النمط الرابع فى الوجود وعلله « تنبيه : (وفى نسخة إشارة) اعلم أنه قد يغلب على أوهام الناس أن الوجود هو المحسوس وأن . . . وأن . . . وأنت يتأتى لك أن تتأمل نفس المحسوس فتعلم منه بطلان قول هؤلاء ، لانك ومن يستحق ان يخاطب تعلمان أن هذه المحسوسات فى هذا النص تنبيه على وهم باطل ، والوهم فى الطبيعيات والإلهيات يعارض العقل فى مأخذهما ، والباطل يشاكل الحق فى مباحثهما[1] . وبعد أن نبه على هذا الوهم دعا إلى التأمل فى هذا الوهم لكى نعلم بطلان قول هؤلاء الواهمين .

ويقول « وهم وتنبيه : ولعل قائلا منهم يقول : إن الإنسان مثلا إنما هو إنسان من حيث له أعضاء من يدوعين وحاجب وغير ذلك ، ومن حيث هو كذلك فهو محسوس ، فننبهه ونقول له ... »

فهو يعرض للوهم عرضاً أمينا غير مشوه ، ثم ينقض عليه بتنبيهه إلى فساد هذا الوهم ، ثم يتلوه تذنيب أى تفريع لهذه الفكرة فيقول : « تذنيب : كل حق فإنه من حيث حقيقته الذاتية التى هو بها حق فهو متفق واحد غير مشار إليه ، فكيف ما ينال به كل حق وجوده » ويظل يأتى بتنبيه ثم تنبيه ثم إشارة بعد إشارة ويستأنف تنبيها آخر يرد فيه بإشارة ثم تنبيه على أوهام حتى يخلص من كل هذا بفائدة .

هذا ، ولئن دلت التنبيهات والإشارات على الجانب النقدى من أفكار ابن سينا فى « الإشارات » فإن تلك الفوائد التى يأتى بها بين الفينة والأخرى تدل على الجانب الإيجابى أو البنائى فى فلسفته .

ويقول « هداية : إذا فرضنا جسما يصدر عنه فعل ، فإنما يصدر عنه إذا صار شخصه ذلك الشخص المعين ، فلو كان . . . » والبارز فى هذا النوع أنه جدل لم يبلغ حد البرهان بالمعنى الصحيح ، إذ البراهين عند ابن رشد أنواع هى : البرهانى ، الجدلى ، الخطابى ، المغالطى ، كما هو مفصل بكتاب « مناهج الأدلة » .

ويقول « مقدمة : المعنى الحسى إلى مثله يتجه (هكذا) الإرادة الحسية والمعنى العقلى إلى مثله يتجه الإرادة العقلية ، وكل معنى يحمل على كثير غير محصول فهو عقلى » يأتى ابن سينا بهذه المقدمة لإثبات النفوس الفلكية ، ويأتى بعدها بإشارة إلى أن النفس الفلكية ذات إرادة عقلية ، وهذه الفكرة الأخيرة ولاشك فى حاجة إلى تلك المقدمة التى هى بمثابة مدخل لها . وبعد الفراغ من تبيان امتناع كون القوى الجسمانية غير متناهية التحريك بالقسر يأتى بمقدمة لبيان امتناع كونها غير متناهية التحريك بالطبع أيضاً ، ويتلو هذه المقدمة مقدمتان بعدهما يشير وينبه ما شاءت له الإشارات والتنبيهات .

ويقول : هداية وتحصيل : فقد بان لك ... فيكون كذا . . . وقد علمت أن . . . فتكون كذا . . . وقد علمت . . . فيجب إذن أن يكون ... وأن يكون ... » ولاشك فى أن هذه الهداية محصورة فى قوله « بان لك » و « علمت » ولاشك أيضاً فى أن التحصيل يمثله قوله « فيكون » و « يجب أن يكون » وهما بمثابة نتيجة منطقية مترتبة على ماسبق من تبيان وعلم . ثم هو يأتى بعد هذا بزيادة وتحصيل ، فيقول : وليس يجوز كذا . . . ويلزم كذا فيجب أن يكون كذا ويعقب بزيادة تحصيل فيقول « فمن الضرورى إذن أن يكون . . . » أى أن النتيجة صارت من القوة بحيث صارت ضرورية « أو من الضرورى » على حد تعبيره . وثمت نوع غير التنبيه يحمل غير اليقظان كالنائم يقظان ، ذلك هو التبصرة ، وفيه يحمل غير البصير كالأعمى يرتد بصيرا ، والفرق بين التبصرة والتنبيه أن البحث فى تلك أوضح مما فى ذاك . وعند المبالغة فى حث الغافل عن إدراك شىء حاضر أمام عينيه إنما يكون باتهامه بالعمى أكثر من اتهامه بالنوم ، والحث بهذا النوع — على البحث كفيل بأن يصير الأعمى بصيراً ولاسيما فى الموضوع

---

(١) شرح الطوسى على الإشارات .

الذى نحن بصدده ، وهو بيان أن النفس غير البدن ، وغير حالة فيه ، وذلك موضـوع تبصرة من تلك التبصرات السينية .

ثم هو يستعمل اصطلاحاً هو أشد من سابقه وأقوى مفعولا فيقول :

زيادة تبصرة : تأمل أيضاً أن القوى القائمة بالأبدان يكلها تكرر الأفاعيل لاسيما القوية منها . وخصوصاً إذاً . . ويزيد هذه التبصرة مرتين بعد هذا .

وهنا نشعر بأن ابن سينا قد انتقل من ميدان الإلهيات إلى ميدان البيولوجيا فيذكرنا بقوانين « التنبيه » وشتى الاستجابات المترتبة على التنبيه وكيف يتم مايسمى فى هذا العلم باسم « التوتر » و « فترة العصيان » ونقف قليلا حيال هذا الجلال الفلسفى لنرى كيف أن ابن سينا يلقى من الضوء الفلسفى على المشكلة بقدر ما تسمح به أهميتها ، فهو لايتفلسف لأنه يريد أن يتفلسف ، وإنما التفلسف عنده غالى ثمين أو كما يقول الطغرائى : « غالى بنفسى عرفانى بقيمتها » ، ولأن « شرف العقل من شرف موضوع تعقله » كما يقول أرسطو .

وقفة أخرى عند براعة ابن سينا فى إقامة القواعد والأصول لعلم النفس التعليمى . فقد كان بهذا سباقاً إلى وضع تصميم لفن « التربية العملية » إذ ينبه الغفلان بإشارة ، ويبصر الأعمى على ضوء الفلسفة ، فيستبصر كلاهما على هدى من المعرفة ، فلا يعود يخبط أو يتوهم .

وابن سينا لاينبـه بإشارة حيثما اتفق ، ولا يبصر الأعمى كيفما كانت التبصرة ، وإنما كل شىء عنده بمقدار ، كما ينبه كلا بحسب طاقته ، فالعبد يقرع بالعصا ، والحر تكفيه الإشارة ، والأعمى يعوزه كشف الغشاوة عن باصرتيه ، ولا أظن بعد التبصرة زيادة لمستزيد بعد تحصيل الفائدة التى لاوراءها .

وإذا عرفنا أن الإشارة لغة هى الإيماء والتلويح بالكف والعين والحاجب وأن التبصرة لا تكون إلا بهتك الحجب ورفع ما للغياهب من ضغوط ، أمكننا أن ندرك إلى أى حد بلغ ابن سينا فى براعته التعليمية . فها هوذا ينتقل من الإشارة بالكف أو الاصبع يتطلبها كل ذهن بليد — إلى إيماء بالعين — يلازم العامة من الناس — إلى التخاطب بلغة العيون حين تأهبت القلوب وتعطلت لغة الكلام . قال لقلب

نسر الهوى إلا إشارة حاجب هناك وإلا أن تشير الأصابع

ويربى عليه شوق إذ يقول

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت عينى فى لغة الهوى عيناك

وفى انتقال الإشارة هكذا من الكف إلى العين إلى الحاجب مسايرة لاستعداد المرسل إليه ، وارتقاء به أو على الأصح منه عن الطريق الحسى الوضع إلى عالم المعانى والأفكار ، والفكر قوة كما يقول Fouillée . ومن القلب إلى القلب رسول .

هذا ما تنطوى عليه الإشارات والتنبيهات وزيادات التنبيهات والتبصرات وزيادة التبصرات ، وما تتطلبه طبيعة كل ذهن من هذه الاصطلاحات « والرجل نفسه يقول فى فاتحة الإشارات » وأنا أعيد وصيتى وأكرر التماسى أن يضن بما تشمل عليه هذه الأجزاء كل الضن على من لا يوجد فيه ما أشترطه فى آخر هذه الإشارة » ولعل هذا مصدر الوحى للغزالى فى كتابه « إلجام العوام عن علم الكلام » .

وبعد أن يستفيض ابن سينا فى بحث ما ، يعقب بالتذكير فهو أجمع لمقاصد الفصول المتعلقة بهذا البحث ، والغرض منه هنا إنما هو « إعادة تصور الجميع معا » كما يقول الطوسى .

ويستعمل أيضا (متذكرة وتنبيه) فيقول « أليس قد بان لك كذا — وكذا » وهذا الاستفهام الاستنكارى معناه حث الذهن على استرجاع ما قد غاب عنه ، وهذه وسيلة لها خطرها فى تحقيق النشاط الذهنى الذى لايقل عن التبصير شأناً . بل هو أمس بالحياة النفسية أو الذهنية منه بالحسيات وما إليها .

وإنه ليدل قبيل النمط الرابع على « موعد وتنبيه » فيعنى به فى النمط السادس ويستخدم « النكتة » وهى فى اصطلاحه ذكر لمثال من تلك الأمثلة التى تكشف عن الغامض وتجلوه .

وهكذا يمنح ابن سينا ألفاظه حياة لها أطوارها ، وبذلك ثار على المعانى الجامدة التى كادت تودى بحياة اللغـة والمعانى جميعاً . وليست بدعة ابن سينا فى هذا المجال قاصرة على نقل المعنى من الأصل إلى المجاز — فذاك عمل هين لين للأدباء والشعراء — وإنما الإبداع الحق فى جعل اللفظ يحمل معنى نفسياً أى فى منحه روحاً يتحرك بها ويفعل ، وهذه ناحية أقفرت منها اللغة العربية وخلت منها ألفاظها .

وأمعن من ذلك فى البراعـة ما استجده ابن سينا فى كلمة « الوهم » والأصل أنه الطريق الواسع ، أو الواضح الذى يرد الوارد ويصدر الصادر ، وهو أيضا الجمل العظيم والرجل العظيم . وإذ يقول ابن خلدون « تاهوا فى بيداء الوهم » معناه أن الوهم

كالبيداء في سعتها على سبيل تشبيه المضاف إليه بالمضاف ، وقال لبيد:

ثم أصدر ناهما في وارد صادر وهم صداه كالمثل

وتقدم «الوهم» في سلم التطور والارتقاء حتى صار سراً نفسياً تترجم عنه خطرات القلب ، وجمعه أوهام . قال الشاعر : « فلأ يا عرفت الدار بعد توهم » والتوهم – بمعنى التفرس – مرحلة انتقال من المادية إلى اللامادية .

ثم اصطبغ الوهم بصبغة معرفية فاعتبره « المختار من قبل التصور[١] وقال لأحمد فكرى بصدد كلامه عن العلم » وهو دقيق، وبحر عميق، وبالمطالعة حقيق، ولطالبي العلم يليق، وهو بحث يتناول عند الحكماء : اليقين والشك والوهم والتقليد والجهل[٢] » وصرح الغزالي[٣] بأنه يعسر تحديد العلم بعبارة محررة جامعة للجنس والفصل الذاتيين فإن ذلك متعسر في أكثر المدركات الحسية فكيف لا يعسر في الإدراكات الخفية . والشك – عند صاحب دستور العلماء – هو تساوى طرفى الخبر : وقوعه ولا وقوعه. وقد يذكر الشك ويراد به الظن ، كما قالوا أفعال القلوب تسمى أفعال الشك واليقين . وإن لم يتساو الطرفان فالراجح ظن ، والمرجوع وهم ، ويقول الزبيدى «هو مرجوح طرفى المتردد فيه[٤] »

ولنتقل الوهم بعد ذلك نقلة واسعة ، أخذ فيها صبغة تشريحية ظهر بعدها بطابع سيكولوجي متميز ، « فقالوا هو قوة جسمانية للانسان محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كشجاعة زيد وسخاوته، وهذه القوة هى التى تحكم فى الشاة بأن الذئب مهروب عنه ، وأن الولد معطوف عليه ، وهذه القوة حاكمة على القوى الجسمانية كأنها مستخدمة إياها استخدام العقل القوى العقلية بأسرها » .

هذا ما انتهى إليه الجرجاني[٥] وتابعه فيه غيره[٦] ، ونستطيع أن نعبر عن قصدهم بالوهم هنا بأنه « غريزة » من شأنها أن تكون قوة فطرية هدفها حماية الكائن .

غير أن الفارابي يرى أن «الوهم هو القوة التى تدرك من المحسوس ما لا يحس مثل القوة التى فى الشاة إذا تشبح صورة الذئب فى حاسة الشاة فتشبحت عداوته ورداءته فيها إذ كانت الحاسة لا تدرك ذلك[٧] » .

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون

(٢) دستور العلماء .

(٣) المستصفى .

(٤) تاج العروس .

(٥) التعريفات .

(٦) تاج العروس ، وفرائد اللغة ، والإفصاح ، ودستور العلماء .

(٧) فصوص الحكم .

أما الغزالي[١] فى تقسيمه العلوم فيقول « والعلم الذى يتولى النظر فيما هو برىء عن المادة فى الوهم لا فى الوجود هو الرياض » ويقول أيضا « الحواس الباطنة خمسة : الحس المشترك ، والقوة المتصورة ، والقوة المتخيلة ، والقوة الوهمية ، والقوة الذاكرة ... وأما الوهمية فهى التى تدرك من المحسوس ما ليس بمحسوس كما تدرك الشاة عداوة الذئب ، وليس ذلك بالعين بل بقوة أخرى وهى للبهائم مثل العقل للانسان » .

وأخيرا ليس الوهم خلعة صوفية ، فقالوا إن « الوهم محتد عزرائيل من محمد (ص) : خلق الله وهم محمد من نور اسمه الكامل . وخلق عزرائيل من نور وهم محمد ، فلما خلق الله وهم هذا الإنسان من نور الكمال أظهره فى الوجود بلباس القمر ، فأقوى شىء يوجد فى الإنسان القوة الواهمة فإنها تغلب العقل والفكر والمصورة والمدركة وأقوى الملائكة عزرائيل لأنه خلق منه[٢] وقالوا « إن الله تعالى جعل الوهم مرآة نفسه ومجلى قدسه ، ليس شىء فى العالم أسرع إدراكا منه ، ثم اعلم أن الله لما خلق الوهم قال له : أقسمت ألا أتجلى لأهل التقليد إلا فيك ، ولا أظهر إلا فى مخافيك[٣] وأفرد أبو الحارث المحاسبى كتابا فى «التوهم» كما استقصى مكدونالد «معنى الوهم فى التفكير الإسلامى »

ولو أن فريقا من المتفلسفين أقاموا « معرضاً للأوهام » وعرض فيه كل فيلسوف وهمه لتميز ابن سينا بوهمه ماذا هو عقل فى صورة حيوان ، يقول: « والإدراك قسمان حيوانى وإنسانى ، والإدراك الحيوانى إما فى الظاهر وإما فى الباطن فالإدراك الظاهر بالحواس الخمس والمشاعر والإدراك الباطن من الحيوان بالوهم ، وحوله كل حس من الحواس الظاهرة يتأثر من المحسوس مثل كيفيته »[٤] ويقول أيضا « ثم فى الحيوان قوة تسمى بالمتوهمة والظانة وهى تحكم على الشىء بأنه كذا أو ليس كذا بالجزم ، وبها يهرب الحيوان عن المحذور ، ويقصد المختار ، وهى غير المتصورة وغير المتخيلة أيضا[٥] » وأخذت مدموازيل جواشون تستعرض فى ثبتها الفلسفى كل معانى الوهم والتوهم والوهميات كما وردت فى كتب ابن سينا ولا سيما فى والإشارات ومنجاة والشفاء .

ويأبى الرازى إلا أن يجعل هـــذا الوهم مصدر الغلط فى

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون .

(٢) نفس المرجع .

(٣) القوى الإنسان وإدراكاتها

(٤) مبحث فى القوى النفسانية .

(٥) مقاصد الفلاسفة

تاريخ الدولة الرسولية باليمن

وعلاقتها بمصر

١٢٢٩ — ١٤٥٤ م

٦٢٦ — ٨٥٨ هـ

للأستاذ أحمد مختار العيادى

اختلف المؤرخون حول نسب بنى رسول ، فنسبهم البعض إلى أصل تركانى ، ونسبهم البعض الآخر إلى أصل عربى . ومن القائلين بالرأى الثانى المؤرخ على بن الحسن الخزرجى الذى عاش فى كنف تلك الدولة فى القرن الثامن الهجرى ، إذ قال « ونسبهم من يعرفهم إلى غسان ومن لا يعرفهم إلى التركمان »[1] .

ورسول هذا الذى تسمت باسمه هذه الدولة ، هو محمد بن هارون الذى أدناه الخليفة العباسى المستنجد واختصه برسالته إلى الشام ومصر فأطلق عليه اسم رسول وشهر به وترك اسمه الحقيق حتى جهل . ثم حدث أن انتقل رسول هذا مع أولاده وأسرته إلى مصر إبان قيام الدولة الأيوبية ، فأرسلهم السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى صحبة أخيه الملك المعظم توران شاه عند فتحه اليمن . ودخل توران شاه اليمن سنة ١١٧٣ م (٥٦٩ هـ) ثم لم يلبث أن عاد إلى مصر سنة ١١٧٥ م (٥٧١ هـ) وصار يحكم اليمن عن طريق نوابه حتى مات سنة ١١٨٠ م . وحكم اليمن بعد توران شاه عدة من أبناء البيت الأيوبى مات أحدهم مقتولاً وآخر مسموماً .

ولما تولى السلطان العادل الأول الأيوبى ملك مصر ، أرسل حفيده الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الكامل — المعروف باقسيس — إلى اليمن سنة ١٢١٥ م (٦١٢ هـ) وكتب إلى أولاد على بن رسول والأمراء المصريين باليمن يأمرهم بطاعته .

ولقد قويت مكانة بنى رسول وعظم نفوذهم فى عهد الملك المسعود حتى اشتد خوف بنى أيوب على ملك اليمن منهم ، واضطر الملك المسعود أن يسجن اثنين من أبناء على بن رسول سنة ١٢٢٧م ولكنه أبقى على الابن الثالث نور الدين عمر وجعله أتابكه .

وفى سنة ١٢٢٨ م (٦٢٥ هـ) عاد الملك المسعود إلى مصر بعد أن قلد أمور اليمن إلى أتابكه نور الدين عمر وجعله نائبه بها . وتوفى الملك المسعود فى مكة أثناء عودته إلى مصر سنة ١٢٢٩ م (٦٢٦ هـ) فقام نور الدين عمر يحكم اليمن قياما كاملاً ، وأضمر الاستقلال بملكها ، وأخذ يولى فى المدن والحصون من يرتضيه ويثق به ، ويعزل ويقتل من يخشاه أو يخالفه ، ولكنه مع ذلك أظهر أنه نائب للمسعود ولم يغير سكة ولا خطبة » .

ولم يعلن نور الدين عمر استقلاله بملك اليمن وخروجه عن طاعة سلطان مصر إلا فى سنة ١٢٣٢ م حينما ضرب السكة باسمه وأمر الخطباء أن يخطبوا له فى سائر أقطار اليمن . ولم يكتف نور الدين بذلك بل أخذ يتقرب من الخلافة العباسية ببغداد ملتمساً منها تشريفه بخلعة السلطنة أى الاعتراف به سلطاناً شرعياً على اليمن . وقد أرسل له الخليفة العباس المستنصر بالله التشريفة الخليفية والتقليد عن طريق الحجاز سنة ١٢٣٣ م ولكنها نهبت فى الطريق ولم يصل منها شئ إلى اليمن . واضطر الخليفة العباس أن يرسل غيرها فى العام التالى عن طريق البحر — طريق البصرة والخليج الفارسى والمحيط الهندى ؛ وعند وصولها اليمن سنة ١٢٣٤م ارتقى رسول الخليفة منبر مدينة جند وقال : « يانور الدين ! إن العزيز

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية جـ ١ ص

الإنسان : (إن العقل لا يعرض له الغلط إلا من قبل هذه القوة المسماة بالوهم ، وذلك سبب إطلاق لفظ الوهم على الرأى الباطل مجازا ، تسمية المسبب باسم السبب ، فظهر أن تسمية الرأى الباطل بالوهم أولى من تسميته بالخيال ، فإن سبب الرأى الباطل ليس هو الخيال بل الوهم[4]) ويقول فى موضع آخر (يريد الشيخ بالوهم فى هذا الكتاب المذهب الباطل أو السؤال الباطل ، وذلك لأن العقل قد يعرض له الغلط من قبل معارضة الوهم إياه ، فتسمية الرأى الباطل بالوهم تسمية المسبب باسم السبب مجازا ...)

وعلى ذلك فان ابن سينا فى إشاراته إلى الوهم قصد به كقوة وكباطل ، ولكل مرماه فى اللغة الفلسفية التى ابتدعها ابن سينا ، وحدد نطاقها . ولعل فى مقالى هذا ما يقنع المتفلسفين بأن تراث ابن سينا يتطلب فى فهمه وتقديره إحاطة واسعة بشتى ضروب العلم والعرفان التى طرقها فيلسوف الإسلام وجالينوس العرب ، وأجاد فيها وأفاد . وهنا فقط تسكرن الفلسفة حقا وصدقا هى علم العلوم » .

محمد محمود زيتون

يقرئك السلام ويقول قد تصدقت عليك باليمن ووليتك إياه ؛ ثم ألبسه الخلعة الشريفة على المنبر . ولم يكتف السلطان نور الدين بملك اليمن بل حاول السيطرة على الحجاز وانتزاعه من أيدى المصريين ، فأخرج الجيوش المصرية من مكة المشرفة مرة بعد أخرى واستمال عدة من قوادها ونخص بالذكر القائد المصرى مبارز الدين على بن برطاس الذى استسلم لنور الدين ودخل فى خدمته سنة ١٢٤١ م (٦٣٩ هـ) وبذا امتد نفوذ بنى رسول من مكة إلى حضرموت .

ويروى الخزرجى أن عهد ذلك السلطان انتهى فى ذى القعدة سنة ٦٤٧ هـ (١٢٥٠ م) عندما اغتاله بعض مماليكه وقتلوه فى قصر الجند ، كما يروى أن هذا السلطان « استكثر من المماليك البحرية حتى بلغت عدتهم ألف فارس وقيل ثمانمائة ، وكانوا يحسنون من الفروسية والرمى مالا يحسنه المماليك فى مصر . وكان معه من المماليك الصغار قريب منهم فى العدد خارجا عن حلقته وعساكر أمرائه » . ويلاحظ من رواية الخزرجى أن وفاة السلطان نور الدين عمر كانت فى نفس السنة التى توفى فيها السلطان الصالح نجم الدين أيوب فى مصر ، وهذا يدل على أن فرقة المماليك البحرية التى أسسها نور الدين عمر باليمن تكونت فى نفس الوقت الذى تكونت فيه بمصر فرقة المماليك البحرية الصالحية التى أسسها السلطان أيوب . وهذا يدل ضمنا على وجود اتصال وثيق بين مصر واليمن ، كما يدل أيضاً على بطلان الزعم القائل بأن لفظ بحرية يرجع إلى بحر النيل وذلك بعد أن ثبت فعلا وجود فرقة من المماليك البحرية بعيدة عن مصر والنيل .(١)

ومهما يكن من شىء فقد استطاع قتلة السلطان نور الدين أن يجذبوا بقية المماليك إلى جانبهم وأن ينادوا بابن أخ للسلطان القتيل يدعى فخر الدين ، سلطانا على اليمن ، ويسيروا معه نحو العاصمة زبيد لاحتلالها ، ولكن الدار الشمس إبنة السلطان المتوفى استطاعت أن تدافع عن المدينة ببسالة ريثما يجىء أخوها الملك المظفر بن نور الدين الذى كان مقيما بحصن المهجم ، والذى حينما علم بوفاة أبيه وأطماع ابن عمه فى ملك اليمن ، أسرع من فوره نحو زبيد فى فبراير سنة ١٢٥٠ م ، وصار كلما مر بقبيلة من العرب استخدم خيلها ورجلها حتى تجمع له جيش قوى أوقع الرعب فى صفوف أعدائه . وعلى أثر ذلك اجتمع رؤساء المماليك وأعيانهم وهم غالبية جيش الأمير فخر الدين وكتبوا إلى الملك المظفر يطلبون منه الأمان ، فأمنهم على أن يسلموه ابن عمه وجماعة المماليك الذين قتلوا أباه . فأجابوه إلى طلبه ودخل المظفر مدينة زبيد فى موكب عظيم فى مارس سنة ١٢٥٠ م . واستطاع السلطان المظفر فى ظرف ثلاث سنوات أن يستعيد جميع ممتلكات والده التى استقلت عقب مصرعه وأهمها صنعاء والدملوة وتعز ، كما استطاع أن يقضى على ثورة شرفاء الزيدية ومن انضم إليهم من المماليك فى صنعاء سنة ١٢٦٠ م.

وتروى المصادر المعاصرة أنه فى سنة ١٢٦١ م (٦٥٩ هـ) سار السلطان المظفر بجيش كبير إلى مكة لأداء فريضة الحج . وهناك « طلعت أعلامه الشريفة وأعلام سلطان مصر ، فقال له أحد الأمراء : هلاً أطلعت أعلامك يا مولانا السلطان قبل أعلام المصريين ؟ فقال له السلطان المظفر : أتراني أؤخر أعلام ملك كسر التتر بالأمس وأقدم أعلامى لحضورى » . وهذه العبارة إن دلت على شىء فإنما تدل على مقدار النفوذ الذى اكتسبته مصر فى أنحاء العالم الإسلامى عقب انتصار سلطانها الملك سيف الدين قطز على المغول فى واقعة عين جالوت بفلسطين سنة ١٢٦٠ م .

وكيفما كان الأمر ، أجمعت المصادر المعاصرة على أن السلطان المظفر كان حاكما قويا موفقا . وقد لقبه الخزرجى بلقب خليفة فى آخر حكمه . وتوفى السلطان المظفر سنة ١٢٩٤ م وخلفه على عرش اليمن ابنه الأشرف عمر ثم ابنه المؤيد داود سنة ١٢٩٧ م .

وفى عهد السلطان المؤيد (سنة ١٣١٨ م) أعيد تنظيم الجيش اليمنى على نظام الجيش المصرى ، فيروى الخزرجى أن الأمير علاء الدين كشدغدى « رتب عساكر السلطان المنصورة على ترتيب العساكر المصرية وجعل لها جناحا الميمنة وجناحا الميسرة وجعل خلف السلطان عصائب كثيرة ، وركب المماليك بالنفخ وجعل منهم طائفة طبردارية ، وركب السلطان بهذا الزى » . ويجدر بنا أن نلاحظ بصدد تاريخ هذا التنظيم أنه يوافق عهد سلطنة الناصر محمد فى مصر أى فى الوقت الذى تبلورت فيه النظم الملوكية فى مصر وبلغت ذروة الازدهار ، فلا عجب إن صارت مصر فى ذلك الوقت قبلة أنظار الدول الإسلامية الأخرى وموضع محاكاتها .

وتوفى السلطان المؤيد سنة ١٣٢١ م وخلفه ابنه المجاهد الذى

---

(١) راجع (زيادة : بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك « مجلة كلية الآداب » المجلد الرابع سنة ١٩٣٦ .
انظر كذلك (مختار العبادى : « دولة المماليك البحرية » عدد الرسالة رقم ٧١٤ (١٩٤٧) .

سرعان ما قبض عليه عمه المنصور بن المظفر وسجنه فى قلعة تعز وأعلن نفسه سلطانا سنة ١٣٢٢ م . غير أن مماليك السلطان المجاهد تمكنوا من تسلق حصن تعز خفية وأطلقوا سراح أستاذهم المجاهد وقبضوا على المعارضين لسلطته وعلى رأسهم الملك المنصور الذى حل محل ابن أخيه فى السجن .

وكان السلطان المجاهد يخشى قوة المماليك البحرية ، ويخاف خطرهم ولذا « دارت بينه وبينهم عهود وذمم وكتب لهم ميثاقا بالأمان والوفاء ونادى لهم بذلك فى الأسواق ومجامع الناس » . غير أن المماليك البحرية سرعان ما قلبوا له ظهر المجن وثاروا عليه سنة ١٣٣٢ م وهاجموا مدينتى تعز وجند ، وعاثوا فيها فساداً كما هاجموا مدينة زبيد واحتلوها . ولما علم السلطان بما فعله المماليك ، أمر بقطع أعطياتهم حتى « تعبوا وباع الكثير منهم عدته وثيابه ، وجاهروا السلطان بالقبيح » . ولم يكتف السلطان بذلك بل أمر بإباحة قتل المماليك ونهبهم ، ووزع قواته على مختلف الطرقات لحراستها وحفظها من عيثهم . ولم يستطع السلطان كبح جماح المماليك إلا فى سنة ١٣٣٤ م حينما أوقع بهم الأشراف والأكراد هزيمة منكرة فى وادى جاحف بالقرب من المهجم ، حيث قتل كثير من أعيان المماليك نذكر منهم أزبك الصاربى ، ولطينا الجمورى وأيلة السراجى . واحتل السلطان مدينة زبيد وخطب له على منابرها سنة ١٣٣٥ م .

ويروى الخزرجى فى حوادث سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) من عهد السلطان المجاهد أن جيشا مصريا يبلغ عدده ألفى فارس ، وصل إلى اليمن فى شهر رجب (يونيو) من تلك السنة وعليه الأمير سيف الدين بيبرس والأمير جمال الدين طيلان ، ومعهم أثنان وعشرون ألف جمل تحمل عددهم ، فاستقبلهم السلطان فى زبيد ، فلما دنوا منه ترجلوا وقبلوا الأرض بين يديه وساروا فى خدمته ساعة ، وألبسوه خلعة فاخرة وعمامة بمدبتين . وبعد أن أقاموا فى زبيد عدة أيام صحبوا السلطان إلى تعز . ويضيف الخزرجى أن المصريين عاثوا فى المدينة فساداً ، فكانوا لا يجدون طعاماً إلا أخذوه بثمن بخس وانتهبوا بيوتاً كثيرة ، وضربوا كثيراً من الناس حتى قتلوهم ، وقطعوا جميع الزرع فى مدينة تعز وضواحيها ، وارتفعت أسعار الحاجيات وضاقت البلاد على أهلها .

ولم يرحل الجيش المصرى عن اليمن متوجها إلى الشام إلا فى شهر يوليو (شعبان) من نفس السنة ، وقد فرح أهل اليمن برحيلهم.

وتوفى السلطان المجاهد سنة ١٣٦٣ م وخلفه ابنه الأفضل العباس الذى تخلل عهده عدة ثورات قام بها الأشراف والمماليك وبعض أخوته . وبالرغم من أن أجزاء كثيرة من الدولة الرسولية استقلت فى عهد السلطان الأشرف بن الأفضل سنة ١٣٧٩ م ، فإن نفوذ ذلك السلطان ظل قويا وظلت وفود الدول المجاورة مثل الهندوالحبشة تفد إليه تخطب وده وتقدم له مختلف الهدايا . وبعد موت السلطان الأشرف سنة ١٤٠٠ م صار تولية السلاطين وعزلهم يحدث فى فترات قصيرة تتخللها عدة ثورات للمماليك وتخص بالذكر المماليك المصريين المقيمين باليمن والمعروفين هناك باسم « المماليك الغرباء » .

وانتهى الأمر باستيلاء بنى طاهر على اليمن سنة ١٤٥٤ م فانتهت بذلك دولة بنى رسول .

من كل ما تقدم ترى أن هناك أوجه شبه عديدة بين الدولة الرسولية فى اليمن ودولة المماليك فى مصر . فلقد عاصرت كل منهما الأخرى تقريباً إذ قامت الدولة الرسولية سنة ١٢٢٩ م أحد وعشرين سنة قبيل قيام الدولة المملوكية ، وظلت تلك الدولة زمنا وعاصرت الدولة المملوكية بمصر حتى سنة ١٤٥٤ م . وكان سلاطين الدولتين فى بادئ الأمر أتباعا لسلاطين الأيوبيين ثم تمكنوا بقوة نفوذهم وضعف أسيادهم أن يستأثروا بالملك لأنفسهم . واعتمدت كلتا الدولتين على فرق من المماليك ولا سيما المماليك البحرية الذين لعبوا دوراً خطيراً فى تاريخ كلا البلدين . هذا وقد عرف عن سلاطين الدولتين بصفة عامة ميلهم الشديد نحو الفنون والآداب وبناء المدارس والمساجد والقصور . وهناك وجه شبه أخير تتلمسه فى تقرب سلاطين الدولتين للخلافة العباسية ببغداد لأن اعترافها بهم سوف يقوى من نفوذهم الأدبى ويكسبهم صفة شرعية للحكم . وقد ظلت الدولة الرسولية على ولائها واحترامها للخلافة ببغداد حتى بعد أن قضى المغول عليها وقتلوا الخليفة المستعصم سنة ١٢٥٨ م (٦٥٦ هـ) إذ ظل اسم الخليفة المقتول يدعى له على سائر منابر اليمن حتى أواخر القرن الثامن الهجرى .

وفى ذلك يقول الخزرجى « فى سنة ٦٤٠ هـ مات الخليفة المستنصر وتولى الخلافة بعده ولده المستعصم بالله أمير المؤمنين أبو أحمد ، وهو الذى يدعى له على سائر المنابر إلى وقتنا هذا من سنة ثمان وتسعين وسبعمائة » . (١)

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٦٩ .

الاسكندرية **أحمد مختار العبادي**

الشعر المصرى فى مائة عام

للأستاذ محمد سيد كيلانى

الدور الأول

١٨٥٠ — ١٨٨٢

٣

١ — أغراضه

بقيت أغراض الشعر فى هذا الدور كما كانت عليه من قبل . فكان باب المدح يحتل معظم ديوان الشاعر ، فالشاعر فى هذا العصر مداح ليس إلا ، يعيش ليمدح هذا وذاك ، وينظم القصائد الطوال فى الإشادة بمناقب هذا الأمير أو ذاك الوزير ، راجيا صلة أو وظيفة أو ترقية أو علاوة . فإن رأيت شيئا غير المدح فهو قليل لا يكاد يذكر . وكانت قصائد المدح تبدأ غالبا بغزل متكلف مصطنع .

وكانوا يبدأون قصائد الرثاء بالتحدث عن الموت الذى يسطو على الناس فيختار الجياد منهم . ويشيرون إلى هلاك الملوك وفناء العظماء . ويذكرون استحالة البقاء وأن الموت غاية كل حى ، وطريق تسير فيه السادة والعبيد ، والأغنياء والفقراء ، والصعاليك والأمراء . ثم ينتقلون من هذا إلى ذكر مناقب الفقيد والتنويه بمزاياه وصفاته . ثم يختم الرثاء بإشارة موجزة إلى ما أعد للفقيد فى الجنة من نعيم مقيم وحور عين . ومثال ذلك قول الليثى فى رثاء عبد الله فكرى :

ومن بان عنا فى الفراديس ناعم ... بظل ظليل دوحه يتهدل
يغازل ولدانا وحورا على صفا ... وفى حسنها من لطفه يتغزل
تبارك من قد خاره لجواره ... وخيره فى أنعم تتذلل

وإذا رثى الشاعر زوجته أو ابنه أو بنته أو أباه وصف أدوار المرض التى تقلب فيها الميت وأشار إلى الطبيب وما قام به من علاج ، ومثال ذلك قول صالح مجدى رثى زوجته :

ولا كان « بدر » جاء يحيى مواتها ... بطب عسيف كان فيه أذاها
فإن انصباب الماء من فوق رأسها ... على رغم أنفى كان فيه بلاها
وفى الأخذ منها للدماء مدامعى ... روت كل أرض لا يقاس فضاها
وفى الخردل الموضوع من فوق ساقها ... شواظ بقلب فيه شيد حماها

وهكذا قص علينا الشاعر ما حدث لزوجته إبان مرضها ، مستمدا القول من الواقع لا من الخيال . وهذه طريقة جديدة فى الرثاء لم تعرف من قبل .

ومنذ عصر سعيد بدأ الشعراء يصفون بعض المخترعات الحديثة كالسفن البخارية وآلات الرى والأسلاك البرقية والسكك الحديدية والكبارى والقطر وغير ذلك مما ظهر وقتئذ . ولكن الشعر الذى قيل فى هذا الغرض كان قليلا جدا .

وكان بعض الشعراء فى هذا الدور إذا وصف حفلة من الحفلات أو مشهدا من المشاهد انغمس فى الواقعية إلى أبعد حد ، وحرص على أن يسجل فى شعره كل صغيرة وكبيرة مما تراه عينه . ومثال ذلك قول عبد الله فكرى حينما عاد من مؤتمر المستشرقين :

مولاى قد سرنا بأمرك نبتغى ... لرضاك ما تسمو به الأقدار

ومنها :

ثم امتطينا للسويد ركائبا ... لا الركض يجهدها ولا التسيار
تسمى على عجل إلى غاياتها ... كالماء ساعد جريه التيار
سرنا بهن على العشى فأصبحت ... فى « استكهلم » وقد بدا الإسفار
ولقيت صاحب تاجها فى قصره ... والوفد ثم بصحبتى نظار
فدنا وصافح باليمين مرددا ... شكر الخديو يزينه التكرار
فشرعت مقتصدا أجاوبه بما ... أرضاه لا قل ولا إكثار

وهذه الطريقة الواقعية التى أغرم بها بعض الشعراء فى ذلك العصر قد جعلت قصائدهم شبيهة بالتقارير التى يدون فيها كل شىء مع مراعاة الترتيب الزمانى والمكانى .

وفى عصر سعيد كثر إقبال الشعراء على نظم الأناشيد العسكرية الحماسية وقد سبقت الإشارة إلى ذلك . وأخذ بعضهم يصف القلاع والحصون ويذكر البنادق والمدافع .

وفى عهد اسماعيل تأثر الشعراء بالحياة الاجتماعية الجديدة فذكروا القصور والبساتين والشوارع والميادين ومصالح الحكومة ودواوينها . وأخذوا يشيرون إلى إضاءة المدينة بمصابيح الغاز وتوصيل المياه إلى المنازل وغير ذلك من مظاهر الحضارة والعمران .

وفى أواخر هذا العصر بدأ الشعر السياسى فى الظهور . ورأينا قصائد قليلة تنظم فى نقد المجتمع وفى الشكوى من تغلغل النفوذ الأجنبى .

وحينما تولى توفيق ارتفعت أصوات الشعراء مطالبين بالإصلاح ورفع المظالم التى حاقت بالشعب . وهكذا أصبح الشعراء ينظرون

إلى الصالح العام بعد أن كانوا ينظرون إلى صالح أنفسهم . ولكن يجب أن نقول بأن النظرة الذاتية كانت غالبة فتأمل فى قول الساعاتى حين يمدح اسماعيل صديق فيقول :

وحسبك بالاجماع منا فمادح — بمحمدك غريد وآخر باغم

وقد أجمع الناس واتفقت كلمة المؤرخين من مصريين وأجانب على أن اسماعيل صديق كان مثالا للظلم والقسوة وعلى أنه هو الذى جر البلاد إلى الخراب والدمار وأرهق الفلاحين وأثقل كاهلهم بالضرائب الفادحة . ولكن الساعاتى لم ير بأسا فى الكذب ولم يجد ضيرا فى الافتراء . فهو فى نظير مصلحة يرجوها أو عطاء يؤمله قد صور الناس مجمعين على التغنى بفضائل اسماعيل والإشادة بمناقبه . على أن هذه النظرة الذاتية والتضحية بمصلحة المجتمع فى سبيل مصلحة الشاعر قد لازمت الشعراء المصريين حتى هذه الأيام .

وقلت المدائح النبوية فى هذا الدور حتى أننا لا نجد للشعراء فى هذا الباب شيئا ذا قيمة اللهم إلا قصيدة بديعية للساعاتى ضمنها مائة وخمسين نوعا من أنواع البديع .

وظهرت فى عهد اسماعيل الأناشيد المدرسية التى يلقيها الطلبة فى الحفلات . وفى هذه الأناشيد إشادة بقيمة العلم ومنافعه للأمم والشعوب والترغيب فى الجد والاجتهاد والاستعداد ليوم الامتحان الذى يكرم المرء فيه أو يهان كما كانوا يقولون .

وفى هذا العصر أكثر الشعراء من نظم التواريخ وذلك لكثرة ما أقيم من المعاهد والمدارس والمصانع والقلاع والحصون والقصور والمساجد ، وقد أرخ الشعراء حفلات أنجال اسماعيل فى شعر كثير .

وحينما شبت الحرب بين الانجليز والعرابيين انضم إلى الحركة العرابية شعراء كثيرون فى القاهرة والأرياف وأخذ هؤلاء الشعراء ينظمون القصائد الحماسية فى الحض على الجهاد والتحريض على الكفاح وفى هجاء الإنجليز وكل من يتعاون معهم . ومن هؤلاء الشعراء محمد النجار وله قصيدة جاء فيها « والخطاب لعرابى » :

فازحف بجيشك يامظفر ضاربا — فى الانجليز وقاتلا سيمورا
واقطع بسيفك أمة قد أصبحوا — انثى عليهم إذ عدمن ذكورا

ومنها فى هجاء الانجليز .

قوم تربوا فى الثلوج فطبعهم — يهوى البرود ولايطيق حرورا
كتبوا لسيدة لهم أن جهزى — غنما لعيد المسلمين كثيرا
يا انجليز ومن ينادى ميتا — يخطى و كيف أخاطب المقبورا

ولأحمد عبد الغنى قصيدة مطلعها :

لعمرك ليس ذا وقت التصابى — ولا وقت السماع على الشراب
ولا وقت الجلوس على القهاوى — ولا وقت التغافل والتغابى
ولا وقت التشبب فى سليمى — ولا وقت التشاغل بالرباب

إلى أن قال :

ولكن ذا زمان الجد وافى — وذا وقت الفتوة والشباب
ووقت الاتحاد مع التصافى — وعقد عرى الإخاء والانتساب
ووقت ليس فيه يليق إلا الـ — إقامة بالقلاع وبالطوابى
ووقت فيه الاستعداد فرض — لتنفيذ الأوامر من عرابى

وامتازت هذه القصائد بظهور العاطفة الوطنية فيها ظهورا لم يعرف من قبل . ولوطال أمد الحرب بين المصريين والبريطانيين لاستفاد الشعر كثيرا . ولكن الحرب انتهت فى مدة وجيزة ، لذلك انطفأت هذه الجذوة بانتهاء الحرب .

ولما قضى على الحركة العرابية أخذ شعراء الخديو ينظمون القصائد فى مدحه ، وقد مزجوا هذا المدح بالتحريض على التنكيل بالعرابيين وأطلقوا عليهم اسم « العصاة » و « البغاة » . ومن أشهر مانظم فى هذا الغرض قصيدة لمصطفى صبحى باشا دعاها « صدق المقال فى مثالب البغاة الجهال » قال إنه ذكر فيها « دسائس الأشقياء الملحدين ، ومفاسد الاغبياء المتمردين و كيف قابلوا الإحسان بالكفران والنعمة بالطغيان من مبدإ أمرهم ليوم سفرهم » ومطلعها :

تبين عقبى غيه كل معتدى — وأمسى العرابى وهو بالذل مرتدى
يعض بنان المستكين ندامة — ويقرع بالاذلال سن المهند

وعقيب اخماد الحركة العرابية أقبل الشعراء الذين كانوا قد انضموا إليها على نظم القصائد فى الاعتذار مما فرط منهم والتنصل مما عزى إليهم من تهمة الاشتراك فى حركة العصيان .

* * *

وانتشر فى هذا العصر الفخر الكاذب . فترى الشاعر يفخر بنفسه ويسند إليها من الصفات ما ليس منها . ومثاو ذلك قول الساعاتى :

ماذا تريد الحادثات من امرىء من جنده الأمراء والشعراء

فأى الشعراء هؤلاء الذين كانوا من جنده ؟ ومن هم الأمراء الذين كانوا من عسكره ؟ وتأمل فى قوله :

أنا ذلك الصل الذى عن نابة تلو المنون وتلوى الرقطاء
وفمى هو القوس الأبد مقولى الـ ـوتر الشديد وأسهمى الإنشاء
فكر ينظم فى البديع فرائدا من دونها ما يلفظ الدأماء

ولا شك فى أن هذا بمدعن الحقيقة وكذب وافتراء ، وتقليد أعمى لبعض القدماء .

وأ كثر الشعراء . فإذا نظم أحدهم قصيدة وصفها بالجودة والانفراد فى الحسن . ومثال ذلك قول صالح مجدى .

امولاى هابكرا تتيه بحسنها وتفعل بالألباب فعل مـدام

وهذا الشاعر يختم قصائده فى الغالب بمثل هذا الفخل الكاذب .

هذا ما يمكن أن يقال عن أغراض الشعر فى هذا الدور .

« يتبع » **محمد سيد كيلانى**

روح ومـــادة

للاستاذ ثروت أباظة

صديقى رجل أرضى مغرق فى أرضيته ... نحرص عليه فهو من أنجب محبيها ، ويحرص عليها فهي فى عينيه طريق اللقمة إلى جوفه ، واللذة إلى جسده ، والقرش إلى جيبه . . وتفكيره لا يذهب به إلى أ كثر من لقمة ولذة وقرش ، وحيانه أو الحياة كلها فى راسخ عقيدته هى هؤلاء الأرضيات الثلاث؛ فالأرض إذن هى الحياة ، فهو متمسك بها تمسكه بالحياة ، حريص عليها حرصه عليها ، فما يعتد له خلفها شدف ولا يلوح له بمدها غاية .. هو صديق لأن طرق الحياة كثيراً ما ترى بالند إلى غير نده . فنحن مختلفان مزاجا ، مفترقان رأيا ، مجتمعان فى صداقة أشبه ما تكون بتلك القائمة بين الشيوعية والديمقراطية، ولـكننا لا نشبه هاتين الجهتين فى سوء الطوية وسواد السريرة .. وصديقى متبجح .. فهو لا يخزى مطلقا أن يعرض آراءه ويدافع عنها وكأنها مثل العالم الرفيعة، بل هو يريد الجمع أن يسير على هداه الاغبر، فهو ما يزال يندد بأفكارى الصبيانية الصغيرة فى سخرية تواتيه على سليقة .

لنا مكان يجمعنا فكأننا كانا أصحابه، لا يدور فيه غير النقاش ، ولا نقاش يدور به إلا وهو محتدم ولا انتهاء لنا إلا بافتراق الرأى وتباين الفكرة وصفاء النفس . وان أحداً منا لا يحاول مطلقا أن يقنع أو يقتنع؛ وانما نلق بأقوالنا لمجرد القائها، فاذا جاء صديق هذا كنا جميعا على جانب وكان هو فى الجانب الآخر متمسكا بأرضيته لا يحيد عنها ولا تتخلى عنه .

وكان أن جاء وأحد الصحاب يتكلم فى الأدب، فقعد يستمع وطال الحديث ودار النقاش وهو صامت لا يمد اليه لسانا .. فسأله أحد الجالسين :

— خيراً .. تصمت لأول مرة فى حياتك .. فما خبرك !

— أو رأيتنى عمرك أتكلم فى الأدب ؟

— أو شرف هذا ؟

— ... انما هى حقيقة

— حقيقة مخجلة !

— هذا رأيك

— ورأى كل إنسان

وما الانسان فى عقيدتك ؟

— هو تلك الروح السامية التى وهب الله لها العقل لتفهم ، والقلب تسرى به العواطف رفيمة ، وهو الشعور الرهيف والحس الدقيق والذوق .

— الفن والأدب العالى وسائر ما تهرف به أنت وصحبك هؤلاء ليقنع كل منكم الآخر أنه ، فنان وتستتلون أن المخلوق غير الفنان حيوان ، وأنكم أنتم وحدكم الصفوة المختارة والرهط ...

لم أطق السكوت بعد أن أشار الينا بسخريته الصفيقة فقلت له .

— من قال ذا ... وما شأنك والفنان حتى تعرض به ..

— ما شأنى .. أماسونيةً هى ! ماذا تريدنى أن أكون حتى أتكلم عن الفن . . هل حتم علىّ أن أملأ صفحة مما تملأ حتى أصبح فنانا

— من قال إن الفنان صفحة

— فما هو إذن

— هو الذى علمه الأدب أن يقول من هو لا ما هو . الفنان

هو ذلك الانسان الذى يحس باللفظ على لسانه وفى عقله ؛ وهو ذلك الرؤوف الشفيق ، هو ذلك القلب الخافق والشعور الرهيف . ان فى المخلوق ناحيتين : ناحية تنتظم العقل والقلب والحس ، وأخرى تحوى المعدة وما يتلوها مما وهب الله للحيوان ؛ فمن نظر إلى عقله وقلبه وحسه كان إنسانا . والانسان فنان لأنه يغلب الشعور على المادية . ومن نظر إلى معدته كان حيوانا ، لأنه يبحث دائما عما يسكت به نهمه

— الله .. شرع أنت شرع .. على أننى حتى إذا طبقت قولك هذا على نفسى وجدتنى إنسانا فأنا أغلب العقل دائما ..

— يخيل إليك أنك تغلبه .. وأنت دائما تقول إنك تغلب العقل على شعورك وعاطفتك وهذا كذب لأنك إذا كنت تنظر إلى نفسك دائما وتفعل فأنت إنما تغلب أنانيتك لا عقلك .

— وما ترانى فاعلا إذا نظرت إلى نفسى بعاطفتى وحسى . أترانى أجد عاطفتى تكرهنى . اللهم إنكم جميعا تعلمون أن أحب خلق الله إلى نفسك هى نفسك .

— نعم نعلم ذلك ، ولكننا نرضيها بعمل الخير لغيرنا وبحب الخير للناس . والنفس الانسانة هى تلك . . ليست والله لقمة وقرشا .. هى حب وعاطفة .

— تتكلم وكأنك جاهل أحمق . . ألم تقرأ آخر ما كتب علماء النفس .. ألم يقولوا أن كل الأعمال مردها إلى الغريزة فأين من هذا الشعور والعاطفة . . فالحب الذى تقول عنه ما هو إلا غريزة

— هو ذاك ونحن نعلمه قبل أن تسمع به أنت .. غير أننا نعرف أيضا كيف نهذب هذه الغريزة ونرق بها ..

— أرنى بربك .. هذب غريزتى ولك الأجر والثواب عند الله

— هذا اليك . أنظر إلى الأمور بقلبك وشعورك وعقلك تهذب غريزتك وتصبح إنسانا . . الانسان هو من يستطيع أن يغلف هذه الغريزة . وعمل الفنون فى كل العالم هو أن يضربوا حول الغريزة سياجا من الوميض يعميهم عنها فيرتقوا بانسانيتهم .

— تدعونى إلى أن أغش نفسى .

— بل إلى أن تعيش إنسانا لا حيوانا . . أدعوك إلى أن تغلب ما ميزك به الله على الحيوان فاذا أنت رفيع النظرة دقيق الحس

— والحقيقة ؟

— تدركها وترتفع عنها .

— وعقلى ؟

— تدرك به هذه الحقيقة وتسمو به وتصرفه إلى الأهداف السامية من الحياة

ارتج على الصديق فماجله أحد الجالسين

— لا تناقش فوالله ما قصد واحد منا إلى إقناعك .. إنها يا بنى نفسك وليس لنا معها حيلة ... والله إن كنت قد اقتنعت فانك ستكابر . والجو على أسوأ أحواله ورؤوسنا مصدوعة .. فقم إلى جسدك فليس لنا من الفراغ ما نضيعه معك أكثر من هذا .

سكت الأرضى على مضض وما لبث أن استأذن وقام . . قام لأول مرة مهزوما على غير اقتناع .. يحمل فى صدره سخيمة الهزيمة ونحن نعلم ولكننا لم نملك أنفسنا أن نشفق عليه .

إنها نفوس إنسانة .

ثروت أباظة

الخطر اليهودى

بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء

للأستاذ محمد خليفة التونسى

البروتوكول الثانى

يلزم لغرضنا ألا تعقب الحروب أى تغييرات إقليمية ، فبدون التعديلات الإقليمية ستستحيل الحروب إلى سباق اقتصادى . ومن ثم تتبين الأمم تفوقنا فى المساعدة التى سنقدمها وأطراد الأمور هكذا سيضع الجانبين كليهما تحت رحمة وكلائنا الدوليين ذوى ملايين العيون الذين لهم على الإطلاق وسائل غير محدودة ، وعندئذ ستكتسح حقوقنا الدولية كل قوانين العالم ، وسنحكم البلاد بالأسلوب ذاته الذى تحكم به الحكومات الفردية رعاياها .

إننا سنختار من بين العامة رؤساء للإدارات لهم ميول العبيد ولن يكونوا مدربين على فن الحكم ، ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج فى لعبتنا ، بأيدى مستشارينا العلماء الحكماء الذين دربوا خصيصاً على حكم العالم منذ الطفولة الباكرة . وهؤلاء الرجال - كما هو معلوم لكم قبل - قد درسوا علم الحكم من خططنا السياسية ، ومن تجربة التاريخ ، ومن ملاحظة الأحداث الجارية . والأمميون لا ينتفعون بالملاحظات التاريخية المستمرة بل يتبعون نسقا نظريا من غير تفكير فيما يمكن أن تكون نتائجه ، ومن أجل ذلك لسنا فى حاجة إلى أن نرعى للأمميين قدرا .

ودعوهم يتمتعوا بأنفسهم حتى يأتى الوقت ؛ أودعوهم يعيشوا فى أحلامهم بعلاه جديدة ، أو على ذكرياتهم للأفراح الماضية دعوهم يعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التى أوحينا بها إليهم لها القدر الأسمى من أجلهم ، وبتقييد أبصارهم إلى هذا الموضوع ، وبمساعدة صحافتنا - ننمى باطراد ثقتهم العمياء بهذه القوانين . وستختال الطبقات المتعلمة أمام أنفسها بعلمها ، وستأخذ جزافا فى مزاولة المعرفة التى حصلت من العلم الذى قدمه إليها وكلاؤنا بغية توجيه أذهانها فى الاتجاه الذى نرضاه .

لا تتصور أن تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولاحظوا هنا أن نجاح داروِن وماركس ونيتشه قد دبرناه من قبل . وسيكون واضحا لنا على التأكيد الأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى . يتحتم علينا - كى نتجنب الأخطاء فى سياستنا وعملنا الإدارى - أن ندرس ونستحضر فى الذهن هذا الخطر الحالى من الرأى وهو أخلاق الأمم وميولها .

إن نجاح نظريتنا فى موافقتها لأمزجة الأمم التى نتصل بها ، وهى لا يمكن أن تكون ناجحة إذا كانت ممارستها العملية غير مؤسسة على تجربة الماضى متصلة بملاحظات الحاضر .

والصحافة التى فى أيدى الحكومات القائمة قوة عظيمة ، بها نحصل على توجيه عقول الناس ، فالصحافة تبين مطالب الجمهور الحيوية ، وتعلن المتألمين ، وتولد الضجر أحيانا فى الغوغاء . وفى الصحافة تحقيق مولد حرية الكلام ، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة المناسبة ، فسقطت فى أيدينا . ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذا وإن ظللنا نحن من وراء الستار . وبفضل الصحافة كدسنا الذهب ، ولو أن ذلك كلفنا أنهارا من الدم : فقد كلفنا مفاداته بكثير من بنى جنسنا ولكن كل فدية من جانبنا تقوم بآلاف من الأمميين عند الله .

تعقيب من المترجم

أما كارل ماركس فهو صاحب مذهب « المادية الثنائية » وتترجم أحيانا « المادية الجدلية » تجوزا ، وخلاصة مذهبه أن المادة أزلية متحركة بذاتها منطوية على كل العناصر التى تخلق منها الحياة والعقل وما إليها حسب الطبيعة الكامنة فيها ، ومن قوانينها اجتماع الأضداد وتنازعها حتى يغلب أحدهما الآخر ، والمغالبة باقية أبدا ، وكل صفة فى الكيف تنشأ عن صفة فى الكم . وهكذا نشأت الحياة والعقل وما إليهما من الأشياء التى تعد غير مادية فى العرف ، ومؤدى ذلك أن لا شئ فى الوجود إلا المادة ، فليس ثمت إله ولا أرواح غير المادة ، ومن ثم تبطل الديانات جميعا . وهذه هى نهاية المذهب الذى أخرجه عقل ماركس اليهودى المتنصر ، ومن وراء ذلك الشيوعية التى أساسها إنكار الروحانيات وإنكار الامتيازات فلا فرق بين رجل ورجل ولا بين رجل وإمرأة . ولا قيمة لشئ لا يقوم ، المال فلا قيمة للفنون ولا الفلسفات ونحوها ، ولا سمى إلى هدف غير سد حاجات الإنسان البدنية ، ولا حكم لشيء غير البدن وحاجاته الغليظة ...

وأما نتشه فقد طبق مذهب التطور الداروِنى فى

فى الأيام الخوالى

بقلم الاستاذ محمد فتحى عبد الوهاب

اشتهر الكاتب التشيكوسلوفاكى كارل كابك بكتابته اللاذعة وأسلوبه التهكمى وتحليله الدقيق فى مختلف نواحى الحياة والمجتمع ، فضلا عن أنه كاتب قصص قدير وقد ظهر له أخيرا كتاب «قصص أبوقريفية» يحتوى على صور من الحياة وبعض الشخصيات التاريخية المشهورة فى مختلف العصور : والقصة التالية إحدى هده الصور ،

كان يوباتر صانع السلال — وموطنه طيبة (الأغريقية) — جالسا فى فناء داره يحيك سلاله ،عندما أقبل عليه جاره فيلاجاروس مهرولا صائحا من بعيد :

« يوباتر . دع سلالك واصغ ! إن أشياء مروعة تحدث ! »

فسأله يوباتر وهو يهم بالوقوف «دار من التى أصابها الحريق؟»

فأجاب فيلاجاروس « إنه شىء أسوأ من الحريق . أتعرف ما الذى حدث ؟ أنهم يودون أن يقدموا جارنا نيكوما كوس إلى المحاكمة ! أن بعضهم يقول إنه متهم بالتآمر مع التسالونيين . ويصرح البعض الآخر بأنه متداخل مع حزب الساخطين . هيا أسرع اننا مجتمعون فى ساحة السوق !

فسأله يوباتر فى خمول « وماذا أفعل هناك ؟ »

فأجاب فيلاجاروس: «هذا شىء فى غاية الأهمية . أن المكان زاخر بالخطباء . فمنهم من يقول أنه برىء ومنهم من يقول أنه مدان . تعال استمع إليهم .

قال يوباتر «تمهل لحظة حتى أنتهى من هذه السلة . خبرنى ماهى حقيقة التهمة الموجهة إلى نيكوما كوس .

قال الجار « أنهم لا يعرفونها على وجه الدقة . فأحدهم يقول شيئا ، والآخرون يقولون: أشياء؛ وأولو الشأن لا ينبسون ببنت شفة لأن التحقيق لم ينته بعد . بيد أن هناك أمورا تحدث فى ساحة السوق ينبغى أن تراها . فبعض الناس يصبح قائلا إن نيكوما كوس برى .

— رويدك ! كيف يستطيعون القول بأنه برىء فى حين أنهم لا يعرفون عام المعرفة التهمة الموجهة إليه؟

— أن ذلك لا يهم . لقد سمع كل منهم شيئا ؛ فهو لذلك يتحدث عنه . ألسنا جميعا لنا حق التكلم ؟ أعتقد أن نيكوما كوس كان يحاول خيانتنا لدى التسالونين . فقد أخبرنا أحدهم بذلك . قال إن أحد معارفه قد اطلع على رسالة . ولكن أحد الرجال قال انها مؤامرة ضد نيكوما كوس ؛ وأنه يعرف عن ذلك الشىء الكثير . وهم يقولون أن الحكومة ضالعة فى ذلك الأمر . أمصغ إلى يايوباتر ؟ والسؤال هو ...

— فقاطعه صانع السلال قائلا : « تمهل لحظة . السؤال هو: هل القوانين التى شرعناها لأنفسنا قوانين عادلة أو ظالمة؟ هل تحدث أحد عن ذلك فى ساحة السوق » .

— « كلا . ولكن هذا ليس بيت القصيد ، انما هو نيكوما كوس»

— «وهل قال أى واحد من الموجودين فى ساحة السوق إن أولى الشأن الذين يحققون مع نيكوما كوس شريرون ظالمون ؟ »

— كلا لم يتفوهوا بكلمة واحدة من ذلك .

— إذن ما الذى قالوه ؟

— ماذا! ألم أخبرك ؟! انهم يتجادلون فيما إذا كان نيكوما كوس متهما أو بريئا .

— إلى اصغ التى يافيلاجاروس . لو فرض أن زوجتك قد تشاجرت مع القصاب لأنها تدعى أنه لم يعطها رطلا كاملا من اللحم . فما الذى تفعله ؟ .

— أساعد زوجتى .

— كلا . كلا . انك تذهب لترى إذا كانت الأوزان لدى القصاب صحيحة .

— انى اعرف ذلك بغير حاجة لأن تخبرنى به أيها الرجل .

— عظيم . ثم انك ترى إذا كان الميزان سليما .

— لست أيضا فى حاجة لأن تخبرنى بذلك يايوباتر .

الأخلاق ونادى بمذهب القوة . فالتنازع سنة الحياة ، ولا يبقى إلا القوى ؛ والأخلاق نوعان . أخلاق السادة كالشجاعة والخداع والقسوة ونحوها : وأخلاق العبيد كالتسامح والشفقة والإحسان ونحوها . والإنسان القوى لا يتقيد بالقانون ولا بالأخلاق وكل هذا مما يرضى اليهود ومما يسيرون عليهم فى حياتهم إزاء غيرهم وهذا يتفق والسياسة التى ترسمها هذه البروتوكولات .

وهذا الإيجاز المخل فى توضيح مذهب هؤلاء وفى مصلحة اليهود من ترويج مذاهبهم — يشير إلى السر ولا يوضحه كل ايضاح . ولنا عودة إلى هذه الموضوعات مستقلة عن التعليقات على هذه البروتوكول إن شاء الله .

محمد خليفة التونسى

مرثيـــة طائر

للاستاذ محمد براهيم نجا

قصيدة رمزية في رثاء الصديق الكريم ، والشاعر العظيم الأستاذ على محمود طه ، فقيد الشعر العربى .

طائر كان فى ذرى الأغصان   يتغنى بأجمـــل الألحان
كان يحيا كما يشاء طليقا   وطروبا كما تشـــاء الأمانى
سابحا فى الفضاء حينا ، وحينا   ثاويا فى خميـله الفينان
كان ملء الوجود صوتا نديا   حافلا بالحنان والتحنان
عاش أيامـــه بإحساس فنا   ن ، وأحلام عاشق ولهان
طالمـا هـــز بالغناء قلوبا   عذبتهـــا الأيام بالأشجان
وسقاها الرحيق وهى ظماء   تشتكى من مرارة الحرمان
كان روحا مجنحا فى سماء   تتحلى بأجمـــل الألوان
صاغه الله من ضياء وعطر   وصفاء ورقة وحنـــان
هام بالنور والظلال ، ولـكن   لم يهم بالضباب كالغربان
كلما هـــزه الجمال تغنى   بأغان تهز قلب الزمان
كان قلبا كأنه همس نأى   عانقته ترنيمة من كمان
يزدهيه الجمال فى كل شىء   وهو بالحب دائم الخفقان
أسكرته الحياة بالوهم حتى   ليرى الغيب ماثلا للعيان
يبصر النور والوجودُ ظلام!   ويحس الربيع قبل الأوان!
ويرى الروض فى القفار ، ويشفيه   ه سراب من حرقة الظمآن!
خير ما فى الحياة وهْــم جميل   فى حياة المتيم الهيمان

هكذا عاش ذلك الطائر الشا   دى ، يغنى فى غبطة وأمان
فهو أنس وسلوة وعزاء   فى حياة المعذب الحيران
غير أن الزمان ، وهو بـكاء   من غناء وفُـرقةٌ من تدان
أبصر الطائر العزيز يغنى   فى الأعالى بقلبه النشوان
فرمى قلبه بسهم رهيب   مستطار من قوسه الرنان!
فهوى مسبل الجناح ، يعانى   من جراح بقلبه ما يعانى
فهفت نحوه الطيور ، وناحت   إذ رأت جرحه عميق المكان!
وانحنت فوقه ، وطارت به تـــ   ـمى إلى عشه الجميل الحانى
وأست جرحه بوحى هواها   والهوى بلسم الجريح العانى
ومضت حقبة ، فصار كما كا   نت تراه فى سالف الأزمان
فاستفاض السرور فى كل قلب   وتعـــالى الغناء في المهرجان
جملت عشه بزهر ندىٍّ   أنبتته له روابى الجنـــان
ثم قالت له : ليهنك . رنمٌ   بالأغانى فى ظل تلك المغانى
ثم حلق فى كل أفق جميل   يتلقاك بالسنا الفتـــان
هكذا قالت الطيور ، ولـكن   رنَّ صوت الغناء فى الوجدان!
رفـــع الطائر العزيز جناحا   فارتمى عاجزا عن الطيران!
قلـبته فما رأت غير جسم   غادرته الحيـاة منذ ثوان!
لحـــة وانطوت حياة تروّى   كل حى من نبعها الريان!
والذى لم يسعه كون رحيب   دفنوه فى حفرة بمكان!
والذى عاش فى الحياة طليقا   جعلوا قيده من الأكفان!

* * *

— أنا مسرور . وإذا كانت الأوزان والميزان سليمة ، فانك سترى كم تزن قطعة اللحم ، وهنا سيظهر لك من هو الذى على حق : القصاب أم زوجتك . ومن العجيب يافيلاجاروس أن يكون الناس أكثر عقلا فى مسألة خاصة بقطعة من اللحم مما لو كانت مسألة عامة . إن الميزان سيبين هل نيكوما كوس مذنب أو برىء . ولـكن ، لاينبغى لهم أن ينفخوا فى احدى كفتى الميزان لـكى ترجح الأخرى . فلماذا الذين نصر على القول بأن أولى الشأن الذين يفحصون قضية نيكوما كوس أشخاص مشتبه فى عدالتهم أو شىء هذا القبيل ؟ .

— لم يقل أحد ذلك ياويانر .

— لقد ظننت أنكم على ألا تؤمنوا بهم . بيد أنه إذا لم يكن عندكم من الأسباب ما يجعلكم لا تؤمنون بهم ، فلماذا بحق السماء تنفخون لترجيح احدى الـكفتين ؟ إما أنه لا يهمكم أن يتبلج ضوء الحقيقة ، وإما أنكم ترغبون فى الانقسام إلى حزبين حتى تتجادلوا . ألا فليلعنكم الله . أنى لا أعرف إذا كان نيكوما كوس مـذنبا . ولـكنى أعرف أنكم جميعا مدانون لمحاولتكم التدخل فى مجرى العدالة .

عجب ما أرد أعواد السلال هذا العام . أنها تلين كالخيوط ولـكنها ليست ثابتة على الاطلاق .

— نحن يافيلاجاروس فى حاجة إلى جو أكثر حرارة . بيد أن ذلك الأمر فى أيدى الآلهة وليس فى أيدينا .

محمد فتحى عبد الوهاب

أيهـــا الطائر العزيز وداعا بل لقـــاء فى عالم غير فان
يا رفيقى الذى عرفت هواه حين كان الشباب فى الريعان
وبقلبي-قيتـــه صفوودى وبأسفى ممـــا سقيت سقانى
أبعدتنى عنك الحياة ، وكنا نتلاقى فى أكثر الأحيان
فتصبرت حين قلت لنفسى : عن قريب يكون يوم التدانى
وطواك الفناء ، فاليوم أطوى ما بقلبى من أمنيات حسان !
ليت هذا الفناء لم يَدْعُ يوما شخصك المفتدى ، وكان دعانى
ما له يؤثر البقـــاء لنفس لا ترى فى البقاء غير الهوان ؟!
والتى تؤثر البقـــاء نراها غرضـــا للفناء فى كل آن !
كم تعرضت للفناء بنفس فعـــدانى كأنه ما رآنى !
عبث هـذه الحياة ، وفوضى مانراه فى هذه الأكوان
ولو آن الحياة تنظم شعرا جعلت شعرها بلا أوزان
ولو ان الحيـــاة ترسل نثرا جعلت نثرها بغير معـــان
يارفيق تدرى بأن حيـاتى ملأت بالدموع كل دنانى !
يارفيق تدرى بأنى غـــريب بين قومى ! أجل ، وفى أوطانى
ياوفيق تدرى بأنى وحيـــد فى حياتى إلا من الأحزان !
قدشربت الأحزان من كاس أيا مى بروحى ومهجتى وكيانى
وألفت النواح دهرا ، فلو شئـ ـتُ غناء ، ناحت بقلبى الأغانى
أنا أبـكيك يارفيق ، وأرثي لشباب بكيته وبـكانى !
أنا أبـكيك يارفيق ، وأبـكى من حياة بها الزمان رمانى !
تنثر الشوك فى طريق ، وأزها رُ الروابى تود لو تلقـــانى !
تملأ الـكاس من دموعى ، وتسقيـ ـنى ، وكم قلت : ياحياتى كفانى !
شهـد الله أن طيفك دان إن يكن صار شخصه غير دان
شهد الله أن ذكراك أقوى فى حياة الورى من النسيان
وأغانيك تملأ الـكون سحرا بصـداها المنغم الرنان
عش قرير الجفون في عالم الخلـ ـد ، وغرد فى جنة الرضوان
ولعل الحياة تخلى. سراحى وعسى الموت أن يكون اصطفانى

ابراهيم محمد نجا

قلب يتعـــذب

للآنسة فدوى طوقان

«هدية إلى صديقتى الشاعرة الرفيعة نازك الملائكة»

غاضت ينابيع المنى باحزن فمن يروّى فيك شوقَ السنين !
اذبل وجفّ اليوم فى اضلعى وارجع كما كنت ، حطاماً دفين
تحت ثلوج الوحدة القاسيه نبـكى معـــاً آمالنا الذاويه
نبـكى ضياع الذمم الوافيـه فى عالم ما فيـه روح أمين

* * *

اين الذى نادى ومدّ اليدين وقلبه العانى على الراحتين ..
ملوحاً بالأمـــل المشتهى كيف مضى؟ فيم توارى؟ وأين؟!
راح ، كأن لم يحى فينا نداه بعد خمود الموت روحَ الحياه
أهـكذا حين أجبنـا هـواه يردنا للموت فى لحظتين ؟!

* * *

مالك ؟ ما بالك واهى الوجيب تراك فى كف النزاع الرهيب ؟
لا ، لا تخف ، فالموت أحنى يداً مت ياصريع الغدر ، مت يا كئيب
أرقدك الجانى على مهدِ من زهر الآمال ممتدّ
لم تدر أن الجمر فى الوردِ والسم فى نفح العبير الرطيب !

* * *

همت به نجماً خلوب الضياء فطرتَ بي نشوان نحو السماء
مستغرقاً فى سبحات الهوى تبنى من الوهم قصور الهواء
يا قلب يا مسكين يا ابن الخيال اين القصور الدافئات الظلال
ما شدته تحت الليالى الطوال مضى مع الريح ، وولى هباء..

* * *

لم تدر أن النجم غـــدّارُ لم تدر أن الضوء غرّارُ
يا عجباً حتى نجوم السما يملقها وحلٌ وأكدار !
يكفيك ياقلبى ويكفينى ولتصح من حلم المجانين
فهو كباقى الناس من طين لا نور فيه ، لا ولا نارُ

فدوى طوقان

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

هل تقدمنا في الميدان الاجتماعي ؟ .

جرت يوم السبت الماضي مناظرة في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية موضوعها : « لقد تقدمنا تقدما مرضيا في الميدان الاجتماعي » أيد الرأى رجلان هما الدكتور محمد عوض محمد بك والدكتور محمد صلاح الدين بك ، وعارضه سيدتان هما السيدة زاهية مرزوق والسيدة أسمى فهمى . وقد بدأ الكلام الدكتور عوض فقال إن وجود هاتين السيدتين الفاضلتين بهذا المكان الآن في هذه المناظرة دليل على التقدم الاجتماعي الذى نؤيده ، فهما بنشاطهما المعروف تدلان على تقدم المرأة المصرية .

وألقت السيدة زاهية مرزوق كلمة طيبة تضمنت نظرات فاحصة في أحوال المجتمع المصرى وأيدت آراءها بالإحصاء ونتيجة البحوث العلمية الاجتماعية ، وقد تعرضت لعدة نواح مهملة في مجتمعنا كالأمومة والطفولة ومستوى المعيشة وانحطاط المساكن في الريف ومما قالته أن المطاعم الشعبية التى تقام في المدن تنشىء جيوشاً من الشحاذين ، فما هى إلا صورة أخرى من الشحاذة إلى جانب توزيع الخبز والفول النابت أمام المساجد والأضرحة ، وهذه المطاعم تلجأ اليها الأمم في حالات الضرورة للمنكوبين واللاجئين في أيام الحروب ، ولكنا في مصر اتخذناها نظاما دائما ، فبدلا من أن نساعد الناس ونمهد لهم كى يحصلوا أرزاقهم بمملهم نهدر كرامتهم بهذه الصورة التى لا تتفق والآدمية الكريمة . وقالت السيدة زاهية إن مما زاد مستوى المعيشة انحطاطا الغلاء الذى كاد يذهب بالطبقة المتوسطة التى هى ميزان المجتمع وأصبحنا مهددين بانعدام هذه الطبقة بحيث تكون البلاد طبقتين طبقة عليا وطبقة سفلى ، ولا شك أن إهمال طبقات الشعب يغرس في النفوس الشعور بالظلم ، فتنعدم روح التضامن ، وهذا يؤدى إلى التفكك الاجتماعي .

ووقف الدكتور صلاح الدين فقال إنه يشعر بالحرج إزاء هذا لبحث القيم الذى سمعه من السيدة زاهية ، ولكنه مضى في تأييد الموضوع فذكر أننا حقيقة لم نبلغ أوج التقدم ولكننا تقدمنا تقدما مرضيا في ربع القرن الماضى ، ودلل على ذلك بالمقارنة بيننا وبين بعض الأمم المتأخرة ! وبأن ممثلى مصر في حلقة الدراسات الاجتماعية التى عقدت بلبنان تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة كانوا متفوقين بعددهم وبحوثهم وكانوا لا يقلون في مستواهم العلمى عن مندوبى أوربا وأمريكا ، وقال إن مصر تقدمت هذا التقدم رغم انشغالها بالنضال السياسى .

وقد ردت عليه السيدة أسمى فهمى ، ومما قالته أن التناحر الحزبى والخصومات السياسية شغلت القادة والرؤساء عن الإصلاح الاجتماعي ، وكان من الممكن لولا ذلك أن تنهض الأمة نهوضا اجتماعيا كبيرا في هذه الفترة ، واستدلت بما أحدثه محمد على من الأثر في حياة الأمة المصرية في وقت قصير ، وبنهضة تركيا الحديثة في زمن قليل .

والواقع أن حجج المؤيدين لم تستطع أن تقف أمام الحقائق الصارخة ، ولا أشك في أن ذلك يرجع إلى ضعف جانبهما لا إلى عدم احتفالهما وإعدادهما وإن كان ذلك ملحوظا أيضا . . وقد طغت السيدة زاهية مرزوق على الجميع وكسبت الموقف حتى إنه عند ما أخذ رأى الحاضرين لم يشذ عن القول بتأخرنا الاجتماعي سوى بضعة أفراد . وقد كانت هى — على خلاف ما قال عوض بك — دليلا على الهوة الواسعة بين عدد قليل من النساء النابغات وبين سائر النساء الجاهلات . . وقل مثل ذلك في علماء حلقة الدراسات ، فليس وجود طبقة من المثقفين لدينا تماثل علماء الأمم الكبيرة يستلزم تقدمنا في الناحية الاجتماعية .

الأجسام العارية والفن الهزيل :

استفاضت الشكوى أخيراً من نشر الصور العارية في الصحف وإسراف السينما في عرض أجسام الممثلات والراقصات والمواقف الحيوانية بين الذكر والأنثى . وأرسل صاحب السمو الملكى الأمير محمد على إلى رفعة رئيس الوزراء في شأن الصور الخليعة التى تنشرها بعض الجرائد والمجلات . فكان ذلك مثار اهتمام الحكومة بالأمر ، وكتب رئيس الوزراء إلى الأمير الجليل بأنه معنى بدرس أوجه العلاج الحاسم لهذا المرض .

أما الناحية الخلقية في هذا الموضوع فهى ظاهرة . والذى أقصد اليه هو أن ذلك العمل إنما يراد به ستر العجز الفنى واتخاذ تلك المغريات أداة للترويج والربح المادى ، فالمجلات التى جعلت من صفحاتها معارض للاثارة الجنسية إنما تلجأ إلى ذلك لأن أصحابها ليسوا من ذوى الرسالات الصحفية والقلمية ، وبدلا من أن

يتعبوا أنفسهم فى التماس القوة التحريرية والمادة الصحفية القويمة ، يقدمون تلك الصور ، وصارت الحالة إلى حد التنافس فى ذلك ، فاذا ظهرت مجلة بصورة بالغة فى الإثارة حرصت الثانية على نشر صورة (أنأح) منها !

ولا شك أن الحكومة إذا منعت هذه البضاعة فان أولئك الصحفيين يضطرون إلى كسب القارىء عن طريق الفن الصحفى المستقيم ، فإذا أخفقوا فى ذلك طهرت منهم الصحافة وأفسحوا للعناصر الصالحة النافعة .

وكذلك الحال فى الأفلام السينمائية ، فإن القائمين بها يوجهون همهم إلى جذب الجمهور بتلك الوسائل بدلا من أن يقدموا قصصا ذات موضوعات قيمة ، وقد أسرفوا فى ذلك أخيراً إسرافا طغى على الناحية الفنية ، فأصبح الفلم الناجح عندهم هو الذى يحتوى على تلك الإثارات دون اعتبار للقيم الانسانية والاجتماعية التى تهدف اليها الفنون .

وإن واجب الدولة أن تحمى الفن الصحيح والذوق السليم من ذلك الانحدار البهيمى ، وأعتقد أن الرقابة الحكومية لا تخدم الأخلاق ، بل هى أيضا بذلك تعمل على ترقية الفن السينمائى وتصفية جوه من الدخلاء الذين لا يفهمونه إلا على هذا الوضع المذرى . وهنا كا فى الصحافة تطهير من أشباه القوادين وإفساح لذوى الكفايات الفنية ، وعندئذ يكون التنافس فى الإجادة الصحيحة وتقديم الانتاج الجيد فى ذاته .

فلم الأسبوع :

« التخت » فى هذه المرة بسينما استديو مصر ، وهو يتكون من فريد الأطرش وسامية جمال واسماعيل يس ولولا صدقى وآخرين ، فالأول مغن والثانية رقاصة والثالث مضحك والرابعة على الهامش الخ.

ولا بد من قصة تظهر فيها هذه « الكفايات » وقد جاءت القصة على وفق المراد . كنا نرى الأبطال فى الأفلام الأخرى تخرج من المجتمع ، لأسباب مختلفة ، إلى المسارح والمراقص حيث تهيأ الفرصة لإظهار الرقاصة والمغنى . أما هنا فى فلم « عفريته هانم » فتبدأ القصة على المسرح مباشرة ، فالرقاصة علية (لولا صدق) هى ابنة صاحب المسرح الاستعراضى الذى يعمل فيه المغنى عصفور (فريد الأطرش) . ويملى صاحب المسرح على ابنته علية أن تغرى الشاب الغنى (ميمى بك) وتتصيده زوجا لها ، وتقوم بهذا الإغراء ويقع ميمى بك فى شباكها فيخطبها إلى أبيها ويدفع إليه ثلاثة آلاف جنيه

كشكول الأسبوع

▫ تكونت لجنة لتأبين المغفور له الأستاذ على محمود طه ، من على أيوب بك وفكرى أباظة بك والأستاذ أحمد حسن الزيات والأستاذ أحمد الصاوى محمد وآخرين . وسيعلن موعد التأبين ومكانه فيما بعد

▫ رأيت فى أول الكلمة التى رجهها الأستاذ الأبيارى إلى الدكتور الأهوانى بالعدد الماضى ، قوله : « فما الإغراب على بابى ولا من زادى . وغيرك ناسياً ذكرت ، فإنا وإياك لعلى مائة يارث من العربية ، ما أكثر دقيقاته وأدق خفيانه » ولما قرأت الكلمة كلها و « تنفست » لم أجدها على « مائة » بمدلول الجملة الأولى ، فهو ينفى الإغراب عن بابه وزاده ، والكلام كله إغراب . ولما لم تكن « بائنة » بينى وبين الأستاذ الإبيارى لأنس الزمالة فى وزارة المعارف فقد حدثته فى ذلك ، فما راعنى إلا أن زاد عليه أنه كتب « مقامات » سيقدمها فى القريب للنشر فى « الرسالة » وقد أعذر من أنذر ...

▫ طلبت وزارة المعارف من وزارة المالية الموافقة على تخصيص ١٨٠ جنيهاً لمكافأة المفتشين العامين الذين سيقومون بالتفتيش فى المدارس المصرية بالسودان لقاء محاضرات ثقافية يلقونها هناك ، ويأخذ كل منهم خمسة جنيهات عن كل محاضرة . هذا وقد كان كاتب هذه السطور بالسودان سنة ١٩٤٣ حين أوفدت الوزارة بعض هؤلاء المفتشين لذلك الغرض ، فلم تكن محاضرات بعضهم بذات غناء ووصفتها الصحف هناك بأنها معلومات مدرسية . وأذكر هذا منبها على ضرورة حسن الاختيار .

وصل إلى القاهرة الشاعر العراقى الكبير السيد رضا الشبيبى عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية للاشتراك فى مؤتمر المجمع . وسيلقى كلمة فى افتتاح المؤتمر . وقد ضم الأستاذ إلى أعضاء المجمع فى العام الماضى ، وكان له نشاط كبير فى الدورة الماضية ، إذا ألقى بحثا قيما عن الحركة الأدبية فى العراق ، واشتملت مضابط الجلسات على آرائه السديدة فى مناقشة الموضوعات الأدبية واللغوية .

▫ لوحظ أن منهج التعليم الدينى الذى قرر للمدارس الابتدائية مشحون بالنصوص التى يطلب من صغار الناشئة حفظها وإدراك مراميها الصعبة . والأولى من ذلك أن يوجه أكثر الاهتمام إلى الناحية التهذيبية عن طريق ميسر مشوق .

▫ من أنباء هيئة اليونسكو أن لجنة الخبراء بها وافقت على اقتراح خاص بإعادة النظر فى المواد التاريخية لاستبعاد كل ما شأنه الاضرار بمصالح البلاد الأخرى وإثارة الشقاق بين الأمم

▫ تبين لادارة اليونسكو بباريس أن مدير مستخدميها اليهودى كان يحول دون أى نفع يمكن تقديمه إلى مصر ، كما نسب اليه أشياء أخرى ، فتقرر وقفه عن العمل والتحقيق معه .

▫ دعيت مصر وغيرها من بلاد الشرق الأوسط إلى الاشتراك فى مؤتمر الطلبة الذى يقام بنيويورك فى أوائل مارس القادم . وقد وافقت وزارة المعارف على إيفاد طالب وطالبة من المعاهد العليا ليكونا مندوبين عن الطلبة المصريين فى هذا المؤتمر ؛ وستكون نفقات هذه الرحلة على طلبة الولايات المتحدة .

▫ توقفت إذاعة الأغنية الجديدة « ولد الهدى فالكائنات ضياء » التى سجلتها الاذاعة المصرية لأم كلثوم من شعر شوقى ، وذلك لأن أم كلثوم غير راضية عن أدائها الصوتى فيها . وليس صحيحا ما يقال من أنها منعت لتضمنها مدح الاشتراكية . وسيعاد تسجيل هذه الأغنية .

مهرا لها . ويظهر فى خلال ذلك أن عصفور يحب علية ويرى علاقتها بميمى بك ولكنه لا ييأس . إذ يعتقد واهما أنه تبادله الحب فيتقدم لخطبتها فيسخر منه أبوها ويطلب منه أن يمهرها ثلاثة آلاف جنيه .

ولكن السيد عصفور مفلس طروب . فماذا يصنع ؟ لجأ إلى حديقة يغنى بها ، وإذا شيخ عجوز يظهر له ويدور بينهما حديث عن القسمة والنصيب ، ثم يختفي بعد أن يتفق معه على مقابلته فى غار بجبل المقطم ، ويذهب عصفور ومعه صديقه بُقُـو (اسماعيل يس) إلى الغار ، ويظهر الشيخ فى الغار فيدفع إلى عصفور مصباحا ، ويتلاشى الشيخ ، ويقلب عصفور المصباح فتخرج منه العفريتة الحسناء كهرمانة (سامية جمال) وتقول له إنها تحبه منذ ألف سنة !

وتصنع كهرمانة أعاجيب ، منها أن توجد فى الحال قصرا لعصفور وصديقه بقو ، وتمدها بالمال فيشتريان المسرح المقابل للمسرح الذى كانا يعملان به ، وينافسان صاحبه ، وتحضر رقاصة تشبهه تماما ليغنى لها عصفور وهى ترقص ، واسم هـذه سمسم (سامية جمال أيضا) وفى أثناء ذلك تغازل كهرمانة عصفور وهو يغازل سمسم . ويتضايق أبو علية من هـذه المنافسة وقد تحول الناس عن مسرحه إلى المسرح الجديد ، فيبعث بابنته إلى عصفور لتحاول مصالحته وإغراءه ، فتأتى إليه وهو لا يزال يحبها فيرحب بها ، ويأتى معها أبوها بعد ذلك ويتودد إليه ، ثم تعلن خطبة عصفور لعلية ، فتغضب سمسم وكهرمانة ، وتعمل الثانية بأساليبها الخارقة على إفساد هذه الخطبة ومنع الزواج ، فيغضب منها عصفور ويذهب إلى المصباح فيلقى به ، فيأخذه الشيخ العجوز ويضع علية فيه ... ويذهب القصر ويعود كل شىء إلى ما كان عليه .

ويغنى عصفور ، ويظهر له الشيخ فيقول له إنه ضيع الفرصة التى لا يمكن أن تتكرر ومع ذلك يستطيع أن يسعد بسمسم . ويستأنف عصفور عمله على مسرحه ، فيعد (أوبريت) وتظهر فيها سمسم وقد عادت إليه بعد أن هجرته غاضبة . وبعد انتهاء (الأوبريت) يظهر ان سعيدين فى الختام .

ويقال إن القصة (وضعها أبو السعود الأبيارى) تعرض لمسألة القسمة والنصيب وجزاء من لم يرض بما قسم له . وهذا كلام فارغ ، لأن هـذه مسألة قديمة مبتذلة ، على أن تطبيقها فى الفلم لا هدف له ، فعصفور يحب علية ، وكل ما يريد أن يظفر بها فكيف يؤخذ عليه سعيه لنيل أمنيته ورفضه قسمة المفاريت ؟ ثم إن صرفه عن حب علية ليس طبيعيا وإنما هو مفتعل إذ نصحه الشيخ بحب سمسم .. ومتى كان الحب بالنصيحة ؟

وليس فى القصة أى مغزى اجتماعى ، بل هى بعيدة عن المجتمع العام لحوادثها تجرى فى بيئة (الأرتستات) تربط بينها تلك الروابط الخرافية التى لا غاية لها سوى عرض الغناء والرقص .

والمجهود القيم (نسبيا) فى هذا الفلم للمخرج (بركات) وهو الذى أجرى تقطيع القصة (السيناريو) فقد قام بعمله فى الحدود المرسومة ، ومما أجاد إخراجه المنظر الذى ظهرت فيه علية وهى تحدث ميمى بك بالتليفون ويحدثها عصفور من وراء ستار إذ قالت له إنها تبدل ثيابها ، فيجئ حديثها ردا على كليهما فى آن ، وأريد أن أسأل بعد ذلك : لماذا بدا القصر خاليا من الأثاث ؟ وكيف عجزت العفريتة عن تأثيثه وهى التى أوجدته فى طرفة عين .. ؟ وكيف وجد هـذا القصر فى القاهرة فجأة وذهب فجأة على أعين الناس ؟ !

وقد شاهدنا عصفوراً حين أزمع الذهاب إلى صاحب المسرح ليخطب علية ، مع أصحابه فى سيارة قديمة يقودها ، وهم يخترقون الشوارع فى منظر غاية فى التهريج السخيف ، هو يغنى وهم يتراقصون منظرفين ، وهذا إنما هو أليق بالنسوة اللائى يركبن عربة (كارو) وينشدن (سلمى ياسلامة !) ومن أين لعصفور هذه السيارة (اللاكى) وهو يعمل بقروش فى المسرح مهما كانت قديمة ؟

وترى كهرمانة تعرض على عصفور أن ترقص أمامه على مسرحه الجديد ، فيقول لها إن الناس يرون رقصها لأنه هو وحده الذى يراها ، فتأتى له بسمسم ، وكهرمانة تعرف أن الناس لا يرونها فكيف كانت تريد أن ترقص على المسرح ؟

نخلص بعد ذلك إلى المقصود من هذا الفلم « الاستعراضى » هو الرقص والغناء ، قيل إن علية رقاصة مع أنها لم ترقص أبداً بل ظهرت على المسرح مع عصفور يغنى لها وهى إلى صدره يتحسسها وتميل عليه فقط ! أما سامية جمال فقد رقصت ورقصت ويعتمد رقصها على رشاقة جسمها وإظهار مفاتنه ، وليس وراء ذلك فن من تعبير .



وفاة الأستاذ محمود حسن زناتي

قُبض إلى رحمة الله صديقنا المغفور له الأستاذ محمود حسن زناتي في صباح يوم الأربعاء الماضي في (ناى) من قرى القليوبية ، وكان أخواله آل عطية قد نقلوه من القاهرة إلى ديارهم حين تبلغت به العلة واحتاج إلى رعاية الأهل وعناية القربى .

أصيب هذا الرجل الفاضل بالفالج النصفي منذ ثلاث سنوات فانقطع عن الناس وانقطع الناس عنه وكان بطبعه ألوفا ودوداً يحب الخلطة، ويعشق الحديث، ويسأل عن صاحبه إذا غاب، ويزوره إذا حضر . وكان أشق عليه من مرضه أن ينعزل عن العالم في مسكن نابي الفراش موحش الجوانب يظل فيه النهار، ويبيت به الليل، قلق الوساد موجوع البدن لا ينعم فيه بحنان الولد ولا عطف القريب، ولا يطرقه عليه إلا جار كريم أو صديق قديم .

درس زناتي في الأزهر ، وتلمذ على أستاذنا العالم الناقد سيد بن على المرصفي، وعلى شيخنا اللغوي الحجة محمد محمود الشنقيطي وكان أثيراً لدى الرجلين، يزورهما في البيت، ويلزمهما في الجامع، ويصحبهما في الطريق ويروى عنهما الأشعار والأخبار والطرف . ثم عين مصححاً في المطبعة الأميرية فقضى بها ردحاً من الزمن حتى انتقل القسم الأدبي منها إلى مطبعة دار الكتب فانتقل معه . ثم اختاره المرحوم أحمد زكي باشا ليكون أميناً للمكتبة الزكية التي وقفها وجمل النظر فيها لوزارة الأوقاف، وكانت يومئذ بقبة السلطان الغوري . فلما فصلت عن وزارة الأوقاف ووصلت بدار الكتب انتقل موظفاً بديوان الوزارة ؛ ولكن العمل الجديد لم يرضه لا ببيئته ولا بطبيعته فطلب الإحالة على المعاش فأحيل . ومنذ يومئذ تفرغ للأدب فأخذ يزجي فراغه بنظم الشعر واقتناء المخطوطات ونشر الكتب . فمن الكتب التي نقحها وعلق عليها ونشرها، مختارات ابن الشجري والمفضليات للضبي ، ثم الجزء الأول من الفصول والغايات للمعري . ثم انتهى أمره إلى هذه العلة الفادحة فكابد من وصبها ما كابد حتى اختار الله له ما عنده . تغمده الله برضوانه ورحمته ، وأنزله منزلة الأوفياء من فسيح جنته .

في ذمة الله يا زناتي :

أيها الراحل الكريم سلاما ... آه لو كنت تستطيع الكلاما !

سكت الصوت سكتة ، ودفنا ... في التراب النشيد والإلهاما

أيها الناطق المحدث ماذا ... أسكت اليوم هذه الأنغاما ؟

رحم الله في الندى حديثا ... كان يطوى الزمان والأياما !

كنت ترويه كالزلال نميراً ... وتساقيه كاللهيب ضراما

وتقص الزمان جيلا فجيلا ... وتعيد التاريخ عاما فعاما

كنت في ندوة البيان طرازا ... يأسر الفاهمين والأفهاما

حطمتك الأيام حتى رأينا ... رجلا صار في الحياة حطاما

قم تر الأرض لم تبدل قليلا ... من رحاها ، ولم تغير نظاما

فالليالي – كما عهدت – الليالي ... والندامى كما عرفت – الندامى

من يفته الحمام في هدأة اللي ... ل ففي صبحه سيلقى الحماما ...

أجل دائر علينا ، وكأس ... سوف نسقى منها ونروى الأواما !

أيها الراحل الذي لم يودع ... ما ملكنا في البين إلا السلاما

محمد عبد الغني حسن

أما فريد الأطرش فقد أمطر الفلم غناء . غناؤه كرقص سامية لا تعبير في كليهما ، والأوبريت التي قدمها كلها تطريب فهو يقف ليغني ولا شيء وراء ذلك ، فكل مواقفه « فواصل » غناء ليس إلا ، وفن الأوبريت مظلوم ! وهو يغني في موقف الحزن كما يغني في الفرح ، ووجهه جامد في التمثيل أيضا ، وإن كان لا بأس به فيما عدا قصور وجهه في التعبير ، وكان دوره ملائما لشخصيته الهادئة ، فلم يستفزه منظر حبيبته في أحضان غريمه ، واكتفى بأن راح يستعد لخطبتها !

أما إسماعيل يس فقد أصبح دوره في الأفلام المختلفة أن يكون صديقا للبطل بقصد التضحيك . وهو ظريف الشخصية أينما وضع ، غير أن حظه من ذلك قليل في هذا الفلم .

عباس خضر

وتذهب الجدب » . وهذا وجه آخر للمسألة يؤول تنفيس الكرب بما تسوقه الرياح من خير ، لا بما يشعر به المرء من داخل فنقلوا الظاهر إلى الباطن ، وهذا أليق .

قلتَ : وقولهم « شيء نفيس » أرادوا أنه ذو نفس ، بالتحريك

قلتُ : وهذا معنى طريف لست أدرى أوقع القدماء عليه أم لا ، وقد وقفت عنده ، وتساءلت أكل متنفس نفيس؟ وفي الصحراء أحياء من نبات وحيوان ينفر العربي منها ويحط من شأنها لقلة نفعها أو مظنة ضررها . وما بالك بالثعبان الذي ينفث السم ، أهو شيء نفيس؟ ولعلك زاعم أن النفث بالثاء من النفس بالسين ، فبهما معانٍ متقاربة كنفثات الشاعر ، والنفاثات في العقد من السحر . أو قائل إن النفش بالشين من ذلك أيضاً ، من التفريق والانتشار . قال الحكيم الترمذي في كتاب الرياضة « والنفس مسكنها في الرئة ، ثم هي منفشة في جميع الجسد » .

قلتُ : الثاء والسين والشين متقاربة ، والحروف أصل الألفاظ . والأصوات محاكاة للطبيعة أو تعبير عن المشاعر الباطنة . ترى أيكون سر المعنى في النون أو الفاء أو السين ؟ أهو في حرف واحد أو في حرفين أو في ثلاثة ؟ ولقد زعم قوم أن اللغة العربية ثنائية ، ولعلهم على صواب . ثنائية أو ثلاثية فحرف السين جوهري في هذه اللفظة ، وإننا لنجده في لغات كثيرة . وليس ذلك من قبيل الاتفاق : في اليونانية بسيشي Psuche ، ونحتت منها في اللغات الحديثة البسيكولوجيا أو علم النفس . وفي الانجليزية سول Sul ، وفي الفرنسية أسبري Esprit والأصل في هذا الصوت وهو السين ما يسمعه المرء من صوت الهواء إذا كان نسيما ، فإذا اشتد أصبح صريرا والصاد تشديد السين ، وقد يكون الصوت حاء ومنه الرياح والريح ، ولذلك قالوا فحيح الأفاعي .

قلت : ثم جاءت النفس بالإسكان في شتى معانيها . وإخال أسبقها الروح ، وهل هي إلا أنفاس ؟

قلتُ : هذا مذهب في التوحيد بين النفس والروح . والتحقيق غير ذلك . النفس مؤنث إن أريد بها الروح ، ومذكر إن أريد بها الشخص . تقول خرجت نفسه أي روحه ، وعندي ثلاثة أنفس فأنثت العدد لأنه عكس المعدود .

قال أبو عبد الله الحكيم الترمذي من صوفية القرن الثالث : «الروح نور فيه روح الحياة ، والنفس ريح كدرة جنسها أرضية» فرق بين الروح والنفس ، وبين الروح والريح . وقول الجنيد الذى ذكرت من أن النفس من مستأثر الله تعالى » يريد الروح لا النفس قال ابن الفارض في تائيته .

وإني وإياها لذاتٌ ومن وشى ... بها وثنى عنها صفات تبدت

فذا مظهر للروح هاد لأفقها ... شهوداً بدا في صيغة معنوية

وذا مظهر للنفس حادى لرفقها ... وجودا غدا في صيغة صورية

قال ابن القيم : والذى يرجح ويغرب هو أن الإنسان له نفسان حيوانية ونفس روحانية . فالنفس الحيوانية لاتفارقه إلا بالموت . والنفس الروحانية التى هى من أمر الله فبها يفهم ويعقل فيتوجه لها الخطاب ، وهى التى تفارق الإنسان عند النوم ، وإليها الإشارة بقوله تعالى: يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها.

والدليل على أن الذى من مستأثر الله تعالى هو الروح قوله عز وجل (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) لأن الروح من الغيب لاتدركها العقول وتعجز عن معرفتها الأفهام .

وبعد فقد طال بنا النفس في الاستطراد ، وكنت أطمع في جواب الأديب عن معنى نفس الأديب ، لأن هذه صناعتك ، فصدفت عن الجواب ، ورددت السؤال بسؤال ، وعدلت عن الأدب إلى الحكمة واللغة نفاسا ، ولك نُفسة إلى أمد ، فلعلك لا تنفس بالجواب .

أحمد فؤاد الأهوانى

أخى الابيارى

لك أنفس تحية وعليك أروح سلام .

زعمتَ أنى دفعتك إلى حديث شائك ، وما رغبت فيه إلا لأنه حبيب شائق . ولبست أثواب العلماء تواضعا ، ثم بان علمك وفاض فضلك ، فإذا بك تسأل سؤال العارف . أومأت إلى مذهب المعلم الأول فى أنفسه الغازية والحساسة والناطقة ، وأشرت إلى المتكلمين فى قولهم بالامتزاج كالماء بالعود ، وأخذت عن بعض الفلاسفة حكايتهم عن النفس المدبرة للأبدان المحركة للجسوم ، وحكيت قول الجنيد من الصوفية أنها من مستأثر الله تعالى .

ثم استقصيت قول أصحاب اللغة ووقفت بباب ابن فارس إن النفس من النفس « أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان من ريح أو غيرها » .

قلت : « وقول القائل » نفس الله كربته « من ذاك لأن خروج النسيم روحا وراحة » .

قلتُ : هذا عند من يوحدون بين النفس والروح ، ويجعلون النفس من الريح . وقالوا : « ومعنى لاتسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن ، أنها تفرج الكرب ، وتنشر الغيث



نهضة العراق الأدبية

في القرن التاسع عشر

للأستاذ ابراهيم الوائلى

شهد العراق فى القرن التاسع عشر نهضة أدبية كبرى كان لها الصدى المدوى فى وادى الرافدين ، وكان لها الأثر الفعال فى انبعاث الشعر المعاصر فى العراق . وهذا القرن — بما فيه تبلبل سياسى والتواء فى الحكم ، وبما فيه من ظلم واستبداد — كان نشيطا فى حركته العلمية والأدبية . وكان أكثر نشاطاً فى الناحية الشعرية . ففى بغداد والحلة والنجف والموصل كانت الحركة العلمية فى نهاية المعركة مع الأحداث والخطوب التى كانت تحارب العقول والأذهان والحريات ؛ لأن الأولى كانت تستمد قوتها من تأريخ حافل بالأمجاد والروائع ؛ ولأن الثانية كانت تطل من دنيا الجهل والجبروت تحارب هذه الأمجاد بقوة وعنف وانتصرت الحركة العلمية فى العراق بفضل أبنائه الساهرين على تأريخهم وأمجادهم ، فقد كانت فى القرن التاسع عشر — ولا تزال — بيوت أثيرة المكانة منيعة الجانب تجمع بين النفوذ السياسى والدينى ، وكان فيها إلى جانب ذلك من يعشق الأدب ويمارس الشعر . وقد حدبت هذه البيوت على الشعر والأدب تعده بالرعاية وتبذل له من التشجيع ما وسعها ذلك . ومن هذه البيوت : الشاوى والنقيب وكبة فى بغداد ، والقزوينى فى الحلة ، وكاشف الغطاء والجواهرى وبحر العلوم فى النجف ، والعمرى فى الموصل . وتحت رعاية هذه البيوت استظل الشعر بجناح وريف الظل ونبغ كثير من الشعراء الأفذاذ الذين لا يقلون فى التعبير والمعانى والأخيلة عن شعراء العصر العباسى الأخير . ومن هؤلاء : الحليان السيد حيدر والسيد جعفر ، والموصليان عبد الغفار الأخرس وعبد الباقى العمرى ، والنجفيون السيد محمد سعيد الحبوبى والسيد ابراهيم الطباطبائى والشيخ عباس والشيخ جعفر الشرقى والشيخ جواد الشبيبى وغيرهم . وقد ترك معظم هؤلاء الشعراء دواوين مطبوعة وآثاراً مخطوطة يتدارسها أدباء العراق ويعنون بها ، لأنها الينبوع الذى تدفق من بين الرمال والصخور بعد فترة طويلة فسقى وأنبت وأمد نهضتنا الحديثة بذخيرة قوية وافرة .

ومن المعنيين بهؤلاء الشعراء الشاعر المعروف الدكتور محمد مهدى البصير استاذ الأدب العربى بدار المعلمين ببغداد فقد أصدر عنهم كتابا سماه : (نهضة العراق الأدبية فى القرن التاسع عشر) تحدث فيه عن ثمانية وعشرين شاعراً بين شهير أضاف إلى حياته صفحة جديدة ، وبين مغمور كشف عن حياته وشعره . وهذا الكتاب هو مجموعة أحاديث أذاعها أديبنا الكبير من دار الإذاعة العراقية ثم شاء له حرصه الأدبى والتأريخى أن يجمعها فى كتاب منشور .

هؤلاء الشعراء — كما يقول الدكتور فى المقدمة — : «ليسوا كل من أنجب العراق من قالة القريض فى القرن المنصرم ولا أكثرهم و لا كل من أعرف منهم ، ولكنهم صفوة من أعرف وخير من وصلنى علمه منهم» أما دراسته لهؤلاء فليست من الدراسات التى تعتمد على الترجمة والرواية فحسب ، بل هى مزيج من هذا ومن غيره . ولعل اللون الذى يطغى على هذه الدراسة هو اللون التحليلى الذى يعتمد فيه على أثر الشاعر ويستق من شعره ، ولذلك فإن للدكتور البصير آراء استخلصها من شعر هؤلاء قد لا يقره عليها عشاق التراجم ، كما أن له آراء قد لا يوافقه عليها نقاد الأدب ، ونراه فى بعض الشعراء يبدو واضح الرأى والفكرة ، وفى بعضهم يظهر مترددا متهيبا من الأفصاح والجهد ، والسبب فى ذلك يعود إلى أن الذين تحدث عنهم لم يكونوا جميعاً ممن انقطعت صلتهم بالأحياء . بل أن معظمهم ترك وراءه اسرة وأحفادا يحاسبون الأديب والناقد الحر ، وأن معظمهم قد جمع بين الشعر والعلم ، وبينهما وبين التقشف والزهد ، فكان من البديهى أن يقع الدكتور فى مأزق من جلاء الدراسة ووضوح الرأى فلم تسلم دراسته من بعض الغموض ، ولم يسلم رأيه من الترجح والتردد فى بعض المواطن ، وسنشير إلى ذلك وغيره .

يتحدث — أول ما يتحدث — عن السيد محمد سعيد الحبوبى

النجفى الشاعر الشهير وصاحب الموشحات الكثير فيقارن بينه وبين الشريف الرضى وتسلم له مقارنته فى كثير من المواطن ، فى الشعر والعلم ، وفى الحياة والجهاد، وفى مواطن الترفع عن التكسب بالشعر ، ويغفل المقارنة بينهما فى النسب، فكلا الشاعرين علويان يتصل نسبهما بالأمام على ؟ وقد ترتب على هذا الإغفال — مادمنا فى صدد المقارنة اغفال ناحية أخرى وهى تعصب الشريف الرضى لعلويته ودفاعه عنها واعتزازه بها وتفجعه لمآسى أجداده. أما الحبوبى فإنه قليل المحاولة فى ذلك ، فما هو السبب ولماذا ؟ هذا ما كنا ننتظره من الدكتور .

ويتردد الدكتور فى رأيه بين الجهر والتكتم عند ما يتحدث عن غزل الحبوبى ، فهو لا يستطيع أن يحكم بأن الحبوبى قد اكتوى بنار الحب وأنه استمتع من شبابه بما يستمتع به كل شاب مترف لأن سمعته الحبوبى الفقيه تأبى ذلك : . ثم يقول : « أننا نظلم الحبوبى ظلما فاحشا إذا افترضنا أن قلبه لم يكن من القلوب التى يدخلها الحب » ! فالدكتور البصير لا يريد أن يظلم الحبوبى فيقول عنه إنه أحب ولا يريد أن يظلمه فيقول : إنه لم يحب لأنه فى الأولى يتنافى مع علمه وفقهه وفى الثانية يتنافى مع غزله الرقيق ؟! هـذا هو موطن الغرابة فى رأى الدكتور ، ولقد كان بإمكانه أن يعلن عن رأيه بوضوح ولا يتحفظ مادام يتنقل من ديوان الحبوبى بين شعر واضح التصوير والصور، ولا أحسب ذلك عسيراً على الدكتور وهو يعتمد فى دراسته على الشعر أكثر من غيره .

ثم ما المانع من أن يكون الحبوبى قد عشق وأحب ولكن فى سياج من العفة والأخلاق ؟ وهل كانت قلوب الفقهاء إلا كقلوب سائر البشر تحس بالجمال وتنفعل به، ولكنها كقلوب بعض البشر أيضاً لا تواكب هذا الجمال ولا تنطلق مع الحب إلى ماوراء العفة ؟ وليس الحبوبى إلا واحداً من هؤلاء يحس بالجمال ويحترمه وقد يهيم به ولكن فى دائرة محدودة هى النزاهة والعفة .

ثم ألبس الشيخ عباس النجفى — وقد تحدث عنه الدكتور فيمن تحدث عنهم — كان فقيها وكان محبا تعرض فى حبه لكثير من المتاعب وتحدثت عنه القصص الغرامية كما تتحدث عن أى شاعر عاشق صدق فى شعره كما صدق فى حبه ؟ فلماذا كان الشيخ عباس شاعراً محبا صادق الحب ؟ ولماذا كان الحبوبى يظلم حين يتهم بالحب ويظلم حين يجرد منه ؟ .

اعتقد أن هذا التشكيك وهذا التحفظ ما كان لهما شأن عند الدكتور لو أنه عنى بدراسة البيئة العراقية عناية دقيقة وربط بين هذه البيئة وبين شعر الحبوبى . ولو أنه أعطى البيئة نصيبا من الدراسة لجرد الحبوبى من تبعات الحب فى مختلف أدواره، ولننظر إلى شعر الحبوبى :

قلن لى : علاك بابادى الشجن ذلك الصب العراقى الوطن

مولع القلب بتسآل الدمن

لست تنفك تحيى الأربعا ولكم عجت ضحى فى سفح ضاح ؟

قلت : هل تنكرن صبا مولعا ياذوات الأعين المرضى الصحاح

هذا نموذج ذكره الدكتور من غزل الحبوبى واستشف من ذلك أن الشاعر كان عاشقا ولكنه تحفظ بهذا الرأى كما يقول . ولو أنه أنكر على الحبوبى « تسآل الدمن » و « الأربع » و « سفح ضاح » والجناس بين « ضحى وضاح » و « الأعين المرضى الصحاح أقول : لو أن الدكتور فعل ذلك لأنكر على الحبوبى هذا الحب وهذه المحاورة . ولنستمع الى الدور الآتى من الموشح :

ثم قدنا شـدنها بالذمم وتلطفن بطيب الكلم

قلن لى : الموعد فى ذى سلم

فانتظر حارسها أن يهجعا ورعاة الحى أن تأوى المراح

وهزيع الليل أن ينهزما وتهيج الروض أنفاس الرياح

فأين الحبوبى من ذى سـلم ورعاة الحى والمراح وهو يعيش فى مدينة النجف ؟ كل ذلك تقليد للصور الشعرية التى نجدها فى محاورات ابن أبى ربيعة،ولكنه تقليد واضح الشخصية متين الأداء . أما الانفعالات التى يثيرها الحب فى نفس الشاعر المحب وتنعكس فى تعبيره فإننا لانكاد نلمحها فى ثنايا هذه الابيات على أن السيد الحبوبى — رحمه الله — قد هدم كل رأى يقال فيه عن الحب فى موشحة أخرى وصرح بأن هـذا الغزل كله كان غزلا ماديا لا ينعكس فيه أية صورة من صور الحب الصحيح :

لا تخل ويك ـ ومن يسمع يخل ـ أننى بالراح مشغوف الفؤاد

أو بمهضوم الحشا ساهى المقل أخجلت قامته السمر الصعاد

أو ربات خدور وكال يتفنن بقرب وبعـــاد
إن لى من شرفى بردا ضفا هو من دون الهوى صائنى
غير أنى رمت نهج الظرفا عفة النفس وفسق الألسن

ولا داعى لأن يقول الدكتور إن هذه الأبيات قد زادت (المسألة تعقيداً) بعد الذى أشرنا إليه .

حقا أننا نجد الحب فى أعنف صوره عند الشيخ عباس النجفى لأنه كان شاعراً صادق التعبير ، وفى حدود ذلك الحب لم يتجاوزه إلى ذى سلم وسفح ضاح، بل وقف عنده يؤديه أحسن أداء ويصوره أحسن تصوير . وهذه قصيدته الشهيرة خير دليل على حبه الصادق العنيف :

عدينى وامطلى وعدى عدينى ودينى بالصبابة فهى دينى
ومنى قبـل بينك بالأمانى فإن منيتى فى أن تبينى
سلى شهب الكواكب عن سهادى وعن عد الكواكب فاسألينى
أما وهوى ملكت به فؤادى وليس وراء ذلك من يمين
لأنت أعز من نفسى عليها ولست أرى لنفسى من قرين
أما لنواكم أمد فيقضى إذا لم تقض عندكم ديونى ؟
هبونى أن لى ذنبا - ومالى سوى كلفى بكم ذنب - هبونى
ألست بكم أكابد كل هول وأحمـل فى هواكم كل هون
إذا ما الليل جن بكيت شجوا وطارحت الحمائم فى الغصون
ولو أبقت لى الزفرات صوتا لأسكت السواجع بالحنين
بنفسى من وفيت لها وخانت وأين أخو الوفاء من الخئون ؟

وهى قصيدة أكثر مما ذكرناه منها وقد أشار إليها الدكتور بقوله : لا أغالى إذا قلت إنى لا أعرف لجميل بن معمر شيخ المحبين قصيدة أحفل منها بالعواطف الصادقة وأغنى بالأحاسيس والمشاعر الرقيقة إذا فالدكتور قد استجاب لهذه القصيدة وانفعل بعواطف الشاعر ورافقه لحظة من الزمن أدرك خلالها أنه محب صادق الحب . فهل استجاب لغزل الحبوبى حتى استجاب لعواطفه ولكنه تحفظ برأيه ؟ نقطة الخلاف بيننا وبين الدكتور هى البيئة وحدها، فالدكتور لم يتعرض لها حتى يصل منها إلى نتيجة ، لذلك وقع فيما وقع فيه من الاضطراب فى الرأى ؛ إذ الواقع أن غزل الحبوبى لم يكن ليصور بيئته أدق التصوير . والواقع أن الحبوبي كان موفقا إلى حد بعيد فى الأداء اللفظى وفى التعابير الرقيقة وإن كانت من غير بيئته، ولكنه لم يكن معبرا عن عواطف وانفعالات تثير القارىء فيستشف منها ظلالا تختفى وراء هذا التعبير ، لأن الشاعر لم يكن محبا فى يوم من الأيام ، لا لأنه كان عالما فقيها ، وإنما لأنه لم يحب وكفى ، وإلا لصور حبه تصويراً لا يخرج به عن حدود البيئة ، لتحدث عن احساسه العاطفى قبل أن يكثر من الغزل المادى .

على أن الدكتور حين يستعرض الغزل عند السيد حيدر الحلى يقول عنـه : ليس هناك أدنى شك فى أن السيد حيدر لم يقع فى شرك الحب ولم يخضع لسلطان الغرام فى يوم من الأيام إذا كان ما نعرفه من أخلاقه وأحواله صحيحا . وهنا نضع أكثر من علامة استفهام لنسأل الدكتور عن السر فى تفاوت الشاعرين وكون الحبوبى يظلم حين يجرد من الحب، وإن الحلى لم يقع فى شرك الحب ؟

ثم ماهو المانع من أن يجتمع الحب النزيه مع الأخلاق الكريمة إذا كانت الأخلاق مقياس الحب ؟

وهذه أبيات للسيد حيدر نرويها كما رواها الدكتور :

سارق نهأ النظر المريب بمقلة لم تقض من لحظاتها آرابها
ولقد دعوت وما دعوت مجيبة ودعت بقلبي للهوى فأجابها
أعقيلة الحيين شقت فنولى كبدا هوتك فكابدت أوصابها
مادمية المحراب أنت بل التى تنسين نساك الورى محرابها

أن هذه الأبيات خالية من الأحاسيس والعواطف فى نظر الدكتور مع أن الشاعر لم يزخرف فيها ولم يتصنع . أما الغزل عند الحبوبى فان من الظلم أن يجرده من العواطف !!

البقية فى العدد القادم

ابراهيم الوائلى

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى الفنادق

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور مرة أخرى أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلي والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم للدرجة الأولى فقط والإقامة فى الفنادق .

وتشمل هذه التذاكر الإقامة فى الفنادق المبينة بعد :

إسم الفندق	درجة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و ٤ ليال من القاهرة — مليم	جنيه
فندق ونتر بالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	٩٣٠	١٦
فندق كتاركت بأسوان	« « «	١٢٠	١٩
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٠٨٠	١٥
	« « « « الثانية	٣٢٥	٩
فندق جراند أوتيل بأسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٢٧٠	١٧
	« « « « الثانية	٠٩٠	١٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	٢٠٠	١٤
	« « « « « الثانية	٤٤٥	٨
فندق العائلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	« « « « الثانية	٣٥٥	٦
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	« « « « الثانية	٣٥٥	٦

مطبعة الرسالة

العدد ٨٦٠ – الاثنين ٢٦ ديسمبر ١٩٤٩ – السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العــــدد القـــادم

هو

العـــــدد الممتـــــاز

فترقبوه يوم صدوره

انتظروا :

عدد « الرســـالة » السنوى « الممتاز »

فى يوم الأثنين ٣ يناير سنة ١٩٥٠ وهو حافلا

كعادته بأروع ما يكتب في موضوعه

لصفوة من أقطاب البيان

فى مصر والعـــــــالم العربى

نسخه محدوده وثمنه ثلاثون مليما

17 me année No. 860

Lundi — 26 — 12 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٦٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٩ — ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة »

محمود حسن زناتى



كنا ثلاثة ألف بيننا وحدة الطبع والهوى والسن ؛ فالطبع مرح فكه ، والهوى درس الأدب وقرض الشعر ، والسن فتية لا تجاوز السادسة عشرة . وكان طه قاعدة المثلث ، ومحمود وأنا ضلعيه القائمتين أو كان المبرد صاحب الكامل قلب الطائر ، والزمخشرى صاحب الكشاف، وثعلب صاحب الفصيح، جناحيه الخافقين وتلك كانت ألقابنا على الترتيب ، لقب بها بعضنا بعضا لنزعة فكرية أو فنية كان ينزعها كل منا فى نظر أخويه . ووجه الشبه بيننا وبين المثلث أن وجودنا كان كوجوده ، لا يتصور فى الذهن ولا فى الخارج إلا بأضلاعه الثلاث على أى شكل يكون وأما وجه الشبه بيننا وبين الطائر فإن حياتنا كانت كحياته ، تردد إلى كل روضة ، وتغريد على كل شجرة ، وتحليق فى كل جو . كنا نتنقل من حلقة العلم إلى درس الأدب ، ومن درس الأدب إلى مجلس الشعر ، ومن مجلس الشعر إلى دار الكتب ، ومن دار الكتب إلى الجامعة المصرية القديمة ، ومن الجامعة إلى إدارات الصحف نعرض عليها ما كنا نسميه يومئذ شعرا ؛ ثم ننتهى إلى دار أحدنا فنتدارس ما حصلنا من علم ، ونتذاكر ما حفظنا من أدب ، ونتنادر بما سمعنا أو رأينا من سخف ، فإذا أخطأنا أو نسينا لجأنا إلى ذاكرة طه العجيبة فتعيد ما وعت لا تخرم منه حرفا ؛ فنصحح أو نستكمل أو نستفيد . وإذا سئمنا أو ونينا فزعنا إلى حافظة محمود الخصيبة فيسرى عن خواطرنا بمقطعات من أعذب النوادر يحكيها عن نفسه ، أو يرويها عن أبيه ، أو ينقلها عن حياته وزناتى محدث طليق اللسان متفنن الحديث تسمع منه النادرة عشرين مرة وكأنك لم تسمعها من قبل لجمال عرضه وجاذبية أسلوبه . ثم كان الطائر بقلبه النابض بالأمل والحب ، وبجناحيه الخافقين بالخيال والنشوة ، يضيق أحيانا بعشه الباغم فى ركن من الرواق العباسى بالأزهر الدوى المادر ، فيخرج إلى هدوء الطبيعة يستمتع بمفاتنها فى خمائل المطرية أو حدائق الجزيرة ، فنتصل بالحياة المصرية ، وننال من ثمار المدنية ، ثم نعود إلى الأزهر فنجد الاختلاف شديدا بين حياته وحياة

الناس فتقلق وتثور ، ويكون مظاهر هذا القلق وهذه الثورة التمرد على الأزهر المنعزل عن العالم، والسخر من الطلاب المنصرفين إلى الفقه، والعبث بالشيوخ الجاهلين بالأدب وكنا حينئذ في عهد اليفاعة حين يكون العيش كله حبا عارما لحبيب غير مشهود ولا معهود . كان كل منا يحب أخويه حبا غلب على كل شيء . فاذا اجتمعنا عكفنا على هوى واحد هو الأدب ، وإذا افترقنا نزعنا إلى هوى واحد هو نحن الثلاثة . وكنا نعبد الجمال في أي معنى وفي أي صورة ، والجمال في حياة أيفاع من طلاب الأزهر لا يرون غير الدمامة، ولا يسممون غير الفدامة لا يمكن إلا أن يكون حلما أو خيالا أو مثالا أو شيئا من نحو ذلك ، وكنا نعشق الكتب فلم ندع في الأدب كتابا مطبوعا ولا مخطوطا إلا قرأناه أوقلبناه ، والمكتبة العربية كانت يومئذ بالنسبة إلينا (الكتبخانة المصرية). وكان محمود أشدنا غراما بالمكتبات والمخطوطات ، فكنا حين ننصرف، طه وأنا، لدراسة الفرنسية ينصرف هو إلى مكتبة الأتراك ، أو مكتبة الأزهر ، أودكاكين الوراقين ، ينقب عن نوادر الكتب فيستعيرها أو ينسخها أو يشتريها ، لذلك كان أعلم الناس بأسماء الكتب وسماتها وشياتها وموضوعاتها ومؤلفيها، وقد ظهر أثر ذلك حينما عمل مفيرا في دار الكتب المصرية فقد انتقد فهارس الدار نقدا قويا عنيفا كان مثار خصومة بينه وبين زملائه . ومحمود كان لا يلاين ولا يهادن إذا كان معه الحق . ولقد كان عمله في وزارة المعارف وفي وزارة الأوقاف نزاعا متصلا بينه وبين رؤسائه ، لأن الوظيفة الحكومية تقتضي صاحبها المصانعة والمهاواة والمساهلة، ومحمود كان مستقيم الطبع فلا يلتوي ، شديد الإباء فلا يستكين ، قوي الشكيمة فلا ينقاد ، حافظ اليمين فلا يغضي . من أجل ذلك طلب أن يحال إلى المعاش فأحيل قبل سنه بعشر سنين .

عرفت محمودا في درس النحو، وعرفت طه في درس الأدب ، وكان بين المعرفتين شهران أو ثلاثة. كنت أحضر درس النحو الذي يلقيه الشيخ عبد الله دراز في مسجد محمد بك أبو الذهب ، وكانت لي بين رفاقي شهرة بصنع الكلام الموزون المقفى، فكان هذا يطلب مدحة في باشا ، وذاك يطلب تهنئة لعمدة ، وذلك يريد مرثية في قريب . وعلم ذلك محمود فجاءني ذات يوم وأنا في الدرس يشكو إلى أنه صنع تاريخا لمولود في شطر ولكنه يحتاج إلى واحد ليتم به عدد السنين ١٩٠٤. فنظرت في التاريخ فأعياني أن أجد هذا الواحد، فقلت له : اكتب الشطر الأول هكذا: «وبالفرد استعنت لكي أؤرخ» والفرد معناه الله ومعناه الواحد المطلوب . فضمه بين قوسين واحسبه واحدا. أما جزم المضارع فللضرورة ، والضرورات ترفع المجرورات . فسر محمود بهذا الحل سرورا عظيما وصحبني منذ ذلك اليوم لا نكاد نفترق حتى أثلثنا بطه في درس المرصفي، فتوثقت بيننا عرى المودة، وتصادقنا على المحبوب والمكروه، وتصافينا على القرب والبعد ، ومُلِّي كل منا أخويه خمسا وأربعين سنة تصدع فيها الشمل، وافترق الطريق ، واختلفت الحظوظ ، واتسعت الفروق ، وثقلت الأعباء ، وكثرت الأصدقاء ، وتوزع القلب ، وتغيرت الدنيا ، واحترب العالم كله مرتين ، ولكن صداقة الشباب ظلت راسخة الأصل في أعماق الفؤاد لا يعبث بها الحدثان ولا ينال منها الزمن .

* * *

كنا ثلاثة فأصبحنا اثنين : طه حسين وأنا . أما محمود زناتي فقد سبقنا إلى الغاية التي لا بد أن يبلغها كل حي . مات محمود وبكاه طه في (الأهرام) بكاء هز قلب الخلي واستدر عين الغريب . وبكاء طه على محمود بكاء على عهد مضى لن يعود، وعلى صديق قضى لن يعوض — مات محمود على فراش غير دافئ ولا وثير ؛ لأنه كان وحيد أبويه ، وكان أبوه وحيد جديه ، فلم يكن له من عصبيته أخ ولا عم، وكان الله قد جمله عقيما فلم يكن له من صلبه ابن ولا بنت. ونزل به منذ ثلاث سنين مرض فادح طال وأعضل حتى سلبه الأمل وحرمه الراحة ونقله بنو أخواله إلى ناي وهو في نهاية الشوط ونزاع الروح . وكان طيلة مرضه إذا هذى ينشد شعر الشنقيطي وكان يحفظه كله ، وإذا وعى ذكر طه والزيات وتمنى لو يهادنه المرض وتعاوده الصحة فيغشى ما كان يغشى من أماكن ، ويزور ما كان يزور من أصحاب ! رحمك الله يا محمود وبرد بالغفران والرضوان ثراك ! لقد كنت حريصا على الوداد حين ضاع الوداد ، وسخيا بالوفاء حين عز الوفاء . وأحسن الله عزاءك وأطال بقاءك يا أخي طه ! لقد ذكرتني أواخر الصبا وأوائل الشباب وعهدا غفل عنا الزمان فيه فنعمنا بالإخاء المحض والصفاء الخالص ! ومن الذي ينسى أيها الأخ الكريم ربيعه وهو في الخريف ، وشروقه وهو في الغروب ؟ لقد ابتدأنا في الرواق العباسي ومعنا الشباب والأمل ومحمود ، ثم انتهينا إلى مجمع فؤاد ومعنا الشيخوخة والذكرى ولا شيء !

احمد حسن الزيات

علی محمـــــود طه

شاعر الأداء النفسی

للأستاذ أنور المعداوی

— ٤ —

الإنسان صانع الأمل ، ينحت تمثاله من قلبه ومن روحه ، ولا يزال عاكفا عليه يبدع فی تصويره وصقله متخيلا فيه الحياة ومرحها وجمالها ، ولـكن الزمن يمضی ولا يزال تمثاله طينا جامدا وحجرا أصم ، حتی تخمد وقدة الشباب فی دم الصانع الطامح وتشمره السنون بالعجز والضعف فيفزع إلی معبد أحلامه هاتفا بتمثاله ! ولـكن التمثـــال لا يتحرك ، ولـكن الحلم الجميل لا يتحقق ، وهكذا يجتاح الليالی ذلك المعبد وتعصف بالتمثال فيهوی حطاما ، وهنا يصرخ اليأس الانسانی ويمضی القدر فی عمـــله !

بهذه المقدمة النثرية المحلقة فی الصفحة الثانية والثمانين من « ليالی الملاح التائه » يبدأ الشاعر قصيدة « التمثال » أو قصة الأمل الانسانی فی فصولها الأربعة ... وأقدم إليك اليوم هذه القصيدة ، أو هذه الصورة النفسية الثالثة :

أقبل الليل واتخذت طريقی   لك والنجم مؤنسی ورفيقی
وتواری النهار خلف ستار   شـفق من الغمام رقيق
مد طير المساء فيه جناحا   كشراع فی لجة من عقيق
هو مثلی ، حيران يضرب فی الليل ويجتاز كل واد سحيق
عاد من رحلة الحياة كما عد   ت وكل لوكره فی طريق !!
أيهذا التمثال هأنذا جئت لألقـــاك فی السكون العميق
حاملا من غرائب البر والبحـر ومن كل محدث وعريق
ذاك صيدی الذی أعود به ليلا وأمضی إليه عند الشروق
جئت ألقی به علی قدميك الآ   ن فی لهفة الغريب المشوق
فاقدا منه حول رأسك تاجا   ووشاحا لقدك المشـوق

* * *

صورة أنت من بدائع شتی   ومثال من كل فن رشيق
بيدی هذه جبلتك من قلبی   ومن رونق الشباب الأنيق
كلما شمت بارقا من جمال   طرت فی اثره أشق طريقی
شهد النجم كم أخذت من الروعة عنه ؛ ومن صفاء البريق
شهد الطير كم سكبت أغانيه علی مسمعيك سكب الرحيق
شهد الكرم كم عصرت جناه   وملأت الكؤوس من ابريق
شهد البر ما تركت من النار علی معطف الربيع الوريق
شهد البحر لم أدع فيه من در   جـــدير بمفرقيك خليق
ولقد حير الطبيعـة إمرا   نی لهـا كل ليلة وطروق
واقتحامی الضحی عليها كراع   أسيوی أو صائد أفريقی
أو إله مجنـــح يتراءی   فی أساطير شـاعر إغريقی
قلت لا تعجبی فمـا أنا إلا   شبح لج فی الخفاء الوثيق
أنا يا أم صانع الأمل الضـا   حك فی صورة الغد المرموق
صغته صوغ خالق يعشق الفن   ويسمو لكل معنی دقيق
وتنظرته حياة ، فأعيانی   دبيب الحياة فی مخلوق !!
كل يوم أقول : فی الغد لـكن   لست ألقاه فی غد بالمفيق
ضاع عمری وما بلغت طريقی   وشكا القلب من عذاب وضيق

* * *

معبدی معبدی دجا الليل إلا   رعشة الضوء فی السراج الخفوق
زأرت حولك العواصـف لما   قهقه الرعد لالتماع البروق
لطمت فی الدجی نوافذك الصم   ودقت بكل سـيل دفوق
يا لتمثالی الجميل ، احتـواه   سارب الماء كالشهيد الغريق
لم أعد ذلك القوی فأحميـــه   من الويل والبلاء المحيق
ليـلتی ؛ ليلتی جنيت من الآ   ثام حتی حملت ما لم تطيقی
فاطربی واشربی صبابة كاس   خمرها سال من صميم عروقی!

* * *

من نور الضحی علی آدمی   مطرق فی اختلاجة المصعوق
فی يديه حطامة الأمل الذا   هب فی ميعة الصبا المرموق
واجمـا أطبق الأسی شـفتيه   غير صـوت عبر الحياة طليق
صاح بالشمس : لا يرعك عذابی   فاسكبی النار فی دمی وأريقی
نارك المشـتهاة أندی علی القلب   وأحنی من الفؤاد الشـفيق
فخذی الجسم حفنة من رماد   وخذی الروح شعلة من حريق
جن قلبی فما يری دمه القـانی علی خنجر القضاء الرقيق

في القصيدة الشعرية ، وفي اللوحة التصويرية ، وفي القطعة الموسيقية ، وفي كل عمل يمت إلى الفن بسبب من الأسباب ، يحسن بالفنان ، بل يجب عليه ،أن يكون له هدف ... هذا الهدف لا بد له من تصميم ،ولا بد له من خط سير،ولا بد له من خطوات تتبع خط السير وتعمل في حدود التصميم . ذلك لأن الفن في كل صورة من صوره يجب أن يعتمد أول ما يعتمد على تلك الملكة التي نسميها « ملكة التنظيم » ، وكل فن يخلو من عمل هذه الملكة التي تربط بين الظواهر ، وتوفق بين الخواطر ، وتنسق المشاهد ذلك التنسيق الذي يضع كل شيء في مكانه ، كل فن يخلو من هذه الملكة لا يعد فنا ، بل هو فوضى فكرية أساسها وجدان مضطرب ، وذهن مهوش ، ومقاييس معقدة أو مزلزلة . وأبلغ دليل على تلك الفوضى الفكرية في بعض ما نشاهده من آثار تنسب ظلما إلى الفن ، هو تلك الحركة السريالية التي هبطت إلى ميدان الشعر كما هبطت إلى غيره من الميادين فعبثت بكل الأنظمة والمقاييس التي تطبع الفن بطابع التسلسل والوضوح والدقة والوحدة والنظام ... مثل هذه الحركة في الفن ليس لها هدف ولا تصميم ولا خط سير ، وإنما هي أخلاط من الصور وأشتات من الأحاسيس لا يربط بينها رابط ولا تحدها حدود ، وشبيه بتلك الحركة في جنايتها على معايير الذوق وموازين الجمال كل حركة أخرى تمضي بالفن إلى غير غاية ، هناك حيث تفتقر بعض الأذهان إلى تلك الملكة التنظيمية التي تلائم بين الجزئيات وتوائم بين الكليات ، وتفصل ثوب التخيل على جسم الفكرة بحيث لا ينقص منه طرف من الأطراف ولا يزيد .

نريد من الفنان سواء كان شاعرا أو مصورا أو موسيقيا أن يخلق نموذجه الفني على هدى تصميم يرسم أصوله وقواعده قبل أن يبدأ عمله وقبل أن يمضي فيه وقبل أن ينتهي منه ... نريد أن يكون بين يديه هذا التصميم الذي يأمره بالوقوف عند هذا المشهد وبالتقاط الصورة من هذه الزاوية ، وبتركيز الانفعال في هذا الموطن من مواطن الإثارة . عندئذ نوجد نظاما ، وإذا ما أوجدنا النظام فقد خلقنا الجمال ، وإذا ما خلقنا الجمال فقد أقمنا بناء الفن . هذا التصميم الذي ندعو إليه ينتظم هيكله العام أصول الأداء النفسي في الشعر والتصوير والموسيقى . هناك حيث تتوقف قيمة الفنان على مدى خبرته بتلوين الألفاظ والأجواء في الميدان الأول ، وتوزيع الظلال والأضواء في الميدان الثاني ، وتوجيه الأنغام والأصوات في الميدان الأخير . ولا بد للأداء النفسي في الشعر من هذا « التصميم الداخلي » ، لا بد من جمع أدوات العمل الفني وترتيبها في ذلك المستودع العميق ، مستودع النفس ، قبل أن ندفع بها إلى حيز الوجود كائنا حيا مكتمل الخلقة متناسق الأعضاء إننا ننكر ذلك الشعر الذي تكون فيه القصيدة أشبه بتيه تنطمس فيه معالم الطرق وتنمحي الجهات ، أو أشبه بمولود خرج إلى الحياة قبل موعده فخرج وهو ناقص النمو مشوه القسمات .

هذه كلمة نمهد بها لتلك القصيدة التي يعرض فيها الشاعر قصة الأمل الإنساني كما تعرفها الأيام في دنيا الأحياء ، وإنها لتمثل خير تمثيل ذلك التصميم الداخلي الذي ندعو إليه ، أو ذلك التصميم النفسي الذي يقود الإخراج الفني تلك القيادة التي يندر أن يفلت فيها الزمام ...

في المقطوعة الأولى التي تنتظم عشرة أبيات من الشعر ، يقدم الشاعر أول فصل من فصول القصة . إنه في طريقه إلى التمثال ، تمثال الأمل الذي نحته من قلبه وروحه ، إنه يريد أن ينفرد به ليناجيه ، وفي الليل حين تنام الكائنات ... تستيقظ الذكريات ! ليس النهار بالوقت الذي تطيب فيه المناجاة. إن المناجاة تنفر من الضوء وتستنكر الضوضاء ، لأن مهدها الظلام الشامل ولأن موطنها السكون العميق ... من يفطن إلى هذا المعنى ، إنه شاعر الأداء النفسي، إنه علي طه ! لو كان من شعراء الأداء اللفظي لخاطب التمثال من مذياع اللفظ لا مذياع النفس ، حيث لا يفرق المذياع الأول بين الوقت المناسب وغير المناسب لفنون الخطاب... مذياع النفس حين تنطلق الدفقة الصوتية في وقتها المعلوم ، ومنظار النفس حين تشق الرؤية الشعرية طريقها ولو كان بين الغيوم :

مد طير المساء فيه جناحا   كشراع في لجة من عقيق

ليست الألفاظ في مثل هذه الصورة مما يقذف به قذفا لتستقر في أي موضع يقدر لها أن تستقر فيه ، ولكنها مفاتيح مفاتيح « غرف نفسية » يتصل بعضها ببعض حيث تشف الجدران فلا حاجة بك إلى معالجة الأبواب ... إن « الستار الشفقي » غرفة و « طير المساء ذا الجناح الممدود » غرفة أخرى ، و « الشراع

الذى فى لجة من عقيق » غرفة ثالثة ، وأداة الاتصال بين هـذه الغرف الثلاث هى وحدة اللون بين الستار واللجة ، ووحدة الشبه بين الجناح والشراع ، ووحدة اللمسة الفنية فى البيت الرابع الذى يمد الممر الطبيعى المفضى الى « البهو » الـكبير .. وأين هو البهو الـكبير الذى ينتهى إليه السالـكون بعد طوافهم بالغرف الثلاث؟ هو فى تلك اللمحة النفسية المعبر عنها فى البيت الخامس بكلمة واحدة ، هي ذلك « الوكر » الذى يفـزع إليه كل طائر أجهدته رحلة الحياة :

عاد من رحلة الحياة كما عد ت ، وكل لوكره فى طريق

وفى المقطوعة الثانية ينثر الشـاعر بين يدى القارىء مجموعة هداياه ، وهى المجموعة التى نثرها يوما تحت قدمى تمثاله عسى أن يتحرك ، ولـكن الحلم الجميل لم يتحقق! إنها مجموعة من الغرائب حوت كل محدث وعريق ، مجموعة أحلام وأوهام لم تبعث فى التمثال ما كان ينشده الشاعر من حياة ، ولـكنها بعثت فى الشـعر كل ما ينشده الاداء النفسى من لمات ... لقد أخذ من النجم ، وأخذ من الطير ، وأخذ من الـكرم ، وأخذ من البر ، وأخذ من البحر ، واستعار من حلى الطبيعة ما زين به الرأس والمفرقين والقوام . وهنا تبدو دقة التصميم الداخلى بالنسبة الى الوحدة الجزئية موزعة على الأبيات ، أما الوحدة الـكلية الموزعة على الهيكل العام للقصـيدة فهى فى التقاء المعانى الشعرية المتداخلة على مدار المقطوعات الأربع ولا تنس هذا الاداء النفسى فى قوله : « ذاك صيدى » و جبلتك من قلبي» و « سكبت أغانيه » و «ممطف الربيع الوريق » . إن الأداء النفسى فى أختيار الألفاظ ينكر الصنعة ويضيق بالارتجال !

وكما يرسل المصباح شعاعا من هنا وشعاعا من هناك لتلتقى هذه الأشعة وتتجمع فى « بؤرة » بعينها تتركز فيها الطاقة الضوئية يرسل شاعر الأداء النفسى معانيه من شتى الجوانب والجهـات لتلتقى هذه المعانى وتتجمع فى « صورة » بعينها تتركز فيها الطاقة الشعورية . وكذلك تجد على طه ··· فبعد أن عدد تلك الجولات المرهقة فى رحلة الحياة ، وبعد أن طاف بكل مجلى من مجالى الطبيعة ، وبعد أن حلق بأحلام الشباب وأمانيه فى كل أفق ؛ بعد أن سجل كل تلك المعانى النفسية المتفرقة ، عاد ليؤلف بينها وليخرج منها « الصورة الـكبرى » التى تعرف موضعها من الإطار والجدار :

قلت لا تعجبى فما أنا إلا شبح لج فى الخفـاء الوثيق

أنا يا أم صانع الأمل الضا حك فى صورة الغد المرموق !

وما تلك الأم التى يخاطبها الشاعر فى هذا المجال ؟ إنها الطبيعة... الطبيعة التى « حيرهـا إسراؤه » فى ليـالى الشوق والهيـام ، و «اقتحامه عليها الضحى» اقتحام الرعاة والصائدين ، أو اقتحام تلك الآلهة المجنحة فى أساطير الأولين !

وأعود بالذاكرة الى شاعر آخر يتفق مع شاعرنا فى هذا الفناء المطلق فى هوى الطبيعة ، الفناء الذى يربط بينها وبينه بتلك الخيوط الوجدانية التى تربط بين وفاء البنوة وحنان الأمومة . إنه الشاعر الانجليزى « بيرن » فى « تشايلدهارولد » ... لقد عشق كلاهما الطبيعة ، وهام بها كما يهيم « الإبن » البـار بخير « أم » تسقيه من ثديها رحيق الحياة ! وها هو ذا « بيرن » يشير الى هذا المعنى الـكبير عندما يقول : «إن الطبيعة الحبيبة رغم اختلاف صورها ما زالت خير أم ، فدعنى أنهل عن قلبها العارى كل فكرة ملهمة ، أنا أبر أطفالها بها وإن لم أكن الى قلبها أحب البنين » !

لقد سجدت أفكار الشاعرين فى محراب واحد ، والتقت منهما الخواطر فى صـلاة واحدة ، وهتفا فى صوت واحد مولين وجهيهما شطر الطبيعة : أماه ... وكلاهما صادق فى حبه مخلص فى هواه ! وفى ميدان هذا الحب المتغلغل بين الجوانح يتفقـان ، ولـكنهما فى ميدان التعبير عنه والإشادة به يفترقان ، تبعا لما بين « الصدق الفنى » و « والصدق الشعورى » من فروق ، وسنعود الى توضيح تلك الفروق فى فصل مقبل من فصول هذه الدراسة النفسية . . . وسترى أن الطبيعة فى شعر على طه لم تكن خير أم فحسب ، ولـكنها كانت أيضا خير أستاذ ، وحسبك أن تستمع إليه فى الصفحة الأربعين بعد المائة من « الملاح التائه » حيث يقول :

وأنا الشاعر الذى افتن بالحسن وأذكت يد الحياة افتتـانه

معهدى هذه المروج وأستاذى ربيع الطبيعـة الفينـانه !

ونترك جو الطبيعة الأم الى جو آخر ؛ جو الأمل اليائس حين يعود اليه الشاعر من جديد ليطلق صرخته الخالدة ، صرخة الفنان الخالق ينظر الى صنع خياله فتصدمه الحقيقة البشعة ، حين تنهـار صروح الوهم الجميل تحت ضربات القدر أو تحت معاول الرياح .. وستلمس أن الروافد الشعرية ما زالت تتصل بالنهر الأول

وتسير فى نفس الاتجاه محاذية لمجراه ، وسمها إن شئت ذلك الامتداد الأخير لخط الاتجاه النفسى فى الصورة الرئيسية ؛ تلك التى تتشابك فى داخلها بقية الخطوط الأخرى لتمضى بعد ذلك مجتمعة فى خط واحد كبير :

صقلته صوغ خالق يعشق الفن ويسمو لكل معنى دقيق
ونظرته حيـاة ، فأعيـانى دبيب الحيـاة فى مخـلوق !!

ولقد طالت المقطوعة الثانية حتى بلغت سبعة عشر بيتـا من الشعر . إنها أطول المقطوعات وأحفلها بتنوع السبحات والرؤى والأطياف ... ولو رحت تتقصى أثر التصميم الداخلى فى بناء العمل الفنى لانتهيت الى أن هذه المقطوعة يجب أن تطول ؛ ذلك لأنها بمكان القلب الذى ينظم حركات النبض فى مختلف الشرايين الشعرية فى المقطوعات الثلاث !

ولا تنتظم المقطوعة الثالثة من الشعر غير سبعة أبيات ، لأن النفس الانسانية تمر هنا بلحظة من لحظات الهزيمة التى تترك فى أعماقها ذلك الخور المتخلف عن آثار اليأس والقنوط ، وفى غمرة هذا الشعور المظلم لا يتسع المجال لغير الزفرة المحرقة التى تغنى فيهـا فورة العواطف عن وفرة الصور وتعدد اللمحات ... ولعلك تحس لفح هذه الزفرة فى تهدج النفس الشعرى عندما يهتف الشاعر فى البيت الأول من هذه المقطوعه :

معبدى ! معبدى ! دجا الليل إلا رعشـة الضوء فى السراج الخفوق

أو فى ذلك البيت الذى يمهد به لمـا يليه :

ليلتى ! ليلتى جنيت من الآ ثام حتى حملت ما لم تطيـق !

ومرة أخرى تهزك العلاقة النفسية بين الألفاظ فى البيت الثانى والثالث والرابع من هذه المقطوعة : لقد « زأرت العواصف » و « قهقه الرعد » و « والتمع البرق » و « تدفق الســيل » و « احتوى التمثال الجميل سارب الماء » ...

ومن وراء هذا كله يقف الأداء النفسى على قدميه ليثب وثبته الأخيرة حين يصف التمثال « بالشهيد الغريق » !!

وتتفق المقطوعة الأخيرة مع المقطوعة السابقة اتفاق قيم ومقاييس ، ولكنها تصور ختام المعركة بين الوهم والحقيقة أو بين الخيال والواقع . وويح أبناء الخيال من كل معركة تنشب داخل النفس ويكتوى بنارها القلب ويمتلىء بغبارها العين ، وتنجلى حين تنجلى عن صرعى ظنون وعن شهداء آمال ! شهداء « يمر عليهم نور الضحى » فلا يمر إلا على كل آدمى مصعوق » « أطبق الأسى شفتيه » إلا من أنات ... تنطلق « عبر الحياة » لتصيح بالشمس فى لهفة الضارع المستجير :

نارك المشتهاة أندى على القلب وأحنى من الفؤاد الشقيق الشفيق
خذى الجسم خفقه من رماد وخذى الروح شعلة من حريق

(يتبع) **أنور المعداوى**

بودلير وفن الشعر

للاستاذ عبد الفتاح الديدى

يرتكن الأساس الوضعى للنقد الأدبى عند كتاب الغرب إلى أمرين : نظرية فى الجمال ونظرية فى الخيال . فهاتان النظريتان بمثابة العمود الفقرى عند الغربيين فى كل نقد أدبى ، ويكونان المحور الأصلى الذى تدور حوله الأقوال وتنبعث منه الأحكام . وبتوالى الأيام نشأت فى نفوسنا عادة البدء بالسؤال عن هذين الجانبين عند الاطلاع على مؤلف فى الأصول النقدية أو عند الوقوف على استعراض أدبى للمذاهب . وإذا كنت أحاول التقديم بهذه الملاحظة فلأننى أحب أن أوجه أنظار النقاد فى مصر إلى أن عملهم لن يكون ذا قيمة أو اعتبار ما دام منحصرا فى تلك الدائرة المقفلة دائرة التعليق الخالص .

فهكذا عودنا نقاد الغرب واستطعنا بذلك أن ندرك الأغوار البعيدة التى تسند كلامهم الظاهر وتتعهد أفكارهم الجادية . فإذا ما ساق إليك أحدهم حكما فى إحدى مشكلات الفن ، قدم له تحليلا وافرا عن النظرية الفلسفية التى يبنى عليها آراءه ، والبحث النفسى الذى يعتمد عليه فى تفسير ما يبديه من الاعتراضات والتوضيحات . فلا يخلو — والأمر كذلك — بحث نقدى من فكرة فى الجمال وفكرة فى الخيال .

أما فكرة الجمال فن شأنها أن تربط بين مفهوم الذوق عند الفنان وبين مفهومه عند عامة الناس . إلى جانب أنها تحدد البعد الذى يستند إليه الناقد فى تحديد القيمة الأدبية من جانب الشكل

والتنغم . وبذلك تصبح فكرة الجمال موضع الاتفاق الشعورى بين الناس ، وملتقى الاحساسات الغامضة فى الاستحسان والاستهجان. ثم نلاحظ شيئا آخر وهو أن نظرية الجمال عند الناقد تبرر مسلكه فى الاعتراض ، وتؤيد مذهبه فى المآخذ التى يبديها عند مراجعة الأعمال الأدبية . فأول ما يخطر على ذهن القارىء عندما يقرأ مقالا فى النقد الأدبى هو التساؤل عن السبب الذى يجعلك فى موقف بالذات ولا تكون فى سواه ، أو الدافع الذى يحملك على إعلان رأيك خاليا من المسوغات أو المبررات . فالفكرة الجمالية عند الناقد من هذه الناحية تغنيه — فى الوقت نفسه — عن الشرح والتعليل فى كل لحظة من اللحظات التى تمر به وهو بصدد التفنيد والمؤاخذة والوزن .

أما فكرة الخيال فتنفذ إلى أعماق النفس البشرية كيما تفسر لنا شيئين على جانب عظيم من الأهمية بالنسبة إلى العمل الأدبى . أما الشىء الأول فهو الكشف عن مقومات العمل الأدبى كما هى مطبوعة فى نفسية الفنان المبدع ، والإعلان عن قيمة الخلق الفنى بطريقة من الطرق الخاصة التى انفردت بها مدرسة وتحدد بها اتجاه . كذلك يعين التفسير السيكلوجى للخيال الفنى المبدع على تقييد الأديب بطريقة معينة فى التعبير عن الأزمات التى تمر به والأهواء التى تنتابه . فالفنان محصور — فى هذا النطاق الضيق الذى يهيئه خياله — بآفاق ومدارك خاصة . وعلاوة على هذا نستطيع أن نجد فى غضون كلامنا عن الخيال ما يبرز لنا ملامح التصور الذهنى فى العقلية المبدعة ، وما يرينا تلك الصلة التى تربط بين خيال الفنان وبين عناصر الطبيعة الخارجية من ناحية التكوين والملاحظة والالتفات .

وعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن نرتفع بالاتجاه النقدى عند بودلير إلى حد الحكم على عمله بأنه مذهب متكامل ، يمكننا — مع ذلك — أن نجد لديه أساسين من الجمال والخيال اللذين يكفيان لدعم أقواله . فمن ناحية الجمال نشاهد عنده تفصيلا دقيقا لبعض الأمور التى تكون شبكة مترابطة ، وتقيم بنيانا متماسكا إلى حد بعيد. فهو أولا يخص الجمال بصفة تعبر عن شخصيته أجمل تعبير ، وتوضح طابعه الروحى فى الإعداد الشعرى والتقويم النقدى سواء بسواء . إذ يقول إن الجمال لا يمكن أن يكون مطلقا وأبديا ، ويلزمه الارتباط بالحياة اليومية والأشياء العامة حتى يتمثل ويصير حقيقة من الحقائق . فالجمال الخالص أسطورة من الأساطير لا يعرفها العمل الأدبى إلا إذا كانت متعلقة بالجزئيات الحاصلة فى مجرى أمورنا العادية .

وبذلك ينتهى الجمال إلى أن يكون عملا نسبيا فى كل الأحوال ما دام الاختلاف قائما فى نماذج من الحياة تتأثر بالزمان والمكان . وفى رأى بودلير أن هؤلاء الشعراء الذين يطلبون الجمال المطلق ، وينشدون البدعة الخالدة ليسوا إلا شيعة من المفتونين . فكل زمن وكل جماعة — كما يقول — لها تعبيرها الخاص عن الجمال فى نظرها . ولا بد للشاعر من أن يسعى حثيثا كيما يحقق مثلا للجمال فى نفسه يلائم أوضاع العصر ويساير ركب الزمن ويفى بما للبيئة عليه من الآثار والأفضال .

ومن أهم خصائص الجمال فى العمل الأدبى لديه أن يلفت النظر ويثير الدهشة بأى شكل من الأشكال . فلا بد من تحقيق هذه اللفتة وتلك الدهشة بأن يمد الأديب إلى القواعد النقدية والأصول المدرسية فيخرج عليها ، وأن يفارق سنة الاتباع الحرفى لأحكام الرقباء مهما كانوا . ويقول إنه من أجل المحافظة على الفرحة التى تثيرها الدهشة فى النفس ، والإبقاء على النشوة التى تحدثها الجدة والغرابة فى الوجدان ، ينبغى أن يظل الكاتب حريصا على التنويع والابتكار فى النماذج المروضة والأحاسيس المجتلاة . ذلك لأنه إذا ضاع التنوع فى أعمال الأديب اختلطت النماذج واعتجنت الوحدات وصارت على هيئة رتيبة خالية من الشخصية والحياة ، شبيهة بالانغفال والعدم . ويؤكد بودلير دائما هذه الحقيقة : وهى أن الجميل دائما خارق للعادة وخارج على المألوف وغير موافق لما أتى به الغير فى نفس المجال .

أما نظريته فى الخيال فهى وثيقة الارتباط بمنحاه الشعرى وشديدة الالتصاق بروحه فى الفن والتأليف . فبودلير واحد من أولئك الحالمين الذين نشدوا اللذة فى استقصاء المجهول ، وبحثوا عن المتعة بعيدا عن الحياة الواقعية الكالحة . فأبعد شىء عن فهم بودلير هو القول بالرسالة الاجتماعية أو الأخلاقية التى يؤديها فن من الفنون والشعر خاصة . وذلك طبيعى ولازم جدا ما دمنا نجد فى الانفعال الشعرى فسحة من أجل الانطلاق إلى حيث تستطيع النفس أن ترضى

شهوتها فى البزوغ ، وتبعا لما نصادفه أمام وهج الإحساس الفنى من اللفحات التى تهبنا كل عوامل الشرود والانبثاق. فنى مقابل الطبيعة التى بلمس بشاعتها، والواقع الماثل الذى يحس بقبحه ودمامته ، يضع بودلير عالم الخيال . وهناك يفضل بودلير مظاهر التشويه والمرض على مظاهر الصحة والانسجام ، ويضع نتاج الوهم فى مرتبة من التقدير والاهتمام أعلى من مرتبة الحقائق الواردة من عالم الحياة .

فالخيال بالنسبة إلى الفنان يعلو على أية موهبة أخرى ويفوق كل ملكات الدماغ . وإذا كان هناك ما يؤيد هذا القول فاننا نكتفى بأن نعرف معرفة أكيدة أن عالم الفنان من خلقه ، وأن الدنيا عنده وليدة وهمه وتصوره ، حتى نقدر ما لهذه الوظيفة العقلية من أهمية بالغة . فالعالم الظاهرى الموجود عبارة عن المجال الذى ينشط فيه الفنان كما ينتقى آلاته وأدواته ، ويختار النماذج والصور اللازمة بالنسبة إليه . ولا يتم ذلك إلا على نحو معين هو الذى يكشف عن مقومات الشخصية التى تقوم بالانتقاء ، والذاتية التى تستتر وراء عملية الاختيار . فالمجال الحيوى لنفسية الفنان هو الأشياء الخارجية .

ولا ترجع أهمية الخيال عند بودلير إلى هذا فحسب ، وإنما ترجع أيضا إلى اعتقاد بودلير فى نوع من الواقعية الداخلية أو من الانطواء الذاتى . وإذا صح ذلك لعب الخيال دورا كبيرا فى أعمال الفنان تبعا للارتباط الحاصل فيما بين التكييف الداخلى ووسائل النقل ؛ أعنى فيما بين القدرة على التهيئة والاعداد وبين الحواس المختلفة . فالهدف الذى يسعى الفن إلى تحقيقه ذاتى إلى أقصى درجة ، والمرمى الذى يبغى النفاذ إليه فردى بحكم الضرورة ، ولا يكاد الفنان خاصة من بين كل الناس يفارق نفسه . فالفنان يمتاز أولا وقبل كل شىء بأنه صاحب خيال أو متخيل ، يقبس النار من روحه ليضىء بها الأشياء ، ويمكس الشاعر على باطنه ليعود فتنير الحياة . فالخيال الخصب عند الفنان هو الذى يوحى إليه بترجمة المظاهر الطبيعية فى صورة أشعار منظومة وترانيم حية ، وفعل الخيال إنما يظهر حقيقة فى عملية الاختيار بين الأشياء التى يتجاوب معها ، والأحداث التى ينفعل لها ، والمظاهر التى يتأثر بها .

وبناء على هذه الأنظار المتتالية فى الخيال والجمال ، آمن بودلير بضرورة الفصل بين المهمة التى يقوم بها الشعر والمهمات الأخرى التى تقوم بها علوم الأخلاق والفلسفة . فالشعر لا يعرف شيئاً عن هذه الخدمات التى يزعم بعض أصحاب المدارس الفنية أنها تقوم على يديه وتتأدى به وتخلص عن طريقه . وإذا أخذنا الشعر على أنه أداة اجتماعية لرفع المستوى العام فى الأخلاق أو ترقية المنحى الشائع فى التفكير ، فقد كل ما له من صبغة الذاتية ، وصار محكوما عليه بالموت بين أكفان التقليد الزائف ، وعلى صحائف الخطابة الجوفاء . وهذا الحكم مبنى فى نظر بودلير على أساس أن الفن ينقص قدره حينما يخضع لما تمليه عليه الطبيعة الخارجية وعند ما ينحنى بازاء مشاهد الحياة .

فالدور الذى يقوم به الفنان لا يعتمد على النقل والتقليد وإنما يعتمد على معارضة الأشياء الموجودة وإنكارها إنكاراً يتمثل فى إقحام الذات عند الكتابة النثرية أو الشعرية كلما أمكن . فأول عمل من أعمال الفنان هو إسقاط الطبيعة فى الخارج وإحلال النفس الانسانية محلها . وإذا أمكن هذا أصبح من العسير أن نخضع الشعر للقيود البرانية ، وخرجت عن نطاق العمل الأدبى كل محاولة من قبيل الاصلاح والارشاد والتعليم . وعلى هذا النحو يكون للشعر غرض واحد ؛ وهذا الغرض الواحد هو نفسه . وفى صورته العليا أو على نحوه الأمثل تغيب عن الشعر كل نزعة سياسية وتختفى مظاهر البحث الفلسفى حتى يبقى فى النهاية جوهره الفردى العميق .

وإذا نظرنا فى هذه الآراء التى سردها بودلير والتى آمن بها إلى آخر حياته ، وجدناها لا تخلو من اتجاه موحد أو من نظرية مستقلة . وعلى الرغم مما قد نجده فى شعره من توزع بين كثير من المذاهب الشعرية ومن تأثر بما شاع وقتئذ من المدارس لا نكاد نعثر فى نقده على خطوط غير أصيلة أو على سمات طفيلية . ويستطيع النقاد بعد تحليل بسيط أن يوقفوك على عناصر رومانتيكية أو على عناصر برناسية فى شعر بودلير ؛ أما فى موقفه النقدى فلا يمكنهم إلا أن يقروا بشخصيته الناقدة التى تقف فى الناحية المقابلة للرومانتيكية والتى تسخر من البارناسية وتواجه المذهب الواقعى بدون أى تراجع أو انثناء عن نزعته الفردية الواضحة وعن إيمانه الفنى الخاص به دون سواه .

ومما يلاحظ فى النهاية أنه لا يستطيع واحد من الناس انباع ما جاء فى كلام بودلير من الأفكار وما تخلل عباراته من الآراء النقدية . وذلك لأن بودلير لم يعمل على إتمام حلقات مفقودة كثيرة فى طيات مذهبه ، ولم يكن من المثابرة والانكباب بحيث يمكنه أن يأخذ شيئاً من الأشياء مأخذا جديا وأن ينظر إلى الحياة نظرة فيها عناية أو غيرة أو اهتمام . والعيب الأصيل الذى يتمثل فى غياب عنصر الحيوية من النقد البودليرى إنما يأتى عن هذه الروح الذاتية المفرطة التى امتاز بها الرجل طيلة أيامه على الأرض . كان فرديا زباداً عما يلزم بالنسبة إلى ناقد يريد الخير للأدب وينشد الرفعة للفن الذى يعمل كاهنا فى محرابه . وكان يشعر بالعبث والتفاهة فى شئون الحياة على نحو أفقده كل اعتبار للتقدم وكل تقدير للارتقاء الذى تصيبه الأعمال المادية .

وإذا ذهبنا إلى حد القول بأن بودلير لم يكن قادراً على تركيز مجهوداته فى عمل من الأعمال أو بذل عنايته فى باب من الأبواب فليس معنى ذلك أنه كان قليل الأهمية فى تاريخ النقد ؛ لأن مذهبه النقدى لا يخلو من نفحة عبقرية استندت إلى فلسفة فى التحليل وجمال فى التفصيل وقوة من الأداء . ويقول (رينيه لا لو) تأييدا لكلامنا هذا فى كتابه عن مراحل الشعر الفرنسى (ص ٨٦) إن مقالتيه عن الفن الرومانتيكي والتشوفات الجمالية تثبتان ضلاعة مواهبه النقدية . وأغلب ظنى أنه استفاد كثيرا من التوجيهات التى كان يصدرها فى تعليقاته عن الفنون الأخرى كالموسيقى والرسم ولكن الذى لا شك فيه أنه قد استفاد كثيراً من الاتجاه الذى سار فيه سان بيف والخطوات التى مشى فى إثرها . إن الاثنين — بودلير وسان بيف — هما الناقدان المهمان فى الحركة الرومانتيكية إذا نظرنا إليها محصورة فى النطاق الفرنسى .

وأهم ما يمكن أن يعزى إلى بودلير فى حركته النقدية هو أنه فتح الباب أمام الرمزية الصحيحة كيما تتقدم وكيما تأخذ مكانها المرموق بين المذاهب . فليس فن بودلير فى النظم وحده هو الذى يضم جرثومة الرمزية وإنما يأتى فى غضون كلامه النظرى عن الفن الخالص ما يمكن أن ينظر إليه المؤرخ على أنه إرهاصات خالية من الريف ، وتباشير ممتلئة بالحياة ، ودلائل قاطعة على الأسبقية والبدء

وإذ نعنى هاهنا بتوكيد هذه الحقيقة فلاننا نؤمن إيمانا قويا بأن كل حركة نقدية لا تلتفت هذه اللفتة ولا تبذل بعض عنايتها فى هذا الجانب ستفقد غير قليل من أهميتها . لسبب بسيط وهو أن الأدب الخالص لا يكون إلا رمزيا للغاية ، ولا يستطيع إلا أن ينصرف هذا المنصرف للتفرقة بين بعضه كفن وبين بعضه الآخر ككلم . وأول بيان كامل عن الرمزية هو ذلك الذى كتبه موريا فى الملحق الأدبى للفيجارو بتاريخ ١٨ سبتمبر عام ١٨٨٦ حيث جاء فيه أن هذا المذهب إنما يهتدى بآثار بودلير ومالارميه وفرولين من ناحية الفن الخالص يذكر الرمزيون قصيدة بودلير عن « المجاوبات » عادة كنمط فريد للشعر الرمزى وهذه ترجمتها :

إن الطبيعة معبد أركانه أحياء ،
يدعون ألسنتهم أحيانا فتنطق بالكلمات المبهمة .
ويجوس الإنسان بين غابات الرموز ،
فيرمقها بنظرات أليفة .
ومثلما تختلط أرجاع الصوت من بعيد ،
فى وحدة مظلمة عميقة ،
رحبة مثل الليل ومثل الضوء ،
تتشابه الروائح والألوان والأصوات ،
والمعبد ملآن بالروائح الزكية كلحم الأطفال ،
الحلوة كأنغام المزمار
الخضراء كلون المراعى
وملآن بأشياء أخرى مرتشاة وغنية ومنتصرة
وله اتساع الأشياء اللانهائية ،
بفضل العنبر والمسك واللبان والبخور ،
الذى يذكى هيمان الروح والحواس ،

أما من ناحية العمل النقدى فيذكرون أنه هاجم الشعر بنزعاته الفكرية والإصلاحية وأسبغ عليه من لدنه روح الغموض وأدخل فيه موجة التحليق . ثم إنه قد عمل على تخليص الشعر من العقبات التى عاقته عن التقدم وحرمته الحياة فترة طويلة من الزمن . وإذا كان الكثيرون من النقاد قد اكتفوا بأنهم نقاد فبودلير قد أعطانا النموذج قبل أن يعطينا الفكرة وبين لنا تفصيلا وإجمالا .. أعنى نظريا وواقعيا معا ، فأصبح يعد بحق من بين أكبر من أثر فى الشعر والنقد الحديثين وأخطر من رسم عليهما خطوطا بارزة ستبقى إلى الأبد محتفظة باسمه وطابعه .

عبد الفتاح الديدى

الشعر المصرى فى مائة عام

١٨٥٠ – ١٩٥٠

الدور الأول

١٨٥٠ – ١٨٨٢

٣

١ – معانيه

ذكرنا أن المدح قد احتل الجزء الأكبر من دواوين الشعراء فى ذلك العصر . ولم يكن فى هذا المدح معنى مبتكر ، ولا خاطر جديد ، ولا فكرة مخترعة ، ولا تشبيه محدث . بل ردد الشعراء المعانى القديمة التى سبقهم إليها الأقدمون . ولم يحسنوا أداء هذه المعانى كما أحسن السابقون . فتراهم إذا مدحوا ملكا شبهوه فى العدل بكسرى ، وذكروا عجز قيصر عن البلوغ إلى مرتبة الممدوح . فالساعاتى يقول :

رفع القواعــد من دعائم دولة
عزت به فنظــيرها لاينظر

قد طاولت بالعدل كسرى واعتلت
شرفا وقصر عن مداها قيصر

وصالح مجدى يقول فى سعيد :

عدل كسرى وإن سما لايساوى
عشر معشــار عدل هــذا العميد

قيصر الروم عزمه فى قصــور
عند صــدر مؤيد وسـعيد

فهؤلاء الشعراء كما ترى مفلسون من المعانى لايجدون أمامهم غير كسرى وقيصر . وإذا مدحوا الحاكم بالجود والكرم قالوا : بأن جود معن وحاتم لايذكر بجانب كرم هذا الممدوح .

وكر عمرو لايقاس بكر ممدوحهم ، وذكاء إياس لايساوى ذرة من ذكائه . وهم يكررون هذا فى معظم قصائد المدح . فمن ذلك قول ابراهيم مرزوق فى عباس الأول :

ما حلم أحنف ؟ ماسماحة حاتم ؟ ما كر عمرو ؟ ماذكاء إياس ؟

وقال صالح مجدى مادحاً سعيدا :

جود معن وحاتم لايضـاهى ذرة من شماع جود مديد

كر عمرو بكره لاتقسه فهو فى حربه مبيد الأسود

هل يجاريه فى الذكاء إياس وهو فيه إمام كل مجيد

ولم يكتف صالح مجدى بإسناد هــذه الصفات إلى سعيد واسماعيل ، بل أسندها إلى كثير ممن مدحهم من الوزراء والأعيان .

وممدوحهم فريد ليس له مثيل . قال على فهمى رفاعه :

راموا مراعاة النظير فلم يروا مثلا له هيهات عز مثيل

وقال أبو النصر :

إلى ملك الدنيـــا تود انتسابها
لمـا علمت فى الكون أنك أوحد

وقال الليثى :

من فى المعالى وعين الله تحرسه
فى الكون يحكيه أو من ذا ينازعه

وهكذا جال الشعراء فى دائرة ضيقة محدودة . فدائح كل منهم قصيدة معادة ومدائحهم كلهم صورة مكررة .

* * *

وكانوا لإفلاسهم وضيق خيالهم يأتون بالمعنى القليل فى عدة أبيات . ومثال ذلك ما جاء من قصيــدة لمحمد سعيد يهنىء بها الخديو توفيق :

تهنى مصر بالبشرى وتسمو فى العلا قدرا

وللتــوفيق توفيق خديويهــا لها البشرى

يتيه الملك من عجب بشامخ مجــده كبرا

تراه حين شرفه تبدى باسماً ثغــرا

وأصبح وهو منشرح لفرط سروره صـدرا

لقطر النيـــل أفراح تعم بأنسهــا القطرا

به كل الرعيــة فى حبور زادهم بشرا

وقاهرة تبسم ثغـ رها إذ لاح مفـترا

فمعنى هذه الأبيات تافه جدا ، ولا يستدعى هذا الاسهاب . فالشـاعر يريد أن يقول : إن مصر تهنأ بالخديو الذى اختال به الملك وفرحت بتوليته البلاد وأهلها . وكان فى استطاعته أن يأتى

بهذا المعنى فى لفظ موجز ، ولكن رغبته فى الإطالة مع خلو جعبته من المعانى اضطره إلى هذا الإطناب الذى لافائدة منه . وهكذا كان يفعل شعراء هذا الدور .

***

وإذا رثوا شخصاً بدأوا القصائد بذكر الموت الذى يختار من الناس الجياد ، ويصفى الكرام . وأسهبوا وأطنبوا بما لايخرج عن معنى هذين البيتين :

الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد
والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

أو يشيرون إلى كأس المنون التى تدور على البرية فيشرب منها كل إنسان . ويختمون الرثاء بذكر الحور العين وما يلقاه الميت فى الجنة من مظاهر النعيم .

ومثال ذلك قول أحمد عبد الغنى فى رثاء عبد الله فكرى :

فأحله الرحمن أعلى جنـــة
وأحله فيهـــا وقد أعلاه
والحور والولدان قد فرحوا به
واستقبلوه بالسرور وتاهوا

وقول أبى النصر فى رثاء أحد العلمـــاء :

فله البشارة حيث حل بروضة فيحابها للعلم طيب عاطر
والحور فى دار البقا لقدومه فى الانتظار وبشرها متبادر

وقوله فى رثاء طوسون بن سعيد :

فأنعم بروضـة قبرك الفيحا وطب
وأنس بما قدمت من حسـنات
ولسوف تمنح مايسر من الرضا
مابين حـور ثم مقصورات

بشراك فى دار النعيم بمشتهى ماتشتهى من يانع الثمرات
وبك الحدائق تزدهى أنوارها وإليك يهدى عاطر النفحات
وبجنة المأوى تفوز بمـا تشا من فضل ربك واسع الرحمات

فمن هنا تتبين كيف كان الشعراء يشتركون مما فى الوقوع على هذه المعانى . وهذا أكبر دليل على ضيق المجال أمام هؤلاء الشعراء .

***

وإذا وصف أحدهم اختراعا حديثاً ظهر عجزه واضطرابه . ومثال ذلك قصيدة لصالح مجدى فى وصف وابور سعيد مطلعها :

أمدينة من فوق لج المـاء تجرى بأبهج منظر وبهاء
أم هذه إرم بدت وعمادها مسبوكة من فضة بيضاء
أم ذاك وابور المسرة مده صدر البرية أسعد السعداء

فشبه السفينة البخارية بمدينة ، ثم شبهها بارم ذات العماد وهى مدينة كذلك . ثم هوى من بعد ذلك من شاهق فذكر « وابور المسرة » مع أن الصورة التى يتركها فى الذهن « وابور المسرة » لاتضارع الصورة التى تتركها إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وذكر كلمة « بيضاء » بعد « الفضة » لغو لأن لون الفضـة معروف . ثم شبهها بعد ذلك بالفلك . قال :

فكأن هذا الفلك فى تفعايمه
فلك به تسرى نجوم سماء

والذى أوحى إليه بهذا التشبيه هو الجناس بين الكلمتين . والحقيقة أن وجه الشبه معدوم بين السفينة وبين الفلك الذى هو دائرة وهمية تسير فيها النجوم . وذكر « سماء » بعد « نجوم » لغو لاطائل وراءه .

ثم قال :

وكأنه فى النهر عند مسيره برق يقصر عنه طرف الرائى

ثم قال بعد ذلك بأبيات :

فإذا تصدى للسباق فدونه وابور بر طار فى البيـداء

والاضطراب هنا ظاهر . فهذا الوابور إذا سار سيراً عاديا فهو يشبه البرق ، وإذا تصدى للسباق وجرى بأقصى سرعة كان أعظم من وابور البر . فأنت ترى أن الشاعر قد انتقل من صورة

رائعة فى قوله « برق يقصر عنه طرف الرائى » إلى صورة ضعيفة فى قوله « وابور بر طار فى البيداء » .

ويلاحظ أن الشاعر حينما أراد أن يصف وابور البحر وقف أمامه حائرا متسائلا عن حقيقة أمر هذا الشيء الذى يراه . أهو مدينة أم إرم ذات العماد أم وابور المسرة ؟ وهذه الحيرة فى إدراك كنه بعض المخترعات الحديثة قد عبر به كل من تصدى لوصفها . فقال رفاعة من قصيدة فى وصف وابور البحر :

العقل فى الوابور حار   نبغى الجواب فلا يحير

وقال عبد الله نديم فى وصف القطار :

نظر الحكيم صفاته فتحيرا   شكلا كطود بالبخار مسيرا

ثم إنهم خلعوا على « وابور البر » الصفات عينها التى خلعوها على « وابور البحر » . ومثال ذلك قول رفاعة فى وابور البحر :

صب وفى الأحشاء نار   شوقا إلى القمر المنير

وقول عبد الله نديم فى وابور البر :

دوما يحن إلى ديار أصوله   بحديد قلب باللهيب تسعرا

وقد يتعرض أحدهم لوصف القطار فيوازن بينه وبين وسائل المواصلات القديمة . ومثال ذلك قول عبد الله فكرى :

ثم امتطينا للسويد ركائبـــا   لا الركض يتعبها ولا التسيار

تسمى على عجـــل إلى غاياتها   كالماء ساعد جريه التيـــار

سرع الخطا لا السوط حل بجلدها   يوما ولا شدت بها أكوار

تذر الرياح إذا جرين وراءها   حسرى طلائع جريهن عثار

يقول الشاعر إنه استقل فى سفره ركائب لا يدرك كها كدولا إعياء . وهى تجرى مسرعة دون حاجة إلى سوط أو رحال يشد عليها . وفى هذا تعريض بالناقة التى أكثر الشعراء من وصفها فى العصور القديمة .

وكانوا يستوحون من اسم الممدوح بعض المعانى . ومثال ذلك قول أبى النصر يمدح سعيداً .

هم رجال أحرزوا أسعادهم   كيف لا والسعد فى أمر السعيد

فالشاعر قد أتى فى هذا البيت باسعاد وسعد وسعيد .

وما فعل ذلك إلا لأن الممدوح يسمى سعيداً . فالجو الذى يشيع من اسم « سعيد » قد أملى على أبى النصر هذا البيت .

وقال السيد أباظة مشيراً إلى الانباء الواردة بقدوم الخديو اسماعيل

وما هى اسماعيـل صبرى لبعدها   ولـكنها اسماعيل بالنصر آتيا

فصدر البيت قد صنع خصيصاً ليظفر الشاعر بالجناس بين « أسماعيل و « اسماعيل » .

وقال عبد الله فكرى فى الخديو توفيق :

نور تلألأ فى جبين موفق   للحق فى توفيقـه أسرار

والبيت كله من وحى اسم الممدوح .

وكانوا يستوحون المعانى كذلك من أسماء المدن التى يذكرونها فى شعرهم . ومثال ذلك قول محمد النجار أحمد شعراء العرابيين منددا بمن تعاون مع الانجليز من المصريين .

فى بور سعيد وغيره قد خنتم   وفعلتم للانجليز أمورا

فاستوحى من اسم بور سعيد معنى هذين البيتين .

بور لكم وسعيد طالع وقتنا   ولكم بذا يوم يكون عسيرا

سارى بسعد الفال شعرى ناطقا   ولرب أشعار تكون جفورا

هذا ما يمكن أن يقال عن معانى الشعر فى هذا الدور . م؟

محمد سيد كيلانى

المشكلة اليهودية والعالم

للأستاذ عدنان الكيالي

لعل أعظم الكوارث التى حلت بالعالم العربى منذ مئات السنين هى هذه الكارثة المروعة التى حلت به بانشاء دولة يهودية فى بقعة من صميم كيانه الأساسى فهزته هزا عنيفا وخلفته حائرا مذهولا، ثم ما لبثت الشعوب العربية أن أفاقت على الحقيقة القاسية فكادت تفقد الثقة فى نفسها وفى زعامتها بل وفى المثل العليا التى كانت تترسمها وتحيا فى ظلها . ولعل هذه الحالة النفسية السيئة التى يكاد يتردى فيها الشعب العربى أمر من الكارثة نفسها وأنكى ولعلها من الأهداف الرئيسية التى استهدفها اليهود وأعدوا لها عدتهم وساروا بها جنبا إلى جنب مع استعداداتهم المادية المباشرة. على أننا بحمد الله لا نزال من المؤمنين بامكانيات هذه الأمة العظيمة وبطاقتها الكبرى الكامنة فيها بانتظار زوال هذه المحنة التى تجتازها . ولا شك أن الوجوم الذى قابلت به الأمة هذه النهاية المريرة وما يبدو أنه يتلوه من توثب وتحفز دليل على ما تنطوى عليه من مواهب ومزايا ، ونذير بثورة فكرية شاملة تتناول الاوضاع الراهنة من أساسها ، ولعلها تكون فاتحة عهد جديد فى تاريخ هذه الأمة ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم

والبحث فى هذه الكارثة يدعو المرء الى تأمل أحوال اليهود وعلاقاتهم بالعالم وسر ما يتمتعون به من نفوذ واسع فى معظم أنحاء الكرة الأرضية لا يتفق مع مظاهر ضعفهم وتشردهم فى أنحاء المعمورة . وإنك لتلاحظ بدهشة مدى ما يستشعره نحوهم البشر على العموم من بغضاء وكراهية لم تستطع أن تحول بينهم وبين النفوذ الواسع والسيطرة الفعلية . ولقد كانت هذه الظاهرة رفيقة لهم فى كافة عصور التاريخ وفى مختلف البلدان والاقطار وفى ظل معظم الأنظمة السياسية، وذلك بفضل ما يملكونه من ثروات واسعة يجمعونها بطرق شتى تمنع سائر البشر من مجاراتهم فيها مثلهم العليا الخلقية والانسانية والدينية . وهنا يجدر بنا أن نتساءل عن سر سكوت العالم بأسره عن بقاء هذه الثروة الهائلة فى أيديهم وخصوصا فى العصور التى لم تكن مصادرة الثروات فيه بالشيء المستهجن العجيب ...

ومن الواضح أن معظم سكان الكرة الأرضية يحملون لليهود أمر شعور البغضاء والكراهية، وينظرون باستنكار واشمئزاز إلى الطرق الملتوية التى يجمعون بها الاموال الطائلة بغير حق ، وهم مع ذلك يسكتون على هذا المكروه صاغرين ، تارة باسم حرية العمل وحيازة المال فى ظل الديموقراطية وتارة لعوامل أخرى سيأتى ذكرها . وبعض هذه الشعوب الديموقرطية ، نفسها لم تتورع عن سوم العبيد فى أمريكا أصناف الخسف والعذاب وحرمانهم أبسط حقوق الانسان، وبعض هذه الشعوب نفسها فرضت أنظمة وقيودا على الهنود والشرقيين فى أفريقيا الجنوبية بحيث جردوا تجريدا تاما من الحقوق الطبيعية الانسانية بله السيطرة والنفوذ . والامر فى الظاهر بسيط التفسير فاليهود فى الامم الديموقراطية كما أسلفنا يتمتعون بموجب نظم تلك البلاد بحرية العمل وحرية حيازة المال ويجمعون ثروات واسعة بما طبعوا عليه من قدرة على جمع الثروة بمختلف الوسائل الشريفة وغير الشريفة ، ويستغلون بالتالى هذه الثروة فى فرض سيطرتهم على الصحافة ووسائل الدعاية وغير ذلك ... وهم فى البلاد الديكتاتورية يتوصلون إلى أغراضهم بجمع المال أيضا بطرق دنيئة خسيسة بحيث يتقربون بهذا المال إلى رجال الحكم والنفوذ، وبالتالى يسخرونهم فى أغراضهم ودسائسهم المختلفة ، ولكن أليس عجيبا أن هذا العالم بانظمته المختلفة كثيرا ما ضاق ذرعا ببعض عناصر البشر ففرض عليهم قيودا جردتهم من أبسط حقوقهم الطبيعية رغم ضعف الاسباب والبواعث التى أدت إلى ذلك وتقاعس هذا العالم نفسه عن فرض مثل هذه القيود على اليهود ؟ أما كان باستطاعة دول العالم بامرها ، لو شاءت ، أن تحذو حذو هتلر فيما اتخذه من تدابير تؤدى فى النهاية لو بقى له الأمر إلى خنق نفوذهم مهما بذلوا من نشاط .

فلماذا لم يتبع العالم مثل هذه الأساليب نحو اليهود وآثر أن يكبت ما يستشعره من مرارة نحو هؤلاء الطفيليين .

ليس الجواب عن هذه النقطة واضحا ميسورا . ولكن إذا خطر ببالك أن توجه مثل هذا السؤال إلى مسيحى متدين فسيكون

جوابه بلا شك أن هذه هي إرادة الله، أوهذا هو ما أرادته التوراة. والذى يتتبع تاريخ بنى اسرائيل ويلاحظ مدى ارتباط تاريخهم بتاريخ الديانات المختلفة ولاسيما الديانة المسيحية يلاحظ أن الدعاية والتهليل لبنى اسرائيل يسود روحها ونصوصها بشكل عجيب . ويبدو أن اليهود كتدبير معاكس لروح البغضاء والكراهية السائدة ضدهم قد أفلحوا فى بث سمومهم فى مختلف مذاهب وعقائد البشر . والمتتبع لتاريخ اليهود والمحتك بهم يعلم حق العلم أن اليهودى يهودى قبل كل شيء آخر، مهما كانت تبعيته ومهما اعتنق فى الظاهر من مبادىء وعقائد ؛ فهو لذلك يتوسل لخدمة بنى قومه بأية وسيلة ، فلا يتورع عن التظاهر باعتناق الديانة الإسلامية إذا اقتضت المصلحة ذلك ، وإذا شعر أن بإمكانه بث أفكار معينة فى تقاليد ذلك الدين من شأنها أن تعود على اليهود بالنفع .

وفى التاريخ الإسلامى كثير من اليهود اعتنقوا الإسلام ويظن بأنهم مسؤولون عن اختلاق كثير من الأحاديث التى يراد بها تفكيك عرى الإسلام من جهة ، وبث روح العطف على اليهود إذا أمكن من جهة أخرى .

أما الماسونية والشيوعية والفوضوية وما شابه ذلك من المذاهب السياسية والاجتماعية الحديثة فلا شك عندى بأن اليهود قد قاموا بدور كبير فى إيجادها ونشرها ، وذلك بقصد نشر الأفكار بين الناس بضرورة التساوى بين البشر فى الحقوق بحيث لا يكون فرق بين يهودى وغير يهودى الخ . . . . يضاف إلى ذلك أنهم ما داموا قد فقدوا وطنهم وتفككت عرى مقوماتهم القومية فلا بأس بأن يفككوا روح القومية الوطنية أينما وجدت . وما داموا عنصرا مضطهداً فلا بأس بأن يبثوا وينشروا أفكارا من شأنها إزالة الفروق العنصرية . وما داموا موتورين لهذا العالم الظالم — حسب رأيهم — فليؤلبوا فيه الرعاع على الطبقات الخاصة وينفسوا بذلك ما يعانونه من الكبت نحو العالم بأسره .

وعلى الجملة فإن الفضل فى سيطرة اليهود وسعة نفوذهم ليس فى الحقيقة راجعا إلى ثرواتهم الواسعة ، لأن هذه الثروات يمكن حصرها ووقفها عند حد ، ولأنه يمكن لأية دولة وضع الأنظمة والأساليب التى تكفل القضاء تجاريا واقتصاديا على فئة من الناس يهمها القضاء عليها ، وإنما الخطر كل الخطر هو فى أن العالم لا يستطيع أن يضع مثل هذه الأنظمة التى تؤدى إلى القضاء على اليهود ماليا . ذلك لأنه يتأثر بالعقائد الدينية والأفكار المختلفة التى ينشرها اليهود أنفسهم والتى تحول بين العالم وبين تنفيذ مثل هذه الأنظمة ؛ أى أن الخطر ناشىء مما ينشره اليهود من الأفكار والعقائد التى يسممون بها عقول البشر بحيث أن تكون أشبه بشبكة من الأسلحة الفتاكة تظللهم وتقيهم شر خصومهم، على حين يبقون هم — أى اليهود — على أفكارهم وعقليتهم التاريخية غير متأثرين بالأفكار الجديدة التى خلقوها هم أنفسهم . وإلى أن يتحرر العالم من هذه العقائد والأفكار اليهودية فلن تكتب له النجاة من شرور اليهود ونفوذهم وإذا أفلح اليهود في بث أفكارهم فى وسط من الأوساط — وإنهم لناجحون فى ذلك فعلا فى معظم أنحاء العالم — أمنوا العدوان عليهم فينصرفون عندئذ بأساليبهم الجهنمية إلى جمع الثروات الواسعة فيدعمون بذلك كيانهم ويثبتونه . ولقد ساعدهم على ذلك كله ما تبرره لهم ديانتهم من اتباع الوسائل الدنيئة فى الحياة .

واليهودية دين عجيب فى العالم ، أو هو الدين الوحيد الذى يعتقد اتباعه بانه خاص بهم ووقف عليهم، وإن الله خلقهم لسيادة هذا البشر وتسخيره فى سبيل أغراضهم ومصالحهم ؛ فهم لذلك لا يرحبون بان يدخل فى دينهم أحد لأنهم لا يحبون أن يشاركهم فى المغانم التى وعدهم الله بها . والمسلم مثلا مهما بلغ به التعصب الدينى يرحب بان يشاركه فى هذه السعادة — حسب اعتقاده — كل البشر لأنه يؤمن بان الدين إنما أنزل لخير البشر أجمعين. وكذلك الحال بالمسيحى فانه لاعتقاده بان المسيحية دين نزل ليسعد ويهدى البشر عامة فهو يتوق إلى اشراك غيره من البشر فى هذه السعادة ما استطاع إلى ذلك سبيلا . ومتى أصبح غير المسيحى مسيحيا فقد أصبحت له نفس الحقوق الأخرى التى يتمتع بها المسيحيون ويسعدون باشراكه فيها . وهذا لعمرى أقل ما ينتظر من دين سماوى محترم . ومن هنا ينشأ خلاف أساسى بين اليهود من جهة وبين سائر البشر — مسلمين ومسيحيين — من جهة أخرى؛ فان بنى البشر جميعا مهما اختلفت مذاهبهم السياسية وغاياتهم الدنيوية لا يستطيعون أن يتجردوا من انسانيتهم تجردا تاما، ولابد لتسكين هذه الحوافز الانسانية من اعتناقهم لمذاهب دينية

يهدف فى النهاية إلى اشتراك العالم بأسره فى السعادة والخلاص . هذا ما يؤمن به المسلم وما يعتقده المسيحى وما يحبه كل البشر بعضهم لبعض عدا اليهود الذين كما أسلفنا يعتقدون فى إله يصطفيهم من دون البشر ويقصر عليهم المغانم والامتيازات ، وهو إذ يبسط عليهم كل هذا النعيم المنتظر يمنعهم بحرمان غيرهم منه .

وبعد فان شعبا يحمل هذه العقيدة وينظر إلى البشر هذه النظرة لا يمكن أن ينسجم مع سائر البشر بحال من الأحوال. وانك لتقابل رجالا من المسلمين مغالين فى تعصبهم ولكنهم كلما غالوا فى تمسكهم بشعائر الدين شعرت بتمكن العواطف الانسانية منهم وتمنيهم على الله أن ينتشر الاسلام فيشمل كافة البشر ليظللهم أجمعين بالسعادة والاطمئنان . وهذا هو الحال مع المسيحيين وسائر أهل المذاهب والمعتقدات الدينية؛ فالبشر المسيحى المغالى فى عقيدته الدينية إنما يجوب الأرض ويطوف بها رغبة منه فى اسعاد أكبر عدد من البشر وهدايته — من وجهة نظره — فهو من هذه الوجهة انسان كامل الانسانية. وهذا هو عكس الحال مع اليهود تماما؛ فكلما كان اليهودى أكثر رغبة فى اقصاء غير اليهودى كان أكثر تدينا وأكثر إيمانا بوجوب تسخير بنى البشر لليهود . ويعتقد اليهود أنهم كلما أمعنوا فى ذلك كان عملهم ادعى لمرضاة الله عنهم . ولو تصفح القارىء كتابهم المقدس لوجد على ذلك أدلة كثيرة ، ففى محاصرتهم لأريحا عند خروجهم من مصر إلى فلسطين يأمرهم الرب بأن لا يبقوا على ولد صغير وامرأة عجوز من أعدائهم بل يذبحونهم جميعا ، فتأمل . . ومن قبل ذلك يأمرهم عند مغادرتهم مصر بأن يسرقوا ما تصل اليه أيديهم من حلى النساء المصريات، أى أن الله سبحانه وتعالى يحلل لهم أموال ودماء غيرهم من البشر وغير ذلك وذلك كثير . بيد اننى لا أعجب من اعتناق اليهود لمثل هذه العقيدة بقدر ما أعجب من أن كثيرين من غير اليهود وممن يفرض بأنهم مثقفون متنورون يؤمنون بأن الله عز وجل يمكن أن ينزل مثل هذه الأوامر لا لغاية ردعية أو عبرة معقولة وإنما ليمتع شعبه المختار بسفك دماء بنى البشر الآخرين . وكيف بالله يسوغ عقل جواز الجمع بين مثل هذه الروح الشريرة وبين الروح النبيلة السامية التى تتجلى فى دعوة السيد المسيح عليه السلام إلى نشر السلام والوئام والحب بين بنى البشر أجمعين .

ولست أشك لحظة فى أن الدرس اليهودى تناول كل مرافق حياة البشر رغبة منهم فى أن يخففوا من غلواء مقاومة البشر لهم وقد نجحوا فى ذلك نجاحا ملموسا ، فاينما رأيت اضطهادهم يزداد فى بقعة من الأرض رأيت عقائد جديدة تنتشر فى تلك البقعة من شأنها أن تؤدى إلى التخفيف من هذا الشعور نحوهم؛ ففى روسيا انتشرت المبادىء الشيوعية التى لا تعتبر العنصر أو الدين مقياسا للتمييز بين الناس ، وكأنما جاءت هذه العقيدة علاجا للتخفيف من الشعور المر الذى كان الروس يحملونه لليهود . وفى القرون الوسطى حينما انكشفت للناس أعمال اليهود القذرة من ربا واستغلال واحتكار انتشرت إلى جانب ذلك الروح المسيحية المتدينة بين الفرسان ومختلف طبقات الشعب فى ولا شك أن المتمسكين بشكليات الدين وحرفيته من المسيحيين لا يستطيعون أن يتحرروا من العطف على الشعب الذى تدور كل حوادث التوراة حوله . وكأنما لم يوجد البشر فى هذا العالم إلا ليستمتع ببحث شؤون هذا الشعب المصطفى وتتبع مراحل تقربه من الله أو ابتعاده عنه . وكأنما لا يستطيع الله أن يرسل أنبياء وهادين إلا من هذا الشعب المختار. ولا شك عندى فى أن تقوى أهل القرون الوسطى والهالة التى يرونها تحيط بنى اسرائيل فى كتبهم المقدسة هى التى حالت بينهم وبين استئصال شأفة اليهود والقضاء عليهم فى أوربا خلال تلك القرون . فهذه الهالة التى تحيطها كثير من الكتب المقدسة فى العالم باليهود ، وهذه الروح التى تبثها مختلف العقائد السياسية الحديثة من ديموقراطية وشيوعية وفوضوية والتى تشترك جميعها فى عدم اعتبار الدين والعنصر أساسا للتمييز بين البشر ؛ هذه العقائد فى نظرى هى المسؤولة الأولى عن الابقاء على اليهود وإحاطتهم بضروب الحماية المختلفة وتركهم يعيثون فى الأرض فسادا برغم ما يعهده العالم بأسره فيهم من منافاة للطبائع والغرائز الانسانية . وإنى أعتقد مخلصا بان العالم لن يصيب الراحة والهدوء ولن يسوده السلم والاستقرار ما دام اليهود عنصرا فعالا فيه ، وما دام بين الناس من لا يزالون ينخدعون بهم وينظرون اليهم نظرتهم لسائر أبناء البشر الآخرين. ولا مفر للبشر من أتباع أحد وجهين لا ثالث لهما لوضع حد لمفاسد اليهود وشرورهم ، فاما

أن ينبذوهم نبذا تاما ويقصوهم عن مراكز العمران في العالم ويحصروهم في بقاع نائية حصراً لا مجال لهم معه إلى بث سمومهم في الناس. وإما أن يصدقوا النية في تغيير عقلية اليهود ومعتقداتهم بأخذ الأجيال الناشئة منهم وتربيتها تربية بعيدة كل البعد عن معتقدات آبائهم وأجدادهم بحيث يهدون إلى دين جديد كالاسلام أو المسيحية أو الكونفوشيه أو البوذية أو أي عقيدة أخرى ويهذبون ويوجهون توجيها جديداً يتفق مع الخلق الكريم والمثل الانسانية العليا لتصبح نفوسهم مثل نفوس سائر البشر. ولن يكون ذلك إلا بتفريقهم مجموعات بين الأمم بحيث ينسون لغتهم وتاريخهم ودينهم ويندمجون اندماجا تاما في الامم التي يعيشون بينها ابتغاء حياة أسعد وأشرف لهم ولغيرهم من البشر . أما البريطانيون الذين أخذوا على أنفسهم تأسيس دولة لليهود في فلسطين فانهم إذا لم يسارعوا إلى تدارك الأمر فسيكتوون قريبا بنار ماجنوا ويحرقون معهم أجيالا من البشر وبقاعا من الأرض كانت قبلهم آمنة ومطمئنة.

البصرة عدنان الكيالي

قلبي ...

للاستاذ حسن كامل الصيرفي

أنفضي منه نداه وانشقيه فهو زهره
غسلتها في سكون السحر المفتون قطره
نفض الفجر عليها سحره ، والصبح بشره
وعلاها في الضحى النو ر فنالت منه سره
وبدت عند الأصيل الأرجواني كخمره
عطف الليل إليها فغفى بفتح صدره
ورأى الشاعر فيها مصدراً يلهم شعره
فاقطفيها إنها قلبي ... فما أروح عطره !

أرهفي السمع اليه إنه البلبل يشدو
ساهر الليل ولكن هو لا يضنيه سهد
أو تدرين الذي ينشد ؟ لا تدرين بعد !
ملأ الجو أغاريد فهذا الجو عبد
ينقل الأنغام كالوحي ، أميناً ، فهي عهد
لم يضيمه ولكن سامع الأنغام صلد
كلهم للنوم عبدا ن ، وللأوهام جند
فاسمعيه أنت فالبلبل قلبي بات يشدو !

إملئيه فهو كأس لستها يد ربي
جمعت فيه الأماني خضراً من كل صوب
وهو من صنع يد الأحلام في ليلة حب
وهو أنقى من رؤى الشاعر في ساعة قرب
إنتشت منه العذارى وهو أسطورة غيب
كان مملوءاً ولكن جف من إدمان شربي
فاملئيه خمرة معصو رة من كرم حبي
واشربيها فهي روحي واحفظيه فهو قلبي

أترين الجدول الجا ري في عطف الحليم
سكبت فيه الليالي من أشعات النجوم
أدمعا مازجن أنداء من الفجر الوسيم
كوثر الفردوس أوحا ه إلى دنيا الهموم
فجرى يبعث فيها من تهاويل النعيم
راحة الله التي حطت على الكون الأليم
إنهلي منه فما تعدله خمر الكروم
إنه قلبي على شطيه أطياف رسومي ...

وإذا مرت بك الأيام تطوي الصفحات
وتلاشت من فم الدنيا معاني البسمات
وتلاشت إثرها عندك أحلى الذكريات
برق المطر الذي استروحته من زهراتي
والصدى العذب الذي استقطرته من أغنياتي
وجلال النشوة الحلوة من كأس حياتي
وخرير الجدول الحالم في هذا السبات
فأعادت لك أحلا م الليالي الخالدات

حسن كامل الصيرفي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

افتتاح مؤتمر المجمع اللغوى :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الاثنين الماضى بافتتاح دورة المؤتمر السادس عشر ، وقد جرى على أن تكون جلســة الافتتاح حفلا يدعو إليه جمهرة من رجال العلم والأدب ، وقد امتلأ المكان بهؤلاء إلى جانب أعضــاء المجمع من مصريين وأجانب شرقيين وغربيين . افتتح الجلسة معالى رئيس المجمع بكلمة وجيزة رحب فيها بالعضوين الجديدين ، وذكر من توفى من الأعضاء بالثناء والترحم . وبعد ذلك ألقى المراقب الإدارى للمجمع كلمة معالى وزير المعارف التى حيا بها الأعضاء وأشاد بما يبذلون من الجهد فى النهوض باللغة العربية ، ومما جاء فى هذه الكلمة قول معالى الوزير : وقد يطرق مسامعكم حينا بعد حين ، دعوة يصيح بها صائح من وراء الجدران السامقة ، يريد أن يحملكم على شىء من التسامح والرفق فى علاج بعض مشكلات اللغــة ، بتقبل بعض العامية فى معاجم الفصحى ، أو بمحاولة تفصيح بعض الكلمات الأعجمية ، ولست أشك ـ وأنتم بالمكان الرفيع بين أهل العلم والفن والأدب ـ أنكم حين تستمعون لمثل هذه الدعوة ستضعونها تحت مجهر البحث والتحقيق ، لتلائموا بين حق اللغة فى وجوب حياطتها والمحافظة على سلامتها ، وبين مقتضيات التطور الطبيعى فى التعبير بهذه اللغة عن حاجات الحياة دون أن يكون لذلك أثر فى سلامتها وفى خصائصها ، فأنتم هنا حماة الفصحى وأنتم سدنة معبدها المقدس .

ثم ألقى الدكتور منصور فهمى باشا كاتب سر المجمع ، كلمة أجمل فيها أعمال المجمع فى عام ، وقد قدم لها بمقدمة اعتذر فيها من إملال هذا السرد الذى يتكرر فى كل عام ، فكانت هذه المقدمة بمثابة إنذار .. ولكنه لم يطل فى ذلك بل أسرع إلى التعليق خشية أن يكون ذلك السرد كالرغيف يؤكل بلا أدام ، والشطيرة تؤخذ دون أن تدهن بالزبد ، كما قال . وقد كان الأدام أو الزبد تصويرة لجهود المجمع ببعض التشبيهات التى منها أن هذه الجهود مثل طاقة الكهرباء فى فعلهـا وأثرها مع فارق ملحوظ هو أن الكهرباء تؤثر فى الأطوال البعيدة والأعراض الممتدة فى لحظة يسيرة ويصل تيارها إلى غاياته فى لمح البصر ، أما المجرى الذى يسيل فيه التفكير اللغوى فتتكون مادته من نفوس الناس التى لا تتجانس كما تتجانس الأسلاك الموصلة ، أى أن أعمال المجمع يعوقها اختلاف الناس عن سرعة السريان .. وقد سلك هذا السبيل الطويل لتبرير بطء المجمع فى أعماله ! وقد أدركنا بعد ذلك أن سرد أعمال المجمع لم يكن مملا ..

وألقى الدكتور ابراهيم بيومى مدكور كلمة عن جهود المجمع فى خمسة عشر عاما ، أى منذ إنشائه إلى الآن ، وقد عرض أهم الموضوعات التى تعرض لها المجمع وما أنجزه من الأعمال . وهو وإن لم يسلك سبيل الخيال الذى سلكه منصور باشا إلا أنه طول الكلام وعرضه فى بعض المسائل الشكلية ، وقد اتفق كلاهما فى دفع مايتهم به المجمع من البطء والتكاسل وضرب المثل بالمجمع الفرنسى فى ذلك .

وألقى معالى السيد محمد رضا الشبيبى كلمة موضوعها « بعث العربية » تحدث فيها عن عصور التأخر اللغوى ومرحلة النهوض الحديث ، والموضوع وإن كان مطروقا إلا أنه أتى فى تناياه بما أكسبه بعض الجدة وشيئا من القيمة . وقد قال بعد ماذكر المجامع العلمية واللغوية واهتمام مجمع فؤاد الأول بتأليف المعاجم — قال : يجب أن نرى بين معجمنا الحديث المنشود وبين معجماتنا القديمة اختلافا بينا فى المادة والجوهر ، وفى كيفية التكوين والتأليف ، فإن معجما يوضع لسد حاجة هذا الجيل وما يليه من أجيال لهو غير المعجمات القديمة ، بل نحن نذهب أيضا إلى أبعد من ذلك فنقول إن معجمنا الحديث يجب أن يختلف أيضا عن هذه المعجمات الحديثة التى وضعها المعاصرون فى مصر ولبنان والشام . نريد معجما يوضع على غرار أحدث المعجمات اللغوية المصنفة فى اللغات الأوربية الحديثة من حيث الدقة والإتقان والاستيعاب . نريد معجما يعنى واضعوه بتاريخ الكلمة وكيف تحولت مدلولاتها بتحول العصور على أن تكون عنايتهم معززة بالشواهد والنصوص المقتبسة من آداب لغتنا العربية فى مختلف عصورها ، على النحو المتبع فى المعجم الإنجليزى المعروف بمعجم اكسفورد .

وكانت الكلمة الأخيرة للأستاذ ماسنيون وكان موضوعها « خواطر مستشرق فى التضمين » وقدصاغها على طريقته المعروفة فى التعبير الرمزى، ومما استطعت أن أعيه من عبارات هذه الكلمة قوله : التضمين هو نوع من نبض الفكر لاستخلاص الجوهر من الأصول اللغوية الثلاثية المثبتة فى المعجمات ، وإن من فضل اللغات السامية ، وبخاصة اللغة العربية ، تعدد المعانى واكتنازها فى أصل لغوى واحد، واجتهاد الكاتب أن يتعمق فى هذه المعانى لإحكامها وإخضاعها لأقدم معنى يصل إليه . وهذا نوع من الهجرة العقلية فى خلوات التأمل . ومن عباراته أيضاً أن المستشرقين المحدثين يشبهون وجوب الاصطلاح فى اللغة بالاغتراب فى الزواج لأنه لافائدة من استعمال حجاب الكلمات مع ذوى الأرحام.

قال لى صاحبى ونحن نستمع إلى الأستاذ ماسينيون : يظهر أن مذهب « السر بالرمز » قد وصل إلى اللغة !

فلم الاسبوع

هو فلم « بنت العمدة » الذى عرض فى الأسابيع الأخيرة بسينما الكوزسال ، وهو من تأليف وإخراج عباس كامل ، وتمثيل هاجر حمدى وكمال الشناوى وهدى شمس الدين وآخرين . وتتلخص القصة فى أن الدكتور عادل (كمال الشناوى) شاب تخرج حديثا فى كلية الطب ويعمل فى عيادته الخاصة مكبا على عمله ؛ يأوى إلى زوجته القروية (هاجر حمدى) وهى ابنة عمه العمدة ، وتبدو هذه الزوجة منهمكة فى أعمال البيت من طبخ وكنس وغسل وغيرها منصرفة بذلك عن العناية بنظافتها وزينتها حتى لايكاد زوجها يشم منها غير رائحة الثوم والبصل تقتحم عليه العيادة الرقاصة لولا (هدى شمس الدين) لعلاج خدش فى ركبتها فتغريه بها حتى يندفع معها إلى آخر الشوط . ويهمل زوجته بل يضيق بها ويعمل على إبعادها إلى القرية مرارا ليخلو له الجو . وأخيراً تكشف الزوجة الأمر، وعند ماترى الرقاصة توشك أن تستلب منها زوجها تهرع إليها وتهددها وتحملها على أن تتفق معها على حيلة تقومان بها . تظهر عزيزة راقصة فى المرقص الذى تعمل به لولا ، ويراها زوجها الدكتور عادل فيفتتن بها وهو لايعرفها ، وتصل بينهما لولا فيبثها هواه ، وتمعن هى فى الإغراء والدلال حتى تطلب إليه أن يتزوجها ويطلق زوجته ثم يتبين له أنها هى زوجته ، فيعتذر إليها ويستأنفان حياتهما سعيدين .

كشكول الأسبوع

□ كان معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية قد أو فد بعثة إلى تركيا لتصوير أنفس المخطوطات العربية المحفوظة هناك . وقد صورت البعثة مجموعة من هذه المخطوطات تبلغ نحو ٢٥٠٠ كتاب وجاءت بها إلى مصر، وهى الآن فى الإدارة الثقافية بالجامعة العربية معروضة لمن يريد الاطلاع عليها أو أخذ صورمنها. ولهذه المجموعة قيمة خاصة ، فأكثرها من المخطوطات التى تكشف لأول مرة وبعضها مما كانت تتحدث عنه الكتب دون أن يعرف له مكان .

□ بدأت الإدارة الثقافية تتسلم بعض الكتب المترجمة التى كانت قد عهدت بترجمتها إلى المختصين ، فتسلمت الجزأين الأول والثانى من كتاب قصة الحضارة لدورانت ، وكتاب تطور الزراعة فى الشرق الأوسط لسكين ، وكتاب الأنساب لزان باور ، وكتاب حقوق الإنسان لألبير بابيه ، وكتاب العمارة الإسلامية لكريزويل ، وعهدت إلى هيئات النشر بطبع تلك الكتب باسم الجامعة العربية .

□ صدر العدد الأول من مجلة « رسالة الباكستان » حافلا بالمقالات الاجتماعية والثقافية إلى جانب الأنباء المختلفة ، وفى صدره كلمة للدكتور حسين الهمدانى قال فيها إن هذه المجلة تصدر لتقف إلى جانب شقيقاتها العربية فى المساهمة فى التقريب بين مصر والباكستان وبين الباكستان وعموم البلاد العربية والإسلامية .

□ كانت إدارة الصحافة والدعاية بوزارة الخارجية قد أتفقت مع إدارة « أوبرامتروبوليتان » بنيويورك على إذاعة ١٨ أوبرا فى مصر بوساطة محطة الإذاعة المصرية . وقد ظهر أن إدارة الصحافة تسرعت فى ذلك دون أن تعرف أذلك ممكن من الناحية الفنية الإذاعية أم لا ، وهل هو مفيد لمصر والدعاية لها أولا

□ رأت وزارة الشؤون الاجتماعية أن الفرقة المصرية للتمثيل لم تؤد رسالتها المنشودة للنهوض بالمسرح ، ووضعها الراهن لايبعث الأمل فى ذلك ، وخاصة أنها غير مختصة بنوع من التمثيل فهى تمثل كل أنواع المسرحيات ، ولأنها لاتشعر بالمنافسة التى تدفع إلى النشاط ؛ فاتجه الرأى إلى مايلى :

(١) تكوين فرقة نموذجية تضم خريجى معهد التمثيل تحت إشراف الأستاذ زكى طليمات ، وتقدم هذه الفرقة مسرحيات من الأدب الفصيح السهل .

(٢) إنشاء شعبة للتمثيل الغنائى يشرف عليها الأستاذ محمد عبد الوهاب .

(٣) تستمر الفرقة المصرية الحالية بإشراف يوسف وهبى بك إداريا وفنيا .

وتشرف اللجنة العليا للتمثيل على الفرق الثلاث ، وتزاد الإعانة السنوية لها إلى ٥٠ ألف جنيه .

□ لوحظ أن يوسف بك وهبى يقلد شكوكو بترديد بعض كلماته المشهورة مثل « ياخرابى ! » وذلك فى مسرحية بيت الطاعة وفلم بيومى افندى . فهل ذلك إعجاب بشكوكو أو منافسة له ..؟

والفلم من أفلام هذا الموسم التي توالى ظهورها أخيرا جاعلة همها اجتذاب الجمهور بعرض الرقص والفكاهة والغناء ، إلا أن به موضوعا هو تصوير الزوجات اللاتي لايعنين بمظهرهن أمام أزواجهن الذين يضطرون إلى التماس المتعة في الخارج . ولكن الموضوع لم يوجه توجيها حسناً ولم يعالج على نحو طبيعي ، وقد سيقت الحوادث كما أرادها المؤلف المخرج رغم طبيعتها ، فقد جعل الأبطال يتصرفون وفق رغبته في حبك القصة ، لا كما تقتضي طبائع الأمور؛ فهذه الزوجة القروية الساذجة التي يتبرم بها زوجها ويمعن في احتقارها فلا تدرك تغيره ولا تشعر أن شيئا غير عادي وقع له حتى تفاجئها الحقيقة سافرة — هذه الزوجة نراها قد انقلبت بقدرة المؤلف المخرج رقاصة من طراز غربي مرة واحدة ! وامتدت هذه القدرة كذلك إلى خادمها الفلاح عبد الموجود (عبد الغني السيد) الذي أحضرته من القرية ، فجعلته شابا (مودرن) يغني لها وهي ترقص ! وعلى أي أساس اتفقت لولا وعزيزة على تلك الحيلة ؟ وكيف رضيت الأولى وهي التي تعمل على استخلاص الزوج لنفسها ؟ لأن عزيزة هددتها بالمسدس ! كان يكفي أن تتخلى الرقاصة عن الزوج إزاء تهديد الزوجة ، ولكن قدرة المؤلف المخرج فوق الطبيعة ، فقد أبت إلا أن تجعلها تدبر لها لتعيد إليها زوجها . . ولم يتعذر على المخرج أن يجعل الزوج لايعرف زوجته وهي في دور الراقصة ؛ فحسبه أن يضع على عينيها عصابة سوداء تشبه النظارة ، وتتسرب القدرة الفائقة إلى عقل الزوج فتجعله — وهو الذكي المثقف — تخفى عليه شخصية زوجته لأنها لبست حلة الرقص ووضعت على عينيها منظاراً أسود !

وقد رأينا الدكتور عادل يقع سريعا في حب لولا الرقاصة مع أنه ظهر في المبدأ مستقيما مجدا في عمله ، دون أن يتنبه ضميره فيتردد ولو قليلا فيكون هناك شيء من الصراع النفسي ، ولكن الجهد منصرف بسرعة الى مواقف الرقص فليس هناك وقت لمثل هذا التحليل .

وكان ظاهراً أن الغاية من مناظر القرويين الإضحاك بالمفارقات بين أوضاع المدينة والقرية ، وما في ذلك بأس على أن يكون في حدود المعقول ، ومن المقبول في ذلك منظر العريس وبيده كرنبة يأكل أوراقها ويقشر رأسها في حفلة الزفاف ؛ ولكن هناك مناظر بولغ فيها إلى درجة غير مقبولة ، مثل منظر عزيزة بنت العمدة وزوجة الدكتور تهبط من سيارة عامة فيحملها أحد الفلاحين ويركبها حمارا ثم يبلغ بها الحمار إلى حيث اصطف لاستقبالها تلاميذ المدرسة الإلزامية بقيادة الناظر في شكل مزر ، ولست أدري أين يقع مثل هذا ! ومما لايقع أيضا أن ترقص بنت العمدة شبه عارية أمام الرجال في عرس قريبها إلا أن تكون هاجر حمدي ويكون هناك مخرج يحرص على تهيئة مواقف ترقص فيها ... وقد تكررت هذه التهيئة في غير موضعها . وقد أفسد هذا الاتجاه إلى الاستعراض كثيرا من المواقف وأدى إلى الاضطراب والتناقض في تصوير شخصية عزيزة ، فإنا لم ندر أهي فتاة قروية ساذجة أم هي هاجر حمدي (الأرتست) الرقاصة . . فقد كانت تنقلب من الأولى إلى الثانية بدافع الرغبة الشديدة في «الاستعراض» دون التفات إلى ماينبغي من مراعاة المنطق الطبيعي لتسلسل الحوادث . وكان التمثيل لابأس به على العموم ، فكانت هاجر حمدي موفقة في تصوير شخصية الفتاة القروية ، غير أنها كانت في موقف تتكلم بلهجة قاهرية وفي آخر تنطق بلغة قروية دون داع إلى هذا الاختلاف . أما هدى شمس الدين فهي فتاة جميلة ولكن تمثيلها قليل الحظ من الحيوية والتعبير ، وكذلك كمال الشناوي . وقد مثل عبد الغني السيد شخصية الخادم الفلاح عبد الموجود فأحسن كما أحسن في الغناء الريفي ، ولكنه عاد في الرقص إلى غنائه العادي الذي تسمعنا إياه محطة الإذاعة . ومن الشخصيات الفكاهية الظريفة محمد كامل في دور المرض وعبد الحميد زكي في دور العمدة .

عباس خضر



القصيدة الأسدية

اطلع زميلنا الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي على قصيدة صديقه الأمير شكيب المنشورة في العدد ٨٥٨ والتي قالها عقب شفائه من مرض ثقيل فأنشدنا قصيدة له في معنى قصيدة الأمير قالها في شهر اكتوبر الماضي وقد أصيب بخراج خطر قيل إنه المسمى بكف الأسد (شيربنجه) فعولج بالبنسلين وشفي. وقد أطرف بهذه القصيدة رفاقه (الشيوخ) بدمشق وأنشدها في ندوتهم مداعباً مفاكهاً وهاهي ذي:

كفكفت كفك يا أسد … يا أيها الخصم الألد
بالله ثم البنسلين … وقل هو الله أحد
وأويت من ربي ورحمته … الى ركن أشد
أنشبت ظفرك في لا … ترثى لبنت أو ولد
أو صاحب يرجو لي الإ … بلال من سقم الجسد
ونسيت في الآجال ما … حكم الإله وما وعد
هذا يعجل حتفه … وحياة ذا أنسا ومد(١)
أرسلت طير الشؤم منـ … قضاً لحام وما ورد
وسللت سيف البغي منسلطاً … لحاك وما عضد(٢)
ورميت سهمك خلسة … فأصاب درعاً من زرد
إن كنت ترصد موتتي … فالبنسلين لك الرصد
أو إن أردت مساءتي … فالله ربي لم يرد
وأراك مغرى بالشيو … خ تسومهم برح الكمد
متهدداً متوعداً … لا بالصداع ولا الرمد
بل بالتصلب والحصا … والضغط أو ريح السدد(٣)
والفلج والرثيات(٤) أو … مرض المثانة(٥) والدرد
والكل سهل هين … في جنب تخليط الفند(٦)
هي علة في الرأس لكن … ذكرها عم البلد
هي علة في الفكر تحـ … كي الكفر بالله الصمد
هي علة قد رد صا … حبها إلى عمر نكد
من بعد علم لم يعد … يدري ولا سرد العدد
هي علة أيعيش صا … حبها بجد أم بدد(٧)
عدوه في الأحيا وفي … الأموات أجدر أن يعد
فاعجب له يمشي على الأ … رضين هاماً قد لحد(٨)
يارب تلك شكيتي … فاغفر ووفق للرشد

عبد القادر المغربي

(١) أنسا: أخر (٢) عضد: قطع (٣) ريح السدد: هو المسمى بعقد المصارين أو تلبك الأمعاء (٤) الرثيات: هي أنواع الروماتيزم (٥) مرض المثانة: هو البروستات (٦) (الفند): الخرف (٧) بدد: اللهو واللعب (٨) الهام: المعدود في الأموات

الى الاستاذ كامل محمود حبيب:

حضرة الأستاذ الأديب العربي الألمعي؛ أحمد الله اليك والسلام عليكم ورحمة الله. وبعد فإني أعلم أنك كنت صديقاً لامام الأدب وحجة اللغة عبقريّنا الرافعي - لهذا أرى أن للعربية حقاً عليك تؤديه بعمل تنشر به للرافعي ذكراً جديداً وتلفت إلى أدبه (الباعث لأمة) وأقترح أن يكون هذا العمل كما يأتي.

أولا — جمع ما أثنى به الكتاب والعظماء على الرافعي وهو شيء كثير يؤلف مجلداً ضخما أو أكثر وما رأيت أحداً اثنى عليه بمثله وفيه أبلغ القول وأجمله.

ثانيا — جمع كل ما عرف له من شعر ونثر والمبالغة في هذا الجمع حتى لا يفلت مما أثر عنه شيء.

ثالثا — السعي لانشاء كرسي لأدبه في الجامعة فما هو بأقل من شوقي، ولا منزلته بأقل من منزلته، بل له ميزة لم يشاركه فيها أحد وهي إلزامه نفسه بألا يكتب — وما ادراك ما كتابته — إلا في مثل الشرق والانسانية العليا.

وأما بعد فان الجو العقلي والوجداني قد تهيأ لأدب هذا العبقري والمسئولية اليوم على عارفي أدبه فان أفلتوا الفرصة وأضاعوا (شمس الأدب) فان للتاريخ عتابا ولوما. أما أملي فيك أيها الألمعي فهو أبلغ من الرجاء لأني أدعوك إلى ما تحب بل إلى ما تجاهد في سبيله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمود الطاهر الصافي

برمل الاسكندرية

رسالة النقد

نهضة العراق الأدبية

القرن التاسع عشر

للأستاذ ابراهيم الوائلي

(تتمة مانشر فى العدد الماضى)

لندع هـذا ونتحدث عن أعجابنا بموقف الدكتورمن الرثاء عند السيدحيدر ولا سيما فى رثائه لآل البيت وبخاصة الأمام الحسين ، فقدوفى الدراسة هنا عمقا وتحليلا وتحدث عن العوامل النفسية والثقافية التى هيأت للشاعر هذا الجو الفسيح وكونت منه شاعراً متين التعبير قوى العاطفة مشبوب الأحساس يستطيع أن يحلق بجناحين من صدق الشعور والأداء مع الشريف الرضى ومهيار الديلمى . وأهم هذه العوامل كونه علوى النسب يتصـل بالأمام الحسين ، وكونه نشأيتيما فقيراً ، ثم ثقافته التى تلقاها فى مدينة الحلة تحت رعاية عمه السيد مهدى الشاعرالمعروف وردد على أندية بغداد والنجف حتى ذاعت شهرته فى العراق بمـا وهب من قلبه للألم والحسرة ، ومن لسانه للتعبير الصادق ، فترك سبعا

وعشرين قصيدة معظمها فى مأساة الحسين وكلها من وحى الألم الدفين واللوعة المكبوتة . ومن هذه الروائع قوله فى قصيدة يرثى بها الامام الحسين ويبدؤها بالفخر والتحسر :

إن لم أقف حيث جيش الموت يزدحم
فلا مشت بى فى طرق العلا قــدم

لا بد أن أتداوى بالقنـــا فلقــد
صبرت حتى فؤادى كله ألم

عندى من العزم سر لا أبوح به
حتى تبوح به الهندية الخـــذم

لا أرضعت لى العلا ابنا صفو درتها
إن هكذا ظل رمحى وهو منفطم

والقصيدة طويلةفيها من الملاحم تصوير البطولة فى أعنف داوارها ، ومن المآسى نهاية هذه البطولة إلى القتل الشنيع ، ذلك هو موقف الحسين كيف بدأ وكيف انتهى . وكل قصائد السيد حيدرفى فاجعة كربلاء لاتقل أهمية عن هذه القصيدة من حيث التصوير والعاطفة .

وكنت أود من الدكتور أن يضع السيد حيدراً فى مصاف شعراء المآسى أمثال « إشيل » و « اسفوكل » و « اوروبيد » قبل أن ينتظر منه آلام « فرتر » وتأملات « لامارتين » فان المآسى توجد فى كل زمان ومكان . وقد وجد السيد حيدر مأساة حقيقية علقت دماؤها بالفرات وامتد شفقها الأحمر إلى ماوراء ذلك فأطلق لهـا لسان الشعر يصبغه بمشاهدها الحزينة وألوانها الحمر ويسبغ عليها من القصة حبك الأسلوب وربط الحوادث وروعة التصوير . ولاتزال — تحتل المكانة الأولى من قصائد السيد حيدر — وستبقى فى مواكب عاشوراء فى العراق وغير العراق .

وتحدث الدكتور عن الشيخ صالح التميمي وسماه « أبا تمام الصغير » لأن المترجم له كان مولعا بشعر الطائي معجبا به مقتفيا أثره في البديع والتلوين اللفظي وان لم يدرك شأوه . ولولع التميمي بالطائي رثاه بقصيدة على ما بينهما من بعد في الزمن . ودراسة الدكتور لهذا الشاعر لاتعدو ترجمة حياته العلمية والمادية مع شيء من المقارنة بينه وبين أبي تمام . ولكنها على كل حال دراسة قيمة ذات شأن في تاريخ هذا الشاعر .

وممن تحدث عنهم الدكتور البصير شاعر أثير في نسبه ومكانته السياسية والأدبية وهذا الشاعر هو عبد الباقي العمري الموصلي ، ففي نسبه يتصل بالخليفة عمر بن الخطاب ، وفي مكانته السياسية كان نائبا لوالي الموصل فنائبا لوالي بغداد وهو منصب له خطره وشأنه في ذلك الوقت ، وفي مكانته الأدبية كان شاعراً من الطبقة الممتازة في عصره . وكان لشعره صدى عظيم في مدن العراق وقد ساجله وقرظ شعره طائفة كبيرة من شعراء عصره منهم السيد حيدر والأخرس ، وأنتج غير مؤلفاته الأخر ديوانين من الشعر احدهما « الترياق الفاروقي في منشآت الفاروقي » وقد طبع في مصر ، ويشمل هذا الديوان قصائده السياسية والاجتماعية وما قاله في المدح وفي مطارحاته مع الشعراء ، ومن ابدع النماذج التي اختارها الدكتور من هذا الديوان قول الفاروقي في وصف التلغراف .

ذو نقرات تسمع الصم الدعا ... وكم بها من عبرة لمن وعى
نهاية الإيجاز في تقريره ... وغاية الإعجاز في تعبيره
مسافة العام مع العامين ... يقطعها كطرفة في العين
في لحظة من مركز الخلافة ... يسرى فينتهي إلى الرصافة
وسيره في سائر الأقطار ... ألطف من طيف الخيال السارى
إن الذي أبدعه تخييلا ... « مستوجب ثنائي الجيلا »

أما ديوانه الثاني فهو « الباقيات الصالحات » ويشتمل على مدائحه في النبي الكريم والإمام علي وأولاده من الأئمة الاثني عشر ، والذي يجب أن يقال : أن العمري لم يكن شيعي المذهب ولكنه يظهر في ديوانه هذا صاحب فكرة واضحة فهو يحمل إلى جانب إحساسه الديني شعوراً سياسياً يتجلى كل منهما في حملته الشعواء على بني أمية لجملهم الخلافة وراثية بعد أن كانت انتخابية ، ويتعرض لمصرع الحسين في كربلاء بأكثر من قصيدة ويحكم بكفر يزيد بن معاوية ، ومما قاله في بني أمية :

واحربا يا آل حرب منكم ... يا آل حرب منكم واحربا
لكم وفيكم وعليكم وبكم ... مالو شرحناه فضحنا الكتبا

ومن أشهر مدائحه في النبي (ص) قصيدته التي يقول فيها :

تخيرك الله من آدم ... ولولاك آدم لم يخلق

كما أن له في الإمام علي قصائد مشهورة منها التي يقول في أولها :

أنت العلي الذي فوق السماء رفعا ... ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا

وقد شرحها أبو الثناء الألوسي . ومن هذه القصائد قصيدة مشهورة يصف فيها رحلته النهرية إلى الكوفة وهو قاصد زيارة الإمام علي ففيها إلى جانب المدح وصف رائع للسفينة التي أقلته إلى الكوفة :

بنا من بنات الماء للكوفة الغرا
سبوح سرت ليلا فسبحان من أسرى
تمد جناحا من قوادمه الصبا
تروم بأكناف الغري لها وكرا

والغري اسم من أسماء النجف ، وكان المنتظر أن لا يغفل الدكتور هذه القصيدة من بين ما اختاره للشاعر فهي من روائع الشعر .

ومن أبياته المشهورة في رثاء الحسين قوله يخاطب نهر الفرات :

بعداً لشطك يافرات فمر لا ... تحلو فانك لاهني ولامرى
أيسوغ لي منك الورود وعنك قد ... صدر الإمام سليل ساقي الكوثر

ومن طريف مايذكر عن وفائه لأصحابه بيتان كتبهما على ديوان الشيخ صالح التميمي الذي سبقت الإشارة إليه وهما :

نعم ، رب هذا الشعر قد كان صاحبي
يلازمني في فنه وألازمه
وقفت على ديوانه بعده
« وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه »

وتحدث الدكتور عن عبد الغفار الأخرس فتناول شعره وحياته خير تناول وسايره فى كل المواضيع التى نظم فيها ماعدا ناحية واحدة لا أدرى لماذا أغفلها الدكتور وهى ناحية الألم والحزن والتبرم بالحياة؛ فالأخرس إلى جانب مجونه ولهوه وما يصوره شعره من هذا المجون واللهو كان يضيق بدنياه فى كثير من اللحظات ولاسيما ان حياته المادية كانت ضنينة النبع - فيتألم ويصف أله ، وفى ديوانه ما يكفى لتسجيل هذه الظاهرة وقد أتناول هذه الناحية عند الأخرس فى فرصة أخرى .

وفى الكتابة عدا هؤلاء دراسات وافيــة عن السيد جعفر الحلى والسيد إبراهيم الطباطبائى استاذ الشيخ محسن الكاظمى دفين مصر . وعن الشيخ محمد - أو الشيخ حمادى - نوح والشيخ محسن الخضرى النجفى ، والشاعر العاشق الشهير الشيخ عباس النجفى صاحب القصيدة النونية التى أشرنا إليها فى معرض الحديث عن الحبوبى .

كما تحدث بافاضــة واستيعاب عن العالم الشهير السيد محمود الألوسى الحسينى صاحب المؤلفات الكثيرة ومنها تفسيره الشائع فى مصر والبلاد العربية المسمى (روح المعانى) . وعن الشيخ جعفر الشرق النجفى والد الشاعر الكبير الشيخ على الشرق عضو مجلس الشيوخ ووزير الدولة ببغداد. ودراسات أخرى لشعراء وعلماء آخرين . وفى خاتمة الكتاب استطراد لهؤلاء الشعراء واستعراض لقيمة هــذه النهضة الأدبية فى العراق ومقدار ماتتسم به من مكانة بالنسبة للقرون الهجرية الأولى . ثم مقارنة بين مركز العراق الأدبى فى القرن التاسـع عشر وبين مركز الآداب فى البلاد العربية الأخرى ؛ وهنـا يصرح الدكتور بأن مركز العراق الأدبى فى هذا القرن يبذ البلاد العربية جميعا سوى مصر التى أنجبت البارودى وإن يكن فى العراق ثلاثة من أمثاله آنذاك .

وفى الكتاب ملحق تضمن دراسة شاعرين ممن تحدث عنهم فى محطة الشرق الأدنى أولهما السيد عبد المطلب وهو ابن أخ السيد حيدر الحلى الســالف الذكر ، والثانى أبو المحاسن الشاعر الكربلائى ووزير المعارف فى وزارة جعفر باشا العسكرى سنة ١٩٢٣ وقد توفى بعدها بقليـل . وكان الأنسب ألا يقحم هذا الشاعر الأخير مع هؤلاء الذين تقدموا لامن الناحية الشعرية بل من الناحية الزمنية .

والذى يجب أن نختم به كلمتنا عن هذا الكتاب الذى استصفاه الدكتور البصير من ينابيع متعددة فأجراه فى جدول فياض رقيق الحواشى هو القيمة التاريخية بله القيمة الأدبية والفنية . فان هذا الكتاب قد جمع اشتاتا من صفحات الأدب كانت متفرقة هنـا وهناك ، وظلالا من الشعر كانت متباعدة تجهد الرائد والمتتبع . وأكثر من هذا الذى قلناه أن الكتاب لايستغنى عنه من يريد أن يؤرخ للأدب العربى الحديث تأريخا صحيحاً شاملا . فالى الدكتور البصير شكرنا الجزيل على ما أسداه للمكتبة العربية وللأدباء والباحثين فى هذا الكتاب وفى غيره من مؤلفاته الأخر .

ابراهيم الوائلى

فهرس الموضوعات للسنة السابعة عشرة من الرسالة